معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

1

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

1989 / 1410

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984 / 629

جميع حقوق النقل والترجمة ـ جزئياً أو كلياً بأي شكل كان ـ محفوظة
للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولمطابع سلا

شكر وتقدير

يسعد الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر أن تزجي عبارات الشكر والامتنان للشركة الشريفة للبترول التي اهتمت بمشروع المعلمة وأسهمت ماديا في تحقيقه، وأن تنشر الكلمة الطيبة التي تفضل بكتابتها الأستاذ محمد بن عبد الرازق المتصرف المنتدب للشركة :

لقد أبت الشركة الشريفة للبترول إلا أن تساهم، ولو بكيفية متواضعة، في إنجاز ونشر هذه الموسوعة المغربية التي تتطرق إلى جوانب متعددة لكل من تاريخ وطننا ومن مجتمعنا بخصوصياته وتقاليده وقيمه. وقد سهر على كتابة هذه الموسوعة نخبة من العلماء والباحثين المغاربة الذين نقدم لهم جزيل الشكر والثناء. مساهمة شركة وطنية في مشروع كهذا تعبر قبل كل شيء عن شعورها في بعض الظروف والأحيان بضرورة مد الإعانة إلى كل الذين يقومون بالبحث والتنقيب في كل ميادين تراثنا الوطني والذين تنقصهم الوسائل المادية.

ولا يسعنا هنا إلا أن نشجع أي مبادرة من هذا النوع لا سيما وقد ألفنا من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أيده الله ونصره الكثير من مثل هذه المبادرات بطبع ونشر العديد من الكتب المغربية الجليلة والقديمة من ماله الخاص جزاه الله خير جزاء. والسلام.

محمد بن عبد الرازق
المتصرف المنتدب للشركة الشريفة للبترول
الرباط 4 فبراير 1989

المدير المشرف : محمد حجي

لجنة التحرير : أحمد التوفيق، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط
محمد حجي، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

لجنة العلوم الانسانية : محمد بنشريفة، أستاذ الأدب المغربي والأندلسي بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية، الرباط
محمد زنيبر، أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب، الرباط
سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط
مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافيا : عبد الله العوينة، أستاذ الجيمورفولوجيا بكلية الآداب، الرباط
مصطفى عياد، أستاذ الجغرافيا البشرية بكلية الآداب، الرباط
إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
عبد المالك بنعبيد، أستاذ بالمدرسة الوطنية الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
محمد رمضاني، باحث في البيولوجيا الحيوانية بالمعهد العلمي و أستاذ بكلية العلوم، الرباط

اختصارات

ت.	= توفي
تح.	= تحقيق
تر.	= ترجمة
خ. ت	= خزانة تطوان
خ. ح.	= الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص.	= الخزانة الصبيحية بسلا
خ. ع.	= الخزانة العامة بالرباط
خ. ق.	= خزانة القرويين بفاس
خ. ي.	= خزانة ابن يوسف بمراكش
د. ت	= دون تاريخ
د. د. ع.	= دبلوم الدراسات العليا
د. م.	= دون مكان
ط.	= طبعة
←	= انظر

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

نشكر الزملاء الأساتذة، والمؤسسات التالية على ما قدموا للمعلمة من صور ورسوم :
- الخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
- الخزانة العلمية الصبيحية، سلا
- خزانة الأستاذ محمد ابن عزوز حكيم، تطوان
- مديرية التراث بوزارة الشؤون الثقافية، الرباط
- قسم الخرائطية بوزارة الفلاحة، الرباط
- المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير، الرباط
كما نشكر الأستاذ عبد الرحمان الفلاذي الذي رسم الخرائط.

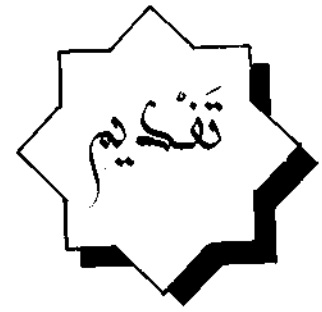

معلمة المغرب كتاب يحتوي ـ كسائر الموسوعات ـ على مادة علمية متنوعة بأقلام مجموعة من الكتاب تتمحور حول موضوع رئيسي، هو هنا المغرب الأقصى. وهي بذلك معجم معارف ألفبائي يضم بين دفاته آلاف المواد التي تعنى بالتعريف بهذا البلد على كل المستويات في الماضي وفي الحاضر.

قد يتساءل البعض لماذا معلمة المغرب ؟ وفي هذا الظرف بالذات ؟ لعل من المناسب، قبل المبادرة بالجواب، التذكير بالوضعية المعرفية الحالية ببلادنا وخلفياتها القريبة. فالمغرب الذي ظل محافظاً على تقاليده منطويا على نفسه طوال قرون اصطدم فجأة بالحضارة الغربية التي أخذت تتحرش به وتطوقه من كل جانب، وأخيراً كسرت أبوابه وفرضت عليه سلطتها ومدنيتها وعلمها، ولم تسمح له، وهي الحامية الحاجرة، من وسائل المعرفة والتقدم إلاّ بمقدار وحد محدود. فلما تحرر المغرب بادر إلى نشر المعرفة في ربوعه على أوسع نطاق وقد أدرك أنها السبيل السوي لكل تقدم. ورغم كل السلبيات والمعوقات فإن عدد المتعلمين عندنا أصبح، في ظرف وجيز لا يجاوز ثلاثة عقود من السنين إلاّ قليلاً، يعد بالملايين بعد أن كان لا يعدو بضعة آلاف في النصف الأول من هذا القرن. ونشأت ـ تبعا لذلك ـ عدة جامعات عصرية علاوة على جامعة القرويين الأصيلة، وعشرات المعاهد والمدارس العليا المتخصصة أعطت كلها الأولوية في ميدان البحث للموضوعات المغربية. لكن أين هي المراجع في المادة المغربية ؟ وما هي الكتب المصنفة التي يستمد منها الباحث والطالب والتلميذ، وحتى الأستاذ والمدرس والمنشط ؟ إنها ضئيلة متناثرة بالنسبة لبعض المواد، منعدمة تماما بالنسبة لكثير من المواد الأخرى. لذلك فكر جماعة من الأساتذة الذين مارسوا التدريس وخبروا مشاكله وحاجياته في إخراج **مَعلمَة المَغرِب** لتسد هذا الفراغ المرجعي المعرفي، ولو بكيفية جزئية ومرحلية.

يرجع تاريخ الاهتمام بوضع موسوعة مغربية إلى أوائل الستينات بُعيد استكمال تحرر أقطار المغرب العربي باستقلال الجزائر سنة 1962. فقد ارتأى بعض قادة الفكر في هذه الأقطار ـ تعزيزا لمشاريع التعاون والتكامل المعلن عنها آنذاك ـ كتابة موسوعة (مغاربية) مجزأة في المرحلة الأولى، يقوم كل من المغرب والجزائر وتونس وليبيا بإعداد معلمته المحلية بوسائله الخاصة على أن تُجمع في مرحلة لاحقة معلمة واحدة لبلاد المغرب العربي الكبيرفي أفق موسوعة عربية وإسلامية شاملة. وتكونت بالفعل "هيئة موسوعة المغرب العربي" برعاية المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي. وبعد جلسات عمل عقدت بقاعة قسم الوثائق والمخطوطات من الخزانة العامة بالرباط برآسة المرحوم علال الفاسي أصدرت الهيئة الجزء الأول من *فهرس القسم الخاص بالمغرب الأقصى حرف "أ"* ،معظمه أعلام بشرية ليست كلها مغربية، لأن فريقا من هيئة الموسوعة كان يرى إدخال عدوة الأندلس. ثم فترت الهمم بعد ذلك، ولم يتحقق من هذا المشروع الأول إلا ما كتبه الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله الرئيس السابق للمكتب الدائم للتعريب في *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية* التي نُشر منها أربع فصلات مع ملحقين حول الصحراء والمدن والقبائل. وهي وإن كانت في معظمهما عبارة عن جذاذات مقتضبة، فإنها أفادت طيلة سنوات وكانت من بين مراجع **معلمة المغرب** لاسيما في مرحلة الجرد.

وهناك محاولة أخرى سابقة في الشمال لمشروع موسوعة مغربية كشف النقاب عنها ونشر الوثائق المتعلقة بها الأستاذ محمد ابن عزوز حكيم في مجلته *الوثائق الوطنية* (ع 2، 103 ـ 107) تثبت أن المرحوم عبد الخالق الطريس في أول جلسة للهيئة الوطنية المكلفة بوضع النظام الأساسي لحزب الإصلاح بتطوان يوم 16 يناير 1933 أثار قضية معلمة المغرب واقترح بإلحاح إدراجها ضمن غايات الحزب المزمع تأسيسه فعارضه بعض الحضور ولم تدرج. ولما عُين مديراً عاماً للأوقاف بالشمال سنة 1934، أحدث باباً في ميزانية الأوقاف سنة 1935 خصصه لوضع معلمة المغرب باللغة العربية لكن المقيم العام الإسباني رفض. ثم حاول الطريس مرة أخرى سنة 1943 مع مدير معهد الجنرال فرانكو بتطوان لكن بدون جدوى.

تبنت الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر منذ تأسيسها سنة 1980 فكرة إصدار معلمة المغرب كنقطة ثالثة في برنامج عملها بعد مجلة *الكتاب المغربي*، والمنشورات الجامعية. كانت الانطلاقة من الصفر وبخطى وئيدة. ذلك أنه بعد تكوين ثلاث لجان علمية، الأولى للعلوم الإنسانية، والثانية للعلوم الدقيقة والجغرافيا، والثالثة للتحرير، فكرنا وقدرنا ضخامة المشروع وضآلة إمكانياتنا فرأينا أن نحد من طموح التوسع العلمي، ولو أنه مشروع طبعاً، ونتقيد بما لا بد منه مما يمكن تحقيقه وإنجازه. اتفقنا على أن تقتصر المعلمة من حيث المجال على المغرب الأقصى في حدوده الحالية، لكنها، من حيث الزمان، تنطلق من عصر ما قبل التاريخ إلى اليوم، لتشمل كل ما يتعلق بهذه المنطقة جغرافياً وتاريخياً وحضارياً.

تهتم **معلمة المغرب** في مسيرتها الطويلة بالمكتشفات الأركيولوجية التي يرجع

عهدها إلى ملايين أو مآت آلاف السنين، إلى أحدث المعطيات الإدارية والسياسية والاجتماعية والعمرانية، كمؤسسات الدولة ونظم الأقاليم والجماعات والهيآت السياسية والنقابية والعلمية. وتسجل الأحداث البارزة التي عرفها المغرب عبر حقبه التاريخية، معرِّفة - قدر الإمكان - بالمواقع القائمة والمندثرة من مدن وقرى وحصون وأسوار وأبواب وجوامع وزوايا في السهول والجبال والصحارى بأسمائها الأصلية، ومعظمها باللسان الأمازيغي، وبالثروات المعدنية والزراعية والحيوانية. كما تعرف بعناصر السكان والأُسر والبيوتات المتميزة، والأشخاص - ماعدا الأحياء - الذين عرف لهم دور علمي أو روحي أو سياسي، وبعادات السكان في معاشهم وأفراحهم وأتراحهم. لم يكن بد من هذا التوسع المعرفي، الذي قد يبدو مبالغا فيه، لتؤدي المعلمة الرسالة المنوطة بها وتستجيب لحاجيات الباحثين والدارسين في جميع الميادين.

لقد اعترضتنا صعوبات منذ مرحلة الجرد الأولى، إذ كان علينا أن نرجع إلى عدد كثير من الكتب والدوريات التي تتحدث عن المغرب بمختلف اللغات. وبعد جمع المادة وفرزها وانتقائها، بدت صعوبة الترتيب، فليست عندنا طريقة موحدة حتى في كتب التراجم مثلا، ولا تقاليد متبعة في مادة متنوعة أشد ما يكون التنوع كمادة **معلمة المغرب**، لذلك توقفنا مدة نتأمل ونجرِّب. واجتهدنا في ترتيب ماد "الهمزة" ونشرناها سنة 1982 في كتيب *مشروع معلمة المغرب* ثم في العدد الأول من مجلة *الكتاب المغربي*، لكن تبيّن بالممارسة أن اختيارنا غير عملي بالنسبة للمعلمة، إذ كان علينا - مثلا - أن نصدر جزءاً خاصاً بالآباء والأبناء (ابن فلان وأبو فلان) كما تشعبت مداخل كثير من أسماء المواقع بسبب اختلاف كتابة الفصحى مع النطق العربي الدارج أو الأمازيغي، أو بسبب إشباع الهمزات الأولى في بعض الأسماء بالألف أو الواو أو الياء عند الكتابة للدلالة على حركاتها في حين أنها غير مشبعة لا في الأصل ولا في النطق... وقد توصلنا بعد جلسات عمل طويلة إلى بعض النتائج التي ليست نهائية، وأعدنا الترتيب مراعين في ذلك طريقة المداخل المتفق عليها أخيراً في المشرق العربي المسايرة لنظم آلات الحاسوب (الكومبيوتر).

وهكذا اعتبرنا في الأعلام البشرية اسم الشهرة بدلا من الاسم الشخصي، وأهملنا في الأسماء المضافة الآتية كلماتها الأولى "ابن" و"أبو" و"أهل" و"أولاد" و"أيت" و"باب" و"جامع" و"جبل" و"رأس" و"زاوية" و"ضاية" و"مسجد" و"واد" وأدرجناها في مداخل الكلمات الثانية المضاف إليها. وحذفنا حروف المد الزائدة التي تتلو الحروف الأولى في الأسماء مكتفين بحركات الفتح والضم والكسر في مثل ابن أُجروم، أُبه، إيبيض، إلاّ الأسماء التي اشتهرت بكتابتها ممدودة فإننا أبقيناها على حالها مثل : آجليان، أوبان، إيموزار، تارودانت، وتيزنيت.

واجهتنا بعد ذلك مشكلة تحرير المواد، فأعضاء الجمعية ولو أن عددهم ينيف على السبعين من مختلف التخصصات، لم يكن باستطاعتهم وحدهم القيام بهذه المهمة الضخمة، وكان لا بد من البحث عن كتاب آخرين فاق عددهم في حرف الهمزة وحدها عدد الزملاء

الأعضاء، ومما يجدر ذكره أننا لقينا استجابة، بل تحمسا من معظم الذين رغبنا إليهم في الكتابة في المعلمة، وهم من آفاق علمية مختلفة، فيهم تقنيون لا يزاولون التدريس وأصحاب مهن حرة، وتلك لعمري ظاهرة صحية واعدة.

ولم تقف مسألة تحرير المواد عند البحث عن الكتّاب، بل كان لا بد من وضع تصور مبدئي لطريقة تناول المواد تفاديا لتنافرها وتباين تركيبها، لاسيما وأن الكتاب، كما ذكرنا سالفا، مختلفون تكويناً وتفكيراً وممارسة. ولم يكن التغلب على هذه الصعوبة إلا جزئياً بالرغم على "توصيات" مفصلة وزعت على الكُتاب مع رجاء مراعاتها عند التحرير لضمان الانسجام في الشكل.

وأهمّ جانبُ الكم المشرفين على المعلمة أيضا فحددوا خمس مستويات للمقالات بحسب أهمية المواد وما يتوفر عنها من معلومات، أطولها ثمان صفحات أو 2800 كلمة، وأقصرها نصف عمود أو 100 كلمة. لكن حظ النجاح في تحقيق هذه الخطة كان أضعف من السابق، إما لسعة بعض الموضوعات كمادة الأدب المغربي التي اضطررنا إلى تفريعها إلى أدب أصلي، وأدب عهد الحماية، وأدب عهد الاستقلال، والأدب المغربي المكتوب بالفرنسية، وكمواد الآلة، والاستعمار، وإمازيغن، وانجلترا والمغرب التي طفح كيلها ؛ وإما لضيق موضوعات أخرى جعلنا نكتفي ببضعة أسطر في بعض المواد لضحالة الإشارات المكتوبة أو سكوت المصادر عنها بالمرة، ومنها أسماء أماكن أمازيغية يعثر عليها القارئ في المصادر ولا يهتدي سبيلا إلى إدراك معانيها أو تحديد مواقعها.

نتج عن هذه الصعوبات، وبخاصة الأخيرةمنها، أننا لم نتكمن بعدُ من تحديد دقيق لحجم المعلمة ، وإنما نقدِّر الآن بحسب تجربة حرف الهمزة أن يكون عدد أجزائها أربعة عشر، قد تزيد أو تنقص حسب مستجدات مواد الحروف الأخرى. فليس لدينا، والحق يقال، من الوسائل البشرية والمادية ولامن التجربة مايمكننا من وضع تصور شامل مدقق للمشروع من بدايته إلي نهايته، لاسيما والأمر يتعلق بعمل جماعي تطوعي بالأساس. لكننا مع ذلك موقنون بأن حدة هذه الصعوبات ستخف شيئا فشيئا بتقدم التجربة، وبالتالي سيقل التعميم وتنقشع الغيوم مع تطور العمل في مراحل إعداد الأجزاء التالية.

إننا نعرف سلفا أن عملنا في المعلمة غير كامل ولامستقص، وأن المادة مختلفة من حيث الجودة والتدقيق باختلاف الكتاب أو بحسب المعلومات المتيسرة. كما نعترف سلفاً بما قد يبدو فيها من خطأ أو إسقاط أو إغفال غير مقصود شاكرين من ينبهنا إلى ذلك لإصلاحه وتداركه في ملحقات أو طبعة ثانية. وحسبنا أننا اجتهدنا، ولم نقصر في التنقيب والتقويم ما استطعنا. ومهما يكن فإن **معلمة المغرب** تسجل مرحلة معرفية معينة، وتعطي صورة تقريبية لما وصل إليه البحث في المغرب الحديث.

الرباط في 27 رمضان 1409 / 31 ماي 1989

المشاركون في تحرير مواد حرف الهمزة

محمد **الأخضر**، وزارة التربية الوطنية
محمد **أديوان**، كلية الآداب، الرباط
مصطفى **أربيب**، وزارة التربية الوطنية
شفيق **أرقاك**، باحث، الرباط
محمد **أزهار**، كلية الآداب، المحمدية
سعيد **أعراب**، المعهد الأصلي، تطوان
عمر **أفا**، كلية الآداب، الرباط
عبد اللطيف **أكنوش**، كلية الآداب، الدار البيضاء
محمد **ألحيان**، المركز الوطني لتنسيق البحث العلمي، الرباط
علي **أمهان**، وزارة الشؤون الثقافية
محمد **أوجامع**، كلية الآداب، مراكش
محمد **البايك**، كلية اللغة العربية، مراكش
ثريا **برادة**، كلية الآداب، القنيطرة
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب، المحمدية
سعيد **برقاد**، مهندس بمكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية
محمد **بريان**، كلية الآداب، الرباط
محمد أمين **البزاز**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **بلاوي**، كلية الآداب، مراكش
محمد **بلعربي**، باحث، الرباط
عائشة **البلغيتي العلوي**، كلية الآداب، الرباط
عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب، القنيطرة
البضاوية **بلكامل**، كلية الآداب، الرباط
محمد الأمين **بلكناوي**، باحث، الرباط
محمد **بنتاويت**، كلية الآداب، الرباط
محمد **بنجلون أندلسي**، باحث
الحسن **بنحليمة**، كلية الآداب، أگادير
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب، المحمدية
محمد **بنشريفة**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
عبد العزيز **بنعبد الله**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
عبد المجيد **بنعبد الله**، مهندس بوزارة الفلاحة
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين، سلا
عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب، بني ملال
عمر **بنميرة**، كلية الآداب، الرباط

لطيفة **بناني سميرس**، كلية الآداب، فاس
عبد المجيد **بنيوسف**، الخزانة العامة، الرباط
أحمد **بوجداد**، وزارة الشؤون الإدارية
أحمد **بوحسن**، كلية الآداب، الرباط
محمد **بوخبزة**، قسم المخطوطات بالخزانة العامة، تطوان
رحمة **بورقية**، كلية الآداب، الرباط
فاطمة **بوخريص**، كلية الآداب، الرباط
محند **أيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية
محمد **حجي**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب، وجدة
إبراهيم **حركات**، كلية الآداب، الرباط
عبد الجليل **الحسيني**، مهندس بشركة إسمنت المغرب الشرقي
حمادي **حضيكي**، مهندس بمفاحم المغرب
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب، فاس
محمد أيت **حمزة**، كلية الآداب، الرباط
محمد أبو **حميد**، وزارة التربية الوطنية
علال **الخديمي**، كلية الآداب، الرباط
سعيد **خليل**، كلية الآداب، أگادير
مارية **دادي**، كلية الآداب، وجدة
محمد **دحماني**، كلية الآداب، وجدة
عبد الله **درقاوي**، مركز تكوين المفتشين، الرباط
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب، فاس
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب، فاس
مصطفى **بوشعراء**، مديرية الوثائق الملكية ، الرباط
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب، الرباط
عبد العزيز **بوعصاب**، المركز التربوي، القنيطرة
أحمد **بوكوس**، كلية الآداب، الرباط
أحمد شوقي **بينبين**، كلية الآداب، الرباط
عبد العزيز **التمسماني خلوق**، كلية الآداب، الرباط
محمد **تميم**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
عبد العزيز **توري**، وزارة الشؤون الثقافية
أحمد **التوفيق**، كلية الآداب، الرباط
حسن **جلاب**، كلية الآداب، مراكش

الحسين **الجهادي**، وزارة التربية الوطنية
عمر **الجيدي**، دار الحديث الحسنية، الرباط
حميد **الديوري**، وزارة الشبيبة والرياضة
محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب، مراكش
عبد الرحمان **رحو**، كلية الآداب، فاس
محمد **رحو**، كلية الآداب، فاس
حسن **رحيوي**، مهندس بمفاحم المغرب
محمد **رزوق**، كلية الآداب، الدار البيضاء I
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي، الرباط
محمد **زرهوني**، كلية الآداب، الدار البيضاء I
مبارك **زكي**، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط
محمد **زنيبر**، كلية الآداب، الرباط
قاسم **الزهيري**، باحث، الرباط
عبد الله **ساعف**، كلية الحقوق، الرباط
عبد الأحد **السبتي**، كلية الآداب، الرباط
عبد الجبار **السحيمي**، صحافي، الرباط
كلود **سلطان**، مفتش التعليم الإسرائيلي، الدار البيضاء
عبد اللطيف **الشادلي**، كلية الآداب، الدار البيضاء I
أحمد **الشرقاوي إقبال**، باحث، مراكش
محمد **شفيق**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
محمد **شقرون**، كلية الآداب، الرباط
محمد **الشياظمي**، باحث، الرباط
فاطمة الزهراء **الصبيحي ـ العلوي**، متحف الآثار، الرباط
علي **صدقي أزايكو**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرزاق **الصديقي**، كلية الآداب، المحمدية
خالد **بن الصغير**، المدرسة العليا للأساتذة، الرباط
فاطمة الزهراء **طموح**، كلية الآداب، الرباط
محمد **الطويل**، كلية الآداب، القنيطرة
امحمد **بن اعبود**، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط
أحمد **عزاوي**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد **ابن عزوز حكيم**، باحث، الرباط
عز الدين **العلام**، المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير
محمد **العلوي الأوفوسي**، وزارة التربية الوطنية
عبد الله **العمراني**، باحث
أحمد **عمالك**، كلية الآداب، مراكش
أحمد **العماري**، كلية الآداب، فاس
عبد الله **العوينة**، كلية الآداب، الرباط
محمد **عياد**، كلية الآداب، الرباط
مصطفى **عياد**، كلية الآداب، الرباط
عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب، القنيطرة
حسن **الفگيگي**، كلية الآداب، القنيطرة

خالد **القادري**، وزارة المالية
عبد الرحمان **القادري**، كلية الحقوق، الرباط
محمد مصطفى **القباج**، أكاديمية المملكة المغربية
أحمد **لقمهري**، كلية الآداب، الرباط
محمد إبراهيم **الكتاني**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
علي **كريمي**، كلية الحقوق، الرباط
عبد الله **گنون**، عضو أكاديمية المملكة المغربية ورئيس رابطة علماء المغرب
العربي **كنينح**، المدرسة العليا للأساتذة، فاس
محمد **الگير**، وزارة التربية الوطنية
رامون **لوريدو**، باحث، طنجة
شمعون **ليڤي**، كلية الآداب، الرباط
محمد **المازوني**، كلية الآداب، أگادير
محمد **ماگامان**، كلية الآداب، مراكش
الملكي **المالكي**، وزارة التربية الوطنية
أحمد **متفكر**، باحث، مراكش
الحسين **المجاهد**، كلية الآداب، الرباط
الحسن **المحداد**، كلية الآداب، أگادير
علي **المحمدي**، كلية الآداب، الرباط
العربي **مزين**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد **مزين**، كلية الآداب، فاس
محمد **مستاوي**، باحث، الرباط
خديجة **المسدالي**، كلية الآداب، الرباط
رشيد **المصلوت**، باحث، أگادير
محمد **مطيع**، كلية الآداب، مراكش
آمنة **معطى الله**، وزارة التربية الوطنية
الصديق **معنينو**، وزارة الداخلية والإعلام
محمد **مقدون**، كلية الآداب، فاس
عبد الرحمان **الملحوني**، باحث، مراكش
محمد **المنصور**، كلية الآداب، الرباط
محمد **المنوني**، كلية الآداب، الرباط
محمد **منيوي**، المعهد العلمي، الرباط
عبد الرزاق **مولاي ارشيد**، كلية الحقوق، الرباط
عبد الله **ميميس**، كلية الآداب، الرباط
مصطفى **ناعمي**، المعهد الجامعي للبحث العلمي،الرباط
الحبيب **نوحي**، كلية الآداب، أگادير
محمد عبد الجليل **الهجراوي**، متحف الآثار، الرباط
المختار **الهراس**، كلية الآداب، الرباط
عثمان **هناكا**، كلية الآداب، أگادير
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب، مراكش
علي **واحدي**، كلية الآداب، فاس
سالم **يفوت**، كلية الآداب، الرباط

أهم المصادر والمراجع المعتمد عليها مع اختصارها

محمد ابن **الابار**،

- *التكملة لكتاب الصلة*، تح. عزت العطار الحسيني - القاهرة 1955 - 2 ج.
- *الحلة السيراء*، تح. حسين مؤنس، القاهرة، 1963، 2 ج، *(التكملة)*.
- *المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي*، القاهرة 1967. *(المعجم)*

أحمد ابن **إبراهيم** الدكالي المشنزائي،

- *سلسة الذهب المنقود في ذكر بعض أعلام الأسلاف والجدود*، مخطوط.

العباس ابن **إبراهيم** المراكشي،

- *الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام*، ط 2، 10 أجزاء، الرباط 19 - *(الإعلام)*

عبد الله **إبراهيم**،

- *الحزب والنقابة*، الدارالبيضاء، 1967.

محمد عبد المنعم **إبراهيم** وآخر،

- *الأمير عبد الكريم الخطابي بطل الشمال الإفريقي*، القاهرة، 1958.

م.ت **الأبيوري**،

- *إتحاف الخل المواطي*، مخطوط خاص.

علي **ابن الأثير**،

- *الكامل في التاريخ*، القاهرة، 1929.

إحسان عباس،

- *تاريخ الأدب الأندلسي*، بيروت، 1960.

إسماعيل ابن **الأحمر**،

- *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972.
- *روضة النسرين في دولة بني مرين*، ط 2. الرباط، 1962.
- *مستودع العلامة ومستبدع العلاّمة*، تح. م. التركي وم. ابن تاويت، ط 2. تطوان 1964.
- *نشير فرائد الجمان* - بيروت 1967.

محمد **الأخضر**،

- *الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية*، الترجمة العربية، الدارالبيضاء، 1977.

أ. **أخليش**،

- *تقييد حول الشرفاء الخمالشة*، مخطوط خاص.

إدريس،

- *الابتسام عن دولة مولانا عبد الرحمان ابن هشام*، مخطوط، خ. ص.

إدريس بن الماحي **الإدريسي**،

- *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988.
- *وفيات*، مخطوط المؤلف.

الشريف **الإدريسي**،
- *أنس المهج وروض الفرج* - إصدار وتقديم فؤاد سزگين - فرانكفورت، 1984.
- *وصف إفريقيا والأندلس* - لندن، 1968.

محمد الإدريسي،
- *الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية* - بيروت، 1986.

يوسف بن عابد **الإدريسي**،
- *ملتقط الرحلة من المغرب إلى حضر موت*، تح. أمين توفيق الطيبي، الدار البيضاء، 1988.

ع. **الأدوزي**،
- *اليعقوبيون*، مخطوط.

محمد **أديب السلاوي**،
- *المسرح المغربي من أين إلى أين*، دمشق، 1975.

محمد **أزرقان**،
- *الظل الوريف*، مخطوط خاص.

محمد البشير ظافر **الأزهري**،
- *اليواقيت الثمينة في مذهب عالم المدينة* (د، م) 1324 هـ *(اليواقيت)*.

عبد القادر **الإسحاقي**،
- *الرحلة الحجازية*، مخطوط، خ.ح. 1428.

طاهر بن محمد **الإسفراييني**،
- *التبصر في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين*، تح. محمد زاهد الكوثري، القاهرة، 1940.

محمود **إسماعيل**،
- *الخوارج في بلاد المغرب*، الدار البيضاء، 1976.

أبو الحسن علي **الأشعري**،
- *الإبانة في أصول الديانة*، حيدر أباد، 1948.
- *مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين*، تح. هلموت ريتر، ط 3. فيسبادن 1980.

علي **الأصفهاني**،
- *الأغاني*، 21 جزءاً في 9 مجلدات، القاهرة، 1323 هـ.

محمد **الأصفهاني**،
- *خريدة القصر وجريدة العصر*، قسم شعراء المغرب - تونس 1966.
- *الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، كلية الآداب، الرباط 1986.

أ.ابن أبي **أصيبعة**،
- *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، ط 3، بيروت، 1982. 3 ج

عبد الكبير الكثيري **اعليوات**،
- *سراج الغيوب في أعمال القلوب*، مخطوط. خ. ع. 455 ك.

عمر **أفا**،
- *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر*، الدارالبيضاء، 1988.

محمد **الإفراني**،
- *روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف*، الرباط 1962.
- *صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر*، فاس : ط. حجرية [د. ت].
- *نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي* - ط 2، الرباط، 1977.

أحمد الحجري **أفوقاي**،
- *ناصر الدين على القوم الكافرين*، نشر محمد رزوق، الدار البيضاء، 1987.
محمد **أفيلال**،
- *مذكرات حول حرب تطوان*، مخطوط خاص.
أحمد **الأكتاوي**،
- *تجديد المراسم البالية في السيرة العلية*، مخطوط.
- *الهدية المقبولة في حلل الطب المشمولة*، مخطوط، خ. ع.
ع. **الأكتاوي**،
- *الدرر اللامعة في السيرة الحسنيّة الجامعة*، مخطوط خاص.
محمد **الأكراري**،
- *روضة الافنان*، مخطوط.
العربي **اكنينع**،
- *آثار التدخل الأجنبي في المغرب على علاقات المخزن بقبيلة بني مطير*، 1833. 1912. د. د.ع : تاريخ، الرباط، 1984.
إبراهيم بن غانم **الأندلسي**،
- *العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع*، ترجمه عن الإسبانية أفوقاي، مخطوط خ. ع.
ع. **الإندوزالي**،
- *مناقب الشيخ التنملي*، مخطوط.
ح. **الأنصاري**،
- *تحفة الأحباب*، مخطوط.
الانصاري،
- *اختصار الاخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، الرباط، 1983.
محمد **أوزال**،
- *الحوض*، تح. عبد الرحمن الجشتمي، الرباط، 1977.
عبد الحق **البادسي**،
- *المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف*، تح. سعيد أعراب، الرباط 1982.
البخلاخي، (ابن الريف)
- *الظل الوريف بتلخيص المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف*، طنجة، 1987.
ثريا **برادة**،
- *الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر*، د. د. ع.تاريخ : الرباط، 1984.
محمد **برادة**،
- *محمد مندور وتنظير النقد الأدبي* - بيروت، 1979.
ح. **برادي**،
- *بنية الشكل في الخطاب الروائي*. محاولة اقتراب بنيوية في الرواية المغربية، د. د. ع. آداب، الرباط، 1988.
عكاشة **برحاب**،
- *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي*، 1873 - 1907. د. د. ع. تاريخ - الرباط 1987.
عبد الكريم **برشيد**،
- *حدود الكائن والممكن في المسرح الاحتفالي*، الدار البيضاء 1985.

ليفي **بروفنسال**،
- *مؤرخو الشرفاء*، تر. عبد القادر الخلادي، الرباط، 1977.
كارل **بروكلمان**،
- *تاريخ الأدب العربي*، تر. عبد الحليم النجار وأبو بكر يعقوب ، القاهرة، 1961 - 1977. 5 ج.
علي ابن **بسام**،
- *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة*، تح. إحسان عباس، 8 أجزاء، بيروت، 1980. *(الذخيرة)*.
خلف ابن **بشكوال**،
- *الصلة في تاريخ أعلام الأندلس*، القاهرة 1966 *(الصلة)*
م. ع. **البصري**،
- *منحة الجبار*، مخطوط خ. ح. 941 ز.
محمد **البعقيلي**،
- *مناقب البعقيلي*، تح. محمد المختار السوسي، الرباط 1987.
عبد القادر **البغدادي**،
- *أصول الدين*، بيروت، 1981.
- *الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم*، ط 4، بيروت 1980.
- *الملل والنحل*، تح. ألبير نصري، نادر، بيروت 1970.
يحيى ابن أبي **بكر**،
- *كتاب سير الأئمة وأخبارهم*، تح. إسماعيل العربي، بيروت، 1982. *(سير)*.
أبو عبيد **البكري**،
- *المسالك والممالك*، باريز 1965.
- *المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب*، ط 2، الجزائر، 1911 (المغرب).
أحمد بن يحيى **البلاذري**،
- *فتوح البلدان*، القاهرة 1319 هـ.
إ. **بلمليح**،
- *الرؤية البيانية عند الجاحظ*، الدار البيضاء، 1984.
عمر **بنجلون**،
- *الطبقة العاملة بعد 12 سنة*، النشرة الداخلية للاتحاد الوطني للقوات الشعبية، الدار البيضاء، 1967 (الطبقة العاملة).
محمد **بنشريفة**،
- *أمثال العوام في الأندلس*، الرباط، 1971 - 2 ج.
عبد الحميد **بنشنهو**،
- *البيان المطرب لنظام حكومة المغرب*، ط 2. الرباط 1951.
عبد العزيز **بنعبد الله**،
- *الشعر والشعراء بالمغرب الأقصى عبر العصور*، مخطوط المؤلف.
- *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية*، 4 جزاء + ملحقين عن المدن والقبائل والصحراء، نشر وزارة الأوقاف بالرباط، 1976.
عبد اللطيف **بنمنصور**،
- *مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية*، الرباط، 1977.

الطيب بنونة،

ـ نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة، طنجة، 1980.

محمد بنيس،

ـ ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ـ بيروت، 1979.

محمد بوجندار،

ـ الاغتباط بتراجم أعلام الرباط، الرباط 1987 *(الاغتباط)*.

ـ تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط (د. م.) (د. ت.) *(تعطير)*.

ـ مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح، الرباط، 1345 هـ.

أحمد بوحسن،

ـ الخطاب النقدي عند طه حسين، بيروت، 1985.

أحمد بوشرب،

ـ دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وآزمور قبل 28 غشت 1481 ـ أكتوبر 1542، الدار البيضاء.

مصطفى بوشعراء،

ـ الاستيطان والحماية بالمغرب (1280 ـ 1311 / 1863 ـ 1894) جزآن، الرباط، 1987 *(الاستيطان)*.

ـ الهجرة من المغرب وإليه، مخطوط المؤلف.

إبراهيم بوطالب،

ـ العصر العلوي الأول، مذكرات من التراث المغرب ، ج 4، الرباط 1985.

أحمد البوعياشي،

ـ حرب الريف التحريرية ومراحل النضال، جزآن، طنجة 1974 *(حرب الريف)*.

بوفيل،

ـ الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب، تر. زاهر رياض، القاهرة، 1968.

البيجوري،

ـ تحفة المريد في شرح جوهرة التوحيد، بيروت، 1983.

أبو بكر البيدق،

ـ أخبار المهدي بن تومرت، وبداية دولة الموحدين، الرباط، 1971 *(أخبار)*.

يوسف بن الزيات التادلي،

ـ التشوف إلى رجال التصوف، ط 2. تح. أحمد التوفيق ، الدار البيضاء، 1984.

محمد ابن تاويت،

ـ الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، 3 أجزاء، الدار البيضاء، 1982 ـ 1984.

عبد السلام التازي،

ـ الأدباء المغاربة المعاصرون، الدار البيضاء، 1983.

عبد الهادي التازي،

ـ جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس، بيروت 1972 ـ 1973. 3 ج.

ـ رسائل مخزنية، الرباط، 1979.

ـ الساعات المائية بالمغرب، مذكرات من الثرات المغربي، ج 3. 1985.

محمد التسولي،

ـ نوازل، مخطوط، خ. ع. 882 د.

محمد التطواني،
ـ *ابن الخطيب من خلال كتبه*، تطوان، 1954.
الأعمى التطيلي،
ـ *ديوان الأعمى التطيلي*، تح. إحسان عباس، بيروت 1963.
أحمد تفاسكا،
ـ تطور الحركة العمالية في المغرب، بيروت، 1980.
م. ابن **تكلات،**
ـ *إتمد العينين ونزهة الناظرين في مناقب الأخوين*. تح. **محمد** رابطة الدين، 1986. د. د، ع، الرباط.
عبد الرحمان **التمنارتي،**
ـ *الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة*، مخطوط خ. ع.
نعيمة هراج التوزاني،
ـ *الأمناء في المغرب في عهد السلطان مولاي الحسن* 1290 ـ 1311 / 1873 ـ 1979. *(الأمناء)*.
أحمد التوفيق،
ـ *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر. (إينولتان 1850 ـ 1912)* ط 2، الدار البيضاء، 1983 *(إنولتان)*.
أحمد توفيق المدني،
ـ *كتاب الجزائر*، الجزائر 1931.
أحمد ابن تيمية،
ـ *السياسة الشرعية*، القاهرة، 1323 هـ.
عبد الرحمان **الجادري،**
ـ *اختصار شرح البردة*، مخطوط.
عبد الرحمان **الجبرتي،**
ـ *عجائب الآثار في التراجم والأخبار*، القاهرة 1958.
محمد ابن جبير،
ـ *الرحلة : تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار*، طبعت مرارا.
عباس **الجراري،**
ـ *الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه*، الرباط، 1979.
ـ *بحوث مغربية في الفكر الإسلامي*، الرباط، 1988.
ـ *وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ*، الدار البيضاء، 1976.
عبد الله **الجراري،**
ـ *التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين* من 1900 إلى 1972، جزآن، الرباط، 1985 *(التأليف)*.
ـ *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين، الرباط وسلا*، جزآن، الرباط 1971 *(أعلام الفكر)*.
علي الجزنائي،
ـ *جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس*، الرباط، 1967. *(زهرة الآس)*.
إدريس بن **جلون التويمي،**
ـ *التراث العربي المغربي في الموسيقى*، الدار البيضاء، (د. ت).
ح. **جهادي،**
ـ *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مرقون، 1980.

محمد الجهشياري،
ـ *كتاب الوزراء والكتاب*، تح. مصطفى السقاء وآخرين، القاهرة 1938.
ع. ابن الجوزي،
ـ *تلبيس إبليس*، القاهرة 1368 هـ.
عمر الجيدي،
ـ *العرف والعمل في المذهب المالكي، ومفهومهما لدى علماء المغرب*، الرباط 1984.
محمد ابن الحاج السلمي،
ـ *إتحاف ذوي العلم والرسوخ، بتراجم من أخذت عنه من الشيوخ*، الدار البيضاء، 1978 (*إتحاف*).
حاجي خليفة،
ـ *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، جزآن، اسطنبول، 1941.
محمد حجي،
ـ *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، جزآن، المحمدية 1977 ـ 1978 (*الحركة الفكرية*).
ـ *الزاوية الدلائية*، ط 2، الرباط 1988.
ـ *فهرس الخزانة العلمية الصبيحية بسلا*، الكويت، 1985 (*فهرس*).
أحمد ابن حجر العسقلاني،
ـ *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، بيروت (د. ت) 4 ج.
إبراهيم حركات،
ـ *المغرب عبر التاريخ*، 3 أجزاء، ط 2. الدار البيضاء، 1985.
علي ابن حزم،
ـ *جمهرة أنساب العرب*، تح. عبد السلام هارون، ط 2، القاهرة، 1962.
إبراهيم الحساني،
ـ *ديوان قبائل سوس في عهد السلطان المنصور الذهبي*، تح. عمر أفا، الدار البيضاء، 1989.
حسن إبراهيم حسن،
ـ *تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي*، القاهرة، 1976.
محمد الحضرمي،
ـ *السلسل العذب*، منشورات الخزانة الصبيحية بسلا، 1988.
محمد الحضيكي،
ـ *طبقات الحضيكي*، جزآن، الدار البيضاء، 1938.
أ. الحليمي،
ـ *المجموعات القروية التقليدية وتغيرها*. تر. زبيدة بوحيل، م. م. ق. ج. ع 2، 1975. ص 119 ـ 149.
محمد الحميدي،
ـ *جذوة المقتبس*، القاهرة، 1952.
ابن حوقل،
ـ *كتاب صورة الأرض*، بيروت، 1979.
سليمان الحوات،
ـ *البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية*، مخطوط خ.ع. 261 د.
حيان ابن حيان،
ـ *المقتبس في أخبار بلاد الأندلس*، الجزء الخامس، تح. عبد الرحمان علي الحجي، بيروت، 1965 ثم طبع بمدريد 1979.

الفتح ابن **خاقان**،
ـ *قلائد العقيان في محاسن الأعيان*، بولاق، 1283 هـ + تونس *(قلائد)*.
علال **الخديمي**،
ـ *حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية*، 1907 ـ 1908. د. ع، تاريخ، الرباط 1985.
محمد العربي **الخطابي**،
ـ *فهارس الخزانة الحسنية*، 2 ـ 6، الرباط 1982 ـ 1987..
م. لسان الدين ابن **الخطيب**،
ـ *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة 1973 ـ 1978. 4 ج.
ـ *أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام*. تح.ليفي بروفنصال، بيروت، 1956 + الدار البيضاء، 1964.
ـ *جيش التوشيح*، تونس، 1967.
ـ *اللمحة البدرية في الدولة النصرية*، القاهرة 1347.
ـ *نفاضة الجراب في علالة الاغتراب*، ج 2. ط 2. تح. محمد المختار العبادي، الدار البيضاء.
عبد الكبير **الخطيبي**،
ـ *الرواية المغربية*، تر. محمد برادة، الرباط 1971.
الشهاب **الخفاجي**،
ـ *خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا*، مخطوط.
ـ *ريحانة الألبّا*، القاهرة 1306 هـ.
أحمد **الخلاصة**،
ـ *شاعر الحمراء في تاريخ الأدب المعاصر*، الدار البيضاء، 1987.
عبد الرحمان ابن **خلدون**،
ـ *التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا*، تح. محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة، 1951.
ـ *العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر*، 7 أجزاء، بيروت، 1959 *(العبر)*.
أحمد ابن **خلكان**،
ـ *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان مما ثبت بالنقل أو السماع أو أثبته العيان*، تح. إحسان عباس، 8 أجزاء، بيروت *(وفيات الأعيان)*.
محمد **الخليفتي**،
ـ *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*، تح. أحمد عمالك. د. د. ع، الرباط 1986.
أ. **خليل**،
ـ *النبات*، ج 1، القاهرة، كتاب المعرفة، 3.
يوسف أسعد **داغر**،
ـ *معجم الأسماء المستعارة*، بيروت، 1982.
محمد **داود**،
ـ *تاريخ تطوان*، 8 أجزاء، تطوان، 1959 ـ 1970.
ـ *مختصر تاريخ تطوان*، جزآن، تطوان، 1955.
عمر ابن **دحية**،
ـ *المطرب من أشعار أهل المغرب*، القاهرة، 1954 *(المطرب)*.
أحمد **الدرجيني**،
ـ *طبقات الدرجيني*، ت. إبراهيم طلاي، جزآن، قسنطينة، 1974.

عبد الله **درقاوي**،
ـ *الطاهر الإفراني، حياته وشعره*، رسالة مرقونة. د. د. ع، 1986.
أبو بكر محمد ابن **دريد**،
ـ *الجمهرة في اللغة*، حيدر أباد، 1344 ـ 1345 هـ. 3 ج.
م. **الدغمومي**،
ـ *النقد القصصي والروائي بالمغرب من بداية الاستقلال إلى سنة 1980*. د. د. ع. أدب، الرباط، 1987.
م، ابن **أبي دينار**،
ـ *المونس في أخبار إفريقية وتونس*، تونس، 1931 *(المونس)*.
محمد **دينية**،
ـ *مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط*، الرباط 1986 *(مجالس)*.
الحافظ **الذهبي**،
ـ *تذكرة الحفاظ*، حيدر آلدكم 1333 هـ، 2 ج.
عبد الله **راجع**،
ـ *القصيدة المغربية*، بنية الشهادة والاستشهاد، ج 1. الدار البيضاء 1987.
الراعي الأندلسي،
ـ *انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب مالك*، بيروت، 1981.
الرسموكي،
ـ *وفيات الرسموكي*، تح. محمد المختار السوسي، الرباط 1988.
عبد الحميد **الرندي**،
ـ *الكتابة والكتاب*، فاس، 1922.
ح. ع. **الريفي**،
ـ *زهر الأكم*، تح. بنعدادة، د. د. ع، الرباط، 1989.
عبد القادر **زيادية**،
ـ *مملكة سنغاي في عهد الأسقيين*، الجزائر، 1971.
علي ابن أبي **زرع**،
ـ *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*. الرباط، 1973 *(القرطاس)*.
ـ *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية*، الرباط، 1972.
الزركشي،
ـ *تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية*، تونس، 1966.
خير الدين **الزركلي**،
ـ *الاعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين*، ط 2. القاهرة، 1954 ـ 1959. 10 ج.
أحمد **زروق**،
ـ *الكناشة*، تح. فهمي خشيم، ليبيا. د.ت.
عبد القادر **زمامة**،
ـ *أبو الوليد ابن الأحمر*، الرباط، 1979.
عبد العظيم **الزموري**،
ـ *بهجة الناظرين وأنس الحاضرين*، مخطوط، خ. ع. 1622.
عبد العظيم **الزموري الأصغر**،
ـ *تقييد حول شرفاء المغرب*، مخطوط خ. ع. 1512.

قاسم **الزهيري**،
- *الإذاعة عملاق القرن العشرين*، العلم، 2 و4 فبراير 1957.
- *محمد الخامس : الملك البطل*، الرباط، 1984.
عبد العزيز **الزياتي**،
- *الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة*، مخطوط، خ. ع. 66 ج.
أبو القاسم **الزياني**،
- *البستان الظريف في دولة أولاد مولاي علي الشريف*، مخطوط خ. ع. 1577 د.
- *تحفة النبهاء في التفريق بين الفقهاء والسفهاء*، مخطوط خ. ح.
- *الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب*، مخطوط خ. ع. 658 د.
- *الترجمانة الكبرى في أخبار العالم براً وبحراً*، تح. عبد الكريم الفيلالي، الرباط، 1967.
- *تكميل قضاة فاس على ما في جذوة الاقتباس*، مخطوط خ. ح.
- *جوهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك العلويين وأشياخ مولاي سليمان*، مخطوط خ. ح.
- *الروضة السليمانية في ملوك الدولة الإسماعيلية ومن تقدمها من الدول الإسلامية*، مخطوط.
جرجي **زيدان**،
- *تاريخ آداب اللغة العربية*، ط 2، بيروت، 1978. 4 ج.
عبد الرحمان ابن **زيدان**،
- *إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس*، الرباط، 1930 - 1933. 5 ج.
- *العز والصولة في معالم نظم الدولة*، الرباط، 1962. 2 ج.
عمر **الساحلي**،
- *المعهد الإسلامي بتارودانت والمدارس العلمية العتيقة بسوس*، الدار البيضاء، 1985. 1986، 2 ج.
سالوست،
- *حرب يوغرطة، صفحات من تاريخ شمال إفريقيا القديم*، ترجمة محمد التازي سعود، فاس، 1981.
حسن **السايح**،
- *نظرات في القصة والمسرحية في الأدب المغربي*، دمشق، 1975.
محمد **السايح**،
- *المنتخبات العبقرية*، الرباط، 1920.
محمد العربي ابن **السايح**،
- *البغية*، القاهرة، د. ت.
شمس الدين محمد **السخاوي**،
- *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، القاهرة، 1354 هـ.
محمد الوزير **السراج**،
- *الحلل السندسية في الأخبار التونسية*، 3 أجزاء، تح. محمد الحبيب الهيلة، ط 2. بيروت 1984.
يحيى **السراج** الكبير،
- *فهرس السراج*، مخطوط.
محمد **السرغيني**،
- *حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من الأخبار*، مخطوط.

عبد الرحمان **السعدي**،
ـ *تاريخ السودان*، تر. هوداس باريز، 1964.
عبد الملك ابن **سعيد** المغربي،
ـ *المغرب في حلى المغرب*، تح. شوقي ضيف، جزآن، القاهرة، 1953. ثم طبع في القاهرة أيضا 1978.
علي بن محمد **السفاقسي**،
ـ *غيث النفع في القراءات السبع*، مطبوع بهامش سراج القارئ لابن القاصح، د. ت.
عيسى **السكتاني**،
ـ *أجوبة السكتاني*، مخطوط خ. ع. 1016.
ـ *أجوبة فقهية*، مخطوط خ. ع. 1257 ج.
أحمد **سكيرج**،
ـ *رفع النقاب بعد كشف الحجاب عمن تلاقى مع التجاني من الأصحاب*، جزآن، تطوان (د. ت)،
ـ *الروضة اليانعة والثمرة النافعة في شرح الفذلكة الجامعة في صرف الجامعة*، فاس، ط. حجرية، 1316 هـ.
ابن **سلام** الإباضي،
ـ *كتاب ابن سلام*، تح. شفارتز، وسالم يعقوب، بيروت، 1985.
عبد الرحيم ابن **سلامة**،
ـ *التقليد المغربي في الحكم*، الوضع الدستوري قبل الحماية، ب. ع. ع 27، 1977.
أحمد **السُّلفي**،
ـ *معجم السفر*، مخطوط.
أ. **السملالي**،
ـ *الفوائد المرضية للأنفس الزكية، أو نزهة الجلاس في قصة أبي أحلاس*، مخطوط، خ. ع. 4625.
ابن **سناء الملك**،
ـ *دار الطراز في عمل الموشحات*، ت. جودة الركابي دمشق، 1949 *(دار الطراز)*.
أحمد باب **السوداني**،
ـ *كفاية المحتاج*، تح. محمد مطيع، د. د. ع، تاريخ الرباط، 1987.
ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج،القاهرة، 1932 *(نيل)*.
عبد السلام ابن **سودة**،
ـ *إتحاف المطالع بوفيات رجال القرن الثالث عشر والرابع*، مخطوط المؤلف.
ـ *إزالة الالتباس عن قبائل مدينة فاس*، مخطوط المؤلف.
ـ *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، ط 2، جزآن، الدار البيضاء، 1960 ـ 1965.
ـ *سل النصال للنضال*، فهرس ـ مخطوط المؤلف.
محمد المختار **السوسي**،
ـ *الإلغيات*، تطوان، (د. ت) 3 ج.
ـ *إبليغ قديما وحديثا*، الرباط، 1966.
ـ *الترياق المداوي في أخبار الشيخ سيدي الحاج علي السوسي الدرقاوي*، تطوان، 1961.
ـ *جوف الفرا*، مخطوط المؤلف.
ـ *حول مائدة الغداء*، الرباط 1983.

- *خلال جزولة*، تطوان، (د. ت). 4 ج.
- *رجالات العلم بسوس*، مخطوط المؤلف.
- *الرسالتان البونعمانية والشوقية*، تطوان. د.ت.
- *طاقة ريحان*، الرباط، 1984.
- *سوس العالمة*، فضالة، 1960.
- *مترعات الكؤوس*، مرقون.
- *مدارس سوس العتيقة*، طنجة، 1987.
- *معتقل الصحراء*، الرباط، 1982.
- *المعسول*، الدار البيضاء، فضالة 1960 ـ 1963. 20 ج.
- *من أفواه الرجال*، تطوان، 1962 ـ 1963. 3 ج.

إبراهيم **السولامي**،
- *تأملات في الأدب المعاصر*، الدار البيضاء، 1979.
- *الشعر الوطني في عهد الحماية*، 1912 ـ 1956، دار الثقافة، 1973.

عبد الرحمان **السيوطي**،
- *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، جزآن، القاهرة، 1955.

عبد اللطيف **الشادلي**،
- *الحركة العياشية*، الرباط، 1982.

أبو القاسم ابن **الشاط**،
- *مشيخة ابن أبي الربيع*، تح. *عبد العزيز الأهواني*، مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، ج 1 ـ 2. من المجلد الأول، 1955.

يونس **الشامي**،
- *نوبات الآلة المغربية المدونة بالكتابة الموسيقية*، الدار البيضاء، 1982.

إبراهيم **شحاتة**،
- *وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب*، الدار البيضاء، 1979.

هـ. **شرابي**،
- *مقدمات لدراسة المجتمع العربي*، بيروت، 1980.

أحمد **الشرقاوي إقبال**،
- *شاعر الحمراء في الغربال*، الدار البيضاء، 1963.

صالح **الشرقي**،
- *أضواء على الموسيقى المغربية*، المحمدية، 1977.

أحمد **الشماخي**،
- *سير الشماخي*، طبعة حجرية بالقاهرة، 1983.

أ. **الشنقيطي**،
- *روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر أهل الطريقة*، مخطوط.

الشهرستاني،
- *الملل والنحل*، بيروت، 1975.

لويس **شيخو**،
- الآداب العربية في القرن التاسع عشر، بيروت، 1924 ـ 4 أجزاء.

عبد الملك ابن **صاحب الصلاة**،
- *المن بالإمامة على المستضعفين*، تح. ع. التازي، بيروت، 1964.

أحمد **الصبيحي**،

- *باكورة الزبدة من تاريخ أسفي وعبدة*، مخطوط خ. ص.
- *الفالوذج* - كناشة - مخطوط خ. ص.

محمد **الصديقي**،
- *إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة*، الدار البيضاء، د. ت.

خليل **الصفدي**،
- *الوافي بالوفيات*، فيسبادن، 1962، طبع منه لحد الآن 14 ج.

ح. **الصفار**،
- *حزب الإصلاح الوطني*، 1936 - 1956. د. د. ع. علوم سياسية، الرباط، 1988.

صفوان بن إدريس،
- *زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر*، تح. عبد القادر محداد، بيروت، 1939.

أ. **الضبي**،
- *بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس*، القاهرة، 1967.

محمد **الضعيف**،
- *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري، الرباط، 1986 (*تاريخ الضعيف*).

محمد ابن جرير **الطبري**،
- *تاريخ الأمم والملوك*، القاهرة، 1326 هـ.

حسن **الطريبق**،
- *الشاي وتجربة غرسه في المغرب*، العلم، عدد 12 أبريل، 1982.

عبد الخالق **الطريس**،
- *من مذكرات الزعيم الأستاذ الطريس*، 1 : المذكرات الخاصة برحلة الوفد الوطني إلى مدريد سنة 1934 / محمد ابن عزوز حكيم، الرباط، 1982.

دييگو دي **طوريس**،
- *تاريخ الشرفاء*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الدار البيضاء، 1988.

أحمد ابن **عبد البر**،
- *جامع بيان العلم وفضله*، بيروت، (د. ت).

ع. ابن **عبد الحكم**،
- *فتوح إفريقية والأندلس*، الجزائر، 1948.

محمد ابن **عبد الملك** المراكشي،
- *الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الثامن في قسمين*، تح. محمد بنشريفة، الرباط، 1984، 2 ج.

حسن حسني **عبد الوهاب**،
- *ورقات عن الحضارة التونسية*، تونس، 1972.

محمد **العبدري**،
- *الرحلة المغربية*، تح. محمد الفاسي، الرباط، 1968.

محمد **العثماني**،
- *ألواح جزولة والتشريع الإسلامي*، مخطوط.

محمد ابن **عذاري**،
- *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، قسم الموحدين، تح. م. إبراهيم الكتاني، وآخرين. بيروت، 1985.

م. أبو **العرب**،
- *طبقات علماء إفريقية*، تونس، 1968.

إسماعيل **العربي**،
- *دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة*، بيروت، 1983.
الصديق ابن **العربي**،
- *كتاب المغرب*، بيروت، 1984.
عبد الله **العروي**،
- *الإيديولوجية العربية المعاصرة*، بيروت، 1970.
أ. **عزاوي**،
- *مجموعة جديدة من الرسائل الموحدية*، 1985. د. د. ع، تاريخ الرباط، 1985.
محمد ابن **عزوز حكيم**،
- *عائلات تطوان*، مخطوط المؤلف.
- *معارك الثورة الريفية*، الرباط، 1982.
- *معركة أنوال*، الرباط، 1981.
- *نضال الطريس في ساحة الوحدة*، الرباط، 1980.
- *وثائق تشهد*، ج 1. الرباط، 1980.
- *وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب*، ج 1. تطوان 1980.
- *وثائق سرية حول زيارة الأمير شكيب أرسلان للمغرب*، تطوان، 1980.
ابن **عساكر**،
- *تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري*، بيروت، 1979.
أحمد **عسة**،
- *المعجزة المغربية*، بيروت، 1975.
محمد ابن **عسكر**،
- *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*، تح. محمد حجي، الرباط، 1976.
محمد الصادق **عفيفي**،
- *القصة المغربية الحديثة*، 1961.
س. **علوش**،
- *الرواية والإيديولوجيا في المغرب العربي*، 1960 - 1975. بيروت، 1981.
ي. س. **علوش**، ع. الرجراجي،
- *فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح*، باريز، الرباط، 1954 - 1958. 2 ج.
محمد بن ابراهيم **العلمي**،
- *إنهاض الهمم العالية للاستطلاع على بعض الكتب الرياضية في التوقيت والتعديل والهيئة والجغرافية*، مخطوط. خ. ص.
محمد **العلمي**،
- *الأنيس المطرب فيمن لقيته من أدباء المغرب*، طبعة حجرية بفاس، 1315 هـ *(الأنيس)*.
أحمد **العلوي**،
- *الأنوار السنية في نسب من بسجلماسة من الأشراف المحمدية*، تح. عبد الكريم الفيلالي، فضالة، 1966. *(الأنوار السنية)*.
إسماعيل بن الشريف **العلوي** (السلطان)،
- *إلى ولدي المأمون*، الرباط، 1962.
سليمان **العلوي** (السلطان)،
- *عناية أولي المجد، بذكر آل الفاسي ابن الجد*، فاس، 1928 (عناية).

محمد بن عبد الله **العلوي** (السلطان)،
ـ *الفتوحات الإلاهية في أحاديث خير البرية*، الرباط، 1945.
محمد ابن **علي الدكالي**،
ـ *الإتحاف الوجيز* (تاريخ العدوتين) نشر الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، 1986.
عبد الحي ابن **العماد**،
ـ *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، 8 أجزاء، بيروت، د. ت.
محمد عبد الله **عنان**،
ـ *عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس*، وهو العصر الثالث من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، جزآن، القاهرة، 1964.
ـ *نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين*، وهو العصر الرابع من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة، 1949.
ن ـ **العوفي**،
ـ *مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية*، بيروت، الدار البيضاء، 1987.
كركيس **عواد**،
ـ *الأسطرلاب وما ألف فيه من كتب ورسائل*، بغداد، 1955.
محمد ابن **عيشون**،
ـ *الروض العاطر الأنفاس في أخبار الصالحين من أهل فاس*، تح، ز. النظام، د. د. ع، الرباط، 1989.
محمد **عياد**، عبد اللطيف المنوني،
ـ *الحركة العمالية المغربية، صراعات وتحولات*، الدار البيضاء، 1985 (*الحركة العمالية*).
جرمان **عياش**،
ـ *دراسات في تاريخ المغرب*، الرباط، 1986.
عبد الله **العياشي**،
ـ *الإحيا والانتعاش في تراجم سادات زاوية أيت عياش*، مخطوط، خ. ع. 1433 د.
عياض بن موسى السبتي،
ـ *ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك*، نشر وزارة الأوقاف، 8 أجزاء، الرباط، 1965 ـ 1983.
محمد ابن **غازي**،
ـ *التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد*. تح. محمد الزاهي، الرباط، 1979.
محمد **الغجدامي**،
ـ *التسلي عن الآفات بذكر الأحوال وما فات*، مخطوط خاص.
محمد **الغربي**،
ـ *بداية الحكم المغربي في السودان الغربي*، بغداد، 1982.
ـ *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، ج 1. الدار البيضاء، 1974.
محمد **غريط**،
ـ *فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان*، فاس، 1376 هـ.
محمد **الغسال**،
ـ *رحلة الوزير في افتكاك الأسير*، ت. الفريد البستاني، طنجة، 1940.
عبد الكريم **غلاب**،
ـ *تاريخ الحركة الوطنية المغربية*. ط 2، الرباط، 1987، 2 ج.

- *عالم شاعر الحمراء*، الدار البيضاء، 1982.
- *في الثقافة والأدب*، الدار البيضاء، 1982.

عبد الحفيظ **الفاسي**،
- *معجم الشيوخ (رياض الجنة)*، الرباط، 1932.

عبد الرحمان **الفاسي**،
- *ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب*، مخطوط خ. ع. 1222.
- *الأقنوم في مبادئ العلوم*، مخطوط، خ. ع.
- *العمل الفاسي*، مخطوط خ. ص.
- *تقييد في الموازين وتحقيقها*، مخطوط، خ. ع. 121 د.

عبد الكريم **الفاسي**،
- *تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين*، مخطوط.

عبد الله **الفاسي**،
- *الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر*، مخطوط، خ. ع 1080 ك. و خ. ح. 3637 ز.

علال **الفاسي**،
- *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، طنجة، تطوان (د. ت).
- *حفريات في الحركة الدستورية في المغرب قبل الحماية*، ط 2. الرباط، 1982.

محمد **الفاسي**،
- *الرحالة المغاربة*، د. ح، ع. 3. دجنبر 1958.

محمد الطيب **الفاسي**،
- *مطمح النظر ومرسل العبر بالذكرى بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر*، مخطوط خاص.

محمد بن عبد الرحمان **الفاسي**،
- *المنح البادية في الأسانيد العالية والمرويات الزاهية والطرق الهادية الكافية*، مخطوط، خ. ع. 1249 ك.

محمد العربي **الفاسي**،
- *مرآة المحاسن في أخبار الشيخ أبي المحاسن*، فاس، ط. حجرية، 1324 هـ.

محمد المهدي **الفاسي**،
- *ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع*، فاس، ط. حجرية، 1313 هـ / 1896 م.
- *تحفة اهل الصديقية باسانيد الطائفة الجزولية والزروقية*، مخطوط، خ. ع. 76 ج.

إسماعيل أبو **الفداء**،
- *تقويم البلدان*، ترجمة دي سلان، باريس، 1840.

إبراهيم ابن **فرحون**،
- *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*. القاهرة، 1974.

ع. ابن **الفرضي**،
- *تاريخ علماء الأندلس*، القاهرة، 1966 (تراثنا، المكتبة الأندلسية، 2).

محمد الحبيب **الفرقاني**،
- *نجوم في يدي*، الدار البيضاء. 1964.

عبد العزيز **الفشتالي**،
- *مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفاء*، تح. عبد الله گنون، تطوان، 1964.

ابن **فضل الله العمري**،
- *الاستبصار*، مخطوط خ. ع.
ادريس **الفضيلي**،
- *الدرر البهية، والجواهر النبوية، في الفروع الحسنية والحسينية*، جزآن، طبعة حجرية بفاس، 1896 (الدرر البهية).
حسن **الفكيكي**،
- *قلعية ومشكل الوجود الإسباني بمليلية*، رسالة د. د. ع. مرقونة، كلية الاداب بالرباط، 1984.
ب. **الفلاح**،
- *دراسة جيومورفولوجية لجزء من أخدود جنوب الريف*. د. د. ع. جغرافية الرباط.
روبرت **فورنو**،
- *عبد الكريم أمير الريف*، تر. فؤاد أيوب، دمشق، (د. ت).
أبو بكر **القادري**،
- *سعيد حجي*، الدار البيضاء، 1982، 2 ج.
عبد السلام **القادري**،
- *المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد*، ط. حجرية فاس. د. ت.
محمد بن الطيب **القادري**،
- *الإكليل والتاج في تذليل كفاية المحتاج*، مخطوط، خ. ح. 1897.
- *التقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي، بيروت، 1983.
- *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، تح. مجمد حجي وأحمد توفيق، 4 ج، الرباط، الدار البيضاء، 1977 - 1982 *(نشر)*.
أحمد ابن **القاضي**،
- *جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس*، جزآن، الرباط، 1973 - 1974.
- *درة الحجال في أسماء الرجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، 1970 - 1974. 3 ج.
- *لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد*، ضمن مجموعة "ألف سنة من الوفيات" تح. محمد حجي، الرباط، 1976 *(لقط الفوائد)*.
محمد **القاضي**،
- *أسد الريف، محمد عبد الكريم الخطابي*، تطوان، 1979.
أحمد **قبش**،
- *تاريخ الشعر العربي الحديث*، دمشق، 1971.
محمد **القبلي**،
- *مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين*، م. ك. د. ر، ع 8. 1978.
عبد الله بن مسلم ابن **قتيبة**،
- *الإمامة والسياسة*، تح. محمد محمود الرافعي، القاهرة، 1322 هـ، جزآن.
حسن ابن **القطان**،
- *نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان*، تح. محمود مكي، تطوان، د.ت.
أ. **القلقشندي**،
- *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، القاهرة 1963، 14 ج.
أحمد ابن **قنفد** القسنطيني،
- *أنس الفقير وعز الحقير*، الرباط، 1965.

- *شرف الطالب*، ضمن ألف سنة من الوفيات، الرباط، 1976.
- *الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية*، تح. محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، تونس، 1968 (الفارسية).

أ. ابن **القوطية**،
- *تاريخ افتتاح الأندلس*، بيروت، 1957.

ابن أبي زيد **القيرواني**،
- *الرسالة*، طبعت مرارا.

محمد **الكانوني**،
- *أسفي وما إليه قديما وحديثا*، ط 2. الدار البيضاء، 1983.
- *تاريخ الطب العربي بالمغرب*، مخطوط خاص.
- *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، الدار البيضاء، 1937.

ج. **كاني**،
- *بعض مشاهير الحركة السلفية في المغرب*، تر. زبيدة بورحيل، سعيد النجار. ت. ع. ع 35، 1985.

محمد بن جعفر **الكتاني**،
- *سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس*، 3 أجزاء، طبعة حجرية بفاس، 1900 (سلوة).

عمر رضى **كحالة**،
- *أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام*، 5 أجزاء، دمشق، 1959.
- *معجم المؤلفين*، 14 ج، دمشق، 1957.

إگناتي **كراتشكوڤسكي**،
- *تاريخ الأدب الجغرافي العربي*، تر. صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة، 1963.

محمد **الكراسي**،
- *البشارة*، مخطوط.

ع. **الگرسيفي**،
- *رسالة في تحرير السكك المغربية*، مخطوط خاص.
- *رسالة في تحقيق الأوزان والمكاييل*، مخطوط.

محمد **الكفاط**،
- *بنية التأليف المسرحي بالمغرب*، الدار البيضاء، 1986.

محمد **الكلاعي**،
- *إحكام صنعة الكلام*، بيروت، 1966.

إبراهيم **الكلالي**،
- *تنبيه الصغير من الولدان على ما وقع في مسألة الهارب والهاربة من الهذيان لمدعي استحقاق الفتوى آجليان*، مخطوط. خ. ع 571 ك.

عبد الفتاح **كليطو**،
- *الأدب والغرابة*، بيروت، 1987.

عبد الله **گنون**،
- *أحاديث عن الأدب المغربي الحديث*، ط 2. الدار البيضاء، 1976.
- *أكنسوس*، بيروت، د. ت. (ذكريات مشاهير رجال المغرب، ع 4).
- *السلالجي* ..... ع 11.
- *النبوغ المغربي في الأدب العربي*، ط 2. بيروت، 1900.

م. **لحميداني**،
- *الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي*، الدار البيضاء، 1985.
محمد **لشعل**،
- *تطور الحركة العمالية لمناجم الفحم بجرادة من 1933 إلى 1967*، بحث لنيل الإجازة في التاريخ (1981 - 1982) كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.
عبد الله **لعوينة**،
- *المظاهر المناخية للقحولة، الجفاف في المغرب والبلدان المجاورة للصحراء*. م. ج. م.، ع 6، 1982، ص 11 - 34.
روجي **لوطورنو**،
- *فاس قبل الحماية*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، جزآن، بيروت، 1986.
أ. **الماجري**،
- *المنهاج الواضح في تحقيق كرامات الشيخ أبي محمد صالح*، القاهرة، 1933.
مالك بن أنس،
- *الوطا*، طبع مرارا.
علي بن محمد **الماوردي**،
- *الأحكام السلطانية والولايات الدينية*، بيروت، 1978.
مجهول،
- *الاستبصار في عجائب الأمصار*، تح. سعد زغلول عبد الحميد، ط 2، الدار البيضاء، 1985.
مجهول،
- *إعراب الترجمان عن قصة الأوداية مع مولاي عبد الرحمان*، مخطوط.
مجهول،
- *تبصرة الرئيس الأمين في ذكر إمام المسلمين*، مخطوط خاص.
مجهول،
- *الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية*، تح. سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، 1979.
مجهول،
- *رسائل سعدية*، مخطوط، خ. ع. 278 ك.
مجهول،
- *طبقات المالكية*، مخطوط، خ. ع. 3928 د.
محمد أمين **المحبي**،
- *خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر*، 4 أجزاء، القاهرة، 1284 هـ + طبعة ثانية بالأوفيسط في بيروت. د. ت.
علي **المحمدي**،
- *مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، المجتمع البعمراني وعلاقته بالمخزن 1786 - 1985*. د. ع. تاريخ، 1985.
محمد **مخلوف**،
- *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*، القاهرة، 1930.
عبد الواحد **المراكشي**،
- *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، تح. محمد الفاسي، سلا، 1938 *(المعجب)*.
م. ابن **مرزوق**،

- *المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981.

العياشي المريني،

- *الفهرس في عمود نسب الأدارسة*، طنجة، 1986.

المسعودي،

- *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، جزآن،القاهرة، 1346 هـ.

ع. **المشرفي**،

- *نزهة الأبصار إلى ذوي المعرفة والاستبصار*، مخطوط.

م. **مصايف**،

- *النقد الأدبي في المغرب العربي*، الجزائر، 1979.

الحسن **المعداني**،

- *الروض اليانع الفائح في مناقب سيدنا ومولانا أبي عبد الله محمد المدعو بالصالح*، مخطوط خ. ع. 1835 د.

علي ابن **معصوم**،

- *سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر*، القاهرة، 1324 هـ.

الحاج أحمد **معنينو**،

- *ذكريات ومذكرات*، مرقون.

محمد **مفتاح**،

- *التيار الصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب أثناء القرن 8 هـ = 14 م*، 1981، دكتورة، آداب، الرباط، 1981.

- *دينامية النص*، الدار البيضاء، 1987.

محمد **مقدون**،

- *ثورة أيدمون*، د. د. دع. تاريخ، فاس، 1984.

أحمد **المقري**،

- *أزهار الرياض في أخبار عياض*، الرباط، 1978 - 1980. 5 ج.

- *إضاءة الدجنة بعقائد أهل السنة*، مصر، 1304 هـ.

- *روضة الآس العطرة النفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس*، الرباط، 1964 ثم أعيد نشره بالتصوير.

- *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*. تح. إحسان عباس، بيروت، 1968. 8 ج.

أحمد **المكناسي**،

- *أهم مصادر التاريخ والترجمة في المغرب*، تطوان، د. ت.

م. الرشيد **ملين**،

- *فصل الشتاء في أسول، أو الكفاح السياسي لحزب الأحرار* (القسم الأول) الرباط.د. ت.

- *نضال ملك، صاحب الجلالة سيدي محمد بن يوسف، أو المعركة من أجل الاستقلال*، الرباط، (د.ت.) *(نضال ملك)*.

محمد **المنالي**،

- *دوحة البستان ونزهة الإخوان في مناقب سيدي علي بن عبد الرحمان*، مخطوط، خ. ع. 390 د.

أحمد **المنجور**،

- *فهرس*، تح. محمد حجي، الرباط، 1976.

عبد الوهاب ابن **منصور**،
- *أعلام المغرب العربي*، 4 أجزاء، الرباط، 1979 - 1986.
- *قبائل المغرب*، جزآن، الرباط، 1968.
أحمد **المنصوري الزياني**،
- *تاريخ بلدة خنيفرة*، الدار البيضاء، 1986.
محمد **المنوني**،
- *تاريخ الموسيقى الأندلسية في المغرب*، مجلة "التراث الشعبي" العراقية، العدد 6، السنة 10، الصفحات 31 - 64.
- *دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية*، الرباط، 1985.
- *المصادر العربية لتاريخ المغرب، من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث*، الجزء الأول، الرباط، 1983.
- *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، جزآن، بيروت، 1985.
- *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط.
حسن **المنيعي**،
- *أبحاث عن المسرح المغربي*، مكناس، 1974.
محمد ابن **الموقت**،
- *السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية*، فاس. ط. حجرية، 1335 - 1336 هـ. 2 ج.
حسين **مونس**،
- *الجغرافية والجغرافيون العرب في الأندلس*، م. د. س.و ج 9، 1961. ج 10، 1962.
محمد **ميارة**،
- *شرح لامية الزقاق*، مخطوط خ. ح.
أحمد **الناصري**،
- *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، ط 2، الدار البيضاء، 1954 - 1956. 9 ج.
- *زهرة الأفنان من حديقة ابن الونان*، طبعة حجرية بفاس، 1895.
- *طلعة المشتري في النسب الجعفري*، فاس، ط 2 حجرية بالأوفيسط، 1987، 2 ج.
محمد بن عبد السلام **الناصري**،
- *الرحلة الحجازية*، مخطوط، خ. ع. 2651.
محمد المكي **الناصري**،
- *الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة*، ت. محمد الحبيب نوحي، د. د. ع. الرباط، 1987.
- *الرياحين الوردية في الرحلة المراكشية*، مخطوط، خ. ع. 88 ج.
عبد الجليل **ناظم**،
- *الخطاب النقدي بالمغرب حول موضوع الشعر 1930 - 1980*. د. د. ع، أدب، الرباط، 1987.
مصطفى **ناعمي**،
- *الصحراء من خلال بلاد تكنة، تاريخ العلاقات التجارية والسياسية*، الرباط، 1988.
ع. **النجار**،
- *المهدي بن تومرت*، بيروت، 1983.
محمد **نجيدي**،
- *قضية الكوس*، د. د. ع. تاريخ، الرباط، 1987.

إ. **نحال**،
- *أساسيات علم الحراج*، حلب، 1983.

إدريس **نقوري**،
- *المصطلح المشترك*، الدار البيضاء، 1977.

المختار **الهراس**،
- *تطور الهياكل القبلية شمال غرب المغرب*، أنجرة كنموذج ؛ 1984. د. د. ع، الرباط، 1984.

ألبرت **هيل**،
- *النبات الاقتصادي*، ترجمة زاهر عبد الحميد وآخرين، القاهرة، 1962.

أحمد البلوي **الوادي آشي**،
- *ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي*، تح. عبد الله العمراني، بيروت، 1983 *(ثبت)*.

ع. **الورياشي**،
- *الكشف والبيان عن سيرة بطل الريف الأول سيدي محمد أمزيان وأخبار مقاومته هو وإخوانه الريفيين لأبي حمارة والإسبان*، تطوان، 1976.

حسن **الوزان**،
- *وصف إفريقيا*، تر. محمد حجي ومحد الأخضر، بيروت، 1983.

م. حسن **الوزاني**،
- *مذكرات حياة وجهاد*، 6 أجزاء، بيروت، 1983 - 1986.

أبو بكر محمد **الولاتي**،
- *فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور*، بيروت، 1981.

أحمد **الولالي**،
- *مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار*، ت. بوعصاب. د. د. ع. تاريخ، الرباط، 1987.

أحمد **الونشريسي**،
- *المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب*، طبع على الحجر بفاس، ثم أعيد طبعه في بيروت 1981، 13 جزءاً، بإشراف محمد حجي.
- *وفيات*، ضمن كتاب *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976.

أحمد **اليابوري**،
- *تطور الفن القصصي في المغرب*، 1914 - 1966. د. د. ع. أدب، الرباط، 1967.

ياقوت الحموي،
- *معجم البلدان*، 10 أجزاء، القاهرة، 1906.

م. **يعلى**،
- *ظاهرة المحلية في الفن القصصي بالمغرب من أوائل الأربعينات إلى نهاية الستينات*، د.د.ع، فاس، 1984.

سالم **يفوت**،
- *ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس*، الدار البيضاء، 1986.

س. **يقطين**،
- *القراءة والتجربة*، الدار البيضاء، 1985.

الحسن **اليوسي**،
- *رسالة العكاكزة*، مخطوط، خ. ع. 1224 ك.
- *المحاضرات*، تح. محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، بيروت، 1982، جزآن.

Bibliographie des ouvrages et des articles cités dans l'encyclopédie avec leurs abréviations

ABD-EL-KRIM : Generis de la rebelion rifena - Tetuan, 1950.

ABDELMASSIH, E.T - *Tamazight Verb structure : a generative approach* - La Haye, 1971.

ABITBOL, M - *Tombouctou et les Arma* - Paris, 1979 *(Arma).*

L'Abrogation des capitulations britanniques - A.F, fév. 1937

Accion de Espana en Africa. - Madrid, 1930. *(Accion).*

ADAM, A - *Anfa - E.I², I* - p. 521-522

ADAM, A - *Etude économique et sociologique d'un souq du Haut-Atlas occidental : Imi-n-Tanout* - in Actes du IVe congrès international des Sciences anthropologiques et Ethnologiques, 1-8 Septembre 1952 - *Ethnologica* (Vienne), III, 1956 - p. 9-16.

ADAM, A - *Histoire de Casablanca des origines à 1914* - Paris, 1968. *(Casablanca, 1914).*

AGI, M - *De l'idée d'universalité comme fondatrice du concept des droits de l'homme d'après la vie et l'œuvre de René Cassin* - Antibes.

AGUILLERA, C.R - *Traité de droit public marocain : zone espagnole* - Paris, 1954 - (C.C.E.J, XL) *(Droit publ. espagn.)*

AKOUAOU, A - *L'Expression de la qualité en berbère : le verbe, parler de base, le tachlhiyt de Tiznit* - 1976 *(Verbe)* -
Th. 3e cycle : Paris : 1976.

AL-MOUTABASSIR - *Ma El Ainin Ech Chenguity - R.M.M,* I, 1907 - p. 343-351.

ALARCON, P.A de-*Diario de un testigo de la guerra de Africa* - Madrid 1860. *(Diario)*

ALLAIN, Ch - DEVERDUN, G - *Les Portes anciennes de Marrakech - Hesp.* 1° - 2 trim. 1957 - p. 85-126.

ALMONTE, E.D' - *Ensayo de una breve descripcion del Sahara Espanol - Bol. Real Soc. Geogr.,* 56, 1914 - p. 129-347.

AMAHAN, A - *Peuplement et vie quotidienne dans un village du Haut Atlas marocain : Abadou des Ghoujdama* - Paris, 1983 *(Abadou des Ghoujdama).*

ANDERSON, F - *The First maroccan crisis,* 1904-1906 - Connecticut, 1966 *(First moroccan)*

APPLEGATE, J.R - *An Outline of the structure of Shilha* - 1985 *(Shilha).*

APPLEGATE, J.R - *Berber languages - Current Trends in linguistics,* 6, 1970 - p. 586-661.

Appointment in Oujda - Foreign Affairs, Vol. -3, n° 5, 1985 - p. 1095-1110.

ARAMBOURG, C. - BIBERSON, P. - *Découverte de vestiges humains acheuléens dans la carrière de Sidi Abderrahman, près Casablanca - C.R.A.S.* T. 240, 1955 - p. 1661-1663.

Argan - E.I², I - p. 648.

ARNAUD - *Monographie de la région de Meknès* - Meknès, 1914 *(Meknès).*

ARNAULD, L - *Au temps des Mehallas ou le Maroc de 1860 - 1912* - Casablanca, 1952 *(Mehallas).*

ARRAKI, S - *Trois petites villes de la Chaouia intérieures : Settat, Benahmed et El Gara* - 1965 D.E.S : Geogr.: Bordeaux : 1965 *(CHaouia intérérieure).*

ARRIF, A - *Compétition caïdale et procés d'intégration d'un canton montagnard : L'Unayn - A.A.N,* XXII, 1983 - p. 347-360.

AUBIN, E - *Le Maroc d'aujourd'hui* - Paris, 1904 *(Maroc d'auj).*

AULAGNIER, S - THEVENOT, M - *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc* - Rabat, 1986- (Trav. Inst. Sc., Série zoologie; n° 41) *(Mammifères).*

AYACHE, A. - *Le Maroc : bilan d'une colonisation* - Paris, 1956 *(Maroc).*

AYACHE, A. - *Le Mouvement syndical au Maroc,* T. 1 : 1919-1942- Paris, 1982 - *(Mouv. synd.).*

AYACHE, A. COULAND, J. [et al...] - *Mouvements sociaux maghrébins : travailleurs, militants, idéologies* - Nice, 1982 - (C. Méd., n° 2, 1981-1982) *(Mouv. Soc. magh.).*

AYACHE, G - *Beliounech et le destin de Ceuta entre le Maroc et l'Espagne - H.T,* Vol. XIII, 1972.

AYACHE, G - *Les Origines de la guerre du Rif* - 2e éd. - Rabat, 1981 - *(Guerre du Rif).*

AYAD, M - *L'Organisation de l'espace rural dans le plateau d'El Jadida et le Sahel d'Azemmour* - 1982 - 2 Vol.
D.E.S : Géogr.: Rabat 1982 *(El Jadida).*

AYAD, M - SIJILMASSI, A - BENABDELJALIL, A - *Etudes des architectures régionales : région du Centre* - Rabat, 1985 - 2 vol.

AZAM, P - *Les Cités rurales du Ktawa* - Paris, 1946 (Mémoire C.H.E.A.M) *(Ktawa).*

AZAM, P. - La Structure politique et sociale de l'Oued Draa - Paris, 1947- (mémoire C.H.E.A.M). *(Oued Draa).*

AZAN, P - *Bugeaud et l'Algérie* - Préf de André Maginot - Paris : [s.d] *(Bugeaud).*

BA, M.A - *A propos de Smara - A.F,* fév. 1934.- p. 95-97.

BABIN, G - *Le Maroc sans masque : Son Excellence* - Paris, 1932 *(masque).*

BAILLOUD, G - MIEGE DE BOOFZHEIM, P - *La Nécropole néolithique d'El Kiffan près de Tamaris - Libyca,* XII, 1964 - p. 95-171.

BALANDIER, G - *Sens et puissance* - Paris, 1951.

BARADEZ, J - *Deux missions de recherches sur le limes de la Tingitane - C.R.A.S,* 1955 - P. 294-295.

BARRAT, R - *Justice pour le Maroc* - Paris, 1953 *(Justice).*

BARRETT. R.S. - U.S *Policy in North Africa - American-Arab Affairs,* n° 13, 1985.

BARY, L - *Etude syntaxique d'un parler de la langue tamazight : le techelhit d'Inezgane* - 1983 Th. 3e cycle : Rabat : 1983 *(Inezgane).*

BASSET, A - *La langue berbère* - in Handbook of African languages - London, 1952.

BASSET, A - *La langue berbère : morphologie, le verbe : études de thèmes* - Paris, 1929 *(Langue berbère).*

BASSET, A. - *Sur la métrique berbère - Etudes et documents berbères,* n° 2, 1987 - p. 85-90.

BASSET, H. - *Essai sur la littérature des berbères* - Alger, 1920 *(Lit. Ber).*

BASSET, H - TERRASSE , H. - *Sanctuaires et forteresses almohades - Paris, 1932 (Sanctuaires).*

La Bataille d'Isly - Paris, 1844.

BAYED, A - BEAUBRUN, C - *Les Mammifères marins du Maroc : inventaire préliminaire - Mammavia,* 3 - p. 437-447.

BEAUDET, G - *Les Beni Mguild du nord : étude géographique de l'évolution récente d'une confédération semi-nomade - R.G.M.* n° 16, 1969.

BEAUDET, G - *Le Plateau Central marocain* - Rabat, 1969 *(Plat. Central).*

BEGUIN, H - *L'Organisation de l'espace au Maroc* - Bruxelles, 1974 *(Espace).*

BEKER, J - *Historia de Marruecos* - Madrid, 1915 *(Historia).*

AL-BEKRI - *Description de l'Afrique septentrionale* - Trad. M. de Slane - Paris, 1965 *(Description).*

BEL, A - *La Religion musulmane en Berbérie* - Paris, 1938 *(Religion).*

BELAL, A - *Quelques problèmes du mouvement syndical marocain - Al-Moukafik,* ler Mai 1963.

BELGHITI, A - *Urbanisation et domination rurale : l'éxemple d'Azrou* - 1978.
Th.: Geogr.: Toulouse : 1978 *(Azrou).*

BELGUENDOUZ, A - *La Colonisation agraire au Maroc et ses méthodes de pénétration* - *R.J.P.E.M;* n° 4, 1978.

BELLAKHDAR, J - *Médecine traditionnelle et toxicologie ouest-sahariennes : contribution à l'étude de la pharmacopée marocaine* - Rabat, 1978 *(Pharmacopée marocaine).*

BELLAOUI, A - *Aït Ourir* - 1982
Th. 3e cycle : Géogr : Tours : 1982 *(Ait Ourir).*

BELLICHI, A - *Les Climats thermiques du Maroc Nord occidental* - 1983.
Th. 3e cycle : Géogr.: Aix-Marseille : 1983 *(climats).*

BENABID, A - *A propos de l'écologie des essences forestières du Sud Ouest australien méditerranéen : application au Maghreb - Ann. Rech. Forest. Mar.,* T. 24, 1984.

BENABID, A - *Les Ecosystèmes forestiers, préforestiers et présteppiques du Maroc - Forêt méditerranéenne,* T. VII, 1, 1985 - p. 53-64.

BENABOU, M - *La Résistance Africaine à la romanisation* - Paris, 1976 *(Resistance afr.).*

BENAIM, S.Y - *Les Pélerinages juifs des lieux saints au Maroc* - Casablanca, 1980 *(Pélerinages juifs).*

BENBAKKAL, M - *Le Mariage chez les Aït Hadiddou - Acad. Sc. Col.,* 21 Juin 1946 - p. 275-298.

BENCHEKROUN, M - *La Vie intellectuelle marocaine sous les Wattasides,* XIIIe-XIVe siècle - Fès, 1974 *(Vie intel. Wat).*

BEN DAOUD - *Recueil du Droit coutumier de Massat - Hesp.,* 4e trim., 1924 - p. 405-439.

BENEITEZ, V - *Abd-El-Krim y el pacto militar hispano-frances* - Tetuan, 1947 *(Pacto).*

BENJELLOUN, D - *La Médina d'Azemmour : une cité marocaine en péril* - 1978.
Mem. maitrise : Institut Geographie : Tours *(Azemmour)* .

BENRAMDANE, Z - *Ceuta aux XIIIe et XIVe siècles : essai de reconstitution de la civilisation musulmane* - 1987.
Th. 3e cycle : Histoire : Aix-Marseille I : 1987 *(Ceuta).*

BENSEDDIK , M - *Le Syndicalisme en marche* - Casablanca, 1952 (Mémoire) *(Synd.).*

BENTOLILA, F - *Grammaire fonctionnelle d'un parler-berbère : Aït Sghrouchen d'Oum Jeniba, Maroc* - Paris, 1981 *(Oum Jeniba).*

BERARD, V - *L'Affaire marocaine : Le Maroc , La France et le Maroc, l'accord franco-anglais, l'accord franco-espagnol, le désaccord franco allemand, les réformes* - Paris, 1906 *(L'Affaire maroc).*

BERARD, V. - *Les Phéniciens et l'Odyssée* - Paris, 1902 - 2 vol. *(Phéniciens).*

BERENGUER, Gl - *Campanas en el Rif y Yebala,* 1921-1922 : *notas y documentos de mi diario de operaciones* - Madrid, 1923 *(Rif y Yebala).*

BERENGUIER, A - *Le Syndicalisme marocain - C.A.A.* 1er trim. 1961.

BERGER, F - *Moha ou Hammou le Zaïani : un royaume berbère contemporain au Maroc,* 1877-1921 - Marrakech, 1929 *(Moha Ou Hammou).*

BERNARD, A - *Les Confins algéro-marocains* - Paris, 1911 *(Confins).*

BERNARD, A - *La Fontière algéro-marocaine - A.F,* 1908 - P. 205-216.

BERNARD, J - *Le Sang et l'histoire* - Paris, 1983.

BERNARD, M - *La Pacification du Maroc,* 1907-1934 - Paris 1936 *(Pacification).*

BERNUS, E - *Afarag - Ency. Ber,* - Aix-en-Provence, 1985 - T. 2 - p. 207.

BERQUE, J. - *Maghreb : histoires et sociétés* - Alger; Gembloux, 1974 *(Magh. hist. Soc.).*

BERQUE, J. - *Structures sociales du Haut-Atlas* - Paris, 1974 *(Structures).*

BERRAMDANE, A - *Le Maroc et l'occident,* 1800-1974 - Paris, 1987 *(Mar. occid.).*

BERRIANE, M - *Le Tourisme et la petite et moyenne ville au Maroc - in Petites villes et villes moyennes dans le monde Arabe* - Tours, 1987 - (U.R.B.A.M.A; fasc. 16 et 17).

BERRIAU, S - *Simone est comme ça* - Paris, 1973 *(Simone).*

BESNIER, M - *Géographie ancienne du Maroc - A.M.* I, 1904 - p. 301-365.

BESNIER, M - *Lexique de géographie ancienne* - Paris, 1964 *(Lexique géo.).*

BIARNAY , S - *Etudes sur les dialectes berbères du Rif* - Paris, 1917 *(Dial. Rif.).*

BIARNAY, S - *Notes sur les chants populaires du Rif - A.B,* I, 1915-1916.

BIBERSON, P - *Le Cadre paléogéographique de la préhistoire atlantique* - Rabat, 1961 - (P.S.A.M; XVI) *(Paléogéogr.).*

BIBERSON, - *Le Gisement de l'homme de Sidi Abderrah man* - *B.A.M,* I, 1956 - P. 38-92.

BIBERSON, P - *Le Paléolithique inférieur du Maroc atlantique* - Rabat, 1961 - (P.S.A.M; n° 17) *(Paléol. inf.).*

BLEUCHOT H - *Les Libéraux Français au Maroc,* 1947-1956 - Paris, 1973 *(Libéraux).*

BODIN, M - *La Zaouia de Tamegrout* - *A.B,* Vol. III, Fasc. A. 1918.

BOOKIN WEINER, J - EL MANSOUR, , éd. - *The Atlantic connection* - Rabat, 1988 *(Atlantic).*

BORDES, F - *Le Paléolithique dans le monde* - Paris, 1968 - (L'Univers des connaissances) *(Paléolith.).*

BOUE, H - CHANTON, R - *Biologie animale, zoologie* - Paris, 1962.

BOUHDIBA, A - *Les Arabes et les couleurs* - in *L'Autre et l'Ailleurs* - Paris : Berger-Levrault, 1976.

BOUKHRIS, F - *Le Verbe en tamazight : lexique et morphologie, parler des Zemmours* - 1986. Th. 3e cycle : Paris III-EPHE : 1986 *(Parler Zemmours).*

BOUKOUS, A - *L'Emigration des Soussi* - *B.E.S.M,* n° 15, 1977 - p. 71-90.

BOUKOUS, A - *Graphie, prosodie et interprétation* - *Tafsut,* n° 2, 1985.

BOUKOUS, A - *langage et culture populaire au Maroc* - Casablanca, 1977 *(Langage culture).*

BOUKOUS, A - *La littérature d'expression berbère* - in *Grande Encyclopédie du Maroc : culture, Arts et Traditions,* I - Rabat, 1987 - p. 143-148.

BOUNFOUR A - *Linguistique et littérature : étude sur la poésie orale marocaine* - 1985. Th.: Littérature : Paris III : 1985 *(poésie orale).*

BOUNFOUR, A - *Transformation et enjeux de la poésie berbère* - in *Nouveaux enjeux culturels au Maghreb* - Paris, 1986.

BOUQUEREL, J - *Le Port de Safi : de l'antiquité aux temps modernes* - *R.C.C.,* n° 35, Jan. 1969.

BOURDIEU, P - *Sociologie de l'Algérie* - Paris, 1974 *(Sociologie).*

BOURGUIGNON - *Renseignements sur la région du Tiznit* - Mémoire, 31.7.1913. Archives du Service Historique de l'Armée, Maroc, 3H581 Vincennes *(Tiznit).*

BOUSQUET, G.H - *Le Droit coutumier des Aïts Hadiddou des Assif Melloul et Isselaten : confédération des Aït Yafelmane* - *A.I.E.O. XIV,* 1956 - p. 113-229.

BOVILL, E.W - *Caravans of the Old Sahara : An introduction to the History of Western Sudan* - Oxford, 1933 *(Caravans).*

BOVILL, E.W - *The Golden trad of the Moors* - London, 1985 *(Golden).*

BRAITHWAITE, J - *The History of the Revolutions in the Empire of Morocco* - Reprint - London, 1969 *(Revolution).*

BREMARD, F - *L'Organisation régionale du Maroc* - Paris, 1949 - (C.C.E.J; 27) *(Organisations rég.).*

BRETHES, J - *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches nimismatiques* - Casablanca, 1939 *(Numismatiques).*

BRIGNON J, [et. al...] - *Histoire du Maroc* - Paris, 1967.

BRIVES, A - *Voyage au Maroc,* 1901-1907 - Alger, 1909 *(Voyage).*

BROOKS, L.A.E - *Memoir of sir John Drumond Hay* - London, 1896 *(Drumond Hay).*

BROWN, K - *An urban view of moroccan history : Salé,* 1000-1800 - *H.T,* XII, 1971, fasc. unique - P. 5-106.

BROWN, K.L - *People of Salé : tradition and change in a Moroccan city,* 1830-1930 - London, 1976 *(People).*

BRUNO, H - *Introductuction à l'étude du droit coutumier des Berbères du Maroc central* - *A.B,* Vol. 3, fasc. 4, 1918.

BRUNOT, H - *Notes sur le statut coutumier des berbères marocains* - *A.B,* I, fasc. 3 - 1915. 1916.

BRUNOT, L - *Aperçu historique sur la piraterie salétine* - *B.E.P.M,* 1923.

BRUNOT, L - *La Mer dans les traditions et les industries indigènes à Rabat et à Salé* - Paris, 1921 - (Publ. Ecole Sup. de Langue Arabe et de Dial. Ber) *(Mer).*

BRUNOT, L - *Textes arabes de Rabat* - Paris, 1952 - 2 vol. *(Textes de Rabat).*

BURKE, E - *Prelude to Protectorate in Morocco : precolonial protest and resistance, 1860-1912 - Chicago, 1976 (Prelude).*

BURTOM, M - *Tous les mammifères d'Europe* - 2e éd. - Paris, 1976 *(Mam. Europe).*

CABELLO ALCARAZ, J - *Apuntes de geografia de Marruecos, con ligera, descripcion de Argelia, Tunez y las posesiones espanolas del Africa occidental* - Tetuan, 1951 *(Geo. Marruecos).*

CABRERA, A - *Los Grandes cetaceos del estrecho de Gibraltar : su pesca y exploitacion - Trab. del museo Sc. nat.: Série zoologica,* 52.

CADENAT, J - *Notes sur les cétacés observés sur les cotes du Sénégal de 1941 à 1948 - B.I.F.A.N,* XI.

CADI, K - *Système verbal rifain : forme et sens* - Paris, 1981 *(Système).*

CADI, K - *Le Verbe en Tarifit, Maroc-Nord : formes, structures et Valences* - 1987. Th. 3e cycle : Paris III - EPHE : 1987 *(Tarifit).*

GAGNAT, R - *L'Armée romaine d'Afrique* - Paris, 1912 *(Armée).*

CAILLE, J - *L'Abolition des tributs versés au Maroc par la Suède et le Danemark - Hesp.,* 3°-4° trim. 1958 - p. 203-238.

CAILLE, J - *Les Accords internationaux du Sultan Sidi Mohamed Ben Abdellah,* 1757-1790 - Paris, 1960 *(Accords).*

CAILLE, J - *Organisation judiciaire et procédure marocaine* - Paris, 1948 - (C.C.E.J; 25) *(Org. Jud.).*

CAILLE, J - *La Petite histoire de Rabat* - Préf. de Henri Terrasse - Casablanca, *(Hist. de Rabat).*

CAILLE, J - *Quelques renseignements sur le capitaine Erckman - Hesp.,* 1954, 1er-2e trim. - P. 131-145.

CAILLE, J - *Une mission de Léon Roches à Rabat en 1845* - Casablanca, 1947 - (P.I.H.E.E.M; 43) *(Léon Roches).*

CAILLE, J - *La ville de Rabat jusqu'au protectorat français* - Paris, 1949 - 3 vol. *(Rabat).*

CALVET, C - LEGOFF, Y - *Régimes pluviométriques au Maroc - Notes d'inf. tech.* n° 6.

CAMPBELL, A.A - NICHOLLS - *Guide de la faune et de la flore littorales des mers d'Europe* - Neuchatel, 1986 - *(Guide du naturaliste).*

CAMPS, G - *Afrag.* ville - *Enc. Ber.* - Aix-en Provence, 1985 - T. 2 - p. 207.

CAMPS, G - *Agadir - Enc. ber.,* I, 1976.

CAMPS, G - *Aux origines de la Berbérie : Massinissa ou les débuts de l'histoire* - Alger, 1960 *(Massinissa).*

CAMPS, G - *Berbères : aux marges de l'histoire* - Toulouse, 1980 *(Marges).*

CAMPS, G - *Les Civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara* - Paris , 1974 *(Civ. préh.).*

CARCOPINO, J - *Le Maroc antique* - Paris, 1943 *(Carcopino).*

CARNERO, I - *Vocabulario geografico Sahariano* - Madrid, 1955 *(Vocabulario).*

CARO BAROJA, J - *Estudios Saharianos* - Madrid, 1955 *(Estudios).*

CARETTE, E - *Recherches sur l'origine et les migrations des principales tribus de l'Afrique septentionale* - Paris, 1853 *(Migrations).*

CASTILLO - *La Guerra de Africa* - Madrid, 1861 *(Guerra).*

CASTRIES, H. de - *Les Corsaires de Salé - R.D.M,*1963.

CELERIER, J - *Chez les berbères du Maroc : de la collectivité patriarcale à la coopérative - Annales d'Hist. Eco. Soc.,* n° 39, mai 1936 - p. 217-273.

CELERIER, J - *Les Mouvements migratoires indigènes au Maroc - B.E.S.M.* 1934.

CELERIER, J - *La Transhumance dans le Moyen-Atlas - Hesp.,* 1er trim. 1927 - p. 53-68.

CENIVAL, P - LA CHAPELLE, F. de - *Possessions espagnoles sur la Côte occidentale d'Afrique : Santa-Cruz de Mar Pequena et Ifni - Hesp.,* 21, 1935 - p. 19-78.

CERVERA, J - *Expedicion al Sahara : de Rio de Oro a Iyil - Revista de Geografia Comercial,* II, n° 25-30, Julio-Sept. 1886.

CERYCH, L - *Européens et marocains, 1930-1956 : sociologie d'une décolonisation* - Bruge, 1964 *(Européen).*

CESAR, - *Guerre d'Afrique* - Texte établ. et trad. par A. Bouvet - Paris, 1949 *(Guerre d'Afrique).*

CHAKER, S - *Afrag - Afarag - Encyc. Ber* - Aix-en-Provence, 1985- T.2 - p. 206.

CHAKER, S - *Afus - Encycl. Ber.,* Tome 2 - p. 224.

CHAKER, S - *Un parler berbère d'Algérie, Kabylie : syntaxe* - Aix-en-Provence, 1983 *(Parler Kabylie).*

CHAMI, M - *Un parler amazigh du Rif marocain : approche phonologique et morphologique* - 1979.
Th. 3e cycle : Paris V : 1979 *(Parler amazigh).*

CHAPI, M - *L'Analyse de quelques cas de grandes familles du pouvoir au Maroc pendant le 19e siècle d'aprés l'œuvre de A. Ben Zidane* - 1974 - D.E.S : Histoire : Rabat : 1974 *(Grandes familles).*

CHARON, M-ORTLIEB, L-PETIT-MAIRE, N - *Occupation humaine holocène de la région du Cap Juby, Sud Ouest marocain - B.N.S.A.P,* S, série X, serie XIII, 1973 - p. 379-412.

CHATELAIN, L - *Le Maroc des romains* - Paris, 1944 *(Maroc romains).*

CHATELAIN, L - *Note sur les fouilles de Volubilis, Maroc - C.R.AI.B.L,* 1916 - p. 359-366.

CHATELAIN, L - *Travaux et recherches du Service des Antiquités du Maroc depuis 1919 - C.R.A.I.B.L.,* 1922 - p. 28-31.

CHATELAIN, L - *Un groupe de bronze de Banasa - Hesp.,* 1937. 1er - 2e trim., t. 24 - p. 130-132.

CHENIER, L - *Journal du Consulat général de France au Maroc, 1767 - 1785* - Introd. par Charles Penz - Casablanca, 1943 *(Journal).*

CHERBONNIER, G - *Le Roman des Echinodermes* - Paris, 1954.

CHOTTIN, A - *Corpus de musique marocaine* - préf. et note de Prosper Ricard - Paris, 1933 - 2 vol. *(Corpus).*

CHOTTIN, A - *Tableau de la musique marocaine* - Paris, 1939 *(Tableau).*

CHOUBERT, G - MARCAIS, J - *Le Quaternaire des environs de Rabat et l'âge de l'Homme de Rabat - C.R.A.S,* T. 224, 1947 - p. 1645-1647.

CHTATOU, M - *Aspects of the phonology of a Berber dialect of the Rif - 1982.*
Th.: Univ. London : 1982 *(Berber dialect).*

CIGAR, N - *Société et vie politique à Fès sous les premiers Alawites,* 1660-1830 - *H.T,* 1978-1979 - p. 93-172.

CAHEN, D - *Les Langues chamito sémitiques* - in *Le Langage* - Paris, 1968 - *(La Pléiade).*

COINDREAU, R - *Les Corsaires de Salé* - Préf. de Henri Bosco - Paris, 1948 - (P.I.H.E.M, 47) *(Corsaires).*

COLIN, G.S - *Afrag - E.T2.* - Paris, 1960 - I.P. 243.

COMISION HISTORICA DE LAS CAMPANAS DE MARRUECOS - *Geografia de Marruecos* - Madrid, 1935-1947 - 3 vol. *(Geografia).*

COULEAU, J - *La Paysannerie marocaine* - Paris, 1969 - (C.R.A.M) *(Paysannerie).*

COLIN, G-S - *Origine arabe des grands mouvements de populations berbères dans le Moyen-Atlas - Hesp.,* XXV, 2e-3e trim. 1938 - P. 265-268.

COMBE, M- FERRE, M- THAUVIN, J-P - *Méseta centrale et méseta côtière* - Rabat, 1975 - 2 vol. *(Meseta cent. côt).*

CORJON, F - *Le Mariage collectif dans les tribus berbères du Maroc central - B.E.P.M,* n° 119, mars 1932 - p. 116.

COUR, A - *La Dynastie marocaine des Beni-Wattas, 1420-1554* - Paris, 1920 *(Beni - Wattas).*

COUVREUR, G - *La Vie pastorale dans le Haut Atlas Central - R.G.M* n° 13, 1968.

Croquis de la région de Melilla - Madrid, 1921.

CUENOT, L - *Echinodermes, stomocordes, Procordes* - in *GRASSE, P.P. - Traité de zoologie* - Paris, 1948 - II vol.

CUNTZ, O - *Itineraria Romana I. Itiniraria Antonini Augusti et Burdigalense* - Leipzig, 1929 *(Itineraria).*

DAMES, J - *U.S - Arab relations : the Moroccan dimension* - Washington, 1986 *(Arab relation).*

DAMIS, J - *Les Relations des Etats-Unis avec le Maroc - Maghreb-Machrek,* n° 111, Jan-fév. - mars 1986 - p. 5-23.

DAN, P - *Histoire de la Barbarie et de ses corsaires* - Paris, 1649 *(Barbarie).*

DAREMBERG, C - SAGLIO, F - *Dictionnaire des Antiquités grecques et romaines* - Paris, 1873-1919 *(Ant. grecques).*

DARLET, J - *Monographie d'Azemmour* - Rabat, 1950 *(Monogr.).*

DEBENATH, A - *Découverte d'une mandibule humaine antérieure à El Harhoura* - *B.A.M,* XII, 1979-1980 - p. 1-2.

DEBENATH, A - [et al...] - *Mission préhistorique et paléontologique française au Maroc : rapport d'activités* - 1981-1982.

DECRET, F - FANTAR, M - *L'Afrique du Nord dans l'antiquité : des origines au Ve siècle* - Paris, 1981 *(Afr. Nord Ant.).*

DECROUX, P - *Les Sociétés au Maroc, zone française, zone tangéroise, statut juridique et fiscal* - Paris, 1950 *(Sociétés).*

DEKEYSER, P.L - *Les Mammifères de l'Afrique noire française* - Dakar, 1955 *(Mam. Afr. Noire).*

DELAFOSSE, M - *Les Relations du Maroc avec le Soudan à travers les âges* - *Hesp.,* 1924 - p. 153-174.

DELBREL, G - *EL pretendiente y sus harcas en el nordeste marroqui, 1902-1908* - Tanger, 1903 *(Pretendiente).*

DELEGACION DE ASUNTOS INDIGENAS - *Familias ilustres de Tetuan* - Tetuan, 1921 *(Familias).*

DELIBRIAS, G - ROCHE, J - *Datations absolues de l'épipaléolithique marocain* - B.A.M, X, 1976 - p. 11-24.

DELPHIN, G - *Histoire des Pachas d'Alger de 1515 à 1745; extrait d'une chronique indigène* - *J.A,* 11,19, 1922 - p. 161-233; 1925- p. 1-15.

DEPONT, O - COPPOLANI, X - *Les Confréries religieuses musulmanes* - Alger, 1897 *(Confréries).*

DERKAOUI, C - *Etude du verbe et de ses modalités dans le dialecte tachelhit* - 1986 - Th. 3e cycle : Paris V : 1986 *(Verbe).*

DERMENGHEM, E - *Le Culte des saints dans l'Islam maghrébin* - Paris, 1954 *(Culte).*

DESANGES, J - *Anatis* - *Enc. Ber.,* II - p. 633.

DESANGES, J - *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil* - Dakar, 1962 *(Catalogue).*

DESANGES, J - *Recherches sur l'activité des méditerranéens aux confins de l'Afrique* - Rome, 1978 *(Activités med.).*

DESMAZIERES, B - *Imouzzer du Kandar : problèmes d'équipement d'une station d'estivage* - *B.E.S.M,* 1952.

DESPOIS, J - RAYNAL, R - *Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest* - Paris, 1965 *(Géographie).*

DESTAING, E - *Vocabulaire français-berbère : étude sur le Tachelhit du Sous* - Paris, 1938 *(Vocabulaire).*

DEVERDUN, G - *Inscriptions arabes de Marrakech* - Rabat, 1956 *(Inscriptions).*

DEVERDUN, G - *Marrakech des origines à 1912* - Rabat, 1959 *(Marrakech).*

DEVISSE, J - *Routes de commerce et échanges en Afrique occidentale en relation avec la Méditerranée : un essai sur le commerce africain médiéval du XIe au XVIe siècle* - *R.H.E.S,* L, 1-3, 1972- p. 357-397.

DIEULAFOY, J - *Isabelle la Grande* - Paris, 1921 *(Isabelle).*

Documentos presentados a las cortes en la legislatura de 1907-1908, por el Ministro de Asuntos de Marruecos - Madrid, 1908 *(Las Cortes, 1907-1908).*

Documents diplomatiques : Affaires du Maroc, 1901-1912 - Paris, 1905-1913 - 6 vol. *(Documents dipl.).*

Documents inédits d'histoire almohade - Publ. et trad. avec une introd et des notes par E. Levi-Provençal - Paris, 1928 *(Doc. inédits).*

DOMENECH LAFUENTE, A - *Algo sobre Rio de Oro* - Madrid, 1949 *(Rio De ORO).*

DOMENECH LAFUENTE, A - *Del territorio de Ifni* - Madrid, 1946 *(Territorio).*

DOMENECH LAFUENTE, A - *Geografia de la zona norte del protectorado de Espana en Marruecos* - [s.l.], 1930 *(Zona norte).*

DOMINELLI, C - *Ski dans le Haut Atlas de Marrakech* - Andorre, 1984 *(Ski).*

DORST, J - DANDELOT, P - *Guide des grands mammifères d'Afrique* - Neuchatel; Paris, 1973 *(Mammifères d'Afrique).*

DOUTTE, E - *Des moyens de développer l'influence française au Maroc - 1ère partie : Analyse des moyens généraux d'influence* - Rapport à MR le Gouverneur Général d'Alger - Paris, 1900 *(Influence).*

DOUTTE, E - *En Tribu* - Paris, 1914 *(Tribu).*

DOUTTE, E - *L'Organisation domestique et sociale chez les Haha : Contribution à la sociologie marocaine* - *A.F.R.C,* N° 1, Han. 1905- p. 1-16.

DOZY, R - *Supplément aux dictionnaires arabes* - Beyrouth, 1981 - 2 Vol. *(Dictionnaires).*

DOZY, R - *Histoire des musulmans d'Espagne* - Leyde, 1981 - 3 Vol. *(Hist. mus. Esp.).*

DOZY, R - GOEJE, M. de - *Description de l'Afrique et de l'Espagne par Edrissi* - Leyde, 1986 *(Afrique - Espagne).*

DRAGUE, G - *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc : confréries et zaouias* - Paris, 1951 - (Cahiers de l'Afrique et de l'Asie; 2) *(Esquisse).*

DRESCH, J - *Documents sur les genres de vie dans le massif central du Grand Atlas* - Tours, 1941 *(Genres de vie).*

DRESCH, J - *Le Massif du Toubkal : guide alpin* - Rabat, 1938 *(Toubkal).*

DRESCH, J - *Migrations pastorales dans le Haut Atlas calcaire : régions de Demnate et d'Ouaouizarht - in Mélanges géographiques Arbos* - Paris, 1953 - 2 Vol.

Les Droits de l'homme et l'éducation : Actes du congrés du centenaire de l'Alliance Israélite Universelle - Paris, 1961 *(Droit de l'homme).*

DROUIN, J - *Un cycle oral hagiographique dans le Moyen - Atlas marocain* - Paris, 1975 *(Cycle oral).*

DURAND, E - *Traité de droit public marocain* - Préf. de Henri Terrasse - Paris, 1955 - (C.C.E.J; 46) *(Droit pub. mar.).*

DURETTE-DESSET, M.C - FOREST, M.J - FRANC, M.A - *Les Céphalopodes - Alpha,* fasc. 29 - p. 180-187.

EL-ALOUI, A - *Le Maghrib et le Commerce transsaharien, milieu de XV, milieu du XVI* - 1983. Th. 3e cycle : Histoire : Bordeaux : 1983 *(Maghrib commerce).*

ELGEY, G - *Histoire de la Quatrième République* - Paris, 1965-1968 - 2 vol. - (Les Grandes études contemporaines) *(Quatrième Republique).*

EL HAJRAOUI, M-A - *Les Industries préhistoriques de la région de la Mamora dans leur contexte géologique et paléopédologique* - 1985 3e cycle : Histoire : Bordeaux I : 1985 *(Ind. préh).*

EL MANSOUR, M - *Political and social development in Morocco under the reign of Mawlay Suleyman, 1792-1822-1981.*
Ph. D : Histoire : London : 1981 *(My. Suleyman).*

EL MEDLAOUI, M - *Segments et syllabation dans le parler techelhit d'Imdlawn* - 1985.
Th. 3e cycle : Paris VIII : 1985 *(Segments).*

EL MOUJAHID, E - *La Classe de nom dans un parler de la langue tamazight : le techlhit d'Igherm, Souss, Maroc* - 1981.
Th. 3e cycle : Paris V : 1981 *(parler d'Igherm).*

EL YOUSFI, M - *La Dégradation forestière dans le sud marocain : éxemple de l'arganeraie d'Admine, Souss, entre 1969 et 1986* - 1988 Mém. 3e cycle forestier : IAV : Rabat : 1988 *(Degr. Forest.).*

EMBERGER, L - *Les Arbres du Maroc et comment les reconnaitre* - Paris, 1938 *(Arbres du Maroc).*

ERCKMANN, J - *Le Maroc moderne* - Paris, 1885 *(Mar. mod.).*

ERLANGER, R.d' - *La Musique arabe* - Paris, 1930-1959 - 6 vol. *(Mus. orale).*

ET-TABYI - *Miscellanea marroqui* - Tetuan, 1953 *(Misc. Marroq).*

EUSTACHE, D - *Corpus des monnaies Alawites* - Rabat, 1984 - 3 vol. *(monnaires Alawites).*

EUSTACHE, D - *Etudes de numismatiques et de métrologie musulmanes H.T,* Vol. X, fasc. 1-2, 1969 - p. 95-189.

EUZENNAT, M - *L'Archéologie marocaine de 1955 à 1957* - *B.A.M,* II, 1957 - p. 199-229.

EUZENNAT, M - *Grecs et orientaux en Maurétanie tingitane* - *Ant.Afr.,* V, 1971- p. 161-178.

EUZENNAT, M - *Les Voies romaines du Maroc dans l'Itinéraire Antonin* - in *Hommages à Albert Grenier* - Bruxelles, 1962 - p. 595-610 - Latomus n° 58).

FARMER, H.G. - *History of Arabian music* - London, 1929 *(Music).*

FAUJAS, M - *La Frontière algéro-marocaine - 1906.*
Th. Grenoble : 1906 *(Frontière).*

FEREMBACH, D - *L'Ancêtre de l'homme du paléolithique supérieur était-il un néanderthalien* - in *Acte du colloque de l'UNESCO* - Paris, 1972 - p. 73-80.

FEREMBACH, D - *Les Iberomaurusiens du Maghreb : origine et évolution - Revue anthropologique,* 1974 - p. 221.

FEREMBACH, D - *Les Hommes du paléolithique supérieur autour du bassin méditerranéen - L'Anthropologie,* T. 90, n° 3, 1986 - p. 579-589.

FEREMBACH, D - D'ASTUGUE, J - POITRATTAGOWLA, M.J - *La Néocropole épipaléolithique de Taforalt, Maroc oriental : étude des squelettes humains* - Casablanca, 1962 *(Squelettes).*

FERNANDES, V - *Description de la cote d'Afrique de Ceuta au Sénégal, 1506-1507* - Trad. P. de Cenival, Th. Monod - Paris, 1938 *(Ceuta - Sénégal).*

FERRO, M - *L'Histoire sous surveillance* - Paris, 1985.

Fiches F.A.O. d'identification des espèces pour les besoins de la pêche atlantique Centre Est. Céphalopodes - Ottawa, 1981.

FLAMAND, P - *Un mellah en pays berbère : Demnate* - Paris, 1952 - (P.I.H.E.M : N.D; X) *(Mellah Demnate).*

FLORES, A - *El Sahara Espanol* - Madrid, 1946.

FLOURNEY, F.F - *British policy towards Morocco in the age of Palmerston, 1830-1865* - London, 1935 *(Palmerston).*

FOSSET, R - *Le Reseau urbain des bas-plateaux atlantiques moyens* - Tours, 1977 *(Réseau urbain).*

FOSSET, R - *Société rurale et organisation de l'espace : les bas plateaux atlantiques du Maroc moyens* - 1978 - 2 vol.
Th.: Geogr.: Montpellier III : 1978 *(Bas plateaux).*

FOSSET, R - *Un exemple régional du sous-développement au Maroc : les Doukkala - I.G,* n° 1, 1967 - p. 34-41.

FOUCAULD, Ch. de - *Dictionnaire touareg - français* - Paris, 1952 - 4 vol. *(Dict. touareg).*

FOUCAULD, Ch. de - *Reconnaissance au Maroc, 1883-1884* - Paris, 1988 *(Reconnaissance).*

FOUGEROLLES, A - *Le Haut Atlas Central : guide alpin* - Casablanca, 1982 *(Guide alpin).*

FOURNEL, H - *Les Berbers* - Paris, 1875 - 2 vol.

FOUROUT, M - *Vers une organisation de l'espace rural dans les Doukkala - R.G.M,* n° 8, 1965 - p. 75-82.

FREZOULS, E - *Les Baquates et la province romaine de Tingitane - B.A.M.* II, 1957 - p. 65-116.

FUCHS, J - *Evolution d'un grand commandement marocain : le Caïd Mtouggui.* Mémoire C.H.E.A.M. *(Mtouggui).*

GABRIELLI, L - *Abd-El-krim et les événements du Rif* - Casablanca, 1953 *(Abd-El-Krim).*

GAILLARD, H - *La Réorganisation du gouvernement marocain - A.F : R.C,* 1916 - p. 153-170.

GALAND L - *Continuité et renouvellement d'un système verbal : le cas du berbère - Bull. Soc. Ling.,* 72, 1, 1977 - p. 275-303.

GALAND, L - *L'Enoncé verbal en berbère : étude des fonctions - cahiers de Ferdinand de Saussure,* n° 21, 1956 - p. 33-53.

GALAND L - *Etat et procés : les verbes de qualité en berbère - Hesp.,* 1955 - p. 245-251.

GALAND-PERNET, P - *Littérature orale et représentation du texte : les poèmes berbères traditionnels - Etude de littérature ancienne,* Vol. 3, 1985 - p. 107-118.

GALAND-PERNET, P - *Le Poème oral et ses marges : prologues berbères - Lalies* : Actes des sessions de linguistique et de littérature, 1985.

GALAND-PERNET, P - *Recueil des poèmes chleuhs. I : Chants de trouveurs* - Paris, 1972 *(Trouveurs).*

GALAND-PERNET, P - *Un schème grillé de la poésie berbère : étude de motif des métamorphoses dans les poèmes chleuhs - Word,* Vol. 25, n° 1-3- p. 120-130.

GALLAGHER, Ch. F - *The United States and North Africa : Morocco, Algeria and Tunisia - Cambridge, Mass., 1963. (U.S - North Africa).*

GALLEGO RAMOS, E - *La Campana del Rif, 1909* - Madrid, 1909 *(Campana).*

GALLISOT, R - *Le Patronat européen au maroc, 1931-1942* - Rabat, 1964 *(Patronat).*

GARCIA FIGUERAS, T - *Marruecos : la accion de Espana en el Norte de Africa* - Barcelone, 1939 *(Marruecos).*

GARCIA FIGUERAS, T - *Miscelanea de estudios africanos* - Larache, 1947-1953 - 3 vol. *(Misc. est.).*

GARCIA FIGUERAS, T - *Recuerdos centenarios de la guerra de Africa* - Madrid, 1961 *(Recuerdos).*

GARCIA FIGUERAS, T - *Santa cruz de Mar Pequena, Ifni, Sahara* - Madrid, 1941 *(Santa Cruz).*

GATTEFOSSE, J - *Juifs et chrétiens du Dra avant l'Islam* - *B.S.P.M,* n° s 3-4, 3e-4° trim. 1935-1936.

GATELL, J - *Description du Sous* - *B.S.G,* I, 1871 - p. 81-106.

GATELL, J - *L'Oued-Noun et le Tekna à la côte occidentale du Maroc* - *B.S.G,* XVIII, 1869 - p. 257-287.

GATELL. J - *Viajes por Marruecos : El Sus, Uad Nun y Tekna - Memorias de la Sociedad de Geografia,* I, 1877.

GAUDIO, A - *Maroc du Nord* - Paris, 1981.

GAUDIO, A - *Sahara espagnol : fin d'un mythe colonial* - Paris, 1978 *(Mythe colonial).*

GAUTIER, E.F - *Les Siècles obscurs du Maghreb* - Paris, 1927 *(Siècles).*

GELLNER, E - *The Saints of the Atlas* - London, 1969 - (The nature of human society series) *(The Saints).*

GENTIL, L - *A travers l'Anti-Atlas et les déserts du Dra* - *A.F,* mars 1924.

GERENTON, E - *Les Expeditions de Moulay El Hassan dans le Sous* - *A.F : R.C,* n° 9, 1924.

GHIRELLI, A - *El Norte de Marruecos* - Mellila, 1902 *(Norte).*

GIGOUT, M - *Etude sur la meseta marocaine occidentale* - Rabat, 1951 - (Trav. Inst. Sc. Cher.) *(Meseta mar.).*

GILLET, B - *Histoire du sport* - Paris, 1949 - (Que sais-je ? 337).

GODARD, L - *Description et histoire du Maroc* - Paris, 1860 *(Description).*

GODED, - *Marruecos : Las étapas de la pacificacion* - Madrid, 1932. *(Pacification).*

GOIS, D. de - *Les Portugais au Maroc de 1495-1521* - Trad. R. Ricard - Paris, 1937 *(Les Portugais au Maroc).*

GORDILLO OSUNA, M - *Geografia urbana de Ceuta* - Madrid, 1972 *(Geo. Urbana).*

GOUVION, J et M - *Aᶜayan al-Maghrib al-Akça : esquisse générale des Moghrebs, de la genèse à nos jours et Livre des grands du Maroc* - Paris, 1939 *(Aᶜayan al-Maghrib).*

GOZALBES BUSTO, G - *La Republica andaluza de Rabat en el siglo XVIII* - Granada, 1974 *(Rep. and.).*

GRANDVAL, G - *Ma mission au Maroc* - Paris, 1956 *(Mission).*

GRUNER, R - *Du Maroc traditionnel au Maroc moderne* - Paris, 1984.

GSELL, S - *Connaissances géographiques des grecs sur les côtes africaines de l'Océan : études sur l'afrique antique - Scripta Varia,* 1981 - p. 175-194.

GSELL, S - *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord* - Paris, 1914-1928-8 vol. *(Afr. Nord. anc.).*

GUEDIRA, A.R - *Hassan II et la C.E.E : géopolitique - Revue de l'Inst. Inst. de Geopol.,* n° 10, 1985.

GUERSSEL, M - *Glides and sillabicity in Berber - Linguistic Inquiry,* 17,1986 - p. 1-12.

GUERSSEL, M - *Issues in Berber phonology* - 1977.
Ph. D : Washington : 1977 *(Berber phon.).*

GUETTAT, M - *La Musique classique du Maghreb* - Paris, 1980 *(Musique clas.).*

GUILLAUME, A - *Les Berbères marocains et la pacification de l'Atlas Central, 1912-1913* - Paris, 1946 *(Pac. Atlas).*

GUILLEN, P - *L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905* - Paris, 1967 *(Allemagne Maroc).*

GUILLEN, P - *Les milieux d'affaires français et le Maroc à l'aube du XXe siècle - R.H,* Avril-Juin 1963 - p. 397-422.

GUILLEN, P - *La Résistance du Maroc à l'emprise française au lendemain des accords franco-anglais d'avril 1904 - R.O.M.M,* 1970.

HALL, L - *The United States and Morocco, 1776-1956* - Metuche, N.J, 1971 *(US - MOROCCO).*

HALSTEAD, J - *Rebirth of a nation : the Origins and Rise of Moroccan nationalism, 1912-1944* - Cambridge, (Mas), 1967 - (Harvard Middle eastern monographs, XVIII) *(Rebirth).*

HAMMOUDI, A - *Sainteté, pouvoir et société : Tamegrout aux XVII et XVIIIe Siècles - A.E.S.C,* n° 3-4, mai-Août 1980.

HANAKA, O - *Taroudant et Oulad Taïma : deux pôles urbains du Sous* - 1987.

Th. 3e cycle : Geogr.: Tours : 1987 *(Taroudant).*

HARRIES, M-J - *Syntactic structure of Tamazight* - 1971 PH. D : California : 1971 *(Syntatic).*

HARRIS, W.B - *Le Maroc disparu : Anecdotes sur la vie intime de Moulay Hafid, de Moulay Abdel-Aziz et de Raissouli* - Trad. de l'anglais par Paul Odinot, préf. du Gal Gouraud, intr, de Michaux-Bellaire - Paris, 1929 *(Maroc disparu).*

HART, D.M - *Segmentary Systems and the role of the five fifths in tribal Morocco - R.O.M.M,* n° 3, 1er sem. 1967 - p. 65-96.

HARTNER, W - *Asturlab - E.I², I* - p. 744-749.

HASSAN II - *Le Défi* - Paris, 1976.

HASSAN, T - *La Musique arabe : les traditions musicales* - Paris, 1977. *(Musique ar.).*

HEBAZ, B - *L'Aspect en berbère tachelhiyt, Maroc : parler de base : Immi, Marrakech-Ouarzazate* - 1979.
Th. 3e cycle : Paris V : 1979 *(Immi).*

HENRY, R - *Où se trouvait la Zaouia de Dilâ ? - Hesp.,* 1944, fasc. unique - p. 46-54.

HERAUTE, S - *Les Conditions de l'occupation espagnole à Ifni - A.F,* Juin 1934 - p. 338-341.

HERNANDEZ DE HERRERA, C - GARCIA FIGUERAS, T - *Accion de Espana en Marruecos* - Madrid, 1929-1930 - 2 vol. *(Accion Espana).*

HERNANDEZ-PACHECO, F - *Caractéristicas generales geografico-geologicas del territorio de Ifni - A.I.E.A,* X, n° 45.

HERODOTE - *Histoire* - texte établi et trad. par Ph. Le Grand - Paris, 1946.

HERZENNI, A - *L'Ounain : modes d'utilisation des eaux d'irrigation et rapports sociaux - B.E.S.M,* n° 159-160 - p. 85 - 110.

HESS, J - *La Question du Maroc* - Paris, 1903. *(Question).*

Historia de las campanas de Marruecos - Madrid, 1947-1981 - 4 vol. *(Campanas).*

HOPKINS, J.F.P - *Letters from Barbary,* 1576-1774 - London, 1982 *(Letters).*

HOSOTTE-REYNAUD, M - *Identification d'un des astrolabes de la Mosquée des Andalous - Hesp.,* 1er 2e trim. 1957 - p. 128.

HUGUES, E - MIEGE, J.L - *Les Européens à Casablanca au XIXe siècle,* 1856-1906 - Paris, 1954 *(Européens Casa).*
HUICI MIRANDA, A. - *Un fragmento de Ibn Idari sobre los Almoravides - H.T,* 1961, vol, 2: Fasc. 1.

HUNWICK, J-O - *A new source for the biography of Ahmad Baba al-Tinbukti - B.S.O.A.S,* XXVII, 1964 - p. 568-593.

HUNWICK, J.O - *Ahmad Baba and the Moroccan invasion of the Sudan,* 1591 - *J.H.S.N,* Vol. 2, n° 3 - p. 311-328.

HUNWICK, J.O - *Further light on Ahmad Baba al-Tinbukti - Research Bulletin,* (Centre of Arabic Documentation, Institute of African Studies), Vol. 2, n° 2, 1966 - p. 19-30.

HURE, A - *La Pacification du Maroc : dernière étape, 1931-1934* - Paris, 1952 *(Pacification du Maroc).*

HUYGUE, G - *Dictionnaire Chaouia, Arabe, Kabyle et Français* - Alger, 1907 *(Dict. Chaouia).*

IBN AZZUZ HAKIM, M - *Apellidos Tetuanies de Origen espanol* - Tetuan, 1949 *(Apellidos).*

IBN AZZUZ HAKIM, M - *Repertorio diplomatico marroqui* - Rabat, 1961.

IBN KHALDOUN - *L'Histoire des Berbères* - Trad. M. de Slane - Paris, 1978 *(Berbères).*

IDRISS. H.R. - *La Berbérie orientale sous les zirides* - Paris, 1962 - 2 vol. *(Berberie orientale).*

AL-IDRISI, A-M - *Opus geographicum :* sive Liber ad eorum delectationem qui terras peragrare studeant - consilio et auctirate E. Ceru lli, F. Gabrieli, [et al...] - Naples, 1982 - 9 vol. *(Opus).*

JACKSON, J.G. - *Account of the Empire of Morocco and the districts of Suse and Tafilalet* - London, 1968 *(Districts of Suse).*

JACQUES-MEUNIE, Dj - *Greniers citadelles du Maroc* - Paris, 1951 (Greniers).

JACQUES-MEUNIE, Dj - *Hiérarchie sociale au Maroc présaharien - Hesp.,* 3e - 4e trim. 1958 - p. 239-269.

JACQUES-MEUNIE, D - *Le Maroc saharien des origines au XVIe siècle* - Paris, 1982 - 2 vol. *(Maroc Saharien).*

JACQUES-MEUNIE, D - *La Nécropole de Foum el-Rjam : tumuli du Maroc présaharien - Hesp,.* 1e-2e trim. 1958 - p. 95-142.

JACQUES MEUNIE, Dj - *Les Oasis des Lektaoua et des Mehamid : Institutions traditionnelles des Draoua - Hesp.*, 3e-4e trim. 1947 - p. 397-430.

JAEGER, J.J - *Découverte d'un crane d'hominidé dans le pleistocène moyen du Maroc* - in *Colloque international Evolution des vertébrés* - Paris, 1974.

JAHANDIEZ, E - MAIRE, R. [et al...] - *Catalogue des plantes du Maroc* - Alger, 1931-1934 - 3 vol. *(Cat. plantes).*

JARCY, S - *La Musique arabe* - Paris, 1977 *(Musique).*

JAUBERT, P.A - *Geographie d'Edrissi,* trad. de l'arabe en français... - Paris, 1836-40 - 2 vol.

JEAN-LEON L'AFRICAIN - *Description de l'Afrique* - Trad. de l'italien par A. Epaulard, annot, par A. Epaulard, Th. Monod, H. Lhote et R. Mauny - Paris, 1956 - 2 vol. *(Descript. Afrique).*

JEANNAU, L - *Mutation récentes des campagnes du Moyen Atlas et de ses bordures - Médit.*, n° 4, 1986.

JEBBOUR, A - *Processus de formation du pluriel nominal et tamazight, tachelhit de Tiznit : Approche non concatenative* - 1988. D.E.S : Rabat : 1988 *(Tachelhit Tiznit).*

JODIN, A - *Volubilis : Regia Jubae : contribution à l'étude des civilisations du Maroc antique préclaudien* - Paris, 1987 *(Volubilis).*

JOLY, F - *Etudes sur le relief dans le Sud-Est marocain* - Rabat, 1962 - (Trav. Inst. Sc. : Geol. et Geogr. phys.; n° 10) *(Relief S-E).*

JORDIN, A - *Dictionnaire berbère-français* - Rabat, 1934 *(Dict. berb. fra.).*

JOUAD, H - *Les Eléments de versification en berbère marocain tamazight et tachalhit* - 1983. Th. 3e cycle : Paris III : 1983 *(Versif. berb.).*

JOUAD, H - *La Matrice rythmique : fondement caché du vers - Etudes et Documents berbères,* n° 3, 1987 - p. 47-59.

JOUAD, H - *Mètres et rythmes de la poésie orale en berbère marocain : la composante rythmique - Cahiers de poétique comparée,* n° 12, 1986 - p. 103-127.

JOUAD, H - *Les Règles métriques dans la poésie berbère - Cahiers de poétique comparée,* III, 1 1977.- p. 25-29.

JOUAD, H - LORTAT-JACOB, B - *Les Modèles métriques dans la poésie de tradition orale et leur traitement musical - Revue de musicologie,* vol., 68, 1-2, 1982 - p. 174-197.

JOUANNET, P - *Le Syndicalisme au Maroc - R.P.P.*, Jan. 1955.

JUIN, A - *Le Maghreb en feu* - Paris, 1957 *(Magh. feu).*

JUIN, A - *Mémoires* - Paris, 1959-1960 - 2 vol. - (Les Grandes études contemporaines).

JULIEN, Ch. - A. - *Histoire de l'Afrique du Nord : Tunisie, Algérie, Maroc* - Ed. revue en 1951 par Christian Courtois et Roger le Tourneau - Paris, 1951 - 2 vol. *(Hist. Afr. Nord).*

JULIEN, Ch.- A. - *Histoire de l'Algérie contemporaine* - Paris, 1964 *(Algerie cont.).*

JULIEN, Ch. - A. - *Le Maroc face aux impérialismes,* 1945-1956 - Paris, 1978 *(Maroc impérialismes).*

JULY, P. - *Une République pour un Roi* - Paris, 1974 - (Les Grandes études contemporaines).

JUSTINARD, L - *Les Aït Ba Amrane* - Paris, 1930 - (Villes et tribus du Maroc; Vol. 8) *(Aït Ba Amrane).*

JUSTINARD, L - *Le Caïd El Goundafi* - Casablanca, 1952 *(Goundafi).*

JUSTINARD, L - *Notes d'histoire et de littérature berbères - Hesp.*, 2e trim. 1925 - p. 227-238.

JUSTINARD, L - *Notes sur l'histoire du Sous au XVIe siècle - A.M,* 1933 - 230 p. *(Sous, 16e S.).*

JUSTINARD, L - *Notes sur l'histoire du Sous au XIXe siècle - Hesp.*, 1925 - p. 265-276; 1926 - p. 351-364 *(Sous, 19e S.).*

JUSTINARD, L - *Un petit royaume berbère : le Tazeroualt : un saint berbère Sidi Ahmed Ou Moussa* - Paris, 1954 - (IHEM : N.D; 15) *(Le Tazeroualt).*

KABLY, M - *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen Age* - Paris, 1986 *(Maroc moyen âge).*

KARPATI, J - *Mélodie, vers et structure strophique dans la musique berbère du Maroc central - Studia Musicologia* (Budapest), I, 3-4, 1961 - p. 451-473.

KENBIB, M - *Les Protections étrangères au Maroc, 19e début 20e siècle - 1980.* Th.: Histoire : Paris : 1980 *(Protections).*

KHANEBOUBI, A - *Les premiers sultans Mérinides,* 1929-1331 - Paris, 1987 *(Sultans mérinides).*

KOEHLER, H - *L'Eglise Chrétienne du Maroc et la Mission Franciscaine, 1221-1790 - Paris, 1934 (Eglise chrét.).*

KRAMERS, J-M - *La littérature géographique classique des musulmans - Analecta Orientala,* n° 2, 1956 - p. 172-204.

LA CASINIERE, H. de - *Les Municipalités marocaines : leur développement, leur législation* - Casablanca, 1924 *(Municipalités).*

LA CHAPELLE, F. de - *Esquisse d'une histoire du Sahara occidental - Hesp.,* XI, 1930, Fasc. I-II - p. 35-95.

LA CHAPELLE, F. de - *L'Expédition de Suetonius Paulinus dans le Sud-Est du Maroc - Hesp.,* XIX, 1934, Fasc. I-II - p. 107-124.

LA CHAPELLE. F. de - *Le Sultan Moulay Ismaïl et les berbères Sanhaja au Maroc central - A.M,* XXVIII, 1931 - p. 7-64.

LA CHAPELLE, F. de - *Les Tekna du Sud marocain - A.F,* 1934.

LA CHAPELLE, F. de - *Un grand Caïdat du Sud marocain - A.F : R.C,* Oct. 1927 - p. 372-386.

LACOUTURE, J et S - *Le Maroc à l'épreuve* - Paris, 1958 *(Maroc épreuve).*

LAGARDERE, J.P - *Les Crevettes des côtes du Maroc* - Rabat, 1971 - (Trav. Inst. Cherif) *(Crevettes).*

LA MARTINIERE, H. de - *Notes sur les ruines de Ad Mercuri - B.C.T.H,* 1889.

LA MARITINIERE, H. de - LACROIX, N - *Documents pour servir à l'étude du Nord-Ouest africain* - Alger, 1894-1897 - 4 vol. *(Doc. Nord-Ouest).*

LAOUINA, A - *Le Maroc nord-oriental : reliefs, modelés et dynamique du calcaire* - 1987. Th.: Géogr.: Paris I : 1987 *(Maroc Nord-Orient.).*

LAOUST, E - *Chants berbères contre l'occupation française* - in *Mémorial Henri Basset* - Paris, 1928 - p. 9-20.

LAOUST, E - *Contribution à une étude sur la toponymie du Haut Atlas - R.E.I,* 1939, Cahiers, 3-4 - p. 201-312; 1940, Cahiers 1-2 - p. 27-73 *(Toponymie).*

LAOUST, E - *Cours de berbère marocain : Dialecte du Maroc central* - Paris, 1928 *(Cours).*

LAOUST, E - *L'Habitation chez les transhumans du Maroc central* - Paris, 1935 - (Hespéris, VI) *(Habitation).*

LAOUST, E - *Mots et choses berbères : notes de linguistiques et d'ethnographie, dialectes du Maroc* - Paris, 1920 *(Mots et choses).*

LAOUST, H - *Essai sur les doctrines sociales et politiques d'Ibn Taimiya* - Le Caire, 1939 *(Ibn Taimiya).*

LAOUST, H - *La Profession de foi d'Ibn Batta* - Damas, 1958 *(Ibn Batta).*

LAREDO, A.I - *Les Noms des Juifs au Maroc : essai d'onomastique judéo-marocaine* - Madrid, 1978 *(Noms de juifs).*

LAROUI, A - *Islam et modernité* - Paris, 1987.

LAROUI, A - *Les Origines sociales et culturelles du nationalisme marocain,* 1830-1913 - Paris, 1977 - (Textes à l'appui) *(Origines).*

LASSERE, J.M - *Ubique Populus : peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine, de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sevéres, 146-235* - Paris, 1977 - (Etudes d'antiquités africaines) *(Ubique Populus).*

LAUBADERE, A. de - *Les Réformes des pouvoirs publics au Maroc : le gouvernement, l'administration, la justice* - Paris, 1949 *(Réformes).*

LA VERONNE, C. de. - *Relations entre le Maroc et la Turquie dans la seconde moitié du XVIe siècle et le début du XVIIe siècle, 1550-1616 - R.O.M.M,* n° 15-16, 2e sem. 1973 - p. 391-401.

LEBLANC, A - *La Politique européenne du Maroc à l'époque contemporaine* - Paris, 1906 *(Pol. europ.).*

LE CHATELIER, A - *Tribus du Sud Ouest marocain : bassins cotiers entre Sous et Draa* - Paris, 1891 *(Tribus Sud Ouest).*

LE COEUR, Ch. - *Décadence économique d'une petite cité marocaine : Azemmour de 1907-1937* - in *Entretiens sur l'évolution des pays de civilisation arabe,* T.III - Paris, 1938.

LE COEUR, Ch - *Métiers et classes sociales d'Azemmour - B.E.S.M,* Vol. 4, n° 16, Avril 1937 - p. 166-169.

LE COMTE, A - *Le Panafricanisme syndical cherche son avenir - R.A.P,* 1961.

LE COZ, J - *Les Tribus Guich du Maroc* - *R.G.M,* n° 7, 1965.

LEFEBURE, C - *Contrat mensonger : un chant d'amdyaz sur l'émigration - Etudes et documents berbères,* n° 3, 1987 - p. 28-46.

LEFEBURE, C - *Ousmane : la Chanson berbère reverdie* - in *Nouveaux enjeux culturels au Magreb* - Paris, 1986 - p. 189-208.

LEHZAN, A - *Propriété foncière et marché foncier dans les villes à faibles croissance démographique : l'éxemple d'Asilah* - *R.M.D.E.D,* n° 12, 1986.

LE MOIGNE, Y - BOURCART, J - *Un projet d'utilisation d'un fleuve marocain : l'Oum Er-Rbia* - *Rev. Geo. Phys. et géo. Dyn.,* Vol., VI, fasc. 1, 1933 - p. 5-42.

LENOIR, M - [et al...] - *Fouilles de Dchar Jdid, 1977-1980* - *B.A.M,* XIV, 1981-1982 - p. 169-246.

LENOIR, M - *Inscription nouvelles de Volubilis* - *B.A.M,* XVI, 1985-1985 - p. 231-232.

LENZ, O - *Timbouctou : voyage au Maroc, au Sahara et au Soudan* - Trad. de l'allemand par Pierre Lehautcourt - Paris, 1886-1887 - 2 vol. *(Timboucton).*

LESNE, M - *Evolution d'un groupement berbère : les Zemmour* - Rabat, 1956 *(Zemmour 1).*

LESNE, M - *Histoire d'un groupement berbère : les Zemmour* - 1959
Th.: Paris : 1959 *(Zemmour 2).*

LE TOURNEAU, R - *Fès avant le protectorat : étude économique et sociale d'une ville de l'occident musulman* - Casablanca, 1949 *(Fès).*

LE TOURNEAU, R - *Hansalyya* - *E.I²* III - p. 170-171.

LEVI-PROVENCAL, E - *Extraits des historiens arabes du Maroc* - Paris, 1948 *(Hist. arabes).*

LEVI-PROVENCAL, E - *Les Historiens des Chorfa : essai sur la littérature historique et biographique au Maroc du XVIe au XXe siècle* - Paris, 1922 *(Hist. Chorfa).*

LEVI-PROVENCAL, E - *Les Ruines almoravides du pays de l'Ouergha* - *Bull. Archéol.,* 1918 - p. 194-200.

LEVI-PROVENCAL, E - *Trente-sept Lettres officielles almohades* - Rabat 1941 - (P.I.H.E.M, textes arabes; 10) *(Lettres almohades).*

LEVI-PROVENCAL, E - *Un nouveau texte d'histoire mérinide : le Musnad d'Ibn Marzuk* - *Hesp.,* 1925 - p. 1-82.

LEVI-PROVENCAL, E - *Une description de Ceuta musulmane au XVe siècle : L'Ihtisar Al-Ahbar de Mohammad B. Al-Qasim Ibn 'Abd Al-Malik Al-Ansari,* texte arabe - *Hesp.,* 1931, t. 12, fasc. 2 - p. 145-176.

LEYRIS DE CAMPREDON, D - *Quarante cinq ans de souvenirs marocains* - Casablanca, 1948 *(Souvenirs).*

LLABADOR, F - *Le Tragique épisode du combat du Bab-El-Assa,* 27-11. 1907- *B.S.G.A.O., 1938.*

LOPES, D - *Historia d'Arzila a dominio portugues,* 1471-1550 e 1577-1489 - Coimbra, 1924 *(Arzila).*

LOPEZ, A - *Obispo en Africa septentrional desde el siglo XIII* - Tanger, 1941 *(Obispo).*

LOPEZ, J - *La Orden Franciscana en la asistencia a los cristianos cautivos en Marruecos* - Larache, 1939 *(Orden).*

LOPEZ OLIVAN, J - *Legislacion vigente en la zona de Protectorado Espanol en Marruecos* - Madrid, 1931 - 4 vol. *(Legislacion vig.).*

LORTAT-JACOB, B - *Musique et fêtes du Haut Atlas* - Paris, 1980 *(Musique fêtes).*

LOUP, J - *L'Oum Er Rbia* - Rabat, 1960 - (Trav. Inst. Sc. Cherif.; n° 9).

LOURIDO, R - *La Abolicion de la esclavitud de cristianos en Marruecos* - *C.H.I* (Granada), 8, 1977 - p. 5-46.

LOURIDO, R - *La Obra redentora del Sultan Sidi Mohamed Ben Abdellah entre los cautivos musulmanes en Europa* - *C.H.I,* 11, 1984-p. 139-184.

LUCAIN - *La Guerre civile* - Paris, 1926.

LUCRECE - *De la nature* - Trad, par A. Ernout - Paris, 1937.

LUTHER, W - FIEDLER, K - *Guide de la faune sous marine des côtes méditerranéennes* - Neuchâtel, 1987 *(Faune sous marine).*

LYAUTEY, H - *Paroles d'action : Madagascar, sud-Oranais, Oran, Maroc, 1900-1926* - Paris, 1927 *(Paroles).*

MAHER, V - *Worman and poperty in Morocco* - London, 1974 *(Worman).*

MAIRE, R - *Flore de l'Afrique du Nord* - Paris, 1952 *(Flore).*

MALDONADO, E - *El Rogui* - Madrid, 949.

MALHER, F - *Les Noms de mammifères en Algérie* - Alger, 1970 *(Mammifères Algérie).*

MANDOUZE, A - *Prosopographie de l'Afrique Chrétienne* - Paris, 1982 *(Prosopographie).*

MARCAIS, G - *L'Architecture musulmane d'Occident* - Paris, 1954 *(Archit. mus).*

MARCAIS, G - *La Berbérie musulmane et l'Orient au Moyen-Age* - Paris, 1946 *(Berb. musulmane).*

MARCAIS, J - *Découverte de restes humains fossiles dans les grés quaternaires de Rabat - L'Anthropologie,* T. XLIV, 1934 - p. 579-583.

MARCHAL, R - *Précis de legislation financière marocaine* - Rabat, 1936 *(Lég. financ.).*

MARION, J - *La Population de Volubilis à l'époque romaine - B.A.M,* IV, 1960 - p. 133-187.

MARMOL DE CARVAJAL, L - *L'Afrique* - trad. franc. - Paris, 1667-3 vol. *(Afrique).*

Le Maroc - sous la dir. d'Eugène Guernier - Paris, 1948 - (Encyclopédie coloniale et maritime).

Le Maroc et le monde arabe face à la C.E.E - Casablanca, 1982 *(Maroc. C.E.E.).*

MARTIN A.G.P - *D'Azilal au Dades - B.S.G.M,* IV, fasc. 5, 1925 - p. 85-115.

MARTIN, A.G.P - *Le Maroc et l'Europe* - Paris, 1928 *(Maroc Martin).*

MARTIN, A.G.P - *Quatre siècles d'histoire marocaine : Au Sahara de 1504 à 1902, au Maroc de 1894 à 1912* - Paris, 1923 *(Quatre siècles).*

MARTIN, J - *Le Moyen Atlas central : étude géomorphologique* - Rabat, 1981 - (Notes et Mém. Serv. Geol.; n° 258 Bis) *(M.A. Central).*

MARTIN J - *Les Potentialités agro-pastorales du Moyen Atlas Central - R.G.M,* n° 10, 1986.

MARTIN J, [et al...] - *Géographie du Maroc* - Paris, 1964 *(Géo. Mar.).*

MARTIN, M - *El colonialismo espanol en Marruecos* - Paris, 1973 *(Colonialismo).*

MARTINEZ DE VELASCO, E - *Isabel la catolica* - Madrid, 1883.

MARTY, P - *Les Fedalia - R.M.M,* 31, 1915-1916 - p. 135-219.

MARTY, P - *Les Tribus de la Haute Mauritanie - A.F : R.C,* 1915 - p. 73-82; 118-126; 136-145.

MAS LATRIE, L. de - *Relations et commerce de l'Afrique septentrionale avec les nations chrétiennes du Moyens-Age* - Paris, 1886 *(Relations commerce).*

MASLOW, B - *Les Mosquées de Fès et du Nord du Maroc* - Paris, 1937 - (PIHM) *(Mosquées Fès).*

MASSIGNON, L - *Le Maroc dans les premières années du XVIe siècle : Tableau géographique d'après Léon l'Africain* - Alger, 1906 *(tableau géo.).*

MATHEWS, F.A - *El Sus, El Wad Nun y El Sahara - Bol. Sc. Geogr.* (Madrid), XII, 1882 - p. 513-525.

MATHIEU, J.R - *Mémoires d'Abd el-krim* - Paris, 1927 *(Mémoires).*

MATIAS DE SAN FRANCISCO - *Relacion del viaje espiritual de Juan de Prado* - Ed. Jose Lopez - Tanger, 1945 *(Juan de Prado).*

MAUNY, R - *Note sur les grands voyages de Léon l'Africain - Hesp.,* 3e-4e trim. 1954 - p. 380-394.

MAURER. G - *Les Montagnes du Rif central : étude géomorphologique* - 1968.
Th.: Géogr.: Univ. Paris : 1968 *(Rif Central).*

MAURICE, L - *La Politique marocaine de l'Allemagne* - Paris, 1916 *(pol. mar. allem.).*

MAZEL, J - *Enigmes du Maroc* - Paris, 1971 *(Enigmes).*

MEGE, E - *Notes sur les Mzab et les Achache : tribus Chaouia - A.B,* Vol. 3 fasc.2-3, 1918 - p. 187-257.

MENAR, A - BALAZUC, G - *Etude critique du régime spécial de la zone de Tanger, Maroc* - Préf. de Daniel Saurin et de Louis Marion - Tanger, 1932-1933 - 2 vol. *(Zone de Tanger).*

MENENDEZ PIDAL, J - *Leyenda del ultimo rey godo* - Madrid, 1906 *(Rey Godo).*

MENOUNI, A - *Le Syndicalisme au Maroc* - Casablanca, 1978 *(Syndicalisme).*

MENOUNI, A - *L'Union Nationale des Etudiants du Maroc* - 1970.
D.E.S : Sc. Po.: Rabat : 1970 *(U.N.E.M).*

MERAD, A - ALGAR, H - BERKES, N - AHMAD, A - *Islah - E.I²,* IV - p. 146-179.

METRO, A - *L'Ecologie des Eucalyptus : son application au Maroc* - Paris, 1948 (Mém. Soc. Sc. Nat. Maroc, XLIX) *(Eucalyptus).*

METRO, A - SAUVAGE, C - *Flore des végétaux ligneux de la Mamora - Soc. Sc. Nat. Phys. Mar.,* 1955 *(Flore vég.).*

MEZZINE, L - *Sur l'étymologie du toponyme Sijilmassa - H.T,* 1984- p. L9-25.

MEZZINE, L - *Le Tafilalet : contribution à l'histoire du Maroc aux XVII et XVIIIe siècles* - Rabat, 1987 *(Tafilalet).*

MICHARD, A - *Eléments de géologie marocaine* - Rabat, 1976 - (Not. Mém. Serv. Géol.; n° 252) *Géol. mar.).*

MICHAUX-BELLAIRE, E - *Les Coutumes berbères dans les tribus arabes - R.M.M,* 1909.

MICHAUX-BELLAIRE, E - *le Rif* - Paris, 1925.

MICHAUX-BELLAIRE, E - *La Zaouia d'Ahansal - A.M.,* XXVII, 1927 - p. 87-114.

MICHAUX-BELLAIRE, E - SALMON, G. - *Les Tribus arabes de la Vallée du Lekkous - A.M,* IV, 1905 - p.

MIEGE, J.L - *Le Maroc et l'Europe, 1830-1894* - Paris, 1961-1964 - 4 vol. *(Maroc. 1830-94).*

MIEGE, J.L - *Les Missions protestantes au Maroc,* 1875-1900 - *Hesp.,* 1955 - 153-192.

MIEGE, J.L - *Origine et développement de la consommaton du thé au Maroc - B.E.S.M.,* n° 71, 3e trim. 1956.

MILLER, K - *Mappa Arabicae* - Stuttgard, 1902-1931 - 3 vol. *(Mappa).*

MILLET, R - *Les Almohades* - Paris, 1923.

MONDEJAR, M. de - *Mémorias sobre Alfonso El Sabio* - Madrid, 1845 *(El Sabio).*

MONTAGNE, R - *L'Aghbar et les hautes vallées du Grand Atlas - Hesp.,* 1er tr., 1927 - p. 1-32.

MONTAGNE, R - *Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc : essai sur la vie politique des Berbères sédentaires, groupe Chleuh* - Paris, 1930 *(Berbères Makhzen).*

MONTAGNE, R - *Le Développement du pouvoir des caïds de Tagontaft, Grand Atlas* - in *Mémorial Henri Basset* - Paris, 19O29 - p. 169-184 - 2 vol.

MONTAGNE, R - *Naissance du prolétariat marocain* - Paris, 1952 - (Cahiers de l'Afrique et de l'Asie *(Prolétariat).*

MONTAGNE, R - *Révolution au Maroc* - Paris, 1953 *(Révolution).*

MONTAGNE, R - *Un magasin collectif de l'Anti-Atlas : l'Agadir des Ikounka - Hesp.,* 1929, 2e-3e trim. - p. 145-266.

MONTAGNE, R - BEN DAOUD, M - *Documents pour servir à létude du droit coutumier du sud Marocain - Hesp.,* 1927, 4e trim. - p. 401-446.

MONTANE, F.M - *Propos sur la classe étudiante - Cahiers de la République,* n° 23, 1969.

MONTEIL, V - *Choses et gens du Bani - Hesp.,* 3e-4e trim., 1946 - p. 386-405.

MONTEIL, V - *Contribution à l'étude de la faune du Sahara occidental* - Paris, 1957 - (P.I.H.E.M : N-D; 9) *(Faune).*

MONTEIL, V - SAUVAGE, Ch - *Contribution à l'étude de la flore du Sahara occidental* - Paris, 1949-1953 - 2 vol. - (P.I.H.E.M; 5-6) *(Flore Sahara).*

MONTEIL, V - *Les Juifs d'Ifni - Hesp.,* 1er - 2e trim. 1948 - p. 151-162.

MONTEIL, V - *Notes sur Ifni et les Aït Ba Amrân* - Paris, 1948 *(Ifni).*

MONTEIL, V - *Notes sur les Tekna* - Paris, 1948 *(Tekna).*

MONTS DE SAVASSE - *Le Régime foncier chez les Aït Atta du Sahara.* Mémoire CHEAM *(Régime foncier).*

MORSY, M - *Les Ahansala : examen du rôle d'une famille maraboutique de l'Atlas marocain* - Paris, 1972 *(Ahansala).*

MOUETTE, G - *Histoire des Conquetes de Moulay Archy, connu sous le nom de roy de Tafilet, et de Moulay Ismaël* - Paris, 1683 *S.I.H.M,* 2e série, France II - p. 1-120 *(Moulay Archy).*

MOUETTE, G - *Relation de la captivité du Sieur Mouette dans les royaumes de Fès et du Maroc* - Paris, 1683 *(Mouette).*

MOULIERAS, A - *Le Maroc inconnu : exploration du Rif et des Djebala*-Oran; Paris, 1895-1899 - 2 vol. *(Maroc inconnu).*

NATAF. F - *L'Indépendance du Maroc* - Paris, 1975 *(Indépendance).*

NEGRE, R - *Petite flore des régions arides du Maroc occidental* - Paris, 1961 *(Petite flore).*

NESTERENKO, G - *Maghreb : le grand tournant - Géopolitique,* n° 10, 1985.

NOIN, D - *La Population rurale du Maroc* - Paris, 1970 - 2 vol. *(Population).*

NOLASQUE, N - *Redemption de la congrégation de Paris* - Paris, 1724 *(Redemptions).*

NOUVEL, S - *Nomades et sédentaires au Maroc* - Paris, 1917 *(Nomades).*

OLIVA, P - *Notes sur Ifni - R,G,M,* n° 19, 1971 - p. 85-95.

OMAN, G - *Al-Idrissi - E,I²,* III p. 1058-1061.

OUDINOT, - SALADIN, *Note sur Beni Tende, Mergo, Tansor et Angla - Bull. Archéol.,* 1916.

OUSTRY, - *Notes sur le Haut Ziz - B.S.G.A.O,* 1910.

OVIDE - *Métamorphoses* - établi. et trad. par G. Lafay - Paris, 1957.

PAILLAT, G - *Vingt ans qui déchirèrent la France* - Paris, 1969 - 1972 - 2 vol. - (L'Histoire que nous vivons) *(vingt ans).*

PANOUSE, J.B - *Les Mammifères du Maroc* - Rabat, 1957 - (Trav. Sci. Chérif., serv. zool.; n° 5).

PARKER, Ch. H - *North Africa : Regional tensions an strategic concerns* - New-York, 1984 *(Regional tensions).*

PARSON, F.V - *The Origins of the Morocco Question, 1880-1900* - London, 1976 *(Morocco question).*

PASCON, P - *Le Commerce de la Maison d'Iligh d'après le régistre comptable de Husayn B. Hachem, Tazerwalt, 1850-1875 - A.E.S.C,* n° 3-4, Août 1908 - p. 700-729.

PASCON, P - *Le Haouz de Marrakech* - Rabat, 1977 - 2 vol. *(Haouz).*

PASCON, P - *Les Ruines d'Agouitir de Khnifis : Santa Cruz de Mar Pequena* - Rabat, 1963 *(Agouitir).*

PASCON, P - ENNAJI, M - *Le Makhzen et le Sous Al Aqsa : la correspondance politique de la maison d'Iligh* - Rabat : Paris, 1988 *(Iligh).*

PASCON, P - VAN DER WUSTEN, H - *Les Beni Bou Frah : essai d'écologie sociale d'une vallée rifaine, Maroc* - Rabat, 1983 *(Beni Boufrah).*

PASCON, P, [et al...] - *La Maison d'Iligh et l'histoire sociale du Tazerwalt* - Rabat, 1984 *(Maison d'Iligh).*

PAUL-MARGUERITTE, L - *Chants berbères du Maroc* - Paris, 1935 *(Chants).*

PAUL OROSE - *Historiarum adu. Paganos* - Ed. C. Zangmeister - Vienne, 1882 *(Paganos).*

PAZOS, M-R - *Mision Franciscana-Espanola en Marruecos : la historia de un siglo, 1859-1959* - Tanger, 1959 *(Mision Franciscano).*

PEDECH, P - *Un texte discuté de Pline : le voyage de Polybe en Afrique - R.E.L,* 33, 1955. - p. 318-322.

PEDELABORDE, P - *Le Climat du bassin parisien* - Paris, 1957.

PELLAT, C - *Damnat - E.I.2,* II - p. 111-112.

PELLOW, Th - *The History of the long captivity and adventures in South Barbary* - trad. et annot. en français par Magali Morsy - Paris, 1983 - (Synthèse; 12) *(Thomas Pellow).*

PENCHOEN, T - *Etude syntaxique d'un parler berbère, Aït Frah de l'Aurès* - Napoli, 1973 *(Aït Frah).*

PENZ, Ch - *Les Captifs français du Maroc au XVIIe siècle, 1577-1699* - Rabat, 1944 *(Captifs).*

PENZ, Ch - *Lettres inédites sur la captivité de Bidé de Maurville à Marrakech, 1765-1767 - Hesp.,* 1er-2e trim. 1949 - p. 221-232.

PEYRON, M - *Une forme dynamique de poésie orale : les izlan et les timawayin du Moyen Atlas, Maroc - Langues et littératures,* n° 5, 1985 - p. 161-185.

PEYRONNET, R - *Tadla, pays Zaïan, Moyen-Atlas* - Alger, 1923 *(Zaïan).*

PFLAUM, H.G - *Remarques sur l'onomastique de Cirta* - in *Limes Studien, 3e congrés int. des frontières romaines dans la région du Rhin* - Bâle, 1959 - p. 96-133.

PICARD, G-Ch - *La Civilisation de l'Afrique romaine* - Paris, 1959 *(Afr. Romaine).*

PIERA, D - *Espana en marruecos : Cronica de la Campana de 1909* - Barcelona, 1913 *(Campana 1909).*

PIRES DE LIMA, D - *Azamor os precedentes de conquista e a expediçao do Duque Don Jaime*

- Lisbonne, 1930 *(Azamor).*

PLANTEY, A - *La Réforme de la justice marocaine : la justice makhzen et la justice berbère* - Paris, 1952 - (C.C.E.J) *(Justice makhzen).*

PLINE L'ANCIEN - *Histoire naturelle* - Ed. par J. Desanges - Paris, 1982.

PLUNCKET, I - *Isabel of Castille* - New-York, 1915 *(Isabel).*

PLUTARQUE - *Vies parallèles* - trad. B. Latzarus - Paris, 1950 - 4 vol. *(Vies).*

POMPONIUS MELA - *Choregraphia* - ed. et trad. G. Lafay - Paris, 1957.

PONSICH, M - *Lixus : le quartier des Temples* - Rabat, 1981 - (ETAM, IX) *(Lixus).*

PONSICH, M - *Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région* - Paris, 1970 *(Tanger région).*

PONSICH M - *Recherches archéologiques dans le Tanger antique : Thymesterion pour les phéniciens, mais déjà Tingi suivant l'origine berbère - Journal de Tanger,* n° 1368, 24 Juin 1967 - p. 4 et 5.

POSAC MON, C - *En busca del pasado de Ceuta - Transfretana : Revista del Inst. de Est. Ceuties* (Ceuta), n° 1, 1981 - p. 13-15.

PREMARE, A.L de - *Les Notes de voyage d'Ibrahim B. Al Hadjdj an-Numayri en l'année 745H, 1344* - 1978 - 3 vol.
Th.: Lyon II : 1972 *(An - Numayri).*

PREVOST, C - *Les Etudiants et le gauchisme* - Paris, 1969.

PRUVOT, FOH, A - *Etude de quelques episthobranches de la côte atlantique du Maroc et du Sénégal* - Rabat, 1953 - Trav. Inst. Sc.: zool.; 2) *(Cote atlantique).*

POPER, C.F.E - SWEENEY, M.J - NAUEN, C.E - *F.A.O. Species catalogue* - Vol. 3 : *Cephalopods of the world* - Rome, 1984.

PUIGAUDEAU, O - *Arts et coutumes des Maures - H.T,* 1967, fasc. un. - p. 111-230; 1968, fasc. 3 - p. 329-458; 1970, fasc. un. - p. 5-82.

PUIGAUDEAU, O - SENNONES, - *Peintures rupestres du Tagant - J.S.A,* IX, fasc. 1, 1939.

QUANGTRAC, N - SIMONT, M - *Le Couloir Taourirt-Oujda* - in *Ressources en eau du Maroc* - Rabat, 1971 - (Notes et Mem. Serv. Géol.; n° 231).

QUEDENFELDT, M - *Division et répartition de la population berbère au Maroc* - Trad. Simon - Alger, [s.d] *(Pop. berbère).*

QUERLEUX, Cap. - *Les Zemmour : étude ethnographique d'après le questionnaire de la Résidence de France au Maroc - A.B,* vol., fasc. 2, 1915 - p. 12-61.

BACHET, M - *Rome et les Berbères - Latomus* (Bruxelles), 1970.

RADI, A - *Adaptation de la famille au changement - B.E.S.M,* n° 135, 1977.

RAMIN, J - *Le Périple d'Hannon - B.A.R : Suppl. Series,* 3, 1976.

RAYMOND, J.B.H - *Isabelle de Castille* - Paris, 1869 *(Isabelle).*

RAYMOND, R - *Le Maroc chez les auteurs anciens* - Paris, 1924 *(Auteurs anciens).*

RAYNAL, R - *Plaines et piédmonts du bassin de la Moulouya, Maroc oriental : étude géomorphologique* - Rabat, 1961 *(Moulaya).*

RAYNAL, R - *La Terre et l'homme en Haute Moulouya - B.E.S.M,* 1960.

REBUFFAT, R - *Bronzes d'Hercule à Tanger et à Arzila - Ant. Afr.,* 5, 1971 - p. 179-191.

REBUFFAT, R - *Inscription militaire au génie du lieu d'Aïn Sakkour et de Sidi Moussa Bou Fir - B.A.M,* X, 1976 - p. 151-170.

REBUFFAT, R - *Les Principia de Camp romain - B.A.M,* IX, 1973. 1975- p. 373.

REISER, - BACHELOT, C - *Notice sur le cercle de Sefrou - B.S.G.M,* n° 4, fév. 1918 - p. 29-51.

RENAUD, H.P.J - *Le Mouvement scientifique au Maroc* - in *Initiation au Maroc* - Paris, 1937 - p. 179-183.

RENAUD, H.P.J - *Notes critiques d'histoire des sciences chez les musulmans* - III : *Agronomie et astrologie marocaine - Hesp.,* 1942, Fasc. unique - p. 41-63.

RENAUD, H.P.J - *Ya-t-il une question du thé au Maroc ? - Le Mouvement sanitaire,* 30 Mai 1928 - p. 693-701.

RENE-LECLERC, Ch - *L'Amalat d'Oujda : conditions de son développement économique - A.F,* 1910 - p. 254-263.

RENE-LECLERC, Ch.- *Les Régions nord et sud de la frontière algéro-marocaine* - Tanger, 1909 *(Front. algéro-mar.).*

RENISIO, A - *Etude sur les dialectes berbères des Beni Iznassen, du Rif et des Senhaja de Sraïr : Grammaire, textes et lexique* - Paris, 1932 - (P.I.H.E.M; 22) *(Beni Iznassen).*

RENOUVIN, P - *Histoire des relations internationales* - Paris, 1967 - 8 vol. *(Relat. int.).*

Résultats statistiques du recensement de la population civile de l'Empire Chérifien, effectué le 7 mars 1926 - Casablanca, 1927 (Recensement 1926).

REYNIERS, - *Un document sur la politique de Moulay Ismail dans l'Atlas - A.M,* vol. XXVII, 1931.

RICARD, P - *Le Maroc* - 7e éd. - Paris, 1950 - (Les guides bleus).

RICARD, R - *le Commerce de Berbérie et l'organisation économique de l'empire portugais aux XV et XVIe siècles* - in *Etudes sur l'histoire des Portugais au Maroc* - Coimbra, 1955.

RICARD, R - *Le Maroc septentrional au XVe siècle, d'après les chroniques portugaises - Hesp.,* XXIII, 4e trim. 1936, fasc. II - p. 89-144.

RINN, L - *Marabouts et Khouans : étude sur l'Islam en Algérie* - Alger, 1884 *(Marabouts).*

RINN, L - *Les Origines Berbères* - Alger, 1889.

RIVIERE, P.L - *Précis de législation marocaine* - Caen, 1942-1946 - 2 vol. *(Législation marocaine).*

ROCHE, J - *Chronologie absolue de l'épipaléothique marocain - C.R.A.S,* T. 246, 1976 - p. 3486-3487.

ROCHE, J - *L'Epipaléolithique marocain* - Paris, 1963 - 2 vol. *(Epip).*

ROCHE, J - TEXIER, J.P - *Découverte de reste humains dans un niveau atérien supérieur de la grotte des contrebandiers à Temara - C.R.A.S,* T. 282, série D, 1976 - p. 45-47.

RODRIGUES, B - *Anais de Arzila : cronica inedita de Seculo XVI* - Coimbra, 1915-1919 - 2 vol. *(Anais).*

ROGERS, P.G - *A history of Anglo-Moroccan Relations to 1900* - London, [s.d] *(Anglo-Moroccan).*

ROGET, R - *Index de topographie antique du Maroc* - Paris, 1938 - (P.S.A.M; 4) *(Topographie antique).*

ROLLMAN, W.J - *The New Order in a precolonial muslim society : military reform in Morocco, 1844-1904* - 1983- 2 vol.
Th.: Histoire : Univ. Michigan : 1983 *(Military reform).*

ROSENBERGER, B - *Note sur Kouz : un ancien port à l'embouchure de l'oued Tensift - H.T,* 1967.

ROSENBERGER, B - *Tamdult, cité minière et caravanière présaharienne, IX-XIVe siècles - H.T,* XI, 1970 - p. 103-139.

ROSENBERGER, B - *Les Vieilles exploitations minières et les centres métallurgiques du Maroc - R.G.M,* N° 17.

ROUX, A - *Les Aventures extraordinaires du Sidi Hmad U Musa, patron du Tazerwalt - Hesp.;* 1er-2e trim. 1952- p. 75-96.

ROUX, A - *Les Imdyazen ou aèdes berbères du groupe linguistique beraber - Hesp.,* 2e trim., 1928 - p. 231-251.

ROUX, A - *Un chant d'Amdyaz : l'aède berbère du groupe linguistique beraber* - in *Mémorial Henri Besset* - Paris, 1928 - p. 237-247.

ROUX, A - *La Vie berbère par les textes, Tachelhit* - Paris, 1955 - 2 vol. *(Vie berbère).*

ROVSING-OLSEN, M - *Chants de mariage de l'Atlas marocain* - 1984.
Th. 3e cycle : Paris X : 1984 *(Chants de mariage).*

RUHLMANN, A - *La Grotte préhistorique de Dar es-Soltan* - Paris, 1951- (Hespéris, XI) *(Dar es-Soltan).*

RUHLMANN, A - *Le Paléolithique marocain* - Rabat, 1945 - p. 3-103 - (P.S.A.M, 7) *(Paléolithique).*

RUHLMANN, A - *Les Recherches de préhistoire dans l'extrême sud marocain* (Rabat, 1939 - (P.S.A.M; 5) *(Rech. preh.).*

RUIZ DE CUEVAS, T - *Apuntes para la historia de Tetuan* - Tetuan, 1951 *(Historia de Tetuan).*

SAGLIO, E - *Antaeus* - in *Dictionnaire des antiquités grecques et romaines* - Paris, 1877.

SAILE, J - *A phonological study of Tamazight berber : dialect of the Ayt Ndhir* - 1976 Ph. D : California : 1976 *(Ayt Ndhir).*

SAINT-QUENTIN, L. de - *3000 ans avec les Berbères - Paris, 1949 (Trois mille ans).*

SALLUSTE - *Bellum Jugurthinum - Texte établ. par A. Ernout* - Paris, 1971 *(Bellum).*

SALVAT, B - *Les Animaux* - Vol. 6 : *Parorama du monde animal* : *mollusques* - Paris, 1980.

SAN JUAN DEL PUERTO, F - *Mision historial de Marruecos* - Sevilla, 1708.

SAUER, F - *Plages et cotes* - Paris, 1978.

SAUSSE, F - *La Mandibule atlanthropienne de la carrière Thomar 1,* Casablanca - *L'Anthropologie,* T. 79, n° 1, 1975 - p. 81-112.

SAUSSE, F - *Les Pithecanthropéens marocains* - in *IXe congrés de l'Union internationale des Sciences préhistoriques et protohistoriques,* colloque VI - Nice, 1976 - p. 445-454.

SBIHI-ALAOUI, F.Z - *Les Hommes préhistoriques* - in *Mémorial du Maroc,* Vol. I - Rabat, 1983 - p. 58-68.

SBIHI-ALAOUI, F.Z - *Les Industries préhistoriques* - in *Mémorial du Maroc,* vol. 1 - Rabat, 1983 - p. 69-78.

SBIHI-ALAOUI, F.Z - *Le Néolithique* - in *Mémorial du Maroc,* vol. 1 - Rabat, 1983 - p. 79-88.

SBIHI-ALAOUI, F.Z - *Le Néolithique* - in *Mémorial du Maroc,* vol. 1 - Rabat, 1983 - p. 79-88.

SCHOEN, Cap. - *Le Pacha de Marrakech* - Notice dactylographiée, 1938 *(Pacha).*

SCHROETER, D.J - *Merchants and pedlars of Essaouira* : *A social history of a Moroccan trading town,* 1844-1886
Ph. D : histoire : Manchester *(Merchants).*

SCHUYLER, Ph. D-*A Repertory of Ideas* : *The Music of Rwais, Berber professional musicians from Southwestern Morocco* - 1979
Ph. D : Union. Washington : 1979 *(Music of Rwais).*

SEBTI, A - *Aristocratie citadine* : *pouvoir et discours savant au Maroc précolonial, contribution à une relecture de la littérature généalogique fassie, XVe siècle* - 1984.
Th. univ.: Histoire : Paris VII : 1984. *(Aritocratie citadine).*

SEFIANI, N - *Les Etats-Unis d'Amérique et le statut international du Maroc de 1776 à 1976 - 1979.*
D.E.S : Droit : Rabat : 1979 *(E.U - Maroc).*

SEGONZAC, R. de - *Au cœur de l'Atlas* : *mission au Maroc, 1904-1905* - Paris, 1910 *(Cœur).*

SEGONZAC, R de - *Mission au Maroc, 1899-1901 - Paris, 1903 (Mission).*

SEMACH, Y.D - *Un Rabin voyageur marocain - Hesp.,* 3°-4° trim. 1928 - p. 385-399.

SIGMAN. M.C - *The Romans and the indigenous tribes of Mauritania Tingitana - Historia,* XXVI, 4, 1977 - p. 415-439.

SILIO CORTES, C - *Isabel la Catolica* - Valladolid, 1938.

SILIUS ITALICUS - *La Guerre punique* - texte établi. et trad. par P. Minoconi et G. Devallet - Paris, 1979.

SOTOMAYOR, E - *Nuestra marina de guerra* - Madrid, 1917 *(Marina).*

Les Sources inédites de l'histoire du Maroc - Première Série : Dynastie saadienne - Archives et Bibliothèques d'Angleterre - Paris, 1918-1935 - 3 vol. - (P.S.H.M) *(SIHM, Angleterre).*

Les Sources inédites de l'histoire du Maroc - Première série : Dynastie saadienne : Archives et Bibliothèques d'Espagne - Paris, 1921-1961 - 3 vol. - (P.S.H.M) *(SIHM, Espagne).*

Les Sources inédites de l'histoire du Maroc - Première Série : Dynastie Saadienne : Archives et Bibliothèques de France - Paris, 1905-1926 - 3 Vol. + 1 index - (P.S.H.M) *(SIHM, France I).*

Les Sources inédites de l'histoire du Maroc - Première Série : Dynastie Saadienne : Archives et Bibliothèques des Pays-Bas - Paris, 1906-1923 - 6 vol. - (P.S.H.M) *(SIHM, Pays-Bas).*

Les Sources inédites de l'histoire du Maroc - Première série : Dynastie Saadienne : Archives et Bibliothèques de Portugal - Paris, 1934-1953 - 6 vol. - *(P.S.H.M) (SIHM, Portugal).*

Les Sources inédites de l'histoire du Maroc - Deuxième série : Dynastie filalienne : Archives et Bibliothèques de France - Paris; 1922-1970 - 7 vol. + Index *(SIHM, France II).*

SOUZA, F - *Dictatura en Marruecos - Madrid, 1930 (Dictatura).*

SPILLMANN, G - *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra* - Rabat, 1936 - (P.I.H.E.M; 29) *(Ait Atta du Sahara).*

SPILLMANN, G - *Districts et tribus de la haute vallée de Draa - A.M,* Vol. 6, II, 1931.

SRAIEB, N [et al...] - *Le Mouvement ouvrier maghrébin* - Paris, 1985 - (CRESM) *(Mouv. ouvrier).*

STRABON - *Géographie* - Texte établi et trad. François Lasserre et Germaine Aujac - Paris, 1966-1969 - 3 vol.

SURDON, G - *Esquisses de droit coutumier berbère marocain* - Rabat, 1928 *(Esquisse de droit).*

SURDON, G - *Institutions et coutumes des berbères du Magreb, Maroc, Algérie, Tunisie, Sahara* :

Leçons de droit coutumier berbère - Tanger, 1936 *(Institutions et coutumes).*

SZYMANSKI, E - *Les Tribus de Guich et le Makhzen sous le règne de Sidi Mohammed Ben Abdallah* - *R.O.M.M, 1970 - p. 195-200.*

TAIFI, M - *Le Tamazight au contact de l'arabe dialectal : étude socio-linguistique sur le parler des Aït Mguild* - 1979.
Th. 3e cycle : Paris III-EPHE : 1979 *(Aït Mguild).*

TALLANDIER - *Les Origines du Maroc français : récit d'une mission 1901-1906* - Paris, 1930 *(Mission 1901-1906).*

TAMANARTI - *Fawaïd al-Jamma bi isnadi 'ouloumi al-oumma* - Trad L. Justinard - Chartres, 1953 *(Fawaïd al Jamma).*

TAMOUH, Z - *Le Maroc et le Soudan au XIXe siècle* - 1982.
Th. 3e cycle : Histoire : Paris I - Sorbonne : 1982 *(Maroc Soudan).*

TARRADELL, M - *Guia arqueologica del Marruecos espanol* - Tetuan, 1953 *(Guia).*

TARRADELL, M - *Marruecos Punico* - Tetuan, 1960.

TEBBAA, J - *La Pénétration commerciale et financière au Maroc,* 1850-1912-1976.
D.E.S : Sc. Eco.: Grenoble : 1976 *(Pénétration commerciale).*

TERRASSE, H - *L'Art hispano-mauresque des origines au XIIIe S.* - Paris, 1932 *(Art hispano-mauresque).*

TERRASSE, H - *Le Décor des portes anciennes du Maroc - Hesp.,* 2e trim. 1923 - p. 147-174.

TERRASSE, H - *La Fortesse almoravide d'Amergo - And.,* XVIII, 1953.

TERRASSE, H - *Histoire du Maroc : des origines à l'établissement du Protectorat français* - Casablanca, 1949-1950 - 2 vol. *(Histoire du Maroc).*

THOMAS, A - *L'Origine des cromagnoïdes* - in *PIVETEAU, J - Les Origines humaines et les époques de l'intelligence* - Paris, 1978 - p. 261-282.

THOUVENOT, R - *La Connaissance de la montagne marocaine chez Pline l'Ancien - Hesp.,* 2e trim. 1939 - p. 113-121.

THOUVENOT, R - *La côte méditerranéenne du Maroc d'après le géographe Ptolémée, IIe Siècle J.C - R.G.M,* XXVIII, 4, 1944.

TISSOT, Ch. - *Recherches sur la géographie comparée de la Mauritanie Tingitane* - Paris, 1878 - (MAIBL: IX) *(Mauritanie Tingitane).*

TORCY, de - *Les Espagnols au Maroc en 1909* - Paris, 1910.

TORRES, D de - *Histoire des Chérifs et des royaumes de Maroc, de Fez, de Tarudant et autres provinces* - trad. de l'espagnol par le Duc d'Angoulesme le Père - [Fait suite à *l'Afrique de Marmol,* T, 3] - Paris, 1667 *(Histoire des Chérifs).*

TOURI, A - AKERRAZ, A - MAKDOUN, M. - *Le Maroc des origines à l'avènement de l'Islam* - in *Grande Encyclopédie du Maroc : Histoire* - Rabat, 1987 - p. 8-38.

TOURI, A - HAMMAM - *Tradition écrite et architecture - H.T,* 1986.

TOZY, M - *De quelques lieux de la compétition politique au Tazeroualt - B.E.S.M,* n° 159-160, 1978 - p. 155-182.

TROIN, J.F - *Essai méthodologique pour une étude des petites villes - Annales de géographie,* n° 354, Août-Oct. 1971.

TROIN, J.F - *Rif Oriental - R.G.M,* 12, 1957 - p. 435.

TROIN, J.F - *Les Souks marocains : marchés ruraux et organisation de l'espace dans la moitié nord du Maroc* - Aix-en-provence, 1975- 2 vol. - (Connaissance du monde méditerranéen) *(Souks).*

VADEMECUM, Ano 1931 - Ceuta [s.d].

VALLOIS, H.V - *L'Homme de Rabat - B.A.M.* III, 1958-1959 - p. 87-91.

VALLOIS, H.V - *Les Hommes de Cro Magnon et les granches : les faits acquis et les hypothèses - Anuario de Estudios Atlanticos* (Madrid, 15 - p. 97-119).

VASCONCELLOS, E. de - *Una plana de Ceuta de 1774 - S.G.L,* 1915.

VERDADES amargas : la campana de 1909 en el Rif - Madrid 1910 *(Campana del Rif).*

VERNET GIMES, J - *Historia de Marruecos : la islamizacion* - Tetuan, 1957 - (Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. ar.) *(Historia de Marruecos).*

VIEUCHANGE, M - *Chez les dissidents du Sud marocain et du Rio de Oro, Smara : carnets de route* - Paris, 1932. *(Carnets de route).*

Villes et tribus du Maroc : Casablanca et les Chaouia - Documents et renseignements publiés sous les auspices de la Residence Générale - Paris, 1915 - 2 vol. *(Villes et tribus, Casa).*

Villes et tribus du Maroc : Rabat et sa région - Documents et renseignements publiées sous les auspices de la Résidence Générale par la Mission Scientifique du Maroc - Paris, 1918-1920 - 4 vol. *(Villes et tribus. Rabat).*

Villes et tribus du Maroc : *Région des Doukkala* - Documents et renseignements publiés par la Direction des Affaires Indigènes, Section sociologiques - Paris, 1932 - 2 vol. *(Villes et tribus, Doukkala).*

Villes et tribus du Maroc : *Tanger et sa zone* - Documents et renseignements publies par la Direction des Affaires Indigènes et du Service des Renseignements, Section Sociologique, av. propos de Michaux-Bellaire - Paris, 1921 *(Villes et tribus, Tanger).*

Villes et tribus du Maroc - Tribus Berbères - I : *Les Aït Ba Amran* - par le Lt. Colonel Justinard; préf. de E. Michaux-Bellaire - Documents et renseignements de la Direction Générale des Affaires Indigènes, Section, Sociologique - Paris, 1930 *(Villes et Tribus, Aït Ba Amran).*

Ville et tribus du Maroc : *Tribus Berbères* - II : *Districts et tribus de la haute Vallée du Dra* - par le Lt. G. Spillmann, *Note provisoire sur les vallées du Todagha, de l'Imider et du Sahro Oriental* - par Le Lt. Beaurpère - Paris, 1931 *(Villes et tribus, vallée du Dra).*

VITRUVE - *Architectura* - texte établ. trad. et comment. par L. Calleba - Paris, 1973.

VIVIEN DE SAINT MARTIN. - *Le Nord de l'Afrique dans l'antiquité grecque et romaine : étude historique et géographique* - Paris, 1863 *(Nord de l'Afrique).*

VOINOT, L - *Le Développement et les résultats de la crise de 1859 dans les confins algéro-marocains* - *R.A,* 1918 - p. 374-386.

VOINOT, L - *Oujda et l'amalat* - Oran, 1912 *(Oujda).*

VOLLERS, K - *Note sur un manuscrit arabe attribué à Maqrizi - Bull. Soc. Khediv. geog. 3e série, 1893 - p. 131-139.*

WANSBROUGH, J - INALCIK , H - LAMBTON, A.KS - BAER, G - *Imtiyazat* - *E.I²,* III - p. 1207-1225.

WEINER, J.B - *Anglo - Moroccan relations in the first decade of the occupation of the Tangier, 1662-1672* - *H.T,* vol. XVIII, fasc. unique, 1978-79.

WEISGERBER, F - *Au seuil du Maroc moderne* - Casablanca, 1948 *(Seuil).*

WEISGERBER, F - *Casablanca et les Chaouia en 1900* - Casablanca 1935 *(Casablanca Chaouia).*

WEIT, G - *Un résumé d'Idrissi - Bull. Soc. Roy. Geogr. d'Egypte,* 1939 - p. 161-201.

WINDUS, J - *A Journey to Mequiqnez* - London, 1725 *(Journey).*

WOOLMAN. D.S - *Abd-el-Krim y la guerra del Rif* - Trad. en Espagn. par Margarida Cratacos - Barcelona, 1971 *(Guerra del Rif).*

ZAFRANI, H - *Etudes et recherches sur la vie intellectuelle juive au Maroc : de la fin du 15e au début du 20e siècle* - Paris, 1972-1980 - 3 vol. *(Vie intellectuelle juive).*

ZOUBER, M.A - *Ahmad Baba de Tombouctou* - Paris, 1977 *(Ahmed Baba).*

ZUHRI - *Kitab Al-Dja'rafiyya' mappemonde du Calife Al-Ma'mun* reproduire par Fazari, III , = IXe., rééditée et commentée par Zuhri, VIe = XIIe S. - Texte arabe établi avec intr. en français par Mahammad Hadj-Sadok - *B.E.O,* XXI, 1968 - p. 7-312 *(Al-Dja'rafiyya).*

Liste des principales abréviations des périodiques

A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
Acad. Sc. Col.: *Académie des Sciences Coloniales.*
A.E.S.C : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
A.F : *Afrique Française*
A.F.R.C : *Afrique Française : Renseignements coloniaux.*
A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
A.M : *Archives Marocaines.*
And.: *Al-Andalus.*
Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
Ant. Afr.: *Antiquités Africaines.*
B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
B.A.R : *British Archeological Reports.*
B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public du Maroc.*
B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
B.S.G.A.O : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
B.S.O.A.S. : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
Bull. Archéol.: *Bulletin Archéologique.*
C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam.*
C. Méd.: *Cahiers de la Méditerranée.*
C.R.A.I.B.L : *Compte-rendus de l'Académie des inscriptions et Belles-Lettres.*
C.R.A.S : *Comptes Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
E.I.1 : *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*
E.I^2 : *Encyclopédie de l'Islam (2e édition).*
E.T.A.M : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
H-T : *Hespéris-Tamuda.*
Hesp : *Hespéris.*

I.G : *Information Géographique.*

I.H.E.M : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*

I.H.E.M : N-D : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*

Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. ar.: *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano arabe.*

I.S.P.M : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*

J.H.S.N : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*

M.A.I.B.L : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*

Medit : *Méditerranée.*

P.I.H.E.M : *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*

P.S.A.M : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*

P.S.H.M : *Publications de la Section Historique du Maroc.*

R.A : *Revue Africaine.*

R.A.P : *Revue de l'Action Populaire.*

R.C.C : *Revue de la Chambre de Commerce.*

R.D.M : *Revue des Deux Mondes.*

R.E.I : *Revue des Etudes Islamiques.*

R.E.L : *Revue des Etudes Latines.*

Rev. Geo. phys. Geo. Dyn.: *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*

R.G.M : *Revue de Géographie du Maroc.*

R.M.D.E.D : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*

R.M.M : *Revue du monde Musulman.*

R.P.P : *Revue Politique et Parlementaire.*

S.G.L : *Sociedade de Geografia de Lisboa.*

S.I.H.M : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*

Soc. Sc. Nat. Phys. Mar.: *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*

Trav. Inst. Sc.: *Travaux de l'Institut Scientifique.*

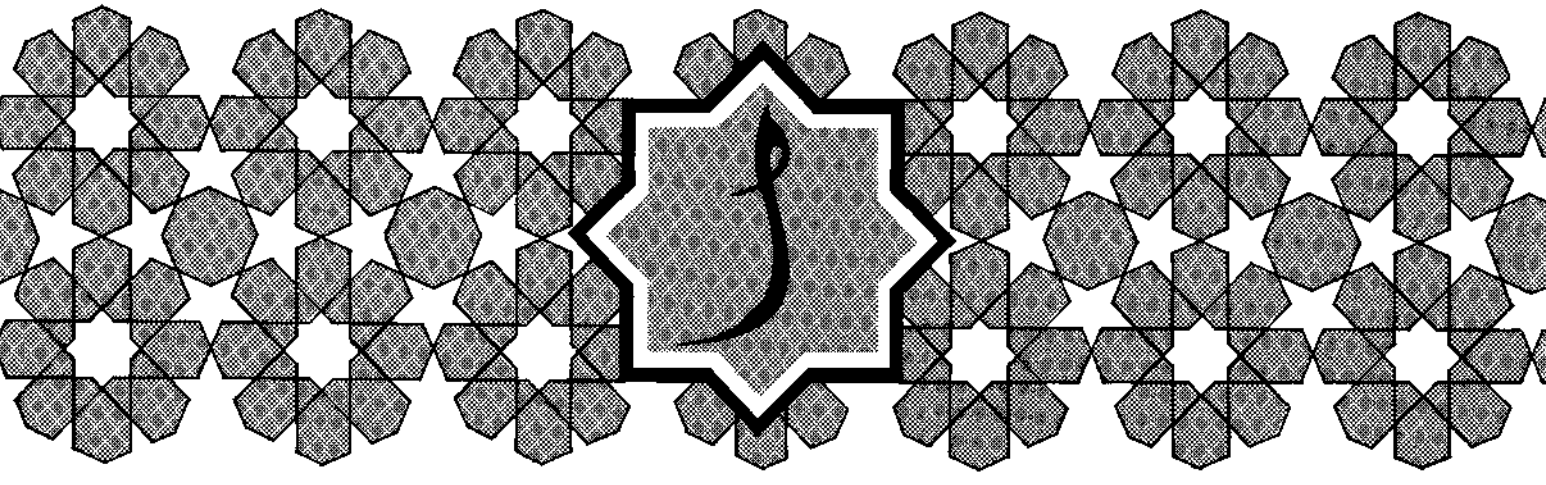

الآبلي، محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري، نسبة إلى مسقط رأس والده آبلة "Avila" شمال غربي مدريد عاصمة المملكة الإسبانية حاليا. من هذه المدينة انتقل والده وعمه أحمد إلى تلمسان، تلبية لدعوة ملكها يغمراسن الأول، فانتظما في سلك الجندية في عهده وعهد ولده أبي سعيد عثمان من بعده. وتزوج إبراهيم الآبلي ابنة قاضي تلمسان آنذاك محمد بن غلبون فولدت له محمداً هذا عام 681 / 1282 وكفله جده القاضي فنشأ شغوفا بالعلم محبا للحكمة، وظهر نبوغه واشتهرت براعته، فقصده الطلبة للتعلم والاستفادة وهو ما يزال غض الإهاب ناعم الأظافير. اتصل محمد الآبلي بالسلطان أبي يعقوب يوسف بن عبد الحق المريني حين فتح مرسى هنين وثغورا أخرى في حركته الطويلة التي حاصر فيها تلمسان ثمانية أعوام. فأكرمه السلطان وعينه قائدا للجنود الأندلسيين في تاوريرت. وبعد رحلة قام بها الآبلي إلى الشرق عاد إلى فاس فمراكش حيث درس على إمام المعقول والمنقول بها أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي المعروف بابن البناء العددي (654 - 724) فلزمه وأخذ عنه وتضلع في العلوم والفنون الحكمية.

بعد هذا استدعاه شيخ قبيلة هسكورة علي بن محمد بن ترومیت، بغية الدراسة عليه والاستفادة منه. فذهب وأقام عنده مدة كان خلالها محل إعزاز وإكرام ومحبة وحسن مشورة. وهناك اجتمع عليه الطلبة فدرسوا عليه واستفادوا منه كثيرا. ولما استدعى السلطان المريني أبو الربيع سليمان شيخ هسكورة ابن ترومیت هذا ذهب الآبلي في معيته وسكن مدينة فاس ـ عاصمة المرينيين ـ وتقاطر عليه طلاب العلم هناك من كل حدب وصوب، فذاع صيته واشتهر أمره، وانتشر علمه في الآفاق. وحين افتتح السلطان أبو الحسن المريني مدينة تلمسان في رمضان 737 / أبريل 1337 أثنى عليه بين يديه أحد أساتذته السابقين : الشيخ أبو موسى ابن الإمام، وبما أن السلطان كان مولعا بجمع الشخصيات العلمية لمجلسه، استدعاه من فاس ونظمه في سلك علماء مجلسه. هكذا عكف الآبلي على التدريس في فاس، ولزم مصاحبة السلطان في الحل والترحال، في السلم والحرب، فحضر معه ـ مثلا ـ وقعة طريف بالأندلس يوم 7 جمادى الآخرة 741 / 28-11-1340، كما حضر معه ـ فيما بعد ـ واقعة القيروان بتونس في سابع محرم 749 / 7.4.1348. وفي تونس تعرف عليه فيلسوف التاريخ ومؤسس علم الاجتماع عبد الرحمان ابن خلدون، ودرس عليه واستفاد منه كثيرا وقال عنه : "ولما قدم على تونس، في جملة السلطان أبي الحسن، لزمته وأخذت عنه الأصلين، والمنطق، وسائر الفنون الحكيمة، والتعليمية. وكان ـ رحمه الله ـ يشهد لي بالتبريز في ذلك (*التعريف* ص23). ويبين ابن خلدون سبب لزومه للآبلي وكيفية الاتصال به فيقول (ص 38) "كانت حصلت بينه وبين والدي ـ رحمه الله ـ صحابة كانت وسيلتي إليه في القراءة عليه فلزمت مجلسه، وأخذت عنه، وافتتحت العلوم العقلية بالتعاليم. ثم قرأت المنطق وما بعده من الأصلين وعلوم الحكمة". ويسترسل ابن خلدون، فيعرفنا كيف تخلف الآبلي في تونس، وبذلك نجا من الغرق في البحر، قال : "وعرض أثناء ذلك ركوب السلطان أساطيل من تونس إلى المغرب. وكان الشيخ في منزلنا وكفالتنا، فأشرنا عليه بالمقام، وثبطناه عن السفر، فقبل وأقام. وطالبنا به السلطان أبو الحسن فأحسنّا له العذر وتجافى عنه... وأقام الشيخ بتونس، ونحن وأهل بلدنا جميعا نتساجل في غشيان مجلسه والأخذ عنه. فلما هلك السلطان بجبال هنتاتة (27 ربيع النبوي 752) وفرغ ابنه أبو عنان من شواغله، وملك تلمسان من بني عبد الواد، كتب فيه يطلبه من صاحب تونس... فأسلمه إلى سفيره، وركب معه البحر في أسطول السلطان الذي جاء فيه السفير، ومر ببجاية، ودخلها وأقام بها شهرا، حتى قرأ عليه طلبة العلم بها مختصر *ابن الحاجب* في أصول الفقه، برغبتهم في ذلك منه ومن صاحب الأسطول، ثم ارتحل ونزل بمرسى هنين، وقدم السلطان بتلمسان، وأحله محل التكرمة ونظمه في طبقة أشياخه من العلماء".

وللتعرف على عقلية محمد الآبلي، نختم بحادثة ذكرها تلميذه الإمام محمد المقري (ت 758) قال : "ولما قدم شيخنا ابن المسفر الباهلي (ت 743) فاسا، رسولا عن صاحب بجاية، وزاره الطلبة، فحدثهم أنهم كانوا في زمن ناصر الدين يستشكلون ما وقع في تفسير فخر الدين الرازي في سورة الفاتحة ويستشكله الشيخ معهم. وكان النص المشكل كما يلي : "ثبت في بعض العلوم العقلية أن المركب مثل البسيط في الجنس، والبسيط مثل المركب في الفصل، وأن الجنس أقوى من الفصل". مشكلة عويصة ولا شك، لكن ألم يحن الوقت لحلها في بلد العلم فاس وعلى يد العبقري الإمام الآبلي ؟ هنا ـ إذن ـ رجعوا إليه وأخبروه بما حدث، وسمع النص فاستشكله هو أيضا، وهذا شيء طبيعي، لكنه لم يلبث أن تأمله فاهتدى إلى سبب الاستشكال وقال : الآن فهمت أنه كلام مصحف، وأصله : "إن المركب قبل البسيط في الحس، والبسيط قبل المركب في العقل وإن الحس أقوى من العقل". ورجعوا إلى الشيخ المسفر وأخبروه، فلج. فقال لهم الشيخ الآبلي : "اطلبوا النسخ وراجعوها". ولما فعلوا، وجدوا في بعضها كما قال الشيخ الآبلي.

أجل، إن ماحرره الفخر الرازي في القرن السادس الهجري، وأثبته الإمام الآبلي في القرن الثامن، عزز جانبه علم النفس الحديث، ذلك أن الطفل يحس بالشجرة أو الكلمة أو الجملة ـ مثلا ـ ويبصرها ويتعرف على أحدها ككل، قبل أن يدرك أجزاء هذه أو تلك ويحيط علما بتفاصيلها.

وكانت وفاة محمد الآبلي بمدينة فاس عام 757 / 1356.

ع. ابن خلدون، *التعريف* ؛ م. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة* ؛ أ. باب السوداني، *نيل* ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج.4.

عبد الله العمراني

الآثار بالمغرب، بدأ الاهتمام بدراسة الآثار المغربية في منتصف القرن التاسع عشر، وفي خضم الحركات الاستطلاعية المختلفة الاتجاهات التي اعتمدها الأوروبيون في محاولتهم للتعرف على البلاد شعبا وثقافة. هكذا تم تحديد عدد من المواقع الأثرية جغرافيا وتاريخيا كموقع ليكسوس وبناصا ووليلي إلخ... وقد كان لكل من هنري دولامارتينيير H. De La Martiniére وشارل تيسو Ch. Tissot الأسبقية في التعريف بأول هذه المواقع، وبفتح آفاق البحث الأركيولوجي الذي سبقت إليه أوربا سواء في مناطق من أراضيها (اليونان، إيطاليا) أو جهات خارجة عنها لكنها مصيرية بالنسبة لتطلعاتها المستقبلية (الشرق الأدنى والأوسط).

وإذا كانت عمليات الحفر قد واكبت مباشرة عمليات الاستكشاف (حفريات دولامارتينيير بليكسوس في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر). وتوبعت بعمليات أخرى في بداية القرن العشرين (بناصا، 1911)، فإن ذلك لم يعْدُ أن كان مجرد مبادرات منفردة، خارجة عن كل تنظيم عملي وعلمي كما في البعثات الأركيولوجية. ومع بداية القرن العشرين وبالضبط في سنة 1915 نظمت أول بعثة أركيولوجية للحفر والبحث والدراسة العلمية في موقع وليلي، أسندت مسؤولية إدارتها للويس شاتلان L. Chatelain وبذلك انطلق فعلا العمل الأركيولوجي المعاصر، حيث توافد على المغرب عدد من الباحثين الفرنسيين ومختلفي الاختصاصات والاهتمامات لتكثر بكثرتهم عمليات البحث وتتعدد.

على أن عمليات البحث هذه إنما انصبت بالخصوص على ما يعود للفترات ما قبل الإسلامية (أو المصطلح عليها بالكلاسكية)، لما لها من ارتباط بالوجود الاستعماري الروماني في القسم الشمالي من المملكة المغربية، وهذا مرتبط أساسا بسياسة فرنسا بالمغرب القاضية بإبراز ماله ارتباط بالحضارة الرومانية، باعتبارها إحدى قواعد الحضارة الأروبية وأحد مناهلها، مع ما في هذه السياسة من إرادة طمس أو تجاهل لما دونها من رواسب وشواهد حضارية وتراثية.

ولما اتضح ما تزخر به أرض المغرب من بقايا أثرية متنوعة مختلفة الحقب انكبت سلطات الحماية على تنظيم قطاع الآثار والتراث وتقنين عمليات الحفر عن الآثار والمحافظة على المباني والمواقع. فكان أن صدر أول نص قانوني بمثابة ظهير متعلق بالمحافظة على المباني والنفائس التاريخية في 13 ذي الحجة 1330 / 26 نونبر 1912. وأن أحدثت أول "مصلحة للآثار القديمة" في منتصف السنوات العشرين، اختارت لها موقع وليلي مقراً قبل نقلها إلى الرباط العاصمة.

وكانت أول مؤسسة تراثية رأت النور في الإطار التنظيمي هذا هو المتحف الأثري بالرباط الذي تم تأسيسه سنة 1933 وأطلق عليه اسم متحف لويس شاتلان L. Chatelain أول مدير "لمصلحة الآثار القديمة المغربية". وفي هذه البناية خصّص جانب لعرض التحف الأثرية المستخرجة من بعض المواقع بينما خصص الجانب الثاني لإيواء المرافق الإدارية لمصلحة الآثار. بعد ذلك بسنتين قطع البحث الأثري بالمغرب مرحلة جديدة أخرى هي مرحلة النشر المنظم بإصدار أول مجموعة أثرية بعنوان *نشريات مصلحة الآثار القديمة بالمغرب* *Publications du Service des Antiquités du Maroc* التي عمرت إلى حدود سنة 1962 حيث صدر منها سبعة عشر جزءا. وفي سنة 1956 صدر أول عدد من السلسلة الجديدة *النشرة الأثرية المغربية* *Bulletin d'Archéologie Marocaine* لتعوّض شيئا فشيئا المجموعة الأولى وتساير إلى يومنا هذا نشر نتائج ما تسفر عنه الدراسات والأبحاث الأثرية بمختلف حقبها وتخصص أصحابها، وتعتبر سنة 1975 سنة هامة بالنسبة للبحث الأثري بالمغرب، حيث أعيد فيها تنظيم هيكلة إدارة الآثار بجعلها مصلحة متخصصة في البحث والتنقيب والدراسة والنشر، وتوسيع مسؤولياتها على مجموعة التراب الوطني. وقد واكب التنظيم إقرار سياسة جديدة في البحث (مغربة الأطر) وفي العلاقة مع الباحثين الأجانب على وجه الخصوص، حيث قننت عملياتهم بشكل يسمح للإدارة المغربية بالمراقبة الصارمة وبوضع برامج البحث وضبطها. ثم في سنة 1985 أحدث المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث ليقوم بمهمة تكوين الجيل الصاعد في حقول التراث ومسؤولية متابعة البحث الميداني والعلمي وتقنينهما والإشراف عليهما.

وليس بالأمر السهل أن يتحدث المرء عن الآثار المغربية بالإيجاز المطلوب، وذلك اعتبارا لما يطبعها من غنى وتنوع تنغمس جذوره في حقب غابرة من التاريخ. فالآثار المغربية ترتبط بحقب مختلفة تنقسم عموما إلى ثلاث مراحل : فترات ما قبل التاريخ، وعهود ما قبل الإسلام، والعهود الإسلامية، وهي تقسيمات تحدد المراحل التي طبعت تاريخ الإنسان على أرض المغرب.

تعود أقدم البقايا الأثرية التي تم الكشف عنها بالمغرب إلى ما بين مليون ومليوني سنة، وهي عبارة عن أدوات حجرية مصقولة ضبطت سنة 1941 بمقالع سيدي عبد الرحمان بضواحي الدار البيضاء (R. Neuville et Ruhlmann, 1941, p. 32) على أن هذا الاكتشاف الهام لا يزال يفتقر حتى اليوم إلى البقايا الإنسانية للمجموعات البشرية التي صنعت هذه الأدوات وتداولتها. وبذلك تبقى أقدم البقايا العظمية البشرية تلك التي عثر عليها بنفس الموقع سنة 1955 (جمجمة وثلاثة أجزاء من فكوك) التي أرخت بمائتي ألف سنة خلت ؛ هذه البقايا جعلت الإنسان المغربي يتأخر بخمس وثلاثين ألف سنة عما سبق، وإن سبق أن حدد له، عندما اكتشف "إنسان الرباط" (165 ألف سنة) في مطلع 1934. وقد جاءت بعد ذلك وعلى طول ما يناهز نصف قرن من البحث والتمحيص، عدة مواقع مغربية ساحلية لترسم

باكتشافاتها خريطة الوجود البشري الهام على أرض المغرب على امتداد مواقع تَافُوغَالْت بناحية وجدة وجبل إغود بناحية أسفي (الإنسان والحضارة العتيرية 50000-30000 سنة) مغارات تمارة الهرهورة، والمهربين ودار السلطان وكلها بناحية الرباط (الحضارة البيروموروسية 20000-10000 سنة) إلخ... أما العصور المهدة فتمثلها في بلادنا مواقع عديدة تمتد رقعة انتشارها على طول الخريطة المغربية من الساقية الحمراء جنوبا إلى الشواطئ المتوسطية شمالا، كما تمثلها النقوش الحجرية المتعددة التي تحتفظ بها مناطق من الصحراء وجبال الأطلس. وتعد البقايا الأثرية المرتبطة بالفترات ما قبل الإسلامية بالمغرب، وأولى المخلفات التي جلبت اهتمام الباحثين الأوروبيين والفرنسيين منهم على وجه الخصوص : فكان لكثافة هذه التحريات أن ضبط العديد من المواقع كان الكثير منها مدنا مشهورة، عرفت في نصوص الأقدمين، ووصفتها كتب اللاحقين، اعتباراً لما كان لها من دور في تلك الحقب، اقتصادا وحضارة. ومن أشهر هذه المواقع وليلي بضواحي زرهون، كانت مدينة اعتبرها الكثير من الباحثين عاصمة ثانية للملك الموريطاني يوبا الثاني (25 ق.م - 33 للميلاد) وكانت وليلي أول المواقع التي جرى فيها التنقيب والحفر الأركيولوجي. ومنها استخرجت أنفس التحف البرونزية والخزفية وغيرها المحفوظة بالمتحف الأثري بالرباط. ومنها ليكسوس على ضفة اللكوس، وتعتبر ثالثة المدن الكبرى بالمغرب الكلاسيكي إلى جانب قادس بإيبيريا وقرطاجة بالبلاد

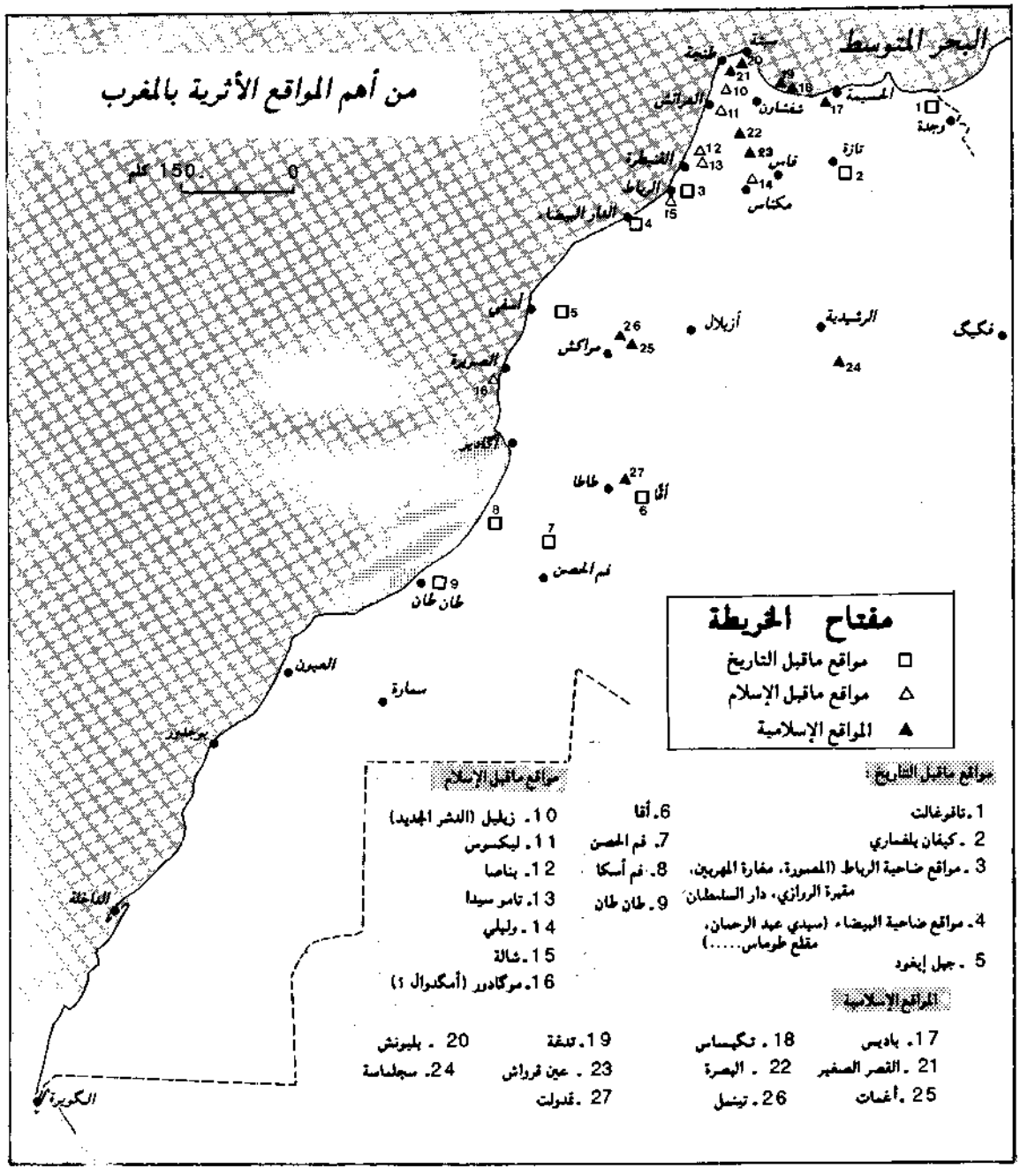

التونسية ؛ ومنها سلا، المدينة الرومانية ثم المدينة ما قبل الرومانية التي عرفت في ضوء مستخرجاتها (قاعدة تمثال سولبيسيوس فليكس Sulpicius Félix) بجوانب من النظام البلدي الذي كانت تدار به بعد أن ظنها الباحثون قبل ذلك مستوطنة رومانية ملكية، اختارها أبو يوسف يعقوب المريني (656-686 / 1258-1286) لتكون مأوى أخيرا له ولأفراد عائلته. ومنها موگادور بمقربة من مدينة الصويرة الحالية، حيث ضبطت أولى الإشارات الثابتة إلى ما اصطلح عليه بالفترات الموريطانية والبونيقية (القرن السابع قبل الميلاد).

أما آثار العهود الإسلامية فمتعددة ومختلفة بتعدد الدول والأسر الإسلامية التي حكمت المغرب منذ الفتح الإسلامي، واختلاف معالم العمران التي تخلفت لنا عنها.

لقد بدأ البحث عن الآثار الإسلامية المغربية مع مطلع السنوات العشرين، وكانت هي الفترة التي رأت تأسيس "معهد الدراسات العليا المغربية" Institut des Hautes Etudes Marocaines الذي كان له دور فعال وكبير في مجال البحث والدراسة في العلوم الإنسانية وظهور مجلة هيسبريس *Hesperis* التي كانت السند الطبيعي والعامل الأساسي للتعريف بنتائج هذه الدراسات.

وبإلقاء مجرد نظرة على الطريق التي اتبعتها التحريات الأثرية الإسلامية، يتبين أنها واكبت التطورات السياسية والعسكرية للوجود الفرنسي، حيث تمت أولى التحريات في مناطق الأطلس وانسهول الأطلنتيكية كمسجد تينمل والكتبية ومسجد تيط والقلاع المرابطية إلخ... وذلك تمشيا مع تحكم سلطة الحماية في هذه المناطق. بعد ذلك تنوعت الأبحاث واتجهت اتجاهين أساسيين : اتجاها اهتم بالوقوف على المنجزات المعمارية العظيمة التي خلفتها الدول التي حكمت المغرب الإسلامي ودراستها (جوامع ومدارس وقصور) واتجاها استهدف التنقيب في مواقع معروفة وهامة (شالة المرينية مثلا).

وحيث إن معظم الباحثين كانوا يجمعون ما بين طموح الأثري وفضول المؤرخ، فإن الملاحظ أن البحث الأركيولوجي في الفترات الإسلامية كان يواكب، في العديد من تحرياته، الإشكاليات التي كانت النصوص والوثائق التاريخية تضعها أمام الدارس المؤرخ والتي كانت لا تغني فضوله بقدر ما تثيره.

ورغم هذا المجهود كله، فإنه ليس هناك معرفة متوازية لمخلفات كل حقبة من حقب الوجود الإسلامي هذا، ولا للخصوصيات التي امتازت بها عطاءات الدول تناسبا مع ما طبع حقب وجودها من مميزات حضارية وفنية. فإن كانت الآثار الموحدية والمرينية مثلا معروفة إلى حد كبير حتى في بعض جزئياتها فإن ما يعود إلى فترات أخرى كالإدريسية والمرابطية وحتى السعدية والعلوية، لا يزال ينتظر تظافر الجهود العلمية ليخرج من طيات المجهول إلى نور المعرفة.

عبد العزيز توري، *تأملات في واقع الأركيولوجيا المغربية*، الملحق الثقافي لجريدة العلم، شتنبر 1985.

Publications du Service des Antiquités du Maroc, 1933-1961 ; *Bulletin d'Archéologie Marocaine* T.1, 1956, T. XVI, 1985-86 ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Mauritanie Tingitane*, dans *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres*, IX, 1978, p.203-221 ; H. De La Martiniére, *Recherches sur l'emplacement de la ville de Lixus*, 1890 ; L. Chatelain, *Note sur les fouilles de Volubilis* (Maroc), *C. R. de l'Académie des Inscriptions et Belles - Lettres*, 1916, p. 359-366 ; *Travaux et recherches* du Service des Antiquités du Maroc depuis 1919, C. R. de l'Académie des Inscriptions et Belles - Lettres, 1922, p. 28-31 ; A. Ruhlmann, *Le Poléolithique marocain*, P.S.A.M. fasc. 7, Rabat, 1945, p. 3-103 ; G. Choubert et J. Marcais, *Le quaternaire des environs de l'âge de l'Homme de Rabat*, C.R.A.S. T. 225, 1947, p. 1645-1647 ; C. Arambourg et P. Biberson, *Découverte de vestiges humains acheuléens dans la carriére de Sidi Abderrahman prés de Casablanca*, C.R.A.S., T. 240, 1955, p. 1661-1663 ; M. Ponsich, *Lixus, le Quartier des Temples*, ETAM IX, 1981 ; A. Touri, A. Akerraz et M. Makdoun, *Le Maroc des origines à l'avènement de l'Islam, dans la Grande Encyclopédie du Maroc, Histoire*, Rabat, 1987, p. 8-38.

عبد العزيز توري

ابن آجَطّا، عبد الله بن عمر الصنهاجي، من صنهاجة صفرو. وتحذف كلمة "ابن" من كنيته فيدعى : آجطا، كما تحذف الهمزة فيقال : جطا، وگطا ـ بالكاف المعقودة ـ أحد أعلام القراء في المغرب المتخصصين في رسم القرآن وضبطه. أخذ عن إمام هذا الفن بلا منازع محمد بن محمد الشريشي الفاسي المعروف بالخراز (ت 718 / 18. 1319) ولازمه مدة طويلة يقرأ عليه مؤلفاته لا سيما مورد *الظمآن في رسم أحرف القرآن* الذي طبقت شهرته الآفاق، وأجازه الخراز فيه، فشرحه ابن آجطا شرحا وافيا نقديا، بدأه في حياة شيخه الخراز وأتمه بعد وفاته، وهو أول من شرح هذا الكتاب فدعي الشارح، وإن تعدد الشراح من بعده كثيرا.

يرى ابن خلدون أن كتاب الإمام الخراز يعدُّ آخر مدرسة للقراءات بالمغرب هجر الناس به كتب الأقدمين واقتصروا عليه وذاعت شهرته في الآفاق (*المقدمة*، 785) والحق أن لتلميذه ابن آجطا يدا في تأسيس هذه المدرسة الجديدة وشهرتها بكتابه *التبيان في شرح مورد الظمآن*، أوضح القواعد التي جمعها الخراز أو استنبطها، ورجع في ذلك إلى الأصول مقارنا ومحللا ومنتقدا. وتصدر ابن آجطا ـ بعد موت الخراز ـ لنشر هذا الفن بفاس، فكان أستاذ كرسي القراءات فيها، وعنه أخذ كبار الأعلام أمثال محمد بن أجروم المعروف بمنديل، وعلي بن يخلف المديوني الشهير بابن جزو أحد شيوخ يحيى السراج الكبير.

أسلوب ابن آجطا في *التبيان* متين سلس في نفس الوقت، فباستثناء المقدمة المسجعة التي تدل على تمكنه من القواعد البلاغية، يأتي كلامه أثناء الشرح والتمثيل معبرا خاليا من الحشو والتعقيد. ونسخ *التبيان*، منها المطول، وهو الأصل، ومنها مختصرات لعلها من عمل طلبة ابن آجطا كتبوها من إملاءاته أو انتسخوها لأنفسهم حسب حاجياتهم. وهي كلها لا تختلف مع الأصل في الجوهر وإنما تتمايز طولا وقصرا.

وقد اعتمد قراء المغرب عبر القرون شرح ابن آجطا وتداولوه في الحواضر والبوادي، وانتشر حتى خارج المغرب. وممن نوه به الإمام محمد ابن قاسم القصار شيخ الجماعة بفاس في العصر السعدي، في خطاب وجهه إلى تلميذه أحمد بن علي الشريف العلمي لما رجع هذا الأخير إلى شفشاون في أوائل استقراره بها، مبتهجا بأخبار نشاطه في التدريس قائلا : "وأعجبني إقراؤك *الرسالة* وفرحت به... وكذلك إقراؤك الخراز أعجبني، واعتمد على ابن آجطا فإن نقله صحيح جدا، وكثير من شروح الخراز فيه تحريف" (*مرآة*، ص. 171).

توفي ابن آجطا بفاس حوالي عام 750 / 49-1350 ودفن داخل باب الحمراء بأول الكفادين مقابلا لزنقة أزمور وقد انطمست معالم قبره الآن.

ي. السراج الكبير، *الفهرس* (مخطوط) ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة*، 171 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 105-106 ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب* (مرقون).

آجُلْيَانْ، عبد الله الزجلي، فقيه مشارك قرأ في قريته الريفية قبل أن يتوجه إلى فاس ليدرس على كبار شيوخها أمثال يحيى بن محمد السراج، وعبد الواحد الحميدي، ومحمد القصار، ثم رجع إلى مسقط رأسه ببني زجل على ضفاف وادي لاو من بلاد غمارة مشتغلا بالتدريس والفتيا. واشتهر ذكره بسبب خلافه مع قاضي بني ورياگل إبراهيم الگلالي في مسألة شاب وشابة هربا من قريتهما الغمارية ثم رجعا ورغبا في عقد قرانهما، فعزل القاضي المرأة للاستبراء عند أمين وحكم بتأبيد تحريمها على الهارب بها معاملة له بنقيض قصده وزجراً له على اغتصابه وفسقه.

التجأ المحكوم عليه إلى آجليان فأفتاه بنقيض ما قضى به الگلالي حاكيا في فتواه الأقوال المتباينة لأئمة المذهب المالكي والحنفي مرجحا الحلبة التي هي مذهب مالك في **الموطأ** وقول ابن القاسم وجماعة من العلماء، وهو المشهور وبه العمل والفتوى. غضب القاضي لهذه الفتوى واتهم آجليان بمماألأة الظلمة الفسقة دونما تريث أو مراعاة للصالح العام، وعلق عليها بكلمات نابية جاء فيها أن الخلاف الفقهي في المسألة يعرفه حتى الصبيان، وأن الصواب هو التحريم الذي أفتى به جماعة من الفقهاء سماهم ومنهم شيخاه يحيى السراج وعبد الواحد الحميدي.

تطورت المسألة إلى "مواجهة قلمية عنيفة" بين القاضي والمفتي رددت أصداءها كتب الفتاوي المعاصرة، إذ كتب آجليان ردين مسهبين على إبراهيم الگلالي ينبزه بالقصور والتنكب عما يجب به الحكم من المشهور وما جرى به العمل، ويتهمه بانتحال الانتساب إلى كبار الشيوخ الذين زعم أنه قرأ عليهم بفاس. ألف الگلالي حينئذ كتاب *تنبيه الصغير من الولدان على ما وقع في مسألة الهارب والهاربة من الهذيان، لمدعي استحقاق الفتوى آجليان*. تحامل فيه كثيرا على خصمه، لكنه مع ذلك احتفظ لنا بنصوص ردود آجليان التي تدل على قوة عارضة هذا الرجل وواسع اطلاعه على أصول الفقه وفروعه، وطول نفسه في النقاش والدفاع عن وجهة نظره، وإن كنا في النهاية مع القاضي الواعي بمسؤوليته في ردع الجناة وحماية المجتمع من داء التخليق والهروب بالنساء الذي أخذ ينتشر في تلك الفترة المضطربة التي أعقبت وفاة أحمد المنصور.

توفي آجليان حوالي عام 1630/1040.

إ. الگلالي، *تنبيه الصغير من الولدان* (مخطوط) ؛ ع. الزياتي، *الجواهر المختارة* (مخطوط) ؛ م. القادري، نشر، 1 : 38 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 256 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 308، 310، 2 : 460.

محمد حجي

آدم، أحمد بن محمد بن عيسى الرباطي، وصفه القادري في *نشر المثاني* بالشيخ الحافظ الشريف. وعده صاحب *المنح البادية* من جملة شيوخه الذين تلقى عنهم العلم وأجازوه وقال : "سمعت عليه الحديث المسلسل بالأولية وأحاديث من *الصحيحين* وأجازني فيهما وفيما له من مقروء ومسموع وأضافني على الأسودين وصافحني وشابكني وألبسني وناولني السبحة وهو يروي عن شيوخ فاس كالإمام أبي البركات عبد القادر الفاسي وأبي الضياء محمد بن أحمد ميارة وأبي البقاء الأبار وغيرهم، ورحل إلى الجزائر وأخذ بها عن العلامة سعيد بن إبراهيم التونسي النجار الجزائري الدار الشهير بقدورة".

وقد ذكر محمد بوجندار في مقدمة كتابه *تعطير البساط* أنه غير متحقق من كون القاضي آدم تولى قضاء الرباط لذلك لم يدرجه ضمن قضاة الرباط الذين ترجم لهم.

توفي آدم سنة 1094 / 82-1683 ولا يعرف مدفنه.

م. ع. الفاسي، *المنح البادية*، مخطوط ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، 277 ؛ *نشر*، 2 : 309 ؛ م. البشير ظافر، *اليواقيت الثمينة* ؛ م. ابن علي الدكالي، *الاتحاف الوجيز* ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط* ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، الرباط 1987 ؛ *تعطير البساط*، الرباط، 1345.

عبد الإله الفاسي

آكلُ العسل، Mellivora Capensis Leuconota (Sclater) ويسمى أيضا الظربان، وشنصر، ويعرف في جنوب المغرب بأريزين وبُوقْدَيم وأنديوف، وهو حيوان ينتمي إلى الثدييات اللاحمة من فصيلة العرسيات Musteleidae طوله يتراوح بين 65 و75 سم جمعا بين الرأس والجسم، يبلغ طول ذيله 18 . 25 سم وقوائمه الخلفية 8 سم، وعلوه عند الغارب 25 سم ويصل وزنه إلى 11 كلغ على الأكثر. يغطي ظهره شعر قصير متكاثف فاتح البياض لكنه يصير كدر البياض فوق الرأس وأسود جهة البطن والجوانب والذيل.

يمتاز بجسم قوي، عريض ومنحدر فوق القوائم التي تنتهي بمخالب طويلة وقوية. جمجمته طويلة وعريضة جهة الخلف وفكه قصير وقوي، صيغة أسنانه كالآتي :

قوارض 3/3، أنياب 1/1، أضراس أمامية 3/3، أضراس 1/2، 34 سنا قوية وقصيرة. يعيش هذا الحيوان منفردا أو مزدوجا داخل الجحور التي يحفرها بسرعة تلفت النظر. إنه حيوان ليلي على العموم على الرغم من مشاهدته أحيانا في النهار. يتكون غذاؤه من اللبونات الصغرى وخاصة منها القواضم من الطيور والزواحف والحشرات والبيض، كما أنه يتناول الجذور والفواكه والجيفة أحيانا. إنه شجاع ومقدام، في استطاعته أن ينقض على فريسة أكبر منه كالحيرم مثلا الذي يعض حالبه وأعضاءه التناسلية في أول الأمر مما يؤدي إلى نزيف الفريسة وقتلها. يُلاحظ هذا السلوك عادة خلال فترة النزو Rut. هوايته المفضلة هي أكل العسل مما أدى إلى تسميته آكل العسل Mellivora لهذا يعد هذا الحيوان أكبر مخرب لجباح النحل والطنان. أثناء عثوره على الجباح يهجم بلهفة دون تردد ولا يخاف من الغرزات لتوفره على شعر كثيف وطبقة شحمية غليظة تحت الجلد تحميه من اللذغات. وفي استطاعته أن يتسلق الأشجار إذا اقتضى الأمر ذلك ليصل إلى الجباح.

آكل العسل

يترك وراءه خسائر كبيرة داخل أفنية الدواجن إذا تمكن من الولوج إليها. تضع الأنثى عادة مرة كل سنة فردين، وتدوم فترة الحمل 6 أشهر. يمكن إيلاف الصغير إلا أنه يشترط ابتعاده من فناء الدواجن.

يقتصر توزيعه الجغرافي على الشمال الغربي الإفريقي لكن يستبعد أن يشمل الاسم نفس الحيوان الذي يعيش في الهضاب الصحراوية والغابات الكثيفة الموجودة بغينيا. يعيش هذا الحيوان في الجوانب الصحراوية بجنوب المغرب ويتوقع وجوده أيضا بناحية سوس.

S. Aulagnier et M. Thevenot, 1986, *Catalogue des Mammifères Sauvages du Maroc*... Trav. Inst. Sci. Série Zoologie n° 41.

محمد رمضاني

الآلة، إنها الكلمة التي استعملت في المغرب منذ أجيال للدلالة على نوع من الغناء المستعمل بالمدن والمصحوب بآلات الموسيقى بقصد تمييزه عن غناء من نوع آخر يؤدى بدون مرافقة الآلات ويسمى السماع. ومنذ عهد قريب أخذ الناس يدعونها، أيضا، الموسيقى الأندلسية إشارة إلى مصادرها الأولى. ولعل في إطلاق هذا الاسم كثيرا من التعميم الذي لا يطابق الحقيقة، لأن في الآلة أجزاء مهمة تعد من ابتكار المغاربة، كالأدراج، مثلا.

تمثل الآلة الطرب التقليدي المغربي في أرقى درجاته، الطرب المستعمل في القصور السلطانية والحفلات العائلية الكبرى بالحواضر المغربية العريقة مثل فاس وتطوان وطنجة والرباط وسلا إلخ. فهي كما يقول شوتان في كتابه عن *الموسيقى المغربية* : "نمط قريب من الموسيقى الأروبية كما كانت منذ قرن ونصف والتي تدعى موسيقى الحجرة أو موسيقانا السمفونية الأولى" (ص. 104). لذلك فهي تتميز عن أنواع أخرى من الطرب أكثر ارتباطا بالأوساط الشعبية مثل الملحون والعيطة والطقطوقة الجبلية وأقلال وأحواش وأحيدوس إلخ.

النوبة : الآلة عبارة عن مجموعة من النوبات تتميز عن بعضها بنغمها الخاص، وكان عددها في الأصل أربعا وعشرين، على عدد ساعات النهار، لكن، نظرا لما لحقها من ضياع، فقد أدمجت بعض النوبات المتقاربة في النغم مع بعضها، فأصبح عددها، في النهاية، إحدى عشرة. وتتميز النوبة المستعملة حاليا في الآلة بصفات أهمها :

وحدة النغم أو التقارب بين مجموعة من الأنغام إذا اختلفت فيما بينها، كما سيأتي فيما بعد. واشتمال النوبة على مجموعة من الأشعار المختلفة في شكلها وأعاريضها ولغتها. والربط بين النوبات وأوقات اليوم. وخضوع النوبة لنظام إيقاعي موحد يتفرع إلى خمسة موازين كبرى سيأتي الحديث عنها. واشتمال النوبة على طبع أو أكثر. والأصل في استعمال الكلمة يرجع إلى الربط بين الأنغام وطبع الإنسان. فنجد عند بعض المؤلفين اجتهادات في الكشف عن معاني بعض الطبوع أو المقامات كما يدعوها المشارقة. يقول صفى الدين الأرموي، مثلا، في *شرح كتاب الأدوار* : "والعشاق والنوا وبوسليك تولد فيها [في النفس] الشعور بالقوة والشجاعة. أما الراست والعراق والأصفهان فتبعث فيها الإحساس بالغبطة والسرور..." ونجد اجتهادات مماثلة عند الحائك التطواني.

ومن ثم جاءت الفكرة لمدوني الآلة في الربط بين الطبوع والعناصر الأربعة التي تتكون منها الطبيعة حسب فلاسفة اليونان وهي النار والماء والهواء والتراب وما يرتبط بها من طبائع أربع هي الحرارة واليبوسة والرطوبة والبرودة. وهكذا فإن "طبع رصد الذيل عنصره هو التراب، وطبيعته البرودة واليبوسة" وعند تصنيف الطبوع، يميز أصحاب الآلة مثل الونشريسي والحائك بين طبوع تعتبر أصولا وأخرى تعد فروعا منها كما يوضحه الجدول التالي :

العنصر 1 التراب يهيج السوداء	العنصر 2 الماء يهيج البلغم	العنصر 3 الهواء يهيج الدم	العنصر 4 النار يهيج الصفراء	
الأصل الذيل	الأصل الزيدان	الأصل المائة	الأصل المزموم	الأصل الغريبة المحررة
الفروع 1 ـ رصد الذيل 2 ـ الاستهلال 3 ـ عراق العرب 4 ـ عراق العجم 5 ـ المشرقي الصغير 6 ـ مجنب الذيل 7 ـ رمل الذيل	الفروع 1 ـ الأصبهان 2 ـ العشاق 3 ـ الحجاز الكبير 4 ـ الحصار 5 ـ الزور كند 6 ـ الحجاز المشرقي	الفروع 1 ـ رمل المائة 2 ـ انقلاب الرمل 3 ـ الحسين 4 ـ الرصد 5 ـ الصبكة	الفروع 1 ـ غريبة الحسين 2 ـ حمدان 3 ـ المشرقي	أصل بدون فرع

توزيع الطبوع حسب العناصر الأربعة

كما تتميز النوبة بأن كل ميزان فيها يخضع، غالبا، لترتيب معين تتوالى أجزاؤه على الشكل الآتي: أ ـ البغية: مدخل موسيقي خال من الإيقاع يتحرى الإحاطة بالجملة الموسيقية التي ينبني عليها الطبع الأساسي في النوبة. ب ـ التوشية : قطعة صامتة ذات إيقاع حثيث وخفيف. ج ـ الصنائع : سلسلة الأشعار الملحنة، وربما تخللت الصنائع تواش داخلية. د ـ الإنشاد : في وسط الميزان، قد يتوقف الجوق عن أداء الصنائع ليفسح المجال لمطرب جميل الصوت كي يؤدي الإنشاد، الذي هو عبارة عن شعر يتغنى به في نفس الطبع في لحن خال من الإيقاع لكن له قواعده وشروطه. هـ ـ بعد الانتهاء من الإنشاد، يستأنف الجوق أداء بقية النوبة. وغالبا ما يدخل في صنائع القنطرة التي تمثل مرحلة وسطى في سرعتها بين الصنائع الأولى المرتلة والأخيرة التي تعزف بخفة متزايدة وتعرف بصنائع الانصراف التي تنتهي بما يسمى قفل الميزان.

الصنعة : كلمة ترادف اللحن الذي تغنى به كل قطعة شعرية، وهي تدل على الاجتهاد الذي أدخل على ذلك اللحن بما فيه من ترجيع وتنويع في النغم. ولذلك فإن صنائع الآلة تختلف من حيث الطول والقصر. ونظرا لارتباطها بنوع الشعر المستعمل، فلا بد من أن نلقي نظرة على الأشعار المستعملة :

1. الموشح : أكثر صنائع الآلة من الموشحات على اختلاف أشكالها، وبما أن الموشحات تمتاز، في الغالب، بطولها فيقتصر على قسم واحد منها، ما عدا بعض الموشحات المستعملة في الانصراف، سنعود إليها فيما بعد. والجاري به العمل هو :

القطعة السباعية : بيتان أولان هما مطلع الموشح ويسميان في الاصطلاح الموسيقى الدخول. وتأتي بعدهما ثلاثة أبيات بقافية مغايرة يسمى كل واحد منها سمطا وتدعى عند الآليين كرش الصنعة، ثم يقع الانتقال إلى البيتين الأخيرين اللذين يكونان على روي المطلع ويسميان القفل وفي اصطلاح الآليين الخروج.

ـ القطعة الخماسية : لا تختلف عن السابقة إلا في كون المطلع أو الدخول حسب اصطلاح الآليين حذف منها فلم يبق فيها إذن إلا خمسة أبيات.

2. الشعر العمودي :

ـ القطعة السداسية : لا يوجد منها كثير بالآلة. فنذكر من بينها، على سبيل المثال، صنعة في قائم ونصف رمل الماية مطلعها :

إنْ قبل زُرْتُم بما رجعتُم يا أكرمَ الخلق ما أقـولُ

ـ القطعة الرباعية : هي، أيضا، غير كثيرة، نذكر منها، مثلا،

كلُّ شيءٍ له انتهاءٌ وحـدُّ غيرَ شوقي إليك ما له حـدُّ

ـ القطعة الثلاثية : قليلة نذكر منها أبياتاً من بحر البسيط تستعمل في قدام الأصبهان، مطلعها.

لله شخص بديع الحسن فتانُ صاحٍ ومن نشوة العينين سكران

ـ القطعة الثنائية : قد تختلف طريقة أدائها، فمنها التي يغنى فيها البيت بكامله ويردف بالجواب الآلي مثل :

عشيَّـة كأنهـا عقيـان لون الذهب في دوحة البستان

ومنها التي يغنى فيها كل شطر على حدة.

3. البرانل : وهي قطع من الشعر الملحون بالدارجة المغربية الذي يختلف عن الزجل الأندلسي لفظا ونظما. وتختلف طولا ووزنا وشكلا عن أشعار الآلة الأخرى. وكثير من مقطوعاتها تنسب إلى الشيخ محمد الحراق التطواني. وأكثر ما تستعمل في ميزاني الدرج والبسيط.

تلك هي الصنعة من حيث أشكالها الشعرية. وتختلف الصنائع من حيث الطول والقصر. وكل واحدة منها تعرف بعدد من الأدوار محددة عن طريق الإيقاع. ويمكننا أن نميز، بوجه عام، بين ثلاثة أنواع من الصنائع :

1. هنالك الصنعة البسيطة التي يتبع فيها اللحن الكلمات حسب تسلسلها في البيت دون إضافة كلمة ربط من نوع الطراطين والأننات، بحيث تكاد تقرب مما يسميه أهل العروض نغمات البحور. وهذا النوع هو الغالب على التخليلات التي يكثر ورودها في ميزان القدام بمختلف النوبات. فنذكر منها، على سبيل المثال :

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني وهي نائبتي

من قدام رمل الماية

2. هنالك الصنعة المتوسطة التي تدخل عليها بعض الإضافات ولكن بصورة مخففة مثل :

أوقـدت في قلبي هـواك وقلـت لي إياك تبـوح

من بسيط الأصبهان، أو

يا واحد العصر في الجمال وطلعـة البـدر في الكمـال

وهاته الإضافات هي التي اصطلح على تسميتها شغل.

3. هنالك الصنعة المشغولة، بكل معنى الكلمة، أي الصنعة التي تحتل فيها الإضافات حيزا كبيرا مثل :

صلوا يا عباد جملـة علـى أشرف الـورى

وارضوا عن العشـرة الأكـرميـن البَـررة

من بسيط رمل الماية، أو

قد هب النسيم على وجبه والليـل البهيـم رفع مشهبـه

من بطايحي العشاق، أو

عسى ترفقوا بي يـا حـداة البـوازل

من بطايحي الاصبهان إلخ...

فالصنعة من هذا الصنف تتميز بطولها وتعدد أدوارها فتدخل عليها بصورة مكثفة الإضافات المتمثلة في الطراطين التي تشمل كلمات غير ذات معنى مثل :

يالالن، هانن، طيريطان، طار اللاطي، طاني طاناي إلخ، التي تساعد على ملء الفراغ الناشئ عن التفاوت بين البيت الشعري والجملة الموسيقية. ويجتهد اليوم شيوخ الآلة في التخفيف من الأننات أو حذفها، خلافا لما كان يجري به العمل عند الأجيال السابقة من أصحاب الآلة.

وبالجملة، فهنالك الصنائع الخالية من الشغل وتسمى،

أيضا، الصنائع البيضاء، والصنائع المشغولة التي يظهر فيها العمل الفني بصورة أجلى. لكن مهما كان الاختلاف بين الصنائع، فإنها تخضع لنسق محكم يتمثل في طبع النوبة أو مقامها، من حيث النغم، وفي وحدة الإيقاع من حيث الوزن والحركة وفي الهندسة العامة للميزان الذي ينتقل من البطيء إلى السريع.

التحليل الموسيقى للنوبات : بإضافة طبع الصبكة إلى الطبوع الأخرى التي رأيناها من قبل يصبح عدد الطبوع أربعة وعشرين، والنوبات إحدى عشرة. وفيما يلي تحليل موسيقى لنوبات الآلة وسلالمها المختلفة حسبما وقع عليه الاتفاق في المؤتمر الثاني للموسيقى العربية المنعقد بفاس سنة 1969.

1. نوبة رمل الماية : أربعة طبوع هي : رمل الماية والحسين وحمدان وانقلاب الرمل.

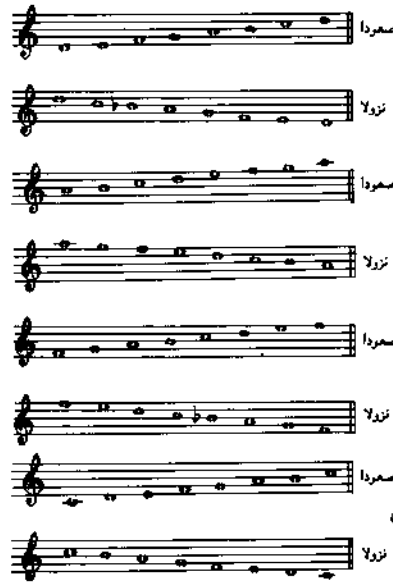

أ ـ رمل الماية

ب ـ الحسين

ج ـ حمدان

د ـ انقلاب الرمل

2. نوبة الأصبهان : طبعان هما : الأصبهان والزوركند

أ ـ الأصبهان

ب ـ الزوركند

3. نوبة الماية : طبع واحد صورته :

4. نوبة رصد الذيل : طبع واحد هو رصد الذيل وصورته هي

5. نوبة الاستهلال : طبعان هما الاستهلال وعراق العرب.

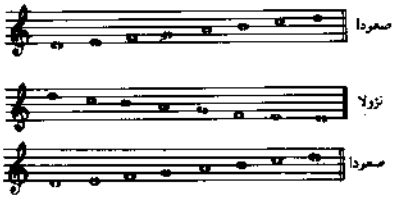

أ ـ الاستهلال

ب ـ عراق العرب

6. نوبة الرصد : أربعة طبوع هي : الرصد، والحصار، والزيدان، والمزموم.

أ ـ الرصد : يتميز بكون سلمه خماسيا

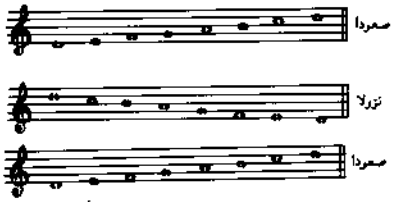

ب ـ الحصار

ج ـ الزيدان

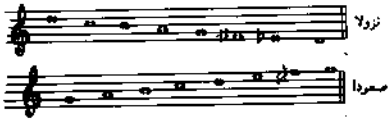

د ـ المزموم

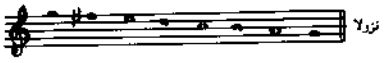

7. نوبة غريبة الحسين : ثلاثة طبوع هي : غريبة الحسين، والغريبة، المحررة، والصبكة.

أ ـ غريبة الحسين

ب ـ الغريبة المحررة

ج ـ الصبكة

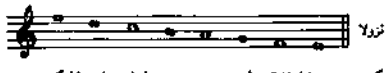

8. نوبة الحجاز الكبير : ثلاثة طبوع هي : الحجاز الكبير، ومجنب الذيل، والمشرقي الصغير.

أ ـ الحجاز الكبير

ب ـ مجنب الذيل

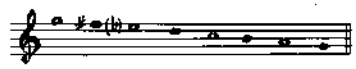

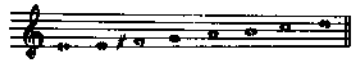

ج ـ المشرقي الصغير

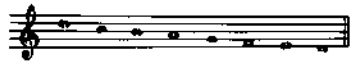

9. نوبة الحجاز المشرقي: طبعان هما الحجاز المشرقي، والمشرقي.

أ ـ الحجاز المشرقي

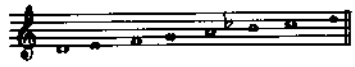

ب ـ المشرقي

10. نوبة عراق العجم

11. نوبة العشاق : ثلاثة طبوع هي : العشاق، والذيل، ورمل الذيل.

أ ـ العشاق

ب ـ الذيل

ج ـ رمل الذيل

استدراكات : لابد من إدراج ملاحظات إضافية للمزيد من التعريف بالطبوع والنوبات :

1. إن التحليل الذي قدمناه عن بعض النوبات تقريبي ويعني الأعم والأغلب، لكن هنالك صنائع تشذ عن القاعدة وتنتسب لطبوع أخرى غير واردة في التحليل، إلا أن هذا الاختلاف لا يمنع من وجود التواصل والانسجام.

2. تحديد الطبع لا يقف عند السلم الذي ما هو إلا جزء من مقوماته، بل هنالك عناصر أخرى ذات أهمية تضفي على الطبع شخصيته، نذكر منها : انقسام السلم إلى جملة من الخلايا تختلف أبعادها بين ثلاث وخمس وتسمى أجناسا أو عقودا، بحيث إن السلالم المتشابهة يظهر الفرق بينها بسبب الاختلاف الواقع في تركيب الخلايا النغمية داخل كل طبع. ويتميز كل طبع بثلاثة أصناف من الدرجات :

أ ـ القرار : وهو الصوت الذي يرتكز عليه الطبع ويقف عنده ولا يشكل المحور الذي يدور عليه اللحن سواء في الاتجاه إلى المرتفع أو المنخفض. وهنالك طبوع تحمل اسم قرارها مثل الذيل والصيكة.

ب ـ المراكز : محطات ثانوية يجتاز منها سلم الطبع وتقترن بحدود الخلايا المشار إليها آنفا.

ج ـ الدخول إلى الصنعة : كل نوبة نجد لها اختيارات خاصة بها في الدخول إلى الصنعة أي في الدرجة الصوتية التي تنطلق منها الصنعة.

د ـ الاختلاف بين الدخول والكرسي.

هـ ـ جمل لحنية تتردد في كل ميزان تذكّر نوعا ما بما يجري في السمفونية بالموسيقى الكلاسيكية الغربية.

الميزان : تتميز الآلة بتنوع حركتها وانتقالها من البطيء إلى السريع ومن الثقيل إلى الخفيف. وليس يعني ذلك أنها حركة فوضوية، بل إنها مضبوطة في قواعد ومقاييس ونماذج يسميها الآليون موازين. والكلمة هي التي اصطلح عليها في الكتب الشرقية عن الموسيقى بالإيقاعات. تحتوي الآلة على خمسة موازين هي : البسيط، والقائم ونصف، والبطايحي، والدرج، والقدام. فبالاستماع إلى أداء الآليين نلاحظ وجود نقرات تتكرر على الطار والدربوكة، منها القوي والخافت في فترات زمانية متساوية. فالميزان يتكون من خلية إيقاعية تتكرر من البداية إلى النهاية. وهاته الخلية بالنسبة للقدام تتراءى لنا متركبة من نقرة قوية متبوعة بسكته تليها نقرتان خفيفتان على الشكل التالي :

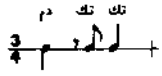

وقد استعرنا من القاموس المشرقي اصطلاح "دم" للدلالة على الزمان القوي و"تك تك" للدلالة على الزمان الضعيف.

قبل تقديم صورة تلك الموازين، يجب أن نشير إلى أن كل ميزان يمر من ثلاث مراحل :

أ ـ الموسع : يدل على حركة بطيئة ويضم تصديرات الميزان.

ب ـ المهزوز : يدل على التوسط في الحركة.

ج ـ الانصراف : يضم القطع السريعة التي تأتي في الجزء الختامي للميزان.

والانتقال من مرحلة إلى أخرى يسمى القنطرة الذي يشعر فيه المستمع بتغير الحركة بصورة محسوسة.

1. البسيط :

أ ـ الموسع المهزوز

ب ـ الانصراف

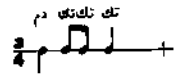

2. القائم ونصف :

أ . الموسع المهزوز

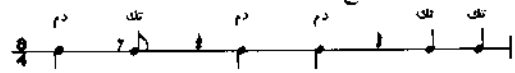

ب ـ الانصراف

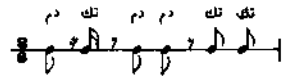

3. البطايحي :

أ ـ الموسع والمهزوز

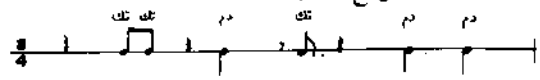

ب ـ الانصراف

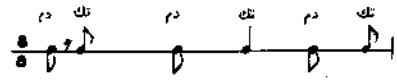

4. الدرج :

أ ـ الموسع والمهزوز

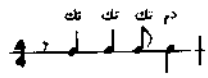

5 . القدام

أ ـ الموسع والمهزوز

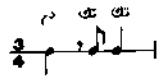

ب ـ الانصراف

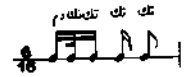

الصورة التي قدمناها عن الموازين الخمسة هي المتداولة في الغالب. ويمكن أن تدخل عليها بعض التغييرات تبعا لآلة النقر: الكف (التوسيد) أو الطار أو الدربوكة وتبعا لاجتهاد العازفين وما يتحرونه أحيانا، من زخرفة، دون أن يمس ذلك طبعا بجوهر الميزان وعدد وحداته الأساسية.

هناك في الأخير، ملاحظة فنية تتعلق بطريقة أداء الإيقاع : فبالرغم من كون الميزان تكررا مستمرا لنفس الوحدة الإيقاعية، فإن الحذاق من الآليين يجتهدون كثيرا في إدخال التنوع عليه وتخليصه من شوائب الرتابة وذلك بالسير على بعض القواعد نذكر منها :

أ ـ تغيير بنية الإيقاع تبعا لسرعة الصنعة المعزوفة كما رأينا من قبل.

ب ـ استعمال "التبريد" عند الإنشاد ويعني الخفض من النقر حتى لا يكاد يسمع والاقتصار على الضروري من ضربات الإيقاع. ويدعى التبريد أيضا الخاوي أو الحسبي.

ج ـ التعمير : يدل على العكس وهو مستحسن عند الجواب ويعني إبراز النقر والتشديد عليه والتصرف في زخرفته. فتظهر مهارة العازف على الطار والدربوكة.

وقد اشتهر عدد من الآليين باتقانهم للنقر على الطار وكانوا أساتذة في أجواقهم.

الشعر : تحتضن الآلة جملة من الأشعار والموشحات والأزجال والبراويل في حجم ديوان شعري محترم. والبحث في هذا الموضوع مهم لما له من ارتباط بتاريخ الآلة والبحث عن أصولها كما سنرى. لكن، هنالك صعوبة لابد من ذكرها منذ البداية حتى يكون البحث في الموضوع مسلحا بكثير من الاحتياط والتحري. فالملاحظ أن دواوين الآلة ما بين مخطوط ومطبوع تبرز اختلافا في الأشعار وتكررا للبعض منها، بحيث إن كل حكم يمكن إصداره عن شعر الآلة سيكون غير مقنع، نظرا لما نشأ حوله من اختلاف أو تساهل في استبدال شعر بآخر. وحل المشكل يكمن في البحث عن أقدم نسخ المجموعات الشعرية المستعملة في طرب الآلة. والرواية المتداولة حاليا هي رواية الحايك الذي عاش في أواخر القرن الثامن عشر، في حين أن التراث الأندلسي يرجع إلى قرون قبل ذلك، اللهم إلا إذا أخذنا بالنظرية التي تقول إن الآلة هي مغربية أكثر منها أندلسية، وهو موضوع سنعود إليه.

جوق الآلة لرباط الفتح

فالموضوع ما زال يتطلب مزيدا من البحث. وكل ما نستطيع القيام به حاليا، هو النظر إلى مجموعة الحايك وما هو مستعمل منها حاليا. ولكن يعترضنا، مع ذلك، مشكل آخر يتعلق بتحديد تاريخ القطع الشعرية المستعملة، الشيء الذي ليس بالسهل بالنسبة لكل الأشعار. وعلى أي فنحن نجد أنفسنا بين صنفين من الشعر :

1. صنف يصعب تحديد زمانه لأننا نجهل قائله وهو ليس بالقليل، مع العلم بأن البحث ما زال لم يسلط بالكفاية عليه حتى تتقلص نسبة الجهل في شأنه. فنحن، إذن، في وضع مؤقت ها هنا.

2. صنف معروف وموثق النسبة إلى أصحابه وهو الذي يمكننا أن نسلط عليه بعض الأضواء في التعريف بنوعية الشعر المستعمل في الآلة. ومدار حديثنا يتعلق بمجموعة من الأشعار تضم 135 قطعة. فإذا نظرنا إليها من حيث التاريخ، يمكننا أن نقسمها إلى أربعة عصور كبرى هي :

العصر الأول : يشمل القرون الأربعة الأولى للهجرة، ولا نجد منها في الآلة إلا ست قطع شعرية كلها لشعراء مشارقة هم : حسان بن ثابت، والشافعي، وأبو نواس، وأبو تمام، والمتنبي، أما الأندلسيون، فلا وجود لهم بالنسبة للعصور المذكورة.

العصر الثاني : يشمل القرون 5 و 6 و7 وقد رصدنا منه 36 قطعة شعرية. وستستمر مساهمة المشارقة ممثلة في عمر

ابن الفارض، والبهاء زهير، لكن مساهمة الأندلسيين ستبرز لأول مرة، إذ نصادف أسماء : ابن عمار، وابن عباد، وابن زيدون، والأعمى التطيلي، وابن زهر، وابن سعيد، وابن عطية، وابن القبطورنة، وابن بقي القرطبي. وهنالك شاعر مغربي هو الفزازي الذي يمكن عده في جملة الأندلسيين أيضا.

العصر الثالث : يعني القرون 8 و9 و10 وقد أحصينا ضمن المجموعة التي حددناها 62 قطعة شعرية، فنجد من بين المشارقة صفى الدين الحلّي، والرفاعي، والبوصيري، ومن الأندلسيين ابن سهل، والششتري، وابن الخطيب، وابن زمرك، ويوسف الثالث.

العصر الرابع : يعني القرون 11 و12 و13 وقد رصدنا فيه 31 قطعة. فنجد من بين المشارقة عبد الغني النابلسي، والبرعي، ولا نجد أحدا من الأندلسيين، بينما نجد من المغاربة أسماء : ابن زاكور، والعلمي، ومحمد المهدي الغزال، وعمر لوقاش، والحراق، وابن الحاج، وغريط، ومول القصور.

إننا نشعر، طبعا، بأن إحصاءنا ليس نهائيا ولا يسلم كليا من بعض الخطإ، ولكنه كاف ليقدم لنا الاتجاه العام الذي غلب على شعر الآلة. فنحن نلاحظ، مثلا، أن أكثر العصور عطاء هو العصر الثالث، أي ما بين القرن الثامن والعاشر الهجريين الذي يكاد يمثل نصف المجموع، وأن العصرين الأولين يمثلان أقل من الثلث. كما نلاحظ أن أكثر الشعراء عطاءً هم : الششتري، وابن الخطيب، وأحمد التطيلي، وإبراهيم ابن سهل، وابن الفارض، والبهاء زهير، وصفى الدين الحلي، والحراق.

وأما الأشعار المستعملة فأكثرها من نوع الموشح والزجل مع إخلاء مكان لمقطعات شعرية من العروض العربي التقليدي. يضاف إلى ذلك زجل مغربي صرف من نوع الملحون، وهو الذي يدخل في صنف البراويل. فإذا نظرنا إلى موضوعاتها فهي تدور في الغالب حول وصف الطبيعة ومظاهر جمالها. فنوبة العشاق، مثلا، غالبا ما تقدم لنا طلوع النهار وما يرافقه من تحولات في منظر الكون. وتحدثنا نوبة المايه، من جهتها، عن منظر العشي وقرب المساء ووداع النهار، بينما يتغنى رصد الذيل بالليل وما يدعو إليه من استمتاع بملذات الحياة أو ما يذكيه في نفوس العشاق من لوعة وذكرى. ويمثل الغزل موضوعا رئيسيا في شعر الآلة، وأغلبه من نوع الغزل المذكر. وكذلك الخمريات تكون بابا واسعا في أشعار الآلة. ومن أهم الموضوعات شعر المديح الديني، وحسبما تحدثنا به المصادر، فإنه لم يكن متأصلا في الآلة، وإنما ألحق بها. فنوبة رمل المايه، مثلا، لم تحول إلى المديح النبوي إلا في عهد قريب باجتهاد من أحد العلماء المغاربة، وكان الشعر المستعمل فيها يرجع بالأصل إلى صنف الغزل والخمريات ووصف الطبيعة. وما زال شعرها الأول معروفا. لكن هل كان أصحاب الآلة مبتعدين عن أهل السماع المتخصصين في شعر المديح النبوي؟ موضوع سنتناوله بعد قليل.

أصل الآلة : البحث عن تاريخ الفن المغربي، بوجه عام، يدفع منذ البداية إلى البحث عن أصوله ومصادره. قاعدة تنطبق على الهندسة المعمارية كما تنطبق على الفنون الصناعية، وتنطبق من باب أولى وأحرى، على الموسيقى لسهولة انتقالها من مكان إلى آخر عن طريق الحفظ والرواية.

يوجد تاريخ متداول للآلة يرجع بها إلى عهد زرياب في القرن الثالث الهجري ويذكر من مراحلها الأساسية عطاء الفيلسوف ابن باجة وأمية بن أبي الصلت وغيرهما ممن عاشوا فيما بين القرن السادس والسابع. ولكن هاته الرواية يعوزها التوثيق ولا تدل، قطعا، على أن ألحان الآلة التي نسمعها اليوم هي لأولئك الأعلام المشهورين. وعلى أي فقد طرح الموضوع على عدد من الباحثين في تاريخ الآلة. فالأستاذ محمد الفاسي يؤكد أن الآلة أصلها مغربي وليست أندلسية، ويسايره في هذا القول أحد المتخصصين الكبار في الموضوع، الحاج إدريس بنجلون، الذي يلاحظ أن تسمية الطرب الأندلسي لم يجر بها العمل إلا منذ وقت قريب في عهد الحماية، وأن أشياخ الفن في القرن الماضي وفي أوائل هذا القرن كانوا إذا تحدثوا عنها يسمونها الآلة. فما السبب في نعتها بالأندلسية، إذن؟ يجيب بأنه ربما كان من إيحاء الاستعمار الذي كان يحرص على التقليل من شأن التراث الثقافي المغربي للنيل من معنوية المغاربة، ولذلك أوعز بتسمية الآلة الطرب الأندلسي حتى لا يكون للمغاربة فضل في إيجادها ويعتبروا مجرد نقله ومقلدين. رأي لا يخلو من وجاهة، ولكنه ربما أغفل بعض الوقائع التي لابد من اعتبارها. فاقتصار المغاربة على استعمال كلمة الآلة لا يدل على أنهم لم يكونوا يعتبرونها من أصل أندلسي، سيما إذا علمنا المكانة الخاصة التي كانت تحظى بها كل الأشياء المنسوبة للأندلسيين من علوم وآداب وفنون وصناعات. فالصبغة الأندلسية ظلت عالقة بأذهان المغاربة منذ قرون توحي لهم بالإكبار والإعجاب. فلا بدع إذا كانوا يشعرون في أعماق نفوسهم بأن طرب الآلة من مصدر أندلسي.

هنالك واقع آخر له اعتباره وهو أن ذلك الطرب لم يزدهر إلا في الحواضر التي وجد بها الأندلسيون، مثل تطوان والشاون وطنجة وفاس والرباط وسلا. وإذا كان الأمر يتعلق بمجرد صدفة، فإنها ستكون، حقا، صدفة غريبة من نوعها. وأقرب إلى المنطق أن نستنتج بأن مجتمع تلك المدن الذي ضم طائفة مهمة من الأندلسيين احتفى بنوع من الموسيقى كانت تتجاوب مع ميوله وتروق في ذوقه. الشيء الذي يقودنا حتما إلى تأكيد الصلة بين تلك الموسيقى وبين الأندلس، فما هو نوع تلك الصلة ؟ ويمكننا أن نطرح السؤال بصيغة أخرى : ما هو الأندلسي في الموسيقى الأندلسية ؟ هل كلها أم بعضها ؟ هل شكلها العام دون مضمونها التفصيلي ؟ هل وصلتنا محفوظة كما

كانت في الأصل دون أن يطرأ عليها أي تغيير ؟

أسئلة كثيرة ومختلفة تطرح نفسها تلقائيا على الباحث في الموضوع. وفي محاولة الجواب عنها يمكن أن نهتدي ولو شيئا ما إلى الحقيقة. وأهم رواية تاريخية تربط بين الآلة المغربية والموسيقى الأندلسية هي التي ذكرها ابن خلدون في *المقدمة* إذ قال وهو يتحدث عن فن المطرب "زرياب"، "فأورث بالأندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه إلى أزمان الطوائف. وطما منها بإشبيلية بحر زاخر وتناقل منها بعد ذهاب غضارتها إلى بلاد العدوة بإفريقية والمغرب، وانقسم على أمصارها. وبها منها الآن صبابة على تراجع عمرانها وتناقص دولها".

كلام واضح ومفيد، نفهم منه، أولا، أن ما وصل منها إلى المغرب إنما وصل بعد ذهاب غضارتها، أي بعد ضياع أحسن ما فيها ؛ ونفهم منه ثانيا أن ما بقي رائجا منها بالمغرب هو مجرد صبابة أي شيء طفيف. وكل القرائن تدل، بالفعل، على أن الطرب الأندلسي جاء مع الوافدين من الأندلس على المغرب، وبالخصوص منذ عهد المرابطين، إذ تكونت منهم جالية كبيرة بسبتة وفاس ومراكش وسلا. وكان منهم ببلاط الدولة طائفة من الكتاب والأدباء من ذوي الجاه والنفوذ، وفي ضمنهم جماعة من أهل إشبيلية حاضرة العباديين التي اشتهرت بإقبالها على الموسيقى حتى قيل إن المطرب إذا مات بقرطبة بيعت آلته بإشبيلية، وكان ملكها المعتمد بن عباد نفسه من المقبلين على الطرب ومن العازفين على آلته في مجالسه الخاصة. وكان عدد من الأمراء المرابطين المستقرين بالأندلس قد أصبحوا من المولعين بالألحان الأندلسية كما تدل على ذلك العلاقة التي كانت بين ابن باجة مع ابن تيفلويت كوزير بسرقسطة ثم مع يحيى بن يوسف ابن تاشفين. ومن المعلوم أن ابن تومرت في حملته الدعائية على المرابطين اتهمهم بالتعاطي للهو والسماع بالخلاعة، مشيرا إلى المجالس والسهرات التي كانت تعقد ببيوت بعض الأمراء المرابطين وأعيان الأندلسيين.

لكن، هل وقع الاحتفاظ على تلاحين زرياب ومدرسته؟ لقد قيل إنه كان يحفظ عشرة آلاف لحن. وهو قدر يتجاوز المعقول، فالآلة كلها التي لا يحفظها إلا القليل لا تتجاوز ألف لحن إلا قليلا. وفي هذا العدد تدخل الألحان المكررة. فإذا نحينا ما في الرواية من مبالغة واعتبرنا أن زرياب كان من كبار الملحنين ورواة الألحان، نستنتج أنه بفضل مهارته ومدرسته، ترك وراءه تأثيرا في معاصريه وفي الأجيال اللاحقة، لكن هل بقيت ألحانه على صورتها الأصلية ؟ هذا ما نشك فيه شكا يقارب اليقين.

وحاصل ما نصل إليه من دراسة المرحلة الأولى من تاريخ فن الموسيقى بالأندلس، من عهد زرياب إلى القرن السادس، هو أنه من الصعب علينا جدا أن نؤكد وصول بعض الألحان من تلك الفترة سالمة دون تبديل أو تحريف في الرواية الأصلية. وكذلك بالنسبة للمرحلة الثانية في القرن السادس التي تقترن بنبوغ علمين كبيرين في الموسيقى الأندلسية هما : أمية بن أبي الصلت الذي اشتهر كطبيب وعالم وموسيقي. ويقال إنه استقر بإفريقية عشرين سنة استطاع أن ينشر فيها جملة كبيرة من ألحان الموسيقى الأندلسية ؛ وأبو بكر بن الصائغ المعروف باسم ابن باجة الفيلسوف الكبير المشهور الذي يهمنا أكثر لأنه أقام بفاس وزيراً ليحيى بن يوسف ابن تاشفين. ومن جملة المزايا التي نسبت إليه أنه كان في وقته أعظم أستاذ للموسيقى الأندلسية. وتكفينا في ذلك شهادة المؤرخ الموثق ابن سعيد إذ يقول عنه : "وإليه تنسب الألحان المطربة بالأندلس التي عليها الاعتماد". ولا يمكن أن يقيم طوال عشرين سنة بفاس دون أن يكون نشر شيئا من فنه. والشهرة التي ظلت تتمتع بها فاس كأعظم مركز للطرب الأندلسي ربما تعود إلى ذلك الوقت.

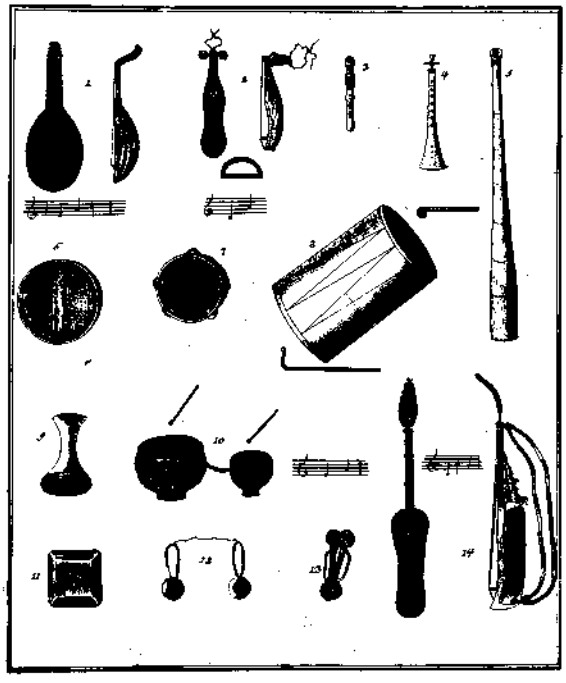

آلات موسيقية مغربية من القرن الثامن عشر

(عن كتاب Hörst)

النتيجة التي ننتهي إليها هي بكل إيجاز أن المرحلتين الأوليين في تاريخ الموسيقى الأندلسية، مرحلة زرياب في القرن الثالث ومرحلة ابن باجة في القرن السادس لم تبق لنا منهما ألحان مقطوع بصحتها. إلا أنه لا يمكن القول إنها ضاعت منا بالمرة ولم يبق منها أي شيء. بل إننا لا نشك أن الأساس الذي وضعه أولئك الموسيقيون الأولون في تشكيل الموسيقى العربية بالغرب الإسلامي وضبطها بأصول وقواعد ظل موجودا.

وهاتان المرحلتان الأوليان هما اللتان أتاحتا الانطلاقة الحقيقية للآلة التي نعتقد أنها نتاج مشترك بين المغاربة والأندلسيين، إذا اعتبرنا أن تلك الانطلاقة إنما جرت فيما بين القرنين السابع والثامن الهجريين. ودلائلنا على ذلك نلخصها فيما يلي :

1. أن معظم تواشيح الآلة وأزجالها ترجع لهاته الفترة التاريخية كما رأينا من قبل.

2. أن ازدهار الآلة ارتبط بظواهر دينية أهمها : انتشار حركة التصوف بالمغرب والأندلس. وهكذا نجده يقترن مع تعدد حلقات الذكر والترنم بالأشعار الصوفية وظهور حياة الزوايا. فتشير المصادر إلى وجود ألحان لابن عربي الحاتمي وأبي الحسن الشاذلي وابن سبعين. ويأتي أبو الحسن الششتري كتتويج لهاته السلسلة. فمن المعلوم أنه كانت تجتمع حوله حلقة تضم أربعمائة من الفقراء، على الأقل.

3. وفي نفس الوقت، أخذ الاحتفال بعيد المولد النبوي مظهرا فخما في الأندلس والمغرب بمشاركة الملوك والأمراء والأشراف والعلماء والوجهاء. فاتخذ مظاهر من الزينة والحفاوة دخل فيها الطرب بقسط وافر. ونظم البوصيري قصيدتيه المشهورتين *البُرْدَة والهمزية* في القرن السابع. فكان لهما ذيوع كبير بالمغرب وتبارى المنشدون في التغني بهما في المغرب، وما زال التقليد جاريا إلى اليوم.

4. التأثير الديني ظل مستمرا إلى عصر قريب منا. فقد رأينا كيف تم تحويل نوبة رمل الماية إلى المدح النبوي في القرن الثامن عشر. واحتضنت الآلة فيما بعد أشعارا لشعراء عاشوا بعد القرن العاشر الهجري مثل : العلمي، وابن زاكور، والحلبي، وبالأخص، الحراق الذي عاش في القرن الماضي والذي تنسب إليه عدة براويل مستعملة في الآلة. وأكثر هؤلاء الشعراء كانت تغلب عليهم نزعة دينية أو صوفية.

ويذكر ابن الدراج السبتي الذي كان يعيش في أواخر المائة السابعة للهجرة أن أكثر الغناء في عصره كان إما في المدح النبوي أو في التشوق إلى ديار الحج أو في موضوعات الوعظ والزهد، وهاته الشهادة الواردة في كتابه *الإمتاع* تؤكد أهمية التأثير الصوفي والديني على ألحان الآلة.

وتشير بعض الدراسات إلى تأثير الهجرات الأخيرة من الأندلس، وهي التي جاءت من غرناطة. لكن دون أن تكون حلقة الربط واضحة ومؤكدة. معنى كل هذا أن الآلة لم تلحن دفعة واحدة. بل هي ثمرة مجهود امتد على عدة قرون، واشترك فيه المغاربة والأندلسيون لما أصبحوا يعيشون جنبا إلى جنب في مدن متحضرة مثل سبتة وفاس وتطوان وسلا والرباط ومراكش والشاون وغيرها، مسترشدين ببعض النماذج والأصداء التي بقيت لهم من تراث الأساتذة الأولين، زرياب وأمية ابن أبي الصلت وابن باجة. وقد ضاعت عدة ألحان حتى من الفترة الأخيرة كما تدلنا على ذلك الأشعار المثبتة بديوان الحايك التي نسي المطربون ألحانها، ونحن نفترض أن أروع الألحان وأطرفها وأرفعها طبقة من حيث السبك والتركيب هي التي ضاعت لأن الرواة لم يكونوا قادرين على تسجيلها في ذاكرتهم.

الأصفهاني، *الأغاني* ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة* ؛ ل. ابن الخطيب، *جيش التوشيح*، تونس، 1967 ؛ التيفاشي، *متعة الأسماع*، (أبحاث) بيروت، 1958 ؛ ابن الدراج، *الامتاع والانتفاع*، د.ت. ابن سناء الملك، *دار الطراز*، دمشق، 1949 ؛ ع. الونشريسي، *في الطبائع والطبوع، مقدمة الحايك* ؛ أ. المقري، *نفح الطيب* ؛ م. العلمي، *الأنيس المطرب، مجموعة الحايك*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *زهرة الأفنان*، فاس، 1894 ؛ إ. التادلي، *أغاني السبقا*، مخطوط ؛ ح. ح. عبد الوهاب، *ورقات عن الحضارة*، تونس، 1972 ؛ إ. بن جلون التويمي، *التراث العربي المغربي في الموسيقى*؛ إ. عباس، *تاريخ الأدب الأندلسي*، بيروت ، 1960 ؛ ي. الشامي، *نوبات الآلة المغربية*، الدار البيضاء، 1984 ؛ *المهرجان الأول للطرب الغرناطي*، السعيدية، 1980 ؛ ع. ابن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، الكويت، 1983 ؛ م. المنوني، *تاريخ الموسيقى الأندلسية في المغرب*، مجلة التراث الشعبي، ع. 6 ؛ م. زنبير، *الآلة بين المظهر التراثي والفن المستقبلي*، عرض ألقي في مهرجان فاس 1982.

H. G. Farmer, *History of Arabian Music*, London 1929 ; D'Erlanger, *La Musique arabe*, Paris, 1930 - 1959 ; A. Chottin *Tableau de la Musique marocaine*, 1938 ; *Corpus de la Musique marocaine*, Paris, fasc. 1 ; M. Guettat, *La Musique classique du Maghreb*, Sindbad, 1980 ; S. Jarcy, *la Musique arabe*, Paris, P. U. F. 1977 ; T. Hassan, *La Musique arabe, Les traditions musicales*, Paris, 1977 et Buchet / Chastel.

محمد زنبير

ابن **آوى**، أو **الذيب**، وبالأمازيغية أُوشَّنْ، وُوشَّنْ، من الثدييات اللاحمة المنتمية إلى رتبة البرثنيات وفصيلة الضواري. ويسمى علميا Canis aureus الذي يطلق عليه إجمالا اسم الذيب في شمال إفريقيا.

يرجع نعته بالذهبي إلى اللون الأصفر الرمادي لأطراف شعره، شكله وسط بين الكلب والثعلب. طوله 85 إلى 105 سم، علوه عند الغارب 40 سم ووزنه 9 ـ 15 كلغ، خطمه مدبب بعض الشيء، وأذناه كبيرتان نسبيا ومتجانستا اللون. يكسو ذيله شعر كث يكاد يلامس الأرض. لون ذيله موافق للباقي إلا في طرفه حيث يصير أسمر مسودا أو مشاعا محمرة. قوائمه فاتحة نسبيا تختلف ما بين الأصهب والأصفر.

صيغة أسنانه كالتالي : قوارض 3/3، أنياب 1/1، أضراس أمامية 4/4، أضراس 2/3 = 42 سنا. كل أسنانه مفصولة عن بعضها بفلجات واضحة. آخر أضراسه الأمامية في الفك الأعلى وأولى أضراسه في الفك الأسفل قوية جدا، أطرافها القاطعة أعلى من مثيلاتها في الأسنان الأخرى، وهي أوصاف تتوفر للطواحن عند الحيوانات الضارية.

يقتات ابن آوى بالجيفة على الخصوص، كما يترصد الحيوانات الصغيرة كالأرانب والحجل والقواضم عامة والحشرات. ومعروف أنه يباغت أقنان الدجاج في غياب كلاب الحراسة، وهو لا يتبرم من الفواكه كالتمر والتين وثمار القطلب والعنب والبطيخ الأحمر.

يختبئ ابن آوى أثناء النهار في الكهوف والآجام، لا يغادرها إلا في الغسق أو الليل بحثا عن غذائه. تضع الإناث في أواخر الربيع بعد حَمْل يدوم تسعة أسابيع. ينتج

البطن ما بين 3 و8 صغار في المرة الواحدة، يستطيع المولود بسرعة أن ينضم إلى أفواج الكبار وأن يشاركها في البحث عن الأكل.

ابن آوى

يعتبر الفرد بالغا منذ سنته الثانية ويعمر قرابة عشر سنين. يعيش منفردا أو مزدوجا أو داخل مجموعات صغيرة. لا يجرؤ على مهاجمة الإنسان بل العكس هو الصحيح يقترب في بعض الحالات من المنشآت البشرية التي يخشى أن يحمل إليها داء السعر. وهو في الواقع لا يرفض التدجين إذا ما جلب صغيراً. بل ويألف صاحبه شأنه في ذلك شأن الكلاب. لكن الذي يقف في وجه هذه العملية هو عدم رغبة الإنسان فيه لأسباب منها عواؤه المتردد والطويل الذي يصعب تحمله وكذلك رائحته الكريهة.

ابن آوى شائع على مدى التراب المغربي وفي مختلف الأوساط. ترتفع كثافته في المناطق الغابوية والجبلية وتقل في الصحراء. لقد قتل منه في المغرب ما بين 1959 و1971 ثلاثون ألف فرد. من المجالات الأخرى التي يعيش بها، بالإضافة إلى القارة الإفريقية، جنوب أوروبا وآسيا إلى حدود الهند.

ينعت سكان شمال إفريقيا ابن آوى أو الذئب بالاحتيال والمكر وهي الصفات التي يخصصها الأوروبيون للثعلب عندهم.

J. Dorst et P. Dandelot (1973), *Guide des grands mammifères d'Afrique*, Paris ; J. B. Panouse (1957), *Les mammifères du Maroc*. Trav. Inst. ; V. Monteil, *Du Sanglier au Phacochère. Catalogue des animaux connus des Tekna des Rguibat et des Maures*, Paris ; F. Malher (1970), *Les noms de mammifères en Algérie*, Inst. de Biologie, Univ. Scien. et Tech., *Houari Boumedienne*. Rapport inédit.

محمد رمضاني

أبَادُو، لفظ أمازيغي، فلاحي تقني يطلق على الجدار الترابي المنخفض الذي يُكَوِّن متوازيان منه قناةَ السقي، أو تحد به الأحواض المزروعة أو المغروسة، ويطلق عليه في اللسان المغربي الدارج لفظ "الناكر". وتطلق أبادو على الأماكن التي تشبه تضاريسها شكل الجدار المذكور، ومنها على سبيل المثال قرية بالثلث التحتاني بإقليم الرشيدية، وأخرى بأيت غريس بإقليم الصويرة، وأخرى بأيت سورن بإقليم أزيلال، ورابعة بإيغي باگلاوة الشمالية بإقليم مراكش، ويوجد فج أبادو، أو "تيزي نوبادو" بناحية دمنات.

وأخيرا قرية أبادو، بقبيلة غجدامة، أكبر القرى الآنفة الذكر مساحة، وأوفرها عددا من حيث السكان. تقع هذه القرية على بعد حوالي 100 كلم شرقي مدينة مراكش، وعلى مسافة 12 كلم غرب سد مولاي يوسف بأيت عادل. واستنادا إلى بعض الروايات الشفوية فإنها أقدم قرية بقبيلة غجدامة التي ذكرها غير واحد من المؤرخين الذين تعرضوا لهسكورة، القبيل الأم، واللغة المتداولة عند سكانها تاشلحيت من الأمازيغية.

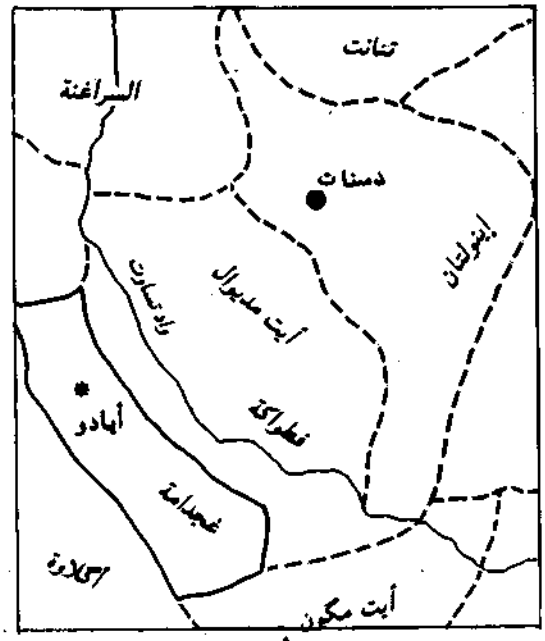

* أبادو

تعتبر قرية أبادو المركز الإداري والاقتصادي لقبيلة غجدامة، ولهذا فالجماعة المحلية للقبيلة تحمل نفس اسم أبادو، ويبلغ عدد سكان أبادو، حاليا 1673 نسمة، يتوزعون على 193 عائلة.

اعتمد اقتصاد هذه القرية قديما، وإلى حدود الستينات، على الموارد الفلاحية الأساسية، من زراعة الحبوب (القمح، والشعير، والذرة، والقطاني، إلى جانب أشجار الزيتون وبعض الكروم)، إضافة إلى تربية المواشي (غنم، ماعز، بقر). وذلك نظرا لموقعها بمنطقة الدير، بين قمم جبال الأطلس الكبير، وسهول الحوز الفسيحة، على مقربة من وادي تاساوت، وعلى ضفاف واد لاَغْ.

وقد تعززت هذه الموارد الأساسية بموارد جديدة، تتمثل في المساعدات النقدية التي يصل بها العمال المهاجرين من أبنائها أسرهم، سواء من هاجر منهم إلى الخارج، أو من التحقوا بالمراكز الاقتصادية ببعض المدن المغربية، كالدار البيضاء والرباط، ومراكش. ويبلغ عدد هؤلاء المهاجرين 193 فردا، وهو نفس عدد العائلات المكونة لقرية أبادو، أي بمعدل شخص واحد لكل عائلة.

A. Amahan, *Peuplement et vie quotidienne dans un village du Haut Atlas marocain : Abadou des Ghoujdama*, Paris, 1983.

أباشْكُو، كلمة أمازيغية تختلف معانيها وتتباين باختلاف صيغ الاستعمالات، فقبائل الأطلس الصغير تستعمل لفظ أباشكو للدلالة على مجموعة من الأواني

المنزلية المصنوعة من الطين، أو القصب، أو النحاس أو غير ذلك. وكلمة "أباشكو" تتفرع عن نفس اللفظ نتيجة عملية تبادل méthatèse وهي تعني غطاء مخروطي الشكل، كالذي يزين رأس العروس الأمازيغية، وتطلق كذلك على قمم الجبال والتلال ذات الشكل المخروطي، وتسمى بأباشكو قرية بأيت بوولي بناحية دمنات في إقليم أزيلال، يبلغ تعداد سكانها حوالي 300 نسمة ويرتكز اقتصادها على الزراعة وتربية المواشي. ويوجد بمدينة الدار البيضاء حي يسمى "باشكو"، من المحتمل جدا أن تكون تسميته هذه صيغة معربة لكلمة "أباشكو" الأمازيغية، وقد كان هذا الحي إلى مطلع القرن الحالي، قرية من قرى فخذة أولاد حدو من الشاوية الشمالية.

معلومات خاصة وبحث ميداني.

علي أمهان

الإبَـاضيَّـة، فرقة من الخوارج الذين انقسموا إلى أكثر من 20 فِرقة. والخوارج هم الفئة التي خرجت عن علي بعد مسألة التحكيم واعتبرت مرتكب الكبيرة كافرا، كما لم تشترط القرشية في الإمام، فالإمامة من حق أي مسلم "ولو كان عبدا حبشيا" بعد أن تتوفر فيه شروط الإمامة المعروفة : العلم بالكتاب والسنة والعدل ...

ويمكن القول إن هذين المبدأين هما الأصلان اللذان تلتقي فيهما كل فرق الخوارج، بينما تختلف في الفروع. ومن أبرز فرقهم : الأزراقة والنجدات والصفرية والإباضية. ويسمى هؤلاء الأخيرون كذلك نسبة إلى عبد الله بن إباض زعيمهم، الذي تميزت مواقفه، بالمقارنة مع الفرق الأخرى، بالاعتدال، فهو لا يحرم التزاوج والميراث مع المخالفين للخوارج، كما لا يستبيح قتل غير الخوارج من المسلمين، عكس الأزارقة، هذا فضلا عن علاقات المودة والمهادنة التي ربطته بالأمويين ممثلين في عبد الملك بن مروان الخليفة (26 ـ 86 هـ) والحجاج بن يوسف الثقفي واليهم على العراق (40 ـ 95 هـ) والذي سيعرض على خلف عبد الله بن إباض، وهو جابر بن زيد، منصب القضاء، لما عرف به هذا الأخير من علم وتقوى ودراية بأصول وفروع المذهب. فقد حمل لواء الدعوة بعد عبد الله بن إباض إلى أن توفي سنة 93، ثم تلاه على زعامة المذهب مسلم بن أبي كريمة التميمي الملقب بأبي عبيدة الذي سيتعرض لاضطهاد الحجاج بن يوسف الثقفي. وبعد وفاة أبي عبيدة سنة 145 هـ، كان نشاط المذهب الإباضي يعم جل أطراف العالم الإسلامي التي بعث إليها بعثات من حملته ! ومن بين هاته الأطراف، المغرب.

أول من أدخل المذهب الخارجي إلى المغرب، حسب كتاب *سير الأئمة وأخبارهم* المعروف *بتاريخ أبي زكريا*، سلامة بن سعد وعكرمة بن عبد الله (الذي يعزى إليه نشر المذهب الصفري). والمقصود بالمغرب هنا إفريقية أو ما نسميه اليوم شمال إفريقية، بدليل أن سلامة كوّن جماعة من الإباضيين سيتزعمها شخص يسمى عبد الله بن مسعود التجيبي الذي قتله عامل طرابلس. ثم سيتزعمها عبد الجبار بن قيس المرادي الذي سيقتتل مع إباضي آخر هو الحارث الحضرمي، وسيموتان معا سنة 131 هـ، وتلاهم على كرسي الزعامة، إسماعيل النفوسي الذي سيقتله عبد الرحمان بن حبيب، عامل العباسيين على القيروان.

والجدير بالملاحظة أن هؤلاء الزعماء الذين تعاقبوا على رآسة الإباضية كانوا يحظون بدعم قبائل هوارة، ثم قبائل زناتة فيما بعد. وحسب ابن سلام الإباضي، تلت هاته المرحلة، مرحلة جديدة ستتوج بقيام الدولة الرستمية، إذ مع مجيء عبد الرحمان بن رستم، سيتم الاستيلاء على طرابلس، ثم القيروان سنة 141 هـ ، واتجهت قواته وقوات أبي الخطاب إلى المغرب الأوسط، لكن قوات العباسيين كبدتهم هزيمة في شرق طرابلس، وقتل إثرها أبو الخطاب، فتولى الأمر ابن رستم الذي فرّ مع اتباعه جنوبا في اتجاه الجريد ثم تاهرت حيث أسس الدولة الرستمية، سنة 161 هـ، وقد شمل سلطانها من طرابلس شرقا حتى تلمسان غربا.

الجدير بالملاحظة كذلك أن أحوال المغرب، المتمثلة في سوء معاملة عمال الأمويين للبربر وإرهاقهم بالجبايات واعتبارهم بلادهم بلاد حرب رغم أنهم اعتنقوا الإسلام، ساعدت على أن تحظى مبادئ الخوارج بالانتشار، نظرا لحرمان البربر من المساواة مع العنصر العربي الحاكم.

وقد ظهرت فرقتان فقط من فرق الخوارج في أحداث بلاد المغرب وهما فرقة الصفرية، وفرقة الإباضية. وهما فرقتان معتدلتان لا تكفران القعدة عن القتال ولا تقولان بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم كالأزارقة، وتجيزان التقية في القول، أي ألا يظهر الخارجي خارجيته اتقاء شر خصومه. والفرق بينهما أن الصفرية تكفر مرتكب الكبيرة تكفيرا مطلقا، أما الإباضية فترى أنه موحد، لكنه كافر كُفرَ نعمة وليس كفر اعتقاد. وقد انتشرت الدعوة الصفرية بالمغرب الأقصى أكثر من انتشار الدعوة الإباضية التي لم تتجاوز المغرب الشرقي.

وإذا كان قد كتب للصفرية أن تنتشر بالمغرب الأقصى بين بربر مطغرة ومكناسة وبرغواطة بعد حركة ميسرة السقاء، إذ كانت أفكارها تغلغلت في سائر أرجاء المغرب وجنوبي الصحراء عن طريق القوافل التجارية الرابطة بين المغرب والسودان عبر واحة تافيلالت التي هي مركز الدولة الصفرية المؤسسة سنة 140 هجرية بسجلماسة، فإن المذهب الإباضي انتشر أكثر في بلاد المغرب الأدنى والأوسط خاصة في قبائل نفوسة وهوارة، ولم يكد يتعدى المغرب الأقصى الشرقي. ويذهب ابن أبي زرع في *القرطاس* إلى أن العديد من القبائل التي بايعت إدريس الأول كانت على مذهب الإباضية مثل زناتة وزواغة ولماية وسدراتة ونفزة، وأن بعضها ظلت على أفكارها بعد مبايعته، فكان عليه وعلى الخلفاء الأدارسة من بعده أن يحاربوا الرستميين لضمان تبعية تلك البطون للدولة الإدريسية، فقد استطاع الأدارسة أن يستولوا على تلمسان ويخضعوا قبائل مغراوة وبني يفرن، سنة 173 هـ ، واستمرت عملية إغارة الأدارسة

على أراض تابعة للرستميين واقتطاعها إلى حد أن بعض المصادر تذهب إلى أن الأدارسة اقتطعوا الجزء الشمالي للمغرب الأوسط إلى أن لامسوا الدولة الأغلبية. وسواء صح هذا الخبر أم لم يصح، فإن ما هو أكيد أن المناطق التي كان ينتشر بها المذهب الإباضي بالمغرب لم تكن مناطق قارة تخضع خضوعا رسميا وقارا للدولة المغربية.

ابن سلام الإباضي، *كتاب ابن سلام الإباضي*، تحقيق شفارتز وسالم بن يعقوب، بيروت، 1985 ؛ أبو زكريا يحيى ابن أبي بكر، *كتاب سير الأئمة وأخبارهم*، تحقيق إسماعيل العربي، بيروت، 1982 ؛ أ. الدرجيني، *طبقات الدرجيني*، تحقيق إبراهيم طلاي، قسنطينة 1974، جزآن ؛ أ. الشماخي، *سير الشماخي*، ط. حجرية، القاهرة، 1883 ؛ م. إسماعيل، *الخوارج في بلاد المغرب*، الدار البيضاء، 1976.

T. Lewicki, *Etudes Nord - Africaines*, Varsovie, 1955.

سالم يفوت

الأبّـار، أسرة أندلسية عريقة أنجبت علماء وأدباء في مختلف العصور، وانتقل أفراد منها إلى العدوة المغربية في أوقات مختلفة، فاستقر بعضهم بفاس، وآخرون بتطوان أو بغيرها من المدن. منهم :

الأبّـار، أحمد بن محمد بن موسى الأندلسي الفاسي، المدعو حمدون اللّبار ولد بفاس عام 1001 / 1592 ، واشتغل في شبابه بالتجارة على عادة أهل بيته الموسرين، ثم شغف بالعلم فتتلمذ لكبراء شيوخ الحاضرة الإدريسية كالحافظ أحمد بن يوسف الفاسي، ومحمد الجنان، وعبد الواحد ابن عاشر.

كان أحمد الأبار مشاركاً في مختلف العلوم اللغوية والشرعية والعقلية، واشتغل دهراً طويلاً بالتدريس في فاس والزاوية الدلائية، وانتصب للإفتاء، والإمامة بجامع الأندلس، وألف عدة كتب ما زالت محفوظة مخطوطة، منها : *التقاط الدر الجليل* من منثور مختصر خليل، *وكشف الرواق* عن صرف الجامعة إلى الأوراق. وفتاوى مجموعة.

توفي بفاس في 13 جمادى الأولى عام 1071 / 14 يناير 1661.

م. الفاسي، *الإعلام بمن غبر*، مخطوط ؛ م. القادري، *التقاط الدرر* ؛ نشر، ج. 2 ؛ أ. العياشي، *فهرس*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 330.

Brock, S.II : 961 ; L. Provençal, *Les Historiens*, 263, n° 1.

محمد حجي

الأبّـار، محمد بن الحسن الفاسي. من أسرة عالمة بمدينة فاس درس على عدد من علماء المدينة منهم قريبه أبو العباس حمدون الأبار، ومحمد ميارة، وعبد القادر الفاسي وابنه محمد. برع في ميداني علم الفرائض والحساب. من تآليفه : *شرح فرائض الشيخ خليل*. واحترف خطة العدالة وتلقي الشهادة. توفي عام 1113/ 1701 . 1702. ودفن بباب سيدي بوجيدة بمدينة فاس.

م. القادري، *نشر المثاني*، 3 : 133-135 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 3 : 96.

ابن **الأبّـار، محمد بن محمد**، فقيه مفت أديب، ينتمي إلى أسرة تطوانية أصلها أندلسي. ولد بتطوان في شهر ربيع الأول 1274 / نوفمبر 1857، وبعد أن أخذ العلم عن مشايخ مسقط رأسه توجه إلى القرويين بفاس. وعند عودته إلى تطوان اشتغل بالتدريس والفتوى، وتعاطي خطة العدالة مع الإمامة والخطبة بجامع القصبة ثم بالزاوية الريسونية.

وقد عمل بديوانة تطوان ومليلة والدار البيضاء والرباط وطنجة، كما زاول خطة الحسبة بتطوان. ومن تلامذته العديدين العالم الفقيه أحمد الرهوني الذي كان قاضي القضاة بشمال المغرب في عهد الحماية عدة سنوات.

توفي بتطوان يوم 6 ذي القعدة 1338 / 22 يوليوز 1920. ودفن بالزاوية الحراقية.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 6 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 356 ؛ ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español*, 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

أبَخْزِرْ، أبراهام بن موشي، الحبر المولود بتافيلالت عام 1866. ذهب عام 1871، مع أسرته إلى بيت المقدس. وأقام حوالي 1892 بالإسكندرية، حيث عين كاتبا موثقا للجماعة. وأدار بتلك المدينة مدرسة ربّية ونشر كتابا حول التعليم العبري حاعبْري، وعين عام 1908 حبرا أعظم بمدينة الإسكندرية، وعاد عام 1929 إلى بيت المقدس، حيث عين رئيس الجماعة المغربية "للمَعَارِبين".

أبَخْزِرْ، موشي، كان حبراً بتافيلالت في القرن 18. 19 (في بغريس) وتوجد أحكامه القضائية في الصفرية ليعقوب (بنايم، مالكاريّانان).

أ. لاريدو، *أسماء يهود المغرب*، ص. 207.

شمعون ليفي

أبراج القلعة، ثغر وموقع استراتيجي هام، يقع بساحل قبيلة بني بوفرح، قريبا من جزيرة بادس. ويتناول الحديث هنا أمرين : القلعة كدَسْكَرة، والأبراج كحصن حصين.

فالقلعة : قرية قديمة ـ جديدة، اتخذها المواطنون ـ على مرّ الزمن ـ مربضاً للعسس، وميناءً يُؤوي سفن الصيد وقواربه، مع الصيادين والملاحين الذين يوفرون لأولادهم موردا للرزق والغذاء، ولبلادهم مصدرا طيبا للدخل.

تقع القلعة (القديمة) على الناحية اليسرى لمصبّ نهر بني بوفرح. وفي أيام الحماية البائدة. عملت يد الترميم والإصلاح والتشييد، فنشأت قلعة أخرى حديثة على الجهة اليمنى للنهر قُبيل المصبّ. وهكذا ازدادت رحاب القلعة اتساعا، وتعددت مرافقها الاجتماعية، وازدهرت حركتها

التجارية، إذ كانت دكاكينها تعجّ بمختلف السلع التي تزوّدها بها سفن تجارية، ترسو - تباعا - بميناتها الاصطناعي، كما كانت سفن الصيد تغذي الأسواق القريبة والبعيدة بأسماك تنافس بها تلك التي يلفظُها ميناء الحسيمة عاصمة الإقليم.

في أوائل الأربعينات من القرن العشرين غَزُرت الأمطار، وحملت الأنهار فحدث فيضان تضرّرت منه المساكن والحوانيت والسكان، وبدأت الهجرة وفرّت رؤوس الأموال إلى الحسيمة خاصة، الأمر الذي سبّب للقلعة نكسة اقتصادية. لكن الفيضان لم يتكرر - لحسن الحظ - فاطمأنت النفوس، واستعادت البلدة بعض نشاطها.

أما الأبراج، فتقع بسرة المصبّ، على قمة تل صخري مدبّب عالٍ مشرف على البحر المتوسط، لا يفصله عن أمواجه المتلاطمة أي حاجز، مما يحول دون تسلّق التلّ من ناحية البحر (الشمالية)، ويجعل الصعود إليه مقصورا على الجهة الخلفية (الجنوبية)، حيث الارتفاع تدريجي، والطريق معبّدٌ موصِّلٌ للأبراج.

في الحرب الأهلية الإسبانية (36-1939) أعلنت الأبراج منطقة حربية، فكان الجنود يحرسونها ليل نهار. لكنّ انتهاء تلك الحرب وضَعَ نهايةً للحراسة الرسمية، فصار في الإمكان الصعود إلى الأبراج للتمتع بالمناظر الطبيعية، وأصبح في استطاعة روّاد مصيف (يلّيش) القريب، أن يزوروا أبراج القلعة عندما يتسوّقون من المدينة الصغيرة.

عدد الأبراج - في الواقع - خمسة لكنها تبدو من البحر أربعة فقط. وهذا كان السبب في التسمية الخاطئة التي لا نزال نقرأها في بعض الأطالس الجغرافية الإسبانية : (Cuatro Torres) فالصواب، والواجب العلمي يقتضيان أن نحذف العدد أربعة (Cuatro) لتبقى التسمية صحيحة سليمة.

معلومات شخصية وبحث ميداني.

عبد الله العمراني

ابن **إبراهيم**، أسر متعددة في مختلف مدن المغرب، وأشهرها في كتب التراجم فرقتان :

أ - بنو **إبراهيم الأندلسيون**، هاجروا إلى المغرب في تاريخ غير محدد، وربما كان بعد عملية الطرد النهائي من شبه الجزيرة الإيبيرية أوائل القرن الحادي عشر /17، لأن المترجمين منهم متأخرون. وقد استقرت فرقة منهم بفاس، وأخرى بتطوان أو بالعدوتين سلا والرباط، وعرفت فرقة من آل ابن إبراهيم الرباطيين بلقب (بيّزار)، كما أن من آل ابن إبراهيم التطوانيين فرقة من قبائل جبالة تعرف بأولاد الهواري اشتغلوا بالجندية خلال القرن التاسع عشر.

ب - بنو **إبراهيم المشنزائيون** الدكاليون، من قبائل مصمودة السهل المستقرة منذ القدم بالمنطقة الشمالية الغربية الموالية للساحل من بلاد دكالة أو ما يعرف اليوم بمنطقة سيدي بنور. انتقل آل ابن إبراهيم المشنزائيون إلى فاس في فترتين، وبذلك كانوا فيها فرقتين، الأولى قديمة يرجع تاريخ استقرارها بفاس إلى القرن السابع / 13 أو قبله، ويقول عنهم ابن القاضي في *الجذوة* إنهم من أهل فاس ؛ والثانية حديثة، خرج جدهم العلامة إبراهيم بن موسى المشنزائي وهو قاصد الحج، في أواخر القرن التاسع / 15، فاستقر بفاس هو وأولاده الأربعة، وربما كان لهجرة إبراهيم وبنيه علاقة بحادث تدخل البرتغاليين في بلاد دكالة بتواطؤ مع بعض الرؤساء المتنافسين على الحكم بعد أن تخلصوا من حكم الهنتاتيين أصحاب مراكش. وقد وقع تحريف في نسب هؤلاء الإبراهيميين ونسبتهم مع تعاقب الأجيال، إذ زعم بعضهم أنهم عرب، في حين أنهم من صريح بربر مصمودة، واختلطت نقطتا النون والزاي في مشنزاية عند النساخ فوضعوهما معاً فوق النون التي أصبحت تاء وقرئت مشتراية - براء مهملة - . وانفرد عبد الحفيظ الفاسي - فيما وقفت عليه - بإضافة فرقة ثالثة من آل ابن إبراهيم، قال إنهم بلديون أسلم أباؤهم بفاس.

أ. ابن إبراهيم الدكالي، *سلسلة الذهب المنقود في ذكر بعض أعلام الأسلاف والجدود*، مخطوط ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 149؛ ع. الفاسي، *الأقنوم*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة* ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية* ؛ ع. الفاسي، *رياض الجنة* ؛ ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، ج. 3 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ج. 8 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*، مخطوط ؛ م. ابن الحاج، *إتحاف ذوي العلم والرسوخ* 116.

محمد حجي

إبراهيم بن إسماعيل بن الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي الذي كانت له منزلة خاصة في الدولة الموحدية منذ نشأتها، والذي كان لأسرته من بعده نفوذ كبير جعلها تتقلد كثيرا من المسؤوليات السياسية والعسكرية. ولسنا نعرف شيئا عن نشأة إبراهيم بن إسماعيل، وكل ما نعرفه أنه كان من جملة أبناء الأسرة الذين كانوا في دائرة أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي الذي كان الناصر الموحدي قد عينه على إفريقية عام 603 / 1207 وفوض إليه كل السلطات فيها حتى "يسد فيها مسدّ الخلافة ويقيم بها سوق الملك" حسب تعبير ابن خلدون.

ولا شك أن الشيخ أبا محمد كان في حاجة إلى معاضدة ذويه ليقوم بأعباء الوظيفة المسندة إليه. كما أن أنظار الهنتاتيين كانت متجهة إليه، وهذا ما يفسر وجود ابن أخيه إبراهيم إلى جنبه في إفريقية، والظاهر أنه كان شابا طموحا له مكانة ونفوذ بين الموحدين الموجودين في دائرة عمه. وهذا ما ظهر أثره عند وفاة أبي محمد سنة 618. فقد اختلف الموحدون فيما بينهم أثناء الشورى فيمن يولونه مكانه، فرشّح فريق أبا زيد عبد الرحمان بن أبي محمد، بينما رشح فريق آخر إبراهيم ابن إسماعيل. فترددوا مليا، ثم اتفقوا على الأمير أبي زيد عبد الرحمان ابنه، وأعطوه صفقة أيمانهم. وأقعدوه بمجلس أبيه في الإمارة (ابن خلدون).

لكن إبراهيم لم يتنازل إلا ظاهريا، وظل ينتظر الفرصة التي جاءت بعد ثلاثة أشهر من ولاية عبد الرحمان ابن عمه. فقد تلقى هذا الأخير كتابا من المستنصر الموحدي يعزله من منصبه، فانصاع للأمر وعاد مع إخوانه إلى مراكش. فما الذي كان السبب في عزله ؟ هل هي وشاية أو دسيسة من منافسه إبراهيم ؟ أم هنالك سبب آخر ؟ ليس من الممكن الجزم بالجواب. وكل ما يمكن ملاحظته أن هذا العزل كان في صالح إبراهيم الذي بقي بتونس.

على أن هنالك سببا وجيها وهو أن الخليفة يحيى المستنصر أراد أن يسترضي عم أبيه إدريس بن يوسف بن عبد المومن الذي عزل من ولايته على إشبيلية، فعيّنه واليا على إفريقية، وأسند النيابة عنه لإبراهيم بن إسماعيل. فاغتنم هذا الأخير الفرصة للانتقام من أبناء عمه. ولكن سرعان ما وصل الوالي المعين إدريس بن يوسف الذي بطش بأبناء أبي محمد وصادر أموالهم.

ولعل إبراهيم لم يطب له المقام بعد ذلك بإفريقية فعاد إلى المغرب، وأظهر الخليفة العادل، أثناء عهده القصير، ميلا إلى الأسرة الحفصية حيث عيّن أبا زيد بن أبي محمد بن أبي حفص وزيرا له. كما قرّب إليه إبراهيم بن إسماعيل. وهو الذي أسند إليه قيادة جيش لقمع تمرّد هسكورة والخُلط، إلا أن إبراهيم انهزم وقتل في تلك المعركة سنة 624 / 1227.

ابن عذارى، البيان المغرب ؛ ابن خلدون، العبر ؛ ابن قنفذ، الفارسية؛ ابن أبي دينار، المؤنس.

محمد زنيبر

ابن **إبراهيم بُيزار، أحمد** بن محمد الرباطي. تاريخ ولادته غير معروف عاش في أواخر القرن الثالث عشر والثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجريين. ونشأ بالرباط ودرس العلم على جل المشايخ الكبار، أمثال إبراهيم التادلي، وأبي حامد البطاوري، والمهدي متجينوش، ومحمد بربيش وغيرهم. ثم رحل إلى فاس ومكث بها مدة في طلب العلم آخذا عن محمد بن قاسم القادري والقاضي عبد السلام الهواري وغيرهما، ثم رجع إلى الرباط فأتم دراسته على الشيخ البطاوري المذكور وهو عمدته وسنده.

تصدر للتدريس، فأخذ عنه كثير من الطلبة، وهو أحد مشايخ المؤرخ محمد بوجندار. كان يقرئ *الأجرومية والمرشد وفرائض المختصر والألفية والرسالة والتحفة ولامية الزقاق* . وكان تلميذه بوجندار القارئ بين يديه . قال عنه محمد بن علي دينية "كان لا يحتاج في تدريسه إلى مطالعة، ولا إلى توقف أو مراجعة، وقد ختم *فرائض المختصر* إقراء بشرح العلامة الخرشي ما يقرب من عشرين مرة، وكذلك ختم *الزقاقية* مرات عديدة، *والتحفة* مرتين، وانتفع به جم غفير وعدد من الطلبة" (*الانبساط* ص. 314).

وألف تأليف كثيرة منها شرح على لامية الزقاق سماه *تلخيص الحذاق* وقد طبع في أوائل الحماية، وكان بوجندار قد قرظه في جملة من قرظه من علماء الرباط وسلا وغيرهم، ثم *حاشية مطولة على الزقاق* في عدة أجزاء، اختصرها في جزء واحد، وله *تأليف في علم الفرائض*، وختم *على التحفة*، وآخر على *الزقاقية* وثالث على *الأجرومية*، ورابع على *فرائض المختصر وتقييد نفيس* فيما يتعلق باسم زيد بن ثابت من الفرائض،طبع سنة 1320 / 1902، إلى غير هذا من التقاييد والطرر والكتابات بالهوامش سيما على المتون الفقهية وشروحها.

ولكثرة شغفه بالفقهاء كان يلقب بعض أولاده الذكور بالزقاق وبالتاودي وخليل، وبعض الإناث بالتحفة وهكذا. وقد تصدر للشهادة والفتوى مدة طويلة في بداية قضاء الشيخ المكي البطاوري، ثم تولى قضاء العرائش عام 1326 / 1908، وبعد ذلك عينه المخزن قاضيا بأسفي وبقبيلتي عبدة وأحمر في شعبان 1330 / يوليوز ـ غشت 1911 ـ دام بها نحو السنة ثم عزل ورجع إلى الرباط.

وقد وصفه البعض بالتشوف إلى الولاية والشغف بها، فقال عنه محمد الكانوني في جواهر الكمال (2 : 107-108): "ولولا تهافته على الولاية وقبض الرشوة تهافتا خارجا عن الحد لكان مثال النبوغ والذكاء، ولكنه تكدرت حالته بسوء سيرته ومجاهرته بقبض الرشوة من الخصوم".

توفي بين العشائين من يوم السبت 25 ذي القعدة 1334 / 23 شتنبر 1916 وعمره نحو الأربعين، ودفن بضريح مولاي المكي بالرباط.

ع.الجراري، من أعلام الفكر ج. 2 ؛ م. دينية، مجالس الانبساط ؛ م. بوجندار، الاغتباط.

ابن **إبراهيم بُيزار، عبدالسلام** بن محمد الرباطي، من فقهاء الرباط المدرسين، والعدول الموثقين المشهورين. أخذ عن والده الفقه فبرع فيه واشتغل بتدريسه، وألف شرحا *كبيرا على لامية الزقاق* قدمه للسلطان المولى الحسن فوصله عليه. وبعد وفاة والده رحل عبد السلام إلى فاس ومثل بين يدي السلطان برسم أداء مراسيم التعزية، وكان المخزن عزم على تقليده خطة القضاء في موضع والده، فحالت بعض الموانع بينه وبين هذه البغية بإغراء من بعض أهل الدائرة المخزنية، فعوضه عن ذلك بالخدمة في بعض المراسي، فاستخدم عدلا بمرسى العرائش وظل في وظيفة العدالة مدة استطاع فيها أن يثري ثراء جعله في أرغد عيش، ولم يزل على هذه الحالة إلى أن توفي في 17 ربيع الأول 1324 / 13 مايو 1906 ودفن بزاوية سيدي علي بن عبد الرحمان (الزاوية الرحمانية) بالرباط.

ع. الجراري، من أعلام الفكر ؛ م. بوجندار، الاغتباط ؛ م. دينية، مجالس الانبساط.

ابن **إبراهيم بُيزار، محمد** بن محمد "كان إماما في الفقه والإفتاء، وآية من آيات الله في الحفظ والإملاء، مشاركا في كثير من الفنون خصوصا الحديث والسير والمعاملة والفرائض والتوثيق والحساب من جبر ومقابلة، وكان خطيبا مصقعا ومفتيا سميدعا... ومؤلفا جامعا

ومدرسا نافعا" (*الاغتباط*، ص 197)، وكتب ختما على *الألفية*، *وحواشي على ميارة الكبير*، *والخرشي*، *وجمع ديوان خطب*، وآخر في *التوثيق*. وله شرح *بردة البوصيري* الذي اختصره من *شرح ابن مرزوق*. وفتاويه كثيرة.

أخذ عن القاضي الطيب بسير، والخطيب المكي بوجندار، ومحمد عاشور الذي يعد عمدته. وأخذ أيضا عن القاضي عبد الرحمان البريبري. وتعاطى التدريس فتتلمذ له كثير من العلماء. وقد وصف بالشهامة والورع والاستقامة والعدل والديانة. وأهم من تتلمذ له المكي البطاوري، والعربي الوزاني، والناظر بنعيسى بن مسعود الرباطي. وولي الخطابة بالزاوية الناصرية، وتولى خطة القضاء بالرباط، وعرف باعتنائه بالعدول وبتحريّه في كل أحكامه وبالإحسان إلى الضعفاء. وكان ورد عليه أيام ولايته بالرباط أمر السلطان محمد بن عبد الرحمان ليتوجه إلى طنجة بقصد فصل بعض القضايا فتوجه بعدما أناب عنه في الرباط الحاج عمر عاشور عام 1288 / 1871-1872، كما كانت له منزلة كريمة عند السلطان المولى الحسن الذي كان يرفع إليه القضايا من فاس ومراكش فيفصلها، وقد بلغت محبته للشرفاء درجة جعلته يتسامح معهم ولو أتوا بعض الهفوات.

وكان لا يتوانى عن إسداء النصح إلى المسؤولين في مدينته، فقد وجه كتابا إلى ناظر الأحباس بالرباط محمد بن أحمد غنام يحضّه فيه على القيام بما هو مطوق به ويتفقد الضعفاء، والاهتمام بأمور المسلمين.

توفي يوم السبت 12 شوال 1297 / 17 شتنبر 1880 ودفن بالزاوية القاسمية بالرباط.

م. دنية، *مجالس الانبساط* ؛ م. بوجندار، *الاغتباط* ؛ ع. الوزاني، *معجم الشيوخ*، مخطوط.

عبد الإله الفاسي

إبراهيم بن تاشفين اللمتوني، لا ينبغي خلط إبراهيم هذا مع إبراهيم بن علي بن يوسف، بل هو ابن آخر الملوك المرابطين تاشفين بن علي بن يوسف. ولعله تولى الملك، هو أيضا، بمراكش في ظروف يحيط بها الغموض.

والظاهر أنه كان ما يزال في طور الفتوة حين قدم والده سنة 537 بكراندة من الأندلس بمناسبة وفاة جده علي بن يوسف، يدل على ذلك أن والده أرجعه إلى قرطبة بقصد مواصلة الدراسة بمجرد الفراغ من مراسيم الجنازة.

ويشير بعد ذلك ابن عذاري إلى أن أباه استدعاه بعد مرور سنتين على ذلك الحدث، حينما ضاق به الحال في حربه مع عبد المومن بناحية تلمسان. فقد ألحق عبد المومن هزيمة نكراء بجيش الربرتير، قائد الروم بمعسكر المرابطين بعد قتال استمر ثلاثة أيام، واستولى بعد ذلك على المحلة وعلى زناتة بني يلومي الذين كانوا في جهتهم.

ولما انسحب الربرتير إلى تلمسان بجنوده التقى هنالك مع تاشفين وأطلعه على خطورة الوضع. وحينئذ قرر تاشفين أن يوجه الدعوة إلى كل البلاد التابعة لدولة المرابطين يطلب منهم النجدة السريعة. فوصله عسكر سجلماسة وعسكر بجاية. ووصله من الأندلس عسكر على رأسه ابنه إبراهيم. ويظهر أن أباه استقدمه عنوة في تلك الهيئة وفي تلك المناسبة ليسند إليه ولاية العهد ويشد به ظهره في قاعدة المملكة مراكش التي غاب عنها طويلا. وهذا ما يفهم من عبارة *الحلل الموشية* الذي يقدم الحدث على هاته الصورة : "كان أبوه قد ولاه عهده وهو مقيم بوهران ووجهه إلى مراكش وأصحبه جماعة من لمتونة وذلك قبل وفاته بشهر".

الرواية التي أوردناها تصطدم مع رواية أخرى، صاحبها هو ابن أبي زرع الفاسي في *القرطاس*، يقول فيها إن تاشفين لما خرج من مراكش لمتابعة عبد المومن في غزوه للأقاليم الشرقية وناحية وهران، استخلف عليها ولده إبراهيم، وتبنى ابن القاضي هاته الرواية التي لاشك أنه أخذها عن *القرطاس*، لكن الرواية الأولى أرجح لأنها واردة في أوثق المصادر بالنسبة لتاريخ الموحدين مثل ابن عذارى وابن خلدون و*الحلل الموشية*. ثم إنها أقرب للواقع، فلم يكن من المعقول أن يسند تاشفين مهمة جد صعبة لولده وهو ما يزال في سن صغيرة، سيما إذا اعتبرنا الظرف الدقيق الذي كانت تجتازه الدولة المرابطية.

نضيف إلى ذلك تفاصيل أخرى وردت في الرواية الأولى وتدل على أن إبراهيم ورد من الأندلس. فقد ذكر ابن عذاري أن إبراهيم لما وصل من الأندلس صار أبوه "يميز العساكر من الحشود والجنود والوفود فميزوا وبرزوا. وعجب الناس من كثرة عددهم واحتفالهم بالزينة حتى زعموا أنهم لم يروا مثل تلك الجموع حسنا وعدة وكمالا". ويذكر ابن خلدون، من جهته أن تاشفين لما أجمع الرحلة إلى وهران، بعد أن توالت عليه الوقائع، بعث ابنه إبراهيم ولي عهده إلى مراكش "في جماعة من لمتونة وبعث كاتبا معه أحمد ابن عطية". فكل هاته عناصر مهمة تؤكد الرواية الأولى وتبين الظرف الخاص الذي حدث فيه توجيه إبراهيم إلى مراكش، وتبرز حرص أبيه على أن يكون في رفقته كاتب محنك ومقتدر من مستوى أبي جعفر ابن عطية.

وعلى أي، فلم يجد إبراهيم عند وصوله إلى مراكش الحظ المساعد. فقد ذكر صاحب *الحلل الموشية* أنه بويع بمراكش لما مات أبوه بوهران وأكد ذلك ابن خلدون، فيكون، بهذا المعنى، هو آخر الملوك المرابطين. إلا أنه في الواقع، لم يستمتع بالملك، لأنه، نظرا لحداثة سنه لم يكن قادرا على تحمل أعبائه وسط تلك الظروف. ولما وجده المرابطون "مضعفا عاجزا" حسب عبارة ابن خلدون، خلعوه وبايعوا عمه إسحاق بن علي بن يوسف. ونشير عرضا إلى كون صاحب *الحلل الموشية* خلع على إبراهيم لقب "أمير المسلمين" مما يدل على تمام بيعته.

والظاهر أن المرابطين، وبخاصة رجال الحل والعقد من بينهم أضاعوا وحدتهم وتماسكهم لما توالت الشدائد عليهم، فدب الخلاف بينهم منذ وفاة علي بن يوسف. فابن خلدون يأتي برواية أخرى يذكر فيها أن المرابطين بمراكش بايعوا

إسحاق بن علي بن يوسف "صبيا صغيرا عند بلوغ خبر أبيه" الشيء الذي يفهم منه أنهم لم يكونوا موافقين على بيعة تاشفين نفسه.

والمحقق هو أن إسحاق عم إبراهيم رفض البيعة لولد أخيه "ودعا لنفسه ووقع الخلاف والتدابر بينهما إلى انقطاع دولتهم" حسب عبارة *الحلل والبيان المغرب مما* يدل على قيام صراع حاد بين المرابطين بمراكش. ويظهر أن أنصار إسحاق تغلبوا، في النهاية، على أنصار إبراهيم، وبايعوا لأميرهم قبل استيلاء الموحدين على مراكش بسبعة أشهر. وجرت هاته التحولات في الوقت الذي كانت تعاني فيه مراكش من حصار الموحدين، ذلك الحصار الذي مات فيه عشرات الألوف من أهل مراكش، جوعا وقتلا، وانتهى بدخول عبد المومن إلى المدينة في شوال 514. وهنا تختلف الروايات. فيذكر مؤلف *الحلل الموشية* أن إبراهيم تحصن داخل القصبة المعروفة بقصر الحجر مع المرابطين وأعيان البلد، حين دخل الموحدون إلى مراكش وشرعوا في تقتيل السكان. وعند الزوال تقدموا إلى أعدائهم يطلبون الأمان، لكن طلبهم لم يصادف القبول. واقتحم الموحدون الحصن وأخرجوا الأمير أبا إسحاق وكل من كان معه من الأمراء وأبنائهم ومن كان معهم من لمتونة إلى الموضع المعروف بجليز. ويظهر أن عبد المومن، لما رآه أشفق عليه لصغر سنه، لكن بعض أشياخ الموحدين اعترض عليه بقوله : "أتريد أن تربي فرخ سبع؟" ويختم *الحلل* المشهد المأساوي بقوله : و"لما قدم الأمير أبو إسحاق، جعل يرغب لعبد المومن في إبقائه فتفل في وجهه الأمير سير بن الحاج أحد أشياخ المرابطين وقال له : "أترغب إلى أبيك أو مشفق عليك؟ ! اصبر صبر الرجال فقتل وقتل كل من أخرج معه".

هذه رواية *الحلل* لكن هنالك رواية أخرى تذكر أن الأمير الذي قتل على تلك الصورة هو إسحاق بن علي بن يوسف، وهي أصح لأنها وردت عند البيذق في كتابه *أخبار المهدي* وهو يقدمها كشاهد عيان وأكدتها المصادر مثل *البيان* لابن عذاري *والعبر* لابن خلدون. وهي أقرب للمنطق لأن أمير المرابطين في تلك الساعات الأخيرة من دولتهم صار هو إسحاق، كما رأينا من قبل. ولعل صاحب *الحلل* اشتبه عليه الأمر فوضع أبا إسحاق مكان إسحاق وهو خطأ من السهل الوقوع فيه.

ومهما يكن، فمن المؤكد أن إبراهيم قتل في جملة من قتل من أمراء المرابطين ورجالهم في تلك الأيام الدامية التي عاشتها مراكش عند دخول الموحدين إليها.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ م. ابن عذاري، البيان المغرب (القسم الثالث) ؛ مجهول، الحلل الموشية ؛ ابن خلدون، *العبر* ج.6 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة* ج.1 ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام* ج.1.

محمد زنيبر

إبراهيم ابن تعيشت، أحد أبناء يوسف بن تاشفين الخمسة كما أورد ذلك صاحب *القرطاس*، وصاحب *الحلل الموشية*. ولاشك أنه تلقى تربية تشتمل على ثقافة واسعة في العلوم الدينية والعربية، إذ هو معدود في أصحاب المحدث أبي علي الصدفي. كما أن تربيته اشتملت على تقاليد قومه الملثمين في التدريب على أساليب الحرب والقيادة العسكرية وما تقتضيه من فضائل كالشجاعة وضبط النفس والصبر على المكاره.

وتاعيشت المنسوب إليها اسم والدته التي كانت سوداء. وكغيره من الأمراء المرابطين، فقد أسندت إليه مسؤولية كبيرة في الولاية على الأقاليم وإدارتها، وكذلك في قيادة الجيش، فكان في البداية واليا على سبتة، ثم عينه أخوه علي بن يوسف واليا على مُرسية سنة 507 خلفا للقائد المرابطي الكبير يحيى ابن عائشة وهو ابن الأمير أبي بكر بن عمر اللمتوني، واشتهر ابن عائشة بشجاعته وتحمسه للجهاد ونُصرة الدين، ومن جملة الوقائع التي انتصر فيها على النصارى الإسبان، استفتاحه لحصن ألبيط (Aledo).

وفي محاولة لغزو برشلونة أصيب في بصره وهو عائد منها. وهي الوقعة المعروفة بوقعة البورت التي استشهد فيها قائد مرابطي آخر أبو عبد الله بن الحاج. وما لبث يحيى ابن عائشة أن عمي وذهب بصره، فاستقدمه علي بن يوسف وعيَّن محله أخاه إبراهيم، ولا شك أن التَّعيين صادف ارتياحا من الأندلسيين، وبخاصة في شرق الجزيرة التي عانت من عدوان القائد الإسباني "السيد الكنبيادور" وهذا ما تدل عليه الأبيات التي مدحه بها أبو جعفر بن وضّاح.

تعقدُ النائباتُ حين تقومُ ... لا يردُ العظيمَ إلا العظيمُ
عمَّرت بالسرور أكنافَ تدمير ... وولت عن ساحتيها الهمومُ
مطلتها الأيام حتى تلقَّا ... ها بما أملته يوم كريمُ
طالعتها القنا وجرد المذاكي ... والعلا والأمير إبراهيم

ظل إبراهيم واليا على مُرسية إلى أن قتل الأمير أبو بكر بن إبراهيم ابن تافلوت أمير سرقسطة سنة 510 أو 511. فذهب لتفقد أحوال إمارته وضبطها. وفي سنة 511، تحرك لمنازلة ملك أراجون كقائد عام للجيش، وانتهى القتال بهزيمته. وبرغم ذلك، فقد ظل على رأس الجيش المرابطي يجابه القوات الإسبانية التي كانت استعداداتها الحربية في تزايد مع مرور الأيام، بينما كانت الدولة المرابطية سائرة في طريق التدهور، وعلاقاتها مع مسلمي الأندلس في تأزم وتوتر، واستطاع أن يحافظ على هيبة الدولة وسلطتها بربوع الأندلس إلى أن تعرض للهزيمة في موقعة كتندة التي يصفها المقري كما يلي :

"وقد كانت وقعة كتندة على المسلمين قبل هذا التاريخ بمدة (كان المؤلف يتحدث عن استيلاء العدو على بلنسية سنة 636) وكتندة ـ ويقال "قتندة" بالقاف ـ من عمل سرقسطة من الثغر الأعلى. وكانت الهزيمة على المسلمين

جبرهم الله تعالى. وقتل فيها من المطوعة نحو من عشرين ألفا، ولم يُقْتل فيها من العسكر أحد. وكان على المسلمين الأمير إبراهيم بن يوسف ابن تاشفين الذي ألف الفتحُ باسمه *قلائد العقيان*. وكانت سنة أربع عشرة وخمسمائة، وممن حضرها الشيخ أبو علي الصدفي السابق الذكر، وقرينه في الفضل أبو عبد الله ابن الفراء، خرجا غازيين، فكانا ممن فُقِدَ فيها".

ويظهر أن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، المعروف بصبره وتسامحه، لم يغفر لأخيه هاته الهزيمة، بعد أن رفع منزلته وعيّنه واليا على إشبيلية التي صارت هي عاصمة الأندلس في تلك الآونة وحاضرتها الكبرى. ولذلك فإنه عزله عنها "في جمادى الأول عام ستة عشر وخمسمائة فكانت ولايته لها أربعة أعوام وتسعة أشهر". (*البيان المغرب*) وعيّن مكانه أخاه الآخر تميم بن يوسف بن تاشفين. فما السبب في سخطه عليه ؟ لاشك أنه وقع منه خطأ أو تقصير، كما يتراءى ذلك من رواية المقري الواردة آنفا، والتي يظهر منها أن الجيش ظل بمعزل عن المعركة، بينما اقتصر فيها على جهاد المتطوعة، الذين مهما كان تحمسهم وإخلاصهم، لم يكن لديهم من الحنكة والتدريب ما يوجد عند الجيش النظامي.

ومهما يكن، فقد استدعي ابن تعيشت إلى مراكش ونكب واستُصفيت أمواله، وامتد السُخط إلى حاشيته ورجاله. ولعلّ هذه التدابير تمت عندما كان علي بن يوسف بالأندلس في جوازه الرابع الذي يؤرخه صاحب *الحلل الموشية* بسنة 515. وكان السبب الأساسي لذهابه إلى الأندلس ثورة أهل قرطبة على المرابطين ونهبهم لبعض دورهم. ولعلّه اغتنم فرصة وجوده لبعيد النظر في التنظيم الإداري بالأندلس.

لكن إبراهيم ما لبث أن استعاد منزلته في بلاط أخيه، إذ يذكر لنا ابن عذاري أنه حضر إلى جانب أخيه في حفلة تعيين وليّ العهد سير بن علي سنة 522. وكان قبل هذا التاريخ يشارك في الحملات العسكرية التي كان المرابطون يشنونها على الموحدين بسوس. ويظهر أنه كان من بين القواد الذين شاركوا في معركة البحيرة قرب مراكش، وهي المعركة التي هزم فيها الموحدون سنة 524. وتتفق كل المصادر على أنه قتل وهو يحارب على ظهر جواده. وإنما تختلف في تحديد الزمان والمكان. فيذكر البيذق أنه قتل في الغزوة التي قادها عمر بن علي الصنهاجي (عمر أصناج) بموضع يقال له "تيزدن الإيثات"، دون أن يحدد السنة. وينقل ابن الأبار عن ابن صاحب الصلاة أنه قُتل وقلّ عسكره على طريق سجلماسة بجبل هسكورة في إحدى المعارك الناشبة بين المرابطين والموحدين. وأما ابن خلدون فيذكر أنه قتل بمعركة كيك وحضر معه فيها بكو بن علي بن يوسف. وابن القطان يذكر تاريخ موته وهو سنة 528 دون أن يحدد المكان وإنما يكتفي بالقول إنه قتل في "غزوة أثارها وكانت الدبرة عليه وكَبَابه فرسه فقتل".

وهذا الاختلاف طفيف لا أهَمية له، في الواقع، والمهم هو أنه قتل في إحدى شعاب الأطلس الكبير وهو يحارب، مُبرهنا على أنه ختم حياته كجندي كما بدأها، وأنه ظل يحمل روح قومه صنهاجة الصحراء وما عُرفوا به من إباء وبسالة واستماتة.

لكن، هنالك جانب آخر في شخصية إبراهيم بن تعيشت لابد من أن نقف عنده ولو قليلا، ولعله هو الذي أكسبه مزيدا من الشهرة، وبخاصة في كتب الأندلسيين. فابن الأبار، مثلا يذكر كيف أنه حرص على أخذ الحديث عن أبي علي الصدفي، وكيف أن هذا الأخير قبل أن يذهب إليه، بصورة استثنائية، بعد أن يفرغ من الدروس التي كان يقدمها للعموم. ومن المعلوم أن الأدباء والشعراء نوّهوا به في كتبهم وقصائدهم وهكذا لم يجد الفتح بن خاقان خيرا منه ليهديه كتابه المشهور *قلائد العقيان* وقد حلاه في المقدمة بما لا مزيد عليه من الإطراء، فمن ذلك قوله :

"... ولم يزل شخص الأدب وهو مُتوار، وزنده غير وار، وجده عاثر، ونهجه داثر، إلى أن أراد الله اعتلاء اسمه، وإحياء رسمه، وإنارة أفقه، وإعادة رونقه، فبعث من الأمير الأجل أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين ملكا عليا، غدا للبة المجد حليا، وهمى على الأمة وسميا ووليا. وألبس الدنيا جمالا، وجدد لأهلها آمالا، وناهيك به من ملك عالي، ناظم لأشتات المعالي. أصبح الدين منبسطا في نواحيه، مغتبطا بمناحيه، والهمُ فرقا من جوده، مفترقا في أغواره ونجوده، واليأس مزدهيا بمضائه، مكتفيا بانتضائه...".

إلى أن يقول :

"... مع عفاف كف حتى عن الطيف، وحكى المحرمين بالخيف، وندى خرق العوائد، وأورق عوده في يد الرائد، وسجايا تتجلى بها الظلماء، كأن مزاجها عسل وماء. ولما أنارت به تلك الآفاق، وعاد به كساد الفضل إلى النّفاق، رأيت أن أخدم مجلسه العالي بزف الكتاب إليه، وأشرف محاسنه بمثوله بين يديه، فوسمته باسمه، وكسوته نور وسمه، وجلبت العلق إلى مميزه، وأجريت الجواد في ميدان محرزه، وأطلعت شمس النبل في أفقها، وأتيت ببضاعة الفضل إلى منفقها...".

من هذه المقتطفات يتضح أن شخصية المترجم كانت محببة إلى الأندلسيين برغم ظروف الصراع التي كانت قائمة بين أهل الأندلس والمرابطين. ومن دون شك أنه امتلك قلوبهم بخصاله التي منها الشجاعة والكرم. وفي هذا الصدد يورد لنا ابن خاقان مثالا على ذلك، كشاهد عيان : "ووصلت شاطبة في فطر سنة عشر وخمسمائة. والأمير أبو إسحق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين أيده الله معيّد بها، ومجدد ذاهب رتبها. وكان عيدا، كان عهدُ أهلها بمثله بعيدا، بل لم يعهد بالقطر شبيهه، ولم يحضر مثله خامله ولانبيهه. وكان ابن خفاجة هذا حاضرا لاستنجاز وعده، بالتوقيع على صك يحذى نعاله من عنده. فلما كان يوم

العيد واحتفل جمعه واحتشد، قام لدى أبي إسحق وأنشد :

سجعت وقد غنى الحمام فرجعا وما كنت لولا أن تغنى لأسجعا
وأندب عهدا بالمشقر سالفا وظل غمام للصبا قد تقشعا
ولم أدر ما أبكى أرسم شبيبة عفا أم مصيفا من سليمى ومربعا..

والقصيدة كما أوردها الفتح طويلة ونقتصر منها على بعض الأبيات في مدح إبراهيم ابن تعيشت، مشيرا إلى فرسه :

ولما انتحى ذكر الأمير استخفه فخفض من لحن الصهيل ورفعا
حنينًا إلى الملك الأعز مردداً وشجوا على المسرى القصي مرجعا
فعن حب إبراهيم أعرب صاهلاً وفي نصر إبراهيم كرّ تشيعا
إمام يباهي الحمد وشيًا مذهبًا به ويرأس المجد تاجا مرصعا
دعا باسمه داعي الحفيظة والندى فلبّى على شرخ الشباب وأطمعا
وهب كما هب الحسام استنامة وعبّ كما عبّ الخضم تبرعا
وجر به ذيل الخميس ابن غابه تردى غلاما بالعلا وترفعا
وداس العدا ركضا وأجرى الوغى دما بأطوع من يمناه فعلا وأطبعا
ولما تدرّى النصل منها منطقا سديدا فريدا أو حميدا مقطعا
فبيد في ذات المكارم وانثنى وروه في جنب الاله ورفعا
وخفض من صوت الأبي وصيته وزلزل من ذكر العصيّ وضعضعا
وألقت إليه بالمقادة قادة تطامن من أعراقها ما ترفعا

وكان أبو عامر بن عقيد، وهو أديب من ناحية مُرسية، من كتابه. فحدث أن نقل إلى إبراهيم أنه يفشي سره ويقع فيه، فاعتقله فكتب إليه شعراً ورد فيه :

أتأخذني بذنبي ثم تنسى من الحسنات ألفا ثم ألفا
وتتركني لأسباب الأعادي وليس يهز قولي منك عطفا
كأنك ما ثنيت إليّ لحظا كأنك ما مددت إلي كفّا
جعلت أبي على رجلي وما إن له ذنب يهان به ويحفى

فاستحسن مداعبته وأعاده إلى خدمته. والمداعبة أتت في البيت الأخير، إذ كلمة عقيد اسم أبيه إذا حذف منها حرف العين صارت قيد.

ومدحه، أيضا، قاضي شاطبة، أبو الحسن طاهر بن نيفون بقوله :

أيا ملكا أولاني العز والغنى وصيرني بعد الخمول مكرّما
وأبصرني في الأرض ملقى مذللا فرفّعني بالعز والجاه للسما

ومن المعلوم أن أهل الأندلس، على العموم، لم يكونوا راضين عن حكم المرابطين، وبالخصوص في الفترة الأخيرة من دولتهم. ظهر ذلك في ثوراتهم كما ظهر في أقوالهم من شعر ونثر. وإجماع الأدباء والشعراء على مدح إبراهيم بن تعيشت له، إذن، دلالة خاصة على مكانة الرجل ودوره الإيجابي في حياة المجتمع الأندلسي. لكن المصادر لا تتحدث لنا، ويا للأسف، إلا عن بعض أعماله الحربية ملحّة على هزائمه أكثر مما تشير إلى انتصاراته.

ويتبين من النُتف القليلة التي بقيت في كتب الأدب أنه كان من كبار المحسنين إلى العلم والأدب في الأندلس. فإليه أهدى الفتح بن خاقان *قلائده* كما أشرنا، وإليه أهدى ابن زهر كتابه *الاقتصاد في صلاح الأجساد*، وفي مدحه تبارى عدد من الشعراء، وعلى رأسهم ابن خفاجة الذي عرف عنه نوع من التعفف والأنفة في المدح. وهذا يبين الخطأ الذي وقع فيه عدد من المؤرخين والباحثين، مستشرقين وعرب، مثل "دوزي" وغيره حين استصغروا شأن المرابطين وازدروا دورهم الحضاري في الأندلس. ولعل له دور المعتمد بن عباد لو أنصفته المصادر وتحدثت عنه بنفس التقدير الذي أبدته عند حديثها عن أمير إشبيلية.

ف. بن خاقان، *قلائد العقيان*، ط بولاق 1283 ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان* ؛ ابن الأبار، المعجم ؛ *التكملة* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، الجزء 4 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ج. 6 ؛ ابن سعيد المغربي، *المغرب*، القاهرة 1955 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب* ج. 4 و7 ؛ أ. ابن القاضي، جذوة ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 1.

محمد زنيبر

ابن إبراهيم، الجيلالي بن أحمد الرياطي، المفتي والعالم الكبير، ولد في حدود 1260 / 1844 ونشأ بمسقط رأسه طالبا للعلم على مشايخ بلدته كالفقيه أحمد دنية وولده القاضي علي دنية، وإبراهيم التادلي، والتهامي البناني، وأحمد بن إبراهيم، وأحمد ملين. وقد رحل إلى فاس مرتين من أجل طلب العلم فمكث بها مدة أخذ فيها عن الفقيه عمر بن سودة وشقيقه الحاج أحمد والفقيه المهدي بن الحاج وشقيقه أحمد صاحب *الحاشية على الألفية*، وأضرابهم.

ثم رجع لمسقط رأسه فتصدى للتدريس والشهادة والإفتاء، وقد وُصف بكونه من أركان العلم بالرباط في وقته وبكونه قاموسا محيطا بقواعد المذهب وأصوله، كما وصف بقوة الذاكرة واستحضار الكثير مما تضمنته كتب الأحكام والنوازل وحفظ *مختصر خليل*. كان يحضر مجالسه عدد من كبار الطلبة، وتخرج عليه عدد من التلامذة أمثال زين العابدين البناني، وأخيه الشيخ فتح الله، والقاضي محمد بن عبد السلام الروندة، ومحمد بن عمر دنية وغيرهم. وخلف عدة تقاييد منها *فتاويه* الكثيرة وختم *على المختصر*، وتقييد في الطلاق البائن والرجعي رد فيه على ما كتبه مفتي فاس سيدي المهدي الوزاني، ثم *حواش* لا تزال طرراً بهامش *شرح الدردير على المختصر*.

كانت طريقته في التدريس السرعة في الإملاء وعدم تحمل الإلقاء بسبب ماليه من غزارة المادة والحفظ والاستحضار.

انتقل إلى أسفي سنة 1319 / 1901-1902 كعدل بالمرسى، وكان يدرّس خلال تلك المدة بنفس المدينة. وولي أيضا القضاء بالعرائش عام 1326 / 1908. وقد وصف بالورع والديانة وإباء النفس. وكان أخذ الورد الدرقاوي عن الشيخ مولاي الطيب ابن المربي مولاي العربي الدرقاوي لما كان بالرباط.

توفي في الساعة الخامسة من صبيحة يوم الخميس 3 جمادى الأولى عام 1336 / 14 يبراير 1918 ودفن بضريح أبي الأنوار. وتقدم للصلاة عليه العلامة الوزير الشيخ شعيب الدكالي.

ع. الجراري، من *أعلام الفكر*، ج. 2 ؛ م. دنية، *مجالس الانبساط* ؛ م. بوجندار، *الاغتباط* ط.

عبد الإله الفاسي

إبراهيم بن سليمان العلوي، أحد أبناء السلطان المولى سليمان بن محمد بن عبد الله. سهر والده على تربيته وتعليمه شخصيا قبل أن يسند إليه مهمات سياسية وعسكرية على درجة كبيرة من الأهمية. فبمجرد ما أن وطد والده سلطته بالبلاد أرسله إلى زاوية أبي الجعد (1212/ 1798) ليدرس بها العلوم الفقهية. وقد رحب شيخ الزاوية الشرقاوية بهذه البادرة السلطانية التي جاءت بعد سنوات من العلاقات المتأزمة بين مولاي سليمان وسيدي العربي بن المعطي. وفي السنة التالية (1213 / 1798) انتقل إلى مدينة أسفي لمتابعة تعليمه بها، وكان بها آنذاك القائد عبد الرحمان بناصر المخيزني الذي لم تكن نيته قد خلصت بعد تجاه السلطان. وبذلك يكون قرار إرساله إلى أسفي للدراسة بها قرارا سياسيا في نفس الوقت، مثل ما كان الشأن بالنسبة لأبي الجعد من قبل، الغرض منه هو استمالة ذوي النفوذ المحلي وتأكيد رغبة المخزن في طي صفحة الماضي. ويخبرنا الضعيف الرباطي أن المولى سليمان نقله في سنة 1218 / 1804 إلى مدينة الرباط من أجل الدراسة والسكنى بها.

كانت أهم مأمورية قلده إياها والده إرساله إلى الديار المقدسة في سنة 1226 / 1811 لأداء فريضة الحج ونقل رسالة من المولى سليمان إلى زعيم الدولة الوهابية الفتية، سعود بن عبد العزيز. وقبل ذلك التاريخ كان ركب الحجاج المغاربة قد تعطل لعدة سنوات بسبب ما أشيع عن الأوضاع في الحجاز بعد دخول الوهابيين إلى مكة والمدينة وبطشهم - حسب ادعاء خصومهم - بكل من لا يسايرهم في معتقداتهم. ولما تحقق المولى سليمان من بطلان هذه الإشاعات قرر إرسال ولده إبراهيم على رأس وفد من العلماء لتبليغ رسالته المتضمنة لموقفه من معتقدات الوهابيين من جهة ولاستطلاع آراء هؤلاء حول جملة من القضايا العقدية من جهة ثانية. وكان من جملة العلماء الذين رافقوا المولى إبراهيم في هذه الزيارة القاضي محمد ابن إبراهيم الزداغي والقاضي العباس بن كيران والفقيه محمد العربي الساحلي وغيرهم. ولما استقبل هؤلاء من طرف سعود بن عبد العزيز دار بينهم وبينه نقاش حول عدد من القضايا مثل القول بالاستواء وزيارة الأموات وطلب الشفاعة من الأنبياء والصالحين، فتبين للوفد المغربي أن الوهابيين ملتزمون بمذهب أهل السنة خلافا لما يشيعه بشأنهم خصومهم، لكن بالرغم من التأكيدات التي رجع بها أعضاء الوفد عن سلامة عقيدة الوهابيين فإن موجة العداء لهؤلاء لم تنقص في شيء وظل الناس يتحدثون بأنه لولا وجود الأمير مولاي إبراهيم مع الحجاج لما تمكنوا من أداء مناسكهم.

وكانت رآسة الجيش من جملة المهمات التي تقلدها المولى إبراهيم بتكليف من والده، ففي 1231 / 1816 أسند له المولى سليمان قيادة الجيش وأرسله في حركة إلى تافيلالت لمعاقبة قبائل أيت عطة والصباح بعد استيلائهم على عدد من قصور المخزن. وتمكن المولى إبراهيم من تبديد شمل القبائل العاصية وأخذ منهم الرهائن. وعندما أشرف على استئصال دائهم تقدم إليه أيت عطة طالبين الأمان، فسمح لهم بالرجوع لديارهم، إلا أنهم غدروا وتمادوا في غيهم، فقتل المولى إبراهيم عددا من رهائنهم وقاد نحو مائة آخرين لفاس حيث قتلهم بباب محروق. وقد أنكر عليه والده سلوكه مع أيت عطة بتنفيس الخناق عليهم في وقت كانت هزيمتهم قد أصبحت وشيكة، كما أنكر عليه تقتيل الرهائن "وعد ذلك من الخفة والطيش"، وهذا ما جعل السلطان يوجه حركة جديدة لأيت عطة في السنة التالية لكنه جعل على رأسها هذه المرة وزيره أحمد بن مبارك، وعلى يد هذا الوزير تم طرد أيت عطة من القصور التي كانوا قد استولوا عليها في تافيلالت.

وفي سنة 1234 / 1819 عندما قرر المولى سليمان تنظيم حركة ضد قبائل أيت أومالو طلب من ولده إبراهيم تجهيز قبائل الغرب والسير بها إلى تادلا. وكان السلطان آنذاك مقيما بمراكش، بينما كان المولى إبراهيم خليفته بفاس. وصادفت هذه الحركة العسكرية انتشار الطاعون بشمال البلاد، "وكان الناس في محنة شديدة من الوباء الذي طم وعم، وكان السلطان تركه خفيفا ولا يعلم أنه شاع وذاع"، فلم يمتثل الناس أوامر المخزن بالاستعداد للحرب إلا مكرهين، وبشأن هذه المسألة يواخذ أكنسوس المولى إبراهيم لعدم إخباره والده بحقيقة الوباء ومدى انتشاره وتضييقه على الناس فيؤخر الحملة العسكرية ويعفى القبائل منها في تلك الظروف الصعبة. ولما جهز المولى إبراهيم الجيوش وأشرف على بلاد أيت أمّالّو بعث إليه هؤلاء بالنساء والصبيان طالبين العفو ومظهرين الطاعة والخضوع، لكن الأمير ارتكب خطأ بالغ الخطورة عندما رد طلبهم، فنشبت الحرب التي انتهت بما نعرف بهزيمة زيان (مايو 1819). وفي هذه المواجهة مع قبائل أيتْ أمّالّو أصيب مولاي إبراهيم بجروح خطيرة في رأسه نقل على إثرها إلى فاس فمات ودفن بها. وتدعي بعض الروايات أن الأوداية هم الذين غدروا به يوم المواجهة مع أيت أمّالّو بعد نزول الظلام، لأنه - حسب أكنسوس - "كان قد أضر بهم غاية وقيد عليهم صهره الحاج أحمد بن قدور فمكر بهم".

وكان مقتله أعظم مصيبة بالنسبة للمولى سليمان، إذ كان خليفته في حياته والمرشح للملك بعده. وقبل وقعة زيان كان أبو القاسم الزياني قد ناشد المولى سليمان بأن يوصي

له بالخلافة، بل حرر من أجل ذلك مشروع وصية أثبته في *الروضة السليمانية*.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة العلوية* ؛ أ. الزياني، *الروضة السليمانية*، مخطوط ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*.

محمد المنصور

ابن **إبراهيم، عباس** بن محمد المراكشي السملالي نسبا. اشتهر بالتعارجي. وأكثر ما كان يُدعى في الأوساط المراكشية بالقاضي التعارجي نسبة إلى الحرفة التي كانت تمتهنها الأسرة وهي تجليد التعارج (نوع من الدفوف)، إذ كان لوالده دكان بسوق الكَمّاخين (بسوق الجلد).

وُلد عام 1274 / 1877 بحي سيدي ابن سليمان في مراكش، وفي سن مبكرة التحق بكتاب الحي حتى حفظ القرآن الكريم حفظا تاما مع جملة من المتون المعروفة آنذاك، وأخذ عن جملة من علماء مراكش والمشرق قراءة وسماعا أو إجازة، منهم : محمد بن محمد بن أحمد أزْنيط (ت 1317 / 1899) ومحمد بن إبراهيم السباعي (ت 1332 / 1913) وشيخ الجماعة العربي الرحماني البربوشي (ت 1354 / 1935) كما أخذ في مصر عن الشيخ محمد حسين، والشيخ يوسف الدحوي وغيرهما.

لما آنس عباس ابن إبراهيم من نفسه القدرة على التدريس، شرع سنة 1319 / 1901 في إلقاء دروس في الفقه بمسجد رياض العروس، وفي السنة الموالية رتب في المرتبة الثالثة في هيأة العلماء بمراكش، كما درّس بمسجد المواسين *جمع الجوامع وقانون اليوسي*. ولم يشغله التدريس ولا الوظيفة عن البحث والتنقيب عن الكتب، سواء في المغرب أو خارجه، إذ كان يرحل كل سنة إلى أوربا أو أقطار الشمال الإفريقي باحثا عن نفائس الكتب، ومقتنيا ما أمكنه الاقتناء، أو ناسخا ما هو في حاجة إليه، حتى استطاع أن يكوّن أكبر خزانة خاصة بمراكش. إلى جانب هذا كان مجداً في المطالعة مدمنا عليها. لا تفارقه الكتب ولا لوازم الكتابة. وقد تخرج على يديه مجموعة من الطلبة، وأجاز نخبة منهم.

ولما ثار مولاي عبد الحفيظ الخليفة السلطاني بمراكش 1325 / 1907 على أخيه السلطان المولى عبد العزيز، تألق نجم القاضي ابن إبراهيم في الميدانين العلمي والإداري. فعين كاتبا بالبنيقة الأولى (ديوان الوزير الأول) وحصل في السنة التالية على المرتبة الأولى بين علماء وفقهاء مراكش، وقد زكاه شيوخه بشهادة نذكر منها شهادة شيخه محمد بن إبراهيم السباعي، لما سئل عن استحقاق المترجم للمرتبة الأولى، قال : (إن المرتبة الأولى إنما جعلت لأنجب العلماء وتفاوتهم في الفهم والتحصيل، وأما القضاء إنما جعلت لهم تعظيما للخطة لا للعلو في العلم، والذي أتقلد أن الطالب العباس المذكور لأنجب وأحسن فهما وتحصيلا من جميع من أعلم بمراكش، إنه في المرتبة الأولى وأكثرهم استحقاقا لها من حيث حسن الفهم والإدراك والتحصيل..) (*الاعلام* ١ : 144).

وإثر ذلك صدر ظهير السلطان مولاي عبد الحفيظ بنقل المترجم إلى المرتبة الأولى. وأثناء وصوله إلى فاس رافق السلطان مولاي عبد الحفيظ في زمرة من جاءوا معه من مراكش، كالفقيه ابن كبور والأديب أحمد الزموري فأدهشوا علماء فاس واعتبروهم مبرزين في العلم والأدب والشعر وصناعة الترسل.

وفي سنة 1330 / 1912 عاد ابن إبراهيم إلى مسقط رأسه ليسند إليه الإفتاء والتوثيق إلى جانب التدريس بمسجد المواسين. ثم عين سنة 1333 / 1915 قاضيا في مجلس الاستئناف الشرعي بالرباط، وقد استطاع أن يجمع بين أعباء الوظيفة ومسؤولية التدريس، حيث كان يلقي بالزاوية القاسمية دروسا في النحو. بعد ذلك عين قاضيا في محكمة سطات، ثم قاضيا بالجديدة، فقاضيا في محكمة المنشية بقصبة مراكش سنة 1343 / 1925، إذ كانت مراكش مقسمة إلى ثلاثة أقسام على ثلاثة قضاة : القاضي الحاج الحبيب الورزازي باليوسفية، ومحمد بن العربي الدكالي بالمواسين، والمترجم بالمنشية.

العباس ابن إبراهيم السملالي في شيخوخته

وقد سلك في حياته القضائية مسلك الجادة، إذ كانت أحكامه تتسم بالدقة والنزاهة، مع طول باعه في الفقه واطلاعه الواسع على المظان التي تعد عمدة التشريع الإسلامي. وهذا ما جعله يعتز بنفسه وأحكامه. وقد حكى لي أحد أعوانه أن المندوب الفرنسي طلب من القضاة الثلاثة أن يحضروا عنده مرة في الأسبوع للنظر في بعض القضايا التي سبق أن حكموا فيها. فرفض هوالخضوع لأوامره، وواجهه بعبارات كان لها شديد الوقع على نفسه. ولما أصدر كتابه القيم : *الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام* اطلع عليه بعض أساتذة الجامعة الهولندية، فأدركوا قيمته وما تجشمه المؤلف من أتعاب ومشاق، واقترحوا على رئاسة الجامعة استضافته ومكافأته على عمله الجليل، وتشجيعه على الاستمرار في مشروعه الموسوعي الكبير، فحل ضيفا عليها مدة أسبوعين، فكان أول مغربي حظي بهذه العناية من قبل جامعة أوربية حديثة. طبعت خمسة أجزاء من كتاب الإعلام في حياة المؤلف عام 1358 / 1939، ثم أعيد طبعه كاملا - بترتيب مغاير - في المطبعة الملكية بالرباط في عشرة أجزاء عام 1983/1403.

وقد ألف ابن إبراهيم كتبا أخرى في موضوعات مختلفة، منها : *منظومة درر المجال في مناقب أولياء مراكش سبعة رجال* ؛ *وإظهار الكمال في تتميم مناقب سبعة رجال*، وهو شرح المنظومة السابقة طبع نصفه طبعة حجرية ؛ *والألماس فيمن اسمه العباس* (مخطوط)؛ والأجوبة *الفقهية مع الأحكام المسجلة* (مخطوط) في أربعة أجزاء ؛ *والإمتاع بحكم الإقطاع* (مخطوط) ؛ *وتاريخ ثورة الشيخ أحمد الهيبة* (مخطوط) ؛ *والقضاء على الإسلام بيد أبنائه* (مخطوط) ؛ *وشرح منظومة السلطان مولاي عبد الحفيظ لجمع الجوامع* (مخطوط) ؛ *وحاشية على صحيح مسلم* (مخطوط) ؛ *وديوان شعر* (مخطوط).

وكانت وفاة عباس بن إبراهيم بمراكش يوم الأربعاء 20 شوال عام 1378 / 29 أبريل 1959 ودفن بضريح الشيخ محمد بن سليمان الجزولي.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، المقدمة ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 1 : 198 ؛ *التأليف ونهضته بالمغرب*، 2 : 321 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 3 : 165 ؛ *روايات شفوية* ؛ *مجلة دعوة الحق*، سنة 1959، عدد 10 ؛ Hespéris, T. XXV - 1938.

أحمد متفكر

ابن **إبراهيم، عبد الرحمان** بن محمد بن محمد الدكالي المشنزائي. ولد بفاس حوالي عام 892 / 1487. فقيه حافظ لفروع المذهب قائم على تدريس *رسالة ابن أبي زيد*، ظل يقرئ الفقه بفاس أزيد من نصف قرن، وكان له كرسيان بالقرويين، كرسي ما بين العشاءين طوال أيام الأسبوع، وكرسي الغداة يومي الخميس والجمعة، إلى درس ثالث يلقيه ظهراً بسارية معينة في القرويين، ودروس أخرى في أوقات مختلفة خارج هذا الجامع. وإلى شدة تمكنه من المادة الفقهية كان أسلوبه في التبليغ مبسطا مشوقا، كما "كان مجلسه منوراً وللفظه حلاوة، وعليه طلاوة. وربما يحضره... عبد الواحد الونشريسي، وكان أسنّ منه، ويعجب من فصاحته ورشاقته في ذلك ويقول في تدريسه : ذلك هو السهل الممتنع" (*فهرس المنجور*، 56).

تخرج على يد عبد الرحمان ابن إبراهيم جماعة كثيرة من أعلام علماء العصر السعدي، كالإمام أحمد المنجور، وشيخ الجماعة محمد القصار، وأبي المحاسن يوسف الفاسي وغيرهم. وتولى خطابة القرويين بعد وفاة الشيخ علي بن موسى بن هارون المطغري سنة 951، واستمر خطيبا اثنتي عشرة سنة إلى وفاته، فخلفه في الخطابة والتدريس بالقرويين ولده أبو شامة.

توفي عبد الرحمان ابن إبراهيم بفاس عام 962 / 1555-54 وحضر جنازته الجم الغفير من الناس وفيهم ولي العهد آنذاك عبد الله بن محمد الشيخ المهدي.

أ. المنجور، *فهرس* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 40 و261، *درة الحجال*، 3 : 97-98، *لقط*، 304 ؛ أ. باب السوداني، *نيل*، 176 ؛ م. القادري، *الإكليل*، مخطوط، *نشر*، 1 : 91 و 125 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 1 : 157 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 130 ؛ ل. بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء*، 89 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 352 والهامش 24.

محمد حجي

إبراهيم بن **عبد المومن** الموحدي. أحد أبناء عبد المومن الثمانية عشر كما ذكر ابن عذاري. كان واليا على قرطبة سنة 563، ويظهر أنه كان ما يزال في مستهل الشباب في تلك الآونة، إذ لا يرد ذكر له قبل ذلك في المصادر. وربما جاء تعيينه في سن مبكرة نتيجة للسياسة التي انتهجها يوسف بن عبد المومن في توزيع الولايات على "إخوته السادات، والحفاظ من أشياخ الجماعات" حسب تعبير ابن عذاري.

لكن يظهر أن اختيار إبراهيم واليا علي قرطبة كان للقيام بمهمة حربية لم يكن في إخوته من يقدر على أدائها مثله، ففي الرسالة التي وجهها الخليفة يوسف بن عبد المومن إلى الشيخ محمد بن أبي إبراهيم. يذكر له أنه عازم على القيام بأمرالأندلس والدفاع عنها من عدوان الرومبين والمجسمين، يقول : "وقد اتفقنا في هذه الأيام على أن يتوجه إليها أخونا أبو إسحاق إبراهيم بن سيدنا أمير المؤمنين ـ وفقه الله ـ في عسكر مبارك من الموحدين والعرب ـ وفرهم الله ـ ليكون بقرطبة ـ مهدها الله ـ ورجونا من تعاونه مع إخوانه الذين بإشبيلية ـ حرسها الله ـ وتعاضدهم جميعا وتوازرهم على الجهاد وحماية البلاد، والنظر في المصالح وكافة ما وصيناهم به في هذه الأغراض أن تظهر عليهم بركة سيدنا أمير المؤمنين وآثاره". فالرسالة على أي حال، تبين الدور الخطير المنوط بإبراهيم. ولم تكن مشكلة الأندلس بالنسبة للموحدين تنحصر في حرب النصارى، بل كان لهم مناوئون ومعارضون من الأمراء والزعماء الأندلسيين. وفي تلك الآونة بالذات، كانوا يعانون من محاربة ابن مردنيش وصهره ابن همشك، ويظهر أن مهمة إبراهيم سرعان ما آتت أكلها. فبمجرد أن تلقى نجدة بقيادة الشيخ أبي حفص الهنتاتي، بادر ابن همشك إلى طلب الصلح والالتحاق بمعسكر الموحدين، وبذلك ضعفت معارضة ابن مردنيش الذي كان معولا عليه، وجاء ابن همشك يقدم طاعته إلى الشيخ أبي حفص وإبراهيم في قرطبة، ووجه إبراهيم رسالة في هذا الشأن إلى الأشياخ والحُفاظ يعلمهم بالخبر. وكان ذلك في رمضان عام 564.

وبعد هذا المجهود التمهيدي الذي كان بمثابة جس للنبض بالأندلس، رأى الخليفة يوسف من الحكمة أن يدعو ولاة الأندلس وقادتها للتشاور معهم وأخذ كامل الاستعداد للحملة الكبرى التي كان يعتزم القيام بها في الأندلس. وهكذا استدعى أخويه إسماعيل والي إشبيلية وإبراهيم، وظلوا عدة شهور بمراكش إلى أوائل سنة 565، وكان الجيش الموحدي شرع آنذاك في القيام بهجوم مضاد على البرتغاليين الذين شرعوا بقيادة ألفونسو هنريكز في حملة الاسترداد بالجهة الغربية من الأندلس، واستطاع الموحدون أن يحرزوا نصرا في بطليوس، إذ استعادوا المدينة سنة 564/1169.

هكذا، بدأت الأحوال تنقلب لصالح الموحدين ومسلمي الأندلس، فوجد يوسف بن عبد المومن في ذلك حافزا لوضع خطة عسكرية محكمة وتعزيز القيادة العسكرية والتسيير الإداري بتعيينات إضافية في المنطقة. فأعاد أخويه أبا إبراهيم إلى إشبيلية وأبا إسحاق إلى قرطبة في أوائل 565. وعين أخاه الحسن واليا على سبتة. وغير خاف ما كان لهذا المرسى من أهمية استراتيجية بالنسبة للدولة الموحدية. كما قام بتعيينات أخرى في مدن الأندلس الواقعة في مناطق المواجهة مثل بطليوس وطبيرة.

ظل إبراهيم في ولايته على قرطبة إلى أن جاز الخليفة يوسف بجيشه إلى الأندلس في رمضان 566، وبدأت الحملة الكبرى التي شارك فيها إخوة الخليفة، وكان إبراهيم من بين الذين استقبلوا هلال بن مردنيش، حسب رواية ابن عذاري، إذ يقول :

"لما مات محمد بن سعد بن مردنيش بادر ابنه هلال بالوصول إلى الخليفة بعد استقرار أبي حفص بمرسية، وكان وصوله بجميع إخوته وأصحاب أبيه من قواده وكبراء أجناده في عقب شعبان من السنة فخرج إليه السيد أبو زكريا وأخوه إبراهيم أخو الخليفة مع جماعة من الموحدين ودخل في صحبتهم إلى مجلس الخليفة قرب صلاة المغرب من يوم وصوله".

وكان هذا انتصاراً آخر للموحدين، نظراً لما لاقوه من عنت وإزعاج في أيام أبيه محمد بن مردنيش. وهكذا، تعزز الخليفة يوسف بن عبد المومن، فسار في تنفيذ خطته إلى إرجاع السيطرة للمسلمين بإسبانيا كاملة كما كانت في العصر الذهبي للأندلس. وتقدم لغرب الأندلس لاسترجاع عدد من الحصون والمدن ومن بينها مدينة وبذة. وكان إبراهيم أميرا على قبيلة گدميوة في تلك الحملة التي أخذ فيها الفتور يظهر في جيش الموحدين بعدما دشن حركته بانتصارات متوالية.

وتكاد تسكت المصادر بالمرة عن إبراهيم إلى حين وفاته. والظاهر أنه ظل محظوظا من بين أمراء الموحدين يتقلد الولايات في الأقاليم، وكان قد نقل من الأندلس إلى تلمسان في عهد الخليفة يعقوب المنصور، ولعل مرضا مزمنا كان سببا في طول إقامته هناك، والظاهر أنه كان من بين السادة الذين لم يرق في عينهم صعود يعقوب إلى الخلافة. ولذلك، فإن هذا الأخير لما كان عائدا من حركته بإفريقية سنة 584 قرر أن يظهر له السخط وينكبه، في ضمن الأمراء الذين بلغته عنهم أنباء تشكك في ولائهم. ونورد هنا رواية ابن عذارى في شأن نكبة إبراهيم :

"كان ابتداء سطوة المنصور في أوبته قبل وصوله إلى حضرته ببعض قرابته الحاسدين لبيعته، فأول من تلقاه بتلمسان السيد أبو إسحاق أحد الأعمام، وممن كان غمر بالإحسان والإنعام، وكان تأخيره بهذا القطر لاعتلال لزمه. فذكر عنه أنه كان يطعن من آراء المنصور في تلك الحركة (الحركة بإفريقية) ويضعفها لحجج ضعيفة سخيفة، فجاء ليسلم عليه وقعد بين يديه. وسأل الخليفة عن حاله وكيفية كونه في حلوله وارتحاله. فقال له : حالنا على ما يسر المسلمين ويسوء الحاسدين، ثم أمر بقيامه، فأخرج على وجهه، وطردت دابة ركوبه ومشى على قدميه إلى منزله، والعامة تطأ أثوابه، ولم يلبث إلا يسيرا وتوفي".

وترجمة هذا الأمير تبين المشكلة التي أخذت تتفاقم داخل الأسرة الحاكمة بتكاثر أبناء الخلفاء الموحدين والتي ستظهر آثارها السلبية مع تدهور الدولة وضعف الخلفاء.

ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

إبراهيم، بن علي بن بهي محمد، من مواليد 1918 بدوار الركن أيت الخميس من قبيلة أيت باعمران، إقليم تزنيت. انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1957 بعد خروجه من السجن حيث إنه كان قد سجن من طرف الاستعمار الإسباني بالداخلة من يوم 1955/11/18 إلى 12 ماي 1956 لسبب سياسي. وكان من الذين خاضوا عدة معارك قاسية ضد قواعد الجيوش الإسبانية بأيت باعمران، وقام بدور هام مع الجماعة التي يترأسها برتبة قائد المائة بمقاطعة 10. وفاز بشرف الشهادة في معركة أملو بتاريخ 1957/12/8.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

إبراهيم بن علي الگومي، أخو الخليفة الموحدي الأول عبد المومن بن علي. لانعرف شيئا كثيرا عن حياته وشخصيته. وليس لدينا عنه من المعلومات إلا ما أورده البيذق في كتابه *أخبار المهدي*. وهذه المعلومات تتعلق، في الحقيقة بكيفية مقتله. كان عبد المومن على رأس جيشه يطارد تاشفين من المغرب الأقصى، منتقلا من بلد إلى بلد إلى أن وصل إلى الريف في جبال تمسمان.

وهنالك وفد عليه أخوه إبراهيم، معلنا التوحيد. ولا شك أنه جاء من گومية، وربما كان بمعيته وفد من القبيلة. فاستقبله عبد المومن أحسن استقبال وأعطاه "الخيل والعبيد والخباء وأنزله في موضع محمد بن أبي بكر بن بيكيت" والظاهر أن هذا الأخير لم يقبل هذا التدبير ووقع نزاع بينه وبين إبراهيم. فما كان منه إلا أن قام بقتله.

ثارت ثائرة عبد المومن لمقتل أخيه، وطالب بالقصاص أي بقتل ابن بيكيت. لكنه اصطدم بمعارضة بعض شيوخ الموحدين، إذ قال له أبو حفص عمر الهنتاتي وأبو الحسن يوگوت بن وگاك : "ألم يقل المهدي بأن أهل الجماعة وصبيانهم عبيدهم كل من في الدنيا" واضطر عبد المومن لكظم غيظه، معتبرا أن المعركة الكبرى التي كان يقودها للقضاء على المرابطين لم تكن تسمح له بإثارة أي خلاف مع شيوخ الموحدين. ومهما يكن، فالحادثة ذات دلالة مهمة، إذ تبين الصراع الداخلي الذي نشأت فيه دولة الموحدين، صراع

بين زعماء المصامدة من جهة. وعبد المومن وأنصاره من جهة أخرى. وهي تبين في نفس الوقت مدى النفوذ السياسي الذي كان يتمتع به شيوخ الموحدين إلى جانب الخليفة. وهو نفوذ سيستمر وستكون له مضاعفات خطيرة في المرحلة الأخيرة من الدولة الموحدية.

وكانت النتيجة الفورية لمقتل إبراهيم هي أن عبد المومن أمر "بقسمة المروس بالبنود كل قبيلة ببندها" أي كل قبيلة أضحت مستقلة في معسكرها.

البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين* ج. 1.

محمد زنيبر

ابن **إبراهيم غازي، أبو القاسم** بن محمد الدكالي المشنزائي، فقيه وجيه، اشتغل ـ كأهله ـ بالتدريس وبالنيابة عن قضاة مدينة فاس. توفي في 7 ربيع الثاني عام 1098 / 20 فبراير 1687.

ابن **إبراهيم غازي، محمد** (فتحا) بن محمد بن قاسم الدكالي المشنزائي عرف بابن الخياط، ورث العلم والصلاح من جدوده للأب والأم معا، فكان "بفاس علامة مدرسا مشاركا من خاتمة أئمة الضبط والإتقان" (*إتحاف المطالع*).

درس محمد بن إبراهيم *رسالة ابن أبي زيد* في القرويين بين العشاءين، *وألفية ابن مالك*، كما تولى الإمامة بمدرسة العطارين، وقام فيها بتدريس المرشد المعين ومختصر *خليل* وغيرهما للمبتدئين. وكان في طبعه حدة تمنع الطلبة من سؤاله أو مراجعته أثناء الدرس، ومع ذلك كثر الإقبال عليه لإفادته وحسن إلقائه.

اشتغل المترجم كذلك بالفتوى، ثم سار إلى الصويرة بعد تأسيسها من طرف سيدي محمد بن عبد الله ليقوم فيها بالتدريس، وغمره هذا السلطان بالصلات والعطايا فرجع منها إلى فاس بثروة طائلة بدلت عسره يسرا. وكان يقرض الشعر على طريقة الفقهاء، وألف ذيلا لكتاب أخيه أحمد في نسب آل ابن إبراهيم.

توفي في ثالث وعشري جمادى الأولى عام 1184 / 14 شتنبر 1770. ودفن إلى جنب قبر جده للأم الإمام ابن غازي في الروضة الكائنة بالكفادين داخل باب الفتوح من فاس الأندلس.

م. القادري، *التقاط الدرر*، 235 ؛ *نشر*، 2 : 338، 4 : 196-197 ؛ ع. ابن سودة، *اتحاف المطالع*، مخطوط.

محمد حجي

إبراهيم بن **القاسم** بن إدريس الأزهر، أمير شجاع لعب دورا مهما في تثبيت سلطة بني القاسم بن إدريس في المنطقة الشمالية بالمغرب زهاء قرن من الزمان. كان أبوه القاسم واليا على هذه المنطقة الشمالية باستثناء مدينة أصيلا التي كانت من نصيب يحيى بن إدريس حينما وزع الإمام محمد بن إدريس الولايات على إخوته بإشارة من جدته كنزة. لكن يبدو أن القاسم سبق أخاه يحيى إلى أصيلا أو أخرجه منها وقامت دعوته بها (*البيان المغرب* 1 : 233). ولما ثار عيسى بن إدريس والي أزمور على أخيه الإمام محمد بن إدريس الأزهر صاحب فاس أمر هذا الأخير أخاه القاسم صاحب طنجة بقتال ثائر أزمور، لكنه امتنع، ثم انهزم أمام أخيه عمر الذي سلطه عليه صاحب فاس، وتنسك في مسجد بناه على الشاطئ قريبا من أصيلا التي كان قد أسسها من قبل، إلى أن توفي ودفن هناك.

قام إبراهيم بن القاسم حينئذ باسترجاع مدن طنجة والبصرة وأصيلا وسائر بلاد الهبط وكتامة، واستقام له الأمر، لكنه أخذ يتدخل في شؤون الأندلس، وربط اتصالات سرية بعمر بن حفصون الثائر ضد الخليفة الأموي بقرطبة. ولا يعرف عن تاريخ وفاة إبراهيم إلا ما يُستنتج مما ذكره ابن عذاري في *البيان المغرب* (1 : 235) من أنه أول من ملك البصرة نحو أربعين سنة، فتكون وفاته حوالي عام 253 / 867.

خلّف إبراهيم أربعة أبناء ذوي طموح ونزوع إلى الحكم تمكنوا من بسط نفوذهم على المنطقة الشمالية عقودا من السنين. ولي أصيلا ـ بعد موت إبراهيم ـ ابنه حسن، وامتد نفوذه إلى قبائل لواته المستوطنة جنوبي المدينة وطال حكمه خمسا وعشرين سنة. وتولى أمر البصرة عيسى بن إبراهيم الذي دخل في نزاع مع بني عمه إلى أن قتله منهم أبو العيش گنون. فدخلت البصرة حينئذ في طاعة أخيه أحمد بن إبراهيم المعروف بأبي الأذنين حاكم بلاد كتامة، إلى أن مات مسموما، فحل محله أخوه يحيى بن إبراهيم المعروف بابن برهوية واستمر في الحكم إلى أن اختلفت عليه قبائل كتامة فكان في ذلك نهاية حكم أبناء إبراهيم بن القاسم، وانتقال حكم أصيلا وسائر المنطقة الشمالية الغربية إلى بني محمد بن إدريس على يد حسن الحجام في الدولة الثانية للأدارسة.

ابن عذاري، *البيان المغرب* ج. 1 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 1؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، ج. 1 ؛ إ. العربي، *دولة الأدارسة*.

محمد حجي

ابن **إبراهيم، أبو القاسم** بن محمد الدكالي المشنزائي. عالم مشارك متضلع في الفقه والقراءات والتفسير والنحو والأدب والتاريخ. ولد عام 896 / 90-1491 وأخذ عن والده الشيخ محمد ابن إبراهيم، وعن الإمام محمد ابن غازي، وعن صهره أبي زوجته محمد الهبطي السماتي صاحب *وقف القرآن* وأضرابهم. عمّر أكثر من أخيه عبد الرحمان في التدريس بالقرويين وغيرها، وتخرج به جماعة كبيرة من طبقة المنجور. وكانت بينه وبين قاضي فاس عبد الواحد الحميدي منافسة، فكان هذا الأخير يشتمه وقومه آل إبراهيم في مجلس درسه الفقهي الشهير بالمدرسة المصباحية ويقول عنه إنه "أحمر بني إبراهيم" ـ صيغة تفضيل من الحمار على غير قياس ـ وليس ذلك بشيء، وإنما هو الحسد والغرور وسلاطة اللسان.

عدَّد أحمد المنجور المصنفات التي كان يقوم عليها أبو القاسم ابن إبراهيم، وما قرأ عليه منها من القرآن العزيز بالقراءات السبع، والتفسير بكتب ابن عطية والزمخشري والصفاقسي وغيرهم. وذكر أنه كان يقوم إلى جانب التدريس بتلقي الشهادات ويحسن كتب الوثائق، ولازم سماط العدول بفاس مدة.

توفي بفاس عام 978 / 70-1571 وكانت جنازته مشهودة حضرها الخاص والعام.

م. ابن عسكر، *دوحة*، 75 ؛ أ. المنجور، *فهرس*، 65-66 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 153 ؛ *درة*، 6 : 287-988 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج*، مخطوط ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 1 : 157 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 128. م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 353.

محمد حجي

إبراهيم بن محمد بن إدريس الأزهر، عندما اعتلى العرش الإمام محمد بن إدريس (213-221 / 828-836)، وزع ـ بوصية من جدته السيدة كنزة ـ أقاليم المغرب على إخوته الكبار، لكن سرعان ما أسفرت التجربة عن فشلها، إذ لم يلبث بعض إخوته أن ثاروا على سلطته، وأرادوا الاستقلال بحكم أقاليمهم وتوريثها لأولادهم من بعدهم، مما أوقع البلاد في أتون من الفتن والحروب الداخلية. وجعل الأدارسة يتنافسون فيما بينهم، ويتقاتلون أحيانا، مما عجل بانقراض دولتهم، وجعل فترة حكمهم يكسوها شيء غير يسير من الغموض وعدم الاستقرار، ومن الغموض وعدم الوضوح.

يَبْرُزُ الأمير إبراهيم بن محمد بن إدريس في الأفق السياسي والعسكري عندما تستولي قوات الخليفة الأموي عبد الرحمان الثالث، على مدينة سبتة بقيادة قائد البحر عامل الجزيرة الخضراء أمية بن إسحاق القرشي، وتأخذها من يد بني عصام الذين كانوا ـ وفي مقدمتهم الرضي ابن عصام ـ يحكمونها باسم الأمراء الأدارسة. حدث هذا الاحتلال صدر ربيع الأول من عام 319 / 23 مارس 913، فكان مفاجأة غير سارة لإبراهيم بن محمد بن إدريس الذي كانت تُحكم سبتة باسمه، ولذلك ثارت حميته، وأبت عليه نخوته العسكرية إلا أن يجمع جموعه من بني أبيه وموالييهم، ومن القبائل المجاورة. ووقع الزحف على المدينة المغتصبة. لكن مقاومة جند الأمويين وممانعة أهل المدينة أنفسهم أفشلتا الحملة، واضطر الأمير الإدريسي إلى الجنوح إلى السلم والاعتراف بالواقع. وتبودلت بين الطرفين مراسلات وإرساليات كانت نتيجتها المهادنة ومبايعة أمير الأدارسة إبراهيم بن محمد بن إدريس للخليفة الأموي الناصر لدين الله.

هنا يظهر على المسرح السياسي والعسكري أيضا الأمراء أبناء عمر بن إدريس بزعامة إبراهيم بن إدريس بن عمر. ذلك أن النتائج التي توصل إليها بنو محمد بقيادة إبراهيم، ساءت بني عمر وزعيمهم إبراهيم، فكتب هؤلاء الأخيرون إلى الخليفة عبد الرحمان الثالث كتابا يناقضون فيه بني عمهم، ويحرضونه ضدهم، ومع ذلك، فمن خلال أحداث سبتة المشار إليها، ومن تضاعيف مراسلات الأمير إبراهيم بن محمد، ومخاطبته لعبد الرحمان الثالث الذي كان في عهده يمثل أكبر قوة إسلامية بالغرب الإسلامي يتضح لنا أننا أمام رجل دولة بكل ما تحمل الكلمة من معنى. لقد كان في الواقع ملكا غير متوج ومات بعد 319 / 931.

أ. ابن حيان القرطبي، *المقتبس* (نشر پ. شالميتا) ص. 88-298 ؛ ع. أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 4 : 217 ؛ إ. العلوي، *الدرر البهية* 2 : 65 وما بعدها ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ *دورية الوثائق*، 1 : 73-80.

Juan Vernet Gimes, *Historia de Marruecos : La Islamizacion*, p. 59 y siguientes, Editora Marroqui, Tetuan 1957; R.P. Dozy, *Historia de los Musulmanes*, 2º Tome, Barcelona 1945.

عبد الله العمراني

ابن **إبراهيم، محمد (الجد)** الدكالي المشنزائي. ابن الشيخ إبراهيم الوافد على فاس. عاصر الإمام محمد ابن غازي وأصهر إليه ببنته، واشتغل إلى جانبه بالتدريس في القرويين. كان مختصا في فروع الفقه "لا ينقطع عن قراءة *المدونة*، و*رسالة ابن أبي زيد*".

توفي بفاس عام 921 / 1515.

أ. المنجور، *فهرس* 12 ؛ أ. ابن القاضي، *لقط الفرائد*، ألف سنة من الوفيات 285 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 248.

محمد حجي

ابن **إبراهيم، محمد الدكالي** المشنزائي الفاسي من أبرز علماء العهد السليماني، بل إنه تمكن من تصدر مكانة مرموقة ضمن علماء الحضرة الفاسية حتى قبل هذا العهد، بحيث نجد اسمه من جملة أسماء النخبة التي بايعت المولى سليمان سنة 1792. وقد عمّر طويلا بعد أن نجا من الوباء الجارف (1799-1800) الذي أتى على عدد هام من العلماء الذين شاركوه في البيعة المذكورة، وكان الوحيد من بين هؤلاء الذي بقي على قيد الحياة حتى بعد وفاة المولى سليمان.

يُجمع كل من ترجم لهذا العالم على أنه كان من الفقهاء المقتدرين، وقد كتب عنه العربي المشرفي أنه كان من شدة حفظه وسعة علمه قادراً على تلخيص فتواه في سطر واحد أو سطرين. وهذا النبوغ الذي أظهره محمد بن إبراهيم الدكالي هو الذي حدا بالموالي سليمان إلى أن يقلده خطة الفتوى بمدينة فاس، وأن يستشيره في القضايا الهامة التي تخص سياسة الدولة. وهكذا استفتاه السلطان عند بداية القرن الماضي بخصوص مسألة بيع الخيل للإسبانيين مقابل تخليهم عن بعض الثغور التي يحتلونها في شمال البلاد، فكان جوابه بالموافقة. لكن مهمة الفتوى بالمغرب بقيت دائما مهمة غامضة المحتوى مفتقرة إلى التنظيم والاستمرار، كما كانت مجردة عن الامتيازات الهامة التي ارتبطت بمنصب المفتي ببلدان إسلامية أخرى. وعلى الرغم من أن الزياني يضع الفتوى في المرتبة الثالثة بعد الخلافة العظمى والوزارة،

فإن الواقع جعلها دون مرتبة المناصب الشرعية الأخرى كمنصب قاضي القضاة بالحضرة الإدريسية الذي كانت له اختصاصات واسعة لا سبيل للمفتي إليها، من تعيين أصحاب الخطط الشرعية من عدول ونظار أحباس ومحتسبين وغيرهم بالإضافة إلى الإشراف على التدريس والمدرسين بجامع القرويين. إلا أن مزاولة هذا المنصب الهام، منصب قاضي القضاة، ظلت طوال العهد السليماني حكراً على الأسرة السودية. فالمولى سليمان بحكم المكانة التي اكتسبها محمد التاودي ابن سودة (ت. 1795) في دولة والده، وبحكم العلاقات المتينة التي كانت تجمعه بشيخه أحمد بن التاودي بن سودة، بادر في سنة 1792 إلي تعيين هذا الأخير قاضيًا بمدينة فاس، وهو المنصب الذي احتفظ به لمدة أربع وعشرين سنة تقريبًا، أي إلى حدود سنة 1816. وحتى عندما ترك أحمد بن سودة القضاء في هذه السنة بعد أن فقد بصره فإن المولى سليمان لم يتردد في إسناد المهمة إلى ولده العباس بن سودة رغم صغر سنه (29 سنة) ودون أن يكترث لردود الفعل المحتملة من طرف العلماء، خاصة من كان يُحسب من المتقدمين سنًا وعلمًا وممارسة للخطط الشرعية مثل المفتي محمد بن إبراهيم الدكالي الذي سرعان ما دخل في صراع مع قاض اعتُبر غير أهل للمهمة التي أسندت إليه، وهو الصراع الذي كان من جملة العوامل التي أدت إلى أزمة خطيرة كادت أن تعصف بالدولة السليمانية.

بعد سنة 1816 لم يعد التعايش ممكنا بين القاضي والمفتي. فالعباس بن سودة على الرغم من ضعف تجربته وهوة السن التي كانت تفصله عن محمد بن إبراهيم الدكالي أظهر من العناد والتعصب لرأيه ما جعل الأمور تتأزم بسرعة بين الطرفين. والأدهى من ذلك أن السلطان وقف إلى جانب القاضي وسانده في كل خلاف نشأ بينه وبين المفتي إلى درجة أصبحت معها مزاولة الفتوى أمراً متعذراً. وفي سنة 1818، وبعد أن احتد الصراع بين العباس بن سودة ومحمد ابن إبراهيم، قرر المولى سليمان إلغاء خطة الإفتاء، وهو الأمر الذي زاد في تدهور الوضعية بفاس بعد أن تعصّبت جماعة من العلماء لجانب المفتي المعزول واتهمت القاضي بعدم الكفاءة والاستبداد بالرأي والجور في الأحكام. هذه الاتهامات رُفعت إلى علم السلطان بواسطة رسالة حررها كل من محمد بن إبراهيم الدكالي والفقيه عبد السلام الأزمي، وفي هذه الرسالة ندد هذان العالمان بالخروقات التي يقترفها القاضي وطالبا المولى سليمان بضرورة التدخل السريع لتدارك الأزمة قبل استفحالها. إلا أن السلطان، حسب رواية أكنسوس، لم يُعر للمسألة اهتماما واعتبرها من باب "المنافسة التي لابد منها بين الأقران".

أما الزياني فلا يتردد في تحميل المسؤولية لمحمد بن إبراهيم الدكالي متهما إياه بطمعه في منصب القضاء، وهو الذي جعله، حسب هذا المؤرخ، يتآمر مع ثلة من فقهاء المدينة لعزل القاضي العباس بن سودة :

وعزم المفتي ومن له تبع ... من فقها الوقت وفي القضا طمع
فعزل المفتي وأنكى التابعين ... وأبطل الفتوى لكل النازعين
فكان ذاك سبب الخلاف ... أفتى به المفتي مع الأجلاف

لكن يظهر أن مآخذ محمد بن إبراهيم وشيعته على القاضي لم تكن كلها مختلقة بغرض الإطاحة بهذا الأخير، فالزياني نفسه، وإن كان من أشد الناس وقوفا ضد المفتي وكل من تمرد على المولى سليمان، فإنه مع ذلك يتبنى ما نُسب للعباس بن سودة من تعصب واستبداد بالرأي حتى وإن كان على غير صواب :

لا عيب يرتضيه غير أنه ... لا يقبل الحق وإن شاهده
يمزق الفتوى لمن أتى له ... ويُبطل الحكم وإن موجّهُ

وكان بالإمكان أن يبقى الخلاف محصوراً بني شخصين أو دائرة محدودة من العلماء لولا تدهور الأوضاع السياسية بعد هزيمة زايان (1819) وسقوط هيبة السلطان وما تبع ذلك من تفتت السلطة المخزنية، وخاصة بالعاصمة الإدريسية. فبينما كان المولى سليمان محاصراً بمدينة مكناس من طرف القبائل البربرية دبت الفتنة إلى صفوف أهل فاس فثاروا على عاملهم محمد الصفار. ثم بعد انتقال السلطان إلى مراكش (1820) قام جيش الأوداية بنهب ملاح فاس ومحاصرة المدينة القديمة وقائد المخزن لا حول له ولا قوة. بعد ذلك مباشرة عمد أهل فاس إلى عزل القاضي واستبدلوه بمن كان من شيعة محمد بن إبراهيم الدكالي.

لقد ارتبط اسم المترجم بما يعرف بـ "فتنة فاس" (1820-1822) وهي فتنة لم تبق في الحقيقة محصورة في مدينة فاس بل تعدتها إلى جهات أخرى. فهو الذي قدمه أهل فاس لمكاتبة المولى سليمان ليطلبوا منه الرجوع من مراكش إلى الغرب حتى تهدأ بوجوده نار الفتن التي عمت شمال البلاد. وإليه وجّه السلطان جوابه الذي اتخذه أهل فاس ذريعة لخلعه ومبايعة ابن أخيه إبراهيم بن اليزيد ويتعلق الأمر برسالة غامضة المحتوى يُحتمل تفسيرها على أنها إقرار بالعجز وترخيص للرعية باختيار أمير آخر.

وكان محمد بن إبراهيم الدكالي في مقدمة العلماء الذين فسروا رسالة السلطان بهذا المعنى (الزياني اتهمه بتزوير كتاب السلطان) وأفتوا في نفس الوقت بوجوب مبايعة خليفة قادر على القيام بأمور الأمة. وعلى هذا الأساس استطاع أهل فاس ومن تحالف معهم من القبائل البربرية والزوايا (الوزانية والدرقاوية) مبايعة المولى إبراهيم بن اليزيد (1820) ثم أخيه مولاي سعيد (1821-1822).

وخلال هذه الفتنة امتُحن القاضي العباس بن سودة وأودع السجن مع عدد من إخوته وأغرموا أموالا طائلة تزيد على أربعين قنطاراً.

وعندما بويع المولى عبد الرحمان بن هشام (1822) توجه إليه السوديون طالبين منه أن ينصفهم ويدفع عنهم ما لحقهم من ظلم على يد المتمردين من أهل فاس. ولم يمض وقت طويل حتى أصاب الفقيه محمد بن إبراهيم ما أصاب

العباس بن سودة وإخوته من التعذيب والتنكيل. ذلك أنه ولي القضاء بالحضرة الفاسية في سنة 1823 فشُنعت عليه "أمور منكرة" قادته إلى السجن بعد أن مكث في القضاء ما يزيد على السنة قليلا. وقد أغرم الأموال الطائلة وعذّب بأنواع العذاب وأهين غاية حتى إنه أجلس فوق المزابل وهو مغلّل في السلاسل وتوفي يوم 8 رجب 1241 / 16 فبراير 1826.

أ. الزياني، *تكميل قضاة فاس على ما في جذوة الاقتباس*، مخطوط ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم* ؛ ع. المشرفي، *نزهة الابصار إلى ذوي المعرفة والاستبصار*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2.

محمد المنصور

ابن إبراهيم، محمد (شاعر الحمراء). كان شذوذا أدبيا حلوا كما قال الفرقاني في مقدمة ديوانه نجوم في يدي، فنال من إعجاب الناس به ما أهلته له شاعريته وظرفه، ومعهما شذوذه الذي كان له تأثير فعال في توليع الناس به وفي تحبيبه إلى القلوب وهو لم يكد يدخل العقد الثالث من عمره حتى طار اسمه في المغرب كشاعر مطبوع، ونكات بارع، وشاطر أحْوَذيّ.

والمحكي عن والده الحاج إبراهيم السراج أنه كان قاهر السلطة في بيته وأهله، وأنه كان شديد التدين، متمسكا بالشرعيات، لا يكاد يقدم على أمر حتى يستفتي فيه علماء الدين الذين كانوا عنده بموضع التعظيم والتوقير، ومن ثم كانت إرادته في ابنه محمد هذا أن يتفقه في الدين، وأن يكون على سمت رجاله في الركانة والوقار، وأراد ابنه محمد أن يكون أديبا مرسل العنان، لا يتقيد بأي ناموس، فاختلفا، وأفضى الأمر في ذلك إلى أن غلب عُرامُ الصبى صرامة الأب، فتهتك الفتى بدل أن يتنسك، وجاءنا منه شاعر بديلا عن فقيه.

وقد لفت شاعر الحمراء أيام الطلب نظر أشياخه إليه بلقانته وتحصيله، فكتب له نفر منهم إجازات شهدوا له فيها بالأهلية العلمية، وكان من بينها إجازة للعلامة رأس السلفية وشيخ التحديث لوقته بالمغرب أبي شعيب الدكالي جاء فيها بعد التحميد :

"أما بعد فقد استجازني الشاب الأنجب، اللوذعي الأدب، الفقيه سيدي محمد بن إبراهيم المراكشي بعد أن سمع مني من *صحيح البخاري* ومن *مختصر* الشيخ خليل جملة صالحة، وبعد مذكرات أنيقة، فأجزته بكل ما تجوز عني روايته من معقول ومنقول، وفروع وأصول، بشرط أن يقول لا أدري، وأن يواظب على الاستفادة والإفادة..."

ولم ينكر أحد من العارفين بالشعر على شاعر الحمراء سليقته الشعرية وإنما انتقدوا عليه أنه كان لا يهتم بتثقيف شعره، كما ذكروه أيضا بخفة المضامين إلى حد السذاجة، وذلك ما يخفف كفة ميزانه في الشعر في أحيان كثيرة.

وقد علق به لقب شاعر الحمراء واشتهر به عند الناس، فدونه يوسف أسعد داغر في كتابه *معجم الأسماء المستعارة* إلى جانب شاعر الخضراء لقب الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي، وشاعر النيل لقب الشاعر المصري حافظ إبراهيم في ألقاب أخرى من ذلك الطراز.

ونال هذا اللقب حظا من التشريف القومي فسمي به زقاق بأگادير وأطلق على مدرسة ابتدائية بها، وعلى ابتدائية أخرى بالبيضاء، وعلى إعدادية بمراكش الحمراء.

وارتفعت منزلته عند واحد من عمداء الشعر من معاصريه هو الشاعر الأديب عبد الملك البلغيثي، فبايعه أميرا على شعراء المغرب سنة 1941 وضمن بيعته قصيدة له يقول في فاتحتها :

يا أميرا في دولة الأشعار ... بسُمُوٍّ في ذوقه وابتكار
لك في عالم البراعة شأو ... من يجاريك إن يكن من يجاري؟
غير بدع أن صرت فيها أميرا ... بانتخاب فأنت أنت اختياري
فتحكم في دولة الشعر يا خير ... أمير قد نال كل اعتبار

وقد حظي شاعر الحمراء ـ كشاعر ـ بصيت لم يحظ به أي أحد من شعراء المغرب الذين عاصروه، ولقي من الحفاوة والاعتبار ما يستحقه أو ما هو فوق ذلك، فكثرت المذكرات بأدبه في المجالس، ولقّن الطلبة اسمه بين أسماء الشعراء الذين وضعوا في المناهج، وأدخل المؤلفون المدرسيون أشعاره في كتبهم المدرسية لغرض تفهيمها وتحفيظها، وتلقفت الصحف والمجلات ما كان يصدر عنه من أشعار ونشرتها في الواجهات مع الكثير من التنويه والإطراء.

شاعر الحمراء

وتعدت شهرته حدود المغرب إلى خارجه فتعرف عليه أدباء الحجاز وشعراؤه أيام زيارته للديار المقدسة لأداء فريضة الحج، وساجلهم وساجلوه، وعرج في عودته إلى الوطن على مصر، فاحتفى به هناك رجال الفكر والأدب احتفاء تناقلت أخباره الصحف والمجلات، وأثبت هو جدارته بذلك الاحتفاء بما أنشده من رائق الشعر في المناسبات والدعوات التي حضرها.

وقد لخص شاعر الحمراء حياته العلمية والأدبية في ورقة تعريف بنفسه كتبها سنة 1942 وقال فيها ما نصه :

"مولدي بمراكش الحمراء مهل عام 1318 هجرية، وقد سهر أبي ـ قدس الله روحه ـ على تربيتي حتى حفظت *القرآن الكريم* بروايتي ابن كثير وأبي عمرو البصري، وحفظت عالب المتون العلمية، ومنها مختصر أبي الضياء خليل المالكي، ثم عكفت على دراسة العلوم الدينية بكلية ابن

يوسف ثم كلية القرويين نحو الأربعة (كذا) حيث رجعت إلى مسقط رأسي.

وبعد الإتمام انقطعت إلى التدريس زمنا غير طويل بالكلية اليوسفية، ثم جذبني الأدب ـ الذي كنت أغالب ثورة منه تعصف في أعماقي ـ جذبة قوية ما زلت منها بين أحضانه إلى الآن.

أما آثاري فليس لدي من آثار إلا *معارضة للزوميات أبي العلاء المعري* التي تقع في ثلاثة آلاف وخمسمائة وستين بيتا (3560) و*ديوان* شعري الذي قد كان يمكن أن يكون ضخما جدا لو كان جميعه في حوزتي، و*مساجلاتي لشعراء مصر والحجاز* التي أفردتها بتوليف والسلام".

وقد بقي الشاعر فيما بعد مشدودا إلى الأدب بتلك الجذبة القوية إلى أن مات بسكتة قلبية سنة 1954. ومن آثاره الأدبية :

1. *ديوان*. توفي شاعر الحمراء وديوانه على الحالة التي ذكرها من التفرق والشتات في التعريف السابق، فقام على تخريجه من المسودات والصحف والمجلات ومن أفواه الرواة ومما احتفظ به بعض أصدقائه من رقاع شعره ـ قام على ذلك نفر من أصدقائه المراكشيين هم الأساتذة : الطيب المريني دنيا، مبارك العدلوني الكتاني، محمد بنبين، علي بن المعلم التاورتي، أحمد الشرقاوي إقبال، وتم عملهم في التخريج سنة 1969 وحفظت النسخة المخرجة منه بالمكتبة الحسنية بالرباط. وانتقى منه الأستاذ الطيب المريني دنيا وكاتب هذه السطور مختارات أخرجتها المطبعة الوطنية بمراكش سنة 1979.

2. *معارضة اللزوميات*. ذكر في التعريف أنها تقع في 3560 بيتا، لكن المعثور عليه من ذلك بعد التفتيش المستقصي لا يتجاوز ست مقطوعات طولاهُنَّ تتألف من ستة أبيات، ومجموع أبيات القطع الست عشرون بيتا ليس إلا، وهي مثبتة في الديوان.

3. *المسرحية الطلابية*. هي مسرحية شعرية تتألف من قطع مختلفة البحور والقوافي، موضوعها المفاضلة بين التعليم في مراكش عندما كان حرا، وبعد أن خضع للتنظيم بتأسيس كلية ابن يوسف سنة 1939. يجتمع فريق من الطلبة يختلفون على الطريق القديمة والجديدة وفي أيتهما الأنفع والأجدى، ويتخذون واحدا منهم حكما فيما جرى بينهم من خلاف ويسألونه القضاء بينهم بما يراه الحق والصواب فيقضي للجديد على القديم. وقد ألحقنا نصها الكامل بالديوان.

4. *الشطرنج الناطق*. قصيدة شطرنجية كان عمله فيها أنه ملأ بيوت الشطرنج الأربعة والستين بعددها من الكلمات، ثم كون من تلك الكلمات أبياتا شعرية تتألف معانيها من سير القطع الثماني غير البيادق على الرقعة في مختلف الاتجاهات، وجعلها أمداحا في الباشا الأگلاوي. ألحقناها بالديوان، ويرجع إليها أيضا في كتاب *شاعر الحمراء في الغربال* (23. 27) وفي كتاب *لعبة الشطرنج* (101. 104) كلاهما لكاتب هذه السطور.

5. *المساجلات*. هي مساجلات بينه وبين شعراء من مصر وآخرين من الحجاز أفردها بتوليف صغير كما أخبر بذلك في التعريف، وهي في حكم الضائع.

6. *بين الأدب المصري والأدب المغربي*. هو حديث ألقاه في إذاعة الرباط، تكلم فيه عن احتفاء رجال الفكر والأدب المصريين به لدى مروره بمصر وهو في طريق عودته إلى المغرب بعد أداء فريضة الحج، وخبَّر فيه عما اتفق له أن يحضره من المناسبات والدعوات، الأمر الذي اقتضى منه أن يقول من الأشعار ما يساهم به في تلك المناسبات أو يشكر به على تلك الدعوات. نشر هذا الحديث بجريدة *التقدم* مجزأ في أعدادها الآتية : العدد 56 بتاريخ 1940/10/28 ؛ العدد 57 بتاريخ 1940/11/11 ؛ العدد 58 بتاريخ 1940/11/25.

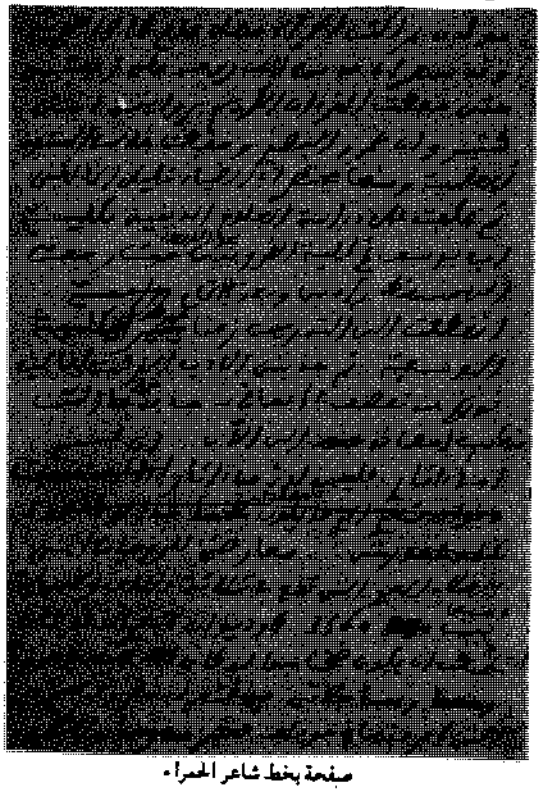

صفحة بخط شاعر الحمراء

ح. التناني، الأدب الحي وحظه من اعتنائنا ؛ حديث ألقي من الإذاعة الجهوية بمراكش سنة 1940 وطبع بمطبعة التقدم الإسلامية بمراكش ؛ أ. الشرقاوي إقبال، *شاعر الحمراء في الغربال*، البيضاء 1963 ؛ ص. العلوي، *تخطيط لدراسة شاعر الحمراء*، محاضرة نشرتها جريدة العلم بتاريخ 1964/2/27 ؛ ع. غلاب، *في الثقافة والأدب*، البيضاء 1964 ؛ *عالم شاعر الحمراء*، البيضاء 1982 ؛ م.ح. الفرقاني، *نجوم في يدي*، البيضاء 1964 ؛ م. برادة، *أصداء الفكر والثقافة*، دعوة الحق مارس 1964 ؛ أ. قبش، *تاريخ الشعر العربي الحديث*. طبع سنة 1971 ؛ إ. السولامي، *الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية*، البيضاء 1974 ؛ *تأملات في الأدب المعاصر*، البيضاء 1979 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية*، 1 : 24 ؛ ع. گنون، *أحاديث عن*

الأدب المغربي الحديث، البيضاء، 1978 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام* 5: 306، ط 4 بيروت 1979 ؛ أ. داغر، *معجم الأسماء المستعارة*، ص. 164، بيروت 1982 ؛ أ. ع. البقالي، *أظرف شعراء زمانه*. الدارة (مجلة) يونيو 1986 ؛ أ. الخلاصة، *شاعر الحمراء في تاريخ الأدب المعاصر*. البيضاء 1987.

أحمد الشرقاوي إقبال

ابن **إبراهيم، محمد أبو شامة** بن عبد الرحمان الدكالي المشنزائي. ولد بفاس عام عشرة وتسعمائة، وبها درس على والده وعمه وأحمد الحباك وعلي ابن هارون وغيرهم من مشيخة فاس تلاميذ الإمام ابن غازي. ثم انقطع للتدريس والعبادة إذ كفاه والده عبد الرحمان شؤون العيش.

كان محمد أبو شامة ـ كعشيرته ـ فقيها متمكنا من فروع المذهب وأصوله، وإلى ذلك كان مشاركا في علوم اللغة والأدب. أقبل عليه طلبة الحاضرة الإدريسية خاصة في النحو، ومنهم، أحمد المنجور، قال : "حضرت مجلسه مدة في *ألفية ابن مالك*، وكان يجيدها بالحك اللفظي ولا يزيد نقلا، وانتفع به غير واحد من الطلبة... وفي *الرسالة* و*تلخيص المفتاح*" (*فهرس*، 72). تولى الخطابة بجامع القرويين بعد وفاة والده وظل خطيبا إلى أن مات آخر سنة 964 / 1557 .

وحضر جنازته جم غفير وولي العهد عبد الله (الغالب) بن محمد الشيخ السعدي.

أ. المنجور، *فهرس*، 71 ـ 72 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 40 و153 ؛ *درة*، 2 : 207 ؛ *لقط الفرائد*، 305 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 1 : 156-157 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 352.

ابن **إبراهيم، محمد** ـ فتحا ـ ابن المفضل الأندلسي الفاسي، عالم صالح اشتغل بالتدريس وتربية المريدين، وله أتباع كثيرون منهم علماء مشهورون مثل الشيخ أحمد بن محمد بن الخضر العمراني الحسني. توفي بفاس يوم الخميس مهل رجب عام 1326 / 30 يوليوز 1908.

أ. العمراني، *فهرس*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط.

ابن **إبراهيم، محمد بن محمد** (خمس مرات) الدكالي المشنزائي، ولد بفاس حوالي عام 1294 / 1877 وبها نشأ ودرس على نيف وعشرين من كبار شيوخ عصره أمثال محمد بن التاودي ابن سودة، والحسن بن جلون، ومحمد بن علي الأغصاوي، ومحمد العلمي، وأحمد بن المامون البلغيثي. وهو آخر المشهورين بالتدريس في القرويين من هذه الأسرة العالمة الماجدة. كان فقيها مشاركا متبحرا في التفسير والحديث والفقه والحساب والتوقيت. دَرّس مدة طويلة في القرويين قبل النظام وبعده، واختير عضوا بالمجلس العلمي للقرويين ثم رئيسا لهذا المجلس، كما اشتغل بخطة العدالة، والنيابة عن قاضي محكمة الرصيف. توفي ليلة السبت 14 رجب 1381 / 22 دجنبر 1961، ودفن بمقبرة آل ابن إبراهيم قرب ضريح الإمام ابن غازي بطريق باب الحمراء من حي وادي الزيتون بفاس.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط ؛ *سل النصال*، مخطوط ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط ؛ (وتاريخ الوفاة فيها خطأ) م. ابن الحاج، *إتحاف ذوي العلم والرسوخ*، الدار البيضاء، 1978، ص. 116 ـ 121.

ابن **إبراهيم، محمد المشنزائي** الفاسي، من آل إبراهيم الدكاليين القدماء بفاس، فقيه مدرس، خطيب جامع القرويين، وليها بعد وفاة محمد بن عبد الواحد بن أبي الصبر. وقد خلفه في الخطابة بعد وفاته الشيخ أبو محمد العبدوسي. توفي حسب ابن القاضي عام 846، وعند أحمد الونشريسي في الوفيات أن وفاته كانت عام 847 / 1444-43.

أ. الونشريسي، *وفيات*، ألف سنة، 143 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة* 39 و149 ؛ *لقط الفرائد*، ألف سنة، 250.

محمد حجي

إبراهيم (مولاي ـ) صالح الرباط ← **العلمي المريسي**

إبراهيم (مولاي ـ) طير الجبل ← **الأمغاري**

إبراهيم بن اليزيد بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل العلوي، بويع له بالملك بمدينتي فاس وتطوان في سنة 1236 / 1820-1821، إلا أن خلافته لم تدم أكثر من أربعة أشهر، كما أنها لم تتجاوز في رقعتها الأقاليم الشمالية ـ الغربية.

قضى إبراهيم معظم المدة الفاصلة بين وفاة والده (1206/1792). ومبايعته بفاس (1236 / 1820) منقبضا عن الناس معتزلا للحياة السياسية. ويرجع سبب ذلك إلى الحذر الشديد الذي كان للمولى سليمان من ذرية أخيه اليزيد المغضوب عليه من طرف والده والمتسبب باندفاعه وتطرفه في كثير من المآسي والاضطرابات التي عصفت بالبلاد لعدة سنوات (1790 ـ 1797). لذلك لا يشير إليه المؤرخون قبل مبايعته إلا إشارات خفيفة. وهكذا يذكر الضعيف أن والده عينه خليفة له بمراكش عندما كان منشغلا بحصار مدينة سبتة (1204 / 1790). غير أنه اضطر إلى مغادرة مراكش بعد أشهر قليلة عندما تمردت قبائل الجنوب على سلطة والده وبايعت عمه المولى هشام (1205 / 1791). ولما استتب الأمر لمولاي سليمان بالجزء الشمالي من البلاد طلب من المولى إبراهيم أن يرحل عن مدينة فاس ويتوجه هو وعياله إلى تافيلالت ليستقر بها. إلا أن توسط علماء فاس لدى السلطان أدى بهذا الأخير إلى التراجع عن قراره والسماح لمولاي إبراهيم بالإقامة بفاس بعد أن قدمت له، على ما يظهر، ضمانات بابتعاده عن الحياة السياسية.

وقد استطاع المولى إبراهيم باستقامته وتجنبه الخوض في أمور الدولة أن يفوز بثقة عمه المولى سليمان الذي

استدعاه في سنة 1216 / 1802 ليرأس جيش العبيد والأوداية وقبائل الغرب في الحملة العسكرية التي نظمها السلطان ضد قبيلة بني مطير. ومنذ ذلك التاريخ وإلى حين مبايعته لم يقم بدور هام يستحق الذكر من طرف المؤرخين. وترجع ظروف مبايعته في سنة 1236 / 1820 إلى هزيمة زيان في السنة قبلها. فبعد هذه الهزيمة امتدت الفتن والاضطرابات إلى جل قبائل المغرب وخاصة في المناطق الشمالية من البلاد. ومع انحلال السلطة وتمرد الجيش ونزول القبائل الأطلسية إلى بسيط سايس أصبح المولى سليمان عاجزا عن إقرار الأمن وإعادة الطمأنينة إلى نفوس الرعية، خاصة بعد أن نضبت موارد الجباية أواخر الدولة، كما يقول المولى سليمان نفسه، إذ ضعُف الجند ولم يقدر على قبض الواجب من القبائل وجمع بيت المال.

ومما لا شك فيه أن سنوات القحط التي توالت على المغرب بعد سنة 1233 / 1816 والطاعون الذي ابتليت به البلاد في سنتي 1233 . 1818 / 1234 . 1819 تعتبر من جملة العوامل التي مهدت لضعف سلطة المخزن. ومما لا شك فيه كذلك أن أهل فاس كانوا أكثر الناس تضررا وتذمرا من الأوضاع الاقتصادية والسياسية المتدهورة. فالقحط أدى إلى كساد الصناعة والتجارة، وانقطاع الاتصال مع العالم الخارجي خلال سنتي الطاعون أضرَّ بمصالح التجار. أضف إلى ذلك الحصار المضروب على المدينة من طرف القبائل وجيش الأوداية الذي مد يده بالنهب إلى حارة اليهود بفاس (شعبان 1235 / يونيو 1820) والسطو على ممتلكات الفاسيين من أجنّة وماشية وقوافل تجارية. وأمام عجز موظفي المخزن عن حماية أهل فاس وممتلكاتهم بادر هؤلاء إلى تعيين قواد محليين وتنصيب قاض جديد، وفي نفس الوقت كتبوا إلى المولى سليمان، وهو آنذاك بمراكش، يناشدونه الرجوع إلى الغرب لعل ذلك يعيد الأمور إلى نصابها فيما يجاور مدينتهم من المناطق. لكن السلطان أجابهم برسالة مشوبة بالغموض ينصحهم فيها باللجوء إلى حماية القبائل البربرية، وهذه الرسالة هي التي زادت نار الفتنة اشتعالا، وعلى أساسها أصدر علماء فاس الفتاوى التي تبيح لهم مبايعة سلطان آخر.

ويظهر أن المتمردين على سلطة المولى سليمان كانوا ينوون في البداية اختيار أمير من بين الشرفاء الأدارسة، وكان هذا هو الرأي الذي يميل إليه محمد بن الغازي رئيس زمور وشيخه العربي الدرقاوي. إلا أن الأندلسيين من أهل فاس، وكانوا يشكلون أقوى عصبية بالمدينة، عارضوا هذه الفكرة يقينا منهم بأن تطبيقها سيرجح كفة الميزان لصالح الشرفاء والزاويتين الوزانية والدرقاوية، كما أن المس بالسلطة القائمة كان سيُفقدهم دعم العبيد والأوداية الذي كانوا لا يزالون يعلقون عليه الأمل. وبذلك اتجهت الأنظار إلى أبناء مولاي اليزيد لمقدرة سياسية أو عسكرية برهنوا عنها، ولكن أساسا لما كان يحيط بشخصية المولى اليزيد من هالة نسجها الخيال الشعبي حول هذا السلطان الذي اشتهر بالشجاعة والتفاني في الجهاد، ولما اتبعه من سياسة موالية للقوى المحافظة في البلاد (الشرفاء الأدارسة على الخصوص). والمولى إبراهيم الذي وقع عليه الاختيار لم يكن يتمتع بأي صفة تؤهله لمنصب الخلافة، وربما تم اختياره بسبب شخصيته الضعيفة التي تجعل منه أداة طيعة في يد مبايعيه. ولم يكن له دور سياسي يذكر على الساحة السياسية خلال حكم عمه المولى سليمان، ولم يكن يخالط الناس ولا عرف أحد ما هو عليه في داره ولا يكلم أحداً ولا يكلمه أحدٌ غير من لا بد له منه ممن يقوم بفرسه وضروریاته. ولا يراه أحدٌ في مسجد ولا غيره، إلا يوم الجمعة يركب فرسه ويذهب لأقرب الجوامع إلى داره وهو المدرسة العنانية. وهذه العزلة هي سبب الهيبة التي أصبحت له في قلوب الناس حسب أكنسوس، ولكنها "هيبة ما تحتها طائل ولا فائدة". والحقيقة أن مولاي إبراهيم بن اليزيد لم تكن له همة وطموح إلى الملك وهذا ما جعله يرفض الخلافة في البداية ولم يقبلها إلا شبه مكره. وتمت له البيعة بفاس يوم 8 صفر 1236 / 16 نونبر 1820 بحضور أعيان فاس من رماة وأشراف وعلماء. كما حضر البيعة رؤساء بعض القبائل مثل زمور وأيت إدراسن وگروان وبني حسن وشيخا الزاويتين الوزانية والدرقاوية والمرابط أبو بكر أمهاوش.

وتضمن نص البيعة شروطا قبلها المولى إبراهيم دون أدنى مناقشة من جملتها رد الاعتبار للشرفاء وجعل أمور المسلمين في يد "من ظهر حسبه وتناسق نسبه"، كما شرط عليه أهل فاس إخراج الأوداية من المدينة. وعند تلاوة كل الشروط كان المولى إبراهيم يهز رأسه بالموافقة "وما سمعوا منه من يوم بويع إلى أن مات كلمة صحيحة... كأنه صنم لا يتكلم لا يزيد ولا ينقص". إلا أن المتمردين على سلطة المولى سليمان فشلوا في كسب تأييد عنصر من أهم عناصر المشروعية وهو الجيش، وبذلك ظلت القبائل البربرية تشكل القوة الأساسية التي اعتمد عليها النظام الجديد من الناحية العسكرية.

لم تمض على مبايعة المولى إبراهيم إلا أسابيع قليلة حتى بدأ يفكر في الخروج من فاس والتوجه نحو قبائل ومراسي الجهة الشمالية من البلاد. وكان يهدف من وراء ذلك إلى توسيع نطاق سلطته في منطقة تعتبر معقل الشرفاء العلميين الذين شكلوا الدعامة الأساسية لوالده من قبل، وهي المنطقة التي تتميز بوجود مكثف لأتباع كل من الزاويتين الوزانية والدرقاوية. كما كان أنصار المولى إبراهيم يعلقون آمالا كبيرة على مراسي الشمال وما يمكن أن توفره لهم من اتصال بالدول الأوربية وموارد مالية، سيما وأن تعبئة المقاتلين من القبائل كانت تتطلب أموالا لم يستطع تجار فاس تقديمها رغم السطو الذي تعرضت له أموال المخزن وأملاك الأحباس بهذه المدينة.

خرج المولى إبراهيم باتجاه النواحي الشمالية في ربيع الثاني 1236 / أواخر شهر يناير 1821 وبرفقته سيدي العربي

الوزاني الذي كان يدعو أتباعه إلى تأييد النظام الجديد. إلا ان مدينتي العرائش وطنجة رفضتا استقبال مولاي إبراهيم نظرا لوجود حاميات من جيش العبيد بهما، وكانت تطوان المدينة الوحيدة التي فتحت له أبوابها أملا في قدرة هذا السلطان على إنهاء الأزمة التي كان يعاني منها التطوانيون، والتي كانت تشبه إلى حد كبير الأزمة التي واجهها الفاسيون عقب هزيمة زيان (حصار القبائل المجاورة، تعطل المبادلات التجارية مع المحيط القروي)، كما أن وجود أتباع الزاويتين الوزانية والدرقاوية بالمدينة كان له أثر على موقف التطوانيين المؤيد لحركة مولاي إبراهيم.

وبالرغم من هذا التأييد فإن المولى إبراهيم وشيعته فشلوا في تحقيق الأهداف الأساسية التي غادروا مدينة فاس من أجلها. فممثلو الدول الأوربية المقيمون بطنجة رفضوا الاعتراف بالنظام الجديد لأنهم كانوا يدركون جيدا الطبيعة المحافظة للقوى التي كانت وراء هذا النظام، ومن أهم ما كانوا يخشونه إحياء الجهاد البحري الذي تخلى عنه المولى سليمان. وفشل المتمردون على سلطة المولى سليمان في ربط علاقات تجارية مع الأوربيين الذين امتنعوا عن تزويدهم بالسلاح الذي كانوا في أمس الحاجة إليه. ولذلك فإن حركة التمرد سرعان ما وجدت نفسها في ضائقة مالية وعُزلة ديبلوماسية ستكون من جملة العوامل التي سترجح كفة المولى سليمان في النهاية.

وخلال إقامته القصيرة بتطوان أصيب المولى إبراهيم بن اليزيد بالتهاب في الرئتين تطور إلى استسقاء صدري. وقد وجه طلبا إلى الإنجليز كي يبعثوا إليه طبيبا من جبل طارق، إلا أن هؤلاء ردوا طلبه تمشيا مع الموقف الذي وقفته الدول الأوربية عامة من حركة التمرد. وتوفي في 9 جمادى الثانية 1236 / 15 مارس 1821 أي بعد أقل من شهرين من دخوله تطوان. وبعد ذلك مباشرة بويع أخوه المولى سعيد الذي بقي على رأس الحركة المناهضة لعمه مولاي سليمان إلى حين سقوطها في رجب 1237 / أبريل 1822.

أ. الزياني، *تحفة النبهاء في التفريق بين الفقهاء والسفهاء*، مخطوط ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*، مخطوط ؛ محمد داود، *تاريخ تطوان*، المجلد الثالث ؛ *وثائق وزارة الخارجية البريطانية* C.O.91/79.

محمد المنصور

إبراهيم بن يعقوب المنصور، وقد سمّته بعض المصادر أبا إسحاق الأحول، وعدّته من بين أبناء المنصور الستة عشر، وأورد المراكشي في *المعجب* اسمه بعد اسم ولي العهد محمد في قائمة أولاد المنصور، مشيراً بذلك إلى أهميته ومنزلته. وأحسن ما لدينا عنه من معلومات هي الشهادة التي قدمها لنا معاصره عبد الواحد المراكشي الذي عرفه عن كثب، إذ قال في التعريف به : "وهو خير ولده وأجدرهم بالأمر لو كانت الأمور جارية على إيثار الحق واطراح الهوى. لا أعلم فيهم أنجب منه".

ولا شيء يؤكد هاته الشهادة أكثر من كون أخيه الناصر اختاره ليكون وزيراً له بعد أن عزل عبد الرحمان بن موسى بن يوجان عن هذا المنصب. ولا يذكر لنا المراكشي شيئا عن عمله في الوزارة معتذرا بصغر سنه، وكل ما نعلم هو أن الناصر عين ابن يوجان واليا على إفريقية سنة 596. فتكون بداية وزارته في هاته السنة بالذات. والظاهر أنه شغل هذا المنصب تسع سنوات إلى غاية 605 وهي فترة تاريخية حافلة بأحداث كثيرة، منها القضاء على الثائر الجزولي بسوس واسترجاع مبورقة من يد النصارى والقضاء على ابن غانية بها، ومنها أخذ عدد من التدابير الإدارية المهمة من تغيير في الولايات والقيادات وتجديد لجهاز الجيش وسلاحه. وكانت الأوضاع بإفريقية إحدى الشواغل الكبرى للدولة، إذ بلغت مناوأة بني غانية للدولة هنالك حدا كبيرا من الخطورة مما جعل الناصر يتحرك بجيشه إلى تلك الجهات.

كانت حركته فيما بين 601 و 604 حيث قام بعمليات عسكرية كبيرة لتهدئة البلاد انتهت بتعيين الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي عليها وهو جد الحفصيين. وكانت مشاركة إبراهيم لأخيه في مواجهة هاته الأحداث والمشاكل مشاركة فعالة. يكفي أن نذكر دوره كقائد عسكري في عمليات إفريقية فهو الذي تولى قيادة جيش كبير لتهدئة الفتنة في عامة إفريقية، إذ، كما يذكر ابن عذارى، "صاروا يضربون في أرض تلك الأقاليم شرقا وغربا ويتقصون آثار المفسدين بها قطرا قطرا وأفقا أفقا حتى دوخوا ما وراء طرابلس واستأصلوا بني دمر ومطماطة وما والاها ووقفوا على آخر نفوسه وجاوزوا حد عمرانها المحدود، وشارفوا أرض سويقة بني مكود، يتقدّمهم النصر والتأييد إلى كل سبيل..." وكانت هاته العملية الناجحة الشاملة هي التي أعادت الاطمئنان إلى نفس الناصر، فقرر العودة إلى مراكش.

هكذا، ظهرت نجابة إبراهيم وشخصيته وهو يتولى الوزارة لأخيه، والظاهر أنه كان، بالإضافة إلى ذلك، صاحب نخوة ونبل وكرم، مما جعل الناصر يغار منه وظل في منصبه الجديد سنتين. وفي سنة 607، استعفى منه لأسباب لا يذكرها المؤرخون. ولعله كان متضايقا من سياسة الناصر بالأندلس الخالية من عوامل الاستقرار بالإكثار من التولية والعزل على كور الأندلس في فترة قصيرة من الزمن. ولعله كان غير مرتاح، أيضا، للأوضاع العسكرية تجاه الخطر المسيحي. ومهما يكن، فإنه تخلى عن منصبه وتولى مكانه عمه إبراهيم بن يوسف. وجاءت الأحداث، على إثر ذلك، لتؤكد فشل سياسة الناصر بالأندلس، في هزيمة العقاب التي كانت كارثة على الوجود الإسلامي سنة 609.

وبعد وفاة الناصر سنة 610 وتولي ولده المستنصر، لم يجد هذا الأخير خيراً من عمه إبراهيم لتولّي أمر إشبيلية، من جديد، في تلك الظروف العصيبة. وكانت إشبيلية، يومئذ، هي حاضرة الأندلس بعد أفول نجم قرطبة، وعلى أي

فيمكننا أن نعتبر أن ولايته على تلك المدينة اقترنت بآخر عهودها الزاهرة وهي ما تزال تحت حكم الإسلام. إلى جانب شخصيته كرجل دولة وقائد عسكري، تجلت مزاياه، أيضا وبصورة خاصة، في ميدان رعاية العلم والأدب.وكان هو نفسه، على جانب كبير من العلم، إذ حسب المراكشي، لم يكن في "العلماء بعلم الأثر المتفرغين لذلك أنقل منه للأثر" وكان مثل أبيه ينتحل مذهب الظاهرية. وهو اختيار يحتاج إلى تمكن كبير من الثقافة العربية الإسلامية.

ومن الأمثلة على حسن رعايته للثقافة تقريبه للعالم الكبير عبد الرحمان بن يخلفتن الفزازي، الذي اتخذ منه كاتبا خاصا له، وهو الذي ينعته ابن الخطيب بقوله : "عامر الإناء، يطلب العلم شغفا به، وانطباعا إليه وحبا فيه وحرصا عليه، آية الله في سرعة البديهة وارتجال النظم والنثر وفور مادة وموالاة استعمال...". وكذلك معاملته لعبد الواحد المراكشي الذي تقدم إليه، أول مرة، وأنشده قصيدة مطلعها :

لكمُ على هذا الورى التقديم وعليهمُ التفويض والتسليم
أحييتمُ المنصور فهو كأنه لم تفتقده معالم وعلوم
ومحابر ومنابر ومحارب وحمى يحاط وأرمل ويتيم

ومنها أبيات تدل على نشاط إبراهيم وحزمه في مواجهة الأعداء :

فكأنما حمص جمالا سارة وكأن إبراهيم إبراهيم
ورأى طليطلة كهاجر إثرها سيزفها الأدفنش وهو ذميم
يذر الصليب صغيره وكبيره فيها جذاذا والعلوج جثوم
ويحرق الأعداء فيما أضرمت ويجوب نار الحرب وهي جحيم

ويقول المراكشي معلقا على تلقى الأمير لقصيدته : "فاستحسنها، ـ رحمه الله ـ وبالغ في الثناء عليها، تفضلا منه وسوددا، وجريا على سنن الأجواد. هذا مع ركاكتها وقلة انطباعها وظهور تكلفها". واقتفى أثر أبيه في الإحسان للأولياء. فقد ذكر ابن الخطيب أنه وجه للزاهد عبد الله بن موسى الصنهاجي خمسمائة دينار ليصلح بها من شأنه. فصرف جميعها على أهل الستر في أقل من شهر".

توفي إبراهيم سنة 617 / 1220. وبالجملة، فقد كان من الأمراء الموحدين النموذجيين في مزاولة مهامهم الصعبة بالأندلس التي كانت تواجه آنذاك أعنف الهجمات المسيحية.

ع. المراكشي، *المعجب* ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

إبراهيم بن يوسف بن عبد المومن، أحد أبناء يوسف الثمانية عشر. أمه صنهاجية من قلعة بني حماد. كان من بين السادة النجباء الذين تقلدوا مناصب الولاية في أشد المراكز وعورة وحساسية بالأندلس، ونعني بها إشبيلية وما يليها من جهة الغرب التي كانت معرضة باستمرار لهجمات القشتاليين والبرتغاليين. ولا أدل على نباهته ونجابته من كونه ظل يشغل منصب الولاية على تلك الجهة ما لا يقل عن خمس وثلاثين سنة. ففي سنة 574 / 1178 . 1179، عينه أبوه واليا على إشبيلية في ظروف جد دقيقة إذ كانت المدينة وناحيتها تضررت من سيل عظيم أتى به الوادي الكبير فخرج على جهة طريانة. وفي نفس الوقت كان ملك البرتغال ألفونسو هنريكز يقوم بضغط كبير على جهة غرب الأندلس القريبة من إشبيلية واستطاع أن يحقق انتصارات على الموحدين ويسترد بعض المدن التي كانت في يدهم ويصبح خطرا على المنطقة بأكملها. لذا فإن يوسف بن عبد المومن اختار ولده إبراهيم لما رأى فيه من كفاءة سياسية وعسكرية ووجهه إلى تلك البلاد مع جيش ضخم.

ظل إبراهيم يباشر مهامه بإشبيلية وكانت لا تخلو من تعقيد، إذ كان عليه أن يقوم بالإدارة الداخلية للمنطقة الموكلة إليه فيطمئن مسلمي الأندلس الذين باتوا يتخوفون على مصيرهم، وفي نفس الوقت أن يجابه الهجمات الآتية من جهات متعددة من الممالك المسيحية، فيقوي جيشه ويعده للمعارك المقبلة. وفي تلك الأثناء، وجه إليه والده سنة 576 / 1180 . 1181، رسالة من بلاد إفريقية يبشره فيها بافتتاح قفصة التي كان العرب يعيثون في ربوعها وكان ابن الرند قد استولى عليها. وأرفق الرسالة بقصيدة من نظم ابن طفيل يشير فيها إلى انتصار الخليفة وخضوع العرب الثائرين. فكانت مناسبة لحفل التهنئة، حضره أشياخ الموحدين بإشبيلية وشارك فيه الشعراء بقصائدهم مما يدل على الأهمية التي كان يوليها الخليفة لولاية إشبيلية وولده إبراهيم.

ولما عاد يوسف من حملته بإفريقية إلى مراكش سنة 577 / 1181 . 1182، توجه إبراهيم إليه للسلام عليه وتهنئته، في وفد يضم ابن وانودين الهنتاتي وغيره من الموحدين وأشياخ إشبيلية والتحقت بهم وفود أخرى من قرطبة وغرناطة ومرسية.

وفي سنة 578 / 1182 . 1183، تحرك بجيشه لمنازلة العدو في شنتفيلة. وكان الضغط العسكري شديدا سواء من جهة البرتغاليين الذين وصلوا إلى شلوقة Sanlucar la Mayor، على مصب الوادي الكبير، أو من جهة القشتاليين الذين كان هجومهم أعنف، إذ انتهى باستيلائهم على حصن شنتفيلة Santafila الواقع بين قرطبة وإشبيلية. فحقق إبراهيم بعض الانتصارات دون أن يدخل شنتفيلة عنوة، وإنما كان العدو هو الذي جلا عنها اضطرارا بعد أن أتى الحصار على أكثر جنوده.

وفي نفس السنة، استطاع الموحدون المستقرون بإشبيلية أن يحققوا انتصارا مهما في مدينة طلبيرة Talavera الواقعة داخل المملكة القشتالية. وكان قائد الجيش الموحدي هو أبو عبد الله ابن وانودين، وتغيب إبراهيم عن تلك الواقعة، الشيء الذي أثار غضب والده عليه، لأنه ترك مجد الانتصار لأحد قواده. ولم يطل غضبه عليه، إذ نراه في سنة 579 / 1183 يؤكد من جديد توليته على إشبيلية،

حينما قرر تعيين بنيه الأربعة استعداداً لحملة كبيرة سيقودها بنفسه إلى الأندلس. وجاء إثر ذلك، وبدأ تحركه العسكري من إشبيبية متجها صوب الشمال الغربي لمواجهة البرتغاليين وأسند قيادة الجيش المتوجه لاستعادة شنترين (Santaven) إلى إبراهيم. وكان جيشا ضخما.

لكن المعركة التي نشبت بين العدوين لم تكن حاسمة فاضطر الخليفة للتراجع في ظروف سادتها الفوضى. وكان أول من انسحب بجيشه إبراهيم وتبعه معظم الجيش، بينما بقي الخليفة في قوات محدودة العدد، مما سهل على النصارى مهاجمته وإصابته بجرح قاتل.

ونجد الخليفة يعقوب المنصور يستبقيه بعد ذلك في ولايته. وكان هو أول من افتتح الصلاة بجامع إشبيلية الذي بناه المنصور. ثم نجد الناصر يعينه من جديد على إشبيلية سنة 600 / 1203 ـ 1204 مكان الشيخ أبي عبد الله بن يحيى، ثم يعزله في السنة الموالية ويعين مكانه أخاه السيد أبا موسى. ثم يعيد تعيينه على إشبيلية سنة 607. وأدركته الوفاة بالأندلس سنة 612 / 1215 ـ 1216. وبالجملة، فإن إبراهيم بن يوسف بن عبد المومن كان من كبار الولاة الموحدين بالأندلس، وقدر له أن يقوم بأدوار مهمة.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، جز، 6 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ م. ابن عذارى، *البيان المغرب* ـ القسم الثالث ؛ أ. المقري، *نفح الطيب* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين* ج. 2.

محمد زنيبر

أبْرْدَان، إدريس قائد من قواد إجْرْوَان على عهود السلاطين مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ ومولاي يوسف. لا نعرف تاريخ ميلاده أو وفاته، ويمكن رصد بعض المعلومات عن هذا القائد من خلال بعض الإشارات الواردة في الوثائق المخزنية، ففي قائمة بأسماء قواد بعض القبائل، مؤرخة بـ 16 ذي القعدة عام 1318 / 1900، نجده يقتسم قيادة إجروان مع القواد محمد بن عبد الفاضل الجرواني ورَحُّ الجرواني والمصطفى البوخليفي (محفظة رقم م 3 / 430).

إدريس أبردان

وفي سنة 1326 / 1908 ورد مع جماعة من القواد على دار المخزن ودفع ما اعتادت إيالته دفعه في مثل تلك المناسبات (غ رقم 30)، وفي السنة الموالية فعل مثل ذلك (غ رقم 2). وقد استمر هذا القائد في منصبه إلى عهد الحماية، ففي دراسة متأخرة لنواحي مكناس مؤرخة بـ 20 فبراير 1914، نجده على رأس أيت حمُّ، فرقة من إجروان إلى جانب القواد علي بن محمد والحسين بن عكي وعتُّ بن علي والمصطفى الهردي (La région de Meknès, 31) ويظهر أن إدريس أبردان كان ذا نفوذ كبير ويندرج ضمن القواد الذين احتفظت بهم سلطات الحماية.

وثائق بالخزانة الحسنية.

Arnaud (Capitaine) *Monographies de la région de Meknès* 1914.

العربي أكنينح

إبَرّان، جبل وتل اسمه باللهجة الريفية الحجل، ويقع شمال مركز أنوال بقبيلة تمسمان، وقد دخل التل التاريخ على إثر المعركة التي جرت به بين المجاهدين برآسة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي والقوات الإسبانية الغازية التي كان يترأسها الجنرال سيلفيسطري.

الجنرالان سيلفيسطري (1) ونافارو (2)
في اليوم الذي جرت فيه معركة ظهر أبرّان (1.6.1921)

وسبب ذلك هو أن الحاكم العسكري لناحية مليلة الجنرال المذكور كان يريد أن يصل إلى خليج النكور عن طريق البر، وبعد أن احتل مركز أنوال يوم 15 يناير 1921 أراد أن يستولي على المركز الموالي له وهو أبران، فقام باحتلاله في الصباح الباكر يوم فاتح يونيو، وذلك بالرغم من الإنذار الذي وجهه له الأمير الخطابي، فكان على الأمير أن يبرهن للجنرال الإسباني على قراره الرامي إلى الحيلولة دون السماح للجيش الإسباني أن يتمركز بقبيلة تمسمان ليسهل عليه الاستيلاء على قبيلة بني ورياغل المجاورة حيث يقع خليج النكور. ولم تمر على تمركز القوات الإسبانية بجبل إبران سوى بضع ساعات حتى هاجمها المجاهدون وقضوا عليها عن آخرها، واستولوا على جميع الأسلحة والذخيرة التي كانت بالمركز، وهي 4 مدافع و300 بندقية و60 ألف من القرطوش و360 قنبلة مدفعية، زيادة على عدد من الخيام والأدوية والمأكولات و12 ألف ريال إسباني. وأما عدد القتلى في صفوف الإسبان فقد كان يفوق 300 منهم القطبان سالافرانكا رئيس المركز و8 من الضباط و290 من الجنود.

جرت هذه المعركة المعروفة عند الإسبان بـ «Zarpazo de Abarran» (خدشة أبران) في منتصف يوم فاتح يونيو 1921 وكانت أول معركة انتصر فيها المجاهدون على الغزاة، وهي بداية الحرب الريفية الثانية التي قادها الأمير الخطابي.

م. ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية*، ص. 43.

محمد ابن عزوز حكيم

أبَرِّي، أسرة تطوانية أصلها من ناحية الريف وانقرضت بتطوان. وكان منها بعض الفقهاء نعرف منهم :

أبَرِّي أحمد، الذي كان ضمن الوفد الذي سلّم للسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بفاس وثيقة مبايعته وذلك يوم الأحد 11 ربيع الأول 1276 / 9 أكتوبر 1859.

أبَرِّي عبد الرحمان، بن محمد الذي كان عدلا من سنة 1210 / 1795 إلى سنة 1213 / 1798.

أبَرِّي عبد السلام، بن محمد فقيه كان حيا سنة 1158 / 1746.

أبَرِّي عبد القادر، بن محمد الذي كان عدلا من سنة 1210 / 1595 إلى سنة 1212 / 1797.

أبَرِّي علي، بن عبد الرحمان الذي كان عدلا سنة 1197 / 1783.

أبَرِّي عمر، بن عبد الرحمان الذي كان حيا سنة 1197/1783 أيضا.

ع. السكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 6 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ *تاريخ تطوان*، 2 : 261، 3 : 369، 7 : 265 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tettuan*, 1921 ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español*.

محمد ابن عزوز حكيم

أبركان ← بركان

أبرو ← سمك

أبْريدا، Abrida لم نجد ذكرا لهذا المصطلح إلا عند جغرافي رافينا (Geographe de Ravenne) وهو مؤلف مجهول من القرن الثامن الميلادي. وينسب التسمية للبرابرة (Les Barbares). فهل مصطلح برابرة يعني بالنسبة له السكان المحليين للمغرب الذين ظلوا خارج تيار الحضارة الرومانية ؟

يجعل جغرافي رافينا مصطلح أبريدا مقابلا لمصطلح موريطانيا القاديتانية (Maurétanie Gaditane)، ويذكر بأنه اسْتقى التسمية من كاستوريوس (Castorius) ولكننا لا نعرف عن هذا الأخير أي شيء (جغرافي رافينا III، 11 من خلال رايمون روجي R. Roget).

وتمتد موريطانيا القاديتانية حسب جغرافي رافينا على ساحل البحر الكبير ويوجد بالقرب منها المضيق المعروف تحت اسم سبتيم قاديتانوس (Septem Gaditanus) الذي يفصل موريطانيا عن إسبانيا أو بعبارة أشمل مستعمرة إفريقيا عن أوربا (جغرافي رافينا I، 3). ويضيف في نفس الفقرة قائلا بأن هذه المنطقة تتميز بتعدد مدنها. ولا شك أنه استفاد في نقله للمعلومات المتعلقة بالمغرب القديم من قراءاته لكاستوريوس السابق الذكر ولغيره من المؤلفين القدامى (جغرافي رافينا، I، 3).

وفي تعداده للمدن نلاحظ أن لائحته تتضمن مدنا تقع على ساحل البحر المتوسط وأخرى على المحيط الأطلسي وثالثة بالداخل. ومعظم المدن التي ذكرها محصورة ضمن مثلث موريطانيا الطنجية. فنجد على سبيل المثال مدن طنجيس (Tingis) وليكسوس وبناصة ووليلي وغيرها.

وذكر جغرافي رافينا بأنه تجري بداخل موريطانيا القاديتانية عدة أنهار جعل أهمها نهر سبوبوس (Sububus) ونهر أوبوس، ونهر سلانسيس (Salensis). ويوافق النهر الأخير وحسب رايمون روجي (R. Roget) نهر أبي رقراق.

وحاول تيسو (Tissot) أن يربط بين مصطلح أبريدا والمصطلح البربري أبريد (Abrid) الذي يعني الطريق، أو الممر أو المجاز.

وذكر رايمون روجي أن المصطلح البربري تبريدا (Tabrida) له نفس دلالة المصطلحين المذكورين.

وعليه فأبريدا وحسب تيسو (Tissot) هي البلاد التي يسهل عبرها اجتياز المضيق، ولذا فجغرافي رافينا قصد بها في أول تعريف له (3, I) المنطقة الساحلية المحصورة بين طنجة وسبتة وهي المنطقة المتاخمة لمضيق قاديتانوس الذي شكل قنطرة عبور منذ أقدم العصور. وذكر جغرافي رافينا أنه عبر هذا المضيق فرالوندال في اتجاه إفريقيا بعد هزيمتهم أمام بليزير (Belisaire) (جغرافي رافينا، I، 3 وIII، 11)، وتتفق جل الدراسات المعاصرة على تعريف مضيق قاديتانوس بأنه مضيق جبل طارق الحالي. ولكن عندما حصر جغرافي رافينا (11, III) ضمن أبريدا مدنا مثل بناصة ووليلي وأنهاراً مثل نهر سالنسيس (أبو رقراق) فإنه بهذه الإضافة أعطى مدلولا أوسع لمصطلح أبريدا فانتقل بنا إلى ما وراء المضيق إلى موريطانيا الطنجية.

Geographe de Ravenne, cité par R. Roget, *Le Maroc chez les Auteurs Anciens*, pp. 41-44 ; R. Roget, *Index de Topographie antique du Maroc*, B.S.A.M 4, 1938, pp. 1-86 ; M. Tissot, *Recherches sur la Geographie Comparée de la Maurétanie Tingitane*.

بلكامل البيضاوية وعبد العزيز بلفايدة

أبرطيل ← برطيل

أبريكشة ← بريكشة

أبْريل، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث لازالت هناك أسر إسبانية تحمل الاسم Abril وهو اسم الشهر الرابع من السنة الميلادية. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1150 / 1738. ويبدو أنها أنجبت عدة علماء وفقهاء وأدباء لم نعرف عنهم شيئا باستثناء :

أبْريل، بالقاسم بن علي الفقيه الأديب الذي كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1110 / 1690.

أبريل محمد العربي، فقيه أديب شاعر تطواني، كان معاصرا للأديب المشهور محمد بن الطيب العلمي الذي وصفه في كتابه *الأنيس المطرب* بإمام البلاغة والأديب المجيد والكاتب البارع، ومدحه بقصيدة أثبتها في كتابه المذكور.

يقول الفقيه الرهوني : إن وفاته كانت بعد سنة 1151 / 1738، في حين أن الفقيه داود يعتقد أنه ربما توفي سنة 1156 / 1743، ولعل هذا هو الصواب، لأنه من المؤكد أن يكون أديبنا المترجم له هو الشخص المسمى العربي بن قاسم أبريل الذي كان يتعاطى خطة العدالة بتطوان من سنة 1143 / 1730، إلى سنة 1155 / 1742.

م. العلمي، *الأنيس المطرب* ؛ م. السكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 24 و38 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ *تاريخ تطوان*، 1 : 283، 2 : 325، 3 : 369، 7 : 251.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 ; *Vademecum de Intervenciones* (año 1931) (A).

محمد ابن عزوز حكيم

أبزو ← بزو

أبَطِّيح، مركز بالصحراء المغربية، يقع في الجنوب الغربي لإقليم طانطان على بعد ثمانين كيلو متراً من مدينة طانطان، وتشكل اليوم مركز الجماعة القروية التي تحمل نفس الاسم والتي أحدثت سنة 1979.

أهم ما يميز تنظيم التضاريس في منطقة أبطيح هو اتساع الآفاق وامتداد الأراضي المنبسطة، وهذا الشكل هو الذي يفسر تسمية البطيح التي تطلق على هذا الموقع. وتعلو هذا البسيط تضاريس مرتفعة في شكل هضاب إلى الغرب ونتوءات حادة إلى الشرق كجبال زيني ورأس الخنفرة التي تعد امتدادا لجبال الواركزيز. وتتخلل هذه المناطق المنخفضة مجموعة من الأحواض المغلقة التي تترسب فيها المياه أثناء التساقطات كالگرارة والسبخة. تحدد هذه الأشكال التضاريسية مجموعة من الأودية التي تنساب فيها شبكة مائية موسمية ومن أهمها واد الشبيكة والواد الواعر وواد أم فاطمة. (الخريطة).

ومن أهم المميزات البنيوية للموقع : اقتران منطقة أبطيح المسطحة بامتداد طبقات الكريطاس والايوسين في إطار بنية مسطحة وترسو وفقها إلى الغرب إرسابات ميوبليوسينية قارية (هضبة الحصية).

أما النتوءات والأعراف الإفريزية الشرقية فهي مشكلة من صخور شيستية وحثية تنتمي إلى الزمن الأول. (الخريطة).

هذا وتعرف هذه المنطقة مناخا جافا، وباستثناء الساحل المحيطي الذي تسوده الرطوبة، فإن باقي المنطقة يخضع للمناخ الصحراوي الجاف بحيث إن معدل الحرارة السنوي لا يتعدى 17 درجة، أما معدل الحرارة العليا فيصل إلى 27 درجة وأحيانا 29 درجة.

أما التساقطات : فهي ضعيفة جدا لا تتجاوز 100 مم سنويا، والرياح التي تهب من الشرق، هي رياح ساخنة وحارة وتتسبب في عواصف رملية قوية.

ونتيجة لذلك فإن الغطاء النباتي يبقى هزيلا وهو في معظمه مشكل من نباتات قصيرة، على أن هناك تعارضا بين الجهة الساحلية والداخل، فعند الساحل حيث تتزايد أهمية الرطوبة نلاحظ تنوع النباتات وتظهر مراعي مهمة.

وأهم النباتات الطبيعية المهيمنة في هذه المنطقة هي نباتات الدغموس والگروف والكركاز.. وتزدهر هذه النباتات على العموم على إثر تساقط الأمطار الطارئة والغزيرة.

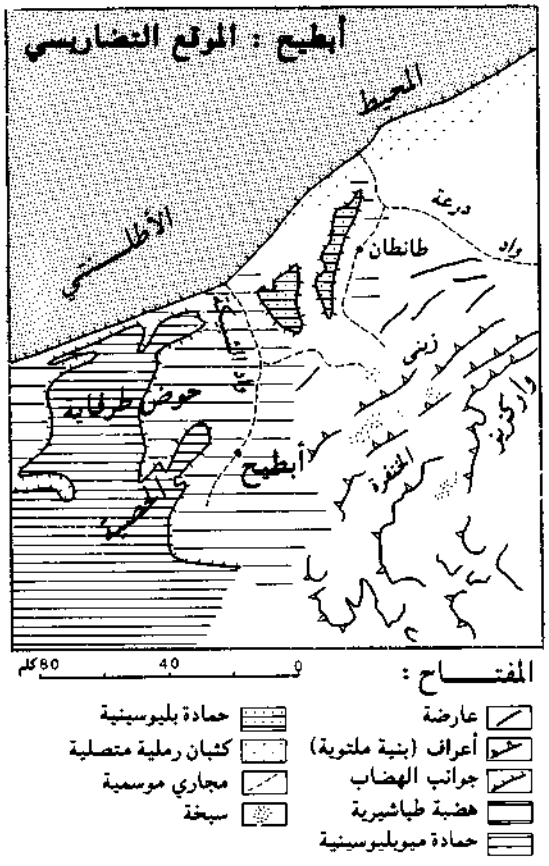

القبائل المستوطنة للمنطقة تتمثل في أيت لحسن واگوت وهي تنتمي إلى قبيلة تكنة وتعيش على العموم من الترحال وبهم نشاط الرعي هذا، تربية الإبل والمعز. أما الفلاحة، فتقام بعد التساقطات خصوصا في مناطق الفيض (المعدر) وتقتصر على الشعير فقط.

هذا ومع تطور العمران والأنشطة المختلفة بالصحراء المغربية بدأت بعض المجموعات البشرية تستقر، وهكذا فإن مركز أبطيح أصبح يعرف نوعا من النمو، إذ يحتضن حاليا ما يقرب من 500 نسمة من مجموع 2403 نسمة المستوطنة للجماعة القروية. وتجدر الإشارة إلى أن حركة الصيد

البحري بدأت تنشط في السنين الأخيرة عند ساحل هذه الجماعة وتسوق الأسماك في طانطان وفي أگادير.

دراسة ميدانية.

حسن بنحليمة

أبْطُـيـوْ، أسرة تطوانية أصلها من ناحية الگرت (إقليم الناضور) تنسب إلى مجموعة من القبائل كانت هناك تعرف بـ "بَطُّيوة" (هناك من يكتب : بَطُّوية)، ولا شك أن الأمر يتعلق بالقبائل الحالية المسماة بتمسمان وبني أوليشك وبني سعيد، وما زالت هناك مرسى بشاطئ القبائل المذكورة تعرف لحد الآن بمرسى بطوية بالإسبانية : (Betoya).

وأسرة أبطُيو هي نفس الأسرة التي تعرف بـ "البَطُّيوي" أو "البَطُّوني"، بل هي نفس الأسرة التي تحمل اسم "الحمامي" والأسرة المعروفة بأولاد "حَدُّو" أو بـ"التمسماني" أو بـ "الريفي"، فبهذه الأسماء كلها نجد أفراد أسرة أبْطُيو التي اشتهرت بقيادة جيش المجاهدين الذين كان السلطان مولاي إسماعيل قد أوكل إليهم أمر استرجاع الجيوب المغتصبة في شمال المغرب وغربه. ويوجد من بين القواد المذكورين : أحمد بن حدو البطيوي، وعلي بن عبد الله الحمامي، والباشا أحمد بن علي الريفي.

ولا زالت أسرة أبْطُيو أو البطُّيوي موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 1 : 3.134 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* (B) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de Intervenciones* (año 1931) (B) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* (A).

محمد ابن عزوز حكيم

أبْعِيـرْ، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني سعيد الريفية، كان بعض أفرادها ينتمون إلى الجيش الذي أنشأه السلطان مولاي إسماعيل سنة 1082 / 1672 من أجل استرجاع الجيوب المغتصبة في شمال المملكة، حيث شاركوا في الحصار المضروب على مدينة طنجة الذي انتهى بتحريرها من يد الأنجليز يوم 5 فبراير 1684، فاستقرت أسرة أبعير بها إلى أن انتقل فرد منها، وهو المسمى علي، إلى تطوان، وخلف علي ولدين : أحمد الذي عينه الإسبان حاكما على المسلمين المتخلفين بمدينة تطوان عند احتلال هذه المدينة يوم 6 فبراير 1860، وعبد الرحمان، الذي كان ينوب عن أخيه عند غيابه أو مرضه. وخلف أحمد ولدا اسمه محمد، كما خلف عبد الرحمان ولدين اسمهما : عبد القادر ومحمد، وقد اندثرت هذه الأسرة الآن بتطوان.

أبْعِير، أحمد بن علي، أشهر فرد من أسرة أبعير الريفية التي استوطنت طنجة على إثر استرجاعها من يد الانجليز سنة 1095 / 1684. وقد انتقل بعض أفرادها إلى تطوان فكان من بينهم أبو المترجم له الذي أصبح يعد من أعيان تطوان ووجهائها.

ولد أحمد أبعير بتطوان سنة 1230 / 1815 وشغل منصب ملحق بقنصلية النمسا والدنيمارك عندما اندلعت الحرب الإسبانية المغربية سنة 1276 / 1860 حيث كان يوجد بتطوان في اليوم الذي جرت فيه المعركة الفاصلة بين الجيشين الإسباني والمغربي بسهل تَرْتِينْ يوم 4 فبراير من السنة المذكورة، فانهزمت قوات الأمير مولاي العباس أخي السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان الذي فضل أن يترك مدينة تطوان لحال سبيلها بدلا من أن يعتصم بها للدفاع عنها، بدليل أنه بعد الهزيمة دخل إلى المدينة وأخذ ما كان بها من أموال ومعدات حربية وأقام معسكره على بعد ستة كيلو مترات بعيداً عنها بالقرب من قنطرة بوصفيحة.

الحاج أبعير باشا تطوان

ونتج عن هذا الموقف السلبي للأمير المذكور أن امتدت أيدي الغوغاء إلى النهب وانتهاك الأعراض والقتل الذي تعرض له سكان تطوان خلال يوم 4 فبراير والليلة الموالية، الشيء الذي جعل معظم الأهالي يتركون ديارهم ويتوجهون إلى البادية المجاورة أو إلى مدينة شفشاون، غير أنه لم يتأت لجميع الناس أن يغادروا ديارهم لسبب من الأسباب، وكان من بين هؤلاء أفراد من الأسر التالية : أبعير ـ أغَيْلان ـ الصبان ـ السلاوي ـ أسنوس ـ المريني ـ اليعقوبي ـ ماشان ـ أفراز ـ يَعْلى ـ الساقة ـ الهيشو ـ الوزاني وغيرهم من الذين اجتمع رأيهم على أن يكتبوا التقديم للمترجم له من أجل أن يتفاوض مع الجنرال أودونيل (O'donell) الذي كانت جيوشه تحيط بتطوان وتستعد لدخولها عنوة، حسب ما جاء في الإنذار الذي وجهه الجنرال المذكور لسكانها يوم 4 فبراير.

وفي اليوم التالي توجه أحمد أبعير مع وفد تطواني إلى المعسكر الإسباني لإخباره بأن السكان الذين ظلوا بتطوان مستعدون لاستقباله دون قتال في اليوم التالي، وكان الأمر كذلك حيث استطاع أبعير أن يحول دون تدمير المدينة كما استطاع إيقاف حملة الفوضى والنهب وانتهاك الأعراض والقتل التي كانت قد عمت المدينة.

وعندما قام الجيش الإسباني باحتلال تطوان يوم 6 فبراير لم يجد الجنرال أودونيل شخصا آخر سوى أبعير ليسند إليه أمر المسلمين الذي ظلوا بالمدينة، فعينه قائداً عليهم والمتكلم باسمهم مع سلطات الاحتلال، وبهذه الصفة

رافق أبعير الجنرال المذكور عندما توجه إلى بوصفيحة يوم 23 فبراير للتفاوض مع الأمير مولاي العباس في أمر الهدنة والصلح.

وقد تعرض أبعير للقيل والقال ممن كان يحسن إليهم من التطوانيين، فكان عليه أن يطلب من الجنرال أودونيل أن يتوسط له لدى الأمير مولاي العباس لكي يرد له الاعتبار أمام الجميع، ولبى الجنرال طلبه وأصدر مولاي العباس يوم 17 صفر 1277 / 4 سبتمبر 1860 مرسوما نشره محمد داود في *تاريخ تطوان*، ج. 5، ص. 234.

وبعد أن انسحبت القوات الإسبانية من تطوان في 10 ماي 1862، أرادت الحكومة الإسبانية أن تجازي أبعير عما قام به من أعمال أثناء الاحتلال، فمنحته الجنسية الإسبانية ولقب خليفة قنصل شرفي، فظل متمتعا بهذا اللقب وتلك الجنسية إلى أن وافته المنية حيث ورث ابنه محمد أبعير لقب خليفة قنصل شرفي، ونجده يستلم شؤون القنصلية الإسبانية بتطوان من القنصل الإسباني طيودورو ذي كويفاس (Teodoro de Cuevas) بتاريخ 15 نوفمبر 1899.

ولم نقف على تاريخ وفاة أحمد أبعير الذي يوجد قبره بالزاوية الحراقية بتطوان.

أَبْعير، عبد الرحمان بن علي، شخصية بارزة من أسرة أبعير الريفية التي استوطنت طنجة ثم تطوان. وفيها ولد عبد الرحمان سنة 1235 / 1820، وكان يشتغل بالتجارة عندما اندلعت الحرب الإسبانية ـ المغربية سنة 1276 / 1860.

ولما توجه أخوه أحمد أبعير ـ بعد الهزيمة ـ إلى المعسكر الإسباني للتفاوض مع الجنرال أودونيل (O'donell) في أمر تسليم تطوان للجيش الغازي دون قتال، كان المترجم بجانبه. وعندما أسند الجنرال الإسباني المذكور أمر المسلمين المتخلفين بتطوان إلى أخيه أحمد وعينه قائداً عليهم، بقي عبد الرحمان بجانبه يساعده ويسانده في تأدية مهمته. وفي 9 أبريل 1860 منحته الحكومة الإسبانية الجنسية الإسبانية، وعندما مرض أخوه أحمد عينه الحاكم الإسباني بمدينة تطوان الجنرال طورون (Turon) مكان أخيه بتاريخ 3 يوليوز 1860.

وبعد أن انسحبت القوات الإسبانية عن تطوان في 10 ماي 1862 منحته الحكومة الإسبانية لقب خليفة قنصل شرفي جزاءً له عما قام به من أعمال خلال مدة احتلال تطوان.

ونجهل تاريخ وفاته، وعلى كل حال فإنه ليس هو الشخص الذي يحمل نفس الاسم ومن نفس أسرة أبعير الذي توفي بتطوان في شهر شعبان 1229 / يوليوز 1814.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 4 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 6 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ *تاريخ تطوان*، 4 : 205 و226 و5 : 232 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 (A) ; *Vademecum de Intervenciones* (año 1931) 1932 ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español*, 1949 ; Alarcon (P.A) *Diario de un testigo de la guerra de Africa*, Madrid 1860 ; Ruiz de Cuevas, *Apuntes historicos sobre Tetuan*, Tetuan 1838 ; Abdurrahim Jebbur, *Tetuan durante la ocupacion española* (1860-1862) Tetuan 23 novembre 1950.

محمد ابن عزوز حكيم

إِبَقُّويَن، حسب التعبير المحلي، وبَقُّوية أو بَقْيوة، بناءً على ما هو موجود ببعض المصادر. وقد ربط اسم بقوية بلفظ Baquate الدال على اسم أمازيغي، استخرج من نص روماني اكتشف بمدينة وليلي الأثرية، استناداً إلى الموقع الذي تحتله قبيلة بقوية مما يوافق تحديد النص الروماني. أما ابن خلدون فقد ذكر أن بَقُّوية تعد من الأقسام الثلاثة التي تكونت منها بَطُّوية الصنهاجية.

ينطبق اسم إبقوين أو بقوية في الوقت الراهن على إحدى قبائل الريف الأوسط (الأعلى). تحتل منه أراضي القبيلة الجزء الساحلي الممتد على شكل نصف قوس، من خليج المزمة (الخسيمة) شرقًا، بدءاً من الموضع الموافق لمصب واد إسْلي، مما يقابل الجزيرات (تيزرين) من فرقة إزمورن، إلى غاية جون "إياوعياش" الواقع غرب صخرة بادس. ويصل هذا الامتداد الطولي بين الحدين المذكورين نحو 20 كلم.

يتألف سطح القبيلة من كتلة هضبية مساحتها288 كلم^2 وتظهر أقصى الارتفاعات في القسم الغربي من الهضبة، ممثلة في جبل "بويا أحمد" [747 م] وجبل "بوقاسم" [676 م] كلاهما بفرقة "تيگديث" وبجماعة "أدوز". ويجري فوق هذا السطح واد "تارمَّاسْت" (فرقة إزمورن) وواد بادس (فرقة تيگديث). ويترك الساحل الصخري عدة مراسي منها مرسى بادس القديم المتصل بالصخرة التي يحتلها الإسبان ثم مرسى "بوسكور" الواقع بفرقة إزمورن.

تتألف القبيلة في الوقت الراهن من ثلاث فرق، وتضم 41 مدشراً. والفرق هي على التوالي من الشرق إلى المغرب: إزمورن، وأزغار، وتيگديث. وهي الفرق التي تجاورها بمحاذاة حدودها الجنوبية فرق بني ورياغل، وتقف عند حدودها الغربية فرق بني بوفراح.

ع. بن خلدون، *العبر* ؛ *ضابط* حول تنظيم وسير أعمال اللجن القروية للفرق والجماعات من قبائل منطقة تطوان، 1951 ص. 85 ؛ *خريطة* القسم الطبوغرافي ـ الرباط 1972 ؛ الخسيمة وبني بوفراح.

Commission de las campanas de espana en Africa : *Geografia de Marruecos* T. II p. 83. Madrid 1936 ; I. Brignon (et al...) *Histoire du Maroc*, p. 31-44, Paris 1967, Frezules, *Bulletin d'archeologie marocaine* - II 1957.

حسن الفيگيگي

أَبْقَّيو، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بَقُّوية الريفية، والشخص الوحيد منها الذي تذكره الوثائق هو : أَبْقَّيو علي بن المختار الفقيه الذي كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1319 / 1901. وهذه الأسرة التي لا زالت بتطوان لا علاقة لها بأسرة البقيوي التي كانت بتطوان وأصلها من نفس قبيلة بقُّوية.

ع. السكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 6 ؛ م. عزوز حكيم، *عائلات تطوان* ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (B) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*. 1929, (A) ; *Vademecum de Intervenciones* (año 1931), (B) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* (A).

محمد ابن عزوز حكيم

أبْلاغ ← سمك

أبـلاغ، محمد بن حدو، تولى قيادة دمنات وقبيلتها إينولتان بظهير عزيزي مؤرخ بربيع الثاني 1322 هـ إثر اغتيال القائد المخزني الجيلالي بن علي أو حَدّو.

وأسرة أبْلاغْ من فرقة كْرُول بإينولتان شرقي دمنات، يذكر عقبها أن أصلهم من أسَاكَا أوبْلاغْ قرب تيزنيت، ومنها هاجروا إلى إينولتان في القرن العاشر الهجري. وقد استثقلوا الفروض الضريبية في عهد العامل على دمنات منذ منتصف القرن التاسع عشر على أوحدو، فدفعوا بأحد أبنائهم، وهو الطالب سي أحماد أبْلاغْ، لولوج عسكر السلطان لما في ذلك من ترقية وتحرير لأسرته من المغارم، وقد صار هذا الطالب إلى رتبة قائد المائة ورجع إلى بلده حيث أسندت إليه مشيخة إخوانه الكروليين ثم سكن دمنات وهي مركز المبادلات في إينولتان فأغرته أرباح المتاجرة، وحصل ثروة جعلت العامل على أوحدو، حسب رواية شفوية، يدبر قتله، ولم يضمحل بذلك ما كان لأسرته من رصيد السمعة والجاه حتى برز ولده الحاج محمد بين أعيان دمنات وإينولتان مؤيدا من قبليه الكروليين ومن تربطهم بهم أحلاف كفرق من الكَطويين وأيت شتاشْنْ وأيت بلال، ولم يحُل ما كان من ضغينة الثأر بين أسرة أبلاغ وأسرة علي أوحدو دون تعامل أبناء أبلاغ مع العامل المخزني البارز الذي استفحل أمره واتسعت مناطق نفوذه في العهدين الحسني والعزيزي وهو الجيلالي الدمناتي. ومن ذلك أن محمد أبلاغ وأخاه عبد السلام، وكانا من مشاهير الفرسان، قد شاركا في حركة العامل الجيلالي الدمناتي إلى تافيلالت في أواخر العهد الحسني، وساعداه في تدبير القبض على مراهين أيت بوگماز لضمان طاعة هذه القبيلة لحساب المخزن الذي جعلها إلى نظره ووكل أمرها إلى وسائله.

وعندما انتفضت إينولتان وفر الجيلالي الدمناتي إلى زاوية تناغملت توالى على تدبير شؤون دمنات وإينولتان شيوخ مختارون من الجماعة في السنتين الأوليين من العهد العزيزي، ولما قدم السلطان الجديد إلى مراكش بادر الإينولتانيون بترشيح محمد أبلاغ ليكون عاملا عليهم وطلبوا تزكيته من السلطان، ولكن أعيانهم الذين رافقوه إلى محل نزول السلطان بالرحامنة تخلوا عن مرشح القبيلة وانحاشو للعامل المطرود، وعاد هذا الأخير بتعزيز من القوة المخزنية ليحكم زهاء ثلاث سنوات أخرى اغتيل بعدها.

بالرغم من أن الخليفة السلطاني مولاي حفيظ بعث من مراكش قائد الرحى الحاج محمد البيزاري لضبط الأمن بدمنات، فإن الفرصة سنحت من جديد لترشيح محمد أبلاغ للقيادة، فقد ترك عمه عبد السلام، وكان شيخا على كرول في عهد الجيلالي، ليقوم بضبط شؤون القصبة والمدينة وذهب مع أعيان إينولتان إلى فاس لطلب ظهير القيادة من السلطان. وقد قام عبد السلام بإحباط مؤامرة ضد طموح أبلاغ كان من أبرز مدبريها محمد لقلالش زعيم إيواريضن المجاورين لدمنات. ولما رجع محمد أبلاغ بظهير التولية على إينولتان قبض على متزعمي تلك المؤامرة، فانتشر الأمن في عهده بدمنات وعاد إليها بعض بريق أيامها الحافلة بالنشاط ولكنها لم تعد من الناحية السياسية مركز العمالة الكبرى التي جمعها الجيلالي الدمناتي لأن أبلاغ لم يتولَّ إلا على إينولتان إذ أن تكّانة وغجدامة وفطواكة قد صار حكمها إلى أسرة الأكلاويين الزاحفين في توسعهم في اتجاه الشرق.

وقد كان دعي آخر يطلب ولاية إينولتان وهو سعيد بن علي أوحدُّو أخو الجيلالي المقتول، وكان في الجيش السلطاني، وقد أجابه على رسالة نعي أخيه الوزير عبد الكريم بن سليمان بتاريخ 2 يونيه 1904 "بأن الأمور ستبقى في داركم" وكان ذلك حبراً على ورق لأن أبلاغ هو الذي مارس التولية بالفعل. وقد دخل القائد محمد أبلاغ في صراع مع "أرستقراطية" دمنات وانتصر عليهم بفرسان "إخوانه" من فرقة كرول وبمن لف لفهم من أهل گطيوة وأيت شتاشق وأيت بلال، ولكن أبلاغ لم يستطع بما فرضه من الإقامة الإجبارية على بعض أولئك الأعيان أن يمنع اتصالاتهم السرية بالأگلاويين الطامعين في دمنات قصد الاستحواذ على تلك النقطة الستراتيجية التي تحولت إليها كثير من المبادلات التي كانت تمر عبر تلوات في تجارة الصحراء مع حوز مراكش.

ولما بويع السلطان المولى عبد الحفيظ، وكان الرؤساء الأگلاويون يؤيدونه، كان من الطبيعي أن ينحاز أبلاغ إلى أنصار المولى عبد العزيز، ولما كان مولاي عبد الحفيظ في طريقه إلى فاس، نزل بالسراغنة وأرسل في طلب أبلاغ، فاعتذر عن المجيء باعتلال صحته، حيث أنه أوجس خيفة من المكر به لما يعلم من حنق الأگلاوي عليه. وبعد شهر من ذلك الطلب أعطي علال الأگلاوي الذي كان متوليا على فطواكة ظهيرا حفيظيا بالتولية على إينولتان، وكان له في دمنات ممالئون جلهم في "حاشية" أبلاغ، فتربصوا بهذا الأخير حتى أرسل فرسانه لتأييد القائد بوشعيب السرغيني ضد من خالفه من إيالته على عادة قواد المخزن في نصره بعضهم البعض الآخر، فاستدعي الأگلاوي سرا وفاجأ أبلاغ في نفر قليل من مقاتليه فتمكن منه وقتل القائد أبلاغ بعد معركة بالمكان المسمى بسيدي مالك خارج الأسوار، وقد استبسل زهاء ساعة من الزمن، وذلك في ربيع الثاني من عام 1326 / ماي 1908. وبذلك دخل الأگلاويون دمنات وتولوا على إينولتان إلى عهد الاستقلال. وقد تكيفت أسرة إبلاغن التي رجعت إلى فرقة كرول، مع الظروف الجديدة. ولما كان الفقيه المدني الأگلاوي بعد سنوات من انعقاد الحماية على المغرب، يساعد في تطويع قبائل الأطلس الأوسط كان بعض أفراد أسرة إبلاغن من المشاركين في حركته.

م. الغجدامي، *التسلي عن الآفات بذكر أحوال ماغات*، مخطوط :
أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*.

أحمد التوفيق

أبنْصُور، أسرة شهيرة للأحبار والأدباء اليهود المغاربة بمدن فاس ومكناس وسلا وتطوان. يبدأ الفرع المغربي، المنتمي إلى الأندلس، مع موشي أبنصور، الحبر الذي ربما اعتنق المسيحية بإسبانيا، قبل أن يهاجر إلى فاس بعد 1492، ليعود إلى اليهودية. وشغل ابناه إبراهام وصامويل في القرن السادس عشر، منصبي حبرين وقاضيين (ديانين) بفاس وسلا.

وإن لائحة الأحبار القضاة المنتمين إلى أسرة أبنصور طويلة في كتاب لاريدو، *أسماء يهود المغرب*، مع أنه لم يذكر منهم إلا من تركوا تآليف مخطوطة أو مطبوعة.

أبنْصُور، إسحاق المتوفى عام 1937، رئيس الجماعة اليهودية طوال ثلاثين سنة، ترجمان في سفارة النمسا والمجر بطنجة حتى عام 1914، وأحد مؤسسي المجلس الصحي بهذه المدينة. جلس في كرسي المجلس التشريعي بصفته ممثلا أنجليزيا. وسيّر البنك موسيس بّاريانطي، أقدم بنك في المدينة وخلفه على رأسه أبناء موشي وأحران إلى أن نُقل إلى جنيف عام 1960.

أبنْصُور، رفائيل بن شلومو حبر بفاس، خلّف مؤلفاتٍ في الفقه *شُؤلُوط* أو تْشُوبُوط (فتاوي)، وكتبا ذات طابع ديني : *سفر ركارن لـ بني إسرائيل*، *سفر سِمْحَت عُلام*، *هگهوط عال سفر أبو درهم*، توفي سنة 1826.

أبنْصُور، رفائيل بن شلومو آخر، ولد سنة 1830 وكان رئيس المحكمة الربية بفاس، ألف فتاوى (تْشُوبُوط) وشروحا حول الأحكام الدينية (دينين)، وتوفي سنة 1917.

أبنْصُور، رُؤبين حبر قبّالي (صوفي) مؤلف *سيفارْدَرويشين*، مجموعة مواعظ، و*بّالغُوط مايِيمْ حَيِّيم* (جداول المياه الجارية) حول الاستحمامات الطقسية. عاش في القرن السابع عشر.

أبنْصُور، شَلُوم ابن عم يعقوب الحبر بسلا آتي الترجمة. شاعر ومؤلف شيرٌ حَادَاشْ (الغناء الجديد، الإسكندرية، 1893) الذي شرح فيه معرفته في علم التنجيم لخدمة علم اليومية العبرية التي توازي بين الشهور القمرية والشمسية، والتي تجدر معرفتها لتحديد تواريخ الارتسامات الدينية (انظر تحليل حاييم الزعفراني، في *الشعر اليهودي في الغرب الإسلامي*)، عاش في القرنين 17 و 18.

أبنْصُور، شلومو بن رفائيل المولود حوالي سنة 1805، الحبر بفاس. مؤلف كتابين في الأحكام الدينية : *بيني شلومو*، *زنجي رازون*، توفي سنة 1843.

أبنْصُور، موشي بن إسحاق، عاش بسلا، وتعاطى بصفة خاصة القبلانية التي يشكل أحد مؤلفاته فيها : *مَعَرة سدهْ هَمَّخْيلة* (بيت المقدس، 1910) وهو عنوان يذكر بضريح البَطَارقة. ومن المواضيع الكبرى التي يتناولها في مخطوطات أخرى (دبْر هَقَبَّالة، مَلخَة لـ - موشي، هبُو شَعَارْ هـ - شَمَيِنْ، دبْرْعَمَتْ، قرَى مُوشي). إن مؤلفاته الشعرية *صلْصي شَامَع* (صنوة رنانة) التي نشرت في نفس المجلد مع أشعار يعقوب أبنْصور (الإسكندرية، 1893) مسبوقة بمقدمة عُرضت فيها الأسباب الصوفية للابتكار الشعري (ح. الزعفراني، *الشعر اليهودي*، ص. 21 - 41). عاش موشي أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر.

أبنْصُور، يعقوب بن رُؤبين، أشهر هذه السلالة، تحت الاسم المختصر يَعْبَص. ولدَ بمكناس وتوفي بفاس سنة 1753. له دراسات متينة في مواد دينية وقضائية، وفي النحو والتنجيم والقبلانية والشعر العبري. زاول مهنة حبر - قاض طوال 49 سنة، بفاس 31 سنة، ومكناس 11 سنة، و7 سنوات بتطوان التي أسس فيها بيعة قبل أن يعود إلى فاس، حيث أعاد تنظيم المحكمة الكبرى، بعد فترة انحطاط هذه الجماعة، من جراء المجاعات والفتن المنتشرة بالمغرب بعد موت المولى إسماعيل.

ترتكز شهرته قبل كل شيء على أحكامه وفتاويه التي توجد في مختلف كتب فقه الأحبار - القضاة (ديانين) المغاربة. وقد جُمع قسم هام منها في *مشْبَّاط أو صْداقة بـ - يعقوب* (الحكم والعدالة عند يعقوب) وهي جملة مستخرجة من الزبور. كما أنه ألف كتابا اسمه *عطْ سُوفر* (ريشة العدل) ما يزال يعمل به. وله رسائل بالنثر المسجوع جمعت في *ليشُون لمُدِّين* (في مجموعة گلاگسبالد)، و*مواعظ وشروح* (مخطوطة 169 بالخزانة الوطنية بباريس، السجل العبري). يقول حاييم الزعفراني : "إن أسلوبه مباشر، خال من الزخارف، مجرد من التشدق الكلامي المعتاد لهذا النوع الأدبي. إن ملاحظاته تفاجئ بوضوحها وبمنطقها وقوتها" (*يهود المغرب*، ص. 33) وكانت أحكامه فقها في القانون اليهودي المغربي، يرجع إليها قضاة وفقهاء الأجيال اللاحقة، كأنها نصوص قانونية. وهذا التأليف محرر بالعبرية، لكنه يشتمل على رسائل ومطالب باللغة العربية المغربية (انظر *مشْبَّاط*، جزء 1 ص. 14.18.39.40.66.72.116. 216 وح. زعفراني، *الأدب الشعبي*، ص. 300). إن الدواوين الشعرية العبرية ليعقوب أبنْصور جمعت في عثْ *لكل* حفْص (زمان لكل شيء) من طرَف أحد أحفاده رفائيل أبنْصور، رئيس المحكمة الربية بفاس، ونشرت مع مؤلفات موشي وشلوم أبنصور عام 1893 بالإسكندرية (نُوأمُون) (انظر تحليل بعض القطع عند حاييم الزعفراني : *الشعر اليهودي في الغرب الإسلامي*، ص. 316-384) وتُغَنَّى بعض هذه الأشعار على ألحان الموسيقى الأندلسية في جل كتب الصلوات اليهودية بالمغرب.

أبنْصُور، يعقوب بن شلومو سموءل، ولد سنة 1780، وكان الحبر - القاضي (ديان) بفاس. له كتاب في الفتاوي : *شُؤلُوط* أو تْشُوبُوط.

أ. لاريدو، *أسماء يهود المغرب* ؛ ي. بنبين، *ملخة ربانين* ؛ ح.

شمعون ليفي

أُبهي ← عدّي أُبهي

أَيْت **أُبهي**، معناها : آل ابن إبراهيم، لأن الهمزة التي عليها ضم تعني "ابن"، و"بهِ" ترخيم أمازيغي في إبراهيم. أسرة كان لها نفوذ سياسي واقتصادي واجتماعي بقبائل حاحا من أواخر القرن الثامن عشر إلى النصف الأخير من القرن التاسع عشر. تولت هذه الأسرة تسيير تلك القبائل منذ بداية نشأة مدينة الصويرة وتركيز النشاط الاقتصادي بها، مما أعطاها أهمية بمراقبتها للطرق التجارية الرابطة بين مرسى الصويرة ومناطق الإنتاج والاستهلاك، خاصة المناطق الصحراوية جنوبا وشرقا ومناطق الأطلس الكبير والصغير، مما مكن أيت أبهي من الاستفادة من هذه الإمكانات أثناء ممارسة السلطة المحلية بالمنطقة، وهم بالتوالي محمد بن بهي أمولود، وعبد الملك بن محمد، وعبد الله بن عبد الملك، ومحمد بن عبد الله، وأخيرا عبد الملك بن عبد الله، ثم تولى لفترة قصيرة فرع أيت سعيد أبهي وهم من بني عمومتهم. ويوجد مقر قيادة أيت أبهي بقبيلة زلطن شمالي حاحا في المكان المعروف بأزغارنَيْتْ بهي (بسيط أسرة أيت بهي).

أُبهي، أحمد بن محمد أسعيد : انتقلت القيادة إلى أيت سعيد أبهي وهم فرع من أيت أبهي، فتولى أحمد بن محمد بن سعيد أبهي في ذي القعدة عام 1295 على أيت زلطن وإداويوزيا وأيت عيسى، وقد طالبه السلطان بتسوية ديون ابن عمه عبد الملك بن عبد الله أبهي لبعض اليهود بالصويرة بعد أن عجز عن تسديد أموال الدولة. ويظهر أن مدة تولية أحمد أسعيد لم تدم أكثر من سنة.

أُبهي، عبد الملك بن عبد الله، تولى على حاحا أثناء توجه حركة الخليفة المولى الحسن إليها في أوائل سنة 1290، فولاه على حاحا بأمر من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، وبذلك استأنفت أسرة أيت أبهي الحكم بحاحا من جديد، وقد حاول عبد الملك أبهي استرجاع مكانة أسرته بالمنطقة وساعد الخليفة أثناء حركة حاحا، كما حاول استرجاع أملاك أسرته.

تطورت الأمور خاصة بعد وفاة السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان، فقد تولى المولى الحسن، فقسم حاحا إلى ثلاث قيادات ابتداء من أوائل سنة 1291 / 1874، فتولى أنفلوس على إداوگرض وبني زمزم، ونكنافة، ومجدادة وإداوگلول. وتولى الحسن أتْگزيرين على بني تامر وإداويوزيا. وبذلك تقلص نفوذ عبد الملك ودخل في صراع مع أنفلوس، ويظهر أنه أساء التصرف في أموال الدولة حتى أدّى به الأمر إلى العزل أواخر سنة 1295 / 1878.

أُبهي، عبد الملك بن محمد بن بهي، خلف والده في الولاية أواخر عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ويظهر أن قيادته كانت ممتدة من الصويرة إلى سوس. وقد حدث أن أحد علماء قبيلة سگينة وصلحائها وهو يحيى بن سعيد استشفعه في سجناء قبيلته وقبل شفاعته. فأطلق كل المسجونين بالصويرة وحاحا احتراما له. ولما توفي السلطان سيدي محمد بن عبد الله، واضطربت شؤون الحكم إلى أن استقرت على يد السلطان المولى سليمان سنة 1212 / 1798 بإجلاء هشام بن محمد بن عبد الله عن مراكش، كانت منطقة حاحا والصويرة تحت نفوذ عبد الملك أبهي الذي يظهر أنه كان على اتصال مع عبد الرحمان بن ناصر العبدي زعيم حركة الانشقاق بالجنوب، ويدبر مساعدة المنشقين من إخوة السلطان المولى سليمان ممن لهم طموح بمراكش، ولذلك فإن السلطان المولى سليمان دبر مع أخيه عبد السلام لإقصاء عبد الملك أبهي عن مدينة الصويرة وتولية محمد بن عبد الصادق عليها. وقد تمكن هذا المتولي من التحايل على عبد الملك أبهي ومن تنحيته عن الصويرة بعد التنسيق مع عناصر من جيش العبيد ومسگينة وأهل أگدير. وبإثر هذه العملية انحسرت ولاية عبد الملك أبهي عن الصويرة واقتصرت على حاحا وإداوتنان، وقد توجهت إلى هذه القبيلة الأخيرة حركة بإذن من السلطان المولى سليمان سنة 1213 هـ. ويظهر أن نفوذ عبد الملك امتد إليها بعد الطاعون الجارف الذي أصابها.

لقد استقبل عبد الملك أبهي السلطان المولى سليمان لما تحرك إلى سوس سنة 1222، ونظم حركة إليها بإذن من السلطان مع القائد محمد بن يحيى أغَنّاج سنة 1225 / 1810، واستمر نفوذه بسوس وكان قد عيّن خليفة له بتارودانت.

يظهر أن عبد الملك كان على صلة حسنة مع المولى عبد الرحمان بن هشام أثناء توليه على الصويرة لمدة سبع سنوات (1230 / 1237) مما سهل له الاستمرار في مهمته بعدما بويع مولاي عبد الرحمان سلطانا سنة 1238، إلا أن أواخر أيام عبد الملك أبهي تميزت بالاضطراب في حاحا فنجم عن ذلك أن تولى مكانه ابنه عبد الله.

أُبهي، عبد الله بن عبد الملك، من أكبر القواد الذين عرفهم الجنوب المغربي في منتصف القرن التاسع عشر. ارتبطت شهرته بالمكانة التي كانت له لدى المخزن حيث أسند إليه العمالة على إقليم حيوي يمتد من الصويرة إلى سوس، فكان يعتمد عليه في إدارة المنطقة سياسيا وعسكريا، وكلفه عدة مرات بمباشرة أمر سوس. ففي سنة 1271 / 1855 قام بحملة ضد هوارة وقائدها بومهدي وعين خليفة بتارودانت، وفي سنة 1284 / 1867 أمدته الدولة بالتولية على أگدير لما عزم على مهاجمة إداوتنان، فكانت ولايته تمتد على سوس أو أطراف منها كأگادير عندما تقتضي المصلحة ذلك.

كانت لعبد الله أبهي علاقات مع الأسر المحلية ذات النفوذ بمنطقة سوس كآل بيروك بأگلميم، وآل تزروالت بإليغ، وتناولت علاقاته مع هذه القوى قضايا مختلفة، فتدخل سنة 1283 / 1866 لدى آل بيروك يحملهم على التخلي عن فكرة فتح مرسى بشاطئ قبيلة تاكنة. أما علاقاته بآل تزروالت فكانت هامة، حيث كان يتبادل الزيارات مع أكبر رؤسائها الحسين أهاشم. من ذلك أنه قدم عليه وفد كبير من قبيلة حاحا، وكان اللقاء على وادي وُلْغاس، ثم وفد الحسن بن هاشم بدوره على أبهي في حاحا، فوقع الاحتفاء به عبر إيالته من أگدير إلى مقره بأزَغَارنَيْتْ بهي بأيت زلْطن. ويظهر أن هذه العلاقات أسيء فهمها مما أدى إلى ارتباك العلاقات بين عبد الله أبهي والمخزن، حتى إن علاقاته بآل هاشم تؤول على أنها كانت من أسباب تنحيته واستدعائه من حاحا إلى مراكش حيث توفي أواخر سنة 1284 / 1868.

لعب عبد الله أبهي دوراً هاما في منطقة الدير، فقد حظي بثقة المخزن خاصة في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، وقد أسهم بمساعدات كبيرة في حركة الأمير المولى الحسن إلى سوس سنة 1280 / 1864، كما كان يراقب شؤون القبائل المجاورة لإيالته كالشياظمة وأولاد أبي السباع ومتوگة، وكانت العلاقات تسوء بين هذه القبائل وبين حاحا نظرا للمصالح المشتركة بين القبيلتين. بالرغم من ذلك فقد أسهم عبد الله أبهي في إطلاق سراح القائد المتُّوگي من السجن سنة 1283 / 1866 كما ساعد على عودته إلى الحكم بقبيلته.

كانت أعمال عبد الله أبهي داخل القبيلة نشيطة في استصلاح الأراضي الفلاحية، فكان يُشَغِّل القبيلة في أعمال السخرة حتى تمكن من امتلاك ثروة فلاحية مهمة إضافة إلى المداخيل الشرعية والعرفية التي كان يشرف على جبايتها من إيالته مما ساعده على تملك العقارات بكل من الصويرة ومراكش.

اشتهر عبد الله أبهي بأعمال البر والإحسان التي ما تزال ذكراها تتردد بين القبائل بالجنوب، كبناء نطافي الماء في الطرقات وأماكن العمارة، وما تزال آثار عدد منها معروفة بحاحا. كما اشتهر بالعناية بجوانب دينية كتشييد المساجد والأضرحة. ولم تقتصر أعماله البرية على القبيلة، وإنما امتدت إلى الصويرة ومراكش، ووصلت حتى الشرق حيث أنشأ أوقافاً بمكة والمدينة.

أُبهي، علي بن محمد أسعيد، تولى في ذي القعدة سنة 1296 على نفس القبائل التي كان يتولاها أخوه أحمد : أيت زلْطن، وإداوتْوزيا وأيت عيسى، ويرد ذكره في وثائق أخرى باسم علاّل بن محمد أبهي. وقد دخل في الصراع مع أنفلوس الذي اتهمه بأنه كان يحرّض عليه قبيلتي إداوتْوزيا وأيت عيسى، كما اتّهمه بالهجوم على قبيلة أيت زلْطن. ويظهر أن الصراعات بينهما كانت شديدة حتى عاقته عن المشاركة في الحركة التي طالبه السلطان بالاستعداد لها، فطلب التأخير لمواجهة أنفلوس.

لقد حاول السلطان المولى الحسن في شعبان 1298 / 1881 أن يصلح بين قواد حاحا وأبلغ عزمه لعلال أبهي، فأوفد لذلك الغرض القائد بوشتى البغدادي، ويظهر أن هذا الإجراء اتخذه السلطان لما كان يفكر في الحركة إلى سوس. ويعتبر علال أبهي من فرع أيت سعيد آخر من تولى القيادة بحاحا.

أُبهي، محمد بن بهي أمُولُود. ظهر في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي ولاه عاملا على الصويرة سنة 1182 / 1769، ولم يكن مر على بنائها سوى أربع سنوات. وهذا يؤكد أن محمد أبهي كان له نفوذ وصيت بالمنطقة مما جعل السلطة المركزية توليه قيادة ميناء حديث النشأة منفتح على قبيلة حاحا التي ينتمي إليها أبهي، فتكون توليته عليهما بمثابة ضمان للأمن والاستقرار.

أُبهي، محمد بن عبد الله، تولى قيادة حاحا بعد تنحية والده، لكن الأحداث التي عرفتها إيالته دلت على أنه لم يكن في مستوى المسؤولية المنوطة به مما جعل المخزن يقلص نفوذه، فلم يعد يحكم أگادير منذ أواخر سنة 1285 / 1869، ثم عزل عن قبيلة إداوزيكي أوائل سنة 1288/ 1870، وبذلك لم يعد يتحكم في إحدى الطريقين الرئيسيتين إلى سوس، وكانت قيادة حاحا تستمد بعض أهميتها من مراقبتهما، وهي الطريق الساحلية المارة بحاحا، والطريق الداخلية المارة بمنخفض وادي إسّنْ انطلاقا من إمِي نْتانُوت.

لقد كانت علاقات محمد أبهي بالقبائل المجاورة تحكمها النزاعات، كما حدث مع الشياظمة، وخاصة متُّوگة. ويظهر أن قائد متُّوگة عمر بن سعيد المتوگي استغل سوء تدبير أبهي للأمور، فكان يشجع تمرد قبيلته ضده مما أدى لمناوشات مستمرة بين محمد أبهي وعمر المتُّوگي، فتدخل المخزن والقواد المجاورون بينهما عدة مرات لإبرام الصلح، لكن سوء تصرف محمد أبهي حتى مع قبيلته حاحا، سرعان ما أدّى إلى قيام ثورة عليه بحاحا في جمادي الثانية سنة 1288 / 1871، انتهت باكتساح دور أيت أبهي بأزَغَارنَيْتْ بهي بأيت زلْطن.

أما محمد أبهي، فقد التجأ إلى السلطة المركزية، فأقام بمراكش واستمر يحاول استرداد سلطته على حاحا، إلا أن السلطة المركزية اكتفت بإيوائه وإيواء أسرته، بينما عُيِّن محمد بن الطاهر الدويلالي قائداً على حاحا خلفاً لمحمد أبهي.

وثائق خاصة ؛ *وثائق مخزنية من الخزانة الحسنية* ؛ م. الضعيف، *التاريخ* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 8 و9 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; P. Pascon, *La Maison d'Iligh*.

محمد زرهوني

الإبُورْكي، أحمد بن عبد الله من أسرة تسمى بني الطّالب إبُورك أو بيُورك ـ بالتسهيل ـ من قرية تاكَانْزا بقبيلة أمْلْن. حافظ مشهور بالعلم وتحقيقه لاسيما النحو والصرف، كان يقول لو أن النحو اندرس من الدنيا لكفى الناس ما عرفت. أخذ عن محمد بن يحيى الأزاريفي، وعمي في آخر عمره، وتوفي كما يُظن أول القرن الثالث عشر الهجري. تنسب له *رحلة حجازية*.

الإبُورْكي، أحمد بن مَحمد (فتحا) الجرفي العالم العامل الصالح، واظب على التعليم مدة ليست باليسيرة في مدارس بلده، معروف بنساخة الكتب. أخذ عن الشيخ أحمد بن محمد الظريفي وعن شيخ الإسلام محمد بن عبد السلام الدرعي التامكروتي الناصري، وعن محمد سبط الشرحبيلي النحو والصرف، وبه تخرج عبد الرحمان الجشتيمي صاحب كتاب *الحضيكيون*، وينسب له كتاب *مناقب الصالحين*. توفي بتاريخ 1212 / 1797.

ع. الجشتيمي، *الحضيكيون* (مخطوط) ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 189 ؛ *المعسول* 6 : 24.

عبد الله درقاوي

أبوزيري ← بوزيري

إبيبض ← الأكلاوي محمد

أبيسْرُور شلوم، مؤلف كتاب *سفر نيتيوت شلام* (كتاب طرق السلم) يتضمن مواعظ وإرشادات عن أسفار موسى الخمسة. نشر بالدار البيضاء عام 1948.

أبيسْرُور مردخاي، ولد بأنْقَا حوالي عام 1830 وتوفي بالجزائر العاصمة عام 1876. درس بمراكش ثم بفلسطين. كان عمره 24 سنة عندما أصبح ربّيا. رحل إلى الجزائر حيث اشتغل بالتدريس مدّة عام درس خلاله التلمود، خصوصا بمدينة وهران، وزار مصر وتونس وليبيا، ثم رجع إلى مسقط رأسه وراح يمارس التجارة، لا سيما منها ما تعلق بالبضائع العابرة للصحراء، من عام 1858 حتى عام 1871. أقام عدة مرات بتنبكتو حيث استقرت لمدة قليلة جالية تجارية يهودية مغربية. حلّ مرة أخرى بالجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي فكلفته سلطات الاستعمار، بعد تدريب بباريس، بمهمة التجسس جنوب المغرب وبتنبكتو. عن هذه المهمة، صدر مقال عن قبيلة دگاتوم الصحراوية المتنقلة اليهودية الأصل التي أسلمت، فكانت عباداتها مبسطة للغاية.

اتخذه شارل دوفوكو، خلال عامي 1883 و1884، مرشدا له في رحلته الاستطلاعية عبر المغرب (باريس 1884). وقد اعترف فوكو بخصال أبيسور مردخاي ومهارته وذكائه، لكن اليهودي لاحظ عند فوكو نزعة عنصرية مضادة للسامية.

أبيطْبُول، أسر مختلفة تحمل هذا الاسم أو أسماء مشتقة منه، مثل بوطبول وطبالي، فيهم ربّيون كثيرون، منهم :

أبيطْبُول، أبرهام بالقصر الكبير في القرن السادس عشر والقرن السابع عشر.

أبيطْبُول، السموءل بن مردخاي في القرن الخامس عشر بدرعة.

أبيطْبُول، شلومو عاش بمراكش، وكان يناوئ النزعة المسيحية التي نادى بها شباطاي أصبي المتعلقة بظهور المسيح في آخر الزمان (طوليدانو، نين حما عرب، 116-118).

أبيطْبُول، شلومو المعروف بلقب ربِّي شلومو أملال في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وهو صاحب مقال في الرؤيا.

أبيطْبُول، صاؤل يشوع بن إسحاق (1739-1809) حبر صفرو الأكبر الملقب هواب شيشا صاحب كتاب *ابني شاس*، أي حجر المرمر (نشر بالقدس) يتضمن فتاوي ومواعظ وشروحا حول قوانين ذبح الأنعام.

أبيطْبُول، عمور ابن الربِّي شلومو (1782-1854) الذي كان شاعرا وصاحب فتاوي فقهية.

أبيطْبُول، مسعود المكنى ابن قريقل عاش بفاس في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر.

أبيقْصيص، شمعون كان ربياً بالصويرة بين القرن التاسع عشر والقرن العشرين. مؤلف سفر *بالغي مييم*، *وسفر أخ توب لإسرائيل*، *وهيدوشي شاش*، *دراشوت وبيسكي دينيم*، وهي مجموعة نشرت كلها بلندن، كما له مخطوطات أخرى.

ونشير إلى أن كتابا عنوانه : *شاش أنوخي وتوب أي* "أنا من المرمر وأنا عاطفي" طبع بالدار البيضاء عام 1937 ولا ندري هل هو من مؤلفات أبقصيص أم لا.

بنّاحيم، *ملخ ربّنان* ؛ سماش، *ربِّي رحالة مغربي*، هسبريس، 1928، ص. 385-399 ؛ مجلة جغرافية المغرب، سنة 1895.

شمعون ليفي

أتّاي، أو شاي : هو كَامِيلْيا سِنَانْزِيسْ أو تِيَا سِنَانْزِيسْ Thea sinensis = Camelia sinensis، وهذا الاسم مأخوذ من كلمة "شا" من الدارجة الصينية. ينتمي الشاي إلى فصيلة التِّرَنْسْتْرَامِيَات Ternstremiaceae.

الصفات النباتية : الشاي في الطبيعة شجرة يبلغ ارتفاعها 10 أمتار ولكنها في الزراعة تصبح جنبة لا يتعدى ارتفاعها مترين وذلك بسبب التقليم المستمر اللازم لتوليد البراعم الغضة. أوراقها رمحية الشكل ومسننة. أزهارها بيضاء وتعطي ثمارا علبية.

البيئة والتوزيع البيُوجُغْرافي : الموطن الأصلي للشاي هو آسام الواقعة بالمناطق الجبلية الفاصلة بين الهند والصين. والصينيون هم الذين كانوا يهتمون بالشاي منذ القدم وذلك لصفاته الطبية، غير أنهم لم يبدأوا في تناوله

كمشروب إلا في القرن الخامس الميلادي. وعرف اليابانيون الشاي في القرن العاشر الميلادي، وعرفه الأوربيون في أواخر القرن السادس عشر الميلادي. والإنجليز هم أكثر المستهلكين للشاي في العالم حاليا.

ينمو الشاي في المناطق الرطبة والحارة الموجودة ما بين المدارين. وقد أنجزت أبحاث عديدة لتنمية زراعته باختيار الأصناف الأكثر إنتاجا أو الأكثر ملاءمة مع الظروف البيئية التي يزرع فيها. ولهذا نجد أكثر من ألف صنف من الشاي في العالم.

كيفية زراعته : يمكن زراعته إما بالبذرة وإما بالافتسال، وتدوم لمدة طويلة. ويمكن قطف الشاي مرات عديدة في السنة ابتداء من السنة الخامسة من عمره.

أما في المغرب فقد بدأت تجربة زراعة الشاي في العشرينات من هذا القرن بحديقة التجارب الزراعية بالرباط، وكان مصيرها الفشل. واستؤنفت بعد الاستقلال بمساعدة خبراء صينيين وغيرهم بمحطة المنزه الواقعة بغابة البلوط الفليني بمعمورة في ناحية القنيطرة، ثم بنواحي ألماس والشاون والعرائش. وكانت نتائج هذه التجارب الأخيرة ناجحة في أواخر السبعينات بناحية العرائش حيث يمكن توفير الظروف البيئية لزراعة الشاي تحت ظلال البلوط الفليني وبالسقي. ولقد امتدت زراعته على عدة مآت من الهكتارات، وأقيم بنفس الناحية معمل لتحضير الشاي.

تحضير الشاي : يحضر الشاي من الأوراق الخضراء التي تعرض بعد قطفها للحرارة لكي تذبل وتلين وتصبح قابلة للف، ثم تلف وتجفف. وهذه العملية تُعطي ما يسمى بالشاي الأخضر الذي يمكنه أن يخمر فيصبح شايا أسود. والإنسان المغربي يفضل النوع الأول.

فوائد الشاي : إن فوائد الشاي تتجلى في كونه يحتوي على مواد منبهة وهي الشايين وزيت طيار وهما يذوبان عند خلطه بالماء الساخن، وزيادة على السكر يضاف النعناع أو الشهيبة (أو الشيبة) ليصبح السائل معطرا. أما إذا استمرت العملية لمدة أطول فإن ذوبان دباغ الشاي يعطي للسائل طعما مرا ولونا أحمر داكنا. والإنسان الصحراوي يفضل شرب الشاي على هذه الطريقة الأخيرة بعد غليان السائل بمحتوياته لمدة طويلة.

البرت هيل، النبات الاقتصادي، ترجمة زاهر عبد المجيد وآخرين، ـ القاهرة ـ نيويورك 1962 ؛ الطريبق حسن، *الشاي وتجربة غرسه في المغرب* ـ العلم 12 أبريل، 1982 ـ ص. 6 ؛ *بحث ميداني*.

عبد المالك بنعبيد

أتاي، ويقال أيضا التّاي، باختلاف النطق حسب جهات المغرب، مشروب يومي لكل فرد أو أسرة مغربية مرات، ولو مرة واحدة على الأقل في اليوم، وخصوصا بعد وجبة الغذاء، حيث يقدم مُحلّى بالسكر على العادة، ومخلوطا غالبا بعشبة النعناع، خصوصا في الصيف، وقد يخلط في الفصل البارد بعشبة الشيبة، أو عشبة السالمية وخصوصا في فصل الربيع. وقد يتناوله البعض بصفة استثنائية مخلوطا بالعنبر أو الرند، أو مع زهور البرتقال على الخصوص، وقد يخلط مع الورد زهورا أو ماء مقطرا.

اعتنى المغاربة بطريقة تقديم الشاي وباقتناء الأواني التي يقدم فيها، من بَرّاد، وهو الإبريق الخاص بطبخه، وكؤوس زجاجية ظريفة، إما صافية عادية أو منقوشة أو ملوحة أوملونة مزخرفة أو مذهبة. وقد يتخذها الموسرون من الزجاج البلوري النفيس. وتُقدم هذه الكؤوس في إناء مستدير مصنوع من معدن عادي أو مموه بالفضة أو من النحاس أو الفضة يسمى "الصينية" وهي في غالب الأحوال منقوشة مزخرفة تختلف مساحتها باختلاف المقامات والمناسبات، ولكنها في جميع الأحوال لا تتعدى القدر الذي يتحكم فيه شخص واحد يجلس إليها لتحضير مشروب الشاي. توضع الكؤوس في الصينية على هيئة حلقة واسطة عقدها البراد وفي مركزها كأس، وعددها في الحالات النموذجية اثنا عشر كأسا، والغالب أن ترتفع الصينية عن الأرض قليلا وهي على رجيلات ثلاث. وتوضع بجانب الصينية التي تحمل الكؤوس صينية أصغر منها تحمل الرباتع، جمع ربيعة، وهي عبارة عن أوان فضية أو نحاسية أيضا، لها أغطية قبابية الشكل، واحدة منها تحمل السكر مكسراً، والثانية تحمل أتاي، والثالثة تحمل النعناع أو ما في معناه، والرابعة عبارة عن كأس فضية أو معدنية تحمل ملعقة تحرك بها المواد في البراد.

ومن أواني صنع مشروب الأتاي المجمر حامل الجمر الذي يطبخ عليه الأتاي، وفوقه عادة البَقْراج أو الغلاّي الذي يغلى فيه الماء. وقد يستغنى عن المجمر والغلاّي بآنية (البابور) الظريفة الشهيرة في الصناعات المعدنية (الفضية والنحاسية) بالمغرب، وهي عبارة عن آنية إبريقية الشكل تقريبا مقببة في أعلاها، بطنها الداخلي من طبقتين : خارجية للجمر، وداخلية للماء، وهي تقدم على الخصوص في المناسبات الاحتفالية. وسميت بالبابور من اسم البخار الذي يخرج منها.

ومن هذا يتبين أن تقديم الأتاي عند المغاربة قد صار لحظة احتفاء ومسرة وتكريم للضيف بقدر ما هو مشروب منعش أو منبه.

إن استهلاك مشروب الشاي بشكل كثيف، وفي جميع المناسبات، وعلى جميع المستويات، جعل المغرب من بين الدول الأولى في العالم استهلاكا لنبات الأتاي. ويرجع ذلك إلى أن معظم العائلات، والفقيرة بالخصوص أصبحت منذ الحرب العالمية الثانية، تجعل من الأتاي شطراً أساسيا ثانيا مع الخبز في غذائها (وتسميه : دواز / جواز، تجوز به الخبز الحافي حسب التعبير المغربي الدارج). فكيف تسلل الأتاي واحتل هذه المكانة في التقاليد المغربية، ومتى وكيف دخل المغرب ؟

وردت عشبة الأتاي على المغرب من الشرق الأقصى (الهند والصين) المكان الأصلي لها، عن طريق التجارة الخارجية. ودخلت أول مرة للمغرب كدواء على عهد السلطان المولى إسماعيل (1082 . 1139 / 1672 . 1727) ثم عمل حفيده السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1171 . 1204 / 1757 . 1790) على نشرها وتعميمها بشكل واسع كمشروب حلال، يمكن بواسطته القضاء على المشروبات المحرمة شرعا، والمضرة بدنيا، كما يمكن بواسطته تنشيط مادة تجارية غذائية، يمكنها أن تدر أرباحا هامة على المستوردين. يسوق عبد الكبير الفاسي *(تذكرة المحسنين*، مخطوط)، خلال ترجمته للسلطان محمد الثالث، سبب دخول الأتاي وانتشاره في المغرب فيقول :

"وفي أيامه أظهر الله بالمغرب عشبة الأتاي المشروب بسائر أقطاره، وهو من خصائص صاحب الترجمة وآثاره، ولم يزل يبذل المجهود في إشاعته وتكثيره وإذاعته له، إطفاء لما عمت به البلوى من شرب الخمور التي هي أم الخبائث وأقبح الأمور، حتى نسخ الله تلك الظلمة بهذا الضياء، وأبدل الله ذلك الحرام بهذا الحلال الذي شربه العلماء والأولياء [...] ويقال : إن أول من شربه بالمغرب عم السلطان المذكور مولانا زيدان بن مولانا إسماعيل، كان خليفة والده بثغر آسفي، وكان شريبا، حتى أكسبه الشرب ألماً أعجز الأطباء عن معالجته. فجيئ بحكيم نصراني، فأمعن النظر فيه، فقال لابد من تخليه عن الشرب، فلم يجد إليه سبيلا، فأتاه بشرب الأتاي، ولم يزل يحسنه إليه، حتى استغنى به عن الشرب، فعوفي بقدرة الله [...] فلما لقيه والده المذكور، قص عليه الخبر، وأراه إياه، فشربه، ثم جيئ به لولده مولانا عبد الله [...] وفي أيام صاحب الترجمة، شاع وذاع، وعم جميع المجالس والبقاع، ولم يزل في زيادة الظهور، والولع به في البوادي والحواضر على ترادف الأعوام والشهور.

وقد مدحه الشعراء بكثير من الغزليات الأدبية، وذكروا كثيراً من الفوائد الطبية. منهم على سبيل المثال : ـ عبد السلام بن محمد الأزموري أديب فاس (ت : 1279 / 1863) له قصيدة في *الشاي*، شرحها أبو حامد المكي البطاوري في كتاب سماه : ـ *شرح الأرجوزة الفائقة* المستعذبة الرائقة، فيما يحتاج الأتاي إليه، ويتوقف شربه وإقامته عليه (112 صفحة). مطلعها :

الحمد لله الذي أطعمنا من كل مطعوم به أكرمنا

(خ. ع. D 1709 : ، طبع بالرباط عام 1365 / 1946 في: 192 ص. وقد طبعت الأرجوزة على الحجر بفاس).

وأبو الربيع سليمان الحوات، له منظومة في شرب الأتاي ومنافعه، في 19 بيتا مطلعها : ـ

دعوا شربكم للخمر فالخمر مسكر وفي الشرع كل المسكرات حرام

(خ. ع : D 157، وD158).

ومحمد بدر الدين بن الشاذلي بن أحمد الحمومي (ت 1266 / 1849) له تقييد في حكم شرب الأتاي. (طبع على الحجر بفاس).

وفي *الابتسام* أيضا توجد مقطوعات شعرية عن الأتاي والقهوة، منها مقطوعات شعرية للوزير ابن إدريس جاء فيها :

اغنم بأنسك في دنياك أفراحا وحل من حالفات الا كؤس الراحا
إن الأتاي لقوت الروح فاعن به قد فاق بالطيب والحلية الراحا

وأنشد فيه أيضا :

إن الأتاي تأتى لي الصبوح به مع فتية دمثو الأخلاق سادات
غاب المعرب والواشي لطيبته فطاب من طيب هذا الوقت كاسات
قل لابن عزوز خل الحيف ناحية واعدل فإنك للأتاي آفات

وقد هجا بعضهم الأتاي بأبيات فقال :

أرى الأتاي أهل المال وانى وأما المقترون فلم يواتي
تساوى في التنعم فيه قس وباقلة المنعم والتواتي
وكيف يلذ للرؤساء يوما وقد ضاهاهم فيه التواتي
فلو لم يأت إلا النزر منه لأعوز غيرهم قدر النواتي

فرد عليه الوزير ابن إدريس بقوله :

ألا ياهاجي الأتاي مهملا فقد وافيتنا بالترهات
فلست بسامع فيه هجاءً فإن شئت المديح له فهات
أتري بنعمة عمت وطمت أفي الأتاي وصف الذم يأت
حياة الأنفس الأتاي ضاها وهل أحد يرى ذم الحياة
فليس الراح في الراحات يبدو بأفضل منه في راح السقاة
وهو الحلو الحلال لشاربيه توارثه الثقاة عن الثقاة
ففي الناس الأسافل والأعالي وكل مثل وصف جلاه يأت

ـ هناك رسالة حول الأتاي عنوانها : *هداية الضال المشتغل بالقيل والقال* لمحمد بن المامون بن عمر بن الطائع الكتاني الحسني (ت 1309 / 1891) شرح فيها قول الشاعر : إذا كنت في حاجة مرسلا. ذكر فيها وصول السكر القالب للمغرب، واستعرض طائفة من أشعار المغاربة في الأتاي، (مخطوط خ.ع. 320 ضمن مجموع ص : 133 . 145).

ـ وللعربي بن علي المشرفي المعسكري نزيل فاس *تأليف في الأتاي* في مجلد. ولخالد بن محمد الهادي العمري الطنجي، *قصيدة* فيه، ذكرها محمد العربي الدمناتي في *كناشته* (خ، س : 1952). وكذلك للعربي بن السايح (ت : 1309 / 1891)، قصيدة في الأتاي مطلعها :

واصل شراب حليفة الأمجاد واترك مقال أخي هوى وعناد
صفراء تسطع في الكؤوس كأنها من عسجد عصرت بأعصر عاد

ثم يختمها بقوله :

فاترك مقالة معضل في شأنهـا وارو المسلسل موصل الإسنـاد

إدريس، *الابتسام* عن دولة مولانا عبد الرحمان بن هشام، مخطوط ؛ عبد الكبير الفاسي، *تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين* ـ مخطوط ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية*. رقم : 3.

J.L. Miège, *Origine et développement de la consommation du thé au Maroc*. Bulletin Economique et Social du Maroc. N° 71, 3e trim. 1956 ; H. P. J. Renaud, *y'a-t-il une question du thé au Maroc* ? Le Moment Sanitaire. Organe du Syndicat des médecins hygiénistes français et de la société de médecine publique (Paris, 30 mai 1928, pp. 693 - 701) ; *Mission de Léon Roches*.

أحمد العماري

الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، (حزب ـ).

بعد عملية التصحيح التي تمت يومي 30 و31 يوليوز 1972، عقد الاتحاد الوطني للقوات الشعبية دورتين للجنة المركزية، في بداية خريف 1972 ويناير 1973. وفي أعقاب اعتقال مجموعة من أعضاء قيادته، في النصف الثاني من شهر مارس لنفس السنة ومناضلين آخرين من عدة أقاليم، ومثولهم أمام محكمة الجنايات، وصدور أحكام براءتهم في نهاية شهر غشت 1973، اضطر إلى توقيف نشاطاته، ذلك التوقيف الذي قد فرض عليه فرضا. لكن الأحداث التي عرفتها سنة 1974، بعد ثورة القرنفل، ونهاية أبريل لنفس السنة في البرتغال والإطاحة بنظام كايطانو وعودة النظام الديموقراطي لهذه البلاد استؤنف الاتصال، من جديد، مع الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، في شخص مسؤول من قيادته، هو الأستاذ عبد الرحيم بوعبيد، وطلب منه رسميا أن يسهم، باسم حزبه، في حملة واسعة للتعريف بالملف المغربي الخاص بتحرير أقاليمنا في الجنوب، التي كانت خاضعة للاستعمار الإسباني. وتقررت الاستجابة لذلك في أعقاب الدورة التي عقدتها اللجنة الإدارية الوطنية، بتاريخ 14 يوليوز 1974.

وهكذا قام الأستاذ عبد الرحيم بوعبيد برحلة طويلة عبر أقطار في آسيا وأوربا للدفاع عن الملف المغربي الخاص بالصحراء الغربية المحتلة. هذا الانفراج الذي عرفته علاقات الحكم بالمعارضة اليسارية سيتدعّم بإطلاق سراح من تبقى رهن الاعتقال من قادة الحزب، أمثال : الأستاذ محمد اليازغي والمرحوم عمر بنجلون.

ومن أجل وضع حد للخلط، الذي كانت تغذيه بالخصوص الصحافة الأجنبية، قررت اللجنة المركزية للاتحاد الوطني باقتراح من الأستاذ عبد الرحيم بوعبيد أن يصبح الحزب، منذ ذلك التاريخ، يحمل اسم "الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية"، وكرس المؤتمر الاستثنائي، الذي عقد بمدينة الدار البيضاء أيام 10-11-12 يناير 1975 ذلك الاختيار. تشير المادة الرابعة من قانونه الأساسي إلى أن هذه المنظمة تحدد برامج ومناهج عملها على أساس الالتزام :

ـ بالاشتراكية العلمية كمنهج للتحليل والأخذ بالقيم التقدمية، العربية والإسلامية، التي تكوّن جزءاً لا ينفصل من شخصية وأصالة وتكوين الشعب المغربي ورصيده النضالي.

ـ بالديموقراطية كقاعدة للتقرير واعتماد مصالح الطبقة الكادحة للعمال والجماهير والفلاحين الصغار والمثقفين التقدميين والتجار الصغار والحرفيين كمنطلق جوهري في التفكير والسلوك والعمل.

ـ التضامن مع مختلف الحركات التحريرية المناوئة للاستعمار والامبريالية والعنصرية والاستغلال الرأسمالي.

أما الانخراط في هذه الحركة التقدمية، التي يصنفها إخصائيو علم السياسة ضمن منظمات اليسار، فيخضع لشروط نجد بعضها في جميع الجمعيات ومنها ما تنفرد به وهي كالآتي :

1. أن يكون مغربيا. 2. أن يبلغ من العمر على الأقل ثمانية عشر عاما. 3. أن يبرهن عن اقتناعه بالاختيارات المذهبية للاتحاد وخطه السياسي ويلتزم بتنفيذ قوانينه وقراراته. 4. أن ينتظم في خلية مؤسسته أو مهنته أو حيه أو دواره. 5. أن يدفع اشتراكات العضوية السنوية والدورية.

ويتجزأ القانون الأساسي للاتحاد الاشتراكي إلى سبعة أقسام تتعلق بتنظيماته وبالمؤتمر الوطني وباللجنة الإدارية الوطنية وبالمكتب السياسي والكاتب الأول وباللجنة المركزية وبالهيآت الإقليمية والمحلية وأخيرا بالمالية.

تنظيمات الاتحاد : يتألف الاتحاد الاشتراكي من تنظيمات خلوية وإقليمية ووطنية. فالخلية تكون على مستوى المؤسسة أو المهنة، أما المقاطعات فتضم جماعات الاتحاد التابعة لها بينما تضم فروع الاتحاد جميع المقاطعات الموجودة في الفرع.

وفي كل إقليم تنظم الفروع في اتحاد إقليمي تقوم بمهمتين أساسيتين :

1. بربط الصلة بين الفروع والهيآت المركزية للاتحاد الاشتراكي.

2. بالسهر على تنظيم النشاط السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي في المنطقة، طبقا لمقررات الاتحاد الاشتراكي.

وعلى الصعيد الوطني، يباشر الاتحاد الاشتراكي مسؤوليات الجمعية بأسرها ويقوم على يد هيآته المركزية بتمثيلها في العلاقات مع السلطات العمومية، وأمام العدالة، ومع الهيآت الأخرى المغربية أو الأجنبية أو الدولية.

يقوم نظام الاتحاد على أساس المركزية الديموقراطية التي تخول لجميع الأعضاء قابلية المشاركة في تسير الجمعية وفق المبادئ الآتية :

أولا : الانتخاب هو المبدأ في اختيار المسؤولين في الخلية والمقاطعة والفرع والإقليم وعلى الصعيد الوطني.

ثانيا : يقوم المسؤولون بمهمتهم، طبقا للقاعدة الجماعية، مع ضبط المسؤولية الفردية، والمحاسبة والمراقبة من طرف الهيئة التي انتخبتهم.

ثالثا : كل هيئة تقرر بكل حرية في المسائل التي ترجع

لاختصاصها، طبقا للقانون الداخلي، بشرط أن لا تكون قراراتها متناقضة مع الخطة العامة، التي رسمها المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكي أو قرارات الهيآت المركزية.

المؤتمر الوطني : نلاحظ بادئ ذي بدء أن هناك تشابها كبيرا بين الفصول الخاصة بهذا القسم وفصول القانون الأساسي للاتحاد الوطني، الأمر الذي يؤكد أن واضعي هذا القانون يعتقدون جازمين بأنهم هم الممثلون الحقيقيون للاتحاد الوطني، منذ تأسيسه، في خريف 1959، وبأن الجماعة، التي ما زالت تزعم بأنها المسؤولة عنه، لم يبق لها وجود، ولا أدل على ذلك، حسب رأيهم، من أن صوتهم قد اختفى في الداخل، منذ أكثر من ثلاث عشرة سنة، علاوة على انعدام أي تنظيم، لا على الصعيد المحلي أو الإقليمي ولا على الصعيد الوطني، كما يؤكدون أن تغييرهم لكلمة الوطني بالاشتراكي لم يكن إلا من أجل وضع حد للخلط، الذي حاول خصوم الحزب، من خلاله، النيل عبثا من تمثيليته، عندما رخصوا لأنفسهم بالتمييز، بين من كانوا يطلقون عليهم مجموعة الرباط ومجموعة الدار البيضاء.

ومع ذلك، نلاحظ أن هذا القسم يتضمن توضيحات إضافية لم تكن موجودة في القانون الأساسي السابق، هكذا ينص الفصلان 14 و15 على ما يلي : "يبين القانون الداخلي طريقة سير المؤتمر الوطني ولا يعتبر اجتماعه قانونياً إلا إذا حضر أكثر من نصف أعضائه. فإذا لم يتوفر هذا العدد، جدد الاستدعاء لجلسة ثانية، وتعتبر مقرراته إذ ذاك نافذة بأغلبية أصوات الحاضرين، وتتخذ جميع المقررات بالأغلبية المطلقة للحاضرين في الدورة الأولى، وبالأغلبية النسبية، في الدورة الثانية. ويجب أن يشتمل جدول أعمال المؤتمر الوطني، في دورته العادية، على ما يلي :

1. مناقشة التقارير التوجيهية والسياسية والتنظيمية، المقدمة من طرف الهيآت المركزية.

2. مناقشة تقرير نشاط المكتب السياسي واللجنة الإدارية.

3. انتخاب اللجنة الإدارية الوطنية.

4. المصادقة على المكتب السياسي والكاتب الأول، الذين تنتخبهم اللجنة الإدارية من بين أعضائها.

اللجنة الإدارية الوطنية : تدير اللجنة الإدارية الوطنية شؤون الاتحاد الاشتراكي في المدة الفاصلة بين دورات اللجنة المركزية. وتتألف من خمسة وثلاثين عضوا على الأقل (حاليا تضم ما يقرب من تسعين عضوا) ينتخبهم المؤتمر العام. وتجتمع مرة كل شهرين أو إذا ما طلب منها ذلك المكتب السياسي أو ثلث أعضائها، كما تسهر على تطبيق مقررات المؤتمر الوطني، وتتخذ القرارات اللازمة لتسيير الاتحاد الاشتراكي، وتحدد المواقف التي تتطلبها الظروف في نطاق الخطة التي رسمها المؤتمر الوطني. كما تشرف على سير تنظيمات الاتحاد الاشتراكي ومؤسساته، وتراقب نشاطات الاتحاد الإقليمية والفروع. ولها الحق في مراجعة التقسيم الإداري والإقليمي والمحلي لتنظيمات الاتحاد الاشتراكي، حسب مقتضيات المصلحة السياسية والضرورات الإدارية والجغرافية.

المكتب السياسي والكاتب الأول : تنتخب اللجنة الإدارية الوطنية من بين أعضائها، مكتبا سياسيا يتألف من سبعة أعضاء على الأقل، من بينهم كاتب أول للاتحاد، ويصادق المؤتمر على هذا الانتخاب (يضم المكتب السياسي حاليا ثمانية أعضاء، وهم السادة : عبد الرحيم بوعبيد، الكاتب الأول، محمد اليازغي، المكلف بالتنظيم، ومحمد الحبابي ومحمد منصور، والحبيب الفيغائي الفرقاني، ومصطفى القرشاوي، وعبد الرحمان اليوسفي، المشرف على العلاقات الدولية، والمهدي العلوي).

يجتمع المكتب السياسي مرة في الأسبوع على الأقل. ويتكفل بصفة جماعية بالإدارة الفعلية، السياسية والمادية للاتحاد الاشتراكي تطبيقا لمقررات اللجنة الإدارية الوطنية. ويسهر بالخصوص على تطبيق المقررات في الميدان السياسي والاجتماعي والتنظيمي، ويوجه التعليمات الضرورية بذلك للأقاليم. ويوزع المكتب السياسي المهام بين أعضائه فيما يرجع لنشاط الاتحاد الاشتراكي، على الصعيد الداخلي أو في تمثيله لدى الحكومة والسلطات الإدارية والقضائية، أو لربط الصلة مع الهيآت الأخرى، مغربية كانت أو أجنبية أو دولية. وتحمل الوثائق المالية إمضاء عضوين من المكتب السياسي. يعد الكاتب الأول للمكتب السياسي الناطق الرسمي للاتحاد الرسمي للاتحاد الاشتراكي على الصعيد الداخلي والدولي، وفي حالة غيابه، يعين المكتب السياسي من ينوب عنه من بين أعضائه.

اللجنة المركزية : تعد أعلى هيئة للاتحاد الاشتراكي بين دورات المؤتمر الوطني وتتألف من :

1. أعضاء اللجنة الإدارية الوطنية. 2. ممثلين عن كل إقليم. 3. أعضاء مشاركين هم أعضاء اللجان القارة المختصة، تجتمع مرة كل أربعة أشهر بدعوة من المكتب السياسي، وعند الضرورة، وذلك لتحديد موقف الاتحاد الاشتراكي من القضايا الوطنية أو الدولية المسجلة في جدول الأعمال. وخلال دورتها، يتقدم المكتب بتقرير حول نشاط الاتحاد، كما يستمع المشاركون إلى تقارير يقدمها ممثلو الأقاليم. وتصدر اللجنة المركزية توصيات وقرارات وبيانات توضح من خلالها، موقف الاتحاد الاشتراكي من القضايا المقترحة في إطار الخط العام للمؤتمر. ولها الصلاحية في إضافة أعضاء جدد للجنة الإدارية الوطنية أو تعويض آخرين، بسبب غيابهم الراجع إلى استقالتهم أو توقيفهم أو وفاتهم.

الهيآت الإقليمية والمحلية : يعد مجلس الفرع الهيئة التقريرية على مستوى الفرع. ويتكون من مكتب الفرع وممثلي المقاطعات ولجن التنسيق في القطاع والمؤسسات، ويتجدد مكتب الفرع كل سنة.

- يتكون المؤتمر الإقليمي الذي يعد أعلى هيئة للاتحاد في الإقليم من مندوبين ينتخبهم الأعضاء العاملون في خلايا المؤسسات والحي والدوار. ويجتمع في دورته العادية، مرة في السنتين، باستدعاء من الكتابة الإقليمية باتفاق مع اللجنة الإدارية الوطنية أو بطلب من الفرع. أما جدول أعماله فيقتصر على نقطتين جوهريتين : - مناقشة تقرير الكتابة الإقليمية، وتطبيق قرارات الهيآت المركزية التوجيهية والسياسية والتنظيمية، ويكون عليه في أعقاب أشغاله أن ينتخب أعضاء الكتابة الإقليمية الجديدة. أما المجلس الإقليمي فيضم أعضاء الكتابة الإقليمية وممثلي الفروع ولجن التنسيق. ويعقد دورتهُ كل شهرين باستدعاء من الكتابة الإقليمية، كما يمكن أن يجتمع في دورات غير عادية.

المالية : تتكون المداخيل الطبيعية للاتحاد الاشتراكي من الاشتراكات، وعلى كل عضو عامل أخذ بطاقة العضوية سنويا ودفع ثمنها. ولا يعفى أي عضو من واجب الاشتراك ولا يخفض من قيمته إلا بقرار من خليته يثبت أنه لا يستطيع الأداء. وتقوم اللجنة المركزية بتوزيع المداخيل على الهيآت المحلية والإقليمية والوطنية حتى تتمكن كل واحدة من مواجهة النفقات المنوطة بها. وتقدم لجنة مراقبة الحسابات تفاصيل المداخيل المالية وميزانية النفقات ليقدم تقرير بذلك للمؤتمر العام.

منذ الانطلاقة الجديدة التي عرفها الاتحاد الوطني، الذي أصبح يسمى بالاتحاد الاشتراكي، في أعقاب المؤتمر الاستثنائي، الذي عقد بالدار البيضاء أيام 10 و11 و12 يناير 1975 تمكن من عقد مؤتمرين وطنيين في الدار البيضاء سنة 1978 وسنة 1984 تتبع أشغالهما مآت من مناضلي الحزب، وما يقرب من عشرين وفداً أجنبيا من أقطار المغرب العربي وأوربا الغربية بالخصوص وبعض دول أوربا الشرقية، وهو يستعد الآن لمؤتمره المقبل، بعدما أوشكت مرحلة المؤتمرات الإقليمية التي عمت معظم الأقاليم المغربية، شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً على الانتهاء.

لقد ساند الاتحاد الاشتراكي، منذ البداية المسلسل الانتخابي في خريف 1976، الذي دشنه المغرب، بعد مرور خمس سنوات تقريبا على استفتاء فاتح مارس 1972 الخاص بالمصادقة على التعديلات التي أدخلت على دستور 1970. وهكذا شاركت أطره بعد صدور توصية بذلك من طرف قيادته المسؤولة، بحماس كبير، في الانتخابات الجماعية لتلك السنة وفاز مرشحوه بمقاعد كثيرة، تجاوزت أحيانا ثلثي أعضاء المجلس الجماعي الحضري أو القروي، في عدة مدن كبرى، كما شارك الاتحاد الاشتراكي في الانتخابات الإقليمية والمهنية، التي نظمت في شتاء وبداية ربيع 1977 والتي تُوجت بالانتخابات التشريعية لـ 3 يونيه 1977.

وبالرغم من انتقاده العنيف لما كان يسميه بتدخل الجهاز الإداري في الانتخابات العامة، والضغط على الناخبين في الأرياف بالخصوص، وانعدام النزاهة في أكثر من مكتب للتصويت، فقد اضطلع نوابه بمسؤولياتهم في مجلس النواب، ولم يكن عددهم يتجاوز خمسة عشر عضوا، من بين مائتين وأربعة وستين عضوا آنذاك (حاليا يتألف مجلس النواب من ثلاثمائة وستة أعضاء، بعد إصدار الأمر بتنفيذ القانونين التنظيميين، الصادرين عن مجلس النواب، في غشت 1979 ويونيه 1983، والقاضيين برفع ذلك العدد أولا إلى 267 عضوا، لتمكين إقليم وادي الذهب المسترجع من أن يكون له ممثلون في المجلس النيابي، ثم إلى 306، نتيجة للنمو الديموغرافي، الذي يعرفه المغرب، الذي أصبح سكانه، بعد الإحصاء الأخير، يقاربون خمسة وعشرين مليون نسمة، ولجعل جالياتنا في أوربا والولايات المتحدة وباقي أجزاء الوطن العربي، ممثلة هي أيضا، في هذا المجلس) والنواب الاشتراكيون في المجلس يؤدون رسالتهم سواء خلال ولاية مجلس النواب الأولى، التي استمرت ست سنوات (1977-1983)، أو خلال ولايته الثانية، التي ابتدأت في 14 أكتوبر 1984، والتي من المفروض أن تستمر إلى خريف 1990، فإن نواب هذا الحزب، الذين أصبحوا في التجربة الحالية، قريبين من الأربعين قد تقدموا بمقترحات قانونية، تتعلق بميدان الحريات العامة والقانون الجنائي، وبمجالات الاقتصاد والاجتماع. ومن خلال هذا المنبر فإنهم يدافعون كذلك عن البديل فيما يخص السياسة الاقتصادية التي ينبغي للمغرب أن ينهجها، للخروج من النفق الذي توجد فيه البلاد، حسب رأيهم، مقتصرين منذ ما يقرب من إحدى عشرة سنة على التصويت لصالح ميزانيتي السيادة والدفاع الوطني، ورافضين باستمرار ميزانيات الوزارات الأخرى والقانون المالي السنوي عامة. كما يشاركون في جميع المؤتمرات التي تعقدها البرلمانات العربية والإفريقية والأوربية وفي البعثات التي يوجهها مجلس النواب إلى الخارج، وذلك للإسهام في الدفاع عن ملف المغرب، الخاص بالوحدة الترابية، أو بالملف الاقتصادي الذي يهم علاقاتنا الاقتصادية والتجارية مع السوق الأوربية المشتركة بالخصوص.

وهكذا يكون الاتحاد الاشتراكي قد أدرك بدوره أهمية وجوده في المجالس المنتخبة، على الصعيدين المحلي والوطني، وذلك لإسماع صوته والتعريف ببرامجه، استعداداً كذلك للانتخابات الجماعية والتشريعية القادمة، لأن هذا الحضور في المؤسسات المنتخبة سيجعله على اتصال دائم بالسكان في مختلف الأقاليم، ذلك أن دوره، كدور كل الأحزاب، هو السعي باستمرار من أجل الحصول على أكبر عدد من المقاعد في مجلس النواب، حتى يتسنى له، استنادا إلى الأغلبية، تطبيق برنامجه الاقتصادي والاجتماعي مستقبلا، إذا ما حظي بثقة الناخبين.

المؤتمر الخامس للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية :عقد بالرباط أيام 30 و31 مارس - فاتح وثاني أبريل 1989 حضر جلسته الافتتاحية والختامية قادة الأحزاب الوطنية : حزب

الاستقلال، الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، التقدم والاشتراكية، منظمة العمل الديموقراطي الشعبي، إضافة إلى ثلاثين حزباً سياسيا من مختلف الأقطار العربية والإفريقية والأوربية. قرر المؤتمر تعديل القانون الأساسي للاتحاد الاشتراكي بالاستغناء عن اللجنة الإدارية الوطنية والاقتصار على جهازين : 1. اللجنة المركزية التي تتألف من 101 عضو تم انتخابهم بالاقتراع السري من طرف لجنة الترشيحات وصادق عليهم المؤتمرون الذين بلغ عددهم حوالي 1600 عضو. 2. المكتب السياسي المنتخب من طرف اللجنة المركزية المتركب من ثلاثة عشر عضوا. وأصدر المؤتمر بيانا سياسيا هاما ومجموعة من المقررات الفرعية الخاصة بقضايا التربية والتعليم والثقافة والإعلام والمغرب العربي والعلاقات الدولية، والشؤون الاقتصادية والاجتماعية. نشر في جريدة الاتحاد الاشتراكي (3 / 4 / 1989).

. القانون الأساسي للاتحاد الاشتراكي : طبع من طرف اللجنة الإدارية الوطنية على الستانسيل ؛ *جريدة المحرر* (1974-1981) مديرها إلى غاية اغتياله في 18 دجنبر 1975 الأستاذ عمر بنجلون، ثم خلفه الأستاذ محمد اليازغي إلى أن اتخذ قرار بمنعها ؛ *أعمال المؤتمر الاستثنائي للاتحاد الاشتراكي* المنعقد بالدار البيضاء أيام 10-11 و12 يناير طبعة ثانية عام 1978 ؛ *التقرير الإيديولوجي* : وثائق المؤتمر الاستثنائي يناير 1975 (بالعربية والفرنسية) ؛ *التقرير السياسي* للأستاذ عبد الرحيم بوعبيد مطبوع بالعربية والفرنسية ؛ *مقررات حول الوحدة الترابية* بعد استرجاع أقاليمنا في الجنوب وتصفية الاستعمار الإسباني بمقتضاه، وحول القضية الفلسطينية، وحول الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ؛ *تقارير المكتب السياسي* أمام اللجنة المركزية التي تجتمع دوريا كل أربعة أشهر والبيانات الصادرة في أعقاب دوراتها ؛ *وثائق حول المناظرات* التي تنعقد حول تجربة الجماعات المحلية ومضمون الديموقراطية المحلية ؛ *وثائق حول الأيام الدراسية الخاصة بالقطاع العمومي والقطاع الخصوصي* ؛ *وثائق حول الأيام الدراسية الخاصة بشؤون المرأة* : الحركة النسوية التابعة للاتحاد الاشتراكي ؛ *مواقف مبدئية وقرارات ظرفية : المؤتمر الوطني الثالث 1978*. طبعة ثانية 1984 ؛ *التقرير العام* للمؤتمر الوطني الثالث للاتحاد الذي عقد بالدار البيضاء في غضون شهر دجنبر 1978 بالعربية والفرنسية ؛ *الميثاق الوطني للجماعات المحلية*. مطبوعان معا بالدار البيضاء سنة 1978 ؛ *بيانات وبلاغات 79-1980*. بالرباط 1981 ؛ *اللجنة الإدارية الوطنية* : المذكرة التوضيحية أبريل 1981؛ *مقررات المؤتمر الرابع* للاتحاد الذي عقد بالدار البيضاء في غضون شهر يوليوز 1984 ؛ *مجلة المشروع* : دورية يصدرها الاتحاد الاشتراكي كحزب تقدمي اشتراكي ؛ *الاتحاد الاشتراكي* جريدة : بدأت تصدر انطلاقا من شهر ماي 1983 ؛ *تقارير* تعرض على اللجان المختصة التابعة للجنة الإدارية الوطنية : لجنة الجماعات المحلية، لجنة العلاقات الخارجية، لجنة التضامن والحريات العامة، اللجنة العمالية، لجنة الإعلام، لجنة الدراسات. اللجنة المركزية مع قضايا الشعب المغربي، مطبوع بالدار البيضاء سنة 1984.

عبد الرحمان القادري

الاتحاد الدستوري، من يعرض للاتحاد الدستور كحركة سياسية حديثة العهد ببلادنا، فلا مناص له من أن يرجع ولو للحظة إلى الخلفيّة الفكرية والسياسية والاجتماعية التي تحدد أو توجه على الأقل السلوك العام للمغاربة في أبعاده المختلفة.

بهذه العلية القائمة سيأخذ، كما سنرى، منظرو الاتحاد الدستوري في منهجهم وفي تعاطيهم للحدث السياسي. وبالفعل فلقد جبل المغاربة على روح الاعتدال والتعايش بتأثير من عوامل شتى، نخص بالذكر منها العقيدة السمحاء كإحدى مقومات الذهنية المغربية. وترسخت هذه الروح عبر مسيرة دستورية أقرتها وزكتها الأمة المغربية، قوامها التساكن بين مختلف الأسر الفكرية والعقدية والسياسية. وهكذا فقد ساعدت هذه الخلفية العامة وهذه الممارسة الدستورية في انبثاق إطار جديد يروم الاستجابة لمشاغل وتطلعات ما يمكن الاصطلاح عليه "بجيل الهامش" أو كما أريد له أن يكون، وهو الجيل الذي لم تستوعبه ـ في تقدير مؤسسي الاتحاد الدستوري ـ الأحزاب ولا المنظمات الموجودة إما بسبب برامجها أو أساليب تعاملها مع هذا الجيل. إلى جانب هذا العامل السياسي يبرز عاملان اثنان سيكون لهما الأثر البليغ في تغذية صفوف الاتحاد الدستوري بفئات من الشباب وغير الشباب، ونعني بهما :

أولا : الأرضية الدستورية باعتبارها إطارا يسمح بل يدعو للتعددية السياسية والنقابية، دونما تمييز أو تفضيل بين الهيئات والمنظمات.

ثانيا : المناخ المتولد عن المسيرة الخضراء والتي فجرت الطاقات وأبانت عن قدرات شابة تستلزم الاستيعاب وتتطلب التعبئة المستمرة، مسيرة رسمت ملامح جيل جديد تواق إلى الفعل السياسي والانخراط في الحياة العامة ضمن مفاهيم وأساليب تتلاءم وتكوينه وتطلعه وحماسه.

برز الاتحاد الدستوري على ضوء هذه المعطيات وهو يتطلع إلى استقطاب فئات عريضة من شباب المسيرة وشباب ما بعد الاستقلال، مراهنا بذلك على طاقاتهم واستعدادهم للحوار الهادىء المسؤول، بعيدا عن القوالب الجاهزة والمواقف المسبقة. وقد عرف هذا التنظيم أطواراً سنعرض لها لماما عبر استجلاء المبادىء أو المناهج المعتمدة والأهداف التي تجندت أطر هذا الحزب من أجل بلوغها.

أ ـ طور التكوين : لقد عمد الأستاذ المعطي بوعبيد، أحد أعلام الحركة الوطنية الشباب ـ وهو رجل قانون مارس المحاماة منذ فجر الاستقلال وتقلد مناصب وزارية إلى أن أصبح وزيرا أول في حكومة صاحب الجلالة (1979. 1983)ـ عمد من موقع المسؤولية الحكومية إلى توزيع رسالة دورية مؤرخة ب 29 دجنبر 1982 شرح فيها الأسباب الداعية إلى قيام الاتحاد الدستوري. وعقد تبعا لذلك، سلسلة من الاجتماعات عبر التراب الوطني لبلورة الدوافع التي حدت به إلى الأخذ بزمام المبادرة" والصدع علنا برأي كانت تهمس به القوات الحية بالبلاد وهو أن نجاح مسيرتنا

الديموقراطية وخطتنا التنموية، يفرض ضرورة الاحتفاظ بشعلة الحماس وتجنيد كل الطاقات، وفي الطليعة، الجيل الجديد، وأعني به تلك الحشود من الشباب الذي نما ونضج مع الاستقلال أو مع المسيرة الخضراء".

ويأتي في مقدمة هذه الاجتماعات المشار إليها من حيث الأهمية، تجمع مدينة الدار البيضاء بتاريخ 7 يناير 1983 باعتباره مناسبة لإجراء حوار مفتوح بين ممثلي مختلف شرائح المجتمع المغربي. ولقد تبين المشاركون، خلال هذا التجمع، أن هناك خللا في الساحة السياسية، وأن البلاد تعاني من شبه فراغ في مجال التأطير السياسي وخاصة فيما يتعلق بتأطير جيل ما بعد الاستقلال. ومن جملة الاعتبارات التي دعت بإلحاح الى قيام هذا الحزب، في تقدير مؤسسيه، وجود شباب متحمس ومتعطش لتحمل نصيبه من المسؤولية في بناء المغرب المعاصر، المغرب الجديد، خصوصا وأن الوطنية تراث مشترك وملك مشاع بين جميع المغاربة، إنها منهل مفتوح أمام الجميع لا تحتكره فئة دون أخرى ولا تنظيم دون تنظيم (خطاب بوعبيد بالبيضاء). ولعل من شأن هذه الأفكار وهذه القناعات أن تستقطب فئات عريضة من الشباب وغير الشبا ب بدْواً كانوا أو حَضَراً للانخراط في الحياة العامة ضمن مفاهيم ومبادىء تجند المغاربة منذ الاستقلال وقبله لنصرتها. وكان المؤتمر التأسيسي للاتحاد الدستوري من حيث تشكيلة المشاركين وأعمارهم ومستوياتهم وحجمهم إيذانا بانبثاق حركة سياسية جديدة تقتضي التأطير الجاد والتنظيم المحكم.

ب ـ طور التنظيم : إن تنظيم أي حركة تستهدف التأطير والتوجيه يستلزم حتما بلورة المبادىء التي يقوم عليها هذا التنظيم. والاتحاد الدستوري الذي لا يند عن هذه القاعدة، عمد منذ أول وهلة إلى التركيز على بواعث ظهوره التي استقاها واستلهمها من الدستور المغربي الذي يرسخ ـ عبر نظام الملكية الدستورية ـ القيم الأساسية والتقليدية لمجتمعنا ويحمي الحريات العامة والحقوق الفردية ويرسم الحدود لمختلف السلط : التشريعية والتنفيذية والقضائية.

فإلى جانب التعلق بالملكية الدستورية وشخص الملك الحامي لوحدة البلاد والضامن لاستقرارها يتشبث الاتحاد الدستوري بنص الدستور القائم على المبادئ الأساسية للدين الإسلامي التي هي نفسها مبادئ الديمقراطية الحديثة والحرية والقانون. وبهذا الخصوص تجدر الإشارة إلى أن الدستور المغربي يتعارض في نصه وروحه مع مبدأ الحزب الوحيد بل بالعكس من ذلك يتيح لكل مواطن أن ينخرط في الهيئة أو التنظيم الذي يتلاءم مع طموحاته وتوجهاته. هنا يأتي حرص الاتحاد الدستوري على تركيز القيم الأساسية لدستور المملكة داخل حياة الأفراد وضمن العمل السياسي والاجتماعي ويأتي في طليعة هذه القيم مفهوم دولة القانون كسبيل لتنظيم مجالات الحياة العامة وبناء المجتمع العادل المتوازن والحفاظ على مقدساته ومكتسباته. ويعد مفهوم دولة القانون الذي يخضع له الجميع دون استثناء معياراً للديمقراطية الحق والدفاع عن دولة القانون.

وفي المجال الاقتصادي والتنموي يتوجه الاتحاد الدستوري إلى تشجيع المبادرة الحرة والفلسفة اللبرالية التي تعد الرديف الطبيعي للتعددية السياسية سعيا وراء تخليص الدولة من وظيفة الإنتاج وتخفيف أعبائها لتتحمل مهام المراقبة والتوجيه وحفظ التوازن في ظل وضعيّة اقتصادية تميزت بالنمو البطيء واختلال التوازنات الأساسية وانخفاض نمو الناتج الإجمالي.

إن التنظيم القمين ببلورة هذه المبادئ وتجنيد هذه الرؤيا تطلبت الاعتماد أساسا على الأطر والإخصائيين ذوي ملامح محددة حرص الحزب منذ تأسيسه على تحديدها والتركيز عليها.

ونجد في طليعة الملامح والصفات السلوك المصداقي وروح الجد والنقاء. وفي إطار هذا السلوك العام أهاب الحزب أن تكون أطره قدوة في التشبث بالنهج الديموقراطي وإشاعة الحوار وفي الاضطلاع بالمسؤولية كاملة داخل الإطار المهني، والإطار العام وفي الارتقاء بالعمل الوطني إلى مصاف الالتزام الصادق.

ويتضح من خلال هذه الملامح المعلن عنها أن الاتحاد الدستوري يأخذ بمفهوم النخبة التي عليها أن توجه وتستقطب، سلاحُها في ذلك ما تمثله من قيم المصداقية والتفاني وروح الإخلاص، لذا انصب اهتمام هذا الحزب منذ البدء على الأطر وما يمثلونه من جذب وتأثير. فكانت لقاءات خاصة بالإخصائيين (ماي 1984) الذين دعُوا لتعميق الدراسة في الوسائل والأهداف التي يتوخاها الاتحاد الدستوري، ولقاءات المرأة والشباب باعتبارهم مركز ثقل وجسرا للإصلاح لامندوحة عنه. وتُوِّج هذا النشاط الدؤوب بتأسيس أمانات وطنية دائمة للشباب والمرأة والأطر خلال المؤتمر الاول لهذا الحزب (أكتوبر 1985) الذي تلا المؤتمر التأسيسي، تمكن من تهيئة الشروط الموضوعية لإرساء قواعد المنظمات الموازنة لقطاع الشباب وقطاع المرأة ولجنة الإخصائيين وغيرها...

ومهمة هذه الأمانة تكمن في تهيئة ملفات قطاعية قوامها الدراسة الميدانية، وهذا عنصر آخر تعتمده المنهجية التي يأخذ بها الاتحاد الدستوري والمتمثلة في جرد الواقع وتشخيص الحال.

وعموما يمكن اعتبار الاتحاد الدستوري براغماتيا في نزعته لا يعتد بما لا يفيد ولا يكترث لما درجت عليه الممارسة السياسية التقليدية التي تجتر ـ في منظور هذا الحزب ـ الأحكام وتعيد المواقف دونما اهتمام بالتطور الحاصل في العقليات والممارسات والذي سيؤدي لا محالة إلى ترسيخ النهج الديموقراطي الذي لا رجعة فيه.

إن هذا المنحى وهذا الأسلوب في معالجة المسألة

السياسية ببلادنا لمن شأنهما مبدئيا أن يطورا الممارسة ويحدثا رجة في الهيكل السياسي العام باتجاه تحديثه وإدخال التوازن عليه وخلق فكر سياسي وسطي يُقيم ذلكم التوازن الاجتماعي والسياسي الخليق بتثبيت الممارسة الديموقراطية وتوسيع قاعدة المنخرطين في الحياة العامة بحيث تحوي سائر الحساسيات والقناعات، كل حسب شاكلته. فأين الاتحاد الدستوري من هذه الرجة وكيف تتراءى الآفاق ؟

الآفاق المستقبلية : ينبغي لرصد هذه الآفاق أن نحدد بداية أو نحاول تحديد موقع هذا الحزب على الخريطة السياسية وما يمثله من رموز اجتماعية وثقافية. لقد سجل الحزب خلال الاستشارات الشعبية نتائج هامة، إن على الصعيد المحلي أو الجهوي أو الوطني رشحته للاضطلاع بالدور الذي نذر نفسه من أجله والممثل في محاربة الاحتكار والفوارق الطبقية لتكون "التنمية الاجتماعية شاملة وسريعة ومبنية على المسعى الفردي وعادلة في نتائجها" (خطاب المؤتمر التأسيسي). ويتمثل هذا الدور كذلك في مناهضة التطرف بجميع أنواعه :

- التطرف الذي يعني التزمت وتحنيط العقول والوقوف في وجه كل تطور سياسي واقتصادي واجتماعي.
- التطرف الذي يسعى إلى تجميد المبادرة الشخصية.
- التطرف الذي يفرض القيود على الحريات.

إن المتتبع للحياة السياسية المغربية لم يفته أن يقف على حجم وشدة الانتقادات الموجهة إلى هذا الحزب. وقد استأثر بالانتباه وضم إلى صفوفه فئات عريضة ممن فضلوا قبل هذا سياسة الكراسي الشاغرة، كما لم يسلم من الألقاب من طرف الأحزاب والهيئات الأخرى التي اعتبرت أن الاتحاد الدستوري يكون قد استفاد من سخاء الإدارة ومحاباتها. وقد ذهب بعض المحللين إلى أن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد دخول عنصر جديد إلى الجسم السياسي المغربي خلق ردودا ومواقف منتظرة سرعان ما تلطفت وتأقلمت مع مناخ تيار جاء لفتح الطريق في وجه الاقتصاد والحرية المسؤولة والتضامن بين الطبقات حيث تلعب الدولة دور المدافع عن المصلحة العامة تاركة لروح المبادرة والمنافسة مجالا أرحب. وبهذا أخذت تترسخ مفاهيم الوسط بالمعنى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

وقد لا يجانب الصواب من قال بأن مصير هذا الحزب ونجاحه مرهونان إلى حد كبير بتجذير هذه السلوكات والعمل على ترجمتها إلى الواقع الحي الملموس، إن مثل هذا التحدي يجابه حزبا فتيا كحزب الاتحاد الدستوري، المدعو باستمرار للحرص على صيانة ملامح المناضل كما حددتها أدبياته ومن ضمنها المصداقية وروح المسؤولية، كما هو مدعو - على عتبة مؤتمره الثاني - لتطوير أساليب عمله بالاعتماد على الشباب أساسا لأنه جاء لتمثيل الشباب أصلا والتعبير عن طموحه وتمكينه من الدور الذي هُيئ له وفق فلسفة الرجل المناسب في المكان المناسب، خدمة لقضايا الوطن العليا وحفاظا على مقدسات الأمة وتطلعاتها على الساحة الجهوية والدولية ودعما لروح الثقة والتفاؤل التي أخذت تسري في المجتمع السياسي المغربي.

المؤتمر التأسيسي للاتحاد الدستوري، الدار البيضاء 25 جمادى الثانية 1403 - 9 أبريل 1983 ؛ *دراسة إحصائيي الحزب حول الموضوع* (منشورات مطبعة الليمون - ماي 1984) ؛ *اللقاء الأول للإحصائيين والأطر*، الدار البيضاء، 26-27 ماي ؛ *المؤتمر الأول للاتحاد الدستوري*، الدار البيضاء 5-6 أكتوبر 1985.

حميد الديوري

الاتحاد السوفياتي والمغرب، كانت للمغرب علاقات بروسيا ستكون موضوع مادة في هذه المعلمة. أما علاقة المغرب بالثورة البلشفية وباتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية حول إشكالية التحرير الوطني فإنه يكوِّن فصلا كلاسيكيا معروفا نسبيا، حيث عرفت تقلبات شتى يعد موقف الدعم للشعب المغربي إبان حرب الريف أحد أقوى فصولها.

لقد كان نضال الأممية الشيوعية ضد حرب الريف موضع بحوث معمقة عديدة، اعتبرت فيها نضالا مثاليا حتى من طرف المؤلفين الذين انتقدوا الأممية الثالثة. وموضوع هذا النص لا يسمح بالتوقف عند عناصر التحليل للقاعدة الاقتصادية والاجتماعية للحركة الريفية التي تبرر موقف الشيوعيين الغربيين ضد حرب الريف، ولا عند الصورة الاجتماعية والاقتصادية التي تقدمها عن المغرب صحافة الأممية الشيوعية ولا عن طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل الحركة الريفية. كما لا يسمح بالعودة إلى الاعتبارات التي جعلت سطالين يذكر الريف ضمن البلاد التي سيؤدي نمو البروليتاريا فيها إلى تطور ثوري، ولا بالتطرق إلى أطروحات الأممية الشيوعية عن مسألة الاستعمار منذ المؤتمر الحادي عشر للأممية الثالثة ومؤتمر باكو.

إن الهم الرئيسي للاتحاد السوفياتي والأممية الشيوعية لا يبدو مرتكزاً حول نضال الريفيين في ذاته ولا حول موقف البروليتاريا الغربية منه، بل يتم التطرق لهذه القضية بصفتها تشكل خطراً على السلام العالمي، حيث يؤكد زينوفييف على هذا الجانب بقوله : إن كفاح الريف في حد ذاته لا يكتسي إلا أهمية ضئيلة، إنه يؤشر إلى أحداث أكثر خطورة. إن المضاعفات الدولية التي تتمخض عنه تنذر بحرب عالمية. وفي وارد هذه التكهنات يؤكد معلقون آخرون على اختلال التوازن في شمال إفريقيا نتيجة امتداد دائرة النفوذ الفرنسية على حساب إسبانيا، وكان هذا سببا في صراع مرير بين عدة دول هي فرنسا وإنجلترا وإيطاليا وإسبانيا، وسيضع مسألة جبل طارق بحدة، ومسألة تركيا والسيطرة على البحر المتوسط، وقد يؤدي تفاقم الصراعات حول مصالح الدول الأمبريالية التي يثيرها بسهولة إلى حرب عالمية جديدة.

لقد اعتبر موقف الاتحاد السوفياتي والأممية الثالثة كتعبير عن السياسة الخارجية السوفياتية في زمن تبلور

فيه مذهب الاشتراكية في بلد واحد. ويبدو أن الهدف من الحملة التي قامت في إطار الأممية الثالثة على المستوى الداخلي هو عزل مجموعة تروتسكي كامينيف في الحزب وداخل الهيئات الإدارية للكومنترن. أما على المستوى الدولي فقد كانت تلتقي مع الرغبة السوفياتية لفك الحصار الدبلوماسي الذي كان يحيط بالنظام السوفياتي.

إن فترة ما بعد حرب الريف تتميز بالمؤتمر السادس (17 يوليوز - 1 سبتمبر 1928) للأممية الشيوعية، ويعدّ هذا الحدث أهم حدث في علاقات حركات التحرر الوطني مع الشيوعيين. وقد حدد المؤتمر السادس كهدف أولوي خلق تنظيمات شيوعية في المغرب، لأن الظروف الاقتصادية والاجتماعية تظهر بوضوح وجود الإرهاصات الضرورية لمثل هذا العمل. ويجب التنبيه هنا إلى أن المظاهر السلبية لمسار التنظيم الشيوعي في المغرب قد تم إرجاعها في أغلب الحالات إلى الحزب الشيوعي الفرنسي، وأن صورة الاتحاد السوفياتي لم يتضرر منها إلا بقدر قليل لا يكاد يذكر. أما بعد الانتصار السوفياتي في ستالنغراد فإن مكانة الاتحاد السوفياتي المنتصر على ألمانيا النازية قد خلق حركة واسعة من التعاطف لفائدته داخل المغرب كما هو الأمر بالنسبة لباقي البلاد العربية.

كان الاتحاد السوفياتي يبدو كقوة عسكرية عظمى معادية للاستعمار تتميز عن الكتلة الأمبريالية الغربية، ولكن هذه الجاذبية سرعان ما قلّت عند إعلان الموقف السوفياتي لفائدة تقسيم فلسطين وإعلان دولة إسرائيل في سنة 1948.

وكان النضال من أجل الاستقلال فرصة أخرى يظهر فيها من جديد الدور الإيجابي للاتحاد السوفياتي. وهكذا فإن الدعم السوفياتي للمغرب ضد فرنسا داخل الأمم المتحدة كان مستمرا منذ أن طرح المشكل لأول مرة أمام مكتب الجمعية العامة للأمم المتحدة خلال الدورة السادسة والسابعة أيضا عندما صوت الاتحاد السوفياتي لمناقشة القضية المغربية ضمن جدول الأعمال. أما في الدورات الباقية الثامنة والتاسعة والعاشرة فقد تم تسجيلها دون تصويت أو نقاش بعد تغيير موقف الولايات المتحدة التي لم تعد تعترض على ذلك. وقد تبنى الاتحاد السوفياتي موقفا مماثلا في مجلس الأمن مساندا الاقتراح الخاص بمناقشة تهديد السلام الذي يشكله خلع السلطان المغربي. إن دعم الشعب المغربي في حقه بالاستقلال الذاتي كان مستمرا سواء على مستوى الشكل أو المضمون. وهذا الدعم السوفياتي يعود إلى موقف مبدئي من مسألة الاستعمار، وكذلك إلى الرغبة في استثمار التناقضات السياسية للغرب من أجل إضعافه داخل البلد الذي كان الوحيد المدمج عمليا مع جنوب إفريقيا في الاستراتيجية العسكرية للغرب.

وأمام تفاقم الصراعات مع البلاد الغربية شرع المغرب في بناء علاقات دبلوماسية مع المعسكر الاشتراكي.

وهكذا استجابت الحكومة المغربية في 4 سبتمبر 1958 للطلب المتجدد لرئيس مجلس الوزراء السوفياتي بتبادل السفراء، واكتست العلاقات المغربية - السوفياتية بين 1960 و1962 قدرا من الأهمية يوازي وصول المساعدة العسكرية السوفياتية للمغرب (أعطى الاتحاد السوفياتي للمغرب 14 طائرة ميغ). وهكذا عرفت العلاقات بين البلدين تطورا لا شك فيه بالرغم من المنع الذي تعرض له الحزب الشيوعي المغربي والتهرب المغربي من النداءات السوفياتية للتعاون الوثيق في قضايا معينة تخص المغرب عن قرب (بالخصوص القضية الموريطانية)، والرفض المغربي لقبول إمدادات عسكرية سوفياتية جديدة، في حين قبل العرض الأمريكي بتجهيز الجيش المغربي خلال التصميم الخماسي (1960 - 1964) بغض النظر عن المكان المتواضع الذي يحتله الاتحاد السوفياتي في التجارة المغربية.

خلال سنة 1960 دافع الاتحاد السوفياتي من خلال صحافته وعبر ممثله الرسمي في الأمم المتحدة عن مغربية موريطانيا إلى حد استعمال حق الفيتو ضد انضمام موريطانيا للأمم المتحدة، ويبدو أنه حصل هناك تغيير في موقفه بحيث تحول إلى الامتناع عن التصويت في مجلس الأمن وتوصية الجمعية العامة للأمم المتحدة بقبول عضوية موريطانيا في إطار مزايدات بين الشرق والغرب تسمح بانضمام منغوليا وموريطانيا.

هذا التراجع السوفياتي والبرودة التي أعقبته لا تغير شيئا في الميزة العامة التي تتسم بها هذه المرحلة التي تبقى مرحلة تطور مهم للعلاقات بين البلدين. وتكتسي المرحلة اللاحقة أهمية خاصة شهدت تجميد العلاقات بين البلدين وبرودة مميزة غداة استقلال الجزائر الثورية والحرب الجزائرية المغربية في سنة 1963. وبعد هذه الفترة من التردد (1963 - 1965) كانت عودة العلاقات سريعة ومكثفة.

والخلاصة أن العلاقات السياسية قد تطورت بين البلدين دون إثارة ودون مواقف درامية بل بطريقة متعقلة ومحسوبة بدون صعوبات كبيرة قصوى، ولكن بدون شغف ولا حماس.

بالمقارنة مع عناصر التاريخ، مع مضمونها السياسي والتيارات الإديولوجية التي تخللها، فإن العلاقات المغربية السوفياتية تبدو محددة بالتقييم الاستراتيجي. والاتحاد السوفياتي في هذه العلاقة الاستراتيجية هو العنصر الفعال الرئيسي، أما المغرب فيبقى عنصرا تكميليا.

يبقى المغرب في التعاطي السوفياتي جزءاً لا يتجزأ من الوضع العام لدول المغرب داخل حوض البحر المتوسط. والعنصر الأهم في تعريف القيمة الاستراتيجية لبلاد كالمغرب يبدو متجسدا في الرغبة السوفياتية في نسج شبكات للاتصال البحري تربط بين محيطات الكرة الأرضية. وهكذا فإن إقامة أسطول بحري سوفياتي في البحر المتوسط مرتبطة برغبة في مد نشاطاته إلى هذا البحر الحيوي بالنسبة لمصالحه الاستراتيجية حول محور

شمالي ـ جنوبي يربط البحر الأسود بالمتوسط والبحر الأحمر بالمحيط الهندي.

والسياسة المغربية للاتحاد السوفياتي هي ترجمة لبحث متوال عن قواعد بحرية وتسهيلات في الموانئ على طول الشواطئ الجنوبية للبحر المتوسط من اللاذقية إلى بورسعيد إلى الإسكندرية والمرسى الكبير، والجديدة، وعدن، وكراتشي...

من جهة أخرى، فإن العلاقات الاقتصادية التي بدأت بين البلدين مع الاستقلال تطرح اليوم تساؤلات حول ما إذا وضعت الأسس لمدارات هيكلية رغم انعدام التنوع في المبادلات، فالواردات تتمحور حول منتجات الطاقة، والصادرات هي منتجات معدنية ونباتية، وإذا كانت هذه المبادلات سوف تتقوى نظرا للصعوبات التي يعرفها حاليا الاقتصاد المغربي مع الغرب.

أما على صعيد النظرة الإديولوجية لكل طرف من الجانب الآخر، فإن المسافات الإديولوجية غير قابلة للتقليص، ولكن "الصور العملية" ليست صور نفور ولا جاذبية جامحة، وهذا صحيح بالنسبة للدولة ولمختلف التيارات في الرأي سواء في اليمين أو اليسار. ففي العلاقات الإديولوجية المغربية السوفياتية تغلب صفة القبول المتعقل للآخر كطرف ملائم على أساس سلوكه الموصوف بالإيجابية عامة من الجهتين، وكذلك على أساس نسبة قليلة من أسباب الدولة (Raison d'Etat).

إ. اليحياوي، *العلاقات المغربية السوفياتية منذ 1958*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، القانون العام، كلية الحقوق، الرباط، 1987 ؛ ع. التازي، *العلاقات المغربية الروسية*، مجلة البحث العلمي، ع. 2 سنة 1967.

Constant (J.P), *Les relations moroco-soviétiques 1956-1971*. L.G.D.J, Paris, 1973 ; Halliday (F), *L'URSS et le monde arabe*, traduction Evelyne Marek, Paris 1982 ; Yaka Badir, *Les relations entre le Maroc et l'URSS 1956-1966*, Thèse de doctorat de 3° cycle, Université Paris I, 1979.

عبد الله ساعف

الاتحاد العام للشغالين بالمغرب، تأسس يوم 20 مارس 1960 كحركة نقابية تضم العمال والموظفين، وذلك بواسطة عناصر نقابية قيادية اعترضت على الأساليب التي اعتبرتها غير ديمقراطية داخل هيئة الاتحاد المغربي للشغل بعد سلسلة من الملتمسات التنظيمية الهادفة إلى تطوير هياكل المنظمة على أسس انتخابية ديمقراطية. وكانت هذه العناصر في أغلبيتها متأثرة بالمبادئ الاستقلالية ووفية للخط الإيديولوجي الذي رسمه زعيم حزب الاستقلال علال الفاسي والقاضي ببلورة العمل النقابي وفق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية الكبرى، ولا تؤيد استقلالية العمل النقابي عن مجريات الاختيارات الأساسية لعامة الشعب.

كانت انطلاقة التأسيس بواسطة لجن قيادية قطاعية سميت "لجن الإنقاذ" ثم تحولت إلى نقابات حرة، وفي مقدمتها كان قطاع التعليم الذي انفردت لجن عمله فتشكلت تحت اسم لجن "الأربعة عشر"، أي كل فرد يحيط نفسه بأربعة عشر عضوا إلى أن كانت لجنة رئيسية قيادية سميت بـ "لجنة الأربعة عشر" ثم تحولت هذه اللجن إلى تأسيس نقابة للتعليم أطلق عليها آنذاك اسم "الجامعة الحرة للتعليم الرسمي" وهي أول نواة لهذا الاتحاد.

تتلخص أهداف هذا الاتحاد من خلال الاطلاع على الميثاق وكذلك التقارير المذهبية لستة مؤتمرات عامة فيما يلي :

الإيمان بضرورة الالتزام السياسي في العمل النقابي.

ضرورة مساهمة العمال في المعامل عن طريق تقسيم الأرباح بنسبة 50٪ بين العمال والمشغلين مع الاحتفاظ بنسبة 10 ٪ للصيانة لكل طرف ومساهمة العمال بنسبة 20 ٪ من الأرباح في رأسمال المؤسسة و 10 ٪ للتطبيب وتمدرس الأطفال و 10 ٪ يبقى الاختيار في صرفها للعمال. وكذلك الأمر في المؤسسات الفلاحية أو الصناعية أو التجارية.

مراجعة قانون الشغل بتعميم أحكامه على مختلف القطاعات مع ضبطه بقوانين زجرية وعدم الإبقاء عليه كقانون للمصالحة ومساواة الطرفين أمامه.

مراجعة القوانين المنظمة للمحاكم الاجتماعية.

تطبيق السلم المتحرك للأجور مع إعادة النظر في التقويم الاستدلالي في الأجور.

تطبيق مبدأ السقف المثقوب للأجور الذي يمنح الترقية الداخلية المستمرة.

إعطاء نظام التقاعد فاعلية أكبر للاطمئنان على المستقبل للحد من تصرفات القلق والخوف التي أدت إلى الانحراف الإداري على مختلف المستويات. ويرى الاتحاد العام ضرورة تخفيض سن التقاعد ورفع النقط الاستدلالية للتقاعد من 2,5 إلى 3,3 حتى يتم التقاعد المهني في 30 سنة والتقاعد النسبي في 16 سنة والتقاعد السني في 55 سنة وذلك لإيجاد مناصب الشغل لمختلف أنواع العاطلين.

إدخال التعويضات المهنية ضمن الراتب الأساسي.

ضرورة مراجعة نظام التسويق والتجارة الخارجية بتخفيف الأعباء الجمركية على المواد الخام للصناعات الوطنية.

ضرورة وضع نظام المبادلات على أساس شروط متكافئة.

الحد من الاستيراد لحماية الصناعات الوطنية.

البحث عن أساليب لتطوير الأيدي العاملة المغربية إما بتداريب أو بجعل التعليم التقني أساسيا وكذلك مختلف الشعب لتطوير الإنتاج الوطني.

العمل على استغلال الكفاءات والمهارات وذلك بالاستعداد لإدماج العمال المهاجرين عند عودتهم ضمن مشاريع صناعية واقتصادية.

تقديم جميع المعونات للأسرة العاملة المهاجرة وخصوصا كل ما هي في حاجة إليه لتظل مرتبطة بهويتها وإنسيتها المغربية.

وفيما يتعلق بالأهداف الكبرى يعتبر الاتحاد العام للشغالين بالمغرب أن النظام الاقتصادي يجب أن يقوم على أساس تعادلي وهو منهج اقتصادي إسلامي كان قد ابتدعه الأستاذ علال الفاسي ويقوم على العناية بالإنسان المتحرر من أنانيته كمستغل، ولكنه مؤمن بالعمل كوسيلة للكسب دون أن يقع استغلال المال وحده كأداة للكسب. وعلى اعتبار أن المال هو مال الله وأن الإنسان مسخر لإقامة العدل بينه وبين غيره. وهذه التعادلية تقوم أيضا على أساس تكافؤ الفرص بين سائر المواطنين في مختلف الالتزامات والحقوق، وكذلك بين جهات البلاد من حيث إنه لا مجال ليكون هنالك مغرب نافع وآخر غير نافع... وتؤمن التعادلية بتأميم جميع المرافق التي لها علاقة مباشرة بمصالح المواطنين.

النظام الديمقراطي كوسيلة سياسية واقتصادية لاحترام كرامة المواطنين وجعلهم على قدم المساواة وعلى أي صعيد.

الإيمان بالدفاع عن جميع الأراضي المغتصبة سواء في جهة الجنوب أو الشرق.

والاتحاد العام للشغالين بالمغرب يعتبر عضوا مؤسسا لمنظمة الوحدة الإفريقية النقابية، كما أنه عضو مؤسس للاتحاد الدولي الإسلامي للعمال، وعضو ملاحظ في المكتب الدولي للشغل وفي منظمة العمل العربية والاتحاد الدولي للعمال العرب، وتربطه عدة علاقات مع منظمات إفريقية وعربية وأسيوية وأوروبية.

يرأس الاتحاد العام للشغالين بالمغرب حاليا السيد عبد الرزاق أفيلال في منصب كاتب عام صحبة أربعة عشر عضوا يشكلون المكتب التنفيذي.

أعلى سلطة في المنظمة هي المؤتمر العام الذي ينعقد مرة كل أربع سنوات.

يليه المجلس الوطني وهو يضم كتاب وأمناء الجامعات والاتحادات الجهوية والمحلية وكذلك المسؤولون عن المناطق.

يليه مجلس عام وهو ينعقد فقط لأهداف تنظيمية ويضم كتاب الجامعات والاتحادات الجهوية والمحلية.

الاتحادات الجهوية والمحلية وهي تغطي مختلف ربوع البلاد ويرأسها كاتب جهوي أو محلي.

الجامعات الوطنية وتشمل مثلا التعليم، الفلاحة، الصحة، الشبيبة والرياضة، السكنى، التجهيز، البريد، النقل، الموانئ، التعاون الوطني والصناعة التقليدية، المعادن، السكة الحديدية، الفنادق.

للاتحاد جريدة تسمى "العمال" توقفت اختيارا وهي في طريقها إلى الصدور من جديد.

ميثاق الاتحاد العام للشغالين ؛ تقارير المؤتمرات العامة ؛ جريدة العمال.

محمد بنجلون أندلسي

الاتحاد العام لطلبة المغرب، عقد مؤتمره التأسيسي بالرباط أيام 19 ـ 20 ـ 21 يوليوز 1962. وتضم منظمة طلبة المغرب (الراغبين في الالتحاق بها)، الذين يدرسون بالمغرب أو خارجه، وكذلك الطلبة الأجانب الذين يدرسون بالمغرب، كما نص على ذلك القانون الأساسي للمنظمة. وقد رفع المؤتمر التأسيسي شعاراً مبدئيا للمنظمة هو : وحدة ـ تقدم ـ ديمقراطية. ومن بين أهداف المنظمة ومبادئها النقابية والعامة، كما أعلنت عنها في مؤتمرها التأسيسي، المبادئ الأساسية : أولا : تضامن الاتحاد العام لطلبة المغرب مع جميع المنظمات والحركات التقدمية العالمية. ثانيا : إن الطالب المغربي باعتباره عضوا عاملا في المجموعة الوطنية فإنه مثقف متمم للمجموعات العمالية.

في الصعيد الوطني : أ. العمل على وحدة وتقدم الوطن. ب. العمل على بناء ديمقراطية حقيقية. ج. محاربة الإقطاعية والرجعية. د. محاربة التخلف بكل أشكاله.

في الصعيد الدولي : أ. العمل على وحدة وصداقة كل طلاب العالم وعلى تقارب شباب كل الأقطار. ب. المساهمة في إطار التحرير العملي لكل الشعوب. ج. العمل على توحيد المغرب العربي كمرحلة لتوحيد كل الدول العربية والإفريقية. د. العمل من أجل السلام العالمي.

أهداف الاتحاد العام لطلبة المغرب : 1. الدفاع عن المصالح المادية والمعنوية للطلبة. 2. تمثيل الطلبة لدى السلطات العامة والجامعية وكذلك لدى الرأي العام الوطني ولدى المنظمات الدولية. 3. العمل على أن يقوم الطالب بدوره الاجتماعي داخل المجموعة الوطنية. 4. إعداد الطلبة للمشاركة في النمو الاقتصادي والاجتماعي للوطن. 5. المساهمة الفعالة في تثقيف الجماهير الشعبية. 6. مشاركة الطالب في العمل الجماعي لحركات الشباب المغربي.

النشاط : لتحقيق هذه الأهداف فإن الاتحاد العام لطلبة المغرب يعمل على : 1. مضاعفة النشاط الثقافي لإتمام التكوين الجماعي للطالب حتى يتسنى له معرفة واقع بلاده. 2. التعاون مع المنظمات الأجنبية للطلبة للمساهمة في توحيد الحركات الطلابية على الصعيد الدولي. 3. إصدار جريدة دورية ونشرات للتعريف بأهداف ونشاط ومنجزات الاتحاد العام لطلبة المغرب. *(جريدة صوت الطالب)*. 4. تنظيم أسفار دراسية والتبادل الثقافي مع الجمعيات الخارجية. 5. تشجيع الرياضة الجامعية. 6. خلق وحدات طلابية في كل الكليات والمعاهد العليا للتعرف على حاجيات الطلبة والعمل على الدفاع عن مصالحهم.

يعتبر مؤتمر المنظمة السلطة العليا، ينتخب خلاله مجلس إداري من 51 عضوا (يجتمع مرتين في السنة). والمجلس الإداري هو الذي ينتخب اللجنة التنفيذية من 7 أو 9 أعضاء، وتكون مسؤولة أمام المؤتمر عن سير المنظمة وتنفيذ قرارات المؤتمر. كما أن المجلس الإداري ينتخب رئيس الاتحاد الذي يمثله أمام السلطات التنفيذية والقضائية.

الرؤساء الذين تعاقبوا على الاتحاد العام لطلبة المغرب: عباس الفاسي ـ محمد عبد الهادي القباب ـ محمد الخليفة ـ أحمد الصقلي ـ أحمد القادري ـ عبد الجليل بن حلام ـ محمد الوفا ـ محمد سليطن ـ محمد ماء العينين ـ محمد المجذوبي ـ العربي العزوزي ـ عبد العزيز السعودي ـ محمد البكاري ـ رشيد الرّوم ـ عبد الإله البوزيدي.

جريدة صوت الطالب : تحريات ميدانية ؛ وثائق المنظمة.

اتحاد كتاب المغرب، انعقد الاجتماع التأسيسي الأول لاتحاد كتاب المغرب بكلية العلوم بالرباط في 27 يونيو 1961. وكانت فكرة تأسيس اتحاد للكتاب قد اختمرت خلال ندوة عقدتها جمعية نبراس الفكر بتطوان، حيث تبنى الفكرة بحماس الأستاذ محمد عزيز الحبابي، وتشكلت لجنة لمتابعة الموضوع، منه ومن الأستاذين محمد الصباغ، ومحمد بن تاويت. غير أن ذلك الجمع التأسيس الأول، في الواقع، كان يعنى "اتحاد أدباء المغرب العربي الكبير"، تبعا لبلاغ نشرته اللجنة المؤسسة في سنة 1959، جاء فيه : «وهي (اللجنة) إذ تعلن عن هذا، ترجو من جميع الأدباء المغاربة والجزائريين والتونسيين الذين يرغبون في الانتماء إلى هذا الاتحاد، أن يكتبوا برغبتهم، مع نبذة عن حياتهم الأدبية وعنوانهم إلى الأمانة العامة باسم كاتبها العام : محمد الصباغ ـ باب السعيدة ـ تطوان، المغرب».

ثم بعد ذلك، نجد أن اسم الاتحاد أصبح "رابطة"، إذ نشرت اللجنة التأسيسية بلاغا في سنة 1960، تعلن فيه عن الدعوة إلى اجتماع تمهيدي لدراسة قوانين "الرابطة"، حددت أهدافها في : ـ ربط الاتصال بين أسرة المؤلفين في المغرب الكبير. ـ التعريف بهم في الداخل والخارج عن طريق نشر إنتاجهم وترجمته بكل ما يمكن من الوسائل. ـ تنظيم محاضرات ومعارض للإنتاج المغربي. ـ تأسيس مكتبة تضم ما ينتجه المؤلفون لهذه الأقطار.

وقد تأسس الاتحاد فعلا، خلال مؤتمر 27 يونيو 1961، وكان يضم كتابا من المغرب والجزائر وليبيا، وملاحظين من تونس. وكان أول مكتب انتخبه الجمع العام التأسيسي يتكون من : محمد عزيز الحبابي (رئيسا)، وعضوية عبد الكريم غلاب، محمد برادة، محمد الصباغ، مصطفى المعداوي (المغرب)، مولود معمري، محمد ديب، آسيا جبار (الجزائر). إلا أنه ابتداءً من المؤتمر الثاني للاتحاد في 6 يوليوز 1968، أصبح اتحادا لكتاب المغرب الأقصى فقط.

ومن بين الإشكاليات التي طرحت على الاتحاد، سواء في تأسيسه، أو في كل مؤتمراته بعد ذلك، إشكالية تعريف "من هو الكاتب"، وفي هذه النقطة يجيب أول رئيس للاتحاد الأستاذ محمد عزيز الحبابي : "الكاتب هو المؤيجد" وكفى. لأننا نريد التفتح على الجميع تاركين للأيام أن تغربل فيما بعد".

واتحاد كتاب المغرب، كما هو مثبت في قانونه الأساسي، جمعية تضم كل الكتاب والأدباء المغاربة الراغبين في الانخراط فيها، وهي جمعية لا ترتبط بأي تنظيم سياسي. ويتمحور نشاط الاتحاد، بواسطة مكتبه المركزي، أو فروعه في مختلف المدن المغربية في : ـ إقامة ندوات ومحاضرات. ـ تكريم مفكري ومثقفي المغرب البارزين. ـ إقامة أمسيات لمناقشة الكتب التي يصدرها الكتاب والأدباء أعضاء الاتحاد. ـ إصدار ملفات خاصة في مجلات عربية للتعريف بالأدب المغربي. ـ إبرام اتفاقات تعاون مع اتحادات الكتاب والأدباء العربية والأجنبية. ـ عقد ندوات على المستوى العربي يشترك في تنظيمها وتمويلها اتحاد الكتاب والأدباء العرب. ـ المشاركة في مؤتمرات اتحاد الكتاب والأدباء العرب بوفد يحدد أعضاؤه المكتب المركزي. ـ المشاركة في مؤتمرات كتاب إفريقيا وآسيا. ـ انتداب من يمثله، ولو من خارج مكتبه المركزي الذي ينتخبه المؤتمر، للمشاركة في الندوات واللقاءات الأدبية والثقافية التي يستدعى لها الاتحاد.

وأصدر اتحاد كتاب المغرب *نشرة اتصال داخلية* (توقفت)، ونشرة تحمل اسم *إشارة* بالاشتراك مع جمعية التشكيليين المغاربة (توقفت)، كما يصدر مجلة الاتحاد التي تحمل اسم *آفاق* وهي غير منتظمة الصدور.

يقتصر تمويل الاتحاد على انخراطات أعضائه، ومنحة سنوية من وزارة الشؤون الثقافية، ويقوم كل عمل أعضائه في المكتب المركزي أو الفروع على التطوع. وينص قانون الاتحاد على أن يعقد مؤتمره العام مرة كل سنتين. وفي المؤتمر الخامس الذي انعقد بالرباط في 23 ماي 1976، أعلن *ميثاق اتحاد كتاب المغرب* الذي يعتبر بمثابة وثيقة تحدد مواقف واختيارات الاتحاد ورسالة الكتاب وتصوراتهم لوظيفة الأدب في المجتمع.

الرؤساء المتعاقبون على اتحاد الكتاب : محمد عزيز الحبابي (من 1961 إلى 1968) ـ عبد الكريم غلاب (من 1968 إلى 1976) ـ محمد برادة (من 1976 إلى 1983) ـ أحمد اليبوري (من 1983 إلى 1988) ـ محمد الأشعري (من 1989...)

ميثاق اتحاد الكتاب ؛ نشرات الاتحاد ؛ مجلة آفاق.

عبد الجبار السحيمي

اتحاد ـ مغرب التابع للرابطة الإسرائيلية العالمية التي تأسست عام 1860 وبسطت هيمنتها على التعليم اليهودي الحديث في جميع البلاد التي يوجد فيها يهود تحت شعار "التحرر بواسطة التعليم". وقد شهدت تطوان عام 1862، ميلاد أول مؤسسة تعليمية بالمغرب، تحت إشراف الرابطة الإسرائيلية العالمية، ومن ذلك التاريخ إلى عام 1914، أخذت المؤسسات التابعة لها تنشأ في ربوع البلاد، مثل طنجة 1869، العرائش 1873، فاس 1881، الصويرة 1888، الدار البيضاء 1897، مكناس 1902، ثم الرباط والجديدة وأسفي وصفرو وأزمور ما بين 1903 و1912.

كان عدد التلاميذ المسجلين في شبكة مدارس الرابطة

الإسرائلية العالمية في الفترة الأولى يقدر بنحو 5.500 نسمة موزعين بين 14 مدرسة. ولم تكن إقامة هذه المدارس في أوساط تشبعت منذ القرون البعيدة بمناهج تعليمية جرى بها العمل في مؤسسات الحضر ويشيبا، لتخرج عن نطاق العقيدة الدينية الصرفة. وبدت المدرسة العصرية في هذه الأوساط مرادفة للثقافة غير الدينية، فتعرضت للمعارضة الشديدة من طرف المحافظين الغلاة، إلى أن تبناها على استحياء بعض الربّيين المحليين المناصرين للتعليم اليهودي الديني الملقن بالتوازي مع مواد التعليم العام.

وتم في الفترة المتراوحة بين 1914 و1928، تنظيم الدروس الأولى في التعليم التقني، وتأسست جمعيات قدماء التلاميذ، ومضت مديرية التعليم العمومي التابعة لسلطات الحماية الفرنسية بالمغرب، تمنح التلاميذ اليهود من أجل إتمام دراساتهم العليا.

في عام 1928، أبرمت معاهدة بين مديرية التعليم العمومي بالمغرب والرابطة الإسرائلية العالمية، نتج عنها تدعيم المراقبة على التعليم الإسرائلي والزيادة في المساعدات المالية الممنوحة للمدارس اليهودية. وقد وقّع هذه المعاهدة أول مندوب للرابطة بالمغرب المسمى ي . د. سماش، فكان للمعاهدة انعكاس إيجابي على نشاط الرابطة التي تمكنت من تمديد شبكة مدارسها إلى مجموع تراب المملكة.

وخلال عام 1940 انقطعت شبكة هذه المؤسسات عن المركز الرئيسي الذي انتقل إلى مدينة ڤيشي، لكنها تلقت التطمينات على مصيرها من طرف جلالة المغفور له محمد الخامس الذي لم يفتأ يولي عطفه الكريم لرعاياه من اليهود، ورغم الحرب التي اشتدت رحاها، فإن هذه المدارس مضت تزاول مهامها في ظروف طبيعية مع تجسيد نتائج جد مشجعة في امتحان الشهادة الابتدائية وشهادة البروفي.

وبعد انتهاء الحرب، في عهد الجنرال دوگول، أسندت مهمة تسيير شؤون الرابطة الإسرائلية العالمية إلى روني كاسان، العامل في المقاومة الفرنسية، ورجل القضاء ذي الشهرة العالمية، الذي سينال جائزة نوبل للسلام. فصار عدد التلاميذ المسجلين بمدارس الرابطة بالمغرب يرتفع ابتداء من سنة 1945 بمعدل 2.000 تلميذ في السنة، إلى أن بلغ في المجموع 28.000 تلميذ سنة 1952.

وغداة استقلال المغرب، تغربت الرابطة الإسرائلية العالمية وصارت تسمى اتحاد ـ مغرب وعربت قسما من برامجها تدريجيا وبمساعدة الدولة والمسؤولين في وزارة التربية الوطنية، وصارت مدارس اتحاد ـ مغرب تندمج في النظام التعليمي الوطني مع الاحتفاظ بخصوصياتها الدينية.

في شهر أكتوبر 1957، استقبل العاهل المغربي محمد الخامس ـ رحمه الله ـ روني كاسان للمرة الثانية بعدما سبق لجلالته أن استقبله سنة 1955 بسان جرمان ـ آن ـ لاي، وقد ذكر كاسان بشعاره : "يجب تكوين الرجال والنساء... وجعلهم أنجب التلاميذ في المدارس وأفضل المواطنين، وأحسن اليهود، أينما كانوا، لخدمة ما اختاروا من البلاد".

وتمشيا مع هذا النمو، حيث أصبح عدد التلاميذ اليهود في اتحاد ـ مغرب سنة 1962، 12.000 تلميذ، مضى النظام التعليمي اليهودي يستفيد من برنامج هام من الإنجازات واستصلاح المدارس، واكتساب الأدوات والأجهزة الضرورية والتعديل البداغوجي.

وعندما أصبح برونشفيك رئيسا للرابطة، أبدى اهتماما بـ "إنعاش التعليم العبري والديني" فأقبل على فتح المدرسة العبرية للمعلمين بالدار البيضاء التي كان طلبتها يتلقون، زيادة على دروس في العبرية، دروسا في التكوين العام، ثم بعد سنوات، دروسا في اللغة العربية تختتم بامتحانات وتتوج بشهادات رسمية.

وفي عهد برونشفيك كذلك، ارتفع عدد مدارس اتحاد ـ مغرب فأنشئت حتى في التخوم الصحراوية، مثل الريش والريصاني وتلسنت وأڤا وغير ذلك من المواقع في الأطلس الكبير. ووقع الاهتمام بالطفولة الشقية، ففتحت مدرسة للمصابين بداء الرمد استمر العمل فيها من عام 1950 إلى عام 1957، ثم فتح معهد للصم ـ البكم بعد اتفاق مع منظمة البناء والشغل، ومدرسة للعمي كانت تلقن تلاميذها، بطريقة أبراي، دروسا في العربية والفرنسية والعبرية، ولم يبخل اتحاد ـ مغرب في يوم من الأيام بمد المساعدات إلى مختلف المدارس اليهودية المستقلة، مثل : أساره ـ توراة وتلمود ـ توراة وام ـ حابنيم وبعدها إلى الهيشبوط. وهكذا وُجد ما ينيف عن 200 معلم يحملون شهادات في اللغة العربية تؤهلهم للاستجابة إلى حاجيات تعليم اللغة العربية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن اليهود يتوفرون على مدرسة للمعلمين لتلقين العربية، تعمل منذ يناير 1960، مكنت مدارس اتحاد ـ مغرب من تحقيق نتائج هامة، مع تعليم ثلاث لغات : العربية والفرنسية والعبرية. ونشير في الختام إلى أنه بعد استقلال المغرب، كان م. ر. التاجوري وإلياس هاروش يمثلان في المغرب الرابطة الإسرائلية العالمية، بتزكية من اتحاد ـ مغرب، ورغم تقلص عدد سكان اليهود بسبب هجرتهم، ما يزال اتحاد ـ مغرب، يواصل عمله ونشاطه التربوي على مستوى التعليم الابتدائي والثانوي، لاسيما بالدار البيضاء وفاس ومكناس ومراكش بمساعدة من الرابطة الإسرائلية العالمية ورئيسها الأستاذ استيگ. ومنذ عام 1982، شرعت اللجنة الجديدة في القيام بنشاط فعال يتجلى في تحديث المناهج البداغوجية وإعادة هيكلتها، سواء فيما يخص اللغة العربية أو الفرنسية أو العبرية.

حقوق الإنسان والتعليم : أعمال مؤتمر الرابطة الإسرائلية العالمية 1961 ! مارك آجي : من فكرة الشمولية كأساس لمفهوم حقوق

الإنسان من خلال وأعمال رونيي كاسان ؛ دفاتر والدفاتر الجديدة للرابطة.

كلود سلطان

الاتحاد المغربي للشغل، سمتان أساسيتان طبعتا الاتحاد المغربي للشغل منذ نشأته حتى اليوم وتثيران انتباه كل دارس لهذه المنظمة. ويتعلق الأمر من جهة أولى بكونه أقدم مركزية نقابية عمالية مغربية عرفت، لمدة وفي حدود معينة، كيف تستوعب تقاليد نقابية من أصل غير مغربي لتدرجها في سياق وطني متميز. ويتعلق الأمر من جهة ثانية بكونه لم يقتصر في عمله على القضايا المطلبية الصرفة، بل ساهم في الحياة الوطنية السياسية سواء في مرحلة النضال الوطني ضد نظام الحماية أو في مرحلة الاستقلال مما جعل منه، منذ ما يزيد عن ثلاثين سنة، جزءا من محيط نقابي مغربي معقد ذي عناصر متنوعة ومتشابكة. إن هذا التعقيد هو الذي أملى علينا في هذا العرض أن نتعمّد الطرح الوضعي ضمن إشكالية عامة تتوخى معرفة كيف وبأي طريقة طبع الاتحاد المغربي للشغل الحياة الوطنية بصفة عامة وكيف يمكن تحديد وضعه ودوره في الحياة العمالية ببلادنا. وسنترك بالتالي للقارئ مهمة استجلاء دلالة تطور هذه المنظمة، تلك الدلالة التي يصعب أن نستوفيها في أبعادها المتشابكة في عرض محدود.

نشأ الاتحاد المغربي للشغل في 20 مارس 1955. وتزامن ذلك مع فترة من أحلك الفترات وأصعبها عرفها المغرب أي في وقت كان فيه جلالة المغفور له محمد الخامس بالمنفى وكانت فيه القوات الاستعمارية معبأة كلية لقمع الشعب المغربي وقواه الوطنية. وأتى ميلاد الاتحاد المغربي للشغل في هذه الظروف كمؤشر لتصاعد قوات المقاومة المغربية، وفي نفس الوقت كمؤذن بتغييرات نوعية في النضال الوطني من أجل الاستقلال والتحرر. وعليه، فإن هذا الميلاد لم يكن اعتباطيا ولا ظرفيا وإنما كان ثمرة مخاض طويل فجره تصاعد النضال الوطني. واعتبارا للحدث وللظروف التي واكبته وللرجال الذين صنعوه، يمكن القول بأن ميلاد الاتحاد المغربي للشغل كان نتيجة تضافر مسلسلين اثنين ؛ نعني بهما المسلسل النقابي والمسلسل الوطني.

- المسلسل النقابي : يمكن اعتبار الاتحاد المغربي للشغل امتدادا للعمل النقابي السابق، وبصفة أدق، نقطة لقاء بين التقاليد النقابية الفرنسية وخصوصية الطبقة العاملة المغربية الناشئة في مسيرة نضال طويل ومتشعب اتخذ أشكالا مختلفة واتخذ منحىً في مساره حيث انطلق من تنظيم الموظفين والعمال الفرنسيين واتجه شيئا فشيئا نحو تنظيم العمال المغاربة. فأول ما ظهر العمل النقابي بالمغرب منذ العشرينات، كان على يد التنظيمات النقابية الفرنسية وعلى شكل نقابات الموظفين الفرنسيين التي بلغ عددها سنة 1930 أكثر من خمسين نقابة منظمة على صعيد الإدارات وعلى مستوى المصالح. وتم أول إضراب نقابي في شهر مارس 1925. وهو إضراب شنه عمال السكك الحديدية الذين كانوا في غالبيتهم فرنسيين. وفي سنة 1930 تم تكوين أول فرع لمركزية نقابية وكان تابعا للمركزية الفرنسية "الكونفدرالية العامة للشغل" (C.G.T.). ولقد ساهمت في تأسيسه، خلال مؤتمر انعقد بالدار البيضاء ثمان نقابات منها كونفدرالية الموظفين ونقابة الأساتذة ونقابة رجال البريد ونقابة مستخدمي الدولة ونقابة الفوسفاط. كما حضر في هذا التأسيس الكاتب العام الوطني لـ C.G.T. الفرنسية السيد "ليون جورا". وحضور هذا القائد النقابي يبرهن على الأهمية التي كانت توليها الحركة النقابية الفرنسية لعملها بالمغرب. ويمكن اعتبار سنة 1930، وبصفة خاصة الأزمة الاقتصادية العالمية كعنصر حفّز هذه الحركة على الاهتمام بالعمال المغاربة. لكن الحدث الرئيسي الذي أدمج الحركة النقابية الفرنسية بالمغرب في الصيرورة الاجتماعية هو إضراب سنة 1936 الذي كان على صعيد المغرب وشمل الوحدات الإنتاجية الصناعية الأساسية انطلاقا من معمل كوزيمار لصناعة السكر. وقد تميز هذا الإضراب، الذي عم المدن المغربية المهمة مثل الدار البيضاء وخريبكة واليوسفية والمحمدية ووجدة، بمشاركة مهمة للعمال المغاربة في بعض القطاعات لا باعتبارهم كمضربين فقط بل أيضا كمؤطرين ومسيرين لحركة الإضراب. ويمكن القول، بأن إضراب سنة 1936 يشكل الولادة الحقيقية للحركة العمالية المغربية. كما يمكن القول بأنه هو الذي حوّل تنظيمات نقابية أجنبية لا تنظم إلا أقلية من العمال إلى تنظيمات جماهيرية لها وزنها وقوتها الضاغطة وترتبط بشكل أقوى من السابق بالواقع المغربي. وبعد سنين من الجمود النقابي تميزت سنة 1938 بحل الكونفدرالية العامة للشغل (C.G.T.)، وفي سنة 1943 أي في أعقاب الانتصارات الأولى الحاسمة على الفاشية تكون الاتحاد العام للنقابات الموحدة بالمغرب (U.G.S.C.M). وشكل تكوين هذا الاتحاد خطوة أخرى تقرب العمل النقابي من الواقع المغربي، إذ لم تكتف هذه المركزية النقابية بالتخلي عن الأطروحات الاستعمارية والأبوية التي كانت في كثير من الأحيان تميز مواقف C.G.T.، بل عملت على تكوين أطر مغربية من أجل تنمية العمل النقابي وتأطير الفروع الجديدة. بل بدأت، في بعض الأحيان، تستعمل اللغة العربية لمخاطبة العمال. فكثير من الأطر المؤسسة للاتحاد المغربي للشغل أخذت تكوينها داخل هذا الاتحاد.

- المسلسل الوطني : إلا أن هذا المسلسل النقابي لا يكفي وحده لفهم نشأة الاتحاد المغربي للشغل إذ ارتبط بمسلسل مواز له صبغة وطنية وسياسية ؛ نعني بذلك اهتمام الحركة الوطنية بالحركة العمالية وتدخلها فيها. ذلك أن الحركة الوطنية المغربية لم تظل مكتوفة الأيدي أمام توسع التنظيمات النقابية الفرنسية بالمغرب بل حتى قبل هذا التوسع. فلقد وعت مبكرا بأهمية الطبقة العاملة المغربية الناشئة وبما يمكن أن تمثله من قوة في الصراع الاجتماعي والسياسي. فالأستاذ علال الفاسي يؤكد بأن

الحزب الوطني أسس سنة 1937 أول مركزية نقابية مغربية سماها الاتحاد الوطني للنقابات وهو اتحاد أُقْفِلَ مقره الرئيسي مع حل الحزب الوطني واعتقال زعماء الحركة الوطنية في نفس السنة. واستمر العمل النقابي الوطني، مع ذلك، بطريقة سرية إبان الحرب العالمية الثانية وسنوات بعدها. إلا أن هذا العمل لكونه تم في ظروف صعبة لا تتناسب والعمل النقابي المطلبي لم يتمكن من التوسع، باستثناء بعض المؤسسات الاقتصادية كمعمل "كوزيمار" للسكر بالدار البيضاء. وأمام تعنت سلطات الحماية في رفض الاعتراف للمغاربة بتأسيس منظمة نقابية مغربية علنية وفي الاكتفاء بإعطائهم حق الانخراط كأفراد في المنظمات النقابية الموجودة والتي كانت مؤطرة كما أسلفنا في غالبيتها من طرف الأجانب، قرر القادة الوطنيون التخلي عن تجربتهم الخاصة في الميدان النقابي وطالبوا سنة 1948 من أطر ومناضلي العمل النقابي الوطني الالتحاق بالاتحاد العام للنقابات الموحدة بالمغرب (U.G.S.C.M) للعمل تحت لوائه. ولم تمض سنتان حتى أصبح الوطنيون بفضل خطتهم هاته أغلبية داخل هذه المركزية النقابية. وكللت جهودهم عندما أقر مؤتمرها المنعقد في نوفمبر 1950 مبدأ تكوين مركزية نقابية مغربية مستقلة عن المركزية الفرنسية. ولقد برزت في هذا المؤتمر ثلة من القادة النقابيين المغاربة منهم السادة المحجوب بن الصديق والطيب بن بوعزة والتيباري وغيرهم. إلا أن اعتقال القادة النقابيين الوطنيين بعد إضراب 7 دجنبر 1952، الذي شن احتجاجا على اغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد، وإقدام سلطات الحماية على حل الاتحاد العام للنقابات الموحدة بالمغرب سنة 1953، حالا دون تنفيذ هذا المشروع في صيغته الأصلية. فكان إنشاء الاتحاد المغربي للشغل بعد إطلاق سراح القادة النقابيين وتصاعد المقاومة المغربية، من جهة، تنفيذا لذلك المبدأ، وكان من جهة ثانية تحقيقا لمطلب كافح من أجله الوطنيون عبر مختلف مراحل نضالاتهم على المستوى النقابي منذ أواخر الثلاثينات.

إلا أن الاتحاد المغربي للشغل لم يستكمل بناءه الداخلي ولم يؤسس أغلبية تنظيماته المحلية (الاتحادات) والمهنية (الجامعات) إلا بعد سنة 1955، وفي السنوات الأولى من استقلال البلاد الذي شكل انطلاقة قوية لتوسع التنظيم النقابي في كل أنحاء المغرب. وهكذا ارتفع عدد الاتحادات المحلية والإقليمية ليشمل كل المدن المغربية بما فيها مدن الشمال التي حرمت، من طرف الاستعمار الإسباني، من كل عمل نقابي منظم.

أما عدد الجامعات المهنية، وكان في شتنبر 1955، 14 جامعة، فقد ارتفع في يوليوز 1959 إلى 24 جامعة. وتميز عمل الاتحاد المغربي للشغل خلال هذه الفترة بتأسيس جامعة واسعة تشمل كل قطاعات الوظيفة العمومية، كما أنه تغلغل حتى داخل الوسط القروي خلافا لما كان عليه الحال آنذاك في دول أخرى من العالم الثالث. وهكذا تم تكوين "الاتحاد المغربي للفلاحة" و"الشبيبة العاملة" و"المسرح العمالي" إلخ. كما عرف الاتحاد المغربي للشغل حركة واسعة من الانخراطات جعلت منه أحد التنظيمات النقابية المهمة في القارة الإفريقية : انخراطات تعدت، في الفترة ما بين 1956 ـ 1960، 600.000 (ستمائة ألف) منخرط. وقد توج هذا الاشعاع بانتخاب الاتحاد المغربي للشغل، في أبريل 1961 رئيسا للاتحاد النقابي الإفريقي.

ولقد تميزت هذه الفترة التي عرف فيها الاتحاد المغربي للشغل تجذرا في أوساط الطبقة العاملة المغربية بتعاون نشيط بين الأجهزة النقابية والسلطات المغربية. هكذا ساهم الاتحاد المغربي للشغل في أعمال المجلس الوطني الاستشاري الذي أسس في غشت 1956 وانتخب كاتبه العام السيد المحجوب بن الصديق نائبا لرئيس هذا المجلس. كما كلف القادة النقابيون ببعض المهمات الرسمية. وبصفة عامة، وجد الاتحاد المغربي للشغل، خلال هذه الفترة، رعاية وعناية من طرف السلطات الوطنية. فلقد كان المغفور له جلالة محمد الخامس يترأس فعليا استعراضات فاتح ماي، كما أن الحكومة المغربية مكنت الاتحاد من وسائل العمل مثل المقرات، بما في ذلك المقر المركزي بالدار البيضاء، وبالمتفرغين للعمل النقابي وبالاعتمادات السنوية. كما تمكن الاتحاد المغربي للشغل في هذه الفترة من إقناع الحكومات المغربية المتتالية لنهج سياسة إصلاحية في الميدان الاجتماعي ؛ سياسة تجلت في إحراز مكاسب أساسية وتاريخية بالنسبة للشغيلة المغربية. وتبرز هذه المكاسب على الصعيد التشريعي في ظهيري 1957/7/17، (الأول، حول الحق النقابي والثاني، حول الاتفاقات الجماعية)، وفي ظهير 1957/7/7 (المتعلق بطب العمل)، وظهير 1959/12/31 (المتعلق برفع الأجور حسب ارتفاع مستوى المعيشة). وتجدر الإشارة إلى أن مرسوم 1957/7/18، الذي يتمم الظهير المتعلق بالحق النقابي، قد جعل من الاتحاد المغربي للشغل عمليا المركزية النقابية الوحيدة ؛ إذ نص على إعطاء الصلاحية للكاتب العام للحكومة في معارضة تكوين أي مركزية نقابية جديدة.

إن الاتحاد المغربي للشغل، وهو مدعم بهذا السند وبنتائج هذا النهج، رفع عددا من الشعارات كان يرمي من ورائها إلى تعميق سياسة الإصلاح الاجتماعي والسياسي. فلقد نادى بضرورة المغربة وبتأميم القطاعات الأساسية والاستراتيجية للاقتصاد المغربي. كما طالب بالقيام بإصلاح "زراعي جذري" وبسن دستور تُوزّع بمقتضاه السلط وتعقلن به عملية مزاولة الحكم وبتعيين حكومة منسجمة وقوية تتمتع بثقة الطبقة العاملة للقيام بعملية الإصلاح المتوخاة. وقد أدى هذا التوجه إلى تعميق الخلافات داخل حزب الاستقلال، وهو أكبر حزب وطني آنذاك، بين الجناح المحافظ والجناح اليساري الذي كان ينتمي إليه قادة الاتحاد المغربي للشغل بمعية ممثلي المقاومة وجيش التحرير وبعض الشخصيات من قيادة الحزب وأطره مما جعله من العناصر

الأساسية التي كانت وراء إنشاء الاتحاد الوطني للقوات الشعبية في 25 يناير 1959. وإن إنشاء هذا الحزب لا يشكل في حد ذاته قطيعة مع السياسة التي نهجها الاتحاد المغربي للشغل بل، على العكس من ذلك، يعد تتميما لها باعتباره عملية تتوخى تكوين جبهة من "القوى الشعبية" الراغبة في الإصلاح الاجتماعي والسياسي وباعتباره تصعيدا للضغط من أجل تكوين حكومة قريبة من هذه المركزية النقابية. إلا أن تأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية لم يكن ليؤثر في علاقات الاتحاد المغربي للشغل بالحكم الذي كان يرغب في أن تظل هذه المركزية النقابية بعيدة عن الحياة السياسية أي "محايدة" ومندمجة في البنيات القائمة. ولما أقيلت حكومة الأستاذ عبد الله إبراهيم ـ وهو من قيادة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية القريب من الاتحاد المغربي للشغل ـ اضطر هذا الأخير (أي الاتحاد المغربي للشغل) إلى نهج سياسة جديدة تقتضي فرض الإصلاحات بدون سند حكومي وبالتالي الدخول في نضالات مواجهة للسياسة الرسمية. وهي سياسة جديدة بالفعل إذا أخذنا بعين الاعتبار أن أغلبية المكاسب التي حصلت عليها المركزية النقابية لم تكن نتيجة تعبئة الطبقة العاملة بقوتها الذاتية بقدر ما كانت نتيجة لميزان القوى السياسي التي عرفته هذه المرحلة، ولضرورة تحقيق مطالب اجتماعية ناضلت من أجلها أثناء الحماية الحركة الوطنية برمتها.

ولكي يبقى الاتحاد المغربي للشغل وفيا لنفسه ويستمر في اتباع نهجه دخل في سلسلة من الاضرابات المختلفة وفي حركات، نظمها باتفاق مع منظمات أخرى مثل الاتحاد الوطني لطلبة المغرب والاتحاد الوطني للقوات الشعبية، من أجل بعض المطالب مثل جلاء الجيوش الأجنبية ومساندة كفاح الشعب الجزائري... وقد أراد تتويج هذا المسلسل عندما أعلن عن تنظيم إضراب عام تساهم فيه جميع قطاعات الوظيفة العمومية وبعض القطاعات الشبه العمومية وذلك بتاريخ 19 يونيه 1961. وكان من المتوقع أن تأخذ هذه الحركة اتساعا وقوة لا مثيل لهما في تاريخ الحركة النقابية العمالية المغربية حيث كانت ستشمل كلا من وزارة الخارجية ووزارة البريد ووزارة الأشغال العمومية والشركة المغربية لتوزيع الماء والكهرباء والإذاعة ؛ أي قطاعات كلها من عمال ومستخدمي الدولة. لذلك اكتسى هذا الإضراب العام، في أول وهلة، صبغة سياسية. وعملت الحكومة على الضغط على قيادة الاتحاد المغربي للشغل للتراجع عنه ملوحة بأنها ستعمل على إقامة علاقة جديدة مع المركزية النقابية تحرم بمقتضاها هذه الأخيرة من أغلب المكاسب التي كانت تتمتع بها مثل الانقطاعات والمقرات والاعتمادات. والملاحظ أنه إذا كانت القيادة النقابية لم تفلح في توقيف هذه الحركة المطلبية فإنها مع ذلك لم تمدها بكل الدعم الضروري ولم تدخل قطاعات أخرى كان دخولها مقررا في هذه الحركة. وانتهى الإضراب، كما هو معروف، بطرد عشرات المضربين والأطر النقابية، مما شكل ضربة قوية بالنسبة للتنظيمات النقابية في الوظيفة العمومية في حين قررت المركزية النقابية الدخول في تجربة أخرى.

في سنة 1961، عملت المركزية النقابية على تحويل معارضتها السياسية السابقة من أجل الإصلاحات، تلك المعارضة التي مارستها مع قوى سياسية وطنية (حزب الاستقلال وعناصر جيش التحرير والمقاومة في مرحلة أولى والاتحاد الوطني للقوات الشعبية في مرحلة ثانية)، إلى معارضة نقابية. لكن هذا التوجه أدى إلى عزلة الاتحاد المغربي للشغل وابتعاده عن الحقل السياسي في وقت كانت تعاني فيه قوى سياسية أخرى نتائج المواجهة مع الحكومة، إذ وقع في هذه الفترة منع الحزب الشيوعي المغربي واعتقال كثير من قادة ومناضلي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. بل أدى هذا التوجه إلى تقلص الإصلاحات ذاتها. إن نتائج هذا الاتجاه تبرز في تراجع الحكومة عن بعض المكتسبات الأساسية، إذ وقع التراجع عن تطبيق ظهير 31 أكتوبر 1951 القاضي برفع الأجور بموازاة مع مستوى المعيشة، كما وقع إلغاء مرسوم 1957/7/18 الذي يعطي للكاتب العام للحكومة التفويض في البت في رفض تكوين مركزيات نقابية جديدة، وعدل في يوليوز 1963 القانون الجنائي وخاصة البند 288 الذي يشدد من العقوبات في حالة "عرقلة حرية العمل" أي في حالة الإضراب. كما اتخذت في سنة 1966 عدة مراسيم تمنع بعض فآت الموظفين من تأسيس نقابات مهنية مثل رجال المطافئ والجمارك والشرطة والحراس الغابويين... وفي النهاية، لقد أدى هذا النهج المبني على الاقتصار على العمل النقابي دون إدماجه في خطة وطنية عامة تؤدي إلى إصلاحات متجانسة ومتكاملة وذات أبعاد وطنية نقابية وسياسية في نفس الوقت إلى التقليص من دور الاتحاد المغربي للشغل ومن فعاليته، فظهرت، بعد نشأة الاتحاد العام للشغالين في 20 مارس 1960، نقابات أخرى. وتجدر الإشارة إلى كون هذا النهج الجديد لا يعني أن الاتحاد المغربي للشغل كمركزية نقابية لا يقوم، على المستوى الفعلي، بدور سياسي. فعلى سبيل المثال، نذكر بأنه طالب، سنة 1962، برفض الدستور ونادى سنة 1963، بمقاطعة الانتخابات. إلا أن هذا العمل السياسي أصبح مرادفا للعمل النقابي وهادفا بالخصوص إلى الاحتفاظ على المنظمة النقابية كأداة كما أصبح يأتي في الغالب بمعزل عن عمل القوى السياسية الأخرى التي تعمل من أجل نفس الأهداف.

وعندما اعتقل الكاتب العام للاتحاد المغربي للشغل سنة 1967، لم يكن رد الفعل النقابي والوطني في مستوى الحدث. مما أدى بالمركزية النقابية إلى مراجعة جزئية ومؤقتة لخطتها فدخلت في نفس السنة في عملية إعادة التقارب بينها وبين الأطر السياسية في الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. وامتد هذا العمل الوحدوي إلى مساهمتها في يوليوز 1970 في تجربة الكتلة الوطنية.

إلا أن هذه المراجعة الجزئية لم تكن كافية للقضاء على

الخلافات القائمة بين الأطر النقابية والسياسية، لذلك انتهى التقارب بين الجناحين في يوليوز 1972 وتكرست نهايته سنة 1975 في إنشاء الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية.

إن الأزمة التي عانى منها الاتحاد المغربي للشغل ابتداء من سنة 1961، والتي هي في العمق أزمة توجيه وهوية، لم تتجل فقط في الخلافات والصراعات بين الأطر النقابية المتحكمة في توجيه الاتحاد المغربي للشغل وبين الأطر السياسية التي واكبت على الدوام مسيرة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية قبل أن يؤسس الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية بل برزت أيضا، ومنذ البداية، على شكل خلافات داخلية بين الأطر النقابية الموالية للقيادة النقابية والأخرى الرافضة للخطة الجديدة التي سارت عليها المركزية النقابية انطلاقا من إضراب 1961. وقد أدى تفاقم هذه الخلافات إلى انشقاقات وإلى تكوين تنظيمات نقابية قطاعية مستقلة عن الاتحاد المغربي للشغل، وتؤكد إرادتها في الاستمرار في خطة العمل الوطني التي نهجها هذا الاتحاد قبل 1961. وفي هذا الإطار تكونت سنة 1963 النقابة الوطنية للبريد، وتكونت سنة 1967 النقابة الوطنية للتعليم. وقد اكتسبت هاتان النقابتان تمثيلية في قطاعيهما. ويمكن القول : إن تنمية هذه التجربة هي التي أدت فيما بعد، مع تفاقم الخلافات وتعميق الأزمة الاجتماعية، إلى تأسيس الكونفدرالية الديمقراطية للشغل في 25 نوفمبر 1978 انطلاقا من تكوين نقابات وطنية في قطاعات أخرى مثل السكر والفوسفاط والمناجم والتبغ والسكك الحديدية... وقد وجد الاتحاد المغربي للشغل في هذه المركزية النقابية الجديدة منافسا على الصعيد الوطني والدولي.

عمر بنجلون، الطبقة العاملة بعد 12 سنة ؛ النشرة الداخلية للاتحاد الوطني للقوات الشعبية، 1967 ؛ عبد اللطيف المنوني / محمد عياد، الحركة العمالية المغربية، صراعات وتحولات، دار توبقال، 1985 ؛ أحمد تفاسكا، *تطور الحركة العمالية في المغرب*، دار ابن خلدون، 1976 ؛ لشهل محمد، *تطور الحركة العمالية لناجم الفحم بجرادة من 1933 إلى 1967*، بحث لنيل الإجازة في التاريخ (1982-1981).

A. Ayache, *le mouvement syndical au Maroc*, T. 1 : 1919-1942, L'Harmattan 1982 ; A. Ayache, J. Couland (et al...). *Mouvements sociaux maghrébins, Travailleurs militants, idéologies* ; Cahiers de la méditerranée, n° 2, 1981-1982 ; A. Belal, *Quelques problèmes du mouvement syndical marocain*. Al-Moukafih, 1er Mai 1963 ; M. Benseddik, *Le syndicalisme en marche*, (mémoire) 1952 ; A. Berenguier, *Le syndicalisme marocain*, Cahiers de l'Afrique et de l'Asie, 1er trimestre 1961; R. Galissot, *Le patronat européen au Maroc* (1931-1942), Rabat; 1964 ; P. Jouannet, *Le syndicalisme au Maroc*, Revue politique et parlementaire, Janvier 1955 ; Sraieb, Bessis, Saadi (et al...), *Le mouvement ouvrier maghrébin*, éd. du CNRS, CRESM, Paris 1965.

عبد اللطيف المنوني ومحمد عياد

الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، عندما يتعلق الأمر بدراسة الحركة الطلابية في المغرب نجد أنفسنا أمام ظاهرة تاريخية وتنظيم طبع ولمدة ما يزيد عن ربع قرن، الأوساط الطلابية بل وحتى الوطنية، ونعني به الاتحاد الوطني لطلبة المغرب. كما أن الكشف عن خبايا هذه الحركة وعن مكوناتها وأسسها ومدى إشعاعها يفترض الرجوع إلى مجموع الحركات المغربية الاجتماعية والسياسية المناهضة للاستعمار والتي تعرف بالحركة الوطنية المغربية. يظهر جليا، إذن، لأول وهلة، أن الحديث عن هذه المنظمة الطلابية لا يتأتى إلا في إطار أوسع وأشمل، إطار الحركة الوطنية في صيرورتها التاريخية وفي مخاضها الطويل المعقد المتلازم مع ما عرفه المجتمع المغربي من إرهاصات وتحولات.

تأسس الاتحاد الوطني لطلبة المغرب في دجنبر 1956. ولكن هذا التأسيس لا يشكل في حد ذاته بداية للحركة الطلابية المغربية، بل امتدادا لعمل سابق وعملية توحيد لروافد طلابية مختلفة.

فلقد مرت الحركة من مستويات تنظيمية مختلفة وعرفت مراحل متباينة من الوعي بالذات والفعالية. فقبل سنة 1912، يصعب الحديث عنها كحركة قائمة الذات رغم ما كان لها من إرهاصات تبرز في بعض المناسبات والتظاهرات الجماعية ذات الطابع الاحتفالي مثل سلطان الطلبة. ففي هذه الفترة كانت منصهرة في البنيات الاجتماعية والثقافية للمغرب ولم تقم بأي عمل مطلبي رغم ما كان يعرفه المجتمع الطلابي آنذاك من مشاكل مادية وظروف عيش قاسية.

وإذا ما تركنا هذه المرحلة جانبا، مع التأكيد على ضرورة مواصلة دراستها بطريقة أكثر تفصيلا وأكثر منهجية لاستجلاء معالمها الدقيقة، يمكن القول إن الحركة الطلابية المغربية هي في جوهرها تعبير وتجلّ للوعي الوطني وفي ذات الوقت مسلسل انطلق مع بداية النضال من أجل استرجاع الكرامة المغربية بعد تطاول 1912 وتطور مع هذا النضال.

لقد اتخذ هذا المسلسل في بداياته الأولى صبغة وجود فردي داخل الحركات الاستقلالية ثم تطور إلى تكتلات طلابية متميزة ذات صبغة حزبية وأبعاد سياسية. ويكفي أن نشير، في هذا الصدد، إلى أن محمد الخطابي شقيق قائد المقاومة المسلحة بالريف عندما بادر بالمساهمة في الحرب التحريرية كان وقتها طالبا وإلى أن أغلبية الذين أطروا مقاومة الظهير البربري وأسسوا أولى التنظيمات السياسية الوطنية بالمغرب أمثال علال الفاسي ومحمد بلحسن الوزاني كانوا طلابا. ولم يتمكن الوعي الوطني من استقطاب قوى طلابية منظمة إلا بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة كما يشهد على ذلك الإضراب الذي قام به تلاميذ ثانوية مولاي إدريس بفاس سنة 1945 احتجاجا على القمع الوحشي الذي تعرضت له التظاهرات الشعبية الوطنية المنادية باستقلال المغرب. ولقد تطورت هذه الحركات الطلابية إلى أن أدت إلى تأسيس فروع طلابية حزبية تابعة على الخصوص لكل من حزب الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال. أما الطلبة الذين كانوا يتابعون دراستهم العليا

بفرنسا فقد كانوا مؤطرين من طرف جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين AEMNA التي تأسست بباريس سنة 1927 والتي كان لها بعد تحرري ونشاط نقابي مكثف جسدت آنذاك مدرسة تكون فيها العديد من قادة الحركة الوطنية في المغرب العربي.

وأدى وضع اللبنات الأولى للتعليم العالي العصري بإحداث المدرسة الإدارية والمدرسة المغربية للفلاحة ومعهد الدراسات العليا المغربية وبروز مشاكل طلابية مادية وتربوية إلى ضرورة تأسيس تنظيم نقابي. لكن قوة الوعي الوطني وتجذره في صفوف الطلبة المغاربة جعلا هذا التنظيم الطلابي المغربي يتشكل خارج الجمعية العامة لطلاب الرباط ويعزل عنها حيث كانت تابعة "للاتحاد الوطني لطلبة فرنسا" UNEF، وهكذا تأسست سنة 1948 "جمعية الطالب المغربي" AEM كأول منظمة طلابية نقابية مغربية ذات أبعاد وطنية. ووجدت هذه الجمعية صدى مماثلا لها عندما تأسس بفرنسا سنة 1950 "اتحاد الطلبة المغاربة" الذي ضم في تنظيم مستقل الطلبة المغاربة المقيمين بفرنسا. أما الطلبة المغاربة المقيمون بإسبانيا ودول الشرق العربي فقد أسسوا بدورهم تنظيمات طلابية أطلقوا عليها اسم لجان التنسيق والتواصل. وعملت كل هذه التنظيمات على حل بعض القضايا النقابية المطروحة مع التركيز على العمل في المجال الوطني التحرري. فاتحاد الطلاب المغاربة بفرنسا مثلا كان يساهم بنشاط في اللجنة المعادية للاستعمار التي اتخذت باريس مقرا لها. ونظم في دجنبر 1953، بعد المؤامرة الاستعمارية التي تبلورت في نفي عاهل المغرب جلالة محمد الخامس، حملة لمقاطعة الحفل المقام لتدشين دار المغرب بباريس الذي كان سيترأسه الجنرال گيوم المقيم العام ومدبر هذه المؤامرة.

وفي سنة 1956 ومع الحصول على الاستقلال أصبح من الضروري صهر مجموعة التنظيمات الطلابية التي وإن لعبت رغم تعددها نفس الدور على المستويين المطلبي والوطني، فإنها ظلت تفتقر إلى التنسيق وعلى الأخص إلى القيادة الوحيدة وإلى التنظيم الموحد، فكان ميلاد الاتحاد الوطني لطلبة المغرب استجابة لهذه الضرورة، وكان في ذات الوقت تجسيدا لموقف طالما عبرت عنه مختلف فصائل الحركة الوطنية. لذلك حظي مؤتمره التأسيسي الذي انعقد بالرباط في أواخر دجنبر 1956 وبداية يناير 1957، بمساندة كل القوى السياسية الوطنية، مساندة تجلت في حضور كل من ممثلي التنظيمات الطلابية السابقة (جمعية الطالب المغربي، اتحاد الطلاب المغاربة بفرنسا، ولجان التنسيق والتواصل) ومن ممثلي الطلبة المسيّسين على اختلاف انتمائهم (حزب الاستقلال، حزب الشورى والاستقلال، والحزب الشيوعي المغربي إلخ...)، وفي تولي ولي العهد الأمير مولاي الحسن الرئاسة الشرفية لهذا المؤتمر. وأضفيت على الاتحاد الوطني المغربي صفة جمعية ذات مصلحة عمومية وهي صفة بالإضافة إلى طابعها المعنوي، تخول للاتحاد وسائل مادية لتنمية عمله الطلابي والوطني.

تكمن أهمية هذا المؤتمر التأسيسي في كونه رسم، ولو في خطوطه العريضة، التوجهات الرئيسية التي اتخذها الاتحاد الوطني لطلبة المغرب ركيزة لعمله، وهي توجهات ستتحدد وستتعمق تدريجيا ضمن الديناميكية الاجتماعية ومن خلال المؤتمرات المتتالية للاتحاد. ويمكن تلخيص تلك التوجهات في النقط التالية :

1. رفض اعتبار القضايا المطلبية النقابية خارج الصيرورة الاجتماعية والسياسية وبالتالي ضرورة الصياغة في كل مرحلة من المراحل، للمطالب المتفاعلة مع الوضع الاجتماعي، والتحرك السياسي منها.

2. عدم اعتبار استقلال المغرب كحدث يختزل في إلغاء معاهدة الحماية في 4 مارس 1956 بل كمسلسل تحرري تطبعه مراحل يتعمق من خلالها وباستمرار مضمون وفحوى هذا الاستقلال على المستوى السياسي والاجتماعي / الاقتصادي والثقافي /. وفي هذا الإطار طالب المؤتمر التأسيسي بمغربة الإدارة وبجلاء القوات الفرنسية والأمريكية التي كانت ما زالت مرابطة بالمغرب، وبتعريب التعليم وتوحيده ودمقرطته، كما طالب بإنشاء جامعة مغربية عصرية مستقلة وديموقراطية.

3. تحديث البنيات المغربية وذلك بخلق علاقة جديدة ومتفاعلة بين الحاكمين والمحكومين عبر حياة دستورية ونيابية تُستلهم أسسها ومبادؤها من روح ديموقراطية حقيقية.

من يتصفح تاريخ المغرب بعد الاستقلال وخصوصا من 2 مارس 1956 إلى حدود أواخر الستينات وبداية السبعينات يشد انتباهه وجود فاعل للاتحاد الوطني لطلبة المغرب كمنظمة طلابية ملتحمة بالقوات الوطنية الأخرى، منظمة جاهدة في المساهمة في توطيد الاستقلال ومكاسب الكفاح الوطني وفي استكمال تحرير البلاد. وقد برزت هذه المنظمات بخصوصيات مكنتها منذ البداية من احتلال مكانة نوعية ضمن القوى الوطنية الأخرى.

فزيادة عن كونها المنظمة الوحيدة للطلاب المغاربة بمختلف اتجاهاتهم السياسية والعقدية. كانت تنظيماتها لا تقتصر على طلاب التعليم العالي بل شملت أيضا، وإلى غاية 1963، تلاميذ الثانوي ضمن وداديات بلغ عددها العشرات. هذه القاعدة الموسعة وهذا الحضور الفعلي جعلا من الاتحاد الوطني لطلبة المغرب قوة لها وزن يؤخذ بعين الاعتبار أوقات الاختيارات الكبرى. كمثال على توسع قاعدة الاتحاد، يكفي الإشارة إلى إضراب ماي 1963 الذي شارك فيه، طيلة ثلاثة أيام، ما يقارب 135.000 طالب وتلميذ ينتمون إلى مؤسسات ثانوية بمختلف مدن المغرب، وهو عدد له دلالته في تلك الفترة التي كان فيها عدد الطلاب والتلاميذ محدودا نسبيا.

وعلى الصعيد الدولي لم يفتأ الاتحاد طوال هذه المدة يتوفر على إشعاع واسع مكنه من الحضور الفعلي في

تظاهرات طلابية دولية عديدة. فبعدما كان عضوا في "الكونفدرالية العالمية للطلاب" التي كان مقرها في لاهاي أصبح عضوا بارزا في الاتحاد العالمي للطلاب الذي مقره براغ. كما ساهم لعدة سنوات في إنشاء وتنشيط كونفيدرالية طلبة المغرب التي كانت تضم بالإضافة إلى الاتحاد الوطني لطلبة المغرب كلا من الاتحاد الوطني لطلبة الجزائر والاتحاد العام لطلبة تونس. هذه الكونفدرالية التي جسدت طيلة وجودها الآمال الراسخة لشباب المغرب العربي في الوحدة والتحرر والانعتاق. وبكل هذه المميزات ساهم الاتحاد الوطني لطلبة المغرب في الحقل الوطني بأعماله واجتهاداته ونضالاته خصوصا وأن المغرب في بداية الاستقلال كان في حاجة إلى مساهمة طلابية واعية تكتمل بها الحياة الديموقراطية. فهكذا كان الاتحاد الوطني لطلبة المغرب ممثلا بعضو في المجلس الاستشاري الذي أسسه في غشت 1956 المغفور له جلالة محمد الخامس ودافع في إطاره على ضرورة نهج سياسة تعليمية ترتكز على الإصلاح والتعريب والدمقرطة والمغربة. كما نادى مع القوات السياسة الأخرى، بضرورة التضامن مع الجزائر الشقيقة ومع كل حركات التحرر الوطني في العالم، وبضرورة نهج ما كان يسمى آنذاك "سياسة الحياد الإيجابي" على مستوى العلاقات الخارجية. ولم يقتصر دور الاتحاد على نشاطه داخل المؤسسات ذات الطابع الدستوري بل توسع ليشمل جملة من التوجهات والأعمال التي طبعت تلك الحقبة من تاريخنا الوطني. فعلى سبيل المثال ساهم الاتحاد في أعمال لها دلالتها الرمزية مثل طريق الوحدة وبناء الأوراش وحملات تشجير البلاد... كما نظم نضالات طلابية نادى من خلالها بالجلاء وباستقلال الجزائر. وقد تطورت توجهات الاتحاد وتعمقت في أواخر الخمسينات وبداية الستينات عندما تبلورت في مؤتمراته، خصوصا مؤتمر تطوان (يوليوز 1958) وأزرو (يوليوز 1961) المطالبة بدمقرطة الحياة السياسية في البلاد وبضرورة سن دستور ينظم ويعقلن الحياة العامة ويوزع المسؤوليات والسلط ويمكن الشعب من المساهمة الإيجابية والمسؤولية في تسيير البلاد.

وعلى الصعيد القطاعي التعليمي كان ابتداء من سنة 1957 عضوا في اللجنة الوطنية لإصلاح التعليم، وكان من بين المنظمات والشخصيات الوطنية التي ساهمت في ذلك الوقت وبتفاعل مع الظرف السياسي والاجتماعي في صياغة المبادئ الأربعة التي ارتكزت عليها سياسة التعليم بالمغرب لسنين. وهذه المبادئ هي التعريب والتوحيد والتعميم والمغربة. كما طالب بإصلاح برامج جامعة القرويين في اتجاه يجعلها تساير متطلبات العصر، ونادى بتكوين جامعة وطنية مغربية تحل محل المعهد العالي للدراسات المغربية الذي أسسته إدارة الحماية، وكان من ضمن الذين كللت جهودهم عندما تأسست جامعة محمد الخامس سنة 1958. وفي سنة 1963 ساهم في النقاش الوطني الواسع الذي كان إطاره مناظرة المعمورة حول التعليم وكان من بين الذين ركزوا على ضرورة الحفاظ على المبادئ الأربعة، وسن سياسة نشيطة لتكوين الأطر والإسراع بإصلاح التعليم الأصلي. وتجدر الإشارة هنا إلى أن مواقف الاتحاد الوطني لطلبة المغرب تجاه المبادئ الأربعة، إن كانت مثلها مثل مواقف القوات الأخرى تركز على مساندة العمل طبقا لهذه المبادئ، فإنه كان يراها بعين ناقدة ومتبصرة جعلته يتميز في كثير من المناسبات بتصديه لكل ارتجال تهوري في ميدان حيوي مثل ميدان التعليم. ولم يتردد مثلا في التأكيد في مؤتمره الحادي عشر على : أن التعريب بالمغرب تم خارج أي تخطيط جدي وبطريقة مرتجلة طبعها التأرجح والتردد.

وفي سنوات 1968 / 1970 أطر حملة واسعة في جل المراكز الجامعية بالبلاد من أجل مراجعة البرامج والطرق التربوية. وجعلها مسايرة لواقع البلاد ولضرورة النمو الاقتصادي والاجتماعي بدون التخلي عن القيم الإنسانية العليا. هذا الدور الفاعل جعل الاتحاد يلجأ ما بين الفينة والأخرى إلى إصدار جرائد ذات توزيع وطني مثل *الطالب المغربي* و *الطالب* ثم *الطلبة*.

من الضروري مراعاة كون هذا التطور وهذه المساهمة الفعالة ما كان لهما أن يتما إلا في إطار صراع اجتماعي وسياسي. فبقدر ما كانت تتحدد وتتوضح توجهات الاتحاد لطلبة المغرب، بقدر ما كانت تتحول هويته الوطنية إلى هوية تقدمية واهتماماته القطاعية المطلبية إلى اهتمامات اجتماعية وسياسية بالمعنى الواسع والأصيل لكلمة سياسي، وأصبح يواجه مقاومة ازدادت حدتها مع مرور السنين، بازدياد عدد الطلاب وتعقد المشاكل وتشعب الاختيارات. ويمكن أن نصنف المقاومة التي واجهها الاتحاد في هذه المرحلة، أي منذ أواخر الستينات وبداية السبعينات، إلى صنفين :

- الصنف الأول : ونعني به المقاومة التي كانت تأتي من داخل الحركة الوطنية وبالضبط من الجناح الذي اعتبر محافظا والذي عمل سنة 1961 على تأسيس منظمة أخرى تحت اسم "الاتحاد العام لطلبة المغرب".

- الصنف الثاني : ويتعلق الأمر بمعارضة الحكومات المتتالية لنشاط الاتحاد بالخصوص ابتداء من سنة 1960 تاريخ إعفاء حكومة عبد الله إبراهيم. ومن مظاهر هذه المعارضة إصدار ظهير سنة 1963 الذي أعطى تعريفا جديدا للطالب حيث جعل منه "كل شخص مسجل بانتظام في كلية أو مؤسسات تعليم عال" وأكد "أن كل جمعية طلابية أو اتحاد أو فدرالية تؤسس دون مراعاة البندين الأول والثاني تعتبر باطلة ولاغية" (الترجمة للمؤلفين) هذا الظهير أرغم الاتحاد على التخلي عن تنظيم جزء كبير من قاعدته التي كانت تتشكل أيضا من تلاميذ الثانوي، ومن مظاهرها أيضا تجريد الاتحاد الوطني لطلبة المغرب سنة 1965 من صفة منظمة ذات مصلحة عمومية ومحاولة حله بطلب قضائي في نفس السنة وهو طلب تم رفضه من طرف محكمة

الرباط. كما تجلت هذه المعرضة في إغلاق مقرات الاتحاد سنة 1967 ومنع مؤتمره الحادي عشر خارج المقر كما جرت العادة بذلك، وفي اعتقال الكثير من أطره العليا ومناضيله على امتداد هذه المدة الزمنية، هذا بالإضافة إلى التشدد الرسمي أمام المطالب النقابية الطلابية التي كانت تزداد اتساعا وحدة مع نمو الجامعة المغربية وسنّ سياسة تعليمية تتميز بالتراجعات عن المبادئ التي أقرها الإجماع الوطني في أواخر الخمسينات.

إن المرحلة التي أعقبت حياة الاتحاد الوطني لطلبة المغرب بعد المؤتمر الثالث عشر (غشت 1969) اتسمت بصعوبات متعددة متشابكة ومعقدة عرفتها الحياة الطلابية والوطنية، صعوبات أدت مع تراكمها وانعدام حلها بالشكل المناسب، إلى تقوية الأزمة الداخلية التي عرفها الاتحاد في أواخر الستينات، وتكمن هذه الصعوبات في توسع مساحة التعليم العالي بازدياد عدد الطلبة دون أن يواكب ذلك مجهود مواز للتأطير وتنويع الأنشطة والاهتمامات وتوعية الطلاب بالقضايا الوطنية وبتشابكها مع المطالب الجامعية، خصوصا وأن الأفواج الجديدة منهم لم يقع تأطيرها في المرحلة الثانوية. ونتجت عن ذلك وضعية خاصة تتصف بوصول - في شروط الأزمة - ووصول أفواج كبيرة من الطلبة ستنخرط لأول مرة ودفعة واحدة في العمل النقابي الوطني الذي يقوده الاتحاد، لذلك يمكن أن نفترض بأن ضعف الخبرة النقابية والسياسية يفسر إلى حد كبير بروز اتجاهات داخل صفوف الطلبة إما مندفعة وإما انعزالية غير مبالية.

واتسمت المرحلة في نفس الوقت بتراجع القوات السياسية الحليفة للاتحاد مما جعل هذا الأخير في وضعية صعبة سواء على مستوى فاعليته وإشعاعه أو على مستوى تحصين تنظيماته ووحدته الداخلية. وزاد من حدة الاتحاد أمام اختيار شائك إما الاستمرار في التوجه الوطني مع كل ما يقتضيه ذلك من صعوبات وإشكالات في التوجه الوطني، وإما التراجع (الطاكتيكي أو غير الطاكتيكي) للاكتفاء بالعمل الطلابي المطلبي. ويبدو أن عمله تموقع في إطار الاختيار الأول مع محاولة خلق قوى سياسية جديدة تنطلق من الوسط الطلابي لتخلف القوى الوطنية التي اعتبرت آنذاك متجاوزة. لكن مسلسل خلق أدوات سياسية انطلاقا من الوسط الطلابي مع ما يكتنفه من لبس وهشاشة شكل، موضوعيا، حافزا لعملية التفرقة وتعميق الخلافات وعرف الاتحاد عاملا مضاعفا ومولدا للأزمة. تجدر الإشارة هنا إلى أن المعني هو الاتحاد الوطني لطلبة المغرب كتنظيم وكأداة للتأطير والتوعية وكوجود متجذر ومتميز للحركة في الساحة الجامعية الوطنية. نعم لقد اتسمت المرحلة بتحركات طلابية هائلة وواسعة انتشرت عبر مختلف مدن المغرب وحملت شعارات وطنية ومطالب نقابية، لكن واكب كل ذلك ضعف وترد في الأداة النقابية ذاتها حيث تعددت القيادات وتقلص النفوذ الفعلي للاتحاد كتنظيم متجذر، وعندما ضعفت هذه التحركات وتوقفت نسبيا لم يبق سوى الطرف الثاني من الواقع المتجسد في غياب كل التقوية للتمفصلات التنظيمية مع الوسط الطلابي والوطني بطريقة عضوية وزاد من هذا المنحى وقوّاه المنع الذي تعرض له في 24 يناير 1974.

إذا كانت الحكومة تراجعت عن هذا المنع سنة 1976 فإن المحاولات التي قام بها الاتحاد الوطني لطلبة المغرب ليعيد اكتساب ذاته كأداة متجذرة فارتباط عضوي مع عملية اكتساب في الوسط الطلابي، لم تصل إلى مداها لكونها اصطدمت بصعوبات يظهر أنه لم يتغلب عليها في الظروف الراهنة ورغم ذلك استمر كرمز وكملجأ عاطفي وكامل.

مؤتمرات الاتحاد الوطني لطلبة المغرب : المؤتمر التأسيسي بالرباط أواخر دجنبر 1956 بداية 1957 ؛ المؤتمر الثاني، فاس، سبتمبر 1957 ؛ المؤتمر الثالث، تطوان، 25 يوليوز 1958 ؛ المؤتمر الرابع، أگادير، 24/22 غشت 1959 ؛ المؤتمر الخامس، الدارالبيضاء، صيف 1960؛ المؤتمر السادس، أزرو، 24/20 يوليوز 1961؛ المؤتمر السابع، الرباط، 22/19 يوليوز 1962 ؛ المؤتمر الثامن، الدارالبيضاء، 30 يوليوز / 2 غشت 1963 ؛ المؤتمر التاسع، الرباط، 7/4 شتنبر 1965 ؛ المؤتمر العاشر، الرباط، 25/21 اكتوبر 1965 ؛ المؤتمر الحادي عشر، الرباط، 27/25 يوليوز 1966 ؛ المؤتمر الثاني عشر، الرباط، 22/17 يوليوز 1968 ؛ المؤتمر الثالث عشر، الدار البيضاء، 11/9 غشت 1969 ؛ المؤتمر الرابع عشر، الرباط، صيف 1970 ؛ المؤتمر الخامس عشر، يوليوز 1972.

24 يناير 1974 حل الاتحاد بقرار حكومي.

المؤتمر السادس عشر، الرباط، صيف 1976 ؛ المؤتمر السابع عشر، الرباط صيف 1977.

جرائد الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، بالخصوص : *الطالب المغربي*، العدد الخاص 15 نوفمبر 1962 ؛ *الطالب*، الأعداد 6.5.1 ؛ *الطلبة*، الأعداد 5.3 ؛ أ. الحليمي، *الاتحاد الوطني لطلبة المغرب : عشر سنوات من الالتزام الواعي*، جريدة المحرر 16 أكتوبر 1965 ؛ ع. إبراهيم ، *الحزب والنقابة*، 1967.

A. Manouni, *L'Union Nationale des Etudiants du Maroc*, D.E.S, Faculté des sciences Juridiques, Economiques et Sociales, Rabat, 1970. (Annexés à ce travail documents principaux de l'U.N.E.M) ; R. Le Tourneau, *Fès avant le Protectorat* (passages concernant l'enseignement) ; A. Le Comte, *Le Panafricanisme syndical cherche son avenir*, R.A.P., 1961; C. Prevost, *Les Etudiants et le gauchisme*, Ed. Soc., 1969 ; F.M. Montane, *Propos sur la "Classe étudiante"*, Cahiers de la République, 1969, n° 23.

عبد اللطيف المنوني ومحمد عياد

الاتحاد الوطني للقوات الشعبية (حزب ــ)

قبيل الإعلان عن تأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية بسبعة أشهر، قررت مجموعة هامة من قيادة حزب الاستقلال، بتاريخ 25 يناير 1959، بزعامة رئيس المجلس الوطني الاستشاري، إذ ذاك الانفصال عن الحزب، معلنة عن ميلاد الكونفدرالية الوطنية لحزب الاستقلال، التي كان هيكلها التنظيمي على الشكل الآتي :

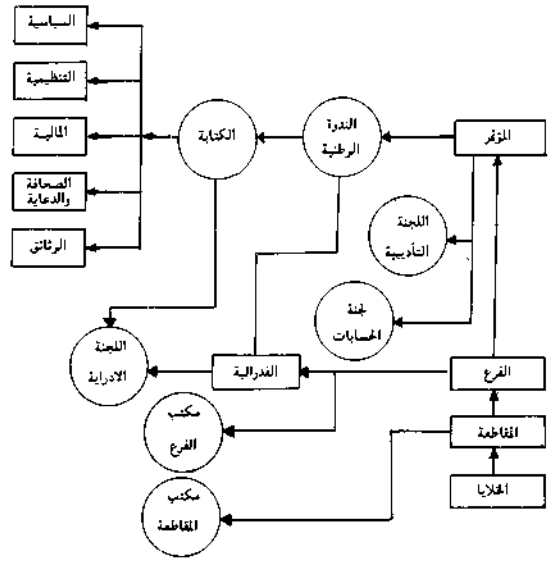

لكن قادة هذا الحزب الجديد، بعد أشهر من الحملات الصحافية المتبادلة بين طرفي حزب الاستقلال القديم المعتدل والجديد اليساري، والانتقادات المرة التي كانت تسمع هنا وهناك، وحتى داخل المجلس الوطني الاستشاري الذي كان يعد تجربة رائدة في مجال دمقرطة المؤسسات في المغرب، وقيام جلالة المغفور له محمد الخامس، طيب الله ثراه، بتوقيف نشاطات المجلس المذكور، اعتقد أولئك القادة أن الظروف التي كانت تجتازها البلاد داخليا وخارجيا بسبب ما كانت تنشره الصحافة الفرنسية حول الإصلاحات الاقتصادية التي أقدمت على اتخاذها حكومة الأستاذ عبد الله إبراهيم، محاولة إثارة الرعب في صفوف أصحاب رؤوس الأموال بغية إفشال البرنامج الإصلاحي للحكومة، تقتضي التفكير جديا في تأسيس جبهة متراصة من الوطنيين، أيا كانت انتماءاتهم ، الذين يشاطرون الأهداف التي ترمي إلى بلوغها الهيأة الوزارية التي كان يرأسها الأستاذ عبد الله إبراهيم والتي كانت تضم كذلك بعض الوزراء المستقلين.

وبعد سلسلة من اللقاءات التي لم ينشر عنها شيء ولم يحط بها علما إلا عدد قليل من المناضلين، تم استدعاء مآت من الأطر ذوي الاتجاهات المختلفة لحضور اجتماع هام عقد بسينما الكواكب، في الدار البيضاء، بتاريخ 6 شتنبر 1959، حضره، علاوة على الأستاذ المهدي ابن بركة، ثلة من قادة حزب الشورى والاستقلال، من بينهم الأساتذة : عبد الهادي بوطالب وأحمد بنسودة والتهامي الوزاني. وأثناء ذلك التجمع، أعلن عن تأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، الذي كان يضم، الجناح اليساري لحزب الاستقلال وبعض قادة حزب الشورى والاستقلال وقادة من المقاومة. ونلاحظ بادئ ذي بدء أن القانون الأساس لهذه المنظمة، التي تأسست، طبقا للظهير الشريف، بمثابة قانون، الصادر بتاريخ 15 نونبر 1958، يحدد الغاية والأهداف والوسائل لهذه الجمعية فيما يلي :

الفصل 3 : غاية الاتحاد هي العمل على تنظيم سائر المواطنين، رجالا ونساء، من أجل العمل على تقدم الأمة ورفاهيتها، وبناء مجتمع متحرر من جميع أشكال الاستغلال على أساس تكافؤ الفرص والمساواة في الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حتى يتمكن كل عضو في المجتمع من نعمة الطمأنينة ويتمتع بازدهار الثقافة الروحية والمادية في عالم تسوده المودة والسلام.

ويشير الفصل الرابع إلى الأهداف التي حددها المؤتمر العام التأسيسي مركزا بالخصوص على ما يلي :

- الدفاع عن الاستقلال والوحدة الكاملة للتراب الوطني.
- جلاء القوات الأجنبية وتصفية مخلفات الاستعمار من القيود العسكرية والاقتصادية والتقنية.
- مواصلة سياسة التحرر الاقتصادي لضمان التشغيل الشامل والعدالة الاجتماعية.
- تحقيق الإصلاح الزراعي الذي يعد شرطا لرفع مستوى الجماهير الفلاحية.
- انتهاج سياسة التصنيع وتأميم المرافق الحيوية للاقتصاد، لتأمين ارتفاع الدخل القومي، ارتفاعا مطردا لفائدة جميع السكان.
- الإسراع بتحقيق إصلاحات جوهرية في الإدارة، وتكوين الإطارات وفقا لمقتضيات بناء الاستقلال.
- اتباع سياسة منطقية في التعليم تطابق روح التطور العصري للمغرب وتحافظ على مقوماته الروحية.
- إقامة ديمقراطية واقعية تضمن لجميع المواطنين تسيير شؤونهم بأنفسهم سواء على الصعيد الوطني، أو المحلي، في دائرة ملكية دستورية تحت رعاية صاحب الجلالة الملك محمد الخامس.
- مساعدة الشعب الجزائري المكافح من أجل تحرره وتحقيق وحدة المغرب العربي في نطاق الأخوة العربية والتضامن الإفريقي.
- تطبيق سياسة خارجية على مبدأ عدم التبعية، والتعاون والتضامن مع الشعوب المناضلة من أجل التحرر، على أساس تقوية دعائم السلام العالمي.

أما الوسائل فهي لا تختلف في شيء عن الوسائل المشروعة في النظم الديموقراطية، وفي طليعتها التعاون مع جميع الهيآت التي تعمل لتحقيق نفس الغايات المشار إليها في الفصل الثالث.

أجهزة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية : يضم الاتحاد الوطني للقوات الشعبية أجهزة محلية وإقليمية ووطنية.

1 . فعلى الصعيد المحلي، نجد الفروع التي تتألف من الأعضاء الذين يقطنون أو يشتغلون في المنطقة الجغرافية للفرع، وينقسم الفرع إلى مقاطعات، وتضم كل مقاطعة جماعات الاتحاد الوطني التي هي الخلية الأولية المكونة على أساس مكان الشغل أو سكنى أعضائها، أو حسب القواعد التي تضعها اللجنة الإدارية الوطنية.

2 . وفي كل إقليم تنظم الفروع في اتحاد لذلك الإقليم

يقوم بربط الصلة بين الفروع والهيآت المركزية للاتحاد الوطني ويسهر على التربية الوطنية وعلى تنظيم النشاط السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي في كل ناحية طبقا لمقررات الاتحاد الوطني.

3. وفي النطاق القومي يباشر الاتحاد الوطني للقوات الشعبية مسؤوليات الجمعية بأسرها، ويقوم على هيآته المركزية بتمثيلها في علاقاتها مع الحكومة والهيآت الأخرى المغربية أو الأجنبية أو الدولية ويؤكد الأعضاء قابلية المشاركة في إدارة الجمعية وفق المبادئ الآتية :

أولا : في كل درجة تكون أعلى هيأة للإدارة هي المؤتمر ويضم النواب المنتخبين من طرف الأعضاء، ويجتمع بصفة دورية لاختيار الهيآت المسؤولة ومن بينها اللجن الإدارية في المقاطعات أو في الأقاليم أو على الصعيد القومي.

ثانيا : يقوم المسؤولون بمهمتهم طبقا لقاعدة الإدارة الجماعية مع مراعاة المسؤولية الفردية، ويلتزمون بإعطاء بيان عن نشاطهم أمام الهيأة التي انتخبتهم.

ثالثا : كل هيأة تقرر بكل حرية في المسائل التي ترجع لاختصاصها، طبقا للقانون الداخلي، بشرط أن لا تكون قراراتها متناقضة مع الخطة التي رسمها المؤتمر العام للاتحاد الوطني والتي أولتها الهيآت المركزية للاتحاد.

المؤتمر العام : (الفصلان 12، 13) يشكل المؤتمر العام الهيأة التقريرية العليا ويتألف لمدة ثلاث سنوات من مندوبي الأقاليم، المنتخبين، حسب نسبة مائوية تحدد وفقا لعدد الأعضاء المسجلين قانونيا في كل إقليم. وتحدد اللجنة الإدارية هذه النسبة وكذلك مسطرة الانتخابات. يشارك في المؤتمر بحكم القانون أعضاء اللجنة الإدارية الوطنية وأعضاء المجلس الوطني للاتحاد ولجنة مراقبة الحسابات واللجنة المركزية للتحكيم الذين انتخبهم المؤتمر العام السابق.

يعقد المؤتمر دورته العادية في التاريخ والمكان المحددين من طرف اللجنة الإدارية الوطنية.

يجب أن تستلم المنظمات القاعدية مشروعات جدول الأعمال والتقريرين التوجيهي وحول النشاط المحضرة من طرف الكتابة العامة، قبل انعقاد المؤتمر بمدة يحددها القانون الداخلي.

ويمكن جمع المؤتمر في دورات غير عادية، إما بمبادرة من اللجنة الإدارية أو بطلب من ثلثي أعضاء المجلس الوطني أو ثلثي أعضاء المؤتمر العام.

اللجنة الإدراية الوطنية : (الفصل 16) تدير اللجنة الإدارية الوطنية شؤون الاتحاد الوطني في المدة الفاصلة بين دورات المؤتمر العام. وتتألف من خمسة وعشرين عضوا على الأقل، ينتخبهم المؤتمر العام لمدة ثلاث سنوات. وتجتمع مرة كل شهر، أو كلما طلب ذلك ثلث أعضائها، كما تسهر على تطبيق مقررات المؤتمر العام وتتخذ القرارات اللازمة لتسيير الاتحاد الوطني واتخاذ المواقف التي تتطلبها الظروف في نطاق الخطة التي رسمها المؤتمر العام.

وتشرف على سير منظمات الاتحاد الوطني ومؤسساته وتراقب نشاط الاتحادات الإقليمية والفروع. ولها الحق في مراجعة التقسيم الإداري الإقليمي والمحلي لمنظمات الاتحاد الوطني حسب مقتضيات المصلحة السياسية والضرورات الجغرافية والإدارية.

الكتابة العامة : تنتخب اللجنة الإدراية الوطنية من بين أعضائها كتابة عامة تتألف من تسعة أعضاء على الأقل. وتجتمع الكتابة العامة، على الأقل، مرة في الأسبوع وتتحمل بصفة جماعية مسؤولية الإدارة الفعلية، السياسية والمادية للاتحاد الوطني والتصرف في مؤسساته، طبقا لمقررات اللجنة الإدارية الوطنية. وتسهر بالخصوص على تطبيق القانون الأساسي وعلى تنظيم وتوجيه التعليمات إلى الأقاليم لتحقيق برامج الاتحاد الوطني. ولهذه الغاية تتخذ جميع الإجراءات المستعجلة الضرورية في المستوى الإقليمي والمحلي. وتقوم الكتابة العامة، بتوزيع المهام بين أعضائها، سواء فيما يخص النشاط الداخلي للاتحاد الوطني أو تمثيله إزاء الحكومة والسلطات العمومية والقضاء أو من أجل ربط علاقات مع الهيآت الأخرى، مغربية كانت أو أجنبية أو دولية. وتحمل الوثائق المالية إمضاء عضوين من الكتابة العامة.

مجلس الاتحاد الوطني : يجتمع مجلس الاتحاد الوطني مرة كل ستة أشهر على الأقل، باستدعاء من اللجنة الإدارية الوطنية، ويستمع لتقارير الهيآت التنفيذية للمؤتمر العام. ويتألف من :

- أعضاء اللجنة الإدارية الوطنية ولجنة مراقبة الحسابات واللجنة المركزية.
- أعضاء دائمين ينتخبهم المؤتمر العام.
- من مندوبين تنتخبهم اللجن الإدارية الإقليمية بنسبة الأعضاء المسجلين في كل إقليم ويشارك الكتاب الجهويون للأقاليم في مجلس الاتحاد الوطني. وتحدد هذه النسبة من طرف اللجنة الإدارية الوطنية بحيث يكون عدد أعضاء الصنف الثالث متساويا فيها يخص عدد أعضاء الصنفين الأول والثاني.

اللجنة المركزية : تجتمع اللجنة المركزية مرة في كل ثلاثة أشهر بدعوة من الكتابة العامة وكلما دعت الضرورة إلى تحديد موقف الاتحاد الوطني من القضايا الوطنية المسجلة في جدول الأعمال. وتقدم الهيآت التنفيذية المركزية تقريرا حول نشاط الاتحاد كما يقدم الممثلون الإقليميون تقاريرهم حول نشاط الأقاليم. وتتألف اللجنة المركزية :

- من أعضاء اللجنة الإدارية الوطنية.
- من ممثلين عن كل إقليم يحدد عددهم وكيفية توزيعهم وتعيينهم القانون الداخلي.

الهيآت الإقليمية المحلية : تنعقد المؤتمرات الإقليمية والمحلية للاتحاد الوطني في دورتها العادية، مرة كل سنة، في المواعيد التي تقررها اللجنة الإدارية الوطنية وبحضور

مندوب عنها. ويشتمل جدول أعمالها على :
- مناقشة نشاط اللجنة الإقليمية أو المحلية.
- تطبيق برامج الاتحاد الوطني على الصعيد الإقليمي أو المحلي.
- انتخاب اللجنة الإدارية للسنة المقبلة مع لجنة مراقبة الحسابات ولجنة التحكيم.

وتنتخب كل لجنة إدارية إقليمية أو محلية كتابة تتألف من :
- كاتب في التنظيم والتربية الوطنية.
- مساعد الكاتب العام في الدعاية والصحافة.
- أمين المال.

المالية : تتكون موارد الاتحاد الوطني من واجبات الاشتراك ومداخيل مؤسسات الاتحاد وغير ذلك من المداخيل التي يبيحها القانون. ويقرر المؤتمر العام واجب الاشتراك، ويمكن للجنة الإدارية المحلية تقرير التخفيض أو الإعفاء التام من واجب الاشتراك في حق الأعضاء الذين لا تسمح لهم مداخيلهم بالأداء. أما نسبة توزيع المداخيل على الهيآت المحلية والإقليمية والمركزية من أجل مواجهة النفقات المنوطة بها، فيقررها مجلس الاتحاد الوطني، كما تكون الحسابات في كل لجنة إدارية رهن إشارة لجنة مراقبة الحسابات المختصة التي ترفع تقريرا إلى المؤتمر الذي انتخب تلك اللجنة الإدارية.

كان الاتحاد الوطني في بداية الستينات أكبر حزب سياسي في المغرب وأجمع كبار الإخصائيين في علم السياسة والمعلقين السياسيين آنذاك أنه قد يتمكن من تنفيذ برامجه الإصلاحية بعد مشاركته في الانتخابات التشريعية وانتخاب أبرز قادته في المؤسسة البرلمانية.

فخلال حملة الاستفتاء، حول مشروع الدستور الأول الذي عرفه المغرب بعد استرجاع الاستقلال خص الأستاذ موريس ديفرجي أستاذ علم السياسة والقانون الدستوري في جامعة باريز جريدة لوموند الفرنسية بمقال حول ذلك المشروع، حث فيه كلا من الاتحاد الوطني للقوات الشعبية والاتحاد المغربي للشغل على العدول عن المقاطعة واستغلال ما يتضمنه القانون الأساسي للدولة من إمكانيات لتدعيم دمقرطة المؤسسات في المغرب وتنفيذ المخططات التنموية التي يطالبان بها.

هذا ومن أبرز قادة الاتحاد الوطني الذي كان قد عقد مؤتمره الثاني، بحضور عدد كبير من الوفود الأجنبية، العربية والإفريقية والأوربية. ابتداء من 25 مايو 1962 بالقاعة الكبرى لمعرض مدينة الدار البيضاء، والذي استغرقت أشغاله أربعة أيام، السادة : عبد الرحيم بوعبيد والمهدي ابن بركة ومحمد البصري وعبد الله إبراهيم والمحجوب بن الصديق والمعطي بوعبيد وعبد الرحمان اليوسفي الخ. كما كان من بين مؤسسيه الأستاذان عبد الهادي بوطالب وأحمد بنسودة، غير أنهما قررا بعد حوالي سنتين على تأسيسه، توقيف نشاطهما في المنظمة السياسية المذكورة، بدون شرح الأسباب التي دفعتهما إلى اتخاذ ذلك القرار.

وإذا كانت الأحزاب المشاركة في الحكومة الملكية : حزب الاستقلال والحركة الشعبية والمستقلون وبعض القادة الشوريين أمثال الأستاذ عبد الهادي بوطالب، قد تجندت بحماس للمطالبة بالتصويت بـ "نعم" فإن الاتحاد الوطني للقوات الشعبية طلب من المواطنين مقاطعة الاستفتاء، لأنه يعتقد أن السلطة التأسيسية ملك للشعب وبالتالي ينبغي أن يكون مشروع الدستور من إعداد جمعية تأسيسية منتخبة، في حين أن الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني، زعيم حزب الشورى والاستقلال انتقد من خلال سلسلة مقالات في جريدته الأسبوعية "الدستور" مشروع الدستور الذي عرض على الاستفتاء، معلنا بأن القانون الأساسي للدولة يجب أن يوضع من طرف مجلس يضم ذوي الرأي في الأمة، ومطالبا، هو أيضا، بالإمساك عن التصويت، يوم الاستفتاء، أي 7 ديسمبر 1962.

وقد يرى البعض أن قادة الاتحاد الوطني قد تراجعوا عن موقفهم من الدستور الذي قاطعوه سابقا، وذلك بعد ما قررت الكتابة العامة للاتحاد المشاركة في حملة الانتخابات التشريعية التي حدد موعدها، قبيل حلول موعد الانتخابات العامة التي أجريت في 17 مايو 1963 بأسبوعين. وبالفعل فقد رشح الحزب المذكور مناضلين في صفوفه، في مختلف الدوائر الانتخابية وقام قادته بحملة واسعة النطاق، في المدن المغربية الكبرى، حيث نظمت تجمعات جماهيرية ضخمة وذلك ومن أجل الدعاية لمرشحي الاتحاد والفوز بالأغلبية، داخل مجلس النواب، لكن النتائج لم تكن مطابقة لما كان يتوقع، هكذا لم يفز الاتحاد إلا بثمانية وعشرين مقعدا من بين مائة وأربعة وأربعين مقعدا التي كان يتألف منها المجلس.

وبعد مرور شهرين على الانتخابات المذكورة، سيمرّ الاتحاد الوطني في صيف 1963، بامتحان عسير، وسيعرف كثير من قادته ومسؤوليه الإقليميين مضايقات واعتقالات ومحاكمات، كما سيمثل عدد من قادته البارزين أمام محكمة الجنايات بالرباط، في أواخر 1963 وبداية 1964. وفي أعقاب مداولات المحكمة التي استغرقت فترة طويلة ستصدر أحكاما بالإعدام بتاريخ 14 مارس 1964، في حق عضو الكتابة العامة للاتحاد المقاوم السيد محمد البصري، وفي حق عضو اللجنة الإدارية الوطنية المرحوم عمر بنجلون. كما أصدرت المحكمة حكما بثلاث سنوات سجنا مع إيقاف التنفيذ في حق عضو الكتابة العامة، الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي، عضو المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي حاليا وعضو المكتب الدائم لاتحاد الحقوقيين والمحامين العرب، بينما برئت ساحة مجموعة أخرى من اطر الاتحاد، التي ظلت في السجن الاحتياطي لمدة ثمانية أشهر.

لكن في 20 غشت 1964، بمناسبة الذكرى الحادية عشرة لثورة الملك والشعب، حوّل جلالة الملك الحسن الثاني الحكم

بالإعدام، الصادر في حق السادة محمد البصري وعمر بنجلون ومومن الديوري، إلى السجن المؤبد. وفي 13 أبريل 1965، في أعقاب أحداث الدار البيضاء، لأواخر مارس من نفس السنة، صدر عفو ملكي عام، استفاد منه جميع المعتقلين السياسيين من بينهم محمد البصري ورفاقه.

وقد قرر الأستاذان عبد الرحيم بوعبيد وعبد الرحمان اليوسفي، منذ بداية السبعينات وبسبب التجميد الذي كان يعاني منه الاتحاد الوطني، اتخاذ المبادرة للقيام بعملية تصحيح ووضع حد لتلك الوضعية التي لم يكن معظم المناضلين في الحزب راضين عنها. هكذا وبعد الأحداث التي عرفها المغرب، في سنوات 1972، 1973، 1974 كلفت لجنة تحضيرية من أطر كانت سابقا في الاتحاد الوطني، بتهييئ مؤتمر استثنائي في أوائل يناير 1975، انبثق عنه الحزب الاشتراكي للقوات الشعبية، واضعا بذلك حدا للخلط، الذي كان يميز تعليقات الصحافة المحلية والأجنبية، حول ما كانت تسميه بالاتحاد الوطني (قيادة الدار البيضاء) والاتحاد الوطني (قيادة الرباط).

ونلاحظ أن من بين أعضاء الكتابة العامة، التي تم انتخابها، في أعقاب المؤتمر الثاني للاتحاد الوطني المنعقد بالدار البيضاء في أواخر مايو 1962، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، لم يبق عمليا إلا الأستاذان عبد الله إبراهيم والمحجوب بن الصديق، أما الآخرون فمنهم من أوقف نشاطه، أو قام بتأسيس حزب جديد، كما حدث للسيد المعطي بوعبيد، الذي بعد تعيينه كوزير للعدل، ثم رئيس للحكومة بصفته محايدا ما بين 1977 ـ 1983 أسس حزبا تحت اسم الاتحاد الدستوري في ربيع 1983.

القانون الاساسي للاتحاد الوطني (6 شتنبر 27 ؛ 1959، معدل في 27 ماي 1982) باللغتين العربية والفرنسية : طبع على الستانسيل باللغة العربية وفي كتيب صغير بالفرنسية من طرف الاتحاد الإقليمي للرباط ـ صحافة ودعاية 13 شارع الزرقطوني ؛ *أعمال المؤتمر الأول الذي عقده الحزب أيام 25 26 ماي 1962 الدار البيضاء* ؛ *التقرير المذهبي* للأستاذ عبد الله إبراهيم ؛ *التقرير التنظيمي* للمرحوم الأستاذ المهدي ابن بركة ؛ *مقررات المؤتمر* وانتخاب هيآته المسؤولة ؛ *موقف الاتحاد الوطني من الاستفتاء الدستوري*، المؤرخ 1962/12/7 ؛ *موقفه من الانتخابات التشريعية لـ* 1963/5/7 ؛ *اجتماع اللجنة الإدارية الموسعة بتاريخ* 1963/7/16 واتخاذ قرار بمقاطعة الانتخابات الجماعية والمهنية ؛ *ملتمس رقابة* قدم ضد حكومة الوزير الأول المرحوم الأستاذ أحمد أبا حنيني من طرف الاتحاد الوطني للقوات الشعبية في مجلس النواب في شهر يونيو 1964 واهتم الرأي العام بتدخلات النواب الاتحاديين خلال النقاش حول الملتمس المذكور. 60 نائبا صوتوا لصالح الملتمس، من بينهم أعضاء فريق حزب الاستقلال ؛ كتيب يتضمن جميع تدخلات أعضاء *فريق الاتحاد الوطني* أثناء مناقشة ملتمس الرقابة ضد الحكومة ؛ *مناقشة التصميم الثنائي* 1965 ـ 1967 من طرف مجلس النواب ومقاطعة فريق الاتحاد الوطني لعملية التصويت ؛ *التحرير* جريدة يومية لسان حال الاتحاد الوطني يديرها السيد محمد البصري، ويرأس تحريرها السيد عبد الرحمان اليوسفي وذلك منذ خريف 1959. وقد تعرضت للحجز المتكرر بعد اختطاف الأستاذ المهدي ابن بركة. بتاريخ 1965/10/29 ثم منعت الجريدة نهائيا ؛ *بيان* موقع من ثلاثة أعضاء : الأساتذة عبد الرحيم بوعبيد وعبد الله إبراهيم والمحجوب بن الصديق، كمحاولة لإعطاء نفس جديد للاتحاد في أعقاب اعتقال الأمين العام للاتحاد المغربي للشغل، بعد اتخاذه موقفا من العدوان الإسرائيلي على الدول العربية في 5 يونيه 1967 وإصدار حكم عليه بالسجن لمدة سنتين، كتابة ثلاثية هي المسؤولة عن الحزب مكان الكتابة العامة السابقة التي كانت تتألف من عشرة أشخاص.

عبد الرحمان القادري

الاتحاد الوطني النسوي، جمعية أسست سنة 1969. وعقد الاجتماع العام للاتحاد الوطني النسوي بالرباط يوم 6 ماي 1969 ضم 315 امرأة. استمعن خلاله إلى الخطاب التوجيهي السامي لجلالة الملك *(انبعاث أمة*، 14 : 119 ـ 135) ثم حصل الاتحاد على امتياز اعتباره جمعية ذات مصلحة عمومية بمقتضى الظهير الشريف المؤرخ في 23 ذي القعدة 1389 / 31 يناير 1970. يتكون الاتحاد من رئيسة هي الأميرة للالفاطمة الزهراء، وأعضاء المكتب الموجود بالرباط، إضافة إلى تسعة وعشرين مكتبا إقليميا ومائة وأربعة وسبعين مكتبا محليا. يمارس الاتحاد بواسطة المكاتب الإقليمية والمحلية أنشطته، ويضع الخطوط العريضة لأعمال الاتحاد، وإن ممارسة الأنشطة في هذه المنظمة تطوعية وبدون مقابل وفي نطاق السياسة العامة للدولة.

وقد نص القانون الأساسي للاتحاد على أهدافه التي جعلها فوق كل اعتبار وأهم هذه الأهداف :

- مساعدة المرأة المغربية في جميع الميادين.
- جعلها تستفيد من إمكانياتها المادية والأدبية.
- الدعوة إلى القيام في الوسط النسوي بالمملكة بإنماء حركة تعود بالفائدة على مشاريع الأمة ومنجزاتها.
- تنظيم حملة واسعة لخلق الوعي وتنوير الأفكار قصد التعريف بالمجهودات التي تبذلها الدولة في تكوين المرأة المغربية وتمكينها من القيام على أحسن وجه بالمهمة المنوطة بها بوصفها زوجة وأما ومواطنة.
- المساهمة في المجهود الوطني الرامي إلى رفع مستوى المرأة الأدبي والمادي رغبة في تحسين مستوى الحياة العائلية.

وهكذا نجد أن عمل الاتحاد الوطني النسوي نابع من تصميم الحضارة المغربية التي تستمد قيمها من الإسلام مستهدفا بذلك إسعاد المجتمع به وفتح آفاق التنمية أمامه، ومحاولا بذلك خدمة المرأة ومساعدتها عن طريق تطوير

العمل التطوعي ونقله من عمل خيري يعتمد على إسداء المعروف إلى عمل تنموي يعتمد على التوعية والتكوين لإدماج المرأة في عمليات التنمية المختلفة. ووعيا من الاتحاد في تكوين المرأة وتأهيلها وتشغيلها كهيكل أساسي من هياكل التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية فقد تبلورت نشاطاته على الصعيد الوطني والدولي.

أ ـ نشاط الاتحاد على الصعيد الوطني : في المجال الاجتماعي والاقتصادي تمت عدة أنشطة نذكر منها :

ـ تأسيس تعاونيات لصناعات مختلفة في جميع أنحاء المملكة.

ـ فتح صالونات للحلاقة مع تقديم كل الضروريات المؤهلة لتأطير الفتيات.

ـ تأسيس رياض للأطفال بتعاون مع أرباب بعض المعامل.

ـ تأسيس مشروع تربية النحل بتمارة وتربية الدواجن بتازا.

ـ فتح مراكز للتكوين والتأهيل في الطرز والخياطة والتدبير المنزلي والتكوين المهني.

ـ فتح مراكز فلاحية بالبادية لمساندة المرأة البدوية على الاندماج في عملية التنمية، بإعطائها معلومات أولية في الفلاحة وتربية الدواجن كخطوة رائدة في الاهتمام بالعالم القروي مع الحرص على تمدرس الفتيات المنقطعات عن الدراسة، وأيضا تركيز الاهتمام حول هيكلة الأنشطة الموجودة حاليا في جميع الأقاليم في الإطار التعاوني الذي يهدف إلى التنمية الاجتماعية والاقتصادية والتربوية.

ب ـ في مجال توعية المرأة :

1 ـ من أهم منجزات الاتحاد الوطني النسوي في هذا الإطار إصدار مجلة *عائشة* وهي مجلة شهرية تنشد الاتصال مع كافة نساء وفتيات المملكة وما وراء حدودها. وإنها لا تحصر ميدان عملها في عالم المرأة المغربية بل إنها تخاطب الرجل أيضا لأن المشاكل التي يفرضها العالم المعاصر على مجتمعنا لا يمكن التغلب عليها إلا بالعمل المشترك بين الرجل والمرأة. وقد جاء في افتتاحية المجلة ما يلي "إن مجلة عائشة تتطلع إلى التقدم دون إهمال واجب المحافظة على التقاليد والعادات والأخلاق التي تشكل أركان الأمة. وترتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ المرأة أينما تأصلت جذور الدين الإسلامي الحنيف... إن هذه المجلة تستهدف الشرح والقيام بدور المربي وتقديم النصائح والإرشادات وحمل القارئ على التأمل بواسطة ما تنشره من مقالات. إنها لا تود أن تكون مجرد أداة للتسلية بل ترغب في خدمة نمو المعارف العامة، تذكر كل امرأة مغربية بمالها من حقوق وما عليها من واجبات بوصفها مواطنة ولإقناع رجل العصر بأن المكانة السياسية والاجتماعية للمرأة قد تغيرت على مر السنين وأصبحت أكثر أهمية من ذي قبل.

ـ الدعوة إلى القيام ببحوث اجتماعية واقتصادية حول قضية المرأة وتشجيع الباحثين المختصين في هذا المجال.

ـ القيام بحملات توعية عن طريق التجمعات كالتجمع الوطني الذي نظمه الاتحاد في 13 مارس 1983 تحت شعار (المرأة المغربية والتنمية في البادية) وقد تم خلال هذا التجمع تدشين أول تعاونية من نوعها في المغرب وهي تعاونية تربية النحل للنساء التي استطاعت إنقاذ عدد من النساء من أزمة الفقر والجهل إلى الاستنارة بمبادئ القراءة والكتابة والحساب، الاكتفاء الذاتي ماديا من ريع التعاونية التي أصبحت في ملكهن بفضل المساعدة والدعم الذي تلقته التعاونية من مركز البحث الزراعي، وكذا من المنظمة الأمريكية للتنمية الدولية التي ساندت التعاونيات ماديا وأدبيا وزودتها بصناديق لتربية النحل مع سيارة لنقل الصناديق والعاملات إلى حقول العمل، وكذا مدهن بالدروس التطبيقية الشيء الذي سيمكن فيما بعد من مد شبكة التعاونيات عبر أقاليم المملكة.

2 ـ نشاط الاتحاد على الصعيد الدولي : يتمتع الاتحاد الوطني النسوي بمكانة مرموقة في منظمة الاتحاد النسائي العربي العام، هذه المنظمة التي تضم الاتحادات النسائية العربية من المحيط إلى الخليج. وقد حصل الاتحاد المغربي النسوي على العضوية فيها سنة 1969 حيث كان مقرها بالقاهرة إذ ذاك، وقد شارك الاتحاد في سائر اجتماعات مكتبها الدائم وكذا في مكتب أمانتها العامة. كما قام الاتحاد النسائي المغربي بدعوة إلى لقاء النساء العربيات على أرض المغرب. انعقدت لأول مرة بالرباط من يوم الجمعة 25 سبتمبر 1970 إلى يوم السبت 26 من نفس الشهر مناظره ضمت مختلف الوفود النسوية من موريطانيا وتونس والجزائر بدعوة من صاحبة السمو الأميرة للافاطمة الزهراء "رئيسة الاتحاد الوطني النسوي المغربي". وأثناء هذه المناظرة أثيرت عدة مسائل هامة من بينها إحداث "اتحاد نسوي لدول المغرب العربي" وحصل الاتحاد الوطني النسوي على عضوية المنظمة الإفريقية للنساء، وساهم في نشاطات هذه المنظمة. كما انخرط في المجلس العالمي للمرأة، تلك المنظمة التي تضم الاتحادات النسائية الإفريقية والأوربية، وذلك سنة 1969، وقد شارك الاتحاد في جميع اجتماعات المنظمة وكان آخرها مناظرة طنجة المنعقدة بتاريخ فاتح أكتوبر 1984 وهي الندوة الخاصة بالمرأة والتنمية التي عقدت في إطار التحضير لمؤتمر نيروبي والتي حضرتها إحدى وثلاثون دولة عضوة بالإضافة إلى ممثلي المنظمات الدولية.

كما شارك الاتحاد النسائي المغربي في المؤتمر الثاني عشر للرابطة الدولية للنساء المنعقد بشهر سبتمبر 1970، وقد انتخب المغرب كعضو في هذا المؤتمر كما شارك الاتحاد في مؤتمر مكسيكو 1975. وأهم ما صدر عن المؤتمر برنامج العمل الدولي العشري للمرأة من 1975 إلى 1985 وشعار هذا المؤتمر التنمية، المساواة، السلم. كما شارك الاتحاد المغربي

النسوي في مؤتمر كوبنهاگن 1980 الذي انعقد في منتصف العشرية من 1975 إلى 1980 وقد أكد على الصحة، والتربية، والتشغيل، وفي ختام العشرية كان مؤتمر نيروبي الذي درس محتوى العشري. وصدرت عنه استراتيجية النهوض بالمرأة إلى حدود 2000، وكانت مشاركة المغرب في هذا المؤتمر مشاركة فعالة.

القانون الأساسي للاتحاد الوطني النسوي ؛ انبعاث أمة، الجزء 14؛ مجلة *عائشة*، الأعداد الثلاثة الأولى ؛ مجلة *صوت العرب*، السنة العاشرة، العدد 3.

خديجة المسدالي

إِتْزَرْ، مدينة تقع في حوض ملوية العليا، وهي منطقة عبور مكونة من أراض منتصبة فوق 1600 م تربط بين مرتفعات الأطلس المتوسط شمالا وجبال الأطلس الكبير جنوبا.

أخذت إتزر موطنها عند قدم جبال الأطلس المتوسط الجنوبي (جبل الروميات 2349 م) على مستوى الضفة اليمنى لمجرى تانسلنت، أحد الروافد المتعددة لواد ملوية، ويرتبط هذا الموضع بوفرة الماء الذي يشكل عنصرا نادرا في هذا الوسط المتميز بشبه جفاف بارز وتباين حراري فصلي كبير. فالتساقطات تقل عن 300 ملم سنويا.

كل هذه العوامل كان لها الدور الحاسم في خلق حياة مبكرة هنا، ويعتقد أن أصل المدينة يرجع إلى أحد الأدارسة المسمى عثمان بن الحسن من قبيلة سيدي بو موسى، حيث كانت تُحْصَى إتزر إلى حدود 1971 في إطار مجموعة أيت سيدي بوموسى. وينتمي هذا الأخير إلى سيدي حمزة (القرن العاشر الهجري) كما كان له الفضل في تأسيس واحة تيشوت التي استقطبت العديد من الشرفاء والفقهاء والفلاحين الوافدين من مناطق مختلفة (الأطلس الكبير وتافيلالت، إلى غير ذلك). وتشكل هذه الواحة النواة الأصلية للمركز الحالي، وهي تقع بالنسبة له في الشمال الغربي وبقيت تمثل مجموعة منعزلة عن ما يمكن أن نسميه بإتزر الجديد.

إلا أن هذا التعمير القديم الذي اعتمد على الاستقرار والإنتاج الفلاحي لم يق المنطقة من تحركات القبائل النصف ترحالية خاصة منذ بداية القرن السابع عشر، إذ توالت عليها قبائل عربية وبربرية، كل ذلك في إطار نزاعات وصراعات من أجل البحث عن مراع جديدة وامتلاكها، ولم تنته هذه التنقلات إلا في نهاية القرن التاسع عشر حيث احتلت قبيلة إركْلاوْن المنتمية لبني مگيلد المجال الذي يحيط بإتزر والذي لا زالت تشغله حتى اليوم. قام المولى الحسن الأول برحلة إلى منطقة ملوية العليا سنة 1888 ومن ضمن أهداف الحركة الحد من الاضطرابات الناتجة عن هذه التنقلات، فاحتل قصبة إتزر وقام بتعيين قائد عليها. وبقي الإركلاونيون يمارسون تربية الماشية وبعض الزراعات البورية وهم ينتقلون بين المراعي الجبلية في الصيف وأزغار في الشتاء عند أبناء عمهم المقيمين بأزرو، هذا في الوقت الذي استمرت فيه الساكنة المستقرة (أيت سيدي بوموسى) على واد تانسلنت في أنشطتها المعتمدة على الزراعة السقوية مذكرة بذلك اقتصاديا وعمرانيا (البناء بالتراب المدكوك) بالواحات الجنوبية. أما في الفترة الاستعمارية فقد عملت الإدارة على اختيارها كمركز عسكري وإداري يتيح لها إمكانية المراقبة وبسط النفوذ على القبائل المجاورة. وحرمت إثر ذلك قبيلة إركلاون من التنقل نحو أزرو، ونادرا ما رخص لها بذلك.

وظهرت بنايات جديدة تجسد هذه السلطة بعيدا عن تيشوت وفي موقع تم فتحه على الطريق الرئيسية رقم 2 الرابطة بين مكناس وتافيلالت. وانفتاح إتزر هذا على وسائل المواصلات السريعة ساعد على فتح مجالها الغابوي الشاسع للاستغلال، إذ أصبح نشاط قطع الخشب والنجارة يشكلان بعد الفلاحة القطاع المشغل لجزء وافر من السكان (إنشاء معملين لقطع الخشب). ونتيجة لهذه الدينامية الجديدة نمت تجارة صغيرة دائمة بجانب السوق الأسبوعي الذي اتسعت رقعة إشعاعه على المناطق المجاورة.

كما أن إتزر سجلت إقامة بعض الخدمات مثل الصحة والبريد والتعليم (تأسيس مدرسة بربرية ـ فرنسية ومدرسة وطنية في الخمسينيات) كل هذه العوامل تظافرت لرسم الوجه الجديد لهذا المركز الذي تزايدت ديمغرافيته بسبب التزايد الطبيعي نتيجة لسيرورة الاستقرار، فبعدما كان المركز لا يمثل أكثر من 200 نسمة في 1936 وصل عدد ساكنته إلى 1800 نسمة سنة 1952، وأصبحت تقصده الساكنة الريفية من بولعجول وأيت ميمون وأيت بن إيشو وأيت بنمنصور وإزاتيمن وغيرهم) قصد التبادل والترفيه وقضاء الحاجات يوم السوق (الاثنين).

واستمر هذا التوسع الديمغرافي للمدينة، خاصة في مرحلة الستينات، حيث وصل عدد السكان إلى 4232 نسمة (من بينهم 277 يقطنون مجموعة تيشوت) سنة 1971، واكتسحت البنايات الجديدة المجال الزراعي مثل قطاع "فوق الساقية"، "إيگ نتوگة". إلا أن هذه الوثيرة سرعان ما تراجعت. وحسب إحصاء 1982 لم يتجاوز عدد السكان 4545 نسمة. ويمكن إرجاع سبب هذا الركود إلى كون المدينة لم تعرف ظهور نفس جديد حيث بقيت فيها الأنشطة الاقتصادية جد محدودة نتيجة موقعها الهامشي بالنسبة للطريق الرئيسية الرابطة بين مكناس والريصاني (تبعد عنها ببضع كيلو ميترات) وبروز مراكز أخرى مثل بومية (4292 نسمة) وتونفيت (4250 نسمة) مما جعل إتزر تنكمش على نفسها رغم كونها لا زالت تمثل مركزا إداريا تابعا لعمالة خنيفرة. فإدخال التجهيزات التعليمية على المجموعات المجاورة قلص من شعاعها التعليمي، كما أن خلق سوق أسبوعي جديد بزايدة من شأنه أن يحد من الوقع الاقتصادي لهذه البلدة الصغيرة التي لا زالت تبحث عن هويتها.

Brignon et coll., *Histoire du Maroc* ; R. Raynal, *La Terre et l'Homme en Haute Moulouya*, BESM, 1960 ; *Note de présentation du plan d'aménagement de la ville d'Ifran*, Ministère de l'Intérieur ; *Recensement général de la population et de l'habitat*, 1960, 1971, 1982 ; *Carte topographique d'Ifran* au 1/50000. 1966 ; Enquête personnelle.

عائشة البلغيتي العلوي

أتمكا، الحسين زعيم أيت سخمان، القبيلة الواقعة على وادي العبيد، يعتبر خلفا روحيا للمرابط علي أمْهاوش في الطريقة الدرقاوية وفي زعامة أهله. لا يُعرف شيء عن نشاطه قبل أبريل 1918، تاريخ وفاة شيخه أمهاوش. ومنذئذ ظهر زعيما للجناح المقاوم لزاوية أحنصال بأسكر، المناهض لجناح سيدي مْحا أحنصال الذي خضع للفرنسيين عام 1923.

في تقارير الفرنسيين وكتاباتهم تحامل كبير على أتمكا، وربما كان ذلك لأن حياته مليئة بالمقاومة المتواصلة للغزو الاستعماري في الأطلس المتوسط، فهو يمثل الجيل الثاني من زعماء هذه المقاومة بعد وفاة أمهاوش وموحا أسعيد ومقتل موحى وحْمُّو. واستمر في الجهاد إلى عام 1930 حيث توفي، وجاء رئيس جمهورية فرنسا گاستون دوميرگ إلى المغرب وقام بزيارة للأطلس المتوسط ليتأكد من هدوء الوضع بعد وفاة أتمكا العنيد.

قضى جلّ أوقاته في التحريض على المقاومة متنقلا بين زاوية تمگا وتاگلفين وأسكر وأغبالا المراكز الروحية لدرقاوة في الأطلس المتوسط.

كان الحسين أتمكا زعيم زاوية أحنصال بأسكارن وقائدا على أيت سخمان، وكان له نفوذ خاص عند أيت داود أعلي وأيت سعيد، وكانوا يزيدون في عددهم على ألفين وثلاثمائة وست وأربعين خيمة.

عقد أتمكا عشرات من التجمعات للتبشير بفكرة الجهاد وتوحيد الصف اللازم له عند أيت عطا الثائرين المطوقين بالقبائل الأخرى الخاضعة للمزواريين ولمْحَا الحنصالي. وقد طلب أتمكا من القبائل أن تنتخب شيوخ الحرب، وكان منهم الشيخ علي أمُوحا لدى أيت عطًا، وابن حساين نايت عيسى عند أيت مساض، وابن حسين الزعبيد عند أيت عبدي، وابن حامد عند اتحادية أيت إسري، وموحى أوراي عند أيت داود أعلي، وأقديم نايت إبراهيم بعد نهاية مدة الزعابدي إلخ. وكل هذه الانتخابات تمت بمساعي أتمكا وبعد مفاوضات ومناقشات عويصة.

امتد نفوذ أتمكا إلى الدير، وكان رد فعله الجهادي الأول على غزو الفرنسيين لمنطقة وادي العبيد عام 1918، وجاءته إمدادات من تافيلالت، وكان متصلا بشريفها المجاهد الدرقاوي، فاجتمع له ألفان من حملة البنادق قاوموا زحف الغزاة وصمدوا لقصفهم العنيف بالطيران ابتداء من 1924. وقد مارس ضغطا كبيرا على كل المهادنين، ونظم حركات هجومية لقطع الطريق على الغزاة. وكان له اتصال وثيق بثوار الريف، وقد توصل في يوليوز 1925 برسائل جديدة ومبعوثين من الريف تحثه على الشروع في الهجوم لتجميد حركة الغزو. وتقدر المصادر الفرنسية أن مجموع ما توصل به أتمكا من إعانة الريفيين ثمانية

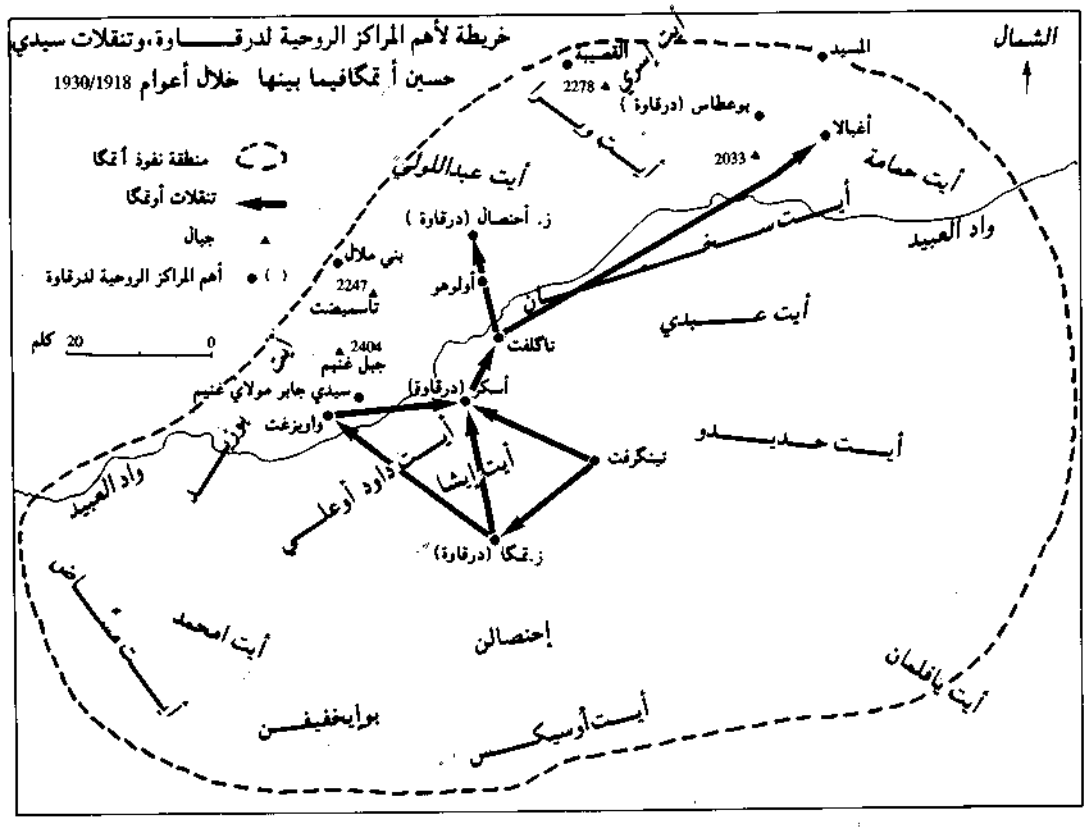

آلاف دورو حسني لتكثير الجهود والجيوش، وقالت إن جزءا منها من مصدر ألماني.

استعان الاستعمار بعدد من عملائه في وضع العراقيل أمام المقاومة بزعامة أتكّا الذي تغلب على بعض الصعوبات إلى أن توفي يوم 13 مايو 1930 بزاوية أسكر وكان قد عين لخلافته ابنه سيدي علي وسنه بين 40 و50 عاما واستطاع قيادة المقاومة ما وسعه ذلك.

التقارير الشهرية للحماية 1918-1930 ؛ جريدة *السعادة*، العددان: 2644 بتاريخ 8 أبريل 1924 و2645، بتاريخ 10 أبريل 1924 ؛ القبطان طاريط، *مجلة الجغرافية المغربية*، دجنبر 1923 ؛ *الوثائق المغربية* 1927، 110-123.

الملكي المالكي

أتيل، أو أكارْ أو تاكارْتْ : نوع نباتي يسمى ميرُوا كراسيفُوليا Maerua crassifolia وهو من فصيلة الكباريات Capparaceae.

إنه شجرة أو شجيرة ذات جذع وأغصان بيضاء. أوراقها صغيرة ذات لون فضي، ومجتمعة على هيئة كواكب، توجد على رؤوس أغصان قصيرة. ثمارها طويلة. يعيش أتيل في المناطق الصحراوية ذات الشكلين الحار والمعتدل فوق أراض صخرية.

أما من حيث توزيعه الجغرافي فإنه ينتشر في الصحراء الوسطى والجنوبية وفي الناحية الغربية من الصحراء الشمالية وبالضبط في الجنوب المغربي الواقع جنوبي الأطلس الصغير أي في جبال باني ووركزيز.

يعرف أتيل في الأوساط الشعبية الصحراوية بالجنوب المغربي كنبات يستعمل لتنقية الأسنان وفي التطبيب التقليدي ضد الحمى وأوجاع الأسنان والأمعاء وفي حالة الدمل والكسر. كما يعتبر من أهم الشجيرات الرعوية.

J. Bellakhdar. *Médecine traditionnelle et toxicologie*.

عبد المالك بنعبيد

الأثبَج، أحد شعوب بني هلال. جدّهم الذي ينتسبون إليه هو الأثبج بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال. كانت مساكنهم في الجاهلية ضمن بطون بني هلال في بسائط الطائف بينه وبين جبل غزوان من أرض الحجاز. ثم نزحوا في الإسلام إلى الشام إلى أن نقلهم الفاطميون العبيديون حكام مصر إلى بلاد الصعيد. ولما قطع بنو زيري حكام إفريقية دعوة الفاطميين وبايعوا العباسيين عام 437، سلّط عليهم المستنصر بالله الفاطمي - بإشارة من وزيره الحسن اليازوري - القبائل الهلالية، وفي مقدمتهم الأثبج قائلا لهم: "قد أعطيتكم المغرب ومُلك المعز بن باديس الصنهاجي العبد الآبق فلا تفتقرون" (*العبر*، 6 : 31) وكان للأثبج ومن معهم من بني هلال وسليم وقائع مشهورة تغلّبوا أثناءها على المعز واستولوا على حاضرته القيروان وخربوها، ثم اقتسموا بلاد إفريقية وهادنوا الزيريين الصنهاجيين الذين كانت لهم دولة ثانية تحت حماية الأعراب في منطقة ساحلية ضيقة يحكمونها من مدينة المهدية.

ولما قامت دولة الموحدين وخرج عبد المومن من مراكش في حركته الشهيرة إلى المغربين الأوسط والأدنى، جاءه أمير الأثبج أبو الجليل بن شاكر ومعه أمير جشم "فتلقّاهما بالميرة وعقد لهما ومضى لوجهه" (*العبر*، 6 : 44) وقد استنفر الموحدون الأثبج في جهادهم بالأندلس فأجازوا مع عبد المومن وابنه يوسف. لكن لما خرج بنو غانية أمراء ميورقة على الموحدين وملكوا بجاية عام 581 / 1185 انحاز إليهم الأثبج في جملة القبائل العربية، إلى أن قضى عليهم يعقوب المنصور وطاردهم إلى الصحراء. حينئذ رجع العرب، ومنهم الأثبج، إلى طاعة الموحدين، فرأى المنصور أن يخضد شوكتهم بترحيل فرق منهم إلى المغرب الأقصى. وكان بعض بطون الأثبج من هؤلاء المرحّلين، وأسكنهم المنصور مع قبائل جشم بلاد تامسنا فيما بين سلا ومراكش.

قضى الأثابج - كسائر العرب المرحلين إلى المغرب - فترة تأقلم لم تخل من اضطرابات. فبالرغم عن إخلاصهم للموحدين ومشاركتهم في حركاتهم الجهادية بالأندلس فإنهم كانوا من العناصر المشاغبة التي زادت في تدهور هذه الدولة بعد موت الناصر، ولم يتمكن المرينيون من الأخذ بناصية هؤلاء العرب إلا بمصانعتهم ومصاهرتهم وإسناد المناصب السامية إليهم كالحجاجة والكتابة والقيادة. ثم استبد الأعراب بالسلطة الفعلية في الجهات التي يقطنون بها عند ضعف السلطة المركزية مع أواخر المرينيين وطوال عهد الوطاسيين، كما يتجلى ذلك عند الحسن الوزان ومارمول. وتعرض الأثابج كسائر القبائل العربية عبر العصور إلى هجرات اختيارية أو قسرية جعلتهم ينفصلون عن بعضهم أو يندمجون في غيرهم، وأشهر بطون الأثبج هم أولاد دُريد، وأولاد لطيف، وأولاد مقدّم، وأولاد الضحاك، وأولاد عاصم، وأولاد قرة. وهم اليوم موزعون في مناطق مختلفة من أقطار المغرب الكبير، و"تشلّح" لسان بعضهم بمخالطتهم جيرانهم الأمازيغيين، واتخذ بعضهم أسماء مستحدثة نسبة لبطون أو عشائر متفرعة أو متركبة.

ع. ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ مارمول، *إفريقيا* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. ابن منصور، *قبائل المغرب*.

محمد حجي

اثنين أيت واد ريم ← أگدير (إقليم ــ)

اثنين تيمولیلة ← أزيلال (إقليم ــ)

اثنين جنان بوية ← أسفي (إقليم ــ)

اثنين الغيات ← أسفي (إقليم ــ)

أجَانَا، أسرة شهيرة بمكناس، تنسبها وثائق عدلية إلى صنهاجة، وهو الثابت في *الديوان الإسماعيلي* لأنساب طبقات من سكان مكناس، حيث يرد به : "أولاد أجانَة من

صنهاجة طيط" فيتبين من هذه الفقرة أن نسب الأسرة يرجع إلى صنهاجة أزمور، ومن هذا التحديد فإن أجانا هنا لا علاقة له بـ "أجانا بن يحيى" : الجد الأعلى لزناتة "(*العبر*، 6 : 183، 265)، كما أنه لا اتصال له بإجّانة" من بطون كتامة : (*العبر*، 6 : 302).

وعن لقب الأسرة فإن الشائع فيه كتابته بالألف والجيم المفتوحتين آخره ألف ؛ وبينهم فرقة تحول لقبها إلى الأجانيّ على طريق النسبة، وفريق ثالث يكتب أجانة بالتاء آخره، وعلى هذه الصفة ورد ـ أيضا ـ في *الديوان الإسماعيلي* المشار إليه. وأغرب أفراد من صميمهم، فأضاف إلى لقب الأسرة كلمة "الجعفري"، ولا يفسر هذا إلا بالتطلع لنسبة الجعفرية دون مستند معروف، ودون أن يشايعه في ذلك عامة القبيل ؛ وأغرب من هذا ما قام به بعض المتزلفين للمحتسب أجانا آتي الذكر، فافتعل وثيقة بشرف الأسرة، على أن عددا من فضلائها، لهم من الخلال الكريمة ما خلد لهم شرف الانتساب للعلم والنبل والجدية. ويكثر فيهم الصناع والتجار الصغار والمتعلمون. ويتوجه اليوم أبناؤهم إلى التعليم الحديث.

ومنهم قلة في فاس عرّف بهم المرحوم عبد السلام بن سودة في *إزالة الالتباس* قائلا : "أولاد أجانة ـ بفتح الجيم والنون ـ من مكناسة الزيتون، وأصلهم من قبيلة صنهاجة طيط، ولا زال البعض منهم بمكناسة، أهل طلب وثروة ومال ومعاش وحرفة".

وبعد هذا : فإن انتساب المنوه بهم إلى صنهاجة طيط، قد يشير إلى أن ورود أوائلهم لمكناس، كان قد عقب استيلاء البرتغال على منطقة تيط أوائل القرن العاشر الهجري / 16 م.، غير أن المصادر المتوفرة على قلتها، إنما تبتدئ بذكر المعنيين عند أواخر القرن الثاني عشر / 18. ويُعرف منهم في آخر هذا القرن :

أجَانَا، الحاج العربي بن الحاج محمد، وكان أحد أمناء مكناس الاثني عشر أيام السلطان العلوي محمد الثالث (1186 / 1772)، (*الحوالة الجديدة لأحباس مكناس*، 117).

أجَانَا، عبد الله بن محمد، ذيل باسمه مخطوطا فرغ من كتابته بتاريخ 8 جمادى الثانية 1194 / 1780، (خ. ع. 2082 د).

وإلى هنا فإن المصادر المتبقية تتناثر بها أسماء النابهين من الأسرة موزعين بين الفرق التالية :

أ ـ فريق النازحين إلى مراكش، ومنهم :

أجَانَا، أحمد بن عبد الوهاب، ولا يعرف عنه الآن سوى تخطيط بوصف الفقيه في الظهير السليماني.

أجَانَا، عبد الوهاب بن الحاج عبد الرحمان، وهو اسم ردده أكثر من مصدر. فنوه به الزياني في *الجمهرة* بين أشياخ السلطان العلوي مولاي سليمان قائلا : "ومنهم مؤدبه في صغره معلم أولاد الملوك بباب الدار العالية بالله في قصبة مراكش... الأستاذ البركة المرابط : السيد عبد الوهاب أجانا المكناسي أصلا، المراكشي دارا" كما ذكره كل من ابن إبراهيم في *الإعلام* وابن زيدان في *الإتحاف*. وفي المصدرين ـ معا ـ يأتي نص ظهير مولاي سليمان بإقطاع دار وعرصة في مراكش برسم أولاد شيخه المذكور بتاريخ 6 شعبان 1212 / 1798. ويستنتج من ترجُم الوثيقة على المترجم أنه ـ آنذاك ـ صار في عداد الأموات، وذلك هو مستند ابن زيدان في توقيت وفاة عبد الوهاب أجانا بأوائل القرن الثالث عشر / أواخر ق 18 م. والظهير ـ بعد هذا ـ يزكي أستاذية المترجم للسلطان، فيخططه بوصف "شيخنا" وهي حلية يعتز بها ـ من بعده ـ العاهل عبد الرحمان بن هشام، فيسجلها في منشور بتوقير واحترام الأسرة ورد عند ابن زيدان في *النهضة العلمية*.

وإلى هذا : فإن الوثيقة السليمانية تفيد باسمين من أبناء المترجم المفضل وأحمد، وتذكر كلا منهما بسمة "الفقيه"، وحسب وثيقة عدلية بتاريخ 4 ذي القعدة 1207 / 1793 : كان للمترجم ولد ثالث باسم محمد، موصوف بالفقيه المدرس المجود. وهكذا يصل عدد المنتقلين من مكناس لمراكش إلى أربعة.

أجَانَا، محمد بن عبد الوهاب، وهو من الآخذين عن محمد بن عبد السلام الفاسي، وبهذه المناسبة جاء ذكره في *عناية أولى المجد*، مع تحليته "بالشيخ العلامة المشارك النبيل"، ثم ترجمه ابن زيدان في *الإتحاف*.

أجَانَا، المفضل بن عبد الوهاب، وكان ـ حسب الزياني ـ من الكتاب ببلاط مولاي سليمان، ومن الحاضرين في مجالسه.

وإلى هؤلاء الأربعة يتحدث السباعي في *البستان* أواسط عام 1290 / 1873، عن عبد الوهاب أجانا (غير المتقدم) وأخيه الهاشمي ساكني مراكش، ويصف الأول قائلا : "صهرنا الفقيه النجيب. الحاذق العاقل اللبيب، الإمام الخطيب".

ب ـ فريق حي حمام الجديد بمكناس، ويتسلسل فيه عالمان جليلان وعدل مبرز :

أجَانَا، أحمد بن إدريس يدعي قرُورُو، وُصف بالعدل الرضى، ولا تزال ذريته بقيد الوجود في مكناس، ونوّه به في *الإتحاف*.

أجَانَا، إدريس بن التهامي في نفس المصدر.

أجَانَا، التهامي المترجم في *الإتحاف*.

ج ـ فريق أجانا الجعفري بمكناس، منهم :

أجَانَا، محمد محمد بن **التهامي**، حلّي بالفقيه النبيه حسب وثيقة شراء مخطوط خاص، بتاريخ أواخر شعبان 1206 / 1792. كما حلّى والده بالعدل الوجيه.

أجَانَا، محمد بن **محمد** بن التهامي، هكذا ورد إمضاؤه في المخطوط السابق.

أجَانَا، محمد الهاشمي (غير السابق) بن محمد بن التهامي الجعفري المكناسي، هكذا سجل اسمه في خاتمة مخطوط *فصل الخطاب* لأبي بكر بن الخطاب، وفرع من انتساخه عشية الأحد 4 محرم 1232 / 1816 (خ.ع. 3787 د).

د ـ فريق المحتسب أجانا بمكناس

أجَانَا، أحمد بن محمد بن أحمد، خريج القرويين، ومحافظ خزانة الجامع الكبير بمكناس إلى أن توفي يوم فاتح ربيع الأول 1404 / 6 دجنبر 1983. ومما يحمد له أنه قدّم لجائزة الحسن الثاني حصة مهمة من وثائق جده عن تصرفاته في فترة ولايته الحسبة بمكناس، وبذلك تتوفر الخزانة العامة بالرباط على مجموعة من الأشرطة لصور هذه الوثائق.

أجَانَا، الحاج محمد بن العربي لع اسمه من أواسط عام 1294 / 1877، حيث عُيّن ضمن أمناء الصائر بمكناس، ثم صار محتسبا بنفس المدينة من تاريخ 5 ربيع الثاني 1298 / 1881، إلى وفاته ليلة 26 رمضان 1306 / 1889، حيث دفن في الزاوية الناصرية بمكناس. وقد أقام خطة الحسبة على قواعدها المدونة، وأعرافها المألوفة، وتشدد في ذلك حتى ليتجاوز ـ أحيانا ـ اختصاصات وظيفته.

ومن آثاره المعمارية ببلد مأموريته، الروض الفخم الذي كان يعرف بـ "رياض أجانا"، وتحول ـ أخيرا ـ إلى مدرسة ابتدائية في حي الصباغين، ويهمنا من هذا المعمار أنه كان من بين حجراته عُلية هيأها المترجم لوضع "فردة النعل النبوي الشريف" التي صارت إليه، وكان وضعها داخل صندوق يناسب أهمية الذخيرة المظروفة به، ثم استمرت بعد وفاته مدة بمكانها، إلى أن أهداها ابنه الحاج أحمد للسلطان مولاي عبد العزيز أخريات أيامه، فكان ذلك آخر العهد بها.

أجَانَا، محمد بن أحمد بن الحاج محمد المحتسب المذكور قبله. وهو مؤسس المسجد في المدينة الجديدة بمكناس عند حي الأمير عبد القادر، ويعد من المثرين القلائل الذين جمعوا ثروتهم بالوسائل المشروعة، ويؤدون منها حقوقها الشرعية.

هـ ـ أسماء أخرى لآل أجانا

أجَانَا، أحمد بن الحاج محمد، أستاذ حافظ للقراءات السبع، توفي عام 1373 / 1953.

أجَانَا، إدريس (زنيبر)، ت 1354 / 1935، كان مكتبا في حي العدوية بمكناس، منور الشيبة حسن الهندام.

أجَانَا، محمد بن الحاج محمد بن محمد المكتب في درب الجنان من نفس المدينة، توفي نحو عام 1364 / 1944.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 3 ؛ *الديوان الإسماعيلي* (الأنساب طبقات من سكان مكناس حسب نصه ـ كاملا ـ عند ابن زيدان في *النزع اللطيف* (خ. ع. 595 ج)) ؛ *الحوالة الجديدة* لأحباس مكناس، (مخطوط نظارة نفس المدينة) ؛ أ. الزياني، *جمهرة التيجان* (مخطوط خ.ع. 1220 ك) ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2، 4، 5 ؛ *النهضة العلمية* (مخطوط) ؛ *وثيقتان عدليتان* في حوزة خاصة ؛ م. سليمان، *عناية أولى الجد* ؛ م. السباعي، *البستان* (مخطوط خ. ع. 1346 د) ؛ *وثيقة شراء* مخطوط في خزانة خاصة ؛ *لائحة بأسماء الشهود* في محكمة القاضي بمكناس، نحو 1331 / 1913 (خزانة خاصة) ؛ ع. الفاسي، تعليق على *سلوة الأنفاس* (بهامش نسخة في خزانة خاصة) ؛ م. المنوني، *خطة الحسبة في المغرب*، المناهل، ع. 14، 209-234.

محمد المنوني

أجَانَا، (زاوية ـ)، أسسها أبو محمد الحسن بن عمر المدعو أجانا المتوفي حوالي عام 920 / 1515 ذكره صاحب *متع الأسماع* (ص. 29) و*تحفه أهل الصديقية* (ص. 26). واكتفى بذكر نسبه وأخذه وتتلمذه على الشيخ الجزولي مباشرة وبدون واسطة. وقد شيد أجانا زاويته بتَجْمَلْت على وادي اللبن، مما يلي بلاد هوارة من أحواز فاس. لكن الزاوية لم تشتهر إلا بعد ذلك بسنين أي في عهد أبي إبراهيم الجناتي المتوفي عام 1055 / 1645 الذي ذكره كذلك في *المتع* (ص. 118) و*التحفة* (ص. 51) وكان هذا الأخير من أتباع مولاي أبي الشتاء الخمار المتوفى عام 995 / 1589.

استمرت زاوية أجانا في نشاطها وإشعاعها بعد ذلك، حيث اهتم بها الملوك العلويون وأصدروا في شأنها ولصالح أسرة الجناتيين ظهائر توقير واحترام، لا زال أصحاب هذه الزاوية يحتفظون بها. منها ظهير 1171 هـ يأمر فيه السلطان بتوقير واحترام السيد عمر بن عبد القادر القاطن بقبيلة التسول وإخوانه القاطنين بقبيلة اللجاية ومنهم السيد الحسن بن محمد والسيد محمد بن الطاهر والسيد بوقرن القاضي والسيد عبد القادر... وكذلك ظهير 1291 هـ الصادر عن المولى الحسن الأول يشير فيه إلى أن سيدي محمد بن الحسن المدعو أجانا من بلاد الحياينة النازلين بها وبفاس من السادة الذين منحهم الملوك العلويون ظهائر، وقد "أقررنا لهم ما عهد لهم فيها من التوقير والاحترام والحمل على كاهل المبرة والإكرام، والمحاشاة عما يكلف به العوام"... وكذلك ظهير عام 1311 لرفع التكاليف عن أبناء سيدي محمد بن الحسن الجناتي، وأخيرا ظهير 15 شعبان عام 1323، للتذكير بتوقير الأسرة الجناتية أرباب الزاوية. ولا زالت زاوية أجانا مفتوحة إلى اليوم، تختزن أصول الظهائر التي أشرنا إليها.

ظهائر التوقير والاحترام الصادرة عن الملوك العلويين مخطوطة في الزاوية ؛ م. المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط ؛ *متع الأسماع*.

محمد مزين

الأجانب بالمغرب. ظل المغرب حتى القرن السابع عشر متمسكا بقواعد الفقه الإسلامي فيما يتعلق بمعاملة

الأجانب، ذلك أن هذا الفقه لا يأخذ بمفهومي مواطن وأجنبي وإنما يقيم التمييز في معاملة الأشخاص على أساس الانتساب إلى دار الإسلام أو دار الكفر. فالمسلم لا يُعتبر في دار الإسلام "أجنبيا" مهما كان بلده، أما غير المسلم من أهل الكتاب المقيم في دار الإسلام بصورة دائمة فيطلق عليه وصف الذمي، ويتمتع نتيجة ذلك بحقوق (حرية العقيدة الدينية...) مقابل واجبات (أداء الجزية والخراج) ولا ينطبق وصف "الأجنبي" في تصور الفقه الإسلامي إلا على الشخص الذي ينتمي إلى دار الكفر، وهي التي تحت حكم غير المسلمين. فإذا كان انتماء غير المسلم إلى بلاد هي في حالة حرب مع دار الإسلام أطلق عليه اسم الحربي ولم يجز له نتيجة لذلك دخول دار الإسلام. أما غير المسلم المأذون له بدخول دار الإسلام فيسمى بالمستأمن وهو يعامل معاملة الذمي طيلة الفترة المسموح له بالإقامة خلالها في دار الإسلام. وتقترب من ذلك وضعية المعاهد، أي الشخص الذي عقدت معاهدة سلام بين بلده ودار الإسلام.

وقد بقي المغرب تحت ظل هذا القانون التسامحي عدة قرون. ولكن الدول الأروبية والأمريكية استطاعت بين القرنين 17 و19، تنظيم الوضعية القانونية لرعاياها الذين أخذوا يستقرون في المغرب بمقتضى معاهدات شبيهة بتلك التي كانت تعقد مع الامبراطورية العثمانية أو الأقاليم الإفريقية التابعة لها (كالجزائر وتونس وطرابلس ومصر)، أخضعوا في ظلها لنظام قانوني خاص يعرف باسم نظام الامتيازات. وقد قام هذا النظام في أول الأمر على مبدإ المعاملة بالمثل، غير أنه تحول بسبب ضعف الدولة المغربية، خصوصا بعد هزيمة إسلي 1840 وتطوان 1860، أمام الأطماع الأوروبية التي تغلبت على الصراعات فيما بينها، إلى نظام امتيازات من جانب واحد من الناحية الواقعية بعد أن كان متبادلا من الزاوية القانونية، وأصبح الأجانب الخاضعون له، في نهاية الأمر، يتمتعون في المغرب بوضعية متميزة أكثر من اللازم. وقد ساعد على تجذير ذلك إدخال شرط الدولة الأولى بالرعاية في كثير من المعاهدات التي أبرمها المغرب آنذاك مع الدول الأجنبية. ويمكن تلخيص جوهر الحقوق التي كان الأجانب يتمتعون بها خلال هذه الحقبة وفقاً لنظام الامتيازات، أولا : في الحق في التملك العقاري، ضمن الحدود التي أقرها الفصل 11 من معاهدة مدريد التي عقدت في 3 يوليوز 1880. ثانيا : في حرية الإقامة والمساواة القانونية والاقتصادية لجميع الأجانب في المغرب التي وقع تكريسها نهائيا بمقتضى معاهدة الجزيرة الخضراء (7 أبريل 1906) وثالثا : في الامتياز القضائي الذي كان يحرم القاضي المغربي من الفصل في المنازعات التي تنشأ بين الأجانب أو التي يكون الطرف الأجنبي فيها مدعى عليه، باستثناء القضايا العقارية التي بقيت من اختصاص القاضي المغربي حصرا، ثم الامتياز التشريعي الذي سُمح للأجنبي بموجبه بأن يخضع لقانون دولته إلا في ما يتعلق بالجانب العقاري الذي كان إقليميا. وهكذا كان الأجنبي يخضع لمحكمة قنصلية كانت تطبق قانونا أجنبيا أو قواعد متفقا عليها إذا كانت المحكمة مكونة من قنصل دولة وقنصل دولة أخرى أجنبية، أو من قنصل أجنبي والقائد أو الباشا فيما يتعلق بالنزاعات التي يكون أحد أطرافها مغربيا، وانتقل المغرب تحت ضغوط التزاماته الدولية والتزامات فرنسا الدولية إلى عهد الحماية.

بعد فرض نظام الحماية وتقسيم المغرب إلى مناطق احتلال ثلاث، شُرع في تنظيم وضعية الأجانب في كل منطقة على حدة، بمقتضى نصوص قانونية داخلية وهكذا صدر في منطقة الحماية الفرنسية بالمغرب قانون 12 غشت 1913 تحت عنوان : "ظهير بشأن الوضعية المدنية للفرنسيين والأجانب"، كما صدر في المنطقة الخاضعة للنفوذ الإسباني بتاريخ 1 يونيو 1914 ظهير خليفي بشأن الوضعية المدنية للإسبانيين والأجانب في المغرب". أما في منطقة طنجة الدولية فلم يصدر القانون المتعلق بالوضعية المدنية للأجانب الخاص بهذه المنطقة إلا في سنة 1924. وقد اشتملت هذه النصوص الثلاثة، بالإضافة إلى القواعد المتعلقة بوضعية الأجانب بالمفهوم الضيق أي التمتع بحقوق، على كثير من القواعد التي تهم بالأساس مادة تنازع القوانين وتنفيذ الأحكام الأجنبية بالمغرب. ولذلك فمضمون كل من هذه الظهائر في الواقع أوسع من العنوان الذي يحمله. غير أن هذه القوانين الثلاثة لم تنظم وضعية الأجانب بصورة مباشرة كما هو عليه الحال في معظم البلدان المستقلة حيث تقاس وضعية الأجنبي على وضعية المواطن، بل أحالت في ذلك على القوانين الوطنية لمختلف الأشخاص الأجانب. وبعبارة أوضح كان كل أجنبي يتمتع خلال الحماية بالحقوق التي كان معترفاً له بها في بلده الأصلي، فهو إذا جاز التشبيه كان يحمل هذه الحقوق معه عند قدومه إلى المغرب، لأن وضعيته، وهذا شيء غريب، كانت تحدد استنادا إلى قانونه الوطني. ويرجع السبب في ذلك إلى كون التشريعات الخاصة بوضعية الأجانب في المغرب آنذاك، أُعدت لتكون الوارثة الشرعية الوحيدة لنظام الامتيازات. ومن ثم فلم تتعرض وضعية الأجانب لأي تغيير هام، باستثناء مضمون الحقوق نفسها التي يعترف بها القانون الوطني للشخص الأجنبي.

ورغم هذا ظهر آنذاك ما سمي بـ"النظام العام الشريفي الجديد" الذي شكل أداة من أجل تصحيح نظام شخصية القوانين عند الحاجة. وقد كان هذا النظام العام ذا صلة وثيقة بالنموذج الغربي الليبرالي.

كما ظهرت عدة نصوص تحد من بعض الحقوق الاقتصادية، مما أدى إلى رفع الولايات المتحدة التي لم تتنازل عن امتيازاتها في المغرب، شكوى لدى محكمة العدل الدولية، لأن المقيم العام الفرنسي في المغرب اتخذ بموجب قرار صدر عنه في 1948/12/30 سلسلة من التدابير القصد منها إخضاع الواردات لنظام إذن مسبق لا يشتمل على مخصصات رسمية تتعلق بالعملات الأجنبية.

فاعتبرت محكمة العدل الدولية أن هذا القرار المقيمي يتنافى مع الالتزامات الدولية للمغرب، ومنها على الخصوص تلك الواردة في معاهدة الجزيرة الخضراء.

أما بالنسبة لوضعية الأجانب في نطاق القانون العام، فيلاحظ أن اهتمام سلطات الحماية كان منصرفا إلى الحفاظ على الأمن في البلاد أكثر من ضمان الحرية، ولم تكن هذه السلطات لتفكر في إصدار إعلان للحقوق يستفيد المغاربة منه أيضا. لذا فليس من الغريب أن تقتصر ظهائر الوضعية المدنية على تنظيم وضعية الأجانب المدنية فقط أي التي تتعلق بالقانون الخاص.

إن النصوص المتعلقة بالوضعية المدنية للأجانب الصادرة في عهد الحماية، استمرت سارية المفعول إلى حين صدور قانون توحيد المحاكم في 26 يناير 1965. لكن بعد توقف العمل نهائيا بالنصين اللذين كانا نافذين في المنطقة الخليفية وفي منطقة طنجة، أضحى ظهير 12 غشت 1913 الذي كان يسري في منطقة الحماية الفرنسية سابقا هو وحده المعمول به في كافة أرجاء التراب المغربي. غير أن الحقوق التي يتمتع بها الأجانب اليوم في بلادنا، لم تعد تخضع ضمنيا من حيث تعيينها وتنظيمها للقوانين الوطنية للأجانب أو للمعاهدات القديمة المبرمة من جانب المغرب قبل الحماية، بل للنصوص القانونية الداخلية، وللمعاهدات الدولية التي التزمت الحكومة المغربية باحترامها أو صادقت عليها مع الدول الأخرى بعد الاستقلال. وقد وقع اختيارنا على الحديث عن وضعية الأشخاص الذاتيين الأجانب فقط. مع العلم أن وضعية الأجانب ونصوص داخلية أخرى (أهمها ظهير 1973/3/2) المتعلق بمغربة بعض الأنشطة وقوانين الاستثمارات لسنوات 60، 73، 83، 1988) ومعاهدات دولية، كما أن ظهير 1958/11/15 المغير بظهير 1973/4/10 والمتعلق بالحريات العامة يعطينا معيارا إقليميا وشخصيا لتحديد حقوق الجمعيات الأجنبية، وتجدر الإشارة إلى أن التمييز بين سفينة مغربية وأجنبية خاضع لظهير 1919/3/2 المتعلق بالتجارة البحرية، والتفرقة بين طائرة أجنبية ومغربية أساسها مرسوم 1962/7/10. كما أن ظهير 6 شتنبر 1958 ينظم قواعد الجنسية المغربية ويميز بالتالي بين الشخص الذاتي المغربي والشخص الذاتي الأجنبي. لا يجوز للشخص الذاتي الأجنبي دخول التراب المغربي إلا إذا كان حاملا جواز سفر صحيح صادر من السلطات المختصة في الدولة التي يتبعها، بشرط أن يكون مؤشرا عليه بالإذن في الدخول من طرف سلطة قنصلية مغربية. غير أنه يمكن إعفاء الأجانب من التأشيرة إذا كانوا ينتسبون إلى دول أبرمت الدولة المغربية معها اتفاقيات في هذا الشأن أو بقرار انفرادي من طرف المغرب. ويمكن أن تتخذ التأشيرة عدة أشكال : يتعلق بعضها بالتجول والبعض الآخر بالإقامة في حين نجد أن صنفا منها لا يهم إلا المرور العابر.

ويجب على كل أجنبي يريد الاستقرار في المغرب لمدة تزيد على ثلاثة أشهر أن يحصل على بطاقة تعريف خاصة بالأجانب، قابلة للتجديد مبدئيا كل سنة، وهي تطلب من مفوضية الشرطة أو إدارة الدرك التي يقيم الشخص الأجنبي في دائرة نفوذها مقابل الإدلاء ببعض الوثائق وأداء 60 درهما.

وعلاوة على ذلك فإن الأجنبي الذي يدخل المغرب قصد ممارسة عمل مهني، يكون ملزما بالحصول على عقد عمل مؤشر عليه من طرف وزارة الشغل المغربية إذا كان يعمل لحساب الغير، أو إذن خاص من لدن الكتابة العامة للحكومة بممارسة نشاط اقتصادي أو مهني معين لحسابه الشخصي إذا لم يكن هذا النشاط مقصورا على المغاربة وحدهم. وأما الطلبة الأجانب فيجب عليهم الإدلاء بشهادة التسجيل في مؤسسة جامعية وإذا كانت الحالة تتطلب ذلك بشهادة المنحة.

وهناك قواعد خاصة تنظم كلا من مسألة تغيير الإقامة وتمديدها وتأشيرة العودة.

ولقد صادق المغرب (ظهير 26 غشت 1957 كما وقع تغييره) على معاهدة جنيف المتعلقة بوضع اللاجئين بتاريخ 28 يوليوز 1951. ويمكن أن يفرض على الأجنبي الذي يشكل وجوده خطرا على الأمن العام أو الذي يتعذر عليه مغادرة التراب المغربي رغم قرار الإبعاد الصادرة في حقه، الإقامة في مكان معين تحدده له السلطات المختصة. كما يجوز طرد كل شخص أجنبي إذا كان من شأن التصرفات التي يقوم بها تهديد الأمن العام. أما تسليم الأجانب، فيخضع لعدة شروط، أهمها أن يكون الفعل المرتكب من جانب الشخص المطالب بتسليمه معاقبا عليه في القانون الجنائي لكل من المغرب والدولة التي تطلب التسليم على السواء، وأن لا يتعلق الأمر بجريمة سياسية. وتخضع إجراءات التسليم لرقابة الغرفة الجنائية بالمجلس الأعلى (ظهير 1958 المغير بظهير 1970/7/27 ومقتضيات معاهدات دولية ثنائية مع دول غربية وإفريقية).

ولا يعترف للأجنبي الموجود في المغرب بأي حق من الحقوق السياسية، فلا يجوز له أن يكون ناخبا أو منتخبا في الهيئات المحلية أو الوطنية (فصل 8 من دستور 1972/3/10)، كما لا تسند له أي وظيفة عمومية (فصل 21 من النظام الأساسي) إلا إذا كان الأمر يتعلق برابطة تعاقدية. وأما الالتزامات العسكرية فلا يتحمل عبئها إلا المغاربة (مرسوم ملكي بتاريخ 1961/6/9) شأنها في ذلك شأن الخدمة المدنية (ظهير بمثابة قانون بتاريخ 13 غشت 1972). لكن الانتفاع من المرافق العمومية ليس قاصرا عن المواطن المغربي، بل يتعدى أثره إلى أي شخص أجنبي يقوم في المغرب.

أما في نطاق الحقوق الخاصة، فإن الفصلين 1 و2 من ظهير 12 غشت 1913، المتعلق بالوضعية المدنية للأجانب في المغرب، فقد فقدا كل أثر لهما، رغم أن فسخهما لم يتم بعد، بصورة صريحة، ذلك أن الأجانب أضحوا لا يتمتعون إلا بالحقوق الخاصة المالية وغير المالية والحقوق القضائية

المعترف لهم بها في ظل النصوص القانونية الداخلية أو الاتفاقيات المتعلقة بالإقامة أو الحالة الشخصية أوالاتفاقيات القضائية التي أبرمها المغرب مع بعض الدول من المغرب العربي وأوروبا وإفريقيا السوداء، وكذا الاتفاقيات المتعلقة بحماية وتشجيع الاستثمارات الخاصة الأجنبية المعقودة مع بعض الدول الغربية أو العربية أو اتفاقيات متعددة الأطراف.

وهكذا يمنع على الأجانب ممارسة مهنة المحاماة، كما لا يجوز لهم أن يكونوا أعضاء في مكاتب النقابات المهنية أو مندوبين للأجراء في المؤسسات ويلزم الأجنبي الذي يرغب في تسيير مؤسسات التعليم الخاص والتدريس فيها أن يحصل على إذن خاص من الإدارة المغربية... على أن أهم النصوص التي قيدت تمتع الأجانب بالحقوق في المغرب هي التي صدرت لتنظيم ممارسة بعض الأنشطة الاقتصادية، وملكية الأراضي الفلاحية.

وقد سعى المغرب إلى إعطاء مضمون حقيقي لسيادته على ثرواته، وذلك عن طريق اتباع سياسة تهدف إلى سيطرة الدولة على بعض الثروات الطبيعية (الأراضي الفلاحية) وبعض القطاعات (توزيع المحروقات السائلة) وكذا بموجب سياسة تحويل متدرج وجزئي للملكية وإدارة الثروات الرئيسية من الأجانب إلى المواطنين المغاربة.

فهكذا أضحى الأجانب بعد صدور ظهير 2 مارس 1973 محرومين من ممارسة المهن والصناعات، والأعمال التجارية التي قصرها المشرع على الأشخاص الطبيعيين أو المعنويين المغاربة، إلا أنه تم منذ الثمانينات التراجع عن المغربة. كما شرعت الحكومة المغربية ابتداء من سنة 1959 في استرجاع الممتلكات الفلاحية التي كانت في حوزة الأجانب (استرجاع أراضي الاستعمار ظهير 1963/9/26 كما وقع تعديله وتغييره، نقل ملكية أراضي الملك الفلاحية أو القابلة للفلاحة إلى الدولة : ظهير 1973/3/2. كما وقع تعديله وتغييره). وتُوجت هذه السياسة بصدور ظهير 23 أبريل 1975 الذي نزع بصورة نهائية من الأجانب حق تملك الأراضي الفلاحية خارج الدوائر الحضرية.

ونخلص من ذلك إلى أن الأجانب يتمتعون حاليا في المغرب بالحقوق التي لا يمنعهم المشرع المغربي منها أو المعترف لهم صراحة بها في المعاهدات المبرمة مع دولهم إذا كانت مثل هذه الحقوق يقتصر التمتع بها على المواطنين المغاربة.

كتب الفقه ونصوص المعاهدات والظهائر والمراسيم المشار إليها داخل النص.

عبد الرزاق مولاي ارشيد

أجَانَة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث لا زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ayala، وكان من بين أفرادها :

أجَانَة، محمد فقيه كان يتعاطى خطة العدالة بتطوان سنة 1207 / 1793.

أجَانَة، مسعود بن أحمد أحد أعيان تطوان وعدولها الذين شهدوا بظلم أولاد النقسيس وطغيانهم في شهر شوال من سنة 1078 / 1668.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

ع. السكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 24 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ *تاريخ تطوان*، 1 : 239 و282، م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 (Y) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español*, 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

الأجائي، محمد الگرعة قائد بَني أجّان من قبيلة غياثة، في جبال غربي تازا وبني بوگيطون، أصله من سيدي قاسم بوعسرية من شراردة مكناس. كان قائد مائة في عهد مولاي الحسن، وشارك في فتنة بوحمارة حيث كان قائد مشوره، قدمه الفرنسيون للقيادة وساعد على تطويع غياثة الشرق.

J. et M. Gouvion, *A'Ayan al-Maghrib al'Aqsa*.

محمد مزين

أجْبَارْ، أسرة تطوانية أصلها من فرقة بني أجبارة بقبيلة الأخماس، والشخص الوحيد الذي تذكره الوثائق منهم هو امحمد أجبار الذي كان يعمل بفرقة المدفعية بحامية تطوان سنة 1246 / 1830، ولا وجود لهذه الأسرة بتطوان اليوم.

ع. السكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ *تاريخ تطوان*، 8 : 214 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español*, 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

إجّاص، أو إنگاص، ويسمى أيضًا (بُورْقِيبَة، بُوعْوِيدَة، بُوعْوِيدْ، كَمُّثْرِي). يطلق على بعض أنواع جنس بيروس Pirus، وهي أنواع نباتية من فصيلة الورديات Rosaceae. وهذه الأنواع هي الإجاص العادي أو بِيرُوسْ كُومُونِيسْ Pirus communis، وإجاص معمورة أو بيروس مَامُورِينْزِيسْ Pirus mamorensis، وإجاص الغرب أو بِيرُوسْ غَارْبِيَانَا Pirus gharbiana والنوعان الأخيران بريان.

الإجاص العادي هو ما يسمى عامة بالإجاص البَلَدي. إنه شجرة ذات قامة متوسطة. لها جذع مستقيم ومشقق. أوراقها عنقية وبيضوية الشكل ومسننة ومجتمعة على شكل باقات على الأغصان. أزهارها بيضاء وتظهر مع الأوراق. ثمارها إجاصية الشكل ومتوسطة الحجم إذ يبلغ قطرها من 3 إلى 4 سانتمترات، حلوة المذاق وغزيرة العصير، ولها عنق طويل لذلك تسمى الإجاص بوعويد أو بوعويدة أو بورقيبة.

الإجاص العادي ليس طبيعيا في شمال إفريقيا، وموطنه الأصلي هو أروبا الغربية، ويعتبر الشُّجَرَةَ الأم للأصناف المغروسة التي يزيد عددها عن خمسة آلاف في العالم.

تتطلب زراعة الإجاص كميات كبيرة من الماء وأتربة ثقيلة وغنية بالذبال وبيومناخات باردة. والمناطق التي تتوفّر فيها هذه الظروف بالمغرب هي الريف، والأطلس المتوسط، والأطلس الكبير والهضبة الوسطى وبعض السهول السقوية.

يمكن إكثار الإجاص بالبذور أو التطعيم أو بالافتسال.

أما إجّاص المعمورة فهو شجرة لا يتجاوز ارتفاعها 10 أمتار، أوراقها قَلْبية الشكل ولها عنق طويل. أزهارها تظهر قبل أوراقها، مجتمعة على هيئة سَنَمَة خَيمية. ثمارها صغيرة وقاسية وقليلة العصير ممّا يجعلها صعبة الأكل. يعيش هذا النوع في غابات البَلوط الفليني في معمورة وناحية سيدي بَطّاش وبنسليمان. ويمكن تطعيم هذا النوع بالأصناف المغروسة.

إجاص الغرب شجرة لها ساق معوج متفرع ومشوك. أوراقها عديمة الوبر وساطعة، ثمارها صغيرة. يعيش هذا النوع الأخير من الإجاص البري في السهول والجبال المنخفضة من المغرب الشرقي، فوق أتربة كلسية وفي بيومناخات شبه جافة. ويمكن تطعيمه بالأصناف المغروسة.

البرت هيل، *النبات الاقتصادي*، ترجمة زاهر عبد المجيد وآخرين، القاهرة ـ نيويورك 1962.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaitre*, Paris, 1938 ; Métro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux*, Rabat, 1955.

عبد المالك بنعبيد

أجْدَايْ، والي المرابطين على إشبيلية. المعلومات عنه قليلة وحتى تحقيق اسمه يطرح مشاكل وكذلك حقيقة وظيفه. ولي على إشبيلية سنة 522 هـ. ونقل إليها من قرطبة ليحل محل الأمير أبي بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين الذي غضب عليه والده لأنه لم يرض عن تعيين أخيه تاشفين واليا على الأندلس، وغرّبه مكبلا إلى الصحراء.

وما كان علي ليعوضه إلا برجل من علية المرابطين وهذا ما حمل المؤرخ الإسباني هويشي ميراندا على أن يعرفه تارة بأنه هو عبد الله بن أبي بكر بن سير اللمتوني، وطوراً بأنه عبد الله بن عمر بن سير اللمتوني، إلا أن ابن عذاري عند إيراده لقائمة الولاة على إشبيلية في آخر الجزء الذي خصصه للمرابطين يذكر أن الذي حل محل أبي بكر بن علي هو عمر بن سير، فهل يكون أجداي هو هذا الشخص ذاته؟

كل القرائن ترجح ذلك، إلا أننا نلاحظ أن ابن عذاري يكتب اسمه واجدي بدل أجداي. ثم إنه يذكر في إحدى الفقرات (ص. 77) : "وأقام واجدي بن سير مع أخيه عمر والي إشبيلية" وفي فقرة أخرى يذكر بأنه "واجدي بن عمر بن سير" (ص. 80) كل هذا يزيد في غموض هاته الشخصية. هل هو أخ أم ابن لعمر بن سير؟

مهما يكن، هنالك إشارة عند ابن عذاري في أوراق مخطوطة بالقرويين تذكر بأن أجداي كان هو "صاحب الأعنة" مما يستفاد منه أنه كان مكلفا بالشؤون الحربية إلى جانب أخيه عمر. ويذكر النص أنه ذهب لمشاهدة استعمال المجانيق وغيرها من الآلات الحربية والتأكد من "التجربة لها والرمي بها" مما أثار ضجة كبيرة لازدحام الناس على رؤية المشهد وتسبب في مشاكل للمرابطين.

وظهر إقدام أجداي عند خروجه بالجيش من إشبيلية ومهاجمته لطليرة سنة 523. "فاكتسح ما بها وبالغ في النكاية" (ابن عذاري) إلا أنه تهاون في تشتيت جموع العدو وتشريدهم. "فقيل له : بددهم قبل تجمعهم فأعرض عن ذلك حتى تكامل للعدو زهاء ثلاثمائة فارس حمل على جيش المسلمين فانهزم لهم وأصابوا من المرابطين جملة وافرة وأسروا عدة، ورفع الأمر إلى علي بن يوسف فألزم واجدي فدية من أسر وأنفذ عزله وولاية الأمير أبي زكريا يحيى بن علي ابن الحاج ومجوز". (ابن عذاري 4 / 80).

هكذا انتهت مهمة أجداي كوال على إشبيلية وهي المهمة التي لم تدم أكثر من خمسة شهور. ولعل مسؤولية إخفاقه لا تقع عليه بالذات، بل إن الإدارة المرابطية بالأندلس كانت تجتاز من أزمة حادة، كما أن ضغط الدول المسيحية على الثغور كان قويا، وهذا ما حدا بعلي بن يوسف إلى تعيين ولده تاشفين كوال عام على الأندلس حتى يتمكن من جمع شتات المرابطين والتنسيق بين جهودهم.

وبعد هذا لا نجد أي شيء في المصادر عن أجداي ولا عن سنة وفاته.

ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

A. Huici Miranda, *Un fragmento de Ibn Idari Sobre los Almoravides*, H.T, Vol. II, Fasc I, 1961.

محمد زنيبر

أجْدَايْن، مرسى تقع بشاطئ قبيلة بقّيوة الريفية، وقد نزلت بها القوات البحرية الإسبانية يوم 8 شتنبر 1925 كعملية أولى في المخطط الإسباني الفرنسي الرامي إلى القضاء على الحرب الريفية التي كان يقودها محمد بن عبد الكريم الخطابي. ففي عشية يوم 7 شتنبر حلت بمياه خليج

إجداين

النُّكُور الأساطيل الإسبانية الفرنسية المكونة من أكثر من 110 قطع بحرية حربية، وفي الصباح الباكر من اليوم التالي بدأت تقصف شاطئ أجدَاين من أجل تحطيم التحصينات المغربية.

وحوالي الساعة الثامنة صباحا اقتربت حاملات الجنود إلى الساحل وأخذت تنزل قواتها التابعة للفيلق الأجنبي برئاسة الكولونيل فرانكو الذي تمكن من الوصول بجنده إلى مرسى أجدَاين والتمركز بها؛ غير أنه لم يستطع أن يتقدم نحو قرية أجدير قاعدة الثورة الريفية كما كان مقررا، وذلك بسبب المقاومة الشديدة التي قام بها المجاهدون، الشيء الذي اضطُر معه الإسبانيون إلى إنزال قوات أخرى إضافية تقدر بـ15 ألف جندي في نفس المرسى يوم 10 شتنبر. ورغم ذلك لم تتمكن هذه القوات الهائلة من التوغل داخل التراب المغربي إلا يوم 14، ثم كان ما كان من أمر الغزو الإسباني الفرنسي لأرض الريف والقضاء على الثورة الريفية بعد سنة من تاريخ الإنزال الذي تم بمرسى أجدَاين التي أطلق عليها الإسبان منذ ذلك اليوم اسم ثيبادييا Cebadilla (أي الأرض التي ينبت فيها الشعير البري) وبها أقاموا نصبا يذكِّر بيوم إنزال قواتهم الغازية.

أجْدَايْن، (كونت مرسى ــ) (Conde de la playa de Ixdain) لقب من الألقاب الشرفية التي منحها الملك الإسباني ألفونصو الثالث عشر (Alfonso XIII) لبعض الجنرالات والوزراء الذين امتازوا بالقيام بعمل من الأعمال التي كانت تتفق مع سياسة الملك المذكور بخصوص مخططه الرامي إلى الاستيلاء على شمال المغرب.

وأما اللقب الشرفي الذي نحن بصدده فقد منحه الملك المذكور للجنرال ليوبولدو سارو إمارين (Leopoldo Saro y Marin) بمقتضى مرسوم يوم 19 يوليوز 1926 الذي تعهد فيه الملك ألفونصو أن يكون اللقب هكذا (Conde de la playa de Ixdain) وذلك بالرغم من أن المرسى المذكورة تعرف عند الإسبان بمرسى ثيبادييا (Cebadilla) أي مرسى الشعير البري.

والسبب في إنشاء هذا اللقب هو أن القوات التي كان يرأسها الجنرال المذكور كانت هي القوات الأولى التي تمكنت من النزول بمرسى أجْدَاين بقبيلة بقّيوة الريفية يوم 8 شتنبر 1925 بقيادة الكومندار فرانكو الذي أصبح فيما بعد رئيسا للدولة الإسبانية.

وتقول التقارير الإسبانية إنه لولا تمكن قوات الجنرال صاحب اللقب من النزول بالمرسى المذكورة لما استطاعت القوات الإسبانية الأخرى النزول بخليج النكور بعد ذلك بأيام، وكانت النتيجة أن انهارت الجبهة الشمالية للثورة الريفية.

ولد صاحب اللقب يوم 11 يناير 1878 والتحق بالأكاديمية العسكرية للمشاة سنة 1893. وبعد أن تخرج منها التحق بصفوف الجيش الإسباني بكوبا، وهناك ترقى إلى رتبة قبطان سنة 1903. وفي سنة 1909 التحق بحامية مليلة حيث شارك في معركة خندق الذئب ليوم 27 يوليوز 1909 التي قتل فيها الجنرال بينطوس (Pintos) وخسر فيها الجيش الإسباني 752 رجلا ما بين قتيل وجريح من ضباط وجنود، وعلى إثر هذه المعركة ثارت الجماهير بمدينة برشلونة مطالبة بجعل حد للحرب القائمة بأرض الغرب وأطلق على الأسبوع الذي عمت فيه الاضطرابات المدينة المذكورة بالأسبوع المفجع.

وصاحب الترجمة هو الذي قاد القوات الإسبانية في معركة عزيب علال وقدُّر يوم 15 ماي 1912 التي استشهد فيها بطل الثورة الريفية الأولى الشريف سيدي محمد أمزيان، وعلى إثر هذه المعركة رقي صاحب اللقب إلى رتبة كولونيل. وفي سنة 1921 كان ما زال بمليلة من بين الضباط القلائل الذين نجوا من مذبحة أنوال، وفي سنة 1922 رقي لرتبة جنرال. وعندما قام الجنرال بريمودي ريفيرا (Primo de Rivera) بالانقلاب العسكري الذي مكن العسكريين من حكم إسبانيا في عهد ألفونصو الثالث عشر (Alfonso XIII) يوم 13 شتنبر 1923 عين صاحب الترجمة وزيرا في الحكومة العسكرية. ولم نقف على تاريخ وفاته.

Santiago Guerrero, *La columna Saro en el desembarco de Alhucemas*, Barcelona 1926 ; *Enciclopedia Espasa Calpe*, tomo 54 ; Martinez Campos, *España Belica, Siglo XX*, Madrid 1972 ; Servicio Historico Militar *Historia de las Campañas de Marruecos*, Madrid 1947-1981 ; Ministerio de la Guerra, *Accion de España en Africa*, 1930, 2 : 51 ; Domenech Lafuente (Angel), *Geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, 1942-48 ; Cabello Alcaraz (J), *Apuntes de geografia de Marruecos 1951-63*.

محمد ابن عزوز حكيم

أجْدِير، هي القرية الصغيرة الهادئة الواقعة فوق ارتفاع 190 متراً عن سطح البحر المتوسط، على هضبة حجرية صلبة بالقرب من موضع مدينة المزمّة التاريخية بقبيلة بني ورياغل. وتشرف على خليج الحسيمة، مقابلة لحجرة النكور المحتلة من طرف إسبانيا منذ سنة 1673 التي لا تبعد عن شاطئ المجاهدين (بأجدير) إلا بحوالي نصف كيلومتر. وتطل من جهة الشرق على وادي غيس الذي يزودها بمياه الشرب والسقي.

يعتمد سكان أجدير على زراعة الحبوب والخضر وبعض الأشجار المثمرة والماشية، وصيد الأسماك ـ المهنة التي اشتهروا بها منذ القديم ـ إلا أن عدم كفاية هذه الموارد دفعهم منذ القرن التاسع عشر ـ على الأقل ـ إلى الهجرة الخارجية بحثا عن لقمة العيش.

وكلمة أجدير تطلق في الريف على المخازن (مطامير) كانت تجمع فيها محاصيل المناطق المحيطة بها. ويراعي في اختيار المكان جمعه بين الموقع الاستراتيجي ووجود تربة غير راشحة لحفظ الحبوب من الفساد وحمايتها من الأعداء.

ولعل إطلاق هذا الاسم على بعض القرى في الريف شاهد على الوظيفة التي كانت لها في الماضي كمخازن جماعية للمحصولات الفلاحية، عندما كانت الحياة تنتظم في إطار جماعي مثل أجدير بُوفْيَاضَنْ وأجدير تمسمان

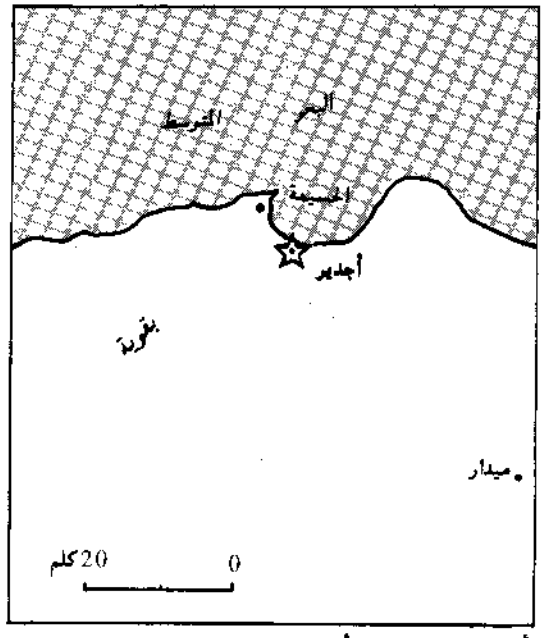

وأجدير بني توزين وأجدير بني يزناسن وتاجديرت (مؤنث أجدير) قلعية، إضافة إلى أجدير بني ورياغل الشهيرة التي تهمنا بالدرجة الأولى. وتشترك هذه القرى في مواقعها الاستراتيجية المحصنة المنيعة التي تتيح لها شروطاً ممتازة للدفاع ؛ وفي وسطها مناطق جد آهلة بالسكان. وهي معالم تشهد على جوانب من التنظيمات الجماعية للحياة في هذه المناطق، عندما كان السكان في الماضي يضطرون إلى إخفاء مواردهم، وحمايتها والاتحاد لمواجهة الهجومات ـ خاصة من جهة البحر ـ التي كانوا يتعرضون لها باستمرار. كما كانت مراكز تجارية لتبادل محصولاتهم بحاجياتهم من الموارد الحيوية الأخرى، وهو ما يمكن استنتاجه من وجود آثار استقرار عائلات يهودية بالقرب منها، خاصة في تمسمان حيث اكتشفت بقايا مقبرة يهودية يرجح أن تكون من مخلفات من تعاطوا هناك للتجارة والحرف... ومن غير المستبعد أن يكون أجدير قد فقد وظيفته الأساسية كمخزن جماعي بسبب حدوث تطور ما في تقاليد هذه المناطق، كتحول أسلوب تسيير أحوال السكان من جماعي إلى فردي وتفشي الانقسامات والتطاحنات لأسباب كثيرة، ثم احتفظ بعد ذلك بمفهومه الدال فقط على الموقع المحصن.

وغالب الظن أن أجدير المستعمل في الريف وأگادير (جمع إكودار) المستعمل في سوس والأطلس الصغير يعنيان مفهوما واحداً، أي مخازن جماعية. ولا يختلفان إلا اختلافا بسيطاً في نطق وحركات الحرف الثاني في الكلمتين. وحسب گزيل Gsell فإن كلمة أگادير بونيقية الأصل تحولت من Gades اللاتينية إلى Càdiz (مدينة بجنوب إسبانيا) الإسبانية. وأيا كان أصلها، فإن استعمالها شائع في المناطق التي يقطنها الأمازيغيون.

أما أجدير بني ورياغل فقد اجتمعت فيها كل الشروط لا لتكون مخزنا آمنا للمحصولات فحسب، بل أيضا قلعة منيعة للدفاع بفضل طبيعة تضاريسها المتمثلة في وجود تلال رملية على الشاطئ، وهضاب صخرية صغيرة تحجبها عن البحر وعن أنظار حجرة النكور وتحميها من قذائف المدافع وتبطل مفعولها ؛ بينما ساعدت نفس هذه المميزات سكان أجدير على إقامة معسكر دائم على بعد 500 متر من حجرة النكور. بحيث كانت فرق قبيلة بني ورياغل تتناوب على إرسال كل واحدة منها مائة من رجالها ليرابطوا هناك مدة شهر بخيامهم ومئونتهم وأسلحتهم وذخيرتهم مصحوبين بأفراد عائلاتهم يراقبون جميع تحركات الإسبانيين بحجرة النكور، على أهبة الاستعداد للتصدي لأي هجوم أو محاولة إسبانية لإنزال قواتها بخليج الحسيمة. كما يرصدون في آن واحد، تحركات عملاء الإسبانيين، ولا يبرحون أماكنهم إلا بعدما يكون رجال فرقة أخرى قد حلوا مكانهم. وكان بهذا المعسكر، الذي ما يزال يعرف بشاطئ المجاهدين إلى اليوم، مسجد وعدد من المنازل لإيواء عشرات الرجال الذين يحجون إلى هذا المكان المقدس لدى الجميع، خاصة عندما اشتد تأزم العلاقات مع إسبانيا.

وبذلك أصبحت أجدير نقطة استقطاب لكثير من الأسر التي نزحت إليها سواء من القبائل المجاورة أو البعيدة كعائلة الخطابي مثلا. ولا شك أن كيانها تبلور في خضم مواجهتها للغزو الخارجي على مر القرون. ونظراً لموقعها في خط المواجهة الأمامية فإنها كانت تتحمل أكبر الأعباء في الدفاع عن كل قبيلة بني ورياغل مما عزز مركزها تدريجياً، وعند نهاية القرن 19 كانت أجدير تحت قيادة عبد الكريم الخطابي، والد الزعيم المشهور، تتزعم فعلا قبيلة بني ورياغل وتقوم بدور أساسي في كل القرارات والأحداث الكبرى التي عرفها الريف.

وهكذا عندما توجه محمد بن بوشتة البغدادي سنة 1898 على رأس محلة مخزنية لمعاقبة قبيلة بقيوة فإنه نزل بأجدير قرب ضريح سيدي محمد وعلي، وهناك تحرك نحو بقيوة ففتك بها. إلا أن العسكر قام بنهب ممتلكات الورياغليين وانتهاك حرماتهم رغم حسن معاملتهم واستقبالهم لهم.

فما كان من الفقيه عبد الكريم إلا أن نبه ابن البغدادي لذلك وطلب منه كف الجنود عن أعمالهم السيئة وتجاوزاتهم المهينة للأعراض لما لاحظه من غليان في القبيلة كاد يؤدي إلى الفتنة. وكان لأجدير دور أساسي في تهدئة نفوس الورياغليين بعدما كف الجنود عن تعديهم وفسادهم إلى أن انسحبوا من هنالك بسلام.

وفي سنة 1908، تزعمت أجدير بني ورياغل في مبايعة السلطان الجديد المولى عبد الحفيظ، فقرر أبو حمارة ـ الذي كان قد أخضع جل قبائل الريف لسلطته ـ غزوها ودخولها "بالحديد والدم" خاصة وأنها كانت تبدي نوعاً من عدم الاكتراث بسلطته. إلا أنه عندما أقدم على تنفيذ وعيده وجد نفسه يحصد الهزيمة التي عجلت بنهاية حركته. وقد تزعم الورياغليين وحلفائهم في هذه المعركة القاضي عبد الكريم الخطابي زعيم أجدير، بتنسيق مع الشريف محمد

أمزيان. ثم في سنة 1909 سارعت أجدير إلى إرسال مقاتلين إلى قلعية. وذلك عندما تصدى الشريف أمزيان لمقاومة الاحتلال الإسباني للريف. وكان لرجالها وكافة بني ورياغل دور حاسم في انتصارات الريفيين على قوات الاحتلال، مما أثار حقد الإسبان ضدهم فأمطروا قرية أجدير بوابل من قنابل مدافعهم حتى يشغلوهم عن إرسال مقاتلين إلى أمزيان، وعندما لم يثنهم ذلك على القتال عمد المستعمر إلى إثارة الضغائن والتطاحنات بواسطة عملائه في المنطقة وفي نفس القرية، فأصبحت أجدير تعيش في بحر من الفوضى والخلافات، فظن المستعمر بأن الظرف مناسب لاحتلال ما تبقى من القبائل الريفية، فتقدم بقوات ضخمة انطلاقا من مليلية مكتسحاً أراضي بني توزين وبني وليشك وتسمان، ووقف عند أبواب بني ورياغل إلا أنه فوجئ بمقاومة عنيفة من طرف الريفيين، انطلقت شعلتها من أجدير على يد الفقيه عبد الكريم الخطابي ثم ابنه محمد بعده فألحقت بالمستعمر هزائم منكرة. إذ ما عرف تاريخ العالم مثل هذه الحرب التي واجه فيها حفنة من الرجال (سيئي التسليح والتدريب، ضعيفي الإمكانات) الجيوش الجرارة المدججة بجميع أنواع الأسلحة لدولتين استعماريتين عريقتين، فانتصروا عليهما، بل وأعطوا النموذج الذي اقتدت به الشعوب المغلوبة لاسترجاع كرامتها واستقلالها وتحقيق تنمية شاملة للبلاد والإنسان معا. وقد انطلق هذا النموذج من أجدير، القرية التي خلدت في التاريخ. قرية صيادي السمك التي ما كان لها من مكان على الخريطة لصغر حجمها وقلة عدد سكانها (حوالي 2000 نسمة) حتى أصبحت معروفة في كل بقاع العالم باعتبارها منبعا لحركات التحرير المعاصرة، وأصبح لها ذكر بين العواصم العالمية عندما كانت عاصمة ثورة الريف الخالدة التي تزعمها البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي ومقر قيادتها العامة، فاهتمت بها كبريات الصحف العالمية وقصدها صحفيون مرموقون من مختلف بقاع العالم واحتضنت عشرات الاجتماعات التي تمخضت عنها قرارات حاسمة غيرت مسيرة التاريخ المغربي بل والعالمي، أسمع من خلالها صوت المغاربة مدويا في جميع أرجاء المعمور، ومن بينها اجتماع أعيان الريف يوم 29 يناير 1923 بالمحل المعروف بظهر السلوم حيث نصبوا محمد بن عبد الكريم أميراً للجهاد، وغيرها من الاجتماعات التاريخية الهامة سواء فيما بين أعيان الريف والأمير ابن عبد الكريم، أو ما بين هذا وشخصيات أخرى مغربية وفرنسية وإسبانية. وورد ذكر أجدير في كل البيانات الصادرة عن الثورة الريفية. وإلى أجدير ينتسب معظم أطر الثورة وصانعيها وقادتها، أمثال الخطابيين وأزرقان وغيرهم.

وقد استفادت أجدير خلال الثورة (1921. 1926) أكثر من غيرها من إصلاحات ابن عبد الكريم، فتم ربطها بواسطة طرق معبدة مع أيت قمرة وأربعاء تاوريرت وسيدي علي بوعقبة (بگزناية). كما أقيم بها مركز تليفوني ربطها بسائر المناطق شرقا وغربا ومكّن من إيصال القرارات الحاسمة في وقتها وسهل الاتصال ما بين ابن عبد الكريم وقادة الثورة الآخرين. وكان السيد عبد اللطيف بن الحاج عمر الأجديري يشرف على إدارة التليفون بنجاح باهر.

وأقيم بأجدير أول مركز لتدريب الجيش النظامي للثورة الريفية على يد المدعو احديدان الأجديري وشعيب أفلاح ومحمد بوحوت القلعي، وذلك في غضون 1922. كما فتحت بها أول مدرسة عصرية لتكوين أطر الثورة سهر ابن عبد الكريم بنفسه على وضع برامجها التي اشتملت على الرياضيات والعلوم والفنون العسكرية، وأشرف عليها بصفة مباشرة.

وإضافة إلى هذه الإنجازات المهمة، عرفت أجدير عددا من الإصلاحات الأخرى خاصة في المجال الاجتماعي والإداري. فكانت مركز المحكمة العليا التي ترأسها ابن عبد الكريم.

ومن جهة أخرى فإن سكان أجدير كباراً وصغاراً ورجالا ونساء تحملوا القسط الأكبر من أعباء الثورة، فوضعوا مساكنهم رهن إشارة الثورة، وقدموا الأطعمة للمقاتلين وساهموا بأموالهم المتواضعة فضلا عن مساهمتهم الفعلية والفعالة في صنع الثورة والاستماتة في الدفاع عنها. وبفضل هذا المجهود الضخم لأجدير وللقرى والقبائل الريفية الأخرى نجحت الثورة في تطهير كل المنطقة الشمالية تقريبا من براثين الاحتلال الإسباني وأذنابه وشرعت في ذات الوقت ـ اعتماداً على إمكاناتها الذاتية المتواضعة ـ في علاج أسباب الداء وذلك بالقيام بإصلاحات جريئة.

وهذا بالضبط ما جعل فرنسا تنقلب ضد الريف وتنزل بكامل ثقلها للقضاء على ثورته، لكن جيوشها الجرارة العصرية وعلى رأسها قائدها المحنك الماريشال ليوطي Lyautey منيت بهزائم مخجلة. عندها أرسلت الماريشال بيتان Pétain على رأس عشرات الآلاف من الجنود إلى الريف.

فكان أن تمخض عن ذلك تحالف بين الدولتين الكبيرتين ضد الريفيين الضعفاء، وتوحيد جيوشهما تحت قيادة الماريشال بيتان، الذي حدد استراتيجية في الهجوم على أجدير من جميع الجهات براً وجواً وبحراً. وطبقا لهذه الخطة، أنزلت إسبانيا قوات ضخمة بخليج الحسيمة في المحل المعروف بـ El quemado الذي يبعد عن أجدير بحوالي سبعة كيلو مترات وذلك في 8 سبتمبر 1925، وهاجمت قرية أجدير بعنف بمشاركة المشاة والمدفعية والطيران والبحرية... وكان الريفيون قد وضعوا المدافع على القمم يديرها طبجيون ريفيون بمهارة عجيبة، وقد استبسل الريفيون وبصفة خاصة سكان أجدير، في الدفاع عن عاصمة الثورة وقلبها النابض. وعندما دخلت قوات الاحتلال إلى أجدير تكونت فرق انتحارية اقتحمت على جنود الاحتلال في مخابئهم كفوج "الاهتداء" مثلا الذي تكون من ثلاثين صنديداً من شجعان أجدير، فرسموا بذلك لوحة آية في الجمال والخلود.

إلا أن العدو تمكن من الاستيلاء على الجبال المشرفة على قرية أجدير فوضع في أعاليها بطاريات مدافعه، فأصبحت عاصمة الثورة تحت رحمة نيرانها. وعند ذلك هوجمت أجدير من جميع الجهات براً وجواً وبحراً، وتم احتلالها خلال يومي 2 و3 أكتوبر 1925، بعد مقاومة شديدة ومستميتة أظهر فيها سكان الريف وخاصة أبناء أجدير شجاعة نادرة مفضلين الاستشهاد على الانسحاب أو الاستسلام.

وقد أطلق الغزاة العنان لهمجية جنودهم فعاثوا في القرية الصامدة نهبا وسبيا وفساداً و... مزيلين بذلك القناع عن مفهومهم الحقيقي "للحضارة" التي جاؤوا لنشرها في المغرب ! وبسقوط أجدير تحت الاحتلال ضعفت الثورة ودخلت مرحلتها الأخيرة إذ يمكن القول بأنه إذا كان ابن عبد الكريم روح الثورة الريفية وعقلها المدبر، فإن أجدير قلبها النابض.

وعاشت أجدير طيلة فترة الاحتلال في عزلة تامة وتهميش مقصود من طرف الاستعمار الإسباني الذي لم يذخر جهداً في إذلال سكانها وسجنهم وتعذيبهم والانتقام منهم بمختلف الأساليب، وكان ذلك تشفيا ونكاية فيهم لدورهم الطلائعي في الثورة وفي المقاومة الباسلة للإسبانيين لعدة قرون.

واضطر الكثير من سكان أجدير إلى الهجرة إما نحو الجزائر أو نحو منطقة الاحتلال الفرنسي ؛ وبعد الاستقلال، فتح أمامهم باب الهجرة نحو أوربا الغربية، إذ المنطقة فقيرة الموارد لا تتوفر على ما تشد به إليها أبناءها خاصة أنها تعرف كثافة سكانية وتزايدا ديمغرافيا جد مرتفعين. ولكنها مع ذلك تتوفر على تراث نضالي زاخر جعل منها رمزا خالداً لحركات التحرير المعاصرة.

م. أزركان، *الظل الوريف*، مخ ؛ ع. الصوفي، *الأمير عبد الكريم الخطابي*، القاهرة، 1958 ؛ فورنو، *عبد الكريم أمير الريف*، ترجمة فؤاد أيوب، دمشق، د.ت ؛ ج. أ. البوعياشي، *حرب الريف* ؛ م. القاضي، *أسد الريف* ؛ م. ح. الوزاني، *مذكرات*، 2 ؛ *رواية شفوية*.

Et-Tabyi, *Miscelanea marroqui*, Ceuta, 1953, p. 27, (225-298), (313) ; Servicio Historico Militar, *Historia de las Campañas de Marruecos*, T. III et IV.

مصطفى أريبب

ابنُ أجَرُّوم، محمد بن داود الصنهاجي. وكلمة أجرُّوم أو أگرُّومْ باللسان الأمازيغي تعني : الفقير الصوفي. كان أديبا لامعا، ونحويا بارعا، ومقرئا شهيرا، مارس التدريس في جامع القرويين بفاس، فدرّس العلوم القرآنية، وعلوم اللغة العربية، وتخرج على يديه كثيرون، منهم الأستاذ المقرئ النحوي محمد بن علي بن عمر الغساني الغرناطي (682 ـ 748 هـ) الذي ترجم له لسان الدين ابن الخطيب في *الإحاطة*، وغيره.

وعلى عادة أهل المغرب في تطلعهم إلى المشرق بغية أداء فريضة الحج والتعارف، والتبادل العلمي، وأخذ السند العالي، ذهب محمد بن أجروم إلى الديار المقدسة، فحج ومر بالقاهرة المعزية، فأخذ عن عالم النحو المفسر الشهير أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف النفزي الغرناطي الأصل، فأجازه، وأباح له أن يروي عنه كل ما صنف وألف من منثور أو منظوم.

ومن مؤلفات ابن أجرُّوم : *المقدمة الأجرُّومية في مبادئ علم العربية*. وهو كتاب جليل الفائدة، رغم صغر حجمه، اشتهر في المشرق والمغرب، وحصل عليه الإقبال الكبير هنا وهناك، وحتى في أوربا، حيث طبع هناك لأول مرة، في رومة سنة 1592 م، وطبع مترجمًا إلى اللاتينية سنة 1610 م (1019 هـ)، ويبدو أن ابن أجروم كان من أتباع مدرسة الكوفة في النحو، لأنه في تآليفه استخدم اصطلاحاتهم، واتبع بعض آرائهم، وذلك واضح جليّ تقرؤه بين السطور في المقدمة... هذا، ويقال : إنه الف كتابه تجاه الكعبة المشرفة، بمكة المكرمة.

ومن مؤلفاته ايضا : شرح *الشاطبية* أو اللامية الموسومة بـ *حرز الأماني* لناظمها القاسم بن فيره الشاطبي، ولابن أجروم أيضا منظومة في قراءة الإمام نافع سماها : *البارع*.

ولد ابن أجروم عام 692 هـ (1273 م). وهي السنة التي توفي فيها عالم النحو الأندلسي جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الجياني ناظم *الألفية* الشهيرة في النحو. أما وفاة بن أجروم فكانت في صفر عام 723 / فبراير ـ مارس 1323 م، ودفن داخل باب الجديد بمدينة فاس.

ج. ع. السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، 1، الترجمة رقم 434 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 1 : 209 ؛ ع. العمراني : *ثبت أبي جعفر احمد البلوي الوادي آشي*، هامش ص. 199.

عبد الله العمراني

ابنُ أجَرُّوم، مَنْديل بن محمد بن محمد بن داود، أبو المكارم الصنهاجي. قال عنه ابن الأحمر : "شيخنا الفقيه الأستاذ المقرئ المصنف الأديب الحاج أبو المكارم ابن الأستاذ النحوي أبي عبد الله ابن أجروم". وقال عنه أبو زكرياء يحيى بن أحمد الرندى النفزي الحميري الفاسي المعروف بالسراج محليا إياه في *فهرسته* بـ "الشيخ الأستاذ الحاج المقرئ اللغوي الأديب ابن الفقيه الأستاذ المقرئ العلامة، كان أديبا شاعرا مكثرا مجيدا منبسطا جميل المجلس، من أعجب المقرئين فصاحة وحسن إلقاء. وكان جل إقرائه مقامات الحريري، كان فيها أوحد زمانه، وكان نبلاء الطلبة يرصدونه فلا يسمعون منه لحنة".

رحل إلى المشرق، حيث أدى فريضة الحج سنة 741 هـ (1341 م) ولقى جماعة من العلماء، فأجازوه، منهم أبو حيان محمد بن يوسف ابن حيان الغرناطي، فقد أجازه كما أجاز والده من قبل، وأباح له رواية جميع ما روى، وجميع ما ألف من نظم أو نثر. وأخذ بتونس عن ابن برّال، والفقيه أحمد بن أبي بكر اليحصبي التونسي، والقاضي ابن عبد السلام، وابن جابر الوادي آشي، والفقيه المدرس أبي مهدي عيسى بن موسى الزواوي، وابن المسفر، وعن قاضي

الجماعة أبي عبد الله ابن يوسف، وأبي العباس ابن محمد الزواوي، وغيرهم.

ومن أهم من أخذ عن ابن أجروم الفقيه الكاتب أحمد بن عبد الله الرصافي التونسي. ومن شعره الرقيق قوله :

يا غائباً سلبتني الأُنْسَ غيبتُــه كيف اصطباري وقد كُبِّدتُ بينهمــا ؟
دعواي أنك في قلبي بعارضُها شوقي إليك، فكيف الجمعُ بينهمــا ؟

توفي ابن أجروم في رابع جمادى الأولى من عام 722 / 24 نوفمبر 1370.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 322، الترجمة رقم 893 ؛ أحمد بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، 380-381.

عبد الله العمراني

أَجْرْوَاوْ، يعرف باسم أجرواو أو أيْرْوَاوْ : المنخفض الواقع ضمن مرتفعات الگارت الجنوبية بقبيلة بني بويحيى (إقليم الناظور). والاسم قديم ذكره أبو عبيد الله البكري بلفظ "ڤرواو"، باعتباره آنذاك المرحلة ما قبل الأخيرة للقوافل السجلماسية المتجهة نحو قلعة گرط (قلعة جارة) ومدينة مليلة. كما كان الموضع مكان تجمع العشائر المرينية التي كانت تقصد حوض ملوية الأوسط ما بين أجرسيف وواد "زا" للانتجاع، ومن هذا المنخفض تسرب المرينيون إلى قلعة تزوطا وإقليم گرط سنة 610 هـ .

منخفض أَجْرْواو عبارة عن حوض رسوبي، لا يتجاوز ارتفاعه 380 م. تدل نسبة الملوحة الموجودة بالتربة على أنه كان من ضمن الشطوط المتبقية بالمنطقة، يكسو سطحه نبات الحلفا. شكله مستدير، متوسط قطره 20 كلم. ويظهر انخفاضه بالقياس إلى المرتفعات المحيطة به من جهاته الأربع، أعلاها جبل بوهيدور (1080 م) الممتد من جانبه الشمالي الغربي إلى الجنوب الشرقي، يتلوه جبل كركر (765 م) المحيط بشرق المنخفض. ويشرف عليه من جهة الشمال جبل النعاش (923 م) وجبل بوحمزة (814 م).

ولا تشكل هذه المرتفعات حاجزا صعب الاختراق في اتجاه المنخفض، وذلك أن عددا من الممرات والفجاج تظهر بين تقطع امتداد الجبال. فمن جهة الجنوب يوجد ممران مفتوحان في اتجاه مجرى ملوية الواقع بين مصبي واد مسون عند أجرسيف وواد زا مما يجاور تاورير، حيث نجد ممر "ونزكا" المتصل بفج "صاكا". وهو على بعد 50 كلم من أجرسيف، بينما ينفتح فج "جريويو" أو الرملة في اتجاه تاورير ومشرع قليلة. أما من جهة الشمال فينفتح ممر آخر في اتجاه المطالسة عبر مجرى واد "غان"، حيث توجد "ثلاث بويكر". ويؤدي ممر أولاد "بويمين" إلى سهب گرط.

يعقد في الزاوية الشمالية الشرقية من حوض أجرواو سوق بموضع "أفْسُو" الواقع على خط الممرين "بويمين" و"نزكا"، وذلك يوم الاثنين، وهو مقصد سكان إقليم گرط، وخاصة من طرف عشائر بني بويحيى المجاورة : إِخَيَّانَنْ وأولاد عبد السميع وأولاد عبد الدايم.

أ. البكري، *المغرب*، 152 ؛ ح. الفگيگي، *إسهام مليلة في التجارة الصحراوية إلى بداية القرن 4 هـ* ، م.د.ن. 9، 1986، ص. 26 ؛ *خريطة مليلة*، مقياس 1/250000 عام 1936.

J.F. Troin, *Le Rif Oriental*, R.G.M., 12, 1957, p. 435 ; *Croquis de la région de Melilla*, Madrid 1921.

حسن الفگيگي

أجزناية ← جزناية

أَجْنَادَة، قصبة تقع بقرية فرخانة من قبيلة مزوجة المجاورة لمدينة مليلية، ولذلك تعرف أيضا بقصبة فرخانة، وهي من القصبات التي بناها السلطان مولاي إسماعيل على الحدود المجاورة للقطر الجزائري سنة 1108 / 1696. وحيث إن مليلية كانت تحتلها إسبانيا فقد أراد أن يقيم بقصبة أجنادة حامية تتولى أمر محاصرة المدينة المذكورة.

وعندما أقام حفيده السلطان سيدي محمد بن عبد الله الحصار على مليلية من ديسمبر 1774 إلى مارس 1775 جعل معسكره الرئيسي بالقصبة المذكورة التي استمرت تقاوم بدورها إلى أن هدمها الثائر بوحمارة يوم 13 أبريل 1906. ورغم ذلك قام الجيش الإسباني باحتلالها في 22 سبتمبر 1909 ولم يغادرها إلا بعد استقلال المغرب سنة 1956.

A. Ghirelli , *El Norte de Marruecos*, 204, Melilla, 1902.

محمد ابن عزوز حكيم

أجنوي ← الجنوي

إجوكاك ← ثلاث نيعقوب

إجيمي الكبير، محمد التّيْيُوتِي الزُّدُوتي. أصل أهله من تَنبكتَو من بني عقبل ابن أبي طالب، ثم سكنوا تيبوْتْ في ضواحي تارودانت. وانتقل إلى مراكش أواسط القرن الثالث عشر. وهو عالم كبير مشارك متفنن، له *حاشية على البخاري*، وقد كان مع القائد بومهدي الهواري حاضرا حين أوتي بأحمد التمگدشتي معتقلا، فخاطبه بخطاب جاف عرف عنه. ولعله توفي آخر القرن الثالث عشر.

م. المختار السوسي، *رجالات العلم : خلال جزولة*، 2 : 160 ؛ 4 : 100 ؛ *سوس العالمة*، 201.

عبد الله درقاوي

أحباس ← وقف

إِحَبَّارْنْ، تنتمي إحبارن إلى قبيلة أيت حركات التي تشكل بدورها فرعا من اتحادية زيان الكبرى، ضمن الجناح المعروف بزيان العليا أو زيان أفجلاتن وتنتشر إحبارن، على الضفة اليسرى لواد أم الربيع، حول ضريح سيدي حسين، على منتصف الطريق بين أكْلْمُوزْ وسيدي لَمِينْ (Tadla, 66). ويرتبط تاريخ هذه الفرقة، بالتاريخ العام لاتحادية زيان. ولا نعرف بالضبط الفترة التي استقر فيها الزيانيون ومعهم إحبارن في المجال الذي يحتلونه الآن. فقد قدمت زيان إلى الأطلس المتوسط، من أقصى الجنوب في مرحلة متأخرة،

ضمن الموجة الصنهاجية التي عمرت هذه المنطقة مع بداية العصر الحديث. (*آثار التدخل*، الفصل الأول). فقد ورد ذكر زيان لأول مرة في التاريخ، في القرن 6 هـ / 12 م. على لسان الإدريسي. وكانوا يعيشون في هذه الفترة في ضواحي بني ملال. (*Le Sultan Moulay Ismail*, 31).

وعندما ترجم صاحب *الإحياء والانتعاش* لموسى العياشي، أشار إلى وجود بعض فصائل زيان في منطقة تزرقت بالجنوب الشرقي (*الإحياء*، 8). وقد اضطرت هذه الاتحادية إلى الرحيل والاستقرار في مجالها الحالي، تحت تأثير نفس الضغوط التي دفعت بكثير من القبائل الصنهاجية إلى الهجرة نحو الأطلس المتوسط وتعمير سهل سايس وهضبة زمور.

إن مصادر التاريخ تتحدث عن زيان. ولا نعثر على أخبار إحبارن إلا في مرحلة متأخرة، على لسان الرحالين والباحثين الأجانب. فقد ذكر كيد نفلدت أن إحبارن وقت زيارته للمنطقة، كانت تشكل ربع زيان. (Divis. et Répart., 47). وبعده، قدر شارل دوفوكو عدد خيولها بحوالي 1000 (Reconnaissance, 475). وفي دراسة إجمالية لمنطقة تادلة وبلاد زيان والأطلس المتوسط، وردت إشارات مهمة عن إحبارن. فقد كانت هذه القبيلة تشتمل على حوالي 500 خيمة. وكانت تنقسم إلى أربعة عظام : آيت موسى، 100 خيمة، أيت قصو، 150 خيمة، آيت علي واعمر، 150 خيمة، أيت خا ابراهيم، 150 خيمة (Tadla, 661) وكانت هذه العظام تنتظم في "صفين" متعارضين. يضم الصف الأول آيت موسى وأيت قصو. وفي الصف الآخر، يقف أيت خا ابراهيم وأيت عمر (Tadla, 662). وكانت علاقة إحبارن بجيرانها متوترة. ولذلك اضطرت إلى الخضوع والاحتماء بسلطة آل أمحزون، وكان رئيسهم موحا أو حمو الزياني (Tadla, 662).

كانت إحبارن تعيش على الزراعة وتربية الماشية. وكانت زراعة القمح والذرة تتصدر إنتاجهم الزراعي. وتكاد تقتصر ثروتهم الشجرية على أشجار التين والعنب. إلا أن أهم مورد لعيشهم كان يأتي من تربية الماشية وخاصة الأغنام منها. وكانت مبادلاتهم التجارية تتم في مجملها في سوق سيدي حسين (Tadla, 663).

ع. العياشي، *الإحياء والانتعاش* ؛ اكنينج العربي، *آثار التدخل الأجنبي*.

Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* ; M. Quedenfeldt, *Division et Répartition de la population Berbère au Maroc* ; Peyronnet, *Tadla, Pays Zaïan, Moyen Atlas*. In B.S.G.A., 1922 n° 91 ; De La Chapelle, *Le Sultan Moulay Ismail et les Berbères Sanhaja*.

اكنينج العربي

أحَنّاشْ، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة أهل سريف الهبطية، وإليها ينتمي الفقيه قاسم بن محمد الذي كان يتعاطى خطة العدالة من سنة 1265 / 1849 إلى سنة 1276 / 1859، والفقيه عبد العزيز بن عبد الله الذي كان يعلم الصبيان بكتابه (المسيد) الكائن بحومة السويقة سنة 1306 / 1888، ولم يبق من هذه الأسرة الآن بتطوان سوى بعض النساء.

ع. السكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 7 : 252 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español*.

محمد ابن عزوز حكيم

أحجار السودان : اسم لموضع يوجد بجوار مدينة سبتة من جهة الغرب، على الطريق البحري المؤدي إلى طنجة. يبدو أن الاسم قد أطلق في البداية على صخور ارتفعت عن البحر، قبل أن يشمل مقبرتين مجاورتين للمكان ورابطة. من الصعب تحديد المصدر الحقيقي لهذا الاسم على مستوى الاصطلاح اللغوي، لم نعثر له على دلالة لغوية معينة كما هو الشأن مثلا بالنسبة لـ "حجر طرابلس" الذي يعني نوعاً من الحجارة الصالحة للصقل، أو "حجر حبشي" الذي يعني لا زَوَرد (Supplément, 1 : 251). لكن لا يستبعد أن يكون للاسم دلالة تاريخية، استمدها من العلاقات التجارية التي كانت تربط سبتة ببلاد السودان عبر الطريق الصحراوي المار بسجلماسة وغانا ومالي، ونذكر على الخصوص تجارة الرقيق، سيما وأن المستعرب الفرنسي دوسلان De Slane لا يتردد في ترجمة كلمة "السودان" بـ "nègres" (العبيد السود) بدلا من "Soudan" (بلاد السودان) لتفادي الالتباس. إلا أن السؤال الذي يبقى مطروحا هو : هل كانت تجارة الرقيق معروفة بسبتة منذ زمن البكري لدرجة إخفاء بصماتها على السكان فيُحتمل أن يكون مرسى للبواخر المصدِّرة للعبيد السود تجاه أوربا، ثم ما إذا كانت هناك بالفعل تجارة للرقيق السود بسبتة عبر حقبتها الإسلامية خصوصا وأنه ليس لدينا من الوثائق التاريخية ما يثبت صحة ذلك !

أ. البكري، *المسالك والممالك*، 209 ؛ البادسي، *المقصد*، 101 ؛ الأنصاري، *اختصار الاخبار*، 25-26-50.

G. S. Colin, *Al-Maqsad*, 195, n° 292 ; R. Dozy, *Supplément*, 1 : 251.

زليخة بن رمضان

أحَجّيم، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني رزين الغمارية، وكان منها الفقيه الحاج محمد بن الحسين أحَجّيم الذي كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1182 / 1768، والفقيه عبد الله بن عبد القادر والفقيه أحمد بن أحمد والفقيه المختار بن عبد الصادق، كلهم كانوا على قيد الحياة سنة 1196 / 1782.

ع. السكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 28 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español*.

محمد ابن عزوز حكيم

أحُد، اسم وحدة عسكرية مغربيّة لعبت دوراً هامًّا في

حرب الصحراء المسترجعة، فقد شهدت أواخر سنة 1979 تغييراً في التكتيك العسكري المغربي، حيث تم تشكيل عدة وحدات عسكرية قوية وسريعة الحركة أطلقت عليها أسماء معارك اسلامية ومغربية شهيرة.

أولى هذه الوحدات سميت بـ "أحد" تيمنا بالغزوة الشهيرة، وانطلقت بمناسبة الذكرى الرابعة للمسيرة الخضراء. غادرت مدينة طانطان يوم 29 أكتوبر 1979 في اتجاه الجنوب، وبالضبط مدينة الداخلة، مرورا بطرفاية فالعيون، ومناجم بوكراع فبوجدور ثم الداخلة، ومن هناك انطلقت صوب بئر أنزران فگلتة زمور، ثم اتجهت نحو الشمال الشرقي... وكانت "أحد" تضم ستة آلاف جندي وألفًا وخمسمائة آلية عسكرية مجهزة بأحدث الأسلحة ضمنها دبابات ومدفعية تغطيها حماية جوية عسكرية. وحدة "أحد" أسندت إليها مهمة مسح وتطهير الجنوب المغربي، وخاصة منطقة وادي الذهب في أجل يتراوح مابين ستة واثنى عشر شهراً للقضاء على مخابئ القوات المعادية، ورغم رحلتها الطويلة فإنها لم تخض أي معركة حاسمة، لكن تلك الرحلة صهرت الرجال وامتحنت الآليات...

لقد كان لهذه الرحلة الطويلة صدى كبير استعادت من خلاله القوات المسلحة الملكية سيطرتها وقوة تحكمها مما جعلها تنطلق بعد ذلك إلى اتجاهات مختلفة لحمايتها والدفاع عنها.

عملية "أحد" إذن التي تم إعدادها بسرية في العديد من الثكنات العسكرية في مختلف جهات المملكة، والتي تم تجميعها أخيرا في قاعدة ابن گرير الجوية اعتبرتها الجزائر قوة ضاربة خطيرة وقوية مما دفعها إلى إعلان استنفار في صفوف قواتها في الجنوب الجزائري عندما اقتربت "أحد" من الحدود الفاصلة بين البلدين...

وبعد نجاح وحدة "أحد" تلاها تشكيل وحدة "الزلاقة" ووحدة "بدر" في شهري مارس وماي 1980 وقد أسندت إليهما مهمة تطهير المنطقة الجبلية لوركزيز، حيث خاضت معارك عنيفة انتهت بدحر فلول القوات المعادية...

تشكيل الوحدات الثلاث دخل في إطار استراتيجية عسكرية استهدفت إبعاد القوات المعادية إلى خارج الحدود المغربية ومنعها من التحرك، وذلك بإنشاء الجدران الأمنية المتواصلة والمتقدمة، التي كلما قيل إنها توقفت نهائيا إلا وزحفت من جديد لتضم أراضي أخرى...

مستندات وزارة الداخلية والإعلام بالمغرب.

الصديق معنينو

أحَد أولاد فرج، يمثل أحد أولاد فرج المركز التقليدي لقبيلة أولاد فرج التي تحتفظ بفرعيها أولاد عبد الغني وأولاد الشيهب بموقعها في الحد الشرقي لسهل دكالة منذ القرن 15 وإلى الآن. ويشكل المركز حاليا من الناحية الإدارية مجرد مقر جماعة تحمل اسمه وتنسب إلى إقليم الجديدة وإلى دائرة مقرها أصغر حجما من أحد أولاد فرج.

ويتعلق الأمر بسيدي اسماعيل الذي بلغ 2157 نسمة عام 1982. إلا أنه سنة 1971 كان يفوق عدد سكانه (1267 ن) حجم سكان أحد أولاد فرج.

يتميز موضع مركز أحد أولاد فرج ببعض الخصوصيات محليا. وتتمثل في محاذاة المركز للقطاع المسقي ووجوده على علو 125-130 مترا عند قدم آخر الكثبان الحُنّية التي تتخذ أكبر اتساع لها في هذه المنطقة (على بعد حوالي 50 كلم من المحيط)، وعلى مسافة حوالي 3 كلم تقريبا غرب واد الفارغ الأسفل المتعمق، والذي يعتبر أهم مجرى مائي وسط دكالة. وتتوسط المسافة الفاصلة بين الوادي والمدينة ضاية ضگويات الواسعة (1000 م طولا و500 متر عرضا) التي تستقبل مجرى موسميا قد يصب أثناء الفيضانات في الواد الفارغ.

أما موقع أحد أولاد فرج فيتسم بمظاهر موروثة منذ القديم حيث يتمركز أحد أولاد فرج في هذا الجزء الشمالي الشرقي من سهل دكالة وسط مجموعة من أهم القرى والمراكز الصغيرة (بولعوان وخميس متوح وأربعاء العونات وأربعاء مگرس وسيدي اسماعيل وثلاثاء أولاد حمدان). وتربطه الطريق الثانوية رقم 105 بالجديدة (نحو الشمال الغربي) وسطات عبر بولعوان (نحو الجنوب الشرقي). كما تصل طريق ثلاثية بينه وبين أزمور عبر ثلاثاء أولاد الحمدان نحو الشمال الشرقي وطريق ثلاثية أخرى بينه وبين أربعاء العونات نحو الجنوب. لكن موقع الملتقى المحلي يتمثل أساسا في المسالك الاثنى عشرة التي تتقارب نحوه من جميع الاتجاهات. ويمتاز أحد أولاد فرج أيضا بموقع فريد في منطقة دكالة، عند اتصال رستاقين أساسيين، بين الكثبان الحثية الساحلية والسهل الفيضي لدكالة. ومن ثمة يوجد عند اتصال ثلاث محطات رئيسية. على التربات الهزيلة التي تعلو الكثبان المتصلبة في الشمال تنتشر زراعة بعلية خفيفة للحبوب (ذرة وشعير) مع قليل من القطاني والتين المتناثر. ويستغل الجزء السهلي الجنوبي الغربي الذي تغطيه تربة رملية في زراعة متنوعة تتغلب فيها زراعة بعلية جد قديمة للكروم والتين. أما في الجهة الوسطى الجنوبية من السهل فتنتشر زراعات مسقية غنية ومتنوعة على التربات الغرينية والغرينية ـ الرملية السميكة (حبوب وعلف وقطن وشمندر). ويعرف هذا السهل المسقي بقطاع الفارغ الذي يروي بالانسياح الجاذبي بواسطة أربع قنوات ثانوية تتفرع عن القناة الرئيسية بالمصلحة السفلى. وبعد أول قطاع بدأ فيه الري بسهل دكالة 1956 (أي بعد 10 سنوات من بناء سد إمفوت) بعد ري تجريبي بقطاع بولعوان. وتغطي الآن المساحة الإجمالية المسقية بمقدار 9000 هكتار جهزت بين 1952 و 1958.

إن العوامل الأخيرة تظافرت مع عوامل أخرى لتفسير دينامية سكانية شبيهة بدينامية بعض المراكز التي تنمو بسرعة وسط السهل، كأربعاء العونات وخميس الزمامرة. إن القرية المتواضعة سنة 1960 (1069 نسمة) أخذت تتطور

ببطء في الفترة الأولى التي لحقت إدخال الري بالسهل. ولم يتعد حجم سكان المركز 1267 ن سنة 1971. انطلاقا من هذا التاريخ أصبح التزايد السكاني مرتفعا بنسبة 8,62 ٪ سنويا، حتى إن المدينة بلغت 3603 ن عام 1982 ؛ أي أنها استقبلت في هذه المدة 1826 نسمة ناتجة عن النزوح القروي وحده. وهو رقم يفوق عدد سكان المدينة نفسها سنة 1971. فأصبحت المدينة الصغيرة الآن تحتل الصف 174 على الصعيد الوطني والصف الخامس بين مدن سهل دكالة بعد الجديدة وأزمور وسيدي بنور وخميس الزمامرة.

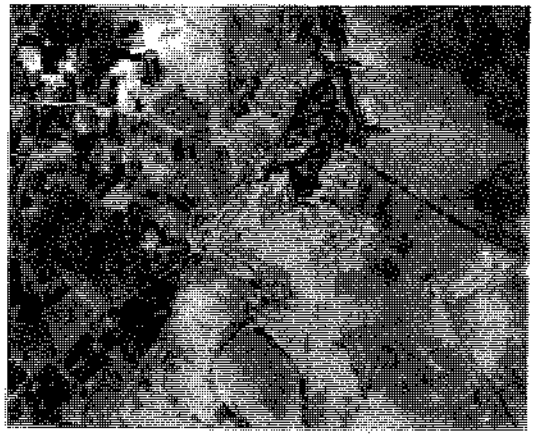

أحد أولاد فرج : صورة جوية

إن التزايد السكاني الكبير الذي شهده مركز أحد أولاد فرج لحقه تجمع لبعض الخدمات النادرة في المنطقة، ولكنه لم يخلق بنية حضرية مكتملة تعكس تلك الحيوية. يتوسط المركز سوق الأحد المشهور باستقطابه الواسع المدى وبحجم السلع المعروضة فيه، وخاصة الحبوب والماشية (منها الخيول العربية لأولاد فرج الموجهة للسباق كما هو الشأن بالنسبة لخيول الشتوكة) تحيط بالسوق حلقة نصف دائرية موجهة نحو الشمال الشرقي ومحدودة في قاعدتها الجنوبية الغربية بالطريق الثانوية رقم 105. ومنها يتخذ التصميم شكل مروحة تبلغ في القاعدة امتداد حوالي 200 م. يشكل الحلقة الأولى حول السّوق مركز المدينة الذي يتميز بنسيجه المهوّى والذي يحتضن جل مرافق التجارة والإدارة والخدمات الأساسية كمقر الجماعة والقيادة ومدرستين وثانوية (818 تلميذ سنة 1988) ومستوصف ومركز للبريد وصيدلية وملعب ومركز الاستثمار الفلاحي رقم 310 والقرض الفلاحي والمحلات الميكانيكية ومحطات البنزين والمقاهي، ... ويشكل الجزء الجنوبي الشرقي من هذه الهالة الحضرية الحي السكنى الذي أنشئ في إطار برنامج التغذية العالمي الذي بني وحده بتصميم منتظم ومتعاهد. أما الحلقة الثانية فتتكون من وحدتين سكنيتين ذات بناء متواضع وغير منتظم تفصلها فراغات كبيرة، وهما وحدة سيدي مسعود بن حسين في الشمال الشرقي ودوار الفريحات في الشرق. وهناك حول المركز وبقربة منه دواوير متجمعة نحو الشمال الشرقي في القطاع البوري الكثيف السكان (الحسينات وأولاد جدية وأولاد سيدي حسين). وبنفس الكثافة المرتفعة تميز القطاع المسقي نحو الجنوب، إلا أن السكن متفرق به عموما.

معاينة ميدانية ؛ مديرية الإحصاءات، *نتائج الإحصاءات العامة للسكان والسكن*، 1960، 1971، 1982، الرباط ؛ قسم الخرائط، *بولعوان، خريطة طبغرافية* 1/50000 الرباط، 1981 *أحد أولاد فرج: صورة جوية* 1/30000، بعثة 1981.

M. Ayad, *L'organisation de l'espace rural dans le plateau d'El Jadida et le Sahel d'Azemmour*, Rabat, 1982, 2t. Roneo ; R. Fosset, *Un exemple régional de sous-développement au Maroc : Les Doukkala*, in Formation géographique, 1, Paris, 1967, pp. 34-41 ; M. Fourout, *Vers une organisation de l'espace rural dans les Doukkala*, R.G.M. n° 8, Rabat, 1965, pp. 75-82 ; Ministère de l'Urbanisme, de l'Habitat et de l'Environnement, C.E.R.F., *Schéma d'armature rurale, région du centre*, Rabat, 1972 ; D. Noin, *La population rurale du Maroc*, P.U.F., Paris, 1970, 2t. ; J.F. Troin, *Les Souks marocains...* Edisud, Aix-En-Provence, 1975, 2t.

مصطفى عياد

أحد أيت بلفاع ← أگادير (إقليم ـ)
أحد البخاتي ← أسفي (إقليم ـ)

أحَـد لَبْـرَادِيّـة، يشاع محليا أن هذا الجزء من منطقة تادلا اشتهر بإنتاج محلي (للبرادع) فسمي سكان المركز بالبرادعية، لكن هذه التسمية لخشونتها وثقلها على اللسان، خففت فيما بعد إلى كلمة "لبرادية". وقد أنشئ هذا المركز في إطار البرنامج العالمي للتغذية، قصد الحد من الهجرة القروية وذلك سنة 1972.

ينتمي سكان البرادية إلى قبيلة بني عمير الشرقيين. ويخضع مركز لبرادية إداريا إلى قيادة بني عمير الشرقيين التابعة لدائرة الفقيه ابن صالح التي تعد إحدى الدوائر التابعة لعمالة إقليم بني ملال.

يبعد مركز البرادية عن مدينة الفقيه بن صالح بحوالي 15 كلم وعن عاصمة الإقليم (بني ملال) بحوالي 26 كلم. وعلى شرق مركز البرادية وجنوبه الشرقي نجد نهر أم الربيع. ويقع كذلك مركز لبرادية على الطريق الثانوية رقم 133 الرابطة ما بين اخريبگة وبني ملال عبر الفقيه بن صالح، كما تخترق المركز طريق ثلاثية تربط مدينتي الفقيه بن صالح وتادلا.

بعض المعطيات الطبيعية : يقع مركز البرادية داخل منطقة سهلية في امتداد لسهل تادلا الخصب ويمتاز بمناخ قاري (شبه جاف) ذلك أن معدل الأمطار لا يتعدى 300 ملم سنويا. وقد ترتفع الحرارة في هذا المركز صيفا إلى حدود 40 درجة، وقد تتعداها في بعض الحالات.

السكن والتجهيز : بلغ عدد سكان المركز حوالي 4000 نسمة سنة 1982 وتتخذ المدينة شكلا بيضويا في اتجاه مدينة الفقيه بن صالح (انظر التصميم المرافق).

ويتكون المركز من أحياء أساسية، تفصل فيما بينها شوارع رئيسية هي : الحي الإداري، الحي الصناعي والتجاري، حي يام، حي القصبة (تسمى محليا قصبة أيت عبد النبي نسبة إلى القواد الذين كانوا يحكمون المنطقة

ويحافظون على سلامة القوافل التجارية). كما أنه يتوفر على بعض التجهيزات والمرافق العمومية الضرورية.

- الأنشطة الاقتصادية المحلية : أهم الأنشطة السائدة هي الفلاحة وتربية الماشية والتجارة.

- الفلاحة : عصرية، تعتمد على السقي إذ تستفيد من القناة السطحية الآتية من سد الزيدانية الموجود بالقرب من قصبة تادلا.

- تربية الماشية : تتمثل في أهم أنواع الماشية وهي : الأغنام والأبقار.

- التجارة : ترتبط بالنشاط السائد ألا وهو الفلاحة، بمعنى أن التجارة بالمركز تلبي حاجيات الفلاحة، وأحسن مثال هو السوق الأسبوعي ليوم الأحد.

- خصوصيات القرية : من الناحية الاجتماعية : يشتهر هذا المركز بموسم أولاد سيدي ميمون نسبة إلى الولي الصالح سيدي علي بن ميمون، ويقام هذا الموسم سنويا في أوائل شهر شتنبر. ومن الناحية التاريخية : اشتهرت المنطقة بوجود "قصبة" وهي قصبة أيت عبد النبي، أحد القادة الذين اشتهروا بحمايتهم للقوافل التجارية والأمن على سلامة المنطقة.

إذا استمر المركز على هذه الوتيرة من النمو الديمغرافي والعمراني، فمن المرتقب أن يبلغ مستوى المدن الصغيرة في العشر سنوات المقبلة.

تحريات ميدانية.

عبد الرحيم ابن علي

أحد تارگا ← أگادير (إقليم ـ)

أحد الثوابة ← أسفي (إقليم ـ)

أحد حرارة ← أسفي (إقليم ـ)

أحد كورت ← سيدي قاسم (إقليم ـ)

أحْدادُو، أسرة تطوانية أصلها من الريف استوطنت تطوان في عهد السلطان مولاي إسماعيل حيث أصبحت هذه المدينة قاعدة لجيش المجاهدين برآسة القائد أحمد بن حدو البطّيوي الذي كانت له علاقة عائلية مع أولاد أحدادو، فأصبح جلهم يتقلدون رتبة قائد أو خليفة أو ضابط في صفوف الجندية.

ومما يدل على أن هذه الأسرة لم تنقطع عن الخدمة العسكرية أن خليفة أغا عسكر حامية تطوان سنة 1875 كان هو القائد العربي بن أحمد أحدادو الذي تنسب إليه الزنقة التي كانت تعرف بزنقة أحدادو وتعرف الآن بزنقة الفرطاخ، وتقع بحي السويقة، ولا زالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. السكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329-334 ؛ *تاريخ تطوان*، 6 : 169 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* (A) ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) (H) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* (A).

ابن **الأحدب**، أسرة تطوانية لم نتوفر على وثائق تثبت لنا أصلها حيث لا نعرف عنها إلا أن جل أفرادها كانوا يعملون بالجيش، وهكذا نجد ثلاثة منهم، وأسماؤهم العربي ومحمد، وعبد المجيد، يعملون كجنود في فرقة البحرية بحامية تطوان سنة 1246 / 1830. ولازال بعض أفراد هذه الأسرة موجودين بتطوان

ع. السكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 211 و212 ؛ م. إبن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* (H) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* (A) ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) (H) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* (A).

محمد ابن عزوز حكيم

الأحدب، أبو القاسم بن الجد محمد بن عبد الله، ينتمي إلى أسرة نبيلة ترجع بنسبها إلى قريش. وهو أحد إخوة ثلاثة نبغوا كلهم في العلم والأدب. والإخوان الآخران هما أبو عامر أحمد الذي عرف بالنحو ومهر في *كتاب* سيبويه وفهم أغراضه وغوامضه ؛ وأبو بكر الفقيه الجليل الذي أدرك منزلة كبيرة عند الخلفاء الموحدين الأولين وتوفي في عهد يعقوب (586 هـ) وموطن أسرتهم، في الحقيقة، كان هو مدينة لبلة، لكن شهرتهم حصلت في إشبيلية. وقد نوه ابن بسام بأبي القاسم سواء كأديب أو كفقيه، وذلك ما أكده ابن بشكوال حينما ذكر أنه "كان من أهل التفنن في المعارف والتقدم في الآداب والبلاغة وله حظ جيد من الفقه والتكلم في الحديث" وهو لم يصل إلى هاته المنزلة إلا بعد أن تفرغ للدراسة وخصص لها ما يكفي من الوقت، فالفتح بن خاقان الذي كان معاصراً له وذا صلة به يقول إنه أقام زمانا معتكفا على دواوين العلم، "مشتغلا بالدراسة معتزلا للرياسة".

ومن ثم استطاع أن يمهر بالخصوص في الإنشاء والكتابة بكل أنواعها، ولم يكن حظه من الشعر ضئيلا. وتوسع ثقافته ومتانة تكوينه جعلته يُنتدب ليشغل مناصب مختلفة. فكان يفتي ببلده لبلة وولاه أهلها خطة الشورى. كما تقلد وزارة الراضي بن المعتمد بن عباد لما ولاه أبوه على رندة، وأخيراً استدعاه أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين إلى مراكش حيث كان من جملة الكتاب الممتازين الذين رغب في استدنائهم إليه ليقوموا بمكاتباته السلطانية، ومن بينهم أبو بكر بن القبطرنة وأبو عبد الله بن أبي الخصال وأخوه أبو مروان وعبد المجيد بن عبدون وآخرون يطول ذكرهم، ويظهر أن أبا القاسم لم يكن راغبا في المنصب والجاه كما أشار إلى ذلك ابن خاقان وابن بسام. فهذا الأخير يصفه بالإباء والقناعة ويذكر عنه أنه على نباهة الذكر وعلو القدر وشرف المحل من قهر، قد لزم داره وطوى أخباره واقتصر على عفة من المعيشة رزقها. فهو يتبرض جميمها، لا بل يتزود نسيمها. والشمس وإن سترها الضباب، فغير خفية السناء، ولا مجهولة الغناء (*الذخيرة* 2. 1 / 285) لكن شهرته كأديب وكاتب جعلت الأنظار تتجه

إليه. وكانت سببا في وقوع الاختيار عليه من علي بن يوسف. فلم يكن له بد من الإجابة لدعوة أمير المسلمين. وما زالت لدينا نماذج من الرسائل التي حررها باسمه أورد بعضها الفتح بن خاقان في *قلائد العقيان* نذكر منها :

- *رسالة إلى أهل إشبيلية* بتاريخ 512 هـ يدعوهم فيها للتأليف والوئام وترك التباغض والتنافر.

- *رسالة إلى أهل سبتة* يعلمهم فيها بتولية الأمير يحيى بن أبي بكر.

- *رسالة إلى عبد الله بن فاطمة* أحد العمال يحثه على التزام أحكام الحق وإيثار أسباب الرفق.

- *رسالة إلى أهل غرناطة* بتاريخ 19 رمضان 507 هـ يعاتبهم على ما يقومون به من تشغيب.

- *كتاب إلى ابن حمدين* بقرطبة يقوم فيه بتزكية عياض.

وللتعريف بطريقته في الكتابة نقتصر على إيراد فقرة من رسالة كتبها على لسان حاج بعد زيارته لقبر النبي عليه السلام : .... ، لما صدرت يا رسول الله من زيارتك الكريمة، وقد ملأت هيبتك ومحبتك أرجاء فكري، وفضاء صدري، وغشيني من نور برهانك ما بهر لبي، وعمر قلبي، لحقني من الأسف لبعد مزارك، والحنين إلى شرف جوارك، ما أودع جوانحي التهابا، وأوسع جوارحي اضطرابا، وأشعر أملي عودا إلى محلك المعظم وإيابا. وكيف لا أحن إلى قربك. وأتهالك في حبك، وأعفر خدي في مقدس تربك، وبك اقتديت فاهتديت، ولولاك ما صمت ولا صليت، ولا طفت ولا سعيت...". ومما أورده ابن عبد الغفور في كتابه إحكام صنعة الكلام قول ابن بسام : كتاب العصر ورؤساء النثر أربعة : كلاعيان وفهريان. أما الكلاعيان، فأبو بكر بن القصير وأبو محمد بن عبد الغفور، وأما الفهريان فأبو القاسم بن الجد وأبو محمد بن عبدون (ص. 110) وأما الفتح بن خاقان، فقد حلاه بقوله : "ملأ المهارق بيانا وأرى السحر عيانا" ومهما يكن، فإن أسلوبه يمتاز بالسلاسة والوضوح ولا تكاد الأسجاع والمحسنات البلاغية تثقله وتعمي معانيه.

توفي أبو القاسم سنة 515 / 1121-22.

ابن بسام، *الذخيرة* ؛ ابن خاقان، *قلائد*، بولاق 1983 ؛ ابن دحية، *المطرب*، الخرطوم 1954 ؛ ابن عبد الغفور، *إحكام صنعة الكلام*، بيروت 1966 ؛ ابن بشكوال، *الصلة*، القاهرة 1966.

محمد زنيبر

أحْديدْ، أسرة تطوانية لم نتوفر على وثائق تثبت أصلها، غير أننا نعرف أن جل أفرادها كانوا يعملون في الجندية. وهكذا نجد اثنين منهم اسمهما محمد وعبد الله يعملان كجنديين بحامية تطوان سنة 1246 / 1830.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين* ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 216 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* (H) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* (A) ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) (H) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* (A).

محمد ابن عزوز حكيم

الأحرار، (حزب ـــ) تم تأسيس هذا الحزب بمدينة الرباط مساء يوم عيد الفطر عام 1354 / 27 دجنبر 1936 من طرف جماعة من الشباب الوطني، محمد الرشيد ملين، وأحمد رضى گديرة، ومحمد الركراكي، ومحمد الزياني، ومحمد برقليل، ومحمد أمين بلگناوي. أقسم هؤلاء الأعضاء المؤسسون على "أن يحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه، وأن يعمل على بث روح المحبة بين المغاربة أجمعين، وأن يجدّ لتكوين تشكيلات يكون الغرض منها تطبيق مبدأ المحبة عملا بالحديث النبوي : "لا يومن أحدكم حتي يحب لأخيه ما يحب لنفسه" (*فصل الشتاء* ، ص. 51). وقد عبر محمد الرشيد ملين بعد هذه الفقرة عن المخطط العام للأحرار بقوله : "لم يكن تكثير الأفراد المنتمين إلى الهيأة يهمنا بقدر ما تهمنا رؤية مبدئنا يطبق، فالغاية التي سعينا إليها هي القضاء على تلك الحواجز التي حالت دون الاتصال والتعاون بين منظمات وطنية متحدة الأهداف، متحدة الوسائل، متحدة الروح، حواجز جعلت النخبة المغربية تنقسم على نفسها. وبعبارة أخرى كنا نؤمل أن نجعل من كل وطني رمزا للوطن، يحبه الوطنيون أجمعون ويضحون في سبيله، ويحيطونه بعطفهم واحترامهم، كنا ندرك صعوبة تحقيق برنامج كهذا ، ولكنا عملنا على الأقل، على تطبيقه بيننا، وقد تعددت الفرص في طريقنا لتجربة درجة استعدادنا وتشبثنا بالوعد الذي قطعناه على أنفسنا".

كان محمد الرشيد ملين رئيس تشكيلة وطنية بالرباط تابعة لكتلة العمل الوطني، وشارك في مظاهرات 1936 على إثر اعتقال اليزيدي وإيقاف الصحافة الوطنية، لكنه صُدم في تصوره للوطنية وإدراكه لها عندما انشقت الكتلة الوطنية إلى فرقتين : الحزب الوطني بزعامة علال الفاسي، والحركة القومية بزعامة محمد حسن الوزاني، فقرر هو ورفاقه الابتعاد عن الفئتين المتنازعتين، مع البقاء في ميدان الحركة الوطنية والعمل في خدمة المواطنين، وأسسوا زمرة الأحرار (هكذا سميت في البداية قبل أن تأخذ اسم حزب الأحرار) في التاريخ المذكور.

وفي سنة 1943 أصبح للأحرار جريدة *الصوت الوطني* *La voix nationale* وهي أسبوعية تصدر بالفرنسية، بعد أن تنازل لهم مديرها عبد اللطيف الصبيحي عن تسييرها ونشرها وتحريرها. وبعد تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال دون استشارة زمرة الأحرار، بادر محمد الرشيد ملين بتهييء عريضة العلماء والفقهاء والأدباء والطلبة، وكان على رأس الموقعين عليها حافظ العصر السيد المدني بن الحسني، ووزير العدلية السابق محمد الرندة الذي أمر طلبته الحاضرين في درسه بمسجد مورينو بالذهاب بها للقاضي مولاي أحمد البدراوي ليوقع عليها ويأمر العدول بالتوقيع، وقد فعلوا، علاوة على عدد من أعضاء مختلف الوزارات بالقصر الملكي. فحمل العريضة وفد برآسة محمد الرشيد ملين إلى جلالة الملك محمد الخامس.

وشارك الأحرار في نادي روزفيلت سنة 1945 الذي أسسه عبد اللطيف الصبيحي بالرباط بمساهمة عدد من الوطنيين في العدوتين أمثال الرشيد ملين والطاهر زنيبر وأبي بكر الصبيحي. وكان الغرض الرئيسي للنادي هو التشويش على الفرنسيين وإحراجهم بالتقرب إلى الأمريكيين والرئيس روزفيلت الذي وعد الشعوب المضطهدة في أعقاب الحرب العالمية الثانية باسم الحلفاء بالحرية وإزاحة نير الاستعباد. وقد حاربت الإدارة الاستعمارية الفرنسية هذا النادي وعملت على توقيف نشاطه.

وقد نُفي محمد الرشيد ملين رئيس الأحرار إلى أسُول بالصحراء في مستهل سنة 1953 حين اشتد تكالب الفرنسيين على الوطنيين استعدادا للانقضاض على رمز سيادة الأمة محمد الخامس طيب الله ثراه. وبعد الاستقلال أصدر محمد الرشيد ملين كتابين يحكي فيهما قصة الكفاح الوطني وضمنه كفاح الأحرار زمرة وحزبا، وعنوان أولهما *نضال ملك* في جزءين، وقد ألقاه أولا أحاديث مسلسلة بالإذاعة الوطنية، والثاني بعنوان : *فصل الشتاء في أسول*، أو الكفاح السياسي لحزب الأحرار. القسم الأول في سلسلة الأحرار السياسية. كما أصدر حزب الأحرار جريدة *النضال* بالرباط "جريدة أسبوعية للدفاع عن الحرية والتآخي بين جميع طبقات الأمة. صدر أول عدد من جريدة النضال يوم 9 ماي 1967 وربما كان آخر عدد صدر منها بتاريخ 30 شتنبر 1967.

وإلى ذلك أنشأ الأحرار جمعيات ثقافية ورياضية وفنية واجتماعية، منها أحباء الأدب والأخلاق، وجمعية سيدي فاتح لتنشيط الحركة الثقافية، وجمعية التمثيل، والمغرب الرياضي الرباطي، وكشفية يعقوب المنصور، وجمعية أصدقاء الطالب.

م .الرشيد ملين، *نضال ملك : فصل الشتاء في أسول أو الكفاح السياسي لحزب الأحرار* : القسم الاول ـ الرباط د.ت ؛ *النضال*، جريدة حزب الأحرار.

محمد الأمين بلغيتاوي

الأحْـرَش، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حسان الجبلية. وكان أول فرد منها انتقل إلى تطوان منذ قرن هو الفقيه محمد بن عبد القادر الأحرش الذي كان يتعاطى خطة العدالة من سنة 1302 / 1885 إلى سنة 1318 / 1900.

ولا زالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ الرهوني، *عمدة الراوين* 3 : 65 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 (H) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 (H) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

الأحْـرَش، أسرة سلوية تنتسب إلى جبل العلم، وربما كان أصلها من قبيلة بني حسان الريفية. ولا يُعرف تاريخ استيطان آل الأحرش بهذه المدينة إلا أنه يبدو من تشعبها وتداخلها بالمصاهرة مع الأسر السلاوية العريقة أنها تقطن سلا منذ عدة قرون. وتختزن ذاكرة أفراد هذه الأسرة أن أجدادهم سكنوا حي النميلة بسلا طوال أربعمائة سنة. وجامع النميلة المعروف حتى اليوم بسلا يقع تحت عقبة المكودي بحي الجامع الكبير بسلا. كان من آل الأحرش فقهاء وعدول وتجار، منهم :

الأحْـرَش، أحمد بن **عبد الرحمان** بن محمد، فقيه فلكي ولع بنساخة الكتب خاصة كتب التوقيت والتنجيم، وما زالت بعض منتسخاته محفوظة في الخزانة العلمية الصبيحية بسلا.

الأحْـرَش، أحمد بن **محمد** المتوفى في شهر رجب عام 1353 / أكتوبر 1934. كان من كبار تجار الشياب في العدوتين، يستوردها من إنجلترا وألمانيا.

كما كان من أوائل الوطنيين الذين واجهوا الاستعمار بسلا

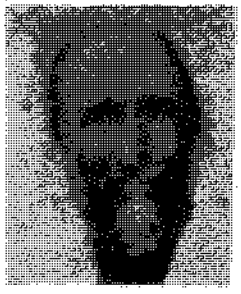

أحمد بن محمد
الأحرش

الأحْـرَش، بوعمرو (أو أبو عمرو) بن الحاج أحمد. كان يتاجر في لندن أواخر القرن التاسع عشر. وأفلس واعتقله عامل سلا الحاج محمد بنسعيد. وربما كان يعمل في تصدير الصوف مع شريكيه أخيه الحاج محمد الأحرش، ومحمد بومسلك البرهمي. وكانت وفاة بوعمر الأحرش بعد عام 1303 / 1886.

الأحْـرَش، عبد الله بن أحمد الذي كان يتعاطى خطة العدالة بسلا عام 1215 / 1800.

م. حجي، *فهرس الخزانة العلمية الصبيحية بسلا* ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز : الاستطان والحماية* ج. 1 ؛ *وثائق عائلية بالخزانة العلمية الصبيحية*.

محمد حجي

الأحْـرَش، محمد، ولد سنة 1928 بدوار المزاب، فخذة القلعة، قبيلة بني وليد إقليم تاونات، لم يكن منضويا تحت لواء فرق جيش التحرير المغربي ولكنه كان يقوم بدور استعلامي، حيث كان يزود قيادة جيش التحرير بأخبار بعض الفرنسيين وتحركاتهم. ولما علمت السلطات الاستعمارية بعمله الفدائي نظمت هجوما على دار والده فأعدمته بتاريخ 1956/7/3 بالمزاب.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

أحَرْضَان، (أولاد ــ) أسرة من أغنى أسر طنجة وأكثرها وجاهة، اشتهر منها في التاريخ الحديث موظفون كبار مع المخزن، أمناء ونظّار أوقاف، وغيرهم، منهم :

أحَرْضَان، أحمد (الحاج ــ) كان أمينا وأحد تجار السلطان بالمغرب وبمدينة قادس سنة 1830.

أحَرْضَان، عبد السلام من أمناء طنجة في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان. أصبح في العهد الحسني موظفا ساميا مكلفا بتفتيش أمناء المراسي والمستفادات، فكان يطلع على مداخيلهم ومصارفهم، ويتفقد كل المرافق والمصالح التابعة لهم بصفته أمينا مفتشا ينتمي إلى الأمناء المعروفين بأمناء الاختبار. كان يراجع كشوف الأمناء وسجلاتهم، ويقدم للجهاز المخزني تقريرا مفصلا عن الأمانة التي يتولى مراقبتها.

وكان الحاج عبد السلام أحرضان، منذ مطلع القرن الحالي، أحد أعضاء المجلس الاستشاري للنائب الحاج محمد العربي الطريس بدار النيابة الطنجية. وكانت الهيئة المخزنية مكونة من نخبة من الموظفين ، وهم : القائد عبد الله بنسعيد السلوي ؛ والفقيه عبد القادر المراكشي ؛ والفقيه الطيب بن كيران ؛ والأمين الحاج عبد الحفيظ برادة؛ والفقيه محمد بن علي الهواري الفاسي ؛ ومحمد بن العباس القباج .

أحَرْضَان، عبد الكريم. شغل بطنجة عام 1266 / 1850 منصب ناظر الأحباس، ثم نجده في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان أمين مرساها، وقد أورد محمد داود تقييدا جعله من الموظفين المكلفين بجباية الرسوم الجمركية ومراقبة التجارة بها. وتذكر الوثائق المخزنية أنه التحق بدار النيابة، وعمل بها مساعدا للنائب السلطاني محمد الخطيب. وفي تلك الأثناء، عين عضوا في اللجنة المالية التي فرضتها إسبانيا على المخزن في أعقاب النزاع المسلح الذي دار بتطوان سنة 1860، فسافر في 11 ديسمبر 1860، مع هذه اللجنة إلى الصويرة بصفته مكلفا بدفع الغرامة الحربية التي يتعين على المغرب أداؤها تعويضا لإسبانيا عن خسائر حرب تطوان التي أعلنتها عليه.

ع. زيدان، *العز والصولة*، 306 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ج. 5 و6 ؛ *الوثائق*، دورية الرباط، المجموعة 4، 1977 ؛ ن. التوزاني، *الأمناء بالمغرب*.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 2 : 43-45, 3 : 32.

عبد العزيز التسماني خلوق

أحْسَايْن، رمضان بن عمرو بن عبد الرحمان. ولد بقرية تغجيرت بدائرة أحفير بإقليم وجدة سنة 1918. انخرط في صفوف المقاومة وشارك تحت رئاسة المقاوم أحمد بن علي في عدة أعمال فدائية. وفي يوم 2 يناير 1954 كلف بتنفيذ حكم الإعدام الذي أصدرته المقاومة المغربية ضد أحد مفتشي الشرطة الفرنسية بوجدة الذي كان أسرع منه وأطلق عليه رصاص مسدسه فاستشهد في الحين.

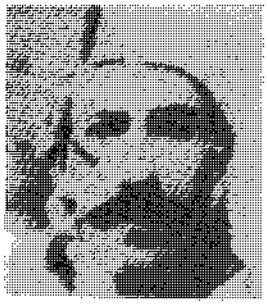

أحساين رمضان

وثائق المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير.

عز الدين العلام

أحَسُّون، أسرة تطوانية انقرضت، وكان أصلها من ناحية الريف، وليست هي الأسرة التي تعرف بأولاد حسون الجبلية الأصل والتي لا زالت موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 24:3 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1944.

محمد ابن عزوز حكيم

الإحصاء بالمغرب، تمثل إحصاءات السكان المنطلق الضروري لكل عملية تنموية والمادة الخام الأساسية لمختلف الدراسات المتعلقة بالطابع الديمغرافي (العدد والنمو والبنيات العمرية والجنسية والوظيفية) والطابع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي (الشغل والسكن والإقامة والتعليم والمستوى الثقافي) بإمكان الباحث الحصول على كثير من تلك المعلومات قصد استعمالها مباشرة أو بعد تقاطعها، إلا أنها لا تغطي جل المواضيع التي قد يحتاجها كل متخصص، لا سيما وأن العمليات الأولى للإحصاء كانت عبارة عن تعداد تقريبي للسكان أو مجرد تقديرات (تعدادات 1921 و1926 و1931 بالمنطقة الجنوبية و1930 و1935 بالمنطقة الشمالية).

ولم تظهر في الفترة الاستعمارية معلومات إضافية من الناحية الديمغرافية واللغوية والوظيفية إلا مع إحصاء 1936 الذي جاء بعد وضع لائحة كاملة بأسماء الدواوير والقبائل وبعد تدعيم إدارة الحماية وتحسين مستوى المشتغلين بعملية الإحصاء. فكانت الأخطاء والثغرات التي أفلتت من المراقبة الإحصائية قليلة.

في الوقت الذي تحسنت فيه ظروف العمل بشكل ملموس وألف فيه الناس عمليات التعداد وتوطدت تقنيات السلطات الإدارية، كان من المنتظر أن تأتي نتائج أحسن وأشمل. غير أن تعدادات 1940 و1950 بالمنطقة الشمالية و1941 بطنجة، و1951.52 بالمنطقة الجنوبية، جاءت بعكس ذلك أقل جودة من تعداد 1936. حيث كانت تشوبها عدة

نواقص ونقص من التقدير أو تضخم في عدد السكان، بسبب الأوضاع السياسية المضطربة آنذاك وتحركات السكان المتواترة وإمساكهم عن الإدلاء ببعض المعلومات. وبهذا لا يمكن مقارنة إحصاءات ما بعد الاستقلال وسابقاتها بنوع من الدقة والمصداقية إلا مع تعداد 1936.

إن عملية 1960 تعتبر أول إحصاء شامل وموثق تم إنجاحه باستعدادات مكثفة للسلطات المحلية وإدارات الإحصاء وبحملة إعلامية واسعة. وشمل كل الوسط الحضري والريفي بالنسبة لعدد السكان. أما رصد الخصائص المختلفة في الوسط الريفي فقام على استطلاع بنسبة 1/10 ورغم وقوع تقلص في عدد الصبيان أقل من سنة وسن الإناث والشيوخ بسبب التصريحات المشوهة عمداً في الأصل، فإن ذلك لا يقلل من صلاحية الإحصاء على المستوى الشمولي. وتظل نسبة الخطإ جد ضعيفة (ما بين 3,5 و4 ٪).

لقد تم اجتناب ارتكاب مثل تلك الأخطاء في إحصاء 1971 بواسطة جملة من العوامل، أساسها التعبئة الشاملة للإدارة والسكان والتهيء الملائم للمكلفين بالإحصاء والمراقبة الصارمة لعملية جمع المعلومات سواء في مكان الإحصاء أو في الإدارة المركزية. وطبقت هذه المرة الاستفاضة على كل من الوسط الحضري والوسط الريفي حتى تكون المقارنة جد غنية بين إحصائي 1960 و1971 والإحصاءات اللاحقة.

ولا شك أن إحصاء 1982 يعد أحسن واحد في الفترة المعاصرة. هنا أيضا تم تغيير الحدود الإدارية وحذف بعض الدواوير وظهور بعضها الآخر، إلا أن أسماء الأماكن أصبحت محكمة على الصعيد الوطني، وشمل الإحصاء أيضا الأقاليم الصحراوية التي عرفت سنة 1974 إحصاء في الفترة الاستعمارية الإسبانية. وقد سبقت إحصاء 1982 عمليات تمهيدية متعددة من الناحية التشريعية والخرائطية والتنظيمية، بل أصبح الإحصاء والاستطلاع تقليدا مألوفا حتى عند السكان. وبهدف المعالجة الدقيقة لمعطيات الإحصاء فقد أنشئ مؤخرا "المركز الوطني للفرز".

بإمكان الباحثين فرز كل المعطيات الإحصائية مباشرة في مصلحة الوثائق بمديرية الإحصاء انطلاقا من الخرائط الطبغرافية ودفاتر الجولات وبطاقات الأسر، كما يمكن لهم استغلال المنشورات الإحصائية التي تصدر عنها والتي توجد في بعض المؤسسات المتخصصة والمفتشيات الجهوية لوزارة التخطيط. تضم هذه المنشورات على العموم تحديد السكان القانونيين لمختلف الوحدات الإدارية وتحديد بنيات السكان الديمغرافية والاجتماعية والاقتصادية على صعيد وطني حسب الوسطين الريفي والحضري، كما تضم تحديد تلك البنيات على صعيد إقليمي وجماعي حسب الوسطين الحضري والريفي. إلا أن بعض تلك المنشورات تأتي مبتورة على المستوى المحلي أو متأخرة كما هو الشأن بالنسبة لنتائج إحصاء 1982 التي لم تظهر مدققة نسبيا إلا في نهاية سنة 1988.

وثائق مصالح الإحصاء ومنشوراته.

مصطفى عياد

أحْصُولْ، عيسى عمراني. أحد عُبّاد قبيلة بَقُّويَة وصلحائها خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري. ينتمي بالموطن إلى مدشر "تغْزَى"، الكائن عند الحافة الجنوبية من الجبل المعروف بنفس الاسم، مما يقابل مدشر الرواصني جنوبا. كان في عصره على رأس الصلحاء الملازمين لرابطة أم أيمن بمدشر تقيت، من القائمين هناك بالتدريس والوعظ. ظهر من جملة تلامذته هنالك الشيخ زكرياء بن يحيى التقيتي وأحمد بن سوسان البوسكوري.

ع. البادسي، *القصد الشريف*، 91-92 ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف*، 1 : 252-253.

حسن الفگيگي

أحَضْري، أحمد بن محمد بن العربي. ليس من السهل تحديد تاريخ ميلاده ووفاته. وكل ما نعلم أنه تتلمذ على الموسيقي محمد البوعصامي الذي عاش في أيام المولى إسماعيل، فيكون عصره هو القرن الثامن عشر الذي ظهر فيه اهتمام بجمع التراث الموسيقي الأندلسي بتأثير من السلطان سيدي محمد بن عبد الله ومن جملة من العلماء والأدباء وأهل السماع. وتتلمذ، أيضا، على شيخين آخرين هما سيدي مبارك بن سيدي عبد الله تگدمت برواية سيدي محمد بن مولاي عبد الرحمن الشريف وسيدي العربي بن محمد الغواشي.

وهو من أصل أندلسي، نشأ وعاش بمراكش ولعله كان ينتمي لأهل السماع، إذ ظهر ولوعه بالطرب والغناء وهو ما يزال صغير السن، واتجه بالخصوص إلى الألحان التي وضعت على أشعار المديح النبوي. ومن هنالك انجرّ إلى دراسة الموسيقى الأندلسية والتعرف على أصولها ورجالها، فترك لنا معلومات طريفة في هذا الصدد.

كان من نتائج بحثه واجتهاده أنه ألف كتابا بعنوان *ديوان الأمداح النبوية وذكر النغمات والطبوع وبيان تعليقها بالطبائع الأربعة*. ويتركب مؤلفه من قسمين : مقدمة ومجموعة شعرية. وفي المقدمة شرح بإسهاب المعلومات التي كانت متداولة في عصره عن الموسيقى. ورسم شجرة للطبوع وفصولها، ذاكرا من استخرجها ومن أنشدها وشيعها. وواضح من عمله أنه تأثر بشيخه البوعصامي، إذ اقتبس منه الترتيب الذي أخذ به في الطبوع. وشجرة الطبوع، كما يراها، هي :

1 . طبع الماية، وعنه يتفرع : رمل الماية، انقلاب الرمل، الرصد، الحسين. ونسبتها للدم وفصل الربيع.

2 . طبع الزيدان، وعنه يتفرع : العشاق، أصبهان الحجاز الكبير، الحجاز المشرقي، الحصار. ونسبتها للبلغم وفصل الشتاء.

3. طبع المزموم، ويتفرع عنه : المشرقي الصغير،

حمدان، غريبة الحسين. ونسبتها للصفراء وفصل الصيف.

4. طبع الذيل، وفروعه : الاستهلال، رصد الذيل، عراق العجم، مجنب الذيل، الرمل. ونسبتها للسوداء وفصل الخريف.

5. طبع الغريبة المحررة. وهي أصل بلا فرع. وتتصل بسائر الطبوع.

ولأحضري رواية طريفة عن إنشاء طبع الاستهلال إذ ذكر "أنه فرع من الذيل استخرجه الحاج علال من مدينة فاس. وكان من وزراء الأمير عبد الحق المريني. وكانت له قدم راسخة في علم الموسيقى. فلما قطع الأمير عبد الحق إلى الجزيرة الخضراء برسم الجهاد، جاز معه الحاج علال ليستفيد من أهلها ما يستفاد. فلما قدمها سمع بخبره أهل فنه، فتلقوه وطلبوا ضيافته للسلطان ومشوا به إلى دار الزعفران. فلما انضم الشمل وكمل المنى وحضر أهل الآلة وأرباب الغناء، تكلمت الأنغام الموسيقية وجاوبها أهل اللطافة والرقة بأنغام الذيل الشجية. ثم استنبط الحاج علال من نغمته هذا الطبع وصعد إلى مكان مرتفع وهلل به على رؤوس الجميع. ولهذا سمي بالاستهلال. ثم استحسنه أهل الجزيرة غاية الاستحسان. فلم يخرج علال من الجزيرة حتى أخرج معه الطبوع كلها. وهو أول من أتى بالآلة إلى المغرب" (*ديوان الأمداح*).

رواية أثبتناها لفائدتها الكبرى، ولو كانت قابلة للمناقشة، لأنها ترجع بنا إلى بداية استقرار الموسيقى الأندلسية بالمغرب.

وأما المجموعة الشعرية، فهي تحتوي على قصائد خاصة بالمدح النبوي، وقد رتبها المؤلف وصنفها إلى ثلاثة عشر طبعا، باعتبار أنغامها. وهي بالتتابع : أصبهان، الحجاز الكبير، الحجاز المشرقي، العشاق، رمل الماية، الرصد، غريبة الحسين، المشرقي الصغير، رصد الذيل، عراق العجم، الاستهلال، الصيكة.

والجدير بالذكر أن هذه القائمة تحتوي على طبعين فقدا من الآلة اليوم أو اندمجت بعض ألحانها الباقية في النوبات المحفوظة وهي : الصيكة والمشرقي الصغير.

والذي يهمنا اليوم في هذا المؤلف هو أنه يشكل حلقة مهمة في تاريخ الموسيقى الأندلسية، لأنه جاء قبل الحايك التطواني، صاحب المجموع الذي صار معتمدا في الآلة. ونقل عن سابقيه وتعرف على مصادر أصبحت اليوم في عداد المفقود.

أ. أحضري، *ديوان الأمداح النبوية* (مخطوط) ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، ج. 2 ؛ م. الحايك، *كناشة* ؛ م. المنوني، *تاريخ الموسيقى الأندلسية بالمغرب* ؛ البحث العلمي ع. 14-15 سنة 1969 ؛ ع. ابن عبد الجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، الكويت 1983.

أحَضْري، سليمان بن مخلوف، فصل البيذق في تسميته فقال : أبو الربيع سليمان بن مخلوف الحضري، شهر بابن البقال وابن تاعظميت عند أهل أغمات وبسليمان أحضري عند الموحدين. وربما وقع استبدال الحضري بالحضرمي. ومن دون شك أنه خطأ. فالنسبة الأخيرة تجعله ينحدر من أصل عربي، في حين أن كل القرائن تدل على أنه من أصل بربري، سيما وأن البيذق ينسبه لقبيلة هوارة. ووقع بعض الاختلاف في اسمه، *فالقرطاس* يدعوه سليمان بن خلوف، *والحلل الموشية* إسماعيل بن مخلوف.

وكان أحد العشرة أي من أهل الجماعة. كما كان معدودا في أهل الخمسين. وقد نال هاته المنزلة لأنه تكون على يد المهدي فكان من جملة طلبته في أغمات وريكة. ثم اتخذه المهدي كاتبا له يحرر الرسائل عن إذنه.

وكان من بين المشاركين في معركة البحيرة التي انهزم فيها الموحدون شر هزيمة وقتل كثير من رجالهم، وكان سليمان من بين الذين قتلوا فيها سنة 524 / 1130.

أ. البيذق، أخبار المهدي ؛ *كتاب الأنساب* ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ مجهول، *الحلل الموشية*.

محمد زنيبر

أحْفير، ـ جغرافيا ـ مركز يقع في أقصى الشمال الشرقي من المغرب. وينتمي من حيث التقسيم الإداري إلى إقليم وجدة، دائرة أبركان. تتربع الجماعة الحضرية على مساحة 6 كلمترات مربعة، تشغل الواجهة الشمالية الشرقية لسلسلة بني إزناسن والجزء الجنوبي من سهل طريفة، وبذلك فهي محاطة بجماعة أغمات القروية من كل الجهات باستثناء الناحية الشرقية حيث تمتد الحدود المغربية الجزائرية على طول وادي كيس الذي يعتبر الحد الطبيعي بين القطرين إلى مصبه في البحر الأبيض المتوسط شرق مدينة السعيدية.

تبعد مدينة أحفير عن وجدة بحوالي 37 كلم وعن ابركان والسعيدية بحوالي 20 كلم غربا وشمالا بالترتيب.

يوجد المركز الحضري في ملتقى الطرق الرئيسية 27 و28، وبذلك فهو حلقة وصل بين الدائرة الشمالية (دائرة ابركان) وباقي الدوائر الأخرى، فهو منفذ رئيسي تعبره كذلك الطريق المؤدية إلى القطر الجزائري التي كانت تلعب منذ القديم دورا تجاريا مهما.

وقد استرجعت مدينة أحفير دورها الاستراتيجي منذ عودة العلاقات المغربية الجزائرية سنة 1988.

تمتاز مدينة أحفير بحكم موقعها بمناخ متوسطي معتدل صيفا وشتاء لكونها منفتحة على البحر المتوسط شمالا ومحمية من التيارات الساخنة ناحية الجنوب بالسلسلة الجبلية، وتبعا لذلك فالمدى الحراري الفصلي لا يتعدى 10° بين أعلى درجة حرارية في غشت 32° وأدناها خلال يناير 18 ـ 20°. أما معدل التساقطات فيقدر بـ 450 مم سنويا، تستقبلها المنطقة بين شهري شتنبر وأبريل.

ينتمي معظم سكان الجماعة الحضرية إلى قبائل تاغجيرت التي تعتبر بدورها إحدى مجموعات بني ازناسن الكبرى وأهمها بني خالد وبني ادرارا.

يقدر مجموع سكان الجماعات بـ 17161 نسمة حسب إحصاء 1982 من بينها 16615 مغربيا، و546 أجنبيا. وتعرف المدينة نموا سكانيا معتدلا حيث تقدر نسبة التزايد بحوالي 4٪.

معظم سكان جماعة أحفير يشتغلون بالفلاحة حيث يمثل هذا القطاع 50٪ من النشاط الاقتصادي. ويتمركز نشاطهم بالمناطق المجاورة، بالخصوص سهل طريفة السقوي الممتد شمال المدينة، حيث تتمركز زراعة الخضروات والقطاني فضلا عن الزراعة الشجرية المتمثلة في الحوامض بالخصوص. أما بطون الأودية على الواجهة الشمالية لسلسلة جبال بني إزناسن فتشغلها زراعة الخضر والفواكه المختلفة وتربية الأغنام والدواجن.

إلى جانب الزراعة، تمثل اليد العاملة المشتغلة في الخارج 0.5٪ بالنسبة لمجموع اليد العاملة النشيطة، مع ذلك فمداخيلها من العملة الصعبة تعتبر جد مهمة بالنسبة لمداخيل المدينة. أما عدد السكان المشتغلين بالمهن الحرة فضئيل جدا.

التشكيل الحضري :

أ ـ مراحل التطور: شيدت النواة الأولى للمركز الحضري خلال السنوات الأولى من القرن الحالي، وتعتبر أول مركز استعماري أنشأته سلطة الحماية بالمغرب الشرقي بقيادة "مارتان بري". قد أطلق اسمه فيما بعد على النواة الأولى المكونة من ثكنة عسكرية، وحي إداري، ومستوصف وسجن مدني إلى حدود سنة 1917. هذا إلى جانب حي سكني يقطنه المعمرون الفرنسيون والطائفة اليهودية، أما نسبة السكان الأهالي فكانت ضعيفة جدا في هذه الفترة.

وبحكم موقعه، أصبح أحفير (مارتان بري دوكيس آنذاك) مركزا إداريا لمنطقة مهمة من سهل طريفة وسلسلة جبال بني إزناسن الشرقية.

وتتميز المرحلة الثانية بتوافد السكان الفرنسيين على ملوية السفلى خلال الثلاثينات. فكان لذلك انعكاس مهم على توسع المدينة حيث شيد الحي الأوربي وأصبح يضم البنايات السكنية ويعطي المنشآت الإدارية كمصالح البريد، والشرطة، والجمارك.

ابتداء من تاريخ اندلاع الحرب التحريرية الجزائرية توافدت على المدينة وضواحيها الجالية الجزائرية النازحة من المناطق المجاورة وأصبحت تشكل نسبة مهمة من عدد السكان الإجمالي.

أما المرحلة الثالثة فتبتدئ من سنة 1961 حيث اندلعت الهجرة القروية من المناطق المجاورة، فقد توافد على المدينة عدد كبير من سكان الوادي والدواوير، وذلك للأهمية الإدارية والتجارية والثقافية التي عرفتها المدينة، إضافة إلى كونها ملتقى الطرق التجارية ومركزا حدوديا مهما.

عرفت المدينة تطورا ملموسا منذ السبعينات من حيث البناء والتعمير موازية بذلك الارتفاع السريع لعدد السكان من جهة وتوفير السكن الملائم لكافة المواطنين من جهة أخرى، واستجابة لهذا الهدف جهزت عدة تجزئات سكنية، تمت بدايتها في إطار البرنامج العالمي للتغذية سنة 1970 حيث تم تشييد 332 مسكنا مستقلا ومسجدا، كما أنشئت تجهيزات أخرى، اثنتان منها جهزت من طرف الدولة وستة أخرى من طرف الخواص منها ما تم بناؤه ومنها ما هو في طور البناء. وتعتبر هذه الإنجازات عاملا أساسيا في توسع المدينة والقضاء على الأحياء الغير المندمجة، وتجدر الإشارة إلى أن الطابع المعماري السائد، هو الطابع المغربي الأصيل، روعيت فيه الجوانب العصرية في البناء، والحفاظ على البيئة الطبيعية وذلك بتخصيص مساحات خضراء صحية وترفيهية داخل كل الأحياء.

أحفير ـ صورة جوية

حرصا على ما تكتسيه المناطق الخضراء من أهمية صحية وترفيهية فقد عمدت الجماعة إلى تجهيز عدة حدائق مغروسة بفصائل شجرية تتلاءم مع الطبيعة المناخية السائدة. وقد أنجزت هذه الحدائق داخل وخارج المدينة مما جعلها تتميز بخصائص جمالية وصحية. ويبلغ عدد الحدائق تسعا، مسيجة ومفتوحة فضلا عن الحديقة العمومية التي تتوسط المدينة وهي موروثة عن عهد الحماية.

أحدثت بالمركز الحضري لأحفير منذ عهد الاستقلال مرافق إدارية ومؤسسات تعليمية وثقافية تلبية لحاجيات السكان تتمثل فيما يلي : ثانوية وإعدادية وست مدارس. كما يتوفر المركز على مركز للتكوين المهني ومركز تأهيلي نسوي ودار الشباب. كما يوجد بالمدينة ملعب بلدي لكرة القدم ومركب رياضي متعدد التخصصات.

تتوفر جماعة أحفير على سوقين رئيسيين :

ـ السوق الأسبوعي : شيد هذا السوق في الستينات على مساحة 57600 متر مربع، غرب المدينة وهو سوق أسبوعي تباشر فيه التجارة يوم الأحد والاثنين والخميس

ويعرف رواجا تجاريا لمختلف السلع كالخضر والفواكه والحبوب والمواشي، ومختلف السلع التجهيزية، والأدوات التقليدية.

- السوق اليومية : هو عبارة عن مركز تجاري حديث دشن سنة 1988، شيد على نمط الأسواق العصرية المغطاة الموجودة بالمدن الكبرى ويتوفر على 143 دكان ومقهى ومطعم، تشغل مساحته الكلية 27275 م وتعرض فيه المواد الغذائية والتجهيزات المنزلية والملابس.

بحث ميداني

محمد الدحماني

أحْفير، - تاريخ - صارت أحفير على خط الحدود بين المغرب والجزائر منذ توقيع اتفاقية مغنية سنة 1845، وهي في الأصل من المراكز التي استحدثتها فرنسا بعد احتلال وجدة يوم 29 مارس 1907، فصار المركز المذكور يُعرف باسم "مارتان بري دو كيس" (Martimprey de Kiss) منذ شهر يناير 1908.

يقع هذا المركز بأراضي قبيلة بني خالد (بني يزناسن)، ويُعْرَفُ موقعه عند قبائل بني يزناسن باسم أحفير منذ سنة 1859، وهو تاريخ الحملة الفرنسية التي قادها الجنرال "مارتان بري" بهدف زجر قبائل بني إزناسن التي ظلت تقاوم أطماع الفرنسيين في المنطقة. وقد عمد القائد المذكور إلى تحصين ذلك الموقع وحفر الخنادق حوله، وتزامنت هذه الحملة مع وفاة السلطان عبدالرحمان بن هشام (1822-1859) وإعلان إسبانيا الحرب ضد المغرب، فجهز قائد الحملة جيشا قوامه خمسة عشر ألف جندي، واقتحم به لأول مرة معاقل بني يزناسن (غشت 1859)، وتمركز بعين تافوغالت، وسيطر على الجبل وكل المسالك المؤدية إليه، إلا أن تفشي وباء الطاعون بين الجنود خصوصا في مكان تجمّعهم بواد كيس (أحفير) عجّل بانسحابهم من وجدة وناحيتها (نونبر 1859).

وبعد جلاء الجيوش الفرنسية عن موقع تجمعهم بواد كيس، صار الموقع المذكور يُعرف عند قبائل بني إزناسن باسم أحفير، وهي لفظة صيغت بالأمازيغية يُراد بها حُفَر كَبيرة، وهي بذلك قد تدل على ما وقع من حفر بالمكان المذكور من أجل التحصين العسكري، ومن الملاحظ أن اتفاقية مغنية سنة 1845 لم تشر إلى موقع أحفير كأحد معالم الحدود، وهذا دليل على أن تسمية المكان كانت بعد الحملة الفرنسية لسنة 1859. وإثر الغزو الفرنسي لناحية وجدة (1907)، جرت معارك كبيرة قرب أحفير بين قبائل بني إزناسن والقوات الفرنسية (نونبر 1907)، فتحصنت الجيوش الفرنسية مرة ثانية بنفس الموقع الذي تحصن به قائد حملة سنة 1859، ثم صار ذلك الموقع قاعدة انطلقت منها القوات الفرنسية لاحتلال جبال بني إزناسن.

وفي شهر يناير 1908 قرر الجنرال "ليوطي" (Lyautey) تشييد قرية بأحفير وإقامة حامية عسكرية بها، فأطلق اسم الجنرال "مارتان بري" على القرية المذكورة، ثم تحولت قرية "مارتان بري دو كيس" إلى مركز استعماري في إطار التقسيم الإداري الفرنسي في المنطقة من أجل إخضاع قبيلة بني خالد، واستقر به عدد من المعمّرين الفرنسيين الذين وفدوا من غرب الجزائر، وقررت السلطات الفرنسية نقل سوق أغبال الواقعة بقبيلة بني خالد إلى "مارتان بري دو كيس"، وما زالت السوق المذكورة تُعقد كل يوم إثنين ويوم خميس. وبعد فرض الحماية الفرنسية على المغرب سنة 1912 أقيم مركز للديوانة في "مارتان بري"، فصار محطة عبور بين إقليم وجدة ومرسى الغَزوات بالجزائر، وبعد استقلال المغرب (1956)، صارت قرية "مارتان بري دو كيس" تُعرف باسمها الأصلي أي أحفير.

Documents diplomatiques, Affaires du Maroc 1901-1912, Imprimerie Nationale, Paris 1905-1912, Vol. IV, p. 81-82, p. 89 et p. 126-128 ; A. Bernard, *La frontière algéro-marocaine* in A.F, 1908, p.205-216 ; Ch. René-Leclerc, *L'Amalat d'Oujda, conditions de son développement économique*, in A.F, 1910, pp. 254-263 ; A. Bernard, *Les confins algéro-marocains*, E. Larose Paris, 1911, pp. 144-147 et pp. 239-241 ; L. Voinot, *Oujda et l'Amalat*, pp. 571-575 ; *Le développement et les résultats de la guerre de 1859 dans les confins algéro-marocains*, in R.A, 1918 pp. 374-386 ; F. Llabador, *Le tragique épisode du combat du Bab El-Assa* 27/11/1907, in B.S.G.A.O, 1938 p. 78 et p. 89.

عكاشة برحاب

أحَكّام، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني زيات الغمارية. وقد استوطنت تطوان حيث كان جل أفرادها يشتغلون بالصيد البحري، فكان منهم رواس (جمع رايس) البحر يحتكم إليهم الصيادون في خلافاتهم ومشاكلهم، وكان أشهرهم وربما آخرهم الرايس احساين بن محمد أحْكّام المتوفى سنة 1938 م. ولم يبق من هذه الأسرة الآن بتطوان سوى امرأة واحدة

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط خاص ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 28 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 ; H. Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 (H) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

أحَكّان، أسرة تطوانية أصلها من ناحية الريف. وكلمة أحكان في اللهجة الريفية تعني مستنقع، ونعرف من أفرادها : محمد بن العربي والهاشمي بن أحمد ومحمد بن عبدالله والطاهر بن الغالي الذين كانو جنوداً بحامية تطوان سنة 1246 / 1830.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3:28 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 ; H. Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 (H) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

أبو أحْلاسْ، مجهول النسبة والبلد، لا يعرف إلا بكنيته "أبو أحلاس" التي تعني بالبربرية : «صاحب

البردعة» بسبب ركوبه دابة وضعت عليها بردعة مملوءة بقراطيس كتبت برموز سحرية. وقد ظهر بالسوس الأقصى في سنة 1207 هـ / 1793 م، أي بعد وفاة المولى اليزيد بن محمد بن عبد الله بوقت قليل، وحاول كسب الأتباع وتزعم حركة لا تعرف بدقة دوافعها ومراميها السياسية، ذلك أن كل ما وصلنا عنها صادر عن خصومها ومحاربيها.

يستفاد مما كتبه بعض الفقهاء السوسيين عن أبي أحلاس أن الأمر يتعلق بمغامر ادعى المهدوية أحيانا كما ادعى أنه المولى اليزيد أحيانا أخرى. وغالب الظن أنه حاول استعمال المهدوية والدعوة السياسية معا لكسب الأتباع، وهو بذلك لا يمثل إلا أحد نماذج المطالبين بالسلطة والمُوجهين في نفس الوقت للتذمر والاستياء الشعبي اللذين يظهران في أوقات الفراغ السياسي على المستوى المركزي.

ظهر هذا الداعية بمنطقة أيت باعمران ببلدة تاسريرت على ساحل البحر، وذلك بعد أسابيع قليلة من مقتل المولى اليزيد بمراكش (23 جمادى الثانية 1206 / 17 فبراير 1792). ومن المعلوم أن حضور عمال المخزن في منطقة سوس كان قد ضعف ابتداء من دولة سيدي محمد بن عبد الله عندما استقر أحد أبناء هذا السلطان، وهو الأمير مولاي عبد الرحمان، بوادي نون في سنة 1779. وأقام هناك إمارة شبه مستقلة عن حكم والده. أما تارودانت ومرسى أگادير فكانتا في وضع لا يختلف كثيرا عن هذا الوضع، وكان صاحب الأمر بهما هو حفيد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، مولاي عبد الملك المعروف بالزيزون. وكان وجود هذين الأميرين بساحل سوس يعتمد أساسا على مركزهما كوسيطين بين التجارة الصحراوية والتجارة البحرية الأوربية. ولم يتمكن المولى اليزيد خلال حكمه القصير (1790 - 1792) من تعزيز سلطته جنوب مراكش، وبذلك عاشت منطقة سوس عدة سنوات في شبه فراغ من عمال المخزن أفسحت المجال لظهور متمردين من أمثال أبي أحلاس.

ادعى أبو أحلاس في بداية أمره أنه هو المولى اليزيد الذي لم يُقتل حسب زعمه، ولستر أمره كان يحمل لثاما يغطي كل وجهه إلا عينا واحدة. ثم ادعى أنه الإمام المهدي المنتظر، وأنه جاء ليملأ الأرض عدلا بعدما مُلئت جورا، وزعم أحيانا أخرى أنه ولي من أولياء الله وأن السبعة الرجال المراكشيين هم الذين بعثُوا به الى تلك الأصقاع. ولم يتوان عن استعمال السحر والشعوذة للاستيلاء على ضعفة العقول من بين العامة. ونجح بفضل ذلك في استدراج الكثير من الأتباع خاصة من بين رعاع الناس وطغامهم. وأبرز ما طبع حركته معاداتها لليهود بصفة خاصة إذ أطلق يد القتل فيهم والنهب في أموالهم وممتلكاتهم كما أعلن العداء للطلبة وحملة العلم.

ولقيت حركة أبي أحلاس إقبالا كبيرا في بدايتها خاصة في صفوف العامة. ويقول صاحب *نزهة الجلاس* : إن أمره عظم بعد سيره الى گلميم "فأتته الناس بالنصر والهدايا من كل فج عميق". ولم تبق أصداء أبي أحلاس محصورة في منطقة سوس بل نجد ذكره عند ممثلي الدول الأوربية بطنجة. فقُنصل بريطانيا يشير إليه في تقاريره وينعته بالمغامر المعادي لليهود بصفة خاصة. لكن ما كتبه القنصل البريطاني نفسه يفيد بأن بطش أبي أحلاس لم يقتصر على اليهود. وعلى سبيل المثال فقد أحرق أربعين عائلة مسلمة في إحدى القرى، إلا أن حركة أبي أحلاس ، ككل حركة تدجيل، لم تدم طويلا. ولا شك أن إفراطه في البطش والتنكيل بالطلبة والفقهاء بقصد "طمس طريق الشريعة" على الناس كان من العوامل التي ألبت ضده قبائل سوس ودفعت ببعض الفقهاء الى تزعم حركة المعارضة التي عجلت بنهايته.

وقد حاربه علماء سوس وفقهاؤها بالكلمة والسيف معا. ومن الذين تجندوا لحربه محمد بن أحمد الحضيكي ومحمد بن أحمد التاساكاتي (الهلالي) وشيخه علي بن إبراهيم. وقد حرروا الفتاوي وكتبوا الرسائل للعديد من القبائل يحذرونهم فيها من هذا "الشيطان" الذي يدلس على المسلمين بإتيان خوارق العادة، والتي يزعم أنها من كراماته بينما "تكون الكرامة لمن ظهرت منه الاستقامة... لا لمن يرتكب الفجور ويقتل الطلبة والفقراء والذميين بغير حق". وشجب الفقهاء السوسيون بصفة خاصة قتل اليهود الموجودين تحت ذمة المسلمين. وفي قرية إفران، التي كان بها عدد هام من اليهود، منع فقهاء وأعيان البلدة أبا أحلاس من المس بهؤلاء أو النيل من ممتلكاتهم.

ويرجع الفضل في القضاء على أبي أحلاس إلى الفقيه محمد بن أحمد التاساكاتي الذي استطاع تجنيد اثني عشر ألف مقاتل من قبيلتي هشتوكة وولتيته، وإلحاق ضربة قاضية بهذا "الدجال" وشيعته. وبمقتله قرب تزنيت أواسط شعبان سنة 1207 هـ / 1793 م طويت صفحته.

أ. السلالي، *الفوائد المرضية للأنفس الزكية أو نزهة الجلاس في قصة أبي أحلاس*، مخطوط خ. ح رقم 4625 ؛ م.الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 5 ؛ وثائق وزارة الخارجية البريطانية (FO52/10) ؛ راجع أيضا ترجمة الأدوزي، محمد بن أحمد المرابط، بهذا الجزء من *معلمة المغرب*.

محمد المنصور

الأحْلاف، جمع حِلف بالكسر، بمعنى العهد أو المعاهدة بين القوم، وهو الصَداقة أيضا لأن الصديق يحلف لصاحبه أن لا يخونه. وكان الحلف عند العرب قديماً يبرم بين عدة قبائل أو عشائر لتوطيد العلاقات بينهما في السلم أو الحرب، فيصبح الطرفان المتعاقدان حلفاء أو أحلافاً، وكل طرف حليف للآخر. وكان في استطاعة أي شخص أن يدخل بمفرده في حلف مع قبيلة من القبائل، وهذه الحالة، تكون فكرة حلف المطيَّبين الذي عقدته قبيلة عبد مناف مع عدد من عشائر قريش ضد بني عبد الدار، وحلف الفضول، عقده بعض عشائر قريش للأخذ بناصر المظلومين.

ولما هاجرت القبائل العربية إلى المغرب، حملت معها

عوائدها وتقاليدها، فأصبحت تعقد تحالفات واتحادات، في موطنها الجديد، إما فيما بينها، طلبا للأمن والسلام حتى لا تتعرض لإغارة مُغير أو تضييع كبير من الأشياء أو صغير، كما كان يقصد من الحلف المبرم مع ملوك المغرب الذين حرصوا على اصطناع هذه القبائل المشاغبة بقصد تدجينها وكسب ودها، مستعملين جميع وسائل الإغراء : مثل المصاهرة، وتعيين زعماء القبائل في إدارة بعض الممتلكات، واتخاذ حجاب ومستشارين من زعماء القبائل العربية، كما فعل بنو مرين عندما ازدادت حاجة الدولة إلى هذه القبائل.

وأول اتصال لابن تومرت الموحدي بالقبائل العربية كان مع الثعالبة، عرب الجزائر، الذين سيصبحون من مؤيدي الدعوة الموحدية، عندما أهدوه دابة يركبها لأنه كان يمشي على رجليه (*الاستقصا*، 2 : 90). وفي سنة 633 / 1235، تحالف الرشيد بن المامون الموحدي مع جرمون بن عيسى وقومه عرب سفيان فاستولى على مدينة مراكش (*العبر*، ص. 535)، كما أن الموحدين ادعوا أنهم من أصل عربي لحمل القبائل العربية المقيمة بإفريقيا على المشاركة في غزو الأندلس (*المعجب*، ص. 225) وأثناء الصراع الذي قام بين الموحدين وبين بني مرين، تحالف بنو مرين على وجه الخصوص مع عرب ذوي عبيد الله. وقد تعددت الأحلاف في المغرب عبر حقب العصر الإسلامي. اشتهر منها بالخصوص فرقتان :

أحلاف المغرب الشرقي، وأحلاف الشاوية ودكالة.

أما فيما يتعلق بناحية الشاوية، فإن الأحلاف كانت في أوائل هذا القرن (1915) تشتمل بأولاد حريز على فخذ واحد يدعي الحلالفة وينتمي لأولاد يعقوب، وبالمذاكرة، على ثلاثة أفخاذ من الأحلاف وهي : أولاد حسن وأولاد الجيش والزكارة، بالإضافة إلى فخذين آخرين من الأحلاف، أحدهما ينتمي لأولاد علي، والثاني لأولاد امراح. (*Casablanca et Chaouia*, in Villes et Tribus, 2 : 8-10).

غير أن هذا التوزيع تغير في 1956 فأصبح أحلاف الشاوية يشتملون على أحلاف مَليلة بالمذاكرة، وهم أولاد عيسى وأولاد موسى والخبزيين وأولاد زيد وأولاد الجيش والزكارنة وأولاد صالح والبليديين الوزّيكة، وعلى أحلاف بني غيتون بأولاد امراح وهم : الأحلاف وأولاد عمور وبني غيتون وأولاد زهرة، وعين الضربان الجنوبية. (*Nomenclature des Tribus*, 32).

وأخيرا فإن قبيلة أولاد فرج عبد الغني بإقليم الجديدة تشتمل على أحلاف الفيض، وأحلاف أولاد الشيخ بالساحل.

ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. ابن منصور، *قبائل المغرب*.

Villes et Tribus, *Casablanca et Chaouia* ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc* ; *Nomenclature des Tribus*. Ministère des Finances, Rabat, 1956.

محمد الشباطي

الأحْلاف، قبيلة بهذا الاسم بنواحي مدينة تاوريرت بالمغرب الشرقي. (إقليم وجدة) وتمتدّ أراضيها على ضفتي واد زا في مجراه الأسفل إلى مصبه بنهر ملوية، وتُنسب القبيلة المذكورة إلى عرب معقل الذين استوطنوا التخوم الشرقية من بلاد المغرب الأقصى ما بين ملوية ودرعة في تاريخ غير معيّن. ويرجع نسب الأحلاف إلى العمارنة والمنبات، وهما من بطون ذوي منصور. ولما قامت العداوة بين بني مرين وبني عبد الواد كان الأحلاف يستقرون بموطنهم الذي يُعرفون به حاليا في المغرب الشرقي. بل صارت أرضهم في بعض الأحيان منطقة حدود بين ملوك تلمسان وملوك فاس، خصوصاً بعد تشييد قصبة تاوريرت في عهد المرينيين.

وقد استطاع سلطان تلمسان أبو حمو الثاني (760 / 1359 ـ 791 / 1389) أن يستميل إليه الأحلاف بعض الوقت، إلا أنهم خذلوه وأذعنوا لسلطة المرينيين، ولا يُعرف عنهم الكثير في عهد السعديين، ولما غزا مولاي محمّد بلاد أنكاد في منتصف القرن السابع عشر بايعه الأحلاف، وصارت لهم حظوة عند ملوك الدولة العلوية بعد أن زوّج السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757 ـ 1790) بعض أولاده ببنات الأحلاف وعلى رأسهم مولاي سليمان (1792 ـ 1822)، ومن أجل ذلك كان المولى عبد الرحمان بن هشام (1822 ـ 1859) يخاطب قائدهم في مطلع القرن التاسع عشر بعبارة "خالنا الأرضي" (بوزيان الشاوي الأحلافي).

ومما زاد في أهمية الأحلاف تَحكُّمهم في المسالك الرابطة بين وجدة وتازة، وقد تمكنوا من السيطرة على جزء كبير من بسيط أنْكاد بعد أن تغلبوا على قبائله في مطلع القرن التاسع عشر، وأصبحت لهم الزعامة على قبائل وجدة وتازة في ولاية القائد بوزيان الشاوي. وإثر احتلال فرنسا للجزائر (1830) أمر السلطان عبدالرحمان بن هشام قبيلة الأحلاف بالانتجاع والنزول بطرف الإيالة على طول الحدود الشرقية، وذلك خوفًا من ترامي الفرنسيين على الأراضي المغربية، فنزل الأحلاف ببسيط أنكاد وبعَيْن بني مطهر، وقد خلّف نزولهم بأنكاد نزاعات مع قبائل وجدة، غير أنهم فقدوا الزعامة على قبائل وجدة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فتقلّص نفوذهم بعد أن عادوا إلى موطنهم الأصلي بجوار قصبة تاوريرت. وكانت قبيلة الأحلاف تتركب من الأفخاذ التالية حسب التقسيم المخزني في القرن التاسع عشر : الكرارمة ـ أولاد السهلي ـ أولاد سليمان ـ الأرباع ـ غفُولة.

غير أن التقسيم الإداري في عهد الحماية اعتبر الكرارمة قبيلة مستقلة عن الأحلاف، فظهر تقسيم جديد للقبيلة، تمثّل في ثلاث فصائل وهي : الأرباع وأولاد المهدي وأولاد سليمان.

ابن خلدون، *العبر*، 6 : 131 ـ 135، 7 : 681 ـ 683 ؛ *تقييد إيالة وجدة ونواحيها وبعض القبائل المجاورة لفاس سنة 1309 هـ*. كتاش

الخزانة الحسنية رقم 192 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 3 : 357. 5 ؛ 446؛ ع. بنمنصور، *قبائل المغرب*، 1 : 425. 426.

La Martinière et Lacroix, *Documents pour servir à l'étude du Nord-Ouest Africain*. publiés par le Gouvernement Général de l'Algérie. Lille 1894, T. I, pp. 160-162 ; L. Voinot, *Oujda et l'Amalat*, pp. 191-192 ; *Résultats statistiques du recensement de la population civile de l'empire Chérifien*, effectué le 7 mars 1926, p. 282.

عكاشة برحاب

أيت **أحمد أعلي** ← **أزوافيط**

ابن **أحمد القاضي** ← **العلوي محمد بن أحمد**

الأحلافي، الحاج محمد بن المرابط الشيظمي كان عاملا على مدينة أسفي في عهد الحسن الأول، وله مراسلات معه في شأن المحميين والمستوطنين الأجانب الذين كانوا يزعجون آنذاك حكومة المخزن وممثليها في الأقاليم بتظلماتهم التي لا تستند في الغالب على أساس صحيح. وقد اشتكى أحد سماسرة الأنجليز المدعو الحاج الحسين الشياظمي من العامل الأحلافي مدعيا أنه ترامى عليه وأهانه وأخذ ما بيده من مال التاجر الأنجليزي إدوارد كرارة وتكررت المراسلة في الموضوع سنة 1295 / 1878 بين الباشدور الأنجليزي والنائب السلطاني محمد برگاش والأحلافي الذي برئت ساحته في النهاية وصدر أمر سلطاني إلى الباشدور "ألا يُنصت بعد لأهل الترهات والأباطيل".

الوثائق المخزنية ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان* 3 : 1033. 1035.

محمد حجي

ابن **أحْمَد**، أحد المراكز الحضرية بالشاوية، ويوجد بالضبط في الشاوية العليا على مقربة من السفح الذي يفصل هذه المنطقة عن سهل برشيد. موضعه على جوانب واد الأحمر وموقعه على الطريق المؤدية من برشيد إلى قصبة تادلا.

وتتوسط هذا المركز الحضري منطقة فلاحية هي من أخصب سهول المغرب. ولذا فقد واكب تطوره النمو الفلاحي للمنطقة كما أن حداثة النمو الحضري كانت مزامنة للتعمير الفرنسي للأرض الفلاحية بالسهل.

ففي بداية القرن، يتضح من الأوصاف الجغرافية، أن قصبة ابن أحمد لا تتكون إلا من مجموعة من النوالات والحوانيت، يقطنها نحو ألف أو ألف وخمسمائة ساكن، وتحميها قلعة. ويظهر أن القصبة تمّ تشييدها ما بين 1875 و 1880 من طرف القايد ابن أحمد. إلا أن المركز كان موجودا قبل هذا العهد. فالنصوص تذكر أن تاجرا فرنسيا أقام به بعض الوقت سنة 1865 لربط علاقات تجارية مع منطقة تادلة، وقصد تأمين طريق ثانوية بالمقارنة مع طريق مراكش عبر سطات. ثم تطور المركز بنمو نفوذ قواد محليين أغنياء امتلكوا مساحات زراعية واسعة.

وحسب الأوصاف المقدمة عن المركز في بداية القرن، فإن ما يثير الانتباه هو أهمية مخابئ الحبوب المتعددة، قرب قصبة محصنة، في داخلها بعض المنازل والحوانيت، على جانب طريق صغير.

إلا أن نمو هذا المركز توقف منذئذ بعد أن تمّ هدم القصبة سنة 1908. فبقيت القصبة بعد ذلك مخربة ولم يجدد بناؤها، كما أن إحصاء سكانها سنة 1926 لم يشر إلى أكثر من 1103 من السكان.

ويمكن اعتبار مرحلة التعمير الفرنسي للشاوية البداية الحقيقية لتطور المدينة. وقد بدأ هذا التعمير مبكراً حيث احتل الفرنسيون مركز ابن أحمد سنة 1908. وأصبح بذلك يكون بالنسبة لهم نقطة متقدمة جنوبا لحماية الدارالبيضاء ونقطة انطلاق لغزو المجالات الداخلية.

ثم أصبح ابن أحمد بعد ذلك أحد المراكز الفلاحية التي يعتمد عليها التعمير الفلاحي لمنطقة الشاوية. لكن صعوبات كثيرة اعترضت التعمير في ناحية ابن أحمد بسبب ندرة أراضي المخزن وشدة تجزيء أراضي الملك. ولم تتكون تجزئات حقيقية للتعمير الرسمي إلا بعد سنة 1922، بينما بلغت مساحة الأراضي المحتلة سنة 1927 ما تقديره 4819 هكتارا، وبلغ عدد المعمرين القاطنين في المركز 13 معمرا. بعد هذا التاريخ فقط تطور التعمير الفلاحي بسرعة حيث وصلت المساحة إلى 13000 هكتار سنة 1933 وارتفع عدد القاطنين إلى 44 معمراً.

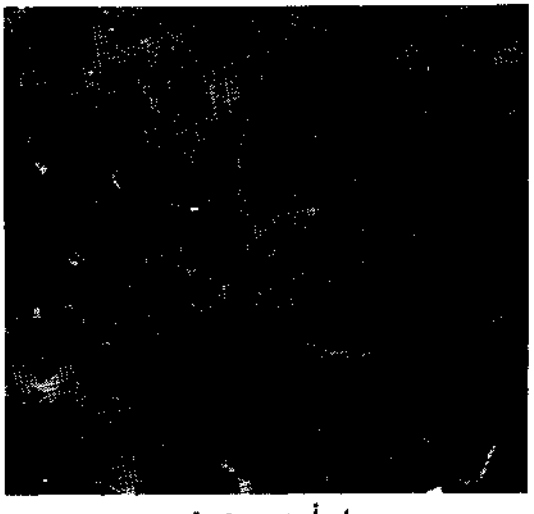

ابن أحمد ـ صورة جوية

وقد طرح منذ البداية بالنسبة للمدينة مشكل المواصلات. فقد وصل أول خط حديدي سنة 1915 إلى ابن أحمد واستمر إلى واد زم التي وصلها سنة 1917. ثم شرع في تشييد خط ثان إلى مراكش عبر سطات سنة 1923، بينما تم تحويل الخطّ المؤدي إلى وادي زم بعيداً عن مدينة ابن أحمد. وهكذا فقدت هذه المدينة أهم الخطوط التي وفرت لها في البداية.

وقد وقع نفس الشيء بالنسبة للطريق التي كانت تعبر المركز الحضري، ثم تحولت إلى خارج المدينة ابتداء من سنة 1936.

هذا يفسر النمو الدمغرافي الضعيف الذي عرفته المدينة التي أصبح يقطنها سنة 1956 : 1285 ساكنا فقط.

رغم ذلك، عرفت المدينة نموا اقتصاديا يعتمد على القطاع الثالث وخاصة تجارة الحبوب والصوف والجلد. فقد استقرت بها بعض الشركات التجارية المتخصصة في جمع المواد الزراعية، وظهر بها العديد من متاجر التقسيط. كما تطور الدور التجاري لسوقها الأسبوعي. فقد أصبح هذا السوق يلعب دور موزع إقليمي، يستقطب أسبوعيا ما يزيد عن 7000 من الوافدين.

ابتداء من الخمسينات عرفت ابن احمد نموا هامًا شبيها بنمو مختلف المراكز الحضرية الصغرى في المغرب. وهكذا وصلت ساكنتها إلى 4328 نسمة عام 1952، ثم 6650 سنة 1960 و10460 سنة 1971 و15808 سنة 1982. ويعزى هذا النمو القوي خلال السنوات الأخيرة إلى عامل الهجرة القروية.

ويتضح من الأبحاث الميدانية أن أصول سكان المدينة تتوزع كالتالي : 20٪ منهم مولودون بالمدينة، 57٪ قادمون من الشاوية، 10٪ من السهول الأطلنتية وتادلا، 10٪ من الجنوب و 5٪ فقط من شمال البلاد.

أما عن النسيج الحضري فقد ظهرت أول التحولات فيه مع مقدم المعمرين الذين أقاموا حيا عصريا عسكريا في البداية، ثم سكنيا وإداريا بعد ذلك.

والموقع كان يملي ضرورة التفريق بين مقر الحي الأوروبي والمدينة المغربية. فكل منهما يحتل سفحا للوادي، بحيث يكون الحيّان متقابلين.

والحيُّ الأوروبي موجود على السفح الشمالي، قاعدته الطريق التي تربط المركز بالطريق المؤدية إلى تادلا، فوقها بنايات عليا تجارية ومقاه، ثم بنايات إدارية، وتستقر فوق الهضبة دور فردية سقفها أحمر مزدوج، محاطة بحدائق صغرى.

أما الحي المغربي فهو على السفح الجنوبي للوادي، يفصله عن الحي الأول مجال فارغ واسع، تم تحويله في البداية إلى حدائق عمومية، بينما نراه حاليا يمتلئ بسكن هزيل متكدس. ويمتاز الحي المغربي ببنائه المزدحم وبدوره الصغيرة المتدرجة على السفح الجنوبي.

ولم تعرف المدينة في السنوات الأخيرة تطورات حضرية حاسمة. فرغم النمو السكاني نرى أن الرقعة الحضرية لم تتسع كثيرا، كما لم تنشأ أحياء جديدة حقيقية، بل نشهد اكتظاظا سكنيا في الأحياء الموجودة وخاصة منها الأحياء الجنوبية، مع ملء للفراغات التي كانت تتوسط المدينة. كل هذا يتم دون أن يكتسب هذا المركز وظائف اقتصادية هامة تخلق فيه النشاط والحيوية. فابن أحمد مدينة صغيرة، تنمو ساكنتها بسرعة، دون أن يواكب ذلك نمو اقتصادي وتنويع وظيفي. وهي مدينة ظلت إلى اليوم تعتمد خاصة على القطاعين الفلاحي والتجاري.

S. Akkari, *Trois petites villes de la Chaouia intérieure, Settat, Benahmed et El Gara*, D.E.S., Fac. Lettres Bordeaux, 1965.

عبد الله العروسة

أيت أحمد ← شتوكة

أحمد بن **إدريس الأزهر**، تركه أبوه لما مات صغيرا لذلك لم يذكر له أغلب المؤرخين للدولة الإدريسة ولاية عندما وزع الإمام محمد بن إدريس أقاليم المغرب على إخوته بإشارة من جدته كنزة. إلا ابن أبي زرع في *القرطاس* فإنه ذكر أن مدينة مكناس وبلاد فازاز وتادلا كانت من نصيب أحمد. وعلى ذلك درج الفضيلي في *الدرر البهية*. وذكر أن أحمد ابن إدريس بدا له في نبذ طاعة أخيه الإمام محمد بن إدريس ورام الاستبداد بإيالته، وبقي على ذلك إلى أن توفي ـ ولم يذكر تاريخ وفاته ـ وتفرق عقبه في بلاد زواوة والصحراء وبني مسارة، وجلُّهم ببلاد مغراوة، ويعرفون بالگنونيين، واستقر بعضهم بتطوان وفاس ولقبوا بأهل الزواقين. ومن حفدة أحمد كذلك الدرقاويون.

أ. البكري، *المغرب* ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ ل.ابن الخطيب، *أعمال الاعلام* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 ؛ 11 و159ـ165 ؛ إ. العربي، *دولة الأدارسة* ؛ المريني العياشي، *الفهرس*.

أحمد الأعْـرج بن محمد القائم بأمر الله الشريف الزيداني الحسني السعدي. ولد بتگمادارْت من بلاد درعة عام 891 / 1486 وبويع كولي للعهد بإشارة من أبيه عام 12/918ـ1513 حين رجع القائم بأمر الله من درعة إلى تيدسي القريبة من تارودانت بسوس. ثم سار أحمد الأعرج مع والده إلى بلاد حاحا والشياظمة تلبية لطلب أشياخ هذه القبائل التي رغبت في أن يساعداهم على مدافعة العدو الكافر الذي اشتدت شوكته عليهم، فنزلا بأفوغال من بلاد حاحا حيث كان ضريح الشيخ محمد بن سليمان الجزولي. وقد أبلى أحمد الأعرج إلى جانب والده البلاء الحسن في جهاد البرتغاليين المحتلين لثغور عبدة ودكالة، طوال خمس سنوات، إلى أن توفي القائم بأمر الله عام 923 / 1517 فخلفه أحمد الأعرج في إمارة الجهاد بالمنطقة وفي الزعامة السياسية، وبقي أخوه الأصغر محمد المهدي الشيخ ينوب عنه في تدبير شؤون بلاد سوس ومجاهدة البرتغاليين المحتلين لثغور الجنوب.

قضى أحمد الأعرج زهاء ربع قرن على رأس إمارة الشرفاء الناشئة يجاهد البرتغاليين وحلفاءهم من قبائل عبدة ودكالة، خاض خلالها غمرات حروب طاحنة جعلته في النهاية يضيِّق الخناق على المسيحيين بعد أن تمكن من القضاء على أكبر حليف لهم يحيى بن تعفقت وشيعته المتعاونين مع العدو. الأمرالذي أكسبه صيتا بعيدا، وجعل الهنتاتيين حكام مراكش ينحازون إليه ويسلّمونه الحاضرة المرابطية ـ طوعاً أو كرهاً ـ ليتخذ منها عاصمة له. وبذلك

اتسعت رقعة نفوذه وأطاعته قبائل السهل والجبل. ومن ثم تغيرت طبيعة الحركات الجهادية التي يقوم بها أحمد الأعرج إذ أصبحت تضم عدداً أكبر من الرجال والخيل. بحيث لم يعد المسيحيون يقوون على مواجهتها وإنما يحتمون منها بالأسوار. تجلى ذلك في الحصار العنيف الطويل الذي ضربه أحمد الأعرج عام 940 / 1534 على مدينة أسفي أهم مركز يحتله البرتغاليون في المنطقة. وكان باستطاعته أن يلقي بأعدائه في البحر لولا تحرشات الوطاسيين به ومناوأتُهم له.

كان الوطاسيون في بداية حركة الشرفاء يؤيدونهم ويمدونهم بالمال والرجال لكنهم أخذوا يخشونهم بعد الانتصارات التي حققوها والسمعة الطيبة التي أصبحت لهم لدى عامة الناس وخاصتهم. فقلبوا لهم ظهر المجن، وجمع أحمد الوطاسي ما استطاع من المقاتلة قاصداً مراكش، وحاصر بها أحمد الأعرج مدة إلى أن اضطر إلى الرجوع إلى فاس بسبب قيام ثورة ضده في الشمال. وتجدد القتال بعد ذلك وتكرر بين أحمد الأعرج وأحمد الوطاسي، غير أنه كان يقع بعيدا عن مراكش، وجرت المعركة الفاصلة بينهما عام 943 / 1536 بمشرع بوعقبة على ضفاف واد العبيد من بلاد تادلا، انتهت بوثيقة صلح اعترف فيها الوطاسيون بسلطة السعديين وتخلوا لهم عن كل البلاد الواقعة وراء واد أم الربيع مكتفين بالقسم الشمالي من البلاد.

دخلت أحمد الأعرج نخوة الملك بعد أن أصبح يلقب بملك مراكش، وأخذ يعمل على التخلص من أخيه رفيقه في المسيرة الطويلة لتمهيد الدولة وتقعيد قواعدها، فأسند ولاية العهد إلى ابنه زيدان، وكان الحران بن محمد المهدي الشيخ أحق بها لأنه أكبر سناً على ما تعارف عليه السعديون منذ حياة والدهم القائم بأمر الله. ولما تمكن محمد المهدي الشيخ في ربيع 948 / 1541 من فتح حصن فونتي (أگدير) وحصل على مكاسب مادية ومعنوية عظيمة، أبدى أحمد الأعرج استياءه من تصرف أخيه في قسم الغنيمة واحتجاز أهمها لنفسه وجنده. وأخيرا صرّح الشر بينهما ولم تُجد وساطة بعض شيوخ التصوف شيئا، ووقعت المواجهة بين الأخوين أحمد ومحمد وتعددت، وانتهت بأسر أحمد الأعرج. فسجنه وجميعَ أبنائه أخوه محمد المهدي الشيخ سنة 946 / 1540 حسب الإفراني (*نزهة*، 22) أو سنة 851 / 1545 حسب القادري في *النشر* وأكدها مارمول (*إفريقيا* 1 : 465). ولعل هذا الأخير هو الصواب، لأنه الأنسب لما جريات الأحداث، فضلا عن أن مارمول يخبر عن مشاهدة.

ظل أحمد الأعرج سجينا في تافيلالت ثم في مراكش، تجري عليه الجرايات العظيمة من قبل أخيه إلى أن اغتيل محمد المهدي الشيخ بأگلاگل في طَريقه إلى تارودانت يوم الأربعاء 26 محرم 964 / 29 نونبر 1556. ومن الغد بلغ خبر مقتله إلى مراكش، فبادر خليفتُه عليها القائد علي بن أبي بكر أزيكي بقتل أحمد الأعرج وأبنائه جميعا يوم الخميس 27 محرم 964 / 30 نونبر 1556 خشية أن يروم البيعة لنفسه ما دام ولي العهد عبد الله الغالب غائبا آنذاك بفاس. ولم يتجاسر أحد على دفن أحمد الأعرج وبنيه إلى أن دفنهم الشيخ أبو عمر القسطلي بجوار ضريح الشيخ محمد بن سليمان الجزولي في القبة المعروفة بقبور الأشراف في مراكش.

أ. ابن القاضي، *لقط الفرائد*، 305 ؛ مارمول، *إفريقيا*، 1 : 455. 492 ؛ د. دي طريس، *تاريخ الشرفاء*، 13. 255 ؛ م. الإفراني، *نزهة*، 19. 23 ؛ م. القادري، *نشر*، 1 : 110 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 5 : 13. 18 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 44. 45.

محمد حجي

أحْمَد أُومُوسَى، ويعرف باسم "سيدي احماد أُوموسى" يمكن دراسة آثار هذا الصوفي الكبيرمن وجهات متعددة. إلا أن تحليل الخصائص التي جعلت منه قطب سوس والجنوب المغربي تبدو أهم ما يمكن أن نقف عنده من ملامح تاريخية. ولا شك أن الحديث عن الجوامع والتلاخيص ومعناها المفهمي بشأن هذه الشخصية هو حديث عن التقسيمات الهيكلية للمعرفة الصوفية. فنحن بصدد صورة لا يمكن استجلاء أبعادها إلا في إطار معطياتها ومصادرها الخاصة.

ولد احماد أوموسى بن عيسى سنة 853 / 1450 في بومروان بمنطقة إذا أوسملال من حلف إگُزُولْنْ بسوس الأقصى. ويعتبر الشيخ عبد السلام ابن مشيش المتوفي سنة 626 / 1228 أكبر سلطة روحية ببلاد جبالة حيث منطقة بني عروس بجبل العلم التي تنتمي إليها عائلة سيدي احماد أوموسى. لقد كان ابن مشيش يجسد بداية ظاهرة التصوف المغربي المستقل عن مقامات المولى عبدالقادر الجيلاني المتعددة بالمشرق. على أن المكانة المتميزة وشهرة قبري موسى بن عيسى وتاونُو والذي أحماد أوموسى، لا تكسبهما بالضرورة أي سلطة شخصية تربطهما بقطب الشمال أو تقنن مسيرة ابنهما. ذلك لأن منطق الوعي الصوفي الذي يستعمل سلطة الحس في توجيه الأبناء من أجل الانخراط في منظومة الآباء لا يحكم العلاقة بين احماد أوموسى وأبويه. الدليل على ذلك هو التبرير الأخلاقي الذي يحدد حلقات تطور الصبي من ماجن جانح ذي سلوك يشوه الموروث والعرفي إلى مقياس للذهول والزهد والورع (*المعسول*، 12 : 28 ؛ *Le Royaume*, 19). وتؤكد *رسالة* أحمد بن محمد الحسني الدرعي المكنى أدفال التي تعتبر مع *مناقب البعقيلي* أقرب المصادر المعايشة لشخص احماد أوموسى وسيرته، على أن جو الحيوية التي كانت تميزه طفلا بين أقرانه، ينبع من طينة تطمح إلى الانسياب والرعونة والتهريج (*المعسول*، 12 : 28). ذلك ما تزال تردده أيضا الرواية الشفوية مركزة على الالتصاق التام للصفة على امتداد حياة الموصوف. فقد حاول في وقت لاحق من حياته الصوفية اختبار معنى احترام الأطفال

وتوقيرهم له بأن هدم متعمدا ألاعيبهم ثلاث مرات متوالية. فجاء رميهم له بالحجارة سببا في حكمته المأثورة: كنت أظن أن احترام الناس لي نابع منهم، ولكنني تأكدت الآن من أن احماد أوموسى هو الذي يحترم نفسه (*المعسول*، 12 : 53). وإذا كان العقل البشري الاعتيادي يدرك اليوم ببساطة أن احترام الناس هو بالأساس انعكاس لمميزات الذات وممارساتها، فإننا نمتلك من خلال هذه المقولة، البينة الوحيدة حول إدراك قطب سوس الأول لمفهوم التعامل مع الغير. وهي بينة ستسعفنا بعد حين في استجلاء بعض الغموض حول ممارساته الشهيرة.

مهما يكن فإننا نرى إلى حد الآن كيف تتمظهر من خلال المناخ العام رغبة احماد أوموسى طفلا وشيخا في التهريج ومازحة الغير والحركة المرحة كانطباعات صادقة عما يكمن بداخله. وهي لمحات لا تلبث أن تعطي برنامجا وصفيا يعرض لتفسير أساسي يلتصق بممارسة النشاطات الجسمانية الرياضية البهلوانية كما ينسبها إليه اليوم «أبناء» سيدي احماد أوموسى (*إيليغ*، 19 ؛ *المعسول*، 12 : 28.7). وهنا يطل علينا علي بن ناصر ببلاد أحمر صاحب أشهر مدرسة للرماية بإسناده هذه الأخيرة إلى سيدي احماد أوموسى (*خلال*، 2 : 35 ؛ *المعسول*، 12 : 55). فلا غرو إذن في أن الاتصال أو الانفصال عن هذه المقولة يتخذان مصداقيتهما على مستوى المواضيع والمجالات المدروسة كل على حدة.

قدم احماد أوموسى لأقرانه، وهو طفل قارب أو تجاوز الخامسة عشرة، مشهدا كشفت لهم غرابته عن نفسية تناقض طينته المعهودة ورغبته الاعتيادية في الاستهزاء بالغير. لقد جاءت مجرد مساعدته شيخا مسنا على نقل قفته المملوءة تينا من مكان لآخر، وحدها كفيلة بإثارة استغرابهم. والتمايز هنا يتدخل لتحقيق كل أسباب الفرادة وتأكيد الخصوصية وتقابل عالمين داخليين متنافرين بحنايا هذا الطفل. ما هي التناقضات المغروسة إذن في أعماق هذا الوجدان الفتي؟ حبكة سوف تعمل خيوطها مستقبلا على تشاكل وتآلف النغمات لتجعل من هذا الطفل قطب سوس الأول والمؤسس الحقيقي لمدرسة أحمر العسكرية على معارج الفنون البهلوانية الرياضية.

إذا كان محمد الوجاني دفين وجان بإذا أوسملال هو ذلك الشيخ المسن الذي عجز عن حمل قفته مكتفيا بالدعاء لحاملها، فإن المصادر تسجل استجابة السماء في الحين بإلقاء الطفل في معارج الزفرة الوجدانية الصوفية (*المعسول*، 3 : 225، 12، 7 : 28). ومما يعطي للحظة نوعا من التجسيم والتشخيص أن الطفل قد انطلق مباشرة يتقرى مشايخ عصره. ذلك ما توحي به الاندفاعة التلقائية التي تدل على سمة اختراق الفضاء الوجداني كدلالة معجمية. على أن هذا البروز المفاجئ للجانب الصوفي لن يتغلب على حركية الطفل وحيويته البدنية نظرا لمتطلبات التجوال كضرورة تعطي التوازن مساره النهائي (*إيليغ* : 20).

لقد غادر احماد أوموسى رب القفة في حال من الذهول وصل به مباشرة إلى عبدالعزيز الحرار شيخ الجماعة وإمام الصوفية بمراكش. فما أن دخل سوقا من أسواق مراكش حتى علم به الحرار فجاء اللقاء مخنوقا وجافا حال دون احماد أوموسى ودخول دار الحرار. أمر الشيخ مريده بالانتظار بمزبلة مجاورة، فلم يكن من شأن المبادرة أن تصله من عزعة الطفل الذي لبث في الانتظار ثلاثة أيام متواصلة خوفا من خروج الشيخ المباغت. ظهر الحرار أخيرا ليأمر مريده بالاستسلام للنوم. وكم كانت مفاجأة احماد أوموسى كبيرة عندما تأكد من أنه نام سبعة أيام دون انقطاع. علم ساعتئذ أن تحمل تبعات صبره كان من أجل تثبيت حضور كلا الطرفين لدى الآخر. فما كان من الحرار إلا أن أذن له ببداية التجوال على أمل زيارته حيا أو ميتا يوم عودته إلى مراكش. وهكذا تبدأ الجولة التي لن تحول دون احماد أوموسى خلال ما يقارب ثلاثين سنة من العودة المنتظمة إلى بسيط بومروان ببلاد سملالة.

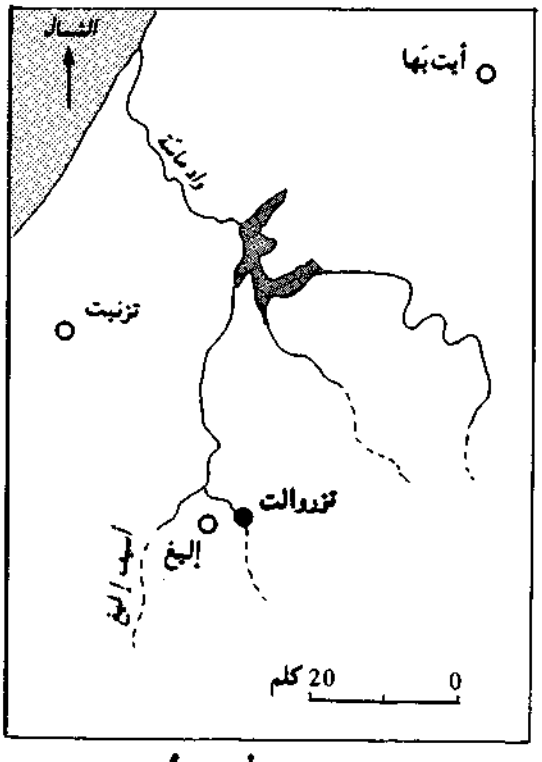

تزروالت: سيدي أحمد أوموسى

على أن لقاء احماد أوموسى بشيخه الحرار يُحيلنا على بعض الحالات التي تقتسم همومه الوجدانية إذاك.

1 ـ تتدخل الكيفية التي تم من خلالها اللقاء لتدفع المحلل إلى قراءة ضمنية قد تسمح باستخراج المعطى الباطني للنص. لقد ظل المريد ينتظر ثلاثة أيام لينام بعدها أسبوعا متجاوزا بذلك الطريقة التفسيرية للمعطى العادي. بل إن التأكيد على خصوصيات اللقاء قد تفي بغرضها إن هي استهدفت تمييز الشخصيتين عن باقي علماء الباطن. نحن إذن أمام ظاهرة الوصول إلى حقائق الأمور عن طريق

الوجدان الذي يقود وحده الخطى كما يقود النظر خطى الناظر.

2 ـ في هذا السياق يتدخل الطرد السابق لأوانه من طرف الحرار كعملية اختراق للحجب والمظاهر. ولكنها عملية تكشف خاصة عن اعتبار علوم اللغة والفقه بما فيها الفروع والأصول أمورا ثانوية. وتتويجا لذلك فإن إبتعاد احماد أوموسى عن علوم الظاهر ستؤكده تعاليم الحرار القاضية بالذهاب المباشر إلى أحمد بن يوسف الملياني الشهير من أصحاب زروق الصوفي الكبير (*المعسول*، 12 : 9). لسنا ندري كم من الوقت دامت هذه الملازمة ولا ملابساتها ولكنها ستنتهي بإدخال الملياني مريده إلى الخلوة مدة سنة (*المعسول*، 12 : 29). على أي حال فإن احماد أوموسى يكون قد بلغ سن الأربع والأربعين بوفاة الملياني سنة 899 / 1397، ولا تذكر المصادر ما إذا كان خلالها قد مر بأستاذه الرابع عبد العزيز بن خليفة القسنطيني. مهما يكن فإنه من المستبعد والحالة هذه، أن يكون هذا الأخير على واسع اطلاع بعلوم الظاهر. والذي يجب أن نثبته هنا هو أنه إذا كان دعاء محمد الوجاني قد كان كافيا ليعتبر أنه هو شيخ سيدي احماد أوموسى، فإنه لا مانع من القول بأنه من بين الثلاثمائة شيخ التي ينسب إليها لا بد وأن يكون هناك أحياء وأموات. وهو عدد زاده أحد حفدة سيدي احماد أوموسى ستين شيخا كتجربة صوفية تبدو وحدها الكفيلة بتقييم ما يمكن أن نسجله من علوم الظاهر عند رحالة من هذا المقدار. إن علوم الباطن تبني بنايات شامخة تحول دون الشرخ أو النتوءات التي تحدثها علوم الظاهر كما تتبث ذلك بوضوح الإشارات الواردة في نص التمنارتي (*Fawaid*, 34.62.89.93).

3 ـ يحدد محمد المختار السوسي، شأنه شأن عدد من الدارسين، معرفة احماد أوموسى الفقهية والأدبية انطلاقا من شهادة مريده أدفال الدرعي المتوفي سنة 1023 / 1614 ـ 1615. وتترتب عن ذلك مقولات أساسية في هذا المجال النوعي تجعل لزاما علينا الإحاطة بشهادة أدفال. لقد تثقف أدفال بدرعة ثم فاس ثم القاهرة فالحرمين حسب ما تخبر به *درة الحجال واقتفاء الأثر* لأبي سالم العياشي وصفوة من *انتشر والدرر المرصعة وطبقات الحضيكي*. كما تتفق هذه المصادر على أنه أوصى أبناءه أثناء احتضاره بألا يخالطوا إلا العلماء والفقراء الصادقين. فجاء بذلك التلازم بين علمي الظاهر والباطن كعامل كشف عن الإشكالية المعرفية داخل فضائه الشخصي. وإذا كانت هذه الإشكالية ستحدد علاقته بسيدي احماد أوموسى، فإن تقييمه الخاص لأهمية قطب سوس من بين مجمل أساتذته مشرقا ومغربا يحد من ألمعيته كعالم (*Fawaid*, 86). فبحر الحيرة في نظره هو الكفيل وحده بالتشكيك في أفضلية منزلة السادات المتصوفة بالنسبة للفقهاء أهل العلم الظاهر (*المعسول*، 12 : 43). وهي مقولة صوفية تؤكد على أن الاعتقاد خير من الانتقاد الذي يعتبره أدفال قبيحا ويخالف الشرع المجمع عليه. وأما المختلف فيه فالتسليم أولى، مما يقتضي من تلميذ سيدي احماد أوموسى النصيحة : انصر أمر أخيك على خير ما وجدت إليه سبيلا. وهكذا تعطينا تأكيدات أدفال معنى مشخصا لمنطلقه في الكتابة عن شيخه. وعلينا أن نربط هذا المعنى المشخص بظاهرة تاريخية واجتماعية لا تخلو من عنف مفهمي يسيطر على نص أدفال خاصة عندما يؤكد بأن كل باطل يخالف الباطن فهو زندقة. فلا الشريعة تنافي الحقيقة ولا الحقيقة تنافي الشريعة وكل ما أتى به المتصوفة فموروث عن خير مبعوث لخير وارث (*المعسول*، 12 : 28). نرى بذلك أن أدفال يركز على ماهية وقوانين يعتبرها مكتفية بذاتها وغير متناقضة. وهذا إنما يعني التيه في صحراء الماهية. إنه الجانب المجرد من المفهوم الذي سيكون علينا عزله وتفصيل إشاراته من علاقات ومقولات صوفية هامة كي نخرج بالشكل من المحتوى.

يسجل محتوى الجزء الأول من نص أدفال المؤرخ بأوائل شعبان 969 / أبريل 1552، ما شاهده المريد وما استقاه عن طريق السماع بعد أن أنهى زيارته الثامنة لشيخه (*المعسول*، 12 : 25). وخلافا لما كان يعتقده فإن زيارته الأخيرة لن تكون إلا العاشرة في أواخر شعبان 971 /أبريل 1554 قبل وفاة القطب بأربعة شهور. أما الجزء الأخير من النص فيكشف عن التأثير القوي والمتزايد لسيدي احماد أوموسى سنتين بعد وفاته رغم الاعتلال البدني المتزايد وضعف ذاكرة المريد (*المعسول*، 12 : 35). بذلك تتبث الأهمية المطلقة لقطب سوس الشهير لدى أدفال الذي تحمل مشقة السفر على اعتلال بدنه ورغم مكانته الهامة بين متصوفة درعة. وهي رؤية يؤيدها غياب أي مظهر من مظاهر التكلف كدلالة على أن اقتناع المريد بأهمية شيخه لم يكن مجرد انعكاس لآراء الخاص والعام. فجاء بذلك الانتهاء من النص يوم 1.1.973 / 29.7.1665 كأكبر دليل على الحضور المتزايد للقطب في فضاء تلميذه من جهة والجنوب المغربي من جهة ثانية.

إن احتكاكنا بشهادة أدفال حول علم سيدي احماد أوموسى تجيبنا، شأنها في ذلك شأن فوائد التمنارتي، بأن قطب سوس الأول قد لا يعرف القراءة والكتابة (*المعسول*، 12 : 53 ـ 89 : *Fawaid*). فمكانته الصوفية تطل علينا كمقولة بُولغ في استعمالها أكثر من غيرها. وهكذا فإن الإشكالية الكامنة ضمنيا في ممارسته تعتبر بالرغم من معرفتنا النسبية بالأصول التي نهل منها والتلوينات التي خضع لها فكره ووجدانه، هي الوسيلة الوحيدة الكفيلة باستجلاء بعض الغموض. إلا أن هناك سؤالا استراتيجيا من وجهة النظر التاريخية ينطلق من ضرورة التساؤل عما يميز سيدي احماد أوموسى عن قرينه وصهره القطب الثاني لسوس سيدي امحند أوبراهيم الشيخ التمنارتي. فلضبط المواقف الأساسية المكونة لكلتا الشخصيتين، لا بد من البحث عن البعد التاريخي الذي يتحدد بصورة أفضل من خلال المقارنة التي تسمح بها بعض إشارات *الفوائد الجمة*.

يثبت كتاب *صفوة من انتشر* مضي أزيد من ثلاثين سنة على وفاة القطبين عندما تم تحرير *الفوائد الجمة* (*Fawaid*, IX). ولهذه النقطة أهميتها من تحديد خاصية زاوية سيدي احماد أوموسى بتازروالت بعد وفاة القطب في 7 ذي الحجة 971 / 1564.7.1 (*المعسول*، 12 : 31). إذا كانت تارودانت هي عاصمة سوس، فإن تمنارت هي العاصمة الدينية والثقافية لبلاد جزولة (*Fawaid* : 16.48. 51.52.54.73.77.78.79.86.99). وإذا اعتبرنا بأن علم قطب سوس الأول لا يَسمح له بالتخفيض من القيمة العلمية والدينية لمدينة مراكش (*Fawaid*, 81)، فإن سمعة زاويته بعد مماته لن تحول بدورها دون صاحب *الفوائد الجمة* وتفضيل تمنارت. على أن انتماء هذا المؤلف إلى تمنارت قد يعد عاملا ذاتيا كفيلا وحده بتوجيه الرؤيا. ولكن تقييمه لقطبانية سيدي احماد أوموسى يحد بحزم من فعالية هذا الاحتمال (106 . 85 . 72 . *Fawaid*, 71). وهو تأكيد لن نأخذه في كامل معناه إلا إذا سجلنا غياب أي تناقض مضمونيّ بين هذا النص ونص أدفال وركزنا على كون المؤلف يثبت المنظور المحلي لكلا القطبين انطلاقا من مكانة كل منهما في الرواية الشفوية. نخلص من ذلك إلى أن سيدي احماد أوموسى لم يكن أهلا للوصول بتازروالت إلى شأو الذي سنه أبو حسون السملالي بإيليغ فيما بعد. هذه الحقيقة وإن كانت لا تستنفذ نقطة بمثل هذه الأهمية إلا أنها تغلف العمق الواقعي لما حفره وحدد وجهته سيدي امحند أوبراهيم الشيخ بتمنارت. إن حصيلة الوصف الإتنغرافي لحياة هذا القطب تبرز بالإضافة إلى تضلعه في علوم الظاهر والباطن على حد سواء، سلطاته السياسية والفكرية. فمما يقوي حتما من وزنه الاجتماعي اعتباره بطلا للأشغال العمومية من بناء وترميم (*Fawaid*, 109). لقد كان يعتبر بأن وظيفته الدقيقة تكمن في محاربة المد المسيحي وتوثيق واقع بلاده السوسية. ذلك ما تثبته لغته في التخاطب مع الحراطين المحليين (الكوشيين) الذين أبرم معهم اتفاقية تعايش ووثام مخالفا بذلك لقصة سيدي احماد أوموسى مع القبائل المحيطة ببسيط تازروالت. إن استقراء الأحداث يؤدي كما أشار إلى ذلك پول پاسكون، إلى معاينة إشكالية استقرار قطب سوس الأول ببسيط تازروالت بعد عودته النهائية. فالأخبار الأكثر تواترا وبالتالي الأكثر حضورا في المصادر هي تلك التي تكشف دون ذكر للأسباب، عن ضراوة الصراع الذي خاضه دون هوادة، سيدي احماد أوموسى من أجل الاستقرار بعين المكان. لقد بدأت الأعراض الأولى للتوتر مباشرة بظهور الشيخ في فضاء يحتكره الحضور الصوفي المطبق لكل من سيدي سليمان بتيوانامان وسيدي يحيى أويْدير بتومنار وأبيضار بنفس المكان حيث تقع زاوية سيدي أحماد أوموسى الحالية (*La Maison*, 156). قد يكون تنقل مقره من بومروان بسملالة إلى إيغالن ـ ن ـ أيت عباس ثم إلى أضار الشيخ فمدشر تسل (*المعسول*، 12 : 44 . 45)، حقلا خصبا ما يزال منطويا على كثير من الغموضات. فأدفال يذكر بأن الشيخ قد إستعمل تيوانامان كمتعبد انقطع فيه مدة معينة عن العالم (*المعسول*، 12 : 22). ولكن الأدعى للدهشة والاستغراب هو عندما يتدخل أحد البعقليين من خدام الشيخ ليخبر بأن استقراره بمقر زاويته لن يتم في الغالب إلا في وقت متأخر جداً. ذلك أن استعمال الشيخ لإلماتن أو (اللمطيين) حيث كان عريشه ينذر بقرب استقراره بمقره النهائي، قد دام إلى ما بعد زواج ابنته من سيدي يحيى بن إبراهيم مريد الشيخ (*مناقب البعقيلي*، 8. 9 . 10). لقد كان أدعى إلى الدهشة فعلا أن تمنحنا هذه الشهادة صورة لعريش الشيخ في وقت بلغ فيه من الأهمية مبلغا كبيراً. وتتأرجح الرواية هنا بين تصدي الشيخ لكل من حاول الاقتراب من مصالحه والصفة الواضحة الثابتة لمكانته التي لم تعد مهمشة يومها ؛ وهما تعبيران يشيران إلى الإعلان عن خصوصيات فترة حاسمة من أخصب فترات حياته الحافلة. فمن كل جانب وحتى بين أفراد حاشيته يبدو أن الإحساس بالتغرب لم يعد هو الهاجس الأول الذي يقرر ضرورة الرحيل. لقد بدا النقص في المؤونة عامل اصطدام تتركز حوله بداية انتعاش الزاوية (*المعسول*، 12 : 11 . 34). بل لعل اكتظاظ المجال الصوفي كعامل رئيسي يبدو الكفيل أساسا بترجمة تطلعات قطب سوس إلى الاستقرار بتازروالت. ما هي خلفيات هذا الاستقرار إذن ؛ عن هذا السؤال ينتهي المختار السوسي إلى إقرار مبدأ الدفاع المطلق واللامشروط عن الشريعة كعملة الشيخ الوحيدة في التبادل (*المعسول*، 12 : 12). وهو احتمال ربما تأتى فعلا بعد فحص العناصر الدينية والمذهبية المحلية. إلا أن جواب سيدي أحمد بن عبد الرحمان بن محمد الجزولي المكسدادي عن سؤال الشيخ المتعلق بالحديث النبوي "من فر بدينه من أرض إلى أرض ولو بشبر استوجب الجنة"، يبدو المعتمد الأساسي لصاحب *المعسول* في بلورة الفكرة (*المعسول*، 12 : 47). استعمال قطب سوس الأول للبريد الشفوي في طرح سؤاله يكشف في بداية النص عما يزكي جهله بالكتابة والقراءة. وهو عامل آخر من بين تلك التي تحمل على التقليل من القيمة العلمية الفقهية للقطب. أما الجواب في حد ذاته فيرتكز على استغلال صاحبه للطاقة الدلالية الكامنة في آراء كبار المتصوفة والأحاديث النبوية. ولكن هذه الدلالة لا تتم إلا بشروط سياقية معينة كان الكاتب يحس بها كصوفي له صيغة بين اللفظ والمعنى. وهو طرح يتجاوز على بساطته فكرة المختار السوسي بتعميم الغرض من سؤال الشيخ كفكرة تواصلية تحدد الأبعاد الحقيقية لممارسته السرية والعلنية. وعلاوة على ذلك فإنه ليس بالإمكان اعتبار محتوى السؤال هو الحامل على تنقلات الشيخ المتجددة عبر جبال سملالة. ويمكن لهذه الحصيلة أن تصبح متكاثفة الأبعاد حينما نجد الشيخ يدخل في صراعات أسطورية مع إذا أوحريبل ومجاط. لقد جاءت تفاعلاته مع الوسط القبلي لتقترح لائحة من الاحتمالات التي يصعب خوض غمارها هنا. فقد حدث في حدود

الأسطورة المحلية أن سمح إذا أوحربيل للشيخ عند عودته النهائية بالمساحة التي تقطعها عصاه إن قذف بها. ولكن العصا عبرت بسيط تازروالت من شرقه إلى غربه فظهر تناقض المصالح. هنا يتدخل مفهوم الصراع كدائرة ستنتهي بدعوات الشيخ الساخطة إلى استعمال قبيلة مجاط لإقصاء إذا أوحربيل عن المنطقة بمعركة تزلي التاريخية. على أن تعدد معاني التحالف والتعارض بين الشيخ وقبيلة مجاط يقود إلى إرادة الشيخ في الاستقرار كسلطة دينية محلية أولى (*Notes*, 10). وبالرغم من أن استقرار قبيلة مجاط بالمنطقة يعود إلى ما قبل القرن العاشر الهجري، فإن علاقة الشيخ بالتصفية التي دارت فعلا بين هذه القبيلة وإذا أوحربيل تقر بانخراطه المباشر أو غير المباشر (*La Maison*, 157). وهو انخراط لا يمكن فصله عن العملية الاجتماعية التي أسهمت تاريخيا في بلورة المعطيات الاثنية بشكل قد يتجاوز نقطة الربط هنا. فلنكتف إذن بالإشارة إلى أن ممارسة الشيخ كانت تقوم بكشف الاتجاهات والتيارات المذهبية والدينية المختلفة انطلاقا من منظوره الصوفي. ندرك إذن أن تخصص الزاوية في توزيع ما تتلقاه من هدايا على وفرتها قد جسد كرم قطب سوس وهو كرم بلغ حد الأسطورة (دوحة، 76. 77. 181. 182 / 24. *Fawaid*, 22. 23). وبالرغم من أن هذا التوزيع لم يكن ليشمل القطع الأرضية الأربع التي توصلت بها الزاوية واحدة بتامورزت والباقي بتازميلت (*La Maison*, 21)، فإن كرم سيدي احماد أوموسى سيضرب به المثل. فقد كانت بالزاوية مجموعة من الغرف الخاصة باستقبال المريدين يحيط بها جنان لإنتاج ما يلزم من الخضر ومسجد (*المعسول*، 12 : 24. 26 / *Fawaid*, 22. 23. 24). هذه الخصائص التي كانت تميز أيضا زاوية سيدي امحند أبراهيم الشيخ، كانت تدعم وضعية تمنارت كمدرسة تجمع بين علمي الباطن والظاهر.

يظل السؤال إذن مطروحا حول المعطيات المنهجية التي حققت الخصوصية المميزة لسيدي احماد أوموسى كأول قطب بالمنطقة. وهنا ينبغي على التحليل أن يعنى بالتفاصيل التي تكشف عن جبهات المواجهة التي كان يخوضها.

علينا أن نعتبر هنا بأنه إذا كان الأثر ينحصر في المدلول، فإن مجال اشتغال النصوص هو الدال. لنتصور شخصا نحيفا يحسبه من لا يعرفه من أدنى العوام (*المعسول*، 12 : 32). فرسه الذي لا يفارقه هو تلك العصا التي غرز حول أحد رأسيها مسامير (*المعسول*، 12 : 29). يمارس السير والحركات البهلوانية ويمازح الأطفال مرددا الأشعار الشلحية (*المعسول*، 12 : 46). من هنا فإن جولة الأمصار البعيدة والعادات الغريبة واللهجات والألوان وأنماط الحياة تطعن كلها فيما قد يستفيده هذا السائح كطالب علم له في هذا الباب شأن ذلك مايثبته بالإضافة إلى تعدد مشايخه الأحياء منهم والأموات، حرصه الدائم على العودة المنتظمة إلى موطنه الأصلي (*Fawaid*, 100).

حقا لقد جاءت الآيات القرءانية ـ أليس الله بكاف عبده ـ وجعلنا النهار معاشا ـ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ـ لتثبث بما لا يدع مجالا للشكل حفظه للقرآن (*المعسول*، 12 : 33. 34. 36). ولكن حفظة القرآن يتميزون بمكانة وصورة واضحة يحتلونها كأشباه متعلمين في نظام محدد تاريخيا للإنتاج الثقافي. وبالإضافة إلى ذلك فإن الإشارات قد أجمعت في تباينها على أهمية جولة سيدي احماد أوموسى المشرقية دونما أي استنطاق لمعرفته الملومسة التي تبدو واهية جداً (*Fawaid*, 98. 100). هذا ما تسمح به أخبار أدفال والتمنارتي المستقاة من الملاحظة المباشرة مبرهنين بذلك على أن في المسافة بين شهادتيهما ومقاصدهما يظهر التناقض كمقياس منهجي.

إن القاسم المشترك الذي تتقاسمه المصادر هو التركيز على غرائب سيدي احماد أوموسى كشخصية محورية. ومن بين الغرائب التي يزخر بها موروث الثقافة الشفاهية اطلاع القطب على خبايا النفوس. كما نجده يفهم بالإضافة إلى لغة الأمازيغ، لغة الطير والحيوان (*المعسول*، 12 : 46) وأنه كان يحول الرمل إلى ذهب ويعالج المرضى والمشلولين ويعيد الخصوبة إلى النساء والحيوانات والنبات، على أن العرض الكامل لهذه الغرائب بقدر ما يصح استخدام هذه الكلمة، لا ينفصل عن حركة الممارسة التي تبدو لمجمل المصادر محملة بما يتكفل المؤلفون بترجمته. لذلك فلابد من النظر إلى أبعاد ممارسة القطب على أنها أساسا ذات دلالة موضوعية.

تفيد المصادر بأن سيدي احماد أوموسى لم يكن يرو أو يرسم علي مسامع حضوره البطولات والخوارق. فقد كان يسترق من نظرات المتحلقين حوله مواضيع حلقته لدرجة تسمح له بالخوض في الذات المجتمعية والكشف عن خبايا الثوابث والمتغيرات. وندرك بسهولة أن اتقان فن الاحتياط والسرية يكفي لإحاطة صاحبه بهالة من الهيبة والوقار تضفي على صورته من المبالغات الشيء الكثير. لقد كان سيدي احماد أوموسى يتشدد في إخفاء كراماته وفي عدم ذكر شيوخه، بل قل أن يسمع وهو يصف أحدا بالصلاح أو بالطلاح (*المعسول*، 12 : 38). إنه لا يسأل ولا يبعث سلامه إلى أي كان رغم ما عرف عنه من مرح وبسط وانشراح (*المعسول*، 12 : 39). وإذا كان يكتفي عادة بذكر مناقب غيره، فإنه يرفض الاعتراف لأي كان بالتشيخ أو التسيد (*المعسول*، 12 : 37). هذا بالضبط ما سيخل به سيدي امحند أبراهيم الشيخ عندما شبه نفسه بالنجم وسيدي احماد أوموسى بالشمس التي يحجب طلوعها كل النجوم. كان في مقدور سيدي احماد أوموسى أن يرد بالنفي عندما بلغه الخبر ولكنه فضل الاقتضاب قائلا : صدق لكم (*المعسول*، 12 : 45). فإذا جاء تصريحه هذا إخلالا بمنهجيته التي يتشدد في تطبيقها، فقد جاءت الحمولة الإعلامية لهذا الرد ولزيارته الإسرائية واقترابه من العرش الإلهي، كاقتحام منهجي ضروري يحدد من خلاله مكانته المتميزة

(*Fawaid*, 102). فهو إنما يرتب من الرؤى ما سيربطه بطبقة الأنبياء والرسل. لذلك فإن المعطيات المكونة لخطاب قطب سوس الأول تتحرك في بناء مساره تصورات لا تتداخل ولا تتعارض إلا نادرا.

لقد كان يرفض التعامل مع مريديه كتابعين (*المعسول*، 12 : 30 . 36 / *Fawaid*, 87)، معلنا بذلك ارتفاع قدره عن باقي المشايخ. ولعل هذا ما يبرر تملصه من الرد على الطالب الذي استشاره في مسألة الذهاب إلى فاس من أجل التعلم. لقد طلب من القطب مشاورة شيخه الأسبق أحمد بن عبد الرحمان. فجاءت استجابة الطالب كتأكيد على أهمية سيدي احماد أوموسى المطلقة. قال الشيخ لطالبه : إذا كان مرادك الظاهر فأي شعبة شئت من جزولة أخذتها فيها، وإن كان مرادك الباطن فخليق به ذلك الرجل الذي كنت عنده (*المعسول*، 12 : 26). نرى إذن أهمية الصمت كقانون منهجي أساسي في التقليص من علوم الظاهر وتكريس سمعة قطب سوس الأول. وبالمقابل فقد كان من شأن تعدد مثل هذه الشهادات في حق سيد تازروالت تعميق الأخدود الذي اختطه التصوف المحلي قبل وبعد وفاة الشيخ. ولعل هذه النظرة هي التي أدت بپول پاسكون إلى القول بأن سيدي احماد أوموسى قد عمل على تعميق خصوصيات التصوف المغربي وذلك بتمريره من خلال الجزولية إلى سوس مؤيدا بذلك رأي المصادر الآنفة الذكر (*La Maison*, 156 . 71).

وتتدخل منهجية الصمت المطبق لتزيل أي محاولة لإنشاء طريقة صوفية خاصة بزاوية تازروالت على غرار باقي الزوايا. وهو واقع سيؤدي باتباع الشيخ إلى الانتماء إلى إحدى الطريقتين الناصرية أو القادرية وبالحكم المركزي إلى التركيز على خصوصية تازروالت. فلا شك أن الأهمية المطلقة للقطب قد تزايدت بحج السلطان السعدي عبد الله الغالب بالله إليه بعقر زاويته (*استقصا*، 5 : 41 ـ *إيليغ*، 14 . 22). كما أن قدرته على التصريح جهارا أمام الأمراء بالانتقادات اللازمة مثلت إحدى أهم العوامل التي أبرزت البون بينه وبين سيدي امحند أبراهيم الشيخ. ولا شك أنه عامل هام في إبراز المصادر لأهمية قطب تازروالت (*المعسول*، 12 : 28). إن أدفال الذي يؤمن بأن هذا الشيخ هو أكبر قطب في جميع الأقطار يوم مماته (*المعسول*، 12 : 38)، لا يرى مانعا من أن تتدخل الخوارق كسائد معياري على امتداد نصه لتحدد الترابط الواضح بين ما هو سياسي وما هو اجتماعي وما هو صوفي. فبكامل العفوية نجد أدفال يقر بأن كل خوارق الأولياء تعتبر متجاوزة لدى سيدي احماد أوموسى (*Fawaid*, 84)، وبأن طريق المعرفة الحقة نحو التأمل لا يمر إلامن حيث مر القطب الأكبر. وبذلك يتضح أن من أهم مميزات النصوص حول سياحات القطب وعلمه، الممارسة القصدية التي تحكمها خلفيات توجه طبيعة القراءة للمقروء. وفي غياب شرط الموضوعية المفاهيمية يتضح دور المنحنى الميثي كسائد معياري يستهدف تضخيم الصورة (*المعسول*، 12 : 29 ـ *إيليغ*، هوامش 96 . 102 . 109). إن سيدي احماد أوموسى معروف لدينا اليوم من خلال رؤية الآخرين إليه. وهذه الأخيرة نابعة بالضرورة من ممارسته كوسيلته الوحيدة لتحقيق ذاته في المجتمع وبواسطته. ولا شك أن فكرة تحول المثل الأعلى إلى واقع هي فكرة عميقة فيها كثير من التمييز بين المثال والواقع. لذلك نجد سيدي احماد أوموسى يتفهم جيدا واقعه المجتمعي بكل قوانينه ومتطلباته.

م. اليعقيلي، *مناقب اليعقيلي* ؛ م. أدفال، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، نصه بالمعسول، 12 : 20 . 30 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن* ؛ م. المهدي الفاسي، *متع الأسماع* ؛ ع. السكتاني، *أجوبة عيسى السكتاني*، مخطوط ؛ ع. التمارتي، *الفوائد الجمة*؛ م. الحضيكي، *طبقات الحضيكي* ؛ م. الصغير الإفراني، *نزهة الحادي* ؛ *صفوة من انتشر* ؛ أ. الزياني، *الترجمان المعرب* ؛ ع. الجشتيمي، انظر جستنار ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، *طلعة المشتري* ؛ م. المختار السوسي، *الإلغيات* ؛ *إيليغ قديما وحديثا* ؛ *خلال جزولة* ؛ *المعسول* ؛ *سوس العالمة* ؛ *وفيات الرسموكي* ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر* ؛ أ. ابن القاضي، *ذرة الحجال* ؛ ع ابن إبراهيم، *الإعلام*.

Saugnier, *Voyage au Sénégal* 1972 ; J. Gatell, *Description du Sous*, Bulletin de la Société Géographique, mars - avril 1871; A. Le Chatelier, *Tribus du Sud Ouest Marocain, bassins côtiers entre Sous et Draa*. Publications de l'Ecole des lettres d'Alger, Paris, 1891 ; Bourguignon, *Renseignements sur la région de Tiznit*, 31/7/1913, *Archives du Service Historique de l'Armée*, Maroc, 3H 581 Vincennes ; L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XIXe S.* Hésp., 1925, pp. 265-76 et 1916, VI p. 351-64 ; *Notes d'histoire et de littérature berbère*, Hésp., 1925, 2e T, p. 227-38 ; *Les Aït Ba Amrane*, 1930, *Villes et Tribus du Maroc*, Vol. 8 ; *Notes sur l'histoire du Sous au XVIe S*, A.M, 1933, p.230 ; *Notes d'histoire et de littérature*, Hésp., 1949, 3-4 T., p. 321-32 ; *Fawaid Al Gamma bi Isnadi Ouloumi Al Oumma*, (œuvre de Tamanarti) ; P.S.H.M, Chartres, Durand, Editeur, 1953, p.120 ; *Un petit Royaume Berbère, le Tazerwalt, Un Saint Berbère Sidi Ahmad U Mùsa*, I.H.E.M, XV, Librairie Orientale et Américaine, G - P. Maisonneuve, Max Besson Succ, 1954, 125 p. ; A. Roux, *Les aventures extraordinaires de Sidi Hmâd U Mùsa, patron du Tazerwalt*, Hésp., 1952, 1 - 2, p. 75-96 ; P. Pascon, *La Maison d'Iligh*, voir en particulier p. 155-162.

مصطفى ناعمي

أَحْمَد بَابَ السوداني التنبكتي، من آل أقيت، ولد بتنبكتُو ليلة الأحد الحادي والعشرين من ذي الحجة ختام عام 963 / 26 أكتوبر 1556. ونسبه كما ورد في *كفاية المحتاج* هو "أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيي... الصنهاجي الماسني، يعرف باب "كان ينعت نفسه في بعض مؤلفاته بالتنبكي. نسبته إلى قبيلة مسوفة الصنهاجية واردة في *بذل المناصحة*، *في فعل المصافحة* لأحمد بن علي السوسي الهشتوكي البوسعيدي، وينعث أيضا بالسوداني والتكروري، كان جد جده محمد أقيت قد رحل من ماسنة إلى بيرُ (ولاية موريطانية حاليا)، ثم منها إلى تنبُكْتُو، فانضافت أسرة آل أقيت إلى سكانها. ما لبثتَ أن ظهرت نباهتها وتوارث أفرادها العلم أبا عن جد ؛ فكان ألمع حلقات سلسلتهم هو مترجمنا. منذ بداية عهد الأسكيين، ملوك دولة سُنغَيْ، في أواخر القرن التاسع / 15م، أي منذ أيام جد أحمد باب وأخويه عبد الله

ومحمود، وكلهم أبناء عمر بن محمد أقيت، اشتهرت الأسرة التنبكتية الجديدة بالعلم والصلاح وانفردت بخطتي القضاء والإمامة بمسجد حي سَنْكُري. وكان القاضي من آل أقيت يعين أئمة المسجد الجامع بالمدينة. وخلافا للأمر بسائر مدن السودان كان له سلطة الزجر : هو الذي يأمر بتنفيذ العقوبات وكان له حق العفو.

نشأ أحمد باب بتنبكتو تحت حكم أسكيا داود (956. 990 / 1549. 1582) الذي تعتبر أيامه عهد سلم واستعادة غناء. وكانت تنْبُكْتُو إذ ذاك من أهم مدن مملكة سُغي، لها علاقات بالمراكز الثقافية الكبرى في العالم الإسلامي شرقا وغربا. وكانت قد استعادت مكانتها العلمية بفضل عناية أسكيا بالعلماء الذين عادوه إليها بعد فرارهم وقت تسلط سُنِّ علي عليها. كان يساعدهم بالنساخ ويقتني الكتب لفائدتهم، كما كان يستجلب العلماء من المشرق والمغرب. وإلى جانب الازدهار الثقافي كان بتنبكتو حركة اقتصادية كبيرة ؛ تأتي إليها القوافل من جميع الآفاق من أجل المبادلات التجارية بها ومن أجل المرور إلى سوق مدينة جنّي حيث يلتقي ملح تَغازَ بذهب بيطُ، ثم تعود إليها متجهة نحو الشمال. إذن في إقليم مجدود دون غيره من أقاليم السودان ثقافة واقتصادا. وفي ظروف سياسية مثلى بالنسبة لما سبق، أي في ظل دولة سُغي، أقوى دولة وأكملها تنظيما عرفتها المنطقة، نشأ أحمد باب.

وقد سهر على تربيته وتعليمه الأساسي أبوه وعمه أبو بكر. فبرعايتهما حفظ القرآن. وكانت جميع المواد الإسلامية تدرس هناك بمسقط رأسه من تفسير وحديث وفقه وتوحيد ومنطق وتصوف وعربية. ثم إنه من الظاهر أن مستوى العلماء بتنبكتو كان قد ارتقى ؛ ولا أدل على ذلك من نبوغ أحمد باب نفسه ، إذ حفظ الأمهات وقرأ النحو على أستاذه الأول فيه، عمه أبي بكر، فاستوعب قواعده الأساسية في مدة قصيرة بلا عناء. وأخذ والده الحديث سماعا والمنطق وأكبر الفضل في تكوينه يعود لشيخه محمد بَغَيُغْ الذي انتفع به وبكتبه. ولازمه سنين كانت نتيجتها أنه :

1 ـ في التفسير والحديث : تلقى عنه تفسير القرآن إلى أثناء سورة الأعراف، وختم عليه *الموطأ* و*ألفية* الحديث لعبد الرحيم العراقي *بشرح* مؤلفها، وقرأ نحو النصف من *صحيح البخاري* و*صحيح مسلم* كله و*شفا عياض* وجملة من *مدخل* ابن الحاج.

2 ـ في الفقه والأصول : ختم عليه مختصر خليل وجمع *الجوامع* للسبكي بشرح المحلي، وقرأ عليه كثيرا من *تحفة الحكام* لابن عاصم مع *شرحها* لولده و*فرعَي* ابن الحاجب وكثيرا من *المنتقى* للباجي و*المدونة* بشرح أبي الحسن الزرويلي ودروسا من *الرسالة* لابن أبي زيد القيرواني و*التوضيح* لخليل وسمع عنه جامع *المعيار* للونشريسي كاملا.

3 ـ في التوحيد وعلم الكلام ؛ ختم عليه صغرى السنوسي في العقائد و*شرح النظومة* الجزائرية لأحمد بن عبد الله الجزائري.

4 ـ في المنطق : ختم عليه *رجز المغيلي*.

5 ـ في التنجيم : ختم عليه *نظم* أبي مقرع و*الهاشمية* مع *مقدمة* الباجوري.

6 ـ في التصوف : ختم عليه *ابن عطاء الله* بشرح رزوق.

7 ـ في النحو والبلاغة والعروض واللغة : ختم عليه *تسهيل* ابن مالك، وتلقى دروسا في *الألفية*، وختم *الخزرجية* في العروض *بشرح* الشريف السبتي، كما ختم *تلخيص المفتاح* للقزويني في البلاغة *بمختصر* سعد الدين التفتزاني.

ومما درسه في الأدب *مقامات الحريري* قراءة علي غير شيوخه المذكورين. وكان قد بدأ في أبحاث وألف فيها وهو ما يزال طالبا، واعتبارا لتضلعه في فروع الفقه يبدو أنه كان المرشح الأول لخطة القضاء بعد قريبه عمر بن محمود في تنبكتو.

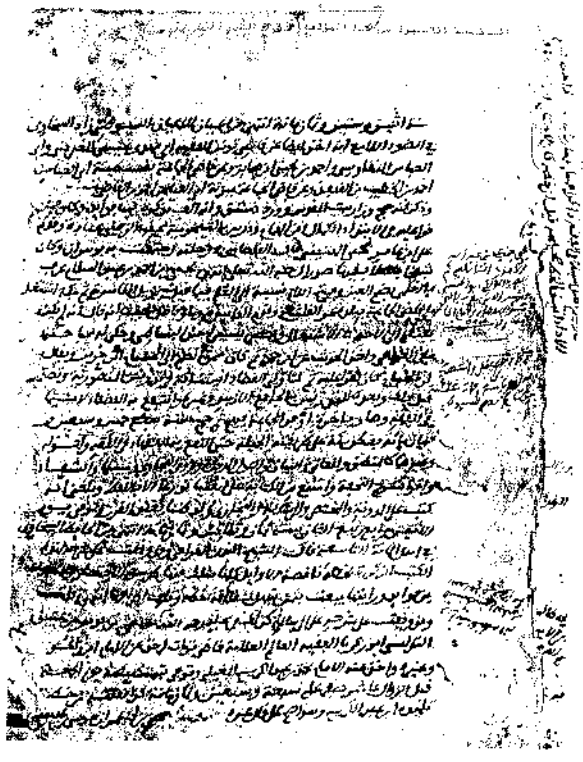

صفحة من كفاية المحتاج بخط أحمد باب
(من مخطوطة الشيخ النيفر التونسي)

في يوم السبت 25 جمادى الثانية 1002 / 18 مارس 1593 نفي أحمد باب من تنبكتو في اتجاه مراكش بأمر من الباشا المغربي محمود بن زرقون وسنه تناهز الأربعين، وأجبر هناك على الإقامة أربعة عشر عاما مع بعض عشيرته الأقربين وموقف آل أقيت من المحاولة السعدية هو سبب التهجير، وكان موقف رفض غير صريح للسلطة السعدية وآل أقيت كانوا ذوي مكانة اجتماعية مرموقة، يقتدي بهم الناس، لا سيما ألمع أعلامهم وأعلم فقهاء

تنبكت إذ ذاك، أحمد باب. فالناس كانوا يقدرون فيهم العلم والورع والنسك. وإذا كان رفضهم بيعة الملك السعدي مع وجاهتهم وتأثيرهم في الأهالي هو الذي أدى إلى نفيهم، فلا نرى مانعا في افتراض أن هدف الملك المغربي أحمد المنصور من أمره بنقل أحمد باب وأهل بيته مع غيرهم من المعارضين لحكمه في السودان إلى عاصمة ملكه ليس التأديب أو مجرد الانتقام، بل هو محاولة إقناعهم بالوحدة ("اجتماع الكلمة" على حد تعبير الإفراني حكاية عن المنصور. (*النزهة*، 97) وفي *الصفوة*، 53) واستمالتهم، ثم الاستفادة مما كان لهم من نفوذ لدى مواطنيهم. وهو افتراض لحنكة المنصور السياسية أنسب ولمراميه أوفق.

وقد استقر أحمد باب مع أفراد من أسرته مع عيالهم في حكم الثقاف بمراكش ما بين وصولهم في رمضان عام 1003 إلى يوم الأحد 21 من رمضان 1004.

وبعد الإفراج عنه دعي للإقراء، فجلس بجامع الشرفاء بحي المراسين بمراكش يقرىء *مختصر خليل* و*تسهيل* ابن مالك و*ألفيه* العراقي و*تحفة الحكام* لابن عاصم و*جمع الجوامع* للسبكي وحكم ابن عطاء الله، و*الجامع الصغير* للجلال السيوطي و*الصحيحين*، كذلك *الشفا* للقاضي عياض و*الموطأ* للإمام مالك و*المعجزات* الكبرى للسيوطي و*شمائل* الترمذي، و*الاكتفاء* لأبي الربيع الكلاعي وغيرها. وحصل إقبال كبير على دوله بسبب تمكنه من الفقه ومعرفه تراجم الرجال. وزيادة على التدريس كان يُفْتي لفظا وكتابة. وإلى جانب هذا وذاك صرف نشاطا كبيرا في التأليف بالعاصمة السعدية ، فألف خلال مدة مقامه بها ماينيف على تسعة وعشرين مصنفا، ومجموع ما أحصينا من تصانيفه ينيف على الستين. وبفضل التدريس والإفتاء والتأليف، بسبب تهجيره عن بلده ومحنته، اشتهر، ولا يستبعد أن تكون رغبة بعض العلماء المغاربة اللامعين في استجازنة من قبيل التعاطف معه بصفته منفيا عن بلده أو التبرك به، إضافة إلي الاعتراف بعلمه أساسا. كان كثير التردد على قبور الصلحاء أثناء مدة مقامه بمراكش خصوصا قبر الولي أبي العباس السبتي الذي زاره أزيد من خمسمائة مرة. عادته في أيام الجمعة التنقل بين مزرات المدينة. وكان يزور أيضا قبر أبي عبد الله الهزميري بأغمات. وبفاس زار قبر على بن حرزهم. وكان يتشوق لبلده تنكبت. وقد نظم أبياتا عبر فيها عن حنينه إليها ، أولها:

أبا قاصدا كاغْ فعُج نحو بلدتي وزمزم لهم باسمي وبلغ أحبتي
سلاما عطرا من غريب وشائق إلي وطن الأحباب رهطي وجيرتي

وكان لمحنته نتائج على المستويين النفسي والمعرفي. فهو في *نيل الابتهاج* لم يدع فرصة تمر من غير أن يتظلم وكأنه مصدوم لا تغرب ذكرى المحنة عن ذهنه يذكر بالواقعة عندما تتاح المناسبة ويأسف لفقدان بعض كتبه. والملاحظ أن تظلمه كاد ينعدم في *الكفاية* حيث لم يذكر سوى ضياع أحد كتبه نتيجة المحنة. فإما أنه تركه تمشيا مع الاختصار، وفي اعتباره أن *الكفاية* مختصر للنيل، وإما أنه بعد مرور سبع سنوات تقريبا على تحريره للنيل تخلص من بعض اثار صدمته و وإما أنه عدل عن موقفه المعادي بدون شك لسياسة المنصور وبدأ يتفهمها، ففي مقدمة *النيل* بمخطوط دار الكتب الوطنية التونسية الحامل رقم 12877 كلام ليس في جميع النسخ المخطوطة، وليس في المطبوع . منه بعد ذكر الصعوبات التي واجهت مشروع تأليف الكتاب: "...تفضل علي من له الفضل... بوصولي إلى منبع العلم في الديار المغربية، حضرة الإمامة... الهاشمية الأحمدية المنصورية... فرأيت بها أسباب السعادة متيسرة... رأيت حضرة من تسمو الآمال لسدة بابه... مالك المغربين بالأصل والنصال، ما بين قطر الجنوب والشمال، عالم الملوك وملك العلماء، فخر السلاطين الكرام، أبي العباس مولانا أحمد المنصور ...". وفي أول الأمر كان قد جرى بينه وبين الملك السعدي، لدى تسريحه من السجن حوار شهير ينم عن تشدد أحمد باب وتلطف أحمد المنصور، ثم لم يفرض عليه أخيرا سوى الإقامة بمراكش، ومنحه حرية التجول فيها والاتصال بمن شاء، وترك له كذلك حرية التنقل. حتى خارجها، بل سمح له بالتدريس والإفتاء وأعانه على ذلك.

كانت المدة التي قضاها أحمد باب بالجزء الشمالي من مغرب ذلك العصر على المستوى العلمي أهم فترات حياته، مكنه مقامه بالعاصمة السعدية من توسيع آفاقه المعرفية بفضل خزاناتها وبفضل ما أتاحته له من اتصالات ومناظرات مع علمائها وعلماء فاس، وفي ذلك العهد كان يفد على مراكش طارئون من علماء سوس والأطلس الكبير ومهاجرون من المغرب الأوسط والمشرق العربي وعلماء من أصل أندلسي.

وبعد موت المنصور أذن ولده زيدان للفقيه السوداني في الرجوع إلى بلاده. وكان قد قَضَى معظمُ ذويه بسبب الوباء الذي انتشر بمراكش من عام 1006 إلى عام 1012 / 1595 - 1603. فوصل إلى تنبكت في 10 ذي الحجة 1016 / 27 مارس 1607. ولما أشرف على بلده جعل أهلها يصيحون : "ها أحمد باب جاء" بلهجتهم، فقال : أتينا بلد السفه وقلة الحياء، أو نحو هذا، وكان يقال له في المغرب : "سيدي أحمد"، وقال لهم :" أنتم تدخلون النار باطلا، لا أكلا، لا لباسا، لامسكنا، إلا الزنا والعرا وقلة الدين، فلا دين ولا دنيا" أونحو هذا، (مخطوط خ. ع . رقم 100 ج).

تتلمذ لأحمد باب كثير بالسودان والمغرب، من أشهرهم: المصطفى بن أحمد بن محمود بن أبي بكر بَغْيُغُ، ولد أخي محمد بغيغُ شيخ المترجم ت 1025 / 1616. ومحمد كورد بن محمد ساج الفلاني المتوفى بتنبكت عام 1066 / 1655 عن 84 سنة. وعبد الرحمان بن عبد الله السعدي (ت بعد 1065 / 1657) الذي لازم الشيخ طيلة المدة الأخيرة من حياته التي قضاها في تنبكت والذي تحدث كثيرا عن آل أقيت في مؤلفه *تاريخ السودان*. ومحمد بن يعقوب الإيسي المراكشي (ت قبل 1010 / 1610). وأحمد بن علي السوسي (ت 1064 / 1637). والحاج أحمد بن محمد بن أبي فهد

التواتي ثم المراكشي. كما أجاز أحمد المقري وغيره من أكابر العلماء الذين لقيهم بمراكش.

كان أحمد باب ضخم الجسم، غليظ الشفتين، معقد اللسان، لايفهم كلامه، إلا بعد الألف والتعود. وكان من القائلين بحلية التبغ، المدمنين على تدخينه. ولا ينبغي ربط ابتلائه بالتدخين بقوله بحليته كمؤثر، لا من قريب ولا من بعيد. ففكره على ما يبدومن جملة فتاويه، يميل إلى المنطق القانوني والموضوعية في الأحكام، ارتكازا على مبادىء الأصول والقواعد الشرعية. فما اعتمد عليه في فتواه حول التدخين المعنونة *اللمع، في الإشارة إلى حكم طبغ* كون الاصل الشرعي الإباحة. ونجده أبعد ما يكون البعد عن الذاتية واتباع الهوى عندما أفتى في أمر استرقاق مواطنيه السودانيين في *معراج الصعود*. فالملاحظ في فتواه هذه اعتبار مبادىء الشرع الصرفة فحسب.

أما عقبه فقد أخبر بهم قدامى ومحدثون في مواضع قصدا إلى ذلك أو عرضا. فالمقري ذكر في *روضة الآس* (ص. 314) سبطا له اسمه محمد، برع في العلوم والأدب وتوفي بعد 15 ربيع الثاني عام 1010 ؛ كما تحدث عنهم التمنارتي في الفوائد الجمة، والبوسعيدي في بذل المناصحة، وعبد الرحمان السعدي في تاريخ السودان. وحكى الرحالة الفرنسي فليكس ديبوا (Félix Dubois) ـ القرن 19 ـ في كتابه تنبكتو الخفية : *Tombouctou la mystérieuse* ص. 331 ـ 352 أنه وجد بتنبكتو حفيدين لأحمد باب : أحمد بو بكر، وكان قاضيا، وعمر باب، وكان نساخا يسترزق بخطه الجميل، ثم تحدث عن كرسي ورثة عقب أحمد باب، وهو هبة من زيدان بن المنصور الذهبي له. قال إنهم كانوا محافظين عليه بعناية كبيرة، وكانوا يجلسون عليه المتزوج منهم يوم عرسه تبركا بجدهم العلامة الفاضل. ثم وقف محمود زبير على مخطوطة *لنيل الابتهاج* نسخها في القرن التاسع عشر "زوج نانا عائشة حفيدة الشيخ أحمد باب". ويظن زبير أن سلالة المترجم انقرضت بتنبكت وأن آخر من عرف منها هما الشخصان اللذان ذكرهما فلكس ديبوا، لكن ناسا في تنبكت اليوم ما زالوا يدعون أنهم من سلالته، والناس مصدقون في أنسابهم حتى يثبت بالحجة خلاف ذلك.

وذكرى أحمد باب لا زالت في الأذهان، سواء في المغرب أو في السودان، فبعض المراكشيين يشيرون حتى اليوم إلى منزل بمدينة مراكش على أنه كان منزل الفقيه التنبكي، وهو أول مسكن إلى اليسار في درب الحمام الحالي بحي المواسين جوار مسجد الشرفاء عند مدخله الشمالي جهة السقايتين، وهو من جملة المباني القديمة التي يجمع الأثريون على أنها أقيمت في العهد السعدي أي عهد بناء مسجد الشرفاء والسقايتين المجاورتين له. وفي يناير 1970 أنشئ في تنبكتو مركز أحمد باب للتوثيق والبحوث التاريخية Cedrab.

تشتمل آثار أحمد باب الفقه والحديث والعقائد والنحو إضافة إلى التاريخ والتراجم، وإذا استثنينا *نيل الابتهاج وكفاية المحتاج*، فالباقي شروح أو تحريرات لمسائل معينة، موضوعاتها محدودة، لا يتعدى بعضها صفحات معدودة. كلها بقطع النظر عن ديباجات بعضها نثر من النوع العادي، تتساوى فيه الألفاظ والمعاني. وأحمد باب على ما يبدو لم يكن يميل إلى الشعر، وقليلا ما نظم. وما عثرنا عليه من نظمه إلا ستة أبيات في الدعابة أوردها المقري في *الروضة* (ص. 314) وثمانية أبيات في الحنين إلى وطنه أوردها الإفراني في *النزهة* (ص. 97).

ومن تصانيفه ما هو موجود بالخزانات العلمية والخاصة، ومنها ما ذكره هو نفسه في *كفاية المحتاج*، أو ما ذكره غيره خاصة تلاميذه كعبد الرحمان السعدي في *تاريخ السودان* وأحمد المقري في *الروضة*. لكن القائمة التي سردها البرتلي في فتح الشكور أكمل مما سردوه، فهي محتوية على 39 تأليفا وضمنها جل ما كتبه المترجم خلال العشرين سنة الأخيرة من حياته التي قضاها في تنبكت.

وهناك محاولات لترتيب زمني لمصنفات أحمد باب، أولها محاولة جون هنويك J. O. Hunwick في مقاله إمداد الضياء على أحمد باب التنبكتي *Further Light on bàbà al-Tinbukti* (م.م)، وثانيتها محاولة محمود زبير في كتابه *Ahmed bàbà*، وآخرها وأوفاها محاولتنا في رسالتنا الجامعية عن *كفاية المحتاج* وأحمد باب السوداني، ونقتصر هنا على سردها مصنفة حسب المواد :

في الفقه : (1) ـ *جمع تعاليق وطرر* شيخه بغْيغْ على *شراح خليل*. (2) *تعليق على مواضيع من ابن الحاجب* (3 ـ 12)، *شرح وحاشية على مختصر خليل وتحريرات ونكت* على كثير من مشكلاته وقفنا على عشر منها فصلناها في الرسالة الجامعية : (13) ـ *جواب عن القوانين العرفية* التي تعارف عليها بعض سكان الجبال في المغرب (14) ـ *عين الإصابة في حكم طابة* (15) ـ *اللمع، في الاشارة إلى حكم طبع* (16) ـ *معراج الصعود*، إلى نيل حكم جلب السود أو الكشف والبيان ، في أصناف مجلوب السودان.

في الحديث والسيرة : (17) ـ *إمتاع الاسماع* بما قيل في إجراء ألفاظ الحديث مجرى السماع (18) *الفتح المبين*، في شرح حديث أولياء الله المحبين (19) ـ *المنهج المبين*، في شرح حديث أولياء الله المحبين (20) ـ *خمائل الزهر*، فيما ورد في كيفية الصلاة على سيد البشر (21) ـ *الدر النضير*، في كيفيات الصلاة على الشفيع البشير (22) ـ *نشر العبير*، بمعاني آيات الصلاة على البشير النذير (23) ـ *شرح الصدر* وتنوير القلب، لبيان مغفرة ما نسب للجانب النبوي من الذنب.

في العقائد والتصوف : (24) ـ *تنوير القلوب*، بتكفير الأعمال الصالحة للذنوب (25) ـ *شرح صغرى السنوسي* (26) ـ *شرح العقيدة البرهانية* [شرح عقيدة عثمان السلاجي المغربي] (27) ـ *رسالة في التصوف* [حول احتياج المريد الى شيخ].

في التاريخ والتراجم : (28) ـ *درر السلوك*، بذكر الخلفاء وأفاضل الملوك (29) ـ *القول النيف*، في ترجمه الامام أبي عبد الله الشريف [التلمساني] (30) ـ *اللآلي السندسية*، في الفصائل السنوسية [مختصر المواهب القدوسية، في المناقب السنوسية لمحمد بن إبراهيم الملالي] (31) ـ *منظومة في المبعوثين* على رأس كل مائة سنة (32) ـ *نيل الابتهاج*، بتطريز الديباج (33) ـ *كفاية المحتاج*، لمعرفة من ليس في الديباج.

في العربية ومواضيع شتي : (34) ـ *الإبداء والاعادة*، في مساواة الفاعل للمبتدأ في شرط الإفادة (35) ـ *غاية الإجادة*... [مختصر] (36) ـ *النكث المستجادة* في مساواة الفاعل للمبتدأ في شرط الإفادة (37) ـ *شرح رجز الكودي* [في التصريف] (38) ـ *فتح المحيي*، في مسألة حيي (39) ـ *المسلك الأنم*، في معرفة هلم (40) ـ *منور الحالك*، في شرح بيتي ابن مالك [في لغات أيمن] (42) ـ *النكث الوفية*، في شرح الألفية (42) ـ *النكث الزكية*، في شرح الالفية [لعله مختصرة] (43) ـ *التحديث والتأنيس*، في الاحتجاج بألفاظ ابن ادريس. (44) ـ *وسيلتي وشافعي*، في ثبوت الاستدلال بألفاظ الامام الشافعي لعله غير السابق (45) ـ *تحفة الفضلاء* ببعض فضائل العلماء (46) ـ *مرآة التعريف* بفضائل العلم الشريف (47) ـ *ترتيب جامع المعيار* للونشريسي (48) ـ *جلب النعمة*، ودفع النقمة ، بمجانبة الظلمة . (49) ـ *مارواه الرواة*، في مجانبة الولاة (50) ـ *جواب عن ثلاثة أسئلة* [في المفاضلة بين العلماء والشرفاء وفي انتحال الشرف] (51) ـ *درر الوشاح*، في فوائد النكاح [الاختصار لكتاب الوشاح، في فضائل النكاح للسيوطي] (52) ـ *دفع الضير*، عن كلام ابن خير (53) ـ *غاية الأمل* في تفضيل النية على العمل (54) ـ *فتح الصمد الفرد*، في محبة الله تعالى للعبد (55) ـ *اللمع* في أجوبة الأسئلة الأربع [محاورها : إشكال متعلق بمقابلة التقويم الهجري بالگريگوري، مصير الولد غير الشرعي في الآخرة، البداية بالبسملة، طقوس أصحاب الطرق] (56) ـ *مسائل إلى علماء مصر* [أجوبة على 21 سؤالا : 5 تتعلق باجابة الدعاء، و4 تتعلق بتقنيات عددية ممن يستعملها أبو العباس البوني، والباقي حول مسائل فقهية وعقدية ولغوية] (57) ـ *المطلب والمأرب*، في أعظم اسماء الرب (58) ـ *نزول الرحمة*، في التحدث بالنعمة (59) ـ *نيل المرام*، على التمام، ببيان حكم الإقدام، على الدعاء لما فيه من إبهام (60) ـ *أجوبة* على الأسئلة المصرية (61)ـ *فتح القدير*، للعاجز الفقير.

توفي أحمد باب بتنبكتو في 6 شعبان 1036 / 22 أبريل 1627.

أحمد باب نفسه، *كفاية المحتاج* ـ القسم الاخير ـ (مخطوط) ؛ أ. المقري، *روضة الآس* ؛ ع. السعدي، *تاريخ السودان* ؛ ع. التنارتي، *الفرائد الجمة* (مخطوط) ؛ م.ص. الإفراني، *نزهة* ؛ وصفوة ؛ م. القادري، *نشر الثاني*، ج. ١ ؛ م. البرتلي، *فتح الشكور* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج.5 ؛ ع. بن ابراهيم، *الإعلام*، ج. 2 ؛ م. مطيع، *كفاية المحتاج*، دراسة جامعية بكلية الآداب بالرباط.

J. O. Hunwick, *Ahmed Baba and the Moroccan invasion of the Sudan* (1521), in J.H.S.N, vol. 2 n° 3, pp. 311-328 ; *A new source for the biography of Ahmed Bàbà al-Tinbukti*, in B.S.O.A.S, 1964, XXVII, pp. 568-593 ; *Further light on Ahmed Bàbà al-Tinbukti*, in Research Bulletin (centre of Arabic Documentation, Institute of African Studies, University of Ibadan), 1966, vol. 2, n° 2, pp. 19-30 ; Mahmoud A. Zouber, *Ahmad Bàbà de Tombouctou*, Paris, 1977.

محمد مطيع

أحمد بن بوجمعة، ولد سنة 1939 بصبوية بأيت باعمران من عائلة معروفة بالمقاومة والتحق بصفوف جيش التحرير منذ إنشائه بالمنطقة. كان مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله، نشيطا في عمله معروفا بغيرته الوطنية، قويا بإيمانه.

استشهد في أول معركة ضد الجيش الإسباني بثلاثاء صبوية بتاريخ 1957/11/23.

وثائق الندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عبد الله العلام

أحمد الذهبي، أحد أبناء المولى إسماعيل بن الشريف العلوي، تولى الإمارة خلال حياة والده ثم الملك بعد وفاته لكن لمدة قصيرة فقط.

عندما أقدم المولى إسماعيل على تقسيم البلاد على أبنائه في سنة 1111 / 1699 ـ 1700 كانت منطقة تادلا وقصبتها من نصيب الأمير مولاي أحمد الذي بقي كعامل عليها إلى حين وفاة والده في سنة 1140 / 1727، كان يحتل مكانة خاصة عند والده حتى إنه كان الابن الوحيد الذي بقي في منصبه بعد أن عزل المولى إسماعيل جميع أبنائه عن عمالاتهم في سنة 1130 / 1718. ويذكر أبو القاسم الزياتي أن مولاي إسماعيل كان قد اختاره لخلافته بعد وفاته وأسند إليه العهد، وهو ما ينفيه أكنسوس اعتماداً على ما سمعه من السلطان المولى سليمان، إلا أن المصادر الأجنبية كرحلة الإنجليزي براثوايت تؤكد ماذهب إليه الزياني. ولما توفي المولى إسماعيل اجتمع أعيان الدولة واختاروا مولاي أحمد و "بايعوه بإشارة العبيد الشبيهة بالجبر" حسب صاحب *الجيش العرمرم*. ويظهر أن رؤساء جيش العبيد قدموه على غيره من إخوته لما عرفوا فيه من بسط اليد والسخاء وأن ذلك على حساب الكفاية السياسية. والحقيقة أن الأوضاع التي أصبح عليها المغرب بعد وفاة المولى إسماعيل كانت تتطلب من الحزم وحسن التدبير ما لم يكن متوفراً في أحد من أبنائه. فالنظام الذي أقام عليه المولى إسماعيل ركائز حكمه وطوّع به البلاد سرعان ما انهار، أو على الأصح لم يكن لأحد من خلفائه من الهيبة وقوة الشخصية ما يسمح بضبط دواليب ذلك النظام والتحكم فيها، فحابرة الدولة الذين قهروا الرعية خلال حياته مثل أحمد علي الريفي وعلي بن يشي وأولاد الروسي وغيرهم لم يعودوا بقادرين على كبح جماح الفتنة

النائمة، فقام عليهم الناس وتسابقت القبائل إلى اقتناء الخيل والسلاح "فكأنما كانوا على ميعاد". مما زاد الطين بلة أن جيش العبيد الذي كان بالأمس يرمز إلى الأمن والاستقرار أصبح بعد موت مؤسسه المتزعم الأول للاضطراب السياسي والفوضى الاجتماعية. ولم يكن المولى أحمد وغيره من إخوته إلاأدوات في يد هؤلاء العبيد الذين كانوا ينصبون ويعزلون من شاؤوا من الأمراء .

ولم يدم المولى أحمد في الملك إلا سنة واحدة تقريباً حتى ظهر عجزه عن الحكم بعد أن أقبل على الملذات وأدار ظهره لمصالح الرعية، فانحلت أمور الدولة، ولم يعد يحظى لا بدعم جيش العبيد ولا برضى أهل فاس، فاتفقوا على خلعه ومبايعة أخيه عبد الملك في شهر رمضان 1140 / 1728، وكان هذا الأمير في ذلك الوقت مستبدا بنواحي سوس وجنوب البلاد.

طابع السلطان أحمد الذهبي

وعلى الرغم من نجدة مولاي عبد الملك وحزمه فإنه لم يحكم إلا شهوراً قليلة، ذلك أنه أراد أن يعالج عين الداء ويسدد ضربة لجيش العبيد بالاعتماد على القبائل، إدراكاً منه أن ذلك الجيش هو سبب الفتنة وسر الاضطراب. إلا أن العبيد تفطنوا لخطته "فعاجلوه قبل أن يُعاجلهم" ومرة أخرى رجع العبيد إلى المولى أحمد الذهبي الذي كان مبعداً بسجلماسة وبايعوه للمرة الثانية في شهر ذي الحجة من عام 1140 / يوليوز 1728، إلا أن أهل فاس الإدريسية امتنعوا عن ذلك وتشبثوا بأخيه عبد الملك، فحاصرهم المولى أحمد وقاتلهم ما يقرب من خمسة شهور إلى أن استسلموا وسلموا له أخاه المخلوع فأودعه السجن بمكناس. وبعد ذلك بوقت قصير مرض المولى أحمد مرض موته، فلما أحس بقرب أجله أمر بخنق أخيه عبد الملك، وكانت وفاته هو بعد ذلك بثلاثة أيام (رابع شعبان 1141 / 5 مارس 1729).

م. القادري، *نشر الثاني* ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعدية* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* 7.

Captain John Braithwaite, *The History of the Revolutions in Empire of Morocco.*

محمد المنصور

أحمد بن زيدان بن أحمد المنصور الذهبي الحسني السعدي. أصغر أبناء زيدان وأتعسهم حظا، إذ ما كاد يموت أبوه زيدان بمراكش يوم تاسع محرم عام 1037 / 20 شتنبر 1627 ويبايع لأخيه عبد الملك في نفس التاريخ والمكان حتى بدا لأحمد هذا وأخيه الوليد أن يثورا عليه، فجرت بينهما وبينه معارك دامت بضعة أسابيع وأسفرت عن انهزام الثائرين وفرار أحمد إلى منطقة الغرب حيث تمكن من الدخول إلى مدينة فاس يوم الجمعة 25 صفر من نفس السنة، إذ كان أميرها عبد الملك بن محمد الشيخ المامون قد توفي منذ نحو شهرين ولم يخلفه أحد، فأعلن أحمد نفسه ملكا بفاس، واتخذ شارات السلطنة وضرب السكة باسمه ولم تطل إمارته بها سوى عشرة أشهر كان خلالها ضعيف السلطة في دار إقامته بفاس الجديد لا يتدخل بشيء في فاس القديم الذي كان الصراع فيه على أشده بين الأندلسيين واللمطيين بل وبين مختلف الأحياء. كما كانت قبيلتا شراگة والحياينة تهاجمان المدينة فلا يجد الفاسيون إلا الالتجاء إلى المجاهد العياشي بسلا وإلى الدلائيين للدفاع عنهم والانتصاف من المهاجمين.

ولما اشتدت الهيعة بمنطقة الغرب وكثر القتال داخل فاس وخارجها من طرف الثوار حتى تعطلت الصلوات بجامع القرويين، ألقي القائد عدُّوبْاها القبض على أحمد بن زيدان في 11 ذي الحجة عام 1037 / 12 غشت 1628 وسجنه بفاس الجديد حيث بقي سجينا سبع سنين إلى أن فر من السجن مستخفيا بين نساء في 7 رجب عام 1044 / 17 دجنبر 1634. وبعد شهر نودي بنصره مرة أخرى في فاس لكن لم يتم له أمر، وظل هناك إلى أن بايعت فاس محمد الحاج الدلائي في شعبان عام 1051. ولم يكد يرتحل عنها حتى قتل أحد العامة أحمد بن زيدان في ملعب فاس الجديد برصاصة أطلقها عليه في 24 ذي القعدة عام 1051 / 24 فبراير 1642 فكان آخر الأمراء السعديين بفاس.

م. الإفراني، *نزهة*، 218 ؛ م. القادري، *التقاط*، 114 ؛ *نشر*، 1 : 278 و2 : 9 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 6 : 72-73 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، (ط 2) 20-21.

محمد حجي

أحمد بن سعيد بن إسماعيل ولد سنة 1898 بدوار دولاسن ـ أيت النر ـ أيت باعمران ـ دائرة إفني إقليم تيزنيت، وشارك في صفوف جيش التحرير حتى استشهد في معركة تبلكوكت وهو حامل سلاحه دفاعا عن حوزة الوطن في 1957/11/23، وهو يوم اشتعال ثورة قبائل أيت باعمران للاستيلاء على المركز الإسباني بسيدي إفني حيث كانت قواته تعسكر هناك.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير

عبد الله العلام

أحمد بن عبد السلام الموحدي من ذرية أبي دبّوس آخر الموحدين الذي قتل سنة 668 بظاهر مراكش وقد خرج للقاء المرينيين. وبعد مقتله تفرق أولاده ملتجئين لدى العرب. فكان من نسله المترجم الذي تقدم سلسلة نسبه

هكذا : أحمد بن عبد السلام بن عثمان بن أبي دبوس، كان جده عثمان حاول أن يثور بطرابلس سنة 688 على رأس فريق من العرب. ووصل تونس ورجع عنها خائبا، وظل يتردد بين طرابلس وقابس إلى أن مات بجزيرة جربة. واعتقل أبوه عبد السلام بتونس. ولد أحمد بالقاهرة سنة 722 / 1323 ويذكر ابن حجر أنه كان "حسن الهيئة، جميل الصورة، بادن الجسم، خفيف اللحية، كثير الصمت، حسن الكتابة، بليغ العبارة " وما بلغ سن الرابعة والعشرين حتى غادر مصر متجها إلى المغرب سنة 736 هـ بقصد استخلاص بعض الأملاك تنسب لجده وأبيه بمراكش، لكنه توقف بتونس حيث أقام أربع سنوات. ألقي عليه القبض سنة 741 هـ وأخذ إلى السجن إلى سنة 747 هـ، والظاهر أن سلطات تونس تخوفت من نشاطه وتحركه وأن خصوم الدولة القائمة كانوا يراهنون على اسمه ونسبه. عاد أحمد إلى القاهرة لمدة محدودة. ثم رجع إلى تونس على رأس جماعة من العربان كانوا قد أسندوا إليه بيعتهم. وتذكر رواية أخرى أنه نزل بتوزر واحترف الخياطة إلى أن تمكنت كلمته من العرب فثار بهم على السلطان أبي الحسن المريني. كثر أنصاره وبلغ جيشه عشرة آلاف جندي. وجرت معارك بينه وبين أبي الحسن في المحرم من سنة 749 / 1348 انتهت بانهزام الملك المغربي واستيلاء العرب على أمواله. وطمع أحمد في الاستيلاء على تونس، فقام بحصار قصبتها. لكن أبا الحسن عاد إليه بقوات جديدة فاضطر أحمد للتراجع نحو العرب وكان الأمر فسد بينه وبينهم. فاختلت أحواله وحاول الفرار، لكن قبض عليه وأخذ في مركب إلى بجاية، ثم إلى فاس. لم يفكر الملك المغربي في عقابه والاقتصاص منه، بل عامله بحسنى، وكذلك ولي تلمسان. وهكذا، تمكن من الذهاب إلى غرناطة حيث وجد حسن الاستقبال فأمكنه أن يتزوج هنالك وينجب الأولاد. وعاوده ربح الثورة لما كاتبه عرب إفريقية، ولكن تيقن بأن حركته لن يكون وراءها طائل، فعاد إلى غرناطة وأقام بها مدة، ثم انتقل إلى فاس، وافدا على ملكها أبي سالم. هنالك أدركه الأجل في سنة 762.

قصة هذا الرجل تبين أن أحفاد الموحدين كان ما زال لهم طمع في العودة إلى الملك ؛ بعد مرور قرن على انقراض دولتهم. كما تبين وجود أنصار لهم في عرب إفريقية الذين تعودوا على مناصرة كل الثائرين على الدولة القائمة. فبالأمس كانوا مع بني غانية ضدا على الموحدين، اليوم نجدهم مع أحفاد الموحدين ضدا على الحفصيين والمرينيين.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 ؛ ابن حجر، *الدرر الكامنة*، 1 ؛ ابن أبي دينار، *المؤنس* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 3.

أحمد بن عبد المومن بن علي الموحدي، أحد أبناء عبد المومن بن علي. وقد ذكره ابن عذارى في آخر قائمة أولاده الذكور. كان واليا على سجلماسة إلى أن توفي سنة 574. وتعيينه على تلك المدينة ومنطقتها فيه دلالة على حزمه وقوة شخصيته، خصوصا إذا اعتبرنا أن الدولة الموحدية كانت ما تزال في أول عهدها وأن سجلماسة هي بوابة الصحراء ومنفذ قبائل صنهاجة الملثمين إلى الشمال. فلا أقل من أن يحاولوا الهجوم على دولة الموحدين الفتية. من تلك الجهة.

وقد ظهر فتور في ولاء سجلماسة عند قيام الثائر الماسي بسوس ثم إن سجلماسة كانت، في نفس الوقت عقدة مواصلات مهمة بالنسبة للمغرب وعلاقاته بإفريقيا السوداء (ن. سجلماسة) واستيراده لمادة الذهب والعبيد والعاج وغيرها من البضائع النفيسة والضرورية لتجارته مع الخارج. لكل هذا كان لا بد من أن يكون الوالي على سجلماسة في تلك الآونة شخصية قوية الشكيمة قادرة على التنظيم الإداري وحماية الثغور.

ولا شك أن أحمد وفق في مهمته إذ لا يسجل المؤرخون في إبان ولايته أي حركة تمرد أو معارضة للدولة الموحدية. بل إن اطمئنان الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على تمكن السلطة من ذلك الإقليم جعله يتخذ من سجلماسة معتقلا لجراندة الجليقي (جيرالدوسميافور) وأصحابه. وكان هذا القائد في خدمة ألفونسو هنريكز (ابن الرنك في المصادر العربية) ملك البرتغال، لكنه اختلف مع ملكه وأتى إلى إشبيلية هو وصحبه ليقدموا خدماتهم ليوسف بن عبد المومن. إلا أنه عاد سرا إلى ولائه نحو هنريكز ونوى الغدر وضبطت مراسلاته السرية مع الملك البرتغالي. فما كان من يوسف إلا أن أمر باعتقاله هو وجماعته المتكونة من ثلاثمائة وخمسين جنديا ووجهوا مقيدين إلى سجلماسة حيث وضعوا تحت الحراسة المشددة سنة 569 مما يدل على الثقة التي كانت للخليفة في ذلك البلد ووالية أخيه أبي العباس أحمد بن عبد المومن.

أ.البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ابن عذارى، *البيان المغرب* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

أحمد بن علي، قائد أسفي، لا تسمح النصوص بتحديد تاريخ استقلال أسفي عن مراكش الهنتاتية. فحينما طُرد الشيخ الجزولي من أسفي (قبل 869 / 1465) كان على رأس إدارة المدينة "قائد" لم تحدد المصادر المغربية هويته ولا نوعية علاقته بعاصمة الجنوب. ولما وصل الرحالة الفرنسي (دولافوس De la Fosse) إلى مينائها سنة 863 / 1479 وجد بها "ملكا". غير أنه من الأكيد، حسبما ورد بالوثائق البرتغالية، أن قائد هذه المدينة، الذي لم يكن يدين بالولاء لأحد، أدخل أسفي في عهد الفونصو الخامس، المتوفى في رجب 886 / غشت 1481 تحت الحماية البرتغالية. ويفهم من رسالة بعث بها هذا القائد إلى الملك يوحنا الثاني في سنة 893 / 1488 لطلب تمديد العمل بنفس المعاهدة، أنه كان يسمى أحمد بن علي، وأنه أول من اعترف بسلطة التاج البرتغالي على المدينة. ويذكر الإخباري البرتغالي (دوگويش D. de Gòis) أن أحمد هذا كان ينتمي إلى أسرة نبيلة وذات نفوذ كبير، تعرف ببني فرحون (ص 28). ويبدو

أنه كان أول من حكم أسفي من أفراد هذه الأسرة، وأنه استمر في إدارة المدينة إلى أن عُزل سنة 903 / 1498.

وخلال هذه المدة استطاع أن ينشر نفوذه بعيدا عن أسوار المدينة، إذ كانت تدين له بالولاء قرى بالشياظمة وبني ماجر، وكذا قرية بولعوان الدكالية (على ضفة أم الربيع) وربما حاضرة دكالة الكبيرة، المدينة الغربية. ولعل حرص القائد على التحكم في هذه المناطق مرتبط برغبته في إدماج المدينة ونواحيها في كتلة واحدة لتكاملها من جهة، ولدور تلك البوادي في الرواج التجاري من جهة أخرى، هذا الرواج الذي أصبحت تعرفه المدينة خلال النصف الثاني من القرن 15 م بسبب احتلال مدن المغرب الشمالية وتنظيم البرتغاليين لتجارة التبر والعبيد بغرب إفريقيا.

ومعلوم أن إنشاء مراكز تجارية بتلك المنطقة جعل من الحواضر الدكالية سوقا ضرورية لتزويد تلك التجارة بما كانت في حاجة إليه من حبوب وأثواب صوفية ونحاس الخ. وحتم هذا الدور التجاري الجديد على البرتغاليين الاهتمام بتلك الموانئ، كبراها وصغراها، واحتكار أسواقها وإبعاد المنافسة الإسبانية عنها (أ. بوشرب، دكالة 113-115) وكان حرص القائد أحمد بن علي على الاستفادة من هذه الظرفية، ومما توفره من مداخيل جبائية ومن وساطة تجارية، ورغبته في إسكات معارضيه، من أهم الأسباب التي دفعت به إلى الارتماء في أحضان البرتغاليين. واكتفى حكام لشبونة، الواعون بطاقات المنطقة الإنتاجية والاستهلاكية الهائلة، بهذا النوع من الحكم غير المباشر تفاديا لتدخل عسكري يضر أولا بمصالحهم التجارية.

هكذا قبل أحمد الحماية البرتغالية وأداء ضريبة سنوية وتسهيل تجارة الملك البرتغالي بالمدينة، بينما تعهد الطرف البرتغالي بحماية حليفه المغربي ضد كل من يهدد سلطته. واستمر العمل بهذه المعاهدة في عهد ثلاثة ملوك بعد أن قبل كل من يوحنا الثاني (894 / 1488) وإمنويل الأول (901 / 1495) تجديد العمل بها. وطبعا كان أحمد بن علي أكبر مستفيد من هذه التبعية. فقد أصبح مزود الملك البرتغالي بكل السلع الضرورية لتجارة التبر والعبيد بغرب إفريقيا. كما سمح له بإرسال سفينة على رأس كل سنة للاتجار بمركز أرغين. واحتكر القائد مداخيل الجمارك ولم يكن ملزما إلا بضريبة رمزية. غير أن عوامل كثيرة أثرت على موقف القائد من حماته البرتغاليين ودفعت بهؤلاء سنة 904 / 1498 إلى تنظيم انقلاب نتج عنه تنحية القائد وتنصيب ابن أخيه. وبهذا الانقلاب دخلت أسفي مرحلة من الاضطرابات والحروب الأهلية لعب البرتغاليون فيها دورا حاسما قبل أن يقرروا احتلالها سنة 914 / 1508.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ج. 1 ؛ أ. بوشرب، *دكالة*.

R. Ricard, *Les Portugais au Maroc*, de D. de Gòis, *extraits de la chronique du Roi, D. Manuel de Portugal* ; C. de Marmol, *L'Afrique*, tome 2. P. de Cénival ; S.I.H.M, Série sa'dienne, tome 1.

أحمد بوشرب

ابن **أحمد، علي**. ولد سنة 1905 بأيت اعمرو، أيت لحسن، ناحية إموزّار مرموشة، إقليم بولمان. شارك في الكفاح المسلح في سبيل الاستقلال وذلك ضمن الوحدة التي قادها إلياس ميمون أعقّي بالمنطقة، وقد عمل المرحوم بكل إخلاص وشجاعة إلى أن شارك في الهجوم على دار حارس المياه والغابات حيث صرعته رصاصة المستعمر، فاستشهد رحمه الله يوم 2 أكتوبر 1955.

أحمد بن **عمار** ، ولد سنة 1914 بأيت إبراهيم قبيلة أيت لحسن من إموزار مرموشة بإقليم بولمان. شارك في الهجومات والمعارك التي شنها جيش التحرير بقيادة إلياس ميمون أعقى، وخاض معركة ضد جنود الاحتلال يوم 2 أكتوبر 1955 استشهد فيها.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير بالرباط.

عز الدين العلام

أحمد بن مبارك، من عبيد البخاري، سوسي الأصل، برز كوصيف مرموق في عهد السلطان مولاي سليمان، تدرج من السلم العسكري إلى الرتب السياسية شأنه في ذلك شأن من ظهروا من أهله طيلة قرن من الزمن. كان هو وأبوه مبارك من وصفان السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وفوتهما لابنه المولى سليمان، وقد تربى معه. أحمد هذا. وتقلد الحجابة والصدارة، واستمر في الخدمة مدة ثلاثين سنة كان في وقت منها يعرف بـ (مول الأتاي = القيم على تحضير الشاي) أي أنه كان من الموظفين الداخليين المقربين. وكان الشاي في ذلك العهد غير معروف إلا لدى خاصة الخاصة. واتسعت مهماته حتى إنه كان لا يبرم أمر إلا بعمله ولا يفارق السلطان في سفره (م. الحجوي، *اختصار الابتسام*، 360). ومن علو شأنه مشاركته في مفاوضات مع فرنسا سنة 1817 في شأن بيع القمح لها، له مكاتبات مع القناصل منها على سبيل المثال رسالة في أسفلها خاتمه وبداخله : "وصيف المقام العالي بالله أحمد بن مبارك لطف الله به" موجهة إلى "قونصو إنجليز" بتاريخ 1932 / 1812.

ولا تظهر أهمية شخصية أحمد بن مبارك في المناصب السياسية التي تولاها فحسب مع العلم بأنه بلغ فيها إلى حد أنه سمي بصاحب الطابع، بل تتجلى أيضا في شخصيته العسكرية، فقد عقد له السلطان على جيش كثيف وأرسله إلى قبائل أيت أمالو سنة 1223 وإلى الصحراء سنة 1231 هـ ومعه عدة من المدافع والمهاريس (*الاستقصا*، 9 : 130-131) وفي الجملة فإن أحمد بن مبارك بلغ في جهاز المخزن درجة جعلت أكنسوس يقول عنه : "إنه هو السلطان في حقيقة الحال" (*الجيش العرمرم*، 664)، ومصداق ما بلغه أن السلطان الذي جرب إخلاصه كان يمتدحه في المجالس، هذا كله مما جعل جماعة من جيش البخاري يحقدون عليه ويدبرون قتله سنة 1235 / 1819 بمكناس وذلك بعد وقعة زايان التي كان فيها انهزام جيش المخزن، وذلك أن جيش العبيد اعتبر أحمد بن مبارك

مسؤولا عن تلك الهزيمة، وبقتله بدأ نظام ذلك العهد في الانحلال، فكان السلطان يقول : "لو كان أحمد لما وقع كذا وكذا" (أكنسوس *الجيش*، 665). وقد نعى تقرير للقنصل الفرنسي سوردو Sourdeau هذا الوزير وبين مكانته، وفي هذا التقرير ما يشير إلى أن اعتماده كوزير متول للشؤون البرانية لم يكن يرجع إلى عهد أقدم من أربع سنوات قبل وفاته. ومما هو جدير بالذكر أن أحمد بن مبارك، مع شهرته هذه، لم يترك سوى مبلغ ستمائة مثقال قضي بها دين كان عليه (مادني، 16). وهكذا انتهت حياة شخصية مخزنية فذة نموذجية في الترقي من وسط جيش البخاري، أسست أسرة سيكون لبعض أفرادها نفوذ وشهرة.

مينة مادني، نموذج من الأسر المخزنية المغربية من خلال بعض المصادر والوثائق المغربية : أسرة أحمد بن مبارك. بحث نهاية الإجازة، كلية الآداب بالرباط، 1982.

M. Chapi, *Quelques Familles du Makhzen*

أحمد التوفيق

أحمد بن محمد بن عمر، ولد عام 1920 بدوار إديوسنينا، أيت إخلف، أيت باعمران. وقد التحق بجيش التحرير لصحراء المغرب بمركز تزكي في أوائل سنة 1957 تحت مسؤولية المرابطي الأنصاري محمد بلمختار وكريم محمد بن إبراهيم وحمل السلاح ضد جيش الاستعمار الإسباني، وشارك في عدة معارك منها معركة الگويرة أيت إخلف التي استشهد فيها بعد ما أصيب برصاص المستعمر، كان ذلك يوم 1957/11/12.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومة وجيش التحرير.

عز الدين العلام

أحمد المنصور الذهبي بن محمد المهدي الشيخ بن محمد القائم بأمر الله الزيداني الحسني السعدي. ولد بفاس عام 956 / 1549 أي في السنة التي دخل فيها والده إلى مدينة فاس لأول مرة. والدته الحرة مسعودة بنت الشيخ أحمد بن عبد الله الوزگيتي الشهيرة في كتب التاريخ وفي الذاكرة الشعبية حتى اليوم.

الحياة العلمية : نشأ أحمد مترددا بين فاس ومراكش وسوس، وقرأ القرآن الكريم على معلم أولاد الملوك الأستاذ محمد الدرعي إمام جامع المشور بفاس، ثم على القاضي سليمان بن إبراهيم بمراكش، ولما انتقل والده إلى سوس أخذه معه فقرأ الرسالة على الفقيه موسى السوسي، وأعاد قراءتها على القاضي سليمان مرتين، وعلى الفقيه النحوي محمد بن عبد العزيز ابن إبراهيم، كما قرأ على هذا الأخير مرارا مقدمة ابن أجروم وألفية ابن مالك، وعلم الحساب. درس أحمد كل هذا وهو لم يجاوز السنة الحادية عشرة من عمره، لأنه خرج إلى الجزائر مع أخيه عبد الملك أواخر عام 966 / 1559 عندما ساءت سيرة عبد الله الغالب مع إخوته وأخذ يتتبعهم بالقتل حسب أغلب الروايات.

ولما عاد الأخوان من الجزائر وبويع عبد الملك بفاس في 7 ذي الحجة 983 / 30 مارس 1574 عين أخاه أحمد نائبا عنه في مدينة فاس، وعمره حينئذ سبع وعشرون سنة. استأنف أحمد دراسته على كبار شيوخ القرويين متتلمذا لكل من إمام النحاة في عصره أحمد القدومي، وشيخ الفقهاء محمد بن أبي القاسم الشريف الحسني، وإمام المعقول والمنقول أحمد المنجور، وشيخ المحدثين رضوان بن عبد الله الجنوي، وحامل لواء المذهب المالكي القاضي عبد الواحد الحميدي. كان أحمد في هذا العهد مولعا بالعلم أكثر من ولعه بالسياسة، الأمر الذي أغضب عبد الملك المعتصم وكتب إليه رسالة التعنيف التي وقف عليها الإفراني وأثبت نصها في *النزهة* (ص 71) وفيها يقول المعتصم : "إلى أخينا الأحظى باب أحمد حفظه الله ... فاعلم أني لا أحب أحدا بعد نفسي محبتي لك ورغبتي في انتقال هذا الأمر بعدي إلا إليك لا لغيرك غير أني نعتاد منك التراخي في الأمور حتى إنك لا تبالي بعظيم الأمر ولا تعتبره... من ذلك في هذا التراخي إهمالك الجند الذي بالعرائش وإغفالك له مع ما يترادف عليك في كل ساعة من تلقائه من استدعاء ما دعت الحاجة إليه من المؤونة والبارود والرصاص الذي لا يستقيم لهم أمر في مقاومة العدو دون ذلك وجعلت تقابل خطابهم بالإهمال وعدم المبالاة...".

يبدو أنه كان لهذه الرسالة أثرها البالغ في نفس أحمد الذي فتح عينيه على الأخطار المحدقة بالبلاد فشمر عن ساق الجد وأبلى البلاء الحسن سواء في مطاردة محمد المتوكل أو في تجييش الجيوش لمواجهة خطر الهجمة الصليبية الكبرى بقيادة سباستيان ملك البرتغال، دون أن يتخلى عن طلب العلم، فقد ذكر في *فهرسه* أنه في أثناء تحركه وإقامته ببسيط أزغار ـ منطقة المعركة الكبرى بوادي المخازن ـ كان يقرأ *ألفية ابن مالك* على الفقيه المجاهد محمد الحارثي. وحتى الملك لم ينل من نهم أحمد المنصور في المزيد من الدرس والبحث إلى أن حصل على إجازات من معظم شيوخه، وفي مقدمتهم الإمام أحمد المنجور الذي خصه بإجازة عامة كبرى جعلها فهرسا جامعا لشيوخه.

وظل الطابع العلمي من أهم مميزات عهد أحمد المنصور، إذ كان يرعى العلماء والمتعلمين ويعقد هو مجالس علمية عامة وخاصة في أوقات معلومة لا تتخلف، يحضرها علماء دولته من الشمال والجنوب، فيغدق عليهم من الصلات والعطايا ما حفلت به كتب التاريخ والتراجم. ومن الثابت أن أحمد المنصور كان إلى جانب مشاركته الواسعة في العلوم اللغوية والشرعية، أديبا شاعرا ناثرا، ورياضيا موهوبا مواظبا على دراسة أمهات كتب الحساب والجبر والهندسة لإقليدس وابن البناء وأضرابهما، كما كانت حاشيته تكاد تكون كلها من العلماء والأدباء حتى قادة الجيش وولاة الأقاليم.

وقد ألف أحمد المنصور كتابين مهمين، الأول في علم السياسة سماه كتاب *المعارف في كل ما تحتاج إليه الخلائف*، لكن لا يعرف منه الآن إلا ما ذكره الفشتالي في *مناهل الصفا* (215-217) من نص المقدمة، وملخص النقط

البارزة التي تعرض إليها أحمد المنصور من تحصين الحصون واختطاطها، وتشييد المعاقل وتوطيدها، وتعبئة الحروب ومكائدها وآلاتها وخدعها وأنواعها" فضلا عن مباحث في حقائق المعلومات السياسية النظرية والعلمية. والثاني كتاب *العَوْدُ أحمد*، وهو جزء لطيف بناه على سبعة أبواب جامعة للأدعية المأثورة عن الرسول ـ عليه السلام ـ أخذا من كتب الحديث الصحاح، وكان هو أول مستعمل لهذه النصوص طوال حياته. ولحسن الحظ فإن هذه النسخة الملوكية الأصلية ما تزال محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط في أول مجموع ضخم يضم أورادا وأحزابا صوفية للشاذلي، وابن وفا، والسهروردي، وابن جابر الغساني وغيرهم باختيار أحمد المنصور. وقد وقف أحمد المقري على هذا المخطوط الثمين فأخذ بروعته ونفاسته وكتب عنه : "قد رأيت هذا التأليف بخط تأنق فيه صاحبه إلى الغاية، عن أمر هذا الخليفة، وتخيل لي أنه لا يمكن أن يوجد له نظير في مضمنه وخطه" (*روضة الآس*، 58).

ولأحمد المنصور غير هذين الكتابين، *فهرس* ذكر فيه شيوخه وما قرأ عليهم ؛ و*ديوان* صغير جمع فيه أشعاره، وهي عبارة عن مقطعات ومساجلات أثبت كثيرا منها ومن *الفهرس* كتاب بلاطه في مؤلفاتهم ؛ و*ديوان أشعار العلويين* إلا أنه لم يكمله، وكلّف به كاتبه عبد الواحد بن أحمد الحسني السجلماسي فمات دون إتمامه (الأصل بخط المؤلف في الاسكوريال).

كما ألفت في أحمد المنصور كتب، منها : *المدود والمقصور من سنى أبي العباس المنصور*، للكاتب محمد بن عيسى التملي، و*المنتقى المقصور على مآثر الخليفة أبي العباس المنصور* لأحمد بن القاضي، و*مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا*. وألفت باسمه كتب تنيف عن المائة، مجّده المؤلفون في مقدماتها (انظر *روضة الآس*، 69-70).

وتعتبر مكتبة أحمد المنصور بمراكش أعظم مكتبة علمية في ذلك العصر الزاهر حوت من نفائس مؤلفات القدماء والمحدثين ما لم تحوه مكتبة أخرى، ورتّب لها المنصور في قصره خطاطين ماهرين للنساخة، وفنانين للتجليد والتزويق، وأخذوا يكتبون بدل المداد بمحلول الذهب والعنبر المسقي بماء الورد، وينشّفون بمسحوق الذهب بدل التراب، فضلا عن الوراقين المشارقة الذين لم يفتؤوا يمدونه بإنتاجهم من القاهرة واصطمبول والحرمين الشريفين. وما تزال كثير من ذخائر هذه المكتبة بالإسكوريال.

الحياة السياسية : اضطلع أحمد المنصور بأعباء الدولة في أعقاب معركة وادي المخازن حيث هلك ثلاثة ملوك : سيباستيان ملك البرتغال، وعبد الملك المعتصم، ومحمد المتوكل المسلوخ ؛ وجنى هو ثمرة الظفر فبويع في ساحة القتال ملقبا بالمنصور يوم الاثنين متم جمادى الأولى سنة 986 / 4 غشت 1578. كان عليه أن يواجه مخلفات الفتن والحروب التي عمت البلاد طوال ثلاث سنوات، وما نشأ عنها من انقسامات وزعامات بين القبائل والأندلسيين المهاجرين، إلى الأخطار الخارجية المزمنة المتمثلة في الدولتين القويتين المجاورتين : الإسبان والأتراك. وقد بدا بخته ويمن نقيبته منذ الأيام الأولى لتوليته حيث وافته التهنئة بفاس من مختلف الدول الإسلامية والمسيحية حاملة إليه الهدايا الفاخرة، وبذل له البرتغاليون، إضافة إلى الغنائم العظيمة التي استحوذ عليها في المعركة، ما احتوت عليه خزائنهم من ذخائر لفداء نبلائهم الأسرى. كما بدت كفاية أحمد المنصور الذهبي السياسية، وحنكته العسكرية في السنتين الأوليين حيث تمكن من تتبع رؤوس الفتنة وتمهيد البلاد من جهة، وتجاوز تحرشات ولاة الجزائر الأتراك لخلق أرضية سلمية إن لم تكن ودية بين المغرب والخلافة العثمانية من جهة أخرى، مع موقف متبصر تجاه الإسبان ورثة الإمبراطورية البرتغالية المنهارة.

وقد تطور هاجس الخلافة عند أحمد المنصور، فلم يعد ما كان عليه عند والده محمد المهدي الشيخ الذي كان يناصب العثمانيين العداء ويفكر في أن يحل محلهم في الأقطار المجاورة بشمال إفريقيا حتى مصر. وإنما أصبح هاجسا متقيدا بالواقع متحركا في دائرة الإمكان كما يتجلى في مفاوضة الملأ من أصحابه وأعيان دولته حين عزم على منازلة أمير السودان صاحب كاغو. فقد فكر أحمد المنصور وقدّر أن قواته في التسعينات من القرن العاشر لا تستطيع اختراق حاجز الأتراك في الشرق، ولا مصادمة الإسبانيين وراء المضيق، فلم يبق أمامه مجال للعمل إلا من ناحية الجنوب، فاستردّ في يسر صحراء تيگورارين وتوات، وأخضع الإمارات السودانية الصغيرة في منطقة حوض السنيغال، وسالم مملكة بورنو ـ كانم في الجهة الشرقية بعد أن خطب ودّه ملكُها إدريس ألوما وبايعه. ولم تقف في وجهه سوى مملكة سنغاي وريثة الإمبراطوريتين العريقتين مالي وغانا. وكان للأسكيين ملوك سنغاي وجهة نظر في شرعية حكمهم وعلاقاتها بقضية الخلافة، إذ كان جدهم المؤسس محمد أسكيا الكبير لما حج سنة 900 / 1495 تلقى من شريف مكة أو من الخليفة العباسي بمصر ـ حسب اختلاف الروايات تزكية لحكم بلاد السودان الغربي، فاعتبر الأساكي أنفسهم حكاما باسم الخليفة الأكبر للمسلمين. لذلك لم يستسيغوا فكرة الخلافة السعدية منذ محمد المهدي الشيخ لا سيما وأنها كانت تَمَسُّ مسألة اقتصادية حيوية بالنسبة لهم، وهي ممالح تغازى وتاودني علي مشارف الصحراء الجنوبية التي يتجاذبها كلا الفريقين. والحجة التي يستظهر بها السعديون أن المعادن حسب الشريعة الإسلامية، يرجع أمرها إلى الإمام، وهم الأئمة المستوفون لشرط الخلافة باعتبارهم قرشيين من آل البيت النبوي. وقد اختلفت مواقف الأسكيين المتعاقبين على الحكم من قضية الخلافة السعدية وما يرتبط بها من استغلال الممالح، إلى أن جاء أحمد المنصور فجعل منها إحدى ركائز سياسته الخارجية، لكن مرونة الأسكيا داود (955-990 / 1548-1582) جعلت أحمد المنصور يكتفي بليونة موقف هذا الأخير

وتنازله عن خراج المالح. ولما ولي الحكم إسحاق الثاني سنة 994 / 1586، غيّر سياسة أبيه تجاه المغرب وأبدى استخفافا برسائل المنصور التي تطالبه بالاعتراف به كخليفة للمسلمين وتسليم المالح له. وكان رد إسحاق السيىء سبب قيام أحمد المنصور بتجهيز حملة كبرى للسودان بقيادة جوذر باشا، انتهت باستيلاء جيش السعديين على مملكة سنغاي عام 999 / 1591. وبذلك أصبحت رقعة نفوذ الدولة السعدية تمتد جنوبا إلى ما وراء نهر النيجر، وتصل شرقا إلى بلاد النوبة المتاخمة لصعيد مصر.

لم يُغفل أحمد المنصور، منذ البداية، مسألة السكّر عاملا على توسيع المزارع التي لم تعد قاصرة على سوس وإنما أصبحت تنتشر في بلاد حاحا وشيشاوة القريبة من مراكش، وتطوير مصانع التصفية وتجهيزها بأحدث الآلات بحيث أصبح السكر المغربي مرغوبا فيه من مختلف البلاد الإفريقية والأوربية، خاصة أنگلترا التي كادت تستورد منه كميات وافرة. نتج عن نفاذ سوق السكر نشاط تجاري داخلي وخارجي، وغدت السفن الأوربية تتردد بكثرة على الموانىء المغربية، لا سيما ميناء أسفي وأگدير، تحمل البضائع الأوربية والذخيرة الحربية، وتأخذ بالإضافة إلى السكر، منتجات نباتية وحيوانية ومعدنية، مثلما كانت القوافل التجارية عبر الصحراء لا تنقطع جالبة إلى المغرب أحمال التبر. وبذلك كثر المعدن الثمين "حتى كان المنصور لا يعطي في الرواتب إلا النضار الصافي، والدينار الوافي، وكانت بباب ـ دار السكة ـ كل يوم أربع عشرة مائة مطرقة تضرب الدينار، دون ما هو معدود لغير ذلك من صوغ الأقراط والحلي ... ولأجل ذلك لقّب بالذهبي لفيضان الذهب في زمانه (نزهة، 86).

وقد وظف أحمد المنصور قسطا من وفر بيت المال في تشييد منشآت عمرانية دينية وعلمية واقتصادية وعسكرية في مختلف أنحاء البلاد، مثل جناح الخصة بصحن القرويين والخزانة العلمية بقبلته، والحصنين أو البستيونين خارج باب عجيسة وباب الفتوح، والحصنين بالعرائش، ومصانع السكر بحاحا وشوشاوة. على أن أعظم منشأة عمرانية للمنصور هو قصر البديع بمراكش الذي لم يُبن قبله مثله في هذه البلاد. وهو وإن هُدم فقد بقي وصفه مفصلا فيما كتبه الفشتالي والإفراني في تاريخيهما حتى لكأن المرء ينظر إلى قبابه وفرشه وأبهائه وبساتينه.

نتج عن نجاح سياسة أحمد المنصور، والسمعة التي اكتسبها منذ الانتصار الباهر في معركة وادي المخازن، أن سعت بعض الدول الأوربية إلى ربط علاقات ودية معه مثل انجلترا وفرنسا وهولاندا. وتمثّلت العلاقات أكثر بين أحمد المنصور وإليزابيت الأولى التي رغبت في التعاون معه على احتلال الهند على أن يتولى المغرب تموين الحملة بالمال، وانگلترا بالأسطول والرجال.

وبالرغم عن كل محاسن المنصور فقد أخذت عليه أمور عديدة، منها : تشدده في الجبايات والمغارم على عامة الناس وخاصتهم في الحواضر والبوادي حتى كانت الأعشار العينية التي تؤخذ من الفلاحين تفوق بكثير مقادير الزكاة الشرعية، ولو أنه تظاهر بإسقاط النائبة التي فرضها أبوه وجده بسيطة في البداية وتضخمت بمرور الزمان. ومنها قسوته البالغة في عقاب المخلين بالأمن والمشاغبين على الدولة، وقصة استنكار علماء فاس ما شاهدوه في طريقهم إليه من أسراب السجناء المصفدين وبينهم امرأة أخذها الطلق فوضعت حملها دون أن تفك عنها الأغلال. ومنها عدم توقفه في الدماء إلى غير ذلك من مظاهر البطش والجبروت.

ومع ذلك فإن أحمد المنصور الذهبي يعدُّ أحد ملوك المغرب العظام، عمل كثيرا وكان يطمح إلى أن يعمل أكثر لولا أن باغتته المنية بفاس مطعونا وهو في حركة تهدئة ليلة الاثنين 16 ربيع الأول عام 1012 / 24 غشت 1603. ودفن بإزاء مقصورة الجامع الأعظم بفاس الجديد، ثم نقل إلى مراكش ودفن في قبور الأشراف قبلي جامع المنصور بالقصبة.

أ. المنصور نفسه، *الفهرس* ؛ أ. المنجور، *الفهرس* ؛ إ. الحساني الجزولي، *ديوان قبائل سوس*، تقديم وتحقيق عمر أفا. الدار البيضاء، 1988 ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة* ؛ *درة الحجال* ؛ *لقط الفرائد* ؛ *المنتقى المقصور*، تحقيق محمد رزوق، الرباط ؛ ش. الخفاجي، *خبايا* ؛ م. المحبي، *خلاصة* ؛ ع. ابن معصوم، *سلافة*؛ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية التاگمادرتية*؛ م. الناصري، *الرياحين* ؛ م. القادري، *الإكليل* ؛ *نشر*؛ م. الأزهري، *اليواقيت* ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ج 3 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 6 ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، ج.1 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، ج. 2 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*.

G. Deverdun, *Marrakech* ; E. Levi - Provençal, *Les historiens des Chorfa* ; H. de Castries, S.I.H.M, 1ère série.

محمد حجي

أحمد بن موسى، عرف باسم **ابّاحْماد**، هو ابن الصدر الأعظم في عهد السلطان مولاي الحسن موسى بن أحمد، حفيد أحمد بن مبارك الوصيف البخاري الذي بلغ شأوا عظيما في أيام السلطان المولى سليمان حيث كان حاجبه ووزيره. أما أحمد بن موسى فقد ولد عام 1257 / 1841. ونال حظا من العلم بالأخذ على بعض علماء القرويين، وهيأه ذكاؤه لمناصب الوزارة والحجابة في العهدين الحسني والعزيزي حتى عُدَّ وجْهاً قليل النظير من بين خدام السلاطين ورجال الدولة المغربية في المدة السابقة لعهد الاستعمار.

كان أحمد بن موسى سليل عائلة مخزنية ترجع أوائل بروزها في خدمة السلاطين إلى عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وكان والده موسى حاجبا لدى السلطان محمد بن عبد الرحمان ثم وزيرا صدرا في أوائل مولاي عهد الحسن إلى أن توفي بتاريخ 1296 / 1879 ولم يخلفه ابنه أحمد في هذا المنصب الخطير لأن السلطان مولاي الحسن

قرّب أبناء أسرة مخزنية عريقة أخرى هي أسرة الجامعي التي كانت لها صلة قرابة معه. بالرغم من كون المجال ضيقا أمام أحمد بن موسى لتوسيع نفوذه في سياق توازنات في صفوف المخزن كان يراقبها السلطان ويرعاها بشخصيته القوية، فإن هذا الحاجب قد وطد أسس النفوذ الذي صار له فيما بعد، وذلك بالتدخل في كثير من شئون التسييرالمتعلقة بالعمال والسياسة الداخلية.

وليس هنالك شك في أن أحمد بن موسى قد حقق اعترافا من لدن الجميع بمكانته، فتأتى له عند وفاة السلطان مولاي الحسن سنة 1312 / 1894 بتادلا وهو في الطريق بين مراكش والرباط، أن يأخذ بزمام الأمور لضمان سير المحلة حتى الرباط حيث دفن السلطان، وأن يقوم في ذلك الظرف الداخلي والدولي الحرج بأخذ البيعة للسلطان الجديد مولاي عبد العزيز الذي لم تكن سنه تتعدى اثنتى عشرة سنة. وقد كان أحمد بن موسى وهو حاجب للمولى الحسن، مسؤولا عن تربية الأمير مولاي عبد العزيز، وهذه السابقة، إضافة إلى سن السلطان وجملة أخرى من الظروف أتاحت لهذا الحاجب أن يزيد من نفوذه حتى صار كل تدبير خطير مقترنا باسمه ونعت من قبل عدد من معاصريه المؤرخين "بالحاجب المستبد". غير أنه قد هيأ لذلك الاستحواذ على السلطة باسم السلطان ظروفه حيث قرب عددا من الوزراء وقواد العساكر واستمالهم.

وقد كان من الطبيعي أن يتضايق منافسوه الجامعيون ولاسيما الوزير الأعظم لدى مولاي الحسن، المعطي الجامعي وأخوه محمد الصغير وزير الحرب، من هذه المكانة الجديدة لأحمد بن موسى، ويظهر أن أولاد الجامعي لم يظهروا الحماس لبيعة السلطان الجديد، وحتى لو لم تكن هذه التهمة سوى تلفيق من ابا حماد ضد الجامعيين فإن الصراع كان على أشده خفية بين هؤلاء وبين الحاجب ، وكان من نقط الخلاف بين الجانبين قضية العاصمة. فكان الجامعيون يميلون إلى فاس حيث توجدُ عصبيتهم من جيش اشراگة. وكان أحمد بن موسى يقترح أن تكون العاصمة في مكناس حيث توجد عصبيته من جيش البخاري. وقد انتهى الصراع لصالح الحاجب حيث وقع القبض على المعطي الجامعي وأخيه وبعض أفراد عائلتهم ووقعت مصادرة أملاكهم، فخلا الجو للحاجب وصار في منصب الوزير الصدر الذي إليه الرجوع في جميع شئون الدولة بأمر السلطان.

كان ممّا بادر إليه أحمد بن موسى بعد التخلص من منافسيه ، تطهير المناصب المخزنية من أذنابهم ، وتنصيب أهله وأنصاره في مراكز السلطة، ومن ذلك تولية أخيه سعيد في وزارة الحرب وأخيه إدريس في الحجابة وابن عمه المختار بن عبد الله كاتبا له في الصدارة. وقد أبقى على المفضل غريط في وزارة الخارجية، ولكنه استبد دونه بالنظر في شئونها بالتعامل مباشرة مع النائب السلطاني لدى نواب الأجناس وهو محمد الطريس، ولم يكن يستشير في دعاوي الأجانب سوى صديقه الحميم عبد السلام التازي الذي كان وزيراً للمالية. وفي سياق هذا التدجين السياسي والسلوك الاستبدادي قام الصدر بعزل عدد من الموظفين واستبدل بهم آخرين يتصفون بما ينبغي من الطاعة والخنوع، ومن ذلك عزله عامل فاس وتعويضه بإدريس بن العلام الذي احتفظ أيضا بمنصبه كقائد للمشور. وقد حرص على كسب رضى الخاصّة من الشرفاء والعلماء بفاس خلافا لما كان عليه سلفه في الصدارة. وفي رسالة من سفير بطنجة إلى وزارة الخارجية الفرنسية مؤرخة بـ 1894/10/29 ما يفيد أن "التجار بفاس وسائر السكان الذين لهم علاقة مع الأوربيين يزكون فريق الوزير بّا حماد ويثقون في تزايد مصداقيته لدى الرأي العام" (أوردتها ومرجعها مادني، 39) ولاشك أن هؤلاء كانوا يرون في أحمد بن موسى الرجل القوي الذي كان قادرا على ضمان الاستقرار، ولكن ذلك التأييد لم يمنع ظهور علامات السخط في أوساط أخرى عوامل ترجع إلى عصبية أو إلى التعسفات التي بدأت تُرتكب في عهد الصدارة الجديدة، وكذا بسبب اعتبارات تتعلق بشخص اباحماد الذي كان في أصله من عبيد جيش البخاري والذي ترقت أسرته في السلم الاجتماعي بمؤهلات شخصية. وقد استطاع الوزير أبا حماد أن يقضي على تمرد قبيلة الرحامنة عام 1313 وتمرد الشاوية سنة 1315 واسترجع إقليم طرفاية من أطماع شركة أنجليزية، وحاول الوقوف في وجه الأطماع الفرنسية في قصور واحة توات سنة 1317.

ومما يثير تساؤلات المؤرخين أن يفاجيء الموت أخوي الوزير، وهما سعيد وزير الحرب وإدريس الحاجب في عام واحد سنة 1318 وأن يقضي هو نفسه بسكتة لم يفد فيها الطبيب في فاتح السنة الموالية. وكان السلطان قد شرع في مرحلة جديدة من تدبير الأمور بنفسه وإسناد تسيير الشئون لأشخاص لم يكونوا جميعهم من المرضيين عند أحمد بن موسى وأهله.

ومهما يكن اختلاف المؤرخين حول أوصاف هذا الوزير وحول تقدير دوره في الأحداث، فإنهم كادوا يجمعون على اعتبار عهد وزارته مع ما ميزها من الاستبداد عهد استمرار لهيبة السلطة المخزنية كما كانت في عهد السلطان مولاي الحسن، وقد انتقد على الخصوص لكونه أبعد عددا من الرجال عن دواليب المخزن وخلق فراغا انقضت بسببه عدد من قواعد المخزن بعد موته، لربما أفسد إلى حدمّا شؤون العمال وبالتالي الرعية، بابتزازه، حتى إن الناس ظلوا أجيالا بعده يضربون المثل بمال ابّا احماد كما يذكرون مال قارون، ومن الآثار على تلك الثورة التي تراكمت بين يديه وعند أسرته قصر "دارسي سعيد" بمراكش وهو من بناء أخيه وقصر "دار الباهية" الذي تملكه أحمد بن موسى، وقد صودرت فورموته تلك الأموال ما كان منها عقارا أو منقولا.

م. المشرفي ، *الحلل البهية* ؛ م. الحجوي ، *تقاييد تاريخية*. ج. 128 ؛ *تقييد تاريخي*. ج.254 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 1 : 393 وما بعدها ؛ ع. ابن إبراهيم ، *الإعلام* 2 : 443. 448. مينة مادني،

بحث *نهاية الاجازة* بكلية الآداب بالرباط سنة 1982 (فيه إشارة إلى الوثائق والمراجع الاجنبية).

M. Chapi, *quelques grandes familles du Makhzen*.

أحمد التوفيق

أحمد الوطاسي، رابع سلاطين الدولة الوطاسية التي كان مقر حكمها بفاس. خلف والده محمد الشاني الملقب بالبرتغالي وكانت بيعته في نهاية 932 / 1524.

مال أحمد الوطاسي إلى السلم في بداية حكمه، فعقد هدنة مع البرتغال بينما كان السعديون في حرب معهم بسواحل سوس والمناطق المجاورة لها. وكان قصده أن يتصدى للسعديين قبل استئناف الجهاد. وقد وصل هؤلاء في زحفهم إلى مراكش التي أصبحت من مناطق نفوذهم. وفي وقعة أغاي حيث زاوية الشيخ رحال الكوش بضواحي مراكش، انهزم أحمد الوطاسي وتدخل الفقهاء والصلحاء للتوفيق بينه وبين السلطان السعدي أحمد الأعرج، فتراضيا على أن يكون ما بين تادلا وحدود المغرب شرقا من نفوذ الوطاسيين، وما وراء ذلك جنوبا من نفوذ السعديين. ولم ينجح هذا التقسيم كما لم ينجح من قبل. ووقعت محاولة الصلح المذكور سنة 940. كانت هناك عدة جيوب خارجة عن نفوذ الوطاسيين شمالا بما في ذلك الهبط الذي يحتله البرتغال، ومنطقة شفشاون بيد بني راشد التي تتمتع بحكم ذاتي قوي، ومنطقة تطوان بيد بني المنظري ذوي الأصل الأندلسي. لم يستقر السلم بين الوطاسيين والسعديين، وتواصل الزحف السعدي تجاه البرتغال والوطاسيين معًا، وأصبحت فاس مهددة، فاشتبك أنصار الوطاسي وأحمد الأعرج في معركة فاصلة عند مشرع بو عقبة على واد أم الربيع في صفر 943، وتكبد الوطاسيون خسائر بشرية ومادية كبيرة، واستولى السعديون على قصبة تادلا، وبذلك انتزعوا من خصومهم منطقة غنية بالمراعي والحقول، وبالتالي مورداً جبائيا ذا أهمية، فضلا عن التحكم في الطريق الداخلي بين مراكش وفاس. غير أن النزاع على السلطة بين أحمد الأعرج وأخيه محمد الشيخ شغل السعديين مدة عن الزحف النهائي على فاس، وأثناء ذلك عقد الوطاسيون حلفًا مع أحمد الأعرج. ثم أقصيَ أحمد الأعرج الذي وضعه محمد الشيخ رهن الاعتقال سنة 946 وأتيح للسلطان السعدي الجديد أن يطرد البرتغال نهائيا من حصن فونتي في السنة التالية ويلجئهم إلى الجلاء عن أسفي سنة 948 التي أخلوا فيها أزمور أيضاً. هذه الانتصارات السعدية ذات الأهمية القصوى جعلت أحمد الوطاسي يبحث في أقصى الشمال عن سند قوي، فتزوج في هذه السنة بالذات (948 / 1541) من الست الحرة حاكمة تطوان، لكسب عطف وتأييد القبائل الجبلية المحيطة بمنطقة تطوان وشفشاون الخاضعة لعائلة الست الحرة.

لم يستطع أحمد الوطاسي أن يستغل توقف مراكش عن بيعة السلطان السعدي محمد الشيخ منذ قبضه على أخيه حتى 951، لكي يجعل منها جبهة متقدمة باتجاه المراكز السعدية. وهكذا خضعت مراكش من جديد لبيعة العاهل السعدي الذي تربث في الانقضاض على فاس، وواجه جيش أحمد الوطاسي عند وادي درنة بتادلا سنة 952 حيث وقع في الأسر أبو زكرياء يحيى أخو العاهل الوطاسي، بل إن بعض الروايات تذكر أن الأسير كان أحمد الوطاسي نفسه وأنه لم يقع إطلاق سراحه إلا بعد تنازله عن مكناس. وبقطع النظر عن وجود اضطراب في تأريخ الأحداث قُبَيْلَ سقوط فاس، فإن الزحف على هذه المدينة واستيلاء السعديين عليها سنة 956 / 1549 أدى إلى القبض على أحمد الوطاسي وأسرته فحبسوا بمراكش حيث توفي أحمد الوطاسي سنة 960 تقريبًا. ونقل الناصري في *الاستقصا* رواية أخرى برتغالية تفيد أنه أعدم بدرعة.

كان أحمد الوطاسي يتعاطف مع الصلحاء، لكن انحياز الزاوية الجزولية إلى جانب السعديين كان أقوى من نفوذ أنصار العاهل الوطاسي الذي راح عددٌ من كبار الفقهاء ضحية لولائهم له.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 4 ؛ ع. ابن براهيم، *الإعلام*، 2 : 229 ؛ م. داود، تاريخ تطوان، 1 : 121، 122.

H. De Castries, *Sources Inédites*, Portugal ; A. Cour, *La Dynastie marocaine des Banou Wattas* ; Ch - A. Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord*, 2 ; 220 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, 2 : 140 - 143.

إبراهيم حركات

احْمَر، قبيلة يخترق أرضها وادي تانسيفت، من مراكزها الشماعية واليوسفية. تجاورها من جهة الغرب قبيلة الشياظمة وقبيلة عبدة التي عاصمتها مدينة أسفي على المحيط الأطلسي، وتجاورها من الشمال أراضي عبدة ودكالة والرحامنة، ويجاورها من الشرق أولاد دليم والأوداية من قبائل گيش مراكش، أما من الجنوب فتحاديها أراضي أولاد بوسباع وتكنة. ينتسب إلى هذه القبيلة : حمري وحميري، وهذه الصيغة في بعض رسائل قائدهم ابن الضو.

أرض احمر ملتقى السهول الأطلنتية مع المرتفعات الداخلية، فهي سهل مرتفع يقطعه وادي تانسيفت، ولكنها من حيث الطابع العام، ولا سيما بمناخها، أشبه بسهل الحوز منها بالسهول الساحلية الغربية.

ينتسب سكان القبيلة العرب المستوطنون هذه الأرض إلى معقل الحميريين ولكن الاسم الخاص "احمر" غامض الأصل، وإن كانت روايات شفوية محلية تنسبه إلى حمري الذي يعتقد أنه "جد القبيلة". ويرى الجيولوجي Brives أن "احمر" من حمرة تربة ذلك البلد، وهو ادعاء غير مقنع لأن هذا اللون غير عام ولأن الغالب على الظن أنهم فرع من قبيلة كبرى حملوا اسمهم قبل الحلول بهذا الموطن.

ويغلب على الظن أن موطنهم الحالي كان محتلا منذ العهد الموحدي بقبيلة عربية معقلية تسمى عمرو، إلى أن ثار هؤلاء على السعديين فنقلوهم إلى جهة سلا ثم نقلوا احمر من سوس وأوطنوهم قرب بحيرة زيما حيث كونوا قبيلة

الزرارات، كما نقلوا أولاد عيسى من احمر هوارة بسوس إلى جوار احمر فكونوا الزرارات وأولاد يوسف. وقد دخل فيهم غيرهم ولا سيما من دكالة والسراغنة وزمران وسكتانة وهوارة وأيت إمور، إلخ.

ومن فرق احمر : الكرارمة والعوامر والفرجان. وقد حكمهم القائد العربي بن كروم في عهد مولاي سليمان، وبعد موته قسمت قيادتهم إلى نفوذ القائد عمر الشلح (ولد عيسى) والقائد محمد بن عبد السلام الصويبة من الزرات، وقد توفي الأول حوالي 1848 بينما توفي الثاني عام 1859. وقد سجن هذا الأخير بمكناس حيث مات وسجن ابنه مدة طويلة.

وقد عين قائد آخر على احمر هو هدي بن الضو فحكم اثنين وعشرين عاما. وقد كان هدي على طاعة المخزن، وهو الذي بعث برسالة ببيعة إلى السلطان مولاي الحسن في عام 1290 هـ (*الوثائق*، 3 : 42 و 130). وحكم بعده ابنه وحفيده إلى نهاية عهد مولاي الحسن، وقصبة ابن الضو على الطريق قرب الشماعية. ومات عام 1880.

أما ابنه الجلالي بن هدي فهو الذي رافق السلطان مولاي الحسن إلى حركة تادلا عام 1883، كما شارك بفرسان أحمر في حركات سوس وتافيلالت، وفي عهده كتب الحسين أو هاشم رئيس تازروالت إلى السلطان مولاي الحسن رسالة بتاريخ 1302/8/27 / 1885/6/11 يذكر فيها أنه أرسل من قبله من يجمع له على العادة في كل عام "الزيارات" التي يعطيها أهل قبيلة احمر إلى بيت آل سيدي احماد أوموسى، فمنعهم القائد الجيلالي ولد هدي مع العلم بأن تلك "الزيارة" قائمة من قديم. (M. Ennaji et P. Pascon, *Le Makhzen*, 87). وهذا الارتباط بين قبيلة احمر الحوزية وبين آل تازروالت يرجع على ما يبدو إلى تاريخ استيطانهم بهوارة بسوس حيث كانت لهؤلاء عادات مشابهة في تعظيم مرابطي تازروالت.

وبعد موت الجيلالي خلفه ابنه أحمد عام 1890، وكان يرافق السلطان في حركاته ويخلفه على القبيلة عمه الضو بن هدي فيضبط قبيلته ضبطا تاما. وكان القائد في موكب السلطان عندما توفي بتادلا فانتفض أهل احمر اقتداء بالعديد من القبائل وحاصروا قصبة ابن الضو، وكان أعتاهم الفطانس والخوالقة ورياحة والكرارمة، بينما حايد أولاد معاشو والمصابيح. فهدموا القصبة وسلبوا من متاع القائد كثيرا، وقد عينت كل فرقة قائدا منها عليها، بينما رجع الجيلالي إلى أسفي. وكان الحمري بن العربي بن كروم ممن حاولوا الثأر من آل ابن الضو حيث جمع نصف الزرارات تحت قيادته ولكن الوزير ابّا احماد سجنه عام 1897. ولم تنجح محاولتان أخريان لكل من المحجوب الشرادي والعربي بن القاضي، إذ دبر قتلهما مسعود بن العربي بن حماد بإيعاز من القائد عيسى بن عمر العبدي.

أما النصف الثاني من الزرارات بمن فيهم أولاد معاشو فحكمهم علال بن ابّا إلى أن مات عام 1900 وخلفه ولده.

أما الحاج علي بن التهامي قائد الفرجان فقد حكم فرقته إلى عام 1896. وتعاقب بعده على الحكم من موت ابّا احماد إلى تولية السلطان مولاي حفيظ كل من قاسم بن محمد بلقاضي ومسعود بن العربي وأحمد بن علال بن ابّا وقدور الخولاقي، وقد شارك أهل احمر في حرب بوحمارة تحت قيادة بلقاضي.

ولكن عيسى بن عمر قائد عبدة استطاع توسيع نفوذه إلى احمر حيث ساعد بعض الموالين له ثم أبعدهم وولى على احمر ثلاثة من أبنائه هم بوبكر علي الزرات الجنوبيين والمختار على الزرات الشماليين وعبد الوهاب علي أولاد عيسى. وكان الهدوء قد ساد في القبيلة بعد أن شارك أربعمائة من فرسانها في حركة الهيبة.

ولم يقع أي حادث عندما مرت بقبيلة احمر عساكر الكولونيل بلتيي Peletier، بل ان مستنفرين منها شاركوا في حملة الگيلولي وأنفلوس على أگادير.

وبعد تنحية عيسى بن عمر العبدي عام 1913 تولى على الرحامنة ثلاثة قواد هم عبد الرحمان بن محمد بن السليماني على الزرات وخليفة بن عتي على الزرارات، وإبراهيم ولد الحمري على أولاد يوسف.

وابتداء من فاتح يناير 1914 أصبحت احمر تابعة لناحية مراكش بعد أن كانت تابعة لأسفي. وفي أواخر 1919 أنشئ مكتب الاستعلامات بالشماعية، وكان به De Trebon الذي أنجز مونوغرافية حول قبيلة احمر.

وقد عرف وجود الفوسفاط باليوسفية منذ 1919 وحدد مكان الاستغلال عام 1929 وشرع فيه عام 1932، وفي هذا التاريخ صارت احمر تابعة لدائرة شيشاوة.

وكان قاسم بلقاضي قد توفي عام 1919 وصارت الزرارات تحت حكم العربي بلكوش وتلقى ظهيرا بذلك في 1920/6/6.

أما قائد الزرارات خليفة بن عتي فقد سرح عام 1915 وخلفه أحمد بن علال بن ابّا. وفي عام 1924 خلفه شيخ أولاد بوعزيز وهو أحمد بن التهامي إلى غاية 1938.

وقد كان سكان احمر في إحصاء عام 1936 حوالي ثمانين ألف نسمة، ولكن الوفيات الناجمة عن أوبئة عام 1937 وكذا الهجرة الناتجة عن الأزمة الفلاحية جعلت العدد ينقص بحوالي عشرين ألف نسمة، وإن كان الإحصاء المتعلق بتوزيع المواد المقننة إبان الحرب يجعل العدد أكثر من تسعين ألف.

وفي إحصاء لأتباع الطرق عام 1938 تبين أن الناصريين أكثر عددا 752، ثم يأتي بعدهم التجانيون 442، ثم الكتانيون 440، ثم القادريون 350 ثم الدرقاويون 132.

A. Hardy, *Monographie de l'annexe de contrôle civil de Chemaia*. Document du C.H.E.A.M. n 435.

أحمد التوفيق

ابن الأحمر، أسرة تطوانية يقول عنها الفقيه الرهوني إن أصلها من ناحية جبالة وإنها انقرضت سنة

1774/1188، ثم يضيف أنه لا يبعد أن تكون من بقية بني الأحمر النصريين آخر ملوك الأندلس بغرناطة، حيث يؤكد كاخيگاس أن بعض أفراد أسرة بني الأحمر انتقلوا من غرناطة إلى شمال المغرب واستقروا بقبيلة بني يدّر الجبلية، ومنها انتقلوا إلى تطوان حيث كان يوجد بها سنة 1931 م تاجر له دكان بزنقة النيارين. وقد اجرى كاخيگاس معه استجوابا وأطلعه على بعض الوثائق التي تثبت انتماءه إلى الأسرة المالكة بغرناطة.

وعلى كل حال فنحن نعلم بوجود فقيهين من هذه الأسرة بتطوان في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، هما :

ابن الأحمر، محمد بن إبراهيم، كان يتعاطى خطة العدالة من عام 1157 / 1743 إلى عام 1175 / 1761.

ابن الأحمر، محمد بن محمد، كان هو الآخر منتصبًا للشهادة مع العدول عام 1188 / 1774.

ع. سكيرج، *نزهة الاخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 19 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ *تاريخ تطوان*، 2 : 297 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de tetuán*. Isidro de las Cagigas, *Familias Tetuanies de abolengo. Vademecum de Intervenciones* (año 1931) (B). M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* (I).

محمد ابن عزوز حكيم

ابن الأحمر، أسرة فاسية هاجرت من الأندلس في أوائل القرن الثامن الهجري. وبنو الأحمر خزرجيون من ذرية الصحابي سعد بن عبادة، استوطنوا الأندلس منذ العهد الأول للفتح الاسلامي. وفي فترة الفراغ السياسي التي أعقبت انهزام الموحدين في وقعة العقاب (609 / 1212) ظهر من بين الزعماء المحليين المتطلعين للحكم محمد بن يوسف (الأحمر) بن نصر الخزرجي، فملك غرناطة سنة 635 / 1238 واستمر حكم دولة بني الأحمر النصرية إلى نهاية دولة الإسلام بالأندلس سنة 897 / 1492. وقد حكم من بني الأحمر فرعان الأول أبناء مؤسس الدولة عبد الله محمد بن يوسف الملقب بالغالب بالله ملك غرناطة، والثاني أبناء أخيه إسماعيل بن يوسف أمير مالقة الملقب بالرئيس.

حدث انقسام في الفرع الثاني لبني الأحمر منذ أن استلموا مقاليد الأمور على يد إسماعيل بن فرج بن الرئيس إسماعيل أمير مالقة، وكان من أول الثائرين عليه أخوه محمد بن فرج الملقب بالقائم بأمر الله، لكن لم يتم له أمر، فأبعد إلى تلمسان، ثم عاد إلى الأندلس وبويع أميراً للمسلمين في حصن أندرش من عمل المرية ففشل أيضا وأبعد مرة أخرى إلى تلمسان، كما أبعد أبناؤه الأربعة يوسف وفرج ومحمد وإسماعيل، وتفرقوا في برّ العدوة، واستقر منهم يوسف في مدينة فاس بعد أن وفد على ملكها أبي سعيد عثمان المريني (710 . 731 / 1311 . 1331) واستمر فيها عقبه يتناسلون أجيالا. وتكررت هجرة الأمراء من بني الأحمر إلى فاس إلى أن انتهت بهجرة أبي عبد الله محمد بن علي آخر ملوك غرناطة بعد سقوطها. وقد أدرك أحمد المقري في أوائل القرن الحادي عشر / 17 حفدة هذا الملك بفاس يعيشون من الصدقات في فقر مذقع.

ابن الأحمر، إسماعيل بن فرج ابن الرئيس إسماعيل أمير مالقة. أديب شاعر عاش في فاس في الفترة التي كان فيها ابن عمه إسماعيل بن يوسف ابن الأحمر آتي الترجمة، وقد ذكره في الباب الثالث المخصص لشعر ملوك بني الأحمر من *نثير الجمان* (ص 81) قائلا عنه :"طلع في سماء البلاغة نجما، وبرز في ميدان البلاغة ضيغماً شهما، وحاز من الفصاحة ما لم يحزه سواه، ومن الذكاء ما هو ألذ من الشهد في الأفواه، ومن الهمة ما يسمو أدناها فوق الشاهد، ومن الفكاهات ما يلتذ بسماعها الغائب والشاهد. ومع ذلك فهو بالأدب عارف، وعلى محبّته عاكف..." وأورد له مقطعات شعرية، كما ذكره في الباب الثاني عشر ضمن شعراء فاس الذين وصفوا السيف الذي بصومعة جامع القرويين، لما اجتمعوا بهذا المسجد في شهر ربيع الآخر عام أربعة وستين وسبعمائة. فأنشد إسماعيل بن فرج :

وما السيفُ في رأس المنار لذلّة ... بفاس ولكن أمْـرُهُ أيا أمر
رآها ابنُ إدريس مقرّ خلافـــة ... فجرّدَهُ عزماً لأملاكها الغُرّ

ولا يعرف تاريخ وفاة إسماعيل بن فرج، وربما كان ذلك في أواخر القرن الثامن /14.

إ. ابن الأحمر، *نثير الجمان*، بيروت 1976، 81-82، 455-456 ؛ ع. الجزنائي، *جنى زهرة الآس*، 49 (وقد خلط المعلّق في الهامش 120 فجعله إسماعيل بن يوسف!!) ؛ ع زمامة، *أبو الوليد ابن الأحمر*، 78-79.

ابن الأحمر، إسماعيل بن يوسف بن محمد القائم بأمر الله، أبو الوليد عالم أديب ومؤلف مكثر. لا يُعرف بالضبط لولادته تاريخ ولا مكان، وإنما يقدّر أنه وُلد حوالي عام 725 / 1325، ونشأ بفاس آخذاً عن أعلامها أمثال : عبد الرحمان ابن رشد المعروف بابن الحفيد (ت بعد 767 / 1366) ومنديل ابن أجروم (ت 772 / 1370). ومحمد بن أحمد الفشتالي قاضي فاس (ت 777 / 1375) ومحمد بن سعيد الرعيني المعروف بالسراج (ت 778 / 1376) وأبي القاسم بن رضوان (ت 783 / 1380) ؛ كما أخذ عن الرحالة محمد ابن بطوطة الطنجي (ت 779 / 1377) حيث وفد على أبي عنان بفاس وأملى رحلته على محمد بن جزي. ويبلغ عدد شيوخ ابن الأحمر أربعة وثلاثين (زمامة، 116-126).

نال إسماعيل بن الأحمر تكويناً متينا في مختلف مجالات المعرفة اللغوية والشرعية، فكان مفسراً محدثاً فقيهاً نحوياً مؤرخاً نسابة إلا أن الطابع الذي ميزه هو الأدب، فعُرف بنثره الفني وشعره الرقيق. وعاش مقربا من السلطان أبي عنان المريني فبَنيه من بعده، ومن رجال البلاط وزراء وحجابا وكتابا، إلاّ أن ذكريات المجد الغابر والحنين إلى موطن الأجداد في الأندلس والحرمان من ترف الإمارة وبذخها إضافة إلى اضطرابات أحوال المرينيين بعد

أبي عنان جعلت إسماعيل بنَ الأحر يعيش في قلق تُفصح عنه نفثات أقلامه وإن أخفاه لسانه وجنانه. وكان إسماعيل بن الأحمر معجباً بأدبه يعدُّ نفسه في مصافّ أكابر شعراء العصر العباسي كما جاء في آخر إحدى قصائده :

تُقرُّ القوافي أنني (بُحتريُّها) وأني على رغم العدو (حبيبُها)

وقد وُفق إلى استعمال نثره ـ على تعقيده البلاغي ـ في كتب أرخ فيها للأدب المغربي ـ الأندلسي في القرن الثامن الهجري، مسهماً بذلك إسهاماً مفيداً إلى جانب معاصريْه المرموقين عبد الرحمان ابن خلدون ولسان الدين ابن الخطيب.

وجملة تآليفه ثلاثة عشر كتاباً تدور حول تاريخ دولة بني مرين ملوك فاس ودولة بني الأحمر النصريين ملوك غرناطة وتراجم أشهر شعراء وكُتاب هاتين الدولتين، مع التعريف بأشهر البيوتات وكبار الشيوخ المتصدرين للتدريس. ويلاحظ أن بعض عناوين هذه الكتب تتشابه حتى لا يكاد يفرق بينها أحيانا إلا إقحام كلمة أو كلمات أو استبدالها بأخرى، ذلك لأنه كان يعود ـ بعد سنين ـ إلى بعض مؤلفاته فيوسعها أو يضيف إليها مادة جديدة، تاركاً الكتاب القديم على حاله مقتبساً من عنوانه للمؤلَّف الجديد. بعض مؤلفات ابن الأحمر موجود، بل مدروس ومحقَّق ومطبوع أكثر من مرة، وبعضها لا يعرف إلا اسمه الذي ذكره المؤلف نفسه في كتبه أو بعضُ من ترجم له أو نقلوا عنه. فمن مؤلفاته الباقية :

ـ *نثير الجُمان في شعر مَن نظمني وإياه الزمان*، ألفه سنة 776 جامعاً فيه تراجم نيف وسبعين من شعراء الأندلس والمغرب، مع مقتطفات من نثرهم وشعرهم. وهو من أمهات كتب الأدب والتراجم الباقية من القرن الثامن إلى جانب *الإحاطة* و*الكتيبة الكامنة* وغيرهما من مؤلفات ابن الخطيب.

ـ *نثير فرائد الجُمان في نظم فحول الزمان*، ألفه سنة 799 مضيفاً إليه تراجم بعض المشارقة في فصل أول، مخصصاً الفصل الثاني لشعراء الأندلس في قسمه الأول، وشعراء المغرب في القسم الثاني. ومجموع تراجم الكتاب إحدى وثلاثون ترجمة. منها ترجمة شخصية للمؤلف.

ـ *مستودع العلامة ومستبدع العلاّمة*، عرَّف فيه بالعلاّمة التي هي "الإشارة في الكتب كالشهادة الشرعية" تؤكد الصحة وتنفي التزوير والتزييف، وتحدَّث عن المتولِّين لهذه العلامَة الملقبين بأصحاب القلم الأعلى، مع الإتيان بنماذج من هذه العلامات.

ـ *روضة النسرين في أخبار بني عبد الواد وبني مرين*. مجَّد فيها وُلاة نعمته ملوك بني مرين ونال من خصومهم العبدلواديين ملوك تلمسان، ورفعه إلى السلطان أبي سعيد الأصغر عثمان بن أحمد الذي تسنَّم العرش سنة 800. وهذا الكتاب المنشور أكثر من مرة يعد إلحاقاً لكتابين آخرين لابن الأحمر، أولهما :

ـ *النفحة النسرينية واللَّمحة المرينية*، وهي منظومة من بحر الرجز في 112 بيتاً مع شرحها، عارض بها *نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك* لعبد العزيز الملزوزي وقدمها للسلطان أحمد بن أبي سالم المريني الذي ولي الملك للمرة الثانية سنة 789 / 1387 ؛ والثاني *رقم الحلل في نظم الدول* لابن الخطيب.

ـ *حديقة النسرين في أخبار بني مرين*، ويعد اليوم في حكم المفقود.

ـ *بيوتات فاس*، وهو كتاب جمع فيه ابن الأحمر طائفة من الأسر الشهيرة بفاس، وأضاف إليه مجهولون في فترات مختلفة أسراً أخرى أو أفراداً متأخرين من أسر ذكرها ابن الأحمر. ثم جاء عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي (ت 1096 / 1685) فاختصره وتصرف فيه بالحذف والإلحاق فعُرف الكتاب حينئذ *ببيوتات فاس الكبرى*، وطبع مراراً.

ـ *شرح بردة البوصيري*، توجد منه مخطوطة ناقصة بالخزانة الحمزاوية في الأطلس المتوسط. وقد اختصره تلميذه عبد الرحمان الجادري الفاسي، وأثبت في الاختصار معلومات مفيدة عن مشيخة أبي الوليد ابن الأحمر.

أما مؤلفات إسماعيل الأخرى التي لم نعد نعرف غير أسمائها فهي :

ـ *فهرس* يعد من أهم مصادر أحمد باب السوداني في *نيل الابتهاج*.

ـ *تأنيس النفوس في تكميل نَقْط العروس*، ذيَّل به كتاب ابن حزم الشهير.

ـ *عرائس الأمراء ونفائس الوزراء*.

ـ *المنتخب من درر السلوك في شعراء الخلفاء الأربعة والملوك*.

ـ *فريد العصر في شعر بني نصر*.

كان إسماعيل بن الأحمر يسكن داراً معلومة في وسط مدينة فاس بعقبة المكودي قرب جامع الرصيف الحالي، وبها أدركته الوفاة عام 807 حسب رواية ابن القاضي وهو الصحيح ـ أو عام 810 حسب رواية أحمد باب السوداني، ولا يعرف مدفنه بالتحديد، ولذلك ذكره صاحب *السلوة* آخر الجزء الثالث ضمن من لا يُعرف لهم قبر معين في فاس.

إ. ابن الأحمر نفسه، *نثير فرائد الجمان*، بيروت 1967، 377-404 ؛ ل. ابن الخطيب، *اللمحة البدرية*، 24 ؛ ع. الجادري، *اختصار شرح البردة*، مخطوط ؛ أ. الونشريسي، *وفيات*، 136 ؛ أ. ابن القاضي جذوة، 69 ؛ *درة الحجال*، 1 : 213 ؛ *لقط الفرائد*، 234 ؛ أ. باب السوداني، *نيل*، 99 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، الأجزاء 2 و 5 و 7 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور*، 238 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 :256 - 257 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، 1 : 144 - 145 ؛ م. التطواني السلوي، *ابن الخطيب من خلال كتبه*، تطوان، 1954، 1 : 8، 2 : 119؛ م. رضوان الداية، *مقدمة نثير فرائد الجمان*، 61 - 203 ؛ ع. زمامة، *أبو الوليد ابن الأحمر*، الرباط، 1979.

ابن الأحمر، أبو عبد الله بن أبي الحسن علي، آخر الملوك النصريين بغرناطة. تولى العرش وهو ابن خمس وعشرين سنة بعد أن ثار على أبيه في وادي آش، ثم أسره النصارى ولم يطلقوا سراحه حتى تعهد بطاعة ملك قشتالة، فرجع إلى غرناطة وبقي يتقاسم الحكم مع عمه محمد الزغل صاحب مالقة، والحرب بينهما على أشدها، إلى أن تغلب عليهما معا الملكان الكاثوليكيان فرديناند وإيزابيلا. وفي ثاني يناير 1492 غادر أبو عبد الله غرناطة مع أهله محملا أمواله وأمتعته، وسلم مفاتيح قصر الحمراء إلى فرديناند متوجهاً إلى بلدة أندرش في منطقة البشرات القريبة من المرية. فلم يطق المقام بها وقرر الجواز إلى المغرب في السنة التالية 898 / 1493. نزل في مليلة المحتلة ثم سار إلى فاس واستقر بها في كنف ملكها محمد الشيخ الوطاسي بعد أن قدّم بين يديه رسالة اعتذار واستعطاف مطولة تشتمل على شعر ونثر من إنشاء كاتبه أبي عبد الله العربي العقيلي بعنوان : *الروض العاطر الأنفاس في التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس* (نصها في *نفح الطيب*، 4 : 529 - 548).

شيد محمد ابن الأحمر في فاس قصورا على الطراز الأندلسي عاش فيها زهاء نصف قرن إلى أن وافته المنية. وتختلف المصادر في ظروف موته، إذ تقول الرواية العربية إنه مات حتف أنفه بفاس عام 940 / 1533، ودفن بإزاء المصلى خارج باب الشريعة. وتذكر روايات أخرى أنه مات عام 943 / 1536 في معركة مشرع بوعقبة الشهيرة التي جرت بين الوطاسيين والسعديين. وقد خلّف ولدين أحمد ويوسف بقي عقبهما بفاس أجيالا عديدة.

وتوجد في بعض متاحف إسبانيا صورة لأبي عبد الله ابن الأحمر بوجه وسيم وزي جميل، وثوبان مدرعان له يبدو من حجمهما أنه كان قوي البنية.

أ. ابن القاضي، *لقط الفرائد*، 272-273 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض؛ نفح الطيب*، 4 : 528 - 548 ؛ مارمول، *افريقيا*، 1 : 458 - 459 ؛ د. دي طوريس، *تاريخ الشرفاء*، 70 - 71 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 257 ؛ ع. عنان، *نهاية الأندلس*، 149 - 207.

E.I.

ابن الأحمر، عبد الوهاب بن التاودي الفاسي. صوفي صالح من أفراد الطائفة التجانية وممن لهم الشهرة فيها والذكر الحسن. ربما كان من آخر مَن ذكرته كتب التراجم من بني الأحمر الفاسيين. توفي عام 1270 / 53-1854 ودفن بالقباب خارج باب الفتوح.

م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 27 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط.

ابن الأحمر، محمد بن يوسف بن محمد القائم بأمر الله أخو الأديب المؤلف سابق الترجمة أبي الوليد إسماعيل بن يوسف ابن الأحمر. كان محمد يكبُر أخاه إسماعيل بعشرين سنة، لذلك يظن أنه ولد بغرناطة حوالي 702 / 1305، وانتقل مع والده يوسف إلى فاس حين طُردوا من الأندلس على إثر محاولة الملك الفاشلة التي قام بها جده القائم بأمر الله.

كان محمد بن يوسف أديباً شاعراً ناثراً، موسيقياً حسن الخط خفيف الروح "ممن يُشار إليه في فك معميات الأدب، ويُلجأ إلي معين فطنته في كشف مغيّبات الطلب،... وإن خطب أنساك بلاغة سحبان، أو أنشأ فما العماد وبديع الزمان" (*نثير الجمان*، 83). يغلب الغزل على شعره، كقوله:

يا نازحاً ولعهد الحبّ قد نقضا ... لا تستحلّ حراماً رُمتَه غرضا
ناشدتُك اللهَ هل في العيش منتفعٌ ... يوماً اذا ما جفا المحبوبُ أو رفضا

وله ـ كأخيه إسماعيل ـ *شرح على بردة البوصيري*، إلا أنه لا يعرف مكان وجوده الآن.

توفي محمد بن يوسف ابن الأحمر بفاس بعد عام 776 / 1374.

إ. ابن الأحمر، *نثير الجمان*، 83 - 84 ؛ ع. الجادري، *اختصار شرح البردة*، مخطوط ؛ ع. زمامة، *أبو الوليد بن الأحمر*، 91.

ابن الأحمر، يوسف بن إسماعيل بن محمد القائم بأمر الله. وُلد بفاس في تاريخ غير محدد، وأمُّه أميرة من بني الأحمر النصريين، زوّج أبو عنان المريني أباه إسماعيل منها وأدّى صداقها إكراماً لهذه الأسرة النبيلة اللاجئة إلى فاس. لم يتحدث إسماعيل عن ابنه يوسف هذا إلا في *روضة النسرين* أثناء ترجمته لشيخه محمد بن عبد الرحمان المومناني الحسني حيث ذكر أنه لقيه بفاس وأخذ عنه وأجازه إجازة عامة، وأجاز معه ولده يوسف. ونقل ذلك ابن القاضي في *الجذوة*. الأمر الذي يدل على أن يوسف كان من طلبة العلم. ولا ندري إن كان أدرك ـ كأهله ـ شأواً في العلم والأدب، كما لا ندري تاريخ وفاته.

ا. ابن الأحمر، *روضة النسرين* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 180 ؛ ع. زمامة، *أبو الوليد ابن الأحمر*، 91-92.

محمد حجي

الأحمر بن منصور، مجاهد صلب، ضد الاحتلال الفرنسي للشاوية. وهو من أعيان قبيلة المذاكرة وأولاد علي، إذ ينتمي إلى فرقة الأحلاف، وهي واحدة من الفرق الثلاث التي تتكون منها قبيلة المذاكرة : أولاد صباح والأحْلاف و مَلّيلة. وتقع مواطن الأحلاف ومليلة بغابة المذاكرة، فهم مجاورون لأولاد محمد والأعشاش.

لانعرف شيئًا عن نشأة الأحمر وطفولته، لكننا نرجح أنه ولد حوالي 1850، إذ نعرف أن وفاته كانت في الثلاثينات من هذا القرن وعمره يناهز الثمانين سنة.

ويغلب على الظن، أن تربية الرجل لمْ تشذ عن التربية التي كان يتلقاها أبناء الشاوية خاصة والقبائل المغربية عامة؛ من التدريب على ركوب الخيل، وحمل السلاح، منذ حدِّ الصّيام.

وتشير الأخبار إلى أن الأحمر، كان ينتمي لأسرة اشتهر أفرادها بالبسالة وهي صفة تأكدت خلال جهاد الرجل ـ كما

سنرى - فهو ابن خالة المسمى مسعود، الذي خلدت الذاكرة الشعبية شجاعته بهذا القول : «قَبْرك آمسعود في الغابة أحسن من عشرة هرَّابة». أي أن وجود قبر مسعود بالغابة شاهد على بسالة صاحبه، الذي ثبت لأعدائه في الوقت الذي هرب فيه الآخرون.

كان الأحمر بن منصور، زعيمًا من زعماء قبيلته، بل كان أكثر الزعماء نفوذاً وتأثيراً، قبل الاحتلال الفرنسي وخلال المقاومة. فخلال انتفاضة الشاوية بين 1903 و1907 كان من أصحاب الرأي الذين تلتجئ الجماعة لحكمهم خلال الخصومات. وعلى الرغم من زعامته ويُسْر حاله، فقد ظل يقطن الخيمة، التي أحاطها بسور، ويوجد هذا السور إلى الجنوب الشرقي من مدينة الكَارة اليوم.

أما خلال مقاومة الاحتلال، فقد برز الأحمر كزعيم ومقدم لقبيلته. فهو كان ينتمي، كمعظم زعماء فرق الشاوية لطائفة الرماة. وكانت طائفة الرماة التي ترتبط بالدين وبالجهاد في سبيل الله، طائفة دينية وسياسية وعسكرية ووطنية، ولذلك كان لجماعة الرُّمَى (الرماة) دور خطير في حياة القبيلة، وكان مقدم الرُّمَى، من الشخصيات التي تتصف بالزعامة والرجولة والشجاعة والإيثار والتواضع. وقد كان الأحمر يتصف بهذه الصفات، له خمسة عشر خَمَّاسًا يساعدونه على فلاحة أرضه، ويعتبر نفسه واحداً منهم يجالسهم ويؤاكلهم ويشاركهم الرأي، (بشهادة أحد خماسته المسن محمد ولد بنصالح التادلاوي الذي لقيناه بالكَارة سنة 1983 وكانت سنه تناهز 115 سنة).

برزت مؤهلات الأحمر كقائد حربي وزعيم شعبي، خلال جهاد الشاوية ضد الاحتلال الفرنسي. إذ ظل يقود مقاومة المذاكرة وأولاد علي، مع زعماء آخرين مثل الحاج العربي ولد المذكورية، منذ معركة الدارالبيضاء في غشت 1907، إلى احتلال غابة المذاكرة في صيف 1908.

كان الأحمر يحمل علم القبيلة أو لواءها خلال المعارك، ولذلك قالوا فيه : (الأحْمَر بن منصُورْ، أعْلامو كَاسي عَوْدُو). ويتقدم الصفوف، ويخطط مع قواد آخرين لكيفية مواجهة العدو في كل معركة. وإن كان الغالب على تعبئة مجاهدي الشاوية، هو البحث باستمرار عن الالتحام بالعدو وقد صرَّح الأحمر يوما للحاج أحمد گنوني المذكوري بقوله : «كنا نسوگ (نهجم) للفرنسيين حتى نختلط بهم، فيموت من يموت منهم ومنا».

وأهم المعارك التي شارك فيها الأحمر، مع قبيلته، معركة سطات الأولى في 15 يناير 1908 ومعركة سيدي عبدالكريم (أو معركة السُّدْرَة) على حدود المذاكرة بأولاد زيان، يوم 18 فبراير. وقد برز خاصة في معركة فخفاخة، التي وقعت يوم 29 فبراير بهضبة فخفاخة، وتسمى هذه المعركة "معركة السور" نسبة إلى قصبة الحاج المكي، وهي قصبة متهدمة. ففي هذه المعركة أبان فرسان الشاوية عن مهارة فائقة، في استدراج خيالة العدو، التي حصدتها نيران المشاة والفرسان الكامنين. وقد كبد زعماء المغاربة ومنهم الأحمر بن منصور الجنرال داماد خسائر فادحة في هذه المعركة، واضطر للتراجع دون أن يحقق هدفه في سحق المذاكرة كما خطط لذلك قبل المعركة. وتشير الرواية المحلية، إلى أنه لولا جرح الأحمر، الذي كان يحمل لواء القبيلة في تلك المعركة لكانت خسائر الفرنسيين أفدح مما وقع. وقد قيل فيه بالمناسبة : (الأحمر بن منصور صَابْغُو دخان التِّلْتي).

وقد أرخ الحاج أحمد گنوني المذكوري لجهاد المذاكرة بزعامة الأحمر بن منصور، فقال نظما :

وصمدت قبيلة المذاكـــــــرة معلمة مثل النجوم الزاهرة
يقودها اللَّيثُ الهَصُورُ الأحمرُ مُزَيد في حزْبه مُظفَّـــــرُ

وتجدر الإشارة إلى أن الأحمر بن منصور انضم لمولاي عبدالحفيظ منذ إعلان بيعته، وأصبح من جملة الزعماء التابعين له في الشاوية، وقد أرسل "سلطان الجهاد" فرقة من الجيش النظامي بقيادة عمر السكتاني، لمساعدة المذاكرة. وهكذا عمل السكتاني وبعض القواد المجاهدين، مثل موحا وحمو الزياني وموحا وسعيد الويراوي، والقائد التريعي الدكالي بجانب الأحمر بن منصور، لمواجهة جنرالات فرنسا بالمذاكرة.

وعندما قرر مولاي عبدالحفيظ، الانتقال من مشرع الشعير قرب الشاوية، إلى فاس، انسحب نتيجة لذلك القواد المذكورون. وتشير تقارير استخبارات الجيش الفرنسي إلى أن الأحمر بن منصور قام بعدة محاولات لإبقاء القواد المشار إليهم ببلاد المذاكرة والاستمرار في المقاومة. لكن السلطان نصح الجميع بمهادنة المحتلين، نظراً لتفوقهم وقرر حل المسألة بالمفاوضات مع الحكومة الفرنسية.

تشير الأخبار إلى أن الأحمر انتقل بدوره لفاس، بعد سيطرة المحتلين على أرض القبيلة. وبقي بجانب مولاي عبدالحفيظ إلى أن تم توقيع عقد الحماية، فانضم للمجاهدين بالأطلس المتوسط، وبعد مدة توسط له بعض أعيان أبي الجعد فعاد إلى بلاده.

وقد ظل الفرنسيون يراقبون بطل المذاكرة باستمرار، بيد أن ذلك لم يمنع سلطات الاحتلال بمركز الكَارة (بوشرون Boucheron)، من تقديم الاحترام اللائق بالمجاهد المذكوري كلما زار المراقب في المركز. وهكذا كان حاكم المركز يخرج للقائه، ويقدم له التحية اللائقة به، إذ كان الأحمر لاينزل عن فرسه، وكان دائمًا يلبس جلابيتين وسلهامين أو أكثر حتى يدفئ جسمه الذي خرقه الرصاص (كانت بجسمه أكثر من 14 رصاصة حسب الرواية المحلية.) ويذكر أحد الذين كانوا يشاهدونه بالمركز، أن التلاميذ كانوا يتحلقون حوله لمشاهدته. وأنه كان رجلا ضخم الجثة مائلا إلى القصر، وأن صوته كان فخمًا جهوريًا.

وخلال حرب الريف، ازدادت المراقبة حول الأحمر بل وضع تحت الإقامة المحروسة خلال حركة عبد الكريم (1921 - 1926)، خوفًا من تزعمه للجهاد من جديد.

وعلى الرغم من كل ذلك، فلا نعرف بالضبط متى توفي بطل المذاكرة منسيًا، ولو أن الأخبار تشير إلى حوالي سنة 1930.

علال الخديمي، *حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية* (1907-1908)، د. د. ع.، كلية الآداب، الرباط 1985. *وثائق الحربية الفرنسية بفانسان* A. G. V : استخبارات في عين المكان.

A.G.P. Martin, *Le Maroc et l'Europe*, Paris 1928 ; *Quatre siècles d'histoire marocaine* ; *Villes et Tribus du Maroc, Casablanca et les Chaouia*, Paris 1915.

علال الخديمي

أيْتْ إحَنْدْ (إتْزَرْ) : قبيلة صنهاجية من مجموعة قبائل أيت مگليد المستوطنة بالأطلس المتوسط وناحية ملوية.

تقطن هذه القبيلة بمنطقة تتوسطها قرية إتْزَر من الأطلس المتوسط، ويعتمد اقتصادها على الرعي بطريقة الانتجاع إلى جانب زراعة ضعيفة أساسها الحبوب. تتكون قبيلة أيت إحند من فصول ثلاثة هي : أيت علي ـ أو ـ موسى وينضوي ضمنها اثنا عشر فرعاً، أيت عشمان وتجمع ثمانية عشر فرعاً، أيت غَانْمْ ـ أو ـ يْشُّو وأعظم فروعها أيت سعيد أو ـ حْدّو، أيت يعقوب ـ أو ـ يشُّو وأكبر فروعها أيت نسْ.

ومما يثير الانتباه أن من بين فروع أيت عثمان فرعا يحمل اسم إدَبْدُبِيْنْ الذي يوحي باسم دَبْدُو وهو الاسم الذي تحمله اليوم منطقة وقرية بشرق المغرب. ووجوده عالقا بهذا الفرع يوحي بصلة هذا الأخير بالمنطقة المذكورة، كما يبرز طبيعة تكوين القبائل الخاضعة في عمقها لمبدأ التعايش المصلحي أكثر منه لمسألة الأصل السلالي.

Répertoire Alphabétique ; L. Mezzine, *le Tafilalt*. p. 206.

عبد العزيز توري

زاوية **أحْنصال**، لفظ أحْنَصَالْ غامض المعنى، لا تستند إلى أساس ثابت الرواية المنقبية الشفوية المحلية التي تقول بأنه تحريف لأحْصَّالْ، بمعنى حصَّال، أي كثير الحفظ والتحصيل المشتق من فعل حَصَّل. وتزعم نفس الرواية أن اللفظ أطلق على سيدي أعمرو، كلقب ؛ لأنه "حصل القرآن ـ أي ختمه ـ في مدة سبعة أيام". ومن ثم اشتق اسم الزاوية من اسم مؤسسها الأول : أحنصال، دادّا سعيد أو سعيد الكبير. ويجمع على إحْنْصالْن. وهو الاسم الذي ما يزال يطلق على أسرة المرابطين من سلالة الشيخ المؤسس، حتى الآن.

قدم هذا الشيخ، السوسي إلى الأطلس في بداية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، ونزل بموضع تَاغْيَانَايَتْ تَاگلاَّ ؛ على ضفة مجرى مائي دعي منذئذ أسيفْ نُوحْنْصَالْ.

تجعل الرواية الشفوية المحلية سعيد أحنصال تلميذا لأبي محمد صالح دفين أسْفي، وتقول إن نبوغ سعيد ظهر مبكرا، مما جعل شيخه يرهصه لمهمة صوفية كلفه للقيام بها بعدما استكمل تعليمه. (*Drague*, 163) ولعل هذا الأمر ليس غريبا، لما عرف عن هذا الشيخ من تحريض أتباعه على الرحلة والسياحة، إما من أجل أداء فريضة الحج، وإما لنشر العلم والصلاح في بعض جهات المغرب، (*المنهاج*، 1352). وفي هذا الإطار يمكن أن يندرج قدوم سيدي سعيد إلى المنطقة التي عرفت فيما بعد بزاوية أحنصال.

وترتبط الرواية الشفوية بين قدومه، وبين نزوح قبائل صنهاجية ـ تدعوها أيت عطا ـ إلى المنطقة المجاورة للزاوية. تذكر المصادر أن صنهاجة الجنوب كانوا قد استأنفوا نزوحهم التقليدي نحو الشمال، خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري، لعدة أسباب أهمها :

ـ بداية تدهور الدولة الموحدية.

ـ ضغط قبائل بني معقل على المنطقة الجنوبية.

ـ عودة القبائل إلى أحلافها (*الذخيرة*، 36 و122).

وفي نفس السياق يتحدث كتاب *الأنساب* عن أيت أونير، وهي إحدى فرق أيت عطا (*Drague*, 164) مما قد يفضي إلى تأكيد تزامن قدوم سيدي سعيد أحنصال مع التحركات القبلية الواسعة التي عرفتها جبال الأطلس. وهذا ما نجد صداه في الرواية الشفوية : لما قدم المرابط أحنصال إلى المنطقة، لاقى معارضة قوية من طرف أيت واستر ـ السكان الأصليين ـ فاستصرخ عليهم بأيت عطا، الذين أغاثوه ؛ وبعدما تحالف زعيمهم ـ دادّا عْطّا ـ معه عن طريق تَاضَا (الأخوة المصطنعة بالرضاع الجماعي)، قاموا بطرد أيت واستر ؛ الشيء الذي أسفر عنه حصول أيت عطا، منذئذ، على حق الانتجاع بالمنطقة، كما أصبحوا يترددون سنويا إلى الزاوية من أجل الزيارة (*Morsy*, 8). لا شك أن شيخ إحنصالن قد عمل، بعدما استقر بالمنطقة، على استقطاب أناس، لقنهم أوراد أبي محمد صالح، فأصبح له مريدون وأتباع، الأمر الذي قد يكون ساعد على ذيوع صيته، لا سيما وأن موقع زاويته يوجد في منطقة عبور القبائل المتنقلة، وتذكر الرواية الشفوية أن أحلافه بعد وفاته، قد استكانوا بزاويتهم. فلم يخلفوا أي صدى يذكر. لعل ذلك راجع إلى كون نفوذهم قد ظل محدودا ؛ حتى إن الرواية الشفوية تكاد تغفلهم، أما التاريخ فيجهلهم تماما (*Drague*, 168).

وفي فترة غير دقيقة، تجعلها الرواية الشفوية، زمن أحد حفدة سيدي سعيد الكبير، تنقسم إحْنْصالن إلى ثلاثة فروع، أهمها فرع سيدي علي أحنصال، الذي تبلورت، في عهده، العلاقات بين الزاوية وبين أيت عطا. هؤلاء الذين كانوا قد انذمجوا في نمط عيش التنقل المنتظم بين الصحراء وجبال الأطلس الكبير الأوسط وانخرطت فرق منهم في سلك زاوية أحنصال. تمتد هذه الفترة من القرن الثالث عشر الميلادي إلى القرن السادس عشر. ففي هذا القرن (10 / 16) كانت اتحادية أيت عطا قد تشكلت ككيان سوسيو ـ سياسي، أصبح يتحرك في مجال شاسع يمتد من حوالي الواحات الجنوبية إلى مشارف الأطلس المتوسط (*Tafilelt*, 276-277). ومما يسترعي الاهتمام أن تاريخ زاوية أحنصال

أضحى مرتبطا بتاريخ هذا الحلف، وبعلاقته مع القبائل الجبلية. وهذا أمر تؤكده المصادر التاريخية (*Tafilelt*, 277). وخلال هذه الفترة تم ربط نسب إحنصالن بالمولى إدريس الأكبر، كما يبدو أن الزاوية أصبح لها نفوذ قوي بعدما استقطبت أتباعا من بين أيت عطا الأقوياء. فانشغلت أساسا، بالعمل على المحافظة على التوازنات بين مصالح السكان المستقرين والرحل (Morsy, 27 ; Drague, 166). وبالرغم من ذلك فقد امتدت فترة طويلة، دامت ما ينيف على ثلاثة قرون، تميزت بأفول نجم زاوية أحنصال. لكن في غضون القرن الحادي عشر / السابع عشر، سطع، من جديد، أحد نجوم هذه الزاوية : أحنصال سعيد بن يوسف، الذي أصبح اسمه مرتبطا باسم أيت عطا، (*نشر*، 3: 144). كان هؤلاء قد اجتازوا ـ خلال نزوحهم ـ واد العبيد، وشرعت بعض فرقهم في الاستقرار هنالك (Morsy, 27-28).

درس أبو عثمان سعيد أحنصال القرآن الكريم على فقيه من تسْليتْ، عند قدم جبل غنيمْ (جنوبي بني ملال)، وبعدما ختَم ٱلقرآن، تقوى عزمه علَى طلب العلم ؛ فتوجه إلى شمال البلاد ؛ ومكث سبع سنين بالقصر الكبير. لم يكن هذا التوجه عفويا. إذ من المعلوم أن هذه المدينة كانت تابعة للزاوية الدلائية. فيما بين 1641 و1653 (*الزاوية الدلائية*، 158 و217) ؛ وما يزال بها مسجد يحمل اسم سيدي علي الحنصالي. بالإضافة إلى ذلك أخذ أبو عثمان أحنصال الورد عن الشيخ علي بن عبد الرحمان التّمْجوتي، تلميذ الدلائيين (*مباحث الأنوار*، 187 ؛ *دوحة البستان*، 97). وتتأكد ملامح العلاقة بين الدلائيين وإحنصالن من خلال وثيقة من زاوية سيدي بويعقوب (أسولْ)، وهذه الوثيقة، وإن عنيت خاصة باتفاق وقع بين قبائل جبلية، فإنها تلمح إلى العلاقة المتينة بين الجانبين. فقد انبرم الاتفاق تحت إشراف علماء من زاوية الدلاء (الحسن اليوسي ومحمد المرابط الدلائي وأحمد المجاطي)، وحررت الوثيقة على أيدي أحنصاليين (يوسف أحنصال، وإسماعيل أحنصال) (*Tafilalt*, 144).

انتقل سعيد أحنصال من القصر الكبير، حيث ظهر عليه سمت الورع والتقوى، إلى فاس التي قضى فيها سبع سنوات أيضا، درس خلالها عليه ثلة من العلماء المشهورين. ومنها قام بزيارة لزاوية أخنوش بتافيلالت، حيث أقام بها سبع سنوات، وبعد ذلك توجه إلى المشرق لأداء مناسك الحج، فألم به مرض، فاضطر إلى المجاورة بالمدينة المنورة، ثلاث سنوات (*Drague*, 168).

وأثناء قفوله من الديار المقدسة، مكث مدة بمصر، فالتحق بالأزهر من أجل طلب العلم . وبمصر تلقن *المنظومة الدمياطية* المشهورة على يد الشيخ عيسى الجنيدي الدمياطي (*Morsy*, 6)، هذه المنظومة التي أصبحت، فيما بعد، وردا رئيسيا في طريقة إحنصالن. ولما زار ضريح أبي العباس المرسي بالاسكندرية تجلى له ـ في رؤيا ـ أربعون وليا، يتوسطهم الرسول (صلعم) ؛ فمنحوه السوط، إشارة إلى الإذن له، وأمروه بالعودة إلى المغرب.

ولما عاد إلى المغرب كان الحرمان وتعب السفر قد أنهكاه. فخارت قواه وفقد الذاكرة والحال الصوفي. الشيء الذي حفزه على استئناف الطلب والتلمذة على أيدي الاشياخ. وهكذا أخذ من الشيخ محمد ابن ناصر، بتمكروت، أولا، ثم أخذ بعد ذلك، عن أربعة عشر شيخا آخرين. وتوج طوافه بالانقطاع بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش مدة سنة كاملة. وأقام من جديد، بفاس، خلال سنتين، آخذا عن مشاهير الاشياخ، وبعد ذلك التحق بزاوية سيدي علي بن عبد الرحمان بتادلا، ومنه تلقن الورد، وعنه أخذ الإذن بالتلقين، كما سبقت الإشارة إلى ذلك وأمره بتأسيس زاوية خاصة به (*دوحة البستان*، 97 و159؛ *نشر*، 3 : 144).

أسس سعيد أحنصال زاويته الجديدة بأغْبَالُو ـ نَايْتْ ـ مْضْرِيفْ، على بعد حوالي ثمانية كلم غربي ووزَغْتْ، فعاش، كما يظهر، عيشة الزاهد الورع، تاركا أمور الشؤون الدنيوية لابنه يوسف (*Ahansala*, 6). الأمر الذي هيأ له الأسباب لتوسيع نفوذ زاويته في سهل تادلا ؛ كما يستفاد من رسالة مؤرخة في 1110 / 1698 ـ 99، وجهها السلطان مولاي إسماعيل إلى الباشا غازي بوحفرة، يخبره فيها بقدوم ابن أخي سعيد أحنصال إلى مكناس، طالبا لعمه المذكور موضعا لبناء زاوية بتادلا. ويوصيه بملاحظته والبرور به، وإمداده بالمعونة. (*مجموعة وثائق زاوية كرول*). وتنم هذه العلاقة بين الشيخ سعيد أحنصال، وبين المخزن على نوع من المصانعة، قد لا تكون استثناء في سياسة المولى إسماعيل، العامة، إزاء الزوايا...

توفي شيخ إحنصالن سنة 1114 / 1702، بعدما استطاع وضع لبنات طائفة صوفية لها تعاليمها وأتباعها. (*نشر*، 3: 144). وعلى الرغم من التضارب حول مكان وفاته، فمن الراجح أنه مدفون بزاوية أيت مضريف.

أحنصال، يوسف بن سعيد، تولى شؤون الزاوية، بعد وفاة أبيه، فكثر أتباع إحنصالن، من بين قبائل أيت عطا، الذين كانت بعض فرقهم قد استقرت نهائيا في منخفض ووزغت (*الدرة الجليلة*، 2 : 359 ـ 363). مما أدى إلى اطراد نفوذ هذه الطائفة، وجعل المخزن يعمل على استمالتها من أجل محاولة استعمالها، لا سيما أنه كان على علم بنفوذ إحنصالن على قبائل أيت عطا ؛ حيث كان من بين أهم مشاغله ألا ينزل تلك القبائل إلى السهول.

وقد اهتبل المخزن فرصة ورود بعض إحنصالن على السلطان بمكناس، سنة 1115 / 1702، ليذكرهم بواجبهم وواجب جميع المرابطين من أمثالهم نحو الإمارة، إذ يشير السلطان ـ في رسالته إلى ابنه أحمد الذهبي ـ إلى أن الخلافة التي عرفهم بحقها وواجبها عليهم هي مصدر البركة بالنسبة للمرابطين. وبعد سنتين يستجيب أحمد الذهبي لوساطة يوسف أحنصال لفرقة أيت أسعيد من أجل إطلاق

سراح بعض سجنائهم. (*مجموعة وثائق زاوية كرول*).

إلا أن التمادي في هذه الاتصالات جعل الزاوية تقحم، مباشرة، في الشؤون السياسية. بعد وفاة مولاي إسماعيل التجأ أحمد الذهبي إلى زاوية أحنصال، فارا من سطوة أخيه عبد الملك وحل ضيفا على رئيسها يوسف الذي أكرم وفادته وتنبأ له بالرجوع إلى الحكم. أي أنه أصبح له دور في الصراع الدائر حول السلطة، آنذاك ؛ لا سيما وأنه قام بزيارة لمكناس صحبة أحمد الذهبي، الشيء الذي يحمل على الاعتقاد أنه كان مناصراً له. (*نشر*، 3 : 301 . 302 ؛ *الاستقصا*، 7 : 120 . 168 ؛ *Pellow*, 166).

وفي عهد عبد الله بن إسماعيل يظهر أحنصال كزعيم لثورة، في منطقة تادلا، قاد خلالها عددا كبيرا من الاتباع:"فتوفرت له جيوش تقدر بحوالي مائتي ألف رجل ؛ كانوا يطيعونه طاعة عمياء... كأنهم سيل عارم..." (*Pellow*, 166). لعل قبائل أيت عطا، التي طالما انكبست بواسطة حصار مولاي إسماعيل، قد استأنفت نزوحها نحو السهول، ملتفة حول شيخ إحنصالن. وقد قام المولى عبد الله بحركة إلى منطقة وادي العبيد أثناء مطاردته لأيت إمُورْ (*الزياني*، 37 . 38). لعل شرر غزوه لتلك المنطقة أصاب أيت عطا بدورهم، مما قد يجعلهم مهيئين للقيام برد الفعل.

ومهما يكن فقد تم الاصطدام بين الجيوش السلطانية، وبين الثوار، بمنطقة الدير ـ قريبا من الصومعة ـ فكانت هزيمة يوسف أحنصال وأتباعه منكرة. (*الدرة الجليلة*، 2 : 268 . 269 ؛ *Pellow*, 167) بل إن رئيس الزاوية نفسه وقع أسيرا لدى الجيش السلطاني، وأحضر إلى قصبة تادلا، حيث أعدم بمحضر السلطان. وظلت جثته بدون دفن حتى نهشت الكلاب أشلاءه. وقد أشار لهذا المشهد المعداني، على لسان محمد الصالح الشرقاوي، ساخرا :"ذيبْ غوتْ في الجبل واكله كلاب الوطا" وأضاف :"وكان منه ذلك إشارة لما وقع به يوم قتل بقصبة تادلا، وأكله بعض الكلاب، كما عاين ذلك من أخبر موته..." (*الروض اليانع*، 149). وعلق القادري على ذلك قائلا : وقد حكي لنا أنه قال له حين قتله : أردت أن لا أقتلك، لكن خفت أتركك فيقال إن جنونك (يعني خدامك من الجن) غلبوني..." لأن يوسف عرف بتعاطيه للسحر، حتى اعتقد أتباعه أن القذائف لا تنال من أجسامهم. كان ذلك سنة 1144 / 1732. (*نشر*، 3 : 354). على الرغم من أن السلطان حاول تنفيد اسطورة الرجل الذي لا يموت، لما قتل يوسف أحنصال، فقد ذهب سعيه سدى، لأن الاتباع مضوا على الاعتقاد أن شيخهم لم يمت، بل اختفى.

لعل زاوية أغْبَالُو نايت مضريف قد اعتراها بعض الانكماش، بعد وفاة يوسف أحنصال، على عكس زاوية أكْدِيمْ ؛ ربما بسبب بعدها مما جعلها تحافظ على أدوارها داخل القبائل. وفي هذه الفترة ظهرت بعض الانقسامات في طائفة إحنصالن، حيث تأسست زوايا جديدة تابعة لهم. منها زاوية تَمْكَةْ (على بعد حوالي عشرين كلم شمالي أكْدِيمْ)، وزاوية أسْكَرْ (على بعد حوالي أربع وثلاثين كلم شرقي ووزغت). بالإضافة إلى زاوية كَرُولْ (جنوبي دمنات)، التي كانت قد بلغت من ذيوع الصيت والشهرة، في تلك المنطقة، ما جعلها محط اهتمام المخزن منذ عهد أبي عثمان أحنصال (*مجموعة وثائق زاوية كرول*). وقد نتج عن هذه الانقسامات توسيع نفوذ إحنصالن بالمنطقة الجبلية، لأن كل زاوية عملت على توسيع منطقة نفوذها، واستقطاب الاتباع. وتدخلت للوساطة والتحكيم بين القبائل، وتزعمت إبرام العقود بين المستقرين والرحل، خاصة وأن المنطقة ضمن مجال انتجاع قطعان أيت عطا الذين ظلت مجموعاتهم المتنقلة تتردد إلى جبال الأطلس الكبير الأوسط في هجرات موسمية تبتدئ مع نهاية فصل الربيع (*Drague*, 173 - 175). وقد يفضي اجتياح أيت عطا لتلك المناطق، في كثير من الأحيان، إلى الإخلال بالتوازن الاقتصادي بالنسبة للمستقرين، مما كان يؤدي بطبيعة الحال، إلى ردود فعل قد ينتج عنها نشوب نزاعات محتدمة بين الجانبين ؛ يلعب المرابطون أثناءها دورا بالغ الأهمية. فيتوسطون بين المتنازعين ؛ ويتدخلون في تقسيم المجالات...

ولم يقتصر نفوذ إحنصالن على البوادي فحسب، بل شهدت بعض المدن المغربية تأسيس زوايا تابعة لهم، كما هو الشأن بالنسبة لتطوان وطنجة والقصر الكبير وغيرها. يضاف إلى ذلك انتشار طائفتهم في بلاد الجزائر.

إلا أن إحنصالن قد دخلوا خلال هذا العهد أي بعد وفاة يوسف أحنصال، فيما يخص علاقاتهم مع المخزن ؛ في ما يمكن أن يشبه الوصاية. بدأت الزاوية تتلقى ظهائر التوقير والاحترام، منها ظهير وجهه السلطان سيدي محمد بن عبد الله لزاوية كَرُولْ، سنة 1193 / 1779. الأمر الذي قد يدخل الريب في قيام الشيخ يوسف ضد عبد الله بن إسماعيل. لأن إجراء تجديد ظهير معناه تأكيد صك السوابق، فيكون هذا الاجراء بمثابة اعتراف بحسن السيرة. إلا أن الشك سرعان ما يذهب هباء. سبقت الإشارة إلى أن كتاب *الدرة الجليلة* قدم لنا يوسف أحنصال وهو حارك إلى الصومعة (بني ملال)، من أجل الاستيلاء عليها، وأنه انهزم أمام جيوش قدمت من ناحية الشمال الشرقي. فبني ملال كانت قصبة سلطانية ؛ ولا تندرج محاولة الاستيلاء عليها إلا في إطار الخروج عن السلطة المركزية. والجيوش التي تصدت ليوسف أحنصال، لا يستبعد أنها جيوش عبد الله بن إسماعيل القادمة من جهة قصبة تادلة. (*الدرة الجليلة*، 168. 169). يستنتج مما سبق أن هذه الظهائر، إما أنها خاصة بزاوية كَرُولْ، وإما أن زوايا إحنصالن قد استكانت بعد نكبة يوسف، فأصبحت تتلقى هذه الظهائر شأنها شأن باقي الزوايا، فجاءت هذه الظهائر، بمثابة مؤشر للكف عن القيام بأي عمل سياسي قد يثير قلق المخزن.

وتأكد تدخل المخزن في شئون زاوية إحنصالن في عهد

السلطان عبد الرحمن بن هشام. فقد عزل هذا الأخير رئيسها التباع ليولي مكانه الطالب يوسف ولد عبد العزيز، كما يستفاد من رسالة مؤرخة بمتم قعدة 1263/19 . 1846/11. وبعد عشر سنوات تشير رسالة أخرى إلى زيارة أحد مرابطي إحنصالن لنفس السلطان، وإلى الثناء عليه من طرفه ومن طرف القائد علي الدمناتي (*مجموعة وثائق زاوية كرول*).

إلا أن الأمير عبد الرحمان بن سليمان الذي ثار ضد السلطان عبد الرحمان بن هشام، قد كانت بينه وبين رئيس زاوية أگديم علاقات حميمة ؛ حسبما يستشف من رسالتين وجههما الأمير المذكور إلى سيدي احماد وحماد أحنصال، سنة 1269 / 1853. (وثائق زاوية أگديم) ؛ مما قد يثير أكثر من تساؤل. فهل كان هذا الثائر لائذا بزاوية أحنصال قبل التجائه إلى زاوية العياشي ؟ أم أنها كانت من بين نقط ارتكاز في تلك المنطقة لتهيىء الثورة ؟ لهل التساؤل الأخير يفضي إلى التفكير في تكرار تجربة يوسف أحنصال مع أحمد الذهبي !

على كل حال يبدو أن العلاقات بين الطرفين كانت طيبة. وهذا واضح من خلال التحليات التي أغدقها الأمير على مرابط إحنصالن، حيث يخاطبه بالحبيب والمحب، والأخ والخير والمرتضى والذخيرة... وهي كلها أسماء وصفات تدل على المودة والتقارب. وكان صهر الأمير العلوي وهو سيدي محمد بن سرور المكاوي قد زار الزاوية، وقدم لرئيسها هدية ثمينة، وترك عنده وديعة. مما يدل على أن الأواصر الواصلة بين الطرفين كانت متينة.

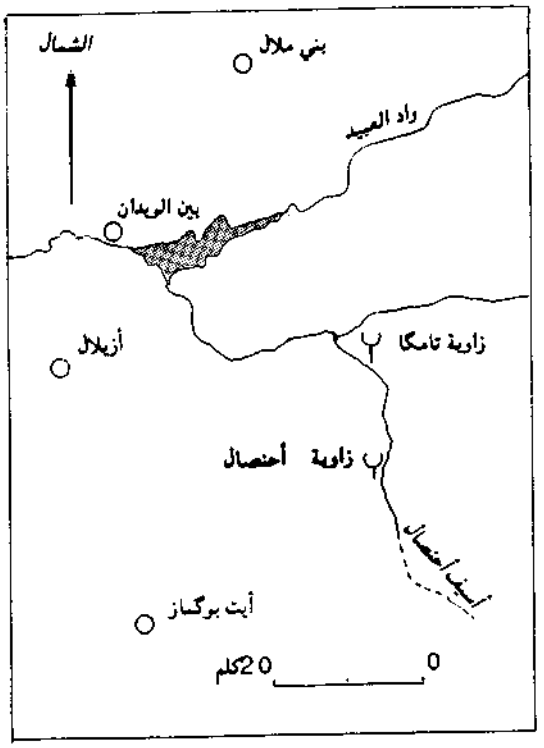

زاوية أحنصال

ويعد ثلاثين سنة يذكر دوفوكو De Foucauld الذي زار وَوزْغْتْ سنة 1883، أن نفوذ زاوية أگديم، قوي بالمنطقة، وخاصة لدى أيت مساض. بل يتعدى النطاق المحلي ليصل إلى مراكش وتدغة ودادس. فقد يكفي أحد عبيد الزاوية لحفر قافلة، بأمان، من تدغة إلى مراكش.(*Reconnaissance*, 264-265) وفي سنة 1904، آوت زاوية إحنصالن الموجودة بأسْكرْ المباركي دوسيگونزاك، خلال يومين 15 و16 يناير. وقد وصف رئيسها، سيدي لحسن وتَمْگهْ وصفا ساخرا. (*Au cœur de l'Atlas*, 40). ولعل رينْ Rinn قد يبالغ ويتحامل عندما يدعي أن إحنصالن ـ كطائفة صوفية ـ ليس لهم أي نفوذ. بل هم مجرد سحرة بعيدين كل البعد عن تعاليم الإسلام، ولم تكن القبائل تبجلهم إلا لأنهم ينحدرون من صلحاء أسطوريين اشتهروا ببعض الخوارق بواسطة السحر ؛ "وهي أمور توافق، تماما، عقلية البربر" كما يدعي سبيلمان (Drague, 181). وبعد مداهمة الجيش الفرنسي لمدينة مراكش، في صيف 1912، شرع إحنصالن بزعامة رئيس زاويتهم، آنذاك، سيدي مْحَا أو احمد، في الاستعداد للمقاومة. وفي سنة 1916 لم يتراجع عن أزيلال إلا بعد هزيمته أمام جيش الجينرال De Lamothe. وعلى الرغم من ضعف عدته الحربية، وقلة عدد جنوده، فقد استطاع إلحاق الهزيمة بالفرنسيين مرتين : في سنة 1918، قرب موقع بويحيا، وفي سنة 1922 على مشارف أيت بُوكمّازْ (Drague, 176).

وبعد محاصرة إحنصالن عن طريق بناء مراكز المراقبة، بكل من بين الويدان وأيت أوگفيضْ، ووزَغْتْ في شتنبر ـ أكتوبر 1922، أصبح سيدي مْحَا الحنصالي مضطرا إلى الاستسلام للسلطات الفرنسية في 27 يونيو 1932. فأسْندت إليه قيادة تلك القبائل. وتحول إلى أداة طيعة تم بواسطتها تهدئة قبائل المنطقة، فيما بين 1923 و 1933. ولا شك أن انحياشه إلى جانب الفرنسيين قد أضر بنفوذ زاويته ؛ في حين قاوم رئيس زاوية أسْكرْ، سيدي حسين أو تَمْگهْ، التدخل الفرنسي بضراوة، حيث ظل على تلك الحال حتى وفاته سنة 1930، في وقت كانت قذائف الفرنسيين تهز زاويته. وبالرغم من ضعف إمكانياته، فقد واصل ابنه، من بعده، مقاومة التغلغل الفرنسي في تلك المناطق، حتى عد من بين أواخر الزعماء الذين تصدوا للفرنسيين في المغرب. (*Drague*, 177 ; *Morsy*, 39).

ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية* ؛ أحمد بن إبراهيم الماجري، *المنهاج الواضح* ؛ الولالي، *مباحث الأنوار* ؛ المعداني، *الروض اليانع* ؛ المنالي، *دوحة البستان* ؛ القادري، *نشر المثاني*، ج 3 ؛ الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ الزياني، *الترجمان المعرب* ؛ الناصري، *الاستقصا*، 7 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*.

De Segonzac, *Au cœur de l'Atlas* ; Drague, *Esquisse*, De Foucauld, *Reconnaissance* ; R. Le Tourneau, *Hansalyya*. in E.I.2; Nlle édition. M. Morsy, *Les Ahansala* ; *La Relation de Thomas Pellow* : L. Mezzine, *Le Tafilalt*.

أحمد عمالك

أحنصال، احماد بن مُحا، يعرف أيضا بالحنصالي، وينتسب لزاوية أحنصال بإقليم أزيلال. كان راعي غنم قبل أن يقوم بثورته الشهيرة بعد أن هجم على مكتب الشرطة بقريته معلنا ثورته الغاضبة على الوجود الاستعماري. وقد حاول ش. أ. جوليان أن يحدد بعض مميزات كفاح هذا البطل وهو يرى أن ما قام به كان ثورة عفوية تعبر عن رفض قاطع للأجنبي، مقارنا بين وضعية الحنصالي ووضعية الأب ميلون Le Père Milon أحد أبطال الأديب الفرنسي موبّسان Maupassant الذي قتل 15 شخصا من جنود الاحتلال، وخلال استنطاقه عن السبب أجاب : "إنني لم أبحث عنكم ولا أعرفكم بتاتا، ولا أدري من أين أتيتم، لقد انتقمت لنفسي، ولست بنادم على ذلك".

لا يهمنا هنا تأويل ش. أ. جوليان لطبيعة عمل الحنصالي بقدر ما نريد الإشارة إلى الطابع التلقائي والعفوي لكفاح الحنصالي وإلى ردود الفعل ومدى البلبلة التي أحدثها في صفوف الاستعمار. فبعد أربعة أيام من حصوله على السلاح، أعلنت الجرائد الاستعمارية أن "أحمق معتوها قتل وجرح مجموعة من الرعايا الفرنسيين، وأصبح بذلك يشكل خطرا حقيقيا على أمن الوجود الفرنسي بالمنطقة". وهكذا بدأت الحملة الفرنسية للبحث عن هذا الفلاح ذي البندقية الواحدة فلجأت أولا إلى تعبئة حوالي 10.000 جندي، ولم يكن للحنصالي من ملجأ يختبئ فيه غير الجبال التي تحصن بها، كما كان يتردد على مكان يدعى "بن شروبونوال، وأيضا إلى كوخ صديقه الشهيد موح اسميحة بمقبرة واويزغت. ولما فشلت السلطات الاستعمارية في محاولاتها هاته، نهجت نهجا مغايرا وأعلنت تخصيص مبلغ مليون فرنك جزاء لمن أتى بهذا المتمرد. وفعلا سال لعاب بعض السفلة وفي مقدمتهم المسمى "زايد أرحو أيت حبيبي" مع آخرين. وكان الغبي يعرف أحنصال بالاسم والعين والنسب لأنه خدم عنده مدة يرعى غنمه، فبحث عنه حتى تحقق عنده مكان استقراره، فبعث له بالأمان حسب الأعراف المتبعة لكنه عندما اتصل به عند موح اسميحة أحاط به ومعه عونان هما "صالح ابامو أيت حبيبي وولد أيت ابوم الشخمان" فالتقطوه بالحيلة وأخذوه وسلموه للفرنسيين.

ظل الحنصالي معتقلا رفقة صديقه اسميحة مدة تزيد على سنتين وكان "بونيفاس" Boniface يشرف شخصيا على استنطاقه، كما أنه خضع لتعذيب وتنكيل وحشيين إذ ظل معلقا من رجليه تسعة أيام في إدارة الشرطة نتيجة إصراره على القول بأن ضميره وحده هو الذي دفعه إلى القتل "انظر جرائد *السعادة*، *ماروك بريس* Maroc Presse *لوبوتي ماروكان* Le Petit Marocain *الأمة* ليوم 26 نونبر 1953".

كنت وجماعة من الأوفياء ـ يقول الحاج أحمد معنينو ـ بسجن اغبيلة وبلغنا خبر موعد تنفيذ حكم الإعدام على الحنصالي وصديقه اسميحة ـ رحمهما الله ـ فبتنا هذه الليلة نحرس الزمان حتى وصل إبان الرابعة صباحا تقديرا وقد اشتعلت الأضواء بقاعات السجن وتعلقنا نحن الجماعة بشباك البيت نلتمس رؤيتهما، وفعلا حصلت لنا هذه المكرمة، وشاهدناهما يرفلان في الحديد. ومرا معا أمامنا، فبكينا وقرأنا سوراً من القرآن الكريم هدية لأرواحهما، فقد فتحت الزنزانة عليهما وظهرا مكبلين بالحديد. بكينا لفقدان أبطال كرام جادوا بأرواحهم في سبيل خلاصنا وإنقادنا" (مجلة *المقاومة*).

احماد أحنصال قبيل استشهاده

وفي 26 نونبر 1953، أعلنت الجرائد الاستعمارية وغيرها نبأ إعدام احماد أحنصال وصديقه اسميحة رميا بالرصاص (وذلك على الرغم من أن القوانين المعمول بها إذ ذاك تحول عقوبة الإعدام في حالة تجاوز الشخص 60 سنة إلى السجن المؤبد) وهو الآن دفين مقبرة ابن امسيك بالدار البيضاء.

أ. معنينو، *تعقيب على قصة "بامو"*، مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع. 4، 1982 ؛ م. الوديع الأسفي، *عبد العزيز الماسي، من معالم الطريق*، دار النشر المغربية 1982 ؛ *المقاومة وجيش التحرير*، سلسلة أحداث ملحمة الاستقلال الوثيقة (1)، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.

Ch. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes 1415-1956*, Ed. J.A. 1978.

عز الدين العلام

أحنصال، سعيد بن يوسف بن سعيد الكبير الذي عاش في القرن السابع (13 م) والذي تتلمذ لأبي محمد صالح، قطب مدينة أسفي. أسس سعيد بن يوسف الزاوية الحنصالية بالأطلس الكبير الأوسط في القرن الحادي عشر (17 م)، وفقد والديه مبكرا، فهاجر دار عمه ليتعاطى (التصوف والتحصيل) حفظ القرآن الكريم في كتّاب بتسليت، في سفح جبل غنيم بالاطلس المتوسط جنوب بني ملال. ثم توجه الى القصر الكبير، حيث أقام ست أو سبع سنوات خصصها لدراسة العلوم، ومنها إلى فاس، حيث

أقام كذلك سبع سنوات بتافيلالت، أقام فيها أيضا سبع سنوات، وأقام أخيرا بزاوية الشيخ أبي عبد الله من أولاد محمد.

ورحل بعد ذلك إلى الشرق، حيث مكث عدة سنوات، فأقام ثلاثا منها بالمدينة المنورة، وذهب إلى القاهرة ليحضر الدروس بجامع الأزهر. وكان يختلف إلى مدينة رشيد من حين لآخر. وقرأ على الشيخ سيدي عيسى الجنيدي التصوف وأخذ عنه بالأخص *القصيدة الدمياطية* التي أصبحت الورد الرئيسي للطائفة الحنصالية. وزار بالاسكندرية ضريح سيدي أبي العباس المرسي، فعاد إلى المغرب، وتتلمذ للشيخ محمد ابن ناصر التمكروتي قبل ذهابه لزيارة ضريح سيدي عبد السلام بن مشيش الحسني، حيث أقام سنة واحدة، ومنه ذهب إلى فاس حيث أخذ عن مشاهير علمائها. ثم لازم بإحدى زوايا تادلة، سيدي علي بن عبد الرحمان التامجوتي وقام بأسفار عبر الأطلس الأوسط داعيا ومرشدا.

وأخيراً بنى زاويته، حيث عاش زاهدا متنسكا، وكلف ابنه يوسف بتدبير شؤونها. واختلفت الروايات حول تاريخ وفاته. فيجعلها صاحب *سلوة الأنفاس* في 12 ربيع الاول 1114 / 6 غشت 1702، وصاحب *السعادة الأبدية* في شهر رجب 1113 / ديسمبر 1701.

م. المنالي الزيادي، *دوحة البستان*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 3 : 144 ؛ الزياني، *الترجمان* ؛ البستان، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 : 120 ؛ *طلعة المشتري* ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس* ؛ م. ابن الموقت، *السعادة الأبدية*، 2 : 75.

محمد الأخضر

أحنصال، مْحَا، شيخ زاوية أحنصال التي في "تاغيا" بمنطقة واد العبيد، تزعّم مقاومة قبائل الأطلس الكبير الأوسط للغزو الفرنسي ابتداءً من 1916. يتبين من تقارير الاستخبارات الفرنسية التي تتبعت نشاطه أن نفوذه كان فعليا لدى أيت أگفيض وأيت أتفركال وأيت مازيغ وأيت امحمد وأيت بوگماز وأيت أسيكيس وأيت براخنيفن وأيت إشا وأيت عبدي وأيت بلال بإنولتان. وقد انتخبت هذه القبائل شيوخها العامين تحت زعامته، وكانت كلها بالإضافة إلى قبائل أيت بوزيد وأيت عتاب وأيت أنير وأيت عطا القبلة وأيت عباس ترسل زيارات إلى أحنصال أو إلى شيخ زاوية تُناغملت الواقعة في نفس الجهة.

كان للشيخ محا أحنصال إخوة وأبناء عمومة يشاركونه في زعامة بعض الفرق من القبائل المذكورة.

انطلق الغزو الفرنسي لقبائل منطقة واد العبيد من تنانت قرب دمنات سنة 1916 بمشاركة المدني الأگلاوي وقائدي نتيفة أشطو وأوراغ، ووقع الصدام بين الجانبين في الغابات القريبة من أزيلال وألحق بهم بعض الهزائم.

وبعد ست سنوات من محاولة المقاومة بوسائل بدائية تبين للمرابط أحنصال أن يميل إلى السلم مع الغزاة، وهكذا قدم عام 1923 إلى مراكش بصحبة شيوخ عدد من القبائل لتحية جلالة السلطان مولاي يوسف. وقد تقلص نفوذ أحنصال في وضعية التعامل مع الفرنسيين، وصار قائدا على قبائل أيت محمد وأيت بوگماز إلى أن توفي عام 1930.

م. الفجداميّ، *التسلي*.

Spillmann, *Ahansal*, A. M, vol. 27, pp. 87-113 ; M. Morsy, *Les Ahansala, Rapports mensuels du Protectorat au Maroc 1918-1923*.

المالكي الملكي

أحنصال، يوسف بن سعيد تولى مشيخه زاوية أحنصال الواقع مركزها بأيت مضريف في الأطلس الأوسط، وذلك بعد وفاة والده الشيخ أبي عثمان سعيد بتاريخ فاتح رجب من عام 1114 / 21 نونبر 1702. وقد ورث الشيخ يوسف نفوذ زاوية والده وزعامتها لقبائل أيت عطا التي كانت في طور تنقل بطيء تارة، وسريع عنيف تارة أخرى، نحو الشمال مع ماكان يقتضيه زحفها من الصراع مع القبائل التي في سهل تادلا وحوض وادي العبيد كأيت عتاب وأيت مساض وأيت واسر وغيرها. وقد اشتهر يوسف وسط القبائل الموالية له بما اشتهر به أبوه من القدرة على خرق العوائد أو "مخالطة الحدثان" بما في ذلك من تنبؤات أو ادعاء استخدام قوى الجان، أما القبائل التي كانت قديمة في ذلك المجال وتناضل ضد تسربات العطاويين المنتسبين للحنصالي، فقد توجهت عناصر منها إلى الانتساب للناصريين التامگروتين المشهورين بمجانبة مثل تلك "البدع" التي تشجع عليها البيئة الثقافية والضرورات الاستراتيجية في ذلك الوسط الأمازيغي.

وبسبب هذه التحركات القبلية وغيرها من الملابسات ازدادت الأهمية البشرية والسياسية للمنطقة بين منتصف القرن السابع عشر ومنتصف القرن الثامن عشر الميلادي، ومن الطبيعي، بناء على هذه الأهمية، أن يحرص المخزن على مراقبة تلك التطورات، ويقوم في سياق هذه المراقبة بربط الاتصال بالزعماء ذوي النفوذ لدى المجموعات القبلية، ومن بينهم شيوخ زاوية أحنصال، ومن الشواهد على ذلك رسالة بعث بها السلطان المولى إسماعيل إلى ولده ولي عهده عامله على تادلا أحمد الذهبي تفيد أن أولاد سعيد أحنصال قد وردوا على السلطان في نفس عام وفاة والدهم، وأن السلطان "وصاهم" بأن يمتثلوا لكبيرهم (يوسف؟) وأن يقدروا الخلافة. وبعد عامين من هذا التاريخ أي في 17 رجب 1116 / 15 نونبر 1704 قام أحمد الذهبي بن السلطان إسماعيل وهو عامله على تادلا بإخبار عبد الله بوگرين، وكان على ما يبدو، في قصبة واويزغت، بأن الظهائر السلطانية قد جددت لأولاد سعيد أحنصال وأن على العامل المذكور أن يراعي حرمتهم. وقد استجكمت هذه العلاقة الوثيقة المتسمة بالمبرة المبنية على المصالح المتبادلة بين يوسف أحنصال وبين أحمد الذهبي ابن السلطان

المولى إسماعيل، فنجد مثلا على ذلك كتابا من هذا الأخير إلى يوسف أحنصال مؤرخا بعشرين رجب 1122 / 14 شتنبر 1710 يذكر له فيه أنه يقبل تسريح مساجين أيت أسْعيدْ (من أيت عطا الموالين لأحنصال) إذا جاء الشيخ وبعيته أعيانهم إلى حضرة هذا الأمير العامل، ويذكره بأنه سبق له أن جاء بهم. فيفهم من هذا الموقف أن المخزن الإسماعيلي كان يعمل على ضبط حركات القبائل في جبال تادلا وسهولها، وأن المرابط أحنصال الذي كان يحظى بتبعية روحية من لدن تلك القبائل كان في موقع المخاطب الضامن في مايحدث لهذه القبائل في علاقتها مع المخزن، ومن ثمة توطدت الصلات بين الأمير أحمد الذهبي الذي كان عاملا لوالده على هذه المنطقة التدلاوية الخطيرة وبين يوسف أحنصال الذي شهد له المخزن نفسه في بعض الرسائل بنفوذ الكلمة لدى قبائل أيت عطا الطامعة في التقدم نحو الشمال. بسبب هذا الواقع كان المرابط الحنصالي في وضعية حرجة بين أطماع قاعدة مندفعة من القبائل وبين سلطة مخزنية يحتاج إلى التعامل معها والحال أنها لا تقبل التشغيب في مجال قريب من عاصمة الدولة. وكأن كل طرف كان مطالبا بتحمل الطرف الآخر على مضض، ويبدو أن انتشار أتباع أحنصال قد تعدى مجال تادلا وحوض وادي العبيد ليصل إلى الحواضر الكبرى، فقد وردت إشارة عند المنالي في *دوحة البستان* (ص 213 من مخطوط خ.ح) حيث ذكر أن السلطان المولى إسماعيل قد سخط، بعد قضية أبي العباس الدراوي تلميذ علي بن عبد الرحمان التمجوتي شيخ سعيد أحنصال، على جميع الفقراء المنتسبين، وكان من جملة من قبض جماعة من الحنصاليين بفاس وطافوا بالأسواق مقرنين بالحبال، وحيث إن ذلك جرى بعد أربع سنوات من وفاة أبي الحسن الدراوي أي في عهد سعيد أحنصال والد يوسف، فإن نفوذ زاوية أحنصال إنما زاد في عهد هذا الأخير حيث انتشر في جهات أخرى من المغرب.

وقد ظهر يوسف أحنصال على مسرح الأحداث بعد وفاة المولى إسماعيل حيث عادت القبائل لحالها من ركوب الخيل واقتناء السلاح (الزياني، *الروضة*، ورقة 79 من مخ خ.ع.د 1275). وقد تنازع الملك أبناء السلطان الراحل فأيد يوسف أحنصال أحمد الذي عرفه وتعامل معه سنين طويلة بتادلة وذلك من أجل توليته الثانية ضد أخيه عبد الملك، وقد صاحبه، وعززه فيمن جاء معه لدخول مكناس. وقد ذكر طوماس پيلو وهو أسير انجليزي تربى في البلاط الإسماعلي وشارك في الحركات الواقعة بين عام 1721 وعام 1735 أنه عرف يوسف أحنصال عندما حضر إلى مكناس وشاهد بحضور آلاف من الناس الخوارق التي أظهر فيها أسرابا من الفرسان فوق أسوار القصر.

وقد مرض أحمد الذهبي ومات عام 1141 هـ وأتلف العبيد مهجة أخيه عبد الملك وجاءت دولة المولى عبد الله بن إسماعيل، وقد انبرى لكسر شوكة القبائل المنتفضة، وفي هذا السياق قتل يوسف أحنصال، وهذا ماتتفق عليه روايات المصادر ولكنها تختلف في الملابسات الدقيقة لتنفيذ هذا الإعدام، فالأسير الأنجليزي يذكر أنه شارك في الحركة الموجهة إلى تادلا، ويحكي أنها كانت مقتلة عظيمة في المنتفضين (من أيت عطا أو من أيت إيمور)، وصاحب *الإتحاف* (4 : 402) يذكر أن المولى عبد الله فاجأ أيت إيمور العائثين فسادا في تادلا بعد أن دفعهم أيت أومالو، فوجد يوسف الحنصالي نازلا بين أظهرهم، والضعيف يذكر أن يوسف ثار بجهات سوس فجاءته به كتيبة من الجيش إلى مكناس ثم أرسل إلى السلطان الذي كان بتادلا فقتله بعد مابلغه أنه كان المحرض للقبائل على الفتن. ولكن أغلب الروايات تتفق على أن هذا الإعدام وقع على يد المولى عبد الله عام 1143 / 1730.31، كما تتفق على ما يفيد التبجيل العظيم والاعتقاد الاسطوري الذي كان ليوسف في نفوس أتباعه، ولذلك قتله السلطان ومنع الناس من دفنه "لئلا يتوهم ضعفة العقول من أصحابه أنه لم يمت *(نشر المثاني*، 355:3).

وقد انتقلت طريقة أحنصال على يد أحد تلاميذه وهو سعدون الفرجاني إلى جهات قسنطينة بالمغرب الأوسط ولكنها لم تندثر من المغرب كما زعم رين وكوبولاني وميشو بيلير، بل بقي فرع من عقب أحنصال في زاويتهم الأصلية وانتقل فرع آخر إلى فرقة كرول بجبل قريب من دمنات، ولم تنقطع صلاتهم بالمخزن، حيث نجد الأمير المستضيء ابن إسماعيل يكتب إلى نجل عبد العزيز ابن يوسف الحنصالي عام 1159 : 1746 بأنه سيقف إلى جانبه في النزاع بين الورثة حول مشيخه زاويتهم. كما أن ظهائر التوقير والاحترام ظلت تجدد للأعقاب في عهود الملوك الذين توارثوا الملك، إلاأن أخبار الزعامة الحنصالية للقبائل لم ترد إلينا إلى أن عادوا للظهور من جديد وهم يرأسون قبائل جهات أزيلال في مقاومة الغزو الفرنسي سنة 1916.

رسائل من زاوية أحنصال بكرول : م الإفراني، *صفوة* : 184 ؛ المنالي، *دوحة البستان*، مخطوط ؛ أ الولالي، *مباحث الأنوار*، 315 ؛ أ. الخليفتي، *الدرة الجليلة* (إشارات إلى حركات قبائل حوض وادي العبيد). مخطوط ؛ الضعيف، *التاريخ*، 108. 112 ؛ أ. الزياني، *الروضة* ؛ أ الناصري، *الاستقصا*، 7 : 120 ؛ ع.ابن زيدان، *الإتحاف*، 4 : 402 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 367.

Thomas Pellow, *The history of the long captivity and adventures of Thomas Pellow in south Barbary*. (Traduit et annoté en français par Magali Morsy) ; Rinn, *Marabouts et Khouans*, p. 385 ; Deppont et Coppolani, *Les confréries religieuses*, p. 492 ; Michaux-Bellaire, *La zaouia d'Ahansal*, A. M. XXVII,163-182 ; Drague, *Esquisse d'histoire religieuse*, 163-182 ; R. Le Tourneau, *Ahansal*, E. I. ; M. Morsy, *Les Ahansala* ; E. Gellner, *The saints of the Atlas*.

أحمد التوفيق

أحنصال، يوسف صالح تطواني، من أسرة كانت تعيش في هذه المدينة وانقرضت، يقول عنه الفقيه الرهوني: من ولد الولي سعيد أحنصال صاحب الزاوية الحنصالية بآيت عطا، وأنه ولد سنة 1320 هـ بالزاوية الحنصالية ويقع بحي

أحفير وتقام به الصلوات الخمس. وقد انقرضت الآن أسرة أحنصال التطوانية ولا علاقة لها بأسرة الحنصالي المعروفة بهذه المدينة.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 10، 4 : 136، م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 169 و 172 ؛ ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegaction de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (H) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 (H) ; *Vademecum de intervenciones* (ano 1931) 1932 (H) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

أحَنّاش، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة أهل سريف الهبطية، وإليها ينتمي الفقيه قاسم بن محمد الذي كان يتعاطى خطة العدالة من سنة 1265 / 1849 إلى سنة 1276 / 1859، والفقيه عبد العزيز بن عبد الله الذي كان يعلم الصبيان بكتابه (المسيد) الكائن بحومة السويقة سنة 1306/ 1888، ولم يبق من هذه الاسرة الآن بتطوان سوى بعض النساء.

ع. سكيرج، *نزهة الاخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 11 م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 ; (H) Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 ; (A) *Vademecum de Intervenciones* (ano 1931. (H). ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* (1949) (A).

محمد ابن عزوز حكيم

أحْواش، تُطلق على «الرقص الجماعي» بجميع أشكاله بجنوب المغرب، خاص في المناطق المتداولة فيها لهجة تاشلحيت، وفي رأي لبعض الدارسين (أبودرار 1978)، فالمصطلح في الناحية الفنية لا يعني رقصة واحدة كما هو شائع، بل يشتمل «متتالية من الرقصات المتناسقة فيما بينها» على شكل لوحات منسجمة في تنوعها، لُغويًا، تنتمي مفردة أحواش إلى معجم تاشلحيت، وهي مشتقة من جدر ح.و.ش، حيث تدل على صيغة إسم الفعل (أسْكَارْ = أفْعَال). وتقابلها في العربية كلمات جمع، لَمّ، ضمّ، ومشتقاتها، كثيرة حسب الصيغ الفعلية والاسمية : إحُواش: «رقَصَ أحواش» ؛ أمْحُوش او أمْحْواش : راقص أحواش، ومؤنثه : تَامْحُوشت أو تامْحْواشت، وجمعه إمْحُوشن / تيمحُوشين، وأيت أوحْواش = (أصحاب أحواش) = هواة رقصة أحواش، مفرد : بُو وْ حْواش ؛ وتاحواشت ؛ وهي مؤنث وصيغة تصغير لكلمة أحواش، وتعني احد أنواع الرقص في جنوب الأطلس الكبير وكذلك مقطع من المقاطع المغناة أثناء الرقص، على شكل بيتين يقوم بارتجالهما الشاعر (أنظّام) وتردّدهما المجموعة الراقصة بعده.

وللتعبير عن ممارسة أحواش، يقال إكّشْمْ أحْواش (= دخل أحواش) أي ولج حلبة الرقص، أو إبِيدْ غْ أوحْواش (= وقف في أحْواش) أي إتخذ مكانه بين الراقصين، كما يقال سِيسْ (ف) من أسَايْسْ، ،هو الميدان والساحة المستوية، مكان رقص أحواش، والراقص يُدْعى أمْسِيسْ (مث تامْسِيسْت). ويقابل كلمة أحواش بمدلولها الفنّي، في أمازيغية الأطلس المتوسّط (تامازيغت) مصطلح أحيدوس انظر المادة (في هذه المعلمة)، كما يُعبّر عن الرقص والغناء الجماعيين في مناطق مختلفة من الجنوب، بمصْطلحات أخرى إلى جانب كلمة أحواش نفسها ؛ ومنها :

1 ـ لْهضْرْت : ومعناها لغويًا «اللعب، المزاح، ما هو ضدّ الجد» والكلمة من جذر هـ، د، ر الموجودة أيضا في بعض لَهجات العربية المغربية بمفهوم «الكلام، الحديث والثرثرة. ويفترض البعض (بوزيد 1984 : 99) أن المصطلح تسرّب إلى تاشلحيت من العربية على يد الفقهاء والعلماء السوسيين الذين كان لهم موقف استنكار ومناهضة إزاء كل أشكال الغناء والرقص وإنشاد الشعر، فهي عندهم بمثابة هذر لتعارضها مع الدّين المجسّد للجدّ في مقابل كل مظاهر «الهزل» الدنيوية الأخرى، باستثناء الديني.

2 ـ أگوال : ومعناه في الجنوب الغربي لمنطقة سوس أحواش. والكلمة في أصلها تعني «آلة النقر الإيقاعية» المعروفة ب «التعريجة» أو «الگوّال» في العربية المغربية. وينسحب مدلول الكلمة راهناً على هذه الآلة نفسها وفي نفس الوقت على رقصة أحواش، حتى في المناطق التي لاّ تستعمل فيها التعريجة كآلة إيقاع و(ايغرم مثلا).

جغرافيا : تمتدّ رقعة انتشار أحواش إلى مجموع المنطقتين الغربية والوسطى من الأطلس الكبير، وخاصة في جنوب إقليم مراكش (أمزميز، إمي ن ـ تانوت) وغرب إقليم أگادير (تزنيت، تارودانت، سوس) وغرب اقليم ورزازات (تازناخت، تاليوين). وتعتبر جبال «غات» و«إيغيل ن مگون» (أيت مگون) الحدود الفاصلة بين مجال أحواش ومجال أحيدوس، حيث تعدّ قبيلة إنفضواك (فطواكة) بأقصى شرق الأطلس الكبير، الحدّ الجغرافي بين المجالين، إذ بها تتداول رقصة أيت مگون الشهيرة وهي من نوع أحواش.

تاريخيا : لا يمكن، بسبب غياب المصادر المكتوبة، واقتصار الآداب والفنون الأمازيغية عامة على الجانب الشفوي، وضع تاريخ مضبوط لنشأة رقصة أحواش وتطورها ؛ كما يصعب على الدارسين تحديد أصلها وتاريخ ظهورها بالمغرب، رغم أن بعض المصادر الأجنبية تعتبر منطقة تْلْوات ببلاد گلاوة (إيگلواوا) أول مهد لنشأة هذه الرقصة وتطورها، ومنها انتشرت عبر المناطق المجاورة. الاّ أن هذا الرأي لا يرجّحه المتخصّصون في الدراسات الأمازيغية، لاعتماده فقط على كون رقصة تْلْوات من أجود أنواع أحواش. غير أنه من المؤكّد أن رقصات أحواش قد شهدت تطورات دائبة منذ نشأتها، حيث تكيفت مع الظروف الاجتماعية والثقافية المميزة لكل منطقة توجد فيها، كما ساعدت عوامل الهجرة والتواصل بين القبائل

المتجاورة والمتباعدة على إغنائها وتطورها حتى أصبحت على الشكل الذي تقدّم به اليوم.

ثقافيا : تعتبر رقصة أحواش من الممارسات الثقافية والفنية ذات الطابع الجماعي، المتجذّرة في تقاليد المجتمع الأمازيغي، إذ تقترن بمختلف المناسبات التي يحييها أبناء القرى والقبائل برُمَّتهم كالأعياد الدينية والوطنية والمواسم الفصلية والحفلات الاجتماعية كالأعراس والختان والولادة وغير ذلك من المناسبات التقليدية التي تبرز فيها ظاهرة التكافل والتآزر الإجتماعي المميز للمجتمع القروي عامة. فليس هناك من حفلة أو عيد دون رقصة أحواش، وكما أنه لا معنى لأحواش أو لا قيمة له بدون مناسبة تهم الجماعة على مستوى المدشر أو القبيلة.

أصناف أحواش : يتم تصنيف رقصات أحواش اعتماداً على معايير مختلفة، ممّا أدّى إلى تنوّع الأسماء الدالّة على الرقصات التي يتشكل منها كنه هذه الظاهرة الفنية : فهناك الانتماء الجغرافي وشكل حلقة الراقصين وجنسهم وطبيعة الرقصة أو إحدى مميّزاتها البارزة والآلة المستعملة لمصاحبة الغناء والرقص.

- فمن الناحية الجغرافية، تأخذ بعض رقصات أحواش اسم القبيلة التي تمارسها، كرقصة «تيسنّتْ» (الملح) وهي قبيلة بنواحي أگادير، ورقصة «أُولُوزْ» بناحية تارودانت ورقصة «تاوريرت» بوارزازات ورقصة «إيمي ن تانوت» ورقصة «حاحا» ورقصة «تكوات» ورقصة «مگونة» ورقصة «طاطا» ورقصة «إداوزْدُوتْ» ... وكلها أسماء تقدّم بها الرقصة المعنية لتعريفها على المستوى الوطني.

- أما من حيث جنس الراقصين، فهناك رقصات خاصة بالرجال وحدهم كرقصة دَرْسْتْ بأولوزْ وتَاسْكيوينْ، ورقصة حاحا وتاليوين وأڤا وطاطا ... وهناك رقصات خاصة بالسيدات، كرقصة تيزنيت، وأخر مقتصرة على الأوانس كرقصة أُلُونْ بالأطلس الصغير. كما أن هناك رقصات مختلطة تجمع في حلقتها بين الرجال والسيدات والأوانس، وأنواع أخرى تجمع بين الرجال والسيدات دون الأوانس وأخرى بين الرجال العُزّاب والأوانس.

- وبالنسبة لشكل حلقة أحواش وهيئة الراقصين، فهناك أسماء مثل دَرْسْتْ (= المجموعة أو الكوكبة) وتنطبق على رقصات مختلفة إيقاعا وحركات، تمارس بقبيلة إيمي نْتَانُوت وإيمْنْتَاگْنْ وإدَا وْ مْحْمُود وإداوزْدْغْ (شمال المنابهة)، ثم اسم أسْگًا أو بُو تْسْگا (= الجنب او الطرف) ويطلق على رقصة يكون فيها الراقصون واقفين جنبا إلى جنب في صفين متقابلين، وهناك اسم أُجُوكّر (التدرّج) ويعني رقصة تتميّز بإيقاعها الذي يتسَرّع تدريجياً منذ بداية الرقص إلى نهايته حيث يبلغ أوج السرعة ؛ وهناك أيضا تابلويدت، وهو اسم رقصة خاصة بالرجال وأهْنَاڤّار (؟) ويعني رقصة تتميّز بقوة حركاتها وحدّة إيقاعها، ثم أجْمَاكْ وهو اسم رقصة متداولة بأشتوكن وتيزنيت، يؤديها الجنسان على شكل صفّين متقابلين.

ومن حيث الآلة المستعملة، هناك رقصات تحمل أسماء لآلات إقاعية معروفة، مثل أگوال وهو أحواش الذي يُؤدّى إيقاعه بالتعريجة أي أفحوال، خاصة في كل من طاطا وأڤا والفايجة. وفي مناطق أخرى كإيندوزال وإيغرم، تطلق نفس الكلمة على أحواش والرقص والغناء عامة ولو في غياب آلة النقر تلك. وفي أماكن أخرى، وخاصة في أُولُوزْ، تحمل الرقصة اسم بَّاغْرُوج (وهو على الأرجح من كلمة تعريجة) وتُؤديها النساء دون الرجال، وتستعمل فيها آلة التعريجة. كما أن الرقصة المعروفة بـ تاسْكيوين استمدّت اسمها من إيسك / تيسْكت أي «القرن (ة)» ومن إيسك ن لْبَارود بالخصوص (قرن البارود) وهو قطعة خشبية مقوسة ومجوّفة على شكل قرن، تُغَلّف بالنحاس أو الفضة المزخرفة وتزيّن بأهداب حريرية، ثم تُثبّت على الكتف اليسرى للراقص بواسطة غمد. ويُرجع البعض أصل الرقصة إلى تظاهرة فنية حربية قديمة. وتنتشر في المنطقة الغربية للأطلس الكبير. وهناك أسماء أخرى مثل لْعْوَّادْ وهو رقصة مصحوبة بالعزف على تالْعْوَّادْتْ أو لْعْوَّاد، أي الناي القصير، وهي متداولة بمنطقة إداوسْمْلاّل ؛ تم اسم نَّاقُوسْ الذي يطلق على رقصة تُؤدى على نغمات آلات إيقاعية بسيطة كالناقوس الحديدي أو النحاسي، وهذه الرقصة تقام على هامش أحواش، حيث تمهّد له أو تختمه، وتكون ممارستها جلوساً.

وتأخذ رقصة أحواش كذلك اسمها الخاص من إحدى خصائص المجموعة التي تمارسها. من ذلك مثلا رقصات تيرُويّا (= المجموعات ؛ مفردها تَارَابّوت) ومنها تارَابّوت ن يهْيَّاضْنْ (مجموعة إهْيَّاضْن ـ مفرد أهْيَّاض) ويُطلق على فرق أولاد سيدي حماد أو مُوسى وعلى كل مجموعة فنية متجوّلة، تعيش على الرقص والغناء والفكاهة. (انظر هذه المادة) وهناك تاربّوت ن يسْمْگانْ (= مجموعة العبيد) وتعني المجموعة المؤدية لأحواش على إيقاع ولحن گناويين، وبآلة النقر گانگا (الطبل)، وتوجد بالخصوص في شمال الأطلس الصغير وجنوبه (سكتانة وتاليوين وطاطا وأڤا وراسْ الواد وسهول سوس...)

أشكال حلقة أحواش : يختلف شكل صفّ الراقصين والراقصات في أحواش باختلاف المناطق والأصناف، إذ هناك على الأقل خمسة أشكال معروفة، تنفرد كل رقصة بأحدها أو تجمع بين اثنين أو ثلاثة تتنقّل بينها وفق نظامها الخاص : شكل خط مستقيم أو قوس، خطان متقابلان أو قوسان متقابلان أو دائرة مغلقة قد تتحوّل إلى حلقة بيضوية الشكل عند تكاثر عدد الراقصين. وفي حالة المزج بين أشكال مختلفة، يتم ذلك تحت إشراف أعْلاّم أو أمْرِيسْ (الرئيس) وهو قائد المجموعة ومسيرها في أحواش.

عناصر أحواش : إلى جانب أعلاّم أو أمريسْ، تشتمل فرقة أحواش على إمْسُوسْنْ (مفرد : أمْسُوسْ، من سُوسْ = اهتزّ، ومنه تَامْسُوسْت : الرقص الآهتزازي) وهم المجموعة الراقصة المكوّنة عادة من كلّ أفراد المدشر أو القبيلة الذين

لا يشترط فيهم أي شرط عدا رغبتهم في الانضمام إلى أسَايْس (ج. إيسُوياسْ) وهو الساحة التي يختارها أهل المدشر لرقص أحواش، وغالبا ما تكون أوسع رحبة درس الزرع (أنْزار). ويشرف على إعداد مراسيم حفل أحواش عند المناسبات التي تستدعي إقامته مسؤول يعرف بـ لمُقْدّم، أو أمْغَار، ويكون على رأس لعَمْت (وهي تجمّع شبان القرية، يضمّ أهمّ موسيقيي وراقصي أحواش في مناطق الأطلس الكبير ـ خاصة في أيت مْگُّون ـ والكلمة من المعجم العربي = العَامّة أي الجمهور ؛ ولها دور تكميلي بالنسبة لـ لجْمَاعْتْ (الجماعة) التي تقتصر على الشيوخ وعلية القوم، حيث ينحصر دور لعَمّت في تهييء الحفلات الموسمية). وبما أن أحواش يجمع بين الرقص والغناء والعزف، فإن مجموعة أيت أحواش (أهل أحواش = المساهمون الفعليون فيه) تتضمّن بالضرورة العناصر التالية:

أمارير أو أنظّام وهو الشاعر الذي يتولّى الغناء المنفرد في أحواش، ويختار الأبيات التي تردّدها المجموعة (الكورال) بعد أن ينشدها هو بطريقته الخاصة التي تميّزه عن غيره من إنظامن. ذلك لأنه ناظم للشعر وقارض له وحافظ ومرتجل، ويكون في الغالب هو نفسه أعْلاّم المسيّر للرقصة. ويكون ذا حظوة في قبيلته، لكونه مبدعاً عضوياً أوتي موهبةً ينفرد بها أحيانا ويمتاز بها عن عامّة الناس، بالرغم من أنه غير محترف، على عكس رأيْس المعروف في ساحات الفرجة ببعض الحواضر، إذ لا يؤدي مهمته الفنية والإبداعية إلا في إطار جماعيّ بمحضر أهل القبيلة أو المدشر بمناسبة أحواش. وقد دُرج على نعت موهبته الشعرية بـ «علم الكرش» (انظر مادة أمارگ). وغالبا ما يصاحب غناءه بعزفه على تَالْونت (البندير) التي يضعها أمام فيه وهو ينشد توخيّاً للمزيد من الصدى لصوته الذي يكون صالحا للغناء.

أما العزف (النقر) على آلات الإيقاع، أي إيلّونا (م. أُلُّون) أو تيلّونا (م. تالّونت) وهو «البندير»، وگانگا (= الطبل) وغيرهما فيتولاّه مجموعة إينقّرن (م. أمْنْقّرْ، فعل نْقّرْ = النقر على آلة إيقاع) وهم في أغلب الحالات يتوسطون حلقة الرقص جلوسا، أو يقفون في صف الراقصين ريثما يستوي أحواش، فيجلسون وسط الحلقة، وفي مناطق أخرى من الأطلس الكبير يُسمى هؤلاء العازفون رَوَايْس (م. رَأيْس) وهم عازفو تيلّونا وأغَانيم (القصبة = الناي) وتالغوّادْت. وليس هناك من حصر لعدد إينقّرْن في أحواش، إذ كلّما كثر عددهم كلما كان ذلك عاملا على إنجاح الرقصة، وحين يكون عددهم جدّ مرتفع، يحتكمُون إلى تقليد أفُوس (اليد = الدّوْر) الذي يقضي بتعاقب مجموعات مختلفة على تأدية الإيقاع في مختلف مراحل أحواش، وفي بعض أصناف أحواش (أيت مگُّون مثلا) يشارك أيْت إيديكّل (= ضاربو الأكفّ) في الإيقاع بأكُفّهم. وقد تكتفي النسوة أحيانا بإشارة خفيفة تحاكي التصفيق، تمشياً مع إيقاع الرقصة. ويشكل الراقصون والراقصات في نفس الوقت المجموعة المردّدة، أي إيرْدّادن وتيردّادين للأشعار التي ينشدها أنظّام أو للازمة منها. ولا يحمل هذا «الكورال» اسماً خاصا في التقليد الأمازيغي، إذ يسمى الرجال إيْرگازنْ (رجال) والنساء تيْمغَارينْ (نساء) والأوانس تيعيّالين (بنات) والشّبان إيعيّالْن.

وبما أن أحواش ليس قصراً على مجموعة دون أخرى في القبيلة، لغياب ظاهرة الاحتراف، فإن جمهور المتفرجين من أبناء القبيلة يعدّ عنصرا أساسياً يكمّل العناصر المؤدية للرقصة، بل يتوقف نجاح هذه الأخيرة على مساهمته في تنشيط الحفل، كما أن إبداعات أنظّام الشعرية وبراعته الإنشاديّة مرهونة بتفاعل الحضور معه، وكثيراً ما يكون الجمهور بمثابة حَكَم قاسٍ على الشعراء والراقصين وعازفي الإيقاع ؛ لأن أحواش مسألة جماعية ذات حُرمة، تؤخذ مأخذ الجدّ والصرامة، ولا يجوز لأي كان الاستهانة بطقوسها وأعرافها وقواعدها.

الآلات الموسيقية : تستعمل في أحواش آلات موسيقية تقليدية توجد مثيلاتها في أنواع أخرى من الرقص بمختلف المناطق المغربية. وهي كالآتي :

ـ تالّونت ؛ أو ألُّون، (ج. تيلّونا / إيلّونا)، وهي «البندير» (وتعني أيضا «الغربال» في تاشلحيت) وتسمى في مناطق أخرى أگْنْزا أو تاگْنْزا (ج. إيگْنْزيوْن / تيگْنْزيوين)، ويختلف شكلها وحجمها ورنّتها من منطقة إلى أخرى. وهي عبارة عن إطار خشبي مستدير، يعرف بـ إغْصْ (عظم)، يتراوح قطره ما بين 40 و50 سم، وعمقه ما بين 8 و10 سم ويُغَطّى قعره بجلد الماعز المدبوغ بعناية. وتتميز تالّونت المستعملة في سوس برنّتها الطّنّانة الحادّة، بينما تكون في قبائل أخرى، كأيت مگّون، مجهّزة بـ تيسْمَامّايين (= النائحات) وهي أصناج صغيرة على شكل صفيّحات معدنية رقيقة دائرية الشكل تنضّد حول مسمار مثبّت في شقّ بالإطار، تحدث جلجلة متواصلة تصاحب النقر على الآلة. وهناك بنادر أخرى مزوّدة بـ تاگْزّوت وهي عبارة عن خيط أو خيطين متوترين من النيلون أو المصران، يمتدّان على طول القعر، ويحدثان نبرة اهتزازية تلوّن نغمة البندير. وعلى الإطار الخشبي توجد تيطْ (العين) وهي ثقب قطره 3 سم يدخل فيه بنصر العازف للتحكّم في الآلة أثناء النقر عليها. وفي بعض أصناف أحواش (أيت مگون مثلا)، تختلف أنواع البنادير باختلاف أدوارها في الرقصة، إذ تتميّز تالّونت الخاصة بالعزف المنفرد عن تيلّونا المُخصّصة للإيقاع الجماعي، إذ الأول ينفرد به أمهر العازفين، ولذلك يتمّ المفارقة بين تاگنزان واسّيفْ (بندير الغربلة) وتاگنز ن وامّاسْ (بندير الوسط) أو بين تْخْلّيف (المختلف) بالنسبة للعزف المنفرد وتْهْرّيم الخاص بالعزف الجماعي.

ـ گانگا (= الطبل)، وهو طبل عادي متوسط الحجم، ينقر عليه بعُصَيَّتيْن معقوفتي الرأس أو مستقيمتين. ويقوم بتضخيم الإيقاع، وهو أكثر استعمالا في أحواش المتداول بجنوب سوس ووارزازات.

ـ أگوال (التعريجة) المعروفة بالگوال في الدارجة المغربية، وهي آلة اسطوانية من الفخار قاعدتها مجلدة على غرار البندير، وتستعمل بالخصوص في رقصة تاسكيوين وفي أحواش أمزميز وسكساوة، وهناك من يرجع اسمها إلى القوال أو الجوال وهو «المغني المتجول» الذي يوقع إنشاده بالنقر على التعريجة.

ـ تَالْعْوَادْت أو لْعْوَاد : وهو ناي قصير يكون أحياناً مزدوج القصبتين، وقد ينتهي أحياناً بقرن حيوان كما هو الحال بالنسبة لناي آيت بوگمّاز.

ـ نَاقُوس : إطار نحاسي أو معدني (غالبا ما يتخذ من قالب كابح السيارة الفولاذي)، ينقر عليه بقضيبين حديديين ليصدر عنه رنين حادّ يصاحب الإيقاع بالبنادر والطبل، وهو نفس الناقوس المستعمل لدى مجموعات الروايس.

حركات أحواش : تتميّز رقصات أحواش بتماثل حركات الراقصين والراقصات، وهي حركات يختلف شكلها وسرعة إيقاعها باختلاف الأصناف. وفي حالات نادرة جداً، ينبري رجل أو امرة أو هما معاً للانفراد بالرقص خارج حلقة المجموعة. وتشمل حركات أحواش الجزء العلوي من الجسم، بما في ذلك الرأس والكتفان والذراعان والصدر والكفّان ثم القدمان، ونادراً ما يتحرك الجسم برُمّته. ويقوم أعْلاَم بضبط حركات الراقصين لتتعنجر في دقة وتناسق وانسجام، مستعملاً لذلك إشارات متعارف عليها بينه وبين مجموعته.

الزي : يرتدي راقصو أحواش وراقصاته زي الحفلات والأعياد وهو من الصنف التقليدي المميّز لكل منطقة. فالرجال يلبسون الجلباب الوطني الأبيض والقميص (تْشَامير) والبرنس والعمامة البيضاء أو المزركشة بالحرير الأصفر ويتقلدون بالخنجر الفضي، لْكُومِّيْتْ، وأقْرَاب (المحفظة الجلدية المزركشة بالحرير) والبلغة البيضاء أو الصفراء المحلية أو الوطنية. أما النساء فتختلف أزياؤهن باختلاف المناطق الأمازيغيّة، وكذلك الشأن بالنسبة للحليّ التقليدية التي تكون من الفضة.

مراحل أحواش : تنقسم رقصة أحواش التقليدية إلى سلسلة من المراحل المتعاقبة بإحكام تضبطه الأعراف الفنية السائدة بالنسبة لكل صنف، هي كالآتي :

ـ أ ـ أرَاسَال أو أجُوكُرْ (= الانبراء) : بعد استعداد أيت أوحْوَاش للرقص، وفي جوّ من الصّخب، ينبري أمَارير (الشاعر) للإنشاد مقترحاً بيتين يشكلان تَاحْوَاشت الأولى (ويقال يُوسي أرَاسَالْ أي أقام أراسال = انبرى للإنشاد) فيردّدهما مرّتين أو ثلاثا إلى أن يجتذب إصغاء الجميع، مجموعةً وحضوراً، ويتمكن الراقصون من كلمات ولحن البيتين المعروفين أيضا بـ «تالْغَات»، فيتولّى «كورال» النساء والرجال ترديد البيت الأول ثم الثاني بالتعاقب ؛ حيث يختلف ترتيب الجنسين في الترديد باختلاف المناطق والأصناف. وقد جرت العادة بأن يُسْبَق أراسال بـ «تادَالالت أو تَالاَلاَيْتْ (الليللة) وهي الصيغة اللحنية التي ينظم أمارير على منوالها تالغات أثناء افتتاحه لأحواش، وهي خاضعة لقواعد النظم والعروض الأمازيغيين (انظر مادة أمارگ)، كما تتمثل في جملة من المقاطع الصوتية يتم التأليف بينها (أ ـ يْ ـ دْ ـ لاَلْ ـ لي). وأحياناً يحلو لأمارير أن يمطط إنشاده فينتقل منْ تَاحْوَاشت إلى أسُولِي، مختاراً من جعبته «موَالاً» مطوّلا يعرف بـ «تَازْرَارت» خاصة في احدى مراحل أحواش المطوّل بعد إعياء إمْسَوسّن (الراقصين) الذين يغتنمون فترة الإصغاء إلى الإنشاد المنفرد ليستريحوا قبل استئناف الرقص. وفي حالة وجود شاعرين أو أكثر في نفس المحفل، فإنها تكون مناسبة لأدوار أنْعِيبار أو أنْقِيبال أو أبَارَاز، أي المبارزة «العكاظية» القائمة على التحاور بالشعر المرتجل أمام تحكيم الجمهور.

ـ ب ـ «الكورال» : يكون الغناء الجماعي الذي يعقب أرَاسَال مباشرة، إمّا رجاليا او نسائيا حسب أصناف أحواش، حيث يتلو غناء الجنس الثاني غناء الجنس الأول والعكس بالعكس. وتردّد المجموعة البيتين معاً (على نحو لازمة ثابتة) أو يقتسمهما الفريقان بالتعاقب.

ـ ج ـ كورال وإيقاع : في هذه المرحلة، يندمج الجميع في الغناء والرقص مع ترديد اللازمة الأساسية في تاحواشت، وأحياناً تنقسم حلقة النساء إلى صفين متقابلين، يردّد أحدهما تادالالت وحدها والآخر بيتي تاحواشت على إيقاع يسرّع تدريجيا دون توقف. وكلّما كان تصعيد أحواش (يُولي، أغولي، إحْمَا = صعد واحتدم) تلقائيا دون تكلّف، كلما كانت الرقصة ناجحة، إذ ينتهي الجزء «الثقيل» أو البطيء (إزَاي) بتغيّر تلقائي في الإيقاع ينتقل بعده أحواش إلى تيزي (= الفجّ) ثم تأتي بعدها المرحلة الموالية، وهكذا دواليك. وتكون الحركات وإيقاعها أمراً مرهوناً بعزف إينقّارن، وقد يحدث أن يخطئ أحد هؤلاء ويزيغ عن اللحن أو المقام، فيقال إيسْطَرْ أحواش (= أسْقطَ أحواش) أو أجو (سقوط عفوي)، وفي هذه الحالة يقوم غيره بتدارك الموقف بسرعة لتقويم الإيقاع (= هُوزْ، رَارْ = أعاده) ويعيده إلى نصابه. ويتمّ الانتقال من مرحلة إلى أخرى بإشارة من أعْلاَم، ويُعرف هذا التحوّل بـ «تْخَلْيفْ» (الاختلاف).

ـ د ـ الاختتام : يمكن أن يتوقف أحواش عند قمة تسريع إيقاعه، كما يمكن أن يُسْتأنف من جديد بمرحلة رابعة تستهلّ بإنشاد أمارير لتَالْغات أو تازْرَارت جديدة، فينطلق أحواش ثانية بمختلف مراحله إلى أن يقتنع الجميع بإيذان وقت الانصراف، ويكون ذلك عند مطلع الفجر بالنسبة لأهم

سهرات أحواش في أكبر المناسبات. وتكون الخاتمة التقليدية سواء بالنسبة للفاصل الواحد من أحواش أو للرقصة في مجموعها، عبارة عن نقرات حادة وقويّة على تيلّونا (البنادر) أو على گانگا (الطبل) ويُعرف الاختتام بـ «أهايّو» (الانتهاء).

شعر أحواش : غالبا ما يكون النّص الشعري «ثانويا» في أحواش، إذ لا ينتبه السامع إلى مدلول الأبيات المغناة بقدر ما يرتكز اهتمامه على أنماطها العروضية التي يستسيغها ويفهمها، وقد تدور الرقصة أحيانا حول بيتين أو أربعة من الأشعار المتداولة الشائعة. إلاّ أن الأمر يختلف حين ينبري أمارير (شاعر) مرموق ليبدع شعراً يرتجله مباشرة أمام الملإ، أو ينشد محفوظهُ من الأشعار البليغة النادرة : ويكون التجديد والإبداع في أكثر الأحيان على مستوى طريقة أداء لُغَا (الغناء ـ الشعر) التي تتطلب إلى جانب تقنية الإنشاد، الصوت الحسن والموهبة الشعرية، وعلى عكس قصيدة الروايس الطاغية على الموسيقى، فشعر أحواش تطمسه الأنغام الإيقاعية والغناء الجماعي ولا يبقى منه سوى قالبه العروضي واللحني (انظر مادة أمارگ).

مدة أحواش : يستغرق أحواش الواحد ما بين 12 و20 دقيقة بالنسبة لـ تَاحْوَاشْت المردّدة مرات عديدة قبل استبدالها بغيرها. أما مدة سهرة أحواش المطولة، فتحكمها رغبة الراقصين والجمهور في استئناف وتجديد الوصلات.

موسيقى أحواش : خلصت بعض الدراسات الموسيقية لرقصات أحواش (أبودرار 1978 : 101) إلى أن مقاماتها خماسية تتضمن خمسة أصوات موسيقية (نوتات) رئيسية، وأكثرها استعمالا هو المقام الخماسي الطبيعي (الدياتوني) الذي يختلف عن السلم العالمي السباعي بفقده للدرجتين الرابعة والسابعة، حيث تعمل الثامنة فيه كجواب للأولى ليصبح على النحو التالي :

رقصة أحواش (D'après la Saison des fêtes)

وعلى المستوى الانسجامي، فالنغمة الأساسية في هذا المقام هي الدرجة الأولى، إذ يتنقل اللحن الارتجالي بين هذه الأخيرة وبين الدرجة الخامسة. ويؤكد أبودرار (نفس المرجع السابق) على أن قوانين الانسجام الغربي يصعب تطبيقها على أنغام أحواش.

أما إيقاع أحواش، فإن بعض الدارسين الأجانب (شوطان مثلا) يذهبون إلى اعتباره ثلاثيا مركبا أو خماسيا بسيطا (5/4)، إلا أن أبودرار (نفس المرجع السابق 102) يرى أن الأوزان الأمازيغية عموما سداسية من صنف المثنيات البسيطة (6/4)، ويمكن تغيير الأزمنة القوية (دوم) وتلوينها بارتجالات عزفية على آلات الإيقاع الرئيسية كالبندير مثلا.

م. أبودرار، *من أهازيج سوس، أحواش، الفنون*، عدد خاص 1، السنة الخامسة، ص. 99 ـ 102، (إصدار وزارة الثقافة، الرباط) 1978 ؛ ع. أمارير، *أمالو، ظلال من الفنون الشعبية المغربية*، الدار البيضاء، دار الكتاب 1978 ؛ أ. بوزيد، *أحواش، الرقص والغناء الجماعي بسوس*، (مرقون)، تحت الطبع، الرباط، منشورات عكاظ ؛ ع. المعاوي، 1984. *الشعر الغنائي السوسي "القصيدة"*، رسالة لنيل د.د.ع، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1984.

A. Chottin, (1933), *Corpus de musique marocaine, II, Musique et danses berbères du pays Chleuh*. Paris, Hengel ; (1939), *Tableau de la musique marocaine*, Paris, Geuthner ; H. Jouad et B. Lortat-Jacob (1978), *La saison des fêtes dans une vallée du Haut Atlas*, Paris, Seuil ; (1983) *Les éléments de la versification en berbère marocain tamazight et tachlhit*, (ronéotypée), thèse de IIIème cycle, Université de Paris III, EPHE, IVe Section ; B. Lortat-Jacob (1980). *Musique et fêtes au Haut Atlas*, Paris, Mouton / EHESS, cahiers de l'Homme ; A. Paris (1921), *Haouach à Telouet*, Hesp. 1 (2). pp. 209-214 ; M. Rovsing Olsen (1984), *Chants de mariage de l'Atlas marocain*, thèses de IIIème cycle, Paris X (ronéotypée) ; P. Schuyler (1979), *A Repertory of Ideas : The music of the Rwais, Berber professional Musicians from South western Morocco* (ronéotypée), P.H.D, Univesity of Washington.

أسطوانات توثيقية :

B. Lortat-Jacob et G. Rouget (1971), *Musique Berbère du Haut Atlas*, Collection Musée de l'Homme, Paris, Disque Vogue, LD 787 ; (1975) *Maroc, musique Berbère : Un mariage dans le Haut Atlas Oriental*, Vogue LDY 28029 ; B. Lortat-Jacob et H. Jouad (1979), *Berbères du Maroc, Ahwach*, Les chants du monde, LDX 74705, CNRS, Musée de l'Homme, Paris.

الحسين مجاهد

أحُوزي، أحمد بن محمد بن داوود بن يعزى بن يوسف الجزولي التَّمْلي نسبا، الشهير بأحوزي وبالهشتوكي، من أبرز رجالات العلم بسوس في عصره، ولد عام 1057 / 1657 وأخذ عن عدد من الشيوخ المغاربة حيث درس بالزاوية الدلائية مدة تنيف عن 20 سنة، لازم خلالها الفقيه علي المراكشي الأقاوي، والحسن اليوسي، وأحمد بن حمدان التلمساني، كما أخذ عن الشيخ عبد القادر الفاسي وأبي سالم العياشي، وكل هؤلاء أجازوه كتابة. اما في التصوف فقد عوّل على الشيخ مَحمد بن ناصر الدرعي ولازمه مدة طويلة اشتغل خلالها بالتدريس في الزاوية الناصرية بتامگروت وزوّجه شيخه إحدى بناته.

رحل أحمد الهشتوكي الى تغازى في تخوم السودان

وتولى بها خطتي الإفتاء والقضاء حيث حصل على أموال كثيرة وتبادل بها الأخذ مع عدد من علماء المنطقة. وفي تغازى جمع فهرسته المسماة *قرى العجلان على إجازة الاحبة والإخوان*، التي ذكر فيها شيوخه ومختلف العلوم التي أخذها عنهم وإجازتهم له. حج أحمد أحوزي مرتين (الاولى عام 1096 / 1685 والثانية عام 1119 / 1707) التقى خلالهما بعدد من الشيوخ المشارقة خاصة بمصر حيث أخذ عن محمد الخرشي وعبد الباقي الزرقاني شارحي مختصر *خليل*، وعن الشهاب أحمد العجمي والملاّ إبراهيم الكوراني. عاش أحمد أحوزي مدة في الزاوية الناصرية بتامگروت وتصدر للتدريس بها حتى وفاته في جمادى الاولى عام 1127 / 1714.

خلف المترجم تآليف تنيف عن العشرين، أغلبها في الفقه والنحو والعقائد والحديث، إضافة إلى *فهرسه* المذكور، ورحلتيه الحجازيتين، وتآليف في مناقب شيخه محمد بن ناصر الدرعي سماه : *إنارة البصائر في ذكر مناقب القطب ابن ناصر، وأتباعه من أهل الهداية الأكابر*، وغيرها. وقد آل جزء هام من خزانته الى دار الكتب التابعة للزاوية الناصرية اليوم.

م. م. الناصري، *الدرر المرصعة*، 24 ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*، رقم 38 ؛ م. الحضيكي، *طبقات* (مخطوط) ؛ أ. الناصري : *طلعة المشتري*، 2 : 9 ؛ ع. ابن زيدان : *إتحاف*، 5 : 443 ؛ ع. الكتاني : *فهرس الفهارس* ؛ ع. ابن سودة : *دليل*، 1 : 181 و 2 : 345، 370 ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 190.

الحبيب نوحي

أحولي - مركز - ← الرصاص

أحُولي، يوسف إسحاق (الوبافيتش) Aholé Yoséf Yishaq معاهد أنشئت في عدد من المراكز الحضرية والقروية وأخذت تتطور تقريبا بنفس الأسلوب الذي تطورت به "أساراه - توراه" إلا أن هذه المؤسسات ازدهرت بالخصوص في المراكز القروية حيث احتفظ التعليم بطابعه القديم التقليدي. أما اللوبافيتش وهو التعبير الذي يطلق على أنصار الطائفة الحسيدية الملقبة ب "حباد" الكلمة التي ترمز حروفها إلى حكمة وبناه وداأت (أي علم وعقل ومعرفة) فإن هذه الطائفة تشكلت في إحدى قرى روسيا البيضاء، فواصل أنصاره نشاطهم الصوفي من عام 1819 إلى قيام الثورة الروسية عام 1917.

يقيم اليوم هؤلاء اللوبافيتش بنيويورك، ومن هناك يشرفون على تنمية نشاطهم الديني بواسطة التعليم في مختلف البلدان (فرنسا، انگلترا، إسرائيل، المغرب، تونس...) وتمكنوا من إعادة تهويد عدد كبير من الذين انسلخوا عن تطبيق العبادات اليهودية.

تحمل مدارس هذه الطائفة اسم أحولي يوسف إسحاق بمعنى "خيام أو بيوت يوسف إسحاق" تخليداً لذكرى أحد قادة هؤلاء اللوبافيتش المسمى الرّبي إسحاق شنيورض المتوفى بنيويورك عام 1950.

ومنذ إغلاق معهد الدراسات الربّية بالرباط، أخذ الربيون - القضاة يتلقون تكوينهم في كوليل خاضع للتدبير والتسيير من طرف المسؤولين عن مؤسسات اللوبافيتش وأساراه - توراه. وقد وافقت على برنامج تكوينهم كل من وزارة الداخلية ووزارة العدل بالمغرب اللتين يوجد النظام القضائي اليهودي بالمغرب تحت وصايتهما.

كلود سلطان

أحيدُوس، يطلق مصطلح أحيدوس على مختلف أشكال الرقص الجماعي بالمناطق الأمازيغية للمغرب الأوسط التي تتداول فيها لهجة "تامازيغت". والمفردة لغويا تنتمي إلى المعجم الأمازيغي الأصيل، وهي بصيغة اسمية مشتقة من جذر - ح - د - س الذي يفيد الفعل المشتق منه كذلك، أي حيدْسْ معنى "رَقص أحيدوس". وللكلمة أيضا مقابلها بصيغة المؤنث : ثاحيدوستْ ولها قيمة التصغير حيث تدل على أحيدوس مصغر من حيث عدد الراقصين المشاركين فيه. وللدلالة على عدة رقصات من هذا النوع تستعمل صيغة الجمع الأمازيغية فتصبح الكلمة: إيحيدأس.

وإلى جانب الكلمة حيدْس الدالة على رقص أحيدوس، تستعمل تعابير أخرى من قبيل كْشْمْ أحيدوس (ادخل أحيدوس)، إكْشْم أذْيُورارْ (دخل ليلعب [أحيدوس])، ذلك أن مفردة أورار (اللعب) تطلق أيضا على رقص أحيدوس، ومنها اشتقت عبارة وْنْ إيسُّورارن (الذي يُلعِّب) المستعملة للدلالة على قائد فرقة أحيدوس ومسيرها المعروف أيضا بـ "رَايسْ، أمسَادْ، أو "بوطّارت (صاحب الطارة : العازف على البندير). وللتعبير عن جمال الرقصة ونجاحها يقال : إينْصرْ أو حيدوس (فاز أحيدوس، نجح).

في نفس المناطق التي يتداول فيها أحيدوس، يوجد نوع آخر من الرقص الجماعي يشبهه في عدد من خصائصه ومظاهره، ويعرف برقصة الْهيتْ. وكثيرا ما يتم التأليف بين الرقصتين في محفل واحد، حيث يكون البدء بإحديهما والختم بالأخرى. ويتميز لْهيتْ، من بين ما يتميز به، بترديد الراقصين للمقطع الصوتي هَيْ (هَيْ أَهَيْ أَهَيْ ...) طوال مدة الرقصة. ومن هذا المقطع اشتق فعل هْيْتْ أي أدّى رقصة "الهيث". ويتداول الهيتْ أيضا في بعض المناطق العربية المجاورة لقبائل زمور، كقبائل بني حسّن (إقليم القنيطرة) وبني عمرو قرب مدينة تيفلت، وربما في مناطق أمازيغية أخرى. ويختلف الهيث في أحيدوس إيقاعا وحركات. فإيقاعه أخف تنتج عنه حركات بالغة السرعة، إضافة إلى خلوّه من كل شعر غنائي ما عدا ترديد مقطع "هَيْ" ! أو ما يتخلل الرقص بين الفينة والأخرى من موّال مرتجل على غرار تامَاوَايت بالنسبة لأحيدوس، يؤديه أحد الراقصين ذي الصوت الحسن. ومما تفتقر إليه الدراسة العلمية لرقصة أحيدوس بصفة خاصة وللرقصات المغربية

عموما، المعطيات التاريخية التي يمكن الاستناد إليها للتأكيد على مدى وجود أو انعدام تلاقح وتمازج بين رقصة وأخرى تجاورها جغرافيا. ولذلك لا يمكن الجزم بفرضية من هذا القبيل بالنسبة لعلاقة الهيث بأحيدوس.

- جغرافيا، يمتد مجال انتشار وتداول أحيدوس ليشمل جميع مناطق الأطلس المتوسط وما يقع غربها من هضاب زمّور بإقليم الخميسات. وتعتبر جبال "غات" و"إيفيل ن - مگون" (أيت مگون) بالأطلس الكبير الحدود الفاصلة بين منطقة أحواش (انظر المادة) ومنطقة أحيدوس، وعليه، فقبيلة "إنفضواك" (فطواكة) بأقصى شرق الأطلس الكبير عبارة عن الحدّ الجغرافي الفاصل بين مجالي الرقصتين.

- من الناحيتين الاجتماعية والثقافية، تتجذّر رقصة أحيدوس كغيرها من التعابير الفنية المحلية، في أعماق التقاليد الاجتماعية للأمازيغية بمناطق الأطلس المتوسط، حيث ترتبط بمختلف التظاهرات والمناسبات الموقعة للحياة هناك، سواء على المستوى الديني كالأعياد والمواسم أو الاجتماعي والوطني، كالأعراس والختان والمواسم الفلاحية (الحصاد..) وتمتد كذلك إلى الأفراح خاصة "عند فقدان فتى أو فتاة في زهرة العمر (قبل الزواج) إذ تشيّع الجنازة في محفل رهيب على إيقاع مرثيات غير مصحوبة بإيقاع معزوف على آلة.

- أصناف أحيدوس : بالنسبة لقبائل زمور (على الأقل) تتوزع رقصة أحيدوس إلى نوعين : أحيدوس أكْسْواث (= أحيدوس الأكبر) وأحيدوس أمزيان (بتفخيم الزاي) (= أحيدوس الأصغر). ويتجلى الاختلاف بين النوعين أساسا في عدد الراقصين وطبيعة كل من الإيقاع والحركات. فبالنسبة لأحيدوس أكسواث (الأكبر) فكما يدل على ذلك اسمه، تشمل الحلبة أكبر عدد ممكن من المشاركين في الرقص، يكون غالبيتهم من المتمرسين بهذا الفن، وينضم إليهم هواة يستغلونها فرصة لكسب المزيد من الخبرة. أما إيقاعه فيتسم بالبطء ويصنف ضمن الإيقاعات الخماسية المتضمّنة لثنائيات متفرقة. وينعكس بطء الإيقاع على طبيعة الحركات التي تنجز بنفس البطء إلا أنها غاية في التعقيد إذ لا يتقنها سوى كبار الراقصين وأغلبهم من الجيل القديم. ويكون هذا الحيدوس الأكبر من أبرز التظاهرات المميزة للمناسبات التي تجمع القبائل المتجاورة، كالمواسيم الاحتفالات الوطنية، أما أحيدوس أمزيان (الأصغر) فهو في الغالب رقصة الأعراس والمناسبات العائلية، حيث يقل عدد المشاركين فيه بالمقارنة مع أحيدوس الأكبر. ويختلف عن هذا الأخير في بساطة حركاته وإيقاعه المتوسط السرعة، ولا تحتاج المشاركة فيه إلى براعة متميزة، وقد يكون "المدرسة الأولى" للشباب قبل انضمامهم إلى أحيدوس الأكبر. وقد لا تخلو المناسبات العائلية بدورها من أحيدوس الأكبر إذا توفرت الشروط لذلك، كعدد الراقصين ومهارتهم، كما أن السهرة قد تبدأ بأحيدوس الأصغر وتتواصل بأحيدوس الأكبر لتنتهي أحيانا بالهيث. وفضلا عن هذين التقسمين المعتمدين بالدرجة الأولى على المظهر الخارجي للرقصة (عدد الراقصين، الإيقاع...) فمما لا شك فيه أن الدراسة المتخصصة ستبرز خصوصيات أدق ترجع إلى عوامل أخرى كاختلاف المناطق الجغرافية وما يترتب عنه من إضافات محلية تميّز رقصة عن أخرى في إطار التشابه الشمولي الواضح بين جميع رقصات أحيدوس، ويؤكد هذه الفرضية ما للعارفين من قدرة على نسب رقصة معينة إلى قبيلة محددة، ولذلك فالأنواع تصنف بمرجعيتها القبلية : أحيدوس ن أيت يدين، أحيدوس ن - أيت وَفْلاً (= رقصة زايان) وأحيدوس ن - آيت حديدّو (وهي من أجود الرقصات الأطلسية...). وحسب المصادر القليلة في هذا المجال، فليس هناك أي إشارة إلى وجود مصطلحات تقنية محليّة تميّز بدقة رقصة عن أخرى. وهناك تصنيف آخر يمكن إلى حدّ ما إدراجه في هذا الإطار، ويميّز بين الرقصة المرفوقة بقرع الأكفّ والأقدام المعروفة بـ تامْحاوْست وبين الرقصة الخالية من أي قرع من هذا النوع والمسماة بـ تامْسْراليت.

- أشكال حلقة أحيدوس : يختلف شكل حلقة أحيدوس باختلاف المناطق وعدد الراقصين المشاركين فيه : فهناك الحلقة الدائرية المغلقة والتي يطلق فيها الراقصون جنبا إلى جنب، إما ذكورا أو إناثا أو ذكرا وأنثى على التوالي. وفي بعض القبائل (أيت عطا مثلا)، ينتظم الراقصون على شكل صفين متقابلين، صفّ للرجال وآخر للنساء، وقد لا يراعي هذا التقسيم الجنسي أحيانا في الضعيف، حيث يكون كل صف مزيجا من الذكور والإناث. وفي مناطق أخرى يكون أحيدوس على نحو صف واحد يسيّره قائد الفرقة المنفصل عنه. أما في قبائل أيت حديدّو، فهناك أربعة صفوف تتداخل وتتوزّع وفق نظام محكم. وفي جميع الحالات، يكون قائد الرقصة إما بين الراقصين أو منعزلا عنهم (غالبا أمامهم أو وسط الدائرة) وقد يكون للمجموعة الكثيرة العدد مسيّران يتولى كل واحد منهما جانبا من الراقصين. ويكون القائد دائما رجلا، إذ في أحيدوس، لا يمسك البندير (طّارت) سوى الرجال.

- عناصر أحيدوس : تقوم رقصة أحيدوس على عناصر أساسية وهي الرقص والغناء والعزف على آلات الإيقاع والراقصون ثم قائدهم.

أ - الراقصون : يشارك في أحيدوس راقصون من كلا الجنسين ومن مختلف الأعمار، يرتدون الزي التقليدي المحلي ويصطفون في الحلقة جنبا إلى جنب بحيث تتلامس أطراف أكتافهم. ولا يشترط فيهم أي شرط خلا رغبتهم في الانضمام إلى المجموعة والانقياد إلى أعرافها وتتبع إشارات القائد. ذلك أنه رغم وجود رجال ونساء ممن علا كعبهم في هذا الفن، فذلك لا يشكل عائقا لإشراكهم المبتدئين من الفتيان والفتيات في الرقص، ولذلك ينتهي

المطاف بكافة أهل القبيلة إلى إتقانهم فن أحيدوس. وأثناء إنجاز الحركات الفنية الخاصة بكل مرحلة من مراحل الرقصة، تتحرك الحلقة ببطء من اليمين إلى اليسار وتؤديه جانبيا من اليمين إلى اليسار، حيث تتموج أجسام الراقصين عند محوري الكتفين والخاصرة على نحو متناسق جعل بعض الدارسين (شوطان 17/1939) يشبه هذا النوسان الطفيف بتموّج سنابل القمح التي تحركها الريح في الحقل أو حركة الأفعى التي يهيّجها عزف الناي أو حركة كثبان الرمل في الصحراء تحت وطأة هبوب الرياح... ويكون هذا التحرك الشبيه بالزحف تحت إمرة قائد الرقصة (رأيس بُوطّارت...) الذي يتنقل بدوره مع الدائرة أو الصّف، تصدر عنه إشارات يدوية أو بواسطة البندير الذي يضبط به إيقاع الرقصة. ولهذه الإشارات قيمة عرفية على مستوى التواصل بين الراقصين والقائد، وهي بمثابة شفرة لا يدرك مغزاها سوى الطرفين. ويلجأ إليها القائد للتحكم في التسلسل الدقيق للرقصة ولتغيير إيقاعها والانتقال من مقام إلى مقام أو من درجة سرعة إلى أخرى. وقد يستعمل إشارات معيّنة لتنبيه راقص أو راقصة إلى أخطاء لا يكاد يلمسها غير العارفين بهذا الفن.

موسيقية مرهفة تمكّنه من ضبط أي خلل في الإيقاع أو الغناء حيث لا يسمح بمواصلة الرقص إلا إذا تأكد من توافق مختلف العناصر المكونة لأحيدوس. وهو يكتفي بالحركات وبالنقر على آلة البندير، تاركا مهمة الغناء للمجموعة.

ج ـ الحركات : لابد من الإشارة إلى قصور الدراسة الوصفية المعتمدة على المعاينة المباشرة البحتة في غياب أدوات منهجية ومصطلحات تقنية مدققة تفي بالمطلوب بشأن حركات الرقصات الشعبية عموما ورقصة أحيدوس على وجه الخصوص. وفي انتظار ذلك يمكن إعطاء فكرة عن التسلسل الحركي في أحيدوس أمزيان (الأصغر) والذي يتم من أربع مراحل أو فواصل : (1) ففي المرحلة الأولى، يكون جسم الراقص (ة) مستسلما لتأثير نغمات الإيقاع الصادرة عن بندير الرئيس وتنعكس تلك الاستجابة على تناسق حركات الجزئين العلوي والسفلي منه. فالأعضاء العلوية (الذراع والساعد) تشكل زاوية مفتوحة يمثل المرفق نقطتها المركزية (على غرار حركات التضرع) ويكون الكفّان مبسوطين وممتدين إلى الأمام في أول زمن الإيقاع ثم مرتفعين في اتجاه الصدر عند الزمن الثاني منه.

رقصة أحيدوس (عن وثائق وزارة السياحة)

ب ـ رئيس الفرقة : يتولى رئاسة وتسيير الرقصة أبرع العناصر وأعرفهم بفن أحيدوس، إذ يكون ملمّا بتقنياته وأنواعه ومحيطا بخصائص الراقصين وكيفية تأديتهم للحركات وإنجازهم للإيقاعات المطلوبة. كما أن له أذنا

وتكون الحركة مسترسلة بانسجام من الكتف إلى الكف بموازاة مع حركة الجذع الخفيفة التابعة لنفس الاتجاه. وأحيانا يكتفي الراقصون وخاصة الرجال منهم بتشبيك أصابع اليدين على الصدر أثناء الرقص. أما على مستوى

الجزء السفلي للجسم، فتخلل الخاصرة والردفين انحناءة خفيفة لا تكاد تدرك لو لم تكن جماعية. وهذه الحركة تنسجم زمنيا مع حركة الكتفين. أما القدمان فتتبع اليسرى اليمنى أثناء التحرك الجانبي (الزحف) وهكذا ففي هذه المرحلة تكون وضعية الأجسام عمودية (2). في المرحلة الثانية وبعد إنجازه لنقرة على البندير كعلامة على نهاية المرحلة الأولى، يقف الرئيس أمام جانب من الحلقة ويؤدي بجسمه انحناءةً خاصة على مستوى خاصرته وركبتيه مقدما الساق اليمنى على اليسرى، ويستمر على هذه الوضعة مواصلا النقر على آلته. ويتلو ذلك مباشرة استجابة حلقة الراقصين مؤدّية بانسجام وتوافق نفس الحركة. وفي نفس الوقت، يكون الجزء الأسفل للأجسام ثابتا بينما يتحرك الجزء الأعلى بأعضائه في اتجاه واحد مع تسريع في حركة الكتفين توافقا مع حركة البندير التي ينجزها الرئيس. أما الرأس فتبقى دائما ثابتة لا تتحرك مع الجسم. ومن خصائص المرأة في أحيدوس أنها تكتفي بالحركات اليدوية ولا تؤدي حركات الانحناء على مستوى الخاصرة أو الردفين، حيث تبقى وضعيتها عمودية مع إبراز ملحوظ للصدر (3). في المرحلة الثالثة، تبقى حلقة الراقصين تابثة ووضعية الراقصين على ما كانت هي عليه في المرحلة الثانية مع فارق في الحركة التي تتمركز عند الجزء العلوي من الجسم والذي تتموج أعضاؤه كاملة من اليمين إلى اليسار، ويبرز ذلك بالخصوص من خلال حركات اليدين، إذ ينساب معهما الجدع بأكمله ثم الرأس هذه المرة. أما الرئيس فيؤدي هذه الحركات بالبندير قبل إنجاز نغمة انتهاء المرحلة الثالثة (4). أما المرحلة الرابعة فهي آخر فاصل في الرقصة الواحدة. فالانتقال إليها يتم بختم الحركات التّموجية لليدين المتمثل في وهم حركة دائرية يتلوها تقوس الجسم وإنزال اليدين إلى أسفل في حركة دائرية مماثلة، وتبقى الوضعية على هذا الحال مدة ثانية أو ثانيتين، بعدها يتوقف عزف الإيقاع. وبعد انحناءة طفيفة للجسم، يضرب الراقصون خمس مرات بأكفّهم، ويعيدون هذا الفاصل ثلاث مرات مع توقف بين فاصل وآخر. أما الرئيس فيرسم دائرة عالية ببندير ويوقف العزف لزمن قصير ثم يقلب البندير على قعره ويتقدم نحو الحلقة ثم يعزف عليه خمس نغمات بكفه اليمنى إيذانا باختتام الأحيدوس بمختلف مراحله. وهكذا فرقصة أحيدوس عبارة عن تركيب بين هذه المتواليات الحركية التي تستغرق كل واحدة منها حوالي عشرين أو ثلاثين ثانية، ويتم أحيانا الاجتهاد من لدن الرئيس في التأليف والتغيير بالنسبة لفاصل أو عدة فواصل. وقد يكون الاختلاف بين أشكال أحيدوس راجعا إلى التصرف في إنجاز هذه المتواليات التي تبدو ثابتة في جميع الأصناف. أما مدة أحيدوس الواحد فتتراوح ما بين عشرين دقيقة وخمس وأربعين دقيقة، وذلك مرهون بالمناسبة وبعدد المشاركين ورغبتهم في مواصلة الرقص.

وتنتهي رقصة أحيدوس برفع الرئيس لبندير وتدويره على بنصره عدة مرات، ويفهم الراقصون من خلال تلك العلامة أن الرقص قد انتهى. ومن مميزات أحيدوس، كونه ينجز بجدية وخشوع وهيبة يلتزم بها كل راغب في المشاركة فيه من النساء والرجال.

د ـ الغناء : أغلب المقاطع الغنائية في أحيدوس من صنف إيزلان (مفرد إيزلي، انظر مادة أمارگ). ففي بداية كل رقصة، يتولى إنشاء إيزلي شخص أو شخصان ممن لهم باع في قرض الشعر أو حفظه أو إتقان إنشاده. ويتألف إيزلي عادة من بيتين تختلف مضامينهما حسب المناسبات ولغتهما بليغة وحافلة بالرموز والصور والأخيلة المميزة للشعر. ويكون ترديد البيتين بعد الإنشاء الفردي أو الثنائي موزعا بين صفي الراقصين أو نصفي حلقتهما الدائرية، وذلك تعاقبا، فريق بعد آخر. ويتكرر ترديد نفس إيزلي طيلة مدة الرقصة، حيث يعمل بمثابة لازمة غنائية تؤطر أحيدوس من بدايته إلى نهايته. وعلى مستوى اللحن، فأغلب أغاني أحيدوس تلتزم نفس النغمة المتواترة المنجزة برتابة غير مملة، ويثبّت لحن الأغنية منذ بداية الرقصة بواسطة لازمة صوتية مجرّدة من الكلام والمعنى تذكّر بما يعرف في عروض تاشلحيت بـ "تادّالايت" أو تالالايت (الليللة، انظر مادة أمارگ) إذ في إيزلان تتكرر متوالية من المقاطع الصوتية على نفس النحو وهي : أوَا أوَاأوَا وتستهل بها الأبيات المغناة في أحيدوس. وينحصر دورها في كونها تعتمد كقالب إيقاعي للغناء.

هـ ـ الإيقاع : يعزف الإيقاع الخماسي المميز لأحيدوس بواسطة آلة البندير المعروفة بـ "طارْتْ" أو "أڭون" وهو عبارة عن إطار دائري من الخشب (على نحو الغربال) مغلق في قعره بجلد الماعز الجيد المدبوغ. قطره 75 سم وعمقه 15 سم، وهو بذلك يختلف عن بندير أحواش الذي يصغره حجما (40 سم x 8 سم). ويتوفر بندير أحيدوس على خيطين من المصران أو النيلون متوتّرين على طول القعر الداخلي، ويضفي ذلك على نغمته رنينا متميّزا يلون نغمته التي تختلف عن نغمة بندير أحواش من حيث النبر والرنة إذ الأولى مغلظة والثانية مرققة حادة.

H. Basset, (1920), *Essai sur la littérature berbère*, Alger, Jourdan ; F. Boukhris, (1978), *Ahidous, danse du Moyen Atlas (Maroc Central), Approche sémiologique*, Mémoire de Licence, Rabat, Faculté des Lettres ; A. Chottin, (1933), *Corpus de musique marocaine*, II, *Musique et danses berbères du pays Chleuh*, Paris, Hengel ; A. Chottin (1939), *Tableau de la musique marocaine*, Paris, Geuthner ; H. Jouad et Lortat-Jacob, Bernard (1978), *La saison des fêtes dans une vallée du Haut Atlas*, Paris, Seuil ; Lortat-Jacob, Bernard (1980), *Musique et fêtes au Haut Atlas*, Paris, Mouton, EHSS. Cahiers de l'homme ; M. Peyron, (1985), *Une forme dynamique de poésie orale : Les izlans et les timawayin du Moyen Atlas* (Maroc), Langues et litteratures n°5, p. 161-185, Rabat, Faculté des Lettres.

فاطمة بوخريص

اخربيگة ← خربيگة

أخْـريـرو، أحمد بن محمد أسبو، اشتهر بأخريرو،

فظل اللقب عالقا به طول حياته. نشأ في أسرة فقيرة بمدشر دار الغازي بقبيلة بني حزمار حوالي سنة 1898. أجمع الرواة على أن ماضي أسرته لم يكن معروفا : قضى قسطا من أيام حداثته راعيا يحرس القطعان بمسقط رأسه. ويظهر من قراءة التقارير العسكرية الإسبانية أنه لم يكد يبلغ السابعة عشرة من عمره حتى رحل قاصدا تطوان فانخرط في الجندية، إلاأنه سرعان ماهرب من طابور القوات النظامية والتحق برباط دار ابن قريش، مهد حركة الجهاد الأولى في بلاد جبالة.

المرحلة الأولى : في صفوف المقاومة الجبلية : تأثر أحمد الخزمري بسياسة رباط قبيلته، المعتمدة على الروح الجماعية ونكران الذات، وانفعلت بها نفسه، فحمل السلاح قصد الجهاد، مهاجما الجيوش الإسبانية المتمركزة في المواقع الاستراتيجية المجاورة لتطوان. وجدت حركته أرضية خصبة بين صفوف الجبليين، ذلك أنها كانت تزرع المقاومة في النفوس، وتوجه ضربات قاسية إلى الزعامات المحلية التي كانت تجنح إلى مهادنة العدو، وتتقاعس عن المشاركة في مجهود الجهاد.

المرحلة الثانية : انضمامه إلى الجبهة الريفية : تتحدث التقارير العسكرية الإسبانية عن الدور الذي اضطلع به القائد اخريرو في عرقلة الانسحاب الإسباني الذي بدأ في أوائل شتنبر 1924، وهي تبين أنه كبد القوات المنسحبة من وادي لَوْ وشفشاون خسائر فادحة، وفتك بها فتكا ذريعا، حتى أضحت كارثة انسحابها الرهيب شبيهة بكارثة اندحارها في معركة أنوال. ويجمل بنا ونحن نتحدث عن أعماله الجهادية أن نشير إلى استماتته في كدية الطاهر على جبل غرغيز المشرف على تطوان في أوائل شتنبر 1925.

المرحلة الثالثة : تقمصه إدارة الجهاد بعد المرحلة الخطابية : واصل أحمد اخريرو القتال، فدارت بينه وبين الجيوش الإسبانية معارك كثيرة. كان فيها أصدق ممثل لإدارة الجهاد . استشهد يوم 3 نوفمبر 1926 ودفن بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش في جبل العلم.

ع. التمسماني خلوق، *أسماء مغمورة لقادة الجهاد في المغرب : القائد أحمد اخريرو الخزمري (1898-1926)*، مجلة دار النيابة، العدد التاسع، 1986، ص. 46. 48.

C. Hernandez de Herrera y T. Garcia Figueras, *Acción de España en Marruecos*, Madrid, 1929 - 1930, tomo 1, pp. 537 - 539 ; *Un cabecilla de Yebala. Ahmed Ben Mohammed el Hosmari El Jeriro. Miscelanea de Estudios varios sobre Marruecos*, 1951 ; *Historia de las campañas de Marruecos*, Madrid, 1981, pp. 13 - 14.

عبد العزيز خلوق

أخْرِيف، أسرة تطوانية شريفة، كان منها الفقهاء والعدول والجنود، حيث نجد أحد أفرادها واسمه أحمد يعمل كبحار تابع لحامية تطوان سنة 1246 / 1830، وفي نفس السنة كان هناك شخص آخر اسمه محمد أخريف كمقدم لحي العيون، وأما المسمى امحمد بن محمد بن عبد السلام فقد كان فقيها يتولى الإمامة والخطابة بمسجد الجعيدي بحي العيون من سنة 1325 / 1907 إلى أن وافته المنية سنة 1355 / 1936.

ولازالت هذه الأسرة بتطوان، وهي غير الأسرة التي تحمل اسم "أخريِّف"، والتي تحمل اسم أخروف.

أخْرِيِّف، أسرة تطوانية اسمها تصغير لاسم أسرة أخرى تسمى أخْرِيف، ولم نجد في الوثائق ما يدلنا على أصلها، وكان منها فقيه اسمه أحمد بن عبدالخالق أخريِّف يتعاطى خطة العدالة سنة 1246 / 1830.

ولا زالت هذه الأسرة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الاخوان*، مخطوط ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3: 23 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 286، 8 : 211 ؛ م. إبن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 ; (J) Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 : (J). *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 (J) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

الأخصاص، ـ جغرافيا ـ قبيلة ذات أصل بربري توجد جنوب مدينة أگدير، وهي إحدى قبائل سوس الأقصى التابعة لعمالة إقليم تزنيت تحدها من الشمال قبيلتا أولاد جرار وأيت براييم، ومن الغرب قبائل أيت باعمران، ومن الجنوب قبيلتا أيت أحمد وأيت النص، ومن جهة الشرق قبيلتا أهل إفْرانْ وأيت ارخا.

تتكون هذه القبيلة إداريا من جماعتين محليتين هما : جماعة ثلاثاء الاخصاص وجماعة جمعة ـ ن ـ تغيرت اللتان تكونان بالإضافة إلى جماعة أيت ارخا دائرة الأخصاص.

تستوطن هذه القبيلة مجالا واسعا داخل وحدة الأطلس الصغير الغربي يكون ممرا طبيعيا يسمح بربط الأقاليم الشمالية من البلاد بالأقاليم الجنوبية الصحراوية. لكن الموارد الطبيعية التي يقدمها تبقى متواضعة، الأمر الذي يفسر ضعف الكثافة البشرية داخل القبيلة وضعف نسبة التزايد السكاني.

تشكل بلاد الأخصاص هضبة يتراوح ارتفاعها بين 800 و1000 م، تتميز بكونها ضيقة ومتقطعة، تنحصر بين كتلتي إفني وكردوس القديمتين مما يعطيها امتدادا طوليا يجعلها تشرف على سهل تزنيت شمالا ومنخفض بوازكارن جنوبا، الوضع الطولي لهذا الشريط الهضبي، تحدده مجموعة من الانكسارات المتوازية، في اتجاه موحد ش. ج. وتكون هضبة الأخصاص مقعرا ممتدا، بنيته أفقية حادة، مكون من طبقات كربوناتية تنتمي لبداية الزمن الأول ويفصل بين محدبين مقببين يمثلان كتلتين قبل كمبريتين هما كتلتا كردوس وإفني. وقد ساعد الوضع الصخاري والبنيوي المنكسر على امتداد الأشكال الكارستية السطحية منها والباطنية.

وعلى الرغم من الارتفاع والقرب من البحر فان وضع

بلاد الأخصاص المحمي يجعلها تتلقى كميات مائية متواضعة تتركز في عدد قليل من الأيام (في محطة جمعة ـ ن ـ تغيرت، متوسط الأمطار 215 مم في السنة ومتوسط عدد الأيام المطيرة لا يتجاوز 24 يوما في السنة). ومما يزيد من حدة الجفاف بمنطقة الأخصاص كونها تتركب من ركيزة صخرية يغلب فيها الكلس والدلومي وهما صخران منفذان ورغم هذا الوضع فإن بلاد الأخصاص تتوفر على غلاف ترابي قديم موروث يسمح بوجود غطاء نباتي كثيف نسبيا يتركب أساسا من الأرگان والزقوم يكون مرعى جيدا يتركز حوله نشاط السكان.

تعرف ساكنة قبيلة الأخصاص التي بلغ قدرها حسب إحصاء سنة 1982، حوالي 43423 نسمة + معدل نمو يعتبر من أضعف المعدلات المسجلة داخل المغرب لم يتعد أكثر من 1,78 ٪ أي بزيادة مطلقة قدرها 700 نسمة في السنة.

إن هذا النمو البطيء لا يعود إلى ضعف التزايد الطبيعي بالمنطقة، وإنما يعود إلى أهمية ظاهرة الهجرة التي نجدها تميز كل المناطق المجاورة بسبب قلة وتواضع الموارد الاقتصادية المحلية. ظاهرة الهجرة هذه تشكل تيارات مهمة تميز داخلها : مجموعة تتجه نحو المدن الشمالية المغربية ومجموعة تتوجه إلى دول اوربا الغربية وتلعب دورا أساسيا في تنشيط الحياة الاقتصادية داخل المنطقة.

تتميز بلاد الأخصاص بغياب المراكز الحضرية، لذلك تبقى كل الأنشطة التي يزاولها السكان الأخصاصيون مركزة أساسا في النشاط الفلاحي الذي يكاد يتخصص في رعي الماعز، وفي زراعة الشعير حينما تسمح الأمطار بذلك. أما الزراعة المسقية فإنها تظهر كلما توفرت المياه النادرة بالمنطقة.

إضافة إلى هذا تعرف بلاد الأخصاص نشاطا تجاريا محليا يتمثل في مجموعة من الأسواق الأسبوعية، أهمها سوق ثلاثاء الأخصاص الذي يعرف ـ بسبب موقعه على الطريق الرئيسية رقم 30 التي تربط بين تزنيت وبوازكارن ـ رواجا تجاريا مهما، الأمر الذي يؤهله للقيام بربط كل أجزاء تراب القبيلة. وينتظر أن يلعب هذا السوق في المستقبل دورا اقتصاديا أهم نظرا لكونه يشكل إحدى نقط العبور إلى الصحراء المغربية.

لقد أصبحت المنطقة تعرف حاليا بسبب هذه الأنشطة المختلفة ضغطا قويا على الوسط الطبيعي الذي بدأ يعرف عدة تغيرات يمكن ملاحظتها على مستوى الغطاء النباتي الذي أصبح يعرف تراجعا وتفككا مهما.

بحث ميداني

الحسن المحداد

الأخصاص. ـ تاريخ ـ لا يعرف للأخصاص ذكر في المصادر والوثائق المدونة (التي أمكن الوقوف عليها) سواء منها العامة أو الخاصة بسوس، فيما عدا ابن خلدون الذي أشار إلى مجموعة معقلية عرفها باسم "لخص" الذي قد يكون له علاقة باسم الأخصاص ؛ اعتبارا لوحدة الوطن الجغرافي ولما يعتري أسماء المجموعات البشرية أو المواطن الجغرافية من تحول. لم يكن انتظام وحدات الأخصاص يعرف الاستقرار طيلة القرن التاسع عشر، لما كان لدى أعيان كل ربع من حرص على الاستقلال بمجال نفوذهم. كان من نتيجة التعديلات الإدارية التي عمت سائر قبائل سوس انقسام الأخصاص إلى نصفين، تولى منصب القيادة في كل منها القائد على بن مسعود الأخصاصي والقائد إبراهيم بُوڤُوسْ الأخصاصي (بوهيا). كان من جملة العائلات الأخصاصية التي تضاءل نفوذها عائلة إدْغْبْلاً أُولْحَاجْ، لاسيما على عهد الشيخ عمر بن عبد الله الذي غدا بعد اغتيال أخيه سعيد أحد صنائع القائد بوهيا. اعتمد المدني، أحد أفراد العائلة المذكورة، على القائد سعيد الگلولي، الذي كان خليفة للسلطان بسوس على عهد مولاي عبد العزيز، لكسر شوكة القائد بوهيا، مستغلا في ذلك ماكان يكنه الگلولي من كره للقائد بوهيا. تراجع نفوذ بوهيا على إثر تولي المدني منصب القيادة بفخذه إد بوفولن بعد تولية محمد أنفلوس الحاحي خلفا للگلولي، نهج سياسة إبعاد أنصار الگلولي من بين ذوي النفوذ بسوس. تسامت عندئذ مكانة القائد بوهيا، بينما تراجع المدني الى مقر سكناه ب" فَاصْكْ" مترقبا خصومه بعد جلاء جيش أنفلوس عندما ثارت أغلبية قبائل سوس على قوادها، وكان من جملة هؤلاء بوهيا. عندئذ خلا الجو بالأخصاص للقائد المدني الذي كان قد غدا أحد كبار دعاة أحمد الهيبة.

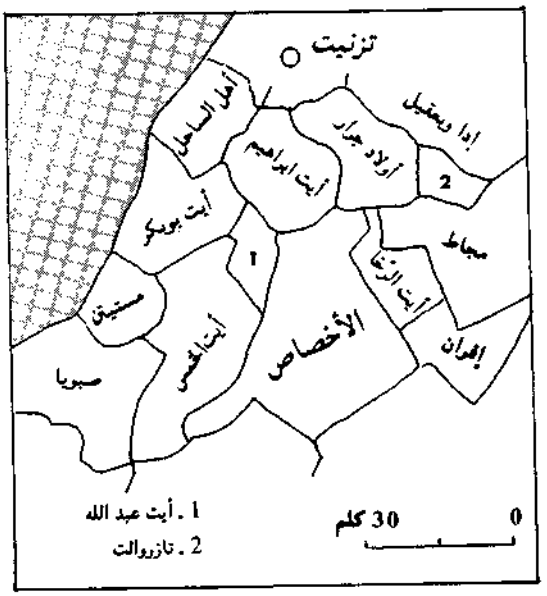

الأخصاص

مكنت موالاة القائد المدني لأحمد الهيبة، من توسيع نفوذه إلى أن تجاوز الأخصاص إلى القبائل المجاورة، مثل أَيْتْ رخَا وأَيْتْ عبْلاَ. شارك المدني في حملة الهيبة على رأس مناب الاخصاص من "حراك". لقد كانت الأخصاص

على عهد القائد المدني من جملة قبائل سوس التي ظلت وفية للهيبة ولأخيه مربيه ربه من بعده.

توفي القائد المدني فخلفه في منصب القيادة أخوه الحنفي، غير أنه لم يكن يولي مربيه ربه الاعتبار الذي كان يكنه له القائد المدني ؛ وذلك لكون الحنفي كان يفاوض الحاكم الفرنسي الذي كان مقيما بتزنيت. لم يستسلم الأخصاصيون سنة 1934 إلابعد أن سخر الغزاة وسائل متعددة من جملتها القصف الجوي.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 122 ؛ م.المختار السوسي، *العسول*،20؛

ع.المحمدي، *المجتمع الباعمراني*، ر.د.د.ع كلية الآداب ، الرباط.

P. De Cenival et F. de La Chapelle, *Possessions Espagnoles sur la côte d'Afrique*, Hesp., N° 20 - 21, 1935, P. 68; T.Garcia Figueras, *Santa Cruz de Mar pequena - Ifni* - Sagara, 1941 ; R. Pelissier, *Les Territoires Espagnols d'Afrique*, 1963.

علي المحدي

الأخصاص، ـ انتروبولوجيا ـ بلاد تقع على المرتفعات الغربية للأطلس الصغير بعد حوالي 25 كلم من المحيط الأطلسي الجبلية وتتجلى الطبيعة الجبلية في وحدة البلاد المجالية كما تدل على ذلك دراسة أسماء الأماكن المحلية. رغم أن بعض القرى الأخصاصية تمتد إلى بسيط تزنيت (أزغارنتزنيت) شمالا وسهل واد نون جنوبا، فإن الطابع المميز هو ارتفاع المنطقة بحوالي 1000 م عن مستوى سطح البحر. ومن هنا فإن بلاد الأخصاص عبارة عن هضبة تخترقها قمم الأطلس الصغير التي تصل أحيانا إلى 1500 م (V. Monteil (1948) 32).

تنضاف هذه العوامل مجتمعة إلى انتشار القرى والمداشر عبر حقول الهضبة لتوحي بطابع الاستقرار الموغل في القدم. فأساس التلاؤم الظرفي الاجتماعي والاقتصادي هو وحدة المجال التي يعيشها المجتمع الأخصاصي كضرورة تاريخية لاتقتصر على مجال دون آخر.

إن هذا التصنيف الذي ينطلق من الواقع الجيومورفلوجي ينطبق على المعنى الدلالي الأمازيغي لكلمة لخْصاص كما يشير إلى ذلك الأب دوفوكو (1951 : III : 1115). ذلك أن المعنى الخاص والوظيفي الذي استعملت من أجله الكلمة لدى قدماء اللمطيين يفيد الاختباء أو التعود عليه. فاحتماء الأخصاص بمضيق إيكني وإمغرن جنوبا ومضيقي تلات نتيداف وتاسْدْرمْتْ شمالا يلقي الضوء على علاقة هذه الفصائل اللمطية بالقياس الجغرافي للموقع. فالاهمية الاستراتيجية للنتوءات الجبلية تربط التعريفة الإثنية بضرورة مراقبة المجال والاحتماء. ذلك مايمكن ان نستشفه بجلاء من ابن خلدون الذي يثبت هذه الحقيقة خلال القرن الرابع عشر الميلادي على الأقل (II : 117 ـ 280). على أننا نعلم أن موقع قبيلة لمطة هذه المحاربة يعود في هذه المنطقة إلى ما قبل المرابطين بقرون عديدة (البكري (1965) 242 ـ 306).

من هنا فإنه يصعب اتهام المد المعقلي منذ القرن الثالث عشر الميلادي في الدفع بالأخصاص إلى موقعهم هذا، كما أنه يصعب إحالة هذه الظاهرة على القمع الموحدي في القرن الثاني عشر الميلادي. ولربما كان لاستقرار المعقليين أولاد جرار دوره في تحديد الملابسات المحلية من حصار ومضايقات شكلت السبب الرئيسي في طمس المعالم التاريخية لهذه الفصائل اللمطية. ذلك أنها رغم تجسيدها للغور اللمطي الحاضر محليا منذ أبعد الحقب، تبدو أبعد ما تكون عن أضواء الجغرافيين العرب والرحالين الأوروبيين وغيرهم. فهذا البعد هو الذي يحصر الإشارات القليلة لفصائل لخصاص في إطار الاحداث التي واكبت تطور المناطق المجاورة وخاصة منها تازروالت مركز الاشعاع الديني والسياسي والتجاري. من هنا ففصائل لخصاص تكتفي باكتساب ذات جماعية تقسمها إلى أربعة أرباع. وكعملية أساسية يعتبر كل ربع خصائصه المصنفة من أهم أساليب التخاطب مع الأرباع الثلاثة المتبقية. هكذا تعتبر التفاضلية والتخالفية هي القاسم الاجتماعي المشترك بين أيت بوياسين ـ أيت بويفولن ـ أيت إعلاتن ـ ايد لعربا. على أن القاسم المهني المشترك التاريخي يظل بحكم الموقع هو ممارسة التجارة عبر مسالك المنطقة. أما الفلاحة فهي امر لاتسمح به الطبيعة الجبلية خلافا لتربية الماشية.

ندرك إذن أن دور بلاد الأخصاص كممر بين الشمال والجنوب يدعو فصائلها إلى التخصص في مراقبة المجال وممارسة التجارة. لكي نتأكد بصورة أوضح من أهمية المجال كعامل أساسي في التعريف بالأخصاص، فيكفي أن نتأمل في ظهورها على واجهة الاحداث سنوات مقاومة المد الفرنسي منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى حدود 1934. لقد انجلت يومها أهمية مراقبة الموقع كعامل استراتيجي قد يكون السبب في عدم تقدم الجيش الفرنسي.

A. Le Chatelier, *Tribus du Sud Ouest marocain*, Paris, E. Leroux, 1891. R. Montagne, *Les Berbéres et le Makhzen* ; V. Monteil, *Notes sur Ifni* ; *Notes sur les Tekna* ; E. Justinard, *Tribus berbéres*, Tome I. *Ait Ba Amran*, Paris, Larose, 1948, F. Bremard, *L'organisation Régionale du Maroc*, Paris, Pichon et Dumond-Auzias, 1949 ; Jacques Meunié, *Greniers-Citadelles du Maroc* ; Ch De Foucauld, *le dictionnaire Touareg-français*, I II, Articles : *élèves*, *Lakkes*, A. Hure, *La pacification au Maroc, derniére étape 1931 - 1934*, Paris, Berger-Levrault, 1952 ; L. Arnaud, *Au temps des Mehallas* ; A. Boukous, *L'émigration des soussi*, Bulletin Economique Et Social du Maroc, n° 135, 1977, pp 71-90 ; A. Al Bakri, *Decription de l'Afrique Septentrionale* ; A. Laroui, *Les Origines Sociales et Culturelles du Nationalisme Marocain* (1830 - 1912) Ibn Khaldoun, *L'histoire des berbères*, trad de Slane.

محمد أحيان

الأخصاصي، محمد، فلكي موقت انتقل من المغرب إلى مصر في تاريخ غير محدد، وأدرك بها شهرة ومكانة فأصبح موقت الجامع الأزهر، ألف كتاب *الدرة المضية في الأعمال الشمسية*. لم نقف على تاريخ وفاته.

م. العلمي، *إنهاض الهمم العلية*، (مخطوط).

محمد حجي

الأخصاصي، المدني ينتمي لأسرة إدْغَبْلاً أولحَاجْ التي توفرت لها مقومات الرياسة في قبيلة الأخصاص. حافظ أبوه على ما كانت تتمتع به أسرة إدْغَبْلاً من

وجاهة بقبيلة الأخصاص في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مستندا في ذلك على استمالة ذوي النفوذ الروحي من أمثال سيدي المدني الناصري، وإلى تقوية صلاته بالعناصر البارزة ضمن لفّ تكزولت التي كان قطب رحاها الحسين أهاشم، شيخ زاوية تازوالت، باعتباره أحد الممثلين البارزين للسلطة المركزية بسوس، وأحد كبار المالكين لوسائل الانتاج بالأطلس الصغير الغربي.

بعد وفاة والد المدني الأخصاصي تقهقر نفوذ أسرته من جراء الأهمية التي كانت السلطة المركزية قد أولتها للمناطق الهامشية وفق ما كانت تستدعيه الظرفية التي كان المغرب يمر بها. فالقواد المولون من قبل السلطان مولاي الحسن كان نفوذهم يتنامى على حساب تراجع نفوذ منافسيهم من بين أعيان قياداتهم.

وقد جسد التراجع في نفوذ أسرة المدني عمه الشيخ عمر، فقد غدا أحد صنائع بوهيا المستبد بأمر قبيلة الأخصاص منذ توليه قيادتها خلفا لصهره علي بن مسعود الأخصاصي.

منذ 1314 / 1897 بدأ المدني يتطلع لاسترداد مكانة أبيه في قبيلة الاخصاص عبر مساندة للقائد سعيد الگلولي (عامل سوس يومئذ). ذلك أن الگلولي كان يعاني من مضايقة القائد دحمان بيروك التكني، الذي كان مطلق السلطة بقبيلة تكنة، مستفيدا مما كان يتمتع به من خطوة لدى السلطة المركزية التي كانت لها حساسية خاصة حيال منطقة واد نول.

وللإفلات من ابتزاز القائد الگلولي، مالت طائفة من قواد قبائل الأطلس الصغير الغربي إلى موالاة دحمان بيروك، ومن جملتهم قائد قبيلة الأخصاص. ففي هذا السياق غدا المدني بالنسبة للگلولي أداة ضرورية لمضايقة القائد بوهيا والتقليل من نفوذه. لتحقيق هذه الغاية اتخذ الگلولي من المدني قائدا مخزنيا على قسم من الأخصاص في انتظار توسيع مجال نفوذه على حساب قيادة بوهيا. وقد بدا هذا المسعى جليا سنة 1317 / 1899 . 1900 من خلال إضافة قسم آخر من قيادة بوهيا إلى مجال نفوذه القائد المدني، كما أضاف إليه قبيلة أيت رخا المجاورة.

رجحت كفة غريم المدني على عهد محمد أنفلوس الحاحي الذي خلف الگلولي منذ 1318 / 1900 . 1901. نهج انفلوس سياسة تقريب أعداء الگلولي فاسترد القائد بوهيا ما كان له من نفوذ بالأخصاص قبل ظهور القائد المدني.

أفل نجم المدني بين 1318 . 1321 . 1900 . 1904، ليتألق من جديد في أفق أرحب من مجال قبيلة بدءا من 1323 . 1905 . 1906. فبعد رحيل أنفلوس 1321 / 1903 . 1904، عم الشعور بضعف سلطة ممثلي المخزن، فثارت أغلبية قبائل سوس على قوادها. كان من جملة هؤلاء القواد، بوهيا الذي حاصره الأخصاصيون بفخدة (أيت بوياسين) مدة سنتين إلى أن التجأ إلى قيادة حليفه عبد السلام الجراري.

منذئذ غدا المدني واحدا من الأعيان ضمن تَكْزُولْتْ، يتقاسم معهم السلطة وعائداتها. غير أن حنكته تجلت بصفة خاصة في استفادته من الدعوة لأحمد الهيبة منذ بداية حركته. فما كاد أمر سوس يتمهد لأحمد الهيبة حتى أعاد تجديد تعيين المدني قائدا على سائر فخذات الأخصاص.

شارك المدني في حملة الهيبة على رأس وفد قبيلته، ولم يغادر مراكش إلا صبيحة هزيمة أنصار الهيبة في سيدي بوعثمان قرب مراكش.

تحت تأثير المطاردة المستمرة لأنصار جيوش الاحتلال من أمثال حيدة مَّايْسْ، واصل أحمد الهيبة ومن ظل ملتفا حوله من الأتباع تراجعهم إلى أن استقروا بمكان جبلي يدعى كردوس. عندئذ تولت زعامات سوسية تنظيم مقاومة جيوش الاحتلال. وقد كان للقائد المدني دور بارز ضمن الزعامات المذكورة في تنظيم المقاومة. لقد كان يستعين بأحد كبار مرافقي حيدة (القائد العربي الضرضوري) في متابعة تحركات جيوش الاحتلال. وتستشف أهميته ضمن الزعامات المذكورة من خلال رآسته لوفد من أعيان سوس، أسندت إليه مهمة التفاوض مع التهامي الأگلاوي عند مقدمه إلى سوس صحبة كبار قواد الحوز وحاحة ضمن حملة الجنرال دولاموط عام 1917.

واصل المدني مؤازرته لمربيه ربه الذي خلف أحمد الهيبة. ففي عهده وسع قيادته على حساب قبيلتي أيت إعزا وأيت عبد الله وبين 1341 . 1342 / 1922 . 1923، مد المدني نفوذه إلى كل من أزغار (مجال نفوذ القائد عياد الجراري) وقبيلة أيت إبراهيم.

استمر المدني في تشبثه بمعاداة الإدارة الاستعمارية، التي كانت تتابع عن كثب تحركاته انطلاقا من تزنيت، إلى أن وافته المنية في 7 رمضان 1352 / 13 يناير 1934.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 4 : 20 ؛ *روايات شفوية مأخوذة عن الحسين بن المدني الأخصاصي*.

علي المحمدي

الأخصاصي، الناجم بن مبارك بن مسعود، ينتمي أبواه إلى عائلتين كان قد مر على تحريرهما من العبودية قرابة أربعة أجيال، عندما ولد الناجم ظلت عائلة أبيه تدين بالولاء لعائلة إدْجُلُولْ التي كانت لها الصدارة بأيت بوياسين (فخذ بقبيلة الأخصاص)، بينما باتت عائلة أمه تابعة لعائلة إدْ الرَّايْسْ التي كانت معدودة من بين العائلات صاحبة النفوذ بالأخصاص.

نشأ بقبيلة الأخصاص، حيث كان منذ صغره في خدمة سادة جدته بعد وفاة والديه انتقل إلى دار دَحْمَانْ بَيْرُوكْ بتكنة، حيث أمضى عدة سنوات في خدمة زوجة دحمان. ثم عمل بعد ذلك بدار القائد بوهيا الأخصاصي "مسخرا" نحو سنة.

انتقل إلى مراكش مع القائد محمد بن الطاهر الشرادي (قائد أولاد دليم بالحوز)، الذي التحق بخدمته أثناء قيامه بمهمة مخزنية في أيت باعمران. وقد غدا بحكم ملازمته لسيده عارفا بالكثير من أسرار مهنته. وبعد موت القائد بن الطاهر عاد الناجم إلى سوس حيث اشتغل بالتجارة، التي مكنته من التعرف على الوسط الصحراوي وإقامة علاقة صداقة مع أسر سيغدو لها شأن بعد ذلك.

إثر وفاة السلطان مولاي الحسن قامت قبائل الحوز ضد قوادها، فانتقل الناجم عندئذ إلى قبيلة أولاد دليم للدفاع عن أسرة القائد محمد بن الطاهر. أظهر كفاءته الحربية من خلال مشاركته في إخماد انتفاضة الرحامنة ؛ فلفت انتباه قواد الجيش السلطاني بمراكش مثل الباشا عباس بن داود والباشا ويدة، فتهيأ له بذلك أن يكون "رديفا" ثم قائدا لطابور في الجيش السلطاني.

على إثر تعيين باشا مكناس حمو بن الجيلالي باشا لمدينة تارودانت، وجه الناجم من جديد إلى سهل سوس حيث تولى مدافعة هشتوكة وهوارة عن تارودانت. ثم استقدم إلى مراكش حيث عزله الوزير أحمد بن موسى عن منصبه كقائد للجند. غدا بعد ذلك من أعوان العلاف سعيد بن موسى، الذي كان يعتمد عليه كثيرا في تنفيذ ما يعرض له من المهمات. بعد وفاة العلاف لازم الناجم إدريس بن موسى الذي خلفه في منصبه.

فقد دعامته بدار المخزن على إثر وفاة أحمد بن موسى، فأخذ يتقرب من المنابهي الذي كان قد تولى وزارة الحربية، فأنعم عليه بالرجوع إلى الجندية بعد أن طلبها منه. فابلى البلاء المطلوب في محاربة الثائر الجيلاني الزرهوني (بوحمارة). حاربه في أماكن متعددة، بدءاً من فاس وانتهاء بوجدة. استمر في ملاحقته إلى أن اضمحل أمر هذا الثائر وقبض عليه.

تقلب الناجم في كل من الجزائر ومليلية أثناء فترة الصراع بين السلطانين عبد العزيز وعبد الحفيظ. تولى قيادة الجند من جديد فواصل مواجهة الجيش الفرنسي بجبالة بتعاون مع أحمد الريسوني. أسند إليه مولاي عبد الحفيظ، ضمن بقية قواد الأرحاء، محاربة القبائل التي لم تكن قد دانت إليه بالطاعة مثل أيت بوسي وبني مطير.

لما ارتأى مولاي عبد الحفيظ تقليص مجال النفوذ للأگلاويين، أسند الناجم إلى حليفه إدريس منو تولي قيادة قبائل الجيش الحوزية. عين ولي نعمته بدوره باشا لمراكش وما يليها خلفا للتهامي الأگلاوي ؛ فدخل الناجم في صراع مع الأگلاويين ومن لف لفهم، على إثر توليه مهمة توطيد نفوذ الباشا إدريس منو القبائل التي كانت في عداد ولايته.

التحق الناجم بحركة الهيبة وهو في طريقه إلى مراكش، حيث غدا من جملة من يشير عليه بالرأي وبعد أن تفرق شمل أتباع الهيبة، دافع القائد الناجم عن أهل سوس الفارين من مراكش إلى أن وصلوا إلى تارودانت مقر أحمد الهيبة. عين أحمد الهيبة الناجم رئيسا للحروب، فتفرغ لمحاربة القائد حيدة الذي كان قد انضم إلى صنف دعاة الاستعمار. وبعد خروج الهيبة من تارودانت ولى الناجم قائدا على هشتوكة، فتمكن منهم وأحسنوا الطاعة للهيبة. ومن هشتوكة تولى محاربة حيدة إلى أن تراجع لتارودانت، كما حارب نظيره ابن دحان الذي كان مقره بتزنيت.

بعد وفاة الهيبة استمر الناجم في الولاء لمربيه ربه الذي خلف الهيبة، إلى أن تم لكل من فرنسا وإسبانيا احتلال سوس سنة 1934.

م. المختار السوسي، *العسول*، 20.

علي المحمدي

إخْصْ، جمعه إخْصَانْ أو إغْصَان أو إخْسَان حسب اختلاف النطق باختلاف المناطق. يُقابل عادة في العربية بترجمته إلى كلمة "العظم" أو إلى الفرنسية بكلمة "Clan". وهو كمفهوم في تاريخ المؤسسة العائلية بالمغرب مفهوم متجذر كاسم من أسماء الوحدات الصغرى لما تحت القبيلة، يرى روبير مونطاني أن إخْص هو الجماعة العائلية (R. Montagne, *Révol*, 45) وبمجرد أن يعرف عنصر من عناصر تلك الجماعة ثراءً أو سعة نلاحظ استقطابة لكل المستخدمين "Employeurs" الذين يعرفونه جيدا، منهم أولاد الأعمام وأولاد الاخوال الذين يأتون للمشاركة في غناه والاستفادة من حمايته. ثم إن نظام إخْص في المجتمع القبلي المغربي مرتبط بتشكيلة اقتصادية واجتماعية، وكذا تطوراتها، ولاسيما منذ تكاثف الاحتكاك مع الاقتصاد الرأسمالية، أي منذ منتصف القرن التاسع عشر، لكن إخصان أو العائلات البطريكية التي تتشكل منها الفخذات "Fractions" وبالتالي القبائل ظلت إلى منتصف القرن العشرين بمنأى عن أي تأثيرات قوية.

إن إخص بسوس جماعة عائلية أبوية (بطريكية) أو أنسابية "agnatique" فهو الوحدة الأقل صغرا والأكثرحيوية تساهم في تكوين الجماعات الاجتماعية الممتدة في بلاد البربر وتتكون تلقائيا بفعل التطور الطبيعي للعائلة التي تسكن منزلا منعزلا. فالرجل الشلحي لايتزوج في الغالب إلا امرأة واحدة وهو يعيش مع أولاده حياة لا انقسامية، وقد يستقر مع أبناء العم في مأوى واحد. وقد يفد عليهم غرباء يشتغلون لديهم ثم يندمجون فيهم يتزوج بناتهم، وبعد ثلاثة أجيال أو أربعة تتشكل من جميعهم مجموعة متعددة الأفراد قوية يديرها في غالب الأحيان شيخ كبير يكون هو الرئيس الطبيعي لذلك الموضع. وكل جيل يعيش بمنأى عن الذي سبقه، والوجبات لاتتناول جماعية، وللرجال مجتمعهم كما للنساء مجتمعهن، ولكل تقاليد واعتقادات ومعجم لغوي. ويضم إخص في الغالب بين 10 و15 كانونا (تاكات بسوس وتكا بحاحا) والجد الذي ينسب إليه إخْص قلما يبعد بأكثر من أربعة أجيال. ويضم كل منزل ثلاثة

كوانين أو أربعة، ويستطيع المنحدرون من نفس الجد، بواسطة تحالفات زواجية جديدة أن يشكلوا وحدة اجتماعية صغيرة لا يقبل فيها الغريب إلا بعد مضي مدة طويلة، وليس رئيسها هو الأكبر سنا في جميع الحالات، بل الأكثر غنى وتأثيرا هو الذي يتكلم باسم" إخوانه" داخل مجلس الجماعات كلما أصبحت مصالح إخْص مهددة. ويسكن القرية الصغيرة " تادْشَرْت" عظمان أو ثلاثة عظام، وقد يكون أحد تلك العظام مهيمنا فيمثل المصالح المشتركة للقبيلة .

لم تهتم الدراسات الاستعمارية من إخْص إلاّ بالتأثير الإديولوجي والسياسي، فاهتمت بعائلات إمغارن "الشيوخ الحكام" أو عائلة المرابطين أو عائلة الشرفاء لأن الأحلاف الجهوية في الحقيقة لم تكن سوى تحالفات بين إخْصان" ذات النفوذ المادي أو الروحي المؤكد، ومن هنا وفرة أدب المناقب والأنساب في فترة ما قبل الاستعمار.

إن إخْص مرحلة من مراحل التطور في تنظيم العائلة في المجتمع ذي البنية الزراعية الرعوية القليل السكان وحيث أمد الأمل ضئيل، وحيث هيمنة الطبيعة على مجهود الإنسان، الأمر الذي يتطلب نظاما مكثفا للتغلب عليها. وإخص، فضلا عن هذا، ثقافة ذات معايير وقيم. ثم إنه والعائلة الواسعة التي تشكل حلقة من حلقاته ينتميان إلى ما سمي بالتجمعات العائلية، Communautés familiales التي كانت الضامنة الأساسية للاستمرارية المجتمعات الجماعوية Sociétés collectivistes ou communautaires وهو النمط الذي عرفته جل المجتمعات قبل الثورة الصناعية، غير أن الاحتكاك بنموذج الاقتصاد الرأسمالي جعل إخص يتفكك ضمن تفكك مجموع البنية الاجتماعية، ولربما لم يبق من تشكيل إخص في الخمسينات من هذا القرن إلا بعض السمات الاستمرارية حيث إن بنية إخصْ مرت إلى بنية العائلة الممتدة، أي النموذج الذي يتوسط بين النموذج المثالي وهو"إخص الثراتي" وبين الأسرة النواتية . ولاشك أن الذي ساعد على هذا التفكك هو ديناميات داخلية "كالمخزنة" وخارجية كمثاقفة كولونيالية.

ومما يوضح بنية إخْص أو "العظم" أن الجماعة تتكون من عدة إخصان أي من عدة عائلات بينها قرابة الدم وتضم المنحدرين من الذكور وزوجاتهم والجماعتْ تتطابق مع الجماعة أو الفخذة في نظر دوتي (Doutté, *Haha*, 9) ولكن هذه المترادفات تهدر الخصوصيات التاريخية والاجتماعية والثقافية لإخْص، إذ يمكن تجسيد النظام القبلي كما يلي : ـ القبيلة من الكل إلى الجزء : فخدات ـ إخصان (عظام) ـ عائلات ممتدة ـ أسر زواجية. ومن الجزء إلى الكل في اتجاه معاكس.

إن الالتباس عند دوتي آت من الإحالة على مرجعين أو سجلين ثقافيين، أمازيغي وعربي، الأمر الذي أدى به الى تصورات متذبذبة. أما أحمد الخليمي فيرى أن الفخذة (Fraction) إطار للدفاع، والقبيلة إطار سياسي، في حين أن العظم يظل إطارا اقتصاديا، والمرجع إلى الدم في هذه المستويات إنما هو أسطوري، إن مؤسسة العائلة الممتدة، كانت نسقا أنسابيا (Agnatique) واجتماعيا وسياسيا في أوربا ما قبل الثورة الصناعية ـ كما أسلفنا ـ ومحكوم عليها بالتحول والموت، كما لاحظنا مع انتشار النموذج الرأسمالي، نفس المصيرمع انتشار الظاهرة الكولونيالية في بلاد ما وراء البحار. إن ذلك الموت بدأ بكل بطء مع المخزنة كذلك، وكان التنظيم (الإخصي) يشكل خصوصية قبلية تتنافى مع كل مركزية للدولة وتحديث رأسمالي يساعد على تمثل النزعة الفردالي. كذلك لا تلبي صفة العائلة الممتد (إخْص) في المجتمعات الصناعية الحديثة أي رغبة لأي مجموعة خاصة. غير أن لهذه الصفة وظيفة وذلك كما أكده تالكوت بارسونز (Talcot Parsons) : "فبنيان المجتمعات الصناعية [بما في ذلك] حركية الأفراد، صفة المشاريع والمؤسسات البروقراطية، غير منسجم مع استمرارية العائلة الكبيرة" (مناهج علم الاجتماع ص 142 Cité par R. Boudon) وخصوصيات المجتمعات المثاقفة والتي أصبحت مسقطبة وتابعة لفضاءات حضارة كونية رأسمالية ومنفتحة.

أ الخليمي، *المجموعات القروية التقليدية وتغيرها*، تر. : زبيدة بورحيل، *المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع*، ع.2، 1975.ص119-149.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen ; Révolution au Maroc ; Le développement du pouvoir des caïds de Tagontaft*, in *Mémorial Henri Basset*, t. II, pp. 169-189 ; E. Doutté, *L'organisation domestique et sociale chez les Héha* B.C.A.F.C. n° 1 Janvier 1955.

محمد الگير

ابن **الأخضر**، أسرة تطوانية أصلها من قرية بني سالم من فرقة البحري بقبيلة الحوز المجاورة لتطوان، وكان منها الفقيه عبد الجبار بن المهدي الذي كان يتعاطى خطة العدالة من سنة 1296 / 1879 إلى سنة 1311 / 1893.

ويبدو أن هذه الأسرة قد انقرضت بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 19 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *familias ilustres de Tetuan* 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *familias tetuanies de abolengo* 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones (año 1931)* 1932 (I) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (I).

محمد ابن عزوز حكيم

أخطبوط، في الوهلة الأولى يبدو من الصعب التصديق بأن الأخطبوط ينتمي إلى نفس الصنف الذي تنتمي إليه حيوانات أخرى لا تمت إليه بأي صلة شبه كمعيديات الأرجل (الحلزون، البزاق...) وصفيحيات الخياشيم (بلح البحر، المحار...) إلا أن وضعية أعضاء الأخطبوط الداخلية وكذلك مراحل تكوينه الجنيني تفرض

تصنيفه بين الرخويات بل وتجعل منه نمطا لهذه الطبقة.

كيف نتعرف على الأخطبوط : على شكل كيس خال من أي قوقعة (خلافا لباقي الرخويات) يتكون جسم الأخطبوط من ثلاثة أجزاء : الرأس، المعطف والرجل (انظر الرسم). يحمل الرأس ظهريا عينين اثنتين وقد تعتبر عين الأخطبوط من أكثر الأعين تطورا عند اللافقريات حيث تضاهي من حيث بنيتها عين الإنسان، بينما يحمل المعطف كل أحشاء الأخطبوط وأمعائه. أما الرجل فهي تتحول جزئيا عند الأخطبوط لتعطي ثمانية أذرع تحمل كل منها صفا أو صفين من المحاجم وتحيط بفم مركزي مسلح بفكين قويين على شكل "منقار ببغاء" وبعدد كبير من الأسنان الصغيرة والحادة. أما الجزء الباقي من الرجل فهو يتحول إلى قمع يصل داخل الحيوان بالعالم الخارجي.

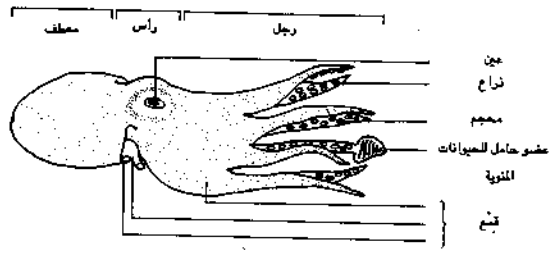

الأخطبوط كمفترس وكفريسة : يعتبر الأخطبوط من اللاحمات التي تتغذى أساسا من لحوم القشريات (إربيان، سرطان...) الرخويات (معديات الأرجل، صفيحيات الخياشيم بل وحتى بعض رأسيات الأرجل الأخرى) وكذلك بعض الأسماك الصغيرة. وإذا كان الفكان والأسنان الصغيرة تمكن الأخطبوط من قتل وطحن الفريسة فإن الأذرع الثمانية ليس لها دور آخر سوى الإمساك وخنق تلك الفريسة. خلافا لباقي رأسيات الأرجل الأخرى فإن الأخطبوط يتناول وجبته بكل تأن وهدوء حيث إنه أثناء الهضم الأولي يفرق بين الجزء الصالح للأكل (اللحم) والجهاز العظمي أو القوقعة التي يرمي بها إلى الخارج.

إذا كان الأخطبوط يعتبر من اللاحمات فهو بدوره يعتبر من "أشهى الأطباق" بالنسبة لبعض الحيوانات اللاحمة الأخرى كالبليتات ذوات الأسنان وسمك القرش والفقم والبطريق وسمك سيف والإنسان كذلك.

وفيما يخص الناحية الاقتصادية للأخطبوط وبالأخص قيمته في تغذية الإنسان فكمثل بسيط يمكن للمتجول على شواطئنا ساعة الجزر، أن يطلع عن كثب على الأعداد الكبيرة من الأخطبوطات التي يرغمها الجزر على البقاء داخل الأحواض الصغيرة المليئة بالماء في انتظار ساعة المد حيث تكون بذلك صيدا سهل المنال بالنسبة لبعض الصيادين التقليديين الذين يجوبون الشواطئ كل ساعة جزر. أما المنظمة العالمية للتغذية والزراعة (F.A.O) فهي تقدر مصيدات رأسيات الأرجل بحوالي مليون ومائتي ألف طن سنويا بما فيها 14 ٪ من الأخطبوطات أغلبها يصطاد باليابان وبلدان البحر المتوسط.

يعيش الأخطبوط في كل بحار العالم ما بين صفر وأكثر من ألف متر من العمق تقريبا في مواضع كثيرة ومتنوعة الرمال، الحمأ، فوق الصخور وفي أجوافها وكذلك بين الطحالب... في المياه القليلة العمق وخاصة التي تكثر فيها الرمال والحمأ. يحفر الأخطبوط لنفسه جحورا يسهل للناظر التعرف عليها حيث إن ثغور هاته الجحور غالبا ما تكون محيطة بأكداس من القواقع الفارغة وذروع السراطين الميتة.

كيف يتنقل الأخطبوط ؟ في تنقله يمكن للأخطبوط أن يستعمل وسيلتين اثنتين : في قاع البحر، يزحف على أذرعه الثمانية، أما وسط الماء فبتقليص عضلاته يقذف الأخطبوط وبكل قوة بالماء الموجود داخل جوفه إلى الخارج عن طريق القمع مما يمكنه من الاندفاع إلى الوراء.

إذا كان الناس وخاصة منهم الذين يمارسون رياضة الغوص يعتبرون الأخطبوط من الحيوانات البحرية "الخجولة" التي تألف الإنسان وتداعبه فإن عضته، رغم ذلك، يمكن أن تحدث ألما شديدا. في غالب الأحيان لا تكون عضة الأخطبوط أي خطر على حياة الإنسان إلا إذا تعلق الأمر ببعض الأنواع الاستوائية المسمومة. وهكذا في أستراليا مثلا كانت عضة Haplochlaena سببا في وفاة العديد من الناس، لذلك يجب أن يعامل الأخطبوط بكل حذر.

في حالة إزعاج الأخطبوط أو تهديده يلجأ إلى عدة وسائل للدفاع عن نفسه. وأول طريقة وأسهلها أن يبقى ثابتا في مكانه "آملا" أن لا ينتبه المهاجم لوجوده. ذلك لأن الأخطبوط يتوفر تحت جلده على خلايا حاملة لخضوب متنوعة. ففي حالة تقلصها يبدو الأخطبوط ذا لون فاتح أما في حالة ارتخائها فيبدو لونه داكنا. إذن يستطيع الأخطبوط أن يساوي بين اصطباغه واصطباغ محيطه مما يمكنه، في غالب الأحيان، من خدع أعين مطارديه.

أمام نباهة وإصرار مهاجمه يسعى الأخطبوط للفرار ملتجئا بذلك إلى جحره أوالي أقرب مكان آمن (طحالب كثيفة، أجواف الصخور...)، إلا أنه إذا بوغت في حجر المياه بعيدا عن كل مكان آمن فقد يعتمد على "مدافع الميلانين" التي هي عبارة عن كيس ملحقة بجهاز الأخطبوط الهضمي مليئة بمداد أسود يقذف بها بغتة وعلى مراحل في وجه مهاجميه مشكلا بذلك سحابة سوداء تحجبه عن أعينهم. بل وفي بعض الأحيان تكون سببا في شلل بعض حواسهم كحاستي الشم والبصر.

ومن البديهي أن هاته الوسائل هي وسائل حيوان مسالم يتفادى قدر الإمكان الالتجاء إلى القوة، لكن عند إحساسه بخطر يهدد وجوده فإنه لا يتأخر في الدخول في مواجهة مباشرة مع مطارده مستعملا في ذلك كل الوسائل الممكنة بما في ذلك أذرعه الثمانية وفكاه وأسنانه التي تكون حاملة لإفرازات سامة بل وقاتلة أحيانا.

يتكون الجهاز الدموي عند الأخطبوط خاصة ورأسيات الأرجل عامة من قلب مركب من بطين واحد وأذنين اثنين إضافة إلى شبكة متشعبة جدا من الشرايين. أما الجهاز التنفسي فكباقي الحيوانات المائية يتكون من خياشيم (خيشومين اثنين). أما فيما يتعلق بالجهاز التناسلي للأخطبوط فهو ذو بنية معقدة جدا إلا أن ما يميزه وخاصة عند الذكر (هو عادة أصغر حجما من الأنثى) هو أنه إبان المزاوجة فإن رأس إحدى الأذرع تتحول إلى عضو حامل للحيوانات المنوية أو ما يسمى عمليات Hectocotyle. وإذا كانت بنية هذا العضو تتغير من نوع لآخر إلا أن مهمته تبقى ثابتة وهي إيصال الخلايا المخصبة من الذكر إلى مقربة من الجهاز التناسلي للأنثى أو إلى أي مكان آخر من جسمها.

يوجد العضو الحامل للحيوانات المنوية، عادة، داخل غشاء شفاف وأثناء الزواجية ينفصل ذلك العضو عن الذراع الذي يحمله فينتج عن ذلك تمزيق الغشاء وبالتالي تحرير الحيوانات المنوية التي تسلك طريقها نحو داخل الجهاز التناسلي للأنثى حيث يتم تلقيح البويضة بعد تلقيحها تحرر البويضات خارج الجهاز التناسلي للأنثى على شكل عشاكيل أو بريم، وخلافا للعديد من الحيوانات البحرية الأخرى، يدفع "حدس الأمومة" عند أنثى الأخطبوط إلى أن تقوم بحراسة ذريتها فهي تنضحها وتنظفها باستمرار إلى أن يحين وقت تفقيسها.

أما عن عدد البويضات وحجمها، فباستطاعة الأنثى Octopus vulgaris وهي الأكثر انتشارا في المغرب مثلا، أن تبيض حوالي 400.000 بيضة يبلغ حجم كل واحدة منها 1,7 سنتم تقريبا. كما تستغرق مدة الحضانة حوالي 65 يوما.

بعد شهرين تقريبا من تلقيحها تظهر البيضة أخطبوطا صغيرا يدور داخلها بدون انقطاع محاولا التعلق بجدرانها الشفافة بواسطة أذرعه الثمانية وكأنه يحاول التوجه نحو مصادر الضوء. بعد ذلك يتمكن الأخطبوط الصغير من بيضته ليعيش حياة عالقة لمدة عدة أسابيع قبل أن يلزق بالصخور ويتم حياته بينها كباقي القاعيات.

عرف تصنيف الأخطبوطات في السنوات الأخيرة عدة تعديلات ولا زالت بعض المجموعات قيد الدرس إلى حد الآن، لذا لن يكون من الممكن إعطاء أي تصنيف دقيق للأخطبوط إلا أن خصوصيات الأنواع الثمانية الأكثر انتشارا على شواطئ المغرب والأكثر أهمية من الناحية الاقتصادية هي Octopus vulgaris صفان اثنان من المحاجم، أذرع بحترية وقصيرة إلا أن الذراعين الظهريين تصغران بقليل عن الأذرع الأخرى.

Octopus defilippi، صفان اثنان من المحاجم، جسم صغير، أذرع طويلة جدا وزهيدة. Octopus macropus، صفان اثنان من المحاجم، الذراعان الظهريان أطول وأثخن من كل الأذرع الأخرى. Eledone moschata، صف واحد من المحاجم، الأذرع طويلة، جلد مصقول (أو ناعم) أو حامل لحبيبات دقيقة جدا. Eledone cirrosa، صف واحد من المحاجم، أذرع بحترية، جلد أحرش يحمل حليمات عديدة. Scaeurgus unicirrus، صفان اثنان من المحاجم، "معطف" مغطى بحليمات عديدة ومحاط بعرفين على الجانبين الأيمن والأيسر مع قرن صغير متشعب فوق كل عين. P. teroctopus tetracirrhus، صفان اثنان من المحاجم، أذرع طويلة، جسم حجم طوله كعرضه تقريبا وعنق لا يحمل أي قبض مع قرنين صغيرين فوق كل عين. Argonaûla argo، أنثى عائمة فوق سطح البحر بواسطة "قوقعة شفافة"، أذرع طويلة إلا أن الذراعين الظهريين تبدوان خشينتين متصلتين بينهما بغشاء.

جغرافيا فإن الأخطبوطات تسكن كل بحار ومحيطات العالم تقريبا إلا أنه فيما يخص شواطئنا ومياهنا الإقليمية فإن الأنواع الثمانية السابق ذكرها تتوزع كالتالي :

O. Vulgaris, A. Argo, P. Tetracirrhus, O. Defilippi : تسكن كل الشواطئ المغربية من السعيدية (البحر المتوسط) إلى طنجة ومن طنجة إلى الكويرة (على الساحل الأطلسي).

Macropus, S. Unicirrhus : نوعان لا يسكنان إلا في سواحل البحر المتوسط (السعيدية إلى البوغاز).

E. Currosa, E. Moschata : على سواحل البحر المتوسط من السعيدية إلى البوغاز أما على سواحل المحيط الأطلسي فهي تتوزع من طنجة إلى أگادير تقريبا.

الأخطبوط كحيوان للتجارب المخبرية : ينتمي الأخطبوط إلى رأسيات الأرجل التي تعتبر من أضخم اللافقريات المعروفة وأكبرها. كما أنه يعتبر من أقوى الرخويات وأكثرها تطورا. ونظرا لتطور حواسه وجهازه العصبي بما في ذلك الدماغ. ونظرا كذلك لقدرته الهائلة على التعلم فإن الأخطبوط يعتبر من أهم الحيوانات المخبرية التي تجري عليها عدة تجارب علمية وخاصة في ميادين علم الأحياء والطب.

H. Boue et R. Chanton (1962), *Biologie animale, Zoologie.* I. Invertebrés, tome I Doin et Cie. édit. Dureu-Desset M.C. ; M.J. Forest et M.A. Franc (1974), *Les cephalopodes*, coll. "Les Sciences" *La grande encyclopédie alpha Sciences et des techniques*, Fasc, 29 : 180-187 ; Ministère des pêches et des Oceans du Canada (1981), *Fichés F.A.O. d'identification des espèces pour les besoins de'la pêche atlantique Centre-Est ; Cephalopodes*. Fiches F.A.O. 89 P ; C.F.E. Roper, M.J. Sweeney et C.E. Nauen (1984), F.A.O. speciès catalogue vol.3 ; *Cephalopods of the world*, F.A.O. Ficheries synopsis n°125. 276 P ; B. Salvat (1980), Les animaux, *l'encyclopédie des animaux dans la nature*, vol. 6. *Panorama du monde animal* ; *Mollusques*, Hachette édit. (deuxième édition), 991-1001.

محمد منبري

أخَطّاب، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وقد اشتهر أفرادها بمهارتهم في الرمي بالمدافع، حيث نجد المسمى محمد أخطّاب وقّع بصفته رئيس فرقة المدفعية بحامية تطوان على وثيقة مبايعة سعيد بن السلطان مولاي اليزيد في 12 جمادى الثانية 1236 / 17 مارس 1821. كما

نجد المسمى عبد الكريم أخطاب يرأس فرقة المدفعية بتطوان عام 1246 / 1830. وقد انقرضت هذه الأسرة.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 19 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 (J) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones (año 1931)* 1932 (J) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

الأخْفَش، علي بن يحي بن محمد بن علي بن هشام القيسي المراكشي، أبو الحسن المعروف بالأخفش. من علماء مراكش في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي. لم ترد معلومات وافرة عنه في كتب التراجم. ومما وصلنا عنه أنه أخذ عن أبي زيد السهيلي، وأبي عبد الله الاستجي، وابن أبان، وابن نخيل، وأبي حفص بن إبراهيم الغساني، وابن خلوص وأبي محمد قاسم بن الزقاق.

ومن الذين رووا عنه صهره محمد بن عبد الله بن زيد المهاجر، ومحمد بن عبد الله بن عبد العزيز الخروف، وأحمد ابن عبد الله السكوني، وعمر بن محمد بن أحمد القيسي، وأبو الطاهر السلفي الذي طلب إجازته.

ذكر ابن عبد الملك المراكشي أن والده أخذ عن المترجم له القراءات السبع (*الذيل والتكملة*، 5 : 422)، وهو العلم الذي كان يجيده، إذ قال عنه إنه كان مقرئا مجودا متفننا ضابطا فاضلا. وكان خطيبا بسجن مراكش. ونسب له ابن عبد الملك بيتا شعريا :

سلام كأنواع القريض فوافـــر مديد بسيط كامل فطويـــل

في ترجمة صهره وتلميذه محمد بن عبدالله المهاجر، الذي ذيله ببيتين، هما :

على الأدب الغض الذي راق زهره كوارق روض قد غداه بليـــل
وإلا كمسك في مفارق غـــــادة كأملود بانٍ والنسيم عليـــل

لم تذكر المصادر تاريخ وفاة علي الأخفش.

م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، ج 5 و6 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، ج 4.

حسن جلاب

الأخماس، قبيلة ريفية، غير أن أصل التسمية لا نكاد نظفر بحقيقته المزعومة إلا عند العارفين من أبناء هذه القبيلة، والشواهد الماثلة تلمح إلى حقيقة واحدة، هي أن رجلا مقدسا عند الأقوام، مقاما له ضريح عندهم، يحجون إلى زيارته، ويقيمون سوقا باسمه، وفي موضعه. قالوا إنّ الذي أنشأ هذه التسمية هو "يرسول" ـ كما تنطق به العامة ـ أو "يلصو" كما يقول غيرهم من الخاصة. فمن هذا الرجل؟ يقولون إنه من ذرية عثمان بن عفان، فهو يرسول بن عبد الملك بن محمد بن أبان بن عثمان، ونحن نعرف عن أبان هذا وعن بنيه الشئ الكثير، لكننا لانعرف شيئا عن "يرسول" ابن حفيده، وبالأحرى لانعرف أو لا يمكن أن نعرف عن "يلصو" وهو عربي من ذرية العرب الأقحاح، إذ القاعدة المطردة في العربية أن ليس بها اسم آخره واو قبلها ضمة لازمة، ويمكن أن يكون أصله مضارعا كيزيد، وإلا فإننا نزيح عن الميدان اسم "يلصو" اللهم إلا أن يكون هذا الحفيد نشأ بين البربر، فسموه بهذا الاسم الذي لا يرفضونه.

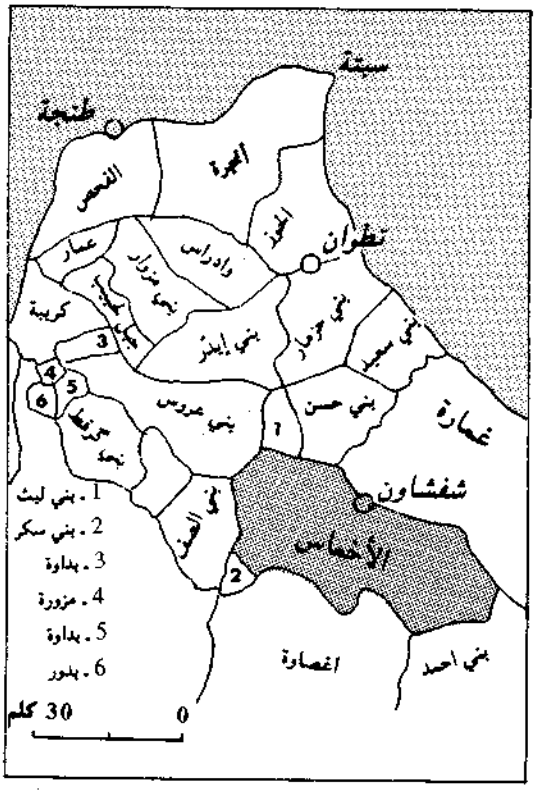

الأخماس

والقصة فيه أنه كان أحد الولاة الخمسة، الذين كان فيهم طارق بن زياد، فقد جاء هذا الرجل، أو كان بالمغرب، الذي غادره إلى مصر سنة 87 ثم انتهى الى غمارة وأقام فيها بمكان منها أو من تخومها سمي فيما بعد باسم الأخماس (رواية ابن الصادق). والقصة تحمل في طياتها شيئا قد يلقي عليه التاريخ بصيصا مما عرف فيه، فقد عرف أن المغرب كان فيه من يميل إلى العثمانية ومن يميل إلى العلوية، بحكم الولاء، أو الانتماء الذي يدعمه الزواج.

وإذا كانت غمارة عامة تعرف بولائها للعلوية، فإن الأخماس، قد انشقت ـ إن كانت منها ـ عن هذا الحب، فكان ضلعها مع العثمانية، وما زلنا نجد اسم عثمان يسمى به بعض أبنائها في عصرنا. وهناك أدلة بارزة عثمانية لا تنكر في الأخماس. إنما بها عادات لا يعرف مصدرها. وهو أن بها أسرا متضامنة في قراها تسيطر عليهم عقائد شيعية تبرز بوضوح في عاداتهم وملابسهم. منهم : أتباع زاوية سيدي عبد الله الهبطي حيث إن أحزمة نسائهم خضراء وعلم صالحهم أخضر ولا تخلو ملابسهم من الاخضرار. كما أن الشرفاء العمرانيين بالأخماس يتطيرون

من اللباس الأسود ويفضلون الأخضر ويتشددون في الزواج من بعضهم ويكثرون من رواية أقاصيص سيدنا علي، وهذه الاسر متعددة خصوصا في الأخماس العليا. كما أننا نجد الحب المفقود بين غمارة وبين الأخماس لعهدنا، ويتجلى نموذج منه في سكان مدينة الشاون، التي نجد فيها كتلتين متعصبتين، كتلة الأخماس وكتلة غمارة، وكنتيجة للصدام الذي كان يجري بين الأخماس وغمارة، اقتطعت بعض المداشر من غمارة وضمت إلى الأخماس بظهير لا زال بين أيديهم لحد الآن. وخارجًا عن القبيلتين نجد "وادراس" حليفة للأخماس، و "أنجرة" حليفة لغمارة، وهما قبيلتان بينهما تنافس يصل إلى العداء، استغله الإسبان سالفا حتى في الجهاد.

نعود إلى اسم "الأخماس" قال بعض رجال هذه القبيلة إن "برسول" لما أتى هذه الجهة، ونصب بها خزانة ـ خيمة ـ ما زال مكانها معروفا بهذا الاسم، كان له خمسة أولاد، كانوا مصابيح الهداية، فعلّموا أو علّم أبوهم أهل هذه الجهات الصلوات الخمس لما أسلموا على يدهم، فكانت هذه الخمسة من عددهم وعدد الصلوات منشأ لهذه التسمية، وعلى هذه الخمسية قسمت هذه الناحية إلى خمسة أقسام، هي : خمس بني صالح، خمس بني دركول، خمس بني فلواط، خمس سبع قبايل، خمس بني زرويل. لكن هذه الأخماس لم تقف عند العددية، بل هناك خمس بني تليد، وخمس بني جافن. بالإضافة إلى هذا هناك محل سكنى "برسول" بجماعة الخزانة، المكان الذي كان قد أقام به خيمته. أول نزوله فيه، وما زال معروفا بهذا. وقد قالوا إنه الذي قسم الأخماس إلى قسمين، الأخماس الفوقية، التي تضم الأربعة المذكورة أولا. والأخماس السفلية، التي تضم الأخماس التي ذكرت بعد تلك مضافا إليها (الخزانة). وزعموا أنه أقام لكلا القسمين سوقا يقام يوم الأحد، كما قالوا إنه جعل لكل خمس راية يصطحبونها في السلم والحرب، وما زال أهل الأخماس إذا خرجوا لزيارة مولاي عبد السلام في موسم النسخة، حمل كل جماعة راية تنتمي إلى خمسهم، وساروا أولا مفترقين، ثم يجتمعون في منتصف الطريق. لقد رأى أهل الأخماس، أن يسموا ألويتهم بأسماء الصالحين والأولياء، فسمى جماعة بني جافن لواءهم باسم المولى إدريس الفاتح، وسمى جماعة بني تليد لواءهم باسم صالح منهم، وهو يوسف التليدي، وسمى جماعة بني زرويل لواءهم باسم محمد بن اسعادة، أما جماعة بني صالح وبني درگول وبني فلواط، فسموا لواءهم بأحمد العالم، وبهذا تكون الأخماس الثلاثة قد ضمها لواء واحد فعُدّت واحدة، وسمى جماعة سبع قبايل لواءهم باسم سيدي الحاج القطران (وهو ولي يحكون له كرامة فيها زوجته التي جعلت لضيوفه قطرانا بدل عسل). وقالوا أيضا إنه أثناء إقامة "برسول" بالموضع المعروف، جاء طارق إلى المكان المعروف الآن باسم الشرافات، وهو ضمن ولايته، فأسس بهذا المكان مسجداً، حيث الآن مقام هناك مسجد، كان قبيل الاستقلال أحد المعاهد الدينية، نظمت به الدراسة التي سميت فيما بعد بالتعليم الأصلي. ومنذ زمن غير بعيد كان السكان يحترمونه كثيرا حتى إنهم إذا مروا به نزلوا عن دوابهم احتراما له، وبعض الغلاة يخلعون نعالهم حين المرور به.

وهكذا ظل "برسول" مقيما بهذا المكان "الخزانة" إلى أن وافاه الأجل المحتوم، فدفن حيث ضريحه ما زال معروفا يزار في سوق جمعة "سيدي برسول" وتقام بهذا السوق عمارة تسمى عمارة سيدي برسول، وهو تقليد قومي أن تدعى الأسواق بأسماء الأولياء : سيدي سليمان، سيدي قاسم، مولاي بوسلهام، سيدي عياش إلى غير ذلك من الأسماء، حقيقية كانت أم مخترعة، تدل على تشبث هؤلاء بالصالحين في أسواقهم وعمائرهم.

ومع أن "برسول" خلف بنين منه، لكن الذي تولى حكم هذا الإقليم كان رجلا يدعى "تيفو" ولا شك أنه كان بربريا، في الأصل أو في الاسم، كما دعي سلفه باسم "يلصو" وهو ما استبعدنا أن يكون عربيا، إلا بتأويل لم نجد له نظيرا نستأنس به. قالوا إن "تيفو" هذا استبد وطغى، فثار عليه القوم وأزاحوه عن الحكم، وأقاموا مكانه رجلا من اقرباء "يلصو" أو "برسول" بمدشر "تيفوزال".. وفي هذا الاسم ادعاؤهم تركيبه من "تيفو" + كلمة زال العربية، حيث كان القضاء على "تيفو" أو إزالته فزال عن الحكم، والغالب أن هذا التعليل حصل بعد ذلك وأن المكان هكذا دعي، تركيبا بربريا، وإن كان مثل هذا التعليل معهوداً في الغرب والشرق، تعليلا ميسورا للجميع.

ومهما يكن فان هذه القبيلة عُرفت بالإباء والجهاد، وقد ظهر من رجالها على مسرح السياسة في القرن الحادي والثاني عشر، وفي عهد المولى اسماعيل رجل الدولة اليحمدي الأديب، وشاعره علي مصباح العظيم، ثم ابن هذا الكاتب الشاعر [انظر تراجمهم في حروفها].

وبعزوف الأخماس لم تنضم إلى الفاطميين، بل ظلت وفية لبني عثمان، ثم للأمويين الذين مدوا ظل سلطانهم، على عهد عبد الرحمان الناصر ومن أتى بعده في المغرب، فكان ضمن هذا النطاق قبيلة الأخماس.

أما جيرانهم الغماريون الذين أخلصوا للفاطميين، فقد كان لهم شأن خارج المغرب، وخلدت أسماؤهم في اسبانية بغرناطة، وفي وسط الجزيرة الايبيرية، حيث "كاسيريس" التي ما هي إلا "قاع اسراس" الغمارية، وفي جنوب "سوريا" حيث يحمل هناك بسيط فسيح اسم "غمارة".

معلومات ومشاهدات شخصية ؛ رواية أمين الاملاك المخزنية بالشاون أحمد بن الأمين ابن الصادق ؛ مذكرة الأستاذ محمد المعطي العمراني المحامي.

محمد بن تاويت

أخْمْليش، أو الخَمْليشي أسرة شريفة يقول عنها النسابة إدريس الفضيلي في *الدرر البهية* إنها إدريسية تنحدر من أحمد بن محمد بن إدريس الثاني، ولها نفوذ كبير في قبائل الريف وخاصة في قبائل صنهاجة حيث توجد الزاوية الأم للأسرة الخمليشية التابعة للطريقة الناصرية.

ويبدو أن أول فرد من هذه الأسرة استقر بصنهاجة هو يحيى بن أحمد بن عبد الرحمان بن يحي ابن يخلف بن إبراهيم بن عبد المجيد بن عبد الغفور بن إدريس بن محمد بن أحمد بن أبي الفضل ابن أحمد بن محمد بن إدريس الثاني، وقد نزل بمدشر القناطر بقبيلة بونصر حيث أسس في العقد السابع من القرن العاشر الهجري زاويته المعروفة بزاوية القناطر التي أصبحت هي الزاوية الأم للأسرة الخمليشية.

وقد توفي يحيى المذكور بقرية امسد بقبيلة بني بشير حيث يوجد ضريحه الذي تقام حوله عمارة كبيرة كل سنة، وقد خلّف أربعة أولاد كان أشهرهم محمد الذي خلّف بدوره ثلاثة أولاد أشهرهم محمد الكبير، وأشهر أولاده الثلاثة محمد الصديق.

انتشر خلف يحيى بجميع قبائل صنهاجة حيث نجد أولاد أخمليش في القبائل التالية : بني بونصر، وبني بشير، وبني خنوس، وبني مزدوي، وبني أحمد، وبني بوشيبت، وتغزوت، وترگيست وزرقات، وكتامة. وأما فروع الأسرة اليوم فعددها أربعة هي : أولاد الصديق، وأولاد الفاسي، وأولاد الدرويش، وأولاد سيدي الحاج علي.

وتشهد الوثائق التي نتوفر عليها أن شيوخ هذه الأسرة أسهموا إسهاما كبيرا في المحافظة على الأمن والاستقرار بقبائل صنهاجة، وكان المخزن يعتمد عليهم في بسط نفوذه بناحية الريف.

وتجدر الإشارة إلى أن موليارا (Auguste Moulieras) يدعي أن كلمة أخمليش معناها في اللهجة الريفية "المبارك" أو "المبروك"، وقد وجدنا بعض أفراد هذه الأسرة مكتوبا "خمليش" في بعض الظهائر السلطانية.

إ. العضيلي، *الدرر البهية*.

Auguste Moulièras, *Le Maroc inconnu*, Oran 1895-1899 ; Cerdeira (Clemente), *Apuntes para la historia del Rif*, Madrid-Ceuta 1926 ; Capaz (Loronel), *La familia de Ulad Ajamlichen y suatolengo en Senhaya*, Ceuta 1935 ; Rodriguez Srola (J.), *Estudio sobre los chorfa Ajamlichen*, Tetuan 1952.

محمد ابن عزوز حكيم

أخْمْليش، محمد الصديق، أحد أقطاب الزاوية الخمليشية التي تأسست في الريف بصنهاجة السراير. جده الأعلى هو يحيى بن عبد الرحمان بن يحيى الصنهاجي الخمليشي الذي عاش في النصف الأول من القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر. أما والده فهو سيدي محمد الكبير صاحب زاوية القنطرة بقبيلة بني بوناصر.

عاصر المترجم ثلاثة سلاطين من الأسرة العلوية، هم مولاي عبد الرحمان بن هشام، وسيدي محمد بن عبدالرحمان، ومولاي الحسن. وقد نضجت شخصيته الدينية والعلمية منذ الثلث الأول من القرن التاسع عشر، إذ نجده في غضون هذا التاريخ عالما متضلعا في الفقه والتوحيد والنحو، وكانت زاويته التي أسسها في أزرواس بقبيلة بوناصر تضطلع منذ ذلك التاريخ بالدور الذي تقوم به عادة الزوايا في المغرب، ألا وهو دور التحكيم لحل مشاكل الجماعات والأفراد. نتبين، مثلا، من إحدى الوثائق أنه شهد في قسمة إرث على الشكل التالي : "شهد بذلك من حضر لهذا الصلح وحققه كيف ذكر وهو لدى إمام محمد خمليش وفاصلهم على ذلك بعد التحقيق والتأمل على طيب أنفسهم" (آخر ربيع الأول 1253 / 4 غشت 1837). على أن ذروة تنامي نفوذ المترجم والزاوية الخمليشية على العموم هي الفترة التي تطابق النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فقد تراخت يومئذ قبضة السلطة المركزية على إقليم الريف مما أحدث فراغا وأعطى الزاوية بالتالي دفعة قوية من النفوذ كقوة دينية لا مناص للقبائل عن إلتماس وساطتها لحل مشاكلها. وحيث إن محمد الصديق احتفظ بعلاقات طيبة مع السلطة المركزية، فقد زاد إعتماد المخزن عليه ليكون همزة وصل بينه وبين القبائل. وكان نفوذه يستغل في شتى الميادين بما فيها جباية الضرائب والواجبات المخزنية. من ذلك أن المترجم كتب إلى كافة صنهاجة في رسالة غير مؤرخة يقول فيها : "يرد عليكم أصحاب الباشا قائد الرحى ومن معه وصحبتهم كتاب يأمركم بأعمال كل قبيلة شيخها بجمع المال والذعائر والمعاملات على العادة نأمركم خيرا بأصحابه ونؤكد به عليكم وأعجلوا ولا تستهزئوا".

وإليه أيضا كان المخزن يلتجئ عند ظهور الأخطار الخارجية ليذكي في نفوس الريفيين حب الجهاد. تبلور هذا الدور على الخصوص غداة حرب تطوان ضد الإسبان (1859 .1860)، حيث دارت بينه وبين السلطان سيدي محمد بن عبدالرحمان مراسلات عديدة تشهد على أهمية الدور الذي لعبه خلال هذه الحرب. ومن مؤثراته الجليلة في هذا المجال وضعه حدا للنزاعات الداخلية التي كانت تشل القبائل وتقعدها عن الجهاد. من ذلك الصلح الذي عقده بتوقيعه في 14 رجب 1276 / 6 فبراير 1860، بين أهل ورغة ومرنيسة. وهكذا فقد خرجت القبائل التي كانت تقاتل بعضها بالأمس مجاهدة مناضلة. ويذكر ميشو بلير بالفعل أنه جمع المحاربين الريفيين بشكل كثيف وقادهم إلى مولاي العباس قائد الجيش المخزني. وهذا ما يستشف أيضا من الرسالة التالية التي وجهها إليه السلطان سيدي محمد بن عبدالرحمان :

"وصلنا ما كتبته عن إستعداد قبائل الناحية للقيام بالحرب المقدسة، واجبك أن تهيء الحركة وتأتي حسب ما صرحت لك بنفسك معهم، تلتمس منا أن نبين لك المكان الذي يجب أن تتجهون إليه، سنقوم بتنصيب مكان إقامتكم. فلتعط توجيهات لتموين صنهاجة وأصدقائك في نفس الوقت نوصيك برعاية الرجال الذين معك والإعتناء

بهم نظرا للحالة الصعبة التي توجد عليها تلك القبائل...".

توفي المترجم في 10 شعبان 1297 / 18 يوليوز 1880.

م. الحامد أخليش، *تقييد حول الشرفاء الحمالشة*، مخطوط ؛ أ. أشعبان، *الزاوية الخمليشية*، شعبة التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 78. 1979.

Michaux Bellaire, *Le Rif*, Direction des Affaires indigènes, Rabat 1925 ; P. Pascon, *Les Béni Boufrah*, Rabat 1983.

محمد الأمين البزاز

أخَمْليشْ، محمد الكبير (الثاني) بن محمد، آلت إليه مَشيخة زوايا هذه الأسرة بقبائل صنهاجة بعد وفاة عمه الشيخ محمد الصديق بن محمد الكبير (الأول) بن أحمد بن يحي.

وأقدم وثيقة نتوفر عليها لحد الآن تتعلق بصاحب الترجمة هي الرسالة التي وجهها له الحسن الأول يوم 23 شوال 1306 / 22 يونيو 1889 يقول له فيها إنه أصدر أوامره إلى عامله بصنهاجة لكي يلتحق صحبة قبيلته بالركب السلطاني الذي في طريقه من فاس إلى تطوان، وجاء في الرسالة : "نخبرك بهذا لتكون منه على علم وتعمل على تنفيذه وتلتحق أنت كذلك بأعتابنا الشريفة عاجلا".

ومما يدل على أن صاحب الترجمة كان مثل أسلافه في خدمة المخزن الظهير الذي أصدره السلطان مولاي عبد العزيز يوم 5 ربيع الثاني 1320 / 12 يوليوز 1902 يأمر من يقف عليه أن يحيط الشيخ محمد الكبير بالتوقير والاحترام.

وعندما أقدم أهل فاس على خلع السلطان مولاي عبد العزيز ومبايعة أخيه مولاي عبد الحفيظ، كتب من ولّوْه أمر الخلافة بفاس إلى أن يصل إليها السلطان الجديد، وهو الشريف مولاي عبد السلام الأمراني، رسالة إلى صاحب الترجمة بتاريخ 4 ذي الحجة 1325 / 8 يناير 1908 يخبره فيها بذلك كله ويطلب منه إرسال بيعة قبائل صنهاجة لمولاي عبد الحفيظ.

ويستفاد من المصادر الإسبانية أن صاحب الترجمة وقف من الثائر أبي حمارة موقف المعارض لتسرب نفوذه إلى قبائل صنهاجة، الشيء الذي تؤكده عدة رسائل وجهها الثائر إلى قبائل صنهاجة وبني عمرت وبني مزلوي وتغزوت بتاريخ فاتح محرم 1325 / 14 فبراير 1907 يأمرهم فيها بتخريب الزاوية الخمليشية الواقعة بمدشر التفاح بقبيلة بني عمرت، وفي هذا الصدد جاء في رسالة وجهها له السلطان مولاي عبد الحفيظ يوم 3 شعبان 1326 / 30 غشت 1908 يقول له فيها إنه واثق من إخلاصه وتعلقه بعرشه، شأنه في ذلك شأن ما كان عليه أسلافه، كما نتوفر على رسالة أخرى بتاريخ 23 شعبان من نفس السنة / 20 سبتمبر يقول له فيها إنه على علم بما يقوم به من دعاية ضد الثائر أبي حمارة وبحثه على متابعة عمله.

وهناك رسالة ثالثة من نفس السلطان بتاريخ 19 جمادى الثانية 1327 / 8 يوليوز 1909 يخبر فيها صاحب الترجمة بأنه توصل برسالته حول تقدم الجيش الإسباني بأرض المغرب وأنه يتعين عليه أن يكون على بال من أمره.

وتقول المصادر الإسبانية إن صاحب الترجمة كان بجانب الشريف مولاي محمد أمزيان يعينه في حركته ضد أبي حمارة أولا ثم في مقاومته المسلحة ضد الغزو الإسباني لقبائل الكرت المجاورة لمدينة مليلة، وذلك منذ اندلاع الثورة في 14 جمادى الثانية 1327 / 3 يوليوز 1909 إلى أن استشهد الشريف أمزيان بمعركة عزيب علال وقدور يوم 28 جمادى الأولى 1330 / 15 ماي 1912 وتشهد نفس المصادر على أن الشيخ محمد الكبير كان قد انضم إلى الثورة الريفية التي تزعمها محمد بن عبد الكريم الخطابي منذ اللحظة الأولى أي في شهر رمضان 1339 / 9 يونيو 1921، غير أن كبر سنه لم يسمح له بالمشاركة الشخصية في المقاومة، فكان ينوب عنه في ذلك ولداه سيدي محمد الفلاح ومولاي الصديق. وكانت وفاته سنة 1347 / 1928.

Cerdeira (Clemente), *Apuntos para La historia del Rif*, Madrid-Ceuta 1926 ; Capaz (Coronel), *La familia de Ulad Ajamlich y suabolengo en Senhaya*, Ceuta 1935 ; Rodriguez Erola (José), *Estudio sobre Los chorfa Ajamlichen* , Tetuan 1952 ; Et-tabyi, *Miscelanea marroqui*, Tetuan 1953 ; *Retazos de historia marroquí*, Tetuan 1955.

محمد ابن عزوز حكيم

أخَنُّوسْ (قصر ــ) ← **تافيلالت**

أخنيفرة ← **خنيفرة**

أخينُوس أو قُنفذ البحر. يُعتبر الفيلسوف الإغريقي أرسطو أول من أطلق اسم أخينوس "Echinus" أو قنفذ البحر على هذا الحيوان المتوسطي Paracentrotus lividus الذي سنتخذه كنوع نمط للتعريف بهاته الفصيلة من الحيوانات البحرية التي ظهرت حسب الدراسات الجيولوجية قبل 450 مليون سنة تقريبا.

1 ـ منصل
2 ـ الشوك
3 ـ الفم
4 ـ القمعية الهضمية
5 ـ أشواك
6 ـ أرجل
7 ـ جهاز مضغي
8 ـ جهاز مائي
9 ـ منطقة قنائية
10 ـ منطقة بيقنائية
11 ـ صفيحات شماعية
12 ـ صفيحات بيشماعية

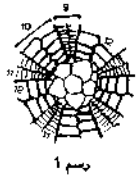

رسم 1

رسم 2

على شكل كروي أفطس لا يُرى لأخينُوس رأس ولا جسم ولا مفاصل، فهو محاط من كل جانب بعدد من الأشواك التي إذا نُزعت تكشف عن قوقعة كروية الشكل مخططة بعشرين صفا عموديا من الصفيحات السداسيات الشكل والمتراصة فيما بينها (رسم 1). تنقسم القوقعة بفعل هاته الصفوف إلى عشرة مناطق تتكون كل واحدة

منها من صفين اثنين متشابهين تحمل بالتناوب عددا محددا من الثقوب حاملة لعدة أرجل تتحرك بواسطة جهاز مائي.

الجهاز الهضمي : كباقي الحيوانات يتكون الجهاز الهضمي عند قنافذ البحر من فم محاط بجهاز مضغي ثم من مريء قصير يصب في معدة واسعة مُتبعة بمَعيً ثم بمستقيم وأخيرا بشَرَج (رسم 2) ؛ إلا أن ما يميز هذا الجهاز الهضمي هو الجهاز المضغي البالغ التعقيد والذي لا سبيل إلى الدخول في تفاصيله في هذا المقال إلا أنه يمكن تلخيص بنيته في خمسة أسنان قوية على شكل هرم تتحرك كلها بواسطة آلة معقدة من العضلات محيطة بالجزء الأمامي للمريء.

الجهاز التنفسي : كباقي الحيوانات المائية يتوفر الجهاز التنفسي عند قنافذ البحر على عدد قليل من الخياشيم المحيطة بالفم على الواجهة البطنية إلا أن الاعتقاد السائد هو أن امتصاص مادة الأكسجين من الماء يُؤَمّن في أغلبيته ومباشرة عن طريق الأرجل.

الجهاز الدموي : خلافا للعديد من الحيوانات فإن البنية الأساسية للجهاز الدموي عند قنافذ البحر مبسطة جدا. يتكون هذا الجهاز من بعض الفجوات التي تحيط بالأمعاء وخاصة الجزء المختص في امتصاص المواد الغذائية. تتشعب هاته الفجوات فيما بعد لتحمل السائل الدموي محملا بالمواد المغذية إلى جميع أعضاء الجسم.

الجهاز التناسلي : رغم أنه غالبا ما يتعذر التعرف على الذكر من الأنثى إعتمادا على الخصائص الخارجية فإن أغلبية أنواع قنافذ البحر أحاديات النسل إلا أن بعض الأنواع قد تكون خنثا حيث أن كل فرد من الجماعة يبدأ حياته الجنسية كذكر ليتحول فيما بعد إلى أنثى، وقد أثبتت الدراسات أن بعض الخناث يمكن أن تلقح ذاتها.

يكون البلوغ الجنسي مبكرا نسبيا حيث إن الحيوانات المنوية عند الذكور والبويضات عند الإناث تصبح قابلة للتخصيب عندما يبلغ حجم الأخينوس ربع حجمه النهائي فقط، ومن أغرب ما يُعرف عن هذا الحيوان هو أنه مع قرب وقت الإخصاب أي بداية فصل الصيف تقريبا يلاحَظُ وجود تجمعات عديدة لقنافذ البحر حيث تقترب بعضها من البعض قبل أن يدفع الجميع بسائله الجنسي في الماء وذلك على فترات متقاربة.

يعتبر هذا السلوك محاولة للزيادة من حُظوظ التلاقي بين الحيوانات المنوية والبويضات الأنثوية، حُظوظا تتضاعف أكثر نتيجة إفراز البويضات الأنثوية لبعض الهرمونات التي تحملها التيارات والتي تساعد الحيوانات المنوية على "التعرف" والتوجه نحو هاته البويضات لتلقيحها.

أما عن عدد الخلايا التناسلية التي يمكن للأخينوس أن يدفع بها في الماء وقت الإخصاب وكمثال فقط يمكن لبعض إناث قنافذ البحر أن تلد أكثر من عشرين مليون من البويضات في صيف واحد.

أما فيما يخص الجهاز التناسلي ذاته فهو يتكون سواء عند الذكر أو الأنثى من خمسة مناسل شعاعية ذات لون برتقالي يفرغ محتواها ساعة التلقيح بواسطة مسالك قصيرة.

الجهاز العصبي : يتكون الجهاز العصبي من حلقة محيطة بالمريء تتفرع إلى خمسة أشرطة شعاعية الشكل تعصب كل منها واحدة من الحجرات الخمسة التي تكون جسم قنفذ البحر ثم من حلقة محيطة بالفم تعصب المناسل بالإضافة إلى جهاز عصبي ناقص يعصب الجهاز المضغي.

تصنيف قنافذ البحر : تُصنّف قنافذ البحر إلى مجموعتين اثنتين، فهي إما ذات تماثل مرتّب وإما ذات تماثل غير مرتب. أما ذوات التماثل المرتب فهي تستجيب للوصف الذي أعطيناه سابقا. يوجد الفم عند هاته الفئة على الواجهة البطنية وهو محاط بجهاز مَضْغي معقد، والشرج على الواجهة الظهرية.

أما فيما يتعلق بالمجموعة ذات التماثل غير المرتب فهي تتوفر على قوقعة سهلة الإنكسار مغطاة بعدد كبير من الأشواك اللينة أو الوَبَرِيَّة. وخلافا للمجموعة الأولى يوجد الشرج إما على الواجهة الخلفية أو الواجهة البطنية على مقربة من الفم مما يزيد البنية الداخلية تعقيدا. أما الجهاز المضغي فهو، في حالة وجوده، ذو بنية بسيطة يحيط بفم على شكل هلال تحولت فيه الشفة السفلى لتصبح على شَكل منْقَارَطَيْرٍ يتلاءم وحياة هاته المجموعة الرملية. والجدير بالذكر أن كلاّ المجموعتين موجودة في المغرب على طول سواحله الأطلسية والمتوسطية وهي ممثلة بعدة أنواع يمكن أن نذكر من بينها Paracentrotus lividus وArbacia lixulae فوق الصخور وEchinocardium cordatum في الرمال.

تعيش قنافذ البحر في مواطن عديدة وعلى عمق يمتد من سطح البحر حتى عمق آلاف الأمتار. تكثر الأنواع التي تنتسب إلى ذوات التماثل المرتب بين الطحالب، تحت وفوق الصخور حيث بتمحورها تصنع لنفسها نخارب تسكن فيها وتغطي نفسها تَفَادِيًا لأعين الحيوانات الأخرى المفترسة كما أنها تتغذى على الطحالب وعلى الحيوانات الأخرى الصغيرة كالقشريات والحلقيات...

أما فيما يتعلق بذوات التماثل غير المرتب فهي تستوطن الجحور وسط الرمال والرمال الطينية وتتغذى عادة على الرمال والطين حيث تمتص منها كل ما هو عضوي لتقذف بباقي المواد المعدنية خارج الجحر.

استعمالاته : تعتبر مناسل الأخينوس أهم عضو بالنسبة للإنسان ؛ فبالإضافة إلى قيمتها الغذائية، وبفضل محتواها، استطاع الإنسان أن يكتشف ويتعرف لأول مرة في عالم الحيوانات، على جميع مراحل عملية تلقيح البويضات الأنثوية من طرف الحيوانات المنوية، ولا زالت

مراحل هاته العملية تُدرس حتى اليوم كنموذج في الكليات والمعاهد. كما استطاع الإنسان أن يستخرج من مناسل قنافذ البحر مادتي الجزرين "ب" والقنفذية التي يمكن أن تحوّل إلى فيتامين "أ".

Anonyme (1980), *Les animaux*, l'encyclopédie des animaux dans la nature, vol. 3, *Animaux de la mer* (Deuxième édition), Hachette édit., 575 p. ; H. Boue et R. Chantion (1962), *Biologie animale, Zoologie*, I. *Invertébrés*, tome II, Doinet Cie édit., 723 p. ; Camprell, A.C. et Nicholls (1968), *Guide de la faune et de la flore littorales des mers d'Europe*, Coll. "Les Guides du Naturaliste", Delachaux et Niestlé édit., 322 p. ; G. Cherbonnier (1954), *Le roman des Echinodermes*, Coll. "Le monde et l'homme", Oberth édit.; 128 p. ; G. Cherbonnier (1980), *Les animaux* ; l'encyclopédie des animaux dans la nature, Vol. 6, *Panorama du monde animale : Echinodermes*, Hachette édit., (deuxième édition), 1039-1050 ; L. Cuenot (1948), *Echinodermes - Stomocordés. Procordés* in Grasse P.P., *Traité de Zoologie*, tome XI, Masson et Cie édit., 1077p. ; W. Luther et K. Fiedler (1987), *Guide de la faune sous marine des Côtes méditerraneennes*, coll. "Les Guides du Naturaliste", Delachaux et Niestlé édit., 270p. ; F. Sauer (1978), *Plages et Côtes*, Guides Nathan / Nature édit., 144 p.

محمد منيوي

الإدارة، لفظ الإدارة مشتق من صميم اللغة العربية من مادة دار يدور، أصل واحد على حد قول ابن فارس، يدل علي إحداق الشيء بالشيء من حواليه، ولقد ورد بمختلف صيغه في التنزيل وفي الحديث وفي كتب اللغة، ما عدا بصيغة "إدارة"، فلم نقف له على ذكر فيما تصفحناه، وسبب ذلك أن ما يفيده هذا اللفظ من المعاني في عالمنا المعاصر كان مجهولا لدى السلف، وفاقد الشيء لا يعطيه، لأن الإدارة في مفاهيمنا الحالية هي مجموع الأعمال أو عناصر التأطير التي تمكن المؤسسات الاقتصادية من إنعاش خيراتها والهيئات الاجتماعية من تدبير شؤون المرتبطين بها، أو الدولة العصرية بالأحرى من تتبع أحوال الجمهور ومعالجتها والإحاطة بالشاذة والفاذة منها بإحصاء السكان ومسح التراب وقياس هذا بذاك وترتيب المداخل وإعداد النفقات ووضع الجداول وتعبئة الجذاذات والتحليل والتحريم والضبط والربط. ولم تكن الدولة الكلاسيكية، لا في عالمنا الإسلامي العربي ولا في المجتمعات الأوربية تعنى بهذه الجزئيات، حيث كان السلطان الأعلى لدينا ولديهم، يكتفي بالقيادة العامة للأمة وبرصد الأموال الضرورية للدفاع عن حوزتها وإقرار العدل بين الأفراد والجماعات، حتى إذا انقلبت الظروف التاريخية رأسا على عقب ابتداء من القرن السادس عشر، واتسعت آفاق المسؤولية الحكومية بأوربا من جميع الأبعاد، عندئذ اتخذ الأوربيون كلمة "أدمنستراسيون" (Administration) التي كانت رائجة من أصل لاتيني يفيد المساعدة والتمكين، للدلالة على تدخلات الدولة في أدنى جزئيات حياة الجمهور، ثم كانت الثورة الفرنسية، أواخر القرن الثامن عشر، فاستقر هذا المعنى الجديد بما استقر من مفاهيم الحكم المعاصر وقواعد التعامل بين الحكام والمحكومين الذين أضحى الحكم بينهم دولة يتداولونها بالنيابة والتناوب، فحلت أساليب الاقناع والترغيب محل أساليب القمع والترهيب.

وكلمة "إدارة" إنما هي تعريب كلمة "أدمنستراسيون" ولا سبيل إلى ضبط تاريخ استعمالها بهذا المعنى في اللغة العربية، لافتقار اللغة العربية إلى معاجم تاريخية، وكل ما نعلم أن لفظ "مدير" كان يعني لدى العثمانيين رئيس الناحية، وهي مقاطعة من مقاطعاتهم، كما نعلم أن هذا المفهوم الجديد من مفاهيم الحكم تسرب إلى المجتمع المغربي مع الضغوط الأوربية التي مورست عليه في القرن التاسع عشر، ولقد جاء التعبير عنه بما كانوا يستعملون من مصطلحات الترتيب والنظام والتنظيم والإصلاح، ولا وجود لكلمة "إدارة" فيما اطلعنا عليه من الكتابات المغربية قبل حلول القرن العشرين، لا الخاص منها ولا الرسمي، لكنها وردت في مشروع الدستور الذي رفعه مجهول إلى المولى عبد العزيز سنة 1904 أو 1905، كما وردت في مشروع الدستور الذي وضعه أصحاب "لسان المغرب" سنة 1908، فلا سبيل إلى الجزم بأكثر من أن اللفظ دخل المغرب من جهة الشرق ومن باب طنجة، وأنه ترسم بمقتضى عقد الحماية الذي نص على أن الدولة الحامية تقوم بجميع الإصلاحات التي يحتاج المغرب إليها وفي مقدمتها الإصلاح الإداري، ولم يكن ذلك إصلاحا وإنما كان قلبا للأوضاع غطت عليه الدعاية الاستعمارية بما تعمدت من خلط الحكم وهو عندهم "گوفرنمان" (Gouvernement) وكانت الدولة المغربية قائمة به على التمام، ومفهوم الإدارة أو "أدمنستراسيون" وهو ما لم يكن لا من طبائعها ولا من مستلزماتها، وأدخلته الدولة الحامية على البلاد لاستغلال خيراتها وتأطير سكانها واعتماد الوسائل الإدارية لتجاوز مفهوم الحماية القانوني إلى مفهوم الحكم المباشر والتبعية الاستعمارية، ولو تفطّن عبد الحي الكتاني بما بين الحكومة والإدارة من التفاوت في التاريخ لما جعل لكتابه عن عصر الرسول عنوان "نظام الحكومة النبوية المسمى *بالتراتيب الإدارية*"، ولا يترتب على قيام الحاضر على الماضي قيام الماضي على الحاضر، ولا وجود إعادة بناء صرحه بما لم يكن متداولا لدى السلف ولا بيدهم.

هذا ولقد جعلت الحماية مختلف إداراتها أربعة أقسام، قسم خاص بما بدا لها أن تحتفظ به من الوظائف المخزنية الأصلية، وقسم قائم بأجهزة الحكم والمراقبة الأجنبية، وثالث مضطلع بوسائل الاستغلال الاقتصادي، والرابع للتأطير الاجتماعي، وسنستعرضها فيما يلي مقتصرين على أوضح ما يصور معانيها التاريخية.

1. الإدارة المخزنية الجديدة : أول ما ترتب على عقد الحماية الفرنسية على المغرب أن جرى تقسيم البلاد إلى ثلاث مناطق من النفوذ تباين فيها الحكم والإدارة، حيث أقامت فرنسا بمنطقتها إدارة خاصة بسلطتها أصبحت تدعى بالمنطقة السلطانية لإقامة السلطان بعاصمتها الرباط، وأقامت إسبانيا أخرى تابعة لأحكامها ودعيت بالمنطقة الخليفية لإقامة خليفة للسلطان بتطوان، وظلت طنجة وأحوازها تحت تصرف نواب الدول الموقعة على عقد

الجزيرة الخضراء. وغني عن البيان أن مختلف تلك الإدارات لم يوضع لا دفعة واحدة، ولا مسح مجموع التراب المغربي من أول وهلة، فإدارة طنجة الدولية لم يتفق بشأنها الأقطاب إلا سنة 1923، وإسبانيا لم تطأ أقدام موظفيها أودية الريف الداخلية إلا سنة 1925، كما أنهم لم يتجاوزوا شواطئ الساقية الحمراء ووادي الذهب إلى الداخل إلا بعد سنة 1934، وفرنسا كذلك لم تستتبّ لها الأمور بجبال الأطلس إلا بعد مطلع الثلاثينات.

لكن المستعمر بادر في جميع الحالات إلى وضع الوسائل الإدارية التي مكنته من مراقبة شؤون المغرب العليا والإحاطة بها إحاطة السوار بالمعصم، ولما كانت الأغراض واحدة والاتجاهات متوازية، فلا عبرة في هذا الإطار المعلمي المنحصر، بتباين الأشكال واختلاف أجناس المديرين، سيما وأن السلطان ظل هو مصدر التشريع، وأن الشعب المغربي، الموحد ملة ومذهبا، كان هو المقصود بالهياكل الإدارية الدخيلة. ولما كان هذا الشعب له دولة عريقة في الحكم وحيث إن المستعمر التزم حرفيا بالمحافظة على التقاليد والمقدسات المغربية، فإن أول ما سعى له سواء على الصعيد المركزي أو على الصعيد المحلي، هو أن يتصرف بالأجهزة المخزنية الموروثة بكيفية تضمن في آن واحد تسخير تلك الأجهزة لفائدة الإدارة الأجنبية والتحايل على مدلول الحماية بحذف ما كان موجودا وإحداث ما لم يسبق له وجود وحفظ ما كان من اللازم حفظه كمظلة ستظل بها للتصرف بما كان وراءها من النفوذ.. وهكذا احتفظ بمنصب الصدارة العظمى وحذفت وظائف وزير البحر والعلاف الكبير لفائدة المقيم العام الذي تقمص الوظيفتين معا، واحتفظ بمنصب أمين الأمناء أو وزير المالية الذي لم يكن عقد الحماية قد أشار بحذفه إلى تاريخ 5 غشت 1914 حيث صدر ظهير بحذفه مع إعادة تنظيم شؤون المالية المغربية، وكذلك حذفت وزارات الشكايات، وكان ذلك إيذانا بالتصرف بشؤون العدل والقضاء، وابتدعت وزارتان لم يسبق العهد بهما في أعراف الدولة المغربية، وزارة العدل التي انحصرت مهامها في تأطير القضاة وأعوانهم، ووزارة الأحباس التي أبانت عن تمسك المستعمر بالمقدسات الإسلامية في الظاهر، ومكنته في الواقع من مراقبة جانب غير يسير من خريطة الملكية العقارية بالبلاد ومن وسيلة للضغط على المنتفعين. وجرى التصرف كذلك بالوظائف المحلية حيث احتفظ بألقاب الباشا والقائد والخليفة والشيخ والمقدم مع إيقاف لقب الباشا على حكام المدن ولقب القائد على حكام البوادي، وحذفت قيادات وأحدثت أخرى، وتقلص نفوذ بعضها وامتد نفوذ البعض الآخر، وكان من ذلك سياسة القواد الكبار التي جعلت التهامي الأگلاوي يحكم من مراكش وأحوازها إلى وادي درعة، وتصرف المستعمر بالجماعات القروية فاحتفظت البوادي اسميا بجماعاتها ولكن المؤسسة دخلها ما دخلها من العسف والخلط فغدت تفيد تارة الجماعة الإدارية القروية وتارة أخرى الجماعة القضائية وأحيانا كائنا معنويا مجرداً من كل وظيف.

أما كبريات المدن فلقد أحدثت بها لجن بلدية بظهر فاتح أبريل 1913 الذي جعل الباشا رئيسا لها والقنصل الفرنسي نائبا للرئيس وموظفا فرنسيا قائما بالمصالح البلدية، ثم وضع القانون الأساسي للبلديات بظهير 8 أبريل 1917 الذي جعل وظائف البلديات، باستثناء ما تميزت به فاس والدار البيضاء، أولا موزعا بين الباشا كممثل للسلطان، ورئيس للمصالح البلدية كممثل للإدارة الاستعمارية، ولجنة بلدية مزدوجة من العنصر المغربي الذي كان معنيا ومن العنصر الفرنسي الذي كان منتخبا.

وسارت السلطات الإسبانية بمناطق نفوذها سيرة مماثلة، سيما وأنها كانت تستمد مشروعية احتلالها ليس من السلطان الذي لم يوقع لها على شيء، وإنما من تنازل فرنسا لها عن بعض الأقاليم بالشمال والجنوب، وعبثا حاولت الحماية الإسبانية تفادي ذلك باستمرار بإحداث خلافة سلطانية بتطوان وإحاطتها بجهاز مخزني شبيه بالجهاز المركزي على الشكل الذي تصرفت به فرنسا، لكنها استطاعت أن تفصل إدارة المنطقة الشمالية عن إدارة الأقاليم الصحراوية، فكان ذلك أهم ما تميزت به إدارتها إضافة إلى ما ترتب على أعمالها بالمغرب من سوء استقرار الأوضاع السياسية بالتراب الإسباني طيلة فترة الحماية، حيث كانت إسبانيا ملكية سنة 1912، ثم أصبحت جمهورية سنة 1931، وانتقلت إلى نظام الدكتاتورية العسكرية سنة 1939.

أما منطقة طنجة الدولية فإن مركز المشروعية بها كان هو المندوب السلطاني، وجعلت الإدارة الفعلية بيد ممثلي الدول اللذين ظلوا يتصرفون بها بحكم الأمر الواقع بعد سنة 1912، إلى أن اتفقوا على قانون وضعوه يوم 18 دجنبر 1923 بباريس، فأسندت السلطة الأساسية لمجلس تشريعي مركب من ممثلي الدول، إضافة إلى تسعة مغاربة منهم ثلاثة من اليهود، ومن لجنة للمراقبة مركبة من قناصل الدول القائمين بطنجة، ومن مدير ومديرين مساعدين للقيام بجانب التنفيذ. وإذا ما استثنينا فترة الحرب العالمية الثانية التي سطت فيها إسبانيا على المنطقة، فإن هذا النظام ظل قائما في مجمله إلى يوم الاستقلال.

2. إدارة المراقبة وإثبات النفوذ الاستعماري : كانت وسائل القرار والإقرار والتنفيذ والمراقبة والأخبار والاستخبار وكلها بيد المقيم العام ومن كان يقوم مقامه، مركزيا ومحليا، ولقد تم "تأسيس إدارات عمومية على الهيئة العصرية" كما جاء في أول ظهير صدر بالجريدة الرسمية، الصيغة العربية، وجرى "أحداث التنظيمات الذي اقتضى بها الحال" في ظرف وجيز نسبيا وبوتيرة متدفقة، مما لا سبيل إلى ذكره بالتفصيل فنكتفي بإبراز معانيه.

فمن الإدارات المبتكرة، إدارة الإقامة العامة التي كان بيدها السلطتان المدنية والعسكرية في عهد ليوطي

(Lyautey)، ولذلك ألحق بها عدد من المكاتب والدواوين، وأقيم بجانبها مفوضية مكلفة بالنيابة عن المقيم العام في حالتي العجز أو الغياب، وكتابة عامة للحماية، أنيط بها دور تنسيق أعمال الإدارات المتخصصة التي أطلق عليها عبارة "الإدارات الشريفة الجديدة" ويجوز أن نميز بشأنها بين الإدارات المكلفة بالمراقبة السياسية والإدارات المكلفة بالتجهيز والاستغلال.

فبخصوص المراقبة السياسية، فلقد تقاسمتها مستشار الشؤون الشريفة من جهة ومدير الداخلية من جهة أخرى، وكان الأول يراقب الأجهزة المخزنية العليا ويمارس الضغوط عليها عند الاقتضاء ويستصدر منها النصوص التشريعية والتنظيمية، ويترجمها، أو يبلغها قرارات المقيم العام بعد تعريبها ويسهر على إصدار الجريدة الرسمية التي أضحت مدونة مسترسلة بما كان ينشر فيها من النصوص الرسمية.

وكانت وظيفة مدير الداخلية مراقبة الجماهير المخزنية والسلطات المخزنية المحلية وتسيير الشؤون العامة للبلاد وفي طليعتها شؤون الأمن والاستعلامات والإشراف على المكلفين بها في الرباط وخارج الرباط من مراقبين مدنيين وضباط الشؤون الأهلية إلى أدنى مستويات الشرطة والعسس.

أما التأطير التقني فلقد أنيط بعدد من الإدارات التي اختلفت باختلاف وجوه التجهيز الاقتصادي والاجتماعي، بدأ بالمالية والأشغال العمومية والبريد، ثم الفلاحة والغابات والإنتاج الصناعي والمعادن والتجارة والملاحة التجارية، وخلوصا إلى الصحة والتربية والشغل والقضايا الاجتماعية، ولقد توحدت بعض هذه الإدارات تارة وتميزت بعضها عن البعض تارة أخرى، دون أن يطرأ أي تغيير على الأهداف والأساليب.

وكانت الإدارات الإقليمية والبلدية والقروية مبنية على نفس الأسس، سواء كانت قيادتها العليا عسكرية، مثلماكان الشأن في أقاليم فاس ومكناس ومراكش وأگادير والتخوم الصحراوية، أو كانت مدنية مثلما كان الشأن في وجدة والدار البيضاء وناحية آسفي والصويرة يوم تحولت إلى منطقة إدارية قائمة بذاتها، فهنا وهناك كان الجنرال أو المراقب المدني رئيس الناحية ومن كان يساعدهما من الموظفين الفرنسيين وبخاصة الكاتب العام للإقليم، هم أصحاب الحل والعقد وهم المشرفون على الإدارات المحلية السياسية والتقنية على السواء، إذ كانت الغاية من السيطرة الإدارية هي استثمار خيرات البلاد وإعداد يدها العاملة للرأسمال الاستعماري، واحتكار الأسواق المغربية للمنتجات الأجنبية.

3. الإدارة سبيل الاستثمار : لقد بادرت الإدارة الدخيلة إلى تمهيد سبل السيطرة على الأرض والماء والخيرات المعدنية بحكم القانون، فكان من التنظيمات الأولى وضع قواعد المحافظة العقارية وأساليب التفويت من خلال ظهير 12 غشت 1913، وإحداث دوائر الاستعمار الفلاحي الرسمي بظهير 9 أبريل 1919 وإقرار ملكية المياه للدولة بظهير فاتح يوليوز 1914 وإلحاق المياه الجوفية ومياه المروج والضايات بها (ظهير 8 نونبر 1919) وصون الأراضي الجماعية لتبقى بنظر الإدارة الجديدة وذلك بأول "ظهير بربري" بتاريخ 7 شتنبر 1914، وبظهير 19 أبريل 1919 الذي أضيف إليه في نفس السنة بتاريخ 19 نونبر ظهير إلحاق أراضي المرجات بمراقبة الدولة، وهي كل أراضي الغرب التي أقيمت فيها بعد ذلك أجود ضيعات الاستعمار، يوم تقرر لديهم جعل المغرب كالفورنيا ثانية، ورصدت لذلك جميع وسائل التشجيع الرأسمالي من قروض ومكافآت وتعويضات مما لا نذكر منه في المجال الفلاحي إلا مكتب الحبوب الذي أحدث بظهير 24 أبريل 1937 لضمان مبيعات المعمرين الذين تشوف بعضهم إلى جعل المغرب مخزنا للحبوب.

ووضعت أقسام إدارة الشؤون المالية بما فيها من مصالح الميزانية ومراقبتها ومصالح الضرائب المباشرة وغير المباشرة والخزينة العمومية وبنك المغرب الذي يعود إحداثه إلى مقررات الجزيرة الخضراء، وجعل حد لفوضى الرواج النقدي بتوحيد العملة وإدخالها في منطقة الفرنك بعد إحداث الفرنك المغربي بظهير 21 يونيه 1920. واستنبطت أساليب وضع الميزانية من الأساليب الفرنسية فدخلت على المغرب معظم الضرائب الفرنسية مثل الباتنتة (Patente) أو الضريبة على المعاملات بظهير 9 أكتوبر 1920، والضريبة الحضرية التي نص عليها البند 61 من عقد الجزيرة الخضراء ونظمها ظهير 24 يوليوز 1918، والضريبة على السكنى بظهير 30 يوليوز 1927، هذا إضافة إلى ضريبة الترتيب التي كانت الدولة المغربية قد حاولت إقرارها قبل الحماية وجاءت السلطات الجديدة لتثبت نظامها بظهير 10 و11 مارس 1915.

وأقيمت إدارات الضرائب غير المباشرة وفي مقدمتها إدارة الجمارك، علما بأن تعريفة الرسوم على الواردات كانت قد حصرت عند 10 ٪ من قيمة البضائع منذ مؤتمر الجزيرة الخضراء، لكن التقنيات العصرية لإدارة الجمارك كانت كلها من وضع الحماية، ورتبت إلى جانبها مختلف الضرائب غير المباشرة بما في ذلك الرسوم علي مواد الاستهلاك مثل السكر والتبغ والمشروبات أو واجبات التسجيل (ظهير 11 مارس 1918) والتنبر (Timbre) بظهير 15 دجنبر 1917.

واهتمت السلطات الاستعمارية بإحصاء الخيرات المنجمية والمعدنية ووضعت الوسائل الإدارية لاستغلالها، فأقامت المكتب الشريف للفوسفاط بظهير 7 غشت 1920 وقررت إيقاف استغلال تلك الخيرات على الدولة، مما جعلها حكرا على السوق الفرنسية لمدة الحماية، كما أقامت لنفس الغاية مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية بظهير 15 دجنبر 1928.

وأقيمت مكاتب أخرى لضبط شؤون التجارة وتدبير

أسباب المواصلات بالبريد والبرق والهاتف منذ فاتح أكتوبر 1913 حيث غدا بريد المغرب نسخة طبق الأصل للبريد الفرنسي، وشُرع في بناء الطرق والموانئ والسكك الحديدية، وأحدث المكتب المركزي للنقل بظهير 6 غشت 1936 لضبط الأسعار وترتيب التناوب والمواقيت. وأقيمت مكاتب توزيع الماء والكهرباء تارة بمبادرات إقليمية، وتارة بمبادرة الدولة المركزية التي أحدثت بظهير 19 يوليوز 1929 وكالة الاستثمارات الصناعية للحماية بهمة صيانة أدوات العمل الحكومي من آلات وسيارات، وكذلك تزويد بعض المدن الصغرى من الماء والكهرباء مثل أزرو وفضالة (المحمدية) وابن سليمان وأسفي ووزان. وفي الميدان التجاري المحض، أقيم مكتب تداول الأسهم العقارية سنة 1929 والمكتب الشريف للمراقبة والتصدير (ظهير 22 يناير 1937)، ومكتب السياحة في نفس التاريخ، ومكتب للتجارة مع الحلفاء بظهير 19 يوليوز 1943، ومكتب الصرف بظهير 8 يناير 1944 لتبقى معاملات المغرب الدولية كلها بنظر الدولة الحامية ومصلحة الفرنك.

4. التأطير الاجتماعي : تدخلت سلطات الحماية في القطاعات الاجتماعية بنفس روح الضبط والترتيب وضمان رفاهية الأقلية الأجنبية مع السعي في اتقاء كل ضرر يأتي من جهة الأغلبية المغربية.

ففي ميدان العدل كان من اللازم ترتيب القضاء الأصلي بما يصون قدسية الإسلام ويسمح في ذات الوقت بمراقبته والحيلولة دون وقوفه عرقلة في وجه المعمرين، ولذلك حلت وزارة العدل محل وزارة الشكايات (31 أكتوبر 1912) وصدر ظهير 7 يوليوز 1914 بتنظيم القضاء المدني ومسطرة تفويت الأملاك، وظهير 7 فبراير 1921 بأحداث محكمة الاستئناف الشرعي، وظهائر بشأن أبي المواريث ووكالة الغياب ومهنة الوكلاء الشرعيين والقانون الأساسي للقضاة والعدول. وأسند الحكم في المعاملات المدنية والعقوبات للباشوات بالمدن والقواد بالبادية، بمراقبة مفوض حكومي أجنبي (ظهير 2 غشت 1918)، وأحدثت المحكمة العليا الشريفة لاستئناف تلك الأحكام بظهير 4 غشت 1918.

وأبت سلطات الاحتلال إلا أن تحدث جهازا قضائيا لا يمت بصلة إلى القضاء المغربي لينظر في قضايا الأقلية الأجنبية بناء على أعرافها ومدوناتها ورعيا لمصالحها المادية والمعنوية ؛ فصدر ظهير 12 غشت 1913 منظما للمحاكم الفرنسية وألحقت به الظهائر المنظمة للمسطرة الجنائية والمدنية وهيئات أعوان القضاء من محامين وموثقين ومراسل، وكذلك مدونة المعاملات التجارية وتسجيل العقار، وجعلت المحاكم على ثلاثة مستويات : محاكم للسداد، ومحاكم إقليمية، ومحكمة للنقض والإبرام، وكان ذلك القضاء المتميز دليلا على الغاية الاستعمارية بما كان يعارض من قاعدة قطرية القضاء المعترف بها بين الدول. وبلغ السيل الزبى يوم رام المعمر إلحاق نصف سكان المغرب بهذا السلك القضائي الدخيل، وذلك بمقتضى الظهير البربري ليوم 16 ماي 1930 لكن المحاولة باءت بالفشل.

وأحدثت مكاتب للعناية بشؤون الأقلية الاجتماعية مثل مكتب العائلات المتعددة الأفراد بظهير 4 يوليوز 1928 الذي تحول فيما بعد صراحة إلى مكتب العائلة الفرنسية (ظهير 25 أبريل 1941) وأنشئ مكتب لسكنى العسكر الفرنسي سنة 1941 وآخر لسكنى رجال البحرية سنة 1942، وأحدث في نفس السنة صندوق المساعدة الاجتماعية للمستخدمين والعمال.

وفي مجال الصحة أقيمت النواة الأولى لإدارة الصحة بتاريخ 19 أبريل 1913 وكانت أول نواة لمعهد باستور (Pasteur) بالرباط منذ 1912، وبالرباط أيضا أقيم معهد مكافحة مرض الكلب بتاريخ 4 ماي 1915، ونظم قرار وزيري بتاريخ 16 مارس 1920 مجلسا مركزيا للصحة والتطهير في العموم وفتحت مستشفيات ومتوصفات بكبريات المدن للعلاج واتقاء الأوبئة، وأيضا لتوظيف وسائل العلاج للاستقصاء وممارسة الضغوط.

وهيمنت حسابات مماثلة لدى إقامة الإدارات المكلفة بالتعليم والثقافة والشبيبة والرياضة، فلقد اهتمت السلطات الفرنسية بإعداد موظفيها لمهام التأطير، فأقامت مدرسة ليتعلموا بها اللغتين العربية والبربرية منذ 1914، وتلك المدرسة هي التي تحولت سنة 1920 إلى معهد عال للدراسات المغربية في مجال علوم الاجتماع، ثم أقيم إلى جانبه المعهد الشريف للعلوم البحتة ، أما بخصوص التعليم فلقد أقيمت في البداية بعض المدارس الابتدائية وبعض الأقسام الإعدادية لأبناء الأعيان في بعض العواصم ولأبناء وجوه القبائل البربرية بأزرو، ولم تتسع أقسام الطورين الأولين من التعليم شيئا ما، إلا غداة الحرب العالمية الثانية لمواجهة مطالب الحركة القومية التي ما فتئت منذ نشأتها الأولى تندد بالخطة المالتوزيانية التي كانت الحماية تنهجها في هذا القطاع، وكذلك من جراء الضغط الديمغرافي وتضخم الإدارات، الأمر الذي اضطر الحكام إلى توظيف بعض المغاربة في المستويات الدنيا والمتوسطة من الوظائف، ولذلك أحدثت مدرسة للفلاحة بمكناس سنة 1945 والمدرسة المغربية للإدارة بالرباط سنة 1948، ووقع الاهتمام بشؤون الشبيبة والرياضة في نفس الحقبة.

ولم تتغافل الإدارة الاستعمارية عن الفن المغربي الزاخر وإنما اعتنت بصيانته وترميمه واجتهدت في توظيفه لتدعيم صناعة السياحة حيث أحدث مكتب السياحة سنة 1937، والمكتب السينمائي المغربي سنة 1940.

تناقضات الإدارة الاستعمارية وانهيارها : لم تترك سلطات الحماية شاذة ولا فاذة من أسباب حياة المغرب المعاصرة إلا وقفت عليها وجعلت لها الضوابط والرواسي، لتكون أصولها وعوامل صيرورتها بيد أولى الأمر الدخلاء، سواء في ذلك أقربها من مراكز القرار أو أبعدها منها،

فكانت تلك الإدارة مبنية على روح الشمولية، هادفة إلى إقرار التنظيمات الكلية والجزئية في البلاد، ساهرة على أن تضبط الأمور من أعلى مقاليد الحكم باستمرار.

على أن أوج الأمور عنوان أفولها، فما أن أخذت الإدارة الدخيلة تستكمل بنيانها وتؤتي أكلها غداة الحرب العالمية الثانية حتى صارت تعاني من تضخم هياكلها ومما ترتب على ذلك من السراب والخيال الذي أفقد المعمرين سبيل التواضع والاعتدال، فوقعوا في متاهات كان فيها إتلاف الحماية جملة وتفصيلا من جراء تفاقم التناقضات وتصدع شامل للبنيان. ولا سبيل إلى إغفال كون الإدارة الاستعمارية، مهما كان من قيمة أعمالها، كانت إدارة دخيلة على المجتمع المغربي متسلطة عليه، يدير دواليبها موظفون أجانب لا يعنيهم إلا شؤون بني جنسهم القاطنين أو غير القاطنين، ولا ينكبون على أمور أهل البلاد إلا من باب لزوم المحافظة على سلامة الاستعمار وضمان ربعه، مع أن روح عقد الحماية والنص بالحرف، كانا يحصران مهام المقيم العام عند اقتراح الترتيبات الإصلاحية على السلطان وانتظار صدورها برضاه ومساعدته على تنفيذها، ولكن ممارسات الغلبة سرعان ما أدت إلى تجاوز هذا القانون وسرعان ما انتقلت الحماية إلى إدارة مباشرة. ولعل أوضح مثال على ذلك قضية التقسيم الإقليمي للبلاد إلى نواح عسكرية وأخرى مدنية، وتقسيم الناحية إلى دوائر، والدوائر إلى ملحقات، فلقد تمّ ذلك ليس بظهير سلطاني ولكن بقرار رئيس الجمهورية الفرنسية بتاريخ 3 أكتوبر 1926 صدر بالجريدة الرسمية الفرنسية قبل أن يصدر بالجريدة الرسمية المغربية، وسبب ذلك إقدام الحكومة الفرنسية غداة انسحاب ليوطي (شتنبر 1925) ونهاية حرب الريف، على فصل قيادة جيوش الاحتلال عن السلطة المدنية للمقيم العام، وكان ذلك القرار خرقا سافرا للمشروعية الدولية، لكن البلاد المغربية حكمت بمقتضاه إلى نهاية الحماية، وتلك الوضعية غير القانونية هي التي مكنت رؤساء النواحي من مطلق السلطات وجعلت بعضهم يمارس من النفوذ أقوى مما كان يمارسه المقيم العام نفسه، مثل بونفاس (Boniface) رئيس ناحية الدار البيضاء كنموذج مدني، والجنرال دوتفيل (D'Hauteville) رئيس ناحية مراكش كنموذج عسكري.

وكان من الأدلة الواضحة الأخرى على مرامي التجهيز الإداري إحداث مجلس للحكومة بمجرد قرار مقيمي اتخذه ليوطي بتاريخ 18 مارس 1919 ليلحق بمقتضاه ممثلي الغرف الفلاحية والتجارية والصناعية الفرنسية بالاجتماعات التي كان يعقدها المقيم مع مساعديه من المديرين، وتلك الجلسات الإدارية الصرفة هي التي أصبحت، مجازفةً، مجالس حكومية تعالج فيها أسبقيات الاستعمار. وسنة 1926 التحقت بالغرف المذكورة هيئة ثالثة تمثل المهن الحرة والمستهلكين الأجانب، أما الجانب المغربي فلم يسمح بتمثيله في هذا المجلس إلا سنة 1923، علما بأن الممثلين كانوا معينين لزوما ممن كان يتعاطى الفلاحة أو المقاولات العصرية وكانوا قلة.

وبلغ البهتان الاستعماري حدوده التاريخية يوم جاء الجنرال جوان مقيما عاما سنة 1947، وصار يناور ويموه في قارعة النهار، فقرر توسيع التمثيل المغربي في مجلس الحكومة وأذن بانتخاب الممثلين عوضا عن تعيينهم. ولما انتخب جماعة من ذوي الغيرة الوطنية وأبت السكوت على أساليب العمل بالكيلين وبالوزنين، طردها المقيم العام من الجلسات علانية، ولم تكن العملية من أصلها إلا مناورة لتمرير الظهائر "الإصلاحية" التي كانت قد أعدت بقصد إشراك الأقلية الأجنبية في سيادة البلاد وتخويل ممثليها حق الجلوس في الحكومة وفي البلديات على قدم المساواة مع أهل البلاد، باعتبار مساواة وزنهم الكيفي من جهة الرأسمال والخبرة، بوزن الشعب المغربي العددي وكان يناهز عشرة ملايين نسمة. ولكن السلطان سيدي محمد بن يوسف، محمد الخامس، امتنع من وضع خاتمه الشريف على تلك الظهائر، فما كان من الإدارة الاستعمارية إلا أن عزلته عن عرشه وأمرت بنفيه في مدغشقر، فوقعت بذلك في أخطر التناقض، شأنها في ذلك شأن الفرع يطغى على أصله، وسايرت حكومة باريس تصرفات الشرذمة الاستعمارية منفذة المؤامرة، إلى أن اشتعلت نيران ثورة الملك والشعب، فتبين لها أن سلطاتها كانت قد ديست إلى أقصى الحدود، وكان لزاما عليها أن تتراجع، وكان لا بد من إبعاد المسؤولين عن الجريمة، وكان لا بد من إرجاع الملك الشرعي إلى عرشه، فكان ذلك عنوان إلغاء الحماية واسترجاع السيادة الوطنية وتوحيد البلاد وإدارتها، ووضع تلك الإدارة على قدميها بعد أن كانت في الوضع الاستعماري وكأنها تدور على أم رأسها.

الجريدة الرسمية للحكومة المغربية ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم، مخطوط* ؛ *تحليل رسائل شريفة*، باريس 1915 ؛ ع. الجبرتي، *عجائب الآثار في التراجم والأخبار*، القاهرة 1958 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. الكتاني، *التراتيب الإدارية* ؛ ع. بن شنهو، *النظام الإداري بالمغرب*، الرباط 1951 ؛ ع. علال، *حفريات في الحركة الدستورية في المغرب قبل الحماية* ؛ م. حسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد*، ج. 1.

H. Gaillard, *la réorganisation du gouvernement marocain*, Paris 1916 ; H. De la Casinière, *Les Municipalités marocaines*, Casablanca 1924 ; A. Ménard, *Etude critique du régime spécial de la zone de Tanger*, Tanger 1932 ; A. de Laubadère, *Les Réformes des pouvoirs publics au Maroc*, Paris 1949 ; P. L. Rivière, *Précis de législation marocaine*, Caen, 1942-1946 ; F. Brémard, *L'organisation régionale du Maroc*, Paris 1949 ; R. Marchal, *Précis de législation financière marocaine*, Rabat 1948; J. Caillé, *Organisation judiciaire et procédure marocaine* Paris, 1948 ; P. Decroux, *Les Sociétés au Maroc*, Paris 1950 ; A. Plantey, *La Réforme de la justice marocaine, la justice Makhzen et la justice berbère*, Paris, 1952 ; E. Durand, *Traité de droit public marocain*, Paris 1955 ; C. R. Aguliere, *Traité de droit public marocain (Zone Espagnole)*, Paris 1955 ; A. Ayache, *Le Maroc*, Paris 1956 ; Amine Boutaleb, Brignon, Martinet, Rosenberger, *Histoire du Maroc*, Hatier 1967 ; R. Gruner, *Du Maroc traditionnel au Maroc moderne*, Paris 1967.

إبراهيم بوطالب

الأدارسة، أسرة كبيرة من آل البيت جدها الأعلى هو إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت الرسول (ص). التجأ إدريس، كما هو معلوم، إلى المغرب فرارا من بطش العباسيين وأسس دولته لكنه اغتيل فتولى بعده ابنه إدريس الذي كان قد تركه جنينا في بطن أمه. وعن إدريس الثاني تنحدر فروع الأسرة الإدريسية المنتشرة بسائر أنحاء المغرب وبجهات أخرى من الجزائر.

ونركز اهتمامنا هنا على الأدارسة كأسرة حاكمة أي كدولة. وجودها يقترن بالفترة 172 - 375 / 785 - 990. لكن لابد من التمييز داخل هاته الفترة بين أطوار مختلفة :

1 . طور التأسيس الذي اقترن بعهد إدريس الأول (172 - 177 / 788 - 793) أي قيام الدولة بالتفاف فريق مهم من سكان المغرب حول إدريس تضمهم قبائل كبرى ومبايعتهم له، حسب التقاليد الإسلامية.

2 . طور الهيكلة والتنظيم ويقترن بعهد إدريس الثاني (177 - 213 / 793 - 828) حيث جرى تدعيم الدولة الناشئة باستحداث عدد من البنيات والمؤسسات كان من أهمها : بناء فاس واتخاذها كعاصمة للدولة ؛ واتخاذ بعض النظم الإسلامية كالوزارة والكتابة والقضاء والإمامة ؛ وتجريد العاصمة الجديدة من تأثير العصبيات والطابع القبلي، وذلك باحتضانها لفئات مهمة من السكان الوافدين من القيروان والأندلس، مما جعل العناصر المختلفة من سكان المدينة تنصهر في وحدة بشرية تمثل، بوجه عام، التركيب السكاني الجديد الذي بدأ يعم الغرب الإسلامي انطلاقا من عهد الفتح. إضافة إلى بداية إشعاع اللغة العربية من فاس كلغة دين وثقافة ؛ ونمو رقعة المملكة بحيث أصبحت أهم كيان سياسي بالمغرب الأقصى وكان لها اتصال مباشر بسائر النواحي في البلاد.

3 . طور التقسيم : ترك إدريس الثاني غداة وفاته عدة أولاد منهم الكبار والصغار وتولى أكبرهم محمد خلافته، إلا أنه اعتبر المملكة التي تركها له أبوه إرثا لا بد من توزيعه على الورثة. هل استند في ذلك إلى المبادئ الشرعية ؟ أم هل استمع إلى نصيحة جدته كنزة كما تذكر بعض المصادر ؟ أم هل كان المقصود من ذلك التوزيع هو حضور الدولة الإدريسية بصورة مباشرة في أقاليم مختلفة؟ ليست لدينا عناصر كافية للجواب على هذا السؤال. والذي نستطيع تأكيده هو أن التقسيم كانت له سلبيات وإيجابيات. فتقسيم المملكة إلى عدة ولايات أدى إلى إضعاف السلطة المركزية ونشوء إمارات إقليمية تنزع بطبيعتها إلى الاستقلال الذاتي على أوسع مدى. وقبل إعطاء مثال على المشاكل التي ترتبت عن ذلك التوزيع، من الضروري إعطاء صورة إجمالية عن التوزيع.

قسم محمد بن إدريس المملكة إلى ما لا يقل عن تسع ولايات، نذكرها الآن حسب رواية *القرطاس*، منبهين إلى وجود اختلافات طفيفة بين المصادر التي تناولت الموضوع.

محمد بن إدريس فاس ونواحيها.

القاسم بن إدريس طنجة وسبتة وقلعة حجر النسر وتطوان وبلاد مصمودة وما والاها.

داود بن إدريس هوارة وتسول ومكناسة وجبال غياثة وتازة.

عيسى بن إدريس شالة وسلا وأزمور وتامسنا.

يحيى بن إدريس البصرة وأصيلا والعرائش إلى بلاد ورغة.

عمر بن إدريس مدينة تيكساس ومدينة ترغة وبلاد صنهاجة وغمارة.

أحمد بن إدريس مدينة مكناسة وبلاد فازاز ومدينة تادلا.

عبد الله بن إدريس أغمات وبلاد نفيس وبلاد المصامدة وسوس.

حمزة بن إدريس تلمسان وأعمالها.

تلك هي الولايات التسع التي تدل على مدى امتداد الدولة الإدريسية شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، وهي معلومات تؤكدها كل المصادر التاريخية كما تؤكدها الأبحاث الخاصة بتاريخ النقود الإدريسية. فالدراسة المهمة التي قام بها دانييل أوستاش "في هذا الصدد تقدم لنا قائمة بدور السكة تعنى الأماكن التالية : أصيلا، البصرة، تدغة، تلمسان، تهليت، سبو، طنجة، العالية، مريرة، ورغة، وازقور، واطيط، وليلي، إيكم.

لم يكن توزيع الولايات على هاته الصورة، في نية محمد بن إدريس، يهدف إلى تجريد السلطة المركزية بفاس من حقها في مراقبة الولاة الإقليميين والمحافظة على وحدة المملكة الإدريسية. لكن الخلاف ما لبث أن نشب بين الإخوة، إذ ثار عيسى بن إدريس، على أخيه محمد، فكلف هذا الأخير أخاه القاسم الوالي على طنجة بالذهاب لمعاقبة الثائر. لكن القاسم رفض القيام بالمهمة. فكلف محمد عمر بها. فتوجه هذا الأخير الذي كان واليا على غمارة وعزل عيسى عن ولايته كما تصدّى للقاسم الذي التجأ إلى أصيلا.

لم تذكر المصادر المكتوبة أسباب الخلاف. ولكن يظهر حسب التحريات التي قام بها "أوستاش" أن أسباب الثورة راجع لكون محمد سحب عن الولاة رخصة سك النقود. وكان عيسى حاكما على منطقة وازقور التي يوجد بها معدن مهم للفضة. فلم يرضخ لهذا القرار الذي يحرمه من مورد مالي مهم، عن طريق سك الدراهم. وترتب عن ذلك قراره بقطع إمداد دار السكة بفاس بمعدن الفضة.

وهكذا نشب الخلاف، إلا أنه لم يؤد، مع ذلك، إلى تقاطع. والظاهر أن الصلح وقع بعد ذلك بين الإخوة. والجدير بالذكر هو حصول نوع من الاستقرار السياسي داخل الإمارات الإدريسية المنتشرة بأنحاء المغرب. فلم تسجل

ثورات للسكان ولا معارضة للقبائل. هل يرجع ذلك إلى التقديس الذي حظيت به الأسرة في أعين المغاربة المعاصرين أم إلى أسباب أخرى ؟

الملاحظ هو اندماج الأسرة الإدريسية في المجتمع المغربي عن طريق المصاهرة والتطبع بأخلاق أهل البلاد مما جعل السكان في مختلف الأقاليم لا يتعاملون معهم كأجانب ودخلاء، بل يعتبرونهم منهم ويحترمونهم ويضعونهم في الصدارة لشرف نسبهم. ويمكننا أن نعتبر أن احترام الشرفاء كسلوك شعبي بدأ منذ ذلك العهد يتحول إلى مبدإ سياسي بعد ذلك بعدة قرون. ومع تكون عدة إمارات إدريسية، يصبح تاريخ الأدارسة متشعبا. وسنقتصر هنا على ذكر أهم الأحداث والأشخاص.

4 . الأدارسة بفاس : ظلت فاس هي الحاضرة المركزية للدولة وتولى فيها عدد من الأمراء نذكرهم بالتتابع :

أ . علي بن محمد بن إدريس (221-234 هـ) تذكر المصادر أنه سار بسيرة أبيه وجده وأن أيامه كانت أيام سلام ورخاء.

ب . يحيى بن محمد : أخو السابق (234-249 هـ) في أيامه كثرت العمارة بفاس وتوافد إليها المهاجرون من جميع جهات الغرب الإسلامي، مما دعا إلى توسيع المدينة والبناء في أرباضها. وفي عهده بني المسجدان المشهوران : جامع الأندلس وجامع القرويين.

ج . يحيى بن يحيى (249-252 هـ) في عهده حدثت أزمة بسبب سوء سيرته وثار عليه عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي واستولى على عدوة القرويين ومات يحيى في تلك الأثناء وجاء صهره على بن عمر فاستولى على المدينة وتولى الإماراة.

د . علي بن عمر : لا تحدد المصادر تاريخ ولايته بعد فترة من الاستقرار، اصطدم بثورة عبد الرزاق الفهري الخارجي وهزمه واضطر للالتجاء إلى أوربة، بينما دخل عبد الرزاق إلى عدوة الأندلس فاستولى عليها إلا أنه صادف مقاومة من لدن عدوة القرويين التي نادى أهلها على يحيى بن القاسم بن إدريس .

هـ . يحيى بن القاسم بن إدريس (المتوفى سنة 292 هـ) استطاع أن يحافظ على وجود الدولة الإدريسية بفاس حيث طرد عبد الرزاق الخارجي من عدوة الأندلس وخرج لمقاتلة الصفرية. والظاهر أنه قضى عهده في مباشرة الحروب إذ نجده يسقط صريعا في ساحة الوغى وهو يقاتل ربيع بن سليمان سنة 292.

و . يحيى بن إدريس بن عمر (292-309 هـ) تطنب المصادر في الثناء عليه. فابن خلدون ينعته أنه "كان أعلى بني إدريس ملكا" بينما يصفه *روض القرطاس* بقوله : "كان يحيى هذا أعلى بني إدريس قدرا وصيتا وأطيبهم ذكرا وأقواهم سلطانا (...) وكان فقيها حافظا للحديث ذا فصاحة وبيان ولسان ومع ذلك كان بطلا شجاعا حازما".

إلا أن المصادر لا تذكر شيئا عن أعماله، وذلك، ولا شك، لأن أحداثا خطيرة جاءت لتهدد الدولة الإدريسية في وجودها. فقد قامت الدولة الفاطمية بأفريقية في أواخر القرن الهجري الثالث وسعت لأن تبسط سيطرتها على مجموع بلاد المغرب.

وهكذا جاء مصالة بن حبوس المكناسي، عامل الفاطميين على المغرب الأوسط، على رأس جيش لمحاربة الأدارسة، وجرت بينه وبين يحيى معركة قرب مكناس انتهت بهزيمة الأمير الإدريسي. وبعد ما ضرب عليه مصالة الحصار بفاس، اضطر إلى الاستسلام وتوصل مع خصمه إلى صلح، أمكنه بمقتضاه أن يحتفظ بإمارته مقابل إعلانه الخضوع والتبعية للخليفة الفاطمي.

إلا أن مصالة أسند في نفس الوقت رئاسة قبيلة مكناسة بالمغرب إلى ابن عمه موسي بن أبي العافية. فاجتهد هذا الأخير منذ ذلك الوقت في القضاء على الأدارسة. وأخذ يحرض مصالة على يحيى ويوغر صدره عليه. وهكذا تمكن بدسائسه من أن يحمل مصالة على اعتقال يحيى وأنصاره ثم نفاه إلى أصيلة. وانتهت حياة يحيى بمأساة إذ سجن عشرين سنة ثم مات جوعا وهو في طريقه إلى إفريقية سنة 332 هـ.

ومنذ انهزام يحيى قام صراع مرير بين موسى ابن أبي العافية والأدارسة. فقد حاول الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس المعروف بالحجام أن يسترجع سلطة الأدارسة، فاستولى على فاس وخرج لمحاربة موسى وانتصر عليه في جولة أولى. لكن موسى أعاد الكرة عليه وطارده إلى فاس حيث غدر به عاملها ومات الحسن في تلك الأثناء.

خلا الجو بعد ذلك لموسى ابن أبي العافية واستطاع أن يستولي على ما كان بيد الأدارسة من أراض في شمال المغرب وطاردهم وضيق عليهم الخناق حتى اضطروا إلى الاعتصام بحصن منيع في حجر النسر بجبال الريف. والواقع أن المأساة التي عاشها الأدارسة في تلك الآونة راجعة إلى الصراع الكبير الذي نشب بين الخلافتين الفاطمية بإفريقية والأموية بالأندلس، وكان مسرح هذا الصراع بلاد المغرب، وبخاصة المغرب الأقصى.

وحاول الأدارسة أن يحافظوا على استقلالهم وحيادهم في الحرب الضروس الدائرة بين الطرفين. لكنهم، بسبب ضعفهم وبسبب الضغوط العسكرية القوية التي تعرضوا لها، تارة من جهة الفاطميين، وطورا من جهة الأمويين، لم يجدوا بدا من الخضوع، حسب الظروف، تارة لأولئك وتارة لهؤلاء. ولعل ارتباطهم بالأمويين كان أقوى، نظرا لقصر المسافة بين المغرب والأندلس، ولكون الخلفاء الأمويين ربما عاملوا زعماء الأدارسة بشيء من التقدير والاحترام. والوضع الذي عرفه الأدارسة في تلك الآونة هو نفس الوضع الذي عاشه غيرهم من زعماء البربر مثل موسى بن أبي العافية المكناسي وأولاده.

وبرغم الاضطهاد والمضايقات التي تعرض لها الأدارسة طوال مدة لم تكن بالقصيرة أثناء القرن الرابع، فقد برهنوا على أن وجودهم أصبح متجذرا في عدة أنحاء من المغرب، وأنهم ظلوا يكونون قوة سياسية متمثلة في زعامات محلية نستطيع أن نذكر منها :

أ . بني عمر : الذين كان مقر نفوذهم في صدينة ببلاد صنهاجة جنوبي الريف. وإليهم ينتسب الحموديون، الذين تولوا الخلافة بقرطبة، ثم كانوا من جملة ملوك الطوائف بالأندلس.

ب . بني داود : الذين امتد نفوذهم في جهة وادي سبو، ومن أمرائهم حمزة بن داود.

ج . بني القاسم : ويمثلون فرعا مهما من الأسرة إذ امتد نفوذها في الهبط. فكان لها مركز بالبصرة وآخر بأصيلا. ومن أبرز أمرائهم إبراهيم بن القاسم.

د . بني عيسى : الذين كان مقرهم بوازقور في جهة الأطلس المتوسط. وكانوا يتوفرون على معدن الفضة بجبل عوام.

هـ . بني عبيد الله : الذي سيحل بجنوب المغرب، حيث ستنتشر ذريته. وإليه يعزى تأسيس مدينتين مهمتين : تامدولت، الواقعة في قدم السفح الجنوبي للأطلس الصغير وبها معدن الفضة، وإكلي التي جعل منها عاصمته بعد استيلائه على سوس. وسيمتد نفوذه إلى لمطة ومشارف الصحراء جنوبا وإلى أغمات ونفيس شمالا. ويمكن القول إن هاته الأسرة كان لها نفوذ روحي قبل كل شيء في المنطقة المذكورة.

و. ومن فروع العلويين المتصلين بالأدارسة، نذكر بني سليمان بن عبد الله وهو أخو إدريس الأول. وتختلف الروايات في شأنه هل قتل في معركة فخ أم هل تمكن من الفرار ونجح في الوصول إلى تلمسان. ومهما يكن، فإن ولده محمد تتفق المصادر على ذكر اسمه كأمير على تلمسان وما حولها من أقاليم في المغرب الأوسط. وهو الذي قدم عليه إدريس الثاني ليستلحق إمارة تلمسان بمملكة الأدارسة، وتركه على رأسها. وعن محمد بن سليمان تفرعت عدة فروع انتشرت بجهات مختلفة من المغرب الأوسط. إلا أن المصادر تشح كثيرا، بالأخبار عن هاته الأسرة المرتبطة بالأدارسة.

نهاية الأدارسة بالمغرب : برغم المصائب التي توالت على الأدارسة منذ تصدى لهم موسى ابن أبي العافية، فقد أمكنهم أن يصمدوا وأن يحافظوا على وجودهم السياسي على يد بني القاسم بن إدريس. فقد اتفق الأدارسة على تولية القاسم بن محمد بن القاسم ابن إدريس واستمر في إمارته إلى أن توفي سنة 337. فتولى بعده ولده أبو العيش أحمد. وتميز بالعلم والفقه والورع. وكان مواليا لبني أمية الذين ازداد نفوذهم توطدا بالمغرب. وفضل أبو العيش أن ينهى حياته مجاهدا، إذ توجه للأندلس حيث استشهد في ساحة القتال سنة 343. فكان الذي خلفه بعد انصرافه إلى الجهاد أخوه الحسن بن گنون. وفي عهده وقع هجوم جديد للفاطميين على المغرب كان الهدف منه استرجاع سطوتهم على البلاد. فاضطر الحسن أمام قوة الهاجمين إلى التحول بولائه إلى جهة الهاجمين. لكنه لم يتخذ ذلك الموقف إلا تقية، إذ رجع بولائه إلى الأمويين بمجرد انصراف جيوش الفاطميين عن المغرب.

وبعد مدة، جاء جيش فاطمي آخر بقيادة بلگين بن زيري. فاضطر الحسن، مرة أخرى، إلى نفض يده من بيعة الأمويين وتجديد بيعته للفاطميين. وفي هذه المرّة انضم إلى معسكر الفاطميين بصورة فعالة وساهم في التنكيل بأنصار الأمويين في البلاد مما أحقد عليه الخليفة المرواني الحكم المستنصر الذي وجه جيشا كبيرا إلى المغرب للانتقام منه وبعد معارك ضارية، اضطر الحسن للالتجاء إلى حجر النسر ثم للاستسلام والذهاب مع ذويه إلى قرطبة (363 / 974) لكن، مالبث أن حدثت نفرة بينه وبين الحكم بعد سنتين من إقامته بقرطبة. فنفاه الخليفة الأموي هو وذويه عن الأندلس فالتجأوا إلى الفاطميين بمصر، حيث وجدوا استقبالا حسنا وظلوا هنالك إلى غاية 373. وحينئذ أمر الخليفة الفاطمي بتجهيز الحسن بجيش ليذهب إلى المغرب ويستعيد إمارته باسم الفاطميين. لكن المنصور بن أبي عامر بعث لقتاله جيشا قويا. فاضطر إلى طلب الأمان. لكن المنصور لم يف له وأمر باغتياله وهو في الطريق إلى قرطبة (375 / 985). وبذلك "انقرضت أيام الأدراسة بالمغرب بموت الحسن بن گنون آخر ملوكهم". (*القرطاس* ص 94).

بالرغم على التدهور الذي حصل للأدراسة طوال أزيد من قرن، يمكن القول إنهم قاموا بدور أساسي في تاريخ المغرب :

1 . على أيديهم تم تحويل المغرب، بصورة فعالة إلى عهد الإسلام الذي عملوا على نشره في أنحاء مختلفة من البلاد

2 . بمبادرتهم جرت أول محاولة لتجاوز القبلية وذلك بتأسيس دولة على النمط الإسلامي لها حاضرتها فاس. فكان عملهم أول انطلاقة فعلية للدولة المغربية في التاريخ

3 . مجهودهم على المستوى العمراني باستحداث مدن جديدة أو إنعاش القديمة مع تنشيط الحركة التجارية وإنشاء عدد مهم من دور السكة في جهات مختلفة من المغرب.

ابن حزم، *جمهرة الأنساب* ؛ ابن حيان، *المقتبس*، ج 4 و5 ؛ البكري، *المغرب* ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ج 1 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن خلدون، *العبر* ؛ ابن الخطيب، *أعمال الأعلام* ؛ الجزنائي، *زهرة الآس* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ا. العربي، *دولة الأدارسة*.

Encyclopédie de l'Islam, Article Idrisides ; Le Tourneau, *Fès avant le Protectorat* ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc* ; D. Eustache, *Le corpus des dirhams Idrissides* ; J. Brignon et autres, *Histoire du Maroc*.

محمد زنيبر

أداسيل، مدشر من فرقة إينْمَاغُوسْ بقبيلة إيكدْميونْ، وهو في نفس الوقت من بين أهم التجمعات البشرية بعالية وادي أسيف المال ومركز للجماعة القروية التي تحمل اسمه، إحدى الجماعات المكونة لدائرة أمزميز الممتدة على السفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي جنوب مراكش ما بين أسيف المال ووادي نفيس. جاء عند روبير مونطاني R. Montagne في حديثة عن اللف عند مصامدة الأطلس الكبير ذكر اسم سي حدوش الماغوسي أحد قواد المخزن والذي قال عنه بأنه كان يقيم بأداسيل وبأنه قاد حوالي سنة 1870 حملة ضد فخد إيونَسَكْتْنْ أحد أفخاد قبيلة أيكدميون التي يمتد موطنها جنوب أداسيل على طول الوادي الذي يحمل اسمه. وهو خبر يستخلص منه أنّ أداسيلْ كان في الماضي القريب مركز إقامة قائد مخزني على غرار أزگّورْ من ناحية، وأن هذا المركز كان يضطلع بمهمة مراقبة سكان عالية وادي أسيف المال من ناحية أخرى، مما يجرنا إلى القول بأن المخزن رغبة منه في تدعيم وجوده بجبال درن أقدم على خلق سلسة من المراكز القيادية على خط الاتصال بين المنطقة القَبَطْلَسِيّة والمنطقة الجبلية العالية فضلا عن مراكز الدير التقليديةَ كأمزميز وإيمي نْ تانُوتْ وأگرگُورْ مثلا. إلا أن خضوع قبيلة أيكْدْمِيونْ إلى نفوذ القائد الگنتافي عند بداية القرن العشرين وسقوط المغرب تحت وطأة الاستعمار الفرنسي أفقد أداسِيلْ مكانته كمركز قيادة.

تحريات ميدانية.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen.*

أحمد بلاوي

إداگيلول، قبيلة في الصف الساحلي من قبائل حاحا الاثنتي عشرة، تقع في قلب حاحا وتمثل قطب رحى أحداثها. تمتد على الساحل الغربي من وادي إيگوزولن الذي يفصلها عن قبيلة إداوسَارْنْ إلى أفْتاسْ إيمْسْوانْ الذي يحدها جنوبا مع أيْتْ أمّرْ، ومن الشرق والجنوب الشرقي تحدها قبائل إداوبوزيا وإداوكازّو وإداوتْغُمّا الحاحية هي الأخرى.

وكلمة ايلُولْ اسم لجماعة من السكان يقطنون قرية قرب مركز تمنار فنسبت إليهم القبيلة باستعمال كلمتي إدا بمعنى أهل وگّگْ التي هي أداة الشأن في صياغة أسماء كثير من القبائل السوسية مثل إيداگنيضيف.

وقد لعبت قبيلة إداگيلول دورا تاريخيا مهما في بسط نفوذ المخزن على كثير من القبائل الحاحية والسوسية المتمردة بعد موت مولاي الحسن بقيادة آل المحجوب الگيلوليين الذين امتد نفوذهم إلى تزنيت في عهد القائد سعيد الگيلولي (*المعسول*، 15 : 196) ومن كبار قادتهم المحجوب بن أحمد المتوفى عام 1308 هـ وأخوه سعيد بن أحمد الگيلولي المتوفى عام 1319. وابنه القائد مبارك بن سعيد المتوفى عام 1329 وأخوه القائد عبد الرحمان بن سعيد الگيلولي الذي كانت له يد طولى في تحريك ثورة أحمد

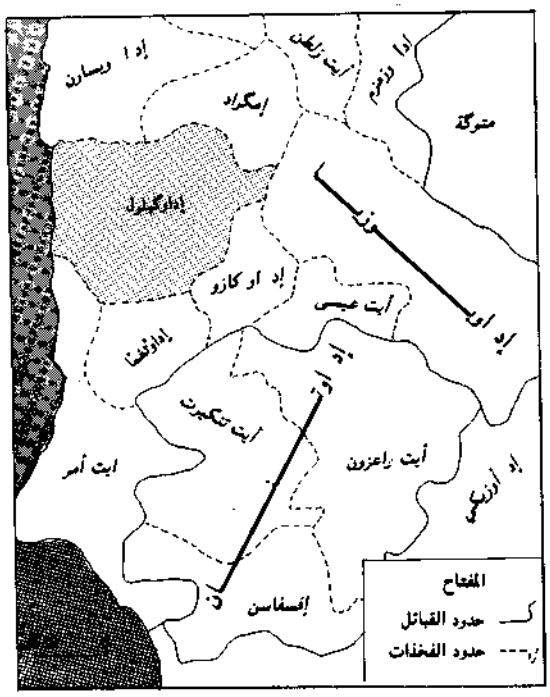

إداوگيلول

الهيبة ضد التدخل الفرنسي بإيعاز من ألمانيا عدوة فرنسا ومنافستها على حماية المغرب. توفي هذا القائد بعد نفيه وسجنه عام 1331 هـ فتولى بعده الحاج الحسن بن محمد أوفقير الگيلولي في عهد الحماية إلى أن توفي عام 1344 (*المعسول*، 15 : 235) ومن المآثر التاريخية والثقافية بهذه القبيلة : مركز دائرة تمنار الذي أسسه القائد المحجوب الگيلولي المذكور عام 1301 هـ 1883 م، لأول مرة قرب قصبة برتغالية قديمة كانت تسكنها نصرانية تدعى تمنارت الذي يطلق في الشلحة على الحيوان الشديد البياض وخلصة في الوجه، ثم أصبح هذا الاسم علما على القصبة. ولموقع تمناروسط قبيلة إيداگيلول خاصة وقبائل حاحة عامة، وعلى نقطة متنصف الطريق الرئيسية بين الصويرة وأگادير، أهمية استراتيجية كبيرة جعلتها مجمعا لجميع المرافق الإدارية والثقافية في حاحة قديما وحديثا، ففيها مقر قيادة حاحة قبل الحماية وبعدها، تولى الحكم فيها القواد الخمسة الگيلوليون المذكورون (1299-1344) ثم تولى بعدهم القائد سعيد بن الحاج الحسن التيگزيريني إلى أن توفي عام 1957 / 1377 وبعد الاستقلال أنشئ في تنمار مقر المركز المستقل، والدائرة، ثم الجماعة الحضرية التي تبلغ مساحتها 15,80 كلم مربع وعدد سكانها 1500 نسمة، وتتوفر على كل التجهيزات الأساسية. وازاها مدرسة سيدي حسا أوحساين العتيقة التي توحدت حولها قبيلة إداگيلول.

المراجع المشار إليها بالإضافة إلى *تحريات ميدانية*.

محند أيت الحاج

إدالة، حامية عسكرية يبعثها السلطان في النظام المغربي لما قبل الاستعمار، إلى مركز من المراكز فتقيم به

للحراسة. وسميت إدالة لأنها لا تقيم بذلك المركز إلا لأمد معين ثم تخلفها فيه حامية أخرى فتكون الحراسة متداولة (*العز والصولة*، 1 : 394). وقد يكون مكان إقامة الإدالة ثغرا في الحدود أو مرسى من المراسي أو قصبة داخلية لحراسة ممر أو لمنع قطع الطريق (Michaux-Bellaire, 145)

وقد يؤخذ العساكر المكلفون بالإدالة من قبيلة قريبة أو بعيدة، ويطلبون منها إضافة إلى ما تعطيه من العسكر للحركة في المناسبة، والعسكر الذي في الإدالة قد لا يتحرك في "الحركة"، فقبيلة الخلط وقبيلة طليق مثلا كانتا تعطيان مائة وعشرة من الفرسان للحركة وخمسة عشر فارسا للإدالة. وفي حالات أخرى كانت الإدالة تساعد على القيام بالحركة (*الوثائق*، 2 : 113).

وقد تؤخذ الإدالة من مدينة، كما وقع عندما ألزم السلطان محمد بن عبد الله (1765) أهل فاس "ببعث إدالة منهم إلى الصويرة، وهي خمسون راميا بقائدها وفقيه ومدرس ومؤقت ومؤذن وشاهدان" (*الاستقصا*، 8 : 24). وقد ترتب عن إعطاء هذه الإدالة إعفاء أهل فاس مما كانوا يبعثون به إلى السلطان من العسكر، وعدتهم خمسمائة رام.

وترتب لكل إدالة مؤن ومرافق يدفعها أمناء القبائل أو أمناء المراسي (*براذة*، 297). وقد كان الملوك يحرصون على أن يكون رجال الإدالات من الكفاة الأنجاد المزودين بالعدة الصحيحة (*الوثائق*، 3 : 455) كما كانوا يحرصون على ألا يتسرب إليهم الملل بطول المقام حيث أعطيت الأوامر في بعض الحالات بأن يتبدلوا "بعد الشهر أو الشهرين" (*الإتحاف*، 5 : 80)، وإذا طال الأمد على حامية ثغر من الثغور وضعفت وقع تجديدها كلها.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 : 24 ؛ ع.ابن زيدان، *العز والصولة*، 1 : 394 ؛ *الوثائق*، 3 : 455 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 6.

Michaux-Bellaire et G. Salmon, *Les Tribus arabes de la Vallée du Lekkous*, A.M., 1905, PP. 4-5.

أحمد التوفيق

إدامُولي، جيوليو Adamoli, G. مهندس إيطالي زار المغرب سنة 1876 وتجول بمختلف مناطقه الشاطئية وبمراكش. وكان موفدا من الجمعية الجغرافية الإيطالية له عدة أبحاث نشرها بعد رجوعه إلى بلاده.

م. بوشعراء، *الهجرة من المغرب وإليه* (مخطوط).

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 55.

مصطفى بوشعراء

إداوْإزيمر ← إداوْمحمود

إداوْبَعْقيل، ينسب إليها البعقيليون، وترد في صيغة بَعقيلَة، من مجموعة قبائل إداوْلْتيت المستوطنة في غربي الأطلس الصغير (بلاد جزولَة) ذكرت في كناش أحمد المنصور وقُدرت بألف سرجة مساوية للقبيلتين المجاورتين من إداوْلْتيت وهما إداوْسملال وإداوْرسموك. تجاورهما من الجانب قبيلة مجاط، كانت بين بعقيلة ومجاط حروب شهيرة (*المعسول*، 1 : 128. 130).

وموطن إداوْبعقيل مجاور لبلد تازروالت يفصل مجاليهما تل صغير. ويتكون هذا الموطن من خمسة أودية تشرف عليها هضاب مضرسة هي واد وجّان (ينسب إليه عدد من أعلام الوجّانيين) وواد أساكا، وواد إمجگارن، وواد أگم، وواد إيمي نْتغمي.

ذكر مارمول أن إداوْبعقيل كانت من أقوى قبائل سوس بقدرتها على تجنيد عشرين ألف مقاتل. وقد حافظوا بعصبيتهم في لف تاحگات المضاد للف تاگيزولت، على تنظيمات جماعية بقيت وظيفية إلى قرننا هذا. ومن فرقها:

1) سيدوس علي واد وجّان حيث توجد زاوية سيدي احماد أوموسى. 2) دودرار علي واد أساكا، وفيه كان مقر القائد المخزني المعين عام 1882. 3) إيگي واسيف. 4) إيمي أوساكا. 5) تيواضُو. 6) إيمي نْتغمي.

وزّعهم السلطان مولاي الحسن على منطقتي نفوذ قائدين. وقد كانوا في نزاع مع أهل تازروالت ولكنهم مرتبطون روحيا بزاوية سيدي احماد أوموسى وقد انتشرت في أوساطهم الطريقة الناصرية. وكان شيخ الإفتاء عندهم الشيخ أحمد أبا عْقيل وهو من الشرفاء السملاليين الذين استقروا بين ظهرانيهم.

مارمول، إفريقيا ؛ *ديوان قبائل سوس* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 1 : 128. 132، 3 : 38. 389، 8 : 151. 156، 15 : 207. 218، 19 : 16. 27.

A. Le Chatelier, *Tribus du sud-ouest Marocain*, Paris 1891; Albert (Lieutenent), *Les Ida Oubaâqil*, Archives, SHA. 1915. D. J. Meunié, *Le Maroc saharien*.

إداوبلال، ترد أيضا بصيغة دوي بلال أو داوبلال، ينسب لها الدويلالي، قبيلة تعيش على النجعة عربية اللسان، تنسب نفسها إلى أصل عربي، كانت في أواخر القرن التاسع عشر على جنبات وادي درعة الأوسط بين خط الطول المار بطاطا غربا وبين مريميما شرقا، على بعد 20 كلم جنوب شرق أگادير نتيسنت، أي بين المرتفعات الأولى للأطلس الصغير شمالا وأيت أومريبط غربا وأولاد يحيى شرقا، وكان مجال تنقلها إلى الجنوب يمتد عدة أيام من السير في الصحراء بدون تحديد (Foucauld, Recon, 153).

وما تزال وضعية إداوبلال تشبه إلى حد ما حالها في القرن التاسع عشر، ولكنهم في القرن السابع عشر في عهد نفوذ تازروالت على عهد أبي حسون كانوا أو كان فريق منهم في السهول الأطلسية الجنوبية جنوب واد ماسة.

C. Buffe, *Les Ida ou Blal*, Arch. SHA, 1939 ; D. J. Meunié, *Le Maroc saharien*.

أحمد التوفيق

إداوْتْوزيا، قبيلة أوعدة قبائل، يرجح أن الاسم أمازيغي وأن أزْياً تعني المشكاة المصطنعة على هيئة مثلث في زوايا البيوت، ولعل الاسم آت من تشبيه ما تنحته الطبيعة في الجبال بتلك السقوف. ووجه الشبه هو الوضع

المعلق. ويذهب آخرون إلى القول بأن الاسم آت من نسبة الجماعة إلى شخص كنيته أبو زياد (ينسبون في بعض الوثائق : البوزيادي).

توجد جماعات تشترك في هذا الاسم مع اختلاف في المواطن :

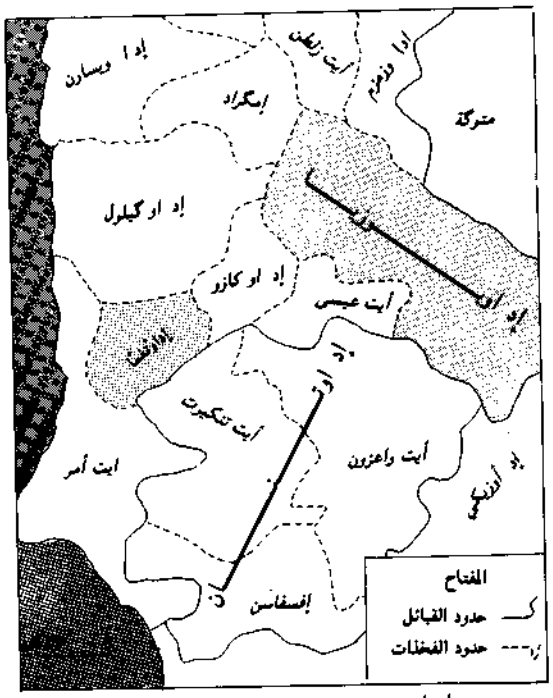

- إداوبُوزيّا الذين بأيت باعمران، ويعدون من أقدم سكانها حيث تشير وثائق الحيازة إلى أن معظم الأملاك سبقت بأيديهم. وكان موطنهم بتيزگي (تيغزى حاليا) وكان لهم أگادير (حصن جماعي) كبير قديم بسور من حجر لا يقل محيطه عن ألف متر، ومازالت بعض معالمه شاخصة للعيان وفيه آثار قديمة حفرت في الصخور وآثار أخرى لعمران كثيف وقبور ومحراب في اتجاه الجنوب، وقد يدل هذا على أنه محراب من عهد الموحدين. وقد تعرض سكان أگادير المذكور لوباء أفنى معظمهم (وثيقة أصلها عند إدعثمان الضلعيين) بينما هاجر من بقي منهم من تيزگي إلى جهة سيدي إفني أي أنهم تحولوا عن موقعهم إلى جهة الغرب بحوالي عشرة أميال، ويعرفون في مقرهم الجديد بنفس الاسم ولا يكونون حاليا سوى فخذة من قبيلة أيت إخَلّفْ، ولهم مزارة سيدي محند الشيخ وفيهم قراء مدرسون في أمثال المرحوم عبد بن بُوعُمَيْر (وثائق مهمة عند السيد أحمد بوعُمَيْر الحلفي بأگادير حاليا).

- إداوبُوزيّا في تافْبِيلتْ بإفْرْدا، وهم عائلات معدودة موطنها على بضع كلمترات من سوق أربعاء الساحل إلى جهة الجنوب، ولديهم وثائق تدل عى علاقتهم بإداوبوزيا من أيت إخَلّفْ (وثيقة تذكر علاقتهم بعائلة إجَوّان خاصة، وهي بملك أحد أعلام هذه العائلات وهو المقاوم السيد عمر المتوكل الساحلي).

- إداوبوزيا في أشْتُوكَنْ (هشتوكة). موطنهم في سهل أزْغَارْ، يحدهم شمالا، إداگاران وجنوبا أيت عمْرو وشرقا أيت وادْريمْ وغربا أيت بَلْفَاعْ، ويجمعون مع أيت عمرو في مشيخة واحدة، ضمن قيادة بيگورا (بجيم بدوية مشددة مضمومة، وإگورّا أبواب نحتتها وديان الأطلس الصغير) وأرضهم خصبة ومع ذلك اشتهروا بالهجرة إلى خارج المغرب منذ منتصف هذا القرن. وكانوا قبل ذلك تحت قيادة يرعى (يرعاه ؟) السباعي، وخلفه عليهم ولده عبد الرحمان إلى تاريخ استقلال البلاد. ومن أشهر مدارسهم العتيقة سيدي بُوْمْرگيدْ ومدرسة بُورجَ (أبو الرجاء).

- إداوبُوزيّا في إحَاحَانْ (احاحا) ويتداولون أن أصلهم من أيت باعمران وثبت فعلا أن رجالا من هذه القبيلة رجعوا إلى أيت باعمران (حوالي عام 1958) حاملين عقودا عقارية تشهد لهم بممتلكات معروفة ولكنها انتقلت في بيوعات مما يجعل استرجاعها مستحيلا.

ح. جهادي الباعمراني، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مخطوط.

الحسين جهادي الباعمراني

إداوتْغمّا، قبيلة حاحية، تقع بأقصى جنوب إقليم حاحا في المنطقة الهضبية الوسطى. وتتكون من منطقتين متميزتين : إحداهما سهلية ساحلية تنتهي في الجنوب الغربي بحدود قبيلة أيْت أمر، وفي الشمال تحدها قبيلة إداگْلول، ثم تأخذ في الارتفاع تدريجيا كلما اتجهنا نحو الجنوب الشرقي، فتتكون المنطقة الهضبية الثانية التي تنتهي عند سفوح جبال إداوتنان جنوبا، وتتصل مع هضاب قبيلة إداوگازُو شرقا، فتشكل معها امتدادا طبيعيا للهضاب الرابطة بين السهول الساحية وجبال الأطلس الكبير. وتبلغ مساحة أراضي قبيلة إيداوْتغما حوالي 203 كلم مربع. وعدد سكانها يناهز 9060 نسمة. (إحصاء 1982)، يشتغل معظمهم بتربية المواشي والفلاحة البورية لأن أراضيهم شبه جافة تندر فيها الآبار والعيون الجارية، بينما يتجه البعض الآخر إلى الاتجار في الأسواق والمدن المجاورة لسهولة تنقلهم عبر الطريق الرئيسية بين أگادير والصويرة المارة وسط مداشرهم. والسكان من أصل أمازيغي اختلطت بهم بعض الأسر العربية من أصل شريف إدريسي أوبكري، كآل إعَزّى وبهْدّى، ولغة عامتهم أمازيغية ممتزجة بألفاظ عربية وبألفاظ دخيلة وكلمة إداوتغما تعني أهل الفخذ وهو ما بين الركبة والورك : تاغما. وقد اشتهر التغماويون بين قبائل حاحا بالحيوية والنشاط وحب مغامرة الأسفار فاكتسبوا بكثرة المخالطة الحنكة والدهاء إلى حد الشطارة أحيانا. كما اشتهروا بالتدين وتوجيه أبنائهم إلى حفظ القرآن بالقراءات وطلب العلم فنبغ فيهم عدد كثير من طلبة القرآن والعلماء قديما وحديثا أمثال أسرة الأمغاريين وأسرة آل المؤذن بفخذة إيداواعشا وغيرهما كثير.

أما المآثر الثقافية الدينية بإداوتغما فإنها كثيرة وتتجلى في :

1. كثرة المساجد وكتاتيبها القديمة، والمتعددة بتعدد الدواوير والجماعات.

2. كثرة أضرحة الأولياء والزوايا المزارة مثل ضريح سيدي سحنون، وضريح سيدي بومهدي، وضريح سيدي مناع وزاوية سيدي محند أومغار (ت 1318 / 1900).

3. تعمير مدرستها العلمية المنسوبة إلى دفين زاويتها العلامة المقرئ سيدي أحمد بن امبارك الوركاوي التناني أصلا المتوفى عام 1272 / 1855، والتي توحدت القبيلة حولها، فظلت إلى اليوم رمزا خالدا لبنيتها الأصلية القديمة. وقد تصدر للتدريس فيها علماء أجلاء أشهرهم دفينها المذكور (*خلال جزولة*، 4 : 91) ثم العلامة الأديب سيدي امحند بن محمد أمغار المذكور والذي تخرج عليه عدد كثير من طلبة القبيلة وعلمائها المشهورين اليوم (*رحلة من الحمراء*).

وتتوفر القبيلة على سوق قروي ينعقد يوم الأربعاء، وبه اليوم مقر الجماعة وبعض المرافق الإدارية، ومستوصف، وأقسام دراسية موزعة.

تحريات ميدانية ؛ م. المختار السوسي، *رحلة من الحمراء إلى إيليغ*، مخطوط ورثة المؤلف.

محند أيت الحاج

إِداوْتَنَانْ، اسم ثلاث قبائل تشكل اتحادية مهمة وتحتل الجزء الغربي للأطلس الكبير الذي يعتبر امتدادا طبيعيا لبلاد حاحا من جهة الجنوب، وقبائل إداوتنان هي :

1. قبيلة أيت واعزون وتقع ربوعها جهة الشمال الشرقي من جبال إداوتنان من السفح إلى القمة، وتحدها من الشمال الغربي قبائل حاحا الجنوبية : إداوْتغما وإداوگازُو وأيت عيسى.

2. قبيلة تانكرت وتستوطن جهة الشمال الغربي من جبال إداوْتنان، جهة البحر.

3. قبيلة إِفْسْفَاسْنْ وهي أقلها سكانا، وتقع جهة الجنوب الغربي.

وسكان قبائل إداوْتنان من قبائل مصمودة القاطنين بجبل درن منذ القديم وقد اختلطت عدة عناصر بربرية وعربية لتكون سكان قبائل إداوْتنان اليوم، إذ نجد من بينهم أسرا إدريسية وأخرى بكرية أمثال شرفاء سيدي إبراهيم بن علي التغانيميني (*المعسول*، 15 : 72) وآل إِعَزَّى وبِهْدُّى وغيرهم، وقد ظلت قبائل إداوتنان متمنعة بجبالها عن الخضوع لأي سلطة مخزنية رغم المحاولات التي قام بها القائد الحاج عبد الله أوبيهي عام 1260 / 1844 وكذلك في عام 1283 / 1867 (*المعسول*، 15 : 12) كما حاصرهم السلطان المولى الحسن الأول إثر رجوعه من سوس 1303 / 1885 فأدار بهم الجيوش من كل جهة حتى انقادوا وقدموا له الهدايا ودفعوا المؤن، ثم لم يلبث السلطان أن ذهب بغتة بعدما ما جعل لهم رئيسا يسمى أبا العشرة فقتله التنانيون بعد رحيل السلطان وعادوا إلى حالهم من التمنع متشبثين بأولاد الولي الصالح إبراهيم بن علي التيغانيميني (*خلال جزولة*، 4 : 88) لذلك اعتبر روبير مونطاني اتحادية قبائل إداوتنان نموذجا للمجموعات المتمردة من القبائل الأمازيغية ذات نظام سياسي واجتماعي كان سائدا في القديم ثم اندثر حاليا لم تبق منه إلا معالم منها حكام أيت ربعين وسلطة المرابطين وإمغارن وأعيان القبيلة. (روبير مونطاني، *التنظيم الاجتماعي والسياسي للقبائل الأمازيغية : إداوتنان بالأطلس الكبير الغربي*، مجلة الدراسات الإسلامية : 223).

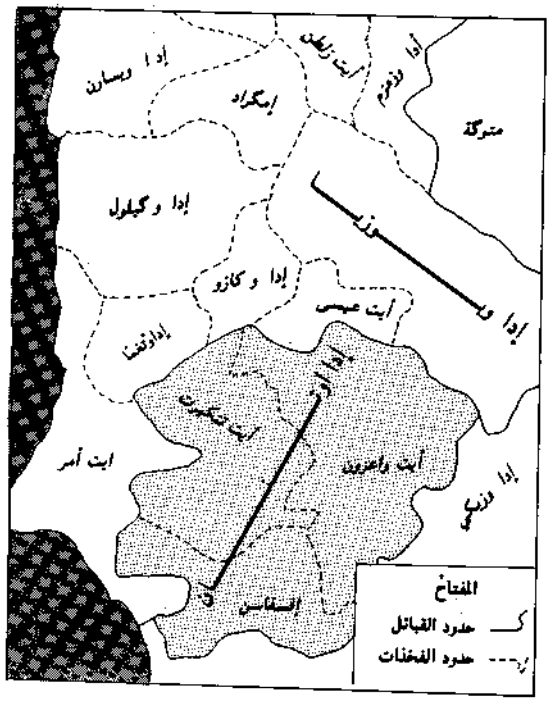

إداوتنان

ولم تستطع فرنسا أن تخضع إداوتنان لإدارتها إلا في عام 1346 / 1927 بعد حصار اقتصادي وقصف بالطائرات. ومن مراكز إداوتنان المشهورة سوق خميس إِيْمُوزَّارْ وبه يقع مقر القيادة والجماعة القروية لهذه القبائل ويتوفر على معظم التجهيزات الأساسية، ويقبل السياح على زيارته لما فيه من مناظر طبيعية وشلالات وجبال شامخة.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 15 ؛ *خلال جزولة*، 4.

R. Montagne, *Ida ou Tanane*, R.E.I. 1927.

محند أيت الحاج

إِداوْزَالْ، (بتفخيم الزاي) قبيلة واقعة في السفح الجنوبي للأطلس الكبير الغربي، وتستقر بالمناطق المشرفة مباشرة على سهل سوس، وتتدرج في الارتفاع من 400 م عند قدم الجبل إلى 2856 م عند قمة جبل تگرگُسْتْ.

تتوزع القبيلة على وديان عميقة هي وادي إدَامْرَوَانْ الذي يعتبر أهمها لأنه ينبع من تشْكا قرب إداومحمود ليصب في وادي سوس، ثم وديان قصيرة مثل وادي المنايْزْلة ووادي تَمْدا، وكلها تنحدر نحو الجنوب إلا وادي تايُغْتْ فإنه يتجه شمال غرب تِزِي أنْ فَرْقْ الريح ليلتقي بوادي إسُّنْ عند أرگانة.

إن الموقع الجغرافي للقبيلة جعل معظم معاملاتها تتم مع سوس ولذلك كانت تتأثر بالمشاكل التي تعيشها سوس من استقرار واضطراب، إلا أن القبيلة تشرف مع فرع الطريق الرئيسي لسوس عبر أركانة فَبيباوْنْ فَلَمْنايْزْلَة عند السهل، وهي تمثل مركزا رئيسيا للقبيلة، فكانت مركز السلطة المخزنية بإداوزال ويمثلها الشيوخ بفرق القبيلة، كما كانت المْنايْزْلة تمثل أيضا مركزا اقتصاديا، فكانت بها نزالة تأوي إليها قوافل التجار مما كان يعرضها أيام الاضطرابات إلى النهب في القبائل المجاورة كهوارة ولذلك تكلفت قبيلة إداوزال بتقوية الحراسة بالمنايْزْلة بتكثيف السكان، وإقامة أبراج للحراسة ما تزال خرائبها معروفة. وكانت لهذه الحراسة نتائج منها دفاع السكان عن العمال الذين التجأوا إلى المنايْزْلة لما طاردتهم هوارة عقب التمرد عليهم سنة 83 - 1884، ولما قام المولى الحسن بحركته إلى سوس سنة 1885 أعاد العمال إلى مناصبهم بهوارة، وجعل إداوزال تحت قيادة بلمختار وظلت إداوزال تحت قيادته إلى وفاة السلطان وتولية المولى عبد العزيز فتولى عليهم الباشا حمو الذي كان الوزير أحمد بن موسى قد نقله من مكناس إلى تارودانت احتياطا منه، وبعد وفاته تولى حيده بن مويس علي تارودانت وإداوزال لكن نحاه أحمد بن علي كَبًّا عن المدينة ابتداء من 1324 / 1906، وهو الذي صاحب الهيبة إلى مراكش، ولما تراجع عنها قتل كَبًّا بإفَرْضْ بإداوزال في شتنبر 1912، ونهبت محلته.

لقد تمكن المتوكي بعد استعادة سلطته على إداوزيكي أن يتولى على إداوزال لكنه لم يبسط نفوذه عليها لانتصاب علي بن حمو كقوة فعلية على إداوزال، فاستغل ظروف الاضطرابات التي كانت تواكب مقاومة الاستعمار الفرنسي والموانئ، والتي كانت تعرفها قبائل المنطقة في إداوزيكي وسوس، فأشاع علي بن حمو نوعا من الإرهاب بالسفح الجنوبي للأطلس، واشتهر أمره بالقبائل المجاورة لإداوزال لما كان يرتكبه بواسطة أعدائه من سطو على الممتلكات، ويظهر أن السلطات الاستعمارية التي استقرت بتارودانت غضت الطرف عنه حتى يرهق السكان وبرغم القبائل المجاورة للدفاع، فظلت سطوته بإداوزال حتى ضمت القبيلة نهائيا إلى السلطات الاستعمارية بإيمنتانوت ثم أركانة ليرتبط مصيرها بمصير القبائل المشاركة لها.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 20، *تحريات ميدانية*.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; J. Fuchs, *Evolution d'un grand commandememt marocain, Le Caid Mtouggi*, C.E.A.M.

محمد زرهوني

إداوزداغ ← زداغة

إداوزمزم، أو إدازنزم قبيلة حاحية في الصف الجبلي من بين القبائل الاثنتي عشرة التي تكون اتحادية حاحة، تحدها من القبلة امتوكة. ومن الشرق قبيلة مسكالة، حيث يوجد المركز الفسفاطي الضخم ومن جهة الغرب تحدها قبيلة إداوبوزيا ومن البحر قبيلة أيت زلطن، أراضيها متنوعة التضاريس بين السهل والهضاب والجبال، ومعظمها مكسو بغابات أركان وأشجار اللوز والزيتون. مساحتها 238 كلم مربع ويبلغ عدد سكانها حاليا حوالي 11745 نسمة (إحصاء 1982) يشتغل معظمهم بالزراعة البورية وتربية المواشي، كما اشتهروا بالصناعة التقليدية الخزفية منذ القدم، وتتوفر اليوم هذه القبيلة على كميات هائلة من الفوسفاط ينتظر أن توفر الشغل لعدد كبير من أبناء القبيلة وما جاورها.

وقد كانت قبيلة إدازمزم منضوية في إيالة قيادة آل بيهي أومولود إلى أن توفي كبيرهم الحاج عبد الله أبهي الحيحي عام 1284 / 1867، وانتزعت القيادة من ابنه محمد أمعدور، فتولى قيادة إداوزمزم القائد لحسن گورما ثم ابنه محمد گورْما اللذان كانا معا بارزين بين القواد الحاحيين في العهدين العزيزي والحفيظي. وكان القائد محمد گُرْمَا الزُّمْزَمي (1296-1350) يوالي القائد عبد المالك المتوكي. وقد كان معه يوم جلا أحمد الهيبة عن مراكش عام 1330 هـ، ثم لما مدت حكومة الاحتلال يدها إلى حاحة أعفته من القيادة وولت من أسرته القائد مباركا فصال وجال، واكتنز من الأموال مع أن قبيلته صغيرة (*المعسول*، 15 : 244) وأسند المخزن بعده قبيلة إداوزمزم للقائد المختار (إيگيدر) فكانت قصبته بأزغار أيت زلطن مركزا للقبيلتين معا فلما استقل المغرب سنة 1956 اختارت الحكومة مركزا وسطا بين القبيلتين يسمى (بيزضاض) قرب سوق اثنين إداوزمزم على بعد 70 كلم شرق الصويرة. وهو مقر جماعة إداوزمزم اليوم، ويتوفر على التجهيزات الأساسية من ماء وكهرباء ومستوصف قروي إلى جانب مجموعة مدرسية، ومقر الدرك الملكي.

أما المآثر الثقافية والدينية بقبيلة إداوزمزم فإنها تتجلى في كثرة المساجد وكتاتيبها القرآنية الموزعة بأغلب دواوير القبيلة وبين جماعاتها وأكثرها شهرة مدرسة سيدي إبراهيم القاضي الزمزمي المتوفى 1311 / 1893. والتي توحدت حولها قبيلة إداوزمزم، فبلغ عدد طلبتها في مطلع هذا القرن حوالي مائة طالب، وقد تحدث الرحالة الباحث الفرنسي إدمون دوتي في رحلته عبر بلاد أركان عام 1904 عن هذه المدرسة وموقعها قرب سوق اثنين إداوزمزم وعن كثرة طلبتها وطيبوبة فقيهها.

E.Doutté, *En Tribu*, p. 268.

محند أيت الحاج

إداوزيكي، قبيلة بالأطلس الكبير الغربي تقع على طول وادي إسْنْ انطلاقا من حدود قبيلة دمسيرة شمالا وتجاورها غربا كل من إداوبوزيّا الحاحية وإداوتنان وجنوبا مسگينَة وهوارة وشرقا إداوزّالْ وإدَوْمحمود.

إن وجود قبيلة إداوزيكي على ضفاف وادي إسْنْ يجعلها تقع على الطريق الكبير نحو سوس، مما أضفى عليها أهمية بالنسبة للسلطات المركزية، فحافظت على انقيادها بإضافة قصبات لحراسة الطريق، ولا تزال هناك

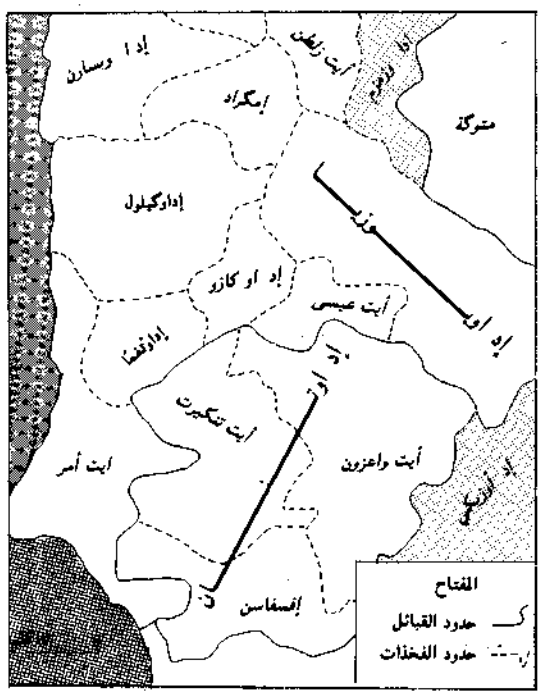

إداوزمزم وإداوزيكي

آثار بقايا هذه القصبات بإمُوگّني ومَگّنونة وتامودالْتْ، وترجع إلى عهد السعديين الذين كانوا قد ركزوا ربط الصلة بسوس مركز تموينهم بالمال والرجال عبر الطريق الذي يمر بتزي أوماشُو فأرگانةْ بإداوزيكي فسوس إما عبر بيباوْنْ إلى تارودانت أوترگُو إلى سهل سوس السفلى. واستمرت العناية بهذا الطَريق في القرون التالية فأقام المولى إسماعيل القصبات التي منها بقايا قصبة بامْسْكْروض والتي كانت تراقب تزي (فج) الحجاج، وهو نفس الطريق الذي سلكه المولى الحسن أثناء حركته إلى سوس سنة 1280/ 1863.

انعكست ضرورة المحافظة على أمن الطريق على إداوزيكي مما أدى لربطها دوما بمراكز قوى السلطة فكانت تابعة بتارودانت التي تعين قائدا يستقر بتاسَدَمْت. لكن لما تقوت قيادة حاحة ضمت إليها قبيلة إداوزيكي منذ بداية عهد عبد الله أبهي أوائل الأربعينات من القرن التاسع عشر، إلا أنه يظهر أن القبيلة كانت في صراع معه خاصة لما مر الخليفة المولي الحسن بإداوزيكي عائدا من سوس أواخر سنة 1280، حيث امتنعوا عن تقديم المؤونة بسبب خلافهم مع أبهي عاملهم.

ولما تولى محمد بن عبد الله أبهي قيادة حاحة استغل القائد عمر المتوگي ضعفه وتمكن من التولية على إداوزيكي في شوال 1288 / 1868 ومنذ ذلك التاريخ ظلت إداوزيكي تحت حكم القواد المتوگيين المتوالين وكان خليفة القائد المكلف يعين الشيوخ على فرق إداوزيكي. كما أقام المتوگيون فرقا من القوات تحرس النزايل بأرگانة وترگُو والدّخيْلة عند مخرج وادي إسن نحو سوس.

ولما قام الهيبة بحركته نحو مراكش سنة 1912، استقبلته قبيلة إداوزيكي وكذلك خليفة المتوگي فعزله وعين خليفة له على القبيلة وأقام بتاسَدَمْتْ القرية التي تقع مباشرة على طريق سوس قبل الوصول إلى تزي ن الحجاج، كما عزل الشيوخ الذين كانوا في عهد المتوگيين.

ولما تراجع الهيبة عن مراكش نشب الصراع بين إداوزيكي والمتوگي لأنهم رفضوا حكمه متمسكين ببيعة الهيبة، فنظم عبد الملك المتوگي حركة إلى إداوزيكي سنة 1913، فكان قتال شديد بين الطرفين انتهى بانهزام إداوزيكي مما أدى لاجتياح الحركة للقبيلة وإحداث خسائر فادحة بها، وتمكن المتوگي بعدها من العودة إلى حكم إداوزيكي الذين أرهقهم بالكلف، فتضررت القبيلة مما أدى إلى تناقص سكانها بالهجرة إلى مناطق أخرى.

تمكنت السلطات الاستعمارية أخيرا من أن تقيم مركزا لها بأرگانة منذ 1929 وأنهت تدريجيا سلطة المتوگيين بالمنطقة.

إن وجود قبيلة إداوزيكي على الممر الكبير نحو سوس جعل السكان يتعرضون للاختلاط بالمتوافدين إلى القبيلة خاصة من سوس وتكثر تلك التوافدات في سنوات الجفاف نظرا للإمكانات الفلاحية التي تتوفر عليها القبيلة، كما أن القبيلة عرفت استقرارا قديما دلت عليها بعض المعلومات التي ذكرها البكري عن تَمْزاوُرْتْ والتي نعتها بالمدينة وقال عنها، إنها لطيفة وطيبة، وذكر أن الطريق منها يرقى إلى الجبل عند الملاحة لينحدر نحو السهل وقد ظل هذا الطريق بنفس الوصف الذي ذكره إلى أوائل القرن العشرين لما شقت طريق ترگُو.

أما الملأحة التي ذكرها البكري فبقيت أيضا تستغل لاستخراج الملح إلى اليوم وتعرف بملاحة ترگُو، وعند مخرج الوادي ملاحة أخرى تعرف بملاحة الدخيلة.

لقد أتيح سد عبد المومن في نفس المكان الذي كانت فيه تمزاورت مما يدل على أنها ظلت تؤدي مهمتها على الطريق نحو سوس إلى أن غمرتها مياه السد.

أ. البكري، *كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب* ؛ م. المختار السوسي، *العسول*، 20 ؛ *تحريات ميدانية*.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; J. Berque. *Les Structures Sociales du Haut Atlas.*

محمد زرهوني

إداوسارْنْ، ثاني قبيلة حاحية من الشمال في الصف الساحلي، من القبائل الاثنتي عشرة التي تكون الحادية قبائل حاحة في القرون الأخيرة، تحدها قبيلة إداوگرض شمالا وإداگيلول جنوبا، وإيْنگنافْنْ وإيْمگراد شرقا، وتمتد القبيلة بأراضيها على سيف بحر المحيط الأطلسي الذي يمنحها شاطئا جميلا يعرف بتگراگرا يتوسطه ميناء تَفْتْنَة التاريخي، وأصلها تَافْضْنَا، وهو بالأمازيغية حوض الماء الساخن، ولعل إطلاقها مرتبط بانفجار مياه ساخنة. وتوجد بالمنطقة شعبة عميقة تحيط بها رواسب بركانية، وكذا مغارة في جبل صخري مواجه للبحر.

أراضيها كثيرة الانقطاعات والحوادث التضاريسية، تبلغ مساحتها 334 كلم مربع معظمها بورية مكسوة بغابات شجر أركان والعرعر. وتتميز قبيلة إداوسارنْ بتوفرها على آبار الملح بقريتي : إداويْعْزًا وأزْلا وقد لعبت المملحتان دوراً اقتصاديا هاما في توفير ظروف التعمير والاستقرار لمعظم سكان القبيلة الذين يبلغ عددهم : 20250 نسمة حسب إحصاء 1982 وتتوفر القبيلة على عدة مآثر عمرانية وثقافية دينية أهمها :

أ ـ مدينة تَفْتْنَة وميناؤها : زارها الحسن الوزان المعروف بجان ليون الإفريقي عام 919 / 1514. ووصفها بقوله : تَفْتْنَة ثغر على البحر المحيط من بناء الأفارقة، فيها نحو ستمائة كانون، ومرسى في غاية الجودة للسفن الصغيرة، اعتاد بعض التجار البرتغاليين أن يجيئوا إليه ليقايضوا سلعهم بالشمع وجلود المعز... ويوجد في مدينة تَفْتْنَة جُمرك وضريبة الملح (*وصف إفريقيا*، 86).

ب ـ ضريح ومدرسة سيدي بوزكري : نسبة إلى الشيخ الحاج الشهير أبي زكرياء يحيى الحاحي القادم في القرن السابع الهجري من تيط التي توجد قرب أزمور إلى تيغُزَا ببلاد حاحة حيث كَوَّن طائفة من المتصوفين سمَّاها ابن قنفذ بطائفة الحاحيين ووصف هذا الموضع في إداوسارن بأنه موضع خير وعلوم وقراءة وتدريس (*أنس الفقير*، 64).

ج ـ زاوية ومدرسة سيدي أبي البركات كنية لأبي عبد الله محمد بن محمد العبدري الحيحي المشهور بكتابه *الرحلة المغربية* الدالة على سعة ثقافة كاتبها وعلى تقدم التعليم ومناهجه في تلك المنطقة منذ القرن السابع الهجري افتتحها بقوله : كان سفرنا، تقبله الله تعالى ، في الخامس والعشرين من ذي قعدة عام ثمانية وثمانين وستمائة مبدؤه من حاحا صانها الله، (*الرحلة*، 7).

وبالرغم من أن العبدري لم يبق له ورثة، إلا أن هناك من يذكر اليوم إن مدرسته ظلت عامرة بالطلبة والمدرسين المجدين إلى عهد قريب، كان آخرهم الفقيه الأديب : الحسن إبْنْدُو التامري (ت 1405 / 1984) وقد تتلمذ عليه فيها معظم من يمثلون زينة الشباب المثقف في حاحة بعد الاستقلال.

د ـ ضريح ومسجد الولي الصالح : أحمد بن محمد الحاحي المعروف بالسائح (ت 997 / 1588) الواقع بقرية إيغانيمن على شاطئ إداوسارن شمال ميناء تفضنا.

هـ ـ آثار قيادة آل أغْنَّاجْ محمد بن يحيى الوساري الحاحي (1224 . 1232)، لا زالت هناك أطلال بقرية أيت إيدير قرب النهر الذي يجري إزاء ضريح سيدي امبارك بقبيلة إداوسارن، تعرف بدار أغْنَّاج نسبة إلى خليفة القائد عبد المالك بن بيبهي على سوس والمذكور عند المختار السوسي أكثر من مرة بأنه جال في سوس بمحلة السلطان ـ مولاي سليمان ـ نحو 1224 هـ فاتحا، فوقعت له وقائع ومعارك تركت آثارا في تواريخ العامة الذين قَلَّما يؤرخون إلا بأمثالها (*إيليغ*، 242). وفي تلك القرية أسر لا زالت تحمل هذا اللقب (أغْنَّاجْ) وتروي ذكريات أسلافها الذين أخضعوا حاحا وسوس للنظام المخزني. و ـ تيگمّي للوُضا = دار الحاج علي القاضي، نسبة إلى أحد شيوخ القائد الحاج عبد الله أوبيهي الحاحي (ت 1284) الذي تولى القيادة على قبيلة إداوسارن بعد وفاة هذا الأخير، فبنى حصنا صغيرا فوق منبسط تحيط به جبال بمثابة أسوار تحمي هذا الحصن الذي يشرف على السهول والرُّبى المجاورة للطريق الرئيسية بين الصويرة وأگادير عند نقطة مركز سْميمو، وقد ذاع صيت هذه الدار في أوائل عهد الحماية الفرنسية للمغرب، حين لجأت إليها حامية فرنسية تريد العبور إلى سوس بقيادة الكومندان ماسوتي فحاصرها المجاهدون بزعامة القائد محمد أنفلوس النكنافي والقائد عبد الرحمان الگبلولي، من يوم 18 دجنبر 1912 إلى يوم 27 منه، عندما تمكن الفرنسيون من إغاثة حاميتهم من الصويرة بعد موت خلق كثير من الطرفين، وبذلك توجهت أنظار المهتمين آنذاك إلى موگادور (الصويرة) ودار الحاج علي القاضي على الصعيدين الوطني والفرنسي، وكتبت بأحرف بارزة في الصحف والأخبار السينمائية في باريز.

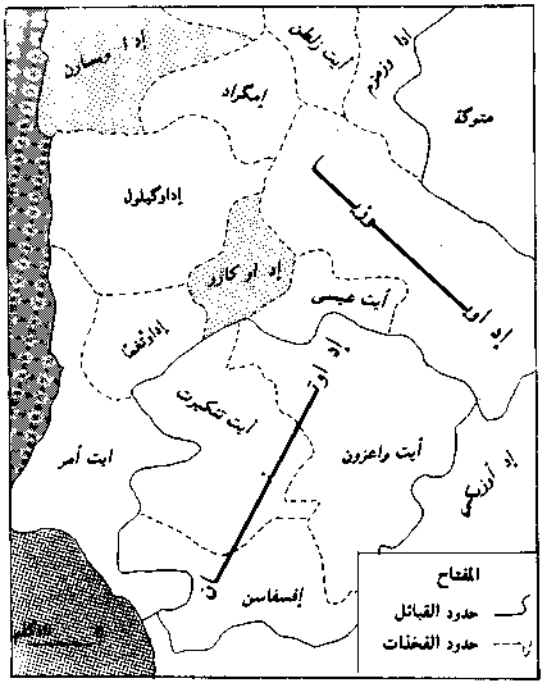

إداوسارنْ وإداوكازو

ز ـ سْميمُو : مركز قروي يتوسط القبيلة على الطريق الرئيسية إلى أگادير على بعد 40 كلم جنوب الصويرة، أنشئ فيه مقر القيادة سنة 1958 م، ومقر الجماعة بعد انتخابات 1960 م وقبل ذلك كان محطة رئيسية للقوافل التجارية القادمة من الصحراء وسوس إلى الصويرة التي كانت قاعدة التجارة في الجنوب. وأهم التجهيزات المتوفرة بمركز سميمو حاليا هي : مقر القيادة، ودار الجماعة ومركز الدرك الملكي، وناد نسوي، ووكالة بريدية، ومركز فلاحي،

ومجموعة مدرسية، وسوق قروي مبني ينعقد يومي الأحد والخميس من كل أسبوع. وسكان قبيلة إداوسارن ما يزالون محافظين على اللغة والتقاليد والعادات الأمازيغية مع شدة تمسكهم بتعاليم الإسلام وحرصهم على تعلم العربية لغة القرآن والإدارة.

ابن قنفذ، *أنس الفقير* ؛ العبدري، *الرحلة المغربية* ؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ الحضيكي، *طبقات* ؛ م. م. السوسي، *إيليغ، خلال جزولة*، 2 : 125 ؛ *من أفواه الرجال*، 1 : 20 ؛ الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 150.

D. Leyris de Campredon, *Quarante cinq ans de souvenirs Marocains*, 1904 - 1948, p. 94, Imprimerie Rapide, 1949.

محند أيت الحاج

إداوسْملال، من قبائل إداولتيت، موطنها بالأطلس الصغير بين أنزي وتافراوت، تعد مع إيليغ شطري منطقة تازوالت، ينسب إليها : أسملال أو السملالي. بلدهم في قمم الجبال ومنحدرات جبلية يجري عند قدمها واد تازروالت الذي يسمى في مجراه الأوسط بواد إداوسملال. وفي هذا الوادي أراضي القبيلة بينما قراها متدرجة في السفح. ومن فرقهم أيت عروس وأيت تخفيست، وكانتا في أواخر القرن الماضي متعادلتين في قوتيهما (2500 بندقية في كل) ومن الافخاذ المضافة إلى إداوسملال : أيت عباس (1500 بندقية) وفرقة من أيت وافقا الشرقيين (300 بندقية) فمجمل قوة إداوسملال في آخر القرن الماضي 8500 بندقية مع قليل من الخيل (حوالي 200).

إلى هذه القبيلة ينسب شيخ تازروالت سيدي احماد أوموسى.

م. المختار السوسي، *المعسول*، جميع الأجزاء ولا سيما 3 و5 و11 و12.

A. Le Chatelier, *Tribus du sud-ouest marocain*, Paris 1891; C. Maheut , *Les Ida ou Semlal*, Archives S.H.A, 1948 ; D.J. Meunié, *Le Maroc saharien*.

أحمد التوفيق

إداوگازو، قبيلة حاحية تحتل المرتبة الثالثة في الصف الهضبي الأوسط، تحدها سفوح جبال إداوتنان الشامخة في الأطلس الكبير جنوبا. ومن الشمال تطل على سهول قبيلة إداگيلول بينما يفصلها أسيف واعزيز عن قبيلة آيت عيسى شرقا في حين نجدها متداخلة مع قبيلة إيداوتغما غربا. وتبلغ مساحة قبيلة إداوگازو حوالي 220 كلم مربع وعدد سكانها 9600 نسمة (إحصاء 1982) موزعين بين الهضاب والجبال على شكل دواوير متباعدة ومنتظمة في سبع فرق.

ولم يكن مجموع سكان هذه القبيلة في مطلع عهد الحماية سوى 254 كانون، وبالمقارنة مع سكان اليوم ندرك مقدار النمو الديمغرافي المضاعف عدة مرات بهذه القبيلة مع أن مواردها الاقتصادية في تناقص مستمر، فالسكان يعتمدون على الرعي وزراعة الشعير وتربية النحل لأن بلدتهم مكسوة بغابات الأرگان في السفوح والعرعر في القمم العالية، ويتميز عسل إداوگازو وجيرانهم إداوتنان بنكهة طبيعية خاصة. وفي قبيلة إيداوگازو مآثر ثقافية دينية أهمها :

مدرسة سيدي حْسَيْنْ التي هي أقدم مدرسة علمية للقبيلة أصبحت اليوم مدرسة وبجانبها آثار مدينة قديمة تعرف بمدينة أسَاگُو قرب مجرى وادي سَرُو.

2. مدرسة سيدي محند أوبوزيد بفرقة تاروا علي أسسها شيخ القبيلة أزيّان محمد الكزوتي من فرقة أيت ماسفور في منتصف القرن الثالث عشر الهجري. وفرض على رجال القبيلة تمويلها بأعشارهم، وتعميرها بأبنائهم، ويبدو أن ذلك كان بإيعاز من صهره العلامة القاضي المفتي علي بن محمد الكزوتي من أگادير نيت ماسفور (ت 1392 هـ) وهو أول من تصدر فيها للتدريس. فقام فيها على ساق الجد والحزم في تدريس بعض علوم عصره، ثم خلفه فيها الفقيه الأديب محند بن محمد أمغار التغماوي المتوفي 1318. أما المآثر التاريخية فإننا لا نجد بإداوگازو إلا أطلال أبراج تنسب لشيوخ القبيلة في عهد القائد الحاج عبد الله أبهي (ت 1284 هـ) مثل تيگمي أزُورْ لأزيان محمد المذكور. وتيگمي الحسن أومنصور والتي لا تزال صامدة أمام عوامل الإتلاف رغم خلوها من السكان.

تحريات ميدانية.

محند أيت الحاج

إداوكثير ← إلالن

إداوگرْضْ، قبيلة حاحية من القبائل الإثنتي عشرة التي ظلت محتفظة بأصالتها ونسبتها إلى قبيلة حاحا المصمودية القديمة، فكونت بينها اتحادية دعت إليها الضرورة للدفاع والغلبة على الجيران، وعززتها سلطة قيادة آل بيهي أوميلود المخزنية (1182 / 1768 ـ 1288 / 1871) *(الضعيف*، 172 ؛ م. السوسي، *إيليغ*، 242 ؛ الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 15، 90، 100).

تقع قبيلة إداوگرض على الحدود الفاصلة بين حاحا والشياظمة، انطلاقا من مدينة الصويرة، وتمتد جنوبا على شاطئ سياحي جميل يتمثل في الموقع الطبيعي لسيدي كاوكي (الكواكبي) ورأس سيم إلى حدود قبيلة إداوسأرنْ الموالية لها جنوبا، ومن الشرق تحدها قبيلة نكنافة. مساحتها 331 كلم مربع، وعدد سكانها 14547 نسمة حسب إحصاء 1982، وبذلك يكون معدل كثافتها السكانية حوالي 44 شخصا في الكيلومتر المربع الواحد. ومع ذلك تبدو الدور متباعدة متفرقة كما هو الشأن في جميع قبائل حاحة لأسباب مادية واجتماعية (Doutté, 293).

وتشكل قبيلة إداوگرض بموقعها مدخلا لاتحادية حاحا من الشمال، ولعل ذلك هو سبب تسميتها بـ (أگرض) الذي يعني بالأمازيغية (الشلحة) بداية الشيء أو نهايته، فيقال أگْرْضْ نْ تْگَّمِّي أو أگْرْضْ نْ تْمْزِّينْ. وإدا، بمعنى أولاد أو أهل ذلك المكان.

ومعظم أراضي إداوگرض سهلية بورية تزرع بالحبوب وخاصة الشعير على شكل حقول مسورة بحيطان من الحجر (أدْرَاس) تتخللها سلاسل جميلة من أشجار اللوز والزيتون. وبها غابات مكسوة بأشجار أرگان التي تعطي منطقة حاحا لونا طبيعيا متميزا، وتساهم في توفير المراعي والعلف، وما يحتاجه السكان من زيوت ووقود. وتتميز إداوگرض عن غيرها من قبائل حاحا بما تتوفر عليه من مياه جوفية تزود مدينة الصويرة، وتمكن بعض الفلاحين حاليا من إنشاء أول لبنة لزراعة الموز في الحقول المكيَّفة.

وعلى أرض قبيلة إداوگرض تتوسع مدينة الصويرة الحالية، تحفها التلال وتعانقها جزيرة (Serne) التي وجدت بها آثار فينيقية ورومانية (بنعبد الله، *الموسوعة*، 2 : 298)، وبضواحيها ضريح سيدي مگدول الذي نسب إليه البكري هذا الميناء في قوله : مرسى مگدول، مرسى مشتى مأمون... تنزل فيه السفن من جميع البلاد... وهو ساحل أغمات وإحدى رباطات رگراگة. (*المغرب*، 73).

وعلى بعد 17 كلم جنوب الصويرة الحالية توجد مدينة أثرية قرب سوق أربعاء إداوگرض تدعى بالصويرة القديمة التي قيل إنها "من تأسيس ملوك حاحا قبل الإسلام" (الزياني، *الترجمانة*، 79). لكن البناية الموجودة بها الآن عبارة عن بقايا معاصر السكر التي أسسها الملوك السعديون على الضفة الشمالية من وادي حاحا (القصب) حيث ازدهرت زراعة قصب السكر في عهدهم (*الكانوني*، 55 ؛ *الفشتالي*، 209).

ومن المآثر الدينية الثقافية بإداوگرض : مدرسة سيدي بوعثمان إزاء الصويرة القديمة اشتهرت بتدريس العلم، ومن أساتذتها الأواخر سيدي عمر بوعلي الگرضي المتوفى 1374 / 1954. ومدرسة سيدي محمد بن عبد الله الواقعة بفرقة الحرارثة التي كانت من إداوگرض ثم ألحقتها إدارة الحماية بالشياظمة.

وتجدر الإشارة إلى أن إداوگرض يتكلمون باللسان الأمازيغي (الشلحة)، وقليل منهم من يتكلم بالعربية ممن جاور الشياظمة أو يتردد للعمل في مدينة الصويرة.

البكري، *المغرب* ؛ الضعيف، *تاريخ* ؛ الزياني، *الترجمانة* ؛ م. م. السوسي، *إيليغ* ؛ بنعبد الله، *الموسوعة المغربية* ؛ الكانوني، *آسفي وما إليه* ؛ *مجلة البحث العلمي*، 1 : 33. 38.

محند أيت الحاج

إداوگنسوس، ينسب لها أكنسوس والكنسوسي في الأطلس الصغير يوجد مركز إغرم، يذكرون أن أجدادهم جاءوا من الحجاز واستقروا بتامدولت. وهو عبد الواحد بن علي بن عيسى وكان بتامدولت كان غنيا ولكنه وغد أغزل محتقر، فتحالف مع رجل اسمه علي أمنساگ من إفران من قبيلة مجاط وعلى هذا التحالف تدور إحدى روايات أسباب خراب تامدولت، وتقول الرواية إن أكنسوس هذا لجأ أولا إلى طاطا عند إسك نينوار ثم استقر بعد ذلك بواد إلمكرت حوالي إغرم وهنالك نسل منه إداوگنسوس.

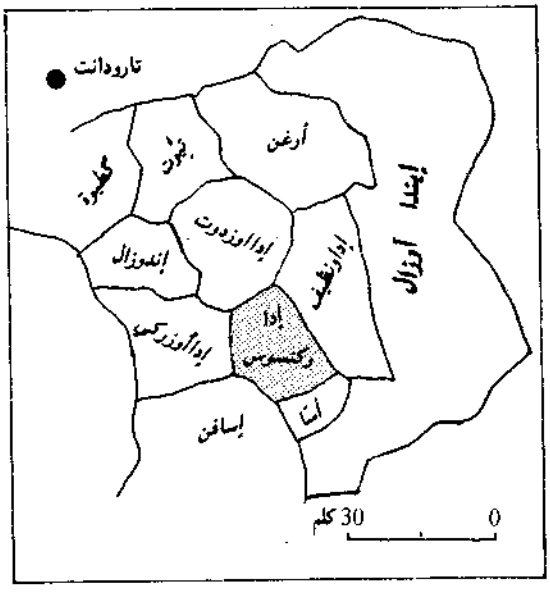

إداوكنسوس

جاء في ديوان قبائل سوس الذي أنجز في عهد أحمد المنصور "وإداوگنسوس يأخذ منهم السلطان الحركة وحررهم من الوظائف لأجل فتنتهم مع ذرية عبد الرحمان بن ملجم الذي تقدم ذكره" والمقصود بهؤلاء جيرانهم المنسوبون إلى قاتل عمر بن الخطاب ولعلهم كانوا ثائرين على السعديين.

Lumale, *Ida ou Kensous*, Arch. S.H.A, 1941 ; D.J. Meunié, *Le Maroc saharien*.

أحمد التوفيق

إداوگنيضيف، فرع من اتحادية إدارلتيت من قبائل إداوبعقيل، إداوگارسْموكسْ، وإداوسْملال. وتقع بلاد الگنيضيفيين شمال إخولْخان وجنوب بلاد إيلالن وغرب أيت عبد الله وشرق أيت صُوَاب.

يذكرهم ماسيينون (ص. 201) تحت تسمية إيدنْضايف (Ydennadauf). كما يذكرهم المختار السوسي في *المعسول* دون أن يخصص لهم قسما مهما من حديثه. ويرتبط هذا الفرع اليوم إداريا بدائرة أنزي بإقليم تيزنيت.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 8 : 216.

A. Le Chatelier, *Tribus du Sud-Ouest marocain*, Paris 1891; L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du XVI siècle*, Alger 1906 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc*, Paris 1930.

محمد مزين

إداولْتيت، تذكر بصيغة عربية هكذا (ولتيتة) اتحادية كبرى تجمع عدة قبائل في جبال جزولة (الأطلس الصغير الغربي)، تنتمي إليها قبيلة إداوبعقيل وإداورسموك وإداوسملال، وكانت فيما مضى تضم قبيلة تازروالت وقبيلة أهل المعدر (شمال تيزنيت). يمتد موطنها على منطقة واسعة من سفح الأطلس الصغير الذي ينظر إلى المحيط الأطلسي ويشمل جزءاً من سهل تيزنيت.

يذهب بعض الباحثين إلى القول بأن إداولتيت هم الذين

ذكرهم الجغرافي الروماني پوليب Polybe في القرن الثاني قبل الميلاد باسم Scelatitos (بلين Pline، الكتاب الأول، الفصل التاسع، نقل عنه روجي Roget في المغرب عند الكتاب القدماء) وتذكر الأسطورة أن جد إداولتيت بأجمعهم هو سيدي زوزال الجزولي خرج من مدينة تامدولت بعد خرابها، وهو جد سيدي احماد أوموسى الولي الذي ينسب إليه رؤساء تازروالت، وتذكر الرواية أن سيدي زوزال ربما أقام أول الأمر عند إداگور سموك كما أقام عندهم ولده سيدي إدريس، ولكن حفيده سيدي موسى بن إدريس أقام عند إداوْسملال وهناك ولد سيدي احماد أوموسى المتوفى عام 1563.

وفي إحصاء القبائل الذي أنجزه إبراهيم الحساني للسلطان أحمد المنصور والمعروف *بديوان قبائل سوس* أو بالكناش نجد إداولتيت بعقيلة (إداوْيعقيل) ورسموكة (إداورسموك) وسملالة (إداوسملال) ومجموع حسابها في التقدير الضريبي لذلك الإحصاء ثلاثة آلاف سرجة ألف لكل ثلث.

وفي القرون المتأخرة انقسمت قبائل الأطلس الصغير إلى مجموعتين من أصل تاگيزولت (جزولة) : إحداهما حول تازروالت وتضم إداولتيت والأخصاص ومجاط، والأخرى في الأطلس الصغير الأوسط حول أرغن (هرغة) وتضم إلالن وإداوزكري وإبرقاقن وإسافن وإداوكنسوس وإداونظيف.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 3 : 387 . 389 . 393 . 396 ؛ 15 : 209 . 211.

D.J. Meunié, *Le Maroc saharien* (voir index).

إداولحاج ← الرگيبات

إداولْوگان، فرقة من قبيلة إدْبراهيم الكبرى بسوس، يقع موطنهم شرق تاغجيجت بالأطلس الصغير، منهم كان حرس أبي الحسن (أبو حسون) صاحب تازروالت في النصف الأول من القرن السابع عشر.

أحمد التوفيق

إداوْمْحْمُودْ، قبيلة تسكن في المنطقة المرتفعة من الأطلس الكبير الغربي التي تحيط بها جبال شاهقة على شكل نصف دائرة من الشمال الشرقي، وكلها مرتفعات تتجاوز 2800 م لتصل أعلى قممها تِنْرگّاتْ 3555 م وهي آخر قمة عالية من الأطلس الكبير في جهة الغرب. وتخترق وديان عميقة هذه المرتفعات في اتجاه الجنوب وهي وادي إداوْمحمود الذي يبدأ من كتلة إگرْسْگاوْن 3233 م ويرفده وادي إداويزمر وروافد ثانوية، كوادي أيت تونارتْ الذي يسمى وادي الرقيق لقلة مياهه، ويلتقي بوادي إداومحمود في أراضي قبيلة دمسيرة. وإن وادي إداومحمود هو الذي يسمى وادي إيسْنْ عندما يدخل تراب قبيلة إداوزيكي.

وتعرف المنطقة العالية من إداومحمود تساقطات الثلوج في فصل الشتاء وخاصة في تشكا التي تشكل منبسطا عاليا.

إن هذا الإطار الجغرافي لإداومحمود أثر على مسار القبيلة التاريخي، ذلك أنها تشترك في الحدود مع قبائل أعالي الأطلس الكبير الغربي سكساوة ودمسيرة غربا وإمدلاوْنْ ومنتاگة وأرگيتة وإداوزيكي وإداوزال جنوبا.

تتكون إداوْمحمود من خمس فرقا هي إشكاجَنْ، وأيت تُنارتْ وأيت إدريس، وإداوْازمّرْ وإرُهالْنْ أُنْ تلاتْ.

تعتبر قبيلة إداومحمود من القبائل القديمة الاستقرار بالمنطقة، فقد أشار البكري إلى إداوازمّر بأنهم كانوا يعبدون الكبش في وقت كانت فيه حركة دينية واسعة نشيطة بالقبائل المجاورة لهم من الشيعة الروافض المعروفين بالبجليين، مما يثير التساؤل حول صحة رواية البكري، وتفيد على الأقل قدم الاستقرار لتلك القبيلة بمنطقتها الوعرة. كما أورد البيذق أيضا أن قبيلة إداومحمود كانت رافضة دعوة محمد بن تومرت إلى أن أخضعهم بالقوة، وبعد ذلك توالى عليها ما عرفته القبائل المجاورة من قوة وضعف، ولكن استمرت مختفظة بالتوازن بينها وبين القبائل المجاورة لها، وإن كان تأثير قبيلة سكساوة واضحا في علاقاتها مع السلطة، وذلك حتى بداية القرن العشرين. وحتى لما أصبح عبد الملك المتوگي يمثل القوة الكبرى في الدير فإنه مع ذلك بقيت قبيلة إداومحمود في منأى عن سلطته إذ اكتفت بتقديم هدية سنوية له في شكل بغلة.

لقد عرفت قبيلة إداومحمود صراعات داخلية تأججت أوائل القرن العشرين على غرار ما عرفته المنطقة على غداة بداية توغل النفوذ الاستعماري في المنطقة إلى أن ضمت القبيلة إلى مركز إيمي ن تانوت ثم إلى أرگانة سنة 1929.

احتفظت قبيلة إداومحمود بنظام مجالسها المعروفة بأيت أربعين بجانب سلطة الشيوخ الذين اشتهر منهم أوائل القرن العشرين الشيخ أحمد أُهَفّيْ، كما احتفظت القبيلة بعدد من الحصون الجماعية (إگودار ـ أگادير) والتي مايزال عدد منها مستغلا. وتحتفظ قبيلة إداومحمود بأهم موسم سنوي يعقد بمنطقة الأطلس الكبير الغربي منذ أواخر القرن التاسع عشر في تافلالت عند ضريح سيدي محمد بن الحسين الذي عاش في النصف الأول من القرن التاسع عشر، واشتهر أمره كفقيه مرشد بالمنطقة حتى وفاته أوائل الستينات من القرن التاسع عشر. كما تحتفظ قبيلة إداومحمود بمدرسة عتيقة أسست بأيت تونارت سنة 1310 وارتبطت بزاوية سيدي أحمد بن علي بمزوضة يرشح رئيسها من ينتدب للتدريس بها.

إن قبيلة إداومحمود تشبه إداوزيكي وإداوزال في النشاط الاقتصادي الفلاحي مع بعض المميزات لكل قبيلة فتختص إداوزيكي بإنتاج الملح في حين تشتهر إداوزال بإنتاج الحناء وإداومحمود بإنتاج الجوز.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ أ. البكري، *المغرب* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 1، 15، 20 ؛ *خلال جزولة*، 4 ؛ *وثائق من الخزانة الحسنية* ؛ *أبحاث ميدانية ورواية شفوية*.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; Lt. Dupas, *Les*

Igoudar Seksawa et les Ida-ou-Mahmoud, à la Bibliothèque du C.H.E.A.M, Paris ; J. Fuchs, *Evolution d'un grand Commandement marocain* ; *Le Caid Mtougi*, à la Bibliothèque du C.H.E.A.M, Paris ; J. Berque, *Structures Sociales du Haut Atlas*.

محمد زرهوني

إداونْظيف، قبيلة في الأطلس الصغير الأوسط يحدها شرقا وجنوبا إنداوزال وشمالا أرغن وغربا إداوزدوت وإداوكنسوس، وهو غير إداوگنيضيف التي تعد من اتحادية هلالة (إلالن)، اشتهر إداونظيف باستغلال بعض المعادن بطرق تقليدية، وكانوا يصنعون منها خناجر مقوسة ذات شهر واسعة.

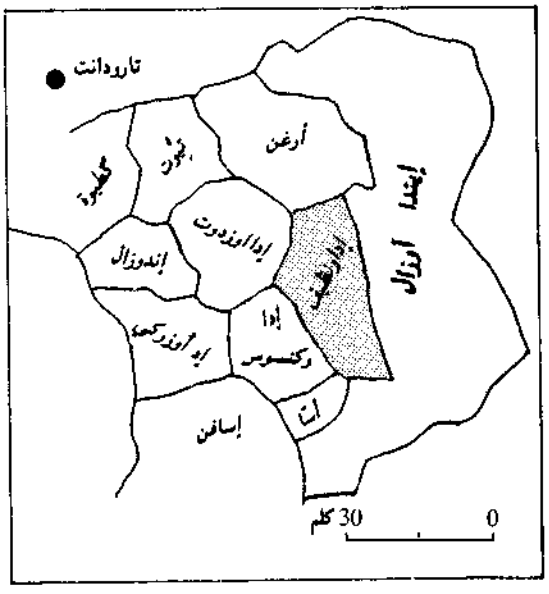

إداونظيف

أحمد التوفيق

إداويعيش ← الرگيبات

إدّبْراهيم، قبيلة كبرى بالأطلس الصغير أهلها مستقرون موطنهم جنوبي إفران ومجاط يمتد غربا إلى گليميم. كانوا من المؤيدين لرؤساء تازرولت إلى أن قام السلطان مولاي الحسن بزيارته إلى تلك الجهات عام 1882 فجددوا بيعتهم له.

الأدب المغربي، مر بمراحل عديدة متميزة كما سنرى:

المرحلة الأولى : إذا سلمنا بصحة الخطبة التي نسبت لطارق عند فتحه للأندلس فإن الأدب المغربي يكون قد بزغ في أواخر القرن الأول.

وأقدم ما وردت فيه تلك الخطبة كتاب *الإمامة والسياسة* لابن قتيبة. ولا شك في أن عرباً صاحبوه كانوا هم القراء وفيهم شاعر مذكور في العرب الفاتحين. لقد شاعت الخطبة في نصوص مختلفة بعض الشيء إلاّ ابن الكردبوس ذكر أنه قال :"قاتلوا حتى تموتوا". وعلى كل حال فإن الشعر نابعا من المغاربة لم يُعرف إلا في القرن الثالث خافتا ثم يافعا فيما تلاه، كما نجد بداية من أوله إن سلمنا بتلك الأشعار التي نسبت إلى إدريس الأصغر والتي وردت *بالحلة السيراء*. ـ وأشك فيها ـ لابن الأبار. أما القراء المغاربة أو المعلمون للقرآن فقد حدثنا التاريخ عن رجل مكناسي منهم كان له شأن خطير جدا في الأندلس، عند القرن الثاني حينما واجه عبد الرحمان الداخل، في غرب الأندلس برجاله، ولم يستطع هذا التغلب عليه إلا بعد معاناة ومقاتلات دامت عشر سنوات استعمل الدهاء آخرها.

وكان القرآن سباقا إلى القوم واستمر معهم في نصه وعلومه، ولهذا نجد القرآن طابعاً بقوة تلك النصوص الشعرية التي عثرنا عليها بهذه المرحلة الأولى، على ما نسب إلى إدريس، ونشك في صحته. ولم نجد هذا الطابع في خطبة زياد مما يدل على أن غيرهما قد صاغهما، إن صحت نسبتها في تلك المناسبة المذكورة لهما : طارق ثم إدريس. وهذا نموذج للشعر الذي ظهر بهذه المرحلة الأولى، منه لإبراهيم بن أيوب النكوري في مدح الأدارسة.

أيا أملي الذي أبغي وسُولي ودنيايَ التي أرجو ودِيني
أأحْرَمُ من يمينك ريّ نفسي ورزقُ الخلق من تلك اليمين
ويُحجب من جبينك طرفُ لحظي ونورُ الأرض من ذاك الجبين
وقد جُبْتُ المهامه من نكور إليك بكل ناجية أمون

والغالب أنه كان من الأندلسيين، وأن نسبته بالنكوري كانت بعد نزوله عند أمراء بني صالح أصحاب النكور، وهم كما قيل من نفزة أخوال عبد الرحمان الداخل الذى جاز إلى الأندلس منهم. ذكرت بالبكري وغيره ولعلها كانت في أمير إدريس. وكان في الأدراسة شعراء، مثل إبراهيم بن الحسن القائل في ابن أبي عامر (وكان قد وفد على المستنصر عام 363) حينما غدر المذكور بالأمير الحسن بن جنُّون، كما في البيان :

فيما أرى عجبٌ لمن يتعجبُ جلّت مصيبتُنا وضاق المذهبُ
إني لأكذب مقلتي فيما أرى حتى أقول غلطت فيما أحسبُ
أيكون حيّاً من أمية واحد ويسوس هذا المُلكَ هذا الأحدبُ
تمشي عساكرهم حوالي هودج أعوادُهُ فيهنّ قردٌ أشهبُ

فهذا "فِلم بَانُورامْتي" ملون يصور المنصور في موكبه، وهو في منتهى الدهاء والسلطة مما لا نجده في غير هذه الأبيات.

ودون هذا المستوى ما ذكره لسعيد بن هشام المصمودي في *المغرب* وغيره، وإبراهيم الأصيلي كما في *البيان*، والأحمس التُّطيلي كذلك. على أن هذا، وكان كاتبا لبني صالح، أمر به ويبدو من نسبته كونه أندلسيا. والغالب أن كاتب ابن أبي العافية كان كذلك، فلا يوخذ بتلك الرسائل المحبرة على أنها من الأدب المغربي. ومنذ أواخر هذه المرحلة التي تنتهي بالقرن الخامس صار الأدب يرتقي مع ابن بياع السبتي الشاعر وبلديه الكاتب ابن عطاء، وكذا الخطيب ابن غازي وابن القابلة أيضا الوارد ذكره في

الذخيرة لابن بسام وغيره. وفي شعرهم صدى للقرآن قوي أحيانا وخافت أحيانا أخرى، كما عند الزيتوني المتردد إلى الأندلس منتجعا.

المرحلة الثانية : كان الأدب قد اكتمل تماما بأدباء فقهاء مشاركين في عدة فنون وعلوم،وفي مقدمتهم القاضيان ابن زنباع وعياض. والفلك ومواقع النجوم ضروري للأدب، وخصوصا الشاعر، كما نجد في *العمدة* لابن رشيق. ويهمنا هؤلاء الذين قد انطبعت ثقافتهم الواسعة على أدبهم، فكانت فيه ملامح الفقه وعلم الفلك والهيئة وغير ذلك مما يكون عليه أمثالهم. فقصيدة ابن زنباع الربيعية بالاضافة إلى التأثير القرآني فيها، نجد من الفقه نحو قوله :

فكأنه فرضٌ عليه موقّتٌ ووجوبُـه متعلّـقٌ بوجوبـهـا

ومن علم الهيئة ومواقع النجوم ومطالعها والميقات على وفق ذلك، قوله من قصيدة أولها :

وندّت إلى الغرب النجومُ مروعة كما نفرت عيرٌ من السيل ركّضُ

وكذلك عياض فيما له في حيز علم الهيئة ومواقع النجوم رسالة يقول فيها مخاطبا صديقين له :

فحللتما بسيطها غارة شعواء لها ما عوت أكلب "العواء"... ولم تُغن عن "السماك" الداعس، وغُودرت "النثرة" نثارا... وأشعرت "الشعريان" ذعرا... فاخذت بالحزم منها "العبير"... وحذرت اللحاق عن أن تعوق، عن منحى "العيوق"... وكأن الثريا حين تُرتم بقطينها اتّقَتْكُم بيمينها، فجذذتم بَنَانَها وبذلتم "للخطيب" أمانها، فعندها استهل "سهيل" الفرار... وولى "الدبران" اثره مدبرا... وعادت العوائد بشانها، والتقت "الجوزاء" للأماني بنطاقها ونظامها...

ومن شعره قوله في مطلع قصيدة :

ياراحلين وبالفؤاد تحمّلوا أيُرى لكم قبل الممات قفولُ
أمّا الفؤاد فعندكم أنباؤُهُ ولـواعـجٌ تنتابـه وغـلـيـلُ

ومن هذا الرعيل ابن حبوس الفاسي الذي اشتهر بالشعر،وله طليق نجد منه نموذجا طريفاً *بالمعجب* لعبد الواحد المراكشي.

ومن أمداحه في هذا العهد، ما مطلعه في أبي جعفر ابن عطية :

ألا زار من أم الخشيف خيـالهـا ومن دونها البيداءُ يخفـف آلـهـا
لقد أوقدت في القلب منّيَ جمرةً بدا في سواد المعرضين اشتعالُها

وهذا نموذج من شعره التقليدي في هذه المرحلة، ولا يستغرب من مبالغاته فيه، فهي ملح الطعام للذين يعيشون بأمداحهم، ومما يسجل في هذه الحقبة وجود القصائد التعليمية، كما هي عند القاضي عياض، وحركة التأليف التي كان حامل لوائها في مختلف الفنون والعلوم، يهمنا منها ما يتصل بالأدب، مثل *الفنون الستة في تاريخ سبتة*: *والشفا في حقوق المصطفى*، *وترتيب المدارك في ترجمة أصحاب مالك*، وبغية *الرائد* الذي نجد فيه دراسة مستفيضة.

كما كان بلديُّه محمد الشريف الإدريسي، يؤلف كتابه الجغرافي، الذي لم يسبق له مثيل،ولا شك أن بداية عمله كانت بالمغرب، إن لم يكن قد أنجز به. وانه لما انتهى إلى صقيلية، آنس أودعاه صاحبها إليه، وقد عرف بعمله هذا، فعهد إليه بالتأليف العملي الجغرافي،الذي ذكره بالمقدمة، في صوغ كورة الأرض، وما تحويه من أقطار وأقاليم صورها في خرائط معروفة، وعنوان كتابه عليه مسحة الجغرافيا التي عرفت منذ ابن خرداذبه وهو *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*.

وجميع هؤلاء المذكورين، إلا ابن زنباع، أدركوا العهد الموحدي، وان انتاجهم المذكور كان باكورة العهد المرابطي. وكان أدباء المغرب قد عرف بعضهم بالمشرق، كما نجد في معجم السلفي، وفي *الخريدة* للإصفهاني، ومعجم *الأدباء*، ومعجم *البلدان* لياقوت الحموي.

المرحلة الثالثة : وهي من أواسط القرن السادس إلى السابع، حصل فيها انقلاب جذري بقيام دولة الموحدين الذين أتوا معتمدين أولاً على الفكر، ثم السلاح، للقضاء على المرابطين العاملين بقوله تعالى "قاتلُوا الذين يلونكم من الكفار وليَجدوا فيكم غلظة" أما هؤلاء فقد أتوا بالعقل الأشعري في إثبات التوحيد، وسموا أنفسهم بالموحدين، واعتبروا غيرهم مُجسِّمة، وكانوا كالفاطميين يعتبرون انفسهم هم الخلفاء لا العباسيون الذين كانت دولتهم قائمة، وكان يدين بسلطتهم الشرعية المرابطون. ثم إنهم كانوا ماخوذين بالعظمة في كل شيء، وفي المقدمة الأدب، والشعر خاصة، وقد استمع عبد المومن إلى بعضهم موغلا في التهويل بهم، فقال : بهذا تُمدح الخلفاء، وقد كان ابن حبوس بين الشعراء، فقال من أمداحه لهم ما أطربهم به، وبذلك نال الحظوة لديهم،مطوراً للهجته، وهو الشاعر النهاز بمدحه :

بلغ الزمانُ بهديكم ما أمّلا وتعلّمت أيامُـه أن تعـدلا
ويحسبه أن كان شيئاً قابلا وجد الهدايةَ صورةً فتشكّلا

إذن فالمَهدية التي ادعوها لأنفسهم، كالفاطميين قبلهم، اهتدى بها حتى الزمان نفسه، وكذا خليفة المهدي المعصوم:

بخليفة المهديِّ سيدنا اغتدى نهجُ العلوم مُعبّداً ومُذلّـلا
وتفجّرت عينُ النباهة بعدمـا قد كان خاطرُها أكلّ وأجفلا

ومن ناحية اخرى فهو البحر في العطاء وغيره، كما كان الفاطميون كذلك يغدقون الذهب على الذين يمدحونهم حتى التأليه لهم :

ألا أيهذا البحرُ جاورك البحرُ وخيِّم في أرجائك النفعُ والضرُّ

وأمداح الجراوي للخلفاء الأربعة الأول يكوِّن ديوانا من شعره. ومثله العليا فيه هي : الجود في المرتبة الأولى، والسعد والإسعاد في جميع قصائده تقريبا. والنسبة لقرشية لهؤلاء الخلفاء، والفضائل التي لا يمكن حصرها لا عظما ولا نثرا، والنور الذي تستمد منه الشمس والقمر.

أما غزلياته فمنها :

مشت كالغصن بثنيه النسيم ويعدوه النسيم فيستقيمُ

لها ردفٌ تعلّق في لطيف وذاك الردفُ لي ولها ظلوم

ومن زهدياته قوله من مطلع قصيدة :

أيها المغترُّ بالزمن في هواه خالعٌ للرسن

حبُّك الدنيا وزينتها فتنةٌ عمتك بالفتن

وله نثر في هذه الزهديات (توفي عام 603) وكلاهما وجد آذانا صاغية عند الناس. فمن الشعر وجدنا سليمان الموحدي يعقد لها بابا كما سنرى من أبواب ديوانه، ومن النثر وجدنا ابن الزيات القاضي، كذلك، يؤلف كتابه *التشوف إلى رجال التصوف* من الزهاد كما سنرى. وإذا ذكرنا الديوان وصاحبه سليمان الموحد فهو أول ديوان شعري عرف للمغاربة، لأمير موحدي ابن عم المنصور العظيم، فهو أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المومن الخليفة الأول. ويضم ديوانه، الأمداح، والغزل، والرثاء، والزهد، والألغاز، ووصف الرياض والعتاب والتشبيهات وما إليها، وفي طليعة أمداحه للمنصور هذه العينية بمناسبة استرجاع قفصة يقول في مطلعها :

هبّت بنصركم الرياحُ الأربعُ وجرتْ بسعدكم النجومُ الطُّلّع

وأتت لعونكمُ الملائكُ سبقاً حتى لضاق بها الفضاءُ الأوسعُ

ومن غزلياته ما تضمنت خمريات خيامية مثل قوله :

أتاك الصبح غريدٌ على علم يقول قُمْ فاصطبح يكفيك لا تنم

أما ترى الليل قد مالت كواكبه وقام للصبح داعيه على قدم

أما زهدياته فمنها على أسلوب أبي العتاهية :

يا غافلاً عن ذكر مولاه وذاهلاً عن شكر نعماه

وراتعاً في غيه لاهياً قد كحلت بالنوم عيناه

إلى قوله :

ربِّ إذا ما شئتَ أن تهتدي لقدره فاقرأ "هو اللهُ"

وطبعا إلى جانب الشعراء الذين كانوا في ركاب الدولة، كان هناك كتابها وعلى رأسهم الأخوان أبو جعفر ابن عطية وأبو عقيل اللذان كانا من كتاب المرابطين. ومن حسن الحظ أن حُفظت لهما رسائل وهما في خدمة عبد المومن الموحد. أما فيما سلف فليس بيدنا إلاّ رسالة لأبي جعفر أمر بكتابتها على لسان والٍ موحد يخبر بالقضاء على ثائر على الدولة، فهذه كانت ـ ولا شك ـ على منواله الأول في العهد المرابطي يقول فيها :

كتابنا من وادي ماسة، بعدما تجدد من أمر الله الكريم، ونصره تعالى المعهود القديم. وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، فتح بهر الأنوار إشراقا، وأحدق بنفوس المومنين حداقا، ونبّه للأماني النائمة جفوناً وأحداقا، واستغرق غاية الشكر استغراقا. فلا تطيق الألسن لوصف كنهه إدراكا ولا لحاقا، جمع أشتات الطلب والأرب، وتقلب في النعم أكبر منقلب،،وملأ الأمل إلى عقد الكرب.

فتح تفتّح أبوابُ السماء له وتبرزُ الأرضُ في أثوابها القُشُبِ

وهكذا نرى الجري وراء السّجعات التي تخلق لها معاني ترتكز على الدرج التي تفضي إليها، وتقتبس من القرآن، وتستعين بالشعر، وهذا الأخير اختفى فيما بعد ولم يطرأ على الأسلوب إلاّ ذكر المهدي المعلوم أو المعصوم في مقدمة الموحدية هكذا بعد التصلية... والرضى عن الامام المعصوم، المهدي المعلوم، علم الأعلام، وذخيرة الإيمان والإسلام، وبدر الكمال والتمام،الطالع بأشرف مطالع الإشراق، الفارع عندما تطأل الرؤوس والأعناق، الجامع أشتات الفضل واجناسه على الاستيفاء والاستغراق.

بعد هذا نتصل بحركة التأليف فنجد كتاباً لأبي عبد الله محمد ابن القاضي عياض معرفاً بأبيه، وكان يلي القضاء للموحدين بمدينة مالقة وتوفي عام 575.

لقد تعرض ابن عياض لأصلهم وهجرتهم التي انتهت أخيرا إلى سبتة حيث منشأ عياض وتربيته العلمية تربية تجلت بالفصل والعلم الواسع والأدب الفياض،وهو في ريعانه يشعر ويحبِّر الرسائل وينشئ الخطب، فكانت له الإمامة في الحديث وعلومه والفقه ومذاهبه والتاريخ وأنحائه. تولى قضاء سبتة للمرابطين، وفي عهد الموحدين أقرّ على قضاء سبتة، ثم تولى مقاليد أمور هذه المدينة لما ثارت على الموحدين،وبعد ذلك حمل إلى مراكش حيث مات. ثم تعرض ابن عياض لخطب أبيه ونماذج من نثره وشعره،وذكر أخباراً له وملحاً كثيرة جرت له، واجتهاده في تحصيل العلوم والمناظرة فيها. وتلاه الجراوي الذي ألف بأمر المنصور كتابه *صفوة الأدب وديوان العرب*،وهو مجموع يضم المدح والفخر والمراثي والنسيب والأوصاف والأمثال و الحكم والملح والذم والنقائض والزهد والمواعظ، مرتبة ترتيباً زمنيا، مما امتاز به عن مقلده أبي تمام. ،قد خالف هذا الترتيب الزمني في شيء واحد حيث افتتح كتابه بالأمداح النبوية، ثم تابعها بأمداح أخرى جلها متقدم عليها، جاء في المقدمة "والرضى عن الامام المعصوم، المهدي المعصوم، القائم بالحق بعد ظهور الفساد،الفائضة أنوار هدايته على الأغوار والأنجاد، وعن الخليفتين الإمامين المنصورين الناصرين المتكفلين لدين الله بالإعانة والإنجاد، المتولّيين في كل مأثرة على الغايات والآماد، والدعاء، بتيسير المامول وتسهيل المراد، ونجاح الإصدار والإيراد، لسيدنا أمير المومنين..."

وابن الزيات أبو يعقوب يوسف التادلي،الفقيه الأديب، الذي شرح *مقامات الحريري*، قبل ان يشرحها الشريشي الأندلسي، وألّف كتاب *التشوف* إلى رجال التصوف اهتم فيه بإقليم خاص هو مراكش وأعمالها.

نعود إلى عموم التاليف في هذه الحقبة، فنجد كتاب *الاستبصار في عجائب الأمصار* ألف في عهد يعقوب المنصور من مجهول. وهو كتاب جامع للطرائف المختلفة في عدة أقطار، شرقية وفيها مصر وآثارها، بعد ذكر الحرمين الشريفين، ويعنينا ما جاء خاصاً بالمغرب وملوكه، وفي أولهم إدريس الأكبر الذي ذكر أنه وافق إسحاق الأزرقي على اعتزاله عند بيعته، وهو بهذا على صواب، مخالفاً لمن يقول إن الأزرقي تاب من اعتزاله. فالمعروف أن اباه عبد الله كان في طبقة من طبقات رجال الاعتزال، الذين كان

ضلعهم مع آل البيت لعهده.

وفي أوائل القرن السابع نجد كتاب *المعجب*، يؤلفه عبد الواحد المراكشي برغبة من وزير شرقي عراقي غالبا. وكتابه مفعم بالأدب الأندلسي والأخبار، ولم يرد فيه ذكر للمغاربة في الأدباء إلا ابن حبوس الذي ساق من شعره ونَقَدَهُ بأنه كان يقلّد ابن هانئ الأندلسي في قعقعة الألفاظ وتفخيمها.

وكما يذكر المؤلف، ضمنه أدباء المغرب للمؤلفين لتاريخ الموحدين يذكر بين الجغرافيين بسبب ما ذيل به كتابه من معلومات قيمة فيها الاقتصاد والوصف الطبيعي وغيره، ويطيل في عواصمه خصوصاً فاس كما يطيل في عواصم الأندلس ويذكر رجالها باختصار.

المرحلة الرابعة : ظهور الزهديات، كما رأينا عند الأغماتي شعراً ونثرا، وأبي الربيع، والتاليف فيهم لابن الزيات، أي في رجال الزهد والتصوف، كما ينبئ عنه *التشوف إلى رجال التصوف* الذي نجد فيه السبعية في الرجال، وهي ما وجدناه في القصيدة التي مدح بها الأغماتي الخليفة يوسف. وفي العاصمة سبعة رجال، بل حتى في صلحاء الريف حيث القسم الثالث المقصود بعينه يتضمن سبعة وأربعين فصلاً.

حقيقة أن التصوف لم يكن وليد هذه الأيام، بل ظهر من قبل في الأندلس على يد ابن العريف في مدينة "المرية" وهو مغربي الأصل، إذ كان أبوه عريفا في طنجة يقوم على حراستها ليلاً، وكاتَبَ ابنُ العريف القاضي عياض، كما في الفكر السامي، ثم كان أبو العباس السبتي الذي رسم طريقته في الإحسان إلى الضعفاء، ووجه ابنُ رشد إليه من ياتيه بخبره.

ولما خلع المامون ابن المنصور ربقة الطاعة للخليفة يوسف الصبحي اللأهي، وأتى بجيش جرار من النصارى الإسبان للقضاء عليه نهائيا، إذا بكاتبه الفاسي ميمون الذي كان في ركابه مشيدا وهادرا بقصائده، يلبس مرقعة الزهاد ويبيع نفسه في عقدة يعقدها مع الله على هذه الصفقة التي أسلم فيها نفسه وجوارحه كلها إلى الله، ثم يتوجه إلى رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ بقصيدة أطول ما عرفت به القصائد حتى ذلك العهد، إذ تضم ما يزيد على مائة وثلاثين بيتاً يفتتحها بقوله :

حقيقٌ علينا أن نجيب المعاليا لنُفني في مدح الحبيب المعانيا

ولعل هذا أول شعر متصوف عندنا في مدحه ـ عليه السلام ـ وملامح التصوف بادية في "الحبيب" المستعمل عندهم بدل "النبي" ثم أحمد بدل محمد. وما نُسب إلى عياض من أمداح وتوسلات من هذا القبيل، وهي مخطوطة في مكتباتنا، فلا يقطع بصحته، خصوصا أنّنا لا نجد شيئا من ذلك في تعريف ابنه به.

وكذلك نجد التصوف قد ترقى إلى مناجاة غرامية ظاهريا، كما نجد للقاضي محمد بن حسن بن عمر الفهري السبتي في قصيدة جاء فيها :

يا من أناجيه والاشواقُ توهمني ليل الوصال كأن المشوق يوجبه

ويقول أول قصيدة أخرى :

أبُوحُ بما ألقاه فهو مباح فقبليَ أربابُ المحبة باحوا

وواكب هذا شعر المولديات، فيها، وقد سن الاحتفال بالمولد النبوي، قاضيها أبو العابس العزفي، فكان من القائلين في ذلك الخليفة الموحدي المرتضى، حيث نجد له ما ذكره ابن عذاري في *بيانه* :

وافى ربيع قد تعطر نفحه اذكى من المسك الفتيق نسيما

بولادة المختار احمد قد بدا يزهو به فخرا وحاز عظيما

ولا ندعي ان الزهديات عمت هذه المرحلة من مراحل أدبنا، بل نقول إنها ظهرت فيها على حين كان غيرها بزوال، مقابلها، وهذا شيء معتاد، كما وجدنا في القديم أبا نواس يواجهه أبو العتاهية، بل الشخص الواحد يتحول من حال إلى حال، كما حصل للأغماتي والموحدي، وكما حصل في الماضي لأبي العتاهية أو أبي نواس حينما عاد من حجه فنطق بتلك القصيدة التي لم ينطق بعمقها وصفائها، غيره من الشعراء قديما وحديثا.

وهكذا نجد إلى جوار الخطابي الفاسي ابن عبدون المكناسي، يقول في مجالس اللهو والشراب من قصيدة :

ما كان اندى ظل عيشتنا إذ كان منتظما بكم شملي

المرحلة الخامسة : تبتدئ مما انتهت به سابقتها وتنتهي عند منتصف القرن السابع. لقد حصل فيها تداخل بين نهاية العهد الموحدي وبداية العهد المريني الذي كان ما يزال يصارع الموحدين وان لم يكن له أرب كما حصل فيما قبل، وكما سيحصل فيما بعد، وبهذا مثلا إمارة العزفيين على سبتة وطنجة، بعدها، تجمع بين العهدين. لقد أحدثت هذه الإمارة في الأدب شيئا جديدا، هو أدب الموالد النبوية وما تلاها من أدب النعال كذلك. والقصة هي أن أبا العباس العزفي قاضي سبتة، لما لاحظ على المسيحيين الإسبان أنهم كانوا يحتفلون بالميلاد العيسوي عمل هو على أن يحتفل المسلمون بالميلاد المحمدي، فأخرج الفكرة إلى الجمهور وألف فيها كتابه *الدر المنظم في المولد المعظم*، ولم يتمه فأتمه ابنه المستبد بحكم سبتة أبو القاسم الذي كان يدرسه بجامع المدينة، ثم دخلت طنجة في حكمه فسارت تحتفل بهذا المولد واستمرت إلى عهدنا الذي أدركناه، وصارت باقي البلاد تقلد هذا الاحتفال في عهد مبكر، فدعا إليه الخليفة الموحدي المرتضى ونظم فيه شعرا، واستمر الشعر تحبّر قصائده الطوال في هذه المناسبة وتقال في القصور الملكية إلى يومنا.

وممن نظموا في المولد، بهذه الحقبة، مالك ابن المرحل المتوفى عام 699، يقول في إحدى مولدياته مستهلا :

إلى المصطفى أهديت غر ثنائي فيا طيب إهدائي وحسن هدائي

وقبل أن ننتقل إلى العصر المريني، لا بد أن نقول كلمة في المرحلة السابقة وهي أننا نجد فيما سلف أدباً يشمل النظم والنثر في الإنشاء، ويضم إلى ذلك حركة قوية في التأليف تناولت مختلف الموضوعات،يهمنا منها ما يتصل بالأدب.

وبعد ما كان الأدب عالة على الأندلس، مقلدا في الجوهر والعرض، أو منتجا في أرض غير أرضه أو متجليا بإنتاج غير أبنائه فيه، فإنه صار منذ أواسط القرن الخامس يعتمد على نفسه ويتخذ له كيانا يتميز به عن غيره، وصار في الأخير يشق لنفسه طريقا لاحبا بين الأندلس والمشرق، حيث كانت الهجرة إليهما هجرة قوية، وخصوصا الأندلس الذي كان يبادل المغرب فيها أكثر من المشرق الذي وجدنا قلة منه تتجه إلى المغرب تتمثل في شعراء وجغرافيين ثم علماء وسفراء منه استقروا أخيرا بالمغرب، وكتبوا مذكراتهم فيه وفي رجال دولته.

أما المغاربة الذين توجهوا إلى المشرق أو كانت لهم اتصالات عن طريق المكاتبة، فقد كان منهم في العهد المرابطي مَن ورد ذكر بعضهم في كتاب معجم *السفر* للسلفي الذي كان مقره بالأسكندرية، وفي كتب الجغرافيا، وتقدم ذكر بعضهم كذلك. وأبرز هؤلاء محمد بن تومرت الذي قضى أعواما بالمشرق، ملازما لعلمائه آخذاً عنهم، وكان في هؤلاء أبو حامد العزالي الذي أحرق كتابه *الإحياء* بالأندلس، وابن تومرت ـ كما يقال ـ ملازم له دارس عليه.

ومن الذين كانوا متصلين بالمشرق عن طريق الكاتبة القاضي عياض، الذي نجده يكاتب السلفي، ويكاتبه هذا نثرا ونظما إلى أن توفي القاضي أول العهد الموحدي.

هذا العهد الذي اشتدت فيه الصلة بين المغرب والمشرق، فقد كان من هذا شعراء قالوا في البلاط الموحدي، وخصوصا في عهد يعقوب المنصور، كما جاءه سفراء منه، وفي مقدمتهم السرخسي، سفير صلاح الدين الأيوبي، وصاحب المذكرة القيمة التي أومأنا إليها وصارت مصدرا تأريخيا اعتمد عليها المقري ونقل عنها نقولا مفيدة.

أما شكل هذا الأدب، فكان في العهد المرابطي هادئا مطمئنا ثم صار هادراً مجلبا مترفعا منذ بداية الدولة واستمرارها في أربعة خلفاء أول منها، كما نجد عند ابن حبوس والجراوي خاصة. وبعد ذلك صار ينزل عن مستواه المترفع إلى المستوى المتواضع بتواضع مضمونه الذي عملت فيه عوامل مختلفة تجلت على ساحة التصوف والزهد وما إليهما وكان لها امتداد فيما بعد.

المرحلة السادسة : تخص العهد المريني الذي ظهروا فيه على نهاية الموحدين، باحتلال مراكش عام 666 من قبل ملكهم العظيم يعقوب بن عبد الحق. وقد قامت دولتهم على دعائم الكفاح المسلح في النصف الأول من القرن السابع، منتهزين فرصة الضعف والانحلال الذي حل بالموحدين، وداعيا بعضُهم للحفصيين وهي تلفظ نفسها الأخير. وكانت أشلاء الدولة تتمزق من هنا وهناك. فجاء المرينيون من شرق البلاد ليرأبوا الصدع، وليمدوا أعناقهم إلى الأندلس الذي تكالب عليه النصارى واقتطعوا منه حواضره ولم يبق بيد المسلمين وُلا ما كان في إقليم غرناطة،وهو في الواقع خاضع لهم بابن الأحمر. فمد بنو مرين يدهم إلى بني نصر، محاولين أن يكونوا جبهة قوية ضد الزحف النصراني العتيد، ووجدوا أولا في هؤلاء استجابة،وصار ملوكهم يجوزون إلى الأندلس ويوالون القتال، الذي كان غالباً ما ينتهي بالظفر والنصر العظيم في عهد يعقوب وابنه يوسف الذي أجاز إلى الأندلس، وقاتل في عرض البحر أساطيل النصارى، فانهزمت وتابع أسطولُه فَرَسًا بمياه "طريف" حيث نزل يوسف برجاله واشتبك في القتال، وهزم القوم ولاحقتهم إلى أسوار اشبيلية. وكان شاعر المرينيين عبد العزيز الملزوري سجل الأحداث، فقال في يعقوب :

أرى كلَّ جبارٍ بسيفك يصغُرُ وكلَّ مليكٍ من فعالك يقصر

وكان إلى جانبه ابن المرحل، الذي يمثل المرحلتين، وكان من أعيان كتاب يوسف بن يعقوب أبو محمد عبد الله بن أبي مدين العثماني. وكان هذا الملك،كما في *الاستقصا*، أول مَن هذَّب ملك بني مرين وكانت مملكته تضم غرب الجزائر الذي كان منه ـ كما يبدو ـ الكاتب المذكور. كما كان من أعيان كتاب أبي الحسن عبد المهيمن الحضرمي السبتي، وأبو المجد محمد بن أبي عبد الله بن أبي مدين، وأبو الحسن علي بن علي القبائلي التينملّلي، الذي سيرث الكتابةَ عقبَه حتى نهاية هذه الدولة كما سنرى. وفي هذا الملك ألف ابن مرزوق كتابه *المسند الصحيح الحسن*.

وهكذا استقر الوضع في الداخل وجاء المد الفكري من الخارج، فصار رجال العلم والأدب من غرناطة وأقاليمها يعملون في ديوان الدولة ويديرون دولاب الإنشاء فيها، إلى جوار آخرين من المغاربة الذين كان أغلبهم من سبتة، وفاس العاصمة إذ كانت سبتة نفسها قد طفحت بالمهاجرة من الأندلس، خصوصا الإشبيليين منهم كان حاكمها ابن خلاص فيما سلف. أما الذين أتوا من مملكة غرناطة في هذا العهد فكان منهم ابن الحاج النميري مؤلف *فيض العباب* على عهد أبي عثمان، وابن جزي كاتب رحلة ابن بطوطة، ثم ابن زمرك، كما كان ابن الخطيب يتردد إلى المغرب سفيراً ثم لاجئا هو وملكه، ثم مقيماً بصفة نهائية. وكان وجوده بالمغرب عاملا منشطا للحركة الأدبية التي كانت قد ضعفت، بغرق فطاحل منها،على عهد أبي الحسن، الذي كان نفسه يبحر باسطوله إلى الأندلس، ليقاتل النصارى الذين يتكالبون على الأقاليم الاسلامية. وفي معركة مدينة طريف حصلت هزيمة استشهد فيها والد ابن الخطيب وابن جزي المذكورين، فقاد أبو الحسن إلى المغرب الذي ابحر بأسطوله منه إلى تونس حيث كان الغرق.

ومن مزايا هذه المرحلة ظهور أدب الرحلات،التي أعظمها حجما، رحلة ابن رشيد، أبي عبد الله محمد المولود أواسط القرن السابع قام بها إلى المشرق لاداء فريضة الحج وللتعرف عن كثب برجال العلم والأدب، واستمرت أربع سنوات نهل فيها وارتوى سماها *ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة* وهي في سبع مجلدات، لم يبق منها إلا خمس، طبع بعضها مما يتصل بتونس. كانت له لقاءات بالشام ومصر وتونس وغيرها، ومحاورات مع علماء هذه الأقطار

وأدبائها مما جعل رحلته مرجعا هاما لأعلام ذلك العهد، وبعضهم لا يوجدون إلا في رحلته، لهذا تعلقت بها تلك البلاد كما حصل في الجزيرة، هذا التعلق، فتعاور عليها العراق والشام ومصر وغيرها، وبدأنا سنة ثلاث وثمانين وستمائة وكان أديبا ناثرا شاعرا حفظت له قصائد من أهمها ما رثى بها ابنه رثاء حارا موجعا.

وتلاه محمد العبدري الحاحي المراكشي الذي ابتدأ رحلته عام 688 عن طريق البر إلى الديار المقدسة واستمرت عامين كانت له لقاءات فيها مع الأدباء أكثر مما كانت مع العلماء بالجزائر وتونس وطرابلس ومصر التي أطال بها مقامه خصوصا الأسكندرية. ومن القاهرة توجه سريعا إلى العقبة في طريق الحرمين، وعاد إليها عن طريق فلسطين. ورحلته تكاد تكون في عداد كتب الجغرافيا الوصفية، تنبض فيها الحياة، بما يصف من مشاهد قائمة واجتماعية وقد نظم رحلته فقال :

مسحتُ الأرض غربا ثم شرقا أسائل عن عواقب كل حي

وله أشعار تسمو على هذه كثيرا مثل اللامية التي أنشأ بتونس.وبعد هذه بعشر سنوات كانت رحلة القاسم بن يوسف التجيبي السبتي عنوانها *مستفاد الرحلة والاغتراب* فكانت له لقاءات بالعلماء، وهو في طريقه إلى الحج. وعائدا منه، وغالبا ما كانت مع رجال الحديث، لأن الرجل كان محدثا قبل كل شيء، كما كان متصوفا بالإضافة إلى ذلك، ولهذا يتحدث عن بعضهم، ويذكر لباس الخرقة التي كانت معروفة في الشرق عامة بشطحاتها. وبعض هؤلاء وزد ذكرهم فيمن سبقوه مثل ابن دقيق العيد، وابن النحاس،وأبي حيان الأندلسي، وأبي الفداء وغيرهم، ترجم لهم تراجم مفيدة وذكر ما تلقاه عنهم بالمساجد أو بدورهم، كابن النحاس الذي قال فيه "قرأت عليه بمنزله من القاهرة المعزية. وياتي بكثير من الأشعار سماعا ورواية، فمن الأولى ما أنشده صاحبه أبو حيان الجياني بدكانه الذي يعقد به الشروط من القاهرة المعزية، بمقربة من مشهد الحسين... لنفسه

تمتع به لدن العواطف أهيفا يُسيغك من عذب المراشف قرقفا

وفي أيام أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، كان محمد ابن بطوطة الطنجي يقوم برحلته العظيمة العالمية التي تكلمت عن مشاهداته العجيبة في القارات الثلاث، التي كانت وحدها الدنيا، كما تكلم عن نفسه فيما كانت له من مواقف مع شعوبها وملوكها، جالس فيها القوم وتولى مناصب السفارات عنهم والقضاء في أقصى الشرق، ووصف أحوالهم وعاداتهم وتعلم لغتهم، في مقدمتها الفارسية والتركية وأنجب فيهم، متزوجا ومتسريا، وترك لرحلته في الدنيا دويا. ولما عاد إلى المغرب أيام أبي عنان لم يلبث أن تاق إلى الرحلة صوب أواسط إفريقيا فالتقى بأعلام منها، قضاة وحكاما إلى أن وصله أمر من أبي عنان بالعودة إلى المغرب، فعاد حيث كان في حاشيته مستشارا، وتولى قضاء تامسنا حيث كاتب ابن الخطيب. ولا نعرف من الرحالين العالميين من طالت رحلته هذه السنوات وسجل فيها ما أملاه على محمد ابن جزي كاتب الرحلة. لهذا اقتصرنا على أخبارها ولم ناث بنماذج أدبية لأنها خالية منها، فالرحلة مفيدة الإفادة التاريخية قبل كل شيء.

نعود إلى الأدباء الذين نذكر منهم للحضرمي السالف أبياتا من قصيدة يحن فيها إلى وطنه سبتة وهو كاتبٌ بالحضرة فاس :

سَقَى ثَرَى سبتةً بين الوهاد وعهدها المحمود صوبُ العهاد

وله غيرها قصائد كثيرة. ومقامة أنشأها بفاس حول حوار بين نساء منها أسلوبها متواضع.

ومما يسجل للعهد المريني في هذه المرحلة نشاط التأليف، خصوصا في التاريخ والتراجم والجغرافيا والبلاغة والنقد والعقلي عموما، فمن المؤرخين نظماً شاعرهم عبد العزيز الملزوزي، الذي له *نظم السلوك*.

أما التاريخ نثرا، وهو أهم، فنجد *البيان* لابن عذاري والأنيس لابن أبي زرع، *والذخيرة السنية لمجهول*، *وجنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس* وفي الجغرافيا نجد كتاب *الروض المعطار* لعبد المنعم الحميري السبتي.

أما التراجم فنجد في وأجهتها كتاب *الذيل والتكملة* لمحمد بن عبد الملك المراكشي وهوكتاب حافل في مادته قيم في متنه. وهو ممن أدرك العهد الموحدي وتوفي أوائل العهد المريني، معاصر لابن الزبير صاحب *صلة الصلة*، وكلاهما ترجم لصاحبه في كتابه المذكور قال عنه : كان نبيل الاغراض مُعارفا بالتواريخ والأسانيد، نقادا لها حسن التهدي جيد التصرف... أديبا بارعا، شاعرا مجيدا.

ثم ترجم له النباهي في *المرقبة*، وساق من شعره قصيدة، مطلعها :

باعاذليَّ دعا الملامة أو سلا من صادق في الحب مثلي هل سلا
كيف السلوُّ ولي بحكم البين في مراكش جسم وقلبٌ في سلا
هيهات اسلو عهد خل لي بها أسلا ابن حجر عهد جاره ما سلا

وهكذا استمر في هذا المتشابه بسلا في تسعة عشر بيتا. وله غيرها من هذا القبيل، ويقصد *بالذيل والتكملة* ما أفصح عنه بالمقدمة قال :"قصدت إلى تذييل *صلة* الراوية أبي القسام ابن باشكوال تاريخ الحافظ أبي الوليد ابن الفرضي... في علماء أهل الأندلس والواردين عليها من غيرهم، بذكر من أتى بعدهم..."

نتصل بالجغرافيا فنجد كتاباً مهما جمع بين الجغرافيا والأدب، على نطاق واسع، لمؤلف سبتي هو محمد بن عبد الله الحميري الصنهاجي، ترجم له ترجمة وافية الحضرمي في *بلغة الأمنية* كما ترجم له غيره من الأندلسيين، والمشارقة ابن حجر في الدرر، وصاحب *اختصار الأخبار*. وتناول فيه ذكر البلاد على حروف المعجم، كما فعل فيما قبل البكري، وخلل ذلك بأخبار وطرف وآداب مثله، واتبع نظام المشارقة في هذا الترتيب ، كما فعل ابن عبد الملك معاصره. وعلى اهتمامه الخاص بالمغرب والأندلس، فانه تناول غيرهما من البلاد التي كانت معروفة للمسلمين، كما فعل ياقوت الحموي الفارسي.

المرحلة السابعة : تنطلق من أواخر القرن الثامن وتتعدى التاسع، تعرض فيها الأدب لما تعرض له في أواخر الموحدين، بل أكثر، بانقسام الدولة على نفسها وتدخل الملك النصري بعد اغتيال ابن الخطيب في شؤونها بالتقسيم للدولة وتسلط الناجمين على عرشها، وابتزاز فرضة سبتة من رقعتها، ولما استعادها المغرب احتُلت من النصارى البرتغال الذين تابعوا احتلالهم وامتدوا إلى الساحل الأطلسي، كما احتل الإسبان مليلة بالريف بعد إخرابهم لمدينة تطوان قبيل احتلال البرتغال لسبتة المعزولة، بخطة بابوية قسمت العالم بينهما. ومن السبتيين الذين تناولوا مدينتهم، إثر الاحتلال البرتغالي رجلان، أحدهما في خططها مخللاً ذلك بذكر بعض أعلامها في كلمات معدودة أو ترجمة مقتضبة، وهو الأنصاري في *اختصار الأخبار*. والثاني تناولها في أعلامها من العلماء والأطبة والأساتيذ على العهد المريني، في بلغة الأمنية، وفيهم امرأة، وهو الحضرمي، وقد نشرناهما في الستينات الميلادية.

ومن أدباء هذه المرحلة عبد الرحمان المكودي النحوي صاحب *المقصورة* في مدح الرسول عليه السلام. وهي على ضعف حبكتها وتقليدها لا تخلو من صور جميلة.

ومن المتصوفة إبراهيم التازي العالم الزاهد المتوفى 866، له قصائد زهدية ووعظية، من ذلك التي مطلعها :

أمّا آنَ ارعواؤك عن شنار كفى بالشيب زجراً عن عوار

وله قصائد كثيرة ذكرت بثبت أحمد البلوي، *وأزهار الرياض* للمقري، *ونيل الابتهاج* لأحمد باب السوداني.

ومن تصلياته النثرية "اللهم صلِّ صلاة كاملة، وسلم سلاما تاما، على نبينا الذي تنحلُّ به العقد، وتنفرج به الكُرب وتُقضى به الحوائج، وتُنال به الرغائب، ويُستسقى الغمام بوجهه للكريم، وعلى آله وصحبه في كل وقت وحين". فهذا أول متصوف كوّن له طريقة خاصة به لمّا عاد من الشرق، وعاشت تصلياته هذه إلى عهدنا.

وكما كان في البيت الموحدي شعراء وأدباء عامة،كان في البيت المريني مثلهم بداية من أبي سعيد بن يعقوب،غير أن أولئك، كانوا منذ البداية بعيد المومن بخلاف هؤلاء الذين نجد عبد الواحد بن يعقوب يقول مفتخرا :

أجودُ بمالي لكل العُفـــات وأقتحمُ الهولَ في المعضلات
وأحمي ثغوريَ من أن تُنال وأغزُو وأنهبُ أرضَ العدات

ولعمر بن عثمان، وأبي الحسن، وأبي عنان وأخيه عبد العزيز أشعار مروية في كتب الأدب.

المرحلة الثامنة : فيها كان العهد الوطاسي، قد خلف المريني، وكان عهداً قصيرا اشتبك فيه مع البرتغال يقاتلهم ويصدهم عن أطماعهم في باقي السواحل الأطلسية، وأهمها مصب وادي لكوس الذي احتلوا منه جزيرة مليحة المتصلة بالخرائب الرومانية. وقد نظم فيهم وفي معاركهم العديدة قاضي فاس محمد بن عبد الرحمان الكراسي التطواني الريفي أو الأندلسي الأصل، وهو المصدر الوحيد الذي بأيدينا مفصل في تاريخهم. وقد عاش هذا حتى أدرك قيام الدولة السعدية وتوفي عام 964.

نعود إلى أعلام هذا العهد فنجد في مقدمته الامام محمد بن أحمد ابن غازي المكناسي المشارك في عدة علوم وفنون، يهمنا منها البلاغة التي قال أحد تلاميذه في تمكنه منها :

تكلّمُ في الحقيقـــة والمجـــاز فما في الناس مثلك يا ابن غازي

وله شعر وسط، ونظمٌ سماه *المولدية في خير البرية*، وآخر في تاريخ المغرب، يرمز في تاريخ أحداثه بالحروف.

كما أن له كتابا في تاريخ مكناس سماه *الروض الهتون في تاريخ مكناسة الزيتون*، وله تآليف أخرى في مختلف العلوم.

ومن أشياخه أحمد الحباك الأديب الشاعر المتصوف معاصر التازي مات في فاس مهاجرا. ومن تلاميذه الأديب محمد الكفيف. ومن معاصريه المجاهدين للبرتغال الأديب محمد المعروف بابن يجّبش (بالجيم المعقودة). من شعره منظومة يعارض بها منفرجة ابن النحوي.

وإلى جانب الأوازن العربية نشطت أوزان الموشحات الجميلة في مكناس وفاس، فيهم اثنان من الفقهاء أبو عثمان سعيد المكناسي أحَدُ العدول لفاس الجديد، والآخر علي بن موسى هارون قاضي الجماعة بفاس قلّدا كلاهما في توشيحه ابن الخطيب.

المرحلة التاسعة : عصر الملوك الاشراف السعديين. هؤلاء القوم وان كان موطنهم الأصلي في المغرب بقري الصحراء الشرقية، إلا أن قيامهم كان على أساس الجهاد للنصارى البرتغاليين المستولين على سواحل المغرب الغربية، لهذا كان في ركابهم أهل السوس وعلى أكتافهم قامت دولتهم العتيدة، التي كانت أول دولة متفتحة على العالم الأوربي، إلى جانب العالم العربي.

لقد انتعش الأدب عندنا بقيام هذه الدولة. فكان الشعراء أولا جلهم من سوس وإلى جانبهم آخرون ظهروا في الكتابة السلطانية خاصة، وان كانت لهم ضلع وفيرة كذلك في الشعر كما سنرى.

ومن حسن الحظ أن حفظت لهم مجموعة من رسائلهم السلطانية، انتهت أخيرا إلى المرحوم المختار السوسي، فطبعت في الخمسينات الميلادية بتطوان.

وكشأن الموحدين فان يعسوبهم محمد الشيخ كان أديبا، يحفظ دواوين الشعراء الكبار وفي مقدمتهم المتنبي. وكان الحامدي الذي حفظ كثير من الجزوليين مثل الأدباء الشعراء أبي عثمان سعيد الحامدي الذي حفظ كثير من شعره وقصائده. وكان ابنه عبد الله الغالب على تذوق للشعر، وان لم نعرف له كما عرفنا لابنه شعرا. كما كان ابن أخيه محمد بن عبد القادر وزيره من الشعراء الموهوبين. وكان في حاشيته فقهاء شعراء من سوس وغيرها، مثل عبد الواحد الحميدي وأحمد المنجور وآخرون لا يكادون يحصون عددا، وهذه الكثرة من مميزات هذا العصر،خصوصا على عهد المنصور، فيما سنرى وأغلبهم من سوس. أما من غيرهم

فكان أحمد الزموري إلى جانب عبد الواحد الشريف الحسني وابنيه أحمد ومحمد، والكاتب الشاعر عبد العزيز الفشتالي، وابنه محمد، وابن عمه محمد بن علي الكاتب الشاعر، ومحمد القصري العكبري. ومن قبل في عهد محمد بن عبد الله الذي كان نفسه شاعرا، فكان منهم مثل الدغوغي صاحب القصيدة الفريدة التي جاد بها في موقعة وادي المخازن :

جنى النصر ما بين الظبي والكتائن على سابقات المذكيات الصوافن

وكان المنصور نفسه بحرا في العلم والادب شاعراً موشحاً، من كتابه وشعرائه غير من ذكروا الملزوزي، الذي تولي الكتابة لولي عهده بفاس،وأبو الحسن علي بن منصور الشياظمي، وابنه أبوالقاسم القاضي، ومحمد بن عمر الشاوي، وعلي بن أحمد الشامي الفاسي، وإدريس بن علي ابن راشد الشاوي، والحسن بن يوسف الزياتي، وعمر بن عبد العزيز الزرهوني الفاسي الفقيه، رلى جانب محمد بن علي الهوزالي والحسن المسفيوي، ومحمد بن عيسى الكاتب السوسي، صاحب المقامة الادبية النقدية، الوارد فيها من الادباء غير ما ذكروا، الكاتب أبو الفضل يونس، والكاتب أبو العباس الغرديس، والكاتب أبو العباس أحمد بن يحيى، وأبو عبد الله محمد بن علي ومحمد بن أبي القاسم الشريف العلامة، والفقيه أبو الحسن علي بن سليمان إلى غير هؤلاء. وكان من محمد بن عيسى من الكتاب الموموقين، للمنصور ثم ابنه المامون الذي قتل في سجنه عام 990.

المرحلة العاشرة : حدوث التدهور في الأدب عامة. مات أحمد المنصور فاضطربت الأحوال وأدى تنافس أبنائه زيدان وأبي فارس والشيخ المامون على الملك إلى قيام فتن وحروب لم تهدأ حتى خارت قوى الدولة وقام عليها الثوار في مختلف الاقاليم ومعظمهم من المتصوفة المتطلعين إلى السلطة، كأبي حسون السملالي، وأبي زكرياء الحاحي، وأحمد بن أبي محلي، ومحمد الحاج الدلائي، والمجاهد العياشي. فانعكس هذا التدهور السياسي على الأدب، ومع ذلك نجد في هذه المرحلة طائفة من الكتاب والشعراء أمثال ابن أبي محلي، والحاحي، وعلي بن عبد الرحمان والسلاسي الذي مات في سجن زيدان وبكى نفسه بأبيات مؤثرة. ومحمد بن أحمد المكلاتي صاحب المقامة الزهرية في مدح المكارم البكرية، وهي في الإشادة بالدلائيين. وكان من بين السعديين المتأخرين ملوك أدباء يقرضون الشعر، مثل زيدان، وابنه الوليد.

ومن المؤلفين في عصرهم بالمرحلتين أحمد ابن القاضي الذي من كتبه الأدبية *درة السلوك فيمن حوى الملك من الملوك*، *ودرة الحجال في اسماء الرجال* و *جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس والمنتقي المقصور على مآثر الخليفة أبي العباس المنصور*، وغيرها والمقري التلمساني خطيب القرويين مؤلف *روضة الآس*، *ونفح الطيب*، *وأزهار الرياض*، وغيرها، والجزولي مؤلف الرحلة : *النفحة المسكية في السفارة التركية*. وعبد العزيز الفشتالي، مؤلف *مناهل الصفا، في تاريخ الشرفاء*، ومحمد ابن عيسى السوسي مؤلف *المدود والمقصور في سنى أبي العباس المنصور* وغير هؤلاء، وفيهم من ألف نظما مثل محمد بن سعيد السوسي صاحب *المقنع في الميقات والمطالع*.

المرحلة الحادية عشرة : النهضة العلمية بالزاوية الدلائية. كان الدلائي يُعد نفسه للجلوس على عرش الملك بعد السعديين، واتخذ زاويته المدرسة الأولى لتربية الذين سيحملون راية العلم ليكونوا قوامين على دسته، كما فعل الفاطميون في مصر، والموحدون في تنمل، فأنجبت من الأمراء كثيرين، ومن غيرهم أعلاما فيهم الحسن اليوسي، وأبو سالم العياشي، وجميع هؤلاء أدركوا العهد العلوي، الذي سارع فيه المولى الرشيد ببناء مدرسة الشراطين فاحل بها من كان بالزاوية الدلائية وهي مكرمة عن مكارمه حيث لم يقض على رسالتها السامية، فكان اليوسي المولود حامل لواء الطليعة، لهذا الرعيل المبارك، خفاقا في أقطار المغرب، يطوف الشمال والجنوب شرقا وغربا في موسوعته وإنتاجه في النثر والنظم والتأليف في شتى الموضوعات، ومن نظمه رائيته الطويلة في رثاء الزاوية الدلائية. ودالية الشهيرة في مدح شيخه محمد ابن ناصر. وديوانه الكبير أول ديوان للمغاربة تناولته الطباعة الفاسية عندنا. ومؤلفاته اللغوية والأدبية كثيرة شهيرة، مثل *زهر الأكم في الأمثال والحكم، والمحاضرات*.

المرحلة الثانية عشرة : فيها قامت الدولة العلوية التي وضعت حدا لأهداف متزعمي الزوايا، وقد استقر الأمر لهذا البيت العلوي، بعد نضال وحروب داخلية، فكان المولى رشيد يقضي القضاء المبرم عليها جميعا.

كان من أدباء هذه المرحلة كما تقدم، اليوسي جاحظ المغرب، وزميله أبو القاسم العياشي الذي شهر في الشرق والغرب برحلته القيمة، وأبو العباس التاستاوتي، الأديب المتصوف والشاعر المكثار، الذي يضاهي بذلك اليوسي، القائل : لو أردت ألاّ أتكلم إلاّ نظماً لفعلت، كما كان يضاهيه في تحبير الرسائل، وكان يصغر اليوسي سنا، على عكس العياشي الذي كان يكبره بأربع سنوات.

وجميعهم خصوصاً الأولين يمثلون المرحلتين،وينتمون إلى الزاوية الناصرية بعد الدلائية. وذلك في حياة شيخها الأول سيدي محمد، والثاني سيدي أحمد، فيما يخص التاستاوتي المتأخرة وفاة كل منهما. وكان هذايقتفي اليوسي، في نظمه، فعارض داليته ولاميته بقصيدتين كذلك، دالية ثم لامية فاقتا في الطول قصيدتي اليوسي بنحو مائتي بيت.

وفي هذه الأخيرة من الافلاطونية، التي احتذاها ابن سينا، كثير من الأفكار المثالية. وكان يعاصر اليوسي أيضا من الفاسيين عبد الرحمن الفاسي، وكان مثله مشاركا نظاما إلى حد ما، كما كان موسوعيا في علوم عديدة،

ألف فيها كتابه *الأقنوم في مبادئ العلوم*، كما ألف البوسي كتابه *القانون*. أما شعره المبكر في هذه الدولة، فمنه طائية في مدح المولى رشيد، نسج فيها، على منوال عبد العزيز الفشتالي في طائيته التي قالها في قصر البديع السعدي.

وقد خلف ابناً كان يشبهه علماً وأدباً، قام بمهمة التعليم جعلت له تلاميذ لهم وزنهم، منهم محمد الصغير الإفراني المراكشي كما سياتي.

كما كان من بقية الدلائيين شيوخ تركوا تلاميذ لهم في الأدب والعلم : كأحمد ابن محمد الدلائي، وكالمسناوي العالم الفقيه الذي يمثل مرحلة من مراحل التشريع للمغرب، بله الادباء الكبار منهم، ذكر منهم القادري في تراجمه، ثم الحرات في تاريخه للزاوية، كثيرين، وكانت لبعضهم مكابتات مع أحمد التاستاوتي. وفيما يخص اليوسي ومدرسته الأدبية، فإننا نجد من تلاميذه الكبار الأدباء محمد بن زاكور الشاعر الوشاح والأستاذ الذائع الصيت، من شعره ربيعيات عديدة نجدها في قصيده وتوشيحه، وموشحات جميلة قد تفوق في جمالها قصائده، وله تآليف نجدها لمؤرخي الشرفاء.

ومن تلاميذ ابن زاكور محمد بن الطيب العلمي، صاحب *الأنيس المطرب* الذي ترجم فيه الأدباء لقيهم، وشعره رائق في الربيع، ومجالس اللهو والشراب، وفي الرياض مع الطرب والغناء القيان. وإلى جانب النظم له نثر يتجلى في رسائله الإخوانية وسط لا يعلو إلى مرتبة المشهورين كما في مقاماته.

ومن أدباء العصر الاسماعيلي جماعة يتقدمهم الوزير الخطير محمد اليحمدي، ممدوح علي مصباح الزرويلي. وعبد الحق السحيمي ومحمد بن الحسن الايلاني وإبراهيم بن محمد السكتاني وأحمد بن صالح القاضي وأحمد الرسموكي ومحمد المنبهي. ومن بني اسماعيل محمد العالم، الذي له مساجلات أدبية مع أدباء سوس الذي انتقل إلى عاصمتهم تارودانت أميرا عليهم. ومنهم الشاعر محمد الرافعي التطواني، والفقيه عبد السلام جسوس، وعبد الواحد بن محمد البوعناني، ويوسف بن عمر الشوذري التطواني.

ثم نجد من الذين أدركوا العهد الإسماعيلي محمدا الصغير الإفراني صاحب التآليف العديدة في التاريخ والتراجم وهو من أولئك المراكشيين الذين حملوا لواء هذا الشأن بداية من القرن السابع كما تقدم، ومن كتبه التاريخية *نزهة الحادي* في أخبار ملوك القرن الحادي، *وصفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر*، *وروضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف*، *وطلعة المشتري في التعريف بمحمود الزمخشري*، وغيرها.

المرحلة الثالثة عشرة : ما بعد المولى إسماعيل، الذي ما ودع الحياة حتى قامت الفتن والحروب بين أبنائه على الملك وتشتت شمل العاصمة بهجرة علمائها وأدبائها، فكان فيهم أبو القاسم سعيد العميري الذي ترك القضاء وهاجر إلى الريف، حيث نظم عشرات القصائد متحرقا على مكناس ومتشوقاً إليها. وكان يعاصره قاضي غمارة أبو سلام أحمد الحميدي، فكان يكاتبه شعراً.

وهاجر آخرون إلى الشرق فكانوا من أعلام العلم والأدب،مثل محمد الطيب التافلاتي العالم الأديب، ومحمد بن الطيب الصميلي الشرقي. الذي وضع *حاشية على القاموس*، وكان من شيوخ الزبيدي صاحب *تاج العروس*.

المرحلة الرابعة عشر : تبتدئ بالنهضة في عهد مولاي محمد بن عبد الله وتنتهي بفرض الحماية على المغرب. فمن رجال الأدب والعلم في هذا العهد المبكر، عمر بن يوسف الفاسي القائل من قصيدة يفتخر :

إني وان فاتني صدرُ الزمان ففي ردّ على الصدر من أيامه العجز

وأحمد بن الونان صاحب القافية الشهيرة بالشمقمقية التي حوت ما كانت عليه الثقافة المغربية حينئذ ؛ ومحمد بن الطيب السكيرج الكاتب الشاعر، والتهامي بن الطيب أمغار صاحب *القصورة* في مدينته مكناس ؛ وأحمد بن المهدي الغزال الكاتب الشاعر صاحب *الرحلة* ؛ وأحمد الراضي بن عثمان الكاتب الشاعر وسليمان الحوات العلمي الشاوني صاحب *البدور الضاوية* في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية *وقرة العيون* في الشرفاء القاطنين بالعيون *والروضة المقصودة* في مآثر بني سودة *والسر الظاهر* فيمن أحرز بفاس الشرف الباهر من اعقاب الشيخ عبد القادر، يريد القادريين، ثم *ثمرة أُنسي* في التعريف بنفسي وله مذكرة خاصة برحلاته واتصالاته بالعلماء فيما توفي 1231. وأحمد الحكمي القاضي بسلا والرباط. ومحمد بن عمرو الأوسي الرباطي صاحب المساجلات الشعرية مع الحكمي المذكور.

ونبغ في هذا العهد وشاحون أمثال محمد بن الطاهر الهوزلي، تلميذ ابن زاكور الوشاح، وله كشيخه باع في القصيد العربي.

ولما توفي محمد بن عبد الله سار أولاده وأحفاده على دربه في الأخذ بيد الادب والعلم، وكان ابنه سليمان أديبا عالما. فمن الادباء في هذا العهد حمدون ابن الحاج الشاعر المكثر، من طوال قصائده ما نظمه في السيرة النبوية حيث تصل الأبيات فيها أربعة آلاف، وفي أمداح المولى سليمان ديوان سماه *السليمانيات*، ويبدو عليها الاثر العلمي، خصوصا في نونيته التي تنظر الى نونيه ابن زيدون. توفي 1232.

ومن تلاميذه محمد ابن ادريس، الذي حُفظت له رسائل سلطانية وغيرها كالمقامات، وله منه مرثية للمولى سليمان، وقصائده في المولى عبد الرحمان. وفي هذه الحقبة كان الأديب المتصوف محمد بن محمد الحراق الفاسي هاجر إلى تطوان فاستوطنها منتحلا في تصوفه الطريقة الدرقاوية، نظم في التصوف الرمزي كثيراً من القصائد. توفي بتطوان 1261. ثم كان التهامي المدغري العالم الأديب، من شعره قصيدة قالها بمناسبة ختم كتاب أقليدس وهي في

أسلوب فني جميل، بالرغم من موضوعها العلمي، وله نثر أدبي، توفي 1273.

ومحمد أكنسوس المراكشي زميل ابن إدريس في الكتابة والوزارة أيام المولى عبد الرحمان بعدما تقلد الوزارة أيام المولى سليمان، ثم أقصي عنها. وله إلى جانب نثره السلطاني والاخواني، شعر رائق أتى بنماذج منه صاحب *نظم فواصل الجمان* كما له في التأليف *الجيش العرمرم الخماسي في أولاد مولانا علي السجلماسي*. وقضى أيامه الأخيرة في مراكش زاهدا في الخدمة السلطانية إلى أن توفي عام 1294. وإدريس بن محمد العمروي الكاتب السلطاني الشاعر، كان أيام المولى عبد الرحمان وابنه محمد وحفيده الحسن، وهو من رجال الفواصل، وشعره خفيف الظل، وله قصيدة مؤثرة في الحث على الجهاد بعد وقعة إسلي المشؤومة عام 1260 / 1844.

وبعد هذا بست عشرة سنة، وقد بويع سيدي محمد بن عبد الرحمان، كانت حرب تقوم بين المغرب واسبانيا فتحتل هذه تطوان وتعجز المقاومة، ويهاجر أهل المدينة إلى القرى والمدن النائية، فتنظم قصائد تعد بالعشرات راثية لمدينة نادبة لحالها، وكان ذلك عام 1276 / 1860.

كما ألقيت خطب عديدة على منابر الجمع، خارج تطوان، التي لم يبق بها إلا قلة من الناس، فيهم من كتب *مذكرة* قيمة نشرناها بالعدد الأول *مجلة تطوان*. فترة مناسبة مؤلمة أنطقت شعراء وخطباء، وأسالت الأقلام بالمذكرات التي لا نعرف لها مثيلا. وفي عهد مولاي الحسن كان الشعراء يتهافتون على الشعر ويتبارون فيه، لدرجة أنْ قيل إنَّ مائة منهم أنشدوا قصائدهم في مناسبة واحدة.. وهذا لم نعهده في تاريخ الشعر والشعراء لا شرقا ولا غربا، وكان المولى الحسن يعجبه هذا التباري ويحض عليه حتى في النثر، فقد أهدت الملكة الانجليزية فكتوريا للمولى الحسن فيلا، فتبارى في وصفه كتابه.

ومن الأدباء الذين كان لهم شأن في الدولة محمد غرنيط من وزراء عبد الرحمان وابنه الخليفة،كاتباً شاعرا مقصِّداً ومربِّعا، وكان صديقاً للزجال قدور العلمي ومحمد أكنسوس. توفي 1280.

ومن الذين كانت لهم مقامات في أواخر هذا العهد،وهي في أدبنا ضنينة كما سبق، الطاهر بن احمد البلغيتي، وخليل الخالدي، وعبد السلام بن محمد المهدوي، أثبت منها فصلاً ابن زيدان في *إتحافه*.

كما كان محمد بن محمد بن محمد غريط في عهد مولاي محمد بن عبد الرحمان كاتبا شاعرا، من شعره دالية عامرة في مدح مولاي الحسن وكان كاتبا له. توفي 1296. نكتفي بهؤلاء ونختم هذا الرعيل بأديب ناثر ناظم مولف عظيم، أحمد بن خالد الناصري السلاوي الذي عمل للسلطان في العهود الأربعة الرحماني والمحمدي والحسني والعزيزي، وأثره الأدبي نجده في أهم كتبه *طلعة المشتري في النسب الجعفري*، وشرحه *لنظومة الشمقمقية*، وتاريخه للمغرب منذ الفتح الاسلامي إلى عهده، وهو *الاستقصا*، استقصى فيه ـ حقاً ـ كل ما ألف فيه، من أمهات المؤلفات المعروفة لنا وغير المعروفة، مما استمده من مكتبة تامگروت الناصرية التي كانت تزخر بالمخطوطات العديدة القيمة. ولم يكتف بهذا، بل وجدناه يستعين حتى بكتاب في تاريخ المغرب، لمؤلف اسباني من القسس الذين كانوا بطنجة "منويل"، فهو بذلك أول مغربي يستعين بالمصادر النصرانية التي كانت تترجم محتوياتها له، كما يقول ولداه. وإلى جانب ذلك، نجده يستعين بسماعاته من العلماء وغيرهم كالتجار كان منهم الرزيني التطواني، وخصوصا فيما يتصل بالحرب التطوانية. ونظرته إلى الوقائع والملابسات سديدة متزنة أمينة صريحة في نقدها حتى ولو كان هذا يمس وضعيته الرسمية. ومع أن كتابه تاريخي، فإنه وسمه بالإخبارية. وغالبا ما يعتمد على ابن خلدون والكتب المعاصرة للحادثة. أما الكتب التي ألفها فانها تربو على العشرين، كما ذكر ولداه في ترجمته المنشورة بمقدمة الطبعة الثانية *للاستقصا*. توفي عام 1315.

ومما يجب تسجيله في العهد العلوي أن الادب صار يقف عند أضرحة الأولياء متوسلا بأصحابها، بعدما كان يقف إلى جوار الأحياء منهم. وهذه في الواقع بدعة سنها لنا الموحدون عند زيارتهم لضريح محمد ابن تومرت بتنملل. وفي المريني وجدنا ابن الخطيب يقف عند الأضرحة متوسلا، ولكن هذا الوقوف منه لم يكن عند أضرحة الأولياء، بل عند أضرحة الملوك المرينيين متوسلاً بهم إلى أبنائهم الجالسين على عروشهم، لا ليقرِّبوه إلى الله زلفي، كما كان يفعل هؤلاء، وفيهم حتى مؤرخنا الناصري كما نجد له قصائد لم يضنَّ بها في تاريخه الحافل.

ويبدو أن المولى إسماعيل أول من عمل على هذا في بنائه لضريح إدريس الأكبر بزرهون، وبناء ضريح إدريس الأصغر بفاس فصرنا نتوسل بهما. كما أن مراكز أدبية وجدت ولم يكن لها ذكر فيما قبل، مثل تطوان التي وجدنا فيها من المعاصرين يوسف الحوذري، وأبريل ومنضوصة والرافعي وعلي بركة. وفي البادية وجدنا اليحمدي والزرويلي وغيرهما كثير.

محمد بنتاويت

الأدب المغربي في عهد الحماية، اتسمت أوضاع المغرب في ظروف "الحماية التي فرضتها فرنسا على المغرب (1912 ـ 1956) بكثير من الخصوصيات، فقد استفحلت الأزمة السياسية المرتبة عن الوضع الاستعماري. وكان من ردود الفعل على تلك الهيمنة أن عملت العناصر الشابة في "المغرب الأقصى" على توعية جماهير الشعب وبدأت المواجهات بين القطاعات الشعبية والإقامة العامة الاستعمارية.

وقد اضطلعت الحركة الوطنية بهذه المهمة القائمة على أساس فضح دسائس الاستعمار، وعرض عيوبه أمام الأنظار، ولم يألُ أعضاء هذه الحركة الوطنية، جهدا في

إحباط مخططات المستعمرين وإفشال مؤامراتهم التي استهدفت تارة وحدة التراب المغربي، ووحدة اللغة العربية والدين الإسلامي تارة أخرى. ومن هذا العمل تأسيس جمعيات ذات أهداف تعليمية واجتماعية *(المغرب العربي*، 359).

واتسم الوضع الاجتماعي زمن الحماية، بالتوتر والاضطراب. وذلك لتعارض تيارين فكريين كانت لهما انعكاساتهما المباشرة على الصعيد الاجتماعي، وهما تيار المحافظة والتقليد، وتيار الليبرالية والتحرر، وكان لكل تيار أنصاره وأتباعه، وقد عكست معالم هذا الصراع الاجتماعي البنى الاقتصادية داخل المغرب، وكان من مظاهر التباين المتزايد بين الاقتصاد الرأسمالي في المدن وبين الاقتصاد العتيق في البوادي، إلا أن البنى التقليدية ظلت هي المسيطرة على العموم، سواء في المجتمع أو الاقتصاد في هذه المرحلة. فلقد كانت مقولة التقليد متجذرة في الوجدان، فهي دعوة إلى استعادة أمجاد الماضي بكل معاني القوة والعراقة التي يكونها هذا الماضي القديم *(أزمة المثقفين العرب*، 41). ولقد ظهر أثر الاتجاه التقليدي في بلورة مفاهيم الهوية الحضارية المغربية الإسلامية من منطلقات الدين الإسلامي وروح مقاصده العامة، ففهمت الحرية مثلا على أنها الحرية الضامنة لأصالة الشخصية وكرم الأخلاق، لا الحرية الداعية إلى الإباحية المطلقة *(اللسان المعرب*، 167).

يصعب التمييز في عهد الحماية، بين مجالي السياسة والفكر، نظرا لذلك التداخل الواضح الذي عرفاه في كتابات المفكرين والأدباء المغاربة في هذه الفترة. فقد كان العمل الثقافي والفكري لا يكاد يختلف في أهدافه العامة وغاياته البعيدة عن استراتيجية المقاومة ذات الطابع السياسي والديبلوماسي والعسكري.

والسبب في امتزاج البعدين السياسي والفكري في مغرب الحماية، يرجع إلى تلازم صوتي الفكر والسياسة في ساحة النضال ضد المستعمر. فقد ظهرت الحركة السلفية أول ما ظهرت كحركة فكرية احتضنت الحركة السياسية الوطنية. واستمر هذا الوضع زمنا طويلا جعل بعض الدارسين يعتقد "أن الحركة السياسية في المغرب كانت تختبئ وراء الحركة الفكرية (...) ومن خلال هذا الامتزاج أو التمازج أو الازدواجية، تولدت حالة من التوأمة فيما بين الحركتين واستمرت لمدة أربعين سنة كاملة (*لمحات*، 12).

وقد نهضت الثقافة المغربية نهوضا واضحا في عهد الحماية، نظرا للعلاقات مع المشرق العربي، وكان من عوامل تأجيجها الحركة المناهضة للظهير البربري، وساعد عليها شيوع الصحافة، والاطلاع على ثمرات الفكر المتحرر في الغرب الأوروبي.

العلاقات مع الشرق : عرفت دول الشرق نهضة واسعة منذ منتصف القرن التاسع عشر. فأتت هذه النهضة ثمارها في سائر نواحي الفكر والأدب. ولقد وصلت آثار هذه النهضات المشرقية إلى المغرب. عبر قنوات أهمها، بعض المؤلفات التي كانت تدخل إلى المغرب من طرق مختلفة، وإرسال البعثات إلى مصر والشام قصد تكميل التكوين العلمي والثقافي. بيد أن أهم هذه العوامل، هو دخول الصحف المشرقية إلى المغرب وتوعية الرأي العام المغربي بمنجزات النهضة الفكرية في الشرق. هذا إلى جانب الدور الرائد الذي قام به زعماء الإصلاح في الفكر المغربي، بعد عودتهم من الشرق كأبي شعيب الدكالي.

صدور الظهير البربري : كان لصدور هذا الظهير أثر كبير في إنهاض الهمم المغربية، ودعوتها إلى لم شتات القوى المتضاربة والآراء المتعارضة من أجل توحيد الاتجاه، في سياسة نضالية تهدف إلى الردّ على مزاعم الاستعمار الذي حاول أن يخدم وحدة المغرب وفق سياسته المعهودة : "فرِّقْ تَسُدْ". فقد تكاثفت الجهود الوطنية على جميع الأصعدة في سبيل توحيد الشمل والقضاء على مضاعفات سياسة الظهير البربري المغرضة. فظهرت كثير من المقالات والخطابات التي استنكر فيها المغاربة الظهير المذكور، ورفعوا عقائرهم منادين بصيانة وحدة المجتمع المغربي.

شيوع الصحافة : عرف المغرب الصحافة منذ سنة 1236هـ / 1820 م، وهو تاريخ صدور أول جريدة بالمغرب بمدينة سبتة باللغة الإسبانية، باسم "المتحرر الإفريقي"، وفي سنة 1307 هـ / 1889 م، صدرت أول جريدة باللغة العربية بطنجة باسم جريدة "المغرب" *(الصحافة المغربية*، 7).

وصارت الصحافة في مغرب الحماية من بين أهم عوامل نضج الحركة الأدبية والثقافية، فقد ظهرت في هذه الآونة مجموعة من الجرائد والصحف المغربية اضطلعت بمهام نشر المقالات ذات الطابع النضالي والنفس التحريضي البطولي، وبالإضافة إلى المقالات الأدبية التي لا تخلو من مغزى سياسي. ومن المنابر الصحافية والأدبية في هذه الفترة : *"السلام والمغرب الجديد*، و*رسالة المغرب*، و*الثقافة المغربية وسواها" (أحاديث*، 86).

الاطلاع على ثمرات الفكر الأوروبي : لعل من أبرز الاطلاع على منجزات الفكر الأوروبي، شروع المغاربة في الاستفادة من التطورات الحضارية الجديدة التي عرفها الفكر الإنساني في مطلع هذا القرن. فظهرت حركة تأليفية واسعة شملت سائر نواحي الفعالية الفكرية والحضارية. وكانت هذه الحركة التأليفية المنتعشة، مؤشرا على يقظة الوعي القومي، في ظل الصراع مع القوة الاستعمارية التي سعت إلى طمس معالم الهوية العربية الإسلامية في المغرب من خلال إغلاق الكتاتيب القرآنية، ومحاربة المدارس العتيقة وإحراق الكتب القديمة. ومن أبرز الكتاب في هذه الفترة : علال الفاسي، وجعفر الناصري، ومحمد العثماني، ومحمد القري، وغيرهم من ذوي الأقلام المتميزة في ميدان الكتابة السياسية والاجتماعية والدينية والأدبية.

في ظل هذه التحولات الكبرى السياسية والاجتماعية والفكرية، انتقل مفهوم الأدب مما كان عليه في سابق عهده إلى مفهوم جديد ويمكن تقديم صورة مركزة عن الأوضاع الأدبية في مغرب الحماية، وذلك من خلال الحديث عن كل فن أدبي على حدة.

فن الشعر : يصعب الحديث عن اتجاهات الشعر في عهد الحماية في المغرب نظراً لتعدد اتجاهاته وتداخلها بشكل يستدعي الانتباه. بيد أنها اتجاهات يمكن توحيدها في الاتجاه الغالب عليها وهو الاتجاه القومي الوطني. ذلك أن الحركة الشعرية المغربية طبعت في هذه الآونة بالطابع الوطني في سائر الأغراض التي طرقها الشعراء. ويمكن اختصار الحديث عن الوضع الشعري في عهد الحماية في الملاحظات الآتية :

1. إذا كان الشعر إحدى المكونات الأساسية في التكوين الثقافي لشخصية الشاعر المغربي منذ القديم، فإن الشعر في عهد الحماية صار مجالا للتعبير عن الهموم الوطنية وانفعال الشاعر إزاء الأحداث المختلفة. ولعل الشعر في عهد الحماية ينسخ في كثير من جوانبه الشعر الذي كان قبله. وقد عبر الشاعر المغربي عن هذا الطموح إلى تجاوز المفهوم القديم للشعر والشاعر، والانفتاح على مفهوم جديد يصير فيه الشاعر مثقفا عضويا يلتزم بقضايا شعبه وأمته قبل التعبير عن ذاته وأشجانه الخاصة، وقد عبر الشاعر عبد الله گنون عن هذا الطموح الجديد في قوله:

ألا ليت شعري متى أرتقي عن الشاعر المادح المُعْتَبِ ؟

فالشاعر يستعجل الانتقال من طور الشاعر المادح المعتب إلى طور الشاعر الحديث الذي لا يوظف شعره في مقامي المدح والعتاب فقط وإنما يوظفه في مقام النضال الوطني ذي الواجهات المختلفة في تلك المرحلة.

2. إن اختلاف المفهوم الشعري على النحو الذي رأينا عند عبد الله گنون رافقه انتقال وتحول في مفهوم وظيفة الشعر والشاعر. ولعل دراسة لاتجاهات الشعر في عهد الحماية سوف يوضح ما نقصده بالانتقال الحاصل على مستوى الوظيفة الشعرية في الشعر المغربي الحديث.

3. يمكن حصر اتجاهات الشعر في عهد الحماية في ثلاثة اتجاهات كبرى يندرج تحت كل اتجاه منها مجموعة من التيارات : الاتجاه السياسي الوطني والقومي، والاتجاه الوجداني الرومانسي، والاتجاه التاريخي. ولعل ما يوحد بين هذه الاتجاهات كلها هو كونها مشربة بحس النضال ضد المستعمر.

أولا : الاتجاه السياسي الوطني والقومي : وهو اتجاه شعري ارتبط فيه الشعر بكلمة الوطن كمدلول سياسي جديد، اكتسى في السياسة الدولية في مطلع هذا القرن أهمية بالغة تنبع من كون العلاقات بين الدول صارت تقوم على أساس احترام الأوطان وسيادة الشعوب. ولقد أحس الشعراء المغاربة بضرورة الدفاع عن وطنهم وكيانهم السياسي عندما امتدت إليه أطماع الاستعمار الأوروبي.

وكانت أهداف الشعر الوطني في هذه الفترة متمثلة في توعية الشعب، وإيقاظ النفوس وشحذ العزائم والدعوة إلى الحرية والعيش الكريم في ظل مبادئ الديمقراطية والعدالة.

وقد طرق شعراء الاتجاه السياسي الوطني والقومي موضوعات أهمها ما نشير إليه الآن :

موضوع الإصلاح الديني : كان الاستعمار يسعى بكل الوسائل إلى تخريب الدين ومظاهره الأصيلة في المجتمع المغربي. ولهذا الغرض، جَنَّدَ طاقات هائلة وشجع مظاهر الشعوذة والابتداع فأحس الشعراء بضرورة تصحيح الوضع الديني، وندّدوا بالتخريب الاستعماري في هذا الأجانب.

موضوع الإصلاح الاجتماعي : وضع الشعراء المغاربة قصائد يبشرون فيها بوضع اجتماعي جديد. لا سيما أن الأزمة الاجتماعية بلغت أوجها بفعل ما خلقه الاستعمار من فرص الصراع بين الفئات من جهة، وبسبب الصراع القائم بين أنصار المحافظة وأنصار الليبرالية في المجتمع.

وقد ركّز الشعراء في موضوع الإصلاح الاجتماعي على عنصر المرأة حيث دعوا إلى تعليمها وتثقيفها من أجل تحقيق شروط نهضة اجتماعية كاملة. كما ركزوا على موضوع العلم، باعتباره قيمة تحقّق للأوطان كرامتها واستقلالها الفكري والثقافي. لاسيما أن الاستعمار ما فتئ يقضي بمختلف الطرق على قيم الثقافة المغربية الإسلامية الأصيلة. وركز الشعراء كذلك على عنصر المواطن العادي، وخاصة الفلاح، الذي كان الاستعمار يسلبه أرضه، ويستخدمه بأبخس الأجور. ولقد كان مثال الفلاح مجسّدا لفساد النظام الإداري في عهد الحماية، ولتعرض الفئات المختلفة لأنواع من الظلم الاجتماعي الذي كان وراءه الاستعمار. وقد عبر الشاعر علال الفاسي عن وضعية الفلاح في فترة الحماية أصدق تعبير في قوله :

وبيعَ هذا الفلاح اصْبَحَ عَبداً وغدا عيشه عناءً ونكـدا

(*المختار من شعر علال الفاسي*، 164). كما ركز الشعراء في إطار الشعر السياسي الوطني والقومي، على عنصر الحماس وموضوع الجهاد. فجعلوا الجهاد غاية الغايات.

ثانيا : الاتجاه الوجداني الرومانسي : وهو اتجاه، ذاتي رومانسي، إلا أنه متبطّن بوعي وطني. ذلك أن الشاعر المغربي في عهد الحماية لم ينفصل قط عن وطنه مهما قال في الأغراض الذاتية. فقد وصفوا الطبيعة، وحمّلوها من همومهم وأشجانهم ما جعلها تشاطرهم كآبتهم وأحوال نفسياتهم المتدمرة من الاستعمار وطغيانه الذي لا يعرف حداً (*مع الأدب والأدباء*، 20).

وتحدث الشعراء في هذا العهد، عن تجربتهم في المنافي والسجون، فحكوا آلام الذات ومشاعر الوجدان، غير أنها آلام ومشاعر وطنية خالصة، ومهما ارتبطت بالذات

المعدودة للشاعر. فالنفي والموت يهونان في سبيل الوطن (انظر شعرا لعلال الفاسي قاله بعد نفيه إلى إسبانيا سنة 1933، في *المختار*، 21).

ثالثا : الاتجاه التاريخي : وفي هذا الاتجاه، كان الشعراء يقولون الشعر في وصف أحداث تاريخية عرفها المغاربة في عهد الحماية. فكانت هذه القصائد تمزج الوصف بالتحميس وإذكاء روح النضال الوطني، سواء تعلق الأمر بوصف أمجاد الدول المغربية القديمة أم تعلق بوصف أحداث مشهودة في عهد الحماية. (انظر حديثا للشاعر محمد الحلوي عن أمجاد الحضارة المرينية في *ديوانه* أنغام وأصداء في قصيدة بعنوان أطلال بين مرين، 171). وعن وصف الشعراء لحوادث من زمن الحماية، انظر شعراً لعبد الله گنون، يصف فيه حادث الدار البيضاء المشهور والواقع في سنة 1947، في ديوانه *(لوحات شعرية* : 52. 53).

هذا عن الاتجاهات الكبرى للشعر المغربي في عهد الحماية، وهي اتجاهات يجمع بينها الهاجس الوطني في التعبير. أما إذا تساءلنا عن بعض خصائص هذا الشعر من الناحية الفنية فقد اختصرها بعض الدارسين في السهولة والوضوح والنزعة التقريرية الطاغية، والخطابية السائدة في كافة الموضوعات، وطابع الهدفية الواضح والتركيز على الوظيفة الإبلاغية في التعبير *(أحاديث*، 68).

كما حرص الشعراء في هذه المرحلة من تاريخ المغرب على صفاء اللغة وسلامتها، واستعمال بعض الكلمات الجديدة كالنهضة والتقدم والعلم والحرية والاستقلال والوطن وغيرها من التعابير الموظفة في إطار الصراع مع المستعمر *(الشعر الوطني المغربي*، 202. 203).

إذا كان الفن الشعري قد عرف نضجا واضحا في عهد الحماية، فإن الأدب المغربي في هذه المرحلة عرف ظواهر نثرية أخرى كانت تعيش مرحلة الطفولة أو البدايات كفن المقالة وفن القصة وفن الرواية وفن المسرح وسوف نخصص لهذه الفنون الأدبية الناشئة في عهد الحماية الحديث الآتي :

- من فن المقالة إلى فن القصة : في الجانب النثري ظهر تحول في الكتابة النثرية ومن أبرز كتاب النثر الأدبي في عهد الحماية، في فن المقالة والقصة عبد الحفيظ الفاسي، ومحمد الجزولي، وأحمد النميشي، ومحمد السليماني، ومحمد حركات، وأحمد سكيرج.

وقد كان الفن القصصي في بداياته ميالا إلى المحافظة على الصور الفنية لنثر المقامة وإن زاوج بعض الكتاب بين أسلوب المقامة وأسلوب المقالة في كتابتهم، كمحمد بوجندار ومحمد السليماني وأحمد النميشي. وقد تحرر هؤلاء من قيود البديع والمحسّنات البيانية في نثرهم بحيث وضعوا أسسا جديدة لكتابة نثرية لم تكن معهودة قبلهم في الأدب المغربي، وهي الكتابة الصحافية وفن المقالة الحديثة بأنواعها المختلفة.

وإذا كانت الكتابة القصصية قد استفادت من تطور الكتابة الصحافية وكتابة المقالة، فإن بعض عناصر الكتابة النثرية في المقامات، قد ساهمت في بلورة بعض جوانب الكتابة النثرية في فن القصة. إذ إن عناصر الأحداث والشخصيات والعقدة، لا تنفرد بها القصة كفن أدبي، وإنما كانت بعض المقامات الحديثة في عهد الحماية تحتوي على هذه العناصر كمقامة (الحمّام) لابن الطيب العلمي، ومقامة (الافتخار بين العشر الجوار) لعبد المهيمن الحضرمي *(النبوغ*، ج. 2 : 223).

مهما كانت الفنون النثرية القديمة تحتوي على بعض عناصر الفن القصصي، فإن هذا الفن لم تكتمل صورته إلا بعد تأثر الأدباء المغاربة بالفن القصصي في البلاد العربية والأوروبية على السواء، حيث ظهرت القصة كنوع أدبي جديد وكقناة للتعبير عن شروط الحياة المعاصرة. ومن أوائل القصاصين في المغرب في عهد الحماية : علال الجامعي وعبد الله إبراهيم وعبد الرحمان الفاسي. ويمكن التمييز بين عدة اتجاهات قصصية في عهد الحماية بالمغرب :

1. الاتجاه الرومانسي : وهو اتجاه يمجّدُ الماضي المغربي العريق، ويدعو أصحابه إلى الانكفاء على الذات والحديث عن أشجانها وآمالها، وكانت قصص هذا الاتجاه بعيدة عن المعاناة الواقعية والنضال ضد الاستعمار.

2. الاتجاه التاريخي الواقعي : وهو اتجاه يميل إلى الواقعية في الوصف. وتضم قصص هذا الاتجاه القصص السياسية والاجتماعية، ومن رواد هذا الاتجاه عبد المجيد بن جلون ومحمد الخضر الريسوني وعبد الكريم غلاب.

3. الاتجاه التأمّلي الفلسفي : وهو اتجاه مال أصحابه إلى التحلل من ربقة الواقع وقيوده، والخروج إلى فضاء الفلسفة وأجوائها التأمّلية.

ومن أبرز القضايا التي أثارتها قصص هذا الاتجاه قضايا الحرية والضمير والوجود الإنساني. والعلاقة بين الفكر والواقع، وغيرها من الموضوعات التي تنزع نزوعا فلسفيا واضحا. ومن رواد هذا الاتجاه ، عبد الكريم بن ثابت وعبد الكريم غلاب وأحمد بناني وعبد المجيد بن جلون *(فن القصة*، اليابوري، 117).

ويمكن القول إجمالا بأن الفن القصصي في المغرب عرف مرحلتين متميزتين في تاريخ الأدب المغربي في عهد الحماية هما :

1. من سنة 1905 إلى 1939 ظهرت أوليات الإبداع القصصي في المغرب، وكانت قصص هذه الفترة إرهاصات فقط *(القصة المغربية*، عفيفي، 18).

2. من سنة 1940 إلى سنة 1950، ازدهرت القصة المغربية الحديثة، وصارت من الناحية الفنية أجود من سابقتها *(القصة المغربية*، 20).

وأما من ناحية الأسلوب فقد تأثرت القصة في بداياتها في عهد الحماية، برواسب الكتابة النثرية القديمة، كشيوع المحسنات البديعية والميل إلى أسلوب التقرير المباشر *(فن القصة القصيرة*، 66).

إن هذا السير الوئيد الذي عرفته القصة في أدب المغرب

في عهد الحماية، عرفه فن نثري آخر هو فن الرواية كما سيظهر من الحديث الآتي :

من أدب الرحلة إلى فن الرواية : كان فن الرحلة، مشهورا في الثقافة المغربية منذ القديم. وفي عهد الحماية انساق المغاربة وراء هذا الهوى في التأليف الأدبي، فكتب أحمد الصبيحي رحلته الحجازية سنة 1916، وتبعه في هذا الصنيع محمد دينية في سنة 1917، وسار على نهجهما كتاب آخرون منهم محمد بن يحيى الصقلي الذي وضع رحلة سماها *"وداعا وإلى الملتقى"* سنة 1928، وإدريس الجعيدي في رحلته *الحجازية* سنة 1930 *(فن القصة*، اليابوري، 141).

وكانت هذه الرحلات تتأرجح بين الوصف الدقيق لطريق الحج أو مناسك الحج، وبين الاستطرادات المتعلقة بوصف شؤون السياسة والاقتصاد والدين والثقافة في البلدان التي يمر منها ركب الحجاج في الرحلة.

ونظراً لغزارة المادة في هذه الرحلات، استحقت أن تكون بدايات لفن الرواية الذي تطور في الكتابة الأوروبية، مستفيدا من تقنيات كتابة الرحلة والقصة ومطوِّراً أدواته الخاصة.

الرواية كفن أدبي ناشئ : يصعب الحديث في عهد الحماية عن أدب روائي مغربي، بالمعنى الكامل لمصطلح "رواية" "Roman" ذي الخصوصيات الكثيرة، التي تميّز بها هذا الفن في الأدب العالمي.

والرواية كفن أدبي، تنشأ في المجتمعات التي طبعتها تطورات مختلفة على جميع المستويات المتعلقة ببنياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية كما يقول منظرو هذا الفن الأدبي لوكاش (J. Luckas) في كتابه : *(Théorie du roman)*. وبما أن المغرب كان يعيش في عهد الحماية، ظروف القهر والاستعباد ومصادرة الحريات العامة والخاصة، فإن بنياته الاجتماعية والسياسية والثقافية لم تكن مؤهلة لإبداع الفن الروائي واحتضانه، وتبنيه كوسيلة تعبيرية جديدة. غير أن بعض الدارسين يتحدث عن البدايات الروائية في المغرب في عهد الحماية، وذلك اعتمادا على عمل روائي يتيم في هذا الباب، هو رواية وزير *غرناطة* لعبد الهادي بوطالب التي ظهرت سنة 1950، وهي رواية تاريخية، تناول فيها المؤلف حياة لسان الدين بن الخطيب ونشاطه المتنوع في مجال السياسة والديبلوماسية والإبداع الشعري والنثري. وفي سياق الحديث عن حياة ابن الخطيب كان المؤلف يتحدث عن أوضاع المغرب والأندلس في عهد المرينيين في المغرب، وبني نصر في غرناطة الأندلسية *(فن القصة*، اليابوري، 150).

ويبدو أن الحديث عن الفن الروائي قبل الاستقلال، هو حديث تعترضه كثير من الصعوبات الناجمة عن خلو الساحة الأدبية من هذا الفن باستثناء العمل الفريد الذي أشرنا إليه سابقا، ومن الصعب تبين ملامح الكتابة الروائية من خلال عمل واحد، لا يمكن أن يمثل مرحلة عهد الحماية والصراع ضد المستعمر تمثيلا حقيقيا.

ع. گنون، *أحاديث ؛ ديوان لوحات شعرية ؛ النبوغ المغربي في الأدب العربي* (3 أجزاء) ط. 2. 1961 ؛ ع. العروي، *أزمة المثقفين العرب*، تعريب الذوقان قرقوط ؛ م. الحلوي، *ديوان أنغام وأصداء* ؛ إ. السلمي، *الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية 1912. 1956* ؛ ز. الكتاني، *الصحافة المغربية نشأتها وتطورها* ؛ أ. البابوري، *فن القصة في المغرب* (1914. 1966) ؛ أ. المديني، *فن القصة القصيرة بالمغرب*، دار العودة ببيروت (د.ت) ؛ م. ص. عفيفي، *القصة المغربية الحديثة*، الدار البيضاء 1961 ؛ م. السليماني، *اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب*، الرباط 1971 ؛ أ. زياد، *لمحات من تاريخ الحركة الفكرية في المغرب ؛ لجنة من حزب الاستقلال ؛ المختار من شعر علال الفاسي*؛ ع. غلاب، *مع الأدب والأدباء* ؛ ص. العقاد، *المغرب العربي دراسة في أوضاعه السياسية والاجتماعية والاقتصادية*.

A. Laroui, *Histoire du Maghreb*, T. II. Petite Collection Maspéro 1970 ; G. Luckas, *Théorie du Roman*, Ed. (Sociologie et littératures) Ghontier, 1963.

محمد أديوان

الأدب المغربي في عهد الاستقلال، يمكن تقسيم الأدب المغربي في عهد الاستقلال إلى مرحلتين : مرحلة تمتد من بداية الاستقلال إلى أواخر الستينيات، ومرحلة تمتد من بداية السبعينات إلى الثمانينيات.

1 . المرحلة الأولى : من بداية الاستقلال إلى أواخر الستينيات.

كانت هذه المرحلة الأدبية محكومة بالمد الوطني التحرري والمد القومي كما مشروطة بالإمكانيات العلمية والمعرفية والفنية المحدودة المتاحة آنذاك. وقد عرفت هذه المرحلة أهم التناقضات والصراعات التي أفرزتها الحركة الوطنية المغربية.وللتعبير عن ذلك كان على الأدب المغربي أن يرتاد أشكالاً تعبيرية معاصرة تقوى على الصياغة الجمالية للواقع الجديد.

ومن العوامل التي ساعدت الأدب المغربي في هذه المرحلة : تأسيس جامعة محمد الخامس (1957)، وتأسيس جمعية اتحاد كتاب المغرب (1961) الذي سيلعب دوراً هاماً في ترسيخ الأدب المغربي المعاصر، وظهور بعض المجلات المغربية مثل *دعوة الحق* (1957) ومجلة *آفاق* (1961) ومجلة *أقلام* (1964) ومجلة *للقصة والمسرح*، ومجلة *أنفاس* (souffles). وكذلك ماكان يصل إلى المغرب من مجلات شرقية تهتم بالأدب العربي المعاصر كمجلة *الآداب*... والدور الذي لعبه بعض الأدباء المغاربة الذين درسوا بالمشرق العربي ثم الدور الفكري الذي كان للفلسفة الوجودية والالتزام والحرية والفكر الواقعي والاشتراكي الذي كان يصل بين أوربا وبين المشرق العربي. وسيكون الطابع المميز للإنتاجات الأدبية لهذه المرحلة هو تحكم النموذج بما لهذا الأخير من سبق تاريخي وتراكم معرفي في بعض المجالات الادبية المعاصرة، إلى جانب الاقتداء ببعض النماذج الغربية في ميادين أدبية أخرى كالمسرح مثلاً.

نجد الأدب المغربي التقليدي يواصل ممارسته من طرف بعض الأدباء الذين عاصروا مرحلة الحماية والاستقلال، أو الذين وقفوا في وجه الأشكال التعبيرية المعاصرة، أو لم يقتنعوا بها، فحافظوا بذلك على الإنتاج الأدبي المغربي التقليدي في اللغة والموضوع. وقد وجدوا في مجلة دعوة *الحق* منذ نشأتها منبراً لذلك ، ثم في مجلة *المناهل* فيما بعد. ونذكر من هؤلاء الأدباء عبد الله گنون ومحمد الحلوي وعبد القادر زمامة وعلي الصقلي.

وفي الشعر المعاصر نجد مجموعة من الشعراء الذين وضعوا أسس القصيدة العربية المغربية المعاصرة منذ بداية الستينات، نذكر منهم : أحمد المعداوي (المجاطي) ومحمد السرغيني ومحمد الخمار (الكنوني) وعبد الكريم الطبال و أحمد صبري و محمد الميموني وأحمد الجوماري وعبد الرفيع الجوهري. وقد استطاع هؤلاء الشعراء أن يواجهوا الذين كانوا يقفون ضد القصيدة المعاصرة ويثبتوا أقدامها. وقد تأسست جمعية أصدقاء المعتمد بشفشاون (1965) لتحتضن كل سنة مهرجان الشعر المغربي المعاصر. وبعض أشعار هذه المرحلة لم تُجمع في دواوين خاصة إلا في المرحلة اللاحقة. ولازال جزء منها في المجلات والجرائد فإن كانت القصة القصيرة هي الجنس الأدبي المعاصر الأنسب للواقع المتشتت فإن القصة المغربية ستعرف في هذه المرحلة ممارسة هامة وجدت في الصحيفة والمجلة مكاناً مناسبا لها، لمواصلة ماعرفه الأدب المغربي من هذا الفن منذ الأربعينيات. ومما ميز القصة في هذه المرحلة هو نزوعها الواقعي الذي يحاول تسجيل الواقع وتصويره بلغة لها جماليتها المباشرة ومزيتها أحيانًا، بطرق متباينة بين القصاصين ومن قصاصي هذه المرحلة نذكر : عبد المجيد بنجلون وعبد الكريم غلاب وأحمد عبد السلام البقالي وأحمد بناني ومحمد إبراهيم بوعلو ومحمد زنيبر وعبد الجبار السحيمي ومحمد برادة ومبارك ربيع ومحمد بيدى وإدريس الخوري ورفيقة الطبيعة ومحمد زفزاف وقد ظهرت بعض المجاميع القصصية في هذه المرحلة وأخرى لم تظهر إلا في المرحلة اللاحقة، وقصص أخرى لازالت مبثوثة في المجلات والجرائد .

وفي مجال الرواية لانجد في هذه المرحلة إنتاجا رُوائيًا كثيرا (11 رواية) ومن روائيي هذه المرحلة عبد الكريم غلاب، ومحمد عزيز الحبابي، وأحمد عبد السلام البقالي، ومحمد التهامي وعبد الرحمان المريني، والبكري أحمد السباعي، وخناتة بنونة، وفاطمة الرواي. وفي مجال السيرة الذاتية ظهرت سيرة *في الطفولة* لعبد المجيد بن جلون (1957)، التي تعتبر من النصوص السير ذاتية المغربية والعربية الهامة والتي ركزت هذا الشكل الروائي بعد تجربة *الزاوية* للوازني في الأربعينيات. والراوية المغربية مثلها مثل الرواية العربية عامة لا زالت أسيرة التاريخ الموازي للمؤلف بحيث يغلب عليها الطابع السير الذاتي، ومرد ذلك إلى أن جنس الرواية من الأجناس الصعبة التي تتطلب تجربة طويلة وعناء خاصاً .

أما المسرح فقد تعرف إليه المغاربة منذ العشرينيات من هذا القرن. ولكنه في هذه المرحلة سيعرف ممارسة هامة وتظهر أسماء سيكون لها أثر واضح على المسرح المغربي، وخاصة أحمد الطيب العلج الذي مغرب المسرح الفرنسي، والطيب الصديقي الذي أتقن هذا الفن وأعطاه مكانته في المغرب والعالم العربي. كما ظهرت أسماء أخرى مثل عبد القادر البدوي وزكي العلوي ومحمد تيمور وعبد الله شقرون. ومما يلاحظ على إنتاج المسرح على مستوى النصوص من هذه المرحلة أنه كان قليلاً بالقياس إلى الاقتباس لعدم وجود تراث درامي مغربي صرف. ويمكن أن نجمل القول في أدب هذه المرحلة بأنه حاول أن يرتاد الأشكال التعبيرية المعاصرة إلى جانب الأشكال التقليدية، بل ويؤسس بعضها ويطور أخرى.

2. المرحلة الثانية : من أوائل السبعينيات إلى الثمانينيات.

تعتبر هذه المرحلة ترسيخا وتطويرا للممارسات الأدبية التي عرفتها المرحلة السابقة. ومن العوامل التي ساعدت على الإنتاج الأدبي في هذه المرحلة، نشير إلى ظهور الفكر الانتقادي للممارسات السياسية والاجتماعية والثقافية العربية بعد هزيمة 1967. وظهور بعض الكتابات الرائدة مثل كتاب عبد الله العروي وخاصة كتابه *"الإيديلوجية العربية المعاصرة"* (1970/67)، وما خلف ذلك من نقاشات في بدايات هذه المرحلة.

كما ظهر جيل جديد من الأدباء الشباب المغاربة الذين تخرجوا من الجامعة المغربية، ورغبة هؤلاء في تحديث الأدب المغربي. ثم تأصيل بعض التقاليد الأدبية التي دأبت عليها بعض الجمعيات الثقافية الفاعلة التي اهتمت بالأدب المغربي المعاصر وبالأدب الإنساني *"كالثقافة الجديدة" "والزمان المغربي"* و*"الجسور"* و*"المشروع"* و*"البديل"* و*"المقدمة"* و*"خطوة"* و*"دراسات أدبية ولسانية"* و*"التأسيس"* ومجلات كليات الآداب المغربية. و*"الموقف"* بالإضافة إلى *"المناهل"* و*"الثقافة المغربية"*. وكذلك ظهور ملاحق أدبية خاصة في الصحافة الوطنية مثل : *ملحق جريدة العلم* (1969) و*ملحق المحرر / الاتحاد الاشتراكي* (1975) و*ملحق الميثاق الوطني* (1978) و*ملحق البيان* (1982) و*أنوال الثقافي* (1984). كما ظهرت في هذه المرحلة دور وجمعيات مغربية للنشر اهتمت بنشر الكتاب المغربي.

وهكذا ظهر في السبعينيات جيل جديد من الشعراء ساهم في تطوير القصيدة المغربية المعاصر واستطاع أن يكسبها مميزاتها الشكلية واللغوية والجمالية، ونذكر من هؤلاء الشعراء : محمد بنيس وعبد الله راجع ومحمد بنطلحة وأحمد بنميمون، وعلال الحجام والمهدي أخريف ورشيد المومني ومحمد الأشعري وأحمد بلبداوي، وحسن الأمراني وأحمد المسيح الذي اهتم بقصيدة الزجل. وبإنتاجات هؤلاء وغيرهم يكون ديوان الشعر المغربي قد

وجد مكانته ضمن ديوان الشعر العربي المعاصر . وقد ظهرت جل أشعار هؤلاء في دواوين خاصة وأصبح الإنتاج الشعري يمثل الصدارة في الإنتاج الأدبي المغربي، كما ظهرت دواوين بعض شعراء المرحلة السابقة مثل *ديوان الفروسية* لأحمد المعداوي (1987) وديوان : *"رماد هسبيريس"* لمحمد الخمار الكنوني، وديوان *"ويكون إحراق أسمائه الآتية"* (1987) لمحمد السرغيني.

أما القصة القصيرة فقد عرفت بدورها في هذه المرحلة جيلاً آخر من القصاصين الذين أغنوا القصة المغربية بحكم غنى كتاباتهم وتجربتهم لتقنيات جديدة في الكتابة القصصية، كسرت بعض القيود اللغوية والفنية التي كانت تسير عليها القصة من قبل. فوظفوا الأسلوب الغرائبي وكسروا النمط الكلاسيكي للسرد القصصي. ومن هؤلاء القصاصين نذكر : محمد برادة وأحمد بوزفور ومحمد الهرادي وأمين الخمليشي، ومصطفى المسناوي، وإدريس الصغير، ومحمد شكري، وعبد الرحيم المودن، والميلودي شغموم، وأحمد المريني وأبو يوسف طه، ومحمد الدغمومي.

وفي الرواية ظهر بعض الروائيين وظهرت نصوص روائية جديدة. وإذا كان المتن الروائي المغربي لا زال قليلا في حجمه. فإن روايات هذه المرحلة حاولت بدورها أن توظف تقنيات سردية جديدة. وقد ظهرت التجارب الروائية الجديدة عند مبارك ربيع في روايته *"بدر زمانه"* وعند محمد عز الدين التازي في "رحيل البحر" وعبد الله العروي في *"الفريق"* ومحمد زفزاف في"المرأة والوردة" وأحمد المديني في *"الجنازة"* ومحمد برادة في *"لعبة النسيان"* وكذلك تجربة محمد شكري في سيرته الذاتية *"الخبز الحافي"* وفي روائيي هذه المرحلة أيضا، أحمد زياد، وسعيد علوش وحميد لحميداني ومحمد صون، ويوسف فاضل، والميلودي شغموم، وخناتة بنونة.

وفي المسرح ظهرت أسماء جديدة وإنتاجات مغربية حاولت أن تعتمد على التراث المغربي بحثا عن صياغة درامية ذاتية لاتتكىء دائما على الاقتباس. ومن أشهر الكتاب المسرحيين في هذه المرحلة عبد الكريم برشيد الذي ساهم بانتاجاته المسرحية في تطوير المسرح المغربي. ونذكر هنا كذلك أعمال محمد مسكين ومحمد شهرمان وأحمد العراقي وعبد السلام الشرايبي.

أما في مجال الدراسات الأدبية والنقدية فقد ظهرت أبحاث جامعية وكتابات نقدية تناولت الإنتاج الأدبي المغربي والعربي بمستويات مختلفة ومتنوعة من التحليل والتأطير النظري والمنهجي. منها ما سار على المناهج التقليدية في الدراسة الأدبية، ومنها التي اعتمدت على المناهج الأدبية الغربية الحديثة. وفي المرحلة الأخيرة، ظهت دراسات أدبية علمية هامة أعطت للبحث الأدبي والدرس النقدي بالمغرب مميزات خاصة على الساحة الأدبية المغربية والعربية. وتجلى ذلك في الأعمال التي اعتمدت على التحليل البنيوي التكويني والتحليل الشعري والتحليل السيميائي. ونشير إلى أن مجموعة من الابحاث صدرت بهذه المقاربات نمثل هنا بأعمال محمد برادة وأحمد اليابوري وعبد الفتاح كليطو ومحمد مفتاح.

م. أديب السلاوي، *المسرح المغربي من أين وإلى أين؟* وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق 1975 ؛ محمد برادة، *محمد مندور وتنظير النقد العربي*، دار الآداب، بيروت 1979 ؛ حسن بحراوي، *بنية الشكل في الخطاب الروائي محاولة اقتراب بنيوية في الرواية المغربية*، رسالة مخطوطة. كلية الآداب. الرباط 1988 ؛ عبد الكريم برشيد، *حدود الكائن والممكن في المسرح الاحترافي*، دار الثقافة، البيضاء 1985 ؛ إدريس بلمليح، *الرؤية البيانية عند الجاحظ*، دار الثقافة ، البيضاء، 1984 ؛ محمد بنيس، *ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب*، دار العودة، بيروت، 1979 ؛ محمد بنتاويت محمد : *الوافي بالأدب العربي المغربي*، 3 جـ ، النجاح الجديدة، البيضاء 1984 ؛ أحمد بوحسن، *الخطاب النقدي عند طه حسين*، المركز الثقافي العربي بيروت ـ البيضاء 1985 ؛ عبد السلام التازي، الادباء المغاربة المعاصرون، منشورات الجامعة ، 1983 ؛ عباس الجراري، *الأدب المغربي من خلال ظواهر وقضاياه*، جـ 1. مكتبة المعارف الرباط 1979 ؛ عبد الكبير الخطيبي، *الرواية*، ترجمة محمد برادة، م .ح .ب.ع الرباط 1971 ؛ محمد الدغمومي، *النقد القصصي والروائي بالمغرب، من بداية الاستقلال إلى سنة 1980*، رسالة جامعية مخطوطة كلية الآداب الرباط 1987 ؛ عبد الله راجع، *القصيدة المغربية، بنية الشهادة والاستشهاد*، عيون المقالات، جـ 1 البيضاء 1987 ؛ إبراهيم السولامي، *الشعر الوطني في عهد الحماية*، 12. 1956، دار الثقافة 1973 ؛ محمد المختار السوسي، *سوس العالمة*، دار بنشرة، البيضاء 1984 ؛ الحسن السباع، *نظرات في القصة والمسرحية في الأدب المغربي*، دار الكتب، دمشق 1975 ؛ أحمد الشرقاوي إقبال، *شاعر الحمراء*... مطبعة الجامعة البيضاء 1964 ؛ عبد الله العروي، *الإيديلوجية العربية المعاصرة*، دار الحقيقة، بيروت 1970 ؛ الصادق عفيفي، *القصة المغربية الحديثة*، مكتبة الوحدة العربية 1961 ؛ سعيد علوش، *الرواية والايديولوجية في المغرب العربي*، دار الكلمة للنشر ؛ نجيب العوفي، *مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية*، المركز الثقافي العربي، بيروت ـ الدارالبيضاء، 1987 ؛ عبد الكريم غلاب، *عالم شاعر الحمراء*، دار الثقافة، البيضاء 1982 ؛ أبو بكر القادري، سعيد حجي، دار الثقافة، البيضاء 1982 ؛ محمد الكفاط، *بنية التأليف المسرحي بالمغرب* ، دار الثقافة البيضاء 1986 ؛ عبد الفتاح كليطو، *الأدب والغرابة*... دار الطليعة، بيروت، 1982 ؛ عبد إله كنون، *أحاديث عن الأدب المغربي الحديث*، ط 2 دار النهضة، بيروت 1978 ؛ لحميداني حميد، *الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي*، دار الثقافة، البيضاء، 1985 ؛ محمد مصايف، *النقد الأدبي في المغرب العربي*، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، 1979 ؛ محمد مفتاح، *دينامية النص*، المركز الثقافي العربي ، بيروت، الدار البيضاء، 1987 ؛ حسن المنيعي، *أبحاث في المسرح المغربي*، مطبعة صوت مكناس 1974 ؛ إدريس ناتوري، *المصطلح المشترك*، دار النشر المغربية، البيضاء 1977 ؛ عبد الجليل ناظم، *الخطاب النقدي بالمغرب حول*

موضوع الشعر، 30 ـ 1980 رسالة مخطوطة، كلية الآداب، الرباط 1987 ؛ مصطفى يعلى، *ظاهرة المحلية في القصة القصيرة المغربية*، رسالة مخطوطة، كلية الآداب، فاس ؛ سعيد يقطين، *القراءة والتجربة*، دار الثقافة ، البيضاء 1985 ؛ أحمدالبابوري، *تطور الفن القصصي في المغرب*، 1914 ـ 1966، رسالة مخطوطة، كلية الآداب، الرباط ،رأ /5، 1967.

أحمد بوحسن

الأدب المغربي المكتوب باللغة الفرنسية.

على النقيض من الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية فإن الأدب المغربي باللغة الفرنسية لم يظهر إلا بعد الحرب العالمية الثانية وبشكل أكثر وضوحا خلال الخمسينات. وتعزى هذه الوضعية لنوع الاستعمار الذي لم يكن في الظاهر ذا إرادة واضحة في استيعاب الشعب المغربي بواسطة نشر اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية بشكل منظم (كما كان الحال بالنسبة للجزائر) ومهما يكن فإن أول أثر مغربي يستحق هذا الاسم لم يظهر إلا سنة 1949 (ويمكن الإشارة في هذا الصدد قبل هذا العمل، إلى عملين أدبيين للسيد قدور بن غبريط وهما : *حيلة الإنسان La ruse de l'homme والزعيم أو تعدد الزوجات العاطفي La polygamie sentimentale* وهما لا يتسمان بقيمة أدبية كبيرة. ويمكن أن نشير في نفس المرحلة إلى كتاب سباق *إلى النجم* (1959) للطيب جمري *Course à l'étoile* . إن العمل المشار إليه آنفا هو الذي يستحق اسم أدب مغربي مكتوب باللغة الفرنسية، هو كتاب *سبحة العنبر Le chapelet d'ambre* لأحمد الصفريوي والمتبوع بكتاب آخر سنة 1954 عنوانه *صندوق العجائب* لنفس المؤلف، وبكتاب *الماضي البسيط* لإدريس الشرايبي. إن الأول يعني (الصفريوي) بعد عمل آخر هو كتاب *بيت العبودية* سنة 1973 قد صمت نهائيا، في حين أن الثاني (الشرايبي) على العكس من ذلك استمر في الكتابة بحيث يعتبر اليوم أحد الكتاب المغاربة الأكثر تمثيلية أو على الأقل الأكثر عطاء. على صعيد عام يبدو التقليد الجاري هو التمييز في تاريخ الأدب المغربي المكتوب باللغة الفرنسية بين مرحلتين هما : ما قبل 1966 وما بعد هذه السنة، وهو تاريخ ظهور مجلة *أنفاس* التي كان تأثيرها سواء في المغرب أم في باقي دول المغرب العربي تأثيراً محدّداً لتطور الإنتاج الأدبي في هذه البلدان. إن هذا التمييز يظل غير قابل للإحاطة به ولذلك لا يمكن لنا إلا أن نتبناه محاولين تصحيح بعض الأخطاء أو الاختصارات التي يتضمنها بالضرورة كل تقسيم يعتمد على ظاهرة التمرحل.

I ـ قبل 1966 إن الكاتبين اللذين يسيطران على هذه المرحلة هما أحمد الصفريوي وإدريس الشرايبي، ولقد كانت أعمالهما منظورا إليها من طرف بعض المنظرين نظرة سطحية، قد اعتبرت داخلة في إطار الأدب الإثنوغرافي أو أدب الاستيلاب (انظر في هذا الموضوع *الرواية المغربية* للخطيبي، *والأدب المغربي باللغة الفرنسية* لجان دوفو، ومنوعات *الأدب المغربي باللغة الفرنسية* ضمن أعمال جامعة باريز الشمال) إن هذه الأوصاف الملصقة بهؤلاء الكتاب تحت تأثير تفكير آني له ارتباط وثيق بالحدث الاستعماري، تبدو (هذه الاوصاف) اليوم في نظر تطور الأدب المغربي بصفة عامة سطحية وموسومة بالاختزال بصراحة.

1 ـ أحمد الصفريوي : إننا نعلم مدى الغموض الذي خيم على أعمال هذا الكاتب، فقد أُخذَ عليه اكتفاؤه بوصف واقع الوسط الذي يعيش فيه بعيداً عن أي نية في فضح ألاعيب الاستعمار، وذلك في لحظة من أحسم لحظات الحركة الوطنية. إننا لا ننوي هنا المساهمة في ذلك الجدل الذي استؤنف منذ وقت قصير من أجل رد الاعتبار للصفريوي (انظر لحسن الموزوني) ولكننا لا نملك إلا أن نشير إلى أنه في نظر تطور إشكاليات الكتابة في المغرب تبدو صفة إتنوغرافي الملصقة بهذا الكاتب ضعيفة جدا، وعلى الأصح غير دقيقة. إن أعمال الصفريوي تهتم بالتقاليد والمظاهر المتواضعة جدا في الحياة اليومية لهذه المرحلة، وهي أعمال تهيمن عليها نزعة روحية قوية. وعلى المستوى الشكلي يعتبر هذا الكاتب بدون شك أول من سعى إلى استغلال البنيات الروائية للحكاية في أعماله. إن إشكالية من هذا النوع مرتبطة بالمعنى والشكل توجد اليوم بشكل متطور عند الطاهر بنجلون. وبدون المبالغة في التأكيد على أن الصفريوي يتوفر على نظام كتابة يستجيب لمقتضيات الحداثة ؛ يمكن القول بأن الكتابة في عصره كانت أساسا واقعية وأقل ما يمكن أن نقوله هو إن كتاباته تعرب بطريقته الخاصة عن نوع من البحث عن الهوية، وذلك هو الشكل الأساسي للأدب المغربي في تلك المرحلة ولهذا ففي نظرنا ان معاتبة الصفريوي لكونه إثنوغرافيا، إذا جاز أن يكون ذاك عتابا، كانت له أسس هي اعتبارات سياسية أكثر منها اعتبارات أدبية.

2 ـ إدريس الشرايبي : من وجهة نظر مماثلة إن مفهوم أدب الاستيلاب الذي يصنف إسحاق يثبق ضمنه نتاج الشرايبي (خاصة *الماضي البسيط*) يبدو لنا مفهوما غير ملائم لا لهذه الرواية ولا لباقي أعمال الكاتب. (الحسن الموزوزي : *الاستيلاب يعني التغريب*) إذا وقفنا عند حرفية بنية الاستيلاب كما يحدده يثبق انطلاقا على ما يظهر من ملاحظات البير ميمي. "*وصف المستعمَر*" : اكتشاف خاص لثقافة الاخرو البحث عن الاستيعاب، ورفض الثقافة الشخصية وكراهية الذات والأصل والحياد ازاء الآخر وازدراؤه، الخروج من الوهم..) إن هذه المخطاطة لا تبدو لنا قابلة للتطبيق على الأقل بطريقة بقلوثية، على رواية *الماضي البسيط Le passé simple* في هذا العمل الذي اعتبر في عجالة اتوبيوغرافيا (Le pacte Autobio-graphique) والذي يعيد وصف واقع الكاتب، نجد تشهيرا بالتقاليد الاسروية والاجتماعية المتزمتة والقمعية. وهذا التشهير يشكل الأساس في الرواية في حين أن ثقافة الآخر

تتحول إلى سراب في مظاهرها الاستعمارية. ولنقل جملة وتفصيلا بأننا لا نرى هنا أبدا ذلك الذي يتصف به اريزقي بطل رواية *نوم العادل* لمولود المعمري والذي اعتمد عليه ياثيف، بشكل أساسي كما يبدو، لبناء نظريته حول الاستلاب.

وفي رواية *الماضي البسيط*، على الرغم من العقد الأصم الذي يوحي به الاب لابنه، يسهل تحديد الاعجاب الكبير لهذا الأخير بوضعية الأب وبخاصة فكره النقدي وجلال ونبل نظراته وبعد نظره، وهي الشمائل الحميدة التي ستظهر بشكل واضح في رواية *التعاقب المفتوح* *Succession ouverte* (1962) التي تشكل استمرارا لرواية *الماضي البسيط* *le passé simple*.

كل شيء يدعونا إلى الظن بأن اسحاق ياثيف والنقاد الذين حذوا حذوه (وخاصة جان دوجو) لم يتناولوا من عمل الشرايبي سوى بعض المظاهرالتي وقع استغلالها كثيرا من طرف بعض الجهات الصحافية وبعض الناشرين الغربيين في تلك المرحلة. ومن تلك المظاهر : عنف الأب في الوسط الإسلامي، الهيمنة على المرأة كأم... الخ، والتي صارت لتاً واجترارا للكلام، آل إلي نوع من الهلوسة المريضة

بالنسبة لما بقي من أعمال الشرايبي يبدو من العسير إدخالها بطريقة موضوعية في نموذج التحليل الذي يقدمه إسحاق ياثيف. إذن فنحن مرغمون على التخلي عن التصاميم الجاهزة والتحاليل القبلية، إذا شئنا تحليل نتاج الشرايبي وفق وجهات نظر اخرى.

وهكذا فإن ما شغل الشرايبي منذ عمله الأول : الماضي البسيط إلى آخر أعماله وهو الموسوم بولادة *في الفجر*، *Naissance à l'aube*، هو فيما يبدو التفكير في مشاكل الحضارات الإنسانية والتاريخ. وهذا التفكير تفكير عالمي بعيد عن ترسيخ تصورات منظري الاستيلاب. ويشهد على هذا التفكير العالمي عند الشرايبي روايتاه الموسومتان بـ : *صديق سياتي لزيارتك* (1967)، و*موت في كندا* (1975) وهما روايتان لا تتخذان المغرب إطارا لأحداثهما. كما أن الشرايبي يتحلل من جميع اشكال النزعة الإقليمية الأدبية. لهذا رفض وصفه بالكاتب المغربي المعبر باللغة الفرنسية معتبرا نفسه كاتبا معبرا باللغة الفرنسية بهذه الصيغة فقط (تصريح للشرايبي في لقاء الرباط، أبريل 1986).

يمكن أن ننهي الحديث عن هذه المرحلة بالاشارة إلى أعمال الأخوين بلهاشمي (عبد القادر : *السافرة* *La devoilée* (1952) وأحمد : *الأذن في الخمار* *L'oreille en écharpe* (1954). وهما مسرحيان لم يحظيا في تاريخ الأدب المغربي باهتمام خاص وقد كتب عنهما ف. أ كليمان يقول "هذان الكاتبان ليسا مهمين، وإنهما يمثلان ما يمكن أن نسميه ارادة ثقافية طيبة... إنهما يكتبان بشكل صحيح وسليم وقد يجيدان أحيانا، إنهما تلميذان نجيبان.

II ـ من سنة 1966 إلى أيامنا : قبل الحديث عن ظهور مجلة *أنفاس* *Souffles* والكتابات التي ظهرت في كنفها، ينبغي الإشارة إلى ثلاثة كتاب هم : محمد عزيز الحبابي، وزغلول مرسي، ومحجوبي احرضان، الذين كانت أعمالهم الأدبية، القيمة في الغالب، تختلف عن تصورات أعضاء مجموعة *أنفاس*، وذلك على الرغم من أن كتاباتهم (الحبابي ومرسي وأحرضان) ظهرت بعد سنة 1966. ويبدو أنهم كانوا يستجيبون لانشغالات وهموم هي ألصق بالمرحلة السابقة منها بالمرحلة التي تلتها.

وهكذا، فإن الحبابي بمجموعته الشعرية الموسومة : *صوتي يبحث عن طريقه* (1968) *Ma voix à la recherche de sa voie* وروايته *الأمل المتشرد* (1972) *L'espoir vagabond* ودراساته، يظهر نوعا من الاضطراب خاصة في البداية، ولكنه مع ذلك يهتم بالمثاقفة L'acculturation ويمنحها محتوى "إيجابيا" بحيث تصير في نظره قادرة على إقامة حوار مع الآخر، وقادرة على التحول إلى تحقيق مهم متبادل، وإقامة تواصل مع الآخر.

أما زغلول مرسي في عمله الموسوم بـ *عن شمس حائرة* *D'un soleil réticent* (1969)، وأحرضان في عمله الموسوم : *ذاك يبقى ذاك* *Celà reste cela* (1963)، فإنهما يعتبران الشعر تعبيرا عن الجمال،ويهتم أولهما بالشكل بينما يركز الثاني على الشكل المقترن بالخيال. إذا رجعنا إلى مجلة *أنفاس* فإنه يمكن القول ـ وبقسط كاف من الموضوعية ـ بأنه لا أحد ينكر اليوم ما كان لهذه المجلة من تأثير على تطور الأدب المغربي بل والمغاربي بأقطار المغرب العربي كلها (انظر في هذا الصدد..M. Gontard 1981, *Violence du texte* ; A. Tankoul, *Le mouvement poétique et intellectuel de la revue Souffles* : Thèse, 1982.

ففي شهر فبراير من سنة 1966، أسس عبد اللطيف اللعبي مجموعته التي كانت تضم النيسابوري وخير الدين والطاهر بنجلون وعبد العزيز منصوري ويعقوب ياك وإبراهام السرفاتي... وعبد الكبير الخطيبي الذي ساهم في عدد كبير من أعداد مجلة *أنفاس*، على الرغم من عدم انتمائه إليها بصفة رسمية كعضو في هيئة التحرير.

إن المبادئ الأساسية لهذه المجلة، كما تظهر من خلال مواقفها وواقع كتابات أصحابها يمكن اختصارها فيما يأتي:

ـ جعل النتاج الأدبي سلاحا لمحاربة البنيات المتحجرة والمستلبة، سواء كان مصدرها الثقافة الغربية أم الثقافة العربية.

ـ الدعوة إلى كتابة وجمالية جديدتين انطلاقا من الأشكال الأساسية للثقافة الشعبية كالحكاية والرموز والتقاليد الشفاهية والأقوال المأثورة بصفة عامة، وقد نشأ عن تلك الدعوة توجيه جديد للكتابة الأدبية، في ظل التزام مزدوج على مستوى المضمون وعلى مستوى الشكل (وقد ظل هذا الالتزام مستمرا إلى الآن لدى أغلب هؤلاء الكتاب).

هذا التوجيه قد أسفر عن أعمال مهمة، معقدة في نفس الوقت ومغلطة لأغلبية القراء المعتادين على الاستهلاك السلبي للإنتاج الأدبي المنبثق عن التيار الروائي الأوربي الكلاسيكي في القرن التاسع عشر.

إن المظهر المميز لأعمال مجموعة *أنفاس* ولأعمال الكتاب المتأثرين بمبادئها يكمن فيما يُدْعى بالتدليل Signification.

وانظر *La Structure absente*, Mercure de France, 1972 - Umberto Eco, *Gallimard* 1973 - *Pour la poétique* II, Henri Meshomic أي أن معنى القصيدة أو الرواية لا يصدر عن المحتوى فقط وإنما عن الشكل أيضا ومن خلال الأدوات اللسانية الموظفة في التحليل.

وبما أن هذه الكتابات تحمل هم التشهير والثورة، فإنها تفصح عن ذلك سواء على مستوى الدال أم المدلول.

1 ـ عبد اللطيف اللعبي : هذه الطريقة في الكتابة تظهر بشكل نموذجي لدى اللعبي. فكتاباته كما يقرر مارك گونتار (نفس المرجع 27 ـ 41) مبطنة كلها بالعنف. وهذا الأخير يظهر في نصوص الكاتب في شكلها ومن خلال مجموعة من الوسائل منها كسر اللغة الشعرية وتراكم الجمل الاسمية والانقطاعات التركيبية... الخ. وباقي الأشياء التي من شأنها أن تمنح القصيدة إيقاعا سريعا وصداميا وفوضويا يفصح عن الموضوعية التي تشكل محتوى النصوص وهي موضوعية التشهير.

وعند اللعبي (كما هو الشأن عند الكتاب الآخرين زملائه في الاتجاه) لا يكمن التدليل فقط في التحديد الدقيق للوسائل اللغوية وإنما يكمن أيضا في تأثيره على جانب الصور وتوظيف بعض المظاهر الأساسية في الثقافة الشعبية مثل : المأثورات الشفاهية، توظيفا خياليا. وتتميز القصيدة عند اللعبي بنوع من الهزل العتيق الذي يثير الجماهير.

وأسلوب التصوير يوجد أيضا في روايته *العين والليل* *L'œil et la nuit*، 1969، التي يحاكي تركيبها من الناحية الشكلية بنية خط السير المتبع مثلا في سرد الأسفار عند كتاب الصوفية.

2 ـ النيسابوري ولوكيرة. نجد هذه الممارسة الهادفة في الكتابة أيضا تحت أحد أشكالها أو باقي أشكالها لدى شعراء مجلة *أنفاس* الآخرين، كما هو الحال بالنسبة للطاهر بنجلون في أشعاره الموسومة بـ *أشجار اللوز ماتت تحت وطأة جراحها* *Les amandiers sont morts de leurs blessures* (1976)، حيث يعكس تنظيم اللغة الشعرية موضوعة التشهير وفضح عدد من الحقائق الاجتماعية والسياسية القمعية كجرح المرأة والهجرة... الخ.

وهذا هو الشأن بالنسبة للنيسابوري أيضا في كتبه *أعلى ذاكرة* *Mémoire plus haute*، (1968) وكتابه *ألف ليلة وليلتان* *Mille et deux nuits* (1975). فعنده يواكب التشهير بالحاضر نوعاً من الحوار مع الماضي والتاريخ.

ويدخل ضمن هذا السياق أيضا محمد لوكيرة بمجموعته الشعرية *الأفق من فخار* *L'horizon est d'argile* (1971) *ومراكش* *Marrakech* (1975) *وأغان متقابلة* *Chants superposés* (1976) *والعين المثلومة* *L'œil ébrèché* (1980). وقد حاول لوكيرة أن يُحيي مجموعة من مظاهر الثقافة الشعبية وذلك من خلال استمداد إيقاعاته الشعرية من مختلف التقاليد الموسيقية الشعبية. ولذلك صرح في مجلة *لاماليف* *Lamalif* قائلا : "قد نظمت مقطوعات (مراكش) اعتمادا على أغنية شعبية هي الملحون (...) ونصي الجديد يتأسس من خلال الاستمداد من موسيقى شعبية كالدقة وگناوة، وأنهى المؤلف حديثه قائلا : إنه بالنسبة له يتعلق الأمر بنوع من الفرار ما أمكن بعيدا عن الاستلاب الذي تفرضه عليه اللغة الفرنسية " (عدد 184 غشت ـ سبتمبر 1983).

إن إحدى مزايا حركة مجلة *أنفاس* هو كونها قد بينت أن الالتزام إما أن يكون شاملا وإما أن لا يكون إطلاقا. وهذا المشكل عجز الأدب المغربي المدعو أدب النضال، عن حله في سنوات الخمسينات. ويقول اللعبي عن هذا الأدب : "إن إحدى مفارقاته الظاهرة هي أن هذا الادب كان يذيع وينشر رفض الكتاب الوطنيين والثوريين أحيانا في أشكال قديمة وسيطية وأرستقراطية " (مجلة أنفاس ع 5 ص 18).

إن المبادئ الأساسية لحركة *أنفاس* ظهرت بشكل قوي في المجال الشعري على الرغم من كون أصحاب هذه الحركة يرفضون فكرة التمييز بين الأنواع الأدبية، وذلك ربما نظرا لأن هذا "الشيء" الذي يجب تبليغه لا يوافقه نص دون آخر ونظرا أيضا لإيجابية هذا النوع الأدبي أي الشعر في التبليغ.

ماذا عن تطور هذه الحركة الشعرية ؟

إن الشعراء الشباب الذين ظهروا قبل هذه المرحلة كان رصيدهم لا يتجاوز في الغالب نظم مجموعة شعرية أو بعض القصائد المنشورة في الصحافة، في حين أن أصحاب مجلة *أنفاس* تطوروا بصور مختلفة : فالنيسابوري توقف عن الكتابة، وخير الدين ظل وفيا للإشكالية التي انطلق منها. ولكن لم يكن الأمر كذلك بالنسبة للطاهر بنجلون في عمله الموسوم بـ *ما غاب عن الذكرى* *L'insu du souvenir* (1980). واللعبي في عمله الموسوم بـ *شجرة الحديد تزهر* *L'arbre de fer fleurit* (1974) وعمله الموسوم بـ *أخبار قلعة المنفى* *chronique de la citadelle d'exil* (1978) وعمله الموسوم بـ *تاريخ مصلوبي الأمل السبعة* *Histoire des sept crucifiés de l'espoir* (1980) وهي أشعار كتبها في زمن اعتقاله.

هكذا كان مارك گونطار يأخذ على هؤلاء الكتاب تخليهم عن المبادئ الجمالية التي دعت إليها مجلة *أنفاس*، كما أخذ عليهم أيضا انسياقهم وراء الوضوح في كتاباتهم، وهو وضوح يعبر عن التزام إيديولوجي يتجاوب مع هموم تربوية وهو يواخذهم أيضا بما كان اللعبي نفسه يواخذ به

كتاب أدب النضال في المرحلة السابقة عن مجلة *أنفاس*. (انظر المرجع السابق 115 . 123)

يشير گونطار إلى أن هذه الوضعية تقودنا إلى وضع نظرية للنص تنطلق من إيديولوجيا مجموعة أنفاس وتنتهي إلى تحليل معرض لها فيما يتعلق بالإنتاج الأدبي. (المرجع السابق 116) ولم يعتمد گونطار في الحكم السابق على التحليل الدقيق لمجموعة من المقاطع في الكتابات المشار إليها فقط، وإنما اعتمد أيضا على التصريحات المباشرة للعبي الذي كتب في *أخبار قلعة النفى* يقول : "إنني أتساءل كيف استطعت أن أقبل في لحظة ما أن هذا الإنتاج يمكن أن يضيف أي شيء للمعرفة، أو أن يغني الواقع أو أن يخلقه inéditions barbares, 101. وقد توسم گنطار من هذا التوجيه نوعا من الرجوع إلى الأشكال الأكاديمية في الكتابة بل نوعا مما يسميه "خروج الكتابة". وقد استنتج گونطار أن هذه الكتابات تتبرأ من مبادئ مجلة *أنفاس*. وهذا الاستنتاج رفضه اللعبي، فعبر عن ذلك في مقدمة الطبعة الجديدة لروايته *عين الليل* حيث أشار في البداية إلى أنه بدون أن يقصد إلى ذلك وبدون أن يتعمد ذلك ؛ فإنه يعتبر اعادة طبع هذه الرواية جوابا عمليا عن الاتهام الذي ألصق به والذي مفاده أنه تخلى عن كتاباته الأولى الملتزمة. وقد أضاف اللعبي رادا على هذا الاتهام قائلا بأن إنكار الكاتب لعمل من أعماله أو مرحلة من نشاطه الإبداعي ؛ إنما يعني أنه ينظر لنفسه نظرة مشوهة.

إن النقاش لم يحسم بعدُ فيما يبدو، لأنه إذا كانت الطبعة الجديدة لهذه الرواية قد أظهرت تهافت الأطروحة القائلة بأن اللعبي تخلى عن التزاماته وتنكر لمواقفه السابقة فإنها لم توضح قط طبيعة الكتابة المتهمة، لأن اللعبي لم يشرح موقفه من تلك النصوص التي كانت موضوع الاتهام ومثار الجدل. ولا يمكن أن نحصر بصورة نهائية كاتبا في اطار اشكالية معينة لا سيما وانه كائن حر في اختياراته. ويبدو لنا أيضا أن ما تحبل به أشكال الكتابة لا حصر له من الناحية النظرية.

وعلى مستوى آخر، هو مستوى النص الروائي (سواء تعلق الأمر بالروايات، أم الروايات الشعرية)، يحسن بنا أن نلاحظ، أنه بصورة عامة ظلت المبادئ الإيديولوجية والجمالية لحركة *أنفاس* لا حية فقط وإنما كانت تغتني بحسب مراحل الإنتاج الأدبي، لمجموعة من الإشكاليات التي أملتها ظروف اجتماعية وثقافية جديدة.

3 ـ محمد خير الدين : انطلاقا من عمله الموسوم بـ *أگادير* (1967) *Agadir* إلى حدود عمله الموسوم بـ سيرة *اگونشيش* وحياته (1984) *Légende et vie d'Agounchich*، ظل خير الدين وفيا لتصوراته الإيديولوجية والجمالية، وظل كتاب *أگادير* بالنسبة له، هو العمل الأساسي، الذي يشكل باقي أعماله امتدادات له، بحيث يمكن أن نقول عنه ما قيل عن كتاب *نجمة* لكاتب ياسين، وهو أنه قد ظل يردد في كتاباته الأخرى ما قاله في هذا الكتاب.

فثبات ممارسته يظهر سواء على مستوى المضمون أم على مستوى الشكل. والالتزام عنده لا يكمن في الصراع من أجل الانتصار لهذه الاديولوجية أو تلك، وإنما يكمن في التشهير الشامل بكل ما يزري بالإنسان أو يقمعه وهو يقول "لا يتعلق الأمر بالدفاع عن إديولوجية خاصة في كتاب معين. وإنما يتعلق الأمر بوضع عمل يحمل الرفض الجذري" *Algérie actualité* n° 135, mai 1968.

وبالفعل فإنه في جميع أعماله يظهر هذا الرفض في صورة إدانة عنيفة وثائرة على ما يحد تفتح الانسان كالسياسة والأسرة والظلم والتقاليد بل والتاريخ البعيد للوطن الذي يستنطقه من أجل فك رموز الحاضر وتحكمه. بل إنه يدين الأسلاف ويدعوهم لتفسير الوضعية، ويعاتبهم على كونهم لم يهيئوا المستقبل كما ينبغي.

يتعلق الأمر هنا بثورة عميقة Viscerale لا تعرف أي لون من التنازل. وهذا هو الجانب الأهم فيها، ويتعلق الأمر أيضا بإصلاح معين : فالأرض والمكان "الجنوبي" Sudique يمارس تأثيرا قويا على محمد خير الدين. وهذا يظهر بوضوح أكثر في عمله السردي الأخير الذي يعود فيه ليستوحي ذلك المكان الذي تحول بفعل الحداثة الطارئة عليه من الشمال. فأمام الحاضر الذي لا يبعث على الأمل، أعاد الأديب الماضي بكل أساطيره وحكاياته.

على المستوى الشكلي، يعتبر خير الدين، وبدون شك الكاتب المغربي (ومعه نبيل فارس في بعض أعماله) الذي خرق حدود الأنواع الأدبية، وتعامل بحرية مع البنيات السردية الكلاسيكية. فالشعر والسرود، والمقاطع المسرحية، والدراسات، تتدافع وتتقاطع في أعماله مغلطة لأكثر القراء نباهة.

أما على مستوى المضمون الذي لا يكون واضحا دائما، فإن الكاتب يستمده من السيرة الذاتية، أو الخيال. ويتميز خير الدين بميل شديد إلى أسلوب التصوير.

4 ـ عبد الكبير الخطيبي : كان الخطيبي يتبع تجارب مجلة *أنفاس* باهتمام بالغ. وكان بدوره مساهما فيها. غير أنه تميز تدريجيا بصياغته نوعا خاصا من التفكير في قضية الهوية، التي ظلت مثار اهتمام جماعة *أنفاس*، فميزة الخطيبي قد ظهرت بوضوح بعد نشره لعمله الموسوم : *الذاكرة الموشومة* (1971) *La mémoire tatouée*. الذي لا يشكل مقاربة أصيلة لقضية "السيرة الذاتية" فقط، وإنما يمثل نوعا من "العمل ـ البرنامج" المحتوي على إرهاصات لسائر موضوعات أو انشغالات الكاتب كذلك. وهي موضوعات وانشغالات طورها الكاتب في كتاباته الأخرى، كقضية الثقافة الشعبية التي ستشكل محور كتابات الخطيبي الأخرى : *الاسم العربي الجريح* (1976) *La blessure du nom propre* وقضية الإديولوجيا في أعماله *Vomito blanco*, (1974)، *والمناضل الطبقي على الطريقة الطاوية* *Le lutteur de classe à la manière taoiste* (1977)، *والمغرب بصيغة الجمع* (1983) *Maghreb pluriel*،

وقضية الهوية والاختلاف والازدواجية اللغوية في أعماله ككتاب *الدم Le livre du sang* (1979)، *الحب المزدوج اللغة L'amour bilingue* (1983). ونظرا لأهمية المكانة التي يحتلها الخطيبي في الحقل الثقافي المغربي والمغاربي، فإننا سنقدم هنا ملخصا عن بعض مواقفه الفنية والثقافية، كما تظهر لنا من خلال روايته *الذاكرة الموشومة* وروايتيه : *كتاب الدم والحب المزدوج اللغة*.

في *الذاكرة الموشومة* يمكن أن نقف على عدد كبير من الاستعمالات والتقنيات في الكتابة الحديثة بالمغرب، مثل نظام التعميم النصي والسيامة الاستعارية. L'ordination métaphorique بالإضافة إلى بعض الاستعمالات والأشكال الجمالية المشهورة عند العرب مثل، أسلوب السخرية، (انظر : *L'auteur et son double* وتقنيات الحكاية الشعبية، وتنظيم المادة الاتوبيوغرافية على طريقة الكتابة الصوفية).

إن هذا المزج بين هذين الصنفين من الوسائل الفنية المنحدرة من ثقافتين مختلفتين، هو الذي يمنح للكتاب دلالته الحقيقية : إن المشروع الأتوبيوغرافي قد نظر إليه باعتباره تيهانا بين مظاهر الثنائية التي غيرت شخص الكاتب وحياته.

إن هذا التفكير، له استمرارية في عمل الخطيبي الموسوم بـ كتاب الدم حيث رد الكاتب الاعتبار إلى نفس المظاهر الثقافية معتمدا من جهة على البنية الصوفية لمفهوم "التوحيد" أي تحقيق الوحدة في الألوهية، ومن جهة أخرى، على الأسطورة الغربية : الخنثى L'androgyne من أجل توضيح العلاقات الجدلية بين الهوية والاختلاف. وذلك من خلال حكاية *"ملجأ الذين لا يجدون من يعزيهم" L'asile des inconsolés* التي تشكل محور الحكاية في الرواية.

وقد لاحظ الخطيبي في النهاية، أنه لا يمكن أن "تنفصل الاختلاف عن الهوية، أو بتعبير آخر، إن الهوية الكاملة لن توجد بدون اختلاف".

وهذه الطريقة ذاتها في تشغيل الخيال الدال وذي المغزى، نجدها مستعملة في كتاب *الحب المزدوج اللغة* وهي هنا مطبقة على المشاكل اللغوية.

ففي هذا العمل وضع الخطيبي بصورة نهائية حدا لتصور (كان مهما إلى حدود زمنه) يرجع إلى ما يُدعى بالتدمير Saccage الانتقامي للغة الفرنسية الذي يكون الأدباء المغاربة من ورائه. ومن آثار ذلك التدمير والخراب ؛ تعبيرهم غير المستقيم ! وقد بين الخطيبي بأن مثل هذا التعبير ليس في الحقيقة سوى نتيجة للغة المزدوجة bilangue (أي مضاعفات الصراع داخل ضمير الكاتب، وهو صراع بين اللغة الأم واللغة الغربية)، وفضّل الخطيبي اعتبار مخاض هذه اللغة المزدوجة متعة. ودعا أيضا إلى الانفتاح على اللغة المتعددة *La plurilangue* من أجل التعرف على فكر آخر، وتجاوز الصراعات.

5 ـ الطاهر بن جلون : يدخل بن جلون بدوره، في هذا الإطار نفسه، من حيث استعماله لمعطيات الميراث الثقافي. ومن الملحوظ أنه يهتم أكثر بالثقافة الشفاهية، وهو يستغل التأثيرات الفنية المختلفة، مازجا بين ذلك كله في انسجام تام مع بعض تقنيات الكتابة الغربية (أو التي اشتهرت بأنها غربية)، وذلك من أجل بناء نظام للكتابة يحمل في طياته مغزى. وهذا النظام يصور واقع البلاد من زاوية التزام الكاتب.

إن الجانبين الأساسيين للثقافة الشعبية، المستغلين من طرف الطاهر بن جلون في كل كتاباته هما تقنيات الحلقة والحكاية.

ـ فتقنية الحلقة توفر للكاتب تعددية الأصوات *plurivocité* التي تسمح له، لا بالاستفادة من آثارها الفنية والاستيتيقية في كتاباته فقط (ومن هذه الآثار : حيوية السجلات الخطابية وتنوعها، والحوارية والجدل...) وإنما تسمح له أيضا، بأن يلتحق بركب تطور التقنيات الحديثة للكتابة، وتبسيط وضع الشخية الروائية، وإنجاز سرد مجسّي (Tentaculaire) ومنفجر.

ـ تعد بنية الحكاية معمقة، لوجهة النظر السابقة، وبنفس الطريقة التي رأيناها في شعرية الحلقة ؛ استعمل الكاتب بنية الحكاية في إطار التصورات الجديدة، في المجال الروائي ـ عكس خطية السرد وذلك باللجوء إلى تعديد المستويات الحكائية والمفارقات التاريخية الدياجيتية (diegétique).

هذان الجانبان، يظهران بقوة في جل كتابات المؤلف، ويعضدهما أسلوب التصوير والمثل المشهور في (الثقافة الشفاهية). وهذه الأساليب توظف للتعبير عن الفترة وهي في نفس الوقت تقنيات خيالية تعكس البعد المرجعي لهذه الأعمال، وذلك على الرغم من محتواها التشهيري والعنيف أحيانا.

هذه هي العناصر الأساسية للنظام الذي يحكم أعمال الطاهر بن جلون فكيف تتوالى هذه الكتابات وما هي الإشكالية العامة التي حاول المؤلف أن يبلورها في هذا النظام ؟.

ـ بصفة عامة، تبدو أصوات الشخصيات متكلمة باسم غيرها، كما أنها تنقسم إلى نوعين : أصوات تمثل الماضي وأصوات تمثل الماضي وأصوات تمثل الحاضر. وهي تعيش في ظل علاقات صراع ظاهر أو خفي.

ـ في إطار إوالية المستويات الحكائية، إن الدياجيتي Le diegétique الذي يرتبط بالحاضر (في الروايات) يتعارض تقريبا دائما مع الميتادياجيتي métadiegétique، المتعلق بالماضي. وكل مستوى تهتم به فئة من الأصوات المطابقة له. وبحسب نفس التركيب structuration، يتعارض فضاءان في الأعمال الأدبية وهما : الفضاء الحضري المرتبط بالحاضر، والفضاء القروي المرتبط بالماضي. إن تداخل هذه العناصر المختلفة يسمح باستخراج النظام العام الآتي : التقابل الضدي، بين الحاضر، فضاء الحضارة والعمران،

والماضي فضاء البداوة. يكمن هذا التقابل في كون الثنائية الأولى قد نظر إليها من زاوية سلبية كئيبة غير مرحة dysphorique باعتبارها مصدرا للظلم والإذلال، والانحطاط... ؛ في حين أن الثنائية الثانية، اعتبرت من زاوية إيجابية ومرحة، (بمثابة مجموعة من القيم مثل : البطولة الكرامة والعظمة وتفتح الإنسان....

ويعكس نظام المؤلف نفسه، هذا التقابل : فهو واقعي مجرد، وقريب من الاستطلاع الصحافي، عندما يتعلق الأمر بالحديث عن الحاضر. وهو شاعري كثير الصور وغنائي، عندما يتعلق الأمر بالحديث عن الماضي.

6 ـ إدمون عمران المالح Edmond Amran El Maleh، التحق المالح مؤخرا بالكتابة، فقد ولد سنة 1917، ولم يبدأ الكتابة إلا منذ سنة 1980. وحصيلة إنتاجه إلى حد الآن، ثلاثة أعمال هي : *المسار الساكن Le parcours immobile* و*أيلان أو ليل السرد : Aïlen ou la nuit du récit*، و*ألف عام ويوم Mille ans un jour*. ويشبه المالح الشرايبي من زوايا عديدة، لا لأنهما معا ينتميان إلى نفس الأحداث (فالشرايبي قد ولد سنة 1927). فكلاهما ينقل في أعماله الأحداث والوقائع، وأنما أيضا بسبب القريحة الفنية التي تميزهما معا، وتلك السخرية الهادئة التي يصفان بها الأشخاص والأشياء.

إن أول مركز للاهتمام عند المالح، (كما هو الشأن عند أغلب الكتاب المغاربة بصفة عامة)، هو ذو طبيعة أتوبيوغرافية أي أنه يدور حول السيرة الذاتية.

يقدم لنا المالح شخصيته بعد أن ينفصل عن ذاته الأصيلة، باللجوء إلى ازدواجية في الخطاب. وهو يشبه في صنيعه هذا صنيع ألبرْ ممّي Albert Memmi في عمله الموسوم : *تمثال الملح La statue de Sel*، منفتحا على الثقافة الفرنسية، ومحافظا في الوقت ذاته على جذوره، وهو يختلف في ذلك مع ممي. فاليهود والمسلمون قد اجتمعوا ـ في جماعة ـ واحدة ومنذ ذلك الحين، ظهرت اليقظة السياسية وضرورة النضال ضد الاستعمار، والانتماء إلى الحزب الاشتراكي، وبدأت الحياة السياسية السرية للمناضل والاختلافات الضرورية مع العناصر الفرنسية للحزب التي لم تكن لتفهم المطالب الوطنية لزملائها المحليين (انظر Frantz Fanon, *Les Damnés de la terre*) وعلى هامش هذا المسار السّير ـ الذاتي، الذي تمت إعادته بصورة متقطعة ؛ يوجد كشف لخفايا المجتمع الاستعماري، والتدابير والرهانات السياسية في تلك المرحلة.

غير أن أهم ما يلفت النظر في أعمال المالح، هو كونه، قد قدم شهادة نفيسة جدا عن حياة اليهود المغاربة الذين عاشوا سواء في المدن أم في المناطق الجبلية النائية. إننا نرى هؤلاء اليهود المغاربة الذين لا يعرف جلهم كلمة من العبرية ـ (وبعضهم يجهل حتى اللغة العربية الدارجة، ولا يتحدث إلا بالبربرية) ـ ، يعيشون وفق إيقاع تقاليدهم العريقة، متمسكين بشكل متين جدا بأحيائهم وأراضيهم وحياتهم المطبوعة بالنشاط والجدية في العمل. وهذه الروابط قد رسختها قرون طويلة من التاريخ. هذه الروابط هي التي ستنقطع بعنف في يوم هو ذلك اليوم الذي اسرعت فيه المنظمات الصهيونية بتهجير اليهود إلى أرض فلسطين المحتلة. مهددة اليهود بمختلف الوسائل بما فيها التهديد المباشر والمساومة.

ولقد استطاع المالح أكثر من غيره من الكتاب أن يستنتج الآثار الناجمة عن ظاهرة الازدواج اللغوي التي حللها الخطيبي. وعلى العكس من الاستعمال الذي هو فولكلوري شيئا ما، لبعض الأمثال والأقوال المأثورة أو بعض الكلمات أو الصيغ الدارجة، عند الطاهر بنجلون ؛ فإن المالح يقحم هذه العناصر بقوة في تعبيره الأدبي بحيث يتحول النص تحت ثقلها تحولا ملموسا. ويظهر من جراء ذلك تنوع التعبير في مواطن مختلفة من النص يصعب اختزالها، إذ أن هذه التظاهرات اللهجية، تشكل بؤرا ترصع النص بمجموعة من المظاهر لخيال يصعب صياغته باللغة الفرنسية.

أما بنية أعمال المالح، فهي تتميز كما هو الشأن عند الكتاب الآخرين، بكونها بنية هدمية، تقطيعية. وهما صفتان تشبهان في هذا المستوى، الإشكالية العامة المنبثقة عن جماعة *أنفاس*.

7 ـ عبد الحق سرحان، أحد المغاربة الروائيين الشباب، ذو مهارة، يهتم بالاتجاه الجديد للأدب المغربي (وذلك ربما لتعميقه، وهذا ما نتمناه). ولد سنة 1950. ولم ينتج إلى الآن، سوى عملين روائيين هما : *مسعودة Messaouda* و*أطفال الأزقة الضيقة Les enfants des rues étroites* فعلى مستوى الموضوعات، لم يات الكاتب بعد بجديد، وكل ما عنده الآن : رفضه لبعض التقاليد، ورفض السيطرة على المرأة، والثورة ضد الأب، وتصوير عالم الطفولة المتروكة لنفسها دون رعاية... وقد سئل سرحان بصدد هذا الموضوع، فأجاب، بأن هذه المشاكل تؤثر دائما في مجتمعنا، وينبغي للكاتب الذي يحس بها بحدة، أن يعالجها (أن يقضي عليها في نفسه)، قبل أن يلتفت إلى شيء آخر.

وهذه الموضوعة قد عولجت من طرف السابقين بما فيه الكفاية ولكنها قد أخصبت ببراعة من طرف سرحان بواسطة التعبير (الخاطف) لخيال تظهر فيه الأساطير والأوهام المكونة للغفايا (المقنعة شيئا ما) للإنسان المغربي.

وإذا كان سرحان أقل تمثلا لهذا البعد من التونسي عبد الوهاب مُدَّبْ في روايته *الطلسم Talismano* ؛ فإن هذا البعد هو أكثر ضبطا من الناحية الفنية عند سرحان، مما هو عليه عند الطاهر بن جلون الذي يحشو به نصوصه بطريقة غير مهذبة، فيكون ذلك مصدر إزعاج وارتباك.

في نهاية هذا النص عن الأدب المغربي باللغة الفرنسية بم اختم الكلام ؟

إن ما يظهر للوهلة الأولى، بشكل جلي، هو أنه قد آن الأوان، لإعادة النظر في بعض التصورات النقدية لهذا الأدب، لا سيما تلك التصورات التي تواثرت إلى هذا العصر، دون أن تخضع لاختبار، وهذه التصورات تميل (حتى بعد مرور ثلاثين سنة على الاستقلال) إلى اعتبار ممارسة الأدب المغربي أو المغاربي، بصفة عامة، بمثابة جواب (وربما ردّ فعل) على الحدث الاستعماري. إن مثل هذا التصور قد كان له بدون شك أساس واقعي في المرحلة المعنية، ولكنه أساس لا يكفي لتفسير كل شيء. والدليل على ذلك مثلا، ممارسة الازدواج اللغوي المعلل من طرف الخطيبي والذي تم تأويله بسذاجة من طرف انصار هذا التصور (ونقصد هنا : جاكلين آرنو Jacqueline Arnaud وجون دوجو Jean Dejeux إذ اعتبروه كمجابهة خادعة ضد اللغة الفرنسية. والدليل عل ذلك أيضا معنى التطور الذي عرفه انتاج بعض الكتاب (كالشرايبي)، وهو تطور بين، بالنظر إلى الماضي، إن أعمالهم الأولى ثم تاويلها من زاوية نظر اكثر اتساعا من تلك التي تربطهم بالظرفية الاستعمارية لا غير.

إذن، يصير من الضروري الآن، ان لم نقل نسيان تصورات هذا النقد، فعلى الأقل، الحد من تأثيرها، بوضعها مدة اخرى في السياق التاريخي الذي أنتخبها. وفي جميع الحالات ينبغي نحت نقد جديد يأخذ بعين الاعتبار الجوانب والملموسة للأعمال وإشكاليتها الحقيقية.

وهناك ملاحظة اخرى تفرض نفسها أيضا وهي أننا نشهد نوعا من تجريد مبادئ *أنفاس* الموجهة، من محتواها الدرامي.

إن الأعمال الجديدة تحمل بعدا تشهيريا، بيد أن أهم ما في إشكاليتها يبدو كامنا في تعبيرها عن نوع من التحول (وذلك بواسطة اعادة الاعتبار لبعض مظاهر الثقافة الشفاهية سواء الكلاسكية أم الشعبية) وإحداث هذا التحول، لا يتم في صورة معارضة للثقافة أو الجمالية الغربية، وإنما في صورة جهد يرمي إلى تشغيل الثقافات، وهو جهد واعد بمردوديته الإيجابية (*Légende et vie d'Agounchich* ص 13). في هذا المستوى لم نعد أمام إثبات عدواني للهوية المعتبرة مطلقة، وإنما أمام ظهور تصور للهوية، يقبل الحوار بخصوص معطيات ثقافته في ضوء المكتسبات المنبثقة عن ثقافات اخرى.

إن كل المؤشرات، تدعونا إلى التفكير بأن التطور المستقبلي للأدب المغربي، سيعمق وجهة نظر التفاعل الثقافي، التي تنشد نوعا من العالمية.

A. Kilito, *L'auteur et son double*, éd. Seuil, coll. poètique, Paris 1985 ; F. Fanon, *Les damnés de la terre*, éd. F. Maspero, Paris, 1968 ; P. Lejeune, *Je est un autre*, éd. Seuil, coll. poètique, Paris, 1980 ; A. Laabi, *Chronique de la citadelle d'exil*, inédition Barbares, 1975 ; T. Jemri, *La course à l'étoile*, 1949 ; J. Déjeux, *Littérature maghrébine de langue française*, Ottawa ; éd. Naaman. 1973, reed 1978 ; A. Tenkoul, *Le mouvement poétique et intellectuel de la revue souffles* (soutenue à Aix en provence. 1982 ; G. Genette, *Le nouveau discours du recit*, éd. Seuil, coll. poètique, Paris 1983 ; Laabi, *L'œil et la nuit*, éd. Smer, Rabat 1982 ; P. Lejeune, *Le Pacte autobiographique*, éd. Seuil, coll. Poètique, Paris, 1975 ; G. Genette, *Palimpceste*, éd. Seuil, coll. poétique, Paris, 1982, A. Memmi, *Portrait du colonisé*, payot, Paris, 1973 ; H. Meschonic, *Pour la poétique II*, éd. Gallimard, coll. N.R.F. Paris, 1973 ; A. Khatibi, *Le Roman Maghrebin*, éd. Maspéro, Paris, 1968 ; réed Smer. Rabat, 1979 ; Umberto Eco, *La structure absente*, éd. Mercure de France, Paris, 1972 ; I. Yetiv, *Le théme de l'aliénation dans le roman maghrebin d'expression française*, Sherbrook, Celer, 1972 ; M. Gontard, *Violence du texte*, éd. l'harmattan, Smer, 1981 ; Algérie Actualité n° 135, mai 1968, Lamalif n° 184, Août \ Septembre 1983 ; M. Riffaterre, *in Litterature et réalité*, éd. Seuil, coll. Points, Paris 1982 ; F.A. Clément, *Panorama de la littérature Marocaine d'expression française* in *Actes de l'université de Paris - Nord*, éd. de la francité, Paris 1974 ; Souffles n° 5.

عبد الله ميسيس. تر. : محمد أديوان

أدْخْسانْ، كلمة بربرية، مفردها أدْخسْ، من معانيها، اللبأ، وبصيغة الجمع إدْخْسَانَ، بكسر الهمزة : أي اللّباءات. ولعل هذا راجع إلى وفرة قطعان المواشي بالمنطقة، بسبب كثرة الخصب والنماء ؛ الشيء الذي ينتج عنه وفرة المراعي وبالتالي تعدد اللبإ.

وقد اعترى اللفظ تصحيف وتحريف. فكتبت، أدْخسَالَ، وأدْخيس ودَخيسانْ (*وصف إفريقيا* 1 : 188 و2 : 267)، (*تاريخ خنيفرة*، 21)، (*الاتحاف*، 5 : 532)، (*الروضة السليسانية*، 63)، (*الترجمان*، 14. 22). وأصبحت تكتب، فيما بعد، على الشكل التالي : أدْخْسَان (*الاستقصا* 6 : 18. 19 ؛ 7 : 58، 80، 81 ؛ 8 : 134 ؛ 9 : 199). وهو الشكل الذي عم مختلف الكتابات المتأخرة، سواء منها العربية أوالاجنبية.

وأدسخان مدشر يقع وسط السهل الفسيح الذي يحمل نفس الاسم، في الاطلس المتوسط الغربي، على بعد حوالى اثني عشر كلم جنوب شرقي مدينة خنيفرة. يعزو الزياني بناء قلعة أدخسان إلى يوسف بن تاشفين. ومن المعلوم أن هذا الاخير بنى عددا من القلاع ، خاصة في دير الأطلس المتوسط ؛ اتخذها قواعد لفتح بعض القلاع البربرية الحصينة. ومن هذه القلاع قلعة فازاز، المعروفة في المصادر التاريخية بقلعة مهدي بن تَوالى اليحْفُشي (*أخبار المهدي*، 50) فقد حاصر يوسف بن تاشفين هذه القلعة تسع سنين دأبا من 456 إلى 465 / 1065 إلى 1073. (*القرطاس*، 141). مما يفضي إلى الاعتقاد أنها كانت قوية، شديدة التحصين. وهذه القلعة تقع شرقي أدخسان، ماتزال بعض أطلالها قائمة إلى الآن، يقول عنها صاحب *تاريخ خنيفرة* : وعهدي بأطلال هذه القلعة الحصينة قائمة إلى سنة 1328" (*تاريخ خنيفرة* 20).

ولعل بناء قلعة أدخسان تمّ من طرف يوسف بن تاشفين، ليتخذها قاعدة، ينطلق منها لتمهيد تلك الجهات؛ سيما وقد حدثت بالمنطقة الانتفاضات التي كانت قلعة مهدي قاعدة لها، في العهدين المرابطي والموحدي (*أخبار المهدي*، 50. 84)، (*القرطاس*، 141). (*العبر*، 6 : 180، 245. 246).

ورغم أهمية أدخسان في الطريق الرابط بين مراكش وفاس، وبين هذه الأخيرة وسجلماسة ؛ عبر الأطلس المتوسط ؛ فإن مصادر العصر الوسيط لاتذكرها (البكري،

البيذق، ابن أبي زرع، ابن خلدون...) وقد يعزى هذا الإهمال لأحد السببين :

1 . شهرة قلعة فازاز، مما يجعل اسم قلعة أدخسان، يأفل ويخفت، إزاء اسم القلعة الشهيرة.

2 . عدم قيام قلعة أدخسان بأي دور لافت للنظر، بالنسبة لكتّاب ذلك العصر، الأمر الذي جعلهم يهملونها.

وأول مصدر يتحدث عنها ـ فيما نعلم ـ هو كتاب وصف *إفريقيا* حيث ذكرها كسهل وكجبل (1 : 20. 42. 300. 2 : 267...) لكنه لم يذكرها كقصبة أوقلعة. مما يبرهن على أنها كانت مهجورة، أوخربة. ووردت لدى مارمول : أدكسوم، أثناء حديثه عن وادي أم الربيع، وهو يخترقه كسهل (*إفريقيا*، 1 : 34).

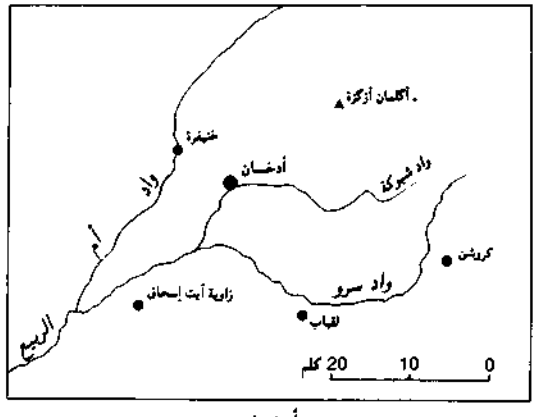

أدخسان

وفي سنة 1019 / 1610 أنزل بها السلطان زيدان محلته لما توجه إلى فاس قصد استرجاعها من يدابن أخيه عبد الله ابن المامون. ويفهم من كلام الافراني أنه يقصد المنطقة لا القلعة (*النزهة* 240) مما يؤكد ماذهبنا إليه أعلاه.

وأثناء قيام السلطان المولى إسماعيل بالحركة إلى جبل فازاز، سنة 1099 / 1688، أقام ببسيط أدخسان، سنة كاملة. وهنالك أمر بتحديد قلعة بمحل القصبة القديمة التي بناها يوسف بن تاشفين وخربت. وترك بها إدالة من ألف وخمسائة فارس من عبيد البخارى ؛ من أجل تطويق برابرة أيت وُمَالّو، ومنعهم من النزول إلى السهل (أزغار) (*البستان* 36). فأصبحت قلعة أدخسان، منذئذ، قاعدة لمنطقة، حيث رفع السلطان إدالتها إلى أربعة آلاف فارس (*الاستقصا*، 7، 58) . أي أنها أضحت مركزاً متقدما في تلك المناطق. وفي سنة 1104 / 1703 اجتمع بها نفس السلطان بقواده الثلاثة الكبار، أثناء الحركة الكبرى التي وجهها لجبال فازاز.وبها استقبل الوافدين عليه لأداء واجب الطاعة (*الاستقصا*، 7 : 79. 81).

وبعد وفاة السلطان مولاي إسماعيل، شهدت منطقة ادخسان اضطرابات واسعة النطاق استوقفت أحد شيوخ الناصريين الذي مر بها سنة 1140 / 1728، في طريقه إلى فاس (*الدرة الجليلة*، 1 : 132) . مما كان له ، بدون شك ، أثر على القصبة السلطانية . وفي سنة 1146 / 1733 ـ 1734، نزلت محلة القائد قاسم بن ريسون الموجهة من قبل السلطان عبد الله بن إسماعيل. لتطويع قبائل أيْتْ وُ مَالو، ببسيط أدْخسان. (*الاستقصا*، 7 : 135) أي أن القلعة قد أضحت مهجورة. ومما يؤكد هذا الرأي مايذكره الناصري. لما نهض السلطان محمد بن عبد الله لغزو أيْت ومالو، سنة 1186 / 1772 ؛ وكان بصحبته أبو القاسم الزياني ؛ مروا بقصبة أدخسان "فلم يجدوا بها نافخ نار" ورغم ذلك فقد أقاموا بها (*الاستقصا*، 8 : 42) وخيم بها السلطان مولاي سليمان أثناء حركته إلى المنطقة سنة 1234 / 1818. لكن لم ترد الاشارة إلى القلعة (*الاستقصا*، 8 : 134) لكن السلطان مولاي الحسن توقف بقصبة أدخسان التي بناها المولى اسماعيل سنة 1305 / 1887. 1888، أثناء حركته إلى المنطقة، حيث وفدت عليه القبائل لبذل الطاعة وإظهار الخضوع ؛ وتقديم الهدايا للسلطان، والميرة للمحلة (*الاستقصا*، 9 : 199). وتجدر الإشارة إلى أن الصلات قد توثقت بين المخزن وبين هذه المنطقة في عهد السلطان مولاي الحسن، عن طريق حمو والدموحا أو حمو (أو محمد أوحمو) الزياني الذي استصرخ بالسلطان المذكور، على قبيلتي أيْت سْخْمَانْ وأيْت إشقرْنْ، اللتين كانتا تُضيِّقان على سكان سهل أدخسان (*تاريخ خنيفرة*، 46) لذلك جهز السلطان الحركة المشار إليها ووجهها إلى المنطقة. ولعل السلطان، في هذا الاطار، قد سعى إلى تعمير القصبة من جديد، ليترك بها إدالة تدعم القائد محمد أوحمو الزياني. ومما يؤكد هذا الرأي ما أدلى به أحمد بلقاسم الزياني حيث قال: "ولم تزل به الجنود الحسنية تحت قائد الرحي السيد التهامي البخاري إلى سنة 1332" عهدي المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ ؛ خاصة وأن محمد أوحمو قد صاهر السلطان المولى عبد الحفيظ ببنت له تدعى رابحة، تزوجها بعد نصره بمراكش. لذلك فقد ناصر قائد زايان المولى عبد الحفيظ، الشيء الذي مهد له الطريق على قبيلته وعلى بني مْكّيلد وبني مْطير حتى فاس (*تاريخ خنيفرة*، 46).

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ *الذخيرة السنية* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا* ج. 1؛ مارمول كربخال، *إفريقيا* ج. 1 ؛ م. الإفراني، *نزهة* ؛ م.الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ أ .الزياني، *الروضة السليمانية* ؛ *الترجمانة الكبرى* ؛ *الترجمان المغرب* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الاجزاء (2 .6. 7. 8. 9) ؛ أ.الزياني، *تاريخ بلدة خنيفرة* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 5.

أحمد عمالك

إدّا بْن عْمار بن مولود، ولد سنة 1928 بالساقية الحمراء، وانضم إلى جيش تحرير الصحراء المغربية سنة 1956. وشارك في عدة معارك ضمن الفرقة التاسعة التي كان مركزها في تافودارت بقيادة صالح بن عسو إلى أن استشهد في معركة الدشيرة سنة 1957.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

أدّاد، أو شوك العلك ويسمى أيضا أسد الأرض وقُرْنبِخ، هو أطراكتيليس كُومِّيفيرا Atractylis gummifere. وهو ينتمي إلى فصيلة المركبات Synantheraceae.

إنه نبات معمر وعديم الساق، ذو أرومة غليظة ووتدية، تحتوي على سائل أبيض. أوراقه تشبه في الشكل أوراق الخرشوف، شوكية وملقاة على الأرض. أزهاره على هيئة رؤيس يتراوح قطره ما بين 5 و10 سنتمترات ذو زهيرات أرجوانية اللون. قُنّابه مولد الصمغ ويحتوي على قُنّابات شوكية.

يصادف أدّاد في جميع انحاء شمال افريقيا وخاصة في المناطق البيومناخية الجافة وشبه الجافة في أنواع مختلفة من الأتربة.

يعرف أدّاد كنبات يعطي رُؤَيسا وصمغا لهما طعم حلو. أما جذوره فهي تحتوي على مواد سامة كانت السبب في قتل العديد من الناس الذين يتناولون العروق، نظرا لكون مذاقها حلوا مما يسهل استعمالها في الإطعام بالكسكسو وذلك لأغراض اجرامية.

ولهذا فإن أدّاد هو أخطر النباتات السامة بالنسبة للإنسان المغربي لأنه يقتل العديد من الناس كل سنة.

يستعمل أدّاد كذلك في التطبيب التقليدي كإيقاف النزيف، وتسهيل الولادة، وضد الهذيان، وللإجهاض، وفي حالات كثيرة من أمراض الجلد. كما يستعمل لتحضير الجبن التقليدي.

R. Négre, *Petite flore des régions arides du Maroc occidental*, C.N.R.S. Paris 1961 ; J. Bellakhdar, *Médecine traditionnelle et toxicologie*.

عبد المالك بنعبيد

أدّار، معناه الجرف، وفيه جبل أدّار الذي يظهر فيه جبل صقيلة (البكري، *المغرب*، 84) ويرد اسم مكان لعدة مواقع وعمارات ولا سيما في جهات إمّي نتانوت، ولعل واحدا منها في تلك الجبال التي كانت لهرغة هو المقصود بأدار المذكور في تاريخ الموحدين عندما اعتصم به الرشيد لما فر أمام أنصار يحيا بن الناصر، وقد وصف أدار هذا بأنه كان مخزن مال وذخائر وكان به بنو أمغر : أبو إسحاق وبن أخيه أبو محمد وابن أخته الطالب أبو زيد الگدميوي.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، (قسم الموحدين) ص. 324.

E. Laoust, *Contribution*, p. 31 ; *Répertoire*, p. 148.

أحمد التوفيق

أدْرارنْ درن ← الأطلس الكبير

أيْت إدْراسنْ، هي اتحادية قبلية كبرى، تنحدر أغلب فروعها من مسوفة، إحدى قبائل صنهاجة اللثام التي كانت قبل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، تضرب في عروض الصحراء الغربية جنوب جبال درن. وقد انشقوا عن القبيلة الأم، في أوائل نفس القرن، واتجهوا نحو الشمال الشرقي ودخلوا جبل درن مع قبائل أخرى شاركتهم في هذا الزحف. وقفنا على هذه الإشارة، عند صاحب *الروضة السليمانية*، في سياق حديثه عن قبائل الأطلس. وفي مخطوط بزاوية سيدي بوكيل، ورد الحديث عن استيطان أيت إدْراسن في أعالي زيز وغريس، منذ أوائل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. (*La vie, Pastorale*, 14). وحسب نفس المصدر، فإن هذا القبيل قد وفد على تلك المنطقة قادما من تافيلالت حوالي سنتي (1012-1013م). وبعد هذا التاريخ، أشار البيذق في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، إلى وجود الإدْراسيِّين في نفس المنطقة المشار إليها في المخطوط المذكور (*المقتبس*، 55). وكانوا في هذا العهد، يمثلون فرقة من صنهاجة القبلة ضمن جماعة أهل تيارت التي كانت تضم أهل فركلة وتودغة وغريس وملوانة. وكانت مواقعهم، في هذا الوقت، في المصبات الجنوبية للأطلس الأعلى. وعندما خرج عبد المومن الموحدي من تينمل لغزو قبائل الشرق، ونزل بوادي غريس، ذكر البيذق الذي رافقه في هذه الحملة العسكرية، أن «الخليفة» قدم على موطن ملوان (فرقة من أيت إدْراسن)، كانت تنتشر في ذلك الوقت في ضواحي غريس (*أخبار المهدي*، 51).

إن المعلومات والإشارات العابرة الواردة في الحوليات التاريخية وكتابات الرحالين والجغرافيين، لاتمكن من تتبع أخبار أيت إدْراسن بعد رحيلهم من الجنوب الغربي واستقرارهم في أعالي زيز وغريس. فالجغرافي الإدريسي الذي تعرض بالوصف لنواحي سجلماسة، لم يذكر هذا القبيل. واكتفى بالإشارة، إلى وجود قرى متصلة، وعمارات متقاربة، ومزارع كثيرة، على نهر سَجلماسة، ينزل بها أخلاط من البربر، يزرعون الحناء، والكامون، والكروياء، والنيلج (*نزهة المشتاق*، 38). وحتى تاريخ ابن خلدون الذي يعتبر مرجعا هاما في معرفة مواطن القبائل وتفريعاتها، لم يذكر قبيل أيت إدْراسن ولا مكان استيطانهم. إلا أن إشارات وردت في مصادر متأخرة، تفيد أن الإدْراسيين، بعدما انتقلوا من الصحراء، استقروا على ضفاف وادي زيز وغريس، وبنوا القصور وامتهنوا الزراعة والحرف. فقد ذكر صاحب *الإحيا والانتعاش*، عند ترجمته لجده الأعلى يوسف العياشي الذي لانعرف مع الأسف تاريخ ميلاده أو وفاته، أن أيت إدْراسن أيام هذا الأخير، كانوا ينزلون في قصر أيت يعقوب. وحسب نفس المصدر، كان هذا القصر، قاعدة أيت إدْراسن، فيه ينزل عامل المخزن، وتقصده السيارة لعمارته، وتأوي إليه أهل الحرف والبضائع، لحصانته (*الإحيا*، 7) وعند تعرضه لحياة موسى العياشي الذي لم يذكر أيضا تاريخ ازدياده أو وفاته، أشار إلى أن منطقة تازرفت أيام هذا الأخير، كانت تضم قرى كثيرة تنزل فيها قبائل بربرية من بينها فصائل من أيت إدراسن، مثل ملوان، وأيت سادن، وأيت عياش. (*الإحيا*، 8).

فمن خلال هذه المعطيات، يتضح أن أيت إدْراسن، بعد رحيلهم من الصحراء الغربية في أوائل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، واستقرارهم في أعالي زيز

وغريس، قد تخلوا نهائيا عن نمط عيشهم القديم. وتحولوا من رعاة متنقلين، إلى مزارعين مستقرين، اشتغلوا بالاضافة إلى الزراعة وغرس الأشجار، بالحرف والتجارة. وقد ظلوا على هذه الحال، إلى نهاية القرن السادس عشر، حيث استأنفوا رحلتهم من جديد نحو الشمال الشرقي، بسبب ضغوط مجموعات قبلية أخرى، بدأت في هذا الوقت، بتشكيل الاتحاديات القبلية الكبرى، تحت ضغوط اقتصادية وبشرية. فأمام ضغط بني معقل الزاحفين على واحات ما وراء الأطلس في تنقلهم من الشرق إلى الغرب، وزحف اتحادية أيت عطا التي تكونت سنة 1550، نحو الشرق والشمال تحت ضغط الزحف المعقلي، وأمام تقلص نفوذ الدولة وعجزها عن ضبط الأمور في تلك الناحية من البلاد، اضطر أيت إدْراسن وسكان واحات الجنوب الشرقي عموما، إلى استئناف رحلتهم نحو الشمال. (*آثار التدخل الأجنبي*، 16. 20). لانعرف شيئًا عن علاقة أيت إدْراسن بالسلطة المركزية في العصور السابقة للدلائيين، بسبب ندرة المعلومات التاريخية التي وصلتنا عنهم في الفترة المذكورة. إلا أنه بعد هذا التاريخ، وبعد أن اقتربت فصائل هذه الاتحادية من مركز الحكم، صار الملوك والأمراء، يعتمدون عليهم ويسخرونهم في تنفيذ الكثير من أغراضهم السياسية والعسكرية. فقد أصبح أيت إدْراسن، في إمارة محمد الحاج الدلائي، يشكلون عصبية الدولة وحميتها. وقد أنزلهم هذا الأمير، منزلة خاصة وأسكنهم في مدينة الدلاء. وتمكن بواسطتهم من امتلاك أهم مناطق المغرب لمدة تنيف عن ربع قرن. (*الزاوية الدلائية*، 153).

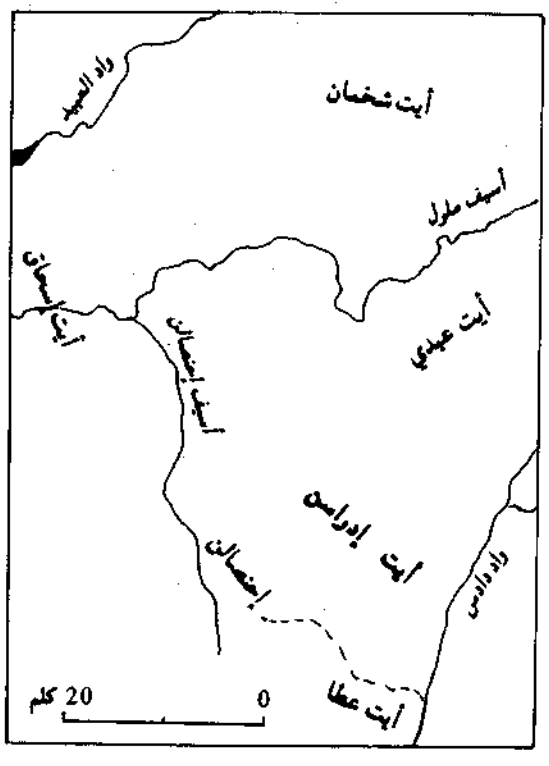

أيت إدراسن

أيت إدراسن عضد الدولة العلوية وعصبيتها. قاومت قبائل أيت إدْراسن في بداية الأمر، سلطة المخزن في هذا العهد، ووقفوا إلى جانب محمد الحاج الدلائي وتعصبوا له، وشدوا عضده في حروبه مع السلطان مولاي رشيد. ولم يتمكن مولاي إسماعيل من إخضاعهم، إلا بعد أن جرد على المنطقة عدة حملات عسكرية (*آثار التدخل الأجنبي*، 21). ومنذ ذلك التاريخ، اضطروا إلى الخضوع والاستسلام للقوة الإسماعيلية، وانحازوا إلى المخزن العلوي، وأصبحوا شيعة الدولة وعصبيتها. فصارت هذه الأخيرة، تعتمد عليهم وتسخرهم لتنفيذ أدوارها السياسية والعسكرية في المنطقة. ففي سنة 1104 / 1694 ساهموا في الحملة التي جردها السلطان المذكور لتطويع إخوانهم قبائل أيت أومالو، تحت قيادة علي أو بركة اليموري (*الاستقصا*، 7 : 80). وبعد هذه الحملة، صاروا يشكلون حزامًا واقيا يحول دون نزول قبائل أيت أومالو إلى السهول والهضاب الخصبة، وكانت مواقعهم في هذا التاريخ، تنحصر فيما بين أم الربيع والحوض الأعلى لوادي گيگو وفيما بين منخفض تَكْرَاكْرَا وحوض ملوية العليا.

بعد وفاة مولاي إسماعيل، شايع أيت إدْرَاسْنْ ابنه مولاي عبد الله وناصروه، وشدوا عضده، خلال الحروب والفتن التي أعقبت وفاة أبيه. فكلما تمت تنحيته عن العرش ونصب العبيد غيره من إخوته، كان السلطان المذكور يلجأ إلى حلة أيت إدْراسن الذين أصبحوا يشكلون قوة سياسية وحربية لا يستهان بها، إلى جانب عبيد البخاري وجيش الودايا. وبسبب هذا التأييد، حظي أيت إدْراسن بمنزلة خاصة لدى السلطان. فأجزل لهم في العطاء، وقربهم منه. وفي عهده، انتقلت الرئاسة من أيت إدْراسن، إلى قبيلة بني مطير، بعد أن كانت في عهد أبيه، في قبيلة أيت إيمور. (*آثار التدخل الأجنبي*، 22. 23). وصارت القيادة موقوفة على بيت محمد واعزيز المطيري. وتشيد كل الحوليات تقريبا، بالعلاقة الحميمة التي كانت قائمة بين محمد واعزيز والسلطان عبد الله. وقد بلغت رابطة الود والصداقة بين الرجلين، إلى درجة أن السلطان كان لايخاطب زعيم أيت إدْراسن هذا، إلا بـ : (ياأبتي). (*إتحاف*، 4 : 438). وعندما تولى سيدي محمد بن عبدالله الملك، انحاز إليه أيت إدْراسن وناصروه. إذ هم شيعة أبيه وعصبيته. فأنزلهم على غرار والده، منزلة خاصة. فقد ورد في تاريخ الضعيف الرباطي، أن سيدي محمد قد أدخل هذا القبيل، ضمن ديوان الجيش، إلى جانب أيت إيمور، وأسكنهم بضواحي مكناس. تاريخ الضعيف، 165. وقد اعتمد عليهم السلطان المذكور، وفي عهد مولاي سليمان، صار لأيت إدراسن نفس الشأن الذي كان لهم أيام مولاي عبد الله وابنه سيدي محمد. إذ هم «رعيته وشيعته وشيعة والده من قبله». (*الاستقصا*، 8 : 115) فعندما قامت الفتنة بينهم وبين أعدائهم أيت أومالو، وغدر إگروان بإخوانهم أيت إدْرَاسْنْ، جهز السلطان العساكر وبعث بها لنصرتهم.

(*الاستقصا*، 8، ص 115). وقد لعب محمد بن محمد واعزيز المطيري، نفس الدور الذي قام به أبوه في دولة السلطان عبد الله. فقد تولى هذا القائد، بالإضافة إلى أيت إدْراسن، حكم قبائل آيت أومالو. وصارت له منزلة كبيرة في الدولة. (*تاريخ الضعيف*، 430) إلا أنه بالرغم من هذه الحظوة غدر أيت إدْراسن في معركة ظبان الشهيرة (1234 / 1818) بالسلطان مولاي سليمان، وإنحاز كبيرهم حمو واعزيز إلى أبناء جلدته. وتحالف مع الحاج محمد بن الغازي كبير زمور وسائر أيت أومالو، وتوجهوا نحو مكناس، تحت القيادة الروحية لأبي بكر أمهاوش، والزعامة العسكرية لكل من حمو واعزيز وابن الغازي الزموري، وحاصروا المدينة، واستمروا في قطع الطرق.

فعندما تولى مولاي عبد الرحمان العرش في البلاد وعزم على دخول مكناس، اتفقوا على محاربته ومنعه من دخول المدينة. وقد مكث السلطان في مراكش، ستة أشهر، يدبر الحيلة للوصول إلى تلك الجهة من البلاد. ولم يتمكن من بلوغ هدفه إلا بمساعدة القائد محمد بن يشو المالكي الغرباوي الذي رتب له القبائل من وادي سبو إلى باب مكناس، ويسر دخوله إلى المدينة. (*اختصار الابتسام*، 381) وبمجرد أن استقر في المدينة، واستقامت له الأمور فيها، نقل ملوان وآيت يمور عن بلدهم إلى الحوز، بحيلة دبرها القائد بنيشو. (*اختصارالابتسام*، 381). وبذلك وهنت عصبية أيت إدْراسن وتصدع حيهم وافترقت كلمتهم ولم تعد قبائلهم تقوم أو تقعد تحت لواء واحد.

م. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ أ. البيذق، *القبس* ؛ *أخبار المهدي*؛ م. العياشي، *الإحيا والانتعاش* ؛ أ. الزياني، *الروضة السليمانية* ؛ الضعيف، *تاريخ* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 8 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف* ؛ م. الحجوي، *اختصار الابتسام* ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ ع. كنينح، *آثار التدخل*.

J. Couvreur, *La vie Pastorale dans le Haut Atlas Central*, R.G.M., n° 13, 1968.

العربي كنينح

أدراق، أسرة سوسية الأصل، استوطنت مدينة فاس أواخر القرن العاشر أو أوائل القرن الحادي عشر، واشتهر أفرادها بالصلاح والتطبيب. وكلمة "أدرّاق" التي غلبت على نسبتهم صيغة شلحية لكلمة "دَرّاق" العربية التي تعني الترياق. أو هي ـ حسب مؤلف *الإعلام بمن غبر* ـ تصحيف لكلمة "دَرْق" ـ مخففة ـ إذ كان جدهم يصنع التروس قبل أن يشتغل بالطب. وقد يستعاض في النسبة عن الهمزة بالألف واللام فيقال "الدّرّاق" وفي فاس حتى اليوم سوق معروف بسوق الدراقين.

وربما كان أول من تصدر منهم لعلاج المرضى بفاس هو أبو عبد الله محمد أرداق آتي الترجمة الذي طال عمره إلى أواخر القرن الحادي عشر / 17 م. وتوارث آل أدرّاق هذا العلم فكان منهم عدد من الاطباء المرموقين انتقل بعضهم في عهد الدولة العلوية إلى مكناس حيث كان منهم الطبيب الخاص للمولى إسماعيل ثم لأولاده وأحفاده.

أدراق، أحمد طبيب سيدي محمد بن عبد الله، لم يذكر مترجموه اسم أبيه ونصُّوا أنه ليس من نسل عبد الوهاب أدراق طبيب المولى اسماعيل، وإنما هو من عشيرته الأقربين. وسماه الضُّعيف في *تاريخه* (ص 164) ـ خطأ ـ عبد الوهاب أدراق مع أن هذا الأخير توفي قبل بيعة سيدي محمد بن عبد الله بثلاث عشرة سنة، إلاّ أن يقصد اتصاله به أثناء فترة نيابته عن والده مولاي عبد الله بمراكش.

كان لأحمد أدراق منزلة عالية عند السلطان، يطلع إلى بلاطه صباحا ومساء لتفقد أحواله الصحية وأحوال أهل دولته، ويصحبه في الأسفار فتُحمل أمتعته الطبية على أزيد من ثلاثين بغلا. وقد عالج السلطان سيدي محمد بن عبد الله لما نزل به مرض شديد في حركته إلى تادلا وقام بتطبيبه في القصبة التي على نهر أم الربيع إلى أن عوفي فأعطاه ألفي دينار.

لم نقف على تاريخ وفاته.

م. أكنسوس، *الجيش*، ج 1 ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام* 2 : 370 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 9.

أدراق، أحمد بن محمد السوسي الفاسي الطبيب ابن الطبيب الشهير أبي عبد الله محمد ووالد الطبيب عبد الوهاب آتي الترجمة. حلاه القادري في *نشر الثاني* (3 : 156) بأنه كان "ماهرا في الطب عارفا بأنواع العلاجات، من وجوه أهل زمانه، ومن أعيان أقرانه". توفي سنة ست عشرة ومائة وألف / 1704 . 1705.

م. القادري، *نشر*، ج 3.

أدراق، عبد الوهاب بن محمد بن أحمد السوسي الفاسي، عالم أديب وطبيب ماهر، انتهت إليه رياسة الطب في زمانه "يحق أن يخضع له بقراط فمن دونه، وكذلك ابن سينا وجالينوس، مع همة ووقار، وسمت وعلو مقدار" (*نشر*، 4 : 53) قرأ على الحسن اليوسي، وعبد السلام بن الطيب القادري، وأخيه محمد العربي القادري، وأخذ التصوف عن الشيخ أحمد بن عبد الله معن، والطب عن والده أحمد وبرع فيه. اشتهر ذكره في الآفاق فقصده الناس للعلاج. وفاق أهل عصره في فروع الطب من مفرد ومركب ونبات. وكانت له حانوت أمام باب مولاي إدريس ياتيه الناس هناك. واستخلصه السلطان مولاي إسماعيل لنفسه لا يفارقه حضراً وسفراً. وكان مضربه ومنزله في الأسفار أعظم من مضرب أكابر العمال. وقد منحه السلطان مولاي إسماعيل مستفاد ميزان العطارين بفاس بظهير مؤرخ في عام 1107 / 1695. كما أنعم عليه بظهير آخر مؤرخ في 4 صفر عام 1137 / 23 أكتوبر 1724 خوّله به جزية يهود مكناس، ثم أقطعه المولى عليّ بن إسماعيل داراً بمكناس (نصوص الظهائر الثلاثة في *الإتحاف*، 5 : 401 ـ 403) وبعد مبايعة مولاي عبد الله عام 1141 / 1726 أصبح عبد الوهاب أدراق طبيبه الخاص ونال لديه الحظوة التي كانت له عند أبيه.

إلى جانب الطب كان عبد الوهاب أدراق قويّ الملكة في النثر وقرض الشعر، يساجل ويمدح وينشئ منظومات تعليمية وتاريخية وطبية. من مؤلفاته : *أرجوزة ذيّل بها أرجوزة ابن سينا* الطبية. *أرجوزة في الداء* المسمى عند العامة بذات الجنب، ذكر فيها حب الإفرنج، والعشبة وأحكامها. *أرجوزة في صالحي مكناس على غرار أرجوزة محمد المدرع الأندلسي في صالحي فاس. أرجوزة في المرض الكبير، تعليق على النزهة* لداود الانطاكي. *منظومات صوفية، منظومات في الأعشاب والفواكه*، إحداها في النعناع، *هزّ السمهري فيمن نفى عيب الجُذري*.

توفي عن ثمانين سنة في 28 صفر عام 1159 / 12 مارس 1746 ودفن في روضة سيدي محمد الطالب بالقليعة داخل باب الفتوح من عدوة فاس الأندلس.

م. القادري، *نشر*، 4 : 53، 55 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، 112 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 34 ؛ ع. *الإعلام*، 6 : 541، 543 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 400، 407 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 9.

أدراق، محمد أبو عبد الله السوسي الفاسي (الجد). كان فقيها صوفيا يحضر مجالس الشيخ الصالح أحمد بن دريهم (ت 1045 / 1636، 35) ثم صحب بعده الشيخ عبد القادر الفاسي (ت 1091 / 1680) الذي ألف له الكتابين الشهيرين *العقيدة*، *والفقهية*.

كان محمد أدراق إلى ذلك حاذقا صناع اليد، يداوي المرضى بشطارته دون دراسة لعلم الطب، خاصة الفقراء، ولا يأخذ منهم شيئا. وعالج مرة فقيرا من الصالحين "فدعا له وأمره بصناعة الطب ففتح عليه فيه، وانتفع به الخلق" (*الإعلام بمن غبر*) انقطع محمد أدراق للتطبيب فاشتهر أمره وذاع صيته، وظل على كرمه وحسن خلقه رغم تقدم سنه، فكان عامة الناس يطرقون بابه في الليل والنهار لعيادة مريض منهم، "وربما أخرجوه أكثر من عشر مرات في الليل ومع ذلك لم يسئ خلقا مع أحد".

ترجم القادري في *نشر الثاني* لشخصين سمى أولهما أبا عبد الله أدراق ضمن وفيات عام 1017، والثاني محمد أدراق في جملة المتوفين عام 1090. ولعل ذلك مجرد سهو والمترجم واحد كما جاء عند عبد الله الفاسي في *الإعلام بمن غبر* : أبو عبد الله محمد أدراق. توفي بفاس مطعونا ضحوه يوم الأربعاء سابع ذي القعدة سنة 1090 / 10 دجنبر 1679 ودفن في العصر بازاء سيدي مسعود الدراوي خارج باب الفتوح في سفح مصلى العيد.

ع. الفاسي، *الإعلام بمن غبر* ؛ م. القادري، *نشر*، 2 : 106 و 253 ؛ *التقاط الدرر*.

محمد حجي

أدركو، محمد الحاج المراكشي كان فقيها متمكنا يستظهر *مختصر خليل*، وله مشاركة في علوم اللغة وخاصة النحو. أخذ عن جماعة من علماء عصره من أبرزهم أحمد المنجور. وكان حيا سنة 999 هـ / 1590 م. ولا نعرف تاريخ وفاته.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال* 2 : 231 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5 : 180 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية* 9/4.

حسن جلاب

أدرن ← البلوط

أدْرُوتيال أبراهام، ربّي أرخ لعملية طرد اليهود من اسبانيا. كان يبلغ من العمر عشرة أعوام سنة 1492 يوم حل بفاس حيث تابع دراسته. له كتاب عنوانه : *تشلوم سفرها - قبالة*، واصَل فيه كتابة تاريخ اليهود الذي شرع فيه أبراهام بن داود، من 1180 إلى 1525. وذكر أدروتيال أبراهام في مصنفه طرد اليهود من إسبانيا ونزولهم بسلا وأصيلا والقصرالكبير والعرائش. وكذا حفاوة الاستقبال الذي لقوا لدى مولاى الشيخ بفاس ومولاي المنصور ببادس.

كان المؤلف بمدينة فاس واحداً من قادة الجالية اليهودية الملقبة بالمغوراشيم، يعني اليهود الذين طردوا من إسبانيا، وشارك في الخلاف الذي كان قائما بين هذه الجالية وبين اليهود المحليين الملقبين بالبلديين. في موضوع طقوس الذبائح.

طوليدانو، *نير حما عرب* ؛ بناعيم، *ملخ ربنان* ؛ لاريدو، *أسماء يهود المغرب*.

شمعون ليفي

أيت إدريس ← إداومحمود

ابن **إدريس**، أسر تطوانية إحداها شريفة من أولاد ابن عبد الوهاب، وأصلها من قبيلة بني عروس الجبلية ؛ وثانيتها عربية حميرية ؛ وثالثتها شريفة من قبيلة بني سعيد الغمارية.

ومن هذه الأخيرة المعلم أحمد بن إدريس الذي تعاطى حرفة الدباغة بتطوان ثم انتقل إلى مدينة الجديدة حيث أقبلت عليه الدنيا وصار ينفق أمواله على العلماء والشرفاء والمساكين إلى أن وافته المنية بالجديدة عام 1308 / 1891.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 10 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuán* 1921 (I) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (I) ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* (I) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* (1949) (I).

محمد ابن عزوز حكيم

إدريس بن إدريس بن إدريس (المثلث)، ربما كانت ولادته بعد موت أبيه، فيكون أصغر أبناء إدريس الأزهر الاثني عشر، ولذلك لم يذكر له معظم مؤرخي الدولة الإدريسية ولاية حين قسم محمد بن إدريس مناطق المغرب على إخوته بإشارة من جدته كنزة، إلا ابن الخطيب في *أعمال الاعلام* فإنه ذكر أن شالة كانت من نصيب إدريس

الثالث. وحتى هذه الرواية قد تؤيد افتراض صغر سنه لأن شالة مدينة صغيرة بالنسبة للمناطق المخصصة لسائر الإخوة، فيكون ذلك - إن صح - من باب مراعاة محمد بن إدريس جانب التسوية بين إخوته، عهد بهذه المدينة إلى أخيه عيسى صاحب سلا وأزمور وتامسنا حتى يكبر إدريس ويستطيع تقلد زمام أمورها. على أن ابن الخطيب ولو أنه جعل شالة من نصيب إدريس، فإنه ذكر كسائر المؤرخين أنها كانت مشمولة بحكم عيسى بن إدريس.

لم نقف على تاريخ وفاة إدريس الثالث.

أ. البكري، *المغرب* ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ ل. ابن الخطيب، *أعمال الاعلام* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 11 و 159-165 ؛ إ. العربي، *دولة الادارسة* ؛ المريني العياشي، *الفهرس*.

محمد حجي

ابن إدريس، إدريس بن محمد الوزير العمراوي نسبا، يلقب بابن ادريس ويرتفع نسبه إلى محمد بن ادريس بن عبد الله الكامل، فهو ادريسي علوي. أقام أسلافه بقبيلة زمور، في بني عمّر منهم، من عهد قيام مغراوة على الأدارسة واختفائهم في أغمار القبائل، لذلك يدعى أيضا الزموري. ولد بمدينة مراكش، غير أن المصادر لا تذكر تاريخ ولادته، ولاظروف تربيته ودراسته ومكان هذه الدراسة، لكن بحكم المقام العلمي والأدبي الذى كان عليه والده، وكذلك مقامه السياسي كوزير، فلا شك أن الولد إدريس نشأ تحت عناية فائقة، مما جعل المصادر تصفه بألقاب علمية وأدبية رفيعة، وكفاءة سياسة عالية، مستشهدة على ذلك بالقصائد الشعرية الكثيرة التي جمعت له في ديوان ضخم احتوى على مختلف فنون الشعر، وبالرسائل النثرية التي كتبها لأسباب رسمية أوخاصة .

بدأ حياته المهنية بنسخ الكتب، فكان له خط جميل، مما جعل الإقبال على مُنتسخاته، وقد كتب نسخا عديدة من *صحيح البخاري* وغيره وباعها ، فحصل من وراء ذلك على ثروة محترمة، كما استفاد من ذلك قيمة عملية هامة، ووسع مداركه الأدبية والشعرية، فكانت مهنة النساخة تُدر عليه المال والعلم.

ولما توفي والده الوزير محمد بن ادريس (1264 / 1848)، عينه السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام ، كاتبا بالقصر الملكي ، فانخرط بذلك في السلك المخزني بنفس الطريقة التي ترقى بها والده في هذا المنصب.وفي عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان (محمد الرابع) أصبح إدريس وزيراً للشؤون الخارجية. وفي إطار هذه المهمة، أرسله السلطان المذكور سفيراً إلى فرنسا ، فتوجه إليها بتاريخ 13 قعدة الحرام 1276 / 1860، وكان وصوله إلى باريس عشيته الأربعاء متم الشهر، وأقام بالعاصمة الفرنسية اثنين واربعين يوما، استقبله فيها الأمبراطور الفرنسي نابوليون الثالث (1852-1870) بعد حوالى أسبوع من وصوله إليها. ويظهرمن خلال العرض الذي قدمه عن مهمته أمام الأمبراطور، أن ادريس كان يتمتع بحنكة ديبلوماسية كبيرة : فقد عرف كيف يجمع في خطاب التحية للأمبراطورية بين تحديد الأسباب التي تزيد من تنمية العلاقات والمشاكل التي تهدد هذه العلاقات، بعبارة رفيعة، مما أثار إعجاب الأمبراطور به. وكان يشير بهذه المشاكل إلى (إسلي الثانية) التي وقعت بين قبائل الحدود المغربية، والجيش الفرنسي خلال شهر أكتوبر من سنة 1859. وفي نفس الوقت كان يهدف من تنمية العلاقات الحصول على الدعم الفرنسي ضد الغزو الاسباني في حرب تطوان ، وبالتالي يريد أن يؤكد للفرنسيين حسن إرادة السلطان المغربي الجديد سيدي محمد بن عبد الرحمان (1859-1873)، الذي كان الفرنسيون يتخوفون من سياسته باعتبار المواقف الصارمة التي كان يقفها معهم لما كان وليا للعهد. فظروف المغرب العسيرة بين مشاكل إسلي الثانية وحرب تطوان ووفاة السلطان المولى عبد الرحمان هي التي جعلت السلطان الجديد سيدي محمد يختار إدريس ابن إدريس لهذه السفارة، بحكم الكفاءة الديبلوماسية التي كان يتمتع بها. وإلى جانب الفوائد السياسية التي حققها في هذه السفارة حصل على فوائد علمية وجلب معه أفكاراً جديدة للبلاد، ضمنها رحلته التي دونها بعد رجوعه وسماها *تحفة الملك العزيز بمملكة باريز* والتي وصف فيها ماشاهده من : السكك، والسلاح، والسياسة، والنظام، ودور الآثار والمنتزهات، والصنائع والمخترعات الجديدة، ومظاهر التطور التي كانت تزخر بها فرنسا وهي في بداية الثورة الصناعية، والمدن التي دخلها، والعوائد والأخلاق التي رآها وصفا كاشفا.

إن تدوين هذه الرحلة يدخل بدون شك في إطار تعريف الرأي العام المغربي بظروف الحياة التي كانت تعيش عليها فرنسا كشعب أوربي حديث، والتطورات العلمية والتكنلوجية التي كانت تشهدها. وعلى المستوى الخاص حاول السفير أن يقدم إلى المثقف المخزني أربعة نماذج أساسية ربما كان يعتبرها في مقدمة الأمور التي يجب اقتباسها وهي : طبيعة الحياة السياسية النيابية التي قدم عنها ارتسامات تفيد إعجابه الشديد بها. ثم آلة التلغراف التي وصفها بإعجاب كبير أيضا باعتبارها من المخترعات الجديدة غير المعهودة في المغرب. وأكثر من ذلك كله آلة المطبعة التي أبدى شغفه الكبيربها باعتبارها : "معينة على تكثير الكتب والعلوم، وقد اتخذوها في جميع بلاد الإسلام، واغتبط بها مشاهير العلماء الأعلام، ويكفيك من شرفها وحسن موقعها، رخص الكتب التي تطبع بها، وقد اعتنوا بتصحيحها، وبالغوا في تهذيبها مع جودة الخط، وإيضاح الضبط" (*التحفة*، 54). فلما قدم مايقنع بمزاياها، طالب السلطان باقتنائها : « ... ونطلب من الله بوجود مولانا أمير المومنين أن يكمل محاسن مغربنا بمثل هذه المطبعة، ويجعل في ميزان حسناته هذه المنفعة ...»

(*التحفة*، 55). غير أن القطاع العسكري، ومظاهر تطوره في فرنسا استأثر بالحيز الأكبر في هذه الرحلة، وذلك طبيعي، لما كان المغرب يعانيه من ضعف عسكري وتهديد أجنبي، جعله يهتم بوصف هذا القطاع اهتماماً يفوق غيره، من أجل تقديم صورة كاملة للمسؤول المغربي حتى يهتدي إلى ما يجب فعله في هذا المجال، وكان طبعا مما أدى إلى التفكير في إرسال بعثات دراسية إلى أوربا. وهكذا يكون إدريس ابن إدريس، قد حقق فوائد علمية وفكرية من هذه السفارة إلى جانب الفوائد السياسية والدبلوماسية. وبسبب هذه الكفاءة التي أظهرها بعثه السلطان مرة اخرى سفيراً إلى إسبانيا، غير أننا لم نعثر على أثر سجل فيه ارتساماته عن هذه السفارة الثانية .

ولكن يبدو أن تجربته السياسية على المستوى الداخلي كما هي على المستوى الخارجي، كفاءته، أصبحت راجحة في السلك المخزني، مما جعل السلطان الحسن الأول يكلفه بمُحاولة إصلاح جهاز القضاء. وقد احتفظت المصادر برسالة في المجال بعث بها إدريس إلى القضاة في مدينة مراكش، ومنها يتبين الفساد الشديد الذي أصاب هذا الجهاز، الذي شبهه بقطاع تجاري، لتفشي الارتشاء به، وتزوير الاحكام، والظلم، وضياع الحقوق، وتسفيه المراتب المعظمة، وتجاوز القضاة لحدود سلطتهم، مبرهنا على هذاالفساد بمظاهر الغنى والترف والرفاهية التي يوجد عليها القضاة، مؤكداً القول المأثور : "من ولي القضاء ولم يفتقر فهو سارق".

وعموما كان إدريس ابن إدريس شخصية سياسية وديبلوماسية وعلمية وأدبية متميزة في عصره، فكان مثل والده، حتى في رقة الحسّ ونبل العواطف، كما يعبر عن ذلك شعره الذي يعكس أفكاره في مختلف فنون الأدب. وقد بلغ قمة مجده السياسي في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، ثم أخذ يفقد شيئا فشيئا ماكان له من نفوذ حتى نزل على عهد السلطان المولى الحسن الأول من درجة وزير إلى درجة كاتب، وتوفي على ذلك مطعونا في مدينة الرباط يوم 17 جمادى الثانية 1296 / 5 يونيو 1876، ودفن بضريح سيدي فاتح. ومن آثاره : *ديوان* في مختلف فنون الشعر. ورحلته الى فرنسا التي سماها *تحفة الملك العزيز لمملكة باريز*. وله *تقييد* في الشرفاء القادرين سجله سنة 1287 حسب المراكشي.

م. غريط، فواصل الجمان ؛ م. بوجندار، *الاغتباط* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 2 ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام* ؛ م. دنية، *مجالس الانبساط* ؛ م. الاخضر، *الحياة الادبية*.

أحمد العماري

إدريس الأزهر، لا شك أن هارون الرشيد بات مطمئنا من جهة العلويين بعد تدبير اغتيال إدريس الأول سنة 177 / 793، لاعتقاده بأن نسل الأدراسة انقطع من المغرب. ولكن إدريس ما توفي حتى ترك جارية له اسمها كنزة حاملا. وتربص راشد مولاه ومن حوله من البربر حتى يروا المولود المنتظر فإن كان ذكرا ولوّه مكان أبيه وإلا اختاروا لأنفسهم ما يليق بهم.

وحالف الحظ الأسرة العلوية، إذ وضعت كنزة ولدا ذكرا يوم الاثنين 3 رجب 177 (14 أكتوبر 793) ضمن للأسرة الإدريسية استمرارها، وهي الأسرة الكبيرة التي سيلمس وجودها في كثير من منعطفات تاريخ المغرب، قديمه وحديثه.

ويُفيض *القرطاس* في ذكر تربية إدريس وتكوينه، فيصفه بأنه كان "عارفا بالفقه والسنة والحلال والحرام وفصول الأحكام". ولا شك أن راشدا مولاه سهر على ذلك التكوين، لأن ترشيحه لمنصب الإمامة كان يقتضي معرفة مدققة بالعلوم الدينية واللغة العربية حتى يكون منافسا عن جدارة واستحقاق للخلفاء العباسيين المعاصرين. وهو ما يؤكده نفس المصدر متحدثا عن دور راشد :"وأقرأه القرآن فحفظه وله من السنين ثمانية أعوام، وعلمه السنة والفقه والنحو والحديث والشعر وأمثال العرب وحكمها وسير الملوك وسياستها وعرفه أيام الناس ودربه مع ذلك على ركوب الخيل والرمي بالسهام ومكايد الحرب" (ص 25).

وهذا التكوين جدير بأن يثير اهتمام المؤرخ للسبب الذي ذكرنا ولسبب آخر هو أن إدريس نشأ بين قوم كانوا مازالوا حديثي عهد بالإسلام وكانت بضاعتهم من العربية قليلة. فكان الحفاظ على الدين يتطلب أن يكون الإمام ذا علم وثقافة متينة. كما أن شعوره بهويته كفرد من آل البيت كان يقتضي مثل ذلك التكوين.

ولم يتول إدريس الثاني، بالطبع، مهام الإمامة أثناء هاته الفترة من طفولته، بل ظل تحت وصاية مولاه راشد الذي اغتيل سنة 188. فتولى حينئذ مهمة الوصاية أبو خالد يزيد بن إلياس العبدي. فسارع بأخذ البيعة من جميع قبائل البربر في 1 ربيع الأول سنة 188 (16 فبراير 804 م) لإدريس وهو ابن إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر. وقد اعتمدنا أشهر الروايات في ذكر هاته التواريخ لأن هنالك اختلافات بين المصادر.

والظاهر أن إدريس لم يبتدئ بمباشرة شؤون الدولة بنفسه إلا بعد سنة 190. فالمصادر لا تذكر له أي عمل بيّن قبل ذلك التاريخ الذي بدأ يعمل فيه من أجل نقل عاصمة دولته من وليلي إلى فاس. وكل ما يمكن الإشارة إليه هو أن صمود الدولة الفتية للمكايد والصدمات أكسبها سمعة في جهات متعددة من بلاد الإسلام. فاتجهت إليها الأنظار وقصدتها الوفود والمهاجرة من أفريقية والأندلس بالخصوص فيذكر القرطاس هجرة خمسمائة فارس من القيسية والأزد ومدلج وبني يحصب والصدف وغيرهم. وترتب عن تلك الهجرة نتيجتان :

1 ـ إدخال العنصر العربي للدائرة المحيطة بإدريس لأنه "كان فريدا بين البربر ليس معه عربي". حسب تعبير *القرطاس*.

2 ـ تضخم عدد السكان بمدينة وليلي الشيء الذي دفع بإدريس ومستشاريه إلى التفكير في الانتقال إلى فاس.

هل كان إدريس الثاني هو المؤسس لمدينة فاس كما تؤكد ذلك رواية *القرطاس* أم الذي بدأ بتأسيسها هو إدريس الأول كما تؤكده حجج تاريخية أخرى لا سبيل لتجاهلها ؟

الظاهر من البحث التاريخي الحديث أن إدريس الثاني إنما كان مؤسسا لمدينة ثانية تحاذي المدينة الأولى وهي عدوة القرويين التي استقر بها مهاجرة أفريقية من مدينة القيروان وهي المدينة المدعوة العالية في مجموعة من الدراهم حدث سكها بعد بيعة إدريس الثاني. وقد شرع في بناء عدوة القرويين في 1 ربيع الأول 193 (22 يناير 809 م). وعن تفاصيل هذا الموضوع التاريخي الهام من الأفضل الرجوع إلى مادة فاس في هاته المعلمة.

ولعل القالب الجديد الذي دخلت فيه الدولة الإدريسية بتوافد عدد كبير من العرب إليها وخروجها شيئا فشيئا من الروابط القبلية الأولى التي شاهدت ميلادها أحدث نوعا من الاستياء لدى قبيلة أوربة القوية. فإذا أضفنا إلى ذلك الدسائس التي كان يدبرها ابن الأغلب لإضعاف الدولة الإدريسية إن لم يكن للقضاء عليها، والتي منها إثارة التنافر بين إدريس والبربر لأسباب عرقية ، فهمنا كيف تعرضت الدولة آنذاك لبعض المشاكل التي لم يمكن حسمها إلا بالقوة. وقد ربط ابن الأغلب خيط الاتصال مع إسحاق الأوربي الذي كان من المؤسسين الأوائل للدولة، وحرضه على إدريس الثاني، متذرعا بميل هذا الأخير إلى الوافدين العرب الجدد. فأثار حفيظة إسحاق وقومه، الذين أخذوا يتآمرون عليه. فما كان من إدريس إلا أن تصدى للمتآمرين بقمعهم وقتل زعيمهم إسحاق سنة 192 هـ.

والظاهر أن إدريس لم يكن يريد استبعاد أوربة أو الاستغناء عنهم ، كما يفهم من تأويل *القرطاس* لأنه رغب من بعد في استمالتهم من جديد. وإنما كان قصده أن يحول دولته من الإطار القبلي إلى الإطار الإسلامي بالاعتماد على مساعدين لهم علم وخبرة بالنظم الاسلامية وتقاليدها. ولذلك، فإنه اتخذ من عمير بن مصعب الأزدي وزيرا له، ويذكر عنه *القرطاس* أنه ينتمي لأسرة عريقة في خدمة الدولة الإسلامية. كما عين عامر بن محمد القيسي، قاضيا "وكان رجلا صالحا ورعا فقيها سمع من مالك وسفيان الثوري وروى عنهما كثيرا" (ص 20) واتخذ من عبد الله بن مالك الخزرجي الأنصاري كاتبا له. ولا شك أن هناك أسماء أخرى غفلت عن ذكرها المصادر.

ومن المعلوم أن الأدارسة قاموا بمناوأة الخلافة العباسية. فكان لا بد لهم من أن ينظموا دولتهم على غرارها وأن يتخذوا لأنفسهم دواوين يضعون على رأسها رجالا ذوي خبرة وسمعة في المجتمع الإسلامي المعاصر. وطبيعي أن لا تروق هذه السياسة أنصار الدولة الأولين من أوربة وغيرهم وأن تحدث من جراء ذلك مصاعب وأن يحاول ابن الأغلب استغلال التناقضات التي برزت في صفوفهم. وليس من المستبعد أن يكون القيروانيون الذي غادروا أفريقية وقصدوا إدريس من العناصر المعارضة للخلافة العباسية ولولاتها الأغالبة، وهذا ما زاد في حنق إبراهيم على إدريس ودفعه إلى الكيد به.

وتجلى ذلك في خطة لا تخلو من أسلوب الجاسوسية، إذ أخذ يتصل سرا بأقرب رجل إلى إدريس بهلول بن عبد الواحد المدغري، الذي كان وزيره المخصوص بثقته و"القائم بأمره" فأخذ يوغر صدره على إدريس ويزين له الثورة عليه ويغريه بالمال ويحثه على "ترك طاعة إدريس إلى طاعة هارون". وعلى إثر مراسلات عديدة بين الرجلين، تخلى بهلول عن إدريس والتحق بالقيروان عند ابن الأغلب الذي عد الحدث انتصارا وطير به الخبر إلى الرشيد في بغداد.

حاول إدريس عبثا أن يستعيد ولاء بهلول إليه، فتضايق من دسائس ابن الأغلب وكتب إليه يستعطفه ويرجوه أن يكف عنه. والظاهر أن حاشية ابن الأغلب كانت تضم عناصر يعطفون على آل البيت وينصحون أميرهم بالاعتدال والكف عن إذاية إدريس.

وفي نفس السياق، يمكننا أن نتساءل عن مصير شخص آخر مهم وهو أبو خالد يزيد العبدي الذي رأيناه يحل محل راشد في الوصاية على عرش إدريس. والظاهر أن أيامه لم تطل في الوفاق مع هذا الأخير بعد أن تسلم مقاليد الأمور.

كل هاته المشاكل لا يصح إلقاء المسؤولية فيها كاملة على الأشخاص، بل هي ناشئة، قبل كل شيء، عن مشروع مهم وجديد، ألا وهو المحاولة الجريئة التي تصدى لها كل من إدريس الأول وإدريس الثاني ألا وهو بناء دولة كبيرة بالمغرب على النسق الإسلامي. وطبيعي أن يصطدم مشروع كهذا بنظام اجتماعي متقادم مبني على القبلية وبعادات وأعراف وعقليات مختلفة عن التصور الجديد الذي أتى به الإسلام.

ومع ذلك، فقد نجح المشروع إلى حد كبير إذا اعتبرنا أن نموذج الدولة الإسلامية بالمغرب انطلق من تلك التجربة الأولى وأن المغاربة سيستوعبون درسها جيدا بعد أن خرجوا من طور المفاجأة الأولى.

وتشير الروايات التاريخية، من جهة أخرى، إلى أن إدريس تحرك هو، أيضا، بجيشه لتوطيد نفوذ دولته بالمغرب، وتجاوز الحدود التي كان قد وصل إليها والده. فتقدم نحو الأطلس الكبير، واستولى على مدينتي نفيس وأغمات وأقام نفوذ الدولة في بلاد مصامدة الجنوب، وكان ذلك في سنة 197 / 812. ثم اتجه بعد ذلك إلى الشرق نحو نفزة وتلمسان التي دخل إليها وأنجز فيها بعض البناءات وأقام بها ثلاث سنين.

وتؤكد لنا دراسة البقايا من النقود الإدريسية الأماكن التي بلغ إليها نفوذ الدولة في عهد إدريس الثاني، وهي الأماكن التي وجدت بها دور السكة. إذ نجد عددها يبلغ ستة عشر وفيها مدن مثل أصيلا والبصرة وتدغة وتلمسان وتهليت وسبو وطنجة والعالية (فاس) ومريرة (مريرت الحالية). وورغة ووازقور (ناحية أم الربيع) وطيط ووليلي وإيكم. هذه الأسماء تدلنا ، ولونسينا، على مدى اتساع

المملكة التي كان يحكمها إدريس الثاني، وتبين لنا أن هذا الأمير كان يسير بخطى وئيدة في تنفيذ خطة أبيه الذي كان يهدف إلى تأسيس دولة كبيرة ينافس بها دولة العباسيين.

إلا أن هؤلاء كانوا واعين بخطر الأدراسة وحذرين منه أشد حذر، ولذلك، فإنهم ظلوا يحرضون الأغالبة على الكيد لهم. وهكذا مات إدريس فجأة في 10 جمادى الآخر سنة 213 (29 غشت 828) في العهد الذي كان فيه زيادة الله بن الأغلب واليا على أفريقية، وكان سن إدريس عند وفاته ستا وثلاثين سنة.

ولئن ذكر *القرطاس* أن سبب موته هو أنه شرق بحبة عنب، فإن مصادر أخرى مثل البكري وابن عذاري تذكر أنه مات مسموما. بل إن ابن الأبار يؤكد أن "زيادة الله احتال عليه حتى اغتاله" (*الحلة السيراء*).

وبموت إدريس ينتهي طموح الأدارسة إلى تأسيس دولة قوية موحدة، ويدب إليهم الانقسام والتشتت شيئا فشيئا. فتبدأ صفحة غير وضيئة في تاريخهم.

أ. البكري، *المغرب*، الجزائر 1985 ؛ ا. ابن عذاري، *البيان* ج 1، بيروت 1948 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط 1973 ؛ أ. ابن الأبار، *الحلة السيراء*، القاهرة 1963 ؛ أ. الجزنائي، *زهرة الآس*، الرباط ؛ ل. ابن الخطيب، *أعمال الأعلام*، الدار البيضاء 1964 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت 1959 ؛ النويري، *تاريخ المغرب الإسلامي*، الدرا البيضاء 1984 ؛ م. إسماعيل، *الأغالبة*، فاس 1978 ؛ إ. العربي، *دولة الأدارسة*، بيروت 1983.

E.I., 2e éd. ; D. Eustache, *Le corpus des dirhams Idrissides*, Bulletin de la Société d'histoire du Maroc n° 2, 1969.

محمد زنيبر

إدريس الأول، منذ أن تولى العباسيون الخلافة سنة 132 / 750، أصبح أبناء عمهم العلويون في نزاع شديد معهم، لأنهم اعتبروهم غاصبين للمنصب الأعلى في الدولة الاسلامية وأن الحق في توليه يرجع إليهم بالأسبقية. فصاروا يتحينون الفرصة للثورة عليهم.

كان أول من تزعم الحركة محمد بن عبد الله بن الحسن، المدعو النفس الزكية الذي ثار بالمدينة، لكن الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور قضى على ثورته سنة 145 / 762 كما قضى على الثورة الموازية لها التي قادها أخوه إبراهيم بالبصرة في نفس السنة، وكان محمد النفس الزكية فكر في تبليغ الدعوة إلى كل الأقاليم الإسلامية شرقا وغربا، آملا في كسب المزيد من الأنصار للقضية، فوجه بعض إخوته، ولعل منهم إدريس، إلى بلدان إسلامية مختلفة.

وبعد مرور أربع وعشرين سنة على هاته الثورة أي في سنة 169 / 786، قامت ثورة أخرى بقيادة الحسين بن علي بن الحسن المثلث في ناحية مكة بمكان اسمه فخ. ولم تنجح هاته الثورة بدورها حيث قضى عليها الخليفة الهادي ابن المهدي في معركة كانت شديدة وقتل فيها كثير من العلويين.

واستطاع إدريس، عم الحسين، وأخو محمد النفس الزكية. أن ينجو من القتل ويفر من المكان باحثا عن ملجأ يأوي إليه. فكم يكون سنه يومئذ ؟

لا تسعفنا المصادر بجواب واضح عن هذا السؤال. ولكن إذا صدقنا ما أشار إليه البعض منها من كونه ساعد أخاه محمد النفس الزكية، فيمكننا أن نقدر سنه بين الأربعين والخمسين عند نشوب معركة فخ.

وأما نسبه، فهو إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب من فاطمة الزهراء بنت الرسول عليه السلام. وأمه عاتكة بنت الحارث ابن خالد بن العاص بن هاشم بن المغيرة المخزومي. فهو إذن، قرشي من الأبوين، ومنزلته وجيهة في الأسرة العلوية.

كانت أنظار العلويين، وهم في حالة المراقبة والاضطهاد التي يعانون منها، تتجه بالخصوص إلى المغرب، لبعده عن مركز الخلافة العباسية ولاشتهاره برفع راية العصيان والمعارضة لتلك الخلافة. وقبل العلويين اتجهت أنظار الخوارج لنفس المنطقة. وأمكنهم أن يؤسسوا بها دولتين مشهورتين في تاهرت وسجلماسة، مما يدل على أن البلاد كانت مرشحة لتكون مركزا لثورة مضادة وربما لقيام خلافة مناهضة للخلافة العباسية.

فالتجاء إدريس إلى المغرب صحبة مولاه راشد بعد أن حصل على مساعدة والي مصر وأفلت من مراقبة الشرطة العباسية، يفسره عزمه على الأخذ بثأر العلويين، من جهة، وطموحه إلى تأسيس دولة قادرة على مناوأة الخلافة العباسية والقضاء عليها إذا ما ساعدت الظروف على ذلك، من جهة أخرى.

حينما وصل إدريس إلى المغرب توجه، أولا، إلى طنجة التي كانت تعتبر آنذاك حاضرة المغرب الكبرى. وكان لا بد له، ولا شك، من وقت للاطلاع على أحوال البلاد وسكانها وجس نبض أهلها، على المستوى السياسي. فأخذ يتصل بنفسه أو بواسطة مولاه راشد ببعض رؤساء القبائل الكبرى في المغرب لإسماع كلمته ونشر دعوته. وقد احتفظت لنا بعض المصادر بوثيقة مهمة، يرجع الفضل في نشرها إلى علال الفاسي الذي نقلها عن مخطوط يمني. وهي عبارة عن نداء وجهه إدريس إلى المغاربة. وهو نص طويل نكتفي هنا بإيراد فقرة منه :

"وقد خانت جبابرة في الآفاق شرقا وغربا، وأظهروا الفساد وامتلأت الأرض ظلما وجورا. فليس للناس ملجأ ولا لهم عند أعدائهم حسن رجاء. فعسى أن تكونوا معاشر إخواننا من البربر اليد الحاصدة للظلم والجور، وأنصار الكتاب والسنة، القائمين بحق المظلومين من ذرية النبيئين. فكونوا عند الله بمنزلة من جاهد مع المرسلين ونصر الله مع النبيئين.

واعلموا معاشر البربر أني أتيتكم، وأنا المظلوم الملهوف، الطريد الشريد الخائف الموتور الذي كثر واتره وقل ناصره، وقتل إخوته وأبوه وجده وأهلوه فأجيبوا داعي الله. فقد دعاكم إلى الله..." (*الوثائق* : المجموعة الأولى ص 43)

وأدت الدعوة والاتصالات إلى نتائج إيجابية في أمد قصير، مما يدل على ذكاء إدريس ودهاء مولاه راشد وهكذا لبت جملة من قبائل البربر الدعوة وقبلت أن تلتف حول إدريس. ولا شك أن انتماءه للأسرة النبوية كان له أثر قوي في هذا الاقبال، سيما والعلويون يومئذ كانوا يمثلون العنصر الثائر والمعارض. فالارتباط بدعوة إدريس معناه التحرر من كل تبعية للخلافة العباسية وضمان الاستقلال السياسي للمغرب.

وترتب عن هذا الموقف الجماعي لقبائل البربر أن حصل اتفاق بين إدريس بن عبد الله وزعيم أوربة القبيلة ذات الشوكة في المنطقة، إسحاق محمد بن عبد الحميد الأوربي. وتحول إدريس إلى مدينة وليلي، حيث تمت بيعته يوم الجمعة 4 رمضان سنة 172 هـ، الموافق لـ 6 فبراير 789 م. وكانت قبيلة أوربة أول من بايعه من قبائل المغرب، نظراً لمنزلتها الكبرى في المنطقة. ثم تلتها قبائل زناتة وأصناف من قبائل أخرى مثل زواغة وزواوة ولماية ومدراته وغياثة ونفزة ومكناسة وغمارة الخ.. وكان للقبائل في ذلك العصر أهمية أكبر من اليوم، نظرا لكون البادية كانت أكثر سكانا من المدن ولكون ظاهرة العصبية كانت ذات تأثير خطير، على المستوى السياسي.

ويحدد *القرطاس* شروط البيعة، إذ يقول :"بايعوه على الامارة والقيام بأمرهم وصلواتهم وغزوهم وأحكامهم" (ص 20). وكان الحدث في حد ذاته ذا أهمية قصوى في تاريخ المغرب لأنه يرمز إلى قيام الدولة المغربية المستقلة لأول مرة في حياة البلاد، بحيث كانت الدولة الإدريسية بما خلقته من تقاليد ونظم لتسيير البلاد أول صورة لدولة حقيقية في المغرب تكيف المعطيات البشرية المحلية مع تعاليم *الإسلام* وتراثه السياسي.

وما أن بويع إدريس حتى كوّن جيشا من قبائل زناتة وأوربة وصنهاجة وهوارة وقاده لفتح أقاليم مغربية أخرى وتوسيع مملكته. فاستولى على شالة، ثم على سائر بلاد تامسنا وتادلا.وعمل على نشر الاسلام بها. ثم عاد بجيشه إلى وليلي في آخر ذي الحجة من سنة 172. وتوقف مدة قصيرة بقصد إراحة الجنود.

ثم خرج في سنة 173 لمواصلة نشر الإسلام بالمعاقل والجبال والحصون المنيعة، مثل حصون فندلاوة وحصون مديونة وبهلولة وقلاع غياثة وبلاد فازاز أي الأطلس المتوسط. وتوصل إلى نتائج إيجابية عند قيامه بتبليغ الدعوة، حيث استجاب السكان لدعوته بالقبول. ثم عاد من حملته العسكرية تلك في جمادى الأخيرة سنة 173 إلى مدينة وليلي بقصد إراحة جيشه.

وفي نصف رجب من السنة ذاتها (8 دجنبر 789)، توجه إدريس بجيشه صوب الجهة الشرقية من المغرب الأقصى، فوصل إلى مدينة تلمسان وخيم قبالتها. فخرج إليه أميرها محمد بن خزر بن صولات المغراوي فطلب منه الأمان، فأمنه إدريس، فقدم له محمد بن خزر بيعته، ودخل إدريس إلى تلمسان بعد أن بايعته قبائل زناتة بتلك الجهات.

هكذا حصل إدريس على نتائج كبيرة في أقل من سنتين، بفضل جده ومثابرته وشجاعته، وأصبح يضم تحت سلطته مملكة تمتد من تامسنا غربا إلى تلمسان شرقا، مارة بتادلا والأطلس المتوسط. كل هذا أثار مخاوف الخليفة هارون الرشيد، سيما وهو يلاحظ أن إدريس في تحركاته العسكرية الأخيرة أخذ يتجه نحو الشرق وبات يشكل خطرا وشيكا على ولايتها الأمامية في المغرب : أفريقية، التي كانت يومئذ في وضع قلق وتعاني من اضطرابات مختلفة. فلم ير الرشيد بدا من التخلص من إدريس بأية وسيلة.

ولا فائدة من الدخول في تفاصيل الرواية المتداولة عن اغتيال إدريس عن طريق السم التي وقع فيها بعض الاختلاف والزيادات القصصية. والمهم في ذلك هو أن الرشيد لما رأى صعوبة توجيه جيش من العراق إلى المغرب وأدرك أنه لا يستطيع أن يعتمد كثيرا على جيشه بأفريقية، قرر اللجوء إلى أسلوب الاغتيال على يد رجل ماهر في الكذب والتلبيس والجاسوسية - كما يحدث إلى يومنا هذا في قضايا الاغتيال السياسي - وبمساعدة إبراهيم بن الأغلب الذي كان من الرجال الثقاة عند الرشيد على الصعيد المحلي وكان مرشحا لتولي منصب الولاية على أفريقية. هل الشخص المكلف بهاته المهمة كان هو الشماخ أو سليمان بن جرير ؟ سؤال يستحيل الجواب عليه. وكل ما يمكن تأكيده هو أن ذلك الشخص تمكن من اغتيال إدريس عن طريق السم سنة 177 / 793.

تلك، على وجه الاجمال، هي ترجمة إدريس الأول الذي أصبح شخصا مقدسا عند المغاربة له ضريح كبير في مدينة زرهون، يقام له فيه موسم كبير في كل سنة . هنالك قضايا تتعلق بترجمته لا بد من التعرض لها، ولو بإيجاز :

1 - اختلاف في تاريخ قدوم إدريس إلى المغرب ؛ هناك رواية تقول إن مجيء إدريس الى المغرب حدث في عهد أبي جعفر المنصور أي إثر ثورة محمد النفس الزكية في سنة 145. ولكن أغلب الروايات تقول إنه جاء بعد موقعة فخ سنة 169. وهو التاريخ المعتمد عند جل المؤرخين القدماء والمحدثين.

2 - ورد في بعض المصادر الزيدية أن إدريس قصد المغرب داعيا لأخيه يحيى بن عبد الله الذي فر إلي الديلم. فلما بلغه موت أخيه في سجن الرشيد، دعا إلى نفسه. وهي رواية يصعب البت فيها. وهي، على أي حال، لا تتنافى مع ما حدث من بعد.

3 - مذهب إدريس : الرائج عند بعض الباحثين المغاربة المعاصرين أن إدريس كان سنيا ومالكيا، وهو قولٌ لا يثبت أمام النقد التاريخي. فالسنة كانت، في عهد إدريس، موجودة كممارسة لا كمذهب. فالمذهب السني لم تكن وقعت بعد صياغته النهائية وحررت مبادئه وجمعت نصوصه كاملة. ويجب انتظار عصر الأشعري وتلامذته، ابتداءً من القرن الثالث الهجري ليظهر المذهب بقواعده

وأحكامه. كما أن دخول المذهب المالكي إلى المغرب مع إدريس بعيد الاحتمال، إذا اعتبرنا القنوات التي مر بها المذهب المالكي ليصل إلى أفريقية ثم إلى الأندلس، واعتبرنا شخصية العلماء الأولين الذين تذكر المصادر الموثوق بها أنهم كانوا أول من أدخل المذهب إلى المغرب. فهنالك أزيد من قرن بين هؤلاء وإدريس.

ولا ننس، في الأخير، أن إدريس نشأ في بيئة زيدية وأنه بسلوكه وثورته على العباسيين طبق أحد مبادئ الزيدية الذي يقول بأن الإمامة هي حق لمن قدر عليها من العلويين. وقد ثبت من مصدر معروف هو *مقاتل الطالبيين* لأبي الفرج الإصبهاني أن عبد الله بن الحسن، أبا إدريس وكذلك أخوه الحسن بن الحسن قد اعتنقا مذهب الزيدية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وعن هذه المدرسة تخرج أولاد عبد الله الذين ثاروا على العباسيين، مثل محمد النفس الزكية وإبراهيم ويحيى وإدريس وسليمان. ومن المعلوم أن المذهب الزيدي لا يختلف كثيرا عن المذهب السني ويلتقي في بعض الأفكار مع المعتزلة، الشيء الذي ربما يفسر التعاطف الذي حصل بين إدريس وإسحاق الأوربي الذي قيل عنه إنه كان معتزليا.

ومهما يكن، فلم يرد في المصادر التاريخية التي نعتمد عليها أي إشارة بأن إدريس كان سنيا أو مالكيا، وإنما هو تخمين واجتهاد من بعض الباحثين المعاصرين. والمصادر التي نعتمد عليها تتحدث عن التردد الذي وقع بين المذاهب بالمغرب والأندلس في الفترة الأولى من دخول الاسلام قبل أن يقع الاختيار النهائي على السنة والمذهب المالكي.

4 ـ تأسيس فاس : كانت الرواية المتداولة والمنقولة عن *القرطاس* هي أن إدريس الثاني هو المؤسس الأول لمدينة فاس. لكن، بعد العثور على قطع نقدية إدريسية والاطلاع على نصوص الرازي والبكري وابن سعيد وغيرهم،وبعد الدراسة المهمة التي قدمها المستشرق ليفي بروفنصال في هذا الصدد، يتضح أن المؤسس الأول لمدينة فاس كان هو إدريس بن عبد الله، أي إدريس الأول وأن إدريس الثاني أضاف إليها عدوة القرويين بعد مرو عشرين سنة على البناء الأول. وكانت المدينة الثانية تحمل اسم العالية حسب شهادة النقود.

ع. الأشعري، *مقالات الإسلاميين*، القاهرة 1969 ؛ أ. الأصبهاني، *مقاتل الطالبيين* ؛ أ. البكري، *المغرب*، الجزائر 1857 ؛ م. الشهرستاني، *الملل والنحل*، القاهرة 1961 ؛ م. ابن الأبار، *الحلة السيراء*، القاهرة 1963 ؛ أ. ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط 1972 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 4، بيروت 1958 ؛ ع. النشار، *نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام*، القاهرة 1965 ؛ *الوثائق*، المطبعة الملكية بالرباط المجموعة الأولى 1976 ؛ م. إسماعيل، *الأغالبة*، فاس 1978 ؛ إ. العربي، *دولة الأدارسة*، بيروت 1983 ؛ ر. لوتورنو، *فاس قبل الحماية*، بيروت 1986.

E. I ; E. Levi - Provençal, *La Fondation de Fès*, Paris 1939.

محمد زنيبر

إدريس الأول (سد ـ)، يقع سد إدريس الأول على واد إنّاون، على بعد 33 كلم من مقرن إناون وسبو، و35 كلم شمال فاس. ويبلغ ارتفاع الحاجز 62 مترا عند سرير الواد و72 مترا فوق أساسه وهذا الحاجز من النوع المستقيم مع دعامة تعطي مقطعه العرضي شكلا شبه مثلث بعرض يساوي 62 م في القاعدة و 2,50 متر في القمة.

أقيم هذا الحاجز بين عرفين كلسيين يختفيان عند سرير الوادي تحت توضعات نهرية يناهز سمكها 10 أمتار، وهذا ما فرض تعميق أساس الحاجز لكي يستقر على الركيزة الكلسية. ومن الخصائص الصخارية والميكانيكية لهذا الكلس أنه شديد المقاومة من حيث صلابته وقساوته، إلا أنه يطرح مشكل النفاذية خاصة على الضفة اليسرى حيث تكثر التصدعات، مما استوجب التفكير في بعض الحلول التقنية لحفظ المياه على عمق كبير يصل إلى 20 متر.

عند عالية السد يجري وادي إناون في سهل فيضي عريض نسبيا تحفه صخور معظمها من النوع الهش أي تلك التي تشكل أكبر نسبة من رحاب منطقة مقدمة الريف. وهذه الصخور الطفلية، والشستية والميكاشستية والفليشية تعتبر من الصنف الأكثر عرضة إلى التعرية بجميع أساليبها.

سعة وأبعاد بحيرة السد : وصل حجم الادخار خلال الفترة الأولى من تشغيل السد إلى 92 مليون متر مكعب ثم انتقل إلى حد أقصى يقدر بـ 1.100 مليون متر مكعب بعد إتمام الأشغال في تحويل مسار الخط الحديدي والطريق الرئيسية رقم 1 بقرب سيدي عبد الجليل إلى مستوى أعلى من المستوى الذي يوجد به والذي كان يقع تحت المنحنى الأقصى لامتلاء السد.

تبلغ مساحة بحيرة السد الإجمالية حاليا 56 كلم مربع وهو رقم يشكل 1,68 ٪ من المساحة الكلية لحوض إناون، وتمتد هذه البحيرة من الحاجز إلى أبواب قرية سيدي عبد الجليل على مساحة 24 كلم ويبلغ عرضها في بعده الأقصى 3 كلم.

أهداف السد : تم ملء بحيرة سد إدريس الأول خلال شهر يناير 1973، وقد كان يحمل اسم سد عربات إلى حدود يوم تدشينه. ويندرج هذا السد الذي قام تشييده على دراسة دقيقة ومطولة شملت كل أرجاء حوض سبو، في إطار سياسة ثلاثية الأبعاد : أولا الوقاية من الفيضانات، ثانيا الري، ثالثا توليد الطاقة.

بشأن الفيضانات، وهو الهدف الأساسي الذي من أجله أقيم السد، يعتبر واد إناون ثاني أخطر روافد سبو بعد ورغة. وفيضانات سبو وروافده تخل بالنشاط ويكفي التذكير بفيضانات 1963 للتأكد من خطورة الفيضانات حيث غمرت المياه في ظرف 5 أيام (10 إلى 14 يناير 963) 180.000 هكتار !

تبلغ مساحة حوض التدفق لنهر إناون 3322 كلم مربع ويصل التدفق فيها إلى 774 مليون متر مكعب كمتوسط،

أما الحد الأقصى فغالبا ما يتجاوز 1000 مليون متر مكعب، وهذا الرقم إن كان بعيدا عن حجم مياه الفيض لواد ورغة أو واد سبو فإن خطورته تبقى غير مستبعدة.

ومن أجل الوقاية من هذه الفيضانات تم تجهيز السد على أسس استيعاب فيض محتمل يقدر بـ 2500 متر مكعب/ ث، حيث يتوفر على عتبة علوية تمكن من تفريغ يصل صبيبه إلى 2400 متر مكعب / ث. وفي العمق أقيمت تجهيزات خاصة تمكن من تفريغ السد من الأسفل للتقليص من آفة التوحل التي تهدد السدود المغربية والتي سيأتي ذكرها.

دور السد الثاني هو توفير المياه الكافية لتنفيذ الشطر الثاني من سقي سهل الغرب. وهذا يتم بواسطة تفريغ متستمر ومنتظم يقدر صبيبه بـ 3,50 متر/ث إلى جانب المياه المستعملة في توليد الطاقة.

وهذه المياه لا يتم تصريفها بواسطة قنوات كبرى، كما هو الشأن بالنسبة لجل الأحواض المسقية المغربية، بل عن طريق التفريغ المنتظم في مجرى الواد الذي يتبع كوسيلة مثلى في بعض الحالات التي يستحسن فيها اللجوء إلى طريقة الضخ (سبو واللكوس) أو السقي المباشر (زيز).

يتم توليد الطاقة الكهربائية بسد إدريس الأول بواسطة المركز الكهربائي الذي شغل منذ سنة 1978 وينتج حاليا 47 مليون كيلوات / ساعة بواسطة مساقط مائية يبلغ ارتفاعها 53 متر تصرف صبيبا بقدر 3,40 متر/ث. ومن المنتظران يرتفع هذا الإنتاج بعد إتمام الأشغال في نفق مطماطة إلى 90 مليون كيلوات / ساعة.

مشكل توحل بحيرة السد : تتجه معظم الدراسات المتعلقة ببحيرات السدود في المغرب إلى تحديد مدى حدة مشكل التوحل. وقد قامت مديرية هندسة المياه بدراسة متتالية لقياس بحيرة سد إدريس الأول تبين من خلالها أنه في نهاية سنة 1986 بلغ المتوسط الإجمالي للتوحل 2 مليون متر مكعب في السنة من المواد الصلبة (2,7 مليون متر مكعب / سنة في سد عبد الكريم الخطابي الذي يعتبر أكثر السدود المغربية توحلا) جرفتها 774 مليون متر مكعب من المياه كمتوسط سنوي للتدفق في حوض إناون.

وتعزى هذه الظاهرة إلى خصوصية حوض تدفق واد إناون الذي يوجد بمنطقة مقدمة الريف المعروفة بارتفاع معامل قابلية صخورها للتعرية.

وتقدر التعرية النوعية في هذا الحوض بـ 1200 طن / كلم مربع / سنة (5900 طن / كلم / س في حوض النكور).

ولعل ما يخفف من حدة هذا التوحل هو التجهيزات السفلية للسد التي تمكن من تفريغ نسبي للمواد المترسبة بنسبة 10 ٪ كحمولة صلبة للمياه المفرغة، خاصة في فترة الفياضانات.

رغم ما أدخله السد على المنطقة المجاورة له من عنصر إيجابي يتمثل في تغيير معالم البيئة بسبب وجود بحيرة ضخمة ورغم أهميته الاقتصادية الكبرى على الصعيد الوطني، فإن الاستفادة المحلية منه لازالت لم تبرز بعد في استصلاح الأراضي المجاورة بواسطة الضخ أو طرق أخرى أو تعويض بساتين سيدي عبد الجليل التي غمرتها المياه جزئيا.

بحث ميداني.

محمد رحو

إدريس بن سليمان بن محمد الثالث، بن عبد الله، بن إسماعيل بن الشريف العلوي. عالم ومحدث وصوفي. لا يعرف تاريخ ولادته، ولا ظروف نشأته ودراسته. ولكن مما لاشك فيه أنه تلقى تعليما مهما، وعناية خاصة من طرف والده السلطان المولى سليمان الذي كان شديد العناية بأولاده. أخذ عن شيوخ العلم بمكناسة الزيتون مختلف الفنون، حتى تكونت له ثقافة هامة في العلوم الشرعية، واللغة، والصرف. ويظهر أن نبوغه في علم الحديث كان واضحاً على غيره من العلوم حسب إشارة ابن زيدان (*الإتحاف*، 2 : 20) وصفه بالعلامة، صاحب اليد الطولى في فنون العلم. ويظهر أن غلبة الحديث عليه، ترجع إلى تأثره بوالده السلطان سليمان الذي كان أيضاً مبرزاً في هذه المادة.

كما أخذ عن والده أيضا الورد الناصري، ودلائل *الخيرات* وما معه من الأحزاب. لذلك صنفه الزياني في *جمهرة التيجان*، (566) من أخص تلامذة والده السلطان المذكور. يظهر أن ميوله العلمية والصوفية، جعلته يعزف عن الحياة السياسية نهائيا. على خلاف بعض اخوانه (عبد الله، إبراهيم، علي ..) وهذه الميول العلمية، هي التي ميزت اخلاقه العالية ، وصفاته النبيلة، وسلوكه الفاضل، واشتغاله بالعبادة والتلاوة والذكر والتدريس.

كان يدرس العلوم بداره ويطيل دروسه، ومن عادته إحضار أواني الشاي وقت الدرس، فإذا رأى من الطلبة مللاً، أوسوء فهم، أمر خادمه بمناولتهم كؤوس الشاي، حتى تنشط أذهانهم، ويزول مللهم، ثم يعود للدرس. وقد أخذ عنه عدد من الناس، منهم : أحمد قدور بن إدريس أجانا، الفقيه العدل. والحاج محمد زغبوش.

كما كانت له صداقة حميمة مع الشيخ العربي بن السائح، إلى درجة أنه كان لا يمر يوم واحد دون لقائهما، وكانت دار المترجم مكان هذا اللقاء، للمذاكرة، ومدارسة العلم وطرق القوم وسير الصالحين.

توفي المترجم على إثر اصابته بالوباء. يوم الجمعة أوائل شعبان من سنة 1271 هـ / 1855 م ، ودفن بضريح جده المولى إسماعيل بمكناس.

أ. الزياني، جمهرة التيجان، مخطوط؛ م. بن رحمون، *الدر والعقيان فيما قيدته من جمهرة التيجان*، مخطوط ؛ ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 2 .

أحمد العماري

إدريس بن عبد الحق المريني، أكبر أبناء أبيه، وربما كان مرشحا للخلافة إذ تشير المصادر إلى مكانته بين إخوته الثمانية، وخاصة قيادته، صحبة أبيه، للمعارك التي خاضها المرينيون خلال تحركاتهم الأولى بالمغرب. وقد قتل إدريس، مع أبيه، خلال المعركة الشهيرة التي دارت بين بني مرين وعرب رياح المناصرين، آنذاك، للموحدين، وذلك «بقربة من وادي سبو وعلى أميال من تافرطاست» وذلك سنة 614 / 1218 . 1219 (*القرطاس*، 286).

ونعتقد بأن ترشيح إدريس لخلافة أبيه كان دافعا سياسيا في قيام أبنائه بتمرد ضد عمهم يعقوب بن عبد الحق، أي بعد أزيد من خمسين سنة على وفاة إدريس، كما أن هذا التمرد هو الذي جعل يعقوب يتخلص من منافسيه بإرسالهم إلى الأندلس على رأس فرقة عسكرية عرفت باسم الغزاة.

قاد أبناء إدريس بن عبد الحق، بمعية بعض أبناء عمهم عبد الله، تمرداً ضد يعقوب بن عبد الحق امتدت وقائعه بين سنة 660 / 1261 . 1262 وسنة 670 / 1271 . 1272. فخلال هذه الفترة قام أبناء إدريس، وعلى رأسهم محمد وعامر بمناوءة حكم عمهم متخذين من منطقة الريف مركزا لتمرُّدهم، ويبدو أن حركة هؤلاء الاقرباء هي إحدى تجليات مشكلة توارث الحكم داخل الأسرة المرينية التي لم تستطع قاعدة إسناد ولاية العهد للا بن البكر أن تحسم فيه. (A. Khaneboubi, *Les premiers Sultans*, 95).

وقد أبرزت المصادر علاقة تمرد أبناء إدريس بمشكلة توارث الحكم وموقع إدريس بن عبد الحق داخل هذه العلاقة سيما وأن "احتجاج" هؤلاء الأقرباء تفجر لدى تولي يعقوب للحكم وظهور مؤشرات تنم على محاولات قام بها السلطان قصد إسناد ولاية العهد لأحد أبنائه بعد ماتداول على رآية بني مرين أربعة من بني عبد الحق. وقد أشار ابن خلدون إلى أن السلطان: «أهمه شأن أخيه إدريس بما كان فيهم من الترشيح والمنافسة لبنيه (*العبر*، 7 : 762) ويوضح الناصري هذه المنافسة بقوله : "رأوا الرأي (أبناء إدريس) أنهم أحق (بالملك) من يعقوب لان أباهم هو الاكبر من ولد عبد الحق" (*الاستقصا*، 3 : 23) هكذا قام أبناء إدريس بثلاثة تمردات ضد عمهم. ففي سنة 660 / 1261 . 1262 اجتمع بنو إدريس على كبيرهم محمد واعتصموا بجبال غمارة فنهض إليهم السلطان يعقوب. (*الذخيرة*، 98 ؛ *العبر*، 7 : 762) وحاول يعقوب بن عبد الحق التخلص من هؤلاء المنافسين عن طريق ترحيلهم إلى الأندلس، لكن هذه المحاولة فشلت في بدايتها إذ ما لبث الأقرباء أن قادوا تمرداً جديداً بقصر كتامة سنة 663 / 1264 . 1265 واضطرالسلطان إلى استرضاء أبناء أخيه (*الذخيرة*، 109 ؛ *العبر*، 7 : 763). أما الانتقاض الثالث فقد جاء على إثر أخذ يعقوب البيعة لابنه عبد الواحد، وكان التمرد أكثر قوة من سابقيه، حيث لجأ الثوار إلى جبل أمرگو بمنطقة الريف، واضطر السلطان إلى إرسال ثلاث حملات قاد الأولى الأمير يوسف وقاد الثانية ولي العهد عبد الواحد. ثم اضطر يعقوب بن عبد الحق إلى الزحف بجيوشه إلى معقل الثوار، حيث حاصرهم لمدة يومين استسلم بعدها المتمردون الأقارب وأمِّنوا واشترط عليهم السلطان الارتحال إلى تلمسان ومنها إلى الأندلس، وذلك بعدما اضطرته الثورة إلى مهادنة بني زيان.

ع .ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ *الذخيرة* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 7 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 3.

M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris 1986 ; A. Khaneboubi, *Les premiers Sultans Mérinides*, 1269-1331, Paris, 1987.

عمر بنميرة

إدريس بن عبد الرحمان بن سليمان العلوي الحسني. أصله من تافيلالت، ولعله أحد حفدة السلطان المولى سليمان، الذي كان مستقراً بتافيلالت قبل أن يتولى الملك.

لانعرف شيئاً عن نشأة إدريس بن عبد الرحمان، يبدأ أن تلك النشأة لن تشذ عن المتعارف عليه بالنسبة لأمثاله، الذين كانوا يوجهون لحفظ القرآن الكريم، والاهتمام بالعلوم العربية والفقهية. وفي الفترة التي سيتكلف فيها إدريس بالنيابة عن السلطان مولاي عبد العزيز (1905 . 1907). كان الفيلاليون في جهاد ضد الفرنسيين المتوسعين في الحدود الجنوبية الشرقية المغرب .

كان سن هذا الشريف يُقارب الستين حين قُدر له أن يلعب أدوارا خطيرة بجانب المخزن تحت قيادة السلطان مولاي عبد العزيز، ومن المعروف أن هذا الأخير أصبح يواجه منذ 1904 ضغطا فرنسيا متصاعدا، يهدف إلى فرض قبول الهيمنة الفرنسية على المغرب. وليس بخاف أن تلك الضغوط لم تكن ديلوماسية واقتصادية فحسب، بل كانت عسكرية أيضاً، تعمل السلطات الاستعمارية الفرنسية بجد على التوسع شمالاً انطلاقاً من السنغال، وغربا انطلاقا من الجزائر، لتضم إليها شيئا فشيئا طرفا من المملكة المغربية. وقد عرفت سنة 1905 تصاعداً في الواجهة بين الفرنسيين والمغاربة. ففي الوقت الذي كان السفير الفرنسي بالمغرب يحاول دفع المخزن إلى قبول نوع من الحماية المبكرة، كانت القوات الفرنسية المنطلقة من السنغال قد شرعت في احتلال بعض النقط في أدرار وتگانت.

ورداً على هذا التوسع، حملت القبائل الصحراوية لواء الجهاد ضد الفرنسيين. وبتنسيق مع الشيخ ماء العينين، بعثت تلك القبائل وفداً إلى السلطان بفاس، تطلب منه التدخل لكف الفرنسيين عن محاولاتهم أو إرسال من يقود المجاهدين لطرد الغزاة.

وقد وقع اختيار السلطان على إدريس بن عبد الرحمان، لكون بيئة تافيلالت شبيهة بالبيئة التي عين فيها، ولكونه يمتاز بصفات تؤهله لمهمته: بنية قوية، وقامة أطول من المعتاد، وعمر يناهز الستين سنة، ولحية بيضاء تضفي على صاحبها الوقار والاحترام .

وكخليفة للسلطان، عُين معه مساعدان، أحدهما هو

الفقيه المدني بمثابة وزير، والآخر الفقيه الغرفي بصفته كاتبا. كما خصص له السلطان حرسا مكونا من اثني عشر جنديا.

ركب إدريس والوفد المرافق له، سفينة ألمانية أقتله من العرائش إلى الصويرة، وركب سفينة أخرى حملته إلى طرفاية ومنها انتقل إلى اسمارة. وفيها التقى بوفود القبائل الصحراوية : قبائل الحوض وأدرار وتگانت ووادي الذهب والساقية الحمراء.

كان أول عمل قام به إدريس بن عبد الرحمان هو تسليم ظهائر التولية لحوالي 14 قائداً على القبائل، ثم شرع بتنسيق مع الشيخ ماء العينين في توزيع الأسلحة التي أرسلها المخزن للمجاهدين، وفي تنظيم القبائل للجهاد. وقد واجهته بعض الصعوبات في البداية، لكنه تمكن من التنسيق بين القبائل ونظّم قوة قوامها 500 محارب تولى هو قيادتها، كانت تضم عناصر مجاهدة من أولاد بوسبع وإداوْبعش والمشنطوف. وكان حسانة ابن الشيخ ماء العينين يساعده مع اثني عشر رجلا من أتباع الشيخ .

لقد تميز نشاط إدريس في الأقاليم الصحراوية بالفعالية والتأثير، إذ سرعان ما انتشرت حميّة الجهاد في سائر القبائل، وقد أثارت أعماله ردود فعل شديدة من طرف الفرنسيين، وخاصة بعد الهزائم التي تكبدتها قواتهم في إقليم تگانت.

فلما احتل الفرنسيون مركز تيجكجة، عسكر إدريس قريبا منهم في عين كشلة، وفصل المركز المذكور عن المناطق المحتلة في الجنوب، ثم أنذر قائد المركز الفرنسي بإخلائه والانسحاب فوراً من تگانت. لكن قرار القائد الفرنسي كان هو الهجوم علي قوات المجاهدين. فجرت معركة نيملان يوم 6 نوفمبر 1906. وهي معركة شديدة أسفرت عن هزيمة القوات الفرنسية واستيلاء المجاهدين على أسلحتها ودوابها.وإثر هذه المعركة تدخل الفرنسيون بقوة لدى المخزن وحمّلوه مسؤولية ما يجري بالأقاليم الصحراوية وطلبوا منه سحب ممثله من هناك، لكن المخزن استطاع أن يدافع الفرنسيون ويحملهم على التفاوض.

بيد أن احتلال وجدة في مارس 1907، وضع في يد الفرنسيين أداة ضغط قوية ضد المخزن، إذ كان من جملة الشروط التي اشترطوها للخروج من المدينة وإيقاف ضغطهم العسكري هواستدعاء خليفة السلطان إدريس بن عبد الرحمان، ومنع إرسال الأسلحة للقبائل الصحراوية والشيخ ماء العينين. وبعد محاولات تمنّع اضطُر السلطان للخضوع لشروطهم لتحرير مدينة وجدة. وبالفعل وجهت رسالة سلطانية مؤرخة بـ 8 ربيع النبوي 1325 / 21 أبريل 1907، إلى إدريس بن عبد الرحمان، تأمره بالعودة حالا ألى العاصمة فاس.

هكذا انتهت هذه المهمة التي قام بها المترجم خير قيام. ولا شك في أنها لم تكن المهمة الوحيدة داخل المخزن، إلا أننا لا نعلم هل كُلف إدريس بمهام أخرى أم لا، كما أننا لا نعلم المصير الذي انتهى إليه. فقد سقط المخزن العزيزي في سنة 1908. وعوضه مخزن مولاي عبد الحفيظ الذي اعلن الجهاد ضد الفرنسيين، فانضم إليه وفد من الفيلاليين بقيادة محمد ولد مولاي رشيد.

كناش مكاتب الطابع الشريف، مخطوط الخزانة العامة بالرباط ؛

م. الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*.

Documents diplomatiques français, Affaires du Maroc, 1905-1908.

علال الخديمي

ابن **إدريس، عبد العزيز** الزموري القبيل العمراوي الحسني النسب. ولد بفاس عام 1325 / 1907 . 1908. وهو من آل ابن إدريس الاديب الكبير، الوزير السفير. كان والده عبد الرحمان عالما عدلا موقتا بجامع الأندلس. وعنه أخذ المترجم علم التوقيت والفلك أولاً، ثم لازم دروس إمام التوقيت والتعديل بفاس الشيخ محمد العلمي فتخرج على يده رياضيا فلكيا، وحصل على عالمية القرويين سنة 1930 في خضم أحداث الظهير البربري الذي شارك مشاركة فعالة في مظاهرات استنكاره، فكان من أول سجناء الوطنيين على يد الجلاد ابن البغدادي باشا فاس.

تميزت حياة عبد العزيز بن إدريس بشيئين، عقيدته السلفية التي أخذها أساسا عن الشيخ محمد بن العربي العلوي وجعلت منه أحد دعاة الإصلاح المحاربين للشعوذة والخرافات والضلالات ؛ وكفاحه الوطني الذي استمر منذ قيام كتلة العمل الوطني، إلى الحزب الوطني بعد انشقاق الكتلة، ثم التوقيع على عريضة المطالبة بالاستقلال سنة 1944 والعمل في صفوف حزب الاستقلال كأحد قادته المناضلين البارزين. وامتاز بابتكار طرق للاتصال بالوطنيين المقيمين في المناطق المعزولة أيام الاستعمار، خاصة في الأطلس فكان يذهب إلى أسواقها متنكراً في غمار البهلوانيين ليقص العنترية وما أشبهها من القصص الشعبية في "حلاقي" تمكّنه في النهاية من الاتصال بمن يرغب في لقياهم. وفي هذه المسيرة الطويلة عرف السجون والمنافي والتعذيب والتنكيل على يد المستعمر.

لم تترك مشاغل الكفاح السياسي لعبد العزيز بن إرديس وقتا للاشتغال بالمسائل الثقافية، اللّهم إلا ما كان من إدارته لمؤسسة تعليمية حرة بفاس، مدرسة سيدي بناني داخل المدينة، وتطوعه بإلقاء دروس في الرياضيات بالمدارس الحرة التي لا أساتذة لهذه المادة بها، وعمله في

تحقيق أجزاء من كتاب *العبر* لابن خلدون بالمشاركة مع شكيب أرسلان وعلال الفاسي. وقد طبع منها جزآن بمطبعة النهضة في القاهرة عام 1355 . 1936 بعناية الناشر محمد المهدي الحبابي. وله *كتاب في السيرة النبوية* بالأمازيغية (بست لهجات منها) ألفه خلال السنتين اللتين قضاهما بسجن أغبالونكردوس حيث كان يقوم في نفس الوقت بتدريسه للسجناء الوطنيين الأمازيغ ؛ *محاضرات* كان يلقيها بالاذاعة المغربية بعد الاستقلال جُمعت بعد وفاته وطبعت بمطبعة الرسالة بالرباط.

وبعد انشقاق حزب الاستقلال في 25 يناير 1959 انحاز إلى جانب علال الفاسي،مبدياً حماسا كبيراً في مناوأة المنشقين. فكان لذلك كثير الحركة من أجل الاتصال بفروع الحزب في مختلف الجهات. وفي إحدى تنقلاته إلى الجنوب توجه إلى تحنّاوت بضاحية مراكش لترأس تجمع حزبي كان من المقرر أن يعقد يوم الجمعة 15 شوال 1378 / 25 أبريل 1959، لكن أفراداً من خصومه السياسيين اعترضوا سبيله وقتلوه هناك بعد أن شدخوا رأسه بالحجارة ـ رحمه الله ـ ونقل جثمانه إلى فاس حيث دفن في مقابر آل ابن إدريس بالقباب خارج باب الفتوح.

مذكرات شخصية ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط.

محمد ابراهيم الكتاني

إدريس عَلُوما (أو أَلُوما)، سلطان مملكة برنو الواقعة غربيّ بحيرة تشاد. كانت هذه المملكة حتى أواخر القرن الثامن / 14 م. خاضعة لجارتها مملكة كانم، ثم استقلت عنها بعد معارك طاحنة طويلة. ولم تلبث برنو أن بسطت نفوذها على معظم مناطق السودان الأوسط، وأصبحت كانم أحد الأقاليم التابعة لها.

ينتسب مايات برنو (الماي = الملك) إلى عرب حمير اليمنيين وملكهم الشهير سيف بن ذي يزن، ومن ثم عرفوا بالسيفيين. وإدريس ألوما هو الماي الثاني والخمسون من السيفيين، ينسب إلى بحيرة أَلُو بمنطقة أوجي، كما ينسب إلى أمه ـ على عادة السودانيين ـ فيدعى إدريس بن عائشة، ويلقب بالحاج إدريس لأنه أدى هذه الفريضة في السنة التاسعة من حكمه. مات أبوه الماي علي وهو ما يزال صغيرا، فاستولى على الحكم عبد الله بن دونامة إلى أن مات حوالي عام 971 / 1563 فحكمت البلاد الماجيرا (الملكة الأم) عائشة حتى عام 978 / 1570 وكانت تتسم بالحزم وحسن التدبير، فبثّت في إدريس روح الشجاعة والعدل والعمران.

باشر إدريس ألوما حكم برنو ثلاثاً وثلاثين سنة (979. 1012 / 1571 . 1603) تعدّ أزهى عصور هذه المملكة سعة رقعة وانتشار أمن ورخاء، وظل طوال هذه الفترة يمهد البلاد ويقوم بحملات عسكرية في مختلف الواجهات، ضد المنتزين من الكانمين في الشرق، والطوارق والكاوارين في الشمال، والقبائل العربية وقبائل الصو في الجنوب، ويجاهد في نفس الوقت الوثنيين في جزر بحيرة تشاد. هذه التحركات العسكرية الضرورية لضبط أطراف إمبراطورية واسعة أصبحت تماسّ في تخومها الغربية والشمالية الشرقية مناطق نفوذ السعديين والأترك العثمانيين، دفعت بإدريس ألوما إلى اتخاذ موقف التودد تجاه جاريه القويين ملك مراكش وخليفة اصطنبول، فكان يبعث إليهما بالسفارات والهدايا مؤكدا رغبته في حسن الجوار وتيسير سبل التجار وغيرهم من المتنقلين بين هذه الأقطار الإسلامية المتجاورة، وطالبا في نفس الوقت العون بالأسلحة النارية لجهاد الوثنيين السود.

وإذا كنا لم نطلع ـ لحد الآن ـ على نصوص الرسائل التي بعث بها إدريس ألوما إلى كل من مراد الثالث وأحمد المنصور، فإننا نستشف من أجوبتها المحفوظة بأرشيف استانبول، و*بمناهل الصفا* للفشتالي أن موقف سلطان برنو لم يكن موحدا تجاه الأتراك والسعديين. فهو إذ يطلب من الخليفة العثماني أن يتنازل له عن بعض القلاع في حدوده الشمالية مع مصر، يعرض خدمته وتبعيته للشريف السعدي شفويا بلسان سفيره وكتابيا (*مناهل الصفا*، 67. 68). وهكذا نجد في رسالة مطولة غير مؤرخة للخليفة العثماني يرفض بلباقة طلب تسليم القلعة بعد أن حلّى في الديباجة إدريس ألوما بصفات تشريفية منسوبة على طريقة الأعاجم:

«هذا كتابنا الشريف السامي السلطاني، وخطابنا المنيف العالي الخاقاني ... أرسلناه إلى جناب الكريم الأميري الكبيري الأكرمي الأفخمي الأمجدي الأرشدي الأكملي الأولوي الإمامي الهمامي نصير الغزاة والمجاهدين، ظهير الملوك والسلاطين، المختص بمزيد عناية الملك المعين، ملك إدريس الوالي يومئذ بولاية بورنو، أدام الله سعده، وأنجح قصده. يهدي سلاما جميلا، وثناء جزيلا، وينهي أنه قد وصل كتابكم الشريف إلى سدتنا السنية... ولا يخفى عليكم أنه ليس من قواعد آبائنا العظام، وديان أجدادنا الكرام، أن يعطوا قلعة من القلاع التي كانت في أيديهم...»

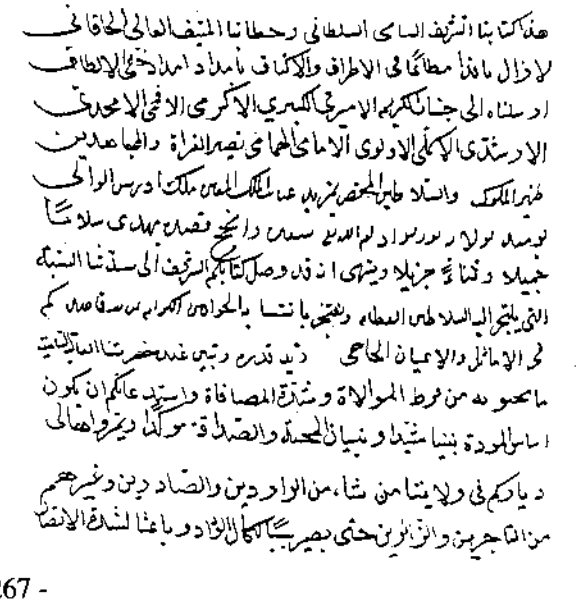

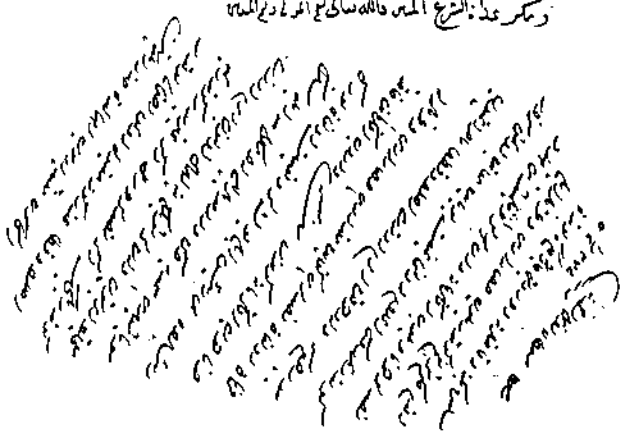

رسالة موجهة من الخليفة العثماني إلى إدريس ألوما.

(أرشيف رآسة الوزراء - اسطنبول، دفتر المهمة رقم 30)

وربما كان اختلاف موقف إدريس ألوما راجعا إلى الأسباب التالية :

أولا : اقتناعة بوجهة نظر الشرفاء السعديين الذين ظلوا - منذ عهد محمد المهدي الشيخ - يَدَّعون لأنفسهم أحقية الخلافة لنسبهم الشريف وينكرون خلافة العثمانيين الأعاجم الأغراز.

والثاني : أن جيوش الشرفاء أضحت على أبواب مملكة برنو بعد أن احتلت بلاد تيگورارين وتوات، متوغلة في الصحراء متأهبة لامتلاك ماوراءها من بلاد السودان. ولم يكن الخلاف بين أحمد المنصور والأسكيا إسحاق الثاني بسر. بينما لم يكن لإدريس اتصال بالإمبراطورية العثمانية إلا من جهة الحدود المصرية - الليبية، ولم يكن الحاكم التركي في القاهرة يتحرك نحوها إطلاقا، ولا يهتم - كنظرائه دايات طرابلس وتونس والجزائر - إلا بسيف البحر في الشمال.

والثالث : العداء القائم منذ زمان بين إمبراطوريتي مالي وسنغاي اللتين كانت كل منهما تطمع في توسيع منطقة نفوذها على حساب الأخرى، فكان المنصور عدو الأسكيين حكام سنغاي حليفاً طبيعيا لملك برنو.

وصل سفير إدريس ألوما إلى المنصور، لأول مرة، أواخر عام 990 / 1582. وهو يومئذ في معسكره برأس الماء من ضاحية فاس، حاملا رسالة يطلب فيها مددا حربيا يستعين به على جهاد الذين يلونه من الكفار، فاعتذر المنصور بأنه بصدد تهييء حملة الصحراء. ثم رجع السفير مرة أخرى إلى مراكش وأعرب إذ ذاك عن قصده ومراده، فطالبهم المنصور ببايعته والدخول في طاعته، وعلّق الإمداد على الوفاء بشرط قيامهم بأمر دعوته وجهاد الكفار باسمه، فالتزم السفير ذلك وزعم أنه يلتزم أيضا عن سلطانه بالقبول، وطلب أن تحرر له البيعة "مخافة الإخلال ببعض شروطها" فكتبت له واستصحبها معه". وقد احتفظ عبد العزيز الفشتالي بنص البيعة التي هي من إنشائه في *مناهل الصفا* (ص. 69-73)، وهي تتضمن التزام البرنويين وسلطانهم إدريس ببيعة الإمام الشريف السعدي أحمد المنصور. ومما جاء فيها : "... فانتدب لهذه الآثار، وصحيح الأخبار، وصرف إلى رضى الله العناية، ووقف مع الشرائع المشروعة حيث مركز الراية ومنتهى الغاية، الرئيس أبو العلاء إدريس - أكرمه الله - انتداب من وقفت به مطية التوفيق، على حضرة الإخلاص والتصديق... إلى تقلد بيعة إمام الجماعة مولانا أمير المومنين المنصور بالله - زاده الله قدسا وتشريفا - التي تتأسس إن شاء الله على تقوى من الله ورضوان، وتشهد عقدها الكريم ملائكة الرحمان. وآثر - أسعده الله - أن يؤدي فرضها المعدود من فروض الأعيان، وحكمها الذي توجه به خطاب الشرع العام إلى القاصي والدان، وينشر سنتها المشروعة في صقعه وما يليه من البقاع والأصقاع بالسودان..." (مناهل، ص. 71).

وعاد سفير برنو مرة ثالثة إلى المغرب يحمل بيعة مخدومة موقعة من طرفه، لكنه اعتل عندما وصل إلى تيگورارين ومات بها، فأشخص حكام المنطقة رفقاءه في السفارة مع ما يحملون من البيعة والهدايا إلى مراكش فقدموها للمنصور أواخر عام 991 / 1583.

ثم لا تتحدث المصادر عما آلت إليه العلاقات بين المغرب وبرنو إلا أن ثمت قرائن عدة تنبئ عن استمرار حسن الصلات بينهما. فأحمد المنصور تمكن من تحقيق غرضه بالاستيلاء على مملكة سنغاي التي طلما نافسته في ممالح الصحراء وكانت - في اعتقاده - مصدر ذهب السودان. تمكن من ذلك وهو آمن من أي تدخل ضده سواء من طرف رؤساء إمارات المنطقة الغربية الذين انقادوا له وسالموه أو من مملكة برونو الشرقية التي بايعته. وكأن المنصور لم يكن يهمه إلا ذلك من هؤلاء وأولئك. أما إدريس ألوما فإنه نشط خلال السنوات العشرين الأخيرة من حكمه في حركاته العسكرية مما يدل على أنه تلقى من العاهل المغربي ما

طلب من مدد، خاصة المدافع والأسلحة النارية التي كانت تصنع بمراكش أو تحمل من أوربا إلى الموانئ المغربية. فقام بحملات مظفرة في التخوم الغربية للأمبراطورية ضد سراكنة الحَوْضَا واستولى على كثير من بلادهم الواقعة في شرق نيجريا الحالية. كما تمكن من مهاجمة إقليم دارفور من بلاد النوبة المسيحية، وخرّب ما به من كنائس وحمله كرها على الإسلام.

ومن غريب الاتفاق أن إدريس ألوما توفي في نفس السنة التي مات فيها أحمد المنصور، 1012 / 1603. اغتاله نبّال وثني في إحدى حركاته الجهادية، ودُفن وسط بحيرة "ألُو" بمنطقة أُوجي قرب تَمدگُري.

ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*، طبعة وزارة الأوقاف د.ت. ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 5 ؛ إ. طرخان، *الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي*، أم درمان، د. ت. ؛ *إمبراطورية برنو الإسلامية*، القاهرة، 1975 (الفصل السادس) ؛ م. الغربي، *بداية الحكم المغربي في السودان الغربي*، الكويت 1982 ؛ موريطانيا *ومشاغل المغرب الإفريقية*، الرباط 1964 ؛ أحمد فَرْتُوا، *تاريخ مملكة برنو في عهد الماي إدريس ألوما*، بواسطة الترجمة الإنجليزية لبالمر (Sir Richmond) Palmer لاگوس، 1929 ؛ *وثائق أرشيف رآسة الوزراء*. استانبول، دفتر المهمة رقم 30، حكم 494. 496.

محمد حجي

إدريس المامون، تاسع الخلفاء الموحدين، تولى الخلافة ما بين 626 / 1129 وسنة 629 / 1232. اسمه الكامل : إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بن علي الگومي. ولد بمالقة سنة 581 / 1184 من أم أندلسية الأصل تدعى صفية بيت الأمير محمد بن سعد بن مردنيش، وتلقى تربيته الأولي هناك. ذكره ابن الخطيب في (*الإحاطة*، 1 ـ 440) معجبا بعلمه وثقافته وذكائه وفطنته ونبله وهو لم يزل يافعا حسب قوله، وتُجمع المصادر التاريخية على أن المامون كان فقيها حافظا للحديث، عارفا بالقراءات متضلعا في علم العربية وآدابها ؛ وباختصار كان عالما بأمور الدين والدنيا. أما علمه بأمور الدين والاداب فقد برهن عليه في عدة مناسبات، منها على سبيل المثال، توجيه الرسائل إلى ولايات الإمبراطورية وعمالاتها يحض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومنها عقده للمناظرات الفقهية والمجالس العلمية أثناء ولايته في الأندلس، وحفظه لأشعار العرب وتأليفه لقصائد شعرية أوردت المصادر نماذج منها.

لكن علمه بأمور الدنيا قد جانبت فيه المصادر الصواب: إذ تولى المامون عدة مناصب سياسية في الأندلس كان موفقا فيها لما كان واليا على قرطبة أثناء بيعة أخيه العادل في مرسية سنة 621 / 1224، وحينما انتقل العادل من الأندلس إلى مراكش في السنة الموالية نقل المامون إلى ولاية إشبيلية، وفيها حاصره أحد المتمردين على الموحدين المعروف بعبد الله البياسي، مستعينا في حصاره بجيش النصارى القشتاليين الذين اشترطوا عليه أن يتنازل لهم عن مدينة بياسة وقيجاطة من مدن شمال شرق الأندلس.

أظهر المامون كفاءة عالية ومقدرة حربية حينما تمكن من فك الحصار عن إشبيلية والانتصار على البياسي في 25 صفر 623 / 1226. وفي هذه السنة ثار سكان قرطبة على البياسي الذي كان قد استولى عليها فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى المامون في إشبيلية عربونا عن ولائهم على البيعة الموحدية، فأرسله المامون بدوره إلى الخليفة العادل في مراكش لإظهار نفس المعنى. فكافأه هذا بتعيينه واليا على قرطبة. وهكذا جمع المامون بين ولاية الحاضرتين (إشبيلية وقرطبة)، واستمر في هذا المنصب إلى أن تمرد ضد أخيه فخلع بيعته علناً ودعا بالخلافة لنفسه. وانفرد ابن الخطيب بذكر تولي المامون على مدينة مالقة ناقلا ذلك عن ابن عسكر المالقي إذ قال : "دخل مالقة من قبل أخيه... وهو شاب حدث" (الإحاطة، 1 : 410)، ونسب إليه بناء رياض السيد على الوادي بمالقة وأضاف أنه كان عظيم الولاية إلى أن نقل منها إلى قرطبة".

يمكن القول إنه خلال فترة تقلبه في المناصب السياسية هذه كان عالما بأمور دنياه. أما في الفترة التي تلتها وهي فترة توليه الخلافة فقد ظهر منه عكس ذلك.

تمرد على أخيه العادل وهو على رأس ولايتي قرطبة وإشبيلية، وكان ذلك بإيعاز من أخيه أبي زيد أمير بلنسية، فتمت له البيعة بإشبيلية أوائل شوال سنة 624 / شتنبر 1227. وبايعته كذلك طنجة وسبتة، ثم بايعه الموحدون بمراكش، وبعدما أرسلوا نص البيعة مع البريد، ندموا على ذلك لتخوفهم من صرامة المامون واحتمال انتقامه منهم بسبب قتلهم لعمه عبد الواحد الذي بايعوه من قبل ثم قتلوه سنة 621 / 1224 وقاموا بنفس العمل مع أخيه العادل 621 / 1224 ـ 624 / 1227. ثم بايعوا ابن أخيه يحيي ابن الناصر.

لما وصلت بيعة الموحدين بمراكش إلى المامون وهو بإشبيلية سر بها وأخذ يستعد للعودة إلى المغرب قاطعا بذلك متابعة الحرب ضد الثائر ابن هود، فوصل إلي الجزيرة الخضراء لكنه فوجئ بوصول خبر نكث الموحدين بمراكش لبيعته وتحولهم نحو ابن أخيه يحيى، فسقط في يده والتجأ إلى حل أثار نقمة الموحدين وغير الموحدين عليه. ذلك أنه استنجد بالنصارى القشتاليين فقبل ملكهم مساعدته عسكريا مقابل شروط قاسية، منها أن يسلمه المامون عشرة حصون في الأندلس يختارها هو بنفسه، وأن يبني بمراكش عند دخولها بالكنيسة القشتالية كنيسة يمارس فيها أولئك النصارى شعائرهم الدينية، ومن الشروط كذلك أن لا يقبل الخليفة إسلام أي جندي من المسيحيين، فقبل المامون ذلك كله. أما الأوضاع في مراكش فكانت غير مستقرة لأن أشياخ الموحدين حاولوا أن يلحقوا يحيى بعبد الواحد والعادل، ففر إلى تينمل في جمادى الآخرة 626 / 1229. عندئذ تراجع الأشياخ عن بيعته وعادوا لمبايعة المامون لما

تبين لهم عزمه واستعانته بالنصارى فكتبوا يخبرونه بذلك، كما بايعه أمير قبيلة الخلط هلال بن حميدان، لكن يحيى عاد إلى مراكش بعد أربعة أشهر ليقتل العامل الذي نصبه أشياخ الموحدين باسم المامون بها، ثم خرج في استعداد عسكري كبير إلى ظاهر مراكش ينتظر قدوم خصمه المامون الذي كان قد اجتاز المضيق إلى سبتة ومعه جنود النصارى في ذي القعدة 626 / 1229 فكان أول خليفة موحدي استعان بالنصارى وأدخلهم إلى المغرب. ومن سبتة انتقل إلى مراكش فاشتبك مع جيش منافسه يحيى الذي انهزم أمامه وفر إلى الجبل ودخل المامون مدينة مراكش ظافرا لكن بسلاح النصارى الذي لعب دورا بارزا في المعركة ضد يحيى.

ترتب عن خروج المامون الغير المنظم من الأندلس، فراغ سياسي استغله خصوم الموحدين هناك وعلى رأسهم الثائر ابن هود الذي أصبح سيد الأندلس في مدة وجيزة، إذ تتابعت مختلف جهات الأندلس في الدخول تحت نفوذه وقامت ثورة عارمة ضد الوجود الموحدي في الأندلس أدت إلى انفصالها عن الإمبراطورية. لما دخل المامون مدينة مراكش بويع فيها بيعة أخرى. وبعد استراحة قصيرة، جمع بعض أشياخ الموحدين، لأن الكثيرين منهم كانوا قد فروا مع يحيى خوفا من بطش المامون، وعقد لهم شبه محاكمة أثار فيها مسألة البيعة ومن له الحق فيها، ومسألة تلاعبهم بالخلفاء والأمراء من بني عبد المومن وحمّلهم مسؤولية تدهور الدولة وأقام عليهم الدليل ثم حكم فيهم القرآن. وبلغت نقمة المامون على الزعماء الموحدين أنه لم يتردد في قتل طفل منهم جيء به إليه بعد أن نفذ حكمه في إعدام أزيد من مائة منهم.

لم يلبث المامون أن اتخذ إجراء آخر أكثر عنفا زاد من تدهور الأوضاع السياسية وتفكك أواصر العصبية، ذلك أنه ضرب المذهب الموحدي في أحد ركائزه ومقدساته، وشن حملة شعواء ضد المهدي ابن تومرت، وقام في الناس خطيبا يلعنه ويدعو إلى سبه، وكتب الرسائل بذلك إلى الجهات وأتبع عمله هذا بإجراءات تقضي بمحو كل ما يمت إلى المهدي بصلة على المستوى الرسمي. ولعل عمل المامون هذا كان يرمي إلى التخلص من ضغط أشياخ الموحدين الذين طالما مارسوه على الخلفاء منذ تأسيس الدولة. وبالتالي فقد كان له مخطط إصلاحي لهياكل الدولة إلا أنه لم يختر الوقت المناسب، فجر عليه الكثير من المتاعب، خاصة وأنه لم يكن الخليفة الوحيد، إذ كان منافسه يحيى ما زال في عنفوان ثورته. فسرعان ما جمع جيشا من أنصاره والخارجين عن المامون الذين ازداد عددهم، ودخل بهم في معركة أخرى ضد المامون، لكنه انهزم أيضا يوم السبت 25 ربيع الأول 627 / 1230.

وأكبر رد فعل ضد إجراءات المامون كان انفصال شرق الإمبراطورية الموحدية عن مركز الخلافة في مراكش، فقد استقلت إفريقية وشرق المغرب الأوسط في نفس السنة وأعلن أحد حفدة الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي ـ أحد الزعماء التاريخيين للحركة التومرتية ـ أعلن نفسه خليفة في المنطقة وأنه الوارث الشرعي للدولة الموحدية التي ضربها المامون في أقدس مقدساتها. ومن هذه السنة بدأ تاريخ الدولة الحفصية التي حكمت تونس وبعض المغرب الأوسط إلى حين دخول المنطقة ضمن الامبراطورية العثمانية.

من نتائج سياسة المامون كذلك فتح الباب على مصراعيه أمام كل طامع في السلطة، فبالإضافة إلى ثورة يحيى المستمرة، قام ضده أخوه أبو موسى بمدينة سبتة وتلقى البيعة من أهل سبتة وتلقب بالمؤيد وذلك سنة 627 / 1230.

وبعد سنتين اعتقد المامون أن ثورة ابن أخيه قد فشلت ريحها بسبب توالي الهزائم عليه. فقرر التوجه إلى سبتة لإعادتها إلى طاعته والقضاء على أخيه، وأثناء استعداده لذلك جاءته استغاثة من مكناسة التي حاصرتها قبائل الأطلس المتوسط الفزازية والمكلاتية، فعرج وهو في طريقه إلى سبتة على مكناسة واستطاع أن يفك عنها الحصار، ثم استأنف سيره نحو سبتة فحاصرها في نفس السنة دون أن ينال منها بسبب تحصينها وموقعها وموقف أهلها الرافض لسلطة المامون.

أثناء حصاره لسبتة فر منها أخوه أبو موسى إلى الأندلس ودخل في طاعة ابن هود ملحقا بذلك المدينة بمنطقة نفوذ ابن هود، فعين هذا واليا عليها من قبله يعرف بالغشتي الذي سرعان ما رفضه أهل سبتة وبايعوا مكانه أحد الزعماء منهم يدعى أحمد بن محمد اليانشتي الذي تلقب بالموفق بالله. كل هذه الأحداث جرت والمامون محاصر للمدينة إلى أن جاء الخبر من مراكش بعودة يحيى إلى المدينة واستيلائه على الأمتعة والذخائر السلطانية، وأحدث في المدينة من النهب والقتل ما أزعج المامون ودفعه إلى رفع الحصار والعودة مسرعا إلى مراكش، لكن تكاثر الأحداث عليه وفشل خططه وسياسته جعلته يموت غما وكمدا وهو في الطريق إلى مراكش.

أ. ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، 1979 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ القلقشندي، *صبح الأعشى* ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج.2.

محمد الطويل

ابن **إدريس، محمد** حفيد محمد بن عبد الرحمان العمراني المراكشي المعروف بالدرقاوي. درس بفاس، وكان عالما فاضلا. ركز المترجمون له على علاقته بشيخه في التصوف محمد العربي الدرقاوي، وأخذه عنه في زاويته ببوبريح (بني زروال)، وخدمته له على عادة المريدين مع

شيخوهم. وذكروا أنه أبدى في ذلك خضوعا وطاعة تجعله ينفذ أصعب المهام وأقساها دون تردد. وأذن له بالذهاب إلى مراكش بعد مدة طويلة من الخدمة. فأسس فرعا للزاوية الدرقاوية بالقصور (حومة أعيان المدينة) بفحل الزفريتي منها. وقد عرفت الطريقة الدرقاوية انتشارا واسعا بالمدينة وتأسست بها زاويا عديدة من طرف تلامذة الشيخ هي : العمرية بباب الخميس (هي الزاوية الأم) والفتحية بثلاثة فحول، والبدوية بسيدي بولعبادة من حوة بنصالح، وزوايا باب أيلان وروض الزيتون القديم وازبرط وباب دكالة والقصبة. وتعتبر زاوية ابن إدريس بالقصور أكثرها نشاطا في الوقت الراهن.

وقع اختلاف في تاريخ وفاته فعند ابن إبراهيم أنه توفي في حياة شيخه (*الإعلام*، 6 : 218). والمعروف أن العربي الدرقاوي توفي سنة 1239 / 1823. بينما جعل ابن المؤقت وفاة ابن إدريس أواسط القرن الثالث عشر الهجري / 19 م (*السعادة*، 2 : 85). ودفن بقبة زاوية القصور يسارا، وقد حاولنا حل الإشكال في عين المكان، إلا أنه توجد شاهدة عند قبر ابن إدريس المحاط بدريوز خشبي.

وقد نسبت له ـ كغيره من أشياخ الطريقة ـ كرامات في حياته وبعد مماته، كانت سببا في إصلاح السلطان ـ ولعله محمد بن عبد الرحمان ـ لزاويته، وإجراء الماء لها.

م. ابن المؤقت، *السعادة*، 2 : 85 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 6 : 218؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 16 : 40.

حسن جلاب

إدريس بن محمد بن عبد المؤمن، آخر الخلفاء الموحدين، كنيته أبودبوس. ولقبه الخلافي : الواثق بالله والمعتمد على الله . لم يتول أحد من أسلافه منصب الخلافة غير عبد المؤمن جدّ أبيه، وهو المؤسس للدولة الموحدية التي تعرف أيضا بدولة بني عبد المؤمن.

ظهر الحديث عن إدريس صاحب الترجمة منذ حصار المرينيين لمراكش سنة 663 / 1265 في عهد الخليفة الموحدي عمر المرتضى الذى جعل أبادبوس قائداً للجيش المحارب للمرنيين، وانتهى الحصار بعد موت ابن الأمير المريني وقبول الخليفة المرتضى دفع إتاوة سنوية له وكان الطرفان اتفقا على اعتبار واد أم الربيع حداً بينهما (*الذخيرة*، 94 ؛ *القرطاس*، 302).

ويبدو أن هذا الموقف من طرف المرتضى لم يلق تأييدا في نفس قائد جيشه إدريس الذى وصف بالحزم والعزم والجرأة والدهاء والهمة العالية. فرفعت إلى المرتضى عنه أشياء أراد قتله من أجلها (*القرطاس*، 260).

ويذكر صاحب *الذخيرة* (109) اتهامه بتدبير انقلاب ضد المرتضى بتعاون مع المرينيين. وسواء صح هذا أم لم يصح فإن ادريس شعر بنقص الاحترام له في مجلس الخليفة (*البيان*، 441). فقصد أمير المرينيين بفاس، وطلب منه الإمداد ليفتح مراكش، على أن يكون ملكها مُناصفة بينهما، ويقال إنه عاهده على أن يكون في خدمته وأن يقاسمه مايجده من الأموال والذخائر. فأمر يعقوب المريني أتباعه من عرب الخلط وبربر هكسورة بمناصرة أبي دبوس، ومنحه من جهته أموالا وطبولاً وأعلاماً وجنداً. فاستقر مدة بجبال هسكورة ينظم أمره ويراسل أنصاره من حاشية المرتضى إلى ان دخل مراكش على حين غفلة منه في محرم سنة 665 / أكتوبر 1266. وفر المرتضى إلى مدينة أزمور، فقبض عليه واليها ابن عطوش، ثم قُتل بأمر أبي دبوس.

بعد الدخول إلى مراكش، حصل أبو دبوس (الواثق بالله) على بيعة الوزراء والفقهاء وأشياخ المصامدة والعامة. وكان عليه أن يواجه عدة مشاكل = المشكل المالي، وثورة ابن يدّر بالسوس. فقد وجد بيت المال فارغا مما استلزم محاسبة عدد من المسؤولين وإغرامهم، ورغم ذلك ألغى ماوجد من مكوس في الأبواب والرحاب (*البيان*، 455. 456)، فلم يف بالشروط التي قطعها على نفسه للمريني، بل قيل إنه أرسل إليه يخاطبه كأحد ولاته، مما استلزم حركة مرينية نحو مراكش أمكن ردها بتوسط أحد شيوخ هسكورة وبهدية من الواثق إلى الأمير المريني. فاستغل الواثق هذا الظرف لمواجهة مشاكل أخرى، فقد كانت طاعة هسكورة مشكوكا فيها خاصة وأن أحد أبناء الخليفة الموحدي السعيد حاول الاستعانة بهسكورة للانقلاب ضد الواثق، فاكتُشف أمره وقُتل، وقبل الواثق الطاعة الشكلية من شيخ هكسورة، ليتفرغ لحرب ابن يَدرْ بالسوس وأنصاره من قبائل المنطقة البربرية وبعض عرب معقل، وتمكن من فرض طاعته عليه بحملة قادها الواثق بنفسه إلى نواحي تارودانت في قعدة 665 / 1267. وهناك تلقى بيعة وفود قبائل المنطقة الجنوبية بما فيهم شيوخ الساقية الحمراء (*البيان*، 466) هذا الانتصار الجديد رفع معنوية الواثق ليواجه المرينين الذين عزموا على محاربته خاصة عندما وثق من حلف بني زيان بتلمسان بل توصل ببيعتهم، بينما كان بنو مرين يتلقون الدعم المادي والمعنوي من الحفصيين بإفريقية ضد الموحدين. فلما اقتحم بنوزيان منطقة نفوذ المرينين اشتبك معهم هؤلاء في أراضي ملوية فتراجعوا شرقا بينما عاد المرينيون للتضييق على مراكش حتى اضطر الواثق إلى الخروج لمقاتلتهم. فتظاهر هؤلاء بالفرار أمامه إبعاداً له عن عاصمته، ثم اشتبكوا معه في معركة كانت فيها نهايته في محرم 668 / سبتمبر 1267 واضعين بذلك حداً نهائيا للدولة الموحدية.

هكذا لم تكن جرأة إدريس الواثق ودهاؤه كافيين لإعادة الروح إلى الدولة الموحدية التي دخلت في مرحلة الاحتضار سنوات طويلة قبل ذلك.

ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ *الذخيرة السنية* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، المجلدان 6. 7 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ خ. الزركلي، *الأعلام* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*، القسم الثاني.

أحمد عزاوي

ابن **إدريس، المكي** العمراوي، ابن الوزير محمد بن إدريس الأديب الشهير. اشتغل في الطباعة الحجرية بفاس في طورها الثاني بعد أن تخلت عنها الدولة وأصبحت بيد الخواص. فكان المكي بن إدريس، إلى جانب الطيب الأزرق والعربي الأزرق، ينشر فيها كتبا فقهية وصوفية. وابتداءً من عام 1292 / 1875 كان له طابع مستدير يحمل اسمه ويختم به مطبوعاته. توفي بعد عام 1294 / 1877.

طابع المكي ابن إدريس العمراوي

م. المنوني، *مظاهر يقظة*، 1 : 274 . 275 ؛ ختم بعض *المطبوعات الحجرية التي أنجزها المترجم*.

محمد حجي

إدريس، مؤلف الابتسام ما يزال هذا الشخص مجهولا إلى الآن، رغم مكانته العلمية، والوظائف المخزنية التي شغلها ، والرحلات الكثيرة التي قام بها للمشرق والمغرب. ويظهر أن انطماس اسمه ونسبه هو السبب الأول في كونه مايزال مجهولا عند الدراسين الى الآن. غير ان كتابه الذي سماه : *الابتسام عن دولة مولانا عبد الرحمان بن هشام*، أو : *ديوان العبر في ذكر أخبار القرن الثالث عشر* يعتبر بحق ترجمة وافية للمترجم وعصره، ومنه استطعنا أن نتعرف على بعض أخباره.

كانت له صداقة حميمة مع محمد بن إدريس العمراوي، وزير السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، وكان الوزير يداعبه كثيراً ومما جاء في ذلك قول المترجم : ـ "وكانت لي أمة أتسرى بها، فكان الفقيه ـ ابن إدريس ـ يظن أني مغرم بها، فأنشد ممازحاً لي :

إدريس ماذا التغالي في حب هذي الأمية

وهي أبيات ثلاثة (*الابتسام*، 117)، فتبين من ذلك أن اسمه (إدريس). وهو ما ذكره الحجوي ولم يذكر لقبه (العبيد)، لأن هذا اللقب سقط من النسخة التي اعتمدها على مايظهر.

وقد ورد لقب (العبيد)، خلال الابتسام أيضا (264) ضمن بيت من الشعر هو آخر الأبيات الخمسة التي قالها المترجم بمناسبة تقديمه حلوى (الكنافة) لاصدقائه الكتاب، بمقصورة القصر الملكي بفاس الجديد سنة 1264 / 1848، كما يحكي المترجم ذلك بنفسه فيقول : "وكنا يوما مجتمعين في مقصورة الكتاب سنة أربع وستين، فاشتهوا الكنافة، وهي من المحالي التي يصنعها المشارقة، تكون من صفي الدقيق واللوز والسكر، فقلت لهم أنا أصنعها لكم، فصنعناها في البيت، ثم رفعتها لدار الإمارة بفاس الجديد، وحضرتني أبيات شعر عند ذلك فقلت :

هذي الكنافة يا للقوم قد حضرت مغمورة في بحار السمن والعسل

الى أن قال في البيت الخامس والأخير :

كلوا هنيئاً مريئاً واشربوا أتيـاً قد ساقها لكمُ العبيد في خجـل

فربما كان يدعى (العبيد) أي (إدريس العبيد). وتم شكل العبيد في النسخة بالتصغير (بضم العين) وقد سقط هذا البيت الأخير من نسخة الخزانة (الملكية). بينما يوجد بالنسخة الأصيلة التي هي في ملك الوافي العراقي ولم يطلع عليها الحجوي وإنما اطلع على نسخة أخرى سقط منها البيت الذي يتضمن كلمة (العبيد). مثل نسخة الخزانة الحسنية التي سقط منها البيت المذكور أيضا. ورغم كل هذا يظل نسب المترجم مجهولا إلى الآن، حتى يكشف عنه البحث. وهناك معلومات في كتابه *الابتسام* يمكنها أن تيسر البحث عن اسمه الكامل ونسبه، وسنستغلها في تحقيق ذلك عندما تسمح الظروف بحول الله.

رحل إدريس العُبيد هذا إلى المشرق ثلاث مرات : ـ الرحلة الأولى هي التي رافق فيها والده إلى الحج سنة 1225 / 1809.

وقد ذكر هذه الرحلة خلال حديثه عن مضايقة الوهابيين ومنعهم الحجاج من زيارة قبرالرسول عليه السلام بالمدينة المنورة، كان والده ممن أوذوا بسبب ذلك، غير أنه استطاع أن يتسلل صحبة ولده إدريس هذا، ويتمكنا من الزيارة لكن عندما ما كان والده يشتري شيئا من عطار، وقع في خلاف معه، فقال والده للعطار : يا هذا ! صل على النبي، فما أتمها حتى ضربه رجل وهابي كان وراءه بعصا، وقال له: يا مشرك ! لم تقول صلٌ على النبي؟ فرجع والد المترجم مذعوراً يرتعش خوفا على نفسه.

أما الرحلة الثانية، فكانت طويلة لأنها كانت من أجل الدراسة وتحصيل العلم، ولم يذكر متى خرج فيها من فاس. إلا أنه ذكر تاريخ وصوله القاهرة ودخوله الأزهر سنة 1236 / 1820، ومن حينه بدأ يتردد على حلق العلم فتتلمذ على عدد كبير من شيوخ الأزهر، الشافعية منهم والمالكية، وترجم لهم جميعا، كما تعرض للحياة العلمية والنظام الجامعي بالأزهر بشكل دقيق يثير الإعجاب. أما العلماء الشافعية الذين أخذ عنهم فهم : ـ الشيخ الحسن القُويسيني (ت : 1254 هـ) والشيخ حسن العطار (ت : 1250 هـ) والشيخ إبراهيم الباجوري (ت : 1277 هـ)، والشيخ عبد الغني الدمياطي والشيخ محمد بن العروسي (ت: 1244 هـ)، وغيرهم.

ومن المالكية الذين أخذ عنهم : الشيخ عبد الواحد الشاسي والشيخ حسن الأبطح، والشيخ مصطفى البولاقى (ت : 1263 هـ) والشيخ محمد حبيش، والشيخ علي الميلي (ت : 1248 هـ)، وغيرهم. وخلال 1238 / 1822، خرج من القاهرة إلى مكة المكرمة صحبة شيخه المغربي الفاسي محمد بن بدر الحمومي (ت: 1266 هـ) الذي أدركه بالقاهرة وصحبه إلى الحج. وبمكة المكرمة أخذ المترجم عن الشيخ محمد صالح، والشيخ عبد الله سراج، والشيخ أحمد بن

إدريس المغربي الميسوري الذي ذكر بأنه هاجر من المغرب إلى مكة واستقر بها نهائيا، وكان من العلماء المجتهدين هناك ، وقد زاره المترجم هو وجماعة من أهل فاس في بيته، واستمعوا له في عدد من الأمور العلمية.

رجع إدريس إلى جامع الأزهر، وبقي به إلى سنة 1243 / 1827، ثم توجه إلى تونس، ودخل جامع الزيتونة، فأخذ به عن الشيخ إبراهيم الرياحي (ت 1266 هـ) بعض علوم التفسير والحديث والفقه والبيان. وترجم له منوها بعمقه العلمي، ودوره السياسي البارز، كما ذكر سفارته للمغرب مرتين بأمر واليها الباي أحمد (1837 - 1855 م). ولم يذكر متى رجع بالضبط، لكنه أشار إلى اجتماعه بشيخه عبد القادر الكوهن في جامع القرويين سنة 1245 / 1829، ويظهر أنها السنة التي رجع فيها لبلدته فاس. كما أنه لم يذكر جميع شيوخه بالمغرب، وإنما ذكر عرضا، مثل الكوهن المذكور، والشيخ حمدون بن الحاج (ت 1232) وغيرهما. وانخرط في الطريقة الدرقاوية على يد الشيخ محمد الحراق (ت 1261 هـ) بتطوان سنة 1261 / 1845. كما اتصل بعدد كبير من الشخصيات العلمية بالمغرب، واستفاد من عدد من المناظرات والمساجلات التي كانت تجرى في هذه اللقاءات حسب قوله.

يظهر من كل ذلك أن المترجم تكونت لديه حصيلة علمية هامة، وقدرة أدبية ولغوية وشعرية لا بأس بها، حسبما تعكسه النماذج التي عرضها في كتابه *الابتسام* سواء في علوم القرآن والحديث والفقه، وفي علوم اللغة والأدب والشعر، وقد قدم تقريراً عن النقاش الذي دار بين شيخه عبد القادر الكوهن وشخص آخر بالقرويين سنة 1254 هـ حول علاقة النفس بالإيمان والمؤثرات السلبية التي تنتابها أحياناً، أبان فيه عن قدرة علمية وفلسفية لا بأس بها. وكذلك بالنسبة للمفاهيم التي عرضها حول إعجاز القرآن، وبعض المصطلحات اللغوية، والنوازل الفقهية، والقطع الشعرية التي نظمها. أخبر المترجم بأنه انخرط في سلك الكتاب الملكي بالقصر منذ سنة 1254 / 1838، حيث كان مكلفا في البداية بكناش الداخل والخارج، ثم أصبح ضمن سلك كتاب المراسلات. وكان صديقا حميما للوزير ابن إدريس، لذلك خصه بترجمة طويلة، عرض فيها أطوار حياته السياسية، بما فيها النكبات التي تعرض لها. وذكر في هذه الترجمة بأنه كان له بمنزلة الوالد، مستشهداً بعدد من المواقف التي وقف فيها ابن دريس بجانب المترجم، والتقدير الكبير الذي كان يحظى به عنده، حتى إن ابن إدريس كان يقوم من مجلسه ليجلس فيه المترجم عندما يدخل عليه.

ولم يغفل علاقته بسلك الكتاب الذين كانوا معه، فقد ترجم لهم واحداً بعد آخر، كما ترجم للكتاب الذين سبقوه على عهد السلطان المولى سليمان، وترجم كذلك لجهاز العلماء في العصر السليماني، وعصر السلطان المولى عبد الرحمان ابن هشام. وعلماء المشرق الذين زاروا المغرب، إلى جانب علماء الأزهر الذين شاهدهم بنفسه، سواء درس عليهم أولم يدرس عليهم، موضحا الفوارق بين النظام التعليمي في الأزهر ونظيره بالقرويين.

ويظهر أنه زار جميع مدن المغرب تقريبا، لأنه كان يتنقل مع تنقل السلطان، فذكر زيارته لمراكش، والرباط، وتطوان، وطنجة، والعرائش، والقصر الكبير، ومكناس.... الخ وفي 1262 / 1846، شارك مع بقية الكتاب في تنظيم الخزانة الملكية بمراكش. ثم اختاره السلطان، وعين معه الكاتب محمد السطي، وأدخلهما إلى مكتبة ملكية ثانية، كانت بداخل القصر بمراكش ، فرتب المترجم هذه الخزانة "حسب أنواع العلم".

قرر إدريس أن يقوم برحلة ثالثة للمشرق ابتداء من سنة 1266 / 1850، فقد كان على ما يبدو من كلامه ميالا إلى الزهد والعبادة، قلقا من الحياة السياسية والإدارية، ففضل الجوار حسب قوله، خصوصا لما : "خالط سوادَ الشباب بياضُ المشيب، وأسرع الوهنُ في العراقيب، وتدانى البعيد، وتوالت عيوب الكبر في مزيد : تاقت النفس لمربع تحطم فيه الذنوب، وتتناثر فيه العيوب، حيث نزل الوحي منْ علام الغيوب. واختارت مجاورة من يؤمن جارُه، ولا تُخذل أنصارُه، وهو رب الأرباب، ومُعتق الرقاب، ميسر الحساب، وما يذكر إلا أولو الألباب... ونبذت وراني جميع الأوطار، وتخليت عن خدمة ملك الأرض، ملتجئاً بجناب ملك الملوك..." (ص. 256)، موضحا أن عدداً كبيراً من المثبطات الاقتصادية والبشرية والنفسية حاولت منعه القيام بهذه الرحلة، لكنه تغلب عليها. وقد ذكر مراحل هذه الرحلة، ومشاهداته فيها منذ خروجه من مدينة فاس، حتى دخوله مصر، غير أن الخروم الكثيرة الواسعة التي أصابت نهاية الكتاب، لم تسمح بمعرفة نهاية هذه الرحلة، ولا ما بعدها، ولا كيف ختمت، وإلى أين انتهى إدريس هذا في حياته.

قدم لنا إدريس خلال رحلته الثانية، معلومات قيمة عن وضعية العالم العربي، سواء بالنسبة للحركة الوهابية بالحجاز، وكيف تمكن الوالي المصري من القضاء عليها . أو بالنسبة للأنظمة الجديدة التي اقتبسها محمد علي من أوربا كتنظيم الجيش، وإدخاله للصناعات المختلفة، وخصوصا صناعة النسيج، وتطوير القطاع الزراعي، وشبكة الري، وتحديدالجهاز الاداري ..الخ وعرض معلومات قيمة عن حروب الباب العالي مع الروس، واستقلال اليونان، والحروب التي دارت بين محمد علي والسلطان التركي، وتدخل الدول الأوربية فيها، واحتلال فرنسا للجزائر وغيرذلك.

وخلال رحلته الثالثة كان يذكر بدهشة كبيرة التغيرات التي حدثت بعده في مصر وتركيا والحجاز، وخصوصا دخول القوانين الوضعية الجديدة لبعض بلدان العالم العربي، مثل المطالبة بجواز السفر عند الدخول إلى مصر مثلا والتي عانى منها هو نفسه، حتى سجن من أجلها، ثم أطلق

سراحه على أساس أن يضمنه شخص مصري. ومثل الألبسة الأوربية التي أصبح يلبسها الجيش المصري والتركي، والتي حكم المترجم على أصحابها في البداية بالكفر، واعتبرها بدعة سيئة، ثم تراجع عن ذلك، معتقداً أن العلماء ربما أباحوا ذلك لضرورة شرعية. وهكذا يظهر أن الرجل على الرغم من رحلاته الكثيرة واتصالاته المكثفة، كان يجهل عصره، وخصوصا اندفاع الحركة الاستعمارية الأوربية، ومعها الحضارة اللاتينية الجديدة، وتسربها عبر الأسباب التجارية والعسكرية والاستعمارية للعالم الإسلامي كله، ولو أنه كان يسافر في سفن نارية أنجليزية، ويلاحظ مظاهرها المتطورة، وعقلية الانسان الأوربي الذي احتك به في جبل طارق ومالطة وإيطاليا، وهي المراكز التي يقضي بها أكثر من أسبوعين أحيانا. ورغم ذلك، فان دعوته للتجديد والتنظيم واضحة من خلال كتابه لكن هذه الدعوة كانت عنده مبهمة نتيجة جهله بالتطورات التي كانت تعرفها أوربا.

إدريس، *الابتسام*، مخطوط ؛ ومنه اقتبس محمد الحجوي في بداية *اختصار الابتسام* مخطوط .

أحمد العماري

إدريس، بن **يعقوب المنصور** بن يوسف بن عبد المومن الموحدي، كنيته أبو العلاء وأبو العلي، ولقبه الخلافي المامون ، أمه بنت أمير شرق الأندلس سابقا محمد بن سعيد بن مردنيش.

كان ذا معرفة بالفقه والحديث "لم يزل أيام خلافته يقرأ *الموطأ وكتاب البخاري وسنن أبي داود*" (*القرطاس*، 249) كما كان" كاتبا أديبا فصيحا بليغا" (*الإحاطة*، 1 : 410 - 411).

جمع إدريس المامون حوله مجموعة من مشاهير الكتاب أيام ولايته ثم خلافته، أمثال أبي زكرياء الفازازي، وابن عميرة، وأبي الحسن الرعيني، وأبي عبد الله بن عياش، وأبي العباس بن عمران وغيرهم (*البيان*، 255). ومع هذا فقد كان يتصدى بنفسه أحيانا إلى كتابة الرسائل مثل رسالته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد بيعته بالخلافة في إشبيلية (*الاحاطة*، 412). ورسالته العتابية إلى أهل اندوجر، ثم رسالته من مراكش في موضوع إلغاء رسوم المهدي (*الاحاطة*، 1 : 413 ؛ *البيان*، 266 - 268، *الحلل*، 164 - 165). وسيتضح موقفه الديني في بعض الإجراءات أيام خلافته.

وُصف إدريس بالحزم والشجاعة والجرأة، وأن همة الملوك ظهرت عليه منذ اشتغاله بمهام الولاية. منها ولايته على مالقه في عهد المستنصر ابن اخيه الناصر، ومن مآثره فيها "قصر السيد" على ضفة الوادي (*الاحاطة* 1 : 411، *الحلل*، 164). ثم أصبح واليا على قرطبة خلال عهد الخليفة عبد الواحد المخلوع سنة 621 / 1224 (*البيان*، 248)، ودعّم أخاه عبد الله (العادل والي مرسية في طلبه للخلافة ضد عمه عبد الواحد، وعندما تمت بيعة العادل واستقر بمراكش جعل ولاية إشبيلية لأخيه إدريس (621 / 1224 - 624 / 1227). وخلال هذه الفترة ثار والي قرطبة الموحدي عبد الله البياسي (نسبة الى مدينة بياسة التي تحصن بها). وتحالف مع ملك قشتالة وهدد باحتلال إشبيلية أكثر من مرة إلى أن تمكن إدريس من التغلب عليه بمساعدة أهل قرطبة فأضافها الخليفة العادل إلى ولايته بإشبيلية. ويظهر أن العادل منحه تفويضا في مراقبة شؤون الأندلس ، حتى إننا نجد له ظهيراً عيّن بمقتضاه أحد الولاة بالأندلس. هذه السلطة الواسعة مع ظروف المغرب الأقصى خاصة شجعت إدريس على طلب الخلافة لنفسه، فبويع بإشبيلية في 2 شوال 624 / 15 سبتمبر 1227. وقتل أشياخُ الموحدين بمراكش أخاه العادل وأرسلوا اليه ببيعتهم ثم تراجعوا عنها لصالح ابن أخيه يحيى بن الناصر الملقب بالمعتصم.

حاول إدريس المامون إقرار الأمور بالأندلس وجمع الأنصار بالمغرب قبل الجواز إليه. وكان أخطر ثائر عليه بشرق الأندلس هو ابن هود، فعلى الرغم من تراجعه عن غرناطة ظل متمسكا بمرسية. أما بالنسبة للمغرب فقد استمال إليه عرب الخلط وبربر هسكورة وبعض مشايخ الطرق الصوفية، حيث كان يظهر أو يتظاهر بالاهتمام بأمور الدين ومحاربة الانحرافات (*المغرب*، 1 : 296 ؛ *والرسالتان* 14 و28 من المجموعة الجديدة ...) ولما كان الجيش الموحدي منقسم الأهواء فقد استعان المامون بفرقة من المرتزقة القشتاليين تمكن بها من دخول مراكش سنة 626 / 1229 بعد هزيمة المعتصم ولجوئه إلى جبال المصامدة.

وواجه المامون أعداءه من الأشياخ المصامدة بأسلوبين : أسلوب الإعدام لتلاعبهم بالخلفاء، وأسلوب ثان هو إلغاء الأساس المذهبي الذي يرتكزون عليه، أعني المذهب التّومرتي، فأنكر مهدوية ابن تومرت وعصمته وحذف اسمه من الخطبة والسكة والمراسلات. غير أنه حطم بذلك شرعية حكمه، ومكّن منافسه المعتصم من الصمود إلى سنة 633 / 1235 - 1236. كما أعلن الحفصيون الاستقلال بإفريقية وبنو عبد الواد الاستقلال بمنطقة تلمسان وثار عليه أخوه بسبتة وتحركت بعض القبائل تعبث في أحواز مكناسة، كما خرجت الأندلس عن نفوذ الموحدين وتقاسمها بعض الزعماء المحليين الذين لم ينجحوا في إيقاف الزحف المسيحي على مدن الوادي الكبير.

وهكذا لم تكن جرأة المامون كافية للتغلب على الظروف التي أصبحت تتجاوزه سواء الظروف الداخلية أو الخارجية. وكانت وفاة المامون في آخر ذى الحجة 629 / أكتوبر 1232.

ابن عذارى، *البيان المغرب* ؛ ابن ابى زرع، *القرطاس* ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ ع.ابن خلدون، *العبر*، 6 : 528 - 532 ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ع . ابن إبراهيم، *الإعلام*، 3 : 5 - 12 ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين* ؛ أ. عزاوي، *مجموعة جديدة من الرسائل الموحدية*، رسالة دبلوم في التاريخ نوقشت بكلية الآداب بالرباط سنة 1985.

أحمد العزاوي

إدريس بن **يوسف** بن عبد المومن الموحدي، يكنى أبا العلاء الكبير تمييزا له عن ابن أخيه أبي العلاء الصغير إدريس بن المنصور المشهور بلقبه الخليفي المامون. وكثيراً ما يقع الخلط بينهما في المراجع. ذلك أن المعلومات محدودة نسبياً حول أبي العلاء الكبير. فقد تولى منصب الولاية في ثلاث جهات : في سبتة، وإشبيلية، وإفريقية على التوالي، وإن كانت هناك إشارة غير مؤكدة أوردها الناصري حول ولاية أبي العلاء لإشبيلية في عهد خلافة أبيه الناصر ثم إشبيلية أيام المستنصر ثم إفريقية في أواخر عهد هذا الخليفة.

بالنسبة لولايته على سبتة ترد ضمن ترجمة للشيخ الصالح أبي الحسين يحيي ابن الصائغ المتوفي بها سنة 600 / 1204 في عهد واليها "الشديد البأس على الناس" أبي العلاء إدريس بن يوسف الذي كان يحترم ابن الصائغ، ويقبل تدخله لصالح سكان المدينة (*الذيل*، 8، ترجمة 200). كما يذكره ابن سعيد ضمن ترجمة علي بن خروف القرطبي المتوفي سنة 610 / 1213 - 1214 حيث يقول إنه "مدح بسبتة ملكها إدريس بن يوسف بن عبد المومن بقصائد" (*المغرب*، ترجمة 69) وكان أبو العلاء هذا هو الذي ترأس الأسطول لفتح جزيرة ميورقة، واشترك معه في العملية الشيخ أبو سعيد بن أبي حفص. كان غزوها في أواخر ذي الحجة سنة 599 / سبتمبر 1203 (*الروض المعطار*، مادة ميورقة ؛ *المعجب*، 314، 315، *البيان*، 216)، وعاد بعد فتحها بمجموعة من الأسرى تدخل الفقيه ابن الصائغ للرفق بهم (ترجمة *الذيل* المذكورة).

لا ندري تاريخ نهاية ولاية أبي العلاء على سبتة ولا بداية ولايته على إشبيلية، وإنما تتحدث بعض المصادر عن نهاية الولاية على المدينة الأخيرة سنة 618 / 1221. ذكر صاحب *الذخيرة السنية* ضمن أحداث سنة 618 / 1221 أنه "فيها جدد سور إشبيلية، وبُني الحرم البرّاني، وصنع حوله الحفير الدائر به على يد السيد أبي العلاء ابن يوسف بن عبد المومن الذي بنى برج الذهب" (ص 55)، انظر أيضا *القرطاس*، 273) .ويتحدث المراكشي عن عزله عن إشبيلية وتعويضه بأخيه عبد العزيز بن يوسف (331)، غير أن ابن خلدون يضيف إلى العزل وصوله إلى مراكش مسخوطا عليه من قبَل الخليفة المستنصر (6 : 588) .

وفي هذه الأثناء مات الشيخ الحفصي أبو محمد عبد الواحد وتوسط الوزير ابن مثني لدى الخليفة المستنصر لصالح أبي العلاء الكبير فعقد له على ولاية إفريقية سنة 618 / 1221 وبقي بها إلى وفاته سنة 620. كان المستنصر عزم على عزله إلا أنه مات، فأقره الخليفة المخلوع بمكانه إلى وفاته. وأورد ابن عذاري رواية مفادها أن تعيين أبي العلاء على تونس حدث قبل وفاة الشيخ الحفصي، فكان لأبي العلاء الإمارة وقيادة الجيش، وللشيخ الحفصي النظر في الأشغال أي الأمور الجبائية خاصة، وهي نفس المهمة التي تولاها ابنه في ظل إمارة أبي العلاء ثم إمارة يزيد (ص. 273 - 274). ويصف ابن عذارى السيد أبا العلاء بكونه "ذا نظر سديد ورأى مبارك رشيد" (273). كانت مدة ولايته بأفريقية مليئة بالصراع مع بني غانية يساعدُه في مواجهتهم وتتبع تحركاتهم ابنُه عبد الرحمن الوالي بعده على المنطقة من قبل الخليفة المخلوع (*العبر*، 6 : 589 - 590).

ومن المشآت العمرانية المنسوبة إلى أبي العلاء الكبير البرجان على باب المهدية وحصنها (*الاستقصا*، 2 : 227)، ولعل هذا كان بهدف حمايتها من السقوط بيد بني غانية.

ع. المراكشي، *المعجب* : ابن سعيد المغربي، *المغرب في حلى المغرب*، الترجمة عدد 69 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة* (السفر 8 ترجمة 200) ؛ ابن عذارى، *البيان المغرب* ؛ ع. الحميري، *الروض المعطار* (مادة ميورقة) ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ *الذخيرة السنية*، 6 ؛ ع . ابن خلدون، *العبر* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 2 .

أحمد العزاوي

الإدريسي، أسرة شريفة كبيرة من أعرق بيوتات المغرب حسبا وأكثرها عددا تشمل أصلا جميع المنحدرين من إدريس الأزهر بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - ثم اشتهر بهذه النسبة ابتداءً من أواخر القرن الهجري العاشر فرع أهل دار القيطون من العمرانيين، بينما عُرف آل إدريس الآخرون بأنساب فرعية غلبت عليهم كالجباريين والدباغيين والشبيهيين، والطالبيين والطاهريين والعلميين والعمرانيين والغالبيين والوزانيين.

ودار القيطون التي ينتسب إليها الأدارسة القيطونيون هي الدار المتصلة بجامع الشرفاء التي سكنها إدريس الأزهر بعد وفادة القرويين حينما انتقل لبناء هذه العدوة من مدينة فاس. وهم ينتمون إلى القاسم بن إدريس الأزهر المعروف بالزاهد، الذي كانت طنجة وسبتة وبلاد الهبط من نصيبه لما قام الخليفة محمد بن إدريس عام 213 بتقسيم أقاليم المغرب على إخوته الاثني عشر بإيعاز من جدتهم كنزة، إلا أن القاسم تنازل عن ولايته لأخيه عمر وآثر النسك والعبادة إلى أن مات، وضريحه مشهور على شاطئ المحيط بين طنجة وأصيلا.

وبعد المحنة الكبرى التي عاناها الأدارسة على يد موسى بن أبي العافية وخلفائه، وتشتتهم في جبال المغرب وسهوله متنكرين لنسبهم إبقاء على حياتهم، استعادوا اعتبارهم ومكانتهم مع المرينيين الذين كشفوا عن ضريح إدريس الأزهر بعد أن ظل مطموسا مهملا قرونا عديدة وشيدوا قواعده بفخامة لائقة. وعاد حينئذ إلى فاس - في جملة من عاد إليها من الأدارسة - فرقة من العمرانيين سكنوا دار جدّهم (دار القيطون) وأصبحت لهم زعامة هذا البيت الشريف، وتمتعوا بحظوة كبيرة لدى الملوك وعامة الناس وخاصتهم، بينما احتفظ بالنسبة العمرانية إخوانهم الذين بقوا بقبيلة سماتة من بلاد الهبط حيث توجد قلعة

حجر النسر الملجأ الأكبر للأدارسة بالشمال. وإلى ذلك يشير عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي في *الأقنوم* بقوله :

وشاع في الزمان عمرانيون ومنهم وُلاة دار القيطون

اختص العمرانيون الفاسيون أهل دار القيطون هكذا منذ صدر المائة الثامنة بخطتين : النقابة، وولاية ضريح جدهم، حتى إذا انقرضت دولة بني مرين بمقتل عبد الحق بن أبي سعيد، بويع نقيب الأدارسة محمد بن علي العمراني القيطوني المعروف بالحفيد يوم الجمعة 27 رمضان عام 869 /

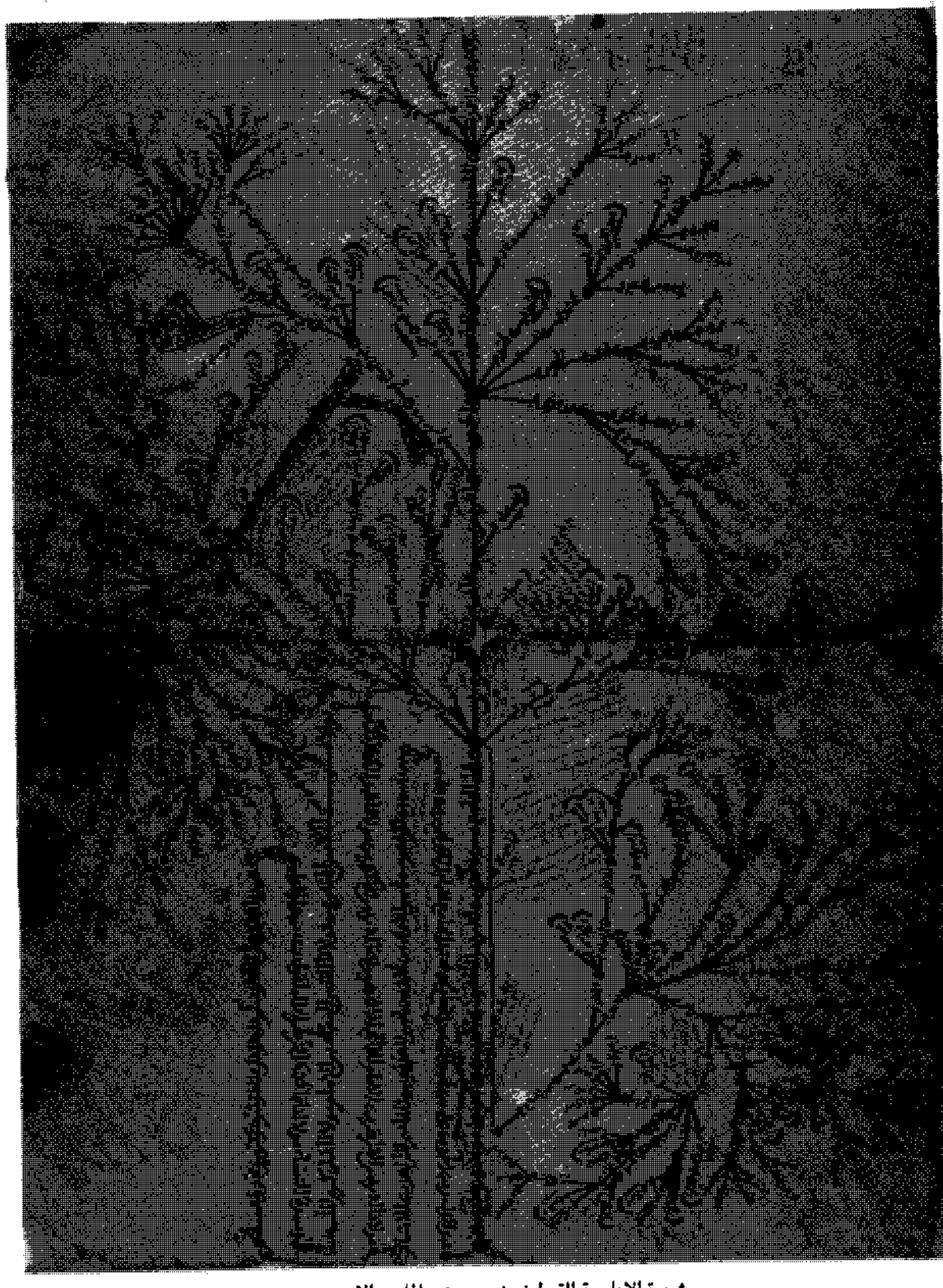

شجرة الادارسة القيطونيين من وضع الماحي الادريسي

23 ماي 1465. واستمر ملكه سبع سنين إلى أن تغلب عليه محمد الشيخ الوطاسي ودخل فاساً في شوال عام 876 / مارس 1471 فخرج منها الحفيد مع أهله إلى تونس ملتجئا عند ملوكها الحفصيين.

وفي عهد أحمد المنصور الذهبي السعدي، رجع الأدارسة من تونس إلى فاس واستعادوا دار القيطون والنقابة والولاية على ضريح جدهم إدريس الأزهر. وأخذ الناس يدعونهم بالتونسيين، فكرهوا ذلك واستبدلوا به الإدريسيين. وهي النسبة التي ظلوا يحتفظون بها حتى اليوم. وقد أشار إلى ذلك محمد بن عبد الرحمان الدلائي في *درة التيجان* بقوله :

وهم ولاة الحرم الإدريسي قد عُرفوا بجدهم إدريس
وفضلهم في النسب العمراني والشمس لا تخفى عن العيان

وقد ذكر إدريس الفضيلي في *الدرر البهية* (2 : 39) أن نسبة الإدريسيين القيطونيين إلى جدهم إدريس بن أحمد بن علي بن علي بن محمد بن محمد بن عمران (جد العمرانيين كلهم). وبذلك فإن للإدريسيين القيطونيين نسبتين : عامة لإدريس الأزهر يشاركهم فيها سائر الأدارسة، وخاصة لإدريس بن أحمد المذكور آنفا. وقد بلغ عدد الإدريسيين القيطونيين في تاريخ تأليف *الدرر البهية* (أواخر عام 1313 / 1896) سبعة عشر ومائتي نسمة. ثم تكاثروا خلال القرن الحالي بحيث كان عددهم في الموسم الإدريسي الأخير في ربيع الأول عام 1409 / أكتوبر 1988، ثمانمائة وإحدى وستين نسمة حسبما أخبرني بذلك نسابتهم الأستاذ عبد الوهاب ابن إدريس بن الماحي الإدريسي الذي يتابع بدقة ما قام به قبل أبوه وجده من ضبط تعداد الإدريسيين القيطونيين وإضافة كل ما جد إلى شجرتهم.

ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ م. ابن زرع، *القرطاس* ؛ ع. الجزنائي، *جنى زهرة الآس* ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن* ؛ ع. الفاسي، *الأقنوم*، مخطوط ؛ م. بن عبد الرحمان الدلائي، *درة التيجان*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية* ؛ إسماعيل العربي، *دولة الأدارسة* ؛ ابن علي الإدريسي، *الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية*، بيروت، 1986 ؛ المريني العياشي، *الفهرس في عمود نسب الأدارسة*، طنجة 1986 ؛ الماحي الإدريسي، *شجرة الأدارسة القيطونيين ؛ ظهائر وتقاييد تتعلق بالأدارسة*.

الإدريسي، أحمد بن إدريس الحسني القيطوني، المعروف بالنقيب. من الشرفاء الأدارسة الراجعين من تونس إلى المغرب أيام أحمد المنصور الذهبي. ولاه عبد الله بن محمد الشيخ المامون نقابة الأدارسة عام 1027، فكان أول نقيب إدريسي بفاس ـ في هذه المرحلة الثانية ـ بعد اجتماع شمل الشرفاء في مدينتهم القديمة. لم أقف على تاريخ وفاته.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 190 ؛ الماحي الإدريسي، *شجرة الأدارسة القيطونيين*.

محمد حجي

الإدريسي أحمد بن القاسم ← گنون

الإدريسي، أحمد بن محمد الحسني الزوهوني. علامة مشارك مطلع له *إعلام البشر بالسلطان المنتظر*، ألفه عند بيعة السلطان مولاي عبد العزيز وجعله في ثمانية فصول، استنبط فيه من اسم السلطان المذكور عدة وفوائد وعلوم مثلما فعل الشيخ نجا الأبياري المصري في كتابه *سعود المطالع*. وتوفي أحمد الإدريسي بمسقط رأسه زرهون عام 1330 / 11 . 1912.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، عام 1330 ؛ *دليل*، 1 : 128.

لطيفة بناني سميرس

الإدريسي، أحمد مزوار بن علي حيدرة بن محمد ابن إدريس الأزهر. لم يتول الملك بعد أبيه علي، وعاش بفاس عيشة كفاف وعفاف إلا أنه لم يسلم من إذاية موسى ابن أبي العافية المستولي على فاس، فخرج أحمد مع أهله إلى قلعة حجر النسر من بلاد سماتة بالريف قرب جبل العلم. وهي قلعة حصينة شاهقة شيدها ابن عمه الأمير محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم بن إدريس الأزهر. ولما تلاحق الأدارسة بهذه القلعة زحف إليهم موسى بن أبي العافية سنة 317 / 29 . 930 وحاصرهم بها مدة يريد استئصال شافتهم لولا أن عذله رؤساء المغرب فرجع عنهم. وهناك مات أحمد مزوار عام 350 / 61 . 962 ودفن بقلعة حجر النسر، وهو جد القطب عبد السلام بن مشيش وسائر الشرفاء العلميين والوزانيين. وإليه ينسب الحرم المزواري الذي يضم قبائل سماتة، وآل سريف، وبني يوسف، في جبال غمارة وقد ظلت دول المغرب المتعاقبة ترعى حرمة هذا الحرم الآمن، وكان لأحمد المنصور الذهبي به مزيد اهتمام ورعاية.

م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن* ؛ م. السنوسي، *الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية*، مصر 1349 هـ ؛ مجهول، *الدر النفيس في ذرية الإمام إدريس*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج.1 ؛ إ. العربي، *دولة الأدارسة*، بيروت 1983 ؛ المريني العياشي، *الفهرس في عمود نسب الأدارسة*، طنجة، 1986.

الإدريسي، إدريس بن عبد العلي الودغيري الرباطي. أصله من أولاد ابن الحسن المعروفين بفاس. كان ذا مسكة من علم يعرف الطبوع الموسيقية ويتعاطى السماع، ثم ادعى المشيخة وسمى طريقته "العلية" وبنى لنفسه زاوية يجتمع فيها أتباعه، وهم من العامة البسطاء، ومعظمهم من قبيلة زعير المقيمة بضواحي الرباط. كان يقيم مواسم يستعمل فيها حيلا لإشاعة تحول الماء لبناً "ببركته"، فدعي لذلك "سقيقيّة" ـ تصغير سقاية ـ وانحاز في إبان الأزمة السياسية إلى جانب المستعمر ضد الحركة الوطنية فكان في ذلك هلاكه عفا الله عنه.

ألف كتاب *المنتخبات الموسيقية* (طبع بالرباط عام 1353 / 1935) *وكشف الغطاء عن سر الموسيقى ونتائج الغناء*، (طبع بالرباط أيضا عام 1357 / 1939) *والأسرار الربانية في أذكار الطريقة العلية*، (طبع بالرباط عام 1361 / 1942).

قتل إدريس بن عبد العلي برصاص الفدائيين أوائل رجب عام 1374 / فبراير 1955.

ع. ابن سودة، *اتحاف المطالع*، مخطوط ؛ إ. بن الماحي الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 18.

الإدريسي، إدريس بن عبد الله بن إدريس بن الطائع الحسني القيطوني، فقيه مشارك وأديب كاتب. تخرج بالمتأخرين من علماء القرويين، ودرس بها مدة. كانت دروسه سهلة نافعة للمبتدئين بصفة خاصة إلى أن أقعده عنها مرض عضال.

توفي يوم السبت 13 ذي القعدة عام 1388 / فاتح فبراير 1969.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط ؛ إ. بن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

الإدريسي، إدريس بن علي بن إدريس الحسني القيطوني، علامة مشارك محقق متواضع يميل إلى الخمول، أخذ عن شيوخ القرويين في عصره، أمثال محمد القادري، والتهامي گنون، وعبد الله البدراوي، وعبد السلام الهواري، وشيخ الجماعة محمد گنون. كان ملازما للتدريس بجامع صغير قرب داره بسويقة الذهب بفاس، ومن الآخذين عنه عبد السلام ابن سودة.

توفي يوم 27 شعبان عام 1340 / 25 أبريل 1922 ودفن بالضريح الإدريسي بفاس.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط ؛ *سل النصال*، مخطوط، رقم 39.

الإدريسي، إدريس بن الماحي الحسني القيطوني الجوطي الفاسي. عالم شغوف بالبحث والتقييد في المسائل التاريخية واقتناء المخطوطات النفسية وانتساخها وتتبع حركة المطبوعات المغربية. ولد بفاس الإدريسية في 27 شعبان عام 1327 / 13 شتنبر 1909، ودرس في القرويين على عدد من شيوخها قبل النظام وبعده، ذكر منهم ثمانية وأربعين في *فهرسه*. وأحرز على شهادة العالمية من القسم الأدبي بالقرويين بتاريخ 25 الثاني عام 1354 / 27 يوليوز 1935 واشتغل مدة بالشهادة في سماط عدول القرويين مع ابن عمه القاضي إسماعيل الإدريسي، قبل أن ينخرط في سلك التعليم الرسمي أستاذا بثانوية مولاي إدريس بفاس.

كان في أيام الطلب يُصدر جريدتين خطيتين في قالب متوسط، الأولى سنة 1927 باسم *السيف القاطع* والثانية سنة 1929 باسم *اللواء*. تحتوي على موضوعات أدبية واجتماعية وأخبار طلابية ومحلية. وعمل في صفوف الحركة الوطنية فسجن سنة 1944 على إثر المطالبة بالاستقلال، ثم في سنة 1953 لما امتنع - في جملة من علماء فاس - من مبايعة ابن عرفة واعتصموا بالحرم الإدريسي، فأخرجوا منه قهرا ونقلوا إلى الرباط حيث سجنوا وعذبوا.

اهتم المترجم اهتماما كثيرا بنسب الأدارسة القيطونيين، وتحقيق قُعددهم وامتداد فروعهم انطلاقا من الشجرة الجامعة التي وضعها لهم والده الفقيه العدل الماحي بن محمد الإدريسي، فأضاف إليها الابن معلومات قيمة تتعلق ببعض مَن ذُكر فيها من علماء الأدارسة مما لم يقف عليه الوالد.

ألف إدريس بن الماحي عدة كتب لم يطبع منها لحد الآن سوى اثنين *كتاب المنهاج الشرعي* لطلاب البكالوريا، الجزء الثالث طبع بالدار البيضاء سنة 1967 في 292 صفحة. وبقي الجزآن الأول والثاني مخطوطين.

معجم المطبوعات المغربية، طبع في سلا سنة 1988 في 438 صفحة ؛ *مختصر معجم المطبوعات المغربية*، رقن على الآلة الكاتبة في حياة المؤلف بطلب من اليونيسكو. وسحبت منه عدة نسخ ؛ *تقييد في بني مرين*، في نحو كراستين ؛ *فاس دليل تاريخها*، وما ألف عنها وقيل فيها لها أو عليها ؛ *مجموع فتاوى فقهية*، كتبها إبان اشتغاله بالعدالة ؛ *معجم القراءات بالمغرب*، اشترك في تأليفه جماعة من الأساتذة بتكليف من وزارة التربية الوطنية، وأنجز منه المترجم حروف الدال والذال والراء والزاي ؛ *ما تعلق به الغرض من أيام المرض*، وهو شبه مذكرات كتبها في المرحلة الأخيرة من حياته.

توفي بفاس يوم الاثنين 25 شوال عام 1391 / 13 دجنبر 1971.

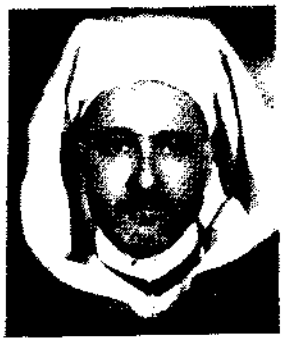

ادريس بن الماحي الادريسي

وكانت خزانته من أغنى الخزانات الخاصة وأشهرها لما اشتملت عليه من مخطوطات نفيسة ذكر بعضها زميله عبد السلام بن سودة في كتابه *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*.

إدريس بن الماحي نفسه، *كتبه ومقيداته* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، عام 1391 ؛ *دليل مؤرخ المغرب الأقصى* ؛ *ظهائر وكنانيش بحوزة أسرة المترجم*.

الإدريسي، إدريس بن هاشم بن إدريس بن علي الحسني العمراني القيطوني فقيه ناسك، من أعيان الأدارسة بفاس في وقته. ولاه السلطان سيدي محمد بن عبد الله خطة نقابة الأدارسة ونظارة الضريح، ويعرف بآخر النقباء.

كان إدريس بن هاشم ممن وقّع على بيعة السلطان مولاي سليمان بالضريح الإدريسي بفاس عام 1207 / 1792 بصفته نقيب الأشراف، وبعد وفاته عرضت النقابة عى ابنه أحمد، وكان ذا مال وفير ووجاهة عند أهل فاس، فوكّل تسيير شؤون ضريح جده إلى أحد المحبين في آل البيت يدعى الحاج إدريس الرامي، وطلب من السلطان أن يقره على ذلك، فصدر ظهير بتسمية الرامي مقدما على الضريح الإدريسي، وظل أبناء الرامي يتوارثون هذا التقديم حتى اليوم، وبذلك كان إدريس بن هاشم آخر النقباء الأدارسة. ولعل وفاته كانت في الوباء الجارف الذي ذهب بالعدد من أهل فاس عام 1215 / 1800.

وثائق الأدارسة، *ظهائر وتقاييد* ؛ الماحي الإدريسي، *شجرة الأدارسة القيطونيين* ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

الإدريسي، إسماعيل بن المامون الحسني القيطوني، فقيه متضلع في المذهب المالكي، ولي قضاء قبيلة شراگة بناحية فاس، ثم تازا ووجدة قبل أن يصبح قاضي الجماعة بقصورة السماط بفاس حيث بقي يقضي أزيد من عشرين سنة. وبعد فتنة غشت 1953 أصبح وزيراً للعدل بالرباط فكان ذلك بداية محنته، إذ عزل بعد الاستقلال وبقي مغتماً إلى أن أدركه الأجل.

ألف عدة كتب، منها : *نبذة بهية وطرفة شهية في ولادة خير البرية*، طبع على الحجر بفاس د. ت ؛ *تقاييد في الأنساب*، مخطوط ؛ *تقاييد في نسب أبي الشتاء الصنهاجي وأخيه*، مخطوط ؛ *فتاوى وأحكام متفرقة تُكوِّن* لو جُمعت مجلداً ضخماً.

توفي بفاس صباح يوم الاثنين 4 ذي القعدة عام 1379 / 30 أبريل 1960 ودفن بالضريح الإدريسي.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، عام 1379 ؛ إ. بن الماحي الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، ص 17.

الإدريسي، أبو بكر بن زيان الحسني الجوطي الفاسي، شيخ الجماعة في التوقيت والتعديل والحساب والفرائض، مع المشاركة في غير ذلك من العلوم الشرعية واللغوية. أخذ عن الشيخ حمدون بن الحاج وطبقته، وتخرج عليه جماعة من أعيان علماء فاس، مثل المهدي ابن سودة، والطالب الحاج. وألف عدة كتب في الفلك.

توفي في ذي الحجة من عام 1243 / يونيه - يوليوز 1828.

ع. السجلماسي، *الروض الطيب العرف*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط.

محمد حجي

الإدريسي، أبو بكر الشريف الحسني الإدريسي، يكنّى أبا يحيى. من فقهاء سبتة الذين كاد يسدل عليهم الستار لولا العثور على *بلغة الأمنية* التي خصت هذه الشخصية بترجمة ضافية. يبدو أن شهرة الفقيه العلمية قد انحصرت بين أسوار سبتة والأماكن المجاورة لها، كقاض محنك نزيه، وكأستاذ كفء بالمدرسة الجديدة منذ وفاة القاضي أبي يحيى بن السكاك، وكخطيب محمود السيرة بجامعها. اشتهر بتعدد معارفه : العربية والفقه وعلم القراءات والتفسير والتصوف والحساب وغيرها من العلوم. عرف أيضا بعنايته باقتناء الكتب العلمية والبحث عن أصولها. قضى أواخر أيامه بقصر كتامة الذي التحق به بعد أن استعفي من قضاء سبتة على إثر منازعة وقعت بينه وبين حاكمها. فانصرف إلى كتب التصوف، منكبًّا على دراسة نصوصها دون أن يستغني عن مهمة القضاء بالقصر إلى أن وافته المنية في شهر رمضان من سنة 809 / 6. 1407.

بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، تحقيق محمد بن تاويت، مجلة تطوان عدد 9، 1964، ص. 184 ـ 185 ؛ ع. بن منصور، *أعلام*، 1 : 255.

زليخة بنرمضان

الإدريسي، الحسن بن الحسن الحسني القيطوني، عالم مشارك ولوع بالتريخ والأنساب، عارف بكثير من الأسر العالمة بفاس. اشتغل مدة طويلة بنظارة الأوقاف في صفرو، وتوفي بفاس يوم الجمعة 20 شعبان عام 1386 / 4 دجنبر 1966 ودفن بالضريح الإدريسي.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، عام 1386.

محمد حجي

الإدريسي (الشريف الجغرافي) محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني السبتي. اهتم به من العرب في هذا العصر جرجي زيدان (1913) وظهرت خريطته (صورة الأرض) بالأحرف العربية سنة 1931 بعناية بهجة الأثري وجواد علي.

ومن القدامى حقق ابن أيبك الصفدي(ت 764 هـ) نسبه ونقله ابن سعيد (ت 685 هـ) كثيرا ولم يتعرض لحياته، وقدمه ابن أبي أصيبعة (ت 668 هـ) من بين علماء النبات والصيدلة. وذكره ابن خلدون عند ذكر الجغرافية في المقدمة. وذكره أبو الفدا (ت 732 هـ) ونقل عنه، أما الأكفاني المصري (ت 749 هـ) فقد توهم أنه جاب الآفاق وأخذ عليه كون كتابه وصفيا عارض علم الفلك. أما المستعربون من الدارسين فقد عنوا به أكثر من عنايتهم بأي جغرافي آخر من العرب.

اضطربت الأقوال في مكان ميلاده، والغالبية على أنه ولد بسبتة عام 493 هـ. وكادوا يتفقون على أن تاريخ وفاته هو عام 560 هـ. والمحقق هو أنه انتهى من تأليف كتابه *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق* عام 548 هـ.

ويذكر مترجموه أنه جال مدة عامين أو ثلاثة أعوام بشبه جزيرة إيبريا وعلى امتداد شواطئ فرنسا الأطلنطية وانكلترا وآسيا الصغرى ومصر إلخ. والمؤكد هو أنه زار مدنا إيبرية ومغربية. ولا يوجد بين أيدينا الآن مخطوط بيد الإدريسي فنتأكد منه أن العبارات التي تفيد زيارته لبعض

الأماكن ليست إضافات من النساخ.

هاجر الإدريسي عام 533 هـ. وكان على ما يبدو نافرا كعدد من أهل سبتة من الأوضاع الجديدة بعد تولي الموحدين. وكان بنو عمه الحموديون وهم من أمراء الطوائف قد تشتتوا في بلاد المغرب والمشرق وصقلية. ويبدو أن الإدريسي قصد صقلية لكونها أمل دار الإسلام، وكان بها من بني عمومته، وكان منهم القائد المشارك في الجهاد ضد روجر الثاني (485 / 1093. 549 / 1154) وكان من أفراد رعية الملك الصقلي النصراني بعد تغلبه، وهو الذي أخبره بالإدريسي وباهتماماته، ويذكر أن روجر استدعاه اهتماما منه بالجغرافية وذلك بعدما علم نفوره من الموحدين أعداء النورمانديين بإفريقيا.

خريطة الكرة الارضية للشريف الادريسي (عن كتاب الرواد)

ويرى F. Pons Boigues أن سكوت الكتاب العرب عن الإدريسي مرده إلى الأسلوب البارد الذي تحدث به عن الغزو الصليبي وإلى ما حلى به أمراء النصارى من عبارات التعظيم. وبعد موت روجر قسا ابنه غليوم على المسلمين وفر منهم من نجا من القتل ومنهم الإدريسي. ومعلوم أن هذا الأمير النصراني الجديد كان متعصبا بخلاف والده الذي اشتهر بإعطاء الحرية للمسلمين في صقلية وبإعجابه بالحضارة الإسلامية واقتباسه من فنونها وظهر تسامحه خاصة في المكانة الرفيعة التي حظي بها لديه الإدريسي.

أحصى بعض الباحثين ستة عشر عنوانا لمؤلفات الإدريسي، وهي في الواقع عناوين مترادفة أو جزئية لثلاثة كتب.

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ويعرف بكتاب آجار أو بالكتاب الرجاري لأنه ألفه لأمير صقلية روجر الثاني Roger II النورماندي. وهو موسوعة جغرافية دقيقة، وقد ألفه الإدريسي لشرح ما أنجزه أو أشرف على إنجازه من خرائط وهي سبعون خريطة على القماش بنسبة خريطة لكل جزء من الأجزاء العشرة لكل إقليم من الأقاليم السبعة.

وقد صنع الإدريسي إلى جانب الخرائط القرص أو الكرة الأرضية الفضية التي تمثل العالم المعروف آنذاك. وقد ضاعت عقب اضطرابات العامة سنة 555 / 1160. توجد من كتاب *نزهة المشتاق* ست نسخ كاملة على الأقل. وقد اكتشفت نسخة مبتورة منذ سنة 944 / 1538 بنابلس وهي محفوظة بباريس. وهي أول كتاب عربي في غير علوم الدين طبع بأوروبا عام 1001 / 1592 بروما في مطابع المديتشي المشهورة. ثم ترجم إلى اللاتينية من طرف مارونيين هما جبرائيل الصهيوني ويونس هورونيت فنشر في باريس عام 1619 تحت عنوان "جغرافية النوبة"، وترجم إلى الإيطالية عام 1600. وكل هذه النسخ لا تشير إلى اسم المؤلف.

طبعت منه مقتطفات عام 1793 حيث ترجم إلى الإسبانية ثم إلى الألمانية عام 1828، وطبعت خرائطه عام 1931 على يد ميلر. وطبع المجمع العلمي العراقي خريطة الإدريسي عام 1951 بطول مترين وعرض متر وهو القياس المناسب للأصل. وقد ترجمت إلى الفرنسية في نهاية القرن التاسع عشر عن مخطوط واحد فأتت رديئة. وقد تمت طبعة نقدية كاملة على أيدي مجموعة متعددة التخصصات والجنسيات برعاية المعهد الإيطالي للشرق الأوسط والأقصى بروما، وظهر الجزء الأول منها عام 1970 والجزء الأخير عام 1978. تحت عنوان "تأليف جغرافي" Opus géographicum، وقد اعتمدت أربع عشرة نسخة ما بين كامل ومبتور.

وقد ورد في مقدمة *نزهة المشتاق* أن ملك صقلية روجر هو الذي أمر بتأليف الكتاب، وقد حظي وصف المغرب وبلاد الإسلام بدقة أكبر ثم تأتي الأجزاء الأخرى من أوربا ما عدا البلطيق وروسيا والبلقان، ويرى جل الباحثين أن وصف إفريقيا جنوبي الصحراء وآسيا الجنوبية الشرقية اعتمد فيه الإدريسي على بطليموس وأضاف معلومات قيمة حول التجارة مع السودان والمراكز الثقافية الإسلامية بغانة وتكرور. إن أهمية كتاب الإدريسي تكمن في ما حاوله من التوفيق بين الجغرافية الرياضية والوصفية وفي شموليته ودقة الخرائط التي يشرحها.

ويقترن اسم الإدريسي بكتاب آخر هو *روض الأنس ونزهة النفس*، كان قد ثار جدل بين الباحثين حول نسبته للإدريسي. وقد عثر المستشرق نروفيتسي بمكتبة أوغلي باشا في إسطنبول على مخطوط هذا الكتاب منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر، وقد استغل ميلر خرائطه وأخرجها ضمن أطلس. ويرى فؤاد سزكين أن الكتاب من تأليف الإدريسي بالرغم من أن بعض نسخه قد ذكر فيها ابن سعيد وهو قد عاش بعد الإدريسي، كما أنه يعتبره كتابا قائما بذاته لا تلخيصا لكتاب *نزهة المشتاق*، ومنه نسخ بتركيا ونسخة بلندن انتقلت من حلب.

أما الكتاب الثالث فهو *الجامع لأشتات النبات* أو *الجامع لأشتات المفردات*.

عثر ريتر على مخطوطه بخزانة فاتح بإسطنبول عام 1928. وقد أخرجه مايرهوف وترجم مقتطفات منه. ضمنه أوصافا نباتية دقيقة، واعتمد في جانب منه كتب الأقدمين ولا سيما كتاب ديسقوريدوس اليوناني. وتضمن أيضا كثيرا من أنواع الحيوان والمعادن والأشجار المتخذة للعقاقير.

١. أبي أصيبعة، *عيون الأنباء في طبقات الأطباء* ؛ م. ابن جبير، *الرحلة* ؛ جرجي زيدان، *تاريخ آداب اللغة العربية* ؛ ع. ابن خلدون، *كتاب العبر* ؛ إ. أبو الفداء، *تقويم البلدان* ؛ الإدريسي الشريف، *أنس المهج وروض الفرج*، إصدار ومقدمة فؤاد سزگين، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية، فرانكفورت، المجلة 7، 1984 ؛ الإصفهاني، *خريدة القصر* ؛ أ. ت. المدني، *المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا* ؛ ص. الصفدي، *الوافي بالوفيات* ؛ حاجي خليفة، *كشف الظنون* ؛ ف. سزگين، *قضية نشأة الخرائط النسوية إلى بطليموس وعلاقتها بالأطلس المأموني*، محاضرة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 27 أكتوبر 1988 / 1409 ؛ م. الحاج صادق، *المغرب العربي في كتاب نزهة المشتاق للإدريسي*، تحقيق ونقل إلى الفرنسية، بوبليسوه، بلجيكا، 1983 ؛ أ. كراتشكو فسكي، *تاريخ الأدب الجغرافي العربي* ؛ ح. مؤنس، *الجغرافية والجغرافيون العرب في الأندلس*، مجلة الدراسات الإسلامية، مدريد، ج. 9، 1961، ج. 10، 1962، ص. 257 . 371.

مصطفى عياد

الإدريسي (الشريف الريفي). عندما تسلم سيلفستري Silvestre قيادة قوات الاحتلال الإسبانية بقطاع مليلية في فبراير 1920، كان معظم الريف مايزال ينعم بالاستقلال. إذ منذ وفاة الشريف محمد أمزيان في 15 ماي 1912 على نهر گرط، لم يتقدم الإسبان شبراً واحداً من هذه الواجهة، حيث ظل المجاهدون مرابطين بجبل ماورو المنيع واكتفى المستعمرون بالتقدم البطئ والحذر في الأراضي المنبسطة نحو الجنوب . لكن سيلفستري المندفع والمتعجرف بطبعه، استبدل هذه الخطة بأخرى تعمد فيها إظهار تحديه للريفيين. فاكتسح أرض الريف على رأس جيش جرار بلغ عدده عشرين ألف جندي مجهز بكل أنواع الوسائل الحربية، من غير القوات التي كانت موجودة بالمراكز المحتلة، ومجندي القبائل المحتلة. وفرق البوليس الأهلي.

أما سكان الريف فوقفوا مشدوهين حائرين لعدم وجود قيادة تبلور إرادتهم في الوحدة والحرية. إذ أن أسلوب مواجهة القبائل للاحتلال منفردة لا يجدي شيئا أمام تفوق جيش الاحتلال عدة وعدداً. ومع ذلك فإنهم كانوا يتوفرون في تجربتهم مع الشريف أمزيان على الزاد الروحي والمعنوي، وعلى الحل العملي لمواجهة الموقف الخطير. لكن هل كان الريف يتوفر على شخصية في مثل مستوى أمزيان، تستطيع مواصلة ما بدأه هذا ؟

لقد جاء الجواب من أجدير إذ اتجهت الأنظار إلى أسرة الخطابي عندما انقلب زعيمها الفقيه عبد الكريم الخطابي ضد الإسبان ،خاصة بعد احتلالهم لقبيلتي بني توزين وتمسمان المجاورتين لقبيلة بني وريا‌غل، وهما درعها الواقي من جهة الشرق. وبينما هو منكب على توحيد صفوف المقاومة وتنظيمها توفي فجأة يوم 7 غشت 1920. وفي هذا الظرف الدقيق والخطير، وبينما كانت القبائل الريفية منشغلة في البحث الحثيث عمن يملأ مكان الزعامة الشاغر، ويجمع شملها ويبلور طموحها نحو الحرية، ظهر بقبيلة بني وليشك شخص ادعى الشرف، وتقدم أمام الناس باسم الإدريسي يدعوهم إلى الالتفاف حوله واتباعه من أجل مقاومة الاحتلال الإسباني. وأثيرت الشكوك حول هويته الحقيقية لكونه مجهولاً في الريف لم يسبق لأحد أن سمع به أو تعرف عليه وبالأحرى معرفة طويته. وغلب الظن بأنه ربما كان صنيعة فرنسية أرسل لخلق المتاعب للإسبانيين والانتقام منهم بسبب ما ظهر منهم من غض الطرف عن النشاط الألماني المعادي لفرنسا في منطقة احتلالهم خلال الحرب العالمية الأولى وذلك بواسطة كل من محيي الدين بن عبد القادر الجزائري، وهامان الألماني وعبد الكريم الخطابي.

ومع ذلك فقد استمال بعض الناس بوعده إياهم بالمال والسلاح، فاتبعوه. وأسس مركزاً للمقاومة في مكان يدعى "تَاوَرْضَا" ومن هناك بدأ الاتصال بالقبائل، يدعوها للانضمام إلى حركته للوقوف في وجه الجيش الإسباني خاصة بعد سقوطَ "تَافَرْسِيتْ" في قبضة المستعمر، فأصبح الطريق بذلك مفتوحا أمامه إلى قبائل بني وليشك وبني توزين وبني سعيد. فاستجابت هذه القبائل. إضافة إلى قبائل أخرى، لدعوته مادام العدو واحدا. فبعثت كل واحدة بمن يمثلها في الاجتماع الذي ترأسه الشريف الإدريسي المذكور في مركزه بتاورضا، وتم الاتفاق على أن تتولى كل قبيلة من القبائل الثلاث المذكورة تكوين فرقة من المقاتلين بأرضها، ولعل هذا الاتفاق لم يكن إلا صيغة ضمنية لفشل "الشريف الإدريسي" في إقناع الممثلين الحاضرين بأهليته للزعامة والقيادة. إذ في هذا التاريخ، كان محمد بن عبد الكريم الخطابي قد جمع حوله قبيلة بني وريا‌غل، وجلب إليه أنظار القبائل الأخرى. فلم يبق "للشريف" المذكور أمل في كسب ثقة الناس، فتوارى عن الأنظار عندما استأنف الجنيرال سيلفستري Silvestre زحفه ابتداء من 5 دجنبر 1920، محتلا بالتوالي "تاورضا" مقر "الشريف الادريسي" وبن الطيب وجزءاً من بني وليشك ثم جبل "ماوْرو".

G. AYACHE, *Les origines de la guerre du Rif* ; *Servicio Militar de Historia de las Campañas de Marruecos*, Madrid 1981, T. III, pp. 379, 395 et 619.

مصطفى أريب

الإدريسي الشريف السلوي، أبو القاسم محمد ويكنى أبا الفضل. من أكبر تلاميذ الإمام عرفة التونسي وأحمد بن إدريس البجائي. ألف كتابا في التفسير في مجلدين قيّد فيه ما سمعه من شيخه ابن عرفة، مثلما فعل

رفيقه في الطلب عبد الله البسيلي، فكان كتاباهما يعدان معاً *تفسير ابن عرفة* وقد أمر أحمد المنصور الذهبي بعض علماء مراكش باستخراج تفسير هذا الإمام من تقاييد تلميذه الإدريسي والبسيلي.

وألف الإدريسي كذلك كتاباً آخر شرح به *صحيح مسلم* سماه *إكمال الاكمال* اعتمد فيه على أبحاث ابن عرفة وأصحابه، قال عنه أحمد باب "نفيس إلى الغاية". ومعلوم أن الإكمال أو *إكمال المُعلم* هو للقاضي عياض الذي تمم به شرح محمد بن علي المازري لصحيح مسلم *المُعلم بفوائد كتاب مسلم*. وقد علق على شرح عياض عالمٌ آخر من تلاميذ الإمام ابن عرفة الذي كان شغوفا بشرح عياض مداوما على إقرائه، وهو محمد الأبّي الذي سمى شرحه *إكمال إكمال المُعلم*. ولمعاصرهما عيسى بن مسعود الزواوي المكلاتي شرح لصحيح مسلم يحمل نفس العنوان *إكمال الإكمال*. إلا أنه جمع فيه أقوال الأئمة النووي وعياض والمازري.

وقد أخذ عن الإدريسي السلوي كثيرون، منهم : عبد الله بن ناجي شارح *المدونة* الذي نقل عنه فيها كثيرا. ولا يعرف تاريخ وفاة الإدريسي، وإنما يقدر أنه مات أواخر القرن الثامن الهجري / 14 م.

أ. باب السوداني، *نيل*، 225 ؛ مخلوف، *شجرة النور*، 250 ؛ م. ابن علي الدكالي السلوي، *إتحاف أشراف الملا*، مخطوط ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 16 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 141.

محمد حجي

الإدريسي، عبد الرحمان بن عبد الله بن محمد، ينتهي نسبه، حسب ما ورد في كتاب *الدر النفيس*، إلى علي بن أبي طالب. ولد بمراكش سنة 610 هـ/ 1213 م .

وأخذ على مشاهير علماء عصره، كابن عمه القاضي أبي القاسم بن عبد الرحمن، درس عليه *الأحكام الصغرى* لعبد الحق، *والموطأ* ؛ وأبي الحسن علي بن قطرال، سمع عنه *صحيح مسلم* بمراكش، وحدثه به عن أبي عبد الله ابن سعادة الشاطبي ؛ وأبي مروان الباجي، درس عليه *صحيح البخاري* بسبتة، بقراءة أبي الفتوح بن فاخر. كما كان دائم الحضور لمجلس أحمد العزفي بسبتة.

أوردت له المصادر مجموعة أنظار في أغراض مختلفة، منها قوله في مذهبه:

أيا سائلي عن مذهبي، إنّ مذهبي تجنُّبُ خَلقِ الله كُلَّ التَّجنُّبِ
وصدقٌ وصَبْرٌ دائمٌ وقَنَاعَةٌ وإخلاص ود للصديق المهذب
وسَادِسُه تَرْكُ الجِدَالِ بأسْرِهِ وسَابِعُه ألاّ أبوح بمذهبي

ومن هذه الأنظام مقطوعة في معارضة قصيدة لأبي الحسن الرعيني، مطلعها:

أقلَّ لَومي لَمّا قد رأى ولَهِي وكفَّ لَمّا رآني كاسف البال

توفي عبدالرحمان الإدريسي بعد سنة 682 هـ / 1383 م.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال* ؛ أ. الحلبي، *الدر النفيس والنور الأنيس في مناقب الإمام إدريس*، ط. حجرية، 1299 ؛ ع ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 89 ـ 91 ؛ 9 : 128 ـ 134.

حسن جلاب

الإدريسي، علي بن **عبد الواحد** الحسني الزرهوني. فقيه مدرس مفت، له مجموعة فتاوى، وختمات عدة كان يؤلفها عند إنهاء تدريس بعض الكتب، منها ختمة على شرح بنيس الهمزية، وختمة على شرح ميارة *للمرشد المعين*. توفي في سابع وعشري ذي الحجة من عام 1357 / ودفن بالضريح الإدريسي بزرهون.

الإدريسي، عمر بن **إدريس** الحسني (الدكتور ـ) ولد بفاس سنة 1925، وتابع دراسته الابتدائية بفاس بمدرسة الدوح "سيدي الخياط" والتحق بالمدرسة الإسلامية الإدريسية (ثانوية مولاي إدريس) سنة 1938، وفي سنة 1944 حصل على شهادة الباكلوريا، ثم انتقل إلى الجزائر ليدرس الطب، ومنها إلى باريس سنة 1945 حيث أحرز على شهادة الاختصاص في أمراض الأنف والحلق والحنجرة سنة 1952.

أجرى تداريبه الأولى بمستشفى ابن الخطيب (كوكار سابقا) بفاس ثم بمستشفى الزريطانة (ميرا سابقا) بفاس أيضا. ومنذ سنة 1954 أخذ يعمل بمستشفى سيدي الصوفي بالدار البيضاء، هناك حاليا جناحان يحملان اسمه. وفتح عيادة مع الدكتور محمود التازي، لا تزال العيادة قائمة الى اليوم في شارع يحمل اسم عمر الإدريسي بالدار البيضاء. كان يتهيأ للتزوج قبيل اغتياله.

ينتمي عمر الإدريسي إلى المجموعة الأولى من تلاميذ المدرسة الإدرسية العاملين في صفوف الحركة الوطنية. اعتقل سنة 1944 وهي السنة التي اجتاز فيها امتحان الباكلوريا ـ نظرا لمشاركته في المظاهرات التي أعقبت تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال. وفي الجزائر تعرض لرفض تجديد تسجيله بالجامعة نتيجة الملف الأسود وهو عبارة عن تعليمات الإقامة العامة الفرنسية التي كانت تلاحق الطلبة العاملين في صفوف الحركة الوطنية.

وفي باريس أصبح عضوا في جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين، ثم أسس نواة لجمعية الطلبة المغاربة كان مقرها بالمقاطعة الخامسة بباريس بغرفته وكانت تعرف "بدرب الگباص".

في 21 أبريل سنة 1956 / 1375 وفي طريقه نحو العيادة بعد خروجه من المستشفى تعرض عمر الإدريسي لعملية اغتيال أثارت كثيرا من التساؤلات حول مصدرها، خاصة وأنه كان على علاقة مع منظمة الهلال الأسود.

وقد رفع أخوه محمد مجموعة من البرقيات إلى الحكومة المغربية التي تكونت بعد الاستقلال، كما استقبل من طرف السلطان محمد الخامس. وكتب أخوه الشريف رسالة مفتوحة الى جريدة "الأيام" يتهم فيها بعض الجهات باغتيال أخيه تحت عنوان " ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ... وتعتبر أسرته أن الحكم على أحمد الطويل بالإعدام

كان من أجل إغلاق ملف اغتيال عمر الإدريسي. وحمل منذ ذلك الحين لقب الشهيد عمر الإدريسي.

الإدريسي، الفاطمي بن الهادي بن محمد الفضيل الحسني الجوطي. فقيه مشارك مطلع، اشتهر إلى جانب علمه بدماثة أخلاقه. له *تأليف* في الصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومجموعة من الدعوات والأذكار توفي بمسقط رأسه فاس في ربيع الثاني من عام 1296 / ودفن بالضريح الإدريسي.

الإدريسي، محمد بن عبد الواحد الحسني الزرهوني. ولد عام 1250 / 34. 1835 بزرهون، ودرس بفاس ثم رجع الى بلده عام 1276 / 59. 1860. كان علامة مشاركا مطلعا شاعرا، له تآليف وتقاييد كثيرة منها *حاشية* على صحيح البخاري توجد مخطوطة عند حفدته، صورت على المبكرو فيلم في جائزة الحسن الثاني عام 1988. و*رسالة* في زيارة الأولياء في ثلاثة كراريس، و*رسالة* في جواز الاكل قبل آذان الفجر في رمضان.وروضة الأكياس وتحفة الجلاس وبغية الانفاس في قعدود شيخنا المرى أبي العباس، وهو نظم في نحو 300 بيت في نسب السوديين وترجمة الشيخ أحمد بن الطالب بن سودة. وكانت وفاته عام 1324 / 6. 1907.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، عام 1324؛ حاشية المترجم على الصحيح، مخطوط.

لطيفة بناني سميرس

الإدريسي، يوسف بن عابد الفاسي الحضرموتي، من آل أبي الوكيل الشرفاء الأدارسة المعروفين حتى اليوم ببلاد أنكاد (يكتبها المترجم بالقاف : أنقاد) من المغرب الشرقي. وبذلك فإن نسبته الإدريسية عامة كسائر آل إدريس الأزهر غير القيطونيين. ولد بقرية الفيضة في أنكاد حوالي عام 966 / 1559، وخرج منها وهو ابن إحدى وعشرين سنة إلى فاس طلبا للعلم، حيث مكث ست سنوات مقيما بالمدرسة المصباحية قرب جامع القرويين أو بمدرسة الوادي القريبة من جامع الأندلس، آخذا عن عدد من الشيوخ القرآن الكريم وعلومه، والتوحيد والفقه والسيرة وقواعد اللغة، إضافة إلى الحساب والتوقيت والنجوم، وتعاطى السيمياء ثم تخلى عنها. كان يخرج عندما تتوقف الدروس في فصل الربيع، لزيارة الصالحين الأحياء والأموات ويتردد على مدن مكناس وسلا، وأسفي، ومراكش وتارودانت، وقرى درعة وتافيلالت. وفي عام 988 / 1580 أصابت بلاد أنكاد ريح أهلكت الزرع فنزح أهله إلى وادي اللبن على بعد مرحلة ونصف من فاس، إلا أن وباء تفشى في هذه المنطقة هلكت فيه أمه وأخواه وأخته وأكثر من عشرين شخصا من أقاربه، فجزع يوسف لذلك كثيرا حتى خيف عليه الهلاك. وبعد انتهاء الدراسة في ربيع عام 990 خرج من فاس آخر صفر/مارس 1582، فقام ـ كعادته ـ بسياحة صوفية في مختلف جهات المغرب، إلاأنه لم يعد إلى فاس وإنما عبر الصحراء إلى قابس وجربة بتونس ومصراته بليبيا، فالقاهرة حيث لقي كبير شيوخ الشاذلية محمد بن الحسن البكري، والحجاز حيث أدى فريضة الحج عام 991 / 1583، ومن جدة توجه إلى اليمن لزيارة الشيخ أبي بكر بن سالم في قرية عينات بحضرموت. وقد احتفى الشيخ بلقائه "وجعله شيخاً مربياً، ثم لم يلبث أبو بكر أن مات في السنة الموالية، فخلفه يوسف الإدريسي مدرسا ومربيا، واشتهر أمره هناك، وتزوج وأنجب الأولاد والبنات، وألف عدة كتب لم نطلع إلا على واحد منها هو *ملتقط الرحلة* التي أملاها بحضر موت 1036 / 1627، وقد أناف عمره على سبعين سنة، يذكر فيها أسرته وحياته بالمغرب وانتقاله إلى اليمن. وقد نشر أخيرا *ملتقط الرحلة* من المغرب إلى حضرموت بتحقيق أمين توفيق الطيبي. وهي غنية بالإشارات المفيدة في مختلف الجوانب الدينية والعلمية والاجتماعية المتعلقة بتاريخ المغرب في القرن العاشر الهجري / 16 م. ولو أن أسلوبها يقرب أحيانا من العامية. وللمترجم مؤلفان آخران ذكرهما في *ملتقط الرحلة*، *الدرة الفاخرة* في ذكر من لقيته من رجال الآخرة، و*كتاب لبس الخرقة*. ولم نقف على تاريخ وفاته.

يوسف بن عابد الإدريسي، *ملتقط الرحلة*، الدار البيضاء، 1988.
أ.ت الطيبي، *مقدمة ملتقط الرحلة*.

الإدريسية، عائشة بنت أحمد بن عبد الله الحسنية الشفشاوية من ذرية الأمير محمد بن إدريس الأزهر. تكنى أم أحمد، وهي والدة محمد ابن عسكر مؤلف *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*. وقد خصها ولدها في هذا الكتاب بترجمة مطولة في نحو خمس صفحات تتلخص في أنها كانت صالحة صوامة قوامة، صوفية ذاكرة. أخذت عن عدد من شيوخ العلم والتصوف أمثال عبد الله الغزواني، وعبد الله الهبطي صاحب زاوية الجبل الأشهب بالريف، وصهره أبي القاسم ابن خجو، وعبد الوارث بن عبد الله البالصوتي والشريفين العلميين علي وعبد الرحمان ابني ريسون، وغيرهم.

كانت لها زاوية بمدينة شفشاون تربّي فيها المريدات، وتقيم فيها حلقات الاذكار على طريقة متصوفة الشاذلية الجزولية التي تمتاز بمزيد من المحبة في الرسول الكريم والإكثار من الصلاة عليه والتسليم. وتعرف هذه الزاوية أكبر احتفال سنوي ليلة المولد النبوي الشريف حيث تطعم عائشة الطعام لنساء المدينة وصبيانها على عادة فضلاء أهل المغرب.

كان زوج عائشة علي بن عمر بن الحسين بن مصباح الحسني صالحا مثلها، مجاهدا في سبيل الله، أسره النصارى في طنجة وبقي بها مدة سجينا مع رفيق له في مطمورة. وبعد وفاته وتعيين ولدها محمد ابن عسكر قاضيا بالقصر الكبير، انتقلت عائشة إلى هذه المدينة مكرهة، أزعجها إليها أمير شفشاون محمد بن راشد، وكان

بينه وبين ابن عسكر منافسة ومشاحنة، وبها أدركتها الوفاة يوم الأربعاء 12 ذي القعدة عام 969 / 14 يوليوز 1562. ودفنت خارج باب سبتة أخذ أبواب القصر الكبير "وقبرها هناك، مشهور والناس يستشفون بترابه".

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، 23. 27 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، 93 ؛ ع. كحالة، *أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام*، 3 : 5.

أدَقال، أو أدْوَقال، قصر صحراوي من قصور اكتاوة التي ينيف عددها على الخمسين وتنتشر على ضفاف نهر درعة بأسفله في واحة مستطيلة من النخيل. يبعد قصر أدقال عن تَكُونيت المركز الإداري لاكتاوة بنحو ثلاثة كيلومترات إلى الجنوب كما يبعد عن زاگورة بنحو ثمانية وخمسين كيلومترا.

يستمد قصر أدقال اسمه من أسرة شريفة استقرت به "أواخر القرن التاسع / 15 م. ذلك أن آل أدقال الحسنيّين كانوا قد هاجروا قبل ذلك من موطنهم الأصلي بفگيگ إلى سوسانة بتونس ورجع محمد بن أحمد أدقال إلى اكتاوة واستوطنها، وبها ولد له الفقيه محمد بن محمد أدقال صاحب المراسلة العلمية في التوحيد مع إمام فاس أحمد المنجور. وربما كان لاستقرار آل أدقال علاقة بقيام دولة الشرفاء السعديين. ومن المؤكد وجود صلات متينة بين قصر أدقال وقصر زاوية سيدي علي بتمگروت جارة تگمادارْت دار السعديين الأولى بدرعة. كما أنه من المؤكد أيضا اتحاد المشرب الصوفي لكل من الأدقاليين والسعديين مريدي الشيخ أحمد بن موسى السملالي. ويحتفظ الأدقاليون اليوم في قصرهم بظهير لعبد الله الغالب مؤرخ بأواخر رمضان عام 973 / أبريل 1566 يتضمن تعظيم هذه الأسرة وتوقيرها.

أدْقال، أحمد بن محمد الحسني السوساني الدرعي. توفي والده وهو صغير فكفله الشيخ محمد بن علي التمگروتي وربّاه في زاويته. ثم خرج أحمد في طلب العلم إلى زاوية ابن مهدي في أرياض مدينة زاگورة ومنها إلى فاس حيث أخذ عن الشيخين عبد الوهاب الزقاق وعلي بن هارون وطبقتهما قبل أن يتوجه إلى سوس لسلوك طريق القوم على يد الشيخ أحمد بن موسى السملالي. وقام أحمد أدقال بعد ذلك برحلة طويلة إلى المشرق حيث لقي عددا كثيرا من العلماء والصلحاء. ثم رجع إلى مسقط رأسه بقصر أدقال عالما محصلا متوسعا في الروايات، وشيخا مربيا عارفا بأدواء النفوس وطرق علاجها، واشتغل بالتدريس والتربية مدة طويلة إلى أن أدركته الوفاة سنة 1023 / 1614.

خلّف أحمد أدقال ثلاثة أشياء : 1. *كتاباً* في ترجمة شيخه أحمد بن موسى السملالي، يعد ـ على صغر حجمه ـ من المصادر الأساسية لحياة هذا الشيخ الذي طبقت شهرته الآفاق. 2. خزانة علمية غنية جمع نفائسها خلال رحلاته الطويلة بالمغرب والمشرق. 3. وصية لأبنائه بالمحافظة على الكتب وعدم بيع شيء منها، والابتعاد عن الوظائف المخزنية وعدم مخالطة علماء الدنيا ومبتدعة الفقراء.

محمد حجي

أدماي، جبل في إقليم مراكش، ذكره الوزان في *وصف إفريقيا* (ص. 113)، ويغلب على الظن أن الكلمة مصحفة من "أنْماي" التي ذكرها، وهي قصبة كانت قرب سيدي رحال بموطن زمران حاليا، لأن الجبل الذي يصفه إنما هو واقع وراءها منسوب إليها، وهو الممتد من تيزي ن تْلوات إلى جهة تاسَوْت.

أحمد التوفيق

إدْمُونْدو دي أمسيس، E. di Amicis كاتب إيطالي شهير (1846. 1908) تجول بمختلف ثغورا لمغرب سنة 1875 ووضع عن رحلته كتابا سماه Marocco نشر بميلانو سنة 1876 وترجم إلى الفرنسية عام 1882 بباريس وإلى الانجليزية سنة 1886 بلندن. وقد ضمنه معلومات مفيدة عن المغرب.

م. بوشعراء : *الهجرة من المغرب وإليه* (مخطوط).
J. L. Miège, Le Maroc et l'Europe.

مصطفى بوشعراء

أدْميركُوري Ad Mercuri يعتبر الدليل الانطونيني Antonini Itinerarium لحد الآن المصدر الوحيد الذي يذكر هذه العبارة اللاتينية (Cuntz, *Itineraria romana*, pp. 1,3 ; Miller, *Itineraria Romana*, pp. Lv, 945-948) Ad Mercurios إلا أنها استعملت كاسم مشترك لمحطتين بموريطانيا الطنجية : الأولى جنوب طنجة وتبعد عنها بـ 18000 خطوة وعن زيليس Zilis بـ 6000 خطوة، والثانية جنوب سلا Sala وتبعد عنها بـ 16000 خطوة.

للتمييز بين هاتين المحطتين ـ أطلق شارل تيسو Charles Tissot على الأولى اسم أدميركوري Ad Mercuri وعلى الثانية اسم أدميركوريوس Ad Mercurios (Recherches, pp. 267 - 271) وبقي هذا التقليد معمولا به إلى الآن.

في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، زار هذا الديبلوماسي الفرنسي قرية الدشر الجديد الواقعة على بعد 31 كلم جنوب طنجة وتعرّف بالقرب منها على خرائب اعتبرها آثاراً لمحطة أدميركوري (Recherches, pp. 269 - 271)، وقد جاراه في هذا الزعم هنري دولاماتينيير Henri De La Martinière (Notes, pp. 277 - 280) وروني كانيا René Cagnat (L'Armée, p. 276) ولوي شاتولان Louis Chatelain (Le Maroc, pp. 44-46) ورَيموند روجي Raymond Roget (Index, pp. 13-15) وميگيل طارديل M. Tarradell (Guia, pp. 33-34). وخلال فترة طويلة ظن معظم المهتمين بهذا الموضوع ان الدشر الجديدهو أدميركوري وزيلس هي أصيلة الحالية.

غير أن موريس أوزينا Maurice Euzennat أعاد النظر في هذه القضية سنة 1960 (Les voies, pp. 595 - 610)

وخلص من خلال تحرياته إلى أن الدشر الجديد هو زيليس وأدميركوري محطة صغيرة يجب البحث عنها في الجهة الشمالية ما بين الدشر الجديد وطنجة، وذلك لأن المساحة التي تضم آثار الدشر الجديد تتعدى بكثير تلك التي يمكن أن تنسب لأدميركوري ولأن مسافة 31 كلم التي تفصل طنجة عن الدشر الجديد تفوق مساحة 18000 خطوة (26 / 27 كلم) الواردة في الدليل الأنطونيني ولا تختلف كثيراً عن المسافة ما بين طنجة وزيلس حسب نفس المصدر دائما (24000 خطوة = 6000 خطوة + 18000 خطوة أي 36 كلم على وجه التقريب).

ومع حلول صيف 1977، وتحت إشراف مصلحة الآثار المغربية آنذاك شرعت بعثة مختلطة مغربية - فرنسية في إجراء حفريات بالموقع الأثري للدشر الجديد ومازالت هذه التنقيبات مستمرة لحد الآن بمعدل شهر كل سنة. وقد تكللت خلال صيف 1986 بنتائج مهمة تتمثل أساساً في الكشف عن ست نقائش تشريفية أخذت من مكانها الأصلي واستعملت كحجارة للبناء في الجزء المدور من البرج الشمالي للباب الشمالي - الغربي. وتفيدنا قراءة النقائش الثانية والثالثة والرابعة والسادسة بأن الدشر الجديد، هو بالفعل المكان الذي أقام فيه الإمبراطور أوغسطس Augustus المستوطنة الرومانية زيليل Zilil ما بين سنة 33 ق.م وسنة 25 ق.م وحسب الخريطة الطوبغرافية الخاصة بمنطقة المنزلة ذات المقياس 50000 / 1 فان إحداثيات لامبير Lambert لهذا الموقع هي : 453,100 / 546,950 Fouilles,) (BAM. XIV, pp. 169 - 246)، بمعنى أن الدشر الجديد لا علاقة له بمحطة أدْميركُوري التي من المفروض على ضوء كل هذه الاعتبارات أن توجد شمال زيليل على طول الطريق الرومانية القديمة المؤدية إلى طنجة، وربما في مكان يناسب نقطة التماس بين دائرتين اثنتين : الأولى مركزها طنجة وشعاعها 18000 خطوة،والثانية مركزها زيليل أي الدشر الجديد وشعاعها 6000 خطوة.

Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Mauritanie Tingitane*, "Mélanges présentés par divers savants à l'Academie des Inscriptions et Belles lettres de l'Institut de France", 1ère série, IX, 1878 ; H.P. De la Martinière, *Notes sur les ruines de Ad Mercuri*, dans BCTH, 1889, pp. 277-280 ; R. Cagnat, *L'Armée romaine d'Afrique*, Paris, 1912 ; K. Miller, *Itineraria Romana*, Stuttgart, 1916, p. LV et pp. 945-948 ; O. Cuntz, *Itineraria Romana*, I, *Itineraria Antonini Augusti et Burdigalense*, Leipzig, 1929, pp. 1,3 ; R. Roget, *Index de topographie antique du Maroc*, dans PSAM, IV, 1938 ; L. Chatelain, *Le Maroc des Romains*, Paris, 1944 ; M. Tarradell, *Guia arqueologica del Marruecos español*, Tetuan, 1953 ; M. Euzennat, *Les voies romaines du Maroc dans l'Itinéraire Antonin*, "Hommages à Albert Grenier", coll. Latomus 58, 2, Bruxelles, 1962, pp. 595-610 ; M. *Lenoir* et alii, *Fouilles de Dchar Jdid 1977-1980*, dans BAM. XIX, 1981 - 1982, pp. 169-246.

محمد مقدون وعلي واحدي

إدناسن ← زناتة

أدْوَال، صيغة أمازيغية لكلمة الدَّولة بمعنى المداولة والتناوب، وهو اصطلاح معروف في الأطلس الكبير وحوز مراكش وسوس. وفي أماكن أخرى يطلق على جولة الطلبة الحافظين للقرآن في قرى القبائل للحصول على ما به يستعينون على حياة الطلب والاعتكاف بالمساجد لإتقان القراءات القرآنية خاصة، حيث يجمعون نقودا وزرعا ورؤوس أغنام.

والعنصر الأساسي في نجاح دورة من دورات أدْوال هو وجود طالب مقدم يكون بمعسوب الجماعة المتفقة على الجولة تأتمر بأمره في الانضباط والخدمات من حين خروجها إلى ساعة إيابها، وعددها اثنان فأكثر. ومن صفات المقدّم إتقان الدعاء وإحسان التصرف وتوفر النشاط والإقدام، وهي صفات قلما تتوفر في الطلبة. ومن الطلبة من صار شغله الشاغل هو أن يتقدم على طلبة أدْوال فلا يعود من جولة مع مجموعة حتى يؤلف مجموعة جديدة لجولة أخرى.

وتبدأ الجولة التي تُختار لها مواسم مواتية للفلاحين بحسب المناطق بأن ترسل الجماعة رسائل إلى القرى بقصد الإخبار وإعداد الضيافة، ويكون السفر على الأقدام، وإذا تم الوصول إلى قرية قصدت جماعة الطلبة إلى مسجدها حيث تجتمع عليهم جماعة فلاحي القرية المتبركين فيأتون بأفضل القِرى من أجود أطعمتهم. وبعد صلاة العصر أو المغرب (حسب وقت الوصول) يقرأ الطلبة الوافدون الحزب الراتب من القرآن لذلك اليوم ثم يتحلقون حول صواني الشاي الذي تتلوه المأكولات، ويقومون بقراءة أحزاب من القرآن بصيغة بدوية خاصة ترفع فيها الأصوات وتدغم الحروف وتكون بإيقاع يشبه السيل المندفع الجارف يتخللها الوقف الممدود فيه الصوت أو المنقطع بعنف، وتسمى هذه الصيغة من القراءة بتاحَزّابْن (أي الطريقة الخاصة لقراءة الحزب) وهي صيغة عدها كثير من الفقهاء بدعة، ولكنها تعبير عن الطاقة المتدفقة لهؤلاء الشباب المتحمسين المعتزين تنطوي على بعض الفخر والزهو بحفظ كتاب الله. وقد تكون الجلسة والمأدبة بدار أحد أعيان القرية من القواد أو الشيوخ أو المقدمين أو غيرهم، وقد يكون المبيت عنده أو بمسجد القرية، وقد لا يستجيب أهل القرية لرغبة الطلبة فلا يكون استقبالٌ ولا قرى وإنما يبيتون جوعى إلى الصباح فيغادرون. ولما كان لَلفلاحين اعتقاد راسخ بأن دعوة طلبة أدْوَال دعوة مستجابة فإن إهمالهم أو نهرهم لا يحدث إلا نادرا. وفي آخر كل جلسة يقوم مقدم الطلبة بإلقاء أدعية تستنزل الخيرَ والبركات على المضيفين فيؤمن عليه الطلبة الآخرون. وفي الغد تجمع لهم التبرعات فإذا كان فيها حبوب باعوها وإذا كانت فيها أغنام عينوا من بينهم من يقوم برعيها إلى أن تباع في الأسواق.

ومن الطريف أن نزول طلبة أدوال بقرية قد يكون وبالاً على المعلم بمسجدها حيث يتجرأ بعضهم على امتحان حفظه، وقد يكون محل تعبير واستهزاء وقد يرحل أو تفسخ عقدته، ولأدوال صيغة مكبِّرة تتمثل في النزهة السنوية للطلبة بسوس على النمط الذي وصفه محمد المختار السوسي في كتابه *مدارس سوس العتيقة* (38-43).

معاينة ميدانية.

محمد سامي - أحمد التوفيق

أدُوزْ، قرية بأرض بقوية، منضوية تحت فرقة نگيديت واقعة في أقصى الشمال من تراب الفرقة عند قدم الجبل المعروف بنفس الاسم (552 م). وتتصدر الأهمية بين القرى المجاورة كأيت مرشون وإمرابط واختورن وأيت بويدير.

وأدوز معروفة منذ القرن السادس الهجري بشيخها المتصوف الحاج بن عبد الحليم الأدوزي، أحد تلامذة أبي داود التمسماني (المتوفى 578 هـ)، وبها زاويته المشهورة وعقبه.

ع. البادسي، *القصد الشريف*، 63 ، 64 ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية*، الخريطة الطبوغرافية (1972) مقياس 1/100.000، ضابط القبائل لنيابة الأمور الوطنية، ص. 85، تطوان 1952.

Moulieras, *Le Maroc inconnu* 2 : 93 ; 245-246 ; *Geografia de Marruecos ; Mision de los campanas de Marruecos*, T. II, p. 232, Madrid 1936.

حسن الفگيگي

أدُوزْ، قرية بقبيلة إدَاوْلْتيتْ، بأرْض إداوْ بعقيلْ في جبال الأطلس الصغير على الطريق الممتدة من مدينة تيزنيت إلى أنْزي. وقد أنجبت كثيرا من العلماء وبخاصة من أسرة اليعقوبيين الأدوزيين.

ومعنى أدوز باللسان الأمازيغي : الربوة، على ما يبدو. وتوجد قرى بالمغرب بهذا الاسم نعرف منها (أدوز ـ نْ ـ سعود) بقبيلة هشتوكة قرب دائرة بيگرا بسهل سوس، و(أدوز ـ نْ ـ سيدي منصور) و(أدوز ـ نْ ـ سيدي محمد أوشّن) وكلاهما بقبيلة (إداگيلول) من قبائل حاحا قرب دائرة تمانار على ساحل البحر.

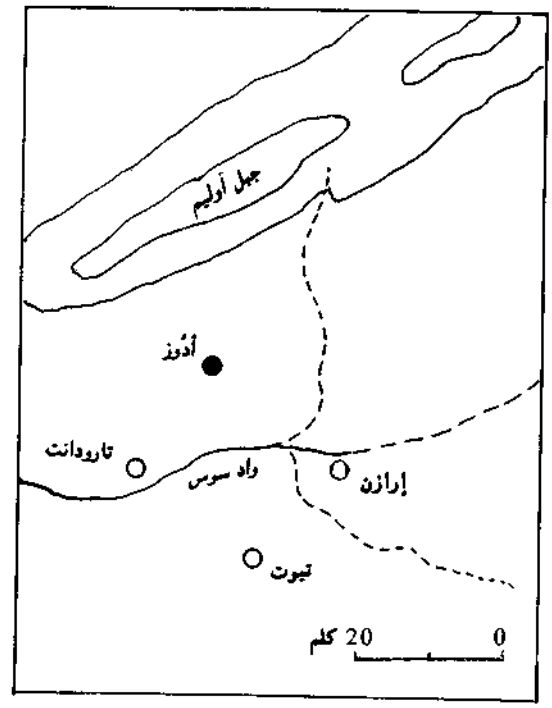

وكانت أدوز تسمى قبل القرن الثاني عشر الهجري (18.م) (إداوتسانا)، ثم عرفت بأدوز، وتنقسم الى أدوز الشمالية (تيشوقار) وأدوز الجنوبية (تيسگدال) وبالقرب منها قرى من بينها (تاوريرت) سكنى البومهديين إلى الآن، وقرية أيت حساين، وفي غربها أكَالْ مْلُولْنْ قرب أسَكَا أوْلاَغْ . غير أن أدوز لم تشتهر إلا في القرن الثامن عشر. عندما انتقل إليها جد الشرفاء اليعقوبيين الأدوزيين، السيد محمد بن عبد الله بن يعقوب بدعوة من البومهوديين الذين تربطهم بوالده أوثق الأواصر، وقد (شارط) محمد بن عبد الله في مسجد أدوز مدة ثم انتقل إلى قريته الأصلية (تازْمُوتْ) بقبيلة سملاله، وفيها توفي، بعده أصبحت أدوز مقرا للشرفاء اليعقوبيين من نسله، حيث خلّف بأدوز ستة من أبنائه، وكان من بينهم خليفته في المدرسة ابنه السيد إبراهيم بن محمد جد آل تيشوقار. كما كان أخوه السيد محمد جد أيت أگرامْ عالما ترك مؤلفات في فنون شتى، أما ابنه الثالث السيد على بن محمد ـ جد آيت الفقيه ـ فلم يعرف عنه أن له معارف، فضلا عن التآليف.

وقرية أدوز ذات عيش شحيح، ولذلك كان مورد سكانها يعتمد على التوظيف، إما بتعليم القرآن في المساجد، أو بتعليم العلوم العربية في المدارس أو بالفصل بين الناس ومعالجة مختلف النوازل، فنبغ عدد من العلماء الأدوزيين، ولعل الشهرة التي حظى بها مسجد "تاماشت" بأدوز لدى سكان جبال جزولة تعود إلى تقدير العلماء العاملين الذين أنجبتهم هذه الجهة.

أما حال قرية أدوز الآن، فإن أغلب سكانها أصبحوا ـ منذ عهد الاستقلال حينما فتحت أمامهم أبواب التوظيف والعمل ـ يهاجرون مع أسرهم إلى مختلف المدن، فتحولت القرية مسكنا للمسنين، وأصبح أبناء المهاجرين يألفون الوسط الحضري، رغم محاولة الآباء ربط الصلة بقرية أدوز، حيث يقضون بها أيام العطل السنوية مع أبنائهم، فيرممون منازلهم أو يحدثون منازل جديدة، فان أبناءهم الشبان استأنسوا بالوسط الحضري مما ينبئ باحتمال وقوع قطيعة مع مثل هذه القرى التي لها دور فعال في مرحلة من مراحل تاريخ هذه الجهات من البلاد.

أدوز، (مدرسة ـ) من المدارس العلمية العتيقة بسوس، تأسست أوائل القرن الحادي عشر للهجرة 17 م ويمكن أن نسميها ـ بحق ـ المدرسة اليعقوبية لأنها تأسست على يد الأسرة اليعقوبية، وكان أغلب الذين تعاقبوا على حلقات الدرس في أدوز من هذه الأسرة، فقد تأسست في تازموت بقبيلة سملالة على يد جد اليعقوبيين قبل أن تنتقل إلى أدوز ـ وهو العلامة عبد الله بن يعقوب الذي رجع من رحلته العلمية من تارودانت بعد عكوفه لمدة سبع عشرة سنة لأخذ العلم عن علمائها، من أمثال شيخ الجماعة عيسى السكتاني خريج جامعة القرويين، والعلامة سعيد الهوزالي، والشيخ سعيد بن عبد الله السملالي وغيرهم.

"وأحيى الله به البلاد والعباد" على حد تعبير المؤرخ الحضيكي، وبعد وفاته سنة 1052 / 1642. انتقل ولده محمد بن عبد الله بن يعقوب إلى قرية أدوز في قبيلة بعقيلة، وكان قد تخرج بأبيه وبأخيه إيبورك بن عبد الله، وقد أرسى قواعد التدريس بمدرسة أدوز. ولعلمه وصلاحه ولاه السلطان مولاي رشيد العلوي قضاء الجماعة في جزولة وفوض له في تولية القضاة وعزلهم، وما أن توفي سنة 1082 / 1671 بعد رجوعه إلى تازموت حتى توالى على خلافته في مدرسة أدوز أبناؤه واحفاده من بعده، وعلى أيديهم استمر عطاء هذه المدرسة.

وقد تعاقب على تسيير المدرسة علماء من الأدوزيين آخرهم مسيرها عام 1985 عبد العزيز الأدوزي، وقد جعلوها كعبة القصاد، فورد إليها الطلبة من جميع أنحاء جزولة وسوس، وقد يفدون عليها من أرجاء حاحا والحوز والصحراء. ويبلغ عدد طلبتها أحيانا 200 طالب، وهو عدد هام بالقياس إلى امكانيات مثل هذه المدارس، في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

يتلقى هؤلاء الطلبة العلوم والمعارف الشائعة، التي كانت تدرس في جامعة القرويين، فإلى جانب الاعتناء بحفظ القرآن، تدرس القواعد اللغوية بما في ذلك النحو والصرف، يدرس البيان والبديع والعروض، وكذلك تفسير القرآن والحديث، والفقه والأصول والحساب والفرائض. وقد انتشرت بين الطلبة كتب الأدب واللغة، وكتب التفاسير وشرح البخاري والفتاوى الفقهية وشرح خليل وكتب الأصول. وللمدرسة مكتبة هامة تضم كثيرا من هذه الكتب التي يتسابق الطلبة إلى قراءتها واستنساخها وحفظها واستيعابها، وكان أغلب تلك الكتب من تأليف علماء هذه المدرسة، ومعها كتب محبسة من قبل بعض الأسر الجزولية.

وقد تخرج من المدرسة الأدوزية عدد كثير من العلماء البارزين، وعلى الرغم من عدم وجود أحصاء دقيق لهؤلاء فإننا نكتفي ـ كأمثلة ـ بما ذكره المختار السوسي، فقد استطاع أن يسجل أسماء من تخرج على يد ستة فقط من مدرسيها فكان عددهم يقارب 400 من الخريجين ممن نالوا شهرة فائقة. وقد كان السكان يقصدون هذه المدرسة للسؤال عن شؤنهم الدينية، والاستفتاء عن أمورهم المادية، وكل من احتاج في أي قبيلة إلى فقيه لتعليم القرآن في المساجد، أو أستاذ لتعليم العلوم في المدارس، أو التمس فتوى في نازلة، فإنه يقبل على مدرسة أدوز فيجد ضالته في رحابها، وقد انتشر خريجوها في مختلف القبائل، قضاة وأساتذة وفقهاء.

ولا بد لإدارة مثل هذه المؤسسة التعليمية من موارد مادية تستطيع بواسطتها ـ على الخصوص ـ إعالة الطلبة المقيمين بها، ويكمن تصنيف موارد مدرسة أدوز إلى أربعة أصناف :

1. «شرط الفقيه» أي أجرة أستاذ المدرسة التي يتقاضاها سنويا من سكان القبائل، وتنحصر في مقدار من الشعير يبلغ نصف عبرة : وهي كَيْلٌ معروف تدفعه كل أسرة، بشرط أن تكون السنة سنة خصب، فإذا أجدبت الأرض تبقى الأجرة معلقة إلى أن تتبدل الأحوال، وكان عدد القبائل التي تؤدي «شرط الفقيه» محدودا، يزيد أحيانا وينقص، وكانت القبائل التي تؤدي غالبا هي إدبجمان وأيت أنزي وأيت عامر وأيت إيسمن، وجميع أيت أوزور باستثناء أيت تيغمي، وبعض أيت تيوارگان، وبعض أيت ويجان والعين. وأسكا وأوبلاغ والأعيون والمداشر المجاورة لها. ويُجمع من ذلك كله مقدار من الشعير لا يستهان به، وعليه يعتمد الفقيه في تسيير شؤون المدرسة.

2. غلات الأملاك العقارية المحبسة على المسجد / المدرسة / الزاوية، وتشكل مورداً هاماً من موارد المدرسة. ومن أملاك هذه المدرسة : حقول مسقية في تازروالت وحقل كبير في توگاك، وآخر في مجگاگة به زياتين ونخل، ولها حقول في ويجان وتانگيست وفي ماسة، وتستفيد المدرسة من موارد هذه العقارات طوال السنة بما تغله من الخضر والزيتون والفواكه والحبوب.

3. الأعشار : ويرجع مقدار ما تتلقاه المدرسة سنويا من أعشار، إلى أحوال الزراعة من خصب وجذب، وإلى أريحية الناس، بحيث لا يدفعها ـ عادة ـ إلا قبائل إدبجمان وأيت إيسين وأيت أنزي. وهي غير منضبطة في مقدار معين ولكنها تكفي أحيانا لمدة تزيد على السنتين.

4. هبات الزوار وهداياهم للمدرسة، فهم يتبرعون ببعض محصولاتهم على المدرسة (وتضم مفهوم المسجد والزاوية وبعض الشرفاء) كما أن النساء يقدِّمن في الأعوام الخصبة، أثناء إقامة موسم في فصل الربيع مقادير من الزبدة، يتجمع منها مقدار كبير من الإدام يدّخره الفقيه ويستعين به.

وهكذا فإن الفقيه كان يجمع الموارد المتحصلة من (الشرط) وغلات الأملاك المحبسة، والأعشار والهبات، ويدخر ما تجمع من الحبوب في مطامر المسجد، وينفق منها بمقدار، دون أية مراقبة من أحد، وكان ما يتجمع من موارد، يكفي أحيانا لسنة واحدة أو سنتين إلى ثلاث سنوات، وأحيانا تقل الموارد، ومع ذلك، فإن المدرسة كانت تحصل دائما على الاكتفاء الذاتي سنويا دونما حاجة إلى موارد أخرى.

تلك هي المدرسة الأدوزية التي أمدت البلاد بأجلة العلماء زهاء أربعة قرون، كرسوا حياتهم لا لخدمة العلم واغناء مجالاته من التأليف في مختلف الفنون فحسب، بل كرسوها أيضا لخوض غمار الجهاد والدفاع عن حوزة البلاد، فقد كان لهم دور كبير في القضاء على الثائر بوأحلاس في عهد السلطان مولاي سليمان، وقادوا حركة الجهاد، والمقاومة الاستعمارية، بعد أن رفضوا الحماية الفرنسية المفروضة على المغرب، وقد ذهب البعض منهم ضحية مكايد الحماية، أمثال العلامة سيدي المحفوظ الأدوزي، ولعل هذه المكانة المرموقة للمدرسة هي التي أملت على

مؤلف كتاب *المعهد الإسلامي* أن يقارن بين دور جامعة القرويين بفاس وجامعة ابن يوسف بمراكش ودور مدرسة أدوز بجنوب المغرب.

غير أن الأحوال تبدلت، منذ العقد الثالث من القرن العشرين، فبدأت وضعية المدرسة تتدهور، وتقلص إشعاعها شيئا فشيئا، وقد تجمعت لذلك عوامل منها عامة، كالتي تعرض لها المغرب من جراء الضغوط التي مارستها الحماية الفرنسية على التعليم عموما، ومنها الخاصة، مثل موت سيدي المحفوظ الأدوزي أحد أساطين المدرسة، ثم ما أقدمت عليه الحماية من التضييق على المدرسة الأدوزية بالاستيلاء على بعض أملاكها العقارية باسم وزارة الأوقاف سنة 1345 / 1927، وخاصة الأراضي المسقية التي تملكها المدرسة في ويجان وفي تانكيست وفي ماسة، بدعوى أنها من أملاك الأوقاف، وهذا الوضع شجع بعض الأسر الأدوزية على التسابق نحو الانفراد ببعض الأملاك المشتركة، مما أفقد المدرسة موارد هامة هي التي كان عليها مدار الحركة العلمية بها، وتقلص بذلك عدد الطلبة، ووقع إهمال المكتبة التي أحصى منها المختار السوسي تسعين كتابا. ولم تزد حالة المدرسة - طوال عهد الحماية - إلا تدهورا. وبعد إعلان الاستقلال، ورغم محاولة النهوض بهذه المدرسة، فقد وقع استمرار نفس التقلص، نظرا لتدني مستوى فقهاء المدرسة ونظرا لوقوع الميل نحو التعليم العصري، واكتفت المدرسة بالاعتناء بحفظ القرآن وبعض المتون، كما هو الحال سنة 1985.

ع. الأدوزي، *انساب اليعقوبيين*، مخطوط (نسخة خاصة) م. الأدوزي، *نزهة المجالس في أخبار بوجلاس*، الخزانة الحسنية بالرباط رقم 4625 ؛ م. الأگراري، *روضة الافنان في وفيات الاعيان*، مخطوط خ. ع. بالرباط رقم 1322 د ؛ م. الحضيكي، *طبقات الحضيكي* ؛ ع. الساحلي، *المعهد الإسلامي بتارودانت، والمدارس العلمية العتيقة بسوس*، ج 3 ص 88 وما بعدها من النسخة الأصلية ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 157، 190، 196، 205 ؛ *باقة ريحان من روضة الافنان*، ص 41 - 44... ؛ *مدارس سوس العتيقة*، 198، 102؛ *المعسول*، ج 5 ص 5 - 247 ؛ *خلال جزولة*، 26 - 79 ؛ م. العثماني، *الفقهاء المجاهدون السوسيون: العلامة سيدي المحفوظ الأدوزي* (حديث إذاعي) أذيع بإذاعة أگادير بتاريخ 1986/6/21؛ أ.اليعقوبي، *سجل* يتضمن تقاييد عن أدوز والأسرة، وعن أحوال المدرسة (نسخة خاصة في ملك المؤلف).

عمر أفا

الأدوزي، إبراهيم بن محمد السوسي، ولد سنة 1016 / 1607 ؛ وهو أول الأدوزيين الذين ارتادوا قرية أدُوز بعد أن كان مُسْتَقَرّ الأسرة وجدّها الأعلى عبد الله ابن يعقوب (1052 / 1642) قرية تازموت بسملالة. وقد انتقل منها صاحب الترجمة صحبة أخيه محمد بن محمد (ت.1164 / 1749) إلى أدوز فاتخذاها دار قرار ؛ فاصبحت بهما وبأحفادهما مركزاً علميا مرموقا (*سوس العالمة*، 157).

ولم يذكر مترجموه شيئا ذا بال عن طفولته، ولكنهم سجلوا أسماء شيوخه الذين تلقى عنهم العلم والتصوف ؛ وهي نزعة بارزة في هذه الأسرة منذ جدها الأول.

لذلك فالمعتاد أنه بعدما أخذ ما تيسر له من إتقان حفظ كتاب الله وشيء من القراءات يكون قد أعد نفسه لدراسة المواد العلمية الميسرة في بيئته المحلية؛ ويذكر في هذا الصدد أخذه الأول عن أخيه محمد بن محمد ذي العلم الكثير والصلاح والعدل في القضاء والإفتاء في النوازل المتعلقة بجبال ولتيتة وهي التسمية التي أطلقها متأخرو مؤرخي سوس على بلاد جزولة. وكان أخوه هذا وأستاذه في الوقت نفسه قد أخذ عن مشاهير عصره وله مراسلات مع الشيخ اليوسي (ت. 1102 / 1690) وأحمد بن ناصر الدرعي (ت.1129 / 1717) والعلامة أحمد بن سليمان الرسموكي (ت.1133 / 1720).

أما ثاني أساتذة صاحب الترجمة فهو أحمد بن سليمان بن يعزى الرسموكي السوسي (ت. 1133 / 1720) الإمام الكبير الورع ذو الشهرة الواسعة والآثار المختلفة في شتى العلوم صاحب *المنظومة* الشهيرة في المواريث والفرائض وشرحيها الكبير والصغير وذو الاهتمامات الحسابية والعروضية والمشار الى تبادله المراسلة مع أخ صاحب الترجمة (*المعسول*، 18 : 330 - 331).

أما ثالث شيوخه فهو إبراهيم بن محمد التاكوشتي الصُّوابي (ت. 1136 / 1723) المنقول عنه مشاركته في الأدب والشعر والفقه والنحو مع اهتمامات صوفية بارزة يصحبها كثرة النصح للأمة باتباع السنة وإخماد البدعة مع حرص على التهجد وكثرة صيام (*المعسول*، 8 : 64 - 70).

ورابع شيوخه عبد الله الووگدمتي المراكشي السكتاني (ت. في حدود منتصف القرن 12 / 18) نزيل مراكش والجامع بين العلم والشورى والصلاح وكان قد أخذ عن علماء مراكش عصرئذ، وعن أبي علي اليوسي، وهو صاحب فتوى في عدم بطلان صلاة من زاد السيادة في الصلاة على الرسول أثناء التشهد مع مشاركة شعرية (*المعسول*، 5 : 138).

وقد ظهر من مجمل سيرة شيوخه سمة الجمع بين العلم والعمل مع الصلاح والولاية والمشاركة في المنظوم والمنثور مما ينتظر معه أن يكون له أثر في سيرة التلميذ صاحب الترجمة خصوصاً وأنهم أخذوا من بيئة مراكش التي صهرت في بوتقتها عصرئذ جوانب من التخصصات العلمية مع صبغة صوفية بارزة ؛ لذلك نجد الذين ترجموا له يذكرون من إثر هذا التلقي عليه بروز جانبين من شخصيته : أحدهما التدريس الذي لازمه أكثر من عشرين سنة في مسجده بزاوية إدوتسانا المسماة "بأدوز" ؛ وقد استتبع هذا الجهد المبذول في التدريس اشتهاره بإتقان علم العربية وخاصة فن التصريف في سوس كلها مع مشاركته في الفنون الأخرى إسلامية ولغوية وحسابية مما هو مقرر دراسي في هذه المدارس (*سوس العالمة*، 31).

أما الجانب الثاني البارز في شخصيته و الطاغي على ترجمته فهو جانب الصلاح والولاية مما استلزم أن يرحل إليه الناس من مختلف النواحي للأخذ عنه مع ما يتطلبه ذلك من تواضع وفضل وحسن عبادة. ولم تلبث هذه الشمائل أن ظهر أثرها فيما بعد على أتباعه في البلاد السوسية ويذكر في ذلك ازدحام الناس عليه للتبرك والزيارة، هذا مع حبه للتواضع وكراهية الظهور؛ ولم يشغله هذا عن التدريس من جهة وملازمة الاذكار الخاصة الموظفة على الأوقات من جهة أخرى مما يكشف عن شخصية متوازنة جدا.

ليس في أخبار صاحب الترجمة ما يدل على اتباعه طريقة معينة في التصوف، على أننا نلاحظ في سيرة شيوخه من أخذ عن الشيخين الناصريين الطريقة أحمد الناصري والحسن اليوسي ؛ وكان جده ابن يعقوب (ت. 1052 / 1642) ممن ظهر عليه الصلاح والولاية مع تصوف صافٍ وهي سمة بادية في معظم أحفاده.

ونشير إلى ما يذكر من توقيره وتعظيمه من قبل شرفاء تازروالت أحفاد الشيخ الصوفي المشهور أحمد بن موسى الجزولي السوسي (ت. 971 / 1564) يدل على هذا التعظيم والتوقير والإكبار ما ينسب إلى صاحب الترجمة من أملاك وعقار تابعة له ربما كانت من صدقة الشريف هاشم من إمارة السملاليين (ت. 1240 / 1824) أو من ولده علي بن هاشم (ت. 1258 / 1842) وذلك بعد وفاة صاحب الترجمة، وذلك جريا على عادة التصدق على مشاهد ومزارات الموقرين من صلحاء المنطقة؛ هذا إن لم تكن هذه الصدقة من الأمير علي بودميعة نفسه (ت. 1069 / 1658) لآباء صاحب الترجمة ؛ ويضم كتاب *المعسول* (5 : 40. 41) وثيقة تتضمن رسم صدقة بقطعة أرض من طرف علي بودميعة المشار إليه على أولاد الشيخ ابن يعقوب.

لم يذكر مترجمو الأدوزي إبراهيم هذا مؤلفات تنسب إليه ولعل ذلك يفسره الانكباب من جهة على آثار جده وأساتذته تدريسا وتفهيما حتى وصفه مترجموه بالعلاَّمة، كما يفسره من جهة أخرى نزعته إلى الخمول وعدم الطموح إلى سمعة علمية تحصل بالتأليف. هذا مع تعويض هذا الاتجاه بتكوين أتباع ذوي سيرة عطرة يشع أثرهم السلوكي على البيئة بطريقة عملية. توفي صاحب الترجمة سنة 1160 / 1747.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 5 و 8 و 18 ؛ *سوس العالمة*.

الأدوزي، أحمد بن إبراهيم السوسي لم يذكر مترجموه تاريخ ولادته ؛ على أنه لفت نظرهم ثلاثة من أبناء إبراهيم بن محمد (ت. 1160 / 1747) والد صاحب هذه الترجمة ؛ وهم الذين استحقوا الذكر من بين أبنائه الخمسة ؛ ويظهر أن أسبقهم وفاة أخو صاحب هذه الترجمة عبد الرحمان (ت. 1163 / 1749) وينقل عنه أنه فقيه ؛ أما آخرهم وفاة فأخوه علي (ت. 1214 / 1799).

ولم يمكنا مترجمو أحمد بن إبراهيم الأدوزي هذا المتوفى عام 1168 / 1755 من أية عناصر لافتة عن طفولته وبداية دراسته الأولية ؛ على أنه استوقفهم من حياته وشخصيته عنصران أساسيان أولهما الولاية والصلاح وتربية الأتباع والمريدين مع كرامات ؛ وبهذا نزع نزعة والده الصوفية، والعنصر الثاني إتقان الفقه والأشتغال به؛ وبذلك جمع بين نزعتي أخويه.

تتجلى شخصيته كفقيه في قدرته على أن يصلنا بإنتاج أحد شيوخه الفقهاء الماهرين في الفتوى؛ ويتعلق الأمر بأبي العباس احمد بن محمد العباسي (ت 1152 / 1740) الذي سبق له أن أخذ عن أحد شيوخ زاوية «تامگروت» الناصرية في الجنوب المغربي هو الشيخ احمد بن محمد بن ناصر (ت. 1129 / 1716) وكذا عن الشيوخ في مراكش كأحمد بن سليمان الرسموكي (ت. 1133 / 1721) الفقيه الفرضي الشهير.

والذي يظهر أن التلميذ الأدوزي صاحب هذه الترجمة ملأت عليه شهرة شيخه العباسي هذا وبروزه آفاق اهتمامه، فنشأ يعكف على أعماله وإنتاجه الفكري جمعا وتحريرا ونسخا للآثار والفتاوى والإنشادات.

ولعل أبرز هذه الآثار التي عكف عليها كتابه *الأجوبة العباسية* التي قام بجمعها وتحريرها صاحب هذه الترجمة وهي في الفقه والنوازل. وهذا اللون من التأليف مما كثر الاهتمام به خلال هذا القرن (الثاني عشر / الثامن عشر) بقدر ما كثر الإنتاج والنشاط الصوفي في القرن التالي له ؛ وكان للمطبعة الحجرية فيما بعد فضل إبراز هذا الإنتاج .

وقد اهتم المترجم له أيضا *بالفوائد* المتعلقة بشيخه العباسي هذا ؛ ويظهر من سياق الحديث عنها انها مؤلف مستقل ومجموعة ثانية زائدة على ماتقدم (*المعسول* 18 : 418) وقد قدم لها الادوزي بقوله «هذه فوائد كيفما كانت : طرراً (جمع طرة وهي ما يكتب في أطراف الكتب من الفوائد والاستدراكات والانتقادات الخ) وغيرها، فقها وغيره؛ لشيخنا سيدي أحمد بن محمد... العباسي... جمعه كاتبه احمد بن ابراهيم... حسبما وجده بخط يده الكريمة للانتفاع بها راجيا من الله الثواب الجزيل» (*المعسول* 18 : 418) وقد ساق صاحب *المعسول* نماذج منها من بينها مكتوب من العباسي إلى أحد المرابطين يلتمس منه الدعاء ويوصيه بالقيام بحقوق الله في نفسه ورعيته مع استشهادات حديثية كما يوصيه بمراعاة الأصول قبل الفروع عند الاستدلال مُنَدِّداً بالغارقين في الفروع الهلكى مستشهدا بأحد كبار المحدثين. وقد ختم هذه الرسالة بتوصية المكتوب إليه بالقيام بصلاة التسبيح مفسرا له كيفيتها؛ مما يكشف عن ميول أصولية سلفية ظاهرة. ومن هذه النماذج مكتوب من الفقيه التاگوشتي (ت. 1136 / 1723) إلى العباسي في تظلم (*المعسول*، 18 : 418).

أما الأثر الثالث لصاحب هذه الترجمة فهو *إنشادات* أحمد العباسي في مَجالسه ؛ ويتضح من النسخة الموجودة منها بخزانة أبي فارس عبد العزيز الأدوزي (ت. 1336 /

1918) بمدرسة سيدي بوعبدلي بناحية تزنيت أنها إنشادات فقهية من نظم صاحب الترجمة من غير ترتيب، إلا أن بعضها قد قام بترتيبه تلميذ صاحب الترجمة محمد بن عبد الله بن أحمد السملالي الدبلاوي وصل بها إلى باب الأضحية،ورتب ما بعد الأضحية إلى الرهن عبد الواحد بن محمد ابن أحمد الحجري الرسموكي بعبارة سامية (*خلال جزولة*، 4 : 13).

أما الأثر الرابع الذي جمعه صاحب الترجمة وهو أيضا لشيخه العباسي المذكور فهو مجموعة *رسائل* معاصريه، تحتوي على جملة من الرسائل من بينها رسائل احمد بن عبد الله الصوابي (ت. 1149 / 1736) دفين ماسة بسوس، وممن تخرج عليه صاحب الترجمة (*خلال جزولة*، 4 : 43).

وآخر أعمال أحمد بن إبراهيم الأدوزي يتجلى في ميدان التصوف وهو من اهتماماته البارزة ؛ فقد تفرد بين معاصريه بجمع *أخبار السيدة* مريم بنت محمد السملالية (ت. 1165 / 1751) الصوفية ذات الكرامات والخوارق ؛ ويتضمن هذا التقييد كل ما أخبرت به تلك السيدة من الكرامات والخوارق مع حديث متكرر عن شيخ شريف قادري بالمدينة المنورة تسند إليه مريم المذكورة أقوالها باستمرار، ووُصف هذا التقييد بأنه غريب في بابه، وهو في مجلد صغير بالخزانة المسعودية بسوس ؛ وتتجلى أهميته في تضمنه مواقف قد تفيد المؤرخ بالإضافة إلى سيرة هذه السيدة ذات الكرامات والوقائع الروحانية حيث يَذكر وقائع لها مع أرواح من الموتى البعيدين عن قطرها وسكناها (*سوس العالمة*، 213 و*المعسول*، 5 : 140).

م. المختار السوسي، *المعسول*، 5 و18 ؛ *خلال جزولة*، 2 و 4 ؛ *سوس العالمة*.

الأدوزي، عبد العزيز بن محمد، ولد سنة 1268 / 1802 في فترة أدرك فيها جده لأمه العربي الأدوزي وأخذ عنه ما تيسر حسب الفترة القليلة التي واكب فيها هذا الأخير 1286 / 1869، كما أدرك خاله محمد بن العربي (ت.1323 / 1905) وتلقى عنه كل مقروءاته ولم يفارقه حتى تضلع؛ كما تلقى بعض دراسته عن عبد الرحمان السالمي الإيسي (*المعسول*، 18 : 432) وأخذ بعض أمهات العلوم عن محمد الشريف نزيل ماسة ؛ وذكر عنه أنه تشوف إلى المهدوية ناشراً لجملة من العلوم إلى أن نزل السلطان العلوي المولى الحسن بسوس (1299 / 1881) فرحل حينئذ إلى الشرق العربي (*المعسول*، 5 : 70). وذكر من أشياخه بالإجازة محمد بن عبد الرحمان (ت. 1326 / 1908) من تلامذة والده محمد بن محمد بن أحمد (ت. 1276 / 1859) وجده المتقدم أعلاه. ومن هذه الحصيلة انطلق إلى التدريس متنقلا بين مدارس جزولة وسهول سوس زمنا إلى أن استقر بمدرسة سيدي بوعبدلي ناحية تزنيت منذ 1331 / 1912 وقد أكسبه ذلك فيما يظهر مراسًا في علوم المنقول والمعقول مع دؤوب على النسخ والتأليف وتقييد الشوارد لم يشاركه في ذلك إلا خاله السالف الذكر أعلاه ؛ مضيفا إلى هذه المزايا جودة في الخط في أشكال هندسية قلما تيسر لمعاصريه بسوس أن يوهبوها، جامعا إلى ذلك من آداب الطلب ملازمة القلم باستمرار (*المعسول*، 5 : 74) موشحا منسوخاته من الكتب بالحكم والأمثال (*خلال جزولة*، 1 : 118) مضيفا إلى ذلك كله الإعداد الجيد المستمر للدروس قبل إلقائها مع العكوف على مقدار معين من مختصر الشيخ خليل يوميا يكتبه على اللوح ويطيل التأمل فيه ملتزما بذلك الى آخر عمره، ولعل هذا ما يفسر سرعة استحضاره للنصوص والشواهد عند الحاجة؛ وقد كلل ذلك كله بأسلوب جدلي سجالي عقلاني سلكه مع الجميع شيوخا وتلامذة قلما وجد في سلفه من اتصف به.

ولصاحب الترجمة إلى جانب هذه الخصال العلمية توجهات صوفية، وهو أول من اعتنق من الأدوزيين الطريقة الدرقاوية، وكان على الطريقة الاحمدية التجانية في صغره. ومن آثار تصوفه لزوم اللباس المتواضع، وقد زاره أحد ذوي النفوذ صيفا فإذا عليه قميص خلق بال لا ينتظر من مثله أن يستقبل به الضيوف. وينقل من تواضعه هذا أمور مستغربة (انظر قصته مع أحد أتباع الطريقة الدرقاوية في *المعسول*، 5 : 82) ولعل من آثار هذا الاتجاه *تأليفه* على شرح التاموذرتي (ت. 1316 / 1898) على نظم الجشتمي (ت. 1298 / 1853) وكذلك مجموعة *الخواطر والسوانح* في نحو ثمانية كنانيش مخطوطة (*المعسول*، 5 : 88) وكذا مؤلفه في *شرح الأسماء* الإدريسية وهو في الذكر المعلوم : سبحانك يا ربَّ كل شئ ووارثه ورازقه وراحمه الخ... في نحو 13 ورقة في خزانته بسيدي بوعبدلي قرب تزنيت بسوس (*خلال جزولة*، 13:4).

ومن نتائج ممارساته الاجتماعية والقانونية التي يظهر أنها لم تحتل إلاّ حيزا ضيقًا من نشاطه مجموعة *فتاويه* المخطوطة في نحو ثمانية كنانيش، وتمثل نماذج منها أسلوبا عربيا غاية في الجزالة وحسن الاسجاع (*المعسول*، 5 : 72 ؛ 79-80) كما ينسب إليه كتاب لطيف الحجم *في كيفية (سنة العيد)* وهو في كل ما يفعل يوم عيد الفطر في أزيد من 13 ورقة ألفّه عام 1297 / 1879 في شبيبته بإذن أستاذه العربي المذكور وتضم خزانته بسيدي بوعبدلي بناحية تزنيت نسخة منه (*خلال جزولة*، 4 : 14).

أما الاهتمامات التاريخية فيظهر أنها لم تحظ منه إلا باليسير في كنانيشه حول رجالات علماء سوس، ولعلها الواردة ضمن مجموعة كنانيشه التي تضمها خزانته السالفة الذكر وقد أورد صاحب *المعسول* نحو 30 ترجمة وجيزة جدا منها (5 : 90-92).

إلا أن أبرز جوانب شخصيته تتجلى في ميوله اللغوية والأدبية فبالإضافة إلى إنشائه الجزل المسجوع ورسائله المديحية ومقطعاته الشعرية، توجد له أعمال مستقلة حول بعض الآثار الأدبية الشهيرة ؛ من ذلك شرحه *لمعلقة امرئ القيس* في نحو 23 ورقة بخط جيد أتمه في (1322/5/22 / 1904) وهو بخزانته السالفة الذكر وكذا شرحه لقصائد

عربية جاهلية أخرى وهو مخطوط (*سوس العالمة*، 205) و*شرحه للرسالة الهزلية* لابن زيدون (463 / 1070) مختصرا إياه من شرح ابن نباتة (768 / 1366) وزاد عليه وهو في نحو 18 ورقة، أتمه سنة 1322 وهو بخزانته المشار إليها قبله (*خلال جزولة*، 4 : 13) ومن ذلك شرحه *للشمقمقية* وهي قصيدة لأحمد بن محمد الحميري الشهير بابن الونان (1187 / 1773) المعروفة بجزالة اللغة إلى حد الإغراب فاهتم صاحب الترجمة بإعرابها وشرح كلماتها وأتم هذا الشرح سنة 1315 في 110 ورقة وهمش نسخته بزيادات وهي في خزانته السالفة الذكر (*خلال جزولة*، 4 : 14) واطلع عليها صاحب *المعسول* ونسخ منها (5 : 75). ومن هذه الاهتمامات اللغوية *رسالة حول (لو)* في زهاء 10 ورقات بخزانته (*خلال جزولة*، 4 : 13). أما مراسلاته فيبدو منها متانة أسلوبه وجمعه بين المنظوم والمنثور (انظر نموذجين منها في *المعسول* 5 : 77) الأول رسالة الإلغي علي بن عبد الله (ت.1347 / 1928) والثانية إلى الشيخ أحمد الهيبة وهو في مستقره بكردوس قرب تزنيت (*المعسول*، 5 : 81 . 82). وتضم كنانيشه المخطوطة بخزانته أيضا نماذج من اختياراته الشعرية، ويكشف بعضها عن محبته للكتب واقتنائها. كما يندرج في هذا الاتجاه اهتمامه بالأدب الشعبي السوسي وتسجيل جملة منه في كنانيشه المخطوطة الملمح إليها، وتشتمل على حكم وقصص سوسية وعلى أمثال مغربية عامية ساق منها صاحب *المعسول* طرفا لا بأس به (5 : 92 . 97).

ولم يفته مع ذلك التفاته إلى أصول الحديث والشريعة، إذ ينسب إليه في الفن الحديثي *شرح على قصيدة غرامي* صحيح في المصطلح وهو في نحو أربع ورقات أتمه سنة 1329 / 1911 ونسخه متعددة ترجع إلى نسخة أم بخزانته المذكورة (*خلال جزولة*، 414). وقد كتب في مجال أصول الفقه شرحًا على *التنقيح* في أصول الفقه للقرافي (ت. 684 / 1285) وتوجد منه نحو ستين ورقة بخطه في خزانته؛ وكان جمعه حين تدريس *التنقيح* المذكور وإن لم يتمه (*خلال جزولة*، 4 : 14).

م. المختار السوسي، *المعسول*، 5 و18 ؛ *خلال جزولة*، 1 و4 ؛ *سوس العالمة*.

الأدوزي، العربي بن إبراهيم. ولد في فترة زمانية ولحظة حرجة، فما إن ودع والده إبراهيم بن عبد الله الحياة (ت . 1210 / 1795) وقبل مواراته التراب حتى ولد صاحب هذه الترجمة من أمه عائشة بنت محمد بن يحيى المعدري اليعقوبي العالم ذي الخزانة العامرة مع الولاية والصلاح، والمؤلف في تعداد اليعقوبيين من هذه الأسرة الأدوزية. وينقل عن والد صاحب هذه الترجمة أنه حين احتضاره (فتح عليه) فكان يرى الصالحين يردون عليه فيشاركهم الدعاء ثم يرد عليه آخرون وهكذا (*المعسول*، 5 : 113).

رَقَّ لليتيم المترجم قلبُ أحد العلماء من قرابته وهو محمد بن أحمد الأدوزي الشهير (ت . 1221 / 1806) حيث أدركه في فترة تمتد إحدى عشرة سنة فاعتنى به ووجهه إلى الدراسة الأولية (*المعسول*، 5 : 63) وبعد أن حفظ القرآن الكريم تلقى علوم العربية والشريعة وما إليها على جملة من الأساتذة منهم محمد بن إبراهيم بن مبارك الوشاني (جمع أوشن وهو الذئب بالسوسية) ؛ وتنقل عن صاحب الترجمة نكتة عندما سئل : لمن ستترك المدرسة بعدك؟ فأجاب سأتركها للذئب على سبيل التَّوْرِية في الكلام (*المعسول*، 5 : 64). ثم إنه التحق بالأستاذ علي بن سعيد بالمدرسة اليعقوبية في قبيلة إيْلانْ بجزولة وبقي عنده مدة طويلة، كما تعلم بمدارس أخرى لأن مترجميه يذكرون أنه كان يعيش على قشور البطيخ التي يلقيها الطلبة بعد أكل اللب ولم يكن البطيخ منتشرا بسوس في هذه الفترة إلا بطيخ هشتوكة بالسهول السوسية خاصة قرب سهل ماسة. ثم إن صاحب الترجمة اتصل فيما بعد بشيخ زاوية تمگيدشت الناصرية أم المدارس الحوزية (حوز مراكش) وهو أحمد بن محمد (ت. 1274 / 1857) فأخذ عنه جملة من العلوم التي ستصبح لصاحب الترجمة اليد الطولى فيها كالنحو اذ كان هذا الشيخ يعتني به ويتسهيل ابن مالك (ت. 672 / 1273) خاصة وهو من أجل ما يدرس في هذا الباب مع شروحه ؛ ومن العلماء الذين أجازوا صاحب الترجمة عبد الرحمان الجشتمي (ت. 1269 / 1853) بعد أن ورد عليه أول شوال 1239 / 1852 حين توجهه لزيارة أحد صلحاء ناحية أگُشْتيم قرب تافراوت بجزولة، وبعد هذه الجولة رجع إلى أدُوزْ فابتدأ بالتدريس في عدد من مدارس الناحية حتى طلب منه أن يتولى التدريس بمسقط رأسه «أدوز» بعد أن خلت المدرسة من العلماء مدة فاشترط على قبيلته شروطا زائدة على الشروط المعهودة عندهم في نظام «المشارطة» هناك. وكان ذلك في نحو 1245 / 1829 (*المعسول*، 5 : 115) فتفرغ للتدريس وأعاد إلى المدرسة سمعتها التاريخية في نحو مائتي طالب ملتزم في شبه نظام داخلي.

وقد جمع إلى هذا النشاط التربوي والعلمي اهتمامات صوفية وأخرى اجتماعية فكانت له مراسلات مع "الشيخ" بزاوية تيمگديشت الناصرية حيث توجد رسالة من شيخه المتقدم أحمد بن محمد مؤرخة بسنة 1283 / 1866 يخبره فيها بأحوال الطريقة ويشعره بوصول الأمانة الموجهة إلى الزاوية وعددها سبعون مثقالا مع الإذن له في تلقين أذكار الطريقة الشاذلية الناصرية لمن أراد مع إعطاء الأولوية للطلبة فأهل الصناعات والأشغال من بعدهم فالنساء المتجالآت المتفرغات مع رواية هذه الأذكار بحسب كل صنف (*المعسول*، 5 : 116) كما يذكر ما كتب به إلى صاحب الترجمة الشيخ الصوفي محمد المهدي الدرقاوي المراكشي عام 1284 هـ يوصيه بالتقوى والدعوة إلى الله والسنة كما يمنحه الإذن في التربية وفق هذه الطريقة في كلام طويل (*المعسول*، 5 : 123) ويتصل أيضا بهذا الاهتمام الصوفي

عناية صاحب الترجمة بأوراد كثيرة وأذكار جمعها فيما بعد ولده محمد بن العربي (ت. 1249 / 1833) وسماها *أوراد سيدي العربي الأدوزي* ؛ حيث قام ولده المذكور بتحقيقها وبيان مصادرها وخرج أسانيدها وذكر ما يعرف لها من الثواب عند الله تعالى (*المعسول*، 5 : 116) وقد نسب إلى صاحب الترجمة في هذا السياق أيضا شرح *لنصيحة أبي العباس أحمد بن محمد التمگدشتي* (ت. 1274 / 1857) باللسان البربري السوسي وهو مخطوط (*سوس العالمة*، 196).

وشارك صاحب هذه الترجمة بجانب من قواه في المجال الاجتماعي والقانوني. وينسب إليه في هذا الصدد ثلاثة أعمال يندرج أولها في نشاطه في الفتوى وهو بعنوان مجموعة *فتاو* (*سوس العالمة*، 196) وهو مخطوط، أما الثاني فيضم فتوى خاصة بأرض هناك تسمى أرض «إيسج» إلى جانب اجتهاد معاصريه في حل نازلة هذه الأرض (*سوس العالمة*، 196) ويتصل أثره الثالث برسالة كتبها يستنكر فيها ما سمي بـ (تاحزّابْتْ) وهي الطريقة الجماعية التي اختارها طلبة سوس في تلاوة القرآن في المناسبات والمباريات المتعلقة بالحفظ الجماعي للقرآن الكريم في مجموعات متنافسة ؛ وقد وصفها صاحب *مدارس سوس*، (34 . 35) محمد المختار السوسي بتفصيل مبرزا جملة من الاحتفالات والطقوس التي كانت تحيط بها حتى خرجت بذلك عن المعهود من القراءة الجماعية بالمساجد المغربية ؛ لذلك أنكر العلماء الأدوزيون هذا الصنيع وأنكر ذلك العلماء الجشتميون بتلك الناحية مع إطلاق المنادي في الأسواق والمواسم بتحريم (تاحزّابت) هذه وإن لم تجد هذه الدعوة آذانا صاغية في ذلك الحين رغم ما له من نفوذ، فقد اتصل بالسلطان الحسن الأول (1290 / 1873) وكتب إليه في شأنها.

أما أبرز آثار العربي الأدوزي صاحب الترجمة فانصبت على اللغة نحوا وتصريفا وبلاغة وبيانا ؛ وله في هذا المجال *شرح على استعارات ابن كيران* (ت. 1227 / 1812) المشهور تدريسه في المدارس المغربية الأصيلة إلى عهد قريب، ومن هذا الشرح الذي أنجزه صاحب الترجمة نسخة خطية في خزانة «سيدي بوعبدلي» جنوب تزنيت وهو بخط صاحب هذه الخزانة أبي فارس عبد العزيز (ت. 1336 / 1918) (*خلال جزولة*، 4 : 9). كما ألف صاحب هذه الترجمة زيادات وذيولا على منظومة لامية *الأفعال* في التصريف لمحمد بن مالك صاحب *الالفية* الشهيرة في النحو. ولامية *الأفعال* هذه مما يبدأ به في سوس بعد متن الأجرومية في النحو لمحمد بن آجروم (ت. 723 / 1323). أما مؤلفه الهام المتميز فهو شرحهُ لالفية ابن مالك المشار إليه وقد سمى شرحه هذا *أيْسَرُ المسالك إلى ألفية ابن مالك* رَدّ فيه النقول وعزاها إلى مصادرها، وضبط الأشياء الغريبة واعرب ما أشكل من المسائل وفسر المبهم من الأمثال مع عبارة شارحة يفهمها أقل الطلاب إلماما بالعربية في هذه البيئة المنطبعة بالسوسية غالبًا ؛ وقد عمد إلى شرح علي بن محمد الأشموني (ت. نحو 900 / 1494) فاختصره وزاد عليه تفصيلات أخرى ؛ ولما أتم هذا العمل ترقب فرصة إبرازه لطلبته حتى وصلوا إلى دراسة العطف في *ألفية ابن مالك بشرح السيوطي* (ت. 911 / 1505) فانتهز الفرصة وأخرجه للتدريس فاستغنى طلابه عن شرح السيوطي الوجيز جدا، وقد استحسن هذا الكتاب من طرف معاصريه ونال تقريظاتهم (*المعسول*، 5 : 120 . 121 وقارن بمدارس سوس 63) ومخطوطاته متعددة بخزانات سوس وغيرها.

وينسب إلى صاحب الترجمة مساهمة في جمع انساب اليعقوبيين مع وفرة في الآخذين عليه. وليس ما ذكره ابن سودة في نسبته إلى المسمى عبد الله بن إبراهيم صحيحًا (*دليل*، 1 : 90).

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 5 ؛ *سوس العالمة* ؛ *مدارس سوس*.

الأدوزي، العربي بن محمد، ولد سنة 1291 / 1874 ؛ وهو ابن محمد بن العربي الأدوزي الشهير ذي المؤلفات العديدة بالنسبة إلى بقية الأدوزيين. العربي هذا من بين الرعيل الغزير نسبيا الذين تخرجوا على والده المذكور فحملوا مشعل التوعية والمسؤوليات بنواحي سوس، وقد ذكر منهم صاحب المعسول نيفا وثمانين تلميذا (*المعسول*، 5 : 208 . 210).

حفظ القرآن عن المسمى محمد أشوبير وعن أحمد بن عبد الله الإيگلالني المجاطي (المصدر أعلاه) ثم ما لبث أن انتقل إلى الدراسات الأخرى آخذا عن والده وعن الأستاذ المحفوظ بن عبد الرحمان (ت. 1351 / 1932) الذي يوصف بأنه خاتمة الأدوزيين العظام، وذلك عند تدريس هذا الأخير بمدرسة سيدي بوعبدلي جنوب تزنيت. ويذكر عن صاحب هذه الترجمة أن والده الأستاذ ابن العربي قدم عليه وهو في هذه المدرسة يتلقى عن شيخه وقريبه المحفوظ آنف الذكر فأراد صاحب الترجمة أن يفرح والده بإظهار حسن تقدمه في الدراسة وفي يده *شرح السعد التفتازاني* (ت. 712 / 1312) *على تلخيص القزويني* (ت. 739 / 1338) في علوم البلاغة طالبا من والده ابن العربي أن يوضح له عبارة من الشرح المذكور ؛ والكتاب وشرحه في قمة التعقيد وكثرة التفريعات والاحترازات ويتطلب مجهودا استثنائيا ولا يدرس به إلا في نهاية الأشواط الدراسية غالبا ؛ ويظهر أنه كان من بين مقررات الدراسة، اذ يذكر عنه الأستاذ المحفوظ آنف الذكر ولوعه بمثل هذه المؤلفات إلى درجة التكلف والإيغال في ذلك، الا أن والد صاحب هذه الترجمة جَابَهَ ابنه ـ وهو يعرف مستواه وامكاناته ـ بقوله : أو تضحك عليّ يا عربي!؟ فربما تستشكل عبارة من *الكفراوي* (ت. 1202 / 1788) على متن *الأجرومية*، وأما السعد فمالك وله!؟ أو أنك تغيرت عما كنت أعرفه منك بسرعة!؟ (*المعسول*، 5 : 212).

والذي يظهر من الخطوط العريضة في حياته أن ظن والده في محله إلى حد كبير؛ فرغم اتصاف صاحب الترجمة بشئ من الجرأة والخوض في كل فن ؛ وهي صفة يمكن أن تكون قد انتقلت إليه من أستاذه المحفوظ ذي الميول الجدالية حتى كان يتناول المواد التدريسية المختلفة بأسلوب النظار لا بأسلوب الفقهاء، فإن صاحب الترجمة لم يكتب له أن يبلغ ما بلغه أسلافه من الأدوزيين البارزين.

ومع ذلك فله مشاركة في التدريس ؛ إذ يذكر أنه تولى التدريس بأدوز بعد وفاة والده محمد بن العربي سنة 1323 / 1905 ولكنه سرعان ما انتقل منها إلى إحدى مدارس تلك الناحية كما قضى سنة في مدرسة «بُويْزْكَارْنْ» بعيدا عن منطقته بعض الشيء ؛ ويظهر أنه شُغف بالرحلة إلى الحواضر والمدن المغربية وغيرها ؛ إذ يذكر عنه أنه زار إحدى القرى القريبة من أدوز هي قرية إلغ، وكان بها والد المختار السوسي الشيخ علي بن أحمد الإلغي. وقد حدث له حادث طريف كاد يودي بحياته هناك إذ كان صاحب الترجمة على أحد أسطح الزاوية الإلغية الدرقاوية أثناء تدريب الشيخ الإلغي المذكور بعض الرّجال على استعمال بندقية ؛ وفي إحدى المحاولات نفذت رصاصة من البندقية كادت تودي بحياة صاحب الترجمة لولا لطف الله تعالى (*المعسول*، 5 : 212) ومن تقلبات صاحب الترجمة ورحلاته التي لم يصلنا عنها شيء زيارته لتونس، وكذا زياراته المتكررة لمدينة مراكش التي توفي بها مريضا غريبا عن بلدته وقد صادفت إحدى زياراته بها وجود صاحب *المعسول* بها وذلك سنة 1340 / 1921 الذي تعرف عليه من قبل في بلدة إلغ بسوس ؛ ويرجح صاحب *المعسول* أن وفاته كانت سنة 1346.

ولعل أهم ما يذكر عن صاحب هذه الترجمة أمران : أحدهما ما يذكر من مشاركته علماء سوس في حل النوازل والمشكلات وهو بمدينة تزنيت وذلك أثناء وجود العالم الثائر على الاستعمار الفرنسي آنذاك أحمد الهيبة (ت. 1337 / 1919) ؛ وقد كان والده محمد بن العربي رئيسا لعلماء سوس بتزنيت في هذه الفترة بأمر من الشيخ أحمد الهيبة المذكور ؛ فربما كان صاحب الترجمة في رفقة والده منضما إلى لفيف العلماء المترددين على هذه المدينة في هذه الفترة.

أما الأمر الثاني فيتعلق بما نسب إليه من محاولة في جمع أخبار والده المذكور (*سوس العالمة*، 206) والظاهر أن محاولته هذه لم يكتب لها الاستمرار. وإن دل هذا على شيء فيدل على إعجاب وتقدير من قبل الابن بوالده دفعاه إلى هذه المحاولة وإن كانت بعض القرائن تدل على بعض المرارة التي أحس بها صاحب الترجمة ؛ والحظوظ الفكرية والمواهب لم تسعفه في أن يكون في الصف الأول من بين الأدوزيين (*المعسول*، 5 : 212).

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 5 ؛ *سوس العالمة*.

الأدوزي، المحفوظ بن عبد الرحمان. ولد سنة 1277 / 1860 وهو يعد خاتمة الأدوزيين المحققين ؛ كما يذكرمقارنا بمعاصره وقرينه محمد بن مسعود المعدري السوسي (ت. 1330 / 1911) وبابن العربي الأدوزي (ت. 1323 / 1905) من أسرته وأسلافه وكذا باحمد بن عبد الرحمان الجشتمي (ت. 1327 / 1909) من علماء سوس الذين أدركهم.

وقد عرف صاحب هذه الترجمة اليتم صغيرا ؛ لذا نشأ نشأة فيها كثير من الاعتماد على النفس، فعرف الصبر والتحمل مع بساطة في الملبس إلى الحد الأدنى، واستغناء عن المرافق، مع العيش على النزر اليسير من الطعام مكتفيا بأكناف المسجد ومرافقه العامة في التدفئة والإنارة؛ ويظهر أن لهذه النشأة الاضطرارية أثرا فيما عرف عنه وهو أستاذ من تدبير واقتصاد إلى الدرجة القصوى مخالفا في هذا النهج مسلك أسلافه من أحفاد عبد الله بن يعقوب. وقد حفظ القرآن الكريم من المؤدب الصالح محمد اشوبير التيغزارني البعقيلي (ت. 1325 / 1907) بقريته أدوز مقتصرا عليه، ثم التحق بالعلامة أبي فارس عبد العزيز (ت. 1336 / 1918) من قرابته في بداية دراسته العلمية، فصاحبه والتصق به منذ أواخر القرن 13 / 19 ولم يتجاوزه إلى غيره إلا في أخذه في فترات عن محمد بن العربي من قرابته وعن المسمى ابن عمرو (*المعسول*، 5 : 222).

وبعد تخرجه عن المذكورين من الأساتذة التحق بالتدريس وكان في بدايته بإحدى مدارس أيت الرخا بناحية أدوز التي ازدهرت بما قام به من جهود في سنتي 1311. 1312 / 1893. 1894 وسرعان ما انتقل إلى مدرسة سيدي بوعبدلي بناحية تزنيت ليمكث بها من نحو 1314 / 1896 إلى 1331 / 1912 وفي هذه المدة الطويلة نسبيا تعرف عليه طلبة سوس الذين كان عددهم يصل إلى نحو مائة طالب منقطع في شبه نظام داخلي حتى ضاقت المدرسة المذكورة بهم مما اضطروا معه إلى شراء حق السكن أحيانا من سالفيهم بثماني ريالات للغرفة الواحدة ذات الحجم الضيق جدا ؛ وكان يعاصر صاحب الترجمة ويتصل به قريبا من المدرسة المذكورة الأستاذ محمد بن مسعود المعدري (ت. 1330 / 1911) القائم بدوره بالتدريس في مدرسة (بونعمان) القريبة فنشأت بين المدرستين بحكم الجوار وبين الاستاذين اتصالات لم تخل من فوائد ومحاورات في أمور فقهية وأصولية وغيرها (*المعسول*، 5 : 224). وعن هذه الفترة تذكر واقعة بين طلبة صاحب الترجمة وبين بستاني في القرية عرف عنه الحرص على بستانه وألح على الطلاب الذين دبروا مؤامرة لتجريد بستانه ليلا من ثمراته بكيفية جماعية خاصة ؛ إذ دخلوا إليه ما بين راكب ومركوب عليه، فتمكن الراكبون من قطف الثمار وحمل المركوب عليهم الحصيلة وانسحبوا في هدوء. ولما أصبح الصباح قامت ثائرة رب البستان الذي اعتقد أن الطلبة هم السبب فشكاهم إلى صاحب الترجمة فكان الراكب منهم يحلف أنه ما وطئت قدمه خط البستان وكان الحاملون منهم يحلفون أن أيديهم

ما مست خط أشجار البستان، وبهذه الحيلة نجوا من العقاب. ثم إن الأستاذ عرف فيما بعد القصة فضحك لذلك وعجب وراضى صاحب البستان بعوض وسكت عن الطلبة وكان يقول : لعمري لو كان السلسلة المذكورة في حكاية الدرة والعصا الاسرائيلية ما تزال مدلاة من السماء لارتفعت بمثل هذه القضية إلى السماء (*المعسول*، 5 : 225).

غير أن صاحب الترجمة غادر بعد مدة هذا المكان إلى مدرسة أدوز مسقط رأسه فأمضى بها بقية حياته التدريسية وأحيا بها جملة من التقاليد العلمية حتى صارت في حدود 1345 / 1926 المدرسة الوحيدة المكتظة بالطلبة باستمرار ؛ ولصاحب الترجمة في طريقة تدريسه منهاج تتكامل فيه الدراسات اللغوية والدراسات الفقهية والأصولية والدراسات الإسلامية عامة من تفسير وحديث على غير المعهود بهذه الفترة من إهمال لهذه الدراسات الأخيرة، وقد كتب إليه أستاذه عبد العزيز آنف الذكر يحثه على الجمع بين التدريس والأنشطة الدينية مع الحفاظ على إقامة الإمامة بالمسجد طالبًا منه نوعا من التضحية بالجانب المادي شاكيا إليه من مخصصات القبيلة للمدرسة وأستاذها حتى إنه تحمل نفقتها وتغذية الطلبة من عنده ثلاثة أعوام (*المعسول*، 5 : 225) ويظهر أن صاحب الترجمة لم يتمكن من هذه التضحية حيث إن الطلاب غادروها سنة 1336 / 1945 إثر الجفاف الذي أصاب سوس حتى لم يبق بها إلا بضعة عشر طالباً التزموا بالمرابطة معه إلى حين وفاته سنة 1351 / 1932 واستمروا إلى نهاية الجفاف المذكور.

وقد امتاز صاحب الترجمة بشخصية علمية أدبيّة جمعت إلى جانب المراس التعليمي البالغ الاقتصاد والتدبير إلى درجة الشظف والتقتير في النفقات مع عزوف كلي عن الانتماء إلى أي طريقة صوفية أو تكوين أتباع من القبيلة قد يساعدون المدرسة ماديا، وهو في ذلك منفرد بين أسلافه اليعقوبيين ذوي الميولات الصوفية المتعددة، ويحكي عنه أحد أبنائه وهو عيسى بن المحفوظ الذي سيخلفه بعد وفاته أنه استشاره في الالتزام ببعض أذكار الصوفية فأجابه باقتضاب : إن الأولى محبة الجميع مع ترك الجميع. تُنقل عنه إنشادات وابتهالات تدل على إيمان مستقر متزن (*المعسول*، 5 : 231).

على أن هناك جانبا بارزا في شخصيته، وبه عرف أكثر بين عامة السوسيين وخاصتهم، تجلى في نشاطه على مستوى الإقليم في القضايا والفتاوى الكبرى حتى سلم له بالرآسة في تلك الناحية وهو في ذلك على خلاف شخصية شيخه عبد العزيز التي تتميز بالإعراض عن الظهور وتتجلبب بجلباب الخمول والعزوف عن كل شهرة.

لذلك تصدر صاحب الترجمة في المجامع العامة إلى جانب الرؤساء وكبار العلماء ؛ قصد أحمد الهيبة 1337 / 1919 مراكش في مقاومته للدخيل الأجنبي عن المغرب ووصل إلى سوس، تلقاه علماؤها فطلب منهم الانضواء تحت لواء صاحب الترجمة بتزنيت. كل ينقل عنه في هذا الصدد اتخاذه حكما من قبل الشيخ أحمد النعمة (ت. 1339 / 1921) في نازلة تتعلق بالشفعة، وقد كان حكم فيها بعض علماء سوس فعورض فيها وصادف أن كان تلميذا لصاحب الترجمة، فلما انعقد المجلس أدلى المعارضون بوجهات نظرهم إلا أن صاحب الترجمة كشف لهم أن وجهة اجتهاد تلميذه أرجح، مستشهدا بفتوى شبيهة يضمها *معيار الونشريسي* (ت. 914 / 1508) فيها نص جلي مفصل في المسألة، فجنح الجميع حينئذ إلى رأي صاحب الترجمة وترجيحه (*المعسول*، 5 : 230).

كما كانت لصاحب الترجمة جولات بين جيوش القبائل بسوس وذلك ما بين السنة 1303 / 1885 إلى حين وفاته سنة 1351 / 1932 وينقل عنه بذلك ما يدل على شموخه في الفتوى، ويذكر أنه كان ذات مرة في إفران قرب بويزكارن في مجلس غاص بالعلماء وقد تجاذبوا البحث في مسائل آثر فيها صاحب الترجمة الصمت وكان يردد بين الفينة والأخرى : هل جاء الفقيه؟ يقصد الاستاذ علي بن عبد الله الإلغي (ت. 1347 / 1928) وعلى رأس صاحب الترجمة يومئذ قلنسوة حمراء ؛ وكان يحب أن يجادل هذا الأستاذ ويحاوره وربما قصد إليه من مسافة بعيدة حاملا معه نصوصا وشواهد ليحاجه بها في مسألة بعينها لا يستريح صاحب الترجمة إلا إذا وصل فيها معه إلى حل أو ترجيح (*المعسول*، 5 : 331).

أما الجانب الثاني الذي برز فيه صاحب الترجمة فهو التعمق في التحليل والشرح أثناء ممارساته التعليمية إلى درجة أن بعض معاصريه اتهمه بالتقعر والتكلف في ذلك ؛ خاصة وأن صاحب الترجمة ربما لم تسعفه العبارة السلسة الحاضرة الفصيحة أحيانا فهو يستعمل مع الحديث حركات يديه لتوضيح ما يريد توضيحه حتى ليخرج بذلك أحيانا عن حد الاعتدال ؛ وربما غلبت هذه السمة في تدريس المنطق والصور الأصولية والتحليلات البلاغية لشدة عنايته بهذه العلوم خاصة حتى إنه ليستعين على حسن تفهيمها والتغلب على صعوباتها بالبداية بها صباحًا على خلاف كل معاصريه سالكا في ذلك مسلك التشعيب والتفريع وإثارة الإشكالات ليبهم الأمرعلى متتبعيه من الطلاب فينقطع نفسهم عن مجاراة الأستاذ. ومن مظاهر هذه النزعة في تدريسه كتابته العديد من الطرر والتعليقات بخط مدمج دقيق على الكتب المرجوع إليها أثناء التدريس. وكمثال على ذلك تعليقاته على شرح *جمع الجوامع* للسبكي (ت. 770 / 1368) و*تسهيل* ابن مالك (ت. 672 / 1273) في النحو فإنه يبرز أيضا في محاوراته مع معاصريه حتى شهد عليه أستاذه عبد العزيز الأدوزي (ت. 1336 / 1918) بأنه يترك الجادة ويسلك طريقا لا أنيس بها ولا أثر ؛ مما نتج عنه نوع من عدم التفاهم مع معاصريه وإن كان الإنصاف يقتضي الشهادة له بأنه لا يكاد يخرج في ذلك عن آداب المناظرة المعروف عند علماء المسلمين في مجال الحجاج. ولا تعدو تعليقاته أحيانا عبارة موجزة يعلق بها على سبيل الرد

كقوله : الجواد قد يكبو والصارم قد ينبو والانسان محل النسيان..... ومع هذا لم يكن يسلّم لمعاصريه أحكامهم ويرجع هذا إلى أمرين احدهما اطلاعه على النصوص والتفريعات حتى كانت حواشي *مختصرخليل* وفتاوي *معيار الونشريسي* لا تغيب عنه، وأيضا قدرته الجدالية الحجاجية على إثارة القضايا على طريقة النظار والمتكلمين لا على طريقة الفقهاء مما كان غريبا على تلك البيئة التي يغلب عليها المنقول والمحفوظ (*المعسول*، 5 : 229).

وهذا كله صرف صاحب الترجمة عن التأليف إلا ما نقل له مما اجتمع من فتاواه وأحكامه التي حررها والنوازل التي كتب حولها وإلا ما نسب إليه من انتقاد على كتاب احد العلماء المغاربة المسمى الراضي الحنش الفاسي (*المعسول*، 5 : 232) في الأوراق البنكية وهل تجب فيها الزكاة، ويظهر أن صاحب *المعسول* قد اطلع على هذا الرد وإن ترك فيه انطباعا باستغلاق كلام صاحب الترجمة وعقلانيته المفرطة وكثرة الاحتمالات والصور التي أثارها (المعسول، 5 : 233). وهناك رسالة أخرى ناقش فيها أحمد بن المامون البلغيثي (ت. 1345 / 1929) حول الهجرة من دار الكفر (*سوس العالمة*، 205).

أما كتاباته الشعرية والنثرية فكانت تبعا لما تقدم ذات طابع علمي محض رغم اهتمامه بدراسة *ديوان المتنبي* (ت. 354 / 965) *وقلائد العقيان* في النثر المسجوع وهو للفتح بن خاقان (ت. 528 / 1133) *بحاشية ابن زاكور* (ت. 1120 / 1708) وقد ساق صاحب *المعسول* نماذج من نظمه ونثره. منها إجازته لأحد طلبته (5 : 233)، *ورسالة في الحث على الجهاد* إلى أحد علماء تازروالت عند محاصرة العدو لناحية "وجان" (*المعسول*، 5 : 234) أما سبب وفاته فقد قيل إنه سياسي إذ ربما دس له الاستعمار الفرنسي المطوق للمنطقة آنذاك أحد عملائه فسمه ؛ وقد اجتمع البعقيليون في السوق أثر وفاته على رجل فأجهزوا عليه لاعتقادهم أنه الفاعل. وقد رثاه تلامذته بعد وفاته ؛ واستغرقت فترة التدريس معظم حياته، وكان يتولى التدريس في بعض السنوات وهو بمنزله لم يلتحق بمدرسة بعينها بعد. وقد ترك جملة وافرة من التلاميذ ذكر منهم صاحب *المعسول* نيفًا وثمانين (5 : 237. 239).

م. المختار السوسي، *المعسول*، 5 ؛ *سوس العالمة*.

الأدوزي، محمد بن أحمد بن إبراهيم، ولد عام 1154 / 1741 ؛ ولم يلفت نظر مترجميه عن حياته في طفولته خاصة ما يستحق الذكر. إلا أنهم ذكروا من شيوخه الذين تلقى عنهم العلوم والسلوك الصوفي كلا من أحمد بن محمد المرابط الأدوزي (ت. 1190 / 1776) ذا الولاية والصلاح والكرامات مع البراعة في الفقه حتى أنه ختم *مختصر خليل* ذي التفصيلات المعقدة اثنتي عشرة ختمة (المعسول، 5 : 62) كما ذكروا من بين شيوخه أيضا العالم الشيخ محمد بن أحمد الحضيكي (ت. 1189 / 1775) صاحب *طبقات علماء سوس* والمؤلفات العديدة في مختلف العلوم (الزركلي، 6 : 15) ؛ ونقل أيضا أنه اتصل في مدينة تارودانت بالشيخ أحمد العباسي (ت. 1152 / 1740) المفتي الشهير (*المعسول*، 5 : 147).

وقد نقلوا من صفات شخصيته البارزة ما يجعله في عداد علماء عصره المشهود لهم بحسن السمة والهيئة مع العكوف على ما يرضي؛ كما لوحظ فيه عزوف عن المخالطة إلى درجة أثارت الاستغراب، حيث كان يفر من كل سؤال يشتم منه التعمق في الأمور الفقهية التي يمكن أن تفيد السائل في المخاصمات ورفع الدعاوى ؛ ولا يكاد يقبل على شخص إلا إذا سأله في أمور بعيدة عن الشبهات.

بعد تخرجه بمن ذكر من العلماء أقامه عمه علي بن إبراهيم الأدوزي المتوفى قبل وباء 1214 / 1799 ذو الولاية والتربية والقائم في وجه الثائر بوحلاس مقامه في المدرسة الأدوزية للتدريس لكل من يرد على المدرسة لمّا كثر عليه الناس ومنعوه من ملازمة المدرسة المذكورة وشغلوه عنها ؛ فقام صاحب الترجمة بالتدريس نيابة عن عمه المذكور احسن قيام وسن طرقا تربوية غاية في التنزه والعفة والاحتياط من الشبهات. فمن ذلك أنه لم يكن يقبل من الطلبة إلاّ كبار السن الراشدين دون الأحداث، كما ينقل عنه شدة الاعتناء بهؤلاء الطلبة إلى درجة المرابطة بالمدرسة إلى أن تصلى العشاء.

ومن نشاطه الصوفي قيام الليل للتهجد والعبادة حتى شهد له عمه علي بن إبراهيم السالف الذكر بأن الشيطان لا يكاد يجد له طريقا للإغواء أو الإلهاء.

ومن معالم شخصيته تمكنه من التحقيق العلمي فيما قيل وكذا من التفوق على معاصرية في العلوم العقلية خاصة (المعسول، 5 : 147) وهو أمرٌ قلّما يشاهد في هذه البيئة التي يغلب عليها علوم المنقول مع نزعة تسليمية صوفية بقيت آثارها إلى اليوم.

والآثار العلمية المنسوبة إليه تدور حول خدمة اللغة العربية من جهة، والعناية بالفقه والفتوى من جهة ثانية؛ فمن هذه الآثار فتاويه المجموعة (*سوس العالمة*، 196) ومن ذلك في مجال اللغة العربية أثران : أحدهما على مستوى التأليف للتعليم في مراحله الأولى في موضوع *المبنيات* ؛ وهو موضوع استقل بالتأليف نظما ونثرا وقد عكف السوسيون على العناية بتدريسه بعد استكمال تدريس *متن الأجرومية* مع شروحها ؛ لذلك شرح المبنيات كل من سيدي إبورك الأدوزي (ت. 1058 / 1648) في نحو 44 ورقة كما شرحها صاحب هذه الترجمة، وكلا شرحيهما من محتويات الخزانة الأدوزية (*خلال جزولة*، 20 : 55).

أما ثاني أعماله في خدمة اللغة العربية فيتعلق بشرح أكثر عمقا *لنظرمة* عبد العزيز الرسموكي البرجي (*سوس العالمة*، 196) لكتاب *مغني اللبيب* لابن هشام (ت. 761 / 1359) وكان ممن اهتم بهذا الكتاب القيم من أسرته محمد بن أحمد المرابط. وقد قام بدوره بشرح منظومة *معين الطالب النجيب في حلّ ألفاظ تحفة الحبيب* والتي هي عبارة

عن نظم متن *مغني اللبيب* من قبل إبراهيم التاگوشتي (ت. 1136 / 1723) كما في (*خلال جزولة*، 4 : 11). ولأحد العلماء البعقيليين الجزوليين أيضا حاشية على *مغني اللبيب* في مجلد من 141 ورقة في خزانة أدوز (*خلال جزولة*، 2 : 62).

م. المختار السوسي، *المعسول*، 5 ؛ *خلال جزولة*، 2 و 4 ؛ *سوس العالمة*.

الأدوزي، محمد بن أحمد المرابط. ولد سنة 1164 / 1751 وقد أطلق لقب المرابط على والده أيضا (*المعسول*، 5 : 61). ذكر كتاب ترجمته أنه كان طويل القامة مشوبا بحمرة مع ملاحة وحسن وامتلاء الساقين والذراعين ونقاء في الملبس والعرض (*المعسول*، 5 : 61).

كما تحدثوا عن أساتذته الذين أخذ عنهم العلم والدين وتأثر بهم في التكوين والسلوك ؛ وقد ذكر من بينهم والده أحمد بن محمد (ت. 1190 / 1776) الذي عاصره أكثر من ثلاثين سنة، كما يبدو من سنة وفاة صاحب الترجمة 1221 1806. ووصف محمد بن أحمد الأدوزي بالصلاح والاجتهاد في العبادة مع كرامات جامعا بين ذلك وبين نزعة فقهية من اثر تلمذته على المفتي المشهور أحمد العباسي (ت. 1152 / 1740) الذي ختم عليه مختصر *خليل* في الفقه المالكي المستقصى نحو اثنتي عشرة ختمة (*المعسول*، 5 : 62).

ومن شيوخ صاحب هذه الترجمة ابن عمه علي بن إبراهيم الأدوزي (مات قبل وباء 1214 / 1799) ويتجلى من ترجمة هذا الأستاذ الصلاح والولاية إلى درجة القطبانية فيما قيل (*المعسول*، 5 : 141) مع كرامات متواترة وكثرة أتباع حتى اتخذ الناس موضع بغلته مكانا للحلف وأداء اليمين ؛ وكان ابن أم ولد سمراء من الإماء السود ؛ وهو الذي قام مع تلميذه التاسگاتي (ت. 1291 / 1874) في وجه الثائر الباعمراني الغامض الأطوار والملقب ببوحلاس أي صاحب البردعة أول سنة 1207 / 1792 ؛ وقد جمع صاحب الترجمة أخبار ثورته في مؤلف مستقل سماه : *نزهة الجلاس في ذكر واقعة بوحلاس*.

ويذكر من بين شيوخ صاحب هذه الترجمة ؛ على سبيل الاحتمال فقط؛ المؤلف المؤرخ محمد بن أحمد الحضيكي الجزولي السوسي (ت. 1189 / 1775) صاحب *طبقات علماء سوس* والمؤلفات الوفيرة في ألوان من العلوم الإسلامية والعربية (*أعلام الزركلي*، 6 : 15).

وهذه العناصر التثقيفية مجتمعة، مع مسعى خاص، ساعدته على البروز بشخصية جامعة بين حسن الخلق والاستقامة والبشر من جهة وبين الممارسة التدريسية والاجتماعية التنفيذية من جهة ثانية، مع غلبة الجانب العلمي عليه حتى قيل : إن رآسة العلم في بلاد "ولتيتة" (اطلاق متأخري المؤرخين على جزولة) انتهت إليه.

تجلى هذا الجانب في حرصه على أن يتقن طلابه العربية معتبراً ذلك أساس ومفتاح الفهم في العلوم وانها كانت الطريق الذي (فتح عليه) أبواب الفهم والتفوق. ولا غرابة في هذا فالبيئة السوسية إلى عهد قريب لم تعرف التعريب حتى في هذا النطاق الضيق حتى إن العلوم لتدرس وتشرح بطريقة يزاوج فيها بين العربية والبربرية في الغالب.

وكان من أثر هذا الاهتمام اللغوي مؤلفاته في هذا الاتجاه، منها مؤلف في *إعراب بعض القرآن* وهو مخطوط (*سوس العالمة*، 196). وينسب إليه أيضا *شرح اليوسفية* في النحو وكان يعتمد للتدريس في هذه الفترة بمدارس سوس، وتوجد منه نسخة بخزانة "أدوز" في نحو 12 ورقة (*خلال جزولة*، 5 : 55). وله أيضا مؤلف مخطوط وهو عبارة عن شرح المنظومة المسماة *معين الطالب النجيب في ألفاظ تحفة اللبيب* التي نظمها إبراهيم التاگوشتي الصوابي (ت. 1149 / 1736) كمختصر لكتاب *مغنى اللبيب* لابن هشام ؛ وهذا الشرح مما يدرس به في سوس في هذه الفترة وما بعدها (*سوس العالمة*، 196) ومنه نسخة بخزانة عبد العزيز الأدوزي (ت. 1336 / 1918) بخزانته بسيدي بوعبدلي قرب تزنيت بسوس (*خلال جزولة*، 4 : 13).

ومن بين اهتماماته العلمية المتصلة بممارساته الاجتماعية ما نقل من أعماله في الفقه، مثل شرحه على *المرشد المعين* لعبد الواحد ابن عاشر الفاسي (ت. 1040 / 1631) في الفقه والتصوف والكلام ؛ وهذا الشرح مما يبدأ به في سوس إلى جانب شرح محمد بن أحمد ميارة (ت. 1072 / 1661) على المنظومة المذكورة ؛ وتوجد نسخة من شرح صاحب الترجمة بخزانة أبي فارس المتقدم وعليها تقريظ التاسگاتي (1136 / 1723) وتقريظ آخر (*خلال جزولة*، 4 : 13).

أما ممارسته التنفيذية فتتجلى في قسمة التركات وفق الشريعة مع إصلاح بين الخصوم ومسائل من النصح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وسط القبائل السوسية بناحيته، وقد نتج عن هذه الممارسة *مؤلفات* يتعلق بعضها بأحكام المغارسة ويتعلق الثاني بمسائل في الضمان وسمي *بالضُّمَّان الستة* ـ جمع ضامن ـ أو *الحملاء الستة* ـ جمع حميل ـ (*سوس العالمة*، 196) ويظهر أنه ترك فتاوى أخرى في أمور متفرقة هي المسماة *بالفتاوي المتفرقة* المخطوطة (*سوس العالمة*، 196). كما نسب إليه جملة من التعليقات والطرر المنتشرة في كل كتبه وصفت بأنها تعادل عند تجميعها أسفاراً كاملة (*المعسول*، 5 : 13).

أما مؤلفه المتفرد الهام فهو *نُزهة الجُلاَّس في ذكر واقعة بوحلاس*، وتوجد منه نسخة خطية في خزانة عبد العزيز الأدوزي بمدرسة سيدي بوعبدلي بناحية تزنيت (*خلال جزولة*، 4 : 11) وهو يضم أخبار هذا الثائر وجملة من ممارساته الانتقامية في نواحي أيت باعمران وأگليميم وبويزكارن وإفران وناحية تزنيت مع ما حصل للناس بسببه من اندهاش وأتباع القبائل له والقيام بأمور سحرية واتخاذه القناع على وجهه وإحدى عينيه وافعاله مع الطلبة والعلماء واليهود بتلك النواحي إلى أن قام العالمان الشهيران محمد بن أحمد التاسگاتي (ت. 1211 / 1796) نزيل ماسة وأحد

تلامذة والد صاحب الترجمة وشيخه علي بن إبراهيم الأدوزي (مات قبل وباء 1214 / 1799) مع بعض القبائل وتمكن من الفتك بهذا الثائر بقرية العوينة القريبة من مدينة تزنيت غربا بنحو 10 كلم، حيث أحرقت جثته في مطمورة (حفرة واسعة تتخذ للحبوب أو تخزين الماء) ؛ لا تزال قائمة بهذه القرية (قارن *المعسول*، 5 : 142 و*خلال جزولة*، 4 : 27. 28).

وقد ترك صاحب الترجمة جملة من التلاميذ من بينهم من درس أو أفتى أو تولى القضاء (*المعسول*، 5 : 64 ؛ 14 : 29 ؛ 5 : 146).

م. المختار السوسي، *المعسول*، 5 ؛ *سوس العالمة* ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*.

الأدوزي، محمد بن العربي السوسي. ولد سنة 1249 / 1833 وحفظ القرآن الكريم عن أحد أشهر مقرئي تلك الناحية ثم عكف بعد ذلك على الأخذ ودراسة علوم العربية والعلوم الإسلامية وما إليها عن والده العربي : وقد زوجه والده في حياته التي صاحبه فيها نحو أكثر من ثلاثين عاما؛ ويذكر أنه أخذ أيضا عن أحد مشاهير علماء مراكش أثناء بعض أسفاره إليها وهو محمد الأمين الصحراوي، ولعل ذلك كان في مقدم صاحب الترجمة لمبايعة المولى الحسن العلوي سنة 1276 / 1859، وقد نظم صاحب الترجمة قصيدة بالمناسبة (*المعسول*، 5 : 149. 188) كما يشير في أبيات من رحلته المنظومة إلى هذا العالم مادحًا وذاكرا إجازته له (المرجع أعلاه 156) ؛ كما يذكر أن الشيخ الحسن التمگدشتي (ت. 1297 / 1879) ذا الاتجاه الصوفي الشاذلي أجازه (*المعسول*، 5 : 158).

وبعد وفاة والده (1286 / 1869) الذي خلف تلامذة متفوقين ذكر من بينهم نيفٌ وخمسون (المرجع أعلاهُ 118) تعاهد الطلبة ألا يغادر أحد منهم المدرسة الأدوزية الا بعد سنتين حتى يكتب لها الاستمرار، وكان الظن أن يخلف الأستاذ المتوفى أحد نبغاء التلامذة واسمه الحسن بن مبارك التامودزتي (ت. 1316 / 1898) لكن هذا الاخير رشح صاحب الترجمة بإصرار، ولم تمض فترة حتى ظهرت مقدرته وسلم له الجميع ؛ ومنذ سنة 1286 / 1869 أكب على التدريس مع رفق بالطلاب وسهولة معاملة لاحترامه كل منتسب إلى العلم أو القرآن حتى إنه ليعكف على الأوراق الملقاة في الطرف يلتقطها احترامًا للحرف العربي (*المعسول*، 5 : 178) وقد انفرد عن غيره من معاصريه بكثرة النقول والمقيدات فلا يجلس إلاّ والدواة عن يمينه، لذلك تعددت أعماله العلمية ما بين اشتغال بعلوم اللغة العربية *كحاشيته على شرح والده أيسر المسالك إلى ألفية ابن مالك*، وكمؤلفه *أنوار الربيع بأزاهي البديع* وهي منظومة، كما نسب إليه شرح القصيدة الكبرى في البديع في نحو كراسة، وهي غير تامة (المرجع أعلاه 186) وله أيضا في ذلك *الرسالة المختصرة في فرائد الاستعارة المحررة*، منظومة في نحو 27 بيتا، وشرحها في ورقات تامة (*المعسول*، 5 : 186).

كما اهتم بالتاريخ فنظم في السيرة كما كتب في مسألة ابتداء النبوة قبل الوحي أو بعده على إثر مذاكرة بينه وبين المحدث الصحراوي محمد يحيى الولاتي في مقدمه إلى إيلغ سنة 1313 / 1895 وقد أطال القول فيها، وقد اطلع عليها العالم المشار إليه فرد عليه *برسالة* معززة بأدلة من السنة والكتاب والإجماع ناعيا على الأدوزي اعتماده على نقول الصوفية المجردة من الدليل. ويظهر أن ابن العربي اغتاظ لذلك فكتب إليه ردًا سماه *صخرة العصر على بعض أهل العصر*، ولكن صرف عنه فلم يفعل (*المعسول*، 5 : 175). وينسب إليه في نطاق السيرة أيضا *كتاب في فوائد حديث الإفك* وهو بالخزانة الأدوزية في صفحات بخطه المدمج، ويَضم نحوا من 137 فائدة مبينة ؛ ومن اهتماماته التاريخية أيضا *مؤلفه* الذي ذيل به كتاب والده في أنساب اليعقوبيين وتوجد نسخة منه بخزانة العلامة المختار السوسي، يضاف إلى ذلك كله مؤلفه في الأشراف السملاليين وغيرهم وكان هيأ مواده ولكنه لم يحرره فضاع. ويظهر أن الدافع إليه ما عرف عنه من حبه للأشراف، على أنه وجد بخطه أشياء نبه فيها على شرفاء بسوس (المرجع أعلاه) ومن هذا الصنيع التاريخي *أرْجوزة* في نحو مائة بيت في الحث على العلوم عامة والتاريخ خاصة، وهي بخزانة أدوز (*خلال جزولة*، 2 : 59) ويذكر له *كتاب في الموالي في صدر الإسلام*، وأنواع الولاء، وكان الباعث عليه ما رآه من بعض قواد گليميم من احتقار لموالي أحد شرفاء إيليغ محمد بن الحسين بن هاشم (ت. 1335 / 1916) بحضرته (*المعسول*، 5 : 178). وله أيضا *ترجمة* محررة للشيخ الشهير بناحية مراكش رحال البودالي (ق 10 / 16) وهو بالخزانة بأدوز (*خلال جزولة*، 2 : 57). ومن ذلك *رحلته المنظومة إلى مراكش* وتضم إشارات تاريخية وجغرافية واجتماعية مفيدة في نظم طويل وقد أتبعها بشرح لم يتم (انظر نماذج منها في *المعسول*، 5 : 158) وبخزانة أدوز نسخة منها مع الشرح المذكور (*خلال جزولة*، 2:65) وهي في خزانة المختار السوسي أيضا بخط يده.

وإلى جانب هذه الآثار المفيدة صرف صاحب الترجمة شطرا من اهتمامه إلى الإصلاح، ويوثر عنه في هذا الباب مؤلفه في حكم اللحن في القرآن سماه *براءة الذمة من قول بعض الأئمة* وهو في خزانته بأدوز بخطه المدمج في نحو 37 ورقة، وقيل إنه ردٌ به على أحد القراء المشهورين آنذاك بسوس (*خلال جزولة*، 2 : 53) بسبب ما كان يرتكب في الإمالة من انحراف بها إلى الكسرة الخالصة حتى يستحيل المعنى أحيانا بسبب ذلك. والطريف أن عبد العزيز، وهو من قرابته، رأى أن الصلاة صحيحة في رد له على المسألة (*المعسول*، 5 : 159). ولصاحب هذه الترجمة أيضا *مؤلف في حكم البسملة في الصلاة* في نحو 16 ورقة منكراً لها، وهو في خزانة قرية أزاريف بسوس (*خلال جزولة*، 2 : 79). ومن هذه الاهتمامات الإصلاحية *مؤلف في جهة القبلة* في الصلاة، وقد ألفه بعدما رأى بعض المساجد أثناء رحلته

إلى مراكش وفيها انحراف في القبلة ظاهر ؛ وفي هذا السياق أيضا كتابه *العكاز المضروب به من افتى للأب بعد موت ابنته بأخذ الجهاز*، وهو مطبوع ؛ ويندرج في هذا الاتجاه أيضا *مؤلفه في بيع الثنيا* الذي ألف فيه غير واحد من علماء عصره (*المعسول*، 5 : 185) وكذلك *مؤلفه في بيع المساغب*، وتضم خزانة الطاهر الإفراني نسخة منه، في موضوع البيع إلى أجل زمن المجاعة بأزيد من الثمن المعتاد، وهي في نحو إحدى عشرة صفحة، وهي فريدة.

ومن اهتماماته الإصلاحية دخوله في سجال مع اتباع الطريقة الدرقاوية التي برز نشاطها بسوس في هذه الفترة، وكانت قد تميزت ببعض المظاهر التي لم يرضها، فقاوم ذلك بعنف خاصة بعدما رأى بعض زملائه في الدرس وبعض تلامذته قد اعتنقها، وله في ذلك مواقف وأشعار ذكر طرفا منها صاحب *المعسول* (5 : 160). وقد كتب صاحب الترجمة في هذا الصدد حول السبحة التي تتخذ للذكر بعد أن لاحظ وهو بمراكش أن بعض مريدي الطريقة الدرقاوية واتخذ له سبحة غليظة الحبات جدا (*المعسول*، 5 : 180) وإن لم يمنعه هذا كله من مصاهرة أحد أبرز شيوخ هذه الطريقة بسوس ومن ملاقاة رجالها ومجالستهم.

ومن أهم ما انفرد به ابن العربي بين معاصريه بسوس اهتمامه بالقاعات والبناء والزخرفة والنجارة والتجليد والمحاولات الطباعية، وتنسب إليه في ذلك بعض المنشآت الطرقية والجسور والطواحن واستجلاب المياه ونحت الرخامات ؛ كما ألف *كتاب الحيل في الميكانيكا*، وفي خزانة أدوز نسخة منه (*خلال جزولة*، 2 : 65) بالإضافة إلى اهتمامه وبدون تحرج بشرب الشاي وبأدواته وآدابه، وله *منظومة في الأتاي* مستقلة تُستصلح (*المعسول*، 5 : 189) وقد مات عن نيف وثمانين تلميذا بارزا (*المعسول*، 5 : 210).

م. المختار السوسي، *المعسول*، 5 ؛ *خلال جزولة*، 2.

محمد البايك

أدوسكا ← إلالن

أديب و أوديبا، اسم يحمله يهود أصلهم من بلاد البرتغال وطردوا منها عام 1496 فلجؤوا إلى مدينة أزمور.

وجاء في *الموسوعة اليهودية*، (1 : 193). "أن يهود أزمور أجلوا عن هذه المدينة ونزحوا إلى أسفي وفاس. إلا أن جالية يهودية كانت موجودة بأزمور خلال الاحتلال البرتغالي. ،من هذه الأسرة :

أديب موشي، أحد يهود أزمور الذي كتب صك الاتهام المؤرخ بعبورة 18 يناير 1537، وذلك بعدما ارتدّ أديب موشي عن المسيحية التي اعتنقها مكرها، وعاد إلى الديانة اليهودية.

أديب يعقوب، في عام 1513، حاصر الجنود السعديون أزمور، فبارحتها قوات الاحتلال البرتغالي ذات ليلة، لكن هؤلاء اليهود بقوا فيها. وفي هذا الموضوع، كتب داميا وگويش يقول :

"عندما أخذت قوات الاحتلال البرتغالي تغادر المدينة ليلاً والظلام حالك، قام يهودي من الذين يقطنون أزمور، اسمه أديب يعقوب، بتدخل لدى الدوق دوبراكانسا، قائد الحامية البرتغالية، يلتمس الأمن على حياته ومصالحه والحفاظ على حياة وممتلكات اليهود القاطنين بالمدينة، مقابل الأخبار والمعلومات التي كان ينقلها إليه عن المدينة وأهلها إبان الاحتلال".

أديب يوسف، لعب دور الوساطة بين ملك البرتغال وقبائل الشاوية، وقال داود لوبيز في كتابه *الجامعة البرتغالية* : إن اليهود قاسوا المحن من السلطات البرتغالية التي أقصت من البلاد كل الذين ليسوا مسيحيين.

داميا دي گويش، *أخبار الملك دون مانويل*، 67. 1566. ترجمه إلى الفرنسية ريكار ودوبير بعنوان *البرتغاليون في المغرب*، الرباط، 1937 ؛ لاريدو، *أسماء يهود المغرب*، مدريد 1978، ص 229.

شمعون ليڤي

إديكل ← أرْز

الإديكلي، محمد بن أحمد (ت. 1214 / 1899) أحد أحفاد عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن سعيد بن محمد المعروف بالقاضي، أسرته أسرة علمية كبرى تولت التعليم والقضاء والإرشاد والإفتاء نحو ثلاثة قرون ؛ من تلك الأسر الرگراگية السوسية في أملن وتمگدشت ورسموكة ظهر فيها علماء مشهورون كالشوشاوي (*المعسول*، 17 : 17) وقد عاش جد هذه الأسرة المشار إليه أواخر القرن 7 / 13، كما يعتبر الفقيد سيدي عبد القاضي (1323 / 1905) خاتمة رجالها. أخذ محمد هذا عن العلامة عبد الله بن محمد جد الجشتميين المتأخر الذي أحيى الدراسة في أگشتيم أوائل القرن الثاني عشر / الثامن عشر (*المعسول*، 17 : 16).

أخذ عن العلامة عبد الواحد بن محمد الأمزاوري العلامة الجليل من أشياخ أبي زيد الجشتيمي، وكان الجشتيمي يكاتبه (*المعسول*، 17 : 19).

ومن أشياخه محمد بن الحسين الأسغركيسي المتوفى بطرابلس ثالث رمضان 1126 / 1714.

وبعد تخرج صاحب الترجمة على يد من تقدم عُين في مدرسة أغيغا في جانب الكست ؛ وبقي بهذه المدرسة سنوات ثم انتقل إلى مسجد امسنات. وقد اشتهر بالإفتاء في النوازل وبإصدار الأحكام، مع ميل إلى أسلوب الصلح بين المتداعين حتى غلب عليه ذلك وعرف به (*المعسول*، نفس المكان).

كما كان معنيًا بخزانته، يبذل جهده في اقتناء الكتب من جهة، وفي ممارسة النساخة من جهة ثانية ؛ وقد اشتهرت الأسرة بكثرة منسوخاتها وتآليفها الرسمية وغيرها ؛ ولا يكاد يشذ عن ذلك أي فرد من أفرادها ؛ بيد أهل تلك الناحية وثائق ورسوم تشهد بهذا الاهتمام ؛ مع تفاوت أفراد هذه الأسرة في تجويد الخط ؛ وقد ذكر صاحب

المعسول طائفة لا بأس بها من النماذج التي شاهدها في أيدي الناس وفي خزانة هذه الأسرة تشهد كلها بهذه العناية (*المعسول*، 17 : 6 ـ 31).

ومن أعماله *تقييد للمتوفين بالوباء* في القرى بتلك الناحية إلى حدود سنة 1214 / 1799 وذلك الاهتمام كوّن لديه معرفة خاصة بأنساب السلف والخلف من المتوفين انتفع به الناس في الحصول على شهادات الإراثة وعدد الوارثين؛ وكان الجهد فيما يظهر سببا في إصابته فتوفي في السنة المشار إليها (*المعسول*، 17 : 19)، كما نسب إليه جزء من *شرح الخرشي على مختصر خليل* في الفقه المالكي بخط يده وقف عليه صاحب *المعسول*. ونسب إليه مجموع يتضمن ما وقف عليه من الفوائد الفقهية من فتاوى السوسيين وغيرهم، وقف عليه صاحب *المعسول*. ويذكر عنه أيضا أنه عمل *حاشية على شرح ابن بطال على صحيح البخاري* وإن لم يعثر عليها عند أسرته. كما ذكر له أيضا *رسالة حول الحديث القدسي : كنت كنزا لم أعرف* إلخ، وهو موجود مخطوط (*سوس العالمة*، 1188) ظن صاحب المرجع المذكور أنها تكون من تآليفه.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 172 و 19 ؛ *سوس العالمة*.

محمد البايك

أديكيس، أو حَديكيس : مدينة صغيرة في سهل حاحا غير بعيدة عن أسفي، كانت عامرة مزدهرة حتى أوائل القرن العاشر الهجري، تحيط بها أسوار متينة ذات أبراج عالية، ويمر بداخلها نهر تقوم على حافيته كروم معروشات في غاية الجمال، ويسكنها قوم من الأعراب في نحو سبعمائة دار جيدة البناء. كان أهل أديكيس نشيطين في تجارتهم وصناعتهم يلبسون الثياب الأنيقة ويمتلكون الخيل الفارهة لاشتغالهم بالتجارة وضربهم السكة الفضية في مدينتهم. وكان لهم سوق سنوي يدوم خمسة عشر يوما ويقصده سكان جبال المنطقة بمنتجاتهم الفلاحية والحيوانية والمعدنية والمنسوجات المحلية. وفي أحد أطراف المدينة حي لليهود يشتمل على أزيد من مائة وخمسين دارا، يعيشون أحرارا في معتقدهم وتجارتهم.

زار الحسن الوزان أديكيس عام 922 / 1516 وأقام شهرا عند فقيه المدينة الذي وصفه بالخشونة والغلظة مع شدة الاهتمام بالعربية وقواعدها، غير أنه لم يكد الوزان يخرج من أديكيس حتى هاجمها حاكم أسفي البرتغالي نونيو فيرناندیس دي أطايدي مع حليفه يحيى بن تعفوفت واحتلها بعد أن فر السكان إلى الجبال. وسبي من نسائها طائفة بعث بهن إلى لشبونة فكن أجمل إماء دخلن إلى البرتغال. وقد استرد أحمد الأعرج أديكيس في جملة ما استرد من المدن والقرى ببلاد حاحا والشياظمة ودكالة خلال الحرب الطويلة التي خاضها ضد البرتغاليين، وانتهت بإخلائهم مدينتي أسفي وأزمور سنة 946 / 1541. واستعادت مدينة أديكيس عمرانها ورجع إليها سكانها وعاشوا في ظل دولة الشرفاء السعديين بسلام آمنين.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 101 ـ 102 ؛ ك. مارمول، *إفريقيا*، 2 : 16.

محمد حجي

أديوان، سعيد بن عبد الرحمان. ولد بتسنار بقبيلة حاحا حوالي 1932، حفظ القرآن ببلده وانتقل إلى زاوية المحصر بإنكنافن حيث قضى سبع سنوات في دراسة العربية والفقه والمنطق والحساب فضلا عن علوم القرآن والحديث، وكان أكبر شيوخه فيها سيدي الطيب التلطي والفقيه محمد أويلا، وكان لهذين الشخصين أثر في شخصية أديوان من جهة العلم والروحانية. وكان نظام التعليم بتلك الزاوية على النمط العتيق المتين. ولأديوان تقاييد وصف فيها مرافق الزاوية ونظام الدروس بها. وقد أجيز سعيد أديوان فيما كان يدرسه شيوخ زاوية المحصر ونال رعايتهم وإعجابهم بمحفوظه من العلوم المدرسية وبغزارة محفوظه الأدبي عامة.

سعيد أديوان

ولما حصل المغرب على استقلاله كان أديوان من جملة العدد الغفير من طلبة الزوايا العتيقة في القبائل الذين رحلوا إلى المدن للانضمام إلى جامعاتها بمراكش وفاس وتطوان أو للتدريس بمدارسها الحرة والرسمية، وسعيد أديوان من نماذج هذا الجيل وهذه الفئة، وقد حل بمراكش ودخل معلمًا في مدرسة حرة للبنات بحي القصبة بمراكش هي مدرسة "الفضيلة"، ثم دخل مدرسة تكوين المعلمين بحي المشور بمراكش. وبعد التخرج منها في شهر يوليوز 1961 عين في التعليم الرسمي في المدرسة التطبيقية الملحقة بمدرسة المعلمين، وحصل على شهادة البكالوريا عام 1963 والتحق بالمعهد التربوي بالرباط ليتخرج أستاذاً للسلك الأول في التاريخ والجغرافيا، ثم عين مدرساً بمراكش وانتسب إلى كلية اللغة العربية التي فتحت أبوابها بهذه المدينة فحصل منها على الإجازة، وأدمج على أساسها في أساتذة اللغة العربية بالمدارس الثانوية بمراكش.

كان عصاميا يمضي جل أوقاته في القراءة، وقد تمكن من تحصيل مستوى ملحوظ في اللغة الفرنسية. ومن آثاره المخطوطة *مذكرات* عن حياته و*ديوان شعر*، وكانت تتنازع نفسه طرافة الأدب ونفحات التصوف. ألم به مرض أحقه بجوار ربه في شهر دجنبر 1987.

س. أديوان، *تقاييد*، مخطوط ؛ *ديوان شعر*، مخطوط.

محمد بن سعيد أديوان

الإذاعة الوطنية المغربية، كسائر الوسائل السمعية البصرية في العصر الحاضر، أداة تواصل تقوم بمهام الإعلام والتربية و الترفيه من خلال الوظائف التي تشمل الميادين السياسية والثقافية والفنية.

نشأت الإذاعة المغربية سنة 1928 من عهد الحماية تحت اسم "راديو ماروك" أو راديو المغرب في أحضان إدارة البريد والتلغراف والهاتف حيث كانت مصلحة عمومية عادية يديرها موظف فرنسي وتذيع باللغتين العربية والفرنسية واللهجة العامية وبعض اللهجات الأمازيغية.

في سنة 1947 أعيد التنظيم الإداري للإذاعة فمنحت القدرة القانونية، والاستقلال المالي، لكنها ظلت في مبنى وزارة البريد، وكانت عبارة عن ثلاثة استوديوهات للإنتاج والإرسال. ثم شُيد مبنى جديد خاص بها، وهو الواقع الآن في زنقة البريهي بالرباط، فضم المديرية العامة والمصالح الإدارية والتقنية ومصالح الإنتاج وستة استوديوهات للإنتاج والتذييع.

أما شبكة الإرسال فكانت تضم جهازي إرسال في الرباط والدار البيضاء. وفي سنة 1950 ثم تشييد مركز سبع عيون وأقيم به جهازا إرسال قويان نسبيا.

إلى جانب الإذاعة في المنطقة السلطانية التي كانت مشمولة بالحماية الفرنسية كانت طنجة تتوفر قبل الاستقلال كذلك على إذاعة ذات صبغة دولية تساير النظام الدولي لهذه المدينة، كما كانت في المنطقة الخليفية المشمولة بالحماية الإسبانية إذاعة إسباينة ـ عربية وهي إذاعة درسة. اتجهت عناية الحكومة المغربية منذ الاستقلال أول ما اتجهت إلى مغربة الإذاعة التي أصبحت تحمل اسم "الإذاعة الوطنية" وجعلها في خدمة المجتمع. ذلك بالاهتمام ببرامجها من شتى الوجوه لتؤدى الوظائف التي تدخل في اختصاصاتها ولتكون في مستوى الطموحات الوطنية. وإلى جانب تقوية الإنتاج الإذاعي وقع التفكير في إنشاء محطات جهوية لتعطي صورة عن المنجزات في مختلف الأقاليم. وازدادت العناية ببرامج الترفيه، وذلك بتشجيع الآلة الأندلسية والملحون والموسيقى العصرية والشعبية التي شهدت منذ ذلك الوقت تقدما ملحوظا. كما أدخلت برامج تثقيفية، تشارك فيها جميع الدوائر الرسمية والأوساط الفكرية وبدأت البث باللغتين الأنجليزية والإسبانية زيادة على العربية والفرنسية.

ثم زودت الإذاعة بمحطات جهوية في كل من طنجة وفاس ومراكش والدار البيضاء، ثم وجدة وأگدير، وطرفاية بعد تحرير هذا الإقليم، ومحطتين في العيون والداخلة بعد المسيرة الخضراء لتغطية الأقاليم الصحراوية المسترجعة.

وفي نطاق المخطط 1965 ـ 1968 جددت التجهيزات القديمة كما أنشىء مركز قوي للإرسال في إقليم أزيلال وعزز هذا العمل ضمن المخطط الخمسي 1973 ـ 1977. بتجهيزات حديثة أخرى في أيت ملول وسيدي بنور طنجة وسبع عيون لتغطية جزء مهم من التراب الوطني.

في سنة 1962 أصبحت الإذاعة تابعة للأنباء، كما بدأ البث التلفزيوني في نفس السنة حيث توسع مبنى الإذاعة بالرباط واستقر التلفزيون في جناح منه. ومنذ ذلك الوقت والأجهزة التلفزيونية تتطور بصورة مطردة خصوصا بعد ظهور آلات الفيديو والتلفزيون الملون، فتم اقتناء حافلات كبيرة خاصة بذلك وسيارات كثيرة مجهزة أحدث تجهيز للروبورطاج.

وفي هذا النطاق كذلك أنشئ معهد للاتصال السمعي البصري في عين الشق بالدار البيضاء لتكوين الأطر التقنية لتسيير تجهيز إنتاج الاذاعة والتلفزيون، كما جد استوديو تلفزيوني بالدار البيضاء وجهز بأجهزة حديثة. واكب ذلك تغطية أكبر جزء من التراب الوطني بصورة مطردة بفضل إقامة شبكة إرسال قوية في كل من ورزازات ووجدة وبوعرفة وإفني والعيون زيادة عن أجهزة متوسطة القوة من مختلف المناطق.

ومنذ سنة 1982 تم تشغيل المحطات الأرضية للاتصال عبر الأقمار الاصطناعية بهدف توسيع الشبكة التلفزيونية أكثر فأكثر ومدها إلى الأقاليم الصحراوية المسترجعة فأقيمت لهذه الغاية مراكز جديدة في كل من طاطا وبوجدور وسمارة وزاگورة. زيادة عن المراكز التي أنشئت في الدار البيضاء والرباط وزرهون وأوكايمدن وبوكراع وكاب سبارطيل وتازكا وتزارين.

ويمكن القول بأن الإذاعة والتلفزيون أصبحا يغطيان معظم التراب الوطني، ويبثان أغلب الأوقات ويتناولان شتى الأنشطة الوطنية مما يدخل في دائرة الاهتمامات العامة.

تتوفر الإذاعة والتلفزيون في الوقت الراهن للقيام بهذه المهام على مجموعة من الصحفيين والإذاعيين والمتخصصين في البث التلفزيوني، بالإضافة إلى التقنيين والمتخصصين في شتى الأغراض التي يهتم بها هذا المرفق الحيوي من مرافق الدولة. كانت الأغلبية الساحقة من المتخصصين من الأجانب لدرجة أنهم حاولوا شن إضراب عام لشل صوت الإذاعة، بعد الاستقلال احتجاجا على تدابير اتخذتها الحكومة. فأحبطت المحاولة بعد طرد عشرات منهم. ومن ذلك الحين وقعت العناية بتكوين الأطر اللازمة.

ومما ساعد على توفير ما تحتاج إليه الإذاعة من الأطر معهد الحسن الثاني للاتصال السمعي والبصري. وهي مؤسسة متخصصة تابعة لدار الإذاعة والتلفزيون، هدفها التكوين والتدريب والإنتاج في ميدان الاتصال. وتتخرج من المعهد الأطر المتوسطة والعليا في التصوير بالفيديو والإنارة والرسم والديكور وضبط الصوت والتصوير والإنتاج الفوتغرافي والتحميض الخ .. بجانب تلقي تعليم نظري.

وفعلا منذ التصميم الخماسي 1981 ـ 1985 تخرج الكثير من هذا المعهد الذي مازال يعطي لتوفير الأطر لهذا المرفق الذي هو في توسع مطرد .

ق . الزهيري، *الإذاعة عملاق القرن العشرين*، جريدة "*العلم*" 2، 4 فبراير 1957 ؛ *تجربة ميدانية* : (من أرشيف الإذاعة) ؛ *التنمية والتعبئة*، 25 سنة من الاستقلال، وزارة الاعلام والشبيبة والرياضة.

قاسم الزهيري

أَذْمَام، (أو ذْمام = زعرور = إغْرِيس = بُورُوتو) يطلق على جنس نباتي هو كْرَاتِيگُوسْ Crataegus من فصيلة الورديات Rosaceae.

يحتوي هذا الجنس على نوعين في المغرب وهما الزعرور الثلاثي أو كْرَاتِيگُوسْ مُونُوجينَا Crataegus monogyna والزعرور الخماسي أو كْرَاتِيگُوس لاسِينْيَاتَا Crataegus laciniata.

الزعرور الثلاثي جنبة أو شجرة جد متفرعة وذات أشواك. أوراقها مثلثة الشكل ومفصصة إلى ثلاثة فصص. أزهارها صغيرة بيضاء ومجتمعة على هيأة سنمة. ثمارها تساوي في حجمها حجم حبات الجلبان وهي ذات لون أحمر، وكروية الشكل وهي مما يؤكل.

يوجد هذا النوع من الزعرور في السهول والجبال المنخفضة الواقعة في بيومناخات شبه جافة وشبه رطبة ورطبة ذات الشكل الحار والمعتدل والبارد. وهو لا يبالي بنوعية التربة لكنه يحبذ الاراضي الطينية الحمراء أي الأراضي الغنية بالعناصر النسيجية الدقيقة.

ينمو الزعرور الثلاثي منعزلا في غابات العرعار البربري (أَزُوگا) والزيتون البري (أزمور) والبلوط الفليني والبلوط القرمزي والبلوط الاخضر.

يتحمل الزعرور الثلاثي التقليم ولهذا يستعمل في تشكيل سياجات حية. كما يمكنه أن يُطعَّم من طرف البرقوق أو الإجاص.

أما الزعرور الخماسي فهو شجيرة أو جنبة مشوكة ومتفرعة. أوراقها ذات قاعدة مسحوبة، ومفصصة من ثلاث إلى سبع فصص. أزهارها بيضاء مجتمعة على هيأة ازهرار عذقي. ثمارها كروية الشكل وذات لون أحمر ومذاق عذب.

يعيش الزعرور الخماسي في غابات الأرز والشوح وأنواع البلوط النفضية، في المناطق الجبلية من الريف والاطلس المتوسط والأطلس الكبير ما بين 1000 و 2500 متر من الارتفاع. وهو يتطلب بيومناخات شبه رطبة ورطبة ورطبة جدا. ذات الشكل البارد والقارس والقارس جدا. ويكثر في الأراضي الغنية بالعناصر النسيجية الدقيقة. يمكنه أن يُطعَّم من طرف الكرز (حب الملوك).

E. Jahandiez et R. Maire, *Catalogue des plantes du Maroc*, Paris 1931. 1934.

عبد المالك بنعبيد

أَذْمِيم، أو أذْمِين "المكان المهجور" باللهجة البربرية. ويطلق على غابة مكونة من أرگان بسهل سوس.

تمتد غابة أذْمِيم شرق أيت مَلُّول على مساحة تبلغ ما يقرب من 22.000 هكتار من الضفة اليسرى لوادي سوس، في مجال علوي يقع ما بين 20 مترا في حدودها الشمالية الغربية، و 280 مترا في حدودها الجنوبية الشرقية. إن القرار الوزاري المؤرخ بثاني مارس 1931 الخاص بتحديد أذميم يخوِّل قبائل گسيمة وهشتوكة وهوارة حق الانتفاع في هذه الغابة.

أما من الجانب الإداري، فإن غابة أذميم تمتد على مجالات خمس جماعات قروية منها : أيت ملول وتامسية وسيدي بيبي وبْبوگرة التابعة لإقليم أگادير والگفيفيات في إقليم تارودانت.

تُدار أذميم من طرف الفرع الغابوي لأولاد تايمة التابع للمصالح الغابوية لأگادير.

تعيش غابة أذميم في بيو مناخ شبه جاف في أجزائها الغربية، وجاف في أجزائها الشرقية، وتقطن أتربة طميية حمراء من النوع الكستنائي يتراوح سمكها عموما ما بين 40 و 60 سنتمترا.

تعتبر أذميم من شجراءات أرگان النقية لأن هذا النوع الشجري ينفرد أساسا في تنظيم هذه التشكيلة النباتية بناحية أيت ملول، إذا استثنينا مصادفة بعض الأفراد القليلة من الطلح المغربي المنتشر هنا وهناك. أما نبتها الحراجي فهو يتكون من عدة أنواع شجيرية.

إن أكثر ما يثير الانتباه هو الحالة الحالية لغابة أذميم التي لم تعد "مكانا مهجورا" كما كانت في الماضي القريب. لقد كانت أذميم غابة كثيفة تعيش فيها أنواع كثيرة من الوحوش نذكر منها الحيوانات المفترسة، والزواحف السامة التي كانت تقتنص لاستعمالها للشعوذة بساحة "جامع الفنا" بمراكش. أما الآن فهي تعرف تدهوراً خطيراً ناتجا عن الضغط المستمر من طرف الإنسان وحيواناته الداجنة. وتتمثل أسباب التدهور في استغلال الغابة للمرعي طوال السنة. واجتثاثها لفائدة اتساع الدائرة السقوية لزراعة البواكر، مما جعل معالم التصحر تظهر في جل أرجاء سهل سوس. أشجار أرگان الباقية بدون حاشيتها النبتية تبدو مشوهة بسبب استكلاء أوراقها من طرف قطعان الماعز التي تتسلقها، والأتربة التي فقدت بنيتها بعد تعرضها لأشعة الشمس بعد الاجتثاث، أصبحت شبه عقيمة، وأعطت تراكما للكثبان الرملية، هذا بالإضافة إلى أن الاستغلال المفرط للمياه الجوفية لسقي البواكر أدى إلى انخفاض جد خطير لمستوى الطبقة المائية الجوفية، إذ أن سطح هذه الأخيرة في الماضي القريب يصادف على عمق يقارب عشرة أمتار، أما الآن فهو يتجاوز في بعض الأماكن 100 متر.

M. El Yousfi, 1988, *La dégradation forestière dans le sud marocain : exemple de l'arganeraie d'Admine (Souss) entre 1969 et 1986* - mémoire de 3e cycle forestier - I. A. V. Hassan II - Rabat 123 p + annexes.

عبد المالك بنعبيد

أيت **إراتْنْ**، من الأسماء التاريخية الغامضة المدلول، التي نصادفها في بعض كتب التاريخ المحلي. الغموض هنا يشمل المدلول اللغوي لـ إراتْنْ، والمضمون السوسيولوجي لـ أيت إراتن.

أما من حيث المدلول اللغوي، فإننا نرجح أن يكون مأخوذا من مادة إيرْتي التي تعني من بين ما تعني الخلط والاختلاط، سواء تعلّق الأمر بالأشخاص أو الحيوانات أو الأشياء. وتعني مجازاً الإنسان ـ أو الجماعة أو البلد ـ المضطرب المشاغب : (De Fouccauld, *Dictionnaire*, 4 : 1673).

ويبدو أنهم كانوا فعلا أخلاطا من أصول مختلفة، عرفوا كحلف أو "لفّ" في منطقة وادي نفيس وشرق جبل سيروا. كما أن سلوكهم التاريخي يُظهر أنهم كانوا بالفعل مشاغبين مضطربين ومخادعين. والجدير بالذكر أن فرقا منهم لعبت في بداية القرن الثامن عشر دورا هاما في مساعدة باشا مراكش، عبد الكريم بن منصور، عامل المولى إسماعيل على الجنوب الغربي، على الدخول بحركته إلى وادي نفيس، وقد اتهم شيوخها صراحة بالغدر والخيانة من قبل شيوخ اللف المنافس. (الزرهوني، *رحلة*، ص. 21، 51، 72، 78، 107، 122).

أما من حيث المضمون السوسيولوجي، فيبدو أنهم لم يكونوا يكونون قبيلة بالمعنى المعروف في الأطلس الكبير وسوس الأعلى. وإذا كان مؤلف *رحلة الوافد* يعدهم قبيلة تارة، ولفّا تارة أخرى، فإنما ذلك منه خلط يمكن تفهمه (نفس المرجع والصفحة). أما روبير مونتاني R. Montagne فقد اعتبرهم لفّا، سواء منهم الموجودون بجبل سيروا أو المقيمون بوادي نفيس.

هناك مشكلة أخرى لا بد من إثارتها هنا، وتتعلق بوجود اسم أيت إراتن في مكانين متباعدين ؛ أي في وادي نفيس وشرق جبل سيروا. في حين لا نجد له أثرا في المناطق الفاصلة بينهما، أي في أونايْنْ وتيفْنُوتْ وزاگْمُوزْنْ. نعم، نحن نعرف أن التشابكات اللغية تشمل مناطق واسعة ومجموعات بشرية متباعدة، ولكن الأسماء تختلف من منطقة إلى أخرى. فحلفاء لف أيت زُوليطْ، الموجود جنوب تيزي نْ ـ تَاسْتْ مثلا، لا يحملون نفس الاسم في وادي نَفِيس.

هل يتعلق الأمر بانتقال فعلي لمجموعات بشرية من أيت إراتن بسيروا إلى وادي نفيس، واحتفظت باسمها الأصلي ؟ يمكن افتراض ذلك، لسبب واحد، هو أن اسم أيت إراتن لم يرد في كتاب البيذق. في حين ورد فيه اسم أيت عثمان وهم فخذ من إگْدْميوُنْ أو گدميوة (البيذق، *أخبار*، 41). وأيت عثمان هو اسم اللف المنافس للف أيت إراتْنْ، كما هو واضح في *رحلة الوافد* وكتاب روبير مونتاني : *البربر والمخزن*.

أيت إراتن هم الوافدون ؟ إن عناصر الجواب عن هذا التساؤل ليست متوفرة الآن. ومع ذلك يمكن أن نذكر فقط بأن أهل تينمل في الترتيب الموحدي، كانوا مكونين في الدرجة الأولى من مجموعات بشرية تنتمي إلى منطقة سوس الأعلى ومنطقة جبل سيروا (نفس المرجع والصفحة) بقي أن نشير إلى أن آخر نزاع مسلح وقع بين أيت إراتن وأعدائهم أيت عثمان، يرجع إلى منتصف القرن التاسع عشر. وقد انتهى بانتصار أيت إراتن بزعامة عائلة الگنتافي التي حكمت منطقة وادي نفيس منذ ذلك الوقت إلى استقلال المغرب في بداية النصف الثاني من القرن العشرين. وقد اندثر اسمهم كلفّ في بداية النصف الثاني من القرن العشرين (R. Montagne, *Les Berbères*, 276, 301, 327) وقد اندثر اسمهم كلفّ في الوقت الحاضر، بقي اسما لقرية على الضفة اليمنى لوادي نفيس : تارگانْ ـ أيت إراتن.

أ. البيذق، *كتاب أخبار المهدي* ؛ ط. ليفي، بروفنسال ؛ عبد الله بن إبراهيم الزرهوني، *رحلة الوافد*.

Ch. De Foucauld, *Dictionnaire Touareg - Français* ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; *L'Aghbar et les Hautes Vallées du Grand Atlas*, Hespéris, T. VII, 1927, 1er trimestre.

علي صدقي أزَايْكُو

أرَارُو، محمد بن القاسم بن محمد بن أحمد بن علي المرابط العلمي الخالدي، عرف بأرارو، من الشرفاء العلميين المستوطنين بمدشر أراروريش بسفح جبل العلم من قبيلة بني عروس، انتقل هو أو والده إلى بني خالد من قبائل غمارة، وجاء في إجازته : "العلمي الدار الخالدي النسب"، والعبارة معكوسة، فهو العلمي النسب، الخالدي الدار، كما لا يخفى.

حفظ القرآن بكتّاب مسقط رأسه وأتقن رسمه وضبطه. وشدا شيئاً من حروفه، ثم رحل إلى فاس، وتردد على حلقات العلم ومجالس القراءات، خاصة مجلس الشيخ إدريس المنجرة، فقرأ عليه ست ختمات بالروايات السبع عرضا من صدره ـ على حد تعبير الشيوخ ـ وأدرج في ذلك الادغام الكبير لأبي عمرو بن العلاء بطريق *التيسير* ومختصره *حرز الأماني*، وأجازه إجازة عامة ووصفه بالفقيه النبيه، الأنوه الوجيه، الخير المتبتل العفيف النزيه، الحافظ اللافظ.. وقال فيه إنه من أهل التجويد للقراءات مع الضبط لأحكامها. كما أجازه في قصيدة الشاطبي. *حرز الأماني*، ورجز ابن بري. *الدرر اللوامع*، *ومورد الظمآن* للخراز، *وإنشاد الشريد* لابن غازي، وشرح المجيز إدريس المنجرة على *دالية ابن المبارك النهج المتدارك*، قال في الإجازة : "قرأ عليّ هذه الكتب كلها، وأذنت له في ذلك كله إذنا عاما".

وقد وقفت على هذه الإجازة عند بعض حفدته، كتبت في رق بخط دقيق جيد جميل وزينت حواشيها برسوم ملونة وخطوط مذهبة. مقياسها 78 x 66 سم، ومسطرتها 61 سطراً في كل سطر نحوه 80 كلمة، تخللتها سطور كتبت بماء الذهب، تضمنت اسم المجيز والمجاز وألقابهما. وقد حشر فيما المجيز ما رواه عن شيوخه في المشرق والمغرب، وطرق

كل شيخ إلى الرسول عليه السلام. وقد وقّع على هذه الإجازة واحد وعشرون عالما، من بينهم : محمد المسناوي الدلائي، والعربي بردلة، والحسن بن رحال المعداني، ومحمد بن الطالب ابن سودة المري، ومحمد بناني، وعلي بن أحمد الشرادي، ومحمد بن إدريس العراقي، وأحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي، ومحمد بن عبد الرحمان الفاسي، وإدريس المهدي المشاط في آخرين. وعلى الجملة، فهي تحفة نادرة، ونموذج رائق من الشهادات التي كانت تسلم للطلبة عند إنهاء دراستهم.

ولم نقف على ترجمة محمد بن القاسم أرارو على جلالة قدره. عاش في النصف الأخير من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي.

إ. المنجرة، *الإجازة*، مخطوط في ملك أحد حفدة المترجم ؛ س. أعراب، *محمد بن القاسم العلمي أرارو*، *جريدة الميثاق*، 1972، ع 54.

سعيد أعراب

أربعاء إدويران ← سكساوة
أربعاء أولاد علي ← سطات (إقليم ـ)
أربعاء أيت أحمد ← تزنيت (إقليم ـ)
أربعاء بني فتح ← تازا (إقليم ـ)
أربعاء تاوريرت ← الحسيمة (إقليم ـ)
أربعاء تيغدوين ← مراكش (إقليم ـ)
أربعاء خطازكان ← أسفي (إقليم ـ)
أربعاء دويران ← مراكش (إقليم ـ)
أربعاء الساحل ← تزنيت (إقليم ـ)
أربعاء السهول ← سلا (إقليم ـ)
أربعاء صباح زيز ← الرشيدية (إقليم ـ)

أربعاء العونات، ينتسب هذا المركز إلى قبيلة العونات المنتمية إلى مجموعة دكالة المتاخمة لمجموعة الرحامنة. ولا يزال يعتبر أهم مركز بالقبيلة وعاصمتها الروحية، رغم تقسيمها إداريا إلى ثلاث جماعات قروية تابعة لدائرة سيدي بنور بإقليم الجديدة وتحت أسماء خميس القصيبة وأربعاء العونات، وأحد العونات. في الوقت الذي لم يستطع فيه الدواران الأول والأخير الارتقاء إلى درجة المراكز القروية، أصبح أربعاء العونات يتبوأ تلك المكانة وظل يحتلها بمفرده داخل كل الوسط الشرقي من سهل دكالة منذ 1971.

يبدو أن موقع المركز في تقارب بعض الاتجاهات التقليدية الأساسية وعند التقاء مجموعة من المعطيات المختلفة قد خول له القيام بدور المدينة الصغيرة المستقطبة للمجال الريفي المحلي. ويتمثل هذا الموقع الوسط في وجود المركز عند الحد الشمالي لجماعته وعلى بعد كيلومترات من جماعات المشرق نحو الغرب، وسبت بني هلال نحو الشمال، وخميس متوح نحو الشمال الشرقي، وأحد العونات نحو الجنوب الغربي. كما يتمثل في وجوده عند ملتقى المحور الرابط بين عبدة والشاوية، والآخر الرابط بين الرحامنة وأزمور والجديدة، أي على الطريق الثانوية رقم 124 المؤدية إلى سيدي بنور وخميس الزمامرة وأربعاء العونات وبولعوان وسطات من جهة، والطريق الثلاثية الرابطة بين صخور الرحامنة وأربعاء العونات وأحد أولاد فرج وأزمور من جهة أخرى. لكن المسالك الرئيسية العشرة المُشعّة من المركز في جميع الاتجاهات هي التي تبلور أكثر تجذرَ المركز العميق في الوسط الريفي. إضافة إلى ذلك يتمتع أربعاء العونات بموضع سهلي (على ارتفاع 180 م) في الضفة اليسرى من مجرى واد الفارغ الأوسط الذي يحاذيه، وعلى بعد كيلومتر واحد جنوب قناة الري الرئيسية وبعيدا عن حادورات الرحامنة المحمّلة بالقشرة الكلسية والمكسوة بالتربة الهزيلة. هذا الموضع المتميز جعل المركز يبسط نفوذه على محيط ريفي ذي قاعدة اقتصادية متينة تعتمد على رعي الأغنام وممارسة زراعة متنوعة تجمع بين التين والكروم أساساً على التربات الرملية الممتدة بين واد الفارغ وسيدي بنور، والحبوب بمختلف أنواعها والقطاني على التربات الغرينية الغنية.

إلا أن الكثافة السكانية المحلية المرتفعة والنشاط الزراعي المحلي الموروث منذ عدة قرون لم يكونا كافيين قبل عشر سنوات مضت للنهوض بأربعاء العونات ديمغرافيا واقتصاديا وتجهيزا حيث لم يشهد سكان المركز بين 1960 (423 نسمة) و 1971 (446 نسمة) إلا نموا إجماليا بمقدار 23 نسمة، وذلك بسبب النزوح العكسي خارج الدوار بمجموع 90 نسمة، بينما قفز عدد السكان سنة 1982 إلى 1875 نسمة، وبذلك يكون قد تضاعف الحجم السكاني بما يقرب من خمس مرات، حيث استطاع المركز أن يجلب إليه بين 1971 و1982 عدد 1173 نسمة تضاف إلى نسبة التزايد الطبيعي، أي أن التزايد الإجمالي يرجع إلى الهجرة بنسبة 83 ٪ من مجموعه.

يعزى هذا النمو السريع للمركز بالدرجة الأولى إلى التهيئة الفلاحية التي شملت سهل دكالة وما خلفته من عوائد اقتصادية وتجهيزية بأريافها ومراكزها. في أول الأمر، كان الدوار مجرد سوق يتناثر حوله حوالي 50 كوخاً للسكن ومؤسسة صغيرة للأشغال العمومية أنشئت سنة 1952 لمعالجة الحصى والرمال. أما النظام الزراعي المحلي فكان يشهد ركودا بسبب خروجه عن قطاعات الري وبسبب استحواذ قليل من الملاكين على أراضي شاسعة بالمنطقة المجاورة للمركز. وهكذا كان يملك شرفاء الزاوية التونسية أكثر من 4000 هكتار بالفخدة المسماة باسمها. وأراضي

بجماعة أحد العونات وأخرى بفخذة أولاد حميد جنوب المركز وأخرى بفخذة أولاد يوسف التي ينتمي إليها المركز. أما ورثة القايد تسيريس فكانوا يملكون بالمنطقة أكثر من 3500 هكتار تمّ توسيعها بعد الاستقلال. إلا أنه مع انطلاق مشروع الري في ذلك التاريخ وبعد توسع القطاع المسقي لبولعوان والفارغ وزحفه نحو أربعاء العونات أخذت تتعدد وتتنوّع الأنشطة والتجهيزات حول السوق (الحمام، الفرن، المسجد، الصيدلية، المدرسة، مقر القيادة، محلات إصلاح السيارات...) بالرغم من تلك البوادر التهيئية ظل نمو الدوار متواضعا بالمقارنة مع النمو الذي عرفته مراكز أخرى وسط السهل كأحد أولاد فرج وخميس الزمامرة وسيدي بنور حيث بقي أسلوب الإنتاج الفلاحي بعليا بسبب تقلص مدرجات واد الفارغ وتعمق المجرى من دار القايد التونسي على بعد 15 كلم جنوباً إلى شمال أربعاء العونات، كما أن القناة السفلى الوافرة في سد إمفوت بأم الربيع والمحاذية للمركز لا تمكّن إلا من سقي مساحات ضعيفة مباشرة شمال المدينة.

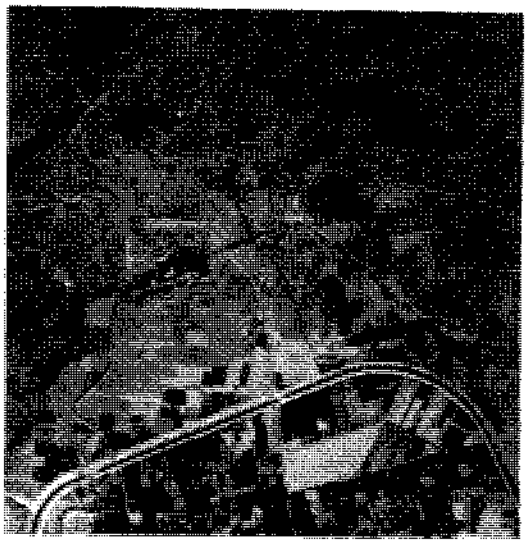

أربعاء العونات : صورة جوية

في مرحلة لاحقة انطلقت من نهاية الستينات ومطلع السبعينات عقب إنعاش الفلاحة المسقية بإدخال مزروعات صناعية جديدة كالشمندر، ثم قرار دراسة مشروع ري الجزء الجنوبي من منطقة أربعاء العونات، بدأ الدوار يتخذ ملامحه القروية الحالية، وذلك بإحداث كثير من المرافق والتجهيزات الأساسية كالمدرسة ومحطة النقل ومحطات البنزين والمقاهي والكهرباء والماء الصالح للشرب والمركز التجاري والمركز الصحي ومركز البريد والملعب الرياضي ومركز الاستثمار الفلاحي... قد أضيفت إليها في بداية الثمانينات إعدادية (994 تلميذا سنة 1988) ثم ملحقة داخل الجماعة (396 تلميذا سنة 1988).

رغم أن سرعة الوتيرة الديمغرافية واستمرار إقامة التجهيزات الأساسية واتخاذ أنشطة التجارة والإدارة والخدمات الأخرى طابعا شبه حضري لم تواكبه تحولات ملموسة في تشكيل المركز والمشهد المبني، رغم تصنيفه ضمن المراكز منذة سنة 1971، إذ يبدو التوسع الحالي عشوائيا مع انعدام تجزئات البناء الخاضعة لتصميم توجيهي محكم خارج المحور الرئيسي والمنشآت الإدارية والحي الذي أنشئ في إطار البرنامج العالمي للتغذية في بداية التسعينات. كما يبدو السكن الحالي متواضعا في شكله، حتى إن الفرق في الشكل يكاد ينمحي بينه وبين السكن في الدواوير المتجمعة المحيطة بالجزء الجنوبي للمركز : الغوالمية وأولاد المكي، ولُونَازرَة ومَسْمَارة والحصبة أولاد التونسي. تعد القرية المتعددة النويات قرية بدون مركز حقيقي، حيث إن الوحدات المبنية تتناثر على شكل نجمي حول السوق بفراغات واسعة فيما بينها..

إن أمام أربعاء العونات مستقبلا تهيئياً واعداً، رغم خروجه حاليا عن المنطقة الصناعية الغذائية في الوسط الغربي للسهل وبعده عن المشروع الحضري الصناعي الشاطئي شمال دكالة. إن إعادة النظر في تنظيم المجال داخل المركز ستتحتم بدون شك في ارتباط مع إنجاز الشطر الأخير من التهيئة المائية حول المركز. ويتعلق الأمر بري قطاع 2500 هكتار محصورة بين دار القايد التونسي وأربعاء العونات بواسطة "القناة العليا" وبمياه سد المسيرة على أم الربيع وسد واد الفارغ في عالية دار القايد التونسي. لقد أنجزت دراسات المشروع ابتداء من أواسط السبعينات وستستمر التجهيزات المائية التي بدأت سنة 1986 إلى حدو 1997.

استطلاع ميداني، قسم الخرائط، صورة لأربعاء العونات، الرباط، 1981.

Dar Caid Tounsi, Carte topographique, Carte régulière du Maroc, 1/50000, Division de la Carte, Rabat. Direction de la Statistique, Ministère du plan, documents divers des recensements de 1960, 1971, 1982, Rabat ; R. Fosset, *Société rurale et organisation de l'espace. Les bas plateaux atlantiques du Maroc Moyen*, université de Montpellier III, 1978, 2 t, 942 p., ronéo ; M. Fourot, *Vers une organisation de l'espace rural dans les Doukkala*, R. G. M, nº 8 Rabat, 1965, p. 75-82 ; J. Loup, *L'Oum Er Rbia*, travaux de l'Institut Scientifique Chérifien, nº 9, Rabat, 1960, 251 p. Ministère de l'habitat et de l'Environnement, *Schéma d'armature rurale, Région du Centre*, Rabat, 1972. O.N.I (P. Pascon. rapporteur), *Les structures agraires dans le périmètre des Doukkala*, Rabat, 1961, 77 p. ronéo.

مصطفى عياد

أربعاء عياشة ← **تطوان** (إقليم ـ)

أربعاء الغرب ← **سوق ...**

أربعاء كازط ← **السراغنة** (إقليم ـ)

أربعاء المعادنة ← **خريبكة** (إقليم ـ)

أربعاء واقبلي ← **أزيلال** (إقليم ـ)

أربعاء واولي ← **أزيلال** (إقليم ـ)

أيت **أرْبَعين**، أو رْبَعين. عبارة تطلق في مجموع المغرب الناطق بالأمازيغية على مجلس القبيلة الذي يكون المؤسسة الأساسية في الكيانات الجبلية الحاكمة نفسها

بنفسها، ويختلف عن لْجْمَاعَتْ أو جماعة القرية بكون هذه الأخيرة تضم جميع ممثلي عائلات القرية، في حين لا يضم مجلس "أيت رْبعين" إلا ممثلا واحدا عن كل فرقة أو إخْصّ أو عن كل قرية أحيانا. هذا من الناحية المبدئية، أما من الناحية العملية، فيبدو أن العضو الممثل في مجلس أيت رْبعين يكون عادة من الموسرين والمحنكين سياسيا، ومن القادرين على تناول الكلام بحذق أثناء اجتماعات المجلس.

ومع أن عبارة أيت رْبعين مستعملة بالمعنى المذكور في كل الجبال المغربية، فإن أصلها غير معروف بالضبط. وقد اقترح بعض الباحثين تفسيرا لهذه المسألة يمكن قبوله مؤقتا. هذا التفسير يمكن تلخيصه كما يأتي : لقد أطلق هذا الاسم على تلك المجالس لأن عدد الأعضاء المكونين لها كان أربعين عضوا. ثم احتفظ بالاسم بعد ذلك دون أن تكون المؤسسة التي يطلق عليها مكونة من العدد المبدئي. وبالفعل فإن عدد أعضاء هذه المجالس لم يكن يصل إلى أربعين في الفترات الأخيرة المعروفة.

والشيء الذي يرجّح التفسير السابق هو أن الموحدين كانوا يميزون المجالس بعدد المكونين لها. فكان لديهم مجلس العشرة (أيْت مْراوْ ؟) ومجلس الخمسين...

كما أن العبارة قد تكون بديلا عربيا لمجلس إنْفْلاسْ التي تستعمل محلها في كلام الناس لأن أعضاء مجلس أيت رْبعين يعرفون عند الناس باسم إنْفْلاس وذلك حتى الأمس القريب.

ع، بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 19 . 20 . 182.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, 220 - 221 ; E. Laoust, *Contribution...*, 130.

علي صدقي أزايكو

الإرْبْيَانْ (أو القَمْرون) ينتمي إلى فصيلة القشريات التي تتميز، وكما يدل اسمها على ذلك، بجسم محاط بقشرة، وهي عبارة عن غشاء مشبع بمادتي الكلس والغراع، كما ينتمي إلى عشاريات الأرجل التي تختص بخمسة أزواج من الأرجل الصدرية، إلى السابحات نظراً لتوفره على زوائد بطنية تسمح له بالبقاء عالقا في الماء، وتلعب عنده دور الزعانف عند الأسماك.

يعتبر الإرْبْيان، كباقي عشاريات الأرجل من أكثر القشريات تطوّرا، فهو ذو جسم مضغوط جانبيا يلتحم فيه الرأس نسبيا بالصدر مما يعطى عضوا واحداً (نطلق عليه اسم "الصدراس") محميا بدرع يحفظه من الواجهة الظهرية ومن الجانبين وبمتك من الجهة الأمامية (انظر الرسم). بطنيا، ومن الجهة الأمامية يحمل الصدراس، بالإضافة إلى زوجين من الزياني وزوج واحد من السويقات العينية، أحد عشر زوجا من الزوائد تحيط الستة الأوائل منها بالفم تتكون من ثلاثة رأسية محضة وثلاثة صدرية تحولت إلى ما يمكن تسميته بأرجل ماضغة. أما في الجهة الخلفية يحمل الصدراس خمسة أزواج ذات دور تنقلي تنتهي الثلاثة الأولى منها إما بمقابض وإما بأظافر.

يحمل البطن ستة أزواج من الزوائد، تتكون كل زائدة من فصيلة قاعدية ومجذافين اثنين ورقية الشكل وتلعب نفس الدور الذي تلعبه الزعانف عند الأسماك، أي دور سباحي بالأساس. يتغير شكل الزوج الأخير من هاته الزوائد لتكون مع الذنب عضوا مروحي الشكل يتلاءم وحياة الإربيان السباحية.

الجهاز الهضمي : يتكون من ثلاثة أجزاء ذات أصل مختلف. أما المعي الأمامي والمعي الخلفي فأصلهما من الأدمة الباطنية، وأما المعي الأوسط فأصله من الأدمة الخارجية. لا تختلف بنية الجهاز الهضمي عند الإربيان عنها عند الحيوانات الأخرى حيث يتكون من فم محاط بزوائد ماضغة ثم من مريء ثم من معدة قبل أن نجد المعي الأوسط حيث تكثر الإفرازات الهضمية وخاصة منها افرازات الكبد والبانكرياس (تكونان عند الإربيان عضوا واحدا) وحيث يتم امتصاص مواد التغذية. أما المعي الخلفي فبفضله تساق العضلات الغذائية إلى السرج ومن ثم إلى خارج الجسم. إلا أن خصوصية هذا الجهاز الهضمي تكمن في وجود صفيحيات كلسية على جدار المعدة وهو ما يطلق عليها "المطحنة المعدية" والتي لها دور في طحن المواد الغذائية.

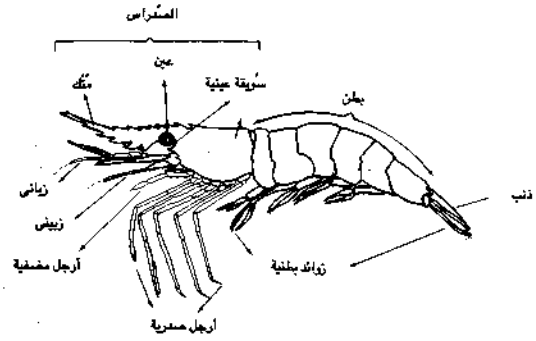

الجهاز التنفسي : كباقي الحيوانات المائية يتكون الجهاز التنفسي عند الإربيان من عدة خياشم داخل جيوب على جانبي الصدراس.

الجهاز الدموي : يوجد القلب والجهاز الدموي من الناحية الظهرية للجهاز الهضمي. نتيجة للتقلصات القلبية يخرج "الدم" من القلب إلى الفجوة الشغفية بواسطة ثلاث فتيحات، ومن ثم ينقل بواسطة شرايين عديدة ومتشعبة إلى الفجوات المحيطة بالأعضاء حيث يحمل بالفضلات فينقل بواسطة الجيوب الوريدية إلي الخياشيم حيث يصفى ويزود بالأكسجين قبل أن يعود إلى القلب مستكملا بذلك دورة دموية كاملة.

الجهاز التناسلي : الإربيان حيوان أحادي النسل إلا أنه عند بعض الأنواع يمر الفرد من مرحلة جنسية أولى تكون فيها المناسل ذات خصائص ذكورية تنتج خلالها حيوانات منوية، تتحول فيما بعد لتكتسب خصوصيات أنثوية وتبدأ

في انتاج البويضات. تتجلى ازدواجية الشكل الجنسية عند هاته الحيوانات في حجم جسمها الذي يكون أكبر عند الذكور، وكذلك في حجم مقابضها الذي يكون أكبر أيضا عند الذكور.

يتكون الجهاز التناسلي عند الإربيان من منسلين اثنين يمتدان على طول البطن تقريبا ليجتمعا فيما بعد ويكونا مسلكا واحدا (مسلك مبيضي أو مسلك منوي) يصب بواسطة فتحة جنسية توجد في الفصلة القاعدية الأرجل الصدرية الثالثة عند الإناث والخامسة عند الذكور. والجدير بالذكر أن إناث بعض الأنواع يمكنها أن تلد أكثر من خمسمائة ألف بويضة. أحيانا تتوفر الإناث على أعضاء مستقبلة للحيوانات المنوية حيث يضع الذكر خلاياه المنوية فتحتفظ بها الأنثى في انتظار نضج البويضات قبل تلقيحها. أما عن مصير البويضات الملقحة فهي إما أن تطلق في الماء فتحملها التيارات وتواجه بذلك مصيرها بنفسها، وإما أن تبقى عالقة بالزوائد البطنية للأنثى إلى حين تفقسها. وفي كلتا الحالتين تمر البويضة من مراحل أريقية ثلاث قبل أن تصل إلى سن النضج.

تعيش الأرائق حياة عالقة حوالي ثلاثة أسابيع قبل أن تلتحق بالساحل، خاصة بالمياه الأجاجة، تعيش خلالها حياة قعرية يكتمل فيها نموها قبل أن تلتحق من جديد بعرض البحر حيث تقضي معظم حياتها.

الجهاز العصبي : بكل اختصار يمكن القول إن الجهاز العصبي للأخطبوط يتكون من الأمام إلى الخلف من عقدة عصبية فوق المريء يطلق عليها "المخ" تعصب الزوائد ما قبل الفم، ثم من عقد أخرى تحت المريء تعصب زوائد الفم. تتصل العقدة ما فوق المريء بالعقد الأخرى بواسطة موصلين جانبيين يكونان طوقا حول المريء.

تستمر العقد ما تحت المريء إلى الخلف بسلسلة بطنية تتكون من عدة حلقات تحمل كل واحدة منها عقدتين اثنتين تعصب الأعضاء والأرجل.

التصنيف : يعد الإربيان من الحيوانات المتعددة الخلايا، من المفصليات والقشريات عشاريات الأرجل، اكتشف منها حتى الآن في العالم كله حوالي ألفين وخمسمائة نوع. تتوفر شواطئ المغرب على أكثر من أربعين نوعا، من بين أهم هاته الأنواع يمكن أن نذكر Palaemon Kerathurus التي تكثر بشكل طبيعي والتي تربى في أحواض خاصة ببحيرة الناظور وكذلك Palaemon Japonicus ، التي لا توجد في المغرب أصلا إلا أنها تجلب من الخارج من أجل تربيتها في أحواض خاصة بنفس البحيرة بالناظور. تنقسم هاته الفصيلة إلى مجموعتين اثنتين اعتماداً على بنية الفصلة البعيدة للزوج الثالث من الأرجل الصدرية، فهي إما حاملة لمقابض أو حاملة لأظافر.

البيئة : يعيش الإربيان في المياه القارية، في المياه الأجاجة إلا أنه يكثر في البحار. يقطن جميع البحار وجميع المحيطات من خط الاستواء حتى القطبين الشمالي والجنوبي ومن منطقة المد والجزر حتى عمق ستة آلاف متر من العمق تقريبا. أغلب الإربيانات من القعريات إلا أن هناك أنواعا قليلة تنتمي إلى فئة العوالق. تعيش القعريات منها على دعامات متعددة كالطحالب والصخور والرمال الطينية كما تتغذى بالطحالب وبعض الحيوانات الصغيرة كالقشريات والرخويات...

استعمالاته : إن ثلاثمائة من الأنواع المعروفة فقط هي التي تعتبر ذات أهمية اقتصادية، واستناداً إلى تقارير هيئة الأمم المتحدة للتغذية والزراعة فإن الكمية المصطادة من هاته الحيوانات سنة 1978 تقدر بحوالي مليون وأربعمائة ألف طن.

M. J. Forest (1974), *Les Mandibulates*, coll. les Sciences : La grande encyclopédie des Sciences et des Techniques-Fasc. 30: 215 - 224 ; D. Guinot (1980), *Les animaux*, l'Encyclopédie des animaux dans la nature, vol 6, *Panorama du monde animal : Crustacés* . Hachette. (deuxième édition) : 1003-1015 ; J. P. Lagardere, (1971) *Les crevettes des côtes du Maroc*. Trav. inst. Cherif, Rabat 36 : 140p. ; Y. Leroy, M. R. Dajoz et M. J. Forest (1974), *Les Mandibulate* , coll. "Les sciences : La Grande Encyclopédie des Sciences et des Techniques-Fasc. 31 : 225-233; Ministère du pêches et du Océans du Canada (1981), *Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche atlantique Centre - Est. Crevettes*, 77 p ; R. Zariquiey Alvarez (1968), *Crustaceas décapodos ibericos*, Inves. p. 209, T. 32, 510 p.

علي منيوي

الأرْجامْ، أو لارْجام بتسهيل الهمزة، اسم قرية على الضفة اليمنى لوادي نفيس بعد خروجه من الجبل على بضعة أميال فوق سد تاكركوست جنوبي مراكش. تذكر رواية محلية أنها سميت بذلك من الرجم، تقول إنها المكان الذي رجم فيه مهدي الموحدين أصحابه الذين اتفق معهم على أن يدفنهم ويسألهم أمام الملأ أسئلة يستنبط منها تأييد أمره من عالم الأموات، فلما تم له ماأراد أمر الحاضرين برجم الشياطين وردمت بذلك قبور المستعملين في تلك الحيلة، وهذه القصة لم يكتبها أحد قبل صاحب *القرطاس* الذي ألف كتابه على عهد الدولة المرينية، فلا يستبعد أن تكون مختلقة على أساس مثل الرواية الشفوية المرتبطة باسم الأرجام، ولابد من الاشارة إلى أن بلده أخرى تحمل اسما مماثلا في ناحية تيزنيت، ومما يرجح الاصل العربي للاسم ان لاوست E. Laoust لم يبدرجه في تأليفه حول أسماء الأماكن في جبل درن.

ع. ابن ابي زرع، *القرطاس*، 182 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 2 ؛ *Repertoire alphabétique*, p. 542 .96.

أحمد التوفيق

الأرْجامْ، بوادي درعة. الأرجام لغة هي المقابر، ومفردها الرَّجَم وقد سمي القبر رَجَما لما يجمع عليه من الحجارة (*لسان العرب*) وتنتشر هذه الأرجام، المقابر في عدة مناطق بالجنوب المغربي، ويمتد مجال انتشارها من جنوب تافيلالت (الطاوس على واد زيز، وواحة غريس) شرقا، إلى جبل سيروا غربا مرورا بأودية إمطر وتودغة وسْكورة وإمغران من تودغة شمالا إلى واحَة محاميد الغزلان جنوبا، مرورا بتازرينْ وتَرْنَاتَة واكْتاوة بوادي درعة.

بالرغم من كثرة الأطلال والحزبات القديمة على طول واحات وادي درعة وعرضها، فإن أبرز الآثار التاريخية القديمة بالوادي، تتجلى في هذه الأعداد الهائلة من الأرجام ـ المقابر التي لاتزال قائمة إلى اليوم بواحات اكْتاوة والمحاميد بالإضافة إلى بعض الأرجام المتناثرة هنا وهناك بواحتي ترْناتة وفزْواطة، ولا بد من التذكير بأن هذه الأرجام لايعرف لها مثيل في الواحتين الشماليتين : تينْزوُلين ومَزْجطة .

تقع أرجام اكتاوة والمحاميد في السفوح الجنوبية بجبل بن سلمانْ، الذي يفصل بين هاتين الواحتين، وتنتشر بشكل خاص في الضفة اليمنى لنهر درعة عند منعرج الوادي، ولا تبعد هذه المنطقة إلا بحوالي أحد عشر كيلو مترا جنوب مدينة تاگنيتْ الحالية. ونستشف من بعض الدارسات أن أرجام جبل بنْ سلمان تعتبر أهم مجموعة للمقابر القديمة المعروفة لحد الآن ليس في الجنوب المغربي فحسب، وإنما في مجموعة بلدان المغرب العربي (*Le Maroc Saharien*, 182) ذلك أن هذه الأرجام تغطي مساحة شاسعة وتمتد بشكل متصل أحيانا ومتقطع أحيانا أخرى على طول عدة كيلو مترات، كماأنها تعد بالآلاف من مختلف الأحجام والأشكال.

وأهم مجموعة للأرجام توجد بين تيزي ـ نْ بن سَلمان شرقا وتيزين الأرجام غربا، وتتمركز مجموعة أخرى أقل عددا في بعض أعراف جبل مگاگ في الضفة الشرقية لنهر درعة بالقرب من أطلال تاَوريرْت نتيدري. بالرغم من أعدادها الهائلة ومانغطية من مساحة شاسعة فإن هذه الأرجام ظلت مهملة كأنها لم تثر انتباه أحد من كتاب المناقب وأصحاب الرحلات من أهل وادي درعة وغيرهم إلي حدود سنة 1946، حيث قامت جاك موني Dj. J. Meunié بإجراء بعض الحفريات على عينات مختارة من أرجام جبل بن سلمان، وقد نشرت نتائج أبحاثها في مجلة هسبريس Hesperis, I et 2e tri. 1958.

ونستفيد من دراسة جاك مونيبي أن أرجام بن سلْمانْ لاتختلف من حيث الشكل العام عن الأرجام الأخرى المنتشرة في شمال إفريقيا والمناطق الصحراوية وخاصة أرجام موريطانيا وفزان. وقد صنفت هذه الأرجام إلى مجموعتين:

1. المجموعة الأولى : وتمتاز بشكلها المخروطي وضخامة حجمها إذ يقدر قطر دائرتين بحوالي اثنى عشر مترا فأكثر، كما أن ارتفاعها يتجاوز أربعة أمتار في بعض الحالات، وهذه المجموعة أقل عددا. ويبدو من مدافنها الكبيرة المستطيلة الشكل أنها مقابر خاصة بفئة اجتماعية متميزة. وتتسع هذه المدافن لأسر من خمسة إلى ستة أفراد (*Enigmes*, 154) يتوسطهم رب العائلة ويحيط به أفراد أسرته الآخرون، وغالبا ما تكون أرجام هذه المدافن الخاصة محاطة بسور صغير من الحجارة لتمييزها عن المدافن العامة.

2 . المجموعة الثانية : وتشكل أكبر عدد من الأرجام، وجلها مخروطي الشكل كما أحالت عوادي الزمان بعضها إلى شكل كروي، ويظهر أن أرجام هذه المجموعة تشكل مدافن عموم الناس.

وبالرغم من الجهود التي بذلتها جاك مونيبي لتحديد الفترة الزمنية التي بنيت فيها أرجام جبل بن سلمان والكشف عن المجموعات البشرية التي خلفها، فإن نتائج هذه الدراسة تبقى تخمينية وغير مؤكدة في غياب مصادر مكتوبة أو دلائل قاطعة يمكن الاعتماد عليها (*La nécropole de Foum Larjam*, 137)

وهذا يعني أن هذه الأرجام لاتزال بحاجة إلى التنقيب للكشف عن أسرارها وإزاحة الغموض عن ماضي المجموعات البشرية التي تعاقبت على تعمير منعرج وادي درعة، خاصة وأن أطلال وخربات المدن القديمة بفم تيدري وفم الأرجام لاتزال تشهد على ما عرفته المنطقة من نشاط عمراني وازدهار حضاري في العصور الغابرة.

تعتبر مجموعة أرجام فزواطة المنتشرة على طول الطريق الرابط بين زاگورة وتامگروت أقل أهمية من أرجام جبل ابن سلمان، ذلك أن عددها لايتجاوز رؤوس الأصابع وتتمركز بشكل خاص بين قصرى أغلا ودْرارْ وتمتيگ.

أما أرجام ترناتة فتتمركز في سفح جبل زاگورة على جانب الطريق الرابط بين زاگورة وبني صولي (زولي) في الضفة الشرقية لنهر درعة، وتتشكل من ثلاثة أو أربعة أرجام في طريقها إلى الاندثار. أما المجموعة الثانية بترناتة فهي مجموعة النَّبْش غرب مقر الدائرة بزاگورة. وقد بدأ بعْضها يختفي تحت الرمال الزاحفة .

ويظهر من خلال الرواية الشفوية المتداولة أن أرجام فزواطة وترناتة لاترقى من الناحية التاريخية إلى مستوى أرجام جبل بن سلمان، ونستنتج من أحاديث الشيوخ المسنين بالمنطقة أن هذه الأرجام قد أحدثت في فترات قريبة جدا أي إبان زحف قبائل أيت عطا على واحات وادي درعة وماصاحب ذلك من لصوصية وسفك للدماء في بعض الأحيان، ولربما كان السكان يقيمون هذه الأرجام كتذكير للأجيال بما عرفته أمكنة هذه الأرجام من أعمال اللصوصية، وسفك للدماء.إلا أن هذا التفسير الشفوي، في غياب الدراسات العلمية وما يصحبها من أعمال الحفر والتنقيب تبقى من باب التخمينات لا أقل ولاأكثر .

II ـ أرجام المناطق الأخرى المجاورة لدرعة.

أهم هذه الأرجام مجموعة تازرين ومجموعة سكورة.

1 . أرجام تازَرينْ : تنتشر هذه المجموعة بالقرب من أطلال قديمة بالقرب من مقر قيادة تازْرينْ، وتشبه هذه المجموعة أرجام بن سْلمان. وقد أجرت جاك مونيبي (D. J. Meunié) بعض التنقيبات على عينات مختارة من هذه الأرجام ولكنها لم تتوصل إلى نتائج مؤكدة ويقينية كسابق عملها بأرجام جبل بن سلمان.

2 . أرجام سكورة : أقل أهمية من أرجام تازرين

وأرجام وادي درعة. وتنتشر أرجام سكورة في مجموعتين الأولى حول الطريق الرابط بين سكورة وتيندوت، والثانية بالقرب من قصر أولاد مرزوگ في الضفة اليمنى لنهر دادس، ولاتزال هاتان المجموعتان قائمتين إلى اليوم ولم تتعرضا بعد لأي أعمال دراسية.

وهكذا يمكن القول إن أرجام وادي درعة وتازرين وسكورة كانت تُتخذ مدافن في عصور قديمة جدا وقد تكشف لنا في يوم من الأيام عن أسرارها وغوامضها.

DJ. Jacques - Meunié, *La nécropole de Foum Lerjam*, Hespéris 1 et 2e trimestres, 1958 ; *Les Oasis des Ktawa et des Mehamid*, Hespéris nº 27, 1947 ; *Le Maroc Saharien* ; Mazel, *Enigmes du Maroc*, Paris, 1971.

أحمد البوزيدي

إرْجَّان ← **إرْگَان**

إرْحَّالن ← **تسولة** (الأطلس)

أرْدُوزْ، اسم لأحد جبال السفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي جنوبي أمزميز. واسم لأحد أودية هذا السفح ولأحد أفخاذ قبيلة إگْدْمِيوْنْ، وبه مناجم الأطلس الكبير.

تتكون منطقة من صخور أساسها المصفحات والكلس الانقشاري الناتجة عن تحول المنشقات الكلسية والشستية من الزمن الأول، تعرضت للالتواءات الهرسينية والألبية أو الأطلسية مما أدى إلى تكون مجموعة قمم عالية من بينها قمة جبل أرْدُوزْ (حوالي 3579 متراً) وهو ثاني جبل بالمنطقة من حيث الارتفاع. وينتمي جبل أردوز إلى خط توزيع المياه بين أودية ظهير أمزميز (أنگال وأسيف المال) ووادي نفيس. وهو في نفس الوقت أحد الجبال الفاصلة بين مجال أگْدْمِيوْنْ ومجال إگْنْدَافنْ. وهو واد شديد الانحدار والتعمق يتحول اتجاهه عند اختراقه لهضبة لمدينات من جنوب شمال إلى شمال شمال شرق، هذا بالإضافة إلى كونه يحمل اسم وَادَاكْرْ شمال أزگُرْ. وهو في موطن قبيلة إيگدميون المصمودية وفخذ أردوز منها. تقع إليه بعض الإشارات في رحلة مرابط تاسافت، فهو على ما يبدو من أقدم أفخاذ قبيلة إگدميون استقرارا بمنطقة جبل الوسط. في إحصاء 1936 ـ يتألف من سبعة مداشر عدد سكانها 1368 نسمة، بينما يبلغ سكان منطقة أردوز ضعف هذا العدد في احصاء 1982. لا تتوفر منطقة واد أردوز إلا على إمكانات ضعيفة تكمن بالأساس في ضيق الرقعة الزراعية المستغلة الناتج عن قساوة المعطيات المناخية وسيادة المنحدرات غير الصالحة للزراعة بعالية الوادي، من جهة، وعن ندرة المياه بسافلته من جهة أخرى. وربما لهذا السبب كانت الفلاحة ولا تزال تعتمد في الدرجة الأولى على الجمع بين زراعة الحبوب البورية وزراعة البقول المسقية وبين تربية الماشية المعتمدة على الانتجاع. وهي مقومات لم تستطع التكيف مع تزايد وتيرة النمو الديمغرافي وانفتاح المنطقة على الاقتصاد التجاري الحر. وقد يعتبر استغلال منجم أرْدُوزْ من أهم العوامل التي ساعدت على هذا الانفتاح.

وبالفعل فقد كان يوجد بعالية واد أردوز منجم للرصاص والزنگ شارك في استغلاله الدمناتي بمشاركة شركة بِنَارُوِيَا ما بين 1926 و 1949 ثم "الشركة المعدنية للأطلس الغربي" ما بين 1949 و 1972 تاريخ إغلاق المنجم. وهو منجم كان يعتمد في تصريف إنتاجه نحو أزگر على طريق غير مزفتة طولها 12 كيلومترا يربطها بمنجم السفح الشمالي تلفريك طوله 2535 مترا. وكان يشغل حين إغلاقه 156 شخصا من أطر وعمال.

ومن الطبيعي أن يكون لتوقف العمل بمنجم أردوز أثر سلبي على اقتصاديات المنطقة التي اضطر سكانها ولا شك إما إلى تعاطي أنشطة جديدة كالتجارة أولا، أو إلى العودة إلى النشاط الفلاحي ثانيا، وإما إلى الهجرة ثالثا.

تحريات ميدانية

أحمد بلاوي

أرْزْ، يطلق على جنس سيدْرُوسْ Cedrus ويسمى أيضًا إدِيل = إدْكَل = إنْگل = إبَلْزْ = أبَاوَلْ وهو نبات ينتمي إلى فصيلة الصنوبريات Pinaceae، ويحتوي على أربعة أنواع وهي : سيدْرُوسْ دُدَارَا cedrus deodara وهو يقطن في جبال هيمالايا الغربية. وسيدْرُوس لِيبَانِي cedrus libani وهو يقطن في جبال لبنان وطوروس. وسيدْرُوس بْرِيفِيفُولِيَا cedrus brevifolia وهو يقطن في جبال جزيرة قبرص. وسيدْرُوسْ أطْلاَنْتِيكَا cedrus atlantica وهو يقطن في جبال الجزائر والمغرب، وهو النوع الذي يهمنا هنا.

إن أرز الأطلس أنبل الأشجار الغابية ببلدان المغرب العربي. إنه شجرة خلابة يتراوح ارتفاعها ما بين 30 و 50 مترا، وأكبر أرزة بالمغرب بلغ ارتفاعها 67 مترا. ويفوق محيط جذع الشجرة 3 أمتار في أغلب الأحيان. قد يعمر هذا النوع طويلا إذ لوحظ أن عمر أرزة بالأطلس المتوسط اقترب من ثمانية قرون.

الصفات النباتية : للأرز جذور قوية تمكنه من الصمود في مواجهة الرياح العاصفية ومن امتصاص الماء والأملاح المعدنية المغذية من أعماق الارض. قشرة جذعه مشققة طولانيا وحرشفية وذات لون بني. أما أغصانه فهي رمادية اللون وتنمو أفقيا. تاج الأرز مخروطي في الصغر ومسطح في الكبر. أوراقه إبرية وطولها يتراوح ما بين 10 و30 مليمترا ذات لون أخضر غامق وفي بعض الأحيان فضية، مجتمعة على شكل باقة في نهاية أغصان جد قصيرة. أزهاره وحيدة الجنس ووحيدة المسكن. وتظهر في الخريف حيث يتم تلقيح الأزهار المؤنثة من طرف الأزهار المذكرة. الأزهار المذكرة ذات لون أخضر مائل إلى الاصفرار بينما تكون الأزهار المؤنثة أرجوانية اللون. ينضج المخروط بعد سنتين من التلقيح، إذ يصبح حجمه أكبر بقليل من بيضة الدجاج، وهو مسطح القمة. في فصل الشتاء التالي تتفتح الحراشف المكونة للمخروط لتتمكن البذور المجنحة من الانتشار.

التوزيع البيوجغرافي : تمتد غابات الأرز الأطلسي على مساحات تبلغ حوالي 120.000 هكتار بالمغرب موزعة على

جبال الريف والأطلس المتوسط والأطلس الكبير الشرقي. ففي الريف تظهر تشكيلات الأرز بصفة متناثرة فوق بعض قمم جبال الناحية الغربية من السلسلة، في حين يكثر انتشارها في الناحية الوسطى حيث توجد كل الظروف البيئية الملائمة لها. وتقدر المساحة المكسوة بغابات الأرز في الريف بـ 20.000 هكتار. ويكسو نفس المساحة بالأطلس الكبير الشرقي، لكن أشجاره هنا ليست نقية إذ تختلط في أغلب الأحيان بالبلوط الأخضر وحتى على الواجهة الشمالية. أما غابات الأرز بالأطلس المتوسط فإنها تمتاز بامتداد مساحاتها على 80.000 هكتار، والمنطقة الوسطى من هذه السلسلة الجبلية هي التي تستوعب القدر الأكبر من هذه المساحات.

تعيش تشكيلات الأرز الأطلسي على الواجهة الشمالية والغربية لهذه الجبال ابتداء من ارتفاع 1.500 متر في الريف و1.600 متر في الأطلس المتوسط، و1.800 متر في الأطلس الكبير، إلى حدود 2.800 متر، أي في الطوابق النباتية ما فوق المتوسطي والجبلي المتوسطي، وما فوق الجبلي المتوسطي. أما من حيث البيومناخ فإن غابات الأرز تقطن في المناطق الشبه الرطبة، والرطبة، والرطبة جدا، القارسة منها والقارسة جدا.

أما من حيث التربة فإن الأرز الأطلسي لا يبالي بنوعيتها، فهو يكسو أراضي مختلفة لكن يبدو أنه يصادف بكثرة فوق الصخور الحمضية مثل الشيستية والحتية بالريف والبازلتية بالأطلس المتوسط. والأتربة الأكثر ملاءمة له هي من أنواع الأتربة المُتَحَدْلِسَة الحمراء والسمراء، والأتربة السمراء الغابية.

إن غابات الأرز تختلف عن بعضها من طابق إلى آخر ومن منطقة بيومناخية إلى أخرى. ولهذا تصادف عشائر أرزية متنوعة من حيث التركيب والهيأة النبتية. فالأرز يختلط في الطابق السفلي مع أنواع البلوط وينفرد في الطابق الأوسط ثم يختلط مرة أخرى في الطابق العلوي مع العرعار الفواح (أوّال).

الاستعمالات : إن الأرز شجرة ثمينة عرفت مزاياها منذ أقدم العصور. ولقد كان الفراعنة والفينيقيون واليونانيون والروم يأخذون خشبه من الجزائر والمغرب ومن لبنان وتركيا. وما زال حتى الآن يلعب دورا اقتصاديا واجتماعيا هاما في المناطق الجبلية المكسوة بغاباته أو المجاورة لها. خشبه متين وذو رائحة زكية يستعمل في النجارة كأحسن خشب محلي إذا استثنينا خشب الجوز الذي هو نادر جدا. ولكونه يدوم مدة طويلة فقد كان خشب الأرز يستعمل بكثرة في تشييد أسقف القصور والمساجد والمنازل وفي صناعة أبوابها وركائزها وخزاناتها، كما هو الشأن في المدن العتيقة المغربية والجزائرية. كما يستخرج القطران من جذوره. وتستخرج مادة راتنجية من خشبه وأوراقه.

إ. نحّال، *أساسيات علم الخراج*، منشورات جامعة حلب، 1983.

L. Emberger, *Les Arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris 1938 ; R. Maire, *Flore de l'Afrique du Nord* ; Par-is 1952 ; A. Benabid, *Les Ecosystemes forestiers, préforestiers et présteppiques du Maroc*, Forêt méditerranénne, t. VII, 1985 : 53-64.

عبد المالك بنعبيد

أرْز أو الأرُزّ أو الرُّزُّ واسمه العلمي أوريزا سَتيفَا Ory-za sativa نبات ينتمي إلى فصيلة النجيليات التي تشمل القمح والشعير والذرة...

إنه يعتبر من أهم المنتجات الفلاحية في المناطق الحارة من العالم ولا سيما في بلدان جنوب شرق آسيا مثل الصين والهند واليابان حيث يحل محل كل النجيليات الأخرى كغذاء رئيسي لا غنى عنه.

الأرز نبات حولي يتراوح ارتفاعه ما بين 50 و 120 سم، ذو نورة عشكولية، مشكلة من أفرع يحمل كل منها حبة واحدة محاطة بأغلفتها التي تنفصل عنها بعد درسها.

بالإضافة إلى هذا النوع الشائع، تصادف أنواع كثيرة منها المزروعة، ومنها البرية التي لم تدجن بعد. أما من حيث تصنيف أوريزا سَتيفَا فإننا نجد عددا لا يحصى من الضروب المزروعة.

عرفت زراعة الأرز عند الصينيين منذ أقدم العصور. وموطنه الأصلي هو الجنوب الشرقي لآسيا ومنها انتشر بعد بدء زراعته إلى كل المناطق الحارة من العالم.

أما في المغرب فقد كانت أول تجربة لإدخال زراعة الأرز سنة 1934 بأولاد عامر ومحطة سيدي سليمان. ولم يشرع في ممارستها بصفة فعلية إلا بعد خمس عشرة سنة أي عام 1949، وذلك على مساحة تبلغ 65 هكتاراً، كلها بسهل الغرب حيث تتوفر الظروف البيئية الملائمة لهذه الزراعة. وحتى الآن لم تمتد إلى السهول المغربية المسقية الأخرى. والسبب في إدخال زراعة الأرز بالغرب هو أنها تعد من أحسن الوسائل لاستثمار الأراضي المنقعية.

ومنذ 1949 مرت هذه الزراعة من عدة مراحل :

- مرحلة اتساع المساحة المزروعة من 65 هكتارا سنة 1949 إلى 7000 هكتار سنة 1955.
- مرحلة تقلص المساحة المزروعة من 7000 هكتار سنة 1955 إلى 4000 هكتار سنة 1967.
- مرحلة تأرجح المساحة ما بين 3000 و 6000 هكتار إلى حدود سنة 1974.
- مرحلة اتساع المساحة من جديد إلى 7000 هكتار إلى حدود سنة 1980.
- مرحلة ركود بسبب الجفاف ما بين 1980 و 1985.
- وأخيرا مرحلة اتساع وتطور الزراعة ابتداء من سنة 1986 إذ أصبحت المساحة المغطاة حاليا تقارب 12000 هكتار.

وفيما يخص معدل الإنتاج السنوي بالمغرب فهو يبلغ 186500 قنطار، وكان أعلى إنتاج هو 430000 قنطار سنة 1969. وهذا الإنتاج السنوي يكاد يلبي طلبات السوق الداخلية التي تبلغ 350000 قنطار ولم يكن المغرب يستورد الأرز من الخارج إلا ابتداء من سنة 1981 بسبب الجفاف.

أما في آفاق سنة 2000 فسوف تغطي زراعة الأرز مساحة تفوق 19000 هكتار. وسيبلغ إنتاجها السنوي 870000 قنطار وذلك بمقدار مردودية تعادل 45 قنطارا لكل هكتار. وهذه الكمية سوف تغطي جل حاجيات المغرب من هذه المادة.

تمارس زراعة الأرز بالغرب لمدة ثلاث سنوات متوالية وتتبعها في السنة الرابعة زراعة مُجَفَّفَة مثل عباد الشمس أو الذرة ، وذلك لتفادي انتشار الأعشاب الضارة الأليفة لكثرة المياه.

أما ضروب الأرز المزروعة في المغرب فهي ثمانية، فمنها المستديرة الشكل : تريونف Triomphe التي تستعمل على أكثر من 70 ٪ من المساحة الاجمالية. وسيگالون Cigalon ومنها طويلة الشكل : كنز Kanz حياة Hayat دينار Dinar ر. ب. R. B ربيع Rabii .

إن أهم استعمال للأرز هو استعماله كغذاء. كما تستعمل أغلفته ونخالته في تغذية المواشي.

لكن مستوى استهلاك مادة الأرز بالمغرب ضعيف جدا. فهو لا يتجاوز كيلوغراما واحدا في السنة لكل مغربي. وتعد هذه النسبة أضعف نسبة في العالم.

ألبرت هيل (1962) (ترجمة عبد المجيد زاهر وآخرون)، *النبات الاقتصادي*، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة ـ نيويورك.

Office Regional de Mise en Valeur Agricole du Gharb, 1988, *La riziculture dans le Gharb, Situation actuelle et perspectives* (ronéotypé).

عبد الملك بنعبيد

إرزَان، علم على منطقتين بالأطلس الصغير ؛ إحداهما بعيدة بنحو عشرين كلم من تارودانت في الجنوب

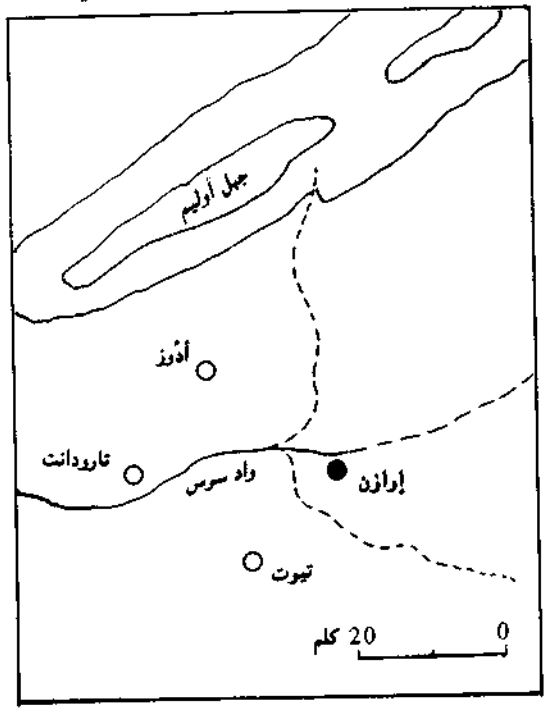

الشرقي ؛ وهي التي اشتهرت بالعلم والتصوف ؛ ويذكر عن هذه القرية العظيمة احتواؤها على حمامات ومساجد مع اشتهار أهلها بشدة البأس والاستعصاء على العدو (*المعسول*، 6 : 202) غير انهم انقادُوا طوعا لشيخ الطريقة الناصرية أبي العباس أحمد بن محمد الميموني التمگدشتي (*المعسول*، 6 : 202) وكانوا يأتمرون بأمره في المهمات وهو الذي أسس وسط قريتهم زاوية ومدرسة غطت شهرتها على ما عرف به أهل إرزَان من العصيان واللصوصية في بعض الأحيان ؛ ولا زال يقام هناك موسم أو موسمان سنويان أحدهما في شهر غشت صيفا والآخر في مارس ربيعا ؛ وكان نظام هذه الزاوية المدرسة يعتمد على ما يصل إليها من أعشار وزكوات بعد أن أذن بذلك المولى عبد الرحمن بن هشام العلوي للشيخ أبي على الحسن التمگدشتي ابن مؤسس الزاوية (*المعسول*، 6 : 204) كل يذكر ان الأعشار هذه كانت تؤخذ من قبل الجهات الرسمية بها سنة 1329 / 1911 (*المعسول*، 19 : 95).

الإرزَاني، الحسن بن أحمد (1231 ـ 1308 / 1815 ـ 1890) جمع بين علمي الظاهر والباطن، وُلد بقرية تَلْكَنْزَا من قبيلة أَمْلُن. تربَّى في كنف العلامة أحمد بن محمد التِّمگدشتي ولم يتجاوزه، وجَّهه شيخه المذكور بعد تخرجه إلى بلدة إرزَان بنواحي تارودانت، وأمره بتعليم الناس وإرشادهم، فأقبل على ذلك إقبالا عظيما مدة تزيد على الخمسين عاما، التحق بالطريقة الدرقاوية فأصبح من مشايخها المربين، وبنى له زاوية لا زالت مقصودة إلى اليوم.

نظم بالأمازيغية نظما حمل فيه على البدع في البلاد السوسية، توفي الشيخ الإرزاني عن شهرة طنانة.

وإذا كان تأسيس هذه الزاوية قبل سنة 1270 / 1853 على يد التمگدشتي المشار إليه فإنها لم تشتهر بتعاطي العلوم إلا في عهد الحسن بن أحمد التيملي الأصل الإرزاني السكنى (ت 1308 / 1890). وقد دفعت به أمه وهويتيم إلى الشيخ أحمد بن محمد التمگدشتي مؤسس الزاوية الإرزَانيَّة فرباه صحبة ولده الحسن المشار إليه آنفا، فلما تعلما وجه أحدهما إلى إرزَان فبنى بها صاحب هذه الترجمة بعد وصوله داراً مستقلة له عن زميله الحسن الذي عين بالزاوية بعد أن وقع بين الزميلين خلاف بسبب جريمة قتل اتهم فيها التيملي وطلبته (*المعسول*، 19 : 45)

وقد استطاع الحسن بن محمد صاحب هذه الترجمة بعد أن استقر بمدرسة إرزان أن ينمي في طلابه حب العلم وإتقان الفنون من جهة رغم أنه لم يتح له الوقت الكافي للتعمق في دراسته الأولى ؛ كما استطاع أن يتجاوز التقاليد الصوفية الناصرية بعد أن أذن له شيخها التمگدشتي بالبحث عن الطريق الصوفي المتجلي في الشيخ المربي ؛ وكان من الصدف السعيدة على الإرزاني قدوم أحد شيوخ الطريقة الدرقاوية من المعدر قرب تزنيت إلى إرزَان والذي استطاع

بحكمته ولباقته إقناع الأستاذ الإرزاني باعتناق هذه الطريقة حتى أصبح من دعاتها النشيطين ناشراً لها بين طلبته بعد ذلك (*المعسول*، 19 : 46) وقد وصف بمحبته للطلبة حتى صار عدد أتباعه في حياته يصل إلى نحو الثمانمائة (*المعسول*، 19 : 51) مع الدؤوب على المذاكرة في التصوف وغيره والإكرام الكثير وعدم التشدد في الدين، محافظا على تقديم الأكل للرائدين والزوار وغيرهم أربع مرات تقريبا في اليوم مع إضافة شراب الشاي إليه ؛ وقد كانت هذه العادة في الشراب قليلة بسوس آنذاك ؛ مع اتخاذ موسم للمتعلمين والعلماء في شهر ربيع النبوي تسرد فيه الأمداح النبوية وتقام فيه حفلات الإطعام الفاخر مع تقديم فطور بالسفنج والعسل والشاي كل صباح (19 : 54) يضاف إلى ذلك موسم عام للمريدين في عاشوراء مع ما يتصل بد من تنظيم حلقات السماع والذكر ؛ وقد اشتهر بسرعة الكشف عما في ضمائر طلابه فلا يكاد الطالب ينطلق بما في خاطره حتى يبادره الشيخ بالجواب. ويذكر من بين علماء سوس البارزين الذين زاروا الإرزاني كل من عبد العزيز الأدوزي والشيخ على الإلغي الدرقاوي والشيخ الحسن التامودزتي وذلك في نطاق الرباط والرفقة الصوفية الدرقاوية (المعسول، 19 : 47) وقد كان لتدخل أحد هؤلاء العلماء أثر في المصالحة بينه وبين رفيقه في الدراسة الحسن التيمكدشتي بعد استعمال أسلوب الكشف الصوفي في الدفع بهما إلى الصلح (نفس المرجع).

ويظهر أنّ من بين تلامذته الذين كان لهم اتصال كبير به والتصاق المسمى أحمد بن عمر الذي رآه سنة 1286 / 1868 وشهد له بالمبالغة في الاتصاف بمكارم الأخلاق وعفة اللسان والرقة البالغة في معاملة الطلاب وعدم الغضب عليهم متخذا لهم يوما يتلقى فيه شكاواهم ويحل مشكلاتهم (19 / 55) مع المصابرة على البقاء بالمجلس المخصص لتلقي الطلاب طيلة يومه متجنبا الاستناد إلى الحائط والجلوس إلى غير القبلة والالتفات حتى إنه لم يكن يعرف من طلبته إلا القليل مسائلا عن اسم من إراده لأمر منهم ؛ مع استعفاف عن شرب الشاي بمحضر الطلاب على أنه طالما ذم البدع في مجالسه هو غضب على أهلها ناظما في ذلك منظومة باللغة البربرية في اكثر من خمس عشرة مائة بيت على نحو مانظمه محمد بن علي اگبيل الجزولي مستقصيا في ذلك بدع سوس وغيرها (*المعسول*، 19 : 57- 58) ويتصل بهذا كله ماذكره أحمد بن عمر تلميذه عنه من اتصال بعالم الجان على سبيل التعليم والخدمة ؛ وقد اعترف الأستاذ لتلميذه ابن عمر بهذا وانهم يحضرون مجلسه في الصفوف التي خلف الاستاذ للإقراء : أقر له بذلك سنة 1292 / 1875.

ومن تلامذة الإرزاني الفقيه العلامة المحجوب المسفيوي الذي عمل فيما بعد ببلدته أغمات قبل نهاية القرن 13 / 19 محافظا على زيارة الزاوية الارزانية مرة أو مرتين في السنة مع بعض طلابه مع حمل كسوة إلى أهل دار شيخه ؛ وحين اعتنق الطريقة الدرقاوية صحب معه بالإضافة إلى طلابه جملة من المريدين (*المعسول*، 19 : 58) ومن تلامذة الإرزاني محمد بن عبو الفحصي الذي لزم الدرس عند الشيخ الإرزاني إلى أن أصابه مرض شكاه إلى الشيخ الذي أمره بزيارة أحد صلحاء تاگوروط واسمه سيدي ابن عيسى ولكن التلميذ خوفا من اللصوص مال إلى الاكتفاء ببعض صلحاء مراكش ولم يُجْده ذلك إلى أن نفذ وصية شيخه عام 1281 / 1864. ومن تلامذته محمد بن على اليوسفي السكتاني (*المعسول*، 19 : 63) وقد استاذنه في الاستنادة من علماء مراكش مع زميله أحمد بن عمر آنف الذكر فأذن الشيخ لليوسفي ولم يأذن لابن عمر فلما راجعاه مرة ثانية وجدا نفس الموقف ؛ وكان من حدب الشيخ على طلابه المتزوجين أن خصص لهم أرضا لبناء دورهم على الرغم مما وجد في ذلك من مقاوة من أهل البلدة حتى اضطر إلى أن يخبرهم بأن هذه الأرض ستبنى ولا محالة عندما يصير أهل قرية إرزان بمثابة الدجاج فكان الأمر كذلك بعد مرور الزمان.

ومن تلامذته الذين وافقوه في التسمية الحسن بن أحمد من عنق الأحد (*المعسول*، 19 : 66) وكانت طبيعتهما من جنس واحد ؛ واتحدت مشاعرهما إلى درجة أن التلميذ ما كان يجلس أمام شيخه ويرفع بصره إليه إلا وأجهش بالبكاء.

ويذكر عن تلميذه الفقيه أحمد بن الحاج الحنگيري اختلاطه الوثيق بالشيخ الإرزاني إلى درجة أنه كان يستلف منه الشيخ ولم يكن التلميذ يستطيع أن يفاتح شيخه في الموضوع لانصراف الشيخ إلى أمور أخرى تاركا مسألة إرجاع الديون لولده محمد ؛ وقد جرب الحنگيري يوما شيخه صحبة جملة من الطلاب في مشكلة من غرائب شروح مختصر *خليل* في الفقه المالكي وذلك لاختبار مقدار مكاشفاته فلما أجابهم بما يوافق مقصودهم عجبوا من ذلك (*المعسول*، 19 : 55) ورغم أن أحمد بن الحاج الحسن الحنگري هذا من تلامذة الإرازاني الأولين فقد فضل أن يأخذ منه الطريقة الدرقاوية حين اعتنقها الشيخ معتقدا أن العالم لا يأخذ الطريقة عن الأمي ؛ وفي ذلك إشارة إلى سيدي سعيد أوهمُّو المعدري الأُمي ناشر الطريقة المذكورة بسوس.

ومن تلامذته المسمى الحسن التاگنتي (*المعسول*، 19 : 59) وقد أخذ عنه التصوف ثم انتقل إلى الطريقة الأحمدية؛ وقد نازع بعض تلامذة الشيخ الإرزاني في ادعاء الفطنة لشيخهم (*المعسول*، 19 : 52. 67) وخلف الشيخ بعد وفاته في مركزه ابنه محمد فعَلَّم وأرشد كوالده وتوفي سنة 1325 / 1907 (*المعسول*، 19 : 69).

ومن تلامذته الشيخ محمد الأملولي الاغزيري (1320 / 1902) وكذا عبد الله بن محمد عبد الله السامگني وقد أجازه الشيخ سنة 1279 / 1862 إجازة عامة (*المعسول*، 19 : 68).

ومنهم حفيده عبدالكريم بن محمد (1339 / 1920) وكان أحسن حظا في المعارف ودرس وعلم بالزاوية.

ومنهم أحمد بن عمر الأملولي ولعله المذكور آنفا.

وممن أشرف عل الزاوية حفيده عبد السلام بن محمد ولم يكن له حظ من العلم امتد عمره إلى ما بعد 1360 / 1941.

كما اشرف علي الزاوية ايضا محمد بن السلام ولد المذكور قبله .

ويذكر من متأخري مدرسة الزاوية عبد الله الإرازني وقد أخذ عن المدرسة الإغلانية.

عمر الأندوزالي، *مناقب الشيخ التملي* (مخطوط) ؛ أحمد التاجكالتي، *مناقب الشيخ التملي* (مخطوط). م. المختار السوسي، *سوس العالمة* : 204. *المسول*،19 : 45 ؛ رجالات.

محمد البايك

الإرسالية الكاثوليكيّة، لم تظهر الكنيسة الكاثوليكية بشكل منظم ومهيكل منذ انتشار الإسلام بالمغرب إلاّ عند بداية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، وكانت الجالية المسيحية تتكون من الميليشيات المسيحية التي تخدم أمير المؤمنين، والمسيحيين الأسرى، والمجموعات الصغيرة للتجار القادمين من أوربا (انظر *الأسرى. الكنيسة*).

إن الصراع الذي خاضه السعديون منذ القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، ضد التغلغل البرتغالي والإسباني في البلاد، كان أحد عناصر الضعف الذي لحق بتنظيم الجالية المسيحية. ومع مرور الزمن توثقت العلاقات مع أوربا وكثر الأسرى وعاد التجار، وسمح السلطان عبد الملك بن زيدان سنة 1040 / 1636 بدخول الفرنسيسكاني خوان دي برادو Juan de Prado ليهتم روحيا بالأسرى. ورغم أنه لم ينجح في تحقيق هدفه، إلا أن السلطان محمداً الشيخ الأصغر (1045 ـ 1060 / 1636 ـ 1655) سمح لفرنسيسكاني آخر، نيكولاس دي بيلاسكو Nicolas de Velasco الذي كان يقوم بمهام ممثل البابا وسفير ملك إسبانيا ليقيم كنيسة للمسيحيين الأسرى في مراكش، ودار سكن لرجال الدين.

وانطلاقا من ذلك، حُفظت بعض وثائق الباباوات التي كانت تعين مسؤولي الإرسالية الكاثوليكية وعدة ظهائر سلطانية تسمح للفرنسيسكانيين بإدخال كتب وملابس وأدوات خاصة بالطقوس المسيحية ومساعدات مادية للأسرى إلى البلاد. وبذلك أصبحت للإرسالية الكاثوليكية وضعية رسمية عمليا.

يظهر مصطلح "الإرسالية الكاثوليكية" في عدة وثائق تحت أسماء متنوعة ولكن بمعنى واحد :"الإرسالية الكاثوليكية"، "الإرسالية الكاثوليكية الفرنسيسكانية"، "الإرسالية الكاثوليكية الإسبانية" الخ. سميت "الإرسالية الكاثوليكية" لأنها هي الكيان المنظم للجالية المسيحية الكاثوليكية داخل بلد كل سكانه ينتمون لدين آخر، الإرسالية الكاثوليكية الفرنسيسكانية" لأن رجال الدين القائمين على هذه الإرسالية كانوا ينتمون إلى رهبانية الفرنسيسكانيين (تيار روحي أسس من طرف سان فرانسيسكو دي أسيس San Francisco de Asis داخل الكنيسة الكاثوليكية)، الإرسالية الكاثوليكية الإسبانية" لأن هؤلاء الفرنسيسكانيين كانوا إسبانيين ولهذا كانوا يسمون "فرايلية" (إخوان) وهومصطلح نجده في ظهائر السلاطين.

كان هدف الإرسالية، أساسا، هدفا دينيا فقط فاتخذ شيئا فشيئا أشكالاً إنسانية ودبلوماسية وأحيانا سياسية. كان أول الأمر، كيانا مؤسسا من طرف البابا ومرتبطا به. وبالإضافة إلى مهمتها الدينية أصبحت الإرسالية مضطرة لأن تلعب دورا إنسانيا تجاه الأسرى، وفي بعض الأحيان لخلاصهم من الأسر. ومن هنا كان ملوك إسبانيا يساعدونها ماديا بواسطة جمعيات خيرية دينية. ولهذا السبب كانت السلطات المغربية وقوى أوروبية أخرى تعتبر الإرسالية ككيان للكنيسة ولكن مرتبط بإسبانيا.

ومن السهل أن يُثبت عن طريق عدة ظهائر العلاقة الوثيقة بين مولاي إسماعيل وفرنسيسكانيي الإرسالية الكاثوليكية. ففي عهده وبسب نقل الأسرى إلى مكناس وبالإضافة إلى وجود كنيسة في مراكش تمكنت الإرسالية من فتح كنائس أخرى في فاس ومكناس، عادة في مكان وجود الأسرى. كما فتحت الإرسالية في مكناس مستشفى للأسرى كان يتردد عليه حتى السكان المسلمون. وقد استعمل السلطان رجال الدين عدة مرات لأجل ربط علاقات مع الدول الأوروبية، خاصة إسبانيا.

وتحت حكم سيدي محمد بن عبد الله (1170 ـ 1204 / 1757 ـ 1790) اختفى العبيد الأروبيون من المغرب. أمام هذا الواقع غيرت الإرسالية الكاثوليكية نشاطها، فقد كان الفرنسيسكانيون مطلوبين من السلطان ومن طرف الحكومات الأوروبية ليلعبوا دور الوساطة في النزاعات، ومن جهة أخرى كان الانفتاح الذي بدأه هذا السلطان على أوروبا، وتعيين عدة تمثيلات قنصلية في المغرب مساعدا على دخول عدد من المسيحيين من دول مختلفة وبأعداد متزايدة (دبلوماسيون وتقنيون وتجار الخ). ولم يكن المسيحيون في مراكش وفاس ومكناس فقط بل كانوا أيضا في المدن الساحلية وعلى الخصوص في الصويرة الحديثة العهد وفي أسفي والرباط وسلا وطنجة وتطوان الخ. وفي كل هذه المدن سمح السلطان للإرسالية الكاثوليكية بإقامة دار لها وكنيسة، كما فتح مدارس لتعليم أبناء هؤلاء المسيحيين ومعهم مغاربة. في 1204 / 1790 طرد مولاي اليزيد الفرنسيسكانيين من المغرب لكنهم عادوا بعد أربع سنوات من ذلك.

وفي عهد مولاي سليمان ومولاي عبد الرحمان (1206 ـ 1276 / 1792 ـ 1859) كادت الإرسالية الكاثوليكية تختفي من المغرب نظراً لعدم تمكنها من تجديد دمها بعد أزمة

الكنيسة في إسبانيا. ففي أواسط القرن التاسع عشر لم يبق سوى فرانسيسكاني واحد في طنجة. وفي النصف الثاني من نفس القرن، انبعثت من جديد الإرسالية التي توافقت مع توارد عدد من الأوروبيين للمغرب. في سنة 1894 كانت دار وكنيسة الإرسالية في تطوان وطنجة والعرائش والرباط والدار البيضاء والجديدة وأسفي والصويرة. وكان مسؤول الإرسالية الأب خوصي ليرشوندي José Lerchundi الذي كان وراء إحيائها بخلق مدارس جديدة ومستشفى ومدرسة للطب ومطبعة ومراكز لمساعدة الفقراء الخ. وكان يمكن للمغاربة الاستفادة من هذه المراكز.

أرسل السلطان الحسن الأول أعضاء من جيشه ليتكونوا في مدرسة الطب (انظر ليرشوندي)، كما ساهم في هذاالعهد فرنسيسكانيون في مناصب ديبلوماسية، منهم الأب ليرشوندي الذي تمتع بتقدير السلطان الحسن الأول وشارك كمترجم في عدة سفارات لدى السلطان، الأمر الذي أهله ليكون ضمن أول سفارة تاريخية للمغرب لدى البابا في سنة 1305 / 1888 (انظر الباباوية).

فيما يتعلق بهذه الأنشطة أكد بعض السياسيين والمؤرخين أن أعضاء الإرسالية، بالإضافة إلى مهامهم الدينية والتعليمية، كانوا يتدخلون في السياسة ويساعدون تسرب الاستعماريين الأوروبيين، خاصة الإسبانيين، وهذا ما لا يمكن إثباته، ولا يمكن أيضا نفي كون بعض أعضائها قدموا الدليل على عقليتهم الاستعمارية خلال هذه الفترة.

وما هو أوضح هو أن الفرنسيسكانيين لم يقوموا قط بما يسمى بالتبشير بين المسلمين المغاربة، وهذا ما تؤكده المراسلات السرية للديبلوماسيين وتصريحات السلطات المغربية. كما أن النشاط الإحساني وبساطة حياة الفرنسيسكانيين خصال كانت تنال تقدير الشعب المغربي. وهذا ما جنب في عدد من المناسبات تمرد المغاربة العنيف على بعض مواقف الأوروبيين بالبلاد. قدم الفرنسيسكانيون، حسب الدكنور ميبح، صورة للمسيحية مختلفة عن تلك التي قدمها بعض التجار الأوروبيين القليلي النزاهة الذين أقام الكثير منهم في المدن الساحلية، وأيضا عن الصورة التي قدمها بعد ذلك بعض دعاة سياسة استعمارية مغرضة.

تزايدت الجالية المسيحية بالمغرب مع بداية القرن العشرين وخاصة مع الحماية الفرنسية والإسبانية وقد هيكلت السلطات العليا للكنيسة الجالية المسيحية بشكل يمنح كل جنسية خاصة الفرنسية والإسبانية ممارسة الديانة. وقد تطورت الإرسالية الكاثوليكية إلى خلق أسقفية واحدة في الرباط وأخرى في طنجة. وارتفع هذا الهيكل بعد الاستقلال سنة 1956 إلى درجة الأبرشية (archevêché) وهو الذي يمثل الآن الكنيسة بالمغرب.

وفي منطقة شمال البلاد، حيث كانت التقاليد الفرنسيسكانية الإسبانية أكثر تجذرا، مازال الشعب والسلطان يسمي الكنيسة باسمها القديم "الإرسالية الكاثوليكية". وفي الحقيقة يتعلق الأمر بتغيير الاسم فقط، حيث ظل الواقع كما كان، غير أن الجالية الكاثوليكية في مغرب اليوم ينتمي إليها أفراد من عدة دول ويخدمها رجال دين من جنسيات مختلفة.

ـ *الظهائر السلطانية : أرشيف الإرسالية الكاثوليكية بطنجة : الظهائر الشريفة المنعم بها على الرهبان الإسبان من 1637 إلى 1794*، مجلة *دار النيابة*، العدد الثالث 1984 (ص 63 ـ 68) العدد الرابع 1984 (ص 60 ـ 63) العدد الخامس 1985 (ص 15 ـ 18) ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ ع. بنمنصور، *مع جلالة الملك الحسن الثاني في حاضرة الفاتيكان*، المطبعة الملكية 1980 ؛ خوصي اكيليرا، وثائق تتعلق بالسفارة المغربية إلى الباب ليون الثالث عشر 1887ـ 1888، مجلة تطوان العدد الثاني 1957 ؛ ع. التازي، *صفلية في مذكرات السفير ابن عثمان*، المحمدية 1978 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. المكناسي، *الإكسير* ؛ م. الفاسي، *محمد بن عثمان المكناسي وصفحات من تاريخ المغرب الدبلوماسي في القرن الثامن عشر* ؛ أ. الغزال، *نتيجة الاجتهاد* ، تح. الفريد البستاني، العرائش 1941 ؛ م. الفساني، *رحلة الوزير في افتكاك الأسير*، تح. الفريد البستاني، طنجة 1940.

Documentacion de la Mision publicada en las revistas "Archivo-Ibero-Americano" Madrid 1914 - 1921 y "Mauritania" Tanger 1928 - 1963 ; F. San Juàn del Puerto : *Mision historial de Marruecos*, Sevilla 1708 ; Matias de San Francisco : *Relacion del viaje espiritual de Juàn de Prado*, Madrid 1644 (Edicion José Lopez, Tanger 1945) ; Manuel Castellanos, Apostolado seràfico en Marruecos, Tanger 1896 ; Henry Koehler, *L'Eglise Chrétienne du Maroc et la Mission Franciscaine*, 1221 - 1790, Paris 1934 ; Atanasio Lopez, *Obispo en Africa septentrional desde el siglo XIII*, Tanger 1941 ; José Lopez, *La Orden Franciscana en la asistencia a los cristianos cautivos en Marruecos*, Larache 1939 ; Manuel R. Pazos, *Mision Franciscano - Española en Marruecos - La Historia de un siglo (1859 - 1959)* - Tanger 1959 ; J.L. Miége, *Le Maroc et l'Europe (1830 - 1894)*, Paris 1961, II 461 - 67, Iv 312 - 315 ; R. Lourido, *La abolicion de la esclavitud de cristianos en Marruecos*, Cuadernos de Historia del Islam (Granada) 8 (1977) 5 - 46 ; R. Lourido, *La obra redentora del sultan Sidi Mohamed Ben Abdellah entre los cautivos musulmanes en Europa*, "Cuadernos de Historia del Islam", 11 (1984) 139-184 ; E. Hugues et J.L. Miége, *Les Européens à Casablanca au XIX Siècle 1856 - 1906* - Paris, Larose 1954 ; A. Adam, *Histoire de Casablanca des origines à 1914* - Paris 1968 ; R. Le Tourneau, *Fès avant le Protectorat* - Casablanca 1949 ; A. Amine et col. *Histoire du Maroc* - Paris - Casablanca 1967.

رامون لوريدو

أرسلان ← شكيب ...

أرْض المغرب ، تقع في الزاوية الشمالية الغربية من إفريقيا وتمتد على شكل جزيرة بين البحر والصحراء، بين خطي عرض 21 و36 شمالا وخطي طول 1 و17 غربا. والمغرب بلد قريب من أوربا لا يفصله عنها إلا مضيق اتساعه 14 كلم يصل بين البحرين اللذين يحدان المغرب، البحر المتوسط والمحيط الاطلنتي.

الميزات الاساسية متعددة : طول السواحل (3500 كلم) وامتداد المجالات الجافة التي تغطي حوالي 62 ٪ من المساحة الإجمالية، وارتفاع الجبال التي تشغل قسطا مهما من الأقاليم الشمالية. ولكن هذه المعطيات القاعدية التي يبدو بعضها سلبيا تخفف من وطأتها ميزات أخرى . فرغم امتداد الصحاري يتضح بأن الاتصال بين المجالات الشمالية

المتوسطية والجنوبية الجافة أقل ثقلا مما هو في الأقطار المجاورة وذلك بسبب الدور الذي يلعبه المحيط الأطلنتي والذي يسمح بنزول المؤثرات البحرية جنوبا حتى العروض السفلى. أي حتى جنوب الأطلس الصغير. كما أنه، رغم ارتفاع قمم أعلى الجبال واتساع مجالها، فإن المناطق السهلية المنخفضة، تبقى ذات امتداد كبير، الشيء الذي أتاح اتساع الرقعة الزراعية الصالحة والأراضي الخصبة : أما طول السواحل الكبير والذي يعتبر ميزة أساسية وخاصة في الميدان المناخي (تعديل الجو) وعلى مستوى الثروات السمكية والسياحية، فإنه يُقابل بجانب سلبي لا يستهان به، وهو ندرة المواقع الصالحة لتشييد الموانىء الطبيعية ذلك بسبب اشتداد عنف العباب وخاصة على طول الساحل الأطلنتي، وبسبب مرفلوجية الساحل الصخرية عادة. كما أن الساحل المتوسطي يشكو من صعوبة ربطه بداخل البلاد بسبب تقطع التضاريس المطلة على البحر والمتمثلة في جبال الريف المتكتلة .وهو شيء لا يلاحظ على الساحل الاطلنتي الذي تحده ـ عكس ذلك ـ سطوح منخفضة سهلة الاجتياز.

من الناحية الجيولوجية والجيوفزيائية يمكن كذلك استخلاص عدد من المميزات العامة . فالمغرب يكون ميدان التقاء بين مجالات بنيوية مختلفة تماما. فهو قبل كل شيء مجال اتصال بين الميدان المتوسطي الذي يتمثل في السلسلة الريفية الشمالية، كما تظهر بعض معالمه في باقي الأقاليم الشمالية الى خط عرض اگادير ، والميدان الافريقي الذي يبتدىء من الاطلس الصغير ويشمل الاقاليم الصحراوية برمتها. والميدان الاول خصائصه عدم الاستقرار الى الفترات الحديثة بينما يمتاز الثاني بالهدوء منذ اقدم العهود.

والمغرب، كذلك، مجال اتصال بين البنيات المرتبطة بالبحر المتوسط من جهة، والتايخ الجيولوجي للمحيط الاطلنتي الذي انطلق انفتاحه في الزمن الثاني من جهة ثانية.

وبسبب هذه الاتصالات البنيوية المختلفة، فالمغرب يشغل مجالا غير مستقر من الناحية الزلزالية. فهو يعيش الحركات المرتبطة بالحزام الألبي المتوسطي حيث يوجد عند حدود صفيحتين قاريتين كبيرتين الإفريقية والأوراسية. كما تهمه الحركات الناشئة فوق الظهر الوسط أطلنتي أوعلى الانكسارات المتفرعة عنه. الصفيحتان الأوروبية والإفريقية تعرفان حاليا تقاربا بطيئا قياسه حوالي نصف سنتمتر في السنة. لكنه تقارب كاف لاحداث حركية زلزالية هامة. وهكذا نجد في المغرب ثلاث مجالات حيث الزلازل تسجل بتردد كبير: الريف حيث يسجل أكبر عدد طبقا لاتجاهين، المتوسطي شرق ـ غرب ، والأطلنتي شمال شرقي ـ جنوب غربي. ثم سلسلة الأطلس وخاصة على مقربة من الحوادث الكبرى كالحادث الجنوب أطلسي الذي تسبب مثلا في زلزال أگادير سنة 1960. وأخيرا المجال المتوسطي غرب مضيق جبل طارق، على شريط اتساعه حوالي 150 كلم يربط المضيق بجزر الأصور.

نستخلص من سرد هذه المظاهر العامة شدة التنوع على المستويين التضاريسي والمرفوبنيوي .

فطبغرافيا يمكن التفريق بين ثلاث مجالات كبرى : مجال جبلي يتألف من سلاسل الأطلس ومن الريف ؛ مجال أطلنتي مفتوح على المحيط ومحدود نحو الداخل بمدرج جبلي واسع، يتكون من هضاب وسهول تمثل أغنى مناطق المغرب من الناحية الفلاحية ؛ وأخيرا مجال واسع مكون من أرصفة منضدية ممتدة تعلوها مرتفعات ومحليا سلاسل لمختلفة الاتساع ؛ ويضم هذا النطاق الأخير مجموع المغرب الشرقي وكل المغرب الصحراوي انطلاقا من قدم الأطلس الصغير.

إلا إن هذا التقسيم التضاريسي، وإن كان مهما باعتبار نتائجه البشرية والاقتصادية، فانه لا تعتمد على واقع طبيعي ملحوظ ولا على معايير جيولوجية مضبوطة.

وهكذا فالتقسيم البنيوي مغاير لهذا ويسمح بالتفريق بين المجالات التالية :

ـ مجال مستقر منذ عهود قديمة، يمتد من موريتانيا جنوبا الى الحادث الجنوب أطلسي شمالا. وهو يشمل الأطلس الصغير وهضاب الحمادات وكل الصحراء الغربية.

ـ ميدان أطلسي، يوافق سلسلتي الاطلس الكبير والمتوسط كما يضم اجزاء من المغرب الشرقي، يتألف من سلاسل مرفوعة، ركائزها ملتوية ومكسورة منذ بداية الثلاثي، وعرفت عدة دورات تكتونية تلت كل واحدة منها دورة تعرية سمحت محليا بتسوية السطح.

ـ ميدان رصيفي (مسيطي) يمتد على هضاب وسهول المغرب الأطلنتي ويضم الأراضي العليا من المغرب الشرقي. وهو عبارة عن مجال عرف التكتونية الالتوائية في نهاية الزمن الأول، وتمت تسويته بعد ذلك قبيل الترياس ثم بقي مستقرا منذ ذلك الوقت بحيث لم يعرف التقبُّب في بعض اجزائه التي اصبحت عرضة للتعرية ، بينما استقبلت اجزاؤه المتهدلة بيط، رواسب وتوضعات بعضها بحري .

ـ ميدان ريفي شمالا ، يكون جزءاً من الشريط المتوسطي التلريفي. وهو مجال متهدل منذ الزمن الثاني ظل مغمورا إلى الثلاثي وعرف خلال الميوسين ضغوطا بنائية قوية جعلت ركيزته تفقد استقرارها وينزلق بعضها على شكل طيات زاحفة نحو الجنوب، اي في اتجاه الأخدود الجنوب الريفي.

الميدان الجنوبي أو الصحراوي، هو رصيف قديم يرتبط بالدرع الإفريقي بحث لم يعرف إلا تشويهات ضعيفة منذ ما قبل الكمبرى. وتظهر القاعدة القديمة التي ترجع بعض اجزائها إلى أكثر من مليارين من السنين ملتوية بشدة ومسطحة داخل بهرات هي عبارة عن تقبُّبات للغطاء الرسوبي الأحدث تم فتحها من طرف التعرية. وهذه القاعدة القديمة تتكون من گرانيت وريوليت وشست. الرواسب التي تغطيها تعود للزمن الأول وتمتاز بسمكها من جهة، وبغلبة الطبقات الكلسية في مرحلة أولى، ثم الشستحثية في

مرحلة ثانية. وقد سمح هذا التغاير الصحاري في إطار بنية مائلة نحو الجنوب أو ملتوية من تشكيل تضاريس أبلاشية أساسها أعراف حثية واضحة كأعراف باني أو واركزيز وأحواض شستية واسعة كسهول تافلالت أو درعة.

وتنحني هذه الرواسب الاولية تحت الغطاء الحديث للحمادات والذي ينتمي للنيوجين (حمادات الساقية الحمراء ـ درعة ـ تندوف وگير) وهي عبارة عن هضاب كلس بحيري يعود للبليوسين. وتظهر تحتها حمادات اقدم تعود للطباشيري اكثر تقطيعا وتخديدا (حمادة العيون وحمادة تافلالت).

جنوبا، ترتفع القاعدة القديمة من جديد، وتبدو من جديد المظاهر الابلاشية قبل المرور الى هضاب من الگرانيت والصخور المتحولة تمتد حتى موريتانيا

هذا المجال الصحراوي الثابت، عرف على طول الساحل غمرا حديثا خلال البليوسين سمح بتغطية شريط واسع بطبقة من الحث والكلس. ما عدا ذلك ، يعتمد تطور السطح على النزعة التكتونية المحلية. فالمجالات المقببة معرضة للتعرية، بينما تعرف المنخفضات مثل منخفضات درعة تراكم مواد فتاتية قارية.

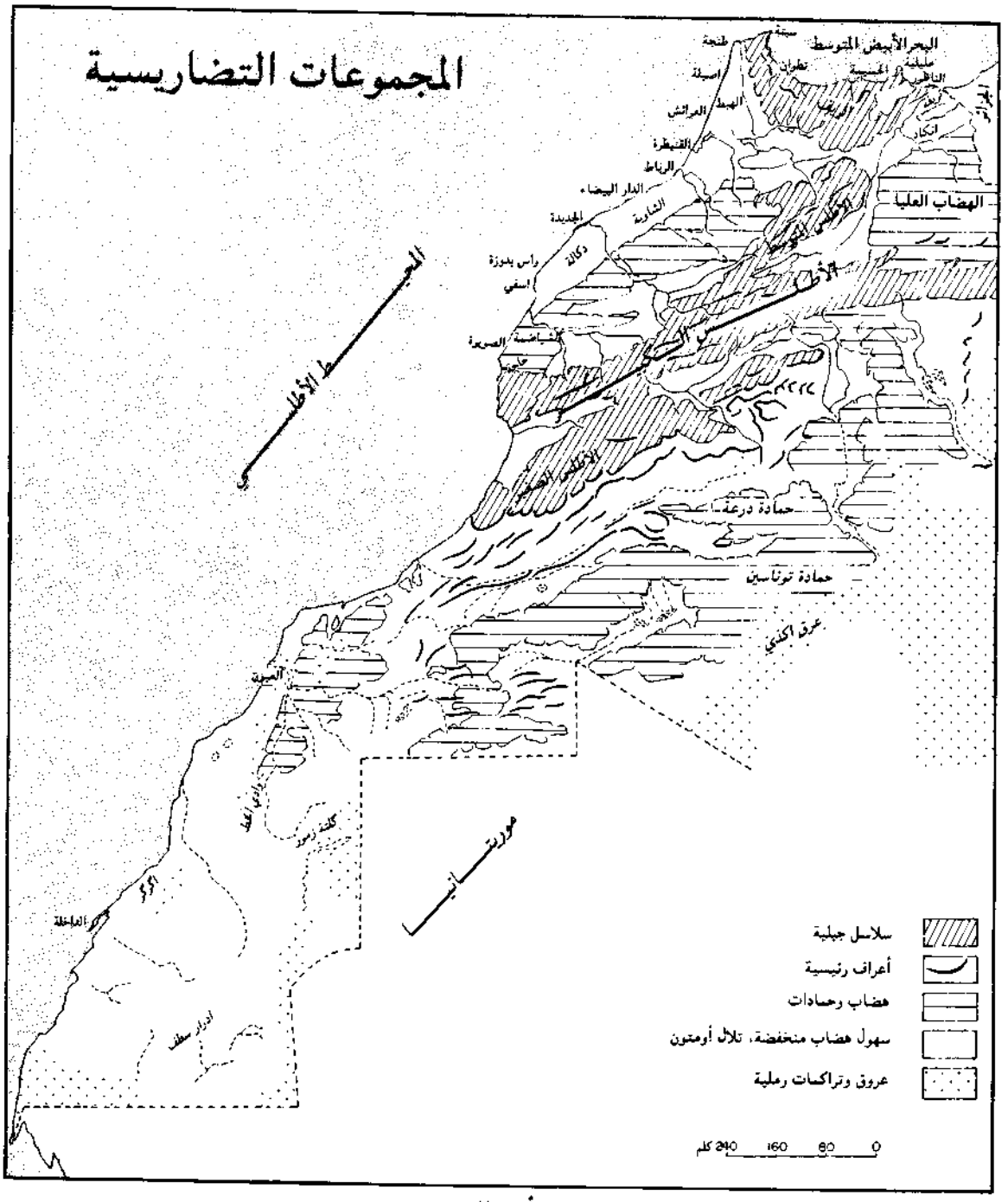

أرض المغرب

وبسبب الجفاف فان التشكيل يتخذ ميزة خاصة تتمثل في وضوح معالم الاجراف والسفوح، العارية من كل غطاء فتاتي أو ترابي، وتشكيل حادورات ممتدة عند قدم هذه السفوح والمرتفعات وتراكم المواد في المنخفضات التي تصبح عرضة امام التعرية الريحية واخيرا تكوين بعض الاحواض المغلقة الماء ريحية والتي ينزل بعضها الى مادون مستوى البحر (سبخة طاح).

الميدان الأطلسي، يمثل المجال الذي يتوسط المغرب. وهو عبارة عن حفر شريطية تكونت منذ بداية الزمن الثاني ارتباطا بالارتخاء الترياسي والجورسي الذي عرفته أرض المغرب. هذه الحفر غمرها البحر الميزوجي أي المرتبط بالبحر المتوسط القديم فرسب داخلها سمكا هائلا من المواد تطغى فيها السحنات الكربوناتية . وبعد تراجع البحر منذ نهاية الجوراسي انطلقت مرحلة بنائية بلغت أوجها في الانضغاط خلال الأيوسين. هذه الضغوط التكتونية هي المسؤولة عن تكوين سلاسل الأطلس الكبير والمتوسط وجبال شمال شرق المغرب إلا أنه حسب الصخارة والوضع التكتوني يمكن التفريق بين اربعة انواع من المرفوبنية.

فهناك مجالات ظلت مستقرة وطبقاتها أفقية أو متموجة لكن معرضة لحوادث انكسارية عنيفة. هذه حالة الأطلس المتوسط الغربي، والاطلس الكبير الاطلنتي، وكذا الكتل الانكسارية المكونة لجبال جرادة ـ دبدو. وسطوح هذه الهضاب مشكلة تشكيلا كارستيا في المجالات حيث تطغى الصخور الكلسية.

وهناك مجالات مكونة من أعراف ضيقة معزولة وسط منخفضات واسعة بعضها مقعرات حقيقية وأخرى قبات محدبة تم إفراغها. البنية عبارة عن التوءات واسعة الآفاق تتخللها محليا طيات ضيقة مرتفعة. هذه حالة الاطلس الكبير الشرقي شرق مركز الريش.

غرب هذا المركز يتخذ الاطلس الكبير شكل كتلة مرفوعة بشدة تصل قممها إلى أكثر من 3500 م ومكونة من محدبات ملتوية بشدة ومنكسرة. في الاطلس المتوسط الشرقي نجد نفس الوضعية البنوية متمثلة في عرفين ضخمين متوازيين يفوق ارتفاعهما 3000 م.

أقوى ارتفاعات الاطلس الكبير نجدها في ناحية مراكش. وترتبط هذه الارتفاعات ببنية خاصة تتمثل في قاعدة قديمة أولية قبل كمبرية، رفعت بشدة بحيث تمت تعريتها من الغطاء الرسوبي الجوراسي والطباشيري في الشريط الأوسط، بينما يظهر هذا الغطاء على شكل بقايا على الجانبين الشمالي والجنوبي.والقاعدة القديمة مجزأة الى كتل من طرف انكسارات متقاربة لها مدى مهم جدا. وبسبب التجانس النسبي للصخور التي تمتاز بصلابتها وتماسكها بسبب تعرضها لعدة مراحل التواء وتحول، فان اشكال التعرية الانتقائية نادرة، وتغلب أشكال الأعراف متماثلة الجوانب والمتفرعة في كل الجهات حسب تخطيط الأودية وروافدها. هذه الأخيرة تمتاز بعمقها الخاص وضيق تعدها.

بسبب الارتفاع الشديد وقوة الانحدار، تعد الجبال الاطلسية مجالاً له ميزات مرفولوجية خاصة : أولا أهمية التشكيل الموروث عن الفترات الرباعية الباردة والمتمثل في عدد من الحلبات الجليدية وحفر الارتاج، والعديد من الاشكال المرتبطة بالصقيع. ثانيا عنف التعرية فوق السفوح خاصة في المجالات المشكلة في صخور رطبة. أهمية الأشكال المرتبطة بالجريان النهري في قعور الأودية داخل الجبل وعند قدمه وذلك بسبب الصبيب المرتفع لهذه المجاري التي تتلقى تغذية مائية مرتفعة.

الميدان الميسيطي، غرب الأطلس وشرقه يمتد مجال يمتاز بضعف التشويه الحديث. سهول وهضاب المغرب الشرقي تكون رصيفا مستقرا منذ الزمن الأول أي منذ الدورة البنائية الهرسينية مستقرا منذ نهاية الزمن الأول أي منذ الدورة البنائية الهرسينية لم يسجل إلا محليا آثار التكتونية الأطلسية والريفية.

في المغرب الاطلنتي يمكن التفريق بين ثلاثة أنواع من الأوضاع البنيوية وذلك حسب التصرف الذي عرفته القاعدة القديمة المسطحة قبيل الترياس على أثر الحركات الهرسينية.

في الكتل القديمة عرفت هذه القاعدة تقببا بطيئا جعلها عرضة للتعرية. السطوح العليا بقايا التسوية التي حدثت عدة مرات منذ بداية الزمن الثالث، فترة الانتهاض. تحت هذه السطوح نجد التضاريس تختلف حسب نوعية الركيزة:

فهي تبقى كتلية إذا كان التركيب الصخري متجانسا كما هو الحال في الجبيلات أو في بعض أجزاء الهضبة الوسطى ؛ كما أنها تتخذ مظاهر ابلاشية إذا كان التركيب متنوعا عبارة عن توالي طبقات صلبة وهشة (الجهة الشرقية من الهضبة الوسطى ـ الخطوات)

بين الكتل القديمة المقببة نجد القاعدة قد عرفت منذ الطباشيري حركة نزول تدريجي توقفت في أواسط الزمن الثالث. هذه المجالات النازلة احواض رسوبية رتيبة ، جوانبها عبارة عن حافات مشكلة في إطار بنية وحيدة الميل. وتشتهر هذه الأحواض الرسوبية باحتوائها على مجموعة الطبقات الفوسفاطية في الطباشيري الأعلى والايوسين الأسفل (هضاب خريبگة واليوسفية) الشكل التضاريسي الثالث يتمثل في سهول عرف سطحها نزولا قويا خلال المراحل البنائية الحديثة . وتوجد هذه السهول على طرفي الهضاب الاطلنتية المرتفعة على شكل شريط ساحلي وآخر داخلي. الشريط الداخلي عبارة عن سهول قرب أطلسية عند قدم الجبل تمر بها أنهار هامة (أم الربيع وتانسفت وروافدهما) وتتلقى من الجنوب بمواد فتاتية هامة شكلت مخاريط تراكم. والشريط الساحلي اكثر تعقيدا حيث تحده هضاب لاتمده الابمواد نشر دقيقة السمك، بينما مده البحر برواسب هامة تنتمي للبليوسين والميوسين. وقد تم تشكيل الفتاتات الرملية على شكل كثبان ريحية موازية للساحل، جلها أصبح مستقرا ومتصلبا.

في المغرب الشرقي، الوضعية اقل بساطة بسبب التأثر الواضح بالتكتونية الحديثة. فعلى جانب الاطلس المتوسط يمتد شريط من السهول المتهدلة (سهول ملوية) تشرف عليها شرقا هضاب مستقرة يغطي مجالاتها المنخفضة كلس بحيري نيوجيني لكن محليا تنبعث وسط هذه السطوح تضرسات ضيقة محدبية اصلها تشوه القشرة خلال مراحل الانضغاط الثلاثي.

يحد المجالين الأطلسي والميسيطي شمالا، ممر ممتد هو عبارة عن حد فاصل بين المغرب الافريقي والمغرب المتوسطي التلي هذا الحد أخدود حديث تهدل بين الريف من جهة والمغرب المستقر من جهة اخرى فتلقى رواسب بحرية نيوجينية كما وصلته طيات زاحفة منزلقة من الريف. بعض اجزاء هذا الاخدود مازالت تعرف النزول إلى الآن (سهل الغرب).

المجال الريفي، هو قوس ممتد بموازاة البحر المتوسط تتكون بنيته من فرشات زاحفة من الشمال نحو الجنوب. وقد تم هذا الانزلاق خلال الميوسين. والسلسلة من النوع الألبي تتكون من عدة مجالات بنيوية على شكل اشرطة موازية للبحر . وهو أصلا أخدود انطلق تكوينه منذ الزمن الثاني وتلقى رواسب سميكة يغلب فيها الفليش. وتعود الحركات الى الميوسين الاوسط والاعلى حيث تقدمت الى الجنوب فرشات من الفليش اومن الصلصال وتراكبت بعضها فوق بعض.

هذه السلسلة المكونة أساسا من صخور هشة تعرضت لتعرية عنيفة بسبب اشتداد رفعها وتعمق الأودية فيها.

J. Despois et R. Raynal, *Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest*, Payot, Paris 1965 ; A. Michard, *Elément de Géologie marocaine*, Notes et Mém. Serv. Géol, nº 252, 1976.

عبد الله العرينة

الأرض بالمغرب (الملكية والاستغلال)، إن دراسة مسألة الأرض تتطلب بالضرورة تحليل الروابط السوسيو - قانونية الموجودة بين الناس (فرادى أو جماعات) وملكية الأرض، وهي روابط تتحكم فيها العلاقات الاجتماعية والسلطوية بين الجماعات البشرية، والأنظمة القانونية السائدة (عرف وشرع وقانون حديث) والوسط الطبيعي. كما تتطلب هذه الدراسة أيضا تحليل العلاقات الموجودة بين مالكي الأرض ومستغليها وأشكال استغلال الأرض (رساتيق مزروعة Terroirs، مراعي، غابات...).

يتمتع المغرب بتنوع مناطقه الطبيعية (سهول، جبال، نجود...). وتتميز ست عشرة جهة طبيعية في مجموع البلاد هي :

1 ـ الريف، 2 ـ ما قبل الريف، 3 ـ متوسط سبو، 4 ـ هضبة الأطلنتيك، 5 ـ سهل الأطلنتيك، 6 ـ السهول الداخلية، 7 ـ سهل ملوية، 8 ـ الأطلس المتوسط، 9 ـ الأطلس الكبير، 10 ـ الأطلس الصغير، 11 ـ الهضاب العليا، 12 ـ جبل باني ـ درعة، 13 ـ 14 ـ حمادة و الصحراء، 15 ـ هدب الأطلنتيك، 16 ـ هدب البحر المتوسط.

موازاة مع هذا التنوع الطبيعي بالمغرب، نلاحظ أيضا تنوعا في قانونه العقاري (Ducroux, Bouderbala, Pascon) نتيجة وجود أنظمة قانونية متعددة تحكم علاقة الإنسان بالأرض، واختلاف العمران، وتباين الثروات الطبيعية والبنيات الاجتماعية. وتتداخل هذه الأنظمة القانونية فيما بينها إلى حد يصعب معه دراسة مختلف تطوراتها، خصوصا وأنها غير محددة بما فيه الكفاية، وأن المعطيات المتوفرة حول توزيع الملكية العقارية لا تخلو من عيوب.

لا تمكن الاحصائيات الوطنية الرسمية بهذا الصدد من القيام بمقارنة فيما يخص تطور الملكية العقارية. وهكذا فإن الإحصاء المتعدد الأهداف (1961) اهتم على الخصوص بملكيات الأسر القروية في الوسط التقليدي، أما التحري الأولي (1969) فقد اهتم بالاستغلاليات الزراعية في الوسط "العصري"، أما التعداد الفلاحي (1973 ـ 1974) وهو المصدر الرئيسي في الوقت الراهن، فيركز على الاستغلاليات الفلاحية.

ومهما يكن فسنحاول بلورة بعض العناصر الأساسية المرتبطة بعلاقة الإنسان بالأرض، وكذا تداخل العلاقات بين مختلف الأشكال السوسيو ـ قانونية المنظمة لاستغلال الأرض. وفي هذا الإطار تتطرق لموضوع الأرض قبل الحماية وخلالها، ثم في مرحلة الاستقلال لنختم بالحديث عن بنيات استغلال الأراضي.

1 ـ الأرض قبل الحماية :قبل الفتح الإسلامي، لم تكن الأرض، التي كانت في ملك القبائل البربرية، تعرف الحدود القارة، وكان استعمالها خلال هذه الفترة يعتمد بالأساس على تربية المواشي والزراعة المتنقلة Culture itinérante كما كان النظام العقاري محكوما بالظروف الطبيعية أكثر مما تتحكم فيه العلاقات الاجتماعية (بودربالة، 1977).

ومع الفتح الإسلامي حيث أصبحت جميع الأراضي، مبدئيا، في ملك الأمة، لم تعد القبائل المحلية تتمتع إلا بحق الانتفاع فقط، غير أنه ظهرت أشكال أخرى جديدة من الملكية نذكر منها :

ـ أراضي الملك : وهي التي كانت في ملك الفاتحين العرب.

ـ أراضي الخراج : وهي التي كانت لبعض القبائل.

ـ أراضي الدولة : وهي تلك التي لا مالك ولا وارث لها أو تمت مصادرتها. وتجدر الإشارة إلى أنه في بعض المناطق (فحص طنجة مثلا) لم يكن هناك تمييز واضح بين أملاك الدولة وأملاك السلطان. وهذه الأراضي هي التي تحولت فيما بعد إلى إقطاعيات لبعض الأعيان أو الشرفاء أو المؤسسات الدينية، أو حتى لأراضي الجيش.

يميز الكراوي (1985) بين ثلاثة مناطق كبرى فيما يخص ملكية الأرض :

أ ـ مناطق الملكية الجماعية : (أراضي شبه قاحلة في الجنوب والنجود الداخلية) كانت المجتمعات المحلية المنظمة

بشكل انقسامي Segmentaire (قبيلة، فخذة، عظم ..) تعيش بالأساس على تسيير وتنظيم مواردها الطبيعية وأراضيها الفلاحية. وبما أن الماشية كانت وسيلة إنتاجية أكثر أهمية من الأرض، فإن تمركز ملكية المواشي في أيدٍ محدودة، كان يؤدي عمليا إلى حرمان باقي الجماعة من حقوقها في الرعي.

ب ـ مناطق الملك العائلي : (مناطق جبلية) من ميزاتها أن الأرض والماء كانا على الدوام موضوع صراع ونزاع بين مختلف الجماعات، وكان ملك الأرض العائلي على الشيوع وغير قابل للتفويت، لكن الجماعة كانت تمارس حق المراقبة على شكل استغلالها، بتملكها لكل أرض لا وارث لها أو غير مستغلة. وتجب الإشارة هناك إلى أن تملك الأرض لم يكن عامل تمايز اجتماعي بين العائلات.

ج ـ مناطق الملكية الفردية :(السهول، أحواز المدن...) كانت الأرض التي تمون المراكز الحضرية محل معاملات عقارية، هذا الشكل من الملكية أقل أهمية نسبيا نظرا لما يلي :

- إن النمط الجماعي لاستغلال المجال يفرض تجانسا قبليا كبيرا يحول دون ظهور أي سلطة شخصية.
- حق السلطان البارز في الملكية، الذي لا يشجع على وجود سلط محلية أو تملك خاص للأرض (Lazarev ،1968).
- مستوى الاندماج الضعيف للاقتصاد المغربي في اقتصاد السوق.

لقد كان التمتع بالأرض، سواء بالنسبة للقبائل أو العائلات أو الأفراد يخضع لعدة عوامل من بينها : الانتماء للجماعة والمراقبة الاجتماعية التي تمارسها هذه على الأرض (إلزامية الاستغلال، المشاركة في الأشغال الجماعية).

وعموما، نجد قبيل التدخل الكولونيالي أشكالا متعددة من الملكية :

ملكية المخزن ؛ ملكية الزعماء المحليين (قياد...) ؛ الملكية الخاصة (أفراد) ؛ ملكية الجماعات ؛ ملكية الزوايا (غالبا ما كانت تستغل بواسطة الخماسين) ؛ ملكية الجيش ؛ ملكية الحبس، وترعاها مؤسسات دينية أواجتماعية، تحول دون تقسيم الأرض وتفتيتها بين الورثة أو مصادرتها، كما قد يتوخى منها الرفع من المركز الاجتماعي لمحبّسيها.

إن أشكال الملكية هاته هي بشكل عام نفس والأشكال التي نجدها حاليا في المجال القروي والحضري المغربي.

2 ـ الأرض خلال فترة الحماية : اهتمت السلطات الكولونيالية بالمسألة العقارية، واعتبرتها من الأولويات لأنها كانت مفتاح تكوين ثروة عقارية ووسيلة مراقبة سياسية شديدة على العالم القروي وضمانا لإعادة إنتاج الملكية الكولونيالية في أحسن الظروف. أما أدوات هذه السياسة العقارية، فكانت متعددة وتختلف حسب درجة مقاومة السكان. غير أن الوسيلة الأساسية هي التي تمثلت في إدخال قواعد الملكية كما صاغها القانون الحديث المغربي.

وتجدر الإشارة إلى أن تملك الأراضي من طرف الشركات الأوروبية والمعمرين قد بدأ قبل سنة 1912 (Lazarev 1977) غير أنه ازداد اتساعا مع التدخل الاستعماري في إطار نظام الحماية.

لقد مرّ مسلسل نزع الملكية الذي نهجه الاستعمار عبر عدة قنوات، كالحجز وإرغام بعض القباد الكبار على تسديد ديونهم في شكل أراض، والعمل على تصفية أراضي الجيش، ومصادرة أملاك الأشخاص أو الجماعات المناهضة للتدخل الاستعماري، ونزع ملكية الفلاحين مع حصرهم في أراض جماعية خاضعة لوصاية الحماية وذات مردودية هزيلة.

وخلال هذه الفترة بدأت بوادر تفكيك الأراضي الجماعية نتيجة للنمو الديمغرافي واقتسام ملكية الأراضي أو توزعها بين المعمرين والشركات الأوروبية والأعيان.

ويشير الخياري (1987) إلى أن الحماية عزت إلى أراضي "الجموع" وظيفة مزدوجة : فهي في آن واحد مجال لتثبيت الاستعمار ودرع واق لتجنب أي نزع معمّم للملكية الفلاحين.

هكذا كانت الأملاك العقارية الكولونيالية (الخاصة والرسمية) التي استحوذت على أجود الأراضي تناهز 750000 هكتار سنة 1956. وقد كانت موزعة ما بين المعمرين وبعض الشركات ممّا أدى إلى تمركز في الملكية العقارية وتكوين أملاك عقارية واسعة. كما كان تحفيظ الأراضي أحد أهم وسائل تغلغل الرأسمالية الزراعية في البادية المغربية مع ما تتطلبه من حرية التصرف بيعا وشراء واستغلالا.

ويذكر پول باسكون في *أطروحته* في موضوع حوز مراكش أن الاستعمار الفلاحي استحوذ أيضا على أراض خلاء غير موزعة لا مالك لها سوى الدولة.

وممّا تميّزت به المرحلة الاستعمارية أيضا، إدخال الغابة في نظام الأملاك العامة وتحديد قواعد استغلالها بعدما كانت تعود في السابق إلى الجماعات المحلية. ونتج عن كل هذا أن الجماعات غالبا ما كانت تجد نفسها محرومة من تسيير مواردها ممّا ساعد على الانقراض في المجال الغابوي، خصوصا وأن هذه المرحلة عرفت تزايدا مطردا للسكان وانخفاضا في مردودية الأراضي الزراعية والمراعي.

3 ـ مرحلة الاستقلال : تميزت هذه المرحلة بعملية توزيع الإرث الكولونيالي، وتدخل الدولة المغربية في المناطق السقوية. ويجب أن لا يحجب عنا تنوع الأنظمة العقارية وتضعضع بعض أشكال الملكية، المجهودات التي تبذلها المجموعات القروية في تنظيم مجالها وتسييره، وبالفعل، فإن هذه الجماعات تتمتع ـ خصوصا في المناطق الجبلية والنجود ـ بموارد مختلفة ومتكاملة (رساتيق زراعية مسقية

وبورية ومراع وغابات ومراع جبلية).

يمكن التمييز بين خمسة أنظمة عقارية أساسية :

أ ـ أملاك الدولة الخاصة : كانت مساحة هذه الأملاك تقدر منذ الاستقلال بما يناهز المليون هكتار مصدرها كما يلي :

- أراض مسترجعة كانت في حوزة الاستعمار 739278 هـ
- نزع الملكية 26115 هـ
- إسقاط الأملاك العامة للدولة 18318 هـ
- حيازة بطرق أخرى (هدايا، حجز) 7151 هـ
- حيازات سابقة 102525 هـ

وقد عرفت مختلف هذه الأملاك منذ 1973 تقسيما جديدا شمل بالأساس عمليات توزيعها على بعض الشركات والإدارات التابعة للدولة في إطار "الإصلاح الزراعي".

يتضح لنا أن هذا التقسيم الجديد كان فعلا محل صراع ورهان، فقد وصل مجموع مساحات المالكين الخواص (الحضريين وكبار الملاكين) 230000 هكتار، في حين لم يتجاوز توزيع الأراضي على صغار الملاكين والعمال الزراعيين في إطار الإصلاح الزراعي نسبة 10 ٪.

يشمل قطاع الإصلاح الزراعي مساحة إجمالية تقدر بـ 327000 هكتار موزعة على 23600 مستفيد، موطرين في 708 تعاونية. وهو يتكون أساسا من أملاك الدولة الخاصة والأحباس والجيش وكذا أراضي الجموع عند تغيير نظامها. وكان توزيعها يتم على شكل قطع أرضية قابلة للاستغلال ومؤطرة تقنيا وماليا من طرف الدولة، ويلتزم المستفيد باستغلال هذه القطع بشكل شخصي.

وبالإضافة إلى هذا القطاع، تجلّى تدخل الدولة على مستوى البنيات العقارية في "ضم الأراضي" أي تجميع الرقع الأرضية في استغلالية واحدة، وهي عملية تمت في المساحات السقوية والمناطق المعتبرة "بورية" ويقدر مجموع ما تم ضمه 641000 هكتار تقريبا سنة 1985.

ـ إصلاح نظام الإجارة في المساحات السقوية، حيث أصبح الكراء الطويل الأمد، وحده المسموح به، وذلك من أجل تحقيق استقرار أكبر للمكترين.

ـ تشجيع تمليك أراضي الجموع، وتحفيظ العقارات. غير أن هذا النوع من تدخل الدولة لم يشمل حتى نهاية سنة 1980 سوى 2223486 هـ بما فيها الملكية الحضرية.

ـ تفويت أراضي الحبس إلى الدولة.

لقد كانت هذه الإجراءات جزئية ومحصورة في المناطق السقوية، كما أنها لم تتعرض لمشكل توزيع الملكية العقارية وتصفية أنظمة الاستغلال وأشكاله التي كانت تحول دون استعمال أفضل للأرض.. ولربما كانت هذه الأنظمة تشكل احتياطا عقاريا قادرا على امتصاص التوترات الاجتماعية الخاصة بالمسألة العقارية.

ب ـ أراضي الجموع : إن موقف الدولة من هذا النظام غير محدد بما فيه الكفاية. فبينما تقر بعض الإدارات أن التصفية التامة لنظام هذه الأراضي سيساهم في عصرنة القطاع الفلاحي، تذهب أخرى إلى اعتبارها وسيلة من وسائل الحد من الهجرة القروية. ومهما يكن فإن هذه الأراضي تطرح أكثر من مشكل فيما يخص استغلالها العقلاني والزيادة في مردوديتها، وفي هذا الإطار نلاحظ :

ـ أن صغر القطع الأرضية الجماعية يحد من كل استعمال للآلات الفلاحية الكبرى ويحول أيضا دون اللجوء إلى عملية تعاقب المزروعات Rotation بل وحتى من الحصول على القروض الفلاحية.

ـ أن امتلاك عقد تسجيل عقاري أو رسم ملك أشهد عليه العدول هو الشرط في الحصول على قرض للأمد القصير أو المتوسط أو الطويل من طرف صندوق القرض الفلاحي.

ـ أن النمو الديمغرافي الذي عرفته البلاد منذ الاستقلال أدى إلى حرمان بعض العائلات الشابة من حقها في استغلال هذه الأراضي مما دفع بها إلى الهجرة، وبالتالي إلى حرمان الوسط القروي من ثرواته البشرية.

ـ لا يتمتع المستفيد، حتى في حالة اقتسام هذه الأراضي، إلا بحق الانتفاع دون الملكية، وهذا ما يحد من استثمار أفضل.. غير أن هناك بعض الأراضي، خاصة في الحوز والغرب، شبه مملّكة وتستغل بشكل مكثف، ولكن أغلبها يستعمل كمراع.

وتقدّر هذه الأراضي بعشرة ملايين هكتار أي ما يناهز 1/7 المساحة الصالحة للزراعة. ولكن هذه المساحة تتناقص يوما عن يوم بسبب تزايد مساحات الملك الخاص.

ج ـ أراضي الملك : تعتبر "ملكا" كل أرض محفظة أو معترف بها برسوم عدلية أو عن طريق الحيازة. وتقدر بـ 74،3 ٪ من المساحة الصالحة للزراعة، ويمكن أن تكون النسبة أكثر بسبب انتشار "الملك" على حساب الأشكال الأخرى كالجموع والجيش وأملاك الدولة.

يتخذ الملك أشكالا متعددة منها الشراء والهبة والإرث وقانون "السَبقة" (تصبح الأرض في ملكية شخص إن كان أول من استغلها ولمدة عشر سنوات بدون انقطاع) والتمليك من طريق العدن Eppierge أو الاجتثاث Defrichement.

د ـ أراضي الجيش : تقدر مساحة هذه الأراضي بـ 319200 هكتار حسب الإحصاء الفلاحي لسنة 1973 ـ 1974، وتعتبر من ضمن أملاك الدولة الخاصة وهي تعرف نفس ظروف عدم الاستقرار واستمرارية الاستغلال مثل أراضي الجموع (انعدام المعاملات العقارية).

هـ ـ أراضي الحبس : تقدر مساحة هذه الأراضي بـ 83700 هـ (إحصاء 1973) موزعة على الصعيد الوطني ومجزأة إلى حوالي 195609 بقعة. وتتكلف وزارة الأحباس والشؤون الإسلامية بتسييرها (كما كانت تفعل سابقا مع أحواز المدن) وبتقسيمها قطعا أرضية بالنسبة للمراكز الحضرية. ومن خصائص هذه الأراضي التغير المستمر لمكتريها مما يحول دون أي استثمار منتج. الملاحظ أن حبس

الأراضي أو وقفها أصبح نادرا في الوقت الراهن.

بنيات استغلال الأرض. إذا كانت الأنظمة أو القوانين العقارية محددة بعوامل اجتماعية وتاريخية وسياسية (الإسلام، الاستعمار، الاستقلال...) فإن طرق الاستغلال يحددها بالأساس حجم الوحدات الإنتاجية والعوامل الطبيعية (مناخ، تضاريس)

تُبيِّن المعطيات الإحصائية الرسمية أن :

- المساحات الصالحة للزراعة تقدر بـ 7.2 مليون هكتار أي ما يقارب 1 ٪ من المساحة الاجمالية للتراب الوطني.

- معدل مساحة "الاستغلالية" Exploitation يقدر بـ 4.9 هكتار موزعة على ست بقع Parcelle (تشير معطيات مخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية لسنة 1978 ـ 1980 إلى أن 8 ٪ فقط من المالكين يتوفرون على بقعة واحدة).

- حوالي 70 ٪ من الاستغلاليات لا تتجاوز مساحتها 5 هكتارات وتمثل 23.4 ٪ فقط من المساحة الصالحة للزراعة، بينما 4.4 ٪ من الاستغلاليات تشمل 32،2 ٪ من هذه المساحة.

توزيع عدد المستغلين والمساحات المزروعة (1981 ـ 1982 اعتماداً على وثائق مديرية الاستثمار الفلاحي).

أقل من 5 هكتار	963500	٪ 68.8	1861000	٪ 23.4
من 5 إلى أقل من 20	374600	٪ 26.8	3528000	٪ 14.4
من 20 إلى 50	48900	٪ 3.5	1349100	٪ 17
50 هكتار فما فوق	12400	٪ 0.9	1213800	٪ 15.2
المجموع	1399400	100	7951900	100

- إن نمط الاستغلال المباشر هو السائد، إذ يشمل 87.4 ٪ من المساحة الصالحة للزراعة، بينما نجد نمط الاستغلال غير المباشر متمركزا على الخصوص في ضواحي المراكز الحضرية. وهذا ما يؤدي إلى تنوع في عقود الشراكة (بيزرة، Métayage إكارة fermage، الخماسة...)

وتتنوع مساحات تملك الأراضي حسب إحصاء 85 / 1986 على الشكل التالي :

	المساحة بالألف هكتار	النسبة
الأراضي الصالحة للزراعة	7720	11.2
تشجير الخواص، الدولة، الجموع	345	0.5
غابة طبيعية	4750	6.9
نبات الحلفاء	2650	3،8
المراعي	20900	30.3
أراضي غير زراعية	32635	47.3

يُبين الجدول أعلاه أن الأرض الصالحة للزراعة لا تمثل سوى 11.2 ٪ من المساحة الإجمالية للبلاد، وهي تستغل أساسا في زراعة الحبوب والبقوليات (91 ٪) مع العلم بأن 50 ٪ من زراعة الحبوب تتم فيما يسمى بالمناطق البورية الصالحة bour favorable.

أما المساحات الغابوية فهي ضعيفة وذلك ناتج عن استغلالها المفرط (تموين المتروبول وخصوصا خلال الحرب العالمية الثانية، النمو الديمغرافي...).

لا يمكن للقطاع الغابوي أن يستمر محفوظا بدون تكثيف عمليات التشجير ومحاربة انجراف التربة (والملاحظ أن عملية التشجير عرفت نشاطا ملحوظا نسبيا من 1956 إلى 1980 وذلك بمعدل 17000 هكتار سنويا، ويأمل مخطط البرنامج الوطني للتشجير الوصول إلى معدل 25000 هكتار سنويا.

ومن جهة أخرى، شملت عملية المحافظة على التربة وتقويتها (D-R-S) خلال سنوات 1956 / 1981 ما قدره 227.173 هكتار موزعة كما يلي :

تهيئة الغابات ـ المراعي	28258
الدكات Banquette الغابوية	80891
دكات الشجر والحبوب	76891
تثبيت التلال الرملية	18902
أشغال مختلفة	22528

المصدر، *المياه والغابات*، 1981 ؛ *مديرية الاستثمار الفلاحي*، 1986، *الفلاحة في أرقام*، منشورات وزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي.

J. Berque, 1945, *La question agraire au Maroc, nouvelle politique rurale de la France au Maroc*, C.H.E.A.M, Paris ; A. Benabdellah, 1988, *Gestion de l'espace et systèmes de production chez les Aït Ougondid (haut Atlas Central)*, I.N.A.U, Rabat ; N. Bouderbala, 1977, *Formation du système foncier au Maroc in "La question agraire n° 2*, Bulletin économique et social du Maroc n° 133-134 ; T. El Khyari, 1987, *Agriculture au Maroc*, Ed. Okad, Rabat ; D. Guerraoui, 1985, *Agriculture et développement au Maroc*, Ed. Maghrebines, Casablanca, Publisud Paris ; Collectif, 1985, *Conditions socio-juridiques de l'utilisation des ressources naturelles et des terres cultivées* - U. E. 3. Projet FAO / P.N.U.D, Rabat ; G. Lazarev, 1968, *"Les concessions foncières au Maroc - Contribution à l'étude des domaines personnels dans les Campagnes marocaines"*, in B.E.S.M; G. Lazarev, 1977, *Aspects du capitalisme agraire au Maroc avant le Protectorat, in les Problèmes agraires au Maghreb*, Ed. du C.N.R.S ; Paris ; P. Pascon et M. Ennaji, 1986, *Les paysans sans terre au Maroc*, Ed. Toubkal, Rabat ; P. Pascon, 1977, *Le Haouz de Marrakech*, Tome 1.

عبد المجيد بنعبد الله / تر. عز الدين العلام

أرعاه مولاي محمد ← يرعاه

أرْغَنْ، ترد في الكتب العربية باسم هرغة وهو اسم مجموعة بشرية، تقع مساكنها اليوم جنوبي تَافينْكُولْتْ وشرقي تارودانت. وتجاورها المجموعات البشرية الآتية :إيداوْنيضيفْ و إيداوْزْدُوتْ جنوبا، وإيْنْدَاوْزَالْ شرقا، والمنابهَ شمالا، وإيْداوْفينّسْ غربا.

ويبدو أن موقعها المذكور هو نفس الموقع الذي كانت تحتله منذ القرن السادس الهجري (12 م) على الأقل. وكانت إيگلي المعروفة في الكتب التاريخية واقعة داخل ترابهم، وهي التي كانت تعرف ـ حسب عبد الواحد المراكشي مؤلف المعجب إيگلي ن ـ وَارْغَنْ.

اشتهر أرْغَنْ في التاريخ، لأن محمد بن تومرت، مؤسس الدولة الموحدية، كان منهم. ولأنهم كانوا أول من استجاب لدعوته وناصروه. وحينما استقر به تينملّ في وادي نفيس، استقرت معه فيها مجموعة منهم، واحتفظت

بنفس الاسم. وتعرف برْغْنْ أو هرغة نفيس، تمييزا لها عن هرغة سوس.

وقد كان مقامهم في الترتيب الموحدي مقاما رفيعا، خصوصا بعد أن قوي الإمام المهدي بن تومرت صفوفهم، بمن أضاف إليهم من "قبائل" - كان ينتمي جلها إلى إيمي نْ - واسيفْ أو سوس الأعلى حيث يوجد "أرْغْنْ" كذلك - وبمن آخى معهم من شخصيات موحدية بارزة كالخليفة عبد المومن بن علي وغيره.

وتجدر الإشارة إلى أن محمد المختار السوسي ذكر في الجزء الرابع من *خلال جزولة*، أن عائلات من أرْغْنْ سوس، ما زالت تحتفظ بذكرى انتمائها النسبي إلى الإمام المهدي بن تومرت.

واذا كانت هرغة سوس قد خبا ذكرهم، بعد سقوط الدولة الموحدية - وربما قبل ذلك، فإن "أرغْنْ" نفيس برزوا في القرن الثامن عشر الميلادي - حسب كتاب *رحلة الوافد* - برئاسة، شيخهم يحيى بن عبد الكريم الهرغي صديق شيخ زاوية تاسفت، بروزا ليلعبوا دورا هاما في الأحداث التي وقعت بين سكان المنطقة وباشا مراكش من قبل المولى إسماعيل، عبد الكريم بن منصور التكني.

البيذق، *كتاب أخبار المهدي*، ص. 37 ومابعدها ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، 262 ؛ ابن خلدون، *تاريخ البربر* (ترجمة دوسلان، 2 : 258 ومابعدها) ؛ عبد الله بن إبراهيم، *رحلة الوافد*، 18، 21، 58؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 2 : 83 ومابعدها ؛ ع. بنمنصور، *قبائل المغرب*، 1 : 326 ؛ م. السوسي، *خلال جزولة*، 4 : 163 وما بعدها.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, 30, 63, 201.

صدقي علي أزايكو

الأرْغي، عمر بن عبد العزيز بن عبد المنعم الگرسيفي أصلاً، الأرغي استيطانا وإقبارا، العثماني نسبا، زينة عصره وفريد دهره.

كان من المشاركين المحققين في فنون العلوم فقها ونحوا ولغة وبلاغة وتفسيرا وحديثا ومنطقا وتصريفا، حيسوباً فرضيا أديبا بليغا بارعا شاعرا مفلقا مفوها له قصائد ومقطعات وفتاوى وأجوبة. وفي *سوس العالمة* (ص 195 - 196) ، لائحة بأسماء مؤلفاته.

ومن مساجلته قرينه الأديب محمد بن عمر الإسغركسي قوله : وقد حضرت أبيات ظالعة المشية، فارعها بارك الله فيك النهية، واستر إن بدا لك نقد ، ففي الفكر من الشيب، ومن همٍّ هذا الزمان الصعب وقد نصها :

نفثت بأذنى السحر أو شعرك الصرفا ... ولفظك هذا أم مكالمة الذلفا
لقد أخذت منى قوافيك مأخذا ... عظيما كأني قد سُقيت بها صرفا

أخذ عن العالم الصالح المحدث محمد بن أحمد الحضيكي صاحب الطبقات المتوفي عام 119 / 1775. وهو من أجلّ من تخرج بالشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي المتوفي عام 1175 / 1761 ومن أعظمهم قدراً، وأشهرهم ذكرا. فقد ذكر في بعض تآليفه أنه لازمه في زاويته مدة وطويلة، وأنه كان يخصه من بين طلبته بأشياء - لم يشر حتى لنوعها - وقد أمضى عمره بمدرسة إرْغ بلده في التدريس والتأليف والإفتاء به العامة والخاصة من الطلبة لاسيما في الحساب والفرائض، وقصده للأخذ عنه الجمُّ الغفير من آفاق سوس وغيره، وتخرج على يديه أفواج كثيرةمن جلة العلماء .

وكثيراً ماكان يوصى طلبة مجلسه على وجه النصيحة بالإعراض عن خطة القضاء وينشدهم الأبيات الآتية ويحضهم على حفظها وعلى استحضارها عند الاقتضاء وهي :

ألا فاعتبر يوم القضاء وفصله ... إذا حشر اللهُ الخلائقَ أفذاذا
فدع خطة القضاء ويحك لا تروم ... ولو كنتَ قد ولّيتَ مصراً وبغدادا
إذا قيل مَنْ هُو أحمقُ الناس كلّهم ... أشرتُ إلى القاضي وقلتُ لهم هذا

ولم يزل مشمرا عن ساق الجد والاجتهاد في نفع العباد إلى أن ختمت أنفاسه الطاهرة بالطاعون الواقع عام 1204 / 1800. وقد بنيت عليه وعلى ذويه قبة في إرْغ من قبيلة إداوكنصيف تقام حولها حفلة سنوية تخليداً لتلك الأعمال الجليلة التي كان يقوم بها هذا العلامة الصالح.

م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 195 ؛ *المعسول*.

رشيد المصلوت

أرْغي، محمد بن الجيلالي. ولد سنة 1922 بتامجولت بلحقة أجدير دائرة أكنول، عمالة تازا.

انخرط في جيش التحرير حيث ألحق بفرقة بوسكورة سنة 1955. فانتظم داخل الوحدة التي كانت تحت قيادة السيد عمر الحريزي، ومن هذه الجبال كان يقوم بجانب رفاقه الثوار بهجومات منسقة ضد مراكز العدو ودورياته المتنقلة ما بين تبزي وسلي وبورد، أو بتعبير آخر منطقة مثلث الموت الذي كان يثير الهلع في صفوف القوة الاستعمارية. وخلال هذه الهجومات والاشتباكات كان الشهيد يتعرض لعدة جروح بالغة بجسمه بسبب نيران العدو أو إصابته بشظايا القنابل، فتوفي متأثراً بجروحه وذلك في أوائل سنة 1956.

وثائق الندوبية السامية لقدماء المقاومة وجيش التحرير.

عز الدين العلام

أرفالة، وهرفالة (إرْفالنْ؟)، فخذة من قبيلة هنتيفة الدير، تتكون من عناصر صنهاجية انضوت قديما تحت لواء اتحادية هسكورة، تقع مواطنها جنوبي مركز أولاد عَيّاد، على بعد حوالي 46 كلم غربي بني ملال. (*الدرة الجليلة*، 1: 42، هامش 142). وقد اشتهرت أرفالة في المنطقة، خلال القرن 12 / 18، بسبب إقامة أحد تلامذة الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي وهو المدعو أحمد بن الحسين الهرفالي بها، والذي قدمه الشيخ المذكور لتقلين الأوراد الناصرية بأيت وازْرت، إحدى فرق أرفالة (*الدرة الجليلة*، 2 : 344).

م. الخليفتي، *الدرة الجليلة : تحريات ميدانية*.

أحمد عمالك

أرفود، واحة كبيرة من واحات إقليم الرشيدية (تافيلالت). وأرفود اسم لجبل صغير أطلق في بداية عهد

الاستعمار على الواحة التي لم تكن تعرف قبلاً إلاّ باسم تِيزِمِي.

تنبسط واحة أرفود شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، وتحيط بها من الشرق والغرب كثبان رملية كثيرة يقصدها السواح الأجانب للاستشفاء من أمراض المفاصل : رمال مرزوقة شرقا على بعد 15 كلم، ورمال إرْدِي غربا على 8 كلم. جوّها صحراوي شديد الحرارة صيفا شديد البرودة شتاء.

تتصل الواحة من شرقها الغربي بواحة الجرف المشهورة بمياهها العذبة وبحقولها الخضراء، وعلى جنوبها واحة تافيلالت. أما شمالها ففيه واحة الرتب. تكثر أنواع النخيل وبعض الفواكه بواحة أرفود، ويتميز ماؤها بدرجة من الملوحة مما يجعله غير مستساغ للشرب، وبشمالها الشرقي تفجرت أخيرا "عين الله".

تشتمل أرفود على عدة قصور، أشهرها قصر المعاضيد والهْبِيبَات والشياحنة. يتكلم سكانها باللسان العربي ويرجعون في أنسابهم إلى عرب الصباح، ويوجد منهم الصنف المدعو بالحراطين وهو قليل. ويتميزون على العموم بالذكاء والفطنة والفطرة السليمة والجدية، والاستقامة والسلوك الطيب. ويعتمدون في كسب عيشهم على الفلاحة، والتجارة، وبعضهم يضطر إلى الهجرة خارج المغرب وداخله.

ص. بلعربي، *المغرب : استطلاع ميداني*.

محمد العلوي الأوفوسي

أرگاز، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث توجد أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Orgaz نسبة لمدينة تقع بناحية طليطلة، ويبدو أن هذه الأسرة عندما جاءت من الأندلس استقرت أول مرة بقبيلة الحوز المجاورة لتطوان قبل أن تنتقل إلى هذه المدينة، والفرد الوحيد الذي حفظ لنا التاريخ اسمه هو الفقيه محمد بن محمد أرگاز الذي كان يزاول خطة العدالة سنة 1204 / 1790.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط خاص ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 23 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan 1921* ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929, (A) ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)*, (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español 1949* (A).

محمد ابن عزوز حكيم

أرگانْ ، ـ نبات ـ اللوز البربري، نوع نباتي هو أرگانيا سْبِينُوزَا Argania Spinosa. وأرگان ينتمي إلى فصيلة السبوتيات Sapotaceae التي تنتشر أجناسها بالمناطق المدارية. لكن أرگان، هذا النوع المحلي الأصيل يميز في الواقع دون غيرها المنطقة الوسطى من الساحل الاطلسي المغربي. وكان ابن البَيْطار قد أشار إلى وجود هذه الشجرة بالمغرب الاقصى، حيث سماها باللوز البربري، وذلك في القرن السابع الهجري (13 م).

الصفات النباتية : أرگان شجرة ذات تاج كبير ومستدير، لكن جدعها قصير وغير مستقيم، ومكسو بقشرة مشققة تشبه جلد التمساح. فروعه كثيفة وذات أشواك متعددة وصلبة. أوراقه ملعقية الشكل وشبه نفضية، إذ أنها تتساقط بعد مدة طويلة من الجفاف. أزهاره صغيرة وذات لون أبيض وتظهر في فصل الربيع لتعطي ثمرات عنبية، وحجمها أكبر بقليل من ثمرة الزيتون.

التوزيع البيوجغرافي : يغطي أرگان حاليا حوالي 700.000 هكتار موزعة ما بين الصويرة وإفْني، على سهول عبدة والشياظمة وحاحا وسوس وماسة وسفوح الأطلس الكبير والاطلس الصغير الغربيين. وبعيدا عن هذه المنطقة تصادف محطتان لأرگان لا تتعدى مساحتهما بعض الهكتارات ؛ الأولى بوادي گرو شرقي الرُّمّاني، والثانية ببوغريبة غربي بركان. والجدير بالذكر هنا هو أن تشكيلات أرگان كانت تغطي إبان الزمنين الثلاثي والرباعي مساحات شاسعة. والسبب في تقلصها هو كثرة أمطار الرباعي من جهة، وتأثير عوامل التدهور من جهة أخرى.

تظهر تشكيلات أرگان ابتداء من مستوى سطح البحر إلى حدود 600 متر من الارتفاع. ويمكن أن تصادف حتى إلى حدود 1.300 متر من الارتفاع على الواجهة الجنوبية لجبال الأطلس الكبير والأطلس الصغير. وهذا يجعلها تعيش في الطابقين ما تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ.

أما من حيث البيومناخ فإن أرگان يقطن بالمناطق الجافة وشبه الجافة واستثنائيا الجافة جدا. وفي هذه الحالة الأخيرة فهو لا يخرج عن مجاري الوديان الموسمية. ويجب أن تكون هذه المناطق البيومناخية حارة في أغلب الاحيان أو معتدلة.

تتكيف تشكيلات أرگان مع جميع أنواع الصخور والأتربة باستثناء الرملية منها وهي غير مستقرة. وأهم الأنواع المصادقة هي التربة الكستنائية والتربة الرمادية السهبية.

ونظرا لكون أركان يمتد على مساحات شاسعة فإن هذه الشجرة تنظم عشائر نباتية متعددة تختلف حسب الظروف البيئية لكل منطقة من المغرب. فعلى الساحل نجد تشكيلات أرگان محتوية على عدة أنواع مكارونيزية مثل الدغموس اليوفربيوم الصباري. وفي منطقة الحوز يترك أركان المجال للسنط المغربي. وفي اتجاه المناطق الأكثر رطوبة نسبيا يظهر العرعار البربري.

الاستعمالات : يلعب أركان دورا مهما جدا في الميدان الاجتماعي والاقتصادي للناحية التي يوجد بها. فخشبه وإن كان صلبا فإنه يستعمل في النجارة، وفي التدفئة، ويعطي فحما ممتازا. أما أوراقه التي تكون مرعى معلقا فهي تعتبر المصدر الوحيد لتغذية الماعز في الفصول الجافة. وحتى ثماره تدخل في تغذية الماشية كعلف رفيع لكن البذور الملقاة أو الملتقطة تعطي زيتا يستعمله الإنسان في مأكولاته.

وبالإضافة إلى كل هذه الخدمات فإن المُشَرِّع أباح للقبائل التصرف في تشكيلات أركان المجاورة، والحرث فيها لزراعة الحبوب بشرط أن تكون الأرض منبسطة.

L. Emberger, *Les Arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938 ; A. Benabid, *Les Ecosystèmes forestiers, préforestiers et presteppiques du Maroc*, Forêt méditerrannéene, t. VII, 1, 1985 : 53-64.

عبد المالك بنعبيد

أركان، ـ زيت ـ، بعد الإعلان عن موسم جني ثمار الأركان المدعوّة تافْياشْتْ يهرع الأهالي في البوادي الجنوبية (منطقة حاحا) إلى جمع الثّمار. ويتم توزيعها بالقسط حسب الأعراف المتبعة في هذا الشأن. تُجمع الثمار الطازجة والخضراء التي لم يكتمل نضجها بعد، وتعرضُ في الشمس لتجفّ. وبعد ذلك تفصل النساء القشور الخارجية المدعوة "آليگ" عن الثمرة، وتقدم هذه القشور طعاما للبقر والغنم والإبل. في حين تشقُّ الثمار أو الحبّات المدعوة "أقيْنْ" لاستخراج النّوى البيضاء الموجودة بداخلها.

وتتم عملية الشق على أحجار يكون الواحد منها على شكل سندان صغير الحجم يدعى بـ "أسُرْكْ"، تضعه المرأة أمامها، وهي جالسة، فتضع حبّة الأركان على سندانها الحجري فتشقها بحجرة أخرى صغيرة تملأ قبضة يدها، وتدعى هذه الحجرة ب "تاوْنْتْ" وتُسفر عملية الشق عن استخراج نوى بيضاء هي لبّ الثمرة. وتدعى هذه النوى بـ "تزْنِينْ". وتعزل هذه الأخيرة عن القشور المدعوّة بـ "إركْن" الصالحة لإشعال نار الأتافي في المطبخ.

وتؤخذ هذه النوى البيضاء أو تزنينْ. فتجمعُ في آنية نظيفة، توضع بعدها في إناء فخاري يدعى "بتافْلّونتْ" للقلي. وأثناء تحركُ النوى بعظم كتف الخروف عادة وهذا التحريك ضروري لكي لا تلتصق النوى بقعر الإناء فتحترق المادّة الزيتية التي تنطوي عليها كل نواة.

بعد عملية القلي تُجمع النوى وتضعُ في طبق خاص من الأسل يدعى بـ "إسْگي" وتتم غربلتها لفصل النوى عن قشورها الرقيقة وشغافها المحترق. وأثناء الغربلة، تتطاير تلك القشور والشغاف في إيقاع رتيب حسب تحريك المغربلة للطبق من أسفل إلى أعلى ومن أعلى إلى أسفل في حركة دائبة. وهي في حركتها تلك لاتني تُصفر، دافعة القشور المتطايرة في الهواء، بعيدا عن الطبق حتى لاتقع فيه ثانية. وتدعى الغربلة بهذه الصورة بـ "أزواي" لدى أهالي المنطقة.

بعد عملية الغربلة تؤخَذ النوى إلى الرّحى المدعوة ب "أزرك" وتهيء الطاحنة رحاها حتى إذ تأكد ت من سلامة الرحى من أي عيب "كالصدوم والانشقاقات والخدوش والأخاديد التي قد لا تساعد في طحن النوى طحنا تامّا ؛ يتم التأكد من سلامة العمود الخشبي الغليظ والقصير المثبت عادة في الشق الأعلى من الرحى في جانب من جوانبها. ويراعى في هذا العمود الخشبي الذي يدعى يد الرحى أو أفوس "أوزرك" أن يكون ثابتا في مكانه صالحا للإمساك به. وتضع الطاحنة سورا قصيرا من عجين الدقيق والماء على حافة الحجرة السفلى من الرّحى تحسُّباً لأي فيضان للعصير الذي ستسفر عنه عملية الطحن بما بعد.

ويوضع إناء في أسفل الرحى عند مجراها، لكي يستقبل العصير المطحون.

وبعد هذه العمليات الأولية الضرورية تبدأ الجالسة إلى الرحى عملية الطحن في ظروف عادية، فتحمل حفنة من النوى المقلية من طبق الأسل وتضعها في فوهة الجزء الأعلى من الرحى، وتحرك يدها في حركة دائرية، فتحدث الرحى صوتا خشناً ناجما عن أصطكاك أحد الشقين بالآخَر. وتوضع حفنة أخرى من النوى المقلية في فوهة الرحى، ثم توضع حفنة ثالثة فرابعة إلى أن ينساب سائل بنّي اللون من مجرى الرحى نحو الإناء الموضوع أسفلها. وهذا السائل يكون ثقيلا ويستمرُّ سقوطه في الإناء إلى نهاية عملية الطحن.

وبعد الطحن تبدأ عملية العصر إذ تأخذ العاصرة هذا السائل الثقيل، فتمزجه بالماء النقي، وتخلطه وتحركه بقوة في الإناء. ويستمر العجن إلى أن يطفو الزيت على الماء في الإناء، ويواكب ذلك هبوط كُتل العجين إلى قعر الإناء. وتؤخذ هذه الكتل من العجين إلى قعر الإناء. وتؤخذ هذه الكتل وتضغطها العاصرة بين قعر الإناء. وتؤخذ هذه الكتل العجينية صافي في اللون. وبعد استخلاص الزيت من ذلك العجين تضع العاصرة هذا الأخير على شكل كرات مفلطحة في إناء آخر، قصد تقديمها للإبل والبقر طعاما مامستساغا يدعى بتازگمّوتْ وتستمد عملية العصر بهذه الصورة إلى أن يفصل الزيت البني ذو الرائحة الزكية، عن كتل العجين البنية الفاقعة.

يوضع زيت الأركان المصفّى في قدور فخّارية تُدعى"بتگْدارْ". وقد يوضع في القنينات أيضا كما هو الشأن لدَى البعض في الوقت الحالي. بيد أن الحفاظ على هذا الزيت في القدور الفخارية يمنحُه من الطّعم والعتاقة ما لا تمنعه له القارورات المطاطية والزجاجية.

وتختتم عملية تهيئ زيت الأركان، باحتفال صغير يتمثل في تحلُّق أهل البيت حول العاصرة، ولاسيما الأطفال والعجائز والنساء عموما وبعض الرجال الحاضرين فتوزع على الحاضرين كريات صغيرة من عجين زيت الأركان بطحين الشعير البذق الباكر المقلي المدعو بـ "أزنْبو" ويدعى ذلك الخليط المقدم ، بـ "لْفسيس" وبعد هذا الاحتفال الصغير تنتهي مراسيم عملية تهيء زيت الأركان في المناطق الحاحية، في جو الحبور وتبادل لأحاديث عن جودة الزيت المهيأ.

ولزيت الأركان استعمالات شتى في الحياة اليومية، لأهالي المنطقة الحاحية، فهو غذاء أساسي في طعام الإفطار ويدخل في تهيء طاجين الغذاء ويدهن به كسكس المساء كما تدهن به فتائل قناديل الإنارة، وتدهن به بعض الأخشاب والحطب لتسهيل عملية اشتعال النار في الأتافي، ويدخل في كثير من عادات المنطقة الحاحية، فهو

دهن للشعر عند الغيد، وهو رمز الخير الذي تحمله العروس إلى بيت زوجها.

مؤلف مجهول، *الاستبصار*، ص222 ؛ م. الزهري، كتاب *الجغرافيا* تح. الحاج صادق ضمن مجلة Bulletin des Etudes Orientales, t. 21, p. 189, Ed. 1968 Encyclopédie de l'Islam, (Nouvelle Edition), *Argan* ; Brunot, *Textes arabes de Rabat* II *Glossaire*, Paris 1952, 6-7. Monteil, *Contribution à l'Etude de la flore du Sahara occidental*, II Paris, 1953, n° 409 (avec une bibl.) ; A. Roux. *La vie berbère par les textes*. I Paris, 1955, p. 34-36.

المعاينة المباشرة هي معتمدنا الأساسي.

سعيد أديوان

أركانة، مكان يشكّل نقطة مهمة تاريخيا في الأطلس الكبير الغربي عبر الطريق الرئيسية التي تربط سوس بالحوزعبر إيمي نْتانوت، فقد ظلت دوما محلا لنزول القوافل على واد إيسن، فعرفت بنزالة الوادي. وتلتقى عندها طريقان تتجه إحداهما نحو تَمْزاوْرت قماسة التي ورد ذكرها عند البكري في القرن الخامس الهجري، والأخرى عبر بيباول نحو تارودانت.

إذن دور أركانة كملتقى طريقي سوس جعل منها مركزا تحافظ السلطات المركزية والإقليمية على تأمينه، وكان المولى الحسن قد نزل بنزالة الوادي ـ أركانة ـ لما كانت حركته إلى سوس سنة 1280 ـ 1863. وقد ظل المتُّوگيُّون يعنون بنزالة أركانة التي يتقاضون عندها الرسوم من اَلمارة، وهي المكان الذي استقبل فيه خليفة المتُّوگي، السيد العربي، أحمد الهيبة لما كان في حركته إلى مراكش سنة 1912. وقد تمكن المتُّوگي من استعادة نفوذه على أركانة منذ 1913 بمساعدة القوات الفرنسية إلى أن قررت السلطات الاستعمارية إقامة مركز إداري بالمنطقة فبدأت بإقامة مركز پيگودين جنوب أركانة في يوليوز 1928 لكن اختارت أخيراً أركانة، وأقامت فيها المركز الإداري ابتداء من شتنبر 1929، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت أركانة مركزاً إداريا يضمّ مصالح مختلفة.

وأركانة هي القيادة الحالية لثلاث قبائل من الأطلس الكبير الغربي وهي إداوُزيكي، وإداوزّال، وإدا ومحمود.

J. Fuchs, *Evolution d'un grand commandement marocain, Le Caïd Mtouggi*, Bibliothèque du C.H.E.A.M.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 20 ؛ *تحريات ميدانية*.

محمد الزرهوني

أُرْكَة، جنس حيوان لبون من الحوتيات يمتاز بجسم ضخم. يعيش في أعالي البحار ويعد من أخطر الحيوانات البحرية. يتميز هذا الجنس عن باقي الحوتيات التي تضم الدلافين والتّخس والبال والهركول، بالزعنفة الظهرية والمتك الذي يحمل من 11 إلى 12 زوجة أسنان صغيرة وقوية تربطها عروق متينة .

من بين الأنواع التي توجد في البحارالمجاورة للمغرب نذكر الأركة Porcinus orca وشبه الأركة Pseudorca cras- sidens ويعرف كل منهما في المغرب باسم الأركة وهو مأخوذ من اسمها العلمي.

يمتاز نوع Porcinus orca برأس صغير وبزعنفة صدرية مسطحة وطويلة. الزعنفة الظهرية سوداء وتبلغ من العلو 1.80 مترا. الظهر أسود لامع، البطن أبيض ويمتد هذا اللون على الجوانب الخلفية كما يظهر ذلك على الرسم. توجد بقعة بيضاء وراء كل عين وكذلك خلف الزعنفة الظهرية. يتعدى طول الذكور أحيانا 9 أمتار بينما تبقى 6 أمتار هي الطول الأقصى للإناث. يتراوح الوزن مابين 900 و400 كلغ.

يسبح عادة غير بعيد عن سطح البحر وذلك بسرعة تتراوح ما بين 10.20 كلم في الساعة وتبلغ هذه السرعة عند الهجوم أو الإزعاج 64 كلم في الساعة وذلك في مسافات قصيرة. يعيش هذا الحيوان وسط مجموعات تتكون من خمسة الى عشرين فردا وأكثر. يتناجى أعضاء المجموعة بواسطة أصوات فوقية وصيحات حادة تفزع باقي الحيوانات المجاورة التي تولي مدبرة وتجتنب كل لقاء بهذا الحيوان الشرس الذي لا يقدر على مواجهته أحد. تهجم المجموعة أحيانا على البال فتقتلها (Dekeyser, 1955).

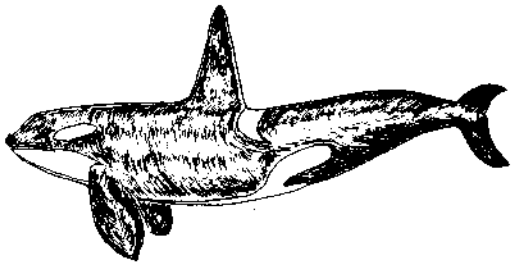

أركة

يتكون قوت هذا الحيوان اللاحم من الأسماك والفقم والرخويات وصغارالدلافين وأحيانا الطيور كالبطريق . يأكل في كل يوم من 50 كلغ من الأسماك. وجدت في بطن ذكر، في البحر الشمالي، 32 فُقمة ويبلغ من الطول 8 أمتار .

تدوم مدة الحمل مايقرب من 12 شهرا تضع الأنثى خلاله صغيرا واحدا يتراوح طوله ما بين 2 و2.5 أمتار . يبلغ سن الرشد بعد 3 سنوات ويعمر 20 سنة .

شوهد هذا النوع عدة مرات على السواحل الأطلسية المغربية وخاصة منها بين مضيق جبل طارق وطنجة وفي أعالي البحار بين الرباط والدار البيضاء ونواحي أگادير ولگويرة . لحد الآن لم يذكر هذا النوع على سواحل البحر المتوسط المغربية. يمتاز نوع Pseudorca crassidens بزعنفة صدرية مستدقة الرأس وزعنفة ظهرية صغيرة. يحمل كل فك من 8 إلى 11 زوج أسنان دائرية الشكل. الجسم أسود اللون والطول أقل من طول الأركة السابقة الذكر : 6 أمتار هو الطول الأقصى للذكر و5 أمتار للأنثى. الوزن الأقصى هو 1500 كلغ.

يعيش في جميع البحار إلاأنه يخشى المياه الباردة القطبية ـ إنه كباقي الدلافين يتنقل وسط مجموعات عديدة الأفراد. يأكل الأسماك الصغيرة والكبيرة وخاصة منها جنس النون .

يشتهر هذا النوع بكثرة جُنوحه على الشواطىء ويبقى هذا السر غامضا عند العلماء الذين ما زالوا لم يجدوا له تفسيرا. تضع الأنثى صغيرا واحدا يبلغ من الطول مابين 1.70 م ومترين، يصل سن الرشد بعد بلوغه 3.30 م من الطول.

شوهدت مجموعة تتكون من 5 أفراد بين طنجة والجديدة سنة 1978، وقد أخذت لها صور تذكارية وذلك لأنها ذكرت لأول مرة على السواحل الأطلسية المغربية.

A. Sayed et C. Beaubun, 1987, *Les Mammifères marins du Maroc, Inventaire préliminaire*, Mammalia, SI (3) : 437-446 ; M. Burton, 1976, *Tous les mammifères d'Europe*, Ed.Elsevier, Paris ; J. Cadenat, 1949, *Notes sur les cetacés observés sur les côtes du Sénégal de 1941 à 1948*, B.I.F.A.N, XI (1-2) : A. Cabrera, 1925, *Los grandes cetaceos del estrecho de Gibraltar, supesca y exploitacion*, Trab. del museo Sciencias natureles, Serie Zoologica, 52. P.L Dekeyser, 1955, *Les Mammifères de l'Afrique Noire Française*, I.F.A.N. (I), 2e ed. Dakar.

محمد رمضاني

أركْسيسْ، مكان يقع على ساحل المحيط الأطلسي، جنوب سيدي إفني على الحدود بين قبيلتي مستي وصبويا الباعمرانيتين.

ارتبطت شهرة هذا المكان بالتنافس الأوروبي على احتلال المغرب أثناء النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ففي سنة 1880 / 1881 نزل بالمكان التاجر الانجليزي كرتيس Curtis ممثل "شركة أفريقيا وسوس"، مستنداً إلى موافقة بعض أعيان قبيلة صبويا.

استفاد كرتيس من توالي خمس سنوات عجاف، فأقبل على تصريف الأرز في قبائل أيت باعمران انطلاقا من أركسيس. وقد كان شروعه يتمثل في التمهيد لإبرام اتفاقية تجارية مع أعيان المنطقة تخول له حق تأسيس مركزتجاري يتولى حماية الأمن به جماعة من الوجهاء.

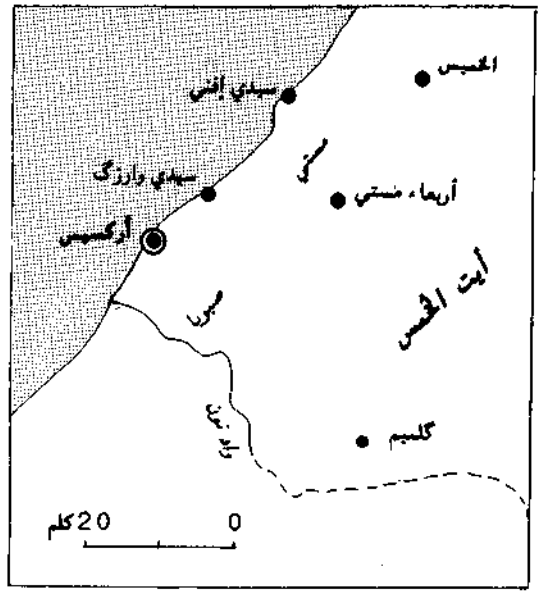

أركسيس

مارست الحكومة الإسبانية ضغوطا متوالية عى السلطة المركزية المغربية، مستندة إلى ما كانت تخوله لها معاهدة 1860 من امتيازات بسانتاكروز، التي ظل الخلاف قائما حول موقعها على القسم الجنوبي من الساحل الأطلسي. اختار ممثلو المخزن أركسيس ليكون مرسى مفتوحا للتبادل مع الأجانب تحت مراقبة المخزن، إذا لم يكن هناك بد من الاستجابة لرغبة الدول الأوروبية من جهة، وأعيان أيت باعمران وتكنة من جهة ثانية. غير أن الأهمية التي حظي بها أركسيس لم تلبث أن اختفت نتيجة التطورات التي عرفتها المسألة المغربية والتوسع الأوروبي في أفريقيا السوداء.

ع. ابن زيدان، *الاتحاف*، ج 2.

E. Gerenton, *Les Expéditions de My El Hassan dans le Sous*, in Renseignements Coloniaux, nº 9, 1924.

علي المحمدي

إرگان، ومنهم من يكتبها بجيم أو بقاف معقودة (*الإتحاف*، 1 : 233 / 5 : 277) ؛ وهي لفظة بربرية، معناها البخار، بصيغة الجمع المتصاعد من الأرض أو من الإناء (*التشوف*، 213، هامش 472). كما تطلق أحيانا على المنخفض من الأرض، في المناطق الجبلية. وإرگان مقر سكنى ومدفن الصالح المشهور ، أبي يعزي يلنور بن ميمون الهزميزي (*التشوف*، 213 ـ 222 ؛ *الجذوة*، 2 : 584). لذلك ارتبط ذكره بأبي يعزى. يقع غربي مدينة خنيفرة، ويعرف الآن بمولاي بوعزة. يذكر ابن زيدان أن سيدي عبد الرحمان المجذوب، لما رحل من تيط ؛ استقر بنواحي مكناس، "ونزل بموضع يقال له إرگان" (*الاتحاف*، 5 : 277).

ي. التادلي، *التشوف* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة* ؛ ع. ابن زيدان، *الاتحاف*، ج. 1 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج.1.

أحمد عمالك

أرگو، اسم أمازيغي مشتق من إرُوگانْ، وهو البخار المتصاعد من الأرض أو الإناء. ويطلق على المنخفض من الأرض أو من الإناء. ويطلق على المنخفض من الأرض في المناطق الجبلية.

وأرگو مدشر يقع شرقي مدينة خنيفرة، على بعد حوالي عشرين كلم. وبما أن الاسم يحمل مضمونا طبيعيا، فإن إطلاقه قد جرى على أكثر من موقع. ومن ثمه عرفت في نفس المنطقة ثلاثة مواقع تحمل نفس الاسم : (أرگو أيت إحانْدْ، أرگو اشْبُوكَة، بالإضافة إلى أرگو الذي نحن بصدد التعريف به. وهذا الأخير هو أشهرها. تشير رسالة بعث بها الشيخ محمد ابن ناصر المتوفي سنة 1085 / 1674 إلى فقراء أرگو، إلى وجود علاقة وثيقة بين الناصريين وبين أتباعهم، من سكان هذا المدشر، خاصة وأن الشيخ كان قد استناب ـ هناك ـ مقدما، لإعطاء العهد وتلقين الورد. (*رسائل ابن ناصر*). ولعل نسبة سكانه إلى التصوف قد أسهمت مبكرا، في تكاثر عمرانه ؛ كانت من بين الشروط التي جعلته من بين أقدم مراكز الاستقرار في منطقة سادتها حياة التنقل والنجعة. وفيما أورد أبو القاسم الزياني، بصدد

الحديث عن كيفية انتقال جده الشيخ علي بن ابراهيم من أركو إلى مكناس، حوالي 1099 / 1687 ما يدل على أنه كان من بين مراكز الاستقرار اللافتة للانتباه (*الاستقصا*، 1 : 70) لما نزل السلطان مولاي إسماعيل بأدخسان قصد مدشر أركو، وهناك اجتمع به شرفاء هذا المدشر (*البستان*، 36). وبه قرأ الشيخ الحسن اليوسي الروايات السبع على جد الزياني (*الترجمانة*، 58) . وبه أيضا توفي أحد الناصريين وهو محمد بن موسى ابن ناصر سنة 1138 / 1726 (*الدرة الجليلة*، 1 : 162). وهذا دليل على أنه بمثابة نزل للناصريين، نتيجة وجود فرع تابع لزاوية تامگروت هنالك. بالإضافة إلى أن بالقرب منه يوجد المجاز الوحيد على نهر أم الربيع ، في تلك الطريق التي كانت مطروقة كثيرا من طرف الناصرين (*تاريخ خنيفرة*، 21).

إذن ترجع أهمية أركو إلى كونه مركزا صوفيا، وإلى استقرار بعض الشرفاء به. الأمر يفضي إلى الاعتقاد بأن العنصرين قد عملا، كل على حدة أو مجتمعين، على الاسهام في استتباب الأمن، وتربية المجتمع، وبالتالي تهييئ ظروف الاستقرار ويعرف أحمد بلقاسم الزياني أركو قائلا : "بعد الجبال الخمسة المحيطة بخنيفرة ... جبل يدعى قبلة من خنيفرة ... كله عيون متدفقة تنبعث من خلاله في عذوبة وبرودة ... وبه مدشر يسكنه شرفاء علويون ... ويتكون من هذه العيون جعفر صغير ... (تاريخ، 19 ـ 20) يبدو من خلال هذا النص أن أركو قد عرف حياة مزدهرة بسبب وجود المياه بكثرة، مما يتناسب مع مصدر البخار المستديم الذي يعرفه ذلك المنخفض، والناتج عن كثرة الرطوبة بالمنطقة.

محمد ابن ناصر، *الرسائل* ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ أ. الزياني، *البستان* ؛ *الترجمانة الكبرى* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 ؛ أ. بلقاسم الزياني، *تاريخ بلدة خنيفرة*.

أحمد عمالك

إركْلاوْن، اسم تحمله قبيلتان أمازيغيتان من مجموعة أيت مگليد، تستوطن الأولى منطقة تمتد من ملوية العليا وعلى طول الواجهة الجنوبية من الأطلس المتوسط، وتقطن الثانية بالمناطق الممتدة من الجهة الشمالية لهذا الأخير إلى نهاية سهل أزرو المعروف بتيگريگرا.

يتبين من الدراسات القليلة التي اهتمت بهذه المجموعات أن أول ذكر لها جاء في رسالة محمد بن عبد الجبار العياشي الذي ذكر وجودها ببلاد ملوية وذلك عند كلامه عن آثار الجفاف العنيف الذي ظهر بالمغرب سنة 1661 ميلادية. وبعد ذلك ببضع سنوات نجد بعضها بالواجهة الشمالية للأطلس المتوسط حيث أخذوا مكان بني عمومتهم قبائل إگرْوَان بعد أن أخرجوهم من هذه المناطق وأنزلوهم نحو سهل سايس الغربي (منطقة مكناس). ويؤكد الأستاذ العربي مزين أن إركلاون لم يكونوا في البداية سوى قبيلة واحدة قبل أن يتم انتقال نصفها في اتجاه المناطق الغربية السالفة.

وتنقسم إركلاون الشمالية هذه إلى ثمانية فروع هي : أيْتْ فاسْكا، وأيت عَرْفَا تيگريگرا، وأيت بن الصْميم، وأيت إحْيا أوعلاّ، وأيت عَلاّ، وأيت حمُّو أويُوهُو، وأيت قسُّو أوحدُّو، وأيت عْمَرو أوعلي. وتتوسط منطقتها مدينة أزرو، أكبر قرى عمالة يفرن، كما يدخل ضمنها سهل تيگريگرا الغني، وجزء من منبسط أزغار الذي يأوي صيفا الماشية تبعا لنظام الانتجاع المعروف لدى قبائل الرعي إلى إقامة أول تجربة لتربية البقر على الطريقة الأمريكية بها، خصصت لها أراضٍ شاسعة تمتد على عدة كيلومترات بالجهة المعروفة بأدَرُوش.

ع. العياشي، *الإحيا والانتعاش*، مخطوط خ. ع ؛ أ. الزياني، الترجمان، مخطوط.

Répertoire alphabétique des tribus ; G. Beaudet, *Les Beni Mguild du Nord*, In R.G.M., 15, 1969 ; L. Mezzine, *Le Tafilalet*.

عبد العزيز توري

إرْكْمان جول J. Erckmann ضابط فرنسي مستعرب كان رئيسا للبعثة العسكرية من سنة 1879 إلى 1883. له كتاب قيم نشر سنة 1885 بباريس بعنوان : المغرب الحديث : *Le Maroc Moderne*، كما أن له مقالات كانت تنشر ببعض الجرائد.

م. بوشعراء ، *الهجرة من المغرب وإليه*، مخطوط.

J.L. Miége, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 105.

مصطفى بوشعراء

أرْماز، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما تزال توجد أسر إسبانية تحمل هناك نفس الاسم Armas، وكان من بين أفرادها بعض الفقهاء والعدول، مثل المبارك بن المبارك أرماز الذي كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1287 / 1970، والمختار بن عبد الرزاق أرماز الذي كان يدرس بمدرسة لوقش سنة 1307 / 1889. وما زالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط خاص ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 838 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones (año 1931)* (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* (A).

محمد ابن عزوز حكيم

أرنب، من الثدييات العاشبة المنتمية إلى فصيلة مزدوجات الأسنان . يسمى علميا Lepus capensis . علوه عند الغارب 30 سم وطوله يتراوح ما بين 40 و51 سم جمعا بين الرأس والجسم. يفوق وزنه أحيانا 6.5 كلغ وتزن الأنثى عامة أكثر من الذكر. أذناه طويلتان (10 سم) ومنحدرتان إلى الأمام. يكسوه شعر ناعم رمادي مصفر على الجوانب والظهر وأبيض على بطنه وعلى الجهة الداخلية لقوائمه . ذيله قصير ومسود على مؤخرته .

تنتهي قوائمه الخلفية بأربعة أصابع وهي أطول من القوائم الأمامية التي تنتهي بخمسة أصابع صيغة أسنانه كالتالي :

2 / 1 قوارض 0 / 0 أنياب ، 2 / 3 أضراس أمامية، 3 / 3 أضراس = 28 سنا. ترجع تسمية الفصيلة بمزدوجات الأسنان لتثنية القوابض بالفك العلوي عند هذا الصنف من الحيوانات .

يعيش الأرنب في المناطق المنبسطة والمرتفعات التي لاتتعدى 2000 م وكثيرا ما يلازم المكان الذي ولد فيه طول حياته. يتناول نباتات المزارع والحقول ويتخذ حفرة لا يفوق عمقها 10 سم ليستريح فيها وينام طول النهار مفتوح العينين ويستأنف نشاطه طول الليل.

أعداؤه كثيرون يتخلص منهم بسرعته الفائقة التي تتعدى 80 كلم في الساعة وقيامه بعدة منعرجات أثناء الفرار. يساعده لونه الشبيه بمكان معيشته عن صعوبة مشاهدته. كثيرا مايقطع النهر سابحا أو يدخل قطيع الغنم للتخلص من متابعة الكلاب.

إنه شديد الحذر واليقظة، وحاسة سمعه حادة حيث إن سقوط ورقة شجرة في إمكانها أن توقظه. تسمى ورقة عكرشة. تضع أربع مرات في السنة ونادرا خمس مرات وذلك خلال فصل الربيع والصيف، يتكون الحمل الأول من صغيرين والثاني من 3 إلى 5 صغار والثالث من صغيرين. رمن صغير إلى صغيرين في المرة الرابعة. تختار العكرشة مكانا هادئا ومؤمنا لتلد صغارها المفتوحة العينين والمكسوة بالشعر. تعتني الأم برضاعة صغارها أسبوعا واحدا ثم تغيب عنهم ولا تعود إلا نادرا لتتخلص من حليبها.

يصل الخرنق (صغير الأرنب) سن الرشد بعد 15 شهرا ونعمر من 6 إلى ثمان سنوات.

يمتد توزيعه الجغرافي على جميع أنحاء المغرب ما عدا المرتفعات الباردة التي يفوق ارتفاعها 2000 مترا. الأرنب حيوان مهدد بالصيد. يؤكل لحمه وتستعمل جلوده لصناعة أثواب الفرْو .

J. Dorst et P. Dondelot (1972), *Guide des grands mammifères d'Afrique* ; A. Menagaux, *Les Mammifères, La vie des animaux illustrée*, T. 2 ; F.H Vanden Brink (1967), *Guide des Mammifères d'Europe, Les Guides du Naturaliste.*

محمد رمضاني

أرنب البحر، يتكون جسم أرنب البحر أو مايعرف بـ "أبليزيا" الذي يمكن أن يبلغ طوله ثلاثين سنتمترا ووزنه كيلوغراما واحدا، من ثلاثة أجزاء (انظر الرسم)

يحمل الرأس فماً مسلحا بعدة أسنان على شكل صفوف متراصة وعينين اثنتين وزوجين من الجَجَاسّ .

وراء الرأس ومن الناحية الظهرية توجد العرمة الحشوية التي كما يدل على ذلك ـ تحمل كل الأحشاء مغطاة بقوقعة صغيرة مسطحة وشفافة .

أما وراء الرأس ومن الناحية البطنية وتوجد الرِّجل التي تمتد على طول الجسم والتي يدب بها أرنب البحر فوق الطحالب أو الصخور . يحمل الرجل فصين جانبيين مثنيين فوق الجسم ، تتمكن بهما أرنب البحر من السّباحة وتلعب بذلك دور الزعانف.

بكل اختصار يتكون الجهاز العصبي عند أرنب البحر من عدة أزواج من العقد العصبية، نذكر من بينها العقد المخية التي تعصب الرأس وزوائده، والعقد الوجلية التي تعصب الرجل، والعقد الحشوية ...

لايختلف الجهاز الهضمي في جوهره عند أرنب البحر عن الحيوانات الأخرى . في الناحية الأمامية يوجد الفم مسلحا بعدة أسنان صغيرة ومتراصة على شكل صفوف متبوع بمَرىء ثم بحوصل ثم بمعدة وأخيرا بمعي.

تتم عملية التنفس عند أرنب البحر بواسطة خيشوم واحد على شكل ريشة طير من جهة اليمين يمتص به الأكسجين الذائب في ماء البحر.

يتكون الجهاز الدموي من قلب وفجوة محيطة بالقلب . ويمتص القلب (الذي يتكون من أذن واحدة وبطين واحد) الدم الصافي المحمل بمادة الأكسجين من العروق الخيشومية ليوزعها على جميع أعضاء الجسم بواسطة عدة شرايين.

تعتبر أرانب البحر كأغلبية الرخويات من الحيوانات الخنات يحمل كل فرد أعضاء تناسلية أنثوية وأخرى ذكرية إلا أنه لايمكن الفرد أن يلقح نفسه بنفسه. ففي فصل التوالد (فصل الربيع) تكوِّن أرانب البحر بأجسامها سلسة من عدة أفراد يتصرف كل فرد كأنثى بالنسبة للذي يليه. بعد التناسل تتفرق المجموعة ليبيض كل فرد أعداداً هائة من البيض (عدة آلاف) داخل بريم قد يبلغ عدة أمتار من الطول.

أرنب البحر

تعتبر أرانب البحر من الحيوانات المتعددة الخلايا، فهي، كالأخطبوط وكالبزاق، تنتمي إلى فصيلة الرخويات، كالحلزون إلى معديات الأرجل، إلا أنها زيادة على الاعوجاج الذي أصيبت به أماميات الخياشيم مما جعل الخياشم تشغل مركزاً أماميا بالنسبة للقلب، فإن أرنب البحر قد أصيبت باعوجاج ثانٍ معاكس مما جعل الخياشم تشغل مركزا خلفيا بالنسبة للقلب، من أجل ذلك فهي تنتمي إلى معديات الأرجل خلفيات الخياشم.

أرانب البحر حيوانات بحرية قعرية تقضي معظم وقتها تدب فوق الصخور وبين الطحالب إلاّ أنه غالبا ما ترى وهي تدب فوق الرمال وكأنها تقطع الصحاري بحثا عن الطحالب التي تكون غذاءها الأساسي، عندما تحس أرنب البحر

بخطرما، وعلى طريقة الأخطبوط، يفرغ بغتة سائلا بنفسجي اللون ويحجبه عن أعين مطارديه .

تتوزع أرانب البحر في محيطات العالم وهي أنواع عديدة، إلا أن الأنواع الأربعة التي تسكن مياه المغرب يقتصر توزيعها على البحر المتوسط وعلى الساحل الشرقي للمحيط الاطلسي، خاصة بين الشواطىء الانجليزية وأقصى شواطىء المغرب الجنوبية.

R. Boue He Chanton (1962), *Biologie animale zoologie* - Invertébrés, t. I, Doin et Cie édit. 732 p. ; G. Bitar (1987), *Etude du peuplement benthique de la côte Atlantique méditerranéennes du Maroc, Impact de la Pollution comparaisons biogéographiques*. Thèse Doct. Et et Univ. Marseille. 286 p. A. Campbell et Nicholls (1986) *Guide de la Faune et de la Flore littorales du mers d'Europe* coll. "Le guide du Naturaliste" Delachaux et Niestte, édit. 322 p. ; M. Menioui, *Contribution à la connaissance des peuplements infralittoraux superficiels de la côte méditerranéennes du Maroc*, Etude faunistique, écologique et biogéographique. Thése Doct. Et. et Univ. Mohamed V, 256 p ; A. Pruvot-Foh (1953), *Etude de quelque episthobranches de la côte atlantique du Maroc et du Sénégal*. Trav. Inst. Sci. Chérif, Rabat (Zool.) 2 : 105p.

محمد منيوي

أُرُوكَارِيَا، Araucaria، اسم جنس نباتي ينتمي إلى فصيلة الاروكاريات Araucariaceae وهي من المخروطيات. يحتوي الجنس على ستة أنواع تعيش أصلا في المناطق الدافئة من النصف الجنوبي للكرة الأرضية. ولكن الإنسان أدخلها في معظم أنحاء العالم الدافئ حيث استعملت للزينة. والنوع السائد في الاستعمال للزينة بالمغرب هو أُرُوكَارِيَا إكْسِيلْسَا Arucaria excelsa.

إن هذا النوع شجرة جميلة جدا ودائمة الاخضرار يمكن أن يبلغ ارتفاعها 60 مترا. جذعها جد مستقيم. أغصانها كوكبية. قشرة جذعها رمادية اللون. أوراقها شبه إبرية. الأزهار مذكرة أو مؤنثة على شجرة واحدة أو على اشجار منفصلة. ثمارها بيضوية الشكل ذات قطر يبلغ 15 سنتمترا وحراشف مخشبة.

إن الموطن الأصلي لهذا النوع هو جزيرة نُورفُولك الواقعة شرقي أستراليا. حيث يَعيش في بيئة مناخية مدارية. ونظرا لجماله وسرعة نموه فقد أدخل إلى جل المناطق الدافئة. وقد عرفت السواحل المغربية هذه الشجرة منذ مطلع القرن العشرين.

يُغْرَس أُرُوكَارِيَا في بيومناخات شبه جافة وشبه رطبة ورطبة ذات الاشكال الحارة والمعتدلة إذ أنه لا يتحمل البرد الشديد. أما من حيث التربة فإنه لا يبالي بتركيبها الكيماوي لكنه يحبذ الاتربة الرملية.

يستعمل أروكاريا للتزيين. ولهذا فلقد انتشر في الحدائق في المناطق الساحلية. ولا يستعمل في التشجير في المغرب إلا بصفة استثنائية بالرغم من جودة خشبه وسرعة نموه ومقاومته للرياح الشاطئية.

إ. نحّال، *أساسيات علم الحراج*، منشورات جامعة حلب 1983.

A. Métro et Ch. Sauvage, *Flore des Végétaux ligneux de la Mamora*, Rabat, 1955.

عبد المالك بنعبيد

أُرْوِي، أو لَرْوِي ويسمى أداد، حيوان مجتر من فصيلة الضأنيات المسمى باللاتينية Ammotragus lervia (Pellas) 1777. إنه حيوان جبلي يفوق علوه عند الغارب المتر الواحد ويصل وزنه إلى 120 كلغ. يتراوح طوله ما بين 140 و 200 سم جمعا بين الرأس والجسم، وطول ذيله 25 سم. يحمل رأسه قرنين سميكين مربعي الشكل في قاعدتها ومنحنيين إلى الوراء في مؤخرتها. يكسوه شعر متصلب أبيض جهة البطن والقوائم وأشقر على ظهره. أظلافه طويلة ورقيقة وعيناه مصفرتان.

إنه الضأن الوحشي الوحيد الذي يعيش في إفريقيا وهو يشكل الممر من المعز إلى الضأن ويقترب من الضأن من حيث الهيئة والقامة إلا أنه يختلف عنها فيما يخص الحفيرة الدمعية وقصبة الأنف المعروفتين عند الخروف. يحمل الذكر لبدة كثيفة تمتد من العنق إلى القوائم الأمامية كما هو في الصورة، جمجمته قوية وطويلة وصيغة أسنانه كالتالي:

0/4 قوارض، 0/0 أنياب، 3/3 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 32 سنا.

تتكون أغذيته من الأعشاب الخضراء واليابسة كما هو الشأن بالنسبة للمعز والضأن والغزلان. يتسلق الاشجار بسهولة ويقف أحيانًا على قدميه الخلفيتين ليَقْطع أوراق وثمار الأشجار والأدغال. يستطيع تحمل العطش عدة أيام ويقترب من أماكن الشرب بكامل الحذر ولا يدنو منها حتى يتأكد من أمنه. كثيرا ما تصعب مشاهدته إذا كان واقفا بين الصخور أو فوقها وذلك لتشابهه بألوان الصخور المحيطة به. يقضي أوقات حرارة النهار تحت ظلال الأحجار والأشجار.

أروي

في حالة إزعاجه، يحكى أنه يلقي بنفسه على رأسه من أماكن عالية لينجو من الخطر وهذه الملاحظة يعززها سُمك جلده جهة الرأس بعدة سنتمترات.

لا يُكَوِّن الأروي قطيعات كما تفعل باقي الضأنيات بل يعيش وسط جماعات عائلية أوْ منعزلا وخاصة الأفراد المسنة والأنثى الحامل. تجتمع ثلاث أو أربع إناث حول ذكر واحد في بداية الحرارة الحيوانية التي تبتدئ غالبا في شهر

نونبر فإذا ما اقترب ذكر آخر من هذه المجموعة يواجهه رئيسها بضربات رأسية قوية تُسمع من بعيد، وقد تدوم المعركة يوما كاملا وتبقى رؤوس المختصمين ملتصقة مدة طويلة. يلقب الذكر عند البربر بالفشتال والأنثى بالمعزة والصغير بالخروف. تدوم مدة الحمل 154 ـ 161 يوما وتضع الانثى صغيرا أو صغيرين كل سنة في بداية فصل الربيع عامة وفي فصل الشتاء نادرا. يفارق الصغير أمه في فصل الخريف أثناء استئناف الحرارة الحيوانية.

يعيش هذا الحيوان في جبال الأطلس الكبير والمتوسط والصغير وقرب فگيگ وكذلك في الصحراء المغربية. يوجد أيضا بجبال الأوراس بتونس والجزائر وفي مرتفعات الصحراء الكبرى.

يعد من الحيوانات النادرة بالمغرب وهو الآن تحت الحماية في عدة مخالف بجبال الأطلس إلا أنه يخلف خسائر في أشجار الغابات والمستندات.

يصاد لعذوبة لحمه الذي يشبه لحوم الابل في المذاق ويستعمل شعره في نسيج الزرابي والملابس وغيرها ويستعمل جلده في السخاتة (Maroquinerie).

A. Cabrera, 1932, *Los Mamíferas de Marruecos*, trabajos, Mus. Nac. Siencias. Ser.Zool. 57 : 1-361 p ; P. L. Dekeyser, *Les Mammifères de l'Afrique Noire Française*, I.F.A.N. (1), 1 - 426 P. ; J. Dorst et P. Dandelot, 1972, *Guide des Grands Mammifères d'Afrique*, Paris, 286 p ; J. B. Panouse, 1957, *Les Mammifères du Maroc*, Trav. I.S.C., Serv. Zool (5) : 1-206p.

محمد رمضاني

أزَارِيفْ، قرية ـ مدرسة ـ خزانة، كلمة أزاريف أمازيغية تَعني "الشب" وقد أطلقت اسماً لأكثر من قرية في البوادي المغربية، ففي شمال المغرب يوجد مدشر أزاريف في أراضي مشْيوة بقبيلة بني مسارة الصنهاجية شرق مدينة وزان، وفي جنوب المغرب توجد قرية أزاريف التي نحن

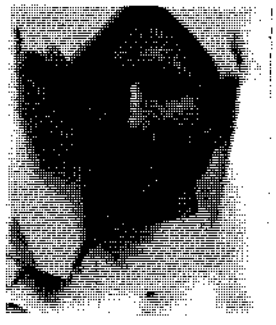

محمد بن الحسن الازاريفي الشبي
من مناخري أساتذة مدرسة أزاريف.

بصددها، وتقع في الأطلس الصغير بقبيلة أيت حامد قيادة أنزي إقليم تزنيت. تتصل أزاريف بمركز أنْزي بطريق غير معبد، وقد أسست على قمة جبلية منعزلة تطل على واد عميق خال من جريان الماء في غير أوقات الأمطار.

توجد في قرية أزاريف هذه مدرسة عتيقة أخرجت الكثير من العلماء، تعرض المختار السوسي لتراجم كثير منهم. ولعلها تأسست قبل العهد السعدي لأننا نجد لدى الأسرة الأزاريفية التي اشتهر علماؤها بالقيام بالتدريس فيها مجموعة من الظهائر يرجع بعضها إلى عهد السلطان عبد الله الغالب بالله السعدي، ومن ألمعهم في العهد الأخير الحسن بن الحسين بن أحمد الأزاريفي الذي كان أستاذا للمدرسة في الثلاثينات من القرن العشرين، وقد صادف عهد الحماية الفرنسية وأبدى نشاطا علميا مزدوجا. فإلى جانب حلقات الدرس يقوم بالإفتاء والفصل في مسائل القضاء. له عدة أبناء : منهم الفقيه الحاج محمد بن الحسن الأزاريفي وهو ما زال يدرس بهذه المدرسة حتى الآن.

توجد بمدرسة أزاريف خزانة هامة اطّلع محمد المختار السوسي على جميع كتبها سنة 1375، واستعرض نماذج منها في كتابه *خلال جزولة*، وهي تتضمن مئات من المخطوطات النفيسة في مختلف الفنون لمؤلفين سوسيين وغيرهم. غير أن هذه الخزانة الموجودة في المدرسة تقلص حجم كتبها نتيجة تقسيمها بين الإخوة، ولم يبق الآن منها بالمدرسة، سوى حظ الفقيه محمد بن الحسن المذكور، وهي كتب نفيسة تستحق أن تشد إليها الرحال، وقد فتحها الفقيه المذكور للباحثين.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 8 : 60 ـ 61 . 11 : 152 ؛ *خلال جزولة*، 2 : 75 ـ 94 ؛ زيارة لعين المكان.

الأزاريفي، أحمد بن عبد الله الأديب صاحب المقامة الأزاريفية آتي الترجمة. له منظومة ضغيرة في تصريف الأفعال.

عمر أفا

الأزاريفي، أحمد بن مَحمد (فتحا) بن أحمد، يعرف بالشبي، وهو تعريب أزاريف، علامة كبير تخرج بوالده ولم يتجاوزه، ثم خلفه في مدرسة أزاريف بعده، له مشاركة في الحساب والهيئة وعلم الحديث. وكان يتعاطى فضّ النوازل ويجري فيها بالإصلاح بين المتخاصمين، مذكور بين المؤلفين السوسين *بمؤلف في الحساب* وآخر هو عبارة عن رجز *في العمل بالاسطرلاب*، توفي عام 1263 / 1846.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 558 ؛ *سوس العالمة*، 197.

الأزاريفي، عبد الله بن مَحمد (فتحا) بن يحيى، نسبة إلى قرية أزاريف الحامدية، عالم بياني فصيح، له *المقامة الأزاريفية*، التي تشهد على تضلعه في الادب، تخرج على والده محمد بن يحيى، كما أخذ عن محمد بن إبراهيم التاسگدلتي، توفي أواسط القرن الثاني عشر الهجري.

م. المختار السوسي، *المعسول* 8 : 32 ؛ *خلال جزولة* 2 : 82 : رجالات.

الأزاريفي، محمد بن يحيى بن الحسن الحامدي (1102 ـ 1164 / 1690 ـ 1750) اشتهرت به أزاريف في العصور المتأخرة، علامة مشارك، صوفي زاهد، ذو مناقب اشتغل بالعلم والتعليم والإرشاد والتأليف، تخرج عليه كثير من علماء بلده، منهم الشيخ الحضيكي الشهير، له تآليف عديدة منها : *العزية في سلوك الطريقة المستقيمة*،

والقمع في تهذيب الطبع، *ومختصر المدخل*، *وفتاو فقهية*، *ومؤلف في الوعظ بالشلحة*. وله في الطب ستة مؤلفات منها : *فوائد في الطب*. وبفضله اتسعت الخزانة الأزاريفية وصارت قبلة لطلاب العلم.

الحضيكي، *الطبقات* ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 191 ؛ *المعسول*، 8 : 30 ؛ *خلال جزولة*، 2 : 71 ؛ رجالات.

عبد الله درقاوي

أزال ← الحديد

أَزْجَن، أو أَسْجن وربما كتبت أيضا أزاجْن أو أزاجين أو إمْزان (الصغير بالبربرية) : قرية تقع ببلاد مصمودة شمال المغرب بين جبل وزان وجبل العلم. ويظهر أن معنى أزجن باللهجة المحلية النصف (وأزگن أو أسگن نعني أيضا حظيرة الماشية). كل هذه التسميات تطلق على تلك القرية المصمودية. وليست هي أزغان التي ذكرها البكري وابن غازي، والتي لا نعرف موقعها بالضبط، وهي قرية تقع في بلاد بني يازغة في المجال الواقع بين فازاز (الأطلس المتوسط) وملوية الوسطى.

ذكر الحسن الوزان أن أزجن شيدت من طرف الأفارقة، يعني أهل البلد البربر، ويظهر من خلال ما جاء في كتاب *وصف إفريقيا*، وما يستشف من حديث صاحب الدوحة أن القرية كان يسكنها الشرفاء الأدارسة وأن عددا منهم كان يتوفر على ثروة طائلة، وحدد الوزان عدد سكانها في بداية القرن السادس عشر الميلادي في خمسمائة كانون أي حوالي ألفين وخمسمائة من السكان. كانت القرية تساهم في عمليات الجهاد ضد المسيحيين، لكن سمعتها لم تصل إلى ما وصلت إليه سمعة الشاون أو تطوان. وقد دفن بالقرية أو بالقرب منها عدد من الأولياء كابي موسى عمران بن عبد الله الحسني، ومحمد الغزوي "بجبل وزان على بعد أميال من قرية ازاجن" (*الدوحة*، 139) وحسب مارمول كانت هذه القرية تتوفر على ملاح يسكنه اليهود. انظر ماسينويس الذي اعتمد على تقييد ربي مؤرخ بعام 1728م.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة* ؛ مارمول، *إفريقيا*، 1.

L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du XVI siècle.*

محمد مزين

الأزْد، قبيلة عربية كبرى من عرب اليمن القحطانين، من بطون كهلان الذي تنسلت منه ومن أخيه حمير جل القبائل القحطانية، وظعنت الأزد إلى شمال الجزيرة العربية بعد تحطيم سد مأرب وشاركت في الفتوحات الإسلامية أيام الخلفاء الراشدين، وأول من استقر من الأزد بالمغرب الأقصى طائفة وفدت على إدريس الأزهر بمدينة وليلي من جبل زرهون في جملة جماعات من قبائل عربية أخرى جاؤوا من إفريقية والأندلس، وذلك عام 189 .

وإذا كان إدريس قد أحسن استقبال هؤلاء الوافدين جميعا وأكرم مثواهم فإن الأزديين والقيسيين نالوا لديه حظوة زائدة، حيث اختار منهم كبار مساعديه في تسيير شؤون البلاد، فكان عمير بن معصب الأزدي أول وزير في الدولة المغربية الإسلامية وهو "من فرسان العرب وساداتها، ولأبيه مصعب مآثر عظيمة بإفريقية والأندلس ومشاهد في غزو الروم كثيرة" ـ *القرطاس*، 29 ـ .وإلى عمير بن مصعب الأزدي يرجع فضل ارتياد موقع مدينة فاس، وإليه تنسب عين عمير الشهيرة خارجها.

وقد تفرق الأزديون في جهات مختلفة من بلاد المغرب، وعرف بعضهم بكنى وألقاب طارئة، أشهرهم بنو الملجوم بفاس الذين ينسبون إلى جد لهم كانت به حبسة في لسانه. ويعدون من البيوتات الفاسية الكبرى المعروفة بالعلم والثروة والجاه.

ابن حزم، *جمهرة أنساب العرب* ؛ ع. القاسي، *بيوتات فاس الكبرى*.

محمد حجي

أيْتْ إِزدگْ، قبيلة تصنَّف ضمن مجموعة صنهاجة، كثيرة الفروع، يمتد مجالها الآن من واحة مدغرة على وادي زيز إلى منطقة ملوية العليا عبر فج تيزي نْتَالْغَمْتْ بالأطلس الكبير الشرقي على ما يزيد عن 150 كلم في خط الطول، ومن وادي زيز إلى وادي گيرْ على ما يزيد عن 50 كلم في خط العرض. قد يكون اسمها مشتقا من الجذر الأمازيغي المكون من الأحرف الثلاثة ز. د. گ والذي يفيد الصفاء. ويعتقد أن لهذا الاسم علاقة محتملة بالعقيدة، وفي الحياة الدينية لمغرب القرون الوسطى في هذه المنطقة ما يدفع إلى قبول هذا الاحتمال. وقد يكون لهذا الاسم كذلك علاقة بوضعية سياسية تصالحية بين القبائل في نفس الفترة. وفي اسم أيْتْ يَافْ لْمَانْ (الناس الذين يتوفر في بلادهم الأمن) باللغة العربية وهو الحلف الكبير الذي تتصدره هذه القبيلة والمتأخر الإحداث (ق 16 ـ 17) ما يرجع هذا التفسير. وقد يكون هناك تكامل بين التفسيرين: صفاء في العقيدة ووضعية صدارة بين القبائل ناتجة عنه.

والواقع أن قبيلة أيت إزدگ قديمة الذكر في المنطقة. فالبيدق في القرن السادس الهجري / 12 يذكرها من بين قبائل صنهاجة القبلة ويحدد مجالها في منطقة تُودْغَة الآن وهذا ما تحتفظ به كذلك الرواية الشفوية التي تشير وبصفة أكثر دقه إلى أن منطقة تَانْگارْفَا هي المحل الأصل للقبيلة. وتانگارفا اسم لا يزال يطلق على أسفل وادي تودغة. وحينما تتحدث عنها النصوص في القرون 17 و18 و19 نجدها في الموقع الذي تحتلته الآن، وهذا يعني أن القبيلة عرفت نزوحا نحو الشمال الشرقي وحوض زيز فيما بين القرن 12 و 17 الميلاديين. وقد يكون لهذا النزوح علاقة بوصول القبائل المعقلية إلى جنوب شرق المغرب في القرن 13م وما ترتب عنه من تحرك للقبائل الصنهاجية في ذلك المد الشامل نحو الشمال والمناطق الأكثر خصوبة. وإذا كانت منطقة زيز وإلى حدود القرنين 15 و 16 الميلاديين مقرا لقبائل معقلية عبرت بعد هذا بصفة نهائية نحو الأطلس

المتوسط والهضبة الوسطى، فإنه يعتقد أن لتكوين حلف أيت عطا في القرن 16 م، ولسياسة استتباب الأمن واستخلاص الضرائب للدولتين الشريفتين السعدية خلال القرن 16 م والعلوية من بعد، في منطقة يمر بها خط من أنشط الخطوط التجارية المغربية إذاك، وكذلك لسياسة الدلائيين بالمنطقة في بداية القرن 17 م لكل هذه العوامل علاقة باستقرار قبيلة أيت إزدگ بحوض زيز. وقد يكون لتكوين حلف أيْتْ يَافْ لْمَانْ الذي ظهر كرد فعل للضغط الذي عانت منه بعض قبائل الأطلس الكبير الشرقي (أيت إزدگ، أيت حْديدُّو، أيت مْرْغَادْ...) من حلف أيت عطا، ولاستعماله من طرف المخزن من بعد، علاقة باستقرار أيت إزْدگْ بحوض زيز. إلا أنه من المؤكد أن هذا الاستقرار قد تم على مراحل، وبعدما مرت هذه القبيلة بمنطقة أعلى غريس وأعلى زيز، وأنه قد تم على حساب قبائل إيگْرْوَانْ و أيت عياش وأيْتْ حديدو التي كانت تقطن بجبال حوض زيز قبل القرن 18 م.

وإذا كان تحالف المخزن والقبيلة من باب الاستنتاج الفرضي المعقول إلى حدود القرن 18 م، فإننا لا نتوفر على معلومات دقيقة في هذا الشأن إلا ابتداء من القرن 19 م. وقد صادف ذلك احتلال الفرنسيين للجزائر وما ترتب عن هذا الحدث من تزايد اهتمام السلطة المغربية بما يحدث في المناطق المغربية المتاخمة للجزائر. فقد عين السلطان مولاي عبد الرحمان سنة 1271 / 1854 ـ 1855 أمغار إبراهيم أوسُومُّورْ شيخ قبيلة أيت إزدگ عاملا على المناطق الصحراوية لما بدا منه من قوة في قيادة حلف أيت يافْ لمان والدفاع عن شرفاء تافيلالت أمام مدّ أيت عطا نحو واحات هذه المنطقة. وقد بقيت قبيلة أيت إزدگ وشيخها إبراهيم أوسُومُّور في خدمة السلطان إلى أن ظهر من هذا الشيخ ما دفع المخزن إلى نزعه وحبسه بسجن الصويرة حيث لاقى حتفه. وبقيت العلاقات متوترة بين القبيلة والمخزن بعد هذا الحدث، فلما قام الشيخ سيدي محمد العربي الدرقاوي يدعو إلى الجهاد بالمنطقة حوالي 1876 م ضد الفرنسيين الذين حلوا بالجنوب الوهراني وأصبحوا يهددون قبائل التخوم المغربية الجزائرية وجد في قبيلة أيت إزدگ وفي شيخها محمد ابن الشيخ إبراهيم أوسومور الهالك السند القوي لدعوته. وقد كان موقف القبيلة هذا قليه إلى جانب الصراعات المحلية بين حلف أيت يافْ المان الذي تتزعمه قبيلة أيت إزدگ وحلف أيت عطا خيبة أمل أيت إزدگ مما أصابها وشيخها من جفاء السلطة المركزية وما ترتب عنه من مقتل لشيخها. وكان في الطابع الجهادي لحركة سيدي محمد العربي الدرقاوي ما يبرر هذا التشيع الجديد. وفي سنة 1888 لما تأزمت العلاقات بين سيدي محمد العربي الدرقاوي وبين المخزن بسبب دعوة الدرقاوي قبائل جنوب شرق المغرب إلى الجهاد وما ترتب عن هذه الحركة السياسية من مشاكل مع فرنسا، فأرسل السلطان مولاي الحسن خطابا إلى الأقاليم يعلن فيه عن سحب كل شرعية عن حركة محمد العربي الدرقاوي ويدعو إلى محاربتها. فخرجت قبيلة أيت إزدگ من ضمن شيعة محمد العربي الدرقاوي وأعلن شيخها ذلك. فعينه السلطان مولاي الحسن مباشرة بعد ذلك قائدا مخزنيا على قبيلة أيت إزدگ وعلى مجموع قبائل أيت يافْ المان ولكنه اغتيل بعد هذا من طرف أحد إخوانه لموقفه من الدرقاويين.

شاركت قبيلة أيت إزدگ قبائل أيت سغروشن وأيت عيسى في مواجهة المد العسكري الفرنسي في جنوب شرق المغرب تحت زعامة مولاي لحسن السبع في معركة بودنيب سنة 1907. ولم تتوقف إلا بعد ما أقامت سلطات الاحتلال مركزها الإداري والعسكري لما كانت تسميه إذاك بـ "أراضي تافيلالت" "Les Territoires du Tafilalt" بقرية قصر السوق التي كانت تعد أهم مركز اقتصادي في مجال قبيلة أيت إزدگ.

وخلال فترة الحماية حاولت السلطات الفرنسية استمالة أعيان القبيلة لتبني سياستها التفريقية للشعب المغربي ولكن موقف أبرز أعيانها عدّي أبِهي المساند لحركة التحرر خيب ظنها.

تجاوز عدد سكان قبيلة أيت إزدگ في إحصاء 1971 : 16.000 نسمة. وتعرف أفخاذها الآن تطورا مهما نحو الاستقرار. ويوجد أهمها في الوقت الحاضر في المناطق التابعة لمراكز الرشيدية (قصر السوق قديماً) والريش وگرامة وميدلت.

أ. البيذق، أخبار المهدي ؛ أ. الناصري، الاستقصا، 7، 8، 9 ؛ وثائق محلية.

العربي مزين

الأزدي ← ابن الملجوم

الأزدي، أحمد بن عبد الله المراكشي، ولد بمراكش حوالي عام 650 / 1252 وبها تخرج عالما نحويا مشاركا، فيلسوفا متصوفا ثم انتقل إلى الشرق وعاش في القاهرة متعبّداً يتعيش من نسخ بعض الكتب، *كالفتوحات المكية* لمحيي الدين ابن عربي، *والتنزلات* لظهير الدين علي بن محمد الكازروني.

وكان يلثغ بالراء غينا كالفاسيين، لا يخلو طبعه من حدة وشراسة "وعرض عليه علاء الدين القُونوي أن ينزل بالخانقاة فأبى" ـ *الدرر الكامنة* ـ حدث بينه وبين شيخ النحاة أبي حيان الأندلسي نزيل القاهرة (ت 745 / 1344) نفرة أدت إلى منافسة وتنابز، فكان أبو حيان يرميه بالزندقة، وهو يرميه بالظاهرية حتى في النحو، وألف أحمد الأزدي كتباً. ومات بالقاهرة حوالي عام 730 / 1330 وهو ابن ثمانين سنة.

أ. ابن حجر، *الدرر الكامنة*، 1 : 197 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 211. كحالة *معجم المؤلفين*، 1 : 298.

محمد حجي

الأزْدي، أحمد بن محمد بن أحمد بن الطاهر المراكشي، ولد آخر العقد الأول من القرن 13 هـ / 19 م، على وجه التقريب. وبعد دراسته الأولية، رحل إلى فاس طلبا للعلم. ونزل بالزاوية الصقلية بحي سبع لويات بمراكش.

أخذ عن شيخها أحمد بن محمد بن أحمد الصقلي، وعن بدر الدين الحمومي، وأحمد ابن بونافع، ومحمد بن عبد الرحمان الحجرتي، وعبد القادر بن أحمد الكوهن، والعباس بن محمد بن كيران، وعبد الواحد بن أحمد بن التاودي بنسودة، ومحمد بن حمدون بن الحاج ....وغيرهم. وقد بقي بفاس نحو اثنتي عشرة سنة، ثم عاد الى بلدته مراكش مليء الجراب بالعلم، ريان بالادراك والفهم، (*الاعلام*، عن اتحاف الخفيد) وأجازه من المغاربة في هذه الفترة : أبو حامد العربي بن محمد الدمناتي، وراوية المغرب الأوسط عبد القادر بن عبد الله المشرفي المعسكري.

اشتغل بتدريس الحديث والفقه. وروى صاحب *الاعلام* عن شيخه محمد بن إبراهيم السباعي أن الأزدي كان يدرسه بمراكش وقطع الدرس حتى يحج، قائلا للطلبة : اذهبوا فإني لا أقرئ مختصر الشيخ خليل إلا إذا حججت واتقنته فعلا (*الاعلام*، 2 : 415) وكان له اهتمام بالعلم، وإقبال عظيم عليه، إذ أنه أخذ خلال رحلته إلى الحجاز عن علماء أمثال: مصطفى بن رمضان البولاقي، وحسن القويسني، وفتوح البحرمي، وأحمد المرزوقي. وقد حلاه الشيخ احمد السقا بلفظة "أستاذنا"، وطلب منه الإجازة .

له مجموعة نفيسة في أسانيده وإجازات مشايخه، قال عنها عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني (وقفت بالمدينة المنورة من أحباس شيخنا أبي الحسن بن طاهر) (*فهرس الفهارس*، 1 : 23 م) .

وأغلب هذه الإجازات مؤرخ بين 1247 هـ و1248 هـ / 1831 - 1832 م.

ونظرا لأهمية هذه المجموعة وما تحويه من أسانيد، اهتم بها الكتاني، فقال : (نروي مجموعة إجازته وماله من المرويات عن أبي الحسن على ظاهر الوتري المدني ، عنه رحمه الله . وأروي *دلائل الخيرات* عن المعمر أبي عبد الله محمد بن رشيد الامغاري المدني بها ، عنه باسانيد . وهي واسعة) .

بالإضافة إلى مختصر خليل الذي كان يدرسه قبل حجته الاولى، اهتم بتدريس الحديث، وكان له مجلس حافل بصريح ابي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي .

وكان فاضلا، صريحا، شجاعا، أمينا، **كلفه المولى عبد الرحمن بالإشراف على الحرم السبتي بمراكش، وتوزيع مداخيله على مستحقيها بالعدل. وهي مهمة لم تكن تُسنَد إلاّ للثقاة من القضاة .وجاء في رسالة وجهها أبو عبد الله** أكنسوس للوزير العربي الجامعي في هذا الموضوع : (فأوصل الحقوق إلى محلها، وانتزعها من غير مستحقيها، ولم يخف في ذلك لومة لائم) وقد جلب له عمله هذا المتاعب، إذ لم يكن عدله في مصلحة جماعة من المستغلين" للفتوحات"، فكادوا له ووشوا به لدى الخليفة. وقد جاءت الرسالة السابقة الذكر لتوضيح الأمر واظهار الحق. (*الاعلام* 2 : 415) .

وقد أفصحت المصادر عن بعض هذه المكايد : إذ كان الأزدي يلقي درسه المعتاد في *صحيح البخاري* بضريح الجزولي فدخل عليه السلطان، وجلس بجواره، فلم يقطع الشيخ درسه . وسعى أعداؤه به إليه وعظموا القضية. كما وسعوا الهوة وزادوا في خلاف بين الأزدي واحد أعلام التصوف : العربي الوزاني. وقد كان الأزدي جزوليا كما هو معروف. ويعتقد البعض أنه انتصر على الشيخ الوزاني بكرامات رووها عنه.

ولعل هذه الخلافات كانت وراء مغادرته للبلاد، واتجاهه إلى الحجاز وكان ذلك بعد سنة 1269هـ / 1852 - 1853 م تاريخ صدور رسالة أكنسوس في خصومته مع حفدة أبي العباس السبتي.

توفي بالمدينة المنورة سنة 1287 / 1870، ودفن بالبقيع الأنور. ولم يخلف من المؤلفات الامجموعة في أسانيده وإجازات مشايخه.

ع . الكتاني ، فهرس الفهارس، 1 : 122 ؛ ع . ابن إبراهيم، الإعلام، 2 : 413 ؛ خ الزركلي، الأعلام.

حسن جلاب

الأزْدي، أبويكر يحيى بن محمد بن يوسف الفاسي، دخل الأندلس، فلقي بالمرية أبا عبد الله محمد بن موسى بن وضاح، وروى عنه كتاب *تنبيه الغافلين* في الوعظ لأبي الليث السمر قندي ، كما لقي أبا القاسم عبد الغفور بن أبي محمد النفزي وروى عنه تأليفه المسمى *الشاهد في الوثائق*. لقيه أبو عمر بن عباد بأنتيات من أعمال شاطبة سنة أربع وأربعين وخمسمائة، فأجاز له الكتابين المذكورين وهو ابن خمسين أو نحوها (أي سن الأزدي). كان الأزدي ذا عناية بالطريقة الوعظية عاكفا عليها، مكثرا من رواية المصنفات فيها . قال ابن القاضي في الجذوة : ذكره ابن الأبار ولم يذكر وفاته "

ابن الأبار، *التكملة*، الترجمة رقم 2781 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة* (السفر الثامن، الترجمة 201 ص. 420) ؛ ابن القاضي، جذوة.

أحمد عزاوي

إزْرْزَايْنْ، أو زَرْزَاية، هم الحمالون الذين كانوا كثيرين في مدينة فاس إلى عهد غير بعيد وأصلهم من وادي گير (أسيفْ نْ گير) الذي يحيط به جبل مسروح شمالا، وجبل عاشر شرقا، وجبل ضايت جنوبا، ويضم عدة قرى، أهمها : توزاگين، طيط - نْ - علي، أموگر، تالهريت، الهري، تاگريرت، إگرامن، تافنداست، تلال، املاحن، باكنو، ايرار.

ينتمي إزرزاين (ج. إزرزاي) إلى قرية اموگر، ويكونون طائفة هامة منذ قرون (انظر حسن الوزان ومارمول).

إن أيت اموگر، حسب رواية بربرية، وفدوا في دولة إدريس الثاني، إلى فاس بعدد كثير ليشتغلوا. ولكن جلهم تألموا بعد مدة من عواقب البطالة. فانتدبوا جماعة منهم إلى العاهل ليعرضوا عليه شكواهم. فخاطبهم الملك بقوله : "لا ينبغي أن تكون هذه الأزمة المؤقتة سببا لرجوعكم إلى بلادكم أقيموا هنا وكونوا مثل جمال الصحراء، ستستخدمون في نقل جميع ما سيشتريه الناس من مواد أو أشياء. إنها اقطاعة أخصصها لكم ولأحفادكم إلى يوم القيامة". ومنذ ذلك العهد يزاول الحمالون هذه الحرفة خلفا عن سلف.

وحسب رواية فاسية، بمجرد ما وقع اختيار مولاي إدريس على الموقع الحالي للمدينة، وشرع الناس في بناء منازلهم. بدأ القرويون الرحالة أو الحضريون يتوافدون على هذه الحاضرة الجديدة لإكراء سواعدهم. وتضاعفت اليد العاملة، وفتر البناءُ في فصل الشتاء، وأصيب العمال أكثر فأكثر بعواقب البطالة، حتى إن الجوع أدى بالعديد منهم إلى أن أصبحوا لصوصا. فاشتكى أهل فاس من هذه الحالة إلى مولاي إدريس الذي أمر بإحضار ممثل عن كل مجموعة عرقية. واتفق الكل على إقصاء جميع الغرباء الموجودين بفاس، باستثناء الذين نالوا حقوق المواطنة. وبفضل السمعة التي اكتسبها إزرزاين كعمال مستقيمين، حصلوا على الإذن بالإقامة المستمرة بفاس، وخصص لهم مكان معين بساحة عين عَلُّو، ورحبة القيس، ثم ساحتي قنطرة بوروس وسويقة ابن صافي، وعينوا أمينا لهم كان المنتدب الوحيد المؤهل لتمثيلهم لدى المحتسب، إضافة إلى أنه كان يفصل بينهم في النزاعات التي قد تنشب بينهم. كانت حرفة إزرزاي موروثة، لا يمكن أن يزاولها إلا الشبان الذين يثبتون كتابة أو شهادة أن جدهم كان حمالا ويدلون بضامن مقبول. وتضرب الأمثال بأمانة إزرزاين حتى إنه إذا خان أحدهم الأمانة، ألزمت طائفتهم بأداء المبلغ المختلس بكامله، وصودرت أموال المختلس حتى في بلاده، ثم طرد من قريته، ولم تقبله القرى الأخرى.

كما كانت تسند إليهم أحيانا مهام دقيقة، كحمل العروس إلى المنزل الزوجي على عمارية، وتسليمهم جهازها، وإيصال الولد الذي سيختن إلى الضريح الذي ستتم فيه العملية.

ويساهم إزرزاين بقدر كبير في جميع الاحتفالات الرسمية، كدخول الملك، ويمتازون بأغانيهم ورقصاتهم البربرية، وكذلك بالمهمة الخطيرة أحيانا التي تقتضي، ذلك اليوم، رفع وحماية الدُّمَى العظيمة (أبياضي) التي زينتها الشيخات والنگافات بأنفس حلاهن وأجملها. ورغم أنهم يسكنون المدينة فزيهم بسيط جدا : شبه قميص (أجلاب) فوقه حائك (أعبان) يلف على الجسم ويثبت بجراب (أقراب) على الكتف، وعلى الرأس عمامة (ترزيت) أو شريط من الوبر (أفولون كوبر)، ولحاجيات الحرفة كيس (تاخنشيت) يوضع دائما على الكتف و حبل (طوال) معلق به، والحذاء التقليدي (إدوكا) في الرجلين.

إن ولي إزرزاين هو مولاي إدريس بدون شك. فكل سنة يكتتبون لشراء ثور يذبحونه بابهة في ضريح الصالح.

وفيما يلي القبائل التي يزاول أعضاؤها حرفة تازرزايت والموقع المخصص بفاس لكل مجموعة : أيت بنحيون، ساحة النجارين ؛ اوطاط أولاد الحاج، الجوطية، الشماعين ؛ أيت گير، رحبة القيس، سويقة ابن صافي قنطرة بوروس ؛ أهل تينرست وأولاد سيدي عيسى، قنطرة سيدي العواد، قنطرة الرصيف، المدارج، رحبة الزبيب.

وهناك أيضا حمالون يهود بالملاح، ينتمون هم الآخرون إلى مناطق بربرية،ميدلت، أوطاط الحاج.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ مارمول، *إفريقيا* ؛ *روايات شفوية*.

محمد الأخضر

إزْرف، كلمة تنطق في بعض الأحيان أيضا : أزْرْفْ بفتح الألف، وتستعمل عند القبائل الأمازيغية لوسط المغرب وجنوب شرقه (الهضبة الوسطى، الأطلس المتوسط، ملوية العليا، الأطلس الكبير الشرقي، واحات جنوب شرق المغرب) للدلالة على القوانين العرفية التقليدية والسلطة التي تتولى تطبيقها. وتفيد نفس الكلمة في اللغة الأمازيغية المستعملة عند قبائل التوارگ في الصحراء الكبرى معنى "معدن الفضة" وتبعاً العملة الفضية، وكل كمية مالية سواء كانت معدنية أو من الورق. كما نجد في نفس اللغة فعل إزْرْفْ ezref الذي يفيد معنى الترصيص بالحجر حينما يتعلق الأمر بحائط البئر ويلاحظ أن كل هذه الكلمات مشتقة من الجدع الثلاثي ز. ر. ف الذي نجده كذلك في كلمة أزاريف التي تعني الشب في اللغة الأمازيغية، كما نلاحظ أن هذا الجدع يعادل على المستوى الصوتي جذع ز. ر. و. الذي نجده في كلمة أزرو، التي تعني الحجر. وهذا ما يجعلنا نستنتج بالنسبة لجدع ز. ر. ف. معنى الحجر المعدني البراق الشديد البياض. وقد لاحظ إميل لاووست E. Laoust التشابه الموجود في اللغة الأمازيغية بين إزْرْفْ = القانون العرفي، وأزْرْفْ = معدن الفضة، وقال إنه من المحتمل أن يكون المعنى الأصلي في إزْرْفْ هو الغرامة. وإذا صح هذا الاحتمال يكون إزْرْفْ يمثل مستوى تعامل قانوني بعكس مرحلة تطور اجتماعي متقدمة بالنسبة لمرحلة القصاص البدني كأسلوب تعامل قانوني في العقاب. وهذا ما يرجح كذلك أن يكون إزرف قانونا نابعا من مجتمع مستقر ذي رواج اقتصادي متطور يستلزم استعمال العملة المعدنية. تستعمل كلمة إزرف بالمغرب الآن لتعني كل الأعراف التي تنظم المجتمع ولا تستمد بالضرورة أصلها من نص الشرع، ومن هنا جاء ما قد تحمله هذه الكلمة من معنى قدحي قد رأى فيها بعض المفتين ضربا من الكفر سيما ما يتعلق في أزرف بعدم

توريث الزوجة وبعض التقاليد مثل تقليد أمَازَّالْ الذي يجعل المرأة التي تفقد زوجها تستعين برجل أجنبي يعيش معها ويتكلف بتسيير أمورها دون زواج، وقد زادت فترة الحماية الفرنسية التي حاولت أن تكرس قانونيا واقع إزْرُفْ في المناطق الأمازيغية للمغرب في هذا الطابع القدحي، والواقع أننا أمام تنظيم قانوني كان يشمل أغلبية سكان المغرب قبل انتشار تعاليم الإسلام وأن هذا التنظيم حصيلة تطور المجتمع في هذا المجال الإفريقي انطلاقا من معطيات طبيعية وتأثيرات حضارية خاصة. ولا يمكن أن يفهم بقاؤه في مجتمع اعتنق الإسلام والكثير من تعاليمه الشرعية إلا كمؤشر على طابعه العضوي والوظيفي في المجتمع.

وإذا كنا نجهل الكثير عن إزْرُفْ في تاريخ المغرب فإن ما تحتفظ به الرواية الشفوية في بعض القبائل المغربية مثل أيْتْ عطَّا يجعلنا نعتقد أن الاستقرار هو الذي مكن من بلورة هذا النوع من القانون على غرار ما نرى ذلك في اقتران ظهور تيعقّيدينْ أو أعراف أيت عطا بإنشاء إغْرْمْ أمَازْدَارْ وهو مَخزن الحبوب الذي اجتمعت لتأسيسه قبائل جبل صاغرو الرعوية في القرن 16 م الذي أصبحت تقنيناته هي تقنينات القبيلة. وقد يفسر هذا التطور ما يعتقده إيميل لاووست E. Laoust من اقتران إزْرُفْ بالغرامة المؤداة نقدا بالفضة. والغالب في إزْرُفْ أن يكون غير مكتوب ولا يكون محفوظا إلا بالتواتر في ذاكرة القدامى من القبيلة أو القرية وتبعاً لذلك يوجد مجلس مختص في قانون إزْرُفْ، وكل الحالات التي تستدعي البت في نطاق هذا القانون يختار لها شيخ القبيلة عشرة أفراد من قدامى القبيلة يسمون بأيْتْ زْرُفْ أو إمْزُورُفْ فيبتون في الحالة التي استدعوا للبت فيها انطلاقا من الأعراف المطبقة في القبيلة وكذا في التشاور. وإذا لم يفلح هذا المجلس الأول في إيجاد الحل الناجع للمشكل المطروح اختار الشيخ مجلسا ثانيا ثم مجلسا ثالثا. وإذا تعذر الحل بُت في المسألة في مجلس أعلى يكون هو المرجع بالنسبة لأفخاذ القبيلة أو المجموعة من القبائل. وتكون قرارات هذا الأخير نافذة وغير قابلة للطعن.

ينص تنظيم إزْرُفْ كذلك على وجود شخص يسمى أنْحْكَامْ أو أرقَّاسْ، وقد يطلق عليه أيضا في بعض الأحيان اسم الوكيل، وهو معين من طرف شيخ القبيلة وباتفاق مع المتنازعين، ويشترط فيه أن يكون على علم بأعراف القبيلة. ومهمته إثبات رفض أحد المتنازعين الدعوة الموجهة إليه في نزاع مَّا أو رفع النزاع إلى المجلس الأعلى.

ويتصف قانون إزْرُفْ بكثير من المرونة في حل المشاكل، وكان تكوين مجلس خاص لحل كل مشكل ظهر من الضمانات الناجعة في إيجاد الحل العادل له إلا أنه يشكل كذلك عنصر عتاقة لا يمكن معها تطويره.

العربي مزين

إزْرَف، عرف قبلي يتنوع بتنوع الجهات، يندرج البعض منه في العادات المحكمة طبقا لقاعدة تحكيم العرف ومبدأ المصالح المرسلة، توارثه المغاربة منذ القدم خلفا عن سلف، بعضه تدوينا، وأغلبه مشافهة.

يغلب على الظن أن المغاربة كانوا قبل مجيء الإسلام، يقضون في النوازل بمختلف أنواعها بالأعراف، وكانت هذه الأعراف تدون في "جرائد" يتوارثونها، وفيما لم يدون منها كان الحاكم يلجأ إلى القياس، ويدوِّن القضية الجديدة. ولكل منطقة أوراق وتقاييد خاصة بأعرافها وتقاليدها تتعرض للتعديل كلما تقلبت الظروف. وذلك باجتهاد كبار القوم العارفين بالأعراف، ولا تزال هذه الاوراق بيد كبار شيوخ بعض القبائل حتى الآن (الهلالي : *مجلة الفتح*، عدد 302).

وبعد الفتح الإسلامي. صارت هذه الأعراف تتأثر بتعاليم الإسلام، فكان شيخ القبيلة (أمغار) إذا حلت به النازلة يستشير من يأنس فيه القدرة على فهم الشريعة الإسلامية ليعلم وجه الحكم فيما يخالفها من الأعراف، فيعدل منها ما خالف، ويبقي ما وافق على ما كان عليه... وممن اشتهر من فقهاء المغرب بإدخال التعديلات عليها في العصور المتأخرة : أبو سالم العباشي (ت 1090 هـ) فقد كان الشيوخ يقصدونه في النوازل بقصد الاستشارة في مقره بزاوية سيدي حمزة بالأطلس الكبير؛ وأبو علي الحسن اليوسي بقبيلة أيت يوسي وغيرهما... الأمر الذي كان من شأنه أن دونت بعض القبائل المغربية مختصر خليل وغيره من كتب الفقه باللغة الأمازيغية....

وعلى الرغم من أن هذه العوائد تلتقي في كثير من المسائل مع أحكام الشريعة، إلا أنها تختلف معها في كثير منها. وقد أطلق على هذه الأعراف المحلية أزْرَف أو أبْرِيد، ومعناه الطريق في بني يزناسن والأطلس المتوسط، وفي بلاد سوس تعرف بالألواح. والمرجوع اليهم فيها يسمون أنْفْلاس والضُّمَّان والشيوخ والعرفاء. وأهم العادات التي يتبعها غالبية المناطق العرفية هي : النظام القبلي، والقضاء التحكيمي.

ويختلف النظام التحكيمي في المناطق العرفية باختلاف القبائل، وأنواع القضايا، وأصول المحاكمة فطرية عندهم تمتاز بالسرعة والبساطة، فالمحكَّمون يسمعون من الخصمين غالبا ويدققون في جميع أنواع الأدلة من شهود وقرائن وفراسة وأيمان، والظاهرة الغالبة عليهم أنهم يلجأون أوّلا إلى الصلح فيحاولون استرضاء المتعدَى عليه أو أقربائه، فإن توفقوا وإلاّ فرضوا الدية اللازمة أو أصدروا الحكم الذي يوافق تقاليدهم، وما يرونه في كل قضية. وإذا لم ينفذ المحكوم عليه هذا الحكم أمره زعيم القبيلة (أمغار) بذلك، واعتادوا إرسال الوفود بطلب تخفيف الدية، وشيخ القبيلة هو الذي ينصب الحكام بطريق الانتخاب، ويظل الحاكم في منصبه سنة كاملة، ويشترط فيه أن يكون مسنًا ذكيا ذا مكانة اجتماعية وسيرة حسنة، ملمًا بأعراف قبيلته وغيرها، شديد التمسك بتقاليد قريته. وللمحكوم عليه الحق في استئناف حكم شيخ القبيلة إذا لم يرقه لدى أشهر العارفين بالأعراف، لكن بعد تراضي الخصوم عليه. كما أن

الأحكام تصدر علنا وبمحضر أعيان القبيلة. أما التنفيذ فكانت القبيلة كلها تضمن نفاذ الحكم متى أصدره الحاكم، وكانت كل قبيلة بمثابة إمارة يمثلها أعضاء يختلف عددهم، وفي الغالب يكونون أربعين، ومن ثم أطلقوا عليهم (أيت أربعين) وهم بدورهم ينتخبون رئيسهم ويطلقون عليه (أمغار)، ومعناه شيخ القبيلة، وكانت لهم طرق خاصة يسيرون عليها في انتخاب شيخ القبيلة. فالأحكام المتعلقة بالأحوال الشخصية والمشاكل العقارية قد تسند إلى الفقهاء لكي يتولوا الفصل فيها بطريق التحكيم والتراضي. وصورة التحكيم هذه : أن يتفق المتداعيان على رفع دعواهما تحكيما إلى بعض الفقهاء، فيكتب التراضي بحضور الاعيان، ويشهد الضُّمان (إنفلاس) فيه بذلك عليهما، ويسلم للمُحكَّم، أو يختار كل منهما محكما مستقلا، وللمحكوم عليه بعد صدور "الحكم الابتدائي" اذا لم يرقه الحق في الاستئناف إلى فقيه آخر في ظرف سنة أو شهر أو ستة أشهر، الأمر هنا يختلف من قبيلة إلى أخرى ومن عرف إلى عرف. (*سوس العالمة*، 26) وبمجرد انتهاء هذا الاجل لا يحق للمستأنف أن يرفع دعواه من جديد، وإن طعن أحد الخصمين في الحكم الصادر عليه من المستأنف إليه، فان له الحق أن يطالب محكما ثالثا ويسمى هذا مفتيا. (*المعسول*، 9 : 252) ويلاحظ هنا أن دور الفقهاء غير مستقل، فهم حتى في هذه الحالة يكونون محاطين بأعيان القبيلة، فكأنهم هم المسؤولون عن تطبيق الأحكام، ودور الفقهاء هذا لا يعدو كونه دوراً استشاريا...

أما الأحكام المتعلقة بالجنايات وشؤون الأسواق والمسائل المدنية فيتولى الفصل فيها أعيان الجماعة. وهؤلاء الأعيان المختارون يفصلون بواسطة قانون أعدته الجماعة وصادقت عليه بالإجماع سموه لوحا. (*ألواح جزولة*، 7) واللوح فيه كل ما يتعلق بالمخالفات والعقوبات، ودور الأعيان هو تطبيق ما ورد في الألواح، وأحكام الفقهاء إن كانت تتعقب ويجرى عليها الاستيناف مرة أو مرتين، فان أحكام الأعيان على النقيض من ذلك لا تتعقب فيما يفصلون فيه (*العرف والعمل*، ابتداء من ص. 228). أما وسائل الإثبات لديهم فعلى نوعين : حجج إشهادية وهي قاطعة لأنها صادرة عن شهادات اختيارية أتى بها رجال بالغون عقلاء عارفون، وحجج إشعارية وهي أقل قيمة من سابقتها، ومعناها أن المتهم إذا حنث وشعر بنفسه أنه معرض لسخط الله، وأن أقاربه يشاركونه ذلك، لجأ إلى الاعتراف وذهب إلى الحكام يشعرهم بذلك.

والحجج الإشهادية تختلف باختلاف القضايا، ففي بعض العقود يجب الإكثار من عدد الشهود، وفي بعضها الآخر يكتفى بعدد قليل، إلا أنه في الغالب يكون التعاقد بحضور اثني عشر شاهداً، ويستحب أن يكون فيهم بعض (إمْقران) وهم أعيان القبيلة (أشبه بالعدل المزكّى)، والقَسَم الجماعي كوسيلة للإثبات منتشر انتشاراً كبيراً عند أهالي المناطق العرفية (*العرف والعمل*، ابتداء من ص. 231).

ولابد من الإشارة إلى أن كثيرا من الأعراف المحلية صادق عليها الملوك باقتراح الأشراف المحليين والفقهاء كالظهير الحسني الصادر في شأن الأعراف الجنائية بزمور الشلح، والظهير الذي أصدره في شان الأعراف السوسية، والذي يقول فيه إنه أقر السوسيين على عاداتهم وأعرافهم التي عندهم علَيها ظهائر أسلافه، واشترط على العلماء والأعيان والحكام منهم أن لا يخرجوا على ما تقرر لديهم من الأعراف (عبير *الآس*، بواسطة *ألواح جزولة*)، كما أن المنصور السعدي أصدر ظهيراً في هذا الشأن يحثُّ فيه ولاته على المحافظة على ما عهد لدى القبائل من عادات وأعراف واستمرت جارية عندهم بحيث لا تخرق لهم، ولا تغير حالة من أحوالهم في قليل الأشياء وكثيرها (*خلال جزولة*، 2 : 138).

يتضح مما سبق أن هذه الأعراف فيها ما هو مساير للتشريع الإسلامي ولا يتناقض معه، ولا يصدم أصلا من أصوله، وفيها ما هو مخالف للنصوص القطعية التي أتت بها الشريعة. وأبسط مثال ضربناه لذلك هو حرمانهم المرأة من الإرث خشية أن يدخل زوجها في أملاك عائلة الزوجة، وكذا العقوبات التي كانوا يفرضونها على الجناة التي خالفت ما هو منصوص وعقود الأنكحة على وجه غير شرعي، والمغالاة في الأيمان، ومشاركة أقارب المتهم في تأدية القسم وتغليظه، وأخذ الولي صداق البنت لنفسه، وغيرها من الأحكام التي تصادم الشرع مصادمة صريحة... وفيها ما كان وسطا بين هذا وذاك، وهو الذي حاول بعض العلماء أن يوجدوا له مخرجا ويخلقوا له مسوغا... وهكذا و قف العلماء من هذه الاعراف مواقف مختلفة، فمن الذين أيدوا هذه الأعراف والأحكام والتنظيمات (بالنسبة لاعراف سوس خاصة) الشيخ الحسن ابن عثمان الجزولي التملي تلميذ الشيخ أحمد الونشريسي والشيخ ابن غازي والذي قال في شأن الألواح : مسائل ألواح القبائل منها ما وافق الشرع وهو أكثرها لكن على غير مذهب مالك (*ألواح جزولة*، ص 106) ؛ وعمرو بن أحمد ابن زكرياء البعقيلي الذي أصدر منشورا مؤرخا بجمادى الثانية عام 964 هـ ويعدُّ نموذجا للأعراف التي في سوس ؛ والشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عمرو التمنارتي ت 971 هـ وعبد الله بن مبارك الأقاوي ت 1015هـ وهما أول من أحدث الخلاف وأمرا بكتبها في ألواح القبائل من هلالة وهشتوكة وتابعهما أهل عصرهما ؛ والفقيه عبدالله بن شعيب الهلالي، له بحث في مسائل الألواح والنفاليس ؛ والشيخ محمد البعقيلي الهلالي وهو الواضع للوح حصن زاوية سيدي يعقوب وغيرهم. ومن المحدثين محمد المختار السوسي الذي دافع عنها في كتابه *المعسول* (3 : 26). وفي مقابل هذا الفريق نجد فقهاء آخرين من القبائل نفسها التي كان يطبق فيها هذا العرف يشجبون هذه الأعراف وينددون بأصحابها والقائمين عليها. ومن هؤلاء : أبو عبد الله الهشتوكي الذي وصفها بالضلال

المبين، وكذلك عبد الرحمن التمنارتي الذي قال في شأنها "إنها من باب التحاكم إلى الطاغوت الذي أُمرنا أن نكفر به" والشيخ مَحمد بن ناصرالدرعي الذي سئل عنها فأجاب في حق أصحابها بأنهم عصاة (*الاجوبة الناصرية*)، والشيخ عبد الرحمن الجزولي الذي وصفها بالبدعة التي أماتوا بها السنة (*شرح لامية الزقاق*) وهو الموقف الذي وقفه محمد بن عمر الهشتوكي إذ ذهب إلى أن الضوابط التي اتفق عليها الشيوخ والضمان ضلال مبين وكفر صراح (*أجوبة أحمد باب السوداني*) وهو الرأي الذي ذهب إليه قاضي سوس في عصره عيسى بن عبد الرحمان السكتاني الذي قال في شأن الالواح : "إنها ألواح شيطانية، وهم بذلك انما ينبذون الكتاب والسنة ويحكمون بغير ما أنزل الله متحاكمين إلى الطاغوت".

أما الذين وقفوا منها موقفا وسطا، فقد نظروا إلى هذه الأعراف نظرة واقعية، فما رأوه مخالفا للشريعة ومصادما لأصولها ومبادئها أنكروه، وما كان غير ذلك أجازوه. وهذا الموقف عبر عنه أكثر العلماء. إن الذي أيد هذه الأعراف ورآها قريبة من أحكام الشرع وسائرة على مبادئه وتعاليمه نظر فقط إلى بعض الأعراف التي كانت في جهات معينة وتهم بالدرجة الأولى منطقة سوس، أما المناطق الأخرى كتلك الأعراف المنتشرة في قبائل الأطلس المتوسط وما انضاف إليها والتي تعرف "بأزْرْف" فكثير منها مخالف للشرع مخالفة صريحة.

أحمد باب السوداني، *أجوبة*، مخطوط خ. ح.5813 ؛ م. ابن ناصر، *الأجوبة الناصرية*، مخطوط خاص ؛ م. ميارة، *شرح لامية الزقاق*، مخطوط خ. ح. 44 ؛ ت. الهلالي، *مجلة الفتح*، عدد 302 ؛ م. المكي الناصري، *مجلة الفتح*، عدد 294 ـ 295 ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، 5 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة* ؛ *سوس العالمة* ؛ *المعسول* ؛ م. العثماني، *ألواح جزولة* ؛ ع. الجيدي، *العرف والعمل*.

عمر الجيدي

الأزرق، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حسان الجبلية. ويعرف من أفرادها الجنود الآتية أسماؤهم : أحمد بن سلام الأزرق ومحمد بن الهاشمي الأزرق، وعبدالرزاق بن المختار الأزرق، وأحمد بن مصطفى الأزرق، والملازم أول محمد بن أحمد الأزرق، كلهم كانوا بحامية تطوان عام 1292 / 1875. ولازالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*،2 : 329 ؛ *تاريخ تطوان*، 8 : 353. م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 ; (A) *Vademecum de intervenciones (año 1931)* (A); M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* (A).

محمد ابن عزوز حكيم

الأزْرَق، أسرة فاسية اشتهرت بالتجارة في الخارج والداخل خلال القرن التاسع عشر، وكانت فرقة منهم هاجرت إلى الخارج. ومن أفرادها :

الأزرق، الحاج الطالب بن الحاج حمادي استقر مدة طويلة بمدينة مَنْشيسْطر ولا سيما سنة 1866 للتجارة هناك. وبعدها رجع إلى المغرب.

الأزرق، الحاج عبد الحي بن محمد، كان يتاجر بمصر سنة 1888.

الأزرق، الحاج محمد بن الحاج حمادي اتجر بانجلترا في القرن التاسع عشر، لا سيما بين 1887 و 1893 وكانت له دار تجارية بالقاهرة.

الأزرق، محمد بن عبد الواحد كان يتاجر بمصر سنة 1888.

م. بوشعراء، الاستيطان والحماية، 1 : 111 ـ 116.

مصطفى بوشعراء

الأزرق، أحمد بن الطيب الفاسي. اشتهر بالحاج أحمد، واشتغل بالطباعة مساعداً لأبيه في "المطبعة الفاسية" ابتداء من عام 1308 / 1890، ثم في مطبعته الجديدة بدرب الحمام، حيث كان يُذكر في آخر المطبوعات الحجرية كنائب لوالده. وبعد اختفاء اسم الطيب الأزرق حل محله اسم الحاج أحمد الأزرق واستمر حتى عام 1326 / 1908. وبذلك كان أحمد ثالث أفراد آل الأزرق الذين ارتبط اسمهم بالطباعة الحجرية الفاسية منذ ظهورها. ولا يعرف تاريخ وفاته.

الأزرق، الطيب بن محمد الفاسي، اشتهر بالحاج الطيب، واشتغل في المطبعة الحجرية منذ دخولها إلى فاس في ربيع الثاني عام 1282 / شتنبر 1865، وفيها تعلم الطباعة على يد الطبيع المصري محمد القياني بن إبراهيم الذي جاء به القاضي محمد الطيب الروداني مع المطبعة الحجرية التي اشترها من المشرق ثم أهداها للسلطان محمد بن عبد الرحمان. ولما أتقن الطيب الأزرق مهنته ونجح في الامتحان حصل على إجازة الخبير في شؤون الطباعة عبد القادر الشفشاوني بتاريخ 3 ذي القعدة عام 1285 / 15 فبراير 1869.

وبعد أن توقف عمل المطبعة الحجرية السعيدية أو المحمدية سنة كاملة أجّرتها الحكومة على إثر رجوع الطبيع المصري إلى بلاده آخر عام 1287 / 1871 إلى جماعة من الفاسيين أسندوا مهمة تسييرها إلى الحاج الطيب الأزرق، وذلك منذ أوائل 1289 / 1872 فأصبحت تدعى "المطبعة الفاسية". وحوالي 1310 / 1892 أسس الطيب الأزرق مطبعة حجرية جديدة في درب الحمام قرب الجوطية من عدوة القرويين بفاس. كان ساعده الأيمن فيها ابنه أحمد.

نشر الطيب الأزرق خلال نحو ثلث قرن عدداً كثيراً من المطبوعات الحجرية، ونال بذلك ظهائر التوقير والاحترام من محمد بن عبد الرحمان والحسن الأول. ويعتبر رائد الطباعة بالمغرب. وكانت وفاته بعد عام 1313 / 95 ـ 1896.

الأزرق، العربي بن محمد الفاسي. أخو الطيب

الأزرق لأبيه، ومساعده في "المطبعة الفاسية" منذ عام 1293 / 1876. وقد ورد اسمه في مجموعة من المطبوعات الحجرية الفاسية التي أنجزها بنفسه، ثم أسس مطبعة حجرية جديدة ورد ذكرها في آخر شرح *العمل الفاسي للسجلماسي*، الذي تم طبعه في 14 ربيع الثاني عام 1298 / 16 مارس 1881. وحوالي عام 1323 / 1905 أسس مطبعة حجرية ثانية باسمه ورد ذكرها في آخر رسالة للشيخ ماء العينين تم طبعها في سادس رمضان عام 1324 / 24 أكتوبر 1906. وكانت في درب حسان من حي البليدة بعدوة القرويين بفاس.

نشر العربي الأزرق ـ كأخيه الطيب ـ عدداً عديداً من المطبوعات الحجرية الفاسية، وطال عمله في هذا الميدان أكثر من أربعين سنة، تمتع خلالها بالتقدير من جانب المخزن الذي كان ينفّذ له سنويا الكسوة والصلة بواسطة أمناء دار عديل بفاس. وكانت وفاته بعد 1332 / 1914.

محمد المنوني، مظاهر، ج 1 ؛ *مطبوعات حجرية*.

محمد حجي

الأزرق، يحيى بن عمر بن زيان الوطاسي أبو زكرياء، سمي كذلك لزرقة عينيه. تولى الوزارة في عهد السلطان عبد الحق بن أبي سعيد المريني 823 ـ 869 / 1420 ـ 1464. عمل على تثبيت نفوذ الوطاسيين بالبلاط المريني، وبذل جهودا كبيرة بمساعدة الحفصيين ـ سنة 830 / 1426 لاستعادة سبتة. تمكن في سنة 846 / 1442 ـ 1443 من إخضاع قبائل الشاوية "وكانوا قد تمردوا على الدولة واعضل داؤهم" (*الاستقصا*، 4 : 96) . فأخذ جمعهم، وخرب منازلهم، ولكنه قُتل طعنا بالرماح غدراً، قدم على مدينة فاس قتيلا، ودُفن بالقُلة خارج باب الجيسة .

م. السخاوي، *الضوء اللامع*، 10 : 225 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، 535 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 4 : 96 .

الأزرق، يحيى بن يحيى الوطاسي أبو زكريا تولى الوزارة في عهد السلطان المريني عبد الحق بن أبي سعيد 823 ـ 869 / 1420 ـ 1464. حاول أن يستمر في العمل الذي ابتدأه أبوه بتثبيت نفوذ الوطاسيين داخل البلاط المريني، فأقصى لهذا الغرض عددا من الولاة وكبار الجند والقضاة، لكن السلطان انتبه الى نواياه بسرعة، إذ لم يدم في الوزارة سوى سبعين يوما، اعتقل على إثرها هو وبعض أفراد أسرته وأعدموا ذبحا. وقد تجنب السخاوي ذكر أي شيء عن ذلك ، في حين تعرض الناصرى إلى تصرفه قائلا : "كانت ولاية هذا الوزير هي مبدأ الشر ومنشأ الفتنة، وذلك أنه لما استقل بالحجابة أخذ في تغيير مراسم الملك وعوائد الدولة، وزاد ونقص في الجند ونقص جل ما أبرمه قبله الوزراءُ، عامل الرعية بالعسف. ومن جملة ما نقم عليه أنه عزل قاضي فاس الفقيه أبا عبدالله محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودي وقدّم مكانه الفقيه يعقوب التسولي ... فلما رأى السلطان عبد الحق فعل الوزير واستحواذه على أمور الدولة وتبين له أن الوطاسيين قد التحفوا معه رداء الملك وشاركوه في بساط العز وكادوا يغلبونه على أمره، سطا بهم سطوة استأصلت جمهورهم إلاّ من حماه الأجل منهم.

وكانت وفاة يحيى عام 866 / 1461 .

م. السخاوي، الضوء اللامع، 10 : 264 ؛ أ . الناصري، الاستقصا، 4 : 97.

محمد رزوق

أزْرْقَانْ، محمد بن محمد بن عبد الكريم، ينتمي إلى أسرة أولاد الحاج المنحدرة من الولي الصالح سيدي الحاج يحيى الإدريسي دفين مدشر تيغْنامين بفرقة إزْمُّورْنْ بقبيلة بَقّيوَة الريفية، وكان جد المترجم له أوّل من لُقب بأزرقان.

ولد محمد أزرقان سنة 1310 / 1892 بمدشر أجْدير بفرقة أيت يوسف وعْلي بقبيلة بني ورياغل حيث كان عَمه علي أزرقان يتولى مشيخة فرقة أيت علي وْعيسى من نفس القبيلة. ويبدو أن دراسة أزرقان اقتصرت على تعلم الكتابة والقراءة بكتّاب مسقط رأسه، ثم اشتغل بتربية الماشية والزراعة، وعندما توفي عمه علي حل محله في مشيخة الفرقة. تقول الوثائق الإسبانية إنه كان يتردد على جزيرتي النكُّور وبادس المحتلتين من طرف إسبانيا، كما كان يسافر من حين لآخر إلى مليلية وجنوب إسبانيا من أجل التجارة، الشيء الذي جعله يتصل بالإسبانيين ويتكلم لغتهم. وقد ازداد تردده على مليلية خلال المدة التي كان يوجد بها الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي من سنة 1907 إلى سنة 1918.

واتصال أزرقان الوثيق بالإسبانيين هو الذي جعلهم يلقبونه بالبّاخاريطو (El pajarito) بحيث لم نجد أي وثيقة إسبانية تشير إليه دون إضافة اللقب المذكور لاسمه، بل هناك عدد من هذه الوثائق اكتفت بذكره بلقبه فقط، وكلمة "الباخاريطو" تعني الطائر الصغير في اللغة الإسبانية، وهي تطلق على الشخص الذي لا قيمة له ولا يستقر على حال، أو على السياسي المعروف بدهائه وذكائه ونباهته وحيله.

وعندما تقلد الأمير الخطابي أمام الثورة الريفية سنة 1921 م. كان أزرقان من الذين ساندوه منذ اللحظة الأولى، وكيف لا وهو زوج إحدى أخوات الأمير، وهكذا نجد أزرقان يحضر المؤتمر الأول للثورة المنعقد بمدشر إزْمُّورْنْ بقبيلة بني ورياغل يوم 12 جمادى الثانية 1339 / 21 فبراير 1921، والمؤتمر الثاني المنعقد بجبل القاما بقبيلة تمسمان يوم ثاني رمضان 1339 / 10 ماي 1921. والمؤتمرين الثالث والرابع المنعقدين بمدشر امزاورو بنفس القبيلة يومي 16 و 19 شوال 1339 / 9 و 12 يونيو من نفس السنة.

وكان الأمير الخطابي يعتبر أزرقان الرجل الثالث في قيادة الثورة بعد أخيه مَحمد الخطابي وعمه عبد السلام الخطابي، حيث كان يكلفه بمهمات سرية لدى السلطات

الإسبانية بمليلية، وأرسله إلى الجزائر وفرنسا سنة 1922 لأجل شراء طائرات وسيارات ومدافع.

وعندما عين الخطابي أميراً في شهر جمادى الأولى 1340 / يناير 1923 وألّف حكومته الأولى بأجدير أسند منصب ناظر (بمثابة وزير) الشؤون الخارجية إلى أزرقان الذي احتفظ بهذا المنصب إلى أن انتهى أمر الثورة الريفية سنة 1344 / 1926، وبهذه الصفة كان أزرقان يتولى المفاوضات مع الإسبانيين بخصوص الأسرى، وقد دامت هذه المفاوضات سنتين إلى أن انتهت باطلاق سراح الأسرى الإسبان يوم 9 جمادى الثانية 1341 / 27 يناير 1923 مقابل فدية قدرها أربعة ملايين بسيطة.

محمد أزرقان (الباخاريطو)

وأزرقان هو الذي ترأس الوفد الريفي الذي تفاوض مع الوفد الإسباني برئاسة الكولونيل كاسطرو خيرونا (Castro Girona) بشأن الصلح في شهر شعبان 1341 / أبريل 1923، غير أن هذه المفاوضات لم تسفر عن أية نتيجة لأن الأمير الخطابي كان يطالب بالاعتراف بالاستقلال التام للريف في حين كان الإسبانيون يعرضون عليه الاستقلال الداخلي.

وبطبيعة الحال فإن جميع المذاكرات التي كان يجريها الأمير الخطابي مع الفرنسيين قبل إعلان الحرب عليهم في شهر رمضان 1343 / أبريل 1925 وبعده كانت بواسطة أزرقان، الذي يقول عنه القبطان الفرنسي ليون غبرييلي (Leon Gabrielli) إنه كان باتصال وثيق معه منذ شهر مارس من سنة 1925 بغية الوصول إلى حل سلمي للمشاكل القائمة آنذاك بين الثورة الريفية وإدارة الحماية الفرنسية بجنوب المغرب بخصوص الحدود المصطنعة بين المنطقتين.

وفي يوم 18 رمضان 1343 / 13 أبريل 1925 هاجمت قوات الثورة الريفية المراكز الأمامية الفرنسية الواقعة على الحدود، وعلى إثر ذلك قدم القبطان غبرييلي إلى الريف حيث تقابل مع الأمير الخطابي بقبيلة تمسمان، وكانت المذاكرات معه بحضور أزرقان يوم 6 ذي الحجة 1343 / 28 يونيو 1925.

ويقول القبطان المذكور إن أزرقان هو الذي تسلم منه بتوريرت شروط الصلح التي أملتها فرنسا على الأمير الخطابي يوم 23 مارس 1926 والتي لم يقبلها الأمير.

وأزرقان هو الذي ترأس الوفد الريفي المكوّن من أحمد والقائد حدو بن حدو البقّيوي الذي شارك في مؤتمر الصلح المنعقد بملتقى الويدان يوم 17 أبريل وبمدينة وجدة من يوم 22 أبريل إلى يوم 6 ماي. وقد كان يرأس الوفد الفرنسي في هذا المؤتمر الجنرال سيمون (Simon) والوفد الإسباني السفير لوبيث أوليفان (Lopez Olivan)، غير أن هذا المؤتمر لم يسفر على أية نتيجة بسبب تعنت الوفد الإسباني، لأن الحكومة الإسبانية لم تكن ترغب في انعقاد المؤتمر المذكور، وقد قبلت المشاركة فيه ترضية لفرنسا وحتى لا يقال عنها إنها لا ترغب في السلم.

وخلاصة القول أن أزرقان لعب دوراً مهما في علاقات الثورة الخارجية، كما كانت له مشاركة فعالة في تدبير شؤونها الداخلية حيث نجده بجانب الأمير الخطابي في أهم وأخطر المواقف. وعندما استسلم الأمير الخطابي للفرنسيين يوم 17 ماي 1926 كان أزرقان ممن استسلم معه، غير أنه لم يرافقه إلى منفاه بجزيرة لاريونيون (La Reunion) وإنما فرضت عليه الإدارة الفرنسية الإقامة الإجبارية بمدينة الجديدة التي ظل بها إلى أن استقل المغرب سنة 1956 واستعاد أزرقان حريته الكاملة.

وقد امتاز أزرقان عن باقي قواد الثورة الريفية بأنه هو الوحيد الذي ترك لنا الرواية المغربية المعاصرة للأحداث، ونعني بذلك ما قصه على الفقيه أحمد سكيرج بالجديدة سنة 1345 / 1926 ودوّنه الفيه المذكور نقلاً عنه في تأليف أطلق عليه اسم الظل الوريف في محاربة الريف، هذا المخطوط الذي يوجد أصله بالخزانة العامة بالرباط، كما توجد نسخة منه كتبت يوم فاتح محرم 1367 / 15 نوفمبر 1947 وكانت في ملك رئيس قسم المخابرات بنيابة الأمور الوطنية بتطوان في عهد الحماية الكومندار فالينطين بينيطيث (Valentin Beneitez) وقد ترجمها إلى اللغة الإسبانية عبد الرحيم جبور، وأهداني الكومندار المذكور سنة 1951 صورة من النسخة العربية ونسخة من الترجمة الإسبانية. تمتاز هذه النسخة العربية الغير المعروفة عند الباحثين بالنسبة للأصل بأنها تحتوي على عدد كثير من التعاليق والهوامش المفيدة جداً، والتي لا توجد في الأصل. فإذا قال الفقيه سكيرج في مقدمة الأصل إنه ما له في ذلك "إلا مجرد النقل عن أزرقان" فإننا نجهل من هو هذا الشخص الذي قام بنسخ النسخة التي بين أيدينا فزاد على الأصل أشياء جد مهمة تشهد على أنه كان على اطلاع كبير بشؤون الثورة الريفية العلنية منها والسرية.

لم نقف على تاريخ ومكان وفاة محمد أزرقان.

أ. سكيرج، *الظل الوريف في محاربة الريف* (مخطوط) بالخزانة العامة بالرباط ؛ م. م. عمر القاضي، *أسد الريف*، محمد بن عبد الكريم الخطابي (مذكرات عن حرب الريف) تطوان 1979 ؛ م. ابن

عزوز حكيم، *معركة أنوال 21 يوليوز 1921*، الرباط 1981 ؛ *ومضات مضيئة عن الحرب الريفية من خلال مذكرات شاهد عيان إسباني*، الرباط 1986.

محمد ابن عزوز حكيم

إزْرگِيِّين، إذا كان المعنى الراجح لهذا الاسم هو لون الزرقة، فهل معنى هذا أن تاريخ هذه القبيلة التكنية يرتبط أساسا بالمد الأعرابي على المنطقة منذ سبعة قرون ؟ الواقع أن العصر العربي الوسيط لم يكتشف اسم هذا اللون إلا بصورة جد متأخرة. كما أن الاستعمال الأروبي للكلمة لم يتخذ مساره العادي إلا منذ نهاية القرن الثامن عشر (A. Bouhdiba, 348) لقد قامت هذه الحضارات على مختلف مشاربها بتحميل اللون الأزرق من القيم السلبية ما جعل تجنبه يتم بشكل محكم. فنجد اللهجة الحسانية مثلا تعوضه باللون الأخضر مضيفة بذلك إلى الإشكال الذي تصادفه التسمية. يبقى إذن أن نتساءل عن موقف الصنهاجية والمصمودية والزناتية كلغات محلية من هذه القيم ؟ يكشف استجلاء هذه النقطة عن الارتباط الوثيق بين المرادفين أزرق وأزروال الذي يؤنث على تازروالت ويجمع على تيزروالين (م. شفيق : 333) ويزيد من أهمية الرؤيا أن الزراولة يمثلون تجزئة أساسية من بين تجزئات فصيلة أيت سعيد الأزرگية. هذا علاوة عن كون الرواية الشفوية المحلية ترد مدشري زريويلة وأوزرولت بوادي نون إلى إزرگيين قبل سطو أزوافيط عليها. على أن استقرار هؤلاء لم يحل دون بعض العائلات والتشبث بتسمية أهل إزريگين وأهل بومزيريگ.

يتضح من جهة أخرى أن الصراع بين قبيلتي إزرگيين وازوافيط حول مراقبة المجال شكل السبب التاريخي في مغادرة أولى القبيلتين لف أيت عثمان إلى لف أيت الجمل الساحلي. وهي إشارة تفيد أقدمية الوجود الزرگي متيحة بذلك فرصة استنطاق علاقة القبيلة ببني زروال كما ورد ذكرهم في مؤلفات أبي بكر البيدق (*أخبار*، 53)، لقد كانت فصائل بني زروال تستقر على عدوتي وادي ورغة شمال مدينة فاس بينما توحي أسماء الأماكن بكل من تازروالت إداوْسْمْلاَلْ ومدشري وادي نون بحجم الانتشار. بالإضافة إلى ذلك فإن بني زروال يندمجون في قبيلة أهل ستين بموريطانيا قرب ما يسمى هناك بالبيض (*الوسيط*، 454) وإذا كنا لا نعلم علاقة هؤلاء بالبرزگانيين الذين ورد ذكرهم لدى البكري (*المغرب*، 342)، فإن القاسم المشترك بين مختلف هذه الفصائل هو انتماؤها إلى الأمة الصنهاجية. ورذا كان معنى الكلمة الواردة لدى البكري يفيد طول القامة باللغة الفارسية، فإن الأمر يستدعي استنطاق نصوص القرن الثاني قبل الميلاد. وهنا نشير إلى أن وجود أسماء مقاربة لدى كل من Pline L'Ancien و Polybe و Strabon تعد من أهم الإشارات الموجهة للبحث.

وتأكيدا لما ورد نضيف بأن قرية بني زراولو الغمار ية الصنهاجية تعد من بني زرقت بمنطقة السراير (*معلمة*، 109) هذا علاوة على أن كتاب الأنساب يضع ايليزرگن من بقايا هزرجة المصمودية (*معلمة* 213). غير بعيد عن تيزرگين (*المعسول*، XII : 34). وغير بعيد أيضا عن هذه الأخيرة. تشهد تازوالت الأطلس الصغير وزريويلة على أهمية الوجود اللمطي منذ القرن الخامس الهجري على الأقل. إننا كنا لا ننوي الوقوف عند القدرة الحربية للقبيلة من خلال المعنى اللغوي لكلمة مزراگ (E. Michaux Bellaire, *Mzrag* ; V. Dozy, *Z. R. Q*) لا بد من تأكيد التزكية الجماعية التكنية لأهمية القدرات العسكرية الإزرگية. فقواعد الأعراف ترجع بذاكرتها إلى حمو أوسعيد منذ نهاية القرن السابع عشر الذي لبى نداء السلطان إسماعيل العلوي سنة 1720 بتوجهه على رأس 500 فارس لحماية علي شندورة أمير الترارزة من تهجمات أولاد دليم وأولاد رزق. ولم تحل تطلعات الأمير الترارزي نحو منطقة الوالو وتحالفه مع A. Brüe الفرنسي على أداء سبع نياق سنوية كعادة استمرت إلى حدود سنة 1930.

ندرك من هنا كيف استطاعت القبيلة منذ التحاقها بلف أيت الجمل أن تسلك نمط العيش الترحالي بصورة نهائية. لقد استطاعت أن تختط لنفسها مجالا استراتيجيا عبر الساحل الأطلسي ابتداء من وادي درعة إلى ما وراء بئر تكنة جنوب الساقية الحمراء. هذا ما يؤكده وجودها بآوريورة منذ بداية القرن الثامن عشر (V. Monteil, 17) ولا أدل على مقدرة اتحادية تكنة في مراقبة هذه المناطق حتى منتصف القرن الماضي منذ استعمال إزرگيين الفلاحي لكل من زيني وإيدار والگعدة والمريكلي بعد أهم التساقطات الموسمية، فمن حيث هي كقبيلة تكنية ساحلية، استطاعت هذه القبيلة التوفيق بين الطابع الترحالي والزراعة الموسمية. لقد كان اقتصادها يقوم بالإضافة إلى منتجات الحرث الرسمي، على تربية الجمال والغنم والمعز. هذا علاوة على أهمية حجم المنتجات التي يوفرها محميو القبيلة.

لقد جاءت العوامل الطبيعية والسياسية سببا هيكليا جعل إزرگيين ومحميهم يعيشون في إطار من الخصوصيات. ويضيف المجال هنا عن دراسة التطور التاريخي للبنية القرابية والسياسية والاقتصادية للقبيلة. لذلك سنكتفي بنبذة وصفية تورد الخطوط العريضة لتماسك القبيلة حتى منتصف هذا القرن. تعتبر أهم فصيلة حجما ووزنا سياسيا هي اشتوكة التي تتكون من لگوانه وأهل احماد أسعيد حاميبي أهل الگندوز. تاتي بعد ذلك فصيلة لگراح وفصيلة أيت سعيد. يعد أهل حمو أسعيد - قائد السلطان إسماعيل العلوي - من بين تجزءات هذه الفصيلة التي تعتبرها الرواية الشفوية أحق الفصائل بالانتماء إلى تكنة (V. Monteil, 11)، وعلى حدة العوامل الطبيعية الفاصلة بين اشتوكة ولگراج وأيت سعيد، فإن تماسكها البنيوي يتجلى خلافا لما تروجه المنغرافيات العسكرية الفرنسية في شبكة علاقاتها الحمائية مع فصائل قبيلة مجاط المحلية. فنجد أهل لخديم يرتبطون بتحركات

اشتوكة. بينما يتبع لبيوض تجزئات لگراج وأهل علي أسالم تجزئات أيت سعيد. هذه التحالفات تشكل شبكة يصل تعداد خيماتها 1200، ينضاف إليها سكان عبودة من أيت حسين (200 عائلة) والزناقات (60 عائلة) والفيكات (صيادون ـ 50 خيمة) ولمبار (70 خيمة) وتوبالت (30 خيمة) ونرى بذلك كيف تتجسد أهمية شبكة الحماية الإزرگية شمال وجنوب وادي درعة كقاسم مشترك بين تجزئاتها الثلاث. علاوة على ذلك، فإن اشتوكة التي تعد أكبر تجزئة في القبيلة، تتصدر شؤون التسيير من خلال أهل سيدي يوسف الذين يترأسهم إبراهيم ولد سيدي يوسف خلال الثلاثينات من هذا القرن. أما أهل يحيا من فصيلة أيت سعيد فيتزعمها رمضان ولد علوات، ويتزعم لعروسي ولد سليمان أهل بوجمعة ولد الجيلالي (أهل العياشي) من فصيلة لگراج. ويتسم الوجه الآخر لهذا التلاحم في هيأة أيت أربعين أنفلوس الذي يربط بين مجمل الفصائل. يعفي هذا المجلس الأعلى لفيكات ولمبار ونوبّالت خلافا لباقي المحميين من المشاركة في الملاحم العسكرية. وهي مهمة تستلزم وحدة التقارب البنيوي بين أعضاء المجلس والتحامه التام في أساليب التعامل مع الغير. ولا شك أن صلاحية تعيين وتحديد مأمورية قاضي القبيلة من بين القوانين الأساسية التي تتخذ وفقا لمنطق سلطة المجلس الأعلى (La Chapelle, 87 ـ 88).

هكذا ندرك كيف يتم التوفيق بين الفصائل الثلاث ومشاركة كل واحدة منها في الترابط الوظيفي المنسق لمسار القبيلة. إن سيطرة التقاليد والمعايير الاجتماعية تتطلب إعطاء الأولوية في العلائق والفعاليات الاجتماعية لتلبية الحوافز الطبيعية واتباع الاحتياجات الحياتية. ولعل من أبرز صفات هذه الفعاليات هو موقف القبيلة من الوجود الإسباني على امتداد الساقية الحمراء وشمال وادي درعة منذ الفصل الأخير من القرن الماضي. لقد جسدت مصالح قبائل المحور الساحلي لتكنة مخطط التعامل التجاري مع المسيحيين، فلم تدخل حماية القبيلة لمصالح الشركة الجغرافية التجارية الإسبانية بين وادي درعة ورأس بوجادور ابتداء من 1886، إلا في إطار التعامل المرحلي. لقد استطاع Don Alvarez Perez مبعوث الشركة انتزاع حماية إزرگيين وأيت موسى أوعلي لمشروعه. وهذه الحماية لا تعني أكثر من سذاجة الرؤيا القبيلية الداعية إلى تحقيق أكبر الأرباح عبر مبدأ سياسي لا يتجاوز فكرة المبادلات التجارية المرحلية. على أن الإسبان لم يلبثوا أن استعملوا محميي القبيلة برأس جوبي (طرفاية) من أجل توفير ما يكفي من الأرباح لأداء الضرائب المفروضة من طرف شيوخ إزرگيين. وقد زاد من التحام هؤلاء بالوجود الإسباني تحصيلهم على الأسلحة والمساندة ضد محاولات لف أيت عشمان العدائية، على أن هذا التحالف لم يكن يعني السماح للإسبان بالاستقرار داخل التراب كما يثبت ذلك انعدام التسربات العسكرية بعيدا عن الثكنات الشاطئية.

وهو أيضا ما تثبته ردود فعل الشيوخ المعليين حتى الثلاثينات من هذا القرن. ومما لا يدع مزيدا للشك حول رؤية القبيلة التحررية أن مجنديها في إطار ما سمي بالگوم لم تكن مهمتهم تتجاوز متابعة قبيلة أيت أسا حتى الثلاثينات قصد تصفية محاولاتها ضد المحور الساحلي ومستقطبيه من المسيحيين. لقد كانت أجرة إبراهيم ولد سيدي صالح رئيس گوم إزرگيين تصل إلى 450 بسيطة سنة 1928. في حين كانت أجرة خطاري تتجاوز 300 بسيطة شأنه في ذلك شأن صالح ولد بيروك من أيت موسى أوعلي. ولعل في هذا من الإشارات ما يكفي لتوضيح الغاية السياسية من جلب وإغراء أبناء القبائل المحلية.

أ. البكري، *المغرب*، 1965 ؛ أ. البيذق، المقتسب ؛ *أخبار المهدي*؛ ع، بنعبد الله، *معلمة الصحراء*، ملحق ؛ م. شفيق، *في أن أسماء الأماكن جلها أمازيغية*، مجلة البحث العلمي، عدد 27 : 329 ـ 358 ؛ م. ناعمي ؛ *الصحراء من خلال بلاد تكنة*، 1988 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 12.

E. Michaux Bellaire, *Les Coutumes Berbères dans les Tribus arabes*, R.M.M.9, 1909, 224 - 234 ; P. Marty, *Les Tekna du Oued Noun*, in *Les Tribus de la Haute Mauritanie*, Publications du Comité. A.O.F, 1915, 60-91 ; F. De La Chapelle, *Les Tekna du Sud Marocain*, L'Afrique Française, Bulletin du Comité du Maroc, 1934, 109 p ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna*, I.H.E.M. Larose, 1948, 58 p ; P. Pascon, *Les ruines d'Agouitir de Khnifis, province de Tarfaya (Santa Cruz de Mar Pequena)* Ministère des Affaires Etrangères, Rabat, 1936, 29p. ; A. Boudhiba, *Les Arabes et les Couleurs*, in *l'Autre et l'Ailleurs*, Paris, Berger-Levrault, 1976, 347-355 en particulier 348.

مصطفى ناعمي

أزرو، ـ جغرافيا ـ مدينة تتميز عن غيرها في مجموعة مدن الأطلس المتوسط الشمالي الغربي لكونها تحتل موقعا جغرافيا استراتجيا وسهل الاتصال، إذ تشكل ممر عبور تاريخي على طول الطريق التقليدي الرابطة بين فاس ومراكش من جهة ومكناس وتافيلالت من جهة أخرى .

تحتل هذه المدينة موضعا منفتحا على سهل تيگريگرة (اسم الواد الذي يمرّبه) الممتد على 1000 ـ 1200 م من العلو في اتجاه الجنوب، تشرف عليه من الواجهة الشرقية والجنوبية الشرقية قمم بوطاعة والأجراف الصخرية لخرزوزة على مدى ارتفاع يصل إلى 1637 م. يتميز هذا الموضع بمناخ متوسطي جبلي تكثر فيه التساقطات (أزيد من 700 مم في السنة) وتكون على شكل ثلوج في الفصول الباردة ، وتعزر فيه المجاري والعيون العذبة مثل عين أغبال. ويعرف فصل الصيف عواصف رعدية تخفف من شدة جفاف هذا الفصل، إلاّ أن طابعها العنيف يهدد أحيانا بفيضانات خطيرة الأحياء المنتصبة فوق المرتفعات مثل حي الصباب ، وحي القشلة، وحي تيزي مولاي الحسن، وحي سيدي عسّو (مثل ما وقع في شتنبر 1980). ومما يزيد في خطورة هذا الوضع انتشار ظاهرة التعرية بالمنطقة، وهي ناتجة عن تدهور الغطاء النباتي الطبيعي المكون من غابات الفلّين الأخضر والأرز. وعملية التشجير التي تقوم بها مصالح المياه والغبات بطيئة ، ويتطلب إنجاحها إدخال تغييرات عميقة على نمط عيش الساكنة الريفية التي تعتمد في

نشاطها الرعوي على استغلال المراعي الطبيعية، ومنها الغابة. إلاّ أن الرعي ليس هو السبب الوحيد في تراجع هذه الثروة، بل إن استغلال الخشب الذي عرف ازدهاراً كبيرا منذ القدم قصد تزويد المراكز الحضرية مثل فاس ومكناس، ومايزال يساهم في بناء ثروات ضخمة يعتبر من العوامل الأساسية المساهمة في الإخلال بالتوازن بهذه المنطقة .

يرجع تاريخ ذكر مدينة أزرو إلى عدة عدة قرون . وقد جعل منها مولاي إسماعيل قلعة سنة 1670م يحرسها العبيد قصد الحد من حركة الهجرة الواسعة النطاق التي عرفتها القبائل البربرية الشبه ترحالية من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي للمغرب، وذلك منذ نهاية القرن السابع عشر، ومنها قبائل زمُّور وگروان وبين مطير. ويعتقد أن اسم حي القشلة المشرف من منحدرات بوطاعة يرجع إلى هذا الحدث التاريخي .

ويعود بناء أول نواة أول لأزرو الحالية إلى القرن التاسع عشر عند استقرار فرقة أيت اعْمَر بالمنطقة المنتمية إلى قبائل بني أ مْگيلْد الآتية من أعالي ملوية. تقع المجمعة الصغيرة في جبل بوطاعة وجبل بُو إغْيال، وكان يطلق عليها اسم إغْرم أقْديم أي الحصن القديم، وتعتبر محطة تبادل حيث كان تقام بها سوق أسبوعية تقصدها القبائل المجاورة .

استقطب هذا المركز منذ البداية عناصر من المهاجرين القادمين من تافيلالت من شرفاء واد غريس الذين أصبحوا يمارسون التجارة والحرف (خاصة صناعة الأقْدية.

وقد أعطى قدوم مولاي الحسن نفساً جديداً للمركز حيث بنى السلطان مسجداً و"قصراً" لإسكان الوافدين من الجنوب، ويعرف القصر حاليا بدرب أيت غريس.

عملت الإدارة الاستعمارية على تعزيز مدينة أزرو بهدف جعلها مركز مراقبة عسكرية وسياسية وإدارية لهذه المنطقة منذ أن تمّ القضاء على المقاومة العنيفة التي واجهتها جيوش الاستعمار من طرف مجموعة القبائل. كما حظيت باهتمام خاص من طرف سلطة الحماية التي جعلت منها مركزا لتطبيق سياستها البربرية التقسيمية حيث عملت على بناء الثانوية الفرنسية ـ البربرية سنة 1924، كما شيد دير الرهبان فوق مرتفعات تيُومْليلينْ. وأصبح أزرو يتوفر على مصالح جديدة للإدارة والخدمات والتجارة تُوفر شروط استقرار المعمرين الذين تعاطوا أنشطة مختلفة مثلا استغلال الغابة والفلاحة وغيرها.

وإثر هذه التغييرات أصبح أزرو يمثل مركزا استقطاب للمهاجرين من مختلف مدن وأرايف المغرب، وتزايد بذلك عدد ساكنتها إذ انتقل من 1953 نسمة سنة 1926 إلى 6.726 سنة 1952، و14.143 نسمة في 1960 وبلغ عدد الأجانب من أوروبيين وغيرهم 463 نسمة في نهاية عهد الحماية. وظهرت أحياء جديدة من نمط جديد تتميز بطابع معماري أوروبي يتكون من الشوارع الفسيحة بالأشجار والحدائق الأنيقة والبنايات المغاطاة بالقرميد الأحمر، زادتها رونقا وجمالا محاسن هذا الوضع المتميز بالصخرة العظيمة التي منحت أزرو اسمها. كل هذا أبدعت فيه الإدارة الاستعمارية لإثارة الإغراء والانبهار في الوقت الذي لم تُدخل فيه أي تغيير على أحياء الساكنة المحلية التي بقيت تفتقر أغلبيتها في ظروف النمو السريع إلى كثير من التجهيزات، حيث نشأت أحياء أخرى مثل : القشلة، وتيزي نْ سيدي عسُّو، وبواغْيال، وأحَدّاف، و على الشكل التقليدي المتميز بدور صغيرة ومنخفضة مشيدة بالطين أو "الركز" تعلوها سطوح منبسطة مغطاة بالشيست المذكوك حسب تقنيات بناء مستوردة من المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية .

إلى حدود الخمسينات وبداية الستينات وبالرغم من التوسع الذي سجلته المدينة بقيت أزرو تمثل مركزا جبليا صغيرا متميزا بهدوئه حضرته لكثرة الغابات المشرفة عليه ولامتداد بساتينه وغزارة عيونه، إلاّ أن هذا قد تغير كثيرا ودخلت على مدينة أزرو تحولات غيرت ملامحها .

هكذا استمر التزايد الديمغرافي الذي انطلق في عهد الحماية وانتقل عدد السكان الى 31471 في سنة 1982 ويرتقب أن يفوق 40.000 نسمة في نهاية الثمانينات ، ذلك ما جعلها تصنّف ضمن فئة المدن المتوسطةالمغربية تاركة وراءها مجموعة المراكز الحضرية المنتمية للأطلس المتوسط الغربي مثل عين اللوح (4.202 نسمة) وميدالت (24.578 نسمة) وإفران (7.717 نسمة) وإموزّار (7.018 نسمة) باستثناء خنيفرة التي تفوقها بقليل 38.840 نسمة) ومما يفسر هذه الدينامية الديموغرافية لأزرو كون ما يقرب من نصف سكانها أصلهم من مناطق مختلفة مثل المناطق المجاورة والريف والأطلس الكبير وتافيلالت. ويمكن تفسير التوافد المستمر على مدينة أزرو بكون المنطقة تتوفر أكثر من غيرها في منطقتها على مؤهلات طبيعية واقتصادية هامة تمنح إمكانيات لعيش بالرغم من كون هذه الأخيرة محدودة وغير مستقرة في كثير من الحالات، وذلك لأنها مرتبطة بالاستغلال الغابوي والفلاحة وبعض الأنشطة المنتمية إلى التجارة والخدمات .

ويُعتبر أزرو مركزا اقتصاديا هاما، وتمثل التجارة والخدمات الوظائف الأساسية للمدينة حيث إن موقعها عند مفترق الطرق وانفتاحها على مجموع الأقاليم المغربية يؤهلها لتقوم بدور التبادل واستقطاب خدمات اقتصادية واجتماعية مختلفة. (حسب إحصاء 1971 يشتغل السكان النشطون بنسبة 36.7 ٪ من أنشطة إنتاجية (صناعية تقليدية خاصة) ، 14.4 في التجارة ، و27.3 في الخدمات. البطالة 16.9 ٪ من اليد العاملة).

عرف النشاط التجاري ازدهارا مرموقا وتنوعت فروعه منذ الستينات لتلبية الحاجيات المتزايدة الجديدة مثل : التجهيز المنزلي العصري وبيع الحلي والعطور والملابس والبذور والأسمدة والمبيدات وقطع الغيار.كما أن الخدمات توسعت ليس فقط على مستوى التعليم والصحة حيث ظهرت مؤسسات تعليمية ابتدائية وثانوية أخرى، واستقر

أطباء (حاليا سبعة) وصيادلة (أربعة) جدد، بل حتى على مستوى قطاعات أخرى مثل إصلاح السيارات والآلآت المنزلية وغيرها والمقاهي والمطاعم التي أصبحت تستقطب الشباب الذي يعاني من الفراغ المهيمن على حياته (توفر حاليا أزرو على تجهيزات تعليمية مكونة من 5 مدارس ابتدائية وإعداديتين وثانوية، وكذا على تجهيزات صحية عمومية مكونة من مستشفى ومركز صحي ومستوصف ومستشفى في طريق عين أغبال. فيما يخص البنيات السياحية لم تشهد أي تحسن ولازال عدد الفنادق لا يتعدى الخمسة منذ فترة الاستعمار).

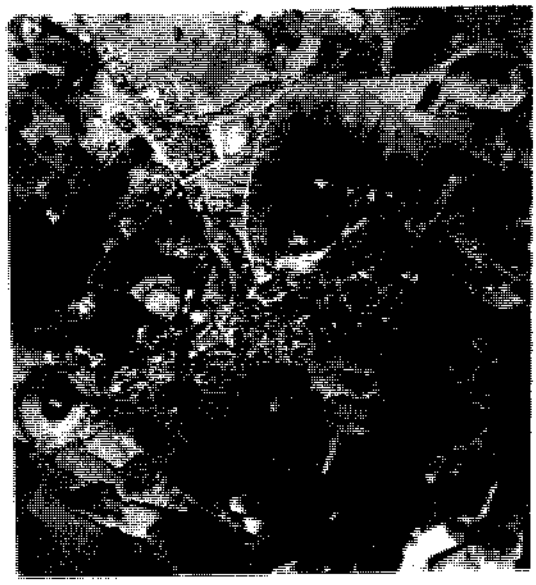

أزرو : صورة جوية

تتوفر مدينة أزرو على ملعب صغير لكرة القدم وبعض التجهيزات الثقافية إلى جانب هذا يشكل قطاع البناء نشاطا هاما ساهم في إنعاشه خاصة العمال المهاجرون، حيث إن أول استثمار يقومون به هو شراء قطعة أرضية لبناء المنزل العائلي.

أما الصناعة فتنحصر في بعض معامل الخشب، وتعاونية للصناعة التقليدية تعتبر أهم وحدة مشغلة بالمدينة إذ تشغل أزيد من 300 عاملة من كبار وصغار في قطاع نسيج الزرابي المشهورة بجودته.

تصدّر رزابي أزرو إلى مناطق مختلفة من المغرب، استطاعت أن تعبر الحدود في اتجاه دول اوروبا (المانيا بالخصوص). كما تشغل التعاونية صناعا لإنتاج أدوات فنية منحوته على الخشب.

وبعيدا عن المدينة يشتغل عدد مهم من السكان في أنشطة استغلال الغابة (الحطابة)، وكذا الأشغال الفلاحية التي عرفت نوعا من التكثف نتيجة التحول الجذري الذي عرفته الفلاحة بسهل تيكْريكْرة حيث تراجعت زراعة الحبوب وأخذت مكانها مغارس الأشجار المثمرة التي تتطلب عناية مستمرة (أشجار التفاح والإجّاص والخوخ وحب الملوك). ويتهافت بذلك ملاكو الضيعات على يد العاملة من أزرو نساء ورجال وأطفال خاصة في مرحلة "النقاشة" و"الزيارة".

وباعتبار هذا الدور الاقتصادي الجهوي والتزايد الديمغرافي في الذي سجلته مدينة أزرو تعيش هذه الأخيرة توسعاً مجالياً هائلا يتمركز أساسا في اتجاه الشمال الغربي أي بحي أحاذافْ بالإضافة إلى امتداد الأحياء المنتصبة التي لا زالت تتسلق أعالي المنحدرات في ظروف تعميرية لا تلائم قواعد التعمير العصرية. كما في أحياء القشلة وسيدي عسو وتيزي نْ مولاي الحسن والصباب، فانتشر البناء على الاراضي المنبسطة آكلاً بذلك المزارع . والمغارس الجميلة. ويزيد التهافت القوي للسكان على الأرض في إنعاش المضاربة العقارية. فالمدينة تنمو وتتوسع بشكل قد لا يتناسب وموضعها الجميل المتميز.

G. Beaudet, *Les Beni Mguild du Nord, Etude Géographique de l'évolution récente d'une confédération semi-nomade*, R.G.M. n°16, 1969 ; A. El Belghiti, *Urbanisation et domination du monde rural, l'exemple d'Azrou*, Thèse de doct. de Spécialité, Etude Urbaines, faculté des Lettres de Toulouse 1978 ; *Plan d'Aménagement de la ville d'Azrou, note de présentation* ; Recensement 1960 - 1971 - 1982, Carte topographique d'Azrou au 1/50.000.

عائشة البلغيثي العلوي

أزْرُو - تاريخ - مصطلح أمازيغي معناه "الحجرة والصخرة" له انتشار واسع في الطوبونيميا المغربية وخصوصا في المناطق الجنوبية من البلاد، ضبطه لاووست (Laoust, *Contribution*, p. 31) أكثر من ثلاثين مرة، مشيراً إلى أن "صيغة الكلمة تكون أحيانا مؤنثة أو مركبة كتُوزرْتْ ودُوزرْو بمعنى "تحت / أسفل الحجرة". وعندما تستعمل وحدها فالكلمة تشير إلى قرى يميزها وجود صخرة كبيرة بها أو بمقربة منها. ومن أهم التجمعات السكانية الحاملة لهذا الاسم مدينة أزرو بالأطلس المتوسط، وقرية أزرو ببلاد سوس.

يرتبط اسم بلدة أزرو الأطلس المتوسط بالصخرة الضخمة التي تتوسط مساحتها والتي تعرف عند أهالي المدينة والمنطقة باسم "أقْشْمير" وهو مرادف لكلمة أزْرُو (بزاي مفخمة) التي تعني الصخرة كما سبق.

لكن الملاحظ بهذا الخصوص هو أن كلمة "أزرو" هذه غير معروفة بمدلولها المرتبط بالدلالة عن الصخرة العظيمة الضخمة، عند "أيت مگيلد" وهم قبائل المنطقة، الشيء الذي أدى ببعض الباحثين أمثال "لاووست" إلى القول بأن هذا الأمر يمكن اعتباره في غياب غيره من الحجج الواضحة، حجة عالقة بالأصل الأجنبي لهذه المجموعة القبلية عن المنطقة (*L'Habitation*, 95) .

ومهما يكن فإن بهذه الصخرة العظيمة البارزة على شكل جبل شاهق، كهوفاً استوطنها الإنسان من عهود ما قبل التاريخ، اكتشفت بها في بداية الأربعينات، مواد

حجرية مصقولة ومنحوتة. على أن أول ذكر لأزرو في النصوص التاريخية ـ فيما نعلم ـ هو ذلك الذي ورد في أخبار المهدي للبيذق، حيث جعلها من المراحل التي توقف بها الخليفة عبد المومن بن علي الموحدي واتخذها "نزلة" ومرحلة له ولجيوشه عند ملاحقته لجيوش المرابطين، وذلك سنة 535 / 1140 ـ 1141. وفي معرضه عن الحصون التي بناها المرابطون سماها البيذق حصن آصرو (والصاد هنا مشمومة زاياً مفخمة) ومتاع عبد الله، أو متاع بني عبد الله (*أخبار المهدي*، 92).

هذا وبقيت وظيفة الدفاع والتحصن عالقة بأزرو على مدى تاريخها الطويل، حيث اعتصم بها غير واحد من المتمردين ومن أدعياء الإمارة، أمثال طلحة بن محلي النطوئي الثائر على الأمير المريني يعقوب بن عبد الحق سنة 674 (*الدخيرة*، ص 160).

ولعل ما احتفظت به بعض النصوص التاريخية من كون قلعة "أزرو" من بناء السلطان العلوي المولى إسماعيل الذي أمر فعلا بذلك سنة 1093 هـ لا يعني إحداث الحصن في مكان خال من كل بناء محصن بقدر ما يعني إعادة بناء القلعة الأصلية المندثرة كلا أو جزءاً.

ومهما يكن فقد أدى وجود حصن أزرو إلى نشوء قرية لاصقة به، لعبت إلى جانبه دورا هاما في فترات مختلفة. فإليها مثلا خرج الأمير محمد الحاج الدلائي في صفر 1074 / شتنبر 1664 وضرب خيامه حولها، حيث مكث نحو شهر ينظر في شؤون الرعية ويتخذ الإجراءات الكفيلة بتأمين السبل وحفظ النظام في الأقاليم التابعة له (*الزاوية الدلائية*، ص 241) وشارك قاضيها وعلماؤها في بيعة بعض الأمراء كما حدث سنة 1158 هـ عند مبايعة الأمير العلوي زين العابدين بن المولى إسماعيل (*الترجمان المعرب*، 49).

وقد كانت هذه القرية في بداية القرن العشرين النواة الوحيدة لقيام مدينة بمجموع تراب الأطلس المتوسط الذي تستوطنه قبائل أيت مگيلد. وكان البناء آنذاك منحصراً في رقعة تمثل اليوم سُبع المساحة العامة للمدينة منظما على الطريقة التقليدية، يحيط به سور وقائي يتوسطه مسجد عتيق وتتفرع الأزقة تفرعات عديدة في اتجاه عين الماء الجارية المعروفة باسم تيط الحصن (أي عين ماء الحصن).

ونظراً لما كان لأزرو من أهمية استراتيجية فقد اتخذتها سلطات الحماية بعد احتلالها في أبريل ـ يونيه 1913 قاعدة من قواعدها الأساسية للسيطرة على جبال الأطلس المتوسط والتحكم في الطريق الرئيسية الواصلة ما بين مكناس وتافيالت من جهة وفاس ومراكش من جهة أخرى. ثم تعززت هذه الوظيفة العسكرية والإدارية بوظيفة ثالثة هي وظيفة التعليم، إذ أحدثت مدرسة خططت لها السياسة الاستعمارية لتعليم اللغتين الفرنسية والأمازيغية دون اللغة العربية وذلك سنة 1927. إلا أن هذا المرمى الهادف في ذهن المستعمر إلى زرع بذور التفرقة لم يكن لينجح، إذ سرعان ما أصبحت هذه المدرسة معقلا من معاقل بث روح الوطنية وساهمت في إضرابات ومظاهرات بداية الثلاثينات.

أ. البيذق، أخبار المهدي : ابن أبي زرع، الذخيرة السنية ؛ أ. الناصري، الاستقصا، ج 8 ؛ م. حجي، الزاوية الدلائية، ط. 2، 1988.

E. Laoust, *L'Habitation chez les transhumans ; Répertoire alphabétique* ; G. Beaudet, *Les Beni Mguild du Nord*, R.G.M, 15, 1969, PP. 3 - 80.

عبد العزيز توري

أزرو أَقْشَّار، جبل يعني اسمه باللهجة الريفية "الحجر الأقرع" ويقع بقبيلة بني توزين الريفية، ويكون حلقة مهمة في سلسلة جبال الريف، حيث يعلو سطح البحر بـ 2011 مترا. وتوجد به منابع وادي الكرت الذي يصب في البحر المتوسط، وهذا الجبل هو الذي أطلق عليه الوزان الفاسي اسم جبل بني توزين.

Ministerio de la Guerra, *Accion de España en Africa* 1930, 2 : 36 ; Domenech Lafuente (Angel) *Geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos* 1942, p. 27 ; Cabello Alcaraz (J), *Apuntes de geografia de Marruecos* 1951, p. 72.

محمد ابن عزوز حكيم

أزروال ← الزروالي

أزَّاضْن، مفرده أزَّضْ : لفظ بربري يذكر بقبيلة مصمودية كبيرة تضمنت مسفيوة وماغوس وغيرهما. ومعناه حسب E. Laoust صخرة الطحن (*Contribution*, 115) وتطلق بالتحديد على الشق الأعلى للرحى اليدوية. ويدل اللفظ عامة على الطحن، طحن الدقيق، أو الزيتون. إلاَّ أن بعض العرفاء في اللغة المصمودية يقررون أن له معنى : النسج.

وأزَّاضْنْ مدشر يقع ضمن فرقة گيمي، إحدى فرق قبيلة هنتيفة "الوطا" على بعد حوالي 140 كلم شرقي مدينة مراكش، في دير الأطلس الكبير الأوسط. ويوجد بالقرب من مقلع مشهور منذ القديم تستخرج منه حجارة لصنع الرحى قصد طحن الحبوب وعصر الزيتون. ولعله من ثم اشتقت هذه التسمية. بالإضافة إلى ذلك فإن المنطقة قد اشتهرت بتربية الماشية، وخاصة الغنم. ولعل هذا ما جعل أزَّاضن تدل أحيانا على النسج وهو من معانيها القليلة التداول. وكانت أزاضن من بين المراكز الناصرية في دير الأطلس في القرن 12 / 18 (*الدرة الجليلة*، 2 : 356) ومن بين أقدم مراكز الاستقرار في تلك المنطقة.

وأزَّاضْن فرقة من قبيلة گندافة، تستوطن حاليا وادياً يحمل نفس الاسم يخترقه أحد الروافد اليمنى لواد نفيس، عند سفح جبل تَزَغَارْتْ، بالأطلس الكبير، جنوب مراكش (*Le Haouz*,166) وكانت أزاضن ترد في كتب التاريخ باسم صادة، والصاد فيها مشمومة زايا، ومثلها صُودة وزُوضة، ومن ثم يمكن إرجاع نسبهم إلى مصمودة الجبل المعروفين (*التشوف*، 86 و 266).

ي. التادلي، *التشوف* ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*.

E. Laoust, *Mots et choses* : *Contribution* ; P. Pascon, *Le Haouz*.

أحمد عمالك

أزاضن، واد من أودية جبل درن، ينبع من السفح الشمالي الغربي لهضبة تازاغارت (3847 م) ويتلقى مياه شعاب جبال أكلزيم (3547 م) وأدرج (3129 م) وتاسغيموت (2664 م) وأوريرن ارگ (3171 م) وتاخرخورت (2309 م) وهو من أهم روافد وادي نفيس حيث يصب في ضفته اليمنى بعد أن يمر بقرى ويرگان ويسمى في طرفه خلال هذه القرى بوادي ويرگان.

وعلى هذا الأساس ينقسم المقطع الطولي لوادي أزاضن إلى جزءين : الجزء العلوي الذي يوافق عالية الوادي فوق تساويرگان : والجزء السفلي الموافق للسافلة تحت نفس الدوار. ولعل أهم ما يفرق بين الجزءين، عنصرا الانحصار والبنية، وبالتالي الإمكانات التي يوفرانها على مستوى المجال الفلاحي.

فالعالية التي تعرف بأزاضن منطقة يغلب عليها الطابع الجبلي لولا وجود منخفض عال شبيه من حيث البنية بمنخفض ويرگان / مربغة مساحته حوالي 7800 هـ. استطاع تثبيت عدد لا يستهان به من الدواوير تعتمد في اقتصادها على الجمع بين الزراعة والغراسة في إطار المدرجات وبين تربية الماشية كما هو الحال بالنسبة لغالبية أودية الأطلس الكبير جنوب مراكش. إلا أن هذه المنطقة عرفت في السنوات العشر الأخيرة ثورة فلاحية حقيقية تمثلت بالخصوص في تنويع الإنتاج الفلاحي، وذلك بإدخال مزروعات جديدة كزراعة البطاطيس وزراعة شجر التفاح من جهة والرفع من مكانة تربية الأبقار من جهة أخرى، إلى جانب زراعة الحبوب وأشجار الجوز وتربية الماعز طبعا.

وأزاضن أيضا، قبيلة واقعة على وادي أزاضن في عمق الأطلس الكبير، وهي منطقة قديمة التعمير كما تشهد على ذلك كتابات بعض المتقدمين من مؤرخين وجغرافيين، ذلك لأن كلمة أزاضن - التي عربت على صيغة صادة - ورد ذكرها أول الأمر على لسان أبي عبيد البكري على صيغة أصاده مرة عند الحديث عن الطريق الرابطة بين سبتة وفاس ومرة عند حديثه عن مملكة برغواطة. ولعل أهم ما يمكن استنتاجه من كلام البكري هو أن أصادة المدينة التي قال عنها بأنها قريبة من "مجاز الخشبة على وادي ورغة" ربما كانت هي مدينة وزان الحالية من جهة، وأن مجال أصادة القبيلة يشمل غرب جبال الريف من جهة أخرى. وإذا ما انتقلنا إلى القرن الثاني عشر الميلادي وجدنا أن صادة ورد ذكرها على لسان البيذق عدة مرات : مرة في عداد القبائل المضافة، ومرة في عداد أفخاذ هسكورة الظل، ومرة عند الحديث عن غزوات المهدي بن تومرت.

وإذا سلمنا بأن مجال الظل لا يمتد إلى الريف إطلاقا وأن مجال غزوات المهدي اقتصر بالأساس على الأطلس الكبير جنوب مراكش أصبح لزاما طرح التساؤلات الآتية : ما هي العلاقة بين صادة البكري وصادة البيذق ؟ هل هو اسم لاتحادية كبيرة : بعض قبائلها بالريف وبعضها الآخر بالأطلس الكبير الغربي ؟ ولا يزداد المشكل إلا تعقيدا عندما نقرأ عند ابن عذاري وابن خلدون أن "بطون مصمودة تتشعب من أربع قبائل : دغاغ، وأصاد، وبني سمغرة، وكتامة" وأن " من بطون أصادن ومصفاوة وماغوس، ومن مصفاوة دغاغة ويوطنان... ويقال إن غمارة ورهون وأمل من اصادن والله أعلم."

ولعل القول بأن صادة صادتان : صادة الريف وصادة الأطلس الكبير الغربي أقرب إلى الصواب. وحجتنا في ذلك ما جاء في كتاب *الأنساب* المجهول المؤلف :"وفي تاساوت من بلاد هسكورة جماعة كثيرة من صادت.. ونزلت طائفة منهم بقرب گيگ عند تاگموت وهم الذين ترك عندهم عقبة بن نافع اثنى عشر رجلا من المرضى كانوا في عسكره حين جاز إلى سوس، ونزل رجل آخر منهم من أهل تاساوت في واد نفيس ببلد هزميرة، وهذا كله قبل الإسلام".

ومن المعلوم أن تساوت وگيك ونفيس وبلد هزميرة كلها مجالات من جبل درن. وفي مكان آخر : "قصر صادة.. صادة الذين كانوا بقرب طنجة وسبتة وعين الشمس قبل الإسلام". وقد نذهب إلى القول بأن صادة مجرد صيغة أخرى لمصمودة !.

البكري، *المغرب* : البيذق، *المقتبس* ؛ ابن عذاري، *البيان* (قسم الموحدين) ؛ ع. ابن خلدون، *كتاب العبر* ؛ مجهول، *كتاب الأنساب*.

E. Laoust, *Contribution*.

أزگر، ومعناه المجاز أو مكان التعزيب بالماشية. دوار بفرقة أردوز على بُعد حوالي عشرين كلمترا إلى الجنوب من أمزميز. تنسب إليه جماعة قروية، وارتبط اسمه بأحد مناجم الأطلس الكبير الغربي العديدة، وهو في مجال قبيلة إگديمْيونْ المعروفة منذ العهد الموحدي على الأقل، وهو مجال بين وادي أسيف المال غربا ووادي نفيس شرقا. والمنطقة هضبية ملائمة للاستقرار بها دواوير صغيرة.

كان يُستغل بأزگرْ منجم يحتوي على المُوليبْدينْ والفولفرام والنحاس، وكانت تسهر على استغلاله "شركة المُوليبْدين" وقد توقفت عن العمل أربع مرات مابين 1930 و1971. ففي سنة 1936 كان عدد سكان أزگرْ 274 نسمة بينما كان عدد سكان المركز المنجمي به 385 نسمة من بينهم 30 أجنبيا و5 يهود. ولكن تناقص سكان أزگرْ فيما بعد يعود إلى توقف النشاط المنجمي وإلى وجود تقاليد في منع الحمل غير معلن عنها في المنطقة، كما يرجع إلى الهجرة التي شهدتها الأرياف المغربية عامة منذ بداية هذا القرن.

الزرهوني، عبد الله بن ابراهيم، *رحلة الوافد*.

J. Dresch, *Documents sur les genres de vie*.

أحمد بلادي

أزطوط، بوسلهام بن علي العرايشي. فقيه سياسي، اشتغل مدة في حكومة المخزن، بدأ كمساعد لعبد السلام السلوي عامل طنجة. ثم أصبح عاملا على مدينة العرائش.

وفي 16 رمضان 1256 / 11 نونبر 1840 عينه السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام عاملا على مدينة طنجة وشملت منطقة نفوذه جبال الريف الغربي وبلاد الهبط باستثناء تطوان، ثم كلفه بأن ينوب عن المخزن إزاء الدول الأجنبية حين تقرر إقامة ممثلي هذه الدول بطنجة، وأسند إليه النظر في القنصلية المغربية بجبل طارق، فاكتسب بذلك حنكة سياسية أهلته لأن يفاوض مندوبي الحكومة الفرنسية بعد هزيمة إسلي ويمضي معهم في طنجة يوم 25 شعبان 1260 / 10 شتنبر 1844، بتفويض من السلطان، معاهدة الصلح المغربية ـ المفرنسية التي كانت منطلق متاعب عديدة للمغرب مع الدول الأوروبية الطامعة فيه خاصة فرنسا واسبانيا . وفي السنة الموالية أمضى أزطوط معاهدة أخرى مع دولتي السويد والدانمارك لم يكن حظ المغرب فيها أحسن من المعاهدة السابقة. وفي الوثائق الملكية مآت المراسلات الرسمية المتعلقة بهذا الموظف تلقي أضواء على الحالة الداخلية والخارجية بالمغرب في منتصف القرن التاسع عشر.

مات أزطوط وهو يزاول مهامه بطنجة أواسط عام 1267 / 1851.

ع.ابن زيدان، *الإتحاف*، 2 : 179 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط ؛ م داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 387 ؛ ع. ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، 2 : 188 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 27 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، 2، : 439 و673.

محمد حجي

أزَغَارْ، مصطلح جغرافي أمازيغي معناه السهل أوالهضبة ؛ وعدم الجزم الدقيق ما بين الدلالتين يوحي بأن الكلمة كانت تطلق عموما على كل منبسط بالمقارنة مع الأماكن العالية المجاورة، دون أي تمييز بين البنيات التضاريسية المتميزة : السهل، الهضبة، الوادي، وإن كان بعض الباحثين أمثال إ. لاووست E . Laoust يرون أنها "تدل على الوادي، وعلى منطقة منبسطة تتخللها هضاب، أكثر من دلالتها على السهل".

كان هذا الاسم شائعا بالمغرب حيث أطلق على كثير من الأماكن، فكان هو الاسم التاريخي لسهل الغرب وحوز مراكش، وسهل تزنيت سوس، وحققه إ. لاووست E. Laoust السالف الذكر بتحريفات طفيفة في دراسته لطوبونيميا الأطلس الكبير حيث وجده بتركيبة ترغجت مرتبطا بهضبة عارية، قاحلة وكثيرة الاحجار يتراوح علوها ما بين 3800 و3980 متر مجموعة وانكريم الجبيلة وبتركيبة أزغار وتزغرين (أي السهول الصغرى). على أن نفس الباحث وجد الكلمة مقرونة بمجموعات سكنية على شكل قرى أزغار بغيغاية، وأزكاغ ببلاد تفنوت، وفي جبال غمارة بشمال المغرب. ضبط موليبراس Mouliéras اسم أزغار مرتبطا كذلك بقرى سكنية منها أزغر بني هليل على الضفة اليمنى لواد بني هليل، وأزغار الصغير على الضفة اليسرى بحيرة حاملة لاسم إيزوغار ـ وهو صيغة جمع لأزغار ـ ومنها ينبع نهر تاساوت، وهو مثال فريد لا قتران هذا الاسم بمساحة مائية لكن المرجع أنه كان دالا على المنطقة التي بها البحيرة قبل أن يقترن بهذه الاخيرة.

وفيما يخص ارتباطها بالسهول الكبيرة، فقد تقلصت رقعة انتشار اسم آزغار ولم تبق عالقة مشهورة إلا بالهضاب المحادية لجبال الأطلس المتوسط الممتدة عموما ما بين سهل السايس شمالا ومرتفعات الأطلس عند خط يساير مناطق الدير ما بين أزرو وتادلا في اتجاه شمالي ـ شرقي ـ جنوبي غربي.

وتمتاز هذه المنطقة بارتفاعها المتوسط حيث لاتفوق في أعلى جهاتها 1200 (ناحية أزرو) وبكثرة مواردها المائية إذ تخترقها أودية كبيرة (أم الربيع، درنت، واد العبيد) وتسقيها مياه عيون متعددة الشيء الذي يجعل منها منطقة ذات عشب وخضرة، ومناخ أكثر اعتدالا من مناخ الجبال المجاورة، خصوصا إبان فصل الشتاء حيث تكثر الثلوج والبرد القارس.

بناء على هذه المعطيات، اشتهرت أزغار بنشاط رعوي عماده الانتجاع ما بينه وبين الجبل، وكان الانتجاع الطريقة الاقتصادية التي اعتمدتها قبائل المنطقة طوال قرون سواء منها قبائل آيت يوسي بالشمال، أو آيت مگليد بالوسط أو آيت عبيد بالجنوب .

وتظهر ظاهرة الانتجاع هذه في الطوبونيميا العالقة حتى بأطراف الهضبة، العليا منها والمنحدرة، للفصل بينهما حيث نجد أزغارنْقال بمفهوم "الهضبة العليا" (فال = أفلاّ، أي العلي أو الأعلى) وأزغارْ إرْس أي "الهضبة السفلى (إرْسْ = إرْسْ أي نزل أعلى) هذا وتحفظ بعض الأغاني الأمازيغية القديمة التي ترددها النساء في الأعراس بمنطقة وادي دادس، جنوب الأطلس الكبير، بكلمة أزغار بمعنى المكان الخصب الكثير العشب.

والملاحظ أخيرا أن استعمال الكلمة شائع في أواسط المجموعات القبلية المصمودية والصنهاجية بينما لا تعرفه القبائل الزناتية.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 301 ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي*، ط 2، ص 97.

A. Mouliéras, *Le Maroc inconnu*, II, Paris, 1899, p. 333-334 ; S. Nouvel, *Nomades et sédentaires au Maroc*, Paris, 1917 ; J. Célérier, *"la transhumance dans le Moyen-Atlas"*, Hesperis, VII. 1927 1er trim, p. 53-68 ; E. Laoust, *l'Habitation chez les transhumans du Maroc Central*, coll. Hesperis, VI. Paris 1935, p. 94-99 ; E. Laoust, *Contribution à la toponymie du Haut Atlas*, ext. de la revue des Etudes Islamique, Paris, 1942, p. 33.

عبد العزيز توري

أزغارنيرس ← **تارودانت** (إقليم ـ)

ازْغَـنْـغَـنْ، نثبته كما هو مسجل في وثائق قديمة. وحسبما يتم النطق به حاليا. يطلق على جماعة قروية ببني يفرور من قبيلة قلعية، وهي على بعد ستة كيلومترات من مدينة الناظور مما يلي جهة الغرب.

تكونت نواتها نتيجة الهجرة خلال العصر المريني من جواهرة وإكسرون وإسكاجن، واحتلت آخر منحدرات الفوهة البركانية البارزة من جبل قلعية (أگرگور) بوادي أزغنغان الذي تشرف عليه هضبة إثلاثن (أزرُو أحَمَار).

وخلال القرن العاشر الهجري (16 م) عمم هذا الاسم ليشمل جميع جماعات وفرق بني يفرور التي امتدت حدودها إلى واد كرط غربا وسهب كرط جنوبًا وسهب بوعرگ شرقا. وقد أمر عبدالله الغالب ببناء قلعة للسكان على هضبة إثلاثن حماية لبراقة الأحلاف الذين كانوا يتجولون على ساحل البحر الصغير، من غارات القراصنة الإسبان وأتراك الجزائر.

تتألف الجماعة علاوة على السكان الأقدمين من آيت بديديت وأولاد عمر بن يحيى والزاوية والحي العصري.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*.

Marmol Carvajal, *L'Afrique* ; A. Mouliéras, *Le Maroc inconnu*, p. 166 ; Carte du Maroc, 1/50.000, Melilla.

حسن الفگيگي

أزگرة ← **أگلمان**

أزگَارْ أو السدرة (= نْبَگْ = عْنَّابْ = تازُوگَّارتْ) : نوع نباتي، واسمه العلمي هو زِيزِيفُوسْ لُوتُوسْ lotus Ziziphus الذي ينتمي إلى فصيلة النبقيات Rhamnaceae. ويحتوي نفس الجنس على نَوع شجرة الزفزوف أو العناب أو زِيزِيفُوسْ ڤُلگَارِيسْ Ziziphus vulgaris، وهو شجرة صغيرة شوكية تعطي ثمرا أكبر من ثمر السدرة، لحمي وذو لون بني داكن ولب أبيض هش. والموطن الأصلي للعناب هو الصين، وقد انتشرت زراعته في جميع المناطق الحارة وشبه الحارة مثل المغرب.

الصفات النباتية : إن السدرة جنبة أو جنيبة في غالب الأحيان، غير أنه من الممكن مصادفتها ممثلة بأشجار قصيرة القامة إذ أنها لا تتعدى ثمانية أمتار. جذورها قوية وجد متشعبة تمكنها من احتلال الأرض بسهولة وبسرعة فائقة. وهذا يلحق ضررا بزراعة الحبوب في المناطق الجافة وشبه الجافة. أغصانها متعددة ومتشابكة وكثيرة الأشواك وذات لون أبيض يميل إلى الرمادي. أوراقها صغيرة بيضوية الشكل وملساء، تتساقط في فصل الشتاء. أزهارها جد صغيرة وصفراء. ثمارها نووية وكروية في حجم حبة حمص.

التوزيع الجغرافي : يمتد موطن السدرة في شمال غربي إفريقيا وجنوب البلدان الأوروبية المتوسطية. ففي المغرب مثلا تقطن السدرة أصلا في الطابق المتوسطي الدافئ وما تحت المتوسطي بسهول وهضاب المناطق الجافة وشبه الجافة مثل المغرب الشرقي وتادلة والحوز وسوس؛ ولكن الإنسان أدخلها بصفة عضوية في بعض المناطق شبه الرطبة. وتعيش السدرة في البيومناخات المذكورة : الحارة والمعتدلة والباردة. وفي كل هذه الحالات تتكيف السدرة مع أتربة طينية وخصبة ذات لون كستني.

لا تنظم السدرة عشائر أوجية وإنما ترافق أنواعا أخرى مثل البطم الأطلسي أو السنط المغربي أو أرگان أو العرعر البربري في مجالاتها الطبيعية. وعند إزالة معالم التشكيلات الأوجية تسود السدرة بسهولة في تجمعات نبتية يمكنها تغطية بقع هامة من التربة.

الاستعمالات : إن منافع السدرة كثيرة. فهي تلعب دورا كبيرا في محاربة التعرية بسبب الرياح في المناطق الجافة حيث تتكون النبخات وهي عبارة عن كثبان تراكم الأتربة حول التجمعات النبتية. والنبخات هذه تعتبر ملجأ هاما جدا لتكاثر أنواع النبات الرعوية وأنواع الحيوانات الزاحفة والقاضمة، وذلك بفضل وجود مناخ محلي وذبال ملائمين.

ويمكن للإنسان أن يقطع السدرة ليستعملها كسياج للحقول ولمستقرات الماشية (الزريبة). كما يمكنه أن يأكل ثمارها القليلة الأهمية بالمقارنة مع ثمار العناب.

R. Négre, *Petite flore des régions arides du Maroc occidental*, C.N.R.S, éditions, Paris 1961.

عبد المالك بنعبيد

أزگان، جبل مجاور لمدينة صفرو، عرف بهذا الاسم منذ القديم، لعل أزگان لغة في أسگان، أي الأسود كانت فيه عمارة وزروع بالرغم من قراسة برده، نسب إليه بعض الصالحين منهم أبو عبد الله بن موسى الأزگاني تلميذ أبي إسحاق الميورقي، وهو مذكور في *المستفاد* للتميمي وفي *التشوف* للتادلي.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 281.

أحمد التوفيق

أزكدور ← **مراكش** (إقليم ـ)

أزْلا ـ مرسى تقع بشاطئ قبيلة بني حُزْمر الجبلية، وبها تصب مياهه في البحر المتوسط. النهر الذي يحمل اسم المرسى المذكورة ويعرف كذلك بنهر هليلة.

وقد أشار إلى هذه المرسى الشريف الإدريسي في *نزهة المشتاق* (ص 110) حيث سماها مرسى انزلان.

وكانت هذه المرسى مثل مرسى مرتيل ومرسى قاعسراس ومرسى ترغة ومرسى تغاصة من أهم المراسي المغربية على شاطئ البحر المتوسط حيث كانت مَرْفأ للسفن الجهادية، وكان بها ترسانة لصنع تلك السفن وإصلاحها.

أزْلا ـ نهر يُعرف كذلك بنهر هليلة وينبع بجبل بوزيتون بفرقة الجبل من قبيلة بني حزمر الجبلية، ويصب ماؤه بالمرسى التي تعرف باسمه، وكانت السفن الجهادية الصغيرة تختفي فيه عند الضرورة، كما كانت بضفتيه ترسانة لصنع السفن وإصلاحها.

الشريف الادريسي، *نزهة المشتاق*. ص : 110.

Ministerio de la Guerra, *Accion de España en Africa*, 1930, T. II p. 44 ; A. Domenech Lafuente, *Geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, 1942, p. 40 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, 1951.

محمد ابن عزوز حكيم

أزلمزة ← سمك

أزليف، الباتول بنت مبارك، ولدت سنة 1927 بتلوين. انضمت الى صفوف جيش التحرير بايت باعمران فكانت تُمد فرق الجيش بالمؤونة وتساهم في نقل السلاح إلى أن استشهدت في معركة تلوين سنة 1957.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

أزمّور، لفظ أمازيغي يطلق على شجرة الزيتون البري ويسمى أيضًا بَرِّي، وزُوج. يحتوي على نوعين بالمغرب وهما أولِيَا أوروبيا ضرب سيلفيستريس Olea europaea var. Sylvestris وأولِيَا سَالِيسيفُولِيَا Olea salicifolia الذي ينحصر مجاله في المناطق المنخفضة من الأطلس الكبير الغربي حيث يصادف بصفة منعزلة في تشكيلات أرگان والعرعر البربري.

أما الزيتون المغروس فهو أصناف عديدة منها ما تم اختياره منذ أقدم العصور من ضروب الزيتون البري (انظر زيتون) وخاصة ضروب سوريا.

الصفات النباتية : إن الزيتون البري العادي شجرة لها جذع قصير. أغصانها الغضة قطنية. أوراقها متقابلة مَثْنَى مثنى، بسيطة، صلبة، رمحية أو بيضوية الشكل، وجهها الأعلى أخضر داكن، والأسفل رمادي فضي. إزْهِراراتها عنقودية، وأزهارها صغيرة رباعية وبيضاء. ثمارها نووية بيضوية أو كروية الشكل، خضراء ثم سوداء بعد نضجها.

التوزيع البيوجغرافي : الموطن الأصلي للزيتون البري هو حوض البحر الأبيض المتوسط وآسيا الصغرى. إنه ينتشر بصفة منعزلة في غابات البلوط القرمزي، والبلوط الأخضر، والبلوط الفليني، والعرعر البربري وأرگان، وذلك في جميع أنحاء المغرب. غير أنه يكون تشكيلات نقية على كل الأراضي الطينية والصلصالية المنخفضة، في المغرب الشمالي الغربي، أي في سهول الغرب وسايس، ودكالة وعبدة. لكن هذه التشكيلات النقية قد دمرها الإنسان بأكملها منذ أقدم العصور ليستغل أراضيها الكثيرة الخصوبة. ولم يبق منها إلا باقات نادرة تصادف في الأماكن المحترمة كالمقابر وغيرها.

كانت مواطن هذه التشكيلات النقية في بيومناخات شبه جافة وشبه رطبة حارة ومعتدلة، ما بين سطح البحر و500 متر من الارتفاع ؛ أي في المستوى الأسفل من الطابق المتوسطي الدافئ.

أما بالنسبة للزيتون البري المصادف بصفة منعزلة في غابات أنواع أخرى، فإنه ينمو ما بين سطح البحر وألف متر في الشمال أو ألف وستمائة متر في الجنوب.

يصادف الزيتون البري على أراض طينية خصبة وسمكية من نوع الشرساء (الرِّينْزِين) أو الترس أو التربة الحمراء.

الاستعمالات : خشب الزيتون البري صلب جدا، ولونه أصفر يميل إلى الأسمر. يستعمل قليلا في النجارة وفي النحت لصناعة بعض العلب الصغيرة وبعض اللعب أو الحيوانات للزينة. كما يعطي الحطب للتدفئة أو لصناعة الفحم. ولكون ثماره صغيرة وقليلة المردودية من حيث إنتاج الزيت فإن أهم استعمالاته هي أنه يصلح بواسطة التطعيم كشجرة أم لأصناف الزيتون المثمر. وهذه الطريقة تعطي أشجارا تتحمل الأمراض وخاصة الناتجة عن مكروبات الأرض، وتتلاءم أكثر مع الظروف البيئية الصعبة. ولهذا فكثير من مغارس الزيتون في الريف أنجزت بواسطة تطعيم الأشجار البرية بواسطة الصنف المثمر.

L. Emberger, *Les Arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris 1938 ; A. Benabid, *Les Ecosystèmes forestiers, préforestiers et presteppiques du Maroc*, Forêt méditerranéenne, T. VII, 1985, 53-64.

عبد المالك بنعبيد

أزمور، ـ جغرافيا ـ تنفرد مدينة أزمور وسط المدن العتيقة المغربية بالكثير من الخاصيات. ذلك أنها لم تنتعش وظيفيا بشكل ملموس رغم المؤهلات المحلية الوافرة ورغم التحولات المختلفة التي شهدها المغرب، وخاصة منها التي همت المنطقة الساحلية القريبة من الدار البيضاء. ولم تساير النمو الديموغرافي المعاصر، كما هو الشأن بالنسبة لجل المدن المرتبة في الصنف الذي تنتمي إليه، كما أن بنيتها الحضرية لم تتغير وكأن المدينة كانت غائبة عن المرحلة الاستعمارية التي أدت إلى ازدواجية في شكل المدن المغربية بين مدينة قديمة ومدينة عصرية.

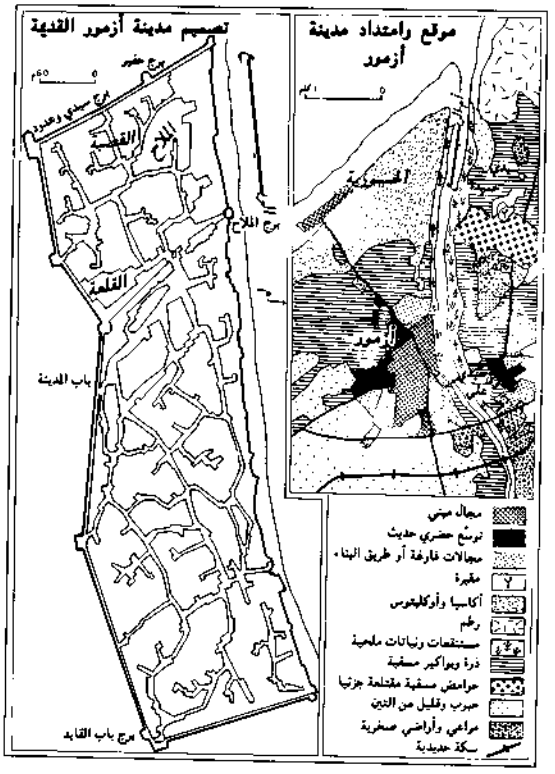

مدينة أزمور : الموقع والامتداد والتصميم

على بعد حوالي 80 كلم من الدار البيضاء و15 كلم من الجديدة، استقرت أزمور قريبا من البحر بثلاثة كيلمترات، وعلى حد الهضبة المكونة من الكثبان المتصلة التي تشرف على الضفة اليسرى من أم الربيع. مما جعلها تحتل دوما أحد أهم الممرات الاستراتيجية على النهر المتعمق بين شمال وجنوب المغرب. بل كانت أزمور عند احتلالها من طرف البرتغال سنة 1530 المدينة الوحيدة في دكالة، وكان إشعاعها يصل كل المنطقة وقراها. حتى إن الحسن الوزان قد عدّها من بين أكبر المدن المغربية في بداية القرن 16 بحوالي 5000 نسمة، أي أنه عدها أكبر من أسفي 4000 ن وفي حجم تازا وأقل بقليل من مكناس 6000 ن. إلا أن تقلبات الأوضاع المختلفة بدكالة وبأزمور ستخلف وتيرة متذبذبة للنمو السكاني يطبعها عموما ركود وأحيانا تراجع وبطء.

لقد تولدت عن الحيوية التجارية والثقافية التقليدية لمدينة أزمور قوة جاذبة تجاوزت الإطار الإقليمي إلى حدود العشرينات الأولى من القرن 20، فأصبحت تشكل إقليميا أهم قبلة للهجرة الريفية مع الجديدة والدار البيضاء، وكانت تستقبل بانتظام أفواجا من الفلاحين المطرودين بالمجاعات والأوبئة. غير أن النمو الإجمالي للسكان ظل بطيئا بسبب الهجرة المعاكسة نحو الجديدة وعلى الخصوص نحو الدار البيضاء. بل سجل النمو نسبة متناقصة بين 1926 (9127 ن) و 1931 (8708 ن)، 1936 (7830 ن)، حيث فقدت المدينة 14,2 ٪ من سكانها، والتي تتكون في غالبيتها من الفئات الحضرية الميسورة والملاكين والفلاحين الكبار القاطنين بأزمور، في حين أنها استمرت في استقبال الريفيين، بعد هذه المرحلة الراكدة، وبعد ظهور زراعة البواكير والحوامض سنة 1930 وازدهارها وتجذرها في الوجة القريبة من أزمور، تجددت حيوية المدينة وانتعش نموها الديمغرافي. غير أنه سرعان ما ازداد تنافس الدار البيضاء حدة تثبيت السكان ابتداء من 1940 نتيجة التوسع السريع للصناعات والخدمات بها، فأصبح يمثل القادمون من أمورر 5,4 ٪ من مجموع أرباب الأسر النازحين إلى الدار البيضاء سنة 1952، لما كان عدد سكان أزمور 9816 نسمة. وبما أن تزايد السكان بين 1960 (12449 ن) و1971 (17182 ن) كان ضعيفا (2,88 سنويا) فإن حصيلة الهجرة كانت السبب الرئيسي في ذلك، مما جعل النمو السنوي للهجرة لايتعدى 0,58 ٪ إلى حد 1971 يمثل السكان غير المزدادين بمدينة أزمور نسمة 38,8 ٪، ويمثل مجموع أرباب الأسر القادمون من خارج أزمور 62 ٪ من مجموع أرباب الأسر.

إضافة إلى ذلك، ونظرا لتقلص القوة الجاذبة للمدينة، فإنها لم تتكمن من استقطاب سكان ينتمون إلى مناطق بعيدة، واقتصرت على دورها "القبلي" الذي جعل منها عاصمة محلية تقليدية للحوزية والشتوكة. هكذا فإن 74 ٪ من سكان أزمور سنة 1971 المولودين خارجها قدموا من دكالة. وفي نفس التاريخ فإن 27,3 من مجموع أرباب الأسر النازحين إلى أزمور ينتمون إلي قبيلتي أولاد بوعزيز وأولاد فرج، وينتمي 54 ٪ إلى قبيلتي الحوزية والشتوكة و9 ٪ إلى باقي إقليم دكالة. لكن مدينة أزمور قد شهدت في أواسط السبعينات ظهور بعض الأنشطة الصناعية والسياحية في الهوامش الحضرية، كما أدمجت في المشروع الحضري والصناعي الضخم للجرف الأصفر والجديدة، فقفز عدد سكانها إلى 24774 ن سنة 1982 محققا بذلك نسبة نمو سنوية إجمالية تبلغ 3,25 ٪ بين 1971 و1982، ونسبة نمو سنوية للهجرة تبلغ 1,37 ٪. وهكذا أصبحت تعد من بين الصنف الأسفل للمدن المتوسطة الأكثر استقطابا للهجرة القروية. ومع ذلك، فإن صفها حسب حجم السكان ضمن لائحة المدن المغربية أخذ يتدهور تدريجيا بين الصف 37 سنة 1960 و 40 سنة 1971 و 50 سنة 1982. مقابل ذلك، وفي نفس الفترات لم تتغير مرتبة الجديدة تقريبا حيث انتقلت من الصف 14 إلى 15 ثم 16. وأصبحت تقاس الآن بمدن مثل سوق أربعاء الغرب وميدلت وبنسليمان وشفشاون وسيدي بنور على الخصوص. وقد أوشكت هذه الأخيرة أن تحتل المكانة التي كانت تتبوأها دائما أزمور كثاني مدينة إقليمية في دكالة بعد الجديدة، حيث تضاعف عدد سكانها 4,3 مرات بين 1960 و 1982.

إن هذا التذبذب السكاني لابد أن يؤثر مباشرة على بنية الأنشطة الاقتصادية بالمدينة وتطورها. بل تلازمت تلك الظاهرتان في علاقة سببية وثيقة عبر المراحل التاريخية. وهكذا فإن الدينامية التجارية لأزمور تلاشت في النصف الثاني من القرن 19 لصالح مينائي الجديدة والدار البيضاء اللذين انطلقا في مرحلة توسعية لرواجهما، تمظل النمو الاقتصادي للمدينة متباينا إلى بداية الأربعينات من القرن 20، حتى ترسخت الأزمة الوظيفية بها نهائيا وأصبح البون شاسعا بينها وبين الجديدة.

من أنشطة أزمور التقليدية التي اشتهرت بها، كصناعة "الحايك" والنسيج والجلد والخزف والتجارة والصيد، لم تحتفظ المدينة إلا بنشاط الطرز المتميز بأشكاله الخاصة والمشهورة على الصعيد الوطني، وعلى مصنع صغير للنسيج والشمع. كما أن الثروة السمكية التي كان يزخر بها مصب أم الربيع كالشابل قد انقرضت بعد بناء سد سيدي سعيد معاشو سنة 1929، ولاتتوفر المدينة اليوم إلا على 20 قارب غير آلية تستعمل في الصيد الصغير واجتياز النهر قصد زيارة الولية للاعيشة البحرية. كما احتفظت أزمور بسوقها الأسبوعي المنعقد كل ثلاثاء والمشهور ببقلياته وخيوله العربية المحلية (الشتوكة) التي تجلب إليها المختصين في تربية وتجارة الخيول من الدار البيضاء والرباط.

إن أهمية الفلاحة في تشغيل النشيطين بأزمور تعد أكبر دليل على الركود الاقتصادي بالمدينة. ولا توجد مثيلتها في هذه الخاصية على الواجهة الأطلنطية سوى في أصيلا. إذاً في غياب الأنشطة الحضرية الصرفة والكافية

لسد طلب الشغل، يلجأ 25 ٪ من المشغلين إلى مزاولة العمل الفلاحي المأجور أساسا بمنطقة أزمور أو حتى داخل المدار الحضري في حيازات جد متقلصة. ويتكون غالبية الفلاحين الموسميين من الإناث. ويعمل بالقطاع الثاني 34.6٪ من مجموع المشغلين بما في ذلك الحرف والصناعة العصرية المتمثلة بالخصوص في معمل للزجاج ومعليمن للصناعات الغذائية، أحدهما للحوامض والآخر للطماطم. أما باقي النشيطين المشغلين فيعملون بالقطاع الثالث، وخصوصا في التجارة. وتجدر الإشارة إلى أن 26 ٪ فقط من مجموع المشغلين لهم أجر قار، مقابل أغلبية تعمل في مهن وحرف متواضعة موسمية أو جزيئة أو غير مشكلة. مما يترتب عنه في المداخيل وعدم استقراها، حيث إن أكثر من نصف الأسر لها دخل دون 500 درهم و20 ٪ منها نعيش بمردود الهجرة الوطنية أو الخارجية.

إن القرب من الدار البيضاء كان السبب الرئيسي في التدهور الوظيفي لأزمور والجديدة لمدة طويلة. وهو الذي يحقق اليوم بهما حيوية اقتصادية وانتعاشا عمرانيا نسبيا. ذلك أن اختناق الدار البيضاء دفع بسلطات التهيئة إلى فك اكتظاظها بتدشين مشروع صناعي وحضري سنة 1974 يمتد على الساحل بين أزمور والجرف الأصفر بمسافة 33 كلم. ويتعلق الأمر أساسا بإنشاء أول ميناء إفريقي بالجرف الأصفر ومركب صناعي للفسفاط. إلاّ أن موقع أزمور المتطرف بالنسبة لحقل المشروع وبالنسبة للقطاع المسقي بدكالة سيعزل المدينة عن المشاريع الصناعية الفسفاطية والغذائية التي أخذت تزدهر ببعض مدن الأقليم (الجديدة وسيدي بنور وخميس الزمامرة).

ورغم توقع تضاعف عدد سكان أزمور مرتين بين 1980 و2000، فإن 48 ٪ من الأشخاص المستطلعين سنة 1980 في اطار تهيىء التصميم المديري لمجموعة الجديدة الحضرية قد أجابوا بالنفي حول عوائد مشروع الجرف الأصفر على توسع مدينة أزمور.

M. Ayad, *L'Organisation de l'espace rural dans le Sahel d'Azemmour et le plateau d'El Jadida*, Rabat, 1982, 2 tome ; D. Benjelloun, *La médina d'Azemmour, une cité marocaine en péril*, mémoire de maîtrise, Institut de Géographie, tours 1977-78; J. Darlet, *Monographie d'Azemmour*, bibliothèque générale, Rabat, 1950 ; R. Fosset, *Le réseau urbain des bas-plateaux atlantiques moyens*, C.N.R.S, Tours 1977 ; Ch. Le Coeur, *La décadence économique d'Azemmour entre 1907 et 1937*, Institut des Hautes Etudes Marocaines, Rabat 1938 ; *Villes et Tribus du Maroc, Région de Doukala Azemmour et sa banlieue*, vol XI, T2, Honoré, Champion, Paris, Edition 1936.

مصطفى عباد

أزمور، ـ تاريخ ـ مدينة على الضفة اليسرى لأم الربيع، على بعد ثلاثة كيلومترات من المصب، بمنطقة دكالة. بلغ عدد سكانها سنة 1982 : 24774 نسمة. وكانت أزمور، كما هو الحال اليوم، تنسب إلى دفينها الولي أبي شعيب أيوب السارية (ت 561 / 1166)، وتعدُّ حتى نهاية القرن 9 / 15، من أكبر الحواضر الدكالية وأنشطها. وارتبط مصير المدينة بنهر أم الربيع. ففضلا عن الميناء الذي كان موجوداً إلى حين التحولات الملاحية التي عرفها النصف الثاني من القرن 15 م، يتلاءم وحجم السفن المقبلة عليه، استفادت أزمور كذلك من وفرة أسماك الشابل بالنهر ومن إقبال التجار الإيبيريين على صيده وشرائه. كما استفادت من غنى سهول دكالة والشاوية وخصوبتها. ونتج عن وفرة المنتجات الزراعية والحيوانية، وعن وجود ميناء، إقبال الأزموريين المبكر على التجارة وركوب البحر لنقل سلعهم إلى الأندلس. وهكذا عاين ابن الخطيب بالمدينة طبقة تجارية نشيطة تعرف أعلى مظاهر المضاربات والمنافسة وترفل في النعيم. وتحسنت أوضاع المدينة خلال القرن التالي لاستفادتها من تخريب مدينة أَنْفَا سنة 1469. ومن التحولات التجارية الكبرى التي أحدثها تغلب الملاحة البرتغالية على الصعوبات التي كان يطرحها رأس بوجدور (846 / 1343) وتنظيم التجارة البرتغالية بغرب إفريقيا. ومعلوم أن هذه التجارة عززت مكانة سهول الشاوية ودكالة لدى البرتغاليين لأن الحصول على التبر والعبيد كان يلزمهم باقتناء مجموعة من السلع كانت المنطقتان كثيرة الإنتاج لها كالحبوب والخيول والأنسجة الصوفية الخ. وتؤكد الإيصالات ووثائق برتغالية أخرى (أ. بوشرب، دكالة : 281 ـ 324) وكذا كتب الرحلات البرتغالية العلاقة بين الرواج الذي كانت تعرفه أزمور وبداية اتجار البرتغاليين بغرب إفريقيا. وانعكس هذا الرواج على المدينة وسكانها، فلقد أكد كل من الوزان والإخباري (دوگويش) على غنى الأزموريين قبل احتلال مدينتهم. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الرواج صادف استقلال المدينة عن فاس المرينية ومراكش الهنتاتية. غير أننا نجهل تاريخ إعلان ذلك الاستقلال. وأصبحت إدارة المدينة بيد مجموعة من أعيانها الذين كانوا منقسمين إلى حزبين متنافسين (الوزان 1 : 124، مرمول 2 : 97)

ومرت أزمور في تعاملها مع البرتغاليين بمرحلتين مختلفتين : فخلال الأولى (890 ـ 919 / 1486 ـ 1513) اكتفى هؤلاء بفرض نوع من الحماية على المدينة، بينما اضطروا في مرحلة ثانية (919 ـ 948 / 1513 ـ 1541) إلى احتلالها عسكريا قبل أن تكرههم الأوضاع الجديدة بالمغرب على إخلائها بدون حرب. ويمكن إرجاع التجربة السياسية الأولى التي خاضها البرتغاليون إلى اعتبارات تجارية محض. وهكذا وقع الطرفان معاهدة سنة 890 / 1486 التزمت أزمور بمقتضاها بالإعتراف بسلطة التاج البرتغالي وأداء ضريبة وفتح أسواقها في وجه تجارة الملك البرتغالي ورعاياه... وتعهد الجانب البرتغالي بحماية أعيان أزمور ضد الأخطار المحلية أو الأجنبية. واحترم الأزموريون هذه المعاهدة لمدة ست عشرة سنة، إلا أن العلاقات تأزمت بين الطرفين، الأمر الذي أرغم الملك البرتغالي على تنظيم حملة ضد أزمور سنة 914 / 1508 انتهت بالفشل. وبما أن البرتغاليين نجحوا في احتلال أسفي سنة 913 / 1508 واستطاعوا بين 916 ـ 918 / 1511 ـ 1513 نشر نفوذهم بدكالة وقسم من الشياظمة والحوز،

فإن احتلال أزمور عسكريا أصبح ضروريا لحماية تلك المكتسبات ولنشر النفوذ البرتغالي بالشاوية ومنطقة مراكش. وهكذا جهز أمنويل الأول أسطولا يضم 430 قطعة نقلت 15000 محارب. ووصلت الحملة إلى مَازِيغْنْ يوم 24 جمادى الثانية 919 / 27 غشت 1513. وبعد مقاومة عنيفة سقطت أزمور يوم 2 رجب 919 / 3 شتنبر 1513. ونتج عن هذا الاحتلال إخلاء المدينة وتحولها إلى مجرد ثكنة عسكرية يعمل جنودها على العيش مما اصطلح على تسميته "باقتصاد الغارة" واضطر البرتغاليون إلى الاستغناء عن قسم كبير من أسوار المدينة واكتفوا بتحصين الجزء المشرف على النهر. وعرفت أزمور خلال احتلالها تنظيمات عسكرية وإدارية وتجارية تشبه ما كانت تعرفه باقي الثغور المحتلة. وكان على رأس هذه التنظيمات القبطان الذي كان يمثل الملك، ويبده السلطة العسكرية والإدارية والقضائية. وتعاقب على حكم أزمور بين سنة 919 . 948 / 1513 . 1541 عدد من الحكام برتبة قبطان وصلتنا أسماء أحد عشر منهم. وكلفت أزمور بتهدئة القسم الشمالي من دكالة والشاوية ومراقبته. وكانت حامية المدينة تنسق عملياتها أحيانا مع حامية أسفي خصوصا في الأوقات الحرجة. ولأسباب مرتبطة بالتحولات التي عرفتها دكالة بعد 921 / 1515 (هزيمة المعمورة الكبرى، اهتمام الوطاسيين بالمنطقة، قتل يحيى أَتَاعْفُوفْتْ)، نقل برتغاليو أزمور عملياتهم العسكرية ضد قبائل الشاوية، فاستطاعوا بين 1518 . 1519 أسر أكثر من ألفي شخص والاستيلاء على كميات هائلة من الغنائم.

وزاد من هذا التفوق العسكري والسياسي رواج تجاري مهم تؤكده قيمة الضرائب الجمركية المحصل عليها والمبالغ المالية الهائلة التي كان المسؤولون التجاريون يروجونها بالمدينة (*دكالة*، 297 . 324) إلا أن ذلك لم يدم طويلا، فقد أضحت المدينة بعد أقل من عقد على احتلالها تعاني من الحصار المستمر ومن الركود التام، وأشرفت عدة مرات على المجاعة. وتزايدت هذه المشاكل بتزايد النفوذ السعدي وبتراجع النفوذ البرتغالي وتفاقم مشاكل الخزينة البرتغالية. وبما أن احتلال أزمور كان لأسباب تجارية محض اختفت بعد العشرينات من القرن 16 م، وللتخفيف على خزينة الدولة، وإسهاما في الدفاع في ظروف أحسن عن الثغور الشمالية التي تكتسي أهمية استراتيجية قصوى، قرر الملك البرتغالي سنة 935 . 936 / 1529 إخلاء أسفي وأزمور وأگادير إلا أن معارضة النبلاء حالت دون ذلك. وهكذا بقيت أزمور محتلة حتى رجب 948 / أكتوبر 1541 حيث اضطر البرتغاليون إلى إخلائها بعد هزيمتهم بأگادير. ونتج عن هذا الإخلاء تحصين مازيغن. ولم تعد أزمور بعد تحريرها ولو إلى المستوى الذي كانت عليه قبل الاحتلال. فقد ذكر الرحالة مارمول أنها أضحت ملجأ للحيوانات الضارية. ويمكن إرجاع هذه الوضعية إلى عامل طبيعي وآخر سياسي. يتمثل الأول في صعوبة استعمال ميناء المدينة لضيق مصب النهر وكثرة الحواجز الرملية به، خصوصا بعد أن مالت السفن إلى الضخامة. ونتج عن تحصين مازيغن منذ 920 / 1514 هجرة السفن لميناء أزمور. غير أن الغارات المتكررة والمفاجئة التي كان برتغاليو هذا الثغر ينظمونها ضد أزمور حالت دون إعادة تعميرها وانتعاشها.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : أ. بوشرب، *دكالة*.

Les Portugais et l'Afrique du Nord, extraits des *"Annales de Jean III"* de Louis de Sousa, Paris 1940 ; Marmol, *L'Afrique*, Vol. 2 ; P. De Cenival, *Sources inédites de l'histoire du Maroc*, Série *saadienne*, Portugal ; D. Pires de Lima, *Azamor, os precedentes de conquista e a expediçao do Duque Dom Jaime*. Lisbone, 1930.

أحمد بوشرب

انتهى طبع هذا الجزء من معلمة المغرب
بمطابع سلا يوم الجمعة 8 محرم 1410 / 11 - 8 - 1989

مطابع سلا
المجلى الصناعي لتابريكت
الهاتف: (07) 887.02 سلا

معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر

دار الأمان - الرباط

الطبعة الأولى / 1410 هـ - 1989م
الطبعة الثانية / 1435 هـ - 2014م

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984/629

جميع حقوق النقل والترجمة، جزئياً أو كليّاً بأي شكل كان،
محفوظة للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولدار الأمان - الرباط

ردمك 7-000-03-9981 (المجموعة)
ردمك 3-002-03-9981 (الجزء 2)

دار الأمان - الرباط

المملكة المغربية - 4، زنقة المأمونية - الرباط
هاتف: 87 37 26 37 5 212+ / 76 32 72 37 5 212+
فاكس: 55 00 20 37 5 212+
بريد الكتروني : libdarelamane@yahoo.fr

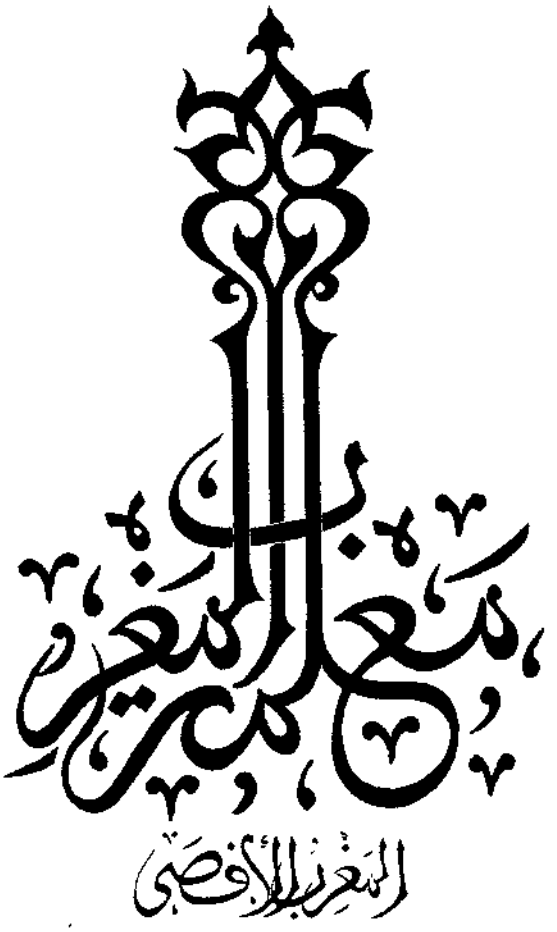
تعلم بالمغرب
المغرب الأقصى

المدير المشرف : محمد حجي

لجنة التحرير : أحمد التوفيق، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط
محمد حجي، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

لجنة العلوم الانسانية : محمد بنشريفة، أستاذ الأدب المغربي والأندلسي بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية، الرباط
محمد زنيبر، أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب، الرباط
سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط
مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافيا : عبد الله العوينة، أستاذ الجيمورفولوجيا بكلية الآداب، الرباط
مصطفى عياد، أستاذ الجغرافيا البشرية بكلية الآداب، الرباط
إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
عبد المالك بنعبيد، أستاذ بالمدرسة الوطنية الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
محمد رمضاني، باحث في البيولوجيا الحيوانية بالمعهد العلمي و أستاذ بكلية العلوم، الرباط

المشاركون في تحرير مواد حرف الهمزة

محمد **الأخضر**، وزارة التربية الوطنية
محمد **أديوان**، كلية الآداب، الرباط
مصطفى **أريبب**، وزارة التربية الوطنية
شفيق **أرقاك**، باحث، الرباط
محمد **أزهار**، كلية الآداب، المحمدية
سعيد **أعراب**، المعهد الأصلي، تطوان
عمر **أفا**، كلية الآداب، الرباط
عبد اللطيف **أكنوش**، كلية الآداب، الدار البيضاء
محمد **ألحيان**، المركز الوطني لتنسيق البحث العلمي، الرباط
علي **أمهان**، وزارة الشؤون الثقافية
محمد **أوجامع**، كلية الآداب، مراكش
محمد **البايك**، كلية اللغة العربية، مراكش
ثريا **برادة**، كلية الآداب، القنيطرة
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب، المحمدية
سعيد **برقاد**، مهندس بمكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية
محمد **بريان**، كلية الآداب، الرباط
محمد أمين **البزاز**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **بلاوي**، كلية الآداب، مراكش
محمد **بلعربي**، باحث، الرباط
عائشة **البلغيتي العلوي**، كلية الآداب، الرباط
عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب، القنيطرة
البضاوية **بلكامل**، كلية الآداب، الرباط
محمد الأمين **بلكناوي**، باحث، الرباط
محمد **بنتاويت**، كلية الآداب، الرباط
محمد **بنجلون أندلسي**، باحث
الحسن **بنحليمة**، كلية الآداب، أكادير
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب، المحمدية
محمد **بنشريفة**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
عبد العزيز **بنعبد الله**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
عبد المجيد **بنعبد الله**، مهندس بوزارة الفلاحة
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين، سلا
عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب، بني ملال
عمر **بنعيرة**، كلية الآداب، الرباط

لطيفة **بناني سميرس**، كلية الآداب، فاس
عبد المجيد **بنيوسف**، الخزانة العامة، الرباط
أحمد **بوجداد**، وزارة الشؤون الإدارية
أحمد **بوحسن**، كلية الآداب، الرباط
محمد **بوخبزة**، قسم المخطوطات بالخزانة العامة، تطوان
فاطمة **بوخريص**، كلية الآداب، الرباط
رحمة **بورقية**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب، فاس
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب، فاس
مصطفى **بوشعراء**، مديرية الوثائق الملكية ، الرباط
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب، الرباط
عبد العزيز **بوعصاب**، المركز التربوي، القنيطرة
أحمد **بوكوس**، كلية الآداب، الرباط
أحمد شوقي **بينبين**، كلية الآداب، الرباط
عبد العزيز **التمسماني خلوق**، كلية الآداب، الرباط
محمد **تميم**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
عبد العزيز **توري**، وزارة الشؤون الثقافية
أحمد **التوفيق**، كلية الآداب، الرباط
حسن **جلاب**، كلية الآداب، مراكش
الحسين **الجهادي**، وزارة التربية الوطنية
عمر **الجيدي**، دار الحديث الحسنية، الرباط
محند **أيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية
محمد **حجي**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب، وجدة
إبراهيم **حركات**، كلية الآداب، الرباط
عبد الجليل **الحسيني**، مهندس بشركة إسمنت المغرب الشرقي
حمادي **حضيكي**، مهندس بمفاحم المغرب
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب، فاس
محمد أيت **حمزة**، كلية الآداب، الرباط
محمد أبو **حميد**، وزارة التربية الوطنية
علال **الخديمي**، كلية الآداب، الرباط
سعيد **خليل**، كلية الآداب، أكادير
مارية **دادي**، كلية الآداب، وجدة

محمد **دحماني**، كلية الآداب، وجدة
عبد الله **درقاوي**، مركز تكوين المفتشين، الرباط
حميد **الديوري**، وزارة الشبيبة والرياضة
محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب، مراكش
عبد الرحمان **رحو**، كلية الآداب، فاس
محمد **رحو**، كلية الآداب، فاس
حسن **رحيوي**، مهندس بمفاحم المغرب
محمد **رزوق**، كلية الآداب، الدار البيضاء I
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي، الرباط
محمد **زرهوني**، كلية الآداب، الدار البيضاء I
مبارك **زكي**، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط
محمد **زنيبر**، كلية الآداب، الرباط
قاسم **الزهيري**، باحث، الرباط
عبد الله **ساعف**، كلية الحقوق، الرباط
عبد الأحد **السبتي**، كلية الآداب، الرباط
عبد الجبار **السحيمي**، صحافي، الرباط
كلود **سلطان**، مفتش التعليم الإسرائيلي، الدار البيضاء
عبد اللطيف **الشادلي**، كلية الآداب، الدار البيضاء I
أحمد **الشرقاوي إقبال**، باحث، مراكش
محمد **شفيق**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
محمد **شقرون**، كلية الآداب، الرباط
محمد **الشياظمي**، باحث، الرباط
فاطمة الزهراء **الصبيحي ـ العلوي**، متحف الآثار، الرباط
علي **صدقي أزايكو**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرزاق **الصديقي**، كلية الآداب، المحمدية
خالد **بن الصغير**، المدرسة العليا للأساتذة، الرباط
فاطمة الزهراء **طموح**، كلية الآداب، الرباط
محمد **الطويل**، كلية الآداب، القنيطرة
امحمد **بن عبود**، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط
أحمد **عزاوي**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد **ابن عزوز حكيم**، باحث، الرباط
عز الدين **العلام**، المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير
محمد **العلوي الأوفوسي**، وزارة التربية الوطنية
عبد الله **العمراني**، باحث
أحمد **عمالك**، كلية الآداب، مراكش
أحمد **العماري**، كلية الآداب، فاس
عبد الله **العوينة**، كلية الآداب، الرباط
محمد **عياد**، كلية الآداب، الرباط
مصطفى **عياد**، كلية الآداب، الرباط
عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب، القنيطرة
حسن **الفگيگي**، كلية الآداب، القنيطرة

خالد **القادري**، وزارة المالية
عبد الرحمان **القادري**، كلية الحقوق، الرباط
محمد مصطفى **القباج**، أكاديمية المملكة المغربية
محمد إبراهيم **الكتاني**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
علي **كريمي**، كلية الحقوق، الرباط
عبد الله **گنون**، عضو أكاديمية المملكة المغربية ورئيس رابطة علماء المغرب
العربي **كنينح**، المدرسة العليا للأساتذة، فاس
محمد **الگير**، وزارة التربية الوطنية
أحمد **لقمهري**، كلية الآداب، الرباط
رامون **لوريدو**، باحث، طنجة
شمعون **ليڤي**، كلية الآداب، الرباط
محمد **المازوني**، كلية الآداب، أگادير
محمد **ماگامان**، كلية الآداب، مراكش
الملكي **المالكي**، وزارة التربية الوطنية
أحمد **متفكر**، باحث، مراكش
الحسين **المجاهد**، كلية الآداب، الرباط
الحسن **المحداد**، كلية الآداب، أگادير
علي **المحمدي**، كلية الآداب، الرباط
العربي **مزين**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد **مزين**، كلية الآداب، فاس
محمد **مستاوي**، باحث، الرباط
خديجة **المسدالي**، كلية الآداب، الرباط
رشيد **المصلوت**، باحث، أگادير
محمد **مطيع**، كلية الآداب، مراكش
آمنة **معطى الله**، وزارة التربية الوطنية
الصديق **معنينو**، وزارة الداخلية والإعلام
محمد **مقدون**، كلية الآداب، فاس
عبد الرحمان **الملحوني**، باحث، مراكش
محمد **المنصور**، كلية الآداب، الرباط
محمد **المنوني**، كلية الآداب، الرباط
محمد **منيوي**، المعهد العلمي، الرباط
عبد الرزاق **مولاي ارشيد**، كلية الحقوق، الرباط
عبد الله **ميميس**، كلية الآداب، الرباط
مصطفى **ناعمي**، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط
الحبيب **نوحي**، كلية الآداب، أگادير
محمد عبد الجليل **الهجراوي**، متحف الآثار، الرباط
المختار **الهراس**، كلية الآداب، الرباط
عثمان **هناكا**، كلية الآداب، أگادير
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب، مراكش
علي **واحدي**، كلية الآداب، فاس
سالم **يفوت**، كلية الآداب، الرباط

اختصارات

ت.	= توفي
تح.	= تحقيق
تر.	= ترجمة
خ. ت	= خزانة تطوان
خ. ح.	= الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص.	= الخزانة الصبيحية بسلا
خ. ع.	= الخزانة العامة بالرباط
خ. ق.	= خزانة القرويين بفاس
خ. ي.	= خزانة ابن يوسف بمراكش
د. ت	= دون تاريخ
د. د. ع.	= دبلوم الدراسات العليا
د. م.	= دون مكان
ط.	= طبعة
←	= انظر

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

أزمور بعد الجلاء البرتغالي سنة 948 / 1541.

أول قائد عين على رأس المدينة هو ابن مالك الذي أنجز عدة تحصينات خوفا من عودة البرتغاليين الذين كانوا مايزالون بالبريجة. وفي شهر دجنبر 1542، قام حاكم هذه المدينة دُونْ لُويسْ دي لُورِيرُو في خمسين فارساً، بهجوم خاطف على أزمور، فزحزح القائد ابن مالك عن موقعه، ودخل المدينة وأحرق القصر وعدة بيوت وهدم أبواب المدينة وخرب المراكب التي كانت راسية في النهر قبل أن يعود من حيث أتى. وكان جوار البرتغاليين يشكل خطرا دائما على أزمور، حتى أشيع أن سلطان مراكش عازم على دكّ هذه المدينة حتى لاتبقى عرضة لهجومات النصارى.

وفي شهر يناير 952 / 1546 وقعت القصة المعروفة بقصة المرابطين الذين كانوا مقيمين بأزمور بقصد الجهاد، وهي أن الحاكم البرتغالي خرج من البريجة ليلاً وباغت أزمور في الصباح الباكر، ففرت غالبية السكان وعثر النصارى على بعض المرابطين المتعبدين، فساقوهم الى البريجة مع عدد من المجاهدين، ولم يطلقوا سراحهم إلا بعد أداء فدية مالية. وهم عبد الله بن ساسي ومحمد كانون ومحمد الدقاق. وهكذا فالبرغم عن جلاء البرتغال عن أزمور ظلوا يترددون على نواحيها، ويظهر أنهم حصلوا على حق الصيد في مصب نهرأم الربيع، دون مغادرة مراكبهم أو الدخول إلى المدينة.

وفي نهاية القرن السادس عشر، كان يوجد بأزمور، إضافة إلى أهل البلد حامية من مائتي جندي مسلحين بالبندقيات، ويُبَدَّلُونْ مرتين في السنة. وكان للقائد ستمائة رجل من حملة الرماح منهم من أمدّه بهم السلطان ومنهم من جندهم هو في عين المكان ليكونوا دائما على أهبة القتال لكنه عندما كان يهاجم البريجة، فإنه كان يأخذ معه أكثر مايمكن من حملة الرماح بالإضافة إلى عدد من القربينيين الذين يرابطون في الحميّة.

وفي سنة 1013 / 1604، قدم المجاهد مَحمد العياشي من سلا إلى أزمور، بأمر من شيخه عبد الله بن حسون لمجاهدة البرتغال. فاستقر بأولاد بوعزيز، قاطعاً المواصلات بين البريجة والقبائل المجاورة. وأصبحتْ بذلك أزمور تشكل مركزاً من أنشط مراكز الجهاد. وذاع صيت العياشي واستطاع ان يستقطب عددا كثيرا من المجاهدين الذين قدموا للعمل تحت إمرته. ولما توفى قائد أزمور، عين السلطان زيدان المجاهدَ العياشي خلفا له. فلم يزل مثابرا على الجهاد إلى أن أصبح السلطان يرتاب في أمره، بوشاية من بعض أفراد الحاشية. فبعث السلطان 400 فارس تحت قيادة محمد السنوسي لإلقاء القبض على العياشي، غير أن هذا الأخير أخبر بذلك ففر إلى سلا (1614 م).

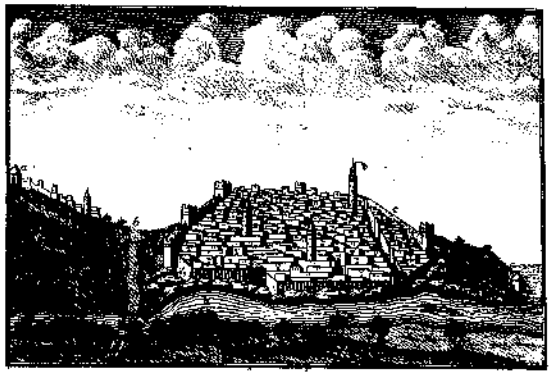

مدينة أزمور في القرن الثامن عشر (عن كتاب Hörst)

وفي عام 1028 / 1619 م. جاء السلطان زيدان إلى أزمور لبناء سدٍّ قيل إنه سيقضي على الحاجز الرملي الذي يمنع السفن المتعددة السطوح من دخول نهر أمّ الربيع. فلما وصل إلى (أمّ الغرس) بدكالة، تلقى هدية فاخرة من عامل البريجة ثم دخل مدينة أزمور تحت طلقات المدافع تحية لقدومه ومن أزمور ذهب لزيارة قلعة البريجة حيث استقبل بحفاوة كبيرة، وفشل مشروع بناء السد بسبب كيد أحد الجواسيس الفرنسيين الذي كان يعمل، على ما يقال، لحساب اسبانيا. وكان قائد أزمور في ذلك العهد هو يحيى بن زيد.

وحوالي 1045 / 1636، عاد المجاهد العياشي إلى الظهور بمدينة أزمور بعد أن أصبح زعيما لإمارة سلا. وتميز رجوعه ببعث روح الجهاد ضد البرتغال، ففي 11 أبريل 1640، كبّد

العياشي البرتغاليين إحدى هزائمهم الكبرى، إذ من بين 139 فارسا برتغاليا لم ينج في هذه المعركة سوى ثلاثة فرسان، أما الباقون فقد قتلوا باستثناء ثمانية عشر أسيراً سيقوا إلى مدينة سلا.

واختفى ذكر أزمور في العهد الأول للدولة العلوية، حتى مُوِّيتْ Mouette لم يذكر هذه المدينة إلا عندما زعم أن عدد الأموات فيها، أثناء الوباء العظيم الذي انتشر في المغرب من 1678 إلى 1680، بلغ ثمانية آلاف شخص، وهو بطبيعة الحال عدد مبالغ فيه. ويسجل دي كونه Da Cunha بعض هجومات مسلمي أزمور على قلعة البريجة، إذ بالاضافة إلى الهجومات التي كانت تنطلق من أزمور، فإن هجومات أخرى كانت تنطلق من مركزين شهيرين هما : "فحص الزموريين" الذي ماتزال آثاره بادية للعيان بقرب منار سيدي مصباح، غير بعيد من حلبة سباق الخيل بالجديدة وفحص أولاد دويب الذي مازال يعرف الآن " بالمُجَاهِدين" واستمر الجهاد على أشده إلى أن تحررت البريجة على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله 1183 / 1769 وفي عام 1189 / 1775 . 1776 قام هذا السلطان بنقل 500 من عبيد دكالة إلى أزمور، وبعد ذلك انحازت المدينة والناحية كلها إلى مولاي هشام، غير أن مولاي سليمان استرجعهما وحضر بنفسه إلى أزمور سنة 1210 / 1796 حيث قدمت له البيعة من جديد.

وفي عهد مولاي عبد الرحمان، أصبحت المدينة والناحية مع تامسنا تحت حكم القائد محمد بن الطيب، ومنذ 1276 / 1859، صار باشا أزمور عاملا كذلك على الجديدة وعلى هشتوكة والشياظمة وعلى جزء من دكالة. وفي عام 1289 / 1873 ثار الأزموريين على خليفة عاملهم محمد بن المؤذن الفرجي وقتلوه. ومرت على ذلك ثلاث سنوات جاء بعدها السلطان لزيارة أزمور وضريح مولاي بوشعيب وسيدي محمد وعدود، كما أمر بترميم القلعة الصغيرة التي تواجه الميناء.

ثم كان لأزمور دور في الخلاف بين السلطانيين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ، إذ كانت من المدن السباقة إلى مبايعة مولاي عبد الحفيظ في غشت 1907. ولم تمض إلا فترة وجيزة حتى ألقي القبض على قائد أزمور بأمر من مولاي عبد الحفيظ، فثار السكان وتظاهروا، غير أن وحدات من الجنود الحفيظية أعادت الهدوء إلى نصابه وفرضت القائد حسي الاگلاوي، وأصبحت بذلك أزمور منفصلة عن الجديدة التي كان يسيطر عليها أنصار مولاي عبد العزيز والتي صارت التجارة معها ممنوعة. وفي شهر يونيه 1908، عمل الجنرال دَامَادْ على احتلال مدينة أزمور لتأمين الحدود الشمالية الغربية للشاوية، فخرج يوم 27 من هذا الشهر طابور فرنسي من الدار البيضاء والتحقت به جنود أخرى يوم 29 كانت آتية من قصبة برشيد. ووصل دَامَادْ يوم 30 أمام أزمور، فوجد أبواب المدينة مغلقة والمراكب التي تستعمل في عبور النهر مربوطة على الضفة اليسرى. وكانت المدينة قد هوجمت في صباح نفس اليوم من قبل وحدات عزيزيّة، لكن المدافعين عن المدينة ردوها على أعقابها واستولوا على ماكان معها من مدافع. وكانت طرّادة فرنسية راسية على مصب النهر. وفُتحَت المفاوضات في الحين، واضطرّ القائد حسي الاگلاوي إلىَ مغَادرة المدينة مع جنوده والانسحاب إلي مراكش، كما عزل الجنرال الفرنسي قائد الجوزية محمد التريعي وعيّنَ خلفا له. ودخلت الجيوش الفرنسية إلى أزمور بدون قتال. وفي 6 يوليوز، انسحب الجنرال الفرنسي بجيوشه بعد أن كلف بحراسة المدينة 200 من الجنود المغاربة القادمين من الجديدة والذين كانوا بطبيعة الحال من أنصار مولاي عبد العزيز وبعد أن اتخذ قراراً بتعيين"جماعة بَلَديّة " تولت اختيار عامل جديد للمدينة هو الجيلالي ولد الوَعدودي. لكن قام مولاي الحفيظ بتعيين ولد التريعي من جديد قائداً على الجوزية، وتَمّ اغتيال القائد الجيلالي الذي فرضه الجنرال دَامَادْ على أزمور، وعُلّقَ رأسه على أبواب المدينة. وحاول الفرنسيون إلقاء القبض على ولد التريعي. فاحتلوا قصبته التي كانت توجد على بعد عشرة كيلومترات من أزمور وخربوها، غير أن ولد التريعي تمكن من الفرار إلى الجديدة.

أما الحالة الاقتصادية لأزمور على عهد الحماية فقد مرت بثلاث مراحل :

أولاً : من 1912 إلى 1924، ظلت أزمور ممراً مُهمّاً بين الشمال والجنوب وعلى الخصوص بين الدار البَيضاء والجديدة ، إذ كان المسافرون مضطرين إلى التوقف عند أمّ الربيع، لعبور النهر إما بواسطة الزوارق الصغيرة أو بواسطة " المعديّة" مما كان ينعش على السواء الصناعة التقليدية والتجارة المحلية بالمدينة، هذا بالاضافة إلى صيد الشابل الذي كان منذ أقدم العصور من أهم موارد أزمور.ثم ازداد هذا النشاط ازدهاراً عندما شرع في تشييد قنطرة أزمور، سنة 1920، بسبب توافد التقنيين والعمال على المدينة بحيث ارتفع عدد السكان في 1921 إلى 13.900 بعد ان كان لايتجاوز 12.700 سنة 1919.

ثانيا : ابتداء من 1924 عندما تمّ بناء القنطرة وغادر العمال والتقنيون المدينة، انهار النشاط الاقتصادي للمدينة بغتة، خصوصاً وأن المسافرين أصبحوا يمرون في الحافلات والسيارات على القنطرة الجديدة بدون توقف، فتعطلت المراكب وكسدت التجارة. ورغم مؤهلات المدينة السياحية، لم يبذل أي مجهود لتنشيط هذا القطاع. أضف إلى ذلك أن هذه الفترة صادفت استيراد المنتجات الأجنبية التي أخذت تنافس منتجات الصناعة التقليدية المحلية، كما أن الطبقة الميسورة الأزمورية اعتادت أن تقتني ماتحتاج إليه من الدار البيضاء . ويتجلى بوضوح هذا الانهيار من الانخفاض الذي طرأ على عدد السكان في هذه المرحلة إذ أنه هبط في 1926 إلى 8970 نسمة ليصبح 8580 في 1931 و7745 في 1936 .

ثالثا : في سنة 1932 ازداد تدهور أزمور عندما انخفضت أسعار الحبوب والحناء التي كانت من المنتجات الرئيسية لهذه الناحية، وتضاءل صيد الشابل الذي كان يعد من عوامل ازدهار أزمور في الماضي بسبب تشييد سد ابن معاشوعلى نهر أمّ الربيع، الذي أصبح يحول دون حركة أسماك الشابل أثناء وضع بيضها . ومازالت أزمور إلى اليوم تعاني من هذه الوضعية، ولاسيما بعد تشييد قنطرة أخرى خارج المدينة.

أ. الناصري، *الاستقصا : مدينة أزمور وضواحيها*، سلسلة "مدن وقبائل المغرب " (ترجمة محمد الشباطي).

J. Dutheil, *Azemmour* ; Ch. Lecoeur, *Métiers et classes sociales d'Azemmour* in Bulletin économique du Maroc, Vol. 4 nº 16 Avril 1937, pp. 166-169.

محمد الشياظمي

إزْمُورَنْ، في الأمازيغية جمع، مفرده أزمور، ويعني شجر الزيتون. اختصت بحمل هذا الاسم فرقة من قبيلة إبْقُويْنْ (بقوية)، من الريف الأوسط، تحتل موقعاً جغرافياً واقعاً بشمال شرق القبيلة وتشرف أراضي الفرقة على خليج الحسيمة، ابتداء من ساحل "تيزرين" (الجزيرات) المقابل لصخرة النكور المحتلة. وإلى أراضي الفرقة ينتمي ساحل بقُّوية الممتد من رأس العبيد الى قمة إمسيَنْ غرباً يحيط بها من الفرق البقُّيوية : فرقة أزغال بجنوبها الغربي، بينما تحد أراضيها الجنوبية والجنوبية الشرقية على التوالي فرقتا : أولاد عبد الله وأيت يوسف من فرق بني ورياغل.

ويطلق هذا الاسم أصلاً على أهم مداشر الفرقة ، وهو واقع بالقسم الجنوبي الأوسط بين إزَفْزَافَنْ وجبل عزاً .

وبالفرقة تقع مدينة الحسيمة عند قدم رأس العبيد في أقصى الشمال الشرقي. وتبعا لذلك فان للفرقة مكانة في الاقتصاد الاقليمي ، خاصة في مجال الصيد البحري.

ضابط القبائل لنيابة الأمور الوطنية، ص. 85، تطوان 1952؛ *خريطة المصلحة الطبوغرافية*، الرباط، 1972.

حسن الفيگيگي

الأزْمُوري ← **الزموري**

الأزَمي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث توجد عدة أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Aceme. وقد كان منهم عدة فقهاء وعدول، مثل عبدالله بن مصطفى الأزَمي الذي كان حيا سنة 1262 / 1846، والهاشمي بن ميمون الأزمي الذي كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1296 / 1879، وعلال بن عبدالله الأزمي الذي كان يزاول خطة الفتوى سنة 1304 / 1887، ولازالت هذه الأسرة بتطوان كما توجد أسرة أخرى اسمها اليزمي ولا علاقة بينهما.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط خاص ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abotengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones (año 1931)* (A); M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espanol* (A).

محمد ابن عزوز حكيم

الأزْمي، أسرة فاسية يَنتسب جدودها ـ جغرافياً ـ إلى أولاد أزَام بقبيلة صنهاجة، ومن حيث السلالة إلى إدريس الأزهر مؤسس مدينة فاس عن طريق ابنه عبد الله بصفتهم من الشرفاء السباعيين. اشتهرمنهم :

الأزمي، عبد السلام بن الطيب الحسني الإدريسي الفاسي . تخرج على يد كبار شيوخ عصره كالتاودي ابن سودة، وعمر الفاسي، والشريف القسنطيني. ثم تصدر للتدريس بالقرويين متفرغاً له ، يبتدئ القراءة قرب شروق الشمس ويستمر إلى الزوال، ثم يجلس للدرس مباشرة بعد الصلاة ويستمر إلى العصر. وقد "أحيى الله به الفقه في المغرب في زمانه، ونفع به الجم الغفير من أهل دهره وأوانه " (*سلوة*، 3 :15).

عمّر عبد السلام الأزمي طويلا وكثر تلامذته فعُدّ شيخ الجماعة بفاس. ولم يذكر له في التأليف إلاّ *شرح للأربعين النووية*.

توفي عشية الأحد 13 شعبان 1240 / 20 مارس 1826، ودفن يوم الإثنين الموالي بروضة أولاد بنيس بالقباب.

م. الكتاني، *سلوة*، 3 :15 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط ؛ إ. بن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

محمد حجي

إزْناسن ← **بني ازناسن**

أزْنَاگ، أو أصْناك. وكتبه الإفراني في *النزهة* بما يشبه أزيك، هو علي بن أبي بكر الحاحي أحد الرجال الأقوياء الذين خاضوا إلى جانب الشرفاءالسعديين غمار الجهاد، وأخلصوا لهم العمل في المراحل الطويلة التي قطعها تأسيس الدولة السعدية منذ أن كانت في أفوغال إلى أن استقرت بمراكش ثم وحدت المغرب كله. ونظراً للمزكر الهام الذي كان يحتله علي بن أبي بكر لدى محمد الشيخ وابنه عبد الله الغالب فإن بعضهم عدّه وزيراً، وبعضهم سماه حاجباً بينما ذكر مارمول أنه رقي إلى درجة «وليّ الدولة أو وكيلها وهي الرتبة المقابلة لرتبة رئيس الوزراء في بلدان أخرى، أو رئيس الحكومة، ويدخل في اختصاصه تعيين خلف الملك بعد وفاته» (افريقيا ، 1 : 493) والواقع أنه كان أقرب الناس إلى محمد الشيخ المهدي بعد أبنائه، يشاركه في قيادة الجشي عند تكوين الكتائب وتوزيع المهام في الوقائع الكبرى، ويستخلفه أحيانا في حاضرة ملكه.

ولما خرج محمد الشيخ المهدي للمرة الأخيرة من مراكش لإخضاع قبائل الأطلس الكبير الثائرة عليه، استخلف على حاضرة ملكه ابنه عبد المومن. وجعل معه علي بن أبي بكر كخليفة له . فلما اغتيل الشيخ بأگلاگل من قبل حرسه الأتراك، يوم 26 محرم 964 / 29 نونبر 1556 وبلغ خبر الاغتيال إلى العاصمة خرج عبد المومن لاقتفاء أثر القتلة الأتراك، وبقيت مراكش تحت إمرة علي بن أبي بكر أزناگ الذي بادر بإخراج أحمد الأعرج من السجن وقتله مع أهله،

ومن بينهم ولدان لزيدان بن أحمد الأعرج من زوجته مريم بنت محمد الشيخ المهدي، خشية أن يبايع المراكشيون أحدهم في غيبة وليّ العهد عبد الله الغالب الذي كان آنذاك بفاس.

وينفرد مارمول وديبيگو دي طريس بذكر قصة طويلة تبين ظروف مقتل علي بن أبي بكر بمراكش من طرف عبد الله الغالب سنة 966 / 1559 بمكيدة من أخته مريم انتقاماً لابنيها اللذين قُتلا مع أحمد الأعرج.

م.الإفراني، *نزهة*، 36 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 5 : 37 ؛ ك. مارمول، *إفريقيا*، 1 492 ـ 494 ؛ د. دي طريس، *تاريخ الشرفاء*، 219 ـ 229.

محمد حجي

أزْنَاگ، عمر بن علي الصنهاجي، أحد أعضاء الجماعة الموحدية التي تضم أصحاب المهدي بن تومرت العشرة المقربين. ويذكره البيذق في كتاب الأنساب في المرتبة الثانية بعد عبد المومن عند استعراضه لأصحاب المهدي، نقلا عن الشيخ أبي سعيد يخلف بن الحسن الذي كان من قادة الموحدين وأشياخهم المعدودين.

وترجع علاقته بالمهدي إلى بداية دعوته، إذ هو حسب رواية البيذق، أحد الرجال الثلاثة الأولين الذين سبقوا إلى بيعة المهدي تحت شجرة الخروب إلى جانب عبد المومن وأبي إبراهيم الهزرجي، ثم تلاهم الآخرون، فهو، إذن، شخصية ذات منزلة ممتازة في الهرمية الموحدية. فكانت له أدوار سياسية وأخرى عسكرية فنجده، مثلا، إلى جانب عبد المومن يقود جيش الموحدين في حملة ثالثة على المرابطين انتهت بهزيمه هؤلاء أمام أبواب مراكش واعتصامهم بالمدينة حيث ضرب عليهم الموحدون الحصار طوال أربعين يوما، واستمروا في مناوشتهم. وكانت تلك المعارك مقدمة لمعركة البحيرة المشهورة 538 / 1130.

وعندما مرض المهدي مرضه الذي سينتهي به إلى الموت كان عمر أزناگ أحد أصحابه الخمسة الذين أذن لهم بالجلوس معه بعد أن قرر أن يعتزل الناس وينزوي إلى بيته. ودام هذا الأمر ثلاث سنين إلى حين وفاته عام 524.

عندئذ وضعت قضية بيعة عبد المؤمن التي لم تكن سهلة، بل أثارت مشاكل. ويذكر *المعجب* أن عمر أزناگ كان ضمن ثلاث شخصيات رئيسية بادرت إلى بيعته وقدمت المثال من المصامدة، هم عمرأزناگ وعمر إينتى وعبد الله بن سليمان. سواء في قضية بيعة المهدي أو بيعة عبد المومن يتضح لنا أنه كان مسموع الرأي ومشاركا في القرارات الحاسمة التي كان لها انعكاس على مصير الدولة الموحدية : اختاره عبد المومن وزيرا له في الوقت الذي كان فيه مازال يواجه المشاكل، أي الفترة الأولى من عهده. ثم أجلاه عن الوزاره "وربأ بقدره عنها"، حسب تعبير *المعجب* الذي يضيق أنه "كان عندهم فوق ذلك" واستوزر مكانه أبا جعفر أحمد بن عطية، وهي إشارة كافية لتبين لنا مكانة الرجل عند الموحدين. والمصادر، لسوء الحظ، لا تقدم لنا مايكفي من التفاصيل عن هذا الموضوع.

ومن الدلائل على ذلك ماحظي به أولاد عمر أزناگ من الأولوية عند العرض العسكري الذي كان يقوم به الموحدون قبل أهل الجماعة. ولاشك أن تلك المنزلة التي حظي بها ترجع إلى إخلاصه في خدمة الدولة ووفائه لعبد المؤمن. ويكفي أن نورد ما ذكره البيذق عن الكيفية التي مات بها، إذ يقول إنه مرض بناحية الريف وهو سائر في جيش عبد المومن عند مطاردته لتاشفين بن علي اللمتوني. ولما أحس بدنو أجله أراد أن يعظ الموحدين فحاذاه عبد المومن من يمينه وأبو إبراهيم من يساره ليساعداه على الوقوف وينادياه." فكان يعظ الموحدين. وكانت وصيته من ضحوة النهار إلى الظهر. وكان يأمر بالطاعة للخليفة، ومات في ليلته تلك. ويمكن تحديد تاريخ الوفاه فيما بين عام 536، عام 538 هـ .

البيذق، *أخبار المهدي* ؛ المراكشي، *المعجب* : ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

أزَنْكُوط، أسرة يهودية عاشت في مراكش وطنجة، حيث إن مختلف تراجمة السفارات كانوا منهم في القرن التاسع عشر أمثال حايم أزنكوط وابنه داڤيد، في السفارة الفرنسية، وابنه الأخر ساسون، كعون قنصلي للولايات المتحدة بالرباط والعرائش، الخ ... ومنهم يهودا أزنكوط، الذي كان حبرا أعظم بطنجة في عهد النظام الدولي، وموسى أزنكوط الذي كان يتيما فرباه الآباء الفرنسيسكان، وحمل إلى إسبانيا حيث عُمد تحت اسم فيرناندو ازنكوط حوالي 1820. وربما زاول بعض المهام في حاشية بابيل الثاني، فرجع بصفته هذه إلى المغرب مع المتفاوضين في معاهدة 1860.

أزَنْكوط موسيس ابن حايم. ولد بطنجة، وهاجر وعمره أحد عشر عاما إلى ڤينزويلا، حيث قام بدراسات وعين أمينا عاما لإقيلم ماراكايبو. ولدى عودته إلى طنجة، اشتغل بمسائل عمومية وكان المؤسس ورئيس الغرفة التجارة الدولية، ونائب رئيس الجماعة الاسرائيلية بطنجة، وعضوا في المجلس التشريعي، ومحاضرا، وصحفيا. وألف كتبا باللغة الاسبانية، منها : *حوار ديني للدفاع عن اليهود؛ في الاساليب التوسطية المستعملة من طرف النازيين الألمان*. مجريط، 1931 الخ ...

أ. لاريدو، *أسماء يهود المغرب*، ص 249 ـ 260.

شمعون ليڤي

أزْنيط، أسرة علمية أصلها من سكسيوة، استوطنت مراكش وأنجبت عدداً من العلماء والأدباء، منهم :

أزنيط، أحمد بن محمد بن أحمد المراكشي. كان والده محمد بن أحمد أزنيط مدرسا مفتيا من صدور علماء

الحضرة، اختاره المولى عبد الرحمان لمناظرة أحد علماء شنقيط الوافدين على المدينة، فأفحمه ونال بذلك رضى الخليفة وجائزته. أخذ أحمد أزنيط عن والده المذكور، وعن غيره، واشتهر بالاستظهار الكامل *لشرح الخرشي على المختصر* واطلاعه الواسع على مسائله. حج عام ثمانين ومائتين وألف، وتوفي حوالي سنة 1290 هـ / 1873 - 1874م.

ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، 2 : 417 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 41:1

أزنيط، مَحمد بن محمد بن أحمد المراكشي، أحد علماء مراكش ومفتيها المشاهير. أصله قبيلة سكسيوة.

ولد في أواسط القرن 13 هـ/ 19 م. ودرس بمراكش على علمائها، منهم : والده محمد، وشقيقه الأكبر أحمد بن محمد، وأحمد ابن الطاهر المراكشي، وهاشم بن محمد المدغري، وشيخ الجماعة محمد گنون، وعبد الله الضرير، وسعيد جيمي. وكان يحتفظ بإجازات أشياخ هذا الاخير.

حج ثلاث مرات : الأولى مع والده قبل سنة 1273هـ / 1856م، والثانية سنة 1276 هـ / 1859 م، حيث أخذ عن بعض مشايخ الحرمين ومصر كإبراهيم الباجوري، والشيخ عليلش، وكانت حجته الثالثة في آخر عمره.

اتفقت المصادر على وصفه بأوصاف مثل : حسن الخلق والخلق، والتواضع، وحسن المذاكرة والذكاء، والفصاحة، وركزت كثيراً على علمه وتفوقه في التدريس، فهو (أعجوبة الزمان في صناعة التدريس، وحسن الالقاء والتفهيم) (*الإعلام*، 7 : 12)

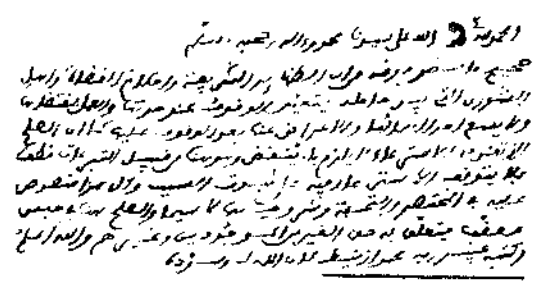

فتوى بخط محمد أزنيط
(من الوثائق البوعمرية)

وقال صاحب *الإعلام* أيضا إن تلامذته كانوا يفهمون دروسه كيفما كان مستواهم الفكري، لانفراده بمنهج خاص متميز، لم يكن متبعا من طرف سائر العلماء ويقوم على :

- تقرير الرأي بعبارات واضحة (مسلك البيان والتصريح والإطناب)
- ثم تقريره ثانيا محصلا له (مسلك المساواة أو الإيجاز)
- ثم إجماله ثالثا بحيث لايفهمه إلاّ نقّاد الطلبة (مسلك الإلغاز)

ابتدأ التدريس في شبابه سنة 1273 هـ / 1856 م ولازمه أزيد من أربعين سنة، ما تركه قط (*الاعلام* 7 / 115). وكان يدرس علم الكلام والفقه والنحو والمنطق بمسجد ابن يوسف. ودرس بمسجد تامصلوحت في عشرة الثمانية من القرن 13 / 19.

أخذ عنه طلبة العلم بمراكش، من أشهرهم : أبومحمد عبد الله وقاص ومحمد بن محمد الماسي ومحمد بن المهدي بن شقرون المراكشي وعباس بن إبراهيم المراكشي والهاشمي بن أحمد بوعبولة وعلى بن مبارك الروداني وعبد القادر بن قاسم. أورد صاحب *الاعلام* بتفصيل أسانيد ابن ازنيط :

- في *مختصر خليل* عن سعيد جيمي متسلسلا إلى مؤلفه.
- في *صحيح البخاري ومسلم*، *وشفا عياض* عن الشريف مولاي عبد الملك.
- و*دلائل الخيرات* عن الحسن بن الشاذ العلوي إلى مؤلفه.

أما مؤلفاته فهي : *تقاييد وأجوبة* و *ختمة سيدي خليل* و *ختمة الألفية* وحاشية *على المرشد المعين* / *شرح عقيدة* سيدي عبد القادر الفاسي.

قال صاحب *الاعلام* (7 / 115) "وقفت على ذلك كله".

بالإضافة إلى التدريس، كان ابن أزنيط إماما وخطيبا بجامع الشيخ الجزولي، يخطب خطبا مختصرة، تدور حول ثلاثة احاديث نبوية. كما كان له إسهام في الافتاء بمراكش.

وقد وقفت على نماذج من فتاويه : تمثل لها بالنازلة البوعمرية التي أفتى فيها إلى جانب محمد بن إبراهيم السباعي ومحمد الجرناوي وغيرهما وهي في موضوع النزاع بين حفدة أبي عمرو القسطلي *المراكشي وحفدة أخيه* الوالي دفين زعير، حول المستفادات والمداخيل (*الوثائق البوعمرية* بمراكش).

انتسب أزنيط للطريقة الناصرية، وأخذ عن أبي بكر الناصري. ولازم مسجد الجزولي في آخر عمره. توفي عند ظهر يوم الثلاثاء 12 شوال عام 1317 / 13 فبراير 1899 م. ودفن 1899 م. ودفن بضريح الجزولي على يسار الداخل من باب السقاية.

الوثائق البوعمرية القسطلية بمراكش، ظهائر ورسائل وفتاوى وكنانيش (تواريخها من 970 - 1361 / 1562 - 1942) ؛ م.ابن الموقت، *السعادة الأبدية* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7 : 111 - 119؛ ع. ابن سودة، *إتحاف الطالع* (مخطوط) ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 40.

حسن جلاب

الأزهر، أحد مساجد الأحياء المرينية بفاس الجديد، بناه السلطان أبو عنان سنة 759 هـ / 1357 م، قبالة سور القصر. هذا المسجد هو الوحيد بفاس الذي يتوفر على مدخل رئيسي مشيد بالحجر المنجور والمنقوش؛ وتجعل منه زخرفته الداخلية، أحد أجمل مساجد المدينة على الاطلاق.

قسمت المساحة الداخلية، وهي مربعة الشكل، إلى رواقين رئيسيين موازيين لجدار القبلة، وثلاثة أروقة عمودية

متجهه نحوه. واحتل الصحن المكشوف المربع الشكل كذلك (6.60 X 6.60 متر) أول قسم من أوسط هذه الأروقة، وعليه يفتح الباب الرئيسي. واختيرت لتغطية أرضية قاعة الصلاة، التي تقع بما يناهز السبعين سنتمتر تحت مستوي أرضية الشارع، قطع من المَرْمَري المثمنة، وهو نوع من الزليج غير المطلي، بينما كسيت أرضية الصحن بقطع الزليج الصغيرة المربعة المختلفة الالوان، تتوسطها نافورة ماء من مرمر ناصع، نُحتت على شكل صدَفة.

وتحيط بالمحراب زخرفة جصّية جميلة جمعت عناصرها مابين فن التوريق، والاشكال الهندسية المتداخلة، والكتابة. كما يتكئ قوس هذا المحراب على عمودين من المرمر لا قاعدة لهما، يعلوهما تاجان زيّنابنبات الأقنْثة. ويرى «مَاسْلُوفْ» أن شكل هذين التاجين ينحدر مباشرة من التاج المركب الكلاسيكي.

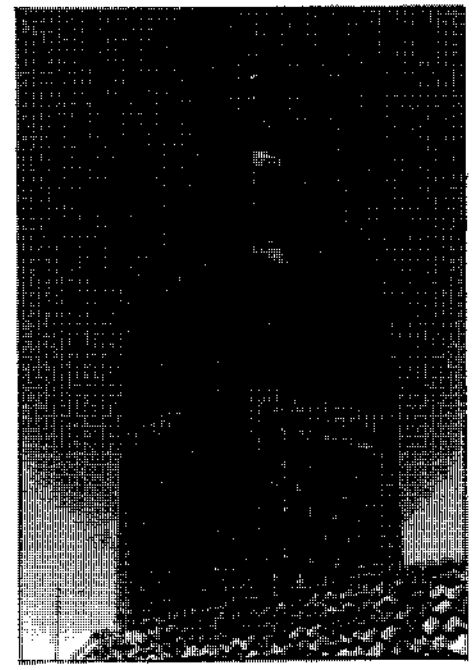

صورة صومعة مسجد الأزهر بفاس الجديد

يشمل مسجد الأزهر، على صغره، على المرافق التي نجدها عادة في المساجد الكبرى، وهي على وجه الخصوص، الكتاب والصومعة وبيت المؤذن وبيت للوضوء. فأما الصومعة فمربعة الشكل يساوي كل ضلع منها 3.50 أمتار، ويصل علوها الى16.86 متراً. وأهم مافي هذه الصومعة زخرفتها الجميلة التي تكسو واجهاتها الأربع، وهي زخرفة هندسية قوامها المعَيّنات المتشابكة؛ على أن الواجهتين الغربية والشرقية تحملان التشكيلة المعروفة عند الحرفيين بدَرْج ـ و ـ كُتَفْ مُزدَوج البُجَات بالوَرْدَة، بينما نجد على الواجهتين الشمالية والجنوبية التشكيلة التي يطلق عليها اسم دَرْج ـ وْ كُتَفْ مغرغَرْ.

أما بيت الوضوء، فنجد بها سقاية جدارية مزينة كما هي العادة، بقطع الزليج الصغيرة المختلفة الالوان. ويعلو بيت الوضوء هذا كل من الكتاب الذي كان حفظة القرآن يَأوون إليه، وبيت المؤذن.

B. Maslow, *Les mosquées de Fès et du Nord du Maroc* ; Paris 1937 ; G. Marçais, *L'architecture musulmane d'Occident*, Paris 1954.

عبد العزيز توري

أزْوَافيط: بمنطقة وادي نون حيث تستقر اتحادية قبائل تكنة تعتبر كلمة أزوافيط اسماً يطلقه أبناء إحدى أهم القبائل على أنفسهم. على أن الناطقين بالأمازيغية يعوضونه بكلمة إزفاضن. وهي تسمية يَرُدُّ النص الشفوي مفردها إلى زطُّ بدل زفاطي أو أزَفَاط. وتضيف الرواية الشفوية بأن كلمة زط تفيد جيلا من العرب عرفوا بمميزاتهم العسكرية المتفوقة غير أن رواية محلية أخرى تعيد أصل التسمية إلى جد أسمى قادم من كندة ببلاد فارس. وبذلك يقترب الانتماء من مدينة صَفَد حيث يقيم الصفديون. على أن الصورة المستبدة بالرواية المحلية تفسر معنى التسمية بصيغة تزطيطُ القوافل كمرتكز دلالي. لقد حاولت جاهداً أن أحلل المعنى الدلالي للتسمية الزاخرة بممكنات كثيرة. ولكن الرؤية الواضحة لايمكنها أن تحدد إلا من خلال الدوافع الموضوعية. وهنا لابد من الوقوف عند استنتاج مفاده أن البنية العميقة لمختلف التفسيرات اللغوية مرتبطة أشد مايكون الارتباط بالتجربة العسكرية للقبيلة. فمختلف الأغراض تدور حول هذه التجربة كمحور يتكرر ويعلن عن نفسه بشكل لافت للملاحظة لا على المستوى الدلالي وحده، بل على مستوى الصورة والمعجم. أخلُصُ بذلك إلى عدة أبعاد متشابكة تشكل في مجموعها رؤية ذاتية خالصة. فلا أكون مغاليا إذا استنتجت أن هذا التصور مبتوت الصلة بالبواعث والغاية والقول بوحدة الصورة التي هي وحدة الإحساس والعاطفة. يبقى بذلك أن الصورة بكل أشكالها المجازية وبمعناها الجزئي والكلي وسيلة لتحليل تطور القبيلة.

في المحور التجاري الرابط بين منطقة شنقيط ومدينة مراكش شكلت الوحدات العسكرية المتخصصة في حماية " تجار كل قبيلة " نواة أزوافيط خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي. وتضيف الرواية الشفوية بأن مولد القبيلة قد تم على يد أبي الوليد بن رشد قاضي القضاة بأمر من أحد الملوك الذي قد يكون هو علي بن يوسف بن تاشفين. فيتجلى بذلك الدور العسكري على واجهة الأحداث كعامل استراتيجي في بلورة المعطيات السياسية والإثنية التي لم تسمح الرواية الشفوية بتحديد معالمها. على أن من شأن أي تراكم للنصوص الشفوية في غياب المقروء أن يحدد بصورة موضوعية الأجوبة التي تطرحها أبعد الاشكالات وأكثرها تعقيدا. وتجدر الإشارة إلى إمكانية الربط بين دورهذه الوحدات كقوات مساعدة والدور الإداري والعسكري لعثمان بن مندي عامل المرابطين على نول لمطة عاصمة وادي نون اذاك. هل من قبيل المصادفة أن يكون عثمان بن مندي هو الجد الأسمى للف أيت عثمان

الذي يمثل أزوافيط ركيزته الأساسية بنفس المكان المجسد لبقايا نول لمطة ؟ مهما يكن فإننا نجد أسماء مشابهة كأيت عثمان وأيت صفادت متوزعة بقبيلة گدميوة الجبل خلال هذه الفترة (البيدق : *المقتبس* : 45). ونجد قبيلة گنداغة حيث إنصفاتن ونجد زناتة تيفسرن ودكالة حيث يجاورون بني صفادة (*المقتبس*، 47).

ويمكن للمدقق الذي لايمكنه استيعاب الاستراتيجيات التحالفية المزامنة، أن يدرك لماذا لم يكن الانحدارالأبوي المثالي يشكل قبل الغزو المعقلي اختياراً إجبارياً يتم على أنه الاختيار المثالي. ذلك أن القبيلة على أهميتها المتميزة وإرادتها القوية في فرض هذا التمييز ستحتضن بعد سيطرة بني حسان جعفر بن الطيار وحسان بن معقل جدين اسميين متنافيين كما هو شأن باقي القبائل المحلية. إلا أن هذه الإباحة تظل محدودة إذا ماتتبعنا مراحل تطور القبيلة حسب مقولتها الشفوية. يجب أن نعطي هنا لبلّة ما يستحقه من الأهمية . ذلك أن أيت بلة تعتبر أهم تجزئة في لف أيت عثمان وثاني اسم لقبيلة أزوافيط. فهل يمكن اعتبار بلة جداً اسميا أم حقيقيا ؟ تفيد الرواية الشفوية أن المقيم التي حددت أهميته تتجلى من خلال ممارساته التاريخية. ويمكن إجمال هذه الممارسات حسب المقولة المحلية في سلوكه الحربي تجاه الجماعات النسبية الموجودة قبل وصوله بعين المكان. فقد وصل على رأس مجموعة تجهل أهميتها إلى تامدولت قادما إليها من توات. وقد مكنه تحالفه مع القائد بن صاكَ جد القائد الجزولي التمنارتي من الوصول إلى تكّجكّالت وتغاجيجت. هنا نتساءل عما إذا كان القائد بن صاكَ هو نفسه أمنصاكَ شيخ قبيلة مجاط تيزلي الذي هدم ميدنة تامدولت أقا خلال القرن الرابع عشر الميلادي (Justinard : 79 ـ 80) فيتبين لنا أن خلاف بلة مع أبي حسون السملالي حول مراقبة المجال بتغاجيجت يدفع بالأحداث إلى بداية ظهور أبي حسون بتكّجكّالت قبل استقراره بإليغ عاصمته الجديدة خلال القرن السابع عشر. فقد انتهى الخلاف بإخراج جند أبي حسون من تغاجيجت عنوة. ولعل هذا ما يؤكد أن أبا حسون قد يكون فعلا وراء فكرة تأسيس أمكّار موسم جديد بتراب أيت لحسن لمنافسة موسمي گويرة السوق وخميس تغمرت وأسرير بتراب أزوافيط. هذه الفترة كانت تعرف من بين شيوخ وادي نون شيخي مدشر وعرون الشيخ ميليد والشيخ بّا يحيا محمد. لعل هذين الأخيرين قد باعا المدشر إليغ كما تؤكد ذلك الرواية الشفوية. مهما يكن فإن أحد العقود المثبتة بكناش أبي حسون تفيد أن الشيخ يحيا بن أحماد الوعروني قد باع جميع ممتلكاته لصاحب الكناش سنة 1043 / 1633 م. (P. Pascon, *La Maison* : 22) من هنا نتأكد من أن القوة التوسعية لأيت بلة تعتبر ساعتها وسيلتهم الوحيدة للإستقرار والتكيف مع الحياة الزراعية. على أن الرواية الشفوية لاتوفي هذا الجانب الهام حقه من الإيضاح مكتفية بربط الفصائل الأساسية بشخص بلة دونما أي اعتبار للتفاوت البين في أسماء الأجداد الحقيقيين. وهكذا فإن التحالفات الحمائية تبدو المحدد المحوري لتسرب "أبناء " بلة نحو تملك الأرض والساقية. نستسيغ كون قواعد المعاملات السياسية تعكس محليا وقواعد الاندماج الفعلي بين الحامين والمحميين. هذا النسق القيمي لايكفي في حد ذاته لتحديد العلاقات القرابية بقدر ما يجملها كما وكيفاً. يبقى إذن أن نتبين استحالة أي جرد تاريخي لتبلور العلاقات الإثنية مكتفين بمنغرافية القبيلة حاليا، تعتبر فصيلة آيت احماد أو على أكبر فصائل القبيلة حجما وأهمها سياسيا وعسكريا. وتعتبر عائلة أهل المعطي سيدة الفصيلة منذ القرن الماضي على الأقل حتى مقدم القوات الفرنسية سنة 1934 (*طاقة ريحان* : 28، 96 ـ 95 ؛ P. Marty, 68 ; La Chappelle) إلا أن القيم التي تحدد أهمية شيخ الفصيلة القبلية لا تتجاوز عند أزوافيط حدودها إلى ماعداها من الفصائل. وهكذا فإن لأهل حايين وأيت لخنوس وأيت محند ألحسن وأولاد بلحويلات وأيت مسعود شيوخا تقاس أهميتهم بأهمية فصائلهم. أما إذا سلمنا بعمومية هذا القانون الوظيفي، فإن تطبيقه كان سائدا بالخصوص لدى قبائل الرحل ذوي النجعات الصغيرة واللامحدودة. أما قبيلة أزوافيط فتعد حضرية مستقرة في وبين مداشرها حيث تبرز أهيمة موقعها وحجمها السياسي والعسكري داخل اتحاديتها.

لقد بلغ الشيخ الكوري رئيس فصيلة أيت الخنوس خلال حقبة يصعب اليوم تحديدها من السلطات العسكرية والاقتصادية ما أهله لتصدر الأحداث بتغمرت. فلا يزال ذكر قلعته المحمية يثبت حجم وأهمية تجارته مع بلاد شنقيط. فالرواية الشفوية بموريطانيا ماتزال تعتبره أول تكني مارس التجارة بالمنطقة. وهو أمر يذكر بالدور الذي لعبته تغمرت في نفس المكان الذي ماتزال تجثم فيه مآثر نول لمطة. فإذا كانت استعدادات الشيخ الأولية لم تمهد لبنية سياسية متميزة، فإن دور استقلالية الفصائل تعد شروط قيام علاقة محلية ثابتة.

لقد أثبتت إحدى الوثائق المتعلقة بأسرير أن عملية السطو المنظم على أهم الأراضي قد كان جاريا إلى سنة 1142 / 1729 على الأقل. كما أن الرواية الشفوية تفيد بأن احماد أمسعود إتصان (الضحاك) هو أول من حكم أراضي تغاط الفلاحية حيث ماتزال أحجار داره تدعى أزكّ سلّيف (عرف الحلاب). وقد أظهر فيما بعد حفيده علي أعبد الله بن احماد للسطان إسماعيل العلوي وثيقة تثبتط ملكية الأرض. هكذا تكون حساسية تملك الأرض كمشكل آني قد فرضت التحكم في تقنيات التوثيق وأساليب الاستغلال. لم يكن انخراط علي أعبد الله في سلك الجيش المخزني إلا أحد الأسباب المدعمة لموقفه أمام السلطة. وهي فترة صادفت تطور ظاهرة غزو وتملك الأراضي (A. Hammoudi : *Sainteté* : 622) إن المتأمل لتراب أزوافيط يلاحظ أنها من الناحية الشمالية الغربية

إلى أزدار ـ مْكيطع الصفا ـ قبر أوجانا الدويلالي ـ تاوعرونت (كَليب الكانية). وأنها تتجاوز من الناحية الجنوبية خنيك السدر ـ اعريف أوكسة ـ تامسوغت ـ فريكَ بواللابدة ـ حويسى اللكّاح. ويتضح من مالكية وعرون التي اشترى بموجبها أبو الحسن السملالي هذا المدشر أن الحدود الشرقية تمتد إلى ما وراء آوكسة وگويرة السوكّ. عندما ينتسب أزوافيط جزءا من ترابهم إلى البكم المعاصرين لأبي حسون السملالي، فإنما يفرضون على المحلل اعتماد القرن السابع عشر كمرحلة حاسمة في بلورة الشكل النهائي لقبائل تكنة جملة وعموما. وهي ضرورة تقتضي التأريخ لأساليب التحكم في المياه والأراضي والخبرة الميدانية في بسط النفوذ. فتظهر بذلك الصرامة في تطبيق الصبغة الإلزامية لهذا التقليد.

لعل أول ما يستلفت الانتباه عندما نراجع الواقع التاريخي والاجتماعي لهذه القبيلة سمة الاختلاط السكاني في ظل الروابط القرابية. فسمة الاستقرار داخل وحوالي مداشر وعرون، أسرير، تغمرت، دويبان، أيت احماد، أيت بكو، تالمگيست، أوزرولت، زريويلة، سركس قد طبعت التطور على مدى ثلاثة قرون. لقد تصدرت لدى أزوافيط المحددات الجغرافية والأيكولوجية وجسدت تبعا لذلك نموذجا معيشا متعارضا إلى حد بعيد وما ارتكزت عليه الحياة القبلية جنوبي وادي درعة. على أن هذه الحقيقة المحورية يجب ألاّ تنسينا سيادة الطابع الحربي وحركية أزوافيط الواسعة النطاق وممارستها العسكرية التي كانت تكتسي بدون شك طابعا اقتصاديا وسياسيا. لقد كان عليها كركيزة أساسية في لفها وكجارة مباشرة لأيت لحسن غريمتها الأولى في اللف المقابل، خلق الترابطات الضرورية لحفظ النظام وضمان الاستمرار الاجتماعي. من هنا تجلت أهميتها الحربية كوسيلة محورية تستهدف إعادة إنتاج العلاقات القرابية السائدة وتكريس الولاءات الرمزية والاجتماعية وتوطيد التحالفات السياسية. علي أن أهم مشكل بنيوي يميزها هو عدم انتمائها إلى لف المحور الساحلي الذي يحتكر تجارة الصحراء عبر مدينة كَليميم، ذلك أنه بالرغم عن حفاظ القبيلة على مؤسساتها التجارية الأساسية بوادي نون بسوق خميس تيغمرت وسوق أسرير الموسمي يقوم اقتصادها أساسا على تربية الأغنام والأبقار والفلاحة وتنظيم العلف كوسيلة لإعادة توزيع الإبل. فإذا كانت أراضي القبيلة تعد بالإضافة إلى مداشرها الاستراتيجية الهامة مؤشرا للقوة، فإن لف أيت الجمل قد استمد تسميته من احتكار جانب تربية الإبل والماشية الأخرى. وقد تسبب اقتران ملكية الماء بالارض في الحد من الرؤيا التجارية للقبيلة. وحتى يمكن أن نتصور حجم الصراعات القائمة حول عنصري الماء والتربية يكفي أن نوضح بأن القبيلة قد عملت جاهدة على إبعاد السوق الموسمية والأسبوعية عن مجالها خوفا من التسلط المنتظم على حقولها المسقية. فلم يجد عبيد الله أسالم شيخ قبيلة أيت موسى في نهاية القرن الثامن عشر أية صعوبة في تأسيس سوق كليميم مكان كَويرة السوق علي تراب أزوافيط. فكلما طرحت مسألة الموسم على تراب أزوافيط إلا وتصدي لها هؤلاء أنفسهم موظفين سلطاتهم الحربية في تسهيل مأمورية أيت موسى أعلي بكَليميم. على أن ما كان يرفض من طرف القبيلة هو تجمع السلع بالسوق الجديد معتدين بذلك مرات متكررة على أمان السوق. ولايمكن التأكد من هذا التصور إلا بإرجاعه إلى غياب التقاليد التجارية لدى أزوافيط بعد وفاة الشيخ الكوري الخنوسي. فالعائلات القليلة التي بقيت متمسكة بهذا المجال الحيوي تربطه بالمجال الفلاحي والرعوي دونما سند لها في واقعها المحلي.

إن اعتبار الجانب الاستقراري يقودنا كما نرى إلى تحليل دور مراقبة الماء والأرض في بلورة الجانب الحربي للقبيلة. هذا ماتؤكده معارك حصن كَيوارة المحادي لقرية وعرون الأثرية . بل إن المتتبع للأحداث كما توردها الرواية الشفوية، يستخلص أن المقدرة الحربية تعتبر القناة الأولى المجسدة لسلطة أزوافيط على حساب استراتيجية اقتصادية أو سياسية موحدة. لقد مارست فصائل القبيلة سلطاتها في فرض حرمة الأماكن التي اقتلعتها من بعض الفصائل التكنية الأخرى. لذلك فقد عمل "البارود" علي تقييم مسألة المشروعية منذ تأسس الاتحادية. فلا نفاجأ أنه باستثناء السواعد وأولاد موسى، فإن باقي فصائل اتحادية الركّيبات تعتبر محمية من طرف أزوافيط بالإضافة إلى لمبار وأولاد تيدرارين. لقد ركز الطالب أحمد المصطفى بن طوير الجنة في مخطوطه *رحلة المنى والمنة* خلال بداية القرن التاسع عشرعلى دور أزوافيط في القيام بتزطيط (بخفر) القوافل عبر الساقية الحمراء إلى حدود أرض أولاد دليم بوادي الذهب. وهذه الحقيقة تنفي بشكل تام اقتصارالقبيلة على مجالها شمال وادي درعة. ذلك أنها مطالبة لحماية مكانتها بين القبائل، بالحضور المستمر داخل لعبدة التنافس السياسي بالصحراء. هذا ماتشهد عليه طبيعة العلاقات بين القبيلة وأولاد بو السبع. فقد سبق لأزوافيط أن طردوا هذه القبيلة من ديارهم لدى عودتها منهزمة أمام جيش السلطان محمد بن عبد الله العلوي (*إليغ*، 7، *الضعيف*، 10 ـ 222). وكان سبب هذا الطرد هو محاولة أولاد بوسبع التنكر لحفاوة وكرم أزوافيط بالسيطرة على أسرير. وبعد أزيد من قرن على هذه الأحداث دخلت قبائل الزوايا الممنوعة من حمل السلاح والمحمية من طرف تكنه في صراع سببه نزوح هؤلاء إلى ناحية وادي درعة بعد أن تفككت البنيات التجارية من جراء سيطرة التجارة الأوروبية. وكان أن ظهرت اتحادية الركّيبات كقوة عسكرية جديدة استطاعت القضاء على غريمتها من أولاد بو سبع والعروسيين وتحكانت. وصلت قبيلة أولاد بو السبع ساعتئذ مطرودة من الصحراء إلى وادي نون فلم تجد إلا أزوافيط كحلفاء. وبذلك عادت إلى أسرير تحت حماية أزوافيط الذين وفروا

لها شروط الاستقرار رغم مافي ذلك من مشاكل مع الركيبات. فلم يتوان هؤلاء عن تهديد أزوافيط الذين علموا يومها بما في المعطيات الجديدة من خطر على وجودهم الأمني. فكان بديهيا أن يعترفوا بميزان القوى الجديد عندما قرروا التخلي عن حمايتهم لأولاد بو السبع حوالي سنة 1921 م. ونستخلص من ذلك أن لهذا الحضور العسكري للقبيلة انعكاسات بنيوية تتجلى في العلاقات السياسية والاجتماعيةالسائدة بين الحامين والمحميين. أريد هنا أن أؤكد على أهمية هذا التغير البنيوي في صياغة مفهوم الاتحادية ككل متكامل. ذلك أن ميزان القوى الجديدة لم يكن يعني غياب حضور أزوافيط دون غيرهم من القبائل التكنية . فإن كانت المعطيات السياسية الجديدة تفيد تطور اتحادية الركيبات، فذلك على حساب مجمل القبائل التكنية دون أي استثناء. وهي حقيقة تاريخية تبلور مايمكن أن تُطلق عليه تكييف الهياكل المحلية مع قانون التطور. فلا شك أن للبنيات القبلية من مرونة التكيفية ما يدعوها للوجود باستمرار على ساحَة الأحداث السياسية بشكل قابل للتطور والنماء. ماتزال القبيلة رغم تطورها تحافظ على مؤسساتها وممارساتها ولوبصفة متوثرة. فهي تعزز باستمرار ترابطاتها العشائرية حيث تطرح كجهاز سياسي متمايز ومشتمل في طياته على تعارضات جعل منها الاستعمار لوهلة وجيزة أداته الأولى، وقد مكنت الفترة الاستعمارية من إبراز التطلعات الزفاطية إلى الميدان التجاري، فأصبحت بذلك جالية بمورطانيا تعد في الوقت الراهن أقوى الجاليات التكنية. كما أن الهجرة إلى الخارج قد أطرت خلال الستينات والسبعينات والثمانينات المعطيات الإحصائية حول واقع الأسر.

أ.البيدق، *المقتبس من كتاب الأنساب* ؛ م . المختار السوسي، *إيليغ قديما وحديثا* ؛ *طاقة ريحان من روضة الأفنان*، الرباط، 1984 ؛ م . الضعيف، *تاريخ الضعيف*، الرباط ، 1986 ؛ م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة* ؛ *تاريخ العلاقات التجارية والسياسية*، الرباط، 1988.

P. Marty, *Les Tekna du oued Noun* in *Les Tribus de la Haute Mauritanie* Publications du comité de l'Afrique Occidentale Française, 1915-91 ; F.C. de la Chappelle, *esquise d'une histoire du Sahara occidental, Etudes, notes et documents sur le Sahara occidental*, VIIe congrés de l'IHEM, Hesperis, XI, 35-96, Rabat-Paris, 1930 ; *Les Tekna du S.O Marocain, Etude geographique, historique et sociologique*, l'Afrique Française, Bulletin du comité de l'Afrique Française et du comité du Maroc. 1934, 109 p; Cl. Justinard, Archives Marocaines, Vol. XXIX, Paris Champion, 1933 ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna*, I.H.E.M, notes et documents, III, 1948, 59 p, Larose, Paris ; A. Hammoudi, *Sainteté, pouvoir et société, Tamgrout aux XVII et XVIIIe siècles*, Annales E.S.C, nº 3-4, Aout 1980, 615-641 ; P. Pascon, *La Maison d'Iligh et l'Histoire sociale du Tazerwalt*, SMER, Rabat, 1984, 223 p.

مصطفى ناعمي

أزْواگ، خروج الرجل من بين ظهراني أهله وعشيرته متغربا لائذا بغيرهم، سواء كان خروجه إراديا أو حكمت عليه الجماعة بذلك عقابا له على جريمة ارتكبها. ولبعض القبائل أعراف تقضي بالنفي من الأرض عقابا. ويستعمل فعل هذا المصدر الأمازيغي وهو : زُوگْ في معنى طلب الرجل الحماية من الآخر أو طلب الدخول في كنفه استعطافا له وطلبا لعفوه، وبهذا المعنى دخلت هذه المادة إلى العربية العامية في مثل عبارة : "أنامْزاوگْ" أي أنا لائذبك، طالب الدخول في كنفك، في موقف التذلل والضعف الذي يكون فيه المغترب عن أهله طالب الحماية من ضامن يُقبل عن طريقه في عيشرة، وليس لدينا ما يؤكد أن أزواگْ كان يقتضي نوعا من التبعية أو درجة من الرقية وإن كانت العبارة توحي بذلك، وإنما المعروف هو أن الغريب لم يكن يندمج بسهولة في القبيلة التي يلوذ بها، ويكون دخوله من باب حماية بعض أعيانها، الشيء الذي يفترض عمليا المرور بمرحلة انتقالية تقترن في الغالب بخدمة المغترب مدة معينة، ومن آفاق البحث في هذه المادة النظر في علاقة جذر الفعل "زگ" بصفة : إزوغْ التي تعني "أحمر" على مذهب من يرى أن إزْوغْنْ تعني حميرَ، لما كانوا قد تغربوا إلى المغرب فقد اشتق من صفتهم وصف كل لاجيء أو متغرب وإزواگن عامة هم اللاجئون، ومنهم زواغة الغرناطيون الذين كانوا في جهات فاس حتى حل محلهم بنومطير.

أحمد التوفيق

أزُوكا، أو عَرْعَر أو عَرْعَر بربري (= أمَلْزِي = تَازُوت) أو العرعر، يطلق عامة على نوع نباتي وهو تيتْراكْلينيسْ أرْتيكُولاتَا Tetraclinis articulata أو على أنواع جنس يُونيپيرُوسْ Juniperus. والجنسان ينتميان إلى فصيلة السرويات Cupressaceae.

الصفات النباتية : أزوكا أو العرعر البربري شجرة متوسطة القامة لا يتعدى علوها 15 مترا. تاجها كثير الأغصان لكنه لا يعطي ظلا كثيفا. جذعها غير مستقيم ومشقق طولانيا. براعمها مخبأة بواسطة أوراقها. وهذه الأخيرة حرشفية متراكبة فوق بعضها ومتقابلة مثنى مثنى. أزهارها وحيدة الجنس ووحيدة المسكن وتظهر في الخريف على هيأة إزهرارات هرية. ثمارها مخروطية شبه مكعبة وتحتوي كل واحدة منها على 4 حراشف متخشبة. بذورها مجنحة.

التوزيع البيوجغرافي : العرعر البربري شجرة من المخروطيات القلائل التي إذا قطع ساقها أعطت فسائل من أرومتها. وهذه الميزة هي التي ساعدته على عدم الانقراض وعلى البقاء في مناطق شاسعة من شمال إفريقيا. فإذا استثنينا محطتين للعرعر البربري، الأولى في جزيرة مالطا، والثانية في جنوب شرقي إيبريا، وجدنا أن هذه الشجرة تنظم تشكيلات منتشرة على 30.000 هكتار في تونس، و160.000 هكتار في الجزائر و950.000 هكتار في المغرب أي أن هذا النوع النباتي يبقى مرتبطا بالناحية الجنوبية للشطر الغربي من المنطقة المتوسطية. ففي المغرب وهو البلد الأكثر ملاءمة للعرعر نجد هذا الأخير يشكل ثلاث كتل من

غاباته، الأولى تكسو قسطا وافرا من شمال المغرب الشرقي والريف الشرقي، والثانية تمتد على مساحات واسعة من الهضبة الوسطى، والأخيرة توجد في مجال أركان مابين الصويرة وإفني على واجهات الأطلس الكبير الغربي والأطلس الصغير.

يعيش العرعر البربري في البيومناخين شبه الجاف وشبه الرطب السفلي، الحارين والمعتدلين أي أنه لا يتحمل البرودة. وهو يصادف مابين سطح البحر و1.000 متر في الشمال و1.500 متر في الجنوب، أي أنه يقع في الطابق المتوسطي الدافئ واستثنائيا في الطابق ما تحت المتوسطي.

إنه يوجد على أنواع مختلفة من الأتربة كيفما كان سمكها أو صخرتها الأم ماعدا المالحة منها. لكن أحسن غاباته تعيش فوق التربة الحمراء المتحدلسة.

إن هذه الظروف البيئية التي يتطلبها العرعر البربري تجعله ينظم عدة عشائر نبتية أوجية.

الاستعمالات : يعطي جذع العرعر البربري خشبا متوسط الجودة لكن خشب أرومة أشجاره المعمرة ثمين جدا إذ يستعمل في صناعة كثير من أدوات الزينة وأثاث المنزل مثل الموائد والعلب التي يمكنها أن ترصع بخشب الليمون. وتجارة خشب العرعر هذه تكاد أن تكون مصدر الشغل الوحيد للصناع التقليديين في مدينة الصويرة.

كما يستخرج من قشرة الجذع مادة راتنجية، ومن الأشجار الحية مادة أخرى تسمى محليا الصَّلَبَان تصدر للخارج ليصنع منها برنق رفيع.

ومن بين المنافع الأخرى للعرعر البربري التي تستحق الذكر هنا، الفحم ذو الجودة المتوسطة، والقطران، وأوراقه التي تستعمل في التطبيب التقليدي.

L. Emberger, *Les Arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris 1938 ; R. Maire, *Flore de l'Afrique du Nord*, Paris 1952 ; A. Benabid, *Les Ecosystèmes forestiers, préforestiers et présteppiques du Maroc*, Forêt méditerranéenne, t. VIII, 1, 1985 : 53-64.

أَزُوكَنِّي، أو الزعتر (إيزُوشْنْ = إيزُوشَنِّي = تيزُوكَنْت = تَازُوكَنْت = أَزُوكَنُو = أَزْوِي = أَزْوِيرْ = زُعِيتْرَة = سَعْتَرْ = صَعْتَرْ.) تطلق على كل الأنواع النباتية المنتمية إلى جنسي أوريگانُوم Origanum وتيمُوسْ Thymus وهما من فصيلة الشفويات Lamiaceae.

يحتوي جنس أوريگانُوم على خمسة أنواع برية بالمغرب منها المحلية ومنها الموجودة أيضا في بلدان أخرى من المنطقة المتوسطية. ونجد نوعا سادسا دخيلا يزرع لأجل صناعة بعض الأدوية. إن كل هذه الأنواع أعشاب معمرة ذات أوراق صغيرة وقلبية الشكل، وأزهار بيضاء أو وردية.

تعيش هذه الأنواع البرية في بيومناخات وطوابق مختلفة وعلى أراض جد متنوعة لكنها تصادف بكثرة فوق أتربة صخرية وفقيرة.

أما جنس تيمُوس فهو ممثل في المغرب بحوالي أربعة وعشرين نوعا بريا موزعة على جميع أرجاء البلاد. أوراقها أصغر من أوراق الجنس السابق. ولهذا فإضافة إلى اسم الزعتر سميت أنواع عديدة من تيموس بزْعيترة لأن أوراقها صغيرة جدا. وأزهار تيموس إما بيضاء وإما وردية.

الموطن الأصلي لهذين الجنسين هو منطقة البحر الأبيض المتوسط. وقد عرف الإنسان مزايا أنواعهما منذ أقدم العصور، ولازال يستعملها كبخور أو نقيع مطبوخ أو في بعض المأكولات أو في العطور أو في كثير من الأدوية لعلاج الزكام والربو...الخ

ويعتبر عسل النحل الذي يعيش على أزهار الزعتر من أهم الأدوية في التطبيب التقليدي مع العلم أن هذا العسل رفيع جدا.

بحث ميداني.

E. Jahandiez et R. Maire, *Catalogue des plantes du Maroc*, Paris, 1934.

عبد المالك بنعبيد

أَزُولَايْ، أسرة يهودية كثيرة العدد، برز منها في المغرب العديد من الأحبار ذوي الكتابات والمؤلفات الأدبية اليهودية. وقد هاجر بعض هؤلاء إلى المغرب من إسبانيا على إثر النكبة الأندلسية سنة 1492. واستوطنوا مدينة فاس وشغلوا فيها مناصب دينية عليا، ونذكر من بينهم : أبراهام أزُولاي وابنه مردخاي وحفيده أبراهام بن مردخاي الذي ولد بفاس وتوفي بفلسطين وهو من أكبر القبلانيين. كان له عدد من الأولاد والأحفاد، اشتهر منهم ولده إسحاق، صاحب كتاب في القبلانية وحفيده زراع بن اسحاق، والحاخام اليسع بن زارع بن إسحاق الذي وافاه الأجل بالقدس سنة 1732. ونزح إلى فلسطين من هذه الأسرة أحبار آخرون من فاس أمثال مسعود أزولاي الذين سكن الصفدية خلال القرن 17، وميمون أزولاي الفاسي أصلا، الذين رجع إلى فاس عام 1691، لجمع التبرعات لفائدة " المغاربيم " أي اليهود المغاربة الذين أوقفوا حياتهم على الدراسة والتعبد في ربوع الأرض المقدسة (راجع بناحيم، صاحب كتاب ملوك الربيين).

وحوالي عام 1724، وُلد بالقدس حيون يوسف داود أزولاي أحد حفدة أبراهام أزولاي، كان مشهورا باسم الربي حيدا، وهو لفظ يتركب من الحروف الأولى لاسمه الطويل. جال عبر أقطار أوربا ثم زار المغرب ومصر وغيرهما، وترك مؤلفات أدبية هامة عددها واحد وسبعون، يوجد من بينها قاموس لترجمة وبيليوغرافية بعض مشاهير الأسماء. ومن بين مولفاته : شم باجيدوليم (أسماء العظماء) الذي نُشر مراراً (في ليفورن 1774، وفارسوفيا 1876، وفيينا 1853).

وفي صفرو : تفرع عن اليهود الحاملين اسم أزُولاي سلالة من الأحبار، منهم : يهودا، وابنه إيشُوشواع (القرن 18) وحفيده شمعون (القرن 18 والقرن 19) وحفيد إيشُوشواع، الياهو (القرن 19) وشلوم أزولاي (1851-

1932) الحاخام الأكبر بصفرو، كان شاعراً واعتُبرت آثاره جديرة بالنشر، وفي سلا ، صامويل أزولاي (القرن 18 والقرن 19). وفي مراكش : إسرائيل وأبراهام أزولاي، حاخامان عاشا أواخر القرن 18 وأوائل القرن 19. وقد كان أبراهام أزولاي أشهر حاخامات المدينة حتى إنه مضى يحمل لقب حاقادوش، أي القديس القبلاني، مؤلف كتاب *مقداش الملخ* (زواية الملك) وله كتاب يحمل عنوان شرح *الزهار*، اي كتاب الجلال الذي يعد المرجع الأساس في القبلانية. ويقال عن هذا الحاخام إنه أتى ببعض الخوارق. كانت وفاته سنة 1745. وفي بوگلماد وهي قرية تقع جنوب مراكش، يوجد قبر عوباديا أزُولاي الذي يحج إليه عدد هام من الزوار اليهود من مختلف الجهات.

أزولاي أبراهام بن مردخاي. ولد بفاس حوالي سنة 1570 وانتقل إلى فلسطين حوالي سنة 1600 بعد مصاعب ومحن في الطريق رواها في مقدمة ترجمته ب ـ *أور. ها ـ حمّا*، التي تعرض فيها الى الحياة الثقافية اليهودية والمؤسسات التعليمية والأدبية بمدينة فاس المجيدة. وقد أنهى كتابه هذا سنة 1618، وضمّنه المراحل التي يقطعها القبلاني وضرورة تخطي العالم المحدود الذي تشكله القوانين المكتوبة (التوارة) وغير المكتوبة (المشنة والتلمود)، وذلك قصد إدراك عالم القبلانية اللامتناهي، عالم الحكمة والحقيقة، عن طريق التصوف.

عاش هذا الحاخام حياته في الأرض المقدسة منغمسا في التصوف، وعرض نظريته في مولفاته المطبوعة تحت عنوان قرية أربع (الجزء الاول : *أور. ها ـ لبناه* ، أي نور القمر، برزميسل 1898 ؛ الجزء الثاني : *أور .ها ـ حمّا*، أي نور الشمس ـ القدس 1876. برزمسيل 1898 ؛ *أور ها ـ كنوز*، غير مطبوع بل مفقود. وهو عبارة عن شرح مطول لكتاب الزهار الذي اعتبره المثقفون اليهود عملا أساسيًا للتصوف عندهم (سولزباخ 1695، امستردام 1685، فالنا 1887) ويتضمن تأملات في القبلانية، تتمحور حول مفهوم شامل للتناسل والعلاقات الزوجية الخاصة : *زها حمّا*، " جلال الشمس " (البندقية 1654، برزمسيل 1882 ـ 1883 ـ 1896). وفيه يختم المؤلف آراءه الصوفية، بعال بروت أبرام أي أنصار الطريقة الإبراهيمية، ألفه سنة 1620. نشر بفالنا سنة 1873 ـ 1874، يتضمن شرحا للتوراة، على ضوء تعاليم القبلانيين المغاربة كورديفيرو وحريا وسليمان أوحنّا.

مات أبراهام أزولاي سنة 1643 وبقيت بعض أعماله مخطوطة وحسب ماأورده لاريدو (ص 214) فإن هذه المخطوطات آلت إلى اليسع بن زراع بن اسحاق، ابن حفيده الملقب بـ الربّي حيدا، وقد تكون هذه المخطوطات مبعثرة بين مختلف الخزانات.

لاريدو، *أسماء يهود المغرب*، ص 243 ـ 245 ؛ حبيم الزعفراني، *القبلانية*، باريز 1986 ص 212، 234 ـ 238 ؛ مالكه ربان، *يهود المهجر* ؛ *الموسوعة اليهودية*، ج 2 ص 875.

أزويلوص، اسم تحمله أسر يهودية متفرعة عن اليهود النازحين من إسبانيا، ومنهم :

أزويلوص أبراهام من أحبار الطائفة اليهودية بإقليم قشتالة (مغراشيم أو عجميون) استوطن مدينة فاس وهو الذي وقّع على بعض المرسومات عام 1543، وخلال عام 1556 إلى جانب بعض الأحبار.

وخلال القرن السابع عشر، كان أحد القادة الدينيين اليهود بفاس يدعى أزويلوص يعقوب.

يـ ـ بناحيم، *مالخ ريتان* ؛ طوليدانو، *حما عراب*.

شمعون ليفي

أزير، أو يَزير (= إكليل الجبل = حصالبان) اسم أمازيغي يطلق على جنس نباتي يسمى بالعربية بالحصالبان أو بإكليل الجبل وذلك لكثرة أزهاره في فصل الربيع. وأسمه العلمي هو رُوسْمَرِينُوسْ Rosmarinus وهو ينتمي إلى فصيلة الشفويات Lamiaceae. إنه جنيبة دائمة الخضرة لا يزيد ارتفاعها عن المتر ونصف المتر، وذات أوراق شريطية وأزهار زرقاء.

يحتوي هذا الجنس على نوعين وهما إكليل الجبل الطبي أو رُوسْمَرِينُوسْ أُفِّيسِينَالِيسْ Rosmarinus officinalis وإكليل الجبل الوبري أو رُوسْمَرِينوس تُورنْفُورتِيي Rosmarinus tournefortii

إن إكليل الجبل الوبري ينتشر في منطقة تشمل الشمال الشرقي من المغرب والشمال الغربي من الجزائر. أما إكليل الجبل الطبي فهو يصادف في أغلب أنحاء البلدان المتوسطية، وخاصة في مجالات الصنوبر الحلبي أو العرعر البربري. يعيش النوعان في بيومناخات شبه رطبة وشبه جافة ذات الشكل الحار والمعتدل والبارد، وفوق أراض كلسية.

عرفت مزايا أزير منذ أقدم العصور. فأوراقه تستعمل في الطبخ أو كدواء تقليدي. وبتقطير أوراقه يستخلص زيت ذو رائحة قوية مستعملة في كثير من الأدوية. كما يعتبر أزير من أهم الأزهار في تربية النحل إذ أنه يعطي عسلا رفيعا.

ولكون أزير يتحمل التقليم فقد يستعمل بكثرة للزينة في الحدائق على شكل سياج حي قصير القامة، وذلك بجانب الممرات.

E. Jahandiez et R. Maire, *Catalogue des plantes du Maroc*, Paris 1931-1934.

بحث ميداني.

عبد المالك بنعبيد

أزيك ← **تكنة**

أزيلال. ـ جغرافيا ـ مكان يدل في مفهومه التداولي المحلي وفي منطقة جبلية على جزء هضبي مرتفع ومنبسط يشرف على كل ماحوله. ونادراً ما يستعمل هذا الاسم بمفرده، تبعاً لتقليد كان يدفع المجموعات البشرية في

الأرياف المغربية إلى إطلاق أسمائها دوما على الأمكنة التي تريد التملك بها. ويتعلق الأمر في حالة هذه المدينة بأزيلال آيت مساض، نسبة إلى القبيلة التي تقطن هذه الهضبة والتي تَتَفَرَّعُ إلى خمس فخذات : أيت خليفت وإباراغن وأيت أوفزا وأيت بركا وأيت عبد الله.

لقد شهدت أزيلال حدثا فريداً من نوعه في المغرب بتاريخ 23 أبريل 1975، لما تحوّلت وضيعتها من مرتبة دوار إلى مرتبة مدينة، وقفزت بذلك إلى صف عاصمة إقليم، وهذا التغيير القانوني الإداري مرتبط ولاشك بالتغيرات الطارئة على سهل تادلا الكبير وتقدم الري به وخروج أزيلال عن وصاية إقليم بني ملال السابق. ويمكن تأويل حدث إنشاء هذا الإقليم الجبلي الصرف، الذي توافق حدوده في الدّير حدود قطاع تادلا المسقي بخطة ترمي إلي إنعاش وتنمية منطقة الأطلس الكبير الأوسط المرتكزة على نظام زراعي ورعوي من النوع التقليدي، وفي نفس الوقت يمكن تأويل ذلك بإرادة عزل هذه المنطقة عن السهل الذي يمكن رؤياه من مطل بين الويدان، الذي يشهد منظره الزراعي على عصرنة متقدمة به. وفي كلتا الحالتين تظهر مدى أهمية تدعيم التركيز الإداري الموكول لمدينة أزيلال .

فضلا عن ذلك، تعدّ حيوية مركز أزيلال حقيقة ملموسة. لقد عرف المركز تطورا ديمغرافيا ملحوظا بالمقارنة مع تطور مجموع الإقليم، إذ تضاعف عدد سكانه5,7 مرات بين 1936 و 1982 مقابل 1,58 مرة بالنسبة للإقليم .

وقد تحقق هذا النمو على مرحلتين : بين 1961 و1971 حيث سجل المركز نسبة جدّ عالية في نموه الديمغرافي السنوي13,1 ٪ وبين 1971 و1982 حيث ظلت تلك النسبة مرتفعة رغم تراجعها النسبي لعدة أسباب 10,3 ٪ وبالتالي انتقل عدد سكان مدينة أزيلال من 2686 نسمة سنة 1971 (حيث كان مجرد مركز قروي) إلى 7849 نسمة سنة 1982. وكان لتوافد الموظفين عليها كمقر دائرة أو إقليم الدور الأول بدون شك في تفسير هذه الوتيرة السريعة من النمو الديمغرافي، إلا أنه يخشى الآن من أن تكون مدينة أزيلال قد بلغت حد الإشباع في تلقّيها لمجموعة من التجهيزات العمومية ولأفواج من الموظفين بدون أية مسايرة من حيث التجهيزات الإنتاجية أو التحويلية للمنتجات الزراعية والرعوية الواردة من باقي مناطق الإقليم.

يمكن قياس درجة وزن مدينة أزيلال داخل الشبكة الحضرية الإقليمية باستحواذها على معظم التجهيزات العمومية الإقليمية من جهة وبتنويعها لنسبي لهذه التجهيزات من جهة أخرى. ذلك أن المدينة تحتضن ملحقات غالبية المصالح الوزارية التي يبلغ عددها 38 مؤسسة. وتشغل 870 موظفا سنة 1985، كما تتوفر المدينة على 50 نوعا من وحدات الخدمات والتجارة الحرة، إلا أن حيوية المركز مرتبطة أكثر بنشاط سوق الخميس الأسبوعي الذي يتدفق عليه التجار والفلاحون من كل حدب وصوب منذ يوم الأربعاء لترتيب الإجراءات المتعلقة بتجارة الجملة حتى ساعة متأخرة من الليل. أما تجارة التقسيط فتترك لليوم اللاحق، أي ليوم السوق الرسمي، حيث تتحول بالفعل مدينة أزيلال إلى مركز قروي حقيقي يحتكر فيه السوق وبدون منازع كل الصفقات الأساسية تقريبا. أما في باقي أيام الأسبوع فتقتصر تجارة وخدمات المدينة على تلبية الحاجيات اليومية للسكان المرتبطين أساسًا بقطاع الإدارة.

إن النشاط المزدوج لمدينة أزيلال والمتمثل في الدور الاقتصادي والإداري ينعكس إلى حد كبير في مرفولوجيتها. يشرف الحي الإداري، حول المقر الأصلي للدائرة، على باقي أجزاء المدينة حتى أعلى التل الذي يبلغ ارتفاعه 1430 م. ويخترق مركز المدينة شارع ثنائي الاتجاه تصطف على طوله إدارات (نيابة التعليم والقرض الفلاحي والمكتب الوطني للماء الصالح للشرب) ومتاجر ومقرات خدمات حرة وكذا بعض العمارات للإيجار. وأخيرا في منتهى الشارع نحو الجنوب الغربي نجد سوق الخميس على علو 1320 م. يفصل الشارع الرئيسي عن السوق سور قديم جعله يولي ظهره لمنطقة التمدين الحالي، غير أن السوق يوفر لزبنائه المتكونين غالبا من الفلاحين عدة مطاعم ومقاهي متواضعة وبيوتا مفروشة بالحُصر، تستعمل للطعام والمبيت ليلتي الأربعاء والخميس.

إن عملية التمدين بمركز أزيلال تنمو بصفة خاصة حول العناصر الثلاثة السابقة التي تعمل على هيكلة المدينة، لكن دون أن تتمكن من حل مشكل الشغل والتجهيز الاجتماعي والثقافي الذي يتخبط فيه عدد كبير من مقرات الدوائر والأقاليم المغربية، إذ أن مدينة أزيلال تشكل في نفس الوقت نقطة اجتذاب المواد الفلاحية ونقطة توزيع المنتجات الصناعية أما الدور الاقتصادي لتحويل المواد المحلية وتنشيط التنمية فهو جد ضعيف إن لم يكن منعدما، بل حتى مدّ المدينة بقنوات الماء الصالح للشرب وبشبكة الواد الحار أصبح أمراً مستعصيا. زد على ذلك غلاء الكراء في مركز المدينة، بالنظر إلى مستوى الراحة الذي يمكن للمنازل الحديثة أن توفره. وفي الخلاصة، يمكن القول إن الدينامية القانونية التي عرفتها موخراً أزيلال لاتكفي وحدها لتحقيق ما كان متوخى بإلحاح للنهوض باقتصاد المدينة وبتنمية مظاهرها الاجتماعية والثقافية .

دراسة ميدانية.

محمد تميم (ترجمة مصطفى عياد)

أزيلالْ ـ تاريخ ـ أو أَزَيْلالْ : يجمع على إزيلالَنْ، لفظة بربرية من معانيها : الممر بين خيمتين. وبهذا المعنى كانت تستعمل إلى زمن قريب، لدى رُحل الهضبة الوسطى وما حواليها. وترادف لفظة الفايجة. ومن ثم أطلقت على الممرات الفاصلة بين جبل باني وسلسلة جبال الأطلس الصغير. وفي نواحي فيگيگ تعني الممر الخالي من الرمال، الفاصل بين الكثبان. أما في الأطلس الكبير فأزيلال تعني الهضبة الطولية المرتفعة بمثابة مطل

بين جبلين، ينسرح منه النظر إلى مسافات بعيدة (E. Laoust. 32).

وبما أن كثيرا من القبائل والفخذات قد اقتبست أسماءها من خصوصيات البيئة ـ كالتضاريس والنبات أو الحيوان ـ فإن إطلاق لفظة أزيلال قد تردد عدة مرات في المناطق الجبلية، حتى أصبح يشمل فخذات مثل أيت أزيلال (J. Meunié, 357)، وقبيلة أيت أزيلال الواقعة غربي جبل سرْوَا، بالأطلس الصغير (J. Meunié, 386) وينطبق هذا المَعنى على موضع أزيلال القديم المقصود في هذا التعريف، حيث يوجد في غربي المدينة الحالية عرف طولي، يدعوه بعضهم "الدراع" ماتزال فوقه بعض الأطلال المندرسة لقصر قديم (إغْرَمْ). لعله قصر أيت خليفت، قبل هبوطهم إلى السهل المجاور، حيث استقروا حوالي زاوية سيدي عبد الله الخليفتي. هذا لايعني أن القصر قد اعتوره بعض الإهمال، بسبب ظهور نواة سكنية جديدة، تمثلت في الزاوية . بل لقد ظل قائما، كما تفيد إشارة وردت في كتاب *الدرة الجليلة*، حيث انتقل يوسف الناصري ذات مرة ليلا من زاوية عبد الله الخليفتي إلى أزيلال من أجل المبيت هنالك، *الدرة الجليلة* (1 : 144) أي أن العلاقة ظلت قائمة بين "القصر" والزاوية ولعل "القصر" الحصين قد أضحى أحيانا مخزنا جماعيا لسكان الزاوية ومَن إليهم. وبسبب مناعته قد يسهل الدفاع عنه أثناء هجوم الرحل على المنطقة.

وعلى الرغم من وقوع أزيلال على مقربة من طريق كانت مطروقة بكثافة منذ القديم، فإن المصادر التاريخية لاتذكرها إلا نادرا. لذلك يبقى كتاب *الدرة الجليلة*، حتى الآن أهم مصدر لبعض الاشارات حول أزيلال، من خلاله نستطيع أن نميز بين الزاوية وبين القصر. فهما يقعان معا وسط فرقة أيت خليفت ـ وهي إحدى فرق قبيلة أيت مَسَّاضْ ـ فهناك زاوية أيت خليفت وقصر أيت خليفت. (*الدرة الجليلة* 1 : 143، 2 : 267) ويطلق على هذا الأخير أحيانا أزيلال. ولم تخل العلاقات بين الجانبين من توتر، كما يفهم من رسالة وجهها يوسف الناصري إلى أيت خليفت يدعوهم "إلى توقير" عبدالله الخليفتي صاحب الزاوية". *الدرة الجليلة* (2 : 293 ـ 302).

وفي نهاية المطاف يختفي لفظ أزيلال ـ فيما هو مكتوب على الأقل ـ ليحل محله اسم الزاوية. لعل هذا راجع إلى المكانة التي أصبحت تتبوأها الزاوية في تلك المنطقة، خلال القرن الثاني عشر / 18.

لكن لما مر شارل دو فوكو بالمنطقة لم يتحدث لاعن الزاوية ولاعن أزيلال، بل ذكر "سوق خميس أيت خليفت من بين أسواق أيت مساض" (*Reconnaissance*, 265). ولعل اسم أزيلال لم يسد من جديد إلا بعد احتلال الفرنسيين للمنطقة سنة 1916، على إثر حملة الجنرال (De Lamothe, Drague, 176) ومن المحتمل أن الفرنسيين بعدما احتلوا المنطقة شيدوا إحدى قلاعهم فوق العرف (أزيلال) الواقع غربي المدينة، على أنقاض القصر القديم، لأنه بمثابة مرصد. ولعل تلك القلعة كانت منطلقا للدولة الحامية من أجل تطويع قبائل المنطقة مثل أيت عطا وأيت بويكنيفن، وأمْسَمْرِيرْ، وأيت بُوكَمّاز وإحنصالن وغيرهم.

تحتل أزيلال موقعا هاما في منطقة الاتصال بين الأطلس الكبير الأوسط ومؤخرة الأطلس المتوسط . لايتعدى ارتفاع الأعراف القريبة منها 2000 م. ومن الناحية البشرية تعتبر منطقة انتقالية من مجال تاشلحيت، في الغرب إلى مجال تمزيغت في الشرق والشمال الشرقي. (*إينولتان* : 96).

وقد وفرت المنطقة المحيطة بأزيلال للسكان، إمكانيات للاستقرار ولممارسة الأنشطة الفلاحية، بسبب وفرة بعض المساحات المنزرعة، كما تحيط بها غابة هي عبارة عن أحراج غير كثيفة، تمنح إمكانيات لتربية المواشي، وتقع غير بعيد عن طريقين تجاريين معروفين منذ القديم : طريق مراكش ـ فاس، عبر الدير، والطريق الرابط بين الجنوب والشمال (درعة أو تدغة ـ فاس) عبر ممر دادس ـ أحنصال، كما كانت أحد أكبر أسواق المنطقة.

كانت هذه الوضعية الممتازة التي احتلتها بلدة أزيلال ـ بالنسبة لمحيطها ـ من بين الأسباب التي ساعدت على تعميرها مبكرا. بالإضافة إلى الوضعية الاقتصادية، كانت لأزيلال أهمية استراتيجية فهي تشكل قلب كتلة بشرية، ولم يكن بها حضور المخزن حضورا كثيفا، في غالب الأحيان (*إينولتان* 588) من هذا المنطلق أولاها الفرنسيون أهمية خاصة، واتخذوها قاعدة لتطويع القبائل المحيطة بها.

م.الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ أ. التوفيق، *إينولتان*.

Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc*, 1883-1884 ; E. Laoust, *Contribution* ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc* ; D. J. Meunié, *Le Maroc saharien*.

أحمد عمالك

أزيلال ـ إقليم ـ من النادر جدا أن نعثر في المغرب على إقليم واسع ينحصر كله في منطقة جبلية مرتفعة كما هو الشأن بالنسبة لإقليم أزيلال الذي أسس سنة 1975. لقد كان عزله عن إقليم بني ملال يبشر بإرادة الدفع بالاقتصاد الجبلي والسماح للإقليم الآخر بالانصراف إلى تسيير منطقته السهلية المسقية. لكن اليوم لازال اقليم أزيلال يعتبر أكبر إقليم في الجهة الوسطى بحوالي 9600 كلم مربع. وأفقر واحد بها. لذلك تم في أواسط الثمانينات القيام بتحضير مشروع أزيلال الدراسي بتمويل من المنظمة العالمية للتغذية وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية، قصد وضع برنامج عمل وملفات حول الاستثمارات المختلفة، لجعل الإقليم نموذجا للتنمية المندمجة في المناطق الجبلية المعتمدة في اقتصادها على استغلال الثروات الطبيعية بالأساس.

يتاخم إقليم أزيلال أقاليم ورزازات والرشيدية وبني ملال وقلعة السراغنة ويضم حاليا ستة مراكز حضرية، منها واحد مستقل (دمنات)، وأربعة دوائر و28 جماعة قروية

منبثقة عن قبائل تحمل اسمها (أيت عتاب وآيت امحمد وإحنصالن وفطواكة)، أو قبائل تتخذ أسماء اخرى مع تغيير طفيف إلى كبير في رسم الحدود (قبائل أيت بوزيد وأيت عطا - ن - أمالوا وأيت حمزة وأيت أوتفركال وأيت بوگماز وأيت بو إكنيفن وأيت عباس) وقبائل كبيرة قسمت إلى عدة جماعات (نتيفة و ولتانة وفطواكة).

المواشي وحدها 2.9 ٪ في الغابة. كما أن الإقليم يعرف أضعف كثافة سكانية ريفية في الجهة الوسطى (37 نسمة في كلم م)، حيث تنزل كثيرا في المناطق الجبلية الداخلية إلى حدود 6.6 ن/ كلم م (إنرگي) بينما ترتفع بشكل ملموس في الدير والأحواض إلى مستوى 131 ن / كلم م في إمليل دمنات. ويتوزع السكن في المناطق الأخيرة على

دائرة	جماعة	مساحة كلم م	كثافة 1982 ن / كلم م	عدد السكان (ألف)			التزايد السنوي (٪)	
				1960	1971	1982	71.60	82.71
أزيلال	أيت محمد	526	29	9.3	13.17	15.26	1	1.3
	سقاط	267	23.9	4.1	5.37	6.38	2.4	1.7
	تابانت	353	24.2	6.8	7.41	8.55	0.7	1.3
	أباشكو	397	14.5	4.2	4.95	5.77	1.5	1.9
	أزيلال	418	39.8	12.7	17.87	16.64	3.07	0.6
	زاوية احنصال	900	8.1	5.7	6.18	7.26	0.73	1.5
بزو	آيت عتاب	402	8.3	27.7	31.09	33.2	2.48	0.6
	تزگيت	148	116	9.2	14.2	17.17	3.88	1.7
	بزو	240	50.8	13.2	14.15	12.18	0.63	1.4
	رفالة	274	41.3	8	10.39	11.31	2.36	0.9
	فم الجمعة	169	93.6	14.2	17.34	15.81	1.8	0.8
	تابية	305	41.4	9.8	11.89	12.63	1.75	0.8
	تانانت	203	67.1	11.3	13.61	13.63	1.6	0.01
دمنات	أربعاء واولاّ	370	50.9	11.8	14.43	18.82	1.5	2.4
	خميس ماحطن	177	68.7	9.1	10.72	12.16	1	0.9
	تيفني	393	43.6	11.8	14.49	17.12	1.5	1.5
	إمليل	88	131	8.6	9.9	11.53	1.1	1.4
	أيت تامليل	948	25.1	14.9	18.48	23.82	1.8	2.3
	تيديلي فطواكة	396	81	20.1	24.64	32.08	1.8	2.4
واويزغت	أفورار	103	73.4	6	9.07	7.56	3.7	1.7
	اثنين تيمولت	78	65.9	3.6	4.52	5.14	2.06	1.2
	أنرگي	541	6.6	2.6	3.2	3.57	1.87	1
	بين الويدان	204	85	6.6	7.99	8.59	1.7	0.7
	فم أودي	112	73.2	6.8	8.19	10.65	1.3	2.4
	واويزغت	103	73.2	4	5.39	7.54	2.7	3
	أربعاء أقبلي	371	11.1	2.8	3.47	4.13	1.94	1.6
	تاگلفت	369	21.7	5	6.63	8.01	2.5	1.7
	تلوگيت	843	14.8	8.7	10.88	12.45	2	1.2
المجموع	28	9600	37	258.447	319.573	354.776	1.92	0.094

لقد شهدت ساكنة الإقليم تزايدا ضئيلا في العدد أثناء العقود الأخيرة، وبصفة خاصة بين 1971 و1982 حيث اضطر جزء من السكان إلى الهجرة المؤقتة أو النهائية إلى أقاليم مراكش وبني ملال وخريبگة والدار البيضا، وخارج المغرب. وتم ذلك بسبب الموارد الاقتصادية المتواضعة التي توظف 67.3 ٪ من النشيطين المشغلين في الفلاحة ثم 13.3 ٪ في الخدمات و7.8 ٪ في الصناعة التقليدية و6.7 ٪ في تربية

شكل دواوير متجمعة كبيرة، خلافا لمناطق التلال والهضاب التي يتفرق فيها السكن ولباقي المناطق التي تعرف توازنا بين السكن المتجمع في دواوير صغيرة والسكن المقحم.

يلاحظ في هذا الجدول أن بعض الجماعات قد عرفت نموا سلبيا بين 1971 و 1982، ويرجع ذلك بالأساس إلى ارتفاع بعض القرى إلى صف المراكز الحضرية (واويزغت وأزيلال وبزو وفم الجمعة وأفورار)، أما دمنات فيعد أقدم

مركز حضري والمركز المستقل الوحيد بالإقليم، إلا أن نسبة التمدين الاجمالية لازالت جد ضعيفة في الإقليم (8.35 ٪) وتعرف وتيرة للتزايد بنسبة ضعيفة إلى جد ضعيفة، كما يظهر من خلال الجدول الآتي.

مراكز	السكان			النمو الإجمالي		النمو السنوي (٪)		النزوح الإجمالي		النزوح السنوي (٪)	
	1960	1971	1982	71.60	82.71	71.60	82.71	71.60	82.71	71.60	82.71
دمنات	6222	7140	9339	918	2199	1.24	2.4	786	366	1.06	0.4
أزيلال	1340	5727	7849	4387	2122	11.2	2.8	3486	612	8.9	0.81
أفورار	2405	3618	5018	1213	1400	6.63	2.91	445	439	1.33	0.91
واويزغت	1305	2978	4164	1673	1186	7.05	2.99	1127	392	4.45	0.99
فم الجمعة	2521	3068	3399	547	331	1.77	0.92	166	388	0.53	1.08
بزو	2295	2466	2570	171	104	0.65	0.37	436	456	1.65	1.63
مجموع	16088	24997	32339	8904	7342	3.91	2.3	3670	965	1.61	0.3

إن المرد الرئيسي للتزايد الديمغرافي الضعيف هو الارتباط الاقتصادي والاجتماعي الوثيق بأرضية طبيعية محلية قاسية، حيث تحصر كل المنطقة في مؤخرة الأطلس المتوسط الجنوبي الغربي (في الشمال) والأطلس الكبير الأوسط في باقي الأجزاء. ويتكون الإقليم أساسا من جبال كلسية وكلسية ـ طفلية جوراسية وكريتاسية ملتوية بانتظام وفي اتجاه شمالي شرقي ـ جنوبي غربي لمحاور الالتواء التي تخترقها المجاري المائية علي شكل أفاجيج، لاتبرز التكوينات الأولية والصخور البركانية إلا في البهرات الجنوبية الغربية (كونغلوميرا وحيث وطفل وشيست). إن الجبال المتوسطة (1000ـ2000 متر) تغطي 50 ٪ من المساحة الإجمالية، تشكل الجبال الوعرة المتقطعة الموجودة في الجنوب والشرق والتي تتجاوز ارتفاع 2000 م حوالي 25 ٪ من المساحة، مع وجود أحد أعلى الجبال المغربية بها (أزوركي : 3690 م) بين مركزي أحنصال وتابانت. أما الربع الأخير فيشمل مجموع المخاريط والحادورات الهامشية ومنخفضات الردم والأحواض النباتية ذات القعور المنبسطة والتلال المتوسطة والأودية التي لا يتعدى ارتفاعها 1000 متر. ومن أهم العوائق الطبيعية التي تعرفها المنطقة حدة التعرية القوية على 40 ٪ من الأراضي واعتدالها على 35 ٪ من المساحة الإجمالية. وبقدر ما يزداد اجتثاث الغابة وتدهورها بسبب الرعي وقطع الأخشاب للتدفئة بقدر ما يزداد الانجراف.

يتواصل استغلال الغابة دوما لأنها تشكل المورد الرئيسي في إقليم أزيلال الذي يغطي 49.8 ٪ من المساحة الغابوية بالجهة الوسطى، ذلك بمساحة350667 م، منها 5700هـ مشجرة و 224000 هـ من البلوط الاخضر، والباقي يتكون أساسا من العرعر والصنوبر والشنط ثم الأنواع الأخرى المختلفة ما عدا الأرز والفلين. وتنتشر الغابة في كل المنطقة بنوع من التقطع في السفوح الجنوبية الشرقية، هذه السفوح التي تشكو من موقعها القاري والأدنى من حيث العروض كما تعاني قوة الارتفاعات بالمقارنة مع السفوح الشمالية الغربية الأوفر تساقطات والأكثف غابات والأكثر اعتدالا في الشتاء،رغم ذلك، تظل الحرارة الدنيا المطلقة جد ضعيفة (2°- إلى 5°) والقصوى جد مرتفعة (43°ـ 45°) تستقبل الهضاب والأودية والمنخفضات الهامشية مابين 450 و600 ملم سنويا، بينما تسقط على الجبال المتوسطة والعليا 600ـ 900 ملم (جزء منها ثلوج) ماعدا في بعض الأحواض والأودية الداخلية التي ينزل فيها المستوى إلى 250 ملم (واويزغت وتاگلفت وتيلوگيت وتابانت). غير أن الطبيعة الصخور وحجم التضاريس يجعلان من المنطقة خزانا من أهم الخزانات المائية بالمغرب، حيث يتراكب الإقليم على ثلاثة أحواض فرعية لحوض أم الربيع : حوض وادي العبيد الذي يبلغ صبيبه 35.8 م مكعب / ثانية وتبلغ مساحته 520990 هـ ، (بما فيه واد أحنصال وأسيف الغازي وأسيف اغدو وأسيف إكاسن)، وحوض واد الأخضر (بصبيب 9.05 م مكعب ومساحة 261000 هـ) مع روافده (برنات وسرست وأباشكو وبوگماز وحوض تاساوت (بصبيب 10.7 م مكعب / ث ومساحة 149100 هـ) إلا أن جل المياه الواردة محليا تُستغل خارجيا في الري وإنتاج الكهرباء، وأينما يتوفر الماء والتربة تكون الزراعة منتشرة وجزئياً مسقية. تكون التربة غنية نسبيا في مخاريط الانصباب وحادورات وأقدام الجبال، ومختلفة الأنواع والمؤهلات في الهضاب وهيكلية ومضطربة في السفوح الوعرة.

وسط هذه الأرضية الطبيعية العسيرة يقوم استعمال التربة على استغلال أدنى المساحات المنبسطة والقابلة للزراعة في إطار الملك الخاص أو الجماعي. ونظرا لتقلصها، فإن الحيازات تتفتت ويضيق معدل حجمها بالنسبة للعائلة الفلاحية (4.04 هـ). ولا يبلغ معدل المساحة المزروعة الصافية سوى 3.09 ولكل عائلة، مع تفاوت بارز في البنيات الزراعية حسب مختلف الفئات، كما يظهر ذلك على الجدول التالي، حيث يملك 22 ٪ من الفلاحين 56 ٪ من مجموع الأراضي ويحتكرون قطعان الماشية.

البنيات العقارية ومعدل القطعان	فئات الفلاحين			
	2.0 هـ	5.2 هـ	20.5 هـ	+ 20 هـ
نسبة الفلاحين (٪)	40	38	21	1
نسبة المساحة المستغلة (٪)	11	33	49	7
نسبة المساحة المسقية (٪)	16	34.5	42	7.5
معدل قطيع الأغنام	7	12	18	60
معدل قطيع الماعز	9	14	19	35
معدل قطيع الأبقار	1	1	2	5

وهذا التفاوت ينعكس أيضا في خصائص الإنتاج الفلاحي من العالية إلى السافلة. إضافة إلى ذلك تتميز الفلاحة على العموم من حيث البنيات التقنية بقلة استعمال وسائل الإنتاج وهشاشة أسلوب الإنتاج وضعف التأطير، لقد أنشأت مديرية إقليمية للفلاحة سنة 1979 لأن هناك جماعتين فقط تنتميان إلى المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بتادلا وتتفرع المديرية إلى خمس مراكز للأشغال الفلاحية (اويزغت وأزيلال، ودمنات وأيت عتاب وتنانت). إلا أن التدخلات العمومية متواضعة بالإقليم، وتوجه أهم المساعدات التقنية والمالية إلى الزراعات الشجرية. ويهم القرض الفلاحي 21700 زبون موزعين على الصندوق الجهوي بأزيلال والصناديق المحلية الأربعة (أزيلال وبزو ودمنات وواويزغت) والشبابيك الموسمية الأربعة (دار الشاوي، أيت عتاب، وتانانت وتيديلي فطواكة). أما تنظيم العمل فلم يستطع تأسيس أكثر من 12 تعاونية تضم حوالي 500 فلاح فقط، أغلبها تابع لمكتب تادلا (6 للخدمات و3 لجمع الحليب و 2 لاستعمال الالآت الفلاحية وواحدة لتربية النحل).

لذلك تحتفظ بنيات التدخل التقليدية في تسيير المجال الزراعي والرعوي بكل فعاليتها على جميع المستويات الاجتماعية المجالية المتداخلة (القبلية والفخذة والمجموعة الصغيرة والدوار .... والأسرة)، وتعتمد للتحكم في هزالة الموارد على تنويعها طبقا لمبدأ تكامل الرساتيق حيث تشغل المجموعة البشرية الواحدة أو الشخص الواحد في آن واحد رساتيق الزراعة البعلية والزراعة المسقية والمنتجعات والمراعي والأراضي الجرداء 40 ٪، والباقي مخصص للزراعة والأراضي المستريحة، أما الأراضي المزروعة سنة 1986 فبلغت 170000 هـ موزعة على المغارس 21757 هـ والقطاني 1808 هـ والبقليات هـ 1606 والشمندر السكري الذي أدخل مؤخرا في الأراضي المسقية في دير واويزغت وبزو. ماتبقى من المساحة المزروعة مخصص بتوازن بين الحبوب (الشعير) والعلفيات (الفصة). وضمن المغارس، وتجدر الإشارة إلى سيادة مغارس اللوز (3.1 مليون قدم) ثم الزيتون (1.35 مليون) فالتين والجوز (0.1 مليون) والأنواع المختلفة الأخرى، لكن المردود يبقى ضعيفا بالنسبة لكل المزروعات، وبالتالي يكون الإنتاج ضعيفا وغير كاف لسد الحاجيات المحلية. يقدر معدل مردود الهكتارالواحد المزروع بحوالي 3042 دهـ سنويا،ويقدرمعدل مردود الأسرة الواحدة بحوالي 9400 د هـ سنويا. لذلك تعتبر الزراعة أحيانا الركيزة الأساسية لتربية المواشي وأحيانا أخرى مجرد مورد تكميلي له، اذ يمارس تربية الماشية 75 ٪ من مجموعة المزارعين ويتوفر الإقليم على قطيع متوسط من الأغنام (508717 رأس) والأبقار (49265 رأس) وأول قطيع إقليمي للماعز في المغرب (545950) إذ يمثل 40.35٪ من مجموع رؤوس الماعز بالمغرب و 75 ٪ من مجموع رؤوس الماعز بالجهة الوسطى.

انطلاقا من شروط الإنتاج والمساحات الفلاحية يمكن تقسيم إقليم أزيلال إلى ثلاث مجموعات من الوحدات المتجانسة الرئيسية : المنخفضات والهضاب (والتلال) والجبال، تنتشر المجموعة الأولى في أقدام الجبال، حتى تسود الزراعة والرعي (إمليل وتيدلي وفطواكة وفم الجمعة) وفي دير بزو ورفالة وتزگيت وأفورار حيث تسود الزراعة على المخاريط (حبوب وعلف تحت مغارس الزيتون) في اشتراك مع رعي الماعز والأغنام التي تتنقل بين الدير والجبل. ويعرف حوض واويزغت زراعة الحبوب مع قليل من الزيتون واللوز في السفوح السفلى الجنوبية ورعي خفيف في الغابة المتدهورة، في حين أن الغابة والمراعي تاخذ أهميتها الكبيرة في حوض ناگلفت مع زراعة محدودة للشعير. أما المجموعة الثانية فتشمل هضابا وتلالا فقيرة وأخرى متوسطة إلى غنية نسبيا. يمثل الوحدة الأولى الجزء الأوسط الغربي من الإقليم (تنانت وأزيلان واربعاء واولا،.....) حيث يظهر المشهد الزراعي خفيفا يعكس بالأساس زراعة الشعير وقليلا من اللوز والزيتون ورعيا مستقرا على مراعي صخرية يكثر فيها العناب مقابل تلك المناطق، وخارج التلال التي تعمل عليه التعرية بشدة، تتسع أراضي هضبية شاسعة (خصوصا في أيت عتاب) محملة بغابات كثيفة في السفوح الشمالية الغربية وبزراعات وافرة للحبوب واللوز والزيتون في أقدام التلال، وأخيرا في المجموعة الثالثة تكون الجبال المتوسطة أكثر قابلية للزراعة (أيت محمد) وللري في الأودية (مغارس وعلف) مع قليل من الغابات وكثير من المراعي، أما الجبال العالية التي تحيط بالاقليم في الجنوب والشرق (أيت تامليل وأباشكو وتانانت وزاوية أحنصال وأنزگي) فتتعمق فيها الأودية جدا، حيث ينعدم الري والزراعة المتنوعة، وتتدهور فيها الغابات نظرا لأهميتها البالغة في النظام الرعوي الجماعي للأغنام .

تشكل الغابة والشهب أيضا المادة الأولى لستة معامل للألياف النباتية الجافة تشغل حوالي 1500 عامل، تتوزع اهم هذه المعامل على أزيلال (إنتاج 430 طن سنويا) وتامدة (400 طن) وتاودانوست (دائرة دمنات : 180 طن). لكن الخشب يتحول خارج الإقليم في الدار البيضاء، وبني ملال، ومراكش، ولا يوجد سوى مصنع واحد بتيلوگيت، أما باقي الوحدات الصناعية الفلاحية فتتمثل في معاصر الزيتون التقليدية وذات إنتاج الزيت للاستهلاك المحلي بالدرجة الأولى. في حين أن الإقليم يمتاز - بإنتاجه 43,5 ٪ من

الطاقة الكهربائية المائية على الصعيد الوطني، أي 246.1 مليون كلواط / ساعة، بواسطة سدي واد العبيد ومعملي أفورار (209.6 مليون) وبين الويدان (35.9 مليون) ومولاي يوسف (على تاساوت : 0.6 مليون سيرتفع هذا الإنتاج بعد إنجاز ثلاثة مشاريع لبناء محطات كهربائية بأموگز على سد سيدي إدريس وتيلوگيت على سد مستفران وتامدة في سافلة واد أحنصال. لكن جل المنتوج الكهربائي يحول خارج الإقليم.

إذا استثنينا معامل الألياف النباتية والمحطات الكهربائية، ليس هناك صناعات تذكر إطلاقا بل حتى في قطاع استخراج المعادن، توقفت بعض المناجم الصغيرة لعدم مسايرتها السوق العالمية ونظرا للصعوبة القصوى للمواصلات، أهمها منجم الحديد بانسريفت (دائرة واويزغت) الذي أغلق أبوابه سنة 1979. في المقابل، فتح منجم صغير للرصاص أبوابه سنة 83 ـ 1982 بأباشكو، إلا أن إنتاجه رغم العوائق المحلية، أهمها منجم الملح بتيزغت (دائرة دمنات) الذي يشغل 170 عاملا وينتج 5700 طن سنويا، ومنجم صغير للباريتين بأيت شيتاشن بنفس الدائرة، ومنجم ثانوي للرصاص وقليل من الزنك باگرضن نتازولت (دائرة واويزغت) الذي يشغل 60 إلى 100 عامل ويتمكن من انتاج 12000 ط سنويا من الرصاص.

لوتوفرت جميع الشروط التحتية لإنعاش القطاع السياحي لكان من الممكن استغلال جميع المؤهلات الطبيعية التي يمتاز بها الاقليم كشلالات أوزُوضْ والأودية المتعمقة (أيت بوگماز والعبيد) وبحيرة سد بين الويدان والقنطرة الطبيعية في إمي ـ نْ ـ إفري (بدمنات) وصخرة "الكاتدرائية" بتامگا في تيلوگيت، غير أن مجموع الليالي السياحية المقضية بالاقليم (7700 ليلة سنويا) جد ضعيف ويعبر عن تجهيز فندقي هزيل (74 غرفة و148 سرير) بفندق تازركونت بأفورار (نجمة واحدة) وبنزل بين الويدان (3 نجوم)، يمكن أن تتحسن الوضعية السياحية بالإقليم في المستقبل القريب مع الانتهاء من إنجاز المركب السياحي بجانب بحيرة بين الويدان.

وفي الأخير، يمكن استنتاج أن إقليم أزيلال يتوفر على موارد اقتصادية ضعيفة من جهة، يحتاج لكل تهيئة عمومية حقيقية وملائمة تهوِّن العوائق وتؤمن السكان وتدعم المؤهلات. وتعد التجهيزات التحتية والجماعية الضعيفة أهم هذه العوائق والمحددة بشكل حاسم لكل عملية تنظيمية داخل الإقليم. تمر الطريق الرئيسية رقم 24 (التي تربط مراكش وفاس) بشمال الإقليم على مسافة 27 كلم فقط لاتخلف أيّ مفعول في النقل مثلما تخلفه الطريق الثانوية رقم 508 التي تربط مراكش وقلعة السراغنة وبني ملال والتي تقطع كل الإقليم على مسافة 144 كلم. أما الطريق الثلاثية فهي عبارة عن 825 كلم من المسالك غير المعبدة، ثلاثة أرباعها صعبة الاستعمال وبالتالي، خارج جماعات تامليل (دمنات) وتيمولیلت وأفورار، وفي درجة ثانية باقي الجماعات الشمالية التي تتجمع بمراكز أهم الخدمات والأسواق، تبقى المناطق الداخلية، وخصوصا الجبلية المرتفعة منها في عزلة كبيرة وشبه تامة في فصل الشتاء. وخير دليل على تدني مستوى النقل بالإقليم هو ندرة وسائل النقل المسجلة بالمركز الوحيد للتسجيل (أزيلال في السنوات الأخيرة، إذ تم تسجيل 131 وحدة فقط سنة 1986 (58 سيارة خاصة و48 شاحنة و25 جرارا).

من جهة أخرى، يحصل تزحزح كبير بين المؤهلات الهائلة من الماء والكهرباء بالإقليم من جهة وأقتصاده للتجهيزات الأساسية لاستخدامها من جهة أخرى. حيث لايستفيد من شبكة الماء الصالح للشرب سوى 4 ٪ من مجموع السكان، أما الباقي فيستعمل الحنفيات العمومية (10 ٪) أو الآبار والمنابع والمجاري المائية والخزانات المنزلية. كما لم يستهلك الإقليم سنة 1986 في قطاع الكهرباء، إلا 25.8 مليون كيلواط في الساعة، أي أكثر بقليل من أصغر إقليم بالجهة الوسطى (بنسليمان : 16.9 مليون) التي تستهلك مليارين ونصف كيلواط. ولايزود إلا حوالي 12 مركزا بالكهرباء، يوجد أغلبها في شمال الإقليم. تلجأ بعض المراكز الجبلية الداخلية إلى استعمال مولدات كهربائية، كما هو الشأن بالنسبة لتانانت وتاگلفت وتيلوگيت وزاوية أحنصال.

ويشهد القطاعان الاجتماعيان الأساسيان أيضا ضعفا في التجهيز ونسبة الاستفادة منها. يتعلق الأمر بالقطاع الصحي الذي تمكن من بناء مستشفى إقليمي بمدينة أزيلال سنة 1988 (186 سرير). وكانت التجهيزات من قبل تشتمل فقط على صيدليتين و28 مستوصفا ريفيا و7 مراكز صحية تضم 186 سرير موزعة على واويزغت ودمنات وأزيلال. ويشرف على تلك المؤسسات 15 طبيبا عمومي وطبيبان خاصان و35 ممرضا و 1666 عونا صحيا. كما يتعلق الأمر بقطاع التعليم الذي يأتي في المرتبة الأخيرة داخل أقاليم الجهة الوسطى من حيث عدد التجهيزات والتلاميذ، حيث ينعدم التعليم الحر في الإقليم، وتنزل فيه نسبة الاطفال (5 و19 سنة) إلى أقل مستوى 32.9 ٪ عند الذكور و11 ٪ عند الاناث) ويشمل التعليم 390 تلميذا في مؤسسات التكوين المهني و9124 تلميذ في المؤسسات الثانوية : أربع ثانويات في واويزغت وأزيلال ودمنات وأفورار، وسبع إعداديات : في أزيلال (اثنتان) وبزو وفم الجمعة وواويزغت وافورار ودمنات.

قسم الخرائط، *خريطة إدارية لإقليم أزيلال*، 1/250.000، الرباط 1978 ؛ مديرية الاحصاء، *السكان القانونيون بالمغرب حسب الإحصاء العالم للسكان والسكن*، الرباط، 1960، 1971، 1982 ؛ مديرية الإحصاء، *النشرة الاحصائية السنوية للمغرب*، الرباط، 1987.

M. Ayad, A. Sijilmassi et A. Benabdeljalil, *Etudes des architectures régionales. région du centre*, M.H.A.T, Rabat, 1985, 2t. ronéo ; C.E.R.F, M.U.H.E, *Schéma d'armature rurale, région du centre*, Rabat, 1972 ; J. Dresch, *Migrations pastorales dans le Haut Atlas calcaire (Régions de Demnate et d'Ouaouizarht), in Mélanges géographiques Arbos* t. II, 1953 ; D. Noin, *La population rurale du Maroc*, 2t ; *Projet Azilal*, Rapport intérimaire, M.A.P.A, F.A.O, PNUD, Rabat, 1986, 2t. ronéo.

مصطفى عياد

أزيّات، محمد بن عبد الله بن موسى، يدعى الفقيه قاضي القصر الكبير. كل ما نعرف عنه هو ما أخذه صاحب *نثر المثاني* عن كتاب *مرآة المحاسن* لمحمد العربي الفاسي، أو عن *ابتهاج القلوب*.

ويظهر أن الفقيه محمد أزيات من أسرة الزيّاتيين الذين جاؤوا من تلمسان أواخر القرن السابع وبداية الثامن للهجرة. ولو أنه من الصعب ضبط ذلك. لأن الزياتيين يحملون التسمية بصيغتها العربية (الزياتي) بينما يحمل صاحب الترجمة نفس التسمية على الصيغة البربرية. لكن ما هو معروف هو أنه عاش بالقصر حيث كان قاضيا لمدة طويلة، ورافق الشيخ أبا المحاسن الفاسي عندما كان هذا الأخير بالقصر. وتذكر المصادر التاريخية أن أبا المحاسن هذا كان قد زوج ابنته لأحد الزياتيين وهو أبو الطيب الحسن والد عبد العزيز صاحب كتاب *الجواهر المختارة*. وقد جاء في *مرآة المحاسن* أنه كان يحضر، رفقة أبي العباس أحمد بن العالم الصالح أبي الحسن علي، عند شيخهما معا أبي الطيب الحسن بنمهدي، وحسب شهادة أبي العباس فإن أبا عبد الله كان يستقبل «القواد أهل الدولة» وكانوا يحضرون بكثرة في مجلسه، حتى إن أحمد بن علي هذا، أي صاحب الشهادة، كان لا يحبذ السلام عليه... حتى كشف صاحب الترجمة عن سبب علاقاته بأهل الدولة والقواد. وقد جاء في *المرآة* نص كلامه :" لا تَعُدْ إلى البعد منا فإن لك حقا وأولئك الذين رأيت أهل بعد عن الحق، فإن قابلتهم بالغلظة انفضوا وزادوا شروداً عن جانب الله... ».

وقد عايش صاحب الترجمة حادثة تمكين محمد الشيخ حصن العرائش للنصارى، ولم تذكر المصادر موقفه آنذاك. لكن الواضح من القصيدة الطويلة التي تركها (130 بيتا) حول فقدان مدينة العرائش يبين عدم رضاه عما وقع. وحسب صاحب *ابتهاج القلوب*، فإن له تآليفا في السير والتاريخ «بلغ في جزء منه إلى أخبار بني أمية والشرفاء بعد انتهاء مدة الحسن رضي الله عنه، قال في آخره «وكان الفراغ من نظمه وتأليفه عشية يوم الجمعة السادس والعشرين من المحرم فاتح ستة وعشرين بعد الألف. والغالب أنه لم يكمل وأنه مات بالقرب من تاريخه». لكن هذا يناقض ما جاء في *المرآة* من أن فقيه القصر توفي في الواحد والعشرين وألف 1021 حسب ما عثر عليه في إحدى التقاليد وهذا أصح.

م. ع. الفاسي، *مرآة المحاسن* ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني*.

محمد مزين

أزيّات محمد المفضل بن الحسن بن عبد الله ابن الحاج أحمد الخرشفي الحسني . أصله من بني جافن بقبيلة الأخماس، انتقل جده إلى شفشاون، وبها ولد محمد المفضل عام 1270 / 1860 بحومة الصبانين، وقد توفي والده وعمره بضعة أشهر، فلما كبر أرسلته والدته إلى أخواله أولاد المقدم بالأخماس حيث بدأ تعلمه، ثم انتقل إلى مدشر أغبالو، وثمة حفظ القرآن وأتقن رسمه وضبطه، ثم عاد إلى مسقط رأسه شفشاون، فصادف خروج الشيخ عبد القادر بن عجيبة ـ في إحدى جولاته ـ إلى قبائل غمارة، فاصطحبه وتتلمذ له وكان من مريديه المخلصين. أخذ عنه ـ إلى جانب علم التصوف ـ العربية والفقه وسواهما، وتذكر بعض الروايات أنه قرأ عليه ألفية ابن مالك، ولما وصل إلى " النائب عن الفاعل " ـ قال له : يكفيك هذا، أنت نائب عن الفاعل . فكان له باع طويل في علوم العربية، وعلوم اللسان بعامة.

ولما توفي الشيخ ابن عجيبة سنة 1313 / 1895 تتلمذ لولده أحمد الأكبر وكان عالما عاملا، شهد له أهل عصره بالفضل والصلاح، ختم عليه تفسير البحر المديد لابن عجيبة الجد، وكان ينوب عنه في تسيير شئون الزاوية وفي أموره كلها، وعندما توفي سنة 1333 / 1914 خلفه في المشيخة، وأصبح له تلاميذ ومريدون بشفشاون وغمارة وسواهما.

يعد محمد أزيات خاتمة شيوخ التصوف بهذه الجبال، وكان إلى ذلك عالما أديبا فقيها مفتيا، وأجبر على ولاية القضاء بقبيلة بني سعيد بإيعاز من الصدر الأعظم ابن عزوز التطواني، وكان يقدره ويعرف فضله وعلمه ... ومن غرائب الصدف أن نجد شيخا متصرفا يتولى خطة القضاء، ولذا كان يضرع إلى الله أن يدفع عنه البلاء، ولم يلبث أن استعفى فأعفي، على أنه لم يكن يرى نفسه أهلا لذلك، ومن شعره في هذا الصدد قوله:

لعمر أبيك ما افتقر القضاء
إلى مثلي وفي الدنيا بصير
ولكن الفهاهة حيث غالت
عقول القوم قادهم الضرير

وخلف آثارا علمية وأدبية، منها : *الكوكب النوري، في تنقيح الجمع الحقيقي والصوري* تحدث فيه عن الجمع بين الصلاتين على كلا المذهبين : مذهب أهل الظاهر، و مذهب أهل الباطن، ولعله أول تأليف له فرغ من كتابته عام 1298. وقفت على نسخة منه وعليها تقريظ ابن عجيبة ؛ *لبابة العقائد*، وهي منظومة في العقيدة الأشعرية؛ *رسالة في حقيقة الإنسان وأطواره* ؛ *رسالة في المشاهدات الربانية والتجليات الشيطانية*، رد فيها على بعض متفقرة العصر الذين خلطوا بينهما، فوقعوا في مهاوي الزندقة وحبائل الشيطان ؛ *مصة من التصوف*، حلل فيها حديث : أين كان ربك قبل أن يخلق الخلق. توجد نسخة منها عند بعض تلاميذه بشفشاون ؛ *رسالة في السماع*، أورد فيها أدلة الإباحة وما ورد في ذلك من آثار وأقوال السلف ؛ *الزجر والاقماع، والنصح لذوي الاستماع، لمن استرعى حقوق الأمة فأضاع*، قصيدة على غرار منظومة ابن الوردي، ضمنها نصائح وحكما وإرشادات لمن ولاه الله أمر العباد ؛ *مجموعة رسائل* كان يوجهها من حين لآخر لتلاميذه بشفشاون يدعوهم فيها إلى الله ويشرح لهم آداب السلوك

وكيف يجب أن يكون الفقير مع الله ومع العباد.

توفي عام 1360 / 1941 عن سن تناهز التسعين.

م. أزيات نفسه، *كناش*، مخطوط، مؤلفاته ورسائله. ع. الكتاني، *فهرس الفهارس* ؛ أ. ابن الصديق، *التصوير والتصديق*، مخطوط؛ م. القلالوسي التطواني، *كناش*، مخطوط.

سعيد أعراب

أيت **أسا**، من خصوصيات تاريخ المنطقة التي ستنشأ أيت بها قبيلة أيت أسَا أن الرواية الشفوية تتسع لتربط الحبشيين بالفنيقيين. هذا ماتدل عليه أنقاض فنيقس بتزگي سلام وأگادير ـ ن ـ فنيقس بفم الحصن. وتوكل الرواية إلى هذا الغور السكاني بالإضافة إلى إداوقيس مهمة شرب وتبادل الخمور التي كانت تنتجها كرومهم حول أنقاض إدّالن. مهما يكن فإنه اعتباراً لمحتوى النصوص القديمة يغلب على الظن أن العنصر الحبشي هو أصل الغور المسمى حاليا بالحراطين. أما تحديد هوية إداوقيس الذين مازالت تشهد عليهم أنقاض أدروم (حوالي 2 كلم شمال أسا) وتيزگي الرمث حول وادي أسا، فيدعو إلى ربطهم بقبيلة إلميضن (لمطة) الصنهاجية. ولعل مما يدعو إلى تقبل هذه الفرضية أن المنطقة لم تعرف من الأسماء سوى ما معناه بالصنهاجية جبل النحاس ثم الثغرة (أسا) (V. Monteil, *Notes*, 17 ; *Chronique*, 82) نخلص من ذلك إلى أهمية المعطيات الشفوية على قلتها في استنطاق المعطى الخارجي للأحداث.

ننتقل بعد ذلك مرغمين مباشرة إلى سنة 130 هـ / 748 م حيث تسجل مدونة زاوية أسا وصول مؤسسها أحمد الشبكي كأول علم إسلامي. فقد استقر بتكردات على أمل استجابة إدَا وْقيس لندائه بدخول الدين الجديد. فهل نجحت الزواية على قدَمها في إدْخال الإسلام إلى المنطقة ؟ الواضح خلال هذه الفترة أن المنطقة كانت استراتيجية من حيث موقعها التجاري بين مسالك الصحراء المتطورة يومئذ والمسالك الأطلسية.

لقد قام عبد الرحمان بن حبيب عامل إفريقيا ثلاث سنوات قبل وصول أحمد الشبكي من أرض الحجاز بحفر مجموعة من الآبار لعل أقربها إلى أسا هوبئر الجمالين كما سماه البكري. وهو يقع بمنطقة جبلية تسمي أزور تبعد عن تامدولت بمسافة يوم واحد (البكري : 165 ـ 296). ولعل من أهم الإشارات إلى أهمية الموقع هو وصول سيدي جعفر سليل أبي بكر الصديق إلى أسا صحبة زوجته وأبنائه وقطيعه من الإبل المتكون من 180 رأسا. على أن تدخل الكوارث الطبيعية في الحد من نجاح مأمورية الزاوية يبدو من بين تلميحات المدونة الكثيرة إلى ترادف الإبهامات. كما أن تغطية الأحداث بهذا الشكل لن تلبث أن تتضح مع هدم المسلمين قرى ومداشر إداوقيس سنة 500 هـ / 1107 م. وهو تعاطف واضح مع الموحدين على حساب المرابطين. فنحن نعلم أن بداية الحملات الموحدية قد انطلقت في هذه الفترة لتنتهي بأكبر حملة على يد أبي حفص القائد الأعلى للقوات الموحدية سنة 548 / 1153 (البيدق، *أخبار* : 77). وإذا علمنا بأن الجد الاسمي لتكنة بما فيها قبيلة أيت أسا عثمان بن مندي عامل المرابطين على المنطقة. فإن موقف المدونة يظل مدعاة للاستغراب ما لم نستوعب العلاقة بين المدونة وظروف كتابتها.

تعد هذه المدونة من بين النماذج التي ظهرت مع زمن الموحدين. فمن خلال معالجة النص تتضح التحولات الانتقالية الكبرى التي ستعرفها الفترة. لقد تجلى دور تعريب أسماء القبائل والأشخاص والمصطلحات في أوجه الاقتباس المختلفة والمتشعبة. وهو جانب أساسي لفهم الفارق بين هذا النموذج ومصدر انطلاقه. لقد كتبها إعَزّى ويهْدَى المؤسس الحقيقي لزاوية أسا والمؤطر لبنياتها سياسيا وحضاريا. بل أكثر من هذا، يعتبر إعَزّى ويهْدَى الجد الأسمى لقبيلة أيت أسا والمصلح الديني الأسمى الأول بالمنطقة.

إننا هنا أبعد من أن نقصد إلى التركيز على الأبعاد التاريخية لهذه المدونة. ولكننا نكتفي بذكر أهميتها كشهادة ميلاد قبيلة انبثقت من صميم التفاعلات الإثنية المحلية. فانطلاقا من وفاة إيعَزّي ويهدى يوم فاتح ربيع الأول 726 / 1326، تقرر اعتبار الثاني عشر من نفس الشهر موسم رباطه وملتقى أتباعه (*المعسول*، 10 : 172). وتتجلى أهمية هذه النقطة في التركيز على الدور السياسي والتاريخي لأيت إعزّى ويهدَى. ذلك أن تطورهم يفضي بنا حتما إلى تطور القبيلة. إن الأهمية التي تكتسيها حتى اليوم فصيلة إداوملیل الأساسية لا تبرزعلى حقيقتها إلا من خلال تفصيل تجزءاتها. فأيت واعبان ينتمون تلقائيا إلى إداوقيس في حين تردها الرواية الشفوية إلى الحبشيين القدماء. هذا ما يمكن ملاحظته بخصوص أيت إدير من حراطين إيمي أوگادير. أما إيگلاي وأنفاليس فينتمي الأولون إلى كنته والأخيرون إلى إلميضن (لمطة). حتى إذا صح أن إداوتيان من أصل معقلي كما تضيف الرواية الشفوية. فإن مجمل تجزءات الفصيلة يرتبطون بالماضي القديم.

ندرك بذلك دورهم كنواة تاريخية تجسد الثأر من الضغوط التي ولدها الامتزاج الإثني الذي سببته هجرة بني معقل والتفاعلات التي ولدها المد المسيحي. لقد طمح أيت إعَزّى ويهدَى إلى التمتع بالسلطان الديني والدنيوي مبلورين بنيات القبيلة التي لن تأخذ صيغتها النهائية إلا خلال القرن السابع عشر.

غير بعيد عن زاوية أسا بنى أهل حمو أوعلي مسجد أسا لدى مقدمهم من تونس عبر إفران وتخاجيجت في بداية القرن السابع عشر. وقد أدخلوا معظم تجزءات إداومستر تحت حمايتهم. وللمزيد من التوضيح تؤكد الرواية الشفوية بأن أهل مسعيد أو سعيد ـ لغزونة يعتبرون فرعا من أهل بوجمعة أو مسعود القادمين أصلا من اكتاوة. أما فصيلة إداونگيت فتعتبر من جهتها تجسيدا لتحالف عدة وحدات

صنهاجية بالأساس خلال بداية القرن الثامن عشر. لقد تحالف أجواكين المتفرعون عن قبيلة تجكانت وأگوارير القادمون من مزهارة بتينيمون في منطقة الگورارة الجزائرية وأهل بوجمعة أو مسعود المتفرعون أصلا عن قبيلة مجاط ذات الفصائل والوحدات الموزعة بين قبائل الأطلس الصغير والساقية الحمراء.

من أهم خصوصيات هذه القبيلة أنها تمثل عصبة من التحالفات تحدد الصلات بين الوحدات المنشقة عن قبائل أخرى. ولايمكننا التأكد من هذه الميزة إلا إذا ركزنا على وحدة ترابها الفلاحي ومجالها الرعوي كأساس مادي يقوم عليه التحام تجزءات فضائلها أمام أي خطر خارجي. ففي إطار اتحادية تكنة التي تتكون من أيت الجمل وأيت عثمان تعتبر هذه القبيلة أكبرقبائل الاتحادية عددا وأهمها حجما وأبعدها توغلا في الصحراء. وتتميز أهميتها العسكرية بعدد محميها من أولاد تبدرارين ولمبار وتوبالت ولفبكات ومجاط وأولاد بوعطية وَتُرْكُزْ علاوة على بعض فصائل قبيلة الركيبات كالقواسم وبعض الوحدات المرابطية الأخرى. ولا يستعصي لمس هذه الأهمية الاستراتيجية عن المدقق. ذلك أن انتقالها من لف إلى اللف الآخر يعتبر عملية تدعيمية هامة للمتحالفين معها. وتثبت إحدى وثائق أيت بلة أن انتماء أيت أسا إلى لف أيت عثمان قد وقع سنة 1299 / 1879. فقد جاءت خلافات القبيلة مع أيت لحسن الأساسية بلف أيت الجمل عامل دعم للف الآخر الذي وجد بذلك سنده الصحراوي المفتقد . وبالرغم من محاولات أبناء بيروك شيوخ قبيلة أيت موسى أو علي لاستدراك الموقف، فإن انفصام تحالف أيت أسا بلفها الأسبق يعد نتيجة لتناقض وظيفي فرضته الحتمية المكانية للحد من اختلال التوازن القائم قبل ذلك. هذا ما يمكن أن نلمحه من خلال اشتداد الصراع بين أيت أوسا وأيت لحسن وإزرگيين عبر المحور الساحلي.ويزيد من الدور العسكري والاستراتيجي لقبيلة أيت أسا انتصارها المتواصل على مجمل قبائل لفها الأول حتى سنة 1910. لقد تدخل الوجود الإسباني على المحور الساحلي للحد من هذه الهيمنة مضيفا بذلك إلى أهمية التحالفات المحورية بين الشرق والغرب. لقد أدى انفصال أيت أسا عن لف أيت الجمل إلى نزوحها التدريجي نحو الجهة الشرقية حيث عرفت علاقتها العدائية مع عريب وأيت عطا نوعا من التحسن.

ولا شك أن من بين الاشارات الدالة على أهمية أيت أسا العسكرية كون قبيلة الركيبات بالرغم من تطور قوتها الحربية بشكل حاسم، اعتبرت من باب الصواب الالتزام بدفع الهدايا التقليدية لضيوفها من فصائل أيت أسا وتجزئاتها. كما أن من بين هذه الإشارات الدالة استمرارية الطابع العدائي بين القبيلة وأولاد دليم بوادي الذهب وأيت أمربيط كدليل على حساسية الصراع حول مراقبة المجال. على أننا لا ندري بالضبط ما هو السبب الذي جعل Furst يؤكد علي أن التطور العسكري للقبيلة لم يتم بصورة حاسمة إلا منذ تحالفها مع لف أيت عثمان (*Etude*, 2). فلربما كان الطابع الانعزالي للقبيلة بعيدا عن حليفاتها الجديدات المستقرات بمداشر وادي نون سببا في ضرورة الاعتماد على النفس.

على أن الطابع الترحالي المتميز لهذه القبيلة في إطار لفها لا يتناقض مع وجود بعض وحداتها بمدشري أسا وعوينة أيت أسا. لقد حدّد F. C. De La Chappelle مواطن ترحالها عموما في البطانة والساقية الحمراء جنوبا والفايجة الفاصلة بين سلسلة جبال باني والأطلس الصغير شرقا. فقطعان أيت أسا توجد عادة في الإگيدي واصلة أحيانا إلى ما وراء وادي درعة. أما من الناحية الغربية فقد أدى انفصالها عن المحور الساحلي إلى اقتصار إبلها على الگعدة. ومما يدل على أن نمط العيش الترحالي يعتبر المقياس الأساسي لا الكلي، كون معدل حجم كل قطيع إبل يصل 100 رأس. هذا العامل لا يمنع حجم قطيع القبيلة من أن يكون أكبر قطعان قبائل تكنة الساحلية بمنطقة الحمادة. نرى إذن أيت أسا لا ينتمون إلى كبار الرحل بالرغم من أن عدد خيامهم قد وصل حسب إحصائيات La Chappelle سنة 1934 إلى 1500 (*Les tekna* 97 ـ 8) وهنا لابد من الإشارة إلى أن الأراضي الفلاحية للقبيلة تحد في منطقة وادي درعة بمدشري أسا والعوينة. أما بمنطقة زيني فإن معادر أفرا حتى معدر كارا. أحد روافد الساقية الحمراء تظل مخصبة طول السنة. وتتعدد نقط استجمامهم بواحات أكناري بإموگاي وجنوب وادي درعة (100 ـ 99 La Chappelle) كما أن من بين الإشارات التي تميزهم عن كبار الرحل كالركيبات مثلا هي عدم اقتصارهم الغذائي على منتجات تربية الإبل وغيرها من المواشي. فهم ملزمون دوما بتحصيل ما لا توفره فلاحتهم من حبوب بأسواق ومواسم وادي نون. ولاشك أن استغلال سبختي وادي درعة وتندوف كانت توفر لهم فائضاً في مادة المقايضة مضيفة إلى أهمية موقعهم الاستراتيجي فإذا كان ثلثا القبيلة يمارسون النجعات المحدودة، فإن أهمية مجالهم القروي تميز أهمية الثلث المتبقي حول عوينة أيت أسا ووادي درعة ووادي نون. ففي مسار أفرا وغانيم وواد درعة تمتد الأراضي الصالحة للزراعة مضيفة إلى مميزات واحة أسا . هذه الأخيرة تتوفر حسب La Chappelle على 30000 نخلة (*Les tekna*, 54) وهكذا يكون بإمكان إداوملیل وإداونگيت الانتشار نحو الجنوب بالنسبة للأوائل والشرق بالنسبة للأواخر. ولا ينبغي أن يفهم من هذه النقطة أن ما استأثر باهتمامنا هو جعل أيت أسا قبيلة ذات خصوصيات متميزة على باقي قبائل الاتحادية. إذ من الإنصاف التذكيربأن الخصوصيات تختلف بين قبيلة وأخرى حسب عدة مؤشرات تتحكم في مقدرات القبائل وتحدد خصوصياتها المميزة.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 10 : 166 ـ 211 ؛ البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب* ؛ البيدق، *أخبار المهدي* ؛ م.

ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة ؛ تاريخ العلاقات التجارية والسياسية*، الرباط، 1988.

P. Marty, *Les tekna du oued Noun in les tribus de la haute Mauritanie*, publications du comité de l'Afrique occidentale Française, 1915, 60-91 ; F.C. De La Chappelle, *Esquisse d'une histoire du sahara occidental ; Etudes, notes et documents sur le sahara occidental*, VIIe congrés de l'IHM, Hesperis, XI, 35-96, Paris 1930 ; Id, *Les tekna du S.O.Marocain, Etude geographique, historique et sociologique*, L'Afrique Française Bulletin du comité de l'Afrique Française et du comité du Maroc, 1934, p. 109 ; Le Capitain de Furst, *Etude sur la tribu des Aït Oussa*, Archives du service historique de l'Armée, 1939, 47 p. ; V. Monteil, *Notes sur les tekna*, IHEM, Notes et documents III, 1948, 59 p., Larose, Paris ; *Chronique de la zaouia d'Assa*, in *Melanges Mohammed El Fassi*, Université Mohammed V, 1967, 81-90.

مصطفى ناعمي

إسابيل الأولى، Isabel I ولدت هذه الملكة الإسبانية المعروفة بإسابيل الكاثوليكية بمدينة مادريغال دي لاس طوريس يوم 22 أبريل 145 وتربت في أحضان والدها ملك قشتالة (Castilla) خوان الثاني (Juan II) المتوفى يوم 20 يوليوز 1454، وفي يوم 19 أكتوبر 1469 تزوجت بملك أراغون (Aragon) دون فيرناندو (Don Fernando) المعروف بالكاثوليكي. واعتلت عرش قشتالة على إثر وفاة أخيها من أبيها الملك أنريكي الرابع (Enrique IV) يوم 12 ديسمبر، وهي التي استولت يوم ثاني يناير 1492 على آخر معقل للإسلام ببلاد الأندلس مدينة غرناطة، وفي يوم 31 مارس من نفس السنة أمرت بنفي جميع اليهود المقيمين ببلادها. وهي التي أعانت البحّار كريسطوفال كلومب (Cristobal Colon) على اكتشاف أمريكا، وفي عهدها استولى دوق مدينة سيدونيا على مدينة مليلة يوم 17 سبتمبر 1497.

إسابيلا الكاثوليكية تملي وصيتها المشهورة على فراش الموت

وقد اشتهرت صاحبة الترجمة بعدائها للإسلام والمسلمين، ومن أجل القضاء على الوجود الإسلامي بالاندلس أنشأت محاكم التفتيش(Inquisición) بإسبانيا سنة 1480. وذلك بعد أن حصلت على صك الباب سيكسطو الرابع (Sixto IV) يوم فاتح نوفمبر 1478.

ولم تكتف بذلك بل إنها أرادت أن تتعدى حملتها ضد الإسلام حدود بلادها، ومن أجل ذلك أصدرت يوم 12 أكتوبر 1504 وصيتها المشهورة التي أوصت فيها بنتها خوانا الحمقاء (Juana la loca) بمتابعة الحرب ضد المسلمين بالمغرب والعمل على احتلال الأراضي المغربية وتنصير سكانها.

وكانت وفاتها بمدينة ديل كامبو يوم 26 نوفمبر 1505، وتنفيذا لوصيتها دفنت بمدينة غرناطة.

J.B.H. Raymond, *Isabelle de Castille*, Paris 1869 ; E. Martinez de Velasco, *Isabel la Catolica*, Madrid 1883 ; J. Pluncket, *Isabel of Castile*, N York 1915 ; Juana Dieulafoy, *Isabelle la Grande*, Paris 1921 ; *Enciclopedia Espasa Calpe*, Tomo 28 ; Cesar Silio Cortes, *Isabel la Catolica*, valladolid 1938.

إسابيل الثانية Isabel II ولدت بمدريد يوم 10 أكتوبر 1830 واعتلت العرش الإسباني يوم 8 نوفمبر 1843 على إثر وفاة والدها الملك فيرناندو السابع Fernando VII وتزوجت بابن عمها الامير فرانتيسكو يوم 10 أكتوبر 1846.

وقد امتاز ملكها بكثرة الانقلابات العسكرية التي جرت بإسبانيا في عهدها لدرجة أنه على إثر أحد الانقلابات تم خلعها ونفيها من بلادها يوم 26 سبتمبر 1868 فتوجهت إلى باريس وأقامت هناك تطالب بعرشها إلى أن أرغمت على التنازل عنه لصالح ولدها الملك ألفونصو الثاني عشر Alfonso XII يوم 26 يونيو 1870.

إسابيلا الثانية ملكة اسبانيا
في عهدها أعلنت إسبانيا الحرب على المغرب .

هذه الملكة هي التي جعلها الجنرال أودونيل O'donell تعلن الحرب ضد المغرب يوم 22 أكتوبر 1859 حيث قيل عنها إن القدر أراد أن يجعل منها أداة فعالة لتنفيذ وصية نظيرتها الملكة إيسابيل الأولى Isabel I التي أوصت بمحاربة المغرب واحتلال اراضيه وتنصير سكانه.

ولم تتردد صاحبة الترجمة في وضع مجوهراتها بيد الحكومة العسكرية لتُصرف قيمتها في مآرب الحرب المغرب. واعترافاً لها بالجميل قرر الجنرال المذكور أن يتم غزو المغرب انطلاقا من سبتة في اليوم الذي تحتفل فيه الكنيسة بيوم القديسة إيسابيل Santa Isabel وهو يوم 19 نوفنبر.

توفيت صاحبة الترجمة بباريس يوم 9 أبريل 1904.

Castillo, *la guerra de Africa*, Madrid 1861 ; P. A. Alarcon *Diario de un testigo de la guerra de Africa*, Madrid 1860 ; *Enciclopedia Espasa Calpe*, tomo 28, Servicio Historico militar, *Historia de la Campañas de Marruecos*, Madrid 1947-1981.

محمد ابن عزوز حكيم

أسّاره ـ تُوراه، يبدو أن تأسيس منظمة تدعى " أساره ـ توراه"، بمدينة نيويورك بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بقليل يرجع إلى الاهتمام بإعطاء جماهير اليهود السفرديين، أي الذين يرجع أصلهم إلى بلدان البحر المتوسط، تكويناً دينيا متينا قائما على معرفة الشريعة المكتوبة والشفوية. ترأس المنظمة المذكورة، بمجرد تأسيسها، سفري سوري الأصل، اسمه إسحاق شلوم. وبعدها أنشأت منظمة "أساره ـ تُوراه" مدارس تابعة لها في بلدان الشرق الأوسط شرعت في أنشطتها بالمغرب، وذلك عام 1947.

إن اليهود الأرتودوكسيين الأمريكيين الذين أحسوا بحزن عميق بعد تدمير المراكز اليهودية في أوربا الوسطى عامة، وبولونيا وليتيانيا بالخصوص، سعوا في الأواسط اليهودية المغربية التي نجت من النازية وباتت متشبثة أكثر من غيرها بالديانة اليهودية وبالتقاليد العتيقة ليعيدوا إنشاء مركز لاشعاع التعليم اليهودي الذي تقلص ظله في جهات أخرى من المعمور.

إلا أن مدرسة أساره ـ توراه أضحت مضطرة، شأنها شأن مدارس "التلموذ ـ توراه" الخاصة بالطوائف اليهويدية ومدارس إم ـ حابنيم، إلى تخصيص قسم من برامجها للمواد الغير الدينية مع تزايد مستمر في حصص هذه المواد والاستعانة بالتجربة والمساعدة الفعلية للرابطة الاسرائلية العالمية التي كانت مع ذلك تضمر لها عداء بينا (...).

بلغ عدد التلاميذ اليهود الذين كانوا يترددون عام 1951 على مدرسة أساره ـ توراه بالدار البيضاء، 650 تلميذاً موزعين على 15 فصلا، و4000 تلميذ مسجلين بـ 47 مؤسسة بالقرى. وكان التعليم الملقن في هذه المؤسسات الأخيرة، عبريا ودينيا لاغير.

أخذت أنشطة "أساره ـ توراه" تنمو بسرعة في المغرب وتشمل جميع مناطقه. مضت هذه المدارس في بدايتها تلقن تعليما يهوديا وعاما من المستوى الابتدائي ثم فُتحت أقسام دراسية فيما بعد لتلاميذ الطور الثانوي. وفي عام 1955، شرع بطنجة في تنظيم حلقات دراسية مستمرة لتكوين المعلمات وتأهيلهن لتدريس الدين اليهودي. وهكذا شهد المغرب لأول مرة في تاريخه، فتيات يهوديات يقمن بدراسة النصوص التوراتية والربّية ويكتسبن معرفة جيدة في اللغة العبرية.

تأسس كذلك بطنجة، سنة 1957، "كوليل" (أي مدرسة عليا تلمودية) الهدف منه تكوين أطر "أساره ـ توراه" حتى يمكن تأهيلهم لقيادة أنشطة هذه المؤسسة في المدن المغربية الأخرى التي كانت توجد بها مدارس ابتدائية وثانوية تهيء تلاميذها إلى شهادة دراسات الطور الأول وإلى البكالوريا مع تلقيهم تكوينا دينيا تقليديا.

يبلغ اليوم عدد تلاميذ المدارس اليهودية 600 بالدار البيضاء، و150 بين مراكش وفاس، ويدخل في هذه الأعداد، تلاميذ، "اتحاد ـ المغرب".

وكلما تقلص عدد التلاميذ في مركز من المراكز، تأسست فيه جمعية ادارية وتربوية لتسيير المدارس، وهي الجمعيات التي أنشأها " اتحاد ـ المغرب " و"أتزار حبرة ". هكذا تزاول اليوم مدارس مكناس وفاس ومراكش أنشطتها تحت هذه الرعاية المزدوجة.

كلود سلطان

إسافّن، معناها : الأودية. قبيلة كبرى على السفح الجنوبي للأطلس الصغير شرقي أيت عبد الله، موطنهم على واد أقّا وهم في شمال شرقي قرى أقا، ويسمى ذلك الوادي عندهم واد إسافّن. وهم بأعلاه تربطهم ممرات طبيعية بواحات باني وبتارودانت ووادي سوس، ويقام سوق إسافّن قريباً من قمة الأطلس الصغير .

تذكر روايات تاريخ أهل إسافّن أن أحد أنبياء بني إسرائيل وهو حزقيال نزل عندهم بعد طرد اليهود على يد بوختنصر، ويذكرون كذلك أن أصل عدد من سكان القبيلة هاجروا من تامدولت بعد خرابها.

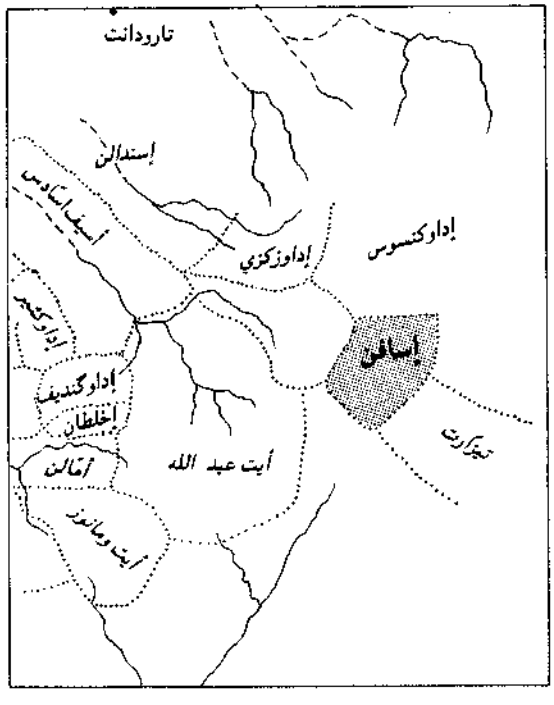

موقع إسافن

أيت **إسافّن**، كانوا في عهد السلطان مولاي الحسن يعد مجندوهم بأربعمائة بندقية، وكانوا من لف تاگيزولت، وبلدهم هضاب بين واد أولغاس وواد تازروالت وهم على غير وفاق مع رؤساء تازروالت، وكان مجلسهم الأعلى يتكون من عشرة من إنفلاس لكل أفوس (يد) أو فرقة. وهم فرقتان أيت جرود وأيت تسليتن، وكانت لهم خدمة

لسيدي مسعود البونعماني من قبيل أيت إبراهيم، ويعطون أعشار غلاتهم لطلبة مدرسة هذا الأستاذ.

D. J. Meunié, *Le Maroc Saharien*. A. Le Chatelier, *Tribus du Sud-Ouest Marocain*, Paris 1891.

أساكا، واد بالصحراء المغربية، عنده وقعت معركة رد فيها المغاربة محاولة إسبانية غازية تستهدف إقامة تحصينات عند مصب أساكا قادها على رأس أربعمائة جندي من جزر كناريا الحاكم العام لإفريقيا ألونثو فيرنانديث دي لوگو Alonso Fernandez de Lugo وذلك عام 1500. وكان الإسبانيون قد خططوا لإقامة ثلاثة من المراكز المحصنة في الشاطئ المغربي المقابل لجزر كناريا تعزيزاً لمركز سانطاكروز. وقد تصدى له سكان القبائل فترك في قتالهم ثلاثمائة من رجاله ونجا مع مائة آخرين لان أهل بوعيدة من تگاوست ساعدوه إلى أن ركب سفنه في

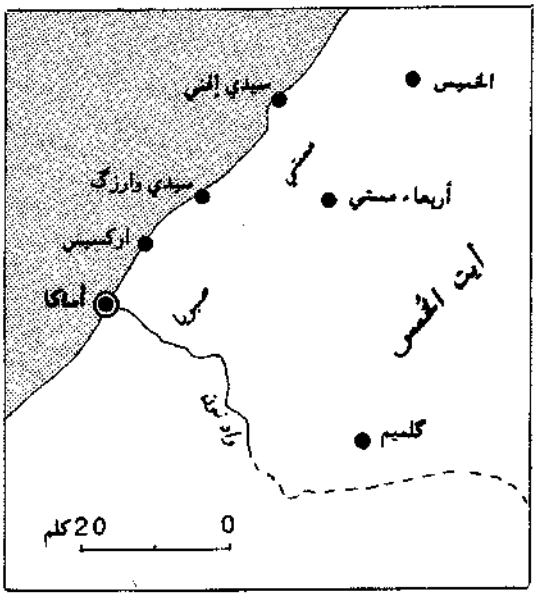

سانطا كروز والتحق بكناريا، وقد رفض التاج الإسباني تعويضه عن الخسائر وترتب عليه دين كبير بعد هزيمته النكراء.

T. Hodges, *Historical Dictionary*.

أحمد التوفيق

إساگْن ـ جغرافيا ـ اسم يطلق في السلسلة الوسطى لجبال الريف على عدد من المنخفضات العالية، يتعدى ارتفاعها ألف متر، وكثيرا ما تكون شاخصة فوق مستوى المجاري المائية المتعمقة. أكبرها وأهمها إساگْن مركز كتامة الممتد على مسافة 4 كم من الشرق إلى الغرب و1.5 كم من الشمال إلى الجنوب، على ارتفاع متوسطه 1500 م. وتشرف على هذا السطيح سفوح جبلي دحدوح، إموفراغ غربا وجنوبا، بينما لا تتعدى القمم الشرقية 1600 م. شمالا ينتهي السطيح بأجراف تطل على أودية متعمقة تكون المجاري العالية لواد إورنگة، ويصل تعمق هذه المجاري إلى عدة مئات من الأمتار، أما السطيح نفسه فهو مستوى لا تعلوه إلا بعض التلال الصغرى المنعزلة ببضع عشرات الأمتار. والانبساط يفسر رداءة تصريف المياه، حيث يتحول إساگن في فصل الشتاء إلى مجال مغموربالمياه الراقدة.

هذا السطيح الشاخص فوق مستوى الشبكة المائية يعتبر تركة مرفولوجية دالة على سطح تحاتي جزئي قديم، تكون تحت مستوى أعلى القمم، في وقت لم تكن فيه المجاري متعمقة. هذه الطبغرافية القديمة نلاقي منها في ناحية كتامة عدة شواهد متناثرة على طول الطريق الرئيسية الشاون ـ الحسيمة، كلها على ارتفاع متقارب (1500 إلى 1600 م) جلها لم يحتفظ بأي بقايا رسوبية. لكن ارتفاعها بالنسبة لسيلان المجاري جعل المؤلفين (Maurer, *Les montagnes du Rif Central*) يخلصون إلى فكرة قدم هذه السطوح، بحيث اعتبروها تنتمي الى نهاية الميوسين، أي بعد الأزمة التكتونية المسؤولة عن التواء السلسلة، وقبل الحركات الانتهاضية العمودية التي عرفتها في نهاية الثلاثي وخلال الرباعي. ويعتبرون بأن هذه الحركات العمودية هي السبب في تعمق الشبكة المائية وبالتالي شخوص هذه السطوح في المجالات التي لم تمسها التعرية. إساگن اذن درجة تضاريسية انتقالية، بين القمم العليا وسيلان الأودية، أصلها تسطيح جزئي تم خلال الميوسين الأعلى، ثم تعمق للأودية فيما بعد ذلك.

لكن بخلاف السطوح الجزئية الصغرى، تمتاز إساگن كتامة بحفاظها على مجموعة من التوضعات، فانبساط السطح وامتداده جعلا منه مجال تراكم لمواد سفحية، ومواد نشر سيلية، وذلك عبر مراحل تطورية متعددة.

ـ أول مرحلة امتازت بتوضع عناصر حصوية وجلموذية مد ملكة نسبيا، داخل لياط أحمر أو مسمر، ترتفع فيه نسبة الطين، بينما تظهر فيه لطخات فاتحة مبيضة .هذا التوضع يغمر طبغرافية متموجة، تبرز وسطها بعض الاكمات الصغرى. ودملكة العناصر دليل على نقلها من طرف سيول هامة نازلة من سفوح جبل دحدوح. لكن قصر المسافة يعني أن الدملكة اكتسبت خاصة بسبب تطورات كيماوية فسخية أفقدت الحصى زواياه الحادة. كما أن المقاطع المتطينة يظهر فيها الحصى متآكلا، محاطا بهالة مبيضة. ويعتبر المؤلف (Maurer) أن هذه المواد حصيلة نشر تم على إثر تفسيخ طويل استمر خلال نهاية الثلاثي وبداية الرباعي، كانت الظروف فيه تتسم بالعدوانية.

ـ المرحلة الثانية تم خلالها إرساب مواد فتاتية حادة تدل على تعرية عنيفة تقع فوق السفوح المشرقة. وتوضع هذه المواد كتلي بدون ترتيب وسط لياط احمر .

ـ أما المواد الحديثة فتمتاز بدقتها، ويتداخلها على شكل جيلين اقدمهما أحمر والآخر رمادي.

تراكم هذه المواد الرباعية المختلفة، يفسر عدم بروز الركيزة الصخرية ما عدا في الاكمات الناتئة. وهذا مايفسر

امتداد وكثافة الغطاء العشبي فوق السطيح، بينما السفوح تغطيها الغابة. وهذا كذلك ما يفسر أهمية الاستقرار البشري رغم قسوة الظروف المناخية.

G. Maurer, *Les montagnes du Rif Central, étude géomophologique*, Thèse d'Etat, Univ. de Paris, 1968.

عبد الله العوينة

إساگن - تاريخ - يقع بقبيلة بني سدات، وإن كان البعض يظن أنه يوجد بقبيلة كتامة، وقد أطلق عليه الإسبان اسم يانو أماريبو Lano Amarillo (السهل الأصفر) منذ أن بدأوا ينظمون به مناورات جيوشهم السنوية.

وبمناسبة المناورات التي جرت به في صيف سنة 1935 اتفق الضباط الاسبان على القيام بالانقلاب العسكري الذي أطاح بالجمهورية الإسبانية يوم 17 يوليوز 1936. ولتخليد تلك المؤامرة شيدوا بأساگن نصباً تذكارياًظل قائما هناك إلى أن استقل المغرب، وحينئذ تم فسخه ونقله إلى مدينة سبتة حيث أعيد تركيبه بأعلى جبل الميناء، ويعرف بنصب الحركة الوطنية.

ويوجد باساگن فندق سياحي يعرف بفندق كتامة.

تمثال في سهل إساگن يذكّر بانقلاب فرانكو

Ministerio de la Guerra, *Accion de Espana en Africa* 1930 (G) p. 70 ; Domenech Lafuente (Angel), *Geografia de la zona Norte del Protectorado de Espana en Marruecos* 1942 p. 66 ; Cabello Alcaraz (J), *apuntes de geografia de Marruecos* 1951, p. 55.

محمد ابن عزوز حكيم

أسانا ← **أناتيس**

أسْبَاتي، عبد الله بن علال. ولد سنة 1925 بقصبة تادلا، وانضم الى المقاولة السرية بالدار البيضاء وعمل ضمن الفرقة التي كانت تحت مسؤولية المهدي الهرموشي مقدم المقاطعة السابعة. وقد كافح بكل اخلاص، وأنجز عدة عمليات فدائية من بينها وضع القنابل ونقلها بين تادلا وبني ملال ووادي زم إلى أن ألقي عليه القبض واستشهد تحت التعذيب سنة 1955.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

إسبانيا والمغرب، كان للمعركة التي انتصرت فيها قوات قشتالة (Castilla) على القوات المغربية بوادي الملح (Rio Salado) بالقرب من مدينة طريف (tarifa) الأندلسية يوم 8 جمادى الأولى 741 / 30 أكتوبر 1340 أثر فعال في العلاقات التي كان من المفروض أن تكون قائمة بين الدولة المغربية والدولة الإسبانية بعد أن تتمكن قشتالة من استكمال وحدتها الترابية بالقضاء على مملكة غرناطة المسلمة، بعد أن تخلت الدولة المغربية عن آخر معقل كانت تحتفظ به في أرض الأندلس وهو مدينة جبل طارق.

ومما لاشك فيه أنه بانسحاب القوات المغربية عن جبل طارق سنة 775 / 1374 أصبحت أرض المغرب عرضة للأطماع المسيحية، الإسبانية منها والبرتغالية، إلا أن الدولة الإسبانية لم تكن قادرة آنذاك على غزو المغرب بحكم خوضها غمار الحرب ضد المسلمين بالأندلس، فتولت هذه المهمة الدولة البرتغالية التي كانت قد استكملت وحدتها الترابية على إثر انتصارها على قشتالة في معركة الخوباروطا (Aljubarrota) يوم 7 رجب 787 / 14 غشت 1385.

انتظرت البرتغال إلى أن أصبحت الدولة المرينية تلفظ أنفاسها الأخيرة لتعمل على تنفيذ مخططها الرامي للقضاء على المغرب، حيث قام الملك البرتغالي خوان الأول (Juan I) بتنظيم أول حملة صليبية استهدفت أرض المغرب وانتهت هذه الحملة بسقوط مدينة سبتة بيده يوم 14 جمادى الثانية 818 / 21 غشت 1415.

وقد تلت هذه الحملة الصليبية حملة ثانية مكنت البرتغال أيضا من الاستيلاء على مدينة القصر الصغير يوم 14 ذي الحجة 862 / 23 أكتوبر 1458 ثم كانت الحملة الثالثة التي انتهت باحتلال مدينتي أصيلا وطنجة في يومي 7 و 11 ربيع الأول 876 / 24 و28 غشت 1471 في الوقت الذي كانت فيه الدولة المرينية قد انتهى أمرها .

لم تستطع الدولة الوطاسية الفتية أن تحول دون تنفيذ المخطط المسيحي بأرض المغرب خصوصا بعد أن أصبحت الدولة الإسبانية تشارك جارتها البرتغال في تنفيذه لما قضت على مملكة غرناطة المسلمة يوم فاتح ربيع الأول 897 / 2 يناير 1492، وكانت أول بقعة احتلها إسبانيا بأرض المغرب هي الأرض الواقعة بقرب مصب وادي الشبيكة بشاطئ المحيط الأطلسي والتي شيد بهاالإسبانيون سنة 881 / 1476 برجا أطلقوا عليه اسم سانطاكروث ذي ماربيكينيا (Santa Cruz de Mar Pequeña) أي الصليب المقدس للبحر الصغير، وبعد 21 سنة تمكنت من الاستيلاء،

على خرائب مدينة مليلية في ليلية 19 محرم 903 / 17 سبتمبر 1497. هذا الاعتداء الإسباني على التراب المغربي الذي تقول عنه جميع المصادر الإسبانية إن سببه يرجع إلى أمرين : الأمر الأول الانتقام من العمل الذي قام به القائد المغربي طارق بن زياد عند احتلاله لأرض إسبانيا سنة 92 / 711، والأمر الثاني القضاء على القرصنة التي بدأ يستفحل أمرها بعد أن لجأ إلى الشاطئ المغربي الموالي لإسبانيا آلاف المسلمين الذين فروا بدينهم من أرض الأندلس وصاروا ينتقمون ممن طرودهم من ديارهم .

ومما يؤكد ذلك الوصية المشهورة التي أملتها الملكة الإسبانية إسابيل الكاثوليكية (Isabel la Catolica) يوم 3 جمادى الأولى 910 / 12 أكتوبر 1504 وقد جاء فيها :

"وصيتي إلى الأميرة ابنتي وزوجها الأمير وإلى من يأتي بعدهما أن يعملوا على متابعة الجهاد المقدس ضد الكفار بأرض إفريقيا (أي المغرب) ونشر ديننا الحنيف بين سكانها ".

وتعترف جميع المصادر الإسبانية أنه قد أصبح أمر تنفيذ الوصية المذكورة من أهم مهمات زوج إيسابيل الكاثوليكية الملك فيرناندو الكاثوليكي (Fernando el Catolico) وبنته خوانا الحمقاء (Juana la loca) وكذلك جميع الملوك الإسبانيين الذين تعاقبوا على عرش إسبانيا واعتبروا الوصية أمانة في عنقهم يجب عليهم تنفيذها، بدليل أنه إلى عهد قريب كان رئيس الدولة الإسبانية الجنرال فرانكو (Franco) ينادى هو الآخر بوجوب تنفيذ تلك الوصية إلى آخر يوم في حياته .

وهذا ما جعل علاقات إسبانيا بالمغرب منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي إلى يومنا هذا يهيمن عليها شبح الوصية المشؤومة، والسبب في ذلك هو الاحتلال الإسباني للجيوب التي لازالت تحتلها بشمال المغرب، هذا الاحتلال الذي ظل طيلة خمسة قرون يكوِّن حجرة عثرة تحول دون أن تكون تلك العلاقات على نمط العلاقات التي يجب أن تكون بين دولتين وشعبين متجاورين، خصوصا وأن الاعتداء الإسباني على أرض المغرب لم يكن يستهدف فقط الاستيلاء على الأرض بل إن الأمر كان يعني كذلك تنصير المغاربة والقضاء على دينهم ولغتهم وشريعتهم .

هذه الغاية التي كانت إسبانيا تتوخاها من احتلالها لمدينة غساسة يوم 24 ربيع الثاني 912 / 13 سبتمبر 1506 وجزيرة بادس والقلعة المجاورة لها يوم 24 ربيع الأول 914 / 23 يوليوز 1508، وإن لم تستطع إسبانيا الاستيلاء على مدن وجزر مغربية أخرى فذلك لأن البرتغال كانت لها بالمرصاد بدعوى أن "حق" احتلال المملكة المغربية كان البابا قد اعترف لها به في عدة صكوك أصدرها لصالح البرتغال دون غيرها من الدول المسيحية، بما في ذلك دولة إسبانيا.

على أن هناك شيئا آخر حال دون تمكن الإسبانيين من تنفيذ وصية إيسابيل الكاثوليكية وهو أنه في الوقت الذي أصبحت فيه إسبانيا قادرة نوعا ما على تحقيق فكرة إيسابيل حلت بالمغرب محل الدولة الوطاسية دولة جديدة هي الدولة السعدية التي برهنت على عظمتها وقوتها باسترجاعها جل الجيوب التي كانت تحتلها البرتغال بالشاطئ المغربي الموالي للمحيط الأطلسي، حيث لم يبق بيد البرتغال هناك سوى مدينة ما زاگان (الجديدة)، كما برهنت على قوتها عندما قضت على أحلام الملك البرتغالي دون سيباستيان (Don Sebastian) في معركة وادي المخازن يوم 30 جمادى الأولى 986 / 4 غشت 1578.

وكان في استطاعة المغرب آنذاك أن يصفي حساباته مع اسبانيا لو أعار السلطان مولاي أحمد المنصور الذهبي الجيوب المحتلة من طرفها قليلا من الاهتمام، لكنه أهملها وأتاح لإسبانيا فرصة ضم كل من سبتة وطنجة إلى الجيوب الأخرى التي كانت تحتلها في شمال المملكة.

صحيح أن المنصور الذهبي كان مشغول البال بالخطر العثماني الذي كان يهدد مملكته وكان يسعى إلى أن تكون علاقته مع جاره الملك الإسباني فيليب الثاني Felipe II علاقة ودية إن لم نقل أنه كان يفكر في التحالف معه ضد الأتراك في حالة ما إذا تعرضت بلاده إلى هجوم عثماني. وصحيح كذلك أنه في نفس الوقت كان المنصور الذهبي يتفاوض أيضا بصفة سرية مع ملكة بريطانيا العظمى الملكة إليزابيت (Elisabet) على أساس إبرام حلف ضد إسبانيا، ومن أجل ذلك كان العاهل المغربي يساعد في الخفاء الأمير البرتغالي دون أنطونيو (Don Antonio) على استرجاع عرش بلاده والذي كانت الملكة البريطانية تناصره هي الأخرى ضد الملك الإسباني الذي استولى علي عرش البرتغال بالقوة.

ولم يكن ملك إسبانيا بغافل عن ذلك الأمر حيث نجده هو الآخر يتفاوض مع المنصور الذهبي ويحتفظ في بلاده بالأمير المغربي مولاي الناصر أخ السلطان المتوكل الذي لقي حتفه بمعركة وادي المخازن بجانب دون سيباستيان، والدليل على ذلك هو أنه عندما تيقن فيليب الثاني من عدم صدق علاقة المنصور الذهبي معه، ساعد مولاي الناصر على إشعال نار الفتنة بالشمال الشرقي من المملكة انطلاقا من مدينة مليلية .

وانتهت هذه المرحلة بوفاة فيليب الثاني سنة 1006 / 1598 وبوفاة المنصور الذهبي سنة 1012 / 1603 حيث حل محل العاهل الإسباني ولده فيليب الثالث (Felipe III) في حين تنازع أبناء المنصور على الملك وكان من بينهم محمد الشيخ المامون الذي انتهى به الأمر إلى اللجوء إلى فيليب الثالث يطلب منه مساعدته ضد أخيه زيدان، ومن أجل ذلك توجه الشيخ إلى إسبانيا وهناك وقّع مع العاهل الإسباني يوم 9 جمادى الثانية 1018 / 9 سبتمبر 1609 اتفاقية تعهّد فيها بتسليم مدينة العرائش مقابل إمداده بالسلاح والمال، وعاد الشيخ إلى شمال المغرب حيث سلم المدينة المذكورة إلى رئيس الأسطول الإسباني يوم 4 رمضان 1019 / 20 نوفمبر 1610 وكان ذلك سبب مقتله بالمكان المعروف بفج الفرس.

كان هذا الاعتداء الاسباني الجديد على التراب المغربي سببا في الموقف العدائي الذي اتخذه السلطان مولاي زيدان من الدولة الإسبانية حيث نجده يحث القراصنة المغاربة على الجهاد البحري ضد السفن الإسبانية والشواطئ الواقعة بجنوب إسبانيا، وذلك من أجل مساعدة الموريسكوس (Moriscos) على الثورة ضد فيليب الثالث الذي اضطر إلى إقامة مايزيد عن أربعين برجا للمراقبة على طول الشاطئ الجنوبي من بلاده، بل إنه تمكن من الاستيلاء على مدينة المعمورة (المهدية) يوم 29 جمادى الثانية 1023 / 6 غشت 1614.

وظلت العلاقات المغربية الإسبانية على هذا الحال إلى أن حلت الدولة العلوية محل الدولة السعدية واعتلى عرش المغرب السلطان مولاي إسماعيل سنة 1082 / 1672، هذا يعني أنه لم يكن هناك أي اتصال تجاري أو غيره بين الشعبين الإسباني والمغربي بدليل أنه لم يكن مسموحا لأي مغربي أن يطأ أرض إسبانيا دون تعرضه للأسر أو القتل. وأما بخصوص الإسبانيين فقد كان البعض منهم يلتحق بأرض المغرب (خصوصا الفارين منهم من الجيوب المحتلة) معلنين اعتناقهم لدين الإسلام، كما كان يسمح للقسيسين الإسبان بدخول أرض المغرب بحجة الاعتناء بشؤون الآلاف من الأسرى الإسبانيين الموجودين في البلاد وخاصة في تطوان وسلا ومكناس.

وازدادت هذه الحالة تفاقما عندما اعتلى عرش المغرب السلطان مولاي إسماعيل واحتلت إسبانيا جزيرة النكور يوم 15 جمادى الأولى 1084 / 28 غشت 1673 حيث أمر العاهل المغربي بإنشاء جيش المجاهدين من رجال الريف وعهد إليهم بأمر محاصرة الجيوب التي كانت بيد إسبانيا (المهدية والعرائش وسبتة وجزيرة بادس والقلعة المجاورة لها وجزيرة النكور ومدينة مليلية) ومدينة طنجة التي كانت تحتلها إنكلترا ومدينة مازاگان (الجديدة) التي كانت بيد البرتغال.

وتمكن الجيش المذكور من استرجاع مدينة المعمورة يوم 11 ربيع الثاني 1092 / 30 أبريل 1681 ومدينة طنجة يوم 18 صفر 1095 / 5 فبراير 1689 ومدينة العرائش يوم 28 محرم 1101 / 11 نوفمبر 1689 وقلعة بادس يوم 3 رمضان 1113 / فاتح فبراير 1702، كما قام بمحاصرة مدينة سبتة للمرة الأولى من سنة 1084 / 1673 إلى 1100 / 1689 وللمرة الثانية من يوم 3 ربيع الأول 1106 / 22 أكتوبر 1694 إلى يوم 14 رجب 1139 / 7 مارس 1727.

والجدير بالذكر أنه بالرغم من عدم وجود أي اتصال بين الشعبين المغربي والإسباني خلال هذه الفترة فقد كانت هناك مراسلات ودية ، بل وسفارات بين مولاي إسماعيل والملك الإسباني كارلوس الأول Carlos I، وسبب ذلك يرجع إلى أمر تحرير الأسرى الإسبانيين (الذين تكاثر عددهم بالمغرب على إثر استرجاع المعمورة والعرائش) والأسرى المسلمين (بعضهم مغاربة) الذين كانوا بإسبانيا، ومن أجل ذلك توجه سنة 1102 / 1690 إلى مدريد أول سفير مغربي وطئ أرض إسبانيا هو محمد الغساني، كما جاءت إلى المغرب عدة سفارات إسبانية تمكنت من تحرير عدد كبير من الأسرى.

وباعتلاء السلطان محمد بن عبد الله عرش المغرب سنة 1171 / 1757 أصبحت العلاقات المغربية الإسبانية تكتسي صيغة سلمية لم يسبق أن عرفتها من قبل أي منذ أربعة قرون، حيث فتحت أبواب المغرب وإسبانيا في وجه التجارة والملاحة بين الشعبين، خصوصا بعد أن استقبل الملك كارلوس الثالث Carlos III السفير المغربي أحمد الغزال واستقبل سيدي محمد بن عبد الله السفير الإسباني خورخي خوان (Jorge Juan) فيما بين سنة 1178 و1180 / 1765 و 1767 وكانت النتيجة أن أبرمت أول معاهد صلح وتجارة وملاحة بين البلدين وذلك بمراكش يوم فاتح محرم 1181 / 28 ماي 1767 وبمقتضاها فتحت إسبانيا أول قنصلية عامة لها بالمغرب وكانت بالعرائش والقنصل طوماس برمونت Tomas Bremond هو الذي أشرف على تنفيذ الاتفاق الذي بمقتضاه أصبحت إسبانيا تحتكر صادارت الحبوب من ميناء الدار البيضاء إلى الخارج.

غير أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله كان يرى بحق أن السلم بين المغرب وإسبانيا لايمكن أن تكون على حساب الجيوب المغربية المحتلة من طرف إسبانيا لأنها تكوِّن جزءاً لايتجزأ من التراب المغربي، وحيث إنها أخذت بالقوة فللمغرب الحق الكامل في استرجاعها كذلك بالقوة دون أن يعتبر عمله هذا مناقضا للسلم المتفق عليه في معاهدة مراكش.

وبناء على ذلك قرر العاهل المغربي القيام بعملية تصفية الحساب مع الاستعمار البرتغالي المتمثل في آخر معقل كانت تحتله البرتغال بأرض المغرب وهي مدينة مازاگان (الجديدة) وتم له ذلك باسترجاعها يوم 3 ذي القعدة 1182 / 11 مارس 1769.

وفي يوم 15 رجب 1188 / 21 سبتمبر 1774 وجه إلى الملك الإسباني كارلوس الثالث رسالة يخبره فيها بعزمه الأكيد على استرجاع الجيوب المحتلة من طرفه بشمال المملكة، وكان رد فعل العاهل الإسباني أنه أعلن الحرب على المغرب يوم 17 شعبان 1188 / 23 أكتوبر 1774، الشئ الذي لم يحل دون أن يقوم سيدي محمد بن عبد الله بمحاصرة مدينة مليلية بنفسه من يوم 5 شوال 1188 / 9 ديسمبر 1774 إلى يوم 13 محرم 1189 / 16 مارس 1775. غير أن هذا الحصار لم يأت بأية نتيجة لسببين :

الأول الأسطول المحمدي لم يشارك في الحصار لأسباب نجهلها، في حين أنه لو شارك لتمكن من الحيلولة دون تمكن الأسطول الإسباني من مدّ يد المساعدة للمدينة المحاصرة التي استطاعت المدفعية المغربية أن تدكها دكا.

والسبب الثاني هو عدم وفاء داي الجزائر بالوعد الذي كان قد قطعه على نفسه بمحاصرة الإسبانيين بمدينة وهران

في نفس الوقت الذي كان السلطان يحاصر مدينة مليلية.

واضطر سيدي محمد بن عبد الله إلى التخلي عن مشروعه إلى حين حيث سعى إلى استئناف علاقته الودية مع الملك كارلوس الثالث فارسل إليه السفير محمدابن عثمان الذي وقع بأرانخويث (Aranjuez) معاهدة الصداقة ليوم 26 جمادى الأولى 1194 / 30 ماي 1780. وبعد سنتين حل بالمغرب السفيرالإسباني ساليناس (Salinas) فعادت التجارة والملاحة بين البلدين إلى ماكانت عليه منذ سنة 1178 / 1765.

وعندما اعتلى عرش المغرب مولاي اليزيد وتربع على عرش إسبانيا الملك كارلوس الرابع توترت من جديد العلاقات بين البلدين وذلك على إثر الموقف الذي اتخذه السلطان من الاحتلال الإسباني للجيوب المغربية، حيث إنه جعل من تصفية الاستعمار بها شرطا أساسيا لتجديد معاهدة الصلح المبرمة سنة 1181 / 1767 وليبرهن عن عزمه الأكيد في استرجاع الجيوب المذكورة قام بمحاصرة مدينة سبتة طيلة المدة القصيرة التي قضاها على العرش ، وكان رد فعل العاهل الإسباني أنه أعلن الحرب ضد المغرب يوم 19 ذي الحجة 1205 / 19 غشت 1791. ورغم أن حالة الحرب دامت تسع سنوات فإنها لم تحل دون استمرار التجارة والملاحة بين البلدين، بدليل أن الجالية الإسبانية المقيمة بالموانئ المغربية ظلت تتجر بها في الوقت الذي غادر القنصل العام الإسباني مدينة طنجة، كما استمرت الجالية المغربية المقيمة بالموانئ الإسبانية كما كانت من قبل، بل صادف الحال عند إعلان الحرب وجود السفير المغربي محمد ابن عثمان بمدريد فظل هناك مدة طويلة إلى أن قتل مولاي اليزيد وبويع أخوه مولاي سليمان سلطانا على المغرب.

كان أول عمل قام به مولاي سليمان هو تصفيه جو العلاقات مع إسبانيا حيث بعث له الملك كارلوس الرابع سفيره خوان مانويل كونسا ليث سالمون (Juan Manuel Gonzalez Salmon) وأبرمت معاهدة مكناس ليوم 24 رمضان 1213 / فاتح مارس 1799. والتي اعتبرتها الدبلوماسية الإسبانية بمثابة "أكبر معلمة في تاريخ العلاقات الإنسانية".

ولم تمر على المعاهدة المذكورة سوى ثلاث سنوات حتى عاد البلاط الإسباني إلى التفكير في بسط نفوذه على أرض المغرب، ومن أجل ذلك أرسل إلى طنجة المغامر الإسباني دومينكو باديا (Domingo Badia) الذي جاء متنكرا في صفة أمير عثماني اسمه بديع ابن عثمان العباسي، وكانت مأموريته تستهدف الاتصال بالعناصر المغربية المعادية للسلطان مولاي سليمان والاتفاق معها على مدّ يد المساعدة لها في ثورتها ضد السلطان على أساس أن تلتزم بمساعدة إسبانيا على احتلال الجزء الشمالي من المملكة، غير أن المغامر انكشف أمره واضطر إلى مغادرة المغرب قبل أن يلقى عليه القبض، وذلك سنة 1218 / 1803.

وبالرغم من أن العاهل المغربي كان على علم تام بما كانت الحكومة الإسبانية قدّ فكرت فيه عند إرسالها للمغامر باديا، فإن مولاي سليمان فضل الوقوف بجانب العرش الإسباني عندما احتلت الجيوش الفرنسية أرض إسبانيا سنة 1223 / 1808 ثم تنصيب أخ نابليون (Napoleon) على عرش مدريد،حيث بعث الأمبراطور الفرنسي القبطان بوريل (Burel) إلى مكناس ليعرض على السلطان فكرة تسليمه الجيوب المحتلة من طرف إسبانيا مقابل الاعتراف بأخيه ملكا على إسبانيا، وكان جواب مولاي سليمان أنه من المستحسن أن ينتظر إلى أن يصفو الجو السائد بإسبانيا.

وفي عهد السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام تميزت العلاقات المغربية الإسبانية بتعدد وتشعب المشاكل بين البلدين نتيجة للحوادث اليومية التي كانت تقع بين القبائل المجاورة وحاميات الجيوب المغتصبة التي أصبحت لاتطيق الحصار المضروب عليها منذ قرون، في الوقت الذي كانت ترى كيف أن الجيوش الفرنسية بمجرد ما احتلت عاصمة الجزائر في منتصف سنة 1830 تمكنت من توسيع رقعة احتلالاتها بالقطر الجزائري، فكيف يعقل أن تظل إسبانيا مكتوفة الأيدي وقواتها محاصرة داخل أسوار سبتة ومليلية طيلة مئات السنين وهي ترى الأسطول الفرنسي يقنبل مدينتي طنجة والصويرة والجيوش الفرنسية تنتصر على القوات المغربية في معركة إسلي سنة 1260 / 1844 في حين أن اسبانيا هي التي "لها وحدها حقوق تاريخية" للسيطرة على المغرب !.

هذا ما كان يفكر فيه المستبد بالحكم في إسبانيا الجنرال نارفايث (Narvaez) الذي أراد أن تستغل الحوادث العديدة التي تقع على الحدود الوهمية للجيوب المحتلة، فوجه إلى سلطان المغرب إنذارا في شهر ربيع الثاني 1260 / ماي 1844 يطالب بجعل حد لتلك المشاكل، وذلك بالموافقة على توسيع رقعة الأرض المحتلة في كل من سبتة ومليلية، ويهدد في الإنذار بأنه سوف يستعمل "لغة المدافع" في حالة ما إذا رفض السلطان طلبه.

وكان جواب مولاي عبد الرحمان الرفض بالرغم من أن الظروف الصعبة التي كانت تجتازها البلاد لم تكن تساعده على اتخاذ مثل ذلك الموقف، حيث إن الحكومة الإسبانية بدأت غداة توصلها بالجواب تقوم باستعدادات عسكرية هائلة وحشد قواتها بالموانئ الجنوبية بمقاطعة أندلسيا (Andalucia) غير أن بريطانيا العظمى لم تكن ترى بعين الرضى نشوب حرب في منطقة البوغاز حيث توجد قاعدتها بجبل طارق، وهذا ماجعلها تتدخل في النزاع القائم بين إسبانيا والمغرب وتفرض على المغرب أن يستجيب لبعض طلبات إسبانيا حيث وقعت يوم 10 شعبان 1260 / 25 غشت 1844 الاتفاقية التي بمقتضاها حصلت إسبانيا على توسيع رقعة الأرض المجاورة لمدينة سبتة والتي تم تحديدها يوم 24 رمضان / 7 أكتوبر وعلى إثرها أبرمت الاتفاقية النهائية ليوم 28 ربيع الثاني 1261 / 6 ماي 1845.

لم تضع هذه الاتفاقية حدا للمشاكل المترتبة على الوجود الإسباني بالجيوب المذكورة، خصوصا بعد أن قامت إسبانيا باعتداء جديد على التراب المغربي باحتلالها جزر كبدانه والبرهان يومي 29 محرم وفاتح صفر 1264 / 8 و6 يناير 1848.

وقد احتج السلطان على هذا الاعتداء السافر على حوزة الوطن حيث طالب بانسحاب القوات الإسبانية من الجزر المذكورة، ولكن الحكومة الاسبانية لم تكتف بعدم الاستجابة لذلك الطلب بل إنها عندما رأت فرنسا تنال مبتغاها على إثر قنبلة أسطولها لمدينة سلا في شهر محرم 1268 / نوفمبر 1851 قامت يوم 6 ربيع الأول / 30 ديسمبر بإعداد مخطط يستهدف غزو المغرب واحتلال أراضيه على غرار ما فعلته فرنسا بأرض الجزائر غير أن الحوادث الخطيرة التي وقعت بالشرق الأوسط عل إثر إعلان روسيا الحرب ضد تركيا حالت دون تمكن الحكومة الإسبانية من تنفيذ مخططها مؤقتا. ونقول مؤقتا لأننا نجدها تفكر في تنفيذه من جديد بعد ثلاث سنوات حيث بدأت تحشد قواتها بالموانئ الجنوبية من بلادها في شهر شعبان 1260 / ماي 1854، وجميع القرائن تدل على أنها كانت عازمة على تنفيذ مخططها لولا وقوع الحركة الانقلابية التي جرت بمدريد يوم 2 شوال / 28 يونيو برئاسة الجنرالين أودونيل O'donnell ودولتي Dolci واستمر جو التوتر يسود العلاقات المغربية ـ الإسبانية طوال أربع سنوات أي إلى أن تمكن الجنرال أودونيل من السيطرة على الحكم في بلاده يوم 18 ذي القعدة 1274 / 30 يونيو 1858 في عهد الملكة إيسابيل الثانية Isabel II وفي الوقت الذي كانت فيه الحالة الداخلية بإسبانيا جد مضطربة حيث لم يكن في استطاعة الجنرال المستبد أن يسطير على الحالة الراهنة في بلاده إلا بصرف اهتمام الشعب الإسباني وشغله بحرب خارج الوطن وهذا مايفسر الإنذار الذي وجهه إلى السلطان يوم 14 ربيع الأول 1275 / 22 أكتوبر 1858 يطالب فيه بجعل حد للمشاكل القائمة على الحدود المصطنعة بمدينة مليلية وذلك بتوسيع رقعة الأرض المحتلة هناك على غرار ما حصل عليه الجنرال نارفايث Navarez بخصوص سبتة سنة 1261 / 1845.

ولم تكن حالة المغرب آنذاك تسمح للسطان مولاي عبد الرحمان بالوقوف في وجه إسبانيا، وهذا ما جعله يريد أن يوفر على مملكته هزيمة مماثلة لهزيمة إسلي في حالة ما إذا قامت إسبانيا بغزو التراب المغربي انطلاقا من مليلية أو سبتة، الشيء الذي يفسر إبرام المعاهدة الإسبانية المغربية ليوم 25 محرم 1276 / 24 غشت 1859 التي بمقتضاها تمت الموافقة على توسيع الأرض المحتلة بمليلية.

وأخطأت التقديرات لأنه تبين من بعد أن الجنرال أودونيل لم يكن يسعى من وراء إنذاره ليوم 14 ربيع الأول 1275 / 22 أكتوبر 1858 الحصول على ما حصل عليه في المعاهدة المذكورة، بل إنه كان يحتاج إلى سبب يخوله حق إعلان حرب يشغل بها الرأي العام في بلاده، والدليل على ذلك هو أنه في الوقت الذي كان فيه ممثله بطنجة يتفاوض بخصوص المعاهدة كانت وزارة الدفاع الإسبانية تقوم بحشد قواتها بمقاطعة أندلسيا (Andalucia) وتعمل على كراء السفن من بعض الدول لنقل تلك القوات الهائة إلى أرض المغرب.

ودليل آخر على ذلك هو أن حكومة أودونيل قد استغلت حادثا بسيطا وقع على حدود سبتة على إثر بناء مخفر هناك لتُوجِّه إلى السلطان ابتداء من شهر محرم 1276 / غشت 1859 إنذرات وتهديدات بالحرب في حالة ما إذا لم يوافق على مزيد من التوسع في الأرض المحتلة بضواحي المدينة المذكورة.

ومرت عدة أسابيع في القيل والقال إلى أن توفي مولاي عبد الرحمان فاستغلت حكومة مدريد ذلك لإعلان الحرب ضد المغرب يوم 25 ربيع الثاني 1276 / 22 أكتوبر، هذه الحرب التي اعتبرتها الأبواق الاستعمارية الإسبانية حربا صليبية جديدة حيث قيل للملكة إيسابيل الثانية إنها هي التي قُدر لها أن تكون المنفذة لوصية إيسابيل الأولى التي كان قد مر عليها أكثر من ثلاثة قرون ونصف.

وفي يوم 23 ربيع الثاني 1276 / 19 نوفمبر 1859 غزت القوات الإسبانية أرض المغرب انطلاقا من مدينة سبتة، بعد وقوع عدة معارك انهزمت فيها القوات المغربية احتلت الجيوش الإسبانية مدينة تطوان يوم 6 رجب 1276 / 6 فبراير 1860.

وكان في استطاعة إسبانيا أن تحتل كذلك مدينة طنجة لولا وقوف بريطانيا العظمى في وجهها وإرغامها على إبرام الصلح مع المغرب يوم 4 رمضان 1276 / 26 أبريل 1860. تم التوقيع على معاهدة كانت تتضمن شروطا مملاة من دولة منتصرة على دولة منهزمة، لأن إسبانيا نالت بمقتضى المعاهدة المذكورة مالم تنله قط من قبل، وقد تلت هذه المعاهدة معاهدتان أخريَان وقّعهما الأمير مولاي العباس أثناء سفارته بمدريد يومي 25 ربيع الثاني / 30 أكتوبر و17 جمادى الأولى 1278 / 20 نوفمبر 1861، هذا بالإضافة إلى أن الحرب المذكورة كلفت خزينة المغرب عشرين مليون من الريالات التزم السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بادائها كتعويض لخسائر الحرب الإسبانية.

ونشأت إثر تطبيق هذه المعاهدات الثلاث مشاكل جديدة بين الدولتين لأن الفصل الثامن من المعاهدة الأولى جعل المشاكل القائمة، بين إسبانيا والمغرب تمتد إلى المناطق الصحراوية المغربية بسبب تعهد السلطان بمنح إسبانيا قطعة أرض هناك بالمكان الذي كان يوجد به البرج المعروف بسانطا كروث ذي مار بيكينيا Santa Cruz de Mar Pequenā أي الصليب المقدس للبحر الصغير.

وليس من المبالغة أن نقول إن قضية هذا البرج كانت هي محور العلاقات المغربية الإسبانية في عهد السلطان مولاي الحسن الأول، خصوصا بعد أن أقدمت الحكومة

الإسبانية على القيام باعتداء جديد على التراب المغربي عندما أصدرت يوم 8 ربيع الأول 1302 / 26 ديسمبر 1884 مرسوما يقضي ببسط حماية إسبانيا على جزء من الصحراء المغربية الممتد من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض.

ومما يدل على أن إسبانيا كانت تخطط لغزو المغرب في أول فرصة تراها مناسبة، أنها عندما علمت بمرض السلطان مولاي الحسن الأول أخذت تحشد قواتها في الموانئ الجنوبية من ترابها خلال شهري ذي الحجة 1304 ومحرم 1305 / سبتمبر وأكتوبر 1887. وفي شهر ربيع الأول (نوفمبر) قامت باحتلال جزيرة الثورة المعروفة بجزيرة المعدنوس، غير أن القوات المغربية أرغمت القوات الإسبانية على الانسحاب.

وبعد ثلاث سنوات وقعت حوادث مليلية الأولى التي كانت بداية الحرب التي اندلعت هناك من شهر ربيع الأول إلى شهر رجب 1311 / من سبتمبر 1893 إلى يناير 1894 بسبب المحاولة التي قامت بها إسبانيا من أجل إحداث تغيير في الحدود المصطنعة. ومما يدل على أن الحكومة الإسبانية كانت تريد غزو المغرب انطلاقا من مليلية (كما فعلت سنة 1276 / 1860 انطلاقا من سبتة) أنها أخبرت الدول الأوربية بعزمها على أخذ "حقها" بالقوة فأرسلت إلى المدينة المذكورة عشرين ألفا من الجنود برئاسة الجنرال مارطينيث كامبوس Martinez Campos.

لم يكن الوضع في المغرب يسمح بخوض حرب جديدة مع إسبانيا، فكان على مولاي الحسن الأول أن يسلك الليونة حيث انتهى الأمر بإبرام معاهدة مراكش ليوم 27 شعبان 1311 / 5 مارس 1894 والتي التزم فيها السلطان بأداء تعويض مالي قدره أربعة ملايين من الريال. ولم تتمكن الخزينة المغربية من أداء المبلغ المذكور في عهد السلطان مولاي الحسن ولذلك ما إن خلفه مولاي عبد العزيز حتى وجهت له الحكومة الإسبانية إنذاراً تطالب فيه بأداء المبلغ وتنفيذ ماتفق عليه في معاهدة مراكش بخصوص تعديل الحدود المصطنعة بكل من مليلية وسبتة، ومن أجل الوصول إلى حل سلمي للمشكل بعث السلطان إلى مدريد في شهر شعبان 1312 / فبراير 1895 سفيره الحاج عبد الكريم بريشة الذي لم يستطع أن يحصل على تخفيض في قيمة التعويض الحربي إلا بعد أن لطمه جنرال إسباني عندما كان يتوجه إلى ملاقاة الملكة الإسبانية ماريا كريسطينة (Maria Cristina)

وفي سنة 1313 / 1896 كان الجميع يتوقّعُ حدوث حرب أوربية بسبب النزاعات القائمة بين فرنسا وألمانيا وبين فرنسا وبريطانيا العظمى وبين فرنسا وإيطاليا وبين روسيا وبريطانيا، وحيث إنه كان من المنتظر أن تظل إسبانيا في الحياد فقد اقترحت الحكومة الإسبانية على كل من فرنسا وبريطانيا أن تقوم هي باحتلال مدينة طنجة لتضمن حرية الملاحة عبر البوغاز، ظناً منها بأن هذه الحيلة ستتيح لها فرصة تحقيق نواياها التوسعية بأرض المغرب برضى الدولتين اللتين كانتا تتنازعانها في ذلك. وفي هذه الأثناء كانت إسبانيا تتفاوض مع فرنسا من أجل اقتسام الصحراء المغربية فيما بينهما، وبعد أربع سنوات توصلا إلى حل المشكل القائم بينهما بإبرام معاهدة باريس ليوم 28 صفر 1318 / 27 يونيو 1900 والتي بمقتضاها اعترفت فرنسا بـ "حق" إسبانيا في بسط نفوذها على مقاطعة وادي الذهب الممتدة من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض، فكانت هذه هي المعاهدة الأولى المبرمة بين الدولتين المذكورتين بخصوص اقتسام المغرب، تلتها محادثات جرت في سنة 1320 / 1902 من أجل إبرام معاهدة ثانية لم تتجرأ إسبانيا على توقيعها خوفا من انكلترا.

وهذا التقهقر لم يمنع الحكومة الإسبانية من مدّ يد المساعدة للثائر بو حمارة عندما ثار بالناحية الشرقية من المملكة، والدليل على تواطؤ حاكم مليلية معه هو أن بو حمارة اختار في آخر مطافه قصبة سلوان القريبة من مليلية ليجعلها مقرا له يسهل عليه فيه الحصول على ما كان يحتاج إليه من سلاح وعتاد لمحاربة القوات المخزنية من سنة 1322 / 1904 إلى سنة 1326 / 1908.

وفي يوم 23 رجب 1322 / 3 أكتوبر 1904 أبرمت المعاهدة الإسبانية الفرنسية الثانية بخصوص اقتسام المغرب بين الدولتين والتي بمقتضاها اعترفت فرنسا بـ "حق" إسبانيا في بسط نفوذها على شمال المغرب من وادي ملوية إلى وادي لوكس وعلى المنطقة الجنوبية الممتدة من رأس غير (أگادير) إلى رأس بوجدور حيث أصبح من "حق" إسبانيا احتلال الأراضي المغربية الممتدة من أگادير إلى الگويرة.

وعندما فكرت الدول الأوربية في عقد مؤتمر يقرر فيه التدخل الأجنبي في شؤون المغرب الداخلية، وقع الاختيار على مدينة الجزيرة الخضراء لينعقد فيها ذلك المؤتمر الثاني حول القضية المغربية، وذلك لأن المؤتمر الأول الخاص بقضية الحماية القنصلية بالمغرب كان قد انعقد هو الآخر بالتراب الإسباني بمدريد سنة 1297 / 1880.

انعقد مؤتمر الجزيرة الخضراء من يوم 20 ذي القعدة 1323 / 16 يناير إلى يوم 12 صفر 1324 / 7 أبريل 1906 حيث وقع الاتفاق على احترام الوحدة الترابية المغربية تحت سيادة السلطان، وهذا لم يمنع الحكومة الإسبانية من الاشتراك مع الحكومة الفرنسية في الاعتداء على مدينة الدار البيضاء في شهر جمادى الثانية 1325 / غشت 1907 ومن احتلال جزيرة بوعرگ بالقرب من مليلية يوم 11 محرم 1326 / 14 فبراير 1908، ومن الاستيلاء على رأس سيدي البشير بالقرب من مصب وادي ملوية يوم 8 صفر / 12 مارس من نفس السنة، ومن غزو التراب المغربي انطلاقا من مليلية في شهر جمادى الثانية 1327 / يوليوز 1909 ومن احتلال مدينتي العرائش والقصر الكبير يومي 10 و12 جمادى الثانية 1329 / 8 و10 يونيو 1911.

نتج عن هذه الاعتداءات المتوالية على حوزة الوطن إبرام المعاهدة الثالثة بخصوص اقتسام المغرب بين فرنسا

وإسبانيا والتي وقعت بمدريد يوم 17 ذي الحجة 1330 / 27 نوفمبر 1912.

وخلاصة القول أن العلاقات بين إسبانيا والمغرب طيلة أربعة قرون ونيف كانت علاقات توتر وحرب سببها الأطماع التوسعية الإسبانية بأرض المغرب الناتجة عن إصرار إسبانيا على تنفيذ وصية الملكة إيسابيل الكاثوليكية المشؤومة، في حين كان المغرب مصراً هو الآخر على عدم السماح بتنفيذها مهما كلفه ذلك من متاعب وتضحيات وخسائر، ففي المدة المتراوحة بين سنة 897 / 1492 وسنة 1330 / 1912 لم تكتس تلك العلاقات طابعا سلميا نوعا ما إلا من سنة 1181 / 1767 إلى سنة 1188 / 1774 ومن سنة 1205 / 1791 إلى سنة 1276 / 1859.

والغريب هو أنه بعد انتهاء عهد الحماية سنة 1956 واعتراف إسبانيا باستقلال المغرب وتعهدها باحترام الوحدة الترابية المغربية يوم 25 شعبان 1375 / 7 أبريل 1956 عادت إسبانيا إلى سيرتها القديمة في معاكسة المغرب على استكمال وحدته الترابية حيث إنها لم تسلم له منطقة طرفاية إلا يوم 20 رمضان 1377 / 10 أبريل 1958 وذلك بعد إرغامه على توقيع اتفاقية سينطرا (Cintra) ليوم 11 رمضان / فاتح أبريل من نفس السنة، ولم تسلم له منطقة إفني إلا يوم 14 ربيع الثاني 1389 / 30 يونيو 1969 وذلك على إثر معاهدة فاس ليوم 14 ذي القعدة 1388 / 4 يناير 1969، كما أنها لم تعترف بمغربية الصحراء الغربية (الساقية الحمراء ووادي الذهب) إلا يوم 10 ذي القعدة 1395 / 14 نوفمبر 1975 حيث وقعت اتفاقية مدريد.

وأما الجيوب الواقعة بشمال المغرب وهي مدينتا سبتة ومليلية وجزر كبدانة وبادس والنكور والبرهان فإن إسبانيا مازالت مصرة على الاحتفاظ بها ترفض إعادتها إلى الوطن الأم بدعوى أنها تكون جزء لايتجزأ من التراب الوطني الإسباني، في حين أنها هي التي كانت تعترف بمغربيتها عندما كانت تحتل شمال المغرب في عهد الحماية.

م.ابن عزوز حكيم، *لماذا نطالب باسترجاع مدينتي سبتة ومليلية* ؟ تطوان 1979 ؛ *سبتة ومليلية في عهد الحماية*، الرباط 1988 ؛ تراجع البيبلوغرافيا المفصلة في آخر الكتابين المذكورين.

محمد ابن عزوز حكيم

استعمار، إن المغرب نظرا لموقعه الجيو ـ استراتيجي بين جميع القارات، ونظرا لاندماجيته المحتومة بين شعوب وبلدان العالم القديم (المتوسطي)، وما تتبطنه جباله وأراضيه من معادن وخيرات وما يمتاز به، فضلا عن كل ذلك، من تعددية المناخ واعتداله عموما، وما له من إمكانات ومجالات فلاحية... كان دائما ومنذ القدم، محط الأطماع الخارجية والتكالبات الهيمنية. إنه مسرح للمد والجزر بين شمال البحر المتوسط وتأثيرات الشرق، وكانت بذلك سياسته وتاريخه وثقافته بوجه أشمل مصبوغة ومطبوعة بهذا القدر المتكرر، إن نشاطه الدبلوماسي والسياسي، وتبادلاته الثقافية والتثاقفية تُلخص بناء على هذا، في اتجاهين رئيسيين تكون جوهر تفاعلاته وانفعالاته وأفعاله : اتجاه عمودي يخرق إفريقيا وأوروبا، واتجاه أفقي عابر لشمال إفريقيا نحو البلاد المشرقية. إن المغرب بذلك شجرة متجذرة في إفريقيا، تلفها تأثيرات المشرق (الإسلام ...) وعواصف أوروبا (الاستعمارات المثاقفة). وإن تقاطع الاتجاهين في الهوية المغربية هو ما يشكل اليوم واقعا له مكانته داخل الذات المغربية.

ليس همنا، أن نقوم بجرد تاريخي لكل الاستعمارات القديمة التي مرت بأرض المغرب، وإنما نلمح هنا إلى أن تلك الهيمنات الخارجية لا تزال بصماتها، إلى حد ما، واضحة المعالم، وإن تم إدماجها واستيعابها من طرف هوية مغربية، وأصبحت بذلك من البديهيات التي لا تلفت الانتباه.

لقد عرف المغرب، ككل الحضارات الإنسانية، مراحل وهن اتسمت بالضعف ومراحل قوة وانتعاش، وكثيرا ما استغلت المراحل الأولى من طرف «الآخرين» لبسط نفوذهم واستغلالهم للبلاد. لقد أتى الفينيقيون إلى المغرب الأقصى وأسسوا مرافئ للتجارة، وأثروا من خلال تفاعلاتهم مع مراكز حضرية متفتحة على البحر. وتأثروا بدورهم بخصوصيات محلية، وخلفهم فيما بعد القرطاجنيون الذين مكثوا بشمال إفريقيا إلى حين انهزام قائدهم "هانيبال" أمام الرومان (146 ق.م). إن الاستعمار الروماني المؤسس على استغلال الأرض والإنسان هو أول استعمار حقيقي للمغرب، لأنه قد جعل من المغرب مخزن حبوب روما "Grenier de Rome"، وحاول أن يدمج ويحتوي السكان البرابرة ثقافيا ودينيا. ورغم كون الرومان لم يتوغلوا في داخل البلاد ما وراء "الليمس" Limes فإن تأثيرهم لم يتجاوز المناطق المطلة على البحر إلا نادرا، وذلك بتعاملهم مع زعماء محليين. لقد ساهم المغاربة الأفارقة في الحضارة الرومانية (القديس أوغسطين، أبولي Apulée، أفلوطين Plotin، زعماء عسكريين...) ؛ لكن المغاربة، مع كل ذلك لم يرتاحوا قط لكل أنواع الاستغلال، والنهب الذي خضعوا له وأرضهم.

بعد ضعف الرومان وأفول نجمهم، تعاقب على استعمار المغرب الوندال والبيزنطيون الذين ساروا على نهج الرومان؛ إلا أن الفتح الإسلامي، واندفاع البرابرة في نشر الإسلام الذي ساعد على اضمحلال وتدهور البيزنطيين والروم عموما، (وذلك مما هو في صالح البرابرة)، قد ساعدهم على إجلاء الاستعمار المسيحي من بلادهم وأحسوا من خلال تجاوبهم مع تعاليم الدين الحنيف الذي هو ثورة إنسانية في زمانهم، أن كرامتهم منسجمة مع كل ما جاء في الكتاب المقدس. وبفضل ما أمدهم الإسلام من سنن وقوانين تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية، أصبح المغاربة، بعد مجيء المولى إدريس، يحققون كيانهم وخصوصيتهم واستقلاليتهم، وفتحوا باسم الدعوة الإسلامية نفسها، أيام قوتهم وعزتهم تخوما بعيدة عنهم، جنوب الصحراء وبلاد الأندلس.

ثم عاد التنصير الروماني مرة أخرى، كالمد، باسم الحروب الصليبية ليحتل جيوبا شواطئية بالمغرب أيام أصيب المغرب بوهن ظرفي، ولقد قام الشرفاء السعديون والعلويون فيما بعد، بمحاربة ذلك التنصير الإديولوجي بكل الأساليب الحربية والدبلوماسية رغم كون أوروبا أصبحت منذ القرن الخامس عشر تتضح قوتها ونواياها الاستعمارية بكل جلاء، إن الاستعمار الأروبي هو حلقة من حلقات الصليبية والميركانتيلية والرأسمالية التي فتحت أجواء لبروز حركة متحمسة لاحتلال بلدان ما وراء البحار مع العصر الإمبريالي (1878 ـ 1880) أفضت إلى الاستعمارات الفعلية والحمايات الحديثة (1880 ـ 1912 / 1956).

محاولة تحديد مفهوم الاستعمار (Essai de définition) : «إن الاستعمار كما يُعتقد، ليس إلا جانبا من جوانب الغزو، ويعني في الوقت ذاته الاستسلام والخضوع Soumission لقوة مسلحة. إن تأسيس وامتداد المستعمرات ليس إلا نمطا من أنماط العنف Violence الذي سنبين في مسار هذه الدراسة مظاهره وتجلياته في حالة المغرب الذي تعرض لتأثيرات الظرفية الاستعمارية من 1900 إلى 1955 / 1956. إنه من المتعذر الكلام عن الاستعمار دونما تركيز على جوانب الغزو والعنف. كيف يمكن لباحث ما أن يقارب ظاهرة التهدئة القبلية (1900 ـ 1934) مثلا بغض الطرف عن تلك الجوانب؟ ليس هناك استعمار بدون غزو عنيف يتوخى الاحتلال بجعل الحرب هدفا في حد ذاته» (René Meunié, *social*. Coll, 1932, p. 18) إن الاستعمار يعني بصريح العبارة، خدمة وإعداد الأرض من طرف المعمرين Colons الأوروبيين، وبواسطة أياد عاملة أهلية Indigéne (العبيد المستخدمون، العمال الفلاحون) ولمدة طويلة من تاريخ الاستعمار لم يتم تجاوز هذا المنظور للاستعمار نظرا لارتباطه أصلا بالاستغلال العقاري والفلاحي.

أما فيما يخص تصنيف المستعمرات ذاتها، فيرى «رونيه مونيي» (1932) أن بالإمكان تمييز نوعين من المستعمرات، من خلال تاريخ الاستعمار نفسه. هناك ما يمكن أن نسميه بمستعمرات التعمير أو الإسكان، وهي في العادة توجد بمناطق تشبه إلى حد ما، ومن حيث مناخها، مناطق أوروبية إنها مستعمرات تشجع على التعمير السكاني أي على الهجرة.

إن الاستعمار بهذه البلدان يظل دائما من بين الأعمال المنوطة بالأقليات المتربُّولوية، التي تشبه الخميرة "Ferments" التي تدخل بين الكتل الأهلية، إنه إنجاز الآلاف وليس الملايين(R. Meunié, 1932, *ibid*, p. 24) إن المغرب يدخل ضمن هذا الصنف من المستعمرات لأنه بلاد متوسطية، كان موقعها الجغرافي بالنسبة لأوروبا يغري كل المستثمرين ماديا ومعنويا، وقد كان نظراً لمنافسات دولية أمبريالية آخر مسألة لم يتم معالجتها وتجاوزها بالنسبة لفرنسا إلا بعد تقديم تعويضات وتنازلات دبلوماسية واقتصادية بافريقيا (ليبيا لإيطاليا / مصر للأنجليز / الكونغو للألمان / الصحراء المغربية ومنطقة الشمال لإسبانيا).

وهناك نوع ثان من المستعمرات هو ما يسمى عادة في الأدبيات الكولونيالية بمستعمرات الاستغلال Colonies d'exploitation وهي موجودة، عادة، بمناطق استوائية ومدارية رطبة وحارة لايسمح مناخها بالهجرة الإنسانية. إنها كما يرى جورج هاردي مستعمرات للتأطير Colonies d'encadrement، يوجد بها أوربيون قليلون، يحكمونها أو يتاجرون بها إلاّ أن المُزارع يكون دائما من بين الأهالي Les indigènes. إن حياة المعمِّر Colon بهذه البلدان الأخيرة مرهونة بما يؤديه الأهلي من خدمات. ولعل جل المستعمرات الإفريقية من هذا الصنف.

الاستعمار كعنف Violence : جدلية البنية Structuration وإعادة البنية Restructuration وتحطيم البنية Destructuration.

1. العنف العسكري : استهدف العنف العسكري والإداري للاستعمار (1900 ـ 1934) القضاء على أواصر المقاومة التي تتزعمها القبائل، لذا بادر الاستعمار خلال التهدئة إلى عملية تحطيم القبيلة Détribalisation وتفكيك الأطر الاجتماعية القديمة داخلها مثل "إخْص" "Ikhs" (العظم)، بتشجيع وغرس النزعة الفردانية individualisme المنافية كلية لكل الروح الجماعوية L'Ame communautaire والأسس السياسية الديموقراطية لمؤسسة "الجماعة" كإطار لبلورة الشورى الاسلامية (تشويه مؤسسة الجماعة القبلية وإفراغها من محتواها التمثيلي الحقيقي...) والمنافية كذلك لكل ما تتطلبه مظاهر الاقتصاد المعتمد على التعاضد والتضامن الاجتماعيين الذين يؤطران عملية الانتاج والاستهلاك معا. إن ذلك العنف الاستعماري الذي مُورس على التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية المغربية قد اخذ مظاهر وتجليات أخرى أدت إلى زعزعة التوازنات التقليدية. واضطلع هذا العنف بعدد من الوظائف أدت كلها إلى الحركية البدائية لقوة العمل، فنشأت منذ سنة 1898، مجموعة تضم رجال المال والأعمال بغرض احتلال المغرب. وقد عبر أحد رؤساء هذه المجموعة (التجمع أو الحزب الكولونيالي) أوجين إتيين Eugène Etienne بصراحة عن رغبة المجموعة في "تونسة" Tunisification المغرب بالقوة إذا اقتضى الأمر ذلك : «إن عدم تهيئة أنفسنا لدعم نشاطنا السلمي الشرعي الذي يؤهلنا وضعنا لممارسته في المغرب عن طريق القوة، معناه جهل التاريخ». وفي ادبيات ودعايات جريدة هيئة إفريقيا الفرنسية (B.C.A.F) نجد ما يحرض على مثل هذه المبادرات، كما أن "الماركي ذي سيغونزاك" Le Marquis Segonzac في معرض مقدمة كتابه (*رحلة الى سوس* : *Excursion au Sous*" (1901)"، خاصة أثناء تناوله للمسألة المغربية Question Marocaine ينصح بضرورة غزو المغرب بالعنف والقوة. وفي 1902، نجده لايزال يلح ويشدد على

ذلك النهج التدخلي"لكي ينهار المغرب لابد من القضاء عليه، وهذا الوضع لن يرهبنا" (Cité par A. Ayache, Le *Le Maroc, bilan...*, 1956, p. 61)

إن نهاية المرحلة الامبريالية مع (1912 / 1914). كانت تستلزم تطورا جديداً في وسائل وطرق نهب الشعوب المستضعفة، وكان العنف الية من آليات إرساء دعائم الاستغلال المباشر(الاستعمار). إن روجيه هومو Roger Homo يشير إلى هذا المغزى البرجماتي مؤكدا بأن الحرب في المستعمرات "ليست هدفا بذاتها، إذ لا ينبغي للجيوش أن تكون أكثر من الوسيلة الاخيرة لفرض النظام، فكل معركة تنطوي على مغزى وغاية سياستين".

2 . العنف الإداري : لقد ارتبط هذا العنف الاداري منذ بدايته بمحاولات استقطاب القبائل الحدودية المغربية في منطقة الجنوب الوهراني ؛ ولقد أدى تأسيس مراكز عسكرية لمراقبة التحركات القبلية وتأمين تجارة القوافل وبعثات الاستكشاف إلى إرساء نوى (جمع نواة) إدارية فيما بعد، وكانت مسألة انشاء الشرطة الحدودية، ومد الطرق الحديدية من 1900 إلى 1907، التي رافقتها من الامور التي خلقت توترات بين تلك القبائل والاستعمار من جهة وبينها والمخزن، الذي لم يعد بفعل افتعال السيبة وتحريضها من طرف الاقامة الفرنسية بالجزائر يتحكم فيها. إن ذلك ما أبان عن ضعف المخزن وعجل استنزافه بتوريطه في قضايا تتطلب غرامات متكررة وعديدة، إن افتعال السيبة، بهذا الشكل، كان من بين الدواعي التي أرغمت المخزن تحت ضغوط متعددة، على قبول سياسة التعاون حوالي 1902 رغم ما نجم عن احتلال توات من توترات دبلوماسية، وإن العنف الاداري قد ادى إلى تفكيك الكيانات القبلية وبترها، بحيث كان لمسألة الحدود وطرح مشكل السيادة اثر فجائي وعنيف على تقسيم الجماعات الانسانية التقليدية على الدوائر والمراكز الادارية، بل وحتى على البلدين المجاورين المغرب والجزائر. ففي المغرب، كما حصل في افريقيا الفرنسية كلها، استفيد من أدوات السيطرة من الدوائر السياسية من أجل تسهيل إعادة توجيه البنى القديمة توجيهاً يؤدي إلى إخضاعها إخضاعًا مباشراً للرأسمالية في المتربول ؛ وكان مركزا فگيگ ووجدة بالمغرب الشرقي من 1903 إلى 1907 / 1912، ومنطقة طنجة بالشمال، والشاوية 1907 إلى 1912 قبل الحماية قد لعبت دورا حاسما في ذلك الاستقطاب الرأسمالي للقبائل، وكان ذلك، حسب دوتي (1911) إحدى الوسائل المهمة للتعجيل بتهييء برنامج سياسي اقتصادي للتدخل السلمي، «إنه لا يمكن إدراك سيرورة تحرير قوة العمل في المغرب دونما عودة إلى التنظيم الذي فرضته الدولة الاستعمارية، إذ حل محل الدولة المركزية التي كانت ملزمة بقبول مبدأ الاستقلالية النسبية للقبائل، دولة استعمارية مطلقة، كان هدفها الرئيسي يكمن في فرض اندماج البنى القديمة (بشكل تابع ومشوه) في أسلوب إنتاج جديد ناضج قادم من الغرب" (جمال الدين التباع، *تفكك البنى*.... م. مذكور 1987، ص. 60) ألم يكن الاستعمار نفسه علاوة على ما يتضمنه من غزو وعنف منذ بدايته إلى نهايته، تحولا للحماية القانونية والإصلاحية التي ينص عليها أساسًا عقد الحماية، إلى إدارة مباشرة سرعان ما أبانت عن نيات سيئة ومجازفات لم تعد تتمشى مع مصالح الفئات التي تعاطفت مع الحماية 1912 ؟ إذا كانت الحماية هي ما اصطلح على تسميته بالإدارة الغير المباشرة واللامركزية، فإن الأمر الواقع والعمل الفعلي قد أبان منذ نهاية الحرب العالمية الأولى (1918) وخاصة مع ذهاب ليوطي (1925) عن تحول الحماية، بهذا المعنى إلى استعمار واضح توازى مع العمل العسكري التهدئوي وإرساء الدعائم الاساسية للاستعمار العقاري (1919) داخل القبائل نفسها، وعاش المغرب منذ احتلاله في حالة حصار.

3 . العنف الاقتصادي : ليس الاستعمار مقتصراً على المعمرين والعسكريين فحسب، إن بجانبهم ومن ورائهم رجال أعمال وأصحاب أبناك ومضاربين «فمع سنة 1903، أنشئت هيئة المغرب بباريس بدافع من حيوية النائب الوهراني، أوجين إتيين Eug. Etienne، شارك فيها البنوك وكبار الشركات المهتمة بالمغرب (الكبير) "Maghreb" (P.Guillen, *Les milieux d'affaires français et le Maroc à l'aube du XXe siècle*, in Rev. d'hist., Avril - Juin 1963, pp. 397-422).

ولعل أزمات 1905/1906، 1909/1911، تشكل خصوصا، تعبيراً عن مخاض ساعد على البحث والخروج باجماع محدد واضح المعالم بين البنوك العالمية، حتى تتمكن بالتالي كل منها، من المساهمة في القروض الخاصة بالاستغلال المنجمي والمزايدة Adjudication التي تهم الأشغال العمومية. بمجرد الوصول إلى الاتفاق، اصبحت مسألة تحمل المسؤوليات السياسية مسألة ثانوية، بدت على الأقل، ظرفية (A. Laroui, *Hist. du Maghreb*, T. II, p. 106, 1970) إن الديون السلطانية لسنة 1904 (62.5 مليونا) و1910 (101 مليون) قد مُنحت من طرف التجمع البنكي Consortium de Banques ؛ وفي سنة 1913 صادق البرلمان الفرنسي على منح إدارة الحماية فرصة إصدار قرض خاص لإخماد ذلك الدين. بعد ذلك تتابعت المصادقات والرخص : 1914 (170 مليون) 1916 (70 مليون إضافية)، 1920 (744 مليون) 1928 (819 مليون). كل النشاط الاقتصادي المغربي أصبح معلقا تماما بهذه الترخيصات. إن الديون المضمونة من طرف الحكومة الفرنسية والمقدمة فوائدها من طرف الميزانية المغربية ـ كانت مرصودة لتمويل الأشغال العمومية الكبرى (الموانى، والسكك الحديدية) غالبا ما تمنح للشركات الفرنسية الكبرى (Hersent, Schneider ...) ؛ رغم شروط معاهدة الجزيرة الخضراء ويقظة الأنجليزيين والأمريكيين. وبالضبط، لكي لا يضطر ليوطي Lyautey. بالاعتراف لألمانيا بحق

المشاركة في استغلال الفوسفاط، الذي اكتشف حوالي 1907. بمنطقة مراكش، عمد المقيم العام من 1912 إلى 1925 إلى تأسيس المكتب الشريف للفسفاط سنة 1920 ؛ ولم يكن الهدف هنا ـ كما يقال دائما ـ هو الدفاع عن حقوق الدولة المغربية (A. Ayache, *Le Maroc, Bilan...* 1956)

إن الشركات الفرنسية الكبرى، قد بسطت أياديها أيضا، خلال فترة ليوطي، وفيما بعده، على مساحات شاسعة من الأراضي، ويمكننا أن نتساءل مع عبد الله العروي : ما هو المعنى الذي يجب منحه لهذه الصدارة التي أعطيت لرجال الأموال بالمستعمرات المغاربية ؟ إن الرأسمال الضروري لتجهيز البلاد قد مُنح إما من طرف التوفيرالفرنسي وإما من طرف ميزانيات فرنسا والبلدان المغاربية ؛ ومع ذلك فهو مسيَّر بواسطة ابناك وبدون التعرض لأي خطر، إن الفائدة intérêt تدفع من طرف الميزانيات المغاربية، في حين يُضمن السلف من طرف الدولة الفرنسية (المتربول)، لكن كلفة Coût الاشغال ليست دائما مضبوطة لأن المنافسة بين المتنازلين المحتملين Concessionnaires potentiels لا تؤدي علميا أي دور، نظرا للتأثير المحدد لبعض الشركات الفرنسية الكبيرة بشمال إفريقيا. وبمأن الابناك تسيطر أكثر فأكثر على القطاع الأوربي، فإن جانب المضاربات قد طغى على المناحي الإنتاجية، إن ذلك القطاع، أصبح بالتالي أكثر قابلية للعطب والتأثير السلبي ؛ وتطلب بذلك حاجة إلى دفاع وحماية الإدارة الفرنسية : الأسعار تابعة للسوق الداخلية المحلية المغاربية؛ الكلفات محفظة بواسطة الاعفاءات الضريبية والحد الادنى لمستوى الأجور، الذي احتفظ به عن طريق ممارسة العنف (A. Laroui, *ibid*, 1976, p.107) ففي الوقت الذي أصبح فيه هذا الجانب المالي اساسيا، كان القطاع الاقتصادي، الذي يقدم على أنه قطاع عصري وناجع مدعماً أكثر فأكثر من طرف الاقتصادين الفرنسي والمغاربي، بواسطة الإعانات المالية الممنوحة، مما أعطاه صبغة الاصطناعية ذات الطابع السياسي، ويقدر ما يتضح هذا الاتجاه، تتبدل وضعية ومكانة المستعمرة الخارجية. إنه ينتقل من البوادي ليتمركز بالمدن، ويغطي بذلك القطاع الثالث : إن عدد الوسطاء والموظفين، يسحق عدد الملاكين الحقيقيين، إلا أنه في الفترة التي أحس بها هؤلاء الوسطاء والمستخدمون بأهميتهم، وبمدى ثقل السيطرة المنزلة عليهم، بدأوا يطالبون بضرورة التمتع بالسلطة السياسية التي لابد أن يحظوا بها وحدهم مع إرجاع مركز الثقل وتحويله من باريس إلى البلاد المغاربية نفسها (A. Laroui, *ibid*, 1976, p. 108). وبعد 1930 عرف الاقتصاد المغربي في ظل الاستعمار نماءً كميا، إذ توافدت الملايير من الخارج لتوظف بالمغرب، بعدما أصبحت القاعدة العقارية واسعة أكثر من ذي قبل بواسطة تشجيع النهب والتسجيل العقاري واستغلال الأراضي المشتركة للقبائل. إن كل الحظوظ التي أعطيت للمتربول للحفاظ على وجوده بالأرض الإفريقية قد قلصت من ناحية أخرى كل إمكانية تحقيق الاستقلالية من طرف المستعمرة La Colonie لأن هدف الاستعمار كان هو النهب والابتزاز ومقاومة كل التغيرات والمتغيرات التي تلتقي مع رغبة الخروج من وضعية التبعية الشاملة.

4 . العنف السياسي : لم يكن هدف الاستعمار هو نقل القيم الديموقراطية والانسانية في حد ذاتها، الى المستعمرات والشعوب المخالفة Les peuples différents كما كان يتبجح بذلك الخطاب الايديولوجي والدعائي المبرر للوجود الاستعماري نفسه. إن هدف الرأسمال على حد تعبير"روزا ليكسمبورغ" Rosa Luxembourg هو «ابتزاز المجتمعات البدائية من وسائل انتاجها، واخذ قوى العمل منها، وتحويلها إلى زبناء إنتاجاته (Cité par Med. Safahdine, *Le Maroc* 1985, p. 129) إن ما يسمى عادة بالرسالة الحضارية والانسانية لأوربا كان فقط وسيلة من وسائل المبررات التي رافقت عمل الغزو، وساعدت على تمويه الجوانب اللا منطقية واللا إنسانية فيه، في أعين الأهالي والرأي الدولي المتربولي. إن العنف السياسي للاستعمار كان يتحمور أساسا حول القمع والردع وذلك ماكان يستجيب له عمل المراقبة Contrôle والضبط الاجتماعي Régulation sociale اللذين كان ليوطي دائما يلح عليهما باستمرار.

الأساس العقاري للاستعمار الفرنسي بالمغرب : إن الاستنفاع بتراكمات التجربة الاستعمارية «المتروبولية» والكونية ضرورية بالنسبة للإقامة العامة الفرنسية بالمغرب، وقد حملتها معها شخصيات لها اضطلاع بالمسائل الكولونيالية بآسيا وافريقيا والشرق الاوسط، وكانت التجربة التونسية والجزائرية خصوصا، سنداً جوهريا واساسيا بالنسبة للادراة الاستعمارية بالمغرب الاقصى فيما يخص تنظيم الحماية واستثمار الارض.لقد تم نقل تجربة قانون "وارنيي" Loi Warnier التي تم التصويت عليها 1873 وتعديلها على التوالي سنة 1887 و1897 بالجزائر إلى بلاد المغرب (A. Laroui, *Hist. du Maghreb*, T. II, 1970 et 1976, p. 102) وكان قانون "وارنيي" تعبيراً حقيقياً على نوايا النزعة الاستعمارية التي يجسدها ويفصح عنها بكل جلاء انتزاع الاراضي بالقوة من الأشخاص والقبائل. «ويتعلق أحد الظهائر التي أصدرت تحت ضغوط الإدارة الجديدة (الاستعمارية) بالمغرب (بمسألة) التسجيل العقاري 12 غشت 1913 ؛ الذي فتح المجال للتصديق على تملك 30000 هكتار بنواحي وجدة والدار البيضاء خلال 1907 ـ 1912، عندما فر أصحابها الشرعيون أمام زحف الجنود الفرنسيين. وفي سنة 1916 تم إنشاء هيئة الاستعمار Comité de Colonisation تلتها في سنة 1919 لجنة تكلفت بالبحث في (قضية) الأراضي "الدومينية" العمومية : كانت الغاية منها ابتداع وسيلة ملتوية لأخذ الأراضي المزروعة منذ أجيال من طرف الجماعات

Communautés التي ساعدت المخزن. لقد ساعد ظهير 27 أبريل 1919 على تحديد الأراضي الجماعية Terres collectives لأجل كرائها بعد ذلك للمعمرين، وبما أن الأمر يقتضي السير بسرعة لتجاوز واستدراك التأخر الحاصل بالنسبة للقطرين المغربيين المتجاورين، فإنه قد تم أخذ إجراءات لتشجيع الاستعمار الفلاحي Colonisation agraire : مساعدة من أجل استصلاح للأرض غالبا ما يكون نظريا، إعفاء ضريبي ومالي، قرض عقاري، تعاونيات التجهيز الخ...إن هذه الإجراءات كانت تقصد منع تكرار الازمات الظرفية التي ضربت الاستعمار (سابقا) بالجزائر. وكانت نتيجة ذلك: التطور السريع (المسلسل) الملكية العقارية الاوربية : فمنذ 1932، شمل الاستعمار (أو التعمير) الحر والاستعمار الرسمي (ما يناهز) تقريباً 837000 هكتار، ويمكن أن نلاحظ علاوة على ذلك، كما هو الشأن بالنسبة للجزائر، مساسا بالملكية الخاصة، إذ مع 1927 ستصبح مساحات أراضي "الملك" الخاص منزوعة من أصحابها الأصليين لتمنح للأوربيين كما وقع مثلا بمنطقة "تادلا" التي صدرت بها وحدها خلال مدة سنتين فقط ما يعادل 62000 هكتار، ولقد كان منطق الكبت هنا ـ كذلك منذ البداية عنيدا وقاسيا. وحوالي 1930 مرتحت مراقبة سكان يشكلون أقل من سُبع (1/7) السكان المحليين، ما يعادل 3800000 هكتار في مجموع الأقطار المغاربية الثلاثة (المغرب ـ الجزائر ـ تونس) وتشكل هذه المساحات العقارية، تقريبا ثلث الأراضي المزروعة حقيقة.

إن هذه الركيزة العقارية كانت تعتبر، كما لو أنها ضرورة سياسية، ومن تم كانت تتلاقى مع الايديولوجيا الرومانية القديمة ؛ التي لاتزال مؤثرة على الأذهان رغم الدعاية السانسونية وسياسة "المملكة العربية" Royaume Arabe (A. Laroui, T. II, *ibid*, pp. 103-104) ورغم محاولة جعل برنامج الحماية اصلاحيا وسياسة محافظة عبر عنها البحث باستمرار عن توازنات لا إخلالية. هذا مايبدو كله واضحا في تصريح ليوطي : «نحن لانسعى إطلاقا للاحتلال والتوسع (...)، فنحن نريد احتلال المغرب النافع (المفيد)، وهذه المناطق التي يعتبر الحصول عليها ضروريا لتهيئة المغرب الاقتصادي وتجهيزه تجهيزا كاملا بسبب ماتزخرُ به (هذه البلاد) من موارد طبيعية وقوى مائية وغابات ومواش ومراع" (تصريح 1 يناير 1922 لليوطي ورد في (*Rennaissance du Maroc*, R.R.F.M) إن المشروع الأخير، كان في الحقيقة، منذ 1900 إلى 1912 مشروعا يجمع بين معطيات السياسة القبلية وسياسة التعاون مع المخزن. كان من دعاة الاولى الحزب الاشتراكي، في حين يتمسك الحزب اليميني، بزعامة "إتيين" Eug. Etienne وبعض معمري الجزائر بالسياسة التعاونية. وكانت كلتا السياستين نتيجة تساؤل جوهري طرح في أوساط الرأسماليين المتربوليين من بين رجال الاعمال والشركات والاموال. وكان محط نقاش وجدل برلماني حاد بباريس :

« هل سنحتل المغرب انطلاقا من تعاملنا مع القبائل ام انطلاقا من استعمال المخزن كأداة ؟ » للاستنفاع بخيراته. إن ليوطي، هو الذي حصل له كرجل ملائم مع 1912، تطبيق بعض افكار "غالييني" Galliéni، "ألفريد لوشاتولييه" Alfred Lechatelier ، كفكرة رقعة الزيت Tache d'huile وسياسة القبيلة بواسطة سياسة المخزن "Politique tribale par la politique makhzanienne" وقد نجم المنطق العدواني للنظام العقاري، إبان المرحلة الاستعمارية عن الضرورتين التاليتين.

ـ وضع الصيغ القانونية التي تسمح بتدعيم الاستعمار، مع ضمان سلامة الملكية الاستعمارية.

ـ تبني نظام ملكية عقارية يسمح بنمو الاستثمارات الرأسمالية (التباع 1987 م.م. ص 60 ـ 61) لقد كانت سيطرة القيمة الاستعمالية للأرض في المغرب خلال حقبة ما قبل الاستعمار، تشكل عائقا سميكا أمام التملك الخاص والتمركز العقاري الناجمين عن علاقات التبادل. وكان التركيز العقاري يتم قبل ذلك، بفعل عوامل ما فوق ـ اقتصادية Supra - économique ولم تكن عملية التداول تلعب دورها في التملك الخاص للأراضي في القرن التاسع عشر إلا في المناطق المجاورة للمدن (الأحواز)، وبشكل محدد جداً، أما أراضي "الملك" فإنها لم تكن أكثر من "أراضي ملك تصرف" أي أنها لم تكن ملكية خاصة بالمعنى الرأسمالي. ولم يتم فرض منطق إعادة انتاج جديد قائم على حرية الصفقات العقارية، وعلى ضمان سلامتها بما يسمح بتوسيع الملكية الرأسمالية، إلا بعد اصدار ظهير 1913، الخاص بتسجيل العقارات، وكذا النص الخاص بخلق مصلحة خاصة بالصيانة العقارية (كما أسلفنا). ويعترف "بانكيك" Y. Banquec وهو كاتب استعماري أن "الوضع القانوني للأملاك الريفية المستند إلى الشريعة القرآنية، ظل غامضا حتى تاريخ فرض الحماية على المغرب. وقد أدى نظام تسجيل الاراضي إلى الغموض وسهل نقل الملكية الريفية إلى الأوربيين (Y. Banquec, *La propriété rurale et la colonisation dans la zone française du Maroc* in BESM, nº 26, Juillet 1945)

لقد ساهم نظام التسجيل، في خلق مفهومين جديدين يتعارضان كليا مع منطق إعادة إنتاج النظام القبلي / المخزني، ساعد على قلب البنى "التقليدية" القائمة خلال مراحل طويلة.لقد برز بذلك ، مفهوم الحدود Bornes ومفهوم حقوق الحيازة Droits possessoires، تزامنا مع اختلالات جديدة ـ كانت بمثابة التناقضات البدائية لحركية الملكية العقارية السريعة ـ اهمها الربا والمضاربات الفاحشة (P. Montfert, BCAF / RC, 1934, pp. 150-152)

من ناحية أخرى "بدأت الإصلاحات" العقارية الاستعمارية تؤثر على المجال المشترك للجماعات القبلية سلبا، بحيث إن الملكية وتركيزها قد ساهما في تقليص المجال الرعوي والتوازنات الايكولوجية والديموغرافية

التقليدية بين القبائل من جهة وبين الحواضر والقرى القبلية من جهة أخرى .ففي الوقت الذي تنكب رؤوس الأموال على أراضي القبائل المشتركة والخاصة معا، بدأنا نلاحظ، توازيا مع ذلك، انكبابا ديموغرافيا للبدويين في الحواضر، هم أصلا من الذين لم يستطيعوا بعد فقدان ممتلكاتهم أن يعيشوا إلا ببيع قوة عملهم، على أن الآثار المترتبة عن التسجيل لم تكن آنية؛ إذ كان الفلاحون يصرون على عدم بيع أراضيهم كما اعترف بذلك احد الكتاب في عام 1918 :« إن من الصعب الحصول على أراضي الملك ... ففي كل مناطق المغرب تقريبا، كان الأهالي يرفضون البيع» (C. Ancey, *Nos intérêts économiques au Maroc*, Paris 1918, p. 43) وقد نجم من ناحية أخرى عن هذا الاستحواذ المرافق للتنظيم العقاري الاستعماري تحطيم توازنات اخرى أساسية، مما ساهم وعجل بتدمير البنية القبلية ؛ وهذا ما ولد الحركة البدائية لقوة العمل (التباع، م مذكور ، ص 63).

ظاهرة التبعية والاستعمار الجديدة : «إن العلاقات بين الأمم من خلال موازين القوى التي تحدد، بالدرجة الأولى، العلاقات الدولية، قد زكرت داخل عديد من الأمم التأثيرات الخارجية، وسببت حسب تعبير ك.بوردي C. Bourdet (1951)، نوعا من انتشارية وامتداد الحدث الكولونيالي" حسب "جورج بلاندييي" (G. Balandier, *Sens et puissance*, éd. P.U.F., Paris 1951, pp. 151-152) قد تكون لفظة التبعية dépendance، التي يحاول البعض أن يشرح بها جزءا من أوضاع الاستعمار ومخلفاته الراهنة، ناقصة، لما تحتوية من شحنات انفعالية، ذاتية، لا تجدي موضوعيا لنقد أوضاع ما بعد الاستعمار بالبلدان المستعمرة سابقاً. لذا فإنه من الأفضل، إيجاد وصياغة جواب لسؤال مهم : كيف يمكننا أن نعرف ونحدد وضعية التبعية Situation de dépendance وكيف يمكن تشخيصها موضوعيا ؟ (G. Balandier, ibid, p. 152) ، لأنه إذا كان صحيحا أن كل حرية انسانية هي حرية مواقفية Liberté située، مقيدة، و"مؤطرة في الواقع" Encadrée dans le réel و"تحت شروط"، و"نسبية" (ج. گورفيتش 1951)، فإن علينا ان نعترف بأن درجة معينة من الخضوع لحتميات اجتماعية وشكل من اشكال التبعية، كلاهما يكونان خصوصية وأساس كل وجود اجتماعي، كما يتعين ذلك على مستوى التربية داخل العائلة، من خلال بنية العلاقات التي تربط الاطفال بالوالدين، حسب أنواع التربية المعمول بها. إن هاته العلاقات "الاولية" تعكس في كل المجتمعات (حسب منظور التحليل النفسي) نوعا من التبعية البدائية Dépendance primaire. علينا أن نتساءل عن العلاقة بين هذه "التبيعة الأبوية البدائية" والنموذج العلائقي الذي يفرضه المعمرون إزاء الأهالي. أليست الإيديولوجية الاستعمارية، من خلال ما يسميه جورج هاردي (1929) بالغزو المعنوي والأخلاقيConquête morale تثبيتا وتكريسا لتفوق الأوربي على الأهلي الذي لازال في أمس الحاجة إلى من ينقده من البدائية والتوحش؟ وبنينة وعي ألفئات الأهلية المغربة والمدمجة في إطار مسلسل التعاون الحمائي، وفق مستلزمات لا تمس بمصالح المتربول الأساسية؟!

ن، بودريالة، *من أجل رؤية هادئة حول الاستعمار* (إدراك الاستعمار في حقل الفكر المتخلص من الاستعمار) حالة المغرب. تعريب : محمد شقرون ؛ ح. التباع، *تفكك البنى ما قبل الرأسمالية، وحركية قوة العمل في المغرب* (1900 ـ 1980)- مجلة الاقتصاد والمجتمع ،3، 1987 ؛ م. الكير، *القبلية والاستعمار* (من 1900 إلى 1934) بحث في اطار د.د.ع. (في طور الانجاز).

E. Doutté, *Des moyens de développer l'influence française au Maroc. 1er Partie, Analyse des moyens généraux d'influence*, Rapport à Mr. Le Gouverneur général d'Alger, F. Levé, Paris 1900, 120 p + 2 cartes ; H. Lyautey, *Paroles d'action* ; J. Célerier, *Les mouvements migratoires indigènes au Maroc*. Bull. écon. et social du Maroc 1934 ; J. Célerier, *Chez les berbères du Maroc : de la collectivité patriarcale à la coopérative*. Annales d'Hist. économique et sociale n° 39, mai 1936, pp. 217-273 ; A. Ayache, *Le Maroc* ; P. Guillen, *Les milieux d'affaires français et le Maroc à l'aube du XXe siècle*. Revue d'Hist., Avril-Juin 1963, pp. 397-422 ; D. Rivet, *Ethnographie et conquête du moyen Atlas*, pp. 159-178 ; J. Tebbaa, *La pénétration commerciale et financière au Maroc 1850-1912*, Mémoire D.E.S en Science Eco., Grenoble 1976 ; Belguendouz, *La colonisation agraire au Maroc et ses méthodes de pénétration*. R.J.P., N° 4, 1978.

محمد الكير

الاستقلال، حزب برز بإعلان وثيقة 11 يناير 1944 وقد انضمت فيه شخصيات حرة الى اعضاء الحزب الوطني الذي سبق تأسيسه في أبريل 1937. والراجح أن اسم "الاستقلال" سبق اختياره من لدن اللجنة التنفيذية للحزب الوطني والشخصيات الحرة قبل ذلك حين كانوا يحضرون الوثيقة. وحزب الاستقلال هو الحزب الذي طالب باستقلال المغرب ثم قاد مع بقية الحركات الوطنية في ظل جلالة محمد الخامس كفاح الشعب المغربي في سبيل هذا المطلب. وواصل العمل السياسي ولازال إلى يومنا هذا.

أول عمل قام به حزب الاستقلال هو تقديم وثيقة 11 يناير 1944 الشهيرة الى جلالة محمد الخامس ومقيم فرنسا العام بالمغرب و ممثلي الدول الكبرى : الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى والاتحاد السوفياتي. وتنص الفقرات العامة من هذه الوثيقة على مايلي :

أ ـ فيما يرجع للسياسة العامة. أولاً : يطالب باستقلال المغرب ووحدة ترابه تحت ظل صاحب الجلالة ملك البلاد المفدى سيدنا محمد بن يوسف نصره الله وأيده. ثانيا : يلتمس من جلالته السعي لدى الدول التي يهمها الاعتراف بهذا الاستقلال وضمانه، ولوضع اتفاقيات تحدد ضمن السيادة المغربية ما للأجانب من مصالح مشروعة. ثالثاً : يطلب انضمام المغرب للدول الموافقة على وثيقة الأطلنتي، والمشاركة في مؤتمر الصلح.

ب ـ فيما يرجع للسياسة الداخلية ـ رابعاً يلتمس من جلالته أن يشمل برعايته حركة الإصلاح الذي يتوقف عليه المغرب في داخله، ويكل لنظره السديد إحداث نظام سياسي شوري شبيه بنظام الحكم في البلاد العربية الإسلامية في

الشرق تحفظ فيه حقوق سائر عناصر الشعب المغربي وسائر طبقاته وتحدد فيه واجبات الجميع.

وقع هذه الوثيقة ستة وستون شخصاً منهم تجار وصناع وفلاحون وموظفون وعلماء وأساتذة ومعلمون ومهنيون أحرار، فبينوا في ديباجتها أن المغرب تمتع دائما بحريته وسيادته الوطنية إلى أن فرض عليه نظام الحماية الذي تعهد لتبرير وجوده بإدخال الإصلاحات دون مساس بالسيادة المغربية وبنفوذ جلالة الملك. ثم أوضح الموقعون على الوثيقة أن الحماية بدّلت النظام الشرعي بنظام مبني على الحكم المباشر الذي توصلت بمقتضاه إلى الاستحواذ على مقاليد السلطة واحتكار موارد البلاد، وحاولت تحطيم الوحدة المغربية . وذكروا بتغير الظروف التي أسست فيها الحماية وبمشاركة المغرب في الحروب العالمية في سبيل الحرية إلى جانب الحلفاء، واعتراف هؤلاء في ميثاق الأطلسي بحق الشعوب في حكم نفسها بنفسها وخلصوا إلى أن الأمة المغربية تكون وحدة متناسقة الأجزاء تشعر بحقوقها وواجباتها وتقدر الحريات الديموقراطية حق قدرها. ولهذا تطالب بالاستقلال.

مما لاشك فيه أن الحرب العالمية الثانية كان لها أثر بالغ في زيادة تعميق الوعي الوطني في المغرب، وكان لإعلان مبادىء الحلفاء من وراء محاربتهم لدول المحور، ودستور الأطلسي ثم لتأسيس هيئة الأمم المتحدة وانعقاد دورتها الأولى في سان فرانسيسكو صدى عميق في النفوس مما أمل القيادة الوطنية في تحرير البلاد من قبضة فرنسا التي

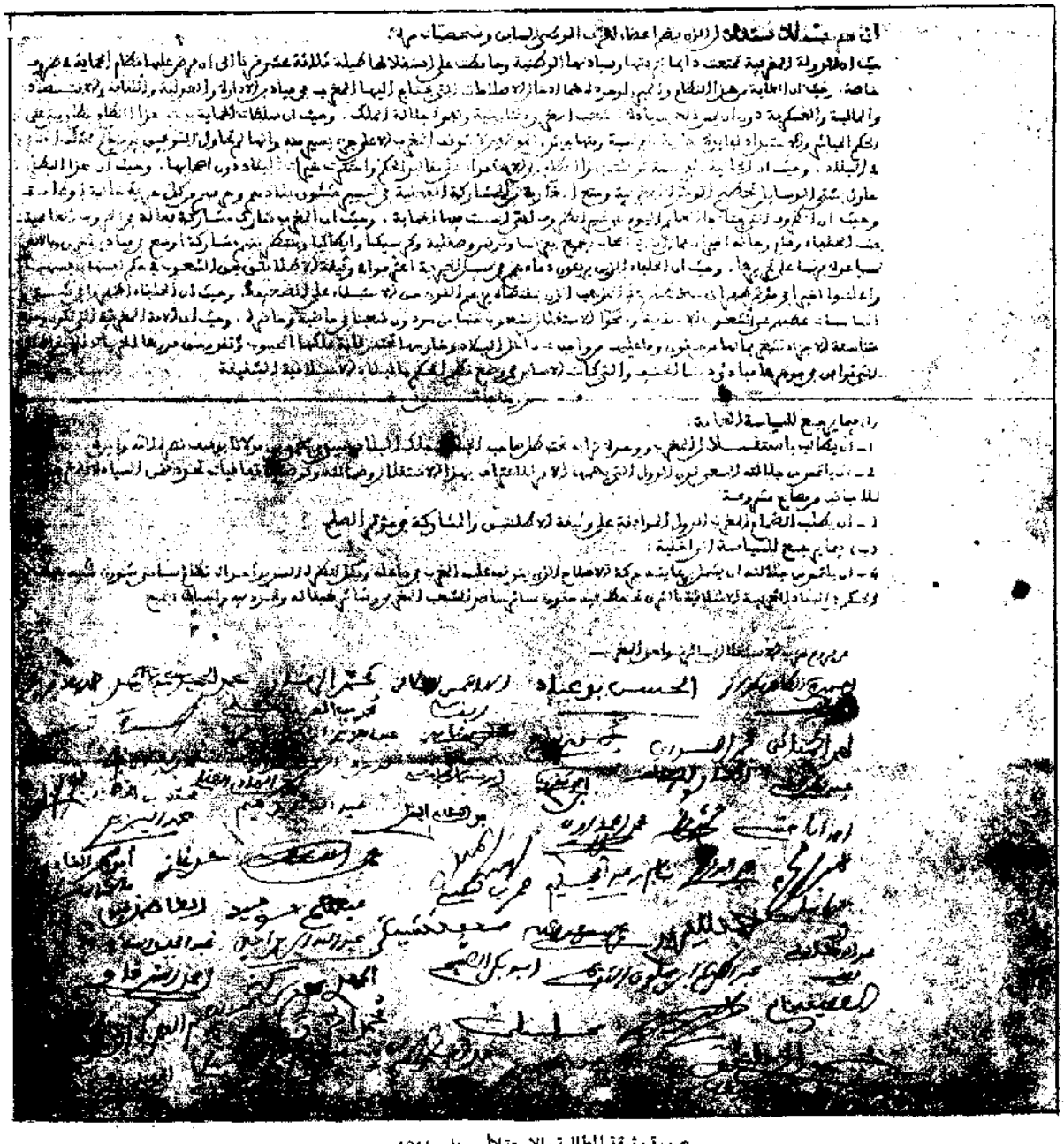

صورة وثيقة المطالبة بالاستقلال - يناير 1944

سبق أن هزمت في بداية الحرب فمن العبث أن ينكر تأثير أجواء الحرب... ونزول الحلفاء بالمغرب واستقلال سوريا ولبنان، ومن العبث أن ننكر ما أحدثه ذلك من تفاعل في نفوس الوطنيين شجعهم على اتخاذ السياسة الصريحة في مطالبهم.

جاء حزب الاستقلال بديلا للحزب الوطني لتحقيق المطالب المغربية الذي سبق في أعقاب الانشقاق الذي طرأ على "كتلة العمل الوطني" في يناير 1937 والتي كانت تضم جميع العاملين وتفرع عنه " الحزب القومي "كذلك . وكان للكتلة وللحزب الوطني ماض طويل في النضال منذ سنة 1930 حين صدر ظهير 11 ماي المعروف بالظهير البربري الذي كانت الحماية تهدف من ورائه إلى "فرنسة المغرب لغويا وسياسيا وقضائيا وتتخذ لذلك وسائل التفرقة بين عنصرين كبيرين في البلاد فتعمد الى من نظنه أقرب إليها فتحول بينه وبين الثقافة الإسلامية والعربية" وبذلك يكون حزب الاستقلال امتداداً طبيعيا للحركتين اللتين تقدمتاه. وقد سبق أن تعرضتا إلى قمع شديد على فترات متعددة حيث نفي قادتهما واعتقل كثير من أعضائهما في الحواضر والأرياف احتجاجا على السياسة البربرية وغيرها من الأعمال التعسفية وسعياً لتحقيق الإصلاحات. خاصة منها دفتر المطالب المغربية المقدم من لدن كتلة العمل الوطني للسلعات المغربية والفرنسية في الرباط وباريس في ديسمبر 1934، ثم المطالب المغربية والمطالب المستعجلة المقدمة من لدن الحزب الوطني في 1936.

من الملاحظ أن الحركات السياسية قامت في المغرب بعدما نفد زاد المقاومة المسلحة وكادت تلفظ نفسها الأخير بعد معارك طاحنة جرت في الأطلس الكبير والاطلس المتوسط وبعد الحرب الريفية التي قادها محمد بن عبد الكريم من سنة 1921 إلى 1926 وضعت كل من فرنسا وإسبانيا ثقلهما العسكري للقضاء عليها. وبذلك جاء النضال السياسي بديلا واستمراراً للمقاومة المسلحة.

ومهما اختلفت وسائل التعبير والممارسة في المقاومة المسلحة وفي النضال السياسي الذي تمثل في الحركات الوطنية، فإن أهدافهما تبقى واحدة. "إن الحزب الوطني وكتلة العمل الوطني من قبله لم تكن حركة إصلاحية تستهدف تطور المغرب في ظل الحماية، ولكنها كانت حركة استقلالية منذ البداية، وما كانت تتقدم به من مطالب إصلاحية إنما هي لتبرير الوجود الرسمي من جهة، ولتعجيز الإدارة الفرنسية من جهة أخرى" فاستجاب المغربي ولم يفتأ يحن إلى استرجاع حريته واستقلاله. والمطالبة بالإصلاحات التي كان يعرب عنها قادة الحركات السياسية، إنما كانت وسيلة لبلوغ تلك الغاية. فلئن كانوا يلجأون إليها لأسباب ظرفية، فإن الهدف لم يكن يخفى حتى على سلطات الحماية حيث كان يطفو على سطح الأحداث فتضطر تلك السلطات إلى استعمال العنف الذي يؤدي الى ردود الفعل من وسط الضحايا. وذلك ما جعل الوطنيين ييأسون في النهاية من كل مطالبة بالإصلاح. وهكذا فـ "إن تجارب السنين الطويلة الماضية في نظام الحماية وتجارب رجال الحركة الوطنية في سياسة المراحل بعثت كلها في نفوس الوطنيين في الداخل والخارج شعوراً بالحاجة الى عمل حاسم ومصارحة ظاهرة بحقائق الاشياء ... إن المغاربة لم يعودوا يرون في أسلوب الحماية الا الاستعباد الواضح البين".

في سنة 1942 بدأ انحسار المد النازي وظهرت المؤشرات الأولى لهزيمة دول المحور، فأخذت الأفكار في المغرب تتبلور في اتجاه التحرير لدى فئات المغاربة، والنفوس تتهيأ لما بعد الحرب والاستفادة من الأهداف التي نادى بها الحلفاء في حربهم ضد النازية. فما كادت القوات الأمريكية تنزل بالدار البيضاء يوم 8 نوفمبر 1942 حتى كانت النفوس متطلعة لما قد سيحدث. كانت تتطلع بالخصوص لعاهل المغرب جلالة محمد الخامس وللقادة الوطنيين.

انعقد مؤتمر في يناير 1943 حضره رئيس الولايات المتحدة فرانكلان روزفلت ورئيس الحكومة البريطانية ونسطن تشرشيل وأعلن الحلفاء خلاله استمرار الحرب إلى أن "تستسلم دول المحور بدون قيد ولا شرط". وقت خلال المؤتمر مقابلة بين رئيس الولايات المتحدة ومحمد الخامس الذي كان يرافقه سمو ولى العهد مولاي الحسن. وجرى حديث مهم بين رجلي الدولة، فكان اللقاء منعطفاً مهماً فيما أعقبه من أحداث في المغرب، وفي طليعتها تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال على النحو الذي أسلفنا.

ما كاد وفد من حزب الاستقلال يقدم الوثيقة يوم 11 يناير إلى محمد الخامس حتى استدعى جلالته مجلساً وزارياً موسعاً حضره بالإضافة إلى رجال الحكومة المغربية بعض كبار شخصيات الدولة وأعيانها عرض عليهم الوثيقة مستمزجاً رأيهم فيها. وقد تبين بعد ذلك أن توقيت وثيقة الاستقلال قد تم باتفاق مسبق بين العاهل وقيادة الاستقلال لتكون متزامنة مع الزيارة الأسبوعية التي يؤديها المستشار الفرنسي لجلالة الملك، وانها هيئت من لدن الطرفين في عدة جلسات سرية. وكان لمحمد الخامس دور كبير في ما امتازت به الوثيقة من وضوح في الرؤية والاتزان والواقعية. نفذ الاتفاق على تقديم الوثيقة للجهات الرسمية بين الملك وحزب الاستقلال بمنتهى الدقة والضبط . فأخذ ممثل الإقامة العامة علماً بمضمونها، وتحدث المجلس الوزاري ثم قرر تشكيل لجنة تتألف من وزيري العدلية والمعارف ورئيس التشريفات الملكية للإبقاء على الاتصال باللجنة التنفيذية للحزب والتباحث معها في أنجع السبل لإقناع الإقامة العامة الفرنسية بتنفيذ محتوى الوثيقة.

أجريت محادثات مع الإقامة العامة مدة ثلاثة أيام فيما كانت الوفود تتوارد إلى العاصمة المغربية من أقصى جهات البلاد والبرقيات والخطابات تنهال على القصر الملكي واللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال معبرة عن التأييد والدعم. لكن المتحدثين باسم الإقامة العامة ظلوا على

موقفهم من رفض أي تغيير في معاهدة الحماية مكتفين بإبداء الاستعداد لإنجاز "إصلاحات" سياسية واجتماعية مبيتين النية على تحييد الحلفاء في المشكلة الناشئة مع حزب الاستقلال تمهيداً للاجهاز عليه. وتحسباً لذلك وجه الأمين العام للحزب الحاج أحمد بلافريج خطابا لجلالة يوم 11 يناير 1944 معلنا تشبثه بمضمون الوثيقة ورفضه التفاوض في أي برنامج للإصلاحات مع الإقامة العامة إلا إذا قبلت بمبدأ الاستقلال.

بعد مضي ثمانية أيام على تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، قابل المقيم العام الفرنسي السيد غابريال بيو جلالة الملك وأبلغه عدم موافقة لجنة التحرير الوطني الفرنسية التي كان يرأسها الجنرال دوگول على محادثات تستهدف تغيير وضع الحماية وإن من حق فرنسا وحدها اقتراح الإصلاحات التي ترى ضرورة اتخاذها. وأعلن ممثل فرنسا ان كلمة استقلال ينبغي أن تحذف من الألسنة بل وتنتزع من القلوب كذلك. وشرعت إدارة الحماية بعد ذلك في أخذ العدة لقمع الحركة الاستقلالية بادئة بمطاردة الوفود التي تواردت على العاصمة ثم بإنزال قوات عسكرية مكثفة في أهم المدن، خاصة منه فيالق الجنرال لوكير التي سبق لها أن خاضت معارك في طرابلس الغرب وتونس إلى جانب القوات البريطانية ضد الجيش الالماني. وفعلاً قام هؤلاء الجنود بقمع شديد في الرباط وسلا بوجه خاص.

وفي يوم 20 يناير 1944 ألقت السلطات الفرنسية القبض بتهمة ملفقة - تهمة الاتصال بالسلطات الألمانية - على الأمين العام لحزب الاستقلال الحاج أحمد بلا فريج، وكذلك على السيد محمد اليزيدي، فقامت تظاهرات شعبية عنيفة في كثير من الحواضر، خاصة منها الرباط وسلا وفاس، دامت عدة ايام وزهقت فيها أرواح كثيرة من المتظاهرين وبعض أعوان السلطة فرنسيين وأهالي. وانتظمت أكبر مظاهرة في الرباط كان ابتداؤها في المدينة الأهلية وآخرها في المشور. واضطرت السلطات الفرنسية إلى إطلاق سراح السيد محمد اليزيدي لتهدئة الخواطر. وبعد ذلك سيق آلاف الوطنيين إلى السجون والمنافي وصدرت أحكام بالإعدام نفذت في الحين على سبيل الزجر وأخرى بالأشغال الشاقة وعقوبات متفاوتة فعانت الحركة الوطنية محنة قاسية دامت أزيد من سنتين.

وبرز المقيم العلم الفرنسي ببرنامج "إصلاحات" وألف أربع لجان لدراستها، ثم عرضها على جلالة الملك لاستصدارها. لكن رفض محمد الخامس تذييلها بطابعه أحبطها، وظلت الحالة متأزمة في المغرب، وكانت لجنة التحرير الوطني الفرنسية بالجزائر منشغلة بتعبئة الجنود للمساهمة في الشوط الأخير من الحرب، وخاصة في تحرير فرنسا لضمان عودة مركزها بين الحلفاء.

وبعد تحرير فرنسا واستسلام ألمانيا وتأليف الحكومة الفرنسية المؤقتة برئاسة الجنرال دوگول واستقرارها في باريس، استدعى هذا الأخير جلالة محمد الخامس لزيارة فرنسا، فأسفرت المحادثات التي جرت بينهما على انفراج في الأزمة السياسية، وتقرر نقل المقيم العام غابريال بيو من المغرب، وحل محله في مارس 1946 إيريك لابون. تجلى الانفراج في عودة القادة الوطنيين من المنافي وتسريح المعتقلين، والتخفيف من التضييق على الحريات العامة بما فيها حرية الصحافة وحرية الاجتماع، وانتهز حزب الاستقلال كبقية الأحزاب الأخرى هذه الفرصة لتنظيم صفوفه.

وهكذا أقر الحزب في سنة 1946 نظامه الأساسي الذي نص على تحديد الغايات والشروط التي يجب توفرها في أعضائه، وهيآت الحزب من القاعدة إلى القمة : الخلايا، ثم الفروع والمؤتمر العام الذي يتألف لمدة سنتين من أعضاء منتخبين من الفروع، والمجلس الأعلى الذي ينتخب لمدة سنتين من لدن المؤتمر العام، ثم اللجنة التنفيذية وتنبثق عنها الامانة العامة التي اسندت منذ البداية الى السيد بلا فريج بينما احتفظ السيد علال الفاسي بزعامة الحزب على الدوام، وبعد الانشقاق الذي حدث سنة 1959 أصبح رئيس الحزب إلى أن وافاه الأجل في ماي 1974.

حين برز المقيم العام الجديد إيريك لابون ببرنامج إصلاحاته أمام القسم الفرنسي لمجلس شوري الحكومة في يوليوز 1946 وهو المجلس الذي كان يستشيره ممثلو فرنسا في شتى القضايا خاصة القضايا الاقتصادية والاجتماعية أثار زوبعة من المعارضة سواء من طرف الحركة الوطنية خارج المجلس أو ممثلي الجالية الفرنسية في داخل المجلس : الأولى لانها اعتبرت برنامج إيريك لابون لا يختلف عما سبقه حيث يدخل في نطاق الحماية، بينما المغرب يطالب بالاستقلال "إذ أن جميع الأفكار التي أعرب عنها تدل انه ما يزال يفكر في دائرة نظام الحماية الذي أثبتت تجربة ثلث قرن أنه بما يشتمل عليه من أوضاع وظروف هو السبب الرئيسي في مشكلة الإدارة المغربية وفي خيبة الشعب الذي لم يجد في ذلك النظام أمناً اجتماعيًا ... وحماية مخلصة لحرية هذه البلاد واستقلالها " وقام الحزب بحملة تشهير ومقاطعة لبرنامج ايريك لابون داخل المغرب وفي فرنسا بواسطة الصحف والتجمعات. أما ممثلو الجالية الفرنسية فقد رأوا البرامج مساً خطيراً بما لهم من المصالح والامتيازات. "لكن الفضل الأكبر يرجع لجلالة الملك الذي رفض رفضاً باتاً المصادقة على مشروعات الظهائر ..".

ولما بدأت الدعوة في فرنسا على عهد رئيس الجمهورية إذ ذاك فانسان أوريول للاتحاد الفرنسي واقحام المنطقة المشمولة بالحماية في هذا الاتحاد. أصر جلالة محمد الخامس على أن يقوم برحلة إلى طنجة عبر المنطقة الخليفية الواقعة تحت الحماية الاسبانية . وذلك للإعلان على الملأ أن المغرب يكوّن وحدة إقليمية على اختلاف مناطقه تحت سيادة مشروعة واحدة . وقد أدت هذه الرحلة التاريخية التي تمت في الأسبوع الأول من أبريل 1947 والمواقف التي اتخذها العاهل وولي عهده في خطبهما وتصريحاتهما

مطالبين بإلغاء نظام الحماية والتفاوض من أجل الاستقلال إلى استبدال إيريك لابون بالجنرال جوان، فدخلت العلاقات المغربية ـ الفرنسية في أزمة بتصدي المقيم العام الجديد الى العاهل المغربي وحزب الاستقلال معاً. وبلغت الأزمة أوجها بطرد أعضاء حزب الاستقلال في مجلس شورى الحكومة من لدن الجنرال جوان في ديسمبر 1950، واثارة بعض العملاء وعلى رأسهم باشا مراكش التهامي الأگلاوي ضد محمد الخامس . ثم طلب المقيم العام من العاهل أن يتبرأ من الحزب، وإذا كان الجنرال جوان لم يصل إلى مبتغاه رغم افتعاله لأزمة 26 فبراير 1951 حيث حاصر القصر الملكي وأرغم العاهل على إمضاء بروتوكول اتفاق. فقد خلفه الجنرال گيوم في خطته عندما عين مقيماً عاماً في اكتوبر 1951. وسرعان ماصرح أنه " سيطعم التبن لحزب الاستقلال" وبدأ بمناوشته . ثم نفذ خطة سلفه على مرحلتين : الأولى بقمع الحزب ابتداء من يوم 8 دسمبر 1952 في أعقاب الإضراب الذي قامت به هذه الحركة، بمناسبة اغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحت حشاد. والمرحلة الثانية بخلع جلالة محمد الخامس في 20 أغسطس سنة 1953 ونفيه إلى كورسيكا ثم إلى مدغشقر. بهذا الاعتداء الأخير على المشروعية، لم يعد سبيل للشعب المغربي سوى الثورة مطالباً بعودة محمد الخامس إلى عرشه. وبقي صامداً في المقاومة والفداء إلى أن عاد العاهل مظفراً في 16 نوفمبر 1955.

جمهور المواطنين يستقبلون جلالة محمد الخامس عند رجوعه مبشراً بالحرية والاستقلال

عانى حزب الاستقلال بقيادته وجميع أطره محنة المنافي و المحاكمات والسجون والمعتقلات بشتى أنواعها ، ولقى كثير من العاملين في صفوفه أشد أنواع العقوبات من أعمال شاقة وغيرها . بينما نشأت حركة المقاومة والفداء واستفحل أمرها حتى عجزت إدارة الحماية عن إخمادها. وتصدت هذه المقاومة إلى كبار المسئولين في الإدارة وعملائهم ابتداء من ابن عرفة الدعي الذي نصبوه على العرش والتهامي الأگلاوي. وعجزت هذه الإدارة على مواجهتها رغم توالي أربعة مقيمين، ورغم ما بذلته من محاولات في سبيل التهدئة . وظلت الحركات الوطنية على كلمة واحدة : إعادة المشروعية وعودة صاحبها.

لم تر الحكومة الفرنسية بدأ من دعوة حزب الاستقلال وبقية الأحزاب وشخصيات مغربية أخرى إلى عقد مؤتمر في ايكس لي بان يوم 4 أغسطس 1955 للبحث عن حل مشكلة العرش، فكانت بداية حل الازمة المغربية ـ الفرنسية التي انتهت بعودة محمد الخامس إلى باريس وإجراء مفاوضات مع الحكومة الفرنسية أفضت إلى صدور بيان مغربي ـ فرنسي يوم 2 مارس 1956 اعترف باستقلال المغرب، تلته مفاوضات مع الحكومة الإسبانية صدر في أعقابها بيان مشترك يعترف باستقلال ووحدة الجزء الشمالي الذي كان تحت حمايتها.

وشارك حزب الاستقلال في الحكومة الائتلافية التي ألفها السيد مبارك البكاي عقب عودة، محمد الخامس في نوفمبر 1955 إلى عرشه. وأسهم في المفاوضات السابقة. ثم ألف السيد الحاج أحمد بلا فريج الأمين العام للحزب حكومة منسجمة، بعد الأزمة الوزارية التي نشبت بتاريخ 16 أبريل 1958 ، قدم على أثرها اعضاء حزب الاستقلال السبعة استقالتهم لكن سرعان ما أخذت بوادر الانشقاق تبدو في صفوف حزب الاستقلال. ولما سقطت حكومة بلا فريج تولى الوزارة الأولى السيد عبد الله إبراهيم من قادة الحزب المنشقين. تم الانشقاق في فبراير 1959 حيث نشأ حزب جديد بقيادة عبد الرحيم بوعبيد والمهدي بن بركة والفقيه محمد البصري (عن المقاومة وجيش التحرير) والمحجوب بن الصديق (عن الاتحاد المغربي للشغل).

وظل حزب الاستقلال بالتنظيمات والأطر التي لم تنشق في ميدان العمل السياسي. وقد أسهم بحظ وافر في إقرار مشروع الدستور الأول سنة 1962. ثم أصدر وثيقته المعروفة بالتعادلية يوم 11 يناير 1963 بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة للمطالبة بالاستقلال. وشارك عدة مرات في الحكومة المغربية. وكانت آخرها سنة 1977 لفترة طويلة. كما أن له تمثيلا في البرلمان المغربي.

الحكومة المغربية الأولى بعد الاستقلال 1956

في 13 ماي 1974 توفي زعيم حزب الاستقلال السيد علال الفاسي، وعاد الحزب إلى نظامه القديم بانتخاب أمين عام يرأس لجنة تنفيذية هي أيضاً منتخبة من لدن المجلس الوطني. والأمين العام الحالي هو السيد محمد بوستة.

الاستقلال واسترجاع المناطق المحتلة، غداة

إعلان البيان المغربي ـ الفرنسي المشترك يوم 2 مارس 1956 وابرام الاتفاق المغربي ـ الإسباني يوم 7 أبريل من نفس السنة هاتين الوثيقتين اللتين ثم بموجبهما الاعتراف باستقلال المغرب، ورثت الدولة المغربية أرضاً ممزقة ووجدت نفسها أمام إصرار الاستعمار على إبقاء سيطرته على بعض أجزاء البلاد، فتوجب عليها أن تسعى بكل الوسائل لاسترجاعها.

باختصار لما استتب الأمر للحماية ضمت فرنسا تندوف إلى ما كانت تسميه بالتخوم الجزائرية المغربية " التي كان يرجع أمرها إلى والي الجزائر العام. وبعد حصول الجزائر على استقلالها سنة 1962 سلمت فرنسا كل هذه المناطق للسلطة الجزائرية .

أما في الشمال، فقد احتفظت إسبانيا ومازالت بمدينتي سبتة ومليلية والجزر الجعفرية التي احتلتها منذ القرن الخامس عشر وكافح المغرب لاسترجاعها.

واما في الجنوب فقد بقي الوجود الفرنسي في موريتانيا، بينما تشبثت اسبانيا بقاطعتي طرفاية وإفني والصحراء الغربية.

وإذا كانت موريتانيا حصلت على استقلالها في 28 نوفمبر 1960، ووقع تطبيع العلاقات بينها وبين المغرب عند انعقاد القمة الاسلامية الاولى في سبتمبر 1969، فقد بقي النزاع قائماً بين المغرب واسبانيا على المناطق المغربية الأخرى التي كانت تحت الاحتلال الإسباني مع أن الدولتين اجرتا مفاوضات منذ شهر سبتمبر 1957 لاسترجاع تلك المناطق. وبذل جلالة الملك الحسن الثاني كثيراً من الجهد عن طريق التفاوض والحوار من جهة، والاحتكام إلى هيئة الامم المتحدة من جهة أخرى لاستعادتها.

وقد أدت المفاوضات المغربية. الاسبانية التي جرت بالبرتغال إلى معاهدة " سينترا" في 12 ابريل 1958 استعاد المغرب بموجبها مقاطعة طرفاية. وأكد وزير خارجية المغرب وهو يوقع على هذه المعاهدة أن عودة طرفاية لاتعتبر حداً فاصلاً لمطالبة المغرب ببقية أراضيه التي ماتزال تحت الاحتلال، واضعاً بذلك مشكلتي إفني والصحراء المغربية على بساط التباحث.

لقد شهدت العلاقات المغربية الإسباينة بعد ذلك أطواراً كثيرة من التوتر كان العاهل المغربي يسعى بكل ماعرف عنه من حنكة سياسية ورغبة في الحوار أن يعالج الخلاف بطريق التفاوض. فبعد عرض قضيتي إفني والصحراء الغربية على هيئة الامم المتحدة التي اتخذت في شأنها عدة ملتمسات أهمها الملتمس رقم 2072 في 1965 والذي طالب بإجراء مفاوضات بشأن المقاطعتين، وبعدما أبدت إسبانيا استعدادها للتفاوض حول إفني، أجريت مفاوضات بفاس أفضت إلى معاهدة 1969 بتحرير هذه المنطقة.

لكن النزاع على الصحراء الغربية شكّل بعد ذلك أكبر خلاف بين المغرب وإسبانيا. وقد بذل المغرب ـ ملكا وشعبا ـ جهداً متواصلاً في سبيل استرجاعها، وأبان العاهل المغربي بالخصوص كثيراً من الدهاء السياسي في تسوية المشكلة. هذه المشكلة التي نشأت في الحقيقة منذ إبرام اتفاقية 7 أبريل 1956 التي اعترفت إسبانيا بموجبها باستقلال المغرب ووحدة ترابه. لكنه لم يحتدم ويشهد تطورات شتى، متوترة أحياناً وأقل حدة أحياناً أخرى، إلا منذ 1966 حين عرض المغرب قضية الصحراء على أنظار هيئة الأمم المتحدة.

فاتخذت الجمعية العامة ملتمساً مهماً دعت فيه إسبانيا لإجراء استفتاء في الصحراء بالاتفاق مع الأطراف المعنية، وحددت الظروف التي ينبغي أن يتم الاستفتاء في ظلها، وذلك : بخلق جو سياسي يسمح بإجرائه على قواعد ديموقراطية حرة وبدون تحيز، وألا يشارك في الاستفتاء إلا سكان المنطقة ، وأن تمتنع اسبانيا عن كل ما من شأنه أن يؤخر تحرير الصحراء، وتمنح كل المساعدات الضرورية لوفد هيئة الأمم المتحدة من أجل تنظيم الاستفتاء وتنفيذه.

وحيث سبق للجزائر أن أعلنت نفسها طرفاً معنياً بحل النزاع لاعتبارات جغرافية. سياسية وبحكم جوارها للصحراء، وبما أن موريتانيا كانت تطالب بهذا الاقليم، فقد وجدت اسبانيا مبرراً للمماطلة في تنفيذ قرار الأمم المتحدة. فأصبح من الضروري إحباط اللعبة الاسبانية بالدعوة لاتخاذ موقف موحد من لدن الدول الثلاث : المغرب والجزائر وموريتانيا. فبذل المغرب مساعي حثيثة في هذا السبيل.

في يوم 15 يناير 1969 انعقد اجتماع مغربي ـ جزائري بمدينة إفران وبحضور جلالة الملك الحسن الثاني والرئيس هواري بومدين وتم التوقيع على معاهدة أخوة وحسن جوار وتعاون .

وفي 14 سبتمبر 1970 تم لقاء بين رؤساء الدول الثلاثة : جلالة الملك الحسن الثاني، والرئيس هوراي بومدين، والرئيس المختار ولد دادة في نواديبو على حدود وادي الذهب من الصحراء المغربية، واتفقوا على تكثيف تعاونهم لتحرير الصحراء طبقاً لقرارات الامم المتحدة.

لكن هذه الجهود ذهبت سدى حيث بقيت موريتانيا تصر على المطالبة بالصحراء لنفسها، بينما كانت الجزائر تؤمل وتسعى لقيام دولة صحراوية مستقلة . فاستغلت اسبانيا الخلاف وشرعت تنشئ مؤسسات سياسية إدارية لتخويلها السلطة عند الحاجة . في ماي 1967 أسست "الجماعة" من الأعيان ومنحتها اختصاصات محدودة بحيث تبقى المنطقة تدور في الفلك الإسباني في حال ما إذا حصل تغيير في

نظامها السياسي. ثم قررت الحكومة الاسبانية أن تقوم منفردة بالاستفتاء وأخبرت الأطراف المعنية بذلك.

حينذاك قام المغرب برد فعل قوي، منددا بالمبادرة الإسبانية التي تتنافر مع قرارات هيئة الأمم المتحدة ولا تعير اعتباراً للأطراف المعنية. وفي نفس الوقت ولإحباط هذه المبادرة رفع المغرب طلباً إلى محكمة العدل الدولية لتبدي رأيها في إقليم الصحراء الغربية هل كان أرضا خلاءً أو كان تابعاً لدولة ما عندما احتله الاستعمار الإسباني.

ثم صدر عن الجمعية العامة للامم المتحدة ملتمس يحمل رقم 3292 في ديسمبر 1974 يطلب من إسبانيا تأخير استفتائها إلى صدور قرار محكمة العدل وبت الأمم المتحدة في شأن مصير الصحراء بمقتضاه.

وفي 16 أكتوبر 1975 أصدرت محكمة العدل الدولية حكمها مؤكدة أن علاقات قانونية بين المغرب والصحراء الغربية كانت موجودة حين أقدمت إسبانيا على احتلال هذا الإقليم، وذلك بوجود روابط البيعة بين سلطان المغرب إذ ذاك والقبائل التي كانت تعيش في الصحراء الغربية (الفقرة 162 من الرأي الاستشاري لمحكمة العدل الدولية).

أصبح موقف المغرب معززاً بهذه الحجة التاريخية فقرر جلالة الملك الحسن الثاني في نفس اليوم القيام بمسيرة شعبية سلمية أطلق عليها « المسيرة الخضراء» تتألف من 350000 شخص للدخول إلى الصحراء. وتم ذلك وفق خطة محكمة.

اضطرت الحكومة الإسبانية تحت ضغط التأثير المعنوي لهذه المسيرة أن تجري مفاوضات مع كل من المغرب وموريتانيا أفضت إلى إبرام اتفاقية يوم 14 نوفمبر 1975 بمدريد، ونصت هذه الاتفاقية من جهة على إنشاء إدارة ثلاثية موقتة مغربية ـ اسبانية ـ موريتانية يعهد لها بتسيير الصحراء إلى انسحاب إسبانيا منها في 28 فبراير 1976، ومن جهة أخرى إلى استشارة الشعب الصحراوي بواسطة "الجماعة".

اختصت موريتانيا بالقطاع المسمى بوادي الذهب بينما اختص المغرب ببقية الإقليم الصحراوي لكنه عاد فضم وادي الذهب بعد البيعة التي عقدها سكانه لجلالة الملك الحسن الثاني. لكن قضية الصحراء بقيت مسجلة في جدول أعمال هيئة الامم المتحدة بعد اتخاذ الجزائر موقفاً معارضاً للمغرب ومساندتها لجبهة " بوليساريو" التى نشأت بتشجيع منها فأخذت تطالب بالأقاليم الصحراوية.

استعانت هيئة الأمم المتحدة بمنظمة الوحدة الإفريقية لإيجاد تسوية هذه القضية بعدما عجزت بفردها عن العثور عن حل. وقد تعاون المغرب مع هذه المنظمة وقبل في النهاية مبدأ الاستفتاء على لسان جلالة الملك الحسن الثاني في مؤتمر القمة الافريقية بنايروبي في شهر يونيو 1981.

لكن بعدما أعلنت جبهة بوليساريو عن إنشاء «الجمهورية العربية الصحراوية الديموقراطية » وبعد المناورات التي قام بها أمين منظمة الوحدة الافريقية السابق إذيم كودجو لقبولها في هذه المنظمة في فبراير 1982 انسحب المغرب من عضويتها بحجة خرق ميثاق المنظمة وتجاوز الصلاحيات وظل مع ذلك متشبثا بمبدأ الاستفتاء وبالشرعية الدولية المتمثلة في هيئة الأمم المتحدة وأمينها العام.

وقد قام السيد خافير دوكويلار بعدة مساع لإيجاد تسوية عن طريق الاستفتاء. وانتهت مخابراته بوضع برنامج نال مصادقة المغرب وموافقة جبهة بوليساريو.

وفي تلك الأثناء تم تطبيع العلاقات المغربية ـ الجزائرية في أعقاب اجتماع القمة العربية بالجزائر في ربيع 1988 وقد حضر عاهل المغرب في هذه القمة. وتم الاتفاق بين رؤساء الدول الخمس : المغرب والجزائر وتونس وليبيا وموريتانيا على القيام بالخطوات الأولى لبناء المغرب العربي والفكرة سائرة بخطى شاسعة إلى الأمام.

بينما مسألة الاستفتاء في قضية الصحراء المسترجعة مازالت موضوعة على بساط البحث.

وثيقة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال ؛ ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، ص 245 ؛ ع. غلاب، *تاريخ الحركات الوطنية بالمغرب*، 1 : 219 ؛ *الأزمة الوزارية أسبابها ونتائجها* : مطبوعات دار "العلم" ؛ ق. الزهيري، *محمد الخامس الملك البطل*.

Ch. A. Julien, *Le Maroc face aux imperialismes* ; A. Ayache , *La Grande Encyclopédie du maroc, histoire*, p 220 ; *institutions*, p. 175.

قاسم الزهيري

أسْتيتُو، محمد ولد سنة 1924 بالريف بدوار تمركيست تيلوين. انخرط في صفوف جيش التحرير وأبلى البلاء الحسن في الكفاح المسلح ضمن الفرقة 13 بقيادة المجاهد ابن المختار حتى سقط في ساحة الشرف خلال معركة أيت باعمران بجبل بوجريفن يوم 2 دجنبر 1957.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

أيت إسحاق، أو زاوية أيت إسحاق، قرية واقعة عند قدم الأطلس المتوسط على الطريق الرابطة بين خنيفرة

وقصبة تادلا، تبعد عن الأولى بنحو 35 كلم وعن الثانية بنحو 64 كلم. كانت في منتصف القرن الحادي عشر / 17 حاضرة الإمارة الدلائية، أسسها محمد الحاج الدلائي لتكون عاصمة إمارته الناشئة بعد أن ضاقت الزاوية الدلائية القديمة الجبلية بالسكان وامتلأت السبل المؤدية إليها على وعورتها بالواردين والصادرين. فشرع في بناء المدينة الجديدة يوم الأحد 16 ربيع الأول عام 1048 / 28 يوليوز 1638، وأحاطها بأسوارعالية مسنَّنة كأسوار فاس، واتخذ لنفسه قصراً وديوانا عظيمين داخل المدينة الجديدة أحاطهما بسور داخلي ما يزال بعضه ماثلا للعيان حتى اليوم، أجرى المياه إلى القصر والدور والمساجد في قنوات تحت الأرض على نحو مايوجد بفاس .

أسكن محمد الحاج معه في عاصمته الجديدة خمس قبائل بربرية من أكثر سكان الأطلس المتوسط عصبية وحمية، وهي قبيلته مجاط، وأيت يمور، وأيت نضير، وگروان، وأيت إسحاق. وبذلك استكمل محمد الحاج الدلائي مظاهر الأبهة والسلطان، وتكونت لديه أهم قوة حربية بالبلاد صال بها وجال وامتلك أهم أقاليم المغرب مدة تنيف عن ثلث قرن.

وقد اتخذت مدينة أيت إسحاق عند تأسيسها أسماء متعددة، فدعاها بعض المؤرخين قصبة الدلاء أو مدينة الدلاء، وسماها بعضهم مدينة أزغار أو الزاوية البكرية لانتقال الدلائيين آل الشيخ أبي بكر إلى السكنى بها. لكن هذه الأسماء كلها اختفت بعد سقوط إمارة الدلائيين وتحطيم المولى الرشيد بن الشريف الزاويتين القديمة والحديثة عام 1079 / 1668. وأصبحت القرية التي قامت على أنقاض مدينة محمد الحاج أو الزاوية الدلائية الحديثة تدعى زاوية أيت إسحاق باسم القبيلة التي تمتد مواطنها في ذلك المنبسط من الأرض.

وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية كانت أسوار مدينة محمد الدلائي المسننة كأسوارفاس ماتزال قائمة في زاوية أيت إسحاق، وكذلك المسجد الأعظم ومناره الشامخ وباب مجاط الكبير المُطل على وادي أهل زمور (أسيف نايت زمور) وقنطرته، لكن جنود الاحتلال الفرنسي حطموا خلال سنوات 1941 ـ 1944 هذه الآثار واستخدموا أنقاضها في بناء الثكنات العسكرية والمكاتب الإدارية. وقد اكتشفوا أثناء حفر الأسس قنوات المياه التي كانت توزع المياه على مرافق المدينة فطمسوها. ولما زرت زاوية إسحاق في ربيع 1381 / 1962 لم أجد من بقايا المدينة القديمة إلا آثار أسوار عظيمة كانت تحيط بالمدينة الدلائية ممتدة على مسافات شاسعة، ترتفع أحيانا عن سطح الأرض وتساويه أخرى أو تختفي تحت ركام التراب، إضافة إلى بقايا أسوار داخلية ماتزال قائمة بأبراجها كانت تحيط بالقصر، ومسجد جدد سقفه أخيراً وبقايا أقواس الديوان.

ع. العياشي، *الإحبا والانتعاش*، مخطوط ؛ م. القادري ، *نشر* 1 : 376 . س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ أ. الزياني، *البستان*، مخطوط. أ. الناصري، *الاستقصا* ج 6 ؛ أ. المنصوري الزياني، *تاريخ زيان* ، مخطوط ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية* (ط 2) ص 36 ـ 41 و 165 ـ 166.

R. Henry, Hesperis, t 36, 1944, p 49.

محمد حجي

إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين. لما سقط تاشفين بن علي بن يوسف صريعا في وهران سنة 539 إثر الحرب الطويلة التي شنها عليه عبد المومن بن علي انطلاقا من المغرب ، بادر المرابطون بمراكش إلى مبايعة ابنه إبراهيم خلفا له. لكن سرعان ماتبين لهم أن الخلف لم يكن في مستوى الظرف العصيب الذي كانت تجتاز منه الدولة بل ظهر منه ضعف وتخاذل.

وهذا ما حدا بعمه إسحاق بن علي إلى الخلاف عليه ونقض بيعته والدعوة لنفسه. وهنا نجد اختلافا بين المصادر. فبينما يذكر ابن خلدون مامعناه أن المرابطين نحوا إبراهيم بالمرّة وبايعوا إسحاق، يشير ابن عذاري وصاحب *الحلل الموشية* إلي استمرار "الخلاف والتدابر بينهم إلى انقطاع دولتهم ودخول الموحدين عليهم".

ومهما يكن فالشخص الذي برز في ساحة الأحداث عند استيلاء الموحدين على مراكش وكان بيده الأمر والنهي هو إسحاق . ولعل الصراع الذي قام بسبب هاته القضية لم يكن بين المرشحين لخلافة تاشفين لأنهما كانا صغيري السن آنذاك، بل بين فئتين من كبار المرابطين. ولاشك أن الفئة التي ناصرت إسحاق اعتبرت أن والده عليا رشحه في أواخر أيامه لولاية عهده، إذ خاب ظنه في تاشفين الذي كان أسند إليه ولاية العهد و"جاءت الأيام بخلاف ما أمل فيه فتشاءم به وعزم على خلعه وصرف عهده إلى ولده الأصغر إسحاق" (ابن عذاري، *البيان*، 4 : 99) واتخذ كل التدابير الضرورية لإنقاذ أمره فاستدعى ولده تاشفين للعودة بجيشه إلى مراكش، واستدعى عامله إلى إشبيلية عمر ليجعله شيخ ابنه إسحاق ومدير أمره لكن حدثت أحداث مروعة لتاشفين وهوعائد في طريقه، إذ صادف أمطارا غزيرة وهو مخيم بظاهر فاس، وكثر السيل والوحل، فمات كثيرمن الناس والدواب وفشا البرد والجوع في جيشه لانقطاع الطريق عنهم، فلم يستطع أن ينفذ ما عزم عليه إذ أدركه الموت بعد ذلك بقليل. ويظهر من رواية ابن خلكان أن المرابطين، بعد وفاته، أخذوا بحل وسط إذ جعلوا إسحاق "نائب أخيه تاشفين على مراكش".

هاته الاختلافات البسيطة التي نعثر عليها في المصادر تدل، قبل كل شيء، على أن المعكسر المرابطي كان منقسما على نفسه وأن أنصار إسحاق تمكنوا من فرض مرشحهم بعد مقتل تاشفين بوهران الذي جرى بالضبط في ليلة 27 رمضان 539 / 22 فبراير 1145، وكان إسحاق آنذاك لايتجاوز أربع عشرة سنة. ولم يستمتع حقيقة بالملك ولاصادف حظا سعيدا في أي يوم من حكمه، إذ كانت الدولة المرابطية في النزع الأخير تتكبد هزيمة إثر أخرى في

كل المعارك التي دارت بينها وبين الموحدين، وهكذا استولى عبد المومن على وهران ثم تقدم نحو تلمسان فنكّل بأهل تاگرارت وعفا عن أهل تلمسان وظل بها سبعة أشهر ثم استأنف طريقه نحو المغرب ، فتلقى بيعة سجلماسة . وقصد فاس واستولى عليها بعد مقاومة من المرابطين ، دامت سبعة شهور ، في أواخر سنة 540 ثم استولى علي مكناسة فسلا وتقدم في طريقة نحو مراكش التي ظلت هي المعقل الأخيرللمرابطين.

وضرب الموحدون حصارهم لمراكش ابتداء من فاتح محرم سنة 541 / 13 يونيو 1146 وبنوا مدينة أو محلة حول جبل إيجليز إيذانا باستعدادهم لعملية حصار طويلة. وأصبح المرابطون داخل عاصمتهم في وضع حرج لايراودهم أمل كبير في اجتناب الكارثة. ومع ذلك فقد صمدوا صمودا يدل على استماتة ورجولة.وحاولوا القيام بمعركة حاسمة مع الموحدين لكنهم لم يوفقوا وتكبدوا خسائر لوقوعهم في كمائن أعدائهم.

ويظهر أن إسحاق كان له دور فعال في تصميم المرابطين على المقاومة، إذ طارد كل من ظهر منه ضعف وتخاذل من المرابطين مثل عمر بن ينتان الذي اضطر إلى الفرار والالتحاق بمعسكر الموحدين. ويذكر ابن عذاري مامضمنه أن اللمتونيين كانوا بمراكش "في عدة من كبارهم وبقية من أحشادهم وأميرهم إسحاق بن يوسف، وكان صبيا صغيرا، فأمرهم بالخروج إلى حزب النازلين عليهم" (*البيان*، 3 : 27)، طال الحصار تسعة أشهر وثمانية عشر يوما حتى هلك المرابطون بالجوع وانعدمت الأقوات. فتمكن الموحدون من الدخول إلى المدينة في تاريخ 18 شوال541 / 24 مارس 1147. وحاول إسحاق أن يواصل هو وصحبه مقاومتهم داخل القصبة المدعوة "قصر الحجر" لكن سرعان مااقتحم الموحدون عليهم المكان. وهكذا وقع إسحاق آخر ملوك المرابطين في قبضتهم. ورق له عبد المومن لما رأى صغر سنه وحاول أن ينقذه من الموت، لكن أحد شيوخ الموحدين "من أهل خمسين، أبا الحسن بن واجاح، اعترض بشدة على موقف عبد المومن الذي غادر المكان مغضبا فقام حينئذ بقتل "الصبي" إسحاق، وهو مايزال في السادسة عشرة من عمره بمحضر الشيخ الهنتاتي.

وكان لابد من القضاء على آخر رمز لدولة المرابطين، سيما إذا اعتبرنا مبلغ قساوة الموحدين عند اقتحامهم لمدينة مراكش إذ قتلوا بها على ماتذكر بعض المصادر ما لا يقل عن نيف وسبعين ألف رجل وهلك من الجوع أزيد من مائة وعشرين ألفا من سكانها.

البيذق أ، *أخبار المهدي* ؛ ع. ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ع. ابن عذاري، *البيان المغرب* (قسم الموحدين) ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن خلدون، *كتاب العبر* ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ ابن الأبار، *الحلة السيراء* ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*.

محمد زنيبر

إسحاق بن ويعزان، أبو إبراهيم، ذكره التادلي في *التشوف* وعده من الأولياء الأخفياء، من أهل رباط تاسماطت، تُطوي له المسافات فيحج في أيام قليلة. وهو من أهل القرن السادس الهجري، مات بأغمات وريكة.

التادلي *التشوف*، 235.

أحمد التوفيق

إسحاق بن يوسف بن عبد المومن، أحد أولاد يوسف بن عبد المؤمن الثمانية عشر وهو، حسب *روض القرطاس*، شقيق ليعقوب المنصور. لا تتحدث عنه المصادر كثيرا. وكل ما نعلم أنه كان واليا على غرناطة. وقد أشار إليه ابن الخطيب في *الإحاطة* كأحد ولاتها. وأثناء ولايته حدثت وفاة والده بالأندلس سنة 580 / 1184 وبيعة أخيه يعقوب المنصور بالأندلس الذي رجع إلى المغرب في موكب فخم وهيئة حافلة. وحضر السادة إسحاق وأبو زيد وأبو يحيى لوداعه في شاطئ البحر عند صعوده للسفينة العائدة إلى عدوة المغرب. مما يدل دلالة كافية على أنه كان ملحوظا وأن منزلته كانت عالية بين رجال الدولة الموحدية.

والظاهر أن ولايته على غرناطة امتد أمدها زمانا طويلا من عهد أبيه إلى عهد المستنصر الذي نقله من الولاية على غرناطة إلى الولاية على فاس واستبد له في غرناطة بعمه إبراهيم بن يعقوب المنصور. وتعيينه الجديد يدل على أنه كان موفقا كرجل سلطة إذ أن فاس وإقليمها تعد من أصعب الولايات، سيما في ذلك الظرف الدقيق الذي بدأت فيه الدولة الموحدية تنزل في منحدر التدهور.

ولعله عاد مرة أخرى إلى الولاية على غرناطة إذ نجده يتوج ولايته في آخر عهد المستنصر بمنشآت عمرانية رفيعة، من بينها القصر الذي شيده خارج غرناطة قرب نهر شنيل المعروف باسم قصر السيد، الذي تصفه *الحلل الموشية* "بالقصر الكبير الذي على نهر شنيل" وتضيف بأنه بنى رابطة أمامه سنة 615. ولا أدل على جمال هذا القصر من كون ابن الخطيب يذكر أن الأمير أبا عبد الله الغالب بالله ابن نصر اتخذ من قصر السيد "دار ضيافته خارج حضرته وهو آثر قصوره لديه" (*الإحاطة* 1 : 324). ومازالت بقايا هذا القصر قائمة إلى اليوم، ويدعوه الإسبان قصر شنيل Alcazar Cynil.

وهكذا يكون هذا الأمير يتحلى بنفس الصفات التي وجدت عند شقيقه الكبير يعقوب المنصور. فهو، في آن واحد، رجل سياسة وإدارة وصاحب ذوق كبير في المنشآت المعمارية.

ولا ننس، في الأخير، أن نذكر أن عبد الواحد المراكشي كان متصلا به ويروي عنه أخبار أبيه. كما أنه هو والد الخليفة المرتضى الذي يأتي في قائمة الخلفاء الموحدين هو الخليفة ما قبل الأخير أي أبي دبوس.

ع. المراكشي : *المعجب* ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ أ. ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ م. ع عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

الإسحاقيّ، أبو محمد عبد القادر أو *الجيلالي* الشرقي أو عبد القادر بن محمد اختلفت المصادر التاريخية في الاسم الشخصي المركب للفقيه الإسحاقي كاتب السلطان المولى إسماعيل ووزير ابنه السلطان المولى عبد الله، غير أن الاسم المشهور مع كنيته هو أبو محمد عبد القادر بن محمد الشرقي الإسحاقي، ويزداد تساؤل الباحث عندما أضاف إليه محمد القادرى في *نشر المثاني*، اسم الجيلالي ليصبح عبد القادر الجيلالي، لعل ذلك تيمنا بغوث بغداد، وانتشار الطريقة القادرية بالمغرب، إلى جانب الشاذلية ذات الرواج الواسع، يؤكد هذا الافتراض اهتمام الإسحاقي بالطرق الصوفية سواء منها الباعلوية أو القادرية أوالشاذلية ، وحضوره مجالس الأذكار خلال رحلته الحجازية، حيث تلقى الذكر ولبس الخرقة على طريقة القادرية الجيلالية ووقف على اتصال الباعلاوية بمولاى بوعزة.

وأما اسم الشرقي، فغالبا ما يكون تكميليا وخاصة في منطقة تادلا تيمنا بالعارف بالله أبي عبيد محمد الشرقي (×) دفين أبي الجعد، وإذا تتبعنا البحث لتوضيح الإسم الحقيقي لهذه الشخصية التي عرفت في مجال الدولة أكثر من مجالس العلم، نلاحظ اختلافا بسيطا في اسمها، فالمشارقة يسمونه محمد الشرقي في حين ورد اسمه في رحلته الحجازية : أبو محمد سيدي الشرقي بن محمد الإسحاقي، وحتى في النسخة الزيدانية لم يعط النقيب عبد الرحمان بن زيدان من خلال ماكتبه على ظهرها الاسم الكامل المتعارف عليه واقتصر على تسمية : الوزير الإسحاقي. وأما المدني بن الحسني الرباطي فأشار إليه مرتين في نفس الصفحة من كتابه *مقدمة الفتوحات الإلهية الكبرى*، بالكاتب الوزير الشرقي الإسحاقي ومرة أخرى قال بأن السلطان المولى عبد الله أمر كاتبه الإسحاقي بتدوين الرحلة.

وإذا بحثنا عن اسمه في الإجازات التي منحها له علماء المشرق، نجد الشيخ محمد عقيلة يسميه محمد الشرقي، ونفس الاسم ورد كذلك في إجازة الشيخ محمد بن تاج الدين الحنفي له.

ويظل هذا الإبهام ملازما لترجمته حتى في المراسلة التي وجهها له صديقه محمد المسناوي الدلائي للتوسط في قضاء بعض الأغراض الشخصية وذلك عام 1122 / 1710، فاكتفى بدوره بتسميته سيدي الشرقي الإسحاقي، وهذه المراسلة تشهد على استمرار روابط المودة بينه وبين أبناء منطقته وعلى دوره ومكانته كموظف سام، أنجبته قبيلة أيت إسحاق الواقعة بعمالة خنيفرة وعلى بعد كلمترات من مركزها.

وبعد هذا البحث في اسمه ونسبه، نقف على مكانته العلمية ومهامه في الدولة ؛ غير أن الكتب التي ترجمت له لا تتجاوز في التعريف به بضعة سطور ولا تقدم لنا معلومات كافية عن حياته العلمية بالمغرب وتبقى رحلته المصدر الأساسي للتعرف على معارفه واتجاهاته وميوله، كما تعتبر من جملة مصادر تاريخ المغرب، خصوصا في مجالي التاريخ والدراسات الإسلامية مع غلبة طابع السرد. وهي في نفس الوقت، تبين مدى مشاركته العلمية وحصيلته من كل فن، غير أن معلوماتنا قليلة عن مسيرته في طلب العلم بالمغرب، فلم يحدثنا عن المراحل التي قطعها في هذا الشأن ولا عن شيوخه ولا عن ترجمته الذاتية. ولعله سلك هذا الاتجاه في كتابة رحلته لكونه مأموراً بتدوين أخبار رحلة الأميرة خناتة، ولهذا لم يخصص حيزاً مناسباً في الكتابة عن نفسه باستثناء ما تعلق باتصاله بعلماء المشرق أثناء سفره، غير أننا نلاحظ من خلالها أنه تتلمذ على الشيخ اليوسي الذي ورد ذكره عند وصفه لمستوى الحركة العلمية بهذه الديار، وهو مستوى لم يكن متوقعا لما أصابها من نقص وضعف في رأيه. وقد اعتبر عبد الهادى التازي أن الشرقي الاسحاقي من جملة المتخرجين من القرويين، غير أننا لانقف له على شيوخ ولاتلاميذ ولامؤلفات من غير الرحلة ، ذلك أنه قضى فترة طويلة من حياته في خدمة الدولة التي التحق بها سنة 1104 / 1691 عقب الحملة التأديبية التي قام بها السلطان المولى إسماعيل إلى جبال فازاز.

وبعد وفاة السلطان المولى إسماعيل انحاز إلى ابنه السلطان المولى عبد الله فاستوزره وظل في مهامه الى أن توفي بعد سنة 1150 / 1727.

ونظراً لمكانته عنده فقد اختاره لمرافقة والدته الأميرة خناتة بنت بكار وولده الأمير محمد، الذي كان دون الحُلم لأداء فريضة الحج، وذلك سنة 1143 / 1731. وعهد إليه بتدوين الرحلة، فانتهز الإسحاقي هذه المناسبة للتعبير عن عواطفه والكشف عن مذاكره العلمية وسلوكه الروحي والاعتزاز بمغربيته والإشادة بمقومات البلاد، من مذهبها المالكي وعقيدتها الاشعرية ونقاء تصوفها الشاذلي ووحدتها السياسية. واعتباراً لمهامه في الحكومة فقد عرف بالشرفاء العلويين وقصة قدومهم من الينبع إلى تافيلالت وأشار إلى دور الأميرة خناتة بنت بكار في السياسة ومكانتها العلمية إلى جانب عطاياها وهداياها بالمشرق، وسعى في كتابته ليكون رحالة واصفا وملاحظاً وناقدا بأسلوب مرسل.

وتحدث عن الحفاوة التي استقبل بها الموكب الأميري في مختلف الأقطار العربية وما قيل في هذه المناسبة من قصائد وما قدم من مؤلفات هدية لسلطان المغرب وما حصل عليه من لقاء العلماء واستجازته نخبة منهم ومن ضمنهم عمر البار الباعلوي الحسني وزين العابدين المنوفي مفتي الشافعية وعبد الله السكندراني الضرير ومحمد بن أحمد عقيلة المكي ومحمد الطبري امام المقام الخليلي وتاج الدين الحنفي وعبد الله بن يحيى فندي بن جعفر الواعظ.

ومما يلاحظ في رحلته كونه انتقد واقع المجتمعات العربية نظرا لتفشي الظلم والبدع والتخلف بها، فتصدى

للرد عليه من ليبيا أحمد بن عبد الدائم الأنصاري في قصيدة له، والمؤرخ ابن غلبون الطرابلسي.

ومن الملاحظ أن *رحلة* الإسحاقي لازالت مخطوطة وفي خزانة القرويين النسخة الأصيلة التي حبسها السلطان المولى عبد الله سنة 1156 / 1743 وهي تحت رقم 253، والنسخة الزيدانية وهي منقولة ومبثورة الأخير وهي بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 1428.

ع . الإسحاقي، *الرحلة الحجازية*، مخطوط ؛ م القادري *نشر الثاني* ؛ أ. الناصري ، *الرحلة الحجازية* ، مخطوط ؛ س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ المدني بن الحسني، *مقدمة الفتوحات الإلهية الكبرى* ، ص 3 ، دار النشر السلطانية سنة 1945 ؛ ع. التازي، *جامع القرويين*، 3 : 801.

محمد مكامان

أسَد، أو سبع، وإزَم بالبربرية من الحيوانات اللاحمة المنتمية إلى فصيلة السِّنَوْريات والمسمى باللاتينية (Linné) Panthera (Leo)leo. يبلغ طوله مترين ونصفاً بدون ذيل وعلوه عند الغارب متر. يتراوح وزنه ما بين 125 و 130 كلغ.

يكسوه شعر قصير رمادي وبُنّي داكن جهة الرأس وفاتح جهة البطن. ذيله طويل وينتهي بخُصلة شعر سوداء تُميزه عن باقي أصناف السنوريات.

تسمى الأنثى اللبُؤَة، وهي منعدمة اللبدة وصغيرة الحجم بالنسبة للذكر. يميل لون شعرها إلى البياض جهة البطن . يطلق على الصغار اسم أشبال، وهي مرقطة ومخططة أحيانا. شعرها كثير الصوف بالنسبة للكبار. تندثر الخطوط تدريجيا مع تقدم السن ولا يبقى منها إلا البعض على الجانب والقوائم عند الأنثى بالخصوص.

تظهر اللبدة عند ذكور الأشبال في سن متقدمة وتصير قوية بعد 4 أو 5 سنوات.

لوحظ أن الأسود التي تعيش في مناطق مرتفعة تحت مناخ بارد تمتاز بقامة كبيرة ولبدة مكثفة وداكنة.

صيغة أسنانه كالتالي :

3 / 3 وقـوارض، 1 / 1 أنيـاب، 3 / 2 أضراس أمامية ، 1 / 1 أضراس = 30 سنا.

يعتبر الأسد من الحيوانات المُخَالطة ولا يعيش وحيداً إلا نادراً. تتكون المجموعات العائلية عَمًّا يزيد عن 30 فرداً منها عدة إناث وأشبال يترأسها ذكر واحدٌ أو أكثر. تتنقل كُلٌّ مجموعة في مساحات شاسعة حيث بإمكان الأسد أن يقطع 30 كلم في الليلة الواحدة. كثيرا ما تقتنص المجموعة فريستها ليلا إلاّ أن الأسد يُعد من أكثر السِّنوريات نشاطا خلال النهار.

يقضي الأسد أوقات حرارة النهار تحت الأدغال والأشجار وهو معروف بكسله وخاصة بعد شبعه ويبدو أن الحيوانات التي تكوِّن فريسته تحس بهذا فترعى بجوار المجموعات بدون خوف.

يتمتع الأسد بحواس قوية وخاصة منها الشم والسمع والبصر. تسمع صيحته على بعد 8 كلم ويصيح غالباً قبل شروق الشمس وعند الغروب. يتكون غذاؤه من جميع الثدييات العاشبة والتماسيح والأفاعي. كثيراً ما تصاد الفريسة بواسطة مجموعة من الأسود التي تحيط بأماكن الشرب بكيفية منتظمة. فهي تقترب من الواحات زاحفة على بطونها حتى تفاجيء القطيعات وتنقض على ظهر الفريسة وتكسر عنقها بقوائمها الأمامية القوية أوتخنقها. أحياناً تختبيء اللبؤة في مكمن وتنتظر من أفراد مجموعتها أن تسوق الفريسة نحوها جارية وراءها. لوحظ في أغلب الحالات أن الأنثى هي التي تقتل الضحية. الصيد لايتم كل يوم والمعدلَ السنوي لايزيد عن 20 فريسة لكل فرد.

الأسد متعدد الزوجات وتدوم مدة الحمل 105 ـ 119 يوما، وتستأنف اللبؤة حرراتها الحيوانية بعد بضعة أسابيع من وضع صغارها الذي يتراوح عددها ما بين 2 و4 ونادراً 7. توضع الأشبال فوق الأعشاب اليابسة في أماكن محمية. يزن الصغير بعد الولادة كلغ واحداً وتهتم الأم بتربيته وحمايته، ويتم فطامه بعد عشرة أسابيع. يصير الشبل حرا بعد سنة ولا يغادر أمه إلا بعد 18 شهراً.

يَرتفع عدد الوفيات عند الأسد في الأعمار المتراوحة بين سنة وسنتين وخاصة عند الذكور. 3 سنوات هي سن الرشد عند الأسد ويمكنه أن يعمر 30 سنة بمعدل يتراوح ما بين 15 و25 سنة.

يعتبر الأسد من أقوى الحيوانات اللحمية ويوضع في قمة سلسلة التغذية وعدوه الوحيد هو الإنسان.

يعيش الأسد في السهول الكثيرة العشب والمرتفعات التي لايفوق علوها 3000 مترا.

أصبح أسد الأطلس، الذي يُفتخر به في معارض الوحوش، مجرد ذكريات تُذكَر في الكتب وفي الفلكور البربري والعربي حيث يشكل هذا الحيوان بطل معظم الحكايات والأساطير نظرا لشجاعته وإقدامه. وجد الأسد في بلاد المغرب بيئته الملائمة لمعيشته مما أدى إلى تعميره طويلا في هذه البلاد. يقول CABRERA (1932) PANOUSE (1957) إن هذا الحيوان تكاثر في جميع أنحاء المغرب خلال العصر الروماني، وقد تم انقراضه على السواحل في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ولوحظ قبل 80 سنة أنّ عدة مجموعات كانت تعيش في الأطلسين المتوسط والكبير، إلا أن تطور رعي الماشية ومتطلباته من حماية من طرف الرعاة جعلت هذا الحيوان غير مرغوب فيه، وكذلك تطور الأسلحة النارية جعلت منه غنيمة للصياد الأوروبي. وهكذا يرجع تاريخ آخر أسدٍ بالمغرب إلى سنة 1920 أو 1925.

تضم حديقة الحيوان بتمارة حاليا3 ذكور و8 إناث أصيلة، وذكرين و11 أنثى هجينة مع أسود أفريقيا الوسطى.

A. Cabrera, (1932), *Los Mamiferos de Marruecos*. Trabajos Mus. nac. Ciencias Ser. Zool., 57 : 1 - 361 ; J. Dorst et Dandelot, P. (1972), *Guide des grands Mammifères d'Afrique*. 6dit. Delachaux et Niestle, Neuchatel, Paris, 286 pp. ; J. B. Panouse, *Les Mammifères du Maroc*. trav. Inst. Sc. Chérifien, Ser. Zool., nº 5 : 206 p.

محمد رمضاني

أسْدْرَمْ، معناه الفج والممر الجبلي الذي بين جهتين أو قبيلتين، وتسمى به قرى عديدة كالتي بفرقة أيت نهاريت إغْرَمْ من عمالة تارودانت والتي بفرقة مسناكة بإداولتيت والتي بفرقة إنفلاسْ بناحية الصويرة الخ. وقد أورد البيذق في *تاريخ الموحدين* (ص. 77 من النص العربي من طبعة ليفي بروفنسال) ذكر أسْدْرَمْ انْ الغزى، أي فج الغزو، وعنده كان اللقاء بين الموحدين الطامعين في الخروج إلى السهل وبين جيوش المرابطين والقبائل الموالية لهم كأهل كيكْ أي أهل الهضبة الخصبة التي ما تزال تعرف بهذا الإسم وتقع وراء القرية التي بها ضريح مولاي إبراهيم الأمغاري بناحية مراكش، فيكون الموقع المقصود بأسدرم هو الممر الذي بين تاگموت (إيماريغن) وبين كيك، وهو الجبل الذي على يمين القاصد إلى سوس على الطريق 501 من مراكش عندما يكون على مسافة 58 كلم من هذه المدينة.

البيذق *أخبار المهدي* ؛ *تحريات ميدانية*.

E. Laoust, *Contribution*, p 74 ; *Repertoire alphabetique*, p.305.

أحمد التوفيق

أسديف ← **ورزازات** (إقليم ـ)

الأسْرَى في المغرب، مشكلة الأسرى مرتبطة ارتباطا وثيقا بمسألة الاسترقاق التي كانت عند ظهور الإسلام قد انتشرت انتشارا فاحشا في الدولتين العظميين آنذاك، وهما فارس وبيزانس، كما استفحلت في بقية أنحاء العالم وخاصة جزيرة العرب. وقد تدرج الإسلام في تشريعاته للتقليص من لأواء الرق واعتبر العتق من أوليات التكفير عن بعض المخالفات الشرعية، بل وحتى هفوات طفيفة ضد عبيد وإماء. وقد ورد أن الرسول عليه السلام ـ دعا عبدالله بن عمر إلى التكفير عن تعنيفه الكلامي لأحد عبيده بعتقه كشرط وحيد للتخلص من الذنب. وقد جاء الإسلام بمبدإ أساسي هو أن الإنسان يولد حراً. واستنكر الخليفة عمر بن الخطاب أعمال الجاهلية عندما تساءل في غضب قائلا : «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟».

فالاسترقاق في الإسلام لا يعدو أسر غير المسلمين في الحرب، وما سوى ذلك كله لا يعتبر استرقاقا. ولذلك نص كثير من الفقهاء وفي طليعتهم أئمة الإسلام في المغرب العربي أمثال شيخ الإسلام إبراهيم الرياحي التونسي على عدم حلية نكاح المستولدات بدون صداق إذا كن قد صرن ملك يمين بالاسترقاق غير المشروع ، ويكون الإسلام قد سبق ما ادعته أوروبا في العصر الحديث من إبطال العمل بالاسترقاق.

وقد منع السلطان مولاي سليمان استرقاق من لا يحل تملكه شرعا، وهو سبي بلاد العدو ولو أسلم بعد ذلك بخلاف من سبي في بلاد الإسلام فلا يصح تملكه. (*سلوة*، 3 : 231)

ومازال العالم يعرف إلى اليوم استرقاقا حربيا يدخل في سياسة الأسر المعترف بها في القانون الدولي حيث مازال أسرى الحرب العالمية الثانية يرزحون في قيود الأسر في أقطار أوروبية.

على أن أوروبا قد شجعت الاسترقاق في مستعمراتها الإفريقية، كما خلقت استرقاقا جديدا في حركاتها القرصنية في البحار وخاصة البحر المتوسط. وقد حاول سلطان المغرب الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي تشكيل ميليشية بحرية لمحاربة هذه القرصنة منذ القرن السادس الهجري، حيث كان «لصوص البحار» يجدون في ذلك تجارة مربحة انضافت إلى أسواق النخاسة في القارة السمراء، بل و أسواق النخاسة البيضاء التي مازالت مستمرة إلى اليوم. وقد تحدث كايي في كتابه حول *أوفاق ومعاهدات السلطان سيدي محمد بن عبد الله* عن الجهود التي بذلها محمد الثالث هذا لفرض معاهدات واتفاقيات على أقطار أوروبية من أجل التقليص من الاسترقاق القرصني غير المشروع سابقا بذلك أوروبا ـ كما يلاحظ كايي ـ بتشريعاته الحكيمة التي شكلت قسطاً جوهريا من (التشريع الدولي في القرن العشرين).

ومع ذلك فإن دولا مسيحية ظلت طوال قرون تمد مستعمراتها في أمريكا بزنوج أفارقة معظمهم مسلمون وخاصة في البرازيل حيث قاموا بثورات مابين عام 1807 ـ 1835 (E.I,1:34).

كما استمر القرصان المسيحيون والمسلمون معا في ممارسة الأسر في البحر المتوسط حيث اعتقلوا مآت الأحرار من الديانتين، وقد باعت هيئة فرسان مالطة المسيحية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر للملاحة الفرنسية رجالا استعملتهم هذه الملاحة لتجديف مراكبها. وقد تمرد بجزيرة مالطة عام 1749 أزيد من عشرة آلاف من العبيد المسلمين حرر منهم بونابارط عام 1798 نحو الألفين، وكذلك بالنسبة للمسحيين الذين استرقهم المسلمون في إفريقيا وغيره، ومعلوم أن جنوة هاجمت طرابلس الغرب في منتصف القرن الثامن الهجري وأسرت نحو سبعة آلاف مسلم ما بين رجال ونساء وأطفال حرر الكثير منهم سلطان المغرب أبو عنان كما افتك طرابلس نفسها بفدية مالية ضخمة. ويتحمل مسؤولية هذه العمليات اللاإنسانية المسلمون والمسيحيون معًا. وقد أسهم القرصان الأفارقة في تشجيع هذا الصنف من الاستعباد الذي ـ إن كان يبرره أحيانا الانتقام ورد الفعل ضد حركة الغزو الإيبيرية Reconquista بعد سقوط غرناطة ـ فهو مع ذلك مناف للفضيلة الإنسانية ولمبادئ الإسلام. على أن البعض من عامة المسلمين قد خالفوا في تصرفاتهم نصوص الشريعة الإسلامية فاستعبدوا الأحرار وفتحوا أسواق النخاسة

وسموها في المغرب العربي (بركة) وهي في الأصل مكان تبرك فيه الجمال الحاملة للزنوج الذين كانوا يُختطفون من بين أحضان أمهاتهم من السودان وبُرنو والتكرور وغيرها ليباعوا علانية في أسواق رسمية في كثير من أقطار العالم الإسلامي.

ومعنى هذا أن العالم الحديث قد لطخ أيديه شرقا وغربا بهذا الاسترقاق الخسيس الذي أبطلته حرفية النصوص التشريعية الإسلامية والقوانين الحديثة، ولكن رعته المصالح الخاصة والروح الاستعمارية التي كانت تدعي إصدار قوانين لإلغائه. وإذا كانت القارة السمراء هي أولى ضحايا هذا الشذوذ الأثيم فإن النخاسة البيضاء ظلت مفتوحة في أوروبا وأمريكا بالإضافة إلى النخاسة السوداء.

وقد انطلقت الحركة الهادفة إلى إلغاء الرق منذ قرن تقريبا حيث حرر الخليفة العثماني منذ عام 1246 / 1830 كل العبيد البيض الذين هم من أصل مسيحي، كما أصدرت تونس عام 1263 / 1846 قراراً بتحرير العبيد. وأصدر سلطان المغرب المولى سليمان قبل ذلك بعقود من السنين القرار الذي ندد بالاسترقاق غير المشروع، وتجدد في المغرب هذا القرار عام 1341 / 1922.

وقد كابد المغرب الأمرّين من هذا الاسترقاق الأبيض الذي نكب به من جراء تعسفات الاستعمار الناشئ منذ القرن العاشر الهجري أي منذ العهد السعدي، حيث كان للمغرب أسرى في الخارج، كما كان أجانب يعيشون في الأسر داخل المغرب بسبب القرصنة البحرية، فلم يسع ملوكنا وخاصة العلويين وفي طليعتهم المولى إسماعيل إلا السعي لافتكاك هؤلاء الأسرى أو استبدالهم. وكانت اتصالات أمير سلا عبد الله بن عائشة مع لويس الرابع عشر ملك فرنسا لهذه الغاية. وأنفق المولى محمد بن عبد الله أموالا طائلة لفكاك الأسرى من «بلد الكفار» حتى لم يبق بها أسير من المسلمين لا من أهل المغرب ولا من أهل المشرق ولا من الترك، وقد بلغ عددهم عام 1200 / 1785 ثمانية وأربعين ألف أسير (*الجيش*، 1 : 176).

ونشر دوكاستر (مصادر، الدولة الفيلالة، السلسلة 2 : 6 : 53) لائحة الأسرى المغاربة الذين كانوا بفرنسا ما بين 1700 و 1727 م ومعظمهم من عائلات عريقة بالمغرب. ولاتخلو أعداد أخرى من نفس المصادر من لوائح إضافية (سلسلة العلويين ـ فرنسا 5 : 53 ـ 84). وفي عام 1213 / 1798 كان تاجران تطوانيان هما عبد السلام عمار وعبد الغفار إسماعيل أسيرين بباريس في الوقت الذي كان مجلس الإدارة Directoire يشرف على الحكم بفرنسا. وقد توجه التاجران من تطوان في نونبر 1797 واعتقلا في ليفورن Livourne في 19 يناير 1798. (Hespéris,1960, vol. I. Fasc III, 552) وكان المولى إسماعيل يطالب بمائتي دوكا (مثقال ذهبي) الذي كان يساوي حوالي نصف دينار، والدينار يعادل أقل من خمسة غرامات ذهب، وأسير مغربي عن كل أسير فرنسي.

ولعل هذا النوع من الأسر في المغرب لم يكن في غالب الأحيان سوى رد فعل لما كانت تقوم به آنذاك دول أوروبية مثل : فرنسا، وإسبانيا، والبرتغال، وهولندا (*مصادر* هولندا، 7 : 50) وكان المغرب يعاملهم بالحسنى ولايكلفهم ما لا يطيقون، ويتلقون خبزتين اثنتين كل يوم.

وقد لاحظ گودار (*وصف*، 1 :20) أن استرقاق المسيحيين ألغي في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله أيام ملك فرنسا لويس السادس عشر، ثم أكثر من ذلك في عهد نجله السلطان المولى سليمان معاصر لويس الثامن عشر. ومهما يكن فقد لاحظ رينو (ص 22) أن الأسرى المسيحيين كانوا يحترمون وأن مراسيم دفن موتاهم لم تتعرض قط لأي اضطراب وقبورهم لم تدنس. وقد نقل گودار (*وصف* 2 : 505) ما أحصاه الأب دان (Père Dan) الذي كان مكلفا بالأسرى المسيحيين بالمغرب فأوصل عددهم إلى ما بين ثلاثة وأربعة آلاف في تطوان وخمسة إلى ستة آلاف بفاس ومثلها بمراكش وألف وخمسمائة إلى ألفين في سلا. وقلما كان ملوكنا يقتصون من مرتكبي الجرائم من بين هؤلاء الأسرى المسيحيين. فقد لوحظ (*استقصا* 3 : 24) أنه كان بقصبة مراكش مسيحيون منذ عهد السلطان السعدي أحمد الأعرج وأخيه محمد الشيخ فحاكوا مكيدة ضد المصلين بملء حفرة بالبارود تحت الجامع ربطوها بفتيل تسري فيه النار على مهل فنفطت الميناء وانهدت قبة المسجد وانشق المنار وذلك عام 981 / 1573 وقد ظلت الصومعة مائلة إلى أوائل هذا القرن. وقد وصف هذا الحادث عن مشاهدة ديبگو دي طريس في كتابه *تاريخ الشرفاء*، وكان هو مكلفا من قبل ملكي إسبانيا والبرتغال بافتداء الأسرى المسيحيين ومفاوضة الشرفاء السعديين في ذلك. وفي موضوع الأسرى أساسا ألف كتابه المذكور. كما كان بسلا ومراكش أسرى هولنديون تم تحريرهم عام 1621 من طرف المولى زيدان بن المنصور السعدي وكان قد وعد بتحرير أسرى تطوان (دوكاستر السلسلة الأولى ـ السعديون، 3 : 177) وعندما ورد الكونط دوبرونيون Comte de Breugnont عام 1767 إلى المغرب للتفاوض من أجل إمضاء معاهدة 28 ماي 1767 دفع مبلغا قدره 1.077.533 ليرة أي أزيد من 407 مليون بصرف عام 1952 لافتكاك الأسرى.

وفي عام 1156 / 1751 ورد على المولى عبد الله بن إسماعيل بفاس السفير الإسباني صحبة وفد تطواني ومعه ألف ريال وما يناسبها من الحرير والملف والكتان بقصد فكاك الأسرى الإسبان فطالب السلطان كمقابل بإطلاق سراح المسلمين المعتقلين في إسبانيا (*الجيش* 1 : 125 ؛ *الاستقصا*، 4 : 185 ؛ *إتحاف* ابن زيدان 4 : 453). وقد بلغ عدد الأسرى الإنجليز بالمغرب ثلاثمائة، عام 1133 / 1720 (*رحلة* وندوس Windus)

والواقع أن هذه الصفقات إنما كانت لتصفية الواقع المر الذي ذهب ضحيته أفارقة مسلمون وأروبيون مسيحيون

بسبب القرصنة الملاحية الأثيمة بعد أيام المنصور السعدي الذي انتصر على البرتغاليين في معركة وادي المخازن. وقد وجه ابنه زيدان رسالة إلى ملك فرنسا لويس الثالث عشر بخصوص الأسرى الفرنسيين (دوكاستر ج 2 7 : 109، فرنسا ص 141 2 ف 1 : 597) وكذلك الأسرى البرتغاليون (دكاستري ج 1 ف 2 فرنسا ص 567) أما بخصوص الأسرى الألمان بالمغرب فيوجد كتاب نشرته Hachette في الموضوع بباريس عام 1917 كما أن الأسارى الأتراك بالمغرب قد أشير إليهم في وثائق دوكاستري (السلسلة الأولى ـ السعديون ـ 3 : 249 ـ 675).

م. أكنسوس ، *الجيش* ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ج3.

Caillé, *Les Accords internationaux du Sultan Sidi Mohamed ben Abdellah* ; Godard, *Description et Histoire du Maroc* T 1. p 20 ; Renaud, *Etude sur l'hygiène et la Médecine du Maroc*, Alger, 1902 ; Bompard, *Législation de la Tunisie*, texte arabe ; Le père Nolasque Néant, *Rédemption de la congrégation de Paris*, Paris, 1724. *Relation de la captivité de sieur Mouette* ; Ch Penz, *les captifs français de Maroc au XVIIe (1577 - 1699)* Rabat, 1944 ; *Lettres inédites sur la captivité de Bidé de Maurville à Marrakech, 1785 - 1767*, Hesperis, 1 - 2 Trim 1949. Hesperis, 1956 ; Chénier, *Journal du consulat de France* ; J. Windus, *Journey to Mequinez*, London, 1725 ; *E. I2 ; S. I. H. M.* série Saadienne, *Bibliothèques de France, Bibliothèques des Pays-Bas* ; D. de Torres, *Histoire des Cherifs*.

عبدالعزيز بنعبدالله

الإسرائليون ← **اليهود**

الأسرة المغربية، تعني كلمة "أسرة" لغويا أهل الرجل وعشيرته. ويعطي هذا المفهوم من الناحية السوسيولوجية ثلاثة أبعاد تعكس نوعا من العلاقات بين أفرادها أكثر مما تعكس طبيعة روابطهم القرابية. لهذا فإن الأسرة الممتدة هي تلك الجماعة المنزلية التي هي في نفس الوقت، وحدة إنتاج ووحدة ملكية ووحدة لإعادة الإنتاج الاقتصادي والبيولوجي والرمزي. وتتميز هذه الجماعة بالتراتب تحت سلطة زعيم الأسرة وتنتظم بكيفية تسمح بضمان إعادة الإنتاج ونقل التراث الأسري (الاقتصادي والرمزي والاجتماعي والثقافي). ويتحقق داخل هذه الأسرة من هذا النوع الوحدة بين ملكية تراث منتج (اقتصادي أو رمزي)واستعمال هذا التراث عبر ممارسات الإنتاج وممارسات إعادة الإنتاج والطقوس العملية المرتبطة بهما والعلاقات التي تنتج عنها.

ـ الأنماط القرابية في الأسر المغربية : إذا انطلقنا من فرد وهمي يمكن استخراج المستويات المختلفة للقرابة للأسرة المغربية كما يتبين مما يلي :

أ ـ القرابة المنزلية : نجد في القرابة المنزلية مستويين :

* مستوى القرابة الأولية : بالنسبة للفرد هناك الأسرتان الأوليان اللتان ينتمي لهما : أسرة يكون فيها ابناً وأخاً، وأسرة يكون زوجاً وأباً.

* مستوي القرابة الثانوية : يوضع الفرد هنا بالنسبة لعمه وخاله.

وسوف يتعلم من خلال الممارسات التربوية الاعتراف بأولوية القرابة العصبية على القرابة الأمومية (الخال). ويعتبر هذا أساسيا في التمييز الاجتماعي بين المتناسبين.

ب ـ القرابة الأمومية : تتشكل القرابة الأمومية من أفراد أسرة المرأة (الخال، الخالة، الجد أو الأب للمرأة، الخ.....) ويتم إبعاد هذه القرابة عندما تكون المرأة / الأم/ الزوجة من نسب آخر . ويتم تقليص العلاقة إلى الأب والأم والأخ والأخت للمرأة / الزوجة / الأم .

جـ ـ القرابة النسبية : وتتشكل من المنحدرين من جد واحد ويعتبر أعضاؤها الورثة الشرعيين لأسرة دون خلف ذكر.

د ـ بنو العم : وهم الأعضاء الموجودون في الجماعات النسبية المكونة للعشيرة والذين يعتبرون أنفسهم منتمين إلى جد واحد.

2 ـ أهم نماذج العلاقات داخل الأسرة المغربية : بعد هذا الوضع السريع للأسرة داخل نظام القرابة سوف نمر الآن إلى توضيح القواعد والأعراف والسلوكات الأكثر أهمية في تحديد العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة مع الإشارة إلى أهم التغيرات التي طرأت على هذه العلاقات الناتجة عن دخول نمط الإنتاج الرأسمالي الذي كسر توازن الوحدات القرابية خصوصا من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

لقد سبق أن أشرنا إلى أن طبيعة العلاقات بين الأعضاء هي التي تحدد التجمع المنزلي وبالتالي فإنها تعبر عن الظروف المعاشية للاسرة على المستوى الديموغرافي والاقتصادي والسوسيو ـ ثقافي والإيديولوجي. ويجب على المغربي البالغ، الذي يحظى بمركز داخل القرابة، أن يعترف ضمنيا بالقيم الأسرية، وأن يسلك حسب تعاليمها لكي يبقى داخل الجماعة. إن الصف داخل القرابة شرط ضروري ولكنه غير كاف للانتماء إلى الجماعة المنزلية، أما المركز القانوني فيضمن إمكانية الابتعاد عن الجماعة والتفرد بالحق من الملكية الجماعية ولايلزم البقاء داخل الجماعة. لهذا فإن التحليل القانوني مثله مثل التحليل الإيكولوجي أو اللفاظي، لايسمح بتحديد مدى وطبيعة العلاقات الأسرية.

إن التشريع الإسلامي يعطي مكانة هامة للأسرة. لكن عددا من الباحثين لاحظ أن هناك تعارضا بين التقاليد والفقه الإسلامي وإن كانا ينتسبان كلاهما إلى الشريعة الإسلامية (ببرك، 1955، ماهر، 1974). زيادة على هذا، يجب التذكير بأنه كان بالإمكان تعريف العلاقات الأسرية انطلاقا من الحقوق والواجبات، فإن جزءا من هذه العلاقات فقط يمكن كشفها من خلال القانون العرفي والتشريعي. إن هذه القوانين تشير فقط للعناصر التي تستحق العقوبات المشروعة. في حين أن الأسرة المغربية غالبا ما تحل بنفسها الخلافات والمشاكل الداخلية. لذا فإنه غير كاف الاعتماد على مقاربة قانونية لفهم الواقع الأسري. إن القانون أو الشريعة لا تهم إلا العلاقات الشكلية والمعيارية بين الأقارب ولا تفسر إلا جزئيا أسس الأسرة.

أ ـ تمييز العلاقات حسب السن والجنس : تحدد العلاقات

داخل الأسرة انطلاقا من القرابة والسن والجنس. إن الموقع داخل القرابة يشير مسبقا إلى جيل الانتماء وكذا إلى اختلاف السن. وعلى العكس فإن المركز سوف يختلف حسب الجنس إذا تعلق الأمر بروابط قرابية مشابهة. ولذا وجب التعرض أولاً وقبل كل شيء إلى طبيعة العلاقة بين الرجال والنساء داخل الأسرة.

تقتضي التقاليد أن تكون العلاقة بين الرجال والنساء داخل الأسرة مقتصرة على ماهو ضروري. وتحقيقاً لهذا المبدأ، فإن التفرقة بين الجنسين هي أول ما يمكن ملاحظته : لا يمكن للرجل أن يجتمع بنساء الأسرة أو يتحدث إليهن. ولازالت وجبات الأكل ، في أغلب الأوساط القروية، تؤخذ على افتراق ، لأنه ليس من اللائق أن تتناول المرأة البالغة الطعام في حضور رجال الأسرة ما عدا ابنها. وبصفة عامة يجب على النساء أن يتخذن موقفا متحفظا من الرجال وأن يتجنبن كل سلوك أومظهر أو لفظة يمكن أن تدل على نوع من الألفة في عين أقارب أزواجهن.

هناك إذن صراع خفي يميز العلاقات بين الرجال والنساء في الأسرة المغربية. إن مصير الأسرة مرتبط بالأشكال التي يتخذها هذا الصراع. ويتم إرجاع أغلب الخلافات الأسرية الى انعدام التفاهم بين النساء (الزوجة وأم زوجها مثلا). ويتم اعتبار الرجل الذي يصغي لزوجته بأنه قليل الرجولة.

ويعتبر من اللائق أيضا أن لا يميز الطفل بين نساء الأسرة : الأم، العمة، أم الأب، بنات العم، زوجات العم. وهذا لايعني أن هناك تمييزا في العلاقات مع مختلف أقاربه من النساء. هناك بعض الاختلافات الطفيفة التي تؤدي به إلى أن يتعامل معهن حسب سن كل واحدة منهن.

أما فيما يتعلق بالأقارب النساء من نفس الجيل (الأخت وبنت العم) فلا يمكن للطفل الذكر الاستئناس إليهن. وتتمُّ تفرقة الأخ عن الأخت في سن مبكر. ويهتم الرجال بالأطفال الذكور. في حين ينتمي الأطفال الإناث إلى مجموعة النساء. ويتم تفريق الإناث عن الذكور بواسطة المهام المخصصة لكل جنس على حدة داخل الأسرة: تتعلم الإناث الأشغال المنزلية في سن لازال يعتبر سنا للعب بالنسبة للولد. ومازال حتى الآن في أغلب الفئات الاجتماعية يتم التعبير العاطفي بين الأخ والأخت بعد زواج كل منهما، إذا لم يبعد الزواج الأخت عن الأسرة.

ولكن إذا تزوجت بابن عمها، فيسمح لها بإقامة نوع من الألفة مع أخيها وذلك لاعتبار أن تربيتها قد انتهت.و بالتالي لم يبق هناك خطر في أن تبعد الأخت عن الجماعة الأسرية .

إن التربية الأسرية تعد الشاب المغربي منذ سن مبكر للالتزام بأنواع السلوك الصادرة عن الأسرة تجاه النساء خصوصا تلك التي يجب أن ينهجها أمام العامة عندما مايصبح زوجا. ولايوجد هناك اختلاف في سلوك الزوج نحو زوجته ولا سلوكه نحو نساء الأسرة الأخريات.

تتميز العلاقة بين أعضاء الأسرة المغربية بصفة عامة بنوع من الاحترام والخوف : احترام تام لأنماط السلوك المعترف بها من طرف الجماعة الأسرية. والخوف الدائم من لوم عندما لاتحترم هذه القواعد والدور المخصص حسب السن والجنس والوظيفة. يشكل تعلم هذا النوع من العلاقة أساس التربية كلها. إن المشاعر الفردية ليست غائبة ولكنها يجب أن تبقى خفية . يجب أن يبقى كل سلوك متعلم خارج الأسرة غريبا عن الأسرة (بورديو، 1974).

وتعتبر علاقة الأب بابنه نموذجية بالنسبة لعلاقات انعدام التكافؤ : يجب على الابن أن يحترم أباه ويطيعه وأن يقبل رأي أبيه وأوامره مهما كان سنه دون نقاش. ويجب على الأب أن يظهر الشدة نحو ابنه وليس الحنان.

أما الأم فنظراً لوضعيتها فإن سلطتها أقل من زوجها وتابعة له، ولا تعبر عن هذه السلطة إلا بكيفية عاطفية. إنها لا تتوفر في جزء كبير من حياتها إلا على مركز أدنى من مركز زوجها. ويمكن لوضعيتها أن تختلف شيئاما حسب الفئة الاجتماعية التي تنتمي إليها الأسرة (الراضي، 1977). إن للأم الحق الأولي في رعاية أطفالها حتى زواج البنت وبلوغ الولد، في حالة ما إذا توفي زوجها أو طلقها.وتبين الحضانة التأثير الذي يمكن أن تمارسه الأم داخل الجماعة الأسرية. زيادة على هذا فإنها تلعب دوراً كبيرا في اختيار الزوجة لابنها. وتحظى بمركز عال في وسط زيجات أبنائها إذ أنها تراقب أفعالهن ولسانهن وتشرف على تقسيم العمل فيما بينهن.

إن أثر المرأة الخفي في الأسرة وفي علاقتها بالرجل كزوجة أو أم أو أخت أو جدة هو أثر عميق ولكن لم يعترف به نظراً للميل العفوي إلى الإفراط في تضخيم دور الرجل والتقليل من أثر المرأة (شرابي، 1980). وهذه ميزة من ميزات المجتمع القائم على سيطرة الرجل. إن سلطة الوالدين داخل الأسرة لا يمكن تفسيرها إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار السلطة المعنوية ذات الركيزة الدينية التي توجه سلوك الأطفال.إن سخط الوالدين يمكن أن يتم في الدنيا قبل الآخرة في اعتقاد المغربي.

لقد أشار عدد من الباحثين وخصوصا باسكون والراضي والمرنيسي إلى الطابع البطريركي للأسرة المغربية ووقفوا عند هذا الحد، دون أن يأخذوا بعين الاعتبار الشروط التاريخية والاجتماعية لتكوّن هذا المفهوم.

إن مركز الأب كما وصفه هؤلاء الباحثون يستحضر بطبيعة الحال الأسرة البطريركية، وتوحي بهذه المقارنة الشكلية سيادة مركزه والجمع المتكرر لدوري الأب وزعيم الأسرة. عندما تكون الأسرة المقتصرة على الجد الحي وأولاده وأحفاده فإن التشابه يزيد بين الأسرة المغربية والأسرة البطريركية. ولكنه رغم هذا لا يمكن أن يعتبر النظام الأسري المغربي على أنه بطريركي لأنه من الوجهة الشرعية يعتبر الإسلام الأب كوالد أي منجب وليس كزعيم مالك لشيء مًا متمتع بالقداسة. لقد أعطت الشريعة الإسلامية الأب بعض السلطات التي كان يتمتع بها زعيم

الجماعة النسبية على أطفال الجماعة الأسرية في المرحلة الماقبل الإسلامية. وحتى إن بقيت هذه السلطات كما هي فإن طبيعتها قد تغيرت. إن سلطة الأب سلطة معنوية وليست سلطة زعيمية. إن البطريق هو مالك وزعيم وتتشكل هذه العلاقة على أساس قانوني/ قدسي. بينما الأب في الأسرة المغربية هو منجب أي أن العلاقة تتشكل هنا أساسا على المستوى البيولوجي والنسبي. إن سلطة الأب مهما كبرت فإنها تعتبر غير مطلقة وتبقى معدلة من طرف التعاليم الشرعية. وليست سلطة سيد أو مالك ولكنها سلطة الحماية والوصاية .

إن التغييرات التي عرفها المجتمع المغربي إثر احتكاكه بالنظام الاقتصادي والاجتماعي العصري كان لها أكبر الأثر على الأسرة المنظمة بهذا الشكل. لقد تم اقتلاع أغلب الجماعات الأسرية من جذورها وقطعها عن أسسها الاقتصادية التي كانت تشكل أساس التنظيم العام للعلاقات السائدة داخلها وأصبحت ممارسة السلطة من طرف الأب أو ممثليه عملية صعبة. ومن أهم النتائج التي ترتبت عن تفكك هذا النظام الأسري هو أن المرأة ـ الأم أصبحت متحررة في أغلب الحالات من سيطرة أم زوجها ومن ضغط الجماعة العصبية. وأصبح جل أعضاء الأسرة تابعين لسوق العمل الخارج عن الأسرة ولم يبق الأب وحده هو الكفيل بأن يعول وأن يحمي الأسرة. وأصبح هو بدوره متحررا من سلطة أب أوأخ أكبر أو عم كان يفرض سلطته على أعضاء الأسرة الموسعة كلها. إلا أنه أصبح يحس أكثر من أي وقت مضى بعقم محاولاته في السهر على التشبث بالعلاقات كما كانت سائدة من قبل حسب السن والجنس، وأصبح وجوده في البيت يتميز بسكوت يرد عليه الأطفال والزوجة بالسكوت. وأصبحت الزوجة والابن الأكبر العنصرين الذين يستحملان التناقضات الناتجة عن الأوضاع الأسرية التي تعيشها الأسرة حاليا.

وقد أصبح عدم الانقسام الذي كان سائدا في الماضي يعرف تراجعا. وأصبح من بإمكانه تقديم أكبر مساهمة نقدية لميزانية الأسرة هو رب الأسرة مهما كان سنه. ويبين لنا تحليل الأوضاع الملموسة تعدد أشكال العلاقات الممكنة المتعلقة بالمحافظة على سلطة الأب التقليدية وبالقلب الشامل للعلاقة العرفية القديمة. وقد ترتب عن هذا عدة نتائج أهمها : ظهور تعددية المداخيل النقدية المقاسة والمحسوبة التي تتضمن بالقوة قطيعة وتهديدا لسلطة رب الأسرة. ومن جهة أخرى تقل تبعية الشباب للآباء بمجرد ما يبدؤون في الحصول على دخل نقدي خصوصا إذا كانوا أكثر تكيفا مع العالم الاقتصادي الجديد بسبب تمدرسهم . ولا توجد هناك أسرة في المغرب لا تعرف صراعا حضاريا يتمثل في الصراع بين جيل الاباء وجيل الأبناء.

محمد شقرون، 1987. *نظام القرابة والعائلة في المجتمع المغربي*، مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية، الرباط، ص. 59 ـ 86 ؛

هشام شرابي، 1980. *مقدمات لدراسة المجتمع العربي*، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت.

A. Radi, 1977. *Adaptation de la famille au changement*, in B. E. S. M., nº 135, P. J. Berque, 1974. *Structures sociales du Haut-Atlas*, P. U. F., Paris. V. Maher, 1974. *Woman and property in Morroco*, Cambridge University Press, London. P. Bourdieu, 1974. *Sociologie de l'Algérie*, "Que Sais-je ?", P. U. F., Paris.

محمد شقرون

أسردون، (عين) توجد بمدينة بني ملال، ويرجع أصل تسميتها حسب رواية شفهية مشهورة إلى أن المنطقة التي توجد بها العين حاليا، كان يرعى بها أحد الرعاة الذي اكتشف المنبع الأصلي للمياه وظل يحتفظ به لنفسه. وذات يوم قامت مشاجرة بينه وبين إحدى القبائل، بشأن عدم الرعي بالمنطقة، إثرها إلتجأ ذلك الراعي إلى المنبع الأصلي للمياه والذي لا تعرفه القبائل وحبس الماء عنهم. يقال إنه وضع في مكان بروز الماء كمية مهمة من الصوف، فانقطع الماء في المنطقة وتضررت القبائل من جراء الجفاف، عندما طلب الراعي من القبائل، أن تقدم إليه أسردون أي بغلا محملا بالذهب والفضة وهناك من يقول بالنقود الحسنية، ليدلهم على مصدر الماء الذي كان يجري بالمنطقة وهددهم بأنه هو الوحيدالذي يعرف ذلك، فلبتالقابئل طلبه وانتزعت الصوف التي كانت بمثابة الحاجز ورجعت الحياة بالمنطقة.

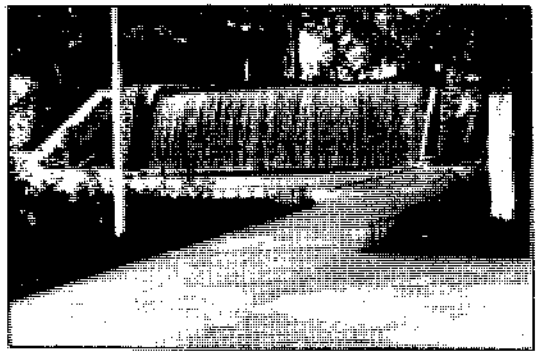

عين أسردون

بعض المعطيات الطبيعية : يمكن إرجاع مميزات هذه العين الى خاصتين.تركزها في المنطقة الجبلية، خصوصا في قدم الاجراف الصخرية.وظهورها على ارتفاع متباين في التكونات اللياسية. وارتفاع صبيبها، يتضح أن معدل الصبيب السنوي سجل 1460 ل / ث.

ترتبط خصائص وظروف تكوين عين أسردون أساسا بعوامل مناخية وبنيوية تسمح بتغذية وتصريف المياه الجوفية.

تتمثل العوامل المناخية في دور التساقطات (ثلوج وأمطار) في تغذية الفرشات المائية. وفعلا فالمنطقة الجبلية تتلقى كميات مهمة من التساقطات 650 ملم في الدير. إلا أن كمية التساقطات لوحدها غير كافية لتغذية الخزانات الباطنية وبالتالي تفسير اختلاف صبيب العين، بل ترتبط أيضا بخصائص الصخارة والبنائية .

إجمالا تتكون المنطقة من صخور دولوميتية وكلسية، تتميز بنفاذيتها المرتفعة، الشيء الذي يسمح بتسرب المياه نحو الاعماق. ومن صخور طينية وصلصالية تلعب دور الركيزة للمياه المتسربة، كما أن المنطقة عرفت حركات تكتونية (التواءات وانكسارات)لعبت دورا مهما في تكوين الخزانات وتوجيه الجريان الباطني.

تظافرت هذه العوامل جميعها لتفسير هذا الينبوع الذي ارجعناه إما لسبب تطابقي (الاتصال بين طبقة صخرية منفذة وأخرى غير منفذة)وإما لسبب بنيوي (انكسار).

وظيفة عين أسردون : هذه العين تقوم بدور أساسي من الناحية البشرية والاقتصادية، فهي تمد مدينة بني ملال والمناطق المجاورة بالماء الصالح للشرب، ويفضل هذه العين تسقى كذلك المغروسات الشجرية (الزياتين) التي توجد بضاحية بني ملال. والدور الثاني الذي تقوم به عين أسردون هو دور ترفيهي، فهذه العين لم تبق على حالتها الطبيعية بل تدخلت السلطات في المنطقة وأقامت عليها مجموعة من الشلالات الاصطناعية والحدائق والمقاهي، مما أضفى على عين أسردون طابعا سياحيا.

بحث ميداني.

عبد الرحيم بنعلي

أَسْرِيرْ - فركلة - ومؤنثه تَاسْرِيرْتْ، اسم أمازيغي يطلق على عدة أماكن في المجال المَعنى باللغة الأمازيغية. والكلمة تطلق الآن عند التوارگ على "كل بسيط كبير أو صغير مكون من أرض صلبة خالية من الأحجار والنباتات" ويعتقد أن الجذر في الكلمة هو ر. و. ر. وهو الذي أعطى فعل رو. يعني جرى، مما يعطى لكلمة أسرير، وهو صيغة اشتقاق، معنى ميدان الجري. ونجد أن هذا المعنى ينطبق

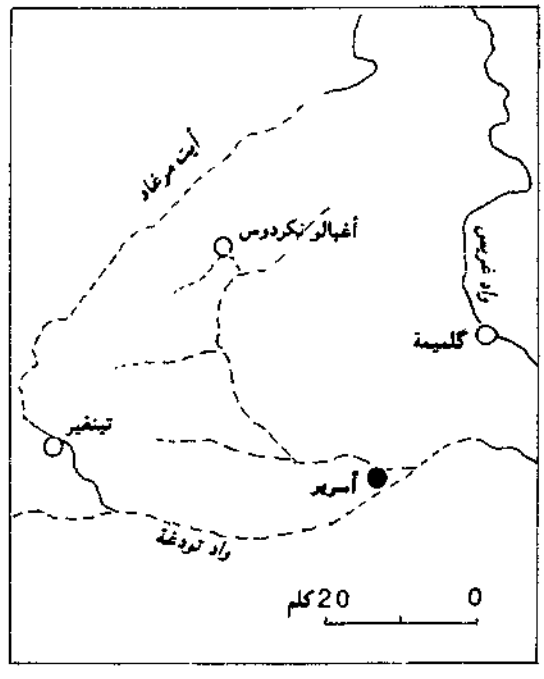

أسرير فركلة

فعلا على كل من موقع أسرير وهو اسم قصر من قصور واحة فركلة في حوض وادي غريس ومنطقة تاسريرت عند أيت باعمران.

وقد اشتهر من بين هذه الأماكن كلها قصر أسرير فركلة الذي يعد المركز الرئيسي لواحة فركلة الخصيبة التي تسكنها قبيلة أَيْتْ مْرْغَادْ.

وأول إشارة لهذا القصر في النصوص التاريخية نجدها في وثيقة الصلح الذي عقد بين العلويين والدلائيين بعد معركة الگارة سنة 1056 / 1646 وقد نص هذا الحكم على إبقاء هذا القصر تحت النفوذ الدلائي نظراً لأهميته الاستراتيجية

أ. الناصري *الاستقصا*، ج 7.

Ch. De Foucauld, *Dictionnaire Touareg-Français*, IV ; 1856.

العربي مزين

أسرير، - سوس - على بعد حوالي عشرة كلمترات مدينة گليميم جنوب الأطلس الصغير يجسد مدشر أسرير عاصمة المداشر الأثرية القديمة. وتفيد الكلمة السهل الذي يتوسط مجموعة هضاب أو الملازم لواد كبير الحجم. إلا أن اسم الموقع هذا يخالف هيئة المدشر الممتد على أسفل الهضاب الموازية لوارگ النون أحد أكبر روافد وادي نون، إذا كان أسرير غير محاط بسور فذلك يجسد مجموعة قصبات صغيرة تتميز كل واحدة بحجم سورها وباستقلالية مسجدها. ولعل أقدم هذه القصبات بالترتيب قصبة أمازيغ وقصبة أيت بلقاسم ثم قصبتا أيت مسعود.

تؤكد التحريات الميدانية التي قام بها العسكريون الفرنسيون خلال النصف الأول من هذا القرن على أن مآثر نول لمطة (مدينة لمطاطة) يرقد جزء منها تحت أنقاض أسرير وتيشيشت بتغمرت المجاورة (*NOTES* : 21).

وبالرغم من أننا نجهل تاريخ بناء مدينة نول المنصوص عليها في مدونات الجغرافيين العرب، إلا أنها تبدو مرتبطة بأهمية نظام السقي، إن أسلوب التحكم في المياه عبر الخطارات يربط زراعة هذه المناطق الشبه صحراوية باستيطان الفينيقيين. هذا الاحتمال يقتضي الحديث عن أساليب التحكم الفينيقية واستعراض العناصر المكونة بين تغمرت وأسرير ووعرون وتگاوصت وتسگنان لشبكة تقليدية من حجم كبير جدا. وما من شك في أنه باستطاعة البحث الميداني والتنقيب أن يجيب على هذه الاحتمالات.

لقد تجلت مدينة نول لمطة خلال العصر الوسيط من بين أهم مدن ضفة الصحراء الشمالية، وقد بلغت ازدهارا كبيرا مع وصول المرابطين إليها. هذا ما يؤكده تأسيس معمل سك الدينار المرابطي الذي جعل من نول ثالثة مدينة بعد سجلماسة وفاس من حيث عدد الدنانير الموجودة حاليا بمتاحف باريس ولندن والجزائر والرباط (J. Devisse : I : 68 - Bréthes, 282 , 284). على أن ما يهمنا هنا هو الحيز المجالي المخصص من المدينة لما سمي

بمدشر أسرير، فقد ورد هذا الاسم لأول مرة على مانعلم في كتاب *التشوف* (344). فقد أشار منذ بداية القرن السابع الهجري إلى وجود زاوية سيدي محمد بن عمرو اللمطي بأسرير. وإذا كانت هذه الزاوية من أقدم المساجد ببلاد لمطة، فإن الرواية الشفوية تشير الانتباه إلى مسجد قصبة أگويدير أسرير حيث تتلاشى بشكل ملحوظ قصبة عسكرية من حجم هام وموقع أهم. وهنا لابد من الوقوف عند أهمية الموقع الدفاعي لتأكيد الصعوبات التي واجهت الموحدين حتى سنة 550 / 1155 م. لقد عمل أبو حفص حسب كتاب *البيان المغرب* على غزو المنطقة مستعملا في ذلك ثلاثة جيوش . وقد كان ساعتها أهگار اللمتوني أميرا على وادي نون. فما كان منه إلا أن توجه بطلب المساعدة إلى القائد اللمتوني يحيى الصحراوي الذي عاد من الصحراء ملبيا النداء. فلم تلبث قبيلتا جزولة ولمطة في غزو المناطق المجاورة حيث استقر اللمطيون بين سوس الأعلى ووادي درعة (L. Provencal : 193 - Huici - Miranda : 168) وبظهور بوادر تطور مدينة تگاوصت بالمحور الساحلي، يكون القرن الثالث عشر قد أطل ومعه جموع المعقليين. وقد جاءت تنمية الموارد التجارية للمدينة خير منافس لازدهار نول لمطة ومداشرها المجاورة (33 : La Chappelle).

ونجهل حتى سر علاقة مجاهدي أيت إعزّى وبهدي بالهلاليين ولاسبب وجود قبور هؤلاء بأسرير. على أننا نعلم مدى ما سببته الحرب المرينية المعقلية من خراب للمجال القروي زاد من حدة الكوارث الطبيعية التي تكالبت على المنطقة خلال القرن الرابع عشر. فالأوضاع ستظل على ما هي عليه من تدهور إلى قيام السعديين الذين جسدوا دولة حلف إگزولن التاريخي. فقد اتخذوا جيشهم المركزي وحكامهم وقضاتهم من أهل سوس (*الاستقصا*، 4 : De Castries : I : 110 ; *Chronique Anonyme* : 25 - 105, 635 : II : 201 - 554).

وتدل بعض الوثائق المحلية على توفر عائلة بوشبوك اللمطية على ما كان يتمتع به حملة الكتاب من ظهائر توقير وإحترام . الواقع أن هذه العائلة المرابطية لم تكن تمثل يومها إلا امتدادا للتقليد العلمي القديم بأسرير. فالرواية الشفوية تنسب مولد وگاگ بن زلو اللمطي منظر دولة المرابطين وأستاذ عبد الله بن ياسين إلى عين المكان. وهو أمر يبدو غير مستبعد خاصة إذا علمنا أن مقر هذه الشخصية التاريخية الأول قد كان بتزروالت وأن الازدهار الاقتصادي للمنطقة قد أهلها أيضا لنشر المعرفة الدينية، فجاء بذلك من بين أبناء أسرير عدد وافر من ألمع فقهاء سوس . وهكذا يمكن أن نذكر الشيخ أبا سليمان بن داود علي الحيحائي، وهو عالم اضطلع محليا بتدريس مادتي الحساب والفرائض بطريقة موسعة على ما أفاد به الأستاذ المنوني (*إمارة* : 140 ـ 141). ففي سنة 663 / 1264 كان عبد الله بن أبي بكر بن يحيى الجذميوي الصودي تلميذه في الحساب وكتاب *الكافي* والفرائض، فهو يشير بوضوح إلى أن الشيخ أبا سليمان يعتبر أستاذه الأول والأهم (المنوني، *دليل* 38 ـ 39 ـ 40) وقد تضلع التلميذ في الدراسة لحد تأليف ثلاثة كتب في الفرائض يحمل أكبرها اسم *نهاية الرائض في خلاصة الفرائض* (مخطوط بتمگروت أول مجموع رقم 1647).

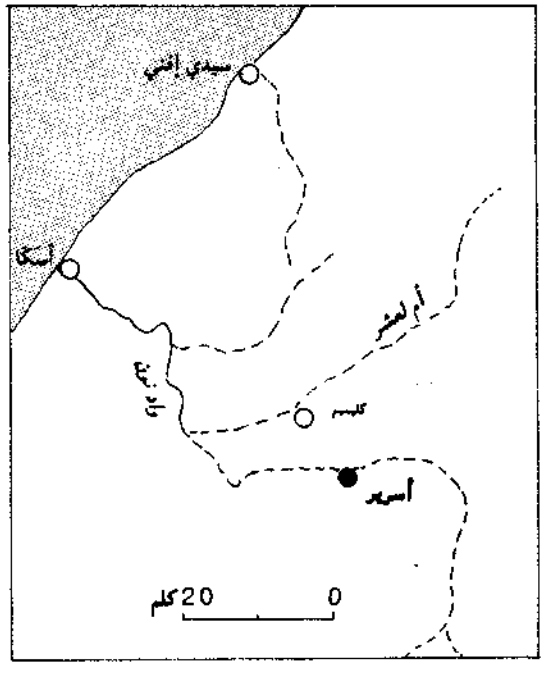

أسرير (كلميم)

ولاشك أن ارتباط هذه المنطقة بالحساب مرده إلى علاقته الوثيقة بعلم الفرائض المتعلقة بقسمة التركات التي هي من وظائف الفقهاء. نذكر من هنا أهمية هذا الجانب الذي يقود إلى تحليل دور الفقيه .ومن بين الفقهاء الكبار الذين عرفهم مدشر أسرير فيما بعد عبد الواحد بن الحسين الركراگي الوادنوني. فقد كان من بين القلائل الذين يتعاطون في سوس لدراسة وتطبيق الأصول (*سوس العالمة* : 43 ـ 50). وله شرح على *المدونة* و*أرجوزة* في زهاء مائتي بيت معروفة *برسالة في ترحيل الشمس* (*سوس العالمة*، 178).

ي.التادلي، التشوف ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة* ؛ م. المنوني، *المؤسسات التعليمية الأولى بسوس وخصائص المدارس العتيقة بالمنطقة*، المناهل، ع. 34، يوليوز 1986، 35 ـ 52 ؛ *دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمگروت*، الرباط 1985 ؛ م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة تاريخ العلاقات التجارية والسياسية*، الرباط، 1988.

L. Provençal, *Documents inédits d'histoire almohade*, Coll. de textes. ar. relatifs à l'occident musulman, I, Paris, 1928 ; Frederic De La Chappelle, *Les Tekna Du Sud-Ouest Marocain, Etude Géographique, Historique et Sociologique*, A. F, 1934, 109 p ; G. S. Colin, *Chronique anonyme de la dynastie Saadienne*, Rabat, 1934, déjà traduit par Fagnan, *Extraits inédits relatifs au Maghreb*, 360 - 457 ; J. P Brethes, *Contribution de l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques. Monnaies Inédites ou très rares de notre collection*, in fol., 275 p., Ann.

Mar., Casablanca, 1939 ; H. De Castries, *Les Saadiens, A. n* ; vol I, 110 - 635 ; II, 201 - 554 ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna du Sud Marocain*, IHEM, Notes et Doc, III, 1948, 59 p, Larose, Paris ;D. Eustache, *les ateliers monétaires du Maroc*, H. T, 1970, fasc. Unique ; J. Devisse, *"Routes de Commerce et Echanges en Afrique Occidentale en relation avec la Mediterranée. Essai sur le commerce africain medieval du IX au XVIe siècles"*, R. H. E. S. L. Vol année, 1972. nº 1.

مصطفى ناعمي

أسرير مدرسة في قرية على بعد حوالي عشرة كيلومترات من مدينة گليميم جنوب الأطلس الصغير ؛ وهي في أرض فلاحية خصبة يقام بها موسم تجاري سنوي ؛ ومعناها بالبربرية الفناء والباحة. أهلها عرب صحراويون على ضفاف وادي نون وكانت نشيطة خلال القرنين 9 . 10 / 15 . 16 وقد درس بها فقهاء من أسرة آل عمرو وغيرهم ؛ كما عرفت أسرير بالعلم والصلاح منذ القرن 7 / 13.

وأسرة آل عمرو هذه بكرية عند بعض النسابين، وعلوية عند آخرين (*المعسول* 12 : 189 . 190) تنسب إلى محمد بن عمرو الأسريري أبي عبد الله بدر الدين حوالي القرن 6 / 12 وهو يذكر في *التشوف* وعند الحضيكي موصوفا بأنه الإمام العابد الناسك المقصود إليه بالتبرك حيا وميتا ؛ وقد زاره صاحب *الطبقات* بسبب خلاف بين أهل بلدته رجاء الدعاء لهم فاستجيب الدعاء ؛ كما وصف ابن عمرو بالتهجد وختم القرآن كل ليلة مع أهل تلك الجهة من شهر رمضان ؛ وقد أجيز من شيوخه ؛ كما دفن داخل مقبرة أسرير وبقيت زاويته بعد وفاته هناك ؛ مع وجود ظهائرسعدية في احترام هذه الأسرة الشريفة التي تمت بصلة إلى أسرة أخرى موفرة في سوس هي أسرة (إعزّى ويهدى) البكرية الصديقية (*المعسول* 12 / 189).

وقد تفرع حفدة ابن عمرو فرعين، أحدهما في أسرير والآخر في گليميم كما اتخذ على مقبرة الشيخ ابن عمرو مشهد يزار ويقام عليه موسم سنوي ؛ وممن ذكر بعد الشيخ ابن عمرو بهذه الناحية : عبد الواحد بن الحسن الركراكي (ادرك أوائل القرن 10 / 16) واعتبر شيخ الجماعة بوادي نول لما درس عليه السوسيون والصحراويون من علوم القرآءات، والفلك، والتوقيت ؛ وألف كتابا غريبا في الصرف والأصوات والتجويد حول طاءات القرآن وظاءاته وذالاته، كما ألف *أرجوزة* في الفلك (حجي 2 : 621).

غير أن التعليم تقهقر بعد عبد الواحد بن الحسن الركراكي بمدرسة أسرير، لذلك قام الشيخ عبد الله بن يعقوب السملالي (ت 1025 / 1643) جد الأسرة الأدوزية الشهيرة بالعلم والصلاح والتآليف في سوس، قام بتوجيه عناية خاصة إلى ناحية أسرير إحياء للنشاط العلمي والتربوي بها ، وذلك بارسال نخبة من طلبته المخلصين، وهو بتازموت بقبيلة سملالة الأطلس الصغير، إلى مدرسة أسرير؛ ومن هؤلاء المبعوثين :

محمد إبراهيم الأسريري (1049 . 1639) وهو تلميذ ابن يعقوب، وتخرج على يده في تازموت بسملالة ؛ فصار بذلك فقيها متمكنا ؛ فلما عين بمدرسة أسرير قام بالتدريس والإفتاء إلى أن أدركته الوفاة (*المعسول* 5 : 31) وقد ذكر في مكان آخر باسم محمد بن أحمد ابن إبراهيم (*المعسول* 5 : 31) ونسبه الحضيكي إلى جده إبراهيم.

ومن تلاميذ ابن يعقوب الذين وجههم إلى مدرسة أسرير : أحمد بن سعيد التملي الودنوني (ت 1052 / 1652) وهو من المتخرجين في (تازموت) أيضا، وقد صحب شيخه ابن يعقوب نحو ثمانية عشرعاماً لايفهم ولايحفظ شيئا ولايكاد يرفع بصره للسقف ولا للسماء حياءً وهيبة وخشوعا إلى أن عمد الشيخ مرة إلى نزع اللوح الذي يكتب عليه من بين يديه داعيا له، فبسبب هذا رجع اليه كل ماسمع حفظا وفهما ؛ وحينذاك شيعة مودعا إلى أسرير (حجي 2 : 622) حيث اجتهد فيها بالقيام بالتدريس وأداء الأمانة على نحو ما تربى عليه عند شيخه ابن يعقوب.

ومن الذين درسوا بمدرسة أسرير بحسب التسلسل التاريخي لوفياتهم أحمد بن علي المصلوحي الوادنوني (ت نحو 1062 / 1652) ؛ وقد وصف بالفقه والمشاركة في مختلف العلوم، مع توليته منصب القضاء في وادي نون ؛ إلى نشاط في التدريس بجامع أسرير كنشاطه في الأحكام والفتوى (حجي 2 : 622).

ومن بين من يذكرون من علماء الأسرة البنعمرية الأسريرية في هذه الفترة أحمد بن محمد بن عبد الله (كان حيا عام 1152 / 1739) وقد وصف بالفقيه الأجل في رسائل رسمية مؤرخة بالتاريخ المشار إليه أعلاه (*المعسول* 12 : 190).

ومن العلماء الأسريريين عبد الرحمان بن علي وقد وصف بالقاضي الفقيه وباسمه وباسم أفراد هذه الأسرة صدر ظهيران سليمانيان علويان سنة 1112 / 1700 وسنة 1217 / 1802 وآخران رحمانيان : نسبة إلى المولى عبد الرحمان العلوي عام 1242 / 1826 وعام 1261 / 1845 لذلك ربما تكون وفاته قد تأخرت إلى ما بعد 1261 / 1845 ؛ كما أن محررات بخط يده في أمور المعاملات والقضاء متداولة بكثرة في وادي نون.

ومن علماء الأسرة الأسريرية : المسمى عبد الواسع بن محمد بن عبد الله أخو أحمد المتقدم (امتد به العمر إلى 1172 / 1758) وقد وصف بالفقيه الأكمل ؛ كما أذن له ولأخيه أحمد من قبل السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل في القضاء ؛ كما ذكر اسمه في ظهير صادر من السلطان محمد بن عبد الله العلوي سنة 1172 / 1758.

ومن علماء هذه الأسرة محمد أگليد = السلطان (كان حيا سنة 1261 / 1845 ؛ وقد وصف بالفقر في مشجر بأنساب الأسرة ولقب بأبي الشبوك (12 / 191).

ومنهم علي بن محمد أگليد ولد المتقدم قبله وقد وصف بالفقر في مشجر أنساب الأسرة (المتقدم) (*المعسول* 12 : 191).

ومنهم أيضا عبد الرحمان بن علي ولد المتقدم وقد وصف بالقضاء والفقه (تقدمت ترجمته).

أما محمد بن عبد الرحمان ولده فمات قبل 1261 / 1845، وقد وصف بأنه فقيه صالح ؛ وقد انتقل من أسرير إلى ناحية الشياظمة فدفن بـ (مسكالة) وعليه مشهد هناك (*المعسول*، 12 : 191).

وأما محمود بن عبد الرحمان أخو المتقدم كما يظهر من تسلسل النسب في هذه اللائحة فامتد به العمر طويلا حتى استوفى 118 سنة فمات سنة 1333 / 1914 ؛ لذلك أتيحت له الفرصة للتعليم والإفتاء والإرشاد بعد أن تخرج بالشريف الكثيري ؛ ثم أقبل على الزاوية الأسريرية ؛ فملأ الفراغ بعلمه وفضله وديانته ؛ وقد ترك محررات ورسوما بخط يده مما تمتلىء به تلك الناحية لدى الأسر الوادنونية ؛ وكان ثقة عدلا، يعتمد خطه في الرسوم التي حررها ؛ كما اعتمدت أحكامه في القضاء أيضا.

اما ولده أحمد بن محمود (ت. 1367 / 1947) فقد تخرج من بعض مدارس سوس والتحق بعد ذلك بفاس ؛ ولما رجع منها خلف والده المتقدم، واشتهر كثيرا بسبب اتصاله السياسي بأحد قواد تلك الناحية المسمى دحمان بن يبورك ؛ حيث كتب له، كما اتخذ حكما في النوازل عنده إلى حين مجيء الاحتلال الفرنسي إلى تلك الناحية عام 1352 / 1933 فاضطر إلى الاعتزال بالزاوية الأسريرية (*المعسول*، 12 : 191).

ويذكر من أولاد عبد الرحمان المتقدم، المسمى عبد العزيز بن عبد الرحمان، وصف بالفقه والتحصيل ؛ كما أنه التحق بالصحراء (توفي صدر القرن 14 / 19). كما يذكر من أحفاد عبد الواسع المتقدم الذكر حفيده المسمى أحمد بن محمد بن عبد الواسع بن محمد بن عبد الله ؛ وقد وصف بأنه فقيه منشيء خطاط، كتب شجرة أنساب أسرته (*المعسول*، 12 : 192).

أما أخوه عبد القادر بن محمد بن عبد الواسع (ت. 1369 / 1949) فدرس وتعلم بزاوية (بونعمان) القريبة من تزنيت ؛ ويظهر انه بقي بها طويلا بعد أن أخذ القرآن عن الحسن الباعقيلي، أرسله والده مع ثلة من أبناء عمه إلى بونعمان فدخلوا إليها وعلى رؤوسهم قلانس طويلة من الشعر على عادة بلدهم وذلك حوالي 1300 / 1882 وقد قدر له البقاء هناك إلى حين وفاته حيث أصبح محور المستفيدين من الطلبة، وذلك قبل أن ينقبض عن الناس قبل سنة 1361 هـ وكان قد حبب إليه شرب الشاي مع نزعة إلى التصوف الدرقاوي الإلغي مع ممازحة لمن يثق بهم.

ولم يعد يسمع اليوم عن هذه المدرسة شيء يستحق أن يذكر باستثناء بعض الطلبة الأسريريين الذين ذكروا من بين تلامذة الحاج مسعود الوفقاوي (*المعسول*، 12 : 192) كما يذكر أحد الأسريريين بالفقه والصلاح واسمه محمد الغزال، درس بسوس وفاس وتوفي بمراكش (المعسول، 12 : 192).

م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*.

محمد البايك

الأسريريُّون (علماء) ← **أسرير** (مدرسة)

أسًّا، تردُّ الرواية الشفوية أصل كلمة أسا إلى تيسيت التي تفيد المنخفض الجبلي وهنا لا يمكن فصل تاريخ القصبة البعيد عن أهمية موقعها التجاري والمجالي بين المحيط ومشارف الصحراء. فالجانب الغربي من سلسلة جبال باني حيث تجثم القصبة يعتبر إحدى المعالم البارزة لضفة الصحراء الأطلسية جنوب سوس الأقصى. ويحد السلسلة جنوبا وادي درعة الذي لا يبعد عن القصبة إلا بحوالي 121 كلم. فبإعلان هذا الوادي عن بداية الصحراء تكون القصبة أقرب محطة إلى طرق القوافل المحلية. فالمجال عبارة عن أحواض سهلية محاصرة بين تجاعيد تضاريسية لا تعبرها إلا فائجات ضيقة بينها بحيرات تسقي أفواهها الضيقة الأراضي المحيطة بأسًّا في نهاية المنعرجات الجبلية المطلة على الصحراء. هذا ما يُبرزه فم تيسينت وفم طاطا حيث يشيع الفج العميق لوادي أسًّا فجاه حقلا رمليا صحراويا للتصفية، وهو واد ضيق يمتد على أزيد من كلمترين ونصف من الأراضي المسقية والبورية التي تظللها حوالي 30.000 نخلة بالإضافة إلى أشجار الزيتون والرمان والحناء. وهنا تجدر الإشارة إلى انه في وقت لم تعرف فيه المنطقة أوراق النعناع أو التبغ كانت غابات الزيتون السبب في تسمية درعة الزيتون. ولا شك أن دور هذه الغابات التي كانت تغطي سهولا صحراوية شاسعة قد أسهم بشكل كبير في ظهور القصبة. ذلك أنه سواء كان السكان الأولون للقصبة هم الفرع الغربي لأبناء كوش بن حام بن نوح أم لا، فإن الملامح المعمارية للقصبة تعلن عن طابع اليمن وحضرموت. ذلك أن استعمال الحجارة كمادة أساسية في البناء يزيد من انسجام الأشكال الفرعية لهيئة القصبة الخارجية. لقد أكسب التنضيد الدقيق لهذه الحجارة إفريزها المدعم وجلياتها المزينة شكلا متناسق الأبعاد. هذا علاوة على أن الأهمية الإستراتيجية للموقع تبرز بجلاء كبير من خلال هيئة برجها الدفاعية. هذه الميزات التي تخص أسًّا كقصبة صحراوية عما عداها شمالا تجعل منها أقدم بناء أثري بمجمل الضفة الشمالية الغربية للصحراء على الأقل.

في انتظار ما ستأتي به الحفريات في هذا الصدد، تجدر الإشارة إلى أن مما يزيد من صلاحية هذه الاحتمالات هو ربط الرواية الشفوية أصول السكان الأقدمين للقصبة بالأكاديين والكنعانيين (*المعسول*، 9 : 13). وتفيد بعض المخطوطات اليهودية الهامة التي نشرها جان كاطفوسي J. Gattefossé بأن مقدم اليهود إلى درعة الزيتون خلال القرن الثامن قبل الميلاد قد صادف امتلاء المنطقة من الحبشيين (الحراطين) والأمازيغيين. على أن محاولة تشخيص هذا التقسيم الإثني عن طريق أدلة البقايا الأثرية هي حاليا على درجة مفرطة من الحدسية بحيث لا يمكن الإعتماد عليها. كما أنه ليس بإمكاننا أن نستخلص

استنتاجات معينة عن الحضارات القديمة من مقارنة للمعطيات اللغوية. فهذا العامل يبرز إلى أي مدى اندمج الحراطين والصنهاجيون المسيطرون لغويا في تيار مشترك. كما أن التعابير القرابية المحلية تحيل الباحث مباشرة على مفهوم المؤسسات القبلية الأميسية. ومهما يكن فإن الوجود الهام ودور الحراطين في تركيب المجتمع وتطوير القصبة كان أساسيا. ذلك أنه من الواضح الجلي أن الحبشيين الدراتيت الذين أشارت إليهم الكتابات الأروبية قبل المسيح كانوا يتوفرون على برنامج سياسي يتعلق بالتطورات الاقتصادية والاجتماعية سهل عليهم مأمورية التبادل عبر الساحل الأطلسي مع أقربائهم القرطاجنيين. فقد كان بأسا وقتئذ موسم دوري يسمى «عيد الأكيال» تصل إليه قوارب الفينيقيين عبر وادي درعة. وكان الحبشيون يبادلونهم جلود الحيوانات الأليفة وكذا أنياب الفيلة والخمور مقابل المرمر والفخار المصري والأواني الخزفية والأكيال. على أن الرواية الشفوية لم تحتفظ من تاريخ العلاقات مع الفينيقيين إلا بكلمة «فنيقس» التي ما تزال تشهد على انتشار هؤلاء عبر مختلف أرجاء سوس الأقصى. هذا الاستقرار يدعو إلى إعادة تركيب صورة أصل الأعراف الشفوية التي لن تلبث أن تضيف قبائل صنهاجة إلى حضارة الشرق الأوسط. ذلك ما أكده من جهته السواد الأعظم من الجغرافيين ومدوني الأحداث العرب منذ وصول عقبة بن نافع إلى مشارف المنطقة. نرى إذن أن مجمل المراجع الشفوية والأروبية والعربية تصب في اتجاه الأصل المشرقي لسكان أسا حبشيين كانوا أم صنهاجيين. لقد تمكن الحبشيون كما هو معلوم من تمسيح جزء من اليهود المحليين خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين معتمدين في ذلك على كنيسة روما وجماعات مسيحية وافدة على المنطقة من المحيط. ومن جهة أخرى فقد مر على دخول الدين الإسلامي أزيد من خمسة قرون قبل التمكن من تغيير البنية الدينية والاجتماعية للمنطقة. لقد وصل يحيى بن إدريس الأصغر بعد وفاة أبيه كمرشد ديني، لكن تشبث المحليين بنظامهم القرابي ومبادئهم الدينية حد من نجاح مهمته. وهنا لا بد من الإشارة إلى أنه ليس من الغريب أن يغيبَ اسم أسا عن مدوني الأحداث والجغرافيين خلال القرنين الحادي والثاني عشر الميلاديين. ذلك أن المنطقة ظلت مجهولة من طرفهم جميعا بالرغم من ازدهارها الاقتصادي. لذلك فإنه من الضروري انتظار القرن الثالث عشر ليتغير وجه القصبة مع الغزو المعقلي وظهور رجل مبجل هو يعْزّوهْدَى مؤسس زاوية أسا.

لقد اكتسح المرابطون كما نعلم مدن تامدلوت وإفران وتقنارت وتغاجيجت ونول لمطة، فهل لعبت الطبيعة والتضاريس دورا ما في عزل أسا عن مسرح الأحداث؟ لا يمكننا هنا إلا أن نضيف إلى هذا السؤال سؤالا آخر حول دور الطابع المغلق لطبقات الحراطين في عزل القصبة. فإذا كان ظهور نول لمطة في فترة نجهلها وتامدولت وسجلماسة قد حد من أهمية أسا الاستراتيجية، فإن حجمها التجاري والحضاري سيختفي مؤقتا كذلك خلف الدور التاريخي لنول قاعدة اللمطيين وملوكهم اللمتونيين بوادي نون. لقد اندحرت تغاجيجت أمام الجيش الموحدي سنة 548 / 1153، كما أخفقت مساعدة يحيى اللمتوني العائد من الصحراء في حماية نول وملكها أهكار اللمتوني سنتين بعد ذلك. وكل ما نعلمه عن أسا يومها هو قيام قبيلة لمطة بغزو المنطقة الواقعة بين سوس الأعلى ووادي درعة. فانضاف هذا العامل إلى الإبادة الجماعية الموحدية والغزو المعقلي ابتداء من سنة 614 / 1218 لتكون أهم الأحداث المحلية التي ستبرز معالم تسرب التصوف الشعبي كظاهرة استقرائية للأحداث. ولئن استطاعت الجيوش الموحدية بيع نساء لمطة وجزولة وأطفالهم بأبواب مراكش، فقد أعلنت القبيلتان بداية مرحلة استقرارية سوف يكون من شأنها تهميش نهائي للغور السكاني المحلي الأقدم.

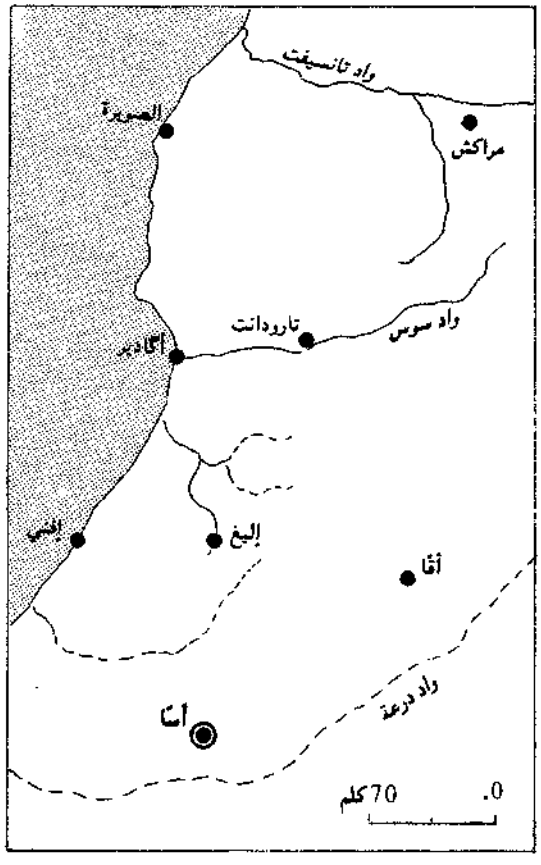

أسّا

في هذا السياق ولتوضيح الواقع البنيوي القرابي والديني فإن ظهور المصلح الصوفي إعَزّى ويهدَى سيبرز بوضوح حدود الإصلاحات المرابطية خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر. وقد أورد المختار السوسي بهذا الشأن نصا هاما (*المعسول*، 10 : 166 . 167) على لسان إعَزّى ويهدَى نفسه. لقد كانت ولادة الشيخ 646 / 1249 بين عَشيرتين محليتين تحتل فيهما المرأة، على ما يبدو، المكانة

الأساسية من حيث دورها في التسمية والتربية وتوزيع الميراث. كما أن تعابير القرابة المستعملة تورد مصطلحات يستهدف منها التعبير عن العلاقات المميزة لمجتمع تنتسب فيه العشائر إلى الأمهات. من هنا فإن الأهمية المطلقة لهذا النص تتجلى في مقدرته على إبراز بعض ملامح الصراع بين المحاولات الإصلاحية للمرابطين، أصحاب الزوايا ومقاومة البنيات الاجتماعية القديمة. ولا شك أن المد الأعرابي المعقلي الذي سبق مولد إعَزّى ويهدَى بثلاثين سنة قد شكل يومها عاملا أساسيا آخر لشحذ حملة هذا الشيخ وأتباعه على كل من اعتبروه خارجا عن العقيدة الحقة. من هنا وانطلاقا من شعار الإصلاح الديني المسلح سوف يمتزج اسم إعَزّى ويهدَى بأسًا سابغا بذلك على استيطان الأتباع صفته المميزة.

هذا الاستيطان يتجلى بوضوح من بقايا المسجد والحي الملاصق له وطابعهما الديني المميز. فالمنازل مبنية من الحجر العاري الغامق اللون حيث يتجلى الطابع الصوفي من بساطة التكوين وغياب الزخرفة. وتقسم الأزقة الضيقة أسا إلى قسمين أسفل وأعلى محاطين بسور يشهد على تماسكه الوزان الإفريقي سنة 1510. (وصف، 1956، II : 209. 210). ففي هذه المرحلة بالذات شكل عنصر أصحاب الربط أداة لتعزيز الموقف الموحد حول الشيخ إعَزّى ويهدَى رمز المقاومة المسلحة. ومنذئذ أصبح من المستحيل مقاومة المد الصوفي الذي جعل من وفاة الشيخ سنة 746 / 1346 خلال المولد النبوي ذكرى تجعل منه جدا اسميا لقبيلة أيت أوسًا. ذلك أن شخصيته التاريخية ترمز إلى القوه المولدة لسمات التحالفات القبلية بعد اشتداد القمع الموحدي والمعقلي. إن من شأن انغراس أسلوب الجهاد وما يرافقه من متطلبات دينية تستجيب لحاجيات الغور السكاني الأقدم، أن تؤدي لا إلى السيطرة النسبية على الصيرورة التاريخية فحسب، بل حتى إلى مقاومة مختلف أنواع الهيمنة الخارجية لأي سيرورة مغايرة كميا ونوعيا.

من هذه البوتقة الحركية تتبلور زاوية أسا كقاعدة أولى للتقاليد الجهادية بمجمل منطقة سوس والساقية الحمراء. على أن هذا التطور لا بد أن يكون قد استغرق من الوقت والجهد ما يكفي لتحقيق صياغته بالشكل الذي سيراه الوزان الإفريقي وكما ستبرزه مستندات المختار السوسي ومدونة زاوية أسا الهامة. لقد قدر الوزان عدد منازل أسًا في بداية القرن السادس عشر بأربعمائة في وقت غطت فيه الأهمية الإقتصادية والروحية للموسم خلال المولد النبوي بأسًا على باقي المواسم المحلية. ذلك أنه بالإضافة إلى امتداد فترة الموسم عبر شهرين صار لزاوية أسا خطها الروحي الذي يميزها عن باقي الزوايا بما فيها تمنارت وأسرير وتازروالت. فالشكل الذي غطى به أتباع الشيخ ـ أيت إعَزّى ويهدَى ـ قصة الجهاد ضد المد المسيحي وتحالفاته المحلية جعل من الزاوية الأرضية الأولى لرابطة إيگزُولْنْ (جزولة) الدينية. وهي وضعية لن تتغير إلا بظهور سيدي احماد وموسى بتازروالت الذي قضى حفيده ابو حسون السملالي (بودميعة) آخر أيامه مع أيت أوسا بعد أن فشلت إمارته.

إن تسارع وتيرة انتصار تجارة السواحل الأروبية قد زاد بالطبع من حدة الأزمة المتجذرة في المنطقة. فكان من نتائج اختلال تجارة المسالك أن تضاعفت وتيرة دفوقات النازحين من المنطقة خلال مدة لم تكن ظرفا عابرا. وإذا كان فانسان مونتاي V. Monteil قد عد سنة 1948 م حوالي 100 منزل آهل بأسًا، فإن هذا العدد يظهر كتعبير عن العلاقة بين الماضي والمستقبل. إن الحجم القديم الذي تشهد عليه وفرة الأنقاض يبرهن على أن أزمة المجتمع خلال أربعة قرون قد بلغت من التناقض درجة أضحت معها الكوابح التي كان يضعها التنظيم الاجتماعي التقليدي عاجزة على أن تلعب دورها المعتاد. على أن استقرار الرحل وظاهرة الهجرة إلى أوربا منذ الاستقلال قد أسهما في الانتعاش النسبي الذي تعرفه حاليا. فنجد بالقسم الأعلى إذاوْمْليلْ حول المسجد والزاوية وأيت أونْگيتْ بالقسم الأسفل. ويعتبر الرحل عموما من ذوي صغار النجعات حيث إن لكل فرع منهم مقرا سواء بأسًا أوبالعوينة. وقد تحول الكل إلى معربين رغم عدم انقراض لغتهم الأم تماما.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 20. 1962.

Marmol, *L'Afrique*, t. III, p. 6 ; J. Gattel, *Ouad Noun et la Takna*, B. S. G, Paris, Mars - avril, 1871, pp. 85 - 89 ; P. Marty, *Les Tekna (oued Noun)*, in *Les tribus de la Haute Mauritanie*, Publications du Comité de l'Afrique Occidentale Française, 1915, p. 65 ; L. Gentil, *A travers l'Anti Atlas et les Deserts du Drâ*, *A. F.* mars, 1924 ; L. Provençal, *Documents Inédits*, p. 193 ; F. C. De La Chappelle, *Les Tekna du Sud Ouest marocain*, *A. F*, 1934, pp. 29 - 30 ; J. Gatlefossé, *Juifs et Chrétiens du Drâ avant l'Islam*, B. S. P. M, nº 3 - 4, 3 et 4ème trim., 1935, 1936 ; O. du Puigaudeau - Sénonnes, *Peintures rupestres du Tagant*, J. Soc. Afr., 1939, t IX, fasc. I ; A. Ruhlmann, *Les recherches de préhistoires dans l'extême Sud marocain*, P. S. A. M, 1939, fasc. 5, pp. 58 - 60 et 88 - 89 ' R. Mauny, *Note sur les grands voyages de Léon l'Africain*, Hesp. 1954, 3 - 4 trim., pp. 380 - 394 ; J. L. L'Africain, *Description de l'Afrique*, t. I, pp. 209 - 210, t. II, pp. 419 - 420 ; J. Meunié, *Hiérarchie Sociale au Maroc présaharien*, Hesp. 1958, 3 - 4 trim., pp. 239 - 269 ; O. Puigaudeau, *Arts et Coutumes des Maures (II)*, H.T, Vol. IX, fasc. 3, 1968, pp. 329 - 458 ; J. Meunié, *Le Maroc Saharien*.

مصطفى ناعمي

أسامّر، اسم سفح الجبل المقابل لجهة شروق الشمس، يقابله أنامّرْ، وأسامّرْ اسم لعدة قرى في جبال الأطلس أما أسامّرْ بني سنان الذي يذكره البيذق (ص 90) فيقع في جهات تدغة.

أحمد التوفيق

الأسطرلاب بالمغرب، آلة فلكية قديمة اختلف في مخترعيها أهم الصينيون أم الإغريق. وكلمة أسطرلاب Astrolabe أطلقت على أصناف مختلفة من الالآت الفلكية بحسب ماتمثله من مسقط الكرة السماوية على سطح مستو أو كروي وقد نقل العرب الأسطرلاب في جملة ما نقلوا من علوم الإغريق أثناء حركة الترجمة الشهيرة على عهد العباسيين وسموه أيضا بميزان الشمس وميزان الكواكب وألفوا فيه منذ أواخر القرن الثاني الهجري / 8 م. أيام أبي جعفر المنصور وشرحوه وطوروه عبر القرون في مختلف المراكز العلمية الاسلامية. وأهم تحوير عرفه الأسطرلاب في

المغرب الإسلامي هو تحويله من عامّ إلى خاصّ في الأندلس أيام ملوك الطوائف على يد الفلكي إبراهيم بن يحيى النقاش الطليطلي المعروف بابن الزرقالة (ت 493 / 1100) ويدعوه اللاتينيون Azarquiel، فعرفت آلته بالصفيحة الزرقالية والشكازية، كما دعيت بالعبّادية نسبة إلى ابن عباد ملك إشبيلية. وعرف الأسطرلاب بعد ذلك أنواعا من التبسيط والتركيب بحسب مايستعمل له من استخراج حساب النجوم والعروض، فكانت هنالك أسطرلابات ذوات صفيحة، وأخرى ذوات صفائح، تداولها علماء المغرب كلها وألفوا فيها واستعملوها فيما وضعوه من أرياج واخترعوه من آلات لمعرفة ارتفاع النجوم وما انقضى من ساعات الليل والنهار.

وربما كانت مدينة سبتة، بحكم قربها من الأندلس، سباقة الحواضر المغربية إلى الدراسات الفلكية والأسطرلابية ، غير أن خطوب الزمن عفّت عن معظم آثارها العلمية. ولايذكر الآن من الأعمال الفلكية للسبتيين القدامى إلاصورة القبة السماوية التي صنعها الشريف الإدريسي (473 / 560 ـ 1080 ـ 1164) لروجار ملك صقلية قبل أن يرسم له الخريطة الأرضية.

وتاتي بعد سبتة في هذا المضمار مدينة مراكش حاضرة المرابطين والموحدين التي عاش في رحابها خلال القرن السادس الهجري / 12 م كبار علماء المغرب والأندلس من مختلف التخصصات، واشتهرت فيها مخترعات فلكية مما يدخل في نطاق الأسطرلاب، مثل المجانة الشمسية العظيمة التي كانت على باب جامع الكتبيين" ارتفاعها في الهواء خمسون دراعاً تنزل فيها عند انقضاء كل ساعة صنجة وزنها مائة درهم تتحرك بنزولها أجراس يسمع وقعها من بعد " ـ *مسالك الابصار*، غير أن أقدم المؤلفات الفلكية الأسطرلابية الباقية لعلماء مراكش لايرقى تاريخها إلي ماقبل القرن السابع / 13، مثل كتاب :

جامع المبادئ والغايات في الآلات الفلكية، ومنها الأسطرلاب، للحسن بن علي المراكشي (ت 660 / 262) قال عنه حاجي خليفة في *كشف الظنون* (1 : 572) :" وهو أعظم ما صنف في هذا الفن " وذكر أنه رتبه علي أربعة فنون الأول في الحساب، والثاني في وضع الالآت الفلكية، والثالث في العمل بهذه الالآت الفلكية، والرابع في مطارحات تحصل بها الدراية والقوة عن الاستنباط. ولم يبق من هذا الكتاب إلا نتف متفرقة، نشر المستشرق الفرنسي سيديو L. P. Sédillot بباريز ماوقف عليه منها في جزءين سنة 1834 ـ 1835 (النص العربي والترجمة الفرنسية).

رسالة في أصول علم الأسطرلاب، لابن الشاط المغربي ولم يذكر اسم المؤلف كاملا في المخطوط، وربما كان هو قاسم بن عبد الله ابن الشاط السبتي (ت 723 / 323) أشهر من عرف بهذه الكنية في المغرب، ولو أن مترجميه لم ينصوا على هذا الكتاب في مسرد مؤلفاته. وقد ترجم إلى الاسبانية، ونشر بغرناطة سنة 1884، النص العربي والترجمة.

مقالة في علم الأسطرلاب، لأحمد بن محمد ابن البناء المراكشي (654 ـ 721 / 1256 ـ 1321) ولهذا العالم الرياضي الكبير غير هذه المقالة مؤلفات فلكية عديدة في ميدان الرصد والأسطرلاب، منها : *رسالة في العمل بالصفيحة المشتركة على الآلة الشكازية الزرقالية*. وأخرى *على الكرة*، *واختصار رسالة أبي القاسم ابن الصفار في آلة الاسطرلاب والأسماء الواقعة عليها*. *والمستطيل واليسارة في تعديل السيارة*، *منهاج الطالب في تعديل الكواكب*. وهذا الكتاب الأخير اعتمد فيه اساسا على :

كراريس في الحركات والتعاديل، لأحمد بن علي التميمي التونسي المراكشي الذي عاش بحاضرة الموحدين أواسط القرن السادس / 12، وخلّف أبحاثا فلكية شخصية مبعثرة في أوراق رتبها أحمد بن البنا وأخرجها في ثلاثة كراريس إضافة إلى الجداول، وانطلق منها في وضع زيجه *المنهاج* الذي نسخ الأزياج السابقة كلها.

وقد كثر تلاميذ الإمام ابن البنا المراكشي في الفلكُ وتفرقوا في مختلف جهات المغرب بسوس وأسفي وسلا ومكناس وبلاد الهبط وغيرها. وكان حظ مدينة فاس من ذلك عظيما مع أشهر تلاميذ ابن البنا عبد الرحمان بن سليمان اللجائي (ت 771 / 69 ـ 1370) شيخ الجماعة في الفلك بها، قصده الطلبة حتى من أقطار المغرب الأخرى. ومن أغرب أعماله الفلكية " أنه اخترع أسطرلابا ملصقا في جدار والماء يدير شبكته على الصفيحة فياتي الناظر فينظر إلى ارتفاع الشمس كم هو وكم مضى من النهار، وكذلك ينظر ارتفاع الكواكب بالليل". ـ *أنس الفقير*، 68 ـ وقد وقف ابن الخطيب القسنطيني زمان قراءته على اللجائي بفاس على هذا الأسطرلاب المائي وقال عنه "إنه من الأعمال الغريبة"، ولابن الخطيب هذا *أرجوزة في الأسطرلاب* وكتبٌ فلكية أخرى. وقد تعطلت هذه الآلة في وقت غير محدد وماتزال صفيحة الأسطرلاب قائمة حتى اليوم في مربع من 71 سم، عليها شبكة تدور حول محور يبلغ قطرها 42 سم. وذلك في حجيرة بالركن الجنوبي الغربي من الغرفة الصغيرة المطلة على صحن جامع القرويين المخصصة للموقتين والمؤذنين. وإلى جانبها في الغرفة بقايا ساعة مائية أخرى علقت تحتها ورقة تقول :" صنعت هذه المنجانة مع أسطرلابها الذي هو من تمامها عن أمر مولانا السلطان أبي سالم بن مولانا أبي الحسن بن مولانا أبي سعيد بن مولانا أبي يوسف بن عبد الحق المريني. وكان تمام صنعها وتركيبها في الواحد والعشرين من محرم الحرام فاتح 763 هجرية (20 نونبر 1361) ـ *مذكرات*، 3 : 67 ـ 68 ..

وإذا كان عدد الساعات المائية المبتكرة في فاس على عهد المرينيين كثيراً فإن أعظمها ساعة المدرسة البوعنانية الشهيرة بين الطالعتين الكبرى والصغرى، التي باشر صنعها الفلكي علي بن أحمد التلمساني الملقب بابن الفحام سنة 758 / 1357 "بطيقان وطسوس من نحاس مقابلة لباب المدرسة ... وجعل شعار كل ساعة أن تسقط صنجه في

طاس وتنفتح طاق، وذلك في أيام آخرها الرابع عشر لجمادى الأولى عام ثمانية وخمسين وسبعمائة" ـ زهرة الآس، ص 40 من ط.الجزائر ـ ومازال زوار فاس يشاهدون حتى اليوم هذه الطيقان والطسوس النحاسية والدعامات والمساند والأفاريز الخشبية المزخرفة، التي تكوّن ـ رغم قدمها وتعطيلها ـ لوحة فنية رائعة ويقوم الآن أحد أبناء فاس، هو المهندس ع. الحلو، بمحاولة إعادة استخدام هذه الآلة بطريقة تقنية حديثة.

وإذا وصلنا إلى عهد الشرفاء السعديين والعلويين الذي انتعشت فيه العلوم العقلية وتطعمت بهجرات الأندلسيين والتلمسانيين وغيرهم إلى فاس ومراكش ومراكز علمية أخرى ألفينا مزيد عناية بالفلك عموما وبالأسطرلاب على الخصوص، تدريساً وتأليفا. ومن أشهر المؤلفين في الأسطرلاب ومختلف الالآت المعدنية المتفرعة عنه لهذا العهد : أحمد بن حميدة المطرفي المراكشي (ت 1001 / 1592)، صاحب *رسالة في آلة الأسطرلاب*؛ وعبد الرحمان بن عمر البعقيلي السوسي المعروف بابن المفتي (ت 1020 / 1611) وأحمد بن قاسم ابن معيوب الأندلسي المراكشي (ت 1022 / 1613) الذين شرحوا آثار أحمد ابن البنا في تعديل الكواكب السيارة. وبلغ من اهتمام أحمد المنصور الذهبي أنه كلف سفيره إلى انجترا عبدالواحد بن مسعود عنون الأصيلي (ت ـ بعد 1009 / 1601)، وكان رياضياً فلكيا، أن يقوم بمهمة ثقافية إلى جانب مهمته السياسية، وأمره أن يتصل بالعالم الانجليزي ادوارد ـ وريعت Edward Wricht وهو رياضي فلكي أيضا اشتهر بتآليفه العلمية وآلاته التطبيقية، ليحصل منه على كرات فلكية وساعات ومزاول وأسطرلابات، وطلب من وريغت أن يُطلع السفير المغربي على جميع مالديه ويصنع له كل الالآت التي يطلبها من نحاس أو فضة على أن يترك موضع الكتابة والأرقام فيها فارغا لينقش بعد بالعربية. وقد مكث عنون في انجلترا سنة أشهر لتحقيق مرغوب مخدومه المنصور .

وقد اخترع العالم المغربي محمد بن سليمان الروداني (ت ـ 1094 / 1683) آلة فلكية كروية تيسر وتبسط ما يمكن أن يقوم به الأسطرلاب المسطح. وقف عليها الرحالة أبو سالم العياشي ووصفها بأنها " مستديرة الشكل منعمة الصقل، مغشاة ببياض الوجه المموّه بدهن الكتان .... مسطرة كلها دوائر ورسوم، قد ركبت عليها أخرى مجوفة منقسمة نصفين فيها تخاريم وتجاويف لدوائر البروج وغيرها، مستديرة كالتي تحتها مصقلة مصبوغة بلون أخضر ، فيكون لها ولما يبدو من التي تحتها منظر رائق، ومخبر فائق. وهي التي تغني عن كل آلة تستعمل في فني التوقيت والهيئة، مع سهولة المدرك لكون الأشياء فيها محسوسة، والدوائر المتوهمة في الهيئة والتقاطع الذي بينها مُشاهد فيها، وتخدم لسائر البلاد على اختلاف أعراضها وأطوالها". ـ *الرحلة العياشية* 2 : 38 ـ.

وألف محمد بن سليمان الروداني رسالة في كيفية العمل بهذه الكرة سماها *النافعة على الآلة الجامعة* في مقدمة وخمسة وأربعين بابا وعشرة فصول وخاتمة، حققها وترجمها إلى الفرنسية الأستاذ شارل بيلا من جامعة السربون، ونشر النص العربي والترجمة في مجلة الدراسات الشرقية بدمشق(ج 27 و28، سنة 73 ـ 1975) وقارن الاستاذ محمد الأخضر في *الحياة الأدبية* (ص 108 ـ 109) بين محمد بن سليمان الروداني في ذهنيته العلمية واختراعه العجيب بمعاصريه العالمين الأوربيين، الرياضي الفرنسي باسكال مخترع الآلة الحاسبة، والفيزيائي الأنجليزي نيوتن مكتشف الجاذبية الأرضية .

وعرفت فاس بدورها عالما موسوعيا أربت مؤلفاته على مائة وتسعين كتاباً، هو عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي (ت ـ 1096 / 1685) منها *المنتقى من علم الاسطرلاب* خص به نظماً *تحفة الطلاب في عمل الأسطرلاب* لأبي القاسم بن الصفار القرطبي (ت ـ 426 / 34 ـ 1035) إضافة إلى تناوله جميع المطالب الفلكية التي يتوصل إليها بالأسطرلاب في معلمته الكبرى *الأقنوم في مبادئ العلوم*. وقد شرح *المنتقى* محمد بن عبد السلام بناني (ت ـ 1136 / 1750) بشرحين كبير فصّل فيه القول في مهمات علم الاسطرلاب، ومختصر اقتصر فيه تلبية لرغبة بعض الطلبة ـ كما جاء في المقدمة ـ على أهم المسائل الأسطرلابية.

كما اشتهر من المؤلفين الفلكيين الحسن بن عيسى المجاصي صاحب *تذكرة الألباب في عمل صناعة الأسطرلاب*. وصالح بن محمد المعطى الشرقي البجعدي (ت 1139 / 1726) مؤلف *تحفة الطلاب في كشف ماخفي من الأسطرلاب*. وسليمان بن أحمد الفشتالي الفاسي (ت 1208 / 1794) صاحب *النبذة اللامعة فيما يتعلق بالصفيحة الجامعة*. ومحمد العربي بن عبد الرحمان مفرج الشفشاوني(ت . بعد 1143 / 1730) صاحب *رسالة في العمل بآلة الاسطرلاب*. ومحمد بن علي الحميدي (ت 1179 / 1765) صاحب *رسالة في آلة الرصد ذات الكرسي*. ومحمد بن الطيب سكيرج (ت ـ 1194 / 1780) مؤلف *معينة الطلاب على التوصل للأسطرلاب*.

وكان هذا الشيخ يولي اهتماما خاصاً لكتب ابن الصفار القرطبي وابن البنّا المراكشي في الأسطرلاب فألف أحد تلاميذه (لم يذكر اسمه) *مفتاح غوامض الأسرار في تهذيب رسالة ابن الصفار*، أتمه عام 1189 / 1775، *والنجم الوهاج في حل عقدة المنهاج*، كما ألف معاصره أحمد بن علي البلغيتي الفاسي (ت . 1208 / 1794) *شرح منهاج الطالب في تعديل الكواكب*. وممّن برع في ميدان الأسطرلاب في القرن الثالث عشر/ 19 أحمد بن العربي عاشور الرشاي الرباطي (ت ـ 1250 / 1834) صاحب *الرسالة الكافية في كيفية العمل بالآلة الشكازية* وهي الزرقالية التي طورت العمل بالأسطرلاب وهذبته كما تقدم.

أما أشهر الفلكيين المتأخرين بمدينة فاس فياتي في طليعتهم عبد السلام بن إدريس الأوديّي (ت ـ بعد 1288 / 1871) صاحب *الرسالة في عمل الاسطرلاب* المسماة *نزهة الزمن وهدية لمولانا الخليفة سيدي الحسن*. ومحمد بن علي الأغصاوي (ت ـ 1340 / 1922) صاحب *الدرة المختارة في تقويم الكواكب السيارة*. *والزيج المستوفي* وغيرهما من المؤلفات التعديلية، ومحمد بن محمد بن إبراهيم العلمي (ت ـ 1373 / 1954) صاحب كرسي التوقيت والتعديل بجامع القرويين وشيخ جماعة الفلكيين الذي ناهزت مؤلفاته الفلكية خمسة عشر كتاباً بين مطول ومختصر. منها : *منحة الوهاب في رسم الأسطرلاب*. وقد وضع شبه تاريخ للعلوم العقلية سماه *إنهاض الهمم العالية للاستطلاع على بعض الكتب الرياضية، في التوقيت والتعديل والهيئة والجغرافية*، استعرض فيه مآت المؤلفات الفلكية وضمنها كتب الاسطرلاب مما وضعه علماء المغرب وغيرهم. وانتهى من تحريره عام 1354 / 1935.

هكذا يتجلى اهتمام الفلكيين المغاربة بالأسطرلاب عبر العصور وإسهامهم في تطويره والتأليف فيه واختراع آلات زمنية بواسطته. وهو اهتمام نال من عناية الدولة ودعمها منذ عهدالموحدين والمرينيين والسعديين كما رأينا. وتضاعف اهتمام الملوك العلويين بالآلات الفلكية المتطورة والمؤلفات الأوربية المستجدة كما يتجلى من عمل السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان (1276 ـ 1290 / 1859 ـ 1873) الذي أشرف على تعريب موسوعة فلكية فرنسية في ثلاثة أجزاء ضخام بعنوان : *الجامع المقرب النافع المعرب* ذكر مؤلفها أنها ثمرة عمل دام أربعين سنة، حاوية لما تحصل من علم الفلك منذ 2500 سنة . وكان الكتاب قد طبع بفرنسا سنة 1764 ثم 1771. وكتب السلطان نفسه مقدمة الترجمة مبيناً الداعي إلى نقل الكتاب إلى العربية وهو التطور الذي حصل في الرصد الفلكي بسبب تقدم العلوم في أوربا.

ونشير في الختام إلى أن الخزائن العلمية بالمغرب، سواء منها العامة والخاصة، مازالت تضم عدداً من آلات الأسطرلاب النحاسية والفضية من مختلف العصور لم يوفق بعدُ أحد من الباحثين إلى الكشف عنها وتصنيفها وتحديد تواريخها باستثناء محاولات محدودة لبعض الفرنسيين، مثل رينو H. P. J. Renaud الذي عرّف بأحد الأسطرلابات التي عثر عليها أيام الحماية في جامع الأندلس بفاس. وهو يحمل تاريخ 1789 وتوقيع لونوار Lenoir مهندس الملك لويس السادس عشر Louis XVI. وقد تبين للباحث من خلال المراسلات المتبادلة بين وزير البحرية الفرنسية وقنصل فرنسا بسلا والتاجر سيكار J. Sicard ممثل مصالح فرنسا بالصويرة أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله سلّم سنة 1200 / 1786 أسطرلابا إلى نائب القنصل مور H. N. Mure قبل سفره إلى فرنسا كنموذج ليُصنع أسطرلابان آخران على شكله، فأنجز العمل بإتقان في باريز وأعيدت الأسطرلابات الثلاثة إلى السلطان بعد ثلاث سنوات. ولاشك أن سيدي محمد بن عبد الله وزع هذه الآلات على المراكز التعليمية فكان من حظ جامع الأندلس هذا الأسطرلاب.

أ. العمري ، *الاستبصار*، مخطوط ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة* ؛ ع. الجزناني، *جني زهرة الآس*، ط. الجزائر ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ م. العلمي ، *إنهاض الهمم العالية للاستطلاع على بعض الكتب الرياضية في التوقيت والتعديل والهيئة والجغرافية*. مخطوط ؛ كوركيس عواد، *الأسطرلاب وما ألف فيه من كتب ورسائل*، بغداد. 1955 ؛ علوش والزجراجي، *فهرس المخطوطات العربية بالرباط*، ج 2 ؛ م، المنوني، *العلوم والآداب والفنون* ؛ *دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت* ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية*، 4 ؛ م. حجي ، *الحركة الفكرية* ؛ *الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، صلة الخلف للروادني* ؛ د.لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، ج 1 ؛ م. العربي الخطابي ، *فهارس الخزانة الحسنية*، المجلد 3 ؛ ع. التازي ، *الساعات المائية بالمغرب، مذكرات من التراث المغربي*، ج. 3 ؛ ع. الحلو، *اقتراح مشروع لاستخدام الساعة المائية بالمدرسة البوعنانية بفاس*، مجلة الجواهر، ع 13، مارس ـ أبريل 1989، ص 24 ـ 26.

X. Hartner, *Asturlabe*, E. I² ; H. De Castries, *Les Sources inédites*, Angleterre, T. 2, pp. 159 - 168 ; H. P. J. Renaud, *Astronomie et astrologie marocaines*, Hesp. 1942, pp 41 - 63 ; *Le Mouvement Scientifique au Maroc*, in *Initiation au Maroc*, pp 185 - 188 ; H. P. J. Renaud, *Identification des astrolabes de la mosquée des Andalous*, Hesp. 1957, 1 - 2, pp 128.

محمد حجي

الأسطول المغربي، ظل أسطول بيزانس أول أسطول في البحر الأبيض المتوسط إلى أن ظهر الإسلام. وقد دشن العرب فتوحهم البحرية عام 21 / 641 باحتلال الإسكندرية، فانفتح بذلك عهد جديد في المتوسط حدا الفاتح العربي الكبير عمرو بن العاص إلى اعتبار هذه المنطقة الملاحية بمثابة حظيرة دفاعية زحزح عن مينائها الكبير (الإسكندرية) عملاق (الاستانة) البيزنطي بعد أربع سنوات من الزحف العربي. وفي عام 128 / 648 زحفت 1700 وحدة بحرية عربية فاحتلت قبرص وإفريقية، وما لبث الأمويون أن استولوا على مجموع الشمال الإفريقي في انتصار ساحق عام 76 / 695، وخاصة مدينة قرطاج، فكلف موسى بن نصير بإقامة قاعدة بحرية أو دار صناعة في

المكان الحالي لعاصمة تونس حيث زج في الورشة الجديدة بنحو مائة قطعة بحرية، فأمست هذه المنطقة الإفريقية الشمالية عام 85 / 704 ثالثة المناطق الأمامية في هذا البحر الدولي بعد منطقتي مصر والشام، مما فسح لابن نصير مجال اكتساح سردينية والبليار عام 90 / 708 حيث حاصر ثلثي الشواطئ.

كان الأسطول العربي آنذاك ثلاث مجموعات مستقلة بعضها عن بعض ضمن وحدة خاضعة للأسطول المصري في البحر الأحمر وتحت إمرة موحدة لأميرال الكنانة تكفل تنسيقا رائعا بين القوات العربية التي واصلت تصاعدها بقيام مملكة أموية بالأندلس عام 139 / 756، وانبثاق أخرى إدريسية بالمغرب سنة 172 / 788، ومملكة الأغالبة بإفريقية عام 184 / 800. وبعد نحو العشرين سنة استكمل الأسطول العربي احتلال صقلية عام 209 / 820 بقطع بلغت وحداتها المائة والسبعين بانضمام أسطول الأندلس. وفي هذا الخضم المتكامل فرض الشمال الإفريقي تفوقه الاقتصادي بظهور أول درهم كعملة مستقلة عام 185 / 801 هو الدرهم المغربي الذي سك بمدينة فاس ومازال نموذج منه مودعاً في متحف كاركوفKarkov بالاتحاد السوفياتي. وقد استطاع المغاربة وضع اليد بسهولة على جزيرة إقريطس منذ عام 224 / 838 فقضوا على الأسطول البيزنطي بعد سنتين، وارتبطت قواتهم عام 257 / 870 في مالطة ثم إيطاليا الغربية عام 290 / 902 وأمسى أسطول الخليفة الأموي عبد الرحمن الثالث مالكا لزمام المنطقة بأكملها فاحتل عام 319 / 931 مجموع القواعد البحرية على طول سواحل فرنسا الجنوبية، وبذلك انهارت أعشاش القرصنة الأوروبية لا سيما بعد الهزيمة المنكرة التي مني بها أسطول روسي عارم ضم ألف قطعة انبرى لتحرير جزيرة اقريطس عام 338 / 949.

سفينة شراعية مغربية من القرن الثامن عشر (عن كتاب HOST)

وقد استمر الأسطول الإسلامي في تصاعد طوال أزيد من مائة سنة فرض خلالها الغرب الإسلامي في البحر المتوسط سياسة اقتصادية جديدة بلورها (الدينار العربي) منذ عام 335 / 950. فكان هذا الجهاز الجديد رائداً لتطور اقتصادي متصاعد تكلل في العدوتين (الأندلس والمغرب) بظهور المرابطين وانتصارهم في الزلاقة ووصول أسطولهم إلى ساحل الشام خلال فترات من الحروب الصليبية. وسيطر الإسلام آنذاك بأسطول كان الأول في البحر المتوسط على شبكة التبادل بين شقي العروبة والإسلام (الشرق والغرب) حيث أمسى العيار النقدي هو الدينار العربي بقيمة تتراوح بين 4.25 و 4.79 غرامات للدينار، وقد ازدوج هذا المسار اقتصاديا وعسكريا رغم تهديدات النورمانديين لصقلية. وقد زجت إمارة مهدية عام 418 / 1027 بأربعمائة قطعة لإنقاذ الجزيرة التي تغلغلت في رحابها معالم الحضارة الإسلامية عزز إشعاعها أسطول أمير الأندلس مجاهد العامري المتوفى عام 436 / 1044، وتكتلت آنذاك قطع إغريقية مع حراقات جنوة وبيزة ومجموع الساحل الشمالي الغربي لإيطاليا، غير أن الأسطول الإسلامي ما لبثت أن التحق في انهيارات متوالية بالأسطول البيزنطي المنهزم، فتساقطت عام 494 / 1100 جزر كرسيكة وسردينية وصقلية وسواحل إيطاليا وحتى الشام. وزاد هذه الهزيمة شناعة زحف أعراب بني هلال وبني سليم على المنطقة ناشرين الدمار الذي وصف بعض ويلاته ابن خلدون في مقدمته، فاضطرت إمارة مهدية بإفريقية إلى الاستسلام لملك صقلية روجر ROGER عام 468 / 1075.

وكان من عناية الله أن ظهر على مسرح المنطقة يوسف بن تاشفين للحد من هذا التدهور منذ عام 479 / 1086 تحت ضربات بيزة عام 480 / 1087 وملك قشتالة الذي احتل قرطبة عام 478 / 1085 وأخضع لسلطانه المعتمد بن عباد وتتابعت ثلاثة أرباع القرن مظلمة قاتمة استرجع الأسطول العجمي بعدها صقلية عام 483 / 1090 واستعرت أول حرب صليبية عام 490 / 1096.

وفي هذه الغضون السوداء، برز يوسف بن تاشفين من الصحراء المغربية فأطلق العنان لأسطول فتي مخر عباب الشق الشرقي المتوسطي الذي احتله الصليبيون فكان لهذا الأسطول الصحراوي المغربي جولة وصولة حدثنا عن روائعها خصمه ألفونس السابع ملك قشتالة، واتحدت أقاليم المغرب الكبير منذ عام 479 / 1086 بانتصار ابن تاشفين في معركة الزلاقة على ألفونس السادس. وقد خلدت أغاني رولان Chansons de Roland ما حققه أسطول ابن تاشفين من أمجاد في البحر المتوسط بقيادة الأميرال عبد الله بن ميمون بن الأميرال علي بن ميمون. وحدثنا ابن جبير في رحلته (ترجمتها، ص 66، طبعة عام 1949) عن الملاحم التي خاض غمارها البحارون المغاربة في بطولة نادرة ضمن أسطول صلاح الدين الأيوبي. وظل الأسطول المرابطي يصول ويجول إلى عام 537 / 1142 حيث انبرى عبد المومن بن علي

الموحدي فعزز هذا الأسطول بأربعمائة قطعة، رابطت مائة وعشرون منها في مرسى المعمورة (المهدية في مصب نهر سبو) ومائة في طنجة وسبتة وبادس وباقي الريف، ومائة في تونس ووهران، وثمانون في الأندلس (*القرطاس*، ص 28) وهكذا ظهر أسطول مغربي جديد ليواصل الكفاح تحت ظل الوحدة الإسلامية ماخراً عباب هذا البحر الدولي بين أقطار المغرب الثلاثة وجاعلا من جبل طارق في سنة الأخماس 555 هـ أول قاعدة استراتيجية متوسطة جهزها بأقوى عتاد دفاعي في ممر حيوي بين المتوسط والمحيط الأطلنطيكي.

ما لبث هذا الأسطول أن أمسى كما يقول المؤرخ أندري جوليان الأول في البحر المتوسط مما حدا الزعيم المسلم الأمير صلاح الدين الأيوبي إلى الاستنجاد به لإيقاف الزحف الصليبي على طريق الشام، وأصبح المغرب آنذاك بقوته وثروته وذيوع صيت جيشه وأسطوله رائداً اشرأب المسلمون في القاهرة والإسكندرية إلى الاحتماء به (حسب *رحلة* ابن جبير)، وأصبح لمراسي المغرب دور طلائعي في النشاط الاقتصادي الذي انطلقت روافده بين بيزة وجنوة والبندقية ومرسيلية، لأن الموحدين عرفوا ـ كما يقول أندري جوليان ـ كيف يتخذون المبادرة لخلق أشكال جديدة للشبكة التجارية طبقا لمقتضيات المبادلات الدولية مع تحديث أساليب استلهمت أوروبا الناشئة روائعها التي ازدوج بها التسامح والأمن وحسن التنسيق مع السهر على رعاية أقصى نقطة في الشواطئ العربية من البحر المتوسط ولهذا قفز عبد المومن بن علي مرة إلى شاطئ عاصمة تونس حيث كان الأميرال الموحدي ينتظره بسبعين سفينة حربية، وكانت مرسى سلا هي المركز العام لأسطول عبد المومن يعمل ورشها المبدع تحت حماية الحاجز الطبيعي Barre الذي أولاها الله إياه (*الموحدون*. ص 80 ـ ميليي Millet).

غير أن هذا الأسطول المغربي بدأ يفقد قواه تدريجيا بعد قيام بني مرين بالرغم من استمرار الإشعاع الفكري والحضاري في ربوع الشمال الإفريقي الذي ظل خاضعا لنفوذهم فترة تزامنت نهايتها مع بداية سقوط معاقل الفردوس المفقود.

وإزاء هذا الخطر الداهم اضطر المغرب إلى دعم قواه العسكرية براً وبحراً لإيقاف الزحف الإيبيري "Reconquista" خاصة في عهد أبي الحسن الذي بلغ ذروة القوة المرينية، فكان ـ كما يقول أندري جوليان ـ "أقوى ملك في القرن الرابع عشر" بلغت قطعه البحرية التي دافعت عن شواطئ تونس أزيد من خمسمائة وحدة، وامتدت معالم حصونه من أسفي إلى الجزائر العاصمة، توقد النار في أعلامها للإيذان خلال ليلة واحدة بالخطر في مراكز تقطعها القوافل في ظرف شهرين (*المسند لابن مرزوق*، هسبريس عام 1926).

غير أن الاقتصاد الإسلامي الذي ظل الأسطول المغربي يرعاه على طول سواحل المتوسط بدأ يذبل تحت ضربات المغير الذي احتل الموانئ الكبرى مثل أنفا وأصيلا ثم مليلية وحجرة بادس، لكن الشعب المغربي الذي لم يعرف خلال تاريخه الطويل أنه أقام على ضيم هبّ في طفرة عارمة من أقصى الجنوب لخلق مغرب جديد بزعامة السعديين الذين أوقفوا التيار البرتغالي في معركة وادي المخازن التي انهزم فيها أسطول رابطت ألفان من قطعه في ميناء العرائش، وبذلك انهزم أعظم أسطول أوروبي هو الأسطول البرتغالي الذي كانت قطعه تحتل آنذاك الخليج العربي. فحرر المغرب هذا الخليج بكيفية غير مباشرة عندما قضى على استقلال البرتغال التي اندمجت في المملكة الإسبانية طوال أزيد من ستين سنة، ودخل المغرب في زمرة الدول الكبرى التي بدأت أوروبا تخطب ودها. ومع ذلك فإن قوة المغرب البحرية تضاءلت بالرغم عن هذه الانتصارات التحريرية التي شملت أگادير وجنوب المغرب.

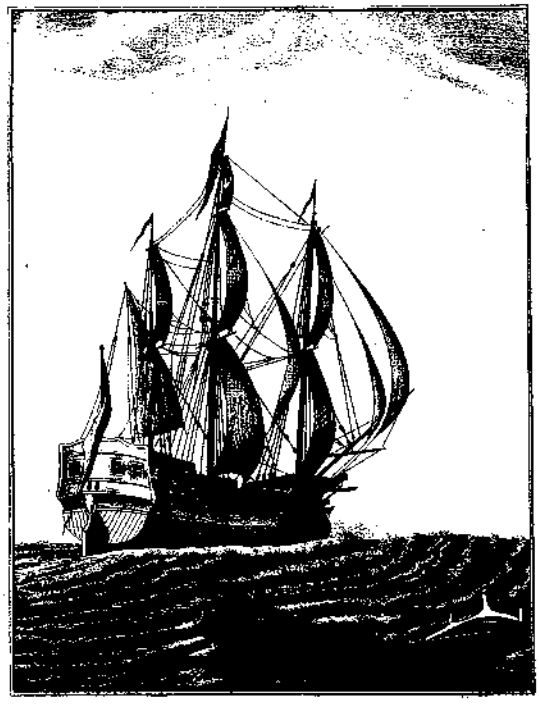

سفينة شراعية مغربية من القرن الثامن عشر (عن كتاب Hist

ولعل الاستراتيجية المغربية عرفت لمدينة سلا مناعتها فأقام السلطان السعدي مولاي عبد المالك دار صناعة في كل من سلا والعرائش، وأصبح مصب أبي رقراق منذ عام 1614 م الميناء الإسلامي الوحيد في المغرب الأطلنتيكي الأقرب إلى أوروبا (*تويريخ الرباط* ـ ص 92 ـ كايي Caillé)، وظل ميناء سلا طوال قرن كامل أنشط مركز بحري بعد أن تمتعت بالزعامة كقواعد ملاحية مراسي أسفي وأگادير وماسة.

وفي إطار هذا النشاط الدفاعي عن حوزة المغرب وفي بحبوحة الدسائس الأوروبية ـ التي تكتلت للتقليص من قوة المغرب البرية والبحرية ـ اضطلع المولى إسماعيل، وهو العاهل العلوي الفذ، بمهمة تحرير المراكز الملاحية التي

احتلها الخصم وتأطير حامياتها بأبطال عرفوا كيف يدافعون عن شواطئ المغرب كمجموعة وطنية متحمسة شكلت كتيبة مومنة حررت المعمورة عام 1681، وطنجة عام 1684، والعرائش عام 1689، وأصيلا عام 1691. ولم تمر بضع عقود من السنين حتى انبرى حفيده محمد الثالث وهو محمد بن عبد الله ليحرر الصويرة ويتخذ منها منطلقا لمسار اقتصادي جديد وتعزيز عسكري يشمل المحيط الأطلنطيكي قضاء على حركة التهريب الأوروبي على شواطئ بحر الظلمات. واتجه إلى الدول الأوروبية البروتستانية لمدافعة دسائس بعض أوروبا اللاتينية المستعمرة، فأقام ـ دعما لأسطوله وجيشه كعاملين جوهريين لحماية البلاد ـ علاقات مع انجلترا والسويد والدانمارك وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية التي عقد معها معاهدة تجارة وملاحة لخمسين سنة في يوليوز 1786 تجددت عام 1836. وقد وجه السلطان محمد بن عبد الله ثلة من رعاياه الأوفياء إلى كل من انجلترا والسويد للتضلع في تقنيات صناعة السفن (*تويريخ الرباط*، 132 كايبي)، وكان المواطنون الذي اختارهم لهذا التأهيل من قلب الصحراء المغربية، من بينهم ستمائة شاب من أيت عطة وأربعمائة من عبيد تافيلالت الذي أرسلوا إلى طنجة للتدرب في أوراشها على المناورات البحرية (*المؤسسات*، ص85، سوردون ...Surdon - *Institutions*)، وفي نفس الفترة وردت على المغرب بعثة من الخبراء الأتراك لتكوين طائفة من الرماة المحنكين.

هذا العمل المتئد هو الذي ساعد المولى محمد بن عبد الله على تكوين أسطول بلغت وحداته الخمسين، منها ثلاثون حراقة فرقاطة جاعلا على رأسه ستين من كبار الضباط الرياس معززين بخمسة آلاف بحار وألفين من الرماة.

والواقع أن نجله المولى سليمان استطاع أن يحتفظ بقوة هذا الأسطول رغم الدسائس، فكان له عشر حراقات وخمس وثلاثون سفينة وزورقا حربيا مدعومة بستة آلاف بحار مختص (*تاريخ ووصف المغرب*، ص 156 ـ گودار Godard).

وازداد الأسطول المغربي تضاؤلا تحت ضربات الحلف المقدس الأوروبي لانكباب المولى الحسن الأول على دعم الوحدة الداخلية وتجديد الجهاز العسكري، فوجه طلبة لدراسة الهندسة العسكرية في مونبلييه (Montpellier) وحواضر أوروبية أخرى، بل أنشأ سكرتارية للأشغال العمومية وما يشببها من أجهزة. لذلك تزايد تقليص قطع الأسطول حتى أصبح عددها لا يتجاوز عام 1902 وحدات محدودة حملت أسماء عربية هي "الحسنى" و "سيدي التركي" و "التريكي" و "البشير".

وبينما كان الأسطول المغربي يتولى ضمان سيرورة المبادلات مع أوروبا أصبحت الأساطيل الأوروبية هي التي تضطلع بهذه المهمة حيث وصل عام 1911 (أي سنة قبل الحماية الفرنسية) إلى ميناء الصويرة وحدها لنقل الصادرات المغربية إلى الخارج 463 سفينة كانت صادراتها إلى الخارج عن طريقها تشكل ثلاثة أضعاف الواردات.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن جبير، *الرحلة* (الترجمة)، طبع 1949 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند* ؛ ابن خلدون، *المقدمة* ؛ هسبريس 1926، ص 61 .

Godard, *Histoire et description du Maroc* ; Caillé, *La Petite Histoire de Rabat* ; Surdon, *Institutions* ; Millet, *Les Almohades*; André Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord*.

عبد العزيز بنعبد الله

أَسْغَرْكِيسْ (مدرسة) تقع هذه المدرسة في قرية أَسْغَرْكِيسْ في منطقة شتوكة الجبل بالأطلس الصغير، كما أن هناك مكانا بهذا الاسم في قبيلة أيت صواب. وقد أسست بهذه القرية مدرسة علم وإرشاد منذ أواخر القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي (*سوس*، 163. 173) كما اشتهرت بخزانتها العلمية.

الأسغركيسي، إبورك بن حسين مؤسس هذه المدرسة وخزانتها (ت. 953 / 1575) اشتهر بالإرشاد والتدريس والرحلة في طلب العلم ؛ وهو من أصحاب الولي الصالح أحمد بن موسى الجزولي (ت. 983 / 1575) دفين تازروالت. فبعد أن أتقن القرآن ببلدته بالروايات المتداولة أخذ عن القطب أحمد بن موسى المذكور وعن الصوفي أحمد السائح وعن ابن عبد الواحد المسگرادي، وتصدر للتدريس والإرشاد فأخذ عنه ولده وخلائق لم تذكر أسماؤهم، مع شهرته بالكرامة حتى تبرك الناس به في حياته وبعد موته (*المعسول* : 278) ويذكر من أحفاده الذين درسوا في مدرسة أسغركيس :

الأسغركيسي، أحمد بن إبراهيم بن إبُورك (ت. 1073 / 1662) الذي عرف بالمشيخة والإفتاء والتدريس بمدرسة جده آنف الذكر (*المعسول* 14 : 279) ومن علماء هذه الأسرة : محمد بن الطيفور (ت. 1267 / 1850) ويظهر أنه انتقل بخزانتهم إلى مدينة تزنيت، حيث بقي بها إلى وفاته تاركا خزانته لولده الآتي الذكر وهو : محمد بن محمد بن الطيفور (ت.1297 / 1879) الذي ترك له والده هناك بتزنيت بعد انتقاله إليها خزانة عامرة مشهورة، ولحسن الحظ فقد حبِّس ووقف وتصدق بطرف منها على جامع تزنيت، وكان والده محمد بن الطيفور قد نقل كثيرا من هذه الكتب ونسخها بخطه. وقد أشاد بذكرها أحد علماء سوس معتبرا إياها من بين الخزانات الشهيرة بسوس حيث جمعها علماؤهم الأولون حتى بلغت في القرن الحادي عشر / السابع عشر مالم تبلغه إلا القلائل من إخواتها بسوس (*المعسول* 3 / 322) كما أشاد بها المختار السوسي نفسه في محل آخر مشيرا إلى ما نالها بعد ذلك من ضياع غير أن في خزانته سجلاً مبتور الأول يشتمل على جملة مما كان فيها في عهد صاحب هذه الترجمة سنة 1266 (*خلال جزولة* 4 : 196) كما سرد قائمة أخرى بمحتويات خزانة جامع تزنيت مما يعتبر نموذجا من بقية ما حبسه المذكور (*خلال جزولة* 4 : 195. 196) وقد ذكر المانوزي محمد بن أحمد (1336 / 1945)

في رحلته بسوس وسيرته الذاتية أنه لفت نظره عند زيارته للخزانة الأسغركيسية بتزنيت سنة 1345 / 1926 ماتشتمل عليه من كتب عتيقة وخطوط شرقية قديمة من بينها خط الإمام علي وان استبعد ذلك بعد مقارنة الخط المزعوم بغيره (*المعسول* 3 : 322).

ويذكر أن الشيخ أحمد الصوابي كان يأتي إلى المدرسة الأسغركيسية لتدريس *صحيح البخاري* بها (*سوس*، 163).

كما يذكر أن من الذين غادروا هذه الزاوية ـ المدرسة ـ فرع الوالياضيين الذين ينتمي إليهم العلامة المشهور عبد الله بن إبراهيم اليوفتارگائي (ت.1314 / 1896) شيخ الجماعة في عصره (*المعسول* 14 : 310) وهو الذي أخذ عنه جملة وافرة من علماء سوس ذكر منهم صاحب *المعسول* قائمة تحتوي على نحو الأربعين (14 : 310 . 32). ومن الذين أخذوا عن اليوفتارگائي هذا أحد علماء الأسرة الأسغركيسية واسمه عبد الرحمن بن عمر، توفي بعد عام 1345 / 1926، وقد عرف عنه العبادة والصلاح ومعاناة التعليم والمشارطة في بعض مدارس سوس (*المعسول*، 14 / 287).

كما أن من بين من ذكروا أنهم علّموا بمدرسة أسغركيس المسمى أحمد بن محمد من بني الطالب الإسگيني التملي الفقيه النوازلي ؛ وقد أخذ عن العلامة الإيديكلي التملي وعن عبد الله بن عبد الرحمن الجشتمي (*المعسول* 17 : 21) وتوفي سنة 1335 / 1916.

م . المختار السوس ، *سوس العالمة : خلال جزولة*، 4 ؛ *المعسول*،14 و 17.

محمد البابك

الأسّغركيسي، الحسين بن محمد، فقيه أخذ عن والده ثم عن أخيه محمد ثم عن الشيخ العربي الأدوزي، ديدنه التدريس ومزاولة الإفتاء. له مشاركة في العلوم الشرعية واللغوية خاصة الأدب والعربية، درس في مدرسة إرْسْ نْكَارفْ وفي مدرسة تيزي ن الأولياء وفي مدرسة أَخْريب. مذكور بين المؤلفين السوسيين بشرحه *للقصيدة الدريدية والوتريات البغدادية*، وله إجازة ذكر فيها أشياخه. توفي عام 1321 / 1903.

الأسْغَركيسي، محمد بن الطيفور، من الفقهاء السوسيين المرموقين بعد الصدر الأول من القرن الثالث عشر إلى مبدأ الربع الأخير منه. من مشايخه محمد بن عبد السلام الناصري وعبد الله الطاطائي البرحيلي. مذكور بين المؤلفين السوسيين بفهرس إجازات أشياخه ويشرح *للأجرومية*.

توفي تقديراً قبل عام 1267 / 1800.

الأسْغركيسي، محمد بن عمر، فقيه أديب منكب على التعليم، مشهور بالصلاح، من مشايخه الكبار الإمام الحضيكي والشيخ محمد بن الحسين الأسْغركيسي، مذكور بين المؤلفين السوسيين *بفهرس* حسن بيّن فيه حياته و *إجازات أشياخه وديوان شعر*.

أ.الجشتيمي، *الحضيكيون*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 198 ؛ *المعسول*، 14 : 283، *رجالات العالم العربي بسوس*.

عبد الله درقاوي

إسفنجيات، قد يجهل الإنسان أن الإسفنجيات الطبيعية التي يستعملها من أجل نظافته ماهي إلا هياكل حيوانات بحرية ظلت ولمدة طويلة تعتبر كأنها نباتات، إلا أن الدراسات العلمية، أثبتت أن خصائص الإسفنجيات هي خصائص حيوان نمط رغم أنها الأقل تطورا من كل متعددات الخلايا، وبالفعل توجد الإسفنجيات في قاعدة سلم التطور مباشرة بعد أحاديات الخلية.

ظهرت الإسفنجيات قبل الزمن الأول، ويبلغ حجمها ما بين بضعة ملمترات وأكثر من متر تقريبا، كما يبلغ وزن بعضها أكثر من خمسين كيلو غراما.

الشكل الخارجي : تتخذ الإسفنجيات لنفسها أشكالا عديدة وذلك حسب الأنواع حيث إن هناك أشكالا قصبية، كروية، كيسية، قشرية أو على شكل شجيرات، إلا أن الإسفنجيات بالمقارنة مع متعددات الخلايا الأخرى، فقدت كل فرديتها أو "شخصيتها" وبعبارة أخرى، إنه إذا أخذنا فردين اثنين من نوع واحد في طور النمو ووضعناهما جنبا إلى جنب، قد يمكنهما التلاحم الكلي دون أن نعرف فيما بعد حدود أولهما من الآخر.

للتعريف بهاته الفصيلة من الحيوانات نتخذ كشكل نمط الشكل الكيسي وهو الأكثر تبسيطا : يتوفر الإسفنج على طرفين، طرف قاعدي من حيث يثبت على الدعامة وطرف ثان بعيد يحمل ثقبا مركزيا يصل جوف الحيوان (وهو ما يسمى بالجوف المعدى) بالعالم الخارجي ، يلعب هذا الثقب عند الإسفنجيات دور الشرج لادور الفم. أما دور الفم فتلعبه تلك الأعداد الكبيرة من الفتيحات التي تُرى على الجدار الخارجي للكيس من حيث يُمْتَصُّ الماء فيدخل إلى الجوف المعدي ليخرج فيما بعد من الثقب المركزي.

البنية الداخلية : يتكون الجسم عند الإسفنجيات من ثلاث طبقات : أدمة داخلية، أدمة خارجية، ونسيج حشوي .تتكون الأدمة الداخلية من طبقة واحدة من الخلايا تغطي من الداخل الجوف المعدي وتحمل كل خلية بضعة سياط لها دور في إنشاء تيار مائي داخل الجوف المعدي. أما الأدمة الخارجية فهي كذلك عبارة عن طبقة واحدة من الخلايا الفطساء تغطي الإسفنج من الخارج. أما في ما يخص النسيج الحشوي فهو عبارة عن سائل يحمل عدة أنواع من الخلايا تختص كل واحدة منها بمهمة داخل الجسم كالخلايا المفرزة للأشواك، والخلايا الصانعة للفتيحات، والخلايا المَنَسية، والخلايا العضلية، والخلايا العصبية.

ومن خلال هذا الوصف يتضح أن الإسفنجيات لا تتوفر على أجهزة منفردة فليس للإسفنج جهاز هضمي ولاجهاز

تنفسي ولاجهاز دموي ولاجهاز عصبي ولاجهاز تناسلي حيث تتم كل الوظائف بطريقة بدائية.

يتم الهضم عند الإسفنجيات مباشرة عن طريق خلايا الأدمة الداخلية ذات القدرة البلعمية العالية يساعدها في جلب المياه والتقاط مواد التغذية منها، حركات السياط والتي كما ذكرنا، تخلق داخل الجوف المعدي تيارا مائيا . أما عن الوظيفة التنفسية، يتم امتصاص الأكسجين مباشرة عن طريق خلايا الجسم كله. يتخلص الجهاز العصبي في عدة خلايا متفرقة داخل النسيج الحشوي. أما فيما يخص الوظيفة التناسلية فالإسفنجيات إما أن تكون أحاديات الجنس أو تكون خناثا. يتم التلقيح داخل الطبقة الوسطى لجسم الأنثي حيث توجد البويضات وذلك عن طريق إحدى خلايا الأدمة الداخلية التي يتحول شكلها فتفقد سياطها وتحمل بعد ذلك حيوانا منويا واحدا من الخارج أي من الجوف المعدي حتى مُلامسة البويضة، يجب التذكير فقط بأن هناك طرقاً نسلية أخرى كالتعضية والتبرعم.

التصنيف : فيما يخص الإسفنجيات البحرية يقدر عدد الأنواع المكتسبة حتى الآن بحوالي أربعة آلاف نوع، اكتشفت على شواطئ المغرب حتى الآن حوالي مائة وأربعين نوعا منها. أما أكثر الأنواع انتشارا في المغرب فيمكن أن نذكر على سبيل المثال Crambe crambe من الإسفنجات الصوئية و Cycon Ciliatum من الاسفنجلت الكلسية التي يمكن العثور عليها على طول الشواطئ المغربية.

يعتمد هذا التصنيف أساسا على البنية الداخلية وخاصة على طبيعة ونوعية وشكل الأشواك، هكذا تنقسم الإسفنجيات إلى ثلاث مجموعات : 1 ـ الإسفنجيات الكلسية تتميز بأشواك ثلاثية الشكل عموما ذات طبيعة كلسية. 2 ـ الإسفنجيات الصونية ذات أشواك في أغلب الأحيان ثلاثية الشكل إلا أنها صونية الطبيعة . 3 ـ الإسفنجيات سداسيات الأشواك ذات أشواك صونية إلاّ أن كل شوكة تحمل ستة رؤوس.

تنتمي أغلب أنواع الإسفنجيات المكتشفة حتى الآن على الشواطئ المغربية إلى المجموعتين الأوليين أي الكلسية والصونية بخلاف المجموعة الثالثة التي تعيش في أعماق كبيرة يصعب الوصول إليهاوالحصول على عينات منها.

البيئة : حيوانات بحرية بالأساس إلا أن القليل منها يعيش في المياه القارية. في البحر تتغذى الإسفنجيات ببعض الحيوانات الصغيرة وتعيش على أعماق تمتد من منطقة المد والجزر الى عمق 8600 متر تقريبا.

الاستعمالات : بالإضافة إلى استعمالاتها في النظافة المنزلية والتي بدأت تتعرض إلى منافسة حادة من طرف الإسفنجيات الاصطناعية ، تعتبر الإسفنجيات ذات أهمية كبيرة في الميدان الطبي وذلك اعتمادا على قدرة هيكلها الهائلة على تجميع وحبس الماء. فهي تستعمل في ميدان الجراحة الطبية كما تستعمل للتداوي في حالة الإصابة بحرق جلدي. أما عن أماكن استخراجها فهي تكثر وتستغل بكثرة في البحر المتوسط (تونس) وفي البحر الكرايبب.

R. Bitar (1987) *Etude de peuplements benthiques littoraux des côtes atlantiques et méditerraneennes du Maroc ; Impact de la pollution - comparaisons biogéographiques.* Thèse d'Etat Univ. Marseille II. 286 p ; H. Boue, R. Chanton (1962) *Biologie animale, zoologie. I. invertébrés Tome I. Doin et Cie edit ; Brien P, Tuzet O, Sara M, Vacelet J et Livi Cie (1974) Spongiaires in Grasse P.P. Traité de zoologie* ,tome III, Masson.

محمد منبوي

أيت **إسْفُولْ**، أو أيت **سْفُولْ** تكوّن من مجموعة من القبائل الصحراوية بالموطن والمحتد، إذ لا يعرف لهذه القبائل أي تجمع فرعي بمناطق الأطلس المتوسط أو الأطلس الكبير الشرقي، كما هو الحال بالنسبة لبعض قبائل أيت عطا. وتجتمع قبائل أيت إسفُولْ في خمس واحد مع قبائل أيْتْ عَلْوانْ ضمن الإطار التنظيمي لاتحادية أيت عطا، كما تجمعها بقبائل أيت أونيرْ اتفاقية تَفَرگانْتْ الأمر الذي كان يسمح لهذه القبائل بمُؤازرة بعضها البعض إبان الأزمات الاجتماعية بمناطق وادي درعة وتازرين وصاغرو.

بالرغم من أن صنهاجية قبائل أيت إسْفُول واضحة لا غبار عليها، كما تدل على ذلك عاداتها وتقاليدها وطبيعة حياتها، فإن الأصول التاريخية لهذه القبائل غامضة ومبهمة، وهناك من يعتقد أنها تنسب إلى جد علواني ترعرع وتربّى في خيام قبائل أيْتْ عَلْوانْ (*Les Ait Atta du Sahara* : 85)، ورغم أننا لا نتوفر على من يسمح لنا بتأكيد هذا الزعم أو نفيه، فليس من المستبعد أن يكون التشكيل الأول لقبائل أيْتْ إسْفُولْ، المتكونة أساسا من قبائل مترحلة، كما يوحي بذلك اسمها (أيْتْ سْفُولْ = أيْتْ الرحيل)، قد تم بمباركة أحد الأشراف.

كانت قبائل أيْتْ إسْفُولْ من بين أوائل القبائل التي ساهمت في وضع الأسس الأولى لتشكيل إتحادية أيْتْ عَطّا، وذلك بمشاركتها إلى جانب قبائل خمس أيْتْ وَاحْليمْ في بناء حصن إغْرَمْ أمَزْدَارْ لتخزين الأقوات بجبل صاغرو (*Le TAFILALT* : 276). وفي أواخر القرن 17 م، شرعت قبائل أيْتْ عَطّا في الانطلاق من المواطن الأولى لتشكيل الاتحادية، فاندفعت في عمليات غزو وانتشار بالمناطق المجاورة بجبل صاغرو، خاصة مناطق الواحات الخصبة بأودية تودغة، وتافيلالت، ودرعة، وتازرين وغيرها. ولا مشاحة إذا قلنا أن قبائل أيت إسفول، التي كان مركز ثقلها بالسفوح الجنوبية لكتلة وگنات (منطقة أم سيسي)، كانت من القبائل الأولى من أيت عطا التي اندلقت كالسيل الجارف في اتجاه الواحات بالأودية الخصبة، وقد تمت عمليات الانتشار هذه، التي عرفت أوجها خلال القرنين 18 و 19 م، عبر محورين أساسين :

1 ـ المحور الأول : تمت عمليات انتشار قبائل أيت إسفول عبر هذا المحور في اتجاه أفقي من جبل بغداد في السفوح الجنوبية لكتلة جبل صاغرو نحو بلاد تافيلالت عبر منطقة ألنّفْ، ليغطي واد أم سيسي حتى معدر أيت خباش ومن هناك إلى المناطق الجنوبية لواحات تافيلالت الممتدة بين

ذراعي واد غريس ونهر زيز. وقد وصلت قبائل أيت إسفول في أقصى انتشار لها عبر هذا المحور إلى ما وراء الضفة الشرقية لنهر زيز في الأراضي الممتدة بين مركز الراشدية شمالا والتخوم الصحراوية جنوب بلاد تافيلالت.

انطلق المحور الثاني من السفوح لكتلة وگنات في اتجاه واحات درعة عبر واد الرگ، ووادِ حْصيَّة، فبلاد تازرين وتاغبالت ليأخذ نهايته بالواحات الجنوبيةَ من درعة وخاصة واحتي فزواطة ولكتاوة. أما فيما يتعلق بالظروف التي كانت وراء وصول قبائل أيت إسْفُولْ إلى وادي درعة، فلا تزال الرواية الشفوية تحتفظ ببعضها أخبار هذه القبائل، فقد كانت الواحات الجنوبية من درعة تتعرض باستمرار لهجومات القبائل الصحراوية من بقايا بني معقل مثل الغنَانْمَة وبني مَحمد، وكانت هذه القبائل تلحق أضرارا كبيرة بالمنتجات الزراعية بواحتي محاميد الغزلان واكتاوة، فسافر الشيخ عْمَامُو، من شيوخ اكتاوة إلى جبل صاغرو، وتعاقد مع قبائل أيْتْ عَطَّا على حماية المدخل الشمالي لواحة اكتاوة ورد هجومات قبائل الغنانمة وبني مَحمد، وبعد القرعة أرسلت قبائل أيت عيسى وأبراهيم من خمس أيت واصْلِيمْ إلى درعة، ولما عجزت قبائل أيت عيسى وأبراهيم عن توفير ظروف الحماية لواحة اكتاوة، وقعت القرعة على قبائل أيت إسفول (*Les cités rurales du ktawa* : 8). كان نزول أيت إسْفُولْ بعد وصولهم إلى درعة بقصر أولاد إبراهيم بالمدخل الجنوبي من واحة فزواطة، ونستشف من بعض الإشارات أن وصول هذه القبائل إلى فزواطة كان في بداية القرن 18 م.

وتدل كل القرائن على أن قبائل أيت إسْفُولْ، قد نجحت في التصدي لهجومات القبائل الصحراوية، خاصة أن قبائل أيت علوان قد هبت لمناصرة أيت إسفول التي يجمعها وإياها خمس واحد كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وبعد هذا النجاح الذي حققته قبائل أيت إسفول على الأرض، تحولت بعض عناصرها إلى الاستقرار والارتباط بالأرض، فظهرت لها قصبات خاصة بالمدخل الجنوبي لفزواطة وشمال واحة اكتاوة.

ومن أهم قصور قبائل أيت إسفول بدرعة قصرا أولاد إبراهيم ولَمْكَارِيَّة بفزواطة، وقصبة أيت إسْفُولْ وقصبة عمامو وقصور البْلِيدَة وأولاد عمر وأولاد يوسف، إضافة إلى مجموعة من القصور المحسوبة على أيت إسفول بواحة اكتاوة.

وبالرغم من تحول بعض عناصر أيت إسْفُولْ إلى الاستقرار والارتباط بالأرض بمجالات انتشارها، بتُدغة وتازرين وأم سيسي ووادي درعة، فإن جل هذه القبائل ظلت تمارس الرعي في مجال يمتد من وادي درعة غربا إلى واد الداورة شرقا، ومن السفوح الجنوبية لجبل صاغرو إلى التخوم الصحراوية، ولا تزال أقلية منها على طبيعتها الرعوية إلى اليوم.

وتتداخل مواطن قبائل أيت إسْفُولْ بوادي درعة وتازرين وأم سيسي، مع مواطن قبائل أيت علوان، وأيت أونير، وأيت واحْليمْ وأيت يُعَزى ثم أيت خباش.

وتنقسم قبائلَ أيت إسْفُولْ إلى أربع فرق كبرى وهي : أيْتْ حَمِّي وأيت بابا غيفْ وأيت يَسْو ثم أيت إبراهيم أحمي. وكل فرقة من هذه الفرق تنقسم بدورها إلى مجموعة من الفروع. وكعادة قبائل أيت عطا بالجنوب المغربي، فإن كل فرقة من هذه الفرق موزعة على مختلف مواطن انتشار قبائل أيت إسْفُولْ في المجالات التي حددناها، وعندما تتكاثر عناصر فرقة من هذه الفرق فإنها قد ترقى إلى مستوى القبيلة، خاصة عندما يتعلق الأمر بعقد اتفاقية بين إحدى هذه الفرق وإحدى قبائل القصور بدرعة أو تازرين.

الناصري، *نعت الفطريس*، مخطوط ؛ التقي العلوي، *دور الاتحاديات الأطلسية*، البحث العلمي، عدد 23، 1974.

G. Spillmann, *Districts et tribus de la haute vallée du Draa*, A. M., Volume 9, Tome II, Paris, 1931 ; G. Spillmann, *Les Ait Atta du Sahara et la pacification du haute Draa*, Rabat, 1936 ; *Repertoire Alphabetique des confédérations des tribus* ; Pierre Azam, *Les cités rurales du Ktawa*, C. H. E. A. M., Paris, 1964 ; Pierre Azam, *La Structure Politique et Sociale de l'Oued Draa*, C. H. E. A. M., Paris, 1947 ; D. J. Meunié, *Les Oasis des Lektawa et des Mehamid*, Hesp. nº 27, 1947 ; L. Mezzine, *Le Tafilalt*, Casablanca, 1987.

أحمد البوزيدي

أسْفي، ـ جغرافيا ـ يعتقد أن كلمة أسفي من الكلمة البربرية أسِيفْ التي تعني "الوادي" أو "النهر" وقد يكون هو ذلك المَجرى المائي الذي يعبر المدينة من الشرق نحو الغرب والذي يدعى حاليا "واد شعبة" .

إن انفتاح أسفي على البحر جعلها تتأثر بشكل عميق اقتصاديا ومجاليا بموقعها عبر كل مراحل تطورها، ولازالت هويتها البحرية تسيطر على أنشطتها وتوجه نموها. ومما ساعد على إبراز هذه الهوية فقر أريافها وضعف وقعها الاقتصادي على المدينة، إذ تتميز أرياف أسْفي بضعف ملاءمتها الفلاحية. ويرجع السبب في ذلك إلى تفاعل عدة عوامل طبيعية وبشرية. فالتربة هزيلة والموارد المائية نادرة حيث التساقطات طبيعية ولاتصل إلى 100 مم إلا على مستوى الشريط الساحلي، أما في الداخل فهي تقل عن 300 مم، كما أن ملكية الأرض تتميز بتفاوتات كبيرة وأساليب إنتاج عتيقة، ومن المعلوم أن الأنشطة الفلاحية بقيت إثر ذلك تعتمد أساسا على زراعة الحبوب (الشعير) وعلى تربية الماشية بصفة ثانوية. وتتأثر هذه الأنشطة بتقلبات الأمطار وبعدم انتظامها، ويعتبر متوسط الإنتاج بها من أضعف المعدلات الوطنية مما يصنف المنطقة ضمن المناطق الفقيرة بالمغرب، هذا في الوقت الذي تعرف فيه ضغطا بشريا هائلا يتمثل في كثافة سكانية : بين 20 و 40 ن / كلم 2، وقد تصل إلى 100 ن / كلم.

لقد بقيت أرياف أسفي في معزل عن أهم المنجزات التنموية الفلاحية التي عرفتها البلاد منذ بداية القرن

وخاصة في عهد الاستقلال. (نذكر على سبيل المثال الإنجازات السنوية الكبرى التي استفادت منها السهول المغربية · دكالة والحوز والسراغنة وتادلا وسوس والغرب وملوية السفلى والتي أدت إلى خلق أقطاب فلاحية دينامية ذات إنتاجية عالية). إلا أن تفهقر الأوضاع ووطأة الجفاف الذي عانت منه في بداية الثمانينات مجموع الأقاليم الفلاحية البورية وعلى وجه الخصوص إقليم أسفي دفع بالمصالح المختصة إلى القيام ب"مشروع تنمية سهول عبدة" (1987)، يهدف إلى تنشيط المنطقة وإخراجها من عزلتها الاقتصادية عن طريق تطوير الأساليب التقنية الفلاحية وتنويع الإنتاج وإدخال بعض التجهيزات الاجتماعية من طرق وصحة وتعليم (لا يتدخل المشروع في مسألة البنيات العقارية التي تطرح مشكل الملاكين الصغار الذين يشكون أغلبية المنتخبين والذين لا يتوفرون على المساحة الأدنى التي تمكن من رفع الإنتاجية (78 ٪ من الفلاحين يملكون 40 ٪ من الأراضي) ويرفع مستوى الإنتاج الفلاحي يرمي المشروع إلى تعزيز وتكثيف علاقة التبادل بين المدينة وأريافها والتخفيف من تبعية أسفي لمناطق فلاحية أخرى فيما يخص تزويدها.

صورة جوية لمدينة أسفي

إن ما يميز أسفي هو كونها تتسم بطابع يطغى على مشاهدها ويخص أغلبية الشغيلة بها، (أزيد من 45 ٪ من اليد العاملة النشيطة تشتغل بالصناعة في الوقت الذي لايتعدى فيه المعدل العصري للمغرب 28 ٪. ويركز هذا النشاط على قطاعين أساسيين.

- صناعة تصبير السمك .

تأسست الصناعة التصبيرية في عهد الحماية إبان الثلاثينات وعرفت ازدهارا مدهشا لما وفرته لها المدينة من ظروف ملائمة تمكن في غزارة الثروة السمكية التي تزخر بها سواحلها وفي وفرة يد عاملة بأجور بخسة ، بالإضافة إلى عامل الإعفاء من الضرائب الجمركية الخاصة بالتصدير (تتميز سواحل أسفي بالخصوص بوفرة السردين الذي جعل من المغرب أول منتج لهذا النوع من السمك). فاهتم العديد من الرأسماليين الأجانب بالاستثمار في صناعة الصيد البحري وصناعة تصبير السمك. وتعددت المصانع إلى أن وصلت أزيد من ثمانين مؤسسة في بداية الخمسينات تزود منتوجاتها جزءا مهما من صادرات المغرب الموجهة نحو السوق العالمية وخاصة الأروبية بالإضافة إلى مايوزع على السوق الداخلية ، إلا انه سرعان مابدأت تلوح بوادر أزمة تهدد مصير الصناعة السمكية بأسفي وترجع أسبابها إلى الانخفاض المستمرللإنتاج السمكي الناتج عن هجرة السمك نحو السواحل الجنوبية الغربية (الصويرة وأگادير).

فبعد ما كان ميناء أسفي يمثل أول ميناء مصدر للسردين في العالم، وأول ميناء للصيد البحري بالمغرب أصبح حاليا يشغل المكانة الثالثة بعد ميناء أگادير (147095 طن في السنة والصويرة 43315 طن في السنة) ويصل حجم إنتاجه إلى 29378 طنا. ويرتقب أن ينزل هذا الرقم إلى أقل من ذلك باعتبار التحولات التيارية التي يعرفها الساحل المغربي ، كما أن تقلبات السوق العالمية وظروف الصيد غير المتطورة (ضعف التجهيز والتأطير) تعتبر من العوامل التي ساهمت في خلق هذه الأزمة التي أدت الى إفلاس أزيد من 50 مؤسسة (حسب تصريحات بعض المسؤولين انخفض عدد المعامل إلى حوالي 20 سنة 1986).

بالرغم من الصعوبات التي يعيشها هذا القطاع فإنه لازال يعتبر المشغِّل الأول بالمدينة حيث يشغل ما يقرب من 10000 شخص يعلمون في أنشطة مرتبطة بالصيد وصناعة السمك. إلا أن ما يقرب من 90 ٪ من اليد العاملة تشتغل بصفة موسمية ومتقطعة بالصناعة بارتباط مع تقلبات الإنتاج السمكي الذي يعرف مرحلة انتاج عال من ماي إلى اكتوبر، ومرحلة إنتاج منخفض من نونبر إلى ابريل، وأغلبية الشغيلة مكونة من النساء. كما أن البحارة يعانون من نفس المشكل بنسبة تعادل 40 ٪.

بقي معدن الفوسفاط إلى نهاية عهد الحماية موجها إلى السوق الخارجية حيث يصدر كله كمادة خام، وبعد الحصول على الاستقلال جاء أول تصميم خماسي 1961 / 1964 عرفه المغرب بتوجيهات اقتصادية تهدف إلى بناء صناعة وطنية تعتمد على تقويم وتحويل الموارد المعدنية الطبيعية التي تزخر بها البلاد من بينها الفسفاط ومعلوم أن أهم المدخرات العالمية للفوسفاط توجد بالمغرب وتقدر ب 24 مليار م 3). ففي هذا الإطار أنشئ المركب الصناعي لتحويل الفوسفاط وهوأضخم مشروع صناعي عرفه المغرب الجديد. وكان لمدينة أسفي الحظ في احتضان هذا المركب الكيماوي الهام نظرا لما لها من إمكانات لاستقبال المشروع ومنها:

- وفرة الفوسفاط والبيريت (le pyrite) على مقربة من المدينة، الأول باليوسفية، والثاني بقطارة .
- وفرة الغاز بإقليم الصويرة .
- إمكانية استعمال مياه البحر للتبريد ووفرة الماء الشروب عن طريق سد إمفوت، كل هذه العوامل ساهمت

في إقامة الصناعة الكيماوية بهذه المدينة وتأسست الوحدات الأربع، مغرب كيمياء I ومغرب كيمياء II ومغرب فوسفور I ومغرب فوسفور II، ولو تم إنجاز المشروع الأول للمركب لكان المغرب أول منتج للأسمدة على الصعيد العالمي .) لقد شرع منذ 1965 في إنتاج الحامض السولفوري (acide sulfurique) والحامض الفوسفوري (Acide phos-phorique) قصد تصدير الجزء الأوفر. يهدف الإنتاج إلى تحويل ما يقرب من 6.5 مليون طن من الفوسفاط عند استغلال الطاقة التقنية الكاملة للمركب.

تشغل هذه الصناعة ما يزيد عن 400 شخص وبذلك تحتل المرتبة الثانية من حيث توفير فرص الشغل (إلا أن هذا العدد يظل متواضعا باعتبار ضخامة المركب وارتفاع قدر الاستثمارات التي تطلبها، غير أن مثل هذه الصناعات تعتمد على أساليب تكنولوجية جد متطورة ولا تحتاج إلى يد عاملة وافرة. وتجدر الإشارة إلى كون آفاق توسعها بمدينة أسفي غير مضمونة وغير مرتقبة بعد إنجاز مغرب فوسفور III ومغرب فوسفور I بالجرف الأصفر جنوبي مدينة الجديدة.

تتوفر مدينة أسفي على صناعات أخرى مثل النسيج والصناعات الغذائية (إنتاج الزيوت والمشروبات الغازية والطحين) وصناعة الفخار. ويفضل وجود مؤسستين هامتين (معمل الخيوط "أسافيل" والشركة الشريفة للنسيج) تحتل صناعة النسيج مكانة مرموقة حيث توفر ما يقرب من 750 منصب شغل، غير إن إمكانية نموها بالمدينة جد محدودة نظرا لكون المستثمرين بهذا القطاع يفضلون مدنا أخرى حيث النسيج متطور مثل الدار البيضاء وفاس والرباط وطنجة.

أما صناعة الفخار التي اشتهرت بها المدينة منذ القديم فقد بقيت تتميز بطابع تقليدي في أساليبها التقنية، ولمواجهة غلاء أثمنة المواد الأولية عمل أغلبية الصناع على تأسيس تعاونيات تساعدهم على تفادي هذا المشكل. أما التسويق فقد بقي غير منظم ويفرض ظروف بيع قاهرة على الصناع خاصة الصغار منهم، هذا في الوقت الذي انتعشت فيه وازدهرت منتجات هذا القطاع "تجارة طرقية" في مختلف أقاليم المغرب. هناك فئة من المنتجين الذين يتعاطون الفخار الفني وهو عبارة عن منتجات ثمينة ونادرة من إبداع فنانين مرموقين ولا تتوفر إلا في الأسواق الممتازة.

تلعب التجارة والخدمات رغم ثقل الصناعة دورا هاما في تنشيط اقتصاد أسفي. وأهمية هذه الأنشطة ترجع إلى كون هذه المدينة تشكل أهم قطب ديمغرافي وحضري بالإقليم تستثمر فيها أهم المؤسسات التجارية والخدمية من إدارة وتعليم وصحة وتربية .... ويشغل هذا القطاع ما يقرب من 44 ٪ من النشطين في أسفي وهي نسبة محدودة بالمقارنة مع المتوسط الحضري المغربي والذي يصل إلى 56 ٪.

تحتل التجارة الخارجية دورا أساسيا في النظام الاقتصادي بأسفي ويعتبر التبادل من الأنشطة التقليدية للمدينة، إذ مثلت عبر تاريخها الطويل مركز تبادل بين الداخل والخارج واعتمد هذا النشاط على الميناء وهو من أقدم الموانيء المغربية، ويحتل حاليا المرتبة الثانية بعد ميناء الدار البيضاء الذي يحتفظ بالصدارة. ويقوم الرواج التجاري على تصدير معدن الفوسفاط والباريت والجبص والرصاص والزنك ومصبرات السمك والحوامض الكيماوية وكذا على استيراد الحبوب والكبريت والورق ومادة القنب (le jute) لصناعة الأحبال والأكياس، ويمثل تصدير الفوسفاط الوارد من اليوسفية أزيد من 60 ٪ من حجم الصادرات، إلا أنه قد لوحظ تراجع ملموس في تصدير هذه المادة منذ 1974 حيث تم بيع مايقرب من 4.8 مليون طن وهو أعلى حجم وصل إليه الميناء، ويرتقب أن يستقر حجم الفوسفاط المصدر في رقم 3 مليون طن في الوقت الذي سيرتفع فيه هذا العدد بميناء الجرف الأصفر إلى 20 مليون طن، وبالرغم من هذا الانخفاض فإن بعض الصادرات تعرف نوعا من الارتفاع مثل الباريث والجبس، إذ سجل تزايد في استهلاكهما في السوق الخارجية وصدر ما يقرب من 450.000 طن من الجبص و 220.000 طن من الباريت سنة 1983.

تستفيد مدينة أسفي من بنيات إدارية واجتماعية عمومية وشبه عمومية وخاصة، جديرة بمكانتها الإقليمية فهي منذ 1965 عاصمة لإقليم يصل حسب إحصاء 1982 عدد سكانه إلى 706.618 نسمة أغلبيتهم يقطنون بالأرياف (439.456 نسمة) ولذلك نجدها تستقطب أهم المؤسسات التعليمية والصحية والترفيهية مما يُوفر فيها دون غيرها من المراكز الحضرية الأخرى، مثل اليوسفية (10.848 نسمة) ظروف عيش أفضل، الشيء الذي جعلها مركز اجتذاب لفئة واسعة من المهاجرين من قبائل عبدة واحمر وغيرها.

لم تستثن حركة التمدين السريع التي نشطت بالمغرب منذ فجر هذا القرن مدينة أسفي، فعزلتها عن الأقطاب الاقتصادية الكبرى وموقعها شبه الهامشي داخل التراب الوطني منحاها خصوصية بارزة طبعت سيرورة نموها الحضري وامتدادها المجالي.

لم تسجل مدينة أسفي، على عكس ما عرفته أغلبية المدن والمراكز الحضرية ، في السنوات الأولى من عهد الاستعمار، تزايدا لساكنتها، فحسب إحصاء 1962 كان عدد سكان المدينة يصل إلى 26.914 نسمة (21.347 مغاربة مسلمون و 4.172 مغاربة يهود و 1.395 من الأجانب). وبعد عشر سنوات سجل إحصاء 1936 تراجعا لساكنة أسفي حيث انخفض العدد الإجمالي إلى 26.533 نسمة (19.694 من المسلمين و3.634 من الأجانب) فإلى نهاية الثلاثينات تميزت الساكنة المحلية بنوع من التراجع الملموس. فطيلة هذه المرحلة لم تعرف المدينة إقامة أنشطة من شأنها أن تساعد على استقرار السكان بها وجلب الوافدين من الأرياف على غرار ما حدث بمدن الساحل الاطلسي : الدار البيضاء

والمحمدية والرباط والقنيطرة..... ولم تنته أشغال بالميناء التي انطلقت منذ 1923 إلا في سنة 1938. كما أن الأنشطة الاقتصادية بقيت تعتمد على التجارة والصناعة التقليدية والخدمات الجديدة، لم تنطلق حركة تصنيع أسفي إلا في نهاية الثلاثينات، وخاصة في بداية الأربعينات حيث دفعت الحرب العالمية الثانية المدمرة بالكثير من الرأسماليين الأجانب إلى البحث عن مجالات استمارات مربحة بعيدا عن بلدان أوروبا.

وتشكل بذلك مرحلة الحرب وما بعدها انطلاق ازدهار صناعي ارتكز أساسا على المذخرات السمكية الوافرة، فتوسعت أنشطة الصيد البحري وتعددت معامل التصبير السمكي نحو الخارج. وانتشار الصيد والتصبير بالاعتماد على ميناء عصري أصبح يحتل المكانة الأولى على الصعيد الوطني، كان من شأنه أن يخلق دينامية جديدة عززت سوق التشغيل وخلقت فرصا متزايدة للعمل. وسجل بذلك تكاثر ديمغرافي بين 1936 و1952 حيث وصل عدد سكان المدينة إلى 56.751 نسمة من بينهم 49.404 من المغاربة المسلمين و 3.469 من اليهود و 3876 من الأجانب.

وتميزت مرحلة الاستقلال باستمرار في وفرة التزايد للساكنة الحضرية مماجعل أسفي تقتحم صف كبريات المدن المغربية منذ 1971.

الأصل / السنة	1960	1971	1982
المغاربة المسلمون	76.871	127.863	196.521(*)
المغاربة اليهود	1.996	200	
الأجانب	2.605	1.050	786
المجموع	81.472	129.113	197.307

(*) لم يتم التمييز بين المسلمين واليهود في الإحصاء الأخير.

وتساهم الهجرة بقسط وافر من ارتفاع الساكنة حيث إن مايقرب من ثلث السكان ينتمون إلى مناطق أخرى وخاصة مثل التي تنتمي اليها قبائل عبدة واحمر والشياظمة. وترتفع هذه النسبة في الأحياء الفقيرة التي تشكل في بعض الحالات نوى شبه حضرية على هوامش المدينة في اتجاه الجنوب الشرقي.

والجدير بالذكر أن البنيات الاقتصادية لم تأخذ نفسا جديدا منذ إنشاء المركب الكيماوي، فحتى المنشآت الصناعية التي ظهرت لاتكون نسيجا مترابطا ومتفاعلا وقادرا على تعميق وتقوية مسلسل التصنيع بالمدينة. ومن مشاكل المدينة إيجاد الشغل للشباب الذين يتعاطون أكثر فأكثر شبه أنشطة في ا لتجارة الصغرى والخدمات.

عرفت أسفي منذ بداية هذا القرن توسعا حضريا هائلا جعلها تمتد بسرعة كبيرة في اتجاهات مختلفة وخاصة نحو الجنوب والشرق حيث انتشرت التجزئات وتعددت الأحياء شبه الحضرية.

ويتميز شكلها العام بكونه إشعاعيا انطلاقا من الساحل تتخلله فراغات ناتجة عن الحواجز الطبيعية وآليات المضاربة العقارية، هذا ما جعله يطبع بالتشتت وعدم الترابط بين المجالات الوطنية والقطاعات الحضرية وتبرز ثمة القطاعات التالية :

- المدنية العتيقة التي تتموضع فوق مصب واد شعبة وهي النواة الماقبل استعمارية وتمثل تراثا معماريا وحضريا متميزا عن باقي الأحياء، تعرف حاليا تشبعا ديموغرافيا وتكدسا بشريا، وتكون الرباط والتراب الصيني في الجنوب أهم مركز تجاري بأسفي.

- المدينة الحديثة، تمتد فوق الهضبة المشرفة على المدينة العتيقة من الواجهة الشرقية : بنيت على نموذج المدن الاستعمارية لتستقبل البنيات الاقتصادية التسييرية للنظام الجديد. تختلف عن النواة الأصيلة من حيث مبادىء تنظيمها ووظائفها حيث تتسم بهندسة تصميمها واتساع شوارعها وخضرة مجالاتها، وتتمركز فيها أهم الخدمات الإدارية والاجتماعية المحلية والإقليمية من عمالة وبلدية ومؤسسات تعليمية وصحية.

- قطاع بياضة وسيدي عبد الكريم في الشمال الشرقي والجريفات وسيدي واصل في الجنوب، وهوعبارة عن تجزئات اقتصادية انطلقت سيرورة توسعها منذ بداية هذا القرن ولازالت مستمرة إلى عهدنا . تتميز هذه الأحياء برتابة مجالية ومعمارية وبضعف التجهيزات والترفيهية .

- أحياء السكنى الهزيلة التي ظهرت على وجه الخصوص بالهوامش الجنوبية الشرقية بالقرب من منطقة التشغيل أي المنطقة الصناعية، هي عبارة عن تمركزات للكادحين الذين هاجرت أغلبيتهم من الأرياف المجاورة واستقروا في ظروف سكنية قد تنعدم فيها التجهيزات الضرورية والاجتماعية.

- المنطقة الصناعية تمتد على طول الساحل في اتجاه الجنوب. تتجمع فيها أهم المعامل والمؤسسات الصناعية المقامة بأسفي نظرا لما يوفره هذا الموضع من إمكانية تصريف النفايات نحو البحر واستغلال مياه المحيط وسهولة الاتصال بالخط الحديدي والميناء. وتظهر هذه المنطقة على شكل متقطع لكون المركب الكيماوي استقر بعيدا عن الأحياء السكنية (3 كلم نحو الجنوب) نظرا لكونه جد ملوث. إلا أن ابتعاده هذا عن المدينة يحميها من خطر التلوث والتسمم الناتج عن تسرب بعض الغازات المضرة بالحياة بجميع أصنافها في الهواء. ومما يزيد من خطورة الوضع هو قلة المجالات الخضراء بهذه المدنية التي شهدت توسع العديد من أحيائها في غياب التنظيم المجالي الشمولي وقصور التسيير الحضري، هذا في الوقت الذي تعاني فيه أسفي منافسة شديدة على المستوى الجيواقتصادي إثر ازدهار الصيد بأگدير وإقامة الصناعة الكيماوية بالجرف الأصفر وتشييد ميناء فوسفاطي به.

Plan Urbain de Safi, 1977 ; Zones Industrielles au Maroc, O D I, 1980 ; Recensement Géréral de la Population et de l'Habitat, 1960 - 1982. Schèma directeur d'aménagement urbain de Safi, Ministère de l'Habitat et de l'Aménagement, Aout 1983.

عائشة البلغيتي العلوي

أسْفي، - تاريخ - يقدم شكل تسمية المدينة بثلاث صيغ: بفتح ثانيه (أسَفي) أو تسكينه (أسْفي) وبمد أوله (آسْفي). والمتداول هو الشكل الثاني (أسْفي). وأصل التسمية فيما يرجح بربري، مرتبط بمعنى المصب أو حوض الناعورة أو بمعنى المنار، ولا أساس لما ذهب إليه من ربط الاسم بمادة "أسف" العربية (*نزهة المشتاق*، 87). ونرجح أن يكون اسم المدينة مرتبطاً بالوادي الذي يخترقها ويصب في المحيط الأطلسي.

لا يعرف بشكل أكيد أصل بناء المدينة : فقد أرجع البعض بناءها إلى القرطاجي حانون (Marmol.3،78). وحاول البعض ربطها بمركز قديم هو Mysocaras، في تمحل غير مقنع (Roger,36). والمرجح أنها من بناء البربر. ويظهر أنها كانت مركزا بسيطا لم يحتك بالحضارات الأجنبية التي اتصلت بالمغرب، ولم نعثر في الكتابات القديمة على ما يمكّن من تتبع أطوار تاريخها القديم. وترتبط أقدم إشارة إلى مدينة أسفي في الفترة الإسلامية بعقبة بن نافع قائد الجيوش الإسلامية التي فتحت المغرب سنة 62 هـ/ 681 م. فقد وصل إلى ساحل المدينة وأدخل قوائم فرسه في ماء المحيط في قصة معروفة، (*استقصا*، 1 : 82) ويظهر أن المدينة عرفت مضايقة كبيرة من قبل مصامدة برغواطة حيث خربت في عهدهم. وظلت مع ذلك مطروقة خلال القرن الخامس الهجري / 11 م، حيث كانت تشكل محطة ومرسى، وإن كان بناؤها بسيطا ؛ حيث لم تسور ولم تكن تقام بها صلاة الجمعة دليلا على قلة ساكنيها طيلة أيام المرابطين.

وبدأت المدينة تعرف بعض الحركة ابتداء من القرن 7 هـ/ 13 م واهتم بها الموحدون وبنوا عليها سورا، كانت بعض بقاياه ظاهرة للعيان في بداية القرن الحالي، حسبما تدل على ذلك شهادة الكانوني (أسفي، 79) ويظهر من خلال نفس الشهادة أن دائرة السور كانت أوسع بكثير من السور البرتغالي الذي لازال قائما إلى اليوم، مما يدل على تزايد عدد سكان المدينة وازدهار نشاطها، سواء منه التجاري المرتبط بالمرسى أو الديني والفكري المرتبط باستقرار الشيخ أبي محمد صالح الماگري (ت 631 / 1233) بالمدينة. حيث اتخذ رباطا والتف حوله الأتباع والمريدون، وكان لرباطه وظائفه صيت وشهرة.

وقد اهتم المرينيون بالمدينة وشيدوا بها مدرسة ومارستانا، وبنيت بها دور واسعة محصنة وقصور، وجمعت في نشاطها بين فلاحة المنطقة وصناعة أهم عناصرها نسج الصوف وحياكته. حتى اعتبرها ابن خلدون حاضرة البحر المحيط.

بدأ البرتغاليون يهتمون بمدينة أسفي من بداية العقد الثامن من القرن 15 م. ومن بين أسباب ذلك الاهتمام وجود صناعة نسيج نشيطة في المدينة تنتج الحنبل الصوفي، وهو إنتاج يدخل في لائحة المواد التي تستعملها التجارة البرتغالية مع إفريقيا الواقعة جنوب الصحراء.

وهكذا أستقر بالمدينة عدد من التجار والوسطاء والوكلاء، واتخذوا بها الدور الحصينة. وقد استغل البرتغاليون بعض مشاكل المدينة، فأوعزوا إلى بعض عملائهم أن يطلبوا حماية الملك البرتغالي ألفونصو الخامس (ت 885 / 1481). وعرفت المدينة بعد هذا التاريخ اضطرابات كثيرة بين سكان المدينة وبين البرتغاليين، وبين عدد من الطوائف الممالئة للبرتغاليين أو المناهضة لهم، إلى أن احتلت عسكريا سنة 913 / 1508. ولم تنقطع مقاومة المغاربة للوجود البرتغالي في أسفي، خصوصا بعد أن تصدى السعديون لقيادة عمليات الجهاد، إلى أن خرج البرتغاليون من المدينة سنة 948 / 1541. ومن الآثار البرتغالية بالمدينة السور وعدد من الأبراج وكنيسة لا تزال قائمة إلى اليوم.(3 : 4).

منظر عام لأسفي في القرن الثامن عشر (عن كتاب [illegible])

أهتم السعديون بعد تحرير المدينة بتعميرها، وهكذا رجع سكان المدينة النازحون عنها هروبا من البرتغال، وأسس السلطان محمد الشيخ السعدي قصبة أسفي ومسجدها الكبير، وغدت المدينة في عهد السعديين مرفأ مهما حصلوا من خلاله على الأسلحة ولوازم السفن، واتسعت تجارة المدينة عبد المحيط إلى أن غدت هي وأگادير من أهم موانئ البلاد في آخر القرن العاشر / 16، وزادت تلك الأهمية مع القرن الحادي عشر / 17 عندما غدت المدينة المنفذ الوحيد للسلطة السعدية بمراكش، ترسو بها سفن أنجليزية وفرنسية وهولندية.

ثم عرفت المدينة في عهد السلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله (ت 1204 / 1790) كثيرا من الحيوية بعد أن ناصرته بعض قبائل عبدة وآزره قائدها عبد الرحمن بن ناصر العبدي (ت 1214 / 1799) فبنيت بالمدينة عدة مآثر (القصبة والقصر السلطاني والمسجد) ونشطت حركة التجارة بعد أن استعان السلطان بالتجار الأوربيين في الحصول على مواد بناء السفن وجعل بقصبة المدينة حامية مكونة من مائتين من الطبجية ومثلهم من البحرية. وابتداء من القرن 13 / 19 م استقرت بالمدينة شركات تجارية وأبناك فرنسية وأنجليزية وألمانية. وأخذت المدينة شكلها الجديد

ابتداء من سنة 1904، بإقامة نشاط اقتصادي معتمد على البحر والصيد والتصبير وتصدير المواد المعدنية وبالخصوص منها الفوسفاط.

أ. البكري، *المغرب* ؛ م. ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ خ. الوزان، *وصف أفريقيا* ؛ الكانوني، *أسفي وما إليه* ؛ الصبيحي، *باكورة الزيدة*، مخطوط.

Marmol, *De l'Afrique* ; R. Montagne, *Colonie berbère ancienne : Safi*, Hes. 1923 ; J. Bouquerel, *le Port de Safi de l'Antiquité aux Temps Modernes*, Revue de La Chambre de Commerce, nº 35, Janvier 1969.

عبد اللطيف الشادلي

أسفي، - إقليم - ينتمي إلى الجهة الاقتصادية الكبرى "تانسيفت" تأسس كوحدة إدارية استقلت عن إقليم مراكش سنة 1965، وهي السنة التي سجلت إقلاع المركب الكيماوي بمدينة أسفي. وامتدت حدوده منذ ذلك الحين من جنوب دكالة إلى جبال الأطلس الكبير الغربي شاملا بذلك الهضاب الساحلية من عبدة والشياظمة وحاحا إلى أن انعزل عنه بدوره إقليم الصويرة سنة 1975 في إطار تطبيق سياسة اللامركزية ومتابعتها.

يشغل إقليم أسفي مساحة 7285 كلم2 على مجموع 38.445 كلم2 التي تشكل مساحة مجموع تانسيفت، ويضم إلى حظيرته ثلاث دوائر هي : دائرة أسفي، ودائرة عبدة، ودائرة احمر، وسبع عشرة جماعة قروية.

مؤهلات فلاحية ضعيفة : يمثل إقليم أسفي وسطا جغرافيا تظافرت في تحديد ملامحه عوامل متعددة. ويمكن اعتبار أن للطبيعة دوراً أساسيًا في رسم هويته بالرغم من كونه يتميز بتضاريس هضبية متوسطة الارتفاع من (0 إلى 500 م) وقليلة التقطع فإن الظروف البيومناخية والبيدولوجية المميزة له تبقى قاسية وغير ملائمة للقيام بنشاط فلاحي مكثف. فالتربة فقيرة وهيكلية (سيادة الرمل والحمري على الساحل وفي اتجاه الشرق ووجود بعض أراضي الترس في الشمال) ولاتساعد التساقطات على تطورها حيث نجد هذه الأخيرة تتراوح كميتها بين 350 و400 مم في السنوات العادية في المناطق الأكثر أمطاراً وهي الواقعة عن قرب من الساحل، وقد ينزل هذا الحجم كلما اتجهنا نحو الداخل وفي فترات الجفاف حيث لم يتعد الرقم الاجمالي المسجل سنة 1981، مقدار 136 مم. أما المجاري المائية فهي هزيلة وموسمية بما فيها واد تانسيفت المنطلق من الأطلس الكبير والذي يصب جنوب مدينة أسفي بما يجعل هذا الإقليم يعاني من ضعف الموارد المائية. ويشكل هذا العجز القائم العائق الاساسي في وجه التنمية الفلاحية وتكثيف الإنتاج وتتأثر منه الساكنة الريفية إلى حد أنها تلجأ لتغطية حاجياتها الضرورية إلى تجميع مياه الأمطار داخل خزانات باطنية.

وإضافة إلى قساوة الوسط الطبيعي وعدم ملائمته تعتبر العوامل البشرية حاجزا آخر يحول دون تطوير الفلاحة والرفع من مستواها الإنتاجي، فالبنيات العقارية متباينة ومعقدة، ويتجلى ذلك في تنوع الأنظمة القانونية لتملك الأرض وتمركز الملكية : 58 ٪ من الأراضي فقط يخضع إلى الملك الخاص والباقي ينتمي إلى أنواع أخرى مثل الملك الجماعي 35 ٪ وملك الدولة وملك الحبس، كما أن توزيع الملكية الخاصة يتسم بفوارق كبيرة إذ نجد أن 78 ٪ من الملاكين لايستغلون إلا 38 ٪ من مجموع الأراضي الفلاحية في اطار استغلاليات صغيرة تتراوح بين 0 و 10 هـ في الوقت الذي يستفيد فيه 1.2 ٪ من الملاكين 15.5 ٪ من مجموع الأراضي تفوق فيها الملكية الواحدة 50 هـ . وتزيد أساليب الإنتاج المتأخرة الشائعة لدى أغلبية الفلاحين تعقيداً لهذا الوضع.

ونتيجة لما سبق وبالرغم من أهمية مساحة الاراضي الصالحة للزراعة (ما يقرب 400.000 هـ) بقيت الإنتاجية هزيلة والمردودية مرتبطة بالتقلبات المناخية لكون الزراعات السائدة هي زراعات بورية مثل الحبوب (القمح الصلب والقمح الطري خاصة الشعير) والقطاني. كما أن تربية الماشية لازالت خاضعة لنفس المؤثرات ويتناولها معظم المستغلين كنشاط تكميلي للزراعة، الشيء الذي يعبر عن مدى هشاشة القاعدة الاقتصادية والمادية لفئات واسعة من الساكنة الريفية بهذا الإقليم.

وللحد من مخاطر الأوضاع بهذه المناطق التي عانت من الإهمال والتهميش كسائر الأراضي البورية في الوقت الذي احتكرت فيه الدوائر السقوية معظم الاستثمارات التنموية، انكبت المصالح المعنية بوزارة الفلاحة على برمجة عدة تدخلات تهدف إلى إدخال تغييرات تقنية وتنظيمية تساعد على تنشيط هذا القطاع :

- خلق دائرة سقوية بجمعة سحيم بشمال الإقليم عن طريق استعمال مياه واد أم الربيع كامتداد للقطاع السقوي المنتمي لدكالة.

- انجاز مشروع التنمية الفلاحية بسهل عبدة. يعتبر هذا المشروع من أهم التدخلات الفلاحية التي تقوم بها الدولة في الإقليم، شرع في تطبيقها سنة 1987 بمعنى أنه حديث العهد يشمل مجاله سهل عبدة الذي يستفيد نسبيا بظروف طبيعية من شأنها أن تساعد على ضمان النجاح له. ويهدف البرنامج الذي جاء به المشروع الرفع من مستوى الإنتاجية الفلاحية بما فيها الزراعية والرعوية عن طريق تحديث وتحسين أساليب الإنتاج التقنية والتسييرية والتمويلية... إلا أن تحقيق مساعي هذه التدخلات يبقى رهينًا بالوضع العقاري المتباين . هذا في الوقت الذي يعرف فيه هذا الاقليم كثافة سكانية مرتفعة نسبيا باعتبار مؤهلاته المحدودة : 40 نسمة في كلم م الواحد بالنسبة للساكنة الريفية وأزيد من 100 نسمة إذا ما اعتبرنا الساكنة الحضرية وهو أعلى رقم يسجل داخل جهة تانسيفت. واستمرار الأوضاع الفلاحية على ماهي عليه بأرياف هذا الإقليم لمن شأنه أن يعزز تيارات الهجرة نحو مناطق أو مراكز أكثر حيوية وديناميكية.

ثروات معدنية مهمة ومتنوعة : فإذا كان لقساوة الوسط الطبيعي أثر عميق على النشاط الفلاحي بإقليم أسفي فمن جانب آخر نجد أن هذه الطبيعة منحته ثروات باطنية هائلة تتمثل في وجود الفوسفاط والباريت Baryte والملح والجبس.

اكتشف معدن الفوسفاط في العشرينات بهضبة الگنتور الواقعة على بعد 70 كلم شرق مدينة أسفي. وشرع في استغلاله سنة 1931 عن طريق المكتب الشريف للفوسفاط. وقد أدى استخراج هذا المعدن إلى خلق أنشطة شكلت مركزا جيداً لبد عاملة وافرة لم تعد الفلاحة إثر التزايد الديمغرافي السريع قادرة على تشغيلها (أزيد من 4000 عامل) وقد وصل حجم استخراج الفوسفاط بمنطقة اليوسفية سنة 1986 إلى مايفوق أربعة مليون طن على مجموع وطني يصل إلى 24 مليون طن.

المكان / السنة	1982	1984	1986
المغرب	* 21.621	21.517	24.028
اليوسفية	600	5.212	4.389

(*) الانتاج بالمليون طن.

والملاحظ أن هذا الإنتاج غير مستقر وقد تجاوز الستة ملايين في بداية الثمانينات. ويرجع سبب هذا التراجع الملموس إلى صعوبة تصريف مادة الفوسفاط ومشتقاتها نحو السوق الخارجية. والجدير بالذكر أن جزءاً وافراً من إنتاج اليوسفية يخضع لعملية التحويل إلى حامض فوسفوري وحامض كلوريدري بالمركب الكيماوي بأسفي.

يتوفر إقليم أسفي كذلك على معدن الباريت وهو معدن يستعمل في عمليات التنقيب على النفط ويستخرج من جبل إغود من طرف الشركة المغربية للباريت التي تنتج ما يقرب من ثلث إنتاج المغرب. ويعكس تقلص حجم الإنتاج منذ بداية الثمانينات، الأزمة العالمية للنفط.

المكان / السنة	1982	1984	1986
المغرب	515.672	561.321	179.881
اليوسفية	186.923	128.412	61.080

الإنتاج بالطن

كما يحتوي إقليم أسفي على موارد هامة من الجبس تصل مدخراته إلى ما يقرب من 5 مليارات من الاطنان يستخرج منها سنويا مايقرب من 300 إلى 400.000 طن ـ يستخدم الجبس لإنتاج الاسمنت وبعض المواد الصيدلية وكذا في صناعة الخزف البديع، ويصدر جزء منه نحو دول مختلفة مثل اليابان والبرتغال والكنگو.

أما مادة الملح المستخرجة من بحيرة زيما على يد الشركة الشريفة للملح فتعرف تزايدا في حجم انتاجها على عكس ماعرفته مادتا الفوسفاط والباريت حيث ارتفع من 7.493 طن سنة 1982 إلى 19.400 طن سنة 1986 على مجموع إنتاج وطني يعادل حاليا 118.814 طن.

فالحديث عن أهمية الثروات المعدنية التي يزخر بها إقليم أسفي يرمي إلى إبراز مدى تأهله حاليا أو مستقبلاً للتشييد الصناعي ليس فقط على أساس تحويل أولي لمعدن الفوسفاط بل بناءً على إعادة تقييم محلي لمجموع الموارد الطبيعية.

ـ إقيلم لازالت ملامحه ريفية : فبالرغم من كون إقليم أسفي لايمثل منطقة فلاحية غنية وبالرغم كذلك من كونه يتمتع بموارد معدنية متنوعة وهامة أدت إلى خلق أنشطة استخراجية بارزة بقي يحتفظ بطابع ريفي واضح ويتجلى ذلك في كون أغلبية ساكنته لازالت تقيم بالأرياف حيث إن أزيد من 60 ٪ من السكان ينتمون إلى الوسط الريفي وهي نسبة تفوق المتوسط الوطني الذي لايتعدى 57.3 ٪ في الإحصاء الأخير.

السنة	1960		1971		1982	
الساكنة	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
الريفية	347702	79.14	392462	70.77	439492	62.2
الحضرية	91693	20.86	162083	29.23	267161	37.8
المجموع	439395	100	554545	100	706653	100

ويعطينا الجدول رقم 4 لمحة مفصلة عن توزيع هذه الساكنة وتطورها داخل الدوائر والجماعات القروية المنتمية لاقليم اسفي، حيث يظهر جليا من خلال هذه الأرقام أن أغلبية المناطق تعرف تزايدا ديموغرافيا بطيئا يرجع أصله إلى انتشار الهجرة بين صفوف الريفيين.

الساكنة الريفية بإقليم أسفي حسب الدوائر والجماعات.

الدوائر / الجماعات	عدد السكان			نسبة التزايد العام (٪)	
	1960	1971	1982	1971 . 1960	1982 . 1971
دائرة احمر					
ـ الشماعية	5.560	6.548	6.736	17.8	2.9
ـ رأس العين	22.717	26.446	30.445	16.4	15.1
ـ سيدي أحمد	29.036	31.382	27.953	8.1	10.9
ـ سيدي شيگر	18.232	23.375	29.397	28.2	25.8
ـ ثلاثا ـ أربعوه	18.680	23.423	27.678	25.4	18.2
ـ اثنين جنان بويه	22.876	26.379	29.883	15.3	13.3
مجموع الدائرة	117.101	137.553	152.902	17.5	10.6
دائرة أسفي					
ـ أربعا ـ ازكاون	20.790	22.301	27.103	7.3	21.5
ـ احد حرارة	17.336	19.326	21.416	11.5	10.8
ـ احد توابث	16.358	18.851	21.467	15.2	13.9
ـ سبت كزولة	17.706	16.284	17.453	8.0	7.2
ـ سوق ابر	14.585	17.203	21.573	17.9	25.4
ـ اثنين غيات	18.494	20.249	22.323	9.5	10.2
مجموع الدائرة	105.269	114.214	131.335	8.5	15.0
دائرة عبدة					
ـ حد بحاتي	20.394	22.504	23.660	10.3	5.1
ـ خميس تگ	22.520	25.293	29.046	12.3	14.8
ـ مول البركة	19.817	20.403	22.057	3.0	8.1
ـ سيدي عيسى	8.161	13.733	14.603	68.3	6.3
ـ سيدي كور	15.953	18.164	20.528	13.9	13.0
ـ سيدي يحيى	20.702	22.914	26.528	10.7	15.8
ـ ثلاثا ـ سيدي بوگدرة	17.104	17.684	19.643	3.4	11.1
مجموع الدائرة	124.651	140.695	156.065	12.9	10.9
مجموع الإقليم	347.702	392.462	439.492	12.87	11.98

وتمثل المجموعات الحضرية مراكز استقطاب لقسم مهم من المهاجرين الذين أصبحوا يمثلون نسبة مهمة من الساكنة. ويعرف بذلك إقليم أسفي زحفا سريعا لظاهرة التمدين خاصة منذ بداية الاستقلال إذ نلاحظ أن نسبة سكان الحواضر تتزايد باستمرار ارتفعت من 20.8 ٪ في 1960 إلى 67.8 ٪ في 1982 كما أن وتيرة التكاثر العام رغم التراجع الحاصل تبقى مرتفعة إذ تفوق 76.8 بين 60 ـ 1971 و64.8 بين 71 ـ 1982. تلعب مدينة أسفي في جلب الوافدين من الأرياف دوراً رئيسيًا باعتبار أنها تشكل قطبا اقتصاديًا وصناعيًا ذا أهمية إقليمية ووطنية، كما أن اليوسفية المدينة المعدنية تساهم في خلق دينامية اقتصادية وتساعد على توفير الشغل لفئة واسعة من اليد العاملة المهاجرة. أما باقي المراكز الحضرية (انظر جدول 5) فتمدينها حديث ووقعها الاقتصادي والاجتماعي محدود لكونها تعتمد على أنشطة التبادل التجاري والخدمات الإدارية والاجتماعية الأساسية من تعليم وصحة وغيرها.

تطور الساكنة الحضرية بإقليم أسفي.

المراكز الحضرية	عدد السكان			التزايد العام	
	1960	1971	1982	1971.60	1982.71
أسفي	81072	129113	197309	59.3	52.8
اليوسفية	8302	22435	42195	170.2	88.1
الشماعية	2319	5611	10848	141.9	93.3
جمعة سحيم	-	2482	5157	-	107.8
سيدي أحمد	-	-	7098	-	-
سبت جزولة	-	2442	4554	-	86.5
المجموع	91693	162083	267161	76.8	64.8

فرغم كون ظاهرة التمدين لازالت مستمرة في زحفها السريع تبقى نسبة الساكنة الحضرية باقيلم أسفي ضعيفة بالمقارنة مع المتوسط الوطني 37.8 ٪ مقابل 42.7 ٪ حسب إحصاء 1982. تعتبر العزلة الطويلة للإقليم رغم انفتاحه على البحر والتهميش الفلاحي الذي عانى منه من الأسباب التي حدّت من أهمية سيرورة توسع المدن خاصة الصغرى منها.

Schéma Directeur d'Aménagement Urbain de Safi. Document nº 2, Analyse Economique. M. H. A. T 1982 Safi et sa région ; Recensement de la Population Légale du Maroc, 1960 - 1971 - 1982 ; Annuaire Statistique, Direction de la Statistique 1987; Carte Topographique de Safi 1/100.000.

عائشة العلوي البلغيثي

اسقالة، أصل الكلمة طلياني، كما في المعاجم الاسبانية والتركية، فهي "SCALA" تدل على معان كثيرة. ولعل المغرب أخذ الكلمة من التركية، التي كانت تكتبها "اسكالة" و"إسقالة"، غير أن قاموس شمس الدين، وهو من القواميس المعتمدة، يفرق بينهما في المعنى، فالمكتوبة بالقاف، آلة موسيقية، والمكتوبة بالكاف عبارة عن قصبة تواجه البحر، تعدّ للحرب كما تعد للجمرك والأعمال التجارية، ومدخلا ومخرجا للبحر. ويبدو أن هذه التفرقة جاءت متأخرة، وإلاّ فإن الاسقالة التطوانية، أنشئت أو جددت في عهد مولاي عبد الرحمان بن هشام، لمهمة حربية، حينما زار تطوان، فاهتم بإصلاح الأبراج أو إنشائها، وكان من ذلك الإسقالة المذكورة، تم انجازها عام 1246، كما في الرخامة المثبتة فوق باب الاسقالة، حيث كتب ما يلي :"بسم الله الرحمان الرحيم النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا عبد الرحمان أمير المومنين. بُني هذا البرج المبارك على يد خديمه ولي نعمته محمد أشعاش سنة 1246".

فاسقالة هنا مذكورة بالبرج والبناء، إنشاء وهو المتبادر، أو إصلاحاً، كان بأمر عبد الرحمان الذي زار تطوان وأمر بذلك عام 1243، فيكون العمل قد استغرق ثلاث سنوات أصلح خلالها البرج المقابل له والمطل عليه من الجبل (جبل درسة). وكان قد بُني أواخر أيام المولى عبد الله، وكان حاكم تطوان "امحمد لوقاش" ابن عمر المستبد بتطوان. وقد كانت لتطوان عناية خاصة بالأبراج، لدرجة أن ريع الأوقاف كان مخصصاً لها. ولا شك أن الإسبان كان لهم ضلع فيما حدث بعد المولى يزيد، فإنهم، وقد ضيق عليهم الخناق في حصار سبتة، صاروا يدسون له، فخرج عليه أخوه هشام في مراكش، وخلعت بيعتهَ في تلك الجهات، فترك هو الحصار، وخف في إخماد هذه الفتنة وكان ذلك بعد مبايعته بسنتين، فقتل مجروحا بعيار فى المعركة سنة 1206. ونشير إلى وجود اسقالات كثيرة منتشرة في ثغور المغرب كالعرائش وسلا وأسفي.

إسقالة في أسفي

ومنذ بويع المولى عبد الرحمن بن هشام أخذ يأمر بالتحصينات، استعداداً لمواجهة الفرنسيين الجاثمين على الجزائر. وتوفي وهو يحض على الاستعداد لملاقاة الكفار الإسبان، الذين أعلنوها حربا إثر تولية أبيه، فكان احتلال

تطوان سنة 1276، ودخولهم إلى تطوان من باب العقلة، التي أسموها باب الملكة.. وهي الملكة ڤكتوريا، بعد أن تصدت للجيش الزاحف لقصبة إسقالة ببطرياتها، كما نجد ذكرها في الاطلس مرقمة بـ 1184، وهي عن يمين الداخل إلى المدينة. ويبدو من الأطلس المذكور أنه كانت هناك تحصينات في الناحية المقابلة لها يمينا قضت عليها الجيوش الزاحفة أو أبطلتها، كما نجد ذلك في التعليق المرقم بـ 31، من نفس اللوحة.

م. داود، *تاريخ تطوان* ؛ م. بنتاويت، *تاريخ سبتة ؛ وثيقة تاريخية عن تطوان*، والتعليق عليها وعلى ظروفها، مجلة تطوان العدد 3 سنة 1960 ؛ س. شمس الدين، *قاموس عثمان* ؛ *الأطلس* الذي ألف في تطوان ووقائعها خلال الاحتلال الإسباني لها سنة 1960.

Diccionario Salvat y Caen C. Editores (Barcelona), Dictionnaire Français - Italien, Italien - Français (Collins, Gallimard) (London and Glasgow) ; R. Dozy, *supplement aux dictionnaires arabes*, Beyrouth, 1981.

محمد ابن تاويت

أسقمري (كابايْلا) ← **سمك**

إسگْ ← **أگادير** (إقليم ـ)

الأسكاري ← **الهشتوكي** موسى بن إبورك

أسكاليس (Ascalis) تقتصر معلوماتنا عن هذه الشخصية على مصدر واحد من مؤلف بلوتارخوس (Plutarqus) المعنون تحت اسم : *تراجم مشاهير الرجال* (*Les vies des Hommes illustres*) ولكن بلوتارخوس لم يفرد كتابا خاصا بالشخص، فهو يتعرض له بالذكر بصفة غير مباشرة عندما يترجم للقائد الرماني سرطوريوس (Sertorius) قائد ماريوس الذي كان يحارب بإسبانيا بين سنتي 81 . 372 م.

يقول بلوتارخوس (Sertorius 7،4) "لقد قطع البحر ووصل إلى إفريقيا عند الموروزيين ..." لقد كان هذا أول اتصال له بالأرض الإفريقية فقد انطلقت من قرطاجنة وبالتالي كان بإمكانه الرسو في سيگا (Siga) العاصمة القديمة لسفاكس (Syphax) أو بالساحل الريفي. وكيفما كان الحال فإن هذه العملية فشلت لأن الأهالي قاموا بطرد قواته وأفلح سرطوريوس في العودة إلى إسبانيا بمساعدة قراصنة سليسيين (Ciliciens).

يقول بلوتارخوس في فقرة أخرى(الفقرة Sertorius 912) إنه عاد مع القراصنة السليسيين إلى إفريقيا. وسبب اتجاه القراصنة السلييين إلى إفريقيا هو رغبتهم في إعادة ملك المورأسكاليس ابن إفطاس (Iphtas) إلى عرشه والذي تمت الإطاحة به في ظروف نجهلها.

وربما كانت لهذه الفرق السليسية قواعد بإفريقيا اغتصبوها من ملك المور الشرعي بوخوس الأول، وساعدهم في عملهم هذا الثائر أسكاليس.

ويضيف بلوتارخوس (Sertorius 9،2) بأن سرطوريوس مال إلى جانب الثوار الذين استقبلوه بحفاوة .وهزم سرطوريوس أسكاليس وحاصره بالمدينة التي كان قد تراجع إليهامع فلول جيشه. وقد أرسل القائد الروماني سيلا (Sylla) فرقة عسكرية لمساعدة أسكاليس يتزعمها القائد (Paccianus) ولكن سرطوريوس قضى عليه وأخضع باقي جيشه، ثم إنه تمكن من الاستيلاء على طنجة التي كان أسكاليس قد احتمى بداخلها.

يثير نص بلوتارخوس العديد من التساؤلات حاول بعض الباحثين الإجابة عنها. ومن هذه التساؤلات سبب انقلاب سرطوريوس ضد القراصنة السليسيين. ويحلله أندري جودان A. Jodin باتجاه سرطوريوس الماريانى (Marianiste) فيما أنه من أتباع القائد الروماني ماريوس (Marius). لذا كان من البديهي أن يرفض مساندة مغتصب العرش أسكاليس بدل صاحبه الشرعي بوخوس الأول. ولنتذكر بأن هذه الأحداث تدور ببلاد المور (المغرب القديم) خلال الربع الأول من القرن الأول قبل الميلاد. وهذه المرحلة توافق حكم بوخوس الأول الذي ابتدأ حكمه سنة 105 ق . م . واستمر إلى حدود سنة 70 ق . م.

والتساؤل الثاني الذي يثيره النص يتعلق بالسبب الذي دفع القائد الروماني سيلا (Sylla) لإرسال دعم عسكري لأسكاليس وأصدقائه السليسيين تحت زعامة (Paccianus) ونحن نعرف أنه سبق أن بعث سنة 79 ق . م. القنصل سرفليوس Servilius إلى ولاية سليسيا (Cilicie) لمهاجمة هؤلاء القراصنة أنفسهم في معاقلهم. وفسر أندري جودان سبب مساعدة سيلا لأسكاليس والسليسيين برغبته في القضاء على القائد الماريانى سرطوريوس.

أما النقطة الخاصة باختفاء الأهالي بسرطوريوس، فنعتبرها تعبيرا عن الخلاص من ضغط أسكاليس فيكون سرطوريوس بالنسبة للأهالي بمثابة المنقذ.

أما كاركوبينو (Carcopino) الذي استوقفته قضية الحكم ببلاد المور خلال ثلاثة الأرباع الأولى من القرن الأول قبل الميلاد فقد ذكر بدوره أن هذه المرحلة توافق حكم بوخوس الأول وأضاف أن هناك عدة دلائل ثابتة تؤكد استمراريته على العرش ببلاد المور، خلال سنة 70 ق. م. عندما انفصلت الموريطانيتان أصبح بوخوس الثاني (Bocchus II) ملكا على القسم الشرقي من موريطانيا وأصبح بوغود (Bogud) ملكا على قسمها الغربي . وفي اعتقاد كاركوبينو قد يكون بلوتارخوس ومعه سالوست (Salluste) حوّلا أميرا محليا إلى ملك أو خلطا بين مصطلحي أمير (Regulus) وملك (Rex) وبذلك يكون أسكاليس قد حكم طنجة إما بصفة أمير مستقل أو تابع بصفة أسمية لبوخوس الأول، فتكون طنجة لوضعيتها البحرية مدينة مستقلة عن باقي المناطق التابعة للتاج الموريطاني.

Carcopino, *Le Maroc antique*, Gallimard, Paris 1943 ; S. Gsell, *Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord*, VII, Hachette, Paris 1928 ; A. Jodin, *Volubilis Regia Juhae, contribution à l'étude des civilisations du Maroc préclaudien*, Paris, 1987 ; Plutarque, *Les Vies des Hommes illustres vie de sertorius*, texte etabli et traduit par G. Walter, Gallimard, Paris, 1951, Tome II ; Plutarque, *Vie paralleles*, ed. R. Flacelière et E. Chaubry, VIII. Paris 1957 - 1983.

عبد العزيز بلفايدة البيضاويه بلكامل

إسكتان ← سكتانة

أسْكُور، أحمد. ولد سنة 1907 بقبيلة أيت بنعيسى. انخرط في صفوف جيش التحرير بالشمال بتاريخ 2 أكتوبر 1955 وقد شارك مشاركة فعالة إلى أن استشهد بإحدى المعارك التي خاضها جيش التحرير بإموزار مرموشة سنة 1955.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير. الرباط.

عز الدين العلام

أسكور (فندق سلا) ← **مارستان أبي عنان**

أسْكُونْتي، زايد من أيت عيسى إزم. أبرز قواد معركة جبل بادو المطل على أغبالو نكردوس جنوب إقليم الرشيدية (قصر السوق سابقا) حيث تجمّع المجاهدون من أيت حديدو وأيت مرغاد وأيت عيسى إزم بعد انتهاء معارك جبل صاغرو وبُوكافر، وانضم إليهم مجاهدون من مناطق أخرى، وقد استعد الفرنسيون لهذه المعركة الحاسمة استعداداً خاصاً، وقادها منهم أربعة جنرالات جيرو، وكاترو، ولوسطال، وكودو، بإشراف الجنرال هيرو الذي جعل مقر قيادته في تينغير.

دامت المعركة حوالي شهر أظهر فيها زايد أسكونتي بطولة نادرة، ولم يستسلم آخر المقاومين هناك إلاّ يوم 29 غشت 1933.

الذكرى الأولى لمعتقل أغبالو نكردوس، 22 ـ 24.

محمد حجي

أسْكيَا أو (سْكْيَة) وكتبها بعضهم بالقاف (أسْقيا) ويجمع جمعا سالما ومكسرا فيقال أسكيون وأساكي. لَقب تشريفي يعنى المَلِكَ عند السراكوليين التكروريين حكّام دولة سنغاي الذين خَلَفوا آل سنِّي أواخر القرن التاسع / 15. والسراكوليون سودانيون أقحاح كانوا مستقرين في حوض السينغال إلى أن أجلاهم المرابطون في منتصف القرن الخامس / 11 م أثناء حركتهم الشهيرة للدعوة إلى الاسلام بقيادة عبد الله بن ياسين ويحيى الگدالي، فتفرق السراكوليون طرائق قِدداً، واستقر معظمهم حول نهر النيجر مختلطين بقبائله.

ولما استقل آل سني من أسرة ضياء الليبية بدولة سنغاي وانفصلوا عن إمبراطورية مالي عام 735 / 1335 انخرط بعض السراكوليين في جيشهم، واشتهر منهم في عهد سني علي بير قائد شجاع يدعى محمد تورى، أبلى البلاء الحسن في جميع المهام العسكرية التي أنيطت به، لكنه ثار حينما مات مخدومه سني علي، حارب ابنه سني بارو وهزمه في معركة (أنگو) الفاصلة، ودخل منتصرا إلى العاصمة "كاغو" عام 898 / 1493 وبذلك أصبح الملك الأول في دولة الأسكيين، ولُقب بمحمد الكبير، ثم حج فصار يدعى أسكيا الحاج محمد الكبير. وقد أصبحت امبراطورية سنغاي في عهده تضاهي في عظمتها أو تفوق امبراطوريتي مالي وغانا القديمتين، ودام سلطانها 102 سنة، تعاقب على الحكم خلالها تسعة ملوك.

احتك الأسكيون بالشرفاء السعديين منذ الطور الاول لنشأة دولتهم وهم ما يزالون في سوس، وكانت ممالح تَغَازَي وتاوَدْني في وسط الصحراء نقطة الالتقاء يرغب كل من الجانبين في استغلالها لما تُدره من مداخيل مهمة. وذلك بعد أن أخذت القوافل التجارية الصحراوية تسلك من جديد الطريق الغربي المفضي إلى أقّا فتيدْسي وتارودانت أو المحمدية على إثر عودة الاستقرار والأمن إلى هذه المناطق مع الشرفاء منذ مُطلع القرن العاشر / 16 م.

تأرجحت العلاقات بين الأسكيين والسعديين فكانت تحتد أحيانا وتصفو أخرى، ولم يُعرف ـ لحد الآن ـ من المراسلات بين الفريقين إلا ما أثبته منها عبد العزيز الفشتالي في *مناهل الصفا*، أو أشار إليه عبد الرحمان السعدي في *تاريخ السودان*، ومحمود كعت في *تاريخ الفتاش*. وقد تبودلت الرسائل بين أحمد الأعرج بن محمد القائم بأمر الله والأسكيا إسحاق الاول (946 / 1539 ـ 955 / 1549)، وبين أحمد المنصور الذهبي والأسكيا داود بن الحاج محمد الكبير (955 / 1549 ـ 990 / 1582) والأسكيا محمد بن داود (990 / 1582 ـ 994 / 1586)، ثم الأسكيا إسحاق بن داود أو إسحاق الثاني الذي انتهت دولة الأسكيين الأولى بانهزامه أمام جيش أحمد المنصور بقيادة جوذر باشا في معركة "تونديبي" الحاسمة شمال العاصمة كاغو، وذلك في 17 جمادى الاولى عام 999 / 12 مارس 1591.

ثم كان للأسكيين دولة ثانية أطول عمراً وأكثر عدداً من الأولى دامت أزيد من مائة وستين عاماً، تعاقب فيها على الإمارة ستة عشر أسكيا، معظمهم من حفدة أسكيا الحاج محمد الكبير، لكنهم كانوا جميعا تحت نظر الباشوات المغاربة. وقد فصل القول في هؤلاء الأسكيين وحدّد تواريخ توليتهم أو عزلهم القاضي محمود كعت في كتابه *تذكرة النسيان* (ص 180 ـ 185). وترك الباشوات المغاربة للأسكيين عاصمتهم كاغو، واستقروا هم في تنبكتو.

كان أول الأساكي في المرحلة الثانية سليمان بن داود بن الحاج محمد الكبير، ولاّه الباشا محمود زرقون عام 1000 / 1592 على إثر مقتل أخيه أسكيا إسحاق، واستمر سليمان في منصبه إلى أن توفي في صفر عام 1013 / يوليوز 1604 فخلفه ابن أخيه أسكيا هارون بن أسكيا الحاج بتولية من الباشا محمود بن زرقون، ومكث في منصبه أربعة أعوام ثار عليه بعدها أهل سنغاي فعزله الباشا محمود بن زرقون، وولّى أسكيا آخر من أقاربه ... كان آخر الأسكيين الذين أرخ لهم محمود كعت هو أسكيا الحاج بن أسكيا أبي بكر حفيد أسكيا الحاج محمد الكبير، ولاه الباشا عبد الله بن الحاج العمراني أواخر عام 1142 / 1730 وبقي في الإمارة تسعة عشر عاما إلى أن عزل عام 1161 / 1748 واستبدل به الباشا أبو بكر بن منصور الدرعي أسكيا محمود بن كن فاري عمار أواخر هذا العام، قال عنه كعت (ص 185): "وهو الذي فيها اليوم في البراري لكن سمعنا أنهم عزلوه"

ولم نقف بعد *تاريخ الفتاش* الذي انتهى في 25 شعبان 1164 / 1751 على ذكر للأسكيين، ولعلهم بقوا يتوارثون إمارة كاغو إلى حين سقوط دولة الباشوات علي إثر دخول الجيوش الفرنسية إلى تنبكتو عام 1311 / 1894. عندما لم يتمكن الحسن الأول من إنجادهم بسبب المشاكل الداخلية والدولية العويصة التي كانت تواجهه.

ع. الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ ع. السعدي، *تاريخ السودان* ؛ م. كعت. *تاريخ الفتاش* ؛ م. الإفراني، *نزهة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ج. فيج .دي. *تاريخ غرب افريقيا*، ترجمة ي. نصر. بوفيل، *الممالك الاسلامية في غرب افريقيا واثرها في تجارة الذهب*، ترجمة : زاهر رياض ؛ ع. زيادة ، *مملكة سنغاي في عهد الأسقيين* ؛م. الغربي، *بداية الحكم المغربي في السودان الغربي* ؛ موريطانيا ومشاغل المغرب الافريقية في القرن السادس عشر.

M. de Lafosse, *Les relations du Maroc avec le Soudan à travers les âges*, Hespéris, 1924, pp. 153 - 174. Unesco, *Histoire Générale de l'Afrique*, t. 5, chapitre.

أسْكيا، إسحاق بن داود بن الحاج محمد الكبير. تولى ملكَ سنغاي على إثر مصرع أخيه أسكيا محمد باني في 3 جمادى الاولى عام 996 / 10 أبريل 1588، وكان حادّ المزاج سيئ الطالع، لم يلبث أن ثارت عليه تنبكتو وبايعت أسكيا آخر اضطر إسحاق إلى محاربته طوال سنة. كما ثار عليه أخوه أسكيا علي بن داود ـ حسب *مناهل الصفا* ـ فحاربه إسحاق أيضا إلى أن تمكن من القبض عليه وسجنه. فتدخل في شأنه منصور بن الفلالي، وهو شيخ أولاد سالم من عرب القفر كان أحمد المنصور بعث به إلى كاغو ليكون عيناً له فيها، فمكث ثلاث سنين، سُجن أثناءها حين استرابوابه، ثم أطلقوا سراحه وقربوه لما أبدى لهم من تزلف وإخلاص.

نصح ابن الفيلالي أسكيا إسحاق بإبعاد أخيه الثائر إلى المغرب "حسماً لداء الفتنة ودفعاً لما يحذر من مغبته" فقبل إسحاق ووكل أمر تغريب علي إلى ابن الفيلالي الذي سلمه إلى من أوصله مقيداً إلى حاكم تغازى، ومن ثم نُقل فورا إلى مراكش، فوصلها في جمادى الاولى عام 997 / أبريل 1589 والمنصور يومئذ بفاس فسر بخبر مقدم هذا (العيص من أبناء سكية)، ويسمى السعدي في *تاريخ السودان* (ص 137) هذا الواصل إلى مراكش :" ولد كرنفل من خدام أمراء سغي" غضب عليه أسكيا إسحاق وبعث به سجيناً إلى تغازى فهرب إلى مراكش وكتب إلى المنصور الذي كان يومئذ بمراكش يغريه بفتح السودان. ولم يشر السعدى إلى ثورة أسكيا بن داود. ولعل الرجلين معا وصلا إلى مراكش. وكتبا إلى المنصور في نفس الموضوع.

وجه أسكيا على إلى المنصور خطابا يطلب منه المساعدة بالمقاتلة والسلاح للإجلاب على أخيه حاكم كاغو. فكتب المنصور حينئذ رسالتين إلى أسكيا إسحاق، من إنشاء الكاتبين عبد الواحد الحسني وعبدا العزيز الفشتالي، (*مناهل الصفا*، 122 ـ 125) ألانَ له القولَ في الأولى طالبا منه أن يمتثل لما أمر به من توظيف مثقال تبراً على كل حمل جمل يصدر عن *مملحة* تغازى، وأصحب هذه الرسالة فتاوى فقهاء المغرب بإسناد الشرع حكم المعادن إلى الإمام لاستغلالها في الصالح العام، خاصة ما كان المنصور بصدده من جهاد الكفار في البر والبحر. وأغلظ له القول في الرسالة الثانية التي يخبره فيها بطلب أخيه عليّ الإمداد للإجهاز عليه في عقر داره.

اختار المنصور من رجاله المحنكين رسولاً لم تفصح المصادر عن اسمه وسلمه الرسالتين مع الخطاب الذي حرره الأسكيا علي، وطلب من الرسول أن يقدم أولاً إلى إسحاق الرسالة اللينّة، فإن استجاب وإلا قدّم اليه الرسالة الثانية، فإن استكبر قدّم له رسالة أخيه علي. غضب أسكيا إسحاق للرسائل التي سلمها إليه رسول المنصور، وأجاب عنها بخطاب غير لائق أرفقه بزُبّر من حديد إشارة إلى استعداده للحرب. فكان رد فعل المنصور أن وجّه حملة عسكرية بقيادة جوذر باشا التقت بجموع أسكيا إسحاق في تَنكُنْدِبُعُ القريب من تُنْدِبي شماليّ كاغو. وذكر السعدي أن جيش أسكيا إسحاق كان " اثني عشر ألفاً وخمسمائة من الخيل (= الفرسان) وثلاثين ألفا من أرباب الرجل (= الراجلين) وجرت المعركة يوم الثلاثاء 17 جمادى الاولى عام 999 / 12 مارس 1591 "فكسروا جيش أسكيا طرفة عين".

فر إسحاق إلى ما وراء النيجر بعد أن أمر قومه بالهروب مثله، ودخل جودر إلى كاغو فتلقاه خطيبها محمود دْرَامي والطلبة والتجار بالترحيب "واضافهم ـ الخطيب ـ ضيافة فاخرة كبيرة " ولما دخل دار إسحاق لم يجد فيها شيئا يذكر.ثم تلقى جوذر من أسكيا إسحاق طلب الصلح على أن يؤدي للمنصور مائة خديم، فأبلغ جوذر ذلك إلى المنصور الذي عزله بمحمود زرقون. وجرت معركة ثانية بين هذا القائد وأسكيا إسحاق وراء النيجر في مكان يدعي زَرْزَنْ في 25 ذي الحجة عام 999 / 14 أكتوبر 1591 فانهزم إسحاق وفر موغلا في الجنوب، وتعقبه محمود زرقون إلى أن وصل إلى كوكيا العاصمة القديمة لدولة سنغاي. ولم يلبث القواد المهزومون أن عزلوا أسكيا إسحاق أوائل محرم عام 1000 اكتوبر 1591. وولوا مكانه أسكيا محمد كاغ، لكن هذا لم يمكث سوى أربعين يوماً حتى ألقى عليه القبض محمود زرقون ونحّاه عن السلطنة. أما أسكيا إسحاق فضاقت به السبل والتجأ إلى تَنْفني عند خصوصه كُرم الوثنيين، فقتلوه في جمادى الآخيرة عام 1000 / مارس ـ أبريل 1592.

ع.الفشتالي، *مناهل الصفا*، ص 136 ـ 139 ؛ ع. السعدي، *تاريخ السودان*، البابان العشرون والواحد والعشرون ؛ م . الإفراني ، *نزهة* ؛ م. كعت، *تذكرة النسيان* ؛ أ.الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. زيادية، *مملكة سنغاي* ؛ م. الغربي، *موريطانيا ومشاغل المغرب الإفريقية، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي*.

اسكيرج ← سكيرج

محمد حجي

الإسلام، ـ في المغرب ـ . المراد بالإسلام في المغرب الكلام على حياته وقيامه في هذا الجناح الغربي من العالم

الإسلامي المسمى بالمغرب الأقصى لبعده عن بلاد المشرق، موطن تنزل الإسلام، ومبعث نبيه عليه السلام.

وقد دخل الإسلام رسميا إلى المغرب، مع عقبة بن نافع عام 62 للهجرة عندما ولاه يزيد بن معاوية على الشمال الإفريقي الذي كان قد فتح من قبل، وهي ولايته الثانية التي بنى فيها مدينة القيروان، وجعلها عاصمة المغرب الكبير، ومنها زحف إلى المغرب ومضى يحتل مواقعه، الواحد بعد الآخر، من طنجة إلى سوس، واستنزل كبراءه وزعماءه على طاعته والدخول في دولة الخلافة الإسلامية تبعية وحكما... وهذا لا يعني أن المغرب لم يعرف الإسلام إلا في هذا التاريخ، فمن غير المعقول أن يصل الفاتحون الأولون إلى المغرب الأدنى ثم إلى المغرب الأوسط أعني تونس والجزائر في خلافة عثمان (ض) وولاية عمرو بن العاص على مصر، ولايكون لذلك صدى في المغرب الأقصى ولا اهتمام بهذا الحدث الكبير وتطلع إلى ما أتى به أولئك الفاتحون من ملة ودين، ورغبة في اعتناقه واستعداد لقبوله... وفعلا فقد جاء في *كتاب الجمان في أخبار الزمان* للشطيبي أن نفرا من البربر قدموا على عمر (ض) بالمدينة بعد فتح مصر على يد عمرو بن العاص فسألهم من هم وما الذي جاء بهم؟ فقالوا نحن أبناء مازيغ، وهو الاسم الذي يعرف البربر به أنفسهم، وجئنا رغبة في الإسلام الدين الحق الذي أوصانا به آباؤنا وأجدادنا، فعجب عمر منهم، والحكايات من هذا القبيل تدور على الألسنة كثيرا، والشطيبي ما سجل إلا ما سمع أو رأى في بعض المراجع التي لم تصلنا.

وبعد أن أنهى عقبة فتح المغرب عطف على ساحل البحر المحيط، وفي مدينة أسفي وقف وقفة تأمل بشاطئها وأدخل قوائم فرسه في الماء وقال : "اللهم اشهد أني بلغت المجهود ولولا هذا البحر لمضيت أقاتل في سبيلك حتى لا يعبد في الأرض أحد سواك".

وكان سكان المغرب آنذاك ليسوا على دين، إلا القليل منهم كانوا على المجوسية، وما يزعمه بعض المؤرخين الأجانب من أنهم كانوا على المسيحية لم يصح ونعني بالمغرب هنا المغرب الأقصى. ويمكن أن يقال إنه كان لليهود وجود في المغرب، وخاصة في بعض القبائل التي يأتي ذمها في الشعر بأصلها اليهودي. نعم كان يوليان الغماري والي سبتة وطنجة مسيحيا ولكنه خضع لعقبة وأظهر الطاعة للحكم الإسلامي وبه انتهت السيطرة المسيحية على المغرب التي كان يوليان يستمدها من ملوك القوط الإسبانيين.

وبعد عقبة توالى على تدبير شؤون المغرب العربي ولاة متعددون طوال العهد الأموي ثم من العهد العباسي إلى أيام هارون الرشيد، والإسلام يهيمن على البلاد، ومدينة القيروان التي بناها عقبة هي العاصمة التي يستقر بها الولاة العامون ويبعثون منها نوابا عنهم وقوادا يشرفون على الحكم والإدارة وحفظ الأمن، ولكن هذا لم يمنع من ظهور بعض الحركات المناوئة للنظام العام كالشيعة والخوارج وهما من المذاهب السياسية الواردة من المشرق، إذ كان للخوارج والشيعة هناك تنظيمات قوية، طالما واجهوا بها الخلافتين الأموية والعباسية ونشبت بينهما وبين الدولة حروب ومصادمات كان أتباعها يتسربون إلى المغرب عند انهزامهم محاولين بذلك إيجاد أنصار وإقامة عصبية مغربية يستندون إليها في توثباتهم على الخلفاء، وقد بلغ الأمر إلى تأسيس دولة خارجية صُفرية بسجلماسة وهي دولة بني مدرار التي استمرت إلى أوائل القرن الرابع، حين قيام دولة الفاطميين الشيعية. وإلى هذه النحل التي ينتمي أهلها إلى الإسلام، كانت تظهر بعض المذاهب الضالة المناهضة للدعوة الإسلامية من الأساس كالبرغواطية، وهي دين انتحله صالح بن طريف الذي ادعى النبوة بتامسنا من المغرب الأقصى على ساحل المحيط فيما بين سلا وأسفي، وبرغواطة بطن من المصامدة، وكان صالح هذا من أهل العلم والخير كما قال ابن خلدون :" ثم انسلخ من آيات الله وشرع لأتباعه الديانة التي عرفت به، وهي تشتمل على مخرقات تضاد تعاليم الإسلام وتمسخ تشريعاته من صلاة وصيام وغيرهما ووضع لهم قرآنا زعم أنه وحي نزل عليه وقال إنه صالح المومنين المذكور في *القرآن* "(6 / 207) واستمرت هذه الضلالة منتشرة في المغرب إلى قيام الدولة الإدريسية التي قاتلت أصحابها ولم تنقرض إلا في أيام المرابطين الذين قضوا عليها نهائيا.

ولعل هذه البدع والضلالات هي التي عنى ابن أبي زيد القيرواني بمقولته الشهيرة :"ارتدت البربر اثنتى عشرة مرة من طرابلس الى طنجة ولم يستقر إسلامهم حتى عبر موسى بن نصير البحر إلى الأندلس وأجاز معه كثيرا من رجالات البربر برسم الجهاد فاستقروا هنالك، فحينئذ استقر الاسلام بالمغرب وأذعن البربر لحكمه وتناسوا الردة" وما ينبغي أن يحمل عليه هذا الكلام هو الردة الجهوية والجُزئية التي لم تعم البلاد كلها، وأنها لا تختص بالمَغرب الأقصى، لاسيما وان ابن أبي زيد كان من أهل القيروان فهو إنما يتحدث عن إقليمه وجُوار مدينته، ثم إن ذلك كان قبل ولاية عمر ابن عبد العزيز للخلافة، لأنا نجده قد بعث للمغرب عشرة من فقهاء التابعين لتعليم المغاربة وتفقيههم في دينهم حين بلغه صدى هذا الارتداد مع ما يعلم من أن الولاة مشتغلون بتأمين البلاد وتوطيد أركان الدولة، فربما كانت هناك نواح لم تصلها الدعوة ولم تتفهم رسالة الإسلام، فمن السهل على أهلها أن يراجعوا جاهليتهم ويتمسكوا بمظاهر الوثنية التي كانوا عليها. ويؤيد ذلك قوله إنه لما عبر موسى بن نصير البحر إلى الأندلس استقر الإسلام بالمغرب وتناسوا الردة. وإذا كان هذا في المغرب الذي هو أقصى نقطة في هذه الأرض المفتوحة فبالأحرى أن يكون المغرب الأدنى والأوسط قد استقر الإسلام فيهما قبل ذلك.

ونحن نعلم أن حملة طارق بن زياد مولى ابن نصير على الأندلس كانت تتكون من اثنى عشر ألف مقاتل أغلبيتهم من المغاربة، ولم يكن بينها وبين فتح المغرب الأقصى إلا

نحو ثلاثين سنة، وهي مدة قليلة بالنظر إلى استقطاب هذا العدد الكبير من المسلمين المغاربة الذين فتحوا الأندلس ومكنوا فيها للإسلام مما يجعلنا نعتقد أن الإسلام توطد في المغرب بعد فتح عقبة وصار هو الدين الغالب على أهله، ولاسيما مع ما قدمناه من أن المغاربة لم يكونوا في غيبة عن زحف الإسلام على المغربين المجاورين الأوسط والأدنى ولا بد أن الكثيرين منهم دخلوا فيه تلقائيا بحكم الاحتكاك القبَلي والجوار.

نخلص من هذا إلى أن الإسلام غطى الشمال الإفريقي بجميع أقطاره حتى آخر نقطة فيه بسوس، في القرن الاول الهجري، فماذا عن المذهب الذي كان متبعا من أهله ؟

جاء في *الاستقصا* (1 : 60) كان المغاربة في صدر الإسلام على مذهب جمهور السلف من الأمة واعتقادهم وهو المذهب الحق... وهذا طبيعي إذ لم تتقرر المذاهب المعروفة حينذاك ولا كان هناك أتباع لغير بعض النزعات السياسية من شيعية وخروج على ما ألمعنا إليه سابقا. وفي أيام الخلافة العباسية أخذ المغاربة بمذهب أهل العراق في الأصول والفروع لأن ذلك المذهب يومئذ هو مذهب الخلفاء بالمشرق والناس على قدم إمامهم. واستشهد الناصري بقول القاضي عياض في *المدارك* :"ظهر مذهب أبي حنيفة بإفريقية (تونس وما والاها) ظهورا كثيرا إلى قرب أربع مائة سنة فانقطع منها ودخل منه شيء إلى ما وراءها من المغرب قديما بمدينة فاس والأندلس، وكذا ظهر بالأندلس مذهب الإمام الاوزاعي فقيه أهل الشام، وكان ذلك عند قيام الخلافة الأموية بها، ولا شك أنه تسرب أيضا إلى المغرب، ثم تحول الأندلسيون والمغاربة إلى مذهب الإمام مالك أولاً على يد بعض الفقهاء من أتباعه كأسد بن الفرات وسحنون من الأفارقة وزياد بن عبد الرحمان المعروف بشبطون الذي كان أول من أدخل كتاب *الموطأ* إلى المغرب والأندلس وأخذه عنه يحيى بن يحيى الليثي الطنجي إلا أبوابا، منه فرحل إلى المدينة وسمعه كاملا من الإمام مالك ورجع وحدث به الناس، وكان بمنزلة كريمة عند السلطان فكان يستشيره في ولاية القضاء فيشير عليه بقضاء من تلامذته وأتباع المذهب المالكي فتوطد هذا المذهب حينئذ في الأندلس واختفى ما سواه.

أما في المغرب الأقصى فعند قيام الدولة الإدريسية به، وبناء إدريس الثاني لمدينة فاس وتنظيمه لمصالح الدولة، كان يعين في مناصبها فقهاء من أتباع المذهب المالكي في الوزارة والقضاء وغيرهما، وكان الأدارسة في أصلهم من الحجاز، ومالك هو فقيه الحجاز وعالم المدينة، وناصر الدعوة العلوية على الدولة العباسية، وبسبب هذه المناصرة امتحن وضرب من أجل قوله بأن طلاق المكره لا يجوز، وهو يعني بذلك أن البيعة بالإكراه باطلة وهي التي قامت عليها الخلافة العباسية أولا، فكانت هذه الدواعي مجتمعة باعثة على انتشار المذهب المالكي بالمغرب واعتماد الدولة له وقطع النظر عن غيره.

واستمر الأمر على هذا الاتجاه في الأصول والفروع إلى قيام الدولة الموحدية التي أنشأها المهدي بن تومرت في القرن السادس الهجري، وكان قد رحل في طلب العلم إلى المشرق ووافق انتشار المذهب الأشعري في العقيدة واعتناق أئمة من أهل العلم له والدفاع عنه كالغزالي والطرطوشي وابن فورك وتلك الطبقة، فتلقاه عن أهله وتمذهب به، وعاد إلى المغرب ولما أنشأ دولته كان قد اتخذ شعارا لها الطعن في دولة المرابطين ووصفهم بالتجسيم اذ كانوا على مذهب السلف من عدم تأويل المتشابه من النصوص القرآنية والحديثية كالوجه واليد والعين والاستواء والنزول وما إلى ذلك، فيعتقدون اتصاف الباري بها ويفوضون في كيفيتها كما قال الإمام مالك لما سئل عن استواء الله على العرش كيف هو فقال : الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعة. أما الأشاعرة فكانوا يقولون إن المراد بالوجه الذات وباليد القدرة وبالعين البصر وما إلى ذلك، فيؤولون، والتأويل عند السلف مرفوض لأنه يخرج النصوص عن مدلولها، وكان يسمي أصحابه بالموحدين ويسمي المرابطين بالمجسمين ويكفرهم لذلك، وحين تمت السيطرة للموحدين على المغرب حملوا الناس بالقوة على المذهب الأشعري وقربوا من التزمه ودعا إليه، فتحول المغرب حينئذ إلى هذا المذهب.

كما حاول الموحدون أن يحملوا الناس على الأخذ بمذهب أهل الحديث والإعراض عن مذهب مالك وأحرقوا كتب المالكية واعتسفوا في ذلك اعتسافا كبيرا (*المعجب* للمراكشي) ولكن هذا الأمر لم يتم، إذ رجع الناس إلى مذهب مالك ولاسيما عند قيام الدولة المرينية، وعادت كتب المذهب إلى الانتشار والتأليف فيه والاقتصار على دراسته في جامعة القرويين وغيرها إلى وقتنا هذا.

أما العقيدة الأشعرية فقد وقع التمسك بها والتأليف فيها من المغاربة ودراستها في المعاهد الدينية. وإن كان السلطان محمد بن عبدالله العلوي جنح إلى عقيدة السلف وكان يؤيدها ويدعو للرجوع إليها، وفي تآليفه كان يصف نفسه بالحنبلي عقيدة المالكي مذهبا، ولكن من أتى بعده من ملوك العلويين لم يأخذوا برأيه هذا وبقي الأمر على ما كان قبل وبعد.

والكلام على الإسلام في المغرب يدعونا للإشارة إلى ما كان للدولة المغربية من الحرص على شعائر الإسلام وإظهارها والحكم بشريعته والتزامها في الشؤون العامة والخاصة، ولا ننسى اليد البيضاء التي كانت للأدارسة في مقاومة ضلال البرغواطيين وللمرابطين في نشر الإسلام بالقارة الإفريقية وحماية الأندلس من السقوط في القرن الخامس الهجري، والحروب الطاحنة التي واجهوا بها الحملات الصليبية على مختلف الجبهات في المغرب كمعركة وادي المخازن وفي الأندلس كوقعة الزلاقة والأرك وغيرهما.

أما دور المعاهد الدينية وعلى رأسها جامعة القرويين

التي تعد اليوم أقدم جامعة في العالم، فإن جهود علمائها في نشر العلم ورفع رايته جعلتها كعبة القصاد من أقاصي البلاد. كان عدة علماء مغاربة من أساتذة جامعة القرويين وغيرها من المعاهد العلمية المغربية في مراكش وسبتة ينشرون العلم ويؤخذ عنهم بمثل ما كان علماء الأندلس يفعلون في المغرب، ومنهم يحيى بن يحيى الليثي راوي *موطأ* الإمام مالك مباشرة عن الإمام. والأمر بالنسبة إلى إفريقيا الغربية بالخصوص أكبر وأشهر، فبواسطة بعثاتها الطلابية إلى القرويين انتشر مذهب مالك فيها وعلوم العربية والخط المغربي وقراءة القرآن برواية ورش عن نافع.

وكذلك الطرق الصوفية التي نشأت في المغرب لها أتباع كثيرون في هذه الأقطار، وتقوم بربط علاقات متينة بين السكان هنا وهناك، وكثيرا ما تكون حافزا لتبادل الزيارات وشد الرحلة إلى مقامات أصحابها للتبرك وتجديد العهد. فالمغرب المسلم له دور رائد في القارة الإفريقية دينيا وعلميا وسياسيا كذلك، وهكذا لما ظهرت حركة المقاومة للاستعمار والمطالبة بالاستقلال في المغرب كان لها صدى بعيد في أقطار إفريقيا وارتجت شعوبها وتراخت العلاقة التي كانت تربطها بفرنسا وما كان يسمى بفرنسا وما وراء البحار، والوزارة المختصة به أصابها الوهن وانحلت تلقائيا، لأن المغرب وهو القدوة المتبعة فيها ثار على التبعية لفرنسا وضرب بعقد الحماية عرض الحائط، وكان استقلاله إيذانا باستقلال إفريقيا فتتابع الاعتراف بحرية تلك الشعوب. وخروجها من ربقة الرق التي ترزح تحتها زمانا طويلا.

ولا جدال في أن هذه الريادة الإسلامية التي يتمتع بها المغرب في الوسط الإفريقي، هي التي كانت تجلب له عدة مشاكل وتعرضه للمؤامرات التي ترمي إلى إضعافه وكسر شوكته والتقليل من مكانته الدولية، ففي المجال الديني كانت مؤامرة السياسة البربرية وما تهدف إليه من فصل البربر عن الحكم بالشريعة الإسلامية ومنع تعليم العربية في المدارس المنشأة بالأقاليم البربرية إنما يراد بها تقسيم المغرب إلى مناطق عربية وأخرى بربرية والتضريب بين العنصرين عملا بقاعدة فرق تسد، وقد كان التصميم الذي وضع لتلك السياسة يمهد لجعل البربر خاضعين للحكم الفرنسي المباشر ويحارب في نفس الوقت الدين الإسلامي ويعمل للقضاء عليه، وقد فوتت الحملة العارمة التي شنت على هذه السياسة وأفشلتها، فرصة لقيام حرب صليبية في القرن العشرين تشهرها فرنسا اللائيكية، وكان فشلها دليلا على أن الإسلام مهما كان الحال ما يزال يملأ الساحة برغم الاستعمار وسيطرته على إفريقيا.

وفي المجال الديني أيضا فشلت حملات التنصير التي كانت تعمل في كل مكان من مجاهل إفريقيا وتنفق بلا حساب على تكوين مراكز التبشير بالنصرانية مما يمولها به أغنياء أوروبا والمنشآت الإدارية والمالية في عواصم الغرب، مدعين أنهم يقومون بإنقاذ الوثنيين ونشر المسيحية بينهم، وهم لا يقصرون حركتهم على الوثنيين، ففي المغرب الرائد الإسلامي وموطن جامعة القرويين، كان لهم نشاط ملحوظ في المدن والقرى ومراكز في صميم بلاد البربر وجبال الأطلس يستضيفون فيها الطلبة ويمكنونهم من الإقامة بها للمطالعة والمذاكرة وتلقين العقيدة المسيحية والطعن في الإسلام، ولكن بعد الاستقلال تمكنت الحكومة المغربية من إغلاق هذه المراكز وطرد أصحابها إلى حيث لارجعة، وكان لهذا العمل أثره في خمود الحركة التنصيرية أو توقفها بالمرة، لاسيما لما ظهر أن أولئك القائمين بها كانوا يستغلون الإعانات المالية المتدفقة عليهم لأنفسهم ولمصالحهم الخاصة، فافتضحوا ونضبت موارد التبرعات.

وفي المجال السياسي عامل الاستعمار الأوروبي المغرب بما لم يعامل به أي قطر آخر، إذ قسم المغرب إلى ثلاث مناطق : منطقة تخضع لحماية فرنسا وهي المغرب الكبير الذي يضم عواصم فاس ومراكش والرباط التي يقيم بها الملك ولم تكن عاصمة من قبل، ومنطقة تخضع للحماية الإسبانية وهي تقع في الشمال وتشمل تطوان والعرائش والقصر الكبير وبلاد الريف إضافة إلى منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب في أقصى الجنوب. ومنطقة دولية وهي مدينة طنجة..

لقد تمكن المغرب والحمد لله من القضاء على هذه العوامل التي كادت تفضي إلى محو كيانه الدولي وإسدال الستار على وجوده السياسي، وفي ذلك إنهاء لدوره الحضاري وإطفاء لإشعاعه الإسلامي وما كان يقوم به في إفريقيا من ريادة علمية ودينية طالما سدت في وجه دعوات التغريب والتنصير الأبواب.

... والآن يحسم المغرب المستقل الموقف سواء في الميدان الروحي أو الزمني ويحصن المجتمع المسلم في القارة بإعلان الاسلام دينا رسميا للدولة والتزام مذهب أهل السنة والجماعة ومد يده الى مختلف البلاد الإسلامية معززا وحدتها وصحوتها بالمؤتمرات العامة التي دعا إليها، وبإنشاء المؤسسات العلمية والاقتصادية والاجتماعية ووضع القوانين والتشريعات لحمايتها وحسن استثمارها. وما المجلس الإسلامي الأعلى الذي يترأسه جلالة الملك بنفسه ويضم عدة مجالس إقليمية للعمل الدؤوب الدائم إلا واحد من هذه المؤسسات التي تعلق عليها أكبر الآمال بتوفيق الله عز وجل.

القاضي عياض، *المدارك*، ترجمة شبطون، ويحيى بن يحيى الليثي، وعبدالله بن أبي زيد ـ ط. بيروت ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، ط. مصر الأولى. ج. 2، ص 37 ؛ ع. المراكشي، *المعجب*. ط. مصر، ص : 245 وما بعدها ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، ط. فاس الحجرية ؛ ع. ابن خلدون، كتاب *العبر*، ج 6. ط. المصرية القديمة ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 1 : 51 .55. 50 . الطبعة الاولى، مصر.

عبد الله گنون

الإسلامي، عبدالحق بن سعيد بن محمد المكناسي،أبو محمد، فقيه مالكي متمكن أخذ الفقه بتلمسان عن عالميها الكبيرين أبي موسي وأبي زيد ابني الإمام، وتصدر لتدريسه في مسقط رأسه " وكان من أهل المعرفة والفصاحة قائما على كتاب ابن الحاجب ممتازاً به " (*الروض الهتون*). أخذ عنه لسان الدين بن الخطيب وأجازه. ولي قضاء مدينة مكناس وألّف كتباً منها : *الجازمة على الرسالة الحاكمة* لأبي بكر ابن العربي المعافري في الفتاوى، *والسيف الممدود في الرد على أحبار اليهود*، وقد طبع هذا الأخير على الحجر بفاس دون تاريخ. ويرد في بعض المصادر بعنوان مغاير قليلا : *الحسام المحدود في الرد على اليهود*.

توفي بعد عام 761 / 59 ـ 1360.

م.ابن غازي، *الروض الهتون* ؛ أ. باب السوداني، *نيل*، 185 ؛ إ.باشا البغدادي، *إيضاح المكنون*، 1 : 348 ـ 349 ؛ *هدية العارفين*، 1 : 502 ؛ ي. سركيس، *معجم المطبوعات*، 1272 ؛ ع. رضى كحالة، *معجم المؤلفين*، 5 : 91 ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 19.

الإسلامي يوسف بن عبد الله الروداني، كان هذا الرجل من أحبار اليهود فأسلم وحسن إسلامه، وألف في منتصف القرن الحادى عشر/ 17 م كتابا في الرد على اليهود ومآخذهم على الإسلام سماه : *النور الباهر في نصرة الدين الطاهر*، ولم تكن عربيته سليمة فراجع الكتاب وهذّب أسلوبه قاضي تارودانت عبد الرحمان التمنارتي (ت حوالي 1060 / 1650).

ع.التمنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ حجي، *الحركة الفكرية*، محمد حجي

الإسلاميون ← **البلديون**

الأسلحة القديمة، إذا صنّفنا الأسلحة المغربية إلى أسلحة بيضاء وأخرى نارية فإننا نجد أن الأولى تتكون من الخناجر والسيوف في حين تتكون الثانية بالخصوص من البنادق.

تمكّن صناعة الأسلحة التقليدية المغربية من استنباط العناية التي وجهها الصناع التقليديون لفن الزخرفة عبر العصور. فبإلقاء نظرة تاريخية على تطور هذه الصناعة في المغرب، نجد أن المغاربة تمكنوا منذ القرن السادس عشر من إنتاج مدافع متطورة بعد أن كان البحث عن الأسلحة النارية يتم عن طريق الاستيراد من المدن الإيطالية على الخصوص (البندقية).

اشتهرت مدينة فاس بصناعة الدروع والخناجر والسيوف والقاذفات، وتطورت هذه الصناعة في أواخر القرن التاسع عشر حين أمر السلطان الحسن الأول بتشييد "ماكينة" لصنع الأسلحة وإصلاحها بفاس الجديد قرب قصره، مكّنت من إنتاج بنادق ذات مؤخرات خشبية مرصعة بالأصداف عُرفت ببنادق الشمال، وسيوف ذات أغماد مرصعة بالفولاذ ومزودة بثلاث عارضات منحنية جهة الشفرة.

أ ـ الأسلحة البيضاء : الخناجر، بإمعان النظر في الخناجر رغم تشابهها نستطيع إدراك الفرق الذي يطرأ على أصنافها وهي " السّبُولَة"، "الكُمّية" و"الخنْجر".

" فالسبولة " خاصة المصنوعة بمنطقة الريف أو جبال الأطلس المتوسط تُعرف باستقامة شفرتها ورقتها، كما تعرف في مكناس بشفرتها العريضة والقصيرة.

أما سبولة جهة دمنات فتتغير شيئا هّا لتصير ذات شفرة مقوسة ومقبض مصنوع من العظم أو الخشب، قد يصنع في بعض الأحيان من العاج أومن قرن وحيد القرن، كما تزين بغمد فضي مرصع بالأحجار الكريمة.

أما الكُمّية، فتنتشر صناعتها في جنوب المغرب خاصة مناطق الأطلس الكبير والصغير ومنطقة سوس، باعتبارها زينة رجالية يتفنن الصانعون في تحلية مقبضها وغمدها بالنحاس المنقوش بسبائك فضية أو ذهبية تزيّن بالأحجار الكريمة كالزمرد، كما يعمدون لتزيين الوجه الخارجي للغمد بنسبة أكثر من الوجه الداخلي.

هذا ويمكن التمييز بين العديد من أصناف الكميات

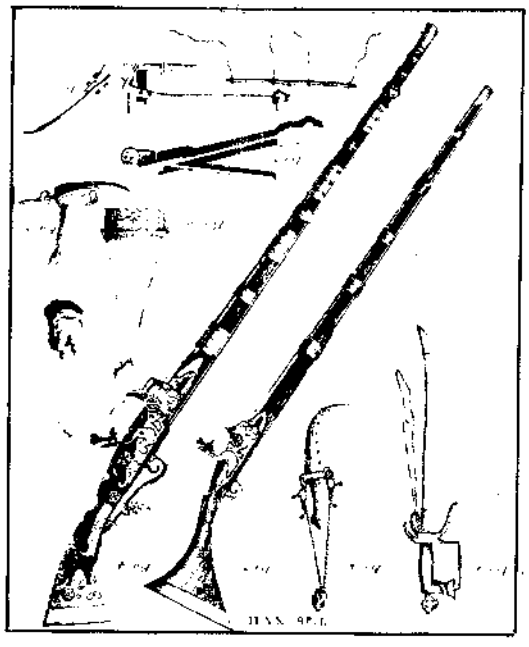

أسلحة مغربية من القرن الثامن عشر
(عن كتاب Höst)

فهناك النوع الذي كان منتشراً في منطقة إغْرم ووادي نفيس والمعروف بمؤخّر مقبضه الذي يشبه "قبعة الدركي" الذي قد يزين بأحجار كريمة وبغمده ذي المسامير الفضية الذي يغير شكل وسطه، فيستبدل بحجر كريم أو كتابة منقوشة لآية قرآنية مثلا.

أما النوع الثاني من الكميات فهو ذاك النوع الذي عرف في منطقة الأطلس الكبير الغربي، وبالضبط عند قبائل مسفيوة وتوگانا، وهو صنف أطول من سابقه يتوفر

غمده الشديد الانحناء على حلقات كبيرة تُستعمل لتعليقه، وكذا على زر كبير في مؤخرته.

ويتميز النوع الثالث المنتشر في الجهة الشرقية والجنوبية للمناطق الآنفة الذكر خاصة عند الأكلاويين والغجداميين ومنطقة ورزازات بشكله الدقيق والقصير، كما يزين غمده بصفائح نحاسية محلاة برصائع فضية. ورغم قلة أهمية هذا النوع، فإن دقة صنعه تُكسبه تفوقا عن باقي الكميات .

الخنجر، يختلف الخنجر عن الكمية ابتداءً من غمده المركب من قطعتين خشبيتين مغلّفتين إما بالجلد أو الحرير أو القطيفة، ومن قبضته الكبيرة التي تحلى بترصيعات فضية دقيقة.

السيف، كانت صناعة السيوف في المغرب منتشرة في فاس وتطوان ومكناس ومراكش وكذا جنوب المغرب، وتعرف السيوف المغربية بقبضتها المصنوعة من الخشب أو من قرن وحيد القرن، هذه القبضة تكون غالبا ذات عوارض ثلاث منحنية جهة الشفرة.

أما غمد السيوف المغربية فغالبا ما يكون مصنوعا من الفضة المرصعة أو من الخشب المغشى بالقطيفة والفضة أو بالجلد فقط. هذا حتى زمن قريب، كان المغربي فخوراً بحمله لكمية أو سيف فوق الجلباب مربوط بضفيرة حريرية تدعى "الحراف" وكانت هذه العادة تعبر عن الرجولة، إذ كان أول ما يقتنيه الشاب هو الكمية التي كانت تعد لازمة للظهور في حفلات الزواج، ونفس التصرف تبديه النساء في أحزمتهن، إذ الحزام كان رمزاً للأنوثة.

ب . الأسلحة النارية : البنادق، يميز في المغرب بين ثلاثة أنواع من البنادق :

بندقية الشمال، وهي المعروفة في مجموع البلاد، وخاصة في المناطق الشمالية، بمؤخرتها الخشبية السميكة التي قد تحلى ببعض الترصيعات والكتابات.

بندقية إدَاوْلْتيت (الأطلس الصغير) المعروفة في جنوب المغرب ذات المؤخرة الخفيفة التي تكاد تكون أسطوانية الشكل والمتميزة بدقة صنعها، إذ ترصع بالعاج أو العظام أو الصدف وتزين بالفضة المنقوشة أو المطلية.

وأخيرا، البندقية المصنوعة في جنوب المغرب ذات المؤخرة العريضة المغلفة في أغلب الأحيان بسبائك من الفضة المرصعة بالعاج، كما ترتبط بين الفوهة والخشب حلقات فضية مزخرفة.

هذا ولم تكتف صناعة الأسلحة في المغرب بما سبق ذكره، بل تعدتها لصناعة المسدسات والمدافع . وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى القطعة النادرة التي يحتضنها متحف الأسلحة بفاس، وهي مدفع طوله خمسة أمتار، يزن حوالي عشرة أطنان، نقش عليه اسم صانعه الحاج أحمد الغمقي واسم السلطان الذي أمر بصنعه وهو "أمير المومنين أبو محمد عبد الله الغالب بالله" وكذا تاريخ صنعه 978 / 1570.

أخيرا يمكن القول إن الأسلحة المغربية رغم اهتمام المختصين بها، فهي لازالت مجهولة عند عامة الناس، مع أنها تعكس جانبا من التنوع الإقليمي للبلاد ووحدتها العميقة.

علي أمهان

إسْلي - جغرافيا - أحد المجاري المائية بالمغرب الشرقي، يصرف سلسلة جرادة التي تشرف على مدينة وجدة، وسهل أنكاد، قبل أن يتصل بنهر تافنا، أحد المجاري الكبرى في الناحية الوهرانية. ويتم هذا الالتقاء مباشرة شرق الحدود المغربية - الجزائرية . وبذلك يكون إسلي النهر الكبير الوحيد في المغرب الشرقي الذي لايدخل ضمن حوض تصريف ملوية. أما موارده المائية التي يمد بها حوض تافنا فهي هزيلة إذا اعتبرنا أنه يفقد جل مياهه عند اجتيازه لسهل أنكاد، جزء منها يستعمل للسقي والباقي يضيع بسبب قوة التبخر.

صبيب إسلي المعدل، حوالي 0.80 متر مكعب في الثانية، وذلك بمحطة كنفودة قبيل مخرجه من السلسلة الجبلية. لكن النظام الجرياني يمتاز بشدة التغير. فصبيب الشح ينزل إلى 0.12 م 3، بينما يرتفع الصبيب خلال الفيضانات ليتعدى معدل الفيض والذي يقدر بستمائة متر مكعب في الثانية. ذلك أنه سجلت في شهر ماي 1963 قياسات ظرفية واستثنائية اقتربت من 1100 م 3 /ث. هذه التغايرية الحادة تدل على أن الموارد الأساسية للجريان، أصلها التهاطلات، ومعدل هاته 300 مم في السهل و50 في الجبل. وهي أمطار ميزتها الأساسية عدم الانتظام من سنة إلى أخرى ومن فصل لآخر، تنزل خصوصا على شكل رخات عنيفة. كما أن نوعية الحوض تفسر هذه التغايرية في الصبيب. فهو حوض متراص، متشعب الروافد لكن مع تناسب في امتداد كل منها. لذا فالمحور الرئيسي يتلقى مياه كل الروافد في وقت وجيز، ليرتفع صبيبه بسرعة وبنسبة فائقة. ويتدخل أخيراً التركيب الصخاري والبنيوي لمجال التصريف ليفسر عدم الانتظام في الجريان. فالظهورات الكربوناتية السميكة محدودة الامتداد، وبالتالي يتضاءل دور العيون في تزويد النهر بالمياه، بينما الظهورات الأولية غير المنفذة واسعة.

ينطلق المجرى المحوري لإسلي من السفح الشمالي لمحدب جرادة الذي تبرز فيه القاعدة القديمة الشستية لعهد الفحمي. ثم يقطع مجموعة من الأحواض المفرغة والأعراف البارزة، مشكلاً وادياً ممتداً عند اجتيازه للأولى، وخانقا ضيقا عند قطعة للثانية. ويتلقى بعض روافده من الهضاب الكلسحثية الجوراسية المكونة للمرتفعات الانكسارية الممتدة جوار الحدود مع الجزائر، وعلى مقربة من مخرجه من الجبل، غرب عرف متسيلة، يتعمق وسط طفوح بركانية تنتمي لنهاية الثلاثي، بعضها يتبع مجراه وسط السهل مما

يدل على قدم هذا الوادي. في سهل بني وكيل تستعمل جل مياه إسلي لسقي قطاعات ري، ممتدة علي الضفتين، انطلاقاً من قنوات عصرية مشيدة عند سافلة سدود صغيرة. وهكذا يصل إسلي ناحية وجدة وقد فقد جل مياهه، ولم يصر جريانه متيسراً إلا في أوقات الفيض، أي على إثر حدوث التهاطلات الحادة والمستمرة. وشمال وجدة، يحمل إسلي اسم واد بونعيم، ويصبح المصب الرئيسي للفائض من مياه الفرشة الباطنية. لكنه يبقى مجرى مؤقتا حتى وصوله إلى الحدود مع الجزائر حيث يتحول من جديد إلى مجرى دائم، وفي نفس الوقت متعمق، يحمل اسم واد مويلح.

عبد الله العوينة

إسلي، ـ تاريخ ـ اسم بسيط قرب مدينة وجدة، دخل التاريخ واشتهر اسمه فيه، مثلما اشتهر اسم "الخزيرات" جنوب إسبانيا، لاقترانه بحدث عسكري كما اقترنت الخزيرات بحدث سياسيّ (المؤتمر) فاشتهر الحدث بالمكان واشتهر المكان بالحدث. ولابد من التمييز هنا بين ثلاث مسميات : إسلي الوادي، وإسلي المنطقة، وإسلي المعركة.

أ ـ إسلي الوادي. يمر وادي إسلي قرب مدينة وجدة شمال شرق المغرب الأقصى، على الحدود المغربية الجزائرية، فهو يطرق وجدة من جهة الغرب والشمال فالشمال الشرقي، حيث يمر في هذا الجزء بمنطقة سهلية تقريبا، بينما يدخل في منطقة متموجة شمال مغنية وشرقها، إلى أن يتصل بوادي تافنا شرقا قرب تلمسان. ومجراه بالمنطقة السهلية الغربية غير عميق، بل يكاد يكون مستويا مع السطح. وهيدروغرافيا فإن مجراه ناشف في هذا المقطع الغربي خلال معظم الأوقات باستثناء وقت نزول المطر.

ورغم قصر طوله فمجراه يحمل أسماء متعددة، بحسب الروافد التي تصب فيه، أو بحسب الأماكن التي يمر بها : فهو واد (إسلي) حول وجدة، وواد (بورايا) حول مغنية. وأما شمال شرق مغنية فهو وادي (المويلح) الذي سجل اسمه في وثائق المفاوضات التي دارت بين الإدارة العسكرية المغربية والإدارة العسكرية الفرنسية قرب الحدود قبل معركة إسلي ببضعة أسابيع.

تتصل بإسلي كذلك عدة روافد صغيرة على ضفتيه اليمنى واليسرى، عبارة عن مسيلات ناشفة في معظم الأحيان، بحيث لاتجري إلا في موسم الأمطار، أهمها وادي (كيس)، الذي قررت فرنسا أن تسير الحدود مع مجراه حتى مصبه في البحر المتوسط قرب قرية السعيدية، ورغم قصر هذا الوادي فإن مجراه الداخلي يحمل اسم واد كيس، ومجراه الساحلي عند مصبه في البحر المتوسط يحمل إسم واد (عجرود)، وقد ورد الاسمان معًا في اتفاقية مغنية للحدود سنة 1845 م. وهكذا يتضح أنّ إسلي (الوادي) بكل أسمائه وفروعه، دخل في الاستراتيجية العسكرية والسياسية الفرنسية، ومن ثم دخل التاريخ.

ب ـ إسلي المنطقة. يمر وادي إسلي عبر منطقة تاريخية جد مهمة، هي منطقة الشريط المعتدل الواقع بين الصحراء جهة الجنوب والبحر المتوسط جهة الشمال. ولكونه محصوراً بين الصحراء والبحر، فقد أصبح هذا الشريط بمثابة قنطرة للعبور من جهة الشرق إلى جهة الغرب، أو العكس، وظل عبر التاريخ، وحتى الآن، يمثل الممر الأساسي الذي يربط بين المغرب الأقصى، والجهات الشرقية من بقية المغرب أو المشرق. وعبر هذا الممر (القنطرة)، مرت المجموعات البشرية التي توجهت نحو المغرب الأقصى، أو منه نحو بقية بلدان المغرب والمشرق، فمن هذا الممر عبرت مجموعات السلم والحرب : الفينيقيون، والرومان، والوندال، والبزنطيون، والفاتحون المسلمون نحو المغرب والأندلس، ومنه دخل الأتراك، ومنه عبر الفرنسيون من الجزائر الى المغرب الأقصى بعد ما فتحوا بابه بالقوة في موقعة إسْلي. فإسلي اذن يقع ضمن المدخل الاستراتيجي التاريخي للمغرب لذلك شهد معارك كثيرة في التاريخ.

ج ـ إسلي المعركة. هناك ثلاث معارك في تاريخ المغرب تحمل كلها اسم معركة إسلي، اشتهرت من بينها معركة 1260 هـ / 1844 م لأنها أحدثت انقلابا حقيقيا في مجراه التاريخي. ونستعرض تعريفا بهذه المعارك حسب تسلسلها التاريخي.

1. معركة إسْلي التي دارت بين يعقوب بن عبد الحق المريني ويغمراسن بن زيان عام 670 هـ / 1272 م، وهي واحدة من المعارك التي قادها المرينيون، دفاعًا عن وحدة المغرب الكبير، ضد الانفصال الذي تزعمته إمارة بني عبد الواد الزيانية بتلمسان.

2 ـ معركة إسْلي التي دارت بين الجيش المغربي والجيش الفرنسي خلال 1260 هـ / 1844 م وهي التي اشتهرت بهذا الاسم في تاريخ المغرب، نظراً للتغييرات والعواقب التي ترتبت عنها. ورغم أن الأسباب العامة لهذه المعركة يختزلها مضمون واحد هو الخلفية الاستعمارية، إلا أن داخل هذا المضمون، يمكن تحديد أسباب منهجية مباشرة تتلخص كما يلي :

ـ اهتمام فرنسا الكبير بتوقيف العمل بعقيدتي الوحدة والجهاد في الموقف المغربي : لأن الاحتلال الفرنسي للجزائر عمل على إبعاد السلطة التركية، كما جعل الشعب الجزائري يتجه نحو سلطان المغرب ويبايعه، فجسدت هذه البيعة عقيدة الوحدة. وكونت هذه الوحدة قوة سياسية عسكرية أصبحت تهدد الوجود الفرنسي بشمال إفريقيا، فظهر كأن الاحتلال الفرنسي للجزائر، مثّل حافزاً ايجابيا في تاريخ المغرب الكبير، مما جعل فرنسا ـ وهي التي وقفت ضد محاولة الأتراك لتوحيد المغرب الكبير في القرن السادس عشر الميلادي ـ وصرحت خلال محاصرتها لمدينة الجزائر سنة 1830 م، بأنها تنوب عن بلدان الجامعة الأوربية في تدمير وغزو مركز عقيدة الجهاد بالمغرب.. مما جعلها تهدد المغرب الأقصى إذا لم يسحب جيشه وإدارته من المغرب الأوسط.

ويلغي سلطان المغرب العمل بنص البيعة التي قدمها له الشعب الجزائري، ويتخلى عن الجزائر. وقد فشلت سفارة الضابط (أوڤراي Ouvrey) في نقل هذا التهديد أولا، لكن سفارة الضابط (شارل دومورناي Ch. de Morney) إلى مكناس (مارس 1832 م) حققت نتيجتها عندما تمكن من إرغام سلطان المغرب على سحب جيشه وإدارته من المغرب الأوسط، وحقق بذلك توقيف العمل بعقيدة الوحدة بين المغربين الأقصى والأوسط، وكان هذا أول تنازل مغربي تحت التهديد الفرنسي.

غير أن توقف العمل بعقيدة الوحدة أدى إلى ظهور العمل بعقيدة الجهاد، فالجهاد الذي تزعمه عبد القادر الجزائري، يرجع قيامه ودعمه إلى تدبير الإدارة المغربية، "فهذه الإدارة، قبل خروجها من غرب الجزائر سنة 1832 م، رشحت عبد القادر ابن محيي الدين، ودعمته لقيادة الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي" (كور : A. Cour : 41) "فعبدالقادر لا يمكن فصله عن المغرب، ولا يمكن دراسة حركته الجهادية، إلا في إطار الموقف المغربي من الاحتلال الفرنسي، ومن زاوية عقيدة الجهاد عند الشعب والسلطة المغربية"، (برنارد A. Bernard : 41).

وهكذا تبين لفرنسا أن توقيفها العمل بعقيدة الوحدة يعتبر سياسة فاشلة، إذا لم يتحقق معها توقيف العمل بعقيدة الجهاد ـ التي تحمل في بعدها عقيدة الوحدة أيضا ـ لما يترتب عن العمل بعقيدة الجهاد من نتائج خطيرة على الوجود الفرنسي بشمال إفريقيا. وهذا ما جعلها تبعث بسفارة جديدة برأسة الضابط (دولارو De Ia Rue) إلى مكناس سنة 1836 م، حيث انتزع من السلطان المغربي اتفاقية تنص بنودها على توقيف العمل بعقيدة الجهاد : (التخلي عن عبدالقادر، والاعتراف بالسيطرة الفرنسية على الجزائر)، وتؤكد على احترام بنود اتفاقية 1832م. غير أن المغرب استمر في دعمه لعبد القادر، مما أكد لفرنسا أن توقيف العمل بعقيدة الجهاد لا يمكن تحقيقه عن طريق الاتفاقيات والضغوط الديبلوماسية، خصوصاً وأن سياسة الأرض المحروقة التي شرعت فيها فرنسا منذ 1840 ضد عبد القادر، حركت العلماء بالدعوة للجهاد من جديد، وأخذت القبائل تضغط على السلطان وتطلب منه السماح لها بالدخول إلى جانب حركة الجهاد الجزائرية. فقررت فرنسا أن تقوم بغزوة عسكرية قوية وحاسمة، ترغم المغاربة على التخلي عن عقيدة الجهاد، وتقنعهم بعجز القوة العسكرية التي يستندون إليها، كما ترغم العلماء على تغيير أحكامهم حول الجهاد، وتلطيفها، وبالتالي تغيير موقفهم من الغزو الفرنسي لبلدان المغرب.

ـ إرغام فرنسا للمغرب على نهج سياسة التنازلات في علاقته معها، كبعد سياسي لاحتوائه بالوسائل الديبلوماسية في النهاية : ففي الوقت الذي شرعت فرنسا في ممارسة سياسة الأرض المحروقة ضد عبدالقادر سنة 1840 م، تجاوز الجيش الفرنسي خط الحدود المغربية الجزائرية بوادي تافنا، وامتد إلى أسوار مدينة وجدة غربا على عمق 60 كلم داخل الأراضي المغربية وتركز ما بين 1842 ـ 1843 في حصني للامغنية، والغزوات، باعتبار أن الحصن الأول يوجد على أبواب وجدة، ويسمح بالدفاع عن تلمسان من موقع بعيد عنها، كما يسمح بمراقبة التحركات العسكرية بمنطقة وجدة حتى الخط المتصل بالمناطق المتصحرة نحو الجنوب. وباعتبار أن حصن الغزوات يوجد على البحر المتوسط، بحيث يراقب المنطقة الساحلية حتى مدينة مليلية غربا، ومدينة الجزائر شرقا.

فلما رفضت فرنسا التراجع عن التراب المغربي إلى وادي تافنا، تأكد للمغاربة بأن المغرب هو الهدف في السياسة الفرنسية بعد الجزائر، كما أكده العلامة التسولي (ت 1258 هـ / 1842 م) في رسالته المفتوحة إلى السلطان بقوله :"فأيقظوا أنفسكم من وسن الغفلة، فإنكم إن لم تستعدوا فهم لكم بصدد الاستعداد، والوقوف لكم بالمرصاد، ولاتتكلوا على ما يخبركم به ضعفاء العقول، من وفائهم باستمرار العهود، وعدم نقضهم للميثاق المعقود، فان ذلك كله مردود، إذ لاميثاق ولاعهد لأعداء الدين وأهل الفساد."، مما جعل السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام يرفض التنازل عن حصني مغنية والغزوات، فقررت فرنسا سحق جيشه في معركة حاسمة، لأن فرنسا أدركت أن مسلسل سياسة التنازلات في الموقف المغربي أصبح مهدداً، خصوصا في هذه الظروف بالذات التي أصبح فيها عبدالقادر لاجئا مع قوته داخل المغرب، مما جعلها تصرح لبريطانيا بأنها أصبحت في حاجة شديدة إلى معركة حاسمة وسريعة مع المغرب لإنهاء مشاكلها معه.

ـ الخلاف حول موقع الحدود : بمجرد ما تركزت فرنسا بحصني مغنية والغزوات، رفعت للمغرب مذكرة تطالبه فيها بتعيين الحدود معها غرب مغنية، فأجاب المغرب بأن الحدود معروفة بوادي تافنا منذ قرون، وبذلك توترت المشكلة بين البلدين، ونجحت فرنسا في خلقها كمشكلة تستطيع أن تتجاوز بها جميع الحقوق التي يمكن أن يواجهها بها المغرب، ففكرة الحدود في السياسة الفرنسية كانت تختزل مجموع الحقوق المغربية وتشطب عليها آليا : لأن الحدود الجديدة بوادي كيس غرب مغنية، تلغي تلقائيا مطالب المغرب بمغنية والغزوات، وتجعل الجيش الفرنسي بمغنية يرابط عند أبواب وجدة، بدل أن يكون الجيش المغربي بواد تافنا يرابط عند أبواب تلمسان. كما أن الاتفاق على الحدود يجعل عبدالقادر لاجئا عسكريا بالمغرب، ويجعل الدعم المغربي لعبدالقادر تعديا على السيادة الفرنسية بالجزائر. كما أن قانون الحدود يشطب آليا ونهائيا على حقوق بيعة الشعب الجزائري لسلطان المغرب، ويلغي العمل بعقيدة الوحدة بينهما، ويلغي كذلك حقوق العمل بعقيدة الجهاد، وبذلك تبين لفرنسا أن مشكل الحدود، مشكل استراتيجي هام جدا، باعتباره لاغياً لمجموعة هامة من العقائد والواجبات في الموقف المغربي تجاه فرنسا، ويظهر

أن السلطان المغربي أدرك خطورة الأبعاد السياسية التي ينطوي عليها مشكل الحدود، مما جعله في النهاية يرفض فكرة الحدود نهائيا، فاستغلت فرنسا هذا الرفض، وبه أقنعت بريطانيا بعداء المغرب لها، وتهديده لمصالحها، واستعداده للحرب ضدها، فوافقت بريطانيا على غزوه.

فعلا مع شروق يوم 14 غشت 1844 م، فاجأ الجيش الفرنسي برآسة المارشال بيجو Bugeaud، الجيش المغربي الذي كان يقوده الأمير سيدي محمد بن السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، ورغم أن عدد الجيش الفرنسي كان لايتجاوز ثلث الجيش المغربي، إلا أن التنظيم الذي كان عليه، والأسلحة المتطورة، والطرق العلمية التي مارسها في القتال، إلى جانب خطة المفاجأة، كل ذلك جعله يشتت الجيش المغربي ويحقق انتصاراً حاسماً عليه في أقل من يوم واحد. ورغم الاعتبارات التقنية والتنظيمية التي كان عليها الفرنسيون، إلا أن رئيس الجيش المغربي في رسالته إلى (بيجو)، اعتبر خطة المفاجأة من الأسباب الحاسمة في انهزام جيشه، في حين اعتبرت المصادر المغربية الأسباب الفوضوية، المرتبطة بالانقسامية الطائفية (القبلية)، إلى جانب الأسلحة العتيقة، وطرق القتال التقليدية من أهم أسباب هذا الانهزام.

من نتائج معركة إسلي : أن المغرب أدرك بالممارسة لأول مرة التفوق التقني والعسكري الأوربي، وفشل هياكله العسكرية التقليدية وضعف جدواها، وأخذ يعيد النظر في المعطيات التقنية والتنظيمات العسكرية التقليدية، وبالتالي أخذ يفكر في الاقتباس من أوربا.

أما النتائج بالنسبة لفرنسا، فكانت أهم وأخطر، وتلخصها معاهدة طنجة (10 شتنبر 1844 م) واتفاقية مغنية (18 مارس 1845 م)، بحيث تختزل بنودهما جميع الحقوق والواجبات التي كانت للمغرب تجاه شقيقته الجزائر : فقد شطبت على حق العمل بعقيدة الوحدة، وحقوق البيعة، وحقوق العمل بعقيدة الجهاد، وألغت دور عبدالقادر كحركة جهادية، وألغت حقوق المغرب الترابية غرب وادي تافنا، وأعطت لفرنسا نوعا من السلطة والنفوذ على المغرب، وجعلت الحدود بوادي كيس على أبواب وجدة التي أصبحت تحت مراقبة الجيش الفرنسي، بحيث حققت معركة إسلي نتائج سياسية وترابية، إلى جانب البعد الإيديلوجي والحضاري لهذه النتائج السياسية، كما توضحها هذه الفقرة من رسالة الجنرال (دولارو) رئيس الوفد الفرنسي في مفاوضات الحدود بمغنية، كتبها إلى وزير الخارجية الفرنسي (گيزو) بتاريخ 22 ماي 1845، يقول فيها :".. يمكن أن نبتهج بالنتائج التي حققناها في هذه الاتفاقية : فقد استطعت أن أجر المفاوضين المغربيين إلى حصن للامغنية ليكونوا تحت أفواه المدافع الفرنسية، حتى يوقعوا على اتفاقية تقسم لأول مرة في التاريخ ترابا إسلاميا، وأكثر من ذلك شعبا مسلمًا واحداً." (Faujas : 33)، هذا بالنسبة لأهم النتائج العاجلة.

أما نتائجها الآجلة فكانت أخطر، وقد ارتبط تحقيق هذه النتائج الآجلة بسياسة الحدود، ومعناها : أن فرنسا أصبحت تسخر الضغط العسكري على الحدود لتحقيق هدفين هما :

- التغلغل العسكري البطئ نحو الجنوب تجاه توات التي وصلتها في نهاية القرن التاسع عشر، وسيطرت عليها نهائيا في مطلع القرن العشرين (1902)، وبذلك ربطت بين مستعمراتها الشمالية في الجزائر، ومستعمراتها الجنوبية في السودان الغربي، وتمكنت بذلك من تطويق المغرب وتصغير حجمه، في إطار البعد الذي كانت تهدف اليه من هذا التصغير، وهو جعل المغرب حجما جيو - سياسيا صغيراً، ليكون قوة صغيرة، حتى لايعود إلى دوره التاريخي في الحوض الغربي للبحر المتوسط، أو تجاه السودان الغربي وغرب إفريقيا عموما.

- التغلغل السياسي والتجاري والمالي داخل المغرب، في إطار احتوائه النهائي نتيجة التنازلات التي كان يقدمها المخزن المغربي بسبب معاناته من الضغط العسكري على الحدود، كما جاء ذلك مفصلا في المذكرة التي بعثتها فرنسا إلى ألمانيا قبيل انعقاد مؤتمر الجزيرات سنة 1906 م. وهكذا نجد أن البعد السياسي لإسلي يمتد إلى تاريخ عقد الحماية على المغرب سنة 1912 م. كما أنه في عمقه يتجاوز الأهداف الاقتصادية والاستراتيجية للحركة الاستعمارية، إلى الأهداف التاريخية والحضارية والإيديلوجية - التي لم تنته إلى الآن. - لهذه الأسباب كلها، تكون معركة إسلي (1844 م) أكثر خطورة وشهرة في تاريخ المغرب من غيرها.

3 - إسْلِي الثالثة. وهناك معركة ثالثة تحمل اسم (إسلي)، وقعت سنة 1859م، بين الجيش الفرنسي، وقبائل المغرب بدائرة وجدة، قادها أربعة ضباط تحت قيادة الجنرال (مارتيمبري Martimprey)، وشارك فيها 25.000 جندي فرنسي، أي حوالي ثلاثة أضعاف عدد الجيش الفرنسي المشارك في معركة 1844 م. ويرجع العنف الذي تميزت به هذه المعركة، إلى شعار الجهاد الذي رفعته القبائل المغربية، واستطاعت أن تحرك به مجموع قبائل المغرب الأوسط تقريبا ضد فرنسا، بحيث لو توفرت الزعامة الملائمة لتحقق تحت شعارالجهاد حلف من جميع قبائل شمال افريقيا، إلى درجة أن عدداً من القبائل الصحراوية شاركت في هذا الجهاد. كما يرجع عنفها إلى كونها تزامنت مع حرب تطوان (1859 . 1860 م).

انقسم الجيش الفرنسي في هذه المعركة إلى أربعة أقسام، وطوق دائرة وجدة من جميع الجهات ثم قام بمسح شامل لقبائل المنطقة انتهى فيه إلى موقع معركة إسلي الشهيرة، حيث جمع في هذا الموقع مئات من رؤوس زعماء القبائل، بناها على شكل هرم، واحتفل عليها بذكرى معركة إسلي الشهيرة، وردد أشعاراً تمجد بطولة المارشال (بيجو). والعجب أن هذه المعركة رغم هولها، فإن المصادر المغربية لم تذكر عنها شيئا، وربما يرجع ذلك إلى طغيان

أحداث تطوان على الرأي العام المغربي، فلم تنتبه المصادر إلى ما كان يجري بمنطقة وجدة، خصوصا وأنها تزامنت مع وفاة السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام.

إدريس، *الابتسام*، مخطوط ؛ أ. الناصري : *الاستقصا* ـ الجزء التاسع ؛ م. المشرفي : *الحلل البهية*، مخطوط ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*... الجزء الثاني ؛ ع. بن زيدان : *إتحاف*، الجزء الخامس ؛ ع. التسولي : *الجواب البسيط* ـ طبعة حجرية بفاس ـ الملزمة 8 ؛ أ. العماري : *مشكلة الحدود الشرقية*، رسالة السلك الثالث، كلية الآداب بالرباط ؛ *مجلة الوثائق* التي تصدرها مديرية الوثائق الملكية ـ بالرباط العددان الاول والثاني. *وثائق مخطوطة تتعلق بإسلي* (50 وثيقة بالعربية والفرنسة) عن المكتبة الوطنية بباريس.

Anonyme, *La Bataille d'Isly*, Paris, 1844 ; G. Azan, *Bugeaud et l'Algérie*, [s. d] ; J. Hess, *La Question du Maroc*, Paris. 1903 ; M. Faugas, *La Frontière Algero-Marocaine*, Thèse, Grenoble, 1906 ; A. Bernard, *Les Confins Algero-Marocains* Paris, 1911 ; L. Voinot, *Le Developpement et les résultats de la crise de 1859 dans les confins algero-marocains*, Alger, 1918 ; *Oujda et l'Amalat*, Oran, 1912 ; Ch. A. Julien, *Histoire de l'Afrique contemporaine*, Paris, 1964.

أحمد العماري

اسْلِيم بن اسْويدي بن عمر. من مواليد سنة 1926 بالساقية الحمراء، انخرط في صفوف جيش التحرير منذ أوائل ماي 1956 إلى غاية 15 دجنبر 1957.

وشارك في عدة عمليات فدائية ضمن فرقة تيرش بالمقاطعة الثامنة تحت قيادة الهاشمي بن عثمان، وتابع كفاحه المسلح إلى أن استشهد في معركة العرگوب يوم 15 فبراير 1957 قرب واد الذهب.

وثائق المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير.

عز الدين العلام

اسماتن ← **تطوان** (إقليم ـ)

أسْمَارَة، مدينة مغربية صحراوية أسسها الشيخ محمد المصطفى بن الشيخ محمد فاضل ولد مامين المعروف بالشيخ ماء العينين، وذلك في الوقت الذي كان يقوم مقام الخليفة السلطاني بالصحراء الغربية المغربية، حين اضطر إلى الاستقرار بناحية الساقية الحمراء ليتمكن من مقاومة الغزو الأجنبي الذي كان يقوم به الاسبانيون انطلاقا من الجزر الخالدات والفرنسيون انطلاقا من السنغال.

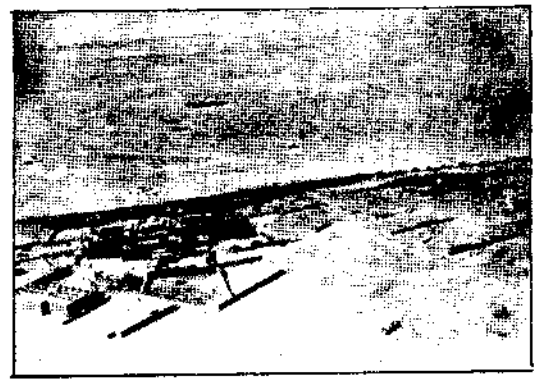

ـ صورة جوية لمدينة اسمارة في عهد الاستعمار

كان الشيخ ماء العينين قد اختار في أول الامر المكان الذي شيد فيه سنة 1288 / 1871 زاويته الأولى المعروفة بالدارالحمراء القريبة من ضريح الولي سيدي أحمد العروسي، غير أن عدم وجود الماء الصالح للشرب الكافي للعدد الهائل ممن استقر بجانب الشيخ هناك من المجاهدين والأتباع جعله يبحث عن مكان يوجد فيه بكثرة نبات الأسل المعروف عند المغاربة بـ " اسمارة" الذي لايوجد إلا بالأماكن ذات المياه الجوفية الغزيرة، فوجده بالقرب من واد سلوان أحد روافد الساقية الحمراء، حيث شرع في بناء المدينة التي أطلق عليها أسم "اسمارة" وذلك سنة 1316 / 1898.

شرع الشيخ في بناء مدينته اعتمادا على وسائله وامكانيته المحدودة، الشيء الذي جعله يشعر بأن العمل الذي أراد القيام به يفوق طاقته ويتطلب مساعدة ملك البلاد السلطان مولاي عبد العزيز، وهذا ماجعله يتوجه إلى عاصمة مراكش سنة 1317 / 1899، حيث منحه السلطان إعانة مالية مهمة وأمر بأن يزوّد بكمية هائلة من معدات البناء وأدواته كانت ترسل اليه بحراً إلى ميناء طرفاية ومنها تنقل إلى اسمارة على متن 1200 جمل.

ـ سور مدينة اسمارة

تتفق جميع المصادر على أن البنائين الذين اعتمد عليهم الشيخ كان جلهم من مدن شمال المغرب مثل طنجة وتطوان وفاس مراكش، ورأسهم المعلم الحاج علي الوجدي والمعلم حماد بن علي الفاسي والمعلم الحسين الواد نوني والمعلم عبد القادر الفگيگي.

وفي السنة التالية (1318 / 1900) توجه الشيخ ماء العينين مرة أخرى إلى عاصمة مراكش حيث حصل على مزيد من الدعم المالي والمادي لإتمام بناء المدينة التي كلفته أكثر من عشر سنوات من العمل المستمر .

وأما القصبة الرئيسية فقد تم بناؤها في سنتين حيث جعلها الشيخ مقرا لسكناه وسكنى ذويه، وكانت تحتوي على عدة دور ومسجد وزاوية وحمّام واصطبلات وكانت عبارة عن مربع يحيط به سور حصين طوله شمالا 54.67 متراً وشرقا 60.13 متراً وغربا 57.60 متراً.

وكان للقصبة خمسة أبواب تحمل الباب الرئيسية منها الواقعة بالجنوب اسم الهجن، والواقعة بالسور الشرقي

تسمى بباب الشرق، والواقعة بالسور الغربي تعرف بباب الساحل. واما السور الشمالي فقد كان به بابان هما الباب الكبير وباب الزاوية.

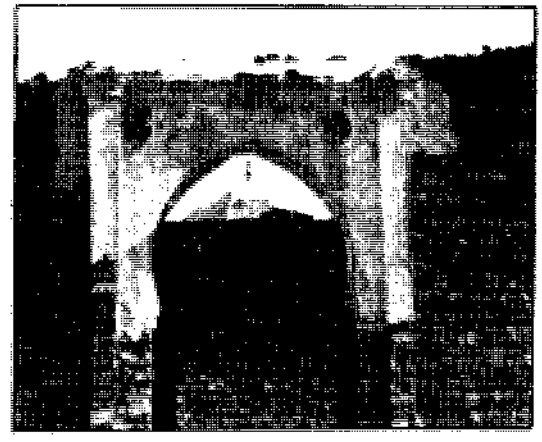

ـ الباب الرئيسي لاسمارة

وقد بُني خارج القصبة 28 دارا لسكنى أبناء الشيخ وأتباعه، وفندق كبير وسوق ومخازن عديدة، كل ذلك يوجد وصفه الدقيق عند دومينيش Domenech (ص 41.38) وطيراس Terrasse (ص 289 ـ 292).

كانت المدينة لازالت في طريق البناء عندما بدأ المجاهدون ينطلقون منها لمقاومة الغزو الفرنسي ـ الإسباني للصحراء الغربية، حيث تمكنوا من إرغام الإسبانيين على عدم مغادرة المركز الوحيد الذي استطاعوا احتلاله بشبه جزيرة الداخلة، كما تمكنوا من جعل حد للزحف الفرنسي بموريطانيا، وذلك على إثر اغتيال المتصرف الفرنسي كوبولاني Coppolani في الاشتباك الذي جري بينه وبين مجاهدي اسمارة يوم 12 ماي 1905.

وفي مدينة اسمارة استقر الامير مولاي ادريس عندما بعثه ابن عمه السلطان مولاي عبد العزيز إلى الصحراء سنة 1323 / 1905 من أجل تسليم ظهائر تعيين قواد جدد بالصحراء.

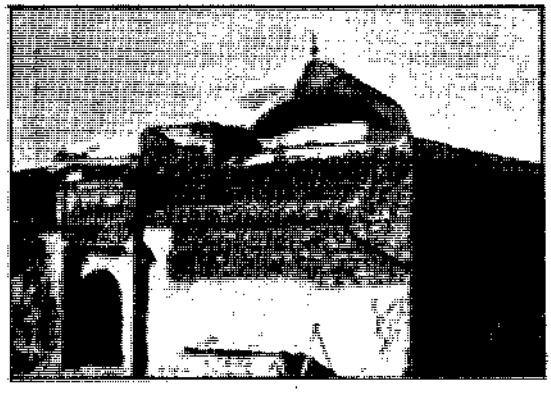

ـ قصبة اسمارة

وفي السنة التالية توجه الشيخ ماء العينين من جديد الى عاصمة فاس حيث استقبله السلطان وزوده هذه المرة بالمال والسلاح الذي مكن المجاهدين المنطلقين من اسمارة من هزم القوات الفرنسية بناحية المروان يوم 13 أبريل 1907 وبناحية الدمان يوم 5 أبريل 1908. وظل الشيخ ماء العينين بمدينة اسمارة إلى أن احتلت القوات الفرنسية برآسة الجنرال گورو Gouraud ناحية ايجيل في اكتوبر سنة 1909 حيث اضطر الشيخ إلى مغادرة مدينته متوجها إلى تزنيت حيث وافته المنية يوم 23 شوال 1328 / 28 أكتوبر 1910.

وبعد موت الشيخ انطلقت جماعة من المجاهدين من قبيلة الركيبات من مدينة اسمارة فقضوا على كتيبة فرنسية بناحية البويرات يوم 2 يناير 1913، وكان رد فعل رئيس جيش الاحتلال الفرنسي لموريطانيا أنه أرسل كتيبة أخرى بقيادة الكولونيل موري Mouret الذي وصل إلى اسمارة يوم 28 فبراير من نفس السنة وقام بنسف القصبة وتحطيم جزء من سورها.

ومما يدل على أن اسمارة تعد مدينة فريدة من نوعها في الصحراء أنها كانت تتمتع بشهرة كبيرة في أوربا لدرجة أن شاعرا فرنسيا شابا اسمه ميشل فيوشانج Michel Vieuchange أراد زيارتها حيث غادر بلاده وتوجه إلى أگادير ومنها إلى اسمارة التي دخلها متنكرا في زي امرأة صحراوية في الساعة الثانية عشرة زوالا يوم فاتح نوفمبر 1930 وغادرها في الساعة الثالثة مساء من نفس اليوم عائدا إلى اگادير حيث توفي يوم 30 من الشهر المذكور فتحققت أمنيته التي كان يعبر عنها بقوله :" مرحى بالموت بعد مشاهدة اسمارة".

ويبدو أن اسمارة ظلت مهجورة إلى أن احتلتها الكتيبة العسكرية الإسبانية التي كان يرأسها گاندارا Gandara يوم 15 يوليوز 1934، ولم يهتم الإسبانيون كثيراً بالمدينة طيلة مدة احتلالهم لها إلى أن عادت إلى حظيرة الوطن الأم يوم 26 فبراير 1976.

م. ابن عزوز حكيم، *السيادة المغربية بالأقاليم الصحراوية من خلال الوثائق المخزنية*، الدار البيضاء 1981.

Gatell, Joaquin - *Viajes por Marruecos, El Sus Uad Nun y Takna* - Memorias Sociedad Geografica de Madrid, y. I año 1977 ; Cervera, Julio - *Expedicion al Sahara : de Rio de Oro a Iyil* - Revista de Geografia Commercial Madrid t. II num. 25 - 30, julio - sept. 1886 ; Al-Moutabassir - *Ma El Ainin Ech Chenguity* - R. M. M, t I (1907) p. 343 - 351 ; Almonte, Enrique d'- *ensayo de una breve descripcion del Sahara Español* - Boletin Real Sociedad Geografica Madrid t. 56 (1914) p. 129 - 347 ; Marty, Paul - *Les Fedalia* - R. M. M t. 31 (1915 - 16) p. 135 - 219 ; La Chappelle, F. de - *Esquisse d'une histoire du Sahara Occidental* - Hesperis, t. 11 (1930) p. 35 - 95 ; Vieuchange, Michel - *Chez les dissidents du Sud Marocain et du Rio de Oro, Smara. Carnets de route*. Paris 1932 ; Mahmadou Ahmadou Ba -

A propos de Smara - A. F, 2 (fev. 1934) p. 95 - 97 ; Garcia Figueras, Tomas - *Santa Cruz de Mar Pequeña, Ifni, Sahara Madrid* 1941 ; Domenech Lafuente, Angel - *Algo sobre Rio de Oro* - Madrid 1946 ;Flores, Angel - *El Sahara Español* - Madrid 1946 ; Gobierno del Sahara - *Breve reseña historica del Territorio.* Ayun, 1949 ; Carnero, Ismael - *Vocabulario geografico Sahariano.* Madrid 1955 ; Caro Baroja, Julio - *Estudios Saharianos.* Madrid 1955 ; Gaudio, Attilio - *Sahara Espagnol. Fin d'un mythe colonial.* Rabat 1975 ; Terrasse, Henri - *Note sur les monuments de Smara.*

إسماعيل، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر، ومن أفرادها نجد الفقيه أحمد بن محمد إسماعيل الذي كان يتعاطى خطة العدالة من سنة 1190 / 1776 إلى سنة 1207 / 1793، كما نجد محمد قائد المخزنية بحامية تطوان الذي كان من بين الموقعين على وثيقة بيعة مولاي سعيد ابن السلطان مولاي اليزيد بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 1236 / 17 مارس 1821. ولازالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الاخوان*، مخطوط خاص ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين* ، 3 : 24 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ *تاريخ تطوان*، 2 : 299. 7 : 242. 259 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan.* Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (I). *Vademecum de Intervenciones (ano 1931)* (I). M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espanol* (I).

ابن **إسماعيل، أحمد** بن سعيد. ولد سنة 1898 بدوار دولاسن ـ أيت النص أيت باعمران ـ دائرة إفني إقليم تزنيت. شارك في صفوف جيش التحرير حتى استشهد في معركة تبلكوكت وهو حامل سلاحه دفاعا عن حوزة الوطن في 23 / 11 / 1957، وهو اشتعال ثورة قبائل أيت باعمران للاسيتلاء على المركز الإسباني بسيدي إفني حيث كانت تعسكر قواته.

كتاب شهداء الاستقلال، 2 : 34.

عز الدين العلام

إسماعيل بن الشريف العلوي، إن كان المولى محمد بن الشريف هو الذي وضع الحجر الأساس للصرح العلوي وكان المولى الرشيد بن الشريف هو الذي مهد البلاد لإقامته، فإن الذي شيده وأرسى معالمه للأجيال هو السلطان الأعظم أبو النصر المولى إسماعيل بن الشريف، ثالث الإخوة الأمجاد الأفذاذ، الذي منه تنسل سلاطين الدولة إلى يومنا، فاستحق أن يضاف اسمه نعتاً لها فهي الدولة العلوية بالنسبة إلى الجد العربي، الإسماعيلية بالنسبة إلى الجد المغربي.

كان المولى إسماعيل أعظم رجالات دار الإسلام في عصره يعلو الجميع بما كان يتحلى به من بعد الهمة وخصال الأمير المسلم، وآية من عظمته أنه ما أن دخل التاريخ حتى تجاوزه إلى ميدان الأساطير بحيث باتت حركاته وسكناته لاتنقل إلا بصيغة الإجلال والإكبار وتهافت على بلاطه سفراء أوربا ومراسيلها واعتنوا بذكر أوصافه العامة ورسم ملامحه على طول عهده بما يخلص منه المؤرخ بصورة لاتخلو من الدقة. فلقد وصفه مويط Mouette الفرنسي الذي كان أسيرا لديه إلى سنة 1682 قائلا :"يبلغ المولى إسماعيل (كذا) ملك فاس ومراكش وتافيلالت سبعا وثلاثين سنة وهو إلى الطول شيئا ما، رشيق القد بالرغم مما يبدو عليه من البدانة بسبب لباسه، لونه أسمر مفتوح ومحياه إلى الطول مليح التقاطيع وله لحية طويلة مفروقة ". ووصفه السفير الفرنسي دي سانتولون (Pidou de Saint-Olon) سنة 1693 قائلا: "إنه بين الثامنة والأربعين والخمسين من العمر، أسمر البشرة أسود الشعر بدا عليه الشيب، متوسط القامة مستطيل المحيا، غائر الوجنتين غائر العينين أسودهما، تبرق منهما النار، صغير الأنف أقنى الذقن في حدة، غليظ الشفتين جميل شكل الفم". وكان الأنجليزي "جون ويندس" John Windus كاتب السفارة البريطانية إلى مكناس سنة 1721 هو آخر من وصفه من الأوربيين، قال :"يناهز الأمبراطور السابعة والثمانين من العمر، لكنه مازال خفيف الحركة بالرغم من تقدم السن به، قامته متوسطة ومازالت ملامحه تحمل بقايا الحسن والدقة، ولاأثر فيها من أوصاف الزنوج وإن كانت والدته سمراء، له أنف أقنى ملحوظة بين حاجبيه بألطف صورة، ولقد سقطت جميع أسنانه وقصر تنفسه كأن رئتيه في حالة غير جيدة، فهو يسعل ويبصق بكثرة، لكن بصاقة لايصل أبداً إلى الأرض اذ يتلقفه في المناديل باستمرار رجال معدون لذلك، لحيته دقيقة شديدة البياض ويبدو أن عينيه كانتا متعودتين على إبراق النار، لكن شدة برقهما أصابها الفتور من جراء السنين وغارت بشكل مدهش [...] أما لباسه فلم يكن بمخالف على العموم لما يلبسه باشاواته في غير حضوره، قوامه حائك دقيق الصنع ورأسه معمم بعمامة مركبة من عدة دورات من الموصلي تغطي الجزء الأكبر من جبينه".مما يخرج منه المؤرخ بصورة رجل متوسط القامة يارق النظر، غير جسيم، شديد التوثب ممتلئ الشفتين عربي السحنة، صورة أحد أبناء الصحراء المغربية من جهة الأبوين حيث كانت والدته من بنات الأوداية، قبيلة الساقية الحمراء آنذاك، كان أبو حسون السملالي أهداها للمولى الشريف يوم كان مقيما لديه بالغلبة، ولقد نقل المؤرخون أنه وُلد سنة 1646 ميلادية، مما يدل على أنه كان لايتجاوز السادسة والعشرين من العمر يوم انعقدت له البيعة .

آراؤه السياسية : لم يَسْعَ المولى إسماعيل في الملك، لكن الفاجعة التي أودت بحياة أخيه السلطان المولى الرشيد ووقوع الإجماع على مبايعته دون الأمراء الآخرين، كانا أمرين يوحيان باتفاق مشيئة الخالق ورغبة المخلوق، بحيث أيقن المولى إسماعيل أن ما أنيط بعنقه من الأمانة الكبرى كان من المكاتيب وأن ما كتبه الله له من أسباب الملك لايمكن لأحد أن ينتزعه منه، ولما اطمأن كل الاطمئنان إلى

قدسية مهامه، فإن الرعية انقادت له بشكل من الطاعة لم يسبق له مثيل في تاريخ المغرب الكلاسيكي.لقد قال عنه الكاهن الفرنسي بوسنو Busnot : إنه لايستشير إلا مع نفسه [...] ولاينطق بما يختلج في صدره إلا بصيغة الأحكام المقررة وعندئذ ينحصر رأي تلك الحاشية في كلمتين : نعم سيدي". وكان المَلِكُ في القرن السابع عشر لا يتصوره الناس، بالمغرب وخارج المغرب، إلا بشكله المطلق، ولقد كان المولى إسماعيل ينوه بحكم لويس الرابع عشر الفرنسي، يستصغر حكم غيره من ملوك أوربا الذين كانوا لا يمارسون شؤون الحكم بأنفسهم، نقل السفير الفرنسي "دي سانتمان" عنه أنه قال: : في علمي أن إمبراطور فرنسا أعظم وأقوى إمبراطور في أوربا وأنه منفرد بحكم مملكته وأنه يقود جنوده بنفسه لمحاربة أعدائه وأنه يكون هو السباق إلى ساحة القتال، وفي علمي أن ملك إنجلترا على غير هذه السيرة وأنه يترك البرلمان يقوده كأنه امرأة عجوز، وأن امرأة هي التي تتولى حكم إسبانيا".

وتلك آراء كانت تعكس واقع المجتمع المغربي في ذلك العهد، حيث كانت الأوضاع العامة مازالت تحت سيطرة الفطرة والجبلة الأولى، وكانت القبيلة هي الهيئة التركيبية الأساسية فكانت الماشية هي أساس الثورة وكان المجتمع في حركة دائبة وكانت القبائل مسلحة أو بوسعها أن تحمل السلاح، فكانت السلطة حتما على الرماح .

لكن المولى إسماعيل كان يعلم أن العنف المجرد مع ضرورته لايكفي فكان لايحرك ساكنا إلا بمقتضى الشريعة، لأن الشريعة هي وسيلة الدولة وغايتها في الإسلام، ولأن واجب السلطان هو صيانتها وحماية النطاق الترابي لنفوذها ، وما الشريعة إلا جهاد مستمر لإماطة أسباب الظلم والضلال في الداخل وهي في الخارج جهاد النصارى المتغلبين على بعض الثغور وحماية شواطئ البلاد من غزواتهم، ولقد جاء في إحدى رسائله لولده المأمون قوله : "وهذه مسائل الدين وأمور المسلمين قلدها الله لنا فضلا منه وامتنانا، وألله والله حتى أعض عليها بنواجذي ولا وليت أحدا منها شيئا إلا الذي يعيننا على حق من حقوق الله ويقوم لنا بوظيف كبير نثق به فيه".

وسائل الحكومة الإسماعيلية :

ـ الجيش : لعل أوضح ما يصور آراء المولى اسماعيل في السياسة عنايته بإقامة جيش نظامي من عبيد المخزن، وكانت الدولة إلى ذلك الحين لاتجند إلا باستنفار عند الاقتضاء أو بالاعتماد على القبلية، علما بأن تلك العصبية كانت تحتاج مع ذلك إلى شعار ديني يقوي التحامها، لكن الاستنفار والشعارات مهما بلغ صداها كانت من الأمور المعرضة للزوال، وكانت الأسرة العلوية الفتية في حاجة إلى جيش مخلص ثابت. ولذلك فكر المولى إسماعيل في توسيع نطاق عبيد السلطان إلى مستوى جيش الدولة، وهدف بذلك إلى ثلاث غايات، إذ كان جيش العبيد قائما على عصبية عسكرية لاعلاقة لها بخصومات القبائل، وكان الجيش الجديد ملزما بأوثق طاعة للسلطان لأنه صَنيع إرادته، وكان إلى ذلك كله معبأ روحيا بما كان يؤديه أفراده من قسم الإخلاص على *صحيح البخاري*. وكان ذلك القسم يلزم الجنود حيال السلطان ويلزم السلطان حيال الجيش ويلزم الجميع حيال الشريعة.

المولى اسماعيل بن الشريف

ولقد أمر المولى إسماعيل بحشد جميع العبيد الذين وجدت أسماؤهم مدرجة بسجل خاص كان تاريخه يعود إلى عهد السلطان أحمد المنصور، فاجتمع لديه منهم أو من ذريتهم حشود وافرة من الذكور والإناث، فأمر بزواجهم فصاروا ينجبون لفائدة المخزن شباباً متكاثرا طيعا مرنا نشأ على الولاء والإخلاص، وكانت الفتيات يلتحقن بالقصور السلطانية ليتعلمن الأشغال المنزلية وكانت بعضهن يدربن على العزف والغناء، وأما الذكور فإنهم كانوا يتعلمون أول الأمر بعض الحرف، ثم عند بلوغ العاشرة. كانوا يدربون على سياسة الدواب لينتقلوا بعدها إلى سياسة الخيول، ثم في السادسة عشر من العمر كانوا يشرعون في التمرين على السلاح فيتخرج منهم حرس سلطاني يتحول بعد اكتمال البلوغ جنودا بواسل بأمر المولى إسماعيل بزواجهم وتوجيههم إلى حيث حاجة الدولة بهم. ولقد بلغ عددهم في نهاية العهد مائة وخمسين ألف جندي.

ولم يفرط هذا السلطان مع ذلك في وسائل الاستنفار القبلي فإنه استقدم قبائل الأوداية من الساقية الحمراء وكان يعتبرهم أخواله وجعلهم من الجيش المخزني الرسمي.

- بيت المال : كان المولى إسماعيل يحتاج إلى بيت مال وافر لإقامة صرح الدولة الفتية على أسس متينة، وإنه نهج في هذا الصدد نهجا شرعيا خالصا مع مراعاة الطوارئ والمستجدات. فكانت أولى المداخيل مما فرضته الشريعة من زكوات وأعشار، تأتي بعدها الجزية التي كان على الطائفة اليهودية المغربية المتعددة الأفراد المتنوعة النشاط أن تؤديها لبيت المال مقابل حماية الدولة لها سيما وأن بعض الأعمال المربحة مثل الصرافة وسك النقود كانت حكرا عليهم.

لكن حاجيات الدولة المغربية كانت تتجاوز هذه المداخيل، وذلك لتفاقم النفقات بسبب ضرورة اقتناء الأسلحة النارية من أوربا، فغدا من اللازم جعل ما كان استثنائيا من الجبايات أمرا ثابتا مستمرا، وجرى هذا على المكوس بوجه خاص، تلك الضريبة التي كانت جبايتها مقياس ميزان القوى السياسي بين الدولة والرعية وكان استخلاصها في العهد الإسماعيلي دليلا عن رجحان كفة الدولة آنذاك.

وارتفع مستوى الرسوم على التجارة الخارجية ابتداء من ذلك العصر ووضعت من يومئذ بعض القواعد للنظام الجمركي المغربي سارت عليها الدولة إلى منتصف القرن التاسع عشر، مفادها أن البضائع تعشر في الصدور والورود، نقدا أو عينا، بحسب إرادة السلطان ووفرة السوق وميزان العرض والطلب وحالة العلاقات الديبلوماسية مع الدول المعنية، وأن بعض المواد مثل الشموع كان يؤدي عليها لدى تصديرها في عهد هذا السلطان 25 ٪ من قيمتها، وتَعَوَّدَ المخزن أن يُشارك مباشرة في الأعمال التجارية لأسباب مالية وسياسية، إذكان احتكار الدولة لبعض المواد أحسن وسيلة لملء بيت المال وكان من واجب السلطان أن يتتبع أحوال التجارة الخارجية بعد أن أضحت تدور في معظمها مع تجار النصارى الذين لم تخف لا أطماعهم ولاما يتوفرون عليه من الوسائل.

وأخيرا كان فيْء الجهاد في البحر من أهم مداخيل بيت المال حيث بادر المولى إسماعيل إلى احتكار ماكان يقع بيد المجاهدين لفائدته، وبخاصة أسرى النصارى، ليستفيد المخزن من خبرتهم إن كانت لهم خبرة أو ليفتدي بواسطتهم أسرى المسلمين كلما وقعوا في أسر قرصان النصارى، ولقد ظل الإنسان في حوض البحر الأبيض المتوسط إلى نهاية القرن الثامن عشر بضاعة متداولة، وكانت كل ملة تسعى في فداء أبنائها.

خدام المخزن الإسماعيلي : كانت طبيعة الحكم في ذلك العصر تجعل من علاقات المخدوم بخدامه علاقات ولاء وتبعية مطلقة، بل كانت صلات المالك بملكه أو السيد بعبده، ولذلك كان كبار القواد والخدام - من ذوي الحظوة العليا لا ينتخبون إلا من عبيد البلاد المقربين، وكان منهم مرجان الكبير قائد عبيد الدار الذي كان مكلفا إلى جانب ذلك بمسك سجلات الجبايات، وكان عامل الرباط سنة 1688 عبدا بخاريا، اسمه سعد الله بولعوان.

وكان الباشا علي بن عبد الله الحمامي الذي انفرد بحكم شمال المغرب سنين عديدة متصلا بالمولى إسماعيل بروابط شخصية، وكان ينتسب إلى قبيلة قسمان، وربما كان يشتغل بالنقل على البغال في أول أمره، وتوثقت صلات الولاء بينه وبين السلطان حتى أصبح من أمس خدامه صلة به، يدخل عليه ولاتصيبه دهشة، ولم يواخذه السلطان بفشله في حصار سبتة، وبعد وفاته خلفه ولده أحمد بن علي بنفس الرتبة وبنفس المهام.

ويذكر أيضا من الخدام المقربين الأخوان أحمد وعمر ابنا حدو وكانا أيضا من قسمان وكان لهما الفضل في استرجاع المعمورة وطنجة والعرائش إلى حظيرة السيادة المغربية.

واحتكرت أسرة آل الروسي على امتداد ثلاثة أجيال، عمالة فاس وكان رئيسها الأول حمدون الروسي من أصول متواضعة، عينه المولى إسماعيل، أول الأمر على توات، ثم حظي لديه ولده عبد الله بن حمدون الذي عينه السلطان عاملا على فاس سنة 1677، وناب عنه بها مدة حياته ولده عبد الخالق وخلفه ولداه أبو علي ومسعود.

وكان الباشا بلشقر قائدا على زرهون ومكلفا بأعشار قبائل المغرب من بني حسن وسفيان، وكان القائد علي بن يشو لايفارق البلاط والسلطان مع أن عمالته كانت، على حد قول السفير دي سانتولون :"توجد بين مكناس وتلمسان وهي إلى شساعتها وافرة الريع" فكان هذا القائد لايعرف شؤون عمالته إلا بإنابة بعض القواد ينوبون عنه في عين المكان.

وكان أحمد بن حدو العطار، من أسفي، من أكبر حجاب المولى إسماعيل، لقد مارس كذلك مسؤولية عمالة السهول الأطلسية جنوب سلا، وبعث به السلطان سفيرا إلى أنجترا سنة 1682، فعاد ناقما على دولة الانجليز بما ألزموه به من تعرية رأسه لدى مثوله بين يدي الملك شارل الثاني، وانتقاما من جانبهم مما كان سفيرهم قد أرغم عليه سنة 1680 من نزع أحذيته قبل المثول بين يدي المولى إسماعيل.

وكان القائد عبد الله بن عائشة أمير البحر وقائد الأسطول ومن أشهر رجالات السيف في عصره وذاع صيته على إثر سفارته لدى لويس الرابع عشر حيث احتفى به الفرنسيون بكثير العناية وشديد الفضول.

أما وظائف القلم فإنها كانت على العموم من نصيب الأدباء والفقهاء من أبناء الأسر الأندلسية، وباستثناء رئيس الكتاب وأول وزراء المولى إسماعيل الفقيه أحمد اليحمدي الذي كان من قبيلة غمارة، لكن محمد تميم السفير إلى فرنسا سنة 1982 كان أندلسي الأصل، وكذلك كان الشأن بالنسبة لمحمد بن عبد الوهاب الغساني السفير إلى مدريد سنة 1690، وكان معظم الوظائف الدينية والتوثيقية بيد أبناء بعض الأسر التي ذاع من يومئذ صيتها مثل آل الفاسي وآل بني سودة وغريط وبلقاضي وملين ولوقاش.

القصر السلطاني بمكناس : لم يفت المولى إسماعيل، بما جُبل عليه من الدهاء السياسي وما تربى فيه من سيرة الملوك، أن عظمة الدولة تتصور في عظمة ما تقيم من البناء الفاخر، وكانت هذه الضرورة السياسية تتفق وما كان لديه من شديد العناية بشؤون البناء، حيث كان البناء من هواياته المفضلة، وكانت الدولة العلوية الفتية في حاجة إلى تشييد ما يثبت للأجيال أمجادها، ولذلك اختار السلطان عاصمة جديدة هي مكناس ليقيم بها مخزنه الجديد، ولقد كتب القنصل الفرنسي "اسطيل" سنة 1698 قائلا عن قصور مكناس :"إن أوصاف الكتاب الذين سيكتبون عن هذا القصر سوف تختلف بسبب مايدخل عليه من التغيير على رأس كل ست أو سبع سنوات، وذلك لأن أحب شيء لدى ملك المغرب أن يأمر بتقويض البناء بمجرد مايتم بناؤه أو حسبما يروج بين الناس هنا، أن رغبته أن لاتقف الأعمال عند أي نهاية لتظل الرعية منهكة القوى، حيث يكون عشرة إلى اثني عشر ألف عامل يعملون باستمرار ويأتون من جميع الجهات بالتناوب ولامناص في إطعامهم".

وفي اختيار مكناس عاصمة إشارة واضحة إلى ماكان يشغل بال السلطان إذ كان اللازم جعل العصمة متوسطة في البلاد، لإحكام وحدتها ومراقبة شواطئها الأطلسية والمتوسطية التي لاتبعد عن هذه المدينة بأكثر من ثلاث إلى خمس مراحل.

سياسة المولى إسماعيل في الداخل : كتبت الصحيفة الفرنسية "الميركوركالان" معلقة على نبأ وفاة المولى الرشيد قائلة :" لقد شهرت القبائل السلاح بكل ناحية، ووجد المولى إسماعيل نفسه ملزما بتجديد فتح (الأقاليم) على رأس عبيده وبعض الفرق الأخرى من الجند [...] وإن ماقام به من الأعمال البطولية أثناء هذه الفتوحات وما أبداه من إقدام كبار القبطانات وتبصرهم ليعتبر أعلى درجة مما أكسب المولى الرشيد ما أكسبه من الشهرة". وقال أبو القاسم الزياني من جهته إن المولى إسماعيل لم يقض سنة كاملة في قصره فيما بين 1672 و 1696 وأنه كان في حركة مستمرة لتمهيد البلاد بهدف إعادة الحرية الكاملة للدولة، في الداخل بقمع الشغب القبلي، وفي الخارج بردع الأطماع الأوربية.

توطيد أركان الدولة : كان للمولى إسماعيل حساسية خاصة بأمر وحدة الدولة ونفوذ سلطانها، وذهب حرصه القوي على ذلك إلى حد البطش الفظيع بكل من رام المس بهما وإن كان من أولاده. ولقد قاتل في بداية عهده ابن أخيه المولى أحمد بن محرز الذي كان قد عاد إلى مراكش بمجرد ماسمع بوفاة المولى الرشيد، مطالبا بخلافته لما كان له بحاضرة الجنوب من سابق العمل، فاندلعت بسبب ذلك بينه وبين المولى إسماعيل حرب دامت ثلاث عشرة سنة متقطعة بالكروالفر، يفر المولى أحمد من الحوز كلما زحف المولى إسماعيل إليه، وينتقل بأنصاره وثورته إلى ناحية تازة، ولما كان المولى إسماعيل يعود مسرعا إلى جهة الشمال الشرقي كان الأمير الثائر يتسلل من جديد إلى الأقاليم الجنوبية ليقيم لنفسه هناك إمارة مستقلة، حتى إن السلطان ملّ تلك اللعبة الدموية وقبل مبدأ التخلي لابن أخيه عن إمارة سوس، ورفض المولى أحمد ذلك العرض إلى أن قتل في ظروف مجهولة بالأطلس الصغير سنة 1685.

تمهيد قبائل الأطلس : شرع المولى إسماعيل يمهد القبائل الصنهاجية وهو مازال يقاتل ابن أخيه الثائر، وكانت القبائل مستعصية بالأطلس المتوسط والأطلس الكبيرالشرقي وكانت مازالت لم تفقد شيئا من قوتها الطبيعية ولا من ضغطها وتشويشها على سفوح معاقلها، وذلك بالرغم من تصفية الزاوية الدلائية المجيدة. ولقد أمر السلطان بعدة حركات توغلت في ثنايا الجبال لإشعار رؤوس الفتنة والعصيان أن لاَ مفر لهم من العقاب، وانطلقت الجيوش المخزنية من سايس وتادلا وتافلالت ومن جهة الشرق أيضا فأرغمت القبائل الصنهاجية على الإذعان والاستسلام، ولقد كان للمدفعية النارية الحديثة دور كبير في تغلب جيش البخاري،وأقيمت سلسلة من القصبات أحاطت بالأوعار الصنهاجية إحاطة السوار بالمعصم، ابتداء من قصبة تادلا في الجنوب الغربي إلى وطاة بالشرق وتافلالت بالجنوب الشرقي مرورا بأدخسان(خنيفرة) وعين اللوح وأزرو وگيگو.

أما قبائل التلال المطلة على سهول الغرب وسايس، مثل گروان وأيت يدراسن فإن السلطان أمر بتجريدها من السلاح وبمصادرة خيولها، لكنه أمر في المقابل بأن يوزع ستون ألف رأس من الغنم مصحوبة ببعض الإعانات ليشتغلوا بربعها ويكفوا عن الشغب.

السياسة الدينية : كانت الزوايا مؤسسات تأطيرية تدعم وحدة عقيدة الشعب المغربي ووحدة مذهبه ببعض أسباب التباين الشكلي والأصالة الجهوية، فكانت مقبولة لدى الدولة المركزية كلما وقفت عند أدوار التأطير، منبوذة لديها كلما تجاوزتها إلى ما بعدها من التطلعات السياسية، وهكذا ما أن أطاح المولى الرشيد بالدلائيين والسملاليين حتى جاء المولى إسماعيل بعده للعناية بالوزانيين والشرقاويين والحنصاليين والناصريين ،بل أصدر عفوه عن الدلائيين بعد سنوات قليلة من جلوسه على العرش، لكنه على النقيض من ذلك أمر بدكّ رباط الحاج إبراهيم بن محمد شيخ زاوية تاسافت لمجرد امتناعه عن المثول بين يدي حضرته. وفيما عدا ذلك فإن المولى إسماعيل كان يبدي لحملة العلم الشريف وللصلحاء والفقهاء منتهى آيات الاحترام والتقدير مثلما فعل مع الشيخ عبد القادر الفاسي وابنه وخلفه محمد وكذلك مع الشيخ الحسن اليوسي.

واعتنى المولى إسماعيل عناية خاصة بالأسر الشريفة وبالأسرة الإدريسية بالدرجة الأولى، وأمر بتوسيع الضريح بفاس وبأن يتنافس الصناع في زخرفته وكان بذلك يرسم الطريق ويسعى في أن تقتدي الرعية بأعماله، قال الفرنسي

"مويط" يصفه خارجا من قصره للاستسقاء : "ويوم 17 مارس ارتدى كساء باليا وسخا وتعمم بعمامة رديئة وخرج حافيا من القصر رفقة حاشية بلاطه حفاة عراة الرأس يتبعهم جمهور المدينة على هيئة مماثلة، فزار في هذا الموكب جميع أضرحة أولياء ملته ودام ذلك من الصباح إلى الرابعة عشية !!.

السياسة الخارجية : تحرير الموانئ المحتلة : ماكان المولى إسماعيل ليتغافل عن واجب استرجاع الموانئ المغربية التي كان الأوربيون قد انتزعوهما في العهود السابقة، ولقد تم تحرير المعمورة منذ 1681، وتحرير طنجة سنة 1684 و تحرير العرائش سنة 1689، ويروى أن المغاربة عادوا من يومئذ إلى اتخاذ "البلاغي" الصفراء بعد أن كانوا يحتذون اللون الأسود من يوم باع الأمير السعدي ذلك الميناء من الإسبان سنة 1610.

وسنة 1694 أمر السلطان الباشا علي بن عبد الله بمحاصرة سبتة وامتد الحصار زهاء ثلاثين سنة بدون جدوى، لما أصبح للمضيق من الأهمية البالغة في الملاحة الدولية، حتى إن أنجلترا اغتنمت فرصة الحرب الأوربية التي اندلعت من أجل العرش الإسباني ابتدا ءمن 1700 لتحتل جبل طارق سنة 1704، فاشتد من يومئذ تمسك إسبانيا بسبتة وردت الهجومات المغربية بكل عنف.

الجهاد في البحر وافتداء أسرى المسلمين : اعتنى المولى إسماعيل بشؤون الجهاد في البحر لأسباب دينية وسياسية واقتصادية، وأما الأسباب الدينية فإنها كانت مترتبة على ضرورة حماية دار الإسلام الغربي، يوم أصبحت جرأة النصارى تزداد بفضل تفوقهم المطرد في الملاحة والمدفعية، فكان لامناص من الاستعداد لهم وكيل الضربات لهم، ولما كان كبار المجاهدين هم أبناء الأسر الأندلسية اللاجئين بالموانئ المغربية، فان الدولة العلوية الناشئة كانت في حاجة إلى مراقبة غزواتهم لما كان لها من العواقب في الداخل وفي الخارج، وحيث كان خمس الغنائم من الجهاد لبيت المال شرعا، فإن المولى إسماعيل حرص حرصا شديدا على أن تكون مقاليد الجهاد في البحر بيده، سيما وأنه كان مسؤولا بصفة كونه الإمام والقائد الأول، عن افتداء المسلمين الذين كانوا يقعون أسرى ببلد القراصين الأوربيين، سواء كانوامغاربة أو من غير المغرب ، مما نتج عنه جدل حاد بينه وبين لويس الرابع عشر الذي كان لا يقبل أن تجري المفاداة بين فرنسا والمغرب إلا بشأن رعية المولى إسماعيل فكانت الحمية الإسلامية تثور لذلك في نفسه.

العلاقات مع أوربا : تصدى المولى إسماعيل لتهافت التجار الأوربيين على شواطئ البلاد بما كان يفرضه الواجب الديني والمصالح السياسية والاقتصادية، فاحتاط منهم بجميع الوسائل وأوقفهم عند حدهم بالعنف تارة يوم انتزع منهم ماكان قد وقع بقبضتهم من الموانئ، وبالسياسة تارة أخرى بتتبع نزاعاتهم وحروبهم وضرب بعضهم ببعض، ودليل إدراكه التام للأوضاع السياسية (الأوربية) علمه بما كان لفرنسا من التفوق على باقي الدول آنذاك فكانت صداقة فرنسا مفضلة لديه، لا لصدارتها وحسب، ولكن لتحالفها مع الدولة العثمانية، مما كان يجعل التقرب منها في نظر المولى إسماعيل، والسلطان المؤمن الصادق، واجبا معنويا ،وذهب به الأمر إلى مد الرغبة في مصاهرة لويس الرابع عشر في إحدى بناته الأميرة دي كونتي (De Conti) ولم يتم من الأمر شيء لتنافر الطباع واصطدام الأنفتين ، فكانت العلاقات بين الأميرين محمومتين باستمرار ولكنها ظلت قائمة إلى أن توفي لويس الرابع عشر سنة 1715، وتهاون الوصي على العرش بعده بصداقة المولى إسماعيل فانقطعت الصلات الرسمية بين الدولتين ابتداء من سنة 1718 ودامت القطيعة إلى سنة 1767.

استقبال المولى إسماعيل بقصره بمكناس سفير فرنسا سنة 1693

وعلى النقيض من ذلك نشطت العلاقات المغربية الأنجليزية بما استقر من أوضاع أنجلترا الداخلية ابتداء من العقد الأخير من القرن السابع عشر، وسبب احتلال الأسطول الأنجليزي لجبل طارق سنة 1704 وحاجة أنجلترا من يومئذ إلى تزويد تلك المستعمرة من الموانئ المغربية ولتلك الغاية أبرمت معاهدة ود وصداقة بين الدولتين سنة 1721 ووضعت ضمنها واجبات كلتيهما وحقوقهما المتبادلة بكل دقة.

وأما العلاقات مع إسبانيا فلقد دخلها كثير من الفتور بسبب انهيار عظمتها منذ معاهدة وستفاليا (Westphalie) سنة 1658، وعجزها عن مسايرة التوسع الرأسمالي، وضعف شخصية ملكها كارلس الثاني (Carlos II) الذي ما إن وافاه الأجل المحتوم سنة 1700بدون خلف من صلبه، حتى قامت حرب عامة حول ولاية عهده، وفاز بالعرش في النهاية بعض أحفاد لويس الرابع عشر، وما كان ليغفر للمولى إسماعيل محاصرته لسبتة منذ 1694. ولكن سوء العلاقات بين الدولتين كان لايحول دون اتصال شواطئ

البلدين لجوارها وامتداد اتصالها عبر التاريخ ونشاط ميناء قادس على الخصوص في المبادلات التجارية العامة بين المغرب وأوربا.

وهكذا سار المولى إسماعيل مع باقي الدول، يتصدى لنوابها وتجارها كلما خرجوا من نطاق حرمة الدولة والسلطان ، ولايرى بأسا بمعاملتهم بالتي هي أحسن كلما وقفوا عند تلك الحدود.

المولى إسماعيل، *إلى ولدي المامون* ؛ م. الفساني، *رحلة الوزير في افتكاك الأسير*، حققه وترجمه إلى الإسبانية الفريدو بوستاني، طنجة 1940 ؛ م. الإفراني، *روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف* ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ أ. الزياني، *الترجمان المغرب*. م. الضعيف، *التاريخ* ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم* ؛ إ.بوطالب، *العصر العلوي الأول*، ضمن مذكرات من التراث المغربي، الرباط 1985.

S. I. H. M. la dynastie filalienne (Série France, série Angleterre) ; Busnot, *Histoire du Règne de Moulay Ismail* (Rouen 1714) ; J. Windus, *A journey in Mequinez* (London 1725) ; H. De Castries, *Moulay Ismail et Jacques II, un sultan du Maroc* (Paris 1903) ; Chantal de la Veronne, *Tanger sous l'occupation anglaise en 1674*, (Paris 1972).

إبراهيم بوطالب

إسماعيل بن عبد الملك المعتصم السعدي، من أم تركية بنت باشا الجزائر مراد إدريس تزوجها عبد الملك خلال إقامته بالجزائر بعد فراره من المغرب عند تولي أخيه عبد الله الغالب عام 964 / 1558.

ولم تتحدث المصادر التي رجعنا إليها بتفصيل عن حياة هذا الأمير الذي ولد في أيام أبيه الأخيرة، حيث لم يصبح شابا يطمح إلى السلطة إلا أواسط عهد عمه المنصور (1578 ـ 1603).

كل ما يعرف عن هذا الأمير أنه لم يصحب أباه في حملته للدخول إلى المغرب عام 984 / 1576. وقد أرسل عبد الملك في طلب ابنه وزوجته (التركية) ليلتحقا به غداة انتصاره على المتوكل ابن أخيه. غير أن توقيت الطلب كان يوافق حالة من التوتر السياسي التي خيمت على علاقاته بباشوية الجزائر في إطار الصراع الثلاثي : الإيبيري / السعدي / العثماني. وحدث أن بقيت الزوجة في الجزائر بينما نقل ابنها إلى القسطنطينية قبيل وفاة عبد الملك في معركة وادي المخازن. ففي رسالة وجهها أحد متجسسي فيليب II (اسمه مورا) إلى ملكه بتاريخ 16 نوفمبر 1580 يتضح ما كان يمثله إسماعيل هذا في إطار العلاقات الصعبة بين الأطراف الثلاثة السابقة الذكر. (انظر نص الرسالة في مجلة *المناهل* عدد 14، ص 57 ـ 58). وتبين هذه الرسالة خلافا لما جاء في المصادر أن إسماعيل كان بالمغرب مباشرة بعد معركة وادي المخازن أي عام 988 / 1580، وأن الأتراك كانوا يريدون تنصيبه سلطانا بدل المنصور، ويشفع لذلك ما ذكره الفشتالي من أن ثورة عساكر النار الأندلسيين الذين ثاروا على المنصور مباشرة بعد المعركة كانت بإيعاز من الأتراك الذين كانوا يريدون تنصيب إسماعيل . قال صاحب *تاريخ السودان* إنه وقع :"الشغب بين أوساط الجند والعامة وأخذوا ينادون بأحقية الأمير الصغير إسماعيل بن المعتصم الموجود بالجزائر (؟) في الخلافة مستغلين سمعة المعتصم الملك الشهير الأمر الذي حذا بالمولى أحمد إلى الفرار..." خوفا من أن يقتلوه.

ونعرف كذلك أن الباشا حسن أغا تزوج أرملة عبد الملك وساند حق ابنها إسماعيل في وراثة الإمارة السعدية بعد أبيه، ودخل باسمه في نزاع مكشوف مع المنصور.

وتفاديا لذلك أرسل المنصور رسالة إلى ابن أخيه مؤرخة في 986 / 1578 يعترف له فيها بحبه له. وقد أرفق الرسالة بأنواع من الهدايا. يقول المنصور في تلك الرسالة :"فثق ـ حفظ الله شبابك، ويسر في أبواب الخيرات أسبابك ـ بأنك أحد أولادي وأخص من يحنّ إليه جأشي وفؤادي..." (*رسائل سعدية* مخطوط خ. ع ـ ك 278).

وكان إسماعيل قد بعث برسالة قبل ذلك، يشكره فيها على الهدايا التي أرسلها إليه مع أبي العباس أحمد بن يحيى الهوزالي. ولم نعثر في المصادر التي رجعنا إليها على تاريخ وفاته.

مجهول، *رسالة سعدية*، مخطوط، ح. ع. ك 278، ص 37 ؛ ع. السعدي، *تاريخ السودان* ؛ ح. الطاهري، *تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان*، المطبعة الحجرية بفاس، 1324 / 1906 ؛ إ. شحاتة، *وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب*. الدار البيضاء 1979.

Delphin. *Journal Asiatique*, Avril - Juin 1922 p. 201 ; Ch. De la Veronne, *ROMM*. N° 13 - 14 p. 397.

محمد مزين

إسماعيل بن عبد المؤمن، هو احد أولاد عبدالمؤمن الثمانية عشر وأمه بنت ماكسن بن المعز فهو يجمع رفعة النسب من الجهتين ولاشك أنه تلقى تربية مناسبة وتعليما على يد أساتذة مختارين، إذ أن الخلفاء الموحدين منذ عبد المومن كانوا معتنين غاية الاعتناء بتعليم أبنا ئهم.

وفي سنة 561 عينه أخوه الخليفة يوسف بن عبد المومن واليا علي أشبيبلية في إطار الحركة الإدارية الواسعة التي عزم عليها والتعيينات التي خص بها عددا من السادة إخوته. وبما أن إشبيلية كانت في الواقع هي عاصمة الأندلس لما أصاب قرطبة من انتكاسات، فإن تعيين إسماعيل بها يعني أنه كان عميد الولاة بالأندلس. ولاأدل علي منزلته من كون الخليفة لما قرر أن يقوم بتجديد البيعة له كأميرالمؤمنين سنة سنة 563 أسند إليه بكتاب رسمي أن يشرف بنفسه على أخذ البيعة من جميع جهات الأندلس. وكما ورد عند ابن صاحب الصلاة، أمره "أن يأخذ الناس بإشبلية وجميع الموحدين من الذين بها وببلاد الأندلس التي تحت طاعة التوحيد أدامه الله كقرطبة وأغرناطة ومالقة وغرب الأندلس لعقد البيعة الرضوانية التي بها يكمل دينهم ويصدق يقينهم" (*المن* ص 339) وقام إسماعيل

بالمهمة خير قيام إذ وردت على مراكش نصوص البيعات المختلفة عن مدن الأندلس الكبرى

وفي سنة 465 استدعي إسماعيل هو وجميع ولاة الأندلس إلى حضرة مراكش حيث أقاموا بضعة شهور ثم عاد إسماعيل إلى مقر ولايته في أوائل 565 هـ. وكان الوضع آنذاك بالأندلس لايخلو من صعوبات ومخاطر. فبالإضافة إلى ثورة ابن مردنيش كانت عمليات حرب الاسترداد نشيطة من جهة النصارى سواء في الجبهة القشتالية بوسط الأندلس أو الجبهة البرتغالية بغربها. وهذا ما حذا بالخليفة يوسف إلى دعوة ولاة الأندلس وقادتها العسكريين ليدبرمعهم خطة عسكرية تكون قمينة بردع الأعداء ووضع حد لضغوطهم على الثغور الأندلسية. وعاد إسماعيل هو وأخوه إبراهيم كل إلى مقر ولايته بالأندلس في صفر 564 هـ ورافقهما أخوهما أبو الحسن علي الذي عينه يوسف واليا على سبتة وأنظارها وجبال غمارة وأقطارها، مما يدل على اهتمام الخليفة بتأمين الطريق إلى الأندلس في الوقت الذي كان يخطط فيه لحملة كبرى لمواجهة هجمات النصارى بإسبانيا.

وفي سنة 565 هـ عرفت الأندلس زلازل كثيرة تهدمت من جرائها دور ومساجد، وبلغت هجمات النصارى إلى الجزيرة الخضراء واشتد حصارهم لمدينة بطليوس. فتوجه السيد ابو حفص إلى الأندلس لمواجهة الموقف الخطير هنالك، وكانت حملاته العسكرية في تلك البلادمقدمة لحركة الخليفة يوسف بالأندلس في سنة 566.

واتجه الجند الحربي الذي بذل قبل هذا التاريخ إلى القضاء على ابن مردنيش الذي رفض الخضوع للموحدين وقاومه أشد المقاومة. لكنه أصيب بمرض خطير وهو تحت حصار الموحدين بمرسية ومات، فما كان من ابنه هلال إلا أن استسلم للموحدين سنة 567 وجاء في موكب كبير من أعيان بلده وأنصار أبيه إلى إشبيلية وذهب السيدان إسماعيل ويحيى ابنا عبد المومن مع عدد من أشياخ الموحدين لاستقباله على أميال من المدينة وتميز إسماعيل أيضا بمزاياه كقائد عسكري ورجل حرب فنجده يشارك في الحملة على الكونت خمينو المعروف في المصادر العربية بالاحدب، وهو حاكم آبلة، ومنهاتوجه بجيشه لاختراق ربوع الأندلس العربية والعيث بمدنها ومزارعها ونهب ماشيتها في سنة 568. واستطاع الموحدون أن يحققوا نصرا حاسما على خصمهم قتل فيه الكونت خمينو قائد الحملة النصرانية.

ونجد إسماعيل في معركة وبذة يقود جند قبيلة جنفيسة، إذ وقع توزيع القيادات في تلك الموقعة حسب القبائل. وكان هو وأخوه أبو زكريا بتلمسان أسرى النصارى إثر الانتصار الكبير الذي أحرزه الموحدون على الكونت خمينو، المذكور آنفا وقام بتدشين الجامع الكبير الذي بناه الخليفة يوسف بإشبيلية وخطب فيه أول خطبة يوم الجمعة 24 من ذي الحجة سنة 577 وألزم الناس الصلاة فيه وكان المسجد الجامع بإشبيلية فيما سبق هو المسجد الذي بناه عمر بن عدبّس، الذي كان قاضيا بإشبيلية أيام عبدالرحمن بن الحكم الأموي، ولانجد بعد ذلك ذكرا لإسماعيل في المصادر فلعله قتل في إحدى المعارك الحامية التي جرت بالأندلس فيما بين 775 و 580 والتي حضر فيها الخليفة يوسف بنفسه وقتل في نهايتها. ويشير ابن عذاري إلى كثرة من مات من أعيان الموحدين في المعركة الأخيرة بقوله واستشهد في أثناء هذا الموقف جملة من أعيان الموحدين ورؤساءالأندلسيين فلعل إسماعيل كان من بين القتلى.

ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن الخطيب،*الإحاطة* ؛ م.ع. عنان ، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

الإسماعيلي، التهامي بن محمد. ولد في أواخر القرن التاسع عشر، هو من الطلبة الذين لم تساعدهم ظروفهم لإتمام دراستهم العلمية، فقد حفظ القرآن واعتنى بتلاوته وتعليمه حتى رُشح لتعليم القرآن بالمدرسة العصرية الاستعمارية المعروفة بمدرسة أبناء الاعيان. وكان يميل الى التزويق والتسطير والرسم، وله ألواح رائعة في الزخرفة والتنميق، بل له إلمام حتى بصناعة النجارة اذ كانت حرفة أبيه. يضاف إلى هذا صوته الحسن بالمديح النبوي فكان يحفظ صنائع موسيقية، الشيء الذي جعله يدرب بعض تلاميذه على بعض الطبوع الموسيقية في الحفلات المدرسية .وكان منخرطا في الزاوية التجانية وعرف بسمته الحسن، وتوفي بالرباط في 24 غشت 1938.

ع .الجواري، *أعلام الفكر المعاصر*.

عبد الإله الفاسي

إسْمْكِين، إبُورك. لغويا : إسمكِين جمع إسْمْك، وهو الأسود أو العبد فيكون ببيورك إسمكين هو المكلف بالعبيد أو صاحب العبيد في حاشية ابن تومرت. ذكره البيذق من جملة الأشخاص الأولين الذين بايعوا المهدي بن تومرت تحت شجرة خروب إلى جانب عبد المومن الگومي وإسماعيل الهزوجي وعمر أصْنَاگ والبشير الونشريشي وغيرهم. لكن لم يرد له ذكر بعد ذلك في أخبار الموحدين، ولعله كان من العبيد.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*.

محمد زنيبر

الإسْمَنْت، CIMENT قطاع يحتل مركزا هاما في النسيج الصناعي الوطني ويمثل جانبا أساسيا في النمو الاقتصادي والاجتماعي للمغرب. فهو يمثل أحد المؤشرات الأكثر تعبيرا عن مستوى نمو الاقتصاد وذلك من خلال استعمالاته ودوره كمنشط لمجموع القطاعات الحيوية في اقتصاد البلاد كالفلاحة (سدود ـ قنوات) والتجهيز (طرق ـ موانئ) والبناء (سكن) والصناعة. وهذا الدور يزيد عبرة في بلدان العالم الثالث حيث حاجيات التجهيز أكثر أهمية. من هنا يأتي التزايد المطرد في استهلاك الإسمنت.

كان هذا حال المغرب الذي عاش هذا التزايد في وتيرة حاجياته خلال المخطط الخماسي 1973 ـ 77 وخاصة منذ 1974. فلمعالجة الخصاص، لجأ المغرب إلى استيراد كتلي (102000 طن سنة 1971 ـ مليون طن 1977). ولوضع حد لهذا الخصاص، وقصد توفير اكتفاء ذاتي من هذه المادة الأساسية، انطلقت الدولة في برنامج نشاط يسعى إلى إرساء مقدرات جديدة وذلك بتوسيع الوحدات المتوفرة وإنشاء وحدات جديدة كمصانع وجدة وتمارة وبوسكورة. وهكذا توقف تيار الاستيراد وصار السوق في وضعية توازن بل بفائض للعرض بالنسبة للطلب .

وقد ساهم في هذه الوضعية الجديدة نوع من التوقيف عرفته حركه البناء ابتداء من سنة 1984. ونورد كمثال لاستهلاك الإسمنت سنويا من طرف الفرد الواحد سنة 1986، نجد أن مقدار هذا الاستهلاك يصل إلى 523 كيلو في البرتغال، 392 في فرنسا، 350 في تونس و170 فقط بالنسبة للمغرب.

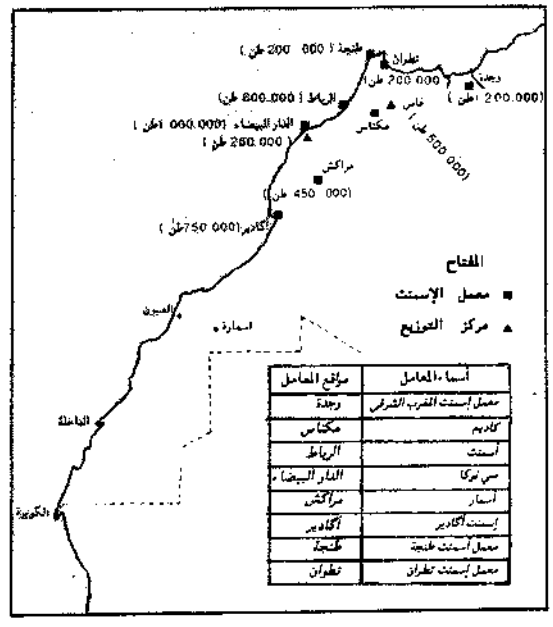

أسماء المعامل	مواقع المعامل
معمل إسمنت المغرب الشرقي	وجدة
كاديم	مكناس
أسمنت	الرباط
سي نركا	الدار البيضاء
أسمار	مراكش
إسمنت أكادير	أكادير
معمل أسمنت طنجة	طنجة
معمل إسمنت تطوان	تطوان

مواقع معامل الإسمنت بالمغرب

والإسمنت مادة ظهرت لأول مرة في أواسط القرن التاسع عشر حيث قبل ذلك كان الجبس والجير والخشب هي المواد القاعدية لكل تشييد. فالرومان مثلا كانوا يستعلمون في بناياتهم لحاماً هو عبارة عن خليط من الجير والرماد البركاني.

وقد اكتشف الإسمنت من طرف أنجليزي، استطاع بعد خلط الرمل والمادة المكتشفة أن يحصل على حجارة ملحومة صلبة. شبيهة بالحجارة المستخرجة من مقالع جزيرة بورطلند. ويكون الكلس والطين العناصر الأساسية لهذا الإسمنت، يخلطان ويعرضان للطهي والاحتراق. وقد أدخل الإسمنت إلى المغرب من طرف الإسبان قبيل سنة 1900، لكن استعماله لم يعمم إلا بعد 1912.

تاريخ الإسمنت في المغرب : منذ 1912 انطلق تيار استيراد هام للإسمنت قصد تشييد ميناء الدار البيضاء. وفي السنة الموالية تم إنشاء أول مصنّع في ضواحي البيضاء. طاقته 10000 طن. وفي هذا الوقت كان تحضير المادة يدوياً، بينما كان النقل يقع على ظهر الجمال، والطهي في أفران عمودية. إلا أن تزايد الحاجيات جعل المسؤولين يقدمون على توسيع هذه الوحدة سنة 1914 لتصل الطاقة الانتاجية إلى 70000 طن سنة 1930. وفي سنة 1931 قررت عصرنة المعمل وذلك بتعويض الأفران الأصلية الصغرى بفرن رحوي، وإضافة ثلاثة أفران جديدة. وهكذا ارتفعت الطاقة الإجمالية إلى 600000 طن، مما سمح بتصدير الإسمنت نحو الجزائر وتونس. وغداة الحرب العالمية الثانية، انطلق معملان جديدان، أولهما سنة 1952 بأگادير والثاني سنة 1953 بمكناس، ثم معملان آخران في الأقاليم الشمالية في طنجة وتطوان.

وهكذا صارت الطاقة الإجمالية قبيل الاستقلال تساوي 900000 طن من الإسمنت، يتم إنتاجها في 5 معامل مغربية.

في وسط الستينات وتحت ضغط حاجيات متزايدة ارتفع الاستهلاك ليصل إلى 2 مليون طن سنة 1974، وقد انطلق استيراد كتلي وصل إلى مليون طن سنة 1977 دون أن يشبع مجموع الحاجيات.

لذا ففي إطار التصميم الإسمنتي، تم توسيع الوحدات القديمة وإنشاء ثلاثة معامل جديدة (مراكش سنة 1974 بطاقة 450000 طن، تمارة سنة 1979 بطاقة 550000 طن ووجدة كذلك 1979 وبطاقة 1200000 طن). هكذا توصول المغرب سنة 1979 إلى الاكتفاء الذاتي بل تم التفكير في تصدير الفائض. وفي سنة 1983 وقع إحداث معمل بوسكوره. بطاقة مليون طن سنويا، وذلك لتعويض المعمل البيضاوي القديم، الذي أغلق لما كان يتسبب فيه من تلويث حضري، وبسبب استنفاذ المواد الأولية. حاليا، صارت الطاقة الاجمالية تساوي 5.5 مليون طن، بينما لايتعدى الاستهلاك 4.3. ويتم هذا الانتاج في 8 معامل موزعة توزيعا متوازنا داخل البلاد.

المعمل	سنة الإنطلاق	عدد الأفران	الطاقة الإنتاجية بالأطنان	طريقة الصنع
الفاتح *	1913	5	950.000	الرطبة
مكناس	53	2	650.000	الجافة
أكادير	52	3	420.000	نصف الجافة
تطوان	54	2	250.000	نصف الجافة
طنجة	53	1	240.000	رطبة
مراكش	76	1	500.000	جافة
المغرب الشرقي	79	2	1.200.000	جافة
تمارة	79	1	600.000	جافة
بوسكورة	83	1	1.000.000	جافة

معامل الإسمنت المغربية

* معمل متوقف سنة 1987

تعريف الإسمنت ونموذج إنتاجه : الإسمنت عادة مصنوع من خليط من الكلس (بنسبة 80 ٪) والطين (بنسبة 20 ٪). تختلف تقلبات الصنع حسب صفاء المواد الأولية ونوعيتها. ويمكن التفريق بين ثلاث تقنيات :

- الطريقة الرطبة هي الأقدم، يتم التخلي عنها لأسباب طاقية. تقتضي مزج مواد المقالع في الماء بعد تهشيمها قبل تصفية وتجنيس العجين النيء.

- الطريقة نصف الجافة تعني تصفية العجين من الماء أو خلطه مع مسحوق جاف للحصول على نفس النتيجة.

- الطريقة الجافة الأبسط والأقل تكلفة، حيث يتم تجنيس المواد المسحوقة دون تبليلها.

ويتم الطهي في أفران رحوية، تختلف حسب تقنية التحضير وتتوالى عدة عمليات خلال الطهي. في البداية تبخر الماء. ثم نزع الكربون ابتداء من 750 درجة. وأخيراً بين 990 و1450 درجة تتكون مركبات حديد - ألمينية، المينات وسلكاتات الكلس التي تعتبر قواعد مادة "الكلنكر".

عند مخرجه من الفرن، هذا الكلنكر يمر عبر مبردات، قبل أن يتم تهشيمه إلى مادة حبيبية تنقل إلى مخازن خاصة ومنها إلى مطاحن حيث تخلط مع عناصر إضافية تدخل في تركيب الإسمنت هي الجبس بنسبة 5 إلى 7 ٪ والرماد البركاني.

وتتضمن المادة النهائية عدة أنواع، كل منها له استعمالات خاصة، وتستجيب هذه الأنواع لقوانين تصنيع مضبوطة. وقد وضع هذا التقنين سنة 1970.

حاليا الأنواع الثلاث المصنوعة هي الإسمنت 45 و35 و25. أولها يستجيب لمتطلبات صلابة عالية وبتكيف خاصة مع صنع الخرسانة المسلحة ويستعمل لبناء السدود والموانئ والعمارات الكبرى، ويستعمل النوع 35 للبنايات العادية وخاصة الدور الفردية. أما النوع 25 فهو يخصص للتغطية. كما تستورد أنواع مثل الإسمنت الأبيض.

وثائق شركة إسمنت المغرب الشرقي.

عبد الجليل الحسني

أسْمير، نهر ينبع من جبل زمزم بقبيلة الخوز قرب تطوان، ويسقي مساحة تفوق ألف هكتار، وتصب مياهه بالبحر الأبيض شمال رأس الطرف أي بين قرية المضيق ومصب نهر النّكرو. وقد ذكره بهذا الاسم الجغرافي البكري الذي قال إنه ينبع من جبل الدرقة (جبل درسة حاليا)، وفي حين أن الشريف الإدريسي أطلق اسم أسمير على نهر بورقراق الذي يفصل بين مدينتي سلا والرباط. وكان نهر أسمير في الماضي يكون فصل الشتاء مستنقعات هائلة، تشهد على ذلك البحيرة التي توجد بالقرب من مصبه، ومساحتها 500 هكتار، بسبب هذه المستنقعات اضطر الجيش الإسباني الذي خرج من سبتة غازيا أرض المغرب سنة 1860 أن يظل متوغلا في أوحال الطين مدة أسبوع كامل من يوم 4 إلى يوم 11 يناير دون أن يتمكن الأسطول من مده بما كان يحتاج إليه من مؤونة ومعدات، فانتشر الطاعون في صفوف الجيش وهذا ما جعل الصحافة الإسبانية في ذلك العهد تطلق على المكان اسم معسكر الجوع.

أ. البكري ، *المغرب في ذكر إفريقية والمغرب* ؛ م. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ م.داود، 6.47. *تاريخ تطوان*، 4. 17.

Alarcon (P. A.) *Diario de un testigo de la guerra de Africa*, 1t. 1p. 238 Ministerio de la Guerra, *Accion de Espana en Africa* 1930, t. 2. p 49. Domenech Lafuente (Angel) *Geografia de la zone norte del protectorado de Espana en Marruecos* 1942 p 41 Cabello Alcaraz (J) *Apuntes de geografia de Marruecos.*

محمد ابن عزوز حكيم

أسْمير (كُونت ـ) Conde de Asmir أحد الألقاب الشرفية التي منحتها الملكة الإسبانية إيسابيل الثانية (Isabel II) لبعض الجنرالات الذين شاركوا في الحرب ضد المغرب يوم 22 أكتوبر 1859. وصدر المرسوم الملكي بمنح اللقب المذكور إلى الجنرال خوسي دييث إمارطينتث Jose Diez y Martinez يوم 29 يونيو 1866. ذلك أن الجيش الإسباني كان قد غزا أرض المغرب انطلاقا من سبتة يوم 19 نوفمبر من السنة المذكورة، وفي يوم 6 يناير من السنة التالية وصل الجيش إلى وادي أسمير بقبيلة حوز تطوان فلم يستطع عبور النهر المذكور لكثرة مياهه وأوحاله الناتجة عن الأمطار الطوفانية والعواصف الشديدة التي عرفتها تلك الناحية يوم وصوله إليها، لدرجة أن هذا الجيش ظل هناك محاصرا من طرف المغاربة دون أن يتمكن من الرجوع إلى الوراء ودون أن يستطيع الأسطول إمداده بما كان يحتاج إليه من مؤونة، إلى غاية يوم 13 من نفس الشهر. وهذا ما جعل الإسبانيين يطلقون على المعسكر الذي ظلوا فيه اسم معسكر الجوع، Campaments del hambre

وعندما انقطع المطر وهدأت العاصفة لم يكن من السهل على القوات الإسبانية عبور النهر لكثرة الأوحال وغزارة المياه، ورغم ذلك تطوع الجنرال صاحب الترجمة وهذا ما جعله يستحق في نظر دولته لقب كونت أسمير.

ولد صاحب اللقب سنة 1810 وتوفي يوم 24 أبريل 1871.

Castillo. *La Guerra de Africa*, Madrid 1861, Garcia Figueras (T) *Recuerdos centenarios de la guerra de Africa.* Madrid 1961.

محمد بن عزوز حكيم

أسنادة، قصبة توجد بالمدشر الذي سميت عليه بفرقة الواديين من قبيلة بني يطفت الريفية ، وكانت تعرف ب "ثران بادس" (عين بادس) وذلك لأن منها كانت تجلب المياه الصالحة للشرب إلى مدينة بادس، ووجود هذه القصبة في العهد السعدي ينفي ما يدعيه البعض أنها من القصبات التي أمر السلطان مولاي إسماعيل ببنائها، وكل ما في الأمر هو أنه في عهد السلطان المذكور تم ترميمها وإقامة حامية عسكرية بها.

وقد لعبت قصبة "ثران بادس" دورا مهما في الحرب الأهلية التي عرفها المغرب بعد موت عبد الله الغالب،

ومهاجمة محمد المتوكل من طرف عمه عبد الملك الغازي، وظل المتوكل يحارب من أجل استرجاع عرشه أكثر من سنة إلى أن اضطر إلى اللجوء إلى قصبة "ثران بادس" يوم 9 رمضان 985 / 20 نوفمبر 1577. وفي اليوم التالي وجه إلى الحاكم الإسباني بجزيرة بادس خوان دي مولينا Juan de Molina رسالة يطلب منه فيها إخبار الملك فيليب الثاني Felipe II بوصوله إلى القصبة المذكورة.

وبعد ثلاثة أيام أي في 23 نوفمبر وجه المتوكل رسالة أخرى إلى العاهل الإسباني يطلب منه مساعدته لاسترجاع عرشه ، وعلى إثر ذلك اجتمع مجلس الحربية الإسباني بمدريد يوم 13 ديسمبر 1577 وقرر منح المتوكل حق اللجوء إلى جزيرة بادس صحبة أفراد أسرته وإحاطة ملك البرتغال دون سيبستيان Don Sebastian علما بذلك .

قصبة اسنادة بقبيلة بني يطفت

وبعد ستة أيام أخبر الملك فيليب الثاني سفيره بلشبونة بوجود المتوكل بقصبة "ثران بادس"، وبأنه طلب منه المساعدة، غير أنه لم يوافقه على ذلك لأن إسبانيا قد اعترفت بأن التدخل في المغرب هو من حق البرتغال وحدها.

وأجابه الملك البرتغالي يوم 30 ديسمبر قائلا إنه يجب على الحاكم الإسباني بالجزيرة المذكورة أن يعامل المتوكل معاملة الملوك ويرحب به في الجزيرة في حالة ما إذا لجأ إليها مع إشعار العاهل البرتغالي بذلك ، وهو ماأمر به عاهل إسبانيا حاكمه بالجزيرة يوم 20 يناير 1578. كان المتوكل لازال بقصبة "ثران بادس" عندما وصلت إلى جزيرة بادس ست سفن تحمل معدات حربية أرسلها ملك البرتغال إلى المتوكل، وفي القصبة المذكورة استقبل المتوكل يوم 25 يناير المبعوث البرتغالي الكومندار باسطياوُو كَونثا لفيث Bastiao Gonzalvez الذي جاء لإخبار المتوكل بأن دون سيباستيان على استعداد تام لإعانته ضد عمه مولاي عبد الملك ، وقد ظل المبعوث البرتغالي بالقصبة إلى يوم فاتح فبراير.

ومن قصبة " ثران بادس" وجه المتوكل رسالته المشهورة إلى علماء وشرفاء وأعيان المملكة يحاول فيها تبرير طلبه المعونة من العدو ضد عمه يقول فيها إنه لم يقم بطلب المعونة من النصارى إلا رغبة منه في حماية المسلمين من طغيان مولاي عبد الملك ، هذه الرسالة التي نشرها بعض الباحثين بدون تاريخ. وقد استطعنا ضبط تاريخها وهو يوم 17 ذي القعدة 985 / يناير 1578 بفضل فهرسة الشريف الحسن بن محمد بن علي ابن ريسون المتوفي سنة 1055 / 1645 التي توجد النسخة الوحيدة منها بخزانة گارثيبا فيگراس Gar-cia Figueras بمدينة شريش بإسبانيا.

وظل المتوكل المذكور إلى يوم 14 فبراير 1578 حيث توجه إلى الشاطىء الموالي لجزيرة بادس ليكون هناك مع ثلة من أتباعه تحت حماية المدافع الإسبانية، وذلك إلى غاية يوم 26 مارس حيث توجه بأمر من الملك البرتغالي إلى مدينة سبتة عن طريق البحر.

وقرية اسنادة مشهورة بوجود زاوية الشرفاء الوزانيين بها . وقد لعبت هذه الزاوية دوراً مهماً في تاريخ المقاومة المسلحة الريفية ضد الغزو العسكري الإسباني لشمال المغرب في أوائل عهد الحماية. وبها توجد المقبرة اليهودية الوحيدة بناحية الريف.

الحسن ابن ريسون، *فهرسة*، مخطوط.

Archivo General de Simancas (España) guerra ،ملف 38 و395 antigua.

محمد ابن عزوز حكيم

أسْنُوس، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمر الجبلية، اشتهر أفرادها بالعلم، فكان منهم العالم المؤقت العدل عمر بن النادي، وابنه العالم الأديب الشاعر مَحمد بن عمر النادي، ولم يبق اليوم أحد من هذه الأسرة بتطوان.

ع. سيكرج ، *نزهة الاخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 24 و26 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *familias ilustres de Tetuan* 1921 (A) Isidro de las Cagigas, *familias tetuanies de abolengo* 1929 (A). *vademecum de intervencionnes* (año 1931) 1932 (A). M. Ibn Azuz Hakim *Apellidos Tetuanies de origen español* 1949 (A).

أسنوس، عمر بن النادي. عالم وفقيه بقبيلة بني حزمر الجبيلة، ومنها انتقل إلى تطوان حيث كان مؤقتا بالمسجد الأعظم ويتعاطى في نفس الوقت العدالة من سنة 1235 / 1820 إلى سنة 1242 / 1827، ولم يخلف إلا ولداً واحداً اسمه امحمد . ولايعرف تاريخ وفاته .

م. داود، *تاريخ تطوان*، 7 : ص 248.

Vademecum de intervenciones (año 1931 (A). M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen* espanol 1949 (A).

أسنوس، مَحمد بن عمر بن النادي عالم وفقيه وأديب وشاعر، ابن العالم عمر بن النادي، ولد بتطوان حيث نجده يتعاطى خطة العدالة من سنة 1271 / 1855 إلى سنة 1298 / 1881، وفي سنة 1312 / 1894 كان إماما ومدرسا بالزاوية الناصرية، وفي السنة التالية ناب عن قاضي تطوان، وعليه قرأ قاضي قضاة الشمال الفقيه احمد الرهوني.

توفي بتطوان في شهر ربيع الأول 1315 / غشت 1897 ودفن بالزاوية الحراقية.

الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : ص 114 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 5، ص 231 و 272، 7 : ص 252.

Delegacion de Asuntos *Indigenas, familias ilustres de Tetuan* 1921 (C) Isidro de las Cagigas *familias tetaunies de abolengo* 1929 (A). *Vademecum de intervencion (año 1931)* 1932 (A). M. Ibn Azzuz Hakim, *apellidos tetunies de origen espanol* 1949 (A).

محمد ابن عزوزحكيم

أسْني، يطلق على حوض فلاحي يمتد على ضفاف وادي غيغاية بالأطلس الكبير جنوب مراكش، يخترقه الطريق الثانوي 501 الرابط بين مراكش وتارودانت عبر تيزي نْ تَاسْتْ. كما يطلق هذا الإسم بنفس الحوض على مركز إداري وسوق أسبوعي، وعلى دوار كبير يعرف بقصبة أسني، ويقع بالطرف الجنوبي لهذا الحوض عند نقطة يضيق فيها ليتحول إلى واد ضيق هو وادي غيغاية الأعلى، كما يطلق على جماعة قروية تابعة لدائرة تحناوت بإقليم مراكش تبلغ مساحتها 367 كلم2 وسكانها 12.308 نسمة (1982).

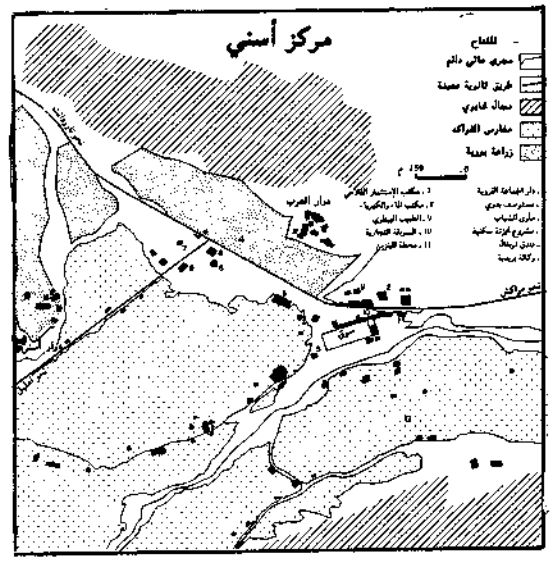

قرية أسني : يعتبر دوار أسني منطلق التسمية، وهو يقع بموضع يجمع بين ميزات فلاحية واستراتيجية ودفاعية. فهو يقع عند التقاء مجالين فلاحيين متكاملين، هما حوض أسني المسقي، الذي يمتد أسفله، وتلال مسطحة القمم ضعيفة الانحدار تقع عالية عند عاليته، تستغل في الزراعة البورية للحبوب والرعي، كما تشرف عليها جبال غنية بغاباتها، وتشرف من موضعها المرتفع على مدخل وادي غيغاية، وعلى الطريق المار أسفلها نحو إمليل وسيدي فارس بجبل إفغان، وتراقب من بعيد الممر التاريخي العابر للأطلس الكبير عبر تيزي نْ تَاسْتْ، لاتزال قرية أسني متسمة بالطابع الريفي، إذ تتكون من سبعة تجمعات سكنية تنتشر على منحدر متموج تقطعه مسيلات وأخاديد. يتميز بينها تجمع سكني قديم يوجد بأعلى المنحدر هو القصبة، ويعتبر النواة الأصلية للقرية، لازال يطغى على جل المنازل الطابع الجبلي فهي تتكون غالبا من طابقين، يخصص الطابق الأرضي للمواشي والعلف وأدوات العمل، ويخصص الطابق العلوي لسكن الأسرة، وتتخلل القرية أزقة ملتوية، تختلف في اتساعها من جهة أخرى، ولاتحظى من وسائل التمدين الحديث سوى بالكهرباء التي وصلتها منذ سنة 1960، لكنها تتوفر على بعض مظاهر التمدين التقليدية، مثل الحمام والفران والمسجد والكتّاب بالإضافة إلى عدد من الدكاكين (26). أما الماء الشروب فيحصل عليه السكان من الواد أو من بعض العيون.

يعمر القرية وكذلك الحوض ساكنة بربرية مصمودية متجانسة من صلب قبيلة غيغاية تتكلم لهجة "تاشليحت"، كما استوطن القرية منذ القديم بعض اليهود لما وجدوا بها من امكانيات تجارية مهمة. وقد وصل عددهم قبل هجرتهم الجماعية في بداية الخمسينات إلى 30 أسرة. ويجهل السكان المحليون دلالة التسمية، ويفسرها بعضهم بشمع النحل، كما يفسرها آخرون بالعقدة أو الرباط أو الركوب، باعتبار أنّ القرية مرحلة مهمة تلتقي فيها عدة طرق ومسالك. لقد أضفت وظيفة العبور ومناعة الموضع وسعة الحوض الزارعي أهمية اقتصادية، واجتماعية على قرية أسني منذ القديم.

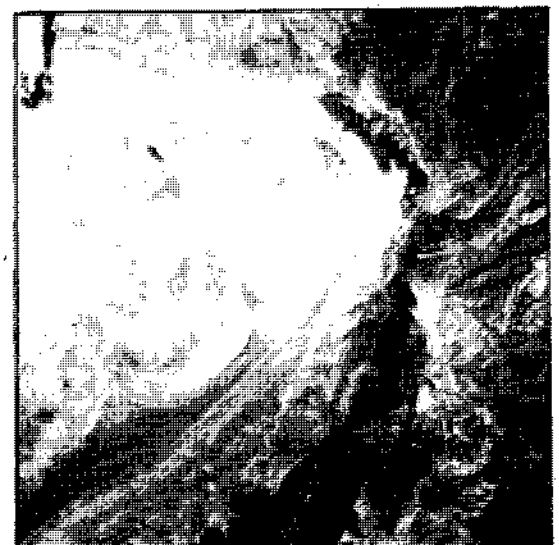

صورة جوية لوادي أسني

لقد كان للتحولات الاقتصادية الحديثة انعكاسات على قرية أسني، فعرفت توسعا عمرانيا لتزايد سكانها وظهور مداخيل وأنشطة حديثة، مما جعلها تحتفظ بدورها كقرية كبيرة، رغم أن تزايد سكانها كان متوسطا، خلال العقود الثلاثة الأخيرة، 795 ن سنة 1960 و910 ن سنة 1982. وجل

السكان من أسر الفلاحين الصغار الذين يمتلكون بقعا مجهرية تقل عن نصف هكتار بالمجال المسقي بالحوض، لكنها تتسع في المجال البوري بالتلال، وينمو مسلسل رسملة الإنتاج والعلاقات بتحول عدد متزايد من السكان إلى عمال زراعيين في البساتين العصرية كما يهاجرون إلى خارج المنطقة.

حوض أسني : هو بهرة تمتد على طول واد غيغاية لمسافة 6 كلم من الشمال نحو الجنوب، تتكون من صخور هشة : طين وطفل وحث برموترياسي، حفرها الواد مستغلا وجود فالق طولي، كون منطقة ضعف صخرية، يشرف عليه من الجهة الغربية على علو 300 م إفريز هضبة كيك الكلسي. ومن جهة الشرق حافة هضبة إفغان، ويتميز الحوض بتربة سمراء غنية. تقدر مساحة الحوض بحوالي 1300 هـ، يتراوح ارتفاعه بين 1200 م بالعالية و1100 م بالسافلة يتميز باعتدال أمطاره : 486 ملم/ سنة ورطوبته النسبية وجودة مناخه، وقد فقد غطاءه الغابوي بسبب قدم الاستغلال البشري، وكان يستغل سابقا في إطار زراعة تقليدية واسعة للحبوب مع العناية بأشجار قليلة للزيتون وتربية المواشي، لكن جودة مناخه ووفرة مياهه وقربه من مراكش جعله أول هدف للاستغلال الفلاحي الاستعماري بالمجال الجبلي للأطلس الكبير، إذ حصل عدد من المعمرين على أجود الأراضي وأوسعها بضفاف الواد، وأقاموا مزارع عصرية شجرية ثمينة، أهمها التفاح الذي انتشر من هنا إلى باقي الأدوية والأحواض الجبلية بالأطلس الكبير الغربي.

وبعد الاستقلال عرف مسلسل التحولات الاقتصادية الرأسمالية دفعة قوية، فتحولت أكبر ضيعتين استعماريتين إلى مزرعتين نموذجيتين تحت إشراف شركة التنمية الفلاحية (صودية) وشركة إدارة الأراضي الفلاحية (صوجيتا) وامتلك عدد من الملاكين الحضريين وأعيان المنطقة مزارع عصرية للفواكه. كما تحول الكثير من الملكيات الصغيرة التقليدية إلى زراعة الفواكه خاصة التفاح، الذي أحدث بوادر "ثورة خضراء" بالمنطقة. ويعتبر هذا من خصوصيات حوض أسني.

ونظرا لارتفاع أثمنة الأرض الزراعية، إذ تكاد تعادل أثمنة البقع المخصصة للبناء، لأن مدخولها من التفاح يعادل مدخولها من كراء السكن لو بنيت، فإن حركة دمج الأراضي تسير ببطء كبير، ولازالت البساتين الصغيرة والمجهرية منتشرة بأطراف الحوض.

المركز الإداري والتجاري الحديث لإسني : لقد عملت السلطات الإستعمارية على تحويل مركز النّقل الاقتصادي والاجتماعي من قرية مولاي إبراهيم القريبة (5 كلم) بهضبة كيك، إلى حوض أسني خاصة بعد بناء وترصيف الطريق الثانوي 501، فأقامت عددا من المنشآت الإدارية والإقتصادية منها مركز الدرك ومستوصف ومأوى الشباب وفندق ومتاجر، كما نقلت إليه السوق الأسبوعي الذي كان يعقد سابقا بمولاي إبراهيم، وبذلك ظهر مركز أسني الحديث المرتبط بالطريق في مكان يتوسط الحوض بعيدا عن القرى القديمة التي تنتشر بهوامش الحوض. وقد تدعم هذا المركز بعد الإستقلال ببناء عدد من الإدارات والمصالح التقنية وتجديد منشآت السوق الأسبوعي الذي صار يعتبر من أنشطة الأسواق بالمنطقة، مصنف بالدرجة الثانية. كما ظهر ببابه سويقة دائمة النشاط، تتكون من 8 مقاهي شعبية وعصرية و56 دكانا، كلها مبنية بالإسمنت بطريقة عصرية ومجهزة بالكهرباء والماء الشروب.

وبدأ ينتشر حول هذا المركز سكن متفرق، إما للملاكين الحضريين أو أرباب المهن غير الفلاحية كالإداريين والفنيين أو بعض الملاكين المحليين والعمال الزراعيين.

بحوث ميدانية.

أحمد هوزالي

أسُولْ، قصر من قصور قبيلة أيت مرغاد في السفح الجنوبي للأطلس الكبير الشرقي بحوض وادي غريس، والكلمة واردة في أسماء الأماكن في صيغة الجمع إيسْوَالْ ولكن الصيغتين غير مستعملتين الآن في التداول اليومي في اللغة الأمازيغية. ويعتقد إيميل لاووست (E. Laoust و *Contribution*,16) أن الكلمة صيغة أخرى لإسلي الذي يعني الصخر. وينطبق هذا التفسير بشكل كبير على موقع قصر أسُولْ الصخري وكذلك على موضع آخر يحمل اسم إيسوال صيغة الجمع لأسول والذي يوجد بالسفح الشمالي للأطلس المتوسط شمال غربي قرية عين اللوح.

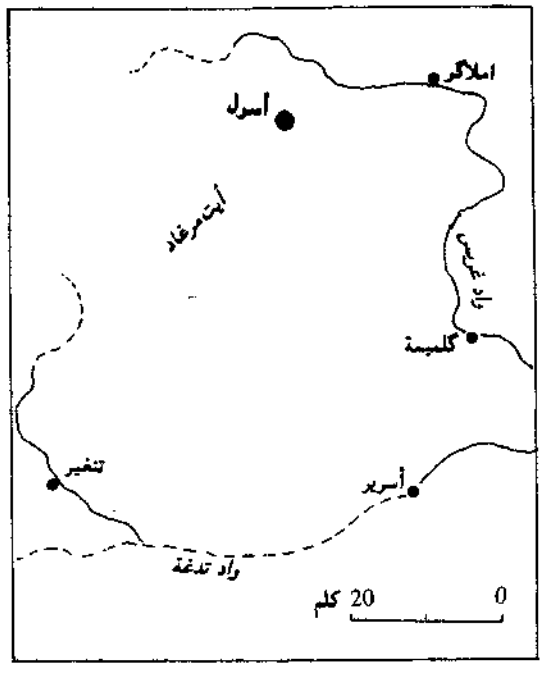

أسول

وقد اشتهر قصر أسول بكونه مقر ضريح الشيخ سيدي أبي يعقوب وزاويته، وهو أحد أبناء مولاي عبد الله أمغار

الصغير الذي هو بدوره أحد حفدة مولاي عبد الله أمغار الشريف الإدريسي الذي أسس رباط تيط بمنطقة دكالة في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي. وقد بلغ تأثير هذا الشيخ في المنطقة إلى حد ظهور فخذة تحمل اسمه بالمنطقة وتشتهر بقداستها في حوض غريس كله. ومولاي عبد الله أمغار الصغير والد أبي يعقوب هو شيخ سيدي مَحمد بن سليمان الجزولي مؤسس الطريقة الجزولية في المغرب في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، وهذا ما يجعلنا نحدد تاريخ تأسيس زاوية سيدي بويعقوب التي اشتهر بها قصر أسول في نهاية القرن 15 أو بداية القرن 16 الميلاديين وبهذا تكون الزاوية قد أسست في فترة اتسمت بانتشار الحركة الصوفية بالمغرب. ولكن الشهرة التي اكتسبها أبناء الشيخ سيدي أبي يعقوب في المنطقة لا تفهم إذا لم نأخذ بعين الاعتبار الوضعية التي يقوم بها الشيخ الصوفي والسلالة المقدسة المنحدرة عنه في تنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية للسكان. وقد عظم نفوذ سلالة شيخ أسول في هذا المجتمع حتى إن كل القوات السياسية المغربية في القرون 17 و18 و 19 م تعتمده في سياستها التهدئية لدى قبائل هذه المناطق. وقد ظهر هذا الأمر بصفة جلية لما بسط أهل الدلاء نفوذهم في منطقة غريس في القرن 17 م وفي سياسة المولى إسماعيل تجاه كتلة أيت أومالو في نهاية القرن 17 وبداية القرن 18 الميلاديين.

De la Chappelle, *Moulay Ismail et les Sanhaja du Moyen Atlas* ; L. Reynier, *Le Document de Sidi Brahim* ; C. Henry, *Les Ait Sidi Bouyagoub*, C. H. E. A. M. ; *Les Ait Morghad* ; E. Laoust, *Contribution* ; L. Mezzine, *Le Tafilalet*.

العربي مزين

أسُول، مُعتقل من المعتقلات الصحراوية التي حشر فيها الفرنسيون الوطنيين المغاربة إبان الأزمة السياسية لسنة 1953. يَقع شمال أغْبَالُو نْكردوس ويَبعد عن أمَلاگو بنحو ثلاثين كيلوميترا. يسقط فيه الثلج بغزارة أيام الشتاء. وقد نُفي إليه محمد الرشيد ملين رئيس حزب الأحرار في أوائل سنة 1953، حيث حُبس في بيت ضيق لا هواء فيه ولا نور، ولم يكن قد استعدّ لمثل لذلك الطقس البارد، على ضعف بنيته واختلال صحته فقاسى من أهوال البرد والجوع وسوء المعاملة ما سجله في كتاب *فصل الشتاء في أسول* أو الكفاح السياسي لحزب الأحرار.

كانت أسول ـ حسب مشاهدة المؤلف ملين ـ تحتوي على سوق تحيط به دكاكين وقليل من المنازل، ومدرسة صغيرة يقصدها بعض الأطفال ومستوصف لم يره المؤلف يوماً مفتوحا، ومحكمة بربرية يأتي إليها أعضاء الجماعة يوم الجلسة في ثياب فضفاضة بهيجة. إضافة إلى دار الحاكم العسكري الفرنسي ومكتبه وإصطبله، ومعسكر وكنيسة وسجن. وكان من الوطنيين المنفيين بأسول آنذاك أيضا مصطفى نحوسة الخنيفري من عائلة موحا وحمو الزياني.

م. الرشيد ملين، *فصل الشتاء في أسول* أو الكفاح السياسي لحزب الأحرار، (القسم الأول) الرباط (د.ت) ؛ م. المختار السوسي، *معتقل الصحراء*، 25.

محمد حجي

أسولين أبراهام، كبير أحبار مراكش (القرن 18 ـ 19).

أسولين ليڤي، حبر بسلا، ثم بالقسطنطينة، مؤلف *سفر ريحي إلهيم*، حول قواعد الاضحيات (طبع بتونس) ومواعظ (يـ . بنايم، مالخي ربانان) توفي عام 1903.

أسولين، موشي، حبر عاش بفاس وتارودانت في القرن السادس عشر. مؤلف *سيفير ديراشوط*، وهو مجموعة مواعظ (انظر يـ . مالخي ربانان)

أسولين، موشي، متصرف جمارك طنجة، في عهد مولاي سليمان.

أسُولين ميمون، حبر بمراكش (القرن 18 و 19).

شمعون ليڤي

أسيغاغ ← **سمك**

أسيف أدودو واد ينبع من جهة الأخصاص جنوبا ويمر جنوب غربي تزنيت ثم يمر بعد ذلك بأگلو حيث يصب في المحيط عند ضريح سيدي موسى. وصل إلى جهاته وجهات واد والغاس كل من السلطان مولاي إسماعيل، ومولاي الحسن، ومولاي يوسف (نونبر 1926)

أحمد التوفيق

أسيف المال، أحدُ أودية السفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي في الحوض الهيدروغرافي لواد تانسيفت، وتعرف باسمه فرقة من قبيلة گدميوة ودوار منها وجماعة قروية. ومجال هذا الوادي مجاور لمجال سكساوة ولكنه تابع إدارياً لدائرة أخرى هي أمزميز. ويمتد أسيف المال على حوالي أربعين كلمتراً في مناطق جبلية متباينة المعطيات. وينبني اقتصاد السكان فيه على الزراعة وتربية الماشية كما هو الشأن بالنسبة لجميع أودية جبل درن.

وفي هذه المنطقة توجد إين ماغوس التي ذكرها البكري أو بلاد ماغوس كما عند البيذق. وفيه أيضا أماكن ذكرت في تواريخ الموحدين مثل أيت عثمان وأيت تبكاوْ، وذكر الوزان ومارمول أسيف المال وذكرا معاً أنه أسيف نوال أي واد الضوضاء، وهذا التأويل المبني على وضع النون مكان الميم غير مؤكد. والأكيد أن بهذا المجال آثاراً لرؤسائه الهنتاتيين مثل الجمعة الجديدة التي بناها إدريس الهنتاتي وبه أيضا مدينة تينزا وهي قديمة، وأسيف نوال عند ليون الإفريقي هو نفس أسيف المال وليس واد إمينْتانوت. والأصل في اسمه كما عند الزرهوني في *رحلة الوافد* هو أسيف مال على نحو أزْرومال أحد دواوير فخذة أيت گاير بعالية هذا الوادي نفسه. وفي هذا المعنى قد يكون ألْ أو ألاً هو العمق بمعنى واد الأعماق الداخل في الجبل. وقد

يكون "أسيف المال" أي وادي المال إذا كانت تستخرج منه فيما مضى معادن تصلح لسك النقود.

وبالمقارنة بين تعداد 1936 واحصاء 1971 نجد أن عدداً من دواوير أسيف المال أصبحت تابعة إدارياً لفخذة سيدي بوعثمان. ومركزها زاوية ذات إشعاع علمي وديني، زاد من أهميتها اكتشاف معدن الزنك والرصاص واستغلاله في هذه المنطقة.

أ. البكري، *المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب* ؛ أ.البيذق، *المقتبس من كتاب الأنساب* ؛ ي. التادلي، *التشوف* ؛ ح. *الوزان*، *وصف إفريقيا* ؛ مارمول، *إفرقيا* ؛ ع. الزرهوني، *رحلة الوافد* ؛ أ. بلاوي، *بلدان أدرارن درن، دراسة جغرافية للأطلس الكبير جنوبي مراكش*، دكتوراه الدولة، جامعة تور، فرنسا.

M. Quedenfeldt, *Division et répartition de la population berbère au Maroc*. S. A. R. *Tensift*, MHAT -DAT-DEE, Rabat, 1981.

أحمد بلاوي

الإسيكي، على بن أحمد. ولد عام 1288 / 1871 بقرية تاگضيشت من إساگن بكاف معقودة، من قبيلة أيت صواب، أخذ القرآن عن والده المعدود من القراء المعلمين في المساجد، وعن أستاذ مقرىء بهوارة. وحين أتم مراده من ذلك توجه لأخذ العلم عن أساتذة عصره، فافتتح عند العالم الشهير بالحاج عابد (عبد الرحمان) التيفراسني البوشواري (ت. 1350 / 1932) المبادئ الضرورية لكل مبتدئ، ثم أستكمل مرغوبه عن الفقيه الحسين الأسغركيسي، والعلامة الحاج علي التوفلعزتي والشيخ المنقطع النظير الحاج احمد بن عبد الرحمان الجشتيمي والعلامة الكريم الرباني الحاج الحسين الإفراني. وكل واحد من هؤلاء الأعلام كان في مدرسة خاصة تحيط به فيها ثلة من الطلبة العطاش للارتواء من حياض علومه وزبدة فهومه. ولما طفح للمترجم وعاؤه وامتلأ له إناؤه تصدر لنشر العلم وبذله لطالبيه في مدارس متفرقة : سيدي بومزگيدا وتوعلات وسيدي مسعود أفلوس وسيدي ابن هارون وسيدي مزال البودرقي وإساگن.

وهذه المدارس العتيقة كان أساتذتها يجمعون بين علوم الشريعة والحقيقة في الغالب إن كان بينهما فرق.

أخذ عن المترجم عدة مستفيدين صار لهم من بعد شأن كبير، منهم الأديب الكبير داوود التغاتيني الرسموكي، وللمترجم *مؤلف* حول زكاة ما هو للأحباس، ضمنه سبع ملاحظات وثلاثة مباحث، راجع فيه معاصره سيدي محمد ابن أحمد البزياوي الهشتوكي المشهور بتيفغرار. *وحاشية* على شرح السيوطي لألفية ابن مالك، *وطُرَرٌ* على مختصر السعد *وكتاب صغير* في ترجمة شيخه الإفراني الذي أذن له في التقديم لتلقين أوراد الطريقة التجانية لمريديها، كما أجازه بذلك الحاج الأحْسْن البعقيلي، وله *رحلة إلى الحج* في 4 قعدة عام 1351 رجع منها في 20 محرم فاتح 1352 محررة بخطه لم يزد فيها على ذكر ماقام به من أعمال الحج والزيارة. وحين رجع من هذه الرحلة هنأه تلميذه داوود بن عبد المنعم الرسموكي المذكور آنفا بقصيدة دالية في 31 بيتا من بحر الطويل مطلعها :

بقدمك الميمون ياقمر السعـــد تعطرت الارجا من الغور والنجـد
وعم الهنا والسعد واليمن هـــذه البقاع بمسراك المتاح على القصـد

ولم يزل المترجم مقبلا على مايعنيه صارفا أوقاته في الأذكار وأنواع الطاعات إلى أن أجاب داعي ربه في الساعة 9 من نهار يوم السبت 22 شوال 1364 / 2 اكتوبر 1945 بداره إساگن رحمه الله. ورثاه تليمذه المذكور بقصيدة ميمية في 51 بيتا بنفس البحر مطلعها :

أسَالَ الأسى من شان عينيَّ عندما وأودع أحْشائي لهيبـاً تضَرَّمـا
وأظلمـت الآفاق واغبـر لونُـها وعبَّسَ وَجْهُ الكونْ أدكَن أفحمـا
وغابت بُدُور المجد واحلو لك الهَوَا وأوحش ربْعُ الفَضْل والدِّين مُظلما
غداة قضى الشيخ الأسيكي نحبَّهُ وأقفر منْ رَسْم الهُدى ذلك الحمـا
إبو الحسنِ الزاكي عليُّ بن أحمـدٍ إمامٌ جليل فضلُه الكونْ أفعمـا

مقيدات سوسية خاصة.

رشيد المصلوت

إسِينْ (معدن ــ) منجم قديم كان يستخرج منه النحاس، موقعه بجهة إفران الأطلس الصغير عند قدم السفح الجنوبي لهذا الجبل. كان أهل إفران يستعملونه في بداية القرن السادس عشر لصنع أواني نحاس مطلوبة في أسواق السودان. وقد أكد مارمول بعد الوزان أن معدن النحاس المعروف عند السعديين بالصيني لجودته وصفائه كان يستخرج من هذا المكمن. وبموقعه كان للشريف السعدي محمد الشيخ حصن يسمى أفنسو (الحجر) وفيه يحصي المخزن السعدي المعدن المستخرج ويوزعه بمقادير معينة. وهذا ما يؤكد مراقبة السعديين لهذا المعدن.

ولربما كانت آثار هذا المكمن المعدني بادية اليوم في آثار بأكَجْكَال (إسَّانْ) عند أيت تكني، وتقع هذه القرية شمال غربي فم الحصن على بعد 25 كلم شرق جنوب شرق إفران، إذ توجد بقايا معدنية للأورانيوم والنحاس وكذا آثارأشغال معدنية قديمة.

ح.الوزان، *وصف افريقيا* ؛ مارمول، *أفريقيا*.

B. Rosenberger, *Les Anciennes exploitations minières* ; D. J - Meunié, *le Maroc Saharien*, 2 : 742.

أحمد التوفيق

إشْ، كلمة أمازيغية معناها "قرن" جمعها "أشَّاوَنْ"، وتطلق عادة على قمة جبل حادة، وتكتب أيضا "إيش" وتنطق محليا "يش"، وهي واحة صغيرة في أقصى شرق المغرب على مسافة حوالي 100 كلم شرق بوعرفة عبر طريق معبدة وعلى مسافة حوالي 70 كلم شمال فگيگ عبر مسالك وعرة.

وتحتل هذه الواحة موضعا على ارتفاع 1175 مترا في وادي إش وهو أحد روافد وادي الرمال الذي يمر قرب فگيگ في اتجاه رمال العرق الغربي شرق وادي زوز فانة. ويشرف على هذه الواحة عدد من التلال والجبال ذات القمم الحادة التي قد تكون مصدر تسميتها "إش"، وهي جبال كلسية وحثية توجد في قلب المنعطف الذي يصل بين

الأطلس الكبير الشرقي والأطلس الصحراوي. ويتميز هذا الوسط بمناخ قاحل ينعكس على غطاء نباتي هزيل لايحمي التربة من التذرية الريحية التي تحولها إلى كثبان رملية منتشرة حول الواحة.

تتكون الواحة من بساتين أقيمت على مدرجات في شكل شريطين على ضفتي الوادي، وقصر بني فوق مصطبة مشرفة على هامش الضفة اليسرى خارج المجال الزراعي. وتتميز واحة إش بوفرة المياه في شكل عيون يصرفها الواد على الدوام وبضيق المساحات المزروعة والمغروسة، ويعتمد في هذه الفلاحة على الري التقليدي بواسطة سواق تنطلق عبر البساتين من سدين تقليديين صغيرين يحجزان مياه الوادي. وقد اشتهرت هذه البساتين بجمالها وغناها، وخاصة بالأشجار المثمرة مثل التفاح والرمان والخوخ والتين والمشمش واللوز والجوز، إضافة إلى النخيل الذي تعتبر ثماره أقل جودة بحكم موقع الواحة في الحد الشمالي لنطاق التمر.

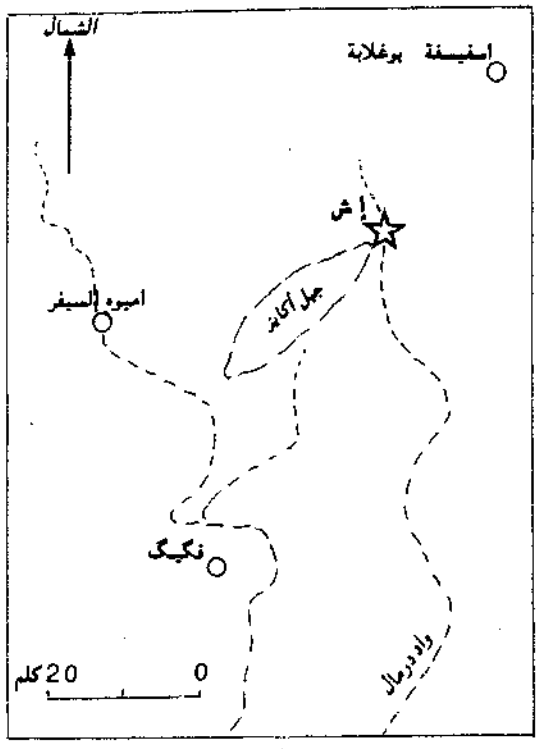

إش

أما سكان إش فيشكلون "جزيرة" من المستقرين، وسط بدو رحل من قبائل العمور، ويتكلمون الأمازيغية بلهجة فيگيگية، وهذا ماقد يرجع انتسابهم لبعض قصور فگيگ كما هو شائع في كثير من الروايات، وكما يتجلى ذلك أيضا في ارتباطاتهم التاريخية بأهل فگيگ.

عرف هؤلاء السكان الهجرة نحو البلاد المجاورة والبعيدة منذ القديم، وقد احتدت في العقود الأخيرة بشكل لافت للانتباه يؤكده تناقض عددهم بين الإحصاءات الرسمية : 476 ن سنة 1960 و445 ن سنة 1975 و 278 ن سنة 1982.

وقد ارتبطت هذه الهجرة أول الأمر بعلاقات اقتصادية كانت سائدة وخاصة مع فگيگ وعين الصفراء، ثم تطورت بعد ذلك في اتجاه بوعرفة ـ التي عرفت نموا كبيرا ـ ووجدة ومكناس والدار البيضاء، بل وحتى باريس. وتتمثل هذه العلاقات الاقتصادية في التبادل التجاري الذي كان مرتكزا على تصدير البقول والفواكه والماشية والمنتجات الصوفية، إلى جانب الاشتغال في عدد من الأوراش.

وقد عرفت اقتصاديات إش تدهورا محسوسا، نتيجة لحركة الهجرة وتقلص المنافذ والمجال مع تطورات الأحداث التي رافقت وأعقبت استقلال الجزائر.

يتميز الوسط الاجتماعي في إش بمتانة الروابط العائلية في إطار وحدة متماسكة تتجسد في قصر وحيد يتسم بالتجانس على كثير من المستويات. ويأوي هذا القصر أضرحة عدد من الأولياء : سيدي عبد القادر محمد وسيدي الشيخ وسيدي إبراهيم وسيدي بوعزة وسيدي عبد الله، كما أنه لم يخل من تأثير بعض الزوايا ولاسيما الكرزازية والقادرية.

جانب من قرية إش

يتكون قصر إش من بضع عشرات من المساكن التقليدية المتراصة، تفصل بينها أزقة ضيقة ومغطاة في أغلب الحالات بسقف يقي من الحر صيفا ومن القر شتاء. وتستعمل في البناء مواد محلية تشمل الطين والجير والطوب والحجارة وأعمدة وألواحاً من خشب الأشجار والنخيل والدفلى والقصب، وقد انضم إليها الإسمنت في الآونة الأخيرة، وتحتوي هذه المساكن عادة على فناء وعدة غرف ومرافق يخصص بعضها للدواب والماشية.

وتقتصر المنشآت والتجهيزات الجماعية في هذه الواحة على مسجد عتيق وآخر حديث في طور البناء وقسم مدرسي وحيد ومستوصف صغير ومولد كهربائي وشبكة وأنابيب الماء ومقر لخليفة القائد.

استطلاعات ميدانية. روايات شفوية.

عبد الرحمان الحراجي

أشْبَارْ، ويرد أحيانا بصيغة أشْبارُو، وهو اسم لعدة قرى ومعناه : حصن المراقبة أو برج الرماية أو المكان الطبيعي المشرف الصالح للمراقبة أو الرماية. وأشبار الذي

نزل به عبد المومن بن علي الموحدي وهو يتعقب تاشفين بن علي (*البيذق*، 89) كان يقع بدون شك في دير الجبل بجهات دمنات بين وادي تاساوت والوادي المعروف اليوم بالأخضر.

البيذق، *أخبار المهدي*.

أحمد التوفيق

ابن **الإشبيلي**، علي بن محمد بن خليل اللخمي المراكشي، ويكتب في بعض المصادر "خليد" بالدال ولعله تصحيف. وأصله من الأندلس وبها درس وتخرج عالما كبيرا "وكان حافظا للفقه نافذاً في أصوله متحققا بعلم الكلام خطيباً بليغاً" (*الذيل والتكملة*) ألف كتاب *المعراج* وقدم به على عبد المومن بن علي وهو يحاصر أغمات أريكة سنة 541 / 46 ـ 1147 فأكرم وفادته وحظي عنده حظوة رفيعة إذ كان داعية للموحدين متحمسا لتعاليم المهدي ابن تومرت، يدرس *كتبه المرشدة*، *وأعز ما يطلب*، وغيرهما في مساجد مراكش إلى جانب مؤلفات المتكلمين والأصوليين المشارقة ككتاب *الإرشاد* في الكلام لإمام الحرمين، وأخذ عنه هذه العلوم عدد غير قليل من طلبة مراكش وفاس، وفي مقدمتهم عثمان السلاجي.

اتخذه عبد المومن الناطق باسمه والخطيب بين يديه عند حضور الوفود، فنالت عليه الدنيا وملك ثروة عظيمة وجاها رفيعاً. ونال نفس الحظوة عند الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن إلى أن ادركته الوفاة بمراكش سنة 567 / 71 ـ 1172.

ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، طبعة الرباط. 19، 228 ـ 231 ؛ الزبير، *صلة الصلة*، 101 ؛ م. ابن الابار، *تكملة الصلة*، 2 : 668 ؛ م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، 5 : 304 ؛ ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، 200 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 479 ـ 480 ؛ ع.ابن ابراهيم ، *الإعلام*، 9 : 59.

محمد حجي

أشتوكن ← **هشتوكة**

أشْجَعْ، إحدى قبائل غطفان العدنانية. وهي المقصودة هنا، إذ توجد قبيلة أخرى باسم أشجع بن عزوز بن عمرو، وهي قحطانية، كما توجد قبيلة شجع من بني عذرة.

كانت أشجع تقيم بضواحي المدينة وتبدو ضمن المجموعة الغطفانية في حركات تمرد، فانساقت مع حركة الردة ونسبت إلى الشغب في بعض الفترات اللاحقة إلى أن رافقت جموع منها عرب بني هلال ومعقل إلى مصر ثم إلى بلاد المغرب. وسهرت الدولة الموحدية منذ أوائل النصف الثاني من القرن السادس الهجري / 12 م على ترحيل أعداد كبيرة من قبائل العرب انطلاقا من أفريقية إلى المغربين الأوسط والأقصى. وأثناء الرحلة الطويلة لهذه القبائل، اختلطت أشجع الداخلة إلى المغرب مع بني معقل الذين يرجع ابن خلدون نسبهم إلى الكتلة القحطانية (اليمنية). وكانت معقل بالنظر لقلة أعدادها تعتز بهذا التحالف مع أشجع وغيرها من المجموعات العربية التي انضمت إليها. بالرغم من كثرة أعداد أشجع نسبيا، فيظهر أنها حافظت على حلفها مع معقل لفترة طويلة وأنها اختارت في غالبيتها مساكنة فرع ذوي منصور المعقلي الذي انتشرت أعقابه على مساحات شاسعة تمتد من ملوية إلى درعة. وكان منهم قسم كبير حول سجلماسة. وهكذا اختاروا نمط الحياة الواحية شأن أسلافهم حول المدينة. وبعد قرنين من قدوم أشجع ومن كان معهم من معقل، إلى أطراف الصحراء الجنوبية، ينوه ابن خلدون بكونهم كانوا لا يعرضون لقوافل سجلماسة والسودان بأذى ويذكر أنهم كانوا يحظون بإقطاعات من الموحدين ثم الزناتيين. ومن الواضح أن أشجع، شأن المجموعة المعقلية الموسعة كلها تقريبا، بالجنوب قامت بدور الوساطة التجارية بين المغرب وأقطار إفريقيا الغربية، وكانت مسوفة تقوم بنفس الدور، لا سيما منذ الحكم المريني.

كان في أشجع فريق يظعن فيما بين أنكاد وضواحي تلسمان مع جماعات عربية أخرى. فلما تولى مولاي رشيد العلوي، انضم إليه هؤلاء العرب مع قبائل من البربر، وكلهم كانوا يعرفون بشراقة (أي قبائل المغرب الشرقي والمجاورة له شرقا)، فأنزلهم بأحواز فاس، فتضرر منهم سكانها كما يذكر الناصري في *الاستقصا*، ونقلهم بعد ذلك إلى منطقة تجاور صدينة وفشتالة بين سبو وورغة. وأمدهم بالمال لبناء قصبة عرفت بقصبة الخميس وجعل منهم قبيلة واحدة فانصهر بعضها في بعض، ومن تم ذابت المجموعة الأشجعية داخل هذه البوتقة التي مقرها الحالي قرية بُامحمد. لكن توجد بضواحي فاس حتى الآن قبيلة باسم "الشجع" وأخرى بنفس الاسم بـ "العيون" من المغرب الشرقي. وهذه بالأخص لا يشك في انتمائها إلى "أشجع".

الجوهري، *الصحاح* مادة (شجع) ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* 76، 3 ؛ ج. القلقشندي، *صبح الأعشى* 1 : 344 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 ؛ ع، كحالة، *معجم قبائل العرب*، المادتان : أشجع وشجع ؛ الصديق ابن العربي، *المغرب*، 142 ـ 143.

إبراهيم حركات

أشْجع، اسم يطلق اليوم على ثلاث مجموعات قبلية مغربية، متباعدة الاستقرار فيما بينها بالرغم من كونها ترجع في الأصل إلى مجموعة واحدة، لأن الحركة التاريخة قسمتها إلى ثلاث مجموعات، وفرقت بينها في الاستقرار بمسافات تبلغ مئات الكيلومترات.

المجموعة الأولى هي أشجع (الأصل)، وتستقر بالمغرب الشرقي، حول عيون سيدي ملوك، على الضفة الشرقية والغربية لوادي ملوية، عند نهاية سهول أنكاد، باعتبار أشجع أصبحت، بعد الاستقرار النهائي، تمثل في الأصل قسما واحداً من التقسيمات البشرية لسهل انكاد.

المجموعة الثانية، وهي فرع من الأولى، انفصلت عنها، واندرجت ضمن قبائل اشراگة التي تستقر اليوم حول القرية

(قرية ابا محمد)، على بعد حوالي ستين كيلومتراً شمال مدينة فاس. وكان السلطان المولى الرشيد العلوي (ت : 1082 هـ/ 1672 م) قد اتخذ من قبائل اشرا گة هذه، جيشا نظاميا، لما استقدمها معه من نواحي تلمسان، وكانت آذاك من أشجع وبني عامر ومديونة وهوارة وبني سنوس، فأشجع الشرگية اليوم، شمال مدينة فاس، هي فرع من أشجع الأصل، لأسباب عسكرية واستراتيجية تم استقرارها في مكانها الحالي شمالي فاس، منذ منتصف القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي، كما تقدم.

إلى فرع أشجع شراگة هذا، ينتسب حميدة الشجعي، الذي كان رئيساً للوفد المغربي في مفاوضات مغنية للحدود، سنة 1261 هـ / 1845، ولذلك كانت الرسائل الملكية تسميه تارة حميدة الشجعي، وتارة حميدة الشرگي، نسبة إلى أشجع الشرگية.

المجموعة الثالثة، وهي فرع من الأولى أيضا، وقد انفصلت عن الفرع الثاني، واستقرت اليوم بسهل سايس، على الطريق الرابط بين فاس ومكناس. وهي عبارة عن فرع صغير جداً كان يندرج ضمن مجموعات متنوعة من قبائل الجيش.

وهكذا يتبين أن مجموعات أشجع الثلاث كانت في الأصل مجموعة واحدة، ثم انفصلت وتباعدت فيما بينها لأسباب تاريخية بالأساس. ولكن ما هو أصل مجموعة أشجع الأولى.

هي عبارة عن مجموعة قبلية عربية الأصل، ظهر اسمها في التاريخ لأول مرة خلال الفتح الإسلامي الأول : فقد كانت أشجع، تمثل مع غطفان، وفزارة، حوالي سبعمائة مجاهد، ضمن الجيش الذي قاده عبد الله بن سعد لفتح افريقية سنة 270 هـ / 649 م (*قبائل المغرب*،351)، ثم رجع هذا الجيش إثر ذلك. ثم دخل أشجع مع بني هلال إلى المغرب، لما عبروا النيل بايعاز من الوزير الفاطمي الحسين اليازوري الذي فكر في إجازة العرب إلى المغرب، لينتقم من المعز بن باديس، فكانت بطون بني هلال، أول من عبر النيل وسار اليه، وكان فيهم مع غيرهم : أشجع وفزارة، وجشم وسلول ومعقل وعمرة وبني ثور وعدوان وطرود، اندرجوا جميعا في الأثبج خاصة، وصاروا وإياهم شيئا واحداً.

ولما طلع الزناتيون من (بني مرين، وبني عبد الواد) إلى منطقة التل، وأسسوا مملكتهم بفاس وتلمسان.. تفرد عرب المعقل بالصحراء، وغوا فيها نمواً كبيراً بمن انضاف إليهم من القبائل من غير نسبهم. مثل : أشجع والعمور والشظة والمهايا والصباح وبني سليم، كونت هذه القبائل العربية بالصحراء منطقة نفوذ واسعة تمتد ما بين المحيط الأطلسي غربا وتيديكيلت شرق توات، شرقا (*قبائل المغرب*، 415). وفي إطار عملية التدافع بين مختلف المجموعات، أخذت تمتد هذه القبائل نحو الشمال، وساعدهم على الانجذاب نحو منطقتي وجدة وتلمسان، الملوك المرينيون، وملوك بني عبد الواد معا، حيث كانوا يخضعون تارة لفاس، وتارة لتلمسان، واستعان بهم هؤلاء الملوك على مراقبة غارات القبائل البربرية وحصرها في الجبال. ومع هذا التدافع، والتحالف، والتداخل الذي وقع بين مختلف المجموعات بمنطقتي وجدة وتلمسان، تكونت مجموعة قبلية جديدة، من عدة فصائل، استقرت بسهل أنگاد وأصبحت تضم : المهايا وأشجع والاحلاف وبني وكيل وهوارة .... وغيرها من البطون العربية والبربرية التي انضمت إليها واختلطت بها عبر التاريخ، وكونت مجموعات أنگاد الحالية ؛ لأن أنگاد في الأصل اسم مكان، فهو حسب ياقوت الحموي (معجم *البلدان*، 1 : 323) اسم لمدينة قرب تلمسان، كانت لعلي بن أحمد قديماً، ذات سور من تراب في غاية الارتفاع ووواديها يشقها نصفين، منها إلى تاهرت بالعرض مشرقا ثلاث مراحل.

يتضح من هذا أن أشجع قبيلة عربية دخلت المغرب رسميا مع بني هلال. كما يقال أيضا بأنها من عرب معقل، منهم من جعلها كبقية المعقليين، من ذرية جعفر بن أبي طالب (*العبر*، 6 / 36 وأماكن أخرى). وقد وصلت إلى المغرب الشرقي مع المجموعات التي صحبتها مابين القرنين: السادس والسابع الهجري / الثالث عشر والرابع عشر الميلادي. غير أن استقرار أشجع بعيون سيدي ملوك، على وادي ملوية، غرب سهل أنگاد، لايرجع إلى ما قبل نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، بل هناك من أرجع هذا الاستقرار إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر (A. Bernard : 17). وقد اندمج بهم في نهاية القرن (13 هـ / 19 م) فصيلة هامة من أولاد سيدي الشيخ، وبعض العناصر المختلفة التي جاءت مع الثائر بوعمامة.

ع . ابن خلدون ، *العبر*، الجزأن 7. 8 ؛ ع .بن منصور، *قبائل المغرب*، 1 : أ . العماري ، *مشكلة الحدود الشرقية*،1.

H. De la Martinière et N. Lacroix, *Document sur le nord-ouest Africain*, G/G de l'Algerie ; Service des Indigénes 1894 - 1897. (Vol. I) Ch. R. Leclerc, *Les Régions Nord et Sud de la frontière Algero - Marocaine*, Tanger, 1909 ; A Bernard, *Les Confins Algero - Marocains*. Paris 1911.

أحمد العماري

الأشراف ← **الشرفاء**

أشْرَقي، أسرة تطوانية لم نجد في الوثائق ما يدلنا على أصلها، ويقول عنها الفقيه الرهوني إنها انقرضت بتطوان سنة 1074 / 1762، وهذا لايتفق مع الواقع، لأننا نعلم أنه في سنة 1246 / 1830 كان يعمل كمقدم بحي البلد (حي جامع القصبة) المسمى أحمد أشرقي، وفي سنة 1289 / 1872 كان هناك شخص آخر اسمه عبد المجيد بن أحمد يتعاطى خطة العدالة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهـونـي، *عمدة الراوين*، 3 : 28 و 175 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ *تاريخ تطوان*، 3 : 286 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias Ilustres de Tetuan* 1921 (A) Isidro de las Cagigas, *familias Tetuanies de abolengo* 1929 (A) *vademecum de intervenciones* (año 1931) 1931 (CH). M. Ibn Azzuz Hakim, *apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

أشرْقي، محمد بن العربي التلمساني ثم الفاسي. عالم مشارك، أخذ عن شيوخ فاس في عصره، أمثال محمد بن رشيد العراقي، ومحمد القادري، وعبد السلام الهواري وأضرابهم. درس في القرويين قبل التنظيم، ثم كان من أول المنخرطين في التدريس النظامي بها. وكان حسن الطريقة التعليمية لاسيما مع المبتدئين حيث اشتهر بتلقين *الأجرومية* وتفهيمها في يسر.

توفي في الساعة الخامسة من عشية الاثنين رابع ذي الحجة متم عام 1363 / 20 نوفمبر 1944 ودفن بروضة أولاد ابن البشير قرب سيدي علي بوغالب وجامع الأندلس.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط ؛ *سل النصال*، مخطوط ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

محمد حجي

أشرُوطة، معركة جرت بالجماعة المعروفة بهذا الاسم من فرقة بني مهرون من قبيلة بني حسان الجبلية الواقعة بين تطوان وشفشاون. كان ذلك يوم 19 نوفمبر 1924 على النحو التالي :

على إثر الانقلاب العسكري الذي جرى بإسبانيا في شهر سبتمبر من سنة 1923 حيث تقلد الحكم بها الجنرال بريمو ذي ريفيرا "Primo de Rivera" قررت القيادة العسكرية انسحاب الجيش الإسباني من بعض المراكز الأمامية المحتلة بالناحية الغربية من شمال المغرب.

وبدأت عملية الانسحاب في شهر سبتمبر من سنة 1924 م بالجلاء عن المراكز الشاطئية بناحية غمارة، ثم توبعت العلمية في عدد كبير من المراكز الأخرى بناحية جبالة والهبط.

كان أهم وأخطر هذه العمليات الجلاء عن مدينة شفشاون الذي جرى يوم 17 نوفمبر من نفس السنة قام بالعملية الجنرالان كاسطرو خيرونا Castro Girona وسيرانو أوريبي Serrano uribe.

لم يكن من السهل على القوات الإسبانية مغادرة المدينة المذكورة التي كان قد احتلها الجيش الغازي يوم 14 أكتوبر 1920، وهذا ما يفسر ما قاله الكولونيل فرانكو الذي أصبح فيما بعد رئيسا للدولة الإسبانية في مذكراته أنه غادر شفشاون على رأس فرقة اللفيف الأجنبي في الصباح الباكر من اليوم المذكور في هدوء وصمت تامين حتى لا يشعر المغاربة بخروجهم، وأن جنوده صنعوا مئات من الدُّمى على شكل رجال ووضعوها فوق أسوار الثكنات العسكرية .

لم يتعرض المغاربة لمسيرة الجيش الإسباني طيلة يومي 17 و18 حيث كانوا ينتظرون وصوله إلى جماعة اشروطة، ولكنه عندما بدأ الجيش يغادر الجماعة المذكورة في الصباح الباكر من يوم 19 وجد نفسه محاصراً من طرف المجاهدين، وعندئذ حاول فك الحصار فجرت المعركة التي كانت في مستوى معركة أغريبن المعروفة بمعركة أنوال حيث قتل فيها الجنرال سيرانو وستة من الكولونيلات، وثمانية من الكومندرات، ومائة وخمسة وسبعون ضابطا وسبعة عشر ألفاً من الجنود، واثنان وعشرون من المدنيين الإسبان، كما جرح فيها نحو ستمائة من الجنود والضباط. هذا ما تعترف به الوثائق الإسبانية السرية. وأما الخسائر المعلن عنها رسميا والمنشورة بالصحف آنذاك فقد جعلت القتلى سبعة آلاف جندي فقط. وتُعرف هذه المعركة عند الإسبان بمعركة (خندق الموت)

م .ابن عزوز حكيم ، *معارك الثورة الريفية* ، الرباط 1983 ؛ *معركة تازروت*.

T. Garcia Figueras, *Marruecos*, Madrid, 1944 Goded (General) *Marruecos : las etapas de la pacificacion*, Madrid, 1932.

محمد ابن عزوز حكيم

أشْطُو، عبد الله. أحد قواد قبيلة هنتيفة (إنتيفت) من العهد الحسني إلى أن فرضت الحماية. وأشطو يعني ابن امرأة اسْمها شطو، ودار أيت أشطو بقرية تنانت الواقعة على حدود هنتيفة مع أيت مجاطن غير بعيد عن قنطرة طريق أزيلال على وادي الأخضر. وقد تمكن رؤساء هذه الدار من اجتياز أزمات الانتفاضات القبلية 1894 و 1908.

تحريات ميدانية.

أحمد التوفيق

أشعاش، أسرة تطوانية غنية نبيهة تقلدت مناصب مخزنية في القرن التاسع عشر مثل الولاية والأمانة والسفارة. وكان منها :

أشعاش، عبد الخالق (الحاج) كان سنة 1830 عاملا على الصويرة. وكان قبل ذلك أمينا ببعض المراسي مثل طنجة.

م.الصديقي، *إيقاظ السريرة*، ص 64 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 42 ؛ م.بوشعراء، *الاسيتطان والحماية*، 3 : 1059.

مصطفى بوشعراء

أشْعَاش، عبد الرحمان بن عبد القادر حكم تطوان ثلاث مرات ـ حسب مصادر تاريخية مغربية كتاريخ الضعيف ـ كانت أولاها على يد مولاي اليزيد عام 1204 / 1789، ثم ولي عليها قائدا حوالي عام 1210 هـ، دامت ولايته الثانية اثني عشر عاما. وفي هذا الإطار، ذكر الفقيه أحمد الرهوني أن ولايته هذه كانت عامة على تطوان وطنجة ونواحيهما. أما ولايته الثالثة على تطوان فكانت عام 1231 هـ، وتم عزله سنة 1236 هـ.

ويتعين القول بأن الوثائق المخزنية تتحدث عن الحالة الاجتماعية للطائفة اليهودية بتطوان في عهد حكمه، مبرزة ما تمتع به اليهود المغاربة من حقوق في ظل المغرب الإسلامي. ويمكن أن نقف على ذلك من خلال الرسالة التالية الموجهة من مولاي سليمان إلى عبد الرحمان أشعاش في فاتح جمادى الأولى عام 1222، وهي تتكلم عن بناء الملاح الجديد ليهود تطوان :

"إلى خديمنا الأرضي القائد الحاج عبد الرحمان بن عبد القادر أشعاش أعانكم الله والسلام عليكم ورحمة الله، وبعد فموجبه إعلامكم أننا بهذا الظهير قد عينا الملك المعروف بالرياض من تطوان، والذي هو من أملاك المخزن بجميع حدوده، ومنحناه ليهود تطوان ليقيموا فيه الملاح ويبنوا فيه دورهم وحوانيتهم... فنأمركم بتنفيذ ذلك دون زيادة ولا نقصان، ومن خالف تنفيذ أمرنا فعاقبوه أشد العقاب، كما نأمركم أن تجمعوا جميع علماء تطوان ليشهدوا بأننا قد أنبناكم لتعيين المحل الذي يخصص لإقامة ملاح اليهود. وليعلموا أن هذا الأمر إنما هو لصالح الجميع...).

أ. الرهوين، *خلاصة عمدة الراوين*، مخطوطة المكتبة العامة بتطوان، رقم 3 / 912. 82 ـ 88 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، المجلد الثالث، القسم الثاني، 180 ـ 267 ؛ م. الضعيف الرياطي، *تاريخ الضعيف*، 367.

عبد العزيز التمسماني خلوق

أشعاش، عبد القادر بن محمد، ولي على تطوان عام 1261 / 1845 بعد وفاة والده القائد محمد. كان ذا شخصية قوية. يقول عنه الفقيه أحمد الرهوني في مخطوطته *خلاصة عمدة الراوين* "سار سيرة أبيه، وأدرك مكانة عند السلطان (مولاى عبد الرحمان بن هشام) حتى وجهه سفيرا لفرنسا في مهمة من مهمات مملكته. وكان معه في الأحكام بصفة خلفاء أو شركاء إخوته الحاج عبد الله والحاج عبد الرحمان والحاج محمد، ولكل واحد أصحاب وأملاك، واستمروا على هذه الحالة إلى أن قبضهم السلطان عام 1267 عن آخرهم ووجه القباج لاستصفاء أموالهم وأملاكهم".

اختار مولاي عبد الرحمان بن هشام عبد القادر أشعاش على رأس سفارة بروتوكولوية إلى فرنسا بعد نجاحها في إزالة هيبة المغرب عسكريا في معركة إيسلي، وفرضها معاهدة للامغنية عليه. وصل عامل تطوان إلى باريس بعام 28 دجنبر 1845، فقابل الملك فيليب لويس، رافقه في هذه البعثة نخبة من الموظفين، من بينهم محمد اللبادي والحاج العطار وأحمد العياط. كذلك صحب هذه السفارة محمد بن عبد الله الصفار الذي كتب عن رحلته مخطوطة هامة توجد في الخزانة الحسنية بالرباط.

ويتعين القول بأن المؤرخ محد داود أسهب في الحديث عن نكبة عبد القادر أشعاش، فقد عزل وسجن يوم الأحد 12 جمادى الأولى عام 1267 هـ.

وتشير الوثائق المخزنية إلى أنه تولى حكم تطوان، من جديد، بعد استرجاعها من يد الإسبان عام 1278 هـ. ويضيف أحمد الرهوني في مخطوطه السابق :"ولما رجعوا إليها (مدينة تطوان)، ولى عليها السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان قدس سرهما الحاج عبد القادر أشعاش مرة ثانية، وأصلح هو والسكان بعض ما خرب منها وعمروها العمارة التي توجد الآن، واستمر عاملا إلى أن عزله عام 1279 وقبض عليه ثم استعمله أمينا على الصائر إلى أن توفي بمكناس عام 1282".

أ. الرهوني، *خلاصة عمدة الراوين*، مخطوط، 90 ـ 93 ؛ داود، *تاريخ تطوان*، المجلد الثالث، القسم الثاني. 294 ـ 355 ؛ جاك كابي، *السفارات والبعثات المغربية إلى فرنسا*، مجلة تطوان 1961، العدد 6، 179 ـ 180.

عبد العزيز التمسماني خلوق

أشعاش، محمد بن عبد الرحمان، ولي عاملا على تطوان حوالي عام 1241 / 1827. تطلع إلى حكم نافذ يعم كل الشرائح الموجودة داخل منطقة نفوذه، فضرب على أيدي المجرمين وسهر على أمن الطرق، وسعى إلى بث هيبة المخزن في النفوس، فكان الخادم الأمين للسلطة المركزية، والمدافع المخلص عن وجهة نظرها، مستعملا في ذلك وسائل الزجر والإكراه.

وفي هذا السياق، ذكر أحمد الرهوني في مخطوطه *خلاصة عمدة الراوين في تاريخ تطاوين* أن أيامه كانت:"زاهرة وأحكامه صارمة حتى عم الأمن جميع العمالة، وبلغ من أبهته ما أحفظ السلطان (مولاي عبد الرحمان بن هشام) عليه لأن جواسيسه كانوا يخبرونه بأنه سلطان في خفاء، وبأن الجيوش والخيول التي عنده ليست عند السلطان، ومع ذلك لم يقدر على مسه بسوء حتى مات".

بيد أنه عندما كانت تصدر من محمد أشعاش نزعة استبدادية لممارسة العسف الضريبي ببلاد جبالة، كان مولاي عبد الرحمان بن هشام يتدخل لوضع حد لمناهجه المتشددة، وفي رسالة وجهها السلطان في هذا الشأن إلى العامل المذكور نقرأ :"اعلم بأن قبيلة غمارة قليلة الجدوى ولا في جبايتها كبير فائدة... فساعدناهم في غرضهم القائل لأمور لا تخفى عليك، منها ضعف بلادهم وصعوبتها ولا طائل تحت ذلك، فلا تنفع في مثل هؤلاء إلا السياسة".

وفي رسالة أخرى :"فغير خاف عليك أن غمارة قبيلة قليلة الجباية.. وقد ولينا عليهم القائد أحمد بن مرزوق حيث أرادوه، فكن معه يدا واحدا ونفسا متحدة، واستمله بخفض الجناح ولين الجانب..".

وتذكر المصادر التاريخية المغربية أنه "أسس هيئة سلطانية من كثرة المخازنية والطبجية والبحرية، وألبس الكل بلباس يهي باهر يخصه ويتميز به، وعين لكل حومة مقدما من خاصة أهلها يكون واسطة بينه وبينهم".

أدركه أجله بتطوان يوم 24 محرم 1261 هـ. ودفن بزاوية سيدي عبد الله الحاج البقال الواقعة بساحة الفدان.

أ. الرهوني، *خلاصة عمدة الراوين*، مخطوط، 89 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، المجلد الثالث، القسم الثاني، 276 ـ 294 ؛ المجلد الثامن، ص 244 و 279 ؛ *الوثائق* 1 : 454، الهامش 1.

عبد العزيز التمسماني خلوق

أشعاش، محمد بن محمد (ثلاث مرات)بن عبد الرحمان. ولد بتطوان عام 1314 / 1896 وبعد أن حفظ القرآن الكريم في الكتّاب أقبل على الفلاحة لما لم يجد قابلية لمواصلة الدراسة، فظهرت كفاءته وحزمه، وعُين محتسبا بتطوان في 22 شتمبر 1934. فنظّم الأسواق وحارب الغش والتطفيف والتدليس وراقب السلع والأسعار وقام بأعمال تذكر فتشكر.

محمد أشعاع باشا تطوان

وفي فاتح أبريل 1937 أعفي من الحسبة، وعين يومه باشا عاصمة تطوان فظهرت نجدته، وتجلى للناس حزمه ونباهته، وتصدى للمفسدين واللصوص والفساد فقطع دابرهم وحدّ من غُلوائهم. وكان نزيها في أحكامه صارماً في معاملته لايحابي ولايجامل ولايقبل تدخل أحد، وقد اصطدم بسبب موقفه هذا بعدد من الأعيان فلم يبال بهم، فهابه الناس جميعا. وتحاموا التعرض له. ومن إنصافه وتورعه أنه كان يختار خلفاءه من العلماء، لاستشارتهم فيما يعرض عليه من نوازل ويقع من حوادث ، واستمر في الباشوية إلي أن عزل بسبب مواقفه الوطنية التي لم تعجب الإدارة الإسبانية خصوصاً بعد أن توترت الصلاتُ بينها وبين حزب الإصلاح بسبب منعها الطريس من دخول تطوان وما أعقب ذلك من حوادث ومظاهرات وقتل وسجن ونفي، كان الباشا خلال ذلك يميل لجانب الوطنيين ويسعى للتخفيف عنهم وتبرئة ساحتهم مما يلصق بهم المتعاونون من تهم. كان عزله يوم 11 يوليوز 1951 فانطوى على نفسه ولم يعش بعد ذلك إلا ثلاثة أشهر إذ توفي يوم الثلاثاء رابع محرم 1371 / 8 / 10 / 1951م ودفن بحوشهم خارج باب المقابر من تطوان قريبا من ضريح القائد الفاتح أبي علي الحسن المنظري الغرناطي.

وثائق عائلية ومعلومات شفوية.

محمد بوخبزة

الأشعرية والمغرب، يعتبر المذهب الأشعري من أبرز المذاهب الكلامية في الإسلام وأكثرها انتشارا. ولعل مرجع ذلك أن رؤوسه يصنفون أفكارهم ضمن أفكار أهل السنة والجماعة. وهذا ما يتبين من الكتب المؤرخة للفرق، والتي من الملاحظ أن كل كتابها أشاعرة، فهي تنطلق جميعا من الرغبة في بيان "الفرقة الناجية" وتمييزها عن سائر الفرق الأخرى التي تنعت بأنها ضالة وهالكة أو ما شابه ذلك.

ويعني هذا من بين ما يعنيه، أن محاكمة الفرق الأخرى تتم انطلاقا من مرجعية أو نسق إسناد، هو الفرقة الناجية والتي هي "أهل السنة والجماعة". وهو شيء يتم انطلاقا من الحديث المأثور القائل بافتراق الأمة ثلاثا وسبعين فرقة منها واحدة ناجية.

هذا ما يؤكده مؤرخو الفرق الإسلامية مثل البغدادي في *الفرق بين الفرق*، والاسفراييني في *التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين*. والشهرستاني في *الملل والنحل*.

والحقيقة أن مفهوم أهل السنة والجماعة يطلق عامة على كل من يتمسكون بعقيدة السلف، وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل والإمام مالك، وغيرهما من الأئمة المشهورين. وكانت إضافة الإمام الأشعري هي توثيق العقيدة السنية بالاستناد إلى البرهان ومناقشة أهل الكلام.

أبو الحسن علي بن إسماعيل ينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري، ولد بالبصرة سنة 260 هـ وكان شافعي المذهب في الفقه. بدأ حياته الكلامية بالاعتزال، ثم تحول عنه إلى المذهب الجديد الذي أسسه هو معارضا به مذهب المعتزلة، وثمة اختلاف في أسباب ذلك التحول الذي تمخض عن ظهور مذهب جديد، ليس هنا موضع للإسهاب فيها، وهو تحول جاء ليوفق بين تيارين متطاحنين كان هو نفسه ينتمي إلى أحدهما : المعتزلة التي تجعل العقل رائدا، وتعتبره "قبل ورود السمع"، والحنابلة وأهل الحديث عامة وأهل النص الذين يتخذون من القرآن والأثر رائدين، معتبرين "السمع قبل ورود العقل".

ونجد أن هاته الوسطية انعكست على مواقفه من كبريات القضايا الكلامية وعلى موقفه من علم الكلام نفسه. فقد ظل الأشعري ينظر إلى التزام حرفية النص وتحريم استعمال العقل علامة كسل وجهل، كما ظل يعتبر الجري وراء العقل دونما احتياط بالشرع وبخاصة في الآراء التي تتصل بالعقيدة أمرا خاطئا وخطرا على الشرع. وإن ميل الأشعري إلى الوقوف وسطا بين مذهب أهل الحديث ومذهب المعتزلة الذي تربى في أحضانه، جعلت أفكاره تعكس تيارين فكريين ظلا متعايشين في مذهبه : تيار أهل السنة والحديث، وتيار كلامي متأثر بالأسلوب الاعتزالي. من هنا إبهامية المذهب الأشعري وازدواجيته إلى حد يدفع إلى الاعتقاد بأننا أمام عقيدتين للأشعري، عقيدة تضمنها كتاب *الإبانة عن أصول الديانة* التي هي أقرب إلى عقيدة السلف وعقيدة الإمام أحمد بن حنبل الذي يشيد به الأشعري في المقدمة، وعقيدة *مقالات الإسلاميين* التي هي أقرب إلى الأساليب الكلامية الاعتزالية. وهذا ما قاد إلى مشكل هام في تاريخ الفكر العقائدي والكلامي في الإسلام وهو : ما حقيقة موقف الأشعري ؟ هل كان مجرد تابع لأهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث، أم كان صاحب موقف توسطي، كما يرى ابن خلدون في *المقدمة* ؟ إذا كان

موقفه موقفا توسطيا، فما موقع كتاب *الإبانة* من تطوره الفكري ؟.

الظاهر أن أهل الحديث لم يتقبلوا أفكار الأشعري يوم ظهر بمذهبه محاولا التوفيق فيه بين النقل والعقل، وبين أهل السنة والحديث من جهة، وأصحاب الكلام والمعتزلة من جهة أخرى. لم يتقبلوها بحماس، بل توجسوا منها خيفة نظرا لأصول الأشعري الكلامية الاعتزالية التي ظلت آثارها عالقة بأسلوبه في النظر وبعقائده، رغم تحوله، هذا فضلا عما اتسم به موقف أهل السنة والحديث من معاداة لعلم الكلام ومقت لمذاهب أصحابه ولعباراتهم وطرق معالجتهم للقضايا الدينية والعقدية. بل يذهب "ابن الجوزي"، وهو من الحنابلة المتأخرين، إلى اعتبار الأشعري أحد المسؤولين عن تلبيس العقائد "إن الأشعري ظل على مذهب المعتزلة زمانا طويلا ثم تركه وأتى بمقالة خبط بها عقائد الناس" (تلبيس إبليس ـ القاهرة 1368 هـ. ص 22).

وهذا ما يفسر لنا الخصومة الشهيرة بين الحنابلة والأشاعرة ببغداد والنفور الذي قوبل به أتباع الأشعري في القرن الرابع ثم الخامس الهجريين، وقد اتخذ كل ذلك أبعادا سياسية خطيرة، كما تحول إلى قتال دموي اضطر معه الكثير من الأشاعرة إلى ترك بغداد.

ونعتقد أن جوهر الخصومة يرجع إلى الاختلاف حول "الشرعية الدينية" لعلم الكلام، وهل هناك حاجة إليه ؟ ذلك أن الموقف الذي تبناه الأشعري، كان هو الدفاع عن تلك "الشرعية" خلافا لموقف السلف وأهل الحديث الذي وقفه الحنابلة وأهل السنة القائم على تحريم الكلام والنظر في كتب أهله وكراهية الجدال في الدين، وهذا الموقف الأخير هو الذي سار فيه ابن حزم وابن عبد البر القرطبي وجل فقهاء وأصوليي الأندلس، بل حتى مفكريه.

والملاحظ أن المغرب ظل لأسباب تاريخية، بعيدا عن الاختلافات والصراعات المذهبية والكلامية التي عرفها الشرق. بل اختار ذلك كنهج يميزه عن المشرق. وهو شيء ينطبق حتى على الأندلس، فبعد انقراض العقائد المنحرفة التي ظلت لها بعض الجيوب بالمغرب، بقيت السيادة لعقيدة السلف التي كانت في الحقيقة تمثل الوجه الآخر للمذهب المالكي وللعقيدة السنية التي عرفها الإسلام في بدايته، قبل أن يتقوى علم الكلام ويتخذ صورته وهيئته المذهبية مع المعتزلة ثم الأشاعرة.

وقد عمل الأدارسة والمرابطون على تكريس الاتجاه السني المعادي لعلم الكلام والجدال في الدين، وعلى التحصن بالمذهب الفقهي الذي يعد الترجمة الأمينة الوفية لذلك الاتجاه في الفقه والمعاملات ألا وهو المذهب المالكي.

فقد حارب الإمام مالك، بضراوة، الكلام خصوصا في مسألة الصفات وعلاقتها بالذات. إذ كان معاصراً لواصل ابن عطاء وعمرو بن عبيد أي للاعتزال في بدايته القوية. كان مالك، حسب القاضي عياض، يغلب التنزيه في الصفات، ويأمر بأن تفهم الآيات المتحدثة عن الصفات "كما جاءت"، لا بمعنى إجرائها على ظاهر النص فحسب، وبشرط ألا يؤدي ذلك إلى مشابهة الله بالمخلوقين، من هنا كان حرصه على التنزيه وفي نفس الوقت كراهيته للتأويل، إيمانا بأن "طريق النجاة" هو إمرار النصوص كما جاءت. وكان يقول "إنما أهلك الناس تأويل ما لا يعلمون". كما كان يرفض الرد العقلي على البدع، لأنه في رأيه رد بدعة ببدعة، ويرى ضرورة الرد عليها بالنقل، فإذا جاءه بعض أهل الأهواء، كان يقول :"أما أنا فعلى بينة من ربي، وأما أنت فشاك، فاذهب إلى شاك مثلك فخاصمه".

وفي هذا الصدد يحدثنا القاضي عياض عن رسالة ألفها مالك "لابن وهب" في *القدر والرد على القدرية*، وقد وصفها القاضي عياض بأنها "من خيار الكتب الدالة على سعة علم مالك".

ففيما يتعلق بالإيمان، قال مالك :"الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وبعضه أفضل من بعض بدليل الآية :"ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم". أما العلم الإلهي، فقد قال عنه :"الله في السماء، وعلمه في كل مكان". وفيما يخص مسألة خلق القرآن : "القرآن كلام الله، وكلام الله من الله، وليس في الله شيء مخلوق... ومن قال :القرآن مخلوق فهو كافر يستتاب وإلا ضربت عنقه". وسئل عن الاستواء، فقال "الاستواء منه معلوم والكيف منه غير معقول والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإني لأظنك ضالا".

قال مالك :"أهل الأهواء كلهم كفار، وأسوأهم الروافض". "سئل عن أهل القدر من طرف أحد المغاربة، أنكف عن كلامهم ؟ فقال : نعم إذا كان عارفا بما هو عليه. قال : ونأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر ونخبرهم بخلافهم ولا نواصل القول ولا يصلى عليهم وتشهد جنائزهم، ولا أرى أن يناكحوا".

قال مالك :"الفواحش كتبها الله علينا قبل أن يخلقنا". وسئل عن القدرية من هم، فقال "هم الذين يقولون إن الاستطاعة إليهم، إن شاؤوا أطاعوا وإن شاؤوا عصوا". وقيل له :"وإن أهل الأهواء يحتجون بحديث : كل مولود يولد على الفطرة، فقال احتجوا عليهم بآخره :"الله أعلم بما كانوا عاملين".

يتبن من كل هذا أن الإمام مالك بلور اتجاه عقيدة السلف القائم على مقاومة البدع وعدم الرد عليها إلا بالنقل لا الاحتجاج عليها والمجادلة فيها بالعقل.

وقد حاول ابن أبي زيد القيرواني (المتوفي سنة 386 هـ) أن يصوغ هذه العقيدة في رسالته الشهيرة التي جعلها مختصرة تجمل *"واجب أمور الديانة"* ؛ ومع أن البعد الزماني عن الإمام مالك، الذي يتعدى القرنين، فعل فعله، من حيث تسرب المصطلح الكلامي الأشعري المتأخر إلى *الرسالة* كالصفات... فإن القيرواني حاول جهد المستطاع أن يعكس عقيدة الإمام بأمانة، ويمكن إجمالها فيما يلي :

1 ـ "القرآن كلام الله ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفد".

2 ـ "الإيمان بالقدر خيره وشره وحلوه ومره، وكل ذلك قد قدره الله ربنا، ومقادير الأمور بيده ومصدرها عن قضائه، علم كل شيء قبل كونه فجرى على قدره. لا يكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق علمه به".

3 ـ "يضل من يشاء فيخذله بعدله، ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله، فكل ميسر بتيسيره إلى ما سبق من علمه وإرادته عن شقي أو سعيد، تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد، أو يكون لأحد عنه غنى، أو يكون خالق لشيء إلا هو".

4 ـ "الإيمان بالبعث".

5 ـ "يغفر لمن يشاء إلا للمشرك".

6 ـ "إن الله خلق الجنة فأعدها دار خلود، وأكرم فيها أولياءه بالنظر إلى وجهه وإن الله خلق النار فأعدها دار خلود لمن كفر به وجعلهم محجوبين عن رؤيته. إن الله يجيء يوم القيامة والملك صفا صفا لعرض الأمم".

7 ـ "الإيمان قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصها".

والملاحظ أن العقيدة التي شاعت بين المغاربة هي عقيدة السلف هذه، التي اقترنت بمذهب مالك الفقهي. والملاحظ كذلك أن الدولتين الإدريسية والمرابطية، شأنهما في ذلك شأن الدولة الأموية بالأندلس، تمسكتا بالاتجاه السني المتشدد المبني على تلك العقيدة الخالية من أساليب المتكلمين ومصطلحاتهم وعلى كراهية الفرقة والتشتت ؛ فإذا كان العباسيون في الشرق قد عملوا على تكريس علم الكلام ودعمه، بل وجعل أحد مذاهبه مذهبا رسميا لهم، والذي هو المذهب الاعتزالي في أول الأمر، ثم المذهب الأشعري مع المعتصم بالله، والمذهب الحنبلي المعادي لعلم الكلام في عهد القادر، صاحب البيان المعروف *بالبيان القادري* الذي يتضمن دعوة إلى عقيدة السلف... فإن دول المغرب والأندلس تشبثت بعقيدة السلف وبالمذهب المالكي وضيقت الخناق على "البدع" بما في ذلك الدولة الموحدية، فالمذهب الظاهري الذي حاولت نشره في ميدان الفقه قد يفوق في تمسكه بالسنة وتشدده المذهب المالكي، كما أن العقيدة التي سطّرها المهدي ابن تومرت في *أعز ما يطلب* جوهرها عقيدة السلف، رغم ما يقال عادة من أنها أشعرية متأثرة بالأساليب الكلامية المتأخرة، بما فيها الأساليب الاعتزالية، لا سيما في تناوله لمسألة الصفات الإلهية. فجل الدارسين، القدامى والمحدثين لا ينتبهون إلى أن قوله بالتنزيه جاء لأغراض السجال والرد على من اعتبرهم يوغلون في التشبيه والتجسيم، وهم في نظره المرابطون ؛ لا ينتبهون كذلك إلى أن موقفه الحقيقي من المسألة هو أن الصفات أسماء يسمي بها الله نفسه يجب الاعتقاد فيها بلا كيف ودون السقوط في مزالق المتكلمين الذي اختلفوا حول ما إذا كانت زائدة على الذات أو هي عين الذات... هذا فضلا عن التفسير المغلوط الذي تعرض له كتاب *أعز ما يطلب* على يد الشراح الذين نسبوا إليه العديد من المفاهيم التي لا تجد مكانها الطبيعي إلا في المذهب الأشعري، مثل القول بجواز كرامات الأولياء والخوارق على أيديهم، وهذا مافعله على سبيل المثال شارح مجهول لكتاب *أعز ما يطلب* (يوجد مخطوطه بخزانة ابن يوسف بمراكش رقم ي 401 ـ ص ـ 13 ظ)، فقد قرأ الأفكار الواردة في هذا الأخير قراءة أشعرية متأخرة، هذا مع أن ابن تومرت يؤكد بالنص أن الكرامات والخوارق، الله وحده فاعلها على يد أنبيائه ؛ وربما ما جعل الكثيرين يميلون إلى مماثلة أفكاره بالأفكار الأشعرية في هذا المضمار، هو ما يروى عنه من أنه كان يأتي الخوارق ويكلم الموتى، وهي أشياء كانت وراءها اعتبارات سياسية ولا علاقة لها بمذهبه. بل إن عددا من الدارسين المعاصرين ينطلقون من أشعرية ابن تومرت وانتقائية أفكاره على أنه أمر بديهي (عبد الله العروي مثلا، *تاريخ المغرب*، باريس 1970، ص. 163).

وقد حدث نفس الشيء، مع *رسالة* ابن زيد القيرواني التي أصر الشارحون على قراءتها قراءة أشعرية متأخرة. وأشهر هؤلاء، النفزاوي المالكي (المتوفي سنة 1125 هـ) الذي أبى في تعليقه عليها إلا أن يضمنه عقائده الأشعرية الكلامية التي هي في في نظره عقيدة السلف، مثل القول بأن الأعمال لا تشكل ركنا من الإيمان، كما اشترط ذلك مالك والقيرواني، بل يعتبرها زيادة أو كما قال "شرط كمال" مع أن نص *الرسالة* واضح في هذا الصدد ولا غبار عليه. وتنطبق هذه الملاحظة أيضا على "البيجوري" الذي قام هو الآخر في *"تحفة المريد في شرح جوهرة التوحيد"* بقراءة أشعرية كلامية متأخرة *لجوهرة التوحيد* وشرحها في حدود كلامية أقرب إلى مذهب الباقلاني، وعلى أحمد المقري المغربي المالكي الأشعري في أرجوزته *"إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة"* (منشورة بشرح الشنقيطي، بيروت، د. ت).

كيف انتشرت الصيغة الكلامية الأشعرية المتأخرة لعقيدة السلف ؟.

يقتضي الجواب عن هذا السؤال استحضار الظرفية والتوازنات السياسية للخارطة الجيوسياسية للعالم الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجري، واستحضار الاختيارات العقائدية التي فرضت نفسها على الدول الحاكمة فيه وعلى الخصوص الدولة العباسية والدولة الفاطمية والأمويين والأدارسة بالمغرب والأندلس.

فقد كان العباسيون يعملون بكل الوسائل على خلق أتباع لهم في تونس والمغرب يأخذون بالأشعرية مذهبها آنذاك، ويكونون حصنا واقيا من انتشار الاتجاه الإسماعيلي الفاطمي. لذا حدث تقارب ما بين مالكيي القيروان ثم الغرب الإسلامي عامة فيما بعد، وبين الأشعرية، وهذا ما جعل فقهاء وعلماء الأندلس الذين كانوا يتوجهون إلى القيروان ليدرسوا بها، يتلقون العلم على تلامذة مباشرين لابن أبي زيد القيرواني. وفي القرن الرابع بالذات، حدث التقارب المشار إليه، فالمعروف عن

القيرواني، ويظهر ذلك من *رسالته* في عقيدة الإمام مالك، كراهيته للكلام والجدال في الدين وميله إلى إثبات كل ما وصف الله به نفسه دون تأويل وبلا كيف ؟ إلا أنه في آخر حياته تبنى المذهب الأشعري إلى حد أن ابن عساكر في *"تبيين كذب المفتري"*، ينسب إليه أقوالا فيها إشادة بأبي الحسن الأشعري. ومما يقوي هذا التأكيد الجازم باعتناقه للصيغة الأشعرية لمذهب السنة أنه، حسب ما يرويه الدباغ، تخلى عن الكثير من الآراء التي كان يؤمن بها والتي لا تنسجم وما يقول به الأشاعرة، فقد كان في الأول يبطل جواز الكرامات على الأولياء والصالحين، وينفي خرق العادة على يدهم، لكنه رجع عن ذلك وألف كتابا في جوازها. (انظر الدباغ - *معالم الإيمان*، تونس ج 3. ص 140).

لم يحدث هذا التقارب صدفة ؛ إن ثمة أسبابا سياسية وراء ذلك أهمها أن الأشاعرة كانوا متصدين لنقد عدوهم وعدو الدولة العباسية : الدولة الفاطمية، صيغتها العقائدية : الإسماعيلية الباطنية، وهو شيء صفق له مالكية الغرب الإسلامي، والقيروان خاصة، لا سيما وأن من بين كبار الأشاعرة الذين ناهضوا الباطنية وكشفوا فضائحهم، شخصيات تنتمي فقهيا إلى المذهب المالكي، من أمثال الباقلاني (ت 403 هـ) الذي قاوم التشيع بضراوة مما خلق له أتباعا قيروانيين. وتجدر الإشارة بهذا الصدد إلى أن أبا عمران الفاسي المغربي رحل إليه إلى بغداد ليأخذ عنه، ودرس عليه الفقه والأصول ثم عاد إلى القيروان حيث وافته المنية.

ومن المؤكد أن ثمة أهدافا سياسية واضحة وراء نشر الأتباع في القيروان، فقد أنيط بهم كأشاعرة مالكيين بالغرب الإسلامي، دور دعاة للخلافة العباسية بالمشرق، والتي هي خلافة، كانت تسعى إلى أن تزيل من نفوس المغاربة ذلك "التصلب" النفسي الذي تركهم، حتى في ميدان أصول الدين، متمسكين بمواقف مالك المعادية لعلم الكلام، كخطوة لتخليصهم من الارتباط بمالك، حتى في مستوى الفقهيات، لأنه بالذات، ارتباط لعبت عليه الدولة الأموية بالأندلس ودولة الأدارسة بالمغرب وجعلتاه أحد دعائم وركائز دوليتهما.

والملاحظ أن جل العلماء الأندلسيين الذين رحلوا إلى الشرق، اعتنقوا المذهب الأشعري، لاحتكاكهم هناك برؤوسه، وبأهم مصنفاته، فالباجي الأندلسي من الذين درسوا على أحد كبار الشافعية والأشاعرة وهو "الخطيب البغدادي" (ت 463 هـ) وعملوا على نشره بالأندلس، ومناظراته مع ابن حزم في هذا المضمار معروفة.

وقد أخذ الارتباط بين المذهب المالكي والمذهب الأشعري يتقوى، وأخذ يطرح نفسه كأمر واقع، وأصبح ارتباطا وثيقا. فنجد عبد الواحد بن عاشر الفاسي، وهو من كبار فقهاء القرن الحادي عشر / 17 م يقرن في *المرشد المعين* بين العقيدة الأشعرية، والفقه المالكي، وتصوف الجنيد، كمذاهب متجذرة في المغرب جار بها العمل :

غير أن محاولات هامة، عرفها التاريخ المغربي الحديث، كانت ترمي إلى فك ذلك الارتباط وإرجاع الأمور إلى نصابها، أي الرجوع بالعقيدة إلى صفائها الأصلي، ويتحدث المؤرخون عن محاولة السلطان العلوي سيدي محمد ابن عبد الله (1757 - 1790) الذي كان يقول بضرورة "الاعتقاد المأخوذ من ظاهر الكتاب والسنة بلا تأويل". كما كان ميالا إلى مواقف الحنابلة في الاعتقاد :"فطريق الحنابلة في الاعتقاد سهلة المرام، منزهة عن التخيلات والأوهام، موافقة لاعتقاد الأئمة كما سبق مع السلف من الأنام، أعاشنا الله على ما عاشوا عليه وأماتنا على ما ماتوا عليه".

كما أن السلطان العلوي سليمان بن محمد (1792 - 1823)، ذهب أكثر من والده سيدي محمد بن عبد الله في الدفاع عن السنة الخالية من الأساليب الدخيلة، متأثراً في ذلك بالحركة الوهابية على الخصوص. وقد ضمّن مجموع أفكاره في خطبة وضعها بهدف القضاء على "البدع" ومقاومة الطرقية والصوفية والأولياء. وهذا ما جعل السلفيين المغاربة المعاصرين يعتبرون تلك الخطبة بمثابة ميلاد السلفية المغربية المعاصرة، ويعملون على نشرها سنة 1935 وتوزيعها، ومن بين من لعب دورا هاما في ذلك المرحوم علال الفاسي، والأستاذ محمد إبراهيم الكتاني...

أ. الأشعري، *الإبانة عن أصول الديانة*، نشر محب الدين الخطيب، القاهرة 1397 هـ ؛ أ. الأشعري، *رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام*، منشورة ضمن مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي ج 1، بيروت 1978 ؛ أ. الأشعري، *مقالات الإسلاميين*، نشر محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1950 ؛ أ. الاسفراييني، *التبصير في الدين*، بيروت 1983 ؛ الشهرستاني، *الملل والنحل*، بيروت 1975 ؛ ع. البغدادي، *الفرق بين الفرق*، بيروت 1977 ؛ *أصول الدين*، استانبول 1928 ؛ *الملل والنحل*، بيروت، 1970 ؛ ابن أبي زيد القيرواني، *الرسالة*، بيروت (د. ت) ؛ أ. المقري، *إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة* بشرح الشنقيطي، بيروت (د. ت) ؛ البيجوري، *تحفة المريد في شرح جوهرة التوحيد* للقاني، بيروت، 1983 ؛ القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، ج2، الرباط 1966 ؛ الراعي الأندلسي، *انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب مالك*، بيروت 1981 ؛ ع. ابن الحوزي، *تلبيس إبليس*، القاهرة 1368 هـ ؛ ابن حنبل والبخاري والدارمي، *عقائد السلف*، جمع على سامي النشار، الإسكندرية، 1971 ؛ ابن عبد البر القرطبي، *جامع بيان العلم وفضله*، بيروت ، (د. ت) ؛ ابن عساكر، *تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري*، بيروت، 1979 ؛ مالك بن أنس، *الموطأ*، مع شرح الجلال السيوطي، بيروت (د. ت) ؛ الدباغ، *معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان*، تونس 1320 هـ. س ؛ يفوت، *ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس*، الدار البيضاء، بيروت، 1987 ؛ ج. كاني، *بعض مشاهير الحركة السلفية في المغرب*، تعريب زبيدة بورحيل، سعيد النجار، مجلة البحث العلمي، عدد 35، 1985 ؛ السلطان سليمان العلوي،

الانتصار للسنة ومحاربة بدع الطوائف الضالة، المطبة الجديدة، فاس.

H. Laoust. *la profession de foi d'Ibn Batta*, Damas 1958 ; *Essai sur les doctrines sociales et politiques d'Ibn Taimiya*, le Caire, 1939.

سالم يفوت

الأشقر، أسرة تطوانية أصلها من ناحية جبالة بالقرب من القصر الكبير، وكان منها بتطوان المسمى المصطفى المهدي الأشقر الذي كان يزاول مهنة قائد الجيش بحامية المدينة سنة 1247 / 1830. كما كان منها الفقيه العدل محمد ابن يعقوب الأشقر الذي كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1281 / 1864، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 300 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* 1.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *familias ilustres de Tetuan* 1921, (A) Isidro de las Cagigas, *familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) *Vademecum de intervenciones* (ano 1931) (A). M. Ibm Azzuz Hakim, *apellidos tetuanies de origen espanol* (1949) (A).

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **الأشْقَر**، أسرة صنهاجية عاشت في سبتة وتازا وفاس، وخدم بعض رجالها الدولة المرينية، عُرف منهم :

ابن **الأشْقَر، أحمد** بن محمد الصنهاجي، كان ناظراً للأحباس بمدينة فاس أيام أبي الحسن المريني. وهو الذي أشرف على بناء قبة الجبس المتقنة الصنع بالبلاط الأوسط المقابل لباب الكتبيين من جامع القرويين التي علقت فيها الثريا النحاسية العظيمة المصنوعة من الناقوس الكبير المستجلب من جبل الفتح (جبل طارق) حين فتحه أبو الحسن المريني عام 733 (ع. الجزنائي، *جنى زهرة الآس* 75. 76) وكان تمام بناء القبة وتعليق الثريا في منتصف شوال عام 737 هـ.

ابن **الأشْقَر، عبد الرحمان بن إبراهيم الصنهاجي** التازي، كاتب أبي الحسن المريني، أديب شاعر ناثر، لقيه إسماعيل بن الأحمر وترجم له في *نثير فرائد الجمان* وحلاّه بنعوت علمية سامية وذكر عن حاله أنه "رُشح للعلامة، مع من وسم لها بالعلامة، لشروطها الموفرة فيه، من القدرة في أسبابها والترفيه، من أدب يقتنى، و وكتب به يعتنى إلى صباحة الشيبة، وجميل الحضور والغيبة" (ص 346) وأورد له مقتطفات من قصيدة تائية طويلة مدح بها أبا الحسن المريني مطلعها :

نوالُك مُزنٌ للغمائم باعثٌ ... ووجهك خدنٌ للبشير ثالث
وبابُك كهفٌ للأنام وملجأ ... إذا ناب خَطب أو تفاقم حادثُ

ع. الجزنائي، *جنى زهرة الآس*، 75 ـ 76 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 134 ـ 135.

محمد حجي

ابن **الأشْقَر، عبد الرحمان بن محمد** الفاسي أصلا وسكنى. من أدباء وشعراء الدولة المرينية، إلا أنه لم يصلنا إبداعه. قال عنه ابن مرزوق إنه صدر من الصدور، واحد كتاب أبي الحسن المريني. وكان يشارك أبا علي بن تدرارت في كتابة الكتب الملوكية وأشباهها، فينشئ ويجيد.

كما وصفه بأنه وقور، منقبض إلا فيما لا بد له منه، ديّن، سليم الصدر.

درس بفاس على أكبر شيوخها، وأشهرهم ابن أجروم، وإلى جانب اللغة والأدب، كان لابن الأشقر اهتمام بالتاريخ وأيام الناس. وهي العلوم الضرورية لمن رغب في تقلد منصب الكتابة.

وكان له ابن اسمه عبد العزيز شاركه في الكتابة بالبلاط المريني. توفي المترجم له بفاس. ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته.

تحدث ابن الأحمر عن أحد كتاب أبي الحسن المريني وشعرائه يدعى ابن الأشقر عبد الرحمان بن إبراهيم التازي، وليس في حديثه ما يشير إلى أنه نفس الشخص الذي نترجم له، وإن التبس الأمر على ناشر كتاب *الإعلام* (8 : 104).

م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن* ؛ القسم الذي نشره ليفي بروفنصال في مجلة هسبريس 1925، ص 1 ـ 82 ؛ م. ابن الأحمر، *نثير فرائد الجمان* ؛ تحقيق محمد رضوان الداية، ط. بيروت 1967 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الاعلام* 8، 103 ـ 104.

ابن **الأشقر، عبد الله** كان فقيها عالما، خطيبا. تولى قضاء عدوة القرويين بفاس مدة طويلة، وصرف بالقاضي عبد الرحيم بن إبراهيم اليزناسني.

وقد تولى اليزناسني قضاء فاس في الفترة الأخيرة من عمر الدولة المرينية على عهد عبد العزيز بن أحمد المريني المتوفى سنة 799 / 1396، وبقي في منصبه إلى عهد عبد الحق الثاني، إذ كانت وفاته سنة 834 / 1430.

وبذلك يكون ابن الأشقر قد تقلد قضاء فاس في الربع الأخير من القرن الثامن الهجري. ولا نعرف تاريخ وفاته.

أ. ابن القاضي، *جذوة* 2 : 417 ـ 424 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية* 1 : 41.

حسن جلاب

الأشقر، محمد السبتي، أستاذ مجود حسن الصوت نيّف على المائة سنة ولم يتغير لرؤيا صالحة رآها في منامه وهو مايزال في ابتداء الكهولة، أوردها مفصلة التميمي في *المستفاد* ونقلها ابن القاضي في *الجذوة*.

تنقل محمد الأشقر في عدة مدن يقرئ القرآن الكريم وحصل على ثروة هامة. سار من سبتة إلى القصر، ثم إلى فاس وأغمات حيث شارط نحو ثلاثة أعوام وخرج منها بسبعمائة دينار. لايُعرف تاريخ وفاة محمد الأشقر إلا أنه كان معاصراً للتميمي الذي روى عنه مشافهة .وبذلك فهو من رجال القرن السادس.

أ. القاضي، *جذوة*، 134 ـ 135 ؛ ع بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 69.

محمد حجي

أشقار - تاريخ قديم - يضمُّ مجمع أشقار ستة مواقع أثرية. قام بالبحث فيها عدد كثير من الباحثين منذ نهاية القرن الماضي إلى يومنا هذا، ويوجد هذا المجمع على بعد بعض كلمترات جنوب مدينة طنجة (انظر الرسم 1 و2)، وهو يضم ست مغارات أثرية. أطلق على ثلاثة منها اسم مغارات الخيل، وتوجد على الضفة الشمالية لنهر أشقار. وقرب رأس سبارتيل توجد مغارات هرقل، العالية، والتماثيل (idoles) (انظر الرسم رقم 2).

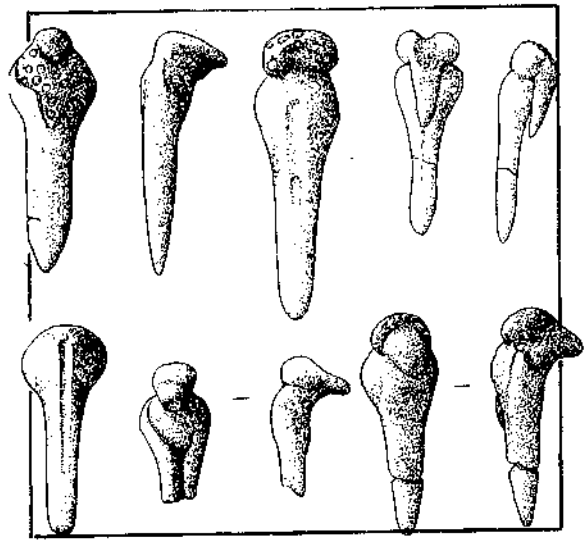

تماثيل طينية بأشقار : مغارة التماثيل (كامبس 1974)

يرجع البحث في هذه المغارات إلى أواخر القرن الماضي. لعل أهميتها العلمية بدأت منذ سنة 1875 حينما بدأ التنقيب بها على يد الباحثين بلايشير وزميله شارل تيبو (Bleicher et Ch. Tibot) كما تابع الأبحاث بوشي Buchet وكان هو أول من أطلق اسم "مغارة التماثيل" على إحدى المغارات وذلك نظراً لوفرة التماثيل "Idoles" التي تم استخراجها منها. ومن ثَم عرفت المنطقة عدة باحثين آخرين نذكر منهم بيارناي (سنة 1940) S. Biarnay وهانري كولير Henry Koehler ما بين 1922 و1927 ثم ناهون ودوليتل Nahon et Doolittle ما بين 1936 و 1939 وهيكن سنة 1947 H. Henken الذي تابع الأبحاث خاصة بالمغارة العالية. كما اهتم بالمنطقة كذلك جودان (59 - 1958) Jodin وخاصة مغارات الخيل، كما استأنف هذا البحث دوگا J. P. Daugas سنة 1984. ولعل اهتمام هذا العدد الكبير من الباحثين في حقل ماقبل التاريخ بهذه المواقع لأكبر دليل على أهميتها فيما يخص تاريخ المنطقة بصفة خاصة وتاريخ علاقات دول البحر المتوسط بصفة عامة.

الأدوات التي تم العثور عليها : إن أهم المخلفات الأثرية التي تم استخراجها بمختلف مغارات أشقار يعود تاريخها إلى العصر الحجري الحديث. أما الأدوات التي تعود إلى الحضارات السالفة الابيروموروسية والعتيرية فهي جد نادرة نجتزئ منها بذكر مايلي :

مكاشط Grattoirs ٪ 3.6. مثاقب Perçoirs ٪ 4.1. شفرات وشظايا مظهرة Lames et éclats à dos ٪ 2.6. مسننات coches et denticulés ٪ 16.9 جيوميتريات Géométriques ٪ 3.6 حجر مصقول Haches polies ٪1.5 قاقمة Herminettes ٪ 0.5 مختلفات Divers ٪ 20.1 تصنيف 195 قطعة أثرية : مغارات الخيل، الطبقة الجيولوجية الثالثة (كامبس 1974) أما بالنسبة لأدوات العصر الحجري الحديث فأهمها الأدوات الفخارية والعظمية والمصنوعة من طين.

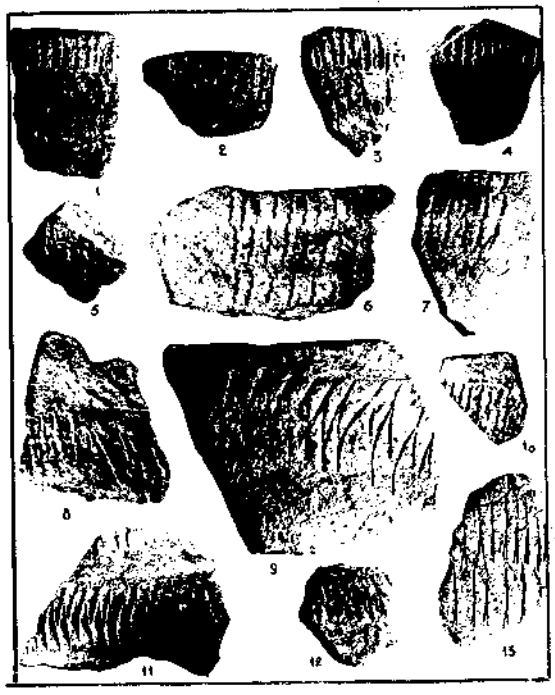

فخار الكارديال المطبوع بأشقار (جودان 58-1959)

الأدوات الفخارية : انظر الرسم (3 و4). لقد أعطت مغارات أشقار أواني فخارية عديدة وجد متنوعة، أقدمها فخار الكارديال نسبة إلى الكارديوم وهو نوع من الصدف البحرية Cardium استعمل كثيراً لزخرفة هذه الأواني. ومن مميزاتها الأقداح المخروطة الشكل، أما الزخرفة فتكون في كثير من الأحيان دائرية (Pivotant) وفي بعض الأحيان استعمل منقار هذه الصدف(Crochet de la coquille). ولعل أول محاولة لتأريخ هذا المستوى الأركيولوجي كان خلال سنة 1984 (دوگا 1985). بحيث أرجع تاريخه إلى 6050 + 120 سنة قبل الحاضر. بالإضافة إلى ذلك كان النقش إما أخدودياً Cannelé أو مطبوعا Impressionné.

الأدوات الطينية : لعل أهم الأدوات الطينية التي تم استخراجها من هذه المواقع وخاصة المغارة العالية التماثيل الطينية (انظر الصورة رقم 5).

الأدوات العظيمة : تتجلى الأدوات العظيمة خاصة في وجود عدة مثاقب ومخارز وأنابيب Poinçons, Perçoirs et Tubes.

ترجع أهمية مواقع أشقار إلى موقعها الجغرافي الهام، بحيث إنها لعبت دوراً هاما في انتقال الحضارات وخاصة

خلال العصر الحجري الحديث بين المغرب وشبه الجزيرة الإيبيرية. كما أن وفرة المواد الأركيولوجية التي تم استخراجها ساعدت على تتبع كل هذه التنقلات، وفي هذا الإطار كان يعتقد كثير من الباحثين أن حضارة الكامبانيفورم ظهرت بالجزيرة الإيبيرية ومنهاانتقلت إلى

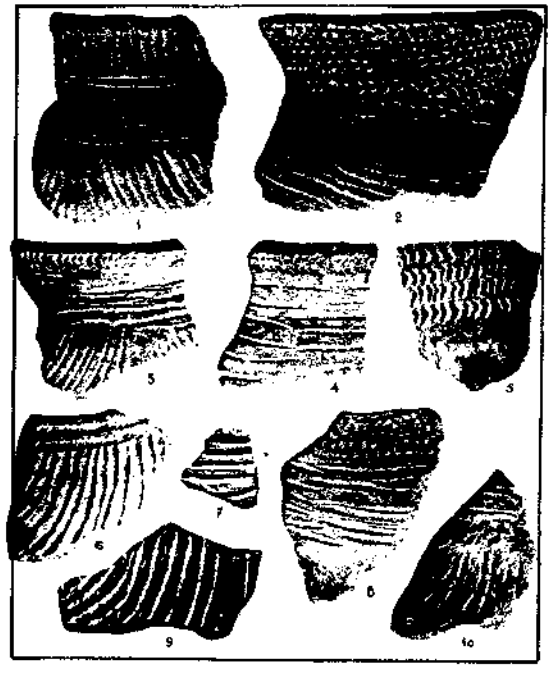

الفخار المخطوط (جودان 58 - 1959)

المغرب غير أن الأبحاث التي قام بها مؤخرا الباحث دوكا (1985) بدارسته لموقع الصخيرات الروازي ومراجعته لأدوات أشقار استنتج أن من بين أصول حضارة الكامبانيفورم نفسه موجود بالمغرب.

م.ع. الهجراوي، *أهم هجرات منطقة غرب البحر المتوسط خلال فترة ماقبل التاريخ* (مرقون).

R. P. Koehler (1929) : *Le vase néolithique de la grotte d'Achakar. B. S. P. M*, 3, n° 4, pp. 32 - 34 ; A. Jodin (1958 - 59) : *Les grottes d'Elkhils à Achkar,B. A. M*, 3 pp. 249 - 313 ; G. Camps (1974) : *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*. Paris, Doin, 366 p ; G. Souville (1984) : *Achakar (Maroc) Enc. Berb.* I, Aix en - Provence pp. 107 - 111; P. Daugas (1985) : *Eléments pour une approche du néolithique Marocain, première table ronde sur la préhistoire Marocaine à Bordeaux*. Sous presse.

محمد.ع. الهجراوي

أشقّار، رأس يقع غرب مدينة طنجة على 35 درجة 47 دقية و 14 ثانية من خط العرض، و 5 درجة 55 دقيقة و 30 ثانية من خط الطول گرينيش ويفصل مياه بوغاز جبل طارق عن مياه المحيط الأطلسي.

وهو الذي أشار إليه الجغرافيون القدامى وأطلقوا عليه اسم أمبيلوسيا (Ampelusia). وأما أبو عبيد البكري فقد سماه جبل اشبرتال وهو الاسم الذي يعرف اليوم عند الأجانب "Espartel".

ويطلق اسم أشقّار بين سكان شمال المغرب على الحجر الصلب، وذلك لأنه كان يستخرج من رأس أشقار حجر الرحى الموجودة بالناحية.

وبالقرب من الرأس توجد مغارة تعرف بمغارة هرقل، كما يوجد بأعلى الرأس منارة يرى ضوؤها على بعد 23 ميلا، وكانت أول منارة أحدثت بالمغرب على إثر تعهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان ببنائها في المعاهدة التجارية المبرمة مع إسبانيا بمدريد يوم 20 نوفمبر 1861 (الفصل 43).

وبمقتضى المعاهدة الدولية المبرمة بطنجة يوم 31 ماي 1865 اتفقت دول إسبانيا وفرنسا والنمسا وبلجيكا وبريطانيا وإيطاليا والبرتغال والسويد وهولاندا والولايات المتحدة الأمريكية مع المغرب على كيفية إدارة وصيانة المنارة المذكورة، وقد انضمت ألمانيا إلى هذه المعاهدة يوم 4 مارس 1878. وفي يومي 27 و 29 يناير 1891 وقعت كل من بريطانيا العظمى وفرنسا بلندن على اتفاقية خاصة بصيانة ملوّحة المنارة، ووافقت باقي الدول على ذلك فيما بعد.

وفي يوم 24 نوفمبر 1936 أصدرت إدارة طنجة الدولية قرارا برسم حدود أرض رأس أشقار بصفتها ملكا عموميا.

أبو عبيد البكري، بترجمة دوسلان :

Description de l'Afrique Septentrionale, p 113 Ministerio de la Guerra, *Accion de Espana en Africa* 1930 (G) p 70 Domenech Lafuente (Angel), *Geografia de la zona norte del protectorado de Espana en Marruecos* 1942 p 63. Cabello Alcaraz (J), *Apuntes de geografia de Marruecos* 1951 p 43. Ibn Azzuz Hakim *Repertorio diplomatico marroqui*, Rabat, 1961.

محمد ابن عزوز حكيم

أشقّار، معركة تعرف بمعركة رأس أشقّار Espartel المعركة التي جرت بمياهه يوم 20 أكتوبر 1782 بين الأسطول الأنجليزي المكون من 34 قطعة حربية برآسة الأميرال الورد Howe وبين الأسطول الفرنسي ـ الإسباني الذي كان يتكون من 46 قطعة حربية ويرأسه الجنرال لويس دي كوردوبا Luis de Cordoba.

ودامت المعركة من الساعة السادسة مساء إلى العاشرة والنصف ليلا غير أنها لم تسفر عن أية نتيجة حيث لم يكن فيها لا غالب ولا مغلوب.

Sotomayor (Ernesto). *Nuestra marina de guerra.*

مدريد1917 ص. 218

محمد ابن عزوز حكيم

الأشقوبية، اسم لعملة مغربية لم نقف على تاريخ بداية استعمالها بالضبط غير أنها كانت مستمرة الرواج الى بداية العهد العلوي، حيث ألغيت نهائيا، أثناء الاصلاح النقدي الذي قام به السلطان مولاي رشيد سنة 1670.

ويرجع هذا الاسم إلى نتائج التأثيرات المتبادلة بين المغرب والأندلس و بشبه جزيرة إيبريا عموما في مجال العملة. فقد استعمل الإسبان مصطلحات مغربية منها مصطلح المرابطي للدلالة على عملة حسابية إسبانية من العهد المرابطي إلى القرن التاسع عشر بينما استعمل المغاربة مصطلحات إسبانية متعددة منها على الخصوص : الأشقوبية والدبلون والريال والدورو، والبليون "القرش".

اشتقت الأشقوبية من اسم مدينة أشقوبية (segoia) التي اشتهرت بضرب النقود حتى الآن، تقع في الشمال الغربي من مدريد، وكان المسلمون قد احتلوا هذه المدينة لمدة نصف قرن ولم يستول عليها الإسبان إلا بعد موت المنصور بن أبي عامر.

وباعتبار أن القطع النقدية نادرا ماتكتب عليها أسماؤها وخاصة منها الفضية والنحاسية، فقد كان من العسير أن نعثر على قطع ذاتية تحمل اسم الأشقوبية ضمن المجموعات النقدية، فأغلب القطع إنما كانت تحمل اسم المدينة أو دار السكة التي ضربت فيها وتاريخ الضرب، وأحيانا أسماء الملوك أو عبارات أخرى ذات مضامين دينية غالبا.

ومما يحمل على الظن بأن بداية استعمال الأشقوبية يعود إلى العهد الموحدي، وجود بعض القرائن خاصة"الشكل المربع" الذي يجمع بين النقود الموحدية والأشقوبية. لكن الراجح، حسب ما هو ثابت في المصادر، أن مصطلح الأشقوبية شاع استعماله في الفترة الممتدة بين عهد الدولة السعدية وبداية الدولة العلوية، وقد راجت في فاس أيام الدلائيين، وانتشر استعمالها نحو الجنوب إلى الأطلس الكبير، ولم نعثر علي مايدل على استعمال هذا المصطلح في سهل سوس والأطلس الصغير - كما هو الشأن في كلمة دورو - إلا نادرا.

ومن حيث تحديد ماإذا كانت الأشقوبية عملة فضية أو نحاسية، فان الترتيب الزمني للمعلومات حسب المصادر التي رجعنا إليها، يفيد بأن الأشقوبية كانت عملة فضية قبل القرن السابع عشر ثم تحولت إلى مجرد نقود نحاسية مربعة، فصاحب *الاقنوم* يؤكد بأنها قطعة فضية، وقد حدد وزن الدرهم الأشقوبي بعشرين حبة وأربعة أسباع الحبة أي 20.57 حبة من حبوب الشعير.

والقدر في درهمنا الأشقوبي عشرون حبة من الحبوب
ونيد أربعة أسباع بأن أردت أدنى الصدقات لزمن

وهذا الوزن يساوي حوالي 1.2 غ من الفضة وهو أقل من نصف الدرهم الشرعي، وعلى أساس هذا الوزن ضربت موزونة مولاي رشيد التي قامت مقام الأشقوبية.

وكانت الموزونة الفضية "الأشقوبية" تصرف بثمانية وأربعين فلسا نحاسيا، ولكن إصلاح مولاي رشيد جعل صرف موزونته بأربعة وعشرين فلسا فقط، أما المصادر المتأخرة التي جاءت بعد *نشر الثاني*، مثل *الجيش العرمرم*، *والاستقصا*، *والاتحاف* فانها لا تذكر سوى الأشقوبية النحاسية المربعة التي وقع الغاؤها نهائيا سنة 1670.

ع. الفاسي، *الأقنوم في مبادئ العلوم*. مخطوط الخزانة العامة رقم 15ك، ص 424 ؛ *العمل الفاسي*، شرح الرباطي، مخطوط الخزانة الصبيحية رقم 261/3 ؛ م. القادري، *نشر الثاني* 2 : 86. 87 - 191 ؛ م.اكنسوس، *الجيش*، 91.1 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 : 41 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 3 : 12 و3 : 55 ؛ م. السراج، *الحلل السندسية في الأخبار التونسية*، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس ، 1970، 111 : 360 ؛ م حجي، *الزاوية الدلائية*، ص. 212 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 69 .

J. Gautier - Dalché, *Monnaie et économie dans l'Espagne du nord et du centre, VIIIe - XIIIe siècle*, H. T ; 1962, Vol. 3. P. 73 ; R. S. Veoman, *catalog of modern world coin*, 1950 - 1960, USA, 1972, pp 438 - 439.

عمرأفا

إشْقِيرْنْ، هي اتحادية قبلية صغرى، تشتمل على أيت إمزاتن، وأيت بويعقوب أعيسى، وأيت عمرو أعيسى. (*البحث العلمي*، 24 : 80) وتمتد موطنهم حاليا بين وادي سبو أحد روافد أم الربيع وأعالي ملوية. وتتصدر قرية القباب مراكز نشاطهم الاقتصادي، لموقعها في ملتقى الطرق الآتية من أحواض ملوية وأم الربيع ووادي العبيد. ولانعرف بالضبط التاريخ الذي استوطن فيه الشقيريون في هذا المجال. ففي مخطوط بزاوية سيدي حمزة وردت إشارة تفيد أن قبيلة إشقيرن كانت تعيش في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي. في المنحدرات الجنوبية لجبل العياشي (Reynier.94) وعندما ترجم صاحب *الإحيا والانتعاش* لجده الأعلى موسى العياشي الذي لانعرف مع الأسف تاريخ ميلاده أو وفاته، ذكر أن إشقيرن كانت تعيش أيام هذا الأخير، في تزرفت، إلى جانب قبائل زمور، وملوان، وتزد، وأيت إلياس، وأيت سادن. وأيت عياش. وغيرهم من القبائل الصنهاجية. وكانت كل قبيلة تقيم في قرية خاصة بها (*الإحيا*، 8) وقد اتفقت تلك القبائل، حسب نفس المصدر، علي إقامة صلاة الجمعة في قرية واحدة، وبنوا خزينا مشتركا لحفظ المؤن (*الإحيا*، 8) وقد ظلوا على تلك الحال، إلى أن وقع الطاعون في تلك الديار ومات بها خلق كثير (*الإحيا*، 8) ولانعرف مع الأسف تاريخ تلك الآفة التي حلت بكثير من قرى المغرب. إلا أن إشارة وردت عند صاحب *مباحث الأنوار* تذكر أن الطاعون المذكور قد حدث زمن أبي بكر الدلائي (943 - 1021 هـ) وبالرغم من كوننا لا نتوفر سوى على أخبار متأخرة عن إشقيرن، إلا أنه يظهر أن القبيلة، قدمت إلى تلك المنطقة مع فصائل اتحادية أيت إدْرَاسْنْ التي خرجت من الصحراء الغربية مع أوائل الحركة المرابطية واستقرت هناك حوالي (1012 - 1013 م) (*أثر التدخل الأجنبي* 12 - 13) ويمكن استنتاج ذلك من خلال إشارات صاحب *الإحيا والانتعاش* الذي ذكر أن إشقيرن كانت تعيش في منطقة تازرفت السالفة الذكر في وئام تام مع قبائل هذه الاتحادية. وقد ظلت إشقيرن وغيرها من القبائل الصنهاجية في الجنوب الشرقي، تمتهن الحرف والتجارة إلى أواخر القرن العاشر الهجري / السادس الميلادي، حيث استأنفوا رحلتهم نحو الشمال الشرقي، تحت ضغوط مجموعات قبلية أخرى بدأت في هذا الوقت تتطلع إلى الهجرة نحو الشمال تحت ضغوط اقتصادية وطبيعية. فقد ورد في *مخطوط* إبراهيم الناصري الذي نشره ريني أن إشقيرن زمن المولى إسماعيل كانت تعيش في منطقة تُونْفِتْ إلى جانب قبائل أيت

شخمان وأيت إحند (*Un document.*, 38). وحسب نفس المصدر، فقد كانت هذه المنطقة موالية للمخزن وكانت تخضع لحكم القائد الشهير علي أبركة اليموري الذي عينه السلطان مولاي إسماعيل خليفة له في أغْبَالاَ (*Un document.*, 38) وقد شاركت إشقيرن، إلى جانب الكثير من القبائل، في الحركات الإسماعيلية التي جردها لتطويع الأطلس المتوسط. ولعب بويعقوب الولالي دورا مًا في تأليف قبائل المنطقة حول الحركة الإسماعيلية(38. *Un document.*, 40).

إن المصادر المتأخرة، تصنف إشقيرن ضمن أيت أمَالُو. فقد ذكر صاحب *منظومة الأقنوم* (ص. 263) وبعده أشار الضعيف الرباطي إلى أن إشقيرن تنتمي إلى نفس القبيلة (*تاريخ الضعيف* : 349) ولا نعرف تاريخ دخول إشقيرن في هذا الحلف الذي وقف طيلة تاريخه في وجه السلطة المركزية لايذعن للخضوع .

إن الإشارات الواردة في المصادر المتأخرة تتحدث عن أيت أمالو أي القبيل الكبير الذي يضم إشقيرن وغيرها من القبائل. ولا نعثر على أخبار تتعرض لتاريخ هذه القبيلة إلا في سياق التأريخ لأيت أمَالُو والقبائل التي تنحدر تحت لوائها. لذا نرى أنه من الأنسب إدراج تاريخ هذه القبيلة ضمن التاريخ العام لاتحادية أيت أمَالُو منذ انضمامها إليها.

إلى جانب إشقيرن الأطلس، توجد قبيلة أخرى في الريف تحمل نفس الاسم، لا نعرف شيئا عن تاريخ رحيلها أو ترحيلها إلى هناك.

ع. الفاسي، *الأقنوم* ؛ ع. العياشي، *الاحيا* ؛ الضعيف ، تاريخ، العلوي التقي، *أصول المغاربة* ؛ اتحادية أيت إدراسن، *البحث العلمي* 24 ، 1975 ؛ كنينع، *آثار التدخل*.

Reyniers *Un Document sur la politique de Moulay Ismail dans l'Atlas* A. M. vol XXVIII, Paris 1931.

العربي كنينع

إشكاجن إمي ← إداومحمود

أشْكَلاَنْط، وتكتب أيضا بدون همز، وبالسين المهملة (شكلانط، أسكلانط، سكلانط) أسرة تطوانية، ورباطية، وسلاوية، أصلها من الأندلس حيث توجد أسر إسبانية تحمل نفس الاسم. Escalante، وكان جل أفرادها بتطوان يتعاطون الجهاد (القرصنة) في البحر المتوسط انطلاقا من وادي مرتيل، غير أن هذه الأسرة انقرضت بتطوان حوالي سنة 1194 / 1780.

وتوجد هذه الأسرة الأندلسية أيضا في سلا ورباط الفتح. ومن أشهر أفرادها :

أشكلانط عبد الله الفقيه الصوفي الرباطي المتوفي عام 1134، وكذلك :

أشكلانط الهاشمي محمد الفقيه المفتي الشاعر الرباطي السلوي.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ م.الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، 52 و145 و156 ؛ م بوجندار، *الاغتباط*، ص 464 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* (تحت الطبع) ؛ م.حجي، *فهرس الخزانةالعلمية الصبيحية بسلا*، 325.

Delegacion de asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 (E) Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*. 1928 (E) *Vedemecum de Intervenciones* (año 1931) (E). M. Ibn Azzuz Hakim, *apellidos tetuanies de origen espanol* (E).

محمد ابن عزوز حكيم

أشْكِينازي، يعقوب حبرٌ متجول وفد على المغرب أواخر القرن الثامن عشر أو أوائل التاسع عشر، وتوفي أثناء تطوافه قرب أفاي بضاحية مراكش، وأصبح قبره مزارة لليهود يحجون إليه من مختلف الجهات.

لاريدو، *أسماء يهود المغرب*، ص 386.

شمعون ليفي

أشْمَاخ، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمر الجبلية. وكان من بين أفرادها الفقيه محمد بن علي أشماخ الذي كان يتعاطى خطة العدالة من سنة 1188 (1774) إلى سنة 1210 (1796)، ومحمد بن محمد أشماخ الذي كان يتعاطى نفس المهنة سنة 1179 / 1983، ولازالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 24 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ *تاريخ تطوان*، 2 : 299 و 300. 7 : 244 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* (تحت الطبع).

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias illustres de Tetuan* 1921 (A) Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 (A). *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 (A). M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español*. 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

أشْنَة، أو حَزَازَ، وليكُن Lichens، كائنان نباتيان مكونان من طحلب وفطرة يعيشان معا متكافلين، فالطحلب تنمو خلاياه بين هيفات الفطر. وهو بما لديه من كلوروفيل يصنع المواد العضوية بعملية التخليف الضوئي، بينما يمتص الفطر المواد الغذائية والماء ويعطي النبات شكلا محددا ويحميه من الجفاف.

الأشْنَات عديدة في المغرب، حيث تصادف على قشرة جذور الأشجار والأسوار والصخور. أما من حيث التصنيف فإن الأشنات تنقسم إلى ثلاثة أصناف :

- أشنات شجيرية : نباتات شجيرية الشكل متفرعة، تكون قائمة أو تتدلى من الأغصان التي تنمو عليها.
- أشنات ورقية : تكون أجسام النباتات على هيئة أوراق زاحفة فوق السطح الذي تنمو عليه دون أن تلتصق به.
- أشنات قشرية : تكون أجسام النباتات ملتصقة بقشرة جذوع الأشجار أو الصخور، ويصعب نزعها من هذه الأخيرة.

وتعتبر جميع أنواع الأشنات أشد تحملا من أي نوع

آخر من النباتات، فهي قادرة على النمو على الصخور، وفي ظروف بيئية جد قاسية مثل تلك التي تصادف في قمم الجبال الشاهقة.

إنها تأخذ غذاءها من الماء والهواء وغبار الجو، غير أنها لا تتحمل تلوث الجو. ولهذا فإن أحياء المدن الملوثة بالغازات السامة والأدخنة تكاد تخلو من الأشنات. وكانت لهذه الملاحظة تطبيقات جد هامة ومنها القيام ببلورة خرائط حالات تلوث أجواء المدن، إذ أن الغازات السامة تقتل الأشنات، كما هو الحال في وسط مدينة كبيرة.

خليل، *النبات*، كتاب المعرفة (3). الجزء الأول، كلية العلوم، جامعة القاهرة ؛ *بحث ميداني*.

عبد المالك بنعبيد

أشهبار، الحاج علال بن قدور. ولد سنة 1915 بدوار ويسلي بالمنطقة الشمالية . التحق بصفوف جيش التحرير يوم 2 أكتوبر 1955، وحمل السلاح بجانب إخوانه المجاهدين ضمن الوحدة التي كان يرأسها مسعود أقجوج، إلى أن ألقي عليه القبض من طرف قوات العدو التي نفذت في حقه حكم الإعدام بجبل المرج.

وثائق المندوبية السامية للمقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

الأشولية. ـ حضارة قديمة ـ تنتمي الحضارة الأشولية إلى فترة العصر الحجري القديم، وتعتبر ثاني حضارة عرفها المغرب بعد حضارة الحصى. وسميت بالأشولية نسبة إلى موقع سانت أشول الموجود بفرنسا حيث اكتشفت لأول مرة.

1) مميزات الفترة الأشولية : تشكل الفترة الأشولية محطة هامة في تاريخ الإنسانية، بحيث إن الإنسان أصبح يتقن أكثر فأكثر طريقة نحت أدواته ويتحكم في الشكل النهائي للأداة، وبذلك يمكن له أن يصور ويحدد الشكل والحجم في ذهنه قبل بداية النحت. كما أصبح قادرا على نحت الحجر من جهتين وبصفة كاملة، مما أدى إلى ظهور الأدوات المسماة بالمحفر "Bifaces" وذلك عكس ما كان متداولا في الحضارات السابقة، حيث كان الإنسان يكتفي بإزالة بعض الشظايا فقط من جهة واحدة ليعطينا "الحجر المعدل" "Chopper" أو من جهتين وبصفة غير كاملة ليصبح الحجر المعدل "حجرا قاطعا" "Copping - tools". ويعتبر هذا التطور تقدما كبيرا في تقنية طريقة النحت، وهذا ما أدى إلى ظهور الأدوات المميزة لهذه الفترة وهي "المحافر" "Bifaces" بالنسبة لأوروبا وإفريقيا وجنوب إسبانيا. كما عرفت هذه الحضارة الأدوات فوق الشظايا والعظام.

وقد تبين من خلال بعض الأبحاث الحديثة أن قبائل عايشت الإنسان الأشولي، كانت في غنى عن المحافر، أولم تستعملها إلا نادرا كالقبائل التي تم العثور على بقاياها بموقع سيدي عبد الرحمان امتداد ناحية الدار البيضاء (A. Debenath,1982) وموقع الضاية الحمراء قرب مدينة تيفلت (الهجراوي، 1985)، وقد تكون هذه المواقع عبارة عن "مصانع" للنحت. ولعل الأبحاث المستقبلية ستزودنا مما لا شك فيه بمعلومات جديدة تقربنا من الحقيقة. ومثل هذه القبائل كمثل المسؤولين عن حضارة اللوفالوازيان والطايسيان بأوروبا.

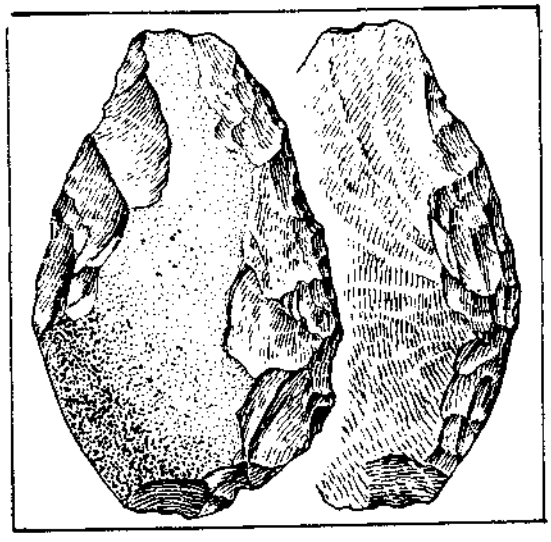

1 الحضارة الأشولية : محك عثرعليه بموقع الضاية الحمراء.

ومن مميزات الحضارة الأشولية كذلك، استعمال الإنسان لأدوات نحت رطبة "كالخشب وقرون بعض الحيوانات" عكس ماكان سائدا في الحضارات السالفة، وهذا الاكتشاف مهم أيضا، لأن استعمال أدوات نحت رطبة، من شأنه أن يسهل على الناحت التحكم أكثر فأكثر في الشكل والحجم الذي ينوي الوصول إليه، كما أنه في هذه الحالة يكون النحت جد مستقيم ومنظم.

2) الحضارة الآشولية بالمغرب : لقد عرف المغرب الإنسان الأشولي خلال الفترة الممتدة ما بين 1000000 إلى 80000 سنة تقريبا، وتوجد مخلفاته بعدة مواقع أهمها مواقع سيدي عبد الرحمان، مقلع طوماس، الضاية الحمراء، ترسبات وادي بهت، ووادي ملوية. وأهم البقايا العظمية للإنسان الأشولي التي تم اكتشافها : فك عثر عليه بموقع سيدي عبد الرحمان (200000 سنة) فك إنسان الرباط (165000 سنة). ولعل تشابه الأدوات الأشولية الموجودة بالمغرب وكذا التي تم العثور عليها بإسبانيا وخاصة بموقع طورالبا، 100 كلم شرق مدريد ليعتبر خير دليل على انتقال هذه الحضارة بميزاتها الإفريقية إلى إسبانيا عبر المغرب وخاصة خلال الفترات الجليدية بحيث كان مستوى البحر المتوسط ينقص عن الشكل الحالي، وبالتالي كانت عملية اجتياز مضيق جبل طارق تتم بسهولة. ومن أهم الأبحاث التي أجريت على الحضارة التي نحن بصددها، ما قام به الباحث الفرنسي (بيبيرسون P. Biberson, 1961) والذي أستطاع أن يقسم هذه الحضارة إلى ثمانية مراحل، لكل واحدة منها مميزاتها الخاصة بها، وذلك اعتمادا على الترسبات البحرية وكذا تطور الأدوات.

2 ـ 1) الفترة الأشولية القديمة : تتميز المرحلة الأولى بمحافر بدائية، خشنة الشكل منحوتة بصفة غير دقيقة وغير

منظمة، مثلثة الشكل في بعض الأحيان، ومتعددة الجوانب أحيانا أخرى، هذا زيادة على الحصى المعدل والحصى القاطع المعروفين في الحضارة التي سبقت الحضارة الأشولية وكذا التي ستأتي من بعد.

أما في المرحلة الثانية والثالثة، فقد أصبحت المحافر الثلاثية الشكل أكثر عددا بالنسبة للمرحلة الأولي.

2 ـ 1 ـ 1) الفترة الأشولية الوسيطية : خلال الفترة الأشولية الوسيطية أي المرحلة الرابعة ثم الخامسة والسادسة نلاحظ تنوع شكل المحافر وتجددها مع اندثار الشكل المثلث. أما الفؤوس الحجرية فقد اتخذت أحجاما مختلفة، كما ظهرت الأدوات فوق الشظايا (محكات، مكاشط..) وتقنية النحت المسماة "بلوفالوا" والأدوات العظمية.

2 ـ 1 ـ 2) الفترة الأشولية المتطورة : مع المرحلة السابعة، ازدهرت تقنية النحت وظهرت محافر جديدة أحسن تهذيبا وأجمل شكلا، كالمحافر الرمحية أو البيضوية الشكل.. أما فيما يخص الفؤوس الحجرية، فلقد أصبح عددها جد ضئيل عكس الأدوات على الشظايا التي تنوعت وكثرت (محكات، مكاشط...)

أما في المرحلة الأخيرة أي الثانية، فقد أصبحت المحافر صغيرة الحجم، قليلة الشكل تذكرنا بمحافر الحضارة المونستيرية التي تأتي مباشرة بعد الحضارة الأشولية، كما ظهرت أدوات فرق شظايا لوفالوا.

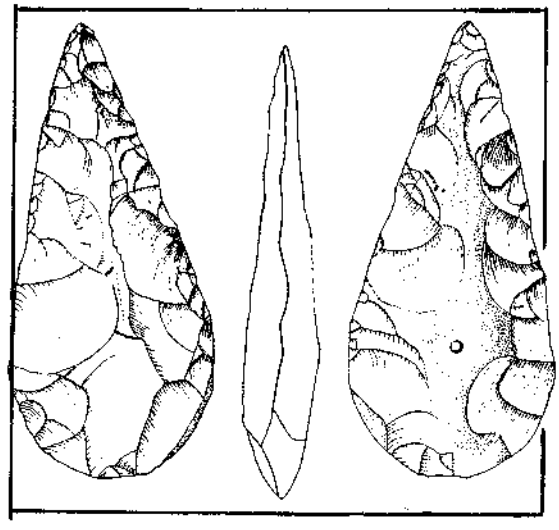

II آلات حفر عثر عليها بمقلع طوماس

ومن خلال هذه النظرة للحضارة الآشولية يتبين بأن من مميزاتها ظهور المحافر والفؤوس الحجرية وكذا تقنية لوفالوا والأدوات على الشظايا والعظام، كما استعمل الإنسان لأول مرة أدوات تحت رطبة. ويعتبر المغرب من أهم المناطق في العالم التي مكنت الباحثين من الوقوف على تطور وتسلسل الحضارة الأشولية، وذلك بفضل تعدد الترسبات البحرية بموقع سيدي عبد الرحمان، واختزانها لمختلف مراحل هذه الحضارة، هذا هو ما أعطى للموقع شهرته العالمية، كما عرف الإنسان الأشولي عدة مناطق مغربية.

Biberson, P. (1961), *Le Paléolithique inférieur du Maroc atlantique*, P. S. A. M, nº 17, Casablanca ; Bordes, F. (1968), *Le Paléolithique dans le monde*, ed. Hachette, l'univers des connaissances ' Debenath, A. et al. (1981 - 1982), *Mission préhistorique et paléontologique française au Maroc*, Rapport d'activités ; EL Hajraoui, M. A. (1985), *Les industries préhistoriques de la région de la Mamora dans leur contexte géographique et paléopedologique*, Thèse de 3 ème cycle, Université de Bordeaux I.

محمد عبد الجليل الهجراوي

الأشياخ، (جامع ـ) بناه إدريس الأزهر عام 192 / 808 في مكان كان يدعى برحبة البئر من عدوة فاس الأندلس، وهو أول ما بنى بها بعد أن أدار عليها السور، وأقام به الخطبة، فكان هو المسجد العتيق بمدينة فاس، واستمرت فيه الخطبة طول عهد الأدارسة إلى أن نقلها منه إلى جامع الأندلس حامد بن حمدان الهمذاني عامل أبي عبد الله الفاطمي الشيعي المتغلب على فاس عام 321 / 933. ويرى لوطورنو أن الأشياخ الذين ينسب إليهم الجامع هم أعيان البربر أنصار إدريس أمثال أوربة وزواغة الذين كانوا يجلسون في المساء بالمسجد يتداولون.

وقد تهدم جامع الأشياخ منذ مدة ويدعى اليوم جامع النوار، وهو واقع بأعلى عقبة الصفاح من حومة گرواوة عند مدخل زنقة سيدي بوجيدة من عدوة فاس الأندلس.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة* ؛ ر. لوطورنو، *فاس قبل الحماية* ـ ترجمتنا العربية ـ ج 1.

محمد حجي

أشْيُوق، أحمد بن محمد. ولد عام 1911 بدوار توداك، فرقة المرابطين، زناگة، اصبويا، كان ينتمي لعائلة معروفة بالكفاح والنضال، وقد انخرط في صفوف جيش التحرير بصحراء المغرب منذ سنة 1957، وتدرب على حمل السلاح وخاض معارك منها المعركة التي دارت رحاها بأحد قبيلة صبوية، قيادة أيت باعمران، واستشهد على إثرها بتاريخ 26 نونبر 1957.

وثائق المديرية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.

عز الدين العلام

أصاصاي، إبراهيم بن موسى، أبو إسحاق، واسم أصاصاي ـ بصادين مشمومتين زايا ـ ذكره صاحب *التشوف* وعده من العباد الصالحين وكان ممن تجاب دعوته على الظالمين، ويظهر من معنى لقبه أنه كان من البله لأن أصاصاي تعني الثقيل في سمعه أو فهمه، وموته بدكالة سنة 615 هـ.

التادلي، *التشوف*، ص420.

أصَّادة، هي بالتأكيد صيغة معربة لأصَّادنْ، وهو جمع، والصاد فيه مشمومة زايا، والفعل الذي اشتق منه الاسم يعطي لأزاضن معنى أهل الأرجاء الحجرية أو أهل النسيج. ذكر البكري (ص. 114) أصادة على أنها مدينة قرب ورغة ببلاد بني مسارة، وذكر البيذق (ص 43) أن أصَّادنْ قبيلة الموحدين، ولا شك أنه يعني بها تلك التي في عمق جبل درن في واد تحت قمة تُبكالْ، غربيها، تتكون من

عدة قرى على نهر يسمى في شطره الأسفل بنهر ويرگان. أما ابن خلدون فيرى أن أصادة لها بطون في شمال المغرب وفي جبال درن وقد لا يكون للاتفاق في الاسم معنى الارتباط بالنسب ضرورة.

أحمد التوفيق

أَصِـقّال، وترد معرفة في بعض الوثائق "الصِّقال" أسرة مكناسية، أقدم من عرف منها في القرن العاشر الهجري/16 م. أحمد الصيقال الذي نقل عنه المنجور في *فهرسه* (ص 44) تاريخ ولادة ابن غازي. وجاء عن أصل هذه الأسرة في الديوان الإسماعيلي، أولاد أصقال، سؤال. وفيه أيضا، أولاد أصقال، أهل زقاق الحجامين، من الأندلس». وفي وثيقة تعريف بشهود (عام 1115 هـ) تعريف بالفقيه العدل الرضي على أصقال. وفي وثيقة ثالثة (18 رجب 1152 هـ) تعريف بعائشة بنت قدور أصقال ووارثها ابن عمها الحاج حدو بن عبد الرحمان أصقال.

أ. المنجور، *الفهرس : الديوان الإسماعيلي*،مخطوط ؛ وثائق عدلية خاصة ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 1 : 341.

محمد المنوني

حزب **الإصلاح** الوطني، أول حزب سياسي وطني تأسس بالمغرب في عهد الحماية، وكان نشاطه بشمال المملكة الذي كان آنذاك خاضعا للحماية الإسبانية، وكان مقره بتطوان حيث أعلن عن تأسيسه يوم ثالث شوال 1355 / 18 ديسمبر 1936. اختير يوم ثالث شوال بالذات لأنه اليوم الذي توفي فيه أبو الحركة الوطنية الحاج عبد السلام بنونة سنة 1353 / 9 يناير 1935.

وحيث إن حزب الإصلاح الوطني كان هو الحزب الوطني الوحيد الذي اعترفت إدارة الحماية بمشروعية وجوده، فقد ظلت حقيقة أمره مجهولة بسبب عدم نشر الوثائق المتعلقة به، الشيء الذي جعل بعض الكتاب يصدرون أحكاما مسبقة لا سند لها لكونها مبنية على الأوهام، أو يضعونه في قفص الاتهام، لا لشيء إلا أن نشأته تزامنت مع الانقلاب العسكري الإسباني الذي أطاح بالنظام الجمهوري في إسبانيا، فقالوا عنه إن صانعه هو الجنرال فرانكو الذي تزعم الانقلاب المذكور.

يقول في هذا الصدد الطيب بنونة في كتابه *نضالنا القومي* (ص 317، تعليق 2) إن "الجماعة الوطنية في تطوان كانت تفكر في تأسيس الحزب المذكور قبل أربع سنوات من إعلانه، وليست فكرة الحزب السياسي وليدة حركة فرانكو كما يدعيه بعض الكتاب الذين يهدفون إلى التعريض بحركتنا الوطنية بالباطل والبهتان".

ويؤكد كلام بنونة هذا ما وجدناه في *مذكرات* الأستاذ عبد الخالق الطريس ليوم 18 أكتوبر 1932 حيث يقول إنه في اليوم المذكور بدأ في وضع مشروع النظام الأساسي للحزب الوطني الذي كان يفكر في تأسيسه، وهذا المشروع الذي نتوفر على نسخته الأصلية بخط يد صاحبها وتحمل تاريخ 11 نوفمبر 1932، بل إننا نتوفر على وثائق تشهد على أن الفكرة بدأت تراود الطريس وهو لازال طالبا بجامعة القاهرة حيث نجده يقول في رسالة وجهها لصديقه الطيب بنونة المذكور الذي كان يتابع دراسته بنابلس (فلسطين) يوم 7 مارس 1930 :"متى سيعلم الناس عندنا قيمة التعليم والثقافة فيمدون يد المساعدة ويقبلون على إدخال أولادهم لما ينشأ من المدارس الوطنية الحرة، وعلى إنشاء صحيفة وتأسيس جمعية وطنية تكون نواة لحزب سياسي يضم جميع العناصر الحية في وطننا".

وفي يوم 5 سبتمبر 1930 شارك الطريس مع جماعة من الوطنيين بتطوان وعلى رأسهم الحاج عبد السلام بنونة في تأليف أول هيئة وطنية سرية بناء على توصيات الأمير شكيب أرسلان الذي كان قد زار تطوان في أواسط شهر غشت من نفس السنة.

وفي يوم 23 نوفمبر قام الطريس بتأسيس أول جمعية وطنية مغربية بالخارج هي جمعية الدفاع عن القضية المغربية التي تأسست بالقاهرة. والطريس هو الذي أشرف على تأسيس هيئة وفد مطالب الأمة التي حلت محل الهيئة الوطنية الأولى، وذلك يوم 19 يونيو 1931 بتطوان، هذه الهيئة التي أصبحت ابتداء من فاتح أبريل 1932 تحمل اسم الهيئة الوطنية بشمال المغرب وكان يرأسها الأستاذ الطريس.

وفي 16 يناير 1933 تألفت بتطوان هيئة وطنية خاصة أطلق عليها اسم الهيئة التحضيرية لنظام حزب الإصلاح الوطني، وكان يترأسها الفقيه محمد الصفار، وقد سبق لي أن نشرت محاضر جلساتها في *وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب* (ص 73) ومن ضمن هذه المحاضر المحضر الخاص بالجلسة الختامية ليوم 11 فبراير من نفس السنة التي اتفقت فيها الهيئة على غايات حزب الإصلاح الوطني.

وللطريس يرجع الفضل في أنه أنشأ يوم 20 نوفمبر 1933 هيئة العمل الوطني بشمال المغرب التي كان يرأسها والتي قررت في جلستها الأولى أن "تكون هيئة سرّية يمكن في وقت من الأوقات أن تعلن عن نفسها تحت اسم حزب الإصلاح". وفي جلستها ليوم 18 ديسمبر من نفس السنة ناقشت الهيئة مشروع القانون الأساسي لحزب الإصلاح الوطني ثم وافقت عليه في جلستها المنعقدة يوم 26 يوليوز 1934.

وفي 26 سبتمبر 1934 قبل الأستاذ الطريس منصب مدير عام للأوقاف الإسلامية في الحكومة الخليفية شريطة أن توافق الحكومة الإسبانية على تأسيس حزب الإصلاح الوطني، وبناءً على ذلك عرض مشروع النظام الأساسي للحزب على أنظار الإقامة العامة يوم 18 ديسمبر وفي 6 يناير 1935 تمت مناقشة المشروع المذكور بين الطريس والإقامة العامة بتطوان.

وحين علم الطريس أن الحكومة الإسبانية غير مستعدة للموافقة على تأسيس الحزب حيث احتفظت بمشروع نظامه

الأساسي دون أن تتخذ في شأنه أي قرار، قدم الطريس يوم ثاني سبتمبر 1935 استقالته من منصب المدير العام للأوقاف الإسلامية، ورغم ذلك توجه إلى العاصمة الإسبانية للاتصال برجال الجمهورية في قضية الاعتراف بالحزب. وتستخلص نتيجة هذه الرحلة من مذكرات الطريس ليوم 22 نوفمبر 1935 :"إننا لم نجد فيهم أي استعداد لإرضائنا في هذا المطلب خوفاً مما يمكن أن يترتب عنه بخصوص علاقاتهم مع فرنسا".

وما إن عاد الطريس إلى تطوان حتى قررت الهيئة الوطنية أن تعلن عن نفسها كمنظمة سياسية اسمها "كتلة العمل الوطني بشمال المغرب"، وكان ذلك يوم فاتح فبراير 1936. وفي يوم 4 يونيو من نفس السنة وافقت الهيئة المذكورة على نظامها الأساسي الذي نص على أنه من غايات الكتلة "السعي لإعلان حزب سياسي وطني لخدمة الغايات السابقة بشكل قوي يناسب تطور المغرب وفناء الكتلة فيه". (المادة الأولى. الغاية الخامسة)، كما نصت المادة 47 منه على أن "هذا النظام مؤقت ريثما يتم نظام الحزب".

وشاءت الأقدار أن تتحقق أماني الوطنيين بعد وضع هذا القانون بشهرين حيث وقع الانقلاب العسكري الذي قاده الجنيرال فرانكو وأطاح بالجمهورية الإسبانية في 17 يوليوز، وفي يوم 26 من نفس الشهر اتصل الكولونيل بيكبيدير (Beygbeder) ممثل الحركة الانقلابية في تطوان بالأستاذ الطريس وأخبره بأن الجنيرال فرانكو مستعد للموافقة على تأسيس حزب الإصلاح الوطني مقابل التزام الحركة الوطنية الحياد في النزاع القائم بين العسكريين والجمهوريين الإسبان.

وفي يوم 5 غشت كتب الكولونيل المذكور يقول للطريس إنه يمكنه أن يتقدم بطلب الإذن في تأسيس الحزب لكل من الخليفة السلطاني والإقامة العامة، فقدم الطريس بالفعل الطلب وأجاب عنه بيكبيدير بالموافقة يوم 7 دجنبر.

وفي يوم 14 من نفس الشهر تألفت اللجنة التنفيذية المؤقتة لحزب الإصلاح الوطني من السادة التهامي الوزاني (وكيل ومفتش) وعبد السلام ابن جلون (كاتب عام) وحمد طنانة (أمين) ومحمد أفيلال (حاسب) والطيب بنونة (مساعد الكاتب العام) وعبد السلام التمسماني (مساعد إداري) والأعضاء السادة : عبد الخالق الطريس وأحمد غيلان ومحمد بناني ومحمد الطنجي ومحمد الصفار.

وفي يوم 3 شوال 1355 / 18 دجنبر 1936 تم الإعلان عن تأسيس حزب الإصلاح الوطني في بلاغ نشر بجريدة الريف وفيه نص النظام الأساسي للحزب المذكور :

المادة 1 يسمى الحزب "حزب الإصلاح الوطني".

المادة 2 مركزه الرئيسي عاصمة تطوان.

المادة 3 غايات الحزب الرئيسية :

أ) إيصال الأمة المغربية إلى جميع حرياتها وكامل استقلال أراضيها.

ب) تحقيق الوحدة المغربية سياسيا ولغويا.

ج) اكتساب سائر الحقوق الضائعة.

د) ابلاغ الأمة المغربية إلى مركز سام من الحضارة والقوة.

المادة 4 الوسائل التي يتوصل بها الحزب إلى غاياته الرئيسية هي :

أ) التعاون الشرعي مع الحكومة في سائر الاصلاحات والأعمال التي تتفق مع غايات الحزب.

ب) استغلال ملكات الشعب وثروة البلاد الطبيعية.

ج) تحرير الفكر المغربي من الرجعية في حدود الديانة الإسلامية.

د) العمل على رفع المستوى الأخلاقي في الشعب.

هـ) خلق المواطن المغربي الذي يشعر بحقوقه ويعرف واجباته.

و) محاربة الأمية ونشر التعليم على اختلاف درجاته.

المادة 5 الخطة التي يتبعها الحزب في أعماله كلها لا تخرج عن الخطط التي تتبعها الأحزاب السلمية الأخرى التي منها :

1 ـ نشر الدعاية بكل الوسائل.

2 ـ جمع الأنصار وتنظيمهم تنظيما جديا.

3 ـ إصدار برامج بين آن وآن لتبيين وجهة النظر في المسائل القائمة.

4 ـ تنظيم المؤتمرات والاجتماعات العامة.

المادة 6 تتكون اللجنة التنفيذية من رئيس ووكيل وأمين وحاسب وكاتب عام ونائب عنه ومفتش خارجي ومفتش داخلي وأربعة أعضاء، وتبين اختصاصاتهم في النظام الداخلي للحزب.

كان لحزب الإصلاح نظام داخلي ونظام الجهاز الإداري ونظام مالي ونظام الانتخابات ونظام العضوية، فكان أول حزب في المغرب اتخذ لنفسه عدة طقوس مثل : التحية برفع اليد المبسوطة مع قول : الله أكبر، والشعار المتمثل في الطربوش الأبيض والأسود، والرمز المثلث به عبارة الله أكبر، والعلم الأبيض والأسود به عبارة الله أكبر، والنشيد المعروف بـ "فتيان قومي".

وكان للحزب : 1) مجلس أعلى يتكون من اللجنة المركزية واللجان الفنية الفرعية. 2) لجنة مركزية تتألف من رئيس الحزب ووكيله وأمين عام وناظر وأمين الصندوق وحاسب وعدة أعضاء. 3) لجان فنية هي لجنة المالية ولجنة الشؤون الخارجية ولجنة الشؤون الداخلية واللجنة الاقتصادية واللجنة الثقافية ولجنة الشؤون الاجتماعية واللجنة القانونية ولجنة التنظيمات الحزبية، ولجنة الدعاية والنشر. 4) لجان فرعية تتألف من رئيس وأمين عام وأمين الصندوق وحاسب وعدة أعضاء في المدن التالية : تطوان والقصر الكبير والعرائش وأصيلا وشفشاون والحسيمة والناضور وطنجة، وهذه اللجان الفرعية كانت لها شعب، وللشعب حلقات، والحلقات هي التي كانت تتصل بالأنصار.

كما كان للحزب عدة منظمات مثل منظمة الفتيان (الكتائب) ذات النظام شبه عسكري، وجمعية الطالب المغربية، والجمعية الرياضية، والاتحاد النسائي، واتحاد الطلبة. ومنذ تأسيس الحزب كان له لسان حال يتمثل في جريدة *الحرية*. التي حلت محلها جريدة *الأمة*. وفي ثالث شوال من كل سنة الذي أطلق عليه اسم عيد الجهاد الوطني كان الحزب يعقد مؤتمرا عاما بتطوان تحضره جميع اللجان المركزية والفنية والفرعية بجميع أعضائها.

أما الأهداف والغايات التي عمل من أجلها حزب الإصلاح الوطني من سنة 1936 إلى سنة 1956 فهي :

- الإصلاح (الوطنية والحزبية والاتحاد).
- الدين الإسلامي ومحاربة الرجعية.
- اللغة العربية والعمل على استعمالها في جميع مرافق الحياة.
- الوحدة (الترابية والقومية والمغاربية والعربية والإسلامية).
- التحرير (معارضة نظام الحماية والعمل على استقلال البلاد).
- النظام (المحافظة على النظام الملكي والعمل على إيجاد دستور للبلاد مع فصل السلطات واستقلال القضاء).
- العدالة الاجتماعية (تحرير المرأة والاعتناء بالشباب والدفاع عن حقوق العمال والصناع والاهتمام بشؤون الفلاح والمحافظة على ملكيته وتعميم التعليم مع تعريبه ومغربته ومحاربة الأمية وتوفير وسائل الصحة للجميع).
- المجال الخارجي (حضور الحزب في جميع المؤتمرات العربية والإسلامية ووجوده باللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية بصفة رسمية ومشاركته في مكتب المغرب العربي وفي لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة وإنشاؤه مكتب المغرب بنيويورك ودفاعه عن القضية الفلسطينية الخ).

وقد ظل حزب الإصلاح الوطني يعمل من أجل تحقيق الأهداف والغايات المذكورة إلى أن توحد مع حزب الاستقلال في حزب واحد يحمل اسم حزب الاستقلال (الجديد) وذلك يوم 5 شعبان 1375 / 18 مارس 1956.

ع. الطريس، *مذكراته الخاصة* الموجود جزء منها بريائد مؤسسة عبد الخالق الطريس والجزء الآخر بريائد ابن عزوز حكيم ؛ م. ابن عزوز حكيم، *وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب* ج 1 : تطوان 1980 ؛ وثائق *تشهد* (ج 1) الرباط 1980 ؛ *وثائق سرية حول زيارة الأمير شكيب أرسلان للمغرب*، تطوان 1980 ؛ *نضال الطريس في ساحة الوحدة* (الرباط 1980) ؛ *من مذكرات الزعيم*، ج 1 الرباط 1982. ط. بنونة، *نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة* (طنجة 1980). *مجلة الوثائق الوطنية* (تطوان ع. 1 مارس 1988) ؛ ح. الصفار، *حزب الإصلاح الوطني* 1936 - 1956. (دراسة تحليلية) مذكرة لنيل دبلوم الدراسات العليا في القانون العام، نوقشت في كلية الحقوق بالرباط سنة 1988.

محمد ابن عزوز حكيم

إصلاحات، تعرض المغرب كبقية الشعوب التي لم تتمكن من إحداث ثورتها الصناعية إلى تسلط الحركة الإمبريالية الأوربية خلال القرن التاسع عشر. وتمثلت ردود فعله في إنجاز بعض المحاولات الإصلاحية. فإلى أي حد كان الجهاز المخزني ببنياته العتيقة قادرا على اتخاذ مبادرات إصلاحية فعلية، لتهيئ البلاد لمواجهة، أصبحت تبدو غير متكافئة ومستحيلة للحفاظ على مكتسباته السياسية والاقتصادية والحضارية ؟. وإذا كان مفهوم الإصلاح ينطوي في حد ذاته، على دلالات واسعة ومتداخلة في الوقت نفسه، فإن معالجة مسألة الإصلاحات في المغرب تقتضي القيام بذلك من زاويتين متعارضتين ؛ رؤية للإصلاحات من وجهة داخلية مرتبطة بالواقع المغربي الإسلامي وبجهاز المخزن، ورؤية للإصلاحات من وجهة خارجية أوروبية صرفة. فهل كان بإمكان النخبة المغربية غير المتجانسة، من كبار موظفي المخزن، وتجار وعلماء، أن تكون مؤهلة لتقديم اقتراحات إصلاحية انطلاقا من إمكانات محلية ؟ إن ما تقدمت به عناصر النخبة المغربية من دعوات إصلاحية مكتوبة في معظمها ردود فعل تميزت بطابعها الجزئي بل السطحي في بعض الأحيان. ولم تتجاوز في مجموعها مستوى الترقيعات التي كان من الصعب إدخالها في مشروع إصلاحي منسجم ومتكامل.

ويبدو أن الرؤية الخارجية الأوروبية للإصلاحات قد كانت أقوى، وهي التي شكلت بداية انطلاق للمحاولات الإصلاحية للمخزن على علاتها وما انطوت عليه من مجازفات ومن مخاطر تفتيت لسيادة المخزن. ونعني بهذا مختلف التجهيزات والإجراءات التنظيمية التي قام المخزن بإحداثها وإدخالها، بعد الضغوط المتوالية من طرف قوى أجنبية كانت أنجلترا وفرنسا من أهمها.

وإذا كانت جل الكتابات التاريخية تجعل من السنوات التي تلت هزيمة إسلي في 1844 م منطلقا لعزم المخزن على الشروع في بعض الإصلاحات التي اقتصرت في بدايتها على الجانب العسكري، فإننا نميل إلى اعتبار المقترحات والدعوات الإصلاحية التي وجهتها أنجلترا إلى السلطان عبد الرحمان (1822 - 1859) ابتداء من 1853، في إطار التهيئ لإقناعه بتبني بنود اتفاقية 1856، كأول دعوة أجنبية إلى المغرب لتدشين سياسة "إصلاحية" شاملة. وكانت موافقة المخزن تحت الضغط والتهديد على بنود 1856 بمثابة اعتراف قسري وقانوني منه، بضرورة إحداث تغييرات و"إصلاحات" في سياسته التجارية. وسبق لأنجلترا أن استغلت أزمة سياسية لدى العثمانيين لتفرض عليهم اقتراحات مماثلة، من خلال اتفاقية بالطاليمان Balta liman (1254 هـ / 1838م)، فتمكنت من فتح أسواق الإمبراطورية على مصراعيها في وقت كانت تبحث فيه الصناعات الآلية الأنجليزية عن منافذ لتصريف منتجاتها. وقد نجحت بريطانيا في إرغام المخزن على نهج سياسة تجارية تستقي مبادئها من الليبرالية الغربية، حيث تخلى

عن ظاهرة الاحتكارات، وخطا خطوة هامة في طريق تحرير الصادرات والواردات واكتفى بتعرفة جمركية ثابتة لا تتجاوز 10 ٪ من قيمة البضائع. واتسعت دائرة المقترحات الإصلاحية الأنجليزية إلى مخزن السلطان محمد بن عبد الرحمان، فتجاوزت شؤون التجارة لتشمل الجهاز الإداري والعسكري ومختلف المجالات الاقتصادية. خاصة وأن الظرفية العامة التي تلت خرب تطوان قد كانت جد مواتية بالنسبة لبريطانيا لتوجيهها لتلك الدعوات، حيث عينت هذه الأخيرة قناصلة محترفين بالمراسي المغربية وزودتهم بتعليمات صارمة للسهر على تطبيق بنود 1856، وأمرت إسبانيا وكلاءها بالجلوس في المراسي لتحصيل ما تبقى من الغرامة الحربية. وكانت للمخزن رغبة ملحة في محاربة التلاعب الذي كانت تعرفه الجمارك في وقت أصبح فيه المغرب ملزما بتسديد ديون ثقيلة وتحمل عبء مصاريف الإصلاحات. فارتأت أنجلترا حث السلطان محمد بن عبد الرحمان ـ(1859 ـ 1873) على إحداث تغييرات أساسية في إدارة المراسي. وتم ذلك من خلال المذكرة التي وجهها إليه جون دريموندهاي J. D. Hay في 30 أكتوبر 1861، والتي نصت على منع الأمناء من ممارسة أي نشاط تجاري لفائدتهم، وتعيين أمينين في كل مرسى اشترط أن يكون أحدهما أجنبيا عنها، وتعيين ناظر متنقل لمراقبة جميع الأمناء، مع تحديد أجورهم، وفرض عقوبات قاسية عن كل مخالفة. وتكفي مقارنة الظهير السلطاني الصادر في رمضان 1278 هـ / 1861 م مع المقترحات الأنجليزية للتأكد من مدى اقتناع المخزن بنصيحة الأنجليز في الموضوع. وخلف ذلك التغيير الذي دخل حيز التنفيذ في كل المراسي ارتياحا في أوساط التجار الأجانب على وجه الخصوص، كما ساهم إلى حد ما في ردع الخروقات المعهودة، وتوفير الأموال الضرورية لإصلاح الأحوال العسكرية للبلاد.

اعتمد المخزن في إصلاح الجهاز العسكري قبل هزيمة إسلي على العثمانيين كدولة إسلامية ذات قاعدة عسكرية أكثر تطورا، فزودته بمدربين أمثال علي والخوجة التونسيين، وحمودة الجزائري. كما أرسل طلبة مغاربة للتدرب في صفوف الجيش المصري أيام إسماعيل باشا. إلا أن معركة إسلي أكدت فشل جهود المولى عبد الرحمان في تعزيز جيوشه التقليدية واتضح بأن اعتماده على الأتراك لم يُمكن عساكره لا من مواجهة التفوق التكنلوجي والتنظيمي للجيوش الفرنسية برا وبحرا، ولا من السيطرة على الوضع الداخلي. وزادت هزيمة تطوان، أمام قوات إسبانيا من تأكيد نفس النتائج لدى محمد بن عبد الرحمان (1859 ـ 1873) بعد أن رسم أمامه جون دريمونديهاي صورة قاتمة عن الجهاز العسكري المغربي. واستغلت أنجلترا الشعور الذي ساد بعد فاجعة تطوان في أوساط العلماء لتدعو المخزن إلى إحداث نظم عسكرية على النمط الأوروبي. واقتصر دور الأوروبيين والأنجليز خاصة في ذلك على جلب الأسلحة بواسطة التاجر الأنجليزي فورد Ford الذي قام بالنيابة عن السلطان بالحصول على السلف من أنجلترا، وبواسطة التاجر المغربي محمد الدكالي. واستمر الاعتماد على مختلف الدول الأوروبية لتزويد الجيش المغربي بالسلاح والذخيرة رغم إنشاء دار السلاح بمراكش. كما دشن محمد بن عبد الرحمان بتوجيهه لشبان المغاربة إلى جبل طارق فكرة توجيه البعثات الطلابية إلى الخارج، هذه العملية التي شكلت أبرز اهتمامات المولى الحسن الإصلاحية.

ولم تكن إمكانيات المخزن المالية جيدة بالشكل الذي كان من الممكن معه تحقيق الإصلاحات العسكرية على النحو المطلوب. وزاد استفحال مشكل الحمايات من تقليل المداخيل الجبائية، فحاول السلطان محمد بن عبد الرحمان إعادة النظر في امتيازات المحميين والمخالطين، معتمدا في ذلك على مساندة أنجلترا، واعترفت تسوية بكلار Beclard بتاريخ 19 غشت 1863، نظريا بمساهمة المخالطين في أداء ضريبة مطابقة لحصتهم من المحاصيل والماشية. لكن صعوبة تحديد الحصة الفعلية للمخالطين وتحول العديد من الفلاحين إلى مخالطين جدد، ضاعف من خسائر المخزن. وفشلت سفارة الزبدي في 1876 إلى أوروبا في حل مشكلة الحمايات، ولم تكن الدول المشاركة في مؤتمر مدريد (1880)، على استعداد لتقديم أي تنازلات قد يكون من شأنها حرمانهم من تعزيز وسائل التغلغل في البلاد المغربية. ولما وافقوا على مبدإ تعميم الضريبة الفلاحية على الأجانب والمحميين، اشترطوا أن يتم أداؤها على يد القناصلة، وحصلوا مقابل موافقتهم تلك التي كانت نظرية فقط، على شيء ملموس وخطير هو حرية امتلاكهم للعقارات. وساهم الأجانب والقناصلة في تحريض المحميين والمخالطين على عرقلة ما سمي "بترتيب" 1881 وإفشاله. وكان هذا "الترتيب" من المحاولات الإصلاحية في ميدان الجباية. وأمام تأزم الأحوال المالية من جديد قام الأمين محمد التازي ومحمد الجباص في 1884 بتهييئ مشروع إصلاح جبائي انطلاقا من المبادئ المعترف بها من لدن الدول العظمى في سنوات 1863 و 1880 و 1881 فسمي بالترتيب الحسني، الذي كانت من بين خصوصياته استثناء الأجانب من أداء الضرائب ومطالبة المحميين وبقية المغاربة بها، وكذا العودة إلى الضرائب الشرعية التي أصبحت تفرض على أساس الإنتاج الفعلي للفلاح وليس حسب حاجيات المخزن. وكان الترتيب الحسني، في الوقت نفسه، إصلاحا إداريا وجبائيا. حيث قلل من انفراد العمال والقواد ومن استئثارهم بعملية تحصيل الضرائب، فأصبحوا يقتسمون تلك المهام مع الأمناء والعدول. ومع ذلك اعتبرت الهيئات الدبلوماسية أن ذلك الإصلاح يمس مباشرة بامتيازات المحميين والمخالطين، رغم اكتفاء المخزن بفرض الزكاة والأعشار عليهم، وإعفائهم من السخرة والخدمة العسكرية. وتدخل القناصلة باستمرار أثناء عملية الخرص وإحصاء ممتلكات المحميين، وحرضوهم على عرقلة أعمال الأمناء ورفض أداء أي ضرائب، هذا في الوقت الذي كانت

مساهمتهم، بحكم عددهم المتزايد في البوادي، ضرورية لإنجاح الإصلاح الجبائي. وشكل اعتراض بعض الزوايا على سحب المخزن لامتيازاتها القديمة عرقلة إضافية أمام الترتيب الحسني، فلم يجد السلطان بدا من التخلي عن مشروعه الإصلاحي ابتداء من 1887.

وبالرغم من العراقيل المالية التي كان المخزن الحسني ملزما بمواجهتها، فقد نالت الإصلاحات العسكرية اهتماما واضحا من طرف المولى الحسن الذي ورث عن والده مشروعية متابعة نفس النهج دونما أي عناء. وتأكد من أهمية الجيش النظامي مباشرة عند توليته، حين نجحت المدفعية في القضاء بسرعة على تمرد أهل فاس، فعمل على الرفع من عدد المنخرطين، ومن مستوى تكوينهم وتدريبهم وتزويدهم بالأسلحة المتطورة. وتم الاعتماد على خبرة الأجانب لتدريب عناصر الجيش النظامي أمثال الأنجليزي ماكلين Mac Lean، والفرنسي اركمان Erckman. وتأسست في 1888 تحت إشراف الإيطالي بريجولي Bregoli "ماكينة" بفاس ولو أن عملية الإنتاج لم تبدأ فيها إلا في سنة 1893، واكتفت بصنع 340 بندقية إلى حدود 1903. وبالإضافة إلى الشكوك التي كانت تحيط بجودة المصنوعات، فإن المقادير المصنوعة كانت بعيدة عن الوفاء بحاجيات المخزن وارتفع عدد المدافع التي جلبت من أوروبا إلى أزيد من مائة قطعة، وتم تجديد حصون المدفعية على السواحل وخاصة بالنسبة للرباط التي جهزت بمدفعين من حجم 260 ملم صنف كروب Krupp، وطنجة التي زودت بمدافع من حجم 18 طنا صنف ارمسترونغ Armstrong. وفيما بين 1873 و 1878. تلقى حوالي 500 مغربي تداريبهم العسكرية في جبل طارق. وفيما بين 1874 و 1875 توجه خمسة عشر طالبا في أول بعثة طلابية مغربية إلى أوروبا، حيث قاموا بدراسات وافية في شاتهام Chatham أنجلترا (1876 ـ 1879) ومونبلييي Montpellier في فرنسا (1885 ـ 1888)، وبالأكاديمية العسكرية في تورينو Torino بإيطاليا (1879 ـ 1898). ونذكر من بين الأسماء المشهورة محمد الجباص، والزبير سكيرج، وإدريس بن عبد الوهاب، والحسين الزعري السلاوي، والطاهر بن الحاج الأوديي وغيرهم كثير. إلا أن الهدف المنشود من تكوين هذه العناصر لم يتحقق إلا بصفة جزئية نظرا لطبيعة التكوين المتعدد الاتجاهات الذي حصل عليه الطلبة المغاربة، والذي كان من المتعذر إقحام نتائجه في إطار برنامج تطبيقي متكامل ومستجيب للحاجيات المغربية. ولم يتمكن المولى عبد العزيز (1894 ـ 1907) بالرغم من محاولاته ونياته الحسنة لا من تطوير جيشه ولا حتى من الحفاظ على ما بناه المولى الحسن طوال فترة حكمه.

ونظرا للعلاقة بين الفلاحة وتجارة تصدير الحبوب والصوف والماشية فإن أنجلترا قد أثارت انتباه المخزن إلى ضرورة النهوض بالميدان الفلاحي، ورغبت في خلق اهتمامات جديدة لدى الفلاح المغربي بالمزروعات الصناعية كالقطن والحرير وقصب السكر. فأبدى مولاي عبد الرحمان استعداده للقيام بتجارب لزراعة القطن في أراضيه، ووزع محمد بن عبد الرحمان من بعده بذورا على الفلاحين لتشجيعهم على زراعته، كما جلبت آلات لتنظيفه. لكن رفض المخزن لمحاولات الأوربيين التي كانت تهدف إلى امتلاك الأراضي الواسعة قصد زراعته على مستوى واسع، قد حال دون تطوير زراعته. في حين شهدت زراعة قصب السكر تطورا نسبيا.

أصبحت التجارة الخارجية بعد 1856، المصدر الأساسي لداخيل المخزن، وكانت التجارة هي المحرك الأساسي، إلى جانب الاهتمامات الاستراتيجية والسياسية، لاهتمام الدول الأوروبية بالمغرب خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وإذا كان البند الخامس من اتفاقية 1856 يعطي للمخزن حق إصدار المنع على تصدير بعض المواد الأساسية كالحبوب والصوف، فإن التجار الأجانب قد رأوا في ذلك عرقلة للسير العادي لمصالحهم التجارية. فدأبت أنجلترا على توجيه دعواتها باستمرار إلى المخزن لتحرير وسق الحبوب والصوف، وجعل جون دريموندهاي سلامة المغرب رهينة بذلك فخاطب المخزن بقوله :"[...] إذا كنتم مريدين الخير لهذه الإيالة قبل هلاكها، هو التسريح في الحين لوسق الزرع والحبوب والصوف [...]". إلا أن محمد بن عبد الرحمان ظل متمسكا بحرية تصرفه في موضوع الموسوقات، ولم يكن يسمح بتصدير المنتاجات الأساسية إلا في الوقت الذي كانت تسمح فيه ظروف البلد بذلك. ورغم العواقب الوخيمة المترتبة عن تزايد حجم المبادلات المغربية الأوروبية، كتفاقم مشكل الحمايات وانهيار قيمة العملة المغربية والخلافات اليومية بين القناصلة وموظفي المخزن، وبين التجار الأجانب والرعايا المغاربة، بالرغم من كل ذلك اقترحت أنجلترا في 1879 على المولى الحسن تبني المزيد من الإجراءآت الليبرالية لفتح السوق المغربية على مصراعيها على مستوى التصدير والاستيراد، مع تخفيض إضافي للتعرفة الجمركية إلى 5 ٪ من قيمة البضاعة. وعند زيارة جون دريموندهاي لفاس في 1879 أكد للسلطان مدى أهمية تحسين علاقاته التجارية مع الدول الأوروبية، وحذره من المشاكل العديدة التي يمكن أن يثيرها فرض المخزن لإجراءات غير ليبيرالية على المعاملات الاقتصادية، وتحولت تلك المقترحات في 1881 إلى مشروع لتجديد أتفاقية 1856، حين حرر هاي مسودة للاتفاقية المقترحة، وألح لدى النائب السلطاني محمد برگاش على أنه، من الأهمية بمكان "[...] عدم عرض المقترحات التي قُدِّمت من أجل تطوير الفلاحة والمبادلات التجارية على أنظار العلماء [...]"، بدعوى أنهم "[...] لا يتوفرون على أي تجربة أو معرفة بشؤون التجارة [...]" لكن المخزن رفض تهميش العلماء وأفضت استشارته لهم إلى اعتراضات صارمة، تعكس إلى حد بعيد مدى التطور الذي حصل في

تعامل المخزن مع المشاكل المستعصية التي نتجت عن التغلغل الأجنبي فأعلن رفضه لتخفيض الرسوم الجمركية إلى أقل مما كانت عليه، وتسريح صادرات الحبوب بصفة مستمرة، وإلغاء احتكار المخزن لجلب الأسلحة والبارود ومادة الكبريت، ورفض كذلك تصدير الماشية والدواب لحاجة الرعية إليها. وبذلك فشلت أنجلترا في إملاء برنامجها الإصلاحي على انفراد.

وفي أعقاب الأزمة التي احتدت بين المغرب وفرنسا، نتيجة لحماية هذه الأخيرة للشريف الوزاني سنة 1884، اقترح جون درموندهاي على وزارة الخارجية البريطانية بذل جهودها لتحقيق إجماع الدول الأوروبية على الدفع بالمخزن إلى القيام "بالإصلاحات" فقال :«[...] أليس من اللازم على هذه الدول التي يدين لها السلطان باستقلال بلاده، أن تطالبه بلهجة ودية لا تخلو من الصرامة، وتلح على جلالته ليقوم بإصلاح للإدارة [...] وتحسين أحوال التجارة [...]" وأدت تلك الضغوط الجماعية إلى موافقة المخزن على الدخول في مفاوضات مع ممثلي أنجلترا وفرنسا وألمانيا في طنجة. وأمام تكتلهم وانفراد المخزن تم تبني المقترحات الإصلاحية الأوربية التي لم تكن في عمقها سوى ترجمة لما سبقت أنجلترا أن اقترحته على انفراد ورفضه المخزن. ومرة أخرى عرض السلطان مقترحات الأوروبيين الإصلاحية على أنظار العلماء والأمناء والعارفين بشؤون التجارة في كل من فاس وسلا، فمالت أجوبتهم على اختلاف تفاصيلها، إلى رفض كلي، فوجه المخزن إلى ممثلي تلك الدول جوابا يعبر عن موقف المغاربة بالعبارات التالية :"[...] إن الداعي لما أشرتم به [...] من الإصلاحات التجارية، هو السعي في الخير لهذه الإيالة [...] وأن تلك الإصلاحات ظهر لكم الخير فيها بالنسبة لإيالتكم. وكل من استشير من أهل هذه الإيالة في ذلك لا يستحسنه ويجيب عنه بأن فيه الضرر لإيالتهم [...]". ومما لا شك فيه أن ذلك الرفض قد ساهم بشكل من الأشكال في إذكاء مناورات الدول الأوروبية لإفشال الإصلاح الجبائي المعروف بالترتيب الحسني حيث تخلى عنه المخزن في نفس الظروف أي 1887.

وتعقدت المشاكل المالية للمخزن، فتأثرت الحركة الاقتصادية بمشاكل السكة وانهيار قيمة الصرف. وفشلت كل الإصلاحات النقدية بدون استثناء. سواء منها محاولة 1852 التي تمت بهدف تحديد صرف العملات المغربية والأجنبية، أو محاولة 1862 التي حددت سعرين رسميين للريال، أحدهما سعر البلد ب 32.5 أوقية، والثاني سعر المرسى بـ 19 أوقية للحفاظ على مداخيل جمركية عالية. أما ظهير 22 يناير 1869 فقد كان أكثر طموحا ونص على العودة إلى الدرهم الشرعي. إلا أن سعر الريال استمر في الانهيار وبلغ 50 أوقية في 1873. وفشل المولى الحسن في إصلاح 1877 الذي نص على رد صرف الريال إلى سعره الرسمي أي 32.5 أوقية، بسبب اعتراض التجار المغاربة والأجانب على السواء. فوصل سعر الريال إلى 90 أوقية، وكان من الطبيعي أن تستفحل أمور السكة في عهد المولى عبد العزيز رغم استمرار عمليات الضرب في أوروبا، وذلك نتيجة لتشديد الخناق على الاقتصاد المغربي على عدة مستويات.

وتمت العودة من طرف المخزن العزيزي إلى ترتيب 1884 على أمل ضمان مداخيل مالية لمواجهة الإصلاحات التي لم يتوقف الأنجليز عن الدعوة إليها بواسطة ماكلين Mac lean. وتم إدخال الأجانب الذين استثناهم ترتيب 1884، في الترتيب العزيزي لسنة 1901. فاتجه المهدي المنبهي إلى لندن وبرلين للحصول على مساندة الحكومتين للترتيب المرتقب. ورغم الموافقة المبدئية لأنجلترا وألمانيا على ذلك الإصلاح الجبائي، فإن المفاوض المغربي بناصر غنام وجد نفسه منعزلا خلال المفاوضات بطنجة. وانتهت تسوية 1902 بالاعتراف بضرورة تساوي الأجانب والمحميين أمام الضرائب الواجب أداؤها على الأشجار المثمرة وأراضي الحرث والدواب. وحددت نسبة الترتيب الواجب أداؤه بالعملتين العزيزية والإسبانية، وكذا تفاصيل إجراءات الأداء التي ألحت على ضرورة الاعتماد على مساعدة القناصلة في تحديد الواجبات الجبائية المفروضة على الأجانب والمحميين، إلا أن دسائس الهيئات القنصلية وتعنت المحميين والأجانب وحرص الزوايا على امتيازاتها وخاصة شرفاء وزان، دفعت جميعها بمولاي عبد العزيز في نهاية الأمر إلى التخلي عن مشروعه والعودة من جديد إلى مطالبة القواد بالضرائب دفعة واحدة وحسب حاجيات المخزن. فكان "الترتيب" العزيزي من بين الأسباب التي دفعت بالكثيرين من الرعية إلى البحث عن مزيد من الحمايات ما بين 1901 و1903، والزيادة في متاعب المخزن الداخلية والمالية، وبعد الاتفاق الودي بين فرنسا وأنجلترا في أبريل 1904، انتقلت الدعوات الإصلاحية التي لم تتوقف أنجلترا عن تقديمها إلى المخزن طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إلى الفرنسيين، حيث ترتب عن تخلي أنجلترا كحليف تقليدي للمغرب اعتراف أنجليزي لفرنسا بإمكانية تقديم مساعداتها للمغرب للقيام "بإصلاحات" في الإدارة والاقتصاد والجيش. وفي هذا الإطار تدخل سفارة سان روني طاياندي Sain-René Taillandier إلى فاس سنة 1905 لتقديم مشروع إصلاحي فرنسي إلى مولاي عبد العزيز. إلا أن هذا الأخير ألح عند استقباله للسفير الفرنسي في 11 فبراير 1905 على ضرورة عرض مقترحاته أمام أنظار مجلس الأعيان، والذي سبق أن اجتمع المولى عبد العزيز مع أعضائه الأربعين في 20 دجنبر 1904 قبل وصول طاياندي إلى فاس، فاستشارهم قبل اتخاذ أي قرارات مصيرية، وافق السفير الفرنسي على الاجتماع بمجلس الأعيان ولو بنوع من الامتعاض، فاتضح أن المشروع الإصلاحي الفرنسي قد تضمن إصلاحات عسكرية لتنظيم جيش منظم لحماية الأمن، وإصلاحا اقتصاديا ركز على الاهتمام بأحوال المراسي وتجهيزاتها المتنوعة، وإصلاحا

لإدارتها، ووضع جهاز الشرطة، وإصلاحا ماليا نص على إيقاف ضرب النقود وإنشاء بنك لضبط صرف السكة على أساس العملة الفرنسية أو الأنجليزية، ومنح امتياز إحداث بنك المغرب إلى بنك باريس والبلاد الواطئة، وإحداث ضرائب على البنايات إلخ. وبعد مناقشات طويلة بين السفير الفرنسي ومجلس الأعيان، أعلن في 28 ماي 1905 عن رفض المغرب لأي إصلاحات من النوع الذي تقدمت به فرنسا لما كانت تنطوي عليه من مس بالسيادة، ولأنها كانت في حقيقيتها بمثابة تطبيق لحماية فرنسية على البلاد. وكانت ألمانيا من وراء دفع المخزن العزيزي إلى المطالبة بعقد مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 الذي انتهى تحت غطاء إدخال "الإصلاحات" إلى جعل المغرب تحت الوصاية الدولية.

وبهذا تكون الدعوات التي وجهتها الدول الأوروبية إلى المغرب بصفة منفردة أو جماعية قد فشلت هي الأخرى في إحداث إصلاحات حقيقية في كل المجالات التي حاولت إصلاحها. وإن كانت في عمقها لا تهدف إلا لخدمة المصالح الاستعمارية بالدرجة الأولى. فإذا استثنينا الإصلاحات العسكرية التي كلفت مالية البلاد مصاريف باهظة، ومكنت المخزن الحسني على الأقل من تقوية سلطته داخليا فإن ما عرفته المجالات الأخرى قد ظل سطحيا وناقصا. والأهم من ذلك هو أن الدول الأوروبية التي وجهت دعواتها الإصلاحية إلى المخزن، لم تحاول قط إرشاده إلى السبيل القويم لإحداث الإصلاح الحقيقي، وقد فطن إلى ذلك محمد المشرفي حين رد على الدعوات الإصلاحية الأنجليزية للمغرب فقال :"[...] ولو أرادت (أنجلترا) النصيحة الحقيقية دون دسيسة لأشارت عليها بإدخال العلوم الرياضية لوطنها، وبناء المدارس لقراءتها وتدريسها والاجتهاد في تحصيلها وبثها في المدن والقرى، حتى يتأدب الجاهل ويستأنس المتوحش، فتكتسب الدولة حينئذ رجالا يدفعون عنها بما علموه من العلوم [...]". وهذا ما لم تشر إليه أي من الدول الأوروبية في تقديمها لدعواتها "الإصلاحية". ووصل المشرفي إلى اقتناع أكد من خلاله أنه "[...] من اتكل على غيره في القيام بأمره خاب أمله وضل عن طريق الصواب [...]".

ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ م. المشرفي، *الحلل البهية* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث* ؛ ن. التوزاني، *الأمناء بالمغرب : ندوة الإصلاح المغربي في القرن 19*، كلية الآداب ـ الرباط ؛ ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب*.

British Documents in The Public Record Office, London ; Brooks, L. A. E., *Memoir of sir John Drumond Hay*, London, 1896 ; E. Aubin, Le Maroc d'Aujourd'hui, Paris, 1904 ; Taillandier, R. S., *Les Origines du Maroc Français : Récit d'une mission 1901 - 1906*, Paris, 1930 ; F. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, Casablanca, 1948 ; L. Arnaud, *Au temps des mehallas*, Casablanca, 1952 ; J. Caille, *Quelques renseignements sur le Capitaine Erckman*, in Hesp., vol XI - I, 1954 ; J. L. Miege, *Le Maroc et L'Europe*, 4 vol, Paris, 1961 - 1963 ; P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905*, Paris, 1967 ; Burke III Edmund, *Prelude to Protectorate in Morocco : Precolonial Protest and Resistance*, 1860 - 1912, Chicago, 1976;

A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830 - 1912)*, Paris, 1977 ; G. Ayache, *Etudes d'histoires marocaine*, Rabat, 1979 ; M. Kenbib, *Les protections étrangères au Maroc, 19e début 20e siècle*, Paris, 1980, (thèse inédite) ; W. J. Rollman, *The "New Order" in a Precolonial Muslim Society : Military Reform in Morocco (1844 - 1904)*, 2 Vol., University of Michigan, 1983, (thése inédite) ; Encyclopédie de l'Islam, T. IV, Articles *Imtiyazat et Islah*.

خالد بن الصغير

الأصور، ضد إعصار، يمثل إحدى الحلقات التي يتشكل منها شريط الضغط المرتفع شبه المداري المحيط بالكرة الأرضية في الشطر الشمالي. يحمل اسم جزر الأصور البرتغالية التي تقع شرق المحيط الأطلنتيكي في عرض شبه الجزيرة الإيبيرية، نظراً لتمركزه شبه الدائم فوقها.

تعتبر هذه العالية مركزاً من مراكز الضغط الأساسية الدائمة "إحصائيا" في المكان والزمن. مجالها، نطاقيا، هو المحيط الأطلنتيكي بين عرض 30 وعرض 35 شمالا، أي بالتقريب بين جزر الأصور والجزر الخالدات. شكلها عموماً أهيليلجي، طول محورها الكبير ما بين 2500 و 4000 كلم، مائل بالنسبة لخطوط العرض واتجاهه من شرق ـ الشمال الشرقي إلى غرب ـ الجنوب الغربي، يرجع استقرارها شبه الدائم في نفس المجال إلى كون نشأتها دينامية أصلاً، أي مرتبطة بالحركات الهوائية الناتجة عن دوران الأرض حول نفسها، والاختلاف الحراري الحاصل بين جو العروض العليا وجو العروض البيمدارية. ولذلك فإنها لا تتلاشى نهائيا في أي فصل من فصول السنة كما هو الشأن بالنسبة لمراكز الضغط ذات النشأة الحرارية.

وفعلا، فإن تكدس الهواء في هذه العروض يرجع إلى كونها منطقة التقاء الكتل الهوائية المدارية الحارة المتحركة نحو الشمال بالكتل الهوائية القطبية الباردة المتجهة نحو خط الاستواء، وكذلك لكونها مسلكا للتيار السريع الغربي شبه المداري الذي يهب في الأجواء العليا لهذه العروض.

تهدل الهواء القطبي البارد القادم من الشمال والهواء المداري الدافئ القادم من الجنوب في هذا الموقع يجعل هذه العالية تدعم باستمرار طوال السنة ليبقى فيها الضغط مرتفعا (ما بين 1015 و 1025 ميليبار في المتوسط) بالرغم من انسياب الهواء من القاعدة ومغادرته إياها في شكل حلقة تدور مثل عقارب الساعة، ليعطي، شمالا، الرياح العكسية (رياح غربية) وجنوبا الرياح التجارية (رياح شرقية) وما يتفرع عنها من رياح محلية.

بالإضافة إلى العامل الديناميي المذكور، هناك أيضا عاملان حراريان يزيدان من تعميق الضغط في هذه الحجيرة، وهما تيار الكنرياس البارد الذي يطعمها من القاعدة بالهواء البارد من الناحية الجنوبية، ثم "قطرات" الهواء البارد القطبي التي تصل إليها من الناحية الشمالية.

من المعلوم أن شريطي الضغط المرتفع شبه المداري جنوبا وشمالا يعرفان تحركا فصليا تبعا لحركة الشمس الظاهرية، أي أن كلا منهما يبتعد عن العروض الاستوائية في فصل

الصيف بينما تقترب منها عاليات الشطر الآخر أي الشطر الشتوي. ولهذا فإننا نجد أن ضد إعصار الأصور يبلغ أقصى وضعياته شمالا في شهر غشت وأدناها في شهر فبراير. أما نطاقيا فإن المركز ينتقل ما بين جزر الأصور وجزر الأنتي في الكرايبي ويلاحظ أحيانا انشطار هذه العالية إلى خليتين في فصل الشتاء، إحداهما تتمركز فوق جزر الأصور والثانية فوق جزر البرمود. كما يقع كذلك أن تتوغل هذه العالية داخل القارة الأوروبية وأفريقيا الشمالية والبحر المتوسط، لكن هذه الوضعية لا تعمر طويلا نظرا للاختلاف القائم بين حرارة سطح القارة والمحيط.

علاقة ضد إعصار الأصور بمناخ المغرب : تتميز المناطق شبه المدارية عامة بجفافها، إذ أن أهم الصحاري العالمية توجد في هذه العروض. مرد ذلك إلى كون مناطق الضغوط المرتفعة تتميز باستقرار الجو وصفاء السماء في غالب الأحيان، مع مدى حراري مرتفع. قد تتدخل بعض العوامل المحلية كالتضاريس والتوجه والقرب من البحر للتقليص من أهمية هذه الظاهرة، لكن بصفة عامة يبقى الجفاف هو السائد.

ووجود مرتفع الأصور في عرض السواحل المغربية من جهته الشمالية الغربية، جعله يتحكم في مناخ البلاد بصفة مباشرة وغير مباشرة، لذلك فإنه يمكن ربط التقلبات الجوية، وأنواع الطقوس التي يعرفها المغرب بوضعية هذا المرتفع ومدى قوته حسب فصول السنة.

في فصل الصيف : يعرف ضد إعصار الأصور أقصى وضعية شمالية له، ويتحول مركزه نحو الشمال أو الشمال الغربي، الشيء الذي يجعله يصد من بعيد الإعصارات الغربية ويمنعها من الوصول إلى شرق المحيط في العروض شبه المدارية. وبما أنها هي المسؤولة عن التهاطلات فإن الفصل يبقى جافا (شكل 1).

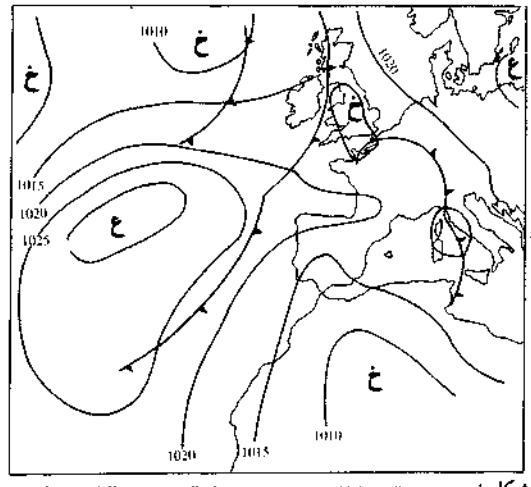

شكل 1 . توزيع الضغط الجوي عند سطح البحر بالميليبار ليوم 5 يوليوز 1985 .
- مركز ضد إعصار الأصور في عروض متقدمة شمال جزر الأصور، مانعا الأعاصير الغربية من الوصول الى شبه الجزيرة الإيبيرية وإفريقيا الشمالية.
- المنخفضة الصحراوية تقترب من السفوح الجنوبية لسلسلة جبال الأطلس.
(عن النشرة اليومية للمعلومات الرصدية)

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن ابتعاد هذا المرتفع داخل المحيط يفسح المجال أمام المنخفضات الجوية السطحية الصحراوية لتقترب من السفوح الجنوبية الشرقية لسلسة جبال الأطلس. وفي هذه الحالة تتوالى على المغرب طقوس مختلفة : إما سيادة مؤثرات المنخفضة الصحراوية، فترتفع درجات الحرارة تناقصا من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي، مع هبوب الرياح الشرقية والجنوبية الشرقية الجافة، وإما يهب على البلاد هواء قطبي ملطف مستغلا الضعف النسبي للضغط في الهوامش الشرقية لعالية الأصور. عند ذلك تكون الحرارة معتدلة وتظهر بعض السحب العالية وتسود الغيوم الصباحية على الشواطئ.

في فصل الخريف : يبدأ التراجع العام والتدريجي للضغوط شبه المدارية نحو الاستواء بصفة عامة، لكن عالية الأصور تحتفظ بقوتها ولا تسمح إلا بمرور بعض الدفعات من الهواء البارد القطبي عبر الممر الذي يفصلها عن الضغط المرتفع الذي يغطي في الأجواء العليا الصحراوية، الشيء الذي ينتج عنه نشأة بعض الأعاصير محليا وتنشيط جبهة الأليزي التي تعطي أمطارا عاصفية محدودة كمّاً ومجالا. وفي المقابل، فإن المنخفضة الصحراوية تتراجع إلى الجنوب الشرقي ويقل تأثيرها على المغرب

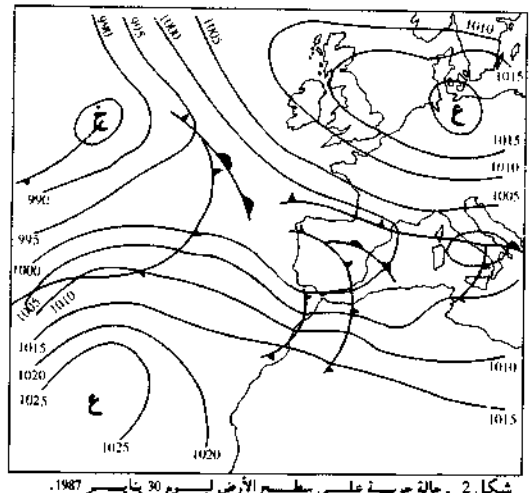

شكل 2 . حالة جوية على سطح الأرض ليوم 30 يناير 1987.
انسحاب ضد إعصار الأصور نحو الجنوب يسمح للأعاصير الغربية بالمرور فوق بلدان غرب البحر الأبيض المتوسط .
(النشرة اليومية للمعلومات الرصدية)

في فصل الشتاء يتحرك شريط الضغوط المرتفعة شبه المدارية نحو خط الاستواء، ويتحول مركز ضد إعصار الأصور إلى جنوب الجزر التي يحمل اسمها، فيصبح الطريق مفتوحا أمام سلسلة الاضطرابات الغربية لتصل إلى عروض المغرب، وتعطي أهم تهاطلات السنة (شكل 2). أما إذا تلقى هذا المرتفع مزيدا من الهواء القطبي الكثيف فإنه يقوى من جهته الشمالية الشرقية وتنشأ دورة ضغطية بينه وبين المرتفع الصحراوي والمرتفع الوسط. الأوروبي الفصليين

لتكون ممرا هائلا يندفع عبره الهواء القطبي البارد نحو البلاد. وبالتالي يسجل انخفاضا مهما في الحرارة، لكن مع سماء صافية في غالب الأحيان خصوصا إذا كانت الرياح الشمالية الشرقية هي السائدة. وهذا النوع من الطقوس هو الذي يعطي الأيام الصقيعية في السهول الغربية الداخلية، وبتواتر أقل في السهول الساحلية.

في فصل الربيع : مع أواخر فصل الشتاء يبدأ من جديد تحرك حجيرات الضغط المرتفع شبه المداري نحو الشمال، فتتقلص فرص وصول الأعاصير الغربية إلى المغرب، إذ تضطر إلى تجنب العالية من ناحيتها الشمالية، فلا تهم سوى أوروبا، ومن حين لآخر تمر مؤخرتها على الشمال الغربي من البلاد ولا تعطي إلا أمطارا ضعيفة.

وفي المقابل فإن جبهة الأليزي تعرف نشاطا أهم في وسط البلاد، وتتكون من حين لآخر أعاصير محلية تعطي تساقطات إما جبهية، لكن محدودة مجاليا، وإما على شكل عواصف رعدية كما هو الشأن بالنسبة لفصل الخريف.

خلاصة : يظهر أن لوجود ضد إعصار الأصور على الواجهة الشمالية الغربية للمغرب تأثيرا كبيرا على مناخه. فلكل أنواع الطقس التي تهم البلاد ارتباط بوضعيات هذا المرتفع مهما اختلفت. فابتعاده نحو الجنوب يواكبه طقس ممطر، واقترابه من الساحل يعطي طقسا معتدلا، أما ابتعاده نحو الشمال، والشمال الغربي فيفسح المجال أمام المؤثرات الصحراوية.

وبتوسط هذه الحالات الرئيسية عدد كبير من أنواع الطقس التي يمكن دائما ربطها بوضعية صد إعصار الأصور.

ع. العوينة، *المظاهر المناخية للقحولة، الجفاف في المغرب والبلدان المجاورة للصحراء*، مجلة *جغرافية المغرب*، ع. 6 السلسلة الجديدة 1982. ص 11. 34.

P. Pedelaborde, (1957) : *Le Climat du Bassin Parisien*, Ed. Génin-Paris ; A. Bellichi, (1983) , *Les Climats thermiques du Maroc Nord Occidental*. Thèse de 3cycle. Univ. d'Aix-Marseille II ; C. Calvet et Y. Legoff, (1977) *Régimes pluviométriques au Maroc. Notes d'Information Technique* N° 6. Service de la Météorologie Nationale.

أحمد لقمهري

أصوفي، أسرة تطوانية تجهل أصلها، وقد انقرضت، ويبدو أنها كانت غنية بدليل أن هناك قوساً يحمل اسمها، ويقع بالقرب من الدار المنسوبة إلى نفس الأسرة. وتوجد الدار والقوس بزنقة النيارين، والحالة هذه أن الأقواس الأخرى الموجودة بتطوان تحمل اسم الشارع الذي توجد فيه.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 352 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 (A); M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espanol* . 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

الأصول بالمغرب. ويعبر عنها أيضا بالأصلين لأنهما في الواقع علمان متميزان، أصول الدين أو "الكلام" وهو علم يبحث في الألوهية والنبوّة وسائر العقائد الدينية وطرق إثباتها بإيراد الحجج عليها ودحض الشبه عنها، وأصول الفقه الذي يبحث في أدلة الفقه الإجمالية وكيفية الاستفادة منها. وإذا كان المغرب قد أخذ المذهب المالكي ـ كسائر أقطار الغرب الإسلامي ـ من تلاميذ مالك المباشرين وتلاميذهم كمذهب فقهي وكعقيدة سنية تنبذ الرأي والتأويل في الأحكام الفقهية والمسائل الاعتقادية، فإنه مع ذلك لم يكد يتبلور علم أصول الدين أو علم الكلام بعد انفصال الأشعري عن المعتزلة وعودته إلى صفوف أهل السنة أواخر القرن الهجري الثالث حتى اعتنقه المغاربة، وأصبحوا يتدارسونه كعلم مستقل بذاته "يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعه المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف أهل السنّة والجماعة (*القدمة*، 821). وقد أخذ المتكلمون المغاربة الأول عن أشهر شخصيات المدرسة الأشعرية، كأبي ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي (ت 357 / 967)، الذي رحل إلى الشرق وأخذ عن تلاميذ الأشعري ؛ وعن دراس بن إسماعيل أخذ ابن أبي زيد القيرواني مؤلف *الرسالة* ومقدمتها في أصول الدين، وهي من أقدم الكتب التعليمية التي وقع الإقبال عليها بالمغرب. وكأبي عمران الفاسي (ت 430 / 38 . 1039) الذي تتلمذ للقاضي أبي بكر الباقلاني (ت 403 / 12 . 1013) في بغداد، وكان محط تنويه الشيخ وإعجابه. وكأبي القاسم عبد الرحمان بن محمد المعافري شيخ القاضي عياض والأصوليين في سبتة (ت 502 / 8 . 1109) ومحمد المهدي ابن تومرت (ت 524 / 1129) تلميذ أبي حامد الغزالي (ت 505 / 1111) الذي شنها حربا شعواء على المرابطين الذين كانوا مازالوا متشبثين بظاهر النصوص معرضين عن العقل والتأويل، ورماهم بالميل إلى التجسيد، بل اتخذ من ذلك تعلة للإطاحة بدولة المرابطين وإقامة دولة جديدة على أصول الدين سماها دولة الموحدين. وألف المهدي عدة عقائد على مذهب الأشعري أهمها *أعز ما يطلب*. وهو عبارة عن مجموعة من كتب العقائد المختلفة الأحجام ألفها ابن تومرت لأصحابه وغيرهم من عامة الناس، مثل *المرشدة*، *والعقيدة الكبرى* التي استعمل فيها الاستدلالات العقلية، *ورسالة في توحيد الباري*، *ورسالة في أن التوحيد هو أساس الدين*، *وكتاب في التوحيد* باللسان البربري في سبعة أحزاب، *وكتاب القواعد* الخ.. لأنه كان يلزم أصحابه بدراسة أصول الدين إلزاماً "وكان الموحدون على العموم يعتبرون من لم يعرف العقائد على سبيل التفصيل وعلى طريقة الأشعري بالأخص يعتبرونه كافرا ليس معه من الإسلام إلا الاسم" (*النبوغ*، 1 : 121). وتجذرت الأشعرية أكثر في المغرب وبصفة نهائية على يد عثمان السلالجي آتي الترجمة دارس كتاب *الإرشاد في علم الاعتقاد* لإمام

الحرمين أبي المعالي الجويني (ت 478 / 85. 1086) ومؤلف *البرهانية*. وظل المغاربة منذ القرن السادس وإلى أيامنا هذه يؤلفون من الكتب المطولة والمختصرة في أصول الدين ما لا يكاد يحصى عدداً.

أما أصول الفقه فالشائع في تاريخ العلوم الإسلامية أنه من وضع الإمام محمد بن إدريس الشافعي صاحب *الرسالة الأصولية*، لكن يبدو أن في ذلك تجاوزا للحقيقة، وأن الإمام مالك بن أنس سبق تلميذه الشافعي في وضع أسس علم الأصول ولو أنه لم يؤلف فيه كتابا خاصاً. وممن تنزل لهذه المسألة بكثير من البسط والتحليل فقيهان مغربيان نابهان هما الإمام عبد الله بن إبراهيم الأصيلي (ت 392 / 1002) في كتابه *الآثار والدلائل* الذي شرح به *الموطأ* وتتبع أصول خلاف مالك وأبي حنيفة والشافعي ؛ والقاضي أبو بكر ابن العربي الفاسي (ت 543 / 1148) في *كتابه القبس في شرح موطأ مالك بن أنس*.

وكان لموقف الموحدين المناهض لفقهاء المالكية ومنعهم الاشتغال بفقه الفروع وإحراق كتبه، أثر في الإقبال على أصول الفقه لاستنباط الأحكام الشرعية مباشرة من القرآن والسنة. ولابن تومرت نفسه *رسالة في أصول الفقه* تكلم في مطلعها عن العموم والخصوص والمطلق والمقيد والمجمل والمفسر والناسخ والمنسوخ.. كما ألف ابن رشد الحفيد (ت 596 / 1199) *بداية المجتهد*. وظهر بفاس ومراكش أصوليان كبيران هما علي بن محمد بن خليل المعروف بابن الإشبيلي (ت 567 / 1171)، ومحمد بن إبراهيم المهري المعروف بالأصولي آتي الترجمة، صاحب *التقييد على مستصفى الغزالي*.

ودخل إلى المغرب في أوائل القرن الثامن / 14 كتاب *مختصر منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل* أو *المختصر الأصلي* لابن الحاجب على يد الشيخ سليمان اللجائي الفاسي، ثم كتاب *التنقيح* لإدريس القرافي، وجمع *الجوامع* لتاج الدين السبكي، فأغنت هذه الكتب مادة أصول الفقه بالمغرب إلى جانب *ورقات* إمام الحرمين و*موافقات* الشاطبي، وأقبل عليها المغاربة يتدراسونها ويكتبون حولها شروحا وحواشي أو ينظمونها أو يختصرونها بعد أن غلب ذلك النوع من التأليف على كُتاب القرون المتأخرة. ولكثرة اشتغال بعض علماء المغرب بالأصلين اشتهروا بالأصوليين.

ع. ابن خلدون، *المقدمة* ؛ جلال الدين المحلي، *شرح جمع الجوامع*، المطبعة الحجرية بفاس ؛ ح. خليفة، *كشف الظنون*، ج 1 ؛ ع. الفاسي، *الأقنوم*، مخطوط ؛ ع. گنون، *النبوغ المغربي*، ج 1 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 4 : 72 ؛ ع. النجار، *المهدي ابن تومرت*، بيروت، 1983.

الأصولي، عبد الرحمان أبو القاسم الفاسي "كان من أهل الفضل والعلم والفقه شريف النفس صواماً قواماً مع أدب بارع وعقل رزين" (*جذوة*، 393). تدل نسبته على تبريزه في أصول الدين وأصول الفقه، لكن مترجميه لم يعيروا هذا الجانب العلمي اهتماما خاصاً سوى عبارات عامة مبهمة، لأنهم نقلوا ترجمته أساساً عن كتاب *المستفاد* الذي اهتم مؤلفه محمد التميمي بجمع أخبار عُباد فاس وأعمالها دون أن يعبأ بالجانب العلمي، ولو أنه أشار عرضاً إلى قيام عبد الرحمان بتدريس أصول الفقه. وقد أدركه التميمي وهو في حد الصبا، فكان إذا لقيه في الطريق قال له : تذكر يا محمد قول الله تعالى : تلك الجنةُ التي أُورثتموها، فيقول التميمي : بِمَا كُنْتُم تَعْمَلون، فيعقب الأصولي : وأين العمل ؟

كما ذكروا له ـ نقلا عن التميمي أيضا ـ كرامات في حياته وبعد مماته، ولم يتعرضوا لتاريخ وفاته لأنه لم يرد في *المستفاد*. وتقدر وفاة عبد الرحمان الأصولي بأواخر القرن السادس / 12 م.

أ. ابن القاضي، *جذوة*، 393. 394 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 295.

الأصولي، عثمان بن عبد الله القيسي، يكني أبا عمرو ويدعى السلاجي، نسبة إلى جبل سليلجو (بالقاف المعقودة) بضاحية فاس، كانت لديه أملاك فيه يتردد إليها. وبيت بني السلاجي من بيوتات فاس العريقة الثرية. ولد حوالي عام 521 / 27. 1128، ودرس على كبار علماء فاس أمثال الفقيه المشاور محمد بن عيسى التادلي، وصالح الفقهاء علي بن إسماعيل ابن حرزهم، والقاضي محمد بن الرمانة. وحاول القيام برحلة دراسية للمشرق لكنه رجع من بجاية إلى فاس في قصة طويلة.

كان في بداية أمره يدرس عقيدة *رسالة* ابن زيد القيرواني ـ على عهد الدولة المرابطية ـ وهي عقيدة سنية خالية من البراهين المنطقية إلا إشارات خفيفة كما هو معروف. فلما آل الملك إلى الموحدين وفرضوا العقيدة الأشعرية كان عثمان السلاجي في مقدمة المتحولين إليها، فاستبدل *بالرسالة* كتاب *الإرشاد* في الكلام لإمام الحرمين الجويني، وانتقل إلى مراكش ولازم مجالس إمام الأصوليين بها علي ابن الإشبيلي حتى بلغ درجة المجتهدين والنظار المتقنين، وأصبح يحضر مجالس السلطان عبد المومن بن علي، ويعلّم أبناء بعض الرؤساء من أرباب الدولة.

أدرك السلاجي شفوفا لدى الموحدين وأرادوا ترقيته بإسناد أحد المناصب السامية إليه لكنه أبى ورجع إلى فاس حيث انقطع للتعليم، واختص بتدريس أصول الدين وأصول الفقه، فعم النفع به وعظم إقبال الناس عليه لعلمه وصلاحه، حتى قالوا عنه "إنه منقذ أهل فاس من التجسيم". وما ذلك إلا من أثر الجو العلمي ـ السياسي السائد آنذاك الذي كان ينبز المرابطين وفقهاءهم وعامة الناس بالتجسيد، يعنون به مذهب السلف السني البسيط. وبذلك يعد السلاجي، من الناحية التاريخية، الإمام الذي ركّز عملياً المذهب الأشعري بالمغرب، وحوّل الناس إليه مما كانوا عليه من عقيدة السلف، فاشتهر من أجل ذلك

بالأصولي. ولا يعرف له من التآليف سوى عقيدة أشعرية صغيرة تدعى *البرهانية* ألفها لامرأة أندلسية فاسية صالحة تدعى خيرونة. وقد وُضعت *للبرهانية* عدة شروح، أشهرها *شرح المديوني*، وعرفت انتشاراً واسعا في العدوتين المغرب والأندلس. وقد نص ابن قنفذ القسنطيني على أن للسلاجي كتبا غير *البرهانية* لكنه لم يسمها. وأخذ عن السلاجي عدد من المتكلمين والأصوليين المغاربة والأندلسيين وترك أولاداً اشتهروا بعده كأصوليين وأطباء.

توفي بفاس ليلة الأحد، لثلث الليل، من ليلة واحدة وعشرين من جمادى الأخيرة عام 574 / 4 دجنبر 1178. وهذا هو الصحيح الذي حققه عبد الله گنون اعتماداً على ما ذكره تلاميذ السلاجي. ولا عبرة بالتاريخ المخالف (564) الوارد في *التشوف* الذي نقله كل من ابن القاضي في *الجذوة*، والكتاني في *السلوة*. ودفن خارج باب الجيزيين (باب الفتوح) من عدوة فاس الأندلس مجاوراً لقبر دراس ابن إسماعيل. وقبره مزارة شهيرة للعلماء والصالحين.

المديوني، *شرح البرهانية*، مخطوط ؛ ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، 198 ـ 201 ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة* ؛ ابن الأبار، *تكملة الصلة* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، 266 ؛ أ. ابن قنفذ، *شرف الطالب، ألف سنة من الوفيات*، 64 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 458؛ أ. ابن عطية السلوي، *التفكر والاعتبار*، مخطوط ؛ م. ابن عيشون، *الروض العاطر الأنفاس*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 183 ؛ ع. گنون، *ذكريات مشاهير رجال المغرب*، العدد 11 ؛ *النبوغ*، 1 : 149.

الأصولي، محمد بن إبراهيم المهري ـ بالميم ـ وفي بعض المصادر "الفهري" بالفاء. أصله من بجاية ودرس بالأندلس ومصر "وكان متحققا بعلم الكلام متقدماً في معرفة أصول الفقه حتى شهر بالأصولي... وعُني طويلا *بمستصفى* الغزالي فأصلح مختله، وصحح معتله، وعلّق عليه" (*الذيل والتكملة*). وكان صديقا ملاطفا لابن رشد الحفيد، وامتُحن معه بقرطبة سنة 593 لاشتغالهما بعلوم الأوائل (الفلسفة). وولي القضاء بمسقط رأسه أكثر من مرة ثم ببعض مدن الأندلس قبل أن ينتقل إلى مراكش ويتقلد بها نيابة قضاء الجماعة ويصبح ممن يحضرون مجالس السلطان. وقد اشتغل إلى جانب القضاء بالتدريس والتأليف، وكتب علاوة على *التعليق على مستصفى الغزالي*، *تقييداً في الشرفاء العمرانيين* يشتمل على معلومات مهمة تتعلق بوفيات بعض الأعيان. ولحدة طبعه وصرامته كان يشتد على الولاة ويبالغ في النكير والاعتراض، فكان في ذلك هلاكه ذبيحاً ببجاية أواخر سنة 612 / 1216.

أ. الغبريني، *عنوان الدراية*، طبعة الجزائر، 1910، 121 ـ 132 ؛ أ. بابا السوداني، *نيل*، 228 ؛ إ. القرافي، *توشيح الديباج* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 4 : 169 ـ 172 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 1 : 87.

محمد حجي

أصيلا، ـ جغرافيا ـ، مدينة تقع على مقربة من العاصمة الشمالية طنجة، وترتبط بذلك بمجموعة المدن الشمالية التي تعد من أقدم الشبكات الحضرية المغربية. يكتشف المسافر المتجه نحو طنجة، عبر الطريق الرئيسية رقم 2 تجمعا حضريا صغيرا يمتد على طول الساحل الأطلنتي، يلفت النظر بطابعه المعماري الإسلامي والمتوسطي، ودوره البيضاء المتراصة وسط البساتين والجنان. غير أن الزائر لا يلبث أن يلاحظ كذلك أن هذه المدينة الصغيرة قليلة الحركة والنشاط، إلا إذا قدم إليها صيفا حيث تتحول إلى محطة سياحية تضم من السكان ضعف ما تحتويه باقي السنة.

1 ـ مدينة صغيرة تعاني من ركود اقتصادي واضح باحتضانها ساكنة تقدر حسب إحصاء 1982 بـ 18.781 نسمة. تنتمي مدينة أصيلا إلى مجموعة المدن الصغرى، وقد برزت فئة المدن الصغرى والمتوسطة خلال العقد الأخير، نتيجة التوسع الحضري الذي اكتسح العالم القروي. غير أن مدينة أصيلا سابقة لهذه الحركة، إذ تنضم داخل المدن الصغرى والمتوسطة، إلى مجموعة المدن العتيقة السابقة للفترة الاستعمارية. وقد كانت هذه المدن التقليدية الصغرى والمتوسطة كمولاي إدريس زرهون، وصفرو والصويرة وتارودانت وأصيلا تعرف حياة حضرية نشيطة، تحولت إلى ركود اقتصادي وعمراني على إثر الاضطرابات التي ألحقها التدخل الاستعماري بالنسيج الحضري العتيق. غير أن هذا التدهور الاقتصادي استمر فيما بعد، يرافقه ركود ديمغرافي نسبي. فمدينة أصيلا سجلت تزايدا ديمغرافيا بطيئا بنسبة 2.4٪ ما بين 1960 و 1971 و 2.6 ٪ ما بين 1971 و 1982، في حين بلغ التزايد الديمغرافي السنوي خلال العقد الأخير بالنسبة لمجموع المدن الصغرى (من 10.000 إلى 20.000 نسمة) 7.1 ٪.

أصيلا : صورة جوية

ويمكن ربط هذا التزايد البطيء بأهمية الهجرة الخارجية في اتجاه البلدان الأوروبية وخاصة هولاندا، وضعف جاذبية المدينة بالنسبة لسكان الأرياف. وتتجلى المشاكل الاقتصادية وضعف إمكانيات التشغيل من خلال المعطيات التي تتوفر لدى المجلس البلدي حول مداخيل سكان المدينة، اعتمادا على التحري الذي جرى سنة 1984. وهكذا يتبين أن 41 ٪ من مجموع أرباب العائلات لهم مدخول يقل عن 300 درهم شهريا، بينما لا تتعدى النسبة للعائلات التي تتوفر على دخل شهري يفوق 1000 درهم، 15 ٪.

أما أسباب هذا الركود فهي متعددة، فالتراجع الاقتصادي الذي تعاني منه أصيلا يعود أولا إلى فترة الاستعمار الإسباني. غير أن المدينة نظرا لموقعها الساحلي القريب من أوروبا والذي جعل منها منذ القدم مركزا تجاريا هاما، كانت معرضة بصفة شبه دائمة إلى أطماع مختلفة وعاشت تواقد قوى متعددة قبل أن ترضخ تحت السيطرة الإسبانية.

كان للمستعمر الإسباني موقفان تجاه مدينة أصيلا. ففي مرحلة أولى ظهرت أهمية المدينة لإقامة صناعة تحويلية خفيفة مرتبطة بإسبانيا. غير أن المستعمر وجه اهتمامه في مرحلة ثانية إلى مدينة العرائش التي كانت توفر ظروفا أكثر ملاءمة : وجود ميناء وبنية صناعية لا بأس بها. وهكذا ركز الوجود الإسباني كل مجهوداته بالعرائش مهملا مدينة أصيلا التي لم تتلق أي تجهيزات تذكر.

أما بعد الاستقلال فإن الجهود المبذولة تواجه ضعف البنيات الاقتصادية. فغياب ميناء مجهز يعرقل الحياة الاقتصادية وخاصة نشاط الصيد. كما أن الاقتصاد الحضري ظل مرتكزا على أسس أصبحت متجاوزة في المغرب الحديث : وظيفة فلاحية سائدة، حرف تقليدية تعاني من أزمة خانقة وغياب النشاط الصناعي، يرافق كل هذا تضخم للمهن الصغرى والتجارة الغير المهيكلة. وبالإضافة إلى منافسة العرائش في بداية القرن فإن أصيلا تعاني اليوم من قرب مدينة طنجة التي تلعب دور العاصمة الإقليمية جاذبة بذلك القوى الإنتاجية المحلية المحتملة.

2 ـ الأنشطة : لازال القطاع الفلاحي يشغل 15 ٪ من مجموع السكان النشيطين بأصيلا (عن باشوية المدينة). ويرجع هذا إلى ارتباط المدينة بظهيرها ووجود مجال فلاحي داخل الدائرة الحضرية (انظر الخريطة). ويمتاز القطاع الفلاحي بطابعه التقليدي ومردوديته الضعيفة.

ـ ويعاني قطاع الصيد، رغم الثروات البحرية المهمة المجاورة لساحل أصيلا من عدم توفر ميناء مجهز. ولذا فإن الصيادين الذين لا تتعدى نسبتهم 7 ٪ من مجموع الساكنة النشيطة يزاولون الصيد بطرق تقليدية وفي فترة محدودة لتزويد المدينة بحوالي 100 طن من السمك سنويا، تكفي لسد حاجياتها. وقد حاولت الدوائر المختصة العمل على إنشاء تعاونية للصيد، غير أن النتائج تبقى جد محدودة

أما الميناء الذي شرع العمل في إنجازه فيظهر أنه سيوجه بالخصوص إلى النشاط السياحي والاستجمامي، أكثر منه إلى قطاع الصيد.

ـ وككل المدن الصغرى يتميز القطاع التجاري بتضخم نسبي حيث يشغل 14 ٪ من السكان النشيطين (الباشوية). غير أنه يسجل غلبة المؤسسات الصغرى (البقالة تناهز نصف المؤسسات) أو التجارة المنتمية إلى القطاع الغير المهيكل. كما أنه يعاني من نفس السكون الذي تعيشه المدينة إذ بلغ عدد المحلات التجارية سنة 1984، 426 مقابل 400 سنة 1963 (J. F. Troin).

ـ إلا أن هذا الركود العام الذي يطبع المدينة الصغيرة طيلة السنة ينقلب خلال فصل الصيف إلى نشاط ملموس يرافقه رواج في التجارة والخدمات. فمدينة أصيلا تتحول طيلة شهري يوليوز وغشت إلى قطب سياحي يكون مقصد تيارات سياحية داخلية تنطلق من المدن الكبرى حاملة مواطنين من كل الأوساط والجهات لتعمر المدينة صيفا. فحسب المصادر يقدر عدد زائري المدينة ما بين 10.000 و 20.000 شخص. ونظراً لحجم هذه السياحة الوطنية، وطول مدة إقامتها وتوجهها المباشر إلى سكان المدينة لتلبية حاجياتها من السكن (ظاهرة الكراء الصيفي تهم كل الأحياء) والتغذية، تساهم في الاقتصاد الحضري لهذه المدينة. ويعمل المجلس البلدي ومثقفو المدينة على استمرار هذه الظاهرة بتكثيف التنشيط الثقافي والفني بواسطة مهرجان أصيلا السنوي الذي انطلق لأول مرة في صيف 1978، والذي أصبح اليوم من أبرز التظاهرات الثقافية والسياحية. ويبقى أهم عامل يساعد على جلب الزائر المغربي هو مستوى العيش الذي يمكن عائلات ذات مدخول متوسط من ممارسة السياحة الصيفية. غير أن المشاريع السياحية الضخمة والطموحة التي تنجز حاليا (ميناء استجمام ترافقه بنيات إيواء من الطراز الممتاز) غير موجهة إلى هؤلاء الزبناء، ويخشى أن تنعكس هذه المشاريع على طاقتهم الشرائية فتجعلهم مجبرين على التوجه إلى محطات أخرى.

3 ـ النسيج الحضري : (الشكل رقم 1 : تصميم المدينة الحضري) رغم أن أصيلا لا تسجل أي إقلاع اقتصادي فإن رقعة المدينة تعرف اتساعا ملحوظا انطلق ببداية الاستقلال ويستمر حاليا. ويرجع هنا التوسع إلى عدة عوامل نذكر منها تيارات الهجرة القروية التي تلقتها المدينة بعد الاستقلال والاستثمارات العقارية التي يقوم بها أبناء المدينة الذين هاجروها للعمل بالخارج، فقد وصلت نسبة رخص البناء التي سلمت للعمال بالخارج سنة 1985 مثلا، إلى 30 ٪ من مجموع الرخص المسلمة. كما أن المدينة استفادت من ثلاثة برامج إسكانية هي تجزئة "أنيسة" (246 قطعة أرضية) وتجزئة "المنزه" (172 قطعة) وبرنامج ياسمينة (100 مسكن اقتصادي).

تمتد المدينة على مساحة 30 كلم بين الطريق الرئيسية رقم 2 والمحيط متسعة بالجنوب، بينما تتقلص بالشمال إلى شريط ساحلي ضيق. وتتكون كباقي المدن التاريخية الأخرى من نواتين : المدينة العتيقة والامتدادات الحديثة.

3. 1 ـ المدينة العتيقة : تتجمع داخل الأسوار البرتغالية، محاذية للساحل، وقد عرفت عدة عمليات تخريب وإعادة البناء على ضوء الأحداث التاريخية التي عاشتها. غير أن الأصيليين توصلوا إلى صيانة معمارها التقليدي. فبخلاف المدن العتيقة الأخرى، ورغم كثافات سكانية نسبيا مرتفعة (360 نسمة في الهكتار)، لا يلاحظ تدهور كبير في المباني أو الأزقة. وما من شك في أن المهرجان السنوي يوفر مناسبة سانحة لصيانة هذا التراث المعماري الإسلامي.

ب ـ منذ الاستقلال وحتى يومنا هذا اتسعت رقعة المدينة جنوب حي "بارادا" والمدينة العتيقة بانتشار أحياء شعبية وسكن اقتصادي على حساب البساتين والحقول. وقد اتبعت محورين رئيسين ؛ انطلق الأول في اتجاه الشرق متخطيا الطريق الرئيسية رقم 2 ومنتهيا بحي الصفيح الزرقطوني، واتجه الثاني نحو الجنوب ابتداء من حي لالة رحمة المحادي للمدينة مرورا بحي مولاي إدريس على طول شارع الحسن الثاني، ومنتهيا بتجمع مرج أبي الطيب. ويعتبر هذا الأخير أكبر وأقدم حي للصفيح بالمدينة حيث يرجع تاريخ نشأته إلى الأربعينات.

ج ـ أما القسم الثالث فيرتبط بالنشاط السياحي الذي أخذت تعرفه المدينة في السنوات الأخيرة، وهو عبارة عن مجموعة من المخيمات وبعض الفنادق وقرية سياحية تتناثر على طول الساحل شمال المدينة.

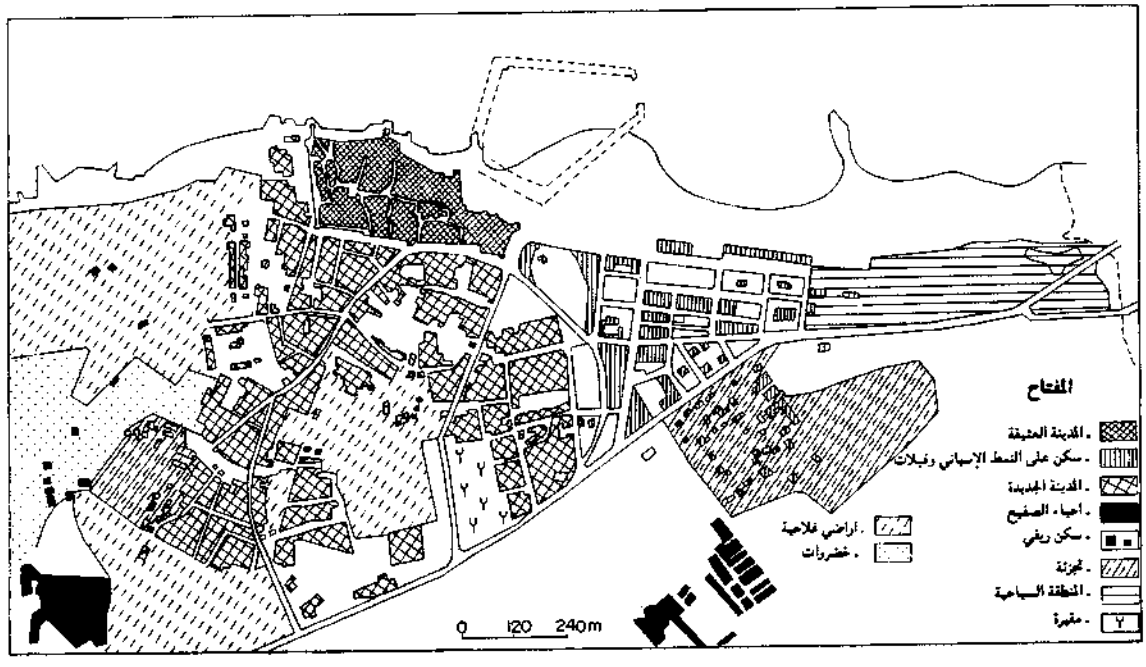

النسيج الحضري لأصيلا

تحتضن هذه النواة الأصلية 2500 ساكن وتعرف إقبالا كبيرا من طرف السواح المغاربة الذين يتجهون إليها بحثا عن وسائل الإيواء العائلية، ومن طرف السواح الأجانب الذين يتوقفون لزيارة معالمها العمرانية.

3. 2 ـ الأحياء الحديثة، ويمكن تبويبها إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ خلال فترة الاحتلال الإسباني ظهر شمال ـ غرب المدينة العتيقة حي بارادا Parada أو الحي الإسباني. وهو نسيج حضري مخالف للأول، يخضع لمعايير عمرانية خاصة. ويلعب هذا الحي الحديث اليوم دور المركز الحضري حيث تتركز المصالح الإدارية إلى جانب السكن الفردي. ويمكن أن نضيف إلى هذه الوحدة الأولى لجزئة "أنيسة" التي توجد شرق الطريق والتي صممت لإيواء سكن فردي من نوع الفيلات انتشر ببطء نسبي منذ 1976.

تعرض مدينة أصيلا نموذجا يمكن معاينته في أنحاء أخرى من المغرب. فهي مثال للمدينة الصغيرة ذات التاريخ العريق والتي ألحق بها الاستعمار خللا في توازنها الاقتصادي والاجتماعي. غير أن هذا الاضطراب يستمر رغم جهود ملموسة. ويواجه هذه المشاكل الاقتصادية اتساع في الرقعة المبنية لم يتبع أي تخطيط أو تصميم مسبقين، اللهم إلا عمليات نقطية لتجهيز بعض التجزئات.

كما أن هذا التطور للمساحات المبنية وقع على حساب الأراضي الفلاحية وخاصة الاستغلاليات المخصصة للخضراوات (انظر الخريطة) حارما المدينة من أحد الركائز التقليدية لاقتصادها.

أحمد الجسر، ارحيمو حسين، عبد النبي كندال، *انعكاسات السياحة الوطنية على اقتصاد أصيلا*، بحث لنيل الإجازة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1987 ـ 1988.

M. Berriane, *Le tourisme et la petite et moyenne ville au Maroc*, in *"petites villes et villes moyennes dans le Monde Arabe"*, Fascicule de Recherche N° 16 et 17, U.R.B.A.M.A. Tours, 1987 I.N.A.U. *Habitat et foncier à Asilah*. Rapport de stage de première Année, Rabat, 1985 ; A. Lehzam, *Propriété foncière et marché foncier dans les villes à faible croissance démographique, l'exemple d'Asilah*, Revue Marocaine de Droit et d'Economie ou Développement, Université Hassan II, n° 12, 1986 ; J. F. Troin, *Les souks marocains, Marchés ruraux et organisation de l'espace dans la moitié nord du Maroc*. Edisud, Aix-en-Provence, 1975.

محمد بريان

أصيلا، . تاريخ . مدينة على الساحل الأطلنتيكي، جنوب طنجة، يبلغ عدد سكانها 18781 نسمة في إحصاء 1982. ولم يفصل المؤرخون والأثريون بعدُ بشأن تاريخ تأسيس المدينة. ويعود هذا الغموض إلى تعارض المصادر الإغريقية واللاتينية من جهة، والعربية من جهة أخرى، فقد ورد اسم أصيلا في الأولى تحت صيغ متقاربة، ziliz, zelis, zilia (R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*) واكتشفت عُملة محلية تحمل اسم AsLith، لذا اعتقد البعض أن تأسيس أصيلا يعود إلى العهد الفينيقي. أما الحسن الوزان ومن اعتمدوا معلوماته فقد أرجعوها إلى العهد الروماني. وأرجع البكري تاريخ التأسيس إلى سنة 229 / 844 وربطه بهجمة نورماندية على موقع المدينة دفعت السكان إلى تأسيس رباط توسع فيما بعد ليعطي مدينة مسورة وسوقا عامرة. وحسبما يقترحه البعض، اعتمادا على نتائج الحفريات التي أنجزت بقرية "الدشر الجديد" الذي يناسب المستوطنة الرومانية zilis، لا يوجد أي تناقض بين الروايات الإغريقية واللاتينية ورواية البكري، إذ يتعلق الأمر بموقعين مختلفين. فربما كانت zilis بالموقع الحالي "للدشر الجديد" قبل أن يعطى اسمه للرباط المشيد بالموقع الحالي لأصيلا. وقد يؤكد هذا الاحتمال خراب أصيلا بعد الهجمة المجوسية المذكورة لمدة ثلاثين سنة، وإحياؤها بأمر من ملوك قرطبة الذين أعادوا بناءها وجعلوها أحسن حالا وأكثر مناعة من سابقها (*الوزان*، 1 : 242).

ويعد ابن حوقل أول من اهتم بـ "أزتَلي" في العهد الإسلامي. فقد أشار إلى موقعها وغنى ظهيرها، وإلى أسوارها ورواج أسواقها (*صورة الأرض*، 80). أما البكري، فقد ذكرها كأول مدن العدوة من جهة الغرب، وحدد موقعها على الساحل، ووصف سورها وأشار إلى أمن مينائها ورواج أسواقها. وبعد أن أشار إلى ظروف إنشاء أصيلا ربط ازدهارها باستقرار أبناء المولى إدريس وحفدته بها إلى أن استولى عليها حكام قرطبة (*المغرب*، 111 . 112) غير أن ما أورده الإدريسي، الذي نعتها بالمدينة الصغيرة المخربة، يوحي بتراجع مكانتها خلال القرن الثالث عشر. وابتداء من القرن التالي، بدأت سفن الجنويين والكطلنيين والميورقيين تفد على ميناء أصيلا. ففي سنة 706 . 707 / 1307 أوفدت خمس شركات تجارية من برشلونة ممثلين لها بأصيلا بينما كان للجنويين "فنادق" بالمدينة. وكان هؤلاء التجار يقتنون بها التبر والحبوب والصوف ويعرضون بها سلعا كانت التوابل والعقاقير الشرقية أهمها. ومما يؤكد كثرة إقبال الإيطاليين على أصيلا تعرض Pegolotti في مؤلفه الشهير للمكاييل المعتمدة بهذه المدينة. وبقيت التجارة الجنوية مزدهرة بأصيلا حتى بعد احتلالها من طرف البرتغاليين. ومن جهة أخرى احترف الأصيليون الجهاد البحري.

وبعد نكسة الوطاسيين على يد السلطان عبد الحق المريني استقر محمد الشيخ بأصيلا وبقي بها إلى أن احتلها البرتغاليون يوم 7 ربيع الأول سنة 876 / 24 غشت 1471، أي بعد احتلال كل من سبتة (818 / 1415)، والقصر الصغير (862 / 1458) وبعد تعرض طنجة لثلاث محاولات انتهت بهزيمة برتغالية كبرى. وكان الهدف الرئيسي من الهجوم على أصيلا إكراه طنجة على الرضوخ لإحكام السيطرة على المضيق وللتحكم في الملاحة بالسواحل المغربية. ومعلوم ان هذا التحكم أصبح ضروريا بعد أن استوطن البرتغاليون جزر الآصور . خلال النصف الأول من القرن 15 م . وشرعوا في التبادل التجاري بغرب إفريقيا. فليس من قبيل الصدف، والحالة هذه، أن يناسب احتلال أصيلا اكتشاف البرتغاليين لمركز (لامينا La mina) بساحل الذهب الذي أصبح فيما بعد أهم مركز لشراء التبر والعبيد بغرب إفريقيا. وقد أكد مؤلف *حوليات أصيلا* بعد أن عاش بها طويلا، على أهمية هذه الدور الاستراتيجي (Anais, I / 3 - 4)، ونظرا لأهمية المشروع تم الإعداد له بسرية كبرى. وتختلف المصادر البرتغالية بشأن حجم الحملة. فحسب الإخباري دوبينا (R. De Pina) بلغ الغزاة 30000 نقلتهم إلى الساحل المغربي 477 سفينة، بينما جعل دوكويش (D. De Gois) عدد المحاربين 24000 وعدد المراكب 338 (D. Lopes, *Histoira*, 35).

وبهذا تكون هذه الحملة أهم ما نظمه البرتغاليون ضد المغرب. وكان على رأس الحملة الملك ألفونسو الخامس وولي عهده وكبار نبلاء البلاد. ووصل البرتغاليون قبالة أصيلا يوم 4 ربيع الأول 876 / 21 غشت 1471، إلا أن عنف الأمواج وصعوبة الدخول إلى الميناء أخر الإنزال وأديا إلى موت 200 برتغالي واستطاع المهاجمون لكثرتهم وقوة مدفعيتهم اقتحام أسوار المدينة وقتل ألفين وأسر خمسة آلاف من سكانها. ويعتقد أن الضحايا من الجانب البرتغالي كانوا كثيرين رغم سكوت النصوص عن ذلك (*مارصول*، 2 : 220). وكان ابن محمد الشيخ وولي عهده المعروف بمحمد البرتغالي ضمن الأسرى. ولم يستطع الوطاسي إنجاد المدينة لانشغاله بمحاصرة مدينة فاس، ووصله خبر دخول البرتغاليين إلى أصيلا وهو بالقصر الكبير. لذا فضل التفاوض حتى يتفرغ لإقامة دولته. وهكذا أمضى مع ألفونصو الخامس معاهدة لمدة عشرين سنة اعترف بموجبها باحتلال أصيلا وسبتة والقصر الصغير وبتبعية ضواحي تلك المدن للتاج البرتغالي. كما سمح لهم باحتلال ما شاءوا من الثغور الساحلية. ونتج عن احتلال أصيلا إخلاء سكان طنجة لمدينتهم ودخول البرتغاليين إليها بدون حرب، كما أخليت العرائش وعدد كبير من القرى. ولم تتوسع أصيلا خلال احتلالها إذ كانت النصوص البرتغالية تنعتها "قرية

أصيلا" (Vila de Arsila). وتعاقب على إدارتها من سنة احتلالها إلى حين إخلائها (956 / 1550) واحد وعشرون قبطانا رسميا أو مؤقتا.

ونظرا لموقعها، تحملت أصيلا القسم الأكبر من المجهود العسكري الذي بذله البرتغاليون بشمال المغرب، هجوما ودفاعا، فقد كلفت حاميتها بإكراه قبائل غمارة والهبط على الرضوخ وبنشر مناطق النفوذ البرتغالي للتقليل من مصاريف تسيير الثغور الشمالية والدفاع عنها. ومعلوم أن هذه الثغور الأربعة كانت تبتلع خمس ميزانية الدولة البرتغالية، كما كلفت حامية أصيلا بقطع الطريق على كل الإمدادات التي قد ترسلها باقي المناطق، وخصوصا منها فاس، لتهديد المكتسبات البرتغالية. وهكذا قام برتغاليو أصيلا بغارات خاطفة ووحشية وصلت عدة مرات إلى أزجن والقصر الكبير وجبل الحبيب بضواحي تطوان. وكانت هذه الغارات تنتهي في الغالب، لفاجاءات للسكان ولانعدام قوة رادعة في بداية القرن العاشر / 16، بأسر مئات المغاربة والاستيلاء على أنعامهم. غير أن المقاومة الشعبية المؤطرة من لدن الفقهاء والمتصوفة من جهة، وقواد القصر الكبير والشاون، (بنو راشد) وتطوان (المنظري)، سرعان ما أكرهتهم على الانكماش داخل أسوار أصيلا. وزادت الحركات الوطاسية في عهد محمد البرتغالي من مفعولية هذا الجهاد. فقد عرّض هذا السلطان أصيلا وطنجة لاثنتي عشرة حركة كادت إحداها أن تنتهي بتحرير المدينة بعد أن استطاعت جيوشه الدخول إلى أصيلا وإكراه المدافعين عنها على الالتجاء إلى القلعة وانتظار وصول الإمدادات من البرتغال وإسبانيا (*الوزان*، 1 : 313 ; De Gois, 43-53)

القوافل والسفن كما يؤكد ذلك محمد العربي الفاسي (*مرآة*، 142) وعدد كبير من الوثائق البرتغالية (*وكالة*، 164). ولتعزيز هذا الدور المربح أنشأ الملك البرتغالي وكالة تجارية بأصيلا كانت مهمتها ترويج السلع الملكية كالصمغ والعقيق والأثواب، وشراء السلع المغربية، وكان لهذه الوكالة فرع بفاس.

إلا أن الإشعاع العسكري والتجاري لأصيلا تراجع بعد الثلاثين من القرن السادس عشر، واستفادت أصيلا كغيرها من الثغور المحتلة من تناحر الوطاسيين والشرفاء السعديين. غير أن دخول محمد الشيخ السعدي إلى فاس يوم 29 ذي الحجة 951 / 29 يناير 1549 أكره البرتغاليين على التخلي عن أصيلا بعد أن تم التفكير في التنازل عنها لأبي حسون الوطاسي (رجب 956 / 24 غشت 1550). وعادت أصيلا من جديد تحت النفوذ البرتغالي قبيل معركة وادي المخازن بعد أن سلمها لهم صهر السلطان المخلوع محمد المتوكل. ولعبت المدينة دورا أساسيا في إنزال الجيوش البرتغالية. ولم تعد المدينة إلى السيادة المغربية إلا سنة 997 / 1589 بعد اتفاق بين فليب الثاني والمنصور السعدي، (*مناهل*، 114)، وتراجعت أصيلا كثيرا بعد هذا التاريخ.

ابن حوقل، *صورة الأرض* ؛ أ. البكري، *المغرب* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ ع. الفشتالي، *مناهل*.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila, Cronica inedita de sécule XVI*, Coimbra, 1915-1919, 2 vol ; P. Ricard, *Les Portugais au Maroc de D. de Gois*, extraits de la chronique du Roi Don Manuel de Portugal, Rabat 1973 ; *Les Portugais et l'Afrique du Nord*, extraits des "annales de Jean III" de Luis de Sousa, Paris 1940 ; C. De Marmol, *l'Afrique*, trad : fr. 1665 tome 2 ; P. de Cenival (et al...) *Sources Inedites de l'histoire du Maroc*, série sa'dienne, 1934 - 1953, 5 vol. D. Lopes, *Historia Arzila O dominie portugues* (1471 - 1550 / 1577 - 1589) Coimbra 1924.

منظر عام لمدينة أصيلا في القرن الثامن عشر

(عن كتاب Höst)

وتسمح كتب الحوليات البرتغالية، وخصوصا منها *حوليات أصيلا* التي كتبها أحد سكان المدينة بعد إخلائها، بتتبع الحروب التي دارت بين البرتغاليين والمغاربة لتلك المناطق.

ولم يقتصر نشاط أصيلا خلال احتلالها على هذا الدور العسكري. فقد كانت أيضا سوقا رائجة تقبل عليها

الأصيلي، إبراهيم بن محمد، والد الفقيه عبد الله الأصيلي، من شعراء المغرب الأولين، لا تُعرف له ترجمة، وإنما تذكر المصادر القديمة مقطعات من شعره تدل على تمكنه من اللغة العربية وقواعدها، وأنه كان مداحا هجاء سليط اللسان. من ذلك قصيدة قالها في بني زياد من

هوارة الذين كانوا يقطنون بجوار أصيلا، مع قبائل لواتة في الجهة القبلية بينهم كدية رمل عالية، أورد منها صاحب البيان المغرب (1 : 235) هذين البيتين :

سقى غربيُّ أرضِ بني زياد ... سحائبُ ما يجف لها غروبُ
ولازال النعيم يعمُّ قوماً ... إزاؤهمُ من الشرق الكثيفُ

ولما دخل مصالة بن حبوس قائد عبيد الله الشيعي عام 308 مدينة فاس بعد أن هزم أهلها الذين أرادوا مدافعته قال إبراهيم الأصيلي معرضاً بها وبهم :

دخلت فاساً ولي شوقٌ إلى فاس ... والحَيْنُ ياخذُ بالعينين والراس
فلست أدخلُ فاسا ماحييتُ ولو ... أعطيتُ فاساً بما فيها من الناس

وتنسب إليه أبيات بذيئة في الهجاء والمجون، ولعل وفاته كانت بعد عام 326 / 937.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، تحقيق كولان وبروفنسال، 1 : 183 و235 ؛ ياقوت، *معجم البلدان*، 6 : 331 ؛ م. بن تاويت، *الواقي بالأدب العربي*، 1 : 21 ؛ ع. بنعبد الله، *الشعر والشعراء بالمغرب الأقصى عبر العصور* (مخطوط).

الأصيلي، عبد الله بن إبراهيم، ولد عام 324 بمدينة أصيلا المعروفة قرب طنجة ـ لا بأصيلا الأندلس كما اشتبه ذلك على بعضهم ـ وأصل جدوده من الجزيرة الخضراء أو من كورة شذونة بالأندلس، وقيل إن أباه من مسلمة أهل الذمة. والمقصود بأبيه أحد أجداده الأعلين ولا شك، لأن نسبه ـ كما عند عياض وغيره ـ هو عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر.

نشأ عبد الله بأصيلا وتعلم بها قبل أن يقوم برحلة علمية طويلة قادته إلى الأندلس حيث أخذ عن كبار فقهاء قرطبة أمثال اللؤلؤي وابن الشاط وأبي سليم وأبان بن عيسى، ثم إلى أفريقية فلقي شيوخها ومنهم ابن أبي زيد القيرواني الذي روى عن الأصيلي وشيوخه الأندلسيين. ثم توجه إلى المشرق فلقي شيوخ مصر ومنهم النيسابوري، وحج سنة 353، فلقي بمكة عبد الرحمان المروزي وسمع منه *صحيح البخاري*، وأبا بكر الآجري، وبالمدينة قاضيها أبا مروان المالكي. ومن ثم سار إلى العراق فأخذ عنه فيها أبو بكر الأبهري حامل لواء المذهب المالكي بالعراق صاحب التآليف الكثيرة. وطالت رحلته المشرقية ثلاث عشرة سنة استكمل فيها علمه دراية ورواية.

بعد ذلك رجع عبد الله الأصيلي إلى المغرب وقد بلغ أشده، والأوضاعُ السياسية في غاية الاضطراب بين مغراوة وزناتة ومَن وراءهم من الفاطميين والأمويين، فجاز إلى العدوة سنة 366 حيث "انتهت إليه الرآسة بالأندلس في المالكية وكان متفنناً نبيلاً عارفاً بالحديث. قال الدارقطني: حدثني أبو محمد الأصيلي ولم أر مثله" (*الديباج*، 139).

ألّف عبد الله الأصيلي عدة كتب تعدّ أمهات في موضوعاتها، منها : شرح الموطأ سماه *كتاب الدلائل إلى أمهات المسائل* ذكر فيه خلاف مالك والشافعي وأبي حنيفة؛ *ونوادر الحديث في خمسة أجزاء* ؛ *والانتصار* ؛ *ورسالة المواعد المنتجزة* ؛ *ورسالة من استحل عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ* ؛ *ورسالة الرد على ما شذ فيه الأندلسيون*.

بلغ الإمام الأصيلي درجة الاجتهاد إلا أنه اجتهاد داخل المذهب المالكي، فكان يتكلم في الأصول ويترك التقليد، واجتهاداته وفتاواه مبثوثة في *المدارك* وفي *المعيار*، وولي الشورى بقرطبة، والقضاء بسرقسطة. ويعدون من كرامته ـ ولو أنه ينكر الغلو في كرامات الأولياء ـ أنه كان كثيراً ما يذكر الفتن التي ستقع في الأربعمائة ويدعو الله أن يقبضه قبلها، فتوفي يوم الخميس 19 ذي الحجة عام 392 / 29 أكتوبر 1002.

ع. ابن الفرضي، *تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس*، 1 : 291 ؛ الضبي، *بغية الملتمس*، 127 ؛ م. الحميدي، *جذوة المقتبس*، 239 ؛ عياض، *المدارك*، 7 : 135 ـ 145 ؛ م. الحافظ الذهبي، *تذكرة الحفاظ*، 3 : 1024 ؛ إ. ابن فرحون، *الديباج المذهب*، 138 ـ 139 ؛ ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، ج 1 و6 (مادتا أصيل وفاس) ؛ أ. البكري، *المسالك = المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب*، 117 ؛ ع. ابن العماد، *شذرات الذهب*، 3 : 140 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، ج 1 ـ 2 ـ 7 ـ 8 ـ 10 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور*، 1 : 100 ـ 101؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، 3 : 117.

الأصيلي، عبد الواحد بن مسعود بن محمد المدعو **عَنُّون**. شخصية علمية وسياسية فذة ربما لم يكن له نظير في عصره، إذ كان عالما فلكياً رياضيا وأديبا بارعا عارفاً بعدة لغات أجنبية، صناع اليد في الرسم والنساخة، إلى نباهة وحذق ولباقة في الشؤون السياسية، اجتباه المنصور وائتمنه على بيت ماله وأسرار دولته، وبعث به سفيراً لدى ملكة أنجلترا إليزابيط الأولى عام 1008 / 1600 في أخطر مهمة كُلف بها سفير مغربي في ذلك العهد. والعجب أن شخصية نابهة كهذه لم تنل من عناية المؤلفين المعاصرين له سوى ترجمة بسيطة في *درة الحجال*. وأكثر ما نعرف عنه مصدره الوثائق الأنجليزية، وبعض المخطوطات الباقية من منتسخاته.

مكث عبد الله عنون في لندن ستة أشهر يتصل بالملكة ويراسل مخدومه بطريقة الزِّمام، وهي كتابة سرية شبة "شفرة" اخترعها المنصور للاتصال مع عماله في الداخل وسفرائه في الخارج. وقد أسندت إلى عنون في هذه السفارة ثلاث مهمات : مهمة سياسية حملها عنون سراً مكتوما في صدره ليلقيه إلى الملكة إليزابيط مباشرة من أجل إقامة حلف مغربي ـ أنجليزي ضد إسبانيا لإخراجها من الهند وطردها من الشواطئ المغربية قبل مهاجمتها في عقر دارها. وأخرى اقتصادية لدراسة السوق الأنجليزية بالتعرف على الموازين والمقايس ومدى رواج البضائع المغربية خاصة السكر للتأكد من مقدار أرباح الوسطاء الأنجليز بغية وضع أسعار جديدة لصالح المغرب، واستخلاص ديون مترتبة في ذمة الشركة البربرية ـ الأنجليزية وشراء كميات من الأحجار الكريمة. ومهمة علمية عن طريق الاتصال بالعالم الأنجليزي

إدوارد وريغت E. Wright، وهو رياضي مهندس اشتهر بتآليفه العلمية وبحوثه التطبيقية في ميدان الملاحة. كُلف بأن يحصل منه على كرات فلكية، وساعات، ومزاول وأسطرلابات، وآلات مغناطيسية وفلكية لقياس ارتفاع الأجرام السماوية وتحديد اتجاه القوافل في الصحراء. وقد طُلب من وريغت أن يصنع لعنون كل ما يرغب فيه من آلات من نحاس أو فضة، ويترك موضع الكتابة والأرقام فارغاً لينقش بالعربية في المغرب أو أنجلترا.

وتختفي أنباء عنّون بعد رجوعه إلى المغرب من هذه السفارة الطويلة فلا يُعرف لوفاته تاريخ ولا مكان.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 385 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 387. 388.

H. De Castries, S. I. H. M., Angleterre, I. 2 : 159-160 et 164-165.

محمد حجي

الأصيلي علي بن محمد ← ابن هذيل

الأطْرَش، أسرة من يهود حلب هاجر أفرادها إلى مختلف الأقطار (فرنسا وإيطاليا والهند وجبل طارق والمغرب) للتجارة في شتى أنواع البضائع، كالحرير والصوف وتقديم الخدمات. وكان منهم إخوة عقدوا شركات بينهم ومع غيرهم، وارتبطوا بالسلطات المغربية في القرن التاسع عشر. كانت تجارتهم تدور حول تصدير البضائع الفلاحية والإقراض والنقل البحري، وكانوا يعدون بمرسيليا من أغنى التجار إذ بلغت أرقام أشغالهم الملايين. منهم :

الأطرش، إميل نمساوي لم ينل الجنسية الفرنسية إلا سنة 1868. وقد ظل يتابع نشاطه التجاري بالصويرة منذ سنة 1854 حتى مات بها سنة 1889.

الأطرش، جاك أكبرهم الذي استوطن مرسيليا ثم سافر إلى المغرب ونزل بفاس مرات متقطعة سنة 1856 و 1858 و 1862. وفي سنة 1864 رحل من الصويرة إلى العرائش حيث مات مفلساً بها سنة 1866، لأنه كان يوظف أموالاً باهضة يغامر بها ويقدمها للحكام أو يسلفها للفلاحين والتجار ثم لا يسترجع منها إلاّ قليلاً، ولأن السلطات المغربية بدأت تتوجس منه خيفة سنة 1863، بعد أن كانت خولته رخص التصدير ورخص نقل الحجاج من الرباط وطنجة سنة 1856 و1857.

الأطرش، جول استوطن الصويرة سنة 1855 وعقد صلات مع الولاة لا سيما عامل مركش أحمد بوستة. وكان هو وأخوه السابق الذكر محميين فرنسيين.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, T. 2 et 3.

مصطفى بوشعراء

الأطرَنْكات، حي بتطوان أنشأه الأندلسيون الذين طردهم الملك الإسباني فيليب الثالث Felipe III سنة 1609م.

وهذا ما يفسر كون الاسم الذي أطلقوه على حيهم الذي كان قبل بنائهم له محلا ترمى فيه الرّدم، فسموه الأطرنكات من كلمة Atrancar بمعنى ردم، وهذا لا يتفق مع ما قاله الفقيه الرهوني بأن "معنى الكلمة بلغة الروم "قرب" حيث يقولون اطرنك أي قريب".

ونتوفر على قائمة أعدت في منسلخ جمادى الأولى 1257 / 1841 تحتوي على الفقراء الذين كانوا آنذاك بالحي المذكور وبلغ عددهم 1957 فقيرا.

الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 18 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ١ : 298، 8 : 350.

L. Fernandez de Lara, *Nomenclator callejero de Tetuan 1941*, 94.

محمد ابن عزوز حكيم

إطّو، علم مؤنث كثير الاستعمال عند القبائل الأمازيغية الصنهاجية المستوطنة بجبال الأطلس المتوسط.

اشتهر جغرافيا باقترانه بمكان يقع بين مدينتي الحاجب، وأزرو، على بعد 12 كلم من هذه الأخيرة. وهو منبسط يطل على هضبة "أدروش" ذات التضاريس "الأبالاشية" التي تجعل منها منطقة جذابة بمنظرها العام، وقد أصبحت جملة "منظر إطو" متداولة معروفة لهذا السبب.

واقترن اسم إطو تاريخيا بالأحداث الهامة التي طبعت تاريخ المغرب الحديث، وهو واقعة 1913 بين المحتل الفرنسي وجموع قبائل أيت مگيلد وإخوانهم من أيت نظير (بني مطير) وإگرّوان، ففي 24 مارس 1913 حلت العساكر الفرنسية بهذا الموقع تحت قيادة العقيد هانريس Cl. Henrys وكان قائدا عاما لفرقة الخيالة الفرنسية قبل أن يكلفه المقيم العام ليوطي Lyautey بمحاربة قبائل الأطلس المتوسط في هذا المكان. فطردت منه من كان به من السكان ونهبت ماشيتهم، قبل البدء في إطلاق المدافع لجلب مقاتلي القبائل خدعة. وأمام عدم توازن القرى وخاصة على مستوى السلاح المستعمل استطاع العقيد المستعمر هزم المدافعين الذين خسروا 70 رجلا. ورغم ذلك لم يهدأ الصراع بل تواصل إلى حدود 28 أبريل 1913.

منذ ذلك التاريخ أقام العقيد هانريس بموقع إطو مركزا عسكريا أساسيا جعله إحدى القواعد الثلاث لمتابعة عملياته ضد أيت مگيلد وأيت يوسي، وأيت صغروشّن المستوطنين بناحية إموزار، وهي قواعد إفران وأگوراي وإطو.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الذاكرة الشعبية ترى في إطو اسما لامرأة شجاعة كانت ابنة أحد شيوخ إحدى قبائل إركلاون المقيمة بناحية أزرو، والتي يحكى عنها أنها شاركت بني قبيلتها في معركة دارت بينها وبين قبيلة أخرى بنفس المكان أوشكت نتيجتها أن تكون وخيمة على القبيلة الأولى لولا دور إطو هذه التي حملت بكل ثقلها وعن طريق الحث بالشعر وغيره من الأقوال المهيجة على القتال والصمود حتى النصر. واعترافا بهذا الدور، سمي المكان باسمها.

Gl. A. Guillaume, *Les Berbères marocains et la pacification de l'Atlas Central* (1912 - 1913), Paris, 1946, p. 128 - 134 ; G. Beaudet, *Les Beni Mguild du Nord*, R.G. M., nº 15, 1969, p. 3 - 80.

عبد العزيز توري

أطلس. ـ تاريخ قديم ـ اتخذ صبغتين : صبغة شخصية أسطورية، فكان ككل آلهة وأبطال الميثولوجيا الإغريقية ـ الرومانية ينتمي لعائلة، وأنيطت به وظائف، له موطن سكن. وهذه هي الصبغة التي عرف بها في بدايته من خلال كتابات المؤلفين القدامى (*Histoire Naturelle*, V. 7).

لكن أطلس أضحى في عصور متأخرة معلمة جغرافية. وهذه الصبغة المكتسبة هي التي اشتهر بها عند الكتاب الكلاسيكيين وهي التي نعرفه بها إلى يومنا هذا. فكيف تم هذا التطور ؟

أطلس كشخصية أسطورية : يتفرق الرواة للأساطير شيعا وأحزابا في نسبه :

فمجموعة أولى تعتبره ابن جابي Japet وكليمين Clymene، ومجموعة ثانية تنسبه لإيطر Aether وجي Gé، ومجموعة أخرى تعتبره ابنا لإله البحر نبتون Neptune من زوجته كليو Clio. ومهما اختلفت الآراء وتشعبت حول نسبه، فإنها تجُمع على اعتباره أحد التيتان Titans.

وتضاربت آراء الرواة أيضا حول وظيفته، فاعتبرته مجموعة أولى ملكا لأكاديا. وساد بين مجموعة ثانية وعلى رأسها صاحب أنساب الآلهة Théogonie هزيود Hesiode الاعتقاد بأن منطقة نفوذ أطلس تقع في أقصى حدود الأرض، جهة الغروب، وبذلك يكون أصحاب هذه المجموعة، منهم هزيود، قد ساهموا في نقل مملكة الأطلس من شمال البحر المتوسط إلى جنوبه، وبالتالي حولوا مسرح الأحداث من أوروبا إلى إفريقيا.

ويبلور أوفيد Ovide في كتابه (*Métamorphoses*, 628) هذه الفكرة، عندما يذكر أن أطلس ملكَ منطقة خصبة ومشهورة بثرائها حيث تسرح قرق مروجها الخضراء آلاف قطعان الماعز والأبقار، وبهذه التربة أشجار الهسبريد Hesperides الآمنة لأنها محروسة من لدن ثنين مهول، لن يقوى على التصدي له وقطف التفاحات الذهبية إلا هرقل القوي.

ويجزم ديودور الصقلي Diodore de Sicile في كتابه (*Bibliothèque historique*, 27) بأن أطلس المختص في الرياضيات هو مخترع الكرة La sphère. ومنحه رواة آخرون خاصيات جديدة تتمثل في علمه بالفلك، بل منهم من حشره ضمن زمرة الفلاسفة.

وهكذا أصبح أطلس الكائن الحي جمادا أو أحيل الإنسان إلى جبل، كيف تم هذا التحول؟ و ما هي أسبابه؟

حول هذا "المسخ" نملك روايتين : الأولى صاحبها الشاعر الإغريقي هزيود الذي يفسر سبب التحول كما يلي : يذكر أن الأطلس باعتباره أحد التيتان شارك معهم في الحرب الضروس التي شنوها ضد الآلهة، ومشاركته هذه أثارت ضده حنق كبير الآلهة جوبتير Jupiter الذي عاقبه على عمله بأن أجبره على حمل قبة السماء فوق رأسه. هذه الصورة التي رسمها هزيود بالكلمات : إنسان يحمل فوق رأسه قبة السماء، نجد لها صدى في مجالات فنية متعددة من نحت ونقش ورسم كشفت عنها الحفريات في عدة مواقع بالعالم القديم تحفظ بالمتاحف الأثرية.

والرواية الثانية للتحول أوردها الكاتب الروماني أوفيد الذي يفسر سبب التبدل تفسيرا آخر مخالفا لتعليل هزيود. يذكر أوفيد (*Métamorphoses* : 632-662) بأن رفض أطلس إكرام وفادة ضيفه برسي Persee أثارت سخط هذا الأخير فواجه أطلس برأس ميدوزا Meduse التي تحيل كل من يحدق فيها حجارة، وهكذا أصبح الإنسان جمادا.

أما أطلس الجبل، فيتفق المؤلفون الكلاسيكيون على اعتباره عماد السماء Pilier du ciel، هذه العبارة أوردها هيرودوث Hérodote في كتابه (*Histoire*, 186) وذكر أيضا بأن السكان المحليين هم الذين نعتوه كذلك، وتناقل رعيل الكتاب اللاحقين نفس هذه العبارة، إذ نقرؤها عند ديون كاسيوس Dion Cassius في كتابه (*Histoires Romaines*) وأوفيد في (*Métamorphoses* : 174) وبومبنيوس Pomponius في كتابه (*De Chorographia*, III, 10) وتبين هذه العبارة علو الأطلس الشاهق، وهي البذرة التي نفخ فيها الإغريق من روحهم فاتخذت شكل عملاق محكوم عليه بحمل قبة السماء إلى الأبد.

وحاول المؤلفون الكلاسيكيون توطين الأطلس في منطقة محددة ولكنهم لم يفلحوا. وشهادة ليكريس Lucréce هي خير دليل على هذا الأمر. يقول في كتابه (*De Natura* v : 36) بأن المعرفة بالأطلس كانت ناقصة نقصا بينا خلال القرن الأول ق.م. ويضيف بلين Pline قائلا بأن معرفة أطلس كانت تقتصر على الوصف الأسطوري المستمد من مؤلفين قدامى أورد إشارات عنه خلال حكاياتهم عن البطلين هرقل وبرسي (*Histoire Naturelle*) واستمرت حالة نقص المعارف حول أطلس إلى عصر أغسطس Auguste، فمع إطلالة عصره بالأساس خلال مرحلة إلحاق الرومان لموريطانيا (القرن الأول م) تتضح معلوماتنا عنه.

فإذا كان هيرودوت مؤرخ القرن الخامس ق.م يكتفي بقوله إن أطلس بليبيا (*Histoire*, 184) وإذا كان سترابون Strabon الجغرافي المشهور (القرن الأول ميلادي) يخلط بين الأطلس والريف فيموضع الأطلس مباشرة بعد اجتياز أعمدة هرقل، (*Géographie*, XVI, 3,2) وإذا كان ليكان Lucain ينقله للضفة الأخرى من البحر المتوسط فيجعله بمدينة قادس (*Pharsales*, IV, 670-676) فإننا مع بلين المؤرخ المشهور بتحريه للحقيقة نقترب من الصواب، فهو الذي يعتبر أطلس أكثر جبال إفريقيا إثارة، والوصول إليه لن يتأتى إلا بعد اجتياز شعب الأطولول (Autololes) (*Histoire Naturelle*, V. 5) ولكننا نفاجأ عندما يظهر لنا

عجز بطليموس Ptolemee وهو من جغرافيي القرن الثاني للميلاد عن تحديد موقع الأطلس بشكل محدود ومضبوط (R. Raymond in *Description de la terre*, p. 36) وينقل بلين عن بوليب Polybe فيلاحظ أن هذا الأخير قد جعل أطلس بأقصى حدود موريطانيا بالمجال المحصور بين منطقة جبل طارق ونهاية رحلته بنقطة ليس من السهل تحديدها(*Histoire Naturelle*, V. 10).

ويعود بوليب في فقرة أخرى من كتابه المفقود - والذي نستقي عنه المعلومات استنادا لروايات بلين - ليموضع الأطلس بحدود موريطانيا وبمواجهة سيرنه (*Histoire Naturelle*, V. 120-121).

يبين بوزنياص (Pausanias : 184) أن شعب الناصامون (Nasamons) المعروفين عند هيرودت (*Histoire*, V. 184) تحت اسم الأطلنتيس Atlantis والمعروفين عند غيره تحت اسم ليكسيت Lixites يستوطنون أقصى حدود الأطلس.

ويذكر ديون كاسيوس (*Histoires romaines*, IXXV) أن أطلس يوجد ببلاد الماكنيت Macenites ويجعل مجال سكني هذا الشعب بموريطانيا العليا على ساحل المحيط إلى الشرق منه. وهو تحديد كما نرى مبهم وغير دقيق.

وإذا كانت معلوماتنا حول موقع الأطلس تتسم بالإبهام والخلط الذي مرده كما بينا إلى تناقض المصادر الكلاسيكية التي نستمد منها معلوماتنا فإننا نتوفر على معطيات ثمينة حول التسمية. يذكر سترابون (*Géographie*, XVII : 3-2) بأن أصل الكلمة إغريقي وبأن الاسم المحلي للجبل هو Diris وهذه المعلومات يزكيها نسبيا صولان Solin (*Polyhistor*, XXIV, 15) ومارتيانوس كابيلا (Martianus Capella, VI, 667) ولكنهما يرسمانه هكذا Adiris.

ويعني مصطلح أطلس ذلك الذي يطيق حمل أثقاله و Dyris. أو Adiris تعني الجبل، ولكن المعماري الروماني فيتروف Vitruve في كتابه (*De Architectura*, VIII : 2-18) يعتبر Dyris مجرد مجرى مائي ينبع من الأطلس ويغدي بمياهه النجير (گير ؟) والنيل.

ووقف المؤلفون الكلاسيكيون طويلا عند مورفولوجية الجبل، وهكذا ميز بلين (*Histoire Naturelle*, V.6 et 99) بين واجهتين للأطلس : واجهة محيطية محددة وصعبة المسالك ،وواجهة داخلية وافرة الخصب، وقدم بومبونيوس ميلاً وصفا مشابها لما جاء به بلين.

وهذه الخاصية المقترنة بالغنى والخصب التي تتميز بها بعض وديان الأطلس تفترق بها قريحة الشعراء. وفي هذا الصدد نقرأ نصاً لإليان Elien نقله لنا الباحث المعاصر Desanges وهو نص يقارب في مضمونه ما جاء به بلين حول خصوبة الأطلس.

هل هذه الأوصاف الواردة عند المؤلفين تنطبق على جهة من الجهات المغربية ؟. هذا ما حاول القيام به باحثون محدثون. فرأى بديش Pedech بأن الواجهتين المتناقضتين للأطلس هما من خصوصيات جبل بويبلان، وبيّن توفنو Thouvenot بأن المنطقة المعينة هي موگادور مع مجموعة التلال القاحلة الموازية للشاطئ، ونقيضها منطقة الحوز، وهي واجهة خصبة ذات مياه وافرة وزراعات متنوعة.

سبق أن ذكرنا أن معلوماتنا عن الأطلس بدأت تغزر مع إلحاق الرومان للمغرب ضمن مستعمراتهم . وبالفعل ، فالاتصال المباشر للقواد الرومان بالجبل تم خلال هذه الفترة.

وكانت ثورة أيديمون Aedemon هي المنافسة الموازية لذلك، فعندما أعلن هذا العبد المعتق العصيان كانت ثورته فرصة سانحة للقواد الرومان لملاحقته والوصول إلى الأطلس، وهذا ما يؤكده بلين (*Histoire Naturelle*) عندما يقول بأن عددا من النبلاء والفرسان منذ مقتل بطليموس سيد أيديمون، وابن يوبا الثاني، قتله الإمبراطور كَرَاكَلاَّ (ق 1 م). توغلت داخل الأطلس وأصبحت البلاد معروفة لديهم. ولكن بلين لم يفته أن يقف موقف الشك من أقوال النبلاء والفرسان، فلم يقبل إلا المعلومات القريبة من الصواب موضحا بأن الأخطاء الشائعة مصدرها هذه النخبة التي لا تتورع عن قول الكذب لتواري جهلها عوض الحقيقة. وبلين هو الذي يحدثنا عن القنصل سيطونيوس بولينيوس Suetonius Paulinus الذي قام بحملة لإخضاع بعض القبائل المورية، فكان أول من له السبق في الوصول إلى الأطلس، بل أول من استطاع أن يتجاوزه ببعض الأميال (*Histoire Naturelle*, V. 14) واقتدى به القواد الرومان إذ أنهم ليتجنبوا أن يعيد الثوار الكرة، فضلوا ملاحقتهم في عقر دارهم إلى حد جعل بلين يعرب عن اندهاشه من كونهم وصلوا إلى أطلس أثناء متابعتهم للثوار. وأضاف بلين قائلا بأن سيطونيوس Suetonius وهو قائد روماني بلغ الأطلس بعد قطعه لعشر مراحل (*Histoire Naturelle*, V. 15) وتابع سيره في اتجاه واد يعرف تحت اسم غير، وعبر الصحارى ذات الغبار الأسود.

وصفة الأطلس انطلاقا من مشاهدات عيانية ومباشرة تنطبق مع ما جاء به العاهل يوبا الثاني. وبلين نفسه ينقل لنا تقرير يوبا (*Histoire Naturelle*, V. 16). ويذكر بأن عشبا يعرف تحت اسم فربيون Euphorbe لا ينبت إلا بالأطلس، ويقول ديوسكوريد Dioscoride عن هذا النبات الطبي العديد المنافع بأنه يبدو بأراضي الأطولول وهي قبيلة بموريطانيا الطنجية. وهذه القبيلة يحدد بلين (*Histoire Naturelle*, V. 97) منطقة سكناها بين سلا والأطلس.

ويدعم يوبا الثاني الاعتقاد السائد قبله الذي جاء فيه بأن النيل ينبع من الأطلس (Dion Cassius, *Histoires romaines*, LXXV. 13) إلا أن بول أوروز Paul Orose يصحح هذا الاعتقاد عندما يبين في كتابه (*Contre les paiens*) بأن هناك واديا كبيرا بالمنطقة شبيها بوادي النيل يسميه البرابرة عند منبعه درعة Dara، ويطلق عليه المستقرون على ضفافه نوهول Nuhul (أونوخول Nuchul حسب بومبونيوس ميلاً). ويعتقد توفنو بأن النهر المقصود

الذي كانت له خاصيات مماثلة للنيل وتعيش به حيوانات شبيهة بتلك التي كانت تحيا بوادي النيل هو وادي نون (O. Noun).

هل تركت أسطورة أطلس بصماتها فوق الأرض المغربية؟ لم تقدم لنا الحفريات الأثرية أي أثر مادي متعلق بالأطلس، ولكن المحيط الذي يلف أرض الغروب من شمالها إلى جنوبها اكتسب خاصية أطلسي Atlantis بالنسبة للجبل (*Histoire Naturelle*, V. 6 et 99). كما أن السلسة الجبلية تحتفظ إلى يومنا هذا بالتسمية الإغريقية وإلى جانبها التسمية المحلية.

ونكتشف أيضا قصة أطلس من خلال حدائق الهسبيريد التي تحتفظ بذكراها لوحة بيضوية بفيسفاء منزل أعمال هرقل بوليلي. فتفاحاتها الذهبية مكنت العملاق أطلس من أن يستريح بعض الوقت من حمله عندما ذهب لإحضارها لضيفه هرقل مقابل حمل هذا الأخير لقبة السماء. وأراد أطلس أن يحمل بنفسه التفاحات الذهبية لابن عم هرقل أوريستي Eurysthee لأنه هو الذي طالب بها هرقل ليتملص من المسؤولية، ولكن مكر هرقل جعل الثقل يعود له. ومن يومها وأطلس يرزح تحت ثقل قبة السماء.

Diodore de Sicile, Bibliothèque historique d'après J. Ramin, *"Le Périple d'Hannon"* dans Bar (British Archeological Reports) Supplementary series 3, 1976 ; Herodote, *Histoires*, Texte établi et traduit par Ph. E. Le Grand, éd. Les Belles-Lettres, Paris, 1946 ; Lucain, *Guerre civile*, éd. Belles-Lettres, Paris, 1926 ; Lucrece, *De la nature*, traduit par A. Ernout, G. Bude, Paris, 1937 ; Ovide, *Métamorphoses*, établi et traduit par G. Lafay, éd. Belles-Lettres, Paris, 1957 ; Pline L'Ancien, *Histoire Naturelle*, éd. par J. Desanges, Belles-Lettres, Paris, 1982, Livre V. p. 1-46 ; Pomponius Mela, *De Choregraphia*, établi et traduit par G. Lafay, éd. Belles-Lettres, Paris, 1957 ; Vitruve, *De Architectura VIII*, texte établi, traduit et commenté par L. Callebat, éd. les Belles-Lettres, Paris, 1973 ; Darenberg Saglio, *"Atlas"*, Dictionnaire des antiquités Grèques et Romaines I (1), 1877, p. 526-528 ; R. Raymond, *Le Maroc chez les anciens*, éd. les Belles-Lettres, Paris, 1924 (pp. 4, 22, 36, 39, 42) ; F. De Lachapelle, *"L'expédition de Suetonius Paulinus" dans le sud-Est du Maroc*, Hespéris XIX, I - II, 1934, pp. 107-124 ; R. Thouvenot, *La connaissance de la montagne marocaine chez Pline l'Ancien*, Hespéris XXVI, 1939, pp. 113-121 ; *Deux mosaïques romaines de Volubilis à sujets mythologiques*, Psam, VI, 1941, pp. 67-81 ; J. Ramin, *Le Périple d'Hannon*, Bar supplementary series 3, 1976 ; S. Gsell, *Connaissances géographiques des Grecs sur les côtes africaines de l'Océan*, études sur l'Afrique antique, Scripta Varia, Lille III, 1981, pp. 175-194 ; A. Jodin, *Volubilis Regia Jubae, contribution à l'étude des civilisations du Maroc antique préclaudien*, éd. CNRS et Casa de Velasquez, éd. De Boccard, Paris, 1987.

بلكامل البيضاوي وعبد العزيز بلفايدة

الأطلس - أقسام - من المعطيات المساعدة على تحديد هذا الجبل قول Strabon «عندما نمرُّ بمضيق الأعمدة، وليبيا على شمالنا، نجد الجبل الذي يسميه اليونان الأطلس»، إلا أن الجغرافي الروماني لم يسمّ بدوره هذا الجبل، بل اكتفى بالقول بوجود "خط جبلي مكون من عدة سلاسل متوازية ما بين رأس كورتس والسِّرت» من بينها من الغرب إلى الشرق جبل الاخوة السبعة، جبل القردة وأخيرا جبل أبيلا، وهي جبال تشكل حسب Besnier "الساحل الإفريقي لمضيق جبل طارق".

إلا أنه يظهر من خلال حديثه عن أعمدة هرقل التي تدل على "كالبي" (على الساحل الإسباني) وأبيليك (على الساحل الإفريقي) "أن أطلس وأبيليك اسمان لنفس الجبل ؛ وهذا بالطبع إذا سلمنا مع Berard أن كلمتي أطلس وأبيلا يقصد بهما العمود.

ومهما يكن فكلمة أطلس كانت عند الإغريق، على ما يبدو، تطلق على الجبال المطلة على مضيق جبل طارق من جهة الجنوب الممتدة بين سبتة شرقا وطنجة غربا، مما يدل على أن المعرفة الجغرافية لدى هؤلاء كانت تقتصر على البحر الداخلي (البحر الأبيض المتوسط) من جهة وعلى أنها لم تكن تتعدّى مضيق أعمدة هرقل من جهة أخرى.

غير أن كلمة أطلس أصبحت لها دلالات أخرى لدى الجغرافيين الرومان الذين كانوا يطلقونها على جبال توجد في أغلبها خارج منطقة مضيق الأعمدة. وأقدم هؤلاء Polybe الذي وضع الأطلس على حد تعبير Thouvenot "وسط المجال الممتد بين قرطاجنة ونهر السينغال أي أمام جزيرة سرني وفي الحد الجنوبي لموريتانيا". وهو موقع أقل ما يمكن أن يقال عنه : إنه مخالف لموقع الأطلس لدى الإغريق. إلا أنه يوافق الموقع الذي حدده بلين القديم لهذا الجبل حيث قال : «وهذه المدينة [مدينة شالة] المجاورة للصحاري، تغزوها قطعان من الفيلة وأكثر منها شعب الأوطولول الذي يتعين اجتيازه للوصول إلى جبل أطلس، أغرب جبال إفريقيا».

ولعل أهم ما يسترعي الانتباه عند بلين القديم من جهة أخرى، ذكره لكلمة ديريس Dyris التي تعني الأطلس عند الأهالي. وهو اسم ورد ذكره بعد ذلك على لسان بطليموس بصيغة ديسور Dior والذي كان يقصد به "الكتلة الجبلية الواقعة شمال وليلي"، لعلها زرهون أو الريف.

غير أن بطليموس لم يقف عند هذا الحد بل ذهب إلى التمييز بين ما سمّاه بالأطلس الصغير Atlas minor الذي ينفذ إلى المحيط بعد مصب نهر دياس الذي قد يكون هو وادي الملح (Besnier) وبين الأطلس الكبير Atlas major الذي قد يكون هو جبل إيداوتنان (Besnier).

ولعل أغرب ما جاء على لسان بطليموس ذكره لعدة أسماء من نفس الجذر تشبه إلى حد بعيد كلمتي ديورودريس، وهي دُورْدوس Durdus الذي ينبع منه وادي ملوية ؛ ماندروس Mandrus الذي تنبع منه الأنهار الساحلية الصغيرة الواقعة بين سوبوس (سبو) وداراس (درعة)، وهي في نفس الوقت تذكر باسم درن. ومهما يكن من أمر فإنه يبدو واضحا :

1. أن كلمة أطلس كانت تعني لدى الإغريق الجبال المتواصلة على طول ساحل البحر المتوسط.
2. أن استعمالها امتدَّ لدى الرومان إلى الجبال الأطلسية الواقعة جنوب مدينة شالة.
3. أن مقابلها لدى الأهالي هو ديريس أو درن.

مما يدل على أن التأريخ لكلمة "أطلس" لا يختلف كثيرا عن التأريخ للمعرفة الجغرافية لدى كل من الإغريق

والرومان. ويتبين من خلال ما سبق أن الرومان أعرف من الإغريق بالمجال المغربي ؛ وهذا ليس بغريب إذا علمنا بأن الرومان أمدوا سيطرتهم على شمال المغرب تحت اسم "موريتانيا الطنجية" وأن جيوشهم وصلت إلى قدم السفح الجنوبي للأطلس الكبير بقيادة سويطونيوس باولينوس.

إلا أن كلمة أطلس اختفت تماما بعد الفتح الإسلامي لتحل محلها كلمة درن المحلية التي عرفت رواجا كبيرا على لسان المؤلفين العرب. ولربما يعود الفضل في ذلك إلى الجغرافي الأندلسي أبي عبيد البكري الذي أعطى وصفا عن جبل درن تناقله من بعده جل المؤرخين والجغرافيين العرب.

يقول البكري في وصف جبل درن : «وهو جبل معترض في الصحراء معمور بقبائل صنهاجة وغيرها، وهو الجبل الذي يقال أنه متصل إلى المقطم بمصر ... ويقال أنه أكبر جبال الدنيا وهو يتصل بجبل أوراس وبجبل نفوسة المجاور لأطرابلس». وإذا علمنا أن ذكر جبل درن جاء عند حديثه عن الطريق الرابطة بين أغمات وسوس أصبح من الواضح أن جبل درن يقصد به الجزء الغربي من الأطلس الكبير الحالي ؛ وهذا شيء جديد بالنظر إلى الغموض الذي كان يحيط بكلمة أطلس لدى الإغريق والرومان.

غير أن الجغرافي الأندلسي سرعان ما يتجاوز هذا المعنى ليجعل من درن مجموع السلاسل الجبلية الأطلسية الواقعة جنوب وشرق مراكش وفاس، ويظهر هذا عند حديثه عن جبل أزرو الذي ورد ذكره عند كلامه عن الطريق الرابطة بين تامدولت وأوداغشت والذي قال عنه انه "جبل متصل بجبل نفوس من جبال أطرابلس وأحسبه جبل درن" من جهة وعن "جبل درن المعروف "بسنجفرا" عند وصفه للطريق الرابطة بين سلجماسة وفاس.

وهو تعميم لا يختلف عن التعميم الملاحظ لدى الإغريق والرمان إلا بكون كلمة درن لم تعد تشمل جبال الساحل المتوسطي.

وتجدر الإشارة إلى أن تمييز جبال عن غيرها من باقي الجبال المغربية ازداد وضوحا بعد ذلك، فقد ورد عند ابن سعيد المغربي مثلا ذكر جبل دارن أو درن إلى جانب جبال أزرو وگزولة وصنهاجة ومديون الواقع شرقي فاس والذي يختلط "من جنوبه بجبل درن ومن شماله بجبل تازا وجبال غمارة"، وأخيرا جبلي تازا وغمارة. فيكون جبل درن على هذا الأساس هو جبل الأطلس الكبير الغربي الذي يشكل حسب ابن سعيد نفسه موطن قبائل "هسكورة وهزرجة وهرغة وهنتاتة وتينملل وگدميوة وجنفيسة وحاحة ورگراگة".

وهو تحديد نجده من جهة أخرى عند ابن خلدون الذي عاد، بعد التذكير بامتداد جبال درن «من ساحل البحر المحيط عند أسفي وما إليها وتذهب في المشرق إلى غير نهاية» لينعت جبال درن بجبال المصامدة إيمانا منه بأن المصامدة بطون ثلاثة : "برغواطة وغمارة وأهل جبل درن".

ولكنه لا يتردد أحيانا أخرى في أن يطلق اسم درن على الجبال الواقعة خارج هذا المجال كقوله في شأن الطبقة الثالثة من صنهاجة «فمنهم الموطنون بالجانب الشرقي من جبال درن ما بين تازا وتادلا ومعدن بني فازان» وهم "المعروفون باسم صناگة".

لا شك أن النتيجة التي تتبادر إلى الذهن هنا هي كون المؤرخين والجغرافيين العرب كانوا يطلقون اسم درن على مجموع الجبال الأطلسية، وهو تعميم ظل قائما على الأقل إلى حدود نهاية القرن الثامن عشر الميلادي.

ولعل أغرب ما كتب حول جبل درن ما جاء في كتاب *الأنساب* بقوله : «وكان هذا الجبل الذي هو في قبلة أغمات كان الأوائل يسمونه خشكوا من ما ردت ملوية إلى إيغير أن يطوف وسمي في المغرب الأوسط درن ويسمى أيضا ببلد هوارة بجبل أوراس ويسمى في المغرب الفوقي المقطم، يقال أنه أكبر جبال الدنيا». لربما كانت كلمة خشكوا في عداد أسماء الأماكن الغابرة والتي كان يقتصر استعمالها على مجال محدود.

وقد يكون ظهور أسماء محلية مرتبطة بأسماء القبائل من العوامل الرئيسية التي ساهمت في اختفاء كلمة درن أو على الأقل في تراجع مجال استعمالها بعد القرن 18 الميلادي. ذلك لأن اسم أدرارن درن (جبل درن) لم يعد يطلق على حد تعبير شارل دوفوكو إلا على "الجزء الغربي من الأطلس الكبير" أو على المجال الممتد بين تيزي نتشكا شرقا وتيزي نماشو غربا جنوب مراكش أي المنطقة التي أسماها Jean Dresch "الكتلة القديمة للأطلس الكبير". بل يذهب بعضهم، وخاصة سكان سوس، إلى حصر هذه التسمية على الجزء الأكثر ارتفاعا من الأطلس الكبير من جهة أو على جبلين اثنين فقط أحدهما بأعالي تيفنوت (ويبلغ ارتفاعه 3851 م) والثاني بأعالي إركيتْنْ (وارتفاعه 3025 م) غرب جبل أوْليم من جهة أخرى. وهو اختفاء ساعد عليه تدريس مادة التاريخ والجغرافيا باللغة الفرنسية إبان الحماية من جهة، ولم يفلح في تجاوزه تعريب هذه المادة بعد الاستقلال من جهة أخرى.

ومهما تكن الحال فإن البحث في تاريخ كلمة أطلس أو درن لا يختلف البحث في أسماء الأماكن الأخرى. ومن البديهي أن يشمل هذا البحث زيادة على الجانب التاريخي الجانب اللغوي لهذه الأسماء.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال أن معنى كلمة أو أدرارن درن لا يزال غامضا، بدليل تعدد المعاني التي أوردها كل من الألماني ماكس كِدَنْفَلْدْت وعلى إثره اللغوي الفرنسي إميل لاووست.

فقد جاء على لسان ماكس كدنفلت في هذا الموضوع أن كلمة أدرارن درن تعني "جبل الرعد أو الضجيج، الجبل المتكلم" ؛ وينفي في نفس الوقت أن يكون "درن اسم علم بدون معنى" كما جاء على لسان دوفوكو.

ويرى إميل لاووست أن جبل درن أو ادرارن تدرن معناه

جبل الجبال (إدرارن إدرارن) أو جبل البلوط (أدرارن درنان) أو الجبل الذي يتحسر (أدرار إندّرن) أو جبل الرعد. إلا أن أقرب هذه المعاني إلى واقع جبل درن هو جبل الجبال. إذ يعتبر جبل درن بحق أعلى الجبال المغربية على الإطلاق.

إن الرحالة والمستكشفين الأوروبيين قد لعبوا دورا هاما من انبعاث كلمة أطلس بعد القرن 16 : وقد يكون مرد ذلك الوقع الذي خلفه مؤلف *وصف إفريقيا* الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي لدى المهتمين بجغرافية شمال إفريقيا. ذلك لأن هذا الأخير يعتبر على ما يبدو أول من استعمل كلمة أطلس بدلا لكلمة درن من بين المؤلفين العرب.

إلا أن الأوروبيين سرعان ما انتبهوا إلى أن جبال الأطلس تحمل أسماء تتغير بتغير أسماء الأقاليم أو المناطق التي تقع فيها. ويعتبر التقسيم الذي خلفه شارل دوفوكو أول محاولة حقيقية في هذا المجال. فيقول بعد تمييزه عن الأطلس الجزائري، والأطلس التونسي "بأن الأطلس المغربي يتألف أساسا من ثلاث سلاسل متوازية"، وهي الأطلس الكبير، والأطلس الصغير جنوب هذا الأخير، وأخيرا الأطلس المتوسط شماله. وهي أسماء ـ يقول دوفوكو ـ مستمدة من لغتنا ولن يفوتنا هذا التذكير بأن هذا التقسيم لا يختلف عن التقسيم الذي لمسه بعض المؤرخين والجغرافيين العرب أمثال البكري وابن سعيد. إلا لكونه يتبنى على معيار الارتفاع من جهة وبأنه لا يزال قائما إلى الآن، كما هو معروف من جهة أخرى.

أ. البكري، *المغرب* ؛ مجهول، *كتاب الأنساب*، مخطوط خ. ع. ك 1275 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 6 ؛ ع. ابن سعيد، *كتاب الجغرافيا* ؛ أ. الزياني، *الترجمانة الكبرى*.

Strabon, *Géographie* ; Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* ; M. Quedenfeldt, *Division et répartition de la population;* V. Bérard, *Les Phéniciens et l'Odyssée*, t. 1, Paris, 1902 ; M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc*, Archives Marocaines, Vol. I, 1904, pp. 301-365 ; F. De La Chapelle, *L'expédition de Suétonius Paulinius dans le Sud Est du Maroc*, Hespéris, Vol. XIX, 1934, p. 107-124 ; R. Thouvenot, *La connaissance de la montagne marocaine chez Pline l'Ancien*, Hespéris, t. XXVI, 1939, p. 113-121.

أحمد بلاوي

الأطلس الصغير ـ تاريخ ـ ← **جزولة**

الأطلس الصغيرـ جغرافيا ـ اسمه القديم أنكيس (Meunié, *Le Maroc Saharien*, 347) سلسلة جبلية تمتد جنوب الأقاليم المتوسطية من المغرب، عند حدود المجالات الصحراوية. وتنتمي للقارة الإفريقية من الناحية البنيوية، إذ توجد بها أقدم صخور المغرب وكذا أقدم البنيات مشكلة لسلاسل عتيقة، أتت عليها التعرية وسوتها عدة مرات بينما لم تتجدد الحوادث الانضغاطية والالتوائية التي تمثل أصالة التضاريس في الأقاليم الشمالية المتوسطية. فالأطلس الصغير إذن جزء من الصحراء أو على الأصح هامشها الشمالي مناخيا وبنيويا.

تمتد هذه الكتلة الجبلية على مسافة 725 كم من المحيط الأطلنتي إلى حدود تافلالت، بينما يتراوح اتساعها بين 25 كم كأدنى (عند مستوى أگنات) و 130 كم كأقصى في الجهة الوسطى والغربية. وهي سلسة متميزة عن التضاريس العليا المجاورة، ماعدا في جهتها الوسطى حيث يربطها بركان سيْروا بجبال الأطلس الكبير، مكونا بذلك قنطرة شديدة الارتفاع (3304 م) بين السلسلتين.

وتتكون كتلة الأطلس الصغير من مرتفعات محورية تحيط بها أحواض متنوعة التشكيل. المرتفعات عبارة عن هضاب عليا شديدة التقطع، مشكلة في صخور قديمة، تنتمي لبداية الزمن الأول، يغلب فيها العنصر الكربوناتي، وتمتد حول بهرات عادة جبلية تمثل أنوية محدبات تم إبراز قاعدتها القبلكمبرية القديمة. وتحيط بهذه المرتفعات أحواض عدة محورة شمالا على طول الحادث الجنوبي الأطلسي (مجموعة الأحواض القبلافريقية) ومتمثلة جنوبا في منخفضات طولية على واد درعة الأسفل والأوسط، ودائرية شرقا ناحية تافلالت.

أقوى ارتفاعات تسجل داخل الأنوية القبلكمرية، حيث تصل قمة صاغرو بجبل أمالو ـ ن ـ منصور إلى 2712 م، وقمة أگليم قرب إغرم إلى 2531 م، وقمة لكست قرب تافراوت إلى 2370 م. جل القمم تتوافق مع صخور شديدة المقاومة هي عبارة عن كتل كوارتزيتية ضخمة. أو طفوح ريوليتية أو من الأندزيت. ويمتاز تشكيل جل هذه الأنوية القديمة البارزة بتقطع حاد للسطح، يجعل المرتفعات تتجزأ إلى متون لها قمم حادة وسفوح وعرة، لكن تتخللها منخفضات تتوافق مع بروزات صخرية أقل مقاومة مثل السلسلات الشستية والظهورات الگرانيتية المتفسحة. ومن أشهر هذه الأحواض الداخلية، حوض تافراوت الگرانيتي، على مقربة من عرف لكست المرتفع.

وتحيط بهذه التضاريس الجبلية البارزة هالة من الهضاب توافق الغطاء الرسوبي الذي يغشي القاعدة القبلكمبرية. وهذا الغطاء تغلب فيه الطبقات الكربوناتية الكلسية والدولومية وصلابة هذه الصخور وتجانسها هما المسؤولان عن تجانس سطح هذه الهضاب الممتدة. إلا أن استواءها ليس مرتبطا بظروف بنيوية مباشرة، بل يرجع إلى تسطيح تحاتي أصاب الهوامش الرسوبية لكتلة الأطلس الصغير، في عهود قريبة، تنتمي لنهاية الزمن الثالث.

وقد امتد هذا التسطيح بعيدا نحو الجنوب في اتجاه الأحواض العالية لدرعة، ونحو الشمال تجاه سوس. إلا أن تدخل التعرية الانتقائية على حساب الصخور الهشة بعد الكمبرية، والتدخل المحلي لحوادث بنائية هامة، كل هذا أدى إلى تحول هوامش الجبل إلى منخفضات، تمثل السهول المحيطة حاليا بالسلسلة الجبلية، فجلها، وخاصة منها الجنوبية الممتدة على طول واد درعة، نتاج التعرية الانتقائية التي أتت على الطبقات الشستية السميكة. وتتوسط هذه أشرطة طولية بارزة هي عبارة عن أعراف تتوافق مع الدكات الحثية والكوارتزيتية. أما سوس، ومنخفض ورزازات فهما أساساً ناتجان عن حركة التهدل

التي عرفها هذا المجال المحور على طول الأخدود الجنوب أطلسي.

وقد تزامنت مع آثار التعرية الانتقائية جنوبا، والتهدل البنائي شمالا، تعرية عمودية تتجلى في التعمق الشديد الذي عرفته الأودية النازلة من المحاور الجبلية في اتجاه المنخفضات المجاورة، أو الأودية التي تقطع السلسلة كليا مثل واد درعة. بينما في المراحل السابقة كانت هذه المجاري تجري عند سطح الهضاب التحاتية، تساهم في تحقيق التسوية الشمولية التي بقيت آثارها إلى الآن. وفي عدد من المنخفضات المحلية، تركت هذه المياه توضعات كربوناتية بحيرية، تشهد على التطور الكارستي للهضاب الهامشية للأطلس الصغير. هذه المياه المحملة بالمحلولات، هي المسؤولة عن تكوين الحمادات في الحدود الجنوبية للمرتفعات الجبلية، وتغطيتها بطبقة ممتدة من الكلس البحيري.

وتوقفُ هذا التوازن الذي دام خلال النيوجين، يعزى إلى الأحداث البنائية التي وقعت في نهاية البليوسين، والتي ارتفعت بموجبها سلسلة الأطلس الصغير فوق المنخفضات المحيطة بها. كل الأودية صارت تنحت عمودا، فتخطت بتعامد المحاور البنائية القديمة، راسمة خوانق عميقة في الصخور الكلسية، وموسعة مجراها عند اجتيازها للطبقات الصلصالية والشستية اللاحقة (جيورجي أعلى وأكادي). وهذا يشير إلى موازاة التضاريس والتشكيل للمعيار الضخاري قبل غيره.

حقيقية، لكن تم تأريخ بعضها اعتمادا على عدد من العناصر الكيماوية الإشعاعية. ويتضح أن هذه القاعدة تتضمن في جذورها أقدم الصخور الظاهرة في شمال إفريقيا حيث تعود بعض البقايا الأركية إلى ما قبل 2.5 مليار سنة قبل الحالي.

هذه الصخور القديمة لا تنمتي إلى جبل واحد، بل هي مكونة على الأقل من ثلاث دورات متوالية. والتفريق بينها يعتمد أساسا على تحديد مستويات التنافر التي تفصلها. ذلك أن كل دورة تتكون من رواسب شديدة الالتواء، تخترقها صخور باطنية بركانية وگرانيتية، تعرضت لتعرية عنيفة قبل تغطيتها من طرف المجموعة الصخرية للدورة اللاحقة.

وداخل هذه السلسلات الصخرية المعقدة، تنفرد بعض المجموعات، بسبب الدور المتميز الذي تلعبه عند السطح. ومن بينها الكوارتزيت السميك (أكثر من 1000 م) المنتمي للقبلكمبري الأوسط الذي يشكل أغلب الأعراف العليا في السلسلة. من بينها كذلك بعض الظهورات الگرانيتية التي تشكل فيها أجمل الأحواض المفرغة داخل ركيزة جد متفسخة كما هو حال ناحية تافراوت. ومنها أخيرا طفوح بركانية سميكة وصلبة، من ريوليت وأندزيت، تضاريسها شديدة التقطع كما هو الحال في وسط كتلة كردوس وشمالها وكتلة إفني وجبل صغرو.

- ثانيا الغطاء الرسوبي الأولي : هذه القاعدة القديمة المتعددة المراحل، تغطيها بتنافر زاو واضح، سلسلة رسوبية

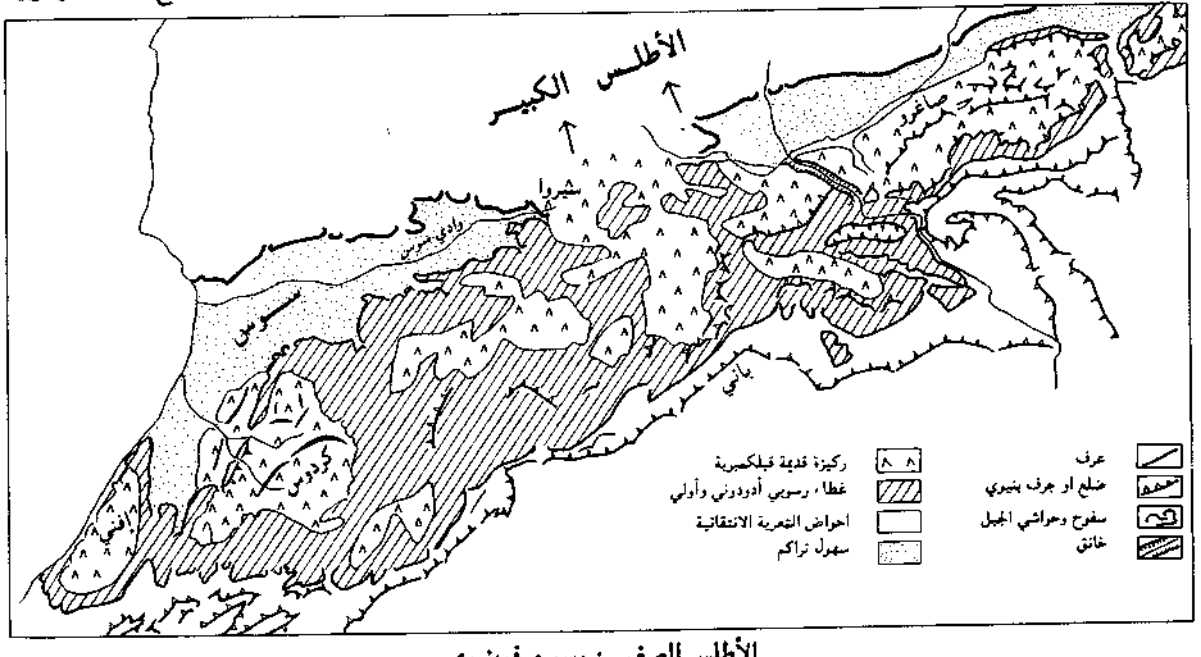

الأطلس الصغير : رسم مرفوبنيوي

جيولوجياً، يمكن تقسيم السلسلة إلى ثلاثة أوساط من النواحي الصخارية والتطبيقية والتكتونية.

- أولها المحدبات المشتقة القبلكمبرية : هي مكونة من صخور غابرة في القدم، غالبا لا تحتوي على مستحاثات

جد سميكة، تنطلق من ما قبل الكمبري، من فترة الأدودوني، لتنتهي في حدود السلسلة الجبلية الأولى في الأسفل، بينما تستمر بعيدا عنها حتى العصر الفحمي في جبل واركزيز قرب حمادة درعة.

المستويات الرسوبية الأساسية داخل السلسلة تعود لعهدي الأدودوني والجيبورجي وتتكون قبل كل شيء من مواد كربوناتية، قد تتخللها بعض الطبقات الصلصالية. ويصل سمك السلسلة الرسوبية ألى أكثر من 1000 م، خاصة الأجزاء الغربية من الأطلس الصغير. وفي نهاية الجيورجي خلال الأكادي، تتوضع طبقات فتاتية أقل صلابة، تمتاز بالتناوب، حث وشست، لتصبح هذه القاعدة مستمرة بعد ذلك خلال العهود اللاحقة من الزمن الأول. وفي هذا التناوب الصخاري يكمن السر في التضاريس الأپلاشية، المرتبطة بالتعرية الانتقائية التي تتميز بها الهوامش الجنوبية بين سلسلة الأطلس الصغير. كما أن المرور المفاجئ من الصخور الكاربوناتية الأدودونية والجيورجية، إلى المجموعات الهشة الأكادية هو السبب في اتضاح معالم الحدود الجبلية، وفي التناقض الصريح بين التضاريس الجبلية والأحواض الهامشية.

من الناحية التكتونية، يعتبر الأطلس الصغير جزءا من القاعدة الإفريقية قليلة التشويه. ذلك أن أهم المراحل البنائية في السلسلة، قديمة جدا، همت الركائز القبلكمبرية، بينما الدورات التكتونية الأولية والثلاثية أقل عنفا. فهي أساسية في منحها للتضاريس مظاهرها الجبلية، لكنها لم تتميز بشدة الانضغاط وقوة التشويه، كما هو الحال في الأقاليم الشمالية من المغرب.

فالتكتونية الهرسينية قد اتخذت طابع التقبب الشامل، جعلت السلسلة تكون طية عميقة كبرى، تبلغ أقصاها في مراكز منفردة تصاعدت بقوة، تتوافق حاليا مع الأنوية القبلكمبرية البارزة. وعلى جوانب هذه القبات المعرضة للتعرية وإزالة الغطاء الرسوبي الأولي، تنحدر الطبقات الرسوبية شمالا وجنوبا، مشكّلة الهوامش الهضبية المنحوتة.

وقد تعرضت السلسلة من جديد لآثار التكتونية خلال بداية الثلاثي، في الوقت الذي كان فيه الأطلس الكبير في طور النشوء. إلا أن الحركات الأطلسية كانت هناك جد مخففة ولم تتخذ قط طابع الالتواء. أهم ما وقع، معاودة الرفع الشمولي للسلسلة، ومعاودة أهم الانكسارات، مع ظاهرة عدم تماثل بين جانبي السلسلة الشمالي والجنوبي. جنوبا تنحني الطبقات ببط، الشيء الذي سمح بوضوح آثار التعرية الانتقائية وبتشكيل تضاريس أپلاشية هي عبارة عن أعراف بارزة حتية وأشرطة سهلية محفورة في الطبقات الشستية السميكة. شمالا، على مقربة من الحادث الجنوب ـ أطلسي، كانت التكتونية أعنف، تتمثل غربا في نزول مفاجئ للقاعدة القديمة تحت تراكمات سوس، وشرقاً في ميل قوي للطبقات الرسوبية على هامش صغرو وأوگنات، وفي الوسط بروز صخور بركانية ثلاثية في جبل سيروا.

جغرافيا، يوجد الأطلس الصغير ضمن النطاق الجاف، إلا أن الارتفاع يقلل من الخصاص المائي، خاصة في القمم الوسطى للسلسلة المتميزة بانخفاض حرارتها خلال فصل طويل من السنة. إلا أن أهم شذوذ يلاحظ في الجهة الغربية المحيطية من الأطلس، حيث سبب رطوبة الجو، وحدوث اضطرابات قوية ومترددة في بعض السنوات، تنفرد منطقة تمتد على حوالي 100 كم نحو الداخل، تمتاز باعتدال حراري، وكثافة نسبية للغطاء النباتي، وسمك خاص للتربة.

عبد الله العوينة

الأطلس الكبير ـ تاريخ ـ ← مصمودة

الأطلس الكبير، ـ جغرافيا ـ سلسلة جبلية عرفت لدى المؤرخين المغاربة بجبال "درن" وهي كلمة مشتقة من التسمية المحلية "إدرارن" ج "أدرار" أي الجبل. وعرفت لدى الجغرافيين الأوروبيين منذ قرون بالأطلس، ويرجح بعض الباحثين أن الإغريق هم الذين أوجدوا هذا الاسم، وهو تحريف مخفف على الطريقة الإغريقية للتسمية الشائعة لدى البربر : أدرار، والتي وصلت إليهم عن طريق الفينيقيين، لكن البعد والغموض دفعهم إلى إلصاق أساطير بهذه الجبال، حيث جعلوا منها ماردا جبارا، اسمه أطلس يحمل قبة السماء على كتفيه. واستعمل بعض المؤرخين والرحالة الإغريق والرومان التسمية المحلية "درين" بينما استعمل آخرون مثل بطليموس كلمة "أطلس" وظلت كلمة "أطلس" تتنازع مع الكلمة المحلية "درن" لدى الجغرافيين الأوروبيين إلى بداية استعمار شمال إفريقيا حيث تغلب اسم "أطلس" في الجغرافيا الحديثة.

التوطين وأهم المميزات : الأطلس الكبير سلسلة جبال ضخمة، تفوق كل مثيلاتها بالشمال الإفريقي، تمتد جنوب المغرب بين خطي عرض 31 و 33 شمالا، على طول 700 كم من سواحل المحيط الأطلنتي إلى المغرب الشرقي، يتراوح اتساعها بين 50 و 120 كلم. وهي عبارة عن طية أرضية كبيرة رفعت القاعدة الهرسينية إلى ارتفاع كبير يتجاوز 4000 م في 8 قمم و3000 م في كتل ضخمة مثل توبكال ومگون والعياشي، مما جعلها تتعرض في فترات أكثر برودة ورطوبة إلى تعرية جليدية. والسلسلة ذات تاريخ جيولوجي قديم انطلق بالالتواء الهرسيني. لكن التعرية اللاحقة سوت المنطقة وحولتها إلى سهل تحاتي غمرته البحار ورسبت عليه طبقات رسوبية، ثم تعرض لحركات رفع في نهاية الزمن الجيولوجي الثاني وبداية الثالث متفقة مع الحركة البيرينية أدت إلى ارتفاع الكتلة إلى غطائها الرسوبي وظهور فوالق عميقة، كونت مناطق ضعف، استغلتها عوامل التعرية في تكوين أحواض وأودية وفجاج، كما نتج عنها تدفقات بركانية. وفي الزمن الرابع الجيولوجي اتخذت السلسلة شكلها الحالي بعد أن غيرت معالمها جزئيا فترات متقطعة من التعرية المرتبطة بالجليد والصقيع. كما تعمقت الأودية لتهدل السهول المجاورة. يحدها من الجنوب سلسلة فوالق تمتد من أگادير إلى أقصى شرقها. أما من الجهة الشمالية والغربية، فتحدها ثلاثة سهول هي الحوز وتادلا وملوية وما بين السهلين الأخيرين، تلتحم بسلسلة الأطلس

المتوسط على طول 100 كلم (P. Schwell, *L'Atlas marocain*, Paris, 1890)، وتكون السلسلة حاجزا طبيعيا يفصل بين السهول المعرضة للمؤثرات المحيطية والمغرب الجنوبي المعرض للمؤثرات الصحراوية، مما يخلق تباينا كبيرا بين سفوحه الشمالية الغربية الرطبة، وسفوحه الجنوبية الشرقية الجافة، وينعكس هذا بالتالي على أنماط الإنتاج والمشاهد الجغرافية، إلا أن هناك عوامل مشتركة كالشكل القبي للقمم ووجود هضيبات معلقة وأحواض داخلية وأودية متعمقة، جزأت السلسلة وعاقت التنقل على طولها، لكنها سهلت التغلغل داخلها وعبورها من الفجاج الكثيرة بها.

لقد استوطن الإنسان الأطلس الكبير منذ العصر الحجري الأوسط، كما تدل على ذلك النقوش الحجرية بهضبيتي ياگور وأوكايمدن وفج تيزي ن تيرغيست، كما كان ملجئا لسكان السهول المجاورة عند حلول أزمات الجفاف أو لاضطرابات بشرية. وجماعات الصيادين الرعاة القادمين من الصحراء الكبرى بعد استفحال جفافها. وقد تكيف السكان مع هذا الوسط الطبيعي الصعب بابتكار أساليب فلاحية تقوم على الجمع بين زراعة مسقية للحبوب والأشجار بقيعان الأودية والمدرجات وتربية الماشية.

إلا أن عوامل الاختلاف بالأطلس الكبير كثيرة، ويرجع ذلك لعوامل طبوغرافية ومناخية وبشرية واقتصادية، مما حدا بالجغرافيين إلى تقسيمه إلى ثلاث وحدات متباينة :

I ـ الأطلس الكبير الغربي : يمتد من المحيط الأطلنتي إلى فج تيزى ن تيشكا، ونظراً لاختلاف البنية الجيولوجية بين طرفيه فإنه ينقسم بدوره إلى قسمين :

أ ـ قسم غربي : يتكون من هضاب كلسية متموجة **(إداوتنان)** يتراوح ارتفاعها بين 700 و 900 م. في هذا المجال، كان الرفع البنائي متواضعا بحيث لا تظهر ليات قوية سوى بالهوامش الشمالية خاصة في جبل "أمسيتن" (900 م) والجنوبية، حيث نجد كأعلى قمم سلسلة محدبات منكسرة ذات اتجاه ج. ج غ ـ ش ـ ش ش يبلغ أعلاها 1800 م. تنتمي الصخور إلى فترة الجوراسي والكريتاسي، لكنها تختفي في الهوامش الغربية، تحت غطاء من الرمل والحت البليورباعي. تقطعها أودية متسعة تجف في معظم السنة، أهمها وادي القصب وأيت اعمر. يشرف هذا الجزء على المحيط الأطلنتي بساحل قوي الانحدار كثير الرؤوس أهمها: تانڤلي وگير. وينتهي شرقا عند المنخفض الترياسي لأسيف أيت موسى (حوض أركانا) حيث تنتشر صخور هشة من الطفل والطين والحت، وفج تيزى امعاشو (أوماشو) : 1100 م.

ب ـ قسم شرقي : يمتد من حوض أركانا غربا إلى وادي غدات وتيزى ن تيشكا (2206 م) وهنا يصل الأطلس الكبير أقصى علوه إذ يتضمن أعلى قمم إفريقيا في سلسلة ضيقة (50 كلم) جنوب أمزميز، مما يجعله كجدار يفصل بين شمال المغرب وجنوبه. وقد درج الجغرافيون على تسميته بالأطلس المركزي أو المراكشي.

تتميز بنيته بالتعقيد الجيولوجي، إذ تظهر هنا القاعدة القديمة، التي ترجع إلى الزمن الأول والقبلكمبري.، وقد أزالت عوامل التعرية غطاءها الرسوبي، بحيث لم يعد يظهر سوى بالهوامش الجنوبية والشمالية بصفة خاصة متأثرا بحركات اللّي أو شكل دكات ضيقة بالهضيبات المعلقة. وهو يتكون من طبقات متوالية للشيست والكلس والحت والطين، ترجع إلى الزمنين الثاني والثالث. كما تعرضت البنية لانكسارات ذات اتجاه شرقية ـ غربية تنطبق على المجاري العليا لروافد واد نفيس مثل أوگدمت وأگنديس، وأخرى شمالية جنوبية، تظهر بالمجاري الوسطى لوديان نفيس وغيغاية وأوريكا.

وأهم وحدة تتميز بأصالتها ، هي : حوض وادي نفيس الذي في قلب الكتلة المركزية حيث توجد طبقات رسوبية سميكة هشة من البرموترياس، مما أفسح المجال لفتح أحد المحاور الأساسية لعبور الأطلس، عبر تيزى ن تاست (2092م). وعلى جانبي الحوض، توجد كتلتان عاليتان : كتلة غربية (إگديت ـ أردوز) يتجه خط قممها بعيدا نحو الجنوب، أهم قممها : أردوز (3580 م) إگديت (3616 م) و أوليم (3550 م)، مما يجعلها تشرف بعنف على سهل سوس. تتكون في معظمها من الشيست والحت الباليوزيكي تتخللها كتل اندفاعية من الگرانيتو تظهر بوضح في هضبة تيشكا.

وإلى شرق نفيس يوجد أضخم جزء من القاعدة هو كتلة تويكال التي كانت تعرف بأدرار ن إدرارن يتكون من صخور اندفاعية كالگرانيت ومواد صهيرية متنوعتة كالأندزيت والريوليت. أعطت لهذه الكتلة لونها القاتم. وقد ارتفعت القاعدة البلورية هنا في بعض أجزاءها إلى علو 4000 م مشكلة أعلى القمم مثل تويكال (4166.20 م) ووانوكريم (4086 م) وهضيبة تازاغارت (3890 م). وتنخفض تدريجيا نحو الجنوب على شكل سلم متدرج ينطبق على فوالق وثنيات يندس بينها حوض "أوناين" وتختفي جزئيا تحت غطاء رسوبي ضعيف الالتواء قبل أن تلتحم بكتلة جبل سيروا البركاني (3304 م) الذي يصلها بالأطلس الصغير. ويتميز بهذه الكتلة التي تقابل منظرين جغرافيين متباينين هما : الجبال العالية : (+ 2800 م) عالم القمم الشاهقة المستوية السطح والهضيبات المعلقة، والصخور العارية الداكنة، خلفت بها التعرية الجليدية والصقيعية آثارا واضحة : حلبات وبحيرات أطمرت بالرواسب وتحولت إلى مروج، ولم يبق منها سوى بحيرة إفني (2328 م) التي تندس في وادي ضيق جنوب قمة تويكال خلف سد انهيالي وركامي لجلادة صخرية، كما نجد أودية منفرجة مستوية القعر عمودية الجوانب أهمها وادي تويكال (غيغاية الأعلى) طوله حوالي 5 كلم.

الجبال المتوسطة : تتكون من قمم محدبة أقل علوا وأودية عميقة، وأحواض تتسع في صخور البروترياس

الهشة تعلوها أحواض وهضيبات معلقة، تعتبر المجال المفضل للانتجاع الصيفي.

2 ـ الشبكة المائية : تتكون من مجموعة وديان تتجه شمالا نحو واد تانسيفت يبلغ عددها 13 من أهمها واد نفيس وغيغاية والزات وأغدات وأوريكا وهو أغزرها ماء (170 م. م. 3 / سنة). وتتجه المجموعة الثانية جنوبا نحو واد سوس، تتميز بالقصر والجريان الموسمي أهمها واد تيفنوت. وهناك مجموعة ثالثة غربية تتجه رأسا إلى البحر أهمها واد القصب.

3 ـ المناخ والنباتات : يتميز الجزء الغربي الأطلنتي بقلة أمطاره (300 ـ 500 م / سنة) وترتفع التهاطلات قليلا على الواجهات الشمالية الغربية لبعض القمم، حيث تصل إلى 700 ملم، لكنها تنخفض في حوض أرگانا وبعض الأودية إلى مادون 300 ملم. أما الحرارة فإنها تتصف بالاعتدال النسبي إذ تتراوح معدلاتها بين 15 شتاء و 26 صيفا. لكن حوض ارگانا يعرف درجات حادة سواء في البرودة شتاء أو الحرارة صيفا. ويغطي هذا الجزء في معظمه غابات شجر الأرگان بالمناطق السفلى والعرعر بالمناطق المرتفعة. لكنها تعرف تدهورا بسبب الرعي المستمر والاستئصال. أما في الكتلة المركزية، فإن عامل الارتفاع والتعرض للرياح الشمالية الغربية يجعلها تتلقى أمطارا تتزايد مقاديرها من الهوامش الشمالية (400 ملم / سنة) إلى الجبال المتوسطة (600 كلم) وبعض القمم تتلقى حوالي 900 ملم / سنة. لكنها تتناقص بعد علو 2800 م إلا بالأدوية التي تنحبس بها السحب شتاء وتعرف عواصف رعدية صيفا. كما تتناقص الأمطار كثيرا في بعض الأحواض الداخلية مثل حوض ثلاث ن يعقوب (- 300 ملم / سنة). وتسقط معظم الأمطار في بداية فصل الشتاء ثم في فصل الربيع، أماوسط فصل الشتاء (يناير) فيتميز غالبا بجو صحو قارس البرودة. ويكون التساقط بعد علو 2000 م مزدوجا ما بين أمطار وثلوج، أما بعد 2500 م فإنه يكون على شكل ثلوج تبقى على السطح عدة أسابيع وبتغدية مستمرة تدوم على السفوح عدة أشهر، وتبقى في الأماكن المحمية من الرياح وأشعة الشمس إلى يوليوز وغشت. وهناك أماكن تبقى فيها ثلوج صلبة على شكل (إرتاح) طيلة السنة. وأهمها "ممر الثلوج الدائمة" بسفح جبل تازاغارت.

أما الحرارة فإنه يطغى عليها الطابع الجبلي والقاري، وتعرف تقلبات عادة ما بين 5 ـ 10 تحت الصفر كنهايات دنيا شتاء بالأودية العالية والقمم، إلى 40 في الأحواض والأودية العميقة كنهايات عليا صيفا، وعموما يسود المناخ الجبلي البارد شتاء والمعتدل صيفا، إذ قلما يتجاوز نهارا 27 ! مع وجود مدى حراري يومي كبير سواء في الصيف أو الشتاء. ويمكن تصنيفه في مستوى أوسط بين المناخ الشبه الجاف ودون الرطب.

ويلاحظ بالسفوح الجنوبية تناقص معدلات الأمطار، وزيادة في الحرارة، اللهم إلا في السنوات التي تعرف أعاصير جنوبية ممطرة في بداية الشتاء. ويقابل هذا التنوع المناخي غطاء غابوي تختلف كثافته وأشجاره من جهة لأخرى، يلعب الارتفاع والمواجهة ومبل السفوح دورا مهما في توزيعه وتحديد نوعية أشجاره، وتنتعش الغابات على المنحدرات التي تتوفر على تربة غنية نسبيا ورطوبة أكثر. وجل الأشجار من البلوط الأخضر والصنوبريات يضاف إليها عينات محلية نادرة كسور نفيس. وهي تغطي حوالي 50 ٪ من المساحة الكلية. ومن العوامل المتحكمة في توزيعها التنطيق حسب العلو الذي يغلب عليه الترتيب التالي : من 900 إلى 1300 م : الثويا، وتختلط في طبقاتها العليا بالعرعر الأحمر. بعد علو 1300 م : البلوط الأخضر وهو أكثر الأنواع انتشارا رغم ما تعرض له من استئصال. وبعد 1800 م : العرعر الفواح الذي يصل في بعض الجهات إلى علو 2600 م. ويظهر بعد ذلك طبقة الأعشاب الألبية التي تتكون من نباتات شوكية قصيرة وأعشاب. ولا نجد بعد علو 2800 ـ 3300 م سوى أراضٍ صخرية موحشة تغطيها الشظايا ومفتتات الصخور.

وتتخلل هذه الأنواع السائدة في نطاق أشجار محلية الخروب والحور الأرجواني والبستاكيا وغيرها وشجيرات ثانوية كالقبار وغيره.

ويلاحظ بالمنحدرات الجنوبية ارتفاع هذه النطاقات بحوالي 200 ـ 300 م مع تناقص الأشجار وتدهورها، فتنتشر على شكل بقع متفرقة.

4 ـ السكان : لقد تحقق في هذا الجزء من الأطلس الكبير أفضل الظروف ليكون جبل اعتصام لسكان مستقرين، ولا زال النشاط الفلاحي يحتل الأولوية، سواء من حيث التشغيل (80 ٪ من النشيطين) أو المداخيل.

ينتمي السكان إلى البربر المعروفين بالشلوح. وهم قبائل مصمودية. تنتظم حياة السكان بالأودية وأحواضها، وهي التي تحدد الانتماءات القبلية فنجد قبائل گدميوة في وادي أسيف المال وأنكال، وگنداقة بواد نفيس وغيغاية وأوريكا، وگلاوة في حوض أغذات، وأيت واوزگيت في وادي تيفنوت. ولا يشذ عن هذا سوى امتوگة وإداوتنان الذين ينتشرون فوق الهضاب الغربية الأطلنتية.

ـ السكن : يتوزع في قرى على طول الأودية بالسفوح الدنيا مشرفة على محاطاتها، وتكثر حيث يتسع الوادي واغزر المياه بصفة خاصة. لكن حدود السكن الدائم لا يتجاوز علو 2200 م. وقد عرف الجبل انفجارا ديمغرافيا، يتجلى في نمو الكثير من القرى التي تجاوز سكانها 500 نسمة بل 1000 نسمة، وتحويل بعض العزبان إلى قرى تابعة، وظهور سكن متشتت في بعض الجهات المحظوظة زراعيا، وقرى جديدة وأسواق على الطرق المهمة، هذا مع العلم أن المنطقة تعرف نزوحا كبيرا، وتتراوح كثافة السكان (سنة 1982) بين 60 و 100 ن / كم مربع في الجماعات القروية بالسفوح الشمالية، وترتفع بصفة خاصة عند فم الأودية، لكنها تتناقص كثيرا بالجماعات القروية المنتشرة فوق القمم

والسفوح الجنوبية حيث تنحصر بين 20 إلى 40 ن / كم مربع.

ورغم مظاهر التحديث التي تتجلى في استعمال الإسمنت والأصبغة وتوسيع المنازل، فإن السكن لازال يحتفظ بطابع القديم، خاصة في الجهات العليا، فالطابق الأرضي يخصص عادة للمواشي والعلف وأدوات العمل، بينما يخصص الطابق العلوي للسكن، أما تلك البنايات الجماعية "أگادير" التي كانت تستغل في خزن أقوات سكان القرية فقد اندثرت.

الاقتصاد الزراعي : يقوم النظام الزراعي على زراعة الشعير والذرة بالسفوح الدنيا شتاء والسفوح العليا ربيعا، وأشجار الجوز التي تتسلق الأودية إلى علو 2200 م. وتعتبر ثروة الجبل سواء بثمارها أو خشبها، كما تزرع أشجار الزيتون واللوز في الأودية الوسطى ومنحدراتها (1600 م) وكذلك الخضر وأشجار الفواكه التي عرفت توسعا كبيرا. وازدادت أهمية الأشجار كثيرا بعد انتشار الفواكه الحديثة خاصة التفاحيات التي أحدثت ثورة خضراء في بعض الأودية والأحواض مثل أسني، وقد دفعت زراعتها إلى الانتفاع على الأساليب الحديثة واستثمار أموال كثيرة، مما طوّر معالم الاقتصاد الزراعي بالمنطقة.

تربية الماشية : تكتسي أهمية كبرى إذ بها يمكن الاستفادة من معظم المساحات الجبلية وتعتبر النشاط الأساسي لأغلبية الأسر بالأودية العليا والمتوسطة لقلة الأراضي الزراعية واتساع السفوح المعشوشبة والغابات، وتعطي الأولية للماعز الذي يتكيف جيدا مع البيئة الطبيعية لكنها تتحول الآن إلى الأغنام. أما تربية الأبقار فثانوية (10 ٪ من الرؤوس) تعتمد على الرعي بالبساتين والعلف. وتعتبر تربية المواشي نشاطا تكميليا في الأودية السفلى التي حققت نجاحا في زراعتها الشجرية إذ تقتصر على بضع بقرات تعتمد على إنتاج البساتين. وتوفر المناطق العليا مراعي صيفية جيدة. والكثير منها في حوزة سكان السفوح الجنوبية، ويلاحظ أن حركة هبوط المواشي إلى المراعي الشتوية بالدير والسهول المجاورة، كادت تتلاشى لانتشار الزراعة وتعميم الملكية الخاصة بها، مما أحدث ضغطا متزايداً على المراعي الجبلية والغابات، وتقضي الماشية فصل الشتاء بمراعي متنوعة حول المحاط كما تعتمد على العلف المخزون.

ورغم مظاهر التحديث فإن الاقتصاد الفلاحي لازال يتسم بطابعه المعاشي لكنه غير مغلق إذ يتم تبادل المنتجات المحلية مع الحبوب المستوردة، إلا أن الفائض لازال ضعيفا لضعف الإنتاجية، وهذا ما يدفع بعض أفراد الأسرة إلى الهجرة للعمل بالمدن الكبرى أو الخارج أو البحث عن مهن غير فلاحية كالعمل في المناجم وغيرها، فالمساحات الزراعية لا تزيد عن 6 ٪ من المساحة الكلية، والملكيات عرفت تفتتا خطيرا بفعل التقسيم المتوالي بين الورثة ولا يزيد معدل نصيب الأسرة عن 0.4 هـ. مجزأة إلى عدة بقع، وتضيع مساحات ومياه كثيرة بتكاثر السياجات، وتعقد شبكة الري.

II. الأطلس الكبير الأوسط : يمتد من وادي غدات إلى هضبة البحيرات شرقا، وهو عبارة عن قبة ضخمة تتكون من طبقات كلسية ملتوية ترجع إلى الزمنين الثاني والثالث الجيولوجيين، تختفي أسفلها القاعدة القديمة التي لا تظهر إلا في بعض المحدبات المفرغة بالجزء الغربي، كما يظهر فوقها دكات من الطين والطفل، وأحيانا تكوينات قارية تغطي بعض الأحواض مثل واويزغت. وتتوالى فيها مقعرات تكون أحيانا أحواضا وهضابا داخلية، ومحدبات ضيقة منكسرة غير متماثلة الجانبين، إذ تتكون سفوحها الشمالية من حافات، تنطبق غالبا على خطوط انكسار، أو تتدفق مكونة طيات زاحفة، وتكون أعرافها الطويلة سلاسل جبلية متوازية، يبلغ عددها ستة تزداد ارتفاعا من ش. غ نحوج. ش حيث توجد أعلى قمة : جبل مگون (4071 م) التي تحتفظ بمخلفات التعرية الجليدية. ويبلغ الأطلس الكبير الأوسط أقصى اتساع له : 120 كلم من أزيلال وتنغير. يلتصق شمالا بالأطلس المتوسط وسهل ملوية وتشرف حافته الجنوبية بعنف على الممر الأطلسي الجنوبي العالية، ولا يعبره أي طريق مهم، رغم وجود بعض الفجاج العالية. وتتميز الشبكة المائية بتعمق أوديتها، وأهم وديانها مگون ودادس وهما من روافد واد درعة، وتساوت والأخضر والعبيد روافد أم الربيع. ونظرا للبنية الكلسية السائدة فإ المياه تتسرب مخلفة أودية جافة، وتنبثق عبر عيون بالسافلة، تظهر بعض المظاهر الكارستية مثل السطوح المشخرية والجوبات والدارات، التي تكون أحواضا معشوشبة أو تستقر بها بعض "الضايات".

2 . المناخ : يسود هنا مناخ أكثر جفافا وقارية، بسبب البعد النسبي عن المؤثرات المحيطية، إلا أن تنوع البنيات يخلق مناخات محلية متباينة. فالجهة المشرفة على سهل تادلا تتميز بحرارة وأمطار معتدلة (500 . 700 ملم / سنة) وكذلك القمم، أما المنخفضات والهضاب الوسطى فتعرف أمطارا أقل (400 . 600 ملم) وتنخفض كثيرا في الجهات الشرقية (إملشيل : 303 ملم) بينما تشتد البرودة وتصل معدلاتها بإملشيل الواقعة على علو 2200 م : 5 شتاء و26 صيفا. وبينما تعترض بعض القمم السحب فتتلقى حوالي 1000 ملم، فإن قمما أخرى تقع في ظل المطر تتلقى أقل من 400 مل. وتسقط معظم الأمطار في آخر الخريف وبداية فصل الربيع، كما تسقط أمطار إعصارية محلية بالمناطق العالية صيفا، وتكون التساقطات صلبة فوق علو 2000 م، وتدوم الثلوج فوق الجبال العالية من نونبر إلى ماي. وتظهر المؤثرات الصحراوية بالسفوح الجنوبية الشرقية وأوديتها السفلى، فتعرف شتاء قارس البرودة قليل الأمطار 177 ملم في بومالن مع مدى حراري يومي وسنوي كبير.

3 . النباتات الطبيعية : يتحكم فيها التنطيق والمواجهة وعوامل محلية. ففي علو 900 . 1500 م : طبقة شبه جافة : الثويا والعرعر الأحمر يختلطان في بعض الأماكن بالعرعر الأرزي وصنوبر حلب، الذي توجد له أفضل التجمعات

بوادي أحنصال الأوسط، ونجد في هذه الطبقة بعض الأشجار النفضية.

من 1500 إلى 2200 م : طبقة المناخ دون الرطب : بلوط أخضر، خاصة بحوض تاساوت من 2200 إلى 2600 طبقة المناخ الشبه الجاف البارد : العرعر الفواح، يتعرض للاندثار بفعل تغذية الماشية لفروعه واستعمال أخشابه في النجارة.

فوق 2600 م : طبقة الأعشاب الألبية، تتناقص مع الارتفاع إلى أن تندثر وتوجد هنا نباتات محلية لا نظير لها في المغرب.

ويلاحظ بالسفوح الجنوبية الشرقية، أن البلوط الأخضر يكاد يختفي وكذلك الصنوبريات التي تحل محلها نباتات سهبية والدوم والنخيل الذي يصعد مع بعض الأودية لا نجد هنا سوى الأشجار الخاصة بالطبقة الشبه الجافة الباردة، مثل العرعر الأحمر والعرعر الفواح الذي يصعد إلى 3000 م. ولا توجد الغابات إلا في بقع منزوية محظوظة.

4 . السكان والأنشطة : لازالت المنطقة قليلة السكان، فالكثافة البشرية بالجماعات القروية المنتشرة بالهضاب الوسطى والمنحدرات الجنوبية تتراوح ما بين 10 إلى 40 ن / كم مربع لكن الجماعات القروية المشرفة على الدير الشمالي ارتفعت كثافتها إلى 40 . 60 ن / كم مربع (1982) كونت الأودية العميقة بالجهة الغربية ملجئا لفلاحين مستقرين ينتمون إلى المصامدة يتكلمون لهجة "الشلحة الدمناتية" ويسكنون قرى كبيرة تشبه مثيلاتها بالأطلس الكبير الغربي، وأهم قبائلهم : أيت بوگماز وادي تاساوت والأخضر ومگونة بوادي مگون وإحنصالن بوادي أحنصال يهتمون بزراعة الحبوب المسقية بقعور الأودية والمدرجات والأشجار، وخاصة الجوز في الأجزاء العليا، واللوز وفراكه أخرى بالأجزاء السفلى من الأودية. إلا أن ضيق الأودية وقلة الأراضي الزراعية، يدفعهم إلى الاهتمام بتربية المواشي، يشجعهم على ذلك وفرة المراعي بالمقعرات الواسعة والأحواض المعلقة إلا أن هذه المراعي اجتذبت عناصر أخرى من خارج المنطقة من برابر صنهاجة. وقد بدأوا يتغلغلون في المنطقة منذ قرن. أما الإقامة الدائمة في بعض الأحواض والأودية، أو امتلاك بعض المراعي التي يقصدونها في فصول معينة، ويدخل ذلك في ضمن الضغط الذي مارسته قبائل المناطق الصحراوية والشبه الجافة، للتقدم نحو الشمال الغربي في القرون الأخيرة. وهكذا استقر الكثير منهم بالأحواض الغنية مثل حوض واويزغت وفي بعض الأودية. ومن هذه القبائل : أيت أومالو الذين تجزأوا إلى قبائل صغرى، وأيت عطا الذين انطلقوا من جبل ساغرو واستقروا ببعض الأحواض وجنبات الأودية مثل وادي أحنصال، حيث يمارسون زراعة بورية للحبوب، وبنوا قرى حول المخازن الجماعية "إغرم". وكلا المجموعتين المصمودية والصنهاجية تتميز باختلاط بشري كبير، فسكان الأحواض التي تعرف برودة كبيرة شتاء وجفافا في الصيف، في حاجة ماسة إلى موارد تكميلية لتعويض نقص المحاصيل الزراعية، يجدونها في الرعي، وهذا ما كان يدفعهم إلى تنقلات مزدوجة : تنقلات شتوية أفقية، يقطعون فيها مسافات كبيرة (60 . 120 كلم) نحو حضيض الجبل (أزغار) وبعض المنخفضات الدافئة أو المنحدرات الهامشية للكتلة الجبلية، ويشارك في هذه التنقلات معظم أفراد العائلة الذين يسكنون الخيام ويتركون أمتعتهم الثقيلة في "إغرم" وتنقلات رأسية للنجعة بالمراعي العليا، يشارك فيها الرعاة فقط وجزء من القطيع، ويشاطرهم في هذه التنقلات الأخيرة سكان الأودية مثل أيت بوگمار الذين يصعدون إلى مراعي مگون حيث توجد "عزبانهم" فتتكاثر المواشي فوق بقع صخرية، مما يدعو إلى سن تنظيمات لتجنب الازدحام والمشاكل.

5 . تراجع حياة البداوة والترحال : عرفت العقود الأخيرة تحولات مهمة، وقد تقلصت التنقلات الشتوية كثيرا، كما تناقصت أعداد المواشي، ويرجع ذلك إلى أسباب اقتصادية اجتماعية أهمها ضغط النمو الديمغرافي، وانتشار الملكية الخاصة والزراعة بالسهول وبكثير من السفوح والأحواض متى ساعدت الأمطار أو السقي على ذلك، كما أن الأسر صارت تفضل الإقامة في منزل حسن التجهيز بمركز سكني يوفر الخدمات خاصة تمدرس الأطفال، كما أن السلطات تعمل على تثبيت السكان. وهكذا صارت الزراعة تكون المورد الأساسي لعيش 85 ٪ من السكان النشيطين، وقد توسعت مجالاتها كثيرا خاصة بحوض تاساوت والعبيد. وتوسعت زراعة الأشجار كثيرا خاصة اللوز. كما تكاثرت أشجار الجوز والتفاح والفواكه بالأودية المعتدلة. ولازالت المواشي تكتسي أهميتها لكن في إطار اقتصادي جديد، حيث يعمد سكان الأودية والسفوح الشمالية إلى تربية الأبقار والأغنام اعتمادا على زراعة العلف والمراعي المحلية، أما التنقلات فقد اقتصرت على الانتجاع الصيفي، ومراعي هضبة البحيرات التي لازال يقصدها جماعات من أيت عطا بجبل ساغرو. بينما تراجعت كثيرا تربية المواشي في السفوح الجنوبية الفقير.

III . 1 . الأطلس الكبير الشرقي : يمتد من هضبة البحيرات إلى "تلسنت" بالهضاب العليا الشرقية، يتكون من التواءات كلسية متوازية تفصل بينها منخفضات واسعة تشكل أحيانا سهولا داخلية، ونجد أعلى القمم بالحافة الشمالية الغربية، تشرف على سهل ملوية وهي جبل العياشي (3757 م) ومسكر (3270 م) وتصطف وراء هما سلاسل تفصل بينها مقعرات تتدرج من 2000 إلى 1000 م على طول واد زيز، تتعمق فيها الأودية مكونة خوانق عند عبورها للمحدبات أو خروجها من الجبل وسهولا واسعة مثل سهل الريش. وباعتبار البنية الكلسية فإن المياه تتسرب لتغذي بعض العيون بالأودية وغيرها. وتشرف السلسلة على السهول الصحراوية الجنوبية بحافة عالية مستقيمة لانطباقها على الفالق الجنوبي الكبير، ولكنها من الجهة الشرقية والشمالية الشرقية تتجزأ وتكاد تختفي بعد مركز "تلسينت" لالتحامها بالهضاب العليا الشرقية.

2 . المناخ : إن وجود أعلى القمم على الحافة الشمالية الغربية المواجهة للرياح الرطبة، يجعل هذه الأخيرة تتلقى مقادير معتدلة من التساقطات التي تنزل على شكل ثلوج فوق علو 2500 م يبلغ معدلها السنوي بجبل العياشي ومسكر 700 . 800 ملم، بينما تبقى السلاسل والأحواض الموجودة خلفها في ظل المطر، فلا يزيد معدلها السنوي عن 350 ملم، بل تنخفض في سهل الريش إلى ما دون 200 ملم وعند فم الزبل (مخرج واد زيز) إلى 120، ويسود هنا مناخ صحراوي بسمائه الصافية وندرة أمطاره وارتفاع حرارته ودرجة قاريته.

3 . النباتات الطبيعية : إذا كانت الواجهة الشمالية الغربية تحظى بغطاء غابوي جيد من أشجار الأرز التي تنمو على السفوح الوسطى لجبلي العياشي ومسكر إلى علو 2350 م فإن الغطاء الغابوي ينعدم في كل السلاسل الموجودة خلفهما، ليحل محله نباتات سهبية كالحلفاء والشيح، ولا نجد الثويا والبلوط الأخضر إلا على شكل بقع منفصلة متفرقة على المنحدرات الشمالية، ولا تنتعش سوى بالمجرى الأعلى لواد أنسغمير رافد ملوية.

الصحراوية بمنطقة الراشدية والدير الشمالي عبر السلاسل الشرقية، وكلاهما يمتلك أراضي زراعية وسكنا دائما ومراعي جماعية. إلى أقصى الشرق توجد عناصر زناتية من أيت سغروشن تتنقل بمواشيها على جانبي عرف جبل حمزة "بتلسينت" وبالهضاب الشرقية الانتقالية نحو الصحراء.

ويبدو أن توازنا قد حل بين الفلاحين المستقرين الذين يوزعون بقعا مروية، ويمتلكون مراعي جماعية مجاورة، ومربي المواشي الذين يتنقلون بين السهوب والمراعي والقمم العالية. ويلاحظ أن كثافة السكان هنا لازالت ضعيفة، تنحصر بين 10 و 20 ن / كم مربع وتعتبر المنطقة منطقة طرد للسكان.

التحولات الحديثة بالأطلس الكبير : يعتبر الأطلس الكبير خزانا هاما للماء بالمغرب، منه تنبع أنهار كثيرة، وقد بني على الكثير منها سدود لخزن المياه وإنتاج الكهرباء، وهي سدود لالة تكركوست على واد نفيس، وأيت عادل على واد تاساوت، وسيدي إدريس وشواريت على الواد الأخضر، والحسن الداخل على واد زيز، والمنصور

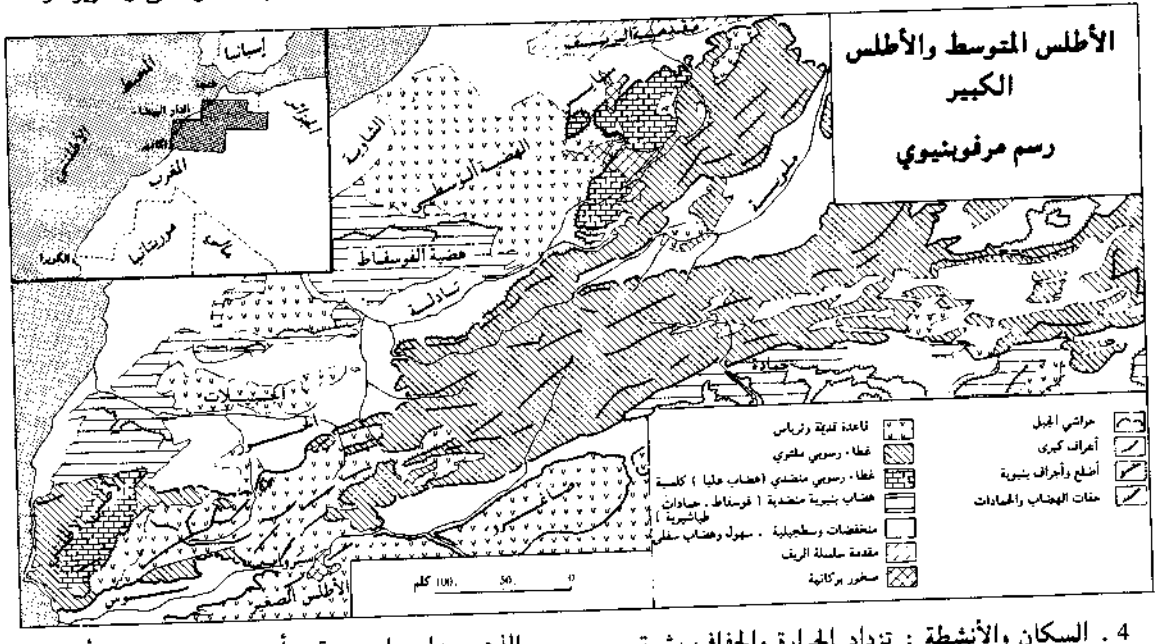

4 . السكان والأنشطة : تزداد الحرارة والجفاف بشرق هضبة البحيرات وتتدهور المراعي أو تنعدم ولا تقوم الزراعة البورية إلا على بعض السفوح الشمالية، ولهذا يتجمع السكان بكثافة في قعور الأودية القابلة للسقي ولا يستثنى من ذلك سوى السفوح الشمالية التي تظهر بها أودية صغيرة بجبل العياشي ومسكر تسمح لساكنيها بزراعة مسقية بورية على المنحدرات. بينما تعتبر بقية الأحواض والسلاسل مجالا رعويا لقبائل صنهاجية لازالت تمارس تنقلات واسعة، وهي أيت حديدو التي تتنقل مواشيها مع بعض أفراد من العائلة ما بين المراعي العليا لجبل العياشي ومسكر والمنخفضات الشرقية بسهل الريش ودير ميدلت، وأيت يافلمان الذين يتنقلون بين السهول

الذهبي على واد درعة، وأيت موسى على واد أسيف نايت موسى، وأخيرا سد أولوز الذي يبني على واد تيفنوت الأسفل. وقد أدت هذه السدود إلى إعادة تنظيم المجال بالأحواض وسافلتها. مما وفر مناصب شغل غير فلاحي، وأوجد منشآت اقتصادية وعمرانية جديدة، كما أن توسيع شبكة المواصلات وعبور طرق مهمة للمنطقة مثل طريق ميدلت الراشدية عبر تيزي - ن - تلغمت وطريق تيزي - ن - تيشكا وتيزي - ن - تاست وطريق إمين تانوت أگادير، قرّب قراها من المدن الكبيرة وسهّل تحركات السكان والنزوح، وفتح المنطقة لأنشطة جديدة غير فلاحية، مثل الأنشطة المعدنية التي عرفت توسعا بفتح مناجم جديدة خاصة مناجم البرتين ومقالع الموزايك والرخام وتوسيع بعض المناجم القديمة

مثل أحولي ميبلادن للرصاص بحوض ملوية العليا وإيمنيي للمنغنيز قرب تيزي ن تيشكا، وإن كان الكثير من المناجم القديمة قد أغلق لنفاد معدنه أو لتغير الظروف الاقتصادية والتقنية لاستغلاله مثل مناجم أزگور أردوز وگندافة، لكن أهم نشاط حديث يساهم في تنمية مداخيل السكان هو النشاط السياحي الذي يعرف انتعاشا متزايدا وتنوعا فهناك محطة التزلج بأوكايمدن والتجول بكتلة تويكال انطلاقا من إمليل، أو كتلة مگون انطلاقا من أزيلال، وكتلة العياشي انطلاقا من ميدلت. كما تقام مهرجانات سياحية بإميلشيل وقلعة مگونة، وتحولت كثير من المواسم السنوية التقليدية إلى مهرجانات شعبية تجتذب بدورها سواحا مغاربة وأجانب، وتكاثرت الأسواق الأسبوعية خاصة على المحاور الرئيسية للمواصلات، وتعززت أجهزة الخدمات الإدارية والاجتماعية، وتحولت كثير من الأسواق القروية إلى مراكز حضرية مثل أزيلال وواويزغت ومولاي إبراهيم وغيرها بالإضافة إلى مدن الدير التي عرفت توسعا كبيرا، كل هذه العوامل ساهمت في إفراز حركة تمدين واسعة النطاق.

ح. عوض، *الجبال المغربية*، كلية الآداب الرباط 1971 ؛ أ. هوزلي، *التحولات المجالية والاقتصادية وحركة التمدين بالأطلس الكبير المراكشي*. د. د. ع. كلية الآداب بالرباط 1987.

J. Drech, *Le Massif du Toubkal*, guide Alpin, Rabat 1938 ; A. Fougerolles, *Le haut Atlas Central*, guide Alpin, Casablanca 1982 ; Despois et Raynal, *Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest* ; J. Martin et autres, *Géographie du Maroc* ; C. Dominelli, *Ski dans le Haut Atlas de Marrakech*, Andarra 1984.

أحمد هوزالي

الأطلس المتوسط ـ تاريخ ـ ← **صنهاجة**

الأطلس المتوسط ـ جغرافيا ـ كتلة من الأراضي العالية، امتدادها شمالي شرقي ـ جنوبي غربي، من سهل گرسيف إلى حوض السراغنة. وتلتحم هذه السلسلة في جزئها الجنوبي الغربي بجبال الأطلس الكبير، بينما تفترق عنها ابتداءً من ميدلت وعالية ملوية لتفصل بينهما منخفضات ممتدة على طول هذا النهر.

هذه الكتلة تتوسط المغرب وتكون قنطرة عالية بين سلسلتي الريف شمالا والأطلس الكبير جنوبا، بينما تكون مجالا بارزا فاصلا بين الجهتين الشرقية والأطلنتية من المغرب. ويتمثل دور الفاصل في كون السلسلة تعلو بحافات واضعة وأعراف المنخفضات الهامشية المحيطة بها. ويؤدي هذا البروز التضاريسي إلى خلق تغاير واضح على المستوى البيئي بين الهضاب الأطلنتية من جهة، وسهول ونجود المغرب الشرقي من جهة ثانية.

وحدود السلسلة أكثر وضوحا من الجانب الجيولوجي. فهي تمتاز بعموم الظهورات الجوراسية وغلبة الصخور الكربوناتية، بحيث لم يتم الحفاظ على المجموعات الصخرية الأحدث والأهش إلا في بعض المقعرات البنيوية الخطية والضيقة. بينما المحدبات المعرضة للتعرية أوسع، تتكون عامة من الطبقات الصلبة الجوراسية، وتبرز فيها محليا القاعدة الأولية. وترتكز عند هذه المحدبات القمم العليا للسلسلة والتي تقترب، بل تتعدى محليا 3000 م كجبل بوإيلان (3190 م) وبوناصر (3490 م). إلا أن البنية الملتوية ليست عامة ؛ فالجهة الوسطى والشمالية من السلسلة عبارة عن هضاب منضدية.

هذه السلسلة في الحقيقة، مجال مرفو بنيوي معقد التركيب، شديد التنوع حسب الأقاليم، ويمكن تقسيمه إلى ثلاث وحدات كبرى :

ـ نهاية جنوبية غربية، متصلة بالأطلس الكبير، تشرف بوضوح على سهل تادلا، ومكونة من طيات متراكبة، زاحفة نحو الشمال، تترك ورامها مقعرات ممتدة يصرفها واد العبيد ؛

ـ هضاب شمالية غربية كلسية ومتدرجة، تنحني نحو الشمال، وتشرف على الهضبة الوسطى وعلى السايس بحافة متقطعة ؛

ـ وأخيراً في الشمال الشرقي مجال ملتو مكون من محدبين كبيرين متوازيين، لهما نواة كلسية لياسية، يشرفان على مقعرات تلتوي بها سلسلة سميكة صلصالية تنتمي إلى الجوراسي الأوسط ؛ وتبرز القاعدة الأولية في النهاية الشمالية لهذه السلسلة في مجموعة جبلية متميزة تدعى كتلة تاريحا المطلة على مدينة تازا.

التركيب البنيوي والأشكال المرفلوجية : تطغى في الأطلس المتوسط الظهورات الصخرية الكربوناتية المنتمية للجوراسي الأسفل والأوسط، إلا أن هذا لا يمنع من ظهور محلي لمجموعات صخرية أخرى. فالقاعدة القديمة الأولية، أساس الحاشية الغربية للسلسلة وكذا لنواة بعض المحدبات مثل جبل كندر أو سلسلة تازكا. وتغلف هذه القاعدة تكونات ترسباتية هشة طينية أو بركانية متفسخة. ودور هذ التكونات مهم. فهي تمثل قاعدة زحف بعض الطيات المتراكبة ؛ وهي تفسر، بسبب تركز الأملاح فيها، عددا من الظواهر الكارستية (كانهيار قعر بعض المنخفضات) والمائية (ملوحة عدد من الينابيع كعيون أم الربيع مثلا).

وتغطي اللياس الكربوناتي، مجموعة متنوعة تنتمي إلى الجوراسي الأوسط والطباشيري، تمتاز بغلبة الطبقات الهشة، تتوسطها دكات صلبة هي الأصل في الأشكال المرفوبنيوية التي تمتاز بها المقعرات الواسعة.

ويرتبط التغاير الواضح بين جزئي السلسلة الهضبي غربا والجبلي شرقا، بنوعية الأحداث البنائية التي عرفتها كل من المنطقتين. فالهضاب الشمالية الغربية مجال طبقات لياسية ضئيلة السمك، متأثرة لهذا السبب بقرب القاعدة الهرسينية وما عرفته من حوادث بنائية قديمة. وتجدد هذه الحوادث هو المسؤول عن تموج الغطاء اللياسي على شكل قبات واسعة ومقعرات ممتدة، تبرز وسطها حوادث متميزة على شكل أشرطة انكسارية. أما في الجهة الشمالية الشرقية، فإن الغطاء الرسوبي السميك، المتوضع في حوض

رسوبي شديد التهدل، سجل خلال المراحل التكتونية الثلاثية آثار بنائية انضغاطية جعلت الطبقات تلتوي بشدة.

لكن الانبساط النسبي للمجالات الغربية من الأطلس المتوسط لا يرتبط فقط بنوعية الحركات التكتونية، بل كذلك بآثار التعرية التي سمحت بتسوية السطح فالمتون العليا المتقطعة ناتجة عن تجزؤ سطح تحاتي قديم تكون على إثر أول الحركات البنائية الأطلسية. وتندرج تحت مستوى هذا السطح القديم، سطوح جزئية أكثر استواء، تمت فقط في المجالات المقعرة. ويشهد الكلس البحري الطرطوني شمالا، ناحية صفرو، على تاريخ تكوين هذه السطوح الجزئية. إلا أن آثار هذه التعرية التسطيحية لا تظهر جلية في المجالات الشرقية من الأطلس، وذلك بسبب التجدد العنيف الذي عرفته الحوادث التكتونية بعد الميوسين. ويلاحظ نفس الشيء في النهاية الجنوبية الغربية المشرفة على بني ملال، حيث تشطر الانكسارات الحديثة رواسب الميوسين، بل كثيرا ما نجد الطيات الجورأسية، زاحفة فوق هذه التكونات الحديثة.

أما التعرية الانتقائية فآثارها محدودة في المقعرات المكونة من سلاسل رسوبية متنوعة، وتختفي في الهضاب الكريوناتية وفوق قمم المحدبات. هذه المجالات، تشهد عكس ذلك تأثير التعرية الكارستية وخاصة منها الأشكال السطحية (شخاريب - أحواض مغلقة - ضايات - أودية جافة). أما المغارات الجوفية فهي خاصة بالمجالات حيث يقوى سُمك الطبقات الكريوناتية كما هو حال الجزء الشمالي الشرقي من السلسلة. بالإضافة إلى هذا نجد القمم الأطلسية معرضة لآثار التعرية الصقيعية وذلك بسبب قاريتها ورطوبتها الخاصة.

الجوانب البيئية : من الناحية المناخية يمكن أن نفرق بين ثلاث نطاقات متداخلة، يتميز كل واحد منها بتشكيلة نباتية خاصة.

النطاق الأول تختص به الجبال والهضاب الوسطى والرطبة التي يرتفع معدلها المطري حتى 1000 أو 1100 مم، بينما تبقى حرارتها معتدلة. جل تهاطلاتها مطرية، بينما لا يتعدى عدد أيام الصقيع المائة يوم.

النطاق الثاني يعم المرتفعات والقمم العليا الباردة والرطبة. وهو نطاق أقل رطوبة من الأول، يتلقى في المعدل أقل من 800 مم من التهاطلات، جلها على شكل ثلوج.

أما النطاق الثالث فيهم المنخفضات الداخلية المحمية وكذا السفوح الجنوبية الشرقية للسلسلة. وخاصيته جفاف واضح وارتفاع الحرارة صيفا، بينما تبقى حرارات الشتاء شديدة الانخفاض.

تغطي النطاق الأول غابات كثيفة من البلوط والأرز. أما القمم العليا فهي مجال الأرز ثم العرعر التورفيري في السهوب الباردة، بينما المنخفضات والسفوح الجافة نباتاتها متفرقة، متكيفة مع القارية وندرة التهاطلات.

وتفسر الأمطار والثلوج وكذا غلبة الصخور الكريوناتية المنفذة أهمية الأطلس المتوسط من الجانب المائي. فمنه تنطلق مجار مائية غزيرة ودائمة، تعتبر أكثر أنهار المغرب انتظاما. وتتقاسم السلسلة ثلاثة أحواض نهرية : حوض سبو في اتجاه الشمال الغربي، وأم الربيع في الجهة الجنوبية الغربية، بينما تنزل شرق الأطلس مجموعة من روافد ملوية أهمها واد ملولو. وتعود هذه الأهمية الهيدرلوجية إلى عدة أسباب : عموم التسرب وندرة السيل السطحي، غزارة الفرشات المائية الكارستية التي تغذي عيونا دائمة، وأخيرا أهمية التهاطلات الثلجية.

الإسكان والاستغلال البشري : لأسباب مناخية وتضاريسية من جهة وتاريخية من جهة ثانية، ظل الأطلس المتوسط مجالا جغرافيا قليل الاستصلاح من طرف الإنسان. فما عدا بعض الجيوب الضيقة حيث تتكاثف الفلاحة المسقية المعلالة، تبقى جل المجالات تغطيها الغابات أو السهوب وتتنقل فوقها الماشية، أو تشغلها زراعات بورية مقلالة.

ولسبب حداثة الإسكان، فإن الكثافة البشرية تبقى ضعيفة رغم تنوع الثروات الطبيعية ورغم موقع المنطقة كمجال عبور من المدن الكبرى التي تتوسط السهول الشمالية في اتجاه الجنوب الصحراوي. فقد بقي الرعي المنتجع يمثل أهم النشاطات البشرية وخاصة في الجزء الهضبي من السلسلة. إلا أن تدخل التعمير الفرنسي كان عنيفا في المنطقة بسبب شدة مقاومة القبائل. ولذا فلقد أدى التدخل إلى تحطيم بنية النظام الرعوي. هذا التنظيم الأصيل مبني على الامتلاك الجماعي لأراض شاسعة تتنقل فوقها الماشية والقبائل، حسب قواعد مضبوطة. فالجبل كان يمثل المرعى الصيفي بسبب حفاظه على الخضرة وقت الجفاف، بينما كانت تمثل الحواشي المنخفضة مراعي شتوية. وقد كان هذا التنظيم مبنيا على مبدإ الحفاظ على توازن تام بين حاجيات السكان والماشية من جهة، وإمكانات البيئة من جهة ثانية. كما كان التكامل في الثروات وفي ما بين مختلف المجالات الطبيعية (جبل - سهل - غابة - سهوب - مزارع - مجالات مسقية) ضمانا للحفاظ على هذا التوازن. ولذا فقد كانت حدود أراضي القبائل قابلة للتمدد حسب الظروف وخاصة في اتجاه المناطق المنخفضة الهامشية. كما تشخصت بعض الأودية المحلية للاستغلال المكثف المستقر، هي عبارة عن قطاعات مسقية، وفي القرون الأخيرة تكونت مراكز متعددة على هامش الجبل، بعضها قصبات مخزنية دورها الحد من حركة القبائل نحو الشمال الغربي، وبعضها زوايا، وأخرى عبارة عن مراكز تجارية يتم فيها التبادل بين بضائع الجبل (ماشية) وبضائع السهل (حبوب).

هذه الوضعية المتوازنة ظهر فيها خلل مع بداية الفترة الاستعمارية. فقد واجه الفرنسيون المقاومة التي أبدتها القبائل الأطلسية، ولذلك سعوا إلى تحطيم النظام الرعوي

الأصيل. وقد تم لهم هذا بإغلاق عدد من محاور التنقل، ومضايقة التوازن التقليدي بين الجبل وحاشيته، فاضطر جزء هام من الماشية إلى البقاء شتاء في الجبل مما أدى إلى تناقص أعدادها بسبب ارتفاع نسبة الوفيات. وقد أسهم الاستحواذ على أراضي السهل الخصبة وتحديد الأراضي الغابوية والجماعية في التضييق على حركة الانتجاع التي أصبحت لا تهم إلا بعض القطعان تحت قيادة رعاة عزل، بينما استقر موطن جل القبائل.

هذا الاستقرار أدى إلى تفقير هام للسكان الذين أصبح بعضهم عمالا فلاحين بينما بحث البعض الآخر عن أعمال غير زراعية. كما تضخمت نسبة المعدمين والملاك الصغار بينما ظهرت حركة هجرة نحو المراكز الحضرية الأطلسية وكذا نحو خارج الأطلس المتوسط.

وقد ساهم النمو الديمغرافي المتزايد بعد الاستقلال في تأزم اقتصاد الانتجاع. وقد تضاعف عدد السكان ثلاث مرات بين سنتي 1936 و1982 ونتج عن هذا تمديد الأراضي المزروعة على حساب المراعي والغابة. وأدى التدخل الإداري المباشر إلى تأزم العلاقات الاجتماعية التقليدية، حيث لم تحتفظ القبائل بسلطة القرار التي كانت بيدها وأصبحت أهم القرارات تتخذ خارج المنطقة وبدون مشورة السكان المحليين المعنيين بالأمر (جنان، *التحولات الحديثة في بوادي الأطلس المتوسط وحواشيه*، ميدتراني، 4، 1986).

وهكذا تضاءلت نسبة نمو السكان في بوادي الأطلس المتوسط (1,2 ٪ سنويا)، بينما تضاعفت نسبة سكان المراكز الحضرية بين سنتي 1960 و 1982. فنتج عن هذا إفراغ عدد من المجالات، وحدث عكس ذلك تمدن سريع. فقد أحصي سنة 1982 ما لا يقل عن 34 مركزا بها ساكنة تقرب من 300.000 نسمة (دون إدخال بني ملال). وأغلب هذه المراكز هامشية، دورها إداري وتجاري.

الأطلس المتوسط حاليا، مجال مطموع فيه، تتدخل فيه إلى جانب الدولة عدة شركات ومؤسسات رأسمالية. والسبب أنه منطقة تحتوي على ثروات عدة، أهمها الثروات الغابوية والمائية والسياحية. وبعض المشاريع التي تقام، تقدم على أنها حلول للحد من مشكل الهجرة ومن تعرية التربة. إلا أنها أساسا مشاريع تسعى إلى استغلال الثروات الطبيعية الضخمة والزيادة من مردوديتها. وتنوع المساعي والوسائل المستعملة من طرف المتدخلين يفسر تنوع النتائج المحصل عليها. فهناك المجالات التي بقيت منكمشة وهي الأراضي الجماعية غير المسقية، وتطورها بطيء جدا. وهناك المجالات المسقية التي تجزأت بها الملكية الفردية. وهناك أراض شاسعة استولت عليها الرأسمالية الحضرية، فحولت مظاهرها باستعمال تقنيات متقدمة لتنقية الأرض وغرسها وتجهيزها. فالأطلس المتوسط، إذن، مجال ريفي في تحول. أصبحت توازناته الأصلية في خلل. بينما تنشأ توازنات جديدة تحت ضغط تأثيرات مختلفة تلعب فيها الدولة والقطاع الخاص دورا فعالا.

J. Martin, *Le Moyen Atlas Central, étude géomorphologique*, Notes et Mém. Ser. Géol., nº 258 bis, 1981 ; *Les potentialités agro-postorales du Moyen Atlas Central*, R.G.M, nº 10 spécial, 1986 ; L. Jeannau, *Mutations récentes des campagnes du Moyen Atlas et de ses bordures*, Méditerranée, nº 4, 1986.

عبد الله العوينة

الأطلنتي، ثاني محيط في العالم من حيث الامتداد (82 مليون كلم مربع)، بينما واجهته أهم واجهة بحرية للمغرب بسبب حدة تأثيرها المناخي والاقتصادي (موانئ - صيد بحري).

هذا المحيط له خصائص عدة، أولا حداثته بالمقارنة مع المحيطات الأخرى واستمرار امتداده إلى الآن، ثانيا دوره الأساسي في تحديد وتنويع مناخات القارات المشرفة عليه وذلك بسبب شدة تنوع التيارات التي تحرك مياهه، وأخيرا تجدد مياهه الدائم بسبب استقباله لمياه المحيطين الجنوبي والشمالي، ومياه أنهار عديدة تعتبر أهم أنهار العالم.

يمتد المحيط الأطلنتي بين القارتين الأوروإفريقية من جهة والأمريكية من جهة ثانية، باتساع معدله 5000 كلم، ويبلغ أدناه عند الاستواء، بينما يبلغ الامتداد الطولي 14000 كلم بين المحيطين القطبيين الشمالي والجنوبي (70° ش و 55° ج).

يختلف الجزآن الجنوبي والشمالي من المحيط من عدة جوانب.

أولا من حيث شكل الساحل والتداخل مع القارات، إذ ترتبط بالأطلنتي الشمالي عدة بحار جانبية، من أهمها بحر الكرايبي، وخليج المكسيك وبحر البلطيق، والبحر الشمالي والمانش والبحر المتوسط، بينما المحيط الجنوبي له سواحل خطية أكثر وتشرف عليه قارات كتلية قلما تتقدمها جزر.

ثانيا من حيث طبغرافية القعر. فالمحيط الجنوبي بسيط التركيب، مُكوَّن من أحواض محيطية كبرى، ممتدة على جانبي تضرس محوري في الأطلنتي الشمالي، نجد نفس النتوء المحوري، تحيط به أحواض عميقة لكن مجزأة وتعلوها تضرسات هامة تبرز محليا على شكل جزر كبرى كالبرمود والآصور وجزر الرأس الأخضر.

ذلك التجعد المحوري الممتد من أقصى المحيط إلى جنوبه هو ما أكد حداثة المحيط الأطلنتي واستمرارية توسعه، فهو عبارة عن ظهر واسع، ينحني شرقا وغربا، على جانبي أخدود محوري يمثل شقا من أهم فوالق الكرة الأرضية. وقد نشأ هذا الشق خلال الترياس في بداية الزمن الثاني، في وقت كانت فيه القارتان الأوروإفريقية والأمريكية متلاصقتين ومن ثم انطلقت عملية تتلخص في تباعد القارتين وانفتاح المحيط وذلك بسبب صعود مستمر لمواد باطنية من المعطف، تلتصق بجانبي الشق، وتتحول إلى قشرة حديثة تساهم في توسيع المجال المحيطي. وقد أثبتت الأبحاث الجيوفزيائية هذه النظرية.

- الظهر مُكوَّن من عُرفين متوازيين، ارتفاعهما النسبي حوالي 1500 م، واتساعهما 2000 كم، ينحنيان تجاه الأحواض

العميقة أي تحت رواسب تزيد سمكا، بينما قمم الأعراف عارية، وكذا الأخدود الأوسط. وانعدام الرواسب هذه دلالة على حداثة القعر.

- يتكون الظهر من صخر بزلتي يشبه في تركيبه مواد المعطف، ويغلف هذا البزلت قشرة سمكها 5 كم، تعتبر قشرة محيطية كثيفة. ويمكن تجزئ هذه القشرة إلى أشرطة متوازية ومتناظرة على جانبي الأخدود، أحدث هذه الأشرطة ملتصق بالشق الأوسط، بينما تتقادم كلما ابتعدنا عنه. وهذا يدل على الانفتاح التدريجي، مع سرعة تباعد على جانبي الشق تقدر بمعدل 1 إلى 5 سم في السنة.

- الظهر مجال تحرك تكتوني عنيف، يتمثل في شدة الزلازل وأهمية التضاريس البركانية.

هذا التنوع الجيولوجي، الناتج عن انفتاح المحيط، يرافقه تنوع في البيئة الرسوبية لقعر البحار. فالمجالات العميقة، البعيدة عن الهضبة القارية يمكن تقسيمها إلى نوعين من الأوساط الرسوبية. التضرسات فقيرة من حيث الرواسب الدقيقة بسبب دينامية المياه وتعذر الهدوء اللازم لتصفيتها، فتتلقى خاصة مواد رملية، جلها من أصل أعضائي، كما تتلقى في المجالات الباردة مواد جليدية - بحرية قدمت ضمن الجليد الذي كان يغطي هذه البحار في الفترات الباردة من الرباعي، لكن الرواسب تغيب كليا عندما نقترب من الظهر المحوري، وذلك بسبب حداثة قعر هذا المجال.

في السهول العميقة رغم ذلك، تتركز الرواسب بسمك متزايد كلما ابتعدنا عن التضرس الأوسط، وفي هذه الأعماق التي تتعدى 4000 م وتصل أحيانا 6000 م، مع انحدارات غير محسوسة تقل دائما عن 1/1000، كل الرواسب عبارة عن فتاتات دقيقة تتهاطل بسرعة جد بطيئة إلى القعر، بسبب الهدوء الكبير للمياه الباطنية. بعض هذه الرواسب عبارة عن رمال قارية منقولة من طرف الرياح، وتتوضع بسبب الرطوبة الخاصة لجو المحيط. لكنها قادرة على التنقل بعيدا عن الساحل الإفريقي مثلا. فقد وجدت في السهول المحيطة القريبة من البرازيل، رمال سافرت من موريتانيا، مع الرياح التجارية الشرقية. وتغطي جل أعماق المحيط مواد أعضائية، هي عبارة عن قواقع مجهرية لنباتات وحيوانات العلق أغلبها كلسي، يمتد على أكثر من نصف قعور الأطلنتي. وأخيرا، تغطي بعض السهول - وخاصة على مقربة من الساحل الأمريكي - مواد وحلية حمراء، تغص الأعماق الكبرى التي لا يترسب فيها الكلس. هذه الأوحال عبارة عن أطيان خاضعة من الناحية العدانية لطيف الأطيان القارية الخاص بالنطاق المرفومناخي الذي تنتمي إليه سهول الإرساب. فهي من أصل قاري، تحركت طويلا في مياه البحر، دون أن تحدث فيها تطورات أساسية تذكر، وترسبت في المجالات العميقة الهادئة.

هذه القواعد الرسوبية العامة لا تنطبق على المجال القريقاري والمكون للهضبة القارية والحافة التي تحدها. هذه المجالات لها خصوصيات، تتلخص في ضعف عمقها، في ديناميتها المرتفعة، وفي تردد انحسار البحر عنها خلال مراحل هزهزية من الرباعي، بحيث تم تشكيلها آنذاك من طرف آليات قارية.

الهضبة القارية الأطلنتية واسعة العروض الوسطى وخاصة في الأطلنتي الشمالي، بينما تضيق أمام السواحل المدارية الإفريقية. وبالنسبة للمغرب، يبلغ امتدادها 150 كلم جنوبا بين بوجدور ولكويرة، 100 كم من ساحل الأطلس الكبير إلى طرفاية، بينما لا يتعدى اتساعها 50 كم شمال رأس غير. وينتهي امتدادها عادة عند عمق 150 أو 200 م لكنها تظهر محليا مخددة من طرف خوانق عميقة، تزيد عمقا وانحدارا على جانب الحافات المنحدرة التي تحد الرصيف القاري. ومن أهم هذه الخوانق التحتبحرية، خانق الهدسون جنوب شرق نيويورك، وتظهر على الساحل المغربي خوانق لها أهمية متواضعة، أهمها خانق سبو الذي يكون امتدادا للأخدود الجنوب الريفي وخانق ثان أمام أگادير يمثل استمرارية لوادي سوس.

الهضاب القارية تمتاز باستواء قعرها وضعف انحداره. لكن بعض التجعيدات قد تبرز محليا وترتبط بآثار التعرية الانتقائية حسب صلابة الصخور. فالرصيف المغربي أمام ساحل الهضبة الوسطى وأمام الأطلس الكبير، تشوهه تجعيدات توافق استمرار الدكات الصخرية القارية ماعدا هذه البروزات، تختفي ركيزة الرصيف تحت توضعات، توضع عادة على شكل أشرطة موازية للساحل، وتمتاز بفرز واضح، بعضها رملية خشنة، وبعضها دقيقة وحلية.

فإذا أخذنا كمثال الرصيف القاري شمال المغرب، بين طنجة ومخرج أم الربيع، نجد أن الهضبة تنقسم إلى ثلاثة أشرطة متوازية، الشريط الأول، بين الشاطئ وعمق 70 م، يعني على امتداد 7 إلى 15 كم، مجال رملي محض، لا تساهم الفتاتات الدقيقة ضمن مكوناته إلا بنسبة تقل عن 10 - 15 ٪. هنا الحركية الدائمة للمياه تمنع من ترسيب الدقاقات الطينية. بعد ذلك نجد شريطا ثانيا اتساعه حوالي 18 كلم حتى عمق 120 - 150م، خاص بالأوحال، ومصدرها الإتايات النهرية، لكنها تبقى عالقة حتى اجتياز الشريط الأول الشديد الحركية. وابتداء من عمق 150 م إلى حافة الرصيف نجد من جديد مواد رملية تشكل الشريط الثالث. لكنها في الغالب رمال أعضائية الأصل أي ناشئة في الوسط البحري وتختلط بها دقاقات وحلية، في هذه الأعماق المهمة نسبيا، يصبح الفرز إذن ضعيفا، جنوب أزمور، نسبة الأوحال تصبح ضعيفة فوق الرصيف القريقاري، والسبب في ذلك مزدوج. أولا قلة الأنهار الكبرى القادرة على تزويد المحيط بكميات هامة من المواد الدقيقة. وثانيا استمرارية حركة مائية صعودية، تجعل الدقاقات التي تنزع إلى الرسوب، تصعد من جديد لتتحول مرة أخرى إلى مواد عالقة.

ترتيب التوضعات تبعا للعمق وديناميكية المياه، دلالة على الأهمية القصوى للعامل الهدرولوجي في تشكيل قعر المحيطات وخاصة في المجالات القربقارية. إلا أن العامل الهدرولوجي تتعدى أهميته تأثيره على القعر، ليعم مختلف المظاهر المحيطية، بل ليعم كذلك القارات، وذلك عبر تحديده لكثير من الظواهر المناخية.

فتنوع حرارات الماء البحري، وتنوع الواردات النهرية من حيث مقدار المياه العذبة والإتايات الكيماوية والفتاتية، يخلق تغايرات واضحة على مستوى كثافة مياه البحر. وهذا التغاير في الكثافة هو مصدر التيارات المعقدة، الأفقية منها والعمودية، والتي تسعى إلى خلق توازن حراري وكثافي.

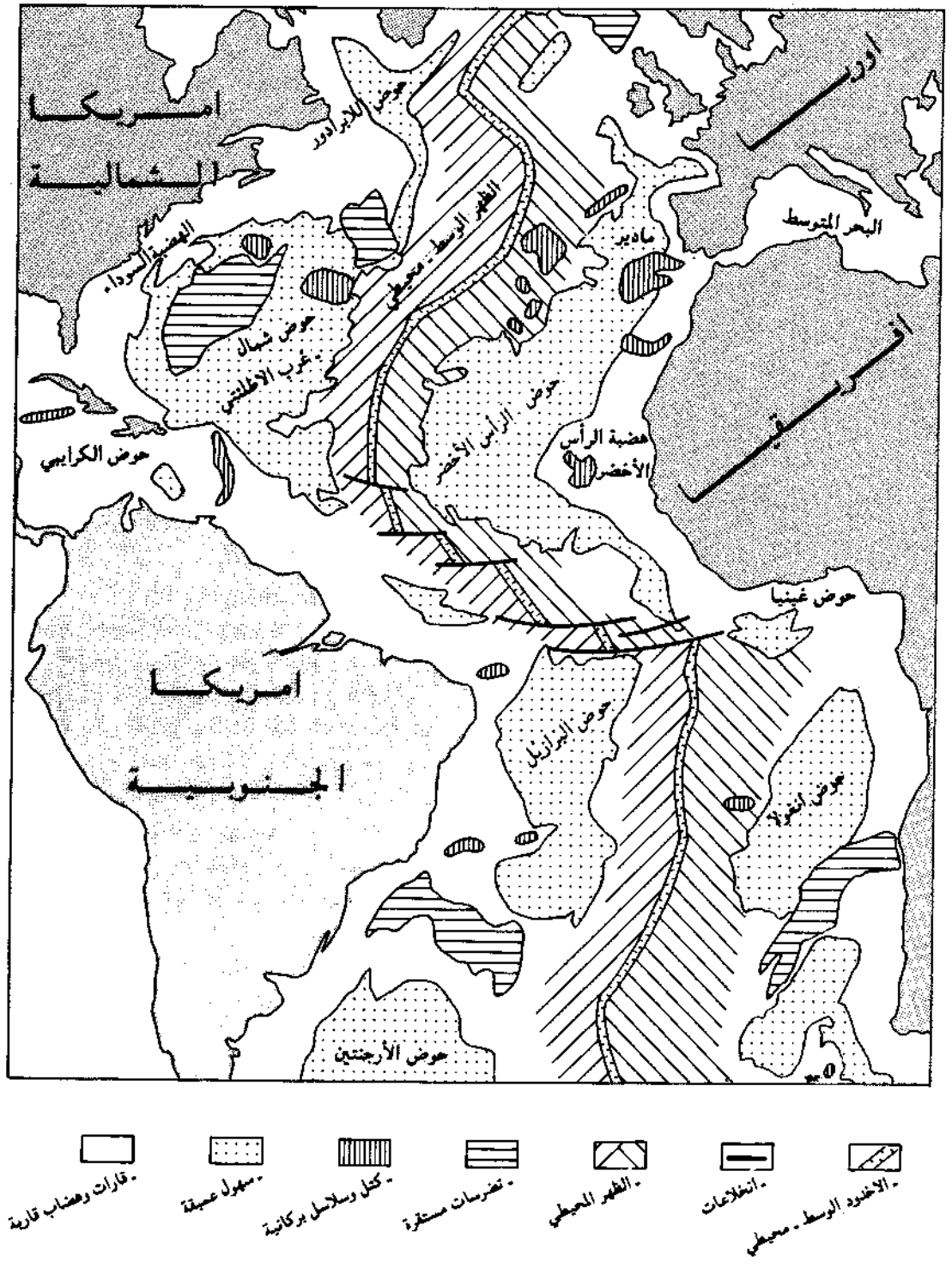

المحيط الاطلنتي الوحدات التضاريسية

ففي العروض الاستوائية، معدل حرارة المياه السطحية 25 ° ومحليا 28 °، لكن أهمية الأمطار والواردات النهرية العذبة تجعل الملوحة تبقى في حدود 35 غرام في اللتر.

وتبعا للرياح التجارية الشرقية، تتنقل المياه من خليج غينيا إلى شاطئ الگويان بأمريكا الجنوبية، كما يتكون صيفا تيار معاكس قرب إفريقيا، وهو تيار مواز للرياح الموسمية المضادة للأليزي. أما التيار النطاقي الشمال استوائي، فهو يصل إلى القارة الأمريكية فينحرف نحو الشمال ليكون تيار الگولف ستريم. ثم بعد ذلك يبتعد عن ساحل الولايات المتحدة، مدفوعا من طرف تيار الأبرادور القادم بموازاة الساحل الكنادي يصبح لهذا التيار الساخن إذن اتجاه عام من ج. غ. إلى ش. ش. إلى أن يصل إلى حدود القارة الأوربية، حيث يؤدي إلى تسخين غير عادي لسواحلها، إلا أن جزءاً من هذه المياه التي وصلت عروضا عليا، تنحرك من جديد نحو الجنوب، فتتوازى مع الساحل البرتغالي والمغربي، مكونة تيار الكناري، هذه المياه القادمة من عروض عليا هي المسؤولة عن تبريد سواحل المغرب وخاصة منها سواحله الجنوبية.

فعلى الساحل المغربي، تبلغ حرارة المياه السطحية ما بين 15 و 23° حسب المواقع والفصول. أما حرارة المياه العمقية فهي أضعف وتتراوح بين 14 و 18 °. وتصل هذا الساحل مياه قادمة من الأطلنتي الشمالي سرعتها حوالي 0.2 م / ثانية. لكن هذه المياه القادمة من بعد ليست وحدها مسؤلة عن تبريد الساحل. بل هناك بالإضافة إلى ذلك حركة محلية صعودية تجعل مياه العمق الباردة، تبرز عند السطح بينما الطبقات العليا المعتدلة تدفع من طرف الرياح التجارية القادمة من القارة. هذا التظافر بين عاملين أحدهما أجنبي والثاني محلي هو المسؤول عن شذوذ مياه البحر على سواحل المغرب. وهذا ما يفسر اعتدال حرارات الصيف حتى عروض صحراوية على مقربة من الساحل. وما يفسر كذلك الوضعية المستقرة للجو في جنوب غرب البلاد، بسبب تبريد الغلاف الجوي من قاعدته بعد ملامسته الطويلة لمياه بحرية باردة. هذا الغلاف الجوي المستقر، يعرف عكس ذلك رطوبة جوية مفرطة وتكاثفات تخص الطبقات الدنيا، ينتج عنها استمرار حالة الضباب والسحب المنخفضة، كما أن تبريد المياه القريقارية بسبب صعود المستويات العمقية يؤدي إلى إغناء دائم ومتجدد لمستويات السطح بالأملاح المعدنية المحلولة، أي بالمواد الغذائية، فيسمح هذا بانتشار نباتات وحيوانات العلق المجهري. وهذا هو السبب في غنى هذه السواحل بالأسماك والحيوانات البحرية المختلفة.

نفس الوضعية الدورانية للتيارات، نشهدها في الشطر الجنوبي إلا أنها معاكسة لعقارب الساعة. فالتيار الاستوائي الجنوبي، ينحرف عند وصوله إلى الساحل البرازيلي، ليصبح موازيا له، قبل الالتقاء جنوبا، بتيار هام قادم من المحيط القطبي الجنوبي. هذا التلاقي يدفع بالمياه إلى الاتجاه نحو الشرق إلى أن تصل ساحل جنوب إفريقيا حيث تنعرج من جديد لتكوّن تيار بنگلا الموازي للساحل الإفريقي.

هذا بالنسبة للتيارات السطحية والقريسطحية على المستوى الإقليمي. أما إذا اعتبرنا ميزانية المحيط بأكمله فإننا نجد أن الأطلنتي الذي ينفتح بوضوح على المحيط القطبي الجنوبي، يتلقى جل موارده من هذا الجانب. ولذا فإن الحركة جنوب ـ شمال هي الأساسية عند السطح وعلى مقربة منه. وتُعوض هذا التيار الإجمالي، حركة عكسية تتم في الأعماق الوسطى تحت مستوى 2000 م، تجعل مياه الشطر الشمالي ترجع في اتجاه القطب الجنوبي.

أما عن التيارات المحلية، فإن من أهمها تلك التيارات التي تتلخص في التبادلات المائية التي تتم بين المحيط والبحار المحدودة التي تتفرع عنه، سنأخذ كمثال التبادلات بين البحر المتوسط والمحيط الأطلنتي عبر مضيق جبل طارق. هذا التبادل ناتج عن الاختلاف في الكثافة بين مياه البحر والمحيط، واختلاف المستوى إذا اعتبرنا أن البحر المتوسط يفقد من الماء عن طريق التبخر أكثر مما يستقبله من الأنهارّ. لذا فهناك تيار أساسي يجعل مياه المحيط تندفع إلى الشرق، في المستويات السطحية حتى عمق 100 م وبسرعة تصل إلى 150 سم / ثانية، إلا أن هذه المياه الساخنة والعذبة نسبيا، يعوضها تيار معاكس يحدث في الطبقات السفلى، ويتكون من مياه باردة وكثيفة تنصب نحو المحيط بسرعة أقل (5 سم / ثانية). هذه المياه المتوسطية تتفرع بعد اجتيازها المضيق إلى فرعين، أحدهما يتوازى مع الساحل البرتغالي والثاني مع الساحل المغربي.

أما تراقص مياه المحيط فهو عادة من النوع النصف يومي بحيث تعرف السواحل مرحلتي المد والجزر مرتين خلال أربع وعشرين ساعة. ويصل مدى هذا التراقص عادة إلى مرتين، مع اختلاف بين فترات المياه الحية (بداية ووسط الشهر القمري) والمياه الراقدة (فترات الربع الأول والثالث من الدورة القمرية). فخلال مراحل المياه العليا، يصل مدى التراقص حتى 2.9 م في أگادير والبيضاء لينزل إلى 0.4 م خلال المياه الراقدة.

بالنسبة للعباب، فإنه يتكون في المجالات التي تدوم فيها الاضطرابات، ومنها المحيط الشمالي بين الآصور وإسلندة. من هناك تنطلق الأمواج نحو الساحل الإفريقي بارتفاع عادة متواضع بالنسبة لناحية المغرب (أمواج عادة لا تتعدى أرتفاع 2.5 م) وتنتج عن العباب تيارات ساحلية هي المسؤولة عن نقل الفتاتات بموازاة مع خط الساحل.

A. Guilcher, *Précis d'hydrologie marine et continentale*, Paris, 1965 ; G. Boillot, *Géologie des marges continentales*, Masson, 1978.

عبد الله العوينة

أطُوبي، أو طُوبي ـ بحذف الهمزة ـ أو الطُوبي ـ بزيادة أل ـ أسرة سلوية عريقة، أنجبت عددا من الفقهاء والقضاة والعدول والمدرسين ورؤساء البحر خلال القرنين الثالث عشر

والرابع عشر / 19 ـ 20. وخرج بعض الأطوبيين في أواخر القرن الماضي إلى مصر طلباً للعلم أو التجارة، وانتقل آخرون منهم إلى السكنى بالرباط . من أشهرهم :

أطوبي، عبد الهادي بن محمد بن الهاشمي السلوي، فقيه أديب كاتب، ناسك متصوف، ولد بسلا عام 1301 / 1884 وقرأ على أعلام العدوتين ولازم بصفة خاصة شيخه وصهره المحدث الحافظ أحمد بن موسى السلوي أكبر تلاميذ الشيخ العارف بالله سيدي العربي بن السايح الشرقي الرباطي.

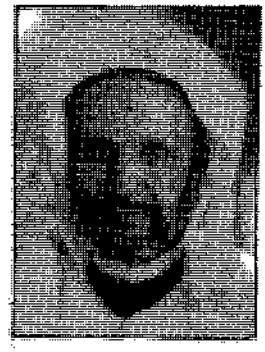

كان عبد الهادي أطوبي من عدول سلا المنتصبين للشهادة، يلقي دروسا ببعض المساجد. قرأت عليه في أول عهدي بالطلب طرفاً من *مقدمة ابن أجروم* بمسجد النميلة تحت عقبة المكودي إحدى العقبات الأربع المفضية إلى المسجد الأعظم بسلا، وبقي عالقا بذهني طوال حياتي تقريره عن التركيب المزجي وأحكامه، وذلك لحسن إلقائه وقدرته على الشرح والتوضيح.

انتسخ بخطه الجميل ختمات الشيخ أحمد ابن موسى وشيخه سيدي العربي بن السائح *لصحيح البخاري* وغيره، وجمع في *كناشته العلمية* أشعار السيد ابن السائح، واستخرج مقيدات عدة من خط الشيخ ابن موسى مما سمعه من إملاءات سيدي العربي ابن السائح وإفاداته، إضافة الى فتاواه وأجوبته العلمية المختلفة، وفتاوى فقهاء سلويين آخرين، أمثال محمد الطيب الناصري، وأبي بكر بن الطاهر زنيبر، وأحمد بن الحاج بنعاشر ابن عبد النبي، وإدريس بن محمد الجعيدي. وفي هذه *الكناشة* مساجلات أدبية، وفوائد تاريخية، وإجازات، منها إجازة الشيخ أحمد بن المامون البلغيثي بخطه لعبد الهادي أطوبي بتاريخ ثاني وعشري محرم فاتح عام 1340 / 25 شتنبر 1921.

توفي ـ رحمه الله ـ في حادثة سير ببلاد زمور هلك فيها جماعة من علماء مدينة سلا وهم في طريقهم إلى مولاي ادريس زرهون عام 1354 / 1936 (ولا عبرة بما ذكرت ـ خطأ ـ في *فهرس الخزانة العلمية الصبيحية* من أنه توفي عام 1355 / 1941).

أطوبي، محمد بن عبد الواحد، فقيه رحالة، درس بسلا وانتقل الى مصر في حدود عام 1305 / 87 ـ 1888 لإتمام دراسته، ثم رجع إلى مسقط رأسه ليشتغل بالعدالة، وكان عام 1311 / 1894 من بين الفقهاء الذين توزع عليهم الصلة الملكية.

أطوبي، محمد الهاشمي، فقيه عدل، ولي قضاء مدينة سلا عام 1236، وهو معاصر للفقيه المفتي عبد السلام ابن عبد الله حركات الذي ألف عدة رسائل في نوازل فقهية مما عرض على القاضي أطوبي، منتقدا أحكامه في الغالب. توفي محمد الهاشمي أطوبي بسلا عام 1254 / 38 ـ 1839.

أطوبي، محمد بن الهاشمي لعله ابن القاضي السابق الذكر، كان منتصبا للشهادة ضمن عدول سلا عام 1275 / 58 ـ 1859.

أطوبي، الهاشمي أقدم من عرفت ترجمته من فقهاء هذه الأسرة، اشتغل بخطه بالقضاء منذ عام 1214 كنائب لقاضي العدوتين أحمد الحكمي (ت 1226 / 1811) ثم استقل بقضاء مدينة سلا حين أعفي الحكمي من ولايته في 23 جمادى الثانية عام 1219. وقد أخر الهاشمي أطوبي عن القضاء ثم رجع إليه سنة 1223 واستمرت ولايته الى عام 1226 حيث خلفه القاضي أحمد السدراتي.

أطوبي، الهاشمي بن عبد الوهاب فقيه متمكن ، وأديب شاعر، درس في مسقط رأسه على المؤرخ الشهير أحمد بن خالد الناصري، وقاضي القضاة عبد الله ابن خضراء وأضرابهما قبل أن ينتقل إلى فاس ليوسع دائرة معارفه الشرعية واللغوية والأدبية.

كان متين الأسلوب، جميل الخط طويل النفس في الشعر، تبلغ احدى قصائده 147 بيتا وهي مولدية سينية. اشتغل في عهد الحسن الاول كاتبا في بنيقة الصائر بمراكش، ثم عين عدلا في المراسي قبل أن يرجع الى الكتابة في البلاط الحفيظي ثم اليوسفي. وكان مكلفا بنسج أمهات الكتب النادرة، وخلّف إضافة إلى ذلك عددا من التقاييد والكناشات العلمية.

توفي صبيحة يوم الثلاثاء في سابع وعشري ربيع الثاني عام 1343 / 25 نونبر 1924.

ع.أطوبي، *كناشة*، مخطوطة ؛ م. بن علي، *الإتحاف الوجيز* ؛ م. المريني، *كناشة المريني*، مخطوط ؛ جعفر الناصري، *تقييد في قضاة سلا*، مخطوط ؛ م. بوجندار، *الاغتباط* ؛ ع. ابن سودة، *اتحاف المطالع*، مخطوط ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، ج.2 ؛ م.حجي، *فهرس الخزانة العلمية الصبيحية بسلا* ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، ج. 3 ؛ *ذيل الاتحاف الوجيز* ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، مخطوط.

محمد حجي

أطُولُولْ، (Autololes) تحدثت مجموعة من الكتاب الكلاسيكيين عن الأطولولْ نذكر من بينهم بلين الشيخ Pline l'Ancien الذي أفاض في الحديث عنهم فخصص لهم أكثر من فقرة ضمن مؤلفه *التاريخ الطبيعي* (الكتاب الخامس، الفقرات 5، 9، 17)، وأشار إليهم أيضا في كتابه

السادس، الفقرة 201. وهناك من الكتاب الكلاسيكيين من أشاروا للأطولول إشارات عابرة، فلم تتعد معطياتهم فقرة أو جملة، ونعني بهم الجغرافي بطليموس Ptolemée الذي تحدث عنهم في مؤلفه *Géographie* (الكتاب IV، الفصلين 6 ـ 7، الفقرة 14). وتحدث عنهم أيضا سيليوس إيطاليكوس (Silius Italicus) في كتابه *Punicas* (الكتاب II، الفقرة 63)، وپول ـ أوروز (Paul Orose) في كتابه *Adversus Paganos* (الكتاب الأول الفصل 2 : الفقرة 94).

ونعرف أيضا اعتمادا على الباحث الفرنسي Tissot، أن هناك كتابا آخرين متأخرين تحدثوا عن الأطولول، نذكر منهم أيتيكوس Aethicus وإزودور الإشبيلي Isodore de Seville إلا أن أيتيكوس أطلق على الأطولول اسم أولوليس Auloles وذكر أنهم كانوا يعرفون في عصره تحت اسم Galaudae، أما إزودور الإشبيلي الذي استقى معلوماته من الجغرافي أيتيكوس فيكتفي بتسميتهم Galaules هذه التسمية التي نجدها أيضا عند پول أوروز (1، 2، 94).

وتجمع المصادر على جعل موطنهم على شاطئ المحيط الأطلسي ولكنها تختلف في تحديد المنطقة على شاطئ الأطلسي التي كانت مستقرهم، فهناك من الكتاب القدامى من يجعلهم جنوبي سلا، وآخرون يوطنونهم في أقصى الجنوب الغربي. إن بلين الشيخ لم يوطن الأطولول توطينا محددا ضمن فقرات : يقول في فقرة أولى (V. 7) بأن سلا كانت مستهدفة لغارات الأطولول ومهددة أيضا بالفيلة. على كل، فهو يجعلهم جنوب سلا. لكننا لا نعرف مدى امتدادهم في اتجاه الجنوب. وحسب بلين، يلزم اجتياز أراضيهم للوصول إلى الأطلس (V. 7) فهل تعني هذه الجملة بأن منطقة نفوذهم محصورة بين سلا والأطلس؟

في فقرة ثانية (V. 9) يوطنهم بين Rusadir (أگادير) ووادي سوس. وفي فقرة ثالثة يجعل موطنهم في ضواحي موگادور مقابل جزر Purpuraires (V. 201). ويعود في فقرة أخيرة ليوطنهم في أقصى الجنوب المغربي قرب موطن الأثيوبيين Aethiopas (V. 17).

أما الجغرافي بطليموس فيوطنهم بجنوب غرب موريطانيا (IV. 6. 7. 14) ويضيف أن هناك مدينة تدعى أطولاطا Autolata (IV. 6، 7) توجد فوق أراضي الأطولول. ولكننا لا نعرف هل شكلت عاصمة لقبيلة الأطولول أو كانت إحدى مدنهم المهمة. ويحدد المؤرخ S. Italicus مقرهم في منطقة غابوية.

يعد الأطولول فرعا من الجيتول Getules على حد قول بلين الشيخ (V. 17) ويعتبرهم هذا الأخير، ومعه S. Italicus من أقوى القبائل الجيتولية خلال القرن الأول الميلادي حلُّوا محل الموريين (Mawres) والمامايسيليين (Massaesyles) واستوطنوا أراضيهم، ولكننا لا نعرف الكيفية التي تمكن بها الأطولول من الاستيلاء على أراضي القبائل المذكورة.

ويتبين من خلال مصدر بلين الشيخ (V. 17) أن الأطولول هم مجموعة قبائل Confédération وليسوا قبيلة واحدة، ويظهر هذا بوضوح حينما يشير إلى كون قبيلة Vesunes فرع من هذه المجموعة الكبرى انفصلت عنها وكونت شعبا مستقلا استقر بجوار الاثيوبيين Aethiopas. وجعلنا الجغرافي Pausanias في كتابه Description de la Gréce (XLIII، 3). نعتقد أنه يقصد بحديثه عن الصراع الذي جمع الرومان بالموريين الرحل، الكلام عن الأطولول، وإذا سلمنا بهذه الفرضية فإننا نعتبر الأطولول من القبائل الرحل.

وقد تقلصت أهمية الأطولول ومكانتهم خلال القرن الثاني الميلادي فأصبحوا حسب شهادة بطليموس (IV. 6. 6) مجرد قبيلة صغيرة، ونعلم أنه في عهد أنطونان الورع (Antonin le pieux)، أحيطت سلا بسور لحفظها من غارات القبائل، ومن خلال الدراسات يعود تاريخ هذا السور لسنة 144 م. ولا شك أن ظاهرة التسوير بالإضافة إلى بناء الخندق (Fossatum) جنوب سلا رافقتهما ظاهرة تراجع القبيلة في اتجاه الجنوب بسبب ضغط الرومان عليها.

ولكنه لم يتم القضاء عليهم بصفة نهائية حيث يذكرهم پول أوروز (P. Orose) خلال القرن 7 م لكن بتسمية جديدة هي (Galaule) (47.2.1).

ولا ننتهي من خلال استعراض المعطيات الواردة في المصادر لتحديد دقيق لموطن الأطولول ولنمط عيشهم. ولقد ترتب عن هذا تضارب آراء الباحثين المعاصرين : فإذا كانت كل الآراء تتفق على حصر منطقة الأطولول على شاطئ المحيط الأطلسي بين سلا وموگادور فإنها تختلف في التفاصيل. ويوطنهم گزيل Gsell في ضواحي سلا، ويذهب معه كاركوبينو Carcopino نفس المذهب، ولكنه يضيف بأنهم أصبحوا مستقرين بعد عهد بلين الشيخ عند حدود الأطلس وحل محلهم بضواحي سلا البكوات Baquates، وقد دعم رأيه بسكوت المصادر الكلاسيكية خلال القرنين الثالث والرابع للميلاد عن ذكرهم. ويضع كامبس Camps مواطن الأطولول في المنطقة الفاصلة بين سلا والأطلس الكبير، وهو توطين كما نلاحظ غير مضبوط.

M. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Mauritanie Tingitane*, (Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles - Lettres), Paris, 1877 ; P. Orose, *Adversus Paganos*, Livre VII, éd. C. Zangemeister, Leipzig ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens* ; S. Gsell, *Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord*, livre V ; J. Carcopino, *Le Maroc Antique, Paris 1943* ; G. Camps, *Aux origines de la Bérberie, Masinissa ou les débuts de l'histoire* ; M. C. Sigman, *The Romans and the indigenous tribes of Mauritania Tingitana, Historia*, XXVI, Heft 4, 1977, pp. 415-439 ; Pline l'Ancien, *Histoire Naturelle*, Livre V, 1-46, texte établie et traduit par J. Desanges, Belles-Lettres (CUF), Paris 1980.

بلفايدة عبد العزيز وبلكامل البيضاوية

اعْبَابُو . (أسرة) . هناك روايتان حول مدلول كلمة (اعبابو) تقول الأولى إن أصل القبيلة من ناحية گزنَّاية بالريف، ومعناها في لهجة هؤلاء : الذرة البيضاء"! وتقول

الثانية إن أصلهم عربي من ناحية الساقية الحمراء ويدعون هناك : أيت عباب (من عباب البحر). والمؤكد أن آل اعبابو استوطنوا قديما بلاد الجاية بناحية فاس، وبناحية تازا كذلك. وفي عهد السلطان الحسن الاول كان قائد قبيلة الجاية هو :

اعبابو، أحمد الذي تعرض لغضب السلطان بعد أن نُهبت قافلة لليهود في قيادته، فأمر بالقبض عليه، لكنه استجار بمولاي إدريس إلى أن شفع فيه بعض العلماء، فعفا عنه بعد أن "تركه" أي صادر كل أملاكه، وأهمها ما كان في سهل بوطاهر، واتخذه فقيها لأبنائه.

وهناك روايتان تتفقان على القول بأن حادث القافلة التجارية اليهودية المنهوبة لم يكن سوى فرصة تحينها المخزن للقبض على أحمد اعبابو. وان كانتا تختلفان حول السبب الحقيقي لغضب السلطان عليه، تقول إحداهما : إن أحمد اعبابو ، الذي كان فقيها متضلعا في علم الأسماء، رفض أن يبوح بسر "الكبريت الأزرق"؛ وتدعي الأخرى أنه رفض الضرائب المفروضة على القبيلة بمناسبة إحدى الحركات العسكرية لعدم شرعيتها.

استقر أحمد اعبابو بفاس في حي " الطالعة". وصَاحَب مولاي الحسن في حركته الأخيرة، وتوفي بعد وفاة السلطان (سنة 1312 هـ) بمدة قصيرة . وقد خلف عدة أبناء وبنات.

ثريا برادة

اعْبَابُو، أحمد بن مولود أمُوح، ولد سنة 1911 بدوار تامجونت بورد ناحية إقليم تازا، والتحق بصفوف المقاومة ضمن الفرقة التي كان يرأسها سي العباس والتي كانت ملكفة بالاستعلامات حيث كان يعمل على نقل الأخبار سراً إلى رؤسائه، كما كان يقوم بتهريب الأسلحة من المنطقة الخاضعة للسيطرة الإسبانية إلى رفاقه الثوار في المنطقة الجنوبية. وأثناء ذلك اعتقل بتهمة مخالفة القوانين الاستعمارية، وظل يجاهد بعد أن فر من معتقله وينفذ خطط رؤسائه إلى أن استشهد في معركة هجومية على القوات الفرنسية بمركز بورد ببوزينب بتاريخ 30 أكتوبر 1955.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.

عز الدين العلام

اعبابو، التهامي كان من المقربين للسلطان مولاي يوسف. وصار حاجبا في عهده. وكان السلطان يسميه "بالفقيه" ويلعب الشطرنج معه. وحصلت له حظوة كبيرة لديه حتى كان يسكن بدار المخزن. ومازال إلى الآن جناح بدار المخزن بالرباط يحمل اسم "دويرية اعبابو" ومنها كان السلطان يخرج لكل أسفاره.

كان التهامي اعبابو يظهر العداء للفرنسيين وللصدر الأعظم الحاج محمد المقري. ولما توفي السلطان مولاي يوسف خرج قاصدا مدينة مراكش لأخذ البيعة لمولاي إدريس أكبر أبناء مولاي يوسف، لكن السلطات ألقت عليه القبض، و"ثقفته" في فندق السلام Hôtel de la Paix بالرباط إلى أن تمت البيعة لسيدي محمد بن يوسف. واتهم فيما بعد بأنه استغل مدة إقامته بدار المخزن لنهب أثاثها. وعُين ولد المعلم، قائد الروا ـ الذي صار فيما بعد باشا الصويرة ـ لتفتيش داره. ونصّب التهامي اعبابوللدفاع عنه محاميا فرنسيا هو Millerand، وهو رئيس سابق للجمهورية الفرنسية، وانتهت القضية بتسوية حبية : تنازل المخزن عن متابعة اعبابو بتهمة النهب والسرقة، مقابل دفع هذا الأخير ستة ملايين فرنك، وتنازله عن ملكية حي درب الحاجب بالدار البيضاء، وبقي محتجباً في داره بالسبيج بفاس إلى أن توفي سنة 1942 م.

اعبابو، حمو (محمد) كان أمينا في عهد حجابة أخيه التهامي.

اعبابو، عبد السلام، أمه من بني زروال اشتغل في المضايفيين أثناء المدة التي كان فيها أبوه مغضوباً عليه، ثم صار أمينا على دار المخزن ودار الشريفات بفاس في عهد حجابة أخيه التهامي. وتوفي أثناء أحد أسفاره للديار المقدسة، ودفن ببيروت.

روايات شفوية.

Charles-André Julien, *Le Maroc face aux impèrialismes 1415*, 1956, p. 141.

ثريا برادة

أعْبِيدي، بن خطاري بن أحمد. ولد سنة 1924 بدوار شرير التابع لإقليم گليميم وسط عائلة متواضعة. انخرط في صفوف جيش التحرير فتأطر مع الوحدة التي كانت متمركزة بمنطقة أيت باعمران والتي كان يقودها السيد إدريس الحارثي، وتدرب على استعمال السلاح. قام بأعمال جليلة حيث أظهر روحاً قتالية عالية إلى أن استشهد في معركة أمْلو التي خاضها جيش التحرير ضد القوات الإسبانية بمنطقة أيت باعمران سنة 1957.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

الاعتزال بالمغرب، فرقة من أهم الفرق الكلامية في الإسلام، زعيم مذهبها واصل بن عطاء (80 ـ 141 هـ) الذي كان على اطلاع واسع بمقالات الفرق والملل والنحل وكلامهم، يتقن الحجج والأدلة للرد عليهم، فأسس مذهب الاعتزال الذي يُنعت أتباعه أحيانا بالواصلية نسبة إليه. وقد شاركه الزعامة عمرو بن عبيد الذي يعدُّ هو الآخر مؤسسا للمذهب بصحبة واصل، وقد عاشا في نفس الفترة.

يذهب بعض الباحثين إلى أن المغرب عرف الاعتزال منذ النصف الأخير من القرن الثاني الهجري ، في خضم المذاهب والتيارات السياسية والمذهبية التي عرفها واتسمت أحيانا بالغلو والتطرف أو الاعتدال والتساهل، كالصفرية والإباضية، والمذهب الحنفي. ويقولون إن قبيلة "أوَرْبَة" التي آوت المولى إدريس الأكبر كانت ـ مثله ـ تتبنى الآراء الاعتزالية، لكن وفود المولى إدريس على المغرب سيعقبه

اختيار المغاربة لتيارات أخرى تركز دعائم الوحدة المذهبية : أعني مذهب مالك في الفقه ومذهب أهل السنة والجماعة في العقائد.

أما عن اعتزال إدريس الأكبر فإنه في الحقيقة كان من الشيعة الزيدية وهي فرقة معتدلة، درس إمامها زيد الاعتزال على يد رؤسائه خاصة واصل بن عطا، وتأثر بهم وانعكس ذلك على مواقف الشيعة الزيدية عموما. ومن أهم المبادئ التي يبرز فيها اعتدالهم، قولهم بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، أي أن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان جائزة رغم أن عليا كان أجدرهم بها.

فهل يعني هذا أن الاعتزال تسرب إلى المغرب مع الشيعة الزيدية وبقيت آثاره فيه رغم اختيار المذهب السني؟ ذلك ما يستنتج مما ذكره الشهرستاني في كلامه عن الواصلية الاعتزالية :"وبالمغرب الآن منهم شرذمة قليلة من بلد إدريس بن عبد الله الحسني الذي خرج بالمغرب في أيام أبي جعفر المنصور (*الملل والنحل*، 1 : 46).

ويذهب العديد من الدارسين للفكر التومرتي إلى أن هذا الأخير تطغى عليه الصبغة الانتقائية التي يعكسها تنوع الأصول والمصادر التي نهل منها، ومن بينها الاعتزال الذي يعثرون على مظاهره في ميل ابن تومرت إلى نفي التشبيه نفياً مطلقاً عن الذات الإلهية، وقوله بأن الله لا يكلف العباد مَا لا يطيقون، وقوله بأن مرتكب الكبيرة فاسق.

إلا أن المنهج الذي يسلكونه في دراسة فكر ابن تومرت، يغلب عليه الطابع التفكيكي التجزيئي الذي يركن إلى البحث لكل عنصر عن أصل له خارج الفكر المدروس، ولعل الأجدر كان هو دراسة فكر ابن تومرت في وحدته ككل وفي إطار شروطه التاريخية. عندئذ يبدو لنا لِمَ أُغْرِقَ في التنزيه، فهو لم يفعل ذلك إلا رغبة منه في معاكسة المرابطين الذين اتهمهم بالغلو في التشبيه . أما قوله بفسق مرتكب الكبيرة فلا أظن أنه يحيد به عن الموقف السني في المسألة الذي يعتبره فاسقا أو منافقا أو مؤمنا يُرجأ حكمه إلى الله، ولا يقول بكفره...

ثم لا نجد بعد الموحدين أثراً للاعتزال في العقائد بالمغرب.

الشهرستاني، *الملل والنحل*، بيروت 1975 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. النجار، *المهدي بن تومرت*، بيروت، 1983 ؛ ع. الجراري، *وحدة المغرب المذهبية خلال التاريخ*، الدار البيضاء، 1976؛ *بحوث مغربية في الفكر الإسلامي*، الرباط 1988.

سالم يفوت

أعْجُلي، محمد بن إبراهيم الباعقيلي. تعلم ببلده، ثم انتقل إلى قبائل (جبالة) بشمال المغرب لأخذ القراءات، وكانت ظهرت هناك مدرسة الحطيات، فأخذ عن مشايخها، وتفنن في أوضاعها، وعاد إلى مسقط رأسه إماماً في هذا الفن، ولعله أول من أدخل فنّ الحطيات إلى قبائل سوس، وله فيه مؤلفات سنتحدث عنها بعد.

كان محمد أعجلي على جانب من الفضل والصلاح منذ صغره، لا يقرأ لوحه إلا وهو على وضوء كما يشهد بذلك شيوخه. وكان للناس فيه اعتقاد كبير يقفون عند إشارته ولا يتخطون أمره، كما يخرج مع طلبته للسياحة وإصلاح ذات البين بين الناس.

قضى أعجلي الشطر الأكبر من حياته في تعليم الروايات، وأذاع في الجنوب فن الحطيات، فأخرج جمهرة كبيرة من المقرئين والحطاطين، وبعد موته خلفه ولده الطاهر، فكان عدد طلبته يفوق المائة.

خلّف أعجلي مؤلفات في فن الحطيات منها : *الاتصال الكبير*، وهو مجموع متداول بين الناس، وقفت على عدة نسخ منه تختلف عن بعضها البعض اختلافاً بيناً. *ميم الجمع*، رتبه على حروف المعجم. *هاء الضمير*، رسالة صغيرة ضمنها هاء الضمير المذكر طرفا، مرتبة على حروف المعجم. *والتنوين*، وهو تقييد في التنوين الذي جاء في آخر الكلمات في القرآن العظيم، وهو ثلاثة أنواع : المرفوع والمنصوب والمجرور، رتبه على الحروف الهجائية. الكلمات الموقوف عليها وتسميه بعض الفهارس *بالهداية لمن أراد الكفاية*، *على ضبط أواخر الكلمة مما صح بالرواية*.

وتوجد *وقفيات* أحصت وقوف الهبطي مرتبة على حروف المعجم، بينت عدد الوقوف لكل حرف، فالهمزة ـ مثلا : 237 وقفة، والياء 329، والتاء 550 وهكذا، فمجموع وقوف القرآن ـ على خلاف في ذلك ـ 8877. ولا ندري هل هذه الوقفيات هي نفس كتاب *الهداية* أو غيره.

توفي محمد أعجلي عام 1271 / 1854.

م. المختار السوسي، *سوس العالمة : المسول* ؛ س. أعراب، *جريدة الميثاق*، ع 136 ؛ *دعوة الحق*، 1976، ع 6.

سعيد أعراب

ابن اعداذة، محمد بن محمد. ولد سنة 1921 بقبيلة بني يخلف، ناحية تاغزوت، انتظم داخل المقاومة وبشهادة بعض رفاقه فإن ابن أعداذة كان يجلب السلاح من مدينة الدار البيضاء ويوزعه على التنظيمات الموجودة بمدينتي الرباط وفاس، لكن عندما افتضح سره ألقت عليه قوات الأمن القبض وأودعته بمعتقل تابع لها بمدينة فاس، وعلى

محمد ابن أعداذة

إثر التعذيب البشع والتنكيل الوحشي الذي تعرض له أثناء اعتقاله لفظ أنفاسه الأخيرة بالسجن بمدينة فاس وذلك يوم 20 شتنبر 1954.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

أعديل ← عديل

أعـْراب، أسرة تطوانية أصلها من قرية تغاصة بقبيلة بني گرير الغمارية، وقد كان جل أفرادها يعملون بحّارة في حامية تطوان، حيث نجد منهم عبد الخالق بن محمد، وأحمد بن عبد الرزاق، والمختار بن ميمون ومحمد بن عبد السلام، وعبد الرحمان يعملون كبحارة سنة 1246 / 1830. كما يوجد أفراد من هذه الأسرة بمدينة مكناس منذ القرن العاشر / 16.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 11 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 211 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias illustres de Tetuan 1921 (A)* ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo 1929 (A)* ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español 1949 (A)*.

محمد ابن عزوز حكيم

أعراب، عبد الرحمان بن قاسم بن محمد بن عبد الله، ولد بمكناس عام 962 / 54 ـ 1555 وبها بدأ تعليمه ثم رحل إلى فاس فأخذ على كبار شيوخها، خاصة إمام المعقول والمنقول أبا راشد يعقوب البدري، ولازم أكثر مجالس شيخه وصهره أحمد المنجور حتى كان هذا الشيخ في آخر عمره يخرج إلى القرويين متكئاً على أعراب ليلقي دروسه على كراسيه الوقفية.

تخرج عبد الرحمان أعراب فقيها متمكناً يستظهر مختصر خليل ويحيط بفروع المذهب، مشاركاً في العلوم الشرعية الأخرى، من قراءات وتفسير وحديث، وفي المعقولات من حساب ومنطق. ثم رجع إلى مسقط رأسه يدرس ويفتي ويفيد.

توفي بمكناس عام 1003 / 94 ـ 1595 ودفن خارج باب عيسى.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 363 ؛ إ. الگلالي، *تنبيه الصغير* (مخطوط) ؛ م. الطيب الفاسي، *مطمح النظر*، مخطوط ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 279.

محمد حجي

الأعرج ← **أحمد** بن محمد القائم بأمر الله السعدي

الأعرج، إسحاق بن يحيى الورياغلي، أبو إبراهيم بن مطهر، المعروف عند أهل فاس بإبراهيم العالم، مودع الحجاج بفاس. ولقب الأعرج لعرجه بسبب إصابته في رجله عندما دخل عليه اللصوص في مسجد ببلاد سدارة لما كان طالبا بها. وهو من ذرية مولاي عبد السلام بن مشيش.

ترك الأعرج مستقر أهله بنواحي سبتة وارتحل إلى الريف وأقام بجبل حَمام على إحدى ضفاف وادي المزمة (غيس حاليا)، بفخذة بني يملك من قبيلة بني وراغل. وقد خلف بها ذرية كثيرة من حفيده الشيخ العالم سيدي عبد العزيز بن موسى، تعرف بالغلبزوريين، نسبة إلى موضع إقامتهم وهو "أغبل أبزور" بنفس القبيلة.

وقد تفرعت هذه الأسرة وانتشرت في هذه النواحي خاصة بالحسيمة، وبرز فيها رجال عرفوا بالعلم والصلاح، منهم خريجون وذوو مناصب أحياء، ومنهم أيضا محمد بن محمد عمر القاضي. أحد أخوال محمد بن عبد الكريم الخطابي ومرافقه في الكفاح، وسجل ذكرياته عن الحرب التحريرية الريفية في كتاب سماه، *أسد الريف : محمد عبد الكريم الخطابي*...

كان الشيخ إسحاق الأعرج، ذا أخلاق عالية، خاليا من النفاق، ارتحل عن الريف، بعد أن ترك به نسلا كثيرا، وأقام بفاس أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني، وتولى الإمامة بجامع الشطة الكائن بالقرب من المدرسة البوعنانية.

وقد أخذ عن الشيخ أبي محمد صالح الهسكوري، صاحب الشرح على *الرسالة*، المتوفى سنة 653 / 56 ـ 1255 وهو غير المدفون بأسفي. وكان متضلعا في تدريس *المدونة* حيث وضع عليها *الطرر*. وتولى تدريس *تهذيب البرادعي* في كل من جامع بادس الكبير ومساجد فاس. وممّن تخرج على يديه الشيخ أبو يعقوب البادسي الشهير والشيخ أبو الحسن الزرويلي وجماعة.

ومن مناقبه، ما وقع له من منازعة في مسألة فقهية مع فقهاء فاس، فلما كان الصواب فيها إلى جانبه، تجمعوا ضده، وأوعزوا إلى السلطان يعقوب المريني بأن طلبة البربر ـ بمن فيهم المترجم له ـ يعتزمون الخروج عليه، فأمر بإخراجهم، وتولى صاحب الشرطة المدعو أبا العطور تنفيذ الأمر. وحدث أن أصيب هذا بحكة في جنبيه إلى أن مات. ويبدو أن السلطان تبين له بعد ذلك بأنها مؤامرة دبرت ضدهم، فعدل عن قراره وأمر بإرجاعهم، وصار يعظم الشيخ إسحاق ويعترف بفضله ويسعى للقائه وهذا لا يستجيب له.

ويحكى أيضا أن هذا الأمير قدم على الشيخ إسحاق بعد صلاة الجمعة بجامع القرويين فعانقه ثم جلس معه يسأله عن بعض المسائل، فرفض الإنصات له قائلا له بأن لا فائدة في السؤال لأنه لن يعمل بالجواب، ولم يعدل عن إعراضه بالرغم إلحاح السلطان واكتفى بالدعاء له ثم انصرف.

ويروى أيضا عن بركة دعائه ما كان من أمر الشيخ أبي إسماعيل بن أحمد عندما أسر القراصنة عياله بمرسى ياليش (مدينة خربها الإسبان أواخر القرن الثامن الهجري، كانت تبعد عن تطوان بحوالي 70 كلم شرقا)، فقصد السلطان للحصول منه على مال يفتدي به عياله، فزار إسحاق وحكي له مصابه، فأعطاه كل ما كان يملك وهو نصف دينار. وعندما عاد لزيارته في اليوم الموالي، زاده ستة وعشرين ديناراً ذهبياً، مخبراً إياه بأنها من بعض المحبين، فدعا له بقضاء الله لحاجته وانصرف قاصداً السلطان، فدفع له هذا ألف دينار، ثم توجه بعد ذلك إلى كدية غساسة (قلعة غساسة الواقعة بقلعية، غرب مليلية، خربها سكانها حتى لا يحتلها الإسبان) ويسر الله له خلاص عياله من الأسر، ورأى الشيخ أبو إسماعيل أن ذلك ببركة الشيخ إسحاق وحسن مشاركته.

وقد توفي إسحاق الأعرج بفاس سنة 683 / 1284، ودفن بباب الگيسة قبالة الباب.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 110. 112 ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية*، 226. 231 ؛ القاضي محمد بن محمد عمر، *أسد الريف محمد عبد الكريم الخطابي*، تطوان 1979، 1. 8 ؛ ابن الريف البخلاخي، *الظل الريف بتلخيص المقصد الشريف، والمتزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف*، طنجة 1987، 33. 34.

مصطفى أريبب

ابن **الأعرج** ← **السليماني** محمد بن عبد القادر

الأعرج ← **علي** بن إسماعيل العلوي

الأعرج، محمد بن علال. ولد سنة 1930 بمراكش وكان نشيطا في المنظمة السرية التي يعمل بها، ويتلخص عمله في التحريض على المظاهرات، وقطع الأسلاك الهاتفية وإحراق متاجر الدخان والخمور وتعبئة جمهور

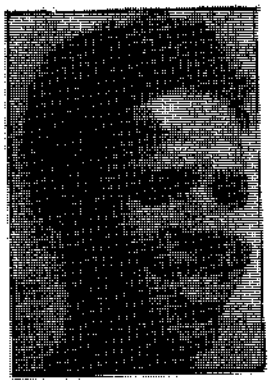

محمد بن علال الاعرج

المؤمنين وسط المساجد يوم الجمعة. وآخر عمل قام به إلقاء قنبلة على منزل الجنرال بساحة الكتبية، وهناك رماه أحد الجنود السنغاليين الحارسين لمنزل الجنرال بالرصاص فأصابه لحينه، وذلك خلال سنة 1955.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

الأعرج ← ابن **مطر** إسحاق بن يحيى الورياغلي

أعَرّاص، (أولاد ـ) أو إعرّاصْن، أسرة ريفية من بقُّويَة بناحية بادس، ورد انتماؤها إلى صنهاجة، وأشير إلى أنها هاجرت من الأندلس واستقرت جنوب مدينة بادس بجوار منبع عرف باسم "تلا بادس" أي منبع رافد واد كركر الحالي، الذي تجري مياهه نحو ساحل بادس. وتعرف الأسرة أيضا بأولاد البادسي، ويذكر أن لها سلفا في الصلاح، ولذلك كانوا يسمون باللهجة البربرية الريفية "إصَرّامَنْ" و"إقَرّامَنْ" ومعناه : العلماء. وما يزال مدشرهم محتفظا باسم الأسرة بنفس المكان من قبيلة بني بوفراح.

نجد أصداء هذه الأسرة في المصادر المغربية والأجنبية، لما كان لها من دور بارز في المغرب السعدي وبداية العهد العلوي، بنى لهم عبد الغالب القصبة المعروفة باسمهم بتلا بادس (اسنادة حاليا)، إثر استيلاء الإسبان على الصخرة سنة 972 / 1564، فكان منهم قواد الريفين الشرقي والأوسط، وتمكن منهم أحمد أعراص آتي الترجمة من تأسيس إمارة استمرت من 1046 / 1636 إلى 1076 / 1665. وما تزال آثار نفوذ أسرة أعراص ممثلة على الخريطة بمداشر تحمل اسم الأسرة ودالة على ما كان بيد أفرادها من الأملاك، خاصة بقبيلة قلعيّة.

وثيقة نسب قبيلة قلعية، 164. 168، مخطوط خ. ع. ؛ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية الدرعية*، 92 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، 19، مخطوط خ. ع. ؛ ابن سودة، *إزالة الالتباس*، 68، مخطوط خاص ؛ ح. الفكيكي، *قلعية ومشكل الوجود الإسباني بمليلة*، 1 : 135 ؛ *خريطة مليلة*، مقياس 250.000 / 1 (1936) ؛ *خريطة بني بوفراح*، مقياس 100.000 / 1 (1973) ؛ *خريطة منطقة الحماية الإسبانية بالمغرب 1934*، تطوان مقياس 500.000.

أعَرّاص، أحمد يصعب الآن التعرف على الرابطة الأسروية الموجودة بينه وبين غيره من أولاد أعراص. وقد استفاد من الأوضاع التي آلت إليها مملكة فاس، خاصة بعد وفاة عبد الله بن الشيخ المأمون (1033 / 1623)، مما دفعه إلى إعلان استبداده بمنطقته، متأثرا بالحركات التي كانت تسعى إلى نفس الغاية بالأطلس المتوسط وبسلا ومراكش نفسها وسوس. هذا ما أظهره سنة 1046 / 1636.

وآنذاك بدا أن نفوذه امتدّ على الريف الأوسط وعلى القسم الغربي من بطوية الريف الشرقي، مما يجاور حوض النكور. واحتفظ بهذا النفوذ إلى حين ظهور المولى الرشيد، وذلك بعد أن وجد هذا الأخير في الشيخ عمر بن محمد الحمامي البطوئي، شيخ قبيلة تمسمان، خليفا له ومناوئا لأعراص.

زحف المولى الرشيد نحو بني توزين فاستولى على قصبة تفرسيت وهدمها سنة 1074 / 1663. ثم عاود حربه فاستولى على مدينة المزمة عاصمة إمارة أعراص وهدمها وقبض على ولده عبد العزيز (عزوز)، بينما فر هو إلى قصبة "تلا بادس"، وهي قصبة أولاد أعراص التي سمح لهم عبد الله الغالب ببنائها إثر احتلال الإسبان لصخرة بادس وتخريب المدينة. (القصبة المعروفة حاليا باسنادة). مما دفع أعراص إلى طلب الصلح، لقاء إصهار المولى رشيد إليه في ابنته "طامة" وتسريح ابنه عبد العزيز. غير أن أحمد أعراص لم يتوان عن إظهار خلافه بمجرد وصول المولى مَحمد إليه، والزحف نحوه لمحاصرة حلفاء المولى الرشيد من أولاد حمامة التمسمانيين. وحينما قتل المولى مَحمد سنة 1057 / 1664، توجه المولى الرشيد نحو قصبة أولاد أعراص بتلابادس (اسنادة)، وتمكن من هدمها، التجأ أحمد أعراص إلى صخرة بادس تحت حماية الإسبان، بينما فر أتباعه إلى الرئيس غيلان. ولم يلبث أحمد أعراص أن نزل عند رغبة ابنه عبد العزيز لقبول الصلح ثانية، وهو ما تم سنة 1076 / 1665.

الحاج عبد الكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، مخطوط ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، 2 : 106 ؛ *نشر المثاني*، 2 : 363.

R. Frejus, *Relation d'un voyage dans Mauritanie*, S. I. H. M., 2e Série - France 1/124-128 ; S.I.H.M. 2e Série, 1/80 - 18/87 ; G. Mouette, *Histoire de Mulay Erchid*, 23-24, 27-28.

أعراص، عبد الله ـ في العهد السعدي ـ كان قائدا للجيش بمدينة فاس، كما كان شديد الخدمة لأبي المحاسن الفاسي، إلى درجة أنه وضعه في منزلة القرابة إذ أنه كان كثير التردد عليه للإقامة. قضى مدة في السجن بأمر من أحمد المنصور، وقد واتته فرصة الخروج منه بتدخل من أبي المحاسن على ما يظهر، حينما أعد أحمد المنصور جيشه لمواجهة ثورة ابن أخيه الناصر بن عبد الله الغالب في رمضان 1003 هـ . وبعد وفاة أحمد المنصور وبداية النزاع بين زيدان ومحمد الشيخ المامون انحاز عبد الله أعراص إلى هذا الأخير، فكان من جملة قواده، عينه على مراكش بعد إجلاء زيدان عنها وفراره إلى تلمسان (1012 هـ) غير أن أهل المدينة ثاروا على عبد الله أعراص بمجرد عودة زيدان سنة 1015 هـ . وتمكنوا من قتله.

ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ ع. القشتالي، *مناهل الصفا* ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي* ؛ ابن عجيبة، *أرباب المذاهب*، مخطوط.

حسن الفگيگي

أعْرَاصْ، عبد الله ـ في العهد العلوي ـ ينتمي إلى الأسرة القيادية الشهيرة بمنطقة الريف. وتتشابه أخباره بأخبار أحمد أعراص سابق الترجمة. إذ يذكر عنه أنه ظهر بهذه المنطقة على مقربة من قلعة بادس خلال مرحلة التمزق السياسي التي عرفها المغرب خلال النصف الأول من القرن السابع عشر، واستطاع أن يمد سلطته لتشمل القبائل الريفية الموجودة بحوضي النكور وغيس، وأن يقيم شبه إمارة مستقلة حسب ما ذهبت إليه المصادر الأوربية المعاصرة.

ونظراً للاهتمام الذي أولاه مؤسسو الدولة العلوية للمناطق الشمالية من البلاد لتوطيد سلطتهم وفتح قنوات الاتصال بالأوربيين، فإن القائد أعراص أصبح يحتل دوراً هاماً ضمن المشروع السياسي للدولة العلوية الناشئة. وإذا كان أعراص قد ساند المولى محمد بن الشريف فإنه تردد في مبايعة أخيه المولى الرشيد بعد أن وصل هذا إلى الحكم في سنة 1664، وربما كان هذا القائد يتوق إلى الاحتفاظ باستقلاله والاستفادة من ربط علاقات تجارية مع الأوربيين. وفعلا فإنه منح في سنة 1666 امتيازات هامة للتجار الأنجليز وسمح لهم بإقامة منشآت تجارية بخليج الحسيمة.

وعند بداية تلك السنة، وحتى قبل أن يستولي العلويون على مدينة فاس، قرر المولى الرشيد أن يُخضع منطقة الريف، وهو ما تحقق له بعد أن هزم أعراص وألقى عليه القبض. وحتى يضمن ولاءه فإنه تزوج من إحدى بنات القائد ونقله إلى مدينة فاس ليقيم بها مع عائلته. هذه الرواية التي توردها الوثائق الفرنسية تقابلها رواية مختلفة لصاحب *الاستقصا*. فالناصري يذكر أن المولى الرشيد بعد أن قبض على أعراص سرحه واستبقاه على قبائل الريف. ويشير الناصري كذلك إلى أن السلطان المذكور استعمله لإتمام عملية إخضاع البلاد فأرسله في سنة 1671 على رأس حملة عسكرية إلى ناحية سوس. أما علاقته بالمولى إسماعيل (1672 ـ 1727) فلا نعلم عنها إلا القليل، وما تذكره المصادر الفرنسية بهذا الشأن هو أنه حدث ما جعل هذا السلطان يتشكك في ولاء القائد أعراص، الشيء الذي دفعه إلى قتله وقتل عائلته بفاس في سنة 1675.

أ. الناصري، *الاستقصا*، الجزء 7.

H. De Castries, *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc*, Série France - Dynastie Filalienne, 1922 - 1931.

محمد المنصور

أعراص، علي أول من ظهر من أولاد أعراص على المسرح السياسي إلى جانب الوطاسيين أولا. في 25 فبراير 1549 / 956 كان قائد قبيلة قلعية ورئيس المجاهدين. غير أننا نجده في مارس الموالي يتحول إلى جانب السعديين ويبادر إلى لقاء محمد الشيخ السعدي الذي كان قد وصل إلى أگرسيف، حيث تلقى التعليمات الخاصة لمضاعفة الحراسة على حدود مليلة. وكان هذا سببا للتضييق على المدينة المحتلة خاصة في فترة التجاء أبي حسون إليها (17 أبريل 1549) وعمر بن يحيى المريني، حاكم دَبْدُو (12 غشت 1550 م).

استمر علي أعراص قائدا على قلعية إلى بداية غشت 1551 حينما وصل الأمر السعدي بالانتقال إلى بادس، لمواجهة الصعوبات التي خلقها هناك القائد الزرهوني المعتصم بحجرة بادس. وقد نجح علي أعراص في استنزاله في أكتوبر 1553. وحينما تمكن أبو حسون الوطاسي في السنة الموالية من السيطرة على الحجرة بمساعدة الأتراك تلقى علي أعراص دعوة من بني شكر القلعية لتمكنه من القيادة، ولذلك بادر إلى الإبحار إلى غساسة بسفنه سنة 1554 م. حيث بقي إلى أن نقل لبادس مرة أخرى في نوفمبر 1558. ومنذ ذلك الحين لا نعرف عنه شيئا.

مجموعة الأرشيف العام بسمنكاس .A.G.S رسائل موجهة من مليلية في ملفات : 475 و 476 و 477 و 479 مؤرخة بما بين 25 فبراير 1549 و 16 نونبر 1552 ؛ حسن الفگيگي، *قلعية، مشكل الوجود الإسباني بمليلية*، 1 : 187 ـ 194.

أعراص، يحيى من بين أولاد أعراص الذين قربهم إليه المولى الرشيد، بعد طاعة القائد أحمد أعراص سنة 1076 / 1665، حينما أمره السلطان بالإشراف على بناء قصبة حجرة النكور، طبقا للرسم الذي قبض بيد التاجر الفرنسي "رولان فريجو" (Roland Frejus) سنة 1077 / 1666 الذي تظاهر بالبحث عن ربط العلاقات بين لويس الرابع عشر ومولاي الرشيد.

أشرف القائد يحيى أعراص على البناء بمساعدة شيخ بطوية عمر بن محمد الحمامي التمسماني، إلى أن اكتملت الحجرة بالبناء، فشحنت بالأقوات والزاد، وعمرت برجال

الحراسة إلى أن سقطت القلعة بيد الإسبان في بداية حكم المولى إسماعيل.

شغل يحيى أعراص منصب قائد مراكش حين أن استردها المولى إسماعيل من يد ابن أخيه أحمد بن محرز سنة 1083 / 1672، وحينما استرجعها هذا الأخير فرَّ منها يحيى أعراص والتجأ إلى زاوية "أبي يعزى"، ومكث هناك إلى أن ضاق به الحال فسار إلى أزمور واعتصم بضريح أبي شعيب إلى أن لحق بأحمد بن محرز الداخل إلى مراكش، خائفا على نفسه من عقاب المولى إسماعيل الذي كان في طريقه إلى مراكش. ومنذ ذلك اختفى عنا أمره بعد أن تمكن المولى إسماعيل من فتح المدينة سنة 1088 / 1677 على إثر انسحاب ابن أخيه الثائر منها.

الحاج عبد الكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، مخطوط.

حسن الفگيگي

الأعرش، الميلودي بن الجيلالي. ولد سنة 1934 بدوار الابْراهمة مشيخة الخوازم ناحية وادي زم، إقليم خريبگة. شارك في الثورة الشعبية التي اندلعت بمدينة وادي زم ونواحيها يوم 20 غشت 1955. وخلال قيامه بأعمال فدائية ضد بعض المستعمرين واجهه رجال الدرك الفرنسي بالنار ففارق الحياة وهو مازال شابا أعزب في نفس اليوم.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

أعروي، قرية تقع بقبيلة بني بويحيي بناحية الگرت (إقليم الناظور) وكان المكان الذي بنيت فيه يعرف بكدية القنفذ، ثم أطلق عليها اسم أعروي (هناك من يكتبه : العروي، خطأ). وأما الإسبانيون فقد سموها بمونطي عروي Monte Arruit (جبل أعروي) وكان احتلالهم لها للمرة الأولى يوم 18 يناير 1912 وفي يوم 24 يوليوز 1921 لجأت إليها فلول الجيش الإسباني الفارة من أنوال برآسة الجنرال نابارو Navarro غير أنها أصبحت محاصرة من طرف المجاهدين الذين أرغموها على الاستسلام يوم 9 غشت حيث استرجع المغاربة القرية المذكورة، فلم يحتفظوا بها إلا أسابيع قليلة، وذلك لأن الجيش الإسباني تمكن من احتلالها مرة ثانية يوم 24 أكتوبر 1921 م وظلت بأيديهم إلى أن استقل المغرب سنة 1956 م.

Goded (général), Marruecos, *Etapas de Pacification*, 73, 1932, Ministerio de la Guerra, *Accion de Espana en Africa* (G). 73, 1930 ; Domenech Lafuente (Angel), *Geographia de la zona norte del protectorado de Espana en Marruecos*, 64, 1942 ; Cabello Alcaraz (J), *Apuntes de geografia de Marruecos*, 185, 1951.

محمد ابن عزوز حكيم

أعروي، معركة جرت بالقرية التي كانت تعرف بكدية القنفذ، وتعرف اليوم بأعروي بقبيلة بني بويحيي (إقليم الناظور)، وذلك على إثر لجوء بقايا الجيش الإسباني المنهزم بمعركة إغريبن (المعروفة بمعركة أنوال)، وفيما يلي تفاصيل معركة أعروي :

في يوم 21 يوليوز 1921 انهزمت القوات الإسبانية الغازية بمعركة إغريبن وأخلت معسكر أنوال عندما انتحر قائدها الجنرال سيلفيسطري Silvestre، وما أن علم خليفته الجنرال نابارو Navarro الذي كان يوجد بمليلية بوقوع الكارثة حتى توجه إلى أرض المعركة ليطلع على الحالة بعين المكان، غير أنه لم يتمكن من اجتياز مركز دار الدريوش حيث وجد بقايا الجيش الهارب من المراكز الأمامية. وعندما تأكد من وفاة رئيسه أخذ نابارو زمام الأمر وبدأ يفكر في إنقاذ الموقف الحرج الذي أصبح يوجد عليه الجيش، إلا أنه بالرغم من الأوامر التي أصدرها إليه المقيم العام بتطوان الجنرال بيرينگير Berenguer فإنه لم يستطع البقاء بمركز دار الدريوش حيث أصبح محاصراً من طرف المجاهدين، وهذا ما جعله يغادر المركز المذكور ويتوجه يوم 23 يوليوز إلى مركز باطيل على رأس بقايا القوات المكونة من 2566 رجلا.

وما إن وصل نابارو إلى باطيل حتى وجد نفسه محاصرا هناك من طرف المجاهدين، الأمر الذي جعله يغادر المركز المذكور ويلتجئ إلى مركز تيزطوطين يوم 27 يوليوز ثم إلى مركز أعروي بعد يومين.

وفي نفس اليوم الذي وصل فيه نابارو إلى أعروي وجد نفسه محاصرا من طرف المجاهدين وكانت حامية المركز تتكون آنذاك من 2907 جندي و 110 ضابط بالإضافة إلى عدد كبير من الجرحى والمرضى.

واستمر حصار المغاربة للمركز المذكور مدة أحد عشر يوما تعرض خلالها المركز إلى قصف المدافع الإسبانية التي غنمها المجاهدون، وهذا ما جعل عدد القتلى والجرحى يرتفع يوما بعد يوم، وكان من بين القتلى الكولونيل بريمو دي ريفيرا Primo de Rivera المتوفى يوم 30 يوليوز.

وفي يوم 6 غشت وجه المجاهدون إلى الجنرال نابارو رسالة يطلبون منه فيها الاستسلام، وفي نفس اليوم عقد بمليلية برئاسة المقيم العام الجنرال بيرينگير مجلسا حربيا لدراسة الحالة الراهنة بأعروي واتفق الجميع على أنه من المستحيل مد يد المساعدة للجيش المحاصر، وعندئذ قبل الجنرال نابارو الدخول في مفاوضات مع المجاهدين ولكن دون جدوى لأنه لم يقبل الاستسلام بدون شرط.

وأخبر نابارو المقيم العام بذلك فكان جواب الجنرال بيرينگير يوم 8 غشت بأنه يتعين عليه أن يتفاوض مع المغاربة على أساس تسليم السلاح.

وكلف نابارو الكومندار ڤيار Villar بالتفاوض مع المجاهدين، وفي اليوم التالي حضر إلى المركز وفد مغربي يتكون من عدة قواد وعلى رأسهم الفقيه بولحية والفقيه محمد بن علي الغماري والقائد بن شلال القلعي والقائد بورحايل والقائد عبد الله العبادي والشريف سيدي الحسن أگزناي.

وقع الاتفاق على : تسليم السلاح والذخيرة الحربية، وحراسة القافلة الإسبانية إلى أن تصل إلى مليلية واحتفاظ الضباط بمسدساتهم.

وعلى هذا الأساس خرجت الفرقة الأولى من المركز بعد

تسليم سلاحها يوم 9 غشت وكان أغلبها من الجرحى والمرضى، غير أنه ما أن غادر الجنرال نابارو المركز مع القافلة الأولى حتى تمرد بعض الضباط الذين لم يشاطروه رأيه في تسليم المركز وحرضوا الجنود على عدم تسليم سلاحهم والفتك بالوفد المغربي الذي كان يستلم السلاح داخل المركز.

واضطر المغاربة للدفاع عن أنفسهم فوقع قتال بينهم وبين المتمردين الإسبان، الشيء الذي جعل المغاربة الموجودين خارج المركز يقتحمونه ويفتكون بمن كان به من الجنود والضباط الإسبان، وكانت النتيجة أنه لم ينج من المذبحة سوى 165 جنديا و 15 ضابطا استسلموا في أول وهلة بحيث لم يقوموا بأي مقاومة.

وهكذا أسفرت معركة أعروي عن مقتل 2742 جنديا و 95 ضابطا، أي ما مجموعه 2837 رجلا، وأسر 165 جنديا و 15 ضابطا أي ما مجموعه 180 أسيرا، والمجموع بين القتلى والأسرى 3017 رجلا وهو عدد الرجال الذين كانوا بالمركز في اليوم الأول من المعركة : 2907 من الجنود و 110 من الضباط. وكان من بين الضباط الأسرى جنرال واحد هو الجنرال نابارو وكولونيل واحد وكومندران و4 قباطن و7 ملازمين.

ولا صحة لما تقول بعض المصادر الإسبانية من أن المغاربة هم الذين خانوا العهد وفتكوا بالجنود الإسبان بعد أن سلموا أسلحتهم حسب ما نبينه في دراسة وثائقية توجد تحت الطبع بعنوان "معركة أعروي".

م. ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية*، الرباط، 1983 ؛ *معركة أعروي*.

J. M. Arauz de Robles, *Por el camino de Anual*, s.d. Basallo (Francisco), *Memorias del cautiverio*, s. d. ; Berenguer (General), *Campanas del Rif Yebala*, Madrid, 1923 ; *Memorias de la Campanas del Rif Yebala*, 1944 ; Garcia Figueras (Tomas), *Marruecos*, Madrid, 1944 ; Hernandez Mir (F), *Del desastre al fracaso*, Madrid, 1922.

محمد ابن عزوز حكيم

إعَزّى ويهْدَى، أو إعَزّى أوهْدَى، **قطب** أسا الأكبر، ولد في دار الأمير يعقوب المنصور المريني بمراكش بتاريخ 646 هـ / أبريل 1248 م. وكان مستقره بزاوية أسا حيث دفن في 1 ربيع النبوي 727 / 7 مارس 1326. وتعتبر *مدونة أسا والكراستان* اللتان نشرهما محمد المختار السوسي المصادر الوحيدة الموجودة حاليا حول ترجمته. ويعود الفضل في ترجمة شذرات من *المدونة* إلى اللغة الفرنسية لفانسان منصور مونتاي. لقد كان إعَزّى ويهْدَى حسب ما ورد على لسانه في الكراسة الأولى يعتبر أبَاه ميتا منذ اليوم السابع لولادته. ويضيف بأن هذا الوالد قد أوصى بثلث تركته للمؤذنين، واعتبر أمه وصية على ابنه مخافة غضبها. والملاحظة التي نخص بها هذه البداية هو الاهتمام الذي أولاه النص لقواعد ومظاهر القرابة والزواج. فدور أم الأب يدل منذ البداية على عدم رسوخ أولوية القرابة الأبوية. هذا ما ترتكز عليه بصفة أساسية صعوبة دلالة العلاقات المكانية جماعة أم الأب وجماعة أم الأم. فيوضع بذلك إعَزّى ويهْدَى من خلال ما ورد على لسانه في موقع يعترف بأولوية القرابة الأمومية. إن الشكل الذي ورد به نظام التسمية يعتبر أم الأم وحدها جدة حقيقة. فهي تتمسك بحقها في تسمية الوليد وتربيته مما عزّز موقعها لدى الراوي. ويمكن أن نلاحظ انطلاقا من هذا الرسم أن شهادته المسندة إليه كتابة تعتبر في حد ذاتها أداة عملية لتحديد مفهوم الحقوق والواجبات العائلية. ينطلق بعد ذلك إلى سرد كراماته طفلا وشيخا. فيتدخل أحد الرواة المجهولين ليضيف بأن أشهر رواته هم أبو يعقوب يوسف بن عمر بن يسار الأزرق المصري وأبو الأزهري عبد الرحمان بن عبد الصمد ابن عبد الرحمان البغدادي وأبو بكر بن عبد الرحمان الأصبهاني الأعرابي (*المعسول* : x : 171).

وتفيد الكراسة الثانية أن صاحبها محمد بن سعيد المرغيثي قد رأى كتابا منسوبا إلى إعَزّى ويهْدَى وآخر عن كراماته (*المعسول* : 173-4). على أن أهمية الكراسة تكمن في سردها الأسس العملية التي ارتكزت عليها سمعة الشيخ الرمزية. فقد أنشأ مدرسة عسكرية يعلم فيها إلى جانب الفروسية مجمل الفنون الحربية بما فيها استعمال الأسلحة المتطورة. بل إن من أسباب شهرته معرفته للكيمياء التي كان يستعملها في الأغراض الحربية. وهذا أمر لا يعني أنه مكتشف البارود بقدر ما يفيد توفره على أكثر الوسائل نجاعة للتسيد على المنطقة. وهو ما تؤكده الوثيقة عندما تشير إلى اتجاه مساعيه نحو الجهاد ضد من يعتبرهم كفارا. وفي هذا الإطار تنجلي ممارساته وأبنائه وأتباعه في مراقبة السواقي والعيون. ولا نشك في أن هذا التملك كان رهينا بحجم وأهمية الأراضي المسقية. لذلك تتضح لائحة أسماء الشيخ وتباعه كأداة تقاس من خلالها أهمية الأراضي المراقبة وحجمها (*المعسول* : x : 175-176). فحيثما كانت تقام عادة الأبراج بين المداشر المتصارعة يمكن أن نستخلص الجانب العسكري القاضي بمراقبة المواقع الاستراتيجية فوق أراضي سوس والأطلس الصغير وباني حتى الساقية الحمراء. إن هذا الجانب الذي لا يخلو من انعكاسات على الحياة الاقتصادية والاجتماعية للقبائل يعزز كما نرى من سلطات إعَزّى ويهْدَى. بل ويجعل من الصعب الفصل داخل القبائل المحلية بين التنظيم الاقتصادي والتنظيم السوسيوسياسي. هنا نتساءل عن موقف إعَزّى ويهْدَى وأتباعه من الهجرة المعقلية. فنكتشف أنه لا يمكن فصل الأولوية التي أعطيت للنشاط العسكري عن الصراعات التي واجهت الأعراب لدى مقدمهم. ولا شك أن لحمل السلاح دوره الفعلي في تقييم التقاليد الشفوية حول أيت إعَزّى ويهْدَى حتى القرن السادس عشر. هذا الاعتبار يعد مظهراً للتربية الدينية التي مارستها مدرسة أيت إعَزّى ويهْدَى على جميع المستويات. لذا فإن من الواجب الاحتفاظ لعلاقة إعَزّى ويهْدَى بأتباعه بمكانتها الخاصة ونمط سلوكها.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 10 : 166 . 211.

V. Monteil, *"Chronique de la zaouia d'assa,* in Mélanges Mohammed El Fassi, publiés à l'occasion du dixième anniversaire de l'université Mohammed V, 1957-1967, Rabat, 81-90.

مصطفى ناعمي

إعزّاتن، جماعة قروية ببني جافر من قبيلة قلعية واقعة بهضيبة الانفاص المشرفة على واد غساسة، وعلى مدينة غساسة (القلة) المرينية المعروفة، ينتمي السكان إلى بني وعزان الزناتيين العبد الواديين، المستقرين في منتصف القرن الثامن الهجري حول تلمسان. وقد هاجرت أسرة وعزانية إلى قلعية بعد حصار أبي الحسن المريني للمدينة واستقرت بالمكان المعروف لها الآن. وسوق الجماعة هو يوم الثلاثاء وهو سوق بني بوجافر كلها.

يعتمد السكان على الصيد البحري لفقر الأراضي وندرة المياه.

تقاييد نسب قبيلة قلعية : مخطوط لمجهول، رقمه في خ. ع : 1275 ك ؛ *خريطة الناظور*، مقياس 50.000، إنجاز 1967 خ. ع بالرباط ؛ *استطلاع شخصي في عين المكان* سنتي 1976 و 1978.

حسن الفيگيگي

الأعْشَاش، جماعة ضمن قبيلة المهاية (إقليم وجدة)، تستوطن بسيط أنگاد جنوب غرب مدينة وجدة، ولا يمكن فصل تاريخ الأعشاش عن قبيلة المهاية، وهم من أصل عربي، ينتسب بعضهم إلى أولاد الحاج الذين كانوا ينتجعون في هضاب ملوية العليا، وبعضهم يتصل نسبهم بقبيلة بني عامر بناحية سيدي بلعبّاس (الجزائر) والبعض الآخر يردّ أصلهم إلى أهل تافيلالت. وقد اعتبر المخزن المغربي الأعشاش في القرن التاسع عشر ربعاً من أرباع قبيلة المهاية، وكانوا آنذاك يتكونون من سبعة أفخاذ وهي: الخراريب، والحرميون، والمدافعية، وأولاد ابراز، واللواحك، والمهارير، والزوايد. لا يختلف هذا التقسيم عن التقسيم الذي أوردته المصادر الفرنسية في نهاية القرن الماضي، غير أن أول إحصاء في القرن العشرين (1926) سجل تقلص أفخاذ الأعشاش إلى ثلاثة.

كان الأعشاش ضمن قبيلة المهاية ينتجعون منطقة ممتدة من أنگاد إلى الظهرا، لكن التوسع الفرنسي واحتلال عين بني مطهر سنة 1904 أجبرهم على الاستقرار ببسيط أنگاد ضمن مهاية الشمال.

تقييد ايالة وجدة ونواحيها وبعض القبائل المجاورة لفاس سنة 1309 هـ، *كناش* في خ. ع. رقم 192.

De la Martinière et N. Lacroix, *Documents...*, t. 1 pp 179 - 184 ; Voinot, *Oujda et l'Amalat*, 183 - 184 ; *Résultats statistiques du recensement de la population...*, 1926, 277 ; *Liste des confédération, des Tribus...* 1935

برحاب عكاشة

الأعشاش، قبيلة كبيرة بالشاوية، لعبت دوراً مهماً ضمن اتحادية الشاوية خلال القرن الماضي وبداية القرن الحالي، وكانت إلى أواخر القرن التاسع عشر، تعتبر فرقة من فرق قبيلة مزاب الكبرى، التي كانت تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي : أمْلال، وأولاد مْراح، والأعشاش. ونظراً لشدة مراس الأعشاش الذين تقع أراضيهم في شمال شرقي الشاوية، وهي أراض تتميز بوعورة التضاريس وانتشار الغابات، فسرعان ما ظهروا في أواخر القرن الماضي وبداية القرن العشرين قبيلة قوية ما لبثت أن استقلت عن مزاب. يستفاد من الروايات المختلفة، أن أصول الأعشاش يغلب عليها الأصل العربي. فمعظمهم ينتمي لعرب بني سليم بن منصور، الذين كانت مواطنهم الأصلية بالجزيرة العربية، وهاجروا لنواحي برقة، ومن هناك دخلوا المغرب مع عرب بني هلال، الذين أنزلهم يعقوب المنصور الموحدي حوالي 1194 م بمنطقة تامسنا. ثم إن يعقوب بن عبد الحق المريني، أنزل أقواماً آخرين منهم خلال القرن الثالث عشر الميلادي بالمنطقة نفسها. والغالب على الظن، أن أصل الأعشاش ـ مثلهم في ذلك مثل معظم قبائل الشاوية ـ يرجع لأصول عربية بقدر ما يرجع لعناصر بربرية محلية من برغواطة وعناصر زناتية من القبائل التي أنزلها المرينيون بالمنطقة.

الظاهر هو أن التسمية، وقد تعني الخيام الصغيرة، تعود لقرون ماضية، لا نعرف خلالها شيئاً عن أحوال هذه القبيلة. فقد ورد اسم الأعشاش عند المؤرخ الضعيف الرباطي، عندما كان يتحدث عن قتال عمال المولى سليمان لقبائل مزاب سنة 1798 م. إذ حدد اسم الأعشاش، كما هو اليوم، في معرض كلامه عن انهزام مزاب وطلبهم العفو من السلطان مولاي سليمان حيث قال :

"وفي 20 صفر 1213 هـ أهدت قبيلة مزاب وهم الأعشاش، والأعشاش فيهم : الخزازرة وابن يمان (بني يمان) وأولاد محمد".

إن الضعيف يشير هنا إلى واقع اندماج الأعشاش ضمن مزاب، ذلك الاندماج الذي بدأ يختفي شيئاً فشيئاً.

الأعشاش خلال القرن XIX : يبدو أن موقع بلاد الأعشاش في الحدود مع قبائل زعير في الشمال الشرقي، ووردیغة في الجنوب الشرقي، زيادة على طبيعة بلادهم التي تتميز بوعورة التضاريس وانتشار الغابات، من العوامل التي ساهمت في نمو قوتهم سواء من الناحية العددية، أو من ناحية اكتساب الصلابة والشجاعة. وهكذا ظهرت أفخاذ كثيرة ما لبثت أن استقلت وأدت إلى توزيع فرق الأعشاش خلال القرن التاسع عشر. وقد طرأت عدة تغييرات على ذلك التوزيع نتيجة للأحداث التي جرت بالقبيلة. وقد كانوا مع امزاب وأولاده حريز والمذاكرة وأولاد علي يمثلون نصف الشاوية، في ديوان المخزن، وكان يطلق على هذا النصف اسم : أولاد بوعطية في مقابل النصف الآخر الذي يسمى أولاد بورزگ. وعندما وقع تكثيف الحضور المخزني في أوساط القبائل على عهد مولاي الحسن تمّ تقسيم الأعشاش إلى خمس قيادات، ثم طرأ توزيع جديد على الأعشاش نتيجة للفتن التي جرت بينهم وبين مزاب من جهة وبينهم وبين وردیغة من جهة أخرى.

فتنة 1311 / 1894 : خلال حركة السلطان مولاي الحسن لتافيلالت حدثت فتن عديدة بين الأعشاش والمذاكرة من جهة، وامزاب خاصة إخوان القائد محمد بن أحمد المزابي من جهة أخرى، ذلك أن الأعشاش هاجموا دواوير إخوان القائد المذكور، ونهبوا لهم الزروع والمواشي، وقد اشتكى القائد المزابي للسلطان عند عودته لمراكش سنة 1311، فأرسل مولاي الحسن محلة برآسة ابنه مولاي بلغيث نزلت قرب الأعشاش ومزاب، واضطر قواد الفرق المتهمة من الأعشاش والمذاكرة إلى أن يدفعوا الذعائر التي فرضها عليهم السلطان كتعويض لأمزاب.

ويبدو أن الحزازات التي نتجت عن جل هذه القضية ساهمت في تجديد الفتن بين الأعشاش وايالة القائد محمد بن أحمد المزابي.

فتن 1313 . 1314 / 1896 . 1897 : تجددت الفتنة بين الأعشاش ومزاب سنة 1313، حيث هاجم الأعشاش قصبة ابن أحمد ونهبوها، فكانت هذه الحادثة مناسبة للوزير الصدر أحمد بن موسى ليقوم بحركة كبيرة لبلاد الشاوية، بهدف تأديب الأعشاش كما أدّب قبائل الرحامنة، قبل ذلك بقليل.

وقد خيمت المحلة السلطانية وجيوش القبائل بصخرة الدجاجة، بين الأعشاش ووردیغة، وكلفت قبائل الحوز بقيادة مولاي محمد الأمين، وقبائل الغرب بقيادة محمد الأمراني، بالتضييق الشديد على الأعشاش وخاصة على أولاد محمد منهم، كما استنفرت قبائل الجوار : ورديغة وزعير لحصار الأعشاش. وقد انتهت هذه الحركة بمصادرة أموال الأعشاش وماشيتهم وإلقاء القبض على العديد من رجالهم الذين سيقوا إلى سجون مراكش والصويرة. وتعرضت فرقة محمد للتنكيل الشديد، إذ كانوا هم الهدف حسبما يبدو من الوثائق المخزنية (رسائل عديدة من الصدر أحمد بن موسى لعمال الرباط ومكناس وفاس).

وعلى الرغم من هذا العقاب الشديد، أو نتيجة له، تجددت الاضطرابات بالأعشاش سنة 1902. وصادف الحال ـ هذه المرة ـ انتفاضة عمت الشاوية كلها ابتداء من 1903 إلى 1908. وقد اتخذت الانتفاضة بالأعشاش صفة صراع بينهم وبين ورديغة. لكن سرعان ما وجدت انتفاضة قبائل الشاوية عامة، وضمنها اضطرابات الأعشاش، سبيلها الطبيعي لمّا تَحَوَّلت إلى جهاد حقيقي ضد التدخل الأجنبي ابتداء من سنة 1906.

أثر الفتن على الأعشاش : الواقع أن الفتنة بين قبيلتين أو فرقتين وتعسفهم في الجباية كانت تنشأ أحيانا لأسباب بسيطة شخصية أو جنائية، بيد أنه في أواخر القرن التاسع عشر، أضيفت أسباب أخرى تتعلق بدور التدخل الأجنبي والاستغلال الرأسمالي للشاوية من طرف التجار الأوروبيين، ومن طرف المحميين والمخالطين لأولئك التجار. والمؤكد أن سعايات التجار والمحميين، إذا لم تكن سببا رئيسيا للخلافات داخل القبائل، فإنها كانت تزيد في حدتها وتستغلها بشكل يسمح للتجار بالصيد في الماء العكر. يدل على ما ذهبنا إليه أن الرواية المحلية ترجع سبب بعض الفتن بين القبائل إلى دس التجار اليهود المحميين بين القبائل، إذ كانوا يطلقون أسماء تحقيرية أو مدحية على بضائعهم التي ينسبونها لهذه القبيلة أو تلك.

ومهما يكن الأمر، فإن الاضطرابات التي عرفها الأعشاش، كانت لها نتائج هامة على مصير القبيلة نفسها، إذ تعرضت للنهب والتنكيل تارة، ووزعت إدارتها إلى قيادات صغرى تارة أخرى.

ففي سنة 1315 / 7 . 1898، وزع أحمد بن موسى الأعشاش إلى سبع قيادات.

وفي بداية الاحتلال الفرنسي للشاوية، أي حوالي 1907 / 1908 كانت إدارة الأعشاش موزعة كالتالي :

1 ـ المعاريف، ايصوف مكارطو، بني يمان، القائد العربي بن الفكاك.

2 ـ الخلط أولاد شعيب، أولاد عبد الله، القائد عبد السلام بن العربي.

3 ـ أولاد حمامة، القائد محمد بن بوشعيب.

4 ـ الخزازرة، القائد صالح ولد بوعزة .

5 ـ أولاد عطو، القائد الشرقي بن الحاج.

6 ـ أولاد الزيرق، القائد إدريس ولد زريول.

7 ـ الأولاد، القائد إبراهيم بن الحاج.

8 ـ أولاد عريف، القائد الحاج أحمد ولد حجاج.

وهكذا تعرضت إدارة الأعشاش، باستمرار إلى التعديل والتوزيع بحيث أصبحت كل فخذة تابعة لقائد، مع ملاحظة أن المخزن كان يسند الإشراف على الجميع لقائد مزاب، القاطن بقصبة ابن أحمد، وآخر قائد كان يزاول هذه المهمة هو العربي ابن الشرقي المزابي الذي انحاز للفرنسيين مما جعل الأعشاش يهاجمون قصبته ويخربونها انتقاماً منه، لأنهم اتهموه بالخيانة والانضمام للعدو.

الأعشاش ومقاومة الاحتلال الفرنسي 1907 ـ 1909 : توحدت كلمة قبائل الشاوية، إثر تدخل الأسطول الفرنسي وقيامه بقنبلة الدار البيضاء في غشت 1907، وهكذا بادرت قبيلة الأعشاش كغيرها من القبائل إلى حمل السلاح لأجل الجهاد وطرد المحتلين من الدار البيضاء، وقد خيمت محلة الأعشاش ومزاب قرب قصبة مديونة، ومن هناك، كانوا يهاجمون الفرنسيين، حيث خاضوا عدة معارك حول الدار البيضاء.

وقد برز الأعشاش ومزاب في معركة دار بوعزة التي جرت في ضواحي الدار البيضاء يوم 28 غشت 1907 ففي تلك المعركة تمكن الفرسان المغاربة من إفشال خطة الضباط الفرنسيين وكبدوا قوات الجنرال درود Drude خسائر هامة، وقد تحدثت تقارير الضباط الفرنسيين عن مهارة زعماء الجهاد الذين قادوا تلك المعركة، وكان من أشهرهم محمد ولد بوعبيد، مقدم مزاب والأعشاش عامة، وقائدهم في جهاد الشاوية. ينتمي ولد بوعبيد لفرقة أولاد عطو

بالأعشاش، وقد ظل زعيما للجهاد إلى أن احتلت القوات الفرنسية بلاد الأعشاش فانتقل لفاس.

وتجدر الإشارة إلى أن الأعشاش، مثلوا أكثر قبائل الشاوية صلابة في مقاومة جيش الاحتلال الفرنسي، فبعد انضمام قائد مزاب العربي بن الشرقي للفرنسيين في 10 فبراير 1908، هاجم الأعشاش قصبته (قصبة ابن أحمد) وخربوها في 18 فبراير انتقاما من القائد الذي انضم للأعداد. وفي 10 مارس وقعت معركة شديدة استولى الفرنسيون إثرها على القصبة المخربة، وحاولوا مد نفوذ القائد العربي على كل مزاب والأعشاش، لكن المحاولة فشلت، ولم يتمكنوا من تأسيس مركز عسكري بها إلا في 29 أبريل. وعلى الرغم من المحاولات العديدة التي بذلها الفرنسيون بمساعدة العربي بن الشرقي الذي أعادوا له سلطاته الأولى، لإقناع فرق الأعشاش بوضع السلاح والخضوع للفرنسيين، فإن الأعشاش استمروا في مقاومتهم لجيش الاحتلال الفرنسي. وتركزت المقاومة عند أعشاش الغابة، وعلى رأسهم فرقة أولاد محمد، الذين استمروا في المقاومة إلى نهاية 1908، بل نجد مجموعات من المجاهدين ظلت تقاوم حتى سنة 1909. الأمر الذي أثار إعجاب المغاربة وأكسب الأعشاش الثناء والمجد. وقد قاد مقاومة الأعشاش زعماء اشتهروا على نطاق الشاوية جميعها من أمثال محمد ولد بوعبيد، ومحمد ولد المعطي ولد كابا الحمامي، والجيلالي ولد زريول. إن صمود الأعشاش وشدة مراسهم أمور دفعت المحتلين إلى إيلاء الأعشاش عناية خاصة من الناحية الإدارية.

وضعية الأعشاش الإدارية تحت الاحتلال : لمراقبة الأعشاش بفعالية، وُضعوا في بداية الاحتلال تحت إشراف القائد العربي بن الشرقي المزابي، لكن سرعان ما تبين رفض الأعشاش لتلك المراقبة، فعمل المحتلون على إضعاف قيادات الأعشاش شيئاً فشيئاً وتركيز إدارتهم في يد قائد واحد. وقد اختير قائد المعاريف وبني يمان، العربي بن الفكاك، ليلعب دور المشرف على إدارة فرق الأعشاش، بحيث أضيفت إليه قيادات أخرى بالتدريج، وأصبحت الوضعية الإدارية للأعشاش سنة 1918، تتميز بتقسيمهم إلى ثلاث قيادات هي :

أولا : قيادة العربي بن الفكاك، وتشمل معظم أعشاش السهل الذين يتكونون من حوالي 3376 خيمة. وتضم الفرق الآتية : المعاريف ـ إيصوف مكارطو ـ بني يمان ـ أولاد عريف ـ الأولاد ـ الخزازرة ـ أولاد شعيب ـ الخلط.

ثانيا : قيادة محمد بن بوشعيب، تضم حولي 1053 خيمة وتشمل الفرق الآتية : أولاد حمامة ـ أولا عبد الله ـ أولاد الزيرق.

ثالثا : قيادة الشرقي بن الحاج، وتضم حوالي 310 خيمة وتشمل أولاد عطو فقط.

وتكون القيادة الثانية والثالثة ما يسمى بأعشاش الغابة.

الضعيف، *تاريخ ؛ وثائق مخزنية مختلفة.*

Ville et Tribus du Maroc, Casablanca et Chaouia, 2 T ; E. Miège, *Notes sur les Mzab et les Achache*, in Archives Berbères, Vol 3, 1918.

علال الخديمي

أعْطَارْ، محمد بن حدو، أحد رجال الدولة المغربية الذين احتلوا مكانة متميزة في عهد المولى إسماعيل (1672 ـ 1727). وكل ما نعرفه عن هذه الشخصية أتانا عن طريق الوثائق الأوربية، بينما لا تشير إليه المصادر المغربية بالمرة.

يظهر من الوثائق الفرنسية والأنجليزية التي نشرت لحد الساعة أن محمد بن حدو أعطار (وهو غير أحمد بن حدو الحمامي أحد رجال الدولة الإسماعيلية كذلك) كان كاتبا بالبلاط الإسماعيلي حيث أسندت إليه مهمة تدبير الشؤون الخارجية. ومن التقاليد المخزنية التي تطورت في عهد الدولة العلوية أن يكون عامل الثغور الشمالية (تطوان أو طنجة) وسيطاً بين الدولة المغربية وممثلي القوى الأوربية، وهذا ما أدى إلى قيام منافسة وعلاقات متوترة بين أعطار وقائد تطوان (عمر بن حدو الحمامي ثم أخيه أحمد الذي تولى نفس المنصب بعد وفاة الأول في سنة 1681).

ينتمي محمد بن حدو أعطار، حسب ما ذكره هو نفسه في إحدى رسائله، إلى عائلة عريقة تمرست على الخدمة المخزنية لعدة أجيال. فجدُّه كان خادما ببلاط أحمد المنصور السعدي وابنه زيدان، بينما اشتغل والده مع الأمراء السعديين المتأخرين. ويظهر من نفس الرسالة التي كتبها أعطار إلى ملك أنجلترا في سنة 1681 أنه كانت لجده ووالده صلة بالأوربيين واطلاع على شؤونهم، بل إن والدته كانت من العلوج وإن كنا نجهل جنسيتها الأصلية بالضبط. ولا شك أن انتماء محمد بن حدو أعطار إلى وسط متفتح على الأوربيين خلق لديه استعداداً للاهتمام بالعلاقات الخارجية وجعله مؤهلاً أكثر من غيره لمحاورة الأوربيين، وهذا ما حمل المولى إسماعيل على أن يُسند إليه مهمة الكلام مع ممثلي الدول المسيحية في كل ما يتعلق بمشاكل العصر من أمور البحر وافتكاك الأسرى وغير ذلك.

كانت مسألة طنجة واحتلالها من طرف الأنجليز في طليعة القضايا المعلقة بين المغرب وأنجلترا عند بداية العقد التاسع من القرن السابع عشر، في وقت جعل فيه المولى إسماعيل من تحرير الثغور الشاطئية هدفاً أساسياً من أهداف سياسته. وفي سنة 1681 قدم مبعوث أنجليزي (Leslie) إلى مكناس، وبعد مفاوضات أجراها مع القائد عمر بن حدو الحمامي توصل الطرفان إلى عقد هدنة بشأن طنجة مدتها أربع سنوات. لكن المولى إسماعيل قرر في آخر نفس السنة أن يبعث سفيراً إلى لندن للتفاوض حول اتفاقية سلم بين البلدين، تحل محل اتفاقية الهدنة المذكورة. ويظهر أن السلطان أصبح في ذلك الوقت يتعرض لضغوط متزايدة من طرف العثمانيين من أجل الدفع به

لتصفية الوجود المسيحي بالمغرب، ولم يعد بالتالي راضياً بمجرد اتفاقية هدنة كالتي أبرمها ليسلي مع عمر بن حدو الحمامي في مارس 1681. ووقع اختيار المولى إسماعيل على محمد بن حدو أعطار ليكون سفيره إلى لندن.

وصل أعطار إلى أنجلترا خلال شهر دجنبر 1681 وبقي هناك ما يزيد على ستة أشهر، حيث إنه لم يرجع إلى المغرب إلا في شهر يوليوز 1682. وخلال مقامه بأنجلترا استُقبل من طرف الملك وأعيان الدولة، وأظهر من اللباقة والكياسة ما ترك انطباعا حسناً لدى كل الذين تعرفوا عليه. وقد أعجب المجتمع الأرستقراطي الأنجليزي بما أظهره أعطار من فروسية وشهامة ونبل أخلاق ؛ وتجلى هذا الإعجاب في الاستقبال الذي خُص به من طرف الجمعية الملكية للعلوم (The Royal Society) التي قبلته في صفوفها كعضو شرفي. وفي شهر مارس 1682 توصل السفير المغربي ومفاوضوه الأنجليز إلى مشروع "اتفاقية سلم وتجارة" كان من المفروض أن تدخل حيز التنفيذ بمجرد المصادقة عليها من طرف عاهلي البلدين.

إلا أن المولى إسماعيل رفض التوقيع على مشروع المعاهدة الذي رجع به أعطار من لندن، وأظهر استياءه من الطريقة التي اتبعها سفيره في تعامله مع الأنجليز لأسباب نجهلها بالتحديد. فأعطار نفسه يُلقي المسؤولية على منافسه أحمد بن حدّو الحمامي الذي كان يخشى أن تُفلت من يده مهمة تدبير العلاقات مع الأوربيين، ولذلك فإنه حاول بكل الوسائل أن يُفسد سُمعة أعطار لدى السلطان، فاتهمه بأنه تساهل في تفاوضه مع الأنجليز وربما ذهب بعيداً في صداقته لهؤلاء. وكانت النتيجة أن غضب المولى إسماعيل على أعطار وأبعده عن خدمته، بل كاد يفتك به، حسب ما صرّح بذلك أعطار نفسه في مراسلاته. إلا أن موقف السلطان سواء من سفيره إلى لندن أو من المعاهدة التي أبرمها مع الأنجليز لا يمكن أن يفسّر فقط على ضوء الصراع الشخصي الذي كان قائما بين محمد بن حدو أعطار ومنافسه أحمد بن حدو الحمامي. فالسلطان كان في ذلك الوقت مستاءً من الأنجليز بسبب تعامل تجارهم مع المتمردين في جنوب البلاد، كما أن رفض المولى إسماعيل لإبرام الصلح مع الأنجليز جاء كنتيجة للضغوط التي أصبح الباب العالي يمارسها عليه. لذلك فإن تصوره للسلم الممكن بين المغرب وأنجلترا تغير تحت تأثير هذه الضغوط وأصبح المولى إسماعيل يطمح إلى تحديد جديد لوضع طنجة يكون فيه الأنجليز حسب تعبيره "أهل ذمة" خاضعين لحكم المسلمين، مثلما كان الحال بالنسبة للمسيحيين الموجودين تحت حكم السلطان العثماني. ومهما كانت الأسباب وراء تشدد المولى إسماعيل فإن الأنجليز أعلنوا تشبثهم بمشروع اتفاقية لندن (1682) ورفضوا الدخول في مفاوضات جديدة، الشيء الذي أدى إلى تصلب في موقف الطرفين، وإلى اقتناع الأنجليز في النهاية باستحالة الوصول إلى تجديد الهدنة بخصوص طنجة. وهذه القناعة هي التي كانت دون شك وراء قرار شارل الثاني في سنة 1683 بإخلاء المدينة.

أما محمد بن حدو أعطار فإنه تمكن من استعادة المكانة التي كان يحتلها بالبلاط الإسماعيلي، وذلك بفضل وساطة أحد القواد المخزنيين الذي كانت تربطه به علاقة المصاهرة. ومن جديد أصبح أعطار من جملة المقربين إلى السلطان بل أصبح من "أهل ديوانه وخاصته". وهكذا نجده خلال العقد الأخير من القرن السابع عشر المحاور الرئيسي للسفراء الأوربيين الذين كانوا يفدون على المغرب. ويظهر أنه اكتسب المزيد من السلطة والنفوذ بعد الإبعاد الموقت الذي عرفه إثر رجوعه من أنجلترا في سنة 1682. وقد وصفه القنصل الفرنسي إيستيل (J. B. Estelle) في سنة 1693 بأنه "الشخص الذي يحكم المملكة كيفما يشاء". واستمر أعطار في خدمة المولى إسماعيل إلى حدود سنة 1722 على الأقل عندما استقبل السفير الأنجليزي ستيوارت (Stewart)، وهو التاريخ الذي يفتقد بعده كل أثر لهذا الرجل.

H. de Castries, *Sources Inédites de l'histoire du Maroc*, Série France-Dynastie Filalienne, 1922-1931 ; J.F.P. Hopkins, *Letters from Barbary*, 1576-1774, The British Academy, 1982 ; P.G. Rogers, *A History of Anglo - Moroccan Relations to 1900*, London, n.d.

محمد المنصور

الأعْظم، محمد الرحماني، وينطق به أيضا "لَعْظَم" - بدون همز - قائد من قواد الرحامنة السبعة على عهد السلطان مولاى الحسن. ويشار إليه في بعض المستندات بالقائد "ولد الاعظم" أو "ابن الاعظم". وقد عينه السلطان المذكور سنة 1292 / 1875 م على فريق من الرحامنة في إطار سياسة تكثيف الحضور المخزني في القبيلة حيث أصبحت مجموعة سلاّم (بتشديد اللام) إلى نظر ثلاثة قواد، قائدين منهم كانا على سلاّم الأعراب وهم فريق من سلام حديث النزوح والاستقرار، في حين كان محمد الاعظم متوليا على سلام الغَرّابة (بتشديد الراء)، ويقصد بلفظ الغرابة النازحون القدامى من مجموعة سلام. وقد أشار السباعي في *القول الجامع* إلى أن مولاى الحسن "ولّى على سلام الغرابة ولد الاعظم" في التاريخ المشار إليه أعلاه. وتشير وثيقة مخزنية بتاريخ 21 ذو حجة عام 1293 / 1875 م إلى الدواوير التي كانت إلى نظر القائد الاعظم وهي : أولاد بوعسون، وأولاد بلة، والمتاگيل، وأيت اتليل، وأيت امغان، وأولاد بن عَنُّ، وأولاد أحمد بن إبراهيم، وأولاد موسى، وأولاد حريز.

استمرت فترة حكمه من 1292 / 1875 إلى ما قبل 3 صفر 1301 / 1884 وهو التاريخ الذي ظهر فيه القائد مبارك بن الطاهر بن سليمان الرحماني الذي أصبح على رأس الإبالة المشار إليها. وتشير المستندات إلى أن محمد الاعظم كان حيا بعد تولية خلفه مما يفيد أنه عزل من طرف المخزن المركزي.

الاعظم (نزالة ـ) قرية توجد حالياً بقبيلة الرحامنة تحمل اسم القائد محمد الاعظم السابق الذكر وتدعى (نزالة الاعظم) وهي بين بنگرير وسيدي عثمان.

م. السباعي، *القول الجامع* ؛ *رسائل مخزنية*.

عبد الرزاق الصديقي

أعْـلاّلُـو، أسرة تطوانية أصلها من قرية دار اعلالو من فرقة معدان بقبيلة بني حزمر، وقد اشتهر أفرادها بتطوان بمهارتهم في تسيير المطاحن حيث كانوا يشرفون على جل مطاحن تطوان وضواحيها، ويبدو أن هذه الأسرة قد انقرضت بهذه المدينة.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* (año 1931) 1932 (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

أعلوج (قصبة ـ) ← **المحاميد**

أعْـليلْ، اسم موقع بالأطلس المتوسط، بين مدينتي صفرو وبولمان شمال شرق آلمِيسْ گيگّو، على الطريق السلطاني الرابط بين فاس وتافيلالت. ومعنى الكلمة غير معروف ولا يعتقد أن يكون أمازيغيا رغم بنيتها المطابقة لمذكر هذه اللغة. ونجد هذه الكلمة في صيغة جمع في تيعلالين : اسم واحة في أعلى حوض وادي زيز قرب مركز الريش، ويعتقد أن يكون لها علاقة بالعلو وهو ما يطابق موقعها في الحالتين وما في هذا الموقع الذي عرف عبور قبائل معقلية خلال القرون الوسطى من حوض تافيلالت إلى السهول المغربية الشمالية (سايس) الهضبة الوسطى، الغرب.

وقد اشتهر موقع أعليل بالقلعة التي أسسها به السلطان مولاي إسماعيل سنة 1096 / 1685 ضمن القلاع الهادفة إلى تطويق ثورة كتلة أيت أمَالّو القبلية. (*الاستقصا*، 7 : 68) وقد أنزل بها السلطان إذ ذاك 400 من خيل العبيد بعيالهم، وأصبحت كل الامدادات العسكرية المتجهة إلى تافيلالت تمر على طريقها ؛ ففي سنة 1104 / 1693 مر على طريق أعليل عسكر الطبجية بالمدافع والمهاريس وسائر آلات الحرب يجره نصارى العرائش لإمداد القائد على أريشّي بملوية العليا بالقوة الضرورية لمواجهة ثورة أيت أمالو. (*الاستقصا*، 7 : 80).

ولا نعرف كيف تطورت هذه القلعة بعد موت السلطان مولاي إسماعيل سنة 1727 م. والغالب أن هذا الموقع العسكري قد ضعف إذ ذاك وأن عدد جيش عبيد البخاري قد تقلص به بعد اندلاع ثورة أيت أمالو وانقطاع الأمن في الطريق الرابطة بين فاس وتافيلالت، وقد رجعت الحياة لهذه القلعة مع السلطان سيدي محمد بن عبد الله نظراً لحرص هذا السلطان على تأمين طريق تافلالت حيث نظم حملتين نحو هذه المناطق الجنوبية التي بدأ أيت عطا يهددون بها قصور الشرفاء. وقد مر بأعليل أبو القاسم الزياني لما ولاه السلطان سيدي محمد بن عبد الله عمالة تافيلالت في نهاية القرن 18 م. ولكن ثورات أيْتْ أمَالّو وأيْتْ إدْرَاسْنْ أيام السلطان مولاي سليمان في بداية القرن التاسع عشر الميلادي أرغمت مرة أخرى قوة المخزن على مغادرتها وخاصة بعد الهزيمة التي أصابت جيشه قرب أعليل سنة 1218 / 1803. ولم يرجع لأعليل نفوذ المخزن إلا مع السلطان مولاي عبد الرحمان، وبقي النفوذ المخزني بهذه القلعة بشكل متصل خلال أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان والسلطان مولاي الحسن اللذين كان لهما وجود قوي بمنطقة تافيلالت رغم ما تخلل عهديهما من ثورات همت كتلة أيت أمالو. ولم ينته دور أعليل كمقر حامية عسكرية إلا مع فترة الاستعمار الفرنسي حيث ركز هذا الأخير وجوده على مراكز ذات طابع أكثر استراتيجية في المنطقة مثل الحاجب وصفرو وبولمان وميدلت وأزرو.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 7، 8، 9.

العربي مزين

اعْـليوَاتْ، عبد الكبير بن عبد المجيد الكثيري، ويكتب أيضا بدون ياء : (اعلوات) غماري من بني زجل، لم يترجم له أحد من أصحاب كتب التراجم التي وقفنا عليها، وإنما استنبطنا بعض أخباره من كتابه *سراج الغيوب*. كان عليوات فقيهاً متكلما صوفيا صالحا، صحب الشيخ عبد الله الشريف بن إبراهيم العلمي مؤسس زاوية وزان، وخدمه مدة طويلة كان يقوم خلالها بالتدريس في هذه الزاوية ويستقبل العلماء الوافدين عليها بعد أن تكاثر المريدون على عبد الله الشريف ولم يتركوا له وقتاً لمجالسة رجال العلم ومحادثتهم. وكان من بين الوافدين على زاوية وزان العالم الكبير الحسن اليوسي الذي قضى معه اعليوات فيها ليلةً يتذكران حول الأبيات الرمزية المنسوبة لأبي القاسم الجنيد :

توضّأ بماء الغيب إن كنت ذا سر وإلا تيمّمْ بالصعيد وبالصخر...

فكان ذلك منطلق المترجم لتأليف *سراج الغيوب في أعمال القلوب*، وهو كتاب ضخم في 669 صفحة، ضمنه كثيراً من المسائل الصوفية والعقدية، وخص الباب الثاني بعد الباب الجامع بمقام الإيمان وذكر الشهادة متوسعا في الرد على الطائفة الأندلسية التي أنكرت ذكر اسم النبي مع اسم الجلالة، وسماها : (الطائفة الخاسرة، والزمرة الفاجرة) وأورد فيه مناظرة وقعت بينه وبين أحد دعاة هذه الفرقة أثبتناها بتمامها في *الحركة الفكرية* (1 : 244 ـ 245) لطرافتها وحيويتها ودلالتها على كثير من زيغ أولئك المبتدعة.

ذكر عليوات في هذا الكتاب أن له مولّفاً آخر اسمه: *السيف المتين في الرد على من كفّر عوام المسلمين*، لم نقف عليه، كما لم نقف على تاريخ وفاته ومكانها، وإنما نقدر أنه مات في أواخر القرن الحادي عشر أو أوائل القرن الثاني عشر / 17 ـ 18 م. وربما كان مدفنه بوزان.

ع. عليوات، *سراج الغيوب* (مخطوط) ؛ ع. ابن السايح، *بغية المستفيد*، 117 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 4 : 81 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 244 ـ 245، 2 : 474.

اعْمَار، ـ بسكون العين وتخفيف الميم المفتوحة المدودة ـ أسرة سلوية نبيلة تنتسب إلى الشيخ أحمد بن محمد بن عمرو ابن عاشر الأندلسي الشميني السلوي (ت 765 / 63 ـ 1364) صاحب الضريح الشهير بجوار السور المطل على البحر غربي المسجد الأعظم بسلا. ولا يعرف على سبيل التحقيق وجه لهذا الانتساب، إذ لا يُذكر للشيخ ابن عاشر ذرية، غير أن أولاد اعمار هم القَوَمة على الضريح منذ عهد بعيد، المتصرفون في فتوحاته بدون منازع. وربما كانوا من أبناء عمومته منتسبين لجده عمرو، قدموا معه أو بعده من الأندلس. وتحريف عمرو إلى اعْمَارشائع في اللسان المغربي الدارج. كما يمكن أن يكونوا من حفدة الولي الصالح أبي علي عمر النفزي السلوي (ت 764 / 62 ـ 1363) من أكبر مريدي الشيخ أحمد ابن عاشر وخدامه. فقد ذكرت كتب التراجم أنه كان ذا عيال ينفق عليهم من كدّ يده في فلاحة بستان له بأسمير من ولجة سلا. ومهما يكن فإن لهذه الأسرة حرمة الانتساب لهذا الشيخ وخدمة حماه منذ أجيال. وأقدمُ من يعرف في الوثائق من مقدّمي ضريح الشيخ ابن عاشر هو أحمد اعمار الذي أنعم عليه السلطان المولى الرشيد بن الشريف العلوي (1075 ـ 1082 / 1664 ـ 1671) بظهير التوقير والاحترام وأصدر في شأنه وشأن آل اعمار خطاباً إلى عامل سلا أحمد بن يُمون يأمره بأن يسلم إلى المقدم أحمد اعمار عُشر وزكاة ست خيم من أولاد سبيطة بقبيلة عامر المستوطنة بضواحي سلا. وجدّد الملوك العلويون لآل اعمار ظهائر التوقير والاحترام.

عرف من آل اعمار في القرنين الأخيرين فقهاء وعاظ وعدول، وتجار وصناع مهرة، ويتخرج اليوم من شبابهم مهندسون ومتخصصون في العلوم الحديثة... من أشهرهم :

اعمار، أحمد فقيه متصوف كان من الوعاظ الذين يتقاضون أجرا معلوما من مرتبات الأحباس بسلا أوائل ربيع الأول عام 1245 / شتنبر1820.

اعمار الطاهر بن بناصر، فقيه ناسك واعظ دمث الأخلاق حسن الهيئة نشط كثيراً في حركة التعليم الحر إبان

الطاهر اعمار

الحماية، واشتغل في آخر عمره بالتدريس والخطابة في جامع الشهباء. وقد ترك مجموعة خطب منبرية، وتقاييد مختلفة.

توفي بسلا في 12 رمضان 1398 / 16 غشت 1979.

اعمار، محمد، من كبار تجار المدينة في النصف الأول من القرن الثالث عشر / 19. توفي بسلا عام 1262 / 1846.

اعمار، محمد بن الحاج العربي بن أحمد. كان ـ مثل جده أحمد ـ فقيها عدلاً منتصبا للشهادة. توفي بعد عام 1312 / 94 ـ 1895.

مقيدات خطية في الخزانة العلمية الصبيحية بسلا ؛ ظهائر عند أفراد الأسرة ؛ بلقاسم عشاش، عائلات سلا، مخطوط ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*.

K. L. Brown, *People of Sale*.

محمد حجي

أعمدة هرقل، أطلق هذا الاسم على جبلي أبيلا Abyla بشمال موريطانيا الغربية (أي المغرب الحالي) وكالبي Calpé بإسبانيا، وهما جبلان يشرفان على ما يسمى حاليا مضيق جبل طارق أو "مضيق قاديس" "Fretum Gaditanum" عند القدماء. واعتبر حداً أقصى للأراضي المسكونة. (Besnier, 362, Polybe, III, 35, 37, 39, 57 ; X, 7 , 40 , XVI, 29 ; Diodore de Sicile, IV 18 ; Strabon, II, 21 ; II, 67 ; Strabon, III, 170 ; Pomponius Méla, I, 27 ; II, 95, Pline l'Ancien, II, 242 ; III, 4 ; V, 2.)

وتحكي الأسطورة أن جبلي أبيلا وكالبي كانا في الأصل جبلا واحداً، ففرق هرقل بينهما ليصل البحر المتوسط بالمحيط الأطلسي. وقد أورد ديودور الصقلي رأيين في هذا الشأن : أولهما أن هرقل أقام هذه الأعمدة لتخليد حملته على غرب البحر المتوسط وذلك بتقريب طرفي القارتين المتباعدتين (إفريقيا وأوروبا). وثانيهما أن القارتين كانتا في الأصل قارة واحدة ففصل هرقل بينهما مكونا بذلك المضيق. Diodore, T. 1, pp. 285 - 286.

ونجد صدى فكرة ارتباط إفريقيا بأوروبا عند بعض الكتاب القدماء وهذا ما نستفيده من سالوست حيث يقول : اعتاد الناس حينما يقسمون الكرة الأرضية أن يجعلوا إفريقيا القارة الثالثة من العالم، وبعض الكتاب لا يعدون سوى قارتين هما آسيا وأوروبا ويربطون إفريقيا بهذه الأخيرة (*حرب يوغورطة*، ص 105).

نلاحظ إذن أن ظاهرة تزحزح القارات فسرها القدماء تفسيرا ميثولوجياً. وتضاربت الآراء حول تحديد موقع جبل أبيلا من الباحثين المعاصرين، فيرى Tissot و Besnier و Gsell أن جبل أبيلا هو جبل أكو Acho القريب من مدينة سبتة، يقابله العمود الثاني المتمثل في جبل كالبي أي جبل طارق (Roget, *Index*, p. 9) في حين يرى Joh Schmidt أن أبيلا هو جبل القرود الحالي.

والواقع أن القدماء الذي تحدثوا عن أعمدة هرقل لم

يحددوا موقعها فنجم عن هذا الأمر تضارب آراء المعاصرين. ولازال البحث الأثري لحد الآن لم يتمكن من تحديد الموقع الحقيقي لعمودي هرقل المقامين على شواطئ البحر المتوسط. ويطلق على هذه الأعمدة أيضا أعمدة ملقارت Melgart.

يتضح من الإشارة إلى هرقل وفلول جيشه التي التحقت بأفريقيا الشمالية بعد موته بإسبانيا (سالوست، حرب يوغرطة، ف 18. ص 106) أن الرواية الإغريقية تلمح إلى الرواية الفنيقية. فهرقل الإغريقي هو ملقارت. إله مدينة صور وحامي البحارة الفنيقيين باعتبار هؤلاء أول شعب أقام مراكز تجارية على طول الشواطئ المتوسطية، وخصوصا مدينتي قادس بإسبانيا وليكسوس بالمغرب.

Diodore de Sicile, *Bibliothèque historique I*, trad, fred. Hoefer, 1912. Géographie de Ravin, dans Raymond Roget, *le Maroc chez les auteurs anciens*, Société d'Edition "Les Belles Lettres" Paris, 1924, p. 42 ; Hérodote, *Histoire*, livres IV, 43, éd et trad. de Ph. Legrand, coll. G. Budé, Paris 1949 ; *Itinéraire d'Antonin*, dans K. Miller, *Itineraria Romana*, Stuttgart, 1916.v. aussi R. Roget, op cit, pp 39 - 40 ; *Périple d'Hanon* in R. Roget, op cit, p. 17 ; Pline l'Ancien, *Naturalis Historia* éd. C. Mayhoff, coll. Teubner (5 vol) 1892 - 1909 ; *Histoire Naturelle*, Livre V. 1 - 46, Texte établit, traduit et commenté par Jehan Desanges, coll. G. Budé, Paris, 1980 ; Polybe, *Histoire*, Trad Française de D. Roussel, coll "La Pléiade" Paris 1970 v. surtout L. II, 1 ; L III, 37, 39 et 57. LX, 7 et 40 ; L. XVI, 29 ; LXXXIV, 4, 6 et 9; Salluste, *Bellum jugurthinum* ed. et trad. Ernout, coll. G. Budé, Paris, 1946 ; Strabon, *Géographie*, éd. HL. Jones, Loeb, 1917 - 1949 ; Besnier (M), *Lexique de géographie ancienne*, Librairie C. Klincksieck, Paris, 1964, p 2 et 362 ; J. Carcopino, *Le Maroc Antique*, Gallimard, Paris, 1947. p, 57 ; F. Decret et M.Pantar, *L'Afrique du Nord dans l'antiquité*, des origines au Vè s., Payot, Paris, 1981 ; J. Desanges, Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, T. V, Paris 1980, commentaire, surtout p. 82 pour Herculis columnee, p. 111 pour Gaditanum fretum et pp. 147 - 149 pour Abila ; M. Euzennat, *Les voies romaines du Maroc dans l'Itinéraire d'Antonin*, in Mélanges. Grenier II, Coll. Latomus, Vol L VIII, Bruxelles, 1962, pp 595 - 610 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T. I, Paris 1913, p. 467; Roget (R), *Index topographique antique du Maroc*, P. SAM IV, 1983. pp. 8 - 10 ; R. Thouvenot, *la côte méditerranéenne du Maroc d'après le géographie, Ptolémée*. (II : S. après J.C), in R.G.M., XXVIII, 4, 1944, p. 7 ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Mauritanie Tingitane*, paris 1877.

علي واحدي، ومحمد مقدون

اعْمَر بن الحاج محمد. ولد عام 1940 بقبيلة السماعلة، وادي زم، إقليم خريبگة، وكان ينتمي لمنظمة اليد السوداء، ينفذ أوامرها ويقوم بعدة اتصالات بين أفرادها. ولما أخبر بمعركة 20 غشت 1955 بوادي زم شارك فيها مشاركة فعالة بدوار أيت عمار بني خيران، وكان حاملا لبندقية صيد، ظل يضرب بها أثناء المعركة إلى أن استشهد.

اعْمَرو، علي أحمد، من مواليد سنة 1915 بأيت حمي، أيت حسان قبيلة أولاد علي ناحية إموزّار مرموشة، انخرط في صفوف جيش التحرير المغربي ضمن التشكيلة التي كانت مرابطة بمسقط رأسه إموزّار مرموشة تحت إمرة القائد الباشا ميمون أعفّي، فشارك بإخلاص كبير في الهجومات التي كان يقوم بها جيش التحرير ضد جنود الاحتلال بالمنطقة، وخصوصا الهجوم الذي خططت له قيادة جيش التحرير والذي كان هدفه المركز العسكري التابع للقوات الفرنسية، فأصيب بنيران جنود الاحتلال وسقط شهيدا أمام دار حارس المياه والغابات بإموزّار مرموشة، وذلك بتاريخ 2 أكتوبر 1955 على الساعة الحادية عشرة صباحا.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

ابن **الأعْمَش**، محمد المختار الصحراوي، المعروف بالأكبر تعلم على والده، ثم نزل بالشيخ المختار الكنتي، فلازمه حتى صارعالما متمكناً. وكان الشيخ يستخدمه في انتساخ الكتب ففُتح عليه، ودوي صيته في كل الجهات، وشاع ذكره في مختلف العلوم والقراءات بوجه خاص.

وهو الذي أسس مدينة (تيِنْدُوف) في حدود سنة 1270 / 1853 وساعده على تشييدها أخواله أبناء قبيلته (تاجاكانت) فكان الرجال يخدمون نهارا والنساء ليلا، وكان حجر الزاوية لهذه المدينة المسجد الأعظم، وهو أول ما بني منها، ثم تتابع سير البناء ، وتفرغ الشيخ بالجامع الأعظم لتدريس القرآن وعلوم الحديث فتتلمذ له كثيرون، من بينهم الشيخ محمد محمود الشنقيطي علامة عصره في اللغة والأدب، مرّ في طريقه إلى أقطار المشرق على الشيخ ابن الأعمش، فتلقى عنه جملا من الحديث. وكان ابن الأعمش، إلى جانب تدريسه لمختلف العلوم، يفصل بين الخصوم، وقد تصدى لمحاربة أصحاب السطو من القبائل، وأصدر فتوى لمحاربتهم وقتالهم باعتبارهم قطاع الطريق يسعون في الأرض فساداً. وكان له تسعة أولاد علماء أفذاذ، خلفوه في مهامه بعد موته عام 1285 / 1868 وله بتيندوف مشهد بنيت عليه قبة على شكل قباب حواضر المغرب.

ألف ابن الأعمش كتباً في مختلف العلوم والفنون منها: *نصيحة ذوي الرسوخ. وشرح على إضاءة الدجنة، في عقيدة أهل السنة* لأحمد المقري. وله *مؤلف في رسم المصحف*.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 18 ؛ سوس *العالمة* ؛ أ. الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط* ص 321 ؛ س. أعراب، *مجلة دعوة الحق*، السنة 17 ع و ص 79 ـ 80.

سعيد أعراب

أعْمُّو. أحمد بن أحمد. ولد بتزنيت في ذي الحجة عام 1321 / مارس 1904، ينتمي إلى أيت مَحمد الشرفاء السملاليين من بني عمومة أيت عمرو الوجّانيين وأولاد سيدي إبراهيم بن علي التّنانيين، استتم حفظ القرآن وبعض المتون ببلده وبتيمَجّاض عام 1342 ثم انتقل إلى مدرسة دُودرار حيث تلقى عن علماء منهم أبو الحسن بن الطاهر الرسموكي، وفي مدرسة أدوز، ومن أشياخه فيها المحفوظ الأدوزي. وخلال عشر سنوات حصل الفنون المتداولة بمدارس سوس، ثم انتقل إلى فاس حوالي عام 1352 هـ حيث أخذ

عن محمد العلمي الفلكي والطائع الفاسي وعباس بناني وغيرهم من علماء القرويين ممن أجازوه.

فتح مدرسة بتزنيت عام 1357، كان هو من مدرسيها، وتولى أثناء ذلك النشاط التعليمي وظيفة ناظر الأحباس بتزنيت بعد تنظيمها الجديد خلف فيها الحسين الساموگني، واشتهر في قيامه بوظيفته بالنزاهة والعفاف. وبعد الاستقلال انتقل من نظارة الأحباس إلى منصب القضاء، وكان فيه أخوه محمد المتوفى عام 1372، واستمر قاضياً إلى أن أحيل على المعاش بتاريخ 7 مايو 1983.

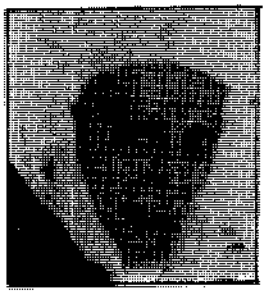

أحمد أعَمو

جمع أحمد أعمُّو بين العلم والعمل وحمل أعباء شئون الجماعة في بلدته وظهر تفتحه في توجيه أبنائه إلى التكوين الأصيل والعصري معاً حيث صاروا من المحامين والأطباء.

من تآليفه المخطوطة *هوامش على تفسير* "في ظلال القرآن"، *وتقاييد وأشعار* رائقة، وقد صنفه المختار السوسي وهو الخبير بأحواله في جهابذة الأصوليين السوسيين.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 12 : 222 و 223، 13 : 199، 206. و 234، 14 : 53 ؛ *خلال جزولة*، 1 : 11 ؛ *رواية شفوية* تلقاها كاتب هذه المادة.

عمر أفا

إعَمّين، إحدى أكبر فصائل أيت سگوگو، المستوطنة المناطق المجاورة لبلاد زيان من الأطلس المتوسط والتي تعتبر مدينة مريرت مركزها الحضري والإداري.

ومركز إعَمّين بصيغة الجمع تحريف أمازيغي لكلمة العاميّين أي المنحدرين من غير السلالة الشريفة. ومرد ذلك إلى كون مجموعة أيت سگوگو مكونة من قبائل جلها ينتسب إلى الشرف عن طريق الولاية والقطبية، وذاك ما يعرف عند قبائل الأطلس المتوسط بإمْرابْطن أي المرابطين المنقطعين إلى عبادة الله تعالى، فتبقى ذريتهم تنتسب إليهم بنفس الاسم أو باسم جدهم.

وتبقى قبيلة إعميين أكبر فصائل أيت سگوگو من حيث العدد بعد كل من أيت عمرو وأيت سيدي علي.

Répertoire, 1939, p. 15 et 30.

عبد العزيز توري

الأعيان، تنتمي هذه الكلمة إلى قاموس التراتب الاجتماعي، وهذا القاموس يضعنا أمام مسألتين منهجيتين :

تتصل المسألة الأولى بالموقف الذي اتخذه التاريخ الاجتماعي، بشكل عام، إزاء التصنيفات الإيديولوجية التي أنتجتها المجتمعات التاريخية. فالباحث يميل إلى عدم التقيد بهذه التصنيفات لأنها تحمل تصورات معينة حول المجتمع ، وقد صيغت في معظم الأحيان لتثبيت نظام التراتب والأدوار، وتأكيد مشروعية القوى السائدة. بيد أن المؤرخ يسعى إلى تحليل البنية الاجتماعية في ضوء هرمية الدخل وموقع مختلف الشرائح ضمن علاقات الإنتاج. وفي آن واحد يتزايد الاهتمام بالكلمات والمفاهيم، على اعتبار أن اللغة تمدنا بمؤشرات تفيد معرفة الممارسة الاجتماعية. ثم إن المجتمعات لم تكن دائماً مجتمعات طبقات بالمعنى الاقتصادي، إذ قبل النمط الرأسمالي كثيراً ما نجد مجتمعات المراتب حيث يصعب الفصل بشكل واضح بين المستوى الاقتصادي وغيره من المستويات، بل إن العوامل السياسية والفكرية ساهمت بقدر لا يستهان به في هيكلة المجموعات والعلاقات.

أما المسألة الثانية فهي أننا بصدد مصطلح تداوله المغاربة للتعبير عن أشكال التفاوت والامتياز، مع أنه جزء من معجم عربي - إسلامي تم توظيفه في مجتمعات متباينة، وهذا المعجم يتسم بخصوصيات تلفت الانتباه. فخلافاً لما حدث في ثقافات أخرى، صمد المصطلح الاجتماعي العربي عبر العصور والتحولات، مما يدفعنا إلى التساؤل : ألا يمكن رصد بعض الثوابت التي اجتازت المراحل المتعاقبة ورافقت خصوصيات كل مجتمع عربي على حدة ؟ وحين نستعرض عناصر قاموس التراتب، نجده يتوزع إلى ثنائيات، مثل أعيان / عامة، خاصة / عامة وأشراف / عامة. ليست هناك منظومة متماسكة، فالشريف قد لا يكون من الأعيان، ولفظ العامة يوقع القارئ في الالتباس إذا ورد في سياق لا يتضح فيه مجموع الثنائية المقصودة، فعلى سبيل المثال يمكن للأعيان أن يسمُّوا عامة إذا كان النص يعني ثنائية الأشراف / العامة.

باختصار، من الأفضل أن نميز بين تاريخ الكلمة وتاريخ مضمونها الاجتماعي، ولا بد من تحديد مكاني وزماني. لقد اخترنا التركيز على أعيان مدن المغرب، وعلى الفترة المعاصرة التي بدأت انطلاقاً من القرن التاسع عشر، لأن هناك وفرة وثائقية نسبية، ولأن بداية التراكم المونوغرافي تساعدنا على الاقتراب من ملامح مجتمع الأعيان.

اللفظ وارتباك الدلالة : لنبدأ بالتعريف اللغوي. نقرأ في *اللسان* :"عين كل شيء : خياره"، و "أعيان القوم : أشرافهم وأفاضلهم، على المثل بشرف العين الحاسة". للكلمة إذن معنى عام يشير إلى الشهرة والتقديم، وقد استُعملت عبر العصور الإسلامية بمعنى النخبة والصفوة. لا غرابة في أننا نلتقي بتعابير مثل "أعيان العلماء"، "أعيان الطلبة" و "أعيان الجيش"، فلكل فئة أعيانها. ولا غرابة في أن النصوص تحمِّل الكلمة دلالة ترتبط بالمقياس الضمني للشهرة، وهذا المقياس يختلف من جنس أدبي إلى

آخر. فكتب التراجم مثلا تعتبر أن الأعيان هم الأشخاص الذين استمدوا شهرتهم من العلم أو الصلاح، لأن كتب التراجم والوفيات شكلت عند المسلمين تاريخاً للنخب الثقافية التي جسدت قيم المجتمع وحافظت على استمرارها. ويظهر نفس النزوع عند مؤلفي التاريخ المحلي، إذ خصص هؤلاء بعض أو كل فصول مصنفاتهم (*كالروض الهتون* لابن غازي و*اختصار الأخبار* للأنصاري) لأعلام المدن التي أرخوا لها. وحين تعرض كتب الأنساب لبيوتات هذه الحاضرة أو تلك، فهي تحصي الفروع والأحساب، وتسجل ضمنيا مفاخر الأعيان من منظور سلالي يؤكد الاستمرارية العائلية.

أما الأخباريون فقد تعاملوا مع الأعيان تعاملاً يعكس علاقة هذه الفئة بالسلطة المركزية. فعلى امتداد تاريخ الدول المغربية، يرد ذكر الأعيان في سياقات متشابهة مثل البيعة والخروج لملاقاة السلطان عند وفوده ومراسيم الأعياد الدينية واحتفالات العائلة المالكة، ولحظات التفاوض أو التشاور التي يفرضها تأزم الأوضاع واتخاذ قرار شائك. في كل هذه الظروف، يحتل الأعيان مكانة المحاورين والناطقين باسم سكان المدينة. وعندما يراسل السلطان مدينة من المدن، فإن الأعيان يُذكرون في الغالب ضمن ترتيب محدد للفئات التي تحتل الصدارة. نجد مثلا نماذج من مراسلات مرابطية وجِّهت إلى "الأشياخ والأعيان والكافة من أهل فلانة"، ونماذج موحدية موجهة إلى "الطلبة والأعيان والكافة"، ونماذج سعدية تخاطب "الشرفاء والفقهاء وكافة الأعيان"

وفي وثائق البيعة يُذكر الأعيان بجانب مجموعات أخرى، غير أن هناك فائدة إضافية، وهي أن هذه الوثائق معززة بأسماء ترفق أحياناً بنوعية المناصب التي تشغلها الشخصيات الموقعة. سوف نتوقف عند سرد أحداث بيعة السلطان الحسن الأول (1290 / 1873) في كتب الحوليات، وعند صيغة ورود الأعيان في نصوص بعض البيعات. كتب السباعي بصدد وصول السلطان الجديد إلى عاصمة الجنوب :"تلقاه أعيان مراكش من شرفاء وعلماء ورؤساء وقضاة..." (*بستان*، 162 ـ 163). وكتب الناصري :"اجتمع أهل الحل والعقد من كبار الدولة وقواد الجيش والقضاة والعلماء والأشراف وأعيان مراكش وأحوازها..." (*استقصا*، 9 : 128). ونقرأ في بيعة نفس المدينة :"واجتمع أهل الحل والعقد علماء وشرفاء وقواد الأجناد وغيرهم..."، وفي وثيقة تتضمن قائمة أسماء أشخاص أشهدوا على أنفسهم بمبايعة السلطان، هناك أصناف من بينها :"أهل مراكش"، "أعيان أهل فاس التجار"، و"أعيان أهل مراكش" (*وثائق*، 3 : 11 ـ 22). أمّا بيعة فاس فهي تقول :"فبايعه من أهل فاس الخاصة والجمهور ومن والاهم من الناس الصدور والأعيان وأهل الوجاهة في هذا الزمان وذوي الحل والعقد (...) من علماء وعظماء أشراف كرام وسلالة أمراء ورماة ورؤساء جيوش وأجناد...". وتنتهي الوثيقة بأربع قوائم : فإلى جانب الشرفاء العلويين والشرفاء الأدارسة وقواد الجيش، تأتي "اللائحة الثالثة التي يبلغ عدد أعضائها مائة وخمسة عشر، وهي تمثل ضمنيا الأعيان، يتصدرهم قائد المدينة إدريس السراج والأمينان محمد بن المدني بنيس وإدريس بنيس والمحتسب المهدي بناني (در، 105 ـ 129). وننتقل إلى بيعة السلطان عبد الحفيظ، فنجد بها :"جميع أهل فاس الإدريسية، لازالت مصونة محمية، وسائر أشرافهم ورماتهم وعلمائهم وقضاتهم وكبرائهم ونقبائهم ومرابطيهم وصلحائهم وأعيانهم، وخاصتهم وعامتهم، وكذلك أهل فاس الجديد، لشمول التوفيق لهم والتسديد" (*مظاهر*، 2 : 350).

عندما نمعن النظر في هذه المقتطفات، فإننا نخرج باستنتاج أول، وهو أن منطق البيعة يقتضي ذكر الأعيان كفصيل من "أهل الحل والعقد"، وفق ما سنته مؤلفات الأحكام السلطانية. فإلى جانب رجال الدولة والعلماء، يحتل الأعيان موقعاً بين "أهل الاختيار" الذين تنعقد الإمامة ببيعتهم، فيتعين الانقياد والطاعة على كافة الأمة. فالأعيان يساهمون في التأسيس الرمزي لسلطة العاهل الجديد، على أن تعيينه الفعلي يخضع لواقع موازين القوى داخل الدوائر العليا للمخزن.

ويلازمنا انطباع آخر، وهو أن النصوص غير منسجمة في تعريفها الضمني للأعيان. يبدو لأول وهلة أننا أمام استعراض لفئات مختلفة الواحدة تلو الأخرى، ثم نلاحظ أن التصنيف والترتيب يختلفان من نص إلى آخر، ومن الصعب أن نميز في هذا الاختلاف بين خصوصيات المدن واجتهادات المؤلفين. فنحن نلتقي بسيل من المصطلحات، وتؤدي متطلبات الإطناب والسجع إلى استخدام ألفاظ غير محددة المعنى، مثل "الصدور" و "أهل الوجاهة" و "النقباء" و "الكبراء"، وتلك ألفاظ قد ترادف الأعيان. كما أن الحيرة تنتابنا حين يتأرجح الأعيان بين تعريف واسع يشمل العلماء والأشراف وتعريف محدود يضع الأعيان بجانب الأشراف والعلماء. ما مدلول هذا التعامل الفضفاض مع المصطلح ؟ إن عدم التزام المحررين بتصنيف وترتيب ثابتين يعني، ولا شك، أن الأمر يتعلق بحقل دلالي يتسم بالتداخل، وربما كان في ذلك صدى للوسط الاجتماعي الذي هو موضوع التسمية.

النفوذ المحلي ومجتمع الأعيان : إذا استثنينا الأشراف الذين يحددهم عامل النسب، فإن الفئات ذات الامتياز لم تكن تخضع لضوابط قانونية قارة. وكل فئة يتسع معناها أو يضيق حسب التعريف الذي يُمنح للفئات الأخرى. يمكن أن نحصر الأعيان في كبار التجار ورؤساء الحرف (Origines, 104)، أي في النخبة التي ينبني نفوذها على تفوقها داخل المجال الاقتصادي الحضري. بالنسبة للقطاع التجاري مثلا، يتعلق الأمر بتجارة المواد الرفيعة وتجارة الجملة والاستيراد والتصدير. لكن مقياس الانتماء المهني يخفي ظواهر تكشف عنها الممارسات الفعلية والبنيات

العائلية. فقد يتعاطى العالم للتجارة، أو يقتني الضياع فيصبح من الملاكين العقاريين الذين يجنون إنتاج البادية. وقد يكون التاجر مزوداً برصيد ثقافي محترم دون أن يحمل لقب العالم. وحين نتفحص بعض مؤلفات الأنساب، فإننا نكتشف أن الخريطة العائلية لوسط الأعيان بعيدة كل البعد عن الانفصال الذي قد نتصوره بين النخبة الاقتصادية والنخبة الثقافية.

نتعرف على مشاهير العائلات الفاسية من خلال كتاب الكبير الكتاني (زهرة). لنأخذ مثال أولاد بن جلون، فهم يكونون أكثر من ثلاث عشرة فرقة. نلتقي داخل الفرقة الأولى بالعالم محمد بن أحمد (ت. 1136 هـ) ، وداخل الثانية بالولي الصالح عبد الجليل. ومن بين رجال الفرقة الثالثة تصادفنا حالة المحتسب علي بن أحمد الذي مارس التجارة خمسة من أبنائه، بينما احتل ابنه الآخر منصب ناظر أملاك جامع القرويين، وكان آخر قاضيا بمدينة الصويرة في عهد الحسن الأول. وهناك ثلاث فرق أخرى من نفس السلالة أنجبت حرفيين من صناع الشواشي والحرارين والصفارين. هذا البيت يشخص إذن نموذج "القبيلة" الحضرية :فوراء النسبة الموحدة تتعدد المهن، وتتفاوت الأوضاع المعاشية دون أن تنقطع أواصر القرابة، بل تساعد البنية الأبوية وعادات الكفالة والتحبيس العائلي على توطيد التضامن تحت شارة الأجداد. ومن الملاحظ أن جد الفرقة الذي يترجم له النسّابة حسب الإمكان، لا يكون في معظم الأحيان أقدم اسم في عمود النسب، بل هو أقدم رجل اشتهر داخل السلالة المعنية. كما أن ترتيب الفرق يبدأ بتلك التي انطلقت من ولي أو عالم (*Artistocratie*, 185 - 190). وبذلك مهما اختلفت وسائل الإثراء، فإن التراكم المادي يبدو وكأنه من ثمار بركة الجد المؤسِّس.

وفي نطاق أوسع، تتوثق الصلات بين العائلات عن طريق المصاهرة، وبفضل "الصحبة" فيستفيد التاجر من هيبة الشريف أو العالم، ويستثمر العالم والشريف مكانتهما الرمزية. وهكذا يتخذ مجتمع الأعيان صبغة كتل مبنية على تبادل المصالح. وتتجلى نفس الظاهرة في وسط الأعيان السلاويين في القرن الماضي (*People*, 58 - 65). فهو وسط لا يعرف استقرار المواقع، بل يضطر أعضاؤه لتثبيت نفوذهم عن طريق صيانة العلاقات وشبكات الحلفاء. هذه البنية لم تكن في الواقع وليدة ظرفية جديدة، إذ يؤكدابن خلدون أن "أهل الأمصار كثير منهم ملتحمون بالصهر، يجذب بعضهم بعضاً إلى أن يكونوا لحماً لحماً، وقرابة قرابة، تجد بينهم من العداوة والصداقة ما يكون بين القبائل والعشائر مثله، فيفترقون شيعاً وعصائب" (مقدمة، 672). للمدينة إذن "عصبياتها" الخاصة، وبالتالي فمجتمعها يتسم بنوعين من التضامن، أحدهما أفقي تحدده مستويات العيش والمواقع الاقتصادية، والثاني عمودي ينتج عن رابطة النسب وعلاقات الحلف والتبعية الشخصية والاصطناع، وهي "علاقات الزبونية" حسب اصطلاح علم الاجتماع المعاصر.

تتطلب هذه الفرضيات مزيداً من الاختبار والمناقشة على ضوء المزيد من المعطيات الموثقة، لكنها توفر لنا مفاتيح لفهم بروز الزعامات وتحركات الأعيان عبر تاريخ المدن المغربية. نسوق بعض النماذج : فترات الحكم الذاتي (بنو العزفي بسبتة، وما سمي بجمهورية أبي رقراق وإمارة آل النقسيس بتطوان)، والصراعات التي دارت بين الأحياء، أو بين الأعيان مثلما حدث بين عائلتي الفنانشة والزنابرة بسلا خلال القرن الثامن عشر، وحركات الاحتجاج التي نظمها أو انضم إليها الأعيان (تمرد أعيان الرباط ضد العامل محمد السويسي سنة 1845، مساندة أعيان فاس لحركة الدباغين عند رفض المكوس في أوائل حكم السلطان الحسن الأول) مثل هذه المواقف تدل على التعقد الذي اتسمت به علاقة النخبة الحضرية بجهاز الدولة.

الأعيان والخاصة " بإمكاننا أن نضع الأعيان ـ بجانب الشرفاء والعلماء ـ داخل الخاصة إذا اعتبرنا أن هذه الكلمة تشمل مجموع الفئات التي تحظى بالتقدير والامتياز" (*Origines*, 108 - 109). لكن للخاصة معنى آخر ينحصر في نخبة السلطة. فالوثائق المخزنية تستعمل أحياناً مصطلح "بيوتات الخدمة والرئاسة" في نفس الاتجاه. صحيح أن عائلات من الأعيان تقلدت مناصب التسيير المحلي كالحسبة والقضاء ونظارة الأحباس، وصحيح أن بيوتات حضرية شغلت منصب قائد المدينة مثل عائلة السويسي التي احتكرت هذا الموقع خلال النصف الثاني من القرن الفارط (*أعيان*، 1 : 144). إلا أن هذه المعطيات لا تنفي إجرائية التمييز بين الأعيان كنخبة منبثقة من الكيان الحضري، والخاصة كنخبة يبنع نفوذها من الأعلى، وتتمثل في العائلة المالكة وفي الجناح القبلي ـ العسكري للدولة (فئة الوصفان من عبيد البخاري، وقيادات الگيش). إن هذا التمييز يساعد على تبيان علاقة السلطة المخزنية بالاقتصاد الحضري.

منذ العصر الوسيط، قامت دول المغرب على مراقبة شبكات التجارة البعيدة المدى، وخلافاً للبورجوازية الأوروبية التي برزت على هامش النسق الفيودالي، فإن كبار التجار المغاربة ظلوا باستمرار تابعين للأوليغارشية الحاكمة، وذلك ما عبر عنه ابن خلدون حين تحدث عن "حاجات المتمولين من أهل الأمصار إلى الجاه والمدافعة" (مقدمة، 655 ـ 656). وفي القرن التاسع عشر، كان التجار عاجزين عن تحقيق تراكم ملحوظ في غياب سند وحماية المخزن. فالنخبة التجارية تتكون من "تجار السلطان" المسلمين واليهود، لأن هؤلاء يستفيدون من القروض المخزنية والتسهيلات في أداء الواجبات الجمركية، كما أنهم يتحكمون في تسويق المنتجات التي تخضع للاحتكار المخزني (*Merchants*, 1 : 186 - 193). ونلاحظ أن إمارة ركب الحج مكنت بعض التجار من الانطلاق نحو التراكم السريع، نذكر من بينهم الطالب بن جلون وعائلة برادة بفاس. وفي مستوى أعم، كان "ظهير التوقير والاحترام" أداة يتحكم بواسطتها السلطان في إنتاج الامتياز.

مع مسلسل المعاهدات اللامتكافئة تفاقمت سيرورة "الانفتاح"، حيث ازدادت تبعية الاقتصاد المغربي للرأسمال الأوروبي، وتأزمت الأوضاع المالية، واحتدت الفوارق الاجتماعية، وكان التجار المستفيدين الرئيسيين من تحولات النصف الثاني من القرن الفـارط. فقد اتسع حجم الثروات، وتكيّفت كبريات العائلات التجارية مع تغير خريطة المبادلات، فترى مدينة الصويرة تجتذب تجار الشمال، والفاسيين يبعثون ذويهم إلى الدار البيضاء، بل يقيمون شبكات من الوكلاء داخل المغرب وخارجه. ونتيجة لاتساع الحمايات القنصلية، أصبحت أحوال وممتلكات أعداد من الميسورين في مأمن من التدخل المخزني ـ ضرائب ومصادرة ـ . كما أن سياق سياسة الإصلاح دفع الدولة إلى الاستعانة بكفاءات التجار في ميداني المالية والدبلوماسية مما قوى نفوذ الفصيل الحضري داخل أجهزة الحكم. هكذا ارتقت بيوتات مثل بنيس والتازي (فاس) وفرج وبرگاش (الرباط) والخطيب وبريشة (تطوان).

السيطرة الفرنسية والأعيان : مع بداية القرن الحالي، انتقل المغرب من مرحلة التنافس الأوروبي إلى مرحلة الاستحواذ الفرنسي التدريجي. وبمجرد أن ارتسم أفق إبعاد القوى المنافسة، اختطت فرنسا سياسة "التغلغل السلمي" التي تبنّت مبدأ الحفاظ على الهياكل المخزنية من أجل كسب الشرعية الدولية وتحقيق استعمار تقل كلفته عن كلفة التجربة الجزائرية. ورغم التدخلات المسلحة التي مهدت لمعاهدة فاس (1912)، فإن نظام الحماية سار على نفس النهج، وهو نهج وجد صيغته النظرية في تصور ليوطي لما يجب أن يكون عليه أسلوب الإدارة غير المباشرة. سوف يكون الاعتماد على الأعيان جزءا من هذه المنظومة المتكاملة.

لقد كان ليوطي أرستقراطي الميول، يشده الحنين إلى "النظام القديم" الفرنسي، وكانت وراءه تجربة استعمارية طويلة. فهو أعلن عن رغبته في المحافظة على المغرب التقليدي، واعتبر أن المغاربة شعب تقوده "نخبة طبيعية" وكما أن الأعيان لعبوا فيما مضى دور صلة الوصل بين العامة والمخزن، فإن المصلحة تقتضي أن تحكم فرنسا "معهم لا ضدهم"، بمعنى أن الأعيان أداة يمكن أن تخفف من مفعول الصدمة الاستعمارية، وتقوم بدور المشورة والحوار نيابة عن "الأهالي"، في إطار نظام التراتب الموروث.

كانت هذه السياسة مسلحة بمعرفة الميدان. فالإقامة العامة جنت ثمار الأبحاث التاريخية والسوسيولوجية التي تم تخطيطها منذ إنشاء "البعثة العلمية". وسارع ليوطي إلى خلق أجهزة جديدة لتطوير نفس العملية. فحين نقرأ سلسلة *مدن وقبائل المغرب*، نلتقي بفصول تحصي بدقة عائلات الأعيان في كل المدن المدروسة، وتشير إلى عمقها السلالي ونوع النفوذ الذي بنت عليه شهرتها. وألف المراقب المدني جان كوستي مونوغرافيته التي تحمل عنوان "كبريات عائلات الأهالي بسلا".

شكلت مدينة فاس حقلا لتجريب خطة استمالة الأعيان. فبجانب شعار احترام "المدينة العتيقة" وعدم المس بمناخها الأخلاقي ومقدساتها الدينية، انطلقت تجربة "المجلس البلدي" في خريف 1912 م. كان جل أعضاء المجلس من التجار والعلماء، وحددت له مهمة استشارية تتصل بالقضايا المحلية، وقد اعتبره أحد المسؤولين "مقياس حرارة ممتاز" يساعد السلطات الفرنسية على تتبع ما يروج عبر المدينة من آراء ومواقف، ويبدو أن انتخاب المجلس أثار الحماس في وسط الأعيان. وفي نفس الوقت أعيد تنظيم خطة العدالة، وأحدث "المجلس الأعلى للأحباس"، وسلكت الإقامة أسلوب الإغراء تجاه عدد من العلماء المرموقين الذين أسندت إليهم مسؤوليات داخل الجهاز المخزني. واحتفظت بورجوازية فاس ببعض مواقعها التقليدية في القطاع التجاري (النسيج والشاي والسكر)، بل سمح لبعض الأثرياء المغاربة بأن يساهموا في المؤسسات الاقتصادية الجديدة مثل "المكتب الشريف للفوسفاط".

لم تكتف الإقامة العامة بالتقرب من الأعيان، بل قررت التحكم في إعادة إنتاج النخبة على المدى البعيد، بواسطة سياسة تعليمية أعلنت عن مراميها بدون التباس. فبعد فترة تردد دامت إلى حدود بداية العشرينات، قررت الإدارة الفرنسية استراتيجية تتلخص فيما يلي : إبعاد المتمدرسين المغاربة عمّا تتضمنه طرق وبرامج التعليم الفرنسي من أفكار وقيم تحررية والحرص على تكريس الأوضاع الطبقية السائدة، وعرقلة أي ترقية اجتماعية قد تخل بالتوازنات التي تتماشى مع مصالح الحماية. وعلى هذا الأساس احتُفظ بالتعليم التقليدي، وأحدثت مدارس حديثة مفصولة عن التعليم الفرنسي وتنقسم في المدن إلى صنفين. هناك"المدارس الإسلامية الحضرية" التي تستقبل أبناء الأوساط الشعبية، ويلتحق هؤلاء، بعد إكمال الدراسة الابتدائية، بمدارس تؤهلهم للمهن اليدوية. وهناك "مدارس أبناء الأعيان"، غير المجانية، والتي تجد امتدادها في "الثانويتين الإسلاميتين" اللتين تم إنشاؤهما بفاس والرباط. ويتلقى التلاميذ في هذا النمط تكوينا يسمح لهم بولوج المناصب الإدارية والمهن الحرة، كما أن هذا التعليم يوفر للبورجوازية المحلية أطراً تساهم في تطوير الأساليب التجارية. وانتهجت الإدارة الفرنسية سياسة مشابهة إزاء القوى الاجتماعية السائدة في البوادي، فقد افتتحت مدرسة "الدار البيضاء" بمدينة مكناس لتكوين ضباط مغاربة، وكان جل تلاميذها من أبناء القواد وبيوتات المرابطين والأشراف.

لقد شهد الميدان التعليمي بداية التحرك الجماعي الذي لجأت إليه النخبة الحضرية لمجادلة المخططات الفرنسية. ففي سنة 1921 م انطلقت "المدارس الحرة" التي أطرها مثقفون من خريجي جامعة القرويين، يجمعهم العزم على مواجهة الاستلاب اللغوي وتأكيد الهوية العربية ـ الإسلامية ونشر الفكر السلفي، وهم نفس المثقفين الذين سوف يؤسسون

الجمعيات السرية ابتداء من 1926 م، أي في مناخ انتكاس المقاومة الريفية. ولا أدل على ذلك من أن مؤسسي أول جمعية بفاس كانوا من أطر "المدرسة الناصرية" وهم المختار السوسي ومحمد غازي وعلال الفاسي وإبراهيم الكتاني. وكانت هذه السيرورة موازية لبروز تناقضات نظام الحماية. فوراء شعار "الاشراك"، اتضح الاتجاه نحو أسلوب الإدارة المباشرة، واكتسح الرأسمال الفرنسي القطاعات الاقتصادية الاستراتيجية. وفي آن واحد لم يتم تعميم المجالس البلدية، وعبر النظام التعليمي عن نفس الارتباك، فقد حضر ليوطي مشروع قسم "التعليم الإسلامي" وقسم الدراسات التجارية بالمعهد العالي للدراسات المغربية بالرباط، وذلك من أجل تكوين أطر مغربية عليا في مجال الإدارة والتجارة، لكن هذين المشروعين لم يصلا إلى مرحلة التنفيذ.

ما هي إذن العلاقة بين الأعيان ولحظة الاختمار الثقافي للحركة الوطنية ؟ أنحن أمام حركة مثقفين استطاعت أن تكسب تعاطف الأعيان وتضامنهم ؟، أم أن الحركة الثقافية كانت تعبيرا عن خيبة النخبة الحضرية بشكل عام ؟ إلى أي حد أثرت بنية الأعيان في تشكل الحركة الوطنية وممارستها ؟ وهل تجاوز العمل الوطني الاستراتيجية التي صاغتها إدارة الحماية لإعادة إنتاج مجتمع الأعيان، أم أن هذه الإستراتيجية تركت آثارها على المدى البعيد ؟ هذه أسئلة ترتبط بإشكاليات أوسع، وتتطلب الإجابة عنها أن يفتح ملف التاريخ الاجتماعي لمغرب الحماية.

ع. ابن خلدون، *المقدمة* ؛ أ. ابن الحاج، *الدر المنتخب*، مخطوط ؛ م. السباعي، *البستان الجامع*، مخطوط ؛ الكتاني، *زهرة الآس*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب* ؛ *الوثائق* (دورية) العدة 3 ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط*.

J. Halstead, *Rebirth of a nation* ; M. Chapi, *Quelques grandes familles du Makhzen* ; K. Brown, *People of Salé* ; A. Laroui, *les Origines* ; N. Cigar, *Société et vie politique à Fès sous les premiers Alawites* 1660 - 1830) Hespéris Tamuda, 1978 - 79. p : 93 - 172 ; M. Kenbib, *les protections étrangères* ; A. Sebti, *Aristocratie citadine* ; D. Shroeter, J, *Merchants and Pedlars of Essaouira* ; *D. River, Lyautey.*

عبد الأحد السبتي

أعيسى عقّا. ولد سنة 1922 بأيت إبراهيم أيت لحسن بمرموشة بإقليم بولمان. شارك في صفوف جيش التحرير والمقاومة ضمن تشكيلة السيد علي بُزيّانْ أثناء ثورة أكتوبر سنة 1955 بعد ما أغارت فرقة من القوة الفرنسية على مركز مرموشة. استشهد وهو يشارك في هجوم على المركز المذكور، وكان ذلك يوم 2 أكتوبر من سنة 1955.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

أعياش ← العياشي

الأغالبة والمغرب، من المعلوم أن دولة الأغالبة عاشت أزيد من قرن من سنة 184 إلى سنة 296 هـ، فكانت معاصرة لدولة الأدارسة، وأنهم كانوا موالين للعباسيين، برغم تمتعهم بنوع من الاستقلال في توليتهم الإمارة على أفريقية. وظهر ولاؤهم بالخصوص، في مراقبة أعداء الدولة العباسية بالغرب الإسلامي، إذ من المعلوم أن الأندلس وبلاد المغرب الأوسط والأقصى أعلنت انفصالها عن الخلافة العباسية وقامت فيها عدة دول يهمنا منها ها هنا تلك التي تأسست بالمغرب الأقصى وهما الدولة المدرارية بسجلماسة ودولة الأدارسة بفاس.

وليس من المستبعد أن الخلافة العباسية بالمشرق كانت تسعى إلى بسط نفوذها على مجموع الغرب الإسلامي، معتمدة في ذلك على الأغالبة. لكن هؤلاء لم يستطيعوا تحقيق أمنيتها، وإنما اكتفوا بمساعدتها عن طريق الكيد لأعدائها ومضايقتهم والحيلولة دون توسعهم في البلاد. وقد توصلوا في ذلك إلى بعض النتائج.

فيما يخص علاقات الأغالبة بالمدرارين تضاربت آراء المؤرخين، فمن قائل إنه حصل اتصال وتوادد بين الطرفين، ومن قائل إن المدرارين كانوا تابعين للأغالبة، ومن قائل بالتقاطع والعداء بينهم. ولربما كان الواقع أشد تعقيداً من ذلك. إذ من المحتمل أنه كان يحمل تناقضات وتحولات.

فعلى المستوى المذهبي، من المؤكد أن أسباب العداء كانت قوية. فالمذهب السائد بأفريقية منذ عهد الأغالبة كان هو المذهب المالكي. ومالبثت أفريقية أن أصبحت أحد المراكز الكبرى لذلك المذهب، تدافع عنه ولا تقبل غيره، في حين أن المذهب القائم بسجلماسة على عهد المدرارين كان هو المذهب الخارجي على الطريقة الصفرية. وموقف الإمام سحنون، زعيم المذهب المالكي بأفريقية من الصفرية أمر معلوم، إذ كان يندد بهم ويكفرهم ويضطهدهم متى ظهر لهم أثر. والسياسة العامة للدولة العباسية التي كان الأغالبة يطبقونها بالغرب الإسلامي كانت هي قمع الخوارج والحيلولة دون ظهورهم وإيقاف كل نشاط لدعوتهم.

وأما من الناحية السياسية، فقد سبق أمويو الأندلس إلى ربط الاتصال مع المدراريين لسببين كبيرين : أولهما البحث عن حلفاء في المنطقة لمواجهة الأغالبة الذين كانوا يمثلون الخلافة العباسية. وقد استمر الموقف نفسه بعد أن حل الفاطميون محل الأغالبة بأفريقية. وثانيهما الرغبة في الحصول على فوائد التجارة مع أفريقيا السوداء عن طريق سجلماسة. ويتضح من كل ذلك أن العلاقات ما كانت لتصفو بين المدرارين والأغالبة صفاء حقيقيا. ومجمل القول إن سجلماسة وإيالة المدرارين، بوجه عام، سلمتا من عدوان الأغالبة، نظرا لموقعهما ولكونهما تقعان وراء مملكة الرستميين الخارجية التي كانت هي الأخرى، تناصب العداء للدولة الأغالبية.

لكن الدولة التي استأثرت باهتمام الأغالبة كانت هي الدولة الإدريسية، التي تأسست بالمغرب الأقصى ابتداء من سنة 172 / 788. ذلك أن إدريس الأول مؤسسها كان حفيداً للرسول ولعلي بن أبي طالب، فكان يعتبر نفسه هو وأسرته

أحق بالخلافة والإمامة من العباسيين. مما جعل استقراره بأقصى المغرب وتأسيسه لدولة فتية تحديا وتهديدا للعباسيين وسعيا لأخذ ثأرالأسرة العلوية التي طالما نكلوا بها وكانت آخر وقعة تصدوا لهم فيها بالتقتيل والإبادة هي وقعة فخ (169 هـ) بناحية مكة، التي تمكن إدريس من الفرار منها سالما.

ولذلك حرص الخليفة هارون الرشيد على أن يتتبع بكل حذر ويقظة تطور الدولة الإدريسية بالمغرب، وكلف بذلك إبراهيم بن الأغلب الذي لم يكن بعدُ تولى الإمارة بأفريقية، وإنما كان أحد القادة المعدودين والمرموقين بالمنطقة، وكان يحظى بثقة الرشيد. ويتضح من عدة قرائن أن إبراهيم بن الأغلب كان عضوا أساسيا في المؤامرة التي دبرها الرشيد لاغتيال إدريس، إذ وجه إليه أحد الأعوان الدهاة سليمان بن جرير. وقد ورد في رواية ابن الآبار :"فلما ولى الرشيد دس إلى إدريس من أنس به، واطمأن إليه، وكتب له كتابا إلى إبراهيم بن الأغلب عامله على أفريقية فاحتال حتى سمه" (*الحلة السيراء* 1 : 52).

فاغتيال إدريس بالسم جرى سنة 177 / 713 بمساعدة إبراهيم بن الأغلب الذي لم يكن تولى على أفريقية بعد.، إذ لم يتم له ذلك إلا في سنة 184، بعد أن قدم للرشيد كل البراهين على كفاءته وإخلاصه في خدمة الدولة. كما أن خبرته بالمغرب وأهله كان لها دور كبير في الثقة التي حظى بها عند الخليفة العباسي.

كان اغتيال إدريس مأساة كبرى بالنسبة للأسرة العلوية التي توالت عليها النكبات، لكنه لم يحل المشكل المطروح على العباسيين، لأن الدولة الإدريسية استمرت في شخص إدريس الثاني 177 ـ 213 / 793 ـ 828 الذي ناب عنه في تدبير شؤون الدولة أثناء صباه راشد مولى إدريس الأول. ومن المعلوم أن راشد كان ذا رأي وحيلة وتجربة، وكان له دور أساسي في فرار إدريس الأول من وجه العباسيين وتأسيس الدولة الإدريسية بفاس. فاستطاع أثناء وصايته على الصبي إدريس أن يقوم بأعباء الدولة ويوطد كلمتها، الشيء الذي لم يرق لا العباسيين ولا ولاتهم على أفريقية الأغالبة. ولذلك، فإن إبراهيم بن الأغلب لم يتوان عن الاستمرار في كيده للأدارسة وظل يتربص الفرصة براشد إلى أن حانت له الفرصة فقام باغتياله في تاريخ لم تتفق المصادر على تحديده، إذ تختلف بين سنتي 178 و 186 هـ. والراجح أن الاغتيال جرى بعد مرور سنوات على مصرع إدريس الأول، بعد أن عاد إلى النفوس الاطمئنان، وتخلى رجال البلاط الإدريسي عن الحذر والاحتياط.

ولم يستفد لا العباسيون ولا الأغالبة من مقتل راشد، إذ وجد الصبي إدريس من يعضده ويؤازره بالرأي والنصح في شخص أبي خالد يزيد بن إلياس العبدي وسارت الدولة الإدريسية في طريق النمو والترعرع. وكل هذا فت في عضد إبراهيم بن الأغلب الذي فكر في شن الحرب على إدريس الثاني. إلا أن خاصته ثنوه عن إنفاذ مشروعه.

فرجع إبراهيم إلى خطة الدس والكيد. وفكر في طريقة لعزل أنصار إدريس من البربر عنه. فاتصل سرا بوزيره بهلول المدغري وأغراه بالمال والوعود إلى أن جلبه إلى جهته، وحاول أن يثير عليه أوربة، أنصار الأدارسة الأولين بإثارة العصبية القبلية واستغلال توافد أعداد كبيرة من العرب على فاس وركون إدريس إليهم، وتمكن من تدبير مؤامرة معهم ضدا على إدريس لكن هذا الأخير فطن بذلك ولم يتردد في معاقبة الأوروبيين المشاركين في المؤامرة وفي مقدمتهم إسحاق ابن عبد الحميد الأوربي، زعيم أوربة ونصير إدريس الأول عند مقدمه إلى المغرب، وجرت الحادثة في سنة 192 هـ. وحاول إدريس أن يخلق جوا من المصالحة والتوادد مع ابن الأغلب وراسله في هذا الشأن لكنه لم يحصل على طائل.

وفي هذه الأثناء، توفي إبراهيم ابن الأغلب سنة 196 وحل محله ولده عبد الله (196 ـ 201 / 811 ـ 816) ويظهر أن عهده القصير لم يحدث فيه شيء يتعلق بالمغرب سيما وأن سوء سيرته أثار عليه مشاكل في أفريقية ثم تلاه أخوه زيادة الله (201 ـ 223 / 816 ـ 837) فوجد أمامه مشاكل داخلية لم يوفق إلى حلها بسهولة، إذ انهمك في مواجهتها ما لا يقل عن إحدى عشرة سنة أي إلى غاية 212 وتنفس إدريس الثاني الصعداء وزاد في توسيع مملكته، إذ تمكن من مدها في اتجاه الشرق وضم إليها تلمسان. كما وطد نفوذه في أقاليم الجنوب المغربي بين سوس ودرعة وفي جهات أخرى من الأطلس الكبير والأطلس المتوسط.

لكن زيادة الله ما لبث أن تخلى عن توانيه في محاربة الأدارسة ورجع إلى خطة أبيه في الكيد لهم، فتمكن من اغتيال إدريس الثاني سنة 213 وتتفق عدة مصادر على أنه مات مسموما.

هكذا استطاعت الدولة العباسية بواسطة الأغالبة أن تهد كيان الدولة الإدريسية الناشئة وتحطم طموحها وتكسر وثيتها. فبعد موت إدريس الثاني دخلت الدولة الإدريسية في أطوار من الانطواء والانكماش والفتن الداخلية وتراجعت عن طموحها الكبير الذي كان يراود مؤسسها، ألا وهو تأسيس خلافة علوية والقضاء على الدولة العباسية.

لكن العلاقات بين المغرب وأفريقية في عهد الأغالبة لم تنحصر في النزاعات بين الأسر الحاكمة، بل كان هنالك تبادل تجاري بين البلدين فالقوافل التجارية كانت تتحرك بين البلدين إما لنقل بضائع الشرق إلى المغرب والأندلس أو لنقل بضائع المغرب إلى أفريقية وإلى الشرق، ومن بينها الذهب والفضة والرقيق الأبيض والأسود. كما أن أفريقية كانت محطة مهمة في طريق الحجاج المغاربة وفي طريق طلاب العلم.

لكن هذا الجانب لا يمكننا أن نتحدث عنه إلا بشيء من الإجمال لأن مصادرنا لا تمدنا بما يكفي من المعلومات.

إ. الاصطخري، *المسالك والممالك*، القاهرة 1916 ؛ أ. البكري، *المغرب*، باريس 1911 ؛ أ. ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ م. ابن

الأبار، *الحلة السيراء* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن الخطيب، *أعمال الأعلام* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ ع. الجزنائي، *جنى زهرة الآس* ؛ ابن الأثير، *الكامل* ج 5 ؛ سعد زغلول عبد الحميد، *تاريخ المغرب العربي* ؛ السيد عبد العزيز سالم، *تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس*، القاهرة 1962 ؛ محمود إسماعيل، *الأغالبة*، فاس 1978.

Encyclopédie de l'Islam.

محمد زنيبر

أغْبَارْ، مفرد مذكر. يجمع على إيغْبَارْنْ، وصيغة التصغير منها هي تاغْبَارْتْ وتجمع على تيغْبَارينْ، اسم لعدة أمكنة، يوجد المعروف منها حتى اليوم في وادي نفيس الأعلى وبلاد تيفنوت بأيت واوزگيتْ الجنوبيين.

أما المدلول اللغوي للكلمة، فيبدو أنه مستمد من الوضع الطبوغرافي للأماكن التي تحمل هذا الاسم. إذ يلاحظ أنها تقع كلها في أعلى جزء من وادٍ مّا. أي في المنطقة التي تتجمع فيها المياه الأولى التي تكون رأس مجرى مائي. فهي إذن تعني أعلى حوض النهر.

وتجدر الإشارة كذلك إلى أن ثلاثة من أربعة أماكن تحمل الاسم المذكور، توجد بها مناجم معدنية، منها ما عرف من عهد الموحدين. فقد ذكر البيذق أن عبد المومن بن علي عاقب أيت واوزگيت حينما "حصروا العدانيين في أغبار" تيفنون. كما أشار مؤلف *رحلة الوافد* إلى "أن بلدة أغبار (بوادي نفيس الأعلى) فيها كثرة المعادن من حديد وغيره"، وأضاف بأنه أخبر بأن هذه المعادن كانت تستغل منذ عهد الإمام المهدي بن تومرت.

وفي عهد الحماية نجد أن معادن تاغبارت بأعلى وادي أگْنْضيص ـ أحد روافد نفيس العليا ـ كانت تستغل من قبل شركة معدنية عصرية، واستمر ذلك إلى وقت قريب.

ويعتبر أغبار وادي نفيس، ذا أهمية خاصة نظرا لمميزاته المتعددة. ومن بينها تغلغل الوادين المكونين له ـ وهما أسيفْ ن ـ إيجَانَاتْنْ وأسيفْ نْ ـ مْسُورْ ـ تغلغلا عميقا في كتلة تيشكا الجبلية. مما جعله على اتصال مباشر بالمجموعات البشرية المجاورة لها، والتي تعتبر من أقوى المجموعات الجبلية وأشدها مناعة وأكثرها غيرة على استقلالها منذ أقدم العصور. وتزداد أهمية هذا الموقع خصوصا إذا علمنا أن الموسم الرعوي الذي ينعقد كل صيف بمراعي تيشكا يلعب دورا هاما في شتى مجالات حياة سكان المنطقة. أضف إلى ذلك أن التغلغل جعل بلاد أغبار قريبة جدا من سوس الأعلى، مما سهل الاتصال وتبادل المصالح بينهما.

إن الناظر إلى بلاد أغبار، سيلاحظ بسرعة أنها منعزلة وسط قمم جبلية عالية، وقراها تنبث على جوانب أودية عميقة وضيقة، ولا تصلها بالخارج إلا مسالك جبلية شديدة الارتفاع وصعبة العبور ومعدودة على الأصابع.

ولهذه الأسباب تمكن سكان أغبار من الاحتفاظ باستقلالهم السياسي ونظامهم المجتمعي الجماعي حتى زمن قريب. ولم يتمكن القائد الگنتافي من إخضاعهم لنفوذه ـ رغم قوته ـ إلا غداة موت السلطان الحسن الأول، وبعد معارك عنيفة بين الطرفين.

وأخيرا تجدر الإشارة إلى أن شيخ زاوية تَاسَافْتْ لم يجد ملجأ يلتجئ إليه هو وعائلته، حين داهمت حركة باشا مراكش عبد الكريم بن منصور، وادي نفيس سنة 1715، إلا بلاد أغبار التي كانت كذلك ملجأ لجزء من سكان الوادي الهاربين لنفس الأسباب.

أ. البيذق، *كتاب أخبار المهدي*، (1928) النص، ص 127، الترجمة، ص 217 وتعليق رقم 2 ؛ عبد الله بن إبراهيم، *رحلة الوافد*، 124، 125، 129 وما بعدها، وأماكن أخرى.

Ch. De Foucauld, *Dictionnaire*, 1 : IVm P. 1690 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, pp. 12, 18 134, 162. 186 et passims ; *L'Aghbar et les hautes-vallées du Grand-Atlas*, dans Hespéris, Année 1927, 1er Trimestre, pp. 1 - 32 ; E. Laoust, *Contribution*, p. 34.

علي صدقي ازايكو

أغْبَالْ، صيغة لكلمة أغْبَالُو الأمازيغية، ومعناها عين ماء.

جغرافيا يرتبط اسم أغبال، إما بهذه الصيغة أو بتحريف ضئيل، بأماكن وقرى متعددة بمختلف مناطق المغرب. فقد أحصى إ. لاووست E. Laoust ما يقرب من عشرين مكانا بهذا الاسم (*Contribution*, 58).

ومن المراحل التي ذكرتها كتب الأخبار : أغبال ببلاد زمور بعد المرور بالمعازيز في الطريق من مكناس إلى الرباط، وبه حلت محلة السلطان المولى الحسن الأول سنة 1294 هـ في طريقها نحو مراكش.

وبناحية أزرو، على بعد ثلاثة كيلومترات من هذه المدينة إلى الغرب، توجد عين ماء جارية غزيرة تعتبر من أهم مصادر مياه واد بهت، تعرف بعين أغبال، وهذا الاسم كما يلاحظ، مركب من كلمتين أولاهما عربية (عين) والثانية أمازيغية (أغبالو)، وكلاهما تدل على نفس المعنى، فيكون مفاد الاسم "عين العين"، وهذا فيما نعلم هو المثال الوحيد لهذا الترادف والاندماج اللغوي فيما يخص تسمية منبع مائي.

ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 2 : 167 ؛ *استطلاعات محلية*.

E. Laoust, *Contribution*.

عبد العزيز توري

أغْبَالة، ترجع تسمية هذه القرية في الأصل إلى عين كبيرة اشتهرت بها هذه القرية، يصطلح عليها باللهجة المحلية (أغْبَالُو) وقد سمي سكان المركز بأغبالة.

الانتماء القبلي : ينتمي سكان أغبالة إلى قبيلة أيْتْ سُخْمَانْ، التي تفرعت إلى قبيلتين هما : أيت حمامة وأيت عبدي نسبة إلى حمامة وعبدي، وهما من إخوة كوّنوا قبائل مستقلة، فمركز أغبالة ينتمي إلى قبيلة أيت حمامة.

الانتماء الإداري والموقع : يخضع مركز أغبالة إدارياً لدائرة القصبة التابعة لعمالة إقليم بني ملال. وتقع أغبالة

في الشمال الشرقي لإقليم بني ملال على الطريق الثانوية رقم 1902 الرابطة بين القصبة والقباب، وبالضبط بين منبع نهري ملوية وواد العبيد. يحدها من الناحية الجنوبية قبيلة أيت حديدو، وغربا أيت داود وعلي وأيت ويرا، وشمالا أيت هودي وأيت إسحاق، وشرقا أيت حنيني.

- بعض المعطيات الطبيعية : أغبالة تدخل في ميدان الأطلس المتوسط، الصخور الغالبة في هذه المنطقة هي الصخور الكلسية التي تمتاز بنفادية كبيرة، ومن صخور غير نافذة، صلصال أساسا، يلعب دور الركيزة. لهذا السبب برزت مجموعة من العيون أهمها عين أغبالة المشهورة. ومن الناحية المناخية : تنتمي منطقة أغبالة إلى النوع الجبلي القاري الجاف والحار صيفا والرطب والبارد شتاء. وبالرغم من ارتفاع المنطقة وقربها من الأطلس الكبير حيث الثلوج تدوم أكثر من أربعة أشهر، أي من دجنبر إلى مارس، والتي تعطي الرياح الجنوبية الشرقية الباردة برودة كبرى، فالحرارة تبقى نسبيا مرتفعة، ويخضع تذبذبها كما هو الشأن في الأمطار لنظام الفصول. الأشجار السائدة بالمنطقة هي بعض الأشجار المثمرة كجشر التفاح والخوخ وأشجار العرعر والبلوط الأخضر. أما باقي المنطقة فتعرف تدهورا مستمرا للغاية بفعل الاستغلال البشري المكثف.

يعرف مركز أغبالة تطورا ديموغرافيا ملحوظا ويبلغ عدد سكان المركز 4200 ن. وتتخذ القرية شكلا طوليا، إذ أن السكن يقع على طول الطريق الثانوية المؤدية إلى القباب. وهذا المركز يخضع لتصميمين : الأول موروث عن الاستعمار الفرنسي، والثاني حديث العهد قامت به السلطات المختصة.

يتكون المركز من أحياء أساسية : الحي الإداري، حي الموظفين، الحي الصناعي، الحي الجديد. كما أن مركز أغبالة يتوفر على مجموعة من التجهيزات والمرافق العمومية الضرورية.

الأنشطة الاقتصادية المحلية : النشاط السائد بالقرية هو الفلاحة التي ترتبط بأقدام السفوح وبعض المنخفضات المغلقة، وتربية الماشية المتمثلة في الماعز أساسا وبعض الأغنام.

خصوصيات القرية : لعب هذا المركز دوراً تاريخيا مهما، تجلى في استقباله لعدد كثير من المهاجرين الذين مثلوا بعض القبائل المتضررة من الاستعمار الفرنسي (كدكالة وعبدة وبني عمير وزيان...) مما زاد في إشعال نار المقاومة بالقرية، إلى أن تم استسلامها سنة 1932.

عبد الرحيم بنعلي

أغْبَالُو نْكرْدوس، جماعة قروية بدائرة كلميمة تقع في الجهة الغربية من إقليم الراشدية (قصر السوق سابقا) تحدّها شمالا جماعة أسول وجنوبا إقليم ورزازات. تشتمل على منطقة جبلية ممتدة من جبل بادو في الشمال الشرقي إلى جبل حمدون في الشمال الغربي، ومنطقة سهلية يخترقها واد كبير من الشمال إلى الجنوب. مناخها قاري بارد جاف، وتتساقط الثلوج في مرتفعاتها.

ولهذه المنطقة ماض مجيد في مقاومة الاستعمار الفرنسي التي استمرت أكثر من عقدين من السنين اشتهرت فيها معركة وادي إفيغ القريب من أغبالو نكردوس. وكانت معركة عنيفة دامت من 11 إلى 16 يبراير 1932. وفقدت فيها القوات الفرنسية المهاجمة كثيراً من المقاتلين والأسلحة، واضطرت إلى الاستنجاد بعسكريين شاركوا في معارك الريف. ولم يتكمن الفرنسيون من الاستيلاء على أغبالو نكردوس إلا يوم 11 غشت 1933 على إثر معركة جبل بادو التي قادها خمسة جنرالات واستخدمت فيها الطائرات وأحدث الأسلحة الفتاكة. وتجدر الإشارة كذلك إلى أن المنطقة لعبت أدواراً مهمة في مختلف حقب تاريخ المغرب، وعثر في إفيغ أخيراً على اثنتي عشرة قطعة ذهبية موحدية من سك عبد المومن بن علي (525 ـ 558).

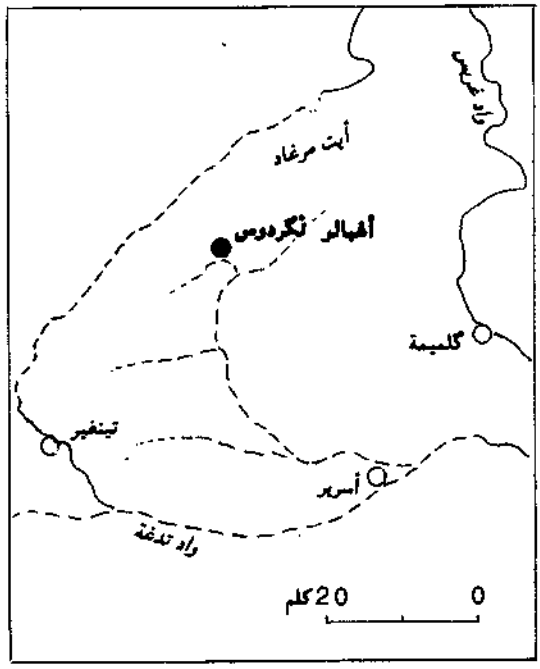

أغبالو نكردوس

ونظراً لإيغال موقع أغبالو نكردوس داخل الصحراء وانعزاله وبعده عن الطرق المطروقة بنى المستعمرون فيه سنة 1953 معتقلا كبيرا حشروا فيه طائفة من الوطنيين من مختلف الجهات "وهو قلعة مسورة في مستوى توجد في غربيّه قرية تعلو على المعتقل وهي متصلة به اتصالاً مباشراً، وفي الجنوب الوادي الذي فيه القرى والحقول التي تطل عليها. وفي الشرق من المعتقل المسور ديار منتشرة يسكنها المراقب ومن إليه في مغروس جميل بأنواع الأشجار المثمرة... وفي شرقي هذه الديار منحدر يتصل بالوادي الذي تطل عليه في الجنوب. وفي الشمال بين المعتقل وبين جبل حمدون مضيق غير متسع إلا بضعة أمتار فيه بستان مستطيل.." (*معتقل الصحراء*، 165).

وقد خلّد محمد المختار السوسي اسم أغبالو نكردوس في تاريخ الحركة الوطنية المعاصرة، وكان ممن اعتقلوا فيه، بكتاب *معتقل الصحراء* في جزءين، طبع أولهما بعد وفاته، مشتملاً على وصف ممتع للموقع والسكان والمعتقلين، وأدبيات طريفة شاهدة على أحداث وانطباعات. أما الجزء الثاني فإنه ما يزال مخطوطا ويحتوي على تراجم المعتقلين في أغبالو نكردوس الذين ينيف عددهم على السبعين. وفي نونبر 1987 حج بعض قدماء المعتقلين في أغبالو نكردوس إلى هذه القرية وزاروا معتقلهم القديم الذي أصبح - منذ الاستقلال - مدرسة يتعلم فيها أطفال المنطقة نهاراً، وكبارها ليلاً في نطاق محاربة الأمية. وألقيت في هذا التجمع كلمات قيمة للأستاذين محمد إبراهيم الكتاني ومحمد الفاسي وغيرهما نشرت ملخصاتها في كتيب بعنوان : *الذكرى الأولى لمعتقل أغبالو نكردوس*.

ص. بلعربي، *كتاب المغرب*. بيروت، 1989 ؛ م. المختار السوسي، *معتقل الصحراء*، ج 1 . الرباط 1982 ؛ *الذكرى الأولى لمعتقل أغبالونكردوس*، الرباط 1988 ؛ ع. توري، *حول كنز صغير حديث الاستكشاف*، مجلة المناهل، ع 30، 1984.

محمد حجي

أغربي، أسرة تطوانية أصلها من ناحية الغرب استوطنت تطوان فكان من بين أفرادها بعض الفقهاء والعدول، مثل الفقيه محمد بن العربي الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1214 / 1800، والفقيه أحمد بن القاسم الذي كان يتعاطى الفتوى من سنة 1248 / 1832 إلى سنة 1257 / 1841.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط خاص ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 م ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *familias ilustres de Tetuan* 1921 (G). Isidro de las Cagigas Familias tetuanies de abolengo 1921 (A). *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* (G). M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espanol* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

إغْرِيبِنْ، قرية بفرقة الفوقاني من قبيلة قمسمان الريفية بالقرب من تل أنوال، احتلها الجيش الإسباني الغازي لأول مرة يوم 7 يونيو 1921 حيث تمركز وأقام بها تحصينات كانت تفوق تحصينات مركز أنوال، وهذا ما جعل قائد الثورة الريفية محمد بن عبد الكريم الخطابي يولي إغربين اهتماماً أكثر من اهتمامه بمركز أنوال. فبدأ يحفر الخنادق حول إغربين يوم 14 يونيه. وفي يوم فاتح يوليوز أقام الحصار الفعلي على هذا المركز واستمر إلى يوم 21 من نفس الشهر حيث تمكن من تدميره والقضاء على حاميته المكونة من 639 مقاتلاً ما بين جنود وضباط برئاسة الكومندان بينيطيث Benitiz

وأثناء هذه المدة قام الجنرال سيلفيسطري بعدة محاولات من أجل فك الحصار المضروب على إغربين، وذلك بإرسال القافلة تلو الأخرى، ولكن دون جدوى، لأن المجاهدين كانوا لهم بالمرصاد يسحقون القافلة بعد الأخرى، وهذا ما أدى إلى حدوث عدة معارك أثناء الحصار الذي دام من يوم فاتح يوليوز إلى يوم 21 منه. وكان النصر حليفاً للمجاهدين في جميع هذه المعارك.

م. ابن عزوز حكيم، *معركة أنوال*، تطوان 1981، ص 77.

Servicio Historico Militar, *Historia de las Campañas de Marruecos*. Madrid 1947 - 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

إغْرِيبِنْ (معركة بالريف). يتوقف المؤرخون لدى تناولهم حرب الريف التحريرية عند المعارك الطاحنة التي جرت من 14 إلى 21 يوليوز 1921 بإغربين، الواقعة بين قبيلتي قمسمان وبني توزين، على الجنوب الغربي لكل من أمزاورو وأنوال. وأهمية هذه المعارك الدامية تكمن أولا في شدة ضراوتها وهولها، وثانيا في الحصار الذي ضربه مجاهدو الريف على حامية المركز الذي يبتعد عن الماء الصالح للشرب بحوالي 4 كم.

لقد احتل الجيش الإسباني إغربين يوم 7 يونيو 1921 بقيادة العقيد موراليس Morales، وتحصن فيه دون أن يتعرض في البداية لأي مجابهة، ودون أن يتكبد أي خسائر. بيد أن هذا الاحتلال ترك وقعا سيئا في نفوس الريفيين، فقرروا استرجاعه. وهكذا، قاموا بحفر الخنادق بالقرب من إغربين لعزله عن باقي المراكز الأخرى المحتلة وخصوصا أنوال لكي لا تتمكن قافلات التموين من الوصول إليه. وفي هذا السياق، تحدث محمد بن عبد الكريم الخطابي عن الظروف التي كانت تحيط بحصار إغربين :

"كنت على علم بأن تموين الجيش الإسباني كان غير منظم وأن حامية المراكز المحتلة لم تكن تتوفر إلا على ما تحتاجه لمدة أربعة أيام لا أقل ولا أكثر، كما أنني كنت على علم بالحالة النفسية التي كان يعيش عليها الجندي الإسباني وهو يشاهد بأعينه الأعمال التمهيدية التي كنا نقوم بها استعدادا لمهاجمته من حين لآخر".

ابتدأت عملية الحصار في منتصف يوليوز 1921، شدد أهل الريف الخناق على حامية إغربين فحاصروها، وأخذوا يشنون عليها هجومات متتالية. وتشير الوثائق العسكرية الإسبانية إلى أن هذا الحصار المضروب أصبح، يومي 19 و 20 يوليوز، جحيما لايطاق. وهكذا تقدم المجاهدون إلى مركز إغربين فهاجموه يوم 21 يوليوز دفعة واحدة. وتذكر نفس الوثائق أن عدد الذين غادروا المركز كان يفوق ثلاثمائة رجل، لم يصل إلى أنوال إلا أحد عشر، وأما الباقي، فمنهم من قتل، ومنهم من سقط فيْ يد المجاهدين.

أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية* 2 : 87 ؛ م. د عمر القاضي، *أسد الريف عبد الكريم الخطابي*، تطوان، 1979، ص 117.

L. Casada Escudero, *Iguerriben*. Madrid, 1923. "*Historia de las Campañas de Marruecos*", Madrid, 1981, 417 - 430.

عبد العزيز التمسماني خلوق

إغْرم، مصطلح أمازيغي واسع الانتشار، إذ نجد استعماله في مجال جغرافي يشمل مناطق تمتد من جنوب الأطلس الكبير والجنوب الشرقي إلى الريف، وإن كان استعماله عند بعض القبائل يتخذ صيغة المؤنث تغْرمتْ، ويطلق حينئذ على المنزل الكبير ذي الغرف المتعددة المتكون أحيانا من عدة طبقات يخصص بعضها لخزن المواد، لذلك نجده منزلا محصنا، في كل زاوية خارجية منه برج قوي.

أما صيغة المذكر إغْرم، فيحيط معناها الشائع بالقرية المحصنة التي يطلق عليها بالدارجة المغربية اسم القصر، والمنتشرة خصوصا في واحات الجنوب والجنوب الشرقي وعلى طول أودية درعة ودادس وتدغة وغريس...

تمتاز هذه التجمعات السكنية ببنيانها المتراص، المجتمع، المحصن بسور أو سورين وقائيين، لا يفتحهما على الخارج سوى باب رئيسي كبير وقوي يقوم بحراسته حارس دائم، ويتميز السور الداخلي بأبراج عالية تحتل زواياه. بينما يكون السور الخارجي بناءً عادياً لا يميزه سوى علوه.

أما النظام الداخلي للقرية فيحتوي على أزقة ضيقة، معظمها مغطى، تتوسطها في الغالب ساحة رئيسية واحدة، نجد بها البئر الجماعية. أما المسجد فيحاذي الباب الرئيسية وقد يستعمل لموقعه هذا، في الدفاع وردّ كل مهاجم خارجي، لذلك نجد بجدرانه فتحات توجه منها طلقات البنادق نحو الخارج.

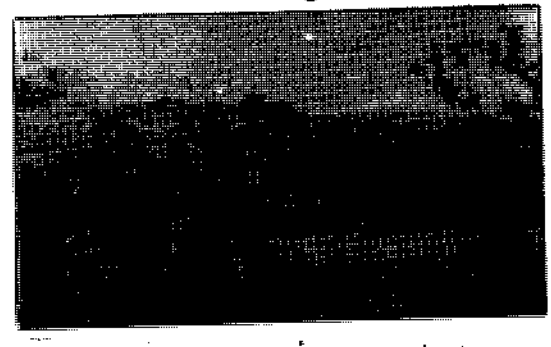

وقد لاحظ "لاووست" أن خاصية الدفاع هذه تقرب ما بين إغرم وأگادير وهو البناء المحصن المخصص لخزن المواد والمذخرات. وانطلاقا من ذلك أشار إلى أن من خلال تمعّن دقيق في انتشار البناءين والكلمتين يتضح أن منطقة تيزي ـ ن ـ تَلْوَات بالأطلس الكبير هي "الحد الفاصل بين منطقتين لغويتين كبيرتين تستعمل الغربية منهما لفظ أگادير والشرقية كلمة إغرم... لكن انتشار إغرم عبر مناطق گنْدَافة، وگدميوَة، وغيغاية يدفع بذلك الحد شيئا ما إلى الغرب (*Contribution*, p. 71) ولاحظ كذلك نفس الباحث أن كلمة "إغرم لا تجهلها القبائل التي تستعمل لفظ أگادير، فهي تشير بها للجدار المنحدر والعريض المبني من الأحجار المرتبطة بدون لياط، والمستعمل كحاجز لتربة المسطحات الصغيرة المحوثة"، كما أن مستعملي لفظة إغْرم للدلالة على القرية أو الدار المحصنة يستعملون كذلك كلمة أگادير إشارة للحائط العادي.

ومن أشهر القرى التي بقي مصطلح إغرم عالقا بها قرية إغرم أمزدار بقبائل أيت عطّا، وإغرم العلام بناحية بني ملال.

E. Laoust, *Mots et Choses*, p. 1. 2 ; *Contribution*, p. 70 - 71 ; L. Mezzine, *Le Tafilalt*, p. 194 - 95, note 36 ; A. Touri et Hammam, "*Tradition écrite et architecture*", *Hespéris Tamuda*, 1986, p. 213 s.

عبد العزيز توري

أغريتم ← لوغاريتم

أغريس ← غريس

الإغريسي ← الغريسي

اغزاوة ← اغصاوة

الأغزاوي ← الأغصاوي

إغْزَرْ أشّن، معركة من أعنف المعارك التي خاضها سكان الريف بقيادة الشريف محمد أمزيان (من 9 لوليوز 1909 م إلى 15 ماي 1912) ضد قوات الاحتلال الإسبانية.

وقد وقعت في المكان الذي صارت تعرف باسمه وهو "إغزر أشن" أو أُخَنْدُوقْ أشّنْ ومعناه في اللهجة الريفية، وادي الذئب. ويعرف عند الإسبانيين بـ "El Barranco del labo". يقع بمدشر أيت عيسى ببني أنصار من قبيلة مزوجة المكونة لإحدى القبائل الخمس لقلعية.

ويبدو سطح المكان لناظره من بعيد في شكل هضبة قليلة الانحدار (150 مترا). لكن الواقع هو غير ذلك ؛ فأرضيته صعبة المسلك، تتخللها خوانق ضيقة وصغيرة تنزل نحو مجرى "إغزر أشن"، لا ترى إلا عند الاقتراب منها، من فوق الهضبة. وتغطيها صخور كثيرة من مختلف الأحجام تجعل حركة السير بها صعبة، لكنها تعتبر بالنسبة للسكان خطاً طبيعياً ممتازاً للدفاع ضدّ أي هجوم يأتي من هذه الجهة، يمنحهم التفوق في الميدان.

كان الجنرال "خُوصي مَرينَا José Marina"، الحاكم العام لمليلية، يعتقد إلى غاية هذا التاريخ (27 يوليوز 1909 م)، بأن هذا المكان هو أقرب ممر يفتح الطريق لاحتلال جبل أگرگور (گوروگو) المتحكم بموقعه في كل قبائل قلعية، والذي يهدد مدينة مليلية إذا ما توفرت به للمغاربة مدافع متطورة.

ولم تكن هذه الامتيازات الاستراتيجية لهذا الموقع خافية عن الريفيين، لذا تمركزوا به منذ بداية المعارك، وحفروا به الخنادق، ينطلقون منه لمهاجمة قوافل تموين الجيش الإسباني الغازي ثم يعودون إليه دون أن تنال منهم المدافع الإسبانية شيئاً.

وقد حاول الجنرال "مرينا Marina" احتلال هذه المنطقة بمباغتة الريفيين وإنزال الضربة القاضية بهم خلال يومي 22 و 23 يوليوز، إلا أن المقاومين الريفيين تصدوا ببسالة لقوات الغزو الإسبانية فألحقوا بها هزيمة شنعاء، مما أحدث موجة من السخط والاحتجاج على هذه الحرب لدى الرأي العام الإسباني. أما الحكومة الإسبانية فقد دفعها اندهاشها وفزعها إلى إرسال مزيد من الإمدادات والنجدات إلى مليلية "لإنقاذ شرفها الوطني"، واختارت لذلك أحسن ما تتوفر عليه من الجيوش تدريباً وتسليحاً(La Brigada Mixta de Madrid) بقيادة الجنرال بِينْتُوسْ (Pintos) الشهير الذي اقترن اسمه بالأمجاد الاستعمارية، وكأنها أرادت بذلك إحياء الحلم الذي لم يحالف الحظ الماريشال "أودونيل O'Donnell" لتحقيقه في حرب تطوان سنة 1859م.

وبوصول هذا الجيش، أصبح مجموع القوات الإسبانية بمليلية حوالي ثمانية عشر ألف رجل، مدججين بكل أنواع الأسلحة، ينتظرون الإشارة من الجنرال مرينا Marina لاكتساح أرض الريف.

أما فيما يخص الريفيين، فإن القبائل استجابت لاستنفار المشاعل، فبعثت كل واحدة بما نابها من المقاتلين بسلاحهم وذخيرتهم وما ينفقونه على أنفسهم. فتجمع لدى الشريف أمزيان يوم 26 يوليوز، حوالي سبعة آلاف مجاهد، تمركزوا بالمكان المذكور. وأخبرهم أمزيان بأن قائدا قويا - يقصد بينتوس Pintos - قد وصل إلى مليلية قادماً من إسبانيا للقضاء على مقاومة الريفيين، لذا وجب عليهم الاستعداد لمواجهته. وفي نفس اليوم، وجه أمزيان جماعة قامت باقتلاع جزء من السكة الحديدية عند الكيلومتر الثالث من مليلية لقطع الطريق على قوافل تموين المراكز الأمامية المحتلة، التي كانت تفضل استعمال القطار. بينما أحاط الباقي بالمراكز المحتلة ينتظرون خروج القوات الإسبانية.

لم يخطئ الريفيون في تقدير الوضع، إذ في زوال يوم 27 خرجت من مليلية فرقتان من الجيش لحماية قافلة للتموين، اتجهت بمحاذاة السكة الحديدية شرقاً ؛ بينما خرج الجنرال "بينتوس Pintos" بعد ساعة من ذلك، على رأس جيش ضخم، متجهاً جنوباً صوب "وادي النثب"، المعقل الرئيسي للمقاومين.

ويبدو من فحص أحداث هذه المعركة، أن الخطة الإسبانية، كانت تهدف إلى تقديم الفرقتين الأوليين كطعم لاصطياد الريفيين واستدراجهم للنزول من مواقعهم المحصنة إلى بسيط سيدي موسى، حتى يستفيد الجيش الإسباني من تفوقه في سلاح المدفعية، فينزل بالريفيين الضربة القاضية، بعدما يكون بينتوس قد استغل هذا الظرف فيحتل المعاقل المحصنة من إغزرأشن. وعندما لم تنجح هذه الخطة، قرر الجنرال بينتوس Pintos المتغطرس الذهاب بنفسه والبحث عن هؤلاء الريفيين "البدائيين" في مخابئهم واستئصال مقاومتهم "الأسطورية". وقدم لزحفه بإمطار المنطقة بوابل من قنابل المدافع التي كانت تشتت أشلاء أجسام المقاومين في السماء، ويخنق دخانها أنفاسهم داخل الخنادق. ومع ذلك فإنهم لم يحركوا ساكنا امتثالاً لأوامر أمزيان بانتظار قبائل الجيوش الإسبانية منهم. ولم يبدأوا في إطلاق النار إلا عندما أصبح معظم الجيش مكشوفاً تحت رحمة بنادقهم. وكادت الهزيمة تقع على المقاتلين الريفيين عندما اضطر جناحهم الأيسر، تحت ضغط الهجومات العنيفة للإسبانيين، إلى الانسحاب نحو المرتفعات، لولا تصدي أمزيان وباقي رؤساء القبائل لهؤلاء، شاهرين سيوفهم في وجوههم، فأرغموهم على الرجوع إلى مواقعهم. وتوزع هؤلاء الزعماء على جبهة القتال التي تجاوز طولها الكيلومتر، يحثون الريفيين على الثبات في مواقعهم بمختلف الأساليب. وهكذا استعاد الريفيون نظامهم وتفوقهم، فانقلبوا مهاجمين بعدما كانوا مدبرين، ومن بين هؤلاء، من كان سلاحه خناجر تقليدية فقط !.

استمرت المعركة على هذه الحال إلى حوالي الثالثة بعد الزوال، حيث زادت كفة الريفيين رجحانا بمقتل الجنرال "بينتوس Pintos"، واضطرار الجيش الإسباني إلى الانسحاب بشكل فوضوي بعدما فقد معظم رجال قيادته وجنوده وسلاحه وذخيرته وخيوله...

وقدرت خسائر القوات الإسبانية رسمياً بـ 1046 بين قتيل وجريح، من بينهم 68 ضابطا ورئيساً للجيش، إضافة إلى خسائر كبيرة في العتاد والذخيرة...

وقدر الجنرال مرينا Marina خسائر الريفيين بمائة قتيل ومثله من الجرحى من بينهم عدد من صناديد رجال الريف الشجعان.

كان هذا الانتصار، الذي قام أمزيان بالدور الحاسم في تحقيقه، حافزاً لكثير من سكان الريف الذين لم يشاركوا في هذه المعركة للالتحاق بصفوف المقاومة. كما كان أيضا تأكيداً لزعامة الشريف أمزيان لكل القبائل الريفية. ويعدُّ عربوناً على تشبع هذه المنطقة بالروح الوطنية، انضاف إلى السجل الحافل لبطولاتها وتضحياتها في سبيل الوطن. بينما أضاف هزيمة أخرى إلى قائمة هزائم القوات الإسبانية في الريف، خاصة منذ 18 يوليوز الأخير، مما زاد في تأزم الوضع السياسي بإسبانيا وانفجاره، فلم تجد الحكومة الإسبانية بداً من تجميد مخططها التوسعي ريثما يتم توفير الشروط السياسية والمادية لضمان إمكانية تنفيذه بأقل ما يمكن من الخسائر البشرية على الخصوص.

ع. ح. الورياشي، *الكشف والبيان* ؛ م. أزرقان، *الظل الوريف*.

Informe de la Primera Seccion de la Oficina Central de Intervencion y Tropas Jalifianas, servicio Historico Militar - Madrid, L 8, C 13, Año 1909 ; Ramos, *Eduardo Gallego* ; *La Campana del Rif* (1909), Madrid 1909, pp. 141 - 163 ; Général de Torcy : *Les Espagnols au Maroc en 1909*, Paris, Nancy, 1910, pp. 72 - 82 ; X, el Capitain. *Verdades amargas, La Campana de 1909 en El Rif*, Madrid 1910, pp. 67 - 81 ; Riera, Dugusta, *Espana en Marruecos. Cronica de la Campana* de 1909, Barcelona 1913, pp. 63 - 102 ; Estado Mayor Central del Ejercito (S. M. M.), *Historia de las Campanas de Marruecos*, Madrid 195, T, I ; G. Ayache, *Les Origines de la guerre du Rif*.

مصطفى أريب

إغشان ← **تافراوت**

اغْصَاوَة، أو اغْزارة. أصل عين الكلمة صاد مشمومة بالزاي، لذلك تكتب بهما. وقد اخترنا الصاد لأنها الأصل. اغصاوة : قبيلة صنهاجية من قبائل جبال الزبيب في غمارة شمالي وزان. تقع فيها زاوية الحرائق الشهيرة بآل البقال الأغصاويين، وهم حسنيون ينتسبون إلى إدريس بن عبد الله الكامل من طريق حمزة بن إدريس الأزهر. وكان آل البقال ينتسبون قبل القرن الثاني عشر إلى اغصاوة، ثم غلبت عليهم نسبة البقالي بعد أن غادروا مقر زاويتهم بغمارة كما سياتي. وقد أنجبت اغصاوة عدداً من العلماء والصلحاء خلال القرون السبعة الأخيرة.

إ. بن الماحي الإدريسي، *تقاييد تاريخية*، مخطوط ؛ ص. بلعربي، *المغرب* ؛ المزيني العياشي، *الفهرس في عمود نسب الأدارسة*، 66.

الأغصاوي، أحمد بن علي الحاج البقال. نشأ بفاس، وربما كان محمد الشيخ المامون السعدي أزعجه فيمن أزعج من آل علي الحاج الأغصاوي إلى فاس بعد أن قُتل هذا الأخير على إثر معارضته في تسليم مدينة العرائش إلى النصارى. وكان أحمد الأغصاوي مقيما بالمدرسة المصباحية متعيشاً من نساخة الكتب. ومازالت بعض منتسخاته محفوظة ببعض المكتبات العامة.

توفي في صدر الدولة العلوية.

م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 471.

الأغصاوي، عبدالعالي، أبو محمد. عالم صالح، قضى [illegible] عمره في التعليم ونصفه في العمل الصالح. عده الحضرمي آخر رجال الطبقة الأولى من الصالحين المترجم لهم في *سلسل العذب*، وحلاه بصفات عالية، وقال عنه إنه كان منقطعا إلى عبادة الله في خلوة ببلاد آغصاوة، لا يأذن إلا لقليل من الزوار بالدخول عليه فيها، ومع ذلك كانت مجالسه العلمية شيقة لا تمل. "إذا أخذ في باب من العلم سرد جميع مسائله فيقال إنه لا يحسن غيره لفقهه فيه وحسن تعليمه ووضعه. وربما كان يتكلم فيسترسل به الكلام في أبواب من العلم لم يسمع بمثلها، ثم يعطف فيرجع لما كان بسبيله" (ص 55).

توفي، وقد نيف على الثمانين، سنة 769 / 67 ـ 1368.

م. الحضرمي، *السلسل العذب*، 55.

محمد حجي

الأغصاوي، علي الحاج بن البقال. ينتمي إلى بيت الأغصاويين بجبال غمارة، وهو بيت عظيم كما ذكر صاحب السلوة (1 : 265). ينتسبون لبيت الشرف الحسني، ويرفعون نسبهم لإدريس الأزهر باني فاس من طريق ولده حمزة.

انتقل علي الحاج بعد أن درس في بلاده إلى المشرق طلباً للعلم، وبقي هناك ست عشرة سنة، حيث اتصل بالمشايخ ومنهم محمد الخروبي السفاقسي. ثم أخذ عن الشيخ عبد الله الهبطي. واستقر بزاوية اغضاوة، فطار صيته إلى كل الجهات، وقصده الطلبة والمريدون. وكان من أتباع الطريقة الجزولية.

ساند علي الحاج السعديين في سياستهم الجهادية والوحدوية. ويذكر ابن عسكر الذي عاصره أن الشيخ عليا الحاج "وفد على السلطان الغالب مرتين، فقام بحقه أحسن قيام، وخرج إلى لقائه بظاهر فاس، وقضى حوائج الناس على يده، ووفى له بكل ما سأله في قضائه، فكثر أتباعه، وفتحت أبواب عليه من كل جانب، فتنزل منزلة الأمراء في الأمر والنهي ونفاذ الإرادة وشمخت به نفسه عن الإنصاف.." (*الدوحة*، 403) ذلك ما قاله عنه أحد منافسيه وهو ابن عسكر، حيث كثر اللجاج بين العالمين حول قضايا مختلفة وبالخصوص حول قضية حكم إقامة صلاة الجمعة في قرى البادية، ولم تذكر له كتابات. توفي حوالي عام 981 / 1573، ودفن بزاويته من بلاد اغصارة.

م. ابن عسكر، دوحة ؛ م. الكتاني، سلوة، 1 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2.

محمد المزين

الأغصاوي، محمد بن أحمد، من الفقهاء المخضرمين الذين عاشوا في القرنين التاسع والعاشر، متمكن من أصول المذهب المالكي وفروعه، حافظ ضابط، معروف بالصلاح ومتانة الدين. معدود في طبقة الإمام ابن غازي. قرأ بفاس وتصدر للتعليم في بلاده اغصاوة.

توفي حوالي عام 920 / 14 ـ 1515.

م. ابن عسكر، دوحة، 139 ـ 140 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 470.

الأغصاوي، محمد بن علي، إمام التعديل والتوقيت بفاس في عصره، تخرج على يده جماعة من أعلام هذا الفن، كالفلكي الشهير محمد العلمي صاحب التآليف العديدة المطبوعة على الحجر بفاس، المقررة في نظام القرويين إلى عهد قريب.

ألف محمد الأغصاوي عدة كتب في التوقيف، منها :

ـ *إتحاف المباشر لنظم ابن عاشر في التوقيت*، طبع على الحجر بفاس عام 1317 / 1899. *الدرة المختارة في تعديل الكواكب السيارة*، لخصها من *الروض العاطر* لابن زريق، ومن *المطلع السعيد* للشيخ حسين زايد. *والدرة المختارة في تقويم الكواكب السيارة*. وأرجوزة في مسائل الميقات باللوغاريتم، وشرحها بعنوان : *رغبة أولي الألباب لمسائل*

الميقات بلوغاريتم المستطاب. وشرح الوافية بالمطلوب في العمل بربع الجيوب لعبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي.

توفي بفاس عام 1341 / 1922، حسب ما ذكره تلميذه محمد العلمي وكرره مرارا. ولعل ما عند ع. ابن سودة من أنه توفي عام 1340. سبق قلم.

م. العلمي، *إنهاض الهمم العالية* (مخطوط) ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* عام 1340 ؛ م. حجي، *الخزانة العلمية الصبيحية بسلا*.

الأغصاوي، محمد بن علي الحاج، تُجمع كتب التراجم على أنه كان مجذوبا وصاحب حال. وتربط ذكره بمولاي أبي الشتاء (ت عام 997 / 1589)، الذي اشتهر كذلك كولي صالح يجمع حوله المريدين...

فصاحب *المتع* اعتبره "من أصحاب سيدي أبي الشتاء". وفي التأليف المنسوب لابن عيشون جاء أن صاحب الترجمة "كان مرة عند سيدي أبي الشتاء في سلسلة، وكان يعتريه في بعض الأوقات أحوال تخرجه عن حسه". بينما أكد بعضهم الآخر على المكاشفات والكرامات والإخبار بالمغيبات عند حديثه عن صاحب الترجمة.

وبستفاذ من كل هذا أن الشيخ محمد الأغصاوي لم يشتهر بالعلم والتدريس كما اشتهر به سائر أفراد أسرته من الأغصاويين، بل تأثر بالمجاذيب وأصحاب الحال المنتشرين في سائر بقاع المغرب خلال القرن العاشر الهجري نتيجة ما أسماه الهبطي :بتبدل الأحوال والزندقة والابتعاد عن الطريق السوي".

اشتهر محمد بن علي الأغصاوي كذلك بمعارضته عندما أراد محمد الشيخ المامون تسليم العرائش وأصيلا للنصارى مقابل مساعدته ضد إخوته. وقد وجه إليه رسالة طويلة (انظر ها في *نشر المثاني* 1 : 140 ـ 142) يعاتبه فيها ويؤكد له سخطه عنه "وقد أغلظ له فيها القول"، ودعا إلى نقض بيعته، ونعرف عبر مصادر أخرى مواقف علماء المغرب عامة من هذه القضية، حيث يذكر *صاحب النزهة* أن المامون طالب علماء المغرب بفتوى تبيح له ذلك، فاضطرب أمر العلماء واختلفوا في الموضوع. فبعضهم، أجابوه لذلك خوفا من بطش السلطان كالقاضي محمد بن أحمد بن إبراهيم الدكالي ومن تبعه، وبعضهم امتنع. والممتنعون افترقوا على ثلاث فرق، فرقة : منهم فرت من فاس كالإمام العربي الفاسي وأخيه الحافظ أحمد، وفرقة اختفت حتى انجلى الأمر كالقاضي ابن أبي النعيم الغساني وعبد الواحد ابن عاشر وأبي الحسن البطوئي، وفرقة ناقشت السلطان وأغلظت له في القول كالأغصاوي. توفي صاحب الترجمة بفاس مسموماً من طرف أعوان محمد الشيخ المأمون عام سبعة عشر وألف، ودفن بوطا ابن فرقاشة المعروف اليوم بالسياج، وبنيت عليه قبة. وقبره بها مشهور حتى اليوم.

م. الافراني، *صفوة* ؛ أ. المقري، *روضة الآس* ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، الجزء الثاني ؛ نشر المثاني، الجزء الأول ؛ م. م. الفاسي، *ممتع الأسماع*، طبعة حجرية ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2.

محمد مزين

الأغصاوي موسى ← **ابن العقدة**

أغَطّاس، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، انقرضت سنة 1088 / 1677، حيث لم يبق من أثرها سوى الساحة الكبيرة التي ستُذكر بعد. ولاعلاقة لهذه الأسرة بأسرة غطيس التي لازالت بتطوان.

أغطاس، ساحة بتطوان تدعى "فدّان أغطاس" وهي أكبر ساحة داخل أسوار مدينة تطوان القديمة، تقع بين باب التوت وباب النوادر. وهي منسوبة لأسرة أغطاس التي كانت تملكه، ويوجد بالسور الذي يحيط بالفدان برج يعرف ببرج أغطاس .

وأثناء الاحتلال الإسباني لتطوان سنة 1913 م حُولت هذه الساحة إلى ثكنة لفرقة المدفعية. وأقدم وثيقة ورد فيها ذكر هذه الساحة مؤرخة بسنة 1174 / 1761.

ع. سكيرج، *نزهة الاخوان* ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ *تاريخ تطوان*، 1 : 104، 2 : 339 و353؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1921 (A) ; *Vademecum de Intervenciones* (año 1931) (G) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

محمد ابن عزوز الحكيم

الأغفف محمد ← **ماء العينين**

أغفار، ضريبة أمنية لحماية تنقل السلع عبر مجال ترابي لقبيلة معينة، فقد كان هذا الواجب يُدفع عينا أو نقدا من طرف تجار القافلة لمراقبي المسالك التجارية بالصحراء. وقد كان أغفار يأخذ في بعض الأحيان طابع الذعيرة، وفي كلتا الحالتين فهو يتميز بمواكبته التطور لنظام التحالفات المحلية في معزل عن التبعية أو الزبونية.

أغفير، في إطار التعارض المصلحي بين لفين تُعقد عادة التحالفات بين قبائل متعادلة القوة. غير أن مرونة نظام التحالفات المرحلية يضمن لصغريات القبائل حق الحماية من طرف أحد اللفين. تسمى هذه الحالة على ندرتها أغفير حيث تقوم القبيلة الحامية بتسخير مجموعة من أسرها كرهينه عند طالبي الحماية. وكتعويض عن مهمتها الدركية هذه تحصل الأسر المعينة على خروف بين كل ثلاثين. تنطبق هذه الممارسات على قانون المعاملات بين قبائل الصحراء عموما. وهكذا لا يمكن فصل الأولوية التي أعطيت لممارسة الرعي كنشاط اقتصادي محوري عن البنية السياسية التي بلورتها مجابهة القبائل فيما بينها.

م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة، تاريخ العلاقات التجارية والسياسية*، الرباط، 1988.

مصطفى ناعمي

أغلانْ، يجمع على إغلالَنْ وإغلانَنْ. من أسماء الأعلام الأمازيغية، وهو اسم علم مذكر من فئة الأسماء التي تبتدئ بالهمزة فتحا أو كسرا كأداة للتعريف في اللهجة الأمازيغية (*البينة*، 87).

ويسود هذا الاسم بمعان متقاربة في غير ماجهة من شمال إفريقيا، كما أن نونه تتحول إلى لام بعض الأحيان. وهكذا اسم أغْلانْ بمعنى القناة الكبيرة أو الساقية بمنطقة الأوراس في الجزائر (*Contribution*, 35) ونستفيد من إشارة لابن أبي زرع، أن الاسم كان سائدا أيضا بنفس المعنى بمنطقة فاس (*القرطاس*، 39 ـ 46). ولاتزال الكلمة إلى اليوم متداولة على نطاق واسع بين سكان واحات درعة، وتعني مصرف الماء المتفرع عن إحدى السواقي الكبيرة (*Maghreb et Sahara*, 187).

وقد صار هذا الاسم علماً لقصرين بواحة تزناتة من وادي درعة :

ـ قصر أغْلان نُوفلاً : (قصر أغلان الفوقاني)، وقد بُني القصر في زمن غير معروف بالمدخل الشمالي لواحة تزناتة في الضفة الشرقية لنهر درعة، يبدو واضحا من موقع هذا القصر أنه استعار اسمه من أحد الجداول المائية المتفرعة عن ساقية تَفْرودَسْتْ إن لم نقل إنه استعار اسمه من هذه الساقية نفسها والتي لاتزال تعرف بساقية أغلانْ (*Les pays inaccessibles*, 48).

ـ قصبة أغْلانْ : هذا هو القصر الثاني الذي ارتبط باسم أغْلانْ، وقد بنيت هذه القصبة بالقرب من قصر أغْلانْ الفوقاني. واستعارت اسمها أيضا من أحد الجداول المائية المتفرغة عن ساقية إفْلي الكبيرة والتي تعرف محليا بواد إفْلي (*Les pays inaccessibles* : 48).

ـ الدورالسياسي لقصبة أغْلانْ : كان ولاة المخزن بواحة تزناتة في عهد السعديين ينزلون بالقصبة القديمة داخل قصر ترْغلّيلْ، ثم تحولوا عنها إلى قصر بني صُولي (بإشمام الصادزايا)، الذي استحدث سنة 987 هـ، بأمر من السلطان أحمد المنصور ليكون مقرا جديدا لولاته على المنطقة، وقد كان هذان القصران يجاوران قصبة أغْلانْ، وإن دل هذا شيء فإنما يدل على عهد السعديين، وظل دروها آنذاك منحصرا فيما تقدمه من تشجيع لأسرة الناصريين المقيمين بجوارها على نشر العلم والقيام بوظيفة التدريس (*الحركة الفكرية*، 2 : 536) وبعد سيطرة أبي حسون السملالي على وادي درعة ابتداء من سنة 1039 / 1629، اتخذ ولاته بتزناتة قصبة أغْلانْ مقرا لهم تجنبا للاحتكاك ببقايا أنصار السعديين بقصري ترغلّيلْ وبني صولي، إضافة إلى ماكانوا يجدونه من تأييد الناصريين المقيمين بزاوية أغْلانْ (*الدرر المرصعة*، 269). هكذا يمكن القول بأن الدور السياسي لقصبة أغْلانْ قد بدأ مع سيطرة السملاليين على وادي درعة، وقد تطور هذا الدور بشكل كبير في عهد الدولة العلوية وخاصة إبان ولاية مولاي الشريف بن اسماعيل على المنطقة خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن الثاني عشر الهجري.

ومع بداية العقد السادس من القرن الحادي عشر الهجري، تكبد أبو حسون السملالي سلسلة من الهزائم بواحة تزناتة على يد قوات مولاي مَحمد بن الشريف العلوي، وقد تمكنت هذه القوات من الاستيلاء على قصبة أغْلانْ بعد حصار قصير (*الدرر*، 120). وبالرغم من أن ولاة العلويين على واحة تزناتة، طيلة النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري، كانوا ينزلون بقصبة أغلانْ فإن دورها السياسي كقصبة مخزنية لم يتأكد إلا بعد أن أحدث السلطان مولاي إسماعيل عمالة درعة وفصلها إداريا عن عمالة سجلماسة، وهكذا عين السلطان ابنه مولاي عبد الملك سنة 1111 / 1699، عاملا على درعة وأنزل معه آلافا من الخيل بقصبة أغْلانْ (*الاستقصا*، 7 : 90).

لم تمض إلا ثلاث سنوات على استقرار مولاي عبد الملك بقصبة أغْلان، كعامل لأبيه على وادي درعة، حتى فوجئ بثورة أخيه أبي النصر، وقد تمكن هذا الأخير من السيطرة على قصبة أغْلانْ بعد فرار الأمير عبد الملك سنة 1114 / 1702، فعين السلطان ابنه مولاي الشريف على عمالة درعة وجهزه بحملة عسكرية قوية لاسترجاع الوادي من أخيه أبي النصر. وبعد قتال عنيف التجأ أبو النصر إلى قصبة أغْلانْ في أربعمائة من أصحابه فحاصره مولاي الشريف، ولم تنته الحرب بين الأخوين إلا بتدخل شيخ زاوية تامگروت سيدي أحمد بن ناصر الخليفة، الذي يظهر أنه نجح في إقناع مولاي الشريف بالسماح لأخيه أبي النصر بمغادرة قصبة أغْلانْ والرحيل عن وادي درعة (*الدرر*، 52). وفي سنة 1124 / 1712 عين مولاي الشريف للمرة الثانية على رأس عمالة وادي درعة فنزل بقصبة أغْلانْ ثم جدد أسوارها وبني بها دارا شامخة البناء واسعة الفناء على حد تعبير صاحب الدرر، فصارت قصبة أغْلانْ في عهده مقصدا للعلماء من مختلف أنحاء وادي درعة مثل أحمد بن صالح الأكتاوي، وعبد الكبير التنفوي قاضي قضاة وادي درعة وغيرهم (*الدرر*، 139 ـ 140). ولاتزال آثار قصر مولاي الشريف بن إسماعيل بقصبة أغْلانْ قائمة إلى اليوم بجانب الطريق بين مدينة زاگورة وقصر بني صولي في الضفة الشرقية لنهر درعة.

وقد ظلت أغْلانْ تتخذ مقرا لولاة المخزن بوادي درعة طيلة القرن الثاني عشر الهجري وردحا كبيرا من القرن الثالث عشر الهجري، ونستشف من بعض الظهائر السلطانية أن ولاة المخزن تحولوا عنها في نهاية القرن الثالث عشر الهجري إلى قصر بني صولي، المقر القديم للعمال المخزنيين بالمنطقة. وبانتقال ولاة المخزن إلى بني صولي تراجع دور قصبة أغْلانْ وأصابتها عوادي الزمان، ولم يبق منها اليوم إلا الأطلال التي تحكي في شموخ ماعرفته هذه القصبة من أمجاد سياسية وحركة علمية مزدهرة خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين.

ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ م.م. الناصري، *الدرر المرصعة* ؛ م. الفاسي، *من وحي البينة*، 1970 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*.

G. Spillmann et L.Pennes, *Les Pays inccessibles du Haut Draa*, R.G.M. n 1 et 2 . 1929, E.Laoust, *contribution* Dj J. Meunié, *Magheb et Sahara*, dans *études géographiques offertes a Jean Despois*, Paris 1973.

أحمد البوزيدي

أغمات، أصل الكلمة في اللسان المصمودي ، ونطقها الصحيح هو : غْمَاتْ ـ بتسكين أوله وآخره، وقد تُنطق الغين وكأنّ عليها سكوناً وضما : غْمات وليس فيها همزة القطع، وبذلك فهي فعل أمر. وهذه الصيغة ليست بالغريبة في مجالها الجغرافي، عكس من يرى بأنها مركبة من : "خذ + مات" وإنما ذلك من باب التأويل المقصود به التندُّر عند من يريد ذم أهل البلد بالبخل ، فقال إنها مركبة من "غ" وهو الأمر من فعل أخذ بالأمازيغية ومن الفعل العربي: مات، أي أن العطاء مات عندهم (*الذيل والتكملة* 8 : 348) والمرجح أن أغمات أمرٌ جمع من فعل "غْمْ" الذي يعني عند الأمازيغ خضب (*التشوف* : 84). وأغمات مدينتان : أوريكة وأيْلان.

I ـ **أغْمَاتْ أوْرِيكَة** : تقع أغمات أوريكة عند قدم السفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي على بعد أقل من 30 كلم جنوب شرق مراكش. تدل معطيات مجالها الجغرافية والتاريخية على ماتوفر لها من شروط مواتية لإنشاء مدينة منذ القرون الإسلامية الأولى. فالموقع وسط على مستوى المغرب، ونقطة التقاء من جهة لموارد السهل والجبل، ومن جهة ثانية لمجموعات قبلية متنوعة (*Le Haouz* ، 1 : 157) ومحطة بارزة في خريطة المسالك التجارية الإفريقية المتوسطية خاصة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والاثني عشر الميلاديين (*Géo. économique*, carte nº 2 et 3) أما الموضع فجمع بين انبساط السطح مع ارتفاع محدود، وتربة خصبة ومصادر مائية غنية ومتعددة. كل هذه العناصر ساهمت في جعل المجال مهيأ لكي تتأسس به مدينة في الدير استطاعت بنجاح إنجاز مختلف الوظائف المطلوبة من مدينة مغربية في العصر الوسيط (*Le Haouz*,1 : 157).

لاتمكن المصادر المتداولة من تحديد ظروف تأسيس أغمات وتاريخ هذا التأسيس، خاصة وأن المدينة كمجال تبدو عنصراً طارئًا في حياة مصمودة الأطلس الكبير الغربي والحوز، إذ في مدة ثمانية قرون لم تتأسس بالمنطقة سوى خمس مدن هي : أغمات أوريكة، وأغمات أيلان، ونفيس، ومراكش، وتنمْل، لم تجابه منها عوادي الزمن إلا مراكش.

على أن الحركة التجارية الهامة التي عرفتها المنطقة، والتي ألحقتها بشبكة مسالك تجارية مع الشمال والجنوب. تبدو كعناصر لها حضور في هذا التأسيس، خاصة وأن المصادر أعطت أهمية خاصة للجانب التجاري في أنشطة أغمات. لذلك فمن غير المستبعد أن تكون هذه الوضعية حافزاً للقبائل الأكثر استفادة من هذا الرواج أي أوريكة وأيلان بأخذ المبادرة من أجل الحفاظ على النشاط المذكور وتطويره بإنشاء مراكز حضرية (*اينولتان*، 73)، ما يؤيد ذلك من جهة كون أوريكة وأيلان كانتا من بين القبائل الاولى التي سارعت إلى مبايعة الأمير المرابطي أبي بكر بن عمر (*الحلل*، 23). ومن جهة ثانية تنازع أيلان مع هزميرة حول اختيار مكان تأسيس مراكش (*البيان*، IV – 19) وان هذه الأخبار لا تستبعد حضور المصالح المشار إليها كدافع من دوافعها.

وقد شكلت مصمودة الإطار القبلي الواسع كمعظم سكان اغمات خاصة أوريكة وأيلان. ويبدو أن الثانية كانت تتوفر على طاقة بشرية ذات أهمية بالمقارنة مع الأولى، يتجلى ذلك من خلال الامتداد الجغرافي لكليهما. فإيلان امتد مجالها من شرق مراكش ـ حيث باب أيلان ـ إلى ما وراء اغمات ونفيس، بينما تركز وجود أوريكة بشرق وغرب اغمات (*نزهة المشتاق*، 45).

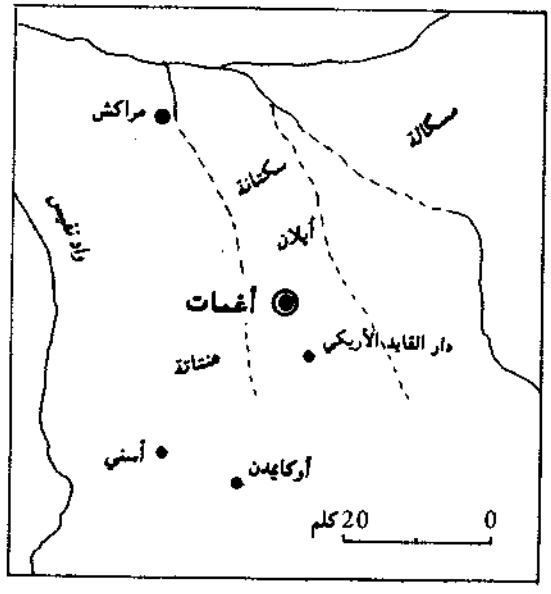

أغمات

ويبدو أن هذه القبائل كانت لها مساهمة في تطوير التجارة القائمة بالمنطقة، الشيء الذي يتجلى في أهمية عائداتها على السكان. ومن المؤشرات إلى ذلك ممتلكات زينب النفزاوية، ووفرة عبيد السودان (*البيان* 4، 18 ـ 84) وعادة إظهار علامات الغنى على أبواب المنازل (*نزهة*، 42).

مكونات المعمار : يتأتى من مراجعة الإشارات ذات الصبغة العمرانية والمتفرقة في المصادر، أن تصور اغمات أوريكة مدينة متوفرة على المستلزمات الضرورية التي تضمن تطورها بل استمرارها لمدة أطول بعد تأسيس مراكش بجوارها، فهناك :

منشآت منسية : تتجلى في إقامة السور حول المدينة «ودورها محمر الترب، سجع الجلدة مندمل الخندق» (*نفاضة*، 55) وكان السور يتوفر على أبواب لاندري عددها ولا اسماءها والمعروف حاليا هو باب وانيرني الذي يبدو من موقعه أنه كان في شمال المدينة (*إثمد*، 1 : 247) وهناك بناء منازل تحت الأرض (*البيان*، 4 : 18)، وحلوني مجال أخضر داخل المدينة (*نفاضة*، 57) لا تستبعد مساهمته في تلبية الحاجيات المحلية خاصة في أوقات الشدائد.

منشآت مخزنية : متمثلة في القصبة ودور المخزن (*نفاضة*، 56 ـ 57) علما بأن اغمات كانت قاعدة إمارة مستقلة قبل المرابطين (Marrakech 1 : 45) وأصبحت على عهد الموحدين مقرا للعامل والقاضي (*التشوف*، 270)، وفي أوائل عهد المرينيين كانت مقر الوالي والقاضي (*إثمد*، 1 : 173).

منشآت دينية : أساسها مجموعة من المساجد أقيمت بالمدينة، من أقدمها مسجد الفيل (*القبلة*، 16)، على أن الذي حظي بشهرة أوسع خاصة من القرن الخامس إلى السابع الهجري / الحادي عشر ـ الثالث عشر الميلادي، هو جامع وطاس، باعتباره المسجد الجامع ومركز التعليم (*أخبار المهدي*، 170)، ومكانا ارتبطت به أول طائفة صوفية عند المصامدة. وقد قدم ابن الخطيب وصفا لهذا المسجد ولمئذنته الفريدة التي أثارت استغراب وزير غرناطة حتى قال فيها : « فقبحت حتى ملحت » (*نفاضة*، 55 ـ 56)، تضاف إلى ذلك الزاوية التي بناها الغماتيون بها.

وعلى اعتبار هذه المراكز مؤسسات تربوية وعلمية، فتجب الإشارة إلى المدرسة التي بنيت على عهد السلطان أبي الحسن المريني (*المسند*، 406).

منشآت اقتصادية : توفرت اغمات على معمار اقتصادي ساير متطلبات السكان ووظائف المدينة، وهكذا يمكن تسجيل وجود مراكز إنتاج حرفية مثل دور الدباغة (*إثمد*، 1 : 247) وسلسة من الأرحاء الخاصة بطحن الحبوب (*نزهة*، 42)، وأسواق للتبادل التجاري الواسع مثل سوق الأحد (*المغرب*، 153) إضافة إلى الدكاكين الموجهة اساسا لتلبية الحاجيات اليومية للسكان مثل حوانيت الكزارين (*التشوف*، 162)، ومن غير المستبعد أن أغمات كانت بها كذلك دار لضرب السكة. ومما يؤيد ذلك وجود دينار مرابطي ضرب بها سنة 496 هجرية / 1096 ميلادية. (*Memorial*, 2 : 123).

السكن : يبدو أن اغمات عرفت تجمعا بشريا كثيفا، يلاحظ ذلك من خلال تعدد مساجدها، والضيق الذي عانت منه عقب وصول المرابطين إليها (*البيان* 4 : 19)، وأهمية كمية اللحوم التي كانت تستهلك بها (*المغرب*، 153)، وارتفاع احتياجاتها من الماء التي قدرت بـ 5 / 4 ـ مياه النهر الذي يخترقها مقابل 5 / 1 واحد لتلبية حاجيات الأراضي الفلاحية المحيطة بها (*نزهة*، 43).

كل هذا يفترض وجود دور ومنازل يبدو أنها كانت تساير إمكانيات مختلف سكان المدينة (*التشوف*، 153)، وهكذا نجد الدور والمنازل التي كانت متباينة حسب مكتسبات الجاه والمال، كدور الشرفاء (*إثمد*، 1: 185) والأغنياء كانت من الفخامة بمكان لأن أهلها كانوا «مياسير أغنياء لهم نخوة واعتزاز» (*نزهة*، 42) وهذا واقع تدل عليه بقايا الأخشاب والحصون الحاملة لنقوش وزخارف تعود إلى فترة ماقبل المرينيين (*نفاضة*، 56)، ومقابل ذلك السكنى المتواضعة، والصغيرة الحجم مثلا : المصرية (*إثمد*، 1 : 232) علما بأن المساجد والزاوية الموجودة باغمات كانت تقوم مكانا لإيواء الغرباء (*إثمد* : 235).

ومما يلاحظ أن البناء كان يتم بواسطة الأجور والطين والطوب (*نزهة*، 42 ـ 43)، والعنصر الفني كل حاضرا كذلك: الزخارف والنقوش والنافورات (*نفاضة*، 56 ـ 57).

بهذه المكونات المعمارية، نكون إذاً أمام مدينة متكاملة متوفرة على الشروط الضرورية لمجال حضري كأغمات في العصر الوسيط.

عناصر الاقتصاد : توفرت اغمات على إمكانيات طبيعية متمثلة في أرض سهلية وفيرة المياه، غنية التربة، سمحت بإقامة فلاحة كانت بارزة سواء في الزراعة وتربية الماشية. إن هذه المعطيات جعلت جعلت جهة اغمات من أبرز المناطق الفلاحية بالجنوب. (Géo-économique. cartes n° : 8-9-10) وهي ملاحظة أكدتها أوصاف الجغرافيين والرحاليين بدءاً من اليعقوبي إلى الحسن الوزان.

وبالرغم من وفرة المياه يبدو أنها كانت خاضعة لتنظيم يضبط توزيعها علي أساس حاجيات المدينة ومجالها الحيوي بناء على قاعدة متفق عليها، من عناصرها "النوبة". وكان الماء يصل الى مراكز الإنتاج عبر قنوات للسقي، منها ماهو جماعي، ومنها ملك خاص، وقد بلغ ثمن بناء ساقية خاصة قرب اغمات خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي : مائة دينار (*التشوف*، 187).

ومن غير المستبعد أن مساحة هذا المجال الفلاحية كانت شاسعة، وهو ما يُشتم من أهمية حجم الإنتاج وصيغ الكثرة التي كانت ملاصقة لأسماء المناظر الزراعية في أوصاف الجغرافيين والرحالة مثل : قولهم «متعددة البساتين ـ بساتين كثيرة ـ جنات محدقة.»

كل هذه الإمكانيات مكنت من إنتاج فلاحي مهم ومتنوع جمع بين المغروسات والمزروعات، من أبرز محاصيله : الشعير والتمور. (*المغرب*، 153).

ويبدو أن الاهتمام بالنشاط الزراعي كان متزايدا عند فلاحي المنطقة، وهي مسألة نجد انعكاساتها في أهمية المردود بشكل خاص (*وصف افريقيا*، 1 : 107)، في نفس الوقت احتلت تربية الماشية مكانة متميزة في النشاط الفلاحي، نظراً لأهميتها في الاستهلاك الغذائي للسكان «فسوق اغمات وريكة يقوم يوم الأحد بضروب السلع وأصناف المتاجر يذبح فيها أكثر من مائة ثور وألف شاة وينفد في ذلك اليوم جميع ذلك». (*المغرب* : 153) يضاف إلى ذلك ارتباطها العضوي بحرفتي الدباغة والنسيج حيث كانت تنتج « الأكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر» (*نزهة*، 142)، سواء لأجل الاستهلاك أوالتجارة السودانية.

وقد ساهمت الأهمية الاستراتيجية لموقع اغمات في جعل هذه الأخيرة محطة أساسية ضمن شبكة خطوط تجارية جمعت بين منتجات ومحطات متوسطية وافريقية، وكانت

تعرف رواجا اقتصاديا متزايدا على المستوى المحلي والبعيد المدى (*Géo économique*, cartes nº 1-2) إلى القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي.

في هذا الإطار تجمع المصادر على اتساع أسواقها ووفرة المنتجات ورخاء الأسعار وارتفاع حجم مساهمة تجار اغمات في تجارة السودان وانعكاس ذلك على يُسْر حالة السكان وغناهم، وهي أوصاف فترة ازدهار واضحة.

ومن غير المستبعد أن تكون أقدمية هذا الرواج بالمنطقة وأهمية فوائده قد ساهمت في تشكيل تقاليد للادخار والاستثمار بين سكان هذا المجال. من عناصر الاستئناس في هذا الجانب : تشجيع النساء والأطفال على التكسب «وأهل السوس واغمات أكثر الناس تكسبا وأطلبهم للرزق، يكلفون نساءهم وصبيانهم التحرف والتكسب» (*المغرب*، 163).

وقد شكلت اغمات مركزا من مراكز الدعوة الإسلامية إذ كانت احدى المحطات البارزة في خريطة الفتح الإسلامي (*البيان*، 1 : 27)، وبها تأسست مجموعة من المساجد في إطار محاربة بورغواطة (*اينولتان* 16، 77)، وشكلت قاعدة بارزة لأهل الصلاح والولاية (*التشوف*، 145، 153 ...) ومركز ثقل أول طائفة صوفية بالحوز والأطلس الكبير المغربي (*إثمد*، 1 : 89 ـ 93).

كل هذه الوظائف ساهمت في جعل اغمات مهيأة لتكون ملتقى ثقافات من الغرب الإسلامي، خاصة الأندلس (*الذيل*، 2 : 410، 439) والقيروان (*التشوف*، 82، 92 ..) ومركز إشعاع ديني وثقافي بارز في الجنوب المغرب بشكل خاص.

II ـ **أغمات أيلان** : نسبة إلى قبيلة أيلان أو هيلانة، مركز حضري عرف منذ بداية دخول الإسلام إلى المغرب حيث أسس به مسجد سنة 85 هجرية / 704 ميلادية (*البيان* 1 : 43).

تقع أغمات أيلان شمال شرق أغمات أوريكة على بعد ستة إلى ثمانية أميال من هذه الأخيرة (*المغرب*، 153 ؛ *نزهة*، 45). ونظرا لاختفاء المدينة منذ فترة مبكرة تعود إلى ما بعد منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، وأمام غياب مخلفات أثرية، فقد طرحت مشكلة تحديد الموقع.

في هذا السياق انطلقت الاجتهادات المستندة إلى البحث في أسماء الأماكن القريبة من أغمات أوريكة التي تحمل معها صفة أو نعت أيلان. كما استندت إلى ماذكر من المسافة الفاصلة بين المدينتين، وموقع الثانية بالنسبة للأولى.

ويمكن اختصار النتائج في افتراض Ed . Doutté الذي حدد الموقع في : إيغيلْ نْوايْلانْ (*Marrakech*, 1 : 44)، ثم في اجتهاد الأستاذ أحمد التوفيق الذي اقترح الموقع المعروف بـ «أوخْرِبِنْ نَايْتْ وايْلانْ» (*التشوف*، 142). وكلا الاقتراحين يتحدد جهة تسغيموت ناحية أيت وربر.

ويبدو أن اغمات أيلان كانت مدينة ذات مجال حضري محدود حيث كانت محرمة على الغرباء (*المغرب*، 153) ووصفها الإدريسي بالصغر على عهد الموحدين (*نزهة*، 45)، ومن غير المستبعد أن لتضاريس المنطقة علاقة بهذه الحالة.

ويلاحظ أن المدينة بقيت موجودة إلى منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، حيث وردت عنها أخبار عند ابن الزيات تتعلق ببداية القرن السابع الهجري، والخاصة بالاطلس الكبير الغربي (*رحلة العبدري ومسالك الأبصار*).

ومما يلاحظ على الجانب البشري هو أهمية حضور اليهود في المدينة. فقد سكنها هذا العنصر بكثرة على عهد الادارسة (*Contribution*,109) وكانت على عهد الموحدين المجال المفضل لاستقرار يهود الأطلس الكبير الغربي (*نزهة*، 45). ومما شجع هذه الحالة تحريم المرابطين على اليهود المبيت في مراكش . ومن غير المستبعد أن حضور هذه الطائفة التي كانت لها تقاليد تجارية عريقة، أمر كانت له أهميته في جعل المدينة محطة تجارية معتبرة، أعطتها وضعية اقتصادية متميزة "كثيرة الخصب كاملة النعم" (*نزهة*، 45).

البكري، *المسالك والممالك* ؛ البيذق، *أخبار المهدي* ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ي. التادلي، *التشوف* ؛ م. عبد الملك، *الذيل والتكملة*، ج 8، العبدري، *الرحلة* ؛ ابن عذاري، *البيان*، مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ابن تكلات، *اثمد* ؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*؛ ابن مرزوق، *المسند* ؛ أ. التوفيق، *إينولتان*.

الأغماتية أو الغماتية. طائفة صوفية نشأت باغمات ونواحيها في منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي (*إثمد* 1 : 75) تحت إشراف أسرة الهزميريين التي عرفت بالولاية والصلاح قبل هذه الفترة (*التشوف*، 422، 400). وهي امتداد لظاهرة الطوائف التي بدأت تتكون جنوب وادي أم الربيع منذ منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. وبذلك تمثل أول طائفة صوفية ظهرت بالحوز ودير الأطلس الكبير الغربي.

ويعتبر أبو عبد الله الهزميري الشيخ المؤسس للطائفة، خلافا لما ذهب اليه ابن قنفد عندما نسبها لأبي زيد الهزميري (*أنس الفقير*، 66).

ويبدو أن ظهور الاغماتية ارتبط بظرفية محلية مرت بها اغمات خلال الفترة أساسها أزمة دينية واجتماعية، انعكست في شيوع الاعتقاد بظهور الشيخ المنقذ، وفي تركيز عمل الطائفة فيما بعد على تصحيح المعتقدات، والاهتمام بتحقيق التوازن وتقوية التضامن(*إثمد*، 1 : 78، 95 ـ 99، 170). كل ذلك تزامن مع بداية فترة المرينيين التي عرف فيها الجنوب المغربي حالة عدم الاستقرار.

امتدت فترة إشراف أبي عبد الله على الطائفة إلى وفاته سنة 678 هجرية / 1265 ميلادية وخلفه أخوه أبو زيد

إلى سنة 706 هجرية / 1307 ميلادية، وبعدها لا نعرف أي شيء عن أحوال الطائفة والمشرفين (*إثمد* 1 : 79).

حدد الاغماتيون أسس طائفتهم في خمسة عناصر هي : اجتناب المحارم وأداء الفرائض، وترك الدنيا، والصدق، والاخلاص. تشكل المالكية وتعاليم الجنيد وآراء الغزالي وبعض عناصر الملامتية الإطار المرجعي لهذه القاعدة. وإذا شارك الاغماتيون باقي طوائف الجنوب المعاصر لهم في العناصر الثلاثة الأولى من هذه القاعدة فإنهم انفردوا لوحدهم بالرابع.

عرفت الاغماتية مجموعة من التقاليد والممارسات عكستها طقوس ومواقف العناصر البشرية المكونة لها. ويمكن تحديد الطقوس في الأوراد والأذكار والخرقة والاعتناء باللون الأبيض والأخضر، والخلوة والمصاحفة والسياحة. ويبدو أن التضامن داخل الطائفة يُعتبر قاسما مشتركا بين مختلف هذه الطقوس.

أما مواقف الأغماتيين فيمكن تحديدها من جهة في القول بضرورة الشيخ في النشاط الصوفي، وثبوت كرامات الأولياء، وممارسة الإطعام، والتحفظ من السماع، واشتراط الاستئذان في الذهاب إلى الحج. ونلمسها من جهة ثانية في موقف الاحترام من الطوائف المعاصرة خاصة طائفتي أبي محمد صالح، وأبي زكرياء الحاحي، بينما نلاحظ موقف عدم الرضا من المخزن المريني (*إثمد* 1 : 173، 174 ؛ *أنس الفقير*، 66).

ويمكن أن نميز في هياكل الطائفة التكوين البشري الذي أثر فيه الإطار الجغرافي بشكل قوي، وهو ما تجلى في غلبة العنصر البربري خاصة المصمودي منه، وفي سيطرة الطابع القروي (*إثمد* 1 : 87) يضاف إلى ذلك تباين التركيب الاجتماعي للأتباع. فهناك الفلاح والحرفي والمعلم والمسؤول المخزني، وما ترتب عن ذلك من تفاوت بين الأتباع على مستوى الجاه (*المسند*، 361، 362) والمال (إثمد 2 : 408 + *أنس* 67 ـ 68) والتكوين (*إثمد* 1 : 217).

كما نميز جانب التنظيم الداخلي الذي يلاحظ فيه وجود هرمية قمتها القطب، وقاعدتهاالتلاميذ، تجمع فيهما علاقة الاحترام وعفوية التضامن (*إثمد* 1 : 88 ـ 89).

وقد تركز نشاط الأغماتيين بشكل بارز في الجنوب، خاصة اغمات مركز ثقل الطائفة وإيغيلْ نَوَايْلانْ وأمغيوز ورباط شاكر وماسة ومراكش. وإذا علمنا استقرار أبي زيد بفاس ووصوله إلى تلمسان في آخر حياته، فهذا يؤكد أهمية مجال الجنوب.

وقد أولت الطائفة اهتماما خاصا للوسط القروي، الأمر الذي انعكس في ضعف إشعاعها داخل المدن، وهو مايتجلى في نقص الأخبار المتعلقة به في *إثمد العينين*، وفي تركيز الأغماتيين على البادية. وفي هذا السياق تتبين أهمية العنصر المصمودي الذي كان مسيطرا على المجال، وانعكست في وفرة عناصره المنتمية للطائفة .

وإذا كان اختيار هذا المجال قد يفسر من بعض الجوانب بابتعاده عن مركز حكم المخزن المريني وعن مناطق زناتة، ثم استمرار حالة عدم الاستقرار بالجنوب المغربي طول مدة حكم المرينيين، فإن المساهمة من جانب في إعادة لمّ شتات وحدة قبلية أنتجت دولة وأصبحت تعيش حالة ضياع الجاه والسلطة مسألة تبدو غير مستبعدة.

وأخيرا يمكن القول إن الأغماتية كمشروع، استهدف تنظيم جانب كبير من مجتمع مصمودة على أساس تصوف طائفي، كان محاولة غيرموفقة. من قرائن ذلك : سرعة فتور الطائفة باختفاء أبي عبد الله وأبي زيد، ثم محدودية إشعاعها الجغرافي، يضاف إلى ذلك دخول هذا المجال تصوف بديل طائفي شكله الحاحيون (*أنس الفقير* 64) وفردي لعزيزة السكسيوية (*أنس الفقير* 96).

التادلي، التشوف ؛ ابن تكلات، *الإثمد* ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير*؛ ابن مرزوق، *المسند*.

محمد رابطة الدين

أغْمير، محمد بن أحمد. ولد سنة 1900 باخْوَانَا، إقليم تازا، ونشأ بقبيلة جزناية ببورد بنفس الإقليم. انضم إلى صفوف جيش التحرير وعمل تحت مسؤولية السيد عبد الله بن حسن الزكريتي ابتداء من فاتح أكتوبر 1955، وكان مهيئاً للمشاركة في انطلاق العمليات الأولى لجيش التحرير بتازا ضد قوات الاحتلال الفرنسي بجبال الريف وبمراكز أخرى.

وخلال اشتباك في معركة بير بلوطة، استشهد ـ رحمه الله ـ يوم 18 أكتوبر 1955 بعد أن فرغت بندقيته تحت وابل من رصاص الجيش الفرنسي.

كتاب شهداء الاستقلال، 2 : 61.

عز الدين العلام

أغْنْجَة ← **سمك**

أغْنَاج، محمد بن يحيى، كان خليفة للقائد عبد الملك بن محمد أبهي، لكن شهرته إنما ارتبطت بالأحداث التي عرفتها سوس أوائل القرن التاسع عشر، وكان له دور فيها. فقد ازداد نشاطها التجاري مع جنوب الصحراء مما نجم عنه ظهور قُرى محلية جعلت السلطة المركزية توليها الاهتمام، فكانت حركة السلطان المولى سليمان إلى سوس سنة 1222 / 1807 فوصل إلى وادي نون، وأوقع بقوى أكْلميم بإلقاء القبض على عبد الله الذي لم يسجن طويلا، في حين لم يمس السلطان المولى سليمان قوى إليغ بزعامة هاشم بن علي الذي أعاد لإليغ مركزها في سوس منذ أوائل القرن التاسع عشر.

لقد ظهر مركز إليغ السياسي والاجتماعي بطموحات سياسية مستقلة لهاشم بن على مما جعل السلطان المولى سليمان يوحد سوس تحت قيادة عبد الملك بن محمد أبهي ومحمد بن يحيى أغناج أوائل سنة 1225 / 1810. وقد شاركت قوى مختلفة من القبائل في هذه الحركة كالحياينة

وبني حسن من الغرب، وقبائل حوز مراكش بالإضافة إلى جيش العبيد وشراگة. نزلت الحركة على وادي ولغاس حيث واجهتها القوى المشكلة من قبائل ولتيتة (إولتيتن) وسملالة (إسملالن) وبني رسموكة (إرسموكن) وبعض من إداوبْعقيل وبني مجاط، وانضاف لهم أهل المعدر، وانضمت بعض القبائل المحلية لحركة المخزن كبني زلالة وأبلاغ.

كانت الواجهة بين القوتين على وادي ولغاس، وحاولت كل منهما الضغط على الأخرى إلى أن انهزمت قوى هاشم الذي انسحب مع القبائل المرافقة له، فاقتحمت القوى المخزنية بقيادة أغنّاج المنطقة فوصلت إلى إليغ ثم انسحبت منه واتجهت نحو تارودانت عبر الأطلس الصغير، فمرت بإيلالن وأساطس ثم تارودانت، وألحقت هزائم بالقبائل، وقد أتلفت في طريقها عددا من الثروات وحطمت عدداً من الحصون. وقد تمكن أغناج الذي كان يقود الحركة من نيل ثقة السلطان المولى سليمان فوفد عليه بمراكش أوائل سنة 1226 / 1811 فعينه عاملا على تارودانت، وكان فيها من قبل خليفة لأبيه، واستمر بها إلى حوالي 1236 / 1820، أواخر أيام السلطان المولى سليمان.

وثائق مخزنية من الخزانة الحسنية ؛ *الضعيف التاريخ* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 و9 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 4 أجزاء.

R.Montagne, *Les Berbéres et le Makhzen* ; P. Pascon, *La Maison d'Iligh.*

محمد زرهوني

اغوينية ← **وادي الذهب** (إقليم ـ)

إغيلْ، اسم مكان، معناه : الذراع، ويطلق على التل الممتد على هيئة عُرف جبلي وكثير من أسماء الأماكن المعربة باسم الذراع تعرف أصلا بإغيلْ. ويقرب أغمات أوريكة مكان بهذا الاسم معروف إلى الآن. وكذا إغيل ن وايْلانْ (ذراع هيلانة) على مقربة منه.

التشوف، 161 ؛ *أخبار المهدي*، 113.

H.Terrasse, *Sanctuaire et Forteresses almohades*,377.

أحمد التوفيق

إغيلاَلْنْ (مدرسة). تقع بقبيلة مسگينة بناحية إنْزگانْ على بعد نحو 20 كلم منها، وذلك في الطريق إلى تارودانت عبر الأطلس الكبير فوق هضبة مرتفعة.

وقد أسسها المسمى يحيى أحد أصحاب الخضيگي وتوفي سنة 1205 / 1790 ودفن قريبا من هذه المدرسة ؛ وقد اشتهر في عصره بالتعليم والصلاح ؛ وساعده على القيام بمهمة إيواء الطلبة وإطعامهم ما اشتهرت به ناحية إغيلالن آنذاك من حقول وغلال مع تخصيص أهل تلك الناحية أعشار غللهم للمدرسة وفق أسلوب (المشارطة) بمدارس سوس. وهو يقتضي أن تكون ثلث زكوات القبيلة أو ربعها أو نحو ذلك بحسب قلة أفراد القبيلة وكثرتهم مخصصا للمدرسة (*المعسول*، 3 : 275، 276).

ويذكر من بين الأساتذة الذين درسوا بهذه المدرسة قبل أن يبرز بها الحاج مسعود الوقفاوي الآتي الذكر كل من : الأستاذ مبارك البورزگي الملولي الگسيمي ؛ كان ذلك سنة 1340 / 1920 وقد توفي مبارك هذا بأيت ملول سنة 1355 / 1936 (*خلال جزولة* 4 : 64).

كما درس بهذه المدرسة أيضا سعيد الهشتوكي المتوفي حوالي1379/ / 1959 (المرجع أعلاه) ودرس بها أيضا أحمد الكشطي وهو ممن درس بالريف، وفاس وقد توفي سنة 1366 / 1946 (المرجع اعلاه).

غير أن شهرة المدرسة لم تظهر إلا عندما عين بها الأستاذ الحاج مسعود بن أحمد بن إبراهيم الوقفاوي (عام 1366 / 1946) وذلك بعد تجربة تربوية وتعليمية طويلة بجملة من مدارس سوس، وبالرغم من أنه اضطر إلى مغادرتها بسبب خلاف مع أحد المسؤولين بتلك الناحية، فقد رجع إليها ثانية ؛ وقد أتيح له من الإمكانات العلمية والسلوكية ما جعله يتمكن من استقطاب عدد مهم من الطلبة ؛ فهو من تلامذة أبي العباس الجشتمي وممن أخذ من مدرسة تانكرت بإفران. وانتقل في مدارس أخرى بسوس ونواحي مراكش ورحل إلى الحج وجاور سنة وأجازه الشيخ شعيب الدكالي. كما أخذ الطريقة الدرقاوية عن الشيخ علي الإلغي (*المعسول*، 3 : 60 ـ 161) ؛ فاستقام له من سعة الأخلاق وحسن المواظبة ما جعله محترما محبوبا عند العامة والخاصة.

أما طلابه فقد أخذهم بحدب كبير وإكرام باد، حيث كان يحتفل بهم كل خميس بمنحهم ذبيحة أو اثنتين تشجيعاً على الاستمرار والجد في الدرس.

وقد استغل الأستاذ الوقفاوي أوقاته كلها طيلة السنة في خدمة الطلاب منذ الصباح الباكر إلى أن يحين المساء مع إشراف تربوي على سلوكهم الشخصي يتخلله عتاب المقصر وتشجيع المجد ؛ كما كان يشرف على شراء ما يلزم الطلبة ولا سيما المجتهدين منهم هدايا تشجيعية خاصة ؛ ويظهر أنه كان لنشأته فقيراً في صغره أثر في رقة عاطفته وشعوره بحاجات طلابه المادية، مازجا بين هذا الاهتمام المادي، وبين الحرص على أن ينشأ الطلاب محافظين على الشعائر الدينية وخاصة صلاة الصبح التي كان يشدد على بعض الطلاب في شأنها إلى درجة التبكيت والإزعاج (*المعسول*، 3 : 66).

أما طريقته في التدريس فيظهر من خلال ترجمة أحد تلامذته وقرابته المسمى أحمد الوقفاوي مدى حرص الأستاذ الحاج مسعود على تفوق طلابه في إتقان المتون والنصوص ؛ فقد درس هذا الطالب *الألفية* لابن مالك بشروحها أكثر من أربع عشرة مرة (*المعسول*، 6 : 91) كما أن أحد تلامذته المسمى عبد الله الوقفاوي حصّل عنه غالب فنون الدراسة من نحو ولغة وفقه وفرائض وحساب وحديث وتفسير وأدب (*المعسول*، 3 : 97 ـ 98) مما كشف عن اهتمام تكاملي بمختلف المواد الدراسية المتداولة بسوس آنذاك.

أما قائمة طلبة الحاج مسعود الذين أخذوا عنه بهذه المدرسة خاصة أو بمدارس أخرى بكيفية عامة فتكشف عن تنوع في الانتماء المكاني وتعدد في الوظائف التي سيمارسها هؤلاء الطلاب بنواحي سوس في مختلف الميادين.

وقد تولى التدريس بمدرسة إغيلالن بعد الأستاذ الحاج مسعود آنف الذكر بعض تلامذته فمنهم : أحمد بن محمد المافماني ومنهم المسمى ابراهيم الباعمراني ؛ وقد أخذ عنه أحد أبناء الحاج مسعود المذكور وهو ابنه عبد الله ابن مسعود المشتغل حاليا بالتعليم.

كما ذكر من بين تلامذته الذين درسوا بمدرسة (إغيلالن) أحد ابناء الشاعر الكبير الطاهر الإفراني وهو المسمى عبد الله بن الطاهر (ولد نحو 1318 / 1900) وذلك بعد أن أخذ عن أخيه محمد بن الطاهر وعن والده الشاعر وعن الحاج مسعود بعد ذلك (*المعسول*، 7 : 231) وقد مارس التدريس بمدرسة (إغيلالن) ابتداء من سنة 1382.

وقد استمرت الدراسة بها بعد ذلك بواسطة أحمد البويضي الهواري إلى جانب الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم للأطفال وفق نظام المدرسة المزدوج.

م.المختار السوسي، *المعسول* 3 ؛ *خلال جزولة*،22.

محمد البايك

أغيول، عبد العزيز بن محمد، يلقب بيَا هْلَ اللّه لكثرة جريانها على لسانه. كان صالحاً ملامتياً، وموسيقيا ماهراً يعرف الآلة وطبوعها وصنائعها. كما كان صناع اليد يجيد تسفير الكتب وصنع المناسج، ويغضب لمن يصفه بالصلاح. صحب من شيوخ فاس العربي بن عبد الله معن الأندلسي، ولازم مجالس محمد جسوس في حكم *ابن عطاء الله*، وعبد المجيد الزبادي في *النصيحة الكافية* لأحمد زروق.

اهتم بإشهار قبور الصالحين المندثرة بفاس، وأدركته الوفاة عام 1199 / 84. 1785 فدفن قرب سيدي أحمد اليمني ويوسف الفاسي خارج باب الفتوح.

م. الزبادي، *سلوك الطريق الوارية*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 361 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف الطالع*، مخطوط.

محمد حجي

أفَا، معناها في اللسان الأمازيغي : القمة أو المرتفع. وتوجد بالمغرب قرى عديدة تحمل اسم "أفا" وغالبا ما تكون الأسماء منسوبة إلى الأماكن أو الأشخاص. وأهم هذه القرى: أفا نايْت عباس بقبيلة مسكِّينة شرق مدينة أگدير ؛ أفا، نْدْعيسى، قرب مدينة إفني بأيت باعمران، وهو من المراكز التي انجلى عنها الإسبان سنة 1957 أمام جيش التحرير المغربي ؛ أفا، نْتاگانْت، قرب أفلاّ أوگنس بقبيلة* إدا وباعقيل بالأطلس الصغير ؛ أفا، نتيقي، بقبيلة مجاط قرب إفران بالأطلس الصغير ؛ أفا، نايت دواد، جنوب تاسريرت بقبيلة تافراوت شرق أگرسيف. نافات : مؤنث أفا، للدلالة على التصغير، وهي قرية بقبيلة أيت براييم جنوب مدينة تزنيت غرب العوينة، وقد انتقل أغلب سكانها فتأسست قرية أخرى بنفس الاسم في منطقة سهلية بعيدة عن الأولى بحوالي تسعة كلمترات، نتيجة وعورة الموقع الأول.

ويتجلى أن أغلب هذه القرى تقع في سلسلة جبال الأطلس الصغير باستثناء أفانايْت عباس فهو يقع على سفوح الأطلس الكبير المواجهة لسهل سوس، على بعد 12 كلم من مدينة أگادير شرقا، وينتسب إلى قرية أيت عباس من قبيلة مسگينة.

وقد توصلنا إلى وجود علاقة بين أفا نايت عباس وأفا أودْرَار بإداوْسملال، لأن سكان أيت عباس بقبيلة مسگينة إنما انتقلوا من إداوسملال حيث توجد قرية باسم أيت عباس التي ينتسب إليها العلامة أحمد العباسي السملالي صاحب *النوازل* المشهورة، ويوجد في قبيلة مسگينة اليوم من المسنين من يذكر سلسلة أجداد إلى الأصول الأولى المهاجرة من قبيلة إداوسملال في العهد السعدي في القرن السادس عشر، وهو الفقير إبراهيم ميشت بقرية إيمي نتغزوت بمسگينة.

وأفانايت عباس يرجع تأسيسها إلى هذه الحقبة حيث كان السكان ينتقلون من جهات سوس والصحراء إلى أحواز أگادير لمقاومة الاحتلال البرتغالي. وقد وقع الاستقرار النهائي لأيت عباس في القرن السابع عشر حيث تأسست قرية أفا وكانت مسكنا لأسرتين : أسرة أيت سعيد أعمر وأسرة أيت الحسين أمحمد، وتنتميان معا إلى أصل واحد. وإلى هذه الأسرة الأخيرة ينسب الفقيه العربي وأفا. وهو العربي بن الحسين بن محمد بن محمد، ولد بأفا، ودرس بمدرسة إگيلالن على يد شيخه أحمد العباسي من قرية والحورِّي، وذلك قبل أن ينهض بهذه المدرسة الحاج مسعود الوفقاوي. ويذكر المختار السوسي أن كثيراً من أخبار هذه الجهة قد ضاع. ولم يعرف عن سيدي العربي غير كونه من المجيدين لكتاب الله حفظا، والمداومين على تلاوته، خاصة عندما انكف بصره في أواخر حياته. وقد توفي رحمه الله سنة 1370 هـ / 1951 م، ودفن بمسجد أگرض بقبيلة مسگانة.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 1 : 37 ؛ *المعسول* 3 : 59. 7 : 20 ، 78. 10، 24. 266. 12 : 173 ؛ *عقود عقارية* لأسرة أيت الحسين أومحمد أوافا، *الرواية الشفوية* للفقير الحاج أحمد نايت محمد بقرية تاباطكوكت قبيلة مسگينة.

عمر أفا

أَفْرَا (قصر .) ← **طاطا**

ضاية **إفراح**، اسم يطلق على ضاية دائمة (بحيرة) موجودة في الأطلس المتوسط الشمالي الغربي، جنوب مدينتي صفرو وإموزار، وكذا على المنخفض الواسع الذي تتوسطه هذه الضاية. هذا المنخفض مثال نموذجي للسهول الكارستية الممتدة، خاصة وأن هذا الشكل نادر في الهضاب الشمالية للأطلس المتوسط ويرتبط وجوده هنا

بظروف بنيوية مساعدة، تتجلى في انكسارات عدة تجزئ الطبقات الدولومية اللياسية، بحيث سمح هذا بتركز آثار التحليل الكيماوي في نطاق ضيق.

يمتد المنخفض في اتجاه ش ـ ج على مسافة 5 كم، بينما لا يتعدى اتساعه 2 إلى 2,5 كم. ويوجد مستوى البحيرة المركزة شمال المنخفض عند 1613 م أي على عمق 45 م تحت سطح مستو يشرف على الحوض. ويمتاز بعدم تماثل الجانبين، حيث يحده شرقا السطح المستوي "الظهر" عند ارتفاع 1700 م. بينما تشرف عليه غربا متون مرتفعة قد تتعدى 1900 م وتنتمي إلى عرف تايللوت الذي يكون استمرارية لانكسارات أساسية في الأطلس المتوسط، اتجاهها ش ش، ش ـ ج ج غ.

أما عن حواشي الحوض فيمتاز رسمها بالانعراج الشديد خاصة في الجهة الجنوبية، بينما تصبح مستقيمة في الشمال على شكل قوسي، ذلك أن أصل المنخفض مزدوج. فهو حوض كارستي شمالا، محدود في المجال الذي تشغله فرشة مائية بارزة، وينتخر عن هذا الحفر الكيماوي تكوين شواطئ بحيرية، شاطئ حالي وآخر شاخص يعلو المستوى المائي بعشرة أمتار، يدل على سطح قديم للتآكل الكيماوي. أما جنوبا، ومع انعراج الحواشي، يتضح بأن التعرية السيلية كان لها الأثر الأساسي في تعميق المنخفض. فعدة مجار تخدد جوانب الحوض، متجهة نحو البحيرة، وتاركة في طريقها مخاريط انصباب تنتمي للرباعي الأوسط الحديث.

أما نشأة وتطور المنخفض فقد وردت حولها عدة افتراضات (Martin, *Le Moyen Atlas Central*, 1981)، مبنية على شواهد ميدانية مضبوطة.

أولها الوضع البنيوي جد المتشوه بسبب انكسارات متقاربة وتموجات انقعارية هذا وضع يعم هضبة أمقلة ما بين ضاية إفراح جنوبا وحتى ضاية أفورگاح شمالا. ويكون ظروفا سهلت تشكيل ممرات تحاتية واسعة.

ذلك أن ضاية إفراح يشرف عليها مستوى تحاتي جزئي ممتد على جانبها الشرقي خاصة. ويظهر أن هذه السطوح الجزئية الشاخصة تنتمي لنهاية الزمن الثالث ؛ إلا أن أصلها غير واضح، هل هي سطوح كارستية أو حادورات مفتوحة. خاصة وأنه في هضبة أمقلة لا تتوفر المرتفعات المشرفة الكافية لتركيز المياه والسماح بتشكيل حادورات قدم جبل حقيقية. ولذا فالأرجح أن هذه السطوح من أصل تطور كارستي قديم دام مدة استقرار طويلة. ويفترض أن هذه الكرستة قد تمت في ظروف مدارية خلال الميوسين والبليوسين.

أما المنخفض (ضاية إفراح) فهو يتعمق على حساب هذا السطح القديم، في مكان حيث الظروف البنيوية مساعدة، قرب انكسار أساسي ووسط طية انقعارية.

وانطلاق التعميق ناتج عن بروز الفرشة المائية وسط المنخفض التكتوني خلال أول الفترات المطيرة من الرباعي، بسبب الزيادة المسجلة في التهاطلات. هذه الفرشة أدت إلى بداية عملية التحليل الكيماوي على حساب الصخور الكربوناتية الدولومية للياس الأسفل. وعلى جوانب البحيرة الناشئة، تشكلت شواطئ يتم فيها قرض الصخر وتوسيع المجال البحيري.

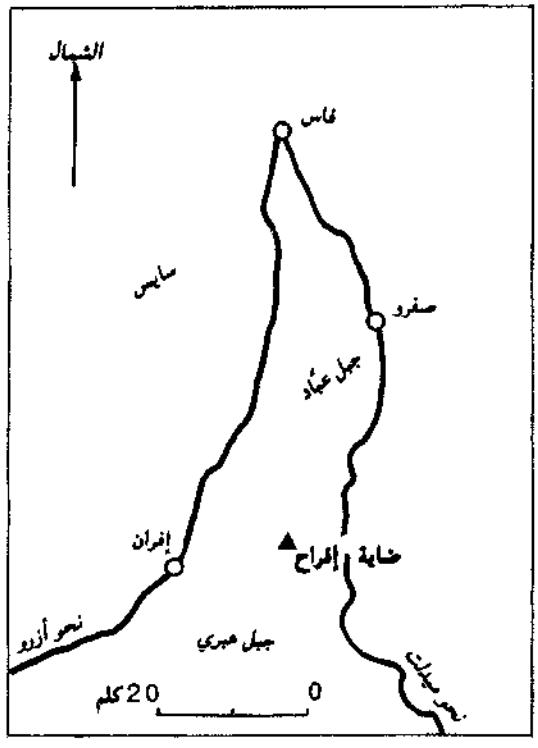

ضاية إفراح

في المراحل البيمطيرة، يتم تجفيف الضاية، فتتعرض السفوح للتخديد ؛ فتتكون فيها خوانق تجعل جوانب الحوض تتراجع وعلى الخصوص جهة الجنوب حيث توجد أهم المجاري المائية.

وعندما تعود الظروف الممطرة، يتيسر من جديد تكوين بحيرة، لكن ناتج عند مستوى أقل من البحيرة الأولى. هذا ما يفسر وجود شاطئ قديم شاخص، على ارتفاع 10 م في الجهة الشمالية من البحيرة الحالية. أما المجاري الجنوبية فتلعب دورا أساسيا في كونها الأصل في دفع البحيرة تجاه الشمال وذلك بسبب الموارد الفتاتية التي تكون حمولتها والتي شيدت بها عددا من المخاريط الانصبابية.

ضاية إفراح إذن، منخفض كارستي معقد، ذو تطور مرفلوجي طويل، لكن أساسا عن التحليل الكيماوي. هذا التحليل يكون سطحيا في فترات الفيض فيؤدي إلى توسيع البحيرة في وقت تكون فيها مسام القعر منغلقة بسبب تراكم المواد الطينية غير المنفذة، ثم يصبح عمقيا في فترات التجفيف، عندما تنفتح هذه المسام وتتسرب المياه.

J. Martin, *Le Moyen Atlas central, étude géomorphologique*, Notes et Mém. Serv. Géol. n° 258 bis, 1981.

عبد الله العوينة

أفراگ. ـ لغة ـ اسم لفعل متصرف في اللغة البربرية، مشتق لغويا من الفعل الثلاثي فَرَكْ الذي يعني بصفة عامة: أحاط، سَور، سيّج بستانا بأغصان شائكة... تُفهم من الفعل أيضا معان أخرى مثل قسم، فرق... إن تأصيل الكلمة في مجموع المجال البربري في منطقة شمال غرب إفريقيا (سوس، الريف، القبائل، الشاوية، الطوارق..)، ينفي إطلاقا أن يكون للكلمة أصل سامي وإن كنا نلمس اختلافا فيما يخص النطق بها من منطقة إلى أخرى على مستوى المغرب الأقصى. مثلا تنطق الكلمة إفْرِكْ (ج. إفْرگانْ) عند برابرة سوس، في حين تنطق (أفْرَايْ) (ج، إفْرَايْنْ) بمنطقة الريف الشرقي، حيث يستعمل ـ عادة وفي كثير من الحالات ـ حرف الياء محل الگاف.

إذا كان يستفاد من الفعل "فَرْكْ" حركة معينة تفيد في الأصل قيمة مجردة (حركة أو فعل القيام بالتسييج) فإنه يستفاد من الاسم "أفراك" حقيقة فعلية يفهم منها شيئان بصفة عامة :

1 ـ السور أو السياج في حد ذاته سواء كان جدارا أو أغصانا شائكة أو غيره. فيظهر كمرادف لهذه الكلمة وبهذا المعنى، مصطلح آخر وهو أفرا.

2 ـ الأرض أو البستان سواء كان في حالة مسيجة أو غير مسيجة، وكمرادف لهذه نجد مصطلح أزكْري.

تطور مفهوم أفراگ بمنطقة المغرب على العهد الوسيط، ليشمل معنى سياج الكتان أو غيره يحيط عادة، ومع مرور الزمن أصبحت الكلمة تعني مقر إقامة السلطان وأتباعه، في الحل والترحال.

Ibn Khaldun, *Kitab Al Ibar*..., Trad. Fr. De Slane : T. IV p. 201, nº 1 ; G. Hyghe, *Dictionnaire chaouia-arabe-kabyle et français* ; A. Jordin, *Dictionnaire berbère-français*, p. 17 ; E. Destaing, *Vocabulaire français-berbère : Etude sur la tachelhit du sous*, p. 108 ; Ch. De Foucauld, *Dictionnaire touareg - français*, p. 343 ; G. S. Colin, *Afrag, E. I. 2*, p. 243 ; E. Bernus, *Afrag, Encycl. berb.* ; S. Chaker, *Afrag, Encycl. ber.*

أفْرَاگْ. أو أفَرَاگ (سياج خيام السلطان) مصدر يعد جذراً مشتركاً بين كل المناطق واللهجات البرابرية لفعل "فْرگ"، ويعني بشكل عام : السياج والحاجز. ولفظة فرگ مرتبطة أيضا بفكرة التوفر على القدرة، وفكرة التغلب على شخص أو جماعة. إن هذا الفعل فرگ ينتمي إلى العمق المعجمي الشامي ـ السامي، بحيث إن "فرق" في اللغة السامية تدل على معنى جزأ وقسم، كما أنها تشير إلى أشكال أخرى مماثلة قريبة أو متجاورة، كما يبدو، في استعمال نفس الدلالة بكل المجال المتوسطي، إذ أصبحت قريبة جدا من معاني Parc أو Park (أي الأرض المسورة) في بعض اللغات الهند ـ أوروبية والتي غالباً ما بدا مصدرها وأصلها إلى حد الآن يكتنفه غموض كبير.

إن صيغة جمع "أفراگ" واحدة في كل هاته الفضاءات البرابرية بالشمال الإفريقي. وهي : إفرگان. ويبدو معنى "الحديقة" لأفراگ وحده لدى الطوارق كما يشير إلى ذلك شارل دو فوكو، وهو معنى حديث العهد وثانوي (*Dictionnaire*, 343).

إن أصل الكلمة أمازيغي، له علاقة بالمجتمع الزراعي ـ الرعوي والترحالي والقبلي العشائري الذي تبلور في إطاره. ويمكن افتراض ارتباطه كذلك ببداية بروز الملكية الخاصة لإخْص أو العشيرة Clan. إن كلمة "أفراگ" تعني في الاستعمال العادي بمنطقة سوس الحواجز المشتركة لاتقاء مخاطر خارجية طارئة أو ممكنة. وتوضع عادة هاته "الأشواك" Ifergan في السطوح أو فوق جدران قصيرة. وذلك لمنع كل تسلق محتمل من طرف سارق أو عابر. كما أن الأشواك تستعمل كذلك في تسوير وتسييج اصطبلات البهائم بالعزائب الموجودة بالخلاء أو المراعي البعيدة عن "المواضع" أو الدواوير. ويؤكد إ. برنوس E. Bernus وهو أحد المختصين في دراسة الحياة الاجتماعية والثقافية للطوارق، بأنه "أثناء بعض الإقامات (المؤقتة) Campements تحيط الحواجز بأمكنة خاصة بالماعز والأغنام (Encycl. Berb., 2 : 207) وفي مقطع من أحد فصول (En *tribu*) يبين إدموند دوتي Ed. Doutté 1914 هذه الحالة لدى بعض قبائل المغرب بالحوز، وخاصة لدى بعض القبائل المترحلة والتي ظلت آنذاك عبارة عن قبائل متأثرة بتنظيماتها الصحراوية التي يستلزمها نمط الحياة الرعوي. إن "أفراگ" يقوم ـ هنا ـ مقام "السور" أو "السياج" ويعتبر أداة سهلة وبلا كلفة لتقسيم المجال الحيوي للإنسان المتنقل عندما يستقر، ظرفيا، في مكان ما. إنه كذلك يحمي إنتاجه ووسائل عيشه من التلف أو الضياع أو النهب. إن الماشية والأغراس والخيام هي التي تسيج عادة. إن "الزريبة" هي عبارة عن مساحات محاطة بحواجز من الأشواك (*En Tribu*, 365) إن مواد "أفراگ" أحيانا، وهي كما قلنا، عبارة عن أشواك، تستعمل في الطهي والتسخين والتدفئة، خاصة في الأوقات أو المواسم التي تدعو الضرورة إلى الانتفاع ببعض منها.

كما أن الأشواك تستعمل في ميدان الزراعة، والأغراس، وتوضع على الأغراس الجديدة من الأشجار، لتحصنها ضد كل المؤثرات الخارجية، كالبرد أو الحرارة أو من الدواب. كما تستعمل كسور دائر بالخيمة في بعض المناطق لدى الرحل وذلك لمنع تسرب الحيوانات المتوحشة أو حتى الأليفة إلى داخل الخيمة. كما أن تلك الأشواك (إفرگان) توضع كذلك على القبور لمدة أربعين يوما في جل المناطق بالمغرب القروي وذلك لمنع كل حفر لها من طرف الحيوانات الآكلة للحوم.

تؤكد كلمة "أفراگ" كذلك معنى السور أو السياج الذي يحيط بالخيام الخاصة بالسلطان في حالة التنقل. وهذه الدلالة التي انتقلت إلى الدارجة المغربية تبدو مؤكدة وواقعية منذ العصر الوسيط، حيث نجد أن كلمة أفراگ تبدو وكأنها تشير إلى المحلة أو الخيمة الملكية كما جاء ذلك عند ابن خلدون، أما المجموعة البشرية المكلفة بنصب الخيمة "أفراگ" فتسمى عادة في الاستعمال المغربي بـ "الفرايگية" (R. Mauduit, *Le Makhzen Marocain*) يقول

روني مودوي René Mauduit 1930 تتضمن هذه الحركة 300 من المشاة و 100 فارس. إن عمل "الفرايگية" جد متعب في حالة الحملة، إنهم مكلفون بنصب الخيمة السلطانية وخيام ضيوفه وخيمة الحاجب ومختلف الخيام التي تضم أثاث المنزل السلطاني. يحزمون أدوات التخييم، ويطوون الخيام ويحملونها على ظهور البغال. وعندما يحل السلطان بإحدى عواصمه، يستريح الفرايگية نسبيا ويصبحون جزءا يضم إلى مختلف مستخدمي القصر أو يوظفون في أشغال مختلفة (BCAF, *RC*, 1930, p 295). لقد ارتبطت لفظة "أفراگ" بإعداد الحركة أو المحلة السلطانية، وهي التي تحيط بالسلطان وحاشيته وحريمه، وتكون جداراً سميكا، يقيه من كل أذى خارجي. من خلال تصور "الحركة" عند كل من جول إيركمان Jules Erckmann والدكتور فريديريك وايسجربير Dr. F. Weisgerber 1898 يمكننا أن نتبين مكانة "أفراگ" في تصميم وبنية "المحلة" (انظر الرسم). وفي ملحق من ملاحق مؤلف وايسجربير *Au Seuil du Maroc moderne* يعرف هذا الأخير، "أفراگ" بأنه سياج من النسيج يحيط بالخيام السلطانية (Dr. F. Weisgerber, *Au seuil* P1 du lexique) ويؤكد بيير لوطي Pierre Loti 1890، من جهته على معنى آخر لمفهوم "أفراگ" في معرض هذه الملاحظة :"بمجرد ما تخرج الخيمة السلطانية (أفراگ) من مخازن القصر وتبدأ في الظهور وراء الجدران، ينتشر الخبر في المغرب كله، بواسطة القوافل التي تمر، وخصوصا بواسطة أولئك الراجلين السريعين الرقاصة الذين يمشون ليلا ونهارا عبر الجبال أو الأنهار ليأتوا بالرسائل أو الأخبار (P. Loti, *Au Maroc*, 1980 pp 264 - 262) ويتضح هنا أن لفظة "أفراگ" تشكل مركز المحلة، حيث يوجد السلطان وحراسه ومقربوه، ولا تدل الكلمة على خيمة السلطان الكبيرة وحدها، وإنما تدل كذلك على مَن بداخلها ومن يدورون بها مباشرة.

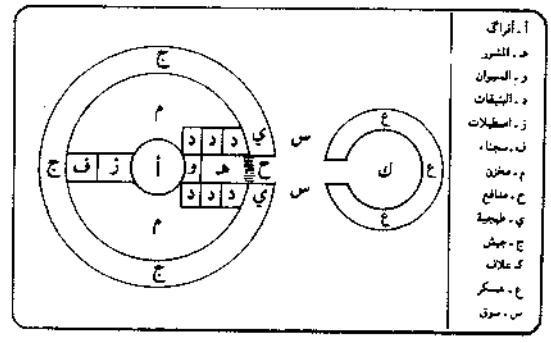

الرسم : تصميم المحلة الشريفية وموقع "أفراگ" فيها. (خططه الدكتور ـ ف ـ وايسجربير سنة 1898. طبعة الرباط 1947، ص 48.

وليس غريبا كذلك أن تحمل بعض الوحدات القبلية أسماء مشتقة من لفظة "أفراگ" وفعل "فرگ" Frg كما نجد على سبيل المثال، في منطقة الأطلس الكبير الغربي. ولقد ذكر جاك بير منا "الفروگة" (*Les Seksawa* 1955 et Fruga 1978, PP 105, 138, 285, 422 de l'éd 1978 ; J. Berque, *Struct. du haut Atlas*)

Ibn Khaldoun, *Histoire des Berbères* , T. IV, P 201 Index 490 et 201, Paris 1925 ; F. Weisgerber, *Au Seuil du Maroc Moderne* ; Ch. De Foucauld, *Dictionnaire Touareg Français*, Vol I, P 342 ; Ed. Doutté, *Mission au Maroc, En Tribu* ; E. Laoust, *cours de berbère Marocain*, Paris 1921 (Ifrig, p 2 sous); R. Mauduit, *Le Makhzen Marocain*, in B. C. A. F/RC Nº 12, 1903, p. 126 ; J. Berque, *Structure du Haut Atlas, les Seksawa* 1978. PP. 105 - 138, 285, 422 ; E. Bernus, *Afrag*, in *Encycl. Berbère* ; S. Chaker, *Afrag*, in *Encycl. Berbère*.

محمد الكبير

أفْراگْ، ربض من أرباض سبتة، أنشأه بنو مرين كمقر وسكنى لهم ولجندهم، غرب المدينة على مدخل شبه الجزيرة، يمين طريق فاس، بمنطقة يبلغ علوها 70 مترا، وليس على جبل أشو، كما يعتقد البعض.

يعرف الحي بأسماء متعددة في النصوص التاريخية. يعرف عند ابن خلدون والأنصاري باسم أفْراگْ، وعند ابن مرزوق يعرف بالمنصورة. أما المؤرخ البرتغالي أزورَرا G. E. De Azurara فيشير إليه باسم "الجزيرة" La Isia. ظل الحي يعرف عموما باسم أفراگ خلال الحقبة الإسلامية للمدينة كما تدل على ذلك معظم المصادر العربية. عقب الاحتلال البرتغالي للمنطقة، أصبح يشار إليه باسم الجزيرة La Isla وتنطق أغْسلَ Arcile. أما الإسبان فيطلقون عليه حاليا اسم سبتة القَديمة Ceuta la Vieja.

دخل أفراگ في حكم المركز الحضري لمدينة سبتة منذ سنة 729 / 1328 على إثر بنائه من طرف السلطان أبي سعيد المريني الذي كان يهدف من وراء ذلك إلى تثبيت وتجسيد السلطة المرينية بهذه المدينة المتمردة بعد ما أزاح العزفيين منها بصورة نهائية. لقد أكملت المنشآت المعمارية بهذا الربض على يد السلطان أبي الحسن (731 / 1331 ـ 750 / 1351) الذي ألحق به عددا من المساجد والحمامات والفنادق. كما دعمت تحصيناته بأسوار متينة وأبراج وأبواب. مع نهاية العهد الإسلامي للمنطقة، أخذ أفراگْ كغيره من أرباض المدينة شكل خلية حضرية مغلقة تحتوي على المنشآت الضرورية. لم يبق حاليا من هذا الحي إلا أشلاء حوائط مخربة وفي حالة رديئة، باستثناء السور الغربي الذي تتوسطه باب يعتقد أن تكون باب فاس، أحد أبواب أفراگ الثلاثة الوارد ذكرها عند الأنصاري. تدعم السور أبراج عديدة مربعة الشكل. تقترب أسوار أفراگ من حيث فن البناء إلى حد كبير من تحصينات مدينة ألمرية وأيضا من الأسوار المرينية بفاس الجديد. يبدو أن أفراگ قد احتفظ بمنشآته المعمارية إلى فترة ما بعد الاستعمار البرتغالي، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الوصف الذي خصه أزُورَرا G. E. De Azurara لتحصينات هذا الحي ولساحات قصوره المرصعة بالرخام والأحجار المختلفة الألوان. لكن من الراجح أن يكون اندثاره قد تم بسرعة بعد هذه الفترة لتأخذ

مكانه منشآت حضرية جديدة، تعذر معها القيام بأي بحوث أركيولوجية بالمنطقة، فباستثناء بقايا أسوار أفراگ وخزان مائي كبير الحجم يذكرنا إلى حد كبير بالخزان المائي الوارد ذكره عند ف. فرناندس V. Fernandes تنعدم المآثر التاريخية ذات الطابع الإسلامي بالمنطقة مما يتعذر معه على الباحث تكوين صورة ولو مقربة عن تصميم هذا الحي السلطاني وعن طابعه المعماري.

ابن مرزوق، *المسند*، 447 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 327 ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار*، 44 ـ 48.

E. De Vasconcellos, *Una plana de Ceuta de 1774*, sociedade de geographia de Lisboa, Boletin da V centenario da tomada de ceuta, Lisbonne, 1915 ; E. Levi-Provencal, *Un nouveau texte d'histoire merinide : le musnad d'Ibn Marzuk*, Hesp., TV, 1925, p 63, nº 4 ; R. Ricard, le *Maroc septentrional au XV siècle d'après les chroniques portugaises*, Hesp., TXXIII, 1936, fasc II., 4 tim, p 95 ; V. Fernandes, *Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Senegal* (1506 - 1507), trad. fr. De Cenival et Th. Monod, Paris, 1938, p 19 ; M. Gordillo Osuna, *Geografia urbana de Ceuta*, Madrid, 1972, p 170 ; G. Camps, *Afrag* (ville), Encycl. Ber. ; Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIe et XIVe siècle, essai de reconstitution de la civilisation musulmane*, Thèse de 3eme cycle, Aix en provence, 1987, pp. 131 - 132.

زليخة بنرمضان

إفران ـ الأطلس الصغير ـ، مفرد هذه الكلمة هو إفري، وتصغيرها تيفريت الذي يجمع على تيفراتين حسب رأي محمد شفيق (*في أن أسماء* : 341). أما W. Vycihl فيعتبر بأن الإفري هو اسم شعب يعد السبب في إطلاق اسم إفريقيا على قارة السمر. فهو يعتبر أ ـ فر (جمع ا ـ فرن) مصدر لأفري مؤكدا أن الشكل هو الانحراف عن الهيروغليفية. ومهما يكن، فالتسمية تفيد الكهوف التي تؤدي تحت سطح الأرض إلى سراديب، وربما دلت على أولى مظاهر العمران البشري أو قد تفيد حجم المد الفينيقي من خلال بحثه عن الذهب والفضة، (Castries: S.I.H.M, Angl. I, 31). يربط هذا المدشر ومناطقه المجاورة بين منطقتي وادي نون وإداوسملال بالأطلس الصغير. ويعد وادي إفران مجالا استراتيجيا للرعي والفلاحة البورية وللربط بين شبكتي مسالك الأطلس ومسالك الصحراء المجاورة.

ليس من الغريب أن تعود الرواية الشفوية بتاريخ هذا المدشر إلى الهجرة اليهودية زمن نبوخضنصر خلال القرن الخامس قبل الميلاد. فقد عرفت المنطقة عموما هجرة الجاليات السامية القادمة من اليمن وفلسطين عبر مصر وليبيا. ولا شك أن دور الفينيقيين في التنقيب المنجمي قد أسهم بشكل حاسم في تركيز بعض هذه الجاليات. لقد دلت بعض الحفريات على أهمية الدور الفينيقي في تهييء قنوات الري بما في ذلك الخطارات. وهو أمر يتطلب المزيد من التأكيد خاصة وأن كل المعطيات التاريخية تظل حتى الآن في طي الكتمان. لقد دلت التحريات القليلة التي قام بها V. Monteil في عين المكان سنة 1946 على ما يؤكد استمرار الوجود اليهودي منذ القرن الأول الميلادي على الأقل (*Les Juifs* : 158 - 159). وعلماً منا بما قامت به المجموعات اليهودية المحلية في تطوير المبادلات بين ضفتي الصحراء، فإن مجمل المؤشرات تزيد من صلاحية الاحتمال. وهنا لا بد من أن نشير إلى أنه ليس من الغريب أن تصمت مصادر الجغرافيين العرب في مختلف الفترات عن نشاط وأهمية سكان المدشر في وقت لا يرد فيه ذكر اليهود إلا نادرا. وإذا كان هذا أيضا شأن المصادر المسيحية فإننا ندرك لماذا لم يرد ذكر المدشر إلا منذ بداية القرن السادس عشر مع كل من Léon Don Ramusio، V. Fernandés و Marmol، V. De Paradis لقد جاءت بعض الإشارات المقتضبة لدى F. C. De La Chapelle لتفيد بأن ملكا يهوديا يسمى Euphrati كان قد اتخذ إفران قاعدة لمملكته في فترة بعيدة. ولكن مشكل التوثيق يظل أصعب إشكال أمام هذا النوع من المعطيات . على أن امتداد الوجود الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لإفران يبدو واضحا وجليا من خلال وثيقة 1499 الهامة التي يعود الفضل في ترجمتها للفرنسية إلى F. C. De La Chapelle و P. De Cenival، وهي مرحلة تاريخية عرفت مداً إيبيريا على المنطقة استطاعت من خلاله إسبانيا أن تفرض شروط أمنها على المنطقة. وقد ساهم الوجود الأعرابي لذوي عامر بعين المكان في مراقبة المجال الشامل لمجمل مداشر ومدن وقرى الأطلس الصغري، تخلص فيما بعد إلى الدور التاريخي الذي لعبه يهود إفران في تطوير مدينة الصويرة ابتداء من سنة 1765 م. وهي فترة واكبت الانتصار النهائي خلال القرن التاسع عشر للتجارة الأوروبية على تجارة القوافل.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 57 ؛ *إيليغ*، 5، الهامش 18 ؛ م. شفيق، *في أن أسماء الأماكن في المغرب جلها أمازيغية*، *مجلة البحث العلمي*، السنة 14، العدد 27، يناير ـ يوليوز 1977، ص 329 ـ 358 خاصة 341.

F. C. De La Chapelle, *Les Takna du Sud Ouest Marocain*, *A.F.*, Paris, 1934, 28 ; F. C. De La Chapelle, Pierre de Cenival, *Possessions espagnoles sur la côte occidentale d'Afrique : Santa cruz de Mar pequena et Ifni*, Hesp., 1935, 2 - 4 Trim., P 19 - 77 en particulier 55 ; Vincent Monteil, *Les Juifs d'Ifran*, Hesp., 1948, 1º et 2º trim. pp 151 - 162 ; Charles Monteil, *Problème du Soudan Occidental : Juifs et judaisés*, Hesp., 1951, 3 - 4 trim, pp 265 - 298 en particulier 271 ; J. Desanges et S. Lancel, *Bibliographie Analytique de l'Afrique Antique*, Paris ; E. De Bouard, Vol VII, 1970, 6, -Id, VIII, 1971, 7 ; W. Vycihl, *Onama*, XIX, 1975, 486 - 488.

مصطفى ناعمي

إفران، ـ تاريخ ـ ذكرت مونيي(ص 176) أن اليهود ينطقونها بضم الهمزة، وقد اختار ليفي بروفنصال هذا النطق (*مؤرخو الشرفاء*، 82). تقع إفران على السفح الجنوبي للأطلس الصغير ناظرة إلى الصحراء، وتتكون من أربع مدن صغيرة هي في الحقيقة أربعة قصور (قرى صحراوية مسورة) قديمة البناء بين الواحدة والأخرى مقدار ميل على وجه التقريب، وفيما بينها قرى صغيرة، تحيط بالمجموعة مغارس نخيل. تقع مجموعة إفران على واد صغير هو واد إفران الذي لا يسيل ماؤه إلاّ شتاء.

يُذكر أن الطائفة اليهودية الموجودة بإفران إلى قرننا هذا كانت أول مجموعة من اليهود المهاجرين من فلسطين

عبر مصر وتخوم الصحراء إلى الغرب في القرن السادس قبل الميلاد بعد أن خرب بخت نصر معبد سليمان، وأن هذه الطائفة سكنت مغارات إفران في هذا الوادي وكوّنت إمارة انقرضت في حروب مع قبائل البربر.

تميز تاريخ إفران بنشاط تجاري واسع يرجع إلى مرور طريق رئيسية بها ضمنت المبادلات بين بلاد السودان وشمال المغرب وموانئه الغربية. كما يرجع نشاطها إلى وجود صناع يعالجون معدن النحاس المستخرج من الجبال المجاورة فيصنعون منه أواني تصدر إلى السودان، وكان لهذا النشاط آثار إيجابية على السكان بما ظهر عليهم من علامات اليسر حسب شهادة مارمول، كما كان بها في النصف الثاني من هذا القرن السادس عشر جامع يلتقي فيه العلماء للمذاكرة، وكانت جماعة إفران تنظم شئونها العامة بصفة مرضية، لكن أهل إفران كانوا دائما في حاجة إلى الحبوب.

تُعقد بافران سوق أسبوعية تقصدها قبائل جزولة من جهة الشمال (الأَلْن) وقبائل زناگة من جنوب واد نون، ولعل تخوُّف أهل إفران من استحواذ الجزوليين على مقدراتهم جعلتهم ينضمون إلى اللف الموازن للف الجزوليين وهو لف تاحكّات وهو لف السهل الذي يضم أولاد جرار وأيت أمريبض وغيرهم من أهل نواحي تزنيت. والخارج من إفران إذا قصد الشمال عبر جبل الأطلس الصغير مرّ بتازروالت وإيليغ في السفح الشمالي، وهاتان المدينتان مع عدد من المدن الأخرى في هذه الجهات الغربية لتخوم الصحراء كانت موانئ صحراوية وتوالت عليها الحوادث التي أملاها التغلب والتقلب.

Léon, L'Africain, *Description* ; Marmol, *L'Afrique* ; V. Monteil, *Les Juifs d'Ifrane*, Hesp., 1948, 1 - 2, p 152 ; Meunié, *Le Maroc Saharien*.

أحمد التوفيق

إفران ـ مدرسة ـ تقع في تَانْگَرْتْ بإفران القريبة من مدينة بْويزكَارْن بسوس الأقصى. ويعتبر نظامها وتأسيسها امتداداً للمدرسة الجيشتمية بسوس. وقد أسسها في أوساط القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي المسمى محمد أباراغ الذي ينقل عنه إلى جانب هذا الاهتمام العلمي والصوفي خوارق وكرامات مثل ما زعم من تعليمه الإنس والجن بهذه المدرسة، وكذا تسلط الجن على نواحي حماه قرب المدرسة حتى بعد وفاته (*خلال جزولة*، 2 : 239)، وللمؤسس المذكور مشاركة في ميدان التأليف برجز في *المبنيات* مع شرح له، يذكر أنهما مما كان يعتمد لتدريس موضوع الكلم المبني بسوس.

ويذكر ممن تسلسل في هذه المدرسة من مدرسيها وخريجيها بعد مؤسسها محمد أباراغ المسمى محمد بن بلقاسم الأگماري، (توفي قبل 1280 / 1863) وقد وصف بالفقه والتجويد فيه، مع تعاطي النوازل بهذه المنطقة زمنا ليس باليسير، مع عكوف على التدريس بمدرسة إفران المذكورة وفق نظام المشارطة أي على شروط يقع الاتفاق عليها بين أعيان القبيلة والبارزين بها وبين الفقيه المنتدب للتدريس تجدد عند الاقتضاء (*المعسول* 6 : 275 ـ 276).

وممن درس وعلم بالمدرسة المذكورة المسمى عبد الله الأساكي (أواسط القرن 13 / 19). ودرس بها أيضا ولده محمد بن عبد الله الأساكي.

ثم برز للتدريس بها ابتداء من (1280 / 1863) العلامة محمد بن إبراهيم الشيخ (*المعسول* 8 : 60) ذو الشهرة العلمية في القرن الماضي ومن ذوي الإفتاء الكبار بسوس، وقد وصف بالإقبال على التدريس إقبالا أصبحت معه مدرسة تانكرت بإفران من المدارس العامرة في عهده، ويظهر أن طريقته الحازمة في تربية الطلاب وتهذيبهم جعلت بعضهم عديم الصبر على الاستمرار، فكان ذلك سببا في مغادرة جملة من الطلبة للمدرسة قبل أن يستكملوا المنهاج المرسوم آنذاك من قبل الأستاذ الذي أعطى كليته للتدريس مقتصرا عليه في أيام العطل وأوقات قليلة يستغرقها في قطع الطريق الممتدة من داره إلى المدرسة يخصص ذلك لاستقبال أصحاب النوازل وطلب الافتاء.

كما يذكر بعد ذلك من جملة المدرسين بهذه المدرسة المسمى محمد بن إبراهيم اللكوسي الصديقي التيمي (*المعسول*، 6 : 93).

ولعل أبرز مدرسي تانكرت بعد العلامة إبراهيم الشيخ أحد حفدته المسمى الطاهر بن محمد الإفراني (1284 / 1867. 1374 / 1954) والذي يُذكر أن والده محمداً درس بها قبله (*المعسول*، 7 : 78)، ابتدأ الطاهر المذكور التدريس بهذه المدرسة منذ 1307 / 1889 في فترة امتدت إلى سنة 1328 / 1960، وقد غلبت عليه النزعة الأدبية فكان ذلك سببا في اشتهار هذه المدرسة بعد ذلك بهذا الاتجاه في سوس حتى سمي وادي إفران بوادي الأدباء (*خلال جزولة*، 2 : 251). وذلك من أثر شاعرية الطاهر الإفراني وكثرة إنتاجه في القريض إذا ما قيس بغيره من أدباء سوس، ويظهر أنه ربما كان لنشأته في اليتم من جهة وأخذه العلوم من مدرسة إلْغْ بسوس التي غلب على متخرجيها الاتجاه اللغوي والأدبي، كان لذلك أثر في إثارة شاعرية الطاهر الإفراني حتى عد شاعر سوس في عصره بدون منازع، ولذلك جاء ديوانه المخطوط في نحو مجلدين، كما *نظم الحكم العطائية* وهو مخطوط وله أيضا *نظم رسالة العضد* (مخطوط) و*نظم* بعض *مختصر خليل* (*سوس العالمة*، 209).

وقد وصف صاحب *المعسول* طريقته التعليمية التي اعتمدت على أسلوب الحوار والبحث في المصادر مع انتداب بعض الطلاب للقيام بإعداد الأرضية التي ينطلق منها الحوار في صورة إحضار نص من نصوص التراث المختارة ليتخذ منطلقا للتحليل والاستشهادات وما يتبع ذلك من الإحاطة بلغة النص ومشكلات إعرابه ومعانيه مع الاستطراد إلى كل ماله علاقة بالنص من الشواهد والإنشادات من المحفوظ الجيد، مما خلق لدى الطلاب حساً أديباً ولغويا قويا (*المعسول*، 7 : 88)، يضاف إلى ذلك كله

سعة صدر الأستاذ في قبول انتقادات الطلاب والاعتراف لهم بالخطإ إن صدر خطأ من الأستاذ (*المعسول*، 7 : 92)، ومن توابع هذا الجو الأدبي المتميز بالعطاء أن دار الأستاذ نفسها مما لم يكن يستثنى من معاطاة الحوار وذلك في جو يجتمع فيه غالبا طلاب العلم إلى جانب مريدي الطريقة الصوفية المتبعة في هذه المدرسة وهي الطريقة الأحمدية التيجانية، يضاف إلى هذا كله الانفتاح على المدارس السوسية الأخرى من قبل الأستاذ والطلبة، ويتجلى ذلك في المراسلات الشعرية والنثرية المتبادلة، وكذا في المطارحات مع معاصري الأستاذ (*المعسول*، 7 : 91)، وقد طار صيت الأستاذ واشتهر بعد صحبته للشيخ أحمد الهيبة، وله في ذلك إنتاج أدبي في مدحه وفي حضه على الجهاد (الزركلي، 3 : 223) كما أقيم للأستاذ الشاعر عند زيارته بمراكش 1354 / 1935 حفل تكريم أنشدت فيه قصائد لا يزال صداها يتردد.

لذلك كله كثر تلامذة الأستاذ الشاعر فنبغ منهم في الأدب أمثال الحسن الكوسالي وأحمد بن عبد الله الأساكي (*المعسول*، 7 : 90) وقد ذكر صاحب المعسول سجلا لأبرز الطلاب الذين أخذوا عن الأستاذ وتخرجوا في مدرسة تانكرت بإفران في مدى العشرين سنة تقريبا التي عكف فيها الأستاذ على التدريس المتصل، وتضم هذه القائمة نحو السبعين طالبا (*المعسول*، 7 : 220 ـ 222).

ويتجلى من مبادرة جملة من تلامذته للقول في أستاذهم في باب الرثاء والتعازي بعد وفاته مدى الطابع الخاص الذي طبع به الأستاذ ثقافتهم، كما يتجلى إلى جانبه مدى العلاقة الصوفية الخاصة التي كانت تربط الشيخ بالطلبة، بالإضافة إلى هالة من السمعة الحسنة التي كونها الشيخ الأستاذ المربي في جولاته ورحلاته (انظر بعض انتاجهم في المعسول، 7 : 220 ـ 230).

ويظهر أن الأستاذ الطاهر، وقد كثرت ارتباطاته الاجتماعية والسياسية والعائلية، اضطر بعد هذه الفترة من حياته في التدريس إلى أن ينيب عنه ابنه محمد بن الطاهر (1306 / 1888 ـ 1377 / 1957) بعد أن لازمه فترة وناب عنه أثناء غيابه غير ما مرة حتى سلّم له والده أمور التدريس والإشراف كلية على المدرسة ابتداء من سنة 1331 / 1912 فقام بمهام تدريسية وتربوية وعائلية متعددة طيلة ستة وأربعين عاماً حتى وُصف بأنه أكثر الناس استحضاراً للأبيات الشعرية والأمثال وألفاظ اللغة فضلا عن المسائل النحوية والفقهية، يضاف إلى ذلك اهتمامه بعلم الفرائض جامعاً بين هذه الشخصية العلمية وبين شخصية الفرسان الذين مارسوا ركوب الخيل مع قيامه أيضا بخدمة ضيوفه وضيوف والده وشأن الأسرة الداخلية كلها.

ومن أثر هذا الاهتمام بوالده التفاته إلى جمع ديوانه المشار إليه، وأنه في مجلدين، مع اقتفاء أثره في تعاطي الشعر ونظم القريض، ورغم ما قيل من عدم رضى والده عن بعض أشعاره ومن شكوك معاصريه في ألا تصل شاعريته إلى مستوى والده الشاعر الفذ آنذاك (*المعسول*، 7: 240) فقد تعاطى مع والده مع ذلك فنون القول، وكذا مع قرنائه من تلامذة والده مديحا واعتذارا وتهنيئات وغيرها (*المعسول*، 7 : 243، 245، 247) والذي شجع طلابه أكثر على الإقبال على الأدب وتعاطيه، بالإضافة إلى التقاليد التي رسخها سلوك والده الدراسي قبله، استغلال محمد بن الطاهر مختلف المناسبات التدريسية لتجربة فن القول من مثل ما اعتاده مع الطلبة عند ختم دراسة متن من المتون العلمية أو افتتاحه بأبيات شعرية مناسبة (*المعسول*، 7 : 255)، كما جرت بينه وبين تلامذة والده قصائد متبادلة، (المصدر قبله، 260 ـ 269، 270، 271) وحظي عند وفاته بمثل ذلك من قبل تلامذته وزملائه (277 ـ 278). ويظهر أن طريقته المباينة لطريقة والده في الإشراف التربوي والتي اتسمت بكثير من الدقة والأريحية ورفع الكلفة جعلته يحظى بشرف تخريج عدد مهم من أطر الثقافة والفكر والإدارة في سوس آنذاك، ذكر منهم صاحب *المعسول* قائمة تمثل من جهة النواحي التي ينتسبون إليها كما تشير أحيانا إلى المهام التي تولوها بعد التخرج (*المعسول*، 7 : 284 ـ 285).

وممن ذكر بالتعليم بهذه المدرسة بعد محمد بن الطاهر آنف الذكر المسمى إبراهيم ابن مبارك الامسرائي (كان حيا سنة 1382 / 1926) وقد أخذ عنه أحد أحفاد الشاعر الطاهر الإفراني المتقدم وهو المدني الآتي الذكر.

وتولى بعده تلميذه المدني بن محمد بن الطاهر الإفراني (1336 / 1917 ـ 1370 / 1950) التدريس بهذه المدرسة بعد ملازمة والده، كما أخذ عن جده الشاعر وعن إبراهيم بن مبارك الامسرائي المذكور قبله، وغلب عليه الاتجاه الأدبي على غرار بقية أفراد الأسرة.

وممن يذكرون من مدرسي هذه المدرسة المتأخرين الأستاذ الحسن أولگوض الذي بقي بها مدة قبل وقوع خلاف بينه وبين أحد أحفاد الطاهر الإفراني وذلك في الستينات من هذا القرن العشرين، ثم انقطعت بها الدراسة إلى أن أُعيد إليها الاهتمام سنة 1988 م من قبل وزارة الأوقاف.

م. المختارالسوسي، *المعسول*، 6 و 7 و 8 ؛ *سوس العالمة*.

محمد البابك

إفران ـ الأطلس المتوسط ـ ← **يُفرن**

الإفراني، الطاهر بن إبراهيم البكري التمنارتي، ثم الإفراني (1284 ـ 1374 / 1867 ـ 1954) من الشخصيات المساهمة في إغناء الحياة الثقافية عامة والحياة الأدبية بصفة خاصة في جنوب المغرب من أواخر القرن الماضي إلى منتصف القرن العشرين. ولد بإفران الأطلس الصغير في أحضان أسرة علم ودين وإرشاد، نشأ يتيم الأب، إلا أن أصحاب والده أحاطوه بالعناية الكافية، وهكذا حفظ القرآن في بلدته "تانْگرْت" ثم التحق بالمدرسة الإلغية الحديثة العهد بالتأسيس، فلازمها حتى تخرج على أستاذها محمد

ابن عبد الله الإلغي، ثم على أخيه علي ابن عبد الله، فكان أبرز المتخرجين من تلك المدرسة على الإطلاق، والتحق بعد ذلك بالمدرسة الجشتيمية، كما عقد الرحلة إلى القرويين بفاس. تزود الطاهر في رحلته العلمية تلك بثقافة فقهية ولغوية هيأته للاضطلاع بأدوار يتصدرها أمثاله عادة في البادية المغربية، وهكذا انخرط في سلك الأساتذة بالمدارس العلمية العتيقة في مستهل العقد الثالث من عمره، وقضى في ذلك ما ينيف على عشرين سنة خرّج خلالها عشرات العلماء والأدباء. وإلى جانب ذلك زاول الإفتاء وفض النوازل، وقد شهد له معاصروه بالتفوق في مذهب الإمام مالك. ولا بد من الإشارة أيضا إلى نشاطه الصوفي من خلال انتمائه للطريقة الأحمدية التجانية، إذ أصبح من مشايخها المرموقين في سوس. وإلى جانب ذلك كله كان في طليعة المجاهدين والمكافحين ضد الاستعمار الفرنسي بانضمامه من أول وهلة إلى حركة أحمد الهيبة، ولازمها إلى آخر مطافها يسجل بقوافيه آمالها وآلامها.

وبالرغم من ذلك كله فالطاهر الإفراني إذا ذكر فإنما يذكر لأدبه وشعره، يؤكد ذلك ديوانه الذي تجاوز ستة آلاف بيت في مختلف الأغراض من إخوانيات ونبويات ومديح ورثاء وجهاديات وطرقيات. وإنتاجه الأدبي محافظ ومخلص للتيار الكلاسيكي بناء ومحتوى. والطاهر معدود من بين المؤلفين السوسيين أيضا بنظمه للحكم العطائية، وجزء العبادات من مختصر خليل وبشرحه لإحدى قصائده إلى جانب مجموعة أشعاره.

ع. سكيرج، *تحليه الطروس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 7 : 69 ؛ *سوس العالمة*، 209 ؛ *الإلغيات*، 3 : 12 ؛ *مُترعات الكؤوس* ؛ ع. درقاوي، *الطاهر الإفراني، حياته وشعره*، رسالة د. د. ع. كلية الآداب بالرباط، 1984.

الإفراني، محمد أباراغ، التانكرتي، صاحب المشهد الذي بنيت حوله المدرسة التانكرتية، كان يسكن الخندق، ولاتزال أطلال داره مع نظفية في وسطها إلى الآن، عقبه موجود في قبيلة گدميرة بأحواز مراكش، وينتسب إليه أهل زاوية تاسافت في وادي نفيس، توثر عنه خوارق منها تعليم الجن، وهو مذكور بين المؤلفين السوسين بمؤلفين : *رجز المبنيات مع شرحه ومؤلف في البيان* ولا يعرف له تاريخ ميلاد ولا وفاة، وإنما استنبط من خاتمة مؤلفاته أنه عاش أواسط القرن التاسع الهجري. كان حيا سنة 856 / 1452.

ع. الأدوزي، *اليعقوبيون* (مخطوط) ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 2 : 239 ؛ *سوس العالمة*، 156 ـ 177 ؛ *مدارس سوس*، 99.

الإفراني، محمد بن أحمد بن عبد الله، استوطنت أسرته أساكا بعد أن انتقلت من (أمّلنْ)، ولد عام 1248 / 1832. حفظ القرآن على يد والده، ثم تخرج في العلوم بمحمد بن إبراهيم التامانارتي التانكرتي، ثم تصوف على الشيخ الحاج علي الدرقاوي، كان يلازم المشارطة في مسجد تاوريرت ،وتوفي عام 1313 / 1895.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 12 : 230 ؛ *رجالات العلم العربي بسوس*.

الإفراني، محمد بن عبد الله الأساكي. عالم أديب عاش بسوس في النصف الأخير من القرن الثالث، أخذ القرآن عن أحمد مسعود الگرموني، وأخذ العلوم الأصلية عن العربي الأدوزي وعن سعيد الكثيري، ثم شارط في مدارس تانكرْت وتازْروالت وتاغلول. وكان له اتصال بالرئيس الحسين بن هاشم بودميعة، وربما تولى الكتابة عنه، مذكور بخطه الحسن وعبارته الصافية، وهو جد الشاعر الطاهر الإفراني لأمة، توفي عام 1296 / 1878.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 12 : 227 ؛ *خلال جزولة*، 2 : 38 ؛ *رجالات*.

عبد الله درقاوي

الإفراني، محمد الصغير بن محمد السوسي المراكشي (1080 / 69، 1670 ـ حوالي 1155 / 42، 1743). وقد يكتب اليفرني والوُفراني، وكلها نسبة إلى إفران بسوس. قد تسهل الهمزة فتكتب ياء في اليفرني أما الوُفراني ففيها أوفْرانْ بصيغة النسبة في اللغة المحلية مع إضافة ياء النسبة العربية.

ولد الإفراني بمراكش ودرس على كثير من العلماء، ولازم منهم شيخه الماواسي أحمد بن علي (ت 1130 / 17، 1718)، ثم ارتحل إلى فاس وأخذ عن جماعة من علمائه. ثم وعاد بعد ذلك إلى مراكش حيث خطب وأمّ بمسجد ابن يوسف، وتصدى للتدريس متصدرا لإقراء التفسير وصحيح *البخاري*. وقد كان مجلسه حافلا متميزا بكثرة البحث والجدال، يسيره الإفراني بواسع علمه وحيوية شبابه. وقد أنكر عليه بعض الطلبة المرتبة العلمية التي أصبح يتمتع بها رغم صغر سنه، ورماه بعضهم بالزندقة ورفعوا أمره إلى القاضي ابن بوعبدلي محمد بن أحمد، ثم ناظره بعض فقهاء مركش مدة فلم يتبين لهم شيء مما وصف به. وزادته هذه المناظرة شهرة وكثر المتتبعون لدروسه. ثم ترك قراءة التفسير بالبحث واقتصر على ما هو متداول في كتب الحديث والفقه، معتمدا *صحيح البخاري*.

تجاوزت شهرة الإفراني مدينة مركش، وأخذ طلاب العلم يتوافدون عليه. ويظهر أنه نكب بعد الشهرة وأبعد بأمر ملكي عن مراكش، فقد نظم أبياتا يشتكي فيها عن بعده عن مراكش مبينا أنه لم يخرج منها بمراد نفسه متحسرا على أيام قضاها إلى أن أخرج منها دون بغيته بأمر عليه مقدر لا يرد. ثم عاد إلى مراكش من جديد قبيل سنة 1151 / 1738 ـ 1739. مترددا على زاوية أبي الجعد، متفرغا للتأليف، يعيش في ضائقة مالية إلى أن توفي بمراكش ودفن بها في الروضة القريبة من جامع ابن يوسف.

ترك الإفراني مؤلفات في الأدب والتاريخ والتراجم هي : *الإفادات والإنشادات*. ذكره الحوات في *تقييد* له

وقال عنه : هو تأليف لا كفاية له في الحسن (*دليل*، 2 : 440). *درر الحجال في مناقب سبعة رجال*، ويسمى كذلك : *زبدة الأوطاب في مناقب الأقطاب*، وهو في مناقب رجال مراكش السبعة، مشتمل على مقدمة وثلاثة وثلاثين فصلا في كل فصل سبعة أسماط، أتم منها المؤلف السمط الأول في ترجمة سيدي يوسف بن علي، ووصل للسمط الثاني في ترجمةالقاضي عياض، ولم يتمه (*أعلام*، 6 : 56). يوجد طرف منه بالخزانة الأحمدية بفاس، ووقف المراكشي عليه بخط مؤلفه. *صفوة من انتشر في أخبار القرن الحادي عشر*، فرغ من تأليفه ضحى يوم الثلاثاء 4 جمادى الأولى 1137 (يناير 1725) وهو تراجم لمائتين وخمسين من الصلحاء والعلماء المغاربة والمشارقة، جعله كذيل *لدوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*. وقد طبعت *الصفوة* على الحجر بفاس دون تاريخ، ولعله سنة 1309 ـ 1891. ومن نسخ *الصفوة* مخطوطات بالخزانة العامة بالرباط تحت أرقام : 1178 د، 671 د، 1128 ك، كذا بمكتبة كلية الآداب بالرباط، ومنها ثمان نسخ بالخزانة الحسنية بالرباط. *طلعة المشتري في توبة الزمخشري*. ذكره له الحوات في تقييده، وذكر أنه في ورقات لطيفة. *الظل الوريف في مفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف*، أو *روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف*، يشتمل على ثمانية فصول في ذكر نسب مولاي إسماعيل وولادته ونشأته، وفي من أخبره من أهل الكشف، وفي بيعته، وفي تمهيده البلاد وفيما فتح من الثغور وفي حلمه وعدله وفي مشاهير أولاده. انتهى من تأليفه سنة 1173 / 1720 ـ 1721. ونشر بالرباط عام 1382 / 1962. *فتح المغيث بحكم اللحن في الحديث*، وهو مناقشة لرخص اللحن في الدعاء لمن يردد قراءة الحديث ولا معرفة له بالعربية وغرضه التبرك، وما اعتراه من لحن فلا يؤخذ به. مخطوط الخزانة الصبيحية، في 22 ورقة، رقم 115 / 4. *المعرب في أخبار المغرب*. ويسميه ابن سودة *المغرب في أخبار ملوك المغرب* (*دليل*، 1 : 164) وهو مفقود. *المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل*. أول مؤلفات الإفراني، ألفه سنة 1128 / 1715 ـ 1716. وسماه محمد الأخضر *المنهل السهل* (*الحياة الأدبية*، 234) وهو شرح لموشح ابن سهل، إبراهيم الأشبيلي (ت 649 / 1251). طبع *المسلك* على الحجر بفاس سنة 1324 / 1906 ـ 1907. وحقق بكلية الآداب، بالرباط كرسالة جامعية عام 1980 ـ 1981 / 1400. *الممتنع السهل في ترجمة إبراهيم ابن سهل*. مخطوط الخزانة الصبيحية بسلا رقم 86 / 2 في 44 ورقة. *نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي*. أشهر مؤلفات الإفراني، تناول فيه تاريخ المغرب على عهد الدولة السعدية والدولة العلوية إلى عهد المولى إسماعيل. طبع على الحجر بفاس، ثم صدر بعناية المستشرق الفرنسي هودارس في باريس سنة 1888 / 1306 ومعه ترجمة إلى الفرنسية ، وطبع جزء منه تحت عنوان : *جملة من أخبار الدولة السجلماسية*، باريس سنة 1903 / 1321 وأعيد نشر طبعة 1888 / 1306 بالأوفسيط، دون تاريخ. *واسطة العقدين في ترتيب الكناشتين السعيدتين*. وهو تقديم للكناشتين اللتين أعدهما علماء مراكش للسلطانين مولاي إسماعيل ومولاي المستضيء، جعل لهما الإفراني خطبة، ذكر فيها فضائل علم التاريخ. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 330 ك. *الوشي العبقري في ضبط لفظة المقري*. فرغ منه قبل 1156 / 1743. ترجم فيه لأحمد بن محمد المقري، وهو مفقود. *ياقوتة البيان*. أرجوزة في البلاغة. مخطوط الخزانة القرويين، ثاني مجموع رقم 1297. *شرح ياقوتة البيان*، شرح للنظم السابق. ذكر المراكشي أنه نحو نصف كراسة (*إعلام*، 6 : 57) وأورد نماذج من النص والشرح. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، سابع المجموع رقم 74 د. ومخطوط خزانة القرويين رفقة المتن المذكور.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 10 ؛ ليفي بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء* ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية* ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 2 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*.

عبد الطيف الشاذلي

إفْرْدَا، الكلمة أمازيغية وهي جمع، مفردها أفارْدُو، وتعريبه الهاون، وهو مصطلح يطلق على مجموعة من الجبال برزت قممها على شكل هواوين مقلوبة. ثم عرفت القبيلة بنفس الاسم وهي تابعة حاليا لقيادة ميرلفت ومن ضمن جماعة أربعاء الساحل . يحدها شمالاً قبيلة الساحل، وجنوباً أيت بوبكر، وشرقاً أيت برْاييم، وهي في الواقع تاقبيلت عدد سكانها 2300 من ضمن قبيلة الساحل الكبرى، ولاتبعد عن سوق أربعاء الساحل إلا ببضع كلمترات. وقد انضمت هذه القبيلة إلى أيت باعمران، ضد حملة حيداً ابن مَّايْس، لذلك هاجمهم فقتل وجرح رجال القبيلة كما أحرق زروعها، وذلك سنة 1917 مما جعل القبيلة تهاجر من المكان بكاملها إلى الجنوب حيث كانت المقاومة الباعمرانية بمرصاد لهذه الحملة. ويذكر البعض أن القبيلة كانت تسمى قديماً إدَاوبْوزيا، وهم من صميم ابن اخْلف. ومن أهم المواضع القصبات ثم تاكْسيوين ثم تاغْزوت ثم تاسولِيلْت .

ومزار القبيلة سيدي أبو الصدقات ، ولايعرف أصله، ويروِّج له الأهالي كرامات، يقام حول الضريح موسم ديني حاليا في شهر غشت من كل سنة، ولايذبح فيه إلا جمل واحد. وبجانب الضريح المدرسة العتيقة المشهورة بمن درس فيها من أصحاب الروايات والعلماء، ومازالت تؤدي مهمتها التعليمية حتى الآن.

من أعيان القبيلة في بداية هذا القرن الميلادي أمغار القبيلة الفقير محمد ولقبه بُوجْهوض وبجانبه أنْفلوس محمد عبلاً في تاغْزوت ثم أنفلوس إبراهيم بن الحسين في تاكْسيوين.

تشتغل القبيلة بالفلاحة البورية وتربية الماعز لوجود غابة أرگان بشكل كثيف، إلا أن معظم السكان يعتمدون

على الهجرة نحو أوربا، بالإضافة إلى تعاطي التجارة، ومن أهم تجار القبيلة عائلة السباعي الملقب بأعراب .

ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مخطوط. *تحريات ميدانية* عام 1980.

الحسين جهادي الباعمراني

إفْرگانْ. أو **إفْرْجَانْ**. وهو جمع إفْرگْ أو أفْرگْ وهو السياج من الشوك والأغصان. وإفْرگان : بلد البساتين المسيجة بخلاف البلاد ذات المنظر الزراعي المفتوح. ومن الأماكن الواردة في كتب التاريخ بهذا الاسم : إفرگان التي كانت بظاهر فاس القديمة الإدريسية قبليها، وإفْرگانْ التي كانت ببلد تادلا.

ي.التادلي، *التشوف*،268 ؛ م. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، 307.

أحمد التوفيق.

إفْرگان، يعقوب إسحاق، قبالي مشهور، تلميذ موشي بن ميمون الباز من تارودانت. كتب عنه حايم الزعفراني : "اضطر إلى مغادرة تارودانت، فالتجأ إلى أقا... حيث ألف عددا من الشروح القبلانية حول أسفار موسى الخمسة، جمعت في مجلد ضخم غير مطبوع تحت عنوان منحة حَدَشَة (هدية جديدة) توجد منه نسخة بخط المؤلف في متحف لڤربول" وأضاف قائلا: "إن الكتاب ثمين نظراً لمراجعه العديدة والدقيقة التي تشير إلى كبار الشيوخ والمذاهب الأساسية لقبلانية جميع المدارس والعهود السالفة". ويذكر ي.م . طوليدانو :

إفْرگان، يعقوب هياصير (الخرفي) قبالي غادر تارودانت بسبب اضطهادات يصفها في آخر القرن السادس عشر . وربما كان السالف الذكر.

ح. الزعفراني، *قبلانية : تصوف وسحر*، ص 182 ـ 183 ؛ ي. م. طوليدانو، *نيرهما عرب*، ص 85 ـ 108.

شمعون ليفي

أفركت ← تكنة

أفروخ، أسرة تطوانية أصلها من ناحية الريف، واسمها يعني باللهجة الريفية "الولد الصغير" كانت تشتغل بالتجارة في الداخل والخارج، وتتولى مناصب مخزنية سامية خلال القرن التاسع عشر . من أشهرهم :

أفروخ، أحمد الذي تولى الأمانة بمراسي المغرب ومنها الدار البيضاء سنة 1854.

أفروخ، محمد الذي عين أمينا بديوانة الصويرة بظهير 27 ربيع الثاني 1244 / 6 نوفمبر 1828.

أفروخ، محمد (الحاج) كان تاجرا بمصر كما كان يتولى منصب وكيل المغاربة هناك ولاسيما سنة 1866. أنفق على بعثة الطبيعين المغاربة بمصر أيام محمد بن عبد الرحمان . ولازالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الاخوان* (مخطوط) .أ. الرهوني ، *عمدة الراوين*، 3 : 177 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ *تاريخ تطوان*، 8 : 172 ؛ م.ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* ؛ ع. بن عبد الله، *الموسوعة المغربية* ، 4 : 90 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، 1: 108، 2 : 873 ؛*الوثائق* (مجلة 2 : 3،420).

Delegacion de Asuntos indigenas, *Familias de Tetuan*, 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espagnol*, 1949 (A).

م. ابن عزوز حكيم ومصطفى بوشعراء

أفْرياط، أسرة لايمكن أن يذكر اسمها ذو الرنة البربرية دون التذكير بالأساطير والروايات التي يقصها حاملوه، وعلى رأسها الإشارة إلى مملكة أسطورية أسسها بسوس يهود من قبيلة أفراييم (أفراطيون) طردوا من فلسطين أيام بخت نصّر، عند أول تحطيم لمعبد بيت المقدس. توجد تفاصيل هذه الأساطير عند فلاماند،(*دَيَاسْپورة في أرض الاسلام*، ج 2 : الروح الشعبية، ص 23 ـ 31، الدار البيضاء، حوالي 1960) وقد أدمجت في نفس النص رواية *مفخرة إفران*، أو إفران الأطلس الصغير، *والمسفرين الخمسين* (المحروقين وهم أحياء)، الذين سقطوا ضحايا الثائر أبو احلاس عام 1775. (انظر ڤانسان مونطيل، *مقبرة إفران*، هسبيريس، 1948، ج 1 و 2 ، ص 151 ـ 162).

إن قصة ونضال القتلى الخمسين منها مخطوط ومطبوع، ويوجد فيهما العديد من الأشخاص : أفرياط، خنافو، شرقي، صباغ، أمسلّم ...والحبر أفرياط يهودا.

أفرياط أتاي، هذا اسم مأخوذ حسب لاريدو (*أسماء يهود المغرب*، ص 360) من دار أفرياط التي كانت تتاجر في أتاي بالصويرة، والتي أسست في القرن التاسع عشر من طرف هارون وسلام أفرياط، اللذين أقاما أيضا بلندرة وركّزا ثروتهما على التجارة مع بريطانيا العظمى، إبان ازدهار الصويرة الكبير، عندما كانت تخرج منها القوافل نحو سوس ومراكش والصحراء. وتابعت أسرة أفرياط نشاطها التجاري بالصويرة (شلومو، إسحاق، الخ...) حتى أوائل القرن العشرين.

أفرياط، مسعود، كان حبراً بمراكش في القرن 18 ـ 19.

أ. لاريدو، *أسماء يهود المغرب*، 360 ؛ ي. بنيمين، *مانخير ربّنان*.

شمعون ليفي

إفْريقش الحميري. تتجاذب آراء المؤرخين حول الدور الذي قام به إفريقش بن أبرهة في الشمال الإفريقي انطلاقًا من اليمن. فقد ذكر ابن حزم أن إفريقش هذا هو إفريقش بن قيس بن صيفي، وأنه هو الذي نقل العرب إلى إفريقية وساق البربر إليها من أرض كنعان (*العبر*،2 : 95) وفيه أيضا إفريقش آخر هو إفريقش بن شمر (*العبر*، 2 : 108) وقد لاحظ ابن خلدون أن ابن قيس من التبابعة وكان لعهد موسى عليه السلام أو قبله بقليل. ولعل ذلك كان حوالي

القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وقد غزا إفريقية وأثخن في البربر حيث أطلق عليهم هذا الاسم لأول مرة حين سمع رطانتهم، وترك في الشمال الإفريقي قبائل من حمير اليمن امتزجوا بأهلها، ومنهم صنهاجة وكتامة حسب رواية الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي، وان كان نسابة البربر ينكرون ذلك.

وقبل أن نحلل أسباب هذه المجاذبات نتساءل عن "إفريقية" وأبعادها الجغرافية في ذلك العصر. فقد كان المؤرخون اللاتين يطلقون إبان الحروب البونيقية اسم "أفري" (Afri) على الأهالي الخاضعين لقرطاج، وسموا المنطقة Africa طوال العهد الروماني، وكانت مفصولة إداريًا عن نوميديا وموريطانيا (*العصور الغامضة*، 100) فكلمة افريقية إذن من Africa اللاتينية، على ما يلوح، وهي كلمة استعملت مجردة أو مضافة Provincia africa قبل سقوط قرطاج عام 146 ق. م. (*التاريخ القديم*، 7 : 2) ولايعرف أصل الكلمة اللاتينية بدقة عدا بعض التخمينات كالزعم القائل بأن Africa هي بلد أبناء Afer وهو نجل الأميرة Ly-bie بنت Jupiter أو Neptune أو Epaphus وهو ولد هرقل الليبي أو حفيد أبراهام ورئيس بعثة في ليبيا. ثم جاء العرب فخمنوا بدورهم وتحدثوا عن إفريقش كأصل لاسم الافريقيين. وقد أوغل البعض في التخمينات فزعم أن أصل الكلمة من الفرقة أو التفرقة (*تاج العروس*، *المؤنس*، 19) لأنها فرقت مصر والمغرب، أو لأنها حسب الحسن بن محمد الوزان (ليون الافريقي) مفصولة بالبحر المتوسط عن أوربا وقسم من آسيا. ومن المؤرخين من بحث عن أصل الكلمة في ألفاظ بربرية مثل (إفري) (ومعناها مغارة) أو (إفْران) وخاصة في اسم قبيلة (اوريغة). وقد اشار كاريط (*Recherches*, 309) إلى هذا الاشتقاق المحتمل انطلاقًا من كون كلمة Lybie التي استعملها الاغريق معناها (بلاد اللبوم أو الواتة) ملاحظا أن قبيلة (أوريغة) استوطنت في أحقاب سحيقة الأرض التي بنيت عليها قرطاج، وامحت آثار هذه القبيلة ولم يبق منها سوى هوارة. وقد زكى هذه النظرية كل من فيفيان وتيسو (Vivien de St Martin et Tissot) اللذين أخذا انطباق (أوريغة) على الأفارقة. والواقع أن من الصعب البت في هذه المسألة نظرا لانعدام أدلة معقولة.

أما حدود (افريقية) فإنها أيضا غامضة وإن كانت المصادر المختلفة تكاد تتفق على أنها تشمل المغرب كافة ممتدة من طرابلس إلى طَنجة غربا وإلى رمال السودان جنوبا، ولم يشذ عن هذا سوى ابن خرداذبة (المتوفى عام 272 / 885) الذي خصّ كلمة (افريقية) بمملكة الأغالبة، ولعل الحدود اختلفت باختلاف العصور كما يتبين ذلك من مراجع أخرى.

أما دخول الحميريين إلى المغرب وامتزاجهم بالأفارقة عامة (لا الشماليين فقط) فقد أنكره ابن خلدون ملاحظًا "أن السالكين من اليمن إلى المغرب لايجدون طريقا من غير السويس" وأن عدم إشارة مؤرخي الشام ومصر إلى مرورهم بهذه المنطقة يحدونا إلى عدم التصديق بذلك. وقد وهم ابن خلدون في هذا الأمر وهما فادحا لأن أقرب طريق لمرور اليمنيين إلى المغرب ليست هي (دلتا) النيل ولكن صعيده المحاذي لليمن شرقا وللصحراء الإفريقية غربا. وقد اعتمد ابن خلدون في هذا الرأي المهزوز على ابن حزم ناسيًا أن معظم القوافل التي وصفها مؤرخو القرن الثالث الهجري مثل الاصطخري وابن خرداذبة كانت تنطلق من اليمن أو المغرب مارة بسجلماسة خلال الساحل الافريقي لبحر القلزم (البحر الأحمر). وقد أكد الحسن الوزان استمرار هذا المنهج الطبيعي في القرن العاشر الهجري حيث لاحظ هو نفسه أن القوافل التجارية وإن كانت تتجه أيضا من المغرب إلى الشرق عن طريق مصر، أي أنها أصبحت تبتعد عن مسلك القراصنة وتتوغل داخل الصحراء في الطريق القديمة بين المغرب والمشرق.

وقد ورد في *الموسوعة الإسلامية* (الطبعة الفرنسية الجديدة (1 : 1208) أن نظرية الانتماء الحميري تعززت بأدلة جديدة ذات قيمة. على أن هنالك أدلة أخرى مباشرة تشهد بعكس ما يقوله ابن خلدون أدلى بها علماء جيولوجيون في تحليلاتهم للجماجم المستخرجة، وأدلة أخرى مستقاة من المظاهر الحضارية، كوحدة المجالي الموسيقية وهندسة القصور والأبنية البدوية، بل ومصطلحات خاصة. وقد تأكد من جهة حسب كتاب (الإكليل) للهمداني أن صيغة (أَفْعُول) لاتوجد إلافي اليمن في خصوص الأعلام والأماكن، وساق المؤلف أزيد من مائتي كلمة. وقد أشرنا في كتابينا : الموسوعة المغربية للأعلام الحضارية والبشرية إلى وجود نفس الصيغة في أسماء المدن والقبائل مثل أكْنُول وأسْنوس وأرْفود وأوْلوز في خصوص المغرب الأقصى.

وقد لوحظ بعد استقلال المغرب تفاهم سكان الأطلس مع فرقة مغنية وردت من اليمن نظراً لوحدة كثير من الألفاظ والعبارات. ولعل كلمة صنهاجة هي التي أعطت (زنهاجة) التي انقلبت إلى (زناجة) أو زنوج ومهما يكن فإن التبادل الحضاري بين شقي (النيل) وعروتيه وما وراءهما لم يكن من المستحيل.

ابن عبدالحكم، *فتوح* ؛ البلاذري، *فتوح* ؛ أ. البكري، *المسالك* ؛ اليعقوبي، *معجم البلدان* ؛ الاصطخري، *المسالك* ؛ ياقوت، *معجم البلدان* ؛ *أحسن التقاسيم* ؛ ع. ابن خلدون. *العبر* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ابن أبي دينار، *المونس* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*.

E.I. 2 ; Gautier, *les Siècles obscurs* ; Gsell, *l'Histoire* ; Carette, *Recherches* ; Helfritz, *Le pays sans ombre*.

عبد العزيز بنعبد الله

إفريقيا والمغرب، عندما نتحدث هنا عن العلاقات بين المغرب وأفريقيا فإننا نعني أفريقيا الغربية والوسطى، وهي ما كان يطلق عليه بلاد السودان. والعلاقات بين هاتين المنطقتين أي المغرب والسودان علاقات كثيفة، ومتشعبة،

ومعقدة. فهي علاقات ذات أوجه متعددة، إلا أن ما يذكر عادة أو يكرر هو الجانب التجاري.

لكن إلى جانب هذه العلاقات التجارية هناك العلاقات الثقافية التي ارتبطت مع العلاقات الدينية، وجعلت المنطقتين، في غالب الأحيان، تدوران في فلك واحد، هو فلك الثقافة الإسلامية، ذات الطابع المغربي الأندلسي، تولدت عنها فيما بعد ثقافة إسلامية سودانية متشبعة بالتأثيرات الشمالية. ثم هناك العلاقات السياسية القوية التي لم تقتصر على الجانب العسكري بل عرفت مفاوضات وعلاقات دبلوماسية كثيفة ومتينة. وهناك العلاقات الحضارية العامة المرتبطة مع المبادلات التجارية من عمران تجلى في الاستهلاك والنشاط المتعدد الوجوه.

هذه العلاقات بالرغم من كثافتها وتشعبها تبقى معقدة، لأنها لازالت تطرح حزازات، وتفسيرات، وتأويلات عند قراءتها من طرف أهل الشمال أو أهل الجنوب. فإن كانت قد حظيت بعدد من الدراسات فهي لازالت بحاجة إلى مزيد من البحث والتنقيب قصد إبراز عناصر الوحدة والتكامل، حتى نستطيع أن نستوعب جيدا متانة الروابط بين المنطقتين، وفهم هذه العلاقات.

ولإعطاء تصور شامل لهذه العلاقات يمكن تقسيمها إلى مراحل، نعطي لكل مرحلة منها تسمية حسب الخصوصية التي نرى أنها الغالبة عليها :

- المرحلة الأولى : العلاقات التجارية السلمية. وهي المرحلة التي عرفت علاقات بين امبراطورية غانا السودانية وبين المغرب قبل استيلاء المرابطين عليها سنة 1076 م. ولهذا المرحلة مؤرخان هما ابن حوقل، الذي زار أوداغشت سنة 990 م، إلا أن المؤرخ الأهم هو البكري، الذي أعطى تفاصيل كثيرة عن حياة المنطقة، وعن تجارتها، في كتابه *المسالك والممالك* الذي ألفه حوالي 1068 م أي قبيل دخول المرابطين إلى غانا، ويرجع إليه الفضل بذلك في إعطائنا صورة عن كثافة العلاقات بين المنطقتين خلال هذه الفترة.

قامت دولة غانا على الوساطة التجارية بين المغرب والمناطق الغابوية، وقد ذكرها المؤرخون العرب منذ القرن الثامن الميلادي. فخلال هذه الفترة توجهت إليها حملة أموية مباشرة بعد فتح المغرب، وذلك حوالي 734 م، لكن هذه الحملة لم تستطع الاستيلاء على غانا، وبذلك يمكن أن نقول : إن العلاقات القوية هي أقدم بكثير من القرن الحادي عشر، الذي يصفه البكري، لأن البكري يصف مرحلة أوج دولة غانا، التي توسعت لتضم مركز أوداغشت الذي كان مركزا صحراويا وذلك سنة 990 م والذي سيصبح ثاني أهم المراكز في الامبراطورية الغانية، بعد مركز كُمْبي صالح.

وقد كانت العلاقات تجري بين المغرب والسودان عبر عدة محاور تجارية : محور تَامْدُولْتْ - غاما ثم سجلماسة - غانا ثم درعة - بلاد السودان. وبذلك فالسبق والأهمية كانتا للمحاور الغربية، التي تنتهي في الواحات الواقعة جنوبي الأطلس. وقد كانت هذه العلاقات تشمل عدة مواد أهمها الذهب، ألم يكن ملك غانا يسمى خايا مغان : khaya Maghan وتعني "سيد الذهب"، ثم الملح الذي كان يجلب من ممالح أوليل، واجيل، وتغزى، إلى جانب منتجات أخرى مثل التمور، والجلود والنحاس وغيرها. وكانت عاصمة البلاد كمبي صالح تضم حسب رواية البكري مدينتين تبتعد إحداهما عن الأخرى بحوالي 6 كلمترات. إحداهما مخصصة لسكنى المسلمين الأجانب، يعني التجار والمسلمين السودانيين، وهي تضم 12 مسجدا، وهذا يعكس أهمية المدينة. وهي مدينة تجارية أساسا إذ تضم الأسواق ويؤمها التجار سواء البربر أو العرب أو السودانيون. أما الثانية فيقطنها الملك وحاشيته، وبقية السكان. وتعكس هندسة القصر ومحتويات غنى الدولة المرتبط بالمبادلات التجارية. وقد كان ضمن حاشية الملك عدد كبير من الموظفين المسلمين، الذين يشرفون على سير الدولة لمعرفتهم بالكتابة. وقد بنى الملك مسجدا يؤدي فيه هؤلاء شعائرهم الدينية دون حاجة للتنقل إلى المدينة الأخرى.

نستنتج من هذا الوصف، الذي أكدته الحفريات التي تمت في كل من كمبي صالح وأوداغشت، أهمية العلاقات التجارية بين المغرب والسودان، وذلك لأهمية الجالية التجارية، وهي تتكون أساسا من المغاربة الموجودين في المنطقة، ثم الدور الحيوي الذي تلعبه في جهاز الدولة. إلا أن الاستنتاج المهم من هذا كله هو وصول الديانة الإسلامية إلى أفريقيا السوداء، عن طريق العلاقات التجارية السلمية، لأن التجار كانوا يشكلون نموذجا يحتذى. ذلك أن ارتباط التجارة بالدين في العالم الإسلامي، جعل من التجارة وسيلة لنشر الديانة الإسلامية.

- المرحلة الثانية : العلاقات العسكرية الدينية. وهي العلاقات التي واكبت استيلاء المرابطين على غانا، وقد استمر تأثيرها فيما بعد خاصة العلاقات الدينية. وهذه العلاقات اتخذت في مراحل منها طابعا عسكريا، تمثل في جهاد المرابطين بزعامة عبد الله بن ياسين. وقد اختار هذا القائد مركزا لإقامة رباطه في جزيرة قرب مصب السينغال، وذلك بعد محاولاته المتعددة لتوحيد كلمة القبائل الصنهاجية (*الاستقصا*، 2 : 9). والاختيار له دلالته لأنه يعبر عن أهمية السودان في ذهن عبد الله بن ياسين. ويرتبط إسلام أهم الملوك والزعماء السودانيين بدعوة عبد الله بن ياسين. ذلك أن القرن الحادي عشر الميلادي عرف حركة واسعة للإسلام امتدت من المحيط إلى ما وراء ثنية نهر النيجر، فإلى هذه الفترة يرجع إسلام وارجابي Ouardjabi ملك التكرور (*Sekene*, 32) وكاندا دياكوسوا Kanda Dia Kassoi ملك گاو (نفس المرجع، 93) وبذلك ستصبح التكرور مركزا مهما لنشر الإسلام وترسيخه في السودان، كما أن منطقة گاو سيتركز فيها الإسلام تدريجيا لأن الحفريات التي تمت بجوار المدينة تظهر قبورا لملوك سودانيين بأسماء عربية (*Sekene*, 93).

هذه السمة سمة نشر الإسلام بالسلم في البداية ستعرف

تحولا مع التنظيم الجديد الذي اتبعه المرابطون. فبعد نجاحهم في الاستيلاء على أوداغشت سنة 1054 م، قاموا بالتوجه إلى المغرب حيث استولوا على سجلماسة مباشرة سنة 1055. 1056، ومنها انطلقوا نحو الشمال. إلا أن تمرد صنهاجة دفع بأبي بكر بن عمر إلى أن يترك شأن المغرب في يد يوسف بن تاشفين وأن يتوجه إلى الجنوب أي الصحراء والسودان، وهكذا دخل في حرب مع الغانيين إلى أن استولى على عاصمتهم كمبي صالح سنة 1076 م، وبذلك سيفتح عهدا جديدا للإسلام بالجهاد، في نفس الوقت الذي سيصبح فيه السودان والمغرب تحت حكم سياسي واحد هو الحكم المرابطي. وبالرغم من كون العلاقة في هذه الفترة قد اتسمت بالعنف، إلا أنها كانت فرصة لوضع أسس ربما كانت أمتن الأسس لالتحام المغرب بالسودان، هذه الأسس التي تمثلت في نشر المذهب المالكي الذي أصبح المذهب السائد في المنطقتين منذ تلك الفترة. وهكذا تمتنت العلاقات ليس بالدين فحسب، بل بالانتماء إلى نفس المذهب.

المرحلة الثالثة : العلاقات الدبلوماسية. واكبت هذه المرحلة الحكم المريني بالمغرب، وإمبراطورية مالي في السودان. لقد عرفت استمرارا للعلاقات الدينية، فقد أكد ابن بطوطة استمرار تشبث السودانيين بالمذهب المالكي (الرحلة، 2 : 781 وما يليها) لكنها اتسمت بتراجع نسبي للمبادلات التجارية، ذلك أن سقوط غانا تحت الحكم المرابطي، والصراع الذي تلاه، أديا إلى فقدان التوازن التجاري بين المناطق الغابوية وغانا، وهكذا تحولت الطرق التجارية تدريجيا نحو الشرق، وقد تضررت بذلك المحاور الغربية، فأصبحت مدينة نيابي عاصمة مالي، تعوض مدينة كمبي صالح. وربما تدخل رحلة ابن بطوطة إلى السودان في إطار محاولة موجهة من طرف المرينيين لجلب القوافل التجارية نحو المغرب. فسواء كان تراجع العلاقات التجارية هو الحافز لهذه العلاقات الدبلوماسية، أم سمعة أبي الحسن المريني وأصداء انتصاراته، إلا أن الواقع أن الدولتين عرفتا علاقات دبلوماسية تمثلت في تبادل للسفراء والهدايا. وقد بدأت هذه العلاقات الدبلوماسية مع بعثة السلطان مانسا موسى سلطان مالي إلى السلطان أبي الحسن لتهنئته على استلائه على تلمسان سنة 1337 م. وقد رافق البعثة السودانية صنهاجي كان يقوم بدور المترجم. استقبل أبو الحسن البعثة بحفاوة، وهيأ بعثة مماثلة لمرافقتها كانت تضم بعض رجال بلاطه، كما حملها بالهدايا. توجهت البعثة إلى السودان ووصلت في عهد السلطان مانسا سليمان. وقد طلب السلطان المريني من بني معقل وهم من القبائل العربية المتنقلة آنذاك في الصحاري الفاصلة بين المملكتين، مرافقة البعثة، والحرص على سلامتها. استقبلت البعثة المغربية بحفاوة بالغة وعاد أعضاؤها برفقة بعثة دبلوماسية سودانية أخرى للمغرب، إلا أن البعثة المحملة بالهدايا لم تنطلق إلا بعد وفاة مانسا سليمان، فأرسلها خلفه مانسا زاطة. وقد خلفت هذه البعثة صدى كبيرا لأنها كانت تتضمن زرافة أثارت إعجاب الجميع. ويتحدث ابن خلدون عن الهدية لأنه حضر وصولها وكان ذلك سنة 762 هـ. وقد مكثت البعثة في المغرب ولم ترجع إلا بعد وفاة السلطان أبي سالم (*الاستقصا*، 3 : 151 ؛ *العبر*، 7 : 468). وهكذا يمكننا أن نؤكد أن العلاقات قد كانت متينة لأنها استمرت من 1337 إلى عهد السلطان أبي سالم (1358. 1360). مما يعطينا فكرة عن غنى هذه الروابط التي عرفت استمرارية تزيد عن عشرين سنة. لهذه العلاقات دلالتها لأنها تعكس أوج الدولتين المغربية مع أبي الحسن المريني (1331. 1351 م) والمالية، مع مانسا موسى (1312. 1337 م). وقد عرفت هذه المرحلة أوج التأثيرات الحضارية المتمثلة في العمران واللباس وغيرهما.

- المرحلة الرابعة : علاقات الأزمة والاصطدام. وهذه المرحلة توافق العلاقات بين السعديين وإمبراطورية سنغاي. وهذه المرحلة بحاجة إلى الكثير من التريث لدراستها، لأنها لازالت تثير الحزازات لدى الدارسين لها، وذلك لعدة عوامل منها أن هذا الاصطدام ساهم في وضع حد لإمبراطورية سنغاي، وهي من أهم الإمبراطوريات التي حكمت السودان. بهذه الإمبراطورية انتهى عهد الدول القوية المركزة في السودان الغربي إلى القرن التاسع عشر، حيث برزت إمبراطوريات الجهاد. وبالرغم من كون هذه المرحلة قد عرفت علاقات ثقافية وتجارية مهمة، إلا أن الطابع الطاغي عليها هو طابع الأزمة. أزمة العلاقة السياسية بين السعديين والسنغيين. فالسعديون استمدوا شرعيتهم للوصول إلى الحكم من الجهاد ضد المسيحيين الإيبيريين الذين احتلوا شواطئ المغرب، هذا الجهاد الذي كان بحاجة إلى موارد ثابتة مما جعلهم يولون أنظارهم نحو مملحة تغازى. فكانت الأزمة المرتبطة بالصراع حول تغازى سببا في حملة أحمد المنصور الذهبي العسكرية إلى السودان سنة 1591 م. وقد انتهت باستيلائه على العاصمة گاو، وعلى تنبكتو. وقد أثارت هذه الحملة ردود فعل واسعة كانت محط اهتمام المؤرخين، سواء المعاصرون لها، أو الذين جاءوا فيما بعد. لذلك فهي تحظى بتغطية لا بأس بها، سواء من طرف المؤرخين المغاربة، كالإفراني والفشتالي، أو المؤرخين السودانيين، وعلى رأسهم محمود كعت، وعبد الرحمان السعدي، وسلط المؤرخون المعاصرون أضواءهم عليها وعلى رأسهم زكري دراماني Dramani وأحمد الغربي. كما كتبت حولها الكثير من المقالات والدراسات وأعطيت عدة أسباب للحملة منها : البحث عن الذهب أو العبيد، أو نشر الإسلام، أو مشكل الخلافة. وللحملة بلا شك أسباب متعددة.

لقد سبق تنظيم الحملة فترة أزمة دبلوماسية بين الدولتين حول مملحة تغازى، ومن المعلوم أن من استولى على المملحة كأنه استولى على الذهب، لأن الملح كان يستبدل بالذهب : و هكذا طالب أحمد الأعرج السعدي،

إسحاق الأول السنغي بالتخلي عن المملحة، إلا أن هذا الأخير رفض الطلب السعدي. وعندما تولى محمد الشيخ أرسل من جديد إلى إسحاق يطلب التنازل عن المملحة فكان جواب هذا الأخير هو إرسال 2000 راكب من الطوارق للإغارة على درعة (السعدي، 100). وانتهى الصراع حول المملحة باستيلاء السعديين عليها سنة 1557 م (مناهل، 144)، لكن السوادنيين قاطعوا ملح تغازى فاضطر السعديون إلى التفاوض معهم من أجل التنازل عن جزء من مدخولها (مناهل، 120) ثم استولى عليها السنغيون فيما بعد لتوجه السعديين نحو توطيد دعائم حكمهم. واستمر الوضع هكذا إلى أن وصل أحمد المنصور الذهبي إلى الحكم، وقد وافق وصوله انتصار المغاربة في معركة وادي المخازن. إلا أن أحمد المنصور رغم انتصاره في معركة وادي المخازن وقدرته على إيقاف التوسع العثماني كان يدرك جيدا استحالة توسعه في الأندلس وفي المغرب الأوسط لقوة أعدائه، وشهادة الإفراني واضحة في هذا المجال، لذلك حاول أن يبحث عن مجال للتوسع بشكل طبيعي نحو الجنوب، لاستحالة التوسع في المغرب. ويمكن أن نضع هذا التوجه في سياقه التاريخي لأن القرن السادس عشر هو قرن الإمبراطوريات، فأحمد المنصور يعتبر نفسه خليفة، كما أنه أثبت قدرته على المواجهة فبدأ يصبو إلى تشكيل إمبراطورية على منوال الإمبراطورية العثمانية.

واستعد قبل أن يرسل الحملة، وقد كان متأكدا من انتصاره مسبقا لأنه يملك التفوق في الأسلحة، لأن المغاربة كانوا يستعملون الأسلحة النارية، بينما كان أهل السودان لا يستعملون إلا الرماح. لكن مخاوفه كانت منصبة على مشاق السفر، وصعوبة اختراق الصحراء بجيش عرمرم.. وهذا ما يفسر الاستعداد الطويل لهذه الحملة إذ استمر حوالي ثلاث سنوات يشرف عليه بنفسه. وكانت حملة المنصور وراء بداية مرحلة جديدة من العلاقات المغربية السودانية.

بالرغم من أن الطابع الذي ميز هذه الفترة أو المرحلة هو الاصطدام فإنها عرفت استمراراً للعلاقات التجارية رغم تحول الطرق نحو الشرق أكثر، لأن إمبراطورية سنغي تتمركز حول عاصمتها گاو التي تقع شرق ثنية نهر النيجر. هذه العلاقات التي ركزتها الطريق التي تربط تنبكتو بجنوب الأطلس عبر مملحة تغازى، فالمملحة كانت هي المحطة الرئيسية والحيوية في الطريق لأن أهم ما تحمله للسودان هي مادة الملح.

وإلى جانب العلاقات التجارية عرفت هذه المرحلة علاقات ثقافية متينة، وإن كانت منطقة السودان قد بدأت تعرف ميلاد ثقافة سودانية محضة، حيث يمكن الحديث عن مؤرخين سودانيين، وعن كتابة سودانية. لأن مدينتي تنبكتو وجني أصبحتا من أهم المراكز الثقافية والعلمية، وأكبر دليل على ذلك هو نبوغ أمثال العالم أحمد باب التنبكتي، وشهادة ليون الإفريقي عن تجارة الكتب في السودان.

- المرحلة الخامسة : العلاقات بين التراجع والتجديد.

وهذه المرحلة تشمل فترة طويلة تمتد من حملة أحمد المنصور إلى القرن التاسع عشر. وتمتاز هذه المرحلة ببداية تراجع تدريجي للعلاقات التجارية، وذلك نتيجة استغناء أوروبا عن المغرب كواسطة بينها وبين إفريقيا إثر تحول الطرق التجارية من البر إلى البحر.

لكن هذا التراجع كمي وليس كيفيا، لأن القوافل ظلت تربط طرفي الصحراء طيلة هذه المدة بل كانت عائدات تجارة القوافل وراء تطور كل المراكز المغربية المتاخمة للصحراء آنذاك، وقد استمرت هذه العلاقات إلى نهاية القرن التاسع عشر (انظر Tamouh). إلا أن تراجع العلاقات التجارية عوض برباط آخر زاد في تمتين العلاقات بين المنطقتين، وهو رباط الرماة. ذلك أن حملة المنصور خلفت وراءها ميلاد أرستقراطية جديدة تحكم تنبكتو وهم الرماة. وتتكون هذه الأرستقراطية من قواد وباشوات الحملة، ثم من أبنائهم فيما بعد. وقد استمرت في حكم تنبكتو إلى سنة 1833، سنة صعود إمارة ماسينا (انظر Abitbol). وبذلك سيدخل السودان مرحلة العلاقة السياسية المباشرة أحيانا، وغير المباشرة أحيانا أخرى مع المغرب، إذ كان يدعو في الصلوات للسلطان المغربي. وقد عرفت تنبكتو في عهد الرماة صراعات دامية حول الحكم مما أسهم في قلة الأمن، وتراجع التجارة.

وربما كان ما يميز هذه الفترة هو استمرار العلاقات الثقافية، التي طبعها الطابع المغربي، ولا سيما طابع الزوايا. وذلك ابتداء من القرن الخامس عشر، وتعتبر زاوية كنتة من أهم الزوايا التي لعبت دورا في تمتين العلاقات الثقافية بين المغرب والسودان. وقد أخذت هذه الزاوية نفسا جديدا، خاصة خلال القرن الثامن عشر مع الشيخ المختار الكنتي، الذي كان يتحرك في الصحراء الرابطة بين السودان والمغرب، ليركز تعاليم الطريقة القادرية ويرتبط اسمها معه لتصبح الطريقة المختارية الكنتية.

وازداد تركيز العلاقات الثقافية ومتانتها مع القرن التاسع عشر الذي شهد امتداد خطين طرقيين يربطان المنطقة: وهما خط الطريقة التجانية وخط الطريقة المختارية. فالطريقة التجانية انطلقت من فاس على يد الشيخ سيدي أحمد التيجاني، المتوفي سنة 1815 م. ووصلت إلى بلاد شنقيط على يد الشيخ محمد الحافظ العلوي الشنقيطي، المتوفي سنة 1830 م. وقد جعل منها هذا الشيخ شعارا لقبائل إدَاْ وعْلي، التي حملت مشعل الطريقة التجانية وسط مجال المد القادري. وساعد استقرار العلويين في عدة مراكز على نشر الطريقة، كما أن وجود عدد مهم منهم في بلاد الترارزة، وارتباطهم اليومي مع السودانيين، أسهم في نشر الطريقة بالسودان. وقد بلغت الطريقة أوجها باعتناق الحاج عمر الفوتي التوري لها لأنه سيكون أول إمبراطورية تجانية عن طريق الجهاد وذلك ابتداء من سنة 1848، واستمرت إلى استيلاء الفرنسيين عليها سنة 1894

وامتدت من فوتاتورو إلى ثنية نهر النيجر.

أما الجيل الثاني فيأتي من الجنوب، وإن كانت أصوله شمالية، وهو جيل الطريقة المختارية. تنتمي عائلة المختار إلى كنتة بتوات، إلا أن أحفاده استقروا في أزواد، بجوار تنبكتو، خلال القرن التاسع عشر. ومن أزواد ربطوا علاقات متينة مع المغرب عبر نشر الطريقة، فقد تعددت الزوايا المختارية، إذ كانت توجد في أزمور ومكناس ومراكش وغيرها. كما أن السلاطين المغاربة أقاموا علاقات مع المختاريين حيث اتصل بهم السلطان عبد الرحمان بن هشام (1822-1859) كما أن السلطان محمد بن عبد الرحمان (1859-1873) كان من أهم مريديهم، بل كان حاميا لكل المختاريين في المغرب. وأقام المختاريون أيضا علاقات مع مختلف القوى السياسية في المنطقة اتسمت أحيانا بطابع المودة كعلاقتهم مع أمراء الحوصه أو بالعنف كعلاقتهم مع الفولانيين أمراء ماسينا. ورغم الطابع المختلف لهذه العلاقة، فإنهم بلا شك أثروا في قيام حركة الجهاد القادرية، سواء في الحوصه أو ماسينا.

ابن بطوطة، *الرحلة* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ م. الإفراني، *نزهة* ؛ ع. السعدي، *تاريخ السودان* ؛ م. كعت، *تاريخ الفتاش* ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*.

J. Devisse, *Routes de commerce et échanges en Afrique Occidentale en relation avec la Méditerranée. Un essai sur le commerce africain médiéval du XIe au siècle*, R. H. E. S., L, 1, 3, (1972) pp. 42-43, pp. 357-397 ; M. Abitbol, *Tombouctou et les Armes*, Paris, Maisonneuve et Larose, 1979 ; Z. Tamouh, *Le Maroc et le Soudan au XIXe Siècle*, Thèse du doctorat de 3ème cycle, Paris I - Sorbonne, 1982 ; A. El Alaoui, *Le Maghrib et le commerce transsaharien (milieu du XIe - milieu du XIVe S.)*, Thèse du doctorat de 3ème cycle Bordeau, 1983.

زهرة طموح

أفريقيا والمغرب في القرن العشرين. يبدو أن أقطار أفريقيا السمراء لم تحظ باهتمام قادة الحركة الوطنية يوم كانوا يناضلون في سبيل الاستقلال، إذ أنهم مضوا خلال كفاحهم يوجهون أنظارهم نحو المشرق وكأنه العالم وما فيه. وبالفعل، فإن الأحداث التي توالت على مسرح الساحة العربية، أيقظت في نفوس الزعماء المغاربة، وعلى رأسهم علال الفاسي، وعيا دوليا. ويلاحظ أنه رغم نفي عدد من قادة الحركة الوطنية إلى أقطار القارة السمراء، ورغم ما شاهدوه في منافيهم من تشابه في أنظمة الاستعمار والنزعات الوطنية المحلية، فإنهم لم يحفلوا بالأفارقة. وربما يعزى إعراضهم عن إخوانهم السود إلى صعوبات وعراقيل حالت دون إدخال القارة السمراء في تفكيرهم وعملهم السياسي.

قد يرجع هذا إلى تباين الأوضاع المجتمعية والسياسية بين شمال أفريقيا وما يقع منها جنوب الصحراء، وإلى اختلاف أساليب الكفاح هنا وهناك، وإلى المواقف "الثقافية" التي اتخذها الأفارقة أنفسهم، ولو أنه وجدت بعض المبادرات والمحاولات لتوحيد النظر على مستوى العمل النقابي.

أما بعد الاستقلال فقد تغيرت الأوضاع، ومرت العلاقات بين المغرب وأفريقيا جنوب الصحراوية بثلاث مراحل :

- الفترة المتراوحة بين 1956 و1961 تعتبر عامةً فترة حافلة ونشيطة، تُجسمها العلاقات المتميزة بين المغرب وغانا مع إرادة البلدين في النهوض بالتعاون بينهما في المجال السياسي والمجتمعي والاقتصادي والتي أُعرب عنها في التصريحات السياسية، مثل تصريح وزير الشؤون الخارجية المغربي الذي أكد على ضرورة توحيد بلدان المغرب العربي المعرض بكيفية مباشرة وآنية الى الأطماع الامبريالية مع القارة السمراء لأن "الهيمنة الاقتصادية أخذت تتطور لتحل محل الاستعمار السياسي". علاوة على هذا التصريح، شارك المغرب بوفد هام يرأسه الوزير الأول في مؤتمر مانروفيا (غشت 1959) وقد ترأس المغرب جلسته الافتتاحية.

كل هذه العناصر كشفت عن رغبة المغرب في الانفتاح على أفريقيا. وأهم دليل على ذلك. تدخل المغرب عام 1960 في الكونغو، في إطار مساعداته العسكرية والتقنية والإدارية للأقطار الافريقية وإلى حركات التحرير، مثل حركة تحرير أنگولا وحركة الموزنبيق ...في عام 1961، انعقد بالدار البيضاء مؤتمر "ضد الاستعمار" و"تقدمي" اعتبر فوزاً مغربيا دبلوماسيا كبيرا يشكل أعظم حدث في هذه السياسة.

إنها المرحلة التي تتوفر لدينا عنها معلومات أكثر من غيرها ولئن كانت متفرقة وجزئية، لكنها تبقى مع ذلك في حاجة إلى الدراسة العميقة والبحث الدقيق.

- تبتدئ المرحلة الثانية مع استقلال الجزائر، عام 1962 ومساندة الجزائر لمحاولات تأجيل اجتماع مجموعة الدار البيضاء وانشاء منظمة الوحدة الافريقية. في عام 1963، صادق المغرب على ميثاق المنظمة مع الإعراب عن تحفظاته في موضوع الحدود الموروثة عن الاستعمار. ومن ثم فإن علاقاته مع مختلف البلدان الافريقية ستبقى مرهونة بموقف كل بلد من مطالب المغرب الترابية. وهكذا ستنحلُّ تدريجيا علاقات المغرب مع أعضاء مجموعة الدار البيضاء وستتلاشى نهائيا في بعض الأحيان كما حدث مع مصر.

- ابتداء من عام 1969، ستقع أحداث تساعد المغرب على استرجاع مكانته على الساحة الافريقية. من هذه الأحداث : الاعتراف باستقلال موريتانيا عام 1969، وأوفاق يفرن والرباط مع الجزائر عام 1972، وترأس المغرب لمنظمة الوحدة الإفريقية من 1972 إلى 1973....

لكن المغرب سيواجه ابتداء من 1976، ورغم مساندته من طرف بعض الدول الافريقية "المعتدلة"، محاولات عزله دوليا بسبب قضية الصحراء. ويرى خصوم المغرب أنه تخلى عن نزعته الافريقية ووجه أنظاره نحو أوربا، وفرنسا بالخصوص، ونحو الشرق الأوسط. ومع ذلك، فان التعاون المغربي - الافريقي استمر ونما بصورة هامة في المجالين

السياسي والعسكري، ولا يزال يتطور إلى الأمام متخذا أبعاداً كبرى. إن بعض الدراسات الجاهزة حول العلاقات المغربية ـ الزايبرية، والمغربية ـ الكابونية، والمغربية ـ الغنية، تثير الإعجاب وتبرهن عن ثراء روابط التعاون القائم بين الجانبين، ذلكم التعاون الذي مافتئ يتقدم طوال الأعوام الأخيرة.

م. ب. سيرو، *علاقات المغرب السياسية مع المجموعات الافريقية والعربية منذ الاستقلال*، رسالة جامعية نوقشت بباريز، 1967 ؛ م. البوزيدي، *المغرب وافريقيا جنوب الصحراء*، مقال ضمن كتاب المغرب وافريقيا الواقعة جنوب الصحراء، إصدار المركز الوطني للبحث العلمي، 1980 ؛ م. ميشيل، *السياسة الافريقية لدول المغرب*، مارس 1968 (المجلة الفرنسية للدراسات السياسية الإفريقية) ؛ أ. بوطار، *المغرب العربي ودول افريقيا السوداء*، مارس 1968 (المجلة الفرنسية للدراسات السياسية الافريقية)؛ و.ك.روف، *السياسة الخارجية للدول المغاربية*، مجلة المغرب والمشرق (59)، 1973 ؛ ب. فسقة، *تطور التعاون بين المغرب الأقصى ودول افريقيا السوداء*، رسالة السلك العادي، المدرسة الوطنية للإدارات العمومية، الرباط، 1983 ـ 1984.

عبد الله ساعف

إفري واطو : مغارة كبيرة تقع على بعد 25 كيلومتر من مدينة تازا، من الجهة الجنوبيّة الغربيّة، على الجنب الأيمن للطريق الثانويّة، رقم 311، المؤدّية من تازا إلى قرية سيدي عبد الله عبر الأطلس المتوسط في أقصى مناطقه الشماليّة المتميّزة بكثرة كهوفها. يرتفع المكان الذي توجد فيه هذه المغارة، عن سطح البحر، بحوالي 1780 م.

إفري واطو عبارة عن مجموعة من السراديب الطبيعيّة، نحتتها على مرّ الأزمان عوامل التعرية المائيّة في أرضيّة كلسيّة. يقع غورُ أقصى تلك السراديب على عمق مايقرب من مائة متر تحت سطح الأرض. وقد تكوّنت فيها «نوازل» (stalactites) و«صواعد» (stalagmites) وهيئات جيولوجيّة أخرى أضفَتْ أشكالُها على رحاب المغارة وجدرانها جمالا طبيعيّا يسرّ الناظر، ويدعوه إلى الخشوع أمام عظمة الخالق. ولهذا كان « إفري واطو» ولازال مزاراً للسيّاح وللمُستَغورينَ (مُستكشفي الأغوار = les spéléologues)؛ يُنزل إلى جوفه بواسطة دَرَج نُحتَ في الصخر. يُكتَب اسمه في الخرائط السياحية الموضوعَة بالحروف اللاتينيّة كما يلي : Friouato.

والمدلول اللغوي لـ « إفري واطو»، في الأمازيغيّة (أي «البربريّة»)،هو«كهف النّسيم» : «إفري» هو الكهف، و«أضو» ـ المنطوق «أطو» في لهجة آيت وارين ـ هو النسيم، أو الرُخاء، أي الريح اللّينة. أمّا الواو التي تتقدمُ «واطو» فحرفٌ إعرابيٌ أوْجَبَتْ ظهوره الإضافةُ. وممّا تجدر الإشارة إليه، أنه كان من الأوربيّين المهتمّين بتاريخ المغرب، في عهد الاستعمارالفرنسيّ، منْ يميل إلى الاعتقاد أن «Friouato » تحريف لاسم إله يونانيّ قديم، وذلك جهلاً، أو تجاهلاً، منهم للمدلول الأمازيغيّ الآنف الذّكر.

استطلاع ميداني.

محمد شفيق

أفزّاز، أسرة تطوانية ليس لدينا من الوثائق ما يثبت أصلها، ومن أفرادها شخص يعرف بالفقيه أفزاز كان من بين سكان تطوان الذين فضلوا البقاء تحت الحكم الإسباني عندما احتلت تطوان سنة 1860 م، ولازالت هذه الأسرة بتطوان إلى يومنا هذا.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين* ؛ م. داود *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ *تاريخ تطوان*، 5 : 231 ؛ م ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos indigenas, *Familias de Tetuan*, 1921 (F) ; Isidro de las Cagigas, *familias tetuanies de abolengo*, 1929 (F) ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* 1932 (F) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espagnol*, 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

إفسْفَاسْنْ، إحدى قبائل إداوْتنان الثلاث التي تكون اتحادية فيما بينها، وتقع جهة الجنوب الغربي من الجزء الذي تحتله قبائل إداوتنان من الأطلس الكبير وتتكون قبيلة إفسفاس من عدة فخذات وجماعات ودور متفرقة تنحدر من ستة عظام كبرى :(إخصان) وهي :

1 ـ آيت تيويلت وعدد كوانينهم سنة 1924 يبلغ 285 كانون.
2 ـ أيت أو قصري وعدد كوانينهم سنة 1924 يبلغ 340 كانون.
3 ـ ابروتن وعدد كوانينهم سنة 1924 يبلغ 190 كانون.
4 ـ أيت وانكريم وعدد كوانينهم سنة 1924 يبلغ 410 كانون.
5 ـ أيت أولماوعدد كوانينهم سنة 1924 يبلغ 116 كانون.
6 ـ أيت وتوركا = أورغا وعدد كوانينهم سنة 1924 يبلغ 260 كانون.

وبذلك يبلغ مجموع سكان قبيلة افسفاسن حوالي 1610 كانون حسب إحصاء أجراه لاتيرون : قائد دائرة حاحا الجنوبية وگسيمة شتوكة بأگادير سنة 1924 م، في حين بلغ سكان قبيلة أيت واعزون حوالي 2095، واهل تانكرت حوالي 1770 كانون، بذلك تكون قبيلة افسفاسن أقل قبائل ايداوتنان سكانا . ومع ذلك فانها غنية بالمآثر التاريخية والمعالم الثقافية والدينية حيث نجد مثلا في إبروتن بنايات قديمة وبيوتات منحوتة في الجبل على شكل كهوف يقال إنها من عمل البرتغال في عهد احتلالهم لميناء اكادير ونواحيه وقد توحدت هذه القبيلة حول مدرسة الما العتيقة منذ القديم.

راجعنا في هذه المادة دراسة مرقونة أنجزها حاكم إنزگان 1924 وموضوعها *إداوتنان* (بالفرنسية).

محند أيت الحاج

أفْفَال، زاوية الشرفاء البقالين المعروفيين بأولاد سيدي أحمد البوهالي، توجد بقرية أفغال من فرقة بني يوضْگفان بقبيلة بني سميح الغمارية، وتعد أهم زاوية بمجموعة القبائل الغمارية المعروفة بغمارة الحايلة بمعنى العتيقة.

هذه الزاوية لا تنتمي إلى طريقة من الطرق الصوفية،

شأنها شأن زاوية الشرفاء الريسونيين الكائنة بقرية تازروت بقبيلة بني عروس الجبلية.

وقد قامت زاوية أفْغال بدور كبير في مقاومة قبائل غمارة للغزو العسكري الإسباني من سنة 1913 إلى سنة 1927 م.

Cereceda (A), *Monografia de puerto Capaz*, 36 سبتة 1951 ص.

Beneitez Cantero (V), *Etnografia gomari*, 81 سبتة 1951 ص.

م.ابن عزوز حكيم

أفْلالُو، أسرة من يهود الصويرة، تولّت التجارة بالداخل والخارج، وكان لها اتصال بالدوائر المخزنية في القرن التاسع عشر . منهم :

أفْلالو، إسحاق الذي كلفه السلطان بمهمات في الخارج ولاسيما بألمانيا سنة 1829. كان تاجراً بالصويرة ثم انتقل الى لندن للتجارة بها.

أفْلالُو، مْناحيم : تاجر كان يقيم بلندن للتجارة بها أواخر القرن التاسع عشر.

P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc* ; J. L. Miége, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 55 - 56.

مصطفى بوشعراء

أفْلالُو، موسى، أو (موشي) : تاجر يهودي (من الصويرة) أقام بلندن وكان صديقاً للسيد احماد بن موسى وزير مولاي الحسن الاول مراسلا له ، ويقتبل بعض رسل المخزن، وهو مؤلف The Truth about Morocco (لندن ونيويورك، 1904).

أفلالو، ميمون. أعظم حبر في زاوية الدلاء. بعد ان حطمت هذه الزاوية من طرف مولاي الرشيد، أقامت الجماعة بفاس، حيث خصص لها الحبر ڤيدال هسرفتي محلا لاقامة بيعة لها (انظر طوليدانو، نير هما عرب) وكان ابنه سعاليه حبرا بفاس، كما أن أفرادا آخرين من أسرة أفلالو كانوا أحبارا : بأگادير مثل يوشواع (إشوعا)، في القرن 17 و18، ويحيى في القرن 18، مؤلف مجموعة فقهية، وبالرباط مثل عيوش (القرن 18 ـ 19) انظر يـ . بنايم، مالخي ريانان).

طوليدانو، نيرهما عرب ؛ بنايم، مالخي ريّانان.

شمعون ليفي

أفلاّح، شعيب بن حمادي، من قرية إحَدّوشَنْ الواقعة قرب إمْزورْن بقبيلة بني ورياغل الريفية. شارك في الثورة الريفية منذ انطلاقتها الأولى، وأبان عن مهارة وحذق في إصلاح المدافع، وأظهر كفاءة لاجدال فيها لتنظيم الجيش الريفي (النظامي)، وحنكة عسكرية مشهوداً له بها، ومقدرة عالية على التخطيط للمعارك وقيادتها، وذلك من خلال العمليات الحربية التي شارك فيها خاصة في الجبهة الغربية ضد الإسبانيين، وفي الجبهة الجنوبية ضد الفرنسيين تحت قيادة البطل مَحمد بن عبد الكريم الخطابي، وفي الفترة المتراوحة بين 1923 و 1925.

تعرف عليه محمد بن عبد الكريم الخطابي بعد انتصارات أنوال سنة 1921، ولمس فيه حذقا ومهارة في إصلاح المدافع، فألحقه بوحدة إصلاح المدافع التي غنمتها الثورة من الجيش الإسباني. وقد أظهر في ذلك كفاءة عالية أثارت إعجاب وتقدير الزعيم ابن عبد الكريم، فأسند إليه مهمة الإشراف على تجنيد جيش نظامي.

وفي غضون 1922 أنشأ أفلاح النواة الأولى للجيش النظامي الريفي الذي تكلف بتدريبه القائدان محمد بوحوت القلعي واحديدان الأجديري وذلك بأول مركز للتدريب بأجدير. وترأس أول فوج لهذا الجيش البالغ خمسين رجلا. وبفضل جهود أفلاح وزملائه من قادة الثورة، توسعت قاعدة هذا الجيش بسرعة، فأصبح يضم ثلاثة طوابير منظمة وفق القواعد العصرية المعروفة وقتذاك بأوروبا، وأشرف أفلاح على تعزيز صفوف هذا الجيش بفتح باب الانخراط أمام المتقاعدين من الجيش الفرنسي بعد الحرب العالمية الأولى، وأسند إليهم مهمة تدريب الجيش الريفي الذي أصبحت له كفاءة عالية خاصة بعد تزويده بالمدفعية.

أظهر أفلاح كفاءة جيدة لا كقائد عسكري محنك فحسب، بل أيضا كسياسي يقظ، وذلك من خلال مساهمته الفعالة في إفشال المؤامرات التي كانت تدبرها ضد الثورة الريفية المخابرات السرية الإسبانية بتعاون مع بعض زعماء غمارة وبعض شيوخ الزوايا.

وقد رافق أفلاح هذا الجيش في جميع تحركاته، فخاض معه جل المعارك التي شهدتها الجبهة الغربية ضد الإسبانيين والجبهة الجنوبية ضد الفرنسيين، وجرح في إحدى هذه المعارك بالضفة الشرقية لوادي لاو.

وساهم بدور أساسي في تحرير مدينة شفشاون، بحيث كانت مهمته في هذه العملية تتمثل في الصعود بالجيش النظامي والمتطوعين بتنسيق مع اخْرِيرُو إلي جبال شفشاون وانتظار وصول القوات الأخرى للقيام بهجوم منسق على قوات الاحتلال. لكن القائدين بادرا بالهجوم قبل الموعد المحدد فتصدى لهم الإسبانيون، فقتلوا منهم خمسة وسبعين من رجال غمارة، وعددا من رجال جيش أفلاح منهم القائد عمر اليَدّار الورياغلي.إلا أن هذا الخطأ لم يؤثر على الخطة العسكرية المرسومة في شموليتها التي نجحت في تحرير المدينة.

وانتقل بعد ذلك إلى ضفاف ورغة، فشارك سنة 1925 في قيادة الجيش النظامي والمتطوعين ضد المواقع التي كانت تحتلها الجيوش الفرنسية، نجح هذا الجيش في تحرير معظمها، وغنم عددا من المدافع والمعدات الحربية.

ونظرا لما عهد فيه من دقة في رسم الخطط الحربية وتنفيذها، فقد اختاره ابن عبد الكريم لمهمة تحرير حصن مركز " البيان" بدلاً من عبد السلام معراش الغماري الذي لم يفلح في الاستيلاء على الحصن المذكور نظراً لمناعته وعنف مقاومة الفرنسيين. ونجح أفلاح في تحرير هذا المركز في اليوم الموالي لتكليفه بهذه المهمة (3 يونيو 1925). وقد

سر محمد الخطابي لهذا الانتصار، فبعث لأفلاح بمبلغ مائتي ريالا مكافأة له على إنجازه الناجح، مشفوعة برسالة تنويه.

وبعد ذلك، انتقل على رأس طابوره (400 رجل تقريبا) إلى بني زروال وشارك في المعارك التي وقعت هناك لينتقل في حوالي منتصف يونيو إلى قبيلة البرانس مع القوات النظامية الأخرى حيث وجد المتطوعين يحاصرون قشلة سوق الخميس، فانضم بقواته إليهم إلى أن تم الاستيلاء عليها بعد معارك عنيفة.

وبعد التحالف الفرنسي ـ الإسباني ضد الثورة ، انتقل بجيشه مع مَحمد ابن عبد الكريم إلى شواطئ غمارة ووادي لاو لمواجهة احتمال نزول القوات الإسبانية هناك، فاستعد لذلك بوضع المدافع والرشاشات في مواقع استراتيجية يصل مداها إلى ضواحي تطوان، فضلا عن تحكمها في الواجهة البحرية لهذه المناطق.

وفي خريف 1925 التحق مع مَحمد الخطابي بأجدير للدفاع عن عاصمة الثورة ضد الجيوش الإسبانية التي نزلت بخليج الحسيمة في سبتمبر 1925، فأشرف على سلاح المدفعية، لكنه اضطر إلى الانسحاب بجيشه إلى"تَرگيستْ" بعد احتلال الإسبانيين لأجدير. وقد استمات في مقاومة الغزو الأجنبي بشجاعة نادرة إلى تاريخ استسلام الزعيم الخطابي في ماي 1926.

وكان أفلاح من رجال المهام الصعبة في الثورة الريفية، لايكاد يفرغ من مهمة حتى يكلف بأخرى، لما عهد فيه من إخلاص وإقدام ودقة في العمل وسرعة في التكيف مع التغيرات الطارئة.

ر. فورنو، *عبد الكريم أمير الريف*، ترجمة فؤاد أيوب، دمشق ؛
أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية، مراحل النضال* 2 : 176 ـ 200، 363 ـ 374 ـ 417. طنجة 1975 ؛ القاضي، *أسد الريف : محمد عبد الكريم الخطابي* 162 ـ 163، 181 ـ 187.

J. R Mathieu, *Mémoires d'Abd el-Krim*, 15e édition, Paris 1927, pp. 110-147 ; L. Gabrielli, *Abd el-Krim et Les évènements du Rif*, Casablanca 1953, pp. 41-212 ; D. Woolman S : *Abd el-Krim y La Guerra del Rif*. traduit en espagnol par Margarida Gratacos. Barcelona 1971, pp 145-1600 , 179-242.

مصطفى أريب

أفَلاَّن واسيف (أعلى الوادي) ← **درعة**

أفَنْسو ← **إسين**

إفْني، ـ جغرافيا ـ مدينة تقع جنوب أگدير على الساحل الأطلنتي، وتعرف أيضا باسم سيدي افني نسبة إلى دفينها الولي الصالح سيدي علي افني. تنتمي إداريا إلى إقليم تزنيت، ترتبط بمدينتي گلميم في الجنوب الشرقي وتزنيت في الشمال ـ الشرقي بطريقين ثانويين.

هذه المدينة الحديثة تم تشييدها حول مصب أحد أودية الأطلس الصغير الغربي الموسمية وهو أسفْ ـ نِ ـ افْني الذي يقطع هضبة ساحلية مستوية عبارة عَن شريط ضَيق لا يتجاوز متوسط عرضه 1000 م، ينحصر عند ارتفاع متوسطه 50 م بين الجرف الساحلي وجبال بولعلام وبيگرس. ويتميز ساحل إفني بكونه من نوع السواحل البنيوية الأصلية، تخطيطه مستقيم يعطي أجرافا صخرية تحادي هضبة قارية ذات عمل ضعيف أقل من 50 م وتواجه عبابا عنيفا في أغلب الأوقات. وهذا الوضع لا يسمح بتراكم الرمال إلا عند مصب الوادي المذكور الذي يشكل وضعا محميا يوفر شاطئا ضيقا.

تتمتع إفني بخصائص ومظاهر حضرية متميزة داخل المغرب تجعل منها "مدينة ثكنة"، وهذا لا يمكن تفسيره إلا بظروف نشأتها وتطورها التي ارتبطت بدخول الاستعمار الإسباني إلى منطقة أيت باعمران سنة 1934. ذلك أنه نظرا لموقعها الاستراتيجي الذي سمح بالإنزال البحري ويوفر أرضا مستوية صالحة لإقامة مدرج للطائرات، تم التخطيط لها لتكون قاعدة عسكرية تمكن من مراقبة قبائل أيت باعمران والمستعمرات الإسبانية الأخرى بأفريقيا الغربية والطريق المؤدية إليها. وهكذا تم الشروع في بناء المدينة التي اكتمل نسيجها سنة 1949 وأخذت وظيفة وتشكيلا حضريا يعبران عن هواجس المخطط العسكرية لم تستطع مدينتنا التخلص منها رغم عودتها إلى الوطن الأم منذ سنة 1969 وعلى الرغم من كون المستعمر لم يعمر بها طويلا.

قبل الاستقلال : خلال هذه الفترة اتخذت المدينة وظيفة عسكرية تتمثل في عدد الثكنات المتوفرة بها، وفي المساحة الهائلة والتوزيع المحكم الذي تحتله داخل النسيج الحضري. وفي غياب المعلومات الكافية، يبدو من خلال ضخامة الثكنات أن عدد أفراد الحامية العسكرية الإسبانية كان كبيرا.

انطلاقا من سنة 1947 بدأت مدينة إفني تشغل وظيفة سياسية وإدارية إذ أنها اعلنت عاصمة "لحكومة أفريقيا الشمالية الإسبانية" التي تضم مستعمرة أيت باعمران ومستعمرة الصحراء المغربية فأصبحت تكون مقرا للحاكم العام. لكن هذه الوظيفة لم تدم طويلا إذ تحولت المدينة على إثر تدخل جيش التحرير المغربي واسترجاعه لأراضي قبائل أيت باعمران سنة 1957، إلى ثكنة عسكرية حقيقية لا تدافع إلا عن نفسها. وقد أظهر هذا الأمر أن مدينة إفني لم تستطع أن تتقلد غير الوظيفة التي نشأت من أجلها وهي الوظيفة العسكرية إضافة إلى ما ارتبط بها من أنشطة تجارية وفلاحية محدودة يزاولها فلاحون صغار على طول أسيف ـ ن ـ إفني وأما البحر الذي يوفر ثروة سمكية هائلة فإن إفني لم تتمكن من الاستفادة منه بسبب غياب التجهيزات اللازمة فبقي حكرا على صيادي جزر كناريا.

إن إفني التي يمكن حصر عدد سكانها عند الفترة الأخيرة من مرحلة الاستعمار في حدود 26000 نسمة، 50 ٪ منها عن الجيش و 30 ٪ منها من المغاربة، كانت مدينة منقطعة عن الأراضي المغربية المحيطة بها وهي بذلك تشكل مدينة اصطناعية، أنشأت صدفة، تدعم ميزانيتها الدولة الإسبانية بنسبة 80 ٪.

بعد الاستقلال : عند مطلع سنة 1969 تخلت إسبانيا عن مصالحها الاستعمارية بمنطقة إفني (Santa Cruz de mar pequena) فعادت المدينة إلى الوطن الأم ورحلت عنها الحامية العسكرية الإسبانية وهجرتها الجالية الأوروبية، فانخفض عدد سكان المدينة بشكل مفاجئ إذ بلغ فقط حسب إحصاء 1971 حوالي 650 نسمة. وظهر منذ الوهلة الأولى مشكل إعادة هيكلة المدينة ودمجها في الاقتصاد والتراب الوطنيين. وهكذا اتخذت تدابير عاجلة تمثلت في إعفاء ضريبي لمدة 5 سنوات و تزويد البلدية ببعض الإعانات المالية و إعطاء بعض الامتيازات للسكان الأصليين، كما تم إعلان مدينة إفني جماعة حضرية وعاصمة إدارية لقبائل أهل الساحل وأيت باعمران التي كانت تابعة في السابق لمدينة گلميم. وفي نفس الوقت تم العمل على وضع مخطط للتنمية انطلق من الرصيد العقاري المهم والتجهيزات الأساسية العصرية المتوفرين : الثكنات العسكرية التي تحتل مساحة مهمة داخل النسيج الحضري : مستشفى، 3 مستوصفات، 4 مدارس، مدرج للطائرات، مرسى صغير عبارة عن منصة حديدية داخل البحر تربطها بالبابسة ناقلات محمولة، إضافة إلى تجهيزات ترفيهية مختلفة... وقد تم العمل أيضا على فك الحصار الذي كان مضروبا على المدينة، فتم ربطها بتزنيت وگلميم بواسطة طريقين ثانويين. إضافة إلى هذا تم توسيع قطاع التعليم عن طريق خلق مؤسسات ثانوية، وظهرت محاولة لانعاش السوق العقارية فأنجزت بعض التجزئات السكنية... لكن هذه التدابير لم تكن كافية لخلق النشاط الاقتصادي المتوخى، كما أنها لم تمكن من دمج المدينة بصفة كلية في المجال الوطني. لذلك سجلت مدينة إفني نموا ديموغرافيا ضعيفا لا تتعدى نسبته 1.56 ٪ في السنة. بحيث انتقل عدد السكان خلال 11 سنة (1982) من 13560 نسمة إلى 12600 فقط. ويعزى هذا الوضع إلى كون المدينة بقيت بعيدة عن محور العبور إلى الصحراء المغربية كما أنها لم تستقبل أي مشروع يمكنه أن يكون محركا حقيقيا للتنمية وإن كان قد شرع مؤخرا في بناء ميناء جديد من أجل استغلال الثروة السمكية المذكورة وتم في نفس الوقت التفكير في خلق وحدات صناعية ترتبط بهذا المشروع.

أصبحت إفني منذ 1971 تشكل العاصمة الإدارية لقبائل أيت باعمران بعدما انتزعت من يد الاستعمار الإسباني. هذه القبائل هي : الخمس، صبويا، امستتن، أيت بوبكر، وأيت عبد الله. تتوزع إداريا إلى 4 جماعات قروية هي : اثنين أملو، ثلاثاء صبويا، أربعاء مستي، وخميس تويفزة. تنحصر بين قبائل أيت لحسن وأولاد بوعيطة من جهة الجنوب الأخصاص من الشرق وأيت بريم وأهل الساحل من الجهة الشمالية.

المجال الذي تستوطنه هذه المجموعة البشرية يتوافق من الناحية الطبيعية مع الوحدة الجغرافية المعروفة باسم كتلة إفني التي تشكل النهاية الغربية للأطلس الصغير الغربي. وهي عبارة عن منطقة ذات مشهد تضاريسي جبلي وارتفاعات متوسطة (جبل فوكو 1250 م) تتخلله منخفضات داخلية ضيقة مثل منخفض تگراگرا، ومنخفض مستي، وتحاذيه على طول الساحل الأطلنتي هضبة ضيقة ومستوية تشرف على البحر بجرف واضح، وتقطعها مجموعة من الأودية، إضافة إلى هذه التضاريس الجبلية الوعرة تتميز المنطقة بمناخ جاف يرتبط بندرة التساقطات (إفني مثلا 147 مم / سنة) وبتركزها في عدد قليل من أيام السنة. ولعل هذه الظروف الصعبة هي المسؤولة عن فقر التربة وندرة المياه، وهي التي تفسر قدم وأهمية الهجرة الداخلية والدولية التي تضم أبناء المنطقة داخل المغرب.

إن الاستراتيجية العسكرية التي حددت شروط ظهور إفني نجدها تطبع المدينة وتحدد تصميمها ومرفلوجيتها، ذلك أن أسيف ـ ن ـ إفني الذي يشكل مجالا مغروسا داخل النسيج الحضري يفصل المدينة إلى شطر جنوبي وشطر شمالي جاء ليفك التكدس الذي يعرفه الشطر الأول.

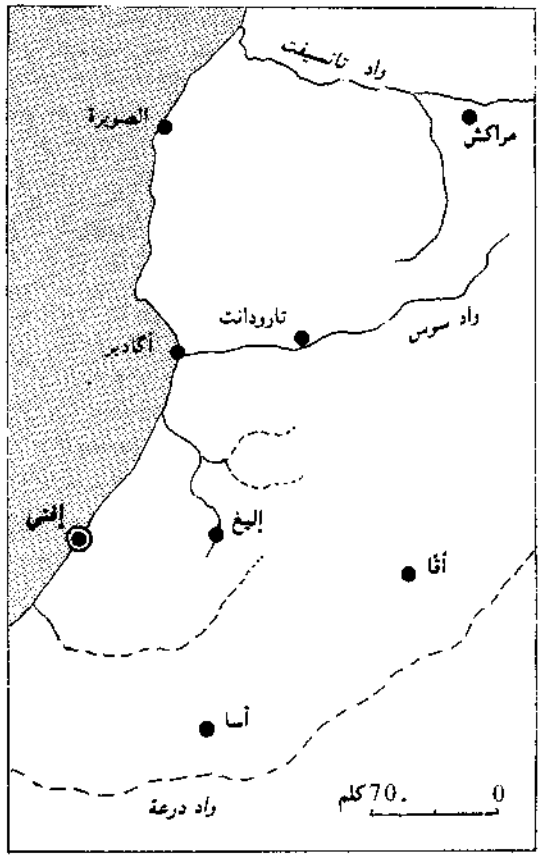

إفني

يمتد الشطر الجنوبي من المدينة على مساحة مستوية مهمة يشغل منها المطار والثكنات العسكرية الملحقة به أكثر من 3/4 مجموع مساحة المدينة، وبذلك فإن هذا المطار لم يترك بينه وبين الوادي إلا مجالا ضيقا ووعرا تخترقع مجموعة من الشعاب الضيقة بنيت فوقه الأحياء المختلفة المكونة للنسيج الحضري هذه الأحياء تخضع في توزيعها

لنوع من الترتيب بين البحر والجبل حسب مدى صلاحية الأرض للبناء. وهكذا فإن الحي الإداري شيد على موضع يشرف على البحر مباشرة، وخلفه تستقر الأحياء السكنية العصرية والحي التجاري، ثم نجد الأحياء السكنية التقليدية المتصلة بالجبل مثل حي "برابر" أو المشيدة عنه الشعاب المذكورة مثل "درب الكوز".

إن هذا الشطر الجنوبي من المدينة يضم الأنشطة المتوفرة كما أنه يضم كل التجهيزات الأساسية مثل المطار والميناء.

أما الشطر الشمالي فإنه يحتوي على حي عسكري عبارة عن ثكنة منعزلة تشرف على البحر شيدت على مساحة واسعة تتجاوز مساحة ثكنات الشطر الجنوبي إضافة إلى هذا يتكون هذا الشطر من حي سكني عصري يسمى حي للامريم (حي كلومينا سابقا) يفصله عن الثكنة مجال واسع وفارغ يجعل هذا الشطر مؤهلا لاحتضان مشاريع توسيع المدينة في المستقبل. ونظرا لتركز كل الأنشطة بالشطر الجنوبي من المدينة فإن سكان الشطر الشمالي يتحتم عليهم التنقل باستمرار إلى هناك الأمر الذي دعا إلى ربط الشطرين بالحافلة.

يبدو إذن أن إفني مدينة نشأت صدفة، فقدت ديناميتها فجأة بعدما تمت إزالة أسباب ظهورها التي كانت عابرة، فوجدت نفسها بعد جلاء الاستعمار عنها أمام عوائق كبرى تحول دون إعادة تنشيطها رغم تعدد مجالات دمجها وربطها بباقي أجزاء التراب الوطني ولعل أهم هذه العوائق يكمن في عزلتها وفي ندرة المياه بها و بالمجال المحيط بها.

P. De Cenival et Al, *Possessions espagnoles sur la côte occidentale de l'Afrique*, Hesp., T XXI, Fasc. 1 et 2, pp 19 - 66 ; P. Oliva (1971), *Note sur Ifni*, R.G.M. Nº 19, pp 85 - 96 ; S. Heraute (1934), *Les conditions de l'occupation espagnole à Ifni*, A. F., Juin 1934, pp 338 - 341 ; F. Hernandez - Pacheco (1958), *Caractéricas generales geografico - geologicas del territorio de Ifni*, Archivos del instituto de Estudio Africanos, año X, Nº 45.

الحسن الحداد

إفني، . تاريخ . في سنة 1475 كان الإسباني ديبگو گارسيا هيريرا Diego Garcia Herrera يبحث عن نقطة ارتكاز بالشاطئ المغربي المقابل للجزر الخالدات ليتخذها محطة صيد بحري ومركز متاجرة مع المغرب، وتمكن . في ساعة غفلة . من احتلال قلعة مغربية سماها : الصليب المقدس للبحر الصغير. Santa Cruz de mar pequena وهو موقع لم يعرف بالضبط، ولا وجود له بالخرائط الجغرافية المعتمدة. وعلى الرغم من ذلك، ظلت الحكومات الإسبانية تطالب به في كل مناسبة، لكن دون جدوى، إلى أن تمكنت بتواطئ مع الحكومة الفرنسية من احتلال منطقة إفني في أبريل 1934، ونشر الإسبان حمايتهم على المنطقة، وبدون سابق إنذار أو أية استشارة ألغوا الحماية وجعلوها منطقة سيادة Sobernia إسبانية، وكيفما كان الحال، فإدارتها كانت خاضعة لسلطات تطوان مقر خليفة جلالة السلطان.

ويجدر بالملاحظة أن إسبانيا لم تتمكن من احتلال كل المنطقة التي كانت تطالب بها في المعاهدات، معاهدة حرب تطوان، والمعاهدة الودية مع أنجلترا 1904، ومعاهدة الحماية مع فرنسا 1912 بل ظلت منطقة هامة في أقصى الشمال وفي أقصى الجنوب الشرقي، غير خاضعة للسلطة الإسبانية.

كان من المنتظر استعادة إفني إلى حظيرة الوطن، بعد اعتراف إسبانيا باستقلال المغرب (أبريل 1956) ولكن حكومتها في معاهدة مدريد المبرمة في ذلك الشهر، أبت ذلك، فاندلعت ثورة في نوفمبر 1957 أسفرت عن استرجاع المغرب للمنطقة في ثلاثين من يونيو 1969.

ع. العمراني، *اقتصاديات المغرب* (مخطوط).

Alcaraz, J. Cabello ; *Apuntes de Geog. de Marruecos*. Tetuan, 1950 - 51, La Fuente ; A. Domenech, *Del Territorio de Ifni*, Madrid, 1946.

عبد الله العمراني

إفني، اسم لأحد أولياء أيت باعمران، الذين كان ترابهم ممتدا بين خطي عرض °28 '54 '3 و°29 '38 '10 ش. محاذيا للمحيط الأطلسي على مسافة 65 كلم. كانت الدولة الإسبانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تعتبر أن إفني هو سانتاكروز دي ماربيكنيا الذي كان الإسبان يعرفون به مركزا تجاريا كان قد تم لهم احتكار التبادل التجاري به بين 1476 / 1524. غير أن هذا التأويل كان من جملة دواعي الخلاف بين الدولة الإسبانية والدولة المغربية، في تنفيذ البند الثامن من المعاهدة التي فرضت على المغرب سنة 1860، والذي كان يخول لإسبانيا امتيازات سانتاكروز.

في سنة 1912 اعترفت فرنسا بما تدعيه إسبانيا من حقوق في منطقة أيت باعمران، غير أن الاحتلال الفعلي لم يتم إلا في أبريل سنة 1934، حيث تمكن الجنرال كاپاس من إنزال جيشه بمرسى سيدي إفني، بمقتضى اتفاقية أبرمها مع بعض أعيان المنطقة.

وابتداء من سنة 1934 غدا اسم سيدي إفني ينسحب إداريا على أرض أيت باعمران، التي هي ممتدة على مساحة تقارب 1500 كلم 2. كانت هذه المساحة موزعة بين سبع قبائل مستقرة، تضبط مختلف جوانب حياتها أوفاق عرفية. وينظم علاقتها بالسلطات الإسبانية الاتفاقية المبرمة سنة 1935. كان إنتاجها الفلاحي يعاني من حدة الجفاف وضعف المساحة الصالحة للزراعة، ومن تم كان اللجوء إلى أساليب من شأنها ضمان محصول سنوي كاعتماد تكامل زراعة الحبوب وغرس الأشجار، وتربية النحل والماشية.

منذ 1935 أخذت معالم مدينة ذات طابع إسباني تتبلور في أرض منخفضة تنحصر بين الساحل والجبل، كان من أهم معلماتها ضريح سيدي إفني الذي أصبح يميز هذه المدينة الناشئة. أسس بها ميناء لأحكام يربطها بكل من جزر

كناري وإسبانيا والقسم الشمالي من المغرب. نظرا لضعف الإمكانيات الاقتصادية للمنطقة ظلت وظيفة مدينة إفني منحصرة في الحفاظ على استمرار الحكم الإسباني بأيت باعمران.

إذا كان الاحتلال الإسباني لم يحدث تغييرا واضحا على مستوى الانتاج الاقتصادي، فإن تأسيس الميناء جعل المنطقة أكثر انفتاحا على إسبانيا وجزر كناري والقسم الشمالي من المغرب، وكانت تربطها بخليفة السلطان الذي كان مقيما به تبعية اسمية. هذا الارتباط الوثيق بالقسم الشمالي، مكن أعيان أيت باعمران سنة 1947 من الوعي بمرامي مشروع التجنيس، الذي كان يهدف إلى تغيير الوضعية القانونية لسكان المنطقة. وهكذا عقد أعيان أيت باعمران - بمن فيهم الممثلون الرسميون - اجتماعا بمدينة إفني، أعلنوا على إثره رفضهم لسياسة التجنيس التي كان الحكم الإسباني بصدد تنفيذها.

لم تغير سياسة القمع من موقف الباعمرانيين حيال الحكم الإسباني. لقد تأجج رفضهم للحكم الإسباني من خلال ملتمس، قدمه وفد باعمراني إلى الملك محمد الخامس في يونيو 1957، يحث على استرجاع الحكومة المغربية لما بيد إسبانيا من سلط بالإقليم.

وفي نونبر 1957 حوصرت إفني من جميع الجهات، بعد أن استولى جيش التحرير على جميع المراكز التي كانت محتلة من قبل الجيش الإسباني. وتمثل رد فعل الحكم الإسباني في المواجهة المسلحة وفي تغيير التنظيم الإداري عبر فصل منطقة إفني عن الأقاليم التي كانت منضوية تحت اسم الصحراء المغربية.

ومنذ 1965 أخذت المساعي الدبلوماسية للحكومة المغربية تؤتي ثمارها، كما يستفاد من قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي دعا الحكومة الإسبانية إلى الإسراع بتصفية قضية إفني. وقد نتج عن تنوع الضغوط وتواليها، إبرام اتفاقية مغربية - إسبانية في يناير 1969 تنظم عودة المنطقة إلى حوزة المملكة المغربية.

ع. المحمدي، *المجتمع الباعمراني*، ر د د. ع، كلية الاداب، الرباط.

P. De Cenival et F. De la Chapelle, *Possessions espagnoles sur la côte occidentale de l'Afrique*, Hesp. vol XX - XXI, 1935, p. 68 ; T. G. Figueras, *Santa Cruz de mar pequena, Ifni, Sahara*, 1941 ; R. Pelissier, *Les Territoires espagnoles d'Afrique*, 1963.

علي المحمدي

أفُورارْ، ترجع التسمية في الأصل إلى كلمة (تافورارت) أي الأرض القاحلة والجرداء، وهي التي أصبحت تشكل منطقة الحزام السفوي العصري الممتدة من بني عياط الى تيموليلت والتي ارتبط تاريخ ظهورها مع الشروع في بناء سد بين الويدان والقناة الباطنية من سد أيت وعرضة الى دوار الثلاث ابتداء من سنة 1948 إلى 1953.

أصل السكان : يرجع سكان مدينة أفورار إلى قبائل أيت بوزيد وأيت الغم وتنقسم هذه القبائل إلى 3 أقسام : أيت الغم الجبلية وأيت اسعيد وأيت اعزة (أيت عمو، أيت اشعيب، أيت الفتاك).

وقد نزحت أغلبية هذه القبائل من بين الويدان ومن الجبال الواقعة مابين بين الويدان وأفورار.

وتنتمي هذه القبائل كلها لايت بوزيد، أما قبائل أيت عطا فهم سكان واويزغت، ومعظم سكان المركز هم من قدماء المحاربين، والموظفين.

وقد عرفت أفورار هجرة بنى اعياط، ذلك ان هذه الأخيرة تفتقر الى التجهيزات التي من شأنها ان تتحكم في استقرار السكان.

الموقع وبعض المعطيات الطبيعية : ينتمي مركز أفورار إداريا إلى دائرة واويزغت التابعة لإقليم أزيلال، وتقع على الطريق الثانوية رقم 524 الرابطة مابين طريق فاس مراكش وأزيلال مرورا بين الويدان. كما تخترقه طريق ثلاثية تربط مابين أفورار وتيموليلت والمؤدية إلى واويزغت.

تقع أفورار على دير أطلس بني ملال الذي ينتمي بدوره للأطلس الكبير الأوسط بحكم الطيات المتراكبة التي يتميز بها هذا الجزء من الأطلس دون باقيه (الأطلس المتوسط) الصخور السائدة هي الكلس والدولوميت المنتميان للجوراسي الأسفل (اللياس)

فالجماعة يطغى عليها الطابع الجبلي، الذي تشرف بواسطته على سهل تادلا الفسيح.

يميل المناخ إلى الجفاف، والحرارة تكون مرتفعة خلال فصل الصيف تتعدى أحيانا 40 درجة بينما تنخفض في فصل الشتاء إلى 12 درجة، أما الغطاء النباتي فهو عبارة عن أحراش متدهورة، تتكون خاصة من بعض شجيرات العرعار وكومات الدوم والزقوم التي تستخدم في رعي النحل سواء المحري منه أو الذي يتم نقله إلى المنطقة بطريقة حديثة، اي في صناديق خاصة من المناطق المجاورة كسهول تادلا وبني عمير.

إن كون منطقة أفورار منطقة جبلية لايعني أنها مكسورة بالغابة، فالغابة لا تضم سوى أنواع محدودة من الأشجار كالعرعر في الدرجة الأولي ويليه البلوط الأخضر والخروب، أما باقي المنطقة فهي تعرف تدهورا للأشجار لعدة أسباب نذكر منها الاستغلال البشري المكثف في جلب مواد تسقيف البيوت، وصنع الفحم الخشبي وفي استغلالها كمراع.

- السكان : ظهور هذا المركز رهين بسد بين الويدان والقناة الباطنية، لذا فإن عدد السكان به كان ضعيفا، ولكن في السنوات الأخيرة عرف تزايدا ملحوظا بفعل الهجرات المتوافدة إليه، ارتباطا بالتجهيزات الاجتماعية الضرورية التي أصبح يتمتع بها.

إذا كان عدد السكان لايتعدى 1562 نسمة عام 1971، فقد أصبح يعادل 5018 سنة 1982. إن المدينة تتخذ شكلا نصف دائري وتتوفر على تصميم التهيئة سنة 1982 وتتنوع فيه الوحدات الحضرية علي أحياء المكتب الوطني للكهرباء وفي القشلة والدوار الجديد وأفورار المركز.

إن المركز يتوفر على بعض التجهيزات الجماعية الأساسية والمرافق العمومية الضرورية. كما أنه يستفيد من وجود قناتين للري : الأولى في اتجاه بني عمير والثانية في اتجاه بني موسى.

ـ الأنشطة الاقتصادية المحلية : إن النشاط السائد هو التجارة المتمثلة في عدد كبير من الدكاكين والسوق الاسبوعي. كما تعرف المنطقة نشاطا أساسيا يتجلى في تربية النحل لإنتاج عسل صباريات الزقوم، وتربية الطيور الداجنة بالإضافة إلى تربية المواشي التي يطغى عليها الماعز بحكم الطابع الجبلي. وتجدر الإشارة إلى أنه يقام سنويا بالمركز موسم الولي الصالح مولاي عبد الله.

لقد شهد مركز أفورار خلال السنوات الأخيرة تطورا عمرانيا ونموا ديموغرافيا بسبب توفر التجهيزات التحتية الأساسية من إنارة و قنوات الواد الحار والماء الصالح للشرب، وكذا لتوفر عدد من المصالح الاقتصادية والإدارية.

تحريات ميدانية

عبد الرحيم بنعلي

أفُوس، أو"إيفس" أو " فُوسْ " جمعه إفاسْنْ يدل في كل مكان من المناطق البربرية على اليد بكاملها. على غرار اللغات الأخرى، تشير اليد في الأمازيغية أصلا، إلى كل الأماكن التي تُؤخذ أو تمسك منها أو بها الأشياء، كما نجد مثلا في «يد الابريق...» أو إلى بعض أجزاء الأدوات والأواني التي تصلح للقبض، وتستعمل لفظة اليد (أفوس) كذلك للدلالة على كم اللباس، وتدل على صعيد المجردات أو المجازات على معنى الهبة أو العطاء والقدرة والاستعداد أو التأهب وإلى السلطة .

ويمكننا أن نقول مع شاكر (*Encycl. berb.*, 225) إن استعمال هذه القدرات الطبيعية والخارقة لليد (أفوس) يتطلب أحيانا «تشجيعا» «ومكافأة» أو «إكرامية» حيث نجد لدى القبايل ويسوس جملة : «تيسنْتْ أوفُوس» تشير إلى معنى تلك الإكرامية أو المكافأة التي تُعطى للحصول على توسط أو تدخل أو شفاعة من طرف صاحب سلطة روحية، ويمكننا أن نقف في هذا الصدد على مجموعة من الدلالات الرمزية تتمحور كلها حول المساعدة والتعاون المشترك والمتبادل والتضامن والوحدة .

إن كل هذه القيم والمفاهيم الرمزية المتعلقة بمعنى التآزر والتضامن، مستقاة، على ما يبدو، من صورة اليد المفتوحة التي رُبطت بها كل الأصابع الخمسة.

أُفُوس كبنية ووظيفة سوسيو سياسية وإدارية : تشير لفظة "أفوس" كما رأينا، إلى حد الآن، لدى تجمعات الطوارگ وغيرهم إلى التضامن والتماسك الاجتماعيين ؛ وهي من السمات المنظمة للمجتمع الجماعوي الأمازيغي والافريقي اجتماعيا وسياسيا وثقافيا. ومما لاشك فيه أن هذا التنظيم للمجموعات البشرية داخل القبيلة، تستلزمه ظروف دفاعية وأمنية ووقائية ضد كل مخاطر كثيرا ما تأتي من الخارج. إن التضامن والتآزر ـ هنا ـ يستدعي الكلام، جدليا، عن نقيضها أي التفكك أو الانشطار الذي يؤدي، من جهة أخرى، إلى تشكيل انصهارات جديدة لمجموعات قبلية داخل أخرى، لأننا، والقانون العام هنا هو الاحتماء بالجماعة، لازلنا في مجتمع شبه ترحالي في غالبيته لم يعرف الاستقرار إلا مع نهاية فترة التهدئة القبلية الرسمية في المغرب (1934). إن التضامنات والأحلاف بين القبائل يعني في حد ذاته وجود صراعات بين الاحلاف القبلية الموجودة في الميدان. وذلك ما يفسره ابن خلدون من خلال دينامية العصبية القبلية ؛ مازلنا نجد له أصداء في الطروحات الانقسامية بلغة أخرى .

إن لفظة «أفوس» إذن مرتبطة بجدلية الانشطار fission والانصهار fusion، أي بمحاولات السلطة المركزية لتحقيق توازنات قبلية تمكنها من تحقيق ذلك التوحيد الإسلامي في وحدة الرعايا المسلمين، باسم الاندماجية والاحتواء المخزني، في وقت أصبح فيه جسم المغرب مهددا بالتصدعات التي تحرضها وتحفزها القوى الامبريالية والكولونيالية بالتعامل المباشر مع زعامات محلية قبلة هوامشية [بالحدود] متجاوزة بذلك المؤسسة المخزنية التي تسعى كل هذه المناوشات الخارجية بالإسراع بإنهاكها وإضعافها، مرحليا، لكي تمهد بذلك لاحتلال فعلي للبلاد، كما طرأ فعلا بصفة ملحوظة خلال عهد الاستعمار.

ويدل "أفوس" من جهة أخرى على صيغة تعكس سعي المخزن لتنظيم المجموعات القبلية تنظيمًا جبائيا، وذلك ما يبدو واضحا من خلال فكرة أوردها روبير مونطاني (*البربر والمخزن*. ص. 155) : "إن اتحادية Confédération حاحا نفسها مكونة من 12 قبيلة، ولاتزال خصوصا بالمنطقة الأقل عرضة للتغير بواسطة هيمنة المخزن، محتفظة بتقسيمات داخلية صغيرة (...) فكل قبيلة، مقسمة، فعلا، إلى أخماس Khoms، لها رقعتها الخاصة، تمتد على 50 كلم2 تقريبًا، وسكان يناهزون في جملتهم 500 إلى 600 كانونًا feux مجمعة في عدة "جماعات" وفي الحقيقة، إن شمال نفس البلاد، كما لاحظ ذلك ادموند دوتي (يحتوي كذلك على أخماس)، وكل خمس ليس فقط إلا تقسيما إداريا، يمكننا أن ندرك، لأول نظرة، بأنه مؤسس من طرف المخزن لغرض وحيد هو الاستفادة من الضرائب والمساعدات. لكن تجب الإشارة هنا من جانبنا إلى أن التقسيم الخماسي لايهدف فقط إلى هدف وحيد هو كما لاحظ "دوتي" جمع الضرائب. إن له جوانب وغايات مختلفة سنقتصر فيما بعد على ذكر أهمها. إن الخمس أو "أفوس" إذن يؤكد لنا حضور المخزن بالقبائل التي شملها ذلك التقسيم الإداري الذي هو في الحقيقة تقسيم يفيد من الناحية الجبائية والعسكرية كذلك، ما دامت بعض القبائل تُمد السلطة المركزية بالجند عندما تستدعي ظروف تهيئ الحركة ذلك. ولقد كان القياد وهو الممثلون المخزنيون محليا بالقبائل مسئولين دائما عن هاتين المهمتين، كما تؤكد ذلك جل المراسلات المتبادلة بينهم وبين السلاطين المغاربة.

. إن التقسيم الإداري/الجبائي للقبائل يتم من طرف السلطة المركزية وفق اعتماد أسس ومعايير تتدخل فيها المحددات الجغرافية والبيئية والسكانية والاقتصادية؛ وذلك مايفسر تقسيم بعض المجموعات القبلية إلى "إفاسن" (أخماس) وأخرى إلى أرباع. والملاحظ أن بعض قبائل الريف (أيت وريا‌غل) والجنوب مقسمة إلى أخماس وخاصة "أيت عطا" الذين كانوا إلى حدود نهاية القرن التاسع عشر أقوى وحدة قبيلية مغربية.

إن بعض المجموعات القبلية البربرية، خصوصا بمنطقة سوس، تعطي لكلمة "أفوس" معنى جد تقني في مجال التنظيم الاجتماعي والسياسي. وتدل لفظة "أفوس" على تضامن خمس عشائر أو إخصان (Jordan 1934, p. 16 et E. Laoust 1921, p. 240). كما أن "تاوسيت" أو "تيدكلت" paume de la main تشير، عند الطوارگ إلى مفهوم القبيلة، أي إلى تجمع عشائري (إخصان) (De Foucauld, 3 : 1953).

ولاشك أن "أفوس" يدل أحيانا على مفهوم القبيلة في بعض القبائل التي عرفت تقسيما أو تنظيما خماسيا إداريا، كما رأينا بصدد أيت عطا (G. Spillmann 1936) أيت وارياغل (D. M. Hart. 1967) وحاحا (Ed. Doutté. 1904)... لكنه الأداة المسهلة لضبط المجموعات السكانية داخل القبائل والتحكم فيها من جهة، وهي كذلك الطريقة التي تنسجم مع التقسيمات الجبائية والواجبات الدفاعية والعسكرية التي تلتزم بها بعض القبائل إزاء السلطة المركزية مقابل حفاظ المخزن على أمنها والدفاع عن كل المخاطر الخارجية التي تهدد مصالحها ووجودها.

S. Chaker, *Afus*, in *Encycl. Berbère*, t. 2, 224 - 226; J. Couleau, *La Paysannerie marocaine*, 26 - 27, Paris 1968; Ch. de Foucauld, *Reconnaissance* ; R.Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, 155 ; D.M. Hart, *Segmentary systems*, R.O.M.M, 1967, 1,3, p 65 - 95.

محمد الكير

أفُوغال، قد يرد مؤنثا كما في تافُوغالْت التي بجبل بني إزْنَاسَنْ بالمغرب الشرقي أو في صيغة الجمع : إفوغالَنْ، كما في حالة إحدى قرى وادي أغبار أحد روافد وادي نفيس. ومعنى أفوغال : الموضع العالي الذي يكون الإشراف منه على بسيط ممتد وأفق واسع. أما أفُوغالْ الذي دفُن فيه الشيخ أبو عبد الله مَحمد بن سليمان الجزولي ثم السلطان أبو عبد الله القائم السعدي قبل نقلهما إلى مراكش، فكان معدودا من أرض حاحا وصار اليوم من أرض الشياظمة في أرض فرقة أيت دْرَامنهم وذلك على مقربة من قرية تانكرت المعروفة على مسافة خمسة وثلاثين كلم من مدينة الصويرة.

E. Laoust, *Contribution*, 135. Drague, *Esquisse*, 51.

أحمد التوفيق

أفُوقَايْ، أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي، وأفوقاي تحريف عجمي لـ " أبو القاسم" لأن الاندلسيين يكنُّون من اسمه بأبي القاسم. ويلقب أفوقاي ببيخارانو" Bejarano وهو موريسكي ولد بقرية الحجر الأحمر من ضاحية غرناطة حوالي عام 978 / 1570، نشأ بإشبيلية مسلماً في الباطن مسيحيا في الظاهر. تعلّم ماتيسر من القرآن واللغة العربية والشريعة الاسلامية من أفراد أسرته. كما أتقن الإسبانية والبرتغالية، وعرف الإنجيل والديانة المسيحية، والتوراة واليهودية. وإلى ذلك كان أفوقاي عالماً بالتنجيم والفلك والجغرافيا. وقد كتب لنفسه ترجمة مفصلة في كتابه المطوّل *رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب* الذي يعد اليوم ضائعاً باستثناء نقول منه في بعض الكتب المغربية، وفي مختصره *ناصر الدين على القوم الكافرين* الذي نشر أخيراً. وفي خاتمة كتاب *العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع* الذي نقله من الإسبانية إلى العربية. تحدث عن نفسه منذ كان في الأندلس إلى أن خرج منها متنكرا في ربيع عام 1007 / 1599 على ظهر سفينة تحمل المؤن إلى حامية البريجة المحتلة آنذاك (مازيغن أو الجديدة)، منها انتقل إلى أزمور فمراكش حيث انخرط في سلك الكتاب كمترجم ببلاط أحمد المنصور ثم ببلاط زيدان فابنيه عبد الملك والوليد.

زار أفوقاي فرنسا وهولاندا كسفير للسلطان زيدان مطالباً بإنصاف المهاجرين الأندلسين الذين سطا على أموالهم وأمتعتهم البحارون الفرنسيون ورؤساء السفن التي أقلتهم من الشواطئ الإسبانية على إثر قرارالطرد الذي أصدره فيليب الثالث عام 1018 / 1609. وفي هذه الرحلة تعرف أفوقاي على المستشرقين الهولانديين إربّنيُوس وگوليوس Erpenius et Golius وجرت له معهما ومع غيرهما من علماء أوروبا مناظرات ومكاتبات خلّدت ذكره هناك. وجاء في رسالة باللغة اللاتينية بعث بها إربّينيوس من باريس مؤرخة في 28 شتنبر /1611 20 رجب 1020 إلى المستشرق إسحاق كازابون : " ووراء كل ما كنت أتوقع فقد وصل إلى زيارتي تاجر مغربي مسلم اسمه أحمد، وهو رجل متحضر وذكي، وكان قد درس الأدب في شبابه ويتكلم العربية الفصحى بصورة جيدة ولكن متواضعة ... وقد تناقشنا دائما في الدين، وصدّقني فإن بعض "ضلالاتهم" لايمكن دحضها بسهولة كما يتصور كثير من الناس، فهم يمقتون "مسألة ألوهية المسيح". وقد علق جيرار فيجرزْ الهولاندي الذي نشر قسماً كبيراً من هذه الرسالة بنصها اللاتيني وترجمها إلى اللغة الانجليزية مبيناً خطأ بعض المستشرقين الذين وصفوا أفوقاي بالتاجر، وإنما هو عالم مسلم غيرت مناقشته آراء إربّينيوس عن الإسلام. ومن المعلوم أن أفوقاي لما زار هولندا أقام في منزل إربنيوس وهو أستاذ كرسي اللغة العربية في جامعة لايدن أنشأ بداره - لعلها نفس الدار التي أقام بها أفوقاي - مطبعة عربية تطورت فيما بعد وأصبحت دار بريل "Brill" الشهيرة حتى الآن. وفيها طبع كتاب *"المقدمة الآجرومية في قواعد اللغة العربية"* باللاتينية الذي ألفه إربينيوس بمساعدة أفوقاي، ووقع إقبال عظيم على هذا الكتاب وطُبع بعد ذلك مراراً في لايدن وباليرمو وباريس وغيرها، وظل يُدرّس بأوروبا زهاء قرنين.

وفي عام 1046 / 1636، حج أفوقاي وعرج على مصر في طريق عودته الى المغرب، فتعرف على أعلامها، ومنهم شيخ المالكية بالأزهر عليّ الأجهوري الذي أعجب بمغامراته ومحاوراته للقسيسين الأحبار، وطلب منه أن يسجل ذلك في كتاب، فألف *ناصر الدين* المشار إليه آنفا. ويحيط الغموض بالمرحلة الأخيرة من حياة أفوقاي، ولايعرف عنه إلا أنه أتم ترجمة كتاب *العز والمنافع* بتونس عام 1048 / 1638، ونسخ بخطه كتاب *ناصر الدين* بتونس أيضا عام 1051 / 1041. ثم لاندري سنة وفاته ولا المكان الذي أقبر فيه.

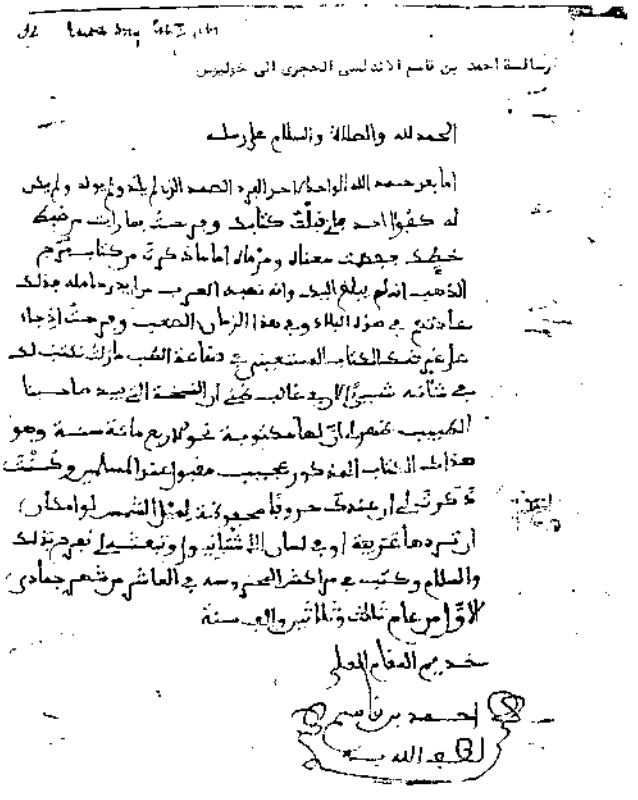

رسالة أفوقاي بخطه الى گوليوس الهولاندي

أفوقاي، *العز والمنافع*. (مخطوط)؛ *ناصر الدين*، الدار البيضاء 1987 ؛ م. الإفراني، *نزهة* ؛ م العياشي، *أزهار البستان* (مخطوط) ؛ م. الكانوني، *جواهر الكمال* ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام* ج 1 ؛ م الفاسي، *الرحالة المغاربة*، *دعوة الحق* ع 3. دجنبر 1958 ؛ م. المنوني، *ظاهرة تعريبية*، *دعوة الحق* ع 3. 1967 ؛ *مناقشة أصول الديانات*، *البحث العلمي*، ع 13. 1968 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية* 2 : 403 ؛ *رحلة أفوقاي إلى هولندا أوائل القرن 17*. (مرقونة) ؛ ق. السامرائي، *معرفة أربينيوس وخوليوس بالعالم المسلم أحمد بن قاسم* (مرقونة).

Levi - Provençal, *Les Historiens des chorfa* ; G. A. Wiegers, *A Learned Muslim, Acuaintance of Erpenius and Golius : Ahmed B. Kasim Al-Andalusi.* (Memoire dactylographié U. Leyde 1988).

محمد حجي

أفَيْلال، أسرة تطوانية شريفة يتصل نسبها بالقطب مولاي عبد السلام ابن مشيش دفين جبل العلم بقبيلة بني عروس الجبلية، وأصلها من قرية الجبلية بفرقة الحيط الفوقي من قبيلة جبل حبيب، وأول من سُمي بأفيلال هو الشريف إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أحمد بن علي بن أبي بكر بن محمد بن يوسف بن أحمد بن أحمد بن مولاي عبد السلام ابن مشيش.

وأول شخص من هذه الأسرة استوطن تطوان هو الشريف الهاشمي بن الهاشمي بن محمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم أفيلال المذكور. وسبب ذلك هو أن أهل تطوان طلبوا من السلطان مولاي إسماعيل سكني الشرفاء بها تبركا بآل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانتدب لذلك واحداً من كل فرع من فروع الشرفاء العلميين، فكان الذي خرج فيه سهم من شرفاء أولاد أفيلال هو الهاشمي بن الهاشمي المذكور الذي عاش ما تيسر بتطوان ثم عاد إلى قريته الأصلية بجبل حبيب، وبها توفي سنة 1196 / 1782.

وإلى هذه الأسرة ينتمي عدد غير قليل من علماء تطوان وفقهائها وعدولها وقضاتهاأمثال :

أفيلال، أحمد بن المفضل، عالم تطواني ولد بمدينة شفشاون سنة 1276 / 1860 حيث كانت توجد أسرته منذ أن احتلت الجيوش الإسبانية مدينة تطوان، وبعد الجلاء عنها انتقل المترجم له إلى تطوان مع أبيه العالم المفضل أفيلال، فأخذ العلم عن جل شيوخها، ثم ذهب إلى فاس للدراسة بالقرويين سنة 1298 / 1881. ولم يعد إلى تطوان إلاّ سنة 1303 / 1886 حيث زاول خطة العدالة ثم عمل في ديوانة طنجة من سنة 1304 / 1887 إلى سنة 1306 / 1889. وفي السنة التالية عين بديوانة مليلية إلى سنة1310 / 1893 ومن سنة 1311 / 1894 إلى سنة 1313 / 1896 عمل أمينا للصائر بدار اعديل بفاس.

وفي سنة 1358 / 1939 عاد بصفة نهائية إلى تطوان حيث وافته المنية يوم 29 شوال 1367 / 3 سبتمبر 1948. ودفن خارج باب المقابر.

أفيلال، التهامي بن محمد. عالم فقيه، ولد بتطوان يوم 12 محرم 1260 / ثاني فبراير 1844. وصفه الفقيه الرهوني بـ "عالم الشرفاء وشريف العلماء قاضي الجماعة بتطوان الذي عمت عدالته الدنيا، والمدرس الأحفل، المشارك النزيه الأكمل، والمفتي المحرر الأنبل".

وبعد أن أتم دراسته تعاطى خطة العدالة من سنة 1285 / 1868 إلى سنة 1298 / 1881، ثم اشتغل بالتدريس بالزاوية الريسونية ابتداء من سنة 1304 / 1887 وفي سنة 1321 / 1903 تولى الإمامة والخطبة بالمسجد الأعظم، كما تولى القضاء بمسقط رأسه من سنة 1313 / 1896 إلى 23 صفر 1327 / 16 مارس 1909، ومن 14 جمادى الثانية 1328 / 23 يونيو 1910 إلى أن وافته المنية في 28 جمادى الأولى 1339 / 7 فبراير 1921. ودفن بزاوية سيدي علي بركة بالسوق الفوقي.

أفيلال، الحسن بن المفضل عالم ولد بتطوان عام 1283 / 1866. وبعد أن أخذ عن جل شيوخها ذهب إلى فاس حيث أتم دراسته بالقرويين من سنة 1307 / 1890 إلى سنة 1312 / 1894.

وفي سنة 1317 / 1897 عين موظفا بديوانة مليلية، وفي السنة التالية عاد إلى تطوان حيث تعاطى خطة العدالة واشتغل بالتدريس في عدة مساجد وزوايا بالإضافة إلى تولّيه الإمامة والخطبة بالمسجد الأعظم ابتداء من سنة 1317 / 1899. وفي السنة التالية حج بيت الله الحرام.

وفي سنة 1334 / 1916 عين خليفة قاضي تطوان إلى أن عين سنة 1345 / 1926 كاتبا بالصدارة العظمى في الحكومة الخليفية بشمال المغرب، ثم تولى القضاء بمدينة القصر الكبير، وأخيراً كان عضوا في المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي. وكان لازال على قيد الحياة سنة 1358 / 1939.

أفيلال، عبد الله بن المفضل. عالم وفقيه، ولد بتطوان سنة 1285 / 1868 وبعد أن أخذ عن شيوخ مدينته توجه إلى فاس حيث تابع دراسته بالقرويين من سنة 1310 / 1892 إلى سنة 1316 / 1898. وفي سنة 1318 / 1900 عين موظفا بديوانة الجديدة. وبعد عودته إلى مسقط رأسه تعاطى خطة العدالة إلى أن وافته المنية سنة 1367 / 1948 ودفن بالزاوية الريسونية.

أفيلال، علي بن المفضل، فقيه تطواني ولد سنة 1281 / 1864 وبها أخذ العلم عن أشهر علمائها، وكان إماما وخطيبا بالزاوية الريسونية، ويقول عنه الفقيه الرهوني إنه "كان يبكي في الخطبة ويُبكي الحاضرين".

تعاطى خطة العدالة مدة ثم عين موظفا بديوانة مليلية من سنة 1313 / 1895 إلى سنة 1314 / 1896، وحج بيت الله الحرام سنة 1322 / 1904. وقد توفي بتطوان سنة 1362 / 1943 ودفن بالزاوية الريسونية.

أفيلال، المامون بن النادي الحسني. وصفه الفقيه عبد السلام سكيرج بـ " العالم الراسخ والشيخ المعتبر المتمسك بالحق والآخذ بالجد والصدق والمشتغل بالعلم والعمل والقاضي الذي أعطى كل ذي حق حقه".

وبعد أخذه عن علماء تطوان وفقهائها توجه إلى فاس حيث التحق بالقرويين وقضى بها بضع سنين إلى أن عاد إلى مسقط رأسه سنة 1214 / 1800 حيث تعاطى خطة العدالة إلي أن عين نائبا للقاضي في ربيع الثاني من سنة 1222 / يونيه 1807، فزاول هذه المهمة إلى أن عينه السلطان مولاي سليمان قاضيا في شهر رمضان 1231 / أبريل 1816.

يقول الفقيه أحمد الرهوني : كان المامون أفيلال شديد الشكيمة على الولاة فتضايق منه باشا تطوان القائد عبد الرحمان أشعاش وأوعز الى جماعة من أهل المدينة بتاليف وفد يتوجه الى فاس ليطلب من السلطان عزل القاضي، فكان الأمر كذلك وعزل أفيلال ترضية للباشا. وهذا غير صحيح لأن عزل القاضي أفيلال كان في أ واخر سنة 1236 / 1821 أي في الوقت الذي لم يكن فيه القائد عبد الرحمن أشعاش باشا بتطوان، والغالب علي الظن أن سبب العزل يرجع إلي كون أفيلال كان من علماء تطوان الذين وقّعوا على وثيقة مبايعة الأمير مولاي سعيد بن السلطان مولاي اليزيد بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 11236 / 17 مارس 1820.

تقييد بخط القاضي المامون أفيلال

توفي المامون أفيلال بتطوان يوم الاثنين 13 ربيع الثاني 1245 / 12 اكتوبر 1829 وترك كناشة تتعلق بأحداث تطوان من سنة 1207 إلى سنة 1221 / 1792 - 1806.

أفيلال، محمد بن التهامي. عالم وفقيه، ولد بتطوان يوم 21 جمادى الأولى 1301 / 19 مارس 1884، وبها أخذ عن أشهر شيوخها، ثم تابع دراسته بالقرويين بفاس من سنة 1322 / 1904 إلى سنة 1329 / 1911. وعند عودته إلى مسقط رأسه تعاطى خطة العدالة والفتوى، واشتغل بالتدريس، وتولى الإمامة والخطبة بالزاوية الريسونية والمسجد الأعظم.

وقد شغل منصب وزير العدل في الحكومة الخليفية بشمال المغرب أثناء عهد الحماية من سنة 1350 / 1932 إلى أن وافته المنية بطنجة يوم 19 صفر 1388 / 18 ماي 1968 ودفن بزاوية سيدي الحاج علي بركة الأندلسي بتطوان.

تراثه لم يُنشر بعدُ منه سوى كتابه المسمى تنبيه *الأكياس للاقتصاد في المآتم والأعراس*، طبع بتطوان بعد وفاته سنة 1976.

أفيلال، محمد بن الهاشمي. عالم تطواني، وصفه الفقيه سكيرج بـ "الفقيه البارع، الكوكب الساطع، والعالم المشارك النحرير، العديم النظير، ذي الفهم الثاقب والإدراك المصيب، والمدرس الخطيب"، كما قال عنه الفقيه

الرهوني بأنه كان ذا خط جميل "مولعا بكتب الفقه ونسخها" ووصفه بونشريسي وقته.

ولد بتطوان عام 1194 / 1780 وبعد دراسته الأولية بها انتقل إلى القرويين بفاس سنة 1225 / 1810 وعاد منها سنة 1230 / 1815 حيث اشتغل بالتدريس والعدالة، وكان ينوب عن قضاة تطوان في الأحكام والفرض للنفقات، كما تولى الإمامة والخطبة بجامع السويقة إلى آخر عمره. وهو أبو العالمين المفضل والتهامي أفيلال. وتوفي بتطوان سنة 1264 / 1848 ودفن خارج باب المقابر.

أفيلال، المفضل بن محمد بن الهاشمي. عالم فقيه أديب، قال عنه الفقيه الرهوني "كان في عصره مفضلا على غيره وفائقا له في العلم والحلم والسخاء والرفعة وعلو الهمة والأدب والنظم والنثر والفتوى"، كما وصفه الفقيه داود بـ "العالم والأديب المشارك في مختلف العلوم، وقد امتاز على علماء عصره بتطوان بغزارة إنتاجه وكثرة تقاييده".

ولد بتطوان يوم 6 جمادى الثانية 1239 / 7 فبراير 1824، وبعد أن أخذ العلم بها عن جل شيوخها ذهب إلى فاس في صفر 1260 / مارس 1844 وبسبب مرض أبيه عاد إلى مسقط رأسه في أواخر شعبان 1262 / غشت 1846 حيث تولى الإمامة والخطبة والتدريس بجامع للافريجة بالسويقة مع اشتغاله بالتجارة.

وفي جمادى الأولى 1266 / أبريل 1849 توجه من جديد إلى فاس لمتابعة دراسته بالقرويين، ثم رجع إلى تطوان في شعبان من السنة التالية (يونيو 1851) حيث تولى الإمامة والخطبة بمسجد الرزيني وتدريس العلوم بمختلف المساجد والزوايا دون أن يترك التجارة لدرجة أنه من أجل ذلك انتقل إلى مدينة وزان في رجب 1270 / أبريل 1854 وكان له بها دكان لبيع الصوف.

وبعد عودته لتطوان في جمادى الثانية 1273 / فبراير 1857 تولى الخطبة والتدريس بالزاوية الريسونية، مع مزاولته خطة العدالة بسماط العدول.

وعند نشوب الحرب الإسبانية المغربية لعام 1276 / 1859 كان يوجد بتطوان فكان من بين السكان الذين أرسلوا عيالهم إلى مدينة شفشاون في ربيع الثاني (نوفمبر). وظل هو بتطوان مع من أراد الدفاع عن مدينته، ولم يغادرها إلا بعد انهزام القوات المغربية في معركة مرتيل ليوم 4 فبراير 1860 حيث التحق بأولاده بشفشاون، وهناك تولى التدريس بجامعها الأعظم.

وفي مدة إقامته بشفشاون قام بعدة رحلات إلى مولاي عبد السلام بن مشيش بجبل العلم، وطنجة، ومنها توجه عن طريق البحر إلى الجديدة ثم إلى مراكش خلال سنة 1277 / 1860.

وفي محرم 1278 / يوليوز 1861 انتقل مع أسرته إلى مدينة القصر الكبير حيث تولى الإمامة والخطبة والتدريس بالمسجد الأعظم. ولم يعد إلى مسقط رأسه مع أسرته إلا بعد أن غادرته قوات الاحتلال الإسبانية في شهر شوال 1278 / ماي 1862، وكانت أول صلاة أقيمت بالمدينة بعد استرجاعها الجمعة التي صلاها صاحب الترجمة بالزاوية الريسونية، هذه الزاوية التي ظل يعمل فيها كإمام وخطيب ومدرس إلى أن وافته المنية.

كان يقوم من حين لآخر برحلات سياحية حيث زار أهم مدن المغرب، وفي سنة 1290 / 1873 حج بيت الله الحرام، وبعد رجوعه وظف بديوانة تطوان دون أن يترك التدريس في المساجد والزوايا، وذلك لكثرة ولوعه به لدرجة أنه لم يكن يترك الدرس ولو في سفر أو نزهة.

ومما يشهد على مكانته الممتازة بين علماء تطوان وشرفائها وأعيانها أنه كان من بين الموقعين على بيعة تطوان للسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان يوم 12 صفر 1276 / 10 سبتمبر 1859. وعلى بيعة السلطان مولاي الحسن الأول في 3 شعبان 1290 / 26 سبتمبر 1873.

وتوفي بتطوان يوم فاتح رجب 1304 / 12 مارس 1887 ودفن خارج باب المقابر، وبعد من أهم ما تركه من تقاليد *مذكراته الفريدة عن حرب تطوان*، توجد تحت الطبع بتحقيق الأستاذ ابن عزوز حكيم.

م. أفيلال، *مذكرات حول حرب تطوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ ع. سكريج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 163 و 7 : 177 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*، مخطوط.

Delegacion de Asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones (año 1931)* 1932 (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espagnol*, 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

أقاريض (= الفلس) قبيلة تقع بأيت صواب على بعد خمسة عشر كلم من تانالت في الطريق الواصل بين تافراوت وأيت باها بالأطلس الصغير يقام بها إلى اليوم سوق الثلاثاء الأسبوعي ؛ وإليها ينسب الفقيهان : محمد بن عبد الله اليحيوي الصوابي الأقاريضي، وأخوه أحمد بن عبد الله الأقاريضي وهما أخوان ضمن أسرة يحيى الأقاريضي (القرن 12 / 18) الذي ينسب إليه أيت يحيى وقد اشتهر بالصلاح والعلم.

الأقاريضي أحمد (ت 1365 / 1945) نشأ مع أخيه محمد في نفس المسيرة التعليمية على أنه اختار المشارطة والتعليم بعد ذلك في الموضع المسمى إگبيلن إزاء مشهد محمد بن علي إندوزال ؛ وهو الذي يرجع إليه الفضل وإلى أخيه في تزويد الخزانة الأقاريضية بجزء هام من الخزانة الجشتمية بسبب مصاهرته للأسرة الجشتمية وذلك بعد وفاة الفقيه عمر بن أحمد الجشتمي (*المعسول*، 3 : 335 - 336).

الأقاريضي محمد بن عبد الله (ت. حوالي 1352 / 1933) حفظ، القرآن ببلده ثم لازم هو وأخوه أحمد الشيخ داوود الگرسيفي بمدرسة تانالت وغيرهما، كما أخذا عن العلامة أحمد الجشتمي وغيره، ثم شارط سنة 1315 / 1897 في قرية (وتگاديرت وغيرها إلى أن انتقل سنة 1330 / 1911 إلى مدرسة فوگرض بأيت يحيى مسقط رأسه حيث قضى بها بقية عمره ؛ وقد وصف بدماثة الخلق والزهد مع عناية بالمحفوظات وتكرار استظهارها، وأضاف إلى ذلك الاشتغال بالنساخة.

الأقاريضية ـ مدرسة ـ بقبيلة أقاريض من أيت صواب. انتقل إلى خزانتها كثير من كتب الخزانة الجشتمية بفضل مؤسسيها الأخوين أحمد ومحمد الأقاريضيين. وقد كانت بنتا أبي العباس الجشتمي تحت يدي الفقيهين الأخوين الاقاريضيين وذلك بعد وفاة عمر المذكور سنة 1349 (*المعسول* 3 : 327) ؛ وكان قد اجتمع في المدرسة الجشتمية من نفائس الكتب بسبب النفوذ الروحي للزاوية على عموم المغرب واتصال أبي العباس بالدولة العلوية حتى إنه قسم هذه الخزانة إلى شطرين أحدهما في وطنه إمي أوكشتيم والآخر في تيبوت بناحية تارودانت (*المعسول* 3 : 326 ـ 327).

يضاف إلى ذلك كله ما نسخه محمد بن عبد الله الأقاريضي ليبرق وهو الذي اشتهر بتعاطي نسخ الكتب.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 3 و8 ؛ *سوس العالمة*.

محمد البابك

الإقامة العامة ـ بالجنوب ـ نظمت فرنسا "حمايتها" بالمغرب بمقتضى وفق فاس الذي فرضته بتاريخ 30 مارس 1912. نص هذا الوفق على أن تعين الدولة الفرنسوية مندوبا مقيما عاما يكون نائبا عنها لدى جلالة السلطان ومستودعا لتفويضاتها بالمغرب. وقد نص الفصل الخامس من الوفق المذكور على هذا التعيين، ووصفت الفقرة الأولى منه المندوب المقيم العام بكونه الساهر على القيام بإنجاز مقتضيات معاهدة فاس.

ولما كان نظام الحماية قد سلب المغرب سيادته الخارجية بعد عهود زاهرة من التعامل الدبلوماسي الدولي البارز فقد جاء في الفقرة الثانية من نفس الفصل أن المندوب المقيم العام هو الواسطة الوحيد بين جلالة السلطان ونواب الأجانب، والمقيم العام هو مخاطب هؤلاء النواب (السفراء) في معاملاتهم مع الدولة المغربية.

أما الفقرة الثالثة من الفصل المذكور فنصت علي أمرين: أحدهما أن المندوب المقيم العام يكون مكلفا بسائر المسائل المتعلقة بالأجانب في الإيالة المغربية الشريفة، وثانيهما أن المندوب المقيم العام يتولى التفويض والمصادقة والنشر باسم الدولة الفرنسوية لجميع القوانين الصادرة من جلالة السلطان.

وهكذا أريد للمقيم العام أن يكون ممثلا للدولة المستعمرة لدى جلالة الملك وممثلا لجلالة ملك المغرب لدى الدول الأجنبية ولدى فرنسا . وقد كانت له بمقتضى مرسوم مؤرخ بـ 11 يونيو 1912، معدل بتاريخ 3 أكتوبر 1926، سلطات المراقبة على الحكومة الشريفة، وبتلك الصفة يوافق على القوانين ويصدرها سواء كانت ظهائر سلطانية أو قرارات وزارية، ويتوفر إضافة إلى ماذكر، على سلطة مباشرة في الحكم والإدارة تمارس بقرارات تصدرها الإقامة العامة تنظم كل ما يتعلق بالجالية الأوربية المقيمة في المغرب وكذا بإدارة المراقبة، وقد كان بإمكانه ان يطرد إلى خارج المغرب كل شخص فرنسي غير مرغوب فيه.

والمقيم العام هو قائد القوات العسكرية المقيمة بالمغرب والقوات المغربية العاملة معها. وهو المسئول عن حفظ الأمن والنظام . ويساعده في هذه المهمة ضابط عام يسهر على التحضير والتنفيذ في ميدان الإجراءات التي يتوقف عليها استعمال القوات البرية والبحرية والجوية.

يساعد المقيم العام في مهامه :

1 ـ الدواوين التي تهيئ قراراته وتقوم بتبليغها.

2ـ مندوب لدى الإقامة العامة ينوب عنه عند الاقتضاء، وهو مفوض في المراسلات مع وزارة الخارجية الفرنسية التي كان المغرب تحت نظام الحماية تابعا لها . يقوم بالتنسيق في بعض المهام الموكلة إليه.

3 ـ الكاتب العام للحماية، وهو المكلف بتسيير الإدارة الفرنسية بالمغرب ويساعده مفتش عام للمصالح الإدارية، وهو المنتدب لتوقيع مالا يختص الكاتب العام بتوقيعه، كما يؤشر في حالة غياب الكاتب العام أو حصول عذر له على العقود التقنينية أو التعاقدية المعروضة عليه.

وقد جرت عدة إصلاحات في الهيكل التنظيمي للإقامة العامة ما بين 1936 و 1946 كانت الغاية منها جمع كل ماله طبيعة سياسية تحت سلطة المقيم العام وجمع كل ماهو إداري تحت سلطة الكاتب العام للإقامة العامة.

فالمصالح السياسية تضم إدارة الشؤون الشريفة والكتابة السياسية وإدارة مصالح الأمن، أما مصالح الكتابة العامة للحماية فهي : إدارة الداخلية ومصلحة الموظفين ومصلحة التشريع والقسم الاقتصادي .

أ ـ إدارة الشؤون الشريفة ـ هي صلة الوصل بين الإدارة الفرنسية وبين المخزن الذي يدعى بالإدارة الشريفة، وتمارس على هذه الأخيرة مراقبة إدارية. ويتولى مستشار الحكومة مدير الشؤون الشريفة عرض ما يقترحه المقيم العام من ظهائر على جلالة السلطان ومن قرارات على الصدر الأعظم من أجل توقيعها.

وتعتبر إدارة الشؤون الشريفة، من جهة أخرى، واسطة لابد منها في علاقة المخزن بممثليه في الأقاليم.

وتماثل بنية هذه الإدارة بنية تنظيم الوزراء الذين تساعدهم وتراقبهم، ومن هذه الإدارة دائرة الدولة المكلفة بالمخزن وشؤون القصر والإدارة المغربية، وتضم مكتب الشؤون الإدارية والتشريعية والدينية، ومكتب التشريفات

ومكتب الترجمة ومكتب شؤون اليهود. ويهتم قسم العدلية بقضاء المسلمين وقضاء ممثلي المخزن وقضاء مناطق العرف، ويشؤون العبادات والتعليم الديني. وكان في هذه الإدارة كذلك قسم مهتم بالأحباس يراقب سير وزارة الأحباس.

ب ـ الكتابة السياسية، تتولى إبراز التعليمات المباشرة للمقيم العام في ميدان العمل السياسي للحكومة. وتضم دائرة تعمل على بلورة القرارات السياسية وضمان تنفيذها، ودائرة للدراسات من أجل الإصلاحات وتحسين وسوائل استغلال الثروات، ودائرة لتفتيش موظفي المراقبة العامة، ودائرة تشرف على قوات الگوم والمخازنية مستخدمي المصالح الخاصة، ودائرة للأخبار والوثائق تراقب كل ماينشر ويقال ويكتب حول الحياة السياسية بالمغرب وحول مايمس بها من الشؤون الخارجية ، ومن ضمن هذا الاختصاص مراقبة العروض السينمائية والإرسال الإذاعي.

ج ـ إدارة مصالح الأمن العمومي ـ وتضم بعد إصلاح 1946 : قسم شرطة المرور والتعريف ومصلحة إدارة السجون، كما تتولى تدبير الشؤون الادارية للفيف الأجنبي والدرك.

أما المصالح التابعة للكاتب العام للحماية فهي :

ـ إدارة الداخلية ـ وأقسامها أربعة : 1) قسم الشؤون البلدية، وله الوصاية على البلديات من حيث التدبير والإدارة والمالية، كما يراقب الصنائع والفنون التقليدية 2) مصلحة التعمير المرتبطة بمدير الداخلية، وتهتم هذه المصلحة باستصلاح المدن والمراكز الحضرية. 3) قسم الشئون القروية ويهتم في المناطق القروية بما يهتم به القسم السابق في المناطق الحضرية، وتتولى مصلحة الجماعات القروية الوصاية على الجماعات في تدبير العقارات وتحسين وسائل استثمار الأرض. 4) قسم الشئون الإدارية ويمارس مراقبة الإدارة العليا للقوانين العامة.

ـ مصلحة الموظفين، وهي تابعة للمفتشية العامة للمصالح الإدارية، تنظر في وضعيات التوظيف والأجور وتشرف على مكتب التجهيز وعلى المطبعة الرسمية.

ـ مصلحة التشريع، يسيرها المستشار القانوني للحماية، وتتولى صياغة النصوص التشريعية والقانونية وتراجع مختلف المشاريع التي تعدها المصالح القانونية.

ـ القسم الاقتصادي، يسيره المستشار الاقتصادي للحماية، ويتولى تنسيق عمل مجموع المصالح المكلفة بالاقتصاد المغربي ويراقب إجراءات التطبيق. وكان تابعا له صندوق المقاصة الذي ينظم الأسعار ويضبط الواردات والصادرات بقصد ضمان التموين.

تنطبق الهيكلة الموصوفة أعلاه على فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، إذ أن الإقامة العامة عرفت بعض التعديلات قبل هذه الفترة وبعدها. ولكن دورها، وهو الأهم، ظل هو : ضمان استكمال غزو المغرب عسكريا وسياسيا وتهييء ظروف استقرار الأجانب بالمغرب وتسهيل ممارسة الاستثمار الاستعماري لفائدتهم والاستغلال الرأسمالي للمؤسسات الكبرى. ومن أجل تحقيق هذه الأهداف مالت الإقامة العامة إلى تحريف مضمون وفق 30 مارس 1912 نحو حكم فرنسي مباشر للمغرب يستبعد كل مشاركة للمغاربة، وقد اضطر جهاز الإقامة العامة في سياق هذه السياسة إلى الإخلال بعدد من التوازنات الداخلية كما اضطر إلى خنق الحريات وممارسة القمع كوسيلة للمحافظة على النظام.

تولى على المغرب مقيمون عامون من عسكريين وإداريين ودبلوماسيين، ترقوا في مهامهم بالمغرب على يد ليوطي، وعادوا إلى المغرب أو أدوا خدمات جلى في مستعمرات فرنسية بإفريقيا أو آسيا أو كانوا من كبار موظفي وزارة الخارجية الفرنسية، وربما كان بعضهم من النواب والوزراء. كانوا كلهم يشتهون هذا المنصب لأنه موات للممارسة حكم واسع الصلاحيات يتيح فرصة ثمينة لتحقيق المجد الشخصي بإظهار المؤهلات الفردية، لا تكبح فيه المبادرات إلا احتجاجات ذوي المصالح الكبرى من الأجانب أو تدخلات الحكومة الفرنسية. وحتى الحكومة الفرنسية كانت في كثير من الأحيان تحدد نظرتها السياسية تجاه المغرب من خلال آراء المقيمين العامين. وقد حاول غير واحد منهم أن يسير على أثر ليوطي، لكن في ظروف مختلفة وبوسائل شخصية دون ما توفر لذلك المنظر العملي الأول.

لائحة بأسماء المقيمين العامين الفرنسيين بالمغرب في عهد الحماية 1912 ـ 1956 :

أوجين رينيو Eugene Regnault، 30 مارس ـ 27 أبريل 1912

هوبير ليوطي Hubert Lyautey، 27 أبريل 1912 ـ أكتوبر 1925 (تولى منصب وزير الحرب في فرنسا ما بين دجنبر 1916 ومايو 1917 وناب عنه في الإقامة العامة بالمغرب الجنرال گورو Gouraud)

تيودور ستيگ Theodore Steeg، أكتوبر 1925 ـ يناير 1929

لوسيان سان Lucien Saint، يناير 1929 ـ غشت 1933

هنري پونصو Henri Ponsot، يوليوز 1933 ـ مارس 1936

مارسيل پيروتون Marcel Peyrouton، مارس 1936 ـ شتنبر 1936

شارل نوگيس Ch. Nogues، شتنبر 1936 ـ نونبر 1942

گابرييل پيو Gabriel Puaux، 5 يونيه 1943 ـ مارس 1946

إيريك لابون Erik Labonne، 16 مارس 1946 ـ 13 مايو 1947

ألفونس جوان Alphonse Juin، 14 مايو 1947 ـ 20 شتنبر 1951

أوگوستان گيوم Augustin Guillaume، شتنبر 1951 ـ 14 يونيه 1954

فرانسيس لاكوست Francis Lacoste، 14 يونيه 1954 ـ 20 يونيه 1955

جيلبير گرانفال Gilbert Grandval، 21 يونيه ـ 27 غشت 1955

بوايي دولاتور Boyer De Latour، 21 غشت ـ 12 نونبر 1955

لوي أندري دوبوا Louis-Andre Dubois، 12 نونبر 1955 ـ 2 مارس 1956

تنظيم الإقامة

ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي* ؛ م. بن الحسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد* ؛ ع. غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية*. (ببليوغرافية وافية في كتاب شارل أندري جوليان : *المغرب في مواجهة الامبرياليات*).

Encyclopédie coloniale et maritime, Maroc, sous la direction d'Eugène Guernier, Paris, 1948 ; Ch. André-Julien, *Le Maroc face aux impérialismes* ; D. Rivet, *Lyauty*.

أحمد التوفيق

الإقامة العامة ـ بالشمال ـ Alta Comisaria de España en Marruecos ، كان يوجد مقرها بمدينة تطوان في عهد الحماية (من سنة 1913 إلى سنة 1956) وكانت مهمتها مراقبة جميع المصالح والمؤسسات الحكومية والإدارية المغربية، بالإضافة إلى تسيير جميع المصالح والإدارات الإسبانية المحدثة في شمال المغرب وجنوبه الموضوع تحت الحماية الإسبانية بمقتضى المعاهدة الفرنسية ـ الإسبانية المبرمة يوم 27 نونبر 1913 والمصادق عليها بظهير السلطان مولاي يوسف بتاريخ 6 جمادى الثانية 1331 / 14 ماي 1913. ذلك لأن الفصل الأول من المعاهدة المذكورة ينص على أن المنطقتين الموضوعتين تحت الحماية الإسبانية بشمال المغرب وجنوبه سيتولى تسييرهما خليفة يعينه السلطان باقتراح من الحكومة الإسبانية يكون مراقبا في عمله من طرف مقيم عام إسباني Alta Comisaria تعينه حكومة مدريد.

وقبل أن يتم التصديق على المعاهدة المذكورة أصدرت الحكومة الإسبانية مرسوما ملكيا بتاريخ 27 فبراير 1913 يحتوي على "التعليمات التنظيمية للعمل الإسباني بالمغرب التي يجب تطبيقها إلى أن تتم المصادقة على معاهدة الحماية"، هذه التعليمات تنص على أن الحاكم العسكري العام بمدينة سبتة هو الذي سيتولى منصب المقيم العام الإسباني بالمغرب. ولم يصدر هذا المرسوم الإسباني إلا بعد أن كان الحاكم العسكري العام بسبتة الجنرال ألفاو Alfau قد احتل تطوان يوم 19 فبراير من نفس السنة وجعل منها عاصمة منطقة الحماية الإسبانية.

وبعد أن تمت المصادقة على معاهدة 27 نوفمبر 1912 أصدرت الحكومة الإسبانية مرسوما ملكيا بتاريخ 24 أبريل 1913 يحدد اختصاصات المقيم العام المدنية والعسكرية. وفي 4 أكتوبر من نفس السنة مُنح المقيم العام درجة قبطان جنرال لتكون رتبته فوق رتبة سائر الجنرالات رؤساء مقاطعات سبتة والعرائش ومليلية.

وفي يوم 24 يناير 1916 صدر القانون الإسباني لإدارة منطقة الحماية الإسبانية، وفي 25 يناير 1919 صدر مرسومان ملكيان، الأول يقضي بوضع مناطق "السيادة" الإسبانية بالمغرب تحت نظر المقيم العام، والثاني يخول المقيم العام درجة وزير الدولة في الحكومة الإسبانية. كما صدر يوم 12 مارس من نفس السنة مرسوم ملكي آخر خاص بالنظام الداخلي للإقامة العامة والمصالح التابعة لها. وفي يوم 15 غشت صدر المرسوم الملكي الذي بمقتضاه حددت من جديد أختصاصات المقيم العام العسكرية والمدنية. وبمقتضى المرسوم الملكي الصادر يوم 18 يناير 1924 وسعت دائرة اختصاصات المقيم العام حيث لم يعد ملزما بأخذ رأي الحكومة إلا فيما تكون هذه الأخيرة مسؤولة عنه أمام الرأي العام الإسباني، وهذا ما أقره القانون المصادق عليه بالمرسوم الملكي الصادر يوم 12 يوليوز من نفس السنة الذي ظل العمل جارياً به إلى أن تمّ تغييره بالمرسوم الجمهوري ليوم 29 ديسمبر 1931، ومرسوم 15 فبراير 1935.

أما النظام الأساسي النهائي الذي سارت عليه الإقامة العامة خلال الحكم العسكري فقد صدر به قانون الجنرال فرانكو Franco ليوم 8 نوفمبر 1941 وظل العمل جاريا به إلى أن استقل المغرب يوم 17 أبريل 1956. كان المقيم العام تابعا لرآسة الحكومة الإسبانية مباشرة، وذلك عن طريق المديرية العامة للمغرب والمستعمرات. Direccion General de Marruecos colonis التي تم إنشاؤها يوم 15 ديسمبر 1925، وكان ينوب عن المقيم العام في غيابه الكاتب العام الذي أصبح يعرف بالنائب العام ابتداءً من سنة 1941.

ومن أهم اختصاصات المقيم العام أنه كان هو الذي يصادق على الظهائر الخليفية ويأمر بنشرها في الجريدة الرسمية، كما كان نائبه في الأمور الوطنية يصادق على قرارات الصدر الأعظم في الحكومة الخليفية. وتجدر الإشارة إلى أنه منذ سنة 1919 أصبح المقيم العام هو الذي

يمثل حكومة بلاده فقط في منطقة الحماية بشمال المغرب وجنوبه بل كذلك في النواحي والمدن التي كانت إسبانيا تعتبرها تابعة لسيادتها مثل : مدينتي سبتة ومليلية والجزر المتوسطية في الشمال، ومقاطعات إفني والساقية الحمراء ووادي الذهب في الجنوب، وذلك بمقتضى مراسيم 25 يناير 1919 و 10 أبريل 1930 و 19 يوليوز و 29 غشت 1934.

وفيما يلي قائمة بأسماء المقيمين العامين الإسبانيين الذين تعاقبوا على كرسي الإقامة العامة منذ 13 أبريل 1913 إلى 7 أبريل 1956، وعددهم 22 مقيما عاما، مع العلم بأن ثلاثة منهم زاولوا نفس المهمة مرتين وهم الجنرال سانخورخو Sanjurjo والجنرال أورگاث Orgaz والمدني موليس Moles.

أ ـ في العهد الملكي :

1 ـ الجنرال الفاو Alfau 1913

2 ـ الجنرال مارينا Marina (1913 ـ 15)

3 ـ الجنرال خوردانا Jordana (الأب : 1915 ـ 18)

4 ـ الجنرال بيرينگيز Berenguez (1919 ـ 22)

5 ـ الجنرال بورگيطي Burguete (1922)

6 ـ الدبلوماسي سيلفيلا Silbela (1923)

ب ـ في عهد الحكم العسكري :

7 ـ الجنرال ايثبورو Aizpuru (1923 ـ 24)

8 ـ الجنرال بريمو ذي ريفيرا Primo de Rivera (1924 ـ 25)

9 ـ الجنرال سانخورخو Sanjurjo (للمرة الأولى: 1925 ـ 28)

10 ـ الجنرال خوردانا Jordana (الابن : 1928 ـ 31)

ج ـ في العهد الجمهوري :

11 ـ الجنرال سانخورخو Sanjurjo (للمرة الثانية : 1931)

12 ـ الدبلوماسي لوبيث فيرير Lopez Ferrer (1931 ـ 33)

13 ـ المدني موليس Moles (للمرة الأولى : 1933 ـ 34)

14 ـ المدني ريكو أفيبو Rico Avello (1934 ـ 36)

15 ـ المدني موليس (للمرة الثانية : 1936).

د ـ في العهد الديكتاتوري :

16 ـ الجنرال فرانكو Franco (1936)

17 ـ الجنرال أورگاث Orgaz (للمرة الأولى : 1936 ـ 37)

18 ـ الكولونيل بيگبيدير Beygbeder (1937 ـ 39)

19 ـ الجنرال اسينسيو Asencio (1939 ـ 41)

20 ـ الجنرال أورگاث Orgaz (للمرة الثانية : 1941 ـ 45)

21 ـ الجنرال فاريلا Varela (1945 ـ 1951)

22 ـ الجنرال فالينيو Valiño (1951 ـ 1956)

والمصالح المركزية التابعة للإقامة العامة التي كان مقرها بتطوان ولها مصالح جهوية ومحلية في جميع أنحاء المنطقة كانت تعرف في أول الأمر بالمديريات ثم تحولت إلى نيابات على النحو التالي :

1 ـ النيابة العامة Delegacion General

2 ـ نيابة الأمور الوطنية Delegacion de Asuntos Indigenas

3 ـ نيابة المالية Delegacion de Hacienda

4 ـ نيابة الأشغال العمومية والمواصلات Delegacion de Obras Publicas y Comunicacion

5 ـ نيابة الاقتصاد والصناعة والتجارة Delegacion de Sunomia, Industria y Comercio

6 ـ نيابة التربية والثقافة Delegacion d'Educacion y Cultura

7 ـ مفتشية القوات الخليفية Inspeccion de Fuegaz Jalifinas

8 ـ مراقبة البحرية العامة Inspeccion Principal de Marina

9 ـ المحاكم الإسبانية الخليفية Tribunales Hispano - Jalifianos

وقد سلمت جميع هذه الإدارات باستثناء الإقامة العامة إلى السلطات المغربية بمقتضى التصريح المغربي الإسباني ليوم 7 أبريل 1956، واحتفظت إسبانيا بالمصالح الجهوية والمحلية التي كانت توجد بمنطقة طرفاية بجنوب المغرب والتي لم يتم تسليمها إلا في شهر أبريل من سنة 1958.

Buletin Oficial de la Zona de Protectorada de España en Marruecos. Madrid-Tetuan 1913 - 1956 ; Lopez Olivan, Julio. *Legislacion vigente en la Zona de Protectorada Española en Marruecos*. 4 vol, Madrid 1931 ; Velez Villamueva, *Jaaquin Recopilacion legislativa de Marruecos*. Madrid 1917 ; Ruiz-Bravo, *Estanislo / Udice legislativo de la Zona de protectorada de España en Marruecos*. Madrid 1945 - 1956.

أقْجَاوُجْ، أسرة تطوانية، أصلها من ناحية جبالة. وكان منها المسمى الحسن أقجاوج الذي كان يلبس المرقعة ويظل يذكر الله في الأسواق، إلى أن توفي في حدود سنة 1290 / 1873، بطنجة. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 187 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 337 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 (Q) Isidro de las Cagigas, *Familia tetuanies de abolengo* 1929 (A) ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* 1932 (Q). M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

الأقرع، محمد بن سليمان اللمطي. أحد زعماء فاس خلال فترة الاضطراب التي تلت وفاة أحمد المنصور السعدي (1012 / 1603) وتنازع أبنائه على الملك. تزعم الأقرع أهل فاس القديم بعد مقتل الزعيمين الشريف سليمان والفقيه المربوع في 5 صفر 1026 / 12 فبراير 1617، بينما كانت فاس الجديد تحت نظر الأمير عبد الله بن محمد الشيخ المامون، وكان يحاول استمالة أهل فاس القديم. فيميلون إليه تارة ويقدمون أحد أعيانهم تارة أخرى. وقد خرج محمد بن سليمان لقتال فاس الجديد، فثارت عليه فاس القديم وتخلت عن دعوته. وفي هذه الحركة قتل محمد بن سليمان سنة 1029 / 1619 / 1620.

م. القادري، *نشر الثاني*، 1 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 6.

عبد الطيف الشاذلي

أقرمود، اسم مكان يقع بساحل الشياظمة، ببلاد أيت عيسى أو أولاد عيسى، وبه دفن أبو بكر الشماس وولده صالح من رجال رگراگة.

ويبدو أن هذه الكلمة مأخوذة من "القرمد" وهو لفظ رومي تكلمت به العرب قديما كما جاء في *لسان العرب*. وربما كان أقدم اسم من هذه المادة أشارت إليه مصادر التاريخ الإسلامي بالمغرب هو "القرمدة" أو "المقرمدة" وهو المكان الذي نزل به إدريس الأزهر بعدوة القرويين بعد أن أتم بناء عدوة الأندلس. وتوجد به الآن دار القيطون وجامع الشرفاء والضريح الإدريسي. وهناك أيضا في ضواحي فاس قرية "المقرمدة" التي تردد اسمها كثيرا في تاريخ المغرب الوسيط والحديث. كما اشتهر "رأس القرمود" وهو بطن من بطون قرية بًا محمد بناحية فاس.

أنبتت بلدة أقرمود بالشياظمة عدداً كثيراً من العلماء والأولياء المشهورين، والنسبة إليها بحذف الهمزة : قرمودي.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. الجزناني، *جنى زهرة الآس* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 2 : 221 ؛ ع. بنبعد الله، *الموسوعة*، 4 : 101.

Nomenclature des tribus, Rabat, 1956, p 15.

محمد الشياظمي

أقريش، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث لازالت هناك أسرة إسبانية تحمل نفس الاسم Acriz. وقد انتقلت من الأندلس إلى ناحية الريف، ومن هناك جاءت إلى تطوان في أواسط القرن الثالث عشر الهجري، ومنها التاجر محمد بن عبد العزيز أقريش الذي كان حيا سنة 1296 / 1879.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين* 3. 26 ـ 27 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2. 330 ؛ *تاريخ تطوان*،8 : 212 و 352 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

أقسّو، علي. ولد سنة 1924 بأيت تُودْرت، أيت إبراهيم، أيت لحسن مرموشة، إقليم بولمان. شارك في صفوف جيش التحرير والمقاومة ضمن تشكيلة السيد ميمون أعَقّ في الهجوم على مركز لصد المحتل الفرنسي اثناء الغارة التي قامت بها فرقة من القوات الفرنسية على المركز المذكور، وأثناء الهجوم عاد إلى منزله لجلب بندقيتين، فاغتاله الجنود الفرنسيون رميا بالرصاص وذلك يوم 4 أكتوبر سنة 1955.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير ـ الرباط.

عز الدين العلام

أقشّار، أسرة تطوانية أصلها من الريف ومعناه بالهجة الريفية "الأقرع"، وجل أفرادها كانوا يعملون بالجيش كضباط أو جنود سنة 1246 / 1830، مثل القائد عبد السلام بن عمر، والقائد سليمان بن حمو والجندي في البحرية عبد السلام بن الهاشمي والجنود أحمد بن محمد وعبد القادر بن عبد السلام وعلال بن أحمد، وكلهم كانوا بفرقة المدفعية. وهناك فقيه اسمه عبد السلام ابن عبد السلام أقشار كان يتعاطى خطة العدالة ويؤم ويدرس بمسجد المصِمدي بحي النيارين إلى أن توفي سنة 1339 / 1921.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين* ؛ 3 : 26 ـ 27 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ *تاريخ تطوان* 8 : 212 و352 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

أقشّار، بوشعيب بن محمد، ولد ببني ورياغل سنة 1921. وفر من صفوف الجيش الإسباني والتحق بجيش التحرير المغربي بأيت باعمران، وشارك في عدة هجومات على مراكز الجيش الفرنسي بسيدي إفني، إلى أن استشهد في إحدى الهجومات التي شنها المجاهدون على أجد مراكز العدو وذلك سنة 1957.

بوشعيب أقشار

أقشّار، عبد الله بن عمر. ولد سنة 1920 ببني بوجطو بناحية تازا. انخرط في جيش التحرير ضمن الفرقة التي كان يرأسها محمد العجوري والتي كانت متمركزة بتيزي وسلي إلى أن استشهد بمعركة قرب هذا المكان، وذلك بتاريخ 22 أكتوبر سنة 1955.

عبد الله أقشار

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير ـ الرباط.

عز الدين العلام

أقْشُوشُو، أسرة تطوانية يقال إنها بقية أسرة آل النقسيس التي حكمت تطوان مدة طويلة وتعرضت لعدة نكبات، وكان من أسرة أقشوشو الفقيه محمد بن عبد المجيد الذي اشتهر بمهارته في تسفير الكتب، وكان حيا سنة 1301 / 1884. ولا زالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. مكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين* 3 : 26 ـ 27، م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330، *تاريخ تطوان*، 8 : 212 و352 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (Q) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones (año 1931)* 1932 (Q) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espagnol*, 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

أقَصْبِي، عبدالرحمان، كان أمينا بمرسى الدار البيضاء بمعية الأمين العربي فرج خلال السنوات 1285 ـ 1288 / 1868 ـ 1871. ولهما مراسلات كثيرة مع وزيري المالية والخارجية، وتقاييد تاريخية مفيدة، على ضعف أسلوبهما، إذ يبدو أنهما كان تاجرين لا طالبين. ويتجلى من خلال المراسلات المشار إليها الثقة التي كانت للمخزن في الأمين عبد الرحمان أقصبي ورفيقه، في وقت بلغ فيه تلاعب الأمناء بمداخيل المراسي واستحواذهم على أموال الدولة منتهاه. ومما يؤكد هذه الثقة توكيل المخزن الأمينين أقصبي وفرج في استصفاء أموال الحاج محمد أملاح أمين مرسى الصويرة بعد استغراق ذمته.

وثائق الخزانة الملكية ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، ج. 2 و 3.

أقَصْبِي، محمد بن الحسن، عالم مشارك محقق، من تلاميذ الشيخ الطيب ابن كيران، اشتغل طوال عمره بالتدريس والتأليف. من مؤلفاته : *شرح مشارق الأنوار* للصغاني، *وشرح مختصر السعد*، *وشرح أرجوزة الاستعارة* للطيب ابن كيران، *وحاشية على شرح قدورة* للسلم إلى غير ذلك. مات بالطاعون في 16 شعبان عام 1250 / 18 دجنبر 1834 من غير عقب، ودفن بالقباب من مطرح الأجلة (أو الجنّة) خارج باب الفتوح بفاس.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، عام 1250.

محمد حجي

أقَصْبِي، محمد بن عبد المجيد، صهري وشيخي، صحبته سنين طويلة في فاس والرباط وكانت له محبة بالغة في آل البيت، واعتقاد في وفي أولادي، وتقدير كبير لتضحياتي في سبيل وطني، ولو أني ـ والحمد لله ـ لم أدع قط كرامة ولا خصوصية. وقبل وفاته أوصى أولاده أن يعتبروني كوالدهم ويرجعوا إليّ في ملماتهم.

وقد طلبت منه يوما أن يملي علي ترجمة حياته، فلبى طلبي، وسجلت ما سمعته منه في دفتر جيب، وهو المادة الأساسية لهذه الترجمة.

ولد بمدينة فاس في العشرة الأخيرة من القرن الثالث عشر ـ حوالي 1295 / 1878 تقريبا ـ وبها حفظ القرآن الكريم، وتعلم القراءات وأتم ذلك بمدينة القصر الكبير، حين صحب والده لما عين ناظرا للأوقاف بها عام 1307 / 1899. والتحق بجامع القرويين أول مرة في ربيع الأول عام 1311 / 1893 ومكث فيها اثنتي عشرة سنة يأخذ عن علمائها المبرزين، أمثال الحاج مَحمد ـ فتحا ـ گنون المعروف بگنيون ـ، ومحمد القادري، وأحمد بن الخياط، وأحمد بن الجيلاني، وعبد السلام الهواري، وحماد الصنهاجي، ومحمد بن التهامي الوزاني، وأحمد بن المامون البلغيثي، وعبد العزيز بناني، وقرأ كثيرا على العم محمد بن جعفر الكتاني، وأخذ علم التوقيت عن العالمين الكبيرين : المكي ابن سودة، ومحمد بن علي الأغزاوي، كما درسه على أحمد ابن موسى السلوي أيام توظفه بفاس.

محمد بن عبد المجيد أقصبي

لم يكد أقصبي يتخرج من القرويين عالما فقيها مشاركا حتى تصدى للتدريس فيها وفي مختلف المساجد ـ كما هي عادة العلماء ـ وعندما تأسست المدارس المزدوجة اللغة، بعد الحماية، عين معلما بمدرسة أبناء الأعيان ـ بدرب بني عدس ـ ومدرسا بالثانوية الإدريسية، ثم انتقل للرباط لما اختاره السلطان المولى يوسف لتعليم أبنائه الأمراء. وبعد وفاة السلطان عاد لفاس مدرسا بالقرويين والثانوية الإدريسية، ثم أعاده محمد الخامس ـ رحمه الله ـ إلى الرباط عضوا بمجلس الاستيناف الشرعي، ومعلما داخل القصر للحريم والأمراء. وكان جلالته يوليه عناية فائقة، ويتفقد أسرته كل يوم.

امتاز الفقيه أقصبي بقوة العارضة، والقدرة الفائقة على التفهيم، لاسيما في المعقولات، والنحويات، والرياضيات من حساب وتوقيت وتعديل، والفقهيات. وكانت دروسه في الشرح (المطول) لسعد الدين التفتازاني لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة مشهورة بين نجباء الطلبة، والذين درسوا المطول من بعد كانوا يتباهون بها بين طلبتهم.

وهو آخر من درس مدونة سحنون بالقرويين ـ بعدما انقطع تدريسها أجيالا عديدة، وذلك عندما أسند له التدريس بالكرسي المواجه لحصة العين بالبلاط الأول من الجامع بعد وفاة شيخه سيدي أحمد بن الجيلاني الذي كان يدرس به *مختصر خليل*. إلى دماثة أخلاق، واستقامة وبعد عن الشبهات.

وقد حضرت دروسه في مغني اللبيب لابن هشام، وشرح *ابن القاصح على الشاطبية* في القراءات، وشرح *التاودي ابن سودة على لامية الزقاق* في علم القضاء.

وخلف المترجم عددا من المؤلفات لها علاقة بما تلقاه عن شيوخه بالقرويين وتلقاه عنه طلبته بها، منها :

1 ـ *اتحاف الفئة المبتغية، لحل أقفال شرح الرسالة الفتحية*، وهي حاشية على الفشتالي على *الرسالة الفتحية* لسبط المارديني في الربع المجيب في التوقيت، في عشرين كراسا.

وقد قال عنها شيخنا الذي أحيا الله به هذا العلم سيدي محمد بن محمد العلمي في حاشيته على الشرح المذكور : "والمقام يسع كلاما عريضا في بقية مبادئ هذا العلم، وقد أوسع فيه وأشبع، وأفاد وأجاد وأقنع، صاحبنا العلامة المحقق، أبو عبد الله محمد بن عبد المجيد أقصبي في حاشيته الحفيلة على هذا الشرح. المسماة *بإتحاف الفئة المبتغية*... فعليك بها، ولولا إسعاف بعض الراغبين في كتابة هذا التعليق المختصر المناسب لإدراك المتدئين، لم يكن للكتابة بعد على هذا الشرح فائدة ! سيما والحاشية لم تظهر بعد للوجود، ولا زالت في حكم المفقود، يسر الله على مؤلفها في نشرها، ونفع العموم والخصوص بها (ص. 9) وناهيك بها شهادة من خبير !.

2 ـ *النور اللائح، على شرح ابن القاصح ـ على الشاطبية* في القراءات في مجلد.

3 ـ *حاشية على شرح منية الحساب* لابن غازي.

4 ـ *تاريخ ملوك المغرب*، في نحو ثمانين ورقة.

5 ـ *النصفية، للألفية*، وهي أرجوزة في النحو اختصر فيها ألفية ابن مالك في خمسمائة بيت فقط : *(المنحة الوفية)*.

6 ـ مع تعليق عليها.

7 ـ *القواعد النحوية*، أو التمارين القرآنية في النحو في نحو أربعين ورقة.

8 ـ *منظومة في التوحيد* في 70 بيتا تشتمل على العقائد موضحة بدون دليل.

9 ـ *شرح منظومة في أمثلة التوافق والتداخل والتماثل والتباين* (في علم الفرائض) ـ ولم يذكر لي اسم الناظم ـ .

10 ـ *تعليق على موانع ظهور الإعراب*.

11 ـ *أوراق في السواك*.

12 ـ *تحرير المقال، في الإنشاء والخبر على الإجمال*، في نحو أربع ورقات.

13 ـ *تعليق على المطول* في مواضع متفرقة.

14 ـ *بهجة الجنان وتنوير الصدر، بقصة يوم الفرقان وشرح أهل بدر*. خ. ح. 7036 / 7062.

15 ـ *بيان صور الكواكب* (نبذة في ...) خ. ح. 7044.

16 ـ *تخميس البردة وتلخيص نشر الوردة*، خ. ح 7725.

17 ـ *تمهيد الدروس النحوية على الخلاصة الألفية*، خ. ح. 7052 ـ 7048.

18 ـ *تعليق على الفتوحات القيومية* لأبي العباس السوداني، خ. ح. 7061.

19 ـ *تعليق على كشف الأسرار* للقلصادي. خ. ح 7042.

20 ـ *تعليق على الشرح الكبير* لبحرق على لامية الأفعال. خ. ح. 7040.

21 ـ *حاشية على شرح حرز الأماني*. خ. ح. 7041.

22 ـ *حاشية على شرح لامية الزقاق* للتاودي ابن سودة. خ. ح. 7033.

23 ـ *حاشية على شرح القصيدة الخزرجية* للزموري. خ. ح. 7034.

24 ـ *حاشية على شرح حرز الأماني*. خ. ح. 7038.

25 ـ *دروس في التصريف*. خ. ح. 7054.

26 ـ *دروس فقهية* محاذية لتحفة ابن عاصم. خ. ح. 7051.

27 ـ *شرح منظومة في موانع ظهور الإعراب* لمحمد بن عبد المجيد بن كيران. خ. ح. 7043 / 1348 د.

28 ـ *شرح أبيات في انكسار السهام على نصفين*. خ. ح. 7091.

29 ـ *شرح السلم* المرونق للأخضري. خ. ح. 2220.

30 ـ *العقائد المهمة* لنفع صغار الأمة (رجز في العقائد) خ. ح. 7030 / 7058 / 9457.

31 ـ *محاضرات في الأخلاق*، خ. ح. 7047 ـ 7046.

32 ـ *محاضرات في التاريخ الحديث*. خ. ح. 7057.

33 ـ *محاضرات في التعليم*، خ. ح. 7060.

34 ـ *المنحة الوفية التي هي لخلاصة ابن مالك تصفية* مع تعليق عليها، خ. ح. 7031 ـ 9542.

35 ـ *نبذة في تاريخ المغرب الأقصى*، خ. ح. 7039.

36 ـ *نصيحة في الحض على العلم*، خ. ح. 7065 ـ 7064.

37 ـ *ختمة نظم لابن بابا الشريف العلوي*، خ. ح. 7063.

وبلغني أن أولاده أهدوا مؤلفاته لصاحب الجلالة الحسن الثاني الذي أمر بوضعها في الخزانة الحسنية بالرباط.

توفي ـ رحمه الله ـ بالرباط ثاني عشر شعبان عام أربعة وستين وثلاثمائة وألف / 23 يوليوز 1945 ودفن بمقبرة مولاي أحمد بن علي الوزاني المقابلة لضريح مولاي المكي بزنقة سيدي فاتح.

الحسن الثاني ملك المغرب، *التحدي*، ص. 32 ؛ *كناشة خاصة* من إملاء المترجم، وكان أحد أقاربه قد ألقاها في صباح القبر، ونشرت بجريدة السعادة غير منسوبة، وعنها أخذ بعض من سيذكرون بعد ؛ ع. ابن سودة، *اتحاف المطالع* 1364 مرقون ؛ *دليل*، ج. 1 ؛ ع. الجراوي، *أعلام الفكر المعاصر*، ج. 2 ؛ محمد العلمي، *حاشية على شرح الرسالة الفتحية*، ص. 9 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 101 ـ 102.

محمد إبراهيم الكتاني

الإقطاع، نمط من أنماط امتلاك الأرض خاص بالعالم الإسلامي. إنه إنعام قصد الاستغلال يخضع للعشر كأي ملك إسلامي، ويكمن في وضع الإمام تحت تصرف المقطع (بضم الميم وفتح الطاء) قطعة أرض قصد استغلالها والانتفاع بمواردها. ولا يجوز الإقطاع إلا فوق الأراضي الخراجية التي تخلى عنها أصحابها أو التي فتحها المسلمون عنوة. ومن شروطه الإحياء، وذلك بحفر بئر بالقطعة، أو بناء سكن بها، والعمل على ريها، وتجفيفها إن كانت مستنقعة، وغرسها وما إلى ذلك. وتكون تكاليف هذا الإحياء على المُقطع. وعند عدم إحياء الأرض فانها تعود لبيت المال ؛ ذلك أن الإقطاع يبقى تحت رقابة الدولة ويخضع لتدخل الإدارة القضائية والضريبية، وينبغي أن يكون مستحقا.

الإقطاع نوعان : إقطاع استغلال وإقطاع تمليك. أما إقطاع الاستغلال، فموضوعه الخراج والجزية، ويستفيد منه أهل الجيش دون سواهم .ويمكن أن يستمر أكثر من سنة في حالة الخراج، أما في حالة الجزية، فلا يجوز ذلك، إذ بإمكان الذمي أن يعتنق الإسلام .وعند موت المقطع، يعود الإقطاع لبيت المال، ولا يرثه أبناؤه الذين "يدخلون في عطاء الدراري" (صبح ، 13 : 116).

أما إقطاع التمليك، فموضوعه الأرض مواتا كانت أوعامرا، وكذلك المعدن، وتصبح الأرض بعد إقطاعها، خاضعة، كأي أرض في ملك المسلمين، لضريبة العشر، وقابلة للتفويت. وتعتبر مواتا كل أرض هلك أربابها أو تخلوا عنها فخربت وأصبحت عاطلا، أو لم يسبق أن كانت في ملك أحد. ومن شروط تمليكها الإحياء. وأما الأرض العامر، فلا تقطع متى عرف أربابها، وفي حالة ما إذا لم يعرفوا، أو هلكوا دون ترك وارث يستغلها، فإنها، تصبح ملكا لبيت المال، ولا يجوز أن تقطع أوتباع إلا من أجل مصلحة عامة.

أما المعادن، فيميز الفقهاء بصددها بين معادن ظاهرة ومعادن باطنة. والظاهرة هي "ما كان جوهرها المستودع فيها بارزا كمعادن الكحل والملح والقار والنفط" (*الأحكام*، 174) وإقطاعها لا يجوز، مثلها مثل الماء كل الناس فيه سواء يأخذه من ورد إليه."فإن أقطعت هذه المعادن الظاهرة لم يكن لإقطاعها حكم، وكان المقطَع وغيره فيها سواء، وجميع من ورد إليها إسوة مشتركون فيها، فإن منعهم المقطَع منها كان بالمنع متعديا، وكان لما أخذه مالكا، لأنه متعد بالمنع لا بالأخذ" (ن .م، 174). وأما المعادن الباطنة، وهي "ما كان جوهرها مستكنا فيها لا يوصل إليه إلا بالعمل كمعادن الذهب والفضة والصفر والحديد" فيرى بعض الفقهاء أن إقطاعها جائز، ويتعلق الأمر في رأي فريق بإقطاع تمليك، وفي رأي فريق آخر بمجرد "إقطاع إرفاق لا يملك به [المُقْطَع] رقبة المعدن، ويملك به الارتفاق بالعمل فيه مدة مقامه عليه، وليس لأحد أن ينازعه فيه ما أقام على العمل، فإذا تركه زال حكم الإقطاع وعاد إلى حالة الإباحة" (ن. م، 175).

ابتداء من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، أخذ إقطاع الاستغلال يتحول إلى إقطاع تمليك، وبذلك "صارت الإقطاعات ترد من جهة الملوك على سائر الأموال من خراج الأرضين، والجزية، وزكاة المواشي، والمعادن، والعشر، وغيرذلك، ثم تفاحش الأمر وزاد حتى أقطعوا المكوس على اختلاف أصنافها" (صبح، 13 : 117)، وذلك لا لفائدة الجند فحسب بل لفائدة ذوي السلطان من أبناء الإمام ومن أمراء وغيرهم.

لم تبق هذه الإقطاعات خاضعة لمراقبة بيت المال، بل أصبحت تنتقل إلى ذرية المقطَعين أو غيرهم عن طريق الميراث، والبيع، والهبة، والوقف، والإجارة، والمزارعة، وغير ذلك من الوجوه التي تنتقل عليها الأملاك. وكل ما صار يشترط على المقطع هو التأهب لخدمة السلطان، والطاعة له، ودفع أجرة سنوية عن القطيعة.

الإقطاع بالمغرب : اختلف الفقهاء فيما إذا كانت أرض المغرب فتحت عنوة أو صلحا أو مختلطة. ويرى مالك أنها فتحت عنوة ؛ من ثم لا يجوز بيعها. وهذا ما يفسر حق الرقابة التي يمارسها المخزن على مجموعة من الأملاك لا يمكن بيعها أو شراؤها إلا بإذنه كالغابات، وأراضي الجيش، والأراضي المهملة التي لامالك لها، والأراضي الجماعية، وأملاك الأحباس، وكذا المعادن.

واعتبار أرض المغرب فُتحت عنوة يفسر إخضاعها للخراج، وأول من ألزم الخراج بالمغرب عبد المومن بن على، كما يفسر جواز إقطاعها.

وترجع بداية الإقطاع بالمغرب إلى يعقوب المنصور، ثم نهج نهجه من تبعه من مرينيين وسعديين وعلويين. وكانوا يقطعون الأرض لبعض القبائل ـ وهي التي صارت تعرف بقبائل الجيش (الگيش) ـ على شكل انتفاع مقابل خدمة عسكرية، وأحيانا لأسباب سياسية، كأن يشطب على بعض هذه القبائل من لائحة الجيوش، فتنقل إلى أماكن أخرى، أو تتحول إلى مجرد قبائل نائبة (النائبة ضريبة تقوم مقام الخراج، أول من أحدثها محمد المهدي الشيخ).

كان الإقطاع وسيلة لمجازاة القبائل الموالية للمخزن، كما كان كذلك وسيلة لكسب القبائل التى تخشى شوكتها ولإدماجها في النظام القائم، إلا أن هذا الإقطاع، الذي هو في الأصل عبارة عن إنعام، سرعان ما كان يتحول، في حالة ضعف الحكم، إلى حق تطالب به القبيلة المخزن. وهكذا، شيئا فشيئا، أخذ إقطاع الاستغلال يتحول إلى إقطاع تمليك، وهذا ما يفسر أن مناصب الجيش أصبحت وراثية، الشيء الذي أدى إلى ظهور أسر مخزنية صارت تمتلك إقطاعات شاسعة.

بجانب الإقطاع لفائدة الجند، كان بعض السلاطين يقطعون الأرض، كذلك للزوايا ـ التي ازدهرت انطلاقا من عهد السعديين ـ وذلك مرة أخرى لأسباب سياسية، إما

لمكافأتها على وقوفها بجانب المخزن، أو اتقاءً لشرها وكسبا لخدمتها له واعترافها به. هكذا، صارت كثير من الزوايا تملك عزائب شاسعة، تقطع لها بواسطة ظهائر تتحدث عن الإنعام. كما كان يستفيد من الإقطاع أفراد الأسر الحاكمة، حيث يقطع السلطان نواحي بأكملها لأفراد معينين من عائلته، أو لبعض المقربين إليه.

الإقطاع والفيودالية : يمكن ملاحظة بعض التماثل بين المقاطعة التي يقطعها الإمام لعامل يمثله بمنطقة ما والقطيعة الفيودالية le fief، وكذلك بين تمليك الإقطاع وميراث القطيعة الفيودالية L'hérédite vassalique. ومع ذلك، فليست هناك أي علاقة بين الإقطاع في معناه الإسلامي وبين الفيودالية التي عرفتها أوربا. وبالفعل، لا وجود في الإسلام للبيعين ولا للولاء اللذين يطبعان العلاقات التي تربط السيد الفيودالي بأتباعه. كما أن امتلاك الأرض في المجتمع الفيودالي يتميز بحركة تصاعدية، إذ يتنازل المزارع عن أرضه بل وحتى عن شخصه لفائدة سيده، بينما يمثل الإقطاع حركة تنازلية، إذ أن الإمام ـ مبدئيا، وفي الأصل ـ يقطع الأرض لمن يحييها و"من قرابة رسول الله (ص) وذوي دين وفقر وكثرة عيال وغناء في الإسلام من صلح أو رأي وشجاعة وإمامة وقضاء وتعامل ومؤذن ومن ولي شيئا من مصالح المسلمين" (*الإمتاع*، 20).

القلقشندي، *صبح الأعشى*، 13 ؛ الماوردي، *الأحكام السلطانية* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإمتاع بأحكام الإقطاع*، مخطوط، خ. ع رقم 13.

J. Berque, *Etude d'histoire rurale maghribine* ; M. Bloch, *La société féodale* ; C. Cahen, *l'Evolution de l'iqta du IX au XIII siècle*, in A. E. S. C., janvier-février 1953, nº 1 ; A. Halim, *l'Iqta et l'appropriation de la terre au Maroc*. D. E. S., Rabat, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, 1978 ; A. Laroui, *Histoire du maghreb* ; P. Pascon, *le Haouz de Marrakech* ; A. N. Poliak, *la féodalité islamique*, in Studia islamica, 1938.

عبد الجليل حليم

أقا، اشتهرت بهذا الاسم إحدى واحات جنوب جبل باني الواقعة عند خروج الواد الذي يحمل نفس الاسم من الجبل، وهي إحدى دوائرعمالة طاطا (حوالي 14 ألف نسمة)، تحدها غربا دائرة فم الحصن (إمي أگادير) وشمالا دائرة (إسَافْنْ)، وشرقا دائرة طاطا، وجنوبا وادي درعة .

ويتكرر استعمال اسم أقّا في عدة جهات من الجنوب المغربي (مثلا : أقّا إزْنْكَاضْ جنوب طاطا، وأقّا إكْبْرينْ بين طاطا وتسيت، وأقا أغالن شمال طاطا ...) ولكلمة "أقا" في الأمازيغية السوسية عدة معان، فهي تعني "حبة" تمر أو عنب أو زيتون أوما أشبه ذلك من عقيق وغيره، وتعني كذلك عمق الشيء كالوادي والكهف، كما تطلق على الخانق الذي يحدثه الوادي عند اختراق الجبل فتكون آنذاك مرادفة للفظ "تيزكي" (*Hespéris*. T. 33,1946 p. 397) ويستعمل لفظ (أقا) للدلالة على الممر بين جبلين أو على أي معبر فيصبح إذ ذاك مرادفا للفظ "تيزي"، ولا يستبعد أن يكون المقصود بأقا التي تعنينا هو الخانق أو الممر حيث تقع قراها مباشرة عند اختراق الوادي لجبل باني، أي عند خروجه من "فم أقا" ليحمل إذ ذاك اسم (واد أقا) وهو ينحدر من وسط الأطلس الصغير ويصب في وادي درعة.

يجري واد أقا بعد اجتيازه جبل باني في سهل منخفض (حوالي 350 م فوق سطح البحر) يشرف عليه جبل باني من ثلاث جهات ولا ينفتح إلا نحو الجنوب في اتجاه جريان الواد. وتكسو معظم هذا البسيط غابة كثيفة من النخيل، تقع أغلب قرى أقا الحالية على جنباتها بمحاذاة جبل باني. أما المناخ فهو ذو طابع صحراوي جاف وحار حيث لا يتعدى معدل الأمطار 50 ملم في السنة، وتزيد درجة فصل الصيف على °40. وهذا يفسر اعتماد السكان على المياه الجوفية : العيون ـ الآبار... وفقر الغطاء النباتي الذي يتلخص في بعض الشوكيات ...

أما السكان فيقدر عددهم بحوالي عشرة آلاف نسمة، وهم سكان مستقرون، يشكل السود وذوو البشرة المائلة إلى السواد (الحراطين) نسبة عالية منهم، وهي خاصية مشتركة مع سلسلة من الواحات جنوب باني من تمارت حتى واحات درعة. وما زال أصل هؤلاء "الحراطين" غامضا، فهناك كمن يجعلهم حفدة العبيد المجلوبين من السودان، وهناك من يرى أن أصلهم من الشرق، فهم امتداد للكوشيين. أما الأقلية البيضاء فهي خليط من البربر المنحدرين من الأطلس الصغير ومن الرحل الذين استقروا بالمنطقة أمثال "أولاد جلال" وهم عرب جاؤوها منذ أواسط القرن السادس عشر، وأيت أمريبْط، وهم بربر انتشروا جنوب جبل باني منذ بداية القرن التاسع عشر (Monteil, op. cit, p. 388). وقد كانت تعيش ببعض قرى أقا إلى عهد قريب أقلية يهودية (34 أسرة عام 1941) يبدو أن أفرادها استقروا هناك منذ بداية القرن. يجتمع سكان أقا حاليا في عدد من المداشر يقع أغلبها على سفح جبل باني (عشر قرى) ولا يغادرون دورهم المبنية بالتراب المدكوك إلا موسميا عند جني تمور الواحة أو في فترة الحصاد في وادي درعة. أما الترحال فقد انقرض بعد استقرار قبائل أولاد جلال وأيتْ أمْريبْطْ. يتحدث أغلب سكان أقا اللغة الأمازيغية السوسية، وينحصر استعمال العربية في قرى أولاد جلال العرب : قريتي أولاد عنتر والقبابة، هذا مع انتشار الازدواجيةاللغوية. أما يهود أقا فكانوا يستعملون اللغتين : العربية والبربرية إضافة إلى لهجة اصطلاحية خاصة بهم منبثقة عن العبرية.

يعتمد سكان أقا في معاشهم على الفلاحة فيمارسون زراعة مسقية في حقول متواضعة بين أشجار نخيل الواحة، وهي زراعة معاشية تتجه أساسا لإنتاج الحبوب (شعير، قمح، ذرة) والخضر وبعض الفواكه (تين، رمان، عنب ...) وتعتمد على مياه عدد من العيون التي تنبع من فم أقا وتسقي غابة النخيل والحقول المجاورة لها. إلا أن التقلبات المناخية وانعدام الصيانة جعلت بعض هذه العيون يندثر والبعض الآخر يوشك على النضوب. وهذا ما يفسر استمرار

انحسار المساحة المسقية وتقلص رقعة غابة النخيل (لم يبق في أقا سوى تسعة عيون جارية)، ولكل عين دورة زمانية من أسبوع إلى ثلاثة أسابيع. تنقسم إلى عدد معلوم من النوبات اليومية، كل نوبة تحمل اسم أسرة من الأسر التي لم يعد أغلبها معروفا بين السكان الحاليين، وتجزأ إلى أسهم (حصص من ساعة واحدة). ولكل عين مقدم يسهر على تعيين حصص الماء لمالكيها ويُرجع إليه في حالة نشوب أي نزاع.

تمتد واحة النخيل (حوالي ستين ألف نخلة) من فم أقا محاذية جبل باني على ضفاف الوادي على طول حوالي ستة كلم وعرض كلمتر واحد تقريبا. وقد جزئت أراضي الواحة إلى عدد كبير من الحقول الصغيرة المسيجة، وهي ملكية فردية، أو عائلية، مثلها مثل ملكية أشجار النخيل وحصص مياه العيون. ويستغل مالكو النخيل والحقول أملاكهم بطريقة غير مباشرة بواسطة عقد الخماسة الذي يكون أساسا بينهم وبين الحراطين.

أهم إنتاج في أقا هو التمور المختلفة الأنواع، أغلبها من نوع قليل الجودة يسمى محليا (سايرو) وأجودها (بوسكري) و (بوفقوس) وكانت منذ القديم وإلى عهد قريب هي عماد معيشة السكان (ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 2 : 117، 118). أما الحبوب من شعير وقمح وذرة، والخضر والفواكه المنتجة في الحقول فهي موجهة أساسا للاستهلاك الفردي حيث تقتصر عملية التسويق على التمور وعلى الحبوب المنتجة في أراضي (المعدر)، وهي أرض تقع على ضفاف وادي درعة تزرع اعتمادا على فيضان مياه الواد أو روافده وتبعد عن أقا بحوالي 40 كلم نحو الجنوب. ويتم تسويق المنتجات المحلية والتزود من المواد الاستهلاكية الضرورية في سوق تقام مرتين في الأسبوع (الأحد / الخميس) قرب المركز الإداري بعد أن كانت تقام قبل الاحتلال الفرنسي عام 1934 في بعض المداشر.

وتدل الرسوم والنقوش على الأحجار المكتشفة في المنطقة على أن الإنسان وجد بأقا منذ أقدم العصور (حوالي 2500 ق. م) وتتحدث بعض الرويات اليهودية عن سكنى اليهود منذ القرن السادس ق. م في مدينة Vaqqa قرب وادي درعة (D. J. Meunié, op cit. 1 : 176 et Note 2) ولا يستبعد أن تكون هي أقا الحالية، لكن الراجح أو أقا قد عمرت منذ القرن الثاني عشر للميلاد، وازدادت عمارتها بعد خراب جارتها (تُمْدولْت) الإدريسية في القرن XIVم (م.م. السوسي، *خلال*، 3 : 68) (B. Rosemberger, *Tamdult*, p. 103) ويبدو أن أقدم قرى أقا هي القصبة التي كانت تسمى بالأمازيغية (أگادير أمْغَارْ أي حصن الشيخ). ثم قام الولي الصالح محمد بن مبارك الأقاوي (ت 924 / 1518) بتأسيس زاويته بفم أقا (Meunié, 1 : 277) وبعده اتخذ ابنه عبد الله بن محمد (ت 971 ـ 1563) خلوته في سفح جبل، فتطورت حتى أصبحت قرية سميت أگادير أزرو (حصن الحجر).

ولعل هذه القرى الثلاث التي أشار إليها الحسن الوزان (*وصف إفريقيا*، 2 : 117 ـ 118) في بداية القرن السادس عشر وذكر أن أهلها كانوا في حرب مستمرة حتى قام ولي صالح بإحلال الهدنة والأمن فيما بينهم وأن السكان فقراء يعيشون على تمور الواحة.

وفي منتصف القرن السادس عشر الميلادي توافد على أقا بعض قبائل أولاد جلال العرب الرحل الذين شرعوا في الاستقرار أسفل أقا ثم اتخذوا لهم قرى أغرور (كانت تقع قرب أگادير أزرو واندثرت بعد أن كانت من محطات طريق السودان) وقرى أولاد ابن فضايل وأولاد ابن يحة وأولاد عنتر والقبابة (وقد تغير موقع هذه الأخيرة عدة مرات بسبب إجلاء أهلها من طرف سكان أگادير أزرو. وكانت ببسيط أقا (أمسكدما) التي يبدو أن قائد المنصور السعدي العائد من السودان بأسرى تنبكتو نزل بها وهي الآن مندثرة (م. م. السوسي، *خلال جزولة*، 3 : 70). وقد توافد على المنطقة سكان استقروا في قرية (إرحالن) أي الرُحل، ومنها انتقلت إحدى الأسر البربرية فأسست قرية تگديرْتْ (عام 1144 هـ) أي الحصن الصغير، غير بعيد عن قرية تاوريرت (الربوة). وقد ورثت أقا بعض نشاط جارتها تامدولت التي خربت أوائل القرن الرابع عشر ميلادي. وأصبحت في القرن السادس عشر إحدى محطات طريق السعديين نحو السودان، واستمر آل مبارك الأقاويون يدعمون الحكم السعدي حيث كان الشيخ عبد الله بن مبارك الأقاوي (1015 / 1607) من شخصيات البلاط السعدي في عهد المنصور (ع. التمنارتي، *الفوائد الجمة*، 69 ـ 71) كما عمل سنة 1604 م في الصلح بين ابني المنصور: أبي فارس، وزيدان الذي زاره بزاوية أقا. وبعد انهيار السلطة السعدية دخلت أقا ـ على ما يبدو ـ تحت سلطة أبي حسون السملالي الذي امتد نفوذه إلى تفيلالت والسودان حتى قضى عليه الرشيد بن الشريف العلوي وأخضع المنطقة لنفوذه في حركته التوحيدية الشاملة. وعندما نزلت قبائل أيت أمربيط بأقا في بداية التاسع عشر الميلادي وأصبحت تيزونين مركزا لتجارة القوافل الصحراوية تنتقل منها سلع السودان (عبيد، ذهب، أثواب) إلى داخل المغرب، كانت أقا آنذاك مشهورة بصياغة الحلي الذهبية الرفيعة (Ch. de Foucauld, *Recon.*, p. 151).

يملك بعض رؤساء تيزونين رسائل وظهائر تعود إلى عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام والحسن الأول، وتدل على استمرار تبعية المنطقة للمخزن بشكل أو بآخر حتى مجيئ الاحتلال الفرنسي الذي لم يصل إلى أقا إلا عام 1934 م فأسس المركز الإداري الحالي.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ م. م. السوسي، *خلال جزولة*، 3 : 42 ـ 88 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 614 ـ 616.

Ch. De Foucauld, *reconnaissance au Maroc* ; V. Monteil, *Choses et gens du Bani*, in Hesp., 1946, T. XXIII, p. 386-405; B. Rosenberger, *Tamdult, cité minière et caravanière*, in H. T. 1970, Vol. XI, pp. 103-140 ; D. J. Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Paris, 1982.

محمد حبيب نوحي

أڤا (مدرسة) تقع زاوية الشيخ عبد الله بن مبارك (ت 1015 / 1606) بمحاذاة الجبل من قرية تاوريرت بأڤا جنوب الأطلس الصغير ؛ (*خلال جزولة*، 3 : 42).

وهذه الزاوية التي تنسب إليها قرية تاوريرت أقدم من كل قرى أڤا على الإطلاق هي وقرية إرحالن (*خلال جزولة*، 3 : 56) وتحتل مع مقبرتها التاريخية سفح الجبل. ويوجد بهذه المقبرة كل من الشيخ محمد بن مبارك (ت . حوالي 924 / 1518) آتي الذكر الذي وسم قبره بشيء من الجص علامة عليه، وفي مقابله قبر والد عبد الله بن مبارك المذكور أعلاه ؛ كما يوجد معهما قبر عبد الله أيضا (*خلال*، 3 : 54).

غير أن المدرسة التي كانوا يدرسون بها ويعملون فيها بقيت قائمة هناك حتى جرفها السيل ؛ وهما سيلان معروفان وقع الثاني منهما سنة 1261 / 1845 ويعتبر أولهما أقدم وقد تسبب فيما يظهر في إتلاف تراث هذه المدرسة ـ الزاوية ـ فيما يدعي أحفاد هذه الأسرة (*خلال*، 3 : 82).

ويمكن ترتيب تسلسل علماء هذه الأسرة وهذه الناحية تاريخيا سلفا ثم خلفا وفق التدرج الآتي :

مبارك عبد الله الجد الأعلى المشار إلى مكان دفنه بمقبرة الزاوية آنفا ؛ وقد نازع ابن عم له في الرآسة حتى سلم له هذا الأخير وانتقل عنه إلى مكان آخر يسمى (أگادير أزرو) فاستقل مبارك بهذه الناحية مع أبنائه وأحفاده الآتية أسماء بعضهم ؛ فمنهم :

محمد بن مبارك (ت 924 / 1518) الأڤاوي السوسي من المصامدة ؛ أحد المهدين الأولين لتأسيس الدولة السعدية بالمغرب ؛ وقد اشتهر بالولاية والصلاح واحتكمت إليه القبائل نازلين عند حكمه حتى إنه عين لهم أياما حُرُما لا يحمل فيها سلاح ويجتمع فيها الرجل بقاتل أبيه أو ولده ؛ سميت أيام سيدي محمد بن مبارك (*المعسول*، 18 : 147) كما نسبت إليه كرامات (نفسه 168) حتي أنه أمر قبائل سوس بالانقياد إلى السلطان الشريف أبي العباس أحمد الشيخ السعدي وأخيه أبي عبد الله محمد الشيخ آمرا إياهما بالعدل والجهاد عندما تغلب الصليبيون على سواحل البلاد ؛ وتوجد تفصيلات عن علاقته بالدولة السعدية عند الإفراني في *نزهة الحادي* تدل على زهده في الرئاسة حين طلب منه ذلك ؛ بالإضافة إلى تخصيصه لثلاثة أيام في الأسبوع والشهر تحترم فيها الأحياء حتى الحشرات.

ويظهر أنه أول من انتقل من أسرته إلى الزاوية بعد أن تكاثر عليه الطلبة في قرية القصبة ؛ فاضطر إلى بناء الزاوية في المحل الذي أضحى يسمى قرية الزاوية ؛ فلما كثر تنقله إلى هذه الزاوية للتدريس نقل سكناه من قرية القصبة إلى هناك ؛ فكثر طلابه ومريدوه كثرة كاثرة مع إغفال المؤرخين الواضح لتسجيل أسمائهم ؛ على أن أسانيد صاحب هذه الترجمة تتصل بشيخه مَحمد بن سليمان الجزولي الشهير (ت .870 / 1465) كما يذكر أن العلامة على التيلكاتي المتوفى بأڤا في نحو 900 / 1494 قد يكون له اتصال بصاحب هذه الترجمة (*المعسول*، 18 : 171).

أما علي بن محمد بن مبارك أحد أولاده فقد تولى أمر الزاوية موسعا من دائرتها مع تحصيل جملة من الممتلكات التي تعود عليها بالدخل في نواحي سوس كسهل هوارة وتارودانت، كما غير من أسلوب والده في التدريس والمشيخة والتربية مستغلا في ذلك منزلة الأسرة عند الدولة السعدية حتى صارت الزاوية في عهده من أكبر زوايا جزولة بما توفر لها من الرعاية، وإن لم ينقل لنا تفصيلات عن سلوكه التعليمي بهذه المدرسة التي يظهر أن مشاغله التنفيذية ربما جعلته ينيب عنه في تسييرها إلى أن توفي في مكان يسمى (تيدسي) فأقبر هناك.

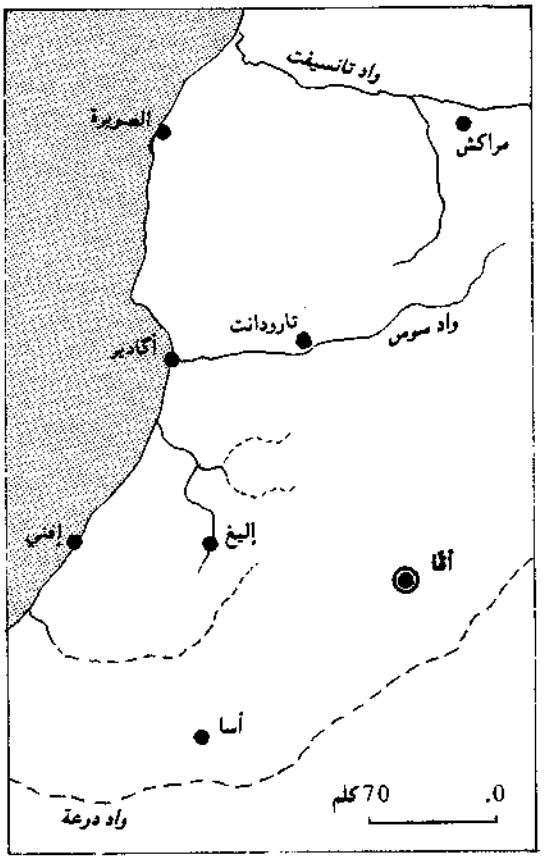

أڤا

وأخوه عبد الله بن محمد بن مبارك الملقب بالأعرج كان حيا سنة 971 / 1563، وكان أصغر منه ؛ فقد تخرج بوالده في العلم والسيرة والسلوك ؛ ولكنه حببت إليه العبادة وغلبت عليه فاعتزل في أكمة أصبحت فيما بعد محل سكناه في القرية المدعوة (أگادير أزرو = حصن الحجر) متعبدا هناك طيلة حياة والده مع إضافة مسجد صغير إليها ؛ ولا يزال الناس اليوم يتحاشون أداء اليمين به. ولما امتلأت عليه هذه القرية اتخذ خلوة له بعيدة عنها بنحو ساعتين سيرا على الأقدام في قمة (وينسين) وتوجد بها عين جارية تنسب له كرامة في استنباطها هناك ؛ ويحمل رسم وقفيّ مؤرخ بسنة 971 اسم صاحب هذه الترجمة (*المعسول*، 18 : 171).

ومن أفراد هذه الأسرة المتسلسلين منها بالنسب :

مبارك بن علي بن محمد بن مبارك ؛ وقد تولى أمر زاوية جده كما اشتهر بالصلاح ؛ وولده محمد بن مبارك الذي وصف بالعلم والتصوف. ويظهر أن خلافا بينه وبين أخيه الآتي الذكر عبد الله جعله يهجر قرية الزاوية إلى بلدة ماسة على نهر أمرزگون.

أما أخوه عبد الله بن مبارك فقد أصبح من أعلام علماء الدولة السعدية ؛ إذ انتهت إليه رئاسة الأدب ؛ مع الجمع بين علوم الظاهر وعلوم التصوف مع صدق فراسة ؛ وقد أخذ عن فقيه جزولة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن عمرالتمنارتي وعن أحمد بن سليمان الرسموكي المزواري وغيرهما، وحكى عنه أحمد تلامذته ممن اتصلوا به أنه توفي في رمضان سنة 1015 / 1606 وولادته سنة 936 / 1529. وكانت له إلى جانب هذا كله عناية بزاوية أقا ومصاهرة مع شيخه التمنارتي آنف الذكر (*المعسول*، 18 : 173 ـ 175).

وقد تولى بعده أمور الزاوية المسمى محمد بن علي بن محمد بن مبارك ؛ إذ أجمع الحاضرون على تقديمه.

أما أحمد بن محمد بن علي ولد المذكور قبله فهو أيضا ممن تولى أمر الزاوية إلا أن خلافا دب بينه وبين ابن عمه مبارك بن عبد الله بن مبارك بسبب أمور الزاوية كاد يؤدي إلى اغتيال صاحب هذه الترجمة حتى حسم الأمر خال زوجته الأمير علي بوميعة الذي أرغم صاحب الترجمة حسما للنزاع على الانتقال إلى مكان آخر ؛ وبذلك انقطع العلم في آل عبد الله بن مبارك بعد أن غلب عليها الصلاح بواسطة تعاطي الطريقة التمگدشتية الناصرية إلى أن وقع الخلاف بين رجالاتها فلم تعد تعرف عند الأجيال المتأخرة إلا بالحروب مع أثارة من صلاح وبصيص من علم قليل (*المعسول*، 18 : 191).

م. *المختار السوسي، خلال جزولة*، ج. 3 ؛ *المعسول*، ج. 18 و ج. 19 ؛ *مدارس سوس العتيقة*، ص. 122.

محمد البايك

أقا اكرن ← **طاطا** (إقليم ـــ)

الأقاويون (العلماء الصلحاء) ← **أقا**

أقلاّ، احماد بن علي. ولد سنة 1921 بقبيلة مسفيوة، إقليم مراكش وسط عائلة متواضعة الحال، انخرط ضمن تشكيلة المقاومة السرية بمراكش بقيادة حمان الفطواكي،

أحمد أقلا

وقام بأعمال فدائية جريئة من أهمها وضع قنبلة بمسجد بريغة بمراكش لاغتيال ابن عرفة الذي نصبه الفرنسيون وقد كان مسلحا بمسدس، وأثناء هذه العملية سقط شهيدا بباب المسجد رميا بالرصاص، وذلك يوم 20 غشت، وقبل استشهاده كان قد تناول قرص سم حتى لا تتمكن منه السلطات الاستعمارية.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

أقلاّل، رقصة غنائية تعرف أيضا برقصة زاگورة نسبة إلى المكان المعروف بهذا الاسم بواد درعة وبرقصة السبق وبها يشارك إقليم ورزازات في مهرجان الفنون الشعبية بمراكش كل عام.

وأصلها من جهات ورزازات حيث تمارسها قبائل بودلال وسكورة وأيت عامر وأهل المحاميد وأهل دادس وأيت عطا وأيت حمو، وربما كان انتقال رقصة *أقلال* إلى ورزازات من منطقة تافيلالت. ولما كانت هذه المناطق الفيلالية والدرعية ملتقى نازحين من الصحراء جنوبا ومن جبال الأطلس شمالا، فلا يدري بالضبط العنصر الذي أبدع هذه الرقصة. وأنواع أقلال هي : رقصة الركبة، ورقصة الوسطي، ورقصة العوادة، ورقصة الحصاد (وتغنى بحفلات جمع التمر) ورقصة الحاذي، ورقصة العبر، ورقصة الاستسقاء....

وتعني كلمة أقلال، الرأس، وسميت بذلك لتحريك الرأس بها، فهو الأصل وتفرعت عنه حركات بأعضاء الجسم الأخرى. وهي تؤدى بألحان محلية مصحوبة بأناشيد دينية وتراتيل صوفية معهودة، ولا تقتصر مزاولتها على الأوساط القروية، بل هي معروفة في أوساط حضرية كذلك. ومناسباتها استقبال ضيف أو تقديم ولاء أو الاحتفال بانتصار أو بعيد ديني أو موسم زراعي أو في أسفار القوافل. وقد تصحب أنغامها *بيراول* وهي ألوان من النظم لها تفاعيل موسيقية عند منشدي طرب *الآلة* وعند بعض منشدي الطوائف الصوفية وأهل الملحون.

وفي طابع رقصة *أقلال* سمات من البيئة الصحراوية، ونغم مرسل، وعفرية وبساطة. وهي إلى الآن تعتمد في أنغامها على الآلات القديمة كالدف والبندير والعوادة والگوال والسيف.

والجماعة الراقصة في *أقلال* تتراوح عادة بين سبعة من الرجال وواحد وعشرين. ولها شوطان تتحول في الثاني منهما من ترتيل الأدبيات الدينية إلى أناشيد في وصف الطبيعة وإلى براول ومقطعات في الغزل أو الحكم والأمثال.

ولم يبق من سماتها العتيقة عند الشيوخ اليوم إلا النزر القليل، وقد جمعنا من أذكارها جملة قيمة أدرجناها في برامج أذيعت من الرباط ومراكش بين عام 1969 و 1986.

ع. الملحوني، *أدب المقاومة من خلال الشعر الملحون والمردودات الشفاهية*، مخطوط، وزارة السياحة، *منشورات مهرجان الفنون الشعبية بمراكش* 80 ـ 1983.

عبد الرحمان الملحوني

أقلعي، أسرة تطوانية أصلها من مجموعة القبائل المجاورة لمدينة مليلية والمعروفة بـ "قلعية" (تنطق گلعية). وكان جل أفراد هذه الأسرة يعملون في الجيش، وسبب ذلك هو أنه عندما أصدر السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام سنة 1261 / 1845 أمره بإنشاء بعض الفرق من الجنود في مدن المغرب، كلف بتأليف فرقة تطوان الأغا الحاج عبد السلام أقلعي الذي أنشأ طابورا من نحو مائتين من الجنود ورتبهم ترتيبا تركيا، غير أن أهل تطوان لم يُقبلوا على ذلك لما كان عليه أقلعي المذكور من الأخلاق الغير المرضية، الشيء الذي جعل الأغا يعتمد في تكوين الفرقة على أفراد أسرة أقلعي، اشتهر اسم واحد منهم : أحمد بن محمد أقلعي الذي كان ملازما ثانيا سنة 1292 / 1875.

وأسرة أقلعي كانت تحمل اسم "أياسين" في الأصل، وكان بتطوان شخص اسمه محمد أياسين يتعاطى التجارة، ممن وقعوا على وثيقة بيعه أهل تطوان لمولاي سعيد بن السلطان مولاي اليزيد يوم 12 جمادى الثانية 1236 / 17 مارس 1821.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط خاص ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 1 : 182 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ *تاريخ تطوان*، 3 : 26 و 6 : 169 و 8 : 270 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (Q) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones (año 1931)*; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espanol* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

إقليم، يجد الإقليم بمعالمه الرئيسية الحالية جذوره في التقسيم الإداري الذي قامت به الحماية الفرنسية ابتداء من سنة 1912 للمنطقة الخاضعة لها، والحماية الإسبانية في شمال المغرب ابتداءً من سنة 1913. إلا أن هناك من يقول بأن المغرب كان يعرف تقسيما إداريا قبل دخول الحماية، وهناك من ينفي ذلك وهم أنصار الحماية.

قبل الحماية كانت سلطة المخزن، وإن لم تكن له الوسائل الكافية لمراقبة الرقعة الترابية الكاملة للمملكة، تشمل امتدادا جغرافيا مقسما إلى ثلاث مناطق رئيسية : فاس، مراكش، تافيلالت. وكان يمثل السلطات علي رأس كل منطقة "خليفة" للسلطان. أما المكلف بحكم المنطقة إداريا وعسكريا فهو "الباشا".

في عهد الحماية : منذ دخول الاستعمار الفرنسي إلى المغرب شرع في تنظيم وجوده وسيطرته على البلاد، وهكذا صدرت قرارات بالجريدة الرسمية المغربية منذ 1912 بتقسيم المغرب إلى جزئين : المغرب الغربي، والمغرب الشرقي.

يمثل الأول ستة أقاليم أو جهات régions هي : الشاوية والرباط ومكناس وفاس ودكالة وعبدة ومراكش. أما المغرب الشرقي فقسمه إلى منطقتين : الأولى شمالية تتكون من : إقليم وجدة ومقاطعه تاوريرت، والثانية غربية. وكانت هذه المناطق ذات طابع عسكري. كل منطقة تتكون من مقاطعات، ودوائر، وملحقات ومكاتب للاستعلامات أطلق عليها فيما بعد مكاتب الشؤون الأهلية. أما الأقاليم المدنية فلم يشرع في تأسيسها إلا ابتداء من سنة 1919 وهي : الرباط والدار البيضاء ووجدة وخنيفرة.

وفي سنة 1923 أصدر المقيم العام بالمغرب قرارا يقضي بتقسيم المغرب إلى أربعة أقاليم أو جهات مدنية هي : الرباط والدار البيضاء والقنيطرة ووجدة. وثلاثة عسكرية هي : فاس ومكناس ومراكش.

وهكذا يلاحظ بأن تنظيم الحماية الإداري للمغرب أملته أساسا الاعتبارات العسكرية والأمنية، التي كان يهدف من خلالها إلى ضمان استمرار وجوده وتحكمه في البلاد. لهذا كانت الجهة أو الإقليم هي الإطار الملائم للمراقبة السياسية للسكان ودعم سيطرته وتركيزها في السلطة المركزية.

بعد الاستقلال اختفت كلمة الجهات وحلت محلها الأقاليم، وحل العمال محل رؤساء المناطق، بحيث لم يدخل المسؤولون المغاربة أي تعديل جوهري على التقسيم الإداري للمغرب.

إن الإقليم في النظام المغربي الحالي يعتبر جماعة محلية مثله مثل العمالات والجماعات الحضرية والقروية، وقد نصت على هذا التعريف كافة الدساتير المغربية الثلاثة الصادرة على التوالي في 1960 ـ 1970 ـ 1972 وحددته على التوالي في الفصول 93 / 86 / 87.

أما النص القانوني المحدد للتنظيم الإقليمي ومجالسه موضوع الظهير الشريف في 12 شتنبر 1963، فقد عرف الإقليم بأنه جماعة إقليمية يجري عليها القانون العام، وتتمتع بالشخصية المدنية والاستقلال المالي. فالإقليم في هذا الإطار يتمتع باختصاصات في إطار وحدات ترابية وجغرافية تتمتع بالشخصية المعنوية تحت سلطة الوصاية المركزية.

إن أول نص قسمت بمقتضاه المملكة صدر بموجب ظهير مؤرخ في 16 دجنبر 1955، إلا أن لفظة إقليم لم ترد إلا بتاريخ 13 / 10 / 1956 وذلك بواسطة الظهير الشريف الصادر في 13 أكتوبر 1956.

وبتاريخ 2 دجنبر 1959 صدر ظهير جديد بشأن التقسيم الإداري للمملكة يلغي كافة النصوص السابقة المتعلقة بنفس الموضوع، وهو النص الذي مازال ساريا لحد الآن، والذي يقع تتميمه كلما تم إحداث أقاليم أو عمالات جديدة. وبموجبه يقسم المغرب إلى حدود سنة 1989 إلى الأقاليم التالية :

"أگادير، الحسيمة، أزيلال، بني ملال، بن سليمان،

بوجدور، بولمان، شفشاون، الجديدة، قلعة السراغنة، الراشدية، الصويرة، اسمارة، فاس، فكيك، إفران، گلميم، القنيطرة، الخميسات، خنيفرة، خريبگة، العيون، مراكش، مكناس، الناضور، ورزازات، وادي الذهب، وجدة، أسفي، سطات، سيدي قاسم، طنجة، طنطان، تاونات، تارودانت، طاطا، تازا، تطوان، تزنيت".

ينقسم الإقليم إلى دوائر، والدوائر إلى قيادات. فالدوائر تقوم بربط الإقليم بملحقاته والتنسيق بين مختلف القيادات والتقسيمات التابعة لها.

أما الجماعات الحضرية فتشمل المقاطعات، وهذه الأخيرة تتكون من الأحياء التي يشرف عليها على التوالي القائد أو الخليفة ثم المقدمون و"الشيخ" الذي يقوم بتنسيق نشاطهم تحت إشراف خليفة القائد.

حدود الإقليم : إن حدود الإقليم يتم تحديدها بمقتضى ظهير شريف، أما الدوائر التي يتألف منها فعددها وحدودها يجب أن يتم بمقتضى ظهير شريف، ونفس الأمر بالنسبة لعدد وحدود المقاطعات التي تتشكل منها الدوائر.

تنظيم الإقليم : مستمد من الظهير الشريف الصادر في 12 شتنبر 1963 كما تم تعديله وتتميمه سنتي 1966 و1969. وتأتي أهمية المجلس الإقليمي من كون المشرع من خلال الفصل 3 من الدستور الحالي خوله صلاحية المساهمة في تنظيم المواطنين وتمثيلهم مثلها مثل الأحزاب السياسية والنقابات.

- يدير شئون الإقليم مجلس يسمى "المجلس الإقليمي" وذلك طبق الفصل 88 من الدستور.يتحدد أعضاؤه تبعا لعدد السكان القانوني المثبت في آخر إحصاء رسمي لكل إقليم. مثال ذلك إذا كان عدد سكان الإقليم لا يجاوز 200 ألف نسمة فإن عدد الأعضاء يتحدد في 11 عضوا. أما إذا تراوح عدد السكان بين 200.001 و 3 ملايين نسمة فإن عدد الأعضاء المنتخبين يتحدد في 31 عضوا.

- ينتخب أعضاء هذا المجلس لمدة ست سنوات بالاقتراع بالقائمة عن طريق التمثيل النسبي على أساس قاعدة أكبر بقية. أما أعضاؤه فينتخبون من بين المستشارين الجماعيين للإقليم بواسطة هيئة انتخابية تتكون من المستشارين الجماعيين لهذه الجماعة، كما يشارك علاوة على هؤلاء المستشارين بصوت تداولي ممثل واحد عن الغرف الفلاحية والتجارية والصناعية والصناعة التقليدية بمعدل ممثل واحد عن كل إقليم يقع في دائرة نفوذها، وينتخب بالأغلبية النسبية. يجتمع المجلس الإقليمي مرتين في السنة، الأولى فيما بين 15 ماي و15 أبريل على ألا تتجاوز الدورة 15 يوما، والثانية بين 1 أكتوبر و 30 منه، على ألا تتجاوز 3 أسابيع.

إدارة الإقليم : إن الهيئات المشرفة على إدارة الإقليم وتسييره تتركب من رئيس المجلس الإقليمي واللجان المنبثقة عنه والعامل، وتنحصر سلطات رئيس المجلس الإقليمي على سبيل المثال في تحرير جدول أعمال دورة كل اجتماع باتفاق مع العامل وتوجيه الاستدعاءات وتمثيل المجلس الإقليمي في حظيرة المجلس الإقليمي للإنعاش الوطني، ويمضي محاضر الجلسات مع العامل أو ممثله كما يتلقى استقالة المستشارين ويرفعها في الحين إلى العامل الذي يقرر فيها.

يمكن للمجلس الإقليمي أن ينتخب لجانا متخصصة لتسهيل مأموريته، من بينها لجان ميزانية الشئون الاقتصادية، والتصميم، والشئون الاجتماعية والثقافية. أما تاريخ اجتماع هذه اللجان فيتحدد باتفاق مع العامل وخلال الفترة الفاصلة بين الدورتين.

أما العامل : فهو الذي يقوم بالدور الأساسي في الإقليم إذ هو الرئيس الفعلي للمجلس الإقليمي. فهو المقرر الفعلي والمنفذ الحقيقي، يمثل المجلس الإقليمي والسلطات المركزية، خَوّل له الدستور الحالي بواسطة الفصل 89 مهمة تنفيذ مقررات مجالس العمالات والأقاليم وتنسيق نشاطات الإدارات والسهر على تطبيق القانون.

فالعامل له سلطة مادية ومعنوية على كافة المصالح الموجودة على تراب الإقليم الموضوع تحت إمرته. كما أنه ينفذ القوانين والمقررات التنظيمية، ويضمن احترام النظام والأمن العام. إن سلطة العامل على التنظيم الإقليمي تتجاوز حدود الرقابة الرآسية، إذ يشرف على تنظيم سير انتخاب أعضاء المجلس الإقليمي ويراقبهم عند ممارستهم لمهامهم ويقوم بتحضير مشروع ميزانية الإقليم.

لوزير الداخلية وصاية على المجلس الإقليمي يمارسها من خلال العامل، وتتجلى في المصادقة على مقررات المجلس كالميزانية والنظام الداخلي. وكذلك الوزير الأول له دور في التنظيم الإقليمي، بحيث بإمكانه إصدار مرسوم بحل المجلس الإقليمي أو بالترخيص للأقاليم بتأليف نقابات بينها.

نقابة الأقاليم : يمكن للأقاليم أن تُكون فيما بينها نقابات قصد إنجاز عمل مشترك وتسيير صناديق خاصة بكل واحدة منها لتمويل الأشغال البلدية وأداء بعض النفقات المشتركة الخاصة بالتسيير. ولإدارة هذه النقابة يتم انتخاب أعضائها من المجالس الإقليمية المعنية بالأمر، بحيث ينوب عن كل إقليم نائب يعين من بين أعضاء المجلس الإقليمي بالاقتراع بالأغلبية المطلقة، هذه اللجنة المسيرة تنتخب رئيساً لتدبير شئونها.

تعتبر هذه النقابا مؤسسات عمومية تتمتع بالشخصية المدنية والاستقلال المالي، كما يطبق عليها التشريع والتنظيم المتعلقان بالوصاية على الأقاليم والعمالات، وقواعد محاسبة الأقاليم والعمالات.

وبالجملة فالإقليم في النظام المغربي الحالي أداة أساسية في تأطير ومراقبة السكان وتقوية السلطة المركزية وتقريب الإدارة من المواطنين، وهو أداة وسيطة من خلاله توجه وتؤثر وتراقب محليا السلطة المركزية سياستها وتعليماتها.

- ظهير شريف رقم 1.59.351 بتاريخ 1 جمادى الآخرة 1379 (2 دجنبر 1959) بشأن التقسيم الإداري للمملكة كما تم تعديله وتتميمه بالمرسوم رقم 2.81.854 الصادر في 21 من صفر 1402 (18 دجنبر 1981). وبالمرسوم رقم 2.84.129 الصادر في 4 شوال 1404 (3 يوليوز 1984).

- ظهير شريف رقم 1.63.273 في 22 ربيع الثاني 1383 (12 شتنبر 1963) بشأن تنظيم العمالات والأقاليم ومجالسها. كما تم وعدل على التوالي في 6 غشت 1969 و30 شتنبر 1976 و6 أبريل 1966.

- مرسوم ملكي رقم 172.66 بتاريخ 7 رجب 1386 (22 أكتوبر 1966) بمثابة قانون يتعلق بتحصيل ديون الجماعات المحلية وهيآتها.

- ظهير شريف رقم 1.71.77 بتاريخ 22 ربيع الثاني 1391 (16 يونيو 1971) بإحداث المناطق كما تُمم بمرسوم رقم 2.79.408 المؤرخ في 8 رمضان 1399 (2 غشت 1979).

- ظهير شريف رقم 1.72.061 بتاريخ 23 محرم 1392 (10 مارس 1972) بإصدار الأمر بتنفيذ الدستور.

- ظهير شريف رقم 1.76.584 بتاريخ 5 شوال 1396 (30 شتنبر 1976) بمثابة قانون يتعلق بالتنظيم المالي للجماعات المحلية وهيئاتها. كما تم وعدل بمرسوم قانون رقم 2.80.557 بتاريخ 22 شوال 1400 (2 شتنبر 1980).

- مرسوم رقم 2.76.575 بتاريخ 5 شوال 1396 (30 شتنبر 1976) بتطبيق الظهير الشريف رقم 1.76.584 الصادر في 5 شوال 1396 (30 شتنبر 1976) بمثابة قانون يتعلق بالتنظيم المالي للجماعات المحلية وهيئاتها.

- مرسوم رقم 2.76.576 بتاريخ 5 شوال 1396 (30 شتنبر 1976) بسن نظام لمحاسبة الجماعات المحلية وهيئاتها.

- مرسوم رقم 2.76.577 بتاريخ 5 شوال 1396 (30 شتنبر 1976) بشأن مراقبة صحة الالتزام بالنفقات الخاصة بالجماعات المحلية وهيئاتها.

- ظهير شريف رقم 1.59.169 بإحداث صندوق التجهيز الجماعي.

- مرسوم رقم 1.76.578 بتاريخ 5 شوال 1396 (30 شتنبر 1976) بإحداث صندوق لتنمية الجماعات المحلية وهيئاتها.

- ظهير شريف بمثابة قانون رقم 1.75.168 بتاريخ 25 صفر 1397 (15 يبراير 1977) يتعلق باختصاصات العامل.

- مرسوم رقم 2.83.372 الصادر في 20 من رجب 1403 (4 مايو 1983) يقيد ويتمم بموجبه المرسوم رقم 2.73.416 الصادر في 14 رجب 1393 (14 غشت 1973) بإحداث وتعداد الدوائر والقيادات والجماعات الحضرية والقروية للمملكة وتحديد عدد المستشارين الواجب انتخابهم في كل جماعة.

- مرسوم رقم 2.84.47 الصادر في 4 شوال 1404 (3 يوليوز 1984) بتحديد عدد أعضاء مجالس الأقاليم والعمالات.

م. مرغني، *المبادئ العامة للقانون الإداري المغربي*، الرباط، 1982 ؛ ع. باينة، *المختصر في القانون الإداري المغربي*، الرباط، 1985 ؛ كتابة الدولة لدى الوزير الأول المكلفة بالشؤون الإدارية، *تشريعات وقوانين تنظيمية*، الرباط، 1985.

S. Benbachir, *L'Administration locale au Maroc*, Imprimerie royale, 1969 ; A. Sedjari, *Les structures administatives territoriales et le développement locale au Maroc*, Coll. F.S.J.E.S, Rabat, 1981 ; M. Rousset, *Le Droit administratif marocain*, 4e éd. 1984 ; Ministère de l'intérieur, *Guide de l'agent d'autorité*, 2 volumes ; F. Bernard. *L'Organisation régionale du Maroc.*

أحمد بوجداد

أقنين، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وقد انتقلت من هناك أولا إلى ناحية الريف ثم استقرت بتطوان في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، ولم تذكر لنا الوثائق من أفراد هذه الأسرة سوى التاجر عبد السلام بن قاسم أقنين الذي كان حيا سنة 1230 / 1815، والفقيه عبد الجبار بن المهدي أقنين الذي كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1282 / 1866، ولا زالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330، *تاريخ تطوان*، 7 : 278 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (Q) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones (año 1931)* 1932 (Q) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espagnol*, 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

أقيتْ ← أحمد باب

أقيتْ، - بضم الهمزة التي تعني بالأمازيغية "ابن" وذلك حسب النطق المحلي - أسرة سودانية عالمة تنتمي إلى مسوفة گدالة من فروع قبيلة صنهاجة الكبرى. وأول من حمل هذه الكنية منهم الجد الثالث لأحمد باب : محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى المسوفي الصنهاجي. كان محمد أقيت يقطن في ماسنة جنوب غربي تنبكتو على الضفة اليمنى لنهر النيجر، وهي موطن الفلاتيين الذين كان محمد أقيت يبغضهم ويستنكف عن مصاهرتهم، فرحل طالعا إلى الشمال وأقام مدة في بيرُ ثم فيما بينها وبين رأس الماء الواقعة على الطريق التجارية الرابطة بين تنبكتو وولاتة. كان راغبا في الإقامة بتنبكتو فمنعه من ذلك عداوة قديمة بينه وبين حاكمها آنذاك أكل التروگي. وأخيرا شفع له أحد أعيان تنبكتو عند الحاكم، فدخل محمد أقيت إلى تنبكتو واستوطنها هو وعقبه من بعده وأصبح منهم وجهاء المدينة وعلماؤها وصلحاؤها.

ارتبط آل أقيت التنبكتيون بتاريخ المغرب منذ أواخر القرن العاشر / 16 م، حين تراسل أحمد المنصور - قبيل توجيه الحملة إلى السودان - مع كبيرهم القاضي عمر بن محمود أقيت مؤملا أن ينشر دعوته في تلك الأصقاع ويدعو الناس إلى الدخول في طاعته باعتباره الإمام القرشي الشريف الجامع لشروط الخلافة. لكن القاضي لم يفعل ؛ بل اتُهم بتحريض التنبكتيين على الثورة ضد جيش

المنصور، الأمر الذي دعا الباشا محمود زرقون إلى اعتقاله وسائر آل أقيت الذين كان هواهم مع الأسكيّين أواخر المحرم عام 1002 / 1593، فسجنهم مدة في قصبة تنبكتو ثم بعث بهم مقرنين في الاصفاد إلى مراكش. "واستقروا مع عيالهم في حكم الثقاف إلى وقت انصراف المحنة عنهم فسرحوا يوم الأحد الواحد والعشرين من رمضان عام أربعة وألف ففرحت بذلك قلوب المومنين" (*نزهة*، 88).

وقد عاش آل أقيت بمراكش بعد السراح أزيد من عشر سنين متمتعين بعطف السكان وأنسهم ورعاية الدولة وإكرامها، فأدرك الأجل بعضهم فيها، ورجع البعض إلى تنبكتو.

أ. بابا، *نيل الابتهاج* ؛ ع. السعدي، *تاريخ السودان* ؛ م. الافراني، *نزهة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 5.

أقيت، عبد الرحمان بن محمود، فقيه عالم زاهد متصوف، معرض عن الدنيا بكليته مقبل على التدريس والوعظ وتربية المريدين. كان ذا نية بالغة في الشيخ يحيى التادلي دفين تنبكتو ويقول : "واجب على أهل تنبكت أن يزوروا روضة سيدي يحيى للتبرك به في كل يوم ولو كانت منه [على] مسافة ثلاثة أيام" (*فتح الشكور*، 218) كما كان مولعاً بكتاب *دلائل الخيرات* لمحمد بن سليمان الجزولي، يلقّنه للطلبة ويشرحه لهم ويعرضونه عليه.

قدمته الجماعة للإمامة، وهي خطة تضاهي خطة القضاء في تنبكتو، فقام بها أحسن قيام حتى بعد أن مرض واعتقل مع آل أقيت من طرف الباشا محمود بن زرقون ونقل إلى مراكش فمات بها مطعونا يوم الخميس خامس صفر عام 1006 / 17 شتنبر 1597. ودفن مع ابن القطان بإزاء جامع ابن يوسف.

ع. السعدي، *تاريخ السودان*، 214 ؛ م. البرتلي، *فتح الشكور*، الترجمة 170، وفيها تصحيف في الطبع، ذكره في مواضع متعددة؛ م. مطيع، *دراسة كفاية المحتاج*، 1 : 22 (مرقونة).

أقيت، عبد الله بن محمود، ويلقب بلسان قومه : "ألفع عبد" فقيه زاهد على ما آتاه الله من ثروة عظيمة. اشتغل بتدريس *رسالة ابن أبي زيد ومختصر خليل* في مساجد تنبكتو حتى كاد يحفظهما عن ظهر قلب. أصابه شرر الفتنة التي اتقدت خلال الشهور الثلاثة الأولى من عام 1000 / أكتوبر - دسمبر 1591 حين هاجم تنبكتو رئيس الطوارق أُوسنْبَ التارگي مغرشن كي لإغاثة القائد مصطفى التركي المحاصر في القصبة، فكان أوسنبَ يحرق على الثوار منازلهم حتي وصل إلى باب دار عبد الله بن محمود القريبة من دار أخيه القاضي عمر. وبعد أن سكنت الهيعة وتم الصلح بين التنبكتيين والقائد مصطفى التركي، استأنف عبد الله بن محمود عمله في التدريس كعادته لكنه اعتقل من طرف الباشا محمود زرقون لما رجع من مطاردة أسكيا إسحاق، في جملة من اعتقل مع القاضي عمر بن محمود من آل أقيت، ونقل معهم إلى مراكش، حيث ظل معتقلا إلى أن أطلق سراحه مع قومه في رمضان عام 1004 / ماي 1596، ثم لم يلبث أن توفي بمراكش مطعونا يوم الاثنين فاتح شعبان عام 1006 / 9 مارس 1598.

أ. باب السوداني، *نيل*، 161 ؛ ع. السعدي، *تاريخ السودان*، 156 و214 ؛ م. البرتلي، *فتح الشكور*، الترجمة 155 ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، 8 : 290 ؛ م. مطيع، *دراسة كفاية المحتاج*، 1 : 22 (مرقونة).

أقيت، عمر بن محمود بن عمر، قاضي تنبكت منذ عام 993 / 1585 إلى عام 1002 / 1593. فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي، مشارك في الحديث والسير والتاريخ، ناسك زاهد، أبى أن يتولى منصب القضاء حين عُرض عليه فلم يقبله إلا بعد لأي، وحمدت سيرته فيه، فكان مسموع الكلمة عند أهل تنبكتو معظما لدى الأسكيين. حاول أحمد المنصور قبل إرسال الحملة العسكرية إلى السودان أن يستخدمه في التمهيد لها ودعوة الناس إلى الدخول في طاعته باعتباره الخليفة القرشي المستجمع لشروط الإمامة العظمى، وذلك في رسالة مطولة مؤرخة في شوال عام 1998 غشت 1590 جاء في آخرها :

"... واعتقدوا مع ذلك أن كل من أمنتموه من عساكرنا الطالعة برياتها البيض على تلكم الأقطار السودانية إن شاء الله طلوع الفجر، وكتائبنا المتلاطمة تلاطم أمواج البحر، فقد أمناه، ومن أجَرتموه فقد أجَرناه، إظهارا لمزيتكم، وإشعارا بمكانتكم لدينا ورفعة قدركم، وإيذانا بجليل منصبكم عندنا وسموّ رتبتكم..." (*مناهل الصفا*، 133) ويظهر من هذه الخاتمة أنها تجيب عن رسالة سابقة ربما كان القاضي عمر بعث بها إلى أحمد المنصور.

ومهما يكن من أمر فإن هذه الرسالة لم تحقق النتيجة المرجوة، ولم يعر القاضي عمر كبير اهتمام لقادة حملة المنصور، ولم يُكرمهم مثلما أكرمهم خطيب تنبكتو الشيخ محمود درامي، بل اتُّهم القاضي عمر بتحريض الناس على القتال في فتنة تنبكتو الدامية التي دامت شهرين (محرم - ربيع الأول عام 1000) وحوصر فيها القائد مصطفى التركي في القصبة. فكان ذلك سببا في تغريب القاضي عمر وسائر آل أقيت إلى مراكش عام 1002 / 1593 فمات بها في السنة التالية وهو في حال ثقاف، عام 1003 / 1594، ودفن بجوار القاضي عياض.

ع. السعدي، *تاريخ السودان* ؛ الولاتي، *فتح الشكور* ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، الجزء 9 ؛ م. مطيع، *كفاية المحتاج، دراسة وتحقيق*، رسالة جامعية مرقونة.

محمد حجي

أگادير، تجمع على إگُودارْ، من الكلمات المستعملة في المجال الأمازيغي - بجانب مرادفتها إغْرْمْ جمع إغْرْمَانْ - لتدل على الحصن أو المخزن الجماعي أو القرية أو المنزل المحصن أو القصبة، كما تدل عموما على أي جدار كيفما كان حجمه ومادة بنائه ووظيفته. والكلمة قديم استعمالها.

فقد كانت اسمًا لمدينة قادس القديمة، ولقلعة موحدية بضاحية اشبيلية ولمدينة تلمسان وربما لمدينة الصويرة كذلك (مْ ـ وُگادير = مُوگادُورْ؛ أي، ذات الحصن). بالإضافة إلى المدينة المغربية الحالية أگادِيرْ ن ـ يغيرْ.

تنتشر الكلمة بكثرة، اسمًا للأماكن، في الجنوب الغربي للمغرب، بما في ذلك الأطلس الكبير الغربي وسهل سوس والأطلس الصغير. في حين تحل محلها كلمة إغْرْمْ في الأطلس الكبير الأوسط والشرقي والأطلس المتوسط والجنوب الشرقي من تَازْنَاخْتْ إلى تافيلالت. كما تنتشر بصيغة التصغير : تَاگَادِيرْتْ / تيگِيدَارْ (= تيغْرْمْتْ / تيغْرْمِينْ) أو بصيغة الجمع : إگُودَارْ.

تتميز هذه المؤسسات بكونها تُبْنَى عادة على مرتفع من الأرض، يصعب اقتحامه، ويسهل الدفاع عنه. وربما كان هذا هو الأصل في تسمية الجرف كذلك بـ أگادِيرْ أو بـ أجْدِيرْ، في كل من منطقة «القبائل» بالجزائر ومنطقة الريف بالمغرب.

أما الغاية من بنائها، فليست هي السكن الدائم للجماعة التي بنتها ـ باستثناء قصبات الأعيان أو ممثلي السلطة ـ بل لخزن ثرواتها من حبوب وزيوت وغيرها، وللالتجاء إليها في حالة الحرب. كما تكون مكانا للمبادلات التجارية ولبعض الصناعات كالحدادة والتعدين وصناعة الأسلحة أو إصلاحها والحُلي... وربما كان بعضها يستعمل منزلا (نزالة) للقوافل، إذا كان موقعها على الطرق التجارية.

وقد تكون ملكا جماعيا لسكان قرية واحدة، أو لمجموعة من القرى المتجاورة أو لقبيلة بأكملها. كما أن بإمكان الجماعة المالكة أن تقبل لجماعة أخرى لاتتوفر على أگادير خاص بها، أن تضع مخزوناتها في حصنها، بعد اتفاق الجميع، مع احترام الأعراف الجاري بها العمل.

يُبْنَى أگادير بتعاون الجماعة، ويكون تصميمه على شكل مربع تعلو زواياه أبراج للمراقبة، أو على شكل مستطيل بدون أبراج، وقد يتخذ شكلا هندسيًا آخر، وذلك حسب المناطق، ومدى ما تتوفر عليه الجماعة من إمكانات مادية وبشرية. ويتكون من عدة طبقات، قد تصل إلى خمس. وتقسم كل طبقة إلى غرف مفتوحة نحو الداخل، وهذه الغرف هي التي توزع على المستفيدين أسراً وعشائر. وفيها يضعون خزائنهم ويغلقونها، وتسمى بالأمازيغية أگْنَارْ وجمعها إگْنَارْنْ.

كما يتوفر عادة على مسجد وخزان للماء (نطفية)، ومسكن للحارس، وفضاء للمواشي يكون بين السور الخارجي، المكوّن من النباتات الشوكية، والسور الداخلي المبني بالحجر أو الطين المكبوس.

إن الاستفادة الجماعية من مؤسسات إگُودَارْ اقتضت اعتبارها شخصية معنوية، تنظم سيرها أعراف شفوية أو مكتوبة يعرفها الجميع ويحترمونها، لا لأنها تضم بنودا زجرية، تنفذ عند الاقتضاء بكل صرامة فحسب، ولكن لأن مؤسسة أگادير تحاط بهالة من الاحترام، وتكتسب في نفوس الناس هيبة الحرم، بحيث لايجرؤ أحد على ارتكاب مالا يليق داخلها.

يشرف على تسيير هذه المؤسسة والبت في ما قد يطرح بسببها من مشاكل، مجلس إنْفْلاَسْ أو أعضاء الجماعة. ومع أن الكل مسؤول على أمن أگادير، فإن الجماعة توظف شخصا بأجر، يقوم بالحراسة الدائمة، ويكون مقيما داخله. كما تفرض على كل الأسر المستفيدة، أن تعين بالتناوب فردا منها للقيام بواجب الحراسة لمدة يوم واحد.

إن وجود مؤسسة إگُودَارْ بكثرة تلفت النظر، في المنطقة شبه الصحراوية وجنوب المغرب بصفة عامة، بما في ذلك جبال الأطلس، يدعو إلى الاعتقاد بأن سبب ذلك راجع إلى أمور ثلاثة :

1 ـ ضرورة خزن المواد المتوفرة في سنوات الخصب، حتى يستعان بها على السنوات العجاف. خصوصا في منطقة تتأثر أكثر من غيرها بالمناخ الصحراوي، والدورات المناخية المتعاقبة بين الجفاف والرطوبة.

2 ـ كون المنطقة غير خاضعة تماما لسلطة مركزية قارة، مما يجعل المجموعات المتساكنة في مواجهات مستمرة فيما بينها.

3 ـ كون المنطقة معرضة أكثر من غيرها لهجمات المجموعات الراحلة التي تجوب الصحراء وتخومها.

إن أهمية إگُودَارْ لاترجع فقط إلى وجود هذه البنايات المتخصصة ـ نَوَيَات المدن المصغرة ـ عبر مناطق واسعة من المغرب، بل ترجع كذلك إلى دورها في حياة الجماعة، وإلى الكيفية التي تم بها توظيفها على المستوى القانوني، لتساهم بفعالية في بقاء الجماعة وتلاحمها. فأگادِيرْ والأرض هما المركزان الأساسيان اللذان تتمحور حولهما حياة الفلاحين. لذلك نجد أن المجهودات التنظيمية انصبت كلها عليهما، مما نمّى لدى هذه الجماعات حسا مرهفا على مستوى التقنين، وحرصا كبيرا، بلغ حد المبالغة، على تحري الدقة في تفصيل القواعد والنوازل.

J. Berque, *Structures sociales du Haut-Atlas*, p. 35, nº 1 ; G. Camps, *Berbères aux marges de l'histoire*, Ed. des Hespérides, Toulouse, 1980, pp. 280 sqq ; Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc*, p. 62 ; *Dictionnaire Touareg-Français, t* I, p. 400 ; J. Despois, *Les greniers fortifiés de l'Afrique du Nord*, C. T., Tunis, 1954, pp. 1 - 58 ; P. Dupas, *Note sur les magasins collectifs du Haut - Atlas Occidental*, Hesp., Tome IX, Année 1929, 4e tr. pp. 303 - 321 ; J. Gattefosse, *Les greniers de falaise forme ancienne d'Agadir collectif*, B. S. P. M, Rabat, 1934, nº 1 et 2, 1e et 2e trimestre ; E. Laoust, *Mots et choses berbères*, p. 3, n. 5 ; *L'Habitation chez les transhumants du Maroc central*, pp. 214 - 215, *Contribution à une étude de la toponymie du Haut - Atlas*, p. 70; J. Meunié, *Les Greniers - citadelles au Maroc* ; R. Montagne, *Un magasin collectif de l'Anti - Atlas, l'Agadir des Ikounka*, Hesp., Tome IX, Année 1929, 2e - 3e trimestre, pp. 145 - 2666; *Villages et Kasbas berbères*, Paris, 1930, ch. IV ; *Les Berbères et le Makhzen*, pp. 253 sqq ; H, Nait - Balk, *Approche archéologique et architecturale des Igoudar de l'Anti - Atlas et de leur rôle socio-économique*, D. E. A., Paris I, 1986.

صدقي علي أزايكو

أگادير، ـ جغرافيا ـ تعرف مدينة أگادير كباقي المدن المغربية الأخرى، توسعا حضريا سريعا، غير أن العاصمة السوسية تنفرد بدينامية حضرية تثير الانتباه. فهذه مدينة هامشية نسبيا، تتعرض إلى زلزال عنيف (شهر فبراير 1960) يأتي على 80 ٪ من بناياتها، ويجعل عدد سكانها ينخفض من 45000 نسمة قبيل الكارثة، إلى حوالي 16000 فردا بعدها، ويلحق اضطرابا كبيرا باقتصادها المحلي، ثم نجدها بعد عقد من الزمن فقط استرجعت ساكنتها التي ارتفع عددها إلى 62000 نسمة سنة 1971، كما استعادت دورها الإقليمي الذي تقوّى واتسعت منطقة نفوذه. أما اليوم فأگادير أصبحت تحتضن أكثر من 100000 نسمة منتمية بذلك إلى فئة المدن المتوسطة. وإذا ما اعتبرنا المراكز الصغرى التابعة لها والتي تُكوِّن معها ما أصبح يصطلح عليه اليوم "بأگادير الكبير" فإن ساكنة هذا التجمع الحضري تفوق 200000 نسمة. وعلى أي فأگادير غدت اليوم تفرض وزنها كقطب جهوي لأقاليم المغرب جنوب الأطلس لا من الناحية الديمغرافية فحسب، بل وعلى مستوى الأنشطة والوظائف كذلك، حيث يتعدى دور بعض هذه الأنشطة ـ كالسياحة ـ الإطار الإقليمي الضيق.

فأي تقديم لأگادير لا يمكنه أن يغفل هذا الانبعاث الذي يلفت النظر، وبالتالي يلزم إبراز بعض العوامل المفسرة لهذه الانطلاقة، قبل التعرض إلى تحليل الأنشطة الحضرية وخصوصياتها، وكذا النسيج الحضري ومميزاته.

ترتبط أهمية أگادير الماضية والحاضرة بموقعها وموضعها، وانفتاحها على الشمال والجنوب. موقع المدينة في أقصى غرب الأطلس الكبير، حيث تنخفض السلسلة الجبلية لتصبح هضابا متدرجة (هضاب إداوتنان) جعلها تحتل نقطة وصول الطريق الوحيدة العابرة للأطلس الكبير، في اتجاه الأقاليم الجنوبية، كما أن وجودها على قدم الأطلس وفر لها وضعية اتصال وتكامل بين الوسط الجبلي وسهل سوس.

أما موضعها الساحلي، جنوب النتوءات الأطلسية التي تتقدم داخل البحر، فسيلعب دورا أساسيا بالنسبة للأنشطة التي ستعتمد عليها المدينة. فرأس غير يقي الخليج من الرياح والشاطئ من عباب المحيط الأطلسي، ولذلك كان هذا الموضع من أحسن النقط الموجودة جنوب البلاد المغربية لإرساء السفن، ثم لتشييد ميناء سيبقى وحتى بداية الثمانينات ـ أي إلى أن جهز ميناء مدينة العيون وطرفاية ـ هو المرسى الرئيسي، والمنفذ الوحيد للمغرب جنوب الأطلس. وسيساهم رأس غير هذا، بعد إعادة بناء المدينة في ظهور ثم ازدهار النشاط السياحي الذي يرتكز بأگادير أساسا على منتوج البحر، وذلك بتوفيره خليجا بحريا هادئا، وشاطئا آمنا.

إن تظافر عناصر هذا الموضع وهذا الموقع سيجعل من مدينة أگادير عاصمة جهوية لكل الأقاليم المغربية الممتدة جنوب الأطلس. وتبرز أهمية هذين العنصرين من خلال المراحل التاريخية التي مرت منها المدينة :

ـ أگادير حتى سنة 1960 : من المركز التجاري حتى المدينة المنكوبة.

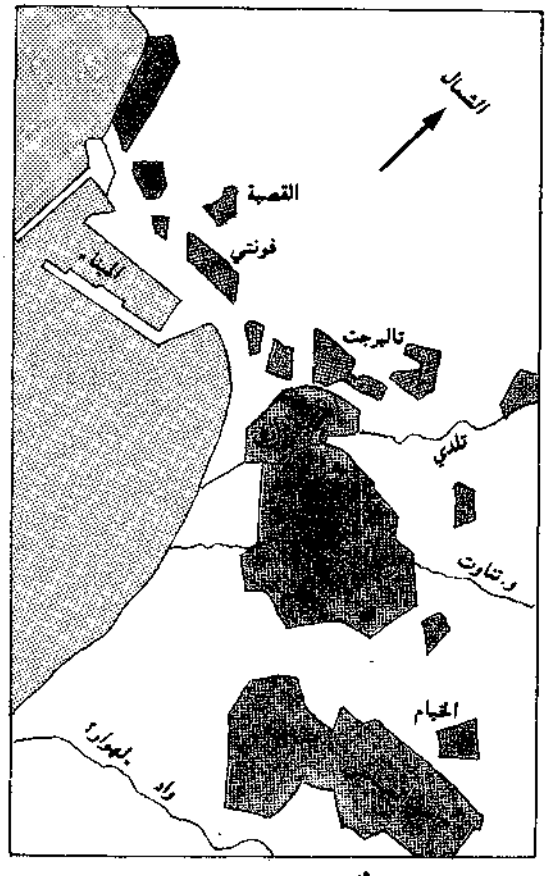

أگادير عام 1960

من المفترض أن الفينيقيين ترددوا على الخليج لملائمته للملاحة البحرية آنذاك، ومما لا شك فيه أن البرتغال استقروا بنفس الخليج حيث أنشأوا أولا ميناء للصيد تحول فيما بعد إلى مركز تجاري نشيط ومحصن (Santa Cruz du Cap de Gué) تردد عليه تجار قادمون من إسبانيا وفرنسا وجنوة. ثم تُسترجع هذه النقطة الساحلية من طرف السعديين في أواسط القرن السادس عشر، لكي ينشط بها تصدير سكر سوس، ولوز وجلود الأطلس الصغير، وذهب السودان في اتجاه البلدان الأوروبية. وتدوم فترة الرواج التجاري هاته حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر حيث أنشأ السلطان العلوي محمد بن عبد الله ميناء الصويرة سنة 1774 وأوقف تردد التجار الأوروبيين على ميناء "سانطا كروز" فانهار اقتصاد الميناء، وبقيت الحالة هكذا حتى أن ظهرت أطماع التوسع الأوروبي (الفرنسي الألماني) الذي سيوجه اهتمامه إلى سوس ومنفذه الساحلي خاصة ابتداء من سنة 1909، إلى أن يتم احتلال أگادير من طرف القوات الفرنسية سنة 1913. وستبرز من جديد أهمية الميناء حينما تلقت أگادير بعد الحرب العالمية الثانية، قسطا وافرا من رؤوس الأموال التي انتقلت من فرنسا إلى

المغرب. فبالإضافة إلى الاستعمار الفلاحي بسهل سوس، استثمر المعمرون في قطاعي الصيد وتصبير السمك حيث تلقت أگادير ما بين 1947 و 1952 مثلا أكثر من نصف معامل التصبير التي أنشئت بالمغرب.

أما في فترة الاستقلال فقد لعبت مدينة أگادير دورا أساسيا كمنفذ للجنوب وعاصمة جهوية. فقد كانت نقطة وصول جل المحاور الطرقية القادمة من الشرق (ورزازات، وتارودانت، وسهل سوس)، ومن الجنوب (طرفاية، وتزنيت)، ومن الجنوب الشرقي (الأطلس الصغير)، ومن الشمال (الدار البيضاء). كما كانت منفذ تصدير المنتجات الإقليمية (معادن الأطلس الصغير، والمنتجات الفلاحية لسهل سوس، والمنتجات التحويلية للصناعات المحلية) وتزويد الجنوب بما يحتاجه من مواد استهلاكية، كما كانت هي القطب الصناعي الوحيد والعاصمة الإدارية لإقليم كان يُعتبر أكبر الأقاليم آنذاك.

إلى وسطها، فأصبحت صلة الوصل بين الجزء الشمالي والجزء الجنوبي من التراب الوطني، سيما وأن طريقاً جديدة بحوض أرگانا جعلها تنفتح أكثر على الشمال، كما أن مشروع خطة السكة الحديدية الذي سيربط الشبكة الشمالية بمدينة العيون سيزيد من أهمية هذا الدور الذي أصبح منوطاً بأگادير. ناهيك عن اتساع منطقة إشعاعها الذي كان دائما متجها نحو الجنوب. فعلى سبيل المثال تنفرد المؤسسات الجامعية (كليتا الآداب والعلوم) التي أحدثت بالمدينة منذ 1984 بأوسع رقعة استقطاب جغرافي للطلبة من الأقاليم الموجودة بالجنوب الغربي.

بالإضافة إلى هذه المكانة التي أصبحت تتمتع بها المدينة على الصعيد الإقليمي والجهوي، تنهمك أگادير، على الصعيد المحلي، في هيكلة تجمع حضري فريد من نوعه، جنوب الأطلس. فرغم المجهودات التي بذلت في إطار إعادة بناء المدينة، فإن الإمكانيات السكنية المعروضة

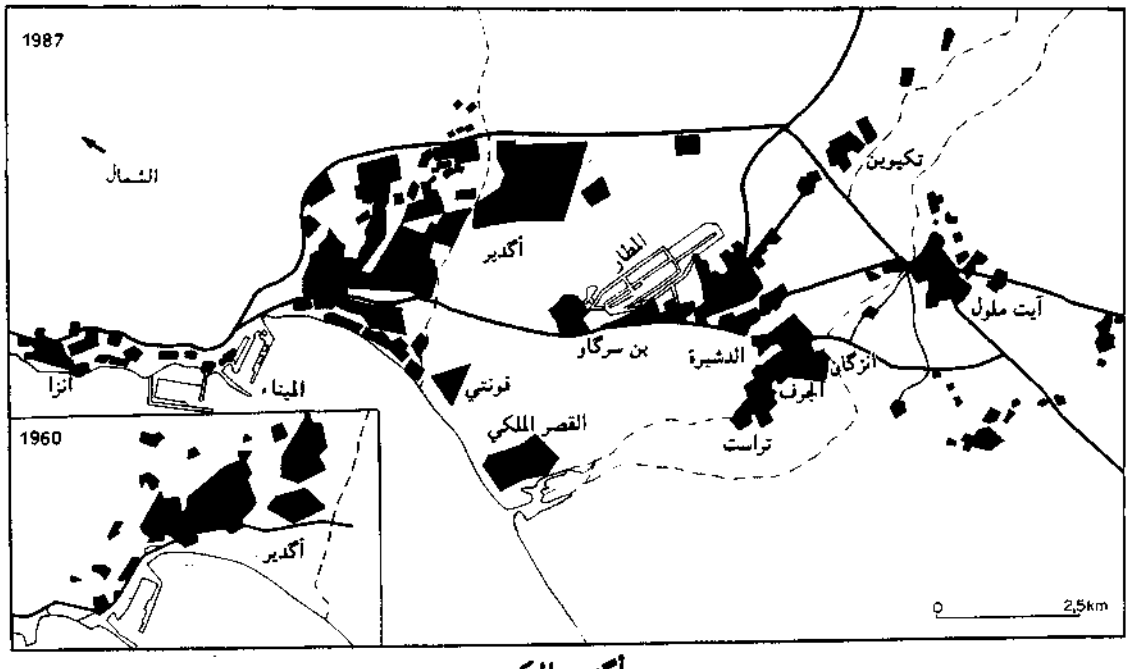

أگادير الكبير

- أگادير بعد الزلزال. أهمية هذا الدور الإقليمي هي التي استلزمت إعادة بناء المدينة، رغم أن الكارثة كانت قد دمرتها. وهكذا انطلقت أول الأوراش سنتي 1962 و 1963 لكي تنتهي المرحلة الأولى والأساسية في إعادة بناء المدينة (انتهاء الأشغال الكبرى والبنايات الإدارية، تقدم الأحياء السكنية، انطلاق الحي السياحي) سنة 1966. ثم استعادت المدينة جاذبيتها حيث ارتفع حجم تيارات الهجرة من جديد في اتجاهها.

ثم ما تلبث أن تستعيد دورها الجهوي كعاصمة ذات حيوية، مضيفة إلى الوظائف السابقة النشاط السياحي الذي انطلق منذ فترة إعادة البناء بتدشين قرية نادي البحر المتوسط سنة 1966. ويقوى دورها أكثر باسترجاع المغرب لأقاليمه الصحراوية، حيث تحول موقعها من جنوب البلاد

لم تتوصل إلى تلبية كل حاجيات الطلب المتزايد من طرف السكان القدامى الذين عادوا إلى المدينة، أو من طرف مهاجري البوادي. وبالتالي فإن مجموعة من المراكز التابعة ستنمو في ضواحي المدينة كمراكز الدشيرة، وإنزگان وأيت ملول، وبن سرگاو، وذلك خلال الستينات والسبعينات، بينما تحولت في السنوات الأخيرة مجموعة من الدواوير القروية "كالجرف" و "تراست" و "تكيوين"، إلى ضواحي حضرية. فالمدينة التي كانت لا تتعدى مع ضاحيتها 27000 نسمة، انتقلت إلى أزيد من 100.000 نسمة، لكي تفوق خلال إحصاء 1988، 200.000 نسمة. إلا أن بلدية أگادير تُمركز كل الإمكانيات الاقتصادية، والتجارية، والإدارية وكذا التجهيزات، بينما المراكز التابعة الأخرى، باستثناء إنزگان وأيت ملول اللذين يوفران بنية تجارية وخدمات لا

بأس بها، هي عبارة عن منامات لساكنة تشتغل بأگادير المركز (انظر الشكل رقم 1 والجدول رقم 1).

جدول رقم 1 ـ تطور سكان مدينة أگادير وضاحيتها.

المركز	1971	1982
بلدية أگادير	61.192	110.479
ابن سرگاو	6.621	13.517
الدشيرة	16.077	39.760
إنزگار	11.495	17.952
الجرف	3.105	7.188
تراست	1.809	19.919
تكيوين	2.943	8.391
أيت ملول	5.989	17.712
مجموع الضاحية	48.039	124.439
مجموع أگادير الكبير	109.231	234.918

(المصدر : إحصاء السكان 1971 و 1982)

كل هذه التطورات ستنعكس على الأنشطة التي تتنوع وتعدد وتقوى حيوتها، والنسيج الحضري الذي يتسع ويتباين.

تستفيد مدينة أگادير من نسبة للتغشيل (26 ٪ من مجموع السكان) تفوق نسبيا المعدل العام للمغرب الحضري (22 ٪). ويعزى هذا بالخصوص إلى أنشطة الصيد، وتحويل السمك، والسياحة، والإدارة وبعض الوحدات الصناعية الخفيفة.

ارتبطت أول نواة للمدينة (مركز الصيد البرتغالي وقرية فونتي) بالصيد البحري. واعتمد اقتصاد المدينة منذ سنة 1940 (وهي سنة إنشاء عدة معامل تمليح السمك) على الصيد. وتظهر أهمية القطاع في كون أگادير قد احتلت خلال العشر سنين الأخيرة المرتبة الأولى كميناء صيد، بينما كانت مدينة أسفي تتبوأ الزعامة في هذا الميدان. ويُشغل قطاع الصيد بما في ذلك أنشطة التحويل الصناعي 20 ٪ من الساكنة النشيطة. كما يُمركز الميناء 41 ٪ من مجموع أسطول الصيد المغربي التقليدي، بينما يتلقى أكثر من نصف الحمولة التي تفرغ في مجموع الموانئ. تختص أگادير في صيد السمك السطحي (سردين أسقمري، تن) الموجه إلى التصبير والتحويل في معامل المدينة التي يشتغل بها حوالي 2500 عامل. لا تقتصر هذه المعالجة الصناعية على التصبير، وإنما تحول الأسماك إلى طحين وزيوت، كما يُجمد جزء آخر.

أمّا النشاط السياحي، وهو قطاع حديث جدا، فارتبط بإعادة بناء المدينة بعد الزلزال، غير أنه عرف تطورا سريعا، جعل المحطة التي كانت غير موجودة في أواخر الستينات تصبح اليوم أول اتجاه سياحي لتيارات السواح الأجانب المتجهين إلى المغرب. فمدينة أگادير التي كانت لا تتعدى طاقتها الإيوائية 1 ٪ من مجموع الطاقة الإيوائية المغربي، تهيمن اليوم على 21 ٪ من هذه الطاقة، وتتلقى 23 ٪ من مجموع السواح القادمين إلى البلاد، وتستفيد من 34 ٪ من مجموع المبيتات الفندقية أي ما يفوق ثلاثة ملايين مبيتة في السنة. يفسر هذا التزايد بعدة عوامل يمكن تبويبها في ثلاثة :

أ ـ ظروف طبيعية مواتية تتلخص في امتداد شاطئ رملي على طول 9 كيلو مترات، مياه هادئة، ارتفاع نسبي لدرجات الحرارة خلال فصل الشتاء، طول مدة التشميس (3250 ساعة سنويا)، وتركز أحسن الظروف المناخية في فصل الشتاء، الفصل الذي يسجل أكثر طلب لدى سواح أوربا الشمالية.

ب ـ إرادة المخطط الإعدادي للتأكيد على السياحة كقطاع اختياري له الأسبقية في إعادة بناء المدينة. فرغم أن السياحة لم تكن غائبة من مخططات الفترة الاستعمارية، فإن التصميم الإعدادي لسنة 1962 هو الذي سيبرز هذا القطاع حيث اختاره كنشاط رئيسي. هذا القطاع سيضيف المساعدات التي خصصت لبناء المدينة، إلى التشجيعات التي نص عليها قانون الاستثمارات السياحية فيما بعد. كما أن هذا التصميم سيخصص كل الأراضي المحادية للبحر والتي توجد بين خط الشاطئ والطريق الرئيسية رقم 8 لتتلقى وبصفة إجبارية منشآت وتجهيزات سياحية. وهكذا انطلقت الأشغال في التجزئة السياحية ابتداء من سنة 1964 لكي ينجز 28 ٪ مما كان مقررا في ظرف سنتين.

ج ـ إقبال وكالات الأسفار السياحية الدولية على منتوج أگادير دون غيره. تجمع أگادير بفضل موضعها بين عناصر عدة مكونة لمنتوج يوافق الأذواق السياحية للزبناء والحاجيات التجارية للوكالات. فبالإضافة إلى شاطئ يمكن التردد عليه طيلة فصول السنة الأربعة، وظهير غني بالمآثر التاريخية والحضارية، توفر أگادير طاقة إيوائية تلبي كماً وكيفا حاجيات الزبون الأوربي. ويقدم هذا الزبون إلى أگادير في إطار أسفار جماعية، بحثا عن منتوج تطغى عليه سياحة الإقامة الشاطئية، الشيء الذي ينعكس على بنية الطاقة الإيوائية. فنصف مجموع الأسرّة من نوع الفنادق الفخمة من 4 و 5 نجوم، بينما يقرب من النصف الآخر عبارة عن قرى سياحية على نمط قرى "نادي البحر المتوسط" ومجموعات إقامات تختلف عن الفندق التقليدي. وبخلاف ما يحدث في الاتجاهات السياحية المغربية الأخرى، يلاحظ أن النشاط الجديد له عائدات ملموسة على الاقتصاد المحلي، إذ يشغل بصفة مباشرة أو غير مباشرة ما يقرب من 15 ٪ من اليد العاملة النشيطة. كما ينشط قطاعات الخدمات والتجارة والصناعة والفلاحة المحلية.

قطاع الصناعة والحرف التقليدية، يوفر الشغل لربع السكان النشيطين بأگادير . فإعادة بناء المدينة وحركة التجهيز الفندقي يفسران وزن مقاولات البناء، بينما تتنوع الوحدات الصناعية الأخرى مرتبطة بقطاع الصيد والفلاحات السقوية بسهل سوس (الصناعات الغذائية تحتل الرتبة الثالثة بعد الدار البيضاء وأسفي) وصناعة التعليب أو بالقطاع السياحي.

تنقسم المدينة من حيث تصميمها إلى عنصرين : القسم الذي خطط حسب ما نص عليه التصميم الإعدادي لإعادة بناء المدينة، والتوسع الحضري الحديث الذي يتجه داخل سوس متبعا الطريق الرئيسية رقم 40، وقد أعيد بناء المدينة دون الابتعاد عن اختيارات التصميم الذي وضع سنة 1961. وكان يهدف إلى إنشاء مدينة تتسع لخمسين ألف ساكن، مؤكدا على ثلاث أسبقيات بالنسبة للأنشطة، وهي الإدارة والتجارة والسياحة، ومحاولاً خلق أحياء لها ميزات خاصة حسب حاجيات وأنشطة السكان. وقد اختير نسيج حضري متعامد يرتكز على طرق رئيسية متعامدة أو موازية لخط الساحل. وتظهر نتائج هذا التصميم في الميدان من خلال المورفولوجية الحضرية وأنماط الأحياء. (انظر الشكل رقم 2).

الغرض من هذه النواة كذلك ربط الحي السياحي بباقي الأحياء الأخرى.

الأحياء السكنية : أ ـ حي تالبورجت الجديد : حاول المهندسون المعماريون خلق حي يشبه في نسيجه ووظائفه ومستواه الاجتماعي حي تالبورجت القديم الذي دمّر إثر الزلزال. وهو حي به سكن كثيف ومتصل ذو طابق سفلي ومستويين، وأزقة ضيقة، ويأوي سكانا وتجارة من النوع الشعبي. ب ـ الحي السكني الراقي : خصصت له الانحدارات الشمالية، لإشرافها على الخليج والأطلس الصغير جنوبا. ويضم سكنا فرديا عبارة عن فيلات وبعض العمارات الصغيرة. وتتضمن الأحياء السكنية الأخرى نسيجا موروثا عن تصميم إعادة بناء المدينة كحي ولي العهد، وحي الشرف، وحي الموظفين، وحي أمسرنات. وهي

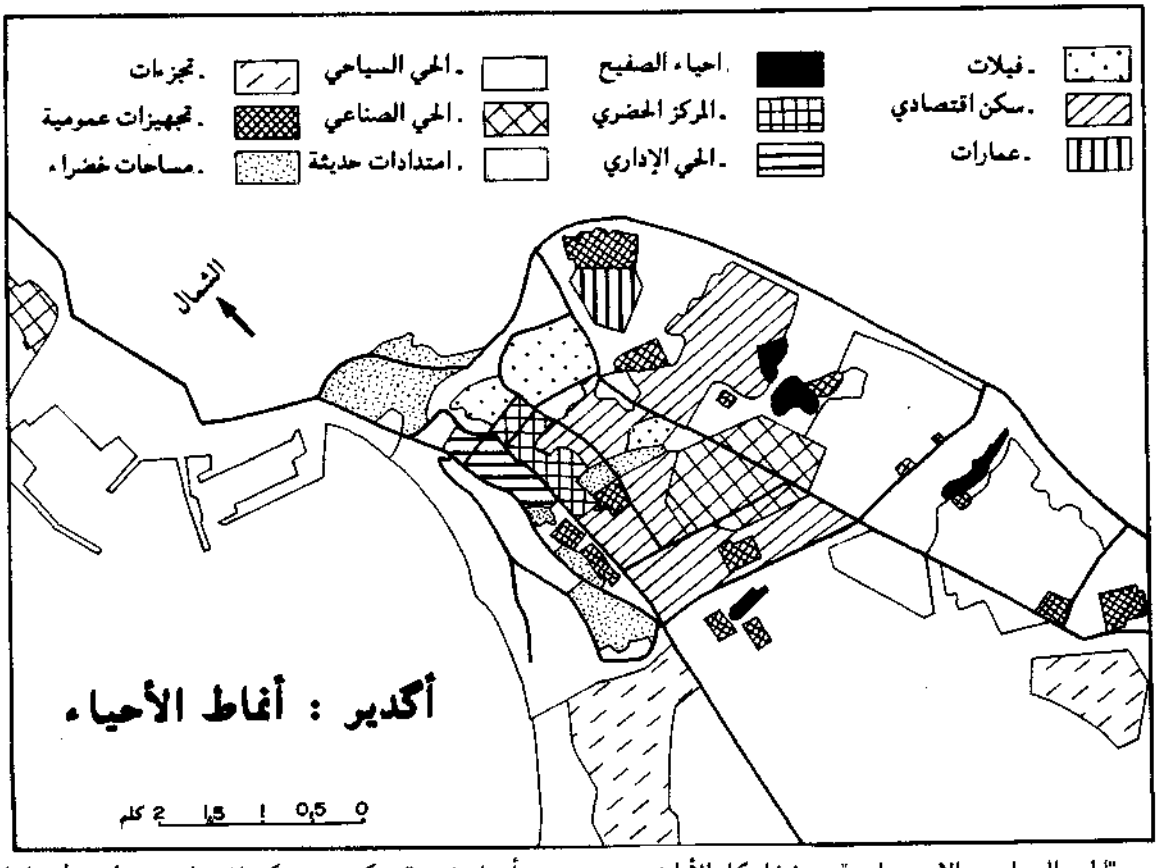

ـ "الحي السياحي والاستحمامي" : يشغل كل الأراضي المحاذية للبحر حتى شارع محمد الخامس ويتسع في اتجاه الجنوب. وهو حي يختص في إيواء وتنشيط السياحة الدولية. ويركز جل الفنادق والقرى والإقامات. تمتد هذه المؤسسات وسط مجالات خضراء إما عموديا أو أفقيا ـ في أغلب الحالات ـ مستهلكة بذلك مساحات شاسعة.

يتكون المركز الحضري من عمارات لا يتعدى ارتفاعها ثلاث مستويات متعامدة أو موازية للخليج، تنتظم حول ثلاث ساحات رئيسية. يتصل هذا المركز الحضري بالحي الإداري حيث يكونان نواة تختص في الوظائف التجارية والإدارية والسكنية مع أنشطة القطاع الثالث العالي.

أحياء شعبية تتكون من سكن اقتصادي ينتظم حول ساحات صغيرة وتحتضن بعض الجزر أحياء الصفيح. كما تنتشر حاليا داخل السهل على طول الطريق الرئيسية رقم 40، على شكل تجزئات (حي القدس، حي الداخلة، حي المسيرة) تدخل في إطار برامج الإسكان التي تشرف عليها وزارة السكنى والمصالح التابعة لها، أو تجزئات حرة.

أما هذا التوسع الموازي للطريق فيُحتمه الحاجز الطبيعي الذي يتجلى في سفوح الأطلس الكبير شمالا وتخصيص الساحل للأنشطة السياحية جنوبا.

ـ الحي الصناعي ينقسم إلى قسمين : حي أنزا وهو امتداد لمنطقة الميناء شمالا، تسود به المؤسسات الصناعية

مع بعض السكن الهزيل. والحي الصناعي المزدوج الذي يجمع بين الصناعات والسكن والتجارة.

استطاعت مدينة أگادير أن تفرض هويتها كعاصمة إقليمية نشيطة. فرغم التوسع العمراني لمدينة العيون، لا زالت أگادير تعتبر المركز الصناعي ومركز الخدمات الرئيسي للجنوب الأطلنتي. وقد تضافرت عدة عوامل لتفسير هذا الوضع. فبالإضافة إلى أهمية الموقع والموضع، يجب التأكيد على ابتعادها النسبي عن الدار البيضاء

المركز التجاري الذي يهيمن على جل التراب الوطني، والمؤهلات الإقليمية المتنوعة، وإرادة الدولة في إعادة إحياء المدينة، وروح المبادرة التي يمتاز بها سكان سوس.

M. Péré, *Agadir, ville nouvelle*, R.G.M. Nº 12, Rabat, 1967 ; *Quelques aspects du tourisme au Maroc à travers l'exemple d'Agadir*, R.G.M. Nº 22, Rabat, 1972 ; M. Berriane, *L'espace touristique marocain*, Fascicule de Recherche Nº 7, E.R.A. 706 C.N.R.S. Université de Tours, 1980 ; O.D.I., *Zones industrielles au Maroc*, Rabat, 1980 ; Ministère de l'Habitat, *Shéma Directeur de l'aire urbaine d'Agadir et de son arrière - pays*, Rabat, 1982 ; M. Berriane, *Tourisme et emploi : le cas d'Agadir*, R. G.M., Nº7, Nouvelle Série, Rabat 1983.

محمد بريان

أگادير، - تاريخ - ينطق بها أهلها بدون مد ولكنها ترد في الكتب أگدير أو أگادير، ومعنى أگدير الجدار والحصن. لا تتوفر أدلة اركيولوجية قاطعة على ما هو مرجع مع ذلك من كون الفينيقيين كانوا يطرقون سواحل سوس ومن جملتها الجهة التي بها أگادير. بيد أن الإشارات التاريخية المكتوبة إلى عمارة أو نشاط في هذا الموقع إنما تعود إلى عام 911 / 1505 حيث أسس نبيل برتغالي اسمه João Lopes Sequeira مركزا للصيد وكان مجرد بيت من الخشب لحماية مراكب الصيد سمي فيما بعد بـ Santa Cruz du Cap de Gué (ou d'Aguer) أي رأس إغيرْ : وإغيرْ هو المنكب أو الذراع أو الجرف الشديد الانحدار، وهذه صفات تنطبق على العرف الجبلي الداخل في البحر المطل على ما يسمى اليوم بخليج أگادير إيْغيرْ أو أگادير نبغير أي حصن المنكب. وقد أسس المركز البرتغالي عند قدم هذا المنكب على ما يظهر، وقامت حول منبع ماء عمارة سميت باسم فونتي أو العين Fonte بالبرتغالية. وفي الأخبار البرتغالية أن مؤسس ذلك المركز التجاري لم يأمن على ماله فباع محله لملك البرتغال مانويل عام 1513. وقد عين الملك عاملا من قبله على هذا المحل اسمه الدون فرانسيسكو داكاسطرو، وقد قام بتحصين المكان بل استطاع على ما يبدو، إقامة علاقة طيبة مع العامل الوطاسي على تلك الجهات واسمه ابن مالك.

وقد اشتد الوجود البرتغالي في هذا الموقع وتمثلت فداحته في استغلال الأراضي الزراعية المجاورة بدرجة أثارت رد فعل السكان المتمثل في تعبئة أهل سوس وأهل حاحا لجهاد أولئك الكفار المحتلين، وهي التعبئة التي انطلق منها مشروع السعديين التگمدرتيين في الوصول إلى الحكم (الوزان، *وصف أفريقيا*، 1 : 44) ويتحدث الوزان في هذا الصدد عن الموقع تحت اسم Gartguessem، فيفهم من الشطر الثاني من هذه الكلمة أن المقصود قبيلة گسيمة التي ما تزال معروفة في هذه الجهة حول خليج أگدير. أما الشطر الأول فإما أن يراد به أگادير وهو الحصن، مع العلم بأن الحصن الذي عرف فيما بعد بني على مرتفع، والبناء البرتغالي إنما كان في الأسفل لذلك لا يستبعد أن يكون المقصود بـ Gart تلك البسائط المزروعة بجانب البحر. والمحقق هو أن المجاهدين بقيادة زعمائهم التگمدرتيين قد قضوا عدة سنين في الجهاد والحصار قبل استرداد الموقع وطرد البرتغاليين منه حيث لم يتم ذلك النصر إلا في 14 ذي القعدة 947 / مارس 1541. ولما كان هذا التاريخ مستندا إلى وثائق برتغالية فإنه يفترض أن يكون تخطيط السعديين لهذا الحصن المعروف بأگادير واقعا في الأيام القليلة الموالية للتحرير المتبقية في عام 947 حتى يتطابق مع خبر ابن القاضي الوارد في *المنتقى المقصور*، أو أن التخطيط كان متزامنا مع الأيام السابقة للهزيمة البرتغالية، أي حين الحصار الأخير الذي بدأ عام 1540. فنفهم من خلال هذا أن الحصن الذي بناه هذا القائد تيمز بأنه فوق إغيرْ أي في أعلى المنكب. ولقد عرف هذا الموقع منذئذ ازدهارا تجاريا مع الدولة الجديدة بفضل تنمية زراعة السكر في وادي سوس، فكان يتردد على مرسى أگادير تجار إسبانيون وفرنسيون وهولانديون واسكندنافيون حاملين اجواخ وأواني لمبادلتها بالجلود الخام والجلود المعالجة وسكر القصب والتبر الذي كانت تأتي به القوافل من السودان.

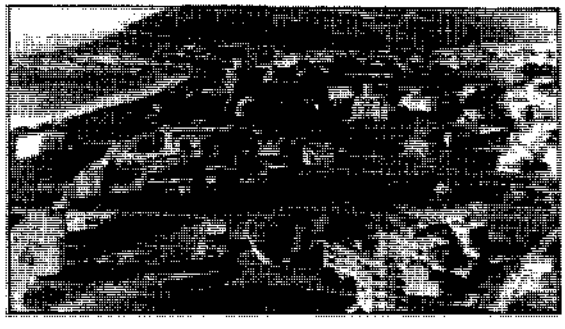

ويذكر الأسير مويت Mouette أن السلطان مولاي رشيد العلوي قام بعد توليته مباشرة، أي عام 1080 هـ / 1669 م برحلة إلى سوس في جيش قوامه ثلاثة وستون ألفا من الجنود، من بينهم خمسة وعشرون ألفا من الفرسان. ولما قرب من أگادير تلقاه أهلها وبايعوه ثم توجه إلى إليغ. ولعل المولى الرشيد قد اكتفى بإقطاع فائدة هذا المرسى لبعض الخواص من تجار مثل ما فعل عام 1081 مع محمد بن علي الرسموكي، وفي هذا الظرف بالذات تأسس بأگادير مركز تجاري فرنسي لم يكتب له الاستمرار، ويظهر أن استبداد الرؤساء المحليين بمنفعة هذا المرسى قد تجدد في الفترة التالية لوفاة السلطان مولاي إسماعيل أي ما بين 1727 و1757 وفيها ضرب أگادير زلزال هدم جزءا منها سنة

1731 (*Hespéris - Tamuda* 1961, 2 - 3 , 270) ومع هذه الوضعية تجدد اهتمام الأوروبيين بالتجارة في مرسى أگادير فبادر الهولانديون بإقامة محاسبة هناك عام 1743، وحاول الدانماركيون سنة 1755 احتلال أگادير وبناء حصن لهم في تلك المنطقة فاعترض السكان على عملهم، غير أن الأمير سيدي محمد بن عبد الله توجه إلى سوس سنة 1169 / 1756 وقضى على تلك المحاولات. وفي سياقها قبض على شخص عرف بالطالب صالح المجاطي كان "مستوليا على أگادير مستبدا بمال مرساه" فسجنه ورتب حامية بأگادير ورجع لمراكش منصورا (*الإتحاف*، 3 : 152). وكان والده السلطان مولاي عبد الله قد حاول فتح أگادير فأغلقها دونه الطالب صالح ورماه بالأنفاض، مع العلم أن الضعيف (ص. 135) يذكر أن عبيد البخاري دخلوها بالسيف عام 1153 وأخذوا كل ما فيها.

ولعل النشاط التجاري بأگادير لم يثر سخط المخزن على محتجني الفوائد وكفى، بل خلق على ما يبدو جوا من العداء حول ذلك المركز منظورا إليه من القبائل السوسية، وذلك ما يفسر تصرف عبد الله ومحمد الگرسيفي الذي ثار عام 1174 / 1761 ودخل أگادير بالسيف عنوة وأوقع بأهلها وقعة هائلة، نزل على معاطنهم في بونت تحت سيدي بوقنادل حتى مات الجل منهم بالعطش بالمساجد والدور وأمر الثائر بإعلان النداء في الجبال السوسية وقبائلها بالحث على جهاد أهل أگادير ويقول : إن ثلثهم نصارى وثلثهم يهود وثلثهم عصاة حطب جهنم (*الإتحاف*، 5 : 444). فقد وردت إشارة مكتوبة تفيد أن ما تحصل للمخزن من فوائد الجباية في شهرين فقط أي ربيع الثاني وجمادى الأولى عام 1179 / 1766 كان خمسمائة مثقال وثلاثة وستين مثقالا وثماني أواق ونصفا "بذمة جموع أهل الذمة بأگادير" (*الإتحاف*، 3 : 252).

ولم تمض سوى سبع سنوات على هذا التاريخ حتى قرر السلطان محمد بن عبد الله تأسيس مرسى الصويرة عام 1188 / 1774 وجلب التجار إليها واغلاق مرسى أگادير أمام المتاجرة مع الأجانب لأن ذلك الحصن "كانت تتداوله الثوار مثل الطالب صالح وغيره ويسرحون وسق السلع منه افتياتا ويستبدون بأرباحها فرأى (السلطان) أن حسم تلك المادة لا يتأتى إلا بإحداث مرسى آخر أقرب إلى تلك الناحية، وأدخل في وسط المملكة من أگادير حتى تتعطل على أولئك الثوار منفعته فلا يتشوف أحد إليه" (*الاستقصا*، 8: 20 ؛ *الإتحاف*، 3 : 331) وإذا كان تأسيس الصويرة قد أدى إلى شلل نشاط أگادير بقرار المخزن، فإنه أدى كذلك إلى توقيف تجارة الأسلحة في سوس مع ما كان لها من العواقب، كما أجبر قوافل التجارة الصحراوية على الوصول إلى مراكش (De Brisson, *Histoire*, 170) .

وقد ثبت أن مرسى أگادير مرسى ضروري يتجدد دوره، فها هو في أوائل عهد المولى سليمان ينشط من جديد حيث كانت توسق منه الحبوب إلى أروبا في السنوات الموالية للثورة الفرنسية 1211 / 1796 (*الضعيف*، 274) وقد كان العامل في تلك المدينة على هذا العهد السليماني هو مولاي عبد الملك الزيزون، وقد وفد على عمه السلطان بهدية كبيرة من جنس ما كان يتداول هناك : العبيد والإماء والنحاس والبغال، وتجددت إزاءه لدى السلطان مخاوف الاستبداد، سيما وأن الزيزون كان قد منع المولى اليزيد من دخول تارودانت، ولذلك منع المولى سليمان ذلك العامل من الرجوع إلى مقره وأرسله إلى فاس وأرسل إلى أگادير من جاء بما فيها من ماله وغيره، وذلك عام 1212 / 1797، فتوطدت سلطة المخزن عند أهل أگادير. ومما يدل على ذلك استنفار المولى سليمان أهل أگادير للمشاركة في حركة قتال أمهاوش عام 1214 / 1799. ثم إن هذا السلطان اهتم بأگادير فأمر بإعادة بنائها وجدد حاميتها حيث رحّل من الصويرة البعض من عبيد بني عنتر ليسكنوا بأگادير وكانت موضعهم القديم، كانوا طبجية فيها فنقلوا إلى الصويرة ونقل غيرهم لحماية مرساها. (*الضعيف*، 343) وقد جرى ذلك في جو من التوتر بين المغرب وبين القراصنة من الأروبيين، وكانت الإشاعات تتردد بأن النصارى سيداهمون السواحل، فأمر السلطان بحماية المراسي ومنها أگادير التي سمع في 21 ربيع الأول عام 1223 / 29 / 5 / 1807 أن النصارى نزلوا قريبا منها بتماراغت فكان الخبر غير صحيح.

ومنذ ذلك العهد وأگادير مركز للسلطة المخزنية، فقد كان حاكمها الحاج العربي الگسيمي نائبا عن عبلا بن عبد الملك الحاحي المستولي على سوس في عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام، ثم تولاها القائد حميدة والقائد بومهدي (*المعسول*، 141، 149) وقد ظل مرساها مغلقا في وجه التجارة الأجنبية في هذا العهد الرحماني وإن ظلت حاميتها تتوصل بالعدة اللازمة. ولكن المعاهدة الخطيرة بين المغرب وإنجلترا سنة 1273 / 1856 نصت في شرطها الثاني عشر على أن شروطها الجارية ستشمل مراسي أخرى مثل مهدية وأگادير إذا فتحت في المستقبل (*الاتحاف*، 5 : 192).

وعندما تولى السلطان المولى الحسن كتب إلى قائد الصويرة الحاج عمارة بن عبد الصادق بتاريخ فاتح صفر 1293 / 27 يناير 1876 يأمره بتحديد إدالة ثغر أگادير من الجيش الصويري وإرسالها إلى خديم السلطان بأگادير الحاج عمر بن سعيد المتوگي بعد اختيار أفرادها من أهل النجدة المسلحين بالعدة الصحيحة (*الوثائق*، 450)، ولقد نفذت أوامر السلطان ببعث إدالة من ستين رجلا فيهم عشرة من المدفعيين، وكان من شأن هذه الإدالة المجددة أن يتقوى بها حضور المخزن بأگادير ممثلا في عمال وأمناء من أمثال القائد أحمد الگسيمي المشرف على مستفاد أگادير منذ توليته على قبيلته بعد رحلة مولاي الحسن إلى سوس عام 1299 / 1882، ثم عبد الرحمان بن علي الراشدي الذي نازع أبوه وهو عامل تارودانت القائد الگسيمي في مهمته (1891) ثم الأمين عبد الهادي بنونة ما بين 1892 و 1893.

واستطاع القائد الگسيمي من جديد استرجاع نفوذه إلى أگادير إلى أن خلفه القائد سعيد الگيلولي ابتداء من سنة 1314 / 1897، وكان يولي عليها أصحابها الحاحيين إلى أن خلفه أنفلوس (أفا، *الأبعاد التاريخية*، 5) وقد خرجت أگادير سالمة من إعصار الأطماع الأجنبية بفضل هذه اليقظة المخزنية وتعبئة أهلها، ذلك أنها ظلت تعتبر مركزا استراتيجيا تمر منه تجارة السودان مع الشمال المغربي، ولذلك اختلقت الدعاوي المتباينة الوجود لاستحواذ هذا الطرف الاستعماري أو ذاك على منفذ بحري للتجارة في جهات سوس. ومن حلقات هذه الأطماع زوبعة الدبلوماسيين الفرنسيين والإسبانيين على إثر قيام التاجر الإنجليزي ماكنسي بجهات طرفاية، فصار الآخرون يطالبون بمرسى في تلك الجهات، ومن ملف هذه القضية رسالة السلطان مولاي الحسن إلى نائبه في طنجة محمد برگاش وجاء فيها :«وإن ذكروا لك أگادير فأعلمهم بأن أگادير دشرة على حجرة ملتفة بالغابة وسط قبيلة إداوتنان وهم جبالة لا تنالهم الأحكام ولا يحصل لهم به الغرض لأن حكمه حكم الصويرة، والمقصود عندهم أن يكون المحل وسط سوس [...] وأظن أن صورة أگادير لا تخفاهم من الكارطة» (*الاتحاف*، 2 : 335).

إن التقليل من أهمية أگادير يقصد به المخزن دفع أطماع الأجانب بينما لم يكن يتردد هو في فتح مرساها إذا دعت الضرورة المحلية أو الوطنية. من ذلك ما أقر به السلطان مولاي الحسن عام 1300 / 1883 من جلب الأقوات إليها على يد التجار الأجانب لأن أهل سوس احتاجوا إليها لما أضر بهم من فاقة، ولكن المخزن حرص على أن يلتزم التجار المستوردون بأداء حقوق الجمارك (الأعشار) بمدينة الصويرة «لا بأگدير حيث لا موازين بها ولا ديوانة للتعشير» (*الإعلام*، 2 : 395). وقد تخوف المخزن مع ذلك من إعطاب السفن في هذا المرسى أو من مدّ يد النهب في متاع التجار، لذلك كتب السلطان إلى محمد العربي الأدوزي بتاريخ 9 رجب 1300 باحتمال إخراج البضائع من جهة أخرى غير مرسى أگادير.

وقد ترتب عن تعطيل مرسى أگادير أن صارت تابعة في حكمها للقواد الحاحيين النكتافيين ثم الگيلوليين في العهد العزيزي، وكانوا يولون عليها من ينوب عنهم في حكمها، وكان هؤلاء من أتباع الشيخ علي الدرقاوي وكان هذا الأخير «يلم بأگادير ويوصي تلميذه الحاج الحسن الگيلولي [...] بأن يتعهد المدافع الموجهة إلى البحر (*المعسول*، 1 : 304) وهذا مصداق التخوفات المشتركة على مصير تلك المنطقة الجنوبية التي ظلت محاطة بهالة من الأساطير في أذهان المغامرين من طلاب الثورة. وفي هذا السياق قامت مجموعة مانسمان Mannesman بتنقيبات عن المعادن في سوس، وتدخلت حكومة ألمانيا لحماية مصالحها بالمنطقة عندما أرسلت البارجة Pantho إلى مياه أگادير سنة 1911 فأسفر هذا الضغط بين المستعمرين عن تخلي فرنسا لألمانيا عن جزء من مستعمراتها في الكونغو يُضم إلى مستعمرة ألمانيا في الكامرون. وقد شهدت أگادير في المدة السابقة عن الحماية صعود أحمد الهيبة وتعيين نائب له في أگادير، وقد كانت بارجة فرنسية تراقب رحلته، ولما بلغ أگادير أرسلت قنابرها على هذه المدينة ومات من جراء ذلك صبيان فأرسل الهيبة أربعمائة فارس لمنع نزول الجيش الفرنسي، ولربما كان في ذلك رادع للباخرة فرجعت، وكان الفقيه عابد التغريسني ذا نفوذ في المنطقة وقائما بدعوة الهيبة، كما كان رئيس گسيمة المجاورة لأگادير محمد بن عبد الرحمان بن الحاج العربي مؤيدا للهيبة كذلك، ولكن انهزام هذا الأخير قرب مراكش أدى إلى انقلاب الموازين بمنطقة أگادير، وقام محمد بن الحاج الحسن الگسيمي من أسرة الرئيس المذكور بوصل حبله بالفرنسيين.

وفي 15 قعدة 1331 / 16 أكتوبر 1913 ضربت البواخر الفرنسية منطقة أگادير وحطمت أبراج دار الشيخ محمد بن عبد الرحمان الگسيمي الموالي للهيبة، ففر إلى إداوتنان ودخل داره بانزگان ابن عمه محمد بن الحسن المذكور وصار قائدا في گسيمة ثم باشا أگادير، وشرع تحت حماية الاستعمار في مسلسل الإرهاب والفتك والاغتيال الذي ذهب ضحيته مئات الأبرياء، وقد عزل هذا الطاغية عام 1341 / 1925 ونُفي إلى البيضاء، وعين أخوه عبد المالك مكانه (*المعسول*، 14 : 191) ومات بعد مدة غير طويلة. ثم تولى قيادة گسيمة محمد بن الحسن أحشوش الإرحالي، وتولى الحسن بن إبراهيم التامري باشوية أگادير من عهد عبد الملك، وهو الذي طالب بنفي القائد محمد الگسيمي المعزول، وتوفي التامري عام 1362 / 1943.

وفي عهد الاستعمار دخلت أگادير عهدا من الركود لمدة أربع عشرة سنة، إذ كانت منطقة عسكرية بالدرجة الأولى، لأن قبائل سوس لم يسلس قيادها للمستعمرين، فظلت أگادير تحت المراقبة الشديدة ولم يرخص فيها بالمعاملات التجارية إلا في عام 1927. ويتمثل هذا الركود في عدد سكانها الذي لم يكن في عام 1913، عام الاحتلال يتعدى 760 نسمة موزعين بين حي فونتي وحي القصبة، وكان من بين هؤلاء 160 من اليهود. وبعد 1930 بدأ النشاط يدب في قطاعي النقل والصيد المحلي، ثم تكاثر صغار البورجوازيين من التجار أو موظفي الحماية ممن تطلبت حاجاتهم إنشاء مدينة صغيرة (تالبرجت) حيث بلغ عدد سكانها حوالي سبعة آلاف نسمة قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية، وبعد الحرب ازدهرت صناعة تصبير السمك حتى صار فيها عام 1950 من الصيادين الأهالي ما يقدر عددهم بـ 1500 إضافة إلى حوالي 300 من الإسبانيين والبرتغاليين، ويبلغ عدد الأيدي العاملة ثمانية آلاف من العمال والعاملات، وقد هاجر معظمهم من قبائل الساحل ما بين الصويرة وإفني ومن وادي سوس.

وكان الانصهار بين هذه العناصر ما يزال في بدايته عند منتصف القرن، وكانت تواجه المدينة مشكلتان على الخصوص، تتعلق أولاهما بالتنظيم المهني للبحارين الذين كانوا في وضعية ممتازة بالنسبة لغيرهم من حيث الموارد، وتتمثل الثانية في وجود عدة آلاف من النساء اللاتي غادرن أسرهن وقبائلهن، ولا سيما من قبائل العرب الرحل ودخلن فجأة في مغامرة الحياة البروليتارية (Montagne, *Naissance*, 143) ومع ذلك فقد عرفت المدينة فترة ازدهار ما بين 1947 و1954، وفيها تم خلال عام 1953 بناء المرسى، وبذلك تجدد المرسى العصري الأول الذي يرجع إلى عام 1919.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الضعيف، *التاريخ* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 6، 7، 8، 9 ؛ ع. ابن زيدان، *الاتحاف*، 5 أجزاء ؛ م. السوسي، *المعسول*، 20 جزء ؛ أ. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، الوثائق ؛ ع. أفا، *الأبعاد التاريخية لاقتصاد أكادير في القرن التاسع عشر*، في ندوة أكادير الكبرى كلية الآداب أكادير 1986.

L. Massignon, *Le Maroc au début de XVI siècle* ; P. Ricard, *Le Maroc guide bleu* ; R. Montagne, *Naissance du Prolétariat au Maroc* ; G. Camps, *Agadir*, dans *Encyclopédie Berbère*, T. II.

أحمد التوفيق

أكادير، إقليم له موقع جغرافي متميز، يمثل صلة وصل بين شمال المغرب وجنوبه، تلتقي عنده الطرق الرئيسية القادمة من الأقاليم الشمالية (الطرق القادمة من الصويرة ومن مراكش)، وتنطلق منه الطريق الكبرى المؤدية إلى الأقاليم الصحراوية.

وهو يضم رغم صغره (5910 كلم2) ـ أجزاء من ثلاث وحدات تضاريسية شديدة الاختلاف لكن أساسية في جنوب المغرب، هي الأطلس الكبير الغربي شمالا، والأطلس الصغير جنوبا، وسهل سوس ـ شتوكة في الجهة الوسطى. والوحدة السهلية تمثل المجال النامي والنشيط داخل الإقليم، باعتبارها في نفس الوقت مكان التقاء واتصال ومجال نمو الزراعة العصرية وامتداد المدن الكبرى من الناحية الإدارية. تعتبر الحدود الحالية حديثة العهد، حيث تم تقليص مساحة الإقليم سنة 1982، ليمتد على مجال ضيق لا يتعدى 5910 كلم مربع، يشمل الوحدات الطبغرافية التالية.

ـ شمالا الجزء الجنوبي من هضبة إداوتانان، المتميزة هنا بتموج واضح للسطح، وتحد هذه الهضبة شرقا حافة منعرجة هي عبارة عن كويسطا مشكلة في الصخور الكلسية الجوراسية ـ الطباشرية، والصخور الطينية التريباسية الرطبة. كما تحد المرتفعات نحو الجنوب الغربي حافة انثناء وانكسار خطية، تعتبر الجزء الغربي من الحادث الجنوب ـ أطلسي. وهذه الحافة نشيطة تمثلت حركيتها في الزلزال العنيف الذي ضرب مدينة أكادير سنة 1960، وخربها كليا.

ـ في الجنوب الشرقي تمتد الهضاب الكربوناتية التي تمثل الحاشية الرسوبية الأولية لكتلة الأطلس الصغير. وتمتد الهضاب المستوية شمال وغرب أيت بها. بينما يبدأ المجال الجبلي المتكتل جنوب هذا المركز، مشكلا في صخور قبلكمبرية تغلب فيها السحنة البركانية المتصلبة

ـ بين الأطلسين ينفتح سهل سوس على المحيط الأطلنتي، ويمتد جنوبا في سهل شتوكة في اتجاه منخفض تزنيت. هذا السهل يصرفه نهر سوس شمالا، وواد ماسة جنوبا. ويمتد فيه على مقربة من الساحل مجال كثباني، رماله متحركة شمالا على مقربة من مجرى سوس، ومستقرة جنوبا وخاصة على ضفتي واد ماسة. في هذه المنطقة السهلية توجد أجود الأراضي وأوسعها. كما تتوفر ثروات مائية متنوعة، تتمثل في نهري سوس وماسة، في مياه المسيلات النازلة من الأطلسين، وفي مياه الفرشة الباطنية، المتوفرة داخل المواد الغرينية المتراكمة في هاته المنخفضات المتهدلة.

أما قبل 1982 فقد كان إقليم أگادير أكثر امتدادا. مساحته أصلا، كانت تبلغ حوالي 50.000 كلم مربع غداة الاستقلال، إذ كان يشتمل على أربع دوائر هي : گولمين وإنزگان وتارودانت وتزنيت. ثم صار على إثر استرجاع منطقة إفني يضم دائرة إضافية ويمتد على مساحة 53.000 كلم مربع، يقطنها حوالي 1.2 مليون نسمة حسب إحصاء 1971. وبعد 1974، انفصلت عن هذا الإقليم الكبير، ثلاثة أقاليم هي من الشمال إلى الجنوب، تارودانت، تزنيت وگولمين، فتقلصت مساحته بالتدرج إلى 18.855، ثم 17.460 وأخيرا 5910 كلم مربع.

لكن تقلص المساحة، لم يرافقه تناقص موازٍ في عدد السكان وكثافتهم. ففي الوقت الذي أصبحت فيه المساحة الحالية لا تمثل إلا 11٪ من المساحة الأصلية، لم يتضاءل عدد السكان بنفس القدر، بل نجد السبعين ألف نسمة الحالية (حسب تقديرات مديرية الإحصاء) تمثل 55٪ من عدد السكان الذين تم إحصاؤهم في إقليم أگادير الكبير سنة 1971. أما الكثافة فقد عرفت عكس ذلك ارتفاعا مطردا، إذ مرت من 22 ن / كلم مربع سنة 1971 إلى 110 حاليا. ويمكن تفسير هذا التناقض بين تقلص مساحة الإقليم من جهة وتزايد كثافة السكان من جهة ثانية باعتبار عاملين، أولهما الزيادة الطبيعية للساكنة، وثانيهما الكثافة الخاصة للسكان في الجماعات القروية من مدينة أگادير، وعلى الخصوص الجماعات السهلية.

يضم الإقليم حاليا دائرتين فقط، الأولى شمالية وتغطي أطلس إموزار إداوتانان وسفحه الجنوبي وضفتي نهر سوس (دائرة إنزگان) والثانية جنوبية، تشمل الأطلس الصغير الشمالي الغربي وسهل بويگرة وشتوكة (دائرة بويگرة). كما يحتوي على بلديتين (أگادير وإنزگان) وعلى 19 جماعة قروية في بعضها مراكز حضرية، أهمها المراكز التي تمثل حاليا أحياء هامشية بالنسبة لأگادير، وتدخل ضمن المجموعة الحضرية الكبرى أگادير إنزگان (انظر الخريطة والجدول).

يشمل الإقليم مجالات فلاحية غنية يمتد أهمها في السهل، بل الجبال نفسها كثيفة السكن والاستغلال رغم ضآلة الإمكانيات وقلة الثروات. فالهضاب الأطلسية المتموجة مجال فلاحة تقليدية معاشية أصيلة، تعتمد على الشعير وعلى تربية الماشية وخاصة الماعز، كقطاع تكميلي. إلا أن قلة الإمكانيات جعلت السكان يهاجرون بصفة منتظمة، نحو المدن من جهة وخارج الوطن من جهة ثانية. إلا أن هذه الهجرة لم ينتج عنها ركود الأرياف، بل بالعكس، سمحت العائدات المالية المستثمرة محليا بإعادة تحريك النشاط الفلاحي في المنطقة.

إقليم اكادير

حاليا، هذه الأنشطة التقليدية الجبلية مهددة بالتراجع بسبب منافسة القطاع السقوي. وهذه الزراعة العصرية السهلية متجهة أساسا نحو إنتاج مواد للتصدير، تطغى من بينها الخضر البواكر والفواكه في قطاعي سوس وماسة.

إلا أن مشكل الماء مطروح بحدة، خاصة وأن القسط الأوفر من مياه قدم الجبل ومياه سد واد إسن، صار مخصصا لتغذية المدن بالماء الشروب. من جهة أخرى تعرف المنطقة السهلية خطر التصحر، على إثر تمديد القطاع الفلاحي في مجالات تربتها هشة رملية، خاصة في المجال القرب ساحلي وعلى هوامش غابة أدميم. ذلك أن الاجتثاث يؤدي إلى إعادة تحريك كثبان كانت مستقرة. فينتج عن ذلك تعقيم مساحات كانت مخضرة.

في نمو الفلاحة وتنويعها يكمن إذن السر في الحفاظ على ساكنة ريفية هامة، كثافتها الفعلية تقدر بستين نسمة في الكيلومتر المربع.

لكن هذا لم يمنع المدن من اكتساب حجم هام ونمو سريع، يتضح في النسبة المرتفعة للساكنة الحضرية داخل الإقليم (46.5 ٪). هذا التمدن الهام ليس دليلا على تقدم كبير في الأنشطة الحضرية، رغم تنوعها (أنشطة إدارية ـ تجارية ـ سياحية) بل ناتج أساسا عن أهمية الهجرة القروية من الأقاليم المجاورة الأطلسية والصحراوية، إلى مدينة أكادير وضواحيها أي إلى المركز الحضري الهام في المنطقة. مدينة أكادير الكبرى، أي باعتبار المراكز الحضرية المجاورة، لم تكن تضم سنة 1960 سوى 23.612 نسمة، بينما تقترب هذه القيمة الآن من 250.00 نسمة، الشيء الذي يعني نموا سريعا جدا، يتعدى بكثير مقدار التزايد المتوسط في مختلف أنحاء المغرب. فبين 1971 و 1982، تضاعفت الساكنة الحضرية لمجموع إقليم أكادير 2.4 مرات، في حين أن الساكنة القروية لم تنم إلا بحوالي 15٪ في نفس المدة.

جل الأنشطة غير الفلاحية مركزة في أكادير وضواحيها (انظر المقال الخاص بمدينة أكادير)، وتمتاز بشدة التنوع بسبب موقع المدينة على الساحل (صيد بحري ـ ميناء تجاري ـ سياحة دولية جد نامية يفسرها الاعتدال الواضح لطقس الشتاء وامتداد الشواطئ الرملية) وقرب مجال فلاحي غني (صناعات غذائية متعددة) وعند نقطة اتصال مناطق متنوعة (أهمية القطاع التجاري). كما أن المدينة تحتوي على تجهيزات أساسية للتنمية (ميناء في طريق التوسع ـ مطار دولي هام) وتعتبر نقطة التقاء طرق هامة من البيضاء والسهول الأطلسية الداخلية، ومن الأقاليم الصحراوية. وهي إلى ذلك نقطة تركيز رؤوس أموال مزارعي وتجار المنطقة، الشيء الذي يفسر نمو قطاع التجهيز والاستثمار.

إقليم أكادير إقليم حي، يعرف نشاطا هاما وتطورات سريعة، لكن لا تخلو من جوانب سلبية أكيدة. بعض الإشكالات تطرح على المستوى العام، منها :

ـ السرعة الخاصة لحركة التمدن والتضخم المطرد لمجموعة أكادير الكبرى، على حساب البوادي التي تعرف حركة هجرة سريعة.

ـ غلبة أنشطة القطاع الثالث (خدمات ـ سياحة ـ تبادل) بينما القطاع الصناعي يبقى مرتبطا أساسا بالمنتجات الزراعية ومواد الصيد البحري.

ويعرف الإقليم إلى جانب ذلك إشكالات تخص المناطق الجافة، أهمها :

ـ تنافس المدينة والأرياف على الثروات المائية القليلة مما يؤدي إلى تضاؤل هذه الثروات ويهدد بقيام مشاكل لا تحصى، تخص بالدرجة الأولى القطاع الفلاحي، ذلك أن الوسائل العصرية للضخ وتهافت المزارعين على الفرشة المائية الباطنية، جعل هاته تشح تدريجيا وتهدد عدة قطاعات سقوية بالانقراض.

ـ تدهور الظروف البيئية بسبب سوء السلوك البشري في المجالات الهشة، والشديدة الحساسية، والمعرضة بسرعة للإتلاف إذا تعرضت لسلوك غير لائق. ويهدد التدهور حاليا المجالات الرملية الكثبانية التي تعتبر تركات لمراحل رباعية أجف من الحالي، استعمرتها النباتات، ويقوم الإنسان حاليا باجتثاثها.

إقليم أكادير
سكان الأرياف

المساحة القروية	مساحة	احصاء 1960	1971	1982
أيت بهـا	93,7	4904	5704	4519
بيوگـرة	516,8	21750	29221	35653
احد أيت بلفاع	404,3	20043	24866	30539
احد تارگانتوشكة	186,2	11863	12066	11709
ايمي احد تاسكدلت	392,5	10338	11910	11812
انشـادن	240.6	11671	14272	19296
خميس اداوگنضيف	237	6702	6932	5294
مـاسـة	331,8	10536	13987	12813
سيدي بيبـي	355,6	16438	20820	28318
سيدي بوعـز	109,3	4748	4945	4484
ثـانـالـت	195	11739	11068	10594
اثنين أيت واد. ريم	425	12250	15169	16123
مجموع دائرة بيوگرة	-	-	-	191154

أيت ملول	167,5	24371	22013	28780
أقصري	506,2	8161	9789	11049
اموزار اداوتانان	380	18500	9898	9982
اسـك	680	13803	15195	17619
التامري	500	14135	19146	23046
تمسية	128,1	9478	13419	18696
تكوين	341,8	8879	25029	33555
مجموع دائرة انرگان	-	-	-	142727
مجموع الإقليم			285449	333881

إقليم أكادير
السكان الحضريون

بلدية أكادير	16695	61192	110479
بلدية انزگان	6917	11495	17952
مركز الدشيرة	-	16077	39760
مركز تراست	-	-	19919
مركز أيت ملول	-	1989	17712
مركز ابن سارگاو	-	6621	13517
مركز الجرف	-	-	7188
مجموع أگادير الكبرى	-	-	226527

مركز أيت بها	-	-	1931
مركز بيوگرة	-	-	2974
مركز ماسة	-	-	6037
مركز تكوين	-	-	8391
مجموع السكان الحضريين	-	101374	245360

المركز	1971	1982
بلدية أگادير	61192	110479
ابن سرگاو	6621	13517
الدشيرة	16077	39760
إنزگان	11495	17952
الجرف	3105	7188
تراست	1809	19919
تكوين	2943	8391
أيت ملول	5989	17712
مجموع الضاحية	48039	124439
مجموع أگادير الكبير	109231	234918

عبد الله العوينة

أگادير أكليد ← تاقجيجت
أگادير ملولن ← تارودانت (إقليم ـ)

أكاديمية المملكة المغربية، أنشئت في الخامس من جمادى الثانية عام 1400 / 21 أبريل 1980 بمبادرة من جلالة الملك الحسن الثاني، وكان قد صدر ظهير شريف بمثابة قانون بتاريخ 24 شوال 1397 (8 أكتوبر 1977) أحدثت بموجبه الأكاديمية، ويتضمن الأحكام المتعلقة بأغراضها وهياكلها ونظامها الأساسي وتدبيرها المادي. ومن قراءة عامة لهذا الظهير يتبين أن دواعي تأسيس الأكاديمية تتجلى في الإشارة إلى النهضة الفكرية التي تعرفها المملكة المغربية، والمهام التي على المغرب القيام بها اعتبارا لموقعه الجغرافي كنقطة التقاء استراتيجية، وتكاثر القضايا التي تواجهها الإنسانية مما يتطلب حوارا فكريا متعدد الأصوات والاختصاصات على أعلى مستوى.

هكذا يحدد الظهير أهداف الأكاديمية في :

- "تشجيع تنمية البحث والاستقصاء في أهم ميادين النشاط الفكري : علم العقائد والفلسفة والأخلاق والقانون ومناهج الحكم والتاريخ والآداب والفنون الجميلة والرياضيات والعلوم التجريبية وغير التجريبية والإدارة والاقتصاد والصناعة والتعمير والتقنيات التطبيقية".
- " العمل على إفراز تكافل مستمر بين هذه النشاطات في دائرة احترام القيم الأخلاقية والروحية الأساسية".
- "السهر، بتعاون مع الهيآت المختصة في الميدان المقصود، على حسن استعمال اللغة العربية بالمغرب وعلى إتقان الترجمة من اللغة العربية وإليها، وإبداء الآراء السديدة في هذا الموضوع".

توضيحا لهذه الأهداف تعرض خطاب افتتاح الأكاديمية الذي ألقاه جلالة الملك الحسن الثاني لما سيعهد به لهذه المؤسسة الملكية من مهام على رأسها :

- " الإسهام المنشود في تألق الفكر وازدهار العرفان والتقارب بين الأفراد والشعوب، والتفاهم المفضي إلى سعادة الإنسان".

- " احتضان رجال يفدون من آفاق متباينة وينتمون إلى أجناس مختلفة وينتسبون إلى ثقافات وحضارات متغايرة، ويمتازون كلهم بالصيت البعيد، والشهرة الواسعة، والتجربة الوافرة، والحكمة البالغة".

- أن تكون المؤسسة "مستراد" فسيحا تتظافر في رحابه جهود سامية، لا للتباحث والتداول في شؤون فكرية وعلمية فحسب، ولكن لإيجاد ذلك التقارب وذلك التفاهم الخليقين بالاتساع والامتداد".

تحتضن الأكاديمية في رحابها 66 عضواً (30 عضواً مقيماً و 32 عضواً مشاركاً و4 أعضاء مراسلين)، وتتمثل أهم هياكلها في التالي :

- المكتب، ويتكون من أمين السر الدائم وأمين السر المساعد ومدير الجسات.
- اللجنة الإدارية (وهي لجنة تنظيمية ومالية).
- لجنة الأعمال (وهي لجنة علمية).

- يمكن للأكاديمية أن تشكل لجانا مختصة دائمة أو ظرفية، وهكذا تم تمثيل اللجان التالية : لجنة التراث، لجنة اللغة العربية، لجنة القيم الروحية والفكرية، لجنة التربية والعلوم والتكنولوجيا، لجنة المطبوعات.

تعقد أكاديمية المملكة المغربية دورتين في السنة على الأقل (أبريل ونوفمبر)، داخل التراب الوطني أو خارجه، ويشهد مقر الأكاديمية اجتماعات قارة في جلسات عادية أيام الخميس (مرتين في الشهر)، تلقى خلالها بالإضافة إلى المداولات التنظيمية أحاديث يعرض فيها الأعضاء تقييمهم للكتب الصادرة أو مشاريع الأبحاث التي تأخذ باهتمامهم أو المؤتمرات العلمية التي يحضرونها، كما تعقد اللجان اجتماعات دورية (مرتين في الشهر) وتنظم الأكاديمية محاضرات عمومية وأياما دراسية مختصة.

تصدر الأكاديمية مطبوعات تنتظم في أربع سلاسل صدر منها حتى نهاية 1988 إثنى عشر كتابا في سلسلة "الدورات" وأربعة في سلسلة "التراث" و ثلاثة في سلسلة "الندوات والمحاضرات".

إضافة إلى عدد افتتاحي وأربعة أعداد من مجلة الأكاديمية.

ظهير شريف بمثابة قانون رقم 229 . 77 . 1 في 24 شوال 1397 / 8 أكتوبر 1977. *العدد الافتتاحي لمجلة الأكاديمية.*

مصطفى القباج

إگاسّاس، يرجح أن يكون معناه، بني مجروح أو المجروحين. وورد اسم مكان شرقي تطوان قريبا من الساحل، كان بأرض بني نائل.

البيذق، 93.

أحمد الترفيق

أكاوْس، تكشف إحدى الوثائق الإسبانية لسنة 1499 عن وجود قصبة أكاوْس بجانب قصبة تگاوست وتسگنان جنوب الأطلس الصغير. ومعلوم أن موقع گليميم حوالي 8 كلمترات شرق هذه القصبات قد أهلها ابتداءً من نهاية القرن السابع عشر للحلول محل تگاوست كعاصمة اقتصادية لمنطقة وادي نون، ندرك من هنا لماذا أخذ المدشر الحالي الواقع على مقربة من أنقاض تگاوست وتسگنان اسم القصابي. تعتبر هذه الوثيقة التاريخية معاهدة سياسية تتعهد بموجبها إسبانيا بحماية قرى ومداشر وادي نون وإفني وإفران وتمنارت بطلب من شيوخ قبيلة بني عامر الأعرابية. وقد ترجمها إلى الفرنسية الباحثان الفرنسيان P. De. Ceniva و F. C. De. La Chapelle سنة 1935. وإذا كان أگاوس هو مذكر تگاوست، فإن معجم الصنهاجية الموريتانية يوضح بأن معنى التسمية هو الكثيب الممتد (Colin : 294). على أننا نجهل علاقة التسميتين بأگا التي تفيد الأداة المستعملة في استخراج الماء. كما أنه يصعب ربطها بفعل آوگس الذي يعني التوجه نحو الجنوب (Colin : 318). مهما يكن فإن الجهل التام بتاريخ هذه القصبات يقتضي كما نرى البحث الميداني والأركيولوجي.

لقد لعبت هذه القصبات وخاصة منها تگاوست ذات الحجم العمراني والاقتصادي الكبير، دوراً أساسياً في تقوية المبادلات بين المناطق المحيطة والمد المسيحي على شواطئ المنطقة. هذا ما تفيده العلاقات القرابية والسياسية بين شيوخ القصبات الثلاث. فعلاوة على انتمائهم إلى نفس القبيلة كان محمد بن أحمد شيخ أگاوس صهر كل من محمد ميمون شيخ تگاوست وعلي بن أينو شيخ تسگنان. كما أن قصبة أگاوس كانت تحتضن مقر المقيم العام الإسباني على جزر كناريا. وقد تميز شيخ أگاوس بمعرفته اللغة الإسبانية مضيفا بذلك إلى حجم علاقته التحالفية مع حاميه وحامي قبيلته. على أن المنحنى الإسطوغرافي للوثيقة يميز شيوخ هذه القصبات الثلاث عن باقي شيوخ القبيلة بالاستقرار والمراقبة الفعلية. وهو بعد دلالي يؤكد الاختلاف البين مع الغور الأمازيغي في المواقف إزاء إسبانيا، ويكشف عن عدم استقرار باقي الشيوخ الأعراب داخل المداشر. فمن خلال الاستعراض والمقارنة لبنود المعاهدة يتضح أن صراع أولاد عامر مع الغور الأمازيغي صاحب الأرض والمداشر على أشده. وإذا كانت تحالفات أولاد عامر بالإسبان تدل على وحدة المصالح فذلك دليل على أهمية الاستراتيجية العسكرية في مراقبة المنطقة سياسيا وتجاريا. واعتبارا للتوجهات الإيبيرية نحو الساحل الأطلسي للصحراء، أصبحت ساعتها تگاوست عاصمة المنطقة بدلا من تيخمرت العاصمة الأمازيغية لمملكة بوطاطا Vutata (*الصحراء*، 113 . 114). وهي حقيقة ترمز إلى أهمية الخسارة السياسية والعسكرية والتجارية والديمغرافية التي كان يعاني منها يومئذ الغور الصنهاجي المحلي. فالمعاهدة الحمائية تقتضي في جوهرها توزيع الامتيازات بين الحامين والمحميين في وقت انجرفت فيه التيارات التجارية بفعل الغزو الإسباني والمعقلي المتواصل على المداشر. نتبين بذلك طبيعة الصراع مع الغور الأمازيغي المتزعم للحركة الدينية التي لن تلبث أن تلقي بالوجود الإيبيري إلى البحر.

م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة، تاريخ العلاقات التجارية والسياسية*، الرباط، 1988.

P. De. Cenival et F. De. La Chapelle, *Possessions espagnoles sur la côte occidentale d'Afrique : Santa cruz de Mar Pequena et Ifni*, Hespéris, 1935, 2 - 4 trimestres, 19 - 77.

مصطفى ناعمي

أكّبار، لا يمكن الحديث عن العلاقات بين المغرب وبلاد السودان دون الحديث عن القوافل. وكان يُطلق على هذه القافلة الكبرى العابرة للصحراء اسم أكّبارْ. فالقافلة هي الوسيلة الوحيدة والناجعة التي كانت سببا في التحام هاتين المنطقتين، وفي ميلاد وتطور حضارات على تخوم الصحراء، سواء الحضارات التي عرفها المغرب أو التي عرفها السودان الغربي، وهي حضارات تدين بالكثير للتجارة الصحراوية.

مع دخول الجمل واستعماله في الصحراء، ابتداء من القرن الرابع الميلادي، دخلت القارة في مرحلة جديدة من الاتصال، يمكن أن نطلق عليها عصر الجمل. فالحرارة المفرطة والظروف الطبيعية القاسية لم تبق عائقا مع دخول الدابة الجديدة التي تتلاءم مع هذه الظروف.

لا يمكن إرجاع الفضل للجمل، لأن القافلة إنما عرفت تمركزا وأهمية مع وصول الإسلام إلى إفريقيا الشمالية، لأنه كان وراء نقل تقاليد متينة في تجارة القوافل وتنظيمها، وفي حفر الآبار في الصحاري، وفي البحث عن المواد التجارية، وتجاوز الصعاب للوصول إليها، كل ذلك كانت ترافقه قوانين تعكس تصورا متكاملا للمعاملات التجارية، يضاف إلى ذلك ضبط هذه المعاملات عن طريق التوثيق، ووحدة المقاييس والموازين والعملة كلما أمكن ذلك.

هذا التنظيم المحكم والتصور المتكامل كانا وراء البحث عن المواد التجارية في بلاد السودان، خاصة المعدن النفيس، أي الذهب. وهكذا وضعت المعرفة الإسلامية رهن إشارة مناطق غنية لتتكامل من أجل تأسيس القوافل العابرة للصحراء وتطويرها، والتي كانت وراء علاقات تعتبر من أزهى العلاقات في تاريخ البشرية. فالقافلة لم تقتصر على الجانب التجاري بل كانت حافزا للتبادل الثقافي والسياسي.

ولإعطاء نظرة موجزة ومعبرة عن القافلة، هذه الوسيلة التي "دجنت" الصحراء، سنحاول تتبع خطواتها مرحلة مرحلة. سنبدأ من مرحلة الاستعداد للخروج، ثم بطريقة سير القافلة، وتسييرها، ثم المشاكل التي تواجهها أثناء تحركها، وأخيرا سنرى القافلة في مرحلتها الأخيرة أي رجوعها.

الاستعداد : كانت القافلة التجارية المتوجهة للسودان تشكل حدثا، سواء عند انطلاقها أو بعد رجوعها. بالنسبة للمراكز التي تنطلق منها كان الانطلاق يتم من أحد المراكز التجارية الكبرى المتاخمة للصحراء سواء سجلماسة أو گليميم أو توات أو تندوف، وتختلف أهمية المركز والقافلة حسب أهمية المحاور التجارية.

ويسبق الانطلاق استعدادات طويلة ودقيقة، كان يشرف عليها الأعيان من كبار التجار، وممثلي السلطات الدينية أو السياسية. فالرحالة Lenz عندما مر من تندوف في أواخر القرن التاسع عشر لاحظ الأهمية التي يوليها الأعيان لعبور الصحراء لأن الاستعداد لسفره أشرف عليه شيخ المدينة وشريفها معا (*Tamouh*, 32). وهذه المراقبة هي وليدة المخاطر التي ترتبط مع السفر كما أنها وليدة حرص الجميع على إنجاح العملية، لأن خسائرها ستعود بالضرر على المنطقة، يضاف إلى ذلك أن تجارة القوافل كانت من اختصاص كبار التجار.

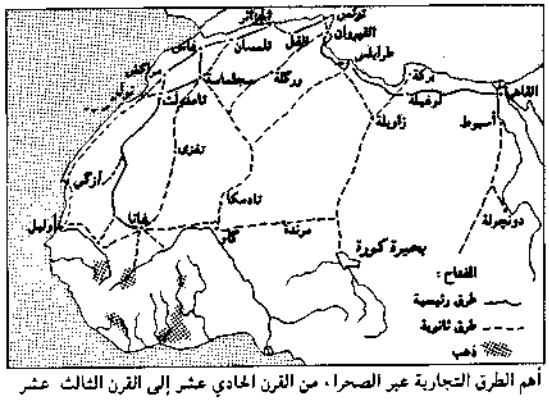

أهم الطرق التجارية عبر الصحراء من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر
(D'après R. Mauny, *Tableau Géographique de l'Ouest Africain au Moyen Age*.)

كان الاستعداد يشمل عدة أشياء منها أولا وسائل المواصلات. وقد كانت المهمة أحيانا من اختصاص التجار، إذ يتكفل كل تاجر بشراء عدد معين من الجمال ويقوم برعيها استعداداً للسفر، كما فعل ابن بطوطة الذي اشترى جماله من سجلماسة (Alaoui, 58). إلا أن هذه المهمة سيتم التراجع عنها تدريجيا في إطار نوع من توزيع العمل بين الرحل والمستقرين، لأننا خلال القرن التاسع عشر نجد قبائل بكاملها تقوم بكراء الجمال، والإشراف على عملية النقل (ص 62 ومايليها : Tamouh) وإلى جانب المواصلات كان التجار يهتمون بإعداد الزاد والماء الذي سيكفيهم لهذه الرحلة الطويلة الشاقة. وقد كان الزاد يشمل المواد القابلة للإدخار. أما بالنسبة للماء فقد كانت تهيأ له الحبال والدلاء وكذلك تطلى القرب بالقطران الذي يحفظ الماء من التبخر، هذا إلى جانب شراء السلع التي ستباع في السودان، وتتمثل أساسا في الملابس والحلي، والبخور، والخزف.

وقد أكدت الحفريات التي قام بها الأستاذ Devisse في أوداغشت أن نصف الخزف الموجود بها أصله من سجلماسة. هذا إلى جانب الخيول ومعدن الفضية، وقد كانت المواد تتغير حسب السوقين السودانية والمغربية وحسب السوق الأوروبية التي تصدر موادها للسودان عبر القوافل العابرة للصحراء Alaoui, *Le Maghrib* ; Tamouh, *Le Maroc et le Soudan* ; Abitbol, *Tombouctou*... وأهم مادة تنقلها القوافل هي الملح الذي كان يؤخذ في الطريق من المملحات خاصة مملحتي تغزي ثم تاودني فيما بعد. وقد كانت

الجمال المخصصة لحمل الملح ترافق القافلة بدون حمولة إلى المملحة. وقد يصل عدد هذه الجمال نصف مجموع القافلة.

يصبح المركز التجاري الذي تنطلق منه القافلة الكبرى أو أكبار، خلال فترة الاستعداد عبارة عن مصب، تصب فيه مجموعة من القوافل الصغرى، التي انطلقت سواء من المراكز الأخرى المتاخمة للصحراء، أو القوافل الآتية من المدن الكبرى، كفاس، أو مراكش والتي تنوي الاتجاه إلى السودان. وهكذا تتجمع أطراف القافلة الكبرى تدريجيا وينهي التجار الأجانب عن المركز استعداداتهم هناك في انتظار خروج القافلة.

التسيير : كانت القافلة تضم عدة آلاف من الجمال، وعدة مئات من المسافرين، من تجار وخدم وسواقين، يقال عنها إنها عبارة عن مدينة متحركة. هذه المدينة المتحركة تقوم بسفر يدوم ما بين ستة أشهر وتسعة أشهر. مما يفترض وجود قوانين وأعراف لضبط تحركها، قد تتغير حسب الظروف، لكنها تفرض نوعا من مركزية القرار لضمان نجاح السفر. لذلك كانت القافلة تضع مصيرها بين يدي الدليل، الذي يشرف على تسيير القافلة وسيرها. وقد أصبحت مهمة قيادة القوافل مهنة من أهم المهن في المراكز التجارية. إلا أن القيام بهذه المهنة كان صعبا، لأن المسؤولية ثقيلة، وبالتالي فشروط اختيار الدليل كثيرة : أولها قيام الدليل بالرحلة عدة مرات واجتيازه الطريق الذي سيسلكه. وهكذا فاختياره يكون من القبائل التي تتحرك في الصحراء كدليل قافلة ابن بطوطة الذي كان ينتمي إلى قبائل مسوفة (Alaoui, 59) ويشترط فيه معرفته الدقيقة بالظروف الطبيعية التي تمر منها الطريق وذلك لتحديد الآبار، أو ترقب العواصف الرملية، وتحرك الكثبان. كما يشترط فيه قدرته على السير والتوجه تبعا للنجوم، أو النباتات، والتربة، (Daumas, 23) هذا إلى جانب حدسه، وسرعة بديهته، وذلك لتفادي الكمائن التي قد ينصبها قطاع الطرق، وللتوجه إلى أماكن الآبار، خاصة المطمورة بالرمال. كما يشترط فيه قدرة على الحوار، والمفاوضات، لأنه مطالب بالتفاوض مع رؤساء المراكز التي تمر منها القافلة أو مع الساهرين على حماية الطرق التجارية، وذلك لتحديد واجبات المرور، أو واجبات دخول الأسواق التجارية.

ولم يكن باستطاعة الدليل أن يتحمل المسؤولية وحده، لذلك كان بجانبه طاقم من المساعدين، وعلى رأسهم الحراس، الذين كانت لهم ثلاث مهمات : مجموعة منهم تسبق القافلة لتقصي أحوال الطريق، وعند اقتراب القافلة من الوصول تسبق للإخبار بوصولها (Alaoui, 62). أما المجموعة الثانية فمهمتها السهر على سير القافلة، وذلك لتفادي الازدحام، أو التكدس والبلبلة. أما المجموعة الثالثة فمهمتها مراقبة القافلة من الخلف، وذلك لحث المتأخرين، ومساعدة المتعبين. إلى جانب الحراس كان هناك المنادي ومهمته إبلاغ أوامر الدليل، يضاف إلى ذلك جهاز ديني وقضائي يرافق القافلة ويشمل المؤذن والإمام والعدول لتوثيق المعاملات والأحداث التي ترافق سير القافلة (Daumas, 189, 300, 301).

وقد كانت القافلة تقوم بسفرها غالبا في فصل الشتاء لتفادي الزوابع الرملية التي تغطي الآبار (ليون الإفريقي، 76). وتبدأ سيرها من الفجر إلى الضحى، إذ ذاك تتوقف، وتنصب خيامها إلى ما بعد الظهر، ثم تبدأ رحلتها من ذلك الوقت إلى الليل، كما ورد عند الإدريسي (Alaoui, 61). وهكذا فالقافلة تتوقف عند اشتداد الحرارة في النهار، وعند اشتداد البرد ليلا. وعند توقفها كانت تتخذ شكل دوائر، يحتل وسطها الجمال، وحمولتها، وذلك لضمان أمنها.

أما تحرك القافلة فقد كان على الشكل التالي :

القوافل الصغيرة تسير في شكل متراص، كوحدة، أما عندما تكون كبيرة، فإنها توزع إلى عدة مجموعات، أو قوافل صغرى، تفرق بينها مسافة محددة، حتى يسهل مراقبتها. وأما في المناطق الآمنة فتتحرك القوافل بشكل طبيعي (Tamouh, 36-39) بشرط إلا يبتعد المسافرون عن القافلة للأخطار التي قد يتعرضون لها.

المشاكل : هذه المدينة المتنقلة، التي تتحرك في إطار صحراوي، جاف، و"فارغ"، تواجهها مشكلتان أساسيتان : الأولى مشلكة الماء والثانية مشكلة الأمن.

حياة القافلة مرتبطة إلى حد كبير بضمان الحد الأدنى، على الأقل، من الماء طيلة السفر. وهكذا فالقافلة تنطلق من مناطق واحات غنية بمياهها، وتحمل معها حمولات متعددة من القرب مطلية بالقطران، لضمان شرابها، لأن الماء هو المشكلة الأولى، فعليه يتوقف بقاء القافلة على قيد الحياة لأن فقدانه يؤدي إلى ضياع قوافل بكاملها، إذ يحدثنا ابن بطوطة عن آثار قافلة اندثرت، كما أن قافلة ضاعت بكاملها سنة 1805.

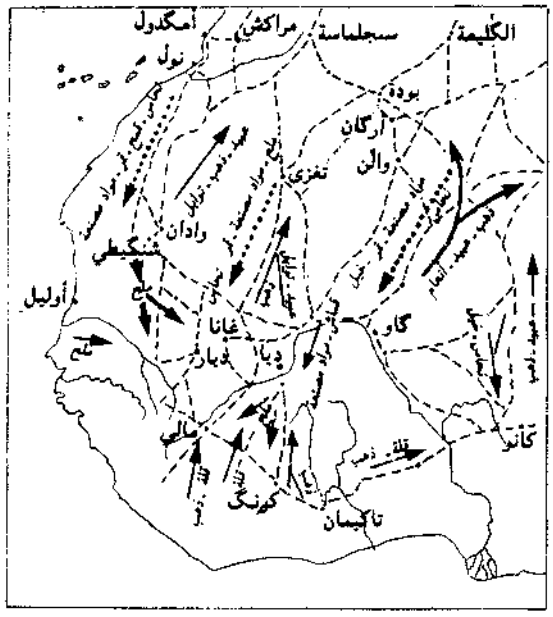

المبادلات التجارية وطرقها عبر الصحراء في القرن الرابع عشر

وأهمية الماء هي التي جعلت الآبار تحظى بعناية خاصة في الصحراء، إذ يحدثنا ليون الإفريقي عن بنائها بعظام الجمال وتبليطها بجلودها قصد حمايتها من الاختفاء تحت الرمال (ليون الإفريقي، 76). وهذه الأهمية التي جعلت القوافل تسلك طرقا تتوفر فيها المياه على مسافة أطول، أو بوفرة أكثر، وهذا ما جعل توات مثلا أو تندوف أو سجلماسة مراكز لانطلاق القوافل التجارية، كما أن السبب الرئيسي في نجاح تنبكتو كمركز لاستقبال القوافل هو موقعها في أقصى ثنية نهر النيجر. ولهذه المراكز كلها قاسم مشترك هو موقعها المتقدم في الصحراء، فهي عبارة عن جيوب من الحياة وسط تلك القفار. أما الطريق الذي يربط واحات جنوب الأطلس بتنبكتو فترجع أهميته إلى آبار الطليگ التي يتجاوز عددها 100 وتقع قرب مملحة تاودني.

المشكلة الثانية التي تواجه القافلة هي الأمن، فالقافلة محملة بثروات عظيمة، وتخترق مناطق معروفة بغياب المركزية السياسية، لذلك فعلى القافلة أن تتجاوز هذه المشكلة، وذلك بالاحتياط والمفاوضات. وهكذا فالقافلة تكون مستعدة للمواجهة لأنها تكون مسلحة أحيانا أو يحميها حراس مسلحون، إلا أن هذه الظاهرة مرتبطة أكثر بالوضع في القرن التاسع عشر حيث ازداد المتمردون والمتذمرون من جراء تراجع تجارة القوافل. إلا أن الوضع العادي هو المفاوضات مع القبائل التي تعبر القوافل مناطق نفوذها حيث تؤدى لها واجبات للمرور. وهذه الواجبات تكون عادة معروفة أو متفقا عليها (ليون الإفريقي، 76 ـ 77 وما يليها: Tamouh) أحيانا تكون الواجبات شكلية (ليون الإفريقي، 76).

وقد لعبت الحمايات دورا أساسيا سواء السياسية أو الدينية، ونشير هنا إلى دور الزوايا خاصة ابتداء من القرن السادس عشر في حماية القوافل التجارية. ويكفي أن نشير إلى دور الزاوية الناصرية والتيجانية ودور الزاوية الكنتية سواء في توات أو أزواد.

الاستقبال : قبل وصول القوافل إلى المحطات النهائية ترسل المخبرين ليعلموا بقرب وصولها وذلك لتهييء الماء لها. وأيضا ليتم الاستعداد لاستقبالها، عن طريق توفير ظروف النقل، والنزول، أو للاحتفاء بوصولها سالمة. ويتم استقبال القافلة على مسافة بعيدة وينظم حفل كبير يكون مناسبة لاستعراض الملابس، والحلي، وللتباري في الغناء والرقص. ويصف لنا Panet الحفل الذي رافق وصول قافلة أثناء وجوده في گليميم سنة 1850 م.

وفرح استقبال القافلة يكون عاما لأنها تعنى بالنسبة لعائلات المسافرين السلامة، والربح. أما بالنسبة لبقية السكان فإنها تعني حركة اقتصادية غير عادية، يستفيد منها الكل بطريقة أو أخرى، فهي تخلق فرص عمل للنقل، ولكراء المنازل للمسافرين، كما أنها تكون مناسبة لبيع المواد الغذائية، من خضر وفواكه وحليب، يضاف إلى ذلك أن القافلة تحمل إلى جانب المواد التي تعتبر من اختصاص التجار الكبار كالذهب والرقيق، مجموعة من المواد تدخل في الاستهلاك اليومي، خاصة في نطاق الكماليات، كالأواني الخشبية، والبخور، وغيرها وبذلك فهي تمس كل سكان المراكز التجارية.

يمكننا استعراض هذه الخطوات أو المراحل من تصور هذا الوسيلة ـ أكبار ـ التي لعبت دورا أساسيا في ربط طرفي الصحراء، إلى درجة أن البعض يعتبر دخول الجمل إلى الصحراء، "ثورة في النقل". إذ أصبحت القافلة محط أنظار وآمال كل سكان المنطقة، فكل المشاريع والأحلام ترتبط بالقافلة وتجارة القوافل بما في ذلك الزواج وتكون الرأسمال والوصول إلى الملكية. كان السودان حلم الطامحين من المغاربة في المراكز التجارية المتاخمة للصحراء خلال قرون حتى إن مثلا سائرا في هذه المراكز يقول :"الجرب دواه القطران والفقر دواه السودان".

م. ابن بطوطة، *الرحلة* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*.

E. Daumas et A. Chancel, *Le Grand Desert ou Itinéraire d'une Caravane du Sahara au Pays des Négres*. (Royaume de Haoussa), Choix et cie, Paris 1848 ; Z. Tamouh, *Le Maroc et le Soudan au XIXe siècle* ; A. El Alaoui, *Le Maghrib et le Commerce tran-saharien*.

فاطمة الزهراء طموح

أگْبيلْ لقب لعلماء سوسيين، منهم :

أگبيل، إبراهيم السوسي من كتّاب الإنشاء المرموقين لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي.

أگبيل، محمد بن علي بن إبراهيم الإنْدُوزالي، شيخ جليل ناصري الطريقة، من أخص تلامذة الشيخ أحمد بن ناصر. درس بتامگروت ثم بمساجد قبيلة إنْدُوزَال حتى وفاته 1162 / 1749 مخلفا تآليف منها : ترجمة لمختصر خليل إلى الأمازيغية السوسية سماه *الحوض* ؛ *وتنبيه الإخوان على ترك البدع والعصيان* ؛ *والطرق بالعصا لمن خالف ربه وعصى* ؛ *وبحر الدموع في المواعظ والرقائق* باللسان الشلحي. وله ولد اسمه أگبيل، إبراهيم السوسي مذكور في *خلال جزولة* 3 : 173 بأنه عالم جليل.

م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*، 164 ؛ م. المختارالسوسي، *سوس العالمة*، 191 ؛ *خلال جزولة*، 174 ؛ *المعسول*، 1 : 315 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 : 45 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 1 : 191؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، مجلة كلية الآداب بالرباط، 1982، ع 9، 280 ؛ عبد الرحمان الجشتيمي، *مقدمة الحوض*، الرباط، 1977.

محمد حبيب نوحي

اكتامة ← **كتامة**

أكْتَاوَةْ، وتكتب أيضا بدون همزة : كْتاوة، وباللام : لكتاوة، واحة تمتد على ضفاف وادي درعة على طول حوالي 20 كلم وعرض 6 إلى 8 كلومترات، تتكون مما ينيف على الخمسين من القصور الصحراوية، تحدها شمالا واحة

فزواطة، وجنوبا واحة المحاميد، مركزها الإداري الحالي هو تاگنيتْ ازدهرت منطقة أكتاوة في عهد السعديين حيث كانت محطة هامة على طريق التجارة الصحراوية بعد أن كانت منطلقا لحملة المنصور السعدي على السودان، واشتهرت بها عدة قصور، أهمها تسْرَاتْ ، وبني حيون، وبني صبيح، التي كانت بها طائفة يهودية اشتغلت بالتجارة والصياغة وسك النقود على عهد أحمد المنصور الذهبي والشاعر أحمد بن أبي محلي.

كانت أكتاوة إلى جانب دورها الاقتصادي، مركزا علميا نشيطا في العصر السعدي، اشتهرت بها أسرة آل أدَّقَالْ بقصر إدوافيلْ، والأسرة الصالحية الأكتاوية بقصر بني صبيح.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 552.

الأكتاوي، أحمد بن صالح بن إبراهيم بن عبد المومن الدرعي، عالم أديب له معرفة بالطب. ينتمي إلى أسرة علمية، ولد ونشأ بدرعة، درس على والده صالح بن إبراهيم، وهو معتمده في التصوف، كان له اتصال وثيق بالزاوية الناصرية حيث درس على عدد من أساتذتها، منهم الشيخ أحمد ابن ناصر، والأستاذ إبراهيم بن علي الدرعي السباعي، كما أخذ عن الشيخ أحمد الحبيب السجلماسي. توفي أحمد بن صالح بالأكتاوة سنة 1147 هـ حسب أغلب المصادر، ودفن بزاوية أسرته، ومازال قبره بها مزارة حتى الآن.

خلف المترجم عددا من التآليف منها : *الهدية المقبولة في حلل الطب المشمولة*، وشرحها ، وديوان شعر سماه *إشفاء المريض في بساط القريض*، و*تجديد المراسم البالية في السيرة الحسنة العالية*، جمع فيه سيرة أبيه صالح بن إبراهيم.

أ. الأكتاوي، *الهدية* (مخطوط) ؛ ف. ع. الأكتاوي، الدرر اللامعة (مخطوط) ؛ م. م. الناصري، *الدرر المرصعة*، ص : 109. 124 ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*، رقم 35 ؛ ع ؛ ابن سودة، *دليل*، 1 : 195 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 1 : 138 ؛ م. المنوني، *دليل مخطوطات*، 19.

الأكتاوي، صالح بن إبراهيم بن عبد المومن بن عبد الله الدرعي، عالم مقرئ ينتمي إلى عرب الشاوية، قدم جده من الشرق واستوطن قصر بني صبيح من أكتاوة، حيث اشتهر حفدته بالعلم والصلاح طيلة أجيال. أخذ المترجم عن جماعة من مدرسي درعة (في بني صبيح وآسطور وترغليل وتازارين)، ثم انتقل إلى سجلماسة فأخذ عن أعيان علمائها، أمثال محمد بن أحمد المصمودي، والشيخ محمد ابن محمد السجلماسي التجموعتي، والإمام عبد الله بن علي بن طاهر الحسني. وأخذ كذلك عن محمد الصغير بن المنيار، وعول في طريق القوم على الشيخ أحمد بن عبد الصادق، وهو معتمده في علم القراءات إضافة إلى شيوخه السابقين. لزم المترجم شيخه ابن عبد الصادق بسجلماسة حتى وفاة هذا الأخير سنة 1066 / 1955، فرجع بأهله إلى قرية بني صبيح في بلاد أكتاوة واستوطنها واشتغل بالتدريس والتربية حتى وفاته يوم السبت خامس ذي الحجة سنة 1096 / 1683. وقد خصه ولده أحمد بن صالح بتأليف جمع فيه سيرته ومناقبه وأشياخه ومروياته سماه *تجديد المراسم البالية في السيرة الحسنية العالية*.

أ. الأكتاوي، *تجديد المراسم البالية* (مخطوط) ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، ص 181 - 187 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ص 204.

محمد الحبيب نوحي

أگْجْگَالْ، قرية في الأطلس الصغير بإسان عند أيت تگْني، على بعد 25 كلم تقريبا شمال غرب فم الحصن، وعلى بعد 35 شرق ـ جنوب ـ شرق إفران. كان فيها مناجم نحاس استغلت قديما وما تزال آثار استغلالها معروفة، وبالقرب منها كدية النحاس (تاوريرت أوناس).

B. Rosenberger, *les vieilles exploitations minières et les centres metallurgiques du Maroc ; essai de carte historique*, R.G.M. n° 17 et 18, 1969 - 1970 ; D. J. Meunié, *le maroc saharien*.

أحمد التوفيق

ابن **الأكحل**، إبراهيم السويدي، هكذا يذكره مترجموه دون أية إضافة أخرى، ويبدو أن اسم الأكحل لقب لوالده أو أحد أجداده، وبهذا لا يعرف ـ بالضبط ـ اسم أبيه وجده.

أما نسبه فواضح أنه يرجع إلى أسرة "سويد" من فروع قبيل بني مالك، المستوطنين ـ الآن ـ في سهول الغرب عند إقليم القنيطرة، هؤلاء من زغبة إحدى الشعوب العربية من بني هلال المضريين (*العبر*، 956). وإلى هذا فالمترجم من مدينة مكناس، وقد يكون من مواليدها في تاريخ غير معروف، ثم كانت وفاته في ربيع الثاني عام 1006 (*منحة الجبار*) وحسب عصر السويدي فإن ثقافته تعكس ـ على العموم ـ المواد الدراسية الشائعة أيام السعديين، غير أنه تميز بتفوقه في الفلكيات، مع تضلع في الرياضيات، حيث اختص في هذه العلوم اثنان من أشياخه بفاس : محمد الصغير بن أحمد بن الحاج الزجني، وأحمد بن محمد المواسي، على أن ابن القاضي يعقب على ذكر الشيخين بكلمة "وغيرهما" ليشير إلى شيخ أو أشياخ آخرين لا يزالون غير معروفين.

ونفس المصدر هو الذي يبرز درجة المترجم في اختصاصه، فيقدمه في *درة الحجال* (1 : 202) بحلية الفقيه الفرضي الحيسوبي، وحيد عصره في علم الفلك والهيئة والتعديل. ويوسع هذه الفقرة المؤلف ذاته في كتابه الآخر *المنتقى المقصور*، وأما مكناسة الزيتون : فأخذت بها الحساب والفلك على أبي سالم إبراهيم ابن الأكحل السويدي، داهية الإنسان، وفيلسوف الزمان، له عقل لفهم المسائل ثاقب، وعلى الحق والصواب ناقب، له قدم راسخ في التعديل والهيئة ما أظن أحدا في زماننا ـ اليوم ـ يصله، حدثني شيخنا أبو العباس المنجور أنه أخذ عليه علمه، وقال لي : كانت المسائل في فنه تشكل على محمد الصغير

ابن الحاج ويوجهها له، ويقول :"السويدي لها"، أو كلاما يقرب من هذا".

ويستنتج من هذه الفقرة ـ أيضا ـ اسمان من تلاميذ المترجم : ابن القاضي والمنجور، فيقول عنه هذا الأخير في *فهرسه* وهو يعدد أقرانه : ".... والعددي الفرضي الموقت، أبي سالم إبراهيم بن الأكحل السويدي، بل قرأت عليه وقرأ عليّ وتعاونا".

وإذا كان السويدي لم يدون معارفه الفلكية في كتاب، فإن تلميذا ثالثا من الآخذين عنه اضطلع بالاحتفاظ بمجموعة من تعاليق أستاذه على *روضة الأزهار*. والمعني بالأمر هو العالم الفلكي : أحمد بن عبد القادر بن طاهر الحسني الجوطي المكناسي، شارح أرجوزة *روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار* للجادري، فيذكر في افتتاحية الشرح وخاتمته أنه درس هذه الأرجوزة على أستاذه المنوه به، وكان يسجل توضيحاته لتعقيداتها في جذاذات، كانت هي المصدر الأول لشرح التلميذ على *روضة الأزهار*.

أ. ابن خلدون، *العبر*، 6 ؛ أ. المنجور، *فهرس*، ط. الرباط، 1976؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال* ؛ *المنتقى المقصور* ؛ م.ع. البصري، *منحة المجار*، مخطوط خ.ح. رقم 941 (ثاني مجموع).

محمد المنوني

الأكحل، محمد بن إبراهيم بن قاسم الأندلسي الفاسي. اقتصرت الكتب التي ترجمت له على اسمه ولقبه دون ذكر اسم أبيه وجده ونسبه، وأضفنا ذلك اعتمادا على رواية الشيخ محمد بن عبد الله مَعْن التي أوردها كل من صاحبي *ابتهاج القلوب* و*الإعلام بمن غبر*. وفيها أن إبراهيم بن قاسم الأندلسي أخبره وهو يضحك بعد انتهائهم من قراءة حزب العشي بالزاوية الفاسية أن ابنه محمدا الأكحل قد مات في ذلك العشي ولم يكن له ولد غيره. والتاريخ يقبله، وأخبار صحبة الأكحل لأبي المحاسن وانعزاله بعد موته إلى أن قبض تؤكده.

لم يكن المترجم أسود البشرة وإنما لُقب بذلك. وكان عالما بالكيمياء فلما تصوف وصحب الشيخ أبا المحاسن الفاسي استأذنه في أن يلقن أبناءه العلماء ما يعرفه من فن الكيمياء، فلم يأذن له ونهاه عن تعاطيها فانتهى. وكان الشيخ محمد بن عبد الله مَعن تُعجبه مقالات محمد الأكحل في التصوف ويحتج بها. ويؤثر عنه قوله : "طريقتنا هذه : ما لك شيء، ما لك شيء، ما لك شيء، وطريق هؤلاء المُبطلين : لي، لي، لي، كأهل الزَّفن، يعني أن طريقتهم مبنية على الفناء والغيبة عن الوجود الحسي، وطريق المبطلين على إثبات الوجود ورؤية النفس" (*متع*). وتُروى عنه مقالات أخرى تدل على رسوخ قدمه في التصوف، واستغراقه في الحب الإلهي.

توفي بفاس في حدود عام 1014 / 5 . 1606 ودفن بروضة شيخه يوسف الفاسي خارج باب الفتوح.

ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ م. المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط ؛ *متع الأسماع*، 183 ؛ عبد الله الفاسي، *الإعلام بمن غبر*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 66 ؛ م. ابن عيشون، *الروض*، مخطوط ؛ م. القادري، *التقاط*، 45، *نشر*، 1 : 134 . 135 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 327 . 328.

محمد حجي

الأكحل، محمد أگمگام، وتكتب أقمقام ـ بالقاف المعقودة ـ صالح ذو أحوال غريبة، ومكاشفات عجيبة. كان كوشا أسود يعيش منعزلا في حومة العيون بفاس، معاصرا لمحمد الأكحل الأندلسي سابق الترجمة، مقصودا من طرف العامة والخاصة. ومن أشهر الصالحين الذين كانوا يترددون عليه ويتبركون به عبد الله الشريف العلمي صاحب وزان خلال طلبه العلم بفاس، وقاسم الخصاصي صاحب الضريح المعروف خارج باب الفتوح.

توفي أگمگام عام 1050 / 40 . 1641 على ما جزم به في *الصفوة*، وذكر صاحب *المقصد* أن وفاته كانت في العشرة الخامسة، ودفن بروضة الصالح علي أبي الذياب في حومة العيون من عدوة فاس القرويين متصلا بقبلتها. وقبره من المزارات المقصودة بفاس حتى الآن.

ع. القادري، *المقصد الأحمد* ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 93 ؛ م. المهدي الفاسي، *متع الأسماع*، 183 ؛ م. ابن عيشون، *الروض*، مخطوط ؛ م. القادري، *الزهر الباسم*، مخطوط ؛ *نشر*، 1 : 134 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 284.

محمد حجي

الأكحل (السلطان ـ) ← أبو **الحسن المريني**

الأكحل (السلطان ـ) ← أبو **يعقوب المريني**

أگدال، كلمة أمازيغية مأخوذة من فعل «گدل» الذي يفيد معنى الحماية والمحافظة والمنع أو التحريم، وتجمع على «إگدالن» أو «إگدلان» وهي تعني بصفة عامة : المكان المحمي حماية مادية أو معنوية، مؤقتة أو دائمة، قصد تحقيق المصلحة والاستفادة المثلى منه. وهكذا تطلق على منطقة الحُرُم بضريح وليّ أو بجواره، ملجأ الخائف أو المطارد بالجبل أو بالسهل ـ التي يمنع الرعي فيها مؤقتا، بغية نمو عشبها وتمكن عروقه، ويباح فيها بعد استنزاف مراع أخرى / وعلى البساتين الشاسعة المسورة. وبهذا المعنى خصصت في المغرب لتدل على الحدائق السلطانية الموجودة في العواصم كمراكش ومكناس والرباط، وتطلق كذلك على المروج المتناثرة على ضفاف الأنهار الجبلية، والتي تحاط عادة بسياج من الحجر حفظا لها من الحيوانات التي قد تتسرب إليها قبل الأوان الملائم.

وقد لوحظ أن كلمة أگدال توجد بنفس المعنى في مجموع شمال إفريقيا. غير أن أسماء الأماكن التي لاتزال تتسمى بها في المغرب، تفوق عدداً غيرها في مناطق أخرى. والكثير منها في المغرب يوجد في الأطلس الكبير الغربي. وفي هذه المنطقة على الخصوص لعبت المراعي الجبلية العليا دوراً هاما في حياة المجتمعات الجبلية، سواء في علاقاتها مع بعضها البعض، أو في روابطها مع التي

تجاورها من ناحية الأراضي السهلية. وهذا راجع إلى أهمية الأنشطة الرعوية وتربية المواشي، في جبال تقل فيها الأراضي الزراعية، ويتطلب فيها ما وُجد منها جهدا كبيرا ومستمرا، مع ضعف كبير في المردودية الزراعية.

وتزداد أهمية هذه المراعي العليا بصفة خاصة، في عصور الأزمات المختلفة، التي يضطر معها سكان الجبل إلى عدم مد أنشطتهم الفلاحية في اتجاه السُّهول الشمالية ـ الغربية، والتي كانت تكون دوما امتدادا طبيعيا لمجالهم الحيوي. تزداد أهميتها حينذاك فيقع عليها التهافت، مما يؤدي أحيانا إلى وقوع نزاعات بين المستفيدين. لهذا أُحدثت طقوس وأعراف وعقود، تنظم استغلال هذه الأماكن الحيوية استغلالا جماعيا، دون أن يؤدي ذلك إلى وقوع اختلافات قد تضر بالجميع.

اشتهرت كلمة أگْدَالْ عند سكان بعض المدن المغربية الكبرى على الخصوص، لأنها تطلق على البساتين السلطانية في كل من مراكش والرباط ومكناس. ورغم أن فاس لم تسمّ ـ على مايبدو ـ بستانها السلطاني باسم أگْدَالْ، فإنه كان، رغم ذلك، موجودا منذ عهد الموحدين : المصارة، على ما ذكره ابن أبي زرع في *قرطاسه*.

إن عادة إحداث البساتين الكبيرة، وتزويدها بالمياه الجارية، بسور، ربما ظهرت لأول مرة بالمغرب في عاصمة المرابطين مراكش. ثم ترسخت واتخذت أبعادا كبيرة في عهد الموحدين، وخاصة منهم الثلاثة الأوائل. أما في العهود الموالية، فقد عرفت هذه البساتين فترات من الإهمال وأخرى من الإهتمام، حسب الظروف العامة وشخصيات السلاطين. وأهم العهود التي تم فيها الاهتمام بها بعد الموحدين هي عهد المنصور السعدي والمولى إسماعيل ومحمد بن عبد الله والمولى عبد الرحمان وابنه محمد.

أما عن الفائدة المقصودة من إنجاز هذا النوع من الحدائق والمغارس، فمن المؤكد أنها متعددة الجوانب. فبجانب المصلحة الاقتصادية الأكيدة وخاصة في أوقات الأزمات، هناك دورها في تلطيف الطقس خلال الفصول الحارة على وجه الخصوص. ثم الرغبة في توفير متنزهات للأعداد الكبيرة من حرم وحشم القصور السلطانية، بالإضافة إلى هيبة التميز التي تكسبها للحكام في عيون السكان والزائرين من الأجانب.

وتجدر الإشارة إلى أن بساتين أگْدَالْ في الحواضر المشار إليها، تحولت بعض مواقعها الأولى إلى أحياء سكنية، مع احتفاظها بالاسم. وإذا بقيت خضراء، كما هو الشأن في مراكش، فالأمر يتعلق بإضافات محدثة أو بجزء صغير من البستان الأصلي.

مجهول، *الحلل الموشية*، 46، 145 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، 41 هامش 33، 407 ؛ م. ص. الوفراني، *نزهة*، 112 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 13، 115 ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف*، 177، 178 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 106.

E. Laoust, *Mots et choses berbères*, p. 260, 475 ; *L'Habitation chez les transhumants du Maroc Central*, p. 220 ; *Contribution à une étude de la toponymie du Haut-Atlas*, p. 45, Introduction au premier numéro de la Revue "Agdal" ; J. Dresch, *Document sur les genres de vie*, pp. 18 ; S.E. Destaing, *Vocabulaire Français - Berbère*, Paris, 1920, p.234 ; J. Berque, *Maghreb, histoire et société*, pp. 11 Sqq ; *Structures Sociales*, pp. 108 Sqq ; G. Deverdun, *Marrakech*, pp. 88, 194, 195, 204, 243, 244, 390 sq, 491 sq, 522, 527 sq.

صدقي علي أزايكو

أگْدَالْ ـ ماسة (مدرسة)، كانت تقع هذه المدرسة في المكان المسمى أمرزگون في الحدود الجنوبية لماسة من أعلى الوادي بها قرب قبيلة أيت أمريبط في المكان المسمى (حمّى الصوابي) ؛ ولا يزال بها إلى اليوم مقبرة كبيرة مقسّمة إلى ثلاثة أقسام : يضم أحدها طلاب المدرسة الوافدين إليها والمقيمين بها إلى أن أدركتهم الوفاة هناك لأسباب متعددة ؛ ويضم القسم الثاني المرابطين من سكان الزاوية الصوابية ورؤسائها ؛ وخصص القسم الثالث لعامة سكان الناحية وغيرهم ؛ وبهذا الموقع ما يزال قبر السيدة رقية بنت محمد الصوابي. وبعده مسجد جُدد من قبل المسمى الحاج عبد الله الحاحي (1284 / 1867) بسبب صلته بأحد علماء المدرسة آنذاك وهو محمد بن أحمد المرزگوني مع مرافقه بالإضافة إلى سكن مقدم الزاوية ؛ يضاف إلى ذلك كله مدرسة وسطى متهدمة متداع أكثر بنائها (خلال جزولة، 4 : 34).

أما مؤسس هذه المدرسة ـ الزاوية فهو العلامة الشهير أحمد بن عبد الله الصوابي من أيت صواب بالأطلس الكبير (1095 / 1683 ـ 1127 / 1715) ويظهر أنه اختار المقام بهذه الناحية البعيدة عن قرى ماسة بسبب تجارب مر بها في تنقله بين عدد من قبائل سوس مدرسا بمدارسها وقد عانى من ذلك بعض المرارة والاتهامات مما اضطر معه الشيخ الناصري من زاوية تامگروت جنوب ورزازات إلى إسداء النصح له بالابتعاد عن مخالطة قرناء السوء إذا كان يريد النجاح في مسعاه.

وتمثل كيفية استقبال القبائل المحيطة بمنطقة ماسة له مع علمائها نموذجا ناصعا من التقاليد العلمية بسوس ومن علاقة السكان الروحية والمادية بالعلم والتصوف والشيوخ، حيث يذكر من بين الذين رحبوا بمقدمه وأشرفوا على اختيار مكان إقامته علماء مشهورون أمثال المفتي الشهير أحمد العباسي، ومحمد التاكوشتي. كما استقبلت قبائل ماسة وتيكيوت وبني ولون وأهل تاسنولت وأولاد عمرو والخنابيب وأولاد الغازي وأولاد جلول في شكل ممثلين عن أفراد قبائلهم حتى إذا ما اطمأن الشيخ إلى حسن نواياهم اختار موضعا بين ربوتين في موقع به شجرة أرگان = هرجان يسمى بومروان قرب غابة وواد ؛ وقد تبرع بالبقعة المختارة أولاد عمرو في وثيقة رسمية فقبل منهم الشيخ ودعا لهم ووقع الاشهاد والكتابة والتصديق على جميع ما عمره الشيخ بعد ذلك من بناء وزرائب وقطع مزروعة بتاريخ 1147 / 1734 (خلال جزولة، 4 : 39).

وما كاد الشيخ أحمد الصوابي يستقر به المقام حتى شرع في صب تجاربه التعليمية والتربوية مع صغار الصبية

وكبار الطلاب وكافة من قصد إليه من أبناء المنطقة ؛ مع حذر ظاهر من التورط في المشكلات المتعلقة بالمعاملات وتحذير من القضاء وقضاة زمانه خاصة ؛ فإلى جانب إشرافه على صغار الصبية، بتعليم التلاوة والترتيل والتحذير من السرعة في القراءة المعتادة عند الطلبة آنذاك، مقاومًا أحد القراء الذين قدموا إلى سوس آنذاك بطريقة الهبطي في الوقف كاتبا في ذلك الرسائل في النهي عنه لمنافاته الترتيل ومراعاة المعنى المطلوبين، صرف طرقا من جهوده إلى العناية بطلاب العلم واللغة العربية، وكان برنامجه التعليمي يبتدئ صباحا *بصحيح البخاري* ثم *بتفسير الجلالين* وتفسير ابن جزي كما كان يقرئ *الحكم العطائية* في التصوف والسلوك بشرح ابن عباد ويدرس في النحو *ألفية* ابن مالك ومتن *السلم* في المنطق مع *منظومة* ابن زكري بشرح التامنارتي مفضلا إياه على شرح المنجور (خلال *جزولة*، 4 : 36. 37).

وقد سرد عليه أحد أبنائه محمد الطاهر (استشهد غريقا سنة 1147 / 1734 عن ثماني عشرة سنة) *صحيح البخاري وتوضيح* ابن هشام باللوح ؛ وسرد عليه شرح *المكودي* على *ألفية ابن مالك*، وكذا شرح *المرادي* عليها ؛ وقرأ معه شرح *السنوسي* على صغراه في التوحيد مرتين، وسرد عليه حاشية عيسى السكتاني وعبد الرحمان الفاسي؛ وكان يقرأ عليه متن *صحيح البخاري* قراءة جيدة من خط مشرقي ممزوجا بشرح القسطلاني من غير توقف (خلال *جزولة*، 4 : 42).

على أن الشيخ الصوابي يصل هذا الجهد المتواصل بدرس للتذكير بين العشاءين لا يتخلف عنه أحد من الطلبة ولا من سكان الزاوية رجالا ونساء إلا لعذر، مع الحرص على عدم اختلاط الجنسين ؛ متخذا لكل طائفة نقيبا يشرف عليها مع طرد كل من لا يماشي هذا المنهاج التربوي الحافل المنضبط والمتوازي مع ممارسة بعض أعمال الفلاحة والبستنة والإنتاج، موصيا بالتحلي بالسنة والمواساة والإكرام ومجاهدة النفس والحذر من الاختلاط بين الجنسين.

ومن الذين لازموا زاوية الصوابي بعد وفاته المسمى :

عبد الله بن إبراهيم الرسموكي السملالي (1147 / 1734) ويذكر عنه الورع والزهد وإتقان النحو واللغة مع جودة إدراك ؛ وقد اختص من بين طلبة هذه المدرسة بفهم *مقامات الحريري* ؛ وقد لازم الزاوية مع أسرته إلى حين وفاته.

ومن هؤلاء أيضا الفقيه أحمد بن عبد الله الماسي الفنتوري ؛ وهو الذي وصف كيف توفي الشيخ الصوابي وكيف غسل مع ذكر الخلال الذي وقع في محل دفنه بين الإيبوركيين والأسغاركيسيين (*خلال جزولة*، 4 : 43).

ويذكر محمد بن أحمد الجزولي الحضيكي (1189 / 1775) من بين الذين تخرجوا بهذه الزاوية ؛ وقد خص الشيخ الصوابي في طبقاته بترجمة واسعة ؛ وسيرة الحضيكي حافلة بالإنتاج العلمي الذي ما يزال مخطوطا في معظمه.

ومن بين الذين علموا ودرسوا بزاوية الصوابي يذكر :

أحمد بن محمد التاسكاتي الإيلالني (1214 / 1799) تلميذ الحضيكي آنف الذكر، أرسله شيخه هذا لعمارة الزاوية الصوابية بطلب من السيدة عائشة بنت أحمد الصوابي ؛ وهو أحد العلماء الذين أسهموا في مقاومة الثائر (بوحلاس = صاحب البردعة) بسوس وقد أكب بزاوية الصوابي على التدريس مع ملازمة السنة والحفاظ على تعليم بعض الأذكار والصلوات المأثورة للعموم عقب الصلاة (*خلال جزولة*، 4 : 47) مما لا يزال الناس بسوس يحفظونه ويرددونه عقب الصلوات الخمس والتراويح إلى اليوم (*خلال جزولة*، 4 : 48).

وممن يذكر أنه تخرج بزاوية الصوابي وربما درس بها المسمى : محمد بن عبد الله المرزگوني (ت. بعد عام 1180 / 1766) الساكن بقرية الفيض برسموكة والذي تزوج فيما بعد رقية بنت الصوابي فولدت له أحمد بن محمد الآتي الذكر ؛ ويذكر عن المرزگوني أنه نال شهرة كبرى (*خلال جزولة*، 4 : 49. 48).

أما ولده أحمد بن محمد فقد نال شهرة كبيرة بعد التاسكاتي (آنف الذكر) وكان ذا مكانة عام 1216 / 1801 ؛ واستظهر صاحب خلال جزولة أنه قد يكون تخرج بالتاسكاتي.

وقد قام بأمور زاوية الصوابي بعد أحمد المذكور ابنه المسمى : محمد بن أحمد المرزگوني (قد تكون وفاته سنة 1280 / 1863) ووصف بالعلامة الكبير وكان له اتصال بأحد قواد تلك الناحية وزعمائها السياسيين فساعده ذلك على تجديد ما رث من أبنية الزاوية، وقد اتصل بالسلطان المولى عبد الرحمان العلوي الذي خصه بظهير توقير يتضمن إعفاءه من الكلف والفروض العامة وكافة أسرته مع الأمر بمعاملته بما يلزم من الإجلال واعتبار زاويته من جملة الزوايا المحترمة مع الإنعام عليه بزكوات وأعشار جماعة أيت أمريبط وأيت إزويكا لأجل القيام بأمور الدين وإكرام الوافدين وذلك بتاريخ 1260 / 1844.

ويذكر من أولاد المرزگوني المسمى : محمد بن محمد، وهو فقيه زاول النوازل، وربما أخذ عن الشريف الكثيري ؛ وقد تكون وفاته أواخر القرن 13 / 19.

أما أخوه الحسين بن محمد فيذكر في ظهير محمدي عام 1290 / 1873 وأدركته الوفاة بعد ذلك عام 1314 / 1896.

وكذلك يذكر أخوهما يوسف بن محمد ضمن ظهير حسني مؤرخ بسنة 1293 / 1876 وآخر عزيزي سنة 1314 / 1896 ؛ وقد يكون أخذ عن الأستاذ الملقب بأوجمل.

كما يذكر محمد بن الحسين بعد ذلك بالدين والخيرة مع أخذ العلوم عن المحفوظ الأدوزي الذي أجازه ؛ وقد توفي سنة 1333 / 1914.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة* ؛ *المعسول*.

محمد البايك

أگدز، تدخل تحت اسم أگدز ثلاث وحدات مجالية مختلفة. فهو يشير إلى أهم مركز إداري لواحة مزگيطة، كما يشير إلى اسم الجماعة القروية. لكنه أصلا يطلق على "قصر" شمال المركز العالي بحوالي 500 متر.

يقع مركز أگدز عند ملتقى خط عرض 30 درجة و42 دقيقة شمالا وخط طول 6 درجة و 27 دقيقة غربا. على الضفة اليمنى لوادي درعة على الطريق الرئيسي رقم 31 الرابط بين مراكش وتاگنيت، جنوب شرق مدينة ورزازات بحوالي 65 كلومترا.

تعتبر واحة مزگيطة إحدى الواحات الخمس المكونة لوادي درعة وأولاها انطلاقا من العالية. تمتد بين جبل كيسان وجبل بني على السفح الجنوبي للأطلس الصغير.

يُعد واد درعة أهم شريان للحياة داخل المجموعة، حيث لا تسمح قساوة الطبيعة بإقامة أي نشاط زراعي خارج الواحة. فانفتاح المنطقة على الجنوب ووجودها تحت ظل سلسلة الأطلس الكبير يحجب عنها الرياح الشمالية الممطرة ويعرضها للرياح الجنوبية الجافة. فالتساقطات تتميز بعدم الانتظام، ولا تتجاوز 100 ملم. والمدى الحراري جد مرتفع، وبذلك تعتبر المياه أهم عنصر تنتظم حوله كل أشكال الحياة.

سكنت المنطقة منذ زمن طويل عناصر يهودية وأخرى تعرف "بالحراطين" (دراوة) إلا أن حيوية المنطقة الاقتصادية والاستراتيجية أثارت هجومات قبائل العرب (أولاد يحيى) وقبائل أيت عطا الرعوية مما جعل أهلها يستغيثون بقبائل أيت سدرات. وقد سكنت هذه الأخيرة حسب المؤرخين قرب مكناس، وكانت موالية للأدارسة. فعمل الولي الإدريسي مولاي بوعمران على ترحيلها إلى وادي دادس. ويطلب من الوالي سيدي موسى بن سيدي منديل هاجر جزء منها نحو وادي درعة لإغاثة أهله. وبعد تحرير هؤلاء استقر جزء من الجيوش في واحة مزگيطة. مما أعطى لوحة بشرية أهم ما يميزها وجود عناصر بشرية مختلفة الأصول والعادات وسيادة علاقات بشرية متميزة بين هؤلاء.

وقد التحمت هذه العناصر وحاربت تقدم سلطة الگلاوي في المنطقة حتى سنة 1930. وفي فاتح يناير سنة 1931 تدخلت الجيوش الفرنسية فأسست مركزا إداريا وعسكريا في أگدز كمرحلة من مراحل التقدم لإخضاع قبائل أيت عطا بالأطلس الصغير. ووضعت تحت إمرة هذا المركز قبائل أيت سدرات درعة، أيت ساون، أيت تسلا، أيت سگمان.

بلغ سكان جماعة أگدز حسب إحصاء 1971 حوالي 20246 نسمة منهم 1960 نسمة أحصيت ضمن السكان الحضريين للمركز وقد تطور هذا العدد ليصل سنة 1982 إلى نحو 26719 نسمة منهم 3796 حضريا، أي بزيادة مطلقة قدرها 6473 في ظرف 11 سنة.

ورغم أن الإحصائيات تدخل ضمن سكان المركز أيضا سكان القصر المجاور، فإنه أصبح يشكل نواة مركز حضري ببناياته الإدارية (التكنة والقيادة) والاجتماعية (إعدادية ومدرسة) والاقتصادية (سوق ـ مركز الأشغال الفلاحية) مع الاحتفاظ بالمعالم الريفية. فإحصائيات 1971 تبين أن 38 منزلا من 324 هي التي بنيت آنذاك بالإسمنت وأن 95 منزلا من نفس العدد هي المتوفرة على الماء الشروب.

عرفت المنطقة خلال العقدين الأخيرين تغيرات هامة نتيجة ازدياد حجم ونوع الحاجيات والانفتاح على الخارج وضعف المؤهلات الطبيعية :

فواحة مزگيطة من أهم الدوائر المسقية بوادي درعة كثافة. فقد وصلت الكثافة الزراعية سنة 1978 إلى 10.6 نسمة للهكتار المسقي مقابل معدل لا يتجاوز 5 نسمة / هك على طول وادي درعة. بالإضافة إلى تباين البنية العقارية كما يبين ذلك الجدول التالي :

البنية العقارية في أگدز

فئة الملك	نسبة المستغلين	نسبة الأرض
بدون أرض	27,1	0
أقل من 0,5 هكتار	40,5	12
بين 0,5 و 5 هكتار	31,3	62,8
أكثر من 5 هكتار	1.1	25,2

المصدر بحث ميداني 1983

إن الملكية المجهرية المشار إليها في الجدول تزداد حدة بالنظر إلى التشتت المجالي للقطع المكونة لنفس الحيازة مما يتنافى وأي تحديث في ميدان الاستغلال.

أمام هذه الظروف تظل التقنيات المستعملة في الاستغلال عتيقة وجد معقدة. فتقنيات السقي والحرث والحصد كلها تُكَيَّف مع المناخ المحلي الذي تخلقه الواحات لنفسها حيث تتنافس على نفس القطعة الأرضية مزروعات سنوية كالحبوب والخضر والعلفيات وأصناف من الأشجار كالتمور بأنواعها والتين واللوز والمشمش والرمان والزيتون. إضافة إلى نمطين من تربية الماشية، أحدهما يتمحور حول الرعي على مسارح جماعية خارج الواحة والثاني حول تربية مستقرة للماشية داخل العريسة.

تعرض هذا النمط من الحياة لعدة ضغوط أهمها : النمو الديمغرافي السريع وازدياد حاجيات السكان بغزو نمط العيش الحضري للأرياف في وقت ازدادت فيه قساوة الطبيعة بعد استمرار الجفاف لمدة طويلة وإخلال الإنسان بالتوازنات القديمة.

فقد كان لإقامة سد المنصور الذهبي على وادي درعة وقع كبير على المنطقة، ويتجسم ذلك في حصر المياه داخل السد وبداية تصريفها حسب منطق آخر. فمن جهة تزامنت نهاية الأعمال في السد وفترة الجفاف فعجز عن تلبية حاجيات السكان حتى السنتين الأخيرتين، ومن جهة أخرى،

أدى توقف الجريان داخل سليل الواد إلى انخفاض مستوى السدية وارتفاع نسبة الملوحة مما شكل خطرا على كل النظام البيولوجي داخل الواحة.

كما أن تدخل طرف خارجي زاد نظام الري تعقيدا، حيث اقتضى ذلك إنشاء سدود للتحويل (سد أكدز) وسواقي رئيسية، لكن تعقيد النظم العقارية للأراضي والأشجار ونظم الحقوق على الماء أدى إلى ظهور نظام جديد يتعايش فيه أسلوبان في السقي : أسلوب عصري يتجسم في التجهيزات الرئيسية وأسلوب تقليدي قوامه احترام التوزيع التقليدي للماء عبر القنوات الثانوية والثلاثية الأصلية.

في مواجهة الأوضاع الجديدة تباينت المواقف :

- موقف يساند الانفتاح الاقتصادي بالاعتماد على التكنولوجية المتطورة خاصة في ميدان السقي، حيث ازداد عدد المضخات التي أقيمت في المنطقة، وقد انفردت بهذا الموقف فئة من المحظوظين الذين ساعدتهم ظروف عملهم إما في المهجر أو في إحدى المناجم المتوفرة في منطقة أكدز على ذلك.

- موقف سلبي ويكمن في مغادرة القصر القديم للاشتغال داخل المركز بنشاط طفيلي كمرشد سياحي أو تاجر بالتقسيط، أو مغادرة المنطقة نحو المراكز النشيطة في شمال المغرب أو مباشرة نحو أوربا. وفي هذا الإطار غادر قصر أكدز حوالي 43 شخصا نحو الخارج وحوالي 108 نحو المدن المغربية دون أن يعني ذلك انقطاعاً في العلاقات مهما طال الغياب.

هكذا ورغم مضي أزيد من سبع عشرة سنة على إنشاء سد المنصور الذهبي على وادي درعة فإن النظم العقارية والتقاليد حالت دون تحقيق الأهداف المتوخاة.

فهل سيستطيع الإعداد يوما ما أن يفرض التحديث الفلاحي والتنمية التامة، وأن يُعيد التوازن المفقود إلى المنطقة ؟

ح. لعشير - غ. عيناوي، *النشاط السكاني وانعكاسه على المجال في الواحات : نموذج دوار أكدز*، بحث لنيل الإجازة الجغرافية، كلية الآداب بالرباط 1984.

A. Hammoudi, *Droits d'eau et société : la vallée du Draâ*, H. T. E. vol 12 n° 48 pp 105 - 126, I. A. V. sep. 1282 ; L. Ouhajou, *Cadres - sociaux de l'irrigation dans la vallée du Draâ moyen*, H. T. E. vol 12 n° 48 pp 91 - 103, I. A. V. sep 1982 ; *Espace hydraulique et société, les systèmes d'irrigation dans la vallée du Draâ moyen*, D. E. S. Montpellier III Mai 1986 ; H. Outabiht, *Aménagement hydraulique de la vallée du Draâ*, H. T. E. vol 11 n° 43 pp 80 - 94, Juin 81 ; *Fiche de tribu : aït seddrat du Draâ*, circonscription d'Agdaz 18 Fév. 1953.

محمد أيت حمزة

أكْدِيمْ، من قرى الأطلس الكبير الشرقي. تقع عند قدم جبل أزُرگي على الضفة اليمنى لواد أحنصال. ولعلها كانت من بين النوى السكنية القديمة بالمنطقة، فلما استقر بها سيدي سعيد أحنصال الكبير في القرن السابع الهجري / 13 م ؛ شهدت بعض التوسع ، خاصة لما تعدد أتباع الشيخ المذكور هنالك. (Drague, 174) وقدمت عليه الوفود من القبائل المجاورة، وتعززت مكانته ومكانة زاويته بعدما انتصر له أيت عطا، فأضحت الزاوية تلعب دورا مهما في المنطقة، حيث أسهم شيوخها، انطلاقا من أكْدِيمْ، إسهاما مهما في تأمين التعايش بين السكان، عن طريق توسطهم في النزاعات، وبذلك غدوا حُكاما بين القبائل، تحت إشرافهم تُبرم الأوفاق، وتُعقد التحالفات ويَنصاع لهم الجميع. وبذلك عمل صلحاء أكْدِيمْ على الحفاظ على نوع من التوازن بين بعض القبائل المتناحرة، لا سيما بين أيت عطا النازحين وبين القبائل الأصلية، ومن ثم كانت أكديم الزاوية، الأم لإحنصَالْنْ فأضحت مركز إشعاع صوفي في تلك المنطقة النائية، وعرفت منذئذ بزاوية أحنصال، وبذلك لم يعد بالإمكان الحديث عن أكْدِيمْ دون التطرق إلى زاوية أحنصال.

وبسبب تطرف موقعها لم تذكرها المصادر المغربية ولا تحت اسم زاوية أحنصال، أما أكديم فهي غير معروفة في هذه المصادر والوثائق. وعلى الرغم من ذلك فقد عثرنا على وثيقتين - في عين المكان - تؤكّدان على وجود علاقة وثيقة بين هذه الزاوية وبعض الأمراء. من بين هؤلاء الثائر عبد الرحمان بن سليمان بن محمد - ابن عم السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام - يتضح من خلال الرسالتين اللتين وجههما الأمير المذكور لرئيس الزاوية آنذاك سيدي احماد وحماد الحنصالي أن الصلات كانت حميمية بين الرجلين، فهو يدعوه بالحبيب، والأخ، والمحب... وأن الأمير كان يستأمنه على ممتلكات بعض أقربائه، فقد ترك عنده صهر الأمير المذكور، الشريف محمد بن سرور المكاوي وديعة مهمة، تتكون من فرس بسرجه وأمتين ووصيف. وكان الشريف قد أهدى الحنصالي زربيتين وقفطانا، وفرجيتين وبقرتين، "وذبح على ضريح جده بعيرا". (*رسالتان من وثائق أكديم*) ولم يصل إليها الرحالة والمستكشفون الأوروبيون إلا في القرن الثالث عشر 19. (Drague, 175) ولما أصبحت منطقة الأطلس الأوسط كلها مهددة بالاحتلال، بعدما غزا الفرنسيون مركز أزيلال سنة 1916، انضوت قبائل المنطقة تحت زعامة سيدي محا أو أحمد الحنصالي شيخ زاوية أكديم، قصد مقاومة الغزو الفرنسي (Drague, 176) ورغم احتلال مركز بويحيى، بأيت محمد، سنة 1918، فإن سيدي محا كان مايزال مصرا على مواجهة الفرنسيين، حتى استطاع إيقاف زحف جيوش العقيد Naugés، وحركة الأگـلاوي على أيت بوگماز، في شتنبر سنة 1922 ، ولم يستسلم إلا بعدما أصبح محاصرا من مختلف الجهات، وخاصة بعد تشييد مراكز عسكرية بكل من عَتْوي، وتَاوَرْدَهْ، وأوكَرْدَهْ، وتَامْدَهْ : أي من الغرب والجنوب والشمال (Drague, 177). بالإضافة إلى ذلك أصبح أيت مَحمد وأيت حكم وأيت بوگماز خاضعين للفرنسيين في 27 يونيو سنة 1923. وفي 26 شتنبر قدم سيدي محا الحنصالي، مصحوبا بوفود من قبائل المنطقة المجاورة لأكديم، على السلطان مولاي يوسف بمراكش قصد الإهداء وتقديم الولاء

(Drague, 177) ولما أصبح مواليا للمخزن، حظي بثقة السلطات الفرنسية، التي عينته قائدا على أيت مَحمد وأيت حُكْمْ. وحتى لا يفقد نفوذه على زاوية أگديم، فقد خلف بها بعض أقربائه (أخاه وابن عمه)، للإشراف على شوونها. وبما أنهم أبدوا نوعا من العداء ـ ظاهريا ـ إزاء موقفه، فقد ظلوا يحظون بثقة القبائل المجاورة. الشيء الذي جعل أگديم تظل محافظة على نفوذها بالمنطقة، وبالتالي أجل احتلالها الفعلي من طرف الفرنسيين إلى ما بعد 1930 (Drague, 178)، حيث أصبحت بعد ذلك، مركزا لضباط الشؤون الأهلية تابعا لمراقب المدني (*وثائق الزاوية*) وقد استطاع الفرنسيون، انطلاقا من أگديم، مواصلة احتلال أعالي واد أحنصال ودادس، (Drague, 178).

وعلى الرغم من أن زاوية أگديم ضاربة في عمق التاريخ، فإنها لم تشهد إلا توسعا محدودا جدا، كما يبدو من خلال الاحصائيات التي نشرها سبيلمان، إذ لم يتجاوز عدد سكانها 85 كانونا (Drague, 181).

وثيقتان من الزاوية : *رسالة أولى* مؤرخة بـ 5 من شعبان 1269.

رسالة ثانية مؤرخة بـ 23 شوال 1269 ؛ *تحريات ميدانية*.

Documents de la Zaouia : *fiches de tribus et correspondances tirés du fonds d'archives du même centre* ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc* ; M. Morsy, *Les Ahansala*.

أحمد عمالك

أگدْمتْ، إن المدلول اللغوي لكلمة أگدمت يمكن تحديده بالرجوع إلى الجذر الذي تنتمي إليه، ألا وهو "گ ـ د ـ م"، وهذا يتضمن معنى الارتفاع والعلو المشرفين على مناطق واسعة مجاورة واللذين يستعملان عادة كأماكن للمراقبة والحراسة ولإعطاء إشارات إنذارية إعلاماً للمعنيين باقتراب خطر مّا. وهذه الأماكن تقع في غالب الأحيان عند الحدود الفاصلة بين منطقتين متواريتين عن بعضهما بسبب التضاريس.

وهذا المعنى يتوفر إلى حد كبير في بلد أگدمت وبلد إگدميونْ المتواريين اللذين يستمدان اسمهما من أصل واحد.

ومن الجدير بالذكر أن المادة تعطي معنى آخر يدل على الشيء المقلوب على فمه أو على الجهة المفتوحة فيه. وقد لوحظ أن كل الكلمات التي تدخل مادة "گ ـ د ـ م" في تكوينها ـ وهي كثيرة في المناطق الجبلية على الخصوص ـ تتشابه في شكلها الطوپوگرافي وفي وظيفتها الاجتماعية.

ومن الدلائل الواضحة على المدلول الوظيفي للكلمة، استعمال لفظ "أگديم" أو "أگدِّيم" لتدل على أبراج المراقبة في "قصور" دادس وفركلة وتودغت (تدغة) وفي بعض الأماكن بوادي درعة.

إن بلاد "أگدْمت" تقع في الحوض الأعلى لنهر نفيس. وسكانها (أيت أوگدمت) تنتشر قراهم على جوانب نهر أگدمت (أسيف ـ نْ ـ أگدمت) أحد الروافد العليا لنهر نفيس.

ويقع واد أگدمت بصفة عامة، في الجهة الغربية من تينمل، وتحده من الشمال والغرب قمم تشرف على بلاد إگدْميون أو گدميون، ومن جهة الجنوب قمم أخرى تشرف على واد أغبار وواد نفيس الأعلى.

ينتمي سكان أگدمت، كباقي سكان الأطلس المراكشي، إلى مصامدة الجبل يتكلمون الأمازيغية ويعيشون على الزراعة وتربية المواشي.

في عهد الموحدين كانوا على ما يظهر يعدون من إگدْميونْ أو گدميوة، لأن الاسم الذي يُعرفون به اليوم لم يرد في المصادر المعروفة.

في القرن الثامن عشر. يبدو سكان أگدمت ـ حسب ما ورد في رحلة الوافد ـ كمجموعة مستقلة بنفسها، تتحكم في حركيتها السياسية والمجتمعية الانتماءات اللفية لسكانها. ولكنها منجذبة على مستوى التحالفات السياسية نحو إگدميون أكثر من انجذابها نحو واد نفيس. ولكن موقع بلادهم الاستراتيجي يكتسي أهمية قصوى، بالنسبة إلى جيرانهم من الناحية الجنوبية. ولهذا نجد أن آخر "حركة" مخزنية وجهت إلى جبالهم في عهد المولى إسماعيل، دمرها الجبليون في أگدمت بالذات، وقتل فيها، من بين مَن قتل، قائدان من قواد المخزن.

وفي أواخر القرن التاسع عشر، تمكن القائد الحاج الطيب الگنتافي من ضم أگدمت إلى إيالته بالقوة، لأنه بدون ذلك سيكون مركزه بوادي نفيس مهدداً على الدوام من ناحية الشمال. ومنذ عهد الگنتفيين بقيت أگدمت تابعة لقيادة نالات ـ نْ ـ يعقوب بنفس المنطقة.

ع. الزرهوني، *رحلة الوافد*، 58، 59، 312 وغيرها.

Ch. De. Foucauld, *Reconnaissance au Maroc*, 214 - 215 ; *Dictionnaire Touareg - Français* ; R. Montagne, *les Berbères et le Makhzen*, 18, 308 ; E. Laoust, *L'Habitation chez les transtiumants*, 245, nº 3 ; *Contribution*, 26 - 27.

علي صدقي أزايكو

إگرار، لغةً : جمع أگرُور، ومعناه حظيرة البهائم أو الزريبة، وهي قرية تقع بقبيلة أگلو غرب مدينة تزنيت، تبعد عنها بحوالي 12 كلم. ينسب إليها علماء منهم : الأكراري الرفّاكي محمد بن أحمد مؤلف *روضة الأفنان*. والحسن بن عبد الرحمان الموقّت وغيرهما كثير.

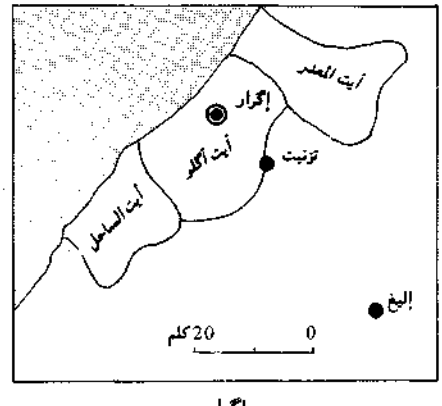

إگرار

م. الأكراري، *روضة الأفنان* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 13 : 265 - 435.

ت. أرفاك

الإگراري، إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمان المكنى أبا سالم، رافع راية العلم لجماعة فقهاء سوس، القاضي الذي لا معقب لحكمه، كان عبقريا في الإداء والإلقاء، يقتصر في فتاويه على المحقق بإيجاز.

أخذ العلوم الشرعية بسوس ثم التحق بفاس فتخرج على ابن گيران وأضرابه حوالي 1230 هـ. وهناك أتقن معلوماته، إذ يجيد بعض العلوم النادرة في سوس كعلم الأسطرلاب.

لازم التدريس في قريته "إگرار" ودرّس حينا "بتمگدشت" فخرّج كبار العلماء كالعربي الأدوزي، وأحمد أجْمل، وأحمد أضارضور، والحسن التمگدشتي. وهو ممّن له المكانة والقبول عند الخاص والعام ولذلك يتدخل للصلح بين القبائل.

لم يترك في باب التأليف إلا أربعة كراريس شرح فيها أوائل الجوهر المكنون، وبه ذكر بين المؤلفين السوسيين.

م. الإگراري، *روضة الاذقان*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 198، *المعسول*، 13 : 330.

عبد الله درقاوي

الإگراري، أحمد بن إبراهيم بن محمد، تخرج بجماعة فقهاء سوس، ودرّس بمدرسة تازروالت إلى أن لفظ أنفاسه ودُفن هناك. وممّن تخرج عليه محمد بن المسعود المعدري وقد أثنى عليه فيما أخذ عنه.

من خصاله الحرص على جمع الكتب والذب عن السنة ومحاربة البدع. يتعاطى الفتوى إسوة بفقهاء سوس، ومن غرائبه أنه كان يفتي برد المطلقة ثلاثا وإجازة كراء الدراهم.

توجد بعض رسائله في *المعسول*، وقوافيه في مجموعة جمعت بإذن من الملك مولاى الحسن، معدود بين المؤلفين السوسيين *"برسالة ضد الطرقيين"*.

م. الإگراري، *روضة الإذقان*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 202 ؛ *المعسول*، 13 : 41 ـ 306 ؛ *رجالات العلم العربي*.

عبد الله درقاوي

الإگراري، محمد بن أحمد بن محمد، ويعرف أيضا بلقب "أرَفّاكْ" من فقهاء سوس ومؤرخيه (1279 ـ 1358 / 1862 ـ 1939) نشأ في قرية إگرار وتلقى بمسجدها مبادئه العلمية، ثم التحق بمدارس علمية عدة، أبرزها مدرسة المعْدَر، ومدرسة أدُوزْ، وانتقل من هناك إلى أحواز مراكش. وبعد رحلته العلمية هذه رجع إلى سوس، وتصدر للتدريس أولاً في المدرسة الأخصاصية، ومدرسة تالْعينْت وأيت رْخَا وتخرج على يده عشرات عن الطلبة. والإگراري فقيه مفت، وهذا الوصف من أبرز صفاته، فقد أتقن النوازل ومارسها أزيد من خمسين سنة تدريساً وإفتاء وقضاءً، وله مشاركة في الفنون المتداولة بسوس كالأصول والبيان والفقه والعربية والهيأة. وقد طال عمر محمد الإگراري حتى نال صيتاً كبيراً، وتأتى له أن يكتب في غالب معاصريه كتابة صريحة. وكتابُهُ *روضة الأذقان في تراجم الأعيان* نموذج على أسلوبه في الكتابة والتأريخ.

كانت للإگراري علاقة وطيدة بالرؤساء الجرّآريين، ولذلك اختار الإقامة بعاصمتهم تالْعينْت. ولما ظهر الهيبة في الميدان كان من الملتصقين بحركته الجهادية، أمضى أيامه الأخيرة في خطة العدلية بعد أن نُظمت تنظيما حديثا. نشر له المختار السوسي في *المعسول* مختارات من نثره وشعره، وهو معدود بين المؤلفين السوسين بمؤلفات منها *روضة الأذقان* المذكور آنفاً.

السگرادي، *تحلية الطروس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 207 ؛ *المعسول*، 13 : 13 ـ 316 ؛ *رجالات العلم*.

عبد الله درقاوي

أگْرَاوْ (ج إگْرَاوْنْ) من الكلمات الأمازيغية المؤسسية التي لم ترد كثيراً في مصادرنا المكتوبة. ويبدو أن سبب ذلك راجع إلى كونها استبدلت مبكراً بكلمات أخرى من أصل عربي هي :"الجماعة" أو« أيْتْ ربعين» أو« أيت العرف» أو «الديوان».(R. Montagne, *les Berbères*, pp. 175, 220 sqq ; Bruno, *Notes*, 135 sqq ; *Introduction*, p.136).

أقدم مصدر معروف يشير إلى هذه الكلمة هو كتاب *أخبار المهدي* (ق 12 م)، حيث وردت فيه العبارة التالية : « ... فعمل لهم الخليفة [عبدالمومن بن علي] أگْرَاوْ يعظهم فيه...» (البيذق، *أخبار*، 95). ويظهر من السياق أن اللفظ يعني هنا : المجلس/اللقاء/الاجتماع... قصد التذاكر والتفاوض والتشاور وتبادل الرأي.

وبهذا المعنى ذكره مونتاني R. Montagne، حيث قال : «إن الامام المعصوم غالبا مايجمع هو بنفسه أنصاره في «أگْرَاوْ» ـ وهي كلمة تعني في مجموع المغرب الأمازيغي «جماعة» كل رجال قبيلة مّا، المؤسسة، قصد التداول فيما بينهم»(R. Montagne, 62) .

وفي مكان آخر يشير نفس المؤلف إلى أنه حينما يحضر كل الرجال مداولات القرية أو «الخمس» أو القبيلة وهم حاملو السلاح، فإن المجلس في هذه الحالة يحمل اسم «أگْرَاوْ» (R. Montagne, 175) وهذا يعني أن الأمر هنا يتعلق بتجمع أزمة، لاباجتماع عادي لاعضاء الجماعة.

غير أن الرجوع إلى الأصل اللغوي للكلمة، يلقي أضواء كاشفة على أسرار مدلولها التاريخي، والمقاصد الأولى من المؤسسة التي كانت علمًا لها.

لقد علق روبير مونتاي على كلمة أگْرَاوْ، ذاكرا أنها أمَازيغية مأخوذة من الفعل «گْرُو» الذي يعني اجتمع؛ مضيفا في الوقت ذاته أنها ترادف ما يسمى «أجْمُوعْ» أو «الجماعة» في أماكن أخرى. (R. Montagne, p. 175, note1) ونفس الفعل يستعمل اليوم بمعنى جَمَع، التقط شيئا معينا كالزيتون وأرگانْ والحبوب.... فالجمع والالتقاط ليسا هنا بالمعنى المطلق، لان شرط الاختيار متضمّن في الفعل.

وإذا رجعنا إلى المعجم، نلاحظ أنه يوضح أكثر المعاني المجردة التي تؤديها مادة «إيگْرُو» (= إيگْرَا) التي

اشتقت منها كلمة أَگْرَاوْ أو تَاگْرَاوْتْ. ومن أبرز هذه المعاني ما يلي : التمييز مع المعرفة والفهم/القدرة على التمييز الدقيق بين الصحيح والخاطئ، بين الحسن والقبيح/القدرة على الحكم الصحيح على الأشياء/القدرة على تحقيق الامور والأشياء/القدرة على الانتباه مع اليقظة الفكرية/التحلي بالجدية والاناة وملازمة التصرف الوقور...(Ch. De Foulcauld, *Dictionnaire*, p. 473).

من كل ما سبق يمكن أن نستنتج إذن أن أَگْرَاوْ هو مجلس الجماعة الذي يتكون من أفراد مختارين لخصالهم الحميدة، يتكلفون بتصريف الشؤون العامة على أحسن وجه.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، تحقيق ليفي بروفنسال.

Ch. De. Foucauld, *Dictionnaire* ; R. Montagne, *les Berbères et le Makhzen* ; H. Bruno, *Notes sur le statut coutumier des Berbères marocains dans les archives ferliers*, vol. 1, fasc. 3, 1915 - 1916, Paris 1916, pp. 135 sqq ; H. Bruno, *Introduction à l'étude du droit coutumier des Berbères du Maroc central*, dans les Archives berbères, vol. 3, fasc. 4, 1918 pp. 306 sqq.

علي صدقي أزايكو

إِگْرَابْنْ أو گْرَابة مفرده أگْرَاب. هم السقاؤون بالقرب وكان عددهم كثيرا في مختلف مدن المغرب، إلى عهد غير بعيد، ومازالوا يشاهدون لحد الآن، لكن بقلة وفي بعض المدن الكبرى كفاس ومراكش أثناء الصيف أصلهم من وادي گير، كإخوانهم إزرزايين.

يرتدي الگراب قميصا (تاقشابت) فوقه صدرة من صوف (أجلاب) تثبت على الكتف بزرين، وسروالا قصيرا (اسروال) ويضع على رأسه قلنسوة (تشاشيت) أو عمامة فوقهما مظلة (ترازة) مزدانة بمختلف الألوان "والمزون" ويتقلد في أحد الجانبين (تارفافت)، وهي وِسيدة من الجلد أو القماش الخشن أو المطاط، تمنع الماء من بل ثيابه. ويعلق في الجانب الآخر جرابا كبيرا من الجلد، يجعل فيه نقوده وكذلك الأقداح (تطاسين) والناقوس، عندما يستعد لملء قربته بالماء.

وللقربة (تاگْدِّيت) حزام (الدّيور) في طرفه كلاب (شناق) وإذا ملاها الگراب أدخل في فتحتها أنبوبا من النحاس أو الصفيح (ازنبوب) ثم انطلق وهو يدق الناقوس في كل آونة، ليعلن عن حضوره.

ليست للگراب أجرة معينة، بل يكتفي، كنظيره زرزاي، بما يجود به الشارب، وهي تزيد وتنقص حسب الفصول. ويتصدق أحيانا أحد المارة فيتشتري ملء القربة الذي يوزع "كماء السبيل" على كل من طلبه، كما ترش بعض القبور بذلك الماء يوم عاشوراء. وفي عهد سحيق، كانت طائفة إگرابن تؤدي مهمة رجال المطافئ. فإذا نشب حريق، انذر أمينهم فحشهم على الإسراع إلى مكان الحريق. فيطفئونه بسرعة ويكافؤون بمبلغ هام.

إن ولي الگرابة هو مولاي يعقوب، ذلك الملك الشهير الذي ترك تاجه ليتحول إلى سقاء تواضعا لله تعالى، حسب الأسطورة. وكان جرابه بالتالي مثقوبا عمدا حتى تسقط منه حصيلته كلها.

كان إگرابن يجتمعون ويكتتبون كل عام لتحديد اليوم الذي سيقام فيه موسم مولاي يعقوب. فيشترون ثورا، ودقيقا، وسكرا وشايا، وشمعا، ثم ينطلقون من فاس إلى قرية مولاي يعقوب راجلين، ذهابا وإيابا، حتى يستحقوا أكبر بركة. وبعد قضاء يوم في الغناء والرقص، يذبحون القربان ولا يأخذون منه، كنصيب لهم، سوى فخذ، تاركين البقية للفقراء وذوي العاهات. ثم تكون ليلة كلها فرح وابتهاج قبل العودة إلى فاس.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ مارمول، *إفريقيا*.

محمد الأخضر

أكْرَاس، عبد الرحمان بن مصباح اليالصوتي السلوي، فقيه صالح أصله من غمارة شمالي فاس، ووالده الإمام مصباح (ت 750 / 49 - 1350) المعدود من أهل فاس، وإليه تنسب المدرسة المصباحية الشهيرة هناك لكونه أول من درس فيها بعد أن بناها أبو الحسن المريني. وهو من تلاميذ حافظ المذهب المالكي أبي الحسن الصغيِّر شارح *المدونة*، وله فتاوى مبثوتة في *المعيار*. وعبد الرحمان هو أيضا ابن خالة المحدث الصالح سليمان بن يوسف بن عمر الأنفاسي الفاسي (ت 799 / 96 . 1397) وأكراس الذي عرف به هو لقب أبيه مصباح الذي كان يحفظ كراسا في اليوم. ولعل انتقال عبد الرحمان إلى سلا كان بسبب الشيخ أحمد بن عاشر الذي أقام مدة بفاس ومكناس قبل أن ينتقل إلى مدينة سلا ويستوطنها، فانتقل معه إليها عدد من أعيان الفقهاء والصالحين من هاتين المدينتين ومن الأندلس وغيرها.

لقي أحمد بن الخطيب القسنطيني عبد الرحمان أكراس بسلا في جملة من لقي بها من الصالحين، وأثنى عليه كثيرا وقال إنه كان في العلم كأبيه إلا أنه فاقه بالاجتهاد في العبادة والإقبال على ضروب الطاعات. "وكان مبسوط أسرة الوجه لا تلقاه إلا ضاحكا مستبشرا يغلب عليه حسن الظَن بالله تعالى... منطلق اليد بالبذل، محسنا لأصحابه بالقول والفعل . وكان من قوله : رجال الدنيا هم رجال الآخرة إذا وُفقوا لحسن الظن بالله تعالى والجد في العمل له" (*السلسل العذب*، 63).

توفي عبد الرحمان أكراس بسلا سنة أربع وستين وسبعمائة / 62 . 1363 ودفن وراء الجامع الأعظم.

أحمد بن الخطيب القسنطين، *أنس الفقير*، 84 ؛ م. الحضرمي، *السلسل العذب*، سلا 1988، ص. 63 . 64 ؛ أ. الونشريسي، *وفيات، ألف سنة من الوفيات*، الرباط 1977، ص. 124.

محمد حجي

أگْرَامْ، جمعها إگْرَامْن، وهي تعني في الاستعمال الأمازيغي الولي الصالح. كما تطلق تجاوزا على أبنائه وحفدته بصفة عامة.

إننا لا نعرف ـ في الحالة الحاضرة لمعارفنا ـ الأصل اللغوي للكلمة، ومع ذلك فإن الناس ما يزالون يتداولون فعلا له علاقة مؤكدة بها وهو "إِسْگْرْمْ" أي حَلَق "أگْرَام" أو الولي رأس الطفل ـ ذكراً أو أنثى ـ بشكل خاص. أو قص

شعره بنفس الشكل. وبالفعل فإن الآباء كانوا، حتى وقت قريب، يذهبون بمولودهم - بعد أربعين يوما من مولده - إلى ولي يختارونه ليحلق له رأسه لأول مرة. وفي هذه الحالة لا تكون الحلاقة كاملة، بل تُترك خصل من الشعر، تختلف من حيث العدد والشكل، حسب عادة كل "أگرام". ويحترم ذلك النموذج إلى أن يبلغ الطفل سنا معينا، إذ ذلك فقط يمكن تغييره إلى الشكل العادي.

إن فئة "إگرامن" في المجتمع المغربي القروي بوجه خاص، تحتل مكانة خاصة، نظرا لأهمية دورها المجتمعي وخطورته. هذا الدور الذي أفرزه مجتمع مهدد باستمرار في موارده الاقتصادية والبشرية، نظرا لتواتر الكوارث الطبيعية، ومضطر، نتيجة ذلك، إلى التحرك الدائم، والتدافع الحتمي، في اتجاه المناطق التي تكون أكثر خصبا، وغير مستقر سياسيا نظرا لانعدام سلطة زمنية قوية،أحيانا تكون قادرة على التحكم الكامل في كل أجزاء البلاد، وضبط شؤونها، ومصاب بخوف مزمن ومزدوج : من سخط الطبيعة الملموسة والمستترة، ومن غارة الإنسان المجاور المهدد باستمرار في كيانه.

إن دور "إگرامن" هذا يمكن تحديده في أمرين اثنين : أحدهما هو ما يتكفلون به للناس من حماية لهم ولأبنائهم وأموالهم ضد كل قوى الشر المرئية منها وغير المرئية، وما يجلبه رضاهم على الناس من بركة في الأموال وصحة في الأبدان.

وثانيهما ما يضطلعون به من مهام التحكيم سواء بين الأفراد أو بين الجماعات في حالة نشوب نزاعات أو صراعات، وما تكتسبه أضرحتهم، بعد مماتهم، من قدسية تساعد على حل كثير من المشاكل المتعلقة بأمن الأفراد، وبالمنازعات الجنحية، وكثيرا ما تكون مزارات تنعقد حولها مواسم سنوية لا تخفى أهميتها الاقتصادية.

ولكي نعطي فكرة عن أهمية دور "إگرامن" في المجتمع المغربي القديم، نورد فقرة من دوحة *الناشر*، وردت في ترجمة أبي عبد الله محمد بن مبارك الأقاوي : "... وكان إذا هاجت فتن القبائل، يبعث لهم بالكف عن القتال، فمن تعدى أمره عجلت عقوبته في الوقت، صار ذلك من الأمر المتعارف عند البعيد والقريب. ثم إنه وضع أياما معلومة في كل شهر يسمونها أيام سيدي محمد بن مبارك، لا يحمل فيها أحد سلاحا، ولا يقدر أحد على المشاجرة فيها، ويجمع الرجل مع قاتل أبيه وولده وما يقدر أن يكلمه وذلك شائع عند قبائل العرب والبربر من أهل سوس وبلاد القبلة (...) ومناقبه كثيرة لا تحصى، وهو الذي أمر قبائل سوس بالانقياد إلى السلطانين الشريفين أبي العباس أحمد وأخيه أبي عبد الله محمد الشيخ، وأمرهما بالعدل والجهاد في سبيل الله تعالى لما رأى النصارى تغلبوا على سواحل تلك البلاد، وكان من أمرهما ما هو معلوم...".

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، ص. 114.

G. Surdon, *Esquisses de droit coutumier berbère marocain*, Rabat, 1928, pp. 91 sqq ; E.Laoust, *Mots et choses berbères*, Paris, 1920 (Rabat 1983), pp. 142 - 315 ; E. Dermenghem, *Le culte des saints dans l'Islam maghrébin*, Paris, 1954, pp. 162 sqq; J. Berque, *structures sociales du Haut-Atlas*, Paris 1955, p. 249 sqq, 434-435 ; A. Bel, *La Religion musulmane en Berbérie*, Paris, 1938, Tome I, pp. 341 sqq.

صدقي علي أزايكو

أگرام، أحمد بن محمد، من قبيلة أيت فلاس الودريمي، يعرف بالشارح. فقيه أديب، أخذ العلوم الشرعية عن العلامة عابد البوشواري، ثم رحل إلى مدينة فاس لمتابعة دراسته، شارط بعد رجوعه في مدرسة أو خريب الهشتوكية ثم مدرسة سيدي سعيد النكنافية الحاحية. ولعله توفي هناك بعد الاستقلال.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 17 : 316.

عبد الله درقاوي

أگرام، أحمد بن مَحمد بن محمد بن عبد الكريم اليعقوبي. داعية من دعاة السلفية، وأحد أنصار السنة النبوية، واعظ متمكن بناصية القول، صورة صادقة للمصلح النظيف الذي يعمل دون أن ينتظر أجرا على عمله. ينحدر من أسرة الشيخ مَحمد بن يعقوب الصنهاجي الذي عاش في القرن العاشر. نزح بعض أجداده من سوس إلى مسفيوة، وبها استقروا. ويلقب بأگرام، ومعناها بالبربرية المرابط أو الصالح.

أحمد أگرام

ولد عام 1302 / 1884 بزاوية (تاسيوين) وتلقى تعليمه الأولي عن أبيه، وبعد وفاة والده سهرت أمه على تربيته تربية صالحة، فأدخلته إلى كتاب الزاوية لإتمام حفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى (مدرسة أريكة) عند العلامة الحاج علي بن بوجمعة، ومنها إلى (مدرسة فروگة) وتسمى كذلك مدرسة تولولت. وبعد أن استتتم حفظ القرآن مع جملة من المبادئ العلمية، شد الرحيل إلى مراكش فدرس في جامع ابن يوسف مواظبا على مجالسة كبار العلماء والفقهاء، آخذا عنهم بالمشافهة والمذاكرة. ومن أبرز شيوخه : صالح السرغيني، وابن التاودي، والحاج عبد السلام السرغيني، ومحمد بن عمر السرغيني، ومحمد الفطواكي الضرير، وبوشعيب البهلولي الشاوي، والحاج العربي الرحماني، وأمّان (محمد) بوستة، وأحمد العلمي، واليزيد الروداني، والحاج علي المسفيوي، والمحدث أبو شعيب الدكالي. كما أجازه بعض الشيوخ الفاسيين مثل العلامة عبد الصمد كنون.

كان أگرام مثالا للطالب المجد النشيط المثابر على

حلقات الدروس إلى أن تخرج عام 1338 / 1919، فشارط في مدرسة مولاي الجيلالي الجعيدي بالويدان ـ الرحامنة ـ فأظهر كفاءة وقدرة على نفع الطلبة، وجلب الكثير من عشاق العلم إليها. ثم عاد إلى مراكش ليدرّس بجامع ابن يوسف مادتي : الفقه والنحو، وسائر العلوم الشرعية.

وفي عام 1355 / 1936 فتح مدرسة حرة بسيدي بوحرية على غرار المدارس الحرة التي فتحها بعض زملائه العلماء أمثال : عبد القادر المسفيوي، وعبد الجليل بلقزيز، ومحمد بن عبد الرازق، ومبارك الغراس، والمختار السوسي وغيرهم. وقد وجدت هذه المدارس إقبالا كبيرا من المتعطشين للثقافة العربية التي حاول المستعمر القضاء عليها.

كما ساهم في بعض الأعمال الاجتماعية مثل : تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية التي كان من أنشط أعضائها. وذهب ضمن الوفد الرسمي الذي قدّم في رابع ذي الحجة عام 1353 / 20 مارس 1934 عريضة إلى جلالة الملك محمد الخامس تطلب منه إنشاء جمعية خيرية إسلامية مستقلة عن تدخلات بلدية مراكش نظير الجمعية الخيرية الإسلامية الرباطية. وقد نشرت مجلة "السلام" التطوانية صورة الوفد المتكون من عشرة أفراد. وإلى جانب ما ذكر خصص بعض الوقت للطبقة الشعبية، لكن سرعان ما استهوته هذه الطبقة التي أصبحت تتقاطر على مجالسه، وغدا له جمهور كبير يلازمه في كل دروسه التي تقام بمسجد ابن يوسف أو مسجد حارة الصورة أو المواسين. وقد اكتسب هذه الشهرة وهذا الجمهور بموقفه الشديد الصارم تجاه البدع، والتنديد بالطرقيين. فدروسه كانت دعوة إصلاحية بغية تنقية الأفكار، وتصفية العقيدة من شوائب البدع والخرافات التي علقت بها، والتي تنخر كيان الأمة الإسلامية، فهو متشبث بأفكار ابن تيمية، يناصر العقيدة الوهابية التي تأثر بها أثناء أداء فريضة الحج الذي ذهب إليه مرتين، ولا أريد أن أتعرض إلى موقف بعض العلماء منه، وبالأخص شيخ الجماعة محمد بن الحسن الدباغ الذي تراشق وإياه بالكلمات على المنابر.

ومن مواقفه الإصلاحية، أنه عمد مع ثلة من أتباعه إلى شجرة كانت بحارة باب دكالة فقطعها، بعد أن كانت النساء يعقدن بها التمائم والحروز وغير ذلك رجاء دفع الأذى، أو جلب الخير.

وقد حباه الله دماثة أخلاق، ولين عريكة، وطلاقة وجه، وخفض جناح لمن يقصده من ذوي الحاجات، فيقضي حاجتهم عن طيب خاطر، ويحقق مبتغاهم بوجه بشوش.

تولى خطبة الجمعة بمسجد برّيمة، وقد تخلى عنها في أخرياته تورعا منه، كما عُرض عليه تولي القضاء فرفض. ولما أسس النظام بجامع ابن يوسف عام 1358 / 1939 رفض التدريس به اعتقادا منه بأن الصندوق الذي تؤدى منه رواتب العلماء مصدره حرام، ولذا كان يسميه بالصندوق الأسود. مع أن حالته المادية يومها حالة ضيقة، بحيث لم يكن له من السعة ما يجعله يرفض مثل هذه العروض.

توفي ـ رحمه الله ـ في جمادى الثانية 1376 / 1956 فجأة، بعد أن قطع أيامه كلها في التدريس ونشر العلم، ودفن بروضة باب أغمات، فبكته مراكش وبكته منابرها.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 16 : 100 ؛ *روايات شفوية عن أسرة المترجم وتلاميذه*.

أحمد متفكر

أكْرامُو، سعيد بن سليمان السملالي، ينتسب إلى أسرة الكرّاميين بسوس لا إلى إگرّامْن وهم المرابطون أو الصلحاء مطلقا، وقد ترد نسبته هكذا : الكرامي، من أسرة علمية في القرن التاسع الهجري ينتسبون إلى ابن العربي المعافري. ومساكن الكراميين بتازموت من سملالة بالأطلس الصغير ولاتزال قبور مشاهيرهم هنالك معروفة.

ذكر الرسموكي في *وفياته* أن وفاة سعيد هذا كانت في 16 شعبان عام 882 وأن مدفنه بمسجد تازموت. وذكره الحضيكي في *طبقاته*، ووصفه صاحب *بشارة الزائرين* بالولاية والتآليف العديدة، منها شروح على *الرسالة* و*الأجرومية* والخراز وابن الحاجب.

واستنتج محمد المختار السوسي من عبارات بعض شروحه أنه محدث مستحضر.

وكانت مشارطته جل حياته بقرية الأحدويني إزاء سوق الثلاثاء الأگمارية المشهورة ببعقيلة.

ذكر صاحب *المعسول* أقاصيص تنسب إليه دالة على تقدير الناس له إلى حد المبالغة، وحتى إنهم ينسبون إليه قصيدة في تباري طلبة بربر وعرب على من يسكن أرفع البيوت في مدرسته، وأولها :

بسم الإله في الكلام إزْوَر وهو على عون العبيد إزْضَرِ

وهي ليست لأكرامو بل هي للشاعر أحمد بن محمد بن يعزى بن عبد السميح التاغاتيني الرسموكي المتوفي عام 1080 هـ.

ومما ذكر عن أكرامو أنه درس بفرناطة لا بفاس، إذ هو من أواخر من درسوا بالأندلس.

وفي أسرة أكرامو علماء آخرون ذكرهم صاحب *بشارة الزائرين* ونقل عنه صاحب *المعسول* (7 : 23 . 30).

م. المختار السوسي، *المعسول*، 3 : 212، 7 : 23 . 30، 8 : 244.

أحمد التوفيق

إكْرزگاغنْ، (البستان الأحمر) قيل إنه اسم قرية اندثرت ولم يبق مُنها اليوم إلا أطلال توجد بقبيلة إيداوُبُوزيا الحاحية، وكان أهلها مشهورين بالعلم والأدب، وآخر من اشتغل منهم في خطة العدالة والقضاء والإفتاء بالقبيلة هما : الفقيه الأكرم سيدي سعيد أزطام البوزيادي الحاحي، العارف بأحكام الشريعة وألفاظ الوثيقة والميراث والتقسيم والفريضة وأحكام الديانة (*رسالة إليه*)، وولده العلامة الأديب سيدي يدير بن سعيد أزطام البوزيادي (= البوزياوي)، عاشا معا إلى نهاية القرن الثالث عشر

الهجري، وبموتهما انقطع ذكر إكْرْزْگاغْنْ بين الناس، ويبدو أنها هي القرية المذكورة في *وصف إفريقيا* (1 : 81) تحت اسم إدَاوْ زگواغْنْ.

تحريات ميدانية.

محند أيت الحاج

أگرسيف ـ المغرب الشرقي ـ ← **گرسيف**

أگرسيف ـ سوس ـ ← **تافراوت**

أگْرَضْ، لفظة بربرية معناها العنق ـ عنق الإنسان ـ أي صلة ما بين الرأس والجسد. ويعني أيضا الممر الجبلي الضيق في المناطق الجبلية القليلة الارتفاع. وفي هذا المعنى يقصر لاووست (E. Laoust) إطلاقه على الممرات الجبلية بالأطلس الصغير (*Mots et choses*, 115)، حيث يتكرر كاسم موقع، حتى عدد منها حوالي ثلاثة عشر (*Contribution*, 41-42). بينما تتكرر لفظة "تيزي"، ـ الممر الجبلي ـ في جبال الأطلس الكبير والمتوسط.

وأگرض، المقصودة هنا، قرية كبيرة، تقع غربي مدينة بني ملال، على بعد حوالي تسعة وثلاثين كلم : في منطقة اتصال قبيلتي بني عْياطْ (أو أيت عْياضْ) وأيت عتاب، بدير الأطلس المتوسط الغربي. ولا يكون مع تَخْسَيْتْ (= القرع) اسما لموقع واحد، كما ظن العباس بن إبراهيم (*الإعلام*، 9 : 184 ـ 186)، ومن بعده محمد المختار السوسي (*المعسول*، 12 : 112). فأگرض تقع شرقي تخسيت على بعد حوالي كيلومترين. ويتكون معظم سكانها ـ حاليا ـ من البربر، من قبيلة بني عياط، بينما يتكون أغلب سكان تخسيت من العرب. ويبدو أن هذه الأخيرة أحدث من أگرض.

أول من ذكر أگرض ـ فيما نعلم ـ هو الحسن الوزان، الذي زارها سنة 921 / 1515. لكنه يدعوها مدينة أيت عْياضْ ـ نسبها، كما نسب مثيلاتها للقبائل التي تحيط بها ـ وقد كانت زمن الوزان مدينة مسورة. ذكر أنها من تأسيس الأفارقة، في موقع دفاعي حصين من مقدمة جبال الأطلس المتوسط الغربي. وقد اشتهرت آنذاك بغناها، بسبب ازدهار الزراعة، واشتغال سكانها بالتجارة والصناعة (*وصف إفريقيا*، 1 : 146). ولعل هذا الازدهار ناتج عن وفرة مياهها، بسبب موقعها في الدير، ووقوعها على مقربة من الطريق التجاري الرابط بين مراكش وفاس.

وقد اقترن ازدهارها بشهرتها، لا سيما لما ظهر بها متصوف كبير مثل سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي المتوفي حوالي سنة 957 / 1550 ـ 1551 (*الإعلام*، 9 : 185)، الذي ذاع صيته كرجل دِيِّن صالح، تواترت عنه الكرامات. فقصده الناس من الآفاق، من أجل التبرك وأخذ الأوراد (*الدوحة*، 91).

ولعل أگرض قد أضحت منذئذ، مركزا صوفيا معروفا بين مراكز دير الأطلس. وقد نشأت بها، في بداية القرن الثاني عشر / الثامن عشر، زاوية ناصرية تابعة لتمگروت؛ أسسها أحد تلاميذ الشيخ أحمد ابن ناصر، المدعو أحمد بن البكري، من حفدة سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي (*الدرة الجليلة*، 2 : 347).

ولا يعرف سبب اختفاء الطريقة الناصرية من أگرض. فالظهائر الموجهة إلى مرابطي المنطقة لا تذكر هذه النسبة (ثلاثة ظهائر : اثنان حسنيان والثالث عزيزي). وما تزال بها زاوية قادرية قائمة حتى عهد قريب، يشرف عليها حفدة سيدي علي بن إبراهيم ويلقون أورادها (De. La Chapelle. 62).

يشير دولاشابيل إلى معركة خاضتها قبائل المنطقة ـ وكانت أگرض منطلقها ـ ضد الكولونيل (Mangin). وما يزال أهل البلدة والمناطق المجاورة يقيمون حول ضريح الصالح سيدي علي بن إبراهيم موسما سنويا يعقد يوم سابع عيد المولد النبوي.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 12.

E. Laoust, *Mots et choses* ; F. De. La Chapelle, *Un document sur la politique* ; E. Laoust, *Contribution*.

أحمد عمالك

أگْرْضْ (مسجد ـ) يدعى هذا المسجد : تيمْزگيدا أوگْرْضْ، أي مسجد أگرض، ويقع في قبيلة مسگينة، فرقة أيت عباي، شرقي أگادير، بحوالي 12 كلم، ويحتوي على مدرسة عتيقة.

أگرض : المسجد والامام

ولعل تأسيس هذا المسجد يعود إلى العهد المرابطي. والمحراب القديم لمسجد أگرض ما يزال منحرفا نحو الجنوب بصورة بارزة إلى جانب المحراب المعدل، كما أن القبور كانت توجّه في سمت المحراب المنحرف.

وتؤكد الرواية الشفوية أن هذا المسجد يعد أقدم مسجد قريب إلى الساحل الأطلسي في اتجاه ميناء أگادير، كما تؤكد أنه في أثناء المعارك التي خاضها السعديون ضد البرتغال أثناء احتلالهم لحصن أگادير ما بين (1505 ـ 1541م) كان المجاهدون ينقلون القتلى لدفنهم في مقبرة هذا المسجد، وهناك ما يدل دلالة واضحة على مدى مصداقية هذه الرواية، منها : أن الاتساع الهائل لتلك المقبرة ـ وهي قديمة التعمير ـ لا يتلاءم والتجمع السكني لهذه المنطقة، حيث إن

قبيلة مسگينة عموما لا يبلغ مجموع سكانها في نهاية القرن التاسع عشر سوى قرابة ألف كانون، وإن بعض المداشر القريبة منها إلى المسجد لا يمكن أن يعزى إليها تعمير مثل هذه المقبرة الهائلة الاتساع. ومنها عدم وجود مسجد آخر ومقبرة بنفس الأهمية بينها وبين ميناء أگادير. ومنها قيام حصن مشابه لحصن أگادير في منطقة مشرفة على هذا المسجد شمالا قرب عين ماء غزيرة حتى الآن، ويتميز بأبنيته المخالفة للأبنية المحلية، وما تزال بعض مرافقه قائمة. ومنها كون بعض مظاهر العمارة بمسجد أگرض تحمل الطابع السعدي، وكذلك زخرفة بعض القبور التي ما تزال معروفة لدى السكان باسم "تيسعديين" مما يمكن تفسيره بأنها قبور بعض الأمراء السعديين وهي تتميز بأضرحتها المزخرفة دون سواها من القبور الأخرى المتواضعة.

هذا وقد ضاع الكثير من أخبار هذه الجهة، في غير ما تتناقله الأخبار عن أسماء من تخرج من مدرسة هذا المسجد وأسماء شيوخها، ولا شك أنها عرفت ازدهارا علميا قبل تأسيس مدرسة إغلانْ على مقربة منها في نهاية القرن الثاني عشر / 18. وقد تحدث المختار السوسي عن إنشائها على يد سيدي يحيى بن سعيد الإلاني الجزولي (ت 1205 / 1791) وما عرفته بدورها من تخريج علماء أفذاذ، وبخاصة في عهد سيدي الحاج مسعود الوفقاوي (ت 1366 / 1946).

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 1 : 37 . 42 و 4 : 61 ؛ *المعسول*، 3 : 59.

R. Montagne et M. Ben Daoud. *Documents pour servir à l'étude du droit coutumier du sud du Maroc*. Hespéris, 1927, p. 417.

عمر أفا

أگرگور، اسم قرية تقع على الحافة الشمالية الغربية لهضبة كيكْ الكائنة جنوب غرب مراكش. وهي مبنية في تراب أيت واوزگيت، غير بعيد من بحيرة سد لاّلاّ تاكركوست التي تتجمع فيها مياه نهري نفيس وأمزميز.

إن كلمة أگرگور معروفة في مناطق أمازيغية من شمال إفريقيا ومع ذلك فإن مدلولها اللغوي غير مضبوط لحد الآن. ويمكن أن نفترض أنها تعني المجرى الواسع الذي يكونّه نهرٌ ما عند خروجه من الجبل إلى السهل حيث يحط السيل أحجاراً كثيرة. ومعلوم أن أگرگور تقع على الضفة اليمنى لواد نفيس، في منطقة يتسع فيها مجراه بشكل بيّن، خصوصاً إذا قورن بمجراه الأعلى.

لقد لعبت قرية أگرگور دوراً تاريخيا هاما في حياة سكان جبال نفيس، إذ كانت مقر إقامة قواد المخزن المركزي، المكلفين من قبل قائد أهل سوس والقصبة بمراكش، بشؤون أهل وادي نَفيس وقبيلة إغيغابن.

وبعد موت السلطان الحسن الأول، استولى عليها القائد الطيب الگنتافي، ثم نازعه عليها القائد الأگلاوي. وبعد جولة من المفاوضات بين القائدين عادت في بداية القرن العشرين إلى سلطة الگنتافيين. وكانت أگرگور بالنسبة إلى

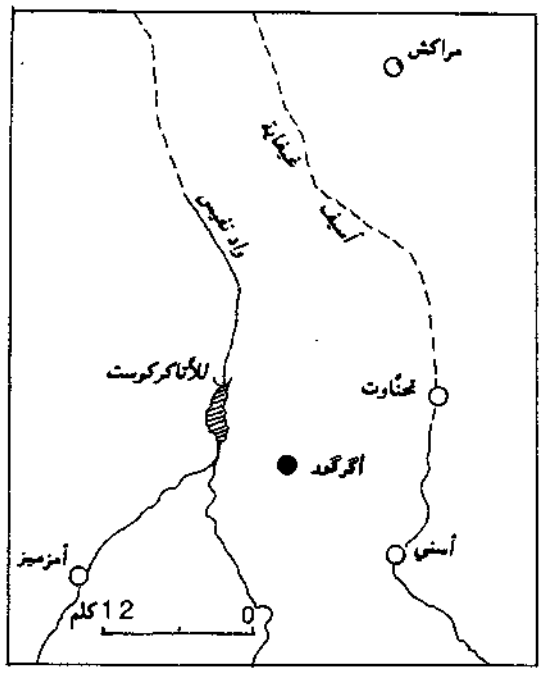

أگرگور

هؤلاء ذات أهمية استراتيجية كبيرة، لأنها كانت نافذتهم على الحوز والعاصمة الجنوبية مراكش، كما كانت مركزاً لمراقبة أهم طريق يربط وادي نفيس بحوز مراكش.

Ch. De. Foucauld, *Dictionnaires* t. IV, p. 1755 ; *Reconnaissance*, p. 337 ; De. Segonzac, *Voyage au Maroc* (1899 - 1901), 3e partie, Le sous, p. 238 p. 99 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, pp. 126, 133, 275, 277, 301, 336 ; E. Laoust, *Contribution*, p. 89 ; C. Justinard, *Le Caïd Goundafi*, pp. 38, 39, 46, 47 ; P. Pascon, *Le Haouz*, t. I, pp. 28, 182, 274, 346, 348, 367.

علي صدقي أزايكو

إكرْمَالتْ، جبل يعلو سطح البحر بـ 2008 متر، ويقع أساساً بأرضَ قبيلة زرقات بناحية صنهاجة، ويمتد إلى قبائل بني مزدوى وبني عمارت وبني بشير، واسم الجبل مأخوذ من اسم مدشر بفرقة علال من قبيلة زرقات.

وفي هذا الجبل اعتصم المجاهدون بعد أن استسلم الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي في شهر ماي 1926. وظلوا به إلى شهر يوليوز من السنة التالية.

Ministerio de la Guerra, *Accion de Espana en Africa 1930*. 2 ; 36 ; Domenech lafuente (Ange), *geografia de la Zone Norte del Protectorado de Espana en Marruecos 1942*, p 26 ; Cabello Alcaraz, JO, *Apuntes de geografia de marruecos*, 1951, p. 71.

م. ابن عزوز حكيم

إگرْوانْ، أو جروان، اسم جمع بالبربرية، مفرده أگراوْ. وهو اسم لقبيلة إگرْوانْ التي يوجد موطنها حاليا غرب مدينة مكناس. وقد ورد ذكر هذه القبيلة لأول مرة في كتب التاريخ، في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، صاحب *المقتبس من كتاب الأنساب*. وكانت تشكل في هذه الحقبة، فرقة من بني صطاط، أحد أمجاد صنهاجة القبلة. (المقتبس، 53 . 57) وكانت هذه القبائل تنتشر في هذا التاريخ، في مناطق الجنوب خلف جبال الأطلس. ولا نستطيع بالضبط، تحديد المجال الجغرافي الذي كانت تحتله

إگروان في هذه الفترة. إلا أنه من المؤكد أنها قد استقرت في أعالي زيز لمدة غير يسيرة من الزمن، حيث يوجد قصر يحمل اسمها إلي الآن. (*Notes sur le Haut Ziz*, 70) ويظهر أن قدومها إلى تلك المنطقة، قد تم في مرحلة متأخرة، وواكب هجرة قبائل أيت إدراسن التي خرجت من الصحراء الغربية في اتجاه الشمال الشرقي، مع قيام الحركة المرابطية. (*آثار التدخل الأجنبي*، 1 : 8 ـ 20). ومع أوائل القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، اضطر الاجروانيون كغيرهم من قبائل وأحات الجنوب الشرقي، تحت ضغوط اقتصادية وبشرية، إلى استئناف الهجرة نحو الشمال. فعندما تحدث صاحب *الإحيا والانتعاش* عن مجاعة عام 1071 / 1660، ذكر أن قبيلة إجروان قد فرت مع كثير من القبائل من بلاد أزغار إلى وأحات الصحراء. ولم تعد منها إلا في السنة الموالية عندما سمعت بخصب بلاد الغرب وأزغار وتبادلا (*الإحيا والانتعاش*، 250. 251). ويرجع تاريخ استيطان إگروان في أزغار بالضبط في مدينة الدلاء، إلى عهد محمد الحاج الدلائي (1046 / 1637 ـ 1071 / 1660). فقد أصبحت هذه القبيلة، تشكل مع أيت إدراسن ومجاط وأيت إمور وبني مطير، عصبية الإمارة الدلائية وحميتها. فقد تمكن هذا الأمير بواسطة تلك القبائل، من امتلاك أهم مناطق المغرب لمدة تنيف عن ربع قرن. (*الزاوية الدلائية*، 153). إلا أنه في سنة 1094 / 1683 على إثر الحملة العسكرية التي جردها مولاي إسماعيل على صنهاجة فازاز (الأطلس المتوسط)، اضطر الإجروانيون إلى الفرار بأنفسهم من جديد، نحو الجنوب الشرقي. فقد ورد في مخطوط نشره أحد الضباط الفرنسيين، أن إجروان أيام هذا الأخير، كانوا يعيشون في منطقة الجنوب الشرقي (*Un document sur la politique*, 40). وإلى ما يقرب من هذا، أشار مارتان (Martin)، استنادا إلى وثائق محلية، أن هؤلاء القوم كانوا، إلى عهد السلطان مولاي عبد الله، ما يزالون يعيشون فسادا في واحات تافيلالت، ويسطون على القوافل التجارية المتنقلة صوب توات (*Quatre siècles d'hist. du Maroc*, 91). ومع أوائل عهد ابنه سيدي محمد، اتجه الإجروانيون من جديد نحو الشمال، ودخلوا في منافسة شديدة مع أيت ادراسن الذين أنزلهم السلطان بأحواز مكناس، ونفذ لهم الأرض هناك (*تاريخ الضعيف*، 165). ويظهر أنهم قد استغلوا الفراغ الذي نجم عن نزول الإدراسنيين إلى السهول وصاروا يغيرون عليهم من الخلف ويتطلعون بدورهم إلى التسلل إلى المراعي الدافئة واقتطاع نصيب من أرض سايس الخصبة. وللوصول إلى هذه الغاية، استعانوا في سنة 1172 / 1761 بالأودايا وأنزلوا بجيرانهم هزيمة كبيرة. وأخرجوهم من بلادهم(الزياني، *الترجمان*، 72). ولصد إگروان وغيرهم عن المنطقة، طلب السلطان سيدي محمد بن عبد الله من والي مكناس، عقد حلف بين أيت إدراسن وأيت إمور وأمر العبيد بنصرتهم. وقد نشبت بين الفريقين في سنة 1173 / 1762، حرب فظيعة انتهت بانتصار حلف أيت إدراسن وأيت إمور والعبيد وانكسار شوكة إگروان والأودايا (*الاستقصا*، 8 : 13 ـ 14). إلا أنه عندما تجبر أيت إدراسن على السلطان وخرجوا عن طاعته في سنة 1179 / 1768، شارك الإجروانيون والودايا إلى جانب العبيد في حرب أعدائهم بالأمس واقتصوا منهم وهزموهم شر هزيمة. (*الاستقصا*، 8 : 28). وقد وردت في الحوليات التاريخية، في الفترة السليمانية أخبار كثيرة عن انتفاض إجراون وحروبها مع جيرانها أيت إدراسن. ويتضح من تلك الإشارات، أن هذه القبيلة قد وقعت في هذا العهد، بين كماشتين. فكان عليها أن تواجه ضغط قبائل أيت أمالو التي كانت تسعى إلى النزول إلى السهول من جهة. ومن جهة ثانية، كان عليها أن تصمد في وجه الحركات السلطانية ومضايقات أيت إمور وأيت إدراسن. ولم تستقر إجراون في موطنها الحالي على ما يبدو، إلا في عهد مولاي عبد الرحمان. فبعد أحداث معركة ظيان (زايان) (1234 / 1818)، واستمرار هيجان القبائن، اقدم هذا الأخير، على نقل إملوان وأيت إمور عن بلدهم إلى الحوز. وبذلك وهنت عصبية أيت إدراسن وخضعوا من جديد لسلطان الدولة. (*اختصار الابتسام*، 381). وبهذا الإجراء، خف الضغط على المنطقة، وتمكنت قبيلة إجروان من اقتطاع مجالها الحيوي وانحاشت لجانب المخزن. ولا نعرف بالضبط حدود هذا المجال الذي كان يتقلص أو يتوسع حسب قوة القبيلة أو ضعفها، إلا إشارات وردت في مصدر متأخر، تفيد أن هذه القبيلة كانت قبل سنة 1912، تنتشر على مساحة 600 كلم مربع بين جبل قفص شمالا وأگُورايْ جنوبا وبين خط مكناس ـ وعين عرمة (*La Région de Meknès*, 30). وكانت هذه القبيلة حسب نفس المصدر تنقسم إلى خمس قيادات : أيت يعزم : على رأسها القائد علي بن محمد و عدد خيامها 415 ؛ أيت الحسن (أ) : على رأسها القائد الحسين بن عكي و عدد خيامها 220 ؛ أيت الحسن (ب) : على رأسها القائد عُتّ بن علي و عدد خيامها 580؛ أيت حمو : على رأسها القائد ادريس ولد بردان و عدد خيامها 600 ؛ أيت ويخليفي : على رأسها القائد مصطفى الهردي وعدد خيامها 520. (*La Région de Meknès*, 31).

البيذق، *الأنساب* ؛ ع. العياشي، *الإحيا* ؛ الزياني، *الترجمان* ؛م. الضعيف، *تاريخ* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ كنينج، *آثار التدخل*.

Oustry, *Notes sur le Haut Ziz*, in Bull. de la Soc. de Géog. et d'Archéol. d'Oran, 1910 ; Arnaud (cap), *Monographie de la Région de Meknès*, Meknès 1914 ; Reynier (Lieut.), *Un document sur la politique de Moulay Ismïl dans l'Atlas*, Archives Marocaines, vol. XXVII, Paris 1931 ; Martin (A.G.P), *Quatre siècles d'histoire marocaine*.

العربي أكنينج

أگزناي ← الجزنائي

إگزناين ← جزناية

أگْزُول، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث لا زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Gazul كما أن هناك مدينة بمقاطعة قادس تسمى قلعة أگْزُولين Alcala de los Gazules. ومن أفراد هذه الأسرة بتطوان تذكر لنا الوثائق : الأمين أحمد بن محمد أگزول الذي كان ضمن الوفد الذي مثل تطوان في حفلة مبايعة السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام بفاس عام 1238 / 1823، ويبدو أنه توفي قبل عام 1249 / 1833 وهو يشغل منصب أمين الديوانة.

وهناك فرد آخر اسمه عبد السلام كان أمينا للديوانة سنة 1276 / 1859. وبتطوان زنقة تحمل اسم هذه الأسرة، وهي الزنقة التي أطلق عليها الإسبان خلال احتلالهم للمدينة سنة 1860 م اسم طلعة القصبة Subida al Castillo. ولا زالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط خاص ؛. أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 22 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ *تاريخ تطوان*، 3 : 286. 5 : 195. 8 : 285 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigena, *Familias ilustres de Tetuan* (A) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 (A) ; *Vademecum de Intervenciones* (año 1931) (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espanol* (A).

محمد ابن عزوز حكيم

أگْزول، محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفيلالي، فقيه مشارك، انتصب للعدالة بفاس طوال حياته. أخذ عن القاضي محمد بن محمد بن سودة، ومحمد ميارة، والخطيب حمدون الزبار. وأكثرُ أخذه عن الشيخ عبد القادر الفاسي، سمع عليه كثيراً في التفسير والحديث والأصول والكلام والمنطق والبيان، ولازم دروسه سنين عديدة ليلاً ونهاراً. ودرسٌ هو أيضا دهراً بالقرويين إلى أن أصابه مرض لزم به داره وتوفي بفاس عام 1090 / 79 . 1680.

ع. الفاسي، *الإعلام بمن غبر* (مخطوط).

محمد حجي

الأگزولي (أسرة رباطية) ← **الگزولي**

إكْس ـ لي ـ بَانْ، Aix-Les-Bains مدينة فرنسية صغيرة عاصمةَ مقاطعة لاسافوا تقع على الضفة الشرقية لبحيرة لابورجي وتبعد بمسافة يسيرة من مدينة جنيف السويسرية. عدد سكانها نحو ثلاثين ألف نسمة. وهي منتجع وحمة جميلة يقصدها السياح في فصل الصيف بالخصوص والمرضى للاستجمام والعلاج من داء المفاصل وغيره من أمراض الشرايين والأعصاب فيتعالجون بالمياه المعدنية وشتى الوسائل لما تتوفر عليه من أجهزة صحية.

هذه البلدة هي التي اختارتها الحكومة الفرنسية خلال اشتداد الأزمة في العلاقات المغربية ـ الفرنسية لعقد مؤتمر أو على الأصح "اجتماع إكس ـ لي ـ بان" ما بين 22 و 27 غشت 1955 تمهيداً للخروج من المأزق الذي وقعت فيه بعد خلع جلالة محمد الخامس ونفيه إلى كورسيكا ثم مدغشقر، مما نجم عنه اشتداد المقاومة الشعبية في المغرب وبلوغ الأمة أوجها فأخذت حكومة باريس تبحث عن حل.

تمّ خلع محمد الخامس، كما هو معلوم، قبل ذلك بسنتين في 20 غشت 1953. وخلافاً لما كان يتوقعه القائمون بهذه المؤامرة، فإن المقاومة الشعبية لم تهدأ والعمليات الفدائية لم تزدد إلاّ استفحالاً معزِّزةً مطالبة الشعب المغربي بعودة المشروعية بإعادة محمد الخامس الذي ظل صامدا في موقفه مصراً على رفض التنازل عن العرش.

نظمت على مر سنتين ثورة الملك والشعب فأحبطت المشاريع الاستعمارية التي كانت تهيأ من الدوائر الفرنسية، ولم يُجد القمع في القضاء على هذه الثورة، كما لم يُجد استبدال الجنرال گيوم مدبر المؤامرة بالمقيم العام الجديد فرانسيس لاكوسط أو جيلبير گرانفال وغيرهما، مثلما لم تستطع حكومات الجمهورية الرابعة المتتالية أن تعالج المشكلة، إلى أن تولى الحكم م. إيدگار فور المعروف بقوة شخصيته. وهو الذي أبدى كثيرا من الجرأة والحنكة السياسية لمعالجة الأزمة المغربية ـ الفرنسية ممهدا بعقد اجتماع إكس ـ لي ـ بان.

كانت مسألة إحداث مجلس للعرش ليحل محل السلطان ابن عرفة الذي نصبته الحكومة الفرنسية من أهم الحلول المطروحة على بساط البحث بعدما رفض الشعب المغربي الدعي رفضاً باتا وفشلت كل المساعي لتثبيت مركزه.

انعقد مؤتمر إكس ـ لي ـ بان في ظروف بالغة الاضطراب بالمغرب : قبل يومين لقي قائد القوات المسلحة الفرنسية بالمغرب مصرعه وحصلت اضطرابات في الدار البيضاء وعقبتها عمليات فدائية في منتهى الخطورة بالحواضر والبوادي حيث أتلفت المواصلات السلكية والهاتفية مما شل حركة الجيش الفرنسي، وأُوقدت الحرائق في مزارع المعمرين والمتعاونين الإقطاعيين المماثلين لإدارة الحماية، ووقعت اضطرابات قدم ممثل فرنسا گرانفال استقالته في أعقابها ولم يَمض على تعيينه أزيد من خمسين يوما.

في هذا الجو المحموم دعت الحكومة الفرنسية لمدينة إكس ـ لي ـ بان شخصيات مغربية وفرنسية من شتى الاتجاهات والهيآت للاستماع إلى آرائهم في موضوع حل الأزمة. وكانت الحكومة الفرنسية ممثلة بوفد يرأسه السيد انطوان بينى وزير الخارجية، وهو من أقوى الشخصيات الوزارية، يرافقه السيد بير جولي المكلف بالشؤون المغربية. أما الشخصيات المغربية السبعة والثلاثون الذين دُعوا للاجتماع فكان من بينهم بعض قادة حزب الاستقلال : الحاج عمر بن عبد الجليل، عبد الرحيم بوعبيد، المهدي ابن بركة، وبعض قادة حزب الشورى والاستقلال : عبد القادر بنجلون، عبد الهادي بوطالب، محمد الشرقاوي، أحمد ابن سودة. ومن الشخصيات المستقلة دُعي مبارك البكاي والفاطمي بنسليمان. كما دُعي وفد من سامي شخصيات المخزن (الحكومة المغربية) وفي مقدمتهم الصدر الأعظم محمد المقري، ووفد من كبار رجال السلطة وفي مقدمتهم

الباشا التهامي الگلاوي الذي كان على رأس المتآمرين ، وكذلك عبد الحي الكتاني. كما شارك في الاجتماع ممثلون عن إدارة الحماية والجالية الفرنسية من معمرين وغيرهم.

باستثناء ممثلي الإدارة الفرنسية والموالين لها كان إجماع المتحدثين على وجود إعادة المشروعية في شخص محمد الخامس ورجوعه إلى عرشه، وكان للحجج التي قدمها المتشبثون بالمشروعية تأثير قوي على الوفد الفرنسي وخاصة على رئيسه السيد أنطوان بيني الذي لعب دوراً مهما في تطور الأحداث بعد ذلك.

بعد انفضاض اجتماع إكس ـ لي ـ بان يوم 27 غشت 1955 اجتمع مجلس وزاري برآسة روني كوتي رئيس الجمهورية، وبحث الخيارات المطروحة على ضوء النتائج المستخلصة من المؤتمر. وبعد ساعات طويلة من المناشات الحادة، تم الاتفاق على إزاحة ابن عرفة عن العرش وتنصيب مجلس بدله وتأسيس حكومة مغربية، كما تقرر الدخول في محادثات مع محمد الخامس في منفاه لأخذ موافقته. وجهت الحكومة الفرنسية الجنرال كاترو وهو من قواد فرنسا الكبار إلى انتسيرابي، حيث كان محمد الخامس منفيا، يوم 4 شتنبر 1955 وعين مقيم فرنسي جديد في المغرب لتنفيذ السياسة الجديدة. ثم وقعت أحداث جسام قبل أن تعود المشروعية إلى نصابها بعودة محمد الخامس يوم 16 نوفمبر 1955 إلى عرشه حاملاً معه الاستقلال الذي كافح هو وشعبه في سبيله.

ق. الزهيري، *محمد الخامس الملك البطل*.

P. July, *Une république pour un Roi*, Fayard ; C. Paillat, *La liquidation*, Robert Laffont.

قاسم الزهيري

أگشتيم، قد ينسب إليها في تراجم العلماء باسم الجشتيمي، وهي قرية بفرقة أفلاً واسيف، على بعد حوالي 7 كلم شمالاً من تافراوت، عند قدم الدير الجنوبي لجبل الكست الشرقي.

أحمد التوفيق

إگوت ← تكنة

إگيگ، أبو إبراهيم إسماعيل الهزرجي. هنالك بعض الاختلاف في ذكر هذا الاسم. *فروض القرطاس* يذكره باسم إبراهيم بن إسماعيل الهزرجي، بينما يكتفي صاحب *الحلل الموشية* باسم "أبو إبراهيم"، وكذلك ابن عذاري في الجزء الرابع. ونعتقد أن صاحب *روض القرطاس* كان مخطئا في الصورة التي قدم عليها اسم المترجم، إذ نجد أقدم المصادر وهو *أخبار المهدي* للبيذق يدعوه إسماعيل بن يسلال الهزرجي وكذلك عبد الواحد المراكشي الذي يسميه أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى الهزرجي، ويسميه البيذق، أيضا، إسماعيل إيگيگ الذي يعني باللغة البربرية الرعد.

كل المصادر متفقة على أنه من أصحاب المهدي العشرة. وكان من الأولين الذين اتصلوا بالمهدي وتتلمذوا عليه. ونسبته تدل على أنه من قبيلة هزرجة التي يعدها عبد الواحد المراكشي من قبائل مصمودة القاطنة حول مراكش وهم هزميرة وهيلانة وهزرجة، كما يذكرها ابن خلدون من بين القبائل السابقة لدعوة المهدي مع هنتاتة وتينملل وهرغة. ويظهر أن هزرجة كانت من بين القبائل المعادية للمرابطين إذ أن هؤلاء، حسب رواية البيذق، بنوا حصن تاسغيموت وأسندوا قيادته لأبي بكر بن اللمطي مع مائتي فارس وخمسمائة راجل لحراسة "بلاد هزرجة".

حينما التجأ ابن تومرت إلى أغمات ن ويلان وجد معارضة من طائفة من السكان وتأييدا من طائفة أخرى وكان من بين طلبته المذكورين في المصادر سليمان بن البقال وإسماعيل الهزرجي. وقام هذا الأخير بدور مهم في حماية ابن تومرت بعد أن غادر أغمات إلى إيگلوان من بلاد مسفيوة. فقد أمر علي بن يوسف بالقبض على الفقيه السوسي، لكن إسماعيل أتاه بنجدة تتكون من مائتين من رجال قبيلته فحملوه إلى بلاد هزرجة ثم إلي إمسفيوا، ومن ثم وجد ابن تومرت نفسه في منعة فأخذ يتنقل في جبال الأطلس.

هاته الحفاوة التي أظهرها في خدمة المهدي جعلته يحتل المرتبة الثانية من بين أصحاب المهدي بعد عبد المومن. فيذكر البيذق مثلا، أن أول من بايع المهدي تحت شجرة الخروب المشهورة كان هو عبد المومن، ثم أبو إبراهيم، ثم عمر أصناگ الخ... ونجد دليلا ثانيا على هاته المنزلة في كون المهدي، حينما أسند لعبد المون قيادة گدميوة في إحدى غزواته للمرابطين وسلمه علما أبيض، عين إسماعيل قائدا علي قبيلته هرغة وأعطاه علما أصفر، كما كلفه بمهمة القضاء بين الموحدين.

حافظ إسماعيل على الحظوة التي أدركها مع الإمام المهدي إلى وفاة هذا الأخير فنجده من بين الأصحاب الخمسة الذي تميزوا بالبقاء مع المهدي في الأيام الأخيرة من حياته وهم حسب ترتيب البيذق عبد المومن و "أبو إبراهيم وعمر اصناگ ووسنار وأخته أمّ العزيز بن عيسى". واستمروا على هذه الحال بعد وفاته، وكان أبو محمد وسنار وهو الناطق باسم تلك الجماعة لدى جمهور الأنصار.

وكان لا بد لإسماعيل من أن يكون من بين أول من يتخذ موقفا محددا من بيعة عبد المومن التي أثارت، ولا شك، مشاكل بين شيوخ المصامدة وزعمائهم. ويقدم لنا البيذق صورة عن مشهد تلك البيعة قائلا :

"وصاح عبد المومن بالقبائل وضم الموحدين وجعل المجلس، فاستعمل ركائز وحال بين الرجال والنساء، ثم وعظ الناس وقال لهم في آخر كلامه : بقي عندكم عهد بيعة المهدي رضي الله عنه. قالوا : نعم. فقد تم وعد عمر أصناگ ثم سائر المشيخة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ ثم قال لهم : المهدي قد توفي ـ رضي الله عنه ـ فبكى الناس، ثم قال لهم : اسكتوا. فسكتوا. فقال أبو إبراهيم وعمر اصناگ وعبد الرحمن بن زكو ومحمد بن محمد لعبد

المومن: أمدد يمينك نبايعك البيعة التي عقدناها مع الإمام المهدي، فمد يده وبايعوه، ثم تبعهم سائر الناس حتى إلى الليل".

من هذه الرواية يتضح لنا أن الدور الذي قام به إسماعيل كان حاسما في بيعة عبد المومن إذ كان أول من بادر إليها. ومن خلال النتف القليلة التي نقرأ عنه في المصادر، نكتشف له دورا آخر شبيها بالمؤرخ الرسمي للدولة. فقد نقل البيذق عن كتاب يسميه "كتاب المجموع" أبياتاً وأخباراً تتعلق بالمهدي ابن تومرت وفيها تاريخ وفاته وكلها مكتوبة بخط أبي إبراهيم. فالرجل كان، إذن، محصلا على ثقافة أهلته لأن يشغل مناصب مثل القضاء والكتابة وتسجيل الأحداث التاريخية.

لكنه كان في آن واحد يضطلع بمهام عسكرية منذ عهد المهدي ونظرا لما أظهره من تأييد لعبد المومن منذ البداية فقد أسند إليه هذا الأخير مهام عسكرية أخرى. فكان معه في الحرب الطويلة التي قادها من المغرب الأقصى إلى المغرب الأوسط في مطاردة الملك المرابطي تاشفين. وكان يمسك بإحدى يدي عمر أصناگ بينما يمسك عبد المومن باليد الأخرى وهو واقف في مرضه يعظ الموحدين في اليوم الذي مات فيه.

وفي هاته الغزوة الطويلة تزوج فاطمة بنت يوسف الزناتية التي كانت من أعيان السبايا التي أخذت في ناحية تلمسان هي وبنت ماكسن بن المعز ومئة بكر. وقد أجرى عبد المومن القرعة مع أبي إبراهيم من أجل فاطمة المذكورة فكانت من نصيب هذا الأخير. وما كان عبد المومن يقبل أن يجرى القرعة معه لو لا شعوره بأنه قرينه في الدعوة الموحدية، وكفء له في نظام الجماعة، بل إن المهدي سبق له وأن سوى بين الرجلين في المسؤولية العسكرية في إحدى غزواته للمرابطين حينما "أخذ علما أبيض فدفعه للخليفة الإمام عبد المومن بن علي وأخرج معه گدميوة، وأخذ علما ثانيا أصفر فدفعه لأبي إبراهيم وقدمه على هرغة" (البيذق). ونجده في طريق الرجوع في تلك الحرب الطويلة يقوم بقتال ثائر بناحية أگرسيف اسمه أبو يعلى ويقضي عليه بتعاون مع أبي بكر ويفتين.

وهكذا، نجد أوثق المصادر تبرز حضوره في عدد من الوقائع المهمة، مشيرة بذلك إلى أهمية شخصيته في الدولة. فنجده إلى جنب عبد المومن عند الدخول إلى تلمسان، وقد خرج البعض من أهلها يلتمسون العفو من الخليفة الموحدي. ونصادفه بعد ذلك في حصار فاس مع أبي بكر بن الجبر. ولا أدل على منزلته في الدولة من كون عبد المومن يجعل من الخاصة الذين يستشيرهم في أسرار الدولة، فيذكر ابن عذاري في حوادث 547 هـ أن عبد المومن لما أراد غزو بني حماد "استسر ذلك مع خاصته ووزرائه، منهم أبو إبراهيم وأبو حفص وغيرهما، وأظهر لهم ما في طي نفسه من ذلك".

ويتفرد عبد الواحد المراكشي برواية عن موت المترجم تدل على البطولة والوفاء. فقد علم أبو إبراهيم بأن بعض قرابة المهدي من أيت ومغار أرادوا أن يتسللوا إلى خباء عبد المومن ليلا ليغتالوه" فأتى عبد المومن فقال له :"لي إليك حاجة ؟" قال :"وما هي، يا أبا إبراهيم ؟" قال :"أن تخرج عن هذا الخباء وتدعني أبيت فيه" ولم يعلمه بمراد القوم، فظن عبد المومن أنه إنما يستوهبه الخباء لأنه أعجبه. فخرج عنه وتركه له. فبات فيه إسماعيل المذكور، فدخل عليه أولئك القوم، فتولوه بالحديد حتى برد. فلما أصبحوا ورأوا أنهم لم يصيبوا عبد المومن، فروا بأنفسهم حتى أتوا مراكش وراموا القيام بها..".

رواية قد تكون صحيحة، إلا أنها لم ترد إلا عند صاحب "المعجب". ويذكر هذا المؤلف بعد ذلك كيف أن مقتل أبي إبراهيم فداء له أثار في نفسه "وجدا مفرطا أخرجه عن حد التماسك إلى الجزع. فأمر بغسله وتكفينه، وصلى عليه بنفسه، ودفن". ونال ابن أبي إبراهيم الوحيد - واسمه يحيى - "جاها متسعا ورتبة عالية" في أيام أبي يوسف يعقوب وأيام أبي عبد الله محمد إذ "كانت أكثر أمورهم ترجع إليه" إلى أن مات في سنة 602 هـ.

وبالجملة، فأبو إبراهيم إسماعيل الهزرجي من الوجوه البارزة في صدر دولة الموحدين. ولا شك أن التنظيم الذي ابتكره ابن تومرت في ضبط حركته والذي استمر بعد وفاته كان سببا في بروز شخصيات من هذا النوع في بنية الدولة الموحدية.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ *كتاب الأنساب* ؛ ع. بن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

أگلاگل، حصن من حصون حاحا. ذكره الإخباري البرتغالي (دوگويش) تحت اسم "الجيل Algel" بينما حرف الإسباني مارمول قليلا هذا الاسم إذ كتبه الگيل Alguel. وحدد دوسنيفال (P. De Cénival) موقعه بمنطقة دمسيرة، على الطريق الرابط بين مراكش وتارودانت (عبر تيزي أو ماشو). وتُجمع المصادر على مناعة موقع هذا الحصن المسور والمشيد على جبل تحيط به جبال أخرى لا تقل عنه مناعة. ويذكر مارمول أن سكانه كانوا يعتمدون على الزراعة وتربية الماعز وأنهم كانوا لذلك أغنياء. وأگلاگل من الحصون التي حاول البرتغاليون خلال عام 921 / 1515 طرد القائم بأمر الله وابنه أحمد منها بعد تخريب مقرهما الرئيسي بمنطقة الشياظمة : تَدْنيست، الموجودة قرب أفوغال. فبعد طرد السعديين من أمگور في صفر 921 / أبريل 1515 التجأوا إلى حصن أگلاگل، الأمر الذي أكره البرتغاليين على تنظيم حملة لطردهم من هناك إلا أن هذه الحملة انتهت بهزيمة برتغالية كبرى وبقتل عدد كبير من حلفائهم.

R. Ricard, *Les Portugais au Maroc* ; C. de Marmol, *L'Afrique* ; De Cénival, *Sources Inédites*, Portugal, T.I.

أحمد بوشرب

الأگلاوي، بيت شهير في الأطلس الكبير من قبيلة أگلاوة أو إگليوا والمفرد أگلاوُ. وقد يكون هذا الاسم مشتقا من أگلو وجمعه إگلوان. وأصبح هذا الجمع اسم مكان بالأطلس الكبير الأوسط ويعني الفج العميق وهو وصف دقيق لطوبوغرافية أعالي أودية الأطلس الكبير. ومنذ أوائل القرن الثامن عشر أضيفت صفة "المزواري" إلى الأگلاويين آل الحاج الراضي بن أحمد الأگلاوي المزوار. الذي قد يكون أول من حمل منهم هذا اللقب، وهو يعني نقيب عائلة مرابطية، وربما كان أول من كلف بإعادة تنظيم موسم الجد الأعلى للعائلة الولي أبي محمد صالح الماگري دفين مدينة أسفي.

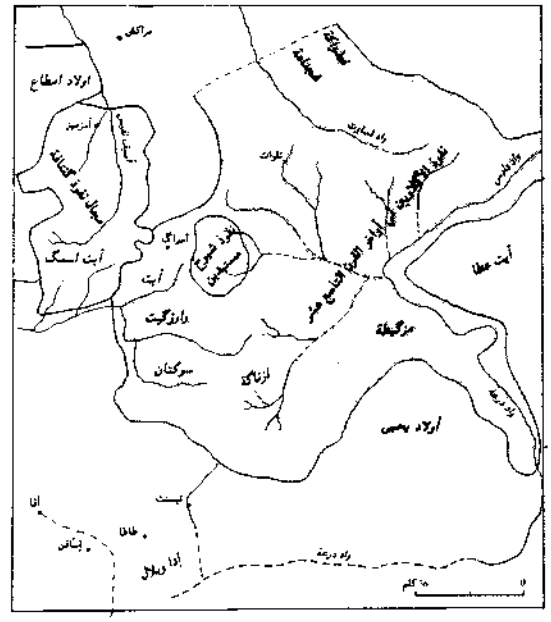

مجال نفوذ الأگلاويين في أواخر القرن التاسع عشر

هذه هي الرواية التي كان كبار العائلة يعتمدونها، وما زال حفدتهم يبنون عليها شجرة نسبهم، كما أنها الرواية التي اعتمدها مارت وإدمون گوفيون في سياق كتابتهما تاريخ هذه العائلة والتي انتهيا من تدوينها سنة 1923 ضمن تأريخهما لأعيان المغرب الأقصى، أي أن هذه الرواية كانت موجودة قبل الشجرة العائلية التي شهد بها كثير من زوار قصر الباشا التهامي الأگلاوي بمراكش والتي قد تكون بدورها مبنية على نفس الرواية التي لا تزال معتمدة لدى الأگلاويين المزوارين إلى الآن. وهي ترجع أصل هذه العائلة إلى موطن دكالة الجنوبية (عبدة الحالية) وتضعه في نسق ديني، وهو شيء معروف عبر تاريخ المغرب. تبدأ الظاهرة عادة بهذا الأصل الحقيقي أو الوهمي ثم انتقال المؤسس إلى غير موطنه الأصلي حيث يصبح بعد ذلك محايداً داخل الصراعات القبلية والعائلية لكي يصير بعد ذلك حكماً ليست له مصلحة في اللعبة السياسية الاجتماعية. لكن بعد جيل تقريبا يصبح أبناؤه أو ورثته طرفا في النسق القبلي مستغلين دور الجد أو الأب في طريقهم إلى الصعود نحو الزعامة السياسية والقبلية.

إن هذا النسق وهذا التطور هو الذي وضع فيه أغلب الدارسين لهذه الظاهرة، وضمنهما شرح ظهور عائلة الأگلاويين المزوارين من الحاج الراضي الذي لعب دور المرحلة الأولى، ودور حفيده محمد بن الحاج أحمد بن الراضي ـ إبيبض ـ المؤسس لزعامة العائلة في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي.

لكن هذا المنظور يتعارض مع المعلومات والأخبار التي عرفت عن هذه العائلة وتاريخها. فمنذ العشرينات من هذه القرن حين كان روبير مونطاني R. Montagne يبحث عن العلاقات بين المخزن والبربر تناقض مع هذه الأطروحة في كثير من جوانبها ومضامينها السياسية والدينية والاجتماعية. وكان أول ما ناقشه هو أصل هذه العائلة الذي قد يكون حسب زعمه ليس من شمال الأطلس الكبير (من موطن بني ماگر إلى تلوات) لكن من تونزولين في درعة الوسطى نحو الشمال. وهذا يتطابق مع حركات الهجرات التقليدية التي عرفها المغرب عبر التاريخ (جنوب / شمال) وبذلك تكون هذه العائلة إحدى العائلات التي نجحت في الصعود إلى السلطة في إطار اللعبة القبلية التقليدية من الدور المحلي الداخلي إلى الدور الجهوي ثم المخزني في خلال قرنين من الزمان.

وإذا اعتمدنا هذه الأطروحة فإن "المزوار" اللقب الذي عرفت به عائلة الأگلاوي يصبح له معنى الزعامة القبلية الحربية والسياسية، ويعني لغة "أمزوار" أي الأول في الأمازيغية، وقد يعني كذلك الابن البكر أو يكون مأخوذا عن النظام الفلاحي وإنتاج البواكر، وهذا المدلول موجود في المنطقة كتصنيف للأراضي بين التي تزرع باكراً والتي تؤخر (أمازوزي ـ أمازُور) وانتقل هذا المعنى الفلاحي الموسمي إلى المعنى الاجتماعي السياسي والقبلي. لكن مع العلم أن هذا المفهو كان قديما في القاموس التاريخي المغربي منذ العهد الموحدي.

م. المختار السوسي، *العسول*، 14، 15 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9.

Ch. De Faucault, *Reconnaissance au Maroc* ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; M. et E. Gouvion, *A'ayan al Maghrib al Aqsa* ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*.

الأگلاوي، إبيبْضْ، محمد بن الحاج أحمد بن الحاج الراضي، لا يعرف تاريخ ولادته بالضبط، لكن من المحتمل أن يكون ولد فيما بين سنتي 1820 و1825. وهذا الاحتمال يرجع بنا إلى تاريخ مساعدته لأبيه القائد أحمد الأگلاوي المزواري ونيابته عنه، وكان عمره يقدر آنذاك بأكثر من خمسة وعشرين عاما. كما أن هذا الاحتمال يسانده تاريخ زواج محمد إبيبض للمرة الأولى من للا تاگرّامت (السيدة المرابطة) وإنجابها لابنه الأول محمد. وهذا كله ضمن إطار مجتمع أعيان البادية المغربية في مغرب القرن التاسع عشر الذي كانت تسيطر عليه عادة الزواج المبكر جدا. وإشراك الابن البكر في تسيير شؤون الأسرة والقبيلة.

أما "إبيبض" فتعني الذري الصغير وهو طائر نحيف ضعيف، قد يكون أطلق عليه لنحافة جسمه أو لأنه كان أقرع الرأس. وليس في ذلك أي علاقة سر سحرية أو دينية كما ذهب إلى ذهب گوفيون (Gouvion) في مقاله عن أصل العائلة ولقب المؤسس، من أن الطائر الدري كان شبه مقدس لدى سكان الجنوب ونظرا لاصول العائلة وعلى الخصوص، ميلاد محمد إبيبْض من للأ تاگرامت التي عرفت بللا تيبيبطت. وهذا الاحتمال الأخير يتناقض مع الرواية الشفوية والأخبار الباقية في ذاكرة مسنِّي المنطقة وكذلك لدى حفدته.

وصل القائد محمد إبيبْضْ إلى زعامة قبيلة أگلاوة الشمالية خلفاً لأبيه القائد أحمد الأگلاوي المزواري في بداية العقد الخامس من القرن التاسع عشر الميلادي حيث عين في سنة 1855 قائدا على عهد السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام. لكن هذه القيادة كانت إذ ذاك تابعة لقيادة عائلة الزمراني صاحب الدير الشمالي والجنوبي. وإذا كان تاريخ رأسة عائلة الأگلاوي قد بدأ من هذه المرحلة فإن تاريخ المراحل السابقة ما يزال يكتنفه الغموض والمعلومات التاريخية قليلة، في حين أن الآراء والأطروحات تتناقض، وأصبح اليوم من الصعب إثبات أو نفي كثير من هذه المعلومات، ولو أن أغلبها بنيت عليه دراسات وسير ذاتية عامة لأقطاب أو زعماء هذه العائلة، كالمدني والتهامي دون الوصول إلى إثبات موضوعي مبني على وثائق تاريخية معروفة.

لقد ظهر القائد محمد الأگلاوي المزواري إبيبْض على الساحة السياسية في أواسط القرن الماضي كما أسلفنا. وقبل نهاية الخمسينات أصبح قائد قبيلة أگلاوة الكبرى (الشمالية ثم الجنوبية) سنة 1855 حين عين من طرف السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام بظهير، وكان أول قائد مخزني مكلف بالجنوب في هذا العهد، وبذلك استقلت قبيلته عن قيادة عائلة الزمراني. ومعه انتقل دور العائلة من الاشتغال بالتجارة المحلية (في الملح خصوصا) ومراقبة الطرق التجارية بين مراكش وتافيلالت ودرعة ودمنات إلى الزعامة القبلية والانتماء إلى الإطار المخزني. وقد عمل على توسيع نفوذه فتأتّى له ذلك بعدما استطاع القضاء على الزعامات المحلية الأخرى المناهضة والمنافسة داخل قبائل أهل ورزازات ووزگيطة (أيت واوزگيط) وفي سنة 1864 م، أي بعد حرب تطوان والمشاكل المالية الناتجة عنها، ونظراً للدور الذي لعبه في أداء أموال طائلة للمخزن، أضيفت إلى قيادته قبائل أخرى محاذية لمجال قيادته نحو الشرق وهي إمغران وأيت سدرات ودادس وتودغة (تادغوت) وهي التي تمر الطريق الرابطة بين تافيلالت ومراكش عبر أراضيها. وكانت هذه أول مرحلة توسعية في إطار القيادة المخزنية. أما المرحلة الثانية فهي تضم القبائل المجاورة لأگلاوة نحو الجنوب ونحو الغرب وهي مزگيطة وزناگة (إزناگن أو صنهاجة) وتمّ بذلك القضاء على الزعامة القبيلية المتمثلة في عائلة أيت عمرو (العمري) وعائلة القائد علي الورزازي بتامضاخت، وأصبح مجال قيادة الأگلاوي إبيبْض يمتد من تودغة إلى قمة الأطلس الكبير، ومن أعالي درعة إلى قمة تويكال، وهو أوسع ومتكامل بشريا واقتصاديا بين الصحراء والواحات والجبل، تمر عبره الطرق التجارية. وقد لعب هذا المجال دورا أساسيا في قوة هذا القائد حتى وفاته في 4 غشت 1886 وأصبح قاعدة مادية وبشرية لقوة الرؤساء من أبنائه.

وبعد وفاة القائد محمد بن أحمد الأگلاوي إبيبْض ترك عدة أبناء، منهم المدني (1853 - 1918) والتهامي (1876 - 1956) ومحمد (1851 - 1876) وحسي (ت. 1949) وحمادي (ت. 1954) وعلال (ت. 1954) وقد لعب كل واحد من هؤلاء دوراً في ترسيخ سلطة العائلة في مجالها الجهوي والمخزني وبرز اثنان منهم : المدني وزير السلطان عبد الحفيظ، والتهامي باشا مدينة مراكش.

م. المختار السوسي، *العسول*، 14، 15 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9.

Ch. De Foucault, *Reconnaissance au Maroc* ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; M. et E. Gouvion, *A'ayan al Maghrib al Aqsa* ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*.

محمد أوجامع

الأگلاوي، التهامي بن محمد بن حمو المدعو إبيبض المزواري ينسب إلى قبيلة أگلاوة قبيلة أمازيغية بجبال الأطلس. وهي مذكورة عند النسابين في عداد مصمودة، وزعماؤها المزواريون يقولون انهم شرفاء من سلسلة الولي أبي محمد صالح دفين مدينة أسفي، في القرن السابع الهجري. كان لهذه القبيلة اتصال قديم بالمخزن ومن ذلك أن السلطان المولى إسماعيل العلوي قد استقبل وجيشه من طرف قبيلة أگلاوة بعدما أدركتهم ثلوج جبال الأطلس أثناء رحلة ملكية من تافيلالت إلى مراكش عبر تيزي نْ تلوات. وتكررت واقعة مشابهة في القرن التاسع عشر حيث استقبل محمد بن حمو الأگلاوي "حركة" السلطان محمد بن عبد الرحمان وسهر على مرورها بسلام من أوعار جبال تلوات التي يتحكم فيها ويعرف شعابها رجاله المحنكون وذلك عام 1864 كما استقبل ابنه المدني الأگلاوي آخر "حركات" السلطان المولى الحسن في نفس الظروف وأسفرت تلك الزيارة الملكية عن تعيين المدني الأگلاوي خليفة للسلطان على أگلاوة والقبائل المجاورة لها.

التهامي هو الابن الثالث لمحمد بن حمو إبيبض ولد له بتلوات من زوجته زهرة الملقبة بأم الخير عام 1878. وتلقى دراسته الأولى بزاوية "سگر" بأوريكة قرب مراكش، فحفظ القرآن بأكثر من رواية واحدة واهتم بالفقه اهتماما خاصا حيث حفظ عن ظهر قلب *مختصر الشيخ خليل* وأخذ علوم العربية عن عدد من العلماء الكبار أمثال سيدي المدني الوفراني. ولم تشغله اهتماماته السياسية عن القراءة ومجالسة العلماء والعناية بهم والبحث عن المخطوطات وليس أدل على ذلك من خزانته العظيمة الغنية بنفائس

المصنفات. كان لشقيقه المدني الفضل الأكبر في تربيته العسكرية، فقد لاحظ فيه منذ صغره الاستعداد الكبير والمهارة النادرة ليجعل منه رجل حرب كبير. ولم يكن المدني ليخطئ في فراسته هذه بحيث تألق التهامي في أولى معاركه وهو ابن الخامسة عشرة. وقد خاض هذه المعارك ضد قبيلة أيت واوزگيت وقبيلتي مسفيوية وغياية دفاعا عن قبيلة آوريكة وهو فيها إذ ذاك طالب علم. كما ظهرت خصائصه العسكرية في الحركات المخزنية ومنها محاربة كل من الروگي الطاهر بن سليمان اللاجئ بالرحامنة والروگي بوحمارة اللذين حاربهما السلطان المولى عبد العزيز. بدأ التهامي الأگلاوي حياته السياسية بتعيينه على رأس أگلاوة والقبائل المجاورة لها من طرف أخيه المدني الذي استقر بمراكش بالقرب من الخليفة السلطاني المولى عبد الحفيظ. ولما تم الأمر لمولاي حفيظ وأصبح سلطانا على المغرب في أواخر عام 1907 عين المدني الأگلاوي قائدا للجيوش الشريفية وعين شقيقه التهامي باشا على مدينة مراكش في بداية عام 1908. وبعد استتباب الأمر للمولى عبد الحفيظ واستقراره بمدينة فاس عين المدني صدرا أعظم وحرر ظهير التعيين الرسمي لأخيه التهامي باشا مراكش وهو يحمل تاريخ 19 جمادى الثانية 1327 / 8 يوليوز 1909.

ولما التفت المولى عبد الحفيظ عن زعماء أگلاوة لأسباب لا داعي لذكرها هنا نزع المدني من الصدارة العظمى وعين مكانه "المقرى" ونزع أخوه التهامي من باشوية مراكش وعين مكانه أحد المخلصين الأوفياء للسلطان هو إدريس أمنو وذلك في أواسط عام 1911 م.

التهامي الأگلاوي
باشا مراكش

وفي نهاية العهد الحفيظي استطاعت فرنسا بضغوطها أن تفرض حمايتها على المغرب، وكان على زعماء أگلاوة أن يتخذوا موقفهم من الوضع الجديد اعتبارا لفنوذهم في الحوز، وربما كان التهامي مثلا يرى في الحماية الفرنسية مؤشرا للنهوض بالمغرب وإدخال اصلاحات على مستويات متعددة كان المغرب بحاجة واسعة إليها في ذلك الوقت. وعلى أي حال فإنه قام بمبادرات إيجابية اتجاه الدولة الحامية، من ذلك إنقاذ مجموعة من الفرنسيين على رأسهم القنصل ميگري (Maigret) من قبضة المتطلع إلى الحكم أحمد الهيبة وتسليمهم للقائد الفرنسي الكولونيل مانجان (Mangin). وفي شتنبر 1912 عين التهامي من جديد باشا على مراكش بأمر من المولى عبد الحفيظ بعد التوقيع على عهد الحماية باقتراح من الدولة الحامية، ومنذ هذا التاريخ والتهامي يشارك في الحملات العسكرية المتوالية بجنوب المغرب من أجل تهدئة قبائل هذه المناطق. وأولى هذه الحركات تلك التي حارب خلالها أحمد الهيبة الذي فر من تارودانت إلى جهة الصحراء، وقد عين التهامي أحد أنصاره وهو حيدا أوميس باشا على هذه المدينة وخليفة للمخزن على منطقة سوس.

وعلى الرغم من موافقة الباشا التهامي الفرنسيين على سياستهم التي يعتقد أنها اصلاحية فإن مساعداته "وحركاته" العسكرية التي امتدت إلى عام 1934 لم تكن في خدمة الحماية بقدر ما كانت من أجل تثبيت نفوذه على الجنوب وتوسيع منطقة حكمه. يظهر أن التهامي كان أقل حماسا من أخيه في خدمة الفرنسيين بحيث كان يخفي عليهم مخططاته السياسية وأهدافه العسكرية بل ربما اتصل بدول أجنبية أخرى كألمانيا وإنجلترا ليضيق الخناق عليهم ويحد شيئا ما من نفوذهم الشيء الذي جعل الوزير الفرنسي في الدفاع "دلاديي" (Daladier) يقول : "إن التهامي يشبه كلبا بلا ذنب لا نعرف أبدا ما يفكر فيه".

وفي 14 غشت 1918 توفي المدني الأگلاوي فقررت فرنسا في شخص مقيمها العام بالمغرب ليوطي منح الباشا التهامي زعامة قبائل أگلاوة بالإضافة إلى باشوية مراكش على الرغم من معارضة رئيس الإقليم الجنرال دولاموت De Lamothe الذي كان لا يحبذ أن يجمع التهامي بين المهمتين معا. ومنذ ذلك الوقت ازداد نفوذ أگلاوة امتدادا بفضل شخصية التهامي القوية ودهائه السياسي. ولم يسع الفرنسيين إلا أن يساعدوه على توسيع هذا النفوذ الشيء الذي جعل خصومه ومعارضيه أمثال القائدين الطيب الگندافي وعبد المالك المتوگي يدورون في فلكه. وفي سنة 1934 توفي ابن أخيه السيد حمو قائد تلوات الذي كان يقف حجر عثرة في وجه الامتداد الفرنسي بإيعاز من التهامي فاستطاعت الحماية أن تستكمل سيادتها على المناطق الجنوبية وأصبح الباشا الأگلاوي الحاكم المطلق على الجنوب المغربي من مراكش إلى تخوم الصحراء. انتهت إذن المعارك "والحركات" وساد نوع من الهدوء والاستقرار جعل الباشا يتفرغ للشؤون السياسية والاقتصادية حيث بدأ يشتغل بالتجارة والفلاحة فنمت ثروة أگلاوة التي كانت ثروة كبيرة منذ القرن التاسع عشر. ويستنتج ماكسويل (Maxwell) أن زعماء أگلاوة على خلاف قواد الأطلس لم يؤسسوا ثروتهم على النهب والسرقة بل كان لهم معدن ملح كبير قرب "تلوات" وكانت تأتيهم القوافل من موريطانيا والصحراء والسودان وواحات الجنوب المغربي بل وحتى من داخل المغرب لتشتري الملح، وعلى الرغم من تشغيل مائتي رجل آنذاك فإنهم لم يستطيعوا تلبية رغبات جميع هذه القوافل. فثروة الأگلاويين إذن قديمة وازدادت نموا على عهد الباشا

التهامي الذي أعطته فرنسا عددا من الامتيازات مكنته من توسيع هذه الثروة. وعلى الرغم من موافقة الباشا على سياسة فرنسا الإصلاحية فإنه كان أكثر الناس إخلاصا وأكثرهم حبا ووفاء للمخزن، ولم يكن هذا الوفاء والإخلاص إلا استمرارا وامتدادا لإخلاص أجداده وتقديرهم للأسرة الشريفة.

وإذا تمخضت الأحداث السياسية أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات عما سمي بالخلاف بين الباشا والقصر فإن الأگلاوي لم يكن على ما يبدو سوى ضحية صراع كبير متعدد الجوانب والأشكال، هو في بعض وجوهه لون من ألوان الصراع بين القديم والحديث. وقد كان باشا مراكش، ولم يكن وحده، يمثل هذا الوجه العتيق للقوة الاجتماعية في تصوره لمستقبل البلاد ولتحرر المرأة وتفتح التعليم وكانت أشد مواقفه حرجا تتمثل في قمعه لعدد من الشباب الوطنيين، ولم يكن له أن يكتسب وعيا سياسيا جديدا إلا من خلال الأحداث، لذلك بادر، بعد ضرر غير قليل، إلى التكفير عن تلك الأعمال عندما تخلى في خريف 1955 عن دور المتمرد الذي ألصقه به رجال الإقامة العامة الفرنسية بالمغرب، وذلك أن الأگلاوي قد صرح يوم 22 أكتوبر 1955 بأنه يبايع السلطان الشرعي سيدي محمد بن يوسف ويطالب بإعادته فورا إلى عرشه، فنزل ذلك التصريح كالصاعقة على المتشددين الاستعماريين وقطع عليهم الطريق في مرحلة النزع الاستعماري الأخير الذي كان من المحتمل لولا موقف الأگلاوي أن ينقلب إلى فاجعة أخرى. وعلى الرغم مما قيل في هذه الفترة الحاسمة في تاريخ المغرب المعاصر فإنها لا تزال بحاجة إلى دراسات تاريخية علمية متأنية تمكن من إبراز الجوانب الحقيقية لمجرياتها وخلفيات هذه الأحداث وأبعادها.

ومما وقع عليه الاتفاق بين معاصري التهامي الأگلاوي أنه كان محبا للعلم والعلماء ولم يدخر وسعا في تشجيعهم ومساعدتهم. ومن آثاره في هذا المجال دفاعه عن إدخال النظام لجامعة ابن يوسف بعد أن كان مقتصرا على القرويين. وقد تم هذا ابتداء من شتنبر 1939 كما ألح على إحداث السلك النهائي في نفس الكلية عام 1943. ولم تقتصر عنايته على الفقهاء والعلماء بل شملت كذلك الأدباء والشعراء سواء في داخل المغرب أو في خارجه. ومن الذين امتد إليهم نواله وعطاؤه أمير الشعراء أحمد شوقي لما كان في منفاه بإسبانيا. وكان قد تم لقاء بين الرجلين في القاهرة عام 1905 لما كان الباشا في طريقه إلى الحج. كما استفاد منها كذلك أحد شعراء لبنان الكبار رشيد مصوبع الذي مدحه بقصيدة طويلة يقول في مطلعها :

دع كل شعر غابـر وعتيـد ... وخذ البدائع من يراع رشيد
دع كل شعر غير شعر قلته ... ليس النهيق محاكي التغريد

وإن اهتمامه بالعلم والعلماء مكنه من جمع خزانة كتب مهمة تحتوي على عدد من النوادر والنفائس، وكان قد أمر بتحبيسها على خزانة جامعة ابن يوسف، ويوجد قسم منها اليوم محفوظا بالخزانة العامة بالرباط تحت حرف ج. وكان يطبع الكتب على حسابه الخاص نذكر على سبيل المثال *إيضاح الأسرار المصونة في الجواهر المكنونة* للعلامة أحمد بن سليمان الجزولي الرسموكي والكتاب مطبوع بالقاهرة. وكان التهامي يعطف على الضعفاء والفقراء ولا سيما في الأعياد وفي المناسبات الدينية، وقد توج هذه العناية بتأسيس ملجأ خيري لأبناء المعوزين عام 1934. وكان قد أقام حفلا كبيرا وقت تدشينه فتم استدعاء الأعيان والكبار وألقى شاعره الكبير محمد بن إبراهيم شاعر الحمراء قصيدة خلد فيها هذا العمل الجليل يقول في مطلعها :

كيف المآل إذا تكون الحال ... بالجوع يقضي نسوة ورجال

وقد توفي الباشا الحاج التهامي المزواري الأگلاوي يوم 21 فبراير 1956 ودفن بضريح الشيخ محمد بن سليمان الجزولي أحد الرجال السبعة بحومة روض العروس بمراكش.

M.H. Lyautey, *Paroles d'action*, Colin, 1927 ; G. Babin, *Le Maroc sans masque "son excellence"*, G. Ficker 1932 ; M. Bernard, *La pacification du Maroc*, 1907-1934, 1936 ; Cap. Schoen, *Le Pacha de Marrakech*, (notice dactylographiée, 1938); R. Barrot, *Justice pour le Maroc*, éd. Seuil, 1953 ; R. Montagne, *Révolution au Maroc*, éd. France-Empire. 1953 ; G. Granval, *Ma mission au Maroc*, Plon, 1956 ; J. et S. Lacouture, *Le Maroc à l'épreuve*, Seuil, 1958 ; A. Juin, *Le Maghreb en Feu*, Plon, 1957, Mémoires II, Fayard, 1960 ; G. Elgey, *Histoire de la quatrième République*, T1 et T2, Fayard, 1965 et 1968 ; H. Bleuchot, *Les libéraux Français au Maroc 1947-1956*, 1973 ; S. Berriau, *Simone est comme ça*, Laffont, 1973 ; N. Nataf, *L'indépendance du Maroc*, Plon, 1975 ; Hassan II, *Le Défi*, A. Michel. 1976 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, T 2, Rabat, 1977 ; Ch. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes* (notamment pp. 22-229).

أحمد شوقي بنبين

الأگلاوي، حمادي بن محمد إبيبض المزواري، أمه للا سعادة، الزوجة الثالثة لمؤسس العائلة الأگلاوية وهو أكبر إخوته من أمه : حسي قائد قصبة مراكش، وعلال قائد دمنات وأحوازها.

ومن المرجح أن يكون حمادي قد ولد في بداية العقد الثامن من القرن التاسع عشر الميلادي. وهذا الاحتمال تسانده الرواية الشفوية القائلة بأنه هو وإخوته كانوا صغارا لما توفي أبوهم القائد محمد إبيبض عام 1886 وعاشوا تحت رعاية أخيهم الكبير المدني.

عين القائد حمادي خليفة للقائد حمو على قصبة ورزازات وأحوازها القريبة من سنة 1923 إلى وفاة القائد حمو عام 1937 تم خليفة للباشا التهامي ولابنه إبراهيم الذي خلف القائد حمو في قيادة جنوبي الأطلس الكبير.

سكن القائد حمادي قصبة تَوْريرت حتى وفاته سنة 1954. ولا زال أولاده وحفدته يمثلون فرع عائلة الأگلاوي المزواري بموطنهم الأصلي ورزازات.

الأگلاوي، حمُّو أومْحمَّد بن محمد (الكبير) بن محمد إبيبض، ويدعى أيضا بلسان قومه : مُحَنْد أومْحمد، جدته لأبيه هي للا تَكْرامْت من عائلة المرابطين المعروفين بالسعدانيين (إيدْ ويسَاعْدْن) بتلوات. أما أمه فهي للا إيجَّة بنت أحمد شيخ قبيلة أهل ورزازات وكان مقر زعامتهم بتاسافت.

ولد حمو عام 1876 بعد مقتل أبيه وكفله جده حتى وفاة هذا الأخير عام 1886 وانتقال الزعامة إلى عهد القائد المدني. وحفاظا على ترابط أفراد العائلة، وعلى عادة سكان البادية وخصوصا الزعامات المحلية تزوج القائد المدني للاّ إيجّة أحمد.

وهكذا اجتمع للقائد حمو من الحسب ما لم يجتمع لغيره من المزواريين الأگلاويين مما رفعه إلى منزلة عمه القائد المدني وهو ما يزال صغير السن. وقد استطاعت أمه أن تستغل هذا الوضع الخاص حتى تم إسناد قيادة قبائل جنوب الأطلس كلها إلى القائد حمو وهو دون سن الرشد، وذلك منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي إلى سنة وفاته عام 1937 في حين أنه لن يعيّن بصفة رسمية في هذا المنصب إلا في عام 1910 أيام السلطان المولى عبد الحفيظ بعدما تزوج أخت القائد حمو من أمه وهي للاّ ربيعة بنت المدني.

استقر القائد حمو بتلوات ـ المقر الرئيسي للعائلة ـ وبقي يسيّر شؤون قبائل الجنوب من أعلى الأطلس الكبير إلى تُدغة شرقا ودرعة جنوبا كقائد شبه مستقل.

عرف عن القائد حمو عطفه على القبائل التابعة لقيادته، وكان يدافع عنها ضد ضغوط عمه التهامي وأساليبه في القيادة والتسيير. وكان يخص بهذا العطف قبائل أخواله أهل ورزازات وأصهار عائلته وزگيطة (أيت واوزگيط) وإمْغْران.

وبعد وفاة القائد المدني عام 1918 وتولي التهامي زعامة العائلة رفض القائد حمو دخول القوات الفرنسية إلى مجال قيادته للقضاء على مقاومة قبائل أيت سْدْرات ودادْس وأيت عطّا، من أجل ربط تافيلالت ـ والجزائر ـ بمراكش عبر أعالي وادي درعة، وهي مقاومة اشتدت ما بين عام 1921 وعام 1929، واعتبر في حينه حسب الرواية الشفوية، هذا التدخل بمثابة نصرة النصارى على المسلمين، وتدخلا لعمه وللقوات الفرنسية في شؤون قيادته. وقد تسببت له هذه المواقف في متاعب كثيرة تجاه عمه التهامي وتجاه الجيش الفرنسي حتى سنة وفاته، 1937.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; E. et M. Gouvion, *A'yan al Maghrib al Aqsa*, pp. 33 - 352 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*.

محمد أوجامع

الأگلاوي، عبد الملك بن المدني، تولى قيادة ولتاتة وفطواكة واستقر في دمنات باقتراح من والده المدني الأگلاوي وعمه التهامي وبموافقة الدولة عام 1331 / 1913. وفي ذلك العهد دخل الفرنسيون إلى دمنات. وقد أطاع معظم فطواكة وولتاتة لعبد الملك بعد تمردهم على عمه علاّل من قبل. لكن أهل المرتفعات من ولتاتة برئاسة أولعيد أحساين تحركوا للهجوم على دمنات، وكان هذا الشيخ على اتصال بالمرابط الحنصالي سيدي محا. ولكن مدافع القوات الفرنسية شتتت جموع أولئك المُغيرين.

وقد عزم الفرنسيون على غزو قبائل أيت مساض وأيت محمد التي كان المرابط الحنصالي يتزعمها، فجهزوا حركة لذلك أشركوا فيها المدني الأگلاوي وعاملي هنتيفة أوراغ وأشطو ومع ثلاثتهم مقاتلو عمالاتهم. وكان عبد الملك في حركة فطواكة وولتاتة التي ترأسها محمد أبلاغ، وقد أصيب عبد الملك في ذلك القتال فمات في شوال 1336 / 1918. ودفن بضريح سيدي أحمد أمنديل بدمنات. وقد اغتم لذلك والده المدني ولما رجع إلى مراكش لم يخرج من داره حتى مات في الشهر الموالي.

الأگلاوي، علاّل بن محمد، أخو الأگلاويين الشهيرين المدني والتهامي. عند ما تولي المولى عبد الحفيظ ملك المغرب، وصار المدني الأگلاوي وزيرا في سلطته، دفعت الأسرة الأگلاوية بحدود نفوذ قيادتها على قبائل الأطلس نحو الشرق لتحقيق أطماع قديمة في الاستيلاء على دمنات، ولا سيما بعد أن تحول جزء من تجارة الواحات الصحراوية مع شمالي الأطلس إلى ممر فدغات الذي يفضي إلى دادس فرارا من العطاء في ممر تلوات والأسواق التي كان يراقبها الأگلاويون قديمة كانت أو مستحدثة.

فدبرت مؤامرات مع رؤوس الأمر في فطواكة ودمنات لتمهيد دخول علاّل الأگلاوي قائدا إلى دمنات التي كان يحكمها من لدن المولى عبد العزيز أحد أعيانها المدعو الحاج محمد أبلاّغ منذ 1904. وقد أفلح علاّل فيما رامه عام 1909 بعد قتال قضى فيه أبلاغ. وأخذ يعمل انطلاقا من قصبة دمنات لتمهيد القبائل الجبلية ولكنها استعصت عليه.

وعندما أبعد مولاي حفيظ الرئيسين الأگلاويين من الحكم تولى أمنو باشوية مراكش وعُيّن الناجم الأخصاصي قائدا على دمنات فخرج منها علاّل لمدة سنة. حتى تمكن الفرنسيون بانعقاد الحماية فعاد علاّل إلى دمنات، ولم يفلح في استمالة قبائل الجبال التي تحزبت ضده مستنكفة من قمعه وسوء تدبيره، وكان العصيان ضده برئاسة شيخ فوقاني من أيت بلاّل من ولتاتة يدعى أولعيد أحساين. حينئذ رأى المدني الأگلاوي أن يستدعي أخاه علاّل وأن يعين مكانه بدمنات ولده عبد الملك بن المدني.

الأگلاوي، عمر بن المدني، بعد مقتل أخيه عبد الملك في غزو الأطلس الكبير الأوسط (أيت مَحمد) في شوال 1336 / 1918 ووفاة والده المدني في ذي القعدة عام 1336 / غشت 1918، اقترحه عمه التهامي الأگلاوي بموافقة إدارة الحماية ليتولى قيادة إينولتان. فاستقر في قصبة دمنات ومنها زاول حكم الجبال المجاورة في إطار النظام القائم إلى أن توفي يوم الجمعة 9 غشت 1957.

حج وغلب عليه اسم الحاج عمر وربما نُعت بالفقيه. تجانيّ الطريقة. كان له طلب سابق. اهتم بالبحث في تاريخ دمنات وجهاتها، ونسب له محمد المختار السوسي تاريخا في الموضوع (*المعسول*، ١ : 24)، وذكر ابن سودة هذا التاريخ وسماه : *الالتفات إلى تاريخ دمنات* (*دليل*، ١ : 31). وهذا

المصنّف لم يظهر للعيان ولم يفلح من طلبه عند بعض ورثته. كانت لعمر الأگلاوي خزانة كتب بيع طرف منها بعد وفاته. وفيها عثر العدل أحمد نجيب الدمناتي على أوراق من مسودة التاريخ المشار إليه أعلاه، وأدرج ما فيها في مصنفه حول تاريخ دمنات المسمى *بالقول الجامع في تاريخ دمنات وما وقع فيها من الوقائع* (مخطوط).

م. الغجدامي، *التسلي* ؛ م. المختار السوسي، *المسول* ؛ أ. نجيب، *القول الجامع*.

أحمد التوفيق

الأگلاوي، المدني بن محمد إبيبض المزواري. هو الابن الثاني للقائد محمد من زوجته للا سعادة. ولد بتلوات في الأطلس الكبير وبها تربى ودرس على يد الفقيه الهسكوري الذي استقدمه أبوه لتعليم أبنائه. وكان المدني يساعد أباه في تسيير شئون القبيلة ومجالسة أعيانها لأن الابن البكر محمدا كان ميالا للراحة. ومنذ ذلك الحين أصبح المدني على دراية بعديد من الشئون والمشاكل والعلاقات وهو دون سن الرشد.

ولما توفي أبوه القائد محمد إبيبض المزواري سنة 1886 أسند إليه السلطان المولى الحسن قيادة القبائل التي كان أبوه يحكمها. لكن المدني، الذي استفاد من انضباط عدد من القبائل داخل حكم أبيه بدأ في توسيع مجال سلطته نحو الشرق والشمال في اتجاه تافيلالت ومراكش. ولما مرت المحلة السلطانية في شتاء 1892 عبر أراضي قيادته استقبل السلطان المولى الحسن أحسن استقبال، وكانت نتيجة هذه الحفاوة هي رضى السلطان على القائد وتزويده بمعدات حربية حديثة من بنادق وأسلحة ثقيلة كان في حينها لا يتوفر عليها إلا المخزن وكان لهذه الأسلحة أثر كبير في تقوية نفوذه، وفي استعماله سر سرعة انتشار دائرة سلطته في القبائل وضد القواد الآخرين. وقد عين السلطان في تلك الأثناء القائد المدني على تافيلالت، لكن هذا المنصب الجديد رغم أهميته لم يصرف القائد المدني عن محاولات توسيع مجال سلطة عائلته في الأطلس الكبير الأوسط في اتجاه مدينة دمنات، ولا عن ضم آخر القبائل التي تفصل أراضيها بين مركز سلطته بتلوات ومراكش، وهذه القبائل هي فطواكة وغجدامة ومسيوة حيث كان مجال قيادته قبل نهاية القرن بقليل، وقد شبه روبير مونطاني مجال سلطته بمجال القواد الكبار في عهد الدولة المرينية وعهد ابن خلدون.

لقد كان منطق الأحداث إلى هذا الحد في تاريخ عائلة المزواريين الأگلاويين يسيطر عليه الطابع المحلي والقبلي والجهوي. لكن مع نهاية القرن وبداية الظرفية الجديدة المعروفة بالسير الاستعماري نحو احتلال المغرب تولد منطق جديد مرتبط أساسا بالتحولات الكبرى التي شهدها المغرب في عهد السلطان عبد العزيز وطغيان العامل الخارجي على سير الأحداث وسرعتها. وانتقل معه دور العائلة المزوارية من المستوى الجهوي إلى قالب الجهاز المخزني.

فعندما ظهرت ثورة الجيلالي الزرهوني (أبو حمارة) شارك المدني الأگلاوي وأخوه التهامي في محاولات المخزن العزيزي في إخماد هذا التمرد وساندا السلطان بالمال والمقاتلين من التابعين لقيادتهما بالجنوب. وقد أدى عدد من الملابسات الظرفية إلى تحول الأگلاويين عن تأييد مولاي عبد العزيز ولعبوا دورا في مبايعة السلطان المولى عبد الحفيظ. ويرى صاحب *الإعلام* أن دخول الفرنسيين إلى الدار البيضاء وإلى الشاوية هو السبب المباشر في هذا التحول وقد حذا حذوهم عدد من القواد الكبار في التراجع عن مساند السلطان مولاي عبد العزيز ومناصرة السلطة الحفيظية في نفس المرحلة باستثناء القائد عبد المالك المتوگي.

وكانت نتيجة هذا التحول في العلاقات والتحالفات الظرفية هي انتقال سلطة المدني الأگلاوي من مستوى القبيلة والجهة إلى مستوى المخزن المركزي، إذ عينه السلطان عبد الحفيظ وزيرا للحرب. وهذا المنصب هو أخطر منصب في الظرفية الجديدة التي دخل إليها المغرب، وأصبح بذلك المدني الأگلاوي صاحب السلطة الحقيقية اعتمادا على مجاله القبلي والقيادي الذي أصبح أكبر مجال قيادي في المغرب بعدما أضيفت إليه قبائل الدير الشمالي المحاذية للحوز ولمدينة مراكش، وكانت خريطة هذا المجال تمتد من درعة إلى نهر تانسيفت. وقد توسعت مع دخول القوات الفرنسية وبداية عهد الحماية (1912). ذلك أن سلطة المدني وأخيه التهامي، باشا مراكش، قد عرفت نوعا من التوقف ما بين سنتي 1910 و1912 لأسباب متعددة، وإن كان أهمها هو علاقة هذه العائلة بالفرنسيين، وهو الشيء الذي أغضب السلطان المولى عبد الحفيظ، سلطان الجهاد. وبعد الدخول الرسمي للمغرب تحت حماية فرنسا وإسبانيا ومبايعة سلطان جديد في شخص المولى يوسف بن الحسن، وتعيين الجنرال اليوطي مقيما عاما أدخل هذا الأخير ضمن سياسته لاحتلال المغرب استغلال عوامل القوة الداخلية والموجودة بالمغرب آنذاك، وكان أهمها سلطة القواد الكبار. ومن ثمة فكر في استعمال هذه القوى لصالحه بدل إثارتها ومحاربتها، بالمحافظة عليها وعلى سلطتها الفعلية والرمزية. وقد استجاب جل القواد الكبار لهذه السياسة، سيما وأن فشل حركة أحمد الهيبة بن ماء العينين كانت تتعارض مع مواقف ومصالح هذه "الأوليغارشية القيادية". لكن رجوع عائلة المزواريين إلى دفة الحكم وتسيير الشئون في هذه المرحلة فرضه موقف الباشا التهامي بكيفية أوضح وكان ذلك بمثابة أفول نجم الوزير ـ القائد المدني وظهور الشخصية الجديدة الطموحة في زعامة العائلة ومن ورائها البناء القبلي والقيادي والسلطوي. ومنذ هذا التاريخ إلى سنة وفاة المدني 1918 أصبح التهامي هو المحاور المباشر للفرنسيين من جهة كما أنه بدأ في تغيير القواد والسلطات القبلية والأعيان داخل المجال القيادي الذي أسسه أبوه وأخوه. لكن رغم ظهور قوة التهامي فإن الدور الذي لعبه

المدني هو دور بارز وأساسي في بناء قوة العائلة المزوارية ـ الأگلاوية. فهو الذي سنّ تعيين أبناء العائلة في مناصب قيادة القبائل التي دخلت في إطار أعمال قيادته، وهو الذي بني سلسلة من القصبات في إطار هذه القيادة، أصبحت بمثابة القلاع المحصنة ضد الهجمات من تافيلالت إلى تازارت إلى ورزازات ودادس وإيغران ووزكيطة ومسفيوة ودمنات... وقضى على القوى الداخلية للقبائل وزعاماتها المحلية مما مكنه بعد من تسيير شئون هذه القبائل بواسطة إخوانه ونقل سلطة عائلته مما وراء الأطلس نحو الصحراء إلى الحوز ومراكش وإلى داخل المخزن المركزي وأصبح صاحب القرار السياسي والحربي في مرحلة خاسمة من تاريخ المغرب.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، الجزء الرابع.

G. Deverdun, *Glawa*, E.I. ; A. Laroui, *Les Origines sociales et culturelles du nationalisme marocain*.

محمد أوجامع

أگلّيدْ، اسم أمازيغي معناه الأمير أو السلطان أو الملك. استعملته النصوص الأجنبية القديمة لنعت ملوك نوميديا : ماسينيسا وأبنائه وغيرهم. والظاهر أنه كان يعني الملك أو الزعيم في مجموع إفريقيا الشمالية، لا يعرف له اشتقاق مؤكد. ولا يعرف ما إذا كان أگلّيد (وجمعه : إگلّدَانْ) يوحي في استعماله الأصلي بمعنى التغلب والقوة أو بمعنى التقديس الديني أو بهما معا. ومن الناس من يرى أن اسم أگليد يذكر باسم جالوت الذي هو عند ابن خلدون ملك البربر قبل أن يسيروا من فلسطين إلى المغرب (*العبر*، 2 : 273)، ولكن الصيغة معروفة في غيره من الأسماء مثل أصْمِّيضْ وهو البرد وأجْدِّيكَ وهو الزهرة إلخ. وقد يستعمل في جهات جبال الأطلس المتوسط اسم أجْدِّيكَ بمعنى أگلّيد.

وقد كان أگليد اسما لبعض الأشخاص أو نُسبت إلى هذا الاسم حصون أو أسوار أو مزارع في العصر الإسلامي، وتسمى بعض الزناتيين باسم گلّداسن أو جلداسن، (بمعنى: تسلطن لهم؟).

وما يزال أهل الأطلس الكبير وسوس والجنوب عامة يستعملون لفظ أگليد للدلالة على السلطان في الماضي أو الحاضر أو عند الحديث عن الملوك المذكورين في القصص، كما يستعملون هذا الاسم مجازا إذا قصدوا ملك النحل (أگلّدْنْ تيزْوَا) أو يقولون "أگليد مَقّرْنْ" (الملك الأكبر أو ملك الملوك) وهم يقصدون الله، وأكثر ما يستعملونه في الحلف والاستعطاف.

Ch. A. Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord*, 1 : 61-100 ; S. Chaker et G. Camps, *Agellid in E. B.*

أحمد التوفيق

أگلمامْ ← أگلمانْ

أگلمانْ أزگزا، بحيرة دائمة توجد في الأطلس المتوسط، ضمن هضبة أجدير التي تشكل الجزء الجنوبي الغربي من القسط الهضبي من الأطلس المتوسط، وفي نفس الوقت الجزء الأكثر ارتفاعا حيث معدل الارتفاعات يتعدى 2000 م بينما تصل على السطوح إلى 2271 م لكن بحيرة أزگزا محاطة بارتفاعات متوسطة، معدلها حوالي 1700 م يمتاز هذا الجزء من الأطلس المتوسط بتجزئ تكتوني حاد مع انتظام كبير في الحوادث على شكل انكسارات متوازنة اتجاهها شمالي غربي ـ جنوبي شرقي، متقاربة بحيث لا تبعد بعضها عن بعض بأكثر من كيلومترين. إلا أن مداها يبقى متواضعا. وكثرة التضاريس سبب في كثافة آثار التعرية الخطية والكارستية فقد استغلت الكرستة هذه البنية المجزأة وشكلت فيها العديد من المنخفضات، أهمها السهل الكارستي الذي تشغله بحيرة أزگزا.

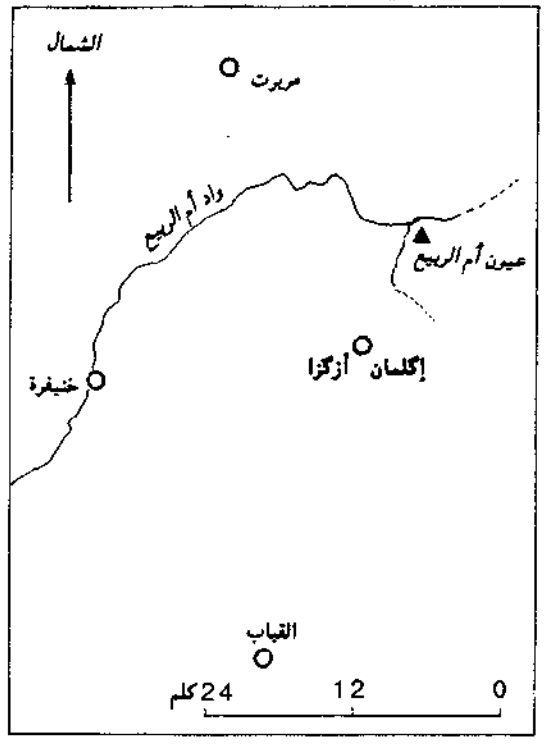

أگلمان أزگزا

يمتد المنخفض الكارستي على مسافة 4 كلم. وهو أصلا منخفض أوسع من ذلك، تم تجزيئه من طرف سفوح جلمودية ومخاريط انصباب. أصله تكتوني حيث موقعه مقعر منكسر. وتشغل هذا المنخفض فرشة مائية تظهر على شكل بحيرة مركزة في الزاوية الجنوبية الشرقية. وهذه الفرشة المائية تعتبر انطلاق عملية التعميق في هذا الحوض المنغلق.

يَرتفع مستوى مياه البحار في فترات الإمطار الحاد والمستمر. هكذا ارتفعت المياه بعدة أمتار بعد تهاطلات سنة 1963 الاستثنائية، ودام هذا الارتفاع سنة 1964. وفي هذه الأثناء تتصل أزگزا بضاية مجاورة لها تدعى تاحْرِيشتْ.

وتتراجع المياه أوقات الجفاف بصفة واضحة. وينتج عن هذا النشاط التعرية السطحية في المجالات المهجورة، كاقتلاع المواد الطينية التي تغشي القعر والمتأصلة عن

عملية النزكلة.إزالة هذه الشوائب يؤدي إلى انفتاح الشقوق والمسام الواسعة فتصبح المياه قابلة للتسرب. وبما أن نزول مياه البحيرة يتوازى بعد نزول في مستوى الفرشة الباطنية، فإن بعض المغارات الباطنية المهجورة من طرف الماء تصبح قابلة للانهيار والتهدم فيتكدس السطح وتتكون إثر ذلك حفر تهدل حديثة عمق بعضها يصل حتى 20 م.

وهكذا فان الكرستة المحدودة في السطح على جوانب البحيرة والمتمثلة في حركية قرض الجوانب، وتوسيع المنخفض، تتلوها عملية كرستة متجهة نحو الاعماق، كلما نزع المناخ الى الجفاف. هذا التوالي لفترات الفيض والتراجع يسجل سنويا أو كل سنتين، لكن مظاهره أكثر وضوحا إذا اعتبرنا المراحل الطويلة الرباعية. ذلك ان البحيرة الحالية يعلوها مستوىً مسطح قديم، يظهر في الجزء الجنوبي الغربي، تكون في مرحلة فيض رباعية، وتراجعت عنه المياه، فأصابته التعرية الخطية فخددته إلى متون مستطيلة والمستوى الكارستي الحالي، عل جوانب البحيرة، تعلوه بعض الأكمات الصغرى التي تعتبر جزراً متخلفة لم تسوها آثار الكرستة .

أما فترات التراجع القديمة فتشهد عليها التراكمات المزامنة لانخفاض مستوى المياه. هذه التراكمات سيلية وتتكون من مواد طينية محمرة تحتوي على شظايا من السلكس، متأصلة عن تحليل الكلس وتراكم شوائبه غير الذوبية. هذه التوضعات المشكلة لمخاريط انصباب، تقطعها المجاري المائية.

أكلمان أزكزا منخفض كارستي، تطوره مرتبط بالتواتر المناخي البيسنوي والدوري وقد ساهمت العمليات الدينامية الأخرى وخاصة منها السيل في تشكيل هذا الحوض الواسع.

J. Martin, *Le Moyen Atlas Central, étude géomorphologique* - Notes et Mém serv. géol., n° 258 bis, 1981.

عبد الله العوينة

أكلمانْ أزكَاغْ، ومعنى أكلمانْ البحيرة، وقد تأتي في نطق بعض القبائل بميم في الأخير : أكلمامْ، وأكلمان أزكاغ هي البحيرة الحمراء. توجد في جهة أم خنيگ مرزولي في الأطلس المتوسط على بعد 38 كلم من أزرو في طريق تيمحضيت. وهذه البحيرة واقعة في منطقة تضاريس بركانية تتعدد فيها الفوهات البركانية المنطفئة.

أكلمان سيدي علي، أي بحيرة سيدي علي أو محند أكبر البحيرات الجبلية في الأطلس المتوسط. على بعد 54 كلم من أزرو في طريق تيمحضيت طولها ثلاثة كيلو مترات، عميقة جدا، تقع على ارتفاع 2000 م. وهي واقعة في منخفض بركاني تنبع مياهها من عيون كثيرة، وعلى جنباتها مراعي قبائل أيت عرفة وإركلاون وقبائل من ملوية في زمن المصيف. وفي البحيرة أسماك وعلى الضفة الجنوبية جرف كلسي تغطيه أشجار البلوط وبينها قليل من أشجار الأرز الشامخة. وفي أسفل هذا الجرف يوجد قبر الولي الذي تنسب إليه البحيرة.

أگلموس - جغرافيا - مركز حضري ينتمي إلى تلك المدن الصغرى الحديثة العهد التي استمدت ديناميتها وحيويتها من سهولة المواصلات معها، إذ نجدها تنتظم حول محاور الطرق التي أصبحت تشكل أماكن اجتذاب ديمغرافي واقتصادي من نوع متميز. فرغم كون هذا المركز يقع في الهضبة الوسطى ذات الطابع الهضبي الوعر (جنوب هضبة المنت) نجده يأخذ موطنه عند مفترق الطريق الرابطة بين مولاي بوعزة وامريرت والطريق المؤدية من ألماس إلى خنيفرة التي تبعد عنه بخمسة وثلاثين كلم في اتجاه الجنوب الشرقي.

فبفضل هذا الموقع الجغرافي المنفتح نشأت هذه البلدة الصغيرة وأخذت مكانها على الضفة اليمنى لواد أگلموس عند قدم مرتفع يطل عليها من الواجهة الشمالية على مدى أرتفاع 1223 م ويرجع تاريخ بروزها إلى العقود الأخيرة باعتبار التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي أصبحت تعيشها المنطقة.

فالقبائل المقيمة هنا مثل أيت مّي أگلموس وأيت مّي إيزيار وأيت حمُّو وحمُّو وإحْبلان وغيرهم يتعاطون نمط عيش نصف ترحالي يعتمد على التنقل بين المرتفعات المكسوة بالغابات في الصيف والأحواض المنخفضة في الشتاء، أصبحوا يميلون إلى الاستقرار، وبعضهم إلى التموطن بالمراكز الحضرية المجاورة، من بينها أگلموس الذي أصبح يمثل مركز استقطاب حضري هام. فقد تضاعف عدد السكان من 1971 إلى 1982 حيث ارتفع عددهم من 1622 إلى 4092 نسمة، ويرتقب أن يصل هذا الرقم إلى ما يقرب من 8000 نسمة في نهاية الثمانينات إذا ما استمرت وتيرة التزايد على هذا المنوال.

كما أن التحولات الوظيفية التي سجلتها بلدة أگلموس أخيرا لمن شأنها أن تجعل منها مركزا قابلا للتطور، فبالرغم من كون القطاع الفلاحي وخاصة منه تربية الماشية لازال يلعب دورا أساسيا في اقتصادها، فإن أنشطة أخرى مرتبطة بالوظائف الجديدة التي أصبحت تتقلدها مثل التسيير الإداري والخدمات الاقتصادية والاجتماعية بدأت تتعدد وتتنوع. فقد صار أگلموس يمثل مركز قيادة تابعا لعمالة خنيفرة، الشيء الذي جعله يستفيد في السنوات الأخيرة من تأسيس مصالح عمومية هامة توفر له خدمات تربوية وتعليمية وصحية وبريدية وغيرها. وتعزز دوره التسييري بخلق إدارة تسهر على تعميم الإرشاد الفلاحي بين صفوف الفلاحين ومربِّي الماشية. وانتعشت الأنشطة التجارية بظهور سوق دائم للمواد الغذائية والملابس والأجهزة المنزلية والميكانيكية وغيرها (ما يقرب من مائة دكان) إلى جانب السوق الأسبوعي الذي يقام يوم السبت والذي يعتبر من أهم أسواق المواشي بالمنطقة، بفضل سهولة المواصلات التي تتمتع بها. وتبرز وظيفته الهامة هاته بوجود مجزرة وعدد كثير من الجزارين (ما يقرب من ثلاثين) الذين يزاولون نشاطهم به. كما أن بعض الحرف مثل

الخياطة والحلاقة والتجارة والحدادة وطحن الحبوب بالإضافة إلى إصلاح السيارات والمقاهي ازدهرت واستمدت عناصر نموها من هذه الدينامية الاقتصادية.

وتنظم أغلبية هذه الأنشطة على طول المحور الطرقي ألماس ـ خنيفرة الذي أصبح يعيشه هذا المركز وصارت التجزءات والبنايات تتعدد وتتكاثر، وبدأت تبرز معالمه المجالية والعمرانية حيث نلاحظ أن التوسع الممتد نحو الأراضي المنبسطة لم يخضع لتهيئة مسبقة، وظهور القطاعات الحضرية المشكِّلة للمدينة يرجع إلى صيرورات عفوية مما جعل السكن ينتشر في غالبية الأحيان في مناطق تغيب عنها التجهيزات الضرورية، وتأخذ عادةً الأزقةُ رغم ضيقها شكلا منتظما ولا زالت غالبيتها غير معبدة. أما السكن فلا يختلف من حيث تنظيمه المعماري ومواد بنائه عن باقي السكن الشعبي المنتشر على هوامش المدن حيث نجده في غالب الأمر غير جاهز ومكونا من دور صغيرة متلاحمة وذات طابق أو طابقين باستثناء الشارع الرئيسي الذي بدأت تظهر فيه بعض العمارات الصغيرة الأنيقة المظهر والتي تأخذ إلى جانب الصومعات الثلاث مكانة بارزة داخل المشهد الحضري لهذه المجموعة التي يوحي مستقبلها بتطور سريع.

Note de présentation du plan d'aménagement d'Aguelmous, Ministère de l'intérieur ; *Recensement général de la population et de l'habitat*. 1971 - 1982 ; *Carte Topographique d'Aguelmous* 1973 ; *Enquête sur place*.

عائشة البلغيتي

أگلمُوس، ـ تاريخ ـ اسم أمازيغي تحمله اليوم قريتان إحداهما بالأطلس الكبير في قبيلة أيت تمنت والثانية ببلاد زيان من الأطلس المتوسط، وتفيد الكلمة في اللغة الأمازيغية المتداولة رِداءَ البُرْنس وخصوصا منه القسم الأعلى الذي يُغطّى به الرأس، لكن بعض الدراسات ترى فيها كلمة مركبة ومرتبطة بموقع كثير المياه، فيكون الشطر الأول منها "أگ" بمعنى فوق الشيء، وربما : أگل" أي عَلَّق ـ بصيغة الأمر ـ أو عالقٌ في الأعلى ؛ ولمُوس (أو مُوس) وهو الماء. هذا التحليلُ يعطي معنى يمكن ترجمته ب "فوق الماء" على أن الارتباط بالمعنى الأول قد يكون صحيحا كذلك ولا يتعارض مع الثاني إذ الغالب على الظن أن طوبوغرافية المكانين مخروطية الشكل وتكثر بها المياه في آن واحد.

تقطن بالقرية الثانية، وهي أكبر حجما وأهمية من الأولى، مجموعات من قبائل زيان. والقرية اليوم نقطة اقتصادية هامة بها سوق كبير يعتبر من أكبر أسواق البقر في الأطلس المتوسط.

J. F. Troin, *Les souks marocains*, 2 vol, 1975 ; E. Laoust, *Contribution*, p. 103 ; *Mots et choses*, p. 130 ; L. Mezzine, *Sur l'étymologie du toponyme Sijilmassa*, H. T., 1984, p. 19-25.

عبد العزيز توري

أگلميم (أيت مرغاد) ← **گلميمة**

أگليميم (تكنة) ← **گلميم**

أگلُو، يجسد فم تادمة أگلو على الساحل الأطلسي جنوب ميناء ماسة التاريخي إحدى النقط الشاطئية التي جمعت حول اسمها من التساؤلات ما تصعب الإجابة عليه. ومعلوم أن هذا المرسى يتجاوز موقعه ليشمل فصائل أگلو المحيطية. كما أن المعدر المعروف بنفس الاسم يقتطع حيزا متميزا داخل أزَغارْنْ ـ تاسْرا بالمنطقة الساحلية الممتدة بين وادي ألْغاس ووادي أدودو. أما فصائل أيت أگلو فتراقب أيضا سلسلة الهضاب المحيطة بما فيها المرتفعات المطلة حوالي ضفتي فم وادي أدودو على المحيط. يجسد هذا الفم مرسى أگلو التي تحد الطبيعة الصخرية للشاطئ من صلاحيتها للإرساء خاصة في فصل الشتاء (R. Montagne, 1930 : 21). وعن حدود تراب أيت أگلو فأيت ماسة وأيت المعدر شمالا وأيت تزنيت شرقا. وأما من الناحية الجنوبية الشرقية فتحدها أيت بريم إلى جوار أيت الساحل على الحدود الجنوبية.

وتجدر الإشارة إلى أنه باستثناء أهل ماسة، فإن أزغارْنْ ـ تاسْرا يشمل علاوة على الوحدات القبلية الآنفة كلا من أيت إسافن وأولاد جرار وأيت جرار لعوينة وأيت أگريير وأيت الگعدة والخنابيب. ويضيف لوشاتولييي Le Chatelier صاحب هذا التصنيف بأن أيت أگلو هي أكثر هذه الوحدات عدة وعددا. فهي تتوفر حسب تقديراته لسنة 1890 على 3000 بندقية و895 فرس مساوية بذلك ضعف كل من أيت بريم وأيت تزنيت كل واحدة على حدة. ولإبراز أهمية هذه الإشارة فهاتان القبيلتان تحتلان مباشرة الصف الثاني (Le Chatelier, 1891 : 9). تنقسم فصائل أيت أگلو إلى أربع تجزئات هي : أيت راغوية أو (أيت أگلو) وأيت إمْجّاط وأيت إمّي نكتيرگ وأيت سيدي باركة.

الناظر في الإشارات النادرة حول نشأة وتطور هذه الفصائل يخرج بانطباع يؤكده غياب المكتوب والمروي. ذلك أن ما تمخض عنه التاريخ المحلي ما يزال أكثر عمقا وأبعد من أن يكون قد استكشف كله. فالقرون الأربعة الأخيرة تبدو وكأنها قد حولت أزغارْنْ ـ تاسْرا إلى مسرح لتلاحم التركيبات الإثنية المتباينة اللغة والمنشأ وفط العيش. على أن مقدرة معدر أگلو على الاستيعاب والمحافظة على بنياته الأمازيغية تعتبر عاملا فعالا مبلورا لمجمل الموجات البشرية على تداخلها وتناقض مكوناتها وفصائلها. ذلك ما يدعو إليه الوقوف عند تنظيم المجال القروي من حيث هو كرسم لخط التطور الالتفافي بين هذه الموجات.

أول شيء يستقطب الاهتمام هو الفرق الواضح بين القصور المحاطة بأسوار تميزها شكلا ومضمونا وبين المداشر المنفتحة على المجال الخارجي. ففي الوقت الذي يحد السور من توارد النازحين يرتبط تنظيم المجال داخل كل مدشر بظاهرة تمايز فصائله المؤسسة لأقسامه. من هنا فإمكانية التراكم بالمداشر يفصح خلافا للقصور عن مكنون ذاتي هش. هذا التمييز بين القصور والمداشر يحدد إشكالية هذه الأخيرة في تكريسها للتحولات التاريخية التي تتبلور في

علاقة كل قصر والمداشر المحيطة به. وهي رؤيا يقدمها لنا تناثر المداشر حول أربعة قصور. فنجد حول قصر إمجاط أگلو مداشر القصبة وإمي نْ العينة وتيگمّا مزين والگاع وحربي وازاض، كما نجد حول قصر إمي نْ تارگة مداشر تاگنيت وتجاريفت وتاميليت. أما حول قصر زاوية أگلو فنجد مدشري سيدي الحسين وسيدي احماد، ونجد حول قصر زاوية سيدي وگاگ تالمدات تيسمگنان وتافدنة وتالموشت وتالمودات أفلا وتاملحات وتساميرت (Le Chevalier, 22) نلاحظ بأن قصري إمجاط أگلو وزاوية سيدي وگاگ تتقاسمان أكبر عدد من المداشر التي تساهم في ترسيخ جدلية المجالين القروي والديني. على أن هذا الجرد لم يذكر مجمل المداشر التي تسهم كما وكيفا في ترسيخ التوجه الصوفي لسكان المداشر. فقرية إگرار وحدها تمثل حرارة القرون الماضية (*المعسول*، 12 : 127 ـ 277).

وتتابع قرى أماراغ واد شديد وسيدي داود (*المعسول*، 13 : 361 ـ 365) وانونتگيفا (*المعسول*، 13 : 357) في تقابل وانتظام يربطها بزاويتي أگلو وسيدي وگاگ. ولإدراك ما عسى أن يكون لهذه الجدلية من مدلول بالنسبة للبنيات المحلية يجدر التساؤل عن علاقة المجال بوگاگ بن زلو اللمطي أستاذ مؤسس الدولة المرابطية (*المعسول*، 11 : 32 ـ 37).

يمثل فحص هذه العلاقة أولى الإشكالات الوثيقة الارتباط بالانتساب الديني لفصائل أيت أگلو إلى زاوية سيدي وگاگ. وهي مقابلة نشأت بناء على وجود قبر ورباط وگاگ بعين المكان. وهنا قد نتساءل ما الذي دعا ابن خلدون إلى القول باستقرار وگاگ بسجلماسة (I : 68 ـ 117)؟ لقد أشار ابن عذاري نقلا عن البكري المعاصر لوگاگ بأن مقره كان بمالكوس قرب نفيس (البكري، 303. 364). هذا الرأي وإن أيده الإدريسي (*صفة*، 73) فهو يبدو مخالفا لإشارة ابن الزيات التي لا تخلو من أهمية. فإذا كانت شدة الأمطار قد اقتضت من الوافدين على وگاگ ستة أشهر للرجوع إلى مقرهم بنفيس (ابن الزيات، 90)، فالمدة تتجلى عن مسافة ترجع أگلو أكثر من مالكوس أوتينمل (Justinard, 77-116-117) أو تادرارت بهشتوكة (*المعسول*، 1 : 39). كما أن مما يزيد من صلاحية هذا الاحتمال أن الرباط المؤسس لدولة المرابطين بالصحراء قد أنشئ بدوره بعد استشارة وگاگ على نقطة شاطئية. ولرب نقطة تنضاف إلى "ساحل ماسة" تسببت في الخطأ الوارد في نص ابن خلدون.

وهكذا تعجز المقارنات الممكنة عن فك هذا اللغز ونظل بذلك قاصرين عن تفسير انتماء أيت أگلو إلى وگاگ كجد روحي لا اسمي (*المعسول*، 11 : 37). ففي إطار الاهتمامات المخزنية بعد سنة 1956 جاء هذا القصور مبررا في إضافة مشهد وگاگ إلى الأحباس. ويزيد من تعقيد هذا الإشكال أن أهل أگلو ينسبون لسبب ما الطريقة الناصرية إلى شيخ زاويتهم مبررين بذلك هيمنتها المحلية.

مهما يكن فإن الطابع الصوفي المميز لمداشر أيت أگلو قد ساهم تاريخيا في إحباط المحاولات التوسعية للقبائل المجاورة. لقد شكل هذا الطابع السلاح الأول للطلبة والفقهاء في مواجهة ذوي السلطة العسكرية. وهكذا يمكن أن نتمعن في طبيعة الالفافات المحلية من حيث هي كتجسيد لحساسية العلاقات بين فصائل أگلو نفسها. فالطابع الديني المتميز جعل بعض الفصائل تظهر بمظهر قليلة الشوكة والعصبية. بل يمكن القول بأن هذه الفصائل لا تأبه لكل ما من شأنه تعزيز مكانتها العسكرية بين القبائل.

فنذكر مثلا أن من بين أهل تيخفيست بسملالة هاجر إد عبد الكريم منذ فترة قد تتجاوز ثلاثة قرون إلى أگلو حيث أصبحوا يمثلون وجها من وجوه الزاوية. وبتدهور علاقتهم بموطنهم الأصلي، يكون انتماؤهم إلى زاوية أگلو غير كاف للإبقاء على صبغتهم القبلية (*المعسول*، 4 : 34) وقد نزل آل حسين التمگيدشتيون الگرسيفيون بزاوية أگلو في ظروف مشابهة (*المعسول*، 13 : 277). وهو أيضا ما يمكن أن نقوله عن أهل سيدي مسعود بن إبراهيم من أنامر بأيت موسى الذين يرجع انتماؤهم إلى أهل ساموكت من أيت تيكني (*المعسول*، 9 : 103). لقد عرفت مدرسة سيدي وگاگ انجلاء الگيلوليين مما فتح أبواب الهجرة أمام سليلي الفقهاء والمتصوفة الملتزمين (*المعسول*، 10 : 208).

على أن هذه الصورة الهيكلية تنطوي على فقر كبير إن هي أهملت كيانات أيت أگلو العسكرية المتحالفة مع الفقهاء والزوايا. وتنطوي الملاحظات النادرة عن هذه الكيانات على أهمية خاصة. ذلك أن التناقضات المحلية تلعب دورها في عقد التحالفات بين الغور الأمازيغي المحلي وأيت أنومر والخنابيب ذوي الصيغة الأعرابية (*المعسول*، 9 : 103). وهكذا يلتف أيت أگلو داخل حلف تحگّات حيث تلعب العداوة بينهم وبين حلف إگزُولنْ دور المحرك. كما أن الصراع الدائم داخل نفس الحلف بين أيت أگلو وأيت تزنيت يخدم أساسا أهل أگلو في عدم أداء الضرائب والجبايات خلال مختلف الحقب. وهكذا إذا كان أيت أگلو يحملون هديتهم السنوية إلى زاوية قطب سوس الأول سيدي احماد أو موسى بتازروالت، فذلك لا يعني أكثر من الاعتراف بسلطته الروحية. وهي سلطة وإن أطرت لإعادة هيكلة حلف إگزولن فلن تحول دون أيت أگلو واستقلاليتهم السياسية والقبلية. لقد أرسل أبو حسون السملالي سلطان إگزولن عبد الرحمان بن إبراهيم قاضيا له على أگلو ومداشره المجاورة سنة 1070 / 1660. كما نزل بعض أبناء عثمان بن أحمد الإگراري قاضيا بأگلو واستقر بمدشر إگرار (*المعسول*، 13 : 266). وكان عبد الله بن محمد بن سعيد المشگدادي التيزرگيني من بين الذين أرسلهم أبو حسون للقضاء في أگلو حيث بقي نسله بمدشر أماراغ (*المعسول*، 13 : 282). كما انتشرت الأحكام الفقهية لأخيه عبد الرحمان وأخيه إبراهيم. ولا شك أيضا في أن أبا

حسون قد استعان بمرسى أگلو للتخفيف عن ميناء ماسة خلال القرن السابع عشر. إلا أن الصبغة الدينية لمداشر أيت أگلو وقصورها الأربعة قد حالت دونها وأداء الضرائب والمكوس.

فندرك بذلك لماذا تسبب خراب إليغ عاصمة أبي حسون السملالي في شتات مرسى أگلو وقضاتها مما جعل بعضهم ينزحون إلى أگادير (*المعسول*، 13 : 282).

هكذا وعلى الرغم من أن عداوة أگلو وأهل تزنيت تعد مرحلية فهي لا تفيد في تقلباتها سوى الاعتراف الشكلي بالسلطة المركزية. وهكذا يمكننا الاطلاع على الظهير الحسني الذي تعين بموجبه عبد الرحمان بن إبراهيم بن محمد قاضيا بأگلو (*المعسول*، 13 : 310). وكان لعثمان أحمد أضرضور محاضرات في القضاء تدل على مدى ما تتوفر عليه المداشر من علماء ومخطوطات طافحة (*المعسول*، 13 : 373. 378. 384). ويمكن أن نذكر محمد بن إسماعيل بن أحمد الإگراري قاضي أگلو ومداشره خلال النصف الأول من القرن العشرين (*المعسول*، 13 : 361. 422. 440). كل هذه الإشارات تروى لنا ضمنيا حقيقة العلاقة بين التلقائية الدينية وقانون التعامل مع السلطة السياسية الشرعية.

م. الإدريسي الشريف، *صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس* - ليدن - 1864 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ *مدارس سوس العتيقة* ؛ أ. البكري، *كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، ترجمة دوسلان - باريس - 1965 ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ي. التادلي، *التشوف*.

A. Le Chatelier, *Tribus du Sud-Ouest Marocain*, Paris, F. Leroux, 1981, 90 p. ; R. Montagne, *Une tribu berbère du Sud Marocain*, Massat, Hesp., T. IV trim., 1924, pp. 405-440 ; *Les berbères et le Makhzen*, Paris, F. Alcan, 1930, 450p. ; Cne Malval, *Les tribus dissidentes de l'annexe de Tiznit*, Archives de la direction des affaires indigènes, 1926 ; *Notes historiques sur l'annexe de Tiznit*, Archives de la direction des affaires indigènes, 1926.

مصطفى ناعمي

الأگلُويّ، محمد بن علي، ينسب إلى قبيلة أگلو المجاورة لتزنيت، بعقيليّ أصلا، فقيه نحوي أصولي، له يد في البلاغة غير قصيرة، تظهر في بنات قلمه شعرا ونثرا. من كبار المتخرجين بالشيخ أحمد التمكدشتي وبابنه الحسن. زاول التدريس بمدرسة إيمي نتركا بأگلو وبمدرسة عين المزوار بهوارة. كان كلفا بالسيرة وبالصلاة على صاحبها مما حدا به إلى شرح *ألفية* العراقي في السيرة وبسببه ذكر بين المؤلفين السوسيين. توفي عام 1296 / 1878.

الأگراري، *روضة الأفنان*، مخطوط ؛ السگرادي، *تحلية الطروس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 201 ؛ *المعسول*، 13 : 209.

عبد الله درقاوي

إگلي، الخلط بين إگلي عاصمة منطقة وادي سوس حتى نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وجبل إگيليز القريب من مسقط رأس المهدي بن تومرت، يعد من بين الأمثلة الكثيرة التي تحتم الاهتمام بالبحث الطبونيمي. ذلك لأن هذا الخطأ وثيق الصلة بمنهجية النصوص العربية القديمة والحديثة. وهو أمر مرده إلى كون الجغرافيين ومدوني الأحداث يجهلون بأن أوسع الأعلام انتشاراً ألصقها بالذاكرة المحلية وأكثرها إفصاحاً عن مرفولوجيتها وعطائها الاقتصادي والاجتماعي. ندرك بذلك ما للخرائط المحلية من إسهام، إن هي أحسن استعمالها، في تنمية الحس التاريخي للمجال وفهم البيئة وأسباب التعددات الطبونيمة. فمثلا، إذا ماحاولنا البحث في المعجم الأمازيغي الخاص بأسماء الأماكن من خلال القوائم المتداولة سجلنا التصاق إگلي بعدد كثير منها. هذه الكلمة تفيد الدفع بالقطيع نحو مكان أكثر خصوبة. وهو مايؤيده المراكشي حين يضيف مامعناه الواحة الخضراء (*المعجب*، 187).

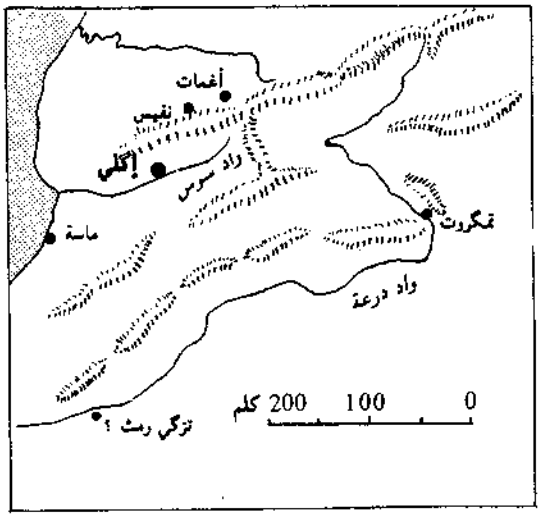

إگلي

إن المتأمل في موقع إگلي قاعدة وادي سوس التاريخية يدرك بسهولة ضرورة الشرح الطبونيمي كوثيقة تضاف إلى أدوات المؤرخين وغيرهم (ابن حوقل، 90. 97، البكري، 161 - الإدريسي، 72. 73). فهي تتوسط بسيط تَازُكْنِّيتْ القريب من تارودانت حيث تبرهن أهمية غابات الزيتون والنخيل بما لايدع مجالا للشك على أهمية الموقع حتى اليوم في تثبيت التسمية وإذا كان ياقوت الحموي ينص على إيجلن (معجم، 415) والزركشي على إگلين (*تاريخ*، 3)، فإن مجمل النصوص الأخرى تتفق على "إگلي". ولعل أهم شهادة خص بها كتاب *الاستبصار* مرويات سابقيه هي تلك التي أعلن من خلالها أن المدينة كانت عظيمة كبيرة قديمة أزلية أخرج منها عقبة بن نافع سبياً لم ير مثله حسنا (*الاستبصار*، 45). وقد لاحظ محمد المختار السوسي أن صاحب هذا الكتاب قد اقتصر خلال القرن الثاني عشر الميلادي على ذكر المدينة دون جارتها *تارودانت* التي اكتفى المراكشي بدوره بذكرها حوالي أربعين سنة بعد ذلك (*خلال*، 3 : 189).

على أن أسباب هذا الاختزال مهما كانت راجعة إلى اضمحلال المدينة فهي لا تكفي لخلطها بمسقط رأس ابن تومرت بتغْمْرت شرقي جبل إگيلّيز حيث متعبده ورباطه.

لقد برهنت النصوص المعاصرة للمهدي على أنه ينتمي إلى إگلي - انْ - وارْغْن، أي جبل إگيليز ببلاد أرغن (هرغة المصمودية) جنوبي وادي سوس شرق إگلي العاصمة المحلية (البيذق، *المقتبس*، 17 - *أخبار*، 32. 48. 90. 91) على أن من مظاهر الجدة الجذرية التي أتى بها أبو بكر المكنّى بالبيذق تعريبه لأسماء القبائل والأماكن. فجاء تعامله معها تطوعيا جعله يكتفي بإگلي هرغة وإگلي سوس بدل دلالاتهما الطبونيمية الحقيقية. ومن الأكيد أن خاصية محاولته تمكن من تغيير الواقع في إطار خاص يساير مطامح الموحدين ومقاصدهم.

وإذا تساءلنا اليوم عن نتائج هذه الممارسة التي أخذ الموحدون على عاتقهم مسؤولية إنجاحها، اتضح البعد الجسيم لهذا المنعطف كإشكالية مركزية. إننا ونحن بصدد المعنى التاريخي لعلاقة الناس بمجالهم نكشف عن سر فعالية التحليل الطبونيمي. فالواضح أن علاقة الناس بظروف وجودهم تمر عبر بنية تفرض على الناس ولا تمر بوعيهم. وهي إشكالية تتداخل في بعدها الوراثي لتغدو إشكالا إبستمولوجيا قد يعد من علامات التطور في صيغته التركيبية.

الزركشي، *تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية*، تونس، 1872 ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، 568 ؛ ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، I ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 4 : 254 ؛ أ. البكري، *المغرب*، 212؛ م. الإدريسي، *وصف إفريقيا والأندلس*، ليدن، 1968، 393 ؛ أ. البيذق، *المقتبس*، 60 ؛ *أخبار المهدي* ؛ ابن حوقل، *كتاب صورة الأرض*، بيروت، 1979 ؛ *الاستبصار*.

Levi - Provençal, *Extraits des Historiens arabes du Maroc*, Paris, 1948, p. 85.

مصطفى ناعمي

أكليم ← وجدة (إقليم -)

الأگماري، أحمد بن سعيد بن الطيب الأغْرابُوثي الأگماري نسبة إلى قبيلة إدا گاگْمارْ السوسية. العلامة الأديب والقاضي، تلقى تعليمه في مسجد قريته، ثم اقتحم العلوم على يد والده، ثم على يد سيدي محمد بن عمرو، والتحق بعد ذلك بالمدرسة الإلغية حيث لازم الأستاذ علي بن عبد الله الإلغي، ثم أعمل الرحلة إلى فاس فجاور بالقرويين، فاستتم من العلوم الشرعية ما كان يعوزه بسوس. استقر أخيرا بمدرسة تاكاتْرْت، وبعد الاستقلال عين قاضيا شرعيا في عدة محاكم. أورد محمد المختار السوسي مختارات من أشعاره ورسائله ووصفه بالأديب المتفوق.

م. المختار السوسي، *العسول*، 11 : 106 ؛ رجالات ؛ السگرادي، *تحلية الطروس*، مخطوط.

الأگماري، الطيب بن خالد بن محمد ولد عام 1220 / 1893 من الأسرة العلمية الأغرابوثية الأگمارية نسبة إلى قبيلة إدا گاگْمارْ، عالم جليل رباني، تغرب عن بلاده في سبيل التحصيل ثم عاد إليها ليتصدر للتعليم والإرشاد، فشرط في مدرسة بوزْكارنْ ومدرسة تاكارْت. كان مشاركا في الفتوى وقضاء النوازل فكان محترما معظما مقبول الرأي لا يتخطى حكمه مع بركة وخير وصلاح. أصيب بالعمى قبل وفاته لمدة طويلة، وبالرغم من ذلك فإنه لم يترك التعليم والإرشاد حتى لحق بربه عام 1311 / 1893.

م. المختار السوسي، *العسول*، 11 : 93.

الأگماري، محمد بن عبد الله بن سعيد، من قرية أيت محمد، عالم كبير ذو مقام عال في عصره، كما تدل عليه الفتاوى والأحكام التي صدرت عنه، وربما أدرك أوائل القرن الثالث عشر، وقد وقف المختار السوسي على فتاوى له متعددة في رحلاته الجزولية، وأبوه عبد الله بن سعيد كان علامة مفتيا عاصر أحمد العباسي الشهير، وقد رد عليه العباسي، وبيتهم في قرية "إدْمْحَمّدْ" بيت علم ويقال لهم إدْ الطالب سعيد.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 2 : 21.

الأگماري، محمد بن عبد الله بن محمد البوشكيري، ولد عام 1210 / 1795. ينسب إلى قبيلة إدا گاگمار علامة جليل القدر، جال في التدريس وفي كل ميدان علمي، فقضى وافتى بنزاهة تامة، وقد أتقن السيرة كوالده وتمكن من النحو والفقه والفنون المتداولة، ودرس في تاغلول كثيرا وفي المدرسة الأگمارية. وهو صاحب *المنظومة البوشْكرية* الشلحية المشهورة. توفي عن سن عالية وعن سمعة طيبة عام 1282 / 1867.

م. المختار السوسي، *رجالات*.

عبد الله درقاوي

أُگماسْ، قرية صغيرة في منتصف الطريق بين أزرو وإفران (الأطلس المتوسط)، تستوطنها قبيلة أيت فاسْكا وهو فرع من فروع قبائل إيركلاون (أيت مْگيلد). والكلمة الأمازيغية مركبة من لفظين : أگْ ويفيد كل ما يوجد أعلى الشيء، وماس ويرتبط بالماء الكثير، وماء السقي. فيكون معنى كلمة أگماس المكان الذي يعلو المساحات المسقية أو المكان الذي لا يصله الماء.

وتحتفظ قرية أگماس الحالية بنماذج من السكن التقليدي العتيق الحاملة لاسم إغْرْمْ وهو شبيه بالقصر المنتشر بالجنوب المغربي إذ يتوفر على سور خارجي وقائي يحيط بالدور التي تتكئ على واجهاته الداخلية لكي يبقى وسط إغرْمْ عبارة عن ساحة كبيرة تتجمع فيها الدواب. وهذا النمط اليوم في طريق الانقراض.

E. Laoust, *L'habitation chez les transhumants*, pp. 289-292; L. Mezzine, *Sur l'étymologie du toponyme Sijilmassa*, H. T. XXII, 1984, pp. 19-25.

عبد العزيز توري

أگمگام ← الأكحل محمد

أكْنات، كتلة جبلية بارزة بين سهول تافلالت والمنخفضات التي تكون استمراريتها الغربية وذلك جهة الجنوب، والممر الممتد جنوب الأطلس الكبير (المنخفض قرب أطلسي) جهة الشمال. ويتكون هنا هذا الممر من سهول تدغة وغريس الأوسط (ما بين تنغير وگلميمة، مرورا بتنجداد). وهي تكون استمرارا لكتل الأطلس الصغير، إلا أنها مفصولة بوضوح عن صاغرو بفج واسع.

والكتلة مكونة من وحدة قبلكمبرية، هي جزء من الدرع الإفريقي، تم رفعها بشدة، بحيث تبلغ قمتها 1720 م. لكن هذا المحدب غير متماثل الجانبين. فبينما السفح الجنوبي طويل وضعيف الانحناء، يسمح بظهور الطبقات الرسوبية الأولية التي تكون غطاء الكتلة القبلكمبرية، نجد شمالا هذه الكتلة تشرف مباشرة على منخفض انكساري تراكمت فيه مواد حديثة. وعدم التماثل هذا ناتج للحركات التكتونية الحديثة التي رفعت الكتلة بشدة في جانبها الشمالي، الشيء الذي أكسبها هذا الانحناء العام في اتجاه الجنوب. وهذه القاعدة المرفوينيوية ليست خاصة بأكْنات، بل نجدها تعم كذلك كتلة صاغرو بأكملها.

داخل السلسلة تمتاز التضاريس بارتباطها بنوعية الصخور وتصرفها أمام عوامل التعرية الصحراوية. فالگرانيت والريوليت والگابرو صخور باطنية، قابلة للتفتت الحبيبي والتصدع. ولذا فهي تعطي سفوحا مقعرة مغلفة بمواد انهيالية خشنة، والمناخ الجاف يمنع من توفير تربة حقيقية. لذا تظهر البروزات الصخرية عارية مسودة، مغلفة بالطلاء الصحراوي، بينما أقدام السفوح مغطاة بالمهيلات.

شمالا وجنوبا، تميل الكتلة القديمة تحت الغطاء الأولي وتحت المواد الغشائية الحديثة.

السفح الشمالي هو الأوعر، حيث تختفي الكتلة سريعا تحت غطاء شديد الميل نحتت فيه التعرية أشكالا أبلاشية هي عبارة عن تجعدات وحيدة الميل كثيرا ما تجزؤها انكسارات. وكل الجبهات تنظر نحو أكْنات. كل تجعد أو عرف يشرف على منخفض محفور في الطبقات الهشة. وفي هذه المنخفضات شكل السيل الرباعي حادورات تتعمق فيها حاليا الشبكة المائية.

والغريب في هذه الحاشية أن حادورات نازلة من أعراف الغطاء، تمتد لتمر فوق الهوامش الشمالية من الكتلة القبلكمبرية وخاصة الصخور الگرانيتية البارزة بين توروگ وملاب. هذا دليل على أن سطحا واحدا قطع الهوامش الشمالية للكتلة وحاشيتها الرسوبية. وهذا السطح هو الذي يفسر المجرى غير العادي لتدغة. فهذا النهر القادم من الأطلس الكبير، يتبع المنخفض الكبير الجنوب الأطلسي، ثم فجأة ينحرف ليتعمق في الهامش الشمالي لأكْنات ناحية ملاب. وهذا المجرى غير العادي راجع لكون الكتلة وحاشيتها كانتا تمثلان سطحا تحاتيا واحدا أرجعه المؤلفون (F. Joly, *Etude sur le relief du SE du Maroc*) إلى الثلاثي. ويمتد هذا السطح شمالا حتى قدم الكويسطا الكريطاسية التي تكون الحدود الشمالية للمنخفض التحاتي الهامشي على جانب كتلة أكْنات.

أما الحاشية الجنوبية فهي تكون الجانب العادي، ضعيف الانحناء لمحدب أكْنات، حيث نجد الغطاء الرسوبي ضعيف التشويه ومكونات من طبقات متوالية من الكلس والحث والشست. هذا الغطاء المتموج على آفاق واسعة، تعرض كذلك لآثار التعرية الانتقائية التي شكلت به تضاريس أبلاشية مكونة من أعراف غير متماثلة الجوانب وممرات تملأها توضعات حديثة. وتتعدد هذه الأعراف تبعا للسلسلة الرسوبية حيث تظهر أولها ملاصقة للكتلة ومشكلة في طبقات الكلس الأودودوني ثم الجيورجي، تتبعها، أعراف حثية من الكمبري الأعلى فالديفوني. بعض هذه الأعراف ترسم حلقات محيطة بمقعرات واسعة كما هو الحال ناحية فزو. أما الممرات فهي معرضة للتذرية الريحية وبالتالي تشكل سهولا حصوية تدعى الرگ الصحراوي.

F. Joly, *Etude sur le relief dans le S.E marocain*, Trav. Inst. Sc., Sér. Géol. et Géogr. phys. n° 10, 1962.

عبد الله العوينة

أكنّاس، محمد بن عيسى، ولد سنة 1912 بالماعلي ناحية تازا. انضم إلى صفوف جيش التحرير، وعمل ضمن الفرقة التي كانت بمركز بوزينب والماعلي تحت مسؤولية محمد بن علال أعبدلي. شارك في تنفيذ عدة عمليات فدائية حتى استشهد رحمه الله يوم 5 أكتوبر 1956 بمسقط رأسه.

وثائق المندوبية السامية وجيش التحرير.

عز الدين العلام

أكناو، عربيه : گناوي. يغلب على الظن أن معناه : الغاني، نسبة إلى غانا من بلاد السودان الغربي، ويطلق الأمازيغيون هذا الاسم على الأسمر مطلقا، كما قد ينعتون به من لا يبين في كلامه بحسب مألوف أسماعهم بأن يكون ذا مرض كلامي أو يكون أجنبيا.

أحمد التوفيق

أكناو، أسرة تطوانية أصلها من بني بوشيبت بناحية صنهاجة، وكل ما نعرفه عنها أن أحد أفرادها المسمى محمد أگناو كان ضمن الوفد التطواني الذي حمل إلى فاس وثيقة مبايعة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان في ربيع الأول 1276 / 1859.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 12 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 369 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 (G) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 (G) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

باب **أكناو**، أحد أبواب مراكش الشهيرة، اختلف في معنى اسمه حيث ربطه مؤلف *الإعلام* بلقب "الكبش الأجم"،

بينما أشار صاحب *المسالك*، كما جاء في نسخة القسطنطينية، إلى كونه مرتبطا ببركة ماء عرفت "ببركة الأقنى" كانت توجد غير بعيد منه.

إلا أن اسم أگناو، ومعناه الزنجي أو الأسود، قد يأتي من حجر النضيد (Schiste) الداكن اللون الذي استعمل في بناء الباب، على واجهته الخارجية، في نظام تناوبي مع أحجار أخرى وهو ما يضفي عليه الصفة الجمالية التي تميزه.

ويستفاد كذلك من كلام العُمري عن باب أگناو أنه هو الذي كان يطلق عليه اسم باب السقائف وهو مايتناسب مع ما جاء في تصميم برتغالي يرجع إلى سنة 1585 م، لكن مارمول يعاكس ذلك بجعل باب السقائف بعيدا إلى الجنوب.

وإذا كانت النصوص المتوفرة غير قادرة على إفادتنا في موضوع معنى الاسم وسبب إطلاقه على هذه الباب، فإنها كثيرة الحديث عن هذه الاخيرة خاصة كلما تعلق الامر بذكر أخبار الثورات والفتن التي عرفتها البلاد والمدينة في فترات مختلفة من تاريخهما والتي نتج عنها القبض عن أصحابها فيصلبون وتعلق رؤوسهم بهذه الباب، لتكون عبرة لغيرهم.

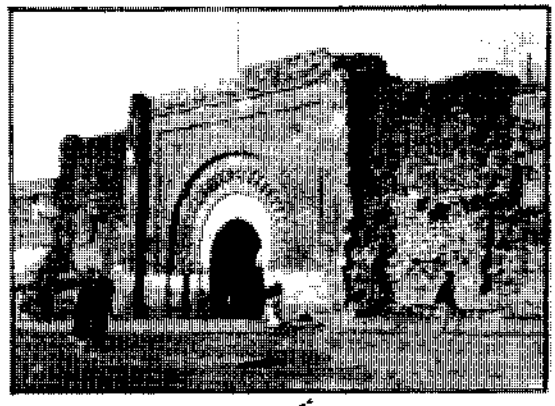

باب أگناو بمراكش

بني باب أگناو بالحجارة المنحوتة والآجر في نظام تتابعي محكم، وقد لاحظ الباحثان شارل آلان وگاستون دوفيردان في دراستهما لهذه المعلمة والتي يعيدان إنشاءها إلى العهد الموحدي، أنها كانت تتوفر على غرار الأبواب الموحدية، على برجين جانبيين لم يبق منهما سوى أثر اقتلاعهما، ويوضح التصميم البرتغالي أنهما كانا مربعي الزوايا، وتعلوهما شرفات مثلثة الشكل وكان المدخل أصلا مدخلا ذا التواء واحد، مغطى عن آخره بسقف يصله درج أقيم في جانبه الجنوبي.

وأهم ما يميز باب أگناو اليوم، زخرفته الرائعة التي تجعل منه بابا من أجمل أبواب مدن الغرب الإسلامي، فهي قبل كل شيء باب أريد منها تمجيد المنشئ وإظهار قدرته على الإبداع والتشييد، فجاءت آية في الزخرفة، احتفظ لدورها الدفاعي بمرتبة ثانوية، يعززها تشييد باب الرب المثلث الالتواء على بعد بضعة أمتار فقط.

أما عناصر زخرفته فتجمع كل ما هو معروف في الزخرفة الإسلامية من أشكال هندسية ونباتية وكتابة منقوشة ففتحته "قوس على شكل حدوة جواد تحيط به فقرتا عقد Voussoirs بسيطتان تتوسطهما واجهة عقد Archivolte تحدها ثلاثة خطوط من الزينة المفصصة Festons متداخلة فيما بينها، تنتهي في أسفل عضادات الباب بشكل زخرفي ثعباني Serpentiforme، أما الركنيتان فتزينهما زخرفة نباتية غنية وكثيفة تتوسطها صدفة وتعلوها زهيرة رباعية الأوراق، ويحيط بمجموع هذه التنظيمية الزخرفية إطار يحمل الآيتين 46 و 48 من سورة الحجر (*Portes anciennes*, 120).

العمري، *مسالك الأبصار* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2.

Dozy, *Supplément*, II ; H. Terrasse, *Le décor des portes anciennes du Maroc*, Hesp., 1923, p. 356-392 ; *L'art hispano-mauresque*, 1932, p. 294-297 ; G. Deverdun, *Inscriptions arabes de Marrakech*, nº 59-60-61 ; Ch. Alain et G. Deverdun, *Les portes anciennes de Marrakech*, Hesp., p. 117-120.

عبد العزيز توري

إگْنَاوْنْ (فرقة الرقص) ← گناوة

أكْنْسُوسْ، أحمد بن سعيد المراكشي، من أهل العلم والورع في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري بمدينة مراكش. كانت نشأته بهذه المدينة التي بها تلقى تعليمه. لم نقف على أشياخه في العلم، ومن المرجح أن جل تحصيله كان على يد فقهاء مدينته الذين تولوا التدريس في تلك المرحلة كالفقيه محمد بن سعيد المرغيثي. فعن هذا الفقيه وغيره أخذ من العلم ما جعله مشاركا في كثير من فروع المعرفة وعد من حذاق ونجباء طلبة مراكش.

ولما استقامت له تلك المشاركة الواسعة في العلم، مارس التدريس والإمامة بأحد مساجد مدينة مراكش. وفي ذلك المسجد التقى بالشيخ محمد بن عبد الله السوسي الذي كانت ولايته قد ظهرت للناس. كان ذلك اللقاء في حدود العشرة السادسة من القرن الحادي عشر الهجري. ولم يكن أحمد بن سعيد آنذاك من المقربين لأحد بالولاية ولا من القائلين بعلم الباطن. لكن هيبة هذا الشيخ جعلته ينجذب ويرتبط به، ويسلك طريق القوم على يده، حتى صار من تلامذته المقربين.

لازم شيخه محمد بن عبد الله السوسي طيلة إقامته القصيرة بمدينة مراكش. وفي هذه المدة ظهر نسكه وصلاحه. وفي حدود سنة 1069 / 1658 خرج شيخه محمد بن عبد الله من مراكش قاصدا الديار المقدسة. فخرج هو معه ليخدمه.

وفي مكة المكرمة استقر مع شيخه وخدمه نحواً من اثنتي عشرة سنة. فكان أكنسوس هو الذي يراسل أصحاب الشيخ بالمغرب. ولما توفي هذا الشيخ بالحرم الشريف عام 1079 / 1668 قام أكنسوس مقامه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذلك في تربية المريدين. ويستفاد من مراسلاته ومن كلام الحجاج المغاربة الذين شاهدوه وتعرفوا إليه بالحرم الشريف أنه بلغ درجة كبرى في سلم التصوف والصلاح.

عاش أحمد ابن سعيد أكنسوس بعد وفاة شيخه نحواً من اثنتي عشرة سنة وبذلك تكون وفاته حوالي 1091 / 1680.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 324.

عبد العزيز بوعصاب

أكنسوس، عبد الله بن محمد بن أحمد المراكشي، وردت كنيته في بعض المصادر كنسوس أو الكنسوسي. كان أبوه مؤرخا وأديبا وكاتبا في الديوان السلطاني.

عرف عبد الله بمشاركته الواسعة في مختلف فروع المعرفة، وبرع في الكتابة والإنشاء والترسيل، فكان شاعراً ممتازاً وكاتباً فحلا. له قصائد شعرية في مواضيع وأغراض متنوعة، وكان يكتب المكاتب الطنانة البليغة. وبذلك شابه أباه في حدة الفكر والقلم. فاستكتبه السلطان المولى الحسن زمن خلافته لأبيه بمراكش، وأقره في ديوانه بعد مبايعته عام 1290 / 1873 كما مارس نفس الوظيفة أيام الوزير أحمد بن موسى الذي كان يُكرمه ويجله.

وقبل استكتابه بالديوان، كان قد مارس التدريس وأجاد فيه، حتى قال أحد الوزراء : إنه لم ير مثله علما وتحقيقا. وبالإضافة إلى تكوينه الممتاز، كانت له خصال حميدة، أشاد بها كل من عاشره أو تعرف إليه.

لا ندري هل خلف كتبا أو دواوين شعرية، وكل ما أشارت إليه مصادر ترجمته هو أن مقيداته حيزت بعد موته من لدن القصر السلطاني. ولا شك أن تلك المقيدات تعد شهادة ملاحظ واكب تجربة دولة عرفت كثيراً من التطورات في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي. وكانت وفاته عام 1316 / 1898.

ع. اللجائي، *المفاخر العلية*، (مخطوط) ؛ م. غريط، *فواصل الجمان*، 171 - 183 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 343.

عبد العزيز بوعصاب

أكنْسُوسْ، محمد بن أحمد بن محمد بن يونس بن مسعود، كما وقفت عليه في إجازة أجاز بها أبا علي الحسن السوسي التنملزي. عُرف بأكنسوس مبدوءا بهمزة مفتوحة، وبكنسوس دونها منكّرا، وبالكنسوس بدونها أيضا معرفا، وبالكنسوسي منسوبا على طريقة النسبة في العربية، وتعني هذه الكلمة أنه من (إداوكْنْسُوسْ) إحدى قبائل سوس العريقة. وينسب بالجعفري انتماء إلى جعفر بن أبي طالب، وهو قد كان في شك من صحة هذا النسب فتركه حينا، ثم عاد إليه للسبب الذي ذكره في *الجيش* (2 : 150).

ولد عام 1211 / 1796 - 1797 بقبيلة تنمرت كما أخبر بذلك في إحدى رسائله. وتيتم من أبيه وهو صغير، وما أن أدرك وميز حتى غادر مسقط رأسه إلى الزاوية الناصرية حيث أخواله، فحفظ القرآن، واستظهر الأمهات، وشدا من أوليات العلوم، ثم شد الرحلة إلى فاس طالب علم عام 1229 وفيها اتخذ مسكنه بمدرسة الصفارين، واتفق له أن يسكن منها بيتا لصق البيت الذي كان يسكنه الشيخ الجزولي صاحب *دلائل الخيرات*، وانكب على التحصيل والاستفادة واصبا دائبا، فلم يمض عليه زهاء ثماني سنوات حتى أشير إليه بالأصابع، وعد من ذوي الفهم والتحصيل.

ذكر أكنسوس مشيخته في إجازة له بما نصه : "وقد اقتضى الحال أن أذكر جملة من مشايخنا الذين أخذنا عنهم مباشرة، ولازمناهم بالخدمة والمعاشرة، تبركا بذكرهم، ووفاء ببعض ما يجب من حقهم وشكرهم، فمنهم :

الشيخ النحرير العلامة المسن البركة حافظ الدنيا بالإجماع الحاج المرابط المتعبد أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد السلام الناصري. ومنهم شيخنا العلامة القدوة المتبحر المؤلف الناظم الناثر الذي نفعنا الله به أبو الفيض سيدي حمدون بن عبد الرحمان المرداسي الفاسي. ومنهم شيخنا العلامة المتفنن في جميع العلوم، أعجوبة الزمان، معول المحصلين، أبو عبد الله سيدي محمد بن عمرو الزروالي الفاسي، ومنهم شيخنا العلامة النفاع المشارك صاحب التآليف العديدة، والأوضاع المفيدة، القاضي أبو عبد الله سيدي محمد بن منصور الشفشاوني الفاسي. ومنهم شيخنا العلامة القاضي الأجل الأشهر أبو العباس سيدي أحمد ين الشيخ التاودي ابن سودة المري الفاسي ومنهم الشيخ البركة حامل لواء المذهب المالكي بلا نزاع سيدي عبد السلام الأزمي الفاسي. ومنهم الشيخ البركة المتصوف ذو الاخلاق المحمدية أبو محمد سيدي عبد القادر بن أحمد الكوهن الفاسي. ومنهم الشيخ البركة ولي الله تعالى أويس زمانه سيدي محمد المكي السراغني المراكشي المعروف بابن مريدة. ومنهم الشيخ البركة الأستاذ سيدي الحاج عبد الله السكياطي الشياظمي. ومنهم الشيخ الأستاذ صاحب الأنوار الفياضة، والأحوال التي أثمرتها الرياضة، والانزواء عن الخلق، والايواء إلى جانب الحق، سيدي الحاج التهامي الوبيري الحمري. إلى آخرين ممن شاركناهم في الأخذ عن جل المذكورين من الفاسيين... ».

ويأتي في صدارة من أخذ عنه : السلطان العلوي محمد الرابع، ونجل المترجم عبد الله، وإدريس بن الطيب بن اليماني، والصوفي المشهور العربي ابن الساسح. وبعدهم محمد بن المعطي السرغيني المراكشي، ومحمد بن أحمد أزنبط، وسعيد العسري، وسعيد بن محمد أجيمي، وعبد الله بن وقاص. ومن السوسيين : الحسن بن الطيفور، وعبد الله بن محمد الأدوزي، وعبد الكريم بن عبد الرحمان الكرامي، وأحمد بن محمد الحسيني الطاطائي، والحاج الحسين بن أحمد الإفراني، وسعيد العباسي الدراركي، وعبد الكريم التناني في آخرين.

التقى أكنسوس بعامة أشياخ وطنه، ولازم الجلة منهم حتى استنفد ما عندهم، ثم أمعن بعد ذلك، في القراءة الشخصية إمعانا استغرق فراغه، وهو كان منهوما بالقراءة مشغوفا بالكتب، يقتنيها، ويستنسخها، ويستعيرها، ويتردد على أصحاب المكتبات من أصدقائه ومعارفه ليشبع

نهمه بالمعرفة، فاحتوى صدره لذلك، معارف جمة، وصارت له المشادكة الواسعة في مختلف العلوم والفنون، فذكر بين الفقهاء والفرضيين، وعد في الحيسوبيين والموقتين والمعدلين، و جعل في اللغويين و النحاة و البلاغيين، وكان أديبا ناقدا، وكاتبا شاعرا، وهو بعد مؤرخ أخباري، وصاحب نوادر ومحاضرات. وكان له نظر في المنطق وفي العلوم الروحانية من أوفاق وسر حرف وتصوف، ثم كان له شدو في الطبابة كما كانت له معرفة بالكيمياء بآية أنه ألف كتابا في الكيمياء سنذكره عند التعريف بآثاره. وتناهت مشاركته إلى أن كان له بصر بالعدانة (صناعة استخراج المعادن) نستشهد على ذلك، برسالة وردت عليه من الحاجب موسى بن أحمد عن أمر سلطاني تطلب منه تقويم كتاب في المعادن فأجاب عنها جواب العارف البصير (ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2 : 463. 465).

لا يماري أحد في أن أكنسوس منشئ مجيد، تشهد له بذلك آثاره الكتابية من رسائله الديوانية، والأخرى الاخوانية، وسائر ما كاتب به غيره، وهو كثير غزير، كما يشهد به نثره في تآليفه من *الجيش*، *والجواب السكت*، *والحلل الزنجفورية*. ومن نماذج نثره الذي يثبت اقتداره على الكتابة البليغة المصنعة مقامته الطويلة النفس، وكم له من أمثالها في الصنعة البديعية بين ما كتبه من الرسائل والفصول، وذلك ما يجعله طبقة عالية بين كتاب عصره مشارقة ومغاربة، ممن ظل يكتب على النمط القديم ولا يلتفت إلى دعوة التجديد في الكتابة التي بدأ صوتها يرتفع في ذلك الحين.

ولا ينكر عارف بالشعر أن أكنسوس يمتلك، موهبة شعرية قديرة، وعندي أنه يمثل فحولة الشعر بالمغرب على عهده، ولست أحاشي في ذلك أحدا من معاصريه، ولا محمد بن إدريس الذي كان أيضا شاعرا مطبوعا. وقد ابتدأ قرض الشعر المطبوع من مطلع شبابه ولما تتجاوز سنه الثامنة عشرة، ثم تمادى ينظمه طوال ستين سنة أو تزيد، فينظم ما تدعو إليه المناسبات، وهو كثير، وفي *الجيش* منه زهاء ألف قافية، ثم ينظم ما تجيش به نفسه، وعساه أن يكون أغزر وأكثر فالمتوقع أن يكون شعره كبير المقدار.

أما التاريخ فلا مقال لأحد في أن أكنسوس كان ملمًا به، يعلل أحداثه، ويستنتج منها كأي مؤرخ حاذق بصير كما يرى ذلك في مواضع عديدة من جيشه. وعليه فمن الغبن أن يتنقص منه بعضهم كمؤرخ لفترة خاصة من تاريخ وطنه عايش أحداثها، وشارك في صنعها، وخلف من ورائه مرجعا معولا عليه فيها. ومن البخس أيضا أن يعيب عليه آخرون أنه كتب تاريخه بأسلوب جزل رصين فيه صنعة وتنميق، كأنهم يختارون الهلهلة على الجزالة، والركاكة على البلاغة. ومن التكذب عليه أن يقال عنه إنه كان يتملق ويتصيد المناسبات ليحمد الحاكمين بما لم يفعلوا مع أنه ذكر من نقائص الملوك القاصرين ومثالب الأمراء المنحرفين ما لا يجرؤ سواه على قوله، لا سيما والدولة هي التي أوعزت إليه بالتأليف فهي ترغب - لا شك - في إظهار الجميل والتغطية على القبيح.

كان الشغوف الذي ظهر به أكنسوس في الوسط الثقافي قد تأدى إلى المولى سليمان فاستدناه منه، ثم استكتبه، ثم زادت حظوته لديه فاستوزره عام 1235 والدولة يومئذ تعيش أزمات بالغة الشدة، فكان يعهد إليه بالمهمات الصعاب فيضطلع بها في حسن تأت وكمال كفاية. ولم يطل عهد أكنسوس في الوزارة إذ أدرك المولى سليمان أجله عام 1238 فخلفه من بعده ابن أخيه المولى عبد الرحمان بعهد منه إليه. وبإثر ما بويع المولى عبد الرحمان قدم عليه أكنسوس فأذن له في الدخول عليه، وانبسط له، وساءله في أشياء من أمور الدولة، ثم اتسع معه في الحديث حتى سارّه بأشياء من أموره الخاصة، وحتى شكا له ما رآه من أولاد عمه المولى سليمان حيث نفسوا عليه أن يعهد إليه بالأمر من بعده، ولكن الحاشية لم ترغب في وجوده بينهم، فسعوا به عنده بوشايات وأقاويل لم يصغ إليها العاهل في أول الأمر، ولكنهم دأبوا على المحْل وقلّبوا الأمور حتى أفسدوا عليه قلبه، وأحس أكنسوس بما يدبر ضده فتنحي من تلقاء نفسه قبل أن يصيبه من كيدهم ما يخاف، وقد حكى في الجيش (2 : 5.3) قصة التآمر عليه، وسمى المتآمرين ضده، وذكر من بينهم صديقه القديم محمد بن إدريس، والمختار الجامعي في آخرين.

اهتم الكاتبون عن أكنسوس بأنه كان وزيرا، وتحدثوا عنه مؤرخا، واعتدوا به شاعرا مجيدا، وكاتبا قديرا، وصنفوه في الأدباء، وذكروه بالباع الطويل في علوم اللسان العربي، وعدوه في الفرضيين والحيسوبيين والمعدلين، ولكن أكثرهم سكت عنه كصوفي كان له أثر بالغ في الدعوة إلى الله بين الخاصة والعامة، والذوب على إرشاد الناس زهاء خمسين سنة أو تزيد، لم يَستحسِر في ذلك ولم يمسّه فيه نصب ولا لغوب. كان أكنسوس من أتباع الناصرية سيرا على أثر أسلافه الذين كانوا قد دخلوا فيها من عهد شيخها محمد بن ناصر، فلما ارتحل لفاس طالب علم وجد التجانية تملأ دنيا فاس وتشغل ناسها، وكان شيخها التجاني يومئذ ما يزال بقيد الحياة، وكان مقامه إذ ذاك بفاس، فلأجل ما كان يسمعه سماعا فاشيا من الثناء عليه بكل لسان تردد عليه زائرا متبركا، ولكنه لم يأخذ عنه لأن همته كانت منصرفة إلى تحصيل العلم الذي اغترب من أجله. وكان دعاة التجانية يومئذ نشيطين ملحين في اجتذاب الاتباع، وكان أكنسوس وأمثاله من أهل الفضل ممن يعنيهم أن يكونوا في صفوف التجانية، فألحوا عليه في الانضمام إليهم حتى استجاب لهم وما كاد. وما إن انتمى أكنسوس إلى التجانية حتى صار من أحسن الدعاة إليها، ومن أقوى أنصارها المنافحين عنها، وهي إنما انتشرت في السوس بمساعيه الحميدة وعمله الدائب في الدعوة إليها، والتمهيد لها. ومن جده في ترسيخ التجانية وتثبيت أقدامها أن أسس لها بحي المواسين من مراكش سنة 1262 هـ

زاوية ذات بهجة كانت متربى المريدين، ومجمع الذاكرين، ومحجة الزائرين، فلما توفاه الله تولى أمرها ابنه سيدي العربي، ومن بعده حفيده سيدي يوسف، ويقوم بشأنها اليوم نجل حفيده سيدي أحمد بن يوسف أحد شيوخ العلم والتربية بمراكش نسأل الله في أجله وأمتع به.

كان المترجم ذا نزعة صوفية جعلته على استقامة مثالية، وألزمته كلمة التقوى، وألقت عليه سمت الصالحين، وجنبته انحرافات الساسة وباطلهم، مع أنه خاض في شئون وقته خوضا لا يكاد يسلم معه لمن خاض مثله عرض ولا دين إلا بوقاية من الله الذي يعصم من الأسواء. والشيخ الكنسوسي بعيد الغور دراك أريب، مع نقاء طوية وصفاء سريرة، وهو جَدلٌ قوي العارضة، ناصع الحجة، وهو عف الكلمة، لا يجهر بالسوء ابتداء، ولا يجاري فيه البادئ به، ولكن يجادل بالتي هي أحسن، ويجامل المسيء، ويتلطف به، ويتودد إليه، أخذا منه بآداب الإسلام. إنه يمثل العالم المسلم الذي يحكم الشريعة في أمور الدنيا ولا يحكم الدنيا في أمور الشريعة، دون أن يكون ضيق العطن أو جامدا، يحجر من الأمور ما يتسع له الدين. وكان في خلقه ربعة أسمر البشرة أطلس، والأطلس الذي لا شعر في وجهه. وقد عاش عمره الطويل ممتعا بالسلامة، إلا أنه أصيب في كريمتيه بأخرة من حياته، فتقبل الآفة بعد طول السلامة صابرا محتسبا.

توفي يوم الثلاثاء 29 من المحرم عام 1294 / 14 يبراير سنة 1877، وجعل مدفنه بمقبرة السهيلي وعلى مقربة من ضريحه خارج باب الرب أحد أبواب مراكش القديمة في الجنوب الشرقي منها، وكان يوم دفنه يوما مشهودا.

ترك أكنسوس، آثارا كثيرة، منها : *الأجوبة التونسية*، *وتأليف في علم الكيمياء*، *وتحقيق القاموس المحيط*، *وتصحيح الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم*، *والجواب المسكت*، كتبه دفاعا عن الطريقة التجانية وردا على الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن المختار البكاي فيما قاله بشأنها وشأن شيخها. طبع بالمطبعة التونسية الرسمية عام 1307 هـ في زهاء 40 صفحة من قطع الوسط ثم طبع ثانية بالجزائر سنة 1913 *والجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي*، كتبه بإشارة من السلطان المولى محمد بن عبد الرحمن وبتأكيد من وزيره أبي الثناء محمد الطيب بن اليماني. يوجد *الجيش* مخطوطا في عدة مكتبات عامة وخاصة. وطبع على الحجر بفاس بتصحيح عبد الكريم بن العربي بنيس عام 1336 هـ. وحسام *الانتصار في وزارة بني عشرين الأنصار*، *والحلل الزنجفورية في أجوبة الأسئلة الطيفورية*، طبعت *الحلل الزنجفورية* بالمطبعة التونسية الرسمية سنة 1312 هـ في زهاء 60 ص. من القطع الوسط. *وخمائل الورد والنسرين في بيت أبناء عشرين*، *والديوان*، *والرسائل*، *ورسائله إلى الوزير محمد العربي الجامعي* في مجموع خاص. *وشرح على قصيدة الزياني في مسألة قطع الفتوى بفاس ونواحيها*. *وطرر على* الكتب، *وكناش*، ذكره أحمد سكيرج في الربع الأول في *رفع النقاب* (ص. 171)، *والمقامة الكنسوسية*، وهي مقامة طويلة النفس تتألف من 475 قرينة تتخللها أشعار عدة أبياتها 84 بيتا.

ل. شيخو، *الآداب العربية في القرن التاسع عشر*، 1924، 2 : 23-24 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ م. ابن الموفق، *السعادة* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7 ؛ ع. گنون، *ذكريات مشاهير المغرب* (العدد 4) ؛ ع. المشرفي، *الحسام المشرفي*، مخطوط ؛ م. السرغيني، *حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من الأخيار*، مخطوط ؛ أ. سكيرج، *رفع النقاب بعد كشف الحجاب عمن تلاقى مع التجاني من الأصحاب*، ط. تطوان، (الربع الثاني) ؛ أ. الشنقيطي، *روض شمائل أهل الحديقة في التعريف بأكابر أهل الطريقة*، مخطوط ؛ م. غريط، *فواصل الجمان* ؛ ع. الزندة، *الكتابة و الكتاب*، ط. فاس، 1922 ؛ ل. بروفنسال، *مؤرخو الشرفاء* ؛ م. السائح، *المنتخبات العبقرية*، ط. الرباط، 1920 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية*.

أحمد الشرقاوي إقبال

أكنُول، دائرة من دوائر إقليم تازا، تقع في قلب جبال الريف الشرقية وتضم الجماعات القروية والحضرية التالية : جماعة أكنول القرية التي يبلغ عدد سكانها حسب إحصائيات 1982، 18.999 نسمة. وجماعة أكنول الحضرية : 2052 نسمة، وجماعة أجدير : 23.636 نسمة. وجماعة تيزي وسلي : 23.840 نسمة. وجماعة مزكتان : 16.232 نسمة.

تتميز هذه المنطقة الجبلية بصعوبة المسالك وقلة المواصلات، وتشتت السكان وتنقلهم المستمر، إما داخل الدائرة نفسها أو إلى أبعد من ذلك، حيث الهجرة الداخلية مرتفعة جدا في بعض الحالات. ولعل عدم توفر المساحات الأرضية الصالحة للزراعة، والاعتماد على التشجير ومنتجاته من لوز وزيتون هو الذي يفسر أسباب هذه الهجرة. وتبقى أهم الموارد الاقتصادية التي يعتمد عليها سكان المنطقة، ومداخيل العمال المهاجرين ومعاشات قدماء المقاومين ورجال جيش التحرير.

تحتل هذه الدائرة، بجماعاتها الخمس مكانة ملحوظة في تاريخ المغرب المعاصر. فسكانها وقفوا بجانب المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي حينما أعلن جهاده ضد الاحتلال الإسباني والفرنسي (انظر أجدير) كما أن قبائل هذه الدائرة احتضنت ثورة فاتح أكتوبر 1955 حيث اندلعت من جماعات أكنول، وبورد، وتيزي وسلي، وأجدير، مما عرّض القبائل الريفية إلى الاضطهاد والقهر من طرف الجيوش الفرنسية، وقد أبلت هذه القبائل البلاء الحسن، وضحت بكل صدق وشجاعة بالمال والنفس في سبيل تحرير البلاد وعودة المغفور له محمد الخامس من المنفى إلى العرش.

وقد سمّت السلطات الاستعمارية هذه المنطقة، نظرا

لبطولاتها وجهادها "بمثلث الموت" تقصد به جماعات أكنول، وتيزي وسلي، وأجدير.

تتميز المنطقة بأسلوب عيشها وبأسواقها الأسبوعية وبمحافظة سكانها الريفيين على عادات وتقاليد قبائلهم التي تعد جزءا من التراث الوطني. كما تتوفر المنطقة على عين للمياه تعرف سابقا بالعين "الحمراء"، ثم سماها محمد الخامس عين الرحمة.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 2 : 39 ؛ ع. الدوائري وع. الذهبي، م. غورضو، *مقالات في مجلة المقاومة وجيش التحرير*، معلومات عن الإقليم من عمالة تازا ودائرة أكنول.

Encyclopédie d'outre - Mer, nov. 1955, p. 480 (*Aknoul*) ; Direction du Plan, *Etude d'identification du projet directeur de la planification, province de Taza*, Rabat 1976.

مبارك زكي

إكنيون ← **ورزازات** (إقليم ـ)

أگْوَالْ، على وزن أفعَال ـ بتشديد العين ـ وتنطق أحيانا في بعض جهات المغرب مثل جهة عبدة : "گُوَالْ"، على وزن فْعَال ـ بتشديد العين ـ وتنطق أحيانا في بعض جهات المغرب مثل جهة عبدة : "گوال"، بتخفيف العين، وتسمي عند الأمازيغيين أگْوَالْ (بتخفيف، حركة الواو) حاول البعض أن ينسب هذا الاسم إلى التجوال (مصدر) معتمداً أن آلة الإيقاع المسماة بهذا الاسم كانت رفيقاً لبعض الشعراء الذين تجوّلوا عبر القبائل والأحياء ينشدون شعرهم الزجل (الرباعي) وقد كثر عددهم منذ النصف الثاني من القرن السابع الهجري خاصة في السهول الأطلسية وما يقابلها من هضاب، إلا أن ذلك بعيد والقريب هو نسبة التسمية إلى (القول)، فيكون (گوال) إذ استعمل كمصاحب للقول. فمايزال القوالون من شعراء وأصحاب ثنائيات dialogue وأفراد monologue يعتمدون آلة إيقاع أو آلة وتر. كوسيلة لاستلفات الانتباه قبل الإدلاء بالقول جريا على ما تعود حتى في الحضارات القديمة حيث كان يسبق الإعلام أو الإخبار بدقات طبول.

فأگوال آلة إيقاع عربية الأصل، من طول متراوح بين 35 و40 سم أسطوانية مشدودة وسط المسافة ضيقة مخرج الصوت، ذات قاعدة بين10 و 15 سم يشد عليها جلد خروف أو ماعز وهو الأفضل. دخلت المغرب في القرن السابع الهجري مع العناصر الهلالية إلى جانب آلات إيقاعية ونفخية منها (الليرة) والهراج وهو آلة إيقاع استعملت لمصاحبة الذكر الصوفي الذي كان يروى على إيقاع (أطْلاگ) والهرّاج أضخم وأوسع، واستمد اسمه من الضجة التي يحدثها. ونجد إضافة أداة التعريف الشلحية إلى الاسم هي من فعل الأمازيغ المغاربة كما وقع في (أنشاد) و(أعلام) بالنسبة للمنشد والمشرف الموجه في رقصات أحواش بحوض السوس ومن يدخل في حزامه، والصحيح (الگوال).

والدليل على أن (أگوال) أداة عربية هو استعمالها مصاحبة للغناء العربي فقط، كما عند قبائل هوارة قرب أولاد تايمة بسوس وكما في العيط والغناء الحوزي مع تعديل في الطول حيث يكون أقصر ويعرف بالتعريجة. ولايظهر في أحيدوس وأحواش سوى لدى قبائل تَسْگَوِينْ بجبال أطلس مراكش لكن في شكل مغاير وأقصر جدا يعتبر طبلة لا تستعمل للمصاحبة بل لتنشيط الرقصة الحربية وتحريكها. وأگوال، إيقاعي يعطي جميع حروف الإيقاع من (دومة) و(سبكا) وما يتوسطهما. ويمكن الموقع البارع من (تزويق) الإيقاع به حسب ما يشاء.

محمد أبو حميد

أكوتام، اسم لجبل بالأطلس الصغير، وينطق محليا لدى سكان قبيلة أيت حَامْد : أكوسام بالسين عوضا عن التاء وهو مجرد تحريف في النطق، ونعرف على الأقل ثلاثة مواقع متقاربة في الاسم مع "أكوتام" وهي "كتامة" المشهورة في شمال المغرب بجبال الريف، و"قصر كتامة" وهو الاسم القديم للمدينة التي تدعى حاليا القصر الكبير، وأخيرا "گرْجْ كْسَامة" وهو في التخوم المغربية من موريطانية كما ورد في كتاب *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*.

ويهمنا أكوتام الموجود بالأطلس الصغير، وقد زرت المنطقة التي يقع فيها شرق مدينة تيزنيت بقبيلة رسموكة غرب قبادة أنزي، وتبلغ أعلى قممه 541 مترا، ويطل جبل أكوتام على وادي تادرت الذي ينحدر نحو قريتي "بُوتُورگي" و"تُوسْلاَنْ"، ويحده شمالا الوادي المذكور، وجنوبا مدشر "أگريز"، وشرقا مدشر "أنْزَاضْ" وغربا مدشر "تُوسْلان" ومزارعها.

أكوتام،(منجم) يوجد بهذا الجبل " منجم أكوتام " وهو منجم قديم تستخرج منه الفضة، وقد انتبهنا إلى هذا المنجم بسبب وجود قطعة نقدية تدعى الموزونة "الكتاميّة" أو "تَاكُوتَامْتْ" يكثر ورودها في النوازل الفقهية السوسية، وقد سميت بذلك لأنها كانت تصنع من الفضة المستخرجة من منجم أكوتام.

لقد اشتهر هذا المنجم منذ القرن السادس عشر، ومازال السكان يعرفون الجبل باسم جبل المعادن ومع ذلك فقد صادفنا عسرا في تحديد موقعه وإثبات أنه منجم للفضة.

ويبدو أن هذا المنجم هو الذي يعنيه صاحب كتاب وصف *إفريقيا* عندما تحدث عن منجم للفضة بجبال إيلالن دون أن يحدد موقعه بالضبط، وهذا الإبهام هو الذي جعل أغلب الكتاب يجتهدون لمحاولة تحديد موقعه، فقد ذهب روزان بيرجي (Rosenberger) إلى أن المنجم الذي يتحدث عنه الحسن الوزان يوجد في منطقة هلالة الحالية مابين تارودانت وتافراوت، ويعتقد أنه منجم " تَامجُّوط " في منطقة تالوين، أما أوسطاش (Eustache) فيرى أن هذا المنجم يوجد بين جبال هلالة غير أن موقعه يعتبر مجهولا، وحينما مر الرحالة الإنجليزي جاكسون (Jackson) في نهاية القرن 18 م تعرض للحديث عن منجم للفضة بجبال إيلالن في هشتوكة وهذا الموقع أقرب ما يكون إلى منجم أكوتام، وذكر أن

خصام السكان حول معدنه أدى إلى تعطيله، وأن فضته أصفى من فضة الريال الإسباني.

وهكذا لم يذكر أحد اسم منجم أكوتام صراحة باستثناء الإشارة التي أوردها جوستنار (Justinard) في كتابه عن إمارة تازروالت ولكنه اكتفي بمجرد الإشارة.

ولم يرد هذا الاسم في مختلف الخرائط التي نشرت ما بين سنتي 1934 - 1971 وقد اطلعنا على مجموع الملفات الموجودة بقسم البيبليوغرافية والمصادر الغمسية بوزارة الطاقة والمعادن عن جيولوجية المنطقة دون جدوى.

وقد ظهر مؤخرا اسم منجم أكوسام على خريطة جديدة لم تنشر إلى الآن وقد أنجزتها مديرية الجيولوجيا حول الرواسب المعدنية بالمغرب سنة 1980 بمقياس 1 / 500.000 ورد فيها منجم أكوسام تحت رقم 352 على أنه يحتوي على معدن النحاس مما يخالف ما تؤكده الوثائق المحلية من كونه يحتوي على معدن الفضة، ولعل مافيه من عروق الفضة وقع نضوبها، وهذا مما يحتاج إلى مزيد من البحث. ومن الوثائق التي تؤكد وجود الفضة في هذا المنجم إحدى فتاوي العلامة ابن عبد السميع (ت. 1669 م) وهو من سكان هذه الناحية وقد وردت له هذه الفتوى ضمن "نوازل البرجي" حيث يقول : "ومعدن أكوتام من معادن الفضة ولا عبرة بما فيه من الرصاص لأن الحكم للغالب".

وبعد هذا كله استطعنا اعتمادا على تراكم وثائقي تحديد هذا المنجم على خريطة تافروت مقياس : 1 / 200.000 بين إحداثيي : ص 307 وس 111. وأنه كان مشهوراً بمعدن الفضة في الفترة بين القرن 16 م ونهاية القرن 18 م.

أكوتام، (العملة الكتامية)، ففي منتصف القرن السابع عشر كان بودميعة : أبو حسون السملالي الذي أنشأ الإمارة السملالية، يستغل منجم أكوتام في تأسيس دار لضرب السكة في الفترة مابين نهاية العهد السعدي والمرحلة الأولى من تأسيس الدولة العلوية حينما تقاسمت البلاد عدة إمارات حاولت كل منها أن تضفي على نفسها مظاهر السلطة والملك ، وبالخصوص قيامها بضرب السكة، فكما قامت الإمارة الدلائية بضرب نقودها في فاس كذلك فعلت الإمارة السملالية بجبل أكوتام بسوس . ورغم أن الوثائق لم تفصح عما إذا كان صنع النقود يتم في عين المكان أو يتم في حاضرة إيليغ عاصمة أبي حسون، فإن بعض الوثائق وبعض الأهازيج الشعبية تحتفظ بذكر بودميعة وسكته الكتامية وتسميها أحيانا "سكة مولانا علي بن محمد" كما في وثائق مدرسة أزاريف.

وكانت السكة الكتامية ترد في مختلف الوثائق والتقاليد والنوازل السوسية، تذكر صرفها كما تذكر أوزانها، ففي رسالة عن السكة لعمر بن عبد العزيز الگرسيفي أن هناك نوعين من الموزونة الكتامية :

- الموزونة الكتامية الأولى (الكبيرة) وتزن 27 حبة من حبوب الشعير وقد اجتهدنا في استخراج وزن حبة الشعير السوسية وتساوي 0,04411 غراما وبذلك تزن القطعة الكتامية 1,19 غراما من الفضة.

- الموزونة الكتامية الأخيرة (الصغيرة أو العباسية) 12 حبة من حبوب الشعير وتساوي 0,35 غ ولم نقف على مدلول العباسية باستثناء ربط الاسم بمكان شرق منجم أكوتام يدعى أيت عباس، ولم نذّخر جهدا في البحث عن قطع النقود الكتامية دون نتيجة ولعل ذلك يعود إلى المصير الذي لاقته الإمارة السملالية على يد السلطان مولاي رشيد سنة 1670 م حيث انكتم أمر الأسرة السملالية لقرابة قرن من الزمن، قبل أن يظهر أحفادها من جديد .

ونؤكد أن النقود الكتامية لم يقع رواجها في المناطق الشمالية من المغرب، ومع ذلك نجد مؤخرا في الكتاب الهام الذي أصدره بنك المغرب حول المسكوكات العلوية على يد السيد دانيل أوسطاش (D. Eustache) تأويلا يتعلق بالنقود الكتامية من حيث التسمية ودار الضرب وصاحبها، وهو تأويل موهوم ورد ضمن الشروح التي أضافها أوسطاش لرسالة عمر بن عبد العزيز الگرسيفي بعد ترجمتها بمعية السيد محمد العلاوي وهي ملحقة بالكتاب المذكور. فقد نسبت الموزونة الكتامية إلى دار الضرب القائمة بقصر كتامة . كمانسبت إلى الباشا أحمد بن علي الريفي في عهد مولاي المستضيء بن السلطان مولاي إسماعيل العلوي . وينطلق هذا التفسير من مجرد التقارب الموجود بين اسم كتامة والكتامية، ومن الأحداث الدائرة حول قصر كتامة، وقرية كتامة بالريف في الفترة القريبة من تاريخ تأليف الگرسيفي. ويظل هذا التفسير مجرد اجتهاد من قبل أحد خبراء المسكوكات الإسلامية، ونؤكد زيادة على ما أوردناه عن حقيقة هذه النقود وانتسابها إلى منجم أكوتام، أنها لم ترد في أية وثيقة من الوثائق بشمال المغرب وأنها إنما راجت بسوس في الفترة مابين نهاية الدولة السعدية وقيام الدولة العلوية وقد احتفظت بها التقاليد والنوازل الفقهية بسوس لحل المشاكل التي تتضمنها عقود الناس خاصة منها عقود الرهن والديون.

أ. ابن الحاج أحمد بن حمدون، *الدر المنتخب*، مخطوط، خزانة معهد تارودانت رقم م 36 ، 267 ؛ ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب*، طبع 1988، 283، 298، 318 ؛ ب. محمد السملالي، *نوازل البرجي*، (مخطوط خاص) ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، طبعة 1964، 212 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ط 1962، 16 : 169 ؛ *إليغ قديما وحديثا*، طبعة 1966، 42 ؛ أ. الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، ط 1961، 451 ؛ ع. الگرسيفي بن عبد العزيز، *رسالة في أوزان النقود*، الخزانة الحسنية رقم 1877 ؛ م. الناصري، *الاستقصا*، 7 : 13 ؛ م. الوزان الفاسي، *وصف إفريقيا*، (تحقيق حجي والاخضر) 1 : 96 ؛ *خريطة الرواسب المعدنية بالمغرب*، قسم الجيولوجيا، وزارة الطاقة والمعادن، انجاز 1980 (غير منشورة) مقياس 1/500.000 ؛ *وثيقة مدرسة أزاريف عن استغلال معدن أكوتام*.

D. Eustache, *Corpus des monnaies alawites*, collection de la Banque du Maroc, Rabat, 1984, T.I, pp, 585 - 623 ; C. Jackson,

Account of the Empire of Morocco and the districts of Suse and Tafilalet, London 1968, p. 127 ; Justinard (colonel), *Le Tazeroualt, un saint berbère : Sidi Ahmed ou Moussa*, Paris 1954 pp. 52-53 ; B. Rosenberger, *Les vieilles exploitations minières et les centres métallurgiques du Maroc* (R.G.M) n° 17 p. 81.

عمر أفا

أگودار ← **مراكش** (إقليم ـ)

أگوديم ← **خنيفرة** (إقليم ـ)

أگُورَايْ، قصبة تقع على بعد 25 كلم جنوب مدينة مكناس، وتنتمي إلى الدير الشمالي الذي يشكل منطقة اتصال بين مرتفعات الأطلس المتوسط في الجنوب وهضبة مكناس في الشمال. وقد شكل هذا النطاق ـ كما هو الحال بالنسبة لنطاقات الدير بالمغرب ـ مبدانا لتبلور علاقات متباينة حسب الفترات التاريخية، بين الجماعات المتوطنة أو العابرة لهذا المجال، وبين هذه الجماعات والسلطة المركزية. وهكذا فإن قصبة أگوراي التي نشأت في ظل الصراع بين المخزن والقبائل كثكنة مخزنية، والتي فقدت هذا الدور بمجيء الحماية، صارت تبحث لنفسها عن دور جديد، بعد التحولات العميقة التي شهدها دير الأطلس المتوسط منذ بداية القرن.

قصبة أگوراي الإسماعيلية

تُشَكّل قصبة أگوراي موقعا عسكريا أساسيا ضمن الحزام الثالث من القصبات التي شيدها المولى إسماعيل حول مدينة مكناس بهدف تدعيم سلطة المخزن بأحواز المدينة والمناطق الجبلية المجاورة. فإذا كان الحزام الثاني يشكل خطا دفاعيا ثانيا وسكنا لبعض الشرفاء العلويين (قصبة بوفكران، قصبة حرطان، قصبة المنزه...)، فإن الحزام الثالث يقع مباشرة عند مشارف الأطلس المتوسط، (منطقة الدير) ويتشكل هذا الحزام الأخير من قصبات اگوراي والحاجب وإيموزار بالإضافة إلى القلاع التي شيدها المولى إسماعيل خلال حملته ضد أيت يوسي وأيت سغروشن سنة 1096 هـ (قلعة واد گيگو، قلعة وطواط...).

ويعتبر دير أگوراي من المجالات التي يصعب فيها تتبع حركة الاستقرار بسبب حركية السكان ـ التي ترتبط بسيادة النشاط الرعوي ـ ثم قلة المصادر التي تناولت حركة السكان في هذا المجال، باستثناء الكتابات التي تتبعت حملات المخزن ضد القبائل الثائرة، وبعض الروايات الشفوية التي سَجّلها الفرنسيون خلال السنوات الأولى للحماية. وتشير الوثائق إلى أن دير أگوراي كان في بداية القرن السابع عشر مجالا للنزاع بين قبائل گروان وبني مطير وبني مگيلد، كما أن أول تجمع بشري كان عبارة عن قرية تتشكل من "نوايل" متناثرة على جوانب وادي الرحا (قرب القصبة الحالية)، وفي بداية عهد المولى إسماعيل تعرضت القرية لوباء أتى على معظم سكانها، في حين التحقت البقية بالقصبة التي شيدها السلطان بعين كرمة، بعيدا عن التجمع الأصلي، لتكون ثكنة لعناصر البواخر، وقاعدة الانطلاق لمواجهة القبائل المناوئة بالأطلس المتوسط وخاصة بني مگيلد وأيت يوسي وأيت سغروشن، التي تشكل العمود الفقري لحلف إدْرَاسَن. وبالرغم من صغر حجم القصبة ـ حيث لا تتعدى مساحتها 1,2 هكتار ـ فإنها استقبلت عناصر سكانية جديدة : أسر مطيرية وگروانية، بالإضافة إلى الأسرى الأوربيين الذين اعتنقوا الإسلام (العلوج) وقد استقروا على دفعات متوالية، منذ القرن السابع عشر حتى أوائل القرن التاسع عشر (كانت آخر دفعة تتشكل من الأوربيين الذين أسروا بقلعة ما بين 1828 و1831. وقد اندمجت هذه العناصر لتكون الأساس السكاني للقصبة.

تطور القصبة : من الثكنة إلى المركز الحضري : يمكن التمييز على أساس التطور الوظيفي والتوسع المجالي لمركز أگوراي بين ثلاث مراحل :

ـ المرحلة الأولى وتمتد حتى أوائل عهد الحماية : لم تسجل القصبة على مدى ثلاثة قرون أي توسع خارج الأسوار، بسبب تدهور الظروف الأمنية ـ فقد كانت تعيش حالة حصار شبه دائم ـ وافتقارها لأساس اقتصادي يضمن نموها وتوسعها، حيث كانت تعتمد أساسا على الإعانات التي تتلقاها من المخزن مقابل الخدمات العسكرية، بالإضافة إلى فلاحة ضئيلة المردود وبعض الحرف التقليدية (صياغة الحلي). وكانت مرافق القصبة تنحصر في المسجد الكبير، الذي استكمل بناؤه في عهد السلطان محمد بن عبد الله، والكتاب الملحق بالمسجد، والزاوية العيساوية التي كان ينخرط فيها معظم السكان.

ـ مرحلة الحماية : أدى الاحتلال الفرنسي لمنطقة السايس (1912) والدير الشمالي للأطلس المتوسط (1914) إلى حدوث تحولات مجالية هامة شملت جميع المستويات.

ـ على المستوى الاقتصادي : أدى استحواذ المعمرين والأعيان على أخصب الأراضي الزراعية بقطاع وادي الرحا إلى تقلص الرصيد العقاري للقصبة وتحول نسبة هامة من السكان إلى عمال فلاحين لدى المعمرين (ضيعات أيت يَعْزَم بالخصوص).

ـ على المستوى الوظيفي : فقدت القصبة دورها كثكنة مخزنية لتتحول إلى مركز قروي تابع لجماعة گروان الجنوبيين.

ـ على مستوى التوسع : شهدت هذه الفترة ظهور بعض الأنوية السكنية خارج الأسوار (دوار عميمي، دوار

الصحراوي...)، غير أن النمو الديمغرافي للمركز ظل محدودا (832 نسمة سنة 1915 و1898 نسمة سنة 1960).

- مرحلة الاستقلال : تميزت هذه المرحلة أساسا بتوسع الأنشطة التالية (قطاع التجارة والخدمات) وتراجع الفلاحة كأساس اقتصادي للقصبة. كما حظي المركز على مستوى التنظيم بتصميم للنمو، لتوجيه توسعه المجالي وهو التوسع الذي اشتدت وتيرته منذ أوائل السبعينيات. وبموازاة ذلك شهد عدد السكان تزايدا مطردا نتج أساسا عن الهجرة، حيث انتقل هذا العدد من 3047 نسمة سنة 1971 إلى 4930 نسمة سنة 1982 (بزيادة سنوية بلغت 5,6٪).

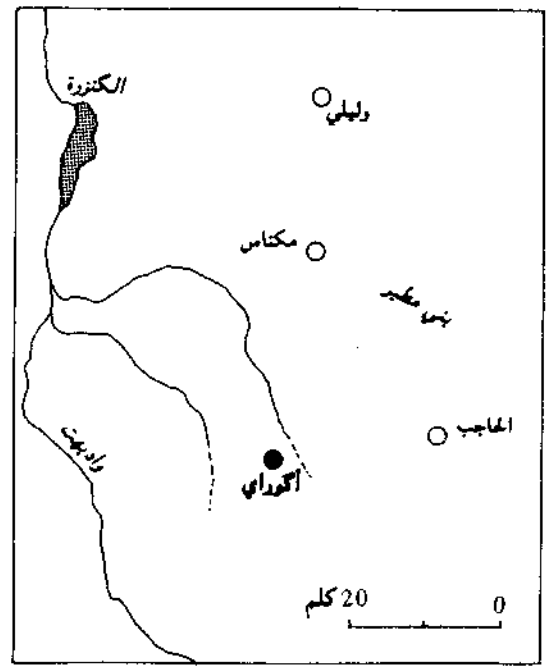

أكوراي

وكنتيجة لهذه التحولات بدأ المركز يفقد طابعه القروي ليتخذ صفة المركز الحضري، وقد تعززت هذه الصفة بالأساس بفضل تدعيم الدور الإداري والتأطيري لأكوراي كمقر لقيادة گروان الجنوبيين، وكمركز يضم أهم التجهيزات الاجتماعية بالقيادة (ابتدائيتين، إعدادية، مركز صحي، مركز بريدي...).

أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 : 68 ؛ ع. ابن زيدان، *العز والصولة* ؛ *إتحاف*، 1 : 170 . 176 ؛ م. اللحية، *الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس في القرن التاسع عشر* ؛ ع. اكنينح، *آثار التدخل الأجنبي*؛ ح. جنان، *ميكانيزمات ومظاهر تحول العالم القروي*، مجلة كلية الآداب بفاس، ع. 1 : 109 . 151 ؛ *الخرائط الطوبوغرافية لمكناس والحاجب وأكوراي* ؛ وزارة السكنى، *تصميم النمو لمركز أكوراي* 1/2.000.

Abès, *Monographie d'une tribu berbère, les Ait Ndhir (Beni M'tir)*, in A. B., 1917, Ve, p. 149 ; E. F. Gautier, *Le Moyen Atlas*, Hesp., 3e trim. 1925, pp. 251-264 ; P. H. Koehler, *Quelques points sur les captifs chrétiens de Meknès*, Hesp., tome 8, 1928 ; P. Olivier, *Répartition des tribus et de la propriété dans la banlieue de Meknès*, BESM, 1936, pp. 271-275 ; J. Célérier, *L'économie montagnarde dans le Moyen Atlas*, RGM, nº 1, 1939, pp. 57-67 ; F. Joly, *Place des pays de piémont dans la vie économique et humaine du Maroc*, Notes marocaines, nº 13, 1960, pp. 97-102 ; M. Kerbout, *Les périmètres irrigués du "Dir" moyen atlassique septentrional*. D.E.S. 1981 ; *La mutation des structures agraires dans les périmètres irrigués du Dir moyen - atlassique septentrional, aspects et mécanismes*, RGM, nº 7, 1983, pp. 89-109 ; *Atlas de Sebou*, Cartes + Notices ; M.A.R.A, *Projet de développement intégré de la région d'El Hajeb (Commune du Dir)*, D.P.A, Meknès.

عبد الرحمان رحو

أگـوز، عاصمة منطقة رجراجة في العهد الموحدي. تقع على الضفة اليمنى لنهر تانسيفت، على بعد حوالي عشرة كلمترات من المصب، قبالة قلعة حميدوش ببلاد الشياظمة. وصفها البكري ومؤلف كتاب *الاستبصار* بميناء أغمات. ويبدو أن تراجع أگوز بعد القرن الثاني عشر يعود إلى الصعوبات التي تواجهها السفن المستعملة للنهر بين الميناء والمصب (*الاستبصار*، 207). لذا سرعان ما هجرت السفن أگوز التي عوضتها أسفي كمنفذ لمنتجات دكالة والحوز. وهكذا لم يُثر حصن أگوز انتباه الوزان الذي لم يشر إليه. كما لم تتعرض له كتب الرحلات البرتغالية والإسبانية التي ازدهرت في نهاية القرن الخامس عشر وبداية السادس عشر، والتي أولت عناية خاصة للساحل المغربي. إلا أن أگوز لم تندثر. فقد كانت في بداية القرن السادس عشر محصنة وآهلة، أقطعها الملك البرتغالي لأول قبطان في أسفي سنة 913 / 1508، غير أنه لم يستقر بها لوقت قصير إلا سنة 921 / 1515. وذكر الإخباري البرتغالي أگوز ضمن القرى الخاضعة للبرتغاليين، والتي كانت تدفع لهم ضريبة سنوية. وكان صحن أگوز يكتسي بالنسبة لهؤلاء أهمية استراتيجية قصوى، خصوصا بعد استقرار السعديين بالشياظمة (918 / 1513). فقد أصبحوا يتوخون من التحكم فيها مراقبة منطقة الشياظمة، ومنع الشرفاء السعديين من تجاوز تانسيفت والاتصال بعبدة التي كانت آنذاك أهم حلفائهم بدكالة. ولتحقيق هذا الهدف أرسل قبطان أسفي خمسين فارسا للإقامة بأگوز (1515). إلا أن سكانها أخلوها حين دخول محمد البرتغالي إلى دكالة سنة 924 / 1518. وهكذا بقيت قرية أگوز فارغة إلى أن مر بها مارمول (2 : 110).

ويبدو أن تغير الأوضاع السياسية بدكالة لصالح السعديين بعد قتل أكبر قبطان بأسفي سنة 922 / 1516 ويحيى أو تعفوفت (923 / 1518)، ووصول النفوذ السعدي إلى أسوار أگوز دفع المسؤولين البرتغاليين إلى إعادة النظر في الأدوار التي يمكن أن تلعبها أگوز للحفاظ على المكتسبات البرتغالية. فخلال سنة 925 / 1519 درس البلاط البرتغالي مشروع تحصين كل من أگوز وسگياط للحد من النفوذ السعدي. وفي نهاية الأمر تقرر التخلي عن الموقع القديم لأگوز وبناء قلعة على الساحل احتفظت بنفس الاسم، وهو الحصن المعروف اليوم بـ "الصويرة القديمة". وشيد هذا الحصن على مرتفع صخري صغير يحيط به البحر من جهتين سنة 926 / 1520. غير أن الحصن سرعان ما أصبح بدوره عرضة لهجمات المجاهدين الذين ضربوا حصارا حوله

وحرموا حاميته من مياه العيون التي كانت تعتمد عليها في شربها. وأمام عجز لشبونة عن تزويد الحصن بما كان في حاجة إليه من أقوات وعتاد وأموال، تم التخلي عنه سنة 931 / 1525.

أ. البكري، *الاستبصار* ؛ أ. بوشرب، *دكالة*.

P. de Cénival [et al...], *S. I. H. M*, Série sa'dienne, Portugal, tomes 1 et 2 ; B. Rosenberger, *Note sur Kouz, Un ancien port à l'embouchure de l'Oued Tensift*. H.T., 1967, vol. III. fasc. unique.

أحمد بوشرب

إكُونْكَا، اسم مجموعة بشرية صغيرة (حوالي 350 كانون في بداية القرن العشرين)، تنتمي إلى اتحادية «أشْتُوكَنْ» أو هشتوكة الواقعة أراضيهم جهة الجنوب من مدينة أگادير.

أما أراضي «إكونكا» بالذات، فتقع جنوب مدينة «بُوبْكْرا» وتمتد على منطقة هضبية بين الأطلس الصغير وسهل سوس. ويحدها «إيداوگاران» من الجنوب و«إيمْشْكيگيانْ» من الشرق، و«تاسْگْدلْتْ» من الشمال، و«إداوْمحمّدْ» وإداوْمْنُّو» من الغرب.

وبخصوص المعنى اللغوي لكلمة «أكْنْكُو» في المفرد، وجمعها «إكُونْكَا»، فإننا لم نتمكن مع الأسف من التعرف عليه وتحديده الآن، اعتمادا على ما هو مكتوب من كتب اللغة.

إن موقع بلاد «إكُونْكَا» عند ملتقى الجبل والسهل، أثر كثيرا على مجرى حياتهم السياسية والاقتصادية. إذ جعلهم ذلك على الدوام بين أخذ ورد بين جاذبية السهل والسلطات التي تتحكم فيه، وضغط الجبل المائل إلى الاستقلال والتملص من سلطة المخزن التي تسود عادة في المناطق السهلية.

وقد تورطوا أكثر من غيرهم من سكان "الدير" نظرا لوجود واحد من أهم المسالك الطبيعية التي تخترق الأطلس الصغير الغربي من شماله إلى جنوبه، انطلاقا من أراضيهم.

هذا الطريق يبتدئ من «إمي مْقُورنْ» أو المدخل الكبير، عند الحدود الغربية لأرضهم ويمر ببلادهم ليؤدي إلى أيت بَاهَا وأيت مْزالْ ثم إلى إداوْسْمْلالْ وأمانوزْ حتى تامانارْتْ...

ومنه تمر حركات المخزن عند الضرورة في اتجاه الجبل، وإليه ينتبه الجبليون ليتحكموا فيه درءاً لحملات المخزن العسكرية.

هذه الوضعية التي تعرضهم للضغوط الآتية من السهل والضغوط الآتية من الجبل، والتي تتكرر دوريا حسب ما يقع من تغييرات على مستوى السلطة المركزية ـ بالإضافة إلى عوامل أخرى ـ اضطرتهم إلى البحث عن وسائل ناجحة، تقيهم من خطر الفناء في زمن الأزمات. ومن هذه الوسائل مؤسسة أگادير أو حصن الجماعة، والمعروف باسم «أگادير نْ ـ إكُونْكَا». (انظر مادة أگادير).

لقد تأسس هذا الحصن في أواخر القرن السابع، في أعلى منطقة من بلاد إكونكا وهي المسماة «أزيلالْ»، وهي التي توجد فيها أقدم قري إكونكا مع المدرسة والسوق واختيار هذا الموقع راجع بالطبع إلى أسباب أمنية. ومعلوم أن منطقة سوس عرفت في نهاية القرن السابع عشر وبداية الثامن عشر اضطرابات كثيرة بسبب الثائرين على السلطان من أفراد عائلته وأبنائه.

ومنذ تأسيسه إلى نهاية القرن التاسع عشر، أدخلت عليه تعديلات متوالية قصد توسيعه وتحصينه. ويبدو أنه كان في البداية ملكا لثلاث مجموعات فقط، هي : أيت باحْمانْ وأيت صيصا وأيت مْشْراكْ، ثم انضم إليهم بعد ذلك أيت واراحْمانْ، وهذه المجموعات تكون نصف «قبيلة» إكونكا.

وفي بداية القرن التاسع عشر، بدأ الحصن يحمل اسم "أگادير نْ ـ إكونكا" بعد أن كان يسمى في الوثائق التي كتبت قبل التاريخ المذكور "حصن بني باحمان" وفي نفس الوقت التحقت المجموعات المكونة للنصف الآخر من "إكونكا" بالمشاركين في الحصن. وبذلك أصبح مؤسسة يستفيد منها مجموع سكان «القبيلة».

وحتى تكون مؤسسة أگادير المركز الموحد للجماعة، والمكان الآمن لمتلكاتها وأسباب عيشها، والملجأ الحصين لها حين تداهمها المخاطر، أحاطها المستفيدون منها بهالة من الاحترام والوقار، كما وضعوا قانونا يعتمد في تسييرها وفي حل ما قد يعرض من مشاكل ونوازل أثناء ذلك. كما كونوا مجلس «إنفْلاسْ». الذي يسهر على تنفيذ القانون وتأويله، وقد يضيف إليه عند الضرورة بعض البنود التي تستلزمها المستجدات من القضايا. وهذا المجلس يتجدد كل سنة، ولا يشارك فيه إلا ذوو السمعة الطيبة والأخلاق المحمودة من علية القوم.

R. Montagne, *Un magasin collectif de l'Anti-Atlas : L'Agadir des Ikounka*, Hesp., tome IX, Année 1929, 2 - 3e trim., pp. 145-266.

صدقي علي أزايكو

إگِيدْ، يطلق الاسم في الشلحة على الصقر، وقد سميت به فرقة من قبيلة أيت زلطن الحاحية، واشتهرت عندما عينت إدارة الحماية الفرنسية أحد أولادها قائدا على قبيلة أيت زلطن وأيت عيسى وهو القائد محمد السيد أزلطن، وبعده ابنه القائد المختار بن محمد السيد الزلطني الذي تولى القيادة عام 1340 / 1921. ومن خلفائه على قبيلة أيت عيسى القائد أحمد إگادْرْنْ الذي تولى عام 1340 هـ كخليفة لعمه على هذه القبيلة، فشدد عليهم في الحكم حتى ثاروا عليه ذات يوم ورموه بالبارود، فقتل أحد رفقائه دون أن يصاب هو بشيء. ومن أعماله بإگي مهند الذي هو مركز حكمه بناء حصن وبجانبه رياضه البديعة التي حشد لبنائها جميع عمال وصناع القبيلة، وكان مولعا بالتدخين والفساد، وله في التدخين ذوق خاص مع بعض سماره، وأدى ذلك إلى أن دس له فيه بعض سماره السم فمات فور تناوله، في إحدى ليالي سمره عام 1342 / 1923. فعين مكانه القائد المختار آتي الترجمة.

إگيدْرْ، علال بن أحمد إلى سنة 1354 / 1935 حيث تنازل القائد المختار عن الحكم على قبيلة أيت عيسى وفصلها عن إيالته بسبب خلاف حدث بينه وبين أفراد عائلته إگادرن وعلى رأسهم خليفته علال، وقرر أن يعزله فلم يجد وسيلة تبرر له غايته تلك غير التنازل عن ذلك الجزء من ايالته للقائد التيگزيريني. أما القائد المختار فقد ظل قائدا على قبيلة أيت زلطن إلى أواخر عهد الحماية.

إگيدْرْ، المختار بن محمد، ولد حوالي 1308 / 1890، وتولى قيادة أيت زلطن وأيت عيسى منذ عام 1920 بعد أن توفي والده القائد، وكان جده علي كاتبا خاصا للسلطان مولاي الحسن ورافقه في جميع تنقلاته، وللمختار إگدر أخ يدعى المهدي وهو خليفته وتحته بنت القائد السابق لأيت زلطن أحمد أمبارك الذي تولى بعد عبد الله أبيهي.

تحريات مدنية.

J. et M. Gouvion, *A'ayan al-Maghrib al-Aqsa*

محمد أيت الحاج

إگيسْلْ، معناه : المكان الذي على مجرى مائي. وقد يطلق على ساقية مرفوعة فوق الحنايا والأقواس وهو وارد اسما لعدة مواقع. وقد ورد اسم إگيسل في كتاب *التشوف* (ص. 423). وفي تامسنا موقع إگيسل آخر وهو الذي يعرف اليوم بـ گيسْرْ على بعد 28 كلم من سطات في طريق البروج، وبه أطلال عمارة قديمة.

أحمد التوفيق

أُكيك، محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان. وأُكيك بهمزة مضمومة في أوله تفيد النسبة إلى بلده الأصلي كيك (بكافين عاديتين) وهو بلد واقع في هضبة عالية وراء قرية مولاي إبراهيم جنوبي مراكش على بعد حوالي خمسين كلمترا. فقيه متمكن "انتهت إليه الفتاوي بالبلاد الدمناتية" (*الإعلام*، 6 : 80) له كتاب عنوان *الشرعة وبرهان الرفعة في تذييل أجوبة فقيه درعة*، ذيّل به فتاوي الفقيه محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين الدرعي، ألفه يوم الاثنين رابع شعبان عام 1167 / 27 ماي 1754 ويقع في أحد عشر كراساً من القالب الكبير ويوجد مخطوطا في خزانة تناغملت. وله كتاب فقهي آخر في حكم حوز القبائل سماه *مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال*، وحاشية على *نوازل العباسي*، وله كتاب في *أزواج النبي*، وكتاب مفقود اسمه : *العنوان، أن ليس الخبر كالعيان*. درس الكيكي بمراكش وتامگروت وأخذ طريق الناصريين وعُدَّ من أعلام تلاميذهم، وانتهى به المقام إلى قبيلة كرول من جبال دمنات حيث كان يرشد إلى الشرع.

توفي في شهر رجب عام 1185 / أكتوبر ـ نونبر 1771.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مرقون بتحقيق محمد الحبيب نوحي ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*، بتحقيق أ. عمالك ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 6 : 80 ـ 81 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط ؛ أ. التوفيق، مقدمة تحقيق كتاب *مواهب ذي الجلال*.

محمد حجي

إگيليز، (گيليز) كلمة أمازيغية لم يضبط بعد مدلولها اللغوي. غير أن المادة المعجمية «گْلْزْ»، تحتوي على معان تقرب كثيرا مما يمكن أن يكون هو المعنى الحقيقي لـ«إگيليزْ». من بين هذه المعاني نجد ما يدل على : الشيء المتروك أو المنعزل / على البقايا أو الزوائد / على مخلفات أي شيء نصف محروق.

كما أن كلمة «إگليز» (ج. إگْلْزَانْ) أو «إگْلْگيزْ» (ج. إگْلْگيزْنْ) (وهذه الأخيرة يمكن أن تنطق بقلب الگاف الأخيرة ياءً)، تستعمل حتى اليوم لتدل على الحشرة السوداء المعروفة باسم «الجُعَل».

إن هذه المعاني يمكن أن تلاحظ كلها في جبل إگيليز (گيليز) القريب من مراكش بصفة خاصة. فهو شبه متروك ومنعزل، وسط سهل الحوز الواسع، بالنسبة إلى السلسلة الأطلسية ومرتفعات «جبيلات» الواقعة على الضفة اليُمنى لنهر تانسيفت. وكأنه من بقايا الجبال المذكورة أو من زوائدها، انسحبت عنه وبقي فَضلة في شكل تل صخري شاهد وسط بسيط من الأرض. كما أن اللون الغالب عليه في عين الناظر إليه، هو اللون الرمادي المائل إلى السواد.

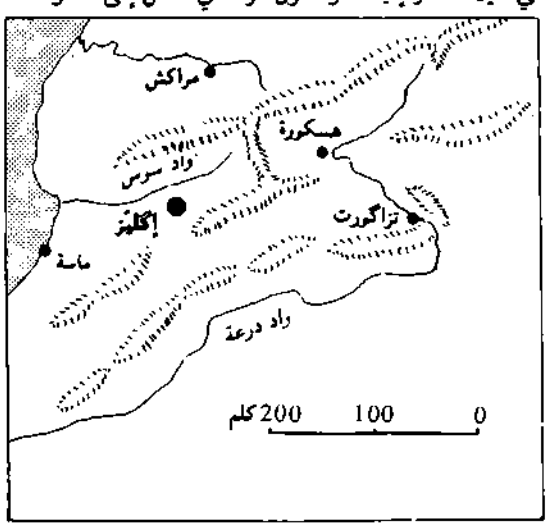

لقد ارتبطت شهرة كلمة «إگيليزْ» أو «إگْليزْ»، بمكانين تاريخيين هامّين هما : جبل بـ «أَرْغْنْ» أو هرغة سوس؛ كان الإمام المهدي بن تومرت، يختلي فيه للتأمل والتعبد، قبل انتقاله إلى تينملّ. وهو الذي ينعته البيذق ب «إگيليز متاع هرغة»، وفيه يقول كذلك : «... لما دخل [الإمام المهدي] الغار [إيفْري] معتكفا فيه بإگيليز برباط هرغة...». تلقى البيعة الأولى من أتباعه. وقد بويع البيعة الكبرى حين استقر بتينملّ. وبعد موت محمد ابن تومرت. اتخذ الموحدون «الغار المقدس» و«المسجد المعظم» الذي بجواره، مزاراً يحتفى به، وتشد إليه رحال الخلفاء.

ويبدو أنه بقي كذلك حتى القرن الثامن عشر، وهذا ما يفهم على الأقل من عبارة مؤلف *رحلة الوافد*. حين يقول : «... وقد سألت بعض من لقيته من أهل بلده [ابن تومرت] من هرغة سوس. على اسم بلده هناك عندهم، في

أي موضع هو فيه، فقالوا لي تأصيله من عندنا، من مدشر يقال له تفگّتْ. وله حصن عندنا في أعلى جبل يقال له إگيليز. ودّيار وأثر قصبة مشهور عند الناس، واحدق على ذلك من طرف الجبل بسور من حجر...» وقد اعتقد محمد المختار السوسي أن «إگيليز» تحريف لـ «إگلي». وهذا غير صحيح، لأن المكانين موجودان في أرْغَنْ باسميهما. ثم إن كلمة «إگيليز» توجد في أماكن أخرى غير هرغة ومراكش.

أما المكان الثاني، فهو جبل صغير منعزل (527 م)، يقع شمال غرب مدينة مراكش، لعب دورا هاما في التاريخ العسكري للمدينة، حيث كان على الدوام نقطة ارتكاز كل الجيوش التي هاجمتها. كما أثر إلى حد ما في المجال العمراني للمدينة، إذ كان يكون المصدر الوحيد القريب لأحجار البناء. ومنه اقتلع المرابطون مادة بناء قصر الحجر. وأعطي اسمه لأول حي عصري بالمدينة.

وتجدر الاشارة هنا إلى أن هذا الجبل كان كذلك خلوة الأولياء أمثال محمد بن تميم الزناتي وأبي العباس السبتي وغيرهما.

أ. البيذق، *كتاب أخبار المهدي* (طبعة باريس) 30، 40، 72 وغيرها ؛ ي. التادلي، *التشوف*، 149، 395، 459 ؛ ع. بن إبراهيم، *رحلة الوافد*، 243 ؛ م. السوسي، *خلال جزولة*، 4 : 166 وما بعدها.

Ch. De Foucauld, *Dictionnaire*, 428-29 ; E. Laoust, *Contribution*, 117-118 ; C. Deverdun, *Marrakech*, 4, 19, 53.

صدقي علي أزايگو

الإگيوازي، أبو بكر بن محمد (1279 ـ 1355 / 1862 ـ 1936) البعقيلي أصلا الإگيوازي التمنارتي مولدا ونشأة، تلقى تعليمه الأول ببلدته، ثم جال في سبيل تحصيل العلوم الشرعية، فزار المدرسة الإلغية والأخصاصية والإفرانية قبل أن يلقي مراسيه بالمدرسة البونعمانية بين يدي العلامة مسعود المعدري فلازمه سنوات، شارط إثر تخرجه في مدرسة إيمي أگادير ثم في أقّا، غير أن القضاء والفتيا غلبا عليه وبهما اشتهر وعرف، موصوفا بالتواضع والعدالة، في المرتبة العليا بين الفقهاء جهة تمنارت إلى أقا، له اتصال برؤساء تمنارت آل أبلعيد، فكان يقضي ويفتي تحت رعايتهم قبل الاحتلال. له رسائل منشورة في *المعسول* مع مؤلّفين : الأول في الأمير أحمد الهيبة، والثاني في شرح قصيدة صوفية.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 9 ؛ *سوس العالمة*، 203 ؛ رجالات.

عبد الله درقاوي

ألاركُونْ، (بِّيدْرُو أنطونيو) (Pedro Antonio de Alarcon) محام وصحافي إسباني، يعتبر من أشهر الأدباء والكتاب الإسبان في القرن التاسع عشر، ولد بمدينة وادي آش بالقرب من غرناطة يوم 10 مارس 1833، ولم يكن له من العمر سوى عشرين سنة عندما أسس بغرناطة مجلة صدى الغرب (*El Eco de Occidente*) التي أصبحت من أشهر المجلات الأدبية بإسبانيا، ثم انتقل إلى مدريد حيث كان يشارك في جميع المجلات الأدبية الصادرة آنذاك بالعاصمة الإسبانية.

وفي عهد الملكة إسابيل الثانية (Isabel II) لم يكن بمدريد صحفي أشهر من ألاركون لأنه جعل من جريدة (*El Làtigo*) منبرا لمحاربة الملكة المذكورة لعدم اهتمامها بشؤون الدولة.

أنجز ألاركون عشرات المؤلفات في ميادين الأدب والقصة والمسرح. وأول إنتاج له قصته المسرحية التي تحمل عنوان الابن المبذر (*El hijo pròdigo*). أما آخر إنتاجه فهو كتابه الذي يحمل اسم تاريخ كتبي (*Historia de mis libros*) وقد نشر جميع إنتاجه سنة 1899 في 19 مجلدا ضخماً.

وازدادت شهرة ألاركون عندما التحق تلقائيا بالجيش الغازي لبلاد المغرب في أواخر سنة 1859 بهدف القيام بعمل مراسل لأهم الصحف الإسبانية التي كانت تنشر مراسلاته عن الحرب القائمة بشمال المغرب، وهذه المراسلات هي التي تم طبعها سنة 1861 تحت عنوان يوميات شاهد عيان للحرب الإفريقية *Diario de un testigo de la guerra de Africa* هذا المؤلّف الذي أصبح اليوم يكوّن المرجع الإسباني لتاريخ تلك الحرب، وقد طبع عشرات المرات بإسبانيا وبدول أمريكا الجنوبية.

وقبل انتهاء الحرب عاد ألاركون إلى مسقط رأسه حيث انتخب نائبا بمجلس الشيوخ، ثم عين وزيرا مفوضا لبلاده

بالسويد والنرويج. وفي سنة 1875 عين مستشارا للدولة بمدريد، وفي نفس السنة التحق بالأكاديمية الملكية للغة الإسبانية، وتوفي بمدريد يوم 10 يوليوز 1891.

P. A. Alarcon, *Obras completas*, Madrid 1899 ; *Diario de un testigo de la guerra de Africa*, Madrid, 1860 ; *Enciclopedia Espasa Calpe*, tomo 4.

محمد ابن عزوز حكيم

ألبَرني، عائشة بنت علال، ولدت سنة 1938 بوادي زم إقليم خريبكة، وشاركت في حوادث الانتفاضة الشعبية التي عرفتها مدينة وادزم والنواحي المجاورة يوم 20 غشت 1955 مشاركة فعالة، تلك الانتفاضة التي واجهها الجيش الفرنسي بإطلاق النار من الطائرات الحربية على المتظاهرين فسقطت عائشة وهي حاملة العلم المغربي وصورة محمد الخامس في جملة القتلى ضحايا القمع الوحشي.

ألْبيرش الحداد، محمد بن عمر بن الحسن. ولد سنة 1933 بالرباط وعمل في صفوف المقاومة واعتقل سنة 1952 على إثر مشاركته في قنبلة سينما الحمراء بحي العكاري حيث مكث في السجن مدة سنة. وبعد خروجه ذهب إلى الدار البيضاء وبقي هناك ستة أشهر، ثم التجأ إلى تطوان، ومن هناك كان يقوم بتهريب الأسلحة لتزويد المقاومين بالمنطقة السلطانية. وبعد الاستقلال التحق بمدينة الرباط، فاغتيل بحي العكاري يوم الاثنين 27 يبراير 1956.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

إلْطُون Elton أسرة إنجليزية نزحت من جبل طارق إلى المغرب حوالي 1834 للتجارة. وكان منها :

إلطون، وليام جيمس W. James الذي استوطن سنة 1834 مدينة الصويرة، ثم عين نائبا قنصليا بالرباط (1847-1856) والصويرة (1856-1867) ثم أسفي سنة 1867. وكانت وفاته بها سنة 1869. وله تقارير قنصلية وتجارية بالوثائق البريطانية : F. O. Consular Report.

إلطون، وليام صامويل W. Samuel وظف بالنيابة القنصلية بالرباط مع أبيه ثم بأسفي حيث اعتنق الدين الإسلامي سنة 1858. وكانت وفاته بها سنة 1869.

م. بوشعراء، الهجرة من المغرب وإليه مخطوط.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 105 et 2 : 336.

مصطفى بوشعراء

الألعاب الأولمبية والمغرب، الألعاب الأولمبية تظاهرة رياضية قديمةنظمت لأول مرة ببلاد اليونان سنة 776 ق.م وكان آخر مهرجان أقيم لها سنة 393 م حيث اقترن توقف هذه الألعاب بمنع كل المناسبات والطقوس الوثنية.

وفي 25 نوفمبر 1892 قام بيير دي كوبيرتان (Pierre de Coubertin) بعرض مشروع على اللجنة الدولية العليا للرياضة لإحياء هذا التقليد الرياضي العريق وتنظيمه من جديد بكيفية مخالفة للعهد الإغريقي القديم بحيث يكتسي صبغة عالمية ويعرف تنوعا في الألعاب بعد أن كان مقتصراً على العدو والمصارعة قديما. وفي خريف 1896 كانت أثينا عاصمة اليونان نقطة انطلاق أول دورة أولمبية في العهد الحديث. وتوالت الدورات بفاصل أربع سنوات بين الدورة والأخرى كما عرفت الألعاب توقفا أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية.

وفي سنة 1960 دخل المغرب حظيرة الألعاب الأولمبية وكان ذلك في دورة روما بإيطاليا. وقد توج المغرب انضمامه بإحرازه على أول ميدالية مغربية في تاريخ الأولمبياد وذلك بواسطة العداء محمد الراضي في سباق الماراطون حيث احتل الصف الثاني وراء الإثيوبي "أبيي كيلا" ونال الميدالية الفضية.

ثم شارك المغرب في دورة طوكيو باليابان سنة 1964 وكذلك في دورة مكسيكو سنة 1968 ودورة ميونيخ بألمانيا الغربية سنة 1972 وغاب عن دورتي مونريال بكندا سنة 1976 وموسكو بالاتحاد السوفياتي سنة 1980.

كانت مشاركة المغرب في هذه الدورات مشاركة متواضعة حيث لم يحقق الأبطال المغاربة أي إنجاز، إلى أن جاءت دورة لوس أنجلس سنة 1984 فدخل المغرب هذه الألعاب من بابها الواسع وقلب كل التكهنات حيث استطاعت العداءة نوال المتوكل الإحراز على الميدالية الذهبية في مسافة 400 م حواجز، فكانت أول فتاة عربية إفريقية ومسلمة تحقق هذا الإنجاز، وأضاف البطل العالمي سعيد عويطة ميدالية ذهبية أخرى في سباق 5000 م مستوية. ويسدل الستار على دورة لوس أنجلس لتحمل الشعلة الأولمبية إلى سيول عاصمة كوريا الجنوبية حيث أقيمت دورة 1988 وقد كان أمل المغاربة كبيرا في تحقيق أكبر إنجاز أولمبي، لكن سوء الحظ حال دون ذلك حيث أصيب البطل العالمي سعيد عويطة بتوعك جعله يكتفي بالرتبة الثالثة في مسافة 800 م مستوية ويحرز على الميدالية النحاسية في حين حقق مواطنه إبراهيم بوطيب المفاجأة بفوزه في سباق 10.000 م مستوية ونال الميدالية الذهبية. واختتم الملاكم عشيق سلسلة التتويج بميدالية نحاسية أخرى. وعلى الرغم من كل هذا فإن الأبطال المغاربة وخاصة في ألعاب القوى قد مثلوا الرياضة المغربية أحسن تمثيل ولا أدل على ذلك من تأهلهم إلى الأدوار النهائية في كل المسافات والمسابقات وهم عاقدون العزم على الفوز في ملتقى برشلونة حيث ستقام الدورة المقبلة 1992.

الدورات الأولمبية التي شارك فيها المغرب :

1960	روما	1972	ميونيخ
1964	طوكيو	1984	لوس أنجلس
1968	مكسيكو	1988	سيـــول

Bernard Gillet, *Histoire du Sport*, "Que sais-je", p. 30-106; *Chronologie Universelle*, p. 21-98.

محمد بلعربي

إلغ، قرية ومدرسة تطلبتا من محمد المختار السوسي إلماما لا مزيد عليه يقتضي تمحيصاً للعلاقة بين المؤلف ومؤلفاته. فقد يعتقد البعض أن ارتباط الفقيه بمسقط رأسه ومدرسته هو دليل على وفرة ما يمكن أن ينجز عنها. لكن الواقع أن علاقته بإلغ موطنه الأصلي جعل مجهوداته المتواصلة تتجاوز الإلغيين إلى ماعداهم. لقد عنون أضخم إنجاز له حول هذه المدرسة و زاويتها *بالمعسول* في الإلغيين وأساتذتهم وأصدقائهم. وبذلك يكون قد تتبع أخبار من سكن إلغ ومن عاصر مدرستها من فقهاء سوس وبعض الصحراويين. وإذا تتبعنا دلالة هذا المنهج تحول كتاب *المعسول* إلى أضخم إنجاز في تراجم الأسر العلمية والسياسية السوسية. وبذلك يكون المؤلف قد وفر لباحث القرن المقبل أهم أداة مكتوبة للبحث والتنقيب في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للمنطقة (سوس، 225 ـ *المعسول*، 1 : د ـ هـ ـ و ـ ز). وبمثل هذه الرؤيا يمكننا أن نحدد أهمية قرية إلغ ومدرستها اللتين دخلتا التاريخ من باب أوسع من أن يقتصر عليهما.

لعل أقدم إشارة إلى قرية إلغ في المصادر التاريخية هي تلك التي وردت في *ديوان* أحمد المنصور الذهبي في مختتم القرن العاشر الهجري. ولربما كان السبب راجعًا إلى انزواء القرية والبسيط الذي يحمل نفس الاسم داخل سلاسل الأطلس الصغير. فهي تعزله من الجهات الأربع فاصلة بذلك بين مداشره الإحدى والعشرين وبسيط تزنيت التي تبعد من جهة الغرب بحوالي 84 كلم. ولابد أن نشير أيضا إلى أن معدن النحاس القريب من مدشر أگجگال يعتبر أهم مورد للبسيط على اتساع أرجائه. فقلة الموارد المائية والجدب والإقلال هي التي تسبب قلة الإنتاج الفلاحي كعامل أساسي في الحيلولة دون تحقيق مشاريع علمية بحجم يستحق الذكر (*المعسول*، 1 : 27). فكيف إذن وفي أية ظروف تأسست مدرسة إلغ؟

قبل أن يتم هذا التأسيس كانت بمجمل مداشر البسيط مدرستان لم تفلح الأولى بإزربي في تخريج ولاطالب واحد. أما الثانية فهي الوافقاوية التي كان يسيرها الگرسيفيون مكتفين بمسايرة سكان المداشر (*المعسول*، 1 : 41). يتضح إذن أن الوعي بضرورة مدرسة علمية بالمعنى المتوارث يستلزم معرفة المقاييس العملية الضرورية. لذلك فإن مدرسة إلغ في حد ذاتها لم تتأسس خلافا لما جرت به العادة بفضل أو مساهمة الفضائل المقيمة بعين المكان. لقد جاءت توضيحات محمد المختار السوسي حفيد المؤسس لتعبر عن إرادة هذا الأخير وطموحاته. لذلك يكون لزاما الوقوف عند خصائص محمد بن عبدالله بن صالح الإلغي المؤسس ووضعيته التي تقارب مابين إمكانياته المحدودة من جهة وطموحاته اللامحدودة من جهة أخرى. كانت ولادته سنة 1265 / 1848 بإلغ التي كان مسجد زاويتها موقوفا على طلبة دويلالن التمليين. ولربما كان لهذا العامل صداه في نفس الشاب الذي لم يلبث أن غادر موطنه للتحصيل وتكميل تعليمه. فبعد غياب دام زهاء عشر سنوات نجده وقد أصبح عالما وقاضيا يحدد اختياراته. ومما لاشك فيه أن لهذه المرتبة الاجتماعية ميزتها التي ستميزه كأول شخصية بهذا الحجم بين أفراد أسرته وفصيلته البسيطة (*المعسول*، 1 : 161). على أن علاقته المباشرة بواقع أسرته ستظل القاعدة التي ترتكز عليها اختياراته انطلاقا من وضعيته. وهكذا نستسيغ أنه ربما يكون قد خطط لمشروعه الشخصي قبل البداية في الأشغال سنة 1291 / 1874 (*المعسول*، 1 : 163). لسنا ندري إذن كيف تم التخطيط للمشروع ولكنا نراه بصدد تحويل المسجد إلى مدرسة صغيرة تتألف من المرافق المعتادة من غرف وهري للتخزين ومطبخ ومغسل للوضوء وساحة للحطب. وقد تبنت هذه المرافق جلب الطلبة الذين أشرف المؤسس على تسيير شؤونهم وتعليمهم وتحمل نفقاتهم إلى أن غادر القرية مجدداً بعد ثلاث سنوات. وهنا يمكن أن نتساءل بحق عن السبب الذي دفع به إلى المشارطة بالمدرسة البومروانية سنة قبل مجاعة 1295 / 1879 التاريخية؟

لمدة ثلاث سنوات شمل الجفاف الأخيرتين منها جمع المؤسس مذخراته مما توصل به من شرط مسجد الزاوية البومروانية من جهة ومدرستها من جهة ثانية. وإذا لم تكن المجاعة هي مبتدعة التخطيط الذي مكنه من تطوير أساليبه في اقتناء أكبر قدر من أراضي بسيط إلغ، فإنها قد وفرت له الشروط الكفيلة باستغلال نكسة الآخرين لحسابه. نصبح من هنا أمام وضعية كفيلة بضبط مخططات استثمارية على المدى القريب والبعيد. لقد جاءت حيازة الأراضي بأبخس الأثمنة كتغيير في حجم ونوعية دوره المحلي حينما أصبح بمستطاعه في هذا البسيط المجدب انتاج 1000 غرارة من الحبوب في السنة الممطرة (*المعسول*، 1 : 168). وبإعادته تخطيط المدرسة التي ضاق حجمها عن استقبال الوافدين يكون المؤسس قد اهتدى إلى الطريقة المثلى التي تصب في مختلف الاتجاهات التي تنصرف إليها اهتماماته. هذا ما يفيده الوقوف ولو بسرعة على مجرى تطور الأحداث. فقد قرر التاكانزيون والتاجارمونيون والأغوديديون الإعانة بجزء من أعشارهم سنويا وتكفل آل أسيف مقُورن بإمداد المؤسسة بمايلزمها من الحطب. فلم يبق إلا المرابطون الذين تعتبر الإعانات من بين الركائز المعتمدة في مداخيلهم. على أن فصلا مهما انتهى بتخصيص نصيب من أعشاره السنوية للمؤسسة وامتنع الباقون بحجة أن مدرستهم المنافسة الجديدة بإيمور لن تكون أقل أهمية (*المعسول* : 1 : 165 ـ 168).

نرى بذلك كيف يمكن لتسيير المدرسة الإلغية أن يتحول إلى نوع من الاستثمار الذي يستهدف الإبقاء على التجهيزات وتعويض المدفوعات بعد أن تتكفل فضائل إلغ بتحمل النفقات. لقد تطور أسلوب المؤسس في التعامل مع مؤسسته إلى عملية تنظيمية تتلاءم ونوعية الأزمات الطبيعية التي لن تلبث أن تعاود المنطقة. على أن المدرسة

لن تبلغ، رغم المجهودات المتواصلة للمؤسس، شأو المدارس العتيقة حيث لم يتعد عدد الواردين عليها أزيد من خمسين (*المعسول*، 1 : 166). وقد ظلت المدرسة البومروانية قدوة ومثالا يحتذى به في إلغ نظرا لما للمؤسس من ارتباط بها وبأساتذتها الذين تتلمذوا عليه. ولربما كان لمحدودية مدرسة إلغ هذه دور في انشغال المؤسس عن التعليم بالبت في النوازل وبالقضاء لأزيد من سنة ونصف في آخر حياته. ذلك أنه لما قرر العودة من جديد إلى مؤسسته لم يلبث أن توفي سنة 1303 / 1868. فقد استناب في ربيع هذه السنة ابنه علي الدرقاوي والد مؤلف *المعسول* كي يجدد زيارته للسلطان بمراكش حيث توفي باحواز تامصلوحت.

لقد تخرج مؤسس المدرسة الإلغية من المدرسة الجشتيمية وهي ناصرية المشرب (*مدارس* : 53). على أن انتماء ابنه علي إلى الطريقة الدرقاوية وانشغاله الكلي بعلوم الباطن سيحولان دونه وخلافة أبيه على المدرسة الإلغية. فكان أن تكلف علي بن عبدالله الإلغي أخو المؤسس مستعينا على ذلك في البداية بابن أخيه وبالعلامة أحمد بن محمد اليزيدي. وقد اتخذ فيما بعد من تلامذته أبي القاسم التاجارمونتي نائبا لن يلبث بدوره أن يسلمه مقالد التسيير بعد أن شغله القضاء إلى حين وفاته سنة 1347 / 1929 (*المعسول* : 1 : 328).

لقد اعتمدت أعراف هذه المدرسة على المنهاج الاعتيادي في تدريس موادها. فنجد فن قراءات القرآن مرتبطا بالتفسير الذي لم يكن ينفصل عن الحديث والسيرة. أما النحو واللغة والتصريف فقد كانت محط انكباب السوسيين عموما. ولعل السبب في ذلك راجع إلى رغبة الأمازيغ في التقرب من لغة القرآن. فاعتبارا بأن كل ماعدا الفقه واللغة ثانوي، تندرج باقي الفنون بما فيها علم الأصول التي انفطع تطبيقها كفن منذ ماقبل القرن التاسع الهجري. وبالرغم من كون مدرسة إلغ قد تميزت باهتمامها الخاص بالبيان والتلخيص والاستعارة الكيرانية، فإن علم الكلام قد ظل بعيدا عنها (*سوس* : 42). أما اهتمامها بالفرائض والحساب فهذا أمر يدخل في نطاق تخصص السوسيين في هذين الفنين (*سوس* : 31 ـ 38 ـ 44).

لم يكن إذن من الغريب أن تبتدئ مدرسة إلغ الطور الأول بحفظ القرآن وتكرير القواعد وممارستها. فقد كانت إعادة الأجرومية والمتون والزواوي والمبنيات أمر لامناص منه لتهذيب لسان المبتدئ. أما فيما يتعلق بمادة الفقه ومشتقاتها فقد كانت *منظومة* ابن عاشر تمثل بجانب *الرسالة والمقامات* خلال الطور الثاني. يقبل الدارس بعد ذلك على *المختصر والتحفة والزقاقية والعمل والمنهج والألفية بالاشموني* والحديث والتفسير والفرائض والحساب. أما القصائد فقد كانت كلامية العجم وبانت سعاد والمعلقات السبع والدريدية والدالية لليوسي والهمزية والبردة. وكنموذج لصياغة الرسائل في مادة الإنشاء كانت *مقامات الحريري* تحتل المكانة الأولى. هذا الطور الثالث على اتساعه كان يشمل أيضا متن *التلخيص* والاستعارات *بمنظومة ابن كيران* والأصول في *جمع الجوامع* (*المعسول*، 1 : 57 ـ 58 ـ 167). ويفيدنا محمد المختار السوسي بأنه في الرمضانات لايقرأ إلا الحساب والفرائض والبخاري. وتتخلل هذه الدروس من عشية الأربعاء إلى عشية الجمعة كتب الأدب على تمايزها *كالمستطرف ومروج الذهب* وابن خلكان *وسيرة ابن هشام والمواهب اللدنية* لتقف في أعلى مقام عند *نفح الطيب* (*المعسول*، 1 : 57).

يبقى أن نشير إلى توظيف اللغة الأمازيغية كأداة أساسية في التعليم. وهو أسلوب اعتمدته المدرسة الإلغية شأنها في ذلك شأن باقي المدارس السوسية (*المعسول*، 20: 280). لقد كان هذا الأسلوب يسهل عمليتي الحفظ والاستظهار المعتمدين كمنهجية مثلى (*المعسول*، 6 : 8 ـ 18، 10 : 54) وهكذا كانت *الأجرومية والألفية ومختصر خليل* تحفظ بعفوية تجعل من المدرسة امتدادا للكتّاب. ومما يزيد من صلاحية التشبيه أن أوقات الصلوات كانت وحدها المجسدة الفعلية لفترات الاستراحة (*سوس*، 31 ومابعدها). على هذه الهيئة درس ما بعد محمد المختار السوسي بإلغ. ويمكن القول بأن المدرسة قد عرفت خلال فترة ما بعد الوجود الفرنسي نوعا من الاستمرارية ميزها إلى حد ما عن جل المدارس التي انقرضت قبل منتصف هذا القرن.

م. المختار السوسي، *الترياق المداوي في أخبار الشيخ الحاج علي الدرقاوي*، تطوان ـ 1960 ؛ *المعسول* : *سوس العالمة* ؛ *إيليغ قديما وحديثا* ؛ *خلال جزولة* ؛ *الرسالتان البونعمانية والشوقية* ؛ *معتقل الصحراء* ؛ *حول مائدة الغداء* ؛ *طاقة ريحان* ؛ *مدارس سوس العتيقة*.

مصطفى ناعمي

الإلغي، إبراهيم بن أحمد الطالبي السليماني، راوية فقيه، ولد عام 1282 / 1865 وتلقى تعليمه الأول بمسجد قريته ثم افتتح المبادئ العلمية على الشيخ الإلغي في المدرسة الفوگرضية ثم البومروانية، والتحق بعد هذا بالمدرسة الإلغية فالأدوزية فلازمها شهورا وتخرج منها مكتفيا بما أخذه بعد أن حصل تحصيلا متوسطا عانى التصوف مع الشيخ الإلغي، فساح معه إلى مختلف القبائل. وبعد وفاة هذا الأخير لازم مجلس الأستاذ علي بن عبد الله الإلغي يساعده في فض النوازل حتى صار نوازليا ماهرا، وفي هذا المجال طوى بقية أيامه، وحين نُفي المختار السوسي إلى إلغ استفاد من ذاكرته القوية، فقال "بأن تسعة أعشار ما في كتاب *المعسول* مما يتعلق بالإلغيين وبجيرانهم من أخبار الرؤساء والوقائع والحروب والأنساب إنما استقيته كنقطة من بحره". كانت وفاته عام 1368 / 1948.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 : 58.

الإلغي، إبراهيم بن علي الملقب برضى الله. ينتسب إلى إلغ ـ بسكون اللام وكسرها ـ بسيط فسيح على مرتفعات جبل الأطلس الصغير جنوبي إقليم أگادير ـ قيادة

تفراوت ـ تكتنفه جبال وشعاب تتناثر حولها مداشر وقرى، من بينها قرية آل عبد الله أسعيد مهد المترجم. وقد عرفت هذه البقعة النائية حركة دائبة في نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي.

في هذا الوسط عرف المترجم الحياة خلال الحرب العالمية الأولى (1910) ونشأ في رعاية أبيه الشيخ الصوفي الحاج علي بن أحمد الدرقاوي الإلغي ومن أمه الفقيهة السيدة رقية بنت محمد بن العربي الأدوزي شيخ علماء مدرسة أدوز الشهيرة. مات أبوه وهو ابن عدة أشهر، ثم ماتت أمه وهو ما زال في ميعة الصبا. فكفله أخوه محمد المختار السوسي، وأشرف على تعليمه وتوجيهه إلى أن أدرك سن الرشد.

أخذ القرآن وبعض المبادئ عن معلمي الزاوية وعن بعض أساتذة بلدته، ثم انتقل إلى فاس سنة 1925 وهو دون الحلم صحبة أخيه المختار الذي أخذ على عاتقه عبء تثقيفه وتوجيهه. فكان يتلقى منه مباشرة مبادئ العلوم كما كان يحضر معه سائر مجالس العلماء الكبار المتصدرين للتدريس بجامعة القرويين كالطاهر الكتاني والعباس بناني ومحمد بن الحبيب الفيلالي ومحمد بن العربي العلوي والحسين العراقي وأحمد بن المامون البلغيتي. كما كان يحضر المجالس الخاصة التي يعقدها الشبان المتنورون ليدرسوا كتبا وفنونا لا تدرس بالقرويين. علاوة على حلقات الدروس الحديثة التي كانت تلقى بزاوية ماء العينين بدرب السراج من حومة الطالعة في فنون الهندسة والحساب والجغرافيا والآداب العربية والأجنبية من طرف بعض أساتذة ثانوية مولاي إدريس.

وبعد أن حذق جملة الفنون الرائجة في ذلك الحين انتقل مع أخيه محمد المختار إلى الرباط سنة 1928 حيث عرفت المجالس العلمية ازدهاراً كبيراً بفضل علمائها المشاهير : الشيخ أبي شعيب الدكالي، وسيدي المدني بن الحسني، والشيخ محمد السايح.. فكان ملازما لمجالسهم آخذا عنهم في الأصلين الكتاب والسنة وفي اللغة والآداب. ولما حل بمراكش سنة 1929 لازم كذلك مجالس أخيه ومجالس علمائها الكبار : كمولاي أحمد العلمي، وسيدي محمد بن عمر السرغيني.

وفي جميع مراحل تعلمه كان إبراهيم يتحلى بروح عصامية ويستكمل معلوماته الثقافية من هنا وهناك منكبا على مطالعة أشتات الكتب وبالأخص ما استجد منها وله علاقة بالتطورات الفكرية في العالمين العربي والغربي، واستطاع بمجهوده الخاص أن يقرأ اللغتين الفرنسية والإسبانية.. فحصل له بكل ذلك ملكة قوية في جملة علوم اللغة والفقه والآداب شهد له بها أساتذته الذين أجازوه ورشحوه لتولي مهام التدريس والتعليم..

وفعلا أخذ يعقد مجلسا علميا ويتصدر للتدريس في بعض مساجد مراكش وهو دون الخامسة والعشرين من عمره. وفي نفس الوقت كان يدير أول مدرسة حرة أسست بمراكش على أيدي ذوي الغيرة من تجار المدينة وهي التي صارت تسمى مدرسة الحياة ثم تطورت بعد ذلك إلى أن صارت مدرسة ابتدائية كبرى تحت اسم مجموعة مدارس محمد الخامس بمراكش. وعاد إلى الرباط سنة 1935 ليعمل كأستاذ في مدرسة محمد جسوس الحرة حيث كان من جملة أساتذتها الأوائل في الثلاثينات.

ولما اشتدت الأزمة الوطنية ونفي قادة الوطنية من الرباط وفاس ومراكش وغيرها رأى نفسه مضطرا إلى أن يلتمس له خلاصا من مغبة النفي والتشريد. فاستطاع بمساعدة بعض المخلصين أن يفلت من زمام الحصار المضروب ويلتجئ إلى منطقة الشمال سنة 1938 واستقر بتطوان التي آوته ورحبت به حيث وجد بها مناخا ملائما لمتابعة أعماله التعلمية والأدبية. فعين أستاذا في معهد مولاي الحسن وفي ربيبه معهد مولاي المهدي ثم بالمعهد الرسمي للتعليم الثانوي ومدارس المعلمين والمعلمات كما عين أستاذا في كلية المعهد الديني العالي الذي تولى إدارته عدة سنين قبل أن يعود إلى الرباط من جديد.

وفي تطوان تزوج الأستاذة آمنة اللوه، ثم التحق بالمجلس الأعلى للنقض والإبرام بالرباط من جملة العلماء المبرزين الذين اختارهم الملك المنعم محمد الخامس مستشارين به، حيث بقي يعمل بهذه الصفة كنائب عام إلى أن بلغ سن التقاعد. وفي نفس الوقت عمل أستاذا محاضرا بكلية الحقوق بجامعة محمد الخامس بالرباط، ثم انتقل إلى سلك المحاماة كمستشار قانوني، وفي نفس الوقت مكلف بمهمة في وزارة العدل. كما عين عضوا في المجلس العلمي بتارودانت عند تأسيسه سنة 1981. واعتكف أخيرا على تحرير أبحاثه ونشرها في الصحف والمجلات، كما عاوده الحنين إلى مناجاة الشعر فشدا به.

كان إبراهيم الإلغي متضلعا في علم الفقه، متمكنا من العربية، له اقتدار على صوغ المنظوم والمنثور، بالإضافة إلى مشاركته في التاريخ. واختاره الله لجواره صبيحة يوم الخميس 2 صفر الخير 1406 / 17 أكتوبر 1985، صُلي عليه بمسجد السنة ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط.

آثاره العلمية : *دراسات عن عبد المومن الموحدي، وخالد بن الوليد، وإقليم شنقيط. تاريخ الأدب العربي* في أربعة أجزاء. *سلسلة كتب تعليمية* في النحو والبلاغة والبيان والعروض وأصول الفقه، وتاريخ التشريع، إضافة إلى إنتاجه الأدبي : مجموعة *أبحاث* وأحاديث إذاعية، ورسائل، ومترجمات أجنبية، *ودواوين شعرية*.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 1 : 282 ؛ *الإلغيات*، 2 : 136 ؛ ع. بن منصور، *أعلام المغرب العربي*، 1 : 203 ؛ آ. اللوه، *ملامح من حياة إبراهيم الإلغي* (مرقون).

الإلْغي، أحمد بن الحسن بن سعيد، من أسرة البنائيين الإيغشانيين، فقيه أديب مطلع، حفظ القرآن وتلقى مبادئ العربية بالمدارس الإكضيئية والسعيدية والإلغية والنهالية والتانكرتية الإفرانية فنهل من مناهل كبار

العلماء أمثال أقارض الصوابي وعلي بن عبد الله الإلغي والطاهر الإفراني وعن هذا الأخير ترقى في الأدب واللغة ترقيا كبيرا.

تخرج سنة 1345 هـ والتحق بميدان التدريس فزاول نشاطه العلمي بمدرسة أفيلال ثم مدرسة إيمور، وقد تكونت حوله هالة علمية وتلاميذ بإكبابه على التدريس إكباب المجدين مع الاستقامة التامة ومتانة الدين.

له مجموعة *أدبية* أودعها محمد المختار السوسي كتابه المخطوط *جوف الفرا*، ونشر منها نماذج في كتابيه *المعسول والإلغيات*.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 5 : 165 ؛ *الإلغيات*، 189.

الإلْغي، أحمد بن علي بن أحمد نسبة إلى بسيط إلغ الذي تسكنه خمس قبائل من بينها قبيلة المرابطين آل الشيخ عبد الله بن سعيد، وهو أحد أبناء شيخ الطريقة الدرقاوية بسوس، تقلب في الرئاسة القبلية قبل الاحتلال الفرنسي وبعده، وبهذا الشرط وردت ترجمته في *المعسول*، شارك في الكفاح ضد الاحتلال الأجنبي، ويعتبره المختار السوسي مصدرا موثوقا في الأحداث التي كانت سوس مسرحا لها قبيل الاحتلال النهائي لجزولة، وهو الذي أوحى لأخيه محمد المختار بجمع كتاب في الإلغيين، فألف كتابه *المعسول* في الإلغيين وأساتذتهم وتلامذتهم وأصدقائهم السوسيين. توفي في الثالث من جمادى الأولى سنة 1356 هـ إثر مرض عضال.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 ؛ *الترياق*.

الإلْغي، بلقاسم بن عبد الله، عابد تؤثر عنه أخبار الفراسات، مقصود للرقى والتمائم، منزعه إلى الفرائض والحساب والتوثيق، شارط في عدة مساجد، واستقر بالصحراء حينا بإشارة من الشيخ ماء العينين، ثم زاول بعد رجوعه كتابة الرسوم العدلية تحت رعاية علي بن عبد الله الإلغي، كان ميلاده عام 1280 / 1863 ووفاته عام 1350 / 1931.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 : 13.

الإلغي، سليمان بن محمد (1130 - 1199 / 1717 - 1784) أول فقيه من علماء الأسرة الإلغية العالمة، لا يعرف عن أولياته شيء. من أساتذته مسعود بن محمد المرزكوني السملالي والشيخ محمد بن يحيى الأزازيفي. منزلته في عصره منزلة متوسطة لأنه لا يدلي بين معاصريه لا بإفتاء ولا بتدريس، وإنما يزاول قسمة التركات ويفتي في النوازل غير العويصة. صار في زمنه رجل إلغ المقصود من آخر القرن الثاني عشر. موصوف بالعدل والتثبت والتدين. توفي عن سن عالية ربما أوفت على الثمانين.

م.م. السوسي، *المعسول*، 1 : 138 ؛ *رجالات العلم العربي*.

الإلغي، عبد الله بن صالح، ولد عام 1245 / 1829 ورث الشهرة بالصلاح عن والده، وجمع الدنيا إلى الدين، ففلح وأثل وتاجر، يؤثر عنه كشف كثير وآراء سديدة وحكم ماثورة. توفي إثر مرض يوم 26 ذي الحجة 1322.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 : 156.

الإلغي، علي بن أحمد بن محمد، من المشايخ البارزين في الطريقة الدرقاوية بالمغرب بصفة عامة وفي سوس بصفة خاصة. ولد عام 1268 / 1851 وتلقى المبادىء العلمية بإلغ. عانى حفظ القرآن، وحين استتم حفظه التحق بعدة مدارس سوسية، منها مدرسة المولود ومدرسة تازروالت ثم مدرسة إفران وأخيرا المدرسة الأدوزية، عند العلامة محمد بن العربي الأدوزي، فتخرج وهو يتقن النحو والتصريف والفقه والبيان والأصول واللغة والفقه وضبط الألفاظ، فاشتغل حينا يقضي في النوازل وقسمة التركات ثم راجع المشاركة والتعليم بعد ذلك، غير أن الشيخ الإلغي مالت نفسه إلى التصوف، فكان ميالا إلى العزلة، كثير التهجد، زوارا لمشاهد الصالحين باحثا عما يرضي أشواقه وروحه إلى أن تعرف على الطريقة الناصرية وهو طالب بالمدرسة الافرانية بتانكرت فانتمى إليها حينا قبل أن تستأثر به الطريقة الدرقاوية الحديثة العهد بسوس على يد شيخها سيدي سعيد بن همو المعدري ففارق مجاورة المدارس وطلب الأسباب وسلك مسلك المتصوفة المتجردين يطوف البلاد السوسية صحبة شيخه لإرشاد العباد، ولم يكتف بذلك بل صبحه إلى موطن الدرقاوية ببلاد جبالة كما زار فاسا وحاور العلامة شيخ الإسلام محمد گنون الكثير التنديد بالطرقيين، وبعد أن عاد من رحلته وجد شيخه قد توفي فقرّ عزمه على تأسيس زاوية بقريته "إلغ" فتم له ذلك سنة 1302 / 1884، فأمضى فيها أكثر من ربع قرن لم ينقطع فيها عن إرشاد العباد خاصتهم وعامتهم، يعطي لكل ذي حق حقه، فيقتصر للعامة على مايتوقفون عليه من التوحيد ومن تعليم الصلاة ومن تحري الحلال والحرام ومراقبة الله في كل أحوالهم، وأما الخاصة وهم أصحابه الذين أخذوا عنه فإنه يؤاخذهم على قاعدة التربية الاصطلاحية بالشروط المعروفة عند الصوفية، وقد اتسعت الطريقة وانتشرت حتى بلغت كل قبائل سوس بل ومناطق أخرى خارج سوس كالحوز ودرعة وتادلا وزعير والصحراء... وقد قدر مريدوه وأتباعه في حياته بعشرين ألفا وقدرت زواياه بأكثر من مائة وخمسين زاوية، غير أن الطريقة في تناقص بعد وفاة شيخها حتى لم يبق من مظهر الطريقة الإلغية إلا الموسم الذي لا يزال كل المنتسبين إليه يحرصون على أن لا يتخلفوا عنه في شهر غشت من كل سنة، وهو موسم خالص لذكر الله.

وقد ألفت حول شخصية الشيخ الإلغي مؤلفات جلها لا يزال مخطوطاً. نذكر منها *المأمول المبغي في مناقب الشيخ الشيخ سيدي الحاج على السوسي الإلغي*، للفقيه محمد التادلي ؛ وكتاب *الفتح الموهوب في مناقب الشيخ المحبوب*، للفقيه الطاهر السماهري ؛ وكتاب *السر الجلي في مناقب الشيخ سيدي الحاج علي*، للفقيه سيدي عمر المجاطي (مطبوع) ؛ وكتاب *الترياق المداوي في أخبار*

الشيخ سيدي الحاج علي الدرقاوي لنجله العلامة محمد المختار السوسي، كما ألفت كتب في مشاهير مريديه وأتباعه ككتاب *منية المتطلعين إلى من في الزاوية الإلغية من الفقراء المنقطعين* ؛ وكتاب *من أفواه الرجال* لمحمد المختار السوسي.

ومعلوم أن الشيخ الإلغي ضرب أيضا بسهم في التأليف، فصدرت عنه مؤلفات ذكر بسببها بين علماء سوس المؤلفين، من ذلك كتاب مترجم الأمير في العبادات، ومترجم الحكم العطائية باللسان الأمازيغي السوسي، وكتاب *عقد الجمان* في آداب الطريقة، وكتاب *المبدئ المعيد في أخبار الشيخ سعيد*، وكتاب *في الطب*، بالإضافة إلى رحلته *الحجازية* المنظومة في حوالي ألف بيت، هذا وقد لبى الشيخ الإلغي نداء ربه يوم 28 من ذي الحجة من سنة 1328 وقت صلاة العصر فدفن في المكان الذي وضع فيه قبره في الموسم الاخير في حياته.

ع.السكراتي، *تحلية الطروس* (مخطوط) ؛ أ.الإكراري، *روضة الافنان* (مخطوط) ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 : 184 ؛ *الترياق المداوي : من أفواه الرجال*.

الإلغي، علي بن عبد الله بن صالح. أحد الأعلام البارزين في التدريس والقضاء والرآسة والإرشاد الصوفي. ولد عام 1275 / 1858 وتلقى علومه بالمدرسة الإفرانية ثم بمدرسة سيدي همو بن الحسن حيث أتقن القراءات القرآنية، فلازم بعد ذلك أخاه محمد بن عبد الله والأستاذ محمد اليزيدي والشيخ علي الدرقاوي إلى أن تمكن، فتصدر للتدريس بالمدرسة الإلغية خلفاً لأخيه المذكور، فقام بتنشيط الدراسات اللغوية والأدبية إلى جانب العلوم الشرعية الأخرى مدة ليست باليسيرة، فتخرج من مجلسه خلق كثير من أبناء المنطقة نشروا من محاسنه ومفاخره ما ترك له ذكراً طيباً في كل الأرجاء، ولم يكتف بذلك فأضاف إلى التدريس خطة القضاء والفتيا بعد أن تلقى ظهيراً بتوليته من السلطان المولى الحسن لما حل بسوس للمرة الثانية، فصار لذلك قبلة المتقاضين، بل صار بعد ذلك رئيسا على إخوانه المرابطين الإلغيين، زيادة على مشاركته في الإرشاد الصوفي على الطريقة التجانية.

وبعد أن ظهر الشيخ أحمد الهيبة في الميدان التحق بصفوف المقاومة والجهاد، فشارك في عدد من المعارك الكبرى التي خاضتها القبائل ضد جيوش الاحتلال، وقد كانت له المكانة السامية في الاستحواذ على القلوب في كل المجامع بمواعظه العميقة وخطبه المؤثرة.

لهذا العلامة مشاركة فعالة في تنشيط الأدب العربي بسوس، بل أصبحت المدرسة الإلغية وناديها في أيامه مهبط الأدباء في سوس والصحراء. وقد صدرت منه رسائل بليغة وقصائد لطيفة تجعله في طليعة أدباء المغرب، نشر المختار السوسي مجموعة من إنتاجه الأدبي في كتبه، *المعسول*، *ومترعات الكؤوس*، *وجوف الفرا*.

توفي في السادس من ربيع الثاني سنة 1347 / 23 غشت 1928.

أ. الإكراري، *روضة الأفنان* (مخطوط) ؛ ع. السكراتي، *تعطير الطروس* (مخطوط) ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 : 325 ؛ *مترعات الكؤوس* (مخطوط) ؛ *جوف الفرا* (مخطوط) ؛ *المجموعة الفقهية* (مخطوط).

الإلغي، محمد بن عبد الله بن صالح، ولد عام 1265 / 1848 وتلقى مبادئه العلمية في قرية الزاوية، وفيها أتقن حفظ القرآن، ثم انتقل إلى مدرسة تانكرت الإفرانية عند العلامة محمد بن إبراهيم التامانارتي الإفراني حيث حط رحاله إلى أن افعوعم وطابه وأشبع ذهنه، فعاد إلى بلدته وأسس المدرسة الإلغية التي أصبحت مقصد الطلبة من كل أنحاء سوس.

وضع هذا الأستاذ للمدرسة نظاماً خاصاً انفردت به مما ساعد على حسن سيرها ونجاح مهمتها العلمية حيث قسم الدراسة إلى ثلاثة أطوار مخصصاً لكل طور مؤلفات معلومة في العلوم الشرعية مع الاعتناء الخاص بالدراسة الأدبية واللغوية وتشجيع الطالب على معاناة الترسل والقريض، فجاءت هذه الطريقة بنتائج محمودة في فترة وجيزة، ولا أدل على ذلك من عدد الأدباء المتخرجين من المدرسة، ولن نذكر منهم سوى الشاعر الطاهر الإفراني الذي لم يتجاوزها إلى غيرها.

لمحمد الإلغي علاقة وطيدة بملوك وقته ورؤسائه المولى الحسن الأول الذي أتحفه وأكرم من خلاله جميع المرابطين الإلغيين بظهير توقير واحترام، والحسين بن هاشم بودميعة

لم يخلف هذا الأستاذ آثاراً ولامؤلفات لاشتغاله الدائم بالدرس والإرشاد والفتوى وإنما تنسب له حاشية *على البهجة* لم تتم، وتصدر عنه مقتطعات ورسائل في مناسبات مختلفة غالبها إخوانية، أما فتاويه فتوجد منها نماذج بكتاب *المجموعة الفقهية*.

توفي يوم الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة 1303 بأحواز مراكش إثر مشوله بين يدي السلطان المولى الحسن، فنقلت تجاليده بعد ذلك إلى مثواه الأخير بقريته بإلغ.

ع. السكراتي، *تحلية الطروس* (مخطوط) ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 : 160 ؛ *سوس العالمة* ؛ *المجموعة الفقهية* (مخطوط) ؛ *جوف الفرا* (مخطوط).

عبد الله درقاوي

أَلْفَاوُو إِي مِنْدُوثَا (فيليبّي) Felipe Alfau y Mendoza ولد سنة 1853، وبعد أن تخرج من الأكاديمية العسكرية العامة التحق بصفوف الجيش ولم يلتحق بحامية مليلة إلا بعد أن كان قد حصل رتبة جنرال سنة 1909 حيث نجده يشارك في معركة خندق الذئب ليوم 27 يوليوز 1909 التي قتل فيها الجنرال بينطوس Pintos وخسر فيها الجيش الإسباني 752 رجلا مابين قتيل وجريح من ضباط وجنود. وعلى إثر هذه الحركة ثارت الجماهير بمدينة برشلونة مطالبة

بجعل حد للحرب القائمة بالمغرب، فيما عرف بالاسبوع المفجع.

شارك صاحب الترجمة في عدد كثير من المعارك التي خاضتها القوات الاسبانية ضد الثورة الريفية الأولى التي كان يقودها البطل سيدي محمد أمزيان، وقد أصيب الجنرال ألفَاوُو في معركة سوق خميس بني بويفرور يوم 30 سبتمبر 1909 بجروح نقل على إثرها إلى بلاده.

وفي سنة 1909 عين حاكما عسكريا عاماً بمدينة سبتة حيث شن عملية لاحتلال الفنيدق وأسمير وسانية الطريس والمضيق والملاليين.

وفي يوم 27 نوفمبر 1912 وقعت المعاهدة الفرنسية الإسبانية الثالثة بخصوص تقسيم المغرب بين الدولتين فأصبح من "حق" إسبانيا أن تحتل مدينة تطوان، وهذا ما قام به صاحب الترجمة حيث تمكن من دخول قاعدة الشمال يوم 1913 سلمًا.

وفي يوم 3 أبريل عين ألفَاوُو أول مقيم عام لبلاده بالمغرب، وفي يوم 27 من نفس الشهر استقبل الخليفة السلطاني الأول بالشمال الأمير مولاي المهدي بن إسماعيل حفيد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان. وما أن استقر ألفَاوُو بتطوان حتى بدأ يفكر في توسيع رقعة احتلال الجيش الإسباني للتراب المغربي حيث قام باحتلال مركز اللوزيين يوم 11 يونيو 1913 غير أن قواته أصبحت محاصرة في نفس اليوم ولم يستطع فك الحصار عنها إلا بعد خوض معارك كبيرة خسر خلالها الإسبانيون 201 رجل ما بين قتيل وجريح من ضباط وجنود.

ولم يكن الشعب الإسباني مهيأ لقبول هذه التضحية الكبيرة في سبيل مركز يوجد على أبواب تطوان، حيث شنت الصحافة حملة شعواء على الجنرال ألفاو الذي اضطر إلى تقديم استقالته يوم 11 غشت من نفس السنة.

ولم نعثر على تاريخ وفاته.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط 1981.

Martinez Campos, *España belica - Siglo XX*, Madrid 1972 ; Servicio Historico militar ; *Historia de las Campañas de Marruecos*, Madrid 1947, 1981 ; T. Garcia Figueras, *Marruecos*, Madrid 1944.

ألْفُونْصو الثالث عشر Alfonso XIII ينتمي إلى عائلة بوربون Borbon الملكية. ولد بمدريد يوم 17 ماي 1886 حيث بويع ملكا خلفا لوالده الملك ألفونصو الثاني عشر الذي كان قد توفي قبل ولادة ابنه بشهور، وقد تولت الوصاية على العرش أمه الملكة ماريا كريسطينا Maria Cristina ولم يتم تتويجه إلا يوم 17 ماي 1902. وتقول عنه جميع المصادر إنه في اليوم الذي ترأس فيه أول مجلس وزاري بعد تتويجه بيوم واحد "أظهر عزمه على أنه سيتولى الحكم المباشر لدولته، وكذلك كان الأمر إذ كانت له نظرة رومانتيكية لتاريخ إسبانيا، شأنه في ذلك شأن العسكريين الإسبان في عهده".

وهذه النظرة الرومانتيكية لتاريخ بلاده هي التي جعلته

الفونسو الثالث عشر.

يأخذ على عاتقه التدخل في القضية المغربية، لأنه بصفته رئيس منظمات الكهنوت العسكرية الأربعة في إسبانيا كان يرى من واجبه العمل على تنفيذ وصية الملكة إيسابيل الكاثوليكية Isabel la Catolica الخاصة بغزو المغرب والعمل على احتلال أراضيه وتنصير سكانه، ولذلك نراه يتعامل مع القضية المغربية بهذه الروح الصليبية في الاتفاقيات السرية التي كان يبرمها مع الدول الأوربية بخصوص المغرب، وفي إعانتها الخفية للثائر بوحمارة، وفي الدور الذي قام به وفده في مؤتمر الجزيرة الخضراء، وفي مشاركته في الاعتداء على مدينة الدار البيضاء سنة 1907، وفي غزو قواته لناحية الريف انطلاقاً من مدينة مليلية سنة 1909 وفي احتلال أسطوله لمدينة العرائش ثم القصر الكبير سنة 1911، وفي حرب الإبادة التي عرفها شمال المغرب من سنة 1913 إلى سنة 1927 الخ.

وتقول جميع المصادر الإسبانية إنه "كان السبب في كارثة الجيش الإسباني بأنوال "تلك الكارثة التي كانت سبب الانقلاب العسكري الذي قام به الجنرال بريمودي ريفيرا Primo de Rivera يوم 13 سبتمبر 1923 حيث أصبح الحكم بإسبانيا بيد العسكريين باتفاق تام مع صاحب الترجمة.

ولا شك أن الحروب التي خاضها الجيش الإسباني بأرض المغرب والتي كان الشعب الإسباني يرفضها ويطالب بإيقافها لفداحة الخسائر البشرية والمالية التي يتكبدها الجيش، كانت السبب الرئيسي في نتيجة الانتخابات البلدية التي جرت بإسبانيا يوم 14 أبريل وأطاحت بصاحب

الترجمة، فاضطر إلى مغادرة بلاده واللجوء إلى فرنسا ومنها توجه إلى إيطاليا حيث مكث إلى أن وافته المنية بروما يوم 28 فبراير 1941.

Enciclopedia Espasa Calpe, tomo 4, Manuel Rubio Cabeza ; *Diccionario de la Guerra Civil española*, Barcelona 1987 ; Servicio Historico Militar, *Historia de las campañas de Marruecos*, Madrid 1947-1981.

ألفونصُو العاشر Alfonso X ولد بمدينة بورغس يوم 23 نوفمبر 1221، واعتلى عرش بلاده يوم فاتح يونيو 1252 على إثر وفاة والده الملك فيرناندو الثالث Fernando III الملقب بالقديس El Santo. ولقب صاحب الترجمة بالعالم El Sabio لاهتمامه الفائق بالعلوم ومساعدته الكبيرة للعلماء، فهو الذي أنشأ مدرسة التراجمة Colegio de traductores بطليطلة التي كانت ملتقى علماء المسلمين

الفونسو العاشر
يسلم تاجه رهينة للخليفة يعقوب المنصور المريني

والنصارى واليهود. وأشرف على تأليف الملحمة الشهيرة المعروفة بالأمداح *Lantigas* ووضع التشريع المعروف بالمدونات السبع *Siete Partidas* الذي بمقتضاه أصبحت كثير من الأشياء الخاصة والعامة في بلاد قشتالة Castilla تخضع لقوانين مضبوطة بكيفية لم يسبق لها مثيل.

وفي سنة 1282 ثار ضده ولده دون سانشو Don Sancho وكاد أن ينتزع منه الملك لولا لجوء صاحب الترجمة إلى السلطان يعقوب المنصور المريني الذي سانده وأعانه على القضاء على ثورة ابنه، وكان من بين المساعدات التي قدمها له فرض قيمته 60.000 دينار ذهبي، وذلك في مقابل تاج ملكه الذي سلمه له فظل رهينة بمراكش إلى أن كان من أمره ما لم تذكره التواريخ.

توفي صاحب الترجمة بإشبيلية يوم 4 أبريل 1284.

جميع الكتب المؤلفة في تاريخ إسبانيا العام.

Florian de Ocampo, *Cronica general de Alfonso el Sabio, 1541* ; Marques de Mondejar, *Memorias sobre Alfonso el Sabio*, Madrid 1845 ; *Enciclopedia Espasa Calpe*, Tomo 4.

محمد ابن عزوز حكيم

بني **ألكاس**، أحد بطون بني ورتاجن المستقرة بنواحي تازا، كان السلاطين المرينيون يختارون منهم لمنصب الوزارة رعياً للخؤولة المترتبة عن زوجة عبد الحق بن محيو الورتاجنية. منهم :

ابن **ألكاس، أبو بكر** بن غازي. استوزره السلطان عبد العزيز سنة 769 / 1367. ولم يلبث أن قام مستبداً على السعيد بن عبد العزيز (774 / 1372) إلى أن ثار عليه ابن عمه محمد بن عثمان بن ألكاس، فنفاه إلى ميورقة ثم سمح له بالإقامة في غساسة (777 / 1375) إلى أن تقبض عليه وقتله (779 / 1377).

ابن **ألكاس، العباس** بن المقداد، ابن أخي محمد بن عثمان آتي الذكر. كان قد التحق إثر النكبة بتونس. ثم عاد برفقة الحسن بن المريني الطامع في الملك، وتحصن معه بغمارة في جبل الصفيحة. وقد تغلب عليهما مسعود بن ماساي وزير موسى بن أبي عنان.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 677 . 687 . 688 . 697 . 698 . 701 . 702 . 703 . 704 . 705 . 707 . 708 . 711 . 712 . 713 . 725 . 729 . 732 . 733. 734. 735. 742 ؛ إ. بن الأحمر، *روضة النسرين*، 26. 33. 34. 35.

ابن **ألكاس، غازي** أول وزراء السلطانين أبي سعيد وابنه أبي الحسن. توفي في معركة طريف سنة 741 / 1314.

ابن **ألكاس، محمد** بن عثمان نشأ في رعاية الوزير أبي بكر بن غازي. كان أول ظهوره حينما كلفه ابن عمه الوزير بحماية سبتة من طمع محمد ابن الأحمر المخلوع. وهنالك بدا له انتداب أحمد بن أبي سالم، أحد أحفاد أبي الحسن، من ضمن القرابة المرينية بطنجة، للبيعة وتسلم الملك. فاستوزره السلطان أحمد، إلى أن نافسه مسعود بن ماساي الفودودي، وكانت نكبته سنة 786 / 84. 386).

حسن الفكيكي

ألكست ← جزولة

إلأنْ، كلمة بربرية تطلق على نوع نباتي من فصيلة النجيليات Poaceae شبيه بالذرة، لذلك سمّي بالذرة البيضاء أو الذرة الرقيقة. كما يسمى تَافسُوت وعْبَابُو، وله عدة أسماء علمية لكن الأكثر مداولة هو صُورغُوم ڤولگاري Sorghum Vulgare.

إنه نبات ذو ساق يمكن أن يصل ارتفاعه إلى متر ونصف، تبلغ أوراقه 45 سنتمترا. أزهاره على شكل عُشكُول أسطواني وهو جد كثيف. برّته شبه كروية وذات لون رمادي لُؤلُئي (الذرة البيضاء) تظهر الأزهار في فصل الصيف.

إلأن، نبات يجهل موطنه الأصلي، وقد كان يزرع في آسيا وإفريقيا المدارية منذ عصور ماقبل التاريخ أما في المغرب فإن زراعته انتشرت في المناطق الجنوبية في البلاد التي أدخل إليها من إفريقيا السوداء.

إن حبوب إلأن غنية بالكالسيوم والفوسفور. ولهذا فإنها تستعمل في التطبيب التقليدي والحديث، إذ يتناوله الإنسان في حالات عديدة كطور النقاهة أو عند المرأة المرضعة أو التي وضعت حملها، كما يتناوله المصاب بكسر (إلمجْبارْ).

Maire René, *Flore de l'Afrique du Nord* ; J. Bellakhdar, *Médecine traditionnelle et toxicologie ouest-sahariennes.*

عبد المالك بنعبيد

ألْمَا، (مدرسة ـ) إحدى المدارس الأربع المشهورة بتدريس القراءات والعلوم منذ القدم بقبيلة إفْسْفَاسْنْ، إداوْتَنَانْ مع مدرسة إيسيمنا بقبيلة تانكرت، ومدرسة سقالة بقبيلة آيت واعزون، والمدرسة الرابعة هي العظمى في محل الولي الصالح سيدي إبراهيم بن علي التغانيميني (ت 989 / 1581) تجتمع عليها قبيلة إداوْتَنَانْ كلها، ويدفعون فيها الشعير والإدام ويغرمون كلهم أجرة الإمام.

أما مدرسة ألْمَا فهي خاصة بثلث إفْسفاسن، وهي عامرة من قديم الزمان، فلا تخلو من عالم مدرس ومتعلمين، يقوم سكان القبيلة بدفع مؤنتهم وأجرة الامام إلى الآن، ويقال بأن موضع مدرسة ألما كان رباطا قديما للمجاهدين الذين يحاربون العدو البرتغالي المستولي على حصن (فونتي) بأگادير الذي لا يبعد عنه إلا بحوالي 20 كلم جهة الشمال الشرقي عند سفح جبل الأطلس الكبير، ولا زالت هناك عدة قبور للشهداء، مزارة ومعتقدة، لذلك أسست القبيلة حولها مدرستها العلمية لتكون في حماها كعادة جميع القبائل، ومن أشهر أساتذة هذه المدرسة :

1 ـ الفقيه النوازلي المشهور بالتدريس سيدي إبراهيم بن الحسن التنكرتي التناني (ت 1296) شارط فيها مدة بعد تخرجه على العلامة سيدي أحمد أجْمُل بمدرسة هشتوكة السوسية، فملأها تدريسا وافتاء وقضاء بين الناس.

(الكشطي، التعريف بالبلدة التنانية : 47)

2 ـ العلامة سيدي محمد بن علي بن امحمد بوعزى الوركاوي التناني، وهو عالم جليل تخرج على يد العلامة العربي الأدوزى بسوس ثم عاد إلى بلدته ولازم التدريس في مدرسة ألما هذه مدة 52 سنة إلى أن توفي بها عام 1328. وقد تخرج منها على يده عدد كثير من الطلبة منهم خلفه فيها ابنه أحمد بن محمد بوعزى.

3 ـ العلامة المدرس الحاج أحمد بن الحاج علي التناني الكشطي (1310.1374) الذي أنهى دراسته العلمية بفاس عام 1340 فعاد إلى بلدته (كشط) ليشارط في مدرسة إغيلان ومدرسة أبي الناقة قبل أن يلتحق بمدرسة ألمَا عام 1345 حيث قضى ماتبقى من حياته معتكفا على التدريس فالتف حوله مآت من طلبة العلم الوافدين من حاحا وسوس إلى أن توفي عام 1374 وقد تخرج به عدد من العلماء والأدباء الذين يمثلون زينة هذا العصر في حاحا وإداوتنان، ومن بينهم صهره وخلفه في مدرسة ألما بعده الفقيه الأديب:

4 ـ سيدي الحاج محمد بن محند بن عبد الله التفگختي التناني الذي لازم التدريس بهذه المدرسة منذ وفاة شيخه المذكور إلى الآن، وكان كسلفه يلقن الأوراد الصوفية على الطريقة الأحمدية التجانية، فازداد نشاطه وقوي نفوذه لدى العامة والخاصة فتوسعت بذلك مرافق المدرسة وكثرت أملاكها وازداد إقبال الطلبة عليها إلى اليوم.

أ. الكشطي، *التعريف بالبلدة التنانية*، مخطوط.

محند أيت الحاج

ألْمَاسْ، تمثل مدينة ألماس مركز جماعة ودائرة تابعة لإقليم الخميسات، وتعد أهم مركز في الهضبة الوسطى المرتفعة والمركز الوحيد داخل قبيلة أيت عمار المنتسبة إلى مجموعة أيت سگوگو التي تتوسط مجموعات زمور وزايان وگروان وبني مگيلد. تعكس هذه الأهمية مدى صمود المدينة أمام جملة من شروط النمو الحضري غير الملائمة في تلك المنطقة والمتمثلة أساسا في موقع العزلة وضعف الموارد الاقتصادية. بينما يمكن اعتبار المؤهلات المحلية غير معيقة إلى حدٍّ بعيد بالنظر إلى خصائص الموضع المحلّي والموقع الإقليمي. ذلك أن المدينة تأخذ موقعها التقليدي على محور المرور الاضطراري بين زايان والأطلس المتوسط من جهة وهضبة زمور وزعير السفلى من جهة أخرى. وتمر الآن بالمدينة طريق ثلاثية تؤدّي إلى مولاي بوعزة (على بعد حوالي 50 كلم نحو الجنوب الغربي) وثلاثة طرق ثانوية تربط بين مدينة ألماس ونحو الشمال الشرقي مكناس ونحو الشمال الغربي تيداس (على بعد 44 كلم) والمعازيز (52 كلم) والخميسات (95 كلم) ونحو الجنوب الشرقي أكْلمُوس وخنيفرة. ويخضع لهذا التقسيم توزيع الحافلات نفسه: ثلاث حافلات نحو الرباط وواحدة نحو الخميسات وخنيفرة وواحدة نحو الخميسات وحدها.

تقع المدينة وسط منفرج بأحد أوسع وأكثف الغابات المغربية، وتقع بالضبط في الحدّ الشمالي الشرقي للهضبة المسماة باسم المدينة، عند سفح تلّ يبلغ أوجه في 1257م. تتميز هذه الكتلة الهرسينية الغرانيتية بتخليفها تضاريس منبسطة يتراوح ارتفاعها بين 1000 و1100 متر وإفرازها تربات رملية حمراء أوداكنة متوسطة السمك. بل تزخر كل المنطقة وحتى داخل المدينة بالمياه المعدنية النابعة من صخور الغرانيت كما يمتاز محيط ألماس بتساقطات وافرة (773 ملم سنويا بالمدينة) وغابات متنوعة (فلين وبلوط أخضر وصنوبر وعرعر وضرو،...) من شأن هذه المميزات أن توفر قاعدة اقتصادية محلية ثمينة، وسط منطقة تكون فيها الموارد ضعيفة والأراضي القابلة للزراعة شبه مفقودة بالفعل، تشهد الزراعة حول المركز توسعاً ملموساً يتمثل في تنويع المزروعات وممارسة الزراعات الاكثر تأقلما مع المناخ الجبلي والتربة الرملية، خصوصاً بعد انطلاق المشروع

الفلاحي المندمج لزمور وألماس في أواسط الثمانينات. ويتعلق الأمر بتطوير الفلاحة المتنوعة عامة وتطوير الزراعات الشتوية على وجه الخصوص. وقد نجد مغارس التفاح حتى داخل المدينة ومعملا لتلفيفه بيد شركة "أربور". من جانب آخر، تستغل الغابة لأغراض صناعية (الفلين والخشب المتنوع) ورعوية بالأساس . يظهر هذا الانتعاش الفلاحي جليا في كثرة المنتوجات الزراعية والرعوية المعروضة كل يوم ثلاثاء في السوق الاسبوعي الضخم والوحيد بالمنطقة. وهو الذي جلب صندوقاً محلياً للقرض الفلاحي فتح أبوابه سنة 1987 لينضم إلى التجهيزات الفلاحية الأخرى كمركز الأشغال الفلاحية ومصلحة المياه والغابات واسطبل تربية الخيول.

ألماس : صورة جوية

لاشك أن الموضع والموقع، وبالتالي مخلفاتهما الاقتصادية قد لعبت دوراً أساسياً في وتيرة الحركية السكانية للمدينة. وبالفعل فقد انتقل عدد سكان المدينة من 2089 ن سنة 1960 إلى 2922 ن سنة 1971 (بنسبة نمو 3 ٪ سنويا) و5253 ن سنة 1982 (بنسبة نمو 5.13 ٪ سنويا). وتشكل الهجرة القروية إلى المدينة وحدها نسبة 66،1 ٪ من مجموع النمو الإجمالي، مثلما يحدث في تيداس التي تشبه ألماس في حجم السكان ونسبة التزايد السكاني. وبالطبع فإن استيعاب التزايد السكاني الهائل يتطلب إحداث مرافق جديدة وتوسيع حمولة المرافق السابقة، كما هو الشأن بالنسبة لإحداث مركز القرض الفلاحي مؤخراً ودار الشباب وروض الأطفال ومجمع الصناعة التقليدية (للزرابي)، بالإضافة إلى التجهيزات والمرافق السابقة: السوق ومقر الدائرة والدرك ومركز البريد والصيدلية ومدرستان ومركز صحّي ومصلحة المياه والغابات والكهرباء والماء الصالح للشرب والنادي النسوي ... أما ثانوية ولي العهد فقد شهدت بدورها تزايداً كبيراً في أعداد التلاميذ (1082 سنة 1988).

إن هذه التحولات الديمغرافية والتجهيزية والاقتصادية لم تنعكس بشكل ملحوظ في تطور المدينة نفسها. لقد جاءت لمحاولة إخراج المركز الفلاحي والإداري من الأزمة التي تبدو واضحة على أنشطته وشكله. ولو أن عملية القضاء على أجزاء السّكن الأكثر هشاشة قد انطلقت مؤخراً، فإن المشهد المبني لا زال يتسم بطابع شبه ريفي خارج المنشآت الإدارية ووسط المدينة وحي "برنامج التغذية العالمية" وفي "الأراضي المخزنية". تتوزع الأجزاء السكنية والفراغات بنوع من العشوائية وتربطها أزقة ترابية في أكثر الحالات تتخذ المدينة شكلاً خاصاً يتمثل في مثلث شبه منتظم متوجّه نحو الشمال الشرقي ومحصور بشكل هندسي بين التلّ الغابوي الذي يشرف على المدينة في الواجهة الغربية والطريق الثانوية نحو الجنوب والطريق الثلاثية نحو الشمال الغربي، وهذا يخلق مشكلاً كبيراً أمام توسع المدينة التي خنقتها التضاريس والحيازات الفلاحية في الواجهة الجنوبية والشرقية، حيث توجد مغارس شركة "أربور" ويتجلى ركود الأنشطة في محدودية المركز التجاري خارج السوق الأسبوعي وقلة الخدمات غير الإدارية وانعدام الأنشطة الصناعية وأكبر دليل على ذلك الجمود يتمثل في تجميد مجمع الصناعة التقليدية الذي أحدث مؤخراً. ولعل المشكل الكبير الذي لم تتوصل بعد المدينة إلى تجاوزه هو عائق العزلة والانفراد في مركز الجزء المرتفع من الهضبة الوسطى، إذ قريباً من المدينة تحيط بالهضبة الغرانيتية المنبسطة تضاريس وَعْرَة على شكل حلقة مكوّنة من الأجراف وأعراف حادّة وأودية قوية التعمق، ناتجة عن كثافة الشبكة المائية وتصلّب صخور الكوارتزيت والحث والشيست في تكوينات حقبة الأردوفيسي، ممّا يزيد حدّة صعوبة التنقل وقلة وسائل النقل وضعف شبكة الطرق. كما أن المدينة تظل منعزلة عن النشاط الصناعي الممارس بمقربتها، حيث توقف منجم القصدير بالكاريت (المعروف بأيت عمار) منذ ما يزيد عن 20 سنة، ويتم استخراج وتكييف المياه المعدنية بمعزل عن المدينة من حيث العوائد التشغيلية والتنظيمية.

إن تسمية ألماس تعني أيضاً اسم العين المعدنية المعروفة. بل عند عامة الناس، يكون المدلول المعدني هو الأشهر أو الوحيد. توجد عين تَاسَّامَرْ الحية (للاحية) في قصر واد أكْنُود الذي يشكل المجرى الأعلى لوادي أبي رقراق بمنطقة صغيرة تدعى تارميلات. ويقع المجمع الصناعي والفندق (من درجة 3 أ) على بعد حوالي 15 كلم من المدينة. إن المعمل يشغل بين 150 و 200 عامل وينتج أكثر من 30.000 م3 سنويا من المياه المعدنية (32.050 م3 سنة 1986). تنبثق الينابيع المعدنية الرئيسية الثلاثة من شقوق انكسار داخل الكتلة الغرانيتية، لكنها الآن محمية من كل احتمال للتلوث بواسطة سقف وجدران اسمنتية تغوص داخل السفح. تستعمل مياه الينابيع الثانوية (4 لترات في الثانية) في المسبح الصغير والحمامات المقامة بعين المكان في قعر الوادي، وتحوّل مياه الينابيع الرئيسية

في المعمل بصبيب قار طول السنة (20 لترا في الثانية وحرارة 42،8). بعد جلب الماء والغاز إلى المصنع على ارتفاع 550 م ومسافة 3 كلم تتمّ عملية الخزن والتّلبّد والتصفية. وكانت نفس القنوات مع ناقلة هوائية تزوّد محطة استشفائية معدنية بالفندق لمدة طويلة. فعلاً، ظهرت نتائج إيجابية ملموسة ضد تصلب الشرايين وبعض أشكال داء المفاصل وإصابات المعدة والأمعاء، إلا أن التجربة توقفت نظراً لبعد الفندق عن المنبع الذي يفقد جزءاً من خصائص المياه الدافئة والمنعشة المعدنية (خصوصا الحديد والسيليس).

حول العين الرئيسية ومركز ألماس هناك ينابيع معدنية أخرى نابعة في الصخور المتحولة (شيسْت وحث مع كلس) التي تعلو تكوينات الغرانيت، وهي شبيهة بها من حيث المميزات الكيماوية. لكن صبيبها أضعف بكثير من صبيب عين للاحية. أقربها إلى المحطة تبعد عنها بحوالي 6 كلم نحو الجنوب الشرقي (تنات أوراش)، والأخرى بحوالي 12 أو13 كلم (تنات بورو في الغرب وتنات تاوارت في الشمال الشرقي وترنارا - ن - الشريف في الشمال الشرقي. أما عين سيدي علي فقد بدأ استغلالها منذ أواسط السبعينات وتوجد في عالية ثلاث نبعات بين مدينة ومحطة ألماس وتنبع هي أيضًا من التكوينات المتحولة.

قسم الخرائط، صورة جوية لألماس، الرباط، بعثة 1970.

G. Beaudet, *Le plateau central marocain*, Rabat, 1969 ; M. Combe, *Ressources thermo - minérales du Maroc*, Rep. 23 Intern. Géd. Congr, Prague, 1960 ; M. Combe, M. Ferre, J. P. Thauvin, *Meseta centrale et meseta côtière, Ressources en eau du Maroc* , T. 2 , Ed , serv. géol. du Maroc, Rabat 1975, p. 147 - 171 ; Division de la Carte, *Carte topographique de Moulay Bou Azza 1/100.000* Rabat, 1946 ; M.A.R.A, *Plan Directeur de Vulgarisation, enquêtes*, Rabat, 1986, D. Nom, *La Population rurale du Maroc*, P.U.F, Paris, 1970, 2T.

مصطفى عياد

أيت ألمان ← بولمان (إقليم -)

ألمانيا والمغرب، مرت العلاقات المغربية الألمانية بعدة محطات ولحظات تاريخية متميزة منذ حرب تطوان حتى الآن. كما أن هذه العلاقات تتميز بكونها هادئة ويسودها التعاون المتبادل بين الطرفين، رغم أنه غير متكافئ. ولذلك فإن الرغبة الجامحة للطرف الأقوى تنزع دائمة إلى الهيمنة متى سمحت الظروف الدولية بذلك.

وهكذا فإن العلاقات السياسية بين المغرب وألمانيا مثلا ما بين 1870 أي بعد الحرب الفرنسية الألمانية حول «الألزاس واللورين»، وبين 1912 وقت إبرام معاهدة الحماية بين فرنسا والمغرب تثير عدة إشكالات وتساؤلات كبرى تهم بالأساس موقع ومركز الطرفين في النظام الدولي للقرن التاسع عشر، حيث تسود سياسة توازن القوى. والمسألة المركزية المتحكمة فيها على الرغم من الاختلاف في تفسير محتواها، أن كلا منهما يهدف من ورائها إلى خدمة مصالحه الخاصة، المناقضة تماما لمصالح الطرف الثاني. فمن جهة تهدف ألمانيا إلى الحصول على امتيازات وعلى موانئ في المغرب، وربما لها مطالع استعمارية أكثر طموحا. ومن جهة ثانية يهدف المغرب إلى تقوية الدعم الألماني من أجل منع فرنسا أو على الأقل من أجل منع تسريع عملية سيطرتها على المغرب وفرض الحماية عليه.

ويبدو أن رصد هذه العلاقات ومواكبة تطورها قد يسفر عن التشابك الحاصل فيها خلال القرن التاسع عشر، وحتى قبل الحماية بين ما هو ذو طابع سياسي واستراتيجي وبين ما هو ذو طابع اقتصادي. فإذا خفت الجانب الاستراتيجي جزئيا أو كليا في الفترات اللاحقة وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، فإن الجانب الاقتصادي بقي مشعا وهاجا حتى الآن.

1 - المرحلة الأولى 1870 - 1912 : بدأت الاهتمامات الألمانية بالمغرب مباشرة بعد حرب تطوان 1864، فمنذ سنة 1869 عملت ألمانيا على التفكير في تعيين قنصل عام لها بالمغرب، غير أن حربها مع فرنسا سنة 1870 من جهة، ووفاة سيدي محمد بن عبد الرحمان من جهة ثانية قد أخرت التمثيل الدبلوماسي بين البلدين حتى سنة 1873 حيث عينت بشكل رسمي "ويبر" Weber وزيرا مفوضا لها في طنجة. وسوف يعمل هذا الأخير على تركيز نفوذ دولته في المغرب عبر تدخلاتها الواضحة سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي.

ومن المعلوم أن العلاقات التجارية آنذاك تتم بين المغرب وألمانيا بشكل غير مباشر انطلاقا من جبل طارق أو من البرتغال، ولكنها تتسم بكونها ضعيفة ومتقطعة بل حتى المنتجات الألمانية المروجة داخل المغرب يتم بيعها تحت علامات تجارية إنجليزية.

وقد يتداخل خلال هذه الفترة ما هو اقتصادي بما هو سياسي في العلاقات الألمانية المغربية، وسوف يستمر هذا التداخل حتى فرض الحماية على المغرب. ولكن قد يطغى في بعض الأحيان البعد الإستراتيجي على الاقتصادي، فبعد حرب 1870 بينها وبين فرنسا ورغبة منها في الحفاظ على التوازن الجديد الناتج عن كونها القوة الثانية على الصعيد الأوروبي والدولي قد دفع بها للمحافظة على هذا الوضع خارج أوروبا لمواجهة النفوذ الفرنسي، لذا كان لا بد لها أن تهتم بالمغرب المجاور للجزائر الفرنسية لمراقبة نفوذها هناك أو محاصرته.

ولم تخرج السياسة الألمانية إزاء المغرب عن هذه الجادة حينما كان يؤطرها بسمارك ما بين 1870 - 1890، على الرغم من شعوره بأن قيام الوحدة الألمانية قد خلق في النظام الإقليمي الأوروبي موجة من الخوف والحقد تجاه ألمانيا. ولذلك لجأ إلى حمايتها من الأخطار المحتملة بإقامة حزام أمني من التحالفات والصداقات على المستوى الأوروبي لعزل فرنسا. ومع ذلك لا بد من التفكير في ترضية فرنسا والتخفيف من هزيمتها بدفعها إلى تنمية نفوذها خارج أوروبا مع غل يدها جزئيا في المغرب. والسبب في ذلك يكمن في كونها قد أصبحت بعد وحدتها دولة صناعية.

وأصبحت في حاجة إلى صرف منتجاتها، لذلك بدأت تفكر بجدية في اتباع سياسة استعمارية في المغرب مع التمسك بشدة بالتفوق داخل النظام الأوروبي. فسياسة بسمارك تنطلق من ضرورة الحصول على أجزاء من التراب المغربي ليمارس بواسطتها نوعا من الضغط الدبلوماسي في إطار المساومات مع القوى العظمى، وخاصة فرنسا وبريطانيا ذات المصالح القوية في المغرب. وربما أن ذلك قد تحقق لألمانيا في مؤتمر مدريد عام 1880 وبشكل لم يثر الدول الأوروبية بحيث خرجت من هذا المؤتمر بحقوق مهمة بفضل سياسة وكياسة بسمارك.

فبعد مؤتمر مدريد سوف يلاحظ تكاثف العلاقات التجارية مع المغرب، إذ ان التجارة الألمانية ستركز على السوق المغربي لدراسة حاجياته. سواء عبر عرض بعض المنتجات في المدن المغربية كالدار البيضاء أو ربط علاقات تجارية مع التجار المغاربة ابتداء من سنة 1886. ولخدمة هذه المصالح التجارية سيعزز نشاط الدبلوماسية الألمانية بالمغرب وسوف تتقمص دور الصديق الأول والنصوح للمغرب. وإذن ستعمل ألمانيا على تغيير وزيرها المفوض في طنجة، وذلك بتعيين طسطا Testa بحيث سيتم التشديد بعد ذلك وفقا للمتطلبات الجديدة لهذه المرحلة المتزامنة مع تقوية العلاقات السياسية والاقتصادية، والمواكبة لتكالب القوى الاستعمارية على المغرب والتي استشعر المغرب خطورتها منذ سنة 1878، حينما أرسل أول سفارة إلى برلين برآسة عامل أسفي السيد الطيب ابن هيمة، وكان موضوع هذه السفارة مطالبة المغرب لألمانيا بأن تزوده بالسلاح وبالسلع المختلفة. ومقابل ذلك طالبت ألمانيا بميناء في شمال المغرب أو على شواطئ المحيط الأطلسي. وقد فشلت هذه السفارة لعدم توصلها إلى اتفاق حول الأمور المتفاوض حولها.

لذلك أرسل المغرب سفارة ثانية إلى الديار الألمانية يرأسها الحاج محمد برگاش ابن وزير خارجية المغرب آنذاك والمرافق للبعثة الطلابية الحربية إلى ألمانيا. ومن ثمة ستلح ألمانيا تحت ضغط الظروف الاقتصادية بالنسبة لها، والضغوط العسكرية بالنسبة للمغرب على ضرورة إبرام اتفاقية تجارية مع المغرب، وقد دخلت مع السفارة المشار إليها في مفاوضات حول هذه الاتفاقية، لكن المفاوضات تعثرت بسبب ما يطلبه الجانب الألماني من تصدير للحبوب والحيوانات من المغرب إلى ألمانيا وعلى الرغم من فشل المفاوضات آنذاك فإن الحسن الأول قرر سنة 1887 الاعتماد على المصانع الحربية الألمانية لتجهيز جيشه وخاصة مصانع "كروب" وبذلك أصبح المغرب زبونا مخلصا لألمانيا. بحيث إن العلاقات المغربية ستتقوى خاصة بإرسال المغرب سفارة جديدة إلى برلين برئاسة عبد السلام بن رشيد قائد أولاد حريز، وذلك بغية التفاوض حول الاتفاق التجاري المشار إليه آنفا، وشراء مدافع كروب "لتقوية ثغري طنجة والرباط".

وفي هذا الإطار كذلك أرسلت ألمانيا سفيرا لها إلى المغرب في شخص "طاطنباخ" الذي استطاع أن يتصل بالمولى الحسن الأول، كما استطاع أن يقنع المخزن بضرورة إبرام الاتفاقية التجارية بين الطرفين وتم ذلك فعلا بتاريخ 1890/6/1. وقد جاءت هذه الاتفاقية في وقت كانت فيه الأسواق التجارية الدولية شبه مغلقة أمام التجارة الألمانية، لذلك نجد أنها شديدة التمسك بأن تبقى السوق المغربية مفتوحة في وجهها، خاصة وأن الاتفاقية قد منحت لها حق الدولة الأولى بالرعاية.

لكن سياسة ألمانيا المغربية ليست فقط ذات بعد اقتصادي، فبعدها الاستراتيجي السياسي واضح خاصة بعد عزل بسمارك سنة 1890 ومحاصرة فرنسا لها على المستوى الأوروبي مما أدى إلى إضعاف نفوذها على الصعيد الدولي.

ولمواجهة الحصار الفرنسي المضروب عليها لا بد من زعزعة، أو على الأقل عرقلة السياسة الفرنسية في المغرب بمساندتها للمغاربة في مقاومة فرنسا وذلك لهدفين واضحين، وهما : الحصول على جزء من المغرب أو إرغامها على قبول تعويضها في الكونغو والكمرون. تلك إذن هي دواعي التدخل الألماني في المغرب، وما ادعاؤها بالحرص على استقلال المغرب وسيادة ملكه إلا مجرد ذريعة لخدمة مصالحها الدولية الاستعمارية. وسوف يتضح ذلك جليا عندما حركت فرنسا سنة 1905 مشروع الإصلاح الذي تنوي الدول الأوروبية تطبيقه في المغرب، واعتبرته ألمانيا مخالفا للوضع الراهن وتحملت مسؤولية إحباطه بالزيارة التي قام بها غليوم الثاني إلى طنجة في نفس السنة.

ولمواجهة المشروع الذي حركته فرنسا نادت ألمانيا بعقد مؤتمر دولي حول المغرب، وقد حبذ المغرب هذه الفكرة شريطة أن يكون محل المؤتمر طنجة، غير أن الدول الأوروبية الأخرى فضلت الجزيرة الخضراء.

وقد تمخض هذا المؤتمر عن ميثاق الجزيرة الخضراء المعتبر كهزيمة للسياسة الفرنسية ولكي تتحرر فرنسا من قيود الجزيرة الخضراء لا بد أن تدفع الثمن غاليا لألمانيا، فجاءت نتيجة لذلك الاتفاقية الألمانية الفرنسية في فبراير 1909 حول المغرب. وربما أن هذا الاتفاق هو الذي جعل ألمانيا تغض الطرف جزئيا عن غزو فرنسا للشاوية 1907. 1908. ولكن على الرغم من ذلك فإن ألمانيا كانت تساند حركة المولى عبد الحفيظ وتدعمه بالسلاح.

غير أن اتفاق 1909 قد فشل في جل كل القضايا العالقة بين فرنسا وألمانيا ولذلك لم يطبق نهائيا، الشيء الذي دفع بالدولتين أن توقعا على اتفاقية أخرى في نفس الاتجاه بتاريخ 4 نونبر 1911. جاء فيها أن المصالح الألمانية في المغرب سوف تتم حمايتها وخاصة المصالح الاقتصادية والسياسية. ومقابل ذلك فإن ألمانيا لن تعرقل عمل فرنسا في المغرب، ولها أن تدخل الإصلاحات الاقتصادية والمالية والإدارية والعسكرية شريطة المحافظة على المساواة الاقتصادية. ومقابل ذلك حصلت ألمانيا على تعويضات في

القارة الإفريقية وخاصة في الكونغو. وقد كان ذلك خاتمة إطلاق يد فرنسا في المغرب الذي توج بعقد اتفاقية الحماية بتاريخ 30 مارس 1912.

وهكذا يلاحظ أن المغرب لم يكن، انطلاقا مما سبق، هدفا مباشرا للسيادة الألمانية ما بين 1870 . 1912 بقدر ما كان مجرد وسيلة يمكن استخدامها من أجل الضغط للمحافظة على التوازنات داخل الساحة الأوروبية والدولية وقد عبرت الدبلوماسية الألمانية عن ذلك عدة مرات. فعندما تقوت المصالح الألمانية في المغرب، لوحظ أن هذا البلد أصبح موضوع مساومات بين الدبلوماسية الألمانية والفرنسية قصد الحصول على تعويضات في مناطق أخرى من العالم.

2 ـ المرحلة الثانية 1912 . 1956 : إن هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى سوف تضع حدا لمصالحها وامتيازاتها التي كانت تتمتع بها في المغرب بموجب اتفاقية 1911، وقد أكدت اتفاقية فرساي في متن مادتها 141، أن ألمانيا قد انتزعت منها جميع الحقوق والامتيازات التي تتمتع بها في المغرب. وبموجب هذه المادة تنازلت ألمانيا لفرنسا عن جميع امتيازاتها في المغرب الناتجة عن عقد الجزيرة الخضراء سنة 1906، وعن الاتفاقية الفرنسية الألمانية حول المغرب لسنة 1909، وعن الاتفاقية الفرنسية الألمانية لسنة 1911. كما تم إلغاء كل الاتفاقيات والمعاهدات والعقود المبرمة بين المغرب وألمانيا ابتداء من 3 غشت 1914.

وتبعا لهذا بقيت العلاقات وخاصة التجارية بين ألمانيا والمغرب "المحمي" متوقفة بسبب الحرب، ولم تأخذ مجراها إلا بعد مرور عدة سنوات على الحرب العالمية الأولى بشكل بطيئ، ولكن في ذات الوقت تصاعدي. وقد نظمت هذه العلاقات بموجب ظهائر ملكية، أهمها ظهيران، وأولهما بتاريخ 11 يناير 1920 المنظم للتجارة بين الطرفين، ويضم هذا الظهير عشر مواد، كما صدر ظهير آخر في نفس اليوم ينظم وضعية الرعايا الألمانيين في المغرب، ويشتمل على خمس مواد، تنص المادة الأولى منه على أن "الدخول والإقامة، وممارسة الحقوق في المنظمة الفرنسية للرعايا الألمان يكون خاضعا لتسليم رخصة بشأن ذلك وتعتبر هذه الرخصة شخصية".

وبالنظر إلى هذين الظهيرين يلاحظ أنهما متشددان إزاء ألمانيا إذا ما قورنا بظهائر لاحقة، بحيث سيسمح لألمانيا شيئا فشيئا بأن تمارس النشاط التجاري بشكل متحفظ ثم فيما بعد بشكل حر. وقد صدر ظهير شريف آخر بتاريخ 11 غشت 1927 حاملا بعض التخفيف، إذ نصت المادتان (40 و41) منه على السماح للسفن التجارية الألمانية بالدخول والرسو في المراسي المغربية من أجل أن تحمل أو أن تفرغ البضائع والركاب. كما صدر ظهير 11 مارس 1933 متضمنا تخفيفا لما جاءت به اتفاقية فرساي، فالمادة الرابعة منه نصت على إمكانية التجار والشركات التجارية الألمانية في حق التعاقد والتصرف وامتلاك العقارات.

وقد بدأت أبواب المغرب مرة أخرى تفتح أمام التجارة والمصالح الألمانية خلال ما بين الحربين بفعل هذه الترسنة القانونية المعبر عنها بالظهائر المشار إليها. وقد ساهمت في التطور التجاري بين الطرفين ما بين 1921 و1938 على الشكل الآتي :

السنة	الواردات	الصادرات
1921	2617	4208
1934	1216	54062
1938	42427	56512

ولكن ابتداء من سنة 1939 سوف تتوقف هذه العلاقات بفعل الحرب العالمية الثانية وبالخصوص إلى ما بعد الاستقلال حيث سيبرز إطار جديد للعلاقات الاقتصادية الألمانية، وقد شجع في تنامي هذه العلاقات بعد الاستقلال انتفاء العراقيل ذات الطبيعة السياسية بين الطرفين. فلا مواقف بين ألمانيا والمغرب سياسية متجمدة تفرض ضرورة تذويبها، ولا جروح بين الطرفين يجب تضميدها. وقد ساعد كل ذلك ومن جديد في فتح السوق المغربية أمام ألمانيا.

3 ـ المرحلة الثالثة من 1956 حتى الآن : بعد استقلال المغرب ازدادت علاقاته مع ألمانيا متانة، ذلك أن هذا البلد قد تبنى مباشرة بعد الاستقلال التوجه الليبرالي على المستوى الاقتصادي والسياسي، وكان ذلك حافزا مهما بالنسبة للمستثمرين والشركات والبيوت المالية الألمانية، وحتى للمسؤولين الألمان لتطمينهم ضد التخوفات الناشئة عن التأميم وفرض الحراسات الجاري بها العمل في مختلف الدول المستجدة الاستقلال وخاصة في الدول العربية المجاورة. ولتنظيم إطار هذه العلاقات أبرمت عدة اتفاقيات للتعاون الاقتصادي كإطار لاتفاقيات أخرى ذات طابع قطاعي متخصص. وهكذا فعندما أبرمت الاتفاقية التجارية المغربية الألمانية سنة 1959 لوحظ أن ألمانيا ساهمت في المؤسسات المالية المغربية ذات الطابع التنموي.

ومن المعلوم أن التعاون الألماني المغربي الذي واكب دخول ألمانيا كمساهم في هذه المؤسسات، قد دفع بتسهيل إبرام اتفاقيات هادفة لتسوية العلاقات بين الطرفين. ولكن رغم كثافة الجهاز الاتفاقي آنذاك فإن الاستثمارات الألمانية في المغرب بقيت هزيلة على الرغم من كونها طالت جل المجالات الاقتصادية ـ المجال المعدني والفلاحي والصناعي والسياحي.. الخ.

وتجدر الإشارة إلى عدة معطيات ساهمت في تنامي التعاون الألماني المغربي منذ منتصف الستينات، من بينها رغبة المغرب في أن تدعمه ألمانيا أمام المجموعة الاقتصادية الأوروبية. والأزمة المالية التي عانى منها المغرب ما بين 1963 . 1964، وأزمة العلاقات المغربية الفرنسية ابتداء من أواخر سنة 1965 وكذلك تطبيق المخطط الثلاثي لسنوات (64 . 1967). هذه المعطيات كلها حفزت المغرب ليشدد على الدعم الألماني، وضرورة تنظيمه بشكل

دائم. وقد مهد لذلك بالاتفاقيات المشار إليها خلال سنوات 1961 حتى سنة 1963، وبالزيارة التي قام بها الممثل الشخصي لجلالة الملك السيد أحمد بلفريج. وإذا كانت معالم التعاون الألماني المغربي قد رسمت إطاراته اقتصاديا فلا بد من تحرك سياسي ينعشه ويدفع به إلى الأمام، لذا تم التفكير في زيارة ملكية إلى بون قصد تعميق وتطوير حقل التعاون المغربي الألماني، وقد سمحت هذه الزيارة الممتدة ما بين 29 نونبر 1965 و 2 دجنبر 1965 على الرغم من الخلاف الألماني العربي، بتطوير العلاقات المغربية الألمانية إذ أكد المسؤولون الألمان على الرغبة في المساعدة على تطوير الاقتصاد المغربي في السنوات اللاحقة، ولذلك يمكن القول إن التعاون الألماني المغربي قد تطور بشكل ملموس بفعل الوفاق السياسي بين الطرفين. وسوف يترجم هذا الوفاق السياسي من الجانب الألماني بالزيارة الرسمية التي قام بها الرئيس الألماني Lübke في شهر مارس سنة 1966، مدى اعتماد المغرب على ألمانيا في الوقت الذي توثرت فيه العلاقات المغربية الفرنسية بفعل قضية بنبركة. إذ خلال هذه الفترة سوف تتواتر الزيارات المتبادلة بين الطرفين. ففي فبراير سنة 1968 استدعى "ولي براند" وزير خارجية ألمانيا للقيام بزيارة للمغرب، وأكد على أهمية ،وضرورة التعاون التجاري والاقتصادي واهتمام ألمانيا بالمساهمة في مشاريع المخطط الخماسي. وبعد ذلك زار الوزير الألماني المكلف بالتعاون المغربي ليبين هذا الاهتمام الألماني. ومقابل ذلك زار وزير خارجية المغرب أحمد العراقي ألمانيا سنة 1971 قصد الدفع بهذا التعاون قدما.

وقد كان لهذه الزيارات المتبادلة وقع سياسي أثر بشكل مباشر على الجانب التجاري والمالي والاقتصادي بصورة لم تكن منتظرة من قبل. فخلال سنة 1973 لوحظ تدفق الأموال الألمانية على المغرب بشكل قروض ومساعدات. ففيما بين يناير ودجنبر من سنة 1973 وقّع المغرب وألمانيا على ثلاث اتفاقيات تهم التعاون المالي. كما أن سنوات 1974 . 1975 . 1976 عرفت تكاثف العلاقات الاقتصادية والمالية بين الطرفين، وعبر عنها بمجموعة من الاتفاقيات. وقد لوحظ خلال سنوات 1978 . 1979 اعتماد المغرب على ألمانيا والمجموعة العربية بشكل كبير في تمويل مشاريعه التنموية، وقد تجلى ذلك من خلال الاتفاقيات المالية الألمانية المغربية آنذاك.

إن هذا المد القوي في العلاقات الاقتصادية المغربية الألمانية في منتصف أواخر السبعينات سوف يلمس ثقله من كلا الطرفين، فمن المعلوم أن في سنوات 78 . 1979 ارتفعت قيمة التجارة المغربية الألمانية بمقدار 10.5 ٪ لكي تقفز من 824.5 م مارك إلى 910.9 م مارك. وكان ميزان المبادلات في صالح المغرب، لذا أصبحت ألمانيا تحتل الرتبة الرابعة سنة 1979 من بين الدول المزودة للمغرب، واحتل المغرب الرتبة الثانية ضمن لائحة الدول المزودة لألمانيا بالفوسفاط.

ولتقوية هذا النشاط التبادلي قام المستشار الألماني هلموت شميت بزيارة رسمية إلى المغرب يومي 6 . 7 يناير 1981. وقد تباحث مع جلالة الملك من جهة ومع الوزير الأول المعطي بوعبيد في شأن العلاقات الاقتصادية وضرورة تطويرها. ولذلك نجد هذه العلاقات قد عرفت قفزات نوعية ما بين 80 . 1984. ففي سنة 1980 أبرمت اتفاقيات للتعاون المالي بلغت قيمتها 75 م مارك، وذلك قصد تمويل مجموعة من المشاريع الفلاحية. بالإضافة إلى اتفاقيات أخرى في نفس السنة، منها اتفاقية القرض البالغ 24.9 م مارك، واتفاقية القرض البالغ 62.4 م مارك. وكذلك في سنة 1981 منحت ألمانيا للمغرب قرضا بلغ 75 م مارك قصد تمويل مشاريع زراعية بالإضافة إلى منحة تقدر ب 10 م مارك.

وقد توالت هذه القروض ما بين سنوات 1982 . 1983 . 1984. لتساهم في تنمية عدة قطاعات كتمويل مشروع اللكوس، الشطر الأول، أو تهم التعاون التقني بشكل عام، أو تموين بعض المدن بالماء الصالح للشرب مثل سيدي إفني وخنيفرة ومريرت، وتزنيت وبني ملال وخريبگة ووادزم.

ويمكن إجمال الأموال المتدفقة على شكل قروض ما بين 1982 . 1984 فيما مجموعه 307.2 م مارك. ويتضح مما سبق أنه إذا كانت العلاقات المغربية الألمانية ما بين 1870 . 1912 مبنية على الاعتبارات الاستراتيجية السياسية بالإضافة إلى اهتمامها بالاعتبارات الاقتصادية فإن هذه العلاقات بدأت تركز على العنصر الاقتصادي لوحده منذ الحرب العالمية الأولى حتى الآن. وقد تعاظم الطرح بعد الحرب العالمية الثانية حيث منع ألمانيا الانغماس في سياسة التسابق نحو التسلح، فوجهت تبعا لذلك كل جهودها إلى الجوانب الاقتصادية والتكنولوجية. فأصبحت منذ الستينات قطباً اقتصادياً دولياً منافساً لدولتي القمة الدولية حتى في فترة الثنائية القطبية المرنة بفضل ما تدره من مساعدة اقتصادية وليس عسكرية لفتح أسواق العالم الثالث أمام اقتصادها الراغب في أسواق كبرى لصرف فائض انتاجه. وفي هذا الإطار تندرج العلاقات الألمانية لما بعد الاستقلال.

ج. عياش، *دراسات في تاريخ المغرب*، الرباط، 1986 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، 1280 . 1311 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2 ؛ ع. بنشنهو، *البيان المطرب لنظام حكومة المغرب*، ط.2.1951، 45 ؛ ع. بن سلامة، *التقليد المغربي في الحكم : الوضع الدستوري قبل الحماية*، البحث العلمي، ع27، سنة 1977، 63 ؛ ع. كريمي، *النظام القانوني لانتقال رؤوس بين الدول العربية*، 1، المقدمة سنة 1987 كلية الحقوق بالرباط.

J. Miège, *Le Maroc et l'Europe 1830-1894*, 4 : 14-19 ; Bulow, *La politique Allemande*, p. 34 ; L. Maurice, *La politique Marocaine de l'Allemagne*, Paris 1916, p. 5 ; V. Berard, *Affaire du Maroc*, Paris, Armand Colin 1906, p. 58 ; P. Renouvin, *L'histoire des relations internationales*, T. VI, *le XIX siècle* p. 90 ; A.F., Février 1920, nº 2, p. 71 ; *Les relations internationales : Le Maghreb et l'allemagne*, Maghreb, nº 13, Janvier-Février 1966, p. 4-5 ; Bulletin de l'information de l'ambassade du Maroc à Paris, Décembre 1965, p. 1 ; A. Berramdane, *Le Maroc et l'occident 1800-1974*, éd. Karthala, 1987, p. 260-261 ; Maroc Document, nº 3, Juin 1968, p. 78 ; Le monde, 25 Mai 1971 ; Borm (3243) 25/12/1974, p. 1746. (3387) 27/7/77 p. 871. (3491) 26/9/79 p. 754. Marchés

tropicaux et mediterranéens, n° 1836, 16/1/1981. (3583) 1/7/81, p. 318. A.A.N. 1981, (3642) 18/8/82, p. 431. (3646) 15/9/8, p. 449 (3701) 5/10/83 p. 83. (3729) 18/4/84, p. 157. (3749) 9/591984 p. 358. (3760) 21/11/84.

علي كريمي

الألْمَنْتي، إبراهيم الرسموكي، فقيه مشارك تخرج من مدرسة أزاريف، وتولى فيها التدريس. من مشايخه محمد ابن المواز حين رحل إلى سوس مع المولى الحسن، أخذ عنه المقولات، وكان إلى جانب التدريس يزاول الإفتاء في النوازل بقبيلته، توفي عام 1340 / 1921، وهو مذكور بين المؤلفين السوسيين بمؤلف في *أخبار الهيبة*.

م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 209 ـ 222 ؛ *خلال جزولة*، 1 : 118.

عبد الله درقاوي

ألْمُوسْنِيُو، حاسْداي، حبر بتطوان، ومؤلف مشْميروث حا ـ قَديش "الأمانة المقدسة" وهو تعليق على شَرح راشي حول أسفار موسى الخمسة (*البقورم*، 1826)، ومواعظ.

توفي سنة 1728.

ألْمُوسْنِيُو، موشي بن حاسداي السابق الذكر. مؤلف بأورين بَـ ـتَنَاخ، وهو تفسير لأسفار موسى الخمسة.

توفي أواسط القرن الثامن عشر.

طوليدانو، *نير حما عرب*، 158.

شمعون ليفي

أليس مرموشة ← **بولمان** (إقليم ـ)

الألواح، تسمية للأعراف القبيلة المكتوبة عند جزولة خاصة، وقد تسمى في قبائل أخرى العرف أو القانون أو الديوان أو الشروط أو تيغفّدينْ أو إزْرَفْ. وهي من وضع القبائل قصد تدبير شؤونها الداخلية والحفاظ على أمنها الخارجي، وقد تتعدد القبائل أو الفرق أو مجموعات الأسر. ولم يعثر لحد الآن على لوح من ألواح جزولة يرجع إلى ما قبل عام 904 / 1498، أو إلى ما بعد عام 1348 / 1929، وقد يكون توقف إنتاج هذه الأعراف بسبب السيطرة الفرنسية التي تمت في هذا التاريخ الأخير تقريبا.

تكتب الألواح بحضور مقدمي الجماعة المعنية بها وهم المسمّون بإنْفْلاسْ في سوس، وقد يحضر كتابتها إمام المسجد أو فقيه المدرسة أو شاهد عدل القرية، وفي بداية اللوح ترد مثل هذه العبارة :"اتفقت ورضيت قبيلتنا (...) عامتهم وخاصتهم وطلبتهم وفقراؤهم..." أو عبارة :"اتفقت الجماعة كلها بحضرهم جميعا على ..." أو عبارة : "هذا العرف بينهم كلهم برضاهم ورضى شيوخهم بأمرهم من غير إكراه لواحد منهم". ومن العادة أن تقرأ الألواح على الملتزمين بها في جمع يحضره الرجال والنساء، وتشرح مقتضياتها باللغة المحلية (الأمازيغية)، وينص على هذا الإعلان كتابة في اللوح بمثل عبارة : "ما ذكر أعلاه برّحوا به كله فوق مسجدهم ليسمعه الداني والبعيد"، ولمنع أي زيادة أو نقصان في نص اللوح يتم إيداعه في مكان مصون لدى أمين الحصن (أگادير) الجماعي إن وُجد أو عند إمام المسجد، وقد تكتب منه نسخ بعدد العرفاء (إنفلاس) في القبيلة ليكون عند كل واحد منهم، ولا يتم استخراجه للاطلاع عليه إلا بحضر الجماعة إذا ما حدثت نازلة تقتضي ذلك.

وقد صنف العثماني الألواح إلى ثلاثة أنواع :

ـ نوع ينظم مرفقا في داخل قبيلة كأن ينظم ساقية الري وصيانتها والاستفادة منها أو من عيون الماء أو حراسة الغلات والثمار وجنيها أو اذخارها في حصن الجماعة أو استغلال المطاحن التي تدور بماء الساقية أو النهر أو استغلال معاصر الزيت أو تنظيم رعي الماشية بالتناوب أو تنظيم الأسواق الأسبوعية أو الموسمية أو أمن الطرق أو العرف في التعامل مع أحياء سكنى اليهود أو رعاية المساجد والزوايا والأضرحة.

صدر رسم طويل من ألواح سوس يتحدث عن قضاء أنفاليس

ـ نوع ينظم حياة قبيلة في مختلف جوانبها، فهي ألواح جامعة تنسب إلى القبائل، ومن نماذجها لوح ماسة ولوح إفران (سوس) ولوح إكُونْكَا.

ـ نوع ينظم علاقة التحالف أو التصالح بين قبيلتين أو أكثر.

ويضاف إلى بنود اللوح ما تقتضيه الضرورة، وهي بصفة عامة تحدد واجبات الأفراد نحو الجماعة في شأن ما يهم الحياة الزراعية أو التعاضد أو الدفاع، كما تحدد الجنح والجنايات وما يترتب عنها من العقوبات، وهي تتراوح بين

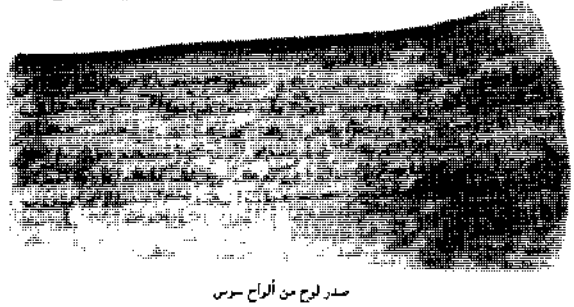

صدر لوح من ألواح سوس

أداء اليمين وإعطاء غرامة مالية تسمى "النصاف" (الإنصاف) أو تانفكورت، وقد ينص فيها على استقبال إنفلاس في ضيافة، أو على تخريب دار الجاني أو مصادرة أمواله أو نفيه من أرض القبيلة. ومقاصدها في الجملة هي

توزيع منظم للخدمات ولاستغلال المجال الزراعي والرعوي وحفظ أمن الأشخاص والممتلكات، ولا يخلو تطبيقها من تجاوزات قد يستفيد منها القائمون عليها وهم الشيوخ والأعيان أو العرفاء (إنفلاس).

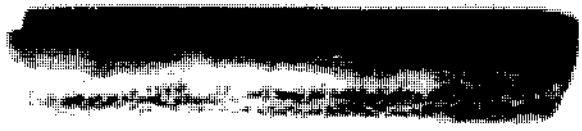

جانب من لوح خشبي ملولبي

إن الأعراف المسجلة في الألواح نمت في القرون الأخيرة بسوس على مرأى ومسمع من الفقهاء الساهرين على تطبيق الشرع الإسلامي، وقد صار الفقهاء في بعض الأحيان من المحررين لتلك الألواح مادام ما يرد فيها غير متناقض مع نص شرعي صريح. وفي بعض الأحيان يرد في اللوح نصح من الفقيه إلى العرفاء المنفذين للألواح كما ورد في لوح أيت وادريم : "وليكن وقوفكم (أيها العرفاء) مع الضعيف أكثر مما تقفون..." (العثماني، 236) وكان للفقهاء فضل تنمية الجانب الموافق للشرع في ألواح جزولة، وقد جاء ما يفيد ذلك في *لوح ماسة* (نسخته الأصيلة بمكتبة معهد محمد الخامس بتارودانت) ووقع النص في لوح آخر على أن "كل ما حكم به (الفقيه) وأفتى به لا يفتش فيه أحد لا بالنفود ولا بالمضاد لأنه أنفذه وأمضاه هو بينهما (بين الخصمين)" (لوح أيت عمرو بإداوباعقيل، نسخة خاصة، والمقصود هو الفقيه أحمد أمزوغ). وبقدر ما كانت تتقوى في القبائل القيادات الشخصية المعززة بالنفوذ المخزني ازداد تدخل السلطة في شؤون الجماعات وأشغالها وأحلافها وأحكامها، فضعفت بذلك الحاجة إلى إنتاج الألواح وصارت تنعدم شروط العمل بها وهواستقلال الجماعة القبلية في الممارسة "الجماعية" للأحكام.

م. العثماني، *ألواح جزولة والتشريع الإسلامي*، د. د. ع.، الرباط، 1970 (يتضمن المظان بالعربية).

R. Montagne, *Un magasin collectif de l'Anti-Atlas : L'Agadir des ikounka*, Hesp. IX, 1929, 145-267 ; *Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc* ; Ben Daoud, *Recueil du droit coutumier de Massat*, Hesp. IV, 1924, 405-39.

عمر أفا

إلياس بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع. كان للأسرة التي ينتمي إليها دور كبير ببلاد المغرب. فعقبة أول فاتح مسلم لعموم هذه المنطقة، وحبيب كان قائدا كبيرا قتل في حرب الخوارج بضواحي طنجة. وقد استولى نجله عبد الرحمان على الحكم بإفريقية سنة 127 / 745 م بينما كانت الخلافة الأموية تقترب من نهايتها. غير أن مروان الجعدي أقره على ولاية بلاد المغرب. وظهر أخوه إلياس قائدا على جيوشه التي حاربت الخوارج بإفريقية الذين رفضوا السلطة الأموية. وهكذا واجه إلياس عرب الساحل وبربر الجبال وثورة باجة، وساير أخاه عبد الرحمان في إخضاع سكان هذه البلاد بالقوة. وقاد عبد الرحمان بنفسه جيشا انتهى إلى تلمسان ثم دخل المغرب ووصل إلى إگلي بسوس حيث أنشأ بها معسكراً ظل قائما إلى عهد البكري على الأقل. والأرجح أن إلياس بن حبيب رافق أخاه أو التحق به في هذه الحملة، لأن أخاه عينه في البداية على طرابلس لكن تسرّع بإعدام رئيس الإباضية بها مما أدى إلى عزله. ثم إن عبد الرحمان في حملته عبر المغرب الكبير ترك ابنه حبيبا ينوب عنه بالقيروان، فلابد أن يكون إلياس سندا له. وتوغلت الحملة جنوبا باتجاه أودغشت وهي تقوم بحفر آبار ظلت أماكنها معروفة بضعة قرون على الأقل. ثم عادت مثقلة بالسبي والغنائم التي اشتملت على كميات كبيرة من الذهب.

وعندما آل الأمر إلى الدولة العباسية أعلنت أسرة ابن حبيب ولاءها لأبي العباس السفاح، ثم لأبي جعفر المنصور، كما توافد على القيروان عدد من أمراء بني أمية، وكانت تلك فرصة سنحت لإلياس، فتزوج من البيت الأموي، لكن عبد الرحمان ارتاب ببعض الأمراء منهم، فقتلهم، كما أعلن سحب بيعته للمنصور الذي هدده بعد أن استقل هدية ابن حبيب إليه. عندئذ دبر إلياس وأخوه عبد الوارث مؤامرة لاغتيال عبد الرحمان كانتقام لقتل بعض أصهاره من أمراء بني أمية، ولأن عبد الرحمان كان يعتمد على إلياس في فتوحه، فإذا كتب إلى الخليفة نسبها إلى نفسه ونجله حبيب. وقرر إلياس بعد نجاح المؤامرة ضد عبد الرحمان أن يستولي على الحكم لنفسه، لكن مقاومة حبيب بن عبد الرحمان ألجأته إلى أن يشاطره الحكم، فتخلى له عن بعض مراكز إفريقية، وتخلى لأخيه عمران عن جزء آخر منها واستبد هو بباقي إفريقية وسائر المغرب.

على أن إلياس بن حبيب عاد إلى الدعوة العباسية بعد استيلائه على السلطة سنة 137 / 754 وحاول أن يتخلص من أخيه عمران بقتله أو نفيه إلى الأندلس مع عبد الوارث. وكان عمران على ولاية تونس، فتخلص منه إلياس غدرا حسب ابن خلدون. ثم إن ابن أخيه حبيبا استولى على تونس ودخل وإياه في صراع جديد انتهى بقتل إلياس على إثر مبارزة ثنائية بينهما. وقد قضى إلياس في ولاية بلاد المغرب سنة ونصف سنة، ولكن لا يعرف شيء عن شكل تعامل سكان المغرب معه. والأرجح أنه لم يشمل المغرب بنفوذ يذكر لأن حركة الصفرية وحركة برغواطة كانتا تتشاطران النفوذ على أهم مناطق المغرب إلا ما كان من أجزاء محدودة لا تدين هي أيضا بالولاء لأحد ؛ خصوصا بعد انسحاب حملة عبد الرحمان بن حبيب التي كانت لها أهمية ظرفية عبر المغرب الكبير وإفريقيا الغربية.

ع. ابن عبد الحكم، *فتوح إفريقية والأندلس* ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر إفريقية والمغرب* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، 1 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 4 : 404 - 409 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 1 : 120 - 122.

إبراهيم حركات

أَلْيان الغماري، (أويُلْيَان) شخصية تاريخية قبل عنها الكثير، لدرجة أن هناك من يشك في وجودها

الحقيقي، وذلك لكثرة الأساطير التي تحوم حولها منذ أكثر من اثني عشر قرنا، والسبب في ذلك يرجع إلى كون أقدم مصدر أثبت وجودها أطلق عليها اسم "أورباني" (Urbani) أو "أوربانوس" (Urbanus) بدلا من أليان، ونعني بذلك التاريخ الذي كتبه القسيس إسيدورو دي بيخا (Isidoro de Beja) الذي يعرف بـ "تاريخ الباثينسي" (*Cronica del Pacense*)، ويرجع تاريخه إلى سنة 754 م. أي أنه وضع بعد الفتح الإسلامي للأندلس بـ 43 سنة.

وقد وصف القسيس المذكور أليان بـ "الرجل النبيل الذي كان يزاول سلطة اكسارخوس (وال) بإفريقيا البيزنطية. ومما زاد في الطين بلة أن الذين كتبوا عن الفتح الإسلامي للأندلس بعد القسيس أسيدورو وهم قسيس اللبيلدة (Monge de Albelda) صاحب التاريخ المعروف بتاريخ البيلدينسي (*Cronica Albeldense*) والمؤلف سنة 976 م، والقسيس سيباسطيان ذي سالامنكا (Sebastian de Salamanca) الذي ألف كتابه حول حياة الملك الإسباني ألفونصو الثالث (Alfonso III) سنة 866 م. لم يذكروا حاكم سبتة آنذاك لا باسم أورباني ولا أوربانوس ولا أليان، وأول من ذكره باسم خوليان (Julian) هو الراهب سيلوس (Monge de Silos) الذي ألف كتابه المعروف بتاريخ سيلينسي (*Cronica Silense*) سنة 1115 م. وهذا ما جعل المؤرخين من بعده يطلقون على أليان اسم الكونت دون خوليان (Conde don Julian).

وكان ابن عبد الحكم أول مؤرخ عربي أثبت وجود أليان وسماه يليان وياليان وتبعه في ذلك كل من ابن حوقل واليعقوبي وابن عذاري والمقري وغيرهم.

وطال الجدل بين المؤرخين حول شخصية أليان هل هي حقيقة تاريخية أم مجرد أسطورة، إلى أن اعتنى المؤرخ الإسباني كوديرا (Codera) بالموضوع ونشر في مجلة أراغون (Revista de Aragon) سنة 1902 بحثا دقيقا أكد للجميع وخصوصا لمن كانوا يزعمون أن شخصية أليان ما هي إلا أسطورة على أنها أطروحة لا أساس لها من الصحة.

ولم يقتصر كوديرا على إثبات الوجود التاريخي لأليان، بل إنه أكد بالحجج الدامغة أنه "كان شخصية بربرية بارزة تنتمي إلى غمارة واسمه الحقيقي هو أوربان (Urban) أو أولبان (Olban) وكان مسيحيا".

وجاء العالم الإسباني مينينديث بيدال (Menendez - Pidal) ليؤكد ما أثبته كوديرا حيث قال "إن اسم أليان هو أولبان (Olban) وأصله بربري من قبيلة غمارة بل إنه كان أمير غمارة في زمنه" وهكذا حسم مينينديث بيدال الخلاف القائم بين المؤرخين عندما أصدر كتابه الذي يحمل عنوان "أسطورة آخر ملوك القوط" (*Leyenda del ultimo rey godo*).

ولكل من كوديرا وبيدال يرجع الفضل في شرح الأسباب التي جعلت أليان يفتح باب سبتة في وجه طارق بن زياد ويساعده على فتح الأندلس، وكذلك هذه المسألة كانت هي الأخرى موضوع جدل بين المؤرخين نتيجة لوجود الأسطورة القائلة بأن أليان أراد بذلك أن ينتقم من الملك القوطي دون رودريكو (Don Rodrigo) الذي اعتدى على شرف بنت أليان المسماة فلوريندا (Florinda)، هذه الأسطورة التي كان أول من أثارها من المؤرخين العرب هو ابن عبد الحكم في القرن التاسع الميلادي، ثم أخذها عنه المؤرخون الإسبان والراهب سيلوس (Monge de Silos) في القرن الثاني عشر الميلادي. والجدير بالذكر أن هذا الراهب هو أول من لقب فلوريندا بنت أليان بـ "لاكابا" (La Cava) أي القحبة.

يقول كل من كوديرا وبيدال عن أسباب الفتح الإسلامي للأندلس إن موسى بن نصير عندما جاء إلى شمال إفريقيا للمرة الأولى لمحاصرة أليان بمدينة سبتة ولم يستطع فتحها فتوجه إلى طنجة واستولى عليها، وفي سنة 708 م. توفي الملك القوطي فيطيشا (Witiza) وأقصي ابنه أرشيلا (Archila) من الملك الذي استولى عليه دون رودريگو (Don Rodrigo) وحيث إنه كانت بين أسرة فيطيشا وأمير سبتة أليان علاقة عائلية هناك من يقول إن زوجة أليان المسماة فالدرينا (Faldrina) كانت بنت الملك فيطيشا فقد لجأ كل من الأمير أرشيلا وأخيه الأسقف دون أوبّاس (Obispo don Oppas) إلى أليان وطلبا منه أن يتوسط لهما لدى طارق بن زياد من أجل أن يعينهما على استرجاع عرش أبيهما، وقد استجاب طارق لطلبهما على أساس أن تفتح له أبواب سبتة القريبة من بلاد الأندلس، فكان الأمر كذلك وكان من أمر الفتح ما هو معروف.

وأما قصة الاعتداء على شرف فلوريندا من طرف الملك دون رودريگو فقد قال كل من كوديرا ومينينديث بيدال إنهما لا يستبعدان وقوعها بدليل ما قاله أسقف طليطلة (Obispo de Toledo) عندما أكد في كتابه "تاريخ الملك دون رودريكو مع هلاك إسبانيا وكيف استولى عليها العرب" (*Cronicas del Rey don Rodrigo con la destruccion de Espana y cano los Moros la ganaras*) إن أليان رافق طارق بن زياد في حملته وأنه هو الذي قتل بيده الملك دون رودريگو انتقاما لشرف ابنته.

بقي أن نقول إن الصواب في كتابة اسم صاحب الترجمة هو أليان وليس يُليان أو يوليان، بدليل أن الجغرافي أبا عبيد البكري ذكر في القرن الحادي عشر الميلادي نهر أليان وبقربه قصر أليان على شاطئ بوغاز جبل طارق بين سبتة وطنجة، وفي يومنا هذا لا زال النهر المذكور يعرف بوادي أليان كما تعرف المرسى المجاورة له بمرسى أليان.

أ. البكري، *المسالك والممالك*.

Sebastian de Salamanca, *Cronicon de Alfonso II* ; Obispo de Toledo, *Cronicas del Rey Don Rodrigo con la destruccion de España y cano los moros la ganaras*, Toledo 1549 ; Isidoro de Beja, *Cronica el Pacense*, Pamplona 1615 ; Monge de Albelda, *Cronica Albeldense*, Madrid 1663 ; Monge de Silos, *Cronica silense*, Revista de filosofia literatura y ciencia de Sevilla, t. VI, 1875 ; F. Codera, *Estadios criticos* ; Revista de Aragon, mayo-junio 1902 ; *Sitadios criticos de historia arabe (el llamado Conde Don Julian)*, Zaragoza 1903 ; J. Menendez Pidal, *Leyenda del ultimo Rey Godo*, Madrid, 1906 ; M. R. Codola, *Historia de España*, t. I Barcelona ; A. Salcedo, *Historia de España*, t. X, Madrid.

أليَان، نهر ينبع من عين الحمرة بجبال أنجرة، وطوله 24 كيلومترا. تصب مياهه في بوغاز جبل طارق بين مدينة طنجة والقصر الصغير، واسمه نسبة لحاكم سبتة عند الفتح الاسلامي المعروف بـ "أليان الغماري". وقد ذكره البكري حيث قال إن بقرب مصبه كان يوجد قصر أليان.

أبو عبيد البكري، 108.

Ministerio de la Guerra, *Accion de Espana en Africa*, 1930 (G), p. 47 ; A. Domenech Lafuente, *Geografia de la zona norte del protectorado de Espana en Marruecos*, 1942, p. 42 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*.

محمد ابن عزوز حكيم

إليزابيط الأولى ← إنجلترا والمغرب

إليغ، المدينة والإمارة. يمكن إعادة العوامل الأساسية لظهور مدينة إليغ عاصمة إمارة تازروالت ابتداءا من 1021 / 1612 إلى ثلاثة مؤشرات أولية متكاملة الأبعاد.

1. التمركز الكبير لتجارة الصحراء الأطلسية منذ نهاية القرن الخامس عشر الميلادي بالسوس الأقصى وعاصمته التجارية تَكَاوْصْتْ (*وصف*، 1 : 95). فقد كان من شأن هذا الاحتكار التجاري أن تأهلت المنطقة لاستقطاب التجارة البحرية الأروبية التي فتحت مرافئها المتعددة على شواطئ المنطقة (*Les ruines*, 16). فجاء لذلك تحالف الأعراب المحليين مع هذا التسرب الاقتصادي المسيحي كعامل من بين العوامل الأساسية القليلة التي بلورت الحركة الصوفية الشعبية واستقرار ظاهرة الزوايا من حيث هي وسيلة لردع هذا المد الأجنبي.

2. إن ربطنا هنا بين أهمية العاملين الاقتصادي والسياسي في محور الجانب الديني لحلف جزولة التاريخي، يجب أن يعزز بالقيمة الروحية لسيدي احماد أو موسى المتوفى سنة 971 / 1565. فإذا كنا نحن اليوم لا نعرف أي بوادر خاصة للقوة الروحية المميزة لهذا الصوفي الكبير عن باقي الأقطاب المعاصرين، فإن مؤلفات الفترة لكل من البعقيلي وأدَغال الدرعي ومحمد العربي الفاسي والسكتاني والتمنارتي والحضيكي والرسموكي والإفراني تبرز كلها بما لا يدع مجالا للشك أن سلوكيته قد جعلته فوق جميع الاعتبارات وعكست حول اندفاعاته شخصية ذات انفجار بطولي يميزه عما اسواه. إذا استثنينا نص التمنارتي، فإن مجمل هذه النصوص توضح أن انفراد تازروالت دون تَكَاوْصْتْ أو تَمَنَارْتْ أوتارودَانْتْ العاصمة العلمية لسوس، بزاوية سيدي احماد أوموسى جعل منها القاعدة الروحية الأولى لرابطة جزولة. لقد قضى سيدي احماد أوموسى النصف الثاني من عمره الطويل في عين المكان يتصدر باقي الأقطاب الذين كانوا يلتفون حول زاويته شأنهم في ذلك شأن قوافل التجار والحجيج. فوطدت بذلك السوق الموسمية المحلية المكانة الاستراتيجية لتازروالت ولعائلة الشيخ. هذا العامل البنيوي الحاسم سيشحذ خلال القرنين السادس والسابع عشر الميلاديين من همة القبائل المحلية في محاولة لإنشاء سلطة سياسية مركزية يعتبر السوس يومها من أكثر المناطق تأهلا لها. لقد برهن پول پاسكون من خلال دراسته حول هذه الإمارة، على أن ما يحمل القبائل السوسية خلال هذه الحقبة على صياغة نظرية الارتباط السياسي والاقتصادي، هو تحصيلهم المشروعية من سلطتهم الروحية منذ المرابطين. وبعبارة أخرى، فإننا نتبين كيف انطلقت دولة سوس من حقيقة تاريخية تعكس منذ ظهور السعديين الواقع المعيش . لقد اتضحت معالم الشروع السياسي أمام أبناء سيدي احماد أوموسى منذ 1006 / 1597، حيث رأينا ابنه معتقلا بتارودانت من طرف السلطان احمد المنصور الذهبي. وهو حدث عمل دونما شك دوره في تقوية الأسس العلمية لمقارنة سياسة نافذة المفعول.

3. لقد أثبتت دراسات پول پاسكون القيمة حسن استعمال آل سيدي احماد أوموسى لتركته الروحية كأسلوب ظرفي يتلاءم ومقتضيات المرحلة التاريخية التي سخرت كل مواردها لرصد الأهداف السياسية المنشودة. ذلك أنه قبل إعلانهم عن سلطة سياسية مستقلة، استهدف حفدة الشيخ إحداث تكييف هيكلي يعتمد أساسا تقويم الموارد الترابية والمائية قصد تدعيم شبكة من التحالفات المحلية (*La Maison*, 21). بهذا الصدد، فإننا نكاد نجهل كل شيء عن الصدفة التي أهلت أبا حسون السملالي المؤسس التاريخي لإمارة إليغ، للقضاء على منازعيه من باقي حفدة الشيخ في حق التسيد على بسيط تازروالت. يعتبر مخطوط *بشارة الزائرين* للكرامي بالرغم من انتمائه إلى نهاية القرن الثامن عشر، من أقرب المصادر من ظروف نشأة وتطور المدينة. فهو يورد باقتضاب المراحل الأساسية التي مر منها بناء المدينة، مفيدا بأن مؤسسها قد اختط الأزقة والسوق وأبواب السور الأربعة. فعلى مشارف بسيط تازروالت يجثم حصن تَاجْگْجَالْتْ الذي شكل المقر الأول لأسرة أبي الحسن علي بن امحمد بن امحمد ابن الشيخ سيدي احماد أوموسى، المكنى ببودمبعة والمشهور بأبي حسون السملالي. ويبدو أنه قد جرب عدة مواقع قبل أن يستقر رأيه على بسيط إليغ كمكان أليق لبناء عاصمته الجديدة. يبعد هذا الموقع عن تزنيت شرقا بحوالي 84 كلم تحيط به جبال أمغسو وتوگال وجبل الايغشانيين. وتفيد الرواية الشفوية أن أصل كلمة إليغ مشتق من لفظ أمازيغي ـ أعرابي مشترك هو إليق الذي يقابله الفعل العربي لاق، يليق. ومما يدل على أن الكلمة هناك تفيد لياقة المكان للاستقرار أن ثلاثة مواقع سوسية، على الأقل، اشتهرت بنفس الاسم هي: القرية الواقعة بإدا أوزكري وأخرى شرق طاطا غير بعيد عن تاتلت وقرية إلغ ندّو گادير بأيت عبد الله أوسعيد شرق أيت وفقا. (*المعسول*، 16 : 12). وقد يدل معنى إليغ بالاستناد إلى اللغة الأمازيغية على الموقع الذي في العمق أو في الحد الأقصى إذ يقولون مثلا : إليغ وَانُو بمعنى عمق البئر، وقد يُنعت بإليغ ما هو واقع تحت بالنسبة لنقطة أخرى. ومعلوم بهذا الصدد، أن للممارسة والعادات دورا

كليا في تعريف الملامح الجيومرفلوجيه وتسميتها بجمل الصحراء والشمال الإفريقي.

لقد جاءت المدينة مستطيلة الشكل تخترقها طولا وعرضا شوارع رئيسية تصل أبواب سورها الأربعة بعضها ببعض. أما حجمها، فقد كان يشمل ما بخارج السور من أحياء استحدثت لاستقرار الفصائل الجزولية والأعرابية المجلوبة (*إليغ*، 61). ومما يرجح فرضية الجلب هذه أن بعض العقود العقارية بسجل العائلة، يأخذ شكل إطباق سياسي وعسكري (*La Maison*, 22). كما أن الدور الذي قام به مسجونو البحارة المسيحيون في بناء المدينة يعتبر هاما خلال عشر سنوات من العمل ابتداء من 1012 / 1612 (*إليغ*، 67.66).

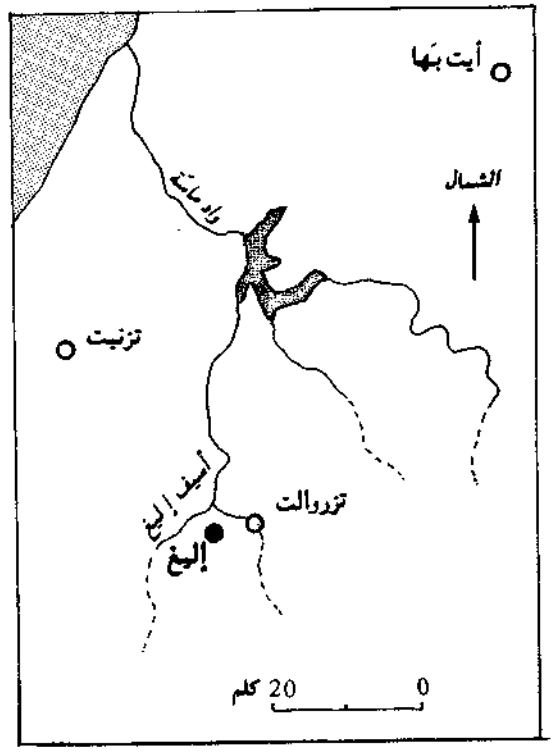

إليغ

أما من حيث حجم المدينة الديغرافي، فمما يرجح احتواءها على حوالي 14.000 عائلة، أن أهمية طائفتها اليهودية تبرز معالم مدينة تجارية وحرفية من الحجم المتوسط (*La Maison*, 113). لقد استطاع أبو حسون السملالي باحتكاره ميناء ماسة الذي كان يومها أهم من ميناء أگادير (فونتي)، أن يجلب إليه تحالفات تجارية ودبلوماسية مع القوى الأروبية وخاصة منها هولندا وفرنسا (*S.I.H.M., Pays Bas*, 3 : 400, 4 : 2 ; *Angleterre*, 3 : 138) غير أنه لن يصل إلى مبتغاه كسلطان على كافة أرجاء سوس الا بعد وفاة سيدي يحيى الماسي سنة 1035 / 1626 (*نزهة*، 2 : 346.475). وقد جاء احتلاله ميناء أگادير ومدينة تارودانت كمؤشر على ضرورة التوجه كليا نحو الجهتين الشرقية والشمالية. نلمس بذلك ظروف توجهه إلى درعة للاستيلاء على أهم مسلك تجاري حل يومها محل الطريق الرابط بين فاس والصحراء عبر سجلماسة. على أن هذه الخطوة كانت تعتبر بدورها انتقالية اذا ما قورنت بضرورة إحلال الأمن بمراكش وأحوازها التي كانت تعرف في هذه الأثناء تقوية إمارة الشبانات بزعامة عبد الكريم بن أبي بكر الشباني المعروف بكروم الحاج (*نزهة*، 394) ؛ (*S.I.H.M., Pays Bas*, 3 : note 2 : 411-412).

هل يمكن اعتبار تطلعات أبي حسون السملالي إلى محاربة كروم الحاج أمرا واردا ؟ (*نزهة* ؛ *S.I.H.M, Pays Bas*, 3 : 393-394 : 2). إن دل ما أوردناه من العوامل التأسيسية للإمارة على معنى، فإنه سيدفعنا إلى التمييز بين إليغ وباقي الإمارات الموجودة يومها بمراكش وبالدلاء وأبعادها المتفاوتة (*Le Tafilalet*, 308 à 315). إن المتتبع لأخبار تافيلالت واستصراخ الشرفاء العلويين بإليغ ضد أعدائهم الزبيريين من أهل تابوعصامت، يدرك أن إصراخ أبي حسون للشريف بن علي كان يكفي إمارة سوس لتصدر الزعامة (*إليغ*، 97.96.95). وقد كان حريا بأبي حسون الا يتباطأ في مواجهة الشبانات كأفضل وسيلة عسكرية لتأمين طرقاته التجارية على الأقل. ولكن مراده وذويه لم يكن «إلا غنيمة سلامة الأعراض ونجاة سلب النفوس» كما شهد بذلك خصومه السياسيون من الدلائيين (*نزهة*، 254). ندرك من هنا أهمية الفرصة المتاحة للعلويين. لقد تحرك هؤلاء منذ سنة 1044 / 1635 مدججين بفعالية الحنكة السياسية التي تميز بها كل اللاجئين السياسيين من ذوي الانتساب إلى السلالة النبوية. فبعد أن تمكن المولى امحمد من إخراج والده مولاي الشريف من سجن الإمارة السوسية الذي عرف مولد المولى إسماعيل (*الضعيف*، 9.8)، كانت نواة السلطة العلوية قد تأسست (*استقصا*، 4 : 8).

هكذا وبعد وفاة أبي حسون السملالي بإحدى عشرة سنه عرفت الإمارة نهاية المرحلة الأولى من تاريخها. ففي سنة 1081 / 1670 دخل المولى الرشيد المنطقة ليثأر لأبيه فدمر المدينة التي عرفت هروب محمد بن أبي حسون وإخوته إلى حيث آوتهم قبيلة أيت أوسا التكنية (*La Maison*, 48). على أن ردود الفعل المحلية تقدم لنا مصادر السلطة بسوس على أنها تقتضي مقاييس مبنية على مسلمات تاريخية ثابتة، ذلك أنه بالرغم من كون الفصائل المحلية قد اغتنمت فرصة اندحار العائلة الأميرية لاسترجاع مياهها وأراضيها، فإن المرحلة الثانية من حياة الإمارة ستبدأ بعد خمس وستين سنة من الركود. ففي كثير من الاحتياط عاد يحيى بن احماد بن محمد بن أبي حسون السملالي سنة 1117 / 1695 ليحاول إعادة أمجاد أسرته. لكن التاريخ يسجل لعلي ابنه التجاءه إلى ما اختزنته الذاكرة المحلية لإبراز ملاحم الإمارة من جديد. وسوف تتوضح الأمور أكثر مع مجيئ هاشم بن علي سنة 1216 / 1801 الذي لم يجد أي صعوبة في تصدر الشؤون المحلية بسوس على عادة جده أبي حسون. وهي وضعية أهلته لاسترجاع ممتلكات عائلته وتصدر الشؤون المالية والتجارية. هكذا ظهر الحسن بن هاشم الذي سيمثل أهم وجه في تاريخ هذه المرحلة الثانية من حياة إليغ . لقد

استأثر هذا الأمير بسمعة جده أبي حسون بعد أن أتم بناء إليغ الجديدة غير بعيد من انقاض القديمة.

وخلال هذه المرحلة من عمر الإمارة تأتي مجمل المنغرافيات والدراسات الأروبية باهتمام الأمير بالمنحنى التجاري كموضوع أساسي للحفاظ على استقلاليتها ومشروعيتها التاريخية كعاصمة لحلف جزولة وما حواليه. لقد ظلت الإمارة محتفظة بمكانتها كمؤسسة تراثية لها رقابتها على القبائل للحيلولة دون أي تسرب خارجي مناوئ للتقاليد السوسية العريقة التي لم تكن تتنافى مع مشروعية السلطة الدينية لأمير المؤمنين. وقد تتضح هذه الصورة أكثر في فترات احتداد التنافس بين إليغ وگلميم حول رغبة كليهما في الانفراد بمشروع الميناء الساحلي تحت حماية إحدى القوى البحرية. وتجدر الاشارة بهذا الصدد إلى أن الأسباب الاقتصادية وعلاقتها بضرورة استعمال لغة التخاطب مع القوى الأروبية، هي السبيل الأمثل يومها لإعادة النظر في خطط سيرها على المدى القريب والمتوسط. ولاشك أن أهم ما يمكن ان نقف عنده من آثار هذه المرحلة هي مراسلات المخزن مع إليغ التي درسها پول پاسكون ومحمد الناجي. فقد واكبت هذه المراسلات قسطا وافرا من مواقف رؤساء سوس ومجمل العوامل المكانية التي تعكس مفهوم الاستقلالية المحلية.

لقد سجل الخميس : 10 ؛ 1303 / 8 ؛ 7 ؛ 1886 انتهاء المرحلة الثانية من تاريخ هذه الإمارة بوفاة الحسين بن هاشم. على أن هذه الوفاة لم تكن هي السبب الحاسم في الحد من حياة الإمارة. فقد بلغ نبأ الوفاة مسامع محمد بن الحسين بن هاشم وهو في موكب السلطان المولى الحسن الذي لم يلبث إذاك ان سلمه ظهير تعيينه قائدا على قبائل تازروالت وسملالة ورسموكة والمعدر وأيت رخا وتانكرت وإداوْسگرا. وغير خاف ما في هذا التعيين من معان سياسية حيث يرد أهمية وارث الحسين بن هاشم إلى رتبة قائد مخزني. لقد سبق أن أسفرت زيارة السلطان إلى تزنيت أربع سنوات قبل هذا التاريخ، عن مخاوف الحسين ابن هاشم الذي التجأ إلى جبل سملالة تحسبا لأي محاولة عسكرية. ولكن مرونة السلطان وحنكته الروحية وذهاب ابن الحسين إلى الحضرة السلطانية، فجاء بذلك تعيين هذا الأخير كعملية تخفيفية تبقي لكل طرف هيبته وسلطاته. على أن هذا التحول الحاسم الذي طرأ على شكل الإمارة ليس براجع لمجرد زيارة سلطانية إلى عين المكان، لقد أدى انكسار البنية الاقتصادية من جراء انحراف تجارة القوافل نحو مرافئ الصحراء الجنوبية بأركان وسان لوي وغيرهما، إلى تصدع الهيكل السياسي والاقتصادي بمجمل المناطق السوسية والصحراوية. هذا ما تجلى بوضوح تام من خلال المصاعب التي سببها البعقليون للحسين بن هاشم في الحقبة الصعبة والأخيرة من حياته.

هكذا ومع محمد بن الحسين بن هاشم تبتدئ المرحلة الثالثة من تاريخ الإمارة. وهنا لا بد أن نشير إلى أن محمدا لم يكن أقل شجاعة في مواجهة الأحداث من أبيه. فبالرغم من تغير المعطيات الأساسية، استطاع تصفية الأجواء بأن حطم قبيلة بعقيلة عسكريا معيدا بذلك للإمارة بعض رونقها السالف. وبالرغم من تردده على مراكش لأداء فروض الطاعة، فإن البعد الأميري لإليغ كان ما يزال محافظا على جوهره. ولا أدل على ذلك من أن حلفي إيگْزُولْنْ وتَحْكَاتْ الرئيسيين في سوس قد بادرا، بزعامة محمد بن محمد بن الحسين بن هاشم، إلى مجابهة الجيش السلطاني الذي أصبح يسيره بًا حماد باسم المولى عبد العزيز. بعد ذلك كان لحفيد الحسين بن هشام، وهو احماد بن محمد، دور طلائعي إلى جانب أبيه في الذود عن بقاء الإمارة حرة أمام تراكم المصاعب وبداية الزحف العسكري الفرنسي. وهنا لا يمكننا إلا أن نفسر حياد الإمارة أمام حركة الشيخ ماء العينين وأبنائه الذين حاولوا إنشاء نواة سياسية باسم الجهاد، بمنطق المنافسة. فعدم السماح للمنافسين السياسيين بالتسرب جاء اساسا بمساعدة سملالة الذين أبدوا تحفظا متوقعا. والمتتبع لأخبار حفدة الحسين بن هاشم خلال الحضور الفرنسي بالمنطقة يسجل بوضوح عدم استفادتهم سياسيا ولا اقتصاديا من المرحلة. بل الأوفى من ذلك أن رئيس العائلة الحالي يعد من أكثر المحافظين على صلابة التقاليد المحلية وأعرافها.

الإفراني، نزهة الحادي ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة* ؛ *خلال جزولة* ؛ *الإلغيات* ؛ *إليغ قديما وحديثا* ؛ الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ الضعيف، *تاريخ*.

H. De Castries, *S.I.H.M*, 1ère Série ; L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XIXe siècles*, Hesp., 1925, t. V, 3, p. 265-276, 1926, TVI, 4 et p. 351-364 ; *Un Petit Royaume Berbère : Le Tazeroualt, Un Saint berbère Sidi Ahmed Ou Moussa*, Paris, 1954, 125 p. ; J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*; P. Pascon, *Les ruines d'Agouitir de Khnifis, province de Tarfaya (Santa Cruz de Mar Pequena)*, Ministère des Affaires Etrangères, Rabat, 1963, pp. 16 à 20 ; *La Maison d'Illigh et l'histoire sociale du tazerwalt* ; M. Ennaji, *Le Makhzen et le Sous al Aqsa* ; L. Mezzine, *Tafilalet*.

مصطفى ناعمي

إليغ، (مدرسة ـ) السؤال الذي يتبادر إلى الذهن بشأن هذه المدرسة هو بماذا استطاعت أن تتميز خلال نصف قرن الذي يمثل حياة إليغ القديمة، عن زاوية تازروالت الأم ؟ من المعروف محليا أنه قبل الانتهاء من بناء مدينة إليغ سنة 1031 / 1623، كانت زاوية سيدي احماد أو موسى قد تحولت إلى مدرسة لا نعلم عنها إلا القليل. فنحن نجهل مثلا من من حفدة الشيخ المؤسس، عين الفقيه مسعود بن احماد بن عبد الله السَّمُوكْني المتوفى سنة 1048 / 1623 مشرفا عليها. لقد بنى أبوحسون السملالي قبة الزاوية ثم مدرستها وعين عيسى بن محمد العيني مشرفا على أحباسها (*خلال*، 2 ؛ 26 ؛ *إليغ*، 289).

أما عندما اكتمل بناء عاصمة الإمارة فقد كان مسجدها الجامع يتصدر معالمها الرئيسية بشكل تبرزه الملامح الأثرية بما لا يدع مجالا للشك. والملاحظ أساسا هو أن المصادر المعاصرة والقريبة تشير بوضوح إلى الازدهار

الذي ميز أجواء إليغ إلى أن دكتها أنفاض المولى الرشيد سنة 1081 / 1670. فعندما نعلم أن الازدحام الشديد الذي طبع أوقات الوعظ قد بلغ حد مقتل أحدهم (*إليغ*، 57)، فإن الطابع المشترك بين مختلف فصائل سوس يبدو في حد ذاته أخطر منافس على تاروادنت عاصمة العلم بالمنطقة. لقد أحيطت أسوار إليغ العامرة بمداشر اعتبرت امتدادا لها. ولعل الدور الاستشاري الذي ميز العلماء لدى أبي حسون السملالي خير دليل على عناية هذا الأخير بالمدرسة وعناصرها من طلبة وأساتذة. وهنا لابد أن نشير إلى المحاور الهامة في مجال الإنتاج الأدبي والفقهي والقضائي التي أوردها كتاب *إليغ قديما وحديثا* وما اتسم به الجو الثقافي والأدبي من حيوية ونشاط.

I . غير أنه على الصعيد المدرسي العلمي الملموس، تقودنا بعض المخطوطات نحو الدور الطلائعي لمدرسة تازررالت في ارتياد ميدان الفنون الحربية. فمؤرخو المدارس العسكرية العتيقة يكادون أن يتفقوا على دور سيدي احماد أو موسى المجدد في هذا الميدان. ذلك أنه بالرغم من نكران حفدته الحاليين، إلا أن كل الدلائل تفيد بأنه كان من ذوي المهارات والخبرات الذين مارسوا الفنون الحربية. وكانت أغلب ممارساته تمرينات رياضية اتسمت فيما بعد بميسم التهريج الذي يُلْصَقُ بصورته طفلا. من هذا المنطلق، فإنه لا يمكن أن يقوم لمدرسة إليغ دور وراثي في هذا الميدان ولا أن تكون لها مكانع تربوية، إلا إذا أقامت تصورا مدرسيا للفنون الحربية. وهو ما تثبته المجموعة الهامة من الكتب المخطوطة الموجودة حاليا بخزانة آل أبي حسون السملالي. وهكذا نجد منها ما نسخ محليا مما يتعلق بالرماية وصناعة الأسلحة والبارود. كما أنها تفيد بأن سيدي علي بناصر وسيدي سعيد بناصر من آل حمر قد أخذا الرماية عن الشيخ سيدي احماد أوموسى خلال مرافقتهما له أثناء رحلته المشرقية (*خلال*، 2 : 33). وهنا لا بد أن نضيف أن تخصص مدرسة احمر في هذا الميدان ربما كان مرده إلى وفرة الخيول العبدية الشهيرة بهذه المنطقة. مهما يكن من أمر، فقد جاء تهافت عبيد البخاري بأمر من المولى إسماعيل للتعلم في عين المكان كخير دليل على تطور مدرسة سيدي احماد أو موسى خارج سوس. ومعلوم أن أمراء وملوك الدولة العلوية قد اعتادوا قضاء فترة من شبابهم في المثابرة بهذه المدرسة التي كان من بين تلامذتها المولى عبد الحفيظ (*خلال*، 2 : 33 ـ 34). لنا إذن أن نقرر بأن المميزات الخاصة بإمارة تازررالت ومدرستها العسكرية تدلنا بوضوح على أن مجمل الشروط العملية المتوفرة كانت تبدو يومئذ موازية لإمكاناتها الفكرية الوجدانية، إذ عندما تشتد العقيدة ضد المد الأجنبي وتتقوى وحدة الإمارة تصبح المدرسة خير نواة للتنظيم الحربي العسكري المنظم.

II . يمثل الجانب العلمي الثقافي الزاخر ثاني وجه للمقارنه بين مدرسة إليغ وزاوية سيدي احماد أوموسى الأم، ذلك أن التفاف أدباء جزولة وعلمائها حول أبي حسون السملالي منذ ما قبل الاحتفال بالمدينة الجديدة، يعكس أكبر شاهد صدق على تخصص المدرسة الجديدة في علوم الظاهر التي تتجاوز واحدا وعشرين علما يطغى عليها الطابع الفقهي (*سوس العالمة*، 31 وما بعدها). كما أنه علاوة عن كون هذا الطابع يميز جامع إليغ عما عداه من المدارس العادية (*مدارس*، 57)، فإن الوجه الذي يطغى على أي مقارنة بينها وبين الزاوية الأم هو تخصص هذه الأخيرة في علم الباطن. ففي وقت استمدت فيه مدرسة تازررالت شرعيتها من قطبها المؤسس، انطلقت مدرسة إليغ لتواكب صيرورة التراث الفقهي والأدبي وعلوم المنطق والحساب من حيث ارتباطها بالفرائض. هذا وبالرغم من أن الاعتناء بالتأريخ والوفيات كان يعتبر محط استهزاء الفقهاء والعلماء (*إليغ*، 74)، فإننا نجد أبا حسون السملالي نفسه يطلب من ابن يعزى احمد بن محمد الرسموكي أن ينهج هذا السبيل. وهو ما جعل هذا الأخير يكتب *الجمهرة السوسية* في انساب سوس. ولعل هذه الفكرة ناتجة عن الرغبة في توسيع حقل الأفكار والإنقاذ من طغيان التقليد. هذا ما يمكن أن نستشفه من مؤلف *تاريخ سوس ورجاله* في ثلاثة أسفار لمحمد بن أحمد السوسي المانوزي المتوفى سنة 1366 / 1948.

من أوضح الإشارات إلى أهمية مدرسة إليغ ما قاله الحسن بن مسعود اليوسي المتوفى سنة 1102 / 1692، عن منهجية أستاذه عبد العزيز بن بكر بن أحمد الرسموكي البرجي (*سوس*، الباب الرابع ؛ *إليغ*، 67). فارتكازا على المسيرة التكاملية بين التشريع والقضاء والتعليم يتراءى أن هذا العالم الكبير قد عمل على جمع وتدوين فتاوي مجمل علماء القطر السوسي فيما سمي *بالفتاوي البرجية*. وهو عمل يجسد أهمية المقارعات الفقهية والفكرية وفحواها عموما. وقد جاءت المناقشة حول جواز أو عدم جواز بناء بيعة يهودية بإليغ كنموذج للتأكد من حجج المدرسة الإليغية في ميدان الممارسات المحلية (*إليغ*، 62 ؛ *الاستقصا*، 3 : 132). كما تكشف المواقف المتباينة عن الالتحام الموجود داخل حقل الفتاوي بين القضاء والتعليم، على أن البعد التأسيسي لهذا الالتحام يتطلب تنسيقا ينبغي تأسيسه على مستوى الأجيال التي استفادت من المدرسة وأفادتها.

لقد جاء العالم الكبير بناصرليجعل من إليغ أشهر مدارس سوس. فقد ساهم بقسط وافر في تكوين كبار علماء هذا القطر خلال العقود الثلاثة التي سبقت نهاية إليغ القديمة سنة 1081 / 1670. بل الأوفى من ذلك أن ازدهار العلوم الدينية انما يرجع في نظر محمد المختار السوسي خلال القرنين اللاحقين إلى هذه المساهمة القيمة (*مدارس*، 52 ـ 53). لقد كان أول قاض للقضاة بعلمنا هو محمد بن سعيد بن علي من أسرة أبناء عبد العزيز الأزاريفيين (*مدارس*، 113 ـ 114). وقد توفي سنة 1043 / 634 (*المعسول*، 8 : 137). وإذا كان عدد القضاة يومها أكبر من أن نلم به، فإنه يكفي أن نذكر من بينهم : عبد الله بن علي بن محمد بن امحند

أو إبراهيم الشيخ التمنارتي الذي توفى سنة 1074 / 1664 (*المعسول*، 7 : 54). كما أن هناك عبد الرحمن بن محمد بن سعيد (*مدارس*، 113 . 114) والنوازلي سيدي عبد الواسع بن أبي القاسم المرابط البعقيلي من أهل أغرابو المنتمين إلى ابن رشد (*وفيات*، 14).

من هنا نكون أمام حلقة وصل تربط بين بداية إليغ القديمة ونهايتها. فالاتصال على مستوى الأجيال التي تقاسمت حياة المدرسة منذ عبد العزيز الرسموكي البرجي تلميذ عبد الله بن يعقوب وأبي عيسى السكتاني بتارودانت، إلى تلميذه الحسن اليوسي معاصر الرعيل الأول من تلاميذ الشيخ ابن ناصر (*المعسول*، 7 : 20). الا أن مقتضى الدفاع عن الجانب المتكامل الأبعاد لمدرسة إليغ الأولى يقتضي الدفاع عن أهمية الجانب الأدبي. لقد كان من بين الذين تألقوا في هذا الميدان العالم الأديب محمد بن الحسن بن بلقاسم اللكوسي كاتب أبي حسنو السملالي. فقد نظم بالإضافة إلى *نقاية* السيوطي، قصائد مشهورة في أساليب متنوعة (*المعسول*، 7 : 6 ؛ *إليغ*، 84 : 85). من أبرز إنتاجاته الأدبية مراسلات أبي حسون السملالي مع محمد بن الشريف العلوي (*الاستقصا*، 3 : 111) ومع يحيى الحاحي (*إليغ*، 82). وهي رسائل تمثل نوعا من التأليف الذي يهتم فيه مؤلفه بالنقل والاختيار ويعمد فيه إلى إبراز جوانب من ثقافة الخاصة. يظهر من هذا الجانب أمر هام للوضعية الثقافية التي يتأدى فيها التعليم الإسلامي إلى أهل اللسان الأمازيغي السوسي. وهنا لا بد أن نضيف للتوضيح، بأن اللغة المستعملة بمدرسة إليغ للتعليم شأنها شأن باقي مدارس سوس العتيقة، هي الشلحية. فاللغة العربية تدرس قواعدها عادة باللغة الشلحية مثل *الأجرومية* و*الألفية* وكذا بالنسبة للفقه مثل *مختصر خليل* كما يفيدنا محمد المختار السوسي (*المعسول*، 20 : 280). لقد كان اكتظاظ البرنامج اليومي من صلاة الصبح إلى ما بعد العشاء، مع فترات استراحة تمثلها أوقات الصلاة، ينضاف إلى الاعتماد الكلي على الحفظ والعقاب كطريقة تربوية، ليبرز المنهج الأمثل في التعليم على كل المستويات (*المعسول*، 3 : 270، 10 : 155). على أننا سوف لن نستقصي القول في هذا الجانب لأنه قد يلزمنا عرض المناهج التربوية وتاريخها إلا أنه يبرز بجلاء تام الجانب الذي كان يميز أسرة الأمير أبي حسون كأسرة عالمة. إن عددا من علماء جزولة المشهورين ينتمون إلى هذه الأسرة. ويكفي أن نشير من بينهم إلى محمد بن علي بن الحسين بن احماد أو موسى الذي تتلمذ على عيسى السكتاني وعبد العزيز الرسموكي البرجي وتلميذ هذا الأخير يعقوب السملالي وعلي بن أحمد السموگني، وقد أشار الحضيكي إلى أن وفاته كانت سنة 1066 / 1658 مما يفيد بأنه كان أستاذا بإليغ القديمة. كما كان العالم الحسن بن علي بن الحسين بن القطب احماد أوموسى هو أيضا تلميذا لكل من عبد الله بن يعقوب وعلي بن أحمد السموگني (*المعسول*، 12 : 57). وعلى الرغم من أن هجرته إلى مراكش وحاحة قد تكون هربا من سيد إليغ، إلا أن وفاته عشر سنوات بعد هذا الأخير قد تفيد قدومه إلى المدينة.

بوضوح هذا الجانب عن ارتباط هذه العائلة بالعلم والتدريس، لم نعد في حاجة إلى المقارنة السريعة والتوفيق الحدسي بين ما يميز إليغ القديمة والجديدة. فهذه رؤيا تدفعنا لفصل القول بالامتداد العضوي عبر الأجيال اللاحقة للمدرسة وملامحها التاريخية (*إليغ*، 289 . 261 . 296 . 297). ومما لا شك فيه أن الصورة الحقيقية التي ستطبع الآفاق المحلية للإمارة هي اختياراتها التي تستند على العمل التجاري والتربوي بالذات لتجديد أمر الدين والدنيا وتنشيط معالمها. هذا بالضبط ما يبينه كتاب *إليغ قديما وحديثا* والجزء الثاني من *خلال جزولة* (26 وما بعدها). على أن الإشارات الكثيرة من خلال كتاب *المعسول* توضح أهمية المدرسة خلال القرن التاسع عشر. لا سيما وأن الحسن أوهاشم قضى حياته في الاقتداء بمؤسس الإمارة (*سوس* 159 . 162). والواقع أن ثمة تحولا واضحا في مسيرة هذه المدرسة خلال هذا القرن. ذلك أنه بالرغم من كون تلامذة العربي الأدوزي قد ملأوا المدرسة (*المعسول*، 8 : 157 . 282 . 288)، إلا أن نسبية المقارنة مع الفترات السابقة تكشف عن المضاعفات القياسية لانهيار إليغ تجاريا وسياسيا.

اليوسي، *فهرس* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ *سوس العالمة* ؛ *خلال جزولة* ؛ *الإلغيات* ؛ *إليغ قديما وحديثا* ؛ *مدارس سوس العتيقة* ؛ *مناقب البعقيلي* ؛ *وفيات الرسموكي*.

M. Tozy, *De quelques lieux de la competition politique au Tazeroualt. Colloque International sur le devenir de la société rurale au Maroc*, BESM, nº 159-160-161, 1978, pp. 155-182.

مصطفى ناعمي

الإليغي، الحسين بن هاشم بن علي بن يحيى بن احماد ابن محماد بن علي المشهور بأبي حسون السملالي المكنى ببودميعة، بن امحمد بن امحمد بن سيدي احماد أوموسى دفين تازروالت وقطب الجنوب المغربي كافة. ومعلوم أن مكانة هذا الأخير قد مهدت الأمور أمام ظهور إمارة تازروالت، فقد بنى أبو حسون السملالي مدينة إليغ عاصمة الإمارة بعد أن أسس الإمارة في بداية القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي. وهي إمارة تنفرد من بين إمارات هذا القرن بالاستمرارية في ظل الدولة العلوية المركزية. فقد انتهت النكسة التي سببها المولى الرشيد للإمارة سنة 1727. بعودة يحيى إلى عين المكان ليمهد استقرار ابنه وحفيده هاشم والد الحسين. وهكذا عمل هاشم بجد منذ 1810 على تثبيت دعائم الإمارة مغتنما فرصة ضعف مخزن المولى سليمان. لقد حاول جهده استعادة جزء من الأراضي الأميرية التي كان جده محماد بن أبي حسون السملالي قد تخلى عنها خلال نفيه. كما عاد تنظيم موسم سيدي أحماد أوموسى التجاري محييا بذلك الشبكة

الرابطة بين إليغ ومحيطها البعيد والقريب. وقد كان من نتائج هذه المحاولة أن تكررت الحملات السلطانية على إليغ الجديدة بقيادة محمد بن يحيى أغناج وهروب هاشم غير ما مرة إلى أحماد بن صالح الأسكاوري من إيد عيسى حيث ولد له الحسين سنة 1224 / 1809 من أم أمانوزية تدعى باكة بنت عبد النعيم (*إليغ*، 245). كما تجلى تحالف خصوم العائلة التقليديين كنتيجة منطقية انتهت بتدبير موت هاشم أثناء موسم تازروالت سنة 1825 (*La Maison*, 91). جاءت بذلك خلافة علي بن هاشم لأبيه أمرا عاديا لم يلبث أن كشف عن عجزه في الأخذ بثأر أبيه ومواجهة الضغوط المتراكمة ممهدا بذلك السبيل إلى وصول الحسين إلى السلطة سنة 1258 / 1848. وهنا تسجل الأحداث بأنه إذا كان هاشم قد سعى إلى الاستمرار في الخط الرائد الذي رسمه أبو حسون السملالي سعيا في تثبيت دعائم الإمارة، فإن ابنه الحسين يعد بحق أكبر مدعم خلال القرن الماضي لاستقلالية الإمارة ووجودها.

لقد نشأ الحسين نشأة الأمراء الذين توفرت لهم مجمل المؤهلات العلمية والعسكرية والترفيهية، فجاء متميز الشخصية قويها (*إليغ*، 249 . 250). يصفه الناس بشدة الوطأة والشجاعة والحرص على الانتقام وحب الرئاسة. وبالرغم من أن سلطته الملموسة لم تكن تتجاوز بسيط تازروالت وإليغ، فإن استراتيجية السوق المحلية ودورها الاقتصادي خلال هذه الحقبة الزمنية قد سهلت مأموريته كما سنرى. وقد عُرف بنفسيته المتعالية وتطلعاته السياسية التي تعتبرها الرواية الشفوية من أشهر مميزاته الفطرية، ولن تلبث الإشاعات أن تجعل منه قاتل أخيه علي. والفكرة هنا قد تواكب بعض مستخلصات الرواية الآتية التي تبرز مكانته بين أعلام العالم القبلي منذ استحواذه على الإمارة. فقد استضاف بطلب منهم سنة 1260 / 1844 آل سيدي امحند أوبراهيم الشيخ التمنارتي وأبناء أمغار التمنارتي للفصل بينهم في قضية مقتل أمغار (*إليغ*، 252). ولكن حيرته وتماطله الكبير أمام استعصاء الفتوى اضطرت طرفي النزاع في نهاية المشكل إلى الوصول للحل المناسب في غيابه. فجاءت بذلك الصياغة الزمانية لمشكل عادي من هذا الحجم محملة بالتساؤلات حول خلفيات هذا التماطل. ذلك أنه علاوة على تحكم الحسين في موقف كهذا، فإن التماطل يكشف في مراميه دلالة أساسية عن رغبة السيد الجديد في القيام بأكبر دعاية حول أهميته كسلطة راسخة المعالم. والمحلل لمثل هذا المنحنى من الفرضيات السياسية لا يمكنه إلا أن يلمس التخطيط والبحث الناطق عن السمة التاريخية المتميزة. بالإضافة إلى ذلك فإن الجانب البرتكولي الذي سيميز موكبه عن سابقيه والهالة التي سيضر بها حول تحركاته هي مؤشرات إضافية تبلور الجنوح الواضح للسلطة ومستوى تعبيري، يجب أن نركز على المدرسة التي أطرته منذ طفولته من حيث مرتكزها التنظيري والتطبيقي في الاتجاه السياسي الذي يتوسل بالصراع على مختلف ملامحه. فما هي المنهجية المعلنة خلال 45 سنة من الرئاسة وإلى أي مدى سينجح الحسين بالفعل في استنباط اختصاصاته المتميزة بالاستناد إليها ؟

لقد كان الالتفاف الجزولي حول زاوية القطب سيدي احماد أو موسى بتازروالت رمزا اعتياديا تابثا للرغبة الجماعية. هذا التعريف الديني ذو النبرة السياسة توظفه التشكيلات القبلية بشكل تركيبي في علاقتها مع تازروالت وعاصمتها إليغ. ففي إطار العلاقة بين الشرعية المركزية للدولة العلوية والإمارة تطرح مسألة المراجعة الدائمة بناء على ما يقتضيه التحالف القبلي الجزولي حول بنيته السياسية المحلية. وهكذا فإن النواة التي تتحكم تجاريا ودينيا في المعطيات السياسية والاجتماعية تتأسس على فكرة الالتحام بتازروالت وعاصمتها. ذلك ما تبرزه بجلاء المراحل التي أعقبت غزو المولى الرشيد لإليغ سنة 1081 / 1670. إن الاستعادة الصورية للأحداث توضح تحكم هذا الثابت البنيوي الذي سيتبناه الحسين بن هاشم في شكله المهيمن (*إليغ*، 278 . 279).

وهو أمر صادف الاستقرار النسبي الذي كانت تعرفه الإمارة يومها نظرا لعامل رئيسي. ذلك هو إرساء الهيكل التأطيري لتجارة القوافل بمواسم تازروالت ووادي نون السنوية. هذه المواسم كانت توفر للقبائل جملة من الاختيارات للإبقاء على إمكانية المقايضة كأفضل وسيلة لتبادل المصالح والحاجيات. لقد كان على سيد إليغ أن يرتب جملة من الامتيازات الممنوحة بشروط خاصة تهم علاوة على طبيعة القروض ومدة صلاحيتها، ترصيص شبكة من التحالفات المدعمة لسلامة السوق وأمنها ؛ هذه المهام التجارية والسياسية تجعل وحدها من سيد إليغ حامي حركية الرواج السلعي والمتوفر على مطلق الصلاحيات لتنفيذ ما يراه جديرا بتخطي عراقيل الأمن والرواج التجاري.

ومن بين الدراسات القيمة التي قام بها پول پاسكون حول إليغ الجزء التمهيدي لدفاتر *بيوعات الحسين بن هاشم*. فقد لاحظ في دراسته *إعادة شراء تازروالت من طرف إليغ* بأن كلمة بيوعات لم تكن تعني إلا الملكيات التي تم شراؤها نقدا. كما لاحظ بأن عقود شراء هذه الملكيات تتوزع في ثمانية من بين عشرة سجلات دوّنها النساخ. وبالرغم من كون الراحل پاسكون لم يتمكن من إتمام مشروعه الدراسي، إلا أنه تساءل عن وتيرة هذه المشتريات وعلاقتها بالعمليات التجارية. وقد سجل بأن تحصيل ممتلكات القاصرين أو محميي إليغ غالبا ما تأخذ شكلا نهائيا. كما أن تملك الأراضي المرهونة أو المدفوعة مقابل قروض محددة الأجل، تعتبر أمرا معمولا به واعتيادا تبرره بعض النوازل الفقهية المتساهلة حتى خارج تازروالت. على أن الطابع النهائي لعمليات الشراء العادية كان يفترض بالضرورة توفر الأموال. فجاءت بذلك السياسة التمويلية

للحسين بن هاشم كأفضل وسيلة لترويج كمية لا يستهان بها من القطع النقدية من خلال اقتصاد زراعي لا يعرف الفائض الإنتاجي. لقد قامت الإمارة بالاستيلاء على أربعة أو ستة آلاف هكتار لا تمثل من بينها ممتلكات تازروالت إلا حوالي 7 ٪. ونظرا للطريقة المشبوهة التي أدت إلى الهيمنة على ما تبقى من هذه النسبة، فإن ضخامة حجم الاستثمارات التي تتطلب حوالي 70.660 درهما لتجهيز كل هكتار تطرح المزيد من التساؤلات. ما معنى هذا النهج في منطقة تعتبر فيها إنتاجية ومردودية الأرض جد محدودة؟

من هنا يتدخل حجم النشاط التجاري عبر الصحراء كمؤطر بنيوي أساسي لعمليات القرض والتمويل. لقد كان الحسين بمثابة بنك للمشاريع على طول السنة، إلا أن حركية الرواج كانت ترتبط أساسا بمناسبة المواسم الثلاثة الكبرى لسيدي احماد أو موسى في نهاية شهر مارس ونهاية شهر أكتوبر وبالأخص في نهاية شهر غشت عند وصول القوافل الكبرى. ضمن حدود هذه المعايير التحليلية فكر پاسكون في مقارنة المنحنى الشهري لتواريخ حلول آجال القروض بمنحنى التملكات العقارية لتحليل دور التجارة في القدرة الشرائية للملكيات العقارية. وإذا كان الموت قد حال بين هذا الباحث ومشروعه الضخم فإن السؤال الذي يبقى معلقا هو لماذا عمل الحسين من حيث هو كممول بنكي على حيازة الممتلكات العقارية بحجم قد لا يكون هو خير وسيلة لمواجهة النكسات الطبيعية ومراقبة أسعار واحتياطي المنتجات الفلاحية والرعوية؟

علاوة على المسار التاريخي للبنيات الزراعية للإمارة، فإن دراسة پول پاسكون تشكل مرجعا لا ينضب مركزة على الدور الاستراتيجي للتجارة في احتكار المجال الاقتصادي والسياسي. فمراقبة الشبكة التجارية هي الكفيلة وحدها بتغطية نفقات إليغ وتزويد مذخراتها. ذلك أنه إذا كانت آلاف الهكتارات تمنح دار إليغ ما تسقيه عيون سوس الشاسع والحق في التسيد على جماعات متمايزة من أهل المداشر (*La Maison*, 20 - 40)، فإن سجلات الحسين ترتكز على نشاط بنكي رهين بالضواغط المتحكمة في نشاطه كمقاول بنكي. لقد أبرز پاسكون بأن نسبة 89 ٪ من المقاولات التجارية قد تمت ما بين 1277 . 1289 / 1860 . 1872. هذه الفترة تكاد توافق تولي المولى محمد بن عبد الرحمان السلطة المركزية. وهو جانب قد يرتبط بحرص الحسين على تمويل المشاريع ليواجه بعد ذلك بضرورة حمايتها والسهر على استعمالها المربح مما يجعل لزاما عليه المجازفة في حدود معينة. تقييم هذه الحدود يغدو بالنسبة لسيد إليغ رهينا بتعدد المعايير بحيث لا تعدو الضمانات أن تكون عنصرا من بين عناصر شتى نذكر من بينها : 1 ـ "سلف الله والإحسان" الذي يمثل ربع مجموع العمليات المالية. وهو نوع من السلفات يتم عادة يوم الخميس الذي هو يوم انعقاد السوق الأسبوعي. ولا يخفى دور هذه القروض الشخصية من حيث هي كوسيلة مثلى لكسب ولاء أو حياد الأعيان المقترضين. 2 ـ تمويل المقاولات التجارية، وهي سلفات تقتضي تمويل مشروع إعادة بيع السلع الواردة عبر مختلف أسواق سوس واقتسام الربح مناصفة (*La Maison*, 60). ويقتضى هذا النوع من العمليات البنكية المحضة تتم الاستفادة من رأس المال المستثمر مع الإخلال الضمني لا الشرعي بتحريم الربا. 3 ـ تمويل المقاولات الإنتاجية للفلاحة وتربية المواشي. 4 ـ بيوعات بالسلف المشروط. 5 ـ الكفالة أو الالتزام بالدفع للحسين من طرف غير المقترضين. 6 ـ الالتزام بالدفع المحدد في حالة ضياع العبيد أو الماشية أو البضائع المغارة. 7 ـ قروض شخصية.

هذه السياسة التمويلية تطرح كما نرى مشكل إعادة هيكلة الرواج المرتبط نوعيا بالمحيط العام لتمويل المقاولات. وهي سياسة تقتضي التوفيق بين الرغبة الأكيدة في تمويل أكبر عدد من المشاريع وبين الحفاظ على احترام ومراقبة التوازنات الداخلية مما يستدعي ضرورة إحلال التوفير الداخلي وتعزيزه على الأمد المتوسط والطويل. هذا النهج السياسي يبدو الدافع الأول إلى تخصص الحسين في هذا الجانب الاستراتيجي دون غيره. فنجاعة العمل بمقتضى تعليمات معدل الفائدة وبالتالي معرفة ما إذا كان التزايد في وسائل التمويل لتأطير القروض أمرا ضروريا، لا يمكن تحقيقه إلا بحضور نظام متكامل الأبعاد. هذه الظرفية تجعل لزاما على سيد إليغ أن يضمن لخططه القدرة على مواجهة العمليات الهادفة والمتكاثرة وذلك بطرق موثوق بها تبرهن على مردوديتها، وهكذا فكيفية التدخل قد تتخذ أشكالا متنوعة تقوم بتشخيص الحالات المعينة واستنباطها. ولعل هذا هو ما يفسر أن أغلبية القروض الممنوحة لا تتجاوز نصف سنة كمدة وسط. كما أن اتخاذ الإجراءات الناجعة فيما يتعلق بتزايد الدعم التمويلي وتلاؤمه تنبثق من تيسير المساطر وتنويع التقنيات البنكية.

لقد هيأت المعطيات الجغرافية مجمل الفرص التي مكنت إليغ وگليميم خلال القرن التاسع عشر من احتكار تجارة القوافل (*La Maison*, 67-69). فتحكم بذلك الحسين بن هاشم في المحور الرابط بين إليغ وتندوف وتنبكتو عبر تاودني. كما انفرد أهل بيروك بالطريق الساحلية الواصلة إلى شنقيط فأطار (Gatell, 24). لقد تكفل تجار قبيلة تجكانت المرابطة بتندوف بتزويد مشوار إليغ بسلع تنبكتو كخير معامل لرواج وديناميكية الحسين فلم يبق على هذا الأخير إلا الشراء حسب شروط العرض أو التدخل كوسيط لبيع هذه السلع بعد أن يتم شواؤها من طرف التجار الآخرين. بذلك يتصدر ميدان المبادلات حسب متطلبات يهود الصويرة الذين كانوا يقومون بالوساطة مع الأوروبيين. تكون بذلك إليغ محطة سلعية للتمرير من الصويرة وإليها، حيث تقوم التجارة الأروبية بتقنين العرض والطلب (O. Lenz, 1 : 350-359). ونضيف بهذا الصدد أن الحسين كان قد سمح بدخول اليهود لأول مرة إلى موسم تازروالت (O. Lenz, 1 : 364). كما أنه سن ذغيرة إضافية

سماها أسكارلانز بنفقات الشرطة (351 . 350 : 1). وبذلك ندرك لماذا لم تسجل كنانيشه خلال عشرين سنة إلا جريمتين لكل سنة. يتجلى بذلك دوره المتكامل الأبعاد في استتباب أمن الأشخاص والممتلكات عبر شبكة طرقية تتجاوز السوس إلى ما عداه. وهي حقيقة تاريخية تتطلب بالإضافة إلى تكذيب مرويات الأجانب، مراجعة المفهوم الاصطلاحي لكلمة «بلاد السيبة».

لقد تحولت إليغ في عهد الحسين بن هاشم إلى مكان اندماج الأعيان وندوتهم (*إليغ*، 267 . 268). فجاء بذلك التعدد في المقاصد خير سمة تاريخية للكشف عن حركية الصراعات المحلية وطبيعتها. وبالرغم من أن تمنارت وگليميم كانتا تشاركان إليغ في تمثيل الهيكل التأطيري لحلف جزولة التاريخي، فإن الهالة الدينية المميزة لإليغ كانت تمثل خير سند في تزيين صورة الحسين وإظهار ألمعيته، وحينما نشدد على أهمية هذا الرئيس المتميز من حيث هو كبنية فلأن تناسل المقدرات على امتداد المجال القروي السوسي يعني أساسا انتقال التصرف من الممارسة الاجتماعية إلى الممارسة السياسية المحض. إننا إذا تناولنا الاختلافات القائمة بين الحسين وبين الرؤساء المحليين، فإنه لا داعي لخشية الوقوع في إشكالية حل اللف الجزولي. فهذا أمر لا يمكن أن يتحقق إلا من داخل المشروعية الدينية لهذه الإمارة في تزعم حلف جزولة الأكبر. إن المجال الوحيد الذي يمكن أن نستمد منه المعلومات هو مجال علاقات جميع القبائل الجزولية مع الفئات المنتمية إلى لف تْحْگّاتْ. بل إن الحسين قد يذهب إلى حد المغالطة المقصودة كأفضل وسيلة للتسيّد بعد أن يكون قد اشتم سوء التصرف. فيكرر على النحو مداخلاته إلى أن يعثر على ما يلزمه من إصغاء. هكذا تتأرجح النزعة السياسية الأميرية بين الموقف المتشيع والموقف الانتهازي لتكرس صورة الأمير كقوة سياسية متميزة ومهابة من طرف الخاص والعام. وهي صورة تكمن كما نرى في قدرة سيد إليغ على إبراز السيرورة الداخلية التي من خلالها تتم مقاومة عوامل التغيير الجريئة. فحتى وإن تعارضت القراءات في بعض المستويات مع ما قدمه هذا النموذج من خصوصيات، فإنه يمنح مجموعة كبيرة من المعطيات حول الصيغة المتكاملة للرئيس القبلي. انطلاقا من هذا الطرح فإن سيد إليغ يمثل مرجعا لا ينضب درجت الرواية على وصفه بأكبر شخصية متميزة خلال التاسع عشر بمنطقة سوس. بل الأوفى من ذلك أن صورته ما انفكت منذ وفاته سنة 1303 / 1886 تلعب دور الخميرة مما يجعل من العسير التحدث عنه أو سماع الحديث عنه بالصفاء واللامبالاة المتجردة. ولتلمس حالة الهيبة والاحترام التي أحاطت به حتى خارج سوس والمغرب، فلننظر للرسائل السلطانية إليه. إن الدراسة الهامة التي قام بها پول باسكون ومحمد الناجي بهذا الشأن تواجهنا بحقيقة ثابتة وهي التأكيد على الطابع المستقل لإليغ كإمارة على هامش الدولة المركزية. إن كلمة «محبنا» التي خاطب بها دائما السلطان سيد إليغ لا تفاجئ المهتمين بالتاريخ الاجتماعي والاقتصادي المغربي. لقد جرت العادة يومها بأن تستجلي الرسائل السلطانية مكانة المرسول إليه من خلال الباب التمهيدي الذي يبتدئ دائما بكلمة «خديمنا الأرضي». وإذا كانت المفارقة بين الخديم والمحب تبرز آثار المفاهيم الحقوقية، فإن تدرج القواعد المخزنية يومها يُبرز القوة الحقوقية المطلقة التي تميز الحسين بن هشام.إلى حدود سنة 1280 / 1863 جرت العادة بين سيد إليغ والسلطان على تبادل الخدمات الودية فجاء بعد ذلك تحالف الحسين مع أهل بيروك بگليميم حول فكرة التعامل المباشر مع الأوروبيين، سببا في توتر هذه العلاقات بشكل ملحوظ (*إليغ*، 274 : *المعسول*، 12 : 99). لقد جاء بناء ميناء الصويرة منذ سنة 1765 ليضيف عنصرا إلى بداية انكسار البنية الاقتصادية المحلية من جراء انجراف تجارة القوافل نحو المرافئ الجنوبية للصحراء. فجاء تضييق الخناق كقاسم بين إليغ وگليميم من حيث هما محطتان ترتبط تجارتهما بضرورة تسهيل الرواج والتوزيع عبر خط بحري مباشر. هنا وعلاوة عما تورده المنغرافيات الأوروبية المعاصرة، فإن دراسة پاسكون والناجي تتدخل بشكل حاسم لتوضح عن كتب فترات احتداد التنافس بين المحطتين حول رغبة كليهما في الانفراد بمشروع الميناء البحري. ولا بد من أن نشير بهذا الصدد إلى أنه بالرغم من احتفاظ إليغ بمكانتها كمؤسسة تراثية لمواجهة التسرب الخارجي، إلا أن تقاليدها المؤسسة لم تكن تتنامى مع مبدأ التبادل التجاري والسياسي المباشر عبر شواطئ المنطقة مع القوى البحرية. نحيط من هنا بحساسية المشاكل الأساسية التي كانت تعكر صفو إليغ. فقد أنهكت التناقضات المتزايدة قوى الحسين مما أدى بأعدائه البعقليين إلى محاولة تحطيم دعائم إليغ للحد من محاولات إليغ وگليميم. وقد ارتأى الحسين بن هشام وهو في أحلك ساعاته الأخيرة أن يلجأ إلى جبل سملالة بالرغم من مرضه وتزايد أعدائه بدل المثول أمام الحضرة السلطانية بتزنيت التي لا تبعد إلا بحوالي 40 كلمتر. هذا الاحتياط من المحاولات العسكرية لم يحل دون الحسين وإرسال ابنه محمد ليؤدي مراسيم الولاء. وهكذا بلغ نبأ وفاته إلى ابنه وهو بالموكب السلطاني حيث لم يلبث أن تسلم ظهير تعيينه قائدا على قبائل تازروالت وسملالة ورسموكة والمعدر وأيت رْخَا وتانْگَرْتْ وإداوشْتْرا. ولا شك في أنه بإمكان أي بحث منغرافي أن يثبت ما في هذا التعيين من تخفيض لخليفة الحسين ابن هشام الذي لم يلبث بدوره أن انكب على إعادة الأمور إلى نصابها.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 1 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 12 ؛ *سوس العالمة* ؛ *خلال جزولة* ؛ *الإلغيات* ؛ *إليغ قديما وحديثا*.

J. G. Jackson, *An Account of the Empire of Morocco and the District of Suse etc....*, Londres, 1809 ; Ch. Cochelet, *Naufrage du Brick Français "La Sophie" Perdu le 30 Mai 1819 sur la Côte Occidentale d'Afrique etc...*, Paris, 1821 ; J. Gatell, *Description du Sous*, Bulletin de la Société de Géographie, Mars

- Avril 1871 ; F. A. Mathews, *El Sus, El Wad Nun y El Sahara*, Boletin de la Sociedad de Geografia de Madrid, XII, 1882, pp. 513-525 ; O. Lenz, *Tombouctou*, traduction Lehautcourt, 2 tomes, Hachette, Paris, 1886 en particulier t. I, pp. 351-359 ; R. Jannasch, *Die Deutshe Handelsexpedition*, 1886, Berlin, 1887 ; Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* ; A. Le Chatelier, *Tribus du Sud Ouest Marocain, Bassins, cotiers Sous et Draa*, Publication de l'Ecole des Lettres d'Alger, Paris, 1891, pp. 34-51 ; L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XIXe Siècle*, Hesp., t. V, 1925, 2è, p. 227-238, T. VI, 1926, 4 et p. 351-364 ; *Les Aït Ba Amrane, Villes et Tribus du Maroc*, 1930, Vol. 8 ; *Notes d'histoire et de littérature*, Hesp., 1949, 3 - 4, p. 321-32 ; *Un petit royaume berbère, le Tazerwalt, Un Saint Berbère, Sidi Ahmed U-Musa*, I.H.E.M., 1954, Paris, 125 p. ; E. W. Bovill, *Caravans of the Old Sahara, An Introduction to the History of Western Sudan*, Oxford, 1933 ; *The Golden trade of the Moors*, Londres, 1958 ; J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, T. I, p. 130, etc.., T. II, p. 88 etc.., p. 90 etc.. *Documents d'Histoire* ; J. Meunié, *Le Maroc Saharien*, T. II, pp. 640-733-734 ; P. Pascon, *Le Commerce de la Maison d'Illigh d'après le registre comptable de Husayn B. Hachem (Tazerwalt 1850-1875)*, Annales E.S.C, nº 3-4, Août, 1980, pp. 700-729 ; *La Maison d'Illigh et l'histoire sociale du Tazerwalt*, Smer, Rabat, 1983, 223p. ; M. Ennaji, *Le Makhzen et le Sous Al Aqsa: la correspondance politique de la Maison d'Illigh*, CNRS, Paris, 1988.

مصطفى ناعمي

أليلي ← الدَّفلى

أمَـارگ، 1. لغويا : أمـارگ (ج إيموريـگ)، حـالة عاطفية تجمع بين الحزن والحنين والشوق إلى البلد الأم (تامازيرت) أو إلي الأحبة الغائبين، وهو إحساس ممزوج بنوع من الحسرة واللوعة والحرمان والمرارة الدفينة : (يَاغْت وُمَارگ = ألمّ به الشوق والحنين) وتستعمل مفردة أمارگ/إيموريگ في المجالين الأدبي والفني لينسحب مدلولها على مختلف أشكال التعبير الأدبي والإبداعي وخاصة في ميدان الشعر والغناء والموسيقى، راقصة كانت أو غير راقصة.

أمَارگ = الشعر. غالباً مالا تعني الكلمة النظم بمفهومه التقني (أي الصنعة) بقدر ماتدل على الشعر كنتاج انفعال وجداني. ويعرف الشاعر (أنْظَام، أماير) أيضا بـ "بُووْمَارگ" أو "بَابْ نُومَارگ" (= صاحب الشعر). وفي نفس السياق يطلق المصطلح علي القصيدة الشعرية في حد ذاتها أو على الانتاج الشعري لشاعر معيّن (أمَارگ ن سيدي حمُّو طَالب) وعلى الأغنية أو مجموعة الأغاني المتداولة في أحواش أو من قبل الرّوَايس (= أمارگ ن وحْوَاش، أمارگ ن رْوَايس، أمارگ ن ترُويَّا) .

ومن الواضح أن العلاقة بين مدلوليْ أمارگ، اللغوي والفني تصبح بديهية بالنظر إلى مفهوم الشاعرية في الثقافة الأمازيغية، حيث إنها ليست وظيفة متميّزة، بقدر ما هي مجموعة مواصفات ينفرد بها أنْظَام (الشاعر) خاصة منها توفّره على موهبة فطرية وقدرة على التعبير البليغ عن تصورات إبداعية وفلسفية للأشياء. وذلك مادفع ببعض الدارسين (پوليت گالان 1985 : 115) لافتراض علاقة محتملة بين جذر كل من كلمة أمارگ وكلمة تَاوَارگا (الحُلْم) باعتبار أن أمارگ كالحلم، "مجال" للرؤى والأخيلة والأوهام".

بالنسبة للمعجم الأمازيغي بالأطلس المتوسط (تامازيغت) ينحصر استعمال الكلمة على مدلولات " الشوق والحنين واللوعة" بخلاف الجنوب المغربي، الناطق بتاشلحيت (سوس، الأطلس الكبير والأطلس الصغيرحيث تتداول بمفهوميْها اللغوي والاصطلاحي الفني .

2. أمارگ، بمفهوم الشعر (= تانضَامْت، آوَالْ) : الشعر من أقدم الفنون والآداب الأمازيغية، واكثرها تداولا وانتشاراً في المجتمع الأمازيغي قديماً وحديثاً، وهو من أهم المكونات التي ترتكز عليها الثقافة الأمازيغية المتسمة بالشفهية والجماعية. والشعر وما يتصل به من فنون كالغناء والرقص، ليس في أصله حرفة تحتكرها طبقة معينة، بل ظاهرة جماعية وتجربة يمكن للشخص ممارستها دون الانسلاخ عن وضعيته الرئيسية وعن أنشطته اليومية كفلاّح، كسائر أبناء قبيلته. وتكون المناسبات الاجتماعية والدينية، كالأعراس والحفلات والأعياد والمواسم، فرصة يهتبلها الشعراء (أيت أومارگ) لإبراز مواهبهم، خاصة في حلقات أحواش (أسَايْس/إسُويَاس)، حيث يندمج الشعر في آن واحد مع الغناء والرقص الجماعيين.

وذلك ما جعل مصطلح أمارگ يفيد كلاً من الشعر والغناء والرقص في نفس الوقت، كما أدى ذلك إلى ارتباط الشعر الأمازيغي بالغناء، ممّا يجعله في أصله شعراً غنائياً أكثر منه شعراً بحتاً، والواقع الأدبي الراهن يفرض الفصل بين الشعر التقليدي (أو الغنائي) وبين الشعر "الحديث"، ذلك أن أمارگ التقليدي تحتّم عليه طبيعته الشفهية والجماعية أن يلتصق بظروف تواصلية محدّدة، يفقد بدونها قيمته الفنية لدى العامّة، إذ من تلك الظروف يستمدّ مدلوله ومقوماته ووظائفه. فالشاعر لا ينشد أشعاره (إبداعاً كانت أم محفوظات) الاّ أمام جمهور يندمج معه عضوياً ويتفاعل معه ويتأكّد هو (أي الشاعر) من إصغائه له، مع التزام جميع الأطراف بطقوس معيّنة تفرضها المناسبة (أحواش أو غيره). وتنعكس ظروف هذا التواصل المقنّن على مضمون الشعر نفسه، حيث يكون الموضوع ذا علاقة بالمناسبة وبالحياة اليومية للقبيلة وللإنسان في البادية عموماً، وقد تتخلل القصائد المغناة تعاليق على انشغالات الأهالي محلياً ووطنياً وعالمياً. وتبرز الوظيفة التواصلية في أمارگ على مستوى عبارات المقدمات والاستهلالات التي تتكرر فيها عناصر"إفهامية" مركّزة على المتلقي مثل أيْتْما (إخواني) لأحْبَابْ (الأحبة، الحضور) الخ.

ويتجلى ارتباط الشعر الأمازيغي بالغناء أيضاً في الصعوبة التي يجدها أنظّام في قرض الشعر خارج إطاره الطبيعي، حيث يضطر إلى المرور من دَنْدَنَة وزنه وعروضه ولحنه (تالاّلايت) بصوت مسموع قبل نظم أبياته، وكأنه يستحضر الجوّ الأصلي الذي يتأتّى فيه ارتجالُ النظم، من ذلك كلمة لْغَا (تَالْغَات) التي تطلق على القصيدة المغناة وعلى الشعر المغنى، وهي في مدلولها العميق مزيج من النص واللحن والغناء في الشعر.

من الشفهية إلى التدوين والكتابة (التأليف) : يجد دارس الأدب الأمازيغي عامة والشعرمنه بوجه خاص صعوبة كبرى في توسيع دائرة إلمامه بكل الإنتاجات القديمة في غياب حفظتها ورواتها، وذلك راجع للخاصية الشفوية التي تطبع الثقافة الشعبية بأكملها، حيث إن عدم تدوين الشعر القديم جعله عرضةً للتلف والتشويه والانتحال. كما أنه رغم قدم هذا الفن وعراقته في المجتمع الأمازيغي، فإن الذاكرة الشعبية لم تحتفظ منه إلاّ بالقسط الهزيل المنقول بالتوارث جيلاً بعد جيل. الاّ أن هناك استثناء يخص الأشعار المنسوبة إلى سيدي حمّو الطالب (أمرير 1985) والتي عرف قسط منها طريقه إلى التدوين والجمع والتداول رغم ما يحول حول ديوانه من تضارب في الآراء، ومثلها في ذلك بعض الدواوين الشعرية ذات المضمون الديني والعقائدي التي حظيت بالتدوين وأهمها بحر الدموع والحوض للأوزالي (سيدي محمد بن علي أگبيل أوزال) ولعقائد ن دين (عقائد الدين) للصنهاجي (القرن السابع عشر). ويظهر أن هذا الاستثناء يرجع أساساً إلى الطبيعة الدينية لهذه الأشعار، حيث إن غيرها من الأشعار الأخرى لنفس الأشخاص لم يُعتَنَ بجمعها وتدوينها، فأصابها الضياع أو التحريف. وقد ساهم الدارسون الأجانب وخاصة منهم الفرنسيون إبان فترة الاستعمار بكثافة في جمع الأشعار المتداولة آنـذاك سـواء بين العامة أو المنظومة من قبل شعراء معاصرين. ومن أقدم المجموعات المدوّنة كتاب دولابورت(1840) الذي يتضمن قصيدة الصبي الشهيرة، وكتاب شتوم (1895) المشتمل على أشعار غنائية من تازروالت، وكذلك مؤلفات كل من جوستينار ولاووست (1930 / 1940) وأرسين وغيرهم. ويعد مؤلف بوليت گالان (1972) المتضمّن لأشعار الجوّالين وفرق الروايس (الحاج بلعيد، أمنتاگ، بوبكر أنشاد، أزعري...) التي جمعتها مابين سنتي 1954 و1966 أهمّ المراجع العلمية في هذا المجال. وبعد أن عرفت الثقافة الشعبية المغربية انتعاشاً محسوساً في أواخر الستينات، اتجه اهتمام الدارسين المغاربة إلى الانتاجات الأدبية الشفوية لتأسيس تقليد جديد يرتكز من جهة على جمع مختلف أشكال التعبير الفني والأدبي المهددة بالتلف وتدوينها وذلك عن طريق تسجيل الروايات المحفوظة المجهول أصحابها، ومن جهة أخرى على تشجيع التأليف بالأمازيغية ونقل الإبداعات الشفوية إلى التقليد الكتابي. وهكذا، وبالنسبة للجمع والتوثيق ظهرت منشورات متعددة، منها أمانار (1968) لأمزال و إيمزّار (1975) لجمعية البحث والتبادل الثقافي (الرباط) التي أصدرت دورية أرّاتْنْ وهي ذات هدف مماثل إضافة إلى المجموعات الشعرية المدوّنة التي تذيّل الدراسات الجامعية حول الشعرالأمازيغي (أمارير، معاوي ...). وعلى مستوى التأليف، فقد ظهرت فئة جديدة من الشعراء الشباب (الجيل الجديد) تنتمي إلى طبقة المتقفين الجامعيين والموظفين، ينشرون أشعارهم بالخط العربي أو اللاتيني سواء في المجلاّت أو على شكل دواوين مستقلة. وبانتقال الشعر الأمازيغي تدريجيا من الشفهية إلى الكتابة، أصبح يدوّن حسب النموذج العربي العمودي المشطّر إلى شطرين، أو حسب النموذج الحديث عربياً أو أجنبياً، وذلك تبعاً للتيار الذي تندرج فيه ثقافة الشاعر. ويمكن القول إن هذه الظاهرة تعدّ بداية لنهضة ثقافية وأدبية طالت النثر الأمازيغي بدوره بعد أن تشبّع بآثارها الشعر لمدة طويلة، إذ أصبح الحقل الأدبي الأمازيغي يعرف إلى جانب الشعراء (مستاوي، صدقي، أخياط، إد بلقاسم، الجشتيمي بوزيد، أحرضان وغيرهم) ظهور مؤلفين للقصة (إد بلقاسم) والمسرح (المومني) والمقالة (أخياط ...). كما أصبح بتلك القفزة النوعية يميّز كيفيّاً مابين الشعر التقليدي الغنائي الذي ما زال مستمراً على أيدي الروايس وفي حلقات أحواش وأحيدوس، وبين الشعر الحديث المتداول في المجلاّت والدواوين والمحافل الثقافية إلى جانب الإنتاجات الأدبية الأخرى على الصعيد الوطني. ومن إيجابيات هذا التحوّل النوعي في طبيعة الشعر الأمازيغي تطويره وإغناؤه بمضامين وأغراض جديدة أخرجته من الدائرة المغلقة التي كان حبيسها لارتباطه أكثر بالمجال البدوي وبالغناء المبتذل بعد الانتقال به إلى الحواضر على أيدي الروايس المحترفين. إلاّ أن من المآخذ التي تسجل في حق الشعر الحديث (المكتوب) الخارج عن إطاره التقليدي الذي يضمن له تواصلية جماعية طبيعيّة، كونه يفقد باستنساخه وتداوله عبر الكتابة أهمّ خصائصه الشفهية ،منها النبر والإيقاع والتنغيم وحيوية التواصل المباشر بين الشاعر والجمهور، فضلاً عن صعوبة إعادة أدائه كما هو، من قبل القارىء (بوكوس 1985). وهكذا كسب الشعر الحديث خصائص جديدة كتنوع المضامين ومسايرة العصر لكن مع اختزال قسري مردّه إلى عدم كفاية تقنيات الاستنساخ الراهنة. ويرى بعض الدارسين (بوكوس، نفس المرجع) أنه بالإمكان تفادي سلبيات الاستنساخ هذه باستعمال تقنيات التسجيل والتوثيق الحديثة (الفيديو مثلاً). وعلى مستوى المبدعين، فقد أدت تجربة الكتابة والنشر إلى تصحيح الأوضاع وتكريس الشاعر كمنتج معرّف ومحدّد الهوية، تنسب إليه القصيدة ويصان بذلك انتاجه من الانتحال والتشويه، وأصبح في الوقت الراهن يُمَيِّزُ ما بين ما هو إبداع شخصي وما هو محفوظٌ ومتوارث. كما بدأ التراكم المسجّل في الساحة الأدبية الأمازيغية يفرز أسس بناء مدارس شعرية ذات تقاليد متباينة.

لغة الشعر الأمازيغي : كغيرها من اللغات الشعرية العالمية، تختلف لغة الشعر الأمازيغي بشكل محسوس عن لغة التخاطب العادية، إذ تتميّز بغنى من حيث معجمها وبغزارة في الصور البلاغية والتعابير المجازية والرموز والأخْيلة. كما تنفرد بخاصية شكلية تجعل تركيبها يخضع لقوالبَ النظم والعروض. وقد تطمس فيها الاختلافات المعجمية الموجودة بين اللهجات المختلفة، حيث تميلُ إلى

اختزالها لتكون مستساغة ومفهومة في مناطق متباعدة. وكثيراً ما تحافظ لغة الشعر على مفردات وصيغ عتيقة لم تعد متداولة في اللغة العادية، وكل هذه المواصفات وغيرها تنحو بهذه اللغة إلى أن تكون نواةً لتوحيد اللهجات المختلفة خاصة وأن الشعراء الجوّالين يقومون بدور نشر الكلام المنظوم خارج الحدود الجغرافية للقبائل، ومن هنا يصطلح على تسمية الشعر الأمازيغي بـ "أوال أمازيغ"، أي الكلام (الشعري) الأمازيغي الذي يستمدُّ تراكيبه ومعجمه وأدواته التعبيرية من لهجات مختلفة. ومن مميّزات القصيدة الأمازيغية التزامُها باستهلال ذي مضمون ديني توسّلي، يتبرك فيه بذكر الله والرسول والأولياء والصالحين.

الشعراء والمغنُّون : بالنظر إلى شفهية الشعر الأمازيغي وارتباطه التقليدي بالغناء والموسيقى والرقص، فالشاعر (انظّام ـ أمارير...) هو في نفس الوقت المغني والمنشد للأشعار التي يقرضها أو يحفظها، وكثيراً ما يتولّى أيضاً مهمة قائد الفرقة الراقصة (في أحواش وأحيدوس). ذلك لأن الشعر لا يكون متكاملاً إلاّ في محفل تواصليّ تكون فيه للشاعر وظيفة الإلقاء بحضر جمهور مهتمٍّ بإنتاجه ومتفاعل معه. ولذلك يشترط في الشاعر حسن الصوت واحترام قواعد الإنشاد كاللحن والإيقاع والنبر. وينطبق ذلك على الشعراء في جميع المناطق الأمازيغية، التي يختلف فيها اسم الشاعر ـ المغني حسب وظيفة هذا الأخير وحسب اللهجة المتداولة في المنطقة التي يزاول فيها نشاطه الفني : أنظّام، أمارير، رأيس، أنشّاد، أمدّياز، شّيخْ أشراف...

أنظّام، أمارير (ج. إينضامْنْ، إيمَارِرن) : شاعر موهوب ذو حظوة وسط قبيلته (المجتمع السُّوسي بالخصوص)، وهو أصلاً غير محترف، إذ يكتفي بقرض الشعر لإلقائه في المناسبات الاجتماعية وحفلات أحواش. ويرجع العامة موهبته إلى ما يعرف بـ "علْم لْكُرْش (علم البطن) أو "علم الباطن" أو علم النور"، وهو ما يقابل (أو ينافي في نظر الفقهاء) علم الدين أو علم الحق الذي يمتلكه العلماء والفقهاء. وهؤلاء على ما يظن هم الذين أطلقوا على الشعر والغناء هذا الاسم لارتباطه بأمور الدنيا واستنكاف العلماء من الاهتمام بما هو غير ديني منه. وذلك ما يفسِّر لا محالة عدم ترسيخ الأشعار الغير الدينية بالتدوين كما حدث لإنتاجات سيدي حمُّو الطالب المنظومة في أغراض دنيوية. ومن الشائع أيضاً أن "يتشيَّخ" أنظام وأمارير حيث يربط موهبته بأحد الأولياء والصالحين يستلهمه الإبداع الغزير ويتبرك بمكرماته، ويفصح عن ذلك في ذيباجة قصائده.

رأيس (ج. رُوَايْس)، تارأيسْت (ج. تارأيسين) : هو الشاعر المحترف الجوّال الذي يجمع بين النظم والعزف والغناء، له فرقة (رْباعت، رْبيعت) يتكسب بها، وهي مكوَّنة عادة من رجال ونساء، بعد أن كانت من قبل مقتصرة على الرجال والصبيان (عوض النساء) لا يقوم الرجال بالعزف على لُوتَار (گنبري) ونَّاقوس، بينما تتولى النسوة الترديد الجماعي وأداء حركات راقصة. أما رأيس، فكثيراً ما يعرف على آلة رَّباب. وهناك فرق تسيِّرها تارأيست ويكتفي فيها الرجال بالعزف على الآلات، حيث تكون تارأيست هي المغنية والشاعرة والمسؤولة عن الفرقة.

أمْدْياز، أمْلْكّاز، أمْرْيّاز (ج. إيمديازن، إيملكّازن، إيمريازن) كلمة من جذر "د.ي.ز" الموجود في لهجة غدامس بمفهوم رقص : دْيْز، ومنه على الأرجح اشتقت كلمة أمدياز التي تدل أصلاً على "العنصر الأساسي في فرقة راقصة". وإيمديازن عبارة عن فرقة شبه محترفة تتكسب من إنشاد الشعر الغنائي الذي تتنقل به عبر مناطق الأطلس المتوسط. وتتألف الفرقة في الغالب من أشخاص لا يزاولون هذا النشاط الفني إلاّ في بعض فترات السنة الفلاحية، خاصة عند نهاية الخريف وبداية الصيف، حيث ينصرفون في بقية الفصول الأخرى إلى مشاغلهم اليومية كسائر أفراد قبيلتهم. ويختلف أمْدْياز التقليدي عن رأيس السّوسي من وجهة نظر درجة الاحتراف، إذ أن هذا الأخير فنان محترف متفرغ إلى الغناء والتكسب بفنه دون غيره. وتتكوَّن فرقة إيمديازن النموذجية من العناصر التالية : (1) أمْغَار ن يمديازن (رايس الفرقة) وهو الشاعر والمغني الرئيسي، كثيراً ما يصاحب إنشاده بالعزف على لْگمَنْجَا (الكمان، ويسمى أيضاً شيّخ أو أنْشَاد. (2) بُوْ غانيم (صاحب القصبة = عازف الناي) وهو شخصية محورية في الفرقة، يقوم بدور المهرّج والمضحك، إذ يرتدي لباساً غريباً ويقوم بحركات بهلوانية لاجتذاب الجمهور وتسليته، ويتولى عملية جمع التبرعات التي يتعالى أمْدَياز عن القيام بها. ويرجع اسمه إلى الناي (أغَانيمْ) المزدوج القصبتين الذي يعزف عليه (3) إيردّادن أو إينشادن (المردّدون) وهم المجموعة المردّدة الأشعار التي ينظمها ويغنيها رئيس الفرقة (أمدياز)، كما يقومون بالعزف على أدوات الإيقاع، ومن ذلك تسميتهم كذلك بـ "إيدْ بُو طارّت (أصحاب الدفوف) ويعرف غناؤهم بـ "گّسْتْ". وعلى غرار الرُّوايس، فإن إيمديازن، يرجعون موهبتهم إلى الأولياء والصالحين تبركاً بهم واستلهاماً لكراماتهم. ومن الدارسين من يرى أن فرق "الشيخات" بالأطلس المتوسط تنحدر من فرق إيمديازن، حيث تم من فترة الاستعمار استبدال المرددين الذكور بمجموعات راقصة نسائية.

ويطلق اسم إيملكّازن (م. أمْلكّاز) في نواحي مدينة الخميسات بالأطلس المتوسط، على فرقة مماثلة لفرقة إيمديازن تضم ثلاثة أو أربعة أشخاص يرأسهم أملكّاز، وتشارك في الحفلات والمهرجانات وألعاب الفروسية، وتتكسب بالسيّر في ركاب الفرسان مشيدة بالفائزين منهم.

وفي مناطق الريف، هناك فرق شْيُوخ (م. شّيخ) المتضمّنة لكل من شيخ وهو الشاعر المغني وإيزمّارن (م. أزمّار) وهم المرافقون له، والعازفون على أميدّاز أو أزمّار (= مزمار القربة). وتشارك هذه الفرق في الحفلات الاجتماعية كالزفاف والختان وغيرهما.

أنْشَادْ (ج. إينشادن) أو أمدّاح (ج. إيمّداحْن) وهو شخصية يوازي نشاطها الفني نشاط أمدياز بالأطلس المتوسط الاّ أنه شاعر أكثر مما هو مغنّ، يقوم بنظم وإنشاد مطوّلات شعرية ذات طابع ملحميّ ومضامين دينية واجتماعية واخلاقية. له أيضاً فرقة تتألف من ثلاثة أو أربعة أفراد، يرددون أشعاره الشخصية أو محفوظاته من الشعر الجيّد (تازضايت/تيزضايين، أزضاي). ويختلف عن أمْدياز باستقراره وملازمته للقبيلة وعزوفه عن التكسّب بفنّه، كما لا تتوفّر فرقته على عازف مزمار أو مهرّج. يستعمل أحيانا الكمان لمصاحبة إنشاده مستغنياً عن أفراد فرقته.

إهياضن (م. أهياض : فرقة فنيّة متجولة في منطقة سوس تضم جموعة في الشباب المعروفين أيضاً ب "رُمَا أو بأولاد سيدي حماد أو موسى. يترأسهم "مقدّم" يتولى تنظيم حفلاتهم وعروضهم الفنية والبهلوانية في مختلف مناطق المغرب وخارجه ولهم دور كبير في نشر الأشعار والألحان والرقصات الأمازيغية بين قبائل سوس. ومن آلاتهم تالّونت (الطارة) ولْغَوّاد (الناي القصير) (انظر المادة).

أنواع الشعر الأمازيغي : يتضمن معجم الشعر الغنائي الأمازيغي عدداً مهماً من المصطلحات الدالة على مفهوم القطعة الشعرية الغنائية، ممّا يعكس ازدهار هذا الفن وتطوّره في الثقافة المحليّة لمختلف المناطق الأمازيغية بالمغرب. ويرجع الاختلاف والتنوع في التسميات إلى عوامل شكلية ووظيفية، إقليمية. ذلك أن نوعاً معيناً قد يعرف بأسماء مختلفة باختلاف المناطق التي يستعمل فيها، وقد تعرف المنطقة الواحدة أسماء مرادفة لنفس النوع. وفي الحالتين يتميّز كل صنف بخصوصياته الشكلية ومواصفاته الفنية والموسيقية. كما أن للمواضيع والأغراض والمناسبات دوراً في اختلاف الأنواع الشعرية الغنائية. وفيما يلي أهم الأنواع التي ترد في الدراسات التصنيفية والوصفية (جواد، لورتا جاكوب، أمرير، بوزيد، معاوي، أولسن...). وتُعبّر المصطلحات في نفس الوقت عن النموذج الشعري والموسيقي والغنائي :

لْغا : الشعر المغنّى بمنطقة سوس، وكذلك اللحن المصاحب لـ أورار = الغناء) دون استعمال آلات موسيقية. ويقابله أسْنيمّر (أيت بوكّماز)، وتاللّغات وهي قطعة شعرية مغناة لاتتعدى بيتين أو ثلاثة ينشدها أمارير في أحواش.

تَازْرارت : (1) غناء فردي قصير يتخلل أحواش في إحدى مراحله، خاصة بعد أهَايُو أي توقف الغناء الجماعي والعزف على آلات الإيقاع (2) غناء فردي نسائي بالخصوص تتغنى به الفتيات في الحقول وخارج المحافل التقليدية. وهو أيضاً ذلك الغناء الجماعي للنساء أثناء مراسيم تهييء العروس للزفاف. ومن الناحية اللغوية يمكن ربط الكلمة بمفردة تَازرورت أي هدب الثوب أو حاشيته، من فعل زرّرْ = طرّز، رصّع. ذلك أن تازرارت عبارة عن ذيباجة للغناء في أحواش. ويتكون بيت تازرارت من عشرة مقاطع موزعة على شكل وحداث مقطعية صغيرة تفصل بينها نغمات مطوّلة على نحو "الموال" في الموسيقى العربية، ممّا يجعلها تتطلب من المغني (ة) نفساً قوياً. إذ كلّما طالت تازرارت وتنوعت ألحانُها (ريّح) كلما كان ذلك مستحسنا من لدن السامعين. (3) في أيت مكون : إضافة إلى المدلول الأول لتازرارت، ينسحب المصطلح كذلك على الغناء المصحوب بالرقص مع عزف الإيقاع على آلة "البندير"، ويكون بالخصوص في مناسبة الزفاف. أما بالنسبة لمنطقه گلاوة (إيگلوا) فالكلمة تقتصر على الغناء الموقّع بالبندير فقط.

تامَاوَايت : (بالأطلس المتوسط) : عبارة عن "موّال" طويل النفس على غرار تازرارت، وهي الشكل الغنائي الذي يظهر فيه حسن الصوت والتحكم في اللحن والأداء وبراعة المغني (ة) في تلوين النغم والميلوديا. وكثيراً ما تتخلل مطوّلاتُ تاماوايت رقصات أحيدوس.

تامواشت : لها نفس المدلول في بعض المناطق من الأطلس المتوسط. كما تعني في مناطق أخرى منه "الشعر الهجائي".

تامْدَاحْت، تامْدْيازت، تاملكازت، تامْليازت، تايفّارت : قصائد غنائية مطولة أو مجموعة قصائد قصيرة متوالية، يغنيها أمدياز وأمدّاح أثناء جولاتهما. وتكون مصحوبة أحيانا بغناء لمَعْبُود الذي يأتي بعد الإستهلال الديني قصد طلب الضيافة ومدح المضيف والدعوات له. ولفرق إيمديازن أنواع غنائية أخرى يمزجون بينها في أدوارهم إضافة إلى الأجناس السابقة؛ ومنها تازضايت (تيزضاي) تبغراض، تاغْيُولت (تبغْبال).

تانْشَادْت : قصيدة غنائية مطوّلة ذات مضمون ديني وعظي وأخلاقي، يختص بها أنشاد (إينشادن) ويقابلها في نفس السياق الديني أهْليل، وهو المصطلح الأكثر تداولاً في الأطلس المتوسط حين يتعلق الأمر بالأشعار الدينية الصرفة.

إزْلي، (إزْلاَنْ) : شعر مصحوب بالعزف، يردّده إردّادن بعد الشاعر المغني، أو في حلقات أحيدوس بالأطلس المتوسط.

ويتكون إزلي الواحد من بيتين أو أربعة أبيات فقط.

إزْرى (إيزران) (بدون تفخيم الراء) : في منطقة الريف: هو الأغنية، وتكون إما نسائية : إزْرانْ رْهْرا (= أغاني عاطفية) أو رُرُور أي القصائد المغناة من قبل شيوخ في الحفلات، وقد تكون ذات مضمون هجائي.

تاحواشت : مقطوعة قصيرة يغنيها الراقصون في أحواش بعد أن يرتجلها أنظّام (الشاعر) وتتكوّن غالباً من بيتين اثنين .

تاگزّومت : تطلقت في الأطلس الكبير على أنماط شعرية مختلفة باختلاف المناطق. فهي تعني تلك الأشعار

المحلية التي نادراً ما يتجاوز تداولها حدود القبيلة، وترتبط في الغالب بحفلات الزفاف، إذ تسبق النوع المعروف بـ "تامغرا"، كما تغنى في ساحة عمومية (أسايس) أثناء المناسبات والأعياد، وتؤدّى بدون مصاحبة موسيقية، حيث يرتجل أشعارها الرجال دون النساء وذلك على شكل كورال يشكّل صفاً يقابل صف عازفي البنادر وبينهما تندرج النسوة المكتفيات بالرقص. ويغني الشعراء شطراً من البيت الشعري وتعقبهم المجموعة الرجالية لترديد الشطر الثاني.

تامغرا : لغة : "حفلة خاصة بالزفاف"، أو "الزفاف" نفسه كما تعني الكلمة "رقصة الزفاف" (أيت مگون) التي تؤديها النساء وسط صفي الرجال، كل واحدة على حدة، تبعاً لإيقاع البنادر. وأثناء الرقصة تكون المرأة ممسكة بعصا سداة نول النسج، تحتفظ بها النساء طيلة أيام الحفل. وتكون تامغرا مسبوقة بارتجالات شعرية من نوع تاگزومت.

أورَارْ : لغة وبالأطلس المتوسط "اللعب"، أما في سوس فهو الغناء بصفة عامة (تَيْرير = غنّى) ويعني المصطلح في أيت مگون : الغناء المجرّد من العزف الموسيقي، تؤديه مجموعتان نسائيتان بالتعاقب واحدة تلو الأخرى. ويكون ذلك في مناسبات معينة كالختان والزفاف على الخصوص. ويتكون رصيد هذا النوع من المحفوظات الشعرية المتداولة، إذ لا مجال فيه للارتجال أو الإبداع. وفي أيت مگون، يقتصر أداء أورار على السيدات المتزوجات أو المطلقات، دون الأوانس. ولهذا الصنف مقابل في الريف وهو رْغْنُّوج (م.أغْنِيجْ).

أراسَالْ : جميع أشكال الشعر الغنائي (بآيت مگون)، سواء كان مصحوباً بالعزف أو بدونه (=أسِي أراسال مرادف أسِي لْغَا، أي الأداء، الغناء).

لْمسَاقَ : غناء يسبق أحواش، قبل دخول النساء للمرقص يؤديه الرجال والأطفال عزفاً على أگنزا (البندير) وتكون أبياته أحياناً من ارتجال الشعراء خاصة لإبراز مستجّداتهم الإبداعية، وقد تكون أشعاره من مجموعات تيرّويسا (نظم وغناء روّايس) المتداولة بسوس.

أسالاَوْ : (من سَّالاَ = أبْكَى) : مردّدات شعرية نسائية بالأطلس الصغير، تؤدى بدون موسيقى، أثناء مراحل إعداد العروس للزفاف فترة الحناء، وتشييع الموكب إلى بيت الزوجين. وفي نفس السياق يستعمل مصطلح تاسُوگانت، وكذلك إيزويرّيگن (من زوُور = سبق) وإيبيسْميتْن (من البسملة) وكلها تدل على الأغاني الاستهلالية المتضمنة لعبارات استجلاب الفأل الحسن والطالع السعيد.

لاَذْكَارْ : (من ذِكْر) وهي أذكار وأناشيد صوفية يتغنى بها في المناسبات الدينية والمواسم المخصصة للأولياء والزوايا والأضرحة، بعضها باللسان الأمازيغي وجزء كبير منها بالعربية المغربية. وللنساء نوع مماثل يعرف بـ لاَحْوَال (الأحوال = التواجد)، وهي عبارة عن حلقات حضرة صوفية تجمع بين الإنشاد والرقص. ولا شك أن أهليل بالأطلس المتوسط يدخل كذلك ضمن هذا النوع الصوفي.

3 ـ النظم و"العروض" في الشعر الأمازيغي : من خلال الدراسات التنظيرية الحديثة في مجال الشعر الأمازيغي (جواد 1976 و 1982 و 1983) أمكن رصد النظام العروضي والنظمي لتامازيغت (الأطلس المتوسط) وتاشلحيت بكيفية علمية، تجاوزت حدود الافتراضات الانطباعية السابقة. وهكذا فالنظم الأمازيغي يتأسس على عروض قوامه تيبّات (ـه. تيت)، وهي وحدات صوتية من مقطع واحد يتشكل منها رِّيح أي اللحن والوزن. وتكوّن مجموع التّيات منظومة من الصيغ (القواعد) التي تعتمد كنماذج قارة، حصرها ح. جواد (المراجع السابقة) في سبع وثمانين صيغة عروضية. وتنقسم هذه المنظومة إلى ثلاث عشرة وحدة مقطعية، ثمان منها تشكّل النواة وهي : لاَ، دَا، لاَلْ، لأيْ، دالْ، لايْ، دَايْ، لأيْلْ، دايْل، تؤلف مع الخمس الباقية، وهي أ، أيْ، لي، لأدْ، لايْدْ، والتي تعتبر كمتغيّرات لوحدات المجموعةالنوويّة. وتتم صياغة هذه العناصر على شكل مركّبات متفاوتة الطول يشمل أقصرها ثمان وحدات وأطولها ثمان عشرة وحدة. وتكوّن الصيغ المتماثلة في الطول سلسلة متجاسة. ويخضع تركيب الوحدات على شكل صيغ إلى قواعد صارمة تحدّدها السمات البنيوية للوحدات ليتأتّى لها أن تندمج ضمن منظومة محكمة البناء. وهكذا يتخذ كل نوع من الأبيات الشعرية ترسيمة من المقاطع النموذجية ترتبط به وتُلزم الشاعر للانقياد بها طوال إنشاده للقصيدة. ويمكن لأي أذُن مستأنسة بالنظم الأمازيغي أن تستخرج الصيغة العروضية للبيت بعد سماعه، والحكم على هذا الأخير بالصواب أو الخطإ عروضياً وإيقاعياً. ذلك لأن البيت الشعري كمادة لغوية (مفردات ومركّبات وجمل ...) ليس سوى تجسيد للصيغة العروضية التي تكمن وراءه، والتي تعرف تقليدياً بـ تادَالاَيت (أو تاناناَيت أو تالالاَيْت) ولذلك غالبا ما يبدأ ارتجال الشعر أو الإنشاد بتقديم هذه "الليْلَلة" التي ينسج على منوالها ما يتلوها من أبيات مغناة أو ملقاة بدون لحن، وهي التي يعتمدها الشعراء أيضاً لتقطيع الأبيات وتشطيرها وتقويم جودتها العروضية.

4 ـ العروض والموسيقى : تنطلق الدراسات العلمية الحديثة حول الشعر الغنائي الأمازيغي من فرضية أساسية مفادها أن العروض الشعري يُشكّل بنية الموسيقى الغنائية الآلية أو الصوتية، وهو المعتمد في تصنيف الأجناس الموسيقية الغنائية إلى ثلاثة : "الأشعار الغنائية الطقوسية". و"الشعر الغنائي العادي" و"الموسيقي الراقصة". ولذلك فالبنية الموسيقية للأغنية تعالج من وجهة نظر علاقتها بالأنموذج العروضي الذي يميّزها عن غيرها. ويفترض أيضاً أن النموذج العروضي يكون مترسخاً في ذهن الشاعر والمغني، حيث ينتمي إلى الرصيد المكوّن

لقدرته الشعرية وموهبته الفنية. وانطلاقا من الصيغ العروضية المتداولة تحدّد الموسيقى الصوتية انطلاقاً من لحن تالالايت الذي يعطي للأغنية خصوصيتها اللحنية والإيقاعية. وللصوت أهمية قصوى في الشعر الغنائي، حيث يختار كل شاعر الطبقة الصوتية التي تناسب اللحن والإيقاع المراد أداؤهما بالنسبة لقطعة من صنف معين. أما المجموعات الصوتية (الكورال) فغالبا ما تختار طبقة صوتية متوسطة تمتد بين نغمتي "لا" و"دو" في السلّم العالمي. وقد حدّدت السلاليم الموسيقية المستعملة في الغناء الأمازيغي في ثلاثة أصناف : ثلاثية ورباعية وخماسية. فتاگزومت مثلاً تغنّى في السلاليم الثلاثية الأصوات، وأورار في السلاليم الرباعية، ولمْسَاق. وتازرارت وأحواش في السلاليم الخماسية. وبالنظر إلي تقارب السلاليم الثلاثة يمكن إجْمالها في سلم تأليفي واحد يشمل الدرجات المستعملة في الموسيقى الغنائية الأمازيغية عامة وذلك على النحو الآتي : (بـ .لورطا ـ جاكوب 1980 ص. 109، شكل 7).

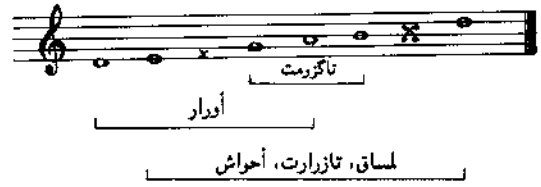

وبالنسبة للأوزان التقليدية، فيظهر أن هناك تطابقا بين أوزان الشعر وإيقاعات الموسيقى والرقص. فمن أبرز الأوزان المتداولة هناك أهْنَاقار، ودَرْست، وتَامسَوست وتابيروست وأمسرّح. ومن المقامات (ريّح) المتداولة في موسيقى تريّوسا (الروايس) بالخصوص، والتي تستعمل في أدائها آلات الرّباب ولوتار والنّاقوس، مقام كل من لمعكّل وأگناو وأشْلحي وأمْنَاصفى (بين أگناوي وأشلحي)، وهي حسب النماذج التالية كما وضعها الأستاذ بلعيد العكّاف :

أ) لْمعكّل : سلّمه الأساسي صول، لا دو، ري فا (صول) ويتوفّر على علامة شاعرة بينما تغيب فيه الدرجتان 3 و 6 وينجز على طريقتين.

ـ الطريقة الأولى : انطلاقا من "صول"

الطريقة الثانية : انطلاقا من "ري".

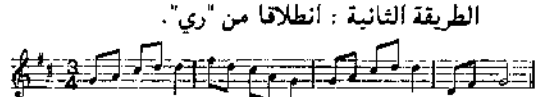

ب) أگناوي : تقوم فيه نغمة "لا" مقام نغمة "صول" ويُنْجَز بطريقتين :

الطريقة الأولى : وسلّمها الأساسي هو : ري مي صول (دياز) لا، دو (دياز) ري. ويتوفّر على العلامة الشاعرة لكنه يخلون من الدرجتين 3 و 6

الطريقة الثانية : تعتمد بدورها على نغمة "لا" وسُلّمها الأساسي هو : ري، مي صول لاّ، سي (ري)، مع تغييب درجتي 3 و 7.

ج) أشلحي : يعتمد فيم العزف (الرباب بالخصوص) على نغمة "صول". ويؤدى على طريقتين :

الطريقة الأولى : سلمها الأساسي هو :

فا، صول، لا، دو، ري (فا)، حيث يخلو من الدرجتين 4 و 7 :

الطريقة الثانية : وتعتمد كسلم أساسي :

دو، ري، فا (دياز)، صول ، سي (دو) وهو سلم يتوفّر على العلامة الشاعرة ويخلو من الدرجتين 3 و 6 :

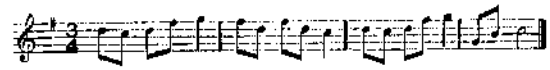

م. أبودرار، (1969) : *من أهازيج سوس، أحواش*، الفنون، عدد 1 : 99 ـ 102 ؛ أ. أمزال، (1968) : *أماناڵ*، ديوان شعر شلحي، الرباط ؛ ع. أمرير، (1975) : *الشعر المغربي الأمازيغي، لهجة سوس*، الدار البيضاء دار الكتاب ؛ ع. أمرير، (1978) : *أمالو، ظلال من الفنون الشعبية المغربية*، الدار البيضاء ؛ ع. أمرير، (1986) : *الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمّو الطالب*، البيضاء ؛ ح. إيد بلقاسم، (1986) : *تاسْليتْ ونْزَارْ*، مجموعة شعرية أمازيغية، الرباط ؛ ح. إيد بلقاسم، (1988) : *إيَاراَيْن*، مجموعة قصصية أمازيغية، الرباط ؛ أ. بوزيد (1984): *أحواش، الرقصى والغناء الجماعي بسوس*، (مرقون) (تحت الطبع)، الرباط، عكاظ ؛ م. بيزران، (1987) : *إيفراون*، ديوان، الدار البيضاء ؛ ع. صدقي، (تحت الطبع) : *تيميتار*، ديوان، منشورات عكاظ، 1989 ؛ ع. المعاوي، (1984) : *الشعر المغربي الغنائي السوسي "القصيدة"*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا (مرقونة)، كلية الآداب، الرباط ؛ م. مستاوي، (1976) : *إيسكراف*، ديوان شعر أمازيغي، الدار البيضاء ؛ م. مستاوي، (1979) : *تاضصاد يطاون*، ديوان شعر أمازيغي معرّب، الدار البيضاء ؛ م. مستاوي، (1988) : *أسَايْس*، ديوان شعر أمازيغي معرّب، الدار البيضاء ؛ ع. الصافي المومني، (1931) : *أوسّان صمّيدنين*، الدار البيضاء الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، (1966) : *إيموزّار، مجموعة شعرية بتامازيغت*، الرباط. (مرقون) ؛ *الجامعة*

الصيفية بأگادير (1981) : أعمال الدورة الأولى، المحمدية ؛ جمعية الانطلاقة الثقافية بالناظور (1980) : *المهرجان الأول للشعر الأمازيغي* (الناظور 6-5-1979) *نماذج مختارة من الشعر الريفي* (مرقون).

A. Bounfour, (1985), *Linguistique et littérature : Etude sur la poésie orale marocaine*, thèse d'Etat, Univ. Paris III, Sorbonne Nouvelle ; (1986), *Transformations et enjeux de la poésie berbère, Nouveaux enjeux culturel au Maghreb*, p. 181-189, Paris ; A. Chottin, (1933), *Corpus de musique marocaine II, Musique et danses berbères du pays chleuh*, Paris ; (1939), *Tableau de la musique marocaine*, Paris ; P. Galand-Pernet, (1969), *Un schème grillé de la poésie berbère, Etude de motif des métamorphoses dans les poèmes chleuhs*, Word, Vol. 25, nº 1-2-3, p. 120-130 ; (1972) *Recueil de poèmes chleuhs*, I, *Chants de trouveurs*, Paris ; (1985), *Le poème oral et ses marges : prologues berbères*, Lalies, Actes des sessions de linguistique et de littérature (Aussois, 1984), Paris ; *Littérature Orale et représentation du texte : Les poèmes berbères traditionnels, Etude de littérature ancienne*, tome 3, *Le texte et ses présentations*, p. 107-118, Paris ; H. Jouad, (1977), *Les règles métriques dans la poèsie berbère*, Cahiers de poètique comparée, III/1, p. 25-29, Paris ; (1983), *Les éléments de versification en berbère marocain tamazight et tachlhit*, (ronéotypé), thèse de IIIème cycle, Univer. de Paris III ; (1986), *Métres et rythmes de la poésie orale en berbère marocain, la composante rythmique*, Cahiers de poètique comparée, nº 12, p. 103-127, Paris ; (1987), *La matrice rythmique, fondement caché du vers*, Etudes et documents berbères, nº 3, p. 47-59, Paris ; H. Jouad et B. Lortat-Jacob, (1982), *Les modèles métriques dans la poésie de tradition orale et leur traitement musical*, Revue de musicologie, t. 68, (1-2) p. 174-197, Paris ; J. Karpati, (1961) *Mélodie, vers et structure strophique dans la musique berbère du Maroc Central*, Studia Musicologica (Budapest) I (3-4) p. 451-473 ; E. Laoust, (1928), *Chants berbères contre l'occupation française, Mémorial Henri Basset*, Paris, p. 9-20 ; C. Lefebure, (1986), *Ousmane : la chanson berbère reverdie, Nouveaux enjeux culturels au Maghreb*, p. 189-208, Paris, CNRS ; (1987), *Contrat mensonger, un chant d'amdyaz sur l'émigration*, Etudes et documents berbéres, nº 3, p. 28-46, Paris ; B. Lortat-Jacob, (1980), *Musique et fêtes au Haut Atlas*, Paris ; L. Paul-Marguerite, (1935), *Chants berbères du Maroc*, Paris, Berger Levrault ; M. Peyron, (1985), *Une forme dynamique de poèsie orale : Les izlan et les timawayin du Moyen Atlas. (Maroc)*, Langues et littératures, nº 5, p. 161-185, Rabat, Publications de la Faculté des Lettres ; A. Roux, (1928) a, *Un Chant d'Amdyaz, l'aïde berbére du groupe linguistique beraber, Mémorial H. Basset*, p. 237-247, Paris ; (1928) b, *Les Imdyazen ou Aèdes berbères du groupe linguistique beraber*, Hesp. VIII (2), p. 231-251 ; M. Rovsing-Olsen, (1984), *Chants de mariage de l'Atlas marocain*, thèse de IIIème cycle, Paris X, (Dactylographié) ; Ph. Schuyler, (1979), *A Repertory of Ideas : The Music of Rwais, Berber Professional Musicians from Southwestern Morocco*, (Ronéotypé), P.H.D., Univ. of Washington.

الحسين مجاهد

إماريغن، قد ترد في الوثائق هكذا : مريغة، قرية في الأطلس الكبير عند الكيلومتر 58 على طريق الذاهب من مراكش إلى تارودانت عبر تيزي ـ نْ ـ تاست، واسم هذه القرية مشتق من الملح لأن بها ملاحة شهيرة يصدر ملحها إلى قبائل المصامدة في الأطلس وإلى سوس وقبائل جهات أمزميز وكذا إلى مراكش، وحتى إن لم يتأكد أنها الملاحة المذكورة عند البكري حين حديثه عن الطريق بين أغمات وسوس فإن هنالك إشارات تدل على قدم هذه الملاحة والقرية المرتبطة بها.

لم تكن القرية في موقعها الحالي على منحدر الجبل مجتنبة الطريق إلى جهات تينمل وسوس بل كانت في البسيط حيث مزارع إماريغن اليوم، وكانت تسمى تَاگْمُوتْ (من شكل الكمامة الذي ينطبق على الموقع المحاط بالجبال من كل جهة)، وهذا الاسم باق في رسوم ملكية ساقية القرية المشتقة من أسيف ـ نْ ـ وازْاضْنْ، وباق على المزارع التي كانت بها القرية واندثرت اليوم نهائيا.

ذكر صاحب *كتاب الأنساب* وهو على الأرجح ابن عبد الحليم الأيلاني العارف بذلك الميدان الحافظ لمتوارث أخبار أهله أن الفاتح عقبة بن نافع عندما كان مارا إلى سوس ترك بتاگْموت هذه عددا من أصحابه المرضى، وقد حددها هذا الكاتب بأنها تاگْموت التي قرب كيك، فلا يبقى مجال للشك أنها هذه التي نتحدث عنها.

وما زالت في مزارع إماريغن حقول تعرف باسم "دار أوگادير" أي عند الحصن، وهي ذكرى الحصن المركزي في القرية القديمة، وهما في الواقع حصنان. وكانت بهذه المزارع إلى منتصف هذا القرن أطلال المسجد الجامع الذي كانت تقصده عدد من القبائل بالرغم من كون المغزى الحقيقي لتقديس ذلك المكان قد تنوسي. وقد كان بعض القواد الكتنافيين في هذا القرن كلما تردد على هذه القرية، وكانت ضمن قيادتهم، يذكر لشيوخها من أيت واحمان أن هذه القرية المسماة بتاگْموت تستحق أن يقام بها "موسم" و"معروف" سنوي إحياء لذكرى من دفن بها من الرجال العظام، وكان هؤلاء الگْتنافيون يستندون في ذلك إلى مطالعات طلبتهم في بعض كتب خزائنهم الغنية وهم ورثة الموقع المهد الذي انطلق منه الموحدون تينمل.

ومن أهمية موقع إماريغن عند مدخل وادي نفيس الضيق والخروج إلى السهل أن المعركة الحاسمة بين الموحدين والمرابطين وهي التاسعة في ترتيب البيذق قد وقعت أمامها في فج أسدرم.

ويذكر ابن عذاري في *البيان المغرب* (قسم الموحدين، 58) نقلا عن ابن عبد الملك أن الوزير الكاتب أبا جعفر أحمد ابن عطية قد نكبه عبد المومن الموحدي فسجن عام 552 هـ ثم أخرج من سجنه هو وأخوه أبو عقيل وحملا إلى جبل درن وقتلا بموضع تاگْموت قرب الملاحة وذلك في التاسع والعشرين لصفر من سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، قتلا على يد من حملاهما إلى هنالك وهو رجل من گومية يعرف بيوسف بن عبد العزيز.

وقد تبدل الموقع والاسم في زمن لاحق وصارت قرية إماريغن التي ورثت نفس الأهمية حيث نجد ولد الزرهوني مؤلف كتاب *رحلة الوافد* يتحدث عن القصبة المخزنية الإسماعيلية التي كانت بهذه القرية وكان بها القائد احماد بن علي وهو المعروف عندهم ببو العصافر وقصبته معروفة إلى اليوم بأگادير ـ نْ ـ بو العصافر وجدرانها ما تزال قائمة في أعلى منحدر مشرف.

يذكر أهل إماريغن الذين يروون أخبارا عن ماضيهم أن المولى سليمان مر بها مستخفيا ذات يوم عيد فأكرمه رجل يدعى أگيلال فأعطاه بطاقة توجه بها إلى مراكش وعاد بظهير المشيخة، ولكن الأسرة التي توارثت المشيخة منذ أواخر القرن الماضي هي أيت وحمان وكان ولاؤها تارة لقواد السهل وتارة لأهل تاگْنتافت إلى أن تكرس هؤلاء بسيطرة الفرنسيين.

تحريات ميدانية ؛ أ. البكري، *المغرب* ؛ المراكشي، *المعجب* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* (قسم الموحدين) ؛ ابن عبد الحليم (؟) *كتاب الأنساب*، مخطوط، خ. ع. 1275 ك ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ أ. المقري، *نفح الطيب* ؛ الزرهوني، *رحلة الوافد* ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي*.

أحمد التوفيق

إمازيغن، في اللغة "البربرية"، جمع، مفرده : أمازيغ. وهو الاسم الذي يسمي به "البربر" أنفسهم. مؤنث أمازيغ هو تامازيغْت، يطلق على المرأة وعلى اللغة. عند قبائل التوارگ المنتشرة في قلب الصحراء الكبرى، يسكن حرف الزاي في "أمازيغ" ويقلب إما هاء، وإما شيناً أو جيماً، بحيث تنطق اللفظة "أماهغ" عند التوارگ الجزائريين، و"أماشغ" عند التوارگ الماليين، و"أماجغ" عند التوارگ النيجيريين (*Encycl. Berb.* 4 : 563).

I ـ كلمة أمازيغ، من حيث صيغتهااللغوية، اسم فاعل ؛ وهي صيغة نادرة لم يوضع على وزنها إلا عدد قليل من أسماء الفاعل. وهي مشتقة، حسب ما هو متوفر من القرائن، من الفعل "يوزغ" ـ المنطوق "يوهغ" عند التوارگ ـ الذي معناه غَزَا، أو أغارَ. ويرى بعض اللغويين أن "أمازيغ" مشتق من فعل آخر اعتبروه مُمَاتاً في اللهجات كلها، قد يكون هو الفعل "إزيغ"، أو الفعل "يوزاغ" (*Encycl. Berb.*, 4 : 566) وهو افتراض انبنى على الخلط بين ثلاثة أفعال أخرى، هي "ياغ" بمعنى أصاب أو اعترى ؛ و"ياغ" أو "يوغ" بمعنى أخذ، أو نال، أو سقط، أو اشتعل، أو أضاء ؛ و"يووْغ" بمعنى رعى في معنى انتجع. وعلى أي حال، "أمازيغ" اسم مُشْرَب معنى النُّبل والشهامة والإباء، سواء في المغرب أو عند التوارگ (De Foucauld, 2 : 673). قد يكون ذلك ناتجا من مجرد الاعتزاز بالنفس، من قبل إمازيغن، لأن الشعوب تتخذ عادة أنسابها عنوانا للعزة والمناعة ؛ وهو ما نعتقده.

تسمية "البربر" أنفسهم بـ "إمازيغن" ضاربة في القدم، وبها عرفهم أقدم المؤرخين ؛ وعرفهم بها أقرب جيرانهم إليهم، وهم المصريون القدماء، مع تحريف لاسمهم في النطق، ثم في الكتابة، له ميرراته اللغوية. كان المصريون القدماء، في عهد "راعامسيس" الثالث، يسمونهم "ماشوش"، لأن اللغة المصرية في ذلك الوقت كانت تقلب الزاي شيناً، والغين شينا أيضا، بعد قلبه خاءً، وتفصل في الكتابة بالواو (واو فارقة) بين الحرفين المتجانسين (*Grammaire*, 27, 28, 29). وقد ذكر المؤرخ اليوناني هيكاتايوس Hekataios إمازيغن في القرن السادس قبل الميلاد باسم "مازييس Mazyes"، وذكرهم هيروضوتوس Herodotos في القرن الخامس ق. م. باسم "ماكسييس Maccyes". أما المؤرخون اللاتينيون فقد أوردوا الاسم نفسه محرفا إلى "مازاكس Mazasc أو Mazaces"، أو إلى "مازيكس Mazikes"، وهي أسماء جموع (Collectifs) بمعنى واحد أطلقوها على "الشعب النوميدي" (*Dictionnaire latin*, 956) ويظهر أن أول قبيلة أمازيغية كبرى احتكّت بقدماء المصريين احتكاك حرب (1227 ق. م) كانت تسمى "ليبو" وكانت مستوطنة لأراضي ليبيا الحالية (Berbères، عن هيروضوتوس،11). وقد اختلط الأمر على المؤرخين الأول، ومنهم هيروضوتس، فصاروا يسمون إمازيغن تارة باسمهم هذا، محرفا قليلا أو كثيرا، وتارة باسم "ليبيا Libyè" الدال في شعر هوميروس Homeros على الأراضي الممتدة من تخوم مصر القديمة، شرقا، إلى المحيط، غربا (*Dictionnaire grec*, 1190). ولما أنشئت المستعمرات التجارية الفينيقية على شواطئ إفريقية الشمالية وازدهرت ولفتت أنظار اليونان والرومان إلى الساحل الجنوبي للبحر المتوسط أخذ الكتاب الإغريق واللاتينيون يسمون الأمازيغيين عامة بـ "الأفارقة"، ويصنفونهم إلى ليبيين ونوميديين وموريين، انطلاقا من الشرق وانتهاء بالغرب. وكان منهم من يخلط بين هذه الأسماء Scylax في (*Le Maroc chez les auteurs anciens*، وCesar في (*La guerre d'Afrique*, 4). فصاروا يسجلون أسماء المجموعات القبلية الأمازيغية بشيء من التفصيل يصعب، بل يتعذر اعتماده في ترتيب تلك المجموعات من حيث أحجامها ولا من حيث استمرارية وجودها في الزمان حاملة اسمها الأول، ولا من حيث انتشارها في المكان ؛ وذلك نظرا لما طرأ من تحريف في النطق والتسجيل، من جهة أولى، ولكون تلك القبائل تتألف في معظمها من عشائر البدو الرحل، من جهة ثانية، ثم نظرا لاعتبار أمر لا بدّ من اعتباره هو أن من المحقق في ضوء ما هو ملحوظ إلى يومنا هذا، أن المترجمين للقبائل عن سماع عبر الزمان أو عبر المكان، كثيرا ما يخلطون بين الجزء والكل، من جهة ثالثة. وعلى سبيل الإشارة، لا الترجيح، نستعرض هنا أسماء القبائل الأمازيغية القديمة كما استقرأها الأستاذ ديزانج Desanges في تعليقة على بلينيوس الأكبر (*Histoire Naturelle*, V) مجتهدا في رسم خريطة لمواطن كل قبيلة :

1 ـ حسب ديزانج كانت قبيلتا "ماسايسيلي، أو ماسايسولي Masaesyli, Masaisuli" و"بانيورايي Baniurae" تستوطنان شمالي المغرب الأقصى بين المتوسط شمالا والمحيط غربا ونهر سبو جنوبا. وكانت قبيلة "أوتولولي Autololes" منتشرة في السهول الأطلنتية بين بورگراگ وتانسيفت الحاليين وكانت قبيلة "كاناريي Canarii" نازلة بناحية فگيگ الحالية.

2 ـ وفي المغرب الأوسط كانت القبائل النوميدية Numidia مستقرة أو شبه مستقرة في شرقي البلاد، بينما كانت قبائل "گايتولي Gaetulia" تنتجع في الأنجاد العليا Les Hauts Plateaux، وقبائل "أيثيوبيا Aethiobia" تشغل المنطقة الممتدة جنوب الأطلس الصحراوي.

3 ـ وفي تونس الحالية كانت القبائل النوميدية نفسها منتشرة في غربي البلاد من الساحل المتوسطي إلى ناحية

القيروان الحالية، ممثلة أحسن تمثيل في قبيلة "ماسيلي Massili، أو Massyli" أو "ماسولي Massuli"، المنطوق اسمها هكذا بسين مضعفة باعتبار النطق الفرنسي، والمنطوق أسمها حسب ما نرجح "مازولي" أو "مازيلي"، بالزاي، لأن السين المضعفة كانت بمثابة الزاي عند اللاتينيين قبل تبنيهم Y وZ اليونانيين، (*Traité de grammaire*, 33). أما أراضي "زاوگيتانا أو زاوغيتانا Zeugitana" و"بيزاكينا أو بيزاقينا Byzacena" فكانت خاضعة للنفوذ القرطاجي، قبل الاحتلال الروماني لها.

4 - وفي ليبيا نجد، حسب ديزانج قبيلة فزانيي Phazanii من الجهة الجنوبية الغربية للجبال المعروفة الآن بجبل نفوسة ؛ ثم نجد بالتتابع على مقربة من الساحل المتوسطي، وانطلاقا من الغرب تجاه الشرق قبيلة "ماكايي، أو ماقايي، أو ماغايي Macae" فقبيلة "ناسامويي Nasamones" فقبيلة "مارمارياداي Marmaridae"، فقبيلة "ماريوتاي Mareotae"، وهي الأخيرة من جهة الشرق تمتد مواطنها إلى بحيرة قرب دلتا النيل كانت تسمى باسمها. وفي عرض الصحراء الليبية، حيال الخليج من جانبه الغربي، كانت توجد مواطن قبائل "گارامانتي، أو غارامانتي، أو جرامانتي Garamantes".

من المعلوم أن المغرب الأقصى مع الجزء الأكبر من المغرب الأوسط كان يعرف عند اليونان باسم "ماوروسيا Maurusia" ؛ هم الذين سمّوا هذه المنطقة بهذا الاسم لأول مرة، فأخذه عنهم الرومان وقالوا "ماوريتانيا Mauritania". وهنا يجب لفت النظر إلى أن الاسم اليوناني Maurusia قريب من حيث مادته اللغوية من الفعل الإغريقي "ماورسو Maurso" الذي معناه "أظلم". فهل معنى ذلك أن اليونان كانوا يقصدون بـ "ماوروسيا Maurusia" أرض الظلمات، لأن الشمس تغرب فيها بالنسبة إليهم ؟ وهل لذلك علاقة بما كان العرب يسمونه "بحر الظلمات"؟ هذان تساؤلان يستحقان أن يبحث عن جواب لهما. أما الجزء الشرقي من المغرب الأوسط وما يليه من غربي تونس الحالية فكان يسمى "نوميديا Numidia". وكانت الأراضي المحاذية للشاطئ المتوسطي شرقا وشمالا تسمى "أفريقيا Africa"، فيما يهم الأناسي، و"أفريقانوس Africanus"، أو "أفريقوس Africus"، في الشعر خاصة، فيما يهم الحيوانات والأشياء (*Dictionnaire français-latin*, 59). وبقدر ما يمكن الفصل بأن اسمي "ماوريتانيا Mauritania، أو ماوروسيا Maurusia" و"نوميديا Numidia" ليسا أمازيغيين، بقدر ما يمكن ترجيح أن هذه الألفاظ الثلاثة "أفر Afer" و"أفري Afri" و"أفريقوس، أو أفريغوس، أو أفريكوس Africus" تنتمي من حيث صيغها إلى الحقل اللغوي الأمازيغي، وحتى من حيث مدلولاتها. لكن لا سبيل إلى الجزم في الموضوع، لأن اللغة اللاتينية كانت تلحق بالأسماء زوائد إعرابية متغيرة، تظهر حينا وتختفي حينا، من جهة، وأن حروف الهجاء في نظام الكتابة اللاتينية تطور عددها مع الزمن، فتغيرت رمزية بعضها الفونولوجية (*Traité de grammaire*, 33...). ولهذا السبب، وللأسباب الأخرى المذكورة آنفا، يكاد يتعذر على المؤرخ، حاليا، أن يقارن بين أسماء القبائل الأمازيغية التي وردت في المؤلفات اليونانية واللاتينية القديمة، وبين أسماء القبائل التي عددها ابن خلدون في عصره ؛ إلا أن اسم قبيلة "لُواتا" الشهيرة أورده بعض كتاب الإغريق واضحا لا غبار عليه : "لُواتا، أو لُواتاه Louâtah" : كما ذكروا اسم "إفوراقس، أو إفوراغس، أو إنوغاس أو إفورن Ifuraces" الذي يمكن أن يشخص في "إفوغاس" التوارگ، أو في "يفرن" (*Les Berbères*, Fournel, 98... 103). ويجوز أن نتساءل : هل من علاقة بين كاناريي "Canari" والجزر الخالدات؟ أو بين "أوتولولي Autololes" و"والال، أيت والال" ؟ وبين "گايتوليا Gaetulea" و"گودالا"؟ وبين "مازيلي، مازولي Massyli, Massuli, Massili" و"مزالا، أيت مزالا إمزيلن"؟ وبين "زاوگيتانا، زاوغيتانا Zeugitana" و"زْواغا، ئزگّاغن"؟ وهل لاسم "فازانيي Phazanii" صلة بنفوسه، أو على الأرجح بالفزّان الحالية، التي عرفت عند التوارگ باسم "تارگا"؟، (*Dictionnaire Touareg*, IV, 1588). أما "بانيورايي Baniurae"، فقد اقترح باحث مغربي أن نشخصها في "بني واراين" ؛ إلا أن ذلك مستبعد لأن الاسم الأمازيغي لهذه القبيلة هو "أيت واراين"، وفي العهد الإسلامي ترجمت "أيت" إلى "بني".

II - سبب تسمية إمازيغن بـ "البربر" : كانت الشعوب قديما قليلة التواصل بينها، وكانت تعتبر أن من لا يفصح عما يريد، في لغتها هي، لا يمكن أن ينعت إلا بالعجمة، أي بالخرس والبكامة. ولذا كان للعرب عجمهم، وللیونان عجمهم، هم "الباربارى Barbari". وكان للأمازيغيين عجمهم أيضا، هم "إگناون" ؛ وقد لزمت هذه التسمية بعض شعوب إفريقية الغربية، فيما تفرع عنها من أسماء البلدان، كغينيا وغانا، اللتين كان ينسب إليهما في المغرب بـ "گناوي؛ عبد گناوي". والغين في غانا وفي غينيا مقلوبة عن الكاف المعقودة. ولا تزال فئة من سكان المغرب الذين هم من أصل زنجي يسمون "گناوا". أما اللفظة الأمازيغية الأصلية فهي "أگناو" التي تجمع على "إگناون" ؛ ومعناها الأعجم، الأبكم، الأخرس... كان اليونان إذن يطلقون اسم Barbari على غيرهم من الشعوب، بدءاً باللاتينيين، ولما أخذه عنهم الرومان صاروا يسمون به كل شعب خارج عن المجال الحضاري اليوناني اللاتيني (*Dictionnaire latin*, 207). فمن المحقق إذن أن الأمازيغيين كانوا "باربارى Barbari" في نظر الرومان، وكانوا ينعتون بذلك النعت، لا سيما أنهم قاوموا روما مقاومة شديدة، حربيا (*Rome et les Berbères*)، وثقافيا (*La Résistance Africaine*)، ولا سيما أن جل قبائلهم ظلت خارج المناطق الشمالية الخاضعة للنفوذ الروماني. فلزمهم طيلة عهد الرومان ؛ وكان من الطبيعي أن يلزمهم طيلة عهد السيطرة البيزانتية على مدن

الساحل المتوسطي الجنوبي، بما أن "الروم"، أي البيزانتيين من ورثة الإمبراطورية الرومانية. وعند الفتح الإسلامي أخذ العرب عن "الروم" كلمة "باربارى Barbari" وجعلوها "بربر". ولقد ظل الإفرنج، أي الأوروبيون، يسمون إفريقية الشمالية "باربارياء Barbaria, Barbarie" ؛ أو الدول البارباريةEtats Barbaresques إلى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي (*Dictionnaire Robert*) ؛ ولما احتكوا بأهالي المغرب والجزائر الناطقين بالعربية العامية سمعوا منهم اسم "لبرابر" منطوقا براءين مرققتين ونقلوه إلى لغاتهم في شكل Berbers أو Berbères.

وما سوى هذا من التفسيرات التي ذهب إليها بعض المؤرخين العرب متكلف ليس له ما يثبته بالاستدلال والمنطق. إن كل ما روي من الأشعار العربية في موضوع نسب "البربر" وإلحاقهم بقبائل العرب، من مضرية وقحطانية، لم يكن مبنيا على معرفة مضبوطة ؛ وإنما كان صادرا عن رغبات سياسية كانت تراود نفوس العرب و"البربر" معا.

وعلى أي حال لقد تجاهل الأمازيغيون اسم "البربر"، في لغتهم، طوال العصور، واحتفظوا باسمهم الأصلي "إمازيغن". ولم يتقبل منهم اسم "شلوح" الذي سموا به في المغرب ـ وربما لأن بعض قبائلهم كانت تقطع الطرقات على المسافرين ـ إلا سكان غربي الأطلس الكبير وسوس ؛ يسمون أنفسهم "إشلحيين"، مع الإفراد على "أشلحي" ؛ لكن لوحظ عندهم في العقدين الأخيرين أنهم يفضلون اسم "إمازيغن". ومما يجب ذكره أن لفظة "أرومي"، أي الرومي أو الإفرنجي في اللغة الأمازيغية محملة في أصل مدلولها بمعنى القساوة وانعدام الرأفة، توازي في ذلك كلمة "باربارى Barbari" الرومية ؛ ولهذا التوازي امتداد فيما تسمى به ثمرة الصبار، الشائكة القشرة، المعروفة عند المغاربة بـ "كرموص النصارى" أي تين الإفرنج"، وعند الفرنسيين بـ "Figue de Barbarie" أي تين بلاد البربر.

III ـ أصل إمازيغن : كتب الكثير في هذا الباب، وملخص ما كتب أن المؤرخين العرب كادوا يجزمون، في العصر الوسيط، أن "البربر" من أصل يماني، أي من "العرب العاربة" الذين لم يكن لهم قط عهد بالعجمة ؛ وعلى نهجهم سار المنظرون للاستعمار الفرنسي الاستيطاني في القرن الماضي وأوائل هذا القرن، فأخذوا يتمحلون البراهين على أن "البربر" أوربيو المنبت، خاصة الشقر والبيض منهم. ومن الواضح أن الحافز في الادعائين كليهما سياسي، سواء أكان صادرا عن حسن نية أم كان إرادة تبرير للاستيطان. ومع تراجع الاستعمار الأوربي عن إفريقية الشمالية، أخذت هذه المسألة العلمية تفرض على الباحثين كل تحفظ لازم، لا سيما تجاه المصادر المكتوبة، ما لم تدعمها معطيات أخرى أكثر ضمانا للموضوعية. وقد عمل بجد، خلال الأربعين سنة الأخيرة، على استغلال الإمكانات الأركيولوجية والأنتربولوجية واللسنية في البحث عن أصل الأمازيغيين، أو عن أصول المغاربة على الأصح. والنتائج الأولى التي أفضت إليها البحوث أن سكان إفريقية الشمالية الحاليين، في جملتهم، لهم صلة وثيقة بالإنسان الذي استقر بهذه الديار منذ ما قبل التاريخ، أي منذ ما قدر بـ 9.000 سنة، من جهة ؛ وأن المد البشري في هذه المنطقة، كان دائما يتجه وجهة الغرب انطلاقا من الشرق، من جهة أخرى (*Berbères*, Camps, 44). وبناء على هذا، يمكن القول إن من العبث أن يبحث لـ "البربر" عن مواطن أصلية غير التي نشأوا فيها منذ ما يقرب من مائة قرن. ومن يتكلف ذلك البحث يستوجب على نفسه أن يطبقه في التماس "مواطن أصيلة" للصينيين، مثلا، أو لهنود الهند والسند، أو لقدماء المصريين، أو لليمانيين أنفسهم وللعرب كافة، ليعلم من أين جاؤوا إلى جزيرة العرب. وكل ما يمكن تأكيده اليوم، فيما يرجع للقرابة القديمة المحتملة بين إمازيغن واليمانيين، يكمن في قرائن ثلاث :

أ ـ عدد لا بأس به من أسماء الأماكن التي توجد على الطريق البري الواصل بين المغرب الكبير وبين اليمن عبر القارة الإفريقية، لها صيغ أمازيغية واضحة، ولبعضها مدلولات في اللغة "البربرية". منها في صعيد مصر : أبنو، وأسيوط، وأخميم، وتيما، وتالا، وأصوان (أسوان)، وتوشكا... وفي شمالي السودان : تاراگما، وأتبارا، وتيمرايين... وفي إيريتريا : أكسوم، وأسمارا، وأگوالا، وأگوردات أو أگورضاد... لكن، لا يوجد في اليمن نفسها، حسب ما هو مرسوم في الخرائط العادية، أسماء أماكن من هذا القبيل، إلا اسم جزيرة "أنتوفاش". أيرجع تسلسل الأسماء السالفة الذكر على الطريق القارية الرابطة بين إفريقية الشمالية وبين اليمن إلى عهد هجرة قديمة تركت آثارها في الأصقاع التي عبرتها ؛ أم يرجع إلى قرابة بين اللغة الأمازيغية وبين المصرية القديمة، واللغات الكوشية؟

ب ـ لقد عثرت شخصيا على عدد من الألفاظ العربية التي قال بشأنها صاحب *لسان العرب* إنها "حمْيرية" أو "يمانية" ؛ وهي ألفاظ لها وجود في الأمازيغية، إما بمدلولها "الحمْيَري" وإما بمدلول معاكس، وكأنها انقلبت إلى أضدادها. لكن عدد هذه الألفاظ قليل لا يسمح بجزم في الموضوع، إلا إذا تمت دراسة مقارنة ميدانية بين اللهجات الأمازيغية واللهجات اليمانية الحالية من حيث معطياتها المعجمية والصرفية والفونولوجية.

ج ـ بين حروف "تيفيناغ"، القديمة منها والتوارگية، وبين حروف الحميريين شبه ملحوظ في الأشكال. لكنها لا تتقابل في تأدية الأصوات، إلا في حالتين اثنتين بتجاوز في التدقيق (مراسلة شخصية بيني وبين الباحث الفرنسي كريستيان روبان Christian Robin، محرر الفصل الخاص بحضارة جنوبي الجزيرة قبل الإسلام في l'Arabie du Sud).

ولعل طريق البحث في هذا الموضوع سيختصر في العقود الأولى من القرن المقبل، أو قبلها بقليل، لأن وسائل

المقارنة الأنثروبولوجية بين الشعوب أصبحت جد دقيقة، بفضل الاكتشافات الأخيرة التي حققها العالمان "جان دوصي Jean Dausset" و"جان بيرنار Jean Bernard" المتخصصان في فحص الكريات الحمراء على مستوى أشكال سطوحها. ولقد تمكن هذان العالمان من اقتفاء آثار شعوب هاجرت مواطنها الأصلية منذ خمسة عشر ألف سنة (*Le sang et l'histoire*).

IV ـ خصوصيات الأمازيغيين ومميزاتهم : هل للأمازيغيين خصوصيات، بصفتهم "بربرا" ليس غير ؟ ـ لقد ذهب كثير من المؤلفين في تاريخ إفريقية الشمالية، والأوربيون خاصة منهم، إلى أن الأمازيغيين كانوا دائما، ولا يزالون يميلون إلى الفوضى، وبالتالي إلى التخلص من قبضة كل سلطان يريد تنظيم أمورهم. فنتج من ذلك تتابع الثورات والفتن، بغير انقطاع، في مواطنهم، وتعرضها المستمر للهجمات الآتية من الخارج. ويعزى ميلهم هذا، في نظر أولئك المؤلفين إلى... طبيعتهم الأمازيغية التي انفردوا بها. وهذا ليس بتفسير علمي، بل هو تفسير نظري محض صادر عن حسن نية أو عن رغبة سياسية. والواقع الملموس، الذي يلمسه كل من أتيح له أن يدرس تواريخ الأمم مقارنة من زوايا مختلفة، هو أن طبيعة إفريقية الشمالية الجغرافية هي التي كيفت في العمق المجتمع الأمازيغي وجعلت منه مجتمعا أقرب إلى البداوة منه إلى الحضارة والتمدن، وذلك بحكم عاملين اثنين، أولهما اختلاف المناطق خصبا وجدبا، وبرودة ودفئا، وغزارة أو قلة في الماء، باعتبار تتابع الفصول، ثم وجود "هامش" صحراوي شاسع وراء الأطالس الثلاثة، ونجود داخلية شبيهة بالجرداء. وثانيهما هو اجتياح القحط والجفاف مناطق معينة لمدة معينة، أو مناطق مترامية الأطراف على مدى سنوات، وهو مايسمّيه صاحب *الاستقصا* بـ "توالي المجاعات والانتجاعات" (4 : 67). هذان العاملان هما اللذان تسبّبا في استمراريّة نمط العيش الاستنجاعيّ، الذي تسبّب بدوره في استمراريّة النظام القبلي في حلّ الأقاليم، لأن النظام القبلي هو المواتي لحياة الحلّ والترحال الجماعيين. وعلى النظام القبلي ترتّب ما ترتب من الخصوصيات في التقاليد الاجتماعية، التي تؤثّر بدورها في طباع الأفراد. من تلك الخصوصيّات مثلاً الميْل إلى التقشّف ورفض حياة البذخ والتنعم. ومن تلك الخصوصيات الحرص على إقرار مبدإ المساواة بين أفراد العشيرة، وبين العشائر في نطاق الكيان القبلي، وعلى إقامة أعراف يتعارف عليها في التساكن والتعايش والتعامل في سياق الانتجاع المستمر، ثم على مراعاة العصبيات التي هي ضمان القدرة على الدفاع عن المصالح المشتركة، في حدود آفاق القبيلة المكانية والزمنية، أو على أحسن تقدير، في حدود آفاق حلف من القبائل المتجاورة ومن هذا كله يحصل توازن اجتماعي نسبي وغير قار يكون في أغلب الحالات هو الحائل دون قيام نظام سياسي قوي، مركز في المكان، طويل البقاء في الزمان. وفي ضوء هذه الاعتبارات يفهم تاريخ الأمازيغيين، ويفهم تاريخ شعوب أخرى. وفي ضوء هذه الاعتبارات أيضا يبحث عن أسس الديموقراطيات المحلية "البربرية"، وعن سر قدرة الأمازيغيين على مواجهة القوى الأجنبية بعدم الاستسلام لها حتى عند توالي انتصاراتها الحربية أو السياسية. وفي ضوء هذه الاعتبارات يدرك السبب الذي من أجله كان "البربر" في العهد الإسلامي، يرغبون عن اتخاذ الحَكَم من ذويهم وبني جلدهم، ومن أجله كان كل ذي طموح سياسي منهم يتنكر لانتمائه القبلي ولانتمائه الأمازيغي (*Histoire politique du Maroc*).

الديموقراطيات المحلية كانت قائمة على مبدإ المساواة بين أفراد العشيرة وبين العشائر التي تجمعها قرابة الدم، ثم بطون القبيلة الواحدة أو بين القبائل المتجاورة، ولكن مع مراعاة توازن القوى. ولا ينتدب لتمثيل الجماعة في دواليب هذا الحكم الديموقراطي نواب يعينهم الاقتراع، ولكن ينتدب له الشيوخ الذين ترشحهم مكانتهم الاجتماعية وقدراتهم. كان رؤساء العشائر عادة يتهربون من تحمل المسؤوليات نظراً لما يتبعها من التكاليف التي لا يجزى عليها بأي تعويض. ولذا كانت مجالس الشورى تحار لا في الفصل بين مرشحين للمناصب بانتخاب أحدهم، ولكن في إيجاد من يقبل تحمل المسؤولية ؛ وكان المجلس يضطر أحيانا إلى اختيار عضو غائب عن قصد أو عن غير قصد، فيأتيه في بيته للإلحاح عليه كي يقبل منصبا ما. كانت المناصب الرئيسية، عند قبائل الرحل وأنصاف الرحل هي الآتية : القيادة في الحرب، والريادة في الاستنجاع، وعضوية مجلس القضاء ؛ وكانت ريادة الاستنجاع تعوض عند أهل المدر بالأمانة على شؤون القرية. كان الرائد يسمى "أمغار ن توگا = شيخ المرعى" ؛ والقائد "أمغار ن تيريت = شيخ الاستنفار" ؛ والعضو في مجلس القضاء "أمزارفو أو أنزارفو" ؛ والقضاء الجماعي "أزرف" ؛ والأمين على شؤون القرية "أنفلوس". كان القائد يعين عند نشوب الحرب، وتنتهي مهمته بانتهاء الحروب. وكان الرائد يعين لمدة سنة، من فصل ربيع إلى فصل الربيع الذي يليه. أما عضو مجلس القضاء فكان يعين لمدة غير محددة لا تنتهي عادة إلا بوفاته أو باستقالته لعُذر مقبول. كان تنظيم الانتجاع يقتضي من "شيخ المرعى" أن يكون عارفا لأماكن الكلأ في تسلسلها بين الجبال والسهول، أو النجود والبراري، ولأهمية مساحتها ونوعيتها وما هو ملك خاص وما هو مشاع (أمردول = المرعى الشاسع ؛ ألمو = المرعى الخصب المخضر ؛ أزنيگ = البقعة فيها كلأ ؛ أگدال، أو أودال = المرعى المحظور). وكان فوق هذا ينبغي له أن يكون ديبلوماسيا قادرا على التفاوض بنجاح مع شيوخ القبائل الأخرى عند المنازعات. أما القائد "شيخ الاستنفار" فكان ينتخب، لا بالتصويت المرجح لرأي الأغلبية، ولكن بالتعيين المتفق عليه بالإجماع، من بين الشجعان الذين لهم

سوابق في إصابة الظن والإشارة بالخطة الحربية المناسبة. كان يفوض إليه الأمر كله يوم القتال ؛ أما شؤون التعبئة والاستعداد فمن اختصاص مجلس الشورى وكان من المفروض في كل مرشح للعضوية في مجلس القضاء أن يكون ملما بتفاصيل الأعراف والتقاليد التي تستن بها القبيلة، وملما كذلك بالشريعة الإسلامية في خطوطها العريضة، قادرا على الاجتهاد حتى يسهم مع زملائه في حسم القضايا التي هي من باب النوازل حسما يغني "فقه" الأعراف.

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض القبائل كانت تتفق على إنشاء مجالس مشتركة بينها تقوم مقام محاكم الاستئناف، وأن التقاضي كان يوجب على المتقاضين استعمال تعابير معينة لإشعار المجلس الابتدائي، في لباقة، بأن حكمه مرفوض، واستعمال تعابير أخرى لإشعار مجلس الاستئناف بأن عليه المعول بصفته المرجع النهائي. كانت أحكام مجلس الاستئناف تنفذ غالبا، بفضل ضغوط أعيان القبيلة على المحكوم عليه. كانت المنازعات التي تعرض على مجلس القضاء لا تختلف في شيء عن المنازعات التي تشجر في المجتمعات الرعوية، أو في المجتمعات القروية من أجل الكلإ والماء والخصومات المتعددة الأسباب، وحراسة البساتين وتحديد الحقول المزروعة. كانت قضايا القتل العمد وغير العمد من أكثر المسائل استعصاء على الحل ؛ وكانت تعالج بالطريقة التي تعالج بها عند البدو الرحل في كثير من مناطق المعمور (*Le prix du sang...*, 8 à 14). كان القضاة يجتهدون في تقدير التعويض عن الجروح اجتهادات تختلف من قبيلة إلى أخرى ومن سنة إلى سنة باختلاف الأوضاع الاقتصادية. كان التعويض عن الجرح في الوجه يحدد عند "أيت عطا"، مثلا، بالطريقة الآتية : يقف أحد القضاة أمام الجريح - بعد أن يكون الجرح الذي في وجهه قد التأم - ثم يسير القهقرى رويدا رويدا إلى أن تتعذر عليه رؤية النَّدَبَة، أي أثر الجرح ؛ فيتوقف، ويقيس أحد القضاة الآخرين ما بينه وبين الجريح من عدد الخطوات. ثم يصدر مجلس القضاء حكمه بأن يعوض المجني عليه عن جرحه. فإن كان رجلا حكم له بأخذ ما يساوي عدد الخطى غنما ؛ وإن كان امرأة حكم لها تأخذه بقرا.

هذه الأوضاع القبلية كانت سائدة في المجتمع التقليدي الأمازيغي إلى منتصف القرن العشرين ؛ والغالب أنها لم تتغير كثيرا منذ العصور القديمة. ولقد كانت مصدر قوة وضعف في آن واحد. كانت مصدر قوة لأنها حالت دون قيام أي نظام فيبودالي كالذي عرفته أوربا، ودون قيام أي نظام طاغوتي كالذي عرفه وادي النيل لمدة ثلاثة آلاف سنة، ودون قيام أي نظام قيصري ولاكسروي. ولذا لم يستعبد "البربر" قط استعبادا جماعيا. وحتى إذا برزت لهم في الأفق قوة تدّعي الجبروت ناوشتها القبائل بدون انقطاع أو رحلت عن منطقة نفوذها متحينة الفرص للانقضاض عليها وكسر شوكتها عاجلا أو آجلا. وكانت مصدر قوة نسبية مكنت الأمازيغيين من مواجهة الهجمات الاستعمارية التي توالت على إفريقية الشمالية ابتداء من القرن الخامس قبل الميلاد. ذلك لأن حياة البداوة تمنع الشعوب من الركون إلى التنعم والاسترخاء، من جهة، ولأن المهاجمين كانوا يجدون أمامهم دائما مقاومة سريعة التنقل من ناحية إلى ناحية، غير ملتزمة بقرار رئاسة مركزية ؛ فإذا استسلمت قبائل لاذت قبائل أخرى بالجبال أو بالصحراء لتنطلق منها بعد حين وتنغص على المستعمر مقامه وتجعله دائما في موقف الدفاع إلى أن تذهب ريحه مع الزمان وتبقى الأرض لأهلها. ومما لا شك فيه أن الشعور المبهم بالانتماء العرقي أو اللغوي المشترك كان يضمن مستوى أدنى من التآزر بين القبائل في مواجهتها للأجنبي الدخيل. وكانت مصدر قوة نسبية أيضا لأنها عاقت عمليات المثاقفة التي تلاحقت على أرض المغرب الكبير عن بلوغ مداها في أي عصر من العصور، رغم طول الزمن، فمكنت اللغة الأمازيغية من البقاء. مكنتها من البقاء في حالة متردية، لكن في حالة قابلة للانتعاش، بينما صارت إلى خبر كان عشرات اللغات التي عايشتها وعاصرتها في القديم، كالمصرية القديمة، واللاتينية والفينيقية والغالية وغيرها.

لكن، من جهة أخرى، كانت تلك الأوضاع مصدر ضعف ملحوظ، لأنها أولا جعلت الأمازيغيين، بصفتهم أمة، في مواقف الدفاع عن النفس في جل حقب التاريخ، مع ما كان يتوفر لهم من القوة الحربية الكمينة في عدد قبائلهم وفي تعودهم حياة الشظف. كانوا يهاجمون في عقر دارهم، ولم يكونوا قادرين على التكتل العسكري الذي تنبع منه الرغبة في التوسع على حساب الغير. وكانت مصدر ضعف لأنها منعت قيام أي دولة مركزية قوية يسمح لها طول بقائها بتنظيم الأمة في عمق كيانها، ولو مع مصادرة جزء مهم من الحريات، وبإنشاء حضارة مادية رفيعة متميزة. وكانت مصدر ضعف، بما أن امتناع "البربر" عن السماح لأية فصيلة منهم بالسيطرة والتعالي كان يضطرهم إلى تحكيم غيرهم في شؤونهم، إما على مستوى الدول وإما على مستوى الأفراد، إلى أن صار ذوو الطموح السياسي منهم، بسبب ذلك، ينتحلون الأنساب غير الأمازيغية كي يستتب لهم الأمر ؛ فعل ذلك ابن تومرت وعبد المؤمن بن علي والسلاطين المرينيون وغيرهم، كما فعله من قبلهم يوبا الثاني إذ كان يدعي ويرسخ في أذهان الناس أنه من سلالة البطل اليوناني الأسطوري "هرقل Hercule, Hêraklês" (Gsell, VIII : 237). وكانت تلك الأوضاع مصدر ضعف لأنها حالت بين الثقافة الأمازيغية الذاتية وبين النمو والازدهار، وأبقتها على حالتها المناسبة لنمط العيش القبلي المائل إلى البداوة. فوجدت تلك الثقافة نفسها في تنافس وتبارٍ مع ثقافات أكثر نموا وسلمت لها بالتعاقب على شغل مجالات التحضر والتمدن.

وهكذا يمكن القول إن "البربر" لم يكن لهم الاختيار بين المسار الذي ساروا فيه منذ فجر التاريخ إلى اليوم وبين مسارات أخرى، ولكن جغرافية مواطنهم الطبيعية هي التي رسمت لهم معالم ذلك المسار، بما فرضته من أساليب الاسترزاق وما يترتب عليهامن ظواهر الدور والتسلسل بين تقاليد المجتمع وطباع الأفراد في التفاعل مع بيئة ليست بصريحة الخصب ولا بصريحة الجدب، تجود حينا وتبخل أحيانا، تضاريسها متجزئة، ومناخها مائل إلى الجفاف مطبوع بالمتناقضات التي من جرائها يستمر انجراف التربة، إذ لا غطاء نباتي ينظم توزيع المياه بين الانصراف والتسرب إلى الجوف، ولا "أفق أول Premier horizon" يسمح بظهور غطاء نباتي متماسك ذي شأن. وما على المرء، إن هو أراد أن يلمس هذه الظواهر، والمظاهر شاخصة للعيان، إلا أن يمعن النظر في المناظر التي يمكنه أن يشاهدها من الطائرة، في تتابعها من وسط أوربا إلى جنوبي المغرب، إذا ما أتيح له السفر من أوربا إلى المغرب يوم صحو من أيام الصيف أو الخريف أو الشتاء.

أما ما نبت فوق الأراضي "المغاربية" من حضارات مستوردة، فيرجع سبب ازدهاره ازدهارا نسبيا إلى كونه نقلة فصلت عن حضارات احتضنت نشأتها وترعرعا أراض أخرى بطبائع جغرافية أخرى. ربت شعوبا أخرى، إما بخصبها المتواصل ووفرة أسباب التكاثر والتماسك والتكاثل فيها، وإما بقساوتها الداعية إلى التطلع والتشوف إلى سواها.

ويبقى لنا مع ذلك أن نلتفت ونلفت الأنظار إلى خصوصيتين أمازيغيتين، علاقة إحداها بالبيئة ونمط العيش ظاهرة، وسبب وجود الأخرى غير واضح. الخصوصية الأولى هي الجنوح إلى التمسك بالراديكالية في الاختيار والسلوك والنظر ؛ ومنها نتج تبني الدوناتية المسيحية في العصر القديم، ثم تبني مذهب الخوارج في العصر الوسيط، والانفراد بالمالكية ؛ وبها يمكن تفسير صرامة ابن تومرت وصرامة تلامذته من الموحدين الأول، ويمكن تفسير ميل أفراد إلى الصلاحية والنسك المفرطين وميل آخرين إلى الشعوذة والنصب والسطو والتشغيب. والخصوصية الثانية هي ازدراء الإطناب في القول والفخفخة والتبجح، شأنهم في ذلك شأن الإسبارطيين القدماء (*التاريخ العالمي للتربية*، *L'histoire mondiale de l'éducation*, I : 142...). وعنها صدر موقف يوسف بن تاشفين إذ أمر كاتبه بأن يقتضب الجواب على الرسالة المطولة التي كان ملك أستوريا "ألفونسو" السادس قد بعث بها إليه محذرا له قبيل يوم الزلاقة. هذه الخصوصية قد تبلورت عند الأمازيغيين في مثل سائر قديم يقول "المتبجّح القوّال لا يفْعَل، والفَعّال العَامل لا يقول = وْنّايْتّنين وْرايْتْكّا، وْنّا يْتكّان وْرايْتّيْني".

ابن عبد الحكم، *فتوح إفريقية* ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة* ؛ ابن عبد العظيم الأزموري، *بهجة الناظرين*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. شفيق، *الشعر الأمازيغي*... ع. 4، 1408 / 1987 ؛ ع. محمود إسماعيل، *الخوارج في بلاد المغرب*.

R. Raymond, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, "Les Belles Lettres", Paris 1924 ; Pline L'Ancien, *Histoire Naturelle*, Livre V, texte établi et commenté par Jehan Desanges, "Les Belles Lettres", Paris 1980 ; Salluste, *Bellum jugurthinum*, texte établi par Alfred Ernout, Les Belles Lettres, Paris 1971 ; Silius Italicus, *La guerre Punique*, tome I, livres I-IV, texte établi et traduit par Pierre Minoconi et Georges Devallet, Les Belles Lettres, Paris 1979 ; Cesar, *Guerre d'Afrique*, texte établi et traduit par A. Bouvet, Les Belles Lettres, Paris, 1949 ; Louis Rinn, *Les origines berbères*, éd. Adolphe Jourdan, Alger 1889 ; H. Fournel, *Les berbers*, tome I, Paris 1875 ; S. Gsell, *Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord*, 8 volumes, Hachette, Paris 1920-1928 ; DJ. J. Meunié, *Greniers - Citadelles du Maroc*, 2 volumes, Arts et Métiers, Paris 1951 ; M. Rachet, *Rome et les Berbères*, Latomus. R.E.L, Bruxelles 1970 ; G. Camps, *Berbères aux marges de l'histoire*, éd. des Hespérides, Toulouse 1980 ; M. Benabou, *La Résistance Africaine à la Romanisation*, Maspéro, Paris 1976 ; F. Decret, M'hamed Fantar, *l'Afrique du Nord dans l'Antiquité*, Payot, Paris 1981 ; A. Mandouze, *Prosopographie de l'Afrique Chrétienne*, C.N.R.S, Paris 1982 ; J. Bernard, *Le Sang et l'Histoire*, Buchet - Chastel, Paris 1983 ; *Encyclopédie Berbère*, volume IV, Edisud, Aix-en-prevence 1987 ; L. de Saint - Quentin, *3000 ans avec les Berbères*, Edition Delagrave, Paris 1949 ; M. Chafik, in Französich heute, nº spécial sur le Maghreb, Juin 1984) Frankfurt, (en ce qui concerne les noms de Masinissa et Jugurtha) ; M. Ferro, *l'Histoire sous surveillance*, Calmann-Levy, Paris 1985.

محمد شفيق

أمازيغية، تنتمي اللغة الأمازيغية إلى ما يسمى بالأسرة الحامية ـ السامية، التي تشتمل على الفروع الآتية: الفرع السامي، والفرع المصري ـ القبطي، والفرع الكوشي، والفرع التشادي، ثم الفرع الليبي ـ الأمازيغي. ويتكون هذا الفرع الأخير من اللغات الليبية والأمازيغية والغوانشية. يرجع بعض مؤرخي اللغات التقاربات الملحوظة بين اللغات المنتمية إلى هذه الفروع إلى العلائق البنيوية الموجودة بينها، وكذلك إلى الاتصالات الحاصلة بين الشعوب التي تنطق بها لمدى عشرات القرون. ويذهب بعضهم إلى القول بوجود أسرة تشمل اللغات الإفريقية والأسيوية.

التاريخ : يكاد يكون تأريخ اللغة الأمازيغية عملا عسيرا لندرة الوثائق. فتلك التي يعتمد عليها في مراجع التاريخ القديم إنما تنحصر في بعض أسماء الأعلام البشرية وأسماء الأمكنة. إن أهم مرجع نتوفر عليه يتمثل في النصوص الليبية ـ الأمازيغية التي ترجع إلى ما قبل ميلاد المسيح بحوالي قرن ونصف قرن. وهذه النصوص منحوتة على نصب مأتمية برموز تشبه كثيرا رموز تيفيناغ، وعددها يفوق ألفا وثلاثمائة نص. إلا أنها لا تزال تحتفظ بسرها، إذ أن رموزها لم تفك بعد. أما عن المرحلة الإسلامية فإن المؤرخين، وخصوصا منهم مؤلفي الحوليات والسير، يتحدثون عن عديد من المراجع المكتوبة باللسان الأمازيغي، منها على الخصوص الأدبيات الدينية للخوارج والبرغواطيين والموحدين، ولكن جلها اندثر، ولم تعد تملك منها سوى بعض أسماء الأعلام البشرية وأعلام الأمكنة وبعض الجمل المتناثرة. وحتى أشعار سيدي حمو الطالب التي قد تساعد على استقراء السمات العامة لأمازيغية القرن الثامن عشر (؟) لم تصل إلينا إلا عبر الرواية الشفوية. وهكذا يكون أقدم متنين بالأمازيغية هما كتابا الفقيه محمد أعلي أوزال : (الهوزالي) كتاب *الحوض*

وكتاب *بحر الدموع*، وكلاهما في قواعد الفقه على المذهب المالكي. لقد ألفا في القرن الثامن عشر بلسان تاشلحيت وكتبا بالحروف العربية، والجدير بالذكر أن لغة هذه النصوص لا تختلف في شيء عن الأمازيغية الحديثة من حيث صرفها ومعجمها وتركيبها.

الخط ـ تشكل رموز تيفيناغ النظام الخطي الأمازيغي الأصيل. ويعود استعمال هذه الرموز إلى ما يزيد عن ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد. إنه نظام يقوم على الصوامت أساسا، تتخذ فيه الكتابة اتجاها غير ثابت، قد يكون عموديا وقد يكون أفقيا. والرموز أحادية عموما، إلا أن الرموز التي تدل على الأصوات المركبة تكون ثنائية. وإضافة إلى الرموز الصوامت تستعمل بعض الرموز لبيان حدود الكلمات والجمل. لا يزال هذا النظام الخطي يستخدم في بعض المجالات والكتب والأبحاث وحتى في التعليم. يتم توافق هذا النظام مع الخاصيات الصوتية للمتغيرات اللسانية المحلية سواء عن طريق إعادة تأويل الرموز الأصلية أو عن طريق اختراع رموز جديدة.

الحرف العربي	قيمته الصوتية	رمز تيفناغ	الحرف العربي	قيمته الصوتية	رمز تيفناغ
گ	g	ⵅ	ـُـ	a	ⵄ
گري	ḡ	ⵆ	ـُ	u (ou)	ⵓ
"دج"	"dj"	ⵊ	ـِـ	é	ⵉ
ج	j	ⵍ	ـِ	i	ⵉ
ش	ch	ⵛ	و	w	ⵡ
"تش"	"tch"	ⵜⵛ	ي	y	ⵢ
ت	t	ⵜ	ه	ḥ	ⵀ
ث	t	ⵝ	ه	ḥ	ⵃ
"تس"	"ts"	ⵜⵙ	ع	"ɛ"	ⵄ
ط	t	ⵟ	ق	q	ⵇ
د	d	ⴷ	غ	ġ (gh)	ⵖ
ذ	ḏ	ⴹ	خ	ḫ (kh)	ⵅ
ظ	ḍ	ⴹ	م	m	ⵎ
ض	ḍ	ⴹ	ب	b	ⴱ
ص	ṣ	ⵚ	پ	b̲ (v)	ⴱ
ر	r	ⵔ	ف	f	ⴼ
س	s	ⵙ	ک	k	ⴽ
ز	z	ⵣ	کش	k̲	ⴽ
"صز"	ż	ⵥ	ل	l	ⵍ
			ن	n	ⵏ

المصدر : مجلة أمازيغ عدد 7. 1981، ص. 39.

الخريطة اللغوية : تشمل المنطقة اللغوية التي تستعمل فيها الأمازيغية أقطارا شاسعة تمتد من مصر شرقا إلى ساحل المحيط الأطلسي غربا، ومن الضفة الجنوبية للبحر المتوسط شمالا إلى النيجر ومالي جنوبا. توجد في مصر مجموعة سيواه ؛ وفي ليبيا مجموعات أوجلة وسوكنة وزوارة ونفوسة ؛ وفي تونس هناك مجموعات ساقية ومجورة وسند وتامزرات وزوارة وشنيني ودويرات وجربة ؛ وفي الجزائر مجموعات الشاوية ومزاب والقبائل ؛ وفي المغرب مجموعات الريف والأطلس المتوسط والأطلس الكبير والأطلس الصغير وكذلك مجموعات تقطن الجنوب الشرقي والجنوب الغربي. وتوجد مجموعة التوارگ (الطوارق) جنوبي الجزائر وشمالي مالي والنيجر ؛ أما مجموعة إزناگن أو زناگة (صنهاجة) فهي توجد في التخوم الموريتانية ـ السينغالية ؛ وأخيرا هناك ما تبقى من مجموعة الغوانتش في جزر كناريا. يصعب حاليا تحديد عدد الناطقين بالأمازيغية لعدم توفر إحصائيات مضبوطة. وعموما يلاحظ أن كثافة المجموعات الأمازيغية تتضخم من الشرق إلى الغرب، وأن هذه المجموعات توجد في الأرياف أساسا وإن كانت طوائف عديدة منها تقطن الحواضر بفعل الهجرة الداخلية والخارجية. إن أهم تمركزات الناطقين بالأمازيغية توجد بالمغرب والجزائر والصحراء.

البنى اللغوية : فبالرغم من اتساع الرقعة الجغرافية التي تستعمل فيها الأمازيغية وتشتت المجموعات الأمازيغية الناتج عن هذا الاتساع من جهة، ومن عدم معايرة اللغة وتقنينها من جهة أخرى، فإن البنى اللغوية تبقى ثابتة وموحدة، أما المتغيرات المحلية فهي لا تمس إلا الأشكال الظاهرية.

الأصوات : على المستوى الصّواتي، يتكون النظام الصامتي من الأنساق التالية : الشفوي (ب، م، ف)، الأسناني (ت، د، ض، ن)، السِّنخي (س، ز، ل، ر)، شبه الحنكي (ش، ج)، الحنكي (ك، گ)، اللهوي (ق، خ، غ)، البلعومي (ح، ع)، والحنجري (هـ). ويتميز هذا النظام بالترابطات التالية : (أ) الجهر وهو ترابط يقابل فئة مجهورة مع أخرى مهموسة أي : ب، د، ز، ج، گ، غ، ع مقابل ف، ت، س، ش، ك، خ، ح، (ب) التفخيم وهو ترابط يقابل فئة مفخمة مع أخرى غير مفخمة أي : ض، ز مقابل د، ز، (ت) الخنة وهو ترابط يقابل فئة مخنة مع فئة شفاهية أي : م، ن، مقابل ب، د، (جـ) التشديد وهو ترابط يشطر النظام الصامتي إلى فئتين متساويتين تتكون إحداهما من الصوامت المشددة والأخرى من الصوامت المرخية. وتنضاف إلى صوامت هذا النظام صوامت أخرى هامشية منها المشفهات (كو، گو خو، غو، قو) والمفخمات (ط، ب، ل، ص، ش، ج). ويلاحظ محليا تحييد المقابلة بين الصوامت المقفلة والصوامت الاحتكاكية حيث تنجر المشددات مقفلة والمرخية احتكاكية، أي پ ث ذ ک گ مقابل بّ تّ دّ كّ گّ. أما على المستوى الصوتي فالمسددات تنتج عن سيرورة المماثلة بين الصوامت المتاخمة المنتمية إلى كلمات متميزة. أما التفخيم فينتشر إجباريا من الصامت المفخم قاعديا إلى الأصوات الموجودة ضمن المقطع الواحد، وينتشر التفخيم اختياريا إلى الأصوات التي تنتمي إلى نفس الكلمة.

يشتمل النظام الصائتي على ثلاث وحدات قاعدية، هي ـَ، ـُ، ـِ، حيث المقابلات قصوى، إذ أن ت مفتوح وث متأخر وبـ متقدم. ولكل من هذه الوحدات على المستوى الصوتي بديلات تتجلى بالخصوص في إطار سياق صامتي مفخم حيث تنجر الصوائت مفتوحة. يضاف محليا إلى هذه الصوائت صائت قصير يدمج في سلسلة الصوامت لعرض صوتي ـ تركيبي. أما أشباه الصوائت صائت قصير يدمج في سلسلة الصوامت لعرض صوتي ـ تركيبي. أما أشباه الصوائت ي، و، فإنهما لا يخضعان لعملية الاستبدال مع الصوائت المغلقة ـِ، ـُ، بل إنهما في توزيع تكاملي معها على التوالي، حيث يخضع إنجاز هذه أو تلك للسياق، فالصوائت تنجز في سياق صامتي وأشباه الصوائت تنجز في سياق صائتي. وفي سياق تعاقب الصوائت تحدث إحدى السيرورتين، إما الإدغام وإما فك الإدغام. ففي حالة الإدغام يتحول الصائت الثاني إلى شبه صائت، مثال : يَـنَـ ـُشُنّ ينجز يَـنَّـ وشُنّ "رأى الثعلب" ؛ وفي حالة فك الإدغام يدمج شبه صائت بين الصائتين، مثال : يَنَّـَ ـُشن ينجز يَـنَـَ وشُنّ "انصرف ابن آوى". ونظرا للهوية الصواتية الملتبسة لأشباه الصوائت من جهة، وللصلة المشتركة بينها وبين الصوائت المغلقة من جهة أخرى، يفترض أن هذه الوحدات إنما تشكل فصيلة صوتية واحدة وأن ما يتحكم في إنجازها كصائت أو كشبه صائت إنما هو ارتباطها بالنواة المقطعية أو باستهلال المقطع وبتقفيلته، على التوالي.

يُضبط تنسيق الوحدات الصوتية في إطار المقطع مجموعة من الضوابط الصوتية ـ التركيبية من أهمها ضابط عدم التجانس الذي يقصي تعاقب الوحدات المتجانسة ؛ تتكون البنية المقطعية من خمس وحدات على الأكثر، تكون ضمنها النواة هي العنصر الضروري وهي إما صائت وإما صامت ؛ أما استهلال المقطع وتقفيلته فهما يتكونان على الأكثر من صامتين، ويتقيد تنسيق الوحدات الصوتية في إطار المقطع وفق مبدإ الجهورية الكلي الذي يقضي بأن المنحنى الجهوري يتنامى من الاستهلال إلى النواة ويتناقص من النواة إلى التقفيلة. أما عن التلحين فإن النبر والتنغيم لا يتسمان بوظيفة تمييزية، ويظهر أن نبر التشديد يقع على المقطع الأول في الكلمة في حين أن التنغيم يقع على المقطع الأخير منها، ويجب القول في هذا المضمار إن البحث لا يزال في مراحله الأولى، لذا نكتفي بهذه العموميات.

الصرف والتركيب، تتألف الكلمة من مصدر ومن إشارات ذاتية تتصدّره أو تلحق به. وهي تدل على الفاعل. ويتكون المصدر من جذر ومن صيغة، يحتوي الجذر على صوامت عددها يتراوح ما بين صامت واحد وخمسة صوامت، وعموما فعددها اثنان أو ثلاثة ؛ تحمل هذه الصوامت الدلالة المشتركة بين كافة الكلمات المشتقة منها. تمثل الصيغة بنية المصدر كما تحدد الهوية النحوية للكملة، من اسم أو فعل ومن مذكر أو مؤنث ومن مفرد أو جمع. فمثلا كلمة ـِمكرِـزن "حراثون" تتكون من الجذر ك ر ز ومن الصيغة م + ص ص + ـِ + ص ومن علامة الجنس وهي ـِ وعلامة العدد وهي ن.

الفعل وصيغه، تنقسم الأشكال الفعلية إلى أشكال قاعدية وأخرى مشتقة. تكون الأشكال القاعدية متعدية أو لازمة، ولها ثلاث صيغ (أ) صيغة المبهم وهي صيغة غير مشحونة، مثال سغ "اشترى"، (ب) صيغة المبهم المضعف وهي مشتقة من الصيغة الأولى حسب سيرورات مختلفة منها تصدير تـ مشددة، مثال : ـَمز تـمز "خذ"، وتشديد صامت مصدري، مثال : كرز، كّرز "احرث"، مگر، مگّر "احصد"، وزيادة الصائت المفتوح ـَ، مثال : سكر، سكَـر "افعل"، وتركيب السيرورات السالفة، مثال : بـدّ، تّبدَـد "قف"، قْل، قَـل "اترك" ؛ (ت) صيغة الماضي، وهي إثباتية أو نافية تشتق الصيغة النافية بزيادة الصامت المتقدم ـ قبل آخر صامت في المصدر، مثال : سّن، سَـن "علم ضد جهل". أما الأشكال فهي تنقسم إلى ثلاثة أصناف ؛ يشتق الصنف الأول بتصدير س للمصدر دلالة على السببية على وجه العموم، ويشتق الصنف الثاني بتصدير ت للمصدر دلالة على المبني للمجهول، ويشتق الصنف الثالث بتصدير م للمصدر دلالة على المبادلة. ولكل من هذه الأدوات التصديرية س تـ م بديلات سياقية تنتمي إلى نفس الفصيلة، وهي الصوافر والأسنانية والشفهية على التوالي. عموما يتخذ كل فعل الأشكال القاعدية والأشكال المشتقة، مثال : لْسْ لسَـ، لسـِ، سّلس، تّلس، مّلس "لبس".

تشكل أفعال الصفة صنفا متميزا من الأفعال، إذ أنها من الناحية الشكلية مصدرة بالصائت ي في صيغة الأمر، ومن الناحية التركيبية فهي أساسا لازمة، وهي قابلة لجميع ما يلحق غيرها من الصيغ الفعلية ؛ أما من الناحية الدلالية فهي تعني الصفات الجسدية والأخلاقية وكذا الألوان. أما صيغة الأمر فهي تماثل الصيغ المبهمة إلا أنها تتميز عن باقي الصيغ الفعلية لكونها لا تقبل صنفا خاصا من الإشارات الذاتية، مثلا : زّنز،زّنز ـَ "بع" وأخيرا هناك الصيغة الفاعلية والمفعولية وهي تؤدي معنى الفعل ومعنى الصفة، كما تتكون على أساس الأشكال القاعدية والأشكال المشتقة، فهي تتغير حسب العدد وتبقى مبنية من حيث الجنس. ولهذه الصيغة صنف خاص من الإشارات الذاتية، مثال تـمغـَرت لـ (نـ) يـسفَن ـَيدي "المرأة التي وجدت الكلب".

تنقسم الإشارات الذاتية إلى ثلاثة أبواب (أ) باب متكامل يضاف إلى صيغة المبهم الدالة على المضارع وإلى صيغة غير المبهم الدالة على الماضي، وهو كما يلي : غ ـ (ح، خ)، ت ـ ت، ـ ، تـ ـ ، ن ـ ، تـ ـ م، تـ ـ مت، ن، ـ نتـ ، (ب) باب غير متكامل يلحق بصيغة المبهم الدالة على الأمر، وهو كالتالي : ـ Ø، ـ تـ ، ـ تمت، (ت) جدول غير متكامل يضاف إلى صيغة الفاعلي ـ المفعولي وهو كالآتي : ـِ ـ ن صيغة المفرد و ـ ـِن في صيغة الجمع.

ترافق الصيغ الفعلية مجموعة من الأدوات المتصلة بها. فأدوات سَـد، رِسَـد، سَـرَ تتصل بصيغة المبهم البسيط المضعف أداة سَر (دَ، لَ) فهي خاصة بصيغة المبهم المضعف. وتؤدي كل من هذه الأدوات صورة الغير المحقق، إذ تضع سَـد الفعل في إطار اللاواقع عكس أداة سَـر (دَ، لَ) التي تضعه في إطار الواقع، أما أداة رِسَـد فهي تدل على المستقبل وقد تؤدي صيغة الماضي صورا مختلفة منها الوقتية والشروعية والنهائية ؛ أما صيغة المضارع فهي تؤدي صور الاستمرارية والتكرارية والدرجية وكذا الشروعية.

وتصحب الفعل أدوات أخري منها أدوات التوجيه وهي دون، التوجه الأولي للفعل نحو المتكلم وتوجهه الثاني نحو المخاطب، مثال : زرِسـد "مرّ من هنا"، زرِسنّ "مر من هناك"، ومنها أدوات الضمائر المباشرة وغير المباشرة (انظر ما يلي).

تتموضع الأدوات المتصلة في الجملة على الشكل التالي : الفعل + الضمير غير المباشر + الضمير المباشر + أداة التوجيه، مثال : فكِـغ سَس ت سـد "أعطيته إياه هنا". وإذا استعملت أدوات النفي والاستفهام مثلا يكون تركيب الكلمات كالآتي : أداة الاستفهام + الضمير الغير المباشر + الضمير المباشر + أداة التوجيه + أداة النفي + الفعل، مثال : يس سَس ت سِد سُر فكِـغ "ألم أعطه إياه هنا ؟".

الاسم وصيغه، يكون الاسم مذكرا أو مؤنثا يبتدئ الاسم المذكر عموما بصائت غالبا ما يكون سَـ وأحيانا سُـ وناذرا سِـ، مثال سَـفُسْ "يد"، سُـمـ "فم" سُدم "وجه". ويفترض أن هذا الصائت قد يكون منتميا إلى المصدر أو مصدرا له. أما أسماء العلم والأسماء الدالة على القرابة فهي تبتدئ عموما بصامت، مثال : بَـبَـ "أبي" گومَـ "أخي"، ويمكن كذلك أن تبتدئ بصائت مثال : سِـمَـ "أمي"، سُلتمَ "أختي". أما الأسماء المستعارة من العَربيةَ أو الدخيلة عن طريق العربية فهي تبتدئ ب ل + صامت، مثال : لقَـيد أو بصامت مشدد، حين يكون هذا الصامت شمسيا، مثال : سَّـق ويشتق الاسم المؤنث بزيادة ت إلى بداية صيغة المذكر وإلى آخرها، مثال : تَـفرِسُخت "بنت"، وإلى بداية الأسماء التي ليست لها صيغة المذكر، مثال : تـخسـ "الضأن". ويكون الاسم مفردا أو جمعا. يشتق جمع المذكر عموما بإلحاق الصوامت و، ت، ن بصيغة المفرد وباستبدال لحن المذكر بلحن الجمع وهو سَـ ـ ـُ. يتم اشتقاق صيغة الجمع على أساس صيغة المفرد وفق النماذج التالية : (أ) إلحاق ن بصيغة المفرد مع استبدال لحن المفرد أي سَـ بلحن الجمع أي ـ، مثال : ـزِـر، ـزِـرن "سقف، سقوف" ؛ (ب) زيادة سَـ إلى صيغة المفرد، مثال : ـنرفض، ـنرفـض "طحال، أطحلة"، (ت) استبدال لحن المفرد سَـ ـَ ـ بلحن الجمع ـ ـُ ـَ، مثال : كَـدير ـگـدَـر "حصن، حصون". أما اشتقاق جمع المؤنث فهو يتم على أساس صيغة الجمع المذكر عموما بزيادة لحن خاص بالمؤنث وهو تـ حسب النماذج التالية : (أ) تصدير ت، مثال : ـسدَـل، تـسدَـل "غطاء، أغطية". (ب) تصدير ت وزيادة ـ، مثال : ـفـسّـن، تـفـسّـن "أياد صغيرة"، (ت) تصدير تـ وزيادة تـ ، مثال : ـسلَـن، تـسلـتـن "مخطوبات". ويعتبر هذا النموذج الأخير أكثر شيوعا من غيره.

وتخضع صيغة الاسم كذلك لحالته التركيبية، فإذا كان في حالة الفصل فإنها لا تتغير،أما إذا كان في حالة الوصل فإن تغييرا يحدث في المقطع الأول من الكلمة وبالذات في الصائت الأول. يكون الاسم في حالة وصل إذا كان يشغل إحدى الوظائف التركيبية التالية : فاعل غير مبأر ومفعول عددي ومفعول إضافي ومفعول حرفي. وتختلف طبيعة هذا التغيير حسب انتماء الاسم إلى الصنف الذي يبتدئ بصائت مصدري أو إلى الصنف الذي يبتدئ بصائت غير مصدري. فالاسم المذكر الذي ينتمي إلى الصنف الأول والذي يوجد في حالة وصل ينجز بزيادة شبه صائت في مقدمته وتنطق شبه الصائت "و" أو "ي" حسب مخرج الصائت السابق، مثال : ـَخوس، وـَخس "سنّ"، ـزي، يـزي "ذبابة". أما الاسم المؤنث فهو يبقى على الشكل الذي هو عليه في حالة الفصل. وبخصوص الأسماء التي تنتمي إلى الصنف الذي يبتدئ بصائت غير مصدري فالمذكر منها يحتفظ بصائته، ما عدا سَـ حيث ينقلب ـُ أو و إذا كان مسبوقا بصامت أو بصائت على التوالي مثال : سَفرُخ ـكشم، ـكشم سُفرُخ "دخل الولد"، سَفرُخ سدَـ، سدَـ وفرُخ. أما المؤنث فإنه يفقد صائته الأول، مثال : تـسَفرُـخت تدَـ تفرُخت "راحت البنت". لا تخضع أسماء العلم وأسماء القرابة والأسماء المستعارة الغير المندمجة للتغيرات التي تطرأ على غيرها من الأسماء في حالة الوصل.

يشتق الاسم الفعلي سواء من الصيغ الفعلية القاعدية أو من الصيغ المشتقة، وهو يسلك سلوك غيره من الأسماء من الناحية الصرفية ـ التركيبية. والأسماء الفعلية ثلاثة أصناف هي اسم الفعل واسم الفاعل واسم الأداة أو المكان. (أ) يتوفر اسم الفعل المذكر على صيغتين أساسيتين : صيغة يضاف فيها صائت إلى المصدر الفعلي ويرتبط هذا الصائت بالموقع الأول وبالموقع ما قبل الأخير في الصيغة، مثلا سرم سَـرسَم "برى، بري"، زض، ـزِـض "طحَن، طحْن" طض ـُضـُض "رضَع، رضْع". أما الصيغة الثانية فيتم ضمنها تصدير صائت إلى المصدر الفعلي، مثلا : كُـشم ـكُـشم "عجَز، عجْز" زُرّز، ـزُـزّر "نسَف، نسْف (الحبوب)"، زّـ ، ـزّـ "غـرَس، غـرْس". وللاسم الفعلي المؤنث صيغتان رئيسيتان، صيغة تصدر فيها تاء التأنيث ويزاد صائت يرتبط بموقعين في الصيغة وهما الموقع الثاني والموقع الأخير، مثال : مگر، تَمگرَ "حصد، حصاد"، رز، تـرزي "كسَر، كسْر". وصيغة تضاف فيها أداة التأنيث المتقطعة ت ـ ت إلى المصدر الفعلي ويزاد صائت يرتبط

بالموقع الثاني وبالموقع ما قبل الأخير، ينجز هذا الصائت ـ في حالة تجانس الصوائت الأخرى محالفة لها، مثال : گَلَ، تـگـلـت "أقسم، قسم"، زَلّ، تـزلـت "صلّ، صلاة". (ب) لاسم الفاعل كذلك صيغتان أساسيتان، صيغة يضاف فيها إلى المصدر المضعف صائت يرتبط بالموقع الأول وبالموقع ما قبل الأخير، مثال : خدّم، ـخلـّم "عمل ـ عامل" عزّب، ـعزّب "انتجع، منتجع"، وصيغة يضاف فيها إلى صيغة الفعل المتبادل الصائت ـَ وهو يرتبط بالموقع الأول وبالموقع ما قبل الأخير، مثال : مزّدغ، ـمزدـغ "تساكن، ساكن"، ـگومر، ـنگومر "صاد، صياد". (ت) أما اسم الأداة أو المكان فله صيغة أساسية يضاف فيها الصامت ت إلى صيغة الفعل المبني للمجهول مثال : سكرز، ـسكرز "حرث، محراث"، سكرف، ـسكرف "شكل، شكال"، سمضل، ـسمضل "قبر، مقبرة". إضافة إلى العلامات الذاتية التي تتصل بالفعل هنالك ستة أبواب من الضمائر تعود على الاسم وهي : (أ) الضمائر المباشرة أي : ـي ، ـك (ش)، كم (شم)، ت، تّ، ـَخ (ـَح، ـَخ)، كون، كونت، تن، تنت ؛ (ب) الضمائر الغير المباشرة وهي : ـ، ـَك (ـَش)، ـَم، ـَس، ـَغ (ـَح، ـَخ)، ـَود (ـَكن)، ـَونت (ـَكنت)، سن، سنت. تلحق هذه الضمائر (أ، ب) بالفعل ما عدا في حالة وجود أداة فعلية تجذبها (انظر ما سبق). (ت) ضمائر الملكية وهي : ـَنـُ، نك (نش)، نم، نس، نغ (نّح، نّخ)، نـُن، نـُنت (نكنت)، نس، نسنت. (ج) ضمائر القرابة وهي Ø، ـك (ش)، م، س، تنغ (تنح، تنخ)، تـُن، تـُنت (نكـَت)، نسن، نسنت ؛ وتلحق هذه الضمائر بالاسم. (جـ) الضمائر الحرفية هي : ـ، ـك (ش)، م، س، نغ (نح، نخ)، سُن، سُنت (كنت)، سن، سنت، وهي تلحق بالفعل ما عدا في حالة الاستباق. (خ) الضمائر المستقلة وهي : نكّي (نكّ)، كيّ (شكّ)، كـمّ (شم)، نتّـَ، نتّـَت، نكّنـ (نـكنـ)، كونّـ، كونّـمتـ (شنّـَنت)، نتّنـ (نـهنـ)، نتنتـ (نـهنتـ).

تستعمل هذه الضمائر عادةً قبلَ الفعل وهي متعددة الوظائف. أما أدوات الإشارة فهي أنواع مختلفة منها اللواحق ومنها الضمائر ومنها الظرفية. فاللواحق ثلاثة مبنية من حيث الجنس والعدد، فهي : ـَد (ت). "هذا"، ـَنّ (ين) "ذلك"، نّـَ "ذاك"، مثال : تـَخـَمـت ـَد "هذه الخيمة"، ـَسـسف ـَنّ "ذلك النهر"، ـُشّن نّـَ "ذاك ابن آوى". أما الضمائر فهي : وَد، تـَد، وـَنّ، وـَنّـَ، تـَنّـَ للمفرد ووـد، تـد، وـنّ، تـنّ، وـنّ، تـنّ للجمع. وأخيرا الإشارات الظرفية هي غـد، دـد "هنا"، غـنّ، دـ "هناك". أما عن الأسماء العددية فهي تنقسم إلى أسماء أصلية وإلى أخرى ترتيبية. والأسماء الأصلية نوعان : نوع غير مركب ونوع مركب، فالأسماء غير المركبة هي من واحد إلى عشرة : يـن (يـُن)، سن، كرَض (شرَض)، كـُز، سمّـُس، سضـس، سـَ، تـَم، تّزّ، مرسو. يشتق المؤنث منها بإلحاق تـ إلى المذكر، مثال : يـَت، سنـَت، إلخ.. يضاف الاسم في الصيغة العددية فيتغير حسب الجنس والعدد والحالة، مثال: سنـَت تربـَتـن "طفلتان اثنتان". أما الأسماء الأصلية المركبة فهي تتكون على الشكل التالي : الوحدات + د + العشرات + ن + الاسم، وهذا التركيب صالح في عملية الجمع، أما عملية الضرب فهي تصاغ كالآتي : الوحدات + ـدـَ + العشرات + ن + الاسم، ويكون الاسم المضاف متغيرا حسب الجنس والحالة، مثال : سنـَت دمرـَوت ن تسكـُسرت "اثنتا عشر حجلة"، سمّـُس ـدـَ عشرين ن وـنـُ "خمسة عشرة بئراً". أما الأسماء الترتيبية فهي مركبة كالتالي : وـ (للمذكر) أو تـ (للمؤنث) + سّ + الاسم الأصلي + الاسم المضاف. ويتغير هذا الاسم حسب الجنس والعدد والحالة، ما عدا في وضعية الاستباق، مثال : تـسّ كرـَطّ تمغـَرـن. تُمغـَرت تـسّ كرـَطّ "المرأة الثالثة".

الجملة : تكون الجملةَ بسيطة أو مركبة، والجملة البسيطة إما اسمية مثال : هـَ وشّن "هوذا ابن آوى"، وإما فعلية، مثال : ـنغـَ وشّن "قتل ابن آوى". وتتكون الجملة المفيدة من فعل ومن إشارات ذاتية، يشغل ضمنها الفعل الوظيفة الحملية وتشغل الإشارة الوظيفة الفاعلية، مثال : ـدـّ "ذهب" ويمكن أن تعود هذه الإشارة على اسم سابق، مثال : علـ ـدـّ "علي ذهب" أو على اسم لاحق، مثال : ـدـّ ـَ علـ "ذهب علي". ويمكن أن تضاف إلى هذه الجملة فضلة تكون إما اسما، مثال : ـسغـَ علـ تـسرد ـَنت "ابتاع علي بغلة" وإما ضميراً، مثال : ـَسغـَت علـ "ابتاعها علي". وتتوسع الجملة توسعا غير مباشر بواسطة حروف تؤدي وظيفة أدوية، مثال : بضـُت س تـزّـَلت "قسّمه بالسكين"، أو وظيفة مضافية، مثال : ـزّنزّـَت ـ علـ "باعه لعلي"، أو وظيفة مكانية، مثال : ـضرَغ وـمـَن "سقط في الماء". وتتوسع الجملة كذلك بواسطة أدوات تركيبية تؤدي وظيفة زمنية (ـيـلـغ، ـلـگ، غـر سـر، إلخ)، أو وظيفة قصدية (خـمـَ، فـدّ، إلخ)، أو وظيفة سببية (ـشكـُ مـنر إلخ)، أ، وظيفة شرطية (ـخ، مرـَ، إلخ).

أما الجملة الموصولة فهي تضاف بواسطة أداة موصولة مثال : تـمـزبرت نـَ ـقـُرن تجلـَ "الأرض (التي هي) قاحلة تضيع"، ـدـّ وسرد سُن لـ ـسوـن ـمـَن "راح البغل الذي شرب الماء". وقد تؤدي الجملة الفاعلية وظيفة الجملة الموصولة، مثال : مرگـز يـسُرن "الرجل المسن". تصدّر الجملة الاستفهامية بأدوات مثل مـَنـ "أين" ـس "هل"، مـَن "أي".

أما التركيب العطفي فقد يتم عن طريق المجاورة المباشرة، مثال : ـدـّ ـگرز ـزّنز "راح فحصد وباع" وعن طريق روابط النسق مثل د التي تؤدي معنى الوصل، مثال: ـشّ ـگسـم دـغرـم دوـضـل "أكل اللحم والخبز والعنب". وروابط مثل نغدّ، نـغ التي تؤدّي معنى الفصل، مثال : ـسوـ ـمـَن نـغ ـغـ "شرب الماء أو اللبن".

وروابط أخرى مثل مَشَ، مَشْ، مش، ولَيْنَ، إلخ : مثال : تُسْت مَشْ ضرَس "أخذته ولكنه سقط منها".

وفي إطار الجملة يمكن للمركب الاسمي أن يكون مفصولا، مثلا : نتّت تمزغت مدتگ "(هي) أمازيغية هي" أو موضعا، مثال : تفنّست تدّس ورتي "راحت البقرة إلى الحقل".

ابن عبد الحكم، *فتوح إفريقية* : الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة* : ابن عبد العظيم الأزموري، *بهجة الناظرين*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، م. شفيق، *الشعر الأمازيغي*.. ع. 4، 1408 / 1987 ؛ ع. محمود إسماعيل، *الخوارج في بلاد المغرب*.

E. T. Abdelmassih, 1971, *Tamazight Verb Structure : a generative approach*, The Hague, s. d, Indiana, U.P.A, Séries 2 ; A. Akouaou, 1976, *L'expression de la qualité en berbère : Le verbe, parler de base : Le tachlhiyt de Tiznit*, thèse de 3ème cycle, Paris ; J. R. Applegate. 1958, *An outline of the structure of shilha*, New York ; (1970) *Berber languages*, Current Trends in Linguistics, 6, La Haye - Paris, Mouton, p. 586-661 ; L. Bary, 1983, *Etude syntaxique d'un parler de la langue tamazight: Le tachelhit d'Inezgane, approche fonctionnelle*, thèse de 3ème cycle, Faculté des Lettres, Rabat ; A. Basset, 1929, *La langue berbère, morphologie, le verbe, etude de thèmes*, Paris Leroux; (1952), *La langue berbère, Handbook of African languages, part I*, London, International African Institute, Dawson of Pall Mall ; F. Bentolila, 1981, *Grammaire fonctionnelle d'un parler berbère : Aït Seghrouchen d'Oum Jeniba (Maroc)*, Paris Selaf ; S. Biarnay, 1917, *Etudes sur les dialectes berbères du Rif*, Paris Leroux ; F. Boukhris, 1986, *Le verbe en tamazight : Lexique et morphologie (parler des Zemmours)*, thèse de 3ème cycle, Paris III / EPHE ; A. Boukous, 1987, *Phonotactique et domaines prosodiques en berbère*, thèse d'Etat, Paris VIII ; K. Cadi, 1981, *Le verbe en Tarifit (Maroc - Nord) : Formes, Structures et Valences*,thèse de 3ème cycle, Paris III, EPHE ; *Système verbal rifain, Forme et sens*, Paris, Selaf ; S. Chaker, 1983, *Un parler berbère d'Algérie (Kabylie), Syntaxe*, Publications de l'Univesité de Provence ; M. Chami, 1979, *Un parler amazigh du Rif marocain : approche phonologique et morphologique*, thèse de 3ème cycle, Paris V ; M. Chtatou,1982, *Aspects of the philology of a Berber Dialect of the Rif*, Thesis for degree of Doctor of philosophy, University of London ; D. Cohen, 1968. *Les langues chamito sémitiques, Le langage*, Paris Gallimard, Encycl. de la Pleiade, N.R.F, p. 1288-1330 ; C. Derkaoui, 1986, *Etude du verbe et de ses modalités dans le dialecte tachelhit*, thèse de 3ème cycle, Paris V ; M. El Medlaoui, 1985, *Segments et Syllabation dans le parler tachlhit d'Imdlawn*,thèse de 3ème cycle, Paris VIII ; E. El Moujahid, 1981, *La classe duenom dans un parler de la langue tamazight : Le tachlhiyt d'Igherm (Souss, Maroc)*, thèse de 3ème cycle, Paris V ; L. Galand, 1955, *Etat et procès : Les verbes de qualité en berbère*, Hesp. p. 245-251 ; (1956) *L'énoncé verbal en berbère : Etude des fonctions*, Cahiers de Ferdinand de Saussure, nº 21, Genève, p. 33-53 ; (1977) *Continuité et renouvellement d'un système verbal : Le cas du berbère*, B. S. L, 72/1, p. 275-303 ; M. Guerssel, 1976, *Issues in Berber Phonology*, M.A, Univ. of Washington ; (1986) *Glides and Syllabicity in Berber*, Linguistic Inquiry, 17 : 1-12 ; M.J. Harries, 1971, *Syntactic Structure of Tamazight*, Doctorat Dissertation, Univ. of California ; B. Hebaz, 1979, *L'aspect en berbère tachelhiyt (Maroc) Parler de base : Immi (Marrakech - Ouarzazate)*, thèse de 3ème cycle, Paris V ; A. Jebbour, 1988, *Processus de formation du pluriel nominal en tamazight (Tachelhit de Tiznit). Approche non concatenative*. D.E.S., Faculté des Lettres, Rabat ; T. Penchoen, 1973, *Etude syntaxique d'un parler berbère (Aït Frah de l'Aurès)*, Napoli, Centro di Studi Maghribini, V ; A. Renisio, 1932, *Etude sur les dialectes berbères des Beni Iznassen du Rif et des Senhaja de Srair, Grammaire, lentes et lexique*, Paris, Leroux ; J. Saïle, 1976, *A phonological study of tamazight Berber : dialect of the Ayt Ndhir*. Ph. Univ. of California, Los Angeles ; M. Taifi, 1979, *Le tamazight au contact de l'arabe dialectal (étude sociolinguistique sur le parler des Aït-Mguild)*, thèse de 3ème cycle, Paris III, EPHE.

أحمد بوكوس

أمالك، أحمد، وأمالك تعني ابن مالك. تولي باشوية قصبة مراكش بعد موت إبراهيم الگراوي الذي وافق تاريخ موت السلطان محمد بن عبد الرحمان عام 1874. وقد كانت له حركات لتطويع بعض قواد الحوز والأطلس لسلطة المخزن منهم القائد محمد أُلحسْن الگنتافي الذي كان في جبله "أحذر من غراب وأمنع من عقاب" يهادي قواد مراكش ولا ينزل إليهم. وكان السلطان مولاي الحسن قد ولى الوصيف أحمد أمالك على الجيش السوسي وما أُضيف إليه. وقد ضايق الگنتافي وكتب بأمره إلى السلطان في فاس مع العلم بأن الگنتافي إنما كان يستنكف من معاملة أمالك ولا يخرج عن الطاعة للسلطان وكان أحمد أمالك ما يزال قائدا للجيش السوسي بمراكش في شوال 1293 عندما كتب إليه السلطان لبناء قبة فارهة على باب الرئيس من الدار الكبرى بالحضرة المراكشية، ذكر ذلك صاحب *الاستقصا* (6 : 160) وقال إنه كان حينئذ يتولى إحصاء صائرها.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 146، 147، 160.

أحمد التوفيق

أيت **أمالو**، كلمة أمازيغية تعني الظل، وقد استعملت ضمن قاموس جغرافية المغرب لتعني السفح الظليل ubac. ونتحدث عن سكان "أمالو" مقابل سكان "أسمّر" أو السفح المشمس adret .

فأيْتْ أمَالُو هم سكان السفح الظليل. غير أن هذا النعت قد لا ينطبق دائما مع الوضع الجغرافي للسفح. ظهر هذا النعت بعد التحركات السكانية التي شهدها المغرب بعد القرن الخامس عشر نتيجة تفاعل عدة عوامل. ولكن الواقع المترتب عن توزع القبائل على السفحين : المشمس المقابل للجنوب أو الجنوب الشرقي، والظليل المقابل للغرب أو الشمال، قد ظهر متميزا منذ القديم، وكان له أثر على العلاقات بين مجموعات قبائل السفحين، وفي أول كتاب معروف يتعرض لهذه القبائل الجبلية المغربية وهو *كتاب الأنساب* للبيذق نجد تمييزا، لهذا السبب ولعواقبه بدون شك، بين قبائل الظل وقبائل القبلة.

يقول صاحب *الاستقصا* (9 : 199) "أيت أمالو من برابرة فزاز، وهم بطن من صنهاجة يشتمل على أفخاذ كثيرة مثل ظيان وبني مگيلد وشقيرن وأيت سخمان وأيت يسري وغيرهم... قد عمروا جبال فازاز وملأوا قننها وتحصنوا بأوعارها منذ تملك البربر المغرب قبل الإسلام بأعصار طويلة.

كما نجد الحديث أيضا عن أيت عطة ـ نْ ـ أمالو عند "دوفوكو De Foucauld (ص. 69) حيث حدد موطن هؤلاء كالتالي : تحد بلادهم شمالا تادلة وجنوبا وادي العبيد وأيت يسري وغربا أيت بوزيد. وأهم عشائرهم أيت بويكنيفن (تالمست) وأيت أنير (برنات) ثم ممثلون للأفخاذ الأخرى بناحية واويزغت.

يبدو أن القاسم المشترك بين هذه القبائل هو حركيتها تجاه السهول وما تُحدثه من رعب وفوضى استوجب التصدي لها عدة مرات في التاريخ سواء من طرف الحكام

أو من طرف أحلاف قبائل مهددة بذلك الزحف. ولذلك وصف أيت أمالو بأنهم قطاع الطرق اشتغلوا بالفساد وإشعال الفتن وتحالفوا على معصية السلطان، وطاعة الشيطان (دوفوكو، 69 ؛ *الاستقصا*، 8 : 115 ؛ 130).

وقد رد بعض المؤلفين هذه الفتنة إلى محاولة هؤلاء الحصول على مجالين اقتصاديين متكاملين (جبل وسهل) بينما ذهب البعض الآخر إلى أن أصول هذه الديناميكية تعود إلى الهجومات التي شنها عرب معقل على مجالات هؤلاء. وبذلك دفعوا بهم نحو السهول ولربما كان التعليل الأخير مجرد دفعة عنيفة في إطار حركة بطيئة. إن هذا الدفع العنيف المخيف بجحافل من سكان الجبال نحو السهول والعواصم أقلق سلاطين المغرب. حيث بدا أيت عطة - نُ - أمالو يهددون تادلا بينما تقدمت قبائل الأطلس المتوسط نحو السهول والهضاب الأطلسية، فاستعمل معهم المخزن أحيانا سياسة لينة وأحيانا أخرى سياسة الشدة والصرامة.

فمولاي إسماعيل بعد إخضاعه أيت إدراسن "أعطاهم الغنم وألزمهم برعايتها وحفظها وأسقط عنهم الوظائف فصلحت أحوالهم". كما أمر سيدي محمد بن عبد الله سنة 1175 هـ بالعفو عن قبائل أيت عطة (1202 هـ) حيث أمرهم أن يبعثوا بستمائة رجل منهم وأربعمائة من عبيد تافلالت ليكسوهم ويسلحهم ويستعملهم في خدمة البحر وجنديته فبعثوا بهم إليه. ولم يخل هذا التعامل من القساوة والشدة في بعض الأحيان، ففي سنة 1104 هـ حاصر مولاي إسماعيل أيت أمالو فزاز من كل جهة وقتل منهم عددا كبيرا في ليلة واحدة (*الاستقصا*، 7 : 78) وفعل سيدي محمد بن عبد الله ما يشبه ذلك حيث شن غارات ضد أيت إيمور فهلك منهم ما ينيف عن ثمانمائة شخص فأمر بحز رؤوسهم وبعثها إلى فاس لتعلق على الأسوار، (*الاستقصا*، 8 : 130) وفي عهد مولاي سليمان بعث ابنه إلى أيت عطة فهاجمهم وأسر عددا منهم إلى فاس حيث قتل منهم عددا بباب المحروق.

إن هذه الحركات والمعارك تكررت في تاريخ المغرب ومجاله، حيث أدت إلى تنقل عدد من القبائل واتخاذ إجراءات مختلفة قصد تثبيتها مثل بناء قلاع لصد هجوماتها. وهكذا أمر السلطان مولاي إسماعيل ومن بعده ببناء حصون وقلاع أهمها : قلعة عين اللوح وقلعة عين أزرو وقلعة باعليل وقلعة وادي گيگو وقلعة وادي سكورة وقلعة وادي تشواكت، وقلعة دار الطمع، وقلعة تابوست وقصر بني مطير وقلعة وطواط، وقلعة القصابي، وقلعة ادخسان وقلعة واويزغت وغيرها. ولربما لم يكن هذا البناء سوى تجديد وبعث لقلاع قديمة استدعى موقع التوتر بين السهل والجبل قيامها منذ المرابطين أو حتى قبلهم.

وتذكر المصادر أن السلاطين أنزلوا بهذه القلاع فرسانا من العبيد أو القبائل الموالية للمخزن مثل دكالة والشاوية، وبذلك تم وضع حصار على أيت أمالو، ومنعوا من النزول نحو المراعي الشتوية والحرث، لكن هذه القبائل ظلت تتحرك حتى العهد القريب منا.

أ. البيذق، *كتاب الأنساب* ؛ أ. الزياني، *الترجمان* ؛ *الروضة السليمانية* ؛ الضعيف، *تاريخ* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 و 9.

De Foucauld, *Reconnaissance* ; G. S. Colin, *Origine arabe des grands mouvements de populations berbères dans le Moyen Atlas*, Hesp. t. 25, p. 265-268, 2 et 3 trim. 1938.

محمد أيت حمزة

أَمَانْ مْلُولْتِين، يعني بالشلحية المياه البيضاء، وهو عبارة عن مكان في غجدامة قرب تاساوت وقعت فيه معركتان شهيرتان : الأولى وقعت بين أبي حفص الهنتاتي وقبائل هسكورة، في إطار تمهيد الأمر للدولة الموحدية، ذكرها البيذق في أخبار المهدي في باب استفتاح مراكش (ص. 67). والثانية وقعت بين المرتضى الموحدي وأبي يحيى المريني (أبي بكر بن عبد الحق). وقد عسكر المرتضى في هذا المكان عام 1251 م بعد خروجه من مراكش. ذكر ذلك المؤرخ الإسباني ميراندا.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*.

A. Huici Miranda, *Historia politica del imperio* Almohade. 2 tomes - Tetouan 1957.

محمد مزين

أَمَانُوزْ، قبيلة في الأطلس الصغير جنوبي تافراوت، أوأمّلن، شمال فم الحصن وقانارت. وتقع إليغ إلى الغرب من أمانوز على بعد أقل من 50 كلم. كانت لشيوخ أمانوز علاقات بالشيخ أحماد أوموسى، وقد وصل إليهم القائد المخزني على حاحا في بداية القرن التاسع عشر وهو أغناج قصد إخضاعهم للواجبات المخزنية.

أحمد التوفيق

امبارك بن محمد، بن الضو. من مواليد سنة 1914 بدوار أداي فرقة إدْياكُّو، قبيلة اصبويا، أيت باعمران، إقليم تيزنيت. انخرط الشهيد المذكور في صفوف جيش التحرير ضمن فرقة السيد العلالي، شارك في عدة معارك ضد العدو.

سقط شهيدا في معركة تسمى (معركة أصدر يوم 23 / 11 / 1957) وترك أولاده الثلاثة وزوجته.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير - الرباط.

عز الدين العلام

أَمْبِيركُو، محمد اسمه الحقيقي محمد ين الحاج أحمد الدكالي واشتهر عند المطربين بالرباط باسم "حبيبي أمبيركو" ولد سنة 1311 / 1893 وتوفى سنة 1382 / 1962. وكان من حفاظ الطرب الأندلسي ومن العازفين على الرباب. فكان يستحضر معظم نوبات الآلة وموازينها، كما يحفظ الشيء الكثير من الطرب الغرناطي الجزائري والمألوف التونسي. وكان، بالإضافة إلى ذلك، يشتغل بصنع العيدان. شارك في مؤتمر الموسيقى العربية سنة 1932 ضمن الوفد المغربي ومن هنالك جلب قالب العود المصري إلى المغرب. وكان من بين أساتذته في الآلة الحاج عبد السلام بنيوسف وبامحمد گديرة والحاج المختار الأودي وعبد القادر كريش. وترأس مدة طويلة على جوق الطرب الأندلسي بالإذاعة المغربية.

ع. بنصور، *مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية*، الرباط 1977 ؛ ص. الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية*، المحمدية 1977.

أمْبيركُو، المكي، اسمه الحقيقي المكي الدكالي وانتماؤه لقبيلة أولاد فرج بدكالة. من أسرة نزحت إلى الرباط منذ أجيال. كان من أنجب الطلبة الذين تخرجوا على كبار علماء مدينة الرباط مثل عبد الرحمان بريطل ومحمد الرندة والمكي البطاوري وأحمد جسوس وأبي شعيب الدكالي فدرس الفقه والكتب الستة في الحديث والتفسير والشفا وألفية ابن مالك والشاطبية في القراءات.

كان يشتغل بالتجارة في الكتب والوراقة والنساخة ويتميز بخطه الجميل ويشتغل أيضا بتجليد الكتب. وبرغم كل مشاغله المهنية، فإنه كان شغوفا بالعلم ويحضر سائر الدروس العلمية التي كانت تلقى بمدينة الرباط. وكان دكانه مقصدا لعدد من الطلاب والعلماء، وإلى جانب كل ذلك كان له شغف خاص بالطرب ويجيد العزف على آلة الكمان. وإليه يرجع الفضل في محاولة نشر بعض نوبات الآلة المقتبسة من مجموع الحايك التطواني. وهكذا نشر في سنة 1353 / 1935 ست نوبات هي رمل الماية والعشاق والإصبهان وغريبة الحسين والرصد ورصد الذيل، وله عدة تقاييد علمية نقلها عن شيوخه. توفي في 12 ربيع الثاني سنة 1353 / 3 يوليوز 1936.

ع. الجاري، *من أعلام الفكر المعاصر* ؛ ي. الشامي، *نوبات الآلة*.

محمد زنيبر

أمبلوسيا (Ampelusia) نجد هذا المصطلح لأول مرة عند بومبونيوس ميلا (Pomponius Mela) في مؤلفه *De chorographia* الفصل الأول، الفقرة 25 والفصل الثالث الفقرة 107. وأيضا عند بلين الشيخ (Pline l'Ancien) في مؤلفه *التاريخ الطبيعي* (*Histoire Naturelle*) الكتاب الخامس الفقرة 2.

ويعتبر بومبونيوس ميلا التسمية إغريقية، ويقول إن لها مقابلا محليا. لم يورده... لكنه قال إن لكلا التسميتين معنى واحدا (1 : 25).

ويعتقد بومبونيوس ميلا بأن هذا الشناخ (Promontoire) المعروف تحت اسم أمبلوسيا هو الحد الأقصى الذي تبتدئ انطلاقا منه أرض ليبيا ويشكل في نفس الوقت الحد النهائي للمحيط الأطلسي (3 : 107).

ويردد بلين الشيخ نفس الفكرة عندما يعتبر أمبلوسيا الحد الأقصى للمحيط ويرجع بدوره التسمية لأصل إغريقي (5 : 2).

مصدر ميلا السابق الذكر يغفل ذكر التسمية المحلية إلا أننا نجد بمصادر أخرى ومنها مؤلف سطرابون (Strabon) الجغرافية *Geographie*، الكتاب (17 : 3، 2) اسم كوطاييس (Koteis) وعند بطليموس (Ptolemee) في كتابه الجغرافية (4 : 1، 1. طبعة Muller, ص. 572) نجد اسم كوطيس (Kotes)، لنفس الشناخ.

والاسم الإغريقي لهذا الشناخ يعني رأس العنب. والسائد أيضا بين الباحثين المعاصرين أن لكوطيس وكوطاييس نفس المعنى.

وحسب مجموعة من الدراسات فهذا المصطلح الأخير (كوطاييس أو كوطيس هو المصطلح الإفريقي الذي لم يذكره بومبونيوس ميلا، ولكنه حسب مجموعة أخرى مشتق من اللغة الفنيقية. والشناخ المذكور في كل هذه المصادر تتفق الدراسات المعاصرة على أنه يطابق رأس سبارطيل (Cap Spartel).

M. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, M. A. I. B. L, Paris, 1877 ; Pomponius Mela, *De chorographia*, Livre III, éd. C. Frick, Leipzig, 1880 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; J. Ramin, *Le périple d'Hannon*, Bar, supplementary Series 3, 1976 ; Pline l'Ancien, *Histoire Naturelle*, V, 1-46, Texte établi et traduit par J. Desanges, Belles - Lettres (CUF) Paris, 1980 ; *Encyclopédie Berbère*, S. V. *Ampelusia* IV, 1987, pp. 605-606.

بلكامل البيضاوية وعبد العزيز بل الفايدة

أمَشار، نهر ينبع بجبل تيزيران بقبيلة بني خالد الغمارية، وبعد سقيه لأرض القبيلة المذكورة تصب مياهه في البحر المتوسط بالمرسى التي تحمل اسمه.

Ministerio de la Guerra, *Accion de España en Africa*, 1930, p. 55 ; A. Domenech Lafuente, *Geografia de la zona norte del protectorado de España en Marruecos*, 1942, p. 39 et 49 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, 1951 p. 63 et 88.

م. ابن عزوز حكيم

الأمثال المغربية، أصبحت الأمثال اليوم ـ أكثر من أي وقت مضى ـ من التراث الذي يُهتم في كل بلد بتدوينه، ويُعتنى بتسجيله ويحرص على حفظه كي لا يتعرض للضياع. لا سيما أن الأمثال أصبحت في البيئات الحضرية قليلة الاستعمال. ومما يدعو إلى تقييدها وعدها من الآثار المخلدة في الكتب المجلدة أنها تعتبر مرايا تنعكس عليها فلسفة الشعوب وقوالب تصب فيها حكمة الأجيال، ومن هنا رأينا في عصرنا كثرة معاجم الأمثال ووفرة مجامعها في جميع البلدان وبكل اللغات.

إن الأمثال المستعملة في المغرب هي إما بالعربية المعربة أو العامية وإما بالأمازيغية، وهي أمثال تنحدر من جيل إلى جيل ويرويها الخلف عن السلف وكانت تحفظ في الغالب بواسطة الرواية الشفوية إذ كان الناس قديما لا يجدون حاجة إلى تدوينها، ولا يحسون بضرورة العمل على تسجيلها ولم يكونوا يستسيغونه وقد ينتقدون من يقوم به.

ومن حسن الحظ أن هذه النظرة قد تغيرت اليوم وظهرت مجموعة من المدونات في الأمثال المغربية المسموعة في عدد من المدن والأقاليم المغربية.

أما المحاولات القديمة فمنها محاولة أبي يحيى عبيد الله الزجالي القرطبي الأصل والنشأة المراكشي المهجر والملحد المتوفى سنة 694 هـ فقد جمع هذا الأديب الحسيب حوالي ألفين ومائتي مثل من الأمثال المسموعة في عصر الموحدين. وهو عصر نضجت فيه الوحدة التي قامت أيام

المرابطين بين الأندلس وبلدان المغرب الكبير، وإن كانت لهذه الوحدة جذور تاريخية بعيدة، وكان من نتائجها أن توحدت النظم والتقاليد، وتشابهت السنن والعوائد، وكثرت الرحلات والهجرات بين الأندلس وبلدان المغرب، ولذلك وجدنا في مجموعة الزجالي أمثالاً مشتركة يستشهد بها الناس في مدن الأندلس وحواضر المغرب وما يزال بعضها مسموعاً إلى يومنا هذا.

وقد وجدنا طائفة من هذه الأمثال مستعملة في رسائل كان ابن عباد الرندي (ت. 792 هـ) يوجهها من مدينة سلا إلى بلديَّة المقيم بمدينة فاس يحيى السراج المتوفى سنة 805

وفي مطلع القرن التاسع جمع الفقيه الغرناطي أبو عبد الله محمد ابن عاصم قدراً مهما من الأمثال العامية التي كانت مسموعة في غرناطة ومملكة بني الأحمر وقد دلنا البحث على أن عدداً كبيراً منها كان معروفاً أيضاً في فاس ومملكة بني مرين.

إن هذه المجموعات الثلاث تمثل تطور الاستعمال في الأمثال وتغير صيغها عبر تلك القرون، وهو تغير يكون طفيفاً أحياناً، فالمثل الذي يورده ابن هشام كما يلي :

على قدر كسائك، مد رجليك.

يرويه الزجالي هكذا :

على قياس كسيك،مد رجليك.

ونجده عند ابن عاصم على النحو التالي :

على ساحل كسيك، تمد رجليك.

وفي آخر القرن التاسع الهجري قبيل غروب شمس الإسلام عن الأندلس ألف أبو الحسن علي ابن القفال مجموعة من الأمثال العامية دلت على ظرفه وذكائه، ورحب بها الناس في وقته وقرظها بعض الشعراء من أهل عصره، ولعلها ضاعت فيما ضاع عند سقوط مملكة غرناطة. ونجد هذا التقليد الأندلسي الحضاري الجميل ـ تقليد جمع الأمثال العامية ـ يستمر في المغرب بعد ضياع الفردوس المفقود، ونراه في القرن العاشر الهجري عند أبي العباس أحمد بن علي المعروف بالمنجور المتوفى سنة 990 هـ فقد "كان مولعاً بأمثال العامة ـ خصوصاً عامة الأندلس ـ يستحسن لغتهم ولكنتهم ويثني عليهم وعلى بلادهم الجزيرة ويستحسنها ويتشوف إليها" ومن المعروف أن هذا الفقيه كان شيخ الجماعة في العصر السعدي.

أما في العصر العلوي فإن أشهر من يذكر إذا ذكرت الأمثال هو أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي (ت 1102 هـ) فكتابه *زهر الأكم* من أهم المعاجم التي ألفت في الأمثال قديماً وحديثاً، وقد سجل فيه شيئاً من "الأمثال الوقتية" وهي أمثال العامة في وقته، ومنها على سبيل المثال :

ـ امش بالنعلين حتى تجد السباط ـ

ـ اترك صاحب الغاسول يسكت ـ

وذكر في أصله الحكاية التالية : "زعموا أن شخصين اصطحبا في طريق لأحدهما حمل من حديد أو شبهه وللآخر حمل من الغاسول ـ وهو طين تغسل به الرؤوس ـ فأصابهما مطر فجعل صاحب الحديد يتوجع ويتخوف على سلعته من البلل فقال له صاحب الغاسول ما ذكر. ومعلوم أن الحديد وشبهه لا يضره البلل شيئاً، وأما الغاسول المذكور فأي شيء من البلل خلص إليه يحلّله ويفسده فيضرُّ به، يقال فيمن يتوجع ويتألم أو يتشكى ويتظلم أو يتأسف ويتندم وثمَّ مَن هو أجدر منه".

فإذا تجاوزنا القرن الحادي عشر ـ وفيه عاش اليوسي ـ إلى القرن الثاني عشر فسنجد تأليفاً أدبياً مغربياً يشتمل على طائفة من أمثال العامة، وهو كتاب *المحكم* لأبي مدين الفاسي المتوفى سنة 1181 هـ والأمثال التي أوردها في كتابه مرتبة على حروف المعجم ونقف فيها على أمثال موجودة في مجموعة الزجالي ومجموعة ابن عاصم مع تغيير بسيط مما يدل على سيرورة المثل واستمراريته، ومثال ذلك :

حاجة بقطاع، يهودي يقضيها

ورد هكذا عند الزجالي وابن عاصم أما أبو مدين فقد أورده كما يلي :

حاجة بالدراهم، يهودي يقضيها

حلت الدراهم محل القطاع التي كانت مستعملة في اللهجة الأندلسية وإن ظلت مستعملة عند الفقهاء والموثقين المغاربة ونجدها عند ابن عاشر (ت. 1040 هـ) في متنه المعروف.

ولدينا مجموعة أمثال عامية تنتمي إلى هذا العصر يبدو أنها مصنفة منذ أكثر من قرن على الأقل. وقد امَّحى للأسف في الورقة الأخيرة منها اسم مصنفها وتاريخ تصنيفها، وتمتاز هذه المجموعة بأن صاحبها لم يكن له حظ من الطلب، ولذلك فهي صورة طبق الأصل للأمثال المغربية منذ مائة عام أو أزيد ونجد فيها أثراً لا ستمرار أمثال أندلسية قديمة موجودة عند الزجالي كهذا المثل :

عرايس الزهراء واحدة تنسيك أخرى

فقد ذهبت الزهراء وأهلها، وبقي في الناس مثلها. وآخر هذه المجموعات التاريخية من الأمثال العامية هي التي ألفها الأديب الكاتب الغالي بن سليمان وقد أشار إليها في كتابه : *فواصل الجمان* ولكننا لم نقف عليها.

أما في عصرنا هذا فقد دونت مجموعات عديدة في الأمثال المغربية طبع بعضها وما يزال بعضها الآخر مخطوطاً.

هذا بإيجاز ما يتعلق بتراثنا من الأمثال الدارجة بالعربية العامية، وأما ما يتعلق بالأمثال الأمازيغية فلا نعرف فيها شيئاً مدوناً في القديم، ولا شك أن عدداً منها تعرَّب بتعرُّب الناطقين بها، ويوجد في مذكرات الأمير الزيري عبد الله بن بلقين دفين أغمات نماذج من هذه الأمثال الأمازيغية المعرَّبة، كهذا المثل :

من ثور حي لا تلبس هراكيس

ونلمح منها شيئاً فيما بقي من مؤلفات البيدق مؤرخ دولة الموحدين كالمثل التالي :

الشارب إذا منع اللبن والماء يتقصص

يبدو من المسلسل الذي سقته باختصار أن لدينا تراثاً طيباً من الأمثال المغربية، ويضاف إليه ما نجده في بعض المؤلفات العامة ككتب البلدان وكتب الفلاحة وأشعار الأزجال والملحون وغيرها، فمما نجده في النوع الأول هذا المثال الوارد في *المسالك والممالك* للبكري على سبيل المثال:

فاس، بلد بلا ناس

وفي *الاستبصار* لمؤلف من عصر الموحدين :

فاس، بلد النساء والأفراس

أما الأمثال الواردة في كتب الفلاحة والتقاويم الفلاحية فهي متعددة، كما أن أزجال ابن قزمان التي قيلت في عصر المرابطين تشتمل على مجموعة من الأمثال التي استعملها ذلك الزجال الكبير.

إن لهذه الأمثال فوائد متعددة :

أولها الفائدة التاريخية والاجتماعية من حيث إنها وثيقة شعبية لها قيمتها في تصوير البيئة الاجتماعية والنفسية للمجتمعات القديمة، وفيها إشارات إلى عدد من عوائد المجتمع المغربي وتقاليده وقيمه.

وثانيها الفائدة اللغوية والأدبية فهي تعرفنا بطبيعة العامية المغربية وتفيدنا في نشأتها وتطورها وتقدم لنا ثروة من المفردات والتراكيب التي لا غنى عنها لدارس اللغات واللهجات.

م. بنشريفة، *أمثال العوام في الأندلس*، جزآن، 1971 ؛ المصادر المذكورة في هذا المرجع.

محمد بنشريفة

أمْجَاوْ، لفظ يدل حسب التعبير الأمازيغي الريفي، على ما في معنى الحلق الأكبر، من المؤنث "تمجًا" والاسم معروف بالغرب الجزائري، حوز تلمسان، نسبَ إلى موضعه عدد من الفقهاء والقضاة.

أمجاو فرقة : ينطبق هذا الاسم، من الجانب الإداري المحلي، على إحدى الفرق الأربع المكونة لإطار قبيلة بني سعيد الريفية وتحتل الفرقة جغرافيا الكتلة المرتفعة الممتدة شرق القبيلة، بإطلالها على الساحل المتوسطي من ناحية الشمال، ابتداء من مصب واد گرط شرقاً إلى جون واد "تشوكت"، عند سيدي عبد الجبار. ويحيط بالكتلة من حدودها الشرقية مجرى واد گرط، ومنها فرقة أمجاو على فرقة بني بوغافر القلعية. ويرسم حدود الفرقة من الوجهة الجنوبية امتداد مجرى واد البعاج، الذي يفصلها عن جارتها فرقة "أيت تمايت". تضم فرقة أمجاو 32 مدشراً و 5 جماعات.

أمجاو، قصبة : تأسست بالفرقة قصبة عرفت باسمها في وقت سابق للقرن العاشر الهجري عدها الحسن الوزان من ضمن مدن إقليم گرط، رعياً لموقعها وعدد السكان المجاورين لها. اختير لها موضع على أعلى كدية مشرفة بانحداراتها الشديدة على مجرى واد گرط، اقيمت بين مداشر : إزْعومَنْ، إوَرداتَنْ، في شمالها، وفي شرقها يوجد القضيا وإحْميداتَن وإشبَّانَنْ، بينما يتوزع في جنوبها مدشر تَفَرْحونْت، تَماسينْتْ ولعْزيبْ.

أمجاو، إمارة : تكونت بأراضي هذه الفرقة، في بداية القرن العاشر الهجري / 16 الميلادي، بناء على ما أورده الحسن الوزان، شبه إمارة صغيرة مدت سيطرتها على قبيلتي بني سعيد وبني توزين. كان ذلك على يد فارس شاب، ينتمي إلى إحدى الأسر الموحدية المستقرة بالفرقة، لم يذكر الوزان اسمه، وحسب رواية السكان فاسمه حدو الفارس، الذي مازال أحفاده يحملون اسم أولاد حدو الفارس. وكان مبدأ ظهور الإمارة على يد الفارس، استقلالها عن الإشراف الجبائي لمدينة بادس على المنطقة الغربية من الريف الشرقي. هذا مما تمكن منه الفارس المجاوي بمساعدة خمسين فارسا جمعهم من إقليم گرط، وبهم تمكن من الاستيلاء على قصبة أمجاو. وبعد فشل حاكم بادس من فرض طاعته عليه، أقر محمد البرتغالي حكمه على المنطقة، لقاء السهر على حماية ساحل بطوية من القرصنة الإسبانية، مما جعله يحظى بمزيد من الرعاية من طرف الملك الوطاسي ويضع رهن إشارته مائتين من اجود فرسان المنطقة. بقي الفارس حاكم بطوية إلى أن أخبرنا "مارمول كربخال" Marmol Carbajal بتولية عبد الله الغالب لأحد أبناء الفارس مكان والده.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 267 ؛ *كناش قبائل الريف*، 161 مخ. خ.ج. رقم 192 ؛ *قائمة مداشر فرقة أمجاو* (قيادة بني سعيد) ضابط حول تنظيم وسير أعمال اللجن القروية للفرق والجماعات في قبائل المنطقة 95 ـ 56 نيابة الأمر الوطنية، تطوان 1953 ؛ ح. الفيگيگي، *بحث ميداني*، 29 مارس 1975.

C. Marmol, *Afrique* 2 : 292.

حسن الفيگيگي

إمْ ـ حا ـ بَنيم (أمّ الأطفال) Im - Ha - Banim مؤسسة للتعليم العتيق، أدخلت عليها برامج حديثة. ويرجع إنشاؤها إلى ربي روسي اسمه ر ـ زيف هلبيران استوطن المغرب حوالي عام 1911. وقد سميت هذه المدرسة بإم حا ـ بنيم لأن الحبر الروسي زيف استعطف أمهات الأطفال اليهود لمساعدته على إنشائها بفاس، بعدما لاحظ الفقر الذي باتت تتردى فيه المؤسسات التعليمية اليهودية. فاجتمعت هؤلاء الأمهات، وأكثرهن من أزواج وجهاء المدينة وأعيانها، في شكل تنظيم يسمى "الحبرة" (الطريقة أو الجمعية) وأطلقن على هذا التنظيم اسم "إم ـ حا ـ بَنيم" وشرعن يوفرن المال من مواردهن الخاصة ومما كنّ ينفقنه على البيت، لأداء واجبات الانخراط في "الحبرة".

لم يمض إلا قليل من الوقت على ميلاد هذه المؤسسة حتى أخذت تنتشر عبر المغرب، فبعد فاس، نشأت أخوات لها بمكناس وصفرو والدار البيضاء ومدن أخرى، وصار التعليم العتيق الصرف يترك المجال أكثر فأكثر للمواد غير الدينية.

فإذا ما أخذنا مثلاً مدرسة "إم ـ حا ـ بَنيم" بصفرو، في عهد أوج ازدهارها (1956 ـ 1957)، نجد أن عدد تلاميذها كان يومئذ يبلغ 650، إناثاً وذكوراً، موزعين على 12 حجرة، يؤطرهم 15 معلماً في اللغة العبرية، يلقنونهم التوراة ويعلمونهم الصلوات، و"شلهان عدوك"، أي الشريعة الدينية، وغير ذلك. كانت برامج هذه المواد تلقن في نصف النهار، في حين كان النصف الآخر مخصصاً للغة الفرنسية والمواد غير الدينية التي عهد بتدريسها إلى معلمين تابعين للرابطة الإسرائيلية العالمية. وتجدر الإشارة إلى أن أنجب تلاميذ هذه المدارس كانوا يتابعون دراساتهم بمؤسسات تسمى "يشيباه بيت داود" أي المدرسة التلمودية العليا، التي كان يوجد منها ما يقرب من الأربعين.

أما اليوم، فإن مدارس "أسار ـ حا ـ توراة" تواصل التكوين الذي كانت تقوم به مدارس إم ـ حا ـ بَنيم.

ح. الزعفراني، *التربية اليهودية في دار الإسلام*، 1969، ص. 108.

كلود سلطان

إمْحَـزَانْ، عائلة شهيرة من فخذة أيت حركات في زايان في بلدة خنيفرة مركز قبائل زايان، كانت فيهم الرآسة تارة لحسابهم الخاص وتارة لحساب المخزن أو لمقاومة التدخل الاستعماري. لقب الواحد منهم : أمحْزون أو أحيزون، ولعل معناه الأعرج. وتذكر الرواية الشفوية أن أوّل تعاملهم المعروف مع المخزن كان في عهد السلطان مولاي إسماعيل (1672 ـ 1727) وكان رئيسهم إذ ذاك موسى بن لحسن بن سعيد بن يعقوب، وحفيده الملقب بأمحزون لأول مرة كان معاصراً لمولاي سليمان (1794 ـ 1822). وكان من أنصار المرابط الثائر بوبكر أمهاوش في قتال 1818. وبعد تعامل والده عقًا مع السلطان عبد الرحمان بن هشام، ثم بعد ذلك تعامل ابنه حمو أعقًا مع السلطان محمد بن عبد الرحمان وهو الذي تغلب على أصحاب خنيفرة فأقام فيها وأخضعها للغرامات.

كان لحمُّو أمحزون أولاد برز منهم سعيد الذي أخضع خلال خمس عشرة سنة جميع الزيانيين الذين يوجدون بين بني مگيلد وإشقيرن وزمور وزعير، ثم خلفه موحى أحمو أمحزون المعروف بالزياني، وقد ولد في منتصف القرن التاسع عشر. وكان وسيما للغاية، كسائر أهله، فارسا عارفا بأساليب القيادة، له من الأولاد خمسة عشر منهم أمهروق، نشؤوا على الفروسية والدهاء السياسي. وقد استعمل السلطان مولاي الحسن عائلة إمحزان لضمان الطاعة والسكينة في كتلة قبيلة شديدة المراس، فأعطى لموحى أحمو ظهيرا سلطانيا بالقيادة على زايان عام 1883 ودعمه بثلاثمائة من العساكر وبالسلاح خاصة، فاستطاع توسيع نفوذه على نطاق واسع، وكان ممن غزاهم وأثرى في نهبهم أيت زگوگو، وإن ظل بعض الزيانيين يناصبونه العداء وعلى رأسهم إشقيرن يعقوب أعيسى الذين هزمهم في ألمسيد، وبالرغم من كون الزايانيين أكثر من ثمانية عشر ألف فارس فإن موحى أحمو توصل حوالي 1885 إلى إخضاع غالبيتهم العظمى. وقد حظي بحفاوة استقبال السلطان له في فاس عام 1886، وأهدى ابنته فطومة للأمير مولاي عبد العزيز وكانت ما تزال طفلة. وقد تدخلت العساكر المخزنية عام 1889 لتطويع أيت سخمان المشاغبين من أطراف منطقة نفوذ الزياني، واقتصت منهم بعمليات في أغباله والقباب وتينتغالين، وترتب عن هذا التدخل نزاع دام عشرين سنة بين موحى أحمو وبين المرابط علي أمهاوش، وكان أسلاف هذا المرابط يباركون رآسة بيت آل أمحزون قبل انحياش أبنائه رسميا لفائدة السلطة المخزنية. وكان أمهاوش في الحقيقة يتقمص إرادة أيت سُخمان وغيرهم من أيت أمالو في معارضة توسيع نفوذ إمحزان.

وبعد موت السلطان مولاي الحسن ظهر من موحى أحمو سلوك استبدادي تجاه المخزن، ولم يمد عساكر السلطان المعينون عنده سوى حراس شخصيين له. وفي سنة 1908 ناصر موحى أحمو السلطان مولاي عبد الحفيظ، وقد تزوج هذا السلطان ابنة الزياني التي كانت قد أهديت لأخيه من قبل. وفي هذه الظروف تكون تحالف جمع قبائل بني مگيلد وأيت سخمان وأيت يوسي وگروان، واستطاعوا كسر حملة مخزنية في الحاجب، واصطدموا بجيوش موحى أحمو في قتال وحشي رهيب بين الإخوة الأشداء، وفي 1909 هزم علي أمهاوش في معركة أزروناية لحسن فتخلى عن قيادة إمزيناتن من إشقيرن لمصلحة موحى أحمو. و لما تقدم الجيش الفرنسي لغزو الأطلس المتوسط عام 1909 عادت للمتنازعين وحدة الصف، وأعلن موحى أحمو الجهاد ضد التدخل الاستعماري في الشاوية، وتأسس حلف لمنعهم من الدخول إلى الأطلس ضم زايان بقيادة أمحزون، وأيت أمالو بقيادة أمهاوش. وأيت زگوگو بقيادة القائد أگبلي، وكان نفوذ هذا الأخير يشمل مريرت وألماس وأزرو، وقد استطاع إمحزان تحقيق نصر عسكري على الغزاة في معركة لهْري يوم 13 نوفمبر 1914. ولهري قرية صغيرة قرب خنيفرة قتل من الغزاة فيها أكثر من ثلاثين ضابطا، وبذلك بدأت ملحمة مقاومة الأطلس المتوسط.

إن التحول الاجتماعي الذي ترتب عن استتباب السلطة لموحى أحمو على قبائل زايان كقائد مخزني منذ 1877، لا يختلف عن التحول في القبائل الأخرى التي خضعت في ظروف مماثلة لسلطة القواد المخزنيين الكبار، ومن أبرز مظاهره صعود هؤلاء القواد فوق الأعراف الجاري بها العمل في تلك القبائل ولا سيما القضاء على نظام الحماية والإيواء للأفراد بحسب طقوس خاصة منها تقديم الذبائح، إذ لم يعد هذا النمط يؤدي إلى إقحام الحماة في نزاعات المحميين إلا في حالات نادرة، وحتى في هذه الحالات كان المستفيد حمو القائد الجديد. وقد كان في بيت إمحزان أشخاص حمدت سيرتهم في النظر في المشاكل الداخلية للزايانيين، ومن أشهر هؤلاء أولعايدي الذي كانوا يرشحونه لخلافة عمه موحى أحمو.

وفي خضم الصراع ضد الفرنسيين سقط أبناء إمحزان في فخ التفرقة. النزاع بين موحى أحمّو وأبنائه من جهة وبين ابن أخيه أولعايدي وأبنائه من جهة أخرى، دام هذا النزاع الدموي طيلة عام 1918 واستمر بعد ذلك، وترتب عنه إضعاف المقاومة في الأطلس بقيادة إمحزان، فقد صار موحى أحمّو شيخا يكتفي بمراقبة أبنائه في المعركة وما لبث النزاع أن قام بينه وبين أبنائه أنفسهم، وذات يوم من عام 1921 أصيب برصاصة في رأسه وهو يراقبهم في القتال من مكان مشرف، فمات وكان بعضهم قد جنح إلى الاستسلام حتى استمروا في التولية على زايان بعد غزوهم، وتركوا أيت سخمان وحدهم في المعركة لبضع سنين أخرى.

وثائق شرقاوة ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8، 9 ؛ *مجلة تاريخ المغرب*، العدد 4، السنة 4، 1404 / غشت 1984، الرباط 63. 82 ؛ *رواية شفوية، ورقات حول إمحزان في ملكية المالكي الملكي*.

Bulletin de la société de géographie du Maroc ; R. Peyronnet, *Tadla*... 1920, Casablanca ; F. Berger, *Moha ou Hammou le Zaïani : Un royaume berbère contemporain au Maroc (1877-1921)*, Ed. de l'Atlas, Marrakech 1929 ; J. Drouin, *Un cycle oral hagiographique dans le Moyen Atlas marocain*, Imp. nationale Paris 1975.

المالكي المالكي

أمحلي، أسرة تطوانية أصلها من فاس، وكان منها الولي الصالح سيدي أبو جيدة. ثم بعده بنحو قرن استوطن تطوان التاجر عبد الملك أمحلي الذي عاش إلى حدود سنة 1229 / 1814، وهو الذي بنى الحمام والفرن اللذين يحملان حاليا اسم هذه الأسرة بحي الساقية الفوقية والحصارين، وإلى عبد الملك المذكور تنسب زنقة أمْحْلي بتطوان.

وكان لعبد الملك أخ اسمه عبد القادر توفي سنة 1342 / 1923 وبه انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 4، 4 : 107 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*. 329:2 ؛ *تاريخ تطوان*، 1 : 94 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* ; M. Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A), *Vademecum de Intervenciones* (año 1931) (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español*, 1949 (A).

أمَحْلي، أبو جيدة، مجذوب شهير الولاية في عدة مدن مغربية مثل فاس ومكناس وتازا وتطوان، وذلك لأنه كان مقيما بفاس وعندما يرى قافلة تستعد للخروج منها يعتريه باعث السفر وينادي في الناس من يعطي له ثمن كراء الدابة التي يسافر عليها، وفي إحدى زياراته لتطوان توفي بها سنة 1138 / 1726 وبني على قبره ضريح بزنقة الخرازين يعرف بسيدي بوجيدة، تقام فيه الصلوات الخمس ويتبرك الناس بالدفن في جواره.

م. القادري، *التقاط الدرر*، 2 : 129 ؛ ابن الحاج، *الدر المنتخب*، مخطوط، 8 : 52 ؛ ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 10، 4 : 106 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ *تاريخ تطوان*، 9 : 330، 3 :

M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español*, 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

أمْحَوْلو، محمد بن عبد الرحمان، فقيه أديب شاعر من أهل قرية إسي، تولى منصب الكتابة الأعلى في إليغ على عهد بودميعة، وهو شاعره الخاص، نافح عنه ضد يحيى الحاجي بقصائد طنانة إثر بيعة بودميعة، له ولد يسمى أحمد، وهو شاعر أيضا، وقد خلف والده في ديوان الأمير المذكور. معدود بين المؤلفين السوسيين بمجموعة تضم ما تجاذبه مع يحيى من نثر وشعر.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 9 : 157، 18 : 308 ؛ *سوس العالمة*، 61 ـ 187 ؛ *إليغ قديما وحديثا*، 53 ؛ *رجالات العلم العربي*.

عبد الله درقاوي

إمدلاون ← **كنفيسته**

إمرابْضَنْ، من الأصل العربي لكلمة : مرابط، فمنها يصاغ بالأمازيغية أمرابْضْ أو أمْربضْ إفرادا، وإمرابْضَن جمعاً. ويستعمل اللفظ في معنى الرجل الصالح أو المنتسب إلى الشرف. ولذلك عرفت بهذا الاسم عدد من الأسر في منطقة الريف، وبه نعتت مجموعة من المداشر.

ويطلق اسم إمرابضن حاليا على فرقة معروفة بقبيلة بني وراغل تتألف من خمسة عشر مدشرا، موزعة على المنحدرات الممتدة على طول الضفة اليمنى لواد غيس، ما بين واد "الحد"، رافد غيس، وخندق "أكزّانْ"، عند حدود فرقتي أيت يوسف وبني بوعياش.

ويعود وجود اسم إمرابضن إلى الأسر المنحدرة من سلالة الشيخ إسحاق بن مطهر الوريغلي، المعروف بالأعرج، والمتوفى عام 683 / 1284. وكان قد انتقل من سبتة وقصد بني وراغل ونزل بجبل حمام على وادي غيس عند مدشر بني ملوك، ومن هناك تكاثر أفراد أسرته، منهم الشيخ عبد العزيز بن موسى الوريغلي الذي استقر "بأغيل أيرور"، ومن هناك انتشر المرابطون الغلبزوريون. ومن أبناء هذه الأسرة السيد عيسى بن عبد الكريم، صاحب الزاوية المعروفة باسمه، وأبو بكر بن عمر المتوفى عام 1080 / 1669.

ع. البادسي، *القصد الشريف*، 110 ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 2 : 80 ـ 81 ك *ضابط القبائل لنيابة الأمور الوطنية*، 86.

حسن الفگيگي

أمراس ← **المرس**

الأمرانيون، بيت كبير من الشرفاء العلويين الحسنيين انتقل جدهم الحسن الداخل إلى المغرب قادماً من ينبع بالحجاز في القرن السابع الهجري، واستقر بسجلماسة من بلاد تافيلالت. يتصل الأمرانيون بأبناء عمهم العلويين ملوك المغرب في جدهم علي بن يوسف بن مولاي علي الشريف. فجد العلويين الملوك محمد بن علي بن يوسف بينما جد الأمرانيين محرز بن علي بن يوسف. ونسبة الأمرانيين إلى زاوية الأمراني الشهيرة بسجلماسة التي قال عنها صاحب *الأنوار السنية* : "إن أهلها من الأشراف الأخيار الطيبين النجار، لا تلقى أحداً منهم إلا توسمت فيه

الصلاح، والخير والنجاح". ولهم غير هذه الزاوية مواطن عديدة في تافيلالت مثل دار مولاي الطالب بواد افلي، وقصبتي أولاد عميرة وأولاد رحّ بواد الرتب، وتاحسنونت وتوجدت وترست وأخنّوس الصغير. وقد بدأ الأمرانيون يطلعون من تافيلالت منذ أواسط القرن الحادي عشر / 17، واستوطنوا الأطلس المتوسط وما بعده من الهضاب والسهول. وربما كان محمد بن عبد الواحد بن العربي بن محرز أول من قدم منهم إلى الأطلس، في صحبة المولى الرشيد بن الشريف حين هرب من أخيه المولى مَحمد ونزلا بالزاوية الدلائية فأقطعه محمد الحاج الدلائي (1046 ـ 1079 / 1636 ـ 1668) إفران. ثم أقره المولى الرشيد على هذا الإقطاع. وظل مستوطنا بإفران إلى أن مات حوالي 1085 / 1674 وبقي أبناؤه مقيمين هناك وانتقل بعضهم إلى المناطق المجاورة، واستقروا في الحاجب وأيت أمّالو وزمور الشلح ومكناس وزرهون وفاس وتازا.

ومن أضرحة الأمرانيين الشهيرة بالأطلس المتوسط والبسائط المتصلة به :

ـ ضريح الطاهر بن محمد الأمراني في أگوراي.

ـ ضريح أبي سالم عبد الله بن الطاهر الأمراني بالحاجب في تسگدلت.

ـ ضريح المدني بن عبد الله بن الطاهر الأمراني بالحاجب وكان بطلا مغواراً تأخرت وفاته إلى العشرة الأولى من القرن الرابع عشر / أواخر القرن 18 م.

ـ ضريح محمد بن الطاهر الأمراني بافران.

أحاط الملوك العلويون أبناء عمهم الأمرانيين بكثير من الرعاية والإعزاز، وأصهروا إليهم ببناتهم، وولوهم خططاً سامية مدنية وعسكرية، كما برز من الأمرانيين عدد من العلماء والصلحاء شغلوا حيزاً كبيراً في كتب التراجم المؤلفة في القرون الأربعة الأخيرة.

م. الزكي العلوي، *الشجرة الشماء*، مخطوط ؛ م. العلوي، *الأنوار السنية في نسب من بسجلماسة من الأشراف المحمدية* ؛ أ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ج.ا.ع.ابن زيدان، *إتحاف*، 2 ؛ ع.الفاسي، *رياض الجنة*، 1.

الأمراني، جامع ودرب بفاس، في حومة الأقواس من عدوة الأندلس، ينسبان إلى عمر بن حفيد بن عمر بن عبد الرحمان الأمراني، من أهل الخير والدّين والثروة والجاه كان حياً أواخر القرن الثاني عشر / 18. (*الدرر البهية*، 1. 132، 133).

الأمراني، العباس بن بناصر بن عبد السلام الحسني. ولد بمكناس عام 1320 / 2 . 1903 وبها نشأ ودرس، ثم انتقل إلى فارس فأخذ عن أعلام القرويين أمثال عبد الله الفضيلي، وعبد الرحمان بن القروشي، والطايع بن الحاج وأحمد بن الجيلالي الأمغاري، ومحمد بن العربي العلوي وأضرابهم، فتخرج منها عالما مشاركا عام 1350 / 1932 وعين مدرساً بالقرويين حيث بقي يعمل نحو خمس عشرة سنة، سمي بعدها قاضياً بوجدة فصفرو، تم عاد إلى

التدريس بالقرويين بفاس وبدار الحديث الحسنية بالرباط إلى أن أدركته الوفاة بفاس بعد مرض عضال يوم السبت 27 رمضان عام 1403 / 9 يوليوز 1983.

الأمراني، عبد الرحمان بن محمد الملقب بالامام، كان فقيها أصوليا مفتيا زاهدا في الدنيا راغبا فيما بقربه إلى مولاه، عاش في مسقط رأسه بسجلماسة منقطعا لإفادة الطلبة وإرشاد العامة في أمور دينهم ودنياهم. وقد عرض عليه المولى إسماعيل الزواج بابنته فأبى قائلا :"خفت أن تفتنني عن ديني". وكانت وفاته بسجلماسة في تاريخ غير محدد أوائل القرن الثاني عشر / 17، ودفن بأرض له هناك حبسها على المساكين قرب ضريح سيدي بوزكري.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 132.

محمد حجي

الأمراني، عبد السلام. ينتمي هذا الشريف إلى بيت مخزني عريق، كان أحد قواد الجيش المغربي في العهد العزيزي. ترأس منذ منتصف عام 1902 حملة للقضاء على حركة الروگي الجيلالي الزرهوني المعروف بأبي حمارة، وأعطيت له الأوامر للعمل على استتباب الأمن في المغرب الشرقي، إلا أنه عجز عن إخماد هذه الفتنة. وتذكر المصادر المغربية أن أبا حمارة أحرز انتصارات هامة على قواته، واستولى على جميع ما لديها من الأسلحة والذخيرة وحتى "الجوارى السوداوات اللاتي اصطحبهن القائد العام مولاي عبد السلام الأمراني إلى ساحة القتال، وفر الناجون من القتل إلى فاس، وبدأوا يدخلونها عراة حفاة (*أعلام المغرب*، ج 1 : 313). ويتعين القول أن المخزن العزيزي كان أرسل حملات صغيرة أخرى لمحاربة الروگي بقيادة أخيه محمد الأمراني والأمير عبد الرحمان الملقب بمولاي الكبير.

وحول قيادة القوات العسكرية الموجهة لسحق المتمردين، ذكر المختار السوسي (*المعسول*: 20 : 40) أنها لم تكن موحدة، وأضاف على لسان القائد الناجم الخصاصي، وهو من الضباط الذين شاركوا في قمع فتنة أبي حمارة، أن كل واحد من القواد الثلاثة كان يطلق على انفراد في شهر رمضان مدفع الإمساك والإفطار في المحال المجتمعة في مكان واحد إشعاراً بأنه صاحب الأمر والنهي دون صاحبيه.

وتعوزنا المادة التاريخية لرصد تحركات المحلة التي ترأسها القائد عبد السلام الأمراني خلال العهد العزيزي. مع ذلك فإن الوثائق المخزنية تشير إلى أنه تولى قيادة محلة مخزنية أخرى في ربيع 1907 للقبض على أحمد الريسوني الذي رفع راية العصيان بعد عزله عن قيادة قبيلة الفحص في 28 دجنبر 1906. لقد تمكن هذا الثائر من الفرار والتجأ إلى قبيلة بني مصور لدى العياشي الزلال، ثم تابع طريقه إلى بني عروس ليقيم بتازروت، بعد أن تمكن من تأليب بعض القبائل الجبلية على السلطة المركزية، وأخيراً غادر جبل العلم وحل بقبيلة الأخماس.

وفي هذه الأثناء زحفت حملة مولاي عبد السلام الأمراني إلى الأخماس انطلاقاً من قبيلة بني يسف بالقصر الكبير بعد أن استقر الريسوني بزاوية سيدي يوسف التليدي بالأخماس ومعه الضابط الإنجليزي هارى ماكلين أسيرا. لقد تم اعتقاله يوم فاتح يوليوز 1907 بمدشر الغراف بقبيلة أهل سريف ثم اقتيد أسيرا إلى زاوية سيدي يوسف التليدي بالأخماس.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 20 ؛ ع. ابن منصور، *أعلام المغرب*، 11.

Bulletin du comité de l'Afrique Française, avec un supplément : Renseignements coloniaux, Paris à partir de 1902 ; W. Harris, *Le Maroc disparu*, Quai d'Orsay, *Documents diplomatiques, Affaires du Maroc* (1901 - 1905).

محمد الأمين البزاز

الأمراني، عبد الله بن الطاهر المكني أبا سالم. ولد ببفران وبها نشأ ثم انتقل إلى الحاجب حين أقطعه إياه السلطان المولى سليمان مع أرض أزرو. وكان شيخا صالحاً عابداً ناصري الطريقة أخذها عن الشيخ علي بن يوسف الناصري، وأخذها عن الأمراني عدد من كبار صوفية العصر أمثال العربي بن الساسح الشرقاوي الرباطي ومحمد الدباغ بوطربوش وعبد الكبير الفاسي.

وكانت وفاته بالحاجب في منتصف القرن الثالث عشر / 18، وضريحه مشهور بتسگدالت.

أ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 :129 ؛ ع.الفاسي، *رياض الجنة*، 1 : 64، 65.

الأمراني، عبد الله الكامل بن محمد بن عبد الله بن الطاهر العلوي الحسني، علامة دراكة فهامة حافظ نحرير، ولد بفاس عام 1260 / 44 . 1845 ودرس بها على كبار الشيوخ : عبد الكبير بن الطاهر الفاسي، وأحمد بناني كلا، ومحمد گنون، وأحمد السلوي، ومحمد بن عبد الرحمان العلوي، ومحمد بن عبد الواحد ابن سودة، كما أخذ عن العربي ابن الساسح الشرقاوي. وأجازه كما أجازه غيره. وكان ـ كأسلافه ـ ناصري الطريقة، أخذها عن محمد بن أبي بكر الناصري (لا عن أحمد الناصري كما في *الدرر البهية* لأن التاريخ لا يقبله). وقد اصهر إليه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بابنته، ونال لديه حظوة لم ينلها غيره من قرابته.

انقطع عبد الله الكامل للعلم والتعليم، فكان كثير القراءة في أوقات معينة لا يتأخر عنها، دؤوبا على التدريس متفرغا له في فصوله المعهودة بحيث ينقطع أثناءها عن المكلفين بأشغاله، مع حسن السمت والوقار، والتأنق في اللباس، وملازمة أفعال البر. فصل تلميذه عبد الحفيظ الفاسي القول في المواد التي كان يلقنها بالقرويين المشتملة على التفسير والحديث والفقه والسير والعربية، وقال عن *طريقته* الشيقة في التعليم : "له حفظ عجيب وعارضة قوية في التدريس، ومعرفة بتنظيمه وترتيبه، وتلخيص المسائل وسبكها وتصويرها بأبسط عبارة، مع الإعراب والفصاحة والبلاغة، وذلك مما يزيد تدريسه طلاوة ورونقا. "(*رياض الجنة*، 1 : 77).

له فهرس جامع لمقروءات وإجازات شيوخه، جمعه له تلميذه عبد الحفيظ الفاسي. وكانت وفاته بفاس يوم السبت 20 جمادى الثانية (في *إتحاف المطالع* جمادى الأولى) عام 1321 / 12 شتنبر 1903، ودفن بعرصتهم المجاورة للزاوية الناصرية التي أصبحت بعد ذلك روضة.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 130 ؛ ع.الفاسي، *رياض الجنة*، 2 : 77.80 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ مخطوط، *دليل*، 2 : 326 ؛ إ. بن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

الأمراني، مبارك بن محمد العلوي الحسني فقيه وجيه، عالم مشارك، اشتغل مدة بالتدريس، ثم أصبح رئيس المجلس العلمي بالقرويين، وبعد ذلك عين وزيراً للخليفة السلطاني بمراكش، ومات في حادثة سير بين مراكش والدار البيضاء، يوم السبت 25 رمضان 1381 / 3 مارس 1962، ودفن بروضة الأشراف بمراكش.

ع.ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط.

الأمراني، محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن الطالب الحسني. عالم فلكي مؤلف كتاب *الياقوتة العصماء في معرفة أوقات الصلوات بمنجاة إله الأرض والسموات*. ولعله ابن الشيخ عبد الرحمان بن محمد الملقب بالإمام سابق الترجمة، فتكون وفاته في أواسط القرن الثاني عشر / 17. وأظن ان اسم الطالب الجد الثاني للمترجم مصحف عن الطاهر.

م. العلمي؛ *إنهاض الهمم العالية*، مخطوط.

الأمراني، محمد بن عبد الله بن الطاهر العلوي الحسني. ولد ببفران أوائل القرن الثالث عشر/ 18، ونشأ بزرهون، ودرس بفاس على كبار شيوخ القرويين، ثم استوطن مدينة مكناس حيث أصهر إليه السلطان المولى سليمان بابنته السيدة أم هاني، فبنى بها بعد أن ولي الملك المولى عبد الرحمان بن هشام، وأنجب منها ثلاثة أبناء عبد السلام، ومحمد، وعبد الله الكامل.

كان المترجم ـ كأبيه ـ ناصري الطريقة، أخذها عن الشيخ أبي بكر بن على بن يوسف الناصري وغيره، وانتقل إلى فاس عام 1268. وسكن بحومة الطالعة، وأدركته الوفاة

بفاس عام 1275 / 58 . 1859. ودفن بالزاوية الناصرية في سويقة ابن صافي.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 129 . 130 ؛ ع.ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط؛ ع.الفاسي، *رياض الجنة*، 1 : 65.

محمد حجي

الأمراني، محمد بن محمد بن عبد الله بن الطاهر. ولد عام 1249 / 1833، وأمه أم هانيء بنت السلطان المولى سليمان. وقد سماه السلطان مولاي عبد الرحمان محمدا، حسبما جاء في رسالة منه لأمه، مؤرخة ب 23 ربيع الثاني1249 / 17 غشت 1833.

خرج جد الأمرانيين، محمد بن عبد الواحد من تافيلالت مع المولى الرشيد في القرن السابع عشر، واستقر بالزاوية الدلائية بالأطلس المتوسط، وفيها درس وتزوج، وظل مستقرا ببلاد زايان إلى وفاته.

ولقد حاز أفراد الأسرة الأمرانية، الذين لعبوا دورا كبيرا داخل المخزن، كمستشارين وكقواد عسكريين بصفة خاصة، احترام ملوك الدولة العلوية وتوقيرهم. وكسبوا ذلك الاحترام نتيجة لمكانتهم أولا، ثم نتيجة لما اتصف به محمد الأمراني وإخوته من استقامة ونزاهة.

ففي عام1309 / 1891 . 1892، أصدر السلطان مولاي الحسن ظهيرا يوصي فيه باحترام وتوقير محمد الأمراني وأخويه، جاء فيه : "أقررنا حملته أبناء عمنا سيدي محمد [....] مولاي محمد الأمراني وشقيقيه مولاي عبد السلام ومولاي الكامل على ما ألفوه من جانبنا العالي بالله وجانب أسلافنا! قدسهم الله، من التوقير والتعظيم والاحترام. ومزيد القرب والاحتباء والإكرام، وزدناهم على ذلك توقيرا واحتراما وعناية وتعظيما" (*إتحاف*، 4 : 287).

أعمال محمد الأمراني داخل المخزن : يعتبر محمد الأمراني من شخصيات المخزن التي اتصفت بالحزم والسياسة. وقادت نجدات عديدة، بينت أن الرجل كان يجمع في شخصه بين شجاعة القائد العسكري، ودهاء الحاكم السياسي. وقد كسب هذا التكوين، نتيجة للتجارب والتقلبات التي مر بها داخل المخزن في ظل أربعة سلاطين.

ففي صيف 1311 / 1894، كان محمد الأمراني بصحبة السلطان مولاي الحسن الذي توفي فجأة ببلاد تادلا، ولما رأى محمد الأمراني رجحان كفة الحاجب أحمد بن موسى الذي بايع الابن الأصغر للسلطان مولاي عبد العزيز، انخرط محمد الأمراني في سلك المبايعين ونصح إخوته بالسكوت ومبايعة السلطان الجديد.

كان محمد الأمراني، مقربا من السلطان مولاي الحسن، وحظى لديه بمنزلة رفيعة وعناية خاصة لما زوجه السلطان بأخته، (السيدة أم كلثوم بنت السلطان محمد بن عبد الرحمان). وكان بمثابة المستشار يرافق السلطان خلال حركاته، ويعتمد عليه في الأمور المهمة. فقد كلفه بمهام عديدة لدى القبائل المغربية. كجمع الواجبات المخزنية ومواجهة بعض الانتفاضات، والإصلاح بين القبائل، وتولية القواد. وكان النجاح حليف الرجل، لما تميز به "من حسن السياسة ولطف التدبير".

وفي عهد مولاي عبد العزيز (1896 . 1908)، ظلت مكانة الرجل على ما هي عليه. فقد أسندت إليه قيادة الجيوش السلطانية خلال حركة الأخماس بالشمال، وخلال حركة الرحامنة بالجنوب (1313 / 1895 . 1896). وخاصة حركة أحمد بن موسى لقبائل الأعشاش بالشاوية سنة 1315 / 1897 . 1898. فخلال انتفاضة الرحامنة، نظم الصدر الأعظم أحمد بن موسى حركة عظيمة أسند خلالها قياة قبائل الحوز ودكالة وعبدة لمحمد الأمراني.

أما خلال حركة الشاوية، فقد كان محمد الأمراني من كبار القواد، إذ تولى قيادة قبائل الغرب. وكان من أكبر مستشاري الوزير الأكبر الذين اشرفوا على حل قضية الأعشاش حلا مرضيا للمخزن. تشهد على ذلك المراسلات العديدة بينه وبين الوزير الصدر. كما تولى حل مسألة هجوم القبائل على مكناس سنة 1902، وأصلح بين گروان وبني مطير ومجاط. (ابن زيدان، *إتحاف*، 6 مخطوط، 278).

أما في عهد مولاي عبد الحفيظ، فقد أدرك محمد الأمراني مكانة مرموقة، وترقى في الوظيف عندما عينه السلطان الجديد خليفة عنه بالدار البيضاء والشاوية وفي الوقت نفسه عينه رئيسا للجنة الدولية لتفويضات الدار البيضاء بعد أن عزل مولاي الأمين بن عبد الرحمان من الوظيفتين المذكورتين.

وقد أبدى محمد الأمراني، خلال مداولات لجنة التفويضات، غيرة وطنية واضحة، في محاولة للدفاع عن المصالح الوطنية أمام تواطؤ ممثلي الدول الاستعمارية الذين كانت لهم الأغلبية في اللجنة المذكورة.

وفي سنة 1911، تولى محمد الأمراني قيادة طرف من جيوش الحماية، خلال الحملة الفرنسية الشهيرة على فاس، وهو الذي تولى مهمة إعادة الهدوء إلى مكناس، التي كان قد بويع فيها مولاي الزين. وبعد تنازل مولاي عبد الحفيظ أقره السلطان مولي يوسف في وظيفه وأضاف إليه عمالة المدينة إلى أن توفي بالدار البيضاء، يوم 14 رمضان 1331 الموافق 17 غشت 1913.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1 و4 ؛ *وثائق* خ. ح. بالرباط ؛ *كناش* مخطوط خ. ح رقم 234.

علال الخديمي

أمرزگان ← **ورزازات (إقليم ـ)**

أمرصيد ← **خنيفرة (اقليم ـ)**

أمْرگُو، حصن مرابطي يرتبط اسمه بالجبل الذي بني فوقه، ويقع بضواحي قرية فاس البالي، وبالقرب من ضريح الولي الصالح مولاي بوشتا الخمار، على بعد حوالي خمسين كيلومتراً إلى الشمال الغربي من مدينة فاس.

يعد هذا الحصن من أهم وأشهر البقايا التحصينية

المرابطية، وقد اختيرت لتشييده أعلى نقطة متقدمة من الجبل الكلسي الذي يحمله، وهي بقعة يناهز طولها أربعمائة متر وعرضها مائة متر، بينما يصل علوها إلى خمسمائة متر فوق سطح البحر، وبذلك تتحكم في مراقبة سهل "ورغة" وجميع المنطقة المحاذية مراقبة تامة وشاملة.

يتبين من الدراسات القليلة التي أقيمت في موضوع هذه القلعة أن تاريخ وظيفتها العسكرية لم يعمر طويلا. فإلى جانب كونها لم تظهر في النصوص التي تحكي تاريخ الدولة المرابطية، فإن دورها في الصراعات المرابطية ـ الموحدية لم يبرز سوى مرتين، كانت أولاها سنة 536 / 1141 ـ 1142، حيث كانت هي رأس الحربة في استراتيجية محاصرة الجيوش المرابطية المعتصمة بالجبال، وكانت الثانية سنة 540 / 1145 ـ 1146 عندما لجأ إليها الفارون من دخول عبد المومن بن علي إلى فاس. على أن هذا الاعتصام لم يكن ليدوم طويلا إذ سرعان ما اقتحم فيلق موحدي القلعة ليخرج منها المعتصمين ويقتلهم عن آخرهم عدى عمر بن يبنتان الذي نجا من الهلاك اعترافا من الموحدين بإشارة أبيه على الأمير علي بن يوسف بالعفو عن المهدي بن تومرت في بداية أمره بمراكش.

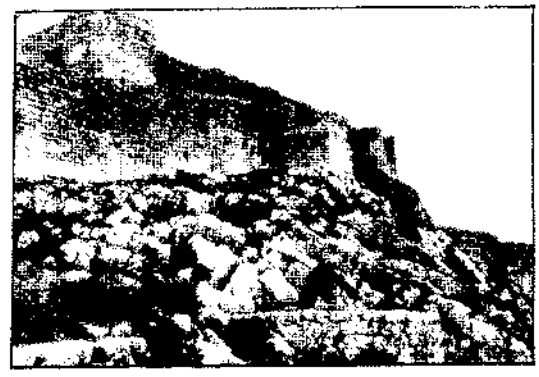

بقايا حصن أمرگو

ومنذ ذلك التاريخ لم يعد لأمرگو ذكر في المصادر اللهم إلاّ ما جاء في *وصف إفريقيا*، وهو كلام يخص القرية التي ظهرت أسفل الجبل دون أي إشارة إلى القلعة. على أن حرب الريف في بداية السنوات العشرين من هذا القرن، أعادت لهذه الأخيرة قليلا من نشاطها الماضي إذ اتخذتها لمدة فرقة من الجيش الفرنسي مركزا لمراقبة ما يحيط بها من الأراضي.

يحتل أمرگو من الناحية المعمارية مساحة طولها 225 مترا وعرضها 62 مترا في أوسع نقطة منه. وقد جاءت جدرانه ملتصقة بجوانب الجبل لكي تستفيد من الانحدارات التي تحيط بالمنبسط الأعلى. وبذلك نجد شكل البناء العام متعدد الزوايا، وقطر الأبراج مختلفا باختلاف اتساع النقط التي بنيت فوقها. عدد هذه الأبراج اثنا عشر برجا احتلت أغلبها نقط تغيير اتجاه الجدران وذلك للتحكم في الدفاع عن أطراف هذه الجدران بكيفية فعالة.

مجموع البناية مشيد بالحجارة المتوسطة الحجم المنتظمة في طبقات محكمة، يجمع بينها لياط من جير ورمل جيد "وليس في أي جهة من البناية وجود للطابية كما هو الحال بقلعة تاسغيموت أو غيرها من قلاع القرن الثاني عشر" (H.Terrasse, *La forteresse almoravide d'Amergo*, p. 395). أما سمك السور الخارجي فيختلف حسب الأماكن ليتراوح ما بين 1.35 متر و1.45 متر، بينما نجده يتراوح ما بين متر و1.40 متر في جدران الأبراج. وهذا الاختلاف في السمك مرتبط بطوبوغرافية المكان أي بقوة أو ضعف انحدار جوانب الجبل ومناعتها الطبيعية.

ما تبقى من أبواب الحصن يوحي بأن مداخيله كانت أبوابا مستقيمة، وأن المدخل الرئيسي الواقع في الجدار الغربي والذي لا شيء يميزه أو يبرز وجوده فوق الجدار (مثلا البرجان العاديان الواقعان من كل جانب في أبواب القرن الثاني عشر) يفتح على قاعة مستطيلة من جهة الشمال الغربي وعلى أخرى مربعة من جهة الجنوب الشرقي. وقياسا بما هو معروف في التحصينات المرابطية، يرجح أن يكون موقع الدرج الذي يؤدي إلى أعلى السور بإحدى هاتين القاعتين.

في وسط القلعة نظم تحصين ثان مستطيل الشكل معزز ببرجين آخرين، ويحيط بساحة داخلية فسيحة أقيمت في زاويتها الشمالية بناية من المرجح أن تكون هي مسكن القائد ؛ وقد عثر في أرضية بعض حجراتها على فتحات توحي بوجود مخازن للمؤن. أما خزان الماء الذي كانت تجمع فيه مياه الأمطار فتم حفره في القسم الجنوبي ـ الشرقي من الساحة الكبرى.

وإذا كانت العناصر المعمارية لقلعة أمرگو مرابطية في صلبها فإن كثيرا من هذه العناصر يميزها عن غيرها من التحصينات الصنهاجية ومن التحصينات الأندلسية ـ المغربية كما هي معروفة إلى اليوم. من ذلك استعمالها للبرج الدائري وحده دون غيره، واحتواؤها لمحرز يتوسطها ويحيط به سور وقائي ثان، ثم وجود جدار وقائي متقدم معزز كذلك ببرجين من جهة المدخل الشرقي وهي أضعف نقطة في القلعة.

يرى هنري طيراس أن كل هذه العناصر فيها تأثيرات أوربية استقاها المرابطون من نماذج القلاع المسيحية، وربما كان بناؤو أمرگو مسيحيين فعلا، بحكم تسخير المرابطين لكثير من المرتزقة المسيحيين في أغراض مختلفة من أغراض دولتهم وفي الشؤون العسكرية على وجه الخصوص. وإذا كانت هذه الاستخلاصات مقبولة في تفسيراتها فإن القول بها يستدعي دراسة أدق وأوضح ليتبين مقدار الحقيقة فيها مما هو من قبيل الحكم المسبق.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، 53 ـ 62 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 308.

Oudinot et Saladin, *Note sur Beni Tende, Mergo, Tansor et Angla*, Bulletin Archéologique, 1916, p. 118 s. ; E. Levi-Provençal, *Les ruines almoravides du pays de l'Ouergha*, Bulletin Archéologique, 1918, p. 194 s. ; H. Terrasse, *La forteresse almoravide d'Amergo*, Al-Andalus, XVIII, 1953, p. 389 s. ; G. Marçais, *L'architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954, p. 219 ; Encyclopédie Berbère, IV, Aix-en-Provence, 1987, p. 589.

عبد العزيز توري

أتاي : مغروس تحت البلوط الفليني بالعرائش

انظر صفحة 105

أتيل : (طاطا)

انظر صفحة 133

أتيل : في تيسينت

انظر صفحة 133

إجاص : المعمورة

انظر صفحة 138

أذمام

انظر صفحة 301

أذميم : غابة ارگان

انظر صفحة 301

أرز : غابة تدغين بالريف انظر صفحة 308

أرز : غابة اجدير (خنيفرة) انظر صفحة 308

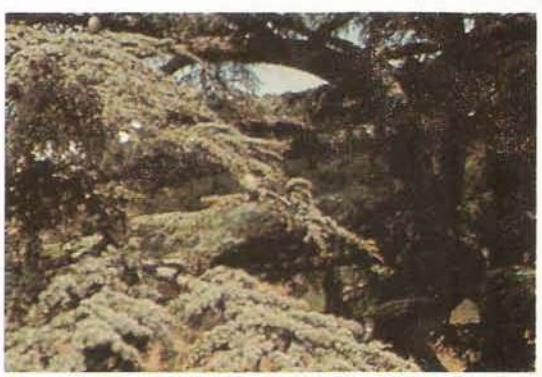

أرز أوراق انظر صفحة 308

أرز : خشب انظر صفحة 308

أرگان : غابة قرب تمنار انظر صفحة 322

أرگان : شجرة ضخمة انظر صفحة 322

أرگان أوراق و ثمار انظر صفحة 322

أرگان : قشرة انظر صفحة 322

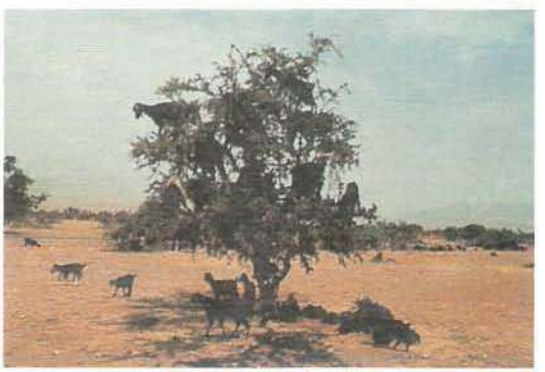

أرگان : ماعز فوق شجر الارگان انظر صفحة 322

أرگان : تهيء زيت ارگان بسهل سوس انظر صفحة 323

أرگان : تهيء زيت أرگان انظر صفحة 323

أروكاريا : كثبان الجديدة انظر صفحة 328

أزمور : غابة قرب ضريح صالح انظر صفحة 347

أزگار : باقة من أزگار وسطها بطم انظر صفحة 346

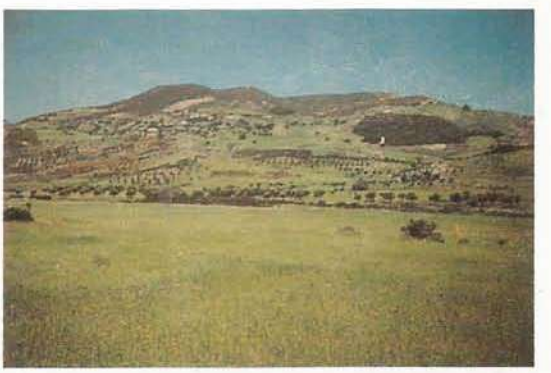

أزمور : بقايا من غابة أزمور بفضل وجود ضريح صالح
انظر صفحة 347

أزمور : شجرة صخمة انظر صفحة 347

أزوكا : غابة تمنار انظر صفحة 367

أزوكا : غابة اوريكا انظر صفحة 367

ازوكا :أوراق و ثمار انظر صفحة 367

أزوكني : جنيبات انظر صفحة 368

ازوكين : زعيترة (تارودانت) انظر صفحة 368

أزير : أوراق و أزدهار انظر صفحة 369

أزير : تقطير أزير انظر صفحة 369

أشنة انظر صفحة 471

ابن آروى انظر صفحة 73

أرنب انظر صفحة 326

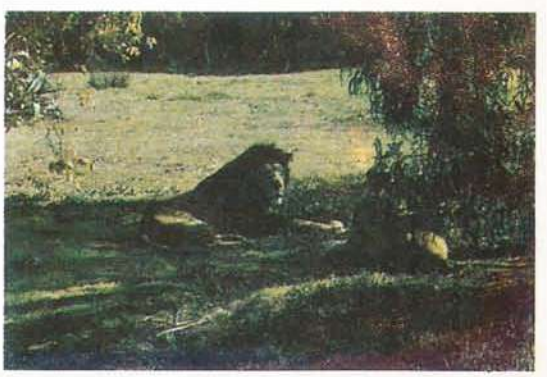

أسد انظر صفحة 403

أسد انظر صفحة 403

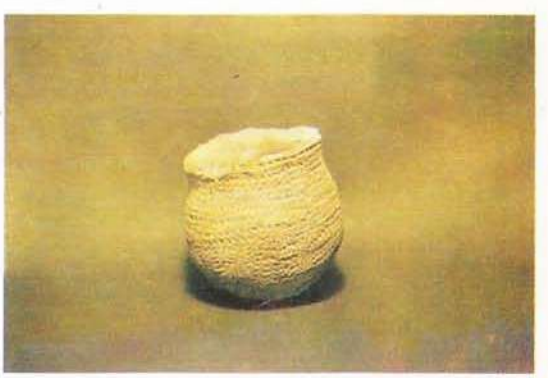

إناء من فخار في موقع أشقار انظر صفحة 468

إناء خزفي آخر من موقع أشقار انظر صفحة 468

معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر

دار الأمان - الرباط

الطبعة الأولى / 1410 هـ - 1989م
الطبعة الثانية / 1435 هـ - 2014م

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984/629

جميع حقوق النقل والترجمة، جزئياً أو كليّاً بأي شكل كان،
محفوظة للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولدار الأمان - الرباط

ردمك 7-000-03-9981 (المجموعة)

دار الأمان - الرباط

المملكة المغربية - 4، زنقة المأمونية - الرباط
هاتف: 87 37 26 37 5 212+ / 76 32 72 37 5 212+
فاكس: 55 00 20 37 5 212+
بريد الكتروني : libdarelamane@yahoo.fr

المغرب الأقصى

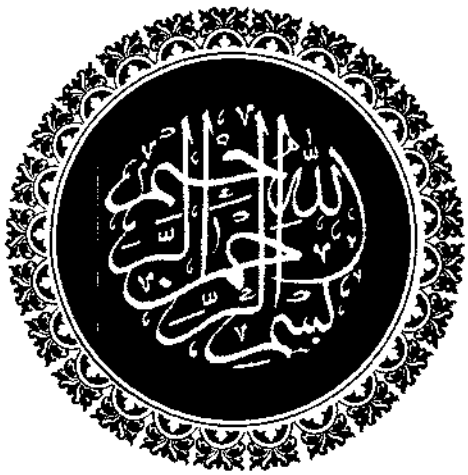
بسم الله الرحمن الرحيم

المدير المشرف : محمد حجي

لجنة التحرير : أحمد التوفيق، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط
محمد حجي، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

لجنة العلوم الانسانية : محمد بنشريفة، أستاذ الأدب المغربي والأندلسي بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية، الرباط
محمد زنيبر، أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب، الرباط
سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط
مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافيا : عبد الله العوينة، أستاذ الجيمورفولوجيا بكلية الآداب، الرباط
مصطفى عياد، أستاذ الجغرافيا البشرية بكلية الآداب، الرباط
إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
عبد المالك بنعبيد، أستاذ بالمدرسة الوطنية الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
محمد رمضاني، باحث في البيولوجيا الحيوانية بالمعهد العلمي و أستاذ بكلية العلوم، الرباط

اختصارات

ت.	= توفي
تح.	= تحقيق
تر.	= ترجمة
خ. ت	= خزانة تطوان
خ. ح.	= الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص.	= الخزانة الصبيحية بسلا
خ. ع.	= الخزانة العامة بالرباط
خ. ق.	= خزانة القرويين بفاس
خ. ي.	= خزانة ابن يوسف بمراكش
د. ت	= دون تاريخ
د. د. ع.	= دبلوم الدراسات العليا
د. م.	= دون مكان
ط.	= طبعة
←	= انظر

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

نشكر الزملاء الأساتذة، والمؤسسات التالية على ما قدموا للمعلمة من صور ورسوم :
- الخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
- الخزانة العلمية الصبيحية، سلا
- خزانة الأستاذ محمد ابن عزوز حكيم، تطوان
- مديرية التراث بوزارة الشؤون الثقافية، الرباط
- قسم الخرائطية بوزارة الفلاحة، الرباط
- المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير، الرباط
كما نشكر الأستاذ عبد الرحمان الفلاذي الذي رسم الخرائط.

نرجع في هذه الإشارات إلى مسائل منهجية سبق أن تعرضنا إلى بعضها في تقديم الجزء الأول من *معلمة المغرب*، وذلك على ضوء التجربة والمستجدات التي تبلورت أثناء ممارسة تحرير مواد حرف الباء. فقد سرنا فيما يتعلق بمداخل الأعلام البشرية ـ كذي قبل ـ على اعتبار اسم الشهرة بدلاً من الاسم الشخصي، إلا فيما يخص الرؤساء وذوي الحيثيات المدنية والعسكرية الذين اشتهروا بأسمائهم أكثر مما عرفوا بأنسابهم وألقابهم. كما سرنا في الأسماء المضافة على إهمال كلماتها الأولى التي يكثر ورودها مثل "ابن" و"أبي"، وإدراجها في حروف بداية الكلمات التالية المضاف إليها، غير أن صعوبات شكلية استوقفتنا طويلا واقتضت منا كثيراً التشاور وتقليب وجهات النظر قبل البت فيها مع شيء من التجاوز أو التعسف.

أولاها أسماء الشهرة التي امتزج فيها "ابن" بالكلمة المضاف إليها في العقود الأخيرة، فلزم عن تطور بنيات هذه الأسماء تغيير ترتيبها، وبالتالي حدوث ازدواجية فيها قد تربك الباحث عنها في مظانّها بالمعلمة. وقر الرأي على التمييز بين الأسماء التاريخية التي اشتهرت كتابتها مفصولة في الحوليات وكتب التراجم لتبقى في *المعلمة* مفصولة كذلك مثل ابن **جلون**، ابن **الحسني**، ابن **سودة**، ابن **شقرون**، ابن **عبود**، ابن **كيران**، ابن **موسى** ولو أن بعضهم يكتبها اليوم بنجلون، بلحسني، بنسودة، بنشقرون، بنعبود، بنكيران بنموسى ؛ وبين الأسماء المستحدثة أو التي ترد في المصادر المكتوبة منفصلة تارة ومتصلة أخرى فتدرج في *المعلمة* ممزوجة وترتب في الباء، مثل **برّشيد** (ابن رشيد)، **بلگناوي** (ابن الأگناوي أو ابن الجنوي)، **بلهاشمي** (ابن الهاشمي). وكذلك فعلنا مع أسماء الشهرة التي امتزج معها "أبو" : كتبناها مفصولة على نحو ما هي عليه في المصادر مثل **أبي شعيب** الساريـة (بدلاً من مولاي بوشعيب) و **أبي العباس** السبتي (بدلاً من سيدي بلعباس). وأدرجنا الأخرى في حرف الباء على صورتها التركيبية المزجية، أمثال سيدي **بنور** وسيدي **بوزيد**، ومولاي **بوعزة**، وأسرة **بوعشرين**.

ثانيتها أسماء الأماكن المبدوءة بكلمة "ابن" المنطوق بها "بن" ـ بدون همز ـ التي يتعذر التعرف عليها في غير الباء، وقد استثنيناها من قاعدة إلغاء "ابن" ورتبناها في الباء بعد أن كتبناها كما تنطق : **بن سليمان، بن گرير، بن قريش، بن مسيك**.

ثالثها : كلمة "بني" التي تسبق أسماء بعض القبائل، فتكتب عارية عن عوامل الإعراب بالياء تارة وبالواو أخرى. وإذا أمكن أن يفهم من استقراء مصادر تاريخ المغرب أن "بني" تعني في الغالب القبائل الأمازيغية مثل بني **سادّن**، بني **مرين**، بني **مطير**، بني **يفرن**، في حين تُطلق "بنو" على القبائل العربية، مثل بنو **جشم**، بنو **سليم**، بنو **معقل**، بنو **هلال**، فإننا بعد القيام بعملية الجرد وجدنا أنفسنا في متاهة البحث عن أصول هذه القبائل المتشابكة، علماً بأن كثيراً من قبائل المغرب الشلحية تعربت، والعربية تشلحت أو امتزجت، لا سيما في الريف والأطلس الصغير وما وراءه فضلاً عن السهول والهضاب. لذلك وحدنا مدخلها بالياء تيسيراً للاطلاع ، واعتباراً لكونها في الغالب على تقدير مضاف أو حرف جر.

وسيراً مع ما اصطلح عليه المهتمون بمداخل الأعلام العربية في الكومبيوتر من عدم اعتبار تضعيف الحرف الأول من الكلمة، اعتبرنا في *المعلمة* الأسماء الأعجمية المبدوأة بحرف P كأنها باء واحدة ولو أننا وضعنا عليها علامة "الشدة". وكتبنا الجيم المعقودة "گ" واعتبرنا في الترتيب كافاً رعياً لصورتها، كما اعتبرنا لذلك أيضاً الهمزة المكتوبة على الواو واواً، وعلى الياء ياءً، حسب اصطلاح البيبليوغرافيين.

وفيما يخص تقنية التصفيف الإليكتروني أمكننا، ابتداء من الباء، أن نميز في كتابة مداخل المواد بين ما هو معتبر في الترتيب وما هو مهمل من حروف وكلمات، فنرسم "ال" و"بن" مثلا بحروف عادية لتبقى الكلمة أو الكلمات المعتبرة في الترتيب مجردة بارزة متميزة (مثلا : **البعقيلي**، **الحسن بن محمد**). ولنفس السبب أخرنا الكلمات المضافة الملغاة وكتبناها بين قوسين بعد كلمات المدخل، مثل **باها** (أيت ـ)، **البرهان** (جزيرة ـ)، **البيضاء** (جامع ـ)، إلا إذا كانت جزءاً من الاسم المركب تركيباً إضافياً مثل أبو **بكر**.

وقد سمحنا لأنفسنا، ونحن مازلنا في البدايات، بإدخال هذه التعديلات الطفيفة على الخطة المرسومة رغبة في مسايرة قواعد الفهرسة والتصنيف في المعاجم والموسوعات العربية التي تستخدم الحاسوب الإلكتروني، والاستفادة من مستجدات آلات الطباعة الحديثة المتطورة باستمرار.

الرباط، في فاتح رجب عام 1411 / 17 يناير 1991

المشاركون في تحرير مواد حرف الهمزة

ميلود **أحمنّ**، كلية الآداب، مراكش
محمد **أديوان**، كلية الآداب، الرباط
مصطفى **أريبب**، وزارة التربية الوطنية
شفيق **أرفاك**، باحث، الرباط
محمد **أزهار**، كلية الآداب، المحمدية
أ. ح. **أسادّن**، طبيب، فاس
سعيد **أعراب**، المعهد الأصلي، تطوان
الحسين **أفا**، كلية الآداب، أكادير
عمر **أفا**، كلية الآداب، الرباط
الحسين **أقيوح**، مهندس، الرباط
عبد العزيز **أكرير**، كلية الآداب، بني ملال
عبد اللطيف **أكنوش**، كلية الحقوق، الدار البيضاء
محمد **ألحيان**، المركز الوطني لتنسيق البحث العلمي، الرباط
إبراهيم **ألوزاد**، كلية الآداب، فاس
علي **أمهان**، وزارة الشؤون الثقافية
حسن **أميلي**، كلية الآداب، المحمدية
حمدي **أنوش**، كلية الآداب، أكادير
محمد **أوجامع**، كلية الآداب، مراكش
مبارك **أوسديد**، كلية الآداب، الرباط
عبد الحميد محيي الدين **الباعمراني**، كلية اللغة العربية، مراكش
محمد **البايك**، كلية اللغة العربية، مراكش
ثريا **برادة**، كلية الآداب، القنيطرة
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب، المحمدية
سعيد **برّقاد**، مهندس بمكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية
محمد **بريان**، كلية الآداب، الرباط
عبد اللطيف **البرينسي**، كلية الآداب، بني ملال
محمد الأمين **البزاز**، كلية الآداب، الرباط
الحسين **البعاوي**، كلية الآداب، الرباط
محمد **البقالي بدري**، باحث
عبد السلام **البكاري**، باحث
أحمد **بلاوي**، كلية الآداب، مراكش
محمد **بلعربي**، باحث، الرباط
عائشة **البلغيتي العلوي**، كلية الآداب، الرباط
عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب، القنيطرة
البضاوية **بلكامل**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد الأمين **بلكناوي**، باحث، الرباط

محمد **بنهراهيم**، كلية الآداب، وجدة
أحمد **بنجلون**، باحث، الرباط
ماجدة **بنحربيط علمي**، كلية الآداب، بني ملال
الحسن **بنحليمة**، كلية الآداب، أكادير
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب، المحمدية
عبد اللطيف **بنشريفة**، كلية الآداب، الرباط
محمد **بنشريفة**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
عبد العزيز **بنعبد الله**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
عبد المجيد **بنعبد الله**، مهندس بوزارة الفلاحة
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين، سلا
عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب، بني ملال
عمر **بنميرة**، كلية الآداب، الرباط
عثمان **بناني**، كلية الآداب، الرباط
لطيفة **بناني سميرس**، كلية الآداب، فاس
عبد المجيد **بنيوسف**، الخزانة العامة، الرباط
أحمد **بوجداد**، وزارة الشؤون الإدارية
الزبير **بوحجار**، باحث
أحمد **بوحسن**، كلية الآداب، الرباط
محمد **بوخبزة**، قسم المخطوطات في خزانة تطوان
فاطمة **بوخريص**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **بُودّة**، مهندس، الرباط
عبد القادر **بوراس**، وزارة التربية الوطنية
رحمة **بورقية**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب، فاس
عبد القادر **بوسحابة**، مهندس، الرباط
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب، المحمدية
مصطفى **بوشعراء**، مديرية الوثائق الملكية، الرباط
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب، الرباط
بوشتى **بوعسرية**، كلية الآداب، مكناس
عبد العزيز **بوعصاب**، المركز التربوي، القنيطرة
العربي **بوعياد**، باحث، الرباط
أحمد **بوكوس**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **بومزگو**، باحث
جامع **بيضا**، كلية الآداب، الرباط
أحمد شوقي **بينبين**، كلية الآداب، الرباط
عبد العزيز **التمسماني خلوق**، كلية الآداب، الرباط

محمد **تميم**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة الرباط
عبد العزيز **توري**، مديرية التراث بوزارة الثقافة
أحمد **التوفيق**، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط
عبد القادر **تيمول**، باحث، الرباط
محمد **جادة**، خزانة كلية الآداب، الرباط
حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية، مراكش
الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية
عمر **الجيدي**، دار الحديث الحسنية، الرباط
محند أيت **الحاج**، وزارة التربية الوطنية
جعفر ابن **الحاج السلمي**، كلية الآداب، تطوان
حسن **الحافظي**، باحث
محمد **حجي**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب، وجدة
فاطمة **الحراق**، كلية الآداب، الرباط
إبراهيم **حركات**، كلية الآداب، الرباط
حمادي **حضيكي**، مهندس بمفاحم المغرب
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب، فاس
محمد **حمام**، كلية الآداب، الرباط
محمد أيت **حمزة**، كلية الآداب، الرباط
محمد **حنداين**، باحث
علال **الخديمي**، كلية الآداب، الرباط
سعيد **خليل**، كلية الآداب، أگادير
عبد العزيز **الخمليشي**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **الخنبوبي**، باحث، بوردو
إسماعيل **خياطي**، كلية الآداب، الجديدة
نجاة **الخياطي**، كلية العلوم، الرباط
مارية **دادي**، كلية الآداب، وجدة
محمد **دحماني**، كلية الآداب، وجدة
عبد الله **درقاوي**، مركز تكوين المفتشين، الرباط
نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب، مراكش
عبد الرحمان **رحو**، كلية الآداب، فاس
محمد رحو، كلية الآداب، فاس
حسن **رحيوي**، مهندس بمفاحم المغرب
محمد **رزوق**، كلية الآداب، الدار البيضاء
مبارك **رضوان**، كلية الآداب، أگادير
محمد **الرقاص**، كلية الآداب، الرباط
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي، الرباط
محمد **زرهوني**، كلية الآداب، الدار البيضاء
محمد **زكور**، كلية علوم التربية، الرباط
محمد **زنيبر**، كلية الآداب، الرباط
قاسم **الزهيري**، باحث، الرباط
عبد النبي **زين العابدين**، باحث
عبد الله **ساعف**، كلية الحقوق، الرباط
رشيد **السلامي**، كلية الآداب، مراكش
عبد اللطيف **الشاذلي**، عمادة جامعة مولى إسماعيل، مكناس
أحمد **الشرقاوي إقبال**، باحث، مراكش
أحمد **الشرقي**، باحث، مراكش
محمد **شقرون**، كلية الآداب، الرباط

محمد **الشياظمي**، باحث، الرباط
فاطمة الزهراء **الصبيحي** ـ العلوي، متحف الآثار، الرباط
عبد الحق **الصدق**، كلية الآداب، وجدة
علي **صدقي أزيكو**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرزاق **الصديقي**، كلية الآداب، المحمدية
خالد بن **الصغير**، المدرسة العليا للأساتذة، الرباط
محمد **طوزي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
محمد حجاج **الطويل**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد **الطيلسان**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرحمان **الطيبي**، باحث
عبد العزيز بن عبد **الجليل**، وزارة الثقافة
محمد بن **عبود**، كلية الآداب، تطوان
عبد الفتاح أبو **العز**، كلية الآداب، بني ملال
أحمد **عزاوي**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث، الرباط
عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب، الرباط
عز الدين **العلام**، المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير
إسماعيل **العلوي**، كلية الآداب، الرباط
محمد **العلوي الأوفوسي**، وزارة التربية الوطنية
هاشم **العلوي القاسمي**، كلية الآداب، فاس
أحمد **عمالك**، كلية الآداب، مراكش
صفية **العمراني**، كلية الآداب، مراكش
أحمد **العماري**، كلية الآداب، فاس
عبد الله **العوينة**، كلية الآداب، الرباط
مصطفى **عياد**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **الغزالي**، كلية الآداب، فاس
عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب، القنيطرة
حليمة **فرحات**، كلية الآداب، الرباط
عبد اللطيف **فضل الله**، كلية الآداب، الرباط
حسن **الفكيكي**، كلية الآداب، القنيطرة
مصطفى **فنيتر**، باحث
خالد **القادري**، وزارة المالية
عبد الرحمن **القادري**، كلية الحقوق، الرباط
محمد مصطفى **القباج**، أكاديمية المملكة المغربية
محمد **القبلي**، عمادة جامعة عبد الملك السعدي، تطوان
عبد المجيد **قدوري**، كلية الآداب، الرباط
محمد **كريوط**، كلية الآداب، الرباط
علي **كريمي**، كلية الحقوق، الرباط
عبد القادر **كعيوا**، كلية الآداب، الدار البيضاء
محمد حسن **كفناني**، باحث
العربي **كنيتع**، المدرسة العليا للأساتذة، فاس
محمد **الكير**، وزارة التربية الوطنية
ميشال **لافون**، باحث
حسن **اللبادي**، باحث
محمد **لبحر**، كلية الآداب، فاس
محمد **اللحية**، كلية الآداب، أگادير
عبد الرحمن **لخصاصي**، باحث
أحمد أمزال **لعسري**، باحث
علي **لغزيوي**، كلية الآداب، فاس

أحمد **لقمهري**، كلية الآداب، الرباط
رامون **لوريدو**، باحث، طنجة
سيمون **ليفي**، كلية الآداب، الرباط
حسن **ليمان**، باحث
محمد **المازوني**، كلية الآداب، أگادير
محمد **ماگامان**، كلية الآداب، مراكش
الملكي **المالكي**، وزارة التربية الوطنية
أحمد **متفكر**، باحث، مراكش
الحسين **المجاهد**، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط
محمد **مجدوب**، كلية الآداب، المحمدية
الحسن **المحداد**، كلية الآداب، أگادير
علي **المحمدي**، كلية الآداب، الرباط
محمد **مرزاق**، وزارة التربية الوطنية
العربي **مزين**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد **مزين**، كلية الآداب، فاس
أحمد **مزيان**، كلية الآداب، فاس
محمد **مستاوي**، باحث، الرباط
محمد العربي **المساري**، سفير المغرب في البرازيل
عبد الله **المصلوت**، مديرية التعليم العالي، الرباط
محمد **مطيع**، كلية الآداب، مراكش
آمنة **معطى الله**، وزارة التربية الوطنية
محمد **مغراوي**، كلية الآداب، أگادير
محمد **مفتاح**، كلية الآداب، الرباط
محمد **مقدون**، كلية الآداب، فاس

محمد **الملحاوي**، باحث
عبد الرحمان **الملحوني**، باحث، مراكش
محمد **المنصور**، كلية الآداب، الرباط
محمد **المنوني**، كلية الآداب، الرباط
محمد **منيوي**، المعهد العلمي، الرباط
جواد **المهدي**، باحث، الرباط
عبد الرزاق **مولاي رشيد**، كلية الحقوق، الرباط
المصطفى **مولاي رشيد**، كلية الآداب، الرباط
شاكر **الميلود**، باحث
محمد **الناجي**، باحث
مصطفى **ناعمي**، المعهد الجامعي للبحث العلمي
عبد الله **نجمي**، كلية الآداب، الرباط
زهرا، **النظام**، كلية الآداب، الرباط
محمد الحبيب **نوحي**، كلية الآداب، أگادير
عبد الجليل **الهجراوي**، متحف الآثار، الرباط
المختار **الهراس**، كلية الآداب، الرباط
عثمان **هناكا**، كلية الآداب، أگادير
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب، مراكش
علي **واحدي**، كلية الآداب، فاس
أحمد **الوارث**، باحث
عبد الرحيم **وظفة**، باحث
مصطفى **يعرف**، باحث
سالم **يفوت**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرحمان **اليوبي**، كلية الآداب، بني ملال

أهم المصادر والمراجع المعتمد عليها مع اختصارها

- ملحق (1) -

الشريف الإدريسي،

- *نزهة المشتاق في اختراق الافاق* - بيروت، 1989، 2 ج. *(نزهة المشتاق)*

محمد ابن عبد العظيم الأزموري،

- *تقييد في بعض شرفاء المغرب*، مخطوط، خ ع، د 1595. *(تقييد)*

محمد الشرقي بن محمد الاسحاقي،

- *رحلة*، مخطوط خ. ق 258.

دوكلاس اي. أشفورد،

- *التطورات السياسية في المملكة المغربية*، تر. عائدة كاف وأبو حكمة، مراجعة عبد الهادي بوطالب - بيروت، 1963. *(التطورات السياسية)*

ا. الإصطخري،

- *المسالك والممالك*، ط. دي خوي - لندن، 1870.

سعيد أعراب،

- *ظهائر سلطانية*، دعوة الحق، س 13، ع 6-7، 1970 ؛ ع 268، 1988.

- *القراء والقراءات بالمغرب* - بيروت، 1990.

أ. أفوقاي الحجري،

- *العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع*، مخطوط، خ ع. *(العز والمنافع)*

الحسين أقيوح،

- *النشاط المعدني بإقليم ورزازات* : نموذج منجم بليدة. بحث لنيل الإجازة : مراكش : 1987. *(النشاط المعدني)*

محمد اكنسوس،

- *الجيش العرمرم الخماسي* - فاس، ط. حجرية. *(الجيش)*

- *حسام الانتصار في وزارة بني العشرين الانصار*، مخطوط. *(حسام الانتصار)*

أحمد أمين،

- *قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية*، القاهرة، 1953. *(قاموس العادات)*

داوود بن عمر الانطاكي،

- *تذكرة أولى الالباب الجامع للعجب العجاب* - القاهرة، 1309 هـ. *(تذكرة الأنطاكي)*

الأوروبي،

ـ *مناقب أبي يعقوب*، مخطوط خاص.

محمد الباشا،

ـ *العيطة الشعبية*، القنون، ع 5 ـ 6، يبراير ـ مارس 1975.

محمد أمين البزاز،

ـ *المجلس الصحي الدولي بالمغرب 1792، 1929*. د.د.ع : تاريخ : الرباط، 1980. *(المجلس الصحي)*

ع . البطوئي،

ـ *مطلب الفوز والفلاح*، مخطوط، خ. ح، 1667. *(مطلب الفوز)*

عبد السلام البكاري،

ـ *الإشارة والبشارة في تاريخ وأعلام بني مسارة*، الدار البيضاء، 1984. *(الإشارة والبشارة)*

نادية بلحاج،

ـ *التطبيب والسحر بالمغرب*، الدار البيضاء، 1986.

أحمد البلوي،

ـ *العطاء الجزيل*، مخطوط، خ ح 6148.

خالد بن أحمد البلوي،

ـ *تاج المفرق في تحلية علما المشرق*، ت. الحسن السائح ـ الرباط، 1977 ـ 1978. 2ج. *(تاج المفرق)*

عبد العزيز بنعبد الله،

ـ *سلا أولى حاضرتي أبي رقراق ـ سلا*، 1990. *(سلا أولى)*

أ. ابن البنا المركشي،

ـ *الروض المريع في صناعة البديع*، ت. رضوان بن شقرون، الدار البيضاء، 1985. *(الروض المريع)*

أحمد بناني،

ـ *كناشة*، مخطوط، خ ص سلا رقم 373.

عبد القادر بناني،

ـ *تلخيص ما عليه المعول من أخبار من بالمغرب من الدول*، مخطوط، خ ح 1027. *(تلخيص بناني)*

عبد الكريم بناني،

ـ *تحفة الفضلاء الاعلام بالتعريف بالشيخ محمد البناني ابن عبد السلام*، مخطوط. *(تحفة الفضلاء)*

علي البوجمعاوي،

- *مناقب*، مخطوط.

ع. بوخزار،

- *تقييد عن أعلام قبيلة بني سلمان*، مخطوط. (*تقييد عن أعلام*)

أحمد البوزيدي،

- *التاريخ الاجتماعي لدرعة*، د.د.ع : التاريخ : الرباط، 1988.

محمد البوزيدي،

- *الآداب المرضية*، مخطوط، خ ع.

- *مجموعة رسائل*، مخطوط، خ. ت.

مصطفى بوشعراء،

- *السفارات المغربية في القرن 19* - مجلة *دار النيابة*، 3، 1984. (*السفارات المغربية*)

محمد بن سعيد البوصيري،

- *ديوان شعر*، ت. سيد كيلاني - القاهرة، 1955.

بوشتى بوعسرية،

- *أحداث بوفكران*، الرباط، 1990.

- *علاقات مكناس ببادیتها*، *1907*، *1918* - مجلة *دار النيابة*، ع 21، 1989.

الحسن بن الطيب بن اليمني بوعشرين،

- *التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب*، مخطوط. (*التنبيه المعرب*)

أحمد بوكاري،

- *الزاوية الشرقاوية*، الدار البيضاء، 1985 - 1989، 2 ج.

الحسن البونعماني،

- *ترجمة شيخ الاسلام : محمد بن مسعود البونعماني*، جريدة *السعادة*، 11 غشت 1938. (*ترجمة البونعماني*)

الطيب بنونة،

- *نضالنا القومي*، طنجة، 1980.

العربي بنونة،

- *لحن نشيد حزب الاستقلال : مغربنا وطننا* - *العلم*، 6 يونيو 1990.

أحمد بن علي البوني،

- *منبع أصول الحكمة*، مصر.

أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن البيطار،

- *الجامع لمفردات الأدوية والأغذية* - القاهرة، 1291 هـ.

ابن هيدور التادلي،

ـ مقدمة *التمحيص في شرح التلخيص*، مخطوط.

عبد الهادي التازي،

ـ *سفارة عن السلطان مولاي عبد العزيز إلى لندن، البحث العلمي*، ع 29 ـ 30.

التجاني،

ـ *رحلة التجاني*، قدم لها ح. ح. عبد الوهاب ـ تونس، 1981.

م. بن الحبيب **التمنوكالتي،**

ـ *العقود الجوهرية في الانباء الدرعية*، مخطوط. *(العقود الجوهرية)*

عباس الجراري،

ـ *العالم المجاهد عبد الله بن العباس الجراري*، الدار البيضاء، 1985.

عبد الله الجراري،

ـ *الحافظ الواعية محمد المدني ابن الحسني*، الدار البيضاء، 1977.

محمد رمضان **الجربي،**

ـ *دراسات وتحقيق لكتاب جامع العبارات في تحقيق الاستعارات* ـ ليبيا، 1986. *(جامع العبارات)*

إ. الجعيدي،

ـ *الابتسام عن دولة ابن هشام*، مخطوط، خ ح 104. *(الابتسام)*

حسن جلاب،

ـ *الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب : ظاهرة سبعة رجال*، دكتورة آداب، الرباط، 1987. *(الحركة الصوفية)*

حسن جلاب،

ـ *ظهائر سعدية في توقير واحترام شيوخ الزاوية البوعمرية بمراكش* ـ *دار النيابة*، ع 21، شتاء 1989.

ـ *ظهائر علوية لرعاية الزاوية البوعمرية بمراكش* ـ دعوة الحق، ع 278، مارس 1990.

ـ *وثائق حول الزاوية البوعمرية بمراكش* ـ *البحث العلمي*، ع 38، 1988.

عبد المجيد **ابن جلون،**

ـ *جولات في تاريخ مغرب أمس*، الرباط، 1974 ـ 1975.

عمر الجيدي،

ـ *ابن عرضون الكبير*ـ الرباط، 1987.

أحمد بن محمد بن حمدون ابن **الحاج،**

ـ *الدر المنتخب المستحسن في مآثر مولانا الحسن*، مخطوط. *(الدر المنتخب)*

حسن الحافظي،

ـ *سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن (14 م) : مساهمة في دراسة مجتمع*

الواحات في العصر الوسيط، د.د.ع : تاريخ : فاس، 1989. *(سجلماسة وإقليمها)*

محمد الحجوي،

- *تقاييد تاريخية*، مخطوط، خ ع، ح 128.

نبية حدوش،

- *دراسة جيومورفولوجية لمنطقة الخميسات*، د.د.ع : جغرافيا : الرباط، 1988.

ابن حزم،

- *طوق الحمامة في الالفة والآلاف*، ت. ل. برشي الجزائر، 1949. *(طوق الحمامة)*

- *الفصل في الملل والنحل* - القاهرة، 1317 هـ، 5 ج.

برهان الدين إبراهيم بن محمد الحلبي،

- *قلائد المرجان في الحديث الوارد عدبا في الباذنجان*.

أبو القاسم بن أحمد الحلقاوي،

- *شمس المعرفة في سير غوث المتصوفة*، مخطوط، خ ع د 1720. *(شمس المعرفة)*

عبد الرزاق بن حمادوش،

- *كشف الرموز في بيان الاعشاب*.

محمد حمام،

- *وثائق غميسة حول زاوية اتسفال* - مجلة *دار النيابة*، ع 6، ربيع 1985.

محمد أيت حمزة،

- *ملامح التحولات السسيومجالية بحوض اسيف امكون*، د.د.ع : جغرافيا : الرباط، 1986. *(ملامح التحولات)*

ياقوت الحموي،

- *معجم البلدان*، بيروت، 1955.

م. ابن عبد المنعم الحميري،

- *الروض المعطار في خبر الأقطار*، ت. إحسان عباس، بيروت، 1975. *(الروض المعطار)*

س. الحوات،

- *ثمرة أنسي في التعريف بنفسي*، مخطوط، خ. ع. ك 1264. *(ثمرة أنسي)*

علال الخديمي،

- *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، 1894 - 1910 : حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية* - الدار البيضاء، 1990. *(التدخل الأجنبي)*

محمد العربي الخطابي،

- *علم المواقيت : أصوله ومناهجه*، الرباط، 1986.

ع. الخطيب،

- *شارل جارجير شميد*، مجلة *تطوان*، ع 7.

لسان الدين ابن الخطيب،

ـ *الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة*، ت. إحسان عباس، بيروت. *(الكتيبة الكامنة)*

أ. ابن الخياط،

ـ *مجموعة رسائل أبي عبد الله العربي الدرقاوي*، فاس، ط. حجرية.

إسماعيل خياطي،

ـ *تحول البنيات الفلاحية في القطاعات المسقية : نظام الاكارة في سهل دكالة المسقي*، د.د.ع. : جغرافيا : الرباط، 1988.

محمد الدباغ،

ـ *ابن البناء المراكشي وكتابه تفسير الاسم من البسملة* ـ *دعوة الحق*، ع 262، يناير ـ فبراير 1987.

المهدي الدليرو، محمد بوخبرة،

ـ *فهرس مخطوطات خزانة تطوان*، تطوان، 1981، 1984، 2 ج.

محمد بن موسى الدميري،

ـ *حياة الحيوان الكبرى*، بيروت، (د. ت).

ابن رزين التجيبي،

ـ *فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان*، ت. محمد بن شقرون ـ بيروت، 1984. *(فضالة الخوان)*

علي بن محمد بن عبد الرحمن الرعيني،

ـ *برنامج شيوخ الرعيني*، ت. إ. شبوح، دمشق، 1962.

أ. الرهوني،

ـ *عمدة الراوين، في تاريخ تطاوين*، مخطوط خ. ت. *(عمدة الراوين)*

ب. ج رودجرز،

ـ *العلاقات الانجليزية المغربية حتى عام 1900*، تر. يونان لبيب رزق، الدار البيضاء، 1981.

علي الريسوني،

ـ *أبطال صنعوا التاريخ*، تطوان، 1975.

الزايدي،

ـ *انتفاضة الشاوية* سنة 1907، الدار البيضاء، 1986.

أحمد زروق،

ـ *الروض اليانع*.

عبد القادر زمامة،

ـ *معالم وأعلام من فاس القديمة*، *البحث العلمي*، ع 13.

عبد الحميد زوزو،

- *ثورة بوعمامة، جانبها السياسي*، الجزائر، 1983.

- *ثورة بوعمامة، جانبها العسكري*، الجزائر، 1981.

- *نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر*، 1830 - 1900، الجزائر، 1984.

العربي ابن السائح،

- *كناشة*، مخطوط، خ ع، ج 133.

ع. السباعي،

- *الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع*، الرباط، 1940. *(الدفاع وقطع النزاع)*

أبو حامد أحمد بهاء الدين السبكي،

- *عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح*، مصر، 1927.

أبو القاسم السجلماسي،

- *المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع*، ت. علال الغازي، الرباط، 1980. *(المنزع البديع)*

الحاج محمد السراج،

- *خلاصة تاريخ سبتة بالآثار والمآثور وماجاورها حتى كدية الطيفور*، تطوان، 1976. *(خلاصة تاريخ سبتة)*

السكاكي،

- *مفتاح العلوم*، بيروت، 1983.

محمد بن الاعرج السليماني،

- *زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ*، مخطوط، خ ع د 3657. *(زبدة التاريخ)*

- *اللسان المعرب عن تهافت المعمرين حول المغرب*، مخطوط، خ ح 297. *(اللسان المعرب)*

أحمد سهوم،

- *تطور كلمات ومضامين الشعر الملحون*، الفنون، ع 5 - 6، يبراير - مارس 1975.

أ. باب السوداني،

- *كفاية المحتاج*، ت. محمد مطيع، د.د.ع : تاريخ : الرباط : 1987. *(كفاية)*

محمد التاودي ابن سودة،

- *البواشرية ومقاومة الاستعمار الفرنسي بقبيلة زعير - البحث العلمي*، ع 23، ماي - غشت 1974.

- *قبيلة زعير : قديما وحديثا*، الدار البيضاء، 1978 - 1986، 2 ج.

محمد المختار السوسي،

- *رحلة من الحمراء إلى إيليغ*، مخطوط.

علي السوسي السملالي،

ـ *مطالع الحسن*، مخطوط، خ ع، 81.

الحسين ابن سينا،

ـ *القانون في الطب*.

الحسن الشافعي علوي،

ـ *التنظيم البلدي بالمغرب قبل الحماية : نموذج مدينة صفرو*، د.د.ع : تاريخ : فاس.

ابن شاكر الكتبي،

ـ *فوات الوفيات*، ت. إحسان عباس، بيروت، 1973 ـ 1974، 4 ج.

أ. الشباني الادريسي،

ـ *مصابيح البشرية في أبناء خير البرية*، الدار البيضاء، 1978. *(مصابيح البشرية)*

أحمد الشراط،

ـ تقييد، نشره محمد ابن عزوز حكيم بعنوان : *لماذا نطالب بسبتة ومليلية ؟* ـ تطوان، 1971. *(لماذا نطالب)*

صالح الشرقي،

ـ *المستطرف في قواعد الفن والموسيقى*، الرباط، 1972.

محمد شفيق،

ـ *المعجم العربي الأمازيغي*، ج 1 ـ الرباط، 1990.

عبد الله شقرون،

ـ *الفجر الجديد للموسيقى والغناء بالمغرب*، الفنون، ع 5 ـ 6، يناير ـ مارس 1975.

محمد شقرون،

ـ *نظام القرابة والعائلة في المجتمع المغربي* ـ مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ع 13. *(نظام القرابة)*

الشوكاني،

ـ *البدر الطالع*.

محمد الشياظمي،

ـ *حسن الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة*، مخطوط. *(حسن الدلالة)*

أحمد الصبيحي،

ـ *صلحاء آسفي وعبدة*، مخطوط، خ ص 418.

ـ *فضائح القائد عيسى بن عمر*، مخطوط، خ ص 108.

عبد المجيد الصغير،

ـ *اشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 18 و19*، الدار البيضاء، 1988.

أحمد بن قاسم **الصومعي** التادلي،

- *المعزى في أخبار أبي يعزى*، مخطوط. *(المعزى)*

ضابط الأمور الوطنية للمنطقة الخليفية، تطوان، 1953.

مصطفى أحمد أبوضيف،

- *أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين* - الدار البيضاء، 1982. *(أثر القبائل)*

عيسى بن علي العلمي،

- *كتاب النوازل*، ت. المجلس العلمي بفاس - الرباط، 1983- 19، 2 ج. *(نوازل العلمي)*

التقي العلوي،

- *أصول المقاربة، البحث العلمي*، ع 27، 1977.

أبو سالم العياشي،

- *رحلة ماء الموائد*، فاس : م، حجرية، 1316 / 1898، 2 ج.

محمد بن العياشي المكناسي،

- *زهرة البستان في أخبار أخوال مولانا زيدان*، مخطوط، خ ع، د 2152. *(زهرة البستان)*

القاضي عياض ومحمد بن عياض،

- *مذاهب الحكام في نوازل الاحكام*، ت. محمد بن شريفة - بيروت، 1990. *(مذاهب الحكام)*

أ. **الغبريني**،

- *عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية*، ت. عادل نويهض - بيروت، 1969. *(عنوان الدراية)*

عبد الاله الفاسي،

- *أعيان مدينة الرباط في القرن التاسع عشر وبداية العشرين*، د.د.ع : تاريخ : الرباط، 1988. *(أعيان الرباط)*

محمدالفاسي،

- *معلمة الملحون* - الرباط، 1986 - 1990، 3 ج.

محمد البشير الفاسي،

- *قبيلة بني زروال* - الرباط، 1962.

عز الدين فراج،

- *الخضراوات وقيمتها الغذائية والطبية*.

محمد الحبيب الفرقاني،

- *الثورة الخامسة : صفحات من تاريخ المقاومة وجيش التحرير* - الدار البيضاء، 1990. *(الثورة الخامسة)*

ابن الفقيه،

ـ *كتاب المسالك في معرفة الممالك*، ط. دي خوي ـ ليدن، 1885.

حسن الفكيكي،

ـ *مقاومة الوجود الايبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، أطروحة دكتورة : تاريخ : الرباط، 1991. *(مقاومة الوجود الإيبيري)*

مصطفى فنيتر،

ـ *قواد الجنوب الكبار : نموذج القائد عيسى بن عمر العبدي، 1879، 1914*، د.د.ع : تاريخ : الرباط، 1989. *(قواد الجنوب الكبار)*

ع. القادري،

ـ *نزهة النادي وطرفة الحادي فيمن بالمغرب من أهل القرن الحادي*، مخطوط، خ ع. د 370. *(نزهة النادي)*

م. القادري،

ـ *الزهر الباسم*، مخطوط، خ ع، د 177.

عبد المجيد قدوري،

ـ *صور عن أوربا من خلال ثلاث رحلات مغربية* ـ مجلة كلية الآداب بالرباط، ع 15، 1990.

الخطيب القزويني،

ـ *الايضاح في علوم البلاغة*، شرح وتعليق وتنقيح محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، 1975.

زكرياء بن محمد القزويني،

ـ *عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات*، مصر، 1956. *(عجائب المخلوقات)*

القلصادي،

ـ *شرح التلخيص*، مخطوط.

محمد الكانوني،

ـ *علاقة آسفي ونواحيها بملوك المغرب*، مخطوط.

إبراهيم الكتاني،

ـ *مذكرات سجين مكافح*، الرباط، 1977.

جعفر الكتاني،

ـ *الشرب المحتضر والسر المنتظر في معين بعض أهل القرن الثالث عشر* ـ فاس، ط. حجرية، 1309 هـ. *(الشرب المحتضر)*

عبد الحي الكتاني،

ـ *فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات*، ت. إحسان عباس، ط. 2 ـ بيروت، 1982 ـ 3 ج. *(فهرس الفهارس)*

عبد الكبير بن هاشم **الكتاني**،

- *زهر الأس في بيوتات فاس*، خ ع كـ 1281.

عمر رضا كحالة،

- *معجم قبائل العرب* - بيروت، 1968. *(معجم قبائل)*

انستاس ماري الكرملي،

- *النقود العربية وعلم النميات* - القاهرة، 1939. *(النقود العربية)*

محمد حسن كفناني،

- *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*، د.د.ع : تاريخ : الرباط، 1988. *(قبيلة أولاد أبي السباع)*

عبد الله كنون،

- *ابن البنا العددي*، سلسلة مشاهير رجالات المغرب. *(ابن البنا)*

روم لاندو،

- *أزمة المغرب الاقصى*، تر. إسماعيل علي وحسن الحوت - القاهرة، 1961 *(أزمة المغرب)*

الغالي بن محمد الحسني اللجائي،

- *نوحة المجد والتمكين في وزارة ونسب العالمين ابني عشرين*، مخطوط. *(نوحة المجد)*

الطيب ابن لحبيب،

- *تاريخ درعة*، مخطوط.

الطاهر اللهيوي،

- *حصن السلام بين يدي أولاد عبد السلام*، تق. عبد الله كنون - الدار البيضاء، 1978 *(حصن السلام)*

ك. مارمول،

- *أفريقيا*، تر. محمد حجي، م. زنيبر، م. الأخضر، أ. التوفيق، أ. بنجلون - الرباط، 1984.

ماك كوك،

- *الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة*، تر. محمد الحمداوي - الدار البيضاء، 1395 هـ.

مسلمة بن أحمد المجريطي،

- *غاية الحكيم*.

مجهول،

- *أحمد البيضاوي* - مجلة الفنون، ع 1، غشت 1973 ؛ ع كـ - 6، يبراير - مارس 1975.

- أحمد الطيب لعلج : رائد الزجل، الفنون، ع كـ 6، يبراير - مارس 1975.
- تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، ن. ج. كولان - الرباط، 1934.
- الديوان الاسماعيلي لأسر مكناس، ضمن المنزع اللطيف لابن زيدان، مخطوط، خ ع، ج 595.
- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية - الرباط، 1972.
- ذكر قصة المهاجرين بفاس، مخطوط، خ ع كـ 270 / 8 (قصة المهاجرين)
- مدينة أزمور وضواحيها - تر. محمد الشياظمي، الرباط، 1990 (مدينة أزمور)
- مفاخر البربر، مخطوط، خ ع د 1020.
- نبذة العصر في أخبار بني نصر - العرائش، 1940. (نبذة العصر)

محمد مرزاق،

- الشيخ محمد بن بوزيان وزاويته بالقناديسة، ر.د.د.ع : تاريخ : الرباط، 1988 (الشيخ محمد بن بوزيان)

المريني العياشي،

- صور من التاريخ البطولي لمنطقة جبالة، طنجة، 1983 (صور من التاريخ)

محمد مزين،

- فاس وباديتها : مساهمة في تاريخ المغرب السعدي، 1549 - 1637 - الرباط، 1986 (فاس وباديتها)

أحمد مزيان،

- فجيج : مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التاسع عشر، 1845 - 1903، الدار البيضاء، 1988 (فجيج)

محمد المشرفي،

- الحلل البهية في ذكر ملوك الدولة العلوية، مخطوط، خ ع د 1463. (الحلل البهية)

علي مصباح،

- سنا المهتدي في مفاخر الوزير اليحمدي، مخطوط. (سنا المهتدي)

الملك المظفر،

- المعتمد في الأدوية المفردة. (المعتمد)

سعيد المعاشي،

- تحفة الحواشي في مناقب سيدي سعيد المعاشي - الرباط، 1351 هـ. (تحفة الحواشي)

هاشم المعروفي،

- عبير الزهور في تاريخ الدار البيضاء وما أضيف إليها من أخبار آنفا والشاوية عبر العصور - الدار البيضاء، 1987 (عبير الزهور)

م. المعزوزي وهاشم العلوي،

- *الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900 إلى1935* - الرباط، 1987. *(الكفاح المغربي)*

محمد ابن المعطي،

- *حديقة الأزهار*، مخطوط، خ ع كـ 1287.

أمين المعلوف،

- *معجم الحيوان*، بيروت، (د. ت).

رمزي مفتاح،

- *إحياء التذكرة في النباتات الطبية والمفردات العطارية* - القاهرة، 1953. *(إحياء التذكرة)*

محمد الرشيد ملين،

- *عصر المنصور الموحدي* - الرباط، 1946 *(عصر المنصور)*

عبد الوهاب بن منصور،

- *مع جلالة الملك الحسن الثاني في حظيرة الفتيكان*، الرباط، 1980.

محمد المنوني،

- *ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي*، *دعوة الحق*، س 10، ع 3. *(ظاهرة تعريبية)*

- *المصادر العربية لتاريخ المغرب* - الرباط، 1983، 1990، 2 ج. *(المصادر العربية)*

- *الوجه الثقافي للشاوية عبر العصر الحديث* - ضمن كتاب : *مدخل إلى تاريخ وفنون الشاوية*، الرباط، 1990. *(مدخل إلى تاريخ)*

حسين مونس،

- *فجر الأندلس*، القاهرة، 1959.

علي بن ميمون،

- *رسالة الاخوان*، مخطوط.

محمد ميّارة،

- *نصيحة المغترين*، مخطوط، خ ع كـ 923.

ألدو ميللي،

- *العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي*، تر. عبد الحليم النجار ويوسف موسى - القاهرة، 1962. *(العلم عند العرب)*

أبو الحسن عبد الله النباهي،

- *المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا*، ت. إليفي بروفنسال - القاهرة، 1971. *(المرقبة)*

عبد الله نجمي،

- *اللامتية* - مجلة *تاريخ المغرب*، ع 1، 1981.

داود بن أبي النصر الاسرائيلي،

- *منهاج الدكان ودستور الأعيان*. *(منهاج الدكان)*

م. المكي الناصري،

ـ *الدرر المرصعة في أعيان صلحاء درعة*. ت. محمد الحبيب نوحي، د.د.ع : التاريخ : الرباط، 1988.

عبد الله الهبطي،

ـ *الألفية السنية في تنبيه العامة والخاصة على ما أوقعوه من التغيير في الملة الإسلامية*، مخطوط، خ ح 3607 : *(ألفية الهبطي)*

محمد الهبطي،

ـ *المعرب الفصيح عن سيرة الشيخ الرضى النصيح*، مخطوط *(المعرب الفصيح)*

محمد الصغير الهبطي،

ـ *فوائد*، مخطوط.

أحمد الوارث،

ـ *الأولياء ودورهم في مغرب القرن السادس عشر*، د.د.ع تاريخ : فاس، 1988. *(الأولياء ودورهم)*

قدور الورطاسي،

ـ *بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني*، الرباط، 1976. *(بنو يزناسن)*

وزارة الأوقاف،

ـ *ندوة البيعة والخلافة في الإسلام*، الرباط، 1985.

التهامي الوزاني،

ـ *تاريخ المغرب*، تطوان.

محمد المهدي الوزاني،

ـ *حاشية على شرح البوري لمنظومة الطيب ابن كيران*، فاس : ط. حجرية *(حاشية)*

ـ *المعيار الجديد* ـ فاس، م حجرية، 1328 هـ ـ 11 ج.

أبو القاسم بن محمد بن ابراهيم الوزير الغساني،

ـ *حديقة الازهار في ماهية العشب والعقار*. ت. محمد العربي الخطابي ـ بيروت، 1985. *(حديقة الأزهار)*

أحمد الولالي،

ـ *مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح* ـ مصر، 1927. *(شرح التلخيص)*

محمد سالم ولد الحبيب،

ـ *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، مخطوط. *(جوامع المهمات)*

اليعقوبي،

ـ *التاريخ*، بيروت، 1968.

الحسن اليوسي،

ـ *رسائل*، ت. فاطمة خليل القبلي ـ الدار البيضاء، 1981 ـ 2 ج.

Supplément
à la bilbiographie des ouvrages et des articles cités dans l'encyclopédie avec leurs abréviations

ABES - *Monographie d'une tribu berbère : les Ait N'dir, Beni Mtir* - *A.B*, vol 2, fasc. 2, 1917. (*Ait Ndir*)

ABOULFEDA : *Géographie*, Trad. de l'arabe en français et accompagnée de notes et d'éclaircissements par Reinaud et Stanislas Guyard, Paris, 1848 - 1883, 2vol. (*Géo*)

L'abrogation des capitulation britanniques, A.F, fév. 1937.

AGUILERA PLEGUEZUELO, J. *Varios documentos referentes a la embajada marroqui al Papa Leon XIII, 1887 - 1888, Tamuda*, Sem. II, 1953. (*Papa Leon XII*)

AINI, M.A - *Un grand saint de l'Islam, Abd Al-Kadir Guilani, 1077 - 1166*, en collab. avec F.J. Simore Munir, Paris, 1938, (Les Grandes Figures de l'Orient ; VI). (*Abd Al-Kadir*)

AKERRAZ, O - (et al...) - *Dchar Jdid* - *B.A.M*, XIV, 1981 - 1982.

AKOKA, A. *Médecine naturelle*, Paris, 1979.

AKOKA,A - *La Phytothérapie : le médical du 20ème siècle* - Paris, 1977. (*Phytothérapie*)

ALBERTINI, E (et al...) - *L'Afrique du Nord fançaise dans l'histoire* - Paris, 1937. (*A.N. Française*)

ALI BEY EL ABBASSI - *Voyage d'Ali Bey El Abbassi en Afrique et en Asie pendant les années 1803, 1804, 1805, 1806, 1807* - Paris, 1814. (*Ali Bey*)

ALLAIN, J.C - *Agadir 1911* - Paris, 1976.

ALONCLE, H. - *Note sur un cétacé du genre Zyphius Cuvier 1823, échoué sur une plage du Maroc Atlantique* - *B.I.P.M*, 15, 1967. (*Zyphius Cuvier*)

AMADE, Général d'. - *Campagne de 1908 - 1909 en Chaouia* - Paris, 1911. (*Campagne 1908*)

AMAR, E - *L'Organisation de la propriété foncière au Maroc* - Paris, 1913. (*propriété foncière*)

AMAT, T - *Memorias para ayudar a formar un diccionario de escritores catalanes* - Barcelona, 1836.

AMICI, E - *Le Maroc* - Paris, 1882.

AMOUROUX, H - *Quarante millions de pétainistes* - Paris, 1977.

AMROUS, M. - *Les confréries religieuses et l'islamisme au Maroc au XIX et XXe S.* - 1986. Th.3ème cycle : Nanterre : 1986. (*Confréries religieuses*)

ANTONA, A. - *La Région des Abda* - Rabat, 1931.

ARANDA Y MATA, A. - *Conferencia sobre geografia de Marruecos en general y de la zona española de protectorado en particular* - Tetuan, 1928. (*Conferencia*)

ARLABOSSE - *Une opération moderne en Afrique du Nord* - *Revue militaire*, n° 166, Avril 1935.

ARNAUD, L. - *Au temps des Mehallas ou le Maroc de 1860 à 1912* - Casablanca, 1952 - (IHEM, coll. Notes et documents ; 12). (*Mehallas*)

ARNOLD, E.N - BURTON, J.A. - *Tous les reptiles et amphibiens d'Europe en couleurs* - Paris, 1978. (*Reptiles*)

AUBERT, P. - *Le Pays des Zaers* - *BESM*, XXIV, 1961.

AUBLET, H - MARCENAC, L.N *Encyclopédie du cheval* Paris, 1980. (*Cheval*)

AUZENDE, M. - *The origin of the western mediterranean basin, J. Geol. Soc. Lond.*, 1929.

AYACHE, G - *Etudes d'histoire marocaine* - Rabat, 1979. (*Etudes*)

AYACHE, G - *Ibn Khaldoun et les Arabes* - in *Etudes d'histoire marocaine* - Rabat, 1979.

AYAD, M - BENABDELJALIL , A - SIJELMASSI . - *Architectures régionales, région du centre, approche générale* - Rabat , 1985. (*Architectures régionales*)

AZAN, P - *L'Expédition de Fès* - Paris, 1924. (*Expédition*)

AZEMA, J.P - WINOCK, M. - *La Troisième République* - Paris, 1978.

AZZAM, P - *Les Cités rurales du Ktawa* - Paris, 1946, CHEAM, n° 829. (*Ktawa*)

AL - BAKRI - *Kitab al masalik wa l-mamalik : Description de l'Afrique septentrionale*, Trad. fr. M.G. de Slane - Alger, 1913. (*Kitab al masalik*)

BARATHON, J.J - *Bassins et littoraux du Rif oriental, Maroc : évolution morphoclimatique et tectonique depuis le néogène supérieur - Et. Médit.*, 1989. (*Bassins du Rif oriental*)

BARITOU, L - *Les Grandes lignes de l'histoire des populations de Chichaoua* - CHEAM, n° 45. (*Chichaoua*)

BARRENNES, Y. - *La modernisation rurale au Maroc* - Paris, 1984 - (Publ. IHEM ; 36). (*Modernisation*)

BARRUCAND, M - *Remarques sur l'architecture militaire alaouite au Maroc - R.E.I*, XLVIII, 1980. (*arch. militaire*)

BARRY, B - *Le Royaume de Waloo : le sénégal avant la conquête* - Paris, 1972.

BASRI, D - *L'Administration territoriale : l'expérience marocaine* - Paris, 1990. (*adm. territoriale*)

BASSET, H - *Essai sur la littérature des berbères* - Alger, 1920. (*Litt. berb.*)

BASSET, H - *Les Influences puniques chez les berbères - R.A*, 1921. (*Influences*)

BASSET, R - *La Bordah du cheikh El-Bousiri*, Trad. et commentaire - Paris, 1894.

BASSET, R - *Contes arabes* - Paris, 1883.

BASSET, R - *Contes populaires berbères* - Paris, 1887. (*Conte pop.*)

BASSET, R - *Contes populaires d'Afrique* - Paris, 1903 - (Coll. Les Littératures populaires de toutes les nations, XLVII). (*Conte pop. Afr.*)

BASSET, R - *Le Dialecte de Syouah* - Paris, 1890.

BASSET, R - *Etudes sur l'histoire d'Ethiopie - J.A*, 1881 - 1882.

BASSET, R - *Fotouh El-Habacha*, de Chihab Eddine Ahmed Abd El Qader, Trad. et notes - Paris, 1897.

BASSET, R - *La Khazradjyah : traité de métrigne* par Ali El Khazradi, Trad. et comment. - Alger, 1902. (*Khazradjyah*)

BASSET, R - *Manuel de langue kabyle : dialecte Zouaoua* - Paris, 1887. (*Dialecte Zouaoua*)

BASSET, R - *Mille et un contes : récits et légende arabes* - Paris, 1924, 3 vol.

BASSET, R - *Mission au Sénégal* - Paris, 1909 - (Ecole des Lettres d'Alger. Bulletin de Correspondance Africaine ; 39). (*Mission*)

BASSET, R - *Nouveaux contes berbères* - Paris, 1897. (*Nouveaux contes*)

BASSET, R - *La Poésie arabe anté-islamique* - Paris, 1850.

BAUMANN, H - WESTERMANN, D. - *Les Peuples et les civilisations de l'Afrique* - Paris, 1948. (*Peupels Afrique*)

BAYED, A - BEAUBRUN, P.C. - *Les Mammifères marins du Maroc : inventaire préliminaire - Mammalia*, 51, 1987. (*Mammifères marins*)

BEAUDET, G - *Les Beni Mguild du Nord : étude géographique de l'évolution récente d'une confédération semi-nomade - R.G.M*, n° 15, 1969. (*Beni Mguild*)

BECKER, J - *Historia de Marruecos : apuntes para la historia de la penetracion europea, y principalmente de la española en el norte de Africa* - Madrid, 1915. (*Hist. Marruecos*)

BECQUART, M - *Porte ce festin aux pauvres* - Paris, 1970.

BEKRAOUI, M - *La Révolte de Bou Hmara : contribution à l'étude du Maroc pré-colonial* - 1980. Th. : Poitier : 1980. (*Bou Hmara*)

BEL, A - *Les Banu Ghanya* - Paris, 1903.

BEL, A - *Inscriptions arabes de Fès* - J.A, 1918. (*Inscriptions*)

BELFQUIH, M. - FADLOULLAH, A. - *Mécanismes et formes de croissance urbaine au*

Maroc - Rabat, 1986. (*Mécanismes*)
BELKHODJA, Kh. - *L'Afrique byzantine à la fin du 6e s. et au début du 7e s.* - *R.O.M.M*, 1970.
BELLAKHDAR, J. - *Plantes médicinales : plantes toxiques* - *Enc. du Maroc : Flore* - Rabat, 1987.
BENACHENHOU - *Régime des terres et structures agraires au Maghreb* - Alger, 1975. (*Régime des terres*)
BENBACHIR, S - *L'Administration locale du Maroc* - Rabat, 1969. (*Adm. locale*)
BEN BRAHIM, H - *Le couloir de Boudenib et ses bordures : étude géomorphologique* - 1983. Th. 3ème cycle, Paris Sorbonne, 1983. (*Boudenib*)
BENCHEKROUN, T - *Fonctionnement du complexe hydro-électo-agricole des Beni Moussa* - *H.T.E*, 56, 1984.
BENDAOUD - *Notes sur le pays Zaïan* - *A.B*, vol 2, fasc. 3, 1917. (*Zaïan*)
Les Beni Yazgha - *R.G.M*, n° 2, Juin 1931.
BENJELLOUN, H - *Conditions d'utilisation des équidés dans le milieu urbain : cas de la médina de Fès*. Th. : Vétérinaire : Rabat : INAV, 1990. (*Equidés*)
BENOIT, Y - *Dictionnaire des ministres, 1789 - 1989* - Paris, 1990.
BEN RAHAL, M - *A travers les Beni Senessen* - *B.S.G.A.O*, 1889.
BENRAMDANE, A - *Le Maroc et l'occident* - Paris : Karthala, 1987.
BEN RIDOUANE, O - *Etude sur le soufisme* ; trad Arnaud - *R.A*, 1887.
BERARD, V - *Les Navigations d'Ulysse*. Nelle ed. - Paris, 1971, 4 vol.
BERGNAUD - GRAZZINI, C - BARTOLINI, C - *Evolution paléoclimatique de sédiments Wurnens et postwurniens en mer d'Albourn* - *Rev. Geo. Phys. et Geo.l.* (*Mer d'Albourn*)
BERNARD, A - *Afrique septentrionale et occidentale* - Paris, 1937.
BERNARD, A - *L'Algérie* - Paris, 1929.
BERNARD, A - *Bou Amama* - *Quest. dipl. col.*, XI, 1901.
BERNARD, A - *Les Confins algéro-marocains* - Paris, 1911. (*Confins*)
BERNARD, A - *Enquête sur l'habitat rural des indigènes de l'Algérie* - Alger, 1921. (*Hab. Rural Algérie*)
BERNARD, A - *Enquête sur l'habitatation rurale des indigènes de Tunisie* - Tunis, 1924. (*Hab. Rural Tunisie*)
BERNARD, A - *L'Evolution du nomadisme en Algérie* - Alger, 1906. (*Nomadisme*)
BERNARD, A - *La France au Maroc* - Paris, 1917.
BERNARD, A - *Le Maroc* - Paris, 1932.
BERNARD, A - *La Pénétration saharienne, 1830 - 1906* - Alger, 1910.
BERNARD, A - *Une mission au Maroc* - Paris, 1904.
BERNARD, S - *Le conflit franco-marocain, 1943 - 1956* - Bruxelles, 1963, 3 vol.
BERQUE, J - *Antiquités Seksawa* - *Hesp.*, XL, 3 - trim., 1953. (*Seksawa*)
BERQUE, J - *L'Intérieur du Maghreb* - Paris, 1978. (*Intérieur*)
BERQUE, J - *Le Maghreb entre deux guerres* - Paris, 1962. (*Maghreb*)
BERQUE, J - *La Question agraire au Maroc* - 1945. CHEAM, 1945.
BERQUE, J - *Un glossaire arabo-chleuh du Deren, XVIIIe s* - *R.A*, XCIV, 3° - 4° trim., 1950. (*Glossaire*)
BERQUE, J - *Vers la modernisation rurale* - *Bull. inf. Mar.*, oct. 1945. (*Modernisation rurale*)
BERQUE, J. - COULEAU, J - *Vers la modernisation du fellah marocain* - *BEsM*, n° 26, 1945.
BERRADA, T - *Quelques aspects du rôle des missions militaires européennes au Maroc* - *H.T*, XXV, 1987. (*Missions militaires*)
BERRIAU, H - *L'Officier de renseignements au Maroc : conférence faite au centre de perfectionnement de Meknès* - Casablanca, 1918.
BERRIAU, S - *Simone est comme ça* - Paris, 1973.
BIARNAY, E - *Voleurs, receleurs et complices dans les vallées inférieures de Sebou et l'Ouargha* - *A.B*, 2, 2, 1917. (*Voleurs, receleurs*)
BIBERSON, P - CHOUBERT, G - (et al...) - *Contribution à l'étude de la Pebble - culture du*

Maroc atlantique - *B.A.M*, III, 1958 - 59. (*Pebble - culture*)

BILLAU, P - *Les Structures panafricaines du gisement de cuivre de Bleida* - 1977. Th. 3ème cycle : Languedoc : 1977. (*Bleida*)

Biografias de los generales de la cruzale nacional - Madrid, 1941.

BITAR, G - *Etude du peuplement benthique de la côte atlantique et méditerranéenne du Maroc : impact de la pollution, comparaisons biogéographiques.*- . Th. : Marseille, 1987. (*Peuplement benthique*)

BLACHERE, R - *Extraits des principaux géographes arabes* - Paris, 1932 (Biblioteca arabica). (*Géographes arabes*)

BLASQUEZ Y DELGADO - AGUILERA, A - *Estudios geografico - historicas de Marruecos* - Madrid, 1913.

BONAFAS, Cne - *Une tribu marocaine en Mauritanie : Les Ouled Bou Sbaâ* - *B.S.G.A.O*, 52, L, 183 - 1929. (*Ouled Bou Sbaâ*)

BONELLI, E - *El Sahara* - Madrid, 1887.

BONJEAN, F - *L'Ame marocaine vue à travers les croyances et la politesse* - Paris, 1948. (*Ame marocaine*)

BONJEAN, F - *Cheikh Abdou l'égyptien* - Paris, 1929.

BONJEAN, F - *Confidences d'une fille de la nuit* - Alger, 1942. (*Confidences*)

BONJEAN, F - *Les contes de Lalla Touria : oiseau jaune et oiseau vert* - Casablanca, 1952. (*Lalla Touria*)

BONJEAN, F - *Mansour : histoire d'un enfant du pays d'Egypte* - Paris, 1924. (*Mansour*)

BONJEAN, F - *Le Maroc en roulotte* - Paris, 1950.

BONJEAN, F - *Notes et réflexions, 1958 - 1961* - Paris, 1968.

BONJEAN, F - *Reine Iza amoureuse : roman* - Genève, 1947.

BONJEAN, F - *Yamna* - Blanville-sur-mer, 1969.

BONNET, P - *La Banque d'état du Maroc et le problème marocain* - Paris, 1913. (*Banque d'état*)

BONS, J - GIROT, B - *Clé illustrée des reptiles au Maroc* - Rabat, 1962 - (Trav. Inst. Sc. Cherif., Série Zoologique ; 26). (*Reptiles*)

BORDEAUX, H - *Henry de Bournazel* - Paris, 1935.

BOUARFA, M - *Le Rial et le franc* - Casablanca, 1988.

BOUBE, J - *La céramique italique* - *B.A.M*, XII, 1979 - 80.

BOUBE, J - *Marques d'amphores découvertes à Sala, Volubilis et Banasa* - *B.A.M*, IX, 1973 - 1975. (*Marques*)

BOUBE, J - *Supplément au catalogue des marques de potiers* - *B.A.M*, VI, 1966 ; VIII, 1968 - 72. (*Supplément*)

BOUCROT, M - *Recherches sur A. Peyriguère écrivain* - Th. : Bordeaux III.

BOUKOUS, A - *Langage et culture populaires au Maroc* - Casablanca, 1977. (*Langage et culture*)

BOURCART, J - *La Méditerranée et la révolution du pliocène* - in *A la mémoire de Paul Fallot* - Paris, 1960.

BOURDIEU, P - *Le Sens pratique* - Paris, 1980.

BOURRAS, A - *La Guerre du Saghro, 1930 - 1933 - Lamalif*, n° 138, Août - sept. 1982.

BOURRAS, A - *La Résistance de Baddou* - *L'Opinion*, 16 Août 1989.

BOUSQUET, G. H - *Les Berbères* - Paris 1957 - (Que sais-je ? n° 718).

BOUSQUET, G. H - *Le Droit coutumier des Aït Hadiddou des Ascifs Melloul et Isselaten : confédération des Aït Yafelmane* - *A.I.E.O*, XIV, 1956. (*Aït Hadiddou*)

BOUTAYEB, B - *La Direction Générale de la Sûreté Nationale : service public* - D.E.S. : Dir. publ. : Rabat, 1985. (*D.G.S.N*)

BOUVEROT - *Ras Moulouya* - *B.S.G.M.*, II, 1, 1920.

BOYER DE LA TOUR, P - *Vérités sur l'Afrique du Nord* - Paris, 1956. (*Vérités*)

BOYLE, W.P - *Contract and kinship : the economic organization of the Beni Mguild berbers of Morocco* - Ph. D : University of California : 1977. (*Beni Mguild*)

BRAITHWAITE - *Histoire des révolutions de l'Empire de Maroc depuis la mort du dernier*

empereur Muley Ismael - Amsterdam, 1731. (*Révolutions*)

BRAUDEL, F - *La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II* - Paris, 1966 - 2 vol. (*Médit.*)

BREHIER, L - *Le Monde byzantin* - Paris, 1947 - 1950 - (Evolution de l'Humanité, 22). 1 - *Vie et mort de byzance* - 1947, 2 - *Les Institutions de l'Empire byzantin* - 1949, 3 - *La Civilisation Byzantine* - 1950. (*Monde byzantin*)

BRUNEL, R - *Essai sur la confrérie religieuse des Aïssaoua au Maroc* - Paris, 1926. (*Aïssaoua*)

BRUNEL, R - *Le Monachisme errant dans l'Islam : Sidi Heddi et les Haddaoua* - Paris, 1955. (*Sidi Heddi*)

BRUNO, H - BOUSQUET, G - *Contribution à l'étude des pactes de protection et d'alliance chez les berbères du Maroc central - Hesp.*, vol. 33, 1946. (*Pactes de protection*)

BURKE III, E - *La Mission Scientifique du Maroc : sciences sociales et politiques dans l'âge de l'impérialisme* - in Actes de Durham : recherches récentes sur le Maroc moderne, B.E.S.M, n° 138 - 139, 1979. (*Mission Scientifique*)

BUSNOT, P - *Histoire du règne de Moulay Ismaïl, roi du Maroc, Fès, Tafilalet, Sous, ...* Rouen, 1714. (*Moulay Ismaïl*)

BUSNOT, P - *Recits d'aventures aux temps de Louis XIV* - Paris, 1728. (*Aventures*)

CAILLE, J - *Ambassades et missions marocaines aux Pays-Bas - H.T*, IV, 1963. (*Ambassades*)

CAILLE, J - *Henri Bruno , 1888 - 1948 - Hesp.* 1ère - 2ème trim. 1949.

CAILLE, J - *Les Marocains à l'école de génie de Montpellier, 1885 - 1888 - Hesp.*, XLI, 1954. (*Montpellier*)

CAILLE, J - *La Mission du Capitaine Burel au Maroc en 1808* - Paris, 1953 - (Note et documents ; 3). (*Burel*)

CAILLE, J - *Quelques renseignements sur le Capitaine Erckmann - Hesp.*, XLI, 3° - 4° trim. 1954. (*Erckmann*)

CAILLE, J - *Sur les rapports du Maroc avec le Saint-Siège - H. T.* X, 1969.

CALLIES, Cne - *Les Terres collectives au Maroc* - Paris, 1939, Mémoire CHEAM, 1939.

CAMERON, A - *Byzantine Age - in Excavations at Carthage 1978* conducted by the University of Michigan, 7 - Ann Arbor, 1982.

CAMPS, G - *Aulisua - E. B*, 17, 1976.

CAMPS, G - *Les Bavares : peuples de la Maurétanie Césarienne - R. A*, XCIX, 1955.

CAMPS, G - *Rex gentium Maurorum et Romanurum : Recherches sur les royaumes de Maurétanie des VI et VII siècles - Ant. afr* ; 20, 1984.

CAPAZ Y MONTES, F - *Geografia de Gomara* - Xauen, 1928. (*Gomara*)

CARAS, A - *Ali Bey : vida, viages y aventuras de Domingo Badia* - Barcelona, 1943.

CARATINI, S - *Les Reguibat, 1610 - 1984* - Paris, 1989.

CARAYON, J - *Les Hemiptères - Grande Encyclopédie Alpha des Sciences et Techniques, Zoologie*, II.

Carte topographique de Mechra Ben Abbou au 1/50000. - Rabat : Division de la Carte, 1956.

CASSON, L - *Belisarius Expedition againts Carthage* - in *Excavations at Carthage 1978* conducted by the University of Michigan, 7 - Ann Arbor, 1982. (*Belisarius*)

CASTEJON Y MARTINEZ DE ARIZALA, R - *Por tierras del Rif : La playa de los Andaluces - Africa Española*, n° 33, feb. 1916.

CASTELLANOS, M. P - *Historia de Marruecos*, 3ème ed. - Tanger, 1898. (*Historia*)

CATROUX - *Achévement de la pacification marocaine - R.P.P*, oct. 1954.

CELERIER, J. - *Marécage de la vallée de Sebou - Hesp.*, 2, 1922.

CERDEIRA, C - *La Mezquita del Bacha - Rev. Marruecos*, Agosto 1933.

CHADLI, M. - *Physiopathologie de la malnutrition chez les bovins bruns de l'Atlas* - Th. : Agronomie : 1989. (*Bovins*)

CHAKER, S - *Documents sur les précurseurs : deux instituteurs kabyles, A.S Boulifa et M.S. Lechani - R.O.M.M*, 44.

CHANONE - MATAGNE, L (et al...) - *Le Guide marabout des monnaies et médailles* - Paris, 1975. (*Monnaies*)

CHARLES - PICARD, G - *La Civilisation de l'Afrique romaine* - Paris, 1959 - (Civilisation d'hier et d'aujourd'hui). (*Afrique rom.*)

CHARLES - PICARD, G - *Les Religions de l'Afrique Antique* - Paris, 1954. (*Religions*)

CHARLES - PICARD, G - *Vie et mort de Carthage* - Paris, 1970. (*Carthage*)

CHATELAIN, L - *Le Maroc des romains* - Paris, 1945.

CHAUNU, P - *L'Expansion européenne* - Paris, 1969 - (Nouvelle Clio ; 26).

CHEKROUN, M - *Crise de la société : crise de la sociologie - B.E.S.M*, 1984.

CHELHO D, J - *Les structures du sacré chez les arabes* - Paris, 1964. (*Sacré*)

CHENIER, L. DE - *Recherches historiques sur les Maures et histoire de l'Empire de Maroc* - Paris, 1787 - 3 vol. (*Maures*)

CHEVANS, H - *La Mise en valeur de l'Afrique occidentale Française* - Paris, 1907.

CHOTTIN, A - *Corpus de musique marocaine* - Paris, 1931 - 1933 - 2 vol. (*Corpus*)

CHRISTAIN, P - *L'Afrique française ; l'Empire du Maroc et les déserts du Sahara* - Paris, 1903.

CIGAR, N - *Une lettre inédite de Moulay Ismaïl aux gens de Fès - H.T*, 1974.

CLERC, M - *Massalia : Histoire de Marseille dans l'antiquité* - Marseille, 1927. (*Massalia*)

CLUDEAU, R - *Sahara soudanais* - Paris, 1909.

COEFIC, J - *Litho - géochimie des minéralisations cuprifères liées à un volcanisme acide sous-marin du protorozoique supérieur, Bleida, Anti - Atlas* - 1984 Mémoire DEA : Montpellier, 1984.

COLIN, G.S - *Les Mines marocaines et les marocains* - B.E.M, n° 13, 1936. (*Mines*)

COLIN, G.S - *Origine arabe des grands mouvements de populations berbères dans le Moyen-Atlas - Hesp.*, XXV, 2° - 3° trim. 1938. (*Pop. berbères*)

COLIN, G.S - *Sayyidi Ahmad Zarruq - Revista della Tripolitania*, 2, 1925.

COLIN, G.S - *Un projet de traité entre les morisques de Rabat et le roi d'Espagne - Hesp.*, XLII, 1955. (*Morisques*)

Colloqne du centenaire d'A. Peyriguère - Toulouse, 1983.

COMBS - SCHILLING - *Family and friend in a Moroccan boom town : the segmentary debate reconsidered - American Ethnologist*, 12, n° 4, Nov. 1985.

COUR, A - *L'Etablissement des dynasties des chérifs au Maroc et leur rivalité avec les Turcs de la Régence d'Alger, 1508, 1830* - Paris, 1904. (*Etablissement*)

COUR, A - *Notes sur la région de Berguent - BSGAO*, 1909. (*Berguent*)

CRAPANZANO, V - *Tuhami : portrait of a moroccan* - Chicago, 1980.

CRESWELL, K.A.C - *Bab - E.I 2*.

CRETE, P - *Précis de botaniquen, T 2 : Système des angiospermes* - Paris, 1965. (*Angiospermes*)

CULTRU, P - *Les Origines de l'Afrique occidentale : histoire du Sénégal du 15e s à 1870* - Paris, 1913. (*Sénégal*)

DAHLSTRÖM, P - MUUS, B.J - *Guide des poissons d'eau douce et pêche* - Lausanne, 1973. (*Poissons*)

DECRET, F - *Carthage ou l'empire de la mer* - Paris, 1981. (*Empire de la mer*)

DECRET, F - FANTAR, M - *L'Afrique du Nord dans l'antiquité* - Paris, 1981.

DECROUX, P - *La Vie municipale au Maroc* - Lyon, 1932.

DEIGA, D - *La Méditerranée occidentale - Soc. Geol. Franc.*, Mem. H.S, 10.

DELAFOSSE, M - *Les Débuts des troupes noires au Maroc - H.T*, 1983.

DELANOE, Guy - *Lyautey, Juin, Mohammed V : fin d'un protectorat : mémoires historiques, avec une annexe de Abderrahim Bouabid*, T. 1 - Paris, 1988. (*Fin d'un protectorat*)

DESJACQUES; J.P - KOEBERLE, p - *Mogador et les iles purpuraires - Hesp.*, XLII, 1955.

DESSAU, S.V - *Bavares - Real Encyclopédie*, col. 149-150.

DIEHL, Ch - *L'Afrique byzantine : histoire de la domination byzantine en Afrique, 533 - 709* - Paris, 1896. (*Afr. byzantine*)

DIEHL, Ch - *Rapport sur deux missions archéologiques dans l'Afrique du Nord - N.A.M.S.L*, 4, 1894.

DOZY, R - *Supplément aux dictionnaires arabes* - 3e ed. - Leyde ; Paris, 1967 - 2 vol. (*Dict. arabes*)

DRESCH, J - BIROT, P - *La Méditerrané et le Moyen Orient* - Paris, 1964. (*Med. - M.O*)

DUCELLIER, A - *Les Byzantins* - Paris, 1988.

DUDA, R - LUBOS, R - *La Grande encyclopédie des minéraux* - Paris, 1989. (*Minéraux*)

DUGARD, H - *La colonne du Sous, 1917* - Paris, 1918.

DUMONT, R - *Etat des modalités d'action du paysannat* - CHEAM, 1947.

DUNLOP - *Philosophical predecesors and contemporaries of Ibn Bajjah - Isl. Cul.*, July 1955. (*bn Bajjah*)

DUNLOP - *Remarks on the life and works of Ibn Bajjah* - in *second congress of orientalist* - Leiden : Bull, 1957.

DUNLOP, D.M - *Sources of gold and silver in Islam according to al - Hamadani - S.I*, VIII, 1957.

DUPAS, M - *Notes sur la confédération des Reguibats Legouacem* - Paris, 1937, CHEAM, n° 770. (*Legouacem*)

DURLIAT, J - *Les Dédicaces d'ouvrages de défense dans l'Afrique Bysantine* - E.F.R, 1981.

DUROSOY, M - *Lyautey : mon général* - Paris, 1956.

DUVAL, N - *L'Etat actuel des recherches sur les fortifications de Justinien en Afrique - Corsi di cultura edi Arte Ravenal Bizantine Ravenna*, 30, 1983. (*Fortifications*)

EICKELMAN, D - *Knowledge and power in Morocco* - Princeton, 1987. (*Knowledge*)

EISENBETH, M - *Les Juifs au Maroc : essai historique* - Alger, 1948.

EISENMERGER, Ch - *Région de la moyenne Moulouya - B.S.G.M*, II, fasc. 4, 1920. (*Moulouya*)

EL ABBASSI, H - *Essai sur la dynamique des milieux dans le bassin de Boudinar, Rif oriental, Maroc*, 1987. Th. : Strasbourg, 1987. (*Boudinar*)

EL BELGHITI ALAOUI, A - *Urbanisation et du monde rural* - 1978. Th.

EL MADANI, M - *Collectivités traditionnelles et espaces ruraux montagnards dans les zones d'arrière - pays atlasiques méridionaux : le cas des Ayt Seddrate du Dades* - 1986. Th. 3ème cycle. Aix : 1986, 2vol. (*Ayt Seddrate*)

EL MOUMNI, B - *La sédimentation au quaternaire terminal dans la partie sud de la mer d'Alboran*. Thèse ; Géo : Perpignan. (*Sédimentation*)

ELGEY, G - *Histoire de la IVe République* - Paris, 1965 - 1968 - 2 vol.

EMERIT, M - *Les liaisons terrestres entre le Soudan et l'Afrique du Nord au 18e et au début du 19e s.* - Travaux de l'I.R.S, XI, 1ère sem. 1954.

ENNAJI, M - *Le Makhzen et le Sous Al-Aqsa, 1821 - 1894* - Casablanca, 1988. (*Sous Al-Aqsa*)

ESME, J. d' - *Bournazel : l'homme rouge* - Paris, 1952.

ESSADDEK; A - *Les Petites villes minières du sud d'Oujda : étude géographique* - 1989. Th. 3ème cycle : Tours : 1989. (*Petites villes*)

ETIENNE, E - *Discours parlementaires sur les questions coloniales* - Paris, 1907.

ETIENNE, H - GUESSAB, D - *La Plaine du Tadla* - in *Ressources en eau du Maroc* - Rabat, 1975, 2 vol.

EUSTACHE, D - *El - Basra : capitale idrissite, et son port - Hesp.*, XLII, 1° - 2° trim. 1955. (*El - Basra*)

EUZENNAT, M - *Banasa - The Princeton encyclopedia of classical sites* - Princeton, 1976.

EUZENNAT, M - HALLIER, G - *Les forums en Tingitane : observation sur l'influence de l'architecture militaire sur les constructions civiles de l'occident romain - Ant. Afr.*, 22, 1986. (*Forums*)

EUZENNAT, M - *Fouilles opérées à Banasa en 1955 - B.C.T.H*, 1955 - 1956.

EUZENNAT, M - *Héritage punique et influences gréco-romaines au Maroc à la veille de la conquête romaine* - in *Actes du 8e congr. int. d'archeol. clas.* - Paris, 1963.

EUZENNAT, M - *Les Troubles de Maurétanie - CRAI*, 1984.

EUZENNAT, M - SESTON - *Un dossier de la chancellerie romaine : La Tabula Banasatina - C.R.A.I.*, 1971. (*Tabula*)

FAURE, E - *Mémoires* - Paris, 1982 - 1984 - 2 vol.

FAVRET, J - *La Segmentarité au Maghreb - Homme*, Avril - Juin 1966. (*Segmentarité*)

FERNANDEZ DE CASTRO Y PEDRERA, R - *El Rif : Los terrirorios de Guelaia y Quebdana*, Prologo de D. Gabriel Morales - Malaga, 1911. (*Guelaia*)

FEVRIER, P.A - *Approches récentes de l'Afrique byzantine* - *R.O.M.M*, 25, 1983.

FEVRIER, J - *Les Inscriptions puniques et néopuniques* - *I.A.M*, 1, 1966.

FOSSET - *Situation et avenir du manganèse marocain* - *R.G.M*, 15, 1969.

GALAND - PERNET, P - *Recueil de poèmes chleuhs* - Paris, 1972. (*Poèmes*)

GALINIER, C - *Les Beni Mathar de Ras El-Aïn, Berguent* - *B.S.G.A.O*, 1917.

GAQUIERE - *Les Beni Bouzeggou* - *B.S.G.A.O*, 1910.

GARCIA FIGUERAS, T - *Miscelanea de estudios varios obre Marruecos* - Tetuan, 1953. (*Miscelanea*)

GATTEFOSSE, J - *Juifs et chrétiens du Draa avant l'Islam* - *B.S.P.M*, 3 - 4, 1935.

GEROUDET, P - *Les Palmipèdes* - Genève, 1972.

GHIRELLI, A - *El Norte de Marruecos* - Melilla, 1926.

GIBBON, E - *Histoire du déclin et de la chute de l'empire romain*, trad. de l'anglais par M.F. Guizot - Nlle ed. - Paris, 1983. (*Déclin*)

GIRARD, S - *L'Alluvionnement de Sebou : premier Banasa* - *B.C.T.H.*, fasc. 178, 1981.

GODOY, M - *Memorias de Don Maruel Godoy : principe de la paz* - Gerona, 1836 - 1841. (*Godoy*)

GOGNALONS, L - *Une fraction des Ghenanema de la banlieue de Fès : Ouled Aïssa* - *B.S.G.A.O*, 27, 1906. (*Ghenanema*)

GOULVEN, J - *Le Cercle des Doukkala, au point de vue économique* - Préf. de Rey - Paris, 1917. (*Cercle*)

GOZALBES CRAVIOTO, E - *El problema de la Ceuta bizantina* - *C.T*, XXIX, 115 - 116, 1981.

GRAS, M (et al...) - *L'Univers phénicien* - Paris, 1989. (*Univers*)

GRASSET - *A travers la Chaouia avec le corps de débarquement* - Paris, 1911. (*Chaouia*)

GSELL, S - *Hérodote : textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord* - Alger, 1915. (*Hérodote*)

GUILCHER, A - JOLI, F - *Recherches sur la morphologie de la côte atlantique du Maroc* - Rabat, 1954 - (I.S.C, série géologie et géographie physique ; n° 2). (*Côte atlantique*)

GUILLAUME, A - *La propriété collective au Maroc* - Rabat, 1960. (*Propriété*)

GUILLEN, P - *Les emprunts marocains, 1902 - 1904* - Paris, 1972.

GUYOT, R - LE TOURNEAU, R - PAYE, L - *Les cordonniers de Fès* - *Hesp.*, XXIII, fasc. 1, 1936.

L'Habitat traditionnel dans les pays musulmans autour de la Méditerrannée. I : L'Héritage architectural : formes et fonctions - Le Caire : I FAO, 1988. (*Hab. trad.*)

HAMET, I - *Chronique de la Maurétanie sénégalaise* - Paris, 1911.

HAMMAM, M - *Coutumes inédites des qsurs Ayt Lehya* - *H.T*, vol. XXV, 1987.

HAMMOUDI, A - *La Victime et ses masques : essai sur le sacrifice et la mascarade au Maghreb* - Paris, 1988. (*Victime*)

HANOTEAUX, A - LETOURNEUX - *La Kabylie et les coutumes kabyles* - Paris, 1893 - 2 vol. (*Kabylie*)

HART, D. M - *The Aith Waryaghar of Moroccan Rif : an ethnography and history* - London, 1976. (*Aith Waryaghar*)

HART, D.M - *Dadda Atta and his forty Grandsons : the sociopolitical organisation of the Ait Atta of Southern Morocco* - Harvard, 1981. (*Dadda*)

HASSAR BENSLIMANE, J - *Salé : étude architecturale de trois maisons traditonnelles* - Rabat, 1978 - (E.T.AM., VII). (*Maisons*)

HATZFELD, D - *Etude sismo-tectonique de la zone de collusion ibéro-maghrébine*. Thèse : Geo : Grenoble.

HECTOR, P (Pseud. de A. Peyriguère) - *Essai de monographie psychologique berbère, d'après le parler familier des tentes* - Casablanca, 1933. (*Psych. berb.*)

HEINZELH - FITTER, R - PARSLOW, J - *Oiseaux d'Europe, d'Afrique du Nord et du Moyen-Orient* - Genève, 1972. (*Oiseaux*)

Historia de las campañas de Marruecos - Madrid, 1947 - 1951, 2 vol. (*Campañas*)

HODGES, T - *Historical dictionary of Western Sahara* - Londres, 1982. (*West. Sahara*)

HOISINGTON, W.A - *The Casablanca connection : French colonial policy, 1936 - 1943*, Caroline du Nord 1984. (*Casa connection*)

Les Hommes du paléolithique supérieur autour du bassin méditerranéen - L'anthropologie (Paris), 1986, T. 90, n° 3.

HOUZAY, J.P - *La Géologie du bassin de Boudinar* - 1982, Th. 3ème cycle: Paris VI : 1982.

HOWE, S.E - *Les héros du Sahara* - Paris, 1931.

IBN AZZUZ HAKIM, M - *La embajada del Hach Mohammed Torres al Vaticano - C.B.E.T*, n° 13 - 4, Junio - Dic. 1976.

IBN AZZUZ HAKIM, M - *Porque revindicamos Rio de Oro* - Rabat, 1976.

IBN AZZUZ HAKIM, M - *Una embajada marroqui en el Vaticano - C.E.A*, n° 5, 1949.

IBN HAUQAL - *Configuration de la terre*, trad. J.H. Kramers, G. Wiet. - Beyrouth ; Paris, 1964. (*Configuration*)

IBN TATTOU - *Les Angiospermes ou plantes à fleurs* - in *Grande Enc. du Mar. : Flore* - Rabat, 1987.

IDRIS, H.R - *De la réalite, de la catastrophe hilalienrce - AESC*, mars - avril 1968.

Ingreso de Ben Mizian en la Academia Toledana - Rev. Blanco y negro, n° 1159, Agosto 1913.

JACQUES - MEUNIE, D - *La Nécropole de Foum le Rjam : tumuli du Maroc présaharien - Hesp.*, fasc. 1 - 2, 1958.

JAMOUS, R - *Honneur et baraka* - Paris, 1981. (*Honneur*)

JAMOUS, R - *Réflexions sur la ségmentarité et le mariage arabe - A.M.S*, 1969.

JANIER, E - *Alfred Bel, 1873 - 1945 - B.S.G.A.O.*, 1944.

JANIER, E - *Travaux de M. Alfred Bel, 14 mai 1873 - 18 février 1945 - R.A*, 1 - 2 trim. 1945.

JODIN, A - *L'Archéologie phénicienne au Maroc - Hesp.*, 1966.

JOLY, A - *Le Siège de Tetouan par les tribus des Djeballah, 1903 - 1904 - A.M*, 1905.

KERBOUT, M - *Les Mutations des campagnes du Moyen Atlas oriental : le cas des Beni Yazgha et des Marmoucha* - in *Le Maroc : espace et société, actes du colloque Maroco-Allemand de Passau* - Passau, 1990. (*Beni Yazgha*)

KHELLOUK TEMSAMANI, A - *Les coups de Raïssouni, 1895 - 1907 - Revue Dar an Niaba*, n° 19 - 20, 1988.

KOSSOVITCH, N - BENOIT, F - *Une tribu inconnue du Maroc : Les bahloula - Anthropologie*, 46, 3 - 4, 1935.

LACOSTE, Y - *Ibn Khaldoun : naissance de l'histoire, passé du tiers monde*, Paris, 1966 - (Textes à l'appui). (*Ibn Khaldoun*)

KOURIMSKY, J - *Encyclopédie des minéraux* - Paris, 1986.

LADREIT DE LA CHARRIERE, J - *Le Différend marocain - A.F*, Déc. 1935 - Jan. 1936.

LAFON, M - *Bibliographie d'A. Peyriguère* - Bordeaux, 1986.

LAFON, M - *Le Père Peyriguère* - Paris, 1967.

LAHLOU, A - *Notes sur la Banque et les moyens d'échange commerciaux à Fès avant le Protectorat - Hesp.* 3e trim., 1937. (*Banque*)

LAKHDAR - GHAZAL, A - THEVENOT, M - FARTHOUAT, J.P - *Faune du Maroc : les mammifères* - Rabat, 1975 - (I.E.R.A).

LA MARTINIERE, D, de - *Les Beni Yazgha et le poste d'El Menzel* - 1950 Mémoire de stage : ENA : 1950 Section Economique et Financière. (*El Menzel*)

LA MARTINIERE, H. de - *Souvenirs du Maroc* - Paris, 1932.

LANGRE, J de - COTTERS, A - *Etude sur les postes chérifiennes et les cachets Maghzen* - Casablanca, 1970. (*Postes*)

LAOUINA, A - CHAKER, M - *La Montagne du Boukhouali : le milieu et l'homme - R.G.M*, n° 1, 1977. (*Boukhouali*)

LAOUST, E - *Noms et cérémonies des feux de joie chez les berbères du Haut et l'Anti-Atlas - Hesp.*, I, 1ère trim. 1921 ; 3ème trim. 1921 ; 4ème trim. 1921. (*Feux de joie*)

LAOUST, E - *Siwa* - Paris, 1932.

LAPADU - HARQUES, P - *Précis de minéralogie* - Paris, 1954.

LA PAILLONNE, DE - *Notice sur la tribu des Aouled Bou Aita* - CHEAM, n° 304. (*Aouled Bou Aita*)

LAREDO, I - *Memorias de un viejo tangerino* - Madrid, 1935. (*Memorias*)

LAROUI, A - *L'Histoire du Maghreb : un essai de synthèse* - Paris, 1975 - 2 vol - (P.C.M. ; 134 - 135). (*Hist. Magh.*)

LAUGEL, M - *Les Abid de Kenadsa, B.L.S..*, IV, 13, Juin 1953.

LAZAREV, G - *Changement social et développement dans les campagnes marocaines* - in *Etudes sociologiques sur le Maroc* - Rabat, 1971. (*Chang. social*)

LAZAREV, (et al...) - *Les villages miniers de la régions de Khouribga - Notes marocaines*, 14.

LE CLERE - *Terres collectives de tribu* - Rabat, 1925.

LE COZ, J - *Le Rharb : fellahs et colons : étude de géographie régionale* - Rabat, 1964 - 2 vol. (*Rharb*)

LEGUAY - *Le Pays des Zemmour et les Zaer* - Archives de Vincennes, 1887.

LEHMANN, E - *Uber das vorkommen des Spanische Rothirsches : cervus elaphus bolivan Cabrera, 1911* - in Nord Marokko Säugetierk - *Mitt.*, 17, 1961.

LENOIR, M - *Aulisua : dieu maure de la fécondité* - in *L'Africa Romana, Atti del III convegno di studio Sassari, 13 - 15 Dicembre 1985, a cura di Attilio Mastino* - Sassari Gallizi, 1986.

LENZ, O - *Voyage du Maroc au Sénégal - B.S.G* (Paris), mars 1881.

LE PREVOT, J - *Le Paysannat et les S.M.P. au Maroc - Cahiers de la modernisation rurale*, n° 12, 1953. (*S.M.P, 12*)

LERICHE, A - *Notes sur les classes sociales et sur quelques tribus de Mauritanie - BIFAN*, 1955.

LE TOURNEAU, R - *Evolution politique de l'Afrique du Nord musulmane, 1920 - 1961* - Paris, 1962. (*Evol. pol.*)

LEVI - PROVENÇAL, E - *Documents inédits d'histoire almohade* - Paris, 1941. (*Doc. ined.*)

LEVI - PROVENÇAL, E - *Histoire de l'Espagne musulmane* - Paris, 1950 - 1953 - 3 vol. (*Histoire Espagne*)

LHOTE, H - *Les Touaregs du Hoggar* - Paris, 1944. (*Touaregs*)

LOHMAN, H.R - *Pétain* - Paris, 1984.

LOPEZ ORTIZ, E - *Recuerdo de Anyera* - Madrid, 1951 B.N, seccion de Africa.

LOPEZ QUEIZAN, J.M - *El Padra Jose Lerchundi : biographia documentada* - Madrid, 1927. (*Lerchundi*)

LOSITE, A - *Gestas heroicas* - Tetuan, 1942.

LOURIDO DIAZ, R - *La Abolocion de la esclavitud de cristianos en Marruecos - C.H.I.* (Granada), 8, 1977. (*Abolicion*)

LOURIDO DIAZ, R - *Marruecos y el mundo exterior en la segunda mitad del siglo XVIII* - Madrid, 1989. (*Marruecos y el mundo*)

LOURIDO DIAZ, R - *La Obra redentora del Sultan Sidi Mohamed Ben Abdellah entre los cautivos musulmanes en Europa - C.H.I*, 11, 1984. (*Obra*)

LOURIDO DIAZ, R - *El Padre Lerchundi y el reformismo en el Marruecos del siglo XIX - Dal Al Niaba*. 8, 1985 ; 9, 1985.

LOVERIDGE, A - *Revision of the African lizards of the family Gekkonidae - Bul. Comp. Zool.*, LXXXVII, 5, 1959. (*Lizards*)

LYAUTEY, L-H : *Paroles d'action : Madagascar, Sud - Oranais, Oran, Maroc, 1900 - 1926* - Préf. Louis Barthou - Paris, 1927. (*Paroles d'action*)

MAATI BEN BAKKAL - *Le Mariage ches les Aït hadiddou - Acad. Sc. Col.*, Séance du 21 juin 1946.

MAITLAND, P.S - *Les Poissons des lacs et rivières d'Europe* - Paris, 1977. (*Poissons*)

MAITROT DE LA MOTTE CAPRON, A - *Le Rogui - B.S.G.A.A.N*, 1929.

MANDENILLES - *La Frontière marocaine et Figuig - Quest. dipl. col.*, 1ère année, 15 mars 1897, n° 6.

MARÇAIS, G - *Alfred Bel, 1873 - 1945 - R.A*, 1 - 2 trim. 1945.

MARÇAIS, W - *Comment l'Afrique du Nord a été arabisée - A.I.E.O.*, V, 1939.

MARCHAL, L - *Les Principes, les méthodes et les buts de la modernisation rurale au Maroc* - Rabat, 1945. (*Mod. rurale*)

MARCY, G - *Le Droit contumier Zemmour* - Alger, 1949 - (Publ. IHEM ; 40). (*Droit*)

MARCY, G - *Les Inscriptions libyques bilingues de l'Afrique du Nord - Cahiers de la Société Asiatique*, 5, 1936.

MARGAT, J - CAMUS, A - *La Nécropole de Bouïa au Tafilalet - B.A.M.*, 3, 1958 - 59.

MARGOT - *La Presse arabe en 1927* - Casablanca, 1928.

MARION, J - *Les monnaies de Soliennes et les villes autonomes de Mauritanie Tingitane au Musée Louis Chatelin à Rabat - Ant. Afr.*, 6, 1976.

MARTROYE - *L'Occident à l'époque byzantine : Goths et vandales* - Paris, 1904. (*Goths vandales*)

MARTY, A.J - *Le Franc marocain : monnaie satellite* - Paris, 1951 - (publ. IHEM ; 31). (*Franc mar.*)

MARTY, P - *Le Sahara espagnol - R.M.M*, XLVI, 1971.

MARTY, P - *Les Tribus de la haute Mauritanie - A.F. : R.C.*, 1915.

MASLOW, B - TERRASSE, H - *Une maison mérinide de Fès - 2ème cong. F.S.S.A.N*, T. 2, 1936.

MASSIGNON, L - *Enquête sur les corporations d'artisans et de commerçants au Maroc - R.M.M*, 58, 1924. (*Corporations*)

MATEU Y LLOPIS, F - *Notas para el estudio de los origenes del sistema monetario español - Numisma*, XIV, 67, 1964. (*Sistema monetario*)

MATHON, C.C - *Phytogéographie appliquée: l'origine des plantes cultivées* - Paris, 1981. (*Origine des plantes*)

MAUNNY, R - *L'Afrique occidentale d'après les auteurs arabes anciens - Notes Afr.*, n° 49, 1948.

MAUNY, R - *Autour d'un texte bien controversé : le périple de Polybe, 146 Av.* (*Périple de Polybe*)

J.C. - Hesp. XXXVI, 1° - 2° trim., 1949.

MAURER, G - *Les Montagnes du Rif Central : étude géomorphologique* - 1968. (*Montagnes du Rif*)

Th. : Paris, 1968.

Mazagan et le Maroc sous le règne du sultan Moulay Zidane, 1608 - 1627, Trad. R. Ricard - Paris, 1956. (*Mazagan*)

MAZARD, J - *Corpus Nummorum Numidiae Maurétaniaeque* - Préf. Jean Babelon - Paris, 1955. (*Corpus Nummorum*)

MEGE, E - *Les Achache et les Mzab - A.B*, 3, 1918.

Mélanges René Basset : Etudes nord-africaines et orientales - Paris, 1923 - 1925 - 2 vol. - (Publ. IHEM ; 10,11). (*Mélanges R. Basset*)

Le Mémorial du Maroc, sous la dir. de Larbi Essakali - Rabat, 1982 - 1985 - 9 vol. (*Mémorial*)

1 - *Naissance d'un foyer de civilisation* - 1983.
2 - *660 - 1248 : Le Sceau de l'islamisation* - 1983.
3 - *1248 - 1666 : De la consolidation aux périls* - 1982.
4 - *1666 - 1906 : de la grandeur aux intrigues* - 1983.
5 - *1906 - 1934 : morcellement et résistance* - 1983.
6 - *1934 - 1953 : Lutte du roi et du peuple* - 1984.
7 - *1953 - 1983 : Dans le concert des nations* - 1985.
8 - *Le Maroc éternel : un riche patrimoine* - 1983.
9 - *Index* - 1985.

Mémorial Henri Basset : nouvelles études nord-africaines et orientales - Paris, 1928 - 2 vol - (Publ. IHEM ; 17, 18). (*Mém. H. Baset*)

MERCIER, E - *Histoire de l'Afrique septentrionale, depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française, 1830* - Paris, 1888 - 1891 - 3 vol. (*Afrique septent.*)

MERCIER, E - *Les Mosquées et la vie religieuse à Rabat - A.M*, 8, 1906.

MERIC - *Etude sur le bureau des Affaires Indigènes de Tatta*. CHEAM, n° 541. (*Tatta*)

MEUNIE, D - *El Maarka : résidence princière dans une oasis au Maroc, XVIIIe s* - *C.A.T.A.N.*, 1974. (*El Maarka*)

MEUNIE, J - TERRASSE, H, DEVERDUN, G - *Recherches archéologiques à Marrakech* - Paris, 1952 - (Publ. IHEM ; 54). (*Recherches*)

MICHAUX - BELLAIRE, E - *Conférences faites au cours préparatoire du Service des*

Affaires indigènes - Paris, 1927 - (*Archives Marocaines*, 1927).

MICHAUX - BELLAIRE, E - *Le Gharb - R.M.M*, XVI, 1911.

MICHAUX - BELLAIRE, E - *La Mission scientifique du Maroc* - Rabat, 1925.

MIEGE, J.L - *Documents d'histoire économique et sociale marocaine au 19e s* - Paris 1969 - (CRAM ; Section Moderne et contemporaine). (*Doc. d'hist. éco.*)

MINISTERE DE L'AGRICULTURE ET DE LA REFORME AGRAIRE - *Enquête élevage : effectifs des bovins, ovins et caprins* - Rabat, 1989.

MIQUEL, A - *Ibn Battuta - E.I 2.*

La Mise en valeur et équipement rural de la province de Rabat - BESM, n° 6, 1956.

MODERAN, Y - *Coripe et l'occupation byzantine de l'Afrique : pour une nouvelle lecture de la Johannide - Ant. Afr.*, 22, 1986. (*Coripe*)

MOLAND, J - *Le régime juridique de la presse au Maroc* - Paris, 1963. (*Presse au Maroc*)

MONCHICOURT, Ch - *La Fête de l'Achoura - R.T*, n° 17, 1910.

Monografia de Ali Bey - Barcelona, 1879.

Monographie de la province de Khénifra - Khénifra, 1987.

MONSEMPES - *Contribution à la connaissance d'une tribu : les Zkara* , Archives CHEAM - Paris, (s. d.). (*Zkara*)

MONTEIL, V - *Notes sur les Tekna* - Paris, 1948 - (IHEM, coll. Notes et Documents ; 3). (*Tekna*)

MORAN BARDON, C - *El Paleolitico de Beni Gorfet, Marruecos* - Larache, 1941. (*Beni Gorfet*)

MORESTIN, H - *Le Temple B de Volubilis* - Paris, 1980. (*Temple B*)

MORSY, M - *Moulay Ismaïl et l'armée de métier - R.H.M.C*, XIV, 1967.

MOULAY RCHID, E - *Maurusia : recherches sur la géographie historique du Maroc antique* - 1987. (*Maurusia*)
Th. : Histoire : Besançon : 1987.

MOULLIERAS, A - *Une tribu zénète anti - musulmane : les Zkara* - Paris, 1905. (*Tribu zénète*)

MUNSON, H - *The House of si Abd Allah* - New Haven, 1984.

NABIL, L - *Le Haut bassin de Sif ou Lout, moyen atlas oriental : approche geosystèmique d'une montagne méditerranéenne en crise.* (*Sif ou Lout*)
Th. : 3e siècle : Toulous -

NAIMI, M - *L'apport de Gènes dans l'infiltration du commerce méditerraneén dans l'économie subsaharienne, in VIII atti de IV congresso internationale di studi storici* - Genova, 1990. (*Gènes*)

NAIMI, M - *La Politique des chefs de la confédération Tekna face à l'expansionnisme commercial européen - Rev. Hist. Magh.*, n° 35 - 36, Dic. 1984. (*Politique*)

NAIMI, M - *La Rive sud ouest saharienne de 1842 à 1872 dans les registres comptables de la famille Beyrouk* - in *Le Maroc de l'avenement de Moulay Abdelaziz à 1912* - Mohamedia, 1987. (*Beyrouk*)

NAIMI, M - *Les Visées des Etats-Unis d'Amérique sur le sud-ouest marocain au 19e s : à partir des rapports de Felix Matheus* - in *Commernoration of bicentennial of the treaty of Marra kech of 1789* - Norfolk, 1986. (*Felix Matheus*)

NEHLIL, M - *Lettres chérifiennes* - Paris, 1915.

NICLAUSSE - *Une tribu du sud marocain : les Aït Atta du Sahara* - 1957 CHEAM, n° 2681. (*Aït Atta*)

NOIN, D - *La Population rurale du Maroc : étude géographique* - Paris, 1970. (*Pop. rurale*)

OLIVA, P - *L'Activité minière au Maroc en 1967 - R.G.M*, n° 15, 1969.

OLIVA, P - *Aspects et problèmes géomorphologiques de l'Anti-Atlas occidental - R.G.M*, 21, 1972.

OLIVET, J.T - AUZENDE, J - BONNIN, J - *Structure et évolution technique du bassin d'Albora - Bull. Soc. Geo.* Fl, 7, 15. (*Albora*)

PLACIOS, A - *La Carta de adios de Avempace - Al andalus*, VIII, 1943. (*Avempace*)

PAPCIOS, A - *El Regimen del solitario* - Madrid; 1946.

PALACIO, A - *Trada a sobre la union de intelecto con el hombre - Al Andalus*, 7, 1942.

PANET, L - *Première exploration du sahara occiendale : relation d'un voyage du Sénégal au Maroc en 1850* - Paris, 1968. (*Relation de voyage*)
PASCON, P - *Etudes rurales : idées et enquêtes sur la campagne marocaine* - Préf. A. Khatibi - Rabat, 1980 - (coll. Atlas). (*Etudes rurales*)
PASTEUR, G - GIROT, B - *Les Tarentes de l'ouest africain : Tarentola mautitanica* - *Bull. Soc. Sc. Nat. Phys. Maroc*, 40, 4, 1960. (*Tarentes*)
PAXTON, R.O - *La France de Vichy, 1940 - 1944* - Paris, 1973.
Petit guide de l'immigrant - Paris, 1911.
PEYRIGUERE, A - Aussi loin que l'amour - Paris, 1970.
PEYRIGUERE, A - *Lassez-vous saisir par le Christ* - Paris, 1981.
PEYRIGUERE, A - *Le Temps de Nazarethe* - Paris, 1964.
PEYRONNET, R - *Livre d'or des officiers des affaires indigènes* - Alger, 1930.
PEYROUTON, M - *Du service public à la prison commune* - Paris, 1950. (*Service public*)
PEZZI, R - *Los Presidios menores de A frica y la influencia española en el Rif.* - Madrid, 1893. (*Presidios menores*)
PIETRI, F - *Mes années en Espagne, 1940 - 1948* - Paris, 1954.
PIETRI, F - *Les Finances du Maroc pendant la guerre* - Rabat, 1918.
PIETRI, F - *Finances et monnaies coloniales* - Paris, 1924.
PIETRI, F - *La Querelle du franc* - Paris, 1928.
PIETRI, F - *Veillons au salut de l'Empire* - Paris, 1937.
PINEAU, J - GIRAUD - AUDINE, M - *Les Oiseaux de la péninsule Tingitane* - Rabat : Institut Scientifique, 1979 - (Trav. Inst. Sci.).
PINES, S - *La Dynamique d'Ibn Bajja* - in *Mélange Alexandre Koyré* - Paris, 1964. (*Ibn Bajja*)
PONCET, J - *Le Mythe de l'invasion hilalienne* - A.E.S.C, sept. - oct. 1967.
PONSICH, M - *Tanger antique* - *A.N.R.W*, 10, 2, 1982.
Population légale du Maroc - Rabat : Direction de la statistique, 1982.
PORCH, D - *The Conquest of Morocco* - New York, 1983.
PRINGLE, D - *The defense of Byzantine Africa : from Justinian to the conquest* - Oxford, 1981.
Les Problèmes agraires du Maghreb - Paris : C.N.R.S, 1977.
PROCOPIUS - *History of the Wars*, Ed. H.B. Dewing - London, 1916. (*Procopius*)
PUAUX, G - *Deux années au Levant : souvenirs de Syrie et du Liban, 1939 - 1940* - Paris, 1952. (*Syrie et Liban*)
QUANG TRAC, N - SIMONT, M - *Le Couloir Taourirt - Oujda* - in *Ressources en eau du Maroc* - 1971 - (Notes Mem. Serv. Geol., 231). (*Taourirt*)
QUIROGA, F - *El Sahara occidental y sus moradores* - *Rev. Geog. Comercial*, II, n° 25 - 30, 1886.
RABINOW, P : *Un ethnologne au Maroc : réflexions sur une enquête de terrain* - Paris, 1988. (*Ethnologue*)
RACY, A.J - *Record industry and Egyptian traditional music, 1904 - 1932* - *Ethnomusicology*, 20, 1, 1976.
RAIS, M - *Introduction et évolution religieuse et spirituelle de la confrérie qadiriya au Maroc* - 1986. (*Qadiriya*)
Mémoire de maitrise : Aix - Marseille, 1986.
RAYNAL, R - *Plaines et piedmonts du bassin de la Moulouya, Maroc oriental : étude géomorphologique* - Rabat, 1961. (*Plaines et piedmonts*)
RAYNAL, R - *La Terre et l'homme en haute Moulouya* - *BESM*, n° 86 - 87.
REBUFFAT, R - *Les Baniures ; un nouveau document sur la géographie ancienne de la Maurétanie Tingitane* - in *Mélanges offerts à R. Dion* - Paris, 1974. (*Baniures*)
REDJALA, M - *Un prosateur kabyle : Boulifa* - *B.L.O.A.B*, 1971.
REISSER - BACHELOT - *Notice sur le cercle de Sefrou* - *B.S.G.M*, n° 14, fév. 1918.
RENAUD, H.P.J - *Notes critique d'histoire des sciences chez les musulmans : Ibn Al Banna de Marrakech, sufi et mathématien* - *Hesp.*, XXV, 1ere trim. 1938. (*bn Al Banna*)
RENE - LECLERC, Ch - *L'armée marocaine* - *B.S.G.A*, 4ème trim. 1904.

RENE - LECLERC, Ch - *Les Régions Nord et Sud de la frontière algéro-marocaine* - Paris, 1909.

RENOUAR D, Y - *Les Hommes d'affaires italiens du Moyen Age* - Paris, 1968.

REYNIER, A - *La Banque d'état du Maroc et les banques d'émission coloniales* - Casablanca, 1926. (*Banque d'état du Maroc*)

RICARD, P - *Alfred Bel : Savant orientaliste vient de disparaite - Vaincre*, 11 marx 1945.

RICARD, P - *Maroc* - Paris, 1937 - (*Guide bleu*).

RICARD, P - *Les Métiers manuels à Fès - Hesp.* 2ème trim. 1924.

RICARD, P - DELPY, A - *Note au sujet de vieilles portes de maisons marocaines - Hesp.*, XV, 1932. (*Portes*)

RICARD, R - *Instructions nautiques portugaises - Hesp.*, VII, 1927.

RICARD, R - *Le Maroc septentional au XVe siècle d'après les chroniques portugaises - Hesp.*, XXIII, 1936, fasc. 2. (*Maroc sept.*)

RIVET, D - *Lyautey et l'institution du protectorat au Maroc - Paris*, 1988 - 3 vol. (*Lyautey*)

ROCHE - *Notes provisoires sur la condition juridique des eaux dans les tribus du Moyen Dades - R.G.M*, fasc. 2, 1933.

RODRIGUES, B - *Anais de Arzila : cronica inedita do seculo XVI* - Publ. por ordem do Ac. das Sc. de Lisboa e sob a direcçao de David Lopes. - Lisboa, (s.d) - 2 vol. (*Anais*)

ROGET, R - *Le Maroc chez les auteurs anciens* - Paris, 1924.

ROLAND LEBEL, A - *Impôt agricole au Maroc : Le Tertib* - Paris, 1925. (*Tertib*)

ROMAN, J - *Viajes de Ali Bey el Abbasi* - Madrid, 1951.

ROMANELLI, P - *La Riconquista Africana di Guistiniano - Africa Romana* - XIV, 1935.

ROSENBERGER, B - *Les Anciennes exploitations et les anciens centres métallurgiques du Maroc - R.G.M*, n° 17 - 18, 1970. (*Anciennes exploitations*)

ROUSSEAUX - *Hannon au Maroc - R.A*, 1949.

ROUSSELET, T - *Sur les confins du Maroc* - Paris, 1912.

ROUTHE, E. M - *Tangier Englend's lost atlantic out post* - London, 1912.

RUBIO CABEZA, M - *Diccionario de la guerra civil española* - Madrid, 1987.

RUHLMANN, A - *Le Ténéréen - B.S.P.M*, 10, 1936.

RUHLMANN, A - *Une exploitation de sel à l'époque néolithique dans la vallée de l'Oued Beht - B.S.P.M*, 11, 1937. (*Oued Beht*)

RUIZ DE LA CUESTA, P.J - *El Padre Lerchundi arabiste y eximio misionero - Mauritania*, n° 103, 1 juin 1936.

RUIZ Y BENITEZ DE LUGO, R - *La Kabila de Anyera* - Madrid, 1908. (*Anyera*)

RYAN, W.B.F - O LAUSSON, E - FAIRBRIDGE, R.W - *Mediterranean sea*, in *the Encyclopedia of oceanography* - New York, 1966.

SAAIDI, E - *Lexique de géologie et de géomorphologie, français - arabe* - Rabat, 1990. (*Lexique*)

SAINT - RENE TAILLANDIER, G - *Les Origines du Maroc français : récit d'une mission, 1901 - 1906* - Paris, 1930. (*Maroc franç.*)

SALMON, G - *Les Bdadoua - A.M*, 2, 2, 1904.

SALMON, G - *Institutions berbères* - A.M, 1, 1904.

SALMON, G - *Quelques légendes relatives à Moulay Bou Selham - A.M*, IV, n° 2 - 3, 1905. (*My. Bou Selham*)

SALMON, G - *Une tribu marocaine : Les Fahçya - A.M*, mai 1904. (*Fahçya*)

SALVY, G - *La Crise de nomadisme dans le sud marocain* - Mémoire CHEAM, n° 1563. (*Nomadisme*)

SARI, Dj - *L'Insurrection de 1881 - 1882* - Alger, 1981.

SAULAY - *Histoire de Goums marocains , T. 1* - Paris, 1981. (*Goums*)

SEGONZAC, E. de - *Voyage au Maroc, 1899 - 1901* - Paris, 1903.

SICAR - *L'Organisation des Zaërs - R.M.M*, XI, Juin 1910.

SIMOU, B - *L'Içlah au Maroc : les réformes militaires de 1844 à 1912* - Th. : Paris IV : 1987. (*Içlah*)

SOLA SOLE, J. M - *La Inscripcion punico libica de Lixus - Sefarad*, XIX, 1959.

SOUVILLE, G - *Atlas préhistorique du Maroc* - Paris, 1973. (*Atlas préhist.*)
SOUVILLE, G - *le Tumulus de Si Allal Bahraoui - Lybica*, 6 - 7, 1958 - 1959. (*Tumulus*)
Spécifités de l'aménagment hydro-agricole au Maroc - Rabat, 1979.
SPILMANN, G - *Souvenirs d'un colonialiste* - Paris, 1936.
STEIN, E - *Histoire du Bas-Empire*, ed. franç. par J.R Palanque - Paris, 1959.
SUISSE, P - *Les Formes nouvelles de la modernisation rurale en milieu marocain* - CHEAM, 1951.
TAG, B - *La Croissance des petites villes du Maroc oriental steppique* - in *Petites villes et villes moyennes dans le Monde Arabe* - Tours : URBAMA, 1986. (*Croissance*)
TAILLARD, F - *Le Nationalisme marocain* - Paris, 1947.
TERRASSE, H - *Alfred bel, 1873 - 1945 - Hesp.*, 1945, fasc. un.
TERRASSE, H - *La Mosquée des Andalous à Fès* - Paris, 1942.
TERRASSE, H - *Les Portes de l'arsenal de Salé - Hesp.*, 1922.
TERRASSE, H - *Trois bains mérinides du Maroc* - in *Mélanges W. Marçais* - Paris, 1950.
THEVENOT, M - (et al...) - *Compte-rendu d'ornithologie marocaine* - Rabat, 1981 - (Doc. Inst. Sc., n° 6).
THOUVENOT, R - *Défense de polybe - Hesp.*, XXXV, 1948.
THOUVENOT, R - *Rome et les Barbares africains : à propos d'une inscription de Volubilis* - Rabat, 1945 - (PSAM, VII). (*Rome et les Barbares*)
THOUVENOT, R - *Le Témoignage de Pline sur le périple africain de Polybe - R.E.L*, XXXIV, 1957. (*Pline*)
THOUVENOT, R - *Les Thermes du Nord et de l'Ouest et les Thermes aux fresques* - Rabat, 1951 - (PSAM). (*Thermes*)
TISSERANT, E - WIET, G - *Une lettre de l'almohade Murtadâ au pape Innocent IV - Hesp.*, VI, 1ère trim. 1926. (*Murtadâ*)
TORRES BALBAS, L - *Las ruinas de Belyunas a Bullines - Tamuda*, V, 1957. (*Belyunas*)
TOURI, A - *L'Habitat domestique de Marrakech*. Th. : Sorbonne : Paris : 1987.
TOURNOUX, J.R - *Pétain et de Gaulle* - Paris, 1964.
TOZY, M - *Champ et contre-champ politico-religieux au Maroc* - 1984. (*Champ*)
The. : Aix - en - Provence : 1984.
TROIN, J.F - *Les Souks marocains : marchés ruraux et organisation de l'espace dans la moitié nord du Maroc* - Aix, 1975 - 2 vol. (*Souks*)
Tuhfat al - Ahbab. glossaire de la matière médicale marocaine, Texte Publ. par H.P.J Renaud et G.S. Colin - Paris, 1934 - (Publ. IHEM, 24). (*Tuhfat*)
Un document portugais sur la place de Mazagan au début du XVIIe siècle - Trad. R. Ricard - Paris, 1932. (*Doc. portug.*)
VALLERIE, P - *La Pénétration militaire au Maroc* - Paris, 1934.
Viajes por Africa y Asia realizados y esplicados por don Domingo Badia y Leblich utilizando el nombre de Ali el Abbasi - Barcelona, 1934. (*Viajes*)
VILLALTA, F - *Las Mezquitas de Tetuan* - Ceuta, 1935.
VOINOT, L - *Confréries et Zaouias au Maroc : les établissements religieux du Maroc oriental - B.S.G.A.O*, 1936. (*Confréries et Zaouias*)
VOINOT, L - *Les Conséquences de la lutte du Makhzen et du Rogui à proximité de la frontière algérienne, 1903 - 1905 - B.S.G.A.O*, 1934. (*Lutte*)
VOINOT, L - *La Menace des Oulad Sidi Cheikh contre le Tell algérien et les dangers de leurs intrignes au Maroc, 1870 - 1873 - R.A*, 1920. (*Oulad Sidi Cheikh*)
VOINOT, L - *Oujda et l'Amalat* - Oran, 1912.
VOINOT, L - *Pélerinages judéo-musulmans du Maroc* - Paris, 1948 - (IHEM, coll. Notes et documents, 4). (*Pélerinages*)
VOINOT, L - *La Situation sur la frontière algero-marocaine du Tell lors de l'insurrection des Ouled Sidi Cheikh dans le sud oranais, 1864 - 1870 - R.A*, 1919. (*Frontière*)
VOINOT, L - *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc* - Paris, 1939. (*Traces*)
WATERBURY, J - *Le Commandeur des croyants : la monarchie marocaine et son élite* - Paris, 1975. (*Commandeur*)

WATERBURY, J - *North for the trade* - Los Angeles, 1972.

WATWAT - *Manahig Al - Fikr* - Trad. E. Fagnan in *Extraits inédits relatifs au Maghreb* - Alger, 1924.

WESTERMARCK, E. A - *Ritual and belief in Moroccao* - Reprint - New York, 1968. (*Ritual*)

WEYGAND - *Histoire de l'armée française* - Paris, 1953.

AL YAIQUBI - *Al-Buldan : Les pays*, trad. G. Wiet - Paris, 1937.

ZAFRANI, H - *Etudes et recherches sur la vie intellectuelle juive au Maroc : de la fin du 15e au début du 20e Siècle* - Paris, 1972 - 1980 - 3 vol. (*Vie intellectuelle juive*)

1 - *Pensée juridique et environnement social, économique et religieux* - 1972.

2 - *Poésie juive en occident musulman* - 1977.

3 - *Littératures dialectales et populaires juives en occident musulman : l'écrit et l'oral - 1980.*

ZINE EL ABIDINE, A - *Application de l'analyse multidimensionnelle à l'étude taxinomique et phytoécologique du chêne Zéen et de ses peuplements au Maroc.* (*Chêne Zéen*)

Th. : Fac. St. Jerome : Marseille : 1987.

ZURARA, G.E de - *Chronique de Guinée*. Préf. trad. de Léon Bourdon, avec la collab. de Robert Ricard, notes de L. Bourdon, E. Serra Rafols, (et al...) - Dakar, 1960 - IFAN ; Mémoires, 60). (*Guinée*)

ZURITA, J - *Historia del Rey Don Hernando el catolico*, 1670. (*Don Hernando*)

Liste des principales abréviations des périodiques

A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales.*
A.E.S.C : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
A.F : *Afrique Française.*
A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
A.M : *Archives Marocaines.*
A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie.*
And. : *Al-Andalus*
Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
Ant. Afr. : *Antiquités Africaines.*
B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
B.A.R : *British Archeological Reports.*
B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
B.I.F.A.N : *Bulletin de L'Institut Français d'Afrique Noire.*
B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne.*
B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
B.S.G.A.O : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique.*
C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos.*
C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam.*
C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée.*
C.R.A.I.B.L : *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
C.R.A.S : *Comptes Rendues des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
C.T : *Cahiers de Tunisie.*
E.I.1 : *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*

E.I.2 : *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*
E.T.A.M : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
Et. Medit. : *Etudes Méditerraniennes.*
F.S.S.A.N : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
Hesp : *Hespéris.*
H-T : *Hespéris-Tamuda.*
H.T.E : *Hommes, Terre et Eaux.*
I.G : *Information Géographique.*
I.H.E.M : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
I.H.E.M : N-D : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabes*
I.S.C : *Institut Scientifique Chérifien.*
Isl. Cult. : *Islamic Culture.*
I.S.P.M : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
J.H.S.N : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
M.A.I.B.L : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
Medit : *Méditerranée.*
N.A.M.S.L : *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
P.I.H.E.M : *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
P.S.A.M : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
P.S.H.M : *Publications de la Section Historique du Maroc.*
R.A : *Revue Africaine.*
R.A.P : *Revue de l'Action Populaire.*
R.C.C : *Revue de la Chambre de Commerce.*
R.D.M : *Revue des Deux Mondes.*
R.E.I : *Revue des Etudes Islamiques.*
R.E.L : *Revue des Etudes Latines.*
Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
R.G.M : *Revue de Géographie du Maroc.*
R.H.M.C : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
R.M.D.E.D : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
R.M.M : *Revue du Monde Musulman.*
R.P.P : *Revue Politique et Parlementaire.*
S.G.L : *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
S.I : *Studia Islamica.*
S.I.H.M : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*
Trav. Inst. Sc. : *Travaux de l'Institut Scientifique.*

أمريكا الجنوبية والمغرب، إن التداخلات الأولى بين المغرب وأمريكا اللاتنية قد تكون ميثولوجية، بمعنى إشكالية، قبل أن تكون تاريخية، تشهد على هذا تلك المنقوشات التي عثر عليها بأمريكا اللاتنية والتي ذكر طابعها البربري. زد على ذلك طرح سؤال إذا ما كان البحارة المغاربة قد أبحروا إلى أمريكا قبل كولومبوس.

سيشرع التاريخ في إعطاء آثار يمكن تقفّيها والتحقق من صحتها مع تدفق الرقيق الأسود القادم من المغرب، كما أن هناك عائلات يهودية من أصل مغربي غادرت موگادور (الصويرة) تعد من مؤسسي الجالية اليهودية الأولى في كوراساو (Curaçao) في جاماكيا، والأرجنتين والبرازيل والشيلي والبيرو والمكسيك.

أما تاريخ الاستعمار فهو يشمل كذلك كلا من البرازيل وفنزويلا وكولومبيا في مسائل التنازلات، وينقل لنا وجود علاقات قنصلية مبكرة. فقد كان للبرازيل تمثيل قنصلي في طنجة منذ 1864. ويرجع تاريخ ربط العلاقات الدبلوماسية بين المغرب والبرازيل لسنة 1906. هذه بدون شك لقطات تاريخية تستحق الأخذ بعين الاعتبار ولكنها تظهر بكثافة أقل من العلاقات مع افريقيا وآسيا.

لقد بين بوغالي في كتاب *Représentation de l'espace chez l'illétré marocain* كيف أن الخرائط التي يرسمها المغاربة من غير المتعلمين تدمج أولا أسماء بلدان ومدن وقرى. فعندما نتجاوز الرفض العفوي للحديث عن العالم أو رسم التنظيم المكاني تكون أمريكا اللاتنية وبلادها غائبة. أمريكا اللاتنية على عكس أمريكا الشمالية لا تنتج أي انعكاس بامكانه أن يحمل بعداً عاطفياً.

وأمريكا اللاتنية لم تكن غائبة عن عالم غير المتعلمين فقط، بل الأمر كذلك بالنسبة للمتعلمين، فلا الثقافة الجغرافية ولا كتب الرحالين وتراجم الرحلات تبرز دور أمريكا اللاتنية. يبدو أن الجغرافيين والرحالين العرب قد استكشفوا أفريقيا وآسيا وتجاهلوا أمريكا اللاتنية.

إلى أي حدٍ يمكن كذلك للمعلومات المقررة في البرامج الدراسية على مستوى التعليم الثانوي والجامعي أن تعطي معرفة عن أمريكا اللاتنية تفوق مستوى التعريف العام المختصر ؟

يمكن تصور أمريكا اللاتنية كامتداد لإسبانيا والبرتغال مع استمرارية للعلاقات التي تجمع بين المغرب ودول أمريكا اللاتنية عن طريق الحضارة الإيبرية. ويتم التأكيد على هذا البعد مرات عديدة من الكتابات الانطباعية إلى التصريحات السياسية والأبحاث الدقيقة.

وأمريكا اللاتنية هي كذلك نقيض أمريكا الشمالية، وهي بذلك شيء من هويتنا من وجهة نظر أخرى. يتوقف عبد الكريم غلاب في كتابه صحفي في أمريكا على هذه الصورة ويسجل أن كوبا تمردت ضد أمريكا وحافظت على شرفها رافضة ن تكون عميلة للولايات المتحدة. هكذا فكوبا تتمتع بوضع خاص وهي تشير إلى الأشكال التي تأخذها أمريكا اللاتنية في الخطاب والهموم المغربية كمكان متميز للصراع بين الشرق والغرب، وقد يتغير هذا المكان من كوبا إلى الشيلي أو نيكاراگوا.

ونجد كذلك في مراجع الاقتصاديين المغاربة العمليين والنظريين منهم على حد سواء تاثيراً كبيرا بالإشكاليات والتصورات والمناهج التي ترجع في أصلها إلى أمريكا اللاتنية.

وهكذا فإن حضور أمريكا اللاتنية في توجيه واستيحاء السياسات الاقتصادية والمنهجية كبير جدا.

إن الخطاب السياسي الرائج في المغرب والذي يطالب بتفاهم وتعاطف أمريكا اللاتنية مع قضاياه الوطنية لم يلبث يؤكد أن المغرب يشكل ملتقى الطرق بين أمريكا اللاتنية وأوروبا وأفريقيا والعالم العربي. وأن أمريكا اللاتنية مثلنا جزء من العالم الثالث.

وباعتبارها امتداداً لإسبانيا فهي تكون بذلك وبالتالي تجسيداً لجانب من جذورها الثقافية مع التجريد من الصفة الاستعمارية وغياب صراع مباشر مع المغرب تكون اليوم في مكان أليق لتستمع إليه، لأنها هي بذاتها كانت ممزقة ومحتلة ومستعمرة ومستغلة. كل هذا يجعلها قادرة على الإصغاء إليه في الساعات الصعبة.

وهكذا عند توجه عبد الكريم الخطابي إلى أمريكا اللاتنية من خلال مقال مطول موقع باسم عبد الكريم نشر مع صورته في صحيفة *أوجُورنال* ريودي جانيرو *O'Jornal Rio Dijaniro* يوم 2 يوليوز 1925، نشر الوطنيون البرازيليون في صحفهم برقية من ريودي جانيرو إلى قائد المقاومة المغربية في الريف يؤكدون تضامنهم. ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي نادى فيها عبد الكريم أمريكا اللاتنية خلال حرب الريف. سيكون الإعلان عن دولة إسرائيل مناسبة لنداء آخر.

قام علال الفاسي في شهر أكتوبر 1952 برحلة طويلة إلى أمريكا اللاتنية للحصول على مساندة هذه الأخيرة أمام الهيئات الدولية في الأمم المتحدة فيما يخص القضية المغربية.استُقبل علال الفاسي في ريودي جانيرو من طرف أعضاء الحكومة البرازلية والممثلين عن الأحزاب السياسية الرئيسية في مقر البرلمان البرازيلي. واستُقبل استقبالا رسميا في مجلس الشيوخ، وألقى خطاباً حيّى فيه الشعب البرازيلي وذكّر بالصلات الثقافية التي تجمع بين المغرب والبرازيل عبر الحضارة الإسبانية. وقد أعطت الصحافة لقب "بوليفار المغربي" للزعيم علال الفاسي. وتشكلت جمعية الصحافيين البرازليين من أجل حرية الشعوب العربية. وسافر بعدها إلى الأورُوغواي والأرجنتين.

كانت القضية المغربية في أوجها في الأمم المتحدة وكان علال الفاسي مشغولا بمسألة الاستقلال. وهل يجوز أنه لم يعر انتباهاً لما كان يروج داخل البلاد الأمريكية اللاتنية على المستوى السياسي ؟ ثم أليس يفسر هذا أوجه الشبه العديدة الموجودة بين التعادلية البرونية والتعادلية التي نادى بها بعد ذلك مُنَظّر حزب الاستقلال.

وتطرح زيارة عبد الخالق الطريس في نونبر - دجنبر 1960 لعدد من أقطار أمريكا اللاتنية (كوبا، المكسيك، فنزويلا، كولمبيا، البيرو، الشيلي، الأرجنتين، البراغواي، البرازيل.....) في إطار النقاش حول مسألة موريتانيا، تطرح نفس الأسئلة حول الأصول الإديولوجية للاستقلال. فكرة القائد المهيب أي الزعيم التي كان عبد الخالق الطريس يعزها تبدو أقرب إلى الظواهر الأمريكية اللاتنية منها إلى الفاشية الإسبانية أو الإيطالية.

عبد الله ساعف

أمريكا الشمالية والمغرب، يعود أصل العلاقات المغربية - الأمريكية إلى السنوات الأولى لحرب الاستقلال الأمريكية، إذ كان المغرب أول دولة خارج أوروبا اعترفت بالجمهورية الأمريكية الناشئة. ويمكن القول إن قيام علاقات سياسية وتجارية بين البلدين جاء أولا وقبل كل شيء كنتيجة لرغبة جهود السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757 - 1790) في وقت كانت فيه الولايات المتحدة منشغلة بحربها ضد الإنجليز ومتطلعة إلى اعتراف الدول الأوروبية قبل غيرها.

في سنة 1777 أعلن سيدي محمد بن عبد الله أنه يفتح مراسيه لتجارة جميع الدول، حتى تلك التي لم يسبق لها أن وقعت اتفاقيات سلم مع المغرب، وكان "الأمريكان" ضمن من شملهم قرار السلطان هذا.

إن وراء اعتراف سيدي محمد بن عبد الله بالولايات المتحدة الأمريكية أسبابا متعددة، منها ما هو مرتبط بالمرامي البعيدة للسياسة الخارجية التي انتهجها هذا السلطان، ومنها ما هو مرتبط بالظرفية التي أفرزتها حرب الاستقلال الأمريكية وما كان لها من انعكاسات على موازين القوى في أوروبا وغرب البحر المتوسط. لقد تزامن استقلال الولايات المتحدة عن بريطانيا مع إقدام سيدي محمد على حملة دبلوماسية واسعة كانت تهدف إلى مسالمة كل الدولة المسيحية بدون استثناء، حملة شملت حتى دولة روسيا التي كانت في ذلك الوقت ألد أعداء المسلمين من خلال تحرشها المستمر بالدولة العثمانية. وكان غرض السلطان من وراء هذا التفتح هو إفساح المجال لقيام علاقات سلمية تعتمد على التجارة التي جعل منها سيدي محمد ركيزة أساسية لنظامه المالي والاقتصادي. ولا شك أن هذا السلطان كان يدرك جدوى إقامة علاقات تجارية حتى مع الدول الصغيرة التي كانت في غالب الأحيان تقدم المصلحة التجارية على غيرها من الاعتبارات السياسية كما كان الحال بالنسبة للدول العظمى مثل فرنسا أو إسبانيا.

أما الأسباب المباشرة التي حذت بسيدي محمد بن عبد الله إلى الاعتراف بالولايات المتحدة ثم إلى عقد اتفاقية سلم معها فيمكن حصرها في نقطتين : رغبة السلطان في توضيح الوضعية القانونية للسفن الأمريكية بعد أن سحبت منها بريطانيا جوازات الإبحار. وقد أظهر حادث حجز السفينة "سوكي" في سنة 1777 من طرف البحرية المغربية المخاطر التي ينطوي عليها الغموض في هوية السفن الأمريكية، ووجود نوع من الفتور في العلاقات المغربية - الانجليزية كنتيجة للتقارب المغربي - الإسباني، علما بأن سيدي محمد كانت له مآخذ قديمة على الانجليز ترجع إلى عهد والده المولى عبد الله.

اتفاقية 1786 : مر ما يقرب من عشر سنوات بين الاعتراف الفعلي باستقلال الولايات المتحدة وتوقيع أول اتفاقية سلم بين البلدين. وخلال هذه المدة لم يكن عقد اتفاقية من هذا النوع هو الشغل الشاغل، لا بالنسبة للولايات المتحدة التي ظلت تحارب القوات البريطانية حتى سنة 1781، ولا بالنسبة للمغرب الذي كان يعيش بين 1776 - 1782 فترة ضائقة اقتصادية واجتماعية نتيجة قحط ومجاعة. لذلك فإن الاتصال بين حكومتي البلدين ظل متقطعاً وموكولا أساساً إلى بعض التجار الأوروبيين أو الأمريكيين. وفي سنة 1784، وبعد ست سنوات من الاتصالات غير المباشرة التي لم تسفر عن أي نتيجة ملموسة، بدأ صبر السلطان ينفد، فأراد أن يلفت انتباه الأمريكيين إلى عروضه السلمية وإلى ضرورة الدخول في مفاوضات تؤدي إلى تطبيع العلاقات بين البلدين. في هذه السنة أمر سيدي محمد قراصنته باعتراض السفن الأمريكية، فتم حجز السفينة "بيتسي" بحمولتها وطاقمها، وتم إبلاغ الحكومة الأمريكية بأنه سوف يحتفظ بالسفينة إلى حين إقرار السلم بين البلدين. لكن السلطان أطلق سراح السفينة في السنة التالية 1785 بمجرد ما حمل الكونغريس الأمريكي على الدخول في مفاوضات مع المغرب. وفعلاً عينت الإدارة الأمريكية، في تلك السنة نفسها، توماس باركلي Tomas Barclay كسفير للتفاوض مع المغرب بقصد عقد اتفاقية سلم بين الطرفين.

وفي سنة 1786 وصل باركلي إلى مراكش وبدأ المفاوضات مع الطاهر فنيش الذي انتدبه السلطان لهذه المهمة. ولم تطل المفاوضات ولم يلح سيدي محمد على مسألة الجزية، وتم الاتفاق على مشروع المعاهدة يوم 28 يونيو 1786، التي نصت بنودها على ما يلي :

- حماية سفن وممتلكات رعايا البلدين.
- عدم حجز ممتلكات أحد الطرفين إذا كانت محمولة على سفينة معادية منتمية لبلد ثالث.
- التزام المغرب بعدم تفتيش السفن الحربية الأمريكية.
- تعهد الدولة المغربية بإطلاق سراح البحارة الأمريكيين الذين تتحطم سفنهم على السواحل المغربية.
- إضفاء الحصانة الدبلوماسية على القناصلة الأمريكيين المقيمين بالمغرب وكذا من ارتبط بخدمتهم.

وقد دخلت هذه المعاهدة حيز التنفيذ من الجانب الأمريكي بعد أن صادق عليها الكونغريس في سنة 1787.

إلا أن المصادقة على الاتفاقية السلمية لم يصاحبها قيام تمثيل قنصلي بين البلدين ذلك أن همّ الأمريكيين

الأساسي كان هو ضمان الأمن لسفنهم المتوجهة إلى البحر المتوسط، ولم يحسوا بضرورة ملحة لتعيين ممثل دائم لهم بالمغرب. ومن جهة أخرى لم تكن الأوضاع الداخلية بالمغرب مشجعة على قيام مثل هذا التمثيل الدبلوماسي. فبعد وفاة سيدي محمد بن عبد الله 1790 دخلت البلاد مرحلة من الاضطراب السياسي لم تنته في الحقيقة إلا عندما استطاع المولى سليمان توحيد كل الأقاليم تحت سلطته في سنة 1797، وهي السنة التي وصل فيها إلى طنجة أول قنصل عام للولايات المتحدة وهو جون سيمبسون John Simpson.

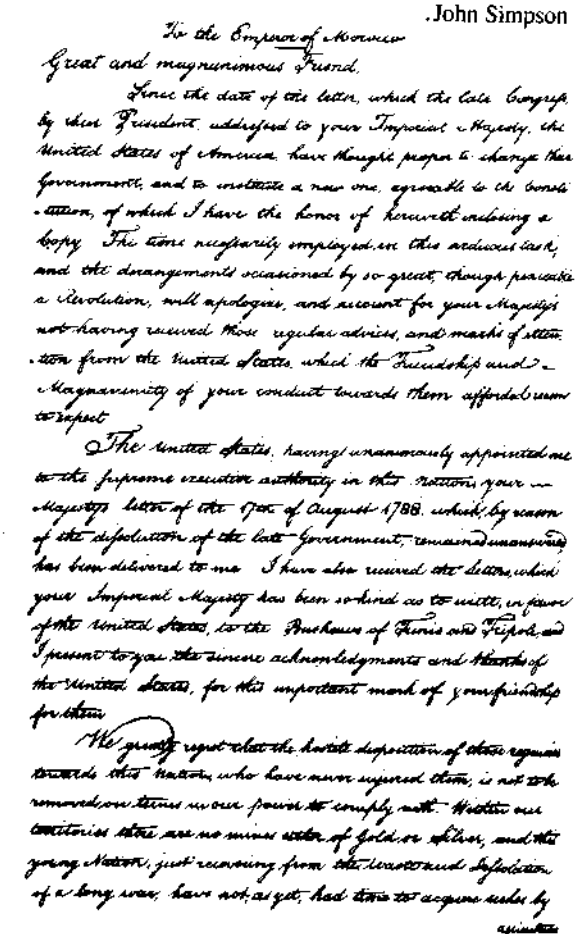

To the Emperor of Morocco

Great and magnanimous Friend,

Since the date of the letter, which the late Congress, by their President, addressed to your Imperial Majesty, the United States of America have thought proper to change their government, and to institute a new one, agreeable to the Constitution, of which I have the honor of herewith inclosing a copy. The time necessarily employed in this arduous task, and the derangements occasioned by so great, though peaceable a Revolution, will apologize, and account for your Majesty's not having received those regular advices, and marks of attention from the United States, which the Friendship and Magnanimity of your conduct towards them afforded room to expect.

The United States, having unanimously appointed me to the supreme executive authority in this nation, your Majesty's letter of the 9th of August 1788, which by reason of the dissolution of the late Government, remained unanswered, has been delivered to me. I have also received the letters which your Imperial Majesty has been ordered to write, in favor of the United States, to the Bashaws of Tunis and Tripoli, and I present to you the sincere acknowledgments and thanks of the United States, for this important mark of your friendship for them.

We greatly regret that the hostile disposition of those regencies towards this nation, who have never injured them, is not yet removed; on our part no time or pains in our power to comply with it. But the United States are no mines either of gold or silver, and the young Nation, just recovering from the waste and desolation of a long war, have not as yet had time to acquire wealth by commerce.

لوحة أولى من رسالة الرئيس جورج واشنطن
إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الله

أزمة عابرة : شهدت السنوات الأولى من القرن الماضي تأزما في العلاقات المغربية ـ الأمريكية كاد أن يفضي إلى قطيعة بين البلدين. وتكمن أسباب هذه الأزمة في التضامن الذي أظهره المولى سليمان مع طرابلس المحاصرة من طرف البحرية الأمريكية 1801. وكان المولى سليمان أراد أن يبعث ببعض السفن المحملة بالحبوب رغبة منه في تخفيف معاناة سكان طرابلس الذين كانوا يقاسون من آثار القحط والحصار الأمريكي في آن واحد. إلا أن القنصل الأمريكي بطنجة رفض أن يسلم جوازات إبحار لتلك السفن، الشيء الذي حدا بالسلطان إلى طرد القنصل وإعلان حالة الحرب مع الولايات المتحدة، وهو ما ترجم عمليا باعتراض السفن الأمريكية الموجودة في منطقة البوغاز. لكن رد الأسطول الأمريكي كان أعنف مما كان يتوقعه المغاربة، فجنح الطرفان للسلم واستطاعا تسوية خلافاتهما سنة 1803 بفضل وساطة الانجليز، كما وقع التأكيد على اتفاقية 1786 كإطار قانوني لتنظيم العلاقات بين الجانبين.

أمريكا الشمالية خلال القرن التاسع عشر: تميزت السياسة الخارجية الأمريكية خلال القرم التاسع عشر برغبة البقاء بعيدا عن مشاكل "العالم القديم"، وذلك تمشيا مع روح "إعلان مونرو" الشهير 1823. فالولايات المتحدة كانت منشغلة أساساً بمد سيطرتها إلى المناطق التي توجد اليوم في الجنوب والجنوب الغربي من البلاد، كما جعلت من تصفية الوجود الأوروبي في أمريكا اللاتينية هدفا أساسيا من أهداف سياستها الخارجية. وبالتالي فإن المغرب لم يكن ليحتل مكانة لها بال ضمن اهتماماتها الدولية. وحتى الصراع الأوروبي حول المغرب، الذي زاد حدة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، لم يكن ليحرك ساكناً لدى الإدارة الأمريكية التي اعتبرت أن التكالب الأوروبي بشأن المستعمرات في إفريقيا "مسألة أوروبية" صرفة لا دخل للأمريكيين فيها.

ومما ساعد على تقليص اهتمام الولايات المتحدة بالمغرب غياب حضور تجاري أمريكي مهم. وحتى إذا كان الأمريكيون حريصين على حماية مصالحهم التجارية بالمغرب، أو على الأقل إبقاء الباب مفتوحاً لتنمية هذه المصالح، فإنهم لم يكونوا يرون تعارضاً بين إخضاع المغرب للهيمنة السياسية الأوروبية وضمان مصالحهم الاقتصادية فيه. وبالفعل فإن الولايات المتحدة كانت البلد الغربي الوحيد الذي بقي بمعزل عن المجموعة الأوروبية التي كان ممثلوها بطنجة يشكلون شبه هيئة للتنسيق بين مصالح مختلف الأطراف المتنافسة. وهذا الموقف هو الذي دفع بالمخزن المغربي إلى عقد آمال على الأمريكيين كي يلعبوا دوراً إيجابياً في علاقات المغرب بالدول الأوروبية. فموقف الحكومة الأمريكية المتسم بنوع من الحياد شجع السلطانين مولاي عبد الرحمان (1822 ـ 1859) وخلفه سيدي محمد (1859 ـ 1873) على طلب الوساطة الأمريكية لحل بعض الخلافات التي كانت تنشأ بين المغرب وبعض الدول الأوروبية، خاصة عندما كانت بريطانيا تتنكر لدورها التقليدي كحامية للدولة المغربية أمام أطماع كل من فرنسا وإسبانيا بشكل خاص. فخلال الخمسينات من القرن الماضي عبر المخزن للحكومة الأمريكية عن رغبته في أن تتوسط هذه الأخيرة و"توظف مساعيها الحميدة في كل القضايا التي تهم علاقات المغرب الخارجية". بل إن الأمر وصل بالسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان إلى أن طلب من الحكومة الأمريكية بسط حمايتها على المغرب كوسيلة لإحباط الضغوط الأوروبية. فالولايات المتحدة كانت تمثل بالنسبة للمغرب الدولة الأقل خطرا على استقلاله لبعدها الجغرافي من جهة ولضعف اهتمامها السياسي به من جهة

ثانية. إلا أن الحكومة الأمريكية رفضت الاقتراح المغربي تمشيا مع النهج الذي رسمته لنفسها بعدم إقحام نفسها في شؤون النصف الشرقي من المعمور، وتلافيا لأي مواجهة مع بريطانيا التي كانت غيورة على دورها المتميز في علاقات المغرب بالعالم الخارجي.

الولايات المتحدة و"المسألة المغربية" : لعل أبرز مظاهر ما أصبح ينعت بالمسألة المغربية خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر كان هو قضية الحماية القنصلية وما ترتب عنها من مضاعفات خطيرة بالنسبة للمخزن. ولم يكن القصد من عقد مؤتمر مدريد 1880 الخاص بمشاكل الحماية هوالتخفيف من متاعب المغرب، ولكن كان الغرض منه الوصول إلى صيغة توفيقية تخفف من حدة التنافس بين الدول الغربية بشأن المحميين من المغاربة. والولايات المتحدة هي الأخرى كان لها محميون بالمغرب وإن كان عددهم محدوداً نسبياً، ولذلك فإنها كانت ضمن الدول المشاركة في هذا المؤتمر، ولو أن دورها فيه كان ثانويا بحيث اكتفى المندوب الأمريكي بالتفرج على الجدل الدائر بين ممثلي الدول الأوروبية. وإذا كان المندوب الأمريكي قد عبر عن ارتياحه لنتائج مؤتمر مدريد فإنه تأسف في نفس الوقت لعدم صدور توصيات بشأن ما سماه بغياب حرية الاعتقاد في المغرب والاضطهاد المزعوم للأقلية اليهودية، وهذه النقطة الأخيرة هي التي استأثرت باهتمام القناصلة الأمريكيين بالمغرب خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر.

العلاقات المغربية ـ الأمريكية خلال القرن العشرين : كانت الولايات المتحدة من الدول التي شاركت في مؤتمر الجزيرة الخضراء 1906 وهو المؤتمر الذي جاءت نتائجه منسجمة مع السياسة الأمريكية تجاه المغرب والهادفة إلى إبقاء باب البلاد مفتوحاً في وجه تجارة جميع الدول الغربية. وعلى مقررات الجزيرة الخضراء اعتمدت الولايات المتحدة لحماية مصالحها بالمغرب طوال عهد الحماية.

مرحلة الحماية : لم تعارض الولايات المتحدة فرض الحماية الفرنسية ـ الإسبانية على المغرب في سنة 1912 ولكنها لم تعترف بها إلا في سنة 1917. فلماذا هذا التأخر في الاعتراف بنظام الحماية ؟ لقد لخص أحد كتاب الدولة الأمريكية سياسة بلاده تجاه المغرب في العبارة التالية : "إن اهتمامنا الأساسي (بالمغرب) هو اهتمام تجاري". لذلك فإن الأمريكيين لم يكونوا يكترثون بمصير المغرب السياسي طالما تحصلت لديهم ضمانات تحمي مصالحهم التجارية فيه. وبما أن عقد الحماية كان غير واضح فيما يخص مصالح الدول الغربية الأخرى فإن أفضل موقف ارتأت الإدارة الأمريكيةالتشبث به في سنة 1912 كان هو موقف "لننتظر حتى نرى ماذا سيحدث". ولا شك أن الأمريكيين كانوا يريدون من وراء تعليق اعترافهم الاحتفاظ بورقة ضغط يستعملونها ضد فرنسا في حالة ما إذا هددت مصالحهم بالمغرب. وحتى في سنة 1917، على الرغم من التحالف الذي جمع الولايات المتحدة وفرنسا في جهة واحدة ضد ألمانيا، لم يكن الاعتراف الأمريكي بنظام الحماية اعترافا مطلقاً، بل ربط بمدى احترام الفرنسيين لما سماه الأمريكيين بحقوقو الولايات المتحدة في المغرب، ومن جملتها "حق" الحماية القنصلية بالنسبة لعدد من الرعايا المغاربة.

وكان مشكل الحماية القنصلية بالذات يسبب إزعاجاً كبيراً لسلطات الحماية الفرنسية خاصة وأن بعض المحميين كانوا من العناصر الوطنية النشيطة المعروفة بعدائها لفرنسا، وقد حاولت الإدارة الفرنسية بكل الوسائل إقناع الأمريكيين بالتنازل عن امتيازاتهم بخصوص الحماية القنصلية والاقتداء ببريطانيا التي تخلت في سنة 1937 عن "حقها" في حماية المغاربة، لكن الولايات المتحدة ظلت متعلقة بامتيازاتها حتى سنة 1956.

وفي المجال التجاري استطاع الأمريكيون بفضل تشبثهم بميثاق الجزيرة الخضراء ومبدأ المساواة التجارية بين كل الدول المنصوص عليه في هذا الميثاق أن يحتلوا مكانة متميزة في مبادلات المغرب مع العالم الخارجي. فخلال العشرينات من هذا القرن كانت الولايات المتحدة تمثل المزود الأول للمغرب بمواد البترول والزيوت الصناعية، كما احتلت الرتبة الثانية بعد فرنسا فيما يخص بيع الآليات الزراعية والسيارات والدرجات. واستطاعت بعض الصناعات الأمريكية أن تغزو السوق المغربية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية.

مرحلة الحرب العالمية الثانية وما بعدها : إذا كانت الحرب العالمية الثانية قد شكلت هزة عنيفة بالنسبة للنظام الاستعماري ككل، فإن أثرها على نظام الحماية كان أقوى وأشد نظرا لعدد من العوامل، نذكر منها مشاركة المغرب الفعالة في الحرب، واستعمال أرضه كرأس جسر للقوة العسكرية الأمريكية التي حسمت الصراع لصالح الحلفاء، ثم أخيراً احتضان المغرب لمؤتمر أنفا 1943 وما تم على هامشه من لقاء هام بين السلطان محمد بن يوسف والرئيس الأمريكي روزفلت (انظر مادة "أنفا").

في يوم 8 نونبر 1942 بدأت تصل إلى شواطئ المغرب عشرات الآلاف من الجنود الأمريكيين ضمن إحدى أكبر عمليات الحرب العالمية الثانية (عملية "تورش" Torch) التي سمحت للحلفاء ، في أقل من ستة أشهر، بطرد الألمان وحلفائهم من الشمال الافريقي ككل. إن وصول الأمريكيين إلى المغرب لم يكن حدثا عسكريا محضا بل كان له أثر بالغ في نفوس المغاربة ووقع أكيد على مسيرة نضالهم ضد نظام الحماية. فالأمريكيون أظهروا للمغاربة من القوة العسكرية والتكنولوجية، بل وحتى الاقتصادية، ما زعزع هيبة فرنسا في أعينهم وجعلهم يتطلعون إلى دور أكثر إيجابية من طرف الأمريكيين لصالح قضيتهم.

أما الحدث الآخر الذي ميز العلاقات المغربية ـ الأمريكية خلال فترة الحرب العالمية الثانية فكان يتمثل في لقاء أنفا بين سلطان المغرب والرئيس الأمريكي. إننا لا نعلم بالضبط ماذا قيل خلال هذا اللقاء التاريخي الذي تم

على هامش مؤتمر أنفا، لكن يظهر أن روزفلت اكتفى بالإشارة إلى مبادئ وثيقة الأطلسي 1941 التي تنص على حق الشعوب في تقرير مصيرها، كما عبر عن قناعته بأن نهاية الحرب لا بد أن يتبعها تغيير في وضعية الشعوب المستعمرة، وإذا كان الرئيس الأمريكي قد تجنب تقديم وعد صريح لمساندة المطالب الوطنية المغربية، فإنه أظهر استعداد بلاده لمد المغرب بالمساعدة الاقتصادية الضرورية بمجرد ما يحصل على استقلاله.

ومهما يكن محتوى الحديث الذي دار بين محمد بن يوسف وفرانكلن وروزفلت فإن اللقاء في حد ذاته كانت له دلالة كبيرة بالنسبة للوطنيين المغاربة. فاستدعاء رئيس دولة يوجد "قانونيا" تحت وصاية دولة أخرى للجلوس مع رئيس أكبر قوة عسكرية واقتصادية في العالم كان حدثا أثر بشكل كبير على نفسية السلطان والشعب المغربي معا. وسواء قدم الرئيس الأمريكي وعودا بدعم نضال المغرب من أجل الاستقلال أم لا فإن الوطنيين المغاربة اعتقدوا ذلك، وليست المباردة بتأسيس حزب الاستقلال في نفس السنة بغريبة على هذا اللقاء.

إلا أن الآمال التي ربطها المغاربة على الدعم الأمريكي سرعان ما تبخرت في أجواء الحرب الباردة التي طبعت العلاقات الأمريكية ـ السوفياتية بعد سنة 1946، لقد تميز الموقف الأمريكي تجاه النضال الوطني المغربي بعد الحرب العالمية الثانية بنزعتين متناقضتين : كانت هناك من جهة النزعة التقليدية لدى الأمريكيين بمساندة الشعوب في تقرير مصيرها، وهو توجه تعزز بتطلع الولايات المتحدة إلى أن تلعب دوراً أكثر ديناميكية في اقتصاد مغرب مستقل، كما كانت هناك، من جهة ثانية، اعتبارات استراتيجية دولية أكثر أهمية كانت لها الغلبة في النهاية، وتمثلت في ضرورة دعم الحليفة فرنسا وتجنب كل ما من شأنه أن يضعف دول حلف شمالي الأطلسي أمام "الخطر الشيوعي" الذي أصبح الهاجس الأساسي لأمريكا في حربها الباردة مع الاتحاد السوفياتي. وهذه الاعتبارات هي التي فرضت تعاونا عسكريا وثيقا بين الولايات المتحدة وفرنسا تجلى فيما يخص المغرب بإقدام الأمريكيين على إنشاء خمس قواعد جوية بالمغرب صالحة لانطلاق الطائرات البعيدة المدى والمحملة بقنابل نووية.

المغرب والولايات المتحدة بعد الاستقلال : شكلت مسألة القواعد العسكرية الأمريكية أهم عقبة وقفت في طريق تطبيع العلاقات بين أمريكاوالمغرب المستقل. لقد اعتبر المغرب أن بقاء هذه القواعد بعد حصوله على استقلاله أمر يتناقض مع سيادته لأنها أقيمت فوق أرضه دون أن يطلب رأيه فيها، ولأنها تتنافى ومبدأ عدم الانحياز الذي اختاره نهجا لسياسته الخارجية. وقد سلك المغرب مسلك الاعتدال والحوار لتصفية القواعد العسكرية الأمريكية. ففي سنة 1959، عندما زار الرئيس إيزنهاور المغرب، استطاع محمد الخامس أن يحصل على وعد بإفراغ تلك القواعد مع نهاية سنة 1963. إلا أن انسحاب العسكريين الأمريكيين في تلك السنة لم ترافقه تصفية كلية للوجود العسكري الأمريكي بالمغرب. ذلك أن الولايات المتحدة احتفظت بقاعدة القنيطرة ومركزين للاتصال اللاسلكي بكل من بوقنادل وسيدي يحيى، وكانت هذه المنشآت كلها مرتبطة بالأسطول الأمريكي السادس. وعلى الرغم من الانتقادات الشديدة للوجود العسكري الأمريكي من طرف الأحزاب الوطنية المغربية فإن قاعدة القنيطرة بقيت تشكل مرتكزاً هاما بالنسبة للأسطول السادس حتى منتصف السبعينات، ولم تفرغ بصفة نهائية إلا في سنة 1978.

أما في المجال الاقتصادي فإن المصالح الأمريكية تبقى دون الأهمية السياسية والاستراتيجية التي يمثلها المغرب بالنسبة للولايات المتحدة. فقيمة الاستثمارات الأمريكية بالمغرب لا تتجاوز 60 مليونا من الدولارات (صناعة العجلات، بعض الصناعات الكيماوية)، كما أن المبادلات التجارية للمغرب مع أمريكا لا تمثل إلا حوالي 10٪ من مجموع التجارة الخارجية المغربية.

Hassan II, *Le Defi*, Paris, 1976 ; J. Bookin - Weiner, and M. el Mansour, éd, *The Atlantic Connection*, Rabat, 1988 ; J. Damis, *U.S-Arab Relations : The Moroccan dimenson*, Washington, 1986 ; Luela Hall, The United *States and Morocco*, 1776 - 1956, Metuchen, N.J, 1971.

محمد المنصور

أمريكا الشمالية واتفاقية التعاون

بتاريخ 27 مايو 1982. يبدو أن هذه الاتفاقية تعطي الحق للقوات الأمريكية بولوج القواعد المغربية سامحة لقوات التدخل والانتشار السريع بالتوقف للتموين. ويؤكد المسؤولون من الطرفين أن هذه الاتفاقية لا تسمح سوى بتسهيلات للقوات الأمريكية في القواعد المغربية.

أما على المستوى السياسي فإن ما يشد الانتباه هو التطور الغير المنتظم أو على العكس المنتظم في مدّه وجَزْره على وتيرة أسنان منشار. فالتقلبات عديدة بدأت غداة الاستقلال بالرفض الأمريكي تقديم المساعدة للمغرب نظراً للدعم الذي يقدمه هذا الأخير لحركة التحرر الجزائرية التي تكافح ضد فرنسا. وقد دفع به هذا مبكرا إلى الانفتاح على الاتحاد السوفياتي والاستجابة إلى محاولات تقربه. ونرى هذه التقلبات من تقارب وتباعد، وإقبال ونفور في مناسبات مختلفة : جو التعبئة العامة الذي جرت فيه المفاوضات من أجل الجلاء وإخلاء القواعد العسكرية في المغرب، في محاولة التقرب المغربية إلى الولايات المتحدة كبديل عن العلاقات مع فرنسا بعد أزمة 1965 مع هذه الأخيرة، وفي التشنج الذي أسفرت عنه علاقات التبادل التجاري مع كوبا التي أبقى عليها المغرب رغم اعتراض الولايات المتحدة، وفي رفض إدارة كارتر لتسليح المغرب ودعمه سياسياً في مرحلة دقيقة من التطور العسكري والدبلوماسي لقضية الصحراء ؛ ثم التحسن المفاجئ للعلاقات بين البلدين عند نهاية ولاية كارتر، ومعاهدة

التعاون العسكري في مايو 1982 الذي تلاه نوع من البرودة إثر إبرام اتفاقية وجدة التي عقدت نوعا من التحالف المغربي الليبي.

وهكذا فإن العلاقات المغربية الأمريكية تظهر على شكل توال لفترات برود متعددة كتعدد الفترات التي تتقوى فيها أواصر التقارب. وجدلية التقارب والقطيعة هذه، هل تعبر عن شيء آخر غير وزن التحولات الظرفية في العلاقات بين البلدين ؟ . ما هو المنطق الذي يحكم هذا التوالي من فترات "فقدان الاهتمام" وثم "زيادة الاهتمام" و"التعاطف" و"النفور" ؟.

يبدو أن العامل الاستراتيجي هو الحاسم في مواقف أمريكا وسلوكها، فمنظِّرو الاستراتجية الأمريكية يذكِّرون دائما بالموقع الرفيع الذي يحتله المغرب في البحر المتوسط والمحيط على مقربة من الممر الصحراوي الذي يطل على جزر الكناري الذي يمكن أن تراقب انطلاقاً منه الصلات البحرية بين افريقيا وأمريكا والجو المغاربي من جهة أخرى، فإن كون البحر المتوسط بحراً مقفلاً فمن الصعب دخوله والابحار فيه بكل حرية للحركة. لهذا يجب تأمين حرية المرور والحصول على قواعد، وموقع المغرب يسمح بذلك. من جهة أخرى فإن الأمريكان يرون في إسبانيا والبرتغال والمغرب مواقع قادرة على وقف منافسيهم من مد قوتهم على الأطلنتي من خلال المتوسط. وهكذا فكل شيء يؤهل المغرب في أعين خبراء الاستراتيجية الأمريكان ليكون موقع أمن خطير الأهمية، رغم كونه لا يكتسي صفة الأولوية من وجهة النظر هذه. والظاهر أن هذه الأهمية الاستراتيجية للمغرب لا تعني بالنسبة للولايات المتحدة تكثيف التعاون على الصعيد العسكري (المساعدة ضئيلة نسبيا) وعلى الصعيد الاقتصادي (التبادل التجاري والاستثمارات لا تكاد تذكر). فتونس التي لها أهمية استراتيجية أقل تعرف اهتماماً سياسياً أكبر وتتمتع أحياناً بعون عسكري أكثر من المغرب، والأمر كذلك بالنسبة للجزائر ذات القيمة الاستراتيجية الأقر ظهوراً، تعرف اهتماماً اقتصادياً أكثر من المغرب ومبادلاتها مع الولايات المتحدة أكبر حجماً.

Barrett (Robert. S) *U S policy in North Africa in American-Arab Affairs*, n° *13, été 1985*. Gallagher, Charles. F, *U.S. Nort Africa*. Cambridge. Mass, Harvard University Press, 1963 ; Parker Charles. H, *Regional tensions*, New York, Praeger 1984 ; *Appointment in Oujda. Foreign Affairs*, vol 63, n° 5, été, 1985. pp 1095-1110. Sefiani (N), *E. U. Maroc*, memoire D.E.S, Faculté des sciences juridiques, économiques et sociales, Rabat Université Med V ; Damis (J), *Les relations des Etats-Unis avec le Maroc, Maghreb-Machrek*, n° 111, Jan -Fev - Mar 1986, pp 5-23.

عبد الله ساعف

إمْرِيكْلِي، ناحية طبيعية بالصحراء المغربية، تقع جنوب رأس بوجدور بين النواحي الطبيعية التالية : الحسيان ودرعة افرافير والقراب. تنقسم الناحية إلى قسمين : إمْرِيكْلِي الأحمر، وإمريكلي الأبيض.

Camero Ruiz, Ismael, *Vocabulario geografico- sahariano*, Madrid 1955, p. 102-160.

أمْزَاغْ، أسرة تطوانية أصلها من صنهاجة، وقد كان جل أفرادها يعملون في الجندية حيث نجد المسمى عبد الكريم أمزاغ يعمل في فرقة المدفعية بحامية تطوان، وقد وقّع على وثيقة مبايعة مولاي سعيد بن السلطان مولاي اليزيد في 12 جمادى الثانية 1236 / 17 مارس 1821. كما نجد في حامية تطوان سنة 1246 / 1830 الجندي محمد أمزاغ. ومازالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الاخوان* ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*. 3 : 13 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ *تاريخ تطوان*، 8 : 213 و216 و351 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* , *Vademecum*. M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

الـ**أمْزالي**، عبد السميح الهشتوكي، نوازلي خط في النوازل محررات جمعت في مجلد ضخم، وبها ذكر بين المؤلفين السوسيين. توفي تقديراً أواخر القرن الحادي عشر الهجري.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 3 : 136 ؛ *سوس العالمة*، 186 ؛ *رجالات العلم العربي*.

الـ**أمْزَاوْرِي**، محمد بن ابراهيم الإلالني، قاضي إلالن في عصره، عظيم في علمه ومكانته، من مشايخ عبد الرحمان الجشمي. توفي تقديراً في أواخر العقد الرابع أو أول الخامس من القرن الثالث عشر (19 م)، مصنِّف ضمن المؤلفين السوسيين بكتابين : *حاشية على البخاري* ومجموعة *فتاو*.

الجشتمي، *الحضيكيون*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 200 ؛ *المعسول*، 6 : 55.

عبد الله درقاوي

أمْزَلاَگ، أسرة يهودية أصلها من المغرب، هاجر بعض أفرادها إلى البرتغال منهم :

أمزلاگ ليون، كان أحد مسيري الجماعة اليهودية بلشبونة عام 1853.

أمزلاگ موشي، حبر عاش بفاس، وتوفي بها عام 1621.

أمزلاگ موشي بن شباط، الأستاذ بجامعة لشبونة ورئيس رهبانية المارانيين البرتغاليين الذين عادوا إلى اليهودية، بعد أن اجتازوا، في هويتهم، قرون محاكم التفتيش، ألف عدة كتب في علوم شتى.

سيمون ليفي

أمْزْمِيز، مدينة من مدن دير الأطلس الكبير الغربي الواقعة عند مخارج الأودية الأطلسية جنوب مراكش، كأيت أورير وإيمي - نْ - تانُوت. تقع أمزميز عند منفذ وادي أنگال إلى السهل على ارتفاع 986م وعند قدم جبل أزرو ويزام (2286 م).

يمكن القول إن ذكر أمزميز باسم أمسميصي يعود إلى البيذق عند حديثه عن غزوات الخليفة عبد المومن. لكن يبقى مشكل تحديد طبيعة موضع المدينة مطروحا إلى غاية القرن السادس عشر، إذ اكتفى ابن خلدون بدوره بالحديث عن گدميوة وعلاقتهم بالمرينيين دون ذكر بلدة أمزميز، وخصص لها كل من الوزان ومارمول وصفا قصيراً يجمع على أنها من بناء الأقدمين، وربما يعتبر الاهتمام الذي أولاه السعديون للطرق التجارية السبب الذي دفعهم إلى بناء وإعادة بناء عدد لا يستهان به من القصبات على طول المحاور التجارية الكبرى، وخاصة طريق سوس على ممر تيزي - ن - ماشو التي ازدادات أهميتها مع احتلال السودان. كما تساعد قراءة *رحلة تاسافت* على رفع الغموض عن الكثير من جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمنطقة الأطلس الكبير الغربي خلال القرن الثامن عشر. مما يسمح بالقول بأن أمزميز على الأقل ابتداء من القرن الثامن عشر أصبحت تضطلع بوظيفة مخزنية إلى جانب الوظيفة التجارية التقليدية، وكونها توجد على ممر تجاري عند قدم الجبال جعلها وسيطا مخزنيا بين السهل (حيث خليفة السلطان) وبين الجبال (حيث أشياخ القبائل) غير أن أمزميز لم تعرف خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر نمواً حضرياً يذكر، كما يبدو من خلال أوصاف بعض الرحالة الأجانب الذين أعجبوا بها أشد الإعجاب (Z. Chatinières).

أما بداية القرن العشرين فستشهد تنافسا حول المدينة بين 1903 و1911 وبين كبار قواد الأطلس (الگندافي والأگلاوي والمتوگي) قبل خضوعها إلى الإدارة الفرنسية التي جعلت منها مقر دائرة تشمل منطقة نفوذ القائد الگندافي. إلا أنها فقدت وظيفتها كمحطة تجارية في طريق سوس بتحول القوافل عنها بعد فتح الطريق الثانوية رقم 501 الرابطة بين مراكش وتارودانت عبر تاحناوت وتيزي - ن - تاسْت ما بين 1924 و1928. في المقابل أصبحت أمزميز تقوم بدور الوصل بالنسبة لمدينة مراكش في إطار العلاقات الجديدة التي تربطها بالأرياف المجاورة. وقد ساعد على تعزيز هذه الوظيفة فتح الطريق الثانوية رقم 507 بين مراكش وأمزميز من جهة، وتزايد الأهمية التجارية لسوق أمزميز الأسبوعي ولسويقتها اليومية من جهة أخرى.

ومن البديهي أن ينعكس هذا التطور على النمو الديمغرافي لساكنة هذه البلدة أولاً وعلى مجالها المبني وحجم تجهيزاتها ثانيا، بل وعلى بنياتها الاقتصادية والاجتماعية ثالثا. ذلك أن المدينة عرفت ثلاث مراحل في نمو ساكنتها : مرحلة أولى جد بطيئة تعرف نمواً ديمغرافياً سنوياً يتعدى قليلا 1٪، حيث انتقل عدد السكان من 1739 ن سنة 1936 إلى 4036 ن عام 1960، ومرحلة أخيرة أبطأ من الأولى، حيث انتقل عدد السكان من 5210 ن سنة 1971 إلى 5853 ن سنة 1982، وبينهما شهدت المدينة نمواً متوسطاً نسبيا 2.34٪. ويمكن تفسير هذا البطء والتذبذب في تزايد سكان المدينة أساساً بضعف حصيلة الهجرة وتنوعها. ذلك أن المدينة خضعت بشكل ملموس إلى عملية استقطابها لسكان الوسط القروي المجاور، خصوصا بعد 1960، إلا أنها شهدت هجرة أقوى في الاتجاه المعاكس، خصوصا بعد 1971 عندما ازداد توافد جزء من سكان أمزميز على المدن الكبرى، وهي ظاهرة من شأنها أن تساهم في ترييف المدينة وتراجع بعض مظاهر تمدنها.

ومما لا شك فيه أن تزايد حجم التجهيزات العمومية وغير العمومية كان مغايراً لنسبة التزايد الديمغرافي بالمدينة. إذ استطاعت في إطار الوظيفتين الإدارية والتجارية أن تستقطب عددا لا يستهان به من المصالح، وخاصة تلك التي يغطي نفوذها الجماعات العشر والقيادات الأربع المكونة للدائرة (قيادات گدميوة وگندافة ووزگيتة وأولاد مطاع) كالمستشفى القروي والمؤسسات التعليمية الثانوية ومصلحة المياه والغابات مثلا. وبلغ عدد هذه المصالح 15 مؤسسة عام 1980، منها 9 مصالح ذات طابع تقني. كما تعتبر الوظيفة التجارية من أقدم وظائف المدينة، ولربما شكلت منطلق تكوين مثل هذا النوع من المراكز الموجودة على الممرات الجبلية وبين مجالين تجاريين أساسيين (منطقة سوس ومنطقة مراكش).

وتتجلى أهمية سوق ثلاثاء أمزميز في كونها تتعامل مع مدينة مراكش لتصريف المواد الخام والمنتجات الريفية والحرفية، زيادة على تعاملها التقليدي مع السهل والجبل لتزويدهما بالمنتجات الصناعية الحضرية. غير أن إشعاع هذا السوق بدأ يشكو من تزايد عدد الأسواق داخل كل منطقة، إذ وصل عدد الأسواق الكائنة بدائرة أمزميز أحد عشر سوقا، أي بمعدل سوق لكل جماعة قروية. وربما كانت هذه المنافسة من بين العوامل المفسرة لتزايد أهمية السويقة التي أصبحت في العقد الأخير تتحكم إلى حد بعيد في الإشعاع التجاري لهذه البلدة بما قدره 2630 متجر. تتمحور بنية السويقة التجارية والحرفية بالأساس، مثل باقي مدن الدير المجاورة، حول قطاع الحرف والخدمات (108 متاجر) والمواد الغذائية (101 متجر). وتظهر أيضا أهمية هذين النشاطين من خلال توزيع أرباب الأسر المشغلين حسب أنواع قطاعات الشغل، إذ يعمل 186 رب أسرة بالحرف والخدمات، و142 رب أسرة بالتجارة، مقابل 104 بالعمل اليومي، و97 بالفلاحة، و86 بالوظيفة العمومية، و20 بالعمل بالخارج.

ومما تجدر الإشارة إليه أن مجموع هذه التطورات كان لها انعكاس كبير على المجال المبني لبلدة أمزميز خلال العقود الثلاثة الأخيرة. ولعل أهم مظاهر هذا التحول هو بروز نوى سكنية جديدة إلى جانب النواة القديمة وإذا كان القسم المعروف بأمزميز يتألف من حي السور الجديد الذي تشغل فيه إحدى قصبات أمزميز القديمة ركنها الشمالي الغربي، وإذا كانت قصبة القائد تتموضع شمال الموضع الحالي للسوق الأسبوعية، فإن توسع المجال المهني شمل بالأساس الأحياء الآتية : درع السوق وأمادل على الضفة

اليمنى لوادي أمزميز، والحي الإداري ودوار ركراكة على الضفة اليسرى. إلا أن هذا التوسع بدأ يشكو من قلة الأراضي الصالحة للبناء نتيجة وجود عدة حواجز، منها على سبيل المثال الوادي نفسه والشعاب المنحدرة من الجبال المجاورة، وبساتين أشجار اللوز والزيتون التابعة لمصالح المياه والغابات.... وقد يكون هذا هو السبب في هيمنة الطابع القروي على السكن بأمزميز، كما يتضح من خلال نسب مواد البناء المستعملة من جهة (79٪ من الدور مبنية بالتراب المدكوك أو الطوبة مقابل 9٪ بالأسمنت و12٪ بالحجارة) والحالة التي توجد عليها المساكن من جهة أخرى (49٪ من الدور غير صالحة للسكنى و13٪ منها فقط جديدة). وهي عناصر تدل ولا شك على قدم بلدة أمزميز وعلى ضعف المستوى المعيشي لساكنتها إن لم نقل على تراجع مستواها الحضري.

وخلاصة القول، أن أمزميز تعتبر نموذجا للحواضر الصغرى القديمة التي ارتبط ازدهارها بتجارة القوافل من جهة، وبالوظائف المخزنية القديمة من جهة أخرى، والتي لم تستطع مسايرة التحولات التي أحدثها انفتاح المغرب، ومن خلاله منطقة الأطلس الكبير الغربي، على الاقتصاد النقدي التجاري.

البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج 4 ؛ ع. صدقي(تحقيق) *رحلة تاسافت* ، دكتوراة السلك الثالث، باريس، 1984. ماگالي مورسي (تحقيق). ث. بلور *(Th. Pellour)*، باريس، 1983.

E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1904 ; J. Dresch, *Documents sur les genres de vie*, Tours, 1941 ; Justinard, *Le Caïd El Goundafi*, Casablanca, 1952 ; H. Béguin, *l'Organisation*, Bruxelles, 1974.

أحمد بلاوي

أَمْزْوَارْ، كلمة أمازيغية تجمع على إمزوارن وهي

مأخوذة من فعل إزْوَارْ أو إزْوُورْ، الذي يعني : سبق / تقدم/ تراس. فـ "أَمْزْوَارْ" إذن تعني : السابق أو الأول / المتقدم أو المقدّم / الرئيس أو المترئس... في كل شيء ومن كل شيء، في الزمان والمكان، سواء تعلق الأمر بالإنسان أو الحيوان أو الجماد أو المعاني المجردة.

نجد أمزوار في المصادر المكتوبة بالعربية مرسومة هكذا : مزوار بحذف حرف "أ"، أو معربة أحياناً بلفظ مقدم أو نقيب.

إن الانتشار الواسع لكلمة أمزوار في المجال الأمازيغي، في مجموع شمالي إفريقيا، دليل على قدمها، وقدم المؤسسات الجماعية التي وظفت فيها.

وكلمة أَمْزْوَار لا تظهر، على مستوى الجماعات المحلية أو التجمعات الدينية أو الحرفية. ككلمة محملة بمضامين السلطة المخيفة أو القهر الجائر، بل محملة بمضامين الحكمة والرزانة والهيبة. لأن أَمْزْوَار في هذه الحالة، شخصية منبثقة عن الجماعة وباختيارها. ووظيفته هي حماية المصالح العامة، ودرء كل ما يهدد وجود الجماعة وتماسكها وأمنها.

وهكذا نتعرف على الكلمة عند البيذق بمعنى رئيس الفخذ أو القبيلة في نظام الموحدين، ويميز بين مزوار للقدَم، أعني الموحدين الأصليين، ومزوار للمضاف منهم، وهم المسمون بالغزاة (ص 47).

وقد استعملت الكلمة فيما بعد، في مختلف العصور، وفي كل مناطق المغرب الكبير، لقبا لشخصيات احتلت مناصب عالية في أجهزة مختلف الدول المغاربية. كما تسمى بها أشخاص احتلوا مناصب أقل أهمية سوء على مستوى المؤسسات المركزية أو المحلية.

وبقيت الكلمة بعد ذلك تطلق على رئيس الجماعة التي تشرف على تسيير شؤون القرية أو "القبيلة"، الذي يُنتخب أو يُعين لمدة سنة من بين أعضاء الجماعة. كما تطلق أحياناً على شخص يطلب منه أن يكون أول من يدشن عملا هاماً أو صعباً، تيمنا به واستجلابا للسعد والخير. وبهذا المعنى نلاحظ أنها تقترب كثيرا من لفظ أنفلوس.

وإذا كان أُمُوزّْ عند التارگيين (التوارگ) - وهي صيغة أخرى لأَمْزْوَار - كممارس للسلطة، يكاد يرادف أمغار فإنهما في نظرنا، يختلفان من حيث مصدر سلطة كل منهما، في البداية على الأقل. فالأول يستمدها من إرادة الجماعة، والثاني يفرضها بإرادته.

لقد توارت بعض استعمالات كلمة "أَمْزْوَار" في المجال التنظيمي ولكنها ماتزال حية في باقي المجالات الأخرى.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، باريس، 1928، ص 41-47.

Ch. de Foucauld, *Dictionnaire Touareg-Français*, t. IV, p. 1982 sq ; E. Destaing, *vocabulaire Français-Berbère*, Paris, 1920, p. 229 ; E. Laoust, *Siwa*, Paris, 1932, t. I, p. 244 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, pp. 62, 134, 122 ; *E.I.*, N.E. 1975, t. I, p: 1214 ; *E.B.* IV, pp. 622 sqq.

ملحوظة : في هذا المرجع الأخير مقال هام تتبع فيه صاحبه تطور استعمالات كلمة "أَمْزْوَار" عند الدول المغاربية. كما أعطى ببليوغرافيا موسعةجد مفيدة.

علي صدقي أزايكو

أَمْزْوَار، في البلاط المريني، شاع اطلاقه على

مسؤولين من درجة عالية وهو ما كان يقابل الحاجب في أنظمة إسلامية أخرى. وجرى استعمال لفظ "المزوار" بدل "أَمْزْوَار" في الدارجة وحتى في الكتابات الرسمية. وحسب ابن خلدون في *المقدمة*، وهو معاصر لبني مرين وخبير بمؤسسات الحكم لديهم، يشرف المزوار على الحرس السلطاني ويسهر على تنفيذ العقوبات ويراقب المعتقلين في السجون ويتولى الحجابة بين السلطان والعامة. وعلى هذا فالمزوار عند بني مرين أقل أهمية في منصبه من الحاجب لدى الحفصيين وأمويي الأندلس مثلاً حيث كان وسيطا حتى بين الوزراء والعاهل. وتكفي الإشارة هنا إلى دور كل من ابن تافرجين في تونس وأبي جعفر المصحفي في قرطبة، لكن الحفصيين خصّوا كل طائفة من الجند والأشياخ برئيس سموه بالمزوار.

ولم يكن قبل بني مرين وظيف رسمي يقابل المزوار أو الحاجب. لكن بعض المؤرخين كمؤلف *روض القرطاس*

يجعلون من بعض الشخصيات التي عرفت بقوة نفوذها في البلاط الموحدي حجاباً، كالأمير أبي حفص عمر لدى يوسف بن عبد المومن، والوزير ابن جامع لدى محمد الناصر. ولم يكن المزوار بالضرورة من أهل العلم، كما أنه لا يلزم أن يكون دائماً من انتماء اجتماعي معين. وقد ظل المصطلح لدى القصر السلطاني يتردد بنفس الاختصاصات تقريباً مع فروق حسب الظروف، من العهد المريني إلى العهد السعدي، ولكن استعمل إلى جانبه إيضاً لقب قائد المشور خصوصاً منذ العصر الوطاسي. وبهذه الصفة، فهو موضع ثقة العاهل إلى درجة كبيرة، حيث يجمع بين الحجابة وشؤون القصر الداخلية، ويتولى فتح أبوابه وإغلاقها.

وسجلت حالات من اتساع النفوذ لدى بعض الذين تولوامسؤولية المزوار كما هو الشأن في أبي العباس القبائلي الذي نكبه أحمد بن أبي سالم. ومن الذين حملوا لقب المزوار ومارسوا اختصاصاته عدد من العلوج والخصيان، كما نجد اليهودي خليفة بن حيون من حجاب يوسف بن يعقوب، ومنهم من تولى مهمات دبلوماسية أو عسكرية بالإضافة إلى مهمتهم المذكورة.

على أن هناك بعض التطور أيام السعديين فيما يرجع إلى اختيار غالبية "المزاوير" فهم إلا نادراً، عرب أو أمازيغ وأكثر هؤلاء مصامدة. وهناك بعض العلوج كرضوان وابن تودة. ومن جهة أخرى يروج في المصادر أيضاً لفظ الحاجب بدل المزوار، والأرجح أنه أقل استعمالاً في العرف الرسمي.

وأطلق "المزوار" بشكل شائع على نقيب الشرفاء. ويظهر أن مزوار الشرفاء أصبح لقباً واختصاصاً رسميين منذ العهد المريني على الأقل، أي ابتداء من القرن السابع (13م)، ونقابة الأشراف تقليد لمثيلاتها في الشرق الإسلامي الذي عرفها قبل ذلك بوقت طويل خصوصاً في بغداد. وعلى هذا كان لكل مجموعة سلالية من الأشراف مزوارها الخاص. وقد اعتنى المرينيون بالأشراف بعد غيبتهم الطويلة عن ساحة النفوذ ورفعة المكانة، ومزوار الشرفاء يختارونه بمحض إرادتهم وقد يزكيه السلطان. ففي المشرق كانت أنظمة الحكم لاسيما المماليك، تتولى في الغالب تعيين النقباء بصفة مباشرة، شأن كبار مشايخ الصوفية أيضاً. أما في المغرب فتكتفي الدولة بتزكية المزوار الذي ترشحه الهيئة العائلية المعنية في جهة من الجهات. ونادراً ما تتدخل لتفضيل أشخاص بذاتهم. ولم يختف لفظ المزوار بمعنى عميد الشرفاء حتى يومنا هذا بالرغم من استعمال مصطلح نقيب الأشراف إلى جانبه.

ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 7 ؛ *المقدمة* ؛ أ. القلقشندي، *صبح الأعشى*، 5 : 137 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 4 : 86 . 90 ؛ ع. بنشنهو، *البيان المطرب* ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، 2 : 104.

إبراهيم حركات

أمْزْوَار، والحجابة كما ورد في النصوص التاريخية. إذا كان ابن خلدون قد أنكر وجود خطة الحجابة عند المرينيين مشيراً إلى أن الذي كان يقوم مقام الحاجب هو المزوار، فإن جل المصادر الاخبارية تحدثت عن حجاب السلاطين ولم تشر إلا في القليل النادر للمزوار كخادم للسلطان المريني، بينما يتفرد ابن مرزوق، فيما نعتقد، وهو من أهم الذين وصفوا المخزن المريني من الداخل، يذكر عدداً من حجاب ومزواريّي أبي الحسن بشكل يظهر وكأنهما خطتان منفصلتان، في حين أنهما خطة واحدة كما سيظهر لنا من خلال حديثنا عن وظائف المزوار. ويزداد مشكل التسمية كمحتوى عندما تتجمع عدة خطط في شخص واحد، فيصبح المزوار أو الحاجب هو الكاتب أو الوزير أو صاحب العلامة أو يجمع بين جل هذه الوظائف مما يطرح صعوبة فرز الوظيفة الحقيقة لخطة المزوار.

عرّف ابن خلدون في *المقدمة* بخطة الحجابة عند المرينيين، فأنكر أولاً وجود هذا المنصب لدى دول زناتة، وأعظمها دولة بني مرين، لكنه وصف في نفس الوقت من كان يقوم مقامه أي المزوار، فهو عنده المقدم على الجنادرة المتصرفين بباب السلطان في تنفيذ أوامره وتصريف عقوباته وإنزال سطواته وحفظ المعتقلين في سجونه، فالباب له وأخذ الناس بالوقوف عند الحدود في دار العامة راجع إليه، (*المقدمة*، 428 . 429).

نجد هنا العناصر الأساسية للتعريف بالمزوار والمهام الأساسية التي كانت توكل إليه من حرص على أمن السلطان، ووقوف على تطبيق قراراته، وإشراف على مراسيم استقبال رعاياه. كما أن هذا التعريف ساعدنا على فهم نصوص أخرى وردت بها أوصاف حية لمهام بعض من تولوا خطة المزوار، وهكذا فإن إشارات مفيدة وردت عند ابن مرزوق تمكن من الاقتراب أكثر من التعرف على موقع المزوار بداخل الجهاز المخزني المريني، حيث جاء في *المسند* أن علال الهسكوري، وهو حاجب أبي الحسن، كان عند مخدومه بمنزلة الولد الأنجب فلا يخفي عنه أمراً ولا يدبّره دون مشاركته، يطلعه على أحوال أهله ويأذن له في الدخول إلى محله... تولي تربية الأصاغر، وتدبير أمر الأكابر، فهو مع الأولاد ومع الفتيان (...) إذا حضر الوزراء فهو أولهم، وإذا اجتمع الجلساء فهو واسطة عقدهم (*المسند*، 367).

والواقع أن هذه المواصفات التي تبرز أهمية المزوار، كانت تنطبق على العديد من الذين تولوا هذا المنصب، خاصة وأن تأثير هؤلاء كان أكبر حجماً في ظل دول سلاطين اتسموا بالضعف إزاء حاشيتهم، وأهمية هذا المنصب هي التي جعلت بعض الحجاب يساهمون في تولية بعض السلاطين كما هو الحال بالنسبة للمزوار عبو بن قاسم الذي تولى بيعة أبي الحسن المريني (*العبر*، 7 : 526). وعليه فإن ملاحقة النصوص التاريخية وعبرها سير بعض الحجاب، تكشف لنا عن العديد من الأدوار والوظائف التي كان يقوم بها المزوار.

وإذا تركنا جانبا تداخل خطة المزوار مع وظائف أخرى هي من اختصاص الوزير أو الكاتب أو صاحب العلامة، فإن

المزوار كان دوره محدداً في جوانب تتعلق أساسا بشخصية السلطان وحاشيته وعلاقته بالعالم الخارجي، فهو المكلف بأمن مخدومه إذ هو "صاحب الشرطة العليا"، (*ورقات*، 61) الذي يقوم بسد أبواب القصر وفتحها (*جذوة*، 125. 126). ولما كان المزوار يتمتع بثقة السلطان، كالحاجب، فإنه كان يخالط الحريم ويسهر على تربية الأبناء ويقضي حاجيات أهل البيت (*المسند*، 338 و339). ومن جهة ثانية، فإن المزوار كان صلة الوصل بين السلطان وموظفيه ورعيته، وفي هذا المجال تبدو خطة الحجابة بشكل أكثر وضوحاً (*Les premiers sultans*, p.110). حيث يقوم بتطبيق أوامر السلطان وينظم لقاءاته مع موظفيه ويحجب أسراره عن مجالسيه. وهي وظائف كانت تتطلب من صاحبها التمتع بالرزانة والحكمة. ولربما أدى اندفاع المزوار إلى ممارسات تتجاوز حدود الحجابة خاصة عندما يتولى هذا الأخير خططاً أخرى كالعلامة أو الكتابة أو الوزارة (*Société*, p. 264) ؛ أو عندما تذوب شخصية السلطان أمام مزواره كما حدث خلال حجابة اليهودي خليفة بن حيون ابن وقاصة الذي بلغ عند أبي الربيع حظوة لم يبلغها عنده أحد بحيث يقصر عنها الوصف حتى إن جميع الجيش ينادونه بسيدي أبي خزر... كل ذلك لتعظيم أبي الربيع سليمان له وتوليته التصرف في دولته وتخوفاً منه (*بيوتات*، 58. 59). ولذلك كان كبار موظفي القصر يترددون إليه (A. Khanchoubi, *Les premiers Sultans*, p. 110).

ومقابل هذا كانت تهبّ لحظات تاريخية تنمحي فيها وظيفة المزوار، أو تتقلص، وذلك عندما كان يخضع القصر السلطاني لأحد الوزراء كما حدث عند وفاة أبي عنان وبعده.

يظهر أن خطورة خطة المزوار دفعت بالسلاطين المرينيين إلى اعتماد مقاييس ثقافية واجتماعية في اختيار محل ثقتهم. فقد أقصى السلاطين الأشخاص المنتمين للأسرة المرينية، حيث لم نعثر ضمن لائحة الحجاب على أي مزوار له علاقة قرابة دموية أو قبلية بالسلطان، في حين أسندت هذه الخطة لأشخاص كانوا إما من العبيد أو من اليهود أو من الفقهاء أو من بعض أهل "الخبرة" المنتمين لعصبيات غير العصبية الحاكمة.

وهكذا نجد السلاطين المرينيين، وخصوصا منهم الأوائل، اعتمدوا على العبيد واليهود، فيعقوب بن عبد الحق كان حاجبه من الموالي وهو عتيق الخصي، وكان لابنه يوسف حاجب من العبيد وهو عنبر الخصي، كما كان لأبي ثابت حاجب هو مولاه فرج الخصي. ويبدو أن سمة الخصي المرتبطة بهؤلاء تحيلنا على شدة التصاق المزوار بمخدومه ومخالطته للحريم بوجه خاص. أما بالنسبة لليهود فإن النموذج الأكثر تعبيراً هو حالة اليهودي خليفة ابن وقاصة، الذي يبدو أن اختياره كحاجب يدخل ضمن اعتماد بعض السلاطين المرينيين على العنصر اليهودي في تسيير شئون الدولة (*Société*, p. 266) إلا أن أكثر الذين تولوا الحجابة عند المرينيين كانوا من أوساط المتعلمين؛ ومعظم هؤلاء تسلقوا سلم الإدارة المرينية إلى أن أوصلتهم كفاءاتهم العلمية وحنكتهم السياسية إلى الحجابة أو ما يضاهيها. وقد اهتمت كتب التراجم بهذا الصنف من الحجاب، وهو ما يفسر في نظرنا توفر معلومات مهمة عنهم، ومن نماذج هؤلاء عبد الله بن أبي مدين الذين كان فقيها مشاركاً تدرج من خطة العدالة ليصل إلى خطة الحجابة ثم الكتابة بعدما زاول عدة وظائف بالقصر أثبت خلالها تعلقه بالسلطان وتفانيه في خدمته (*جذوة*، 438. 439). وهناك أيضا أسرة الكنانيّين التي توارثت العلم والخطة (*جذوة*، 438)، ويمكن أن نذكر مع هؤلاء ابن مرزوق الخطيب حاجب أبي الحسن، ومحمد التميمي حاجب أبي عنان. ويبدو أن التكوين العلمي لهؤلاء وأيضا حنكتهم السياسية هما اللذان دفعا بهم إلى الجمع بين عدة مناصب. فضمن هؤلاء كذلك نعثر على الذين قاموا بأدوار خطيرة في جهاز الدولة ومارسوا تأثيرات مهمة على مخدوميهم حتى أصبحوا هو الممارسين الفعليين للسلطة.

وفي ثنايا المصادر أسماء بعض الحجاب الذين يظهر أن اختيارهم قد تكون له علاقة بأصلهم القبلي، وهو ما نلمسه في حجابة أبي حسون علال الهسكوري، وعبد الله الزرهوني، وعمر بن عبد الله بن علي الياباني، وعمر بن ميمون امحمود الهسكوري. إن اختيار هؤلاء ممن ليسوا من أهل العلم، كما تنعتهم بذلك بعض المصادر، قد حددته بلا شك تجربتهم في الرآسة.

ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ م. ابن مرزوق، *المسند* ؛ إ. ابن الأحمر، *مستودع العلامة* ؛ *بيوتات فاس الكبرى* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة* ؛ م. المنوني، *ورقات*.

M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc* ; A. Khanchoubi, *Les premiers sultans mérinides* 1269 - 1331, Paris, 1987.

عمر بنميرة

إمْزُوغْ، اسم فرقة من قبيلة تدغة، وإمْزُوغنْ اسم فرقة من قبيلة إنمّيغرنْ وهي التي بنى في أرضها سد للأ تاكركُوسْتْ جنوبي مراكش. والاسم يدل على الحمرة، وهو من نفس الجذر الذي اشتق منه اسم إمازيغن الاسم الأصلي للبربر، وتأول بعض الدارسين أنه يقابل معنى "حمْيَر" الشعب المعروف، واستدل به على عروبة البربر المتأصلين من حمْيَر اليمن. وليس محققا أن حمير هو ابن سبأ وليس متفقاً على أن اسمه من لبس الأحمر. وقد يكون من أوجه التأويل المحتمل أن يفيد جذر زغ الذي منه إمزوغن وإمازيغن معا معنى آخر هو الغربة والتغرب، وإن كان الغالب على حرف الغين اليوم بهذا المعنى أن تنطق جيما بدوية فيكون زُگْ بمعنى تغرّبْ. وإذا أقحمت الدال وهي من أحرف الزيادة بين الزاي والغين جاءت زدغ لتفيد عكس معنى الغربة وهو الاستقرار والاستيطان الذي منه أسماء عدد من الفرق كإداوْزْداغْ عند المصامدة وزداجة المذكورة في

بطون البربر من قديم. وبالقلب في ترتيب الدال والغين مع وضع الراء محل الزاي تفيد كلمة دغ ر نفس معنى الاستيطان عند صنهاجة أو زناتة، ومنها المدغري أو المضغري وأدغار أو أضْغارْ مسكن الرجل وبلده.

أحمد التوفيق

أمْزْيان، حمادي بن عبد الله، ولد سنة 1900 بأيت فتاتن، فرقة أولاد حساين، قيادة بني عمارت، إقليم الحسيمة، التحق بصفوف جيش التحرير وعمل تحت قيادة علوش محمد ،مزيان إلى أن استشهد أثناء إحدى المعارك على إثر إصابته بالرصاص، وذلك في شهر شتنبر 1956 بباب الحيط ناحية الحسيمة.

أمزيان، محمد ولد سنة 1938 بدوار اخْوانَا، إقليم تازا، انضم إلى صفوف جيش التحرير بالشمال منذ 1 / 10 / 1955، غير أنه ما لبث أن لقي مصرعه برصاص المستعمر في معركة اخْوانا يوم 18 / 10 / 1955..

أمزيان، محمد حمُّوش، ولد بمدشر اغماتا بعين زروة، إقليم الناضور سنة 1911. وعندما اندلعت عمليات جيش التحرير بشمال المغرب يوم ثاني أكتوبر 1955 انخرط في صفوفه، وشارك في المعارك التي خاضها تحت القيادة المباشرة للسرجان الحسن إلى أن استشهد يوم 30 أكتوبر سنة 1955 في بوغرارة بناحية بوسكرة.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

أمزيان، محمد الشريف، زعيم الريف الأول. ولد حوالي سنة 1860 م بقرية أزغنغن من قبيلة أيت بويفرور (إحدى القبائل الخمس التي تتكون منها قلعية) الواقعة جنوب مدينة مليلية، من أسرة شريفة يتصل نسبها بالحسن بن علي وفاطمة بنت رسول الله (صلعم).

حفظ القرآن الكريم على يد والده في الزاوية التي كان يتزعمها وتعرف بزاوية سيدي أحمد بن عبد السلام بن صالح في نفس القرية (ازغنغن). وكان للأب نفوذ كبير في كل القبيلة بفضل مواقفه المشرفة وسعيه الدائم لاصلاح أمور الناس. وبعد وفاته خلفه ابنه محمد أمزيان على رأس الزاوية المذكورة.

تعاطى الشريف أمزيان تجارة البقر والبغال متنقلاً ما بين الريف والجزائر، فاشتهر بين القبائل التي كان يمر بها، بالتواضع والفضيلة وحب الخير والغيرة عن الوطن، مما أكسبه حب واحترام الجميع لدرجة أن قبيلة كبدانة زوجته إحدى بناتها، وفتحت بأرضها فرعاً لزاويته ببرج سيدي بشير (رأس الماء) في موضع مقابل لجزر ملوية المحتلة. وبهذا توثقت صلاته بهذه الجهات وشاع صيته بها.

يضاف إلى ما سبق ما اقترن به اسمه داخل قلعية وخارجها من مبادرات تلقائية دؤوبة لمصالحة المتخاصمين، وفك النزاعات وإخماد الفتن، رصيده في كل ذلك نسبه الشريف أولا، ثم استقامته وورعه وبراعته في الإقناع ثانيا، وكانت تدخلاته هذه غالبا ما تكلل بالتوفيق.

ولكل ذلك، كانت تقصده الجموع الغفيرة من المسافرين الريفيين إلى القطر الجزائري للسير في ركابه والاحتماء بحرمته من أخطار الطريق بسبب انتشار قطاع الطرق واضطراب أحوال تلك المناطق. وهكذا اشتهر بين القبائل الريفية كزَطَّاط يوفر الأمن التام لكل من سافر في ركابه.

وسارت حيَاته على هذه الوتيرة إلى تاريخ وصول الثائر بو حمارة إلى قلعية حيث تغير مجرى حياته.

ذلك أن الجيلالي الزرهوني المدعو بوحمارة كان قد ثار بنواحي تازا، منذ أواخر سنة 1902 على المولى عبد العزيز، ففكر هذا الأخير في خطة لتطويق الثائر من الخلف وقطع اتصاله بالبحر من جهة الشمال. فأرسل كلا من المولى عرفة والشريف محمد الامراني إلى المنطقة الشرقية بهدف تجنيد جيش يهاجم تازا من الشمال والشرق. وحين وصلا إلى مليلية في فبراير 1903 بدون جيش ولا أطر مقتدرة وجدا بأن دعوة بو حمارة قد لقيت آذاناً صاغية من بين سكان هذه المنطقة خاصة بعض الأعيان من ذوي النفوذ كالشاذلي وبن شلال وأزماني... بينما اتخذ الباقي موقف المتفرج المترقب، رغما عن الرسائل التي كانوا يتوصلون بها من بو حمارة يدعوهم فيها للانضمام إلى حركته. فخيم على المنطقة بسبب ذلك هدوء يشبه الذي يسبق العاصفة، وقد انفجر هذا الوضع فجأة عندما حاول ممثلا المخزن الشروع في تنفيذ المهمة التي قدما من أجلها. فظهر على الساحة فريقان، أحدهما مناصر للمخزن ذو امكانيات محدودة، وآخر موال لبوحمارة، تعاظمت قوته في مدة وجيزة، فزحف على قصبة فرخانة (دار المخزن) التي كانت ترابط بها حامية مخزنية

تحت قيادة البشير بن سناح، حيث حوصرت واحتلت يوم 13 أبريل 1903 بعدما فر من كان بداخلها من جنود إلى مليلية الواقعة على مسافة قريبة جدا منها بعد مقاومة مستميتة، ليبحروا بعد ذلك بأربعة أيام في اتجاه طنجة. كما التجأ إلى نفس المدينة أنصارالمخزن من سكان قلعية هروباً من بطش الثوار. وكان على رأس الفريق المناصر للمخزن كل من الشيخ أحمد بن عمر أوعاس المزوجي ومحمادي بن علي بن زريوح الفرخاني والشريف محمد أمزيان.

كان أمزيان قد انضم إلى صفوف أنصار المخزن منذ الوهلة الأولى، فحارب ضد بوحمارة باللسان والسلاح، محذراً سكان الريف من كذبه، مبيناً لهم أن اسمه الحقيقي هو الجيلالي الزرهوني وليس المولى امحمد بن الحسن كما كان يدعي. وقد وجدت دعايته صدى لدى سكان هذه المنطقة مما جعل بوحمارة يصدر أوامره بالقبض عليه. لكن تقدير الناس له جعل بعضهم يعلمه بما يدبر ضده، فاسرع في الخروج من داره مع بعض اتباعه متوجهاً إلى ملوية حيث يخيم الجيش المخزني الذي كان قد توجه إلى هنالك، فحارب في صفوفه، وذلك في مستهل سنة 1907م. ولما اضطرت بقايا هذا الجيش إلى الدخول إلى مليلية في يناير 1908م بعد استنفاذ كل طاقاته ووسائله الحربية وفقد الأمل في وصول الإمدادات المخزنية إليه، وجد في أمزيان خير مؤازر ومدافع، وكان هو أيضا من بين الملتجئين إلى مليلية. لكن أحداثاً خطيرة وقعت بالمنطقة في هذا التاريخ.

فقد أقدم الإسبان على احتلال رأس تينگا "Restinga" (أركمام) في 14 فبراير سنة 1908، ثم برج سيدي بشير (رأس الماء) Cago de Agua في 12 مارس من نفس السنة من غير أن يحرك بوحمارة ساكناً. وكان قد رخص قبل ذلك (يونيو 1907) لشركتين معدنيتين : الأولى إسبانية (Sindicato espanol de minas del Rif) والثانية فرنسية (Compania Norte Africano) بالشروع في إنجاز الأشغال لاستغلال مناجم الحديد والرصاص الواقعة بأيت بويفرور (ويكسان وأفرا بالتوالي)، وإقامة خطين للسكك الحديدة لربط هذه المناجم بميناء مليلية. وهكذا انكشف تواطؤ بوحمارة مع الأجانب ضد استقلال البلاد ووحدتها. ومع ذلك لم يستطع سكان الريف فعل أي شيء. لأن أي مقاومة للإسبانيين ستتحول حتما إلى مواجهة ضد سلطانهم المزعوم. أضف إلى ذلك ما كانت تعانيه القبائل من الضغائن وديون الدم وغير ذلك من مظاهر التنافر والانقسام وإذا كانت الصورة تبدو قاتمة للوهلة الأولى، فإن توفر الريف على شخصية كالشريف أمزيان كان كافياً لتغيير هذه الصورة جذرياً.

انتقل محمد أمزيان من مليلية إلى برج سيدي بشير المحتل، محرضا السكان على الثورة ضد بوحمارة علانية وضد الاحتلال الإسباني خفية. لكن سلطات الاحتلال أبعدته من هناك بسبب نشاطه الملحوظ ضد الإسبانيين، وأرجعته إلى مليلية ووضعته تحت المراقبة. فمكث بها بضعة أشهر دأب خلالها على إقناع الحاكم العسكري لمليلية الجنيرال خوسي مارينا José Marina بالسماح له بمغادرة مليلة، ثم التوسط له لدى بوحمارة، فسمح له بالرجوع إلى قبيلة أيت بويفرور. وهكذا نجح في الإفلات من المراقبة المفروضة عليه، فانطلق متنقلا بين الأسواق والقبائل يدعو الناس للثورة ضد بوحمارة واقتفاء أثر الأمة في مبايعة المولى عبد الحفيظ. فوجدت دعوته استجابة تلقائية وسريعة أينما حل وارتحل، بسبب انكشاف أمر الفتان من جهة، وبسبب الإجماع الوطني حول سلطان الجهاد من جهة أخرى. وبينما كانت كلمات أمزيان تجد طريقها إلى أعماق الريفيين الذين التفوا حوله بهمة وتطلع. كان جشع بوحمارة وتواطؤه يقودانه إلى قبيلة بني ورياغل، حيث مني فيها بهزيمة نكراء، مما أرغم قواته على الانسحاب وسط قبائل تتأجج ثورة ضد سلطته وضد الاحتلال الإسباني في آن واحد. وذلك بفضل نشاط أمزيان الذي أقدم على إيقاف الأشغال المعدنية في المناجم وفي الخطوط الحديدية. لذلك اجتمعت القبائل على اختياره قائدا لها في أكتوبر 1908. ثم بايعت المولى عبد الحفيظ في نفس الاجتماع. فلم يعد من اختيار أمام بوحمارة سوى الانسحاب النهائي من سلوان في آخر سنة 1908، مخلفا وراءه إرثا ثقيلا بالمشاكل.

استغل الإسبانيون حالة الفراغ السياسي الناتج عن غياب سلطة فعلية للمخزن في المنطقة، فضلا عن المشاكل المستعصية التي كان يواجهها في هذا التاريخ من الدول الأوربية، فأقدموا على استئناف الأشغال المعدنية التي توقفت غداة ثورة القبائل ضد سلطة بوحمارة، معتمدين على عملائهم المبثوثين بين صفوف السكان، وذلك في 7 يوليوز 1909 مما خلق حالة استنفار عامة بقلعية. فعقد زعماؤها سلسلة من الاجتماعات دون أن يتمكنوا من اتخاذ موقف حاسم بشأن هذه المسألة بسبب انقسامهم بين مؤيدين ومعارضين. إذ كان "أصدقاء" اسبانيا قد تقوى حزبهم وتكاثر عددهم بفضل إغداقات الإسبانيين عليهم، ومنحهم امتيازات تجارية وإمدادهم بالسلاح الحديث، فأصبحوا ينادون جهرا بالسماح للإسبانيين بمد الطريق المذكور واستغلال المناجم متذرعين بالفوائد التي من شأنها أن تعود على سكان المنطقة من دخول الإسبانيين إلى الريف.

إلا أن هذا المخطط الاستعماري اصطدم بمعارضة شديدة من طرف أمزيان الذي رفض كل العروض التي قدمها له الجنيرال مارينا، وأقسم على ألا يوافق على بيع شبر واحد من أرض المغرب، مصراً على أن الفصل في مثل هذه القضايا (أي مد السكك الحديدية واستغلال المناجم) يرجع إلى السلطان وحده، وما على الإسبانيين إلا أن يتوجهوا إليه فيما يطلبون. لكن خطة اسبانيا كانت تهدف إلى إقصاء المخزن من هذه المسألة حتى تتجنب الخوض في مصداقية العقود التي أبرمتها مع الفتان علماً بأنها لم تعترف به، لذلك كانت تتعمد إظهار المخزن للقبائل في صورة الضعيف العاجز أمام قوتها وإرادتها، وبأنها هي

الآمرة الناهية في المنطقة لتنقاد القبائل للتعامل المباشر معها دون وساطة المخزن.

لم يكن أمزيان غافلا عن هذه المكائد، لذلك أقنع قلعية بإرسال وفد عنهم إلى فاس لعرض القضية على السلطان. إلا أن المولى عبد الحفيظ كان يواجه في هذا الظرف أوضاعا صعبة بسبب مواجهته مع الدول الأوربية، واكتفى، حين استقباله لهذا الوفد بعد شهور من مقامه بالعاصمة، بإخبارهم بأن الحرب قد نشبت بين إخوانهم الريفيين والإسبان، ثم أمرهم بالالتحاق ببلادهم دون إعطائهم جوابا عما بعثوا من أجله من طرف أهل الريف.

ذلك أن الجنيرال مارينا عمد إلى استعمال عملائه لتعميق شقة الخلاف وإثارة البلبلة بين صفوف القبائل حتى لا تتوصل إلى أي إجماع لإيقاف الأشغال الجارية في ورش بناء السكة الحديدية. لكن الشريف أمزيان فطن لخطورة هذا الوضع فقرر وضع حد بالفعل لتذبذب المواقف، فقاد هجوما على ورش الأشغال بموضع "سيدي موسى" الواقع على بعد ستة كلم من قبيلة مليلية صبيحة يوم 9 يوليوز 1909، استغله مارينا للخروج بجيشه من مليلية، متوغلا في أراضي قلعية، فاحتل بعض المواقع الإستراتيجية جنوب مليلية.

كان هذا الحدث بداية صفحة مشرقة من الكفاح والتضحية، انضافت إلى سجلات النضال الوطني الزاخر لهذه المنطقة، خاض فيها سكان الريف بزعامة الشريف أمزيان حربا حقيقية طيلة ثلاثة أعوام ضد قوات الاحتلال الإسباني.

فعندما اندفعت جحافل هذا الجيش لغزو البلاد، تصدى لها سكان القبائل الريفية بزعامة أمزيان، فخاضوا عشرات المعارك التي أبدوا فيها من البطولة والإقدام والثبات وفن القتال ما يعجز عن وصفها قلم، فزرعت انتصاراتهم المتتالية على الغزاة الذعر في الرأي العام الإسباني الذي عبرت بعض فئاته عن معارضتها لهذه الحرب.

أما الحكومة الإسبانية فقد حشدت قوات ضخمة فاقت ستة وأربعين ألفا، مكونة من نخبة جنودها وضباطها مزودين بأحدث الوسائل الحربية، للقضاء على "أسطورة" مقاومة الريف للأجانب ! إلا أن هذه القوات وجدت صعوبة كبرى في التقدم، لدرجة أن إحدى الفرق الإسبانية الممتازة التي استقدمت من العاصمة مدريد بقيادة الجنيرال الشهير بينتوس Pintos اندحرت بقائدها وضباطها وجنودها وعتادها أمام رجال الريف في موقعة إغزر (أخندوق) أشنّ، المعروفة لدى الإسبانيين بـ : "El Barranco del Lobo" (أي وادي الذئب)، وذلك على أبواب مليلية، يوم 27 يوليوز 1909. ثم توالت انتصارات المجاهدين ملحقة خسائر جسيمة بصفوف الغزاة، خاصة عندما أصبحت الحكومة الإسبانية تتعجل الإنهاء الرسمي لغزوها لأرض الريف، ذلك الغزو الذي حاولت إخفاءه وراء عمليات البوليس !، حتى لا يتبين الرأي العام حقيقة عجزها في الحرب الاستعمارية التي كانت تخوضها في المغرب. ورغم أن الحكومة أعلنت انتهاء العمليات العسكرية في الريف رسميا بعد احتلالها لموقع ازْغنغن في آخر سنة 1909، فإنها واصلت زحفها نحو الجنوب الشرقي لمليلية لدفع احتلالها وإيصاله إلى واد ملوية، الحد الفاصل بين منطقتي الاحتلال الإسبانية والفرنسية.

أما المخزن الذي تقدم باحتجاج إلى عميد السلك الديبلوماسي وإلى السفارة الإسبانية بطنجة، ثم طالب بالحاح بجلاء القوات الإسبانية عن المناطق المحتلة بالريف خلال سفارة ألفونسو ميري ديل بال Alfonso Merry del Val إلى فاس، فإنه لم يلبث أن تحطمت مقاومته الديبلوماسية ورضخ للضغوط الإسبانية المساندة من لدن كل الدول الأوربية، ولم يجد بداً من قبول شروط الاتفاق المغربي الإسباني الموقع بمدريد في 16 نوفمبر 1910 الذي خول اسبانيا امتيازات كثيرة في المغرب، وكرس احتلالها للمناطق التي استولت عليها. وأصبح بامكانها أن تحتل ما شاءت من بلاد الريف تحت قناع عمليات البوليس بواسطة القوة المخزنية المنصوص عليها في الفصل الثالث، التي تتلقى الأوامر مباشرة من الحراب الإسباني ! والمندوب العالي المخزني المفوض في الريف، وقد أصبح هذا أداة طيعة لتنفيذ سياسة الإسبان التوسعية في المنطقة.

أما الشريف أمزيان فإنه انتقل إلى الضفة اليسرى لنهر كرط بقبيلة بني سعيد، مع من رفض الرضوخ للمستعمر من سكان قلعية، فتمركز بسوق جمعة ماورُو ذي الموقع الاستراتيجي، الذي يسمح له بمراقبة تحركات العدو من غير أن تصله نيران المدافع الإسبانية. وكان قد قبل وساطة المندوب المخزني لإقامة السلم مع سلطات الاحتلال على أساس عدم عبور الإسبانيين لنهر كرط أو احتلال مواقع جديدة، لكن يبدو أن ذلك كان مناورة من جانبهم هدفوا من ورائها لكسب الوقت لتعزيز تحصيناتهم والتفرغ للجبهة الغربية (جبالة). ولم يكن هذا خافيا على أمزيان، لذلك سن نظام " النوبة" القاضي بانتداب كل قبيلة من القبائل غير المحتلة لعدد معين من المقاتلين يتناوبون على المداومة في رباط المجاهدين (اجنادة)، إضافة إلى العدد القار من المجاهدين المهاجرين من قلعية، تحت قيادة أمزيان.

اعتقد الإسبان بأن الفرصة سانحة لمواصلة توسعهم فيما وراء كرط، لما لاحظوه من قلة عدد المجاهدين حول أمزيان. إلا أنهم عندما استأنفوا تحركهم، وجدوا أنفسهم متورطين في حرب حقيقية مختلفة عن السابقة 1909، لأن المجاهدين تحولوا من وضع الدفاع إلى الهجوم العام، مخترقين تحصينات العدو، متوغلين داخل القبائل المحتلة لاستنهاضها ضد الاحتلال. وأصبح الوضع خطيراً بالنسبة للغزاة بحيث استوجب حضور وزير الحربية الإسباني إلى ميدان المعارك ليتولى قيادة العمليات الحربية بنفسه، وفي الوقت الذي كانت فيه اسبانيا والرأي العام الخارجي يترقبون تحقيق نصْر حاسم في الريف على يد وزير الحرب،

مُنيت الجيوش الغازية بفشل ذريع وهزائم متتالية، زعزعت كيان الإسبانيين، خاصة وأن "جراح" هزائمهم في الريف 1893 و1903 لم تندمل بعد. فوقفوا مندهشين أمام هذه الظاهرة العجيبة، وانشغلوا بالبحث عن سر هذه الطاقة المتجددة، فخلصوا أخيراً إلى أنها تكمن في شخصية الشريف أمزيان «الذي حارب ضد سلطة الروگي - يقول تقرير لمصالح الاستخبارات الإسبانية وظل وفيا للمخزن... واكتسب شرعية أكثر منذ تصديه لمحاربة الإسبان في 1909م، فنال بذلك مزيداً من النفوذ والصيت... إنه روح الحركة الموجهة ضدنا حاليا، والتي عرف كيف يحافظ على استمراريتها بفضل مواهبه وكلامه الحاذق البارع المقنع الذي ينفذ إلى الأعماق...».

لما تيقن الإسبان بأن طريقهم إلى الريف يمر عبر أمزيان، كتب وزير الحربية إلى قائد قوات الاحتلال بقطاع مليلية يقول له إذا كانت «... القذائف الصفراء [يقصد المال] ستصلنا بأمزيان... فإن كل ما ينفق في سبيل ذلك يظل رخيصا» بمقارنته مع مقابله. لكن ثبات موقف أمزيان ورسوخ مبدئه جعل الإسبانيين يرفعون الثمن ويغيرون العملة؛ إذ "عند الانتهاء من المفاوضات [الجارية لفرض معاهدة الحماية] سيتوجب علينا - يقول وزير الحربية تعيين خليفة في منطقتنا يمثلنا لدى السلطان يمكننا أن نوجه أنظارنا إلى أمزيان" عندئذ.

إلا أن أمزيان لم يكترث برفض جميع العروض والإغراءات التي قدمت له فحسب، بل راح يهيئ ويخطط للقيام بهجوم عام لتحرير المواقع المحتلة، خاصة بعد شيوع خبر توقيع معاهدة الحماية في 30 مارس 1912. وفي خضم هذا التحول الكبير والنوعي لمجرى الحرب، بانتقال أمزيان والمجاهدين من وضعية الدفاع إلى الهجوم، وما واكب ذلك من مظاهر الإبداع الشعبي في مجال تنظيم المقاومة والتخطيط للمعارك، سقط الشريف أمزيان شهيدا في 15 ماي 1912، برصاص الغدر على يد أحد رجال البوليس الأهلي، بعد أن نجح في توحيد قبائل الريف، وعلمها كيف توجه طاقاتها للدفاع عن وحدة الوطن واستقلاله. وهذا ما تأكد عندما أقدم الاستعمار على استئناف غزوه للريف بعد سنوات من وفاة أمزيان، حيث وجد أمامه مرة أخرى روح الشريف محمد أمزيان مزروعة في كل بقعة من أرض الريف.

كانت هذه الحرب منذ بدايتها دائرة بين طرفين غير متكافئين : فمن جهة، هناك دولة اسبانيا باقتصادها المتفوق وعتادها الحربي العصري وجيشها المنظم والمدرب، تحظى بتأييد من الدول. وفي الجهة الأخرى هناك القبائل الريفية الضعيفة الفقيرة والمتأخرة بمحاربيها من المتطوعين، ناقصي التسليح، تحارب وحدها بدون أي سند معتمدة فقط على قواها الذاتية.

وإذا كانت هذه المعطيات تعزز سياسيا جانب الإسبانيين وتمنحهم تفوقا ماديا كبيراً، لدرجة يمكن معها اعتبار أية مقاومة من طرف الريفيين ضرباً من الحماقة، فإن سير العمليات الحربية أبان عن بعد نظر سياسي وانساني، وعن طاقات هائلة للمجاهدين، سواء من حيث التخطيط للمعارك أو التحمل والاستبسال والاستماتة في الدفاع عن الوطن، فارغموا بذلك عدوهم على منازلتهم فوق ميدان يتيح لهم تعويض ضعفهم المادي بفرض أسلوب حرب العصابات الأكثر ملاءمة. فنجحوا في معظم الأحيان في عزل مواقع الاحتلال الإسبانية عن بعضها البعض، ثم مهاجمة قوافل التموين، ودفع جيش الاحتلال للخروج من مواقعه المحصنة واستدراجه إلى الكمائن المنصوبة له.

هكذا جسد أمزيان إرادة القبائل الريفية. فكان الزعيم البطل دون منازع، الوطني الغيور المخلص الذي لا يلين له عود في مقارعة الاستعمار، والقائد المحنك والمخطط العسكري بالفطرة، يتصدر المقاتلين، يقاتل إلى جانبهم، يحثهم من على ظهر جواده على الثبات في قتال عدوهم والتماس الاستشهاد.

وإذا كان أمزيان والمجاهدون قد تمكنوا من الوصول إلى إدراك الخطة التاكتيكية التي ساعدتهم على تحقيق انتصارات متتالية على جيش عصري ومنظم، فإنهم على العكس من ذلك، لم يهتدوا إلى الخطة الإستراتيجية التي تحقق النصر الحاسم، فأتاحوا بذلك لعدوهم فرصة استثمار العنصر الحاسم في تفوقه عليهم وهو سلاح المدفعية... إلا أن هذا التفوق لم يثنهم على الاستبسال والتضحية بأرواحهم في سبيل الوطن.

وثائق وزارة الحربية الإسبانية بمدريد ؛ أعداد من جريدة *El Telegrama del Rif* التي كانت تصدر آنذاك بمليلية؛ ع.الورياشي، *الكشف والبيان عن سيرة بطل الريف سيدي محمد أمزيان وأخبار مقاومته هو وإخوانه الريفيين لأبي حمارة ثم الإسبان*، تطوان، 1976.

Delbrel, G. *El Pretendiente y sus harcas en el Nordeste Marroqui, 1902-1908, Tanger, 1909 ; Gallego, Ramos, E. La Campaña del Rif 1909, Madrid,1909 ; Documentos presentados a las Cortes en la legislatura de 1907-08* por el Ministro... (Asuntos de Marruecos), Madrid, 1908 ; *Documentos presentados a las Cortes en la legilatura de 1911* por el Ministro del Estado D.Manuel F. Prito, Madrid 1911 ; Torcy, *les espagnols au Maroc en 1909*, Paris, Nancy,1911; Becher, J. *Historia de Marruecos*, Madrid 1915 ; Maldonado, E. El Rogui, Madrid 1949 ; Estado Mayor Central del Ejército, *Historia de las Campañas de Marruecos*, Madrid; Ayache, G. *Les Origines de la guerre du Rif*.

مصطفى أريب

أمزيان محمد بن القاسم الزهراوي (المارشال).

أمزيان لقب يعني "الصغير" وقد اشتهر به الجندي المغربي محمد بن القاسم الزهراوي الذي كان أول ضابط في تاريخ الجيش المغربي يرقى إلى رتبة مشير (مارشال)، وهو لا ينتمي إلى أسرة أمزيان ذات النسب الشريف صاحبة زاوية أزغنغن بإقليم الناظور التي منها بطل المقاومة المسلحة ضد الغزو العسكري الإسباني بناحية مليلية الشريف سيدي محمد أمزيان (1909 - 1912).

ولد محمد بن القاسم أمزيان بقرية بني أنصار بالقرب من مليلية يوم فاتح فبراير 1887 وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية بالاسبانية بالمدينة المذكورة حيث كان يحمل الجنسية الاسبانية.

وفي 13 غشت 1913 التحق بأكاديمية المشاة بطليطلة وتخرج منها برتبة ملازم ثان يوم 23 يونيو 1916 حيث التحق بالجيش الاسباني وفي صفوفه شارك في العمليات العسكرية الاسبانية ضد المجاهدين العاملين في المقاومة المسلحة بناحية الناظور من سنة 1919 إلى سنة 1927 حيث كان يرأس فرقة من الجنود المغاربة المعروفة بقوات "الريگولاريس" Fuerzas regulares التابعة للجيش الاسباني.

وكان أمزيان من بين الضباط الاسبانيين الذين شاركوا في الانقلاب العسكري الذي قام به الجنرال فرانكو Franco ضد الجمهورية الاسبانية في يوم 17 يوليوز 1936 ؛ وفي الشهر الثاني انتقل من مليلية إلى إسبانيا حيث شارك على رأس قوات "الريگولاريس" في أهم المعارك التي جرت هناك أثناء الحرب الأهلية الاسبانية مثل معركة طليطلة ومدريد وأوفييدو Oviedo وطرويل Teruel ونافارا Navarra، ومن أجل هذا رقي أمزيان إلى رتبة كولونيل، كما عين مفتشاً للطوائف المغربية بمدينتي سبتة ومليلية بقرار من المقيم العام الاسباني بالمغرب الكولونيل بيگبيدير Beygbeder يوم 23 نوفمبر 1937.

وفي سنة 1941 ارتقى إلى رتبة جنرال، وفي السنة التالية عين على رأس الولاية العسكرية الثامنة بقاطعة گاليثيا Galicia الإسبانية، كما عين سنة 1954 على رأس الولاية العسكرية بالجزر الخالدات.

وعند استقلال المغرب سنة 1956 تنازل محمد أمزيان عن الجنسية الاسبانية وبأمر من الملك محمد الخامس التحق بالقوات المسلحة الملكية ليشرف على عملية ادماج المحلات العسكرية الخليفية بالشمال في الجيش الملكي ؛ وفي 14 ماي من نفس السنة عين مفتشا عاماً للقوات المسلحة الملكية المغربية.

وفي 14 ماي 1964 عين خليفة لرئيس المجلس الأعلى للدفاع الوطني الذي كان يرأسه الملك الحسن الثاني ؛ وفي يوم 19 غشت من نفس السنة عين وزيراً للدفاع الوطني للمرة الأولى.

وفي 24 فبراير 1966 عين سفيراً للمغرب بإسبانيا ؛ وفي 11 نوفمبر من السنة التالية عين وزيراً مكلفاً بتنسيق القوات المسلحة الملكية وذلك إلى أن عين يوم 17 يونيو 1968 وزيراً للدفاع للمرة الثانية.

وفي يوم ثاني أكتوبر 1970 رقي إلى رتبة مشير (مارشال) فكان بذلك أول ضابط في الجيش المغربي حصل على هذه الرتبة ؛ وكانت وفاته بالرباط سنة 1975.

مجلة الدرك الملكي، الرباط، دجنبر 1970 ص. 11.12.

Ministerio del Ejercito. *Biografias de los generales de la cruzale nacional*, Madrid, 1941, p. 84 ; A. Losite, Gestas *hervicas*, Tetuan, 1942, p.102-103 ; M. Rubio Cabeza, *Diccionario de la guerra civil española*, Madrid 1987, t.: II, p. 541 ; *Ingreso de Ben Mizian en la Academia toledana, Rev. Blanco Y Negro*, Madrid N°1159, 1913.

محمد ابن عزوز حكيم

أمزيل عبد الرحمان ← الإنزگاني

أمزيل، محمد أُميمون. ولد حوالي سنة 1900 بأيت مساعد، ناحية إموزار مرموشة والتحق بصفوف جيش التحرير الذي كان مرابطا بإموزار مرموشة فتدرب على استعمال السلاح ضمن الوحدة التي كان يقودها إلياس ميمون أعقّي. وخلال هجوم منسق على المركز العسكري بإموزار مرموشة سقط أمزيل برصاص العدو، وذلك يوم 2 أكتوبر من سنة 1955.

وثائق الندوية السامية.

عزالدين العلام

إمْزِيلْنْ، قصر على الضفة اليمنى لوادي دادس الأعلى بالقرب من بومالن دادس. اشتهر صُنّاعُه، منذ وقت يصعب تحديده وحتى الآن، بالمهارة في صنع المجرفات الفولاذية الثقيلة الحادة التي تستعمل في قلب الأرض، وتسمى إيلزام أو إگلزام حسب اختلاف النطق (مفردها أيلزم أو أگلزم).

ويعني إمْزِيلْنْ (مفرد أمْزيل) في الأمازيغية الحدادين. وقد كان لهم بالواحات الجنوبية دور مهم خاصة في صنع الآلات الحديدية المستعملة في الأعمال الفلاحية مثل مقالب المحراث، ومختلف المجرفات، الخفيفة منها أو الثقيلة المطعمة بالفولاذ (الهِنْت)، وكذا مختلف الفؤوس وغيرها من الأدوات الحديدية المستعملة في الحياة اليومية. ومن الملاحظ أن الحدادة بنفس المناطق، كانت من الحرف التي يستخف بها السكان البيض، ولهذا كثيراً ما كان الحدادون من السكان السود (الحراطين، إسُوقين، إقْبْلين).

ومن المعلوم أن الحدادة بهذه المناطق تراجعت كثيراً خلال العقود الأخيرة نتيجة التطور التكنولوجي والصناعي العام الذي شهده المغرب خلال نفس العقود، الشيء الذي جعل الناس في غنى عن كثير من الآلات الصناعية العتيقة.

تحريات ميدانية.

محمد حمام

أمسا، برج، ومرسى، ونهر. فالبرج قديم يقع بمكان استراتيجي يطل على مرسى أمسا الواقعة بقبيلة بني سعيد الغمارية، وهو ولا شك من الأبراج التي أمر السلطان مولاي إسماعيل ببنائها على حدود المغرب سنة 1108 / 1696.

وكانت بالبرج المذكور حاميات تقوم بحراسة الشاطئ، الموالي له، وكان المحسنون من أهل تطوان يُعيرون اهتماما بالغا لهذا البرج والأبراج المماثلة له، مثل برج مرتيل، وبرج رأس الطرف، فيحبّسون على المجاهدين المكلفين بالحراسة

بها بعض ممتلكاتهم. وفي هذا الصدد نتوفر على حبس أوصى به التاجر الحاج أحمد بن محمد الحلو بتاريخ 30 جمادى الثانية 12/1196 يونيو 1782 حيث أوقف أملاكه على الأبراج الثلاثة المذكورة، غير أنه بسبب الإهمال يوجد برج أمسا اليوم في حالة خراب.

وأما نهر أمسا فيسمى في منبعه بجبل الصفايح بنهر الدّرْدارة، ثم يعرف بنهر الحميس ، ثم بنهر أمْسا، ويسقي أراضي قبيلتي بني حسان وبني سعيد، وتصب مياهه في البحر المتوسط بالمرسى المعروفة باسمة (مرسى أمسا).

م.داود، *تاريخ تطوان*،1 : 242، 2 : 341.

Ministerio de la Guerra, *Accion de España en Africa*, 1930, 2: 51,112 ; Domenech Lafuente (Angel) *Geografia de la zona norte del Protectorado de Espana en Marruecos*, 1942, p.40-86 ;Cabello Alcaraz (J) *Apuntes de geografia de Marruecos*, 1951, p. 89.

إمسّان، ناحية طبيعية بالصحراء المغربية تقع بإقليم وادي الذهب بين النواحي التالية: ونكجير والتُّرس وإسمول، وبشاطئها على المحيط الأطنلتي يوجد خليج الرأس الأكحل المعروف عند الإسبان بثينطرا Cintra.

Carnero Ruiz, Ismael, *Vocabulario* geografico - Sahariano, Madrid, 1955, p. 155.

محمد ابن عزوز حكيم

أمْسْطُوطْ، عبد الحق بن أبي طاهر المغيطي، أبو محمد، ومعنى أمسطوط المجنون. ذكره صاحب *التشوف* في صلحاء دكالة من أهل القرن السادس الهجري، ولعله أدرك القرن السابع ، مات ببلاد المشرق .

ب. التادلي ، *التشوف*، ص 432.

أحمد التوفيق

أمسگروض ← إداوزيكي

أمْسْمْرير أو سَمْرير، مركز إداري تابع لدائرة بومالن دادس، استحدث في بداية الثلاثينات لتسهيل التدخل الاستعماري في الجنوب. وقد اختير للمركز موقع استراتيجي بين قبائل رُحّل قوية آنذاك وهي أيت حديدو وأيت مرغاد وأيت عطا ـ نْ ـ اسيكيسْ وأيت سمرير وأيت سْدْرَاتْ الجبل. بلغ عدد سكان القيادة سنة 1936 حوالي 6010 نسمة.

قيادة أمسمرير من القيادات الجبلية التي لا تتصل بالمجالات المحيطة بها إلا بواسطة خوانق (خانق تدغة وخانق دادس) وطرق غير معبدة، ونظرا لأهمية الارتفاع فإن مجالها يتلقى تساقطات مطرية تصل حتى 600 ملم بالإضافة الى ثلوج، إلا أن البرودة تعوق كل الأنشطة الزراعية، لذا اعتمد السكان أساسا على تربية الماشية الصغيرة وبعض الزراعات التي تشغل مجالا ضيقا للشعير والبطاطس.

ضيق الموارد الاقتصادية والانفجار الديمغرافي عاملان أديا إلى الدفع بالسكان نحو البحث عن موارد أخرى إما بالانخراط في أسلاك الجندية أو الانزلاق نحو المراكز النشيطة عند قدم الأطلس كقلعة مْگُونَة وبُومَالنْ دادْسْ وتِنْغِيرْ بالإضافة إلى محاولة تكثيف الإنتاج الزراعي بتوجيه إنتاج البطاطس نحو التسويق وإدخال مغروسات التفاح مؤخرا.

A.G.P, Martin, *D'Azilal au Dades*. B.S.G.M., t. IV fac. 5, pp 85-115. 1925.

محمد أيت حمزة

أمْسْنَاوْ، سعيد بن أحمد بن موسى السوسي أصلا، التادلي نشأة و مدفنا، و هذه النسبة أمازيغية لإقليم تامسنا المعروف اليوم بإقليم الشاوية جنوب الدارالبيضاء.ويدعى أيضا سعيد المسناوي ـ بياء النسب العربية ـ . من أكابر شيوخ الطريقة الجزولية الشاذلية، أخذها مباشرة عن عبد العزيز التباع أشهر مريدي الشيخ محمد بن سليمان الجزولي.

قام أمسناو بسياحة دامت ثلاثين سنة لقي خلالها نحو أربعين من الشيوخ الصالحين، خدمهم وأخذ عنهم، ثم استقر بتادلا وأسس بها زاوية الصومعة، نسبة إلى صومعة جامع داي حاضرة تادلا القديمة بجوار مدينة بني ملال الحالية.

لم يهتم الذين ترجموا لسعيد أمسناو بجانب التكوين العلمي لشخصيته، مكتفين بجانب الصلاح و الكرامات. لكن قد يستنتج من نشاط زاوية الصومعة في عصره وكثرة المترددين عليها وأحوال بعض المتخرجين على يده فيها أنه كان إلى جانب التربية الصوفية أستاذا مدرسا يلقن التلاميذ القرآن ومبادئ اللغة والدين.

يذكرون أن عدد مريدي سعيد أمسناوْ في زاوية الصومعة بلغ ثمانمائة أو ألفا كان يطعمهم و يسهر على تربيتهم عن قرب، وربما أخذهم بالشدة و ضربهم بالعصا حرصا على نفعهم وتقويم سلوكهم، ومع ذلك كانوا واقفين عند إشارته « لا يتحركون لشيء إلا بإذنه و بنية صحيحة» *(ممتع)*.

لا تعرف سنة وفاة الشيخ أمسناو، وإنما تتفق كتب التراجم على أنه توفي في العشرة الخامسة من القرن التاسع الهجري.

م .ابن عسكر، *دوحة* ؛ ع .الصومعي، *التشوف الصغير*، مخطوط؛ العروسي، *المرقي في مناقب سيدي محمد الشرقي* ؛ م .المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط ؛ *ممتع الأسماع* ؛ ع .ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج 10.

محمد حجي

أمْسيطْنْ، كتلة تقع في الشمال الغربي لمنطقة حاحة، تصل ارتفاعاتها إلى حوالي 912 م، عبارة عن مرتفع طولي على مسافة حوالي 20 كلم من الشرق إلى الغرب، اتساعه 10 كلم من الشمال إلى الجنوب. يتميز السفح الشمالي بكونه أقوى رطوبة وأكثف نباتا من مثيله الجنوبي حيث الجفاف وقوة التقطع الناتج عن التعرية المائية وقوة

الانحدار الذي يصل محليا في كثير من الحالات إلى أكثر من 25 درجة.

وتتميز الكتلة بكونها منطقة جبلية و غابوية، خالية من السكان. ولهذا فإن الدراسة ستتركز على الجانب الطبيعي والبيئي.

يبلغ معدل الحرارة في الجبل حوالي 9°، أما متوسط التساقطات فيبلغ 500 ملم سنويا في الوقت الذي تتراوح فيه قيمة التبخر المتاح بين 1200 و1500 ملم/ سنة. وعلى هذا الأساس فإن طول مدة الجفاف تتراوح بين 5 و6 أشهر حسب التوجيه. وتنتمي المنطقة من الناحية البيومناخية إلى الطبقة شبه الجافة في الارتفاعات السفلى وإلى الطبقة شبه الرطبة قرب القمة.

أغلب التكوينات الصخرية لهذه الكتلة تعود إلى العصر الجيولوجي الثاني. ففي الغرب تظهر الطبقات الطينية المالحة والتي يتم استغلالها هنا كمملحات (مملحة إذاوعْزا). هذه الطبقات تعود إلى الترياسي. ثم هناك تكوينات تعود إلى العصر الجوراسي والكريطاسي وتتميز بتوالي الطبقات الكلسية والطينية. أما تكوينات الزمن الرابع فتتمثل هنا في طبقات رصيصية تعود إلى الفترة المغربية.

أهم الاصناف النباتية الموجودة في المنطقة، تتكون أساسا من شجرة العرعر ويكسو تقريبا كل الكتلة ويبلغ علوه حوالي مترين على السفوح وفي مناطق الاعراف وحوالي 6 أمتار في قعور الأودية. هناك أيضا شجرة البلوط الأخضر إضافة إلى شجرة أرگانْ. وتتوفر في المنطقة كذلك أنواع مدارية أخرى إضافة إلى الزيتون والبطم.

أما عن علاقة توزيع هذه الأصناف النباتية مع باقي عناصر البيئة، فيمكن القول إن المعطيات المناخية والترابية تلعب دوراً أساسياً في هذا المجال. فالبرودة الشديدة في القمة تحد من إمكانية تأقلم العرعر حيث يتم تعويض هذه الشجرة بشكل تدريجي نحو الأعلى بشجرة البلوط الأخضر والقطلب، كذلك يحدث في قدم الجبل تعويض مماثل حيث مؤهلات استيطان العرعر تتضاءل بشكل كبير أمام المؤهلات الطبيعية لأرگان مع ظروف الجفاف. ولهذا وعلى السفح الظليل، نجد أن أرگان يختفي تماماً انطلاقا من مستوى 500م بينما يتوفر هذا الصنف حتى مستوى 800م على السفح الجنوبي. ولذا يتركز البلوط الأخضر أيضا بشكل كثيف على السفح الظليل في المستويات العليا.

إضافة إلى هذا فإن التربة تتدخل هي الأخرى في التوزيع، ففوق التربة الحمراء هناك نوعان من التكوينات الشجرية، البلوط الأخضر من جهة ويتركز فوق التربة المصولة و العرعر من جهة أخرى و يتركز فوق التربة غير المصولة . كذلك تتركز مجموعة من الأصناف الالفحمضية فوق التربة الرملية مثل الخزامى. ويعتبر الإنسان عنصرا فعالا من بين عناصر البيئة في المنطقة ومن جراء هذا فإن المنطقة تتعرض إلى ضغط استغلالي خطير قد يؤدي إلى تغيرات أساسية في التوازن البيئي للمنطقة،إذ يستغل خشب العرعر بشكل كثيف في الاستعمالات المنزلية أو كمصدر للطاقة، كما تستغل الغابة أيضا لاستخراج الصمغ وللرعي. وفي هذا المجال تجب الإشارة إلى أن ماشية السكان المجاورين للجبل تتكون أساسا من الماعز، وهذا الأخير معروف بدوره الكبير في تدهور الغابات، وقد تعرضت المنطقة لعدة حرائق ذات انعكاسات جسيمة على النباتات.

دراسة ميدانية.

سعيد خليل

أمْطُوطْ، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة تَغْزُوتْ بناحية صنهاجة، وكان جل أفرادها يتعاطون صنعة الخرازة بمهارة فائقة حيث نجد أشهرهم سنة 1305 / 1888، وهو المعلم عبد السلام يصدر البلغة التطوانية إلى بلاد الشرق، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

ع .سكيرج، *نزهة الاخوان* ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 11 ؛ م.داود ، *مختصر تاريخ تطوان*،2 :329 ؛ م.ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidro de las Cagigas, *Familias* ; *Vademecum*. M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

أمْغَارْ، جمعه إمْغَارَنْ : كلمة أمازيغية مأخوذة من فعل إمْغُورْ، وتعني الضخم أو الكبير أو العظيم أو المسن من الأشياء و الأحياء، كما تعني المرء العالي الشأن والقدرة والدرجة داخل مجتمعه، و تطلق كذلك على الحاكم والرئيس وكل من يمارس سلطة ما في المجتمع. ثم اختصر اطلاقها على شيخ القرية أو الفرقة أو القبيلة.

وبهذا المعنى الأخير اكتسبت مدلولا تاريخيا، ارتبط بتطور أوضاع المجتمعات الأمازيغية، الجبلية منها على الخصوص، على مستوى التنظيم السياسي والمجتمعي، بين التسيير الجماعي «الديموقراطي»، والهيمنة النخبوية الأوليگارشية والحكم الفردي الاستبدادي.

فإذا كانت كلمة أمْزوار مرتبطة بالتسيير الجماعي «الديموقراطي» الإنفلاسي - في أحسن الأحوال على أقل تقدير - فإن كلمة أمغار وثيقة الصلة بالنظام الأوليگارشي والاستبدادي في غالب الأحيان و خاصة إذا كانت وظيفة أمغار مرتكزة أساسا على سلطة عليا كسلطة القائد أو العامل، لا على أسس التوازن المنبثقة من تعامل مختلف الفعاليات المحلية، سواء على مستوى المجموعة التي يشرف عليها، أو على مستوى علاقاتها مع المجموعات الأخرى المجاورة.

ومع ذلك يبقى مشكل تحديد المعنى الدقيق للمدلول الوظيفي، مرتبطا بالظروف الوقتية لكل حالة، و بطبيعة العلاقة بين أمْغار الحاكم و جماعته، هذه العلاقة التي تخضع بالضرورة لمتطلبات النسيج المجتمعي بكل أبعاده، داخل المجموعات ذاتها.

إن أقدم استعمال لكلمة أمغار في المصادر المكتوبة، حسب ما نعلم ورد في كتاب : *أخبار المهدي* للبيدق. الذي ذكر أن والد الإمام المهدي ابن تومرت الموحدي كان ينعت بأمغار، ويبدو أن إطلاق لقب أمغار على أبيه، يعني أنه كان يمارس وظيفة المشيخة في قومه. والدليل البارز على ذلك هو أن الإمام المهدي نفسه «كان يلقب في صغره أيضا: أمغار. وسمي إخوته "أيت أمغار" أو بني أمغار». كما كان جده من أبيه يلقب بـ أگليد ومعناها السلطان أوالأمير أو الملك.

إننا لا نعرف بدقة كيف ومتى تم تحول المجتمعات الجبلية من نظام إِنْفْلاَسْ وإِمْزْوَارْ، الذي يسود فيه نوع من «الديموقراطية» البسيطة، إلى نظام مجالس النخبة أو «أيت أربعين» وأمغار، الذي تكون فيه القوة أساس الحكم، ثم إلى نظام إِمْغَارْنْ الذي استغني فيه عن المجالس الجماعية وأصبح فيه الحكم فرديا يتوارث.

ولكننا نعرف أن الصراع بين الأنظمة المذكورة كان دائما متوقدا، تغذيه الأزمات المختلفة، وقيل به الظروف نحو ترجيح كفة واحدة منها. وبما أن الأزمات المقصودة كثيرة ومتوالية، لأن منها ما تسببه الطبيعة ومنها ما ينتج عن السياسة المحلية أو المركزية، فإن ذلك الصراع اتسم بالحدة وطول المدة، بحيث لم يحسم في بعض المناطق الجبلية إلا في القرن العشرين. و الحسم كان طبعا لصالح إمغارن الذين أصبح بعضهم قوادا يستمدون سلطتهم من دعم المخزن المركزي.

غير أن هذا الاتجاه بدأ يتغلب، على ما يبدو، قبل التاريخ المذكور بقرون، ويظهر ذلك بوضوح من خلال كتاب *رحلة الوافد* الذي كتبه ابن شيخ زاوية تاسافت بوادي نفيس في النصف الأول من القرن الثامن عشر. حيث يظهر وادي نفيس والمناطق المجاورة له موزعا على عدد كبير من «إمغارن» الذين كانوا يمارسون الحكم في مناطقهم، بشكل يكاد يكون فرديا. لأن مجالس الجماعات لا تكاد تجد لها أثرا في مجال تسيير شؤون المجموعات المختلفة سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي.

إذا كان نظام إمغارن حلقة متوسطة بين نظام الجماعات ونظام القواد، فإن ظهوره كان نتيجة للتطورات السياسية المحلية في حين نلاحظ أن تحوله بعد ذلك إلى نظام القواد ناتج عن السياسة المخزنية التي تفضل التعامل مع حكام أقوياء، يضمنون لها خضوع السكان وجمع ما ينوبهم من ضرائب.

ورغم أن وظيفة أمغار بقيت حية في ظل نظام القواد، فإن مدلولها الأول كمؤشر مجتمعي تغير كثيرا، و اكتسبت معنى آخر يقتضي تحديده دمجها في إطار أجهزة الدولة المركزية.

أ. البيذق، *كتاب أخبار المهدي*، باريس، 1928، ص : 29، 30، 116، 118، و ما بعدها ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ 76 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 124 وما بعدها.

Ch. de Foucauld, *Dictionnaire*, t. III, p 1235 ; Id. *Reconnaissances*, p 91 - 92 ; R. Montagne, *Les Berbères*, p. 134 sqq ; *E.I*, p. 146, 1214 sq ; *E.B.*, IV. P. 590 - 591.

علي صدقي أزايكو

أمْغار (آل ـ) ← الأمغاري

أمْغَارْ، أسرة تطوانية شريفة، أصلها من قبيلة بني رزين الغمارية. ومعنى الكلمة باللهجة الريفية «الشيخ» أو «المقدم»، وقد انتقلت هذه الأسرة إلى تطوان في أوائل القرن الثالث عشر الهجري وكان جل أفرادها يعملون في الجيش حيث نجد أحمد ومحمد يعملان كبحارين في حامية تطوان سنة 1246 / 1830. كما نجد عبد الرحمان يعمل كقائد بفرقة المدفعية في نفس السنة.

ع . سكيرج، *نزهة الاخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 27 ؛ م . داود ، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 :329، *تاريخ تطوان*، 8 : 212 و214 و351 ؛ م . ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Fàmilias ilustres* ; Isidro de las Cagigas, *Familias. Vademecum*. (ano 1931 - 1932) (M) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

أمغار، التهامي بن الطيب المكناسي. فقيه مدرس أديب شاعر، درس في مسقط رأسه مكناس على الغازي بن العربي ابن عبود و محمد بن الحسن الوكيلي وغيرهما. وأخذ عنه فيمن أخذ محمد بن محمد بن بصري صاحب الثبت الكبير المعنون *بإتحاف أهل الهداية والتوفيق والسداد* الذي انتهى منه عام 1206 / 1711. وله مقصورة في مدح مكناس منها :

لله ما أبهى عمائر الحُلى ... معالم الأنس مطالع المُنَى
معاهدٌ ما برحت محفوفة ... بظل أمن من فراديس الهَنا

توفي صبيحة عيد الاضحى من عام ..11. وقد ترك ابن زيدان مرتبتي الآحاد والعشرات فارغتين. ويقدر أن تكون وفاته في العقود الأخيرة من القرن الثاني عشر (18م).

م. بصري، *اتحاف أهل الهداية*، مخطوط ؛ ع. ابن زيدان، *الحاف*، 1 : 239 - 242 و2 :106 ؛ ع . بنعبد الله، *الشعر والشعراء بالمغرب*، مخطوط.

محمد حجي

ابن **أمغار، عبد السلام** بن محمد الصنهاجي، أبو محمد، من صلحاء رباط تيط الذين عاصروا الأمراء المرابطين و الموحدين في مقامهم المعروف إلى اليوم جنوبي مدينة ويمازيغن (الجديدة). وعبد السلام هذا من أهل القرن السادس وقد ذكر الأزموري أن أمه من بني عبّاد أمراء إشبيلية، كان من الزهاد لا يأكل إلا صيد البحر.

ابن **أمغار، محمد بن إسحاق** الصنهاجي، من صلحاء رباط تيط الذي بساحل دكالة جنوبي أزمور، وأمغار معناه كبير القوم أو الشيخ المبجل. تميز أهل بيته باتباع السنة ونُعتوا بالولاية. كان معاصرا لأبي شعيب السارية دفين أزمور، وهو من أعيان بني أمغار الأقدمين.

ي.التادلي، *التشوف*، ص 209 ؛ ع. الازموري، *بهجة الناظرين*، مخطوط خ. ح.1622 ومخطوط خ.ع.د 1501 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 2 :218 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 :212.

أحمد التوفيق

أمغار، محمد الصغير، من متصوفة القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، ينتمي إلى أسرة الأمغاريين الشهيرة بتوارث العلم والصلاح. تولى تسيير شؤون رباط تيطنفطر (على ساحل دكالة) في أعقاب أزمة داخلية عاشها هذا الرباط منذ القرن السابع (13 م)وذلك بسبب انحراف شيوخه المتأخرين عن مبادئه الأصلية وتهافتهم وراء المناصب الدنيوية والامتيازات المادية التي منحها المخزن المريني لكثير من أشراف المغرب، وهو ما زاد من احتواء رباطهم وجعله مرتبطا بسياسة المخزن. كما رافقت تولية محمد أمغار الصغير ظروف أزمة شاملة عاشها المغرب خلال القرن التاسع (15 م) وما واكبها من تزايد التهديدات الأجنبية لسواحله وبالخصوص ساحل دكالة حيث رباط أجداده المشار إليه آنفا. لقد كان لهذه الظرفية أثر واضح في تعاليم محمد أمغار الصغير التي ستجد لها تجسيدا حيا في الحركة الجزولية.

لكن هذه الاهمية لم تعكسها أخبار محمد أمغار الصغير في جل المصادر التاريخية وكتب التراجيم التي جاءت ضنينة ومجردة من كل قيمة فعلية وهو ما حال دون تجميع ترجمة تقريبية تمكن من تلمس جوانب حياته العلمية و الصوفية، بل عادة ما ارتبطت شهرته في جل المصادر بشخصية تلميذه محمد بن سليمان الجزولي، وعن هذا الأخير علمنا أنه كان شيخه في التصوف وصلة سنده بالطريقة الشاذلية.

وانطلاقا من مصادر ترجمة الإمام الجزولي أمكن إدراك الأثر الصوفي لمحمد أمغار الصغير، إذ عادة ما كان يذكره باسم الشيخ، ونعلم كذلك في نفس تلك المصادر أن الامام الجزولي قضى برباطه قرابة أربع عشرة سنه تلقى خلالها تعاليم طريقته واعتكف على التعبد.

ومن الأخبار القليلة التي رويت عن محمد أمغار الصغير تأكد أنه كان مخالفا في نهجه الصوفي لتعاليم جده أمغار الكبير، وهي التعاليم التي لم تعد تصلح لظروف القرن التاسع (15 م)، بحيث ركز على التوعية الرامية إلى إصلاح عقيدة المجتمع ورفع آثار الجهل وانحراف العقيدة و محاربة الأجنبي.

ونظراً لأهمية دوره هذا بين القبائل الدكالية وبحكم سياحاته المتعددة وتكوينه لقاعدة واسعة من الأتباع وصف أمغار الصغير بالقطبانية، وزادت سمعته الصوفية بحفظه للسند الشادلي، و لعل هذه المكانة هي التي جعلت أحمد بابَ السوداني يصفه في *نيل الابتهاج* بـ «أوحد وقته».

لم يكن محمد الجزولي تلميذ محمد أمغار الوحيد المتوفر على شهرة صوفية ونفوذ واسع، بل كانت هناك ثلة من المريدين المبرزين، لنا في أبنائه الستة خير ما نستدل به على ذلك.

فقد أشار محمد أمغار على أولئك الأبناء ـ الأتباع في نفس لحظة إشارته على الامام الجزولي، لاشهارأمرهم بين القبائل، واختار لكل منهم مكان نشاطه، وهكذا اختار حاحة لإبراهيم وأبي زكرياء، وعين الصحراء لأبي يعقوب (زاوية أسول) ومحمد، بينما استقر عبد الرحمان بسوس، وعبد الله بمركز داي القديم.

ومن نتائج هذا الانتشار استعادة الأمغاريين لسمعة رباطهم القديم وتنامي أدوارهم بصورة واسعة في بيئة متأثرة بأزمات متنوعة.

ع . الزموري الأصغر، *تقييد حول شرفاء المغرب*، مخطوط ؛ أ. باب السوداني، *نيل* ؛ م.المهدي الفاسي، *ممتع الاسماع* ؛ م. الكتاني، *سلوة*.

أمغار، محمد الكبير، لا يعرف تاريخ ولادته ووفاته بدقة، والغالب على أقوال المترجمين له أنه من أهل القرن السادس (12 م)، عاصر العديد من مشاهير متصوفته، وكانت له ببعضهم صلات مقطوع بثبوتها، كالشيخ أبي شعيب أيوب السارية الأزموري، وعبد الخالق بن ياسين الدغوغي ؛ كما كان له ضلع في بعض الأحداث المشهورة أيام دولة المرابطين، كاستشارته من طرف علي بن يوسف المرابطي (500-537 / 1106-1142) في قضية تسوير مراكش، ويذكر كذلك اتصاله بأبي بكر بن العربي المعافري خلال قدومه إلى المغرب. و نعلم أن هذا الشيخ كانت له رحلة إلى المغرب أواسط القرن السادس أتحف خلالها بيت آل أمغار بمؤلف صوفي تبركا بهم وبشيخ رباطهم، أسماه : *سراج المريدين في آداب الصالحين*. وبناء على هذه القرائن يمكننا الاطمئنان إلى القول بأن ولادة محمد الكبير توافق الثلث الأخير من القرن الخامس، وأن وفاته تقارب وفاة بعض أقرانه من المتصوفة المحقق تاريخ وفاتهم، كعبد الخالق الدغوغي المتوفى سنة 571 هـ. ومما يعزز هذا الاحتمال أن مشيخة رباط تيط ستتحول إلى أحد أبنائه ابتداء من الثلث الأخير من القرن السادس.

أما من حيث أوليات محمد الكبير أمغار في التصوف والعلم فإننا لا نملك غير إشارات تتحدث عن ملازمة أبيه إسحاق بن إسماعيل في سلوك الطريقة واتباع السنة وكثرة التردد على الخلوة بساحل تيطنفطر (مركز مولاي عبد الله أمغار الحالي بساحل دكالة). كما نعلم من خلال المصدر الوحيد الذي دون أخباره : *بهجة الناظرين* للزموري أنه تلقى بعض المواد الفقهية المعروفة في عصره *كالمدونة*. غير أن علاقته المبكرة بأبي شعيب أيوب السارية كانت أكثر

أثرا على سلوكه الصوفي، إذ أخذ عنه لمدة طويلة آداب السلوك، وبفضله استقامت طريقته الصوفية التي اشتهرت لاحقا بالطائفة الصنهاجية (نسبة إلى صنهاجة أزمور) تمييزا لها عن الطائفة الشعيبية المنسوبة إلى أبي شعيب السارية.

امتزجت تعاليم أبي عبد الله الصوفية بهالة من الكرامات و خوارق العادات، جعلت مؤرخي المناقب يعتمدون عليها لقياس تعلق الناس به. ومن المشاهدات التي دونتها تآليف أولئك الكتاب، كرامة المشي على الماء التي ستتحول بعد أمغارالكبير إلى ركن أساسي في تصوف الأمغاريين. وقد ارتبطت هذه الكرامة بعين ماء حلو بين صخور ساحل تيطنفير كان يتردد عليها شيخ الرباط وبعض أقرانه من المتصوفة بقصد الخلوة و مداومة الصيام ولا يفطرون إلا على مائها، لذلك أسماها صاحب كتاب *بهجة الناظرين* بعين الفطر، كمحاولة منه لتعريب الأصل البربري الشائع قبل القرن الثامن / الرابع عشر. وستصبح تلك العين إرثا أسرويا للأمغاريين، وكثيرا ما ذكرت ضمن أقوال أبي عبد الله بن أمغار : «هذه العين ورثتها عن أبي عن جدي، وأرجو أن تورث عني» (*التشوف*: 211).

وبغض النظر عن الشهرة التي كسبها ابن أمغار من جراء تلك الكرامة، شهدت له جل المصادر التي وقفت عند أخباره باستقامة نهجه السني، وبإحسانه لمجتمع صنهاجة، وكثرة إغاثته للمظلوم ومساعدة المحتاج، وتشجيع الراغبين في أداء مناسك الحج، إما بالعطاء السخي أو بمكاتبة بعض العلماء.

ويعود انفتاح محمد أمغار على العلماء من خارج القطر الدكالي (كبني العزفي حكام سبتة) إلى المكانة العلمية لرباط تيط ابان مشيخته، وإلى استقامة نهجه السني وسط بيئة دكالة المدنسة بالبدع البرغواطية، فكان ذلك أكبر حافز على استقطاب العديد من التلاميذ و المريدين من خارج دكالة، ومن هؤلاء نذكر يحيى المصطاوي الهسكوري وأبا موسى داوود الدكالي وأبا محمد صالح الماجري صاحب رباط أسفي،الذي تردد على محمد أمغار منذ صباه، حيث أخذ عنه جملة من العلوم الدينية، كان أهمها القراءات.

ونسجل بعض المواقف الدالة على قوة مركز محمد أمغار خلال حكم علي بن يوسف المرابطي، وهي وان كانت متباينة، فإنها تدل على امتلاك هذا التصوف لسلطة روحية كبيرة ووزن اجتماعي واضح بين صنهاجة دكالة. ومن هذه المواقف تخلفه ـ خلال الفترة الاولى من حكم علي بن يوسف ـ عن حضور جمع للاولياء والصالحين بقصد اختبارهم من طرف الأمير المرابطي. ومن غير المستبعدأن يكون ذلك الموقف مرتبطا بقضية إحراق كتاب *إحياء علوم الدين* للامام الغزالي، وهو المؤلف الذي كانت له مكانة في نفوس العديد من المتصوفة، ونعلم كذلك أن *الإحياء* أدمج ضمن مقروءات رباط تيط خلال وصول محمد أمغار إلى مشيخة الرباط، وهو ما يدفع إلى الاعتقاد بانضمام هذا المتصوف إلى صف المعارضين لإجراء الأمير المرابطي.

إلا أن هذا الموقف المعارض لم يستمر طويلا، إذ تم تجاوزه باستشارته من طرف نفس الامير في أمر تسوير مراكش، وإن كانت هذه الاستشارة لا تحمل دلالة كبرى إلا انها ستفتح عهدا جديدا بين الأمير المرابطي وشيخ رباط تيط، تبلور بصورة واضحة في دعمه للدولة المرابطية خلال محنتها أمام الموحدين. ونستدل على ذلك بجملة من الاحداث التي أوردها مؤلف *بهجة الناظرين*، والتي وإن صيغت بأسلوب مبالغ فيه، فإن مضمونها لايثير الشك. ومن الادلة المحققة على ثبوت هذا التحول في علاقة محمد أمغار بالأمير المرابطي، كتاب صادر عن هذا الأخير سنة 527 / 1132 يلتمس فيه الدعاء من شيخ تيط ويشيد بخصاله الدينية. ونستطيع ان نربط بين مضمون هذا الكتاب وظرفية الدولة المرابطية خلال نهاية حكم علي بن يوسف حيث تقوت شوكة الموحدين وخسر المرابطون أول شوط في المواجهة العسكرية. وقد بينت المراسلة، بصورة غير مباشرة، رغبة الأمير المرابطي في استغلال نفوذ أمغار بين صنهاجة دكالة قصد تعبئتهم ضد الموحدين. وسوف تكشف الأحداث اللاحقة أن هذه المنطقة بالذات كانت معقلا أساسيا للمعارضة المرابطية. كما ظهر من تلاحق الأحداث أن الموحدين سيغضون الطرف، لمدة طويلة، عن الاهتمام برباط تيط، ربما كتأديب لشيخه الذي ساند المرابطين حتى نهايتهم وتمسك بتعاليم المذهب المالكي. وسيفقد الرباط عقب تلك الأحداث الكثير من مكانته الاجتماعية والعلمية. ومما زاد من أزمته استقدام عناصر غريبة عن الوسط الدكالي وبثها بصورة أخلت بأدواره بين بربر صنهاجة.

ي. ابن الزيات، *التشوف* ؛ مؤلف مجهول، *مفاخر البربر*، اعتنى بنشره ليفي بروفنصال بعنوان : *نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى*، 1934 ؛ أ.ابن قنفذ، *أنس الفقير* ؛ ع.الزموري، *بهجة الناظرين*، مخطوط ؛ م.الكتاني، *سلوة*؛ م. الكانوني، *جواهر الكمال*، 1356 هـ ؛ أ. العدوي، *أبو عبد الله أمغار*؛ مجلة دعوة الحق، عدد 5، 1976.

محمد المازوني

ابن أمغار، يوسف بن محمد الصنهاجي، أبو يعقوب. من الموصوفين بالصلاح من أهل رباط تيط بساحل دكالة. وكان كبير الشأن منهم، حضر جنازته عدد من الناس قدروا بخمسة عشر ألفا.

ي. التادلي، *التشوف*، ص 426.

أحمد التوفيق

أمغارة، أسرة تطوانية شريفة أصلها من الأندلس حيث لازالت توجد بمقاطعة المرية قرية اسمها Magara. ومن أفراد هذه الأسرة بتطوان التاجر عبد السلام الذي كان حيا عام 1197 / 1783، والوجيه محمد الذي كان حاكما

بتطوان سنة 1225 / 1810، والفقيه عبد الرحمن الذي توفي سنة 1343 / 1924.

ومازالت هذه الاسرة موجودة بتطوان حيث يملك أحد أفرادها وهو الأستاذ محمد أمغارة أكبر مجموعة للصور التاريخية المغربية.

ع. سكيرج، *نزهة الاخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 27 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 :329 و336 ؛ *تاريخ تطوان*،2 :358 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidro, de las Cagigas, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

الأمغاري، أسرة يصعب على المتتبع لأطوار تاريخها الصوفي الخروج بنتيجة نهائية حول أصولها الأولى. فإذا كان أغلب النسابين المغاربة قد اتفقوا على جعل عبد الله بن إدريس جدّ الأمغاريين الأعلى، فإنهم بالنقيض اختلفوا في إعطاء عمود موحد لنسبهم، وهو ما قلّل لدى البعض من مصداقية صحة نسبهم، وأدى إلى التشكيك في شرفهم.

نذكر منذ البدء أن هذه الأسرة الصنهاجية البربرية تعرضت للإهمال، وما التناقض الصارخ في أعمدة نسبها سوى دليل على الجهل بأصولها الحقيقية.

أما تسميتهم بالأمغاريين فإن اللبس حولها أقل، إذ يعود أصل التسمية إلى جدهم إسماعيل، المستقر بساحل أزمور بمركز تيطنْفطر المهجور حوالي الثلث الأخير من القرن الرابع /10 م. ويحتمل أن يكون حمله لذلك اللقب مرتبطاً بدوره الوعظي بين صنهاجة دكالة أكثر من ارتباطه بأغراض سياسية أو قبلية.

وأول وثيقة رسمية ورد فيها لقب أمغار، رسالة من تميم بن زيري اليفرني (424 ـ 448 هـ) إلى أبي جعفر إسحاق ابن إسماعيل. ويعودتنا إلى أصول الأمغاريين الأولى نجد أن أعمدة نسبهم وأخبار بعض الحوليات التقليدية تباينت وشاع بين بعضها الخلط الواضح في أسماء وكنى العديد من شيوخ الأسرة. ومن مظاهر هذا التباين كون المصادر اختلفت في أصولهم الجغرافية، حيث نجد أن طرفا يجعلهم من المشارقة وطرفا ثانيا يعتبرهم من المغاربة، بينما يقر الطرف الأخير أنهم من المغاربة الفارين إلى المشرق تحت دواعي غامضة. ويمكن أن نعتبر الرأي الأخير أكثر توافقا مع أحداث القرن الرابع(10 م) نظراً لوضعية الأدارسة والقمع الذي تعرضوا له من طرف موسى بن أبي العافية المكناسي، مما أجبر الكثير منهم على التستر أو الفرار إلى المشرق.

وانطلاقا من مجمل المعلومات المتوفرة عن هذه الأسرة في بعض المصادر، نسجل المعطيات التالية المتعلقة بالأصول. فالأمغاريون يستأثرون بالأحداث المتعاقبة على المغرب خلال العهد السابق للفترة المرابطية، ولم يحتفظوا لأنفسهم بمستقر دائم إلا لحظة امتلاكهم لسلطة روحية مكنتهم من ضبط علاقاتهم بالمجموعة البشرية التي احتضنتهم، أعني النشاط الصوفي بين صنهاجة دكالة، وهو النشاط الذي سبق بقليل انطلاق الحركة المرابطية والمرتبط بحارية البدعة البرغواطية، وتعزز هذا الرأي جملة من الإثباتات الواردة في كتاب *بهجة الناظرين* للزموري، المصدر الوحيد الذي حفظ نشاط الأسرة الأمغارية قبل أفول نجمها في مرحلة المرابطة بتيطنفطر.

وتعتبر حالة القمع التي تعرض لها الأدارسة خلال تسلط موسى بن أبي العافية المكناسي عاملا أساسيا لفهم التطورات اللاحقة لأسرة الأمغاريين، وبدونه لا يمكن أن نفهم مدلول تسميتهم ولا دواعي تلك التحفظات التي أبداها بعض المؤرخين المعاصرين. كما أن نفس العامل يثير كذلك قضية شرفهم في إطار أوسع من تلك القيود التي فرضتها الرسوم العدلية أو الظهائر المخزنية التي شكلت الدعامة الوحيدة والمتبقية بين أيدي الأحفاد لإعلان صحة شرف أجدادهم.

واعتباراً لملاحظة ابن خلدون تتعلق بانصهار الأشراف داخل البيئة المغربية البربرية يمكن أن نضع دور الأمغاريين بين صنهاجة دكالة الذين أكسبوهم اللقب وناصروهم وصاهروهم، ومقابل ذلك انتصب إسماعيل جد الأمغاريين للقيام بأعمال الوعظ ونشر تعاليم السنة بين أولئك الأقوام المتأثرين بالعقيدة البرغواطية. فاكتسب شهرة رفتعه إلى مقام أمغار، فغلب ذلك الطابع البيئي على الأصل السلالي (الشرف) خصوصا إذا علمنا أن الانتساب إلى البيت النبوي قبل العهد المريني لم يكن ليكسب حامله أي امتياز مادي. ولم يهتد الأمغاريون إلى إشهار شرفهم إلا حين اعتنت الدولة المرينية بالأشراف وسارعت إلى إحصائهم ومدهم بالمرتبات ومختلف الامتيازات المادية والاجتماعية، وفي هذا الصدد تدخل زيارة بعض أحفاد إسماعيل إلى بلاط أبي يعقوب يوسف المريني ومواقف بعض الفقهاء المقربين من الجانب المريني.

تمثل هذه المحاولات تأكيدا على أن الأمغاريين لم يكونوا من أولئك الأشراف الصرحاء بين عامة الناس كالجوطيين أو الصقليين أو أشراف الشمال، إذ لو كانوا كذلك لما احتاجوا إلى دعم مخزني ولا إلى موافقة الفقهاء. ومع ذلك فإن هذا الوضع يجب ألا يتخذ كحجة لإنكار شرفهم، مادام العامل التاريخي المشار إليه سلفا يؤكد وجود حالات مغمورة لم تعلن بإشهار شرفها إلا حين زالت كل الأسباب الداعية لإخفائه، وظهرت بواعث مشجعة على إبرازه.

لقد كانت ظروف المحيط الصنهاجي باعثا قويا على اكتساب الأمغاريين زعامة معنوية متميزة : فالجهل والفراغ الروحي الناتجان عن الممارسة البرغواطية، والقلاقل الناجمة عن الدعوة الموحدية، حمل صنهاجة على البحث عن حماية معنوية لدى الأمغاريين، كانت في بادئ الأمر دينية (إصلاح العقيدة، إعادة المنحرفين إلى جادة الشريعة بزرع

التعاليم السليمة المعتمدة على الكتاب والسنة) ثم أصبحت اجتماعية (حماية السكان من ظلم الحكام والتوسط في النزاعات والقيام بأعمال خيرية...).

لقد ترتب عن تلك الزعامة تأسيس الأمغاريين لعصبية صوفية مكنت طائفتهم من ارتقاء درجات عليا في الزعامة الروحية خلال القرنين السادس والسابع/12 و13 م، ولن تعرف الأفول إلا حين اختلال التوازن البشري بدكالة لصالح القبائل العربية الوافدة. وهناك أدلة مثبتة تؤيد أن نشاط الأمغاريين العلمي والصوفي تراجع بفعل ذلك التغيير البشري، مما جعلهم يفقدون سندهم القبلي. بل ترتب عن هذا الوضع انحراف بَيِّن وتخل واضح عن المبادئ الأصلية لرباط تيط. وحتى يكفلوا لأنفسهم ولرباطهم السمعة القديمة قبل الشيوخ المتأخرون مغريات المخزن المريني، بل لجؤوا إليه قصد منحهم بعض الامتيازات الدنيوية (خطة القضاء والعدالة) وهي الامتيازات التي ظل أسلافهم مترفعين عنها لأنهم لم يكونوا في حاجة إليها ما دامت مكانتهم معززة بعصبية قوية كانت قادرة على حمايتهم ومنحهم الرفعة وعلو المقام.

كان من النتائج غير المباشرة لهذا الوضع ظهور مراكز أمغارية جديدة منذ أواسط القرن التاسع (15 م)، اتخذها أبناء أبي عبد الله أمغار الصغير (شيخ الإمام الجزولي) كمواقع جديدة لبعض تعاليم رباط تيط التي تراجعت بفعل الأزمة التي عاشها الرباط منذ نهاية القرن السابع (13 م).

ويلاحظ أن بعض هذه المراكز جاء مطابقا لمواقع عصبية الأمغاريين التقليدية (صنهاجة)، وهكذا وجدنا زوايا أمغارية في بلاد تادلا وحاحة والسوس الأقصى، على أن أهمها تلك التي تأسست ببلاد هنتيفة (زاوية أغبالو) وبتافيلالت (زاوية أسول). وابتداء من القرن العاشر (16 م) ستظهر زوايا أمغارية ذات أهمية كبرى، كتلك التي ظهرت بالحوز (زاوية تامصلوحت) أو ببلاد كِيكْ (زاوية مولاي إبراهيم طير الجبل).

إلا أن هذه الزوايا لا تعكس كل مجهود الأمغاريين الصوفي، إذ صادفنا مراكز أمغارية أقل شهرة في كثير من مناطق المغرب كتازرين في بلاد أيت عَطَّا، والشياظمة، ودكالة، بل شهدت مكناس، منذ العهد السعدي، وجود علماء ومتصوفة من بين أفراد هذه الأسرة الصوفية، ولن تكتمل الصورة النهائية إلا بتتبع هذه الفروع والبحث عن الارتباطات التقليدية التي جمعت بينها، انطلاقا من الأصل الصوفي الذي ظهر برباط تيط بمجهود أبي عبد الله أمغار الكبير في القرن السادس (12 م).

ي. ابن الزيات، *التشوف* ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير* ؛ ع. الزموري، *بهجة الناظرين*، مخطوط ؛ م. القبلي، مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ الرباط، عدد 3 ـ 4، 1978 ؛ م. مفتاح، *التيار الصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب*، أطروحة غير منشورة.

الأمغاري، إبراهيم بن أحمد المعروف بـ «مولاي إبراهيم طير الجبل» من حفدة مؤسس زاوية تامصلوحت عبد الله بن حسين الأمغاري وأحد متصوفة القرن الحادي عشر الهجري (17 م)، اتسم نهجه الصوفي بالخروج عن مبادئ الطريقة الأمغارية التي أسسها جده المذكور وأسلافه متصوفة تيطنفطر المشاهير. وصورة الاختلاف تكمن في كونه مزج التصوف ببعض النزعات التي تميل إلى التشيع.

ليس هناك تدقيق فيما يخص سنة ولادته إلا أن المصادر أجمعت على أن عمره تجاوز المائة سنة. وهناك رواية أوردها الإفراني تشير إلى كون الشيخ أحمد بن موسى السملالي زار عبد الله بن حسين فوجد المولى إبراهيم صبيا "يدرج بين يدي جده" (*صفوة*، 149)، والمؤكد أن الشيخ السملالي كانت له زيارة إلى مراكش في عهد السلطان السعدي الغالب بالله، فيحتمل أن تكون هذه الزيارة فرصة لملاقاة عبد الله بن حسين.

بدأ إبراهيم بن أحمد تعليمه بزاوية جده المذكور، ثم انتقل إلى مراكش حيث أخذ بها عن أحمد المنجور، أحد مشاهير علماء العهد السعدي، وعبد الله بن علي ابن طاهر الحسني من أشهر حفاظ المغرب، وبعدهما عن أبي مهدي السكتاني، بينما تلقى مبادئ التصوف عن جده وعن أحمد ابن موسى السملالي. إلا أنه لم يسلك في بداية حياته نهج أجداده وأبيه المتمثل في الاهتمام بالزاوية وبوظائفها الفلاحية والصوفية، بل وجدناه ينتصب للشهادة بأحد أهم أحياء مراكش في العهد السعدي : حومة المواسين التي كانت تشهد آنذاك حركة علمية متميزة بفضل مسجدها المشيد حديثا.

ويظهر أن اختيار إبراهيم لخطة العدالة لم تكن تمليه رغبة مادية صرفة، مادامت ثروة زاوية جده تغنيه عن الارتزاق، لكن الذي ظهر لاحقا هو أن إبراهيم حوّل دكانه إلى معقل للنشاط الصوفي وللدعاية بين فقراء المدينة وعلى الخصوص الوسط الحرفي.

وخلال أزمة الحكم التي تلت وفاة أحمد المنصور تمكن إبراهيم الأمغاري من توسيع قاعدة نفوذه مستغلا ظروف الأزمة. وهكذا تمكن من تشكيل دعامته الصوفية من بين صناع الدباغة، فأصبحنا منذئذ نسمع بطائفة المصلوحي، التي نُعتت من طرف بعض المعارضين بشرذمة الفقراء.

وحسب الإفراني فإن دواعي التأييد كانت مرتبطة بسمات الخير والصلاح في الشيخ الأمغاري لكن القاضي التمنارتي، في رسالته إلى محمد بن أبي بكر الدلائي، يُرجع ذلك إلى خروجه عن الهداية وركوب أهواء العامة، وهو ما فتح باب التساؤل عن الأسباب الحقيقية لشيوع أمر إبراهيم وخروجه عن طاعة زيدان بن أحمد المنصور.

ليست هناك حقائق واضحة للإجابة عن ذلك، اللهم إذا ربطنا ذلك بحركة الاحتجاج التي بدرت من بعض المتصوفة ضد زيدان إثر مهادنته للبرتغال والسماح لهم بالاتجار مع المغاربة، ومن تلك الحركات تمرد أبي كانون المطاعي، وما

يعزز هذا الربط كون القاضي التمنارتي يجمع في رسالته الآنفة الذكر كلاً من المصلوحي (إبراهيم بن أحمد) وأبي كانون في وصفهما بالثوار.

وإثر شيوع حركة إبراهيم الأمغاري داخل مراكش وتعاظم شأنها بين عامة المدينة تعقّبه زيدان وأمر بالقبض عليه، وهو ما كان سببا في فراره إلى جبال الأطلس الكبير والاحتماء بقممها بناحية كيكْ الحصينة، حيث طلب الجوار من سكتانة، لكن هؤلاء أبدوا تحفظا واضحا في قبول طلبه، ومع ذلك سمحوا له بالإقامة بجوارهم تقديراً لجده ونفوذ زاويته بين قبائل سكتانة عامة. وبأعلى قمة كيكْ المنيعة أسس زاويته الشهيرة بزاوية طير الجبل.

وتعتبر هذه المرحلة أهم مراحل حياة إبراهيم الصوفية، حيث شاع نفوذه بعد وفاة زيدان وتمكن من تقوية عصبيته بإدماج سكان النطاق الممتد من أعالي كيكْ إلى حدود زاوية تامصلوحت، وبذلك أصبح كل هذا المجال نطاقا أمغاريا، زاد من تعزيز علاقات المصاهرة التي تمت بين إبراهيم وبربر سكتانة، وعقبها نشأت بعض الزوايا التابعة لزاويته في كل من اقريش ودار العين (مراكز جنوبي مراكش في اتجاه أمزميز).

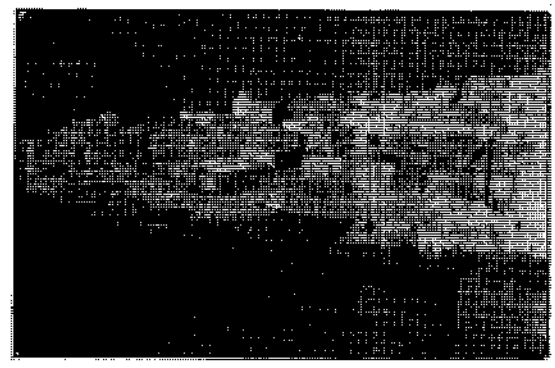

ضريح مولاي إبراهيم طير الجبل الأمغاري وسط القرية المسماة باسمه في جبل سكتانة

ومن مميزات هذه المرحلة الاقبال الكبير الذي عرفته زاويته خصوصاً من جانب فقراء مراكش وحرفييها، وكذا جموع سكتانة وبعض القبائل الدكالية. ويذكر الإفراني في هذا الصدد أن زاويته ضمت في بعض الأيام "ثلاثين ألفا من الرجال وتسعة آلاف من النساء" (*صفوة*، 199)، وهو رقم قد يكون فيه شيء من المبالغة.

ونستطيع أن نبرز صفتين متميزتين في نهج إبراهيم الصوفي :

أ ـ المزج بين التصوف السني وبعض النزعات التي تميل إلى التشيع، ولنا في بعض أقواله وأعماله المحققة ما نستدل به على ذلك : إذا حل شهر محرم ترك حلق الشعر والزينة، وإذا سئل عن ذلك رد :"ما فعلت هذا إلا امتعاضا لقتل الحسين" (*صفوة* : 150).

ب ـ اتسمت طريقته بالخروج عن مبادئ الزاوية المصلوحية التي أسسها جده عبد الله بن حسين، ويتجلى ذلك في استحداثه للسماع والرقص وما يتلو ذلك من سلوك غير مألوف في تصوف الأمغاريين.

مات مولاي إبراهيم طير الجبل عام 1072 / 61 . 1662، وخلف زاوية ذات نفوذ شاسع وثراء واسع، وبحكم وجود زوايا فرعية تابعة لها ستنشأ منذ نهاية القرن الحادي عشر الهجري(17م) خلافات حول تسيير شؤونها ومن له الأحقية في ذلك. وكان طرفا النزاع، من جهة الزاوية المصلوحية التي تمسك شيوخها بالأحقية في الإشراف والتسيير والاستفادة من المداخيل ومبدأ التبعية القائم على أساس أن زاوية الشيخ إبراهيم إنما هي فرع لها، ومن جهة أخرى حفدة إبراهيم المستقرون بزاوية اقريش والمتمسكون بحقهم كوارثين لزاوية جدهم. واستعان كل فريق بسلطة المخزن، غير أن كفة الزاوية المصلوحية كانت راجحة على الدوام بحكم قوتها ونفوذها وبحكم علاقاتها الوطيدة بالمخزن، الذي نصبها ولمدة ثلاثة قرون وصية على شؤون زاوية مولاي إبراهيم، ولتأكيد ذلك أصدر العديد من الظهائر والمكاتبات.

وعلى مدى القرون الثلاثة الماضية كان أهل أقريش مداومي أعمال النهب في النطاقات التابعة لزاوية جدهم، وقد عوقبوا من طرف المخزن في أكثر من مناسبة.

إلا أن الأوضاع الأخيرة غيرت من صورة وطبيعة الخلاف بعد أن استقلت زاوية المولى إبراهيم عن وصاية الزاوية المصلوحية، في ظروف اقتصادية واجتماعية مغايرة لما كان عليه الأمر قبل ثلاثة قرون خلت.

مجموعة الوثائق المخزنية وتشمل *ظهائر ومراسلات* تهم شؤون زاوية المولى إبراهيم : م. الإفراني، *صفوة* ؛ م. الحضيكي، *طبقات*؛ م. ابن المؤقت، *السعادة الأبدية* ؛ م. المختار السوسي، *إليغ قديما وحديثا*.

محمد المازوني

الأمغاري، أحمد بن الجيلالي الحسني الإدريسي الفاسي. ويكتب اسمه أيضا «المغاري» ـ بدون همزة ـ ويعرف بابن الجيلالي. عالم مشارك محقق مدقق، درس في فاس على كبار الشيوخ أمثال محمد بن المدني گنون، والمهدي بن محمد ابن الحاج، والعابد بن الطالب ابن سودة، وعبد السلام بن الطايع بوغالب وأضرابهم. بلغ الغاية في تحقيق العلوم العقلية والنقلية، وانقطع للتدريس بالقرويين والضريح الإدريسي أزيد من نصف قرن حتى عد شيخ الجماعة بفاس. وسلك طريق القوم على يد الشيخ الصوفي الكبير محمد بن عبد السلام ابن عبود السلوي «وقد سلم إليه الإدارة حتى إنه يكون بين يديه كالميت بين يدي غاسله فلا يكلمه إلا بأدب بالغ» (*إتحاف المطالع*).

أسهم أحمد بن الجيلالي في إصلاح التعليم بالقرويين عام 1332 / 1914 وعين نائبا لرئيس المجلس العلمي الاول الشيخ أحمد بن الخياط الزكاري إلى أن توفي عام 1343 / 1924 فخلفه في رآسة المجلس وبقي في هذه الخطة إلى أن أدركته الوفاة يوم الاربعاء خامس ذى الحجة عام 1352 / 21

مارس 1934 ودفن بزاوية أهل وزان من حومة الشرشور بفاس.

إ. القضيلي، *الدرر البهية*، ج 2 : ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة*، 1 : 145 - 146 : ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط ؛ *سل النصال*، مخطوط.

محمد حجي

الأمغاري، عبد الله بن حسين، أجمعت المصادر التاريخية التي تعرضت لحياة عبد الله بن حسين فيما يتعلق بهويته وأصله بأنه من فرع الأمغاريين الراحلين عن تيطنفطر (ساحل دكالة) أواسط القرن التاسع / الخامس عشر. غير أن هذا الاتفاق غير كاف لإعطاء معلومات متكاملة وواضحة عن أطوار حياته العلمية والصوفية، وكذا استقراره بالحوز بموضع تامصلوحت. ولا نملك من مصدر لتوضيح بعض هذا الغموض غير كتاب *دوحة الناشر* لابن عسكر الذي زار عبد الله بن حسين وأخذ عنه. ويشكل هذا المصدر منطلق كل مؤرخ لاحق إلا إضافات يسيرة.

أسس عبد الله بن حسين زاويته بموضع تامصلوحت المهجور حوالي سنة 933 / 1528، بإشارة من شيخه عبد الله الغزواني المستقر حديثا بعاصمة السعديين. والسرعة التي تم بها إقرار عبد الله بن حسين بذلك الموضع تجعلنا نعتقد قدم الصلات بين الرجلين، إذ لا يعقل أن يمكث مريد بحضرة شيخه مدة قليلة ليأذن له بعدها بتأسيس زاوية.

بينت رواية ابن عسكر ملابسات تأسيس الزاوية المصلوحية : فالمكان كان مقفرا لا ماء به و لا أنيس، مما حدا بالشيخ الغزواني إلى الالحاح على تلميذه عبد الله بن حسين بضرورة الاقامة به وإحياء الأرض ومد قنوات السقي و تشجيع التعمير. ومن نتائج هذا الإقرار طلب قبائل المنطقة حق الجوار وخدمة الزاوية، وهنا تذكر الرواية المحلية أن عبد الله بن حسين تنازل لهذه القبائل عن ثلث فتوحات الزاوية. وكانت الفروع المصمودية أول من سارع إلى خدمة شيخ الزاوية، فنالت لقاء ذلك حمايته المعنوية وامتياز استغلال الأراضي المستصلحة أو تلك التي تم اجتثاث أشجارها. كما جعل عبد الله بن حسين للقبائل المجاورة وظيفا على أزواج الحرث أخماسا وأعشارا تصرف لزاويته كمقابل لتلك الكرامات التي أظهرها على زروعهم وعلى نسلهم. وسيترتب عن ذلك توسيع نفوذ الزاوية واستغلالها لامتيازات في مناطق متعددة من الحوز.

تعتبر مشيخة عبد الله بن حسين أهم فترات ازدهار زاوية تامصلوحت، سواء من حيث مكانتها الاجتماعية أو من حيث توسيع ممتلكاتها، وسيحظى شيخها بمكانة متميزة في عهد عبدالله الغالب السعدي، اذ اعتبر أحد ثلاث عينات هم عيون الزمان في عهده (*نزهة الحادي* : 46). إلا أن هذه السمعة لم تمنع الغالب من إغلاق زاوية عبد الله بن حسين والتضييق به لمدة لا نعلم مداها. وقد اختلفت المصادر في تفسير ذلك الإجراء، بينما فضل بعضها الصمت أو التلميح المجرد، كما فعل محمد المهدي الفاسي في *ممتع الاسماع*.

ومن التفاسير الحديثة ما جاء بها هنري طيراس Henri Terrasse أن التضييق الذي تعرض له عبد الله بن حسين جاء كرد فعل ضد مواقفه المعادية للدولة السعدية والمؤيدة للأتراك، بل أضاف قضية إنتسابه إلى المذهب الإباضي، وهي معلومات لم نجد لها أصلا في المصادر السعدية المعروفة.

ومن المؤشرات التي تترك منفذا لتجاوز الغموض الذي لحق بقضية إغلاق زاوية عبد الله بن حسين، ظهور الطائفة الأندلسية في عهد الغالب بالله وتصدر أحد الأمغاريين (عبد الخالق) لفرعها المكناسي. على أن أقل الاحتمالات الممكنة لتفسير ذلك التضييق كون عبد الله بن حسين جمع بين شهرته الصوفية وشرفه الظاهر مما ضايق السعديين الأشراف المنطلقين في دعوتهم من نفس المنطلقات.

ومن الأحداث البارزة خلال مشيخة عبد الله بن حسين انضمام بعض القبائل القوية إلى مجموعة القبائل المصمودية التي شكلت عصبية الزاوية المصلوحية الأولى، كقبيلة أولاد مطاع وقبائل اتحادية أيت عطا، فقد منحت الأولى الاحتماء بشيخ الزاوية قصد تسهيل مرورها نحو المراعي الشمالية المحيطة بوادي نفيس، بينما نجد الشيخ الأمغاري، بالمقابل، يعتمد عليها لصد تحرشات القبائل السكتانية المجاورة لزاويته وتهديدات عرب زرارة المضرة بمصالح الزاوية.

أما بالنسبة لاتحادية أيت عطا فالكل يعرف أن مؤسس الاتحادية، دادا عطا، كان من مريدي عبد الله بن حسين، وأن هذا الأخير ساعد قبائل الاتحادية على الاستفادة من بعض المراعي التي كانت تحت تأثير قبائل هي أصلا من عصبية الامغاريين بالاطلس الكبير الشرقي وجبل صَغْرو.

وبغض النظر عن علاقات عبد الله بن حسين بتلك القبائل نجد تأثيره الصوفي واضحا بين العديد من المريدين المنتشرين في سائر المناطق المغربية، ومن هؤلاء محمد بن ريسون، ومحمد بن أبي زكرياء الملقب بالگدار، وأبو سعيد الهشتوكي مؤسس زاوية وويزغت بالأطلس الكبير، وموسى بن يعقوب البوگمازي مؤسس زاوية تنغملت ببلاد هنتيفة، وسيدي شقرون الأندلسي، وأبو الحسن الحارثي ....

استمر عبد الله بن حسين شيخا لزاوية تامصلوحت حتى أوائل الثلث الأخير من القرن العاشر/ السادس عشر. وتباينت المصادر في إعطاء تاريخ لوفاته، اذ جعلها البعض سنة ست وسبعين وتسعمائة (*دوحة* : 109)، بينما تردد البعض الآخر في إعطاء تاريخ مضبوط لذلك. ومن هؤلاء نذكر صاحب كتاب *مرآة المحاسن* الذي استبعد تاريخ ابن عسكر وآثر تغليب الظن بجعل سنة 977 / 1566، تاريخ وفاة عبد الله بن حسين.

م .ابن عسكر، *دوحة* ؛ م.العربي الفاسي، *مرآة المحاسن* ؛ م.المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع* ؛ م.ابن المؤقت، *السعادة الأبدية* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الجزء الخامس.

H.Terrasse, *Histoire du Maroc* ; P. Pascon , *Le Haouz de Marrakech*, 1977.

محمد الأزوني

الأمغاري، محمد بن الحبيب الفيلالي المكناسي، اشتهر بابن الحبيب. ولد عام 1295 / 1878، وهو من حفدة الشيخ علي بن حساين دفين قصر أولاد يوسف بتافيلالت من ذرية مولاي عبد الله بن احساين صاحب زاوية تامصلوحت الشهيرة بضاحية مراكش.

طلب ابن الحبيب العلم بفاس واستوطنها مدة قبل أن ينتقل إلى مكناس ويستقر بها نهائيا. ومن شيوخه بفاس أحمد بن الخياط الزكاري، وأحمد بن الجيلالي الأمغاري، وعبد الله بن إدريس البدراوي، وعبد السلام الهواري. وأخذ التصوف عن محمد بن عبد الواحد الحلو دفين حومة البليدة من فاس، وأحمد شمس الشنگيطي، وماء العينين بن فاضل، ومحمد بن علي الورزازي ثم المراكشي، الدرقاوي طريقةً، وعليه كان اعتماده.

اشتغل ابن الحبيب بالتدريس أيام إقامته بفاس، فكان يدرس التفسير بمسجد قصبة الأنوار من طالعة فاس، وحج مرارا، وتصدر للمشيخة فانتفع به الناس وكثر أتباعه، إلا أنه انحرف إبان اشتداد الأزمة السياسية ومال إلى جانب المستعمر.

توفي بعد عام 1372 / 1953.

ع . ابن سودة، *سل النصال*، مخطوط.

محمد حجي

إمْغْرَانْ، قبيلة تقطن حاليا في السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط، ويحدها شمالا فطواكة وغربا اگلاوة الجنوبية وجنوبا أراضي أيت يحيى أوعلي وشرقا جبل مَگُون (إيغبلْ - نْ - إمْگونْ) وأراضي قبيلتي إمگُون وأيت سدرَات إلى حدود مجال قبائل صَغْرُو. أما حدود أراضي إمغران الجنوبية إلى أواخر القرن التاسع عشر فهي وادي ورزازات، وهو مجال متنوع بين الجبل في الشمال والسهل والحوض في الجنوب، مما يشرح استمرار التكامل بين الاعتماد على الزراعة والرعي إلى وقت قريب جدا نحو الجنوب.

إن الاسم الذي تعرف به القبيلة اليوم لم يرد في المصادر التاريخية المعروفة قبل الحسن الوزان الذي مر بالمنطقة قادما من درعة سنة 917 / 1508 (*وصف إفريقيا*، 187 - 188) لكن الوزان لم يوضح هل الاسم يطلق على المجال الجغرافي أم على الجماعة البشرية، ولكننا نجد الحديث قبل هذا التاريخ عن سكورة، ونجد في هذا المجال نفسه أسماء مثل غسّاتْ وتُونْدُوتْ ذكرها البيذق. ومفرد المنتسب لإمغران هو إمغري أو تيمغريت للمؤنث، و معنى الاسم قريب من أماراغ أو تامارَاغت ويعنى الأراضي التي بها حجر الملح. ويوجد بأراضي القبيلة مناجم كثيرة للملح منذ القديم، وعرف سكانها بكونهم تجار الملح و موزعيه بين كثير من قبائل الجنوب (تدغة وأيت عطا ودرعة ..) ولا تسعف على تأكيد هذا المعنى وثيقة مكتوبة.

وقد يشتق الاسم من فعل إغْرْ و معناه نادى أو قرأ، فيكون إمغران هم المتعلمون أو القراء. وهو المرجع إذا اعتبرنا الدور الذي قامت به قبيلة هسكورة في نشر التعاليم الموحدية وانضمامها إلى الدعوة بعد معارضتها.

وإلى اليوم فإن القبيلة لا تزال تعرف في جنوب الأطلس بفقهائها الذين كونوا أجيالا كاملة من حفاظ القرآن وحملته. وإلى وقت قريب منا جدا مازال الدعاء المرفق بخطبة الجمعة توجد به عبارة ترجع إلى المرحلة الموحدية الأولى وهي «اللهم انصر جيوش المسلمين و عساكر الموحدين» كما احتفظت الذاكرة الشعبية منذ ذلك العصر بكثير من نصوص التعاليم الإسلامية مترجمة إلى اللسان الأمازيغي المصمودي. ويستبعد في جميع الأحوال أن يكون لإمغران علاقة بمغراوة الزناتية.

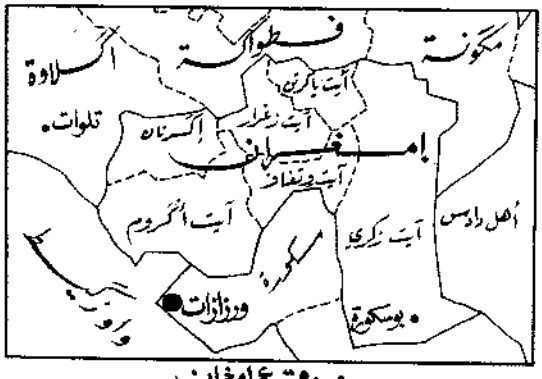

موقع إمغران

إن إمغران هي القسم الجنوبي للمجموعة الكبرى المكونة لقبيلة هسكورة. أما أصلها فهو الصحراء. وعبر تاريخ طويل بدأت تتحرك نحو الجبل و نحو الدير الشمالي حيث وصلت مقدمتها. أشار البيذق إلى دورهم في الدعوة التومرتية، وكذلك فعل ابن خلدون الذي تناول هسكورة عامة، وكانت إلى عهده تعتمد على الرعي في حياتها إلى جانب الزراعة.

أما الوزان (917 / 1504) فلم يصف لنا إلا قسم القبيلة القاطن بالجبل دون ذكر سكان المنبسط الممتد بين الدير وموضع الانتجاع الشتوي، وهو جبل صَغْرو. وقد يكون مر في الخريف (؟) والسكان ما زالوا في القسم الأعلى من الجبل، حيث إنه لم يذكر لنا الزراعة بل اكتفى بالرعي (187 - 188).

وكل ما نجده عن هذه الجهة في وثائق العهد السعدي هو اسم القائد الحاكم السعدي في المنطقة وهو ابن تابيا، (نسبة إلى موطنه الأصلي تابيا الموجودة بناحية تاليوين الحالية) فهل أدخل البناء بالطابية لتيغرمين، وهذا إذا اعتبرنا عدم ذكر الوزان قبله لأي عمارة ما عدا الأكواخ.

كما أن الرواية الشفوية تقول إن القبيلة لم تعرف الاستقرار وتعاطي الزراعة إلا ابتداء من هذا التاريخ (نقل غرس اللوز من سوس وإدخاله إلى الأطلس الكبير الأوسط ...).

وما تزال بعض أسماء الأعيان والعائلات التقليدية تحمل جذور الأسماء الشائعة في سوس والأطلس الكبير الغربي. كما أن أسماء الأخماس المكونة للقبيلة (أيت زعار - تونـدوت - أيت عفان - أيت زَعْري - أيت وتْفَاوْ - إگرْنَانْ - إكَانْضولْنْ - أيت يَاگرْتَنْ). قد يكون زمن تأسيسها يرجع إلى زمن هذا القائد، لكن الرواية الشفوية وحدها هي التي تساند هذا الرأي. ويحدث من جديد انقطاع لأخبار القبيلة إلى بداية القرن الثامن عشر الميلادي (عهد المولى إسماعيل) حيث هاجرت فروع وأفخاذ من أعراب تافيلالت المعقليين نحو الغرب واستقرت بالأراضي السهلية الجنوبية لإمغران - سكورة الحالية - وقد تكون لهذا الحدث مبررات سياسية أو استراتيجية مثل مراقبة الطريق بين تافيلالت ومراكش وبين درعة ودمنات، وقد يكون بدافع اقتصادي حيوي بالنسبة لهذه الجماعات المهاجرة.

وخلال هذه المرحلة بقيت شؤون القبيلة تابعة لقيادة دمنات إلى حين ظهور عائلة الأگلاويين المزواريين بتلوات. في بداية القرن التاسع عشر الميلادي. كزعامة قبلية محلية ثم جهوية في مرحلة ثانية. حيث ضمت قبيلة إمغران إلى قيادة الأگلاويين وأصبحت تابعة لتلوات بدل دمنات (ظهير 1864) تحت قيادة مؤسس عائلة الأگلاويين محمد بن أحمد بن الراضي المعروف ب إبيبض (ت 1886م) وكانت هذه القبيلة من القبائل الأولى المكونة لما سيعرف بمجال أحد القواد الكبار. وقد عارض سكان قبيلة إمغران تدخل الأگلاويين في شؤونهم و ضمهم إلى قيادتهم وقاموا بتمردات وحركات عصيان انتهت كلها بانهزام القبيلة أمام هذه القوة الجهوية الصاعدة وأمام استعمال الأسلحة النارية الأكثر تقدما وذلك قبل نهاية القرن الماضي.

وعندما انتقل ثقل عائلة المزواريين الأگلاويين إلى الشمال في اتجاه مراكش ودمنات والحوز زمن قيادة المدني الأگلاوي، بقيت إمغران تابعة لقيادة تلوات والجنوب الأطلسي كله تحت قيادة امحمد بن محمد بن محمد إبيبض وهو المعروف بالقائد «حمو» (ت 1937م). ثم القائد إبراهيم بن التهامي الأگلاوي حتى استقلال المغرب عام 1956.

لقد قام الأگلاويون بسن سياسة تتميز بالليونة تارة وبالعنف تارة أخرى تجاه هذه القبيلة حسب الظرفيات الجهوية وحسب شخصية القائد. ففي عهد حمو و المدني كان القائد حمو يدافع عن إمغران وگلاوة على أنهم «إخوة»، وكانت الضرائب خفيفة نسبيا، لكن وفاة المدني وتولي الباشا التهامي الأگلاوي القيادة الكبرى أدى إلى اصطدامات وإلى نفي أعيان القبيلة وإعادة توزيع أراضيها ومياهها حسب أقدمية التحالفات وحسب مصلحة العائلة المباشرة. كما أن القبيلة الأصلية ضمت إليها أفخاذاً جديدة كانت في الأصل تابعة لدادس وامگونة (أيت زكري وأيت تومـوت) وتأسس بذلك ما أسماه بول باسكون بالقبيلة المخزنية حيث يصبح عدد الأفخاذ وقوتها خاضعة للمراقبة بهدف إضعاف عصبيتها وربط الكل في النهاية بالقيادة العائلة بعدما يصبح الشيوخ والأعيان دون قاعدة قبلية موحدة ومتناسقة.

البيذق، *أخبار المهدي* 1971 ؛ ع .ابن خلدون، *العبر*، 6 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ أ. التوفيق، *إنيولتان*.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; P. Pascon, *Haouz*.

محمد أوجامع

أمْغْنّي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، ويبدو أنها كانت غنية بدليل المثل التطواني الذي يقول :«ما انتيشي بنت المغني» بمعنى أن أباك ليس له مال المغني.

ومن أفراد هذه الأسرة المسمى الحسن الذي كان حيا سنة 1267 / 1851، والسعدية التي كانت أول امرأة تطوانية اتصلت بالنصارى بعد احتلال تطوان في شهر فبراير 1913. وأصبح لها مكانة مرموقة عند كبار ضباط الجيش الإسباني يلبون جميع رغباتها، حيث كانت تستطيع أن تعين أصدقاءها في بعض الوظائف وتحصل على رخص معينة لهم، وبها استعان الصحفي الإسباني انريكي اركيس Enrique Arques في إنشاء المتحف الإتنوغرافي بتطوان. ولعلها كانت أول امرأة مغربية ارتدت لباس المرأة الأوربية، وكانت آية في الجمال. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ.الرهوني، *عمدة الراوين* ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidro de las Cagigas. *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

أمغير، رمضان بن محمد، ولد سنة 1925 بالساقية الحمراء. انخرط في صفوف جيش التحرير وبقي يعمل بالمقاطعة الأولى بمركز تكل تحت مسؤولية السيد علال. شارك ببسالة نادرة في معركة تكل الكبرى واستشهد في الجولة الأخيرة منها سنة 1956.

وثائق المندوبية السامية.

عز الدين العلام

أمغيلن ← **مغيلة**

أمغيوز، مكان يقع بين أوريكة شمالا وأغمات جنوبا على بعد حوالي عشرة كلمترات من هذه الأخيرة، بمحاذاة سوق اثنين وريكة الحالية.

أقدم مصدر معروف أشار إلى أمغيوز هو *إتحاف العينين* (1 : 175 - 253 - 263)، باعتبارها مركزا دينيا للطائفة الأغماتية التي أرخ لها هذا المصدر. وبذلك فقد شكلت مركزا ضمن ستة مراكز قروية بالجنوب ارتكز عليها نشاط الأغماتيين خلال القرن السابع الهجري (13م)، إضافة إلى مركز حضري بارز تمثل في مراكش.

وبناء على هذه المعطيات فإن أمغيوز تعتبر مركزا دينيا جديدا في الخريطة الدينية لدير الأطلس الكبير الغربي جنوب مراكش خلال الفترة المذكورة.

كانت أمغيوز المقر الذي اختاره شيخ الطائفة الأغماتية أبو عبد الله الهزميري بعد ما تم إبعاده عن أغمات من طرف والي المرينيين عليها آنذاك أبي علي المليلياني وذلك خلال سنة 677 / 1264 وبها توفي سنة 678 / 1265 وقد ساهم هذا المركز في تربية المريدين وتنظيم شؤون الطائفة (*إتمد*، 1 : 253 - 263).

لم تكن أمغيوز فيما يبدو مركزا قرويا متطورا، بدليل انها لم تحمل صفة جغرافية محددة، قرية، جهة ... الخ الأمر الذي ينعكس من جهة في الإشارة إلى معمار محدود يتمثل خاصة في مسجد وزاوية، ومن جهة ثانية فيما تحمله من صفة «مركز نفي» على عهد أوائل المرينيين ـ حالة أبي عبدالله الهزميري ـ يضاف إلى ذلك أنها لم تكن مشهورة حتى بين سكان المنطقة أنفسهم، وهو ما توحي به كلمة «موضع» التي نعتها بها أحد سكان المنطقة خلال القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي (*إتمد*، 1 : 213).

م. ابن تكلات، *إتمد العينين* ؛ ت. م. رابطة الدين، د. د. ع. الرباط، 1986.

محمد رابطة الدين

إمْفُوتْ، (سد .) كان الهدف الأول من بناء سد إمفوت هو إنتاج الطاقة الكهربائية لتزويد الدارالبيضاء منها على الخصوص، نظرا لأوج التوسع الصناعي بها في تلك الفترة. فبنى السد بين سنتي 1940 و1944 ليكون بذلك ثالث سد على حوض أم الربيع بعد سيدي سعيد معاشو 1929 وقصبة تادلا 1933 وأول خزان كبير للمياه قبل بناء سد بين الويدان 1952.

شيد السد على وادي أم الربيع بين قريتي مشرع بن عبو وبولعوان، بمقربة من دوار إمفوت الذي يبلغ حاليا 600 نسمة تقريبا. و يوجد في موضع ملائم من حيث الاختيار الهدروجيولوجي. حيث يبلغ متوسط صبيب أم الربيع عند مستوى إمفوت حوالي 100م^3/ ثانية، مع تجاوز ذلك الحجم في بداية فصل الربيع عند بداية ذوبان الثلوج الأطلسية. أما من حيث الخصائص التضاريسية والجيولوجية، فإن البحيرة على مستوى 190م. ونظرا لتعمق أم الربيع الكبير، فإن فارق الارتفاع بين ذلك المستوى وقمم سفدي الوادي يفوق 100م. لذلك فإن البحيرة لا تنتشر في كل الجوانب، إذ لا يتعدى عرضها الأقصى 1000م. بل تمتد طوليا على مسافة تفوق 20 كلم في اتجاه العالية. وتشرف على السد تلال مديدة متوازية تماما فيما بينها ومتعامدة تقريبا مع مجرى الوادي. وهذا الاتجاه الواضح للتلال من الشمال إلى الجنوب قد أفرزته بنية منتظمة محليا، تتمثل في وجود سد إمفوت وسط انكسارات هرسينية صغيرة قرب محور مقعر شمالي-جنوبي، وفي الجنب الذي يتخذ فيه الميل درجة متوسطة إلى شديدة نسبيا، مقابل الجنب الغربي الذي يصبح فيه الميل شبه عمودي، تتكون نواة المقعر من شيست وحث سلوري وكمبري، وتتكون الهوامش التي تصبح متماسة مع السد في الجهة الشمالية الشرقية (أي الضفة الشرقية) من الكلس والصلصال.

يصنف السد ضمن نوع السدود المتكتلة، بعلو 50,5م لخزن 85 مليون م^3 أصلا. وكان متوقعا أن تزداد حمولته إلى 1640 مليون م^3 عقب الزيادة في ارتفاعه. إلا أنه ابتداء من أواسط السبعينات أصبح لايتسع سوى لخزن 20 إلى 25 مليون م^3، نظراً لتحول البحيرة واستقبالها المستمر لكميات ضخمة من الطمي، إلى درجة أنه لا يكاد يقتصر السد على دور تحويل المياه سطحيا ومباشرة إلى السهل عبر قناة الرأس الميت. ومن ضمن أسباب بناء سد المسيرة بين 1975 و1979 هو احتمال تقلص حمولة بحيرة إمفوت. رغم ذلك فإن السد لم يفقد وظائفه التي أنشئ من أجلها، ألا وهي إنتاج الطاقة الكهربائية وتحويل الماء للري.

صورة جوية حديثة لسد إمفوت

يحول الماء إلى المحطة الكهربائية بواسطة قناة قطرها ستة أمتار وصبيبها 150م^3 / ثانية. وكان متوسط الانتاج العادي للمحطة إلى حد الستينات هو 170 مليون كيلواط في الساعة، يتم توزيعها على محطة الدورات ومركز سيدي العابدي ومراكش وخصوصا الدارالبيضاء عبر مركز تيط مليل. إلا أن الانتاج أخذ يتذبذب ويتناقص منذ الشروع في انتاج الطاقة الكهربائية في محطة المسيرة وبسبب توسع الري وهبوط سعة السد. فأصبحت محطة أمفوت تحتل الدرجة الرابعة من حيث حجم إنتاج الطاقة الكهربائية في حوض أم الربيع بعد أفورار وبين الويدان والمسيرة، وهكذا أصبح الإنتاج يتوزع في السنوات الأخيرة على الشكل التالي : 42 مليون كيلواط في الساعة سنة 1982 و28 سنة 1983 و20 سنة 1984 و7 سنة 1985 و11 سنة 1986.

أما بهدف ري قطاع دكالة وعبدة فإن الماء يجلب من الضفة اليسرى للوادي ويتجه نحو سهل دكالة عبر نفق إسمنتي طوله 6.7 كلم وقطره 53 م، انجز سنة 1952 وبإمكانه صرف 36م^3 في الثانية، تخصص منها 34 للري والباقي للماء الصالح للشرب. ويمتد نفق «الرأس الميت» في السهل عبر قناة عارية طولها 111 كلم، تسمى بالقناة الرئيسية أو قناة المصلحة السفلى أو قناة دكالة، لتمييزها عن قناة أسفي التي ترتبط بمؤخرتها على مسافة 44 كلم، ولتمييزها كذلك عن القناة الفرعية الوسطى التي تحيط بقطاع سيدي بنور، والتي تزود بواسطة محطة الضخ لبير العبيد بمقدار يتراوح بين 72 و22 م مكعب في الثانية.

في سافلة القناتين تسقى بالانسياح الجاذبي قطاعات الفارغ وسيدي إسماعيل وسيدي بنور، وتسقى بطريقة الرش وبواسطة عشر مضخات كبيرة قطاعات بولعوان وخميس الزمامرة واثنين الغربية. بعد ري تجريبي محدود المساحة بمنطقة بولعوان 3000 هكتار في مستهل الخمسينات، بدأ يصل الري إلى القطاعات الأخرى بوتيرة ثمان سنوات في البداية، بعد مدة طويلة استغرقها تجهيز السهل. وهكذا، انطلق الري في قطاع الفارغ (الذي جهز بين 1952 و1958) سنة 1956، وسيدي إسماعيل (بداية التجهيز سنة 1963 و1964 وسيدي بنور(فترة التجهيز بين 1970 و1974) سنة 1972. ويتوقع أن تصبح المساحة المسقية في مرحلتها النهائية 59700 هـ (27500 بالانسياح والباقي بالرش) بعد التغطية الكاملة لقطاعي خميس الزمامرة واثنين الغربية حيث بدأ تجهيزهما في أواسط السبعينات وانتهى في أواسط الثمانينات. أما الآن فيسقى من المساحة الإجمالية أكثر بقليل من 50000 هـ (من بينها 3750 في إقليم أسفي والباقي في إقليم الجديدة).

أما مياه سد المسيرة وسد الفارغ فستضاف إلى مياه إمفوت لري الشطر الثاني من السهل، والذي يتوزع على ثلاث مناطق في جنوب السهل بدأ تجهيزها سنة 1986 وسيستمر إلى سنة 1997 لتبلغ المساحة المسقية الإضافية 40000 هـ، ولتصبح المساحة الإجمالية بسهل دكالة تعادل 100000 هـ. وأما القناة التي ستسقي هذا القطاع والتي تسمى قناة المصلحة العليا، فستتفرع هي الأخرى عن نفق الرأس الميت.

Direction de statistique, *Annuaire statistique du Maroc*, Rabat 1987 ; Division de la carte, *Carte topographique de Mechra Ben Abbou* au 1/50000. Rabat 1956 ; M. Gigout , *Etude sur la Méseta Marocaine occidentale*, Trav. Inst. Sci. Cher. Rabat 1951 ; J. Loup, *L'Oum Er Rbia*, Trav. Inst Sc. Cher, N° 9, Rabat 1960.

مصطفى عياد

أَمْقْرَانْ، مرسى تقع بشاطىء قبيلة بني بوفراح الريفية شرق جزيرة بادس. وكلمة أمقران معناها في اللهجة الريفية : الكبير. وبهذه المرسى نزلت القوات البحرية الاسبانية التي احتلت الجزيرة المذكورة يوم 23 يوليوز 1508.

أَمْقْرَانْ، نهر يعرف كذلك بالنهر الكبير، وينبع من عين السلطان بقبيلة بني توزين، ويعد سقيه لأرض قبيلة تمسمان تصب مياهه في البحر المتوسط شرق مرسى سيدي إدريس. ولا شك أن هذا النهر هو الذي يسميه البكري بوادي البقر.

أبو عبيد البكري، *المسالك*، 90.

Ministerio de la Guerra, *Accion de Espana en Africa*, 1930, T. 2, p 43 ; Domenech Lafuente, Angel, *Geografia de la zona norte del Protectorado de Espana en Marruecos*, 1942, p 37 ; Cabello Alcaraz (J) *Apuntes de geografia de Marruecos*, 1951, p

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **أَمْقْشَاب**، محمد بن سعيد بن عثمان بن سعيد الصنهاجي الهنائي الزموري الشهير بابن أمقشاب (أو أَنْقْشَابَا أو أنقشابُو)، أحد علماء أزمور ودكالة وقضاتها خلال النصف الثاني من القرن الثامن (14 م).

خصه لسان الدين ابن الخطيب في *نفاضة الجراب* بفقرات سجلها عنه أثناء مروره بمنطقة دكالة (وذلك بين سنتي 760 و763 / 1358 و1361) إذ كان ابن أمقشاب من ضمن وجهاء المنطقة الذين استقبلوا ابن الخطيب وتحادث معهم، فترك لنا بذلك معلومات فريدة خاصة منها ممارسة ابن أمقشاب للقضاء بدكالة. وأكثر من ذلك أهمية تلك الرسالة الطريفة التي بعث بها إلى صديقه القاضي واصفا فيها ما تضمنته كتبه «من فوائد رحلة حجازية، ليست من حسن الحجى زيه، وذكر أعلام، وأركان استلام» (*نفاضة*، 76). وقد وصف ابن الخطيب صديقه القاضي بالرجل المختصر البنية والثوب، الحافظ لغثاء من منقول كتب التفسير وغيرها، الذاكر لمسائل متعددة، المسترسل اللسان في أسلوب يفضحه الإعراب عادة لا جهلا بقانون النحو، شموس عند المذاكرة في المسائل العلمية، أطرف بحديث رحلته (*نفاضة*، 75).

على أننا يمكن أن نعتبر أن إسماعيل بن الأحمر هو أهم من ترجم لابن أمقشاب، فهو من تلاميذه، وكانت *فهرسته*، المفقودة الآن، هي المادة الأساسية التي اعتمد عليها الذين ترجموا لابن أمقشاب ونذكر منهم بالخصوص أحمد بابا في *النيل والكفاية*، وأحمد بن القاضي في *الجذوة ودرة الحجال*.

يوصف ابن أمقشاب ضمن هذه المصادر بالشيخ القاضي العدل المحدث الراوية الداعية المدرس المفتي المصنف الحاج الرحال، أخذ عن أبي حيان محمد بن يوسف النفزي الغرناطي شيخ النحاة وإمام اللغة والأدب دفين القاهرة (ت 745 / 1344). وأخذ بفاس عن محمد بن علي بن عبدالرزاق الجزولي (ت 758 / 1356) وعن أحمد بن عبد الرحمان المكناسي المجاصي (ت 753 / 1352 - 1353) كما قرأ على الشيخ محمد المقّري قاضي السلطان أبي عنان. ويضيف أحمد بابا إلى هؤلاء الشيخ خليل المكي، محمد بن عبدالرحمن المكي (ت 760 / 1358).

ولابن أمقشاب عدة تآليف ذكر ابن الخطيب أن فيها من المنظوم الكثير، إلا أننا لا نعرف من ذلك سوى مؤلفين :

أولهما شرح فرعي ابن الحاجب سماه *معتمد الناجب في إيضاح مبهمات ابن الحاجب* في ثلاثة أسفار، ذكر فيه أنه حضر قراءته على مشايخ مصر والإسكندرية. والكتاب الثاني هو *كنز الأسرار ولواقح الافكار*، وهو كتاب في الجغرافيا والهيئة(*دليل*، 470). وأشار المختار السوسي إلى أنه رأى بسوس كتابا لابن أمقشاب عبدالرحمان (كذا، والصحيح هو محمد) بن سعيد، ولم يذكر عنوان الكتاب، على أنه من خلال جرده لبرنامجه يظهر أنه يتحدث عن كتاب كنز الاسرار (*خلال جزولة*،3: 56-59)، وعن نفس الكتاب تحدث ابن شقرون وذكر بان كنز الاسرار كتاب مهم يهتم بمواضع مختلفة تعالج التصوف وشؤون الحياة والجغرافية والفلك (M. Benchekroun, *La vie intellectuelle*, p. 427) وتوجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط ، رقم د 1198.

لم تذكر المصادر التي ترجمت لابن أمقشاب سنة وفاته ويمكن الاستئناس بما ذكره ابن سودة في *دليله* ، أي نهاية القرن الثامن / الرابع عشر وهو الزمن الذي يمكن أن نستخلصه من مقاربة وفيات شيوخه، وأغلبهم توفوا قبل 1358/760، ووفيات الذين أخذوا عنه ، ونعرف منهم بالخصوص إسماعيل بن الأحمر الذي قدم إلى المغرب خلال منتصف القرن الثامن /الرابع عشر، وتوفي سنة 1405/808. لذلك تكون وفاة ابن أمقشاب قبل بداية القرن التاسع/الخامس عشر.

ابن الخطيب، *نفاضة الجراب* ؛ أ.باب، *نيل الابتهاج* ؛ أ.ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ م.المختار السوسي، *خلال جزولة* ؛ م. الكانوني، *أسفي و ما إليه*، ع. ابن سودة، *دليل* .

M. Benchekroun, *La vie intellectuelle.*

عمر بنميرة

أَمْقْشُدْ، أسرة ريفية من قبيلة أنجرة القاطنة بين طنجة و تطوان ، وتعرب فتكتب المقشد. اشتهر منها أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر (19 م) أفراد اشتغلوا بالتجارة أو العمل في حكومة المخزن ، منهم :

أَمْقْشُدْ، إدريس بن عبدالسلام الذي كان خليفة باشا أصيلا سنة 1888/1305 ثم أصبح أحد قواد قبيلة أنجرة عام 1891/1309 حيث لعب دورا إيجابيا في القضاء على تمرد القائد عبد السلام الحمام الأنجري الذي عارض ـ مع جماعة من أنصاره ـ في وضع دعائم أسلاك التلغراف بين الواد وطنجة من قبل إسبانيا حين أذن لها السلطان بذلك.

أَمْقْشُدْ، العباس، من كبار رجال المخزن على عهد المولى محمد بن عبدالرحمان ، أصبح عاملا على طنجة وأحوازها منذ عام 1863/1280، وعُيّن مساعداً للأمير العباس في حرب تطوان ، كما كان ينوب عن محمد برگاش في تمثيل السلطان لدى أعضاء السلك الديبلوماسي.

أَمْقْشُدْ، محمد بن العربي، كان تاجرا بطنجة ثم أصبح منذ سنة 1863 سمساراً للإسباني هنري ماطيوس القاطن بالرباط، وبعد ذلك صار كاتبا بالقنصلية الإسبانية بطنجة سنة 1866.

الوثائق المخزنية ؛ م . بوشعراء، *الاستيطان*، 2 : 440 ـ 509 ـ 571 ـ 669 .

Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 3 : 184.

محمد حجي

أمكاله، موقع بالصحراء المغربية شرقي الساقية الحمراء على بعد حوالي 180 كلم من الحدود مع الجزائر، اشتهر من قديم بعين ماء يقصدها الرحل .

أمكدار، اسم شائع لعدة أماكن بين تِزي ـ ن ـ تَسْتْ، وتـزي ـ أ ُومَـاشُو (*أخبار*، 39 ـ 50)، وهو إطلاق ليس بالغريب عن مجال مصمودة الأطلس الكبير الغربي.

والصيغة وما يقاربها من أسماء ذات دلالات جغرافية موجودة في جهات مختلفة بالمغرب. ويبدو أن أمكدار الأكثر شهرة كان يوجد جنوب أغمات وريكة في مجال قبيلة أيلان (*Contribution*, 110).

ويلاحظ أن أمكدار سواء القريب من الحوز، أو المجاور لسهل تادلا، كانا مركزين ضمن خريطة امتداد الموحدين بالجبل سواء على عهد ابن تومرت، أو في فترة عبدالمومن (*أخبار*، 39 ـ 50).

أ.البيدق، *أخبار المهدي*. Laoust, *Contribution*.

محمد رابطة الدين

أَمْكْدُولْ، ويكتب أيضاً : أمقدول، اسم لأماكن متعددة في جبال درن وأوديتها. و معناه : المرج والمرعى المشترك. وذكر أبو عبيد البكري في المغرب أمقدول مرسى بين وادي سوس جنوبا ومرسى أگوز شمالاً، أي أنه بجهة الصويرة ، ومنه ولا شك اسمها : Mogador.

أ.البكري، *المغرب*، ص 86.

أحمد التوفيق

إمْكْرَادْ، قبيلة حاحية تتميز بموقعها وسط قبائل حاحة الاثنتي عشرة على شكل هضاب متموجة تربط بين المنطقة السهلية غربا والمنطقة الجبلية في الجنوب الشرقي. إذ تحدها من الغرب قبيلة إداويسارن الساحلية ومن الشرق قبيلة أيت زلطن وإداويوزيا الجبليتين، بينما تحدها إنْكْنَافْنْ من الشمال وإداگيلول من الجنوب. لا تتجاوز مساحة قبيلة إمگراد 449 كلم^2 وعدد سكانها 16.451 نسمة تغطي غابات أرگان والعرعار والزيوج (أزمور أو الزيتون البري) معظم أراضي إمگراد مما جعل السكان يشتغلون بكثرة في تربية المواشي وخاصة رعي المعز والغنم، كما يشتغلون بقطع الخشب وتسويقه إلى الصويرة وخاصة خشب العرعار الذي يستعمل بكثرة لدى الصناع التقليديين في هذه المدينة.

ومن المآثر التاريخية المشهورة بقبيلة إمْكْرادْ آثار مدينة عظيمة يقولون عنها إنها كانت فاس حاحة لكثرة الواردين عليها من أهل العلم وطلبته ، ويعرف موضعها اليوم بالزاوية نَيْتْ إيفرْضن ، ولا تزال بها مدرسة عتيقة تدعى إيفرض أوطاها الواقعة بخميس إيموشكين التي تخرج بها عدد من علماء سوس وحاحة الذين ازدهرت بهم الحركة العلمية في الجنوب في العهد بن المريني و السعدي أمثال العبدري صاحب الرحلة الشهيرة ت 688 هـ وسعيد بن عبد المنعم الحاحي ت 935، فهما من القبائل الحاحية المجاورة لقبيلة إمكراد المشهورة بحركتها العلمية قديما. ومن مآثرها التاريخية حصن بوزمور، وهو عبارة عن قلعة محصنة بالجبال يحتمي بها السكان في أوقات الحرب، كما وقع في عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوي حيث حاصرتهم الجيوش في هذا الحصن لمدة سنة حتى أخذوا على غرة فنقلت أعداد منهم إلى قبائل أخرى مثل زمور الشلح في الأطلس المتوسط. وجولة واحدة بين هضاب وجبال إمكراد توقفك على مشاهدة كثير من آثار القلاع الغريبة الموقع، والمساجد التي تهدمت بعد هلاك أهلها أو ترحيلهم عن المنازل التي لم تخلف إلا هضابا من الصخور والاتربة تحسبها هضابا طبيعية، وعندما تتفحصها تجدها بقايا مدن ومداشر مهدمة كالتي تحدث عنها صاحب *وصف افريقيا* (1 :81) وما ذلك إلا دليل على الصراع الذي خاضه سكان حاحة ومنهم إمكراد من أجل الحرية والدفاع عن حوزة الاسلام ضد المسيحيين البرتغال، وضد القواد المتسلطين على رقاب السكان من المنطقة وخارجها. وتتوفر القبيلة اليوم على مقر للجماعة القروية بسوق سبت إمكراد بعد أن كانت تابعة لتمنار بإداگيلول، وأنشئ بجانبه مستوصف قروي، وقاعة للعلاج، ومجموعة مدارس. بالاضافة إلى وكالة بريدية، ومجموعة دور سكنية مزودة بالماء الصالح للشرب.

تحريات ميدانية.

محند أيت الحاج

أمْكْريوْ، رأس ومرسى بإقليم طرفاية. يعرف الرأس عند الإسبان بونطا نيگريطا Punta Negrita ويقع شمال المرسى التي تحمل نفس الاسم على بعد 30 كيلومتراً جنوب رأس جُوبي Cabo Juby وتسمى أيضاً مرسى الركبنة، وأطلق عليها الإسبان اسم لانيگريطا La negrita.

Camero Ruiz, Ismael ; *Vocabulario geografico Sahariano*, Madrid, 1955, p. 127, 150, 164.

محمد ابن عزوز حكيم

أمگار ← موسم

أمگور، حصن من حصون حاحة، كان حسبما ذكره الإخباري البرتغالي (دوگويش) على مقربة من ميناء تافتنة الذي وصفه الوزان. وحسب نفس الإخباري، كان موقع أمگور منيعا، على مرتفع صخري بمنطقة جبلية صعبة. وكان يحيط به نهران صغيران. وبهذا الحصن المنيع استقر القائم بأمر الله السعدي وأنصاره بعد هزيمتهم أمام البرتغاليين وحلفائهم بمدينة تدنيست التي كانوا قد اتخذوها مقرا لهم بعد استقرارهم بالشياظمة. وانطلاقا من أمگور شرع أنصار القائم بأمر الله في مطاردة حلفاء البرتغاليين بالشياظمة ، وفي نشر نفوذهم بتلك المناطق. وهكذا كانت قرية تدين بالولاء للقائم بأمر الله حين مهاجمته بأمگور يوم 27 صفر912 / 12 أبريل 1515 على أيدي مائتي فارس وخمسين من الرماة البرتغاليين الذين كانت تعززهم أعداد أهم من قبائل دكالة وبعض فروع الشياظمة. وحسب ما أوده (دوگويش) لم تطل مقاومة سكان أمگور لانسحاب الشريف وابنه أحمد المبكر وبداية إخلاء السكان لقلعتهم في اضطراب كبير .وهكذا تمكن المسيحيون وحلفاؤهم من دخول القلعة وأسر أكثر من 400 شخص والاستيلاء على غنائم هائلة قضى الحلفاء ثلاثة أيام في جمعها. ومات من سكان أمگور حوالي 1200 شخص قتلوا أو قضوا نحبهم إثر الإلقاء بأنفسهم من الأسوار في اتجاه الأودية العميقة. واعتبر دوگويش هذه المعركة من أهم الانتصارات البرتغالية بالمغرب.

R. Ricard : *Les Portugais au Maroc de D. de Gois*, Extraits de *la chronique du Roi D. Manuel* : Rabat, 1937 ; C. de Marmol, *L'Afrique*. trad. française, Paris, 1667, T 2 ; P. de Cénival (et al...) *S.I.H.M. I saame, Portugal*, k

أحمد بوشرب

أبو **أمْلاقْ**، عبد القاهر بن محمد المتيوي (حي ؛ حر القرن 13 / 19) كتب لقائد قبيلة متيوة الداودي. وألف كتاب *الخبر عن ظهور الفقيه العياشي بهذه البلاد* وذكر *سبب قيامه بوظيفة الجهاد*، وبه عرف اسمه. والكتاب المذكور ألّف في المجاهد محمد بن أحمد العياشي ت 1051 / 1641. ويظهر أنه جمعه وخرج مبيضته في متيوة، وظلت هذه النسخة عند عقب القائد المتيوي إلى أن خرجت من يدهم. وعندما أخذت نسخة خاصة بفاس سنة 1306 / 1888 وانتسخت منها نسخة ثانية رديئة (مخطوط خ.ع. بالرباط رقم 91 د) كان نسخها سنة 1333 / 1915. ومن نسخ الكتاب أيضا مخطوطا خ.ع. بالرباط 380 د و2560 د أول مجموع .

ع.ابن سودة، دليل ؛ ع. *كحالة*، *معجم المؤلفين*، ط . بيروت ؛ ل. بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء*، تر. ع. الحلادي، 1977 ؛ ع. الشاذلي، *الحركة العياشية*، ط .الرباط، 1982 ؛ م .المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ط . الرباط، 1983.

عبد اللطيف الشاذلي

الأملاك المخزنية، تندرج الأملاك المخزنية ضمن أملاك الدولة الخاصة بالإضافة إلى الأملاك الغابوية التي تشرف عليها وزارة الفلاحة، غير أنها تتميز بازدواجية نظامها : فهي تخضع لمبادئ القانون الخاص من حيث إنها

قابلة للتقادم والتداول خلافا لملك الدولة العام التابع لوزارة الأشغال العمومية، وهي من جهة ثانية تستفيد من الامتيازات التي تخولها مبادئ القانون العام، حيث يمكن إنشاؤها عن طريق نزع الملكية وتأجيرها أو تفويتها طبقا لمساطر إدارية معينة وفي إطار نصوص تشريعية وتنظيمية خاصة.

الجهاز المشرف عليها واختصاصاته : قبل 1912 كان الإشراف على الأملاك المخزنية موكلا إلى أمناء الأملاك التابعين لأمين الدخل، وفي شتنبر 1912 أحدثت مصلحة الأملاك المخزنية (ج .ر. عدد 1 بتاريخ 21 ذي القعدة 1330 موافق فاتح نوفمبر 1912). وقد أعيدت هيكلة هذه المصلحة مرات متتالية قبل أن تصبح مديرية بمقتضى المرسوم رقم 2.78.539 بتاريخ 12 ذي الحجة 1398 موا فق 22 نوفمبر 1978 الذي جعل من أهم اختصاصاتها «تكوين وتسيير ملك الدولة الخاص غير الملك الغابوي وكذا النزاعات المتعلقة به واقتناء العقارات وتخصيصها بالمرافق العامة».

المصادر ودورها : للأملاك المخزنية مصادر متعددة، من جملتها : التركات الشاغرة، والمصادرات، والهبات، وممتلكات المتغيبين أو الفارين من العدالة، والأراضي الفلاحية المسترجعة. غير أن مصدرها الأساسي يتمثل في الرصيد العقاري الذي كانت الدولة تتوفر عليه أصلا والذي عملت إدارة الأملاك المخزنية على جمع شتاته وصيانته وتسوية وضعيته القانونية ليكون في مأمن من كل ترام، وذلك إما بتحفيظه طبقا لمقتضيات الظهير المؤرخ في 9 رمضان 1331، موافق 12 أغسطس 1913، أو بإخضاعه لمسطرة التحديد الإداري في إطار الظهير المؤرخ في 26 صفر 1334 / 3 يناير 1916 (ج. ر.10 يناير 1916).

ومنذ القدم كوّن هذا الرصيد أهم متنفس للدولة فيما يتعلق بحاجياتها العقارية لإنجاز مشاريعها الاجتماعية من مؤسسات مدرسية ومستشفيات، وأحياء إدارية، ومرافق عمومية بصفة عامة. وبفضل هذا الرصيد ساهمت الأملاك المخزنية بقسط وافر في تنفيذ مخططات التعمير والتنمية التي عرفتها البلاد. فقد كانت التجزئات الحضرية المحدثة فوق أراضي الأملاك المخزنية نقطة انطلاق عدة مدن ومراكز، كمراكش، والرباط، والدارالبيضاء، والقنيطرة، وبوزنيقة، وبرشيد، ومبسور، وقرية أبا محمد، وغير ذلك.

وأمدت الأملاك المخزنية أيضا بالعقار الضروري مختلف المؤسسات العمومية والشبه العمومية التي عهد إليها بتنفيذ سياسة الحكومة في ميدان الإسكان، وعلى رأسها وزارة السكنى والمؤسسات الجهوية للتجهيز والبناء والشركة العامة العقارية.

وهكذا تم إحداث 142 تجزئة سكنية ما بين 1970 و1985 تضم ما يقرب من 60000 قطعة أرضية إضافة إلى البرامج الاجتماعية، وبرنامج السكن القروي وبرنامج محاربة السكن غير اللائق. وخفف هذا الإمداد من أعباء ميزانية الدولة التي ما كان بإمكانها ان تواجه تكاليف هذه المشاريع لو كان عليها أن تقتني بالأسعار المتداولة جميع الأراضي الضرورية لتحقيقها. كما حال هذا الدعم العقاري دون تسرب مفعول المضاربات العقارية إلى الفئات المحدودة الدخل التي أمكنها الاستفادة من البرامج السكنية المنجزة من طرف تلك المؤسسات بأثمان أبعد ما تكون عما هو متداول بالسوق.

ففي المدن الكبرى كالدارالبيضاء مثلا بلغ ثمن المتر المربع سنة 1985 عشرة أضعاف ما كان عليه سنة 1975 في حين فوتت الأملاك المخزنية أراضيها بثمن التكلفة مهما كان قدمها. غير أن هذا الرصيد لم يكن بوسعه أن يفي بجميع الحاجيات العقارية، فهو في تقلص مستمر نتيجة ما اغترف منه على مدى عدة عقود. وهنا تتدخل مديرية الأملاك المخزنية لتمارس إحدى أهم اختصاصاتها التي تتجلى في اقتناء العقارات الضرورية لصالح الإدارات العمومية.

ويسطر الجدول أسفله، على سبيل المثال، عمليات الاقتناء التي قامت بها المديرية خلال ثلاث سنوات.

السنة	عدد العمليات	المساحة المقتناة	المبالغ المؤداة بـ 1000 درهم
1983	751	722 هكتارا	99.309
1984	633	463 هكتارا	125.044
1985	745	645 هكتارا	200.113

ورغم أن عمليات الاقتناء غالبا ما تتم بالتراضي مع المالكين، فإن مديرية الأملاك المخزنية تلتجئ أحيانا إلى مسطرة نزع الملكية لأجل المصلحة العامة في حالة رفض الثمن المعروض من طرفها أو إذا كانت وضعية العقارات غير واضحة أو محط نزاع. وبمبادرة من مديرية الأملاك المخزنية تمت صياغة التشريع المطبق حاليا فيما يتعلق بنزع الملكية الذي استهدفت الإصلاحات الجذرية التي أدخلت عليه إلى التعجيل بنقل ملكية العقارات للدولة لتمكينها من تحقيق مشاريعها، وذلك دون المس بالحقوق المادية لمنزوعي الملكية. وهو موضوع القانون رقم 81.7 المصادق عليه بالظهير رقم 258.81.1 المؤرخ في 11 رجب 1402، موافق 6 مايو 1982 (ج. ر. عدد 3685، 3 رمضان 1403، موافق 15 يونيو 1983).

وثائق مديرية الأملاك المخزنية بوزارة المالية.

خالد القاردي

أمَلاّح (أسرة سلوية) ← **مَلاّح**

أمَلاّح، الحاج محمد بن الحاج مبارك

القنصلية بمدن الصويرة وأسفي والجديدة، ليفاوضه نواب قناصل الدول الأجنبية بهذه المدن في المسائل التي تهمهم مثلما يفاوض القناصل النائب السلطاني ببرگاش في طنجة. ولم تطل مدة نيابة أملاح أكثر من خمسة عشر شهرا لأسباب ربما كان منها تدخل ممثل فرنسا بسبب امتناع النائب من إسكان الطبيب الفرنسي لوران تيفنان L. Thevenin.

وقد عين أملاح عقب ذلك أمينا بمرسى الصويرة. واستمر في منصبه إلى أواخر رمضان 1287 / دجنبر 1870. وبلغ في هذه الأثناء تلاعب الأمناء بمداخيل المراسي واستحواذهم على أموال الدولة، فأحضرهم محمد الرابع، وقضى باستغراق ذمة أملاح وبيع أصوله وسلعه وأثاثه وجميع أموره حتى دار سكناه، وحيز ما كان تحت يده من مال يعادل دخل شهر كامل لمرسى الصويرة حسب تقدير أحد الأمناء، وحُبس بأمر سلطاني، ثم أفرج عنه في أواخر سنة 1287 / 1871.

وثائق الخزانة الملكية ؛ م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 103 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، ج 3، 9060 و1071، 1072.

أمـلاّ گـُو، قرية جبلية في السفح الجنوبي للأطلس الكبير الشرقي بحوض واد غريس، دائرة گلميمة، بعيدة عن أسول بنحو ثلاثين كيلومترا. وتعد من مراكز المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي، اشتهرت على الخصوص بالمعارك العنيفة التي جرت فيها بين رجال قبيلة أيت مرغاد وجنود الاحتلال خلال الشهور الخمسة الأولى من سنة 1932 (يناير/ ماي). وقد استخدمها الفرنسيون أثناء الأزمة السياسية المغربية سنة 1953 كمعتقل للوطنيين الأحرار، ومنهم عبدالكريم بن جلون المحامي ووزير العدل والتعليم بعد الاستقلال.

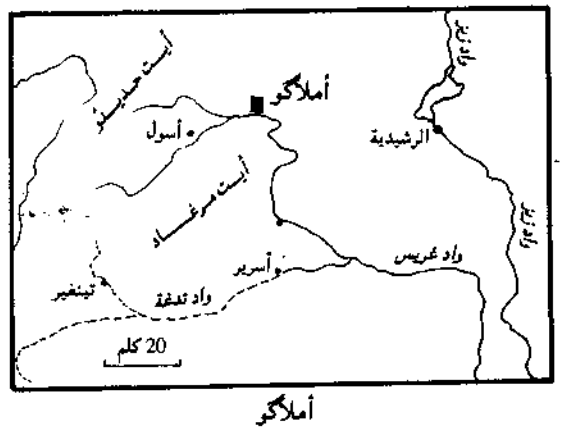

أملاگو

م. الرشيد ملين، *فصل الشتاء في أسرل*، 10 ؛ م. بن جلون، *أمثلة للبطولة*، الذكرى الأولى لمعتقل أغبالو نكردوس، 65.

محمد حجي

ابن **أمَـلاّل**، محمد بن علي المديوني، أحد فقهاء فاس ومفتيها خلال منتصف القرن التاسع الهجري (15م). وأحد تلامذة الشيخ عبد الله العبدوسي، والشيخ محمد بن قاسم القوري. وتعتبر *كناشة* الشيخ أحمد زروق (ت 899 / 1494.93) أهم مصدر لترجمة الفقيه ابن أملال، فصاحب الكناشة عاصر المترجم ودون عنه بعض الذكريات، وكانت مادته التاريخية عماداً لجل الذين ترجموا لابن أملال لاحقاً، وخاصة أحمد بابا في *النيل والكفاية* ؛ وابن القاضي في *الجذوة ودرة الحجال*. ثم الكتاني في *السلوة* الذي أورد جل ما كتب عن ابن أملال.

وضمن هذه المصادر وُصف ابن أملال بالشيخ الفقيه الصدر العالم مفتي المسلمين، وأنه كان "حضريا فقيها، فهما، ولي الفتيا بعد الشيخ عبد الله القوري عند تأخيره أياما، ثم مات فعادت إليه". ثم يضيف صاحب *الكناشة* بأنه صلى خلف ابن أملال بمدرسة الحلفويين أياما، وظهرت ولايته، وأنه حضر جنازته يوم مات هو والفقيه الوزروالي فكان لهما مشهد عظيم، وذكر أنه مات في باب الفتوح رجل بالازدحام للجنازة (*كناشة*، 21، 22).

ويبدو من خلال ما أوردته المصادر أن ابن أملال تقلد منصب الإفتاء بعد الشيخ القوري كبير الفقهاء بفاس، وهي وظيفة لها أهميتها وخطورتها آنذاك، كما أنه كان إماما ومدرسا بإحدى أهم مدارس مدينة فاس. ومن خلال أوصاف الشيخ زروق يكون ابن أملال قد امتزج فيه الفقه بالتصوف. وهذه كلها خصائص تبرز المكانة العلمية والروحية التي كان يتمتع بها ابن أملال والتي ربما كانت وراء ذكر الشيخ زروق لمشهد جنازته.

وقد تناقلت العديد من المصادر، وفي مقدمتها كتب النوازل الفقهية كثيرا من اجتهادات وفتاوى الفقيه ابن أملال، نقل عنه ابن غازي في غير ما موضع ووصفه بالإمام المحقق، كما اعتمد عليه أحمد الونشريسي وأورد له عديدا من النوازل في كتابه *المعيار*.

أ. زروق، *الكناشة* ؛ ت. فهمي خشيم. ليبيا ؛ أ. الونشريسي، *المعيار* ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج* ؛ *كفاية المحتاج*، ت. محمد مطيع، د. د. ع. بالرباط، 1987 ؛ ابن القاضي، *جذوة* ؛ م. الكتاني، *سلوة*.

عمر بنميرة

أمْـلُـو، يدل اللفظ في الأمازيغية (بجنوب المغرب) على معنى الرطوبة أو اللُّدونة، ومنه اشتق فعل رطب «إمْلاّ». ولفظ أمْلُو يكتسي بعداً اصطلاحيا، لكونه يدل على نوعين من العصير، أحدهما يستخرج من زيت أرگان المشهور، والثاني هو عصير اللوز الذي يعتبر غذاء مغربيا أصيلا في المنطقة الجنوبية.

أما أملو المستخرج من طحن نوى حبات ثمار شجرالأرگان، فهو يدعى بـ «أمْلُو وأرگان» تمييزا له عن عصير اللوز الذي تسفر عنه عملية طحن نوى اللوز المقلي،

ويدعى هذا العصير بـ «أمْلو نْلـلُّوز» نسبة إلى اللوز. وأملو الذي هو عصير نوى ثمار الأرگان، مر لا يستساغ يكون بنيّ اللون، وبطيء السيلان من الرحى أثناء الطحن، لأنه سائل ثخين. ويتم الحصول على هذا العصير، بعد قلي نوى ثمار الأرگان في إناء فخاري يدعى «تَغْلُونْت» بعد غربلتها بواسطة طبق مصنوع من الأسل الرقيق، وعملية الغربلة تتم بواسطة رفع الطبق نحو الأعلى في إيقاع تتوالى فيه حركات صعود الطبق وهبوطه، مواكبة لتطاير قشور النوى المفترقة في الفضاء، بفضل عملية النفخ والصفير التي تقوم بها المغربلة. وبعد عملية الغربلة توضع هذه النوى في الرحى وتطحن، فيسفر الطحن عما يسمى بـ «أمْلو وارگان». وهذا العصير المر لا يصلح للتغذية، وإنما يمزج بالماء، فينفصل الزيت عن الماء وبقايا النوى المطحونة، وذلك الزيت هو المدعو «أرگان» وهو غذاء مستساغ. أما بقايا ذلك الخليط الذي صفي منه الزيت، فهو يصلح لتغذية البهائم.

أما «أملو» الذي هو عصير اللوز، فهو غذاء صالح للتغذية البشرية، وللحصول عليه، يتم فصل نوى ثمار اللوز عن لحائها الخارجي، فتجمع هذه النوى وتقلى. وبعد القلي تتم غربلة النوى اللوزية، وتطحن النوى المغربلة في رحى حجرية. وأثناء الطحن يخرج من مجرى الرحى في الجزء الأسفل منها سائل بُني اللون، ثخين، هو عصير اللوز المدعو بـ «أمْلونلُّوز». وجرت العادة في هذا العصر أن يضاف إلى هذا العصير اللوزي السكر المطحون الذي يشبه الدقيق، ثم يضاف إلى هذا الخليط من اللوز والسكر وزيت الأرگان، لكي لا يكون عصيرا صلبا. فزيت الأرگان، يمنح عصير اللوز كثيرا من اللدونة ويمنحه خاصية السيولة أيضا.

يتم وضع هذا العصير اللوزي بعد الانتهاء من تحضيره، على الصورة السابقة، في أوان فاخرة من الفخار أو البديع تدعى بـ «تامْرگولْت» ويقدم هذا الطعام اللوزي للضيوف، وقد يستعمل للاستهلاك اليومي الخاص، عندما تكثر الكمية المتوفرة منه في البيت.

ولعل أهمية هذا الغذاء المصنوع من عصير اللوز وزيت الأرگان تدفع إلى أنه يحتل في المناطق الجنوبية في المغرب المرتبة الثانية بعد عسل النحل.

المعاينة الميدانية.

محمد أديوان

أمْلوإغْرْبن ← خنيفرة (إقليم-)

إملـيـل، يطلق على قرية صغيرة بوادي غيغاية الأعلى المعروف هناك بأسيف نايت ميزان بالأطلس الكبير الغربي - المراكشي - ينتمي سكانها إلى مجموعة قبلية مصمودية قديمة هي غيغاية (إغيغـايْن). تقع ضمن مشيخة بالجماعة القروية لأسني - دائرة تحناوت بإقليم مراكش -.

الموقع والموضع : استمدت القرية الصغيرة المعلقة بمنحدر تغطيه الأشجار تسميتها التي قد تعني بالبربرية المندر أو البياض من سفح صخري أبيض يشرف عليها، ولكنها لم تعرف نموا عمرانيا لضيق الرقعة الصالحة للبناء، فلم يبلغ سكانها سنة 1986 سوى اثنتي عشرة أسرة. في بداية الثلاثينات ظهر أسفلها على بعد بضع مآت من الأمتار محطة لوقوف السيارات بالضفة اليسرى لأسيف نايت ميزان فوق «أگدال» صغير دي أرض رطبة تظللها أشجار الجوز الكبيرة، ويحيط بها سياجات عشبية من العليق. وكانت المحطة نهاية للطريق الثلاثي غير المرصف القادم من أسفي، تتميز باستواء موضعها لوقوعها في حوض مستو تكوّن من ملتقى مسيلين مهمين بالمجرى الرئيسي للواد، منطبقين على فالق مهم أدى إلى تهشيش الصخور الصلبة أصلا وإلى تكون قاعدة المنطقة وهي الريوليت والأندزيت والگرانيت. وقد عُرفت المحطة أولاً باسم «گراج أرمض» باعتبار أرمض الواقعة جنوبها على بعد ثلاثة كيلومترات هي أكبر وأهم قرية قديمة بالمنطقة. وتقع على علو 1706 م.

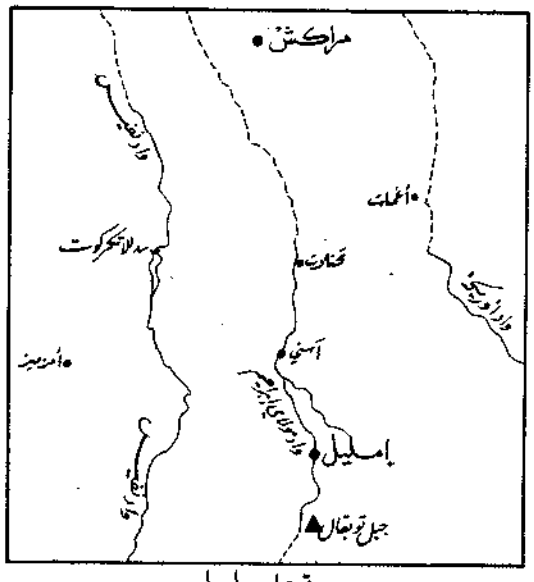

موقع إملـيل

تطور القرية : لقد أنشأ ممثلو السلطات الاستعمارية بمساعدة بعض الأوربيين المتحمسين للسياحة والدراسة والرياضات الجبلية، محطة لوقوف السيارات والانطلاق مشيا على الأقدام أو على ظهور البغال لارتياد الأودية العالية والقمم والفجاج خاصة قمة توبكال القريبة، لكن سرعان ما ظهرت بها منشآت سكنية ومهنية بجانب الطريق والمحطة، وانطلقت منها المسالك في اتجاهات عديدة، وتوافد عليها الناس أملا في إيجاد شغل. وفي 1952 بني بها مأوى جبلي مهم تابع للنادي الألبي الفرنسي، كما ظهرت بها ثكنة صغيرة على بعد بضع مآت من الأمتار يرتادها بعض الجنود صيفا.

عرفت المحطة نموا كبيرا بعد الاستقلال بنمو السياحة والرياضات الجبلية بالحديقة الوطنية لتوبكال أنشئت بظهير

سنة 1942، تبلغ مساحتها 36 ألف هكتار، كما يحل بها وينطلق منها زوار ضريح سيدي شمهاروش الواقع جنوبها على بعد ساعتين مشيا على الأقدام. فقد صارت مركزا قرويا نشيطا، يعرف بإمليل يتكون من سويقة مقابلة لمحطة السيارات وانتشرت على طول الطريق دكاكين ومقاه ومنازل للسكن أو لمبيت الزوار والسياح الذين يجدون في ضفاف الواد المعشوشبة والمظللة بأشجار الجوز مجالا سياحيا جذابا. معظم المباني حديث، مبني بالحجارة والإسمنت على نمط حضري مهجن. كما يحيط بالمركز سكن متفرق على شكل منازل منفردة وسط البساتين وتجمعات سكنية جديدة وقرى صغيرة قديمة، يحيط بالكل. ويتوفر المركز القروي لإمليل على بعض التجهيزات الجماعية كالمسجد والكتّاب والمدرسة. كما ربط مؤخرا بشبكة الهاتف.

الأنشطة : يعتبر إمليل أهم قاعدة انطلاق لرواد السياحة والرياضات الجبلية بجبال الأطلس الكبير. وتعتبر حرَف الإرشاد السياحي الجبلي وكراء البغال وحمل أمتعة السياح أو إسكانهم أهم الحرف المحركة لاقتصاد المنطقة. فبجانب محطة السيارات يتجمع المرشدون وأصحاب البغال وغيرهم من مقدمي الخدمات السياحية.

ويعرض يوميا عشرات البغال للمجموعات القروية الأربعة المحلية التي تستأثر بحق ممارسة هذا النشاط، وهي مجموعة أرمض، تعرض 55 بغلا، وأيت سوكا : 28 بغلا، ومزيك 30 بغلا، وإمليل : 34 بغلا (1986) فلكل مجموعة الحق في كراء بغالها، يوما من كل أربعة أيام، ويحصلون من ذلك على مداخيل مهمة، إذ يتراوح كراء البغل الواحد : بين 60 و80 دهـ لليوم الواحد.

ومن أهم المنشآت المهنية بإمليل : مأوى إمليل الذي تبلغ سعته 60 سريرا، وفندقان شعبيان جديدان بهما على التوالي 8 و10 غرف للمبيت بالإضافة إلى 7 منازل شعبية للاستقبال، وثلاث مقاهي شعبية و72 دكانا يشتغل منها لحد الآن 30 دكانا للتجارة وبعض الخدمات.

السكان : رغم النشاط المتزايد بإمليل فإن وتيرة تزايد السكان ظلت ضعيفة كما يدل على ذلك جدول الإحصاءات الوطنية.

السنة	السكان
1960	358
1971	400
1982	480

ويفسر ذلك بكون عدد من العاملين بإمليل يسكنون بقرى أخرى مجاورة لا تحصى مع المجموعة القروية لإمليل التي تتكون من المحطة ودوار إمليل القديم وما يحيط بهما من سكن متفرق، مما يجعل إمليل أقرب ما تكون إلى مركز سكن عائلي عادي. وقد بدأت تتصدى للسياحة والرياضات الجبلية مؤخرا شركات متخصصة، تستقدم خدامها ومرشديها - الذين يوجد بينهم أجانب - من خارج المنطقة. كما أن الأنشطة السياحية تفتح أعين الشباب على العالم الخارجي وتذكي تطلعاتهم الشخصية، فيهجرون الأعمال الفلاحية ويألفون الكسب السهل، فتغريبهم هذه الوضعية بالهجرة إلى المدن الكبيرة أو إلى الخارج، خاصة وأن هذا النشاط السياحي موسمي متقطع لا يزدهر إلا صيفا وفي بعض أسابيع الشتاء الكثيرة الثلوج.

تحريات ميدانية.

هوزالي أحمد

أُمُّ أَيْمَن، رابطة تقع بقبيلة بقّوية من إقليم الحسيمة، وتنسب إلى مؤسستها أم أيمن المجهولة لدينا. أسست الرابطة في وقت سابق للقرن السابع الهجري لا يمكن تحديده، بموضع قريب من مدشر «تقيت» على بعد كيلومتر ونصف غربا، وأقيمت الرابطة فوق الجبل المطل على ساحل «مكرم» من جماعة بني ورجين فرقة إزْمَوْن البقّوية.

كانت الرابطة خلال القرن السابع الهجري مركزا يجتمع فيه عباد بقوية وصلحاؤها، خاصة في المواسم الدينية المشهورة كليلة النصف من شعبان وليلة السابع والعشرين من رمضان وليلة عاشوراء. نعرف من الملازمين بالرابطة الشيخ أمصول عيسى بن عمران وتلميذيه الشيخين زكرياء ابن يحيى التقيتي وأحمد ساسان البوسكوري.

ع. البادسي، *القصد الشريف*، 91. 92 ؛ البوعياشي، *حرب الريف التحريرية*، 251. 252.

حسن الفگيگي

أُمُّ البخت (أيت ـ) من القبائل الصنهاجية التي ترجع أصولها إلى الجنوب المغربي. أما موطنها الأصلي فما زال موضع تساؤل، وتنتمي إلى اتحادية أيت يسرى، المكونة أيضا من قبائل أيت عبد اللّولي وأيت محند وأيت ورا ؛ المنتمية بدورها إلى الاتحادية الكبرى أيت أُمالو الّتي لعبت دورا تاريخيا طلائعيا في النصف الأول من القرن السابع عشر تحت زعامة الدلائيين.

تتكون قبيلة أيت أم البخت من أربعة بطون : أيت كطيف وأيت ماحا وأيت عبد النور وأيت هودي، موزعين على أربعة وعشرين دواراً تابعا لدائرة القصيبة، عمالة إقليم بني ملال. وحسب إحصاء 1982 فإن البطون الأربعة كانت تتكون من 6372 كانونا، بينما لم يتجاوز عدد الكوانين سنة 1946، 1400 كانون (*Les Berbères*, p. 65). وهذا راجع للنمو الديمغرافي وللتحولات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها المنطقة في عهد الاستعمارالفرنسي وفي ظل الاستقلال، والتي كان من نتائجها المباشرة تفكك الأسرالكبيرة، وظهورأسر صغيرة مكونة من خمسة إلى ستة أفراد. وحسب نفس الإحصاء يبلغ مجموع سكان القبيلة 22.614 نسمة، يشغلون مساحة تقدر بـ 397 كلم^2 وببلغ معدل الكثافة السكانية حوالي 56 نسمة/كلم^2. وتختلف هذه الكثافة من جهة إلى أخرى. وتعتبر زاوية الشيخ، الواقعة على الطريق الرئيسية رقم 24

التي تربط فاس بمراكش أهم تركز سكاني حيث تضم 17.000 نسمة.

تقع أيت أم البخت طبغرافيا على السفح الشمالي لسلسلة جبال الأطلس المتوسط. ويحدها شمالا بجعد، وجنوبا القصيبة، وشرقا أيت إسحاق وغرباً قصبة تادلا. وتتكون تضاريس المنطقة من مرتفعات وهضاب ومنخفضات. وتشغل المرتفعات 65٪ من مجموع تراب القبيلة. أما المناخ السائد فهو مناخ قاري، ويبلغ معدل التساقطات في السنوات العادية 550 ملم سنويا. وتبعا لهذه المعطيات الطبغرافية والمناخية، فالمنظر الزراعي جد متنوع : أراض فلاحية وغابات ومناطق رعوية.

* الأراضي الفلاحية : 21.000 هكتار
أراض بور 16.000 هكتار
أراض مسقية 4.100 هكتار
* الغابات 13.000 هكتار
* المناطق الرعوية 5.900 هكتار

تجمع قبيلة أيت أم البخت، كما هو الحال عند غالبية قبائل الأطلس، بين الانتجاع القصير، حيث ينحدرون بقطعانهم في فصل الشتاء نحو أم الربيع وبين الإستقرار الدائم. وقد كانوا في النصف الأول من القرن العشرين يصلون بقطعانهم صيفا إلى منتجعات تاوزيرت (Guillaume, *Les Berbères*, p. 65).

انتماء أيت أم البخت للكتلة الصنهاجية واستقرارهم في منطقة الدير على الطريق التجارية الرابطة بين مراكش وفاس، كان له أثر كبير على تاريخهم. وحسب بعض الباحثين فإن أيت أم البخت كانوا من قبائل «الجيش»، وقبيلة خامسة في اتحادية أيت الربع المستقرة بتادلا، والتي كلفت بمراقبة تحركات سكان الأطلس (*أصول المغاربة*، 610). وبدون شك إن فترة الاضطراب التي تلت وفاة المولى إسماعيل 1757.1727 وما رافقها من انحلال في التنظيم العسكري كانت السبب في انفصال أيت أم البخت عن اتحادية أيت الربع ودخولها في تحالفات جديدة أملتها ظروف وأحداث المغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

وعندما عيّن المولى الحسن الأول موحا وسعيد قائداً على مجموع بطون اتحادية أيت يسرى بعد تحقيق انتصار على أيت سخمان. أصبحت قبيلة أيت أم البخت تحت نفوذ القائد وبهذا شاركت القبيلة في جميع تحركات وعمليات موحاوسعيد، سواء المتعلقة بتوسيع نفوذ القائد أو العمليات الجهادية ضد الفرنسيين الذين احتلوا تادلا سنة 1913 وأخذوا يحاولون اخضاع قبائل الأطلس.

م. حجي، *الزاوية الدلائية* : التقي العلوي، *أصول المغاربة*، القسم البربري، مجلة البحث العلمي، ع. 25 ؛ *وثائق مديرية الفلاحة ببني ملال*.

A. Guillaume, *Les Berbères marocains et la Pacification de l'Atlas Central*, 1912 - 1933, Paris, 1946.

محمد العروصي

أم البنين، فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري. قدم أبوها ضمن وفد من عرب القيروان على فاس أيام يحيى بن محمد بن إدريس الأزهر الذي تولى الملك عام 234 / 48 . 849، وكانت فاطمة ـ كأختها مريم ـ عابدة قانتة. فلما توفي والدهما ورثتا منه مالا كثيرا، رغبتا في إنفاقه في وجوه البر. وكانت مدينة فاس قد تضخمت عدوتاها وكثر سكانهما حتى ضاق بهم الجامعان العتيقان، جامع الأشياخ وجامع الشرفاء. فلما أخبرت الفهريتان بذلك قررتا ـ باتفاق مع الأمير يحيى ـ بناء جامعين جديدين.

اشترت أم البنين أرض جامع القرويين، وكان مزرعة للخضر ذات أشجار، من رجل من هوارة ورثها من أبيه. وشُرع في بناء جامع القرويين يوم السبت مهل رمضان عام 245 / 2 دجنبر 850 فبني من أربعة بلاطات من القبلة إلى الجوف، في كل بلاط اثنا عشر قوسا من الشرق إلى الغرب، ونُصبت قبلته على قبلة جامع الشرفاء، وجعل بمؤخره صحن صغير وصومعة. وقد وسع هذا الجامع بعد ذلك وجدد وزخرف كما سيأتي في كلامنا على «القرويين».

ويذكرون أن أم البنين لم تزل صائمة من يوم أسس إلى أن كمل فصلت فيه شكراً لله. ولا يعرف تاريخ وفاتها على وجه التحديد.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، 55 ؛ ع. الجزناتي، *جنى زهرة الآس* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 52 ؛ ح. حسني عبدالوهاب، *شهيرات التونسيات*، 20 ـ 22 ؛ ع. رضا كحالة، *أعلام النساء*، 4 : 136 ـ 137.

أم ربيع، قرية قديمة قريبة من منابع نهر أم الربيع في مجراه الأعلى بالأطلس المتوسط. وقد اندثرت هذه القرية ولم يبق إلا ما كتبه عنها محمد بن عبدالمنعم الحميري في *الروض المعطار* (ص 605) : «قرية هناك كبيرة جامعة فيها أخلاط من البربر هم أصحاب حرث ومواش وجمال، والغالب عليهم الفروسية. وأم ربيع على هذا الوادي، وهو كبير خرار يُجتاز بالمراكب سريع الجري كثير الانحدار والصخور والجنادل. وبهذه القرية ألبان وأسمان ونعم كثيرة وحنطة في نهاية الرخص. وبها بقول ومزارع القَطاني والقطن والكمون، وهي ـ القرية ـ جنوب الوادي».

وقد ظن بعضهم أن قرية أم ربيع المندثرة ربما كانت في موقع مدينة خنيفرة الحالية، لكن شوّش عليه انحراف هذه المدينة إلى جهة الشرق عن الطريق الرابط بين مراكش وسلا.

م.الحميري، *الروض المعطار*، 605 ؛ م. عريوش، *من تاريخ منطقة إقليم تادلة وبني ملال*، ص 27 ـ 28.

محمد حجي

أم الربيع، (نهر ـ) تبلغ مساحة حوض أم الربيع 34.335 كلم^2، وترتب في الصف الرابع بعد مساحات أحواض درعة وملوية وسبو. رغم ذلك فإنه يمكن مقارنتها بمساحات أقطار كاملة، حيث إنها تتعدى مساحة هولندة أو مجموع بلدان قطر والكويت والبحرين، وتقترب من مساحة

سويسرا أو الطوغو. ويعد نهر أم الربيع أطول الأنهار المغربية بمسافة 555 كلم، أو 604 كلم إذا اعتبرنا في الحالة الأخيرة واد فلات كمجرى أعلى له، أي أطول من نهر ملوية الذي يبلغ 520 كلم. كما يعد أهمها انتظاما في حجم المياه التي يصرفها خلال كل الفصول، بصبيب 110م^3/ثانية، قد تصل نسبة تفاوته حسب السنوات 6,6. إنه أيضا أكثر الأنهار المغربية تعمقا على طول مجراه، إذ كانت تشكل خوانقه حاجزا منيعا أمام التحركات السكانية، وما زالت تفصل بين جزء من أهم الأربعين قبيلة تقريبا التي يلمسها الوادي.

يشكل النهر حدا فاصلاً بين قبائل الشاوية المحاذية له (الهدامي وگدانة ومزوضة وأولاد بوزيري وبني مسكين) وقبائل دكالة (هشتوكة والحوزية وأولاد فرج) والرحامنة (أولاد عبو وأولاد قيم وأولاد عگيل والبرابيش) وقبائل السراغنة (الغابات وبني عامر). أما المجموعات القبلية الأخرى (بني موسي وبني عمير وأيت رباع وأيت سري وأيت إسحاق وزيان وأيت سگوگو وبني مگيلد) فتتراكب كلها على الهضبة الوسطي والأطلس المتوسط وهضبة الفوسفاط وتادلا والسراغنة والگنتور والرحامنة والشاوية ودكالة. ويلعب دورا حتى في التقسيم الإداري على مستوى تحديد الجهة الاقتصادية الوسطى والأقاليم المحلية (خنيفرة وبني ملال وخريبگة وقلعة السراغنة وسطات والجديدة).

أما الآن، وإن ظلت ضعوبة تجاوز النهر قائمة محليا، فإنها زالت إقليميا بفعل سلسلة من القناطر والطرق والسكك الحديدية. وأهم العناصر التي تخترق النهر تتمثل في الطرق الرئيسية رقم 24 (بين الهري وخنيفرة) و33 (واومانا) و13 قصبة تادلا و22 (بين الفقيه بنصالح وسبت أولاد النجمة) و7 (مشرع بنعبو) و8 (الطريق الرئيسية وفرعها الاجتنابي بأزمور) والطرق الثانوية رقم 133 (بين بني ملال والفقيه بنصالح) و1340 (نحوالبروج) و124 (بولعوان) و1312 (سيدي سعيد معاشو) والسكة الحديدية الرابطة بين الدارالبيضاء ومراكش عبر مشرع بنعبو، والسكة الرابطة بين النواصر والجرف الأصفر عبر أزمور. مع ذلك، فإننا لا نعثر على مدن ذات أهمية تذكر على طول مسار الوادي، باستثناء المدن المتوسطة الموجودة في طرفيه الأعلى والأدنى (خنيفرة وقصبة تادلا وأزمور).

يأخذ أم الربيع منبعه في الجزء الملتوي جنوب الأطلس المتوسط الهضبي الذي يبلغ أوجه في 2368 متر والذي تتفرق منه أيضا أودية بهت وگيگو (سبو الأعلى) وملوية. تصبح الطيات شبه منعدمة نحو الجنوب، حيث ينبع أهم الروافد (فلات وسرو وشبوكة) المنبثقة في ارتفاع حوالي 1800م قرب قرية بقريت من «الأربعين عين» المشهورة والقارة الصبيب (3,9 م^3 / الثانية). من تلك المنابع إلى مستوى مدينة خنيفرة، وبعد مرور النهر بخوانق جد عميقة، تتم تغذيته بكميات هائلة من المياه الجوفية التي يجمعها حوض جيولوجي أوسع من الحوض التضاريسي السطحي، إذ تسقط أمطار غزيرة نسبيا بالمنطقة (بين 400 و800 ملم) وتختزنها كتلة ضخمة جدا من الكلس الدولوميتي أساسا أسفل على سمك مآت الأمتار) والكلس الطفلي الكريتاسي، ثم تخلف صبيبا قويا يساوي متوسطه 7,36 لتر في الثانية وفي الكلم^2 على حوض فرعي تبلغ مساحته 1086 كلم^2.

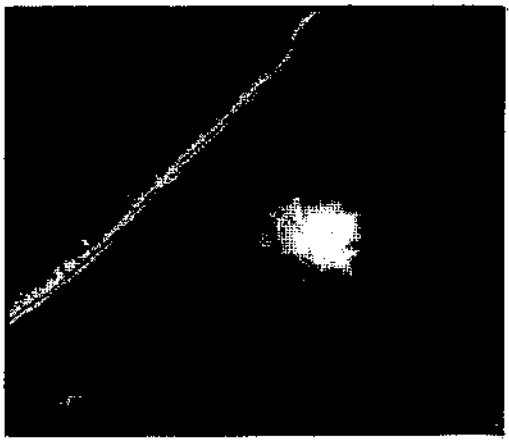

مصب نهر أم الربيع

بعد مخرجه من الخوانق الأطلسية وإلى خنيفرة (على بعد 5 كلم من المنبع) ثم دشرة الواد (106 كلم) قرب ملتقى واد واومانا، ينزل ارتفاع قعر الوادي بسرعة : من 1800م إلى 850 في خنيفرة و500م في قصبة تادلا. بعد المخرج كذلك يتخذ أم الربيع مجرى متعمقا وسط ممر يحد الهضبة الوسطى في الجنوب الشرقي ليتطور في بنية متنوعة وصخور أولية في الوهدات تفصلها عوارض كلسية وكوارتزية أو طفوحات بركانية أولية و ترياسية. إن الشيست والكوارتزيت في هذا المحور هي الأقل نفاذية، مما تنجم عنه ملوحة ملموسة للمياه وخزن باطني وصبيب محلي ضعيفان: 1,24 لتر في الثانية وفي الكلم^2 في مساحة تعادل 2243 كلم^2. أما معدل صبيب أم الربيع في خنيفرة فيبلغ 17م^3 / الثانية.

بعد 84 كلم من دشرة الواد إلى القصبة الزيدانية يصبح النهر من جديد تحت تغذية الكلس الدولوميتي الليلاسي الأسفل الذي يكون الجنب الشمالي الغربي من محدب أطلسي شاسع. ويبلغ الحوض الفرعي 79 كلم^2 بين دشرة الواد وقصبة تادلا و1219 كلم^2 بين هذه الأخيرة والقصبة الزيدانية. قبل أن يستقطب أم الربيع واد درنة وسط سهل تادلا يصبح معدل صبيب النهر يساوي 34م^3 في الثانية في قصبة تادلا في حين أن صبيب الفيضان لا يتعدى 170م^3/ث، وصبيب الشح لا ينزل عن 10م/ث، رغم قحولة المنطقة وقوة التبخر بها. قبل أمطار 1963 المفرطة، لم يسجل الصبيب في قصبة تادلا إلا ثلاث مرات أرقاما عالية : فبراير 1942 (130م^3/ث) وماي 1953 (145م^3/ث) وفبراير 1941 (125م^3/ث). أما باقي المجاري (ومنها واد

داي) فكانت تسيح في مخاريط الأنصباب بالدير قبل أن أعيد حفر مجاريها لتصبح عبارة عن قنوات لصرف فائض مياه السهل نحو النهر. في هذا المستوى يتعمق النهر باعتدال ولكن دون أن يغمر السهل أبدا، ولو في الفصول المطيرة جدا.

يتخذ أم الربيع مسارا محدبا نحو الجنوب، وتشكل فيه تادلا والسراغنة قاعدة القوس. لذلك فهو يقترب أكثر من الأطلس. ويستمر النهر في الجريان تبعا لمحور السهل حتي يقترن بواد العبيد في غرب تادلا وتساوت في شرق السراغنة. ينطلق الأول من شرق الأطلس الكبير الأوسط الكلسي وتشمل روافده في عالية فرعه الرئيسي أسيف ويعين وأغدو وإكامن. أما فرعه الجنوبي فيتكون أساسا من واد أحنصال وأسيف الغازي. يقطع الفرعان في عاليتهما جزءا كبيرا من التكوينات الكلسية (لياس أسفل) ثم الكلس الطفلي الكريتاسي في بنية ملتوية غير منتظمة وذات مقعرات واسعة وقمم عالية (جبل أزوركي : 3685م وجبل معسكر : 3277 م). بعد ذلك يلتقي الفرعان في حوض واويزغت ليشكلا مجرى واحدا يأخذ تجاه محور مقعر مركب ضمن تكوينات اللياس الأسفل النافذة أساسا (الكلس الدولوميتي) ثم اللياسي الأعلى غير النافذة (طفل). تبلغ مساحة حوض العبيد بأكمله 7967 كلم ويبلغ صبيب المجرى عند مقرنه بأم الربيع 38م^3/ث، وهو أعلى بقليل من صبيب النهر، نظرا لغزارة الأمطار والثلوج بالأطلس الكبير(600 إلى 1000 ملم سنويا).

ينمو واد تساوت بالدرجة الأولى داخل القاعدة الأولية والترياسية غير النافذة وتارة في كلس اللياس الأعلى الذي يشكل نفس التكوينات بحوض العبيد، وتارة عند اتصال القاعدة باللياس. يبلغ صبيبه عند أگادير بوعشيبة 9,1م^3/ث. أما واد الأخضر فيتشعب في عاليته إلى ثلاثة مجاري رئيسية (واد برناط وأسيف نغزاف وأسيف ن-أيت أ'وفاد). تجري هذه الروافد أيضا في نفس الركيزة (الكلس اللياس الأعلى) مع شبه انعدام القاعدة الأولية والترياسية وبروز واسع للكلس الدولوميتي (لياس أسفل) الذي يعلو مقعر دمنات (طفل اللياس الأعلى). يبلغ صبيب الأخضر عند سد سيدي إدريس (أيت شواريت) 14م^3/ث، ويبلغ حوضه عند التقائه بتساوت مساحة 3102 كلم^2. أما حوض تساوت عند مستوى سد تمين أو تين فيبلغ 2876 كلم^2 وتساوي المساحة الإجمالية لحوض تاساوت من العالية إلى مقرنه بأم الربيع 5876 كلم^2.

إن سهل تادلا يساهم قليلا في تطعيم مياه النهر نظرا لقلة الأمطار بها (بين 200 و300 ملم) وضعف حمولة الارسابات الرباعية (غير المتجانسة والسميكة) من المياه الجوفية. كما أن النهر لا يستقبل أي مجرى آت من هضبة الفوسفاط المستوية وذات الفرشات المائية العميقة (كريتاسي أعلى وأيوسين أسفل). أخيرا، وبعد اجتياز بعض المساحات المتقلصة من التكوينات الكلسية الطفلية في هضبة الگنتور، يتعمق المجرى بشكل ملموس وسط صخور أولية متعاقبة الصلابة والليونة في الرحامنة ومتكونة من نفس الصخور الأولية في العالية، لكنها مغطاة في المدرجات الغرينية والسفوح المحملة بالارسابات الرباعية. هذا التنوع البنيوي والصخري أحدث سلسلة من انقطاعات الانحدار، قد استغلت في وضع عدة سدود. وتجدر الإشارة إلى أن أم الربيع لا يجلب إليه من تاساوت إلى المصب سوى بعض المجاري الموسمية الهزيلة في الرحامنة والشاوية وسوى مجرى واحدا دائم في دكالة (واد الفارغ) الذي يصب في النهر بين سدي الدورات وسيدي سعيد معاشو. ويتميز المجرى الادنى إلى المصب بتعمق النهر تماما وسط الحُت الغربي النافذ.

هكذا يبلغ الصبيب على بعد 391 كلم من المنبع، أي عند سد المسيرة، 100م^3/ث وتساوي مجموع مساحة الحوض 27981 كلم^2. وعند إمفوت، تبلغ مساحة الحوض 30614كلم^3، وأخيرا عند المصب 34335 كلم^2. أما معدل الصبيب في محطة إمفوت فتساوي 110م^3/ث مع تفاوتات بيسنوية. لكن صبيب الفيضان لم يتعد 1000م^3 إلا نادرا، ومرة واحدة وصل 2500 م^3 (1963). ويبقى صبيب الشح مرتفعا نسبيا بحوالي 34م^3/ث (كما حدث سنة 1945.44) و21 م^3/ث في صبيب الشح الأدنى. إن جل مياه أم الربيع تقدم من روافد الأطلس المتكتل والنافذ وفرشاته المائية. بالمقارنة مع هذه الأخيرة ، تبدو المياه القادمة من السهول والهضاب في المجرى الأوسط والأسفل جد هزيلة بسبب القحولة وقلة نفاذية التكوينات السطحية.

إن الخصائص الهيدرولوجية الطبيعية تغيرت كثيرا بفعل التجهيزات المائية والكهربائية التي تعاقبت على الحوض منذ الثلاثينات، وجعلت من أم الربيع أهم الأنهار المغربية وأكثرها تهيئة. لقد استهدفت مشاريع السدود به وبحوضه إنتاج الطاقة الكهربائية والري في نفس الوقت، بل استهدفت قبل كل شيء في البداية، وبشكل استعجالي أحيانا، إنتاج الكهرباء حتى إن الحوض ينتج اليوم حوالي 65٪ من الإنتاج الوطني من الطاقة المائية. وتتوزع أهم السدود والمحطات الكهربائية على الشكل التالي :

المجرى المائي	السد	تاريخ الاستخدام أو نهاية البناء	الحمولة (مليون م3)	إنتاج الكهرباء، 1986 (مليون ك و / س)	وظيفة
أم الربيع	س. س. معاشو	1929	2	2,1	شرب ، طاقة
	ق. تادلا	1934	.	.	شرب ، ري
	ق. زيدانية	1936	0,1	9	طاقة ، ري
	إمفوت	1944	83 م 25	11	طاقة ، ري
	دورات	1950	24	6	شرب ، طاقة
	المسيرة	1979	2724	62,8	شرب ، طاقة ري ، صناعة
	دشرة الواد	1986	.	.	شرب ، ري صناعة
العبيد	بين الويدان	1953	1484	78	طاقة ، ري
	أيت أورعرة	1954	4	.	طاقة
	أفورار	1959	.	212	طاقة
تاساوت	مولاي يوسف	1970	191	14	طاقة ، ري
	أگادير بوعشيبة	1979	5,8	.	شرب ، ري
الأخضر	سيدي إدريس	1986	7	.	شرب ، ري

في عالية النهر، تم بناء سد قصبة تادلا بين 1929 و1934 لتحويل المياه عبر قناة الرأس الميت (24,4 كلم) قصد تحريك إحدى أصغر المحطات الكهربائية بالقصبة الزيدانية، ومنها تزويد قناة رئيسية (42 كلم) لري 30.000 هـ في الضفة اليمنى بسهل بني عمير. لقد بدأ التجيز سنة 1910 وانطلق الري سنة 1938 لتصل المساحة المسقية سنة 1953 حوالي 24.000 هـ إلا أن حمولة النهر المتوسطة من الملح والناتجة عن تصريف أم الربيع في العالية لصخور أولية وترياسية مالحة (شيست وكوارتزيت)، عاقت توسع بعض المزورعات كالحوامض، واستوجبت جلب مياه واد العبيد لإزالة ملوحة التربة. فتم تحديد شبكة الري ابتداء من 1973 وتوسيع القطاع المسقي الأصلي لتسقى في نهاية السبعينات 32.500 هـ وحاليا 40.000 هـ. أما الضفة اليسرى (بني موسى) فاستقبلت جل التجهيزات في سهل تادلا بين 1949 و1975، ويدأ الري سنة 1954. يجلب الماء من سد بين الويدان إلى سد أيت أورعرضة على بعد 3,5 كلم، ثم إلى أنورار عبر نفق طوله 10,5 كلم. بعد استعماله في تحريك المحطة الكهربائية يوزع الماء عبر قناتين : إحداهما يمنى تمتد على 35 كلم لدى بني عمير وشرق بني موسى، وأخرى يسرى 48 كلم تسقي بني موسى في الوسط والغرب وجزءا من سهل السراغنة عبر امتداد للقناة يبلغ 40 كلم. وتقدر المساحة الإجمالية المسقية بسهل بني موسى بحوالي 75.000 هـ.

أما سافلة النهر فقد شهدت سلسلة من الإنجازات السدية التي أتت على نمو الثروة السمكية التي اشتهرت بها سافلة أم الربيع منذ عدة قرون.

شيد أول سد في المغرب بين 1925 و1929 بسيدي سعيد معاشو، غير أنه يعتبر الآن أصغر سد ومحطة كهربائية بأم الربيع، يساهم أساسا بتزويد الدارالبيضاء بالماء الصالح للشرب. أما الجديدة فتزود بواسطة محطة الضخ بسيدي الضاوي التي تزود أزمور أيضا، والتي تجلب الماء مباشرة من النهر قرب أزمور، وبواسطة قناة تربطها بسد الدورات نظرا للحاجيات المتزايدة من الماء الصناعي والصالح للشرب فإن التصميم المديري لنهر أم الربيع (1976) قد خطط لوضع قناة من الدورات إلى الجرف الأصفر لتزويد بعض القرى في الطريق ثم تمديدها إلى مولاي عبد الله ثم سيدي بوزيد والجديدة.

غير بعيد نحو العالية، بُني سد إمفوت لتلبية حاجيات الدارالبيضاء من الكهرباء بالدرجة الأولى ثم مراكش والدورات. لقد هرم السد منذ نهاية السبعينات فتحولت بحيرته وتقلصت سعته الأصلية (من 83 إلى 25 مليون م^3) وأصبح يتذبذب إنتاجه الكهربائي لكنه مازال يحول الماء لري سهل دكالة عبر قناة الرأس الميت الباطنية (6,7 كلم) التي انجزت سنة 1925، ثم عبر القناة الرئيسية السفلى 111كلم والقناة الوسطى. أما قناة أسفي (44 كلم) فتمد المدينة بالماء الصالح للشرب. لقد بدأ الرش حول بولعوان في بداية الخمسينات وحول خميس الزمامرة واثنين الغربية ابتداء من أواسط السبعينات وانتهى كليا تجهيز القطاعين السابقين (مع توسيع قطاع الفارغ) في أواسط الثمانينات. أما الانسياح الجاذبي فقد بدأ في قطاع الفارغ سنة 1956 ثم في سيدي إسماعيل سنة 1964 وسيدي بنور 1972.

تسقى في المجموع بدكالة الآن حوالي 53.000 هـ في مساحة مجهزة إجمالية تبلغ 60.000 هـ. وستتضاعف هذه المساحة تقريبا حسب التصميم المديري لنهر أم الربيع الذي يعطي الأولوية للري وتوسيعه بدكالة ليشمل 100.000 هـ في حدود سنة 2000. لهذا الغرض وأساسا لتزويد المنطقة الصناعية بين الجرف الأصفر وأزمور بالماء والكهرباء بُني أكبر سد بالمغرب بين 1976 و1979 بسيدي شحو (سد المسيرة) تحول مياهه بواسطة قناة الرأس الميت الموجودة لأنها القطاع المسقي الأسفل، وستستعمل أيضا لري «المصلحة العليا» جنوب دكالة. في أواسط الثمانينات بدأ تجهيزمشروع القطاع الخامس (40.000 هـ) الذي تشرف عليه القناة العليا (84 كلم).

تستعمل مياه حوض أم الربيع أيضا في ري قطاعات صغيرة ومتوسطة في بعض الأجزاء من الوادي وروافده. لكن التعمق الذي يلازم النهر باستمرار في العالية إلى السافلة لا يوفر إلا قليلا من الثروات الترابية والتضاريسية القابلة للري. أهم القطاعات المسقية على وادي أم الربيع توجد حول خنيفرة 9000 هـ، وعددها 30 قطاعاً. أما باقي أجزاء الوادي فلا تسقى إلا بشكل جد متقطع. ما عدا في سافلة سيدي معاشو نسبيا. وفي منطقة الدير بين بني ملال وزاوية الشيخ تسقى حوالي 25.000 هـ في 23 قطاعاً. أما واد العبيد فيمكن من سقي 5.000 هـ في حوالي 20 قطاعاً رغم تعمقه الشديد بالجبل.

يدمج حوض تساوت والأخضر أيضا في القطاعات المسقية المتوسطة، ولو أنه كان فيه ري تقليدي منذ القديم في مساحات شاسعة. تم تجهيز 30.000 هـ نهائيا سنة 1977 في قطاع تساوت العليا، وتستغل تقريبا كل مياه سد مولاي يوسف في المنطقة نفسها عن طريق قناتين رئيسيتين (غربية وشرقية) تنطلقان من النفق 4,25 كلم الذي يصل سد التحويل بأكادير بوعشيبة. في حين أن جل مياه آيت شوارت (سيدي إدريس) خصصت، طبقا للتصميم المديري لتساوت والحوز 1976 لتزويد مراكش بماء الشرب وري قطاع الحوز 35.000 هـ غرب مراكش عبر قناة طولها 125 كلم.

أما أراضي تساوت السفلى (قلعة السراغنة والبحيرة الشرقية) فتبلغ (60.000 هـ) قابلة للري. تسقي أجزاء منها بسواقي مأخوذة من عالية الأخضر وتساوت وبعض المنابع وأجزاء أخرى بالقناة المستمدة من قناة تادلا اليسرى.

مديرية الإحصاء، *النشرة الإحصائية السنوية للمغرب*، الرباط، 1987.

A.N.A.F.I.D., *Spécificités de l'aménagement hydro-agricole au Maroc*, Rabat, 1979 ; M. Ayad, A. Benabdeljalil et Sijelmassi.
A.M.H.A.T, *Architectures régionales, Région du Centre*.

Approche générale, Rabat, 1985 ; C.R.E.S.M. *Les problèmes agraires du Maghreb*, C.N.R.S, Paris, 1977 ; Le Moigne et Bourcart J. *Un projet d'utilisation d'un fleuve marocain* : L'Oum El Rabia, Rev. Géo. Phys. et Géo. Dyn. Vol VI fasc 1 Paris, 1933, pp. 5 - 42 ; Loup J, *L'Oum Er Rbia*, Trav. Ins. Sci. Cher, N° 9 Rabat, 1960 ; M. A. R. A, *L'irrigation au Maroc*, Rabat, 1975. *Projet Azilal*, M.A.R.A, FA.O, PNUD, *Rapport intérinaire*, Rabat, 1986, 2t *Ressources en eau du Maroc. Notes et Mémoires du Service Géologique*. N° 231, Rabat 1975. SCET International M.A.R.A, *Etude des Potentialités en matière de P.M.H, Bassins versants des Oueds Oum Er Rbia et Tensift, Rapport de Synthèse*, Rabat, 1973.

مصطفى عياد

أمّ فاطمة، نهر يعرف كذلك بوادي العُمرة، وتوجد منابعه بجبل الكَعْدة من إقليم طرفاية. طوله 43 كيلومترا، وتصب مياهه بالمكان المعروف بفم أم فاطمة الذي اطلق عليه الإسبان اسم بُوكادي أغيدْيو Boca de en-medio أي الفم الوسط.

Flores Morales, Angel, *El Sahara Español*, Madrid, 1946, 51 ; Carnero Ruiz, Ismael, *Vocabulario geografico-sahariano*. Madrid 1955, p. 284 - 254.

محمد ابن عزوز حكيم

أُمّاد (الحاج.) ← **أملاّح** الحاج محمد

أمّلن ← **تافراوت**

الأمّي ← ابن **مشّون** محمد بن يوسف

الأمن الوطني، لم يعرف مغرب ما قبل الحماية جهازا أمنيا مكونا من رجال الشرطة بالمفهوم الحديث للكلمة. بحيث إن السلطة المركزية المتمثلة في الباشا والقائد كانت تعتمد في تنفيذ الأوامر على أعوان يدعون «المخازنية». لكن هذا التنظيم التقليدي لم يكن يستجيب لمتطلبات القوى الأجنبية التي بدأت تتغلغل في البلاد من خلال تجارها. لهذا قامت كل من إسبانيا وفرنسا، تحت ستار تنظيم الأمن والنظام العام، بتوقيع اتفاق سري سنة 1905 ينص على خلق فرق للشرطة في الموانئ المغربية مهمتها الأساسية مراقبة الموانئ وقمع تهريب الأسلحة والذخيرة.

وفي 1906 أقر مؤتمر الجزيرة الخضراء رغبة القوى الأجنبية في إدخال إصلاحات بالمغرب من أجل تحقيق "الطمأنينة" في البلاد. وهكذا تم توقيع اتفاقية مدريد بين فرنسا واسبانيا عام 1912 وضعت من خلالها هاتان الدولتان جهازا أمنيا في المغرب.

ففي البداية قامت فرنسا في الجهة الغربية للبلاد (الرباط، الجديدة، الصويرة) بتعيين مفوضين للشرطة (Des Commissaires) يوجدون أساسا بأهم الموانىء المغربية. لكن في 1913 صدر قرار وزيري أنشأ في المملكة أول مصلحة للشرطة تحت اسم «مصلحة الشرطة العامة» وضعت تحت الرقابة المباشرة لسلطة الكاتب العام «للحكومة الشريفة» بمساعدة مراقب مصالح الشرطة العامة. وقد سمحت السلطات الفرنسية بتوظيف أشخاص من الجزائر وتونس ومن المعمرين في هذه المصلحة، وبذلك بدأت أسس مصلحة الشرطة العامة تأخذ شكلها الحقيقي في أهم موانىء المغرب. وبعد إنشاء لجن بلدية وضع المكلفون بالشرطة البلدية رهن إشارة رئيس اللجنة البلدية (القائد أو الباشا أو مندوبه).

وقد تكون فرعان للشرطة يسهران على الحفاظ على الأمن في البلاد وهما :(أ) الشرطة البلدية التي تحافظ على النظام العام، (ب) وشرطة الأمن التي تبحث عن المجرمين وتقدمهم للعدالة. وبعد سنوات تم إنشاء فرقة أمنية متحركة تكمل شرطة الأمن، وقد لعبت دور جهاز مركزي داخل الإقامة العامة. ثم طرأت تغييرات مهمة على جهاز الشرطة بحيث تم إنشاء شرطة خاصة (أو شرطة السكك الحديدية) مهمتها السهر على أمن المسافرين وضمان احترام إجراءات الشرطة المفروضة على السكك الحديدية، بعد ذلك مدت هذه الشرطة اختصاصاتها للموانئ على جميع أنحاء التراب الوطني.

وابتداءً من عام 1920 أصبح في المغرب ثلاثة أنواع من الشرطة : ـ الشرطة البلدية Police Municipale وكانت مكلفة بالحفاظ على النظام . . والأمن Sûrete يساعد السلطة القضائية في البحث عن الجرائم وقمعها. ـ والشرطة الخاصة Police Spéciale وتقوم بالسهر على الموانئ والسكك الحديدية.

أما في المنطقة الدولية بطنجة فقد وجدت شرطة عامة وأخرى خاصة كلاهما تحت إمرة متصرف واحد هو المكلف الوحيد بالنظام العام.

وبعد استقلال المغرب صدر ظهير في 16.5.1956 ينص على إنشاء «الإدارة العامة للأمن الوطني» وارتباطها بوزارة الداخلية ووضعها تحت السلطة المباشرة للمدير العام. ويوجد بالمغرب الآن مجموعتان أمنيتان هما : الأمن الوطني، والدرك الملكي. وهذا الأخير يمارس اختصاصاته الأمنية في القرى وهو مرتبط بالقوات المسلحة الملكية، ويقوم بالمهمات الإدارية لصالح وزارة الداخلية، والمهام القضائية لصالح وزارة العدل. في حين يمارس الأمن الوطني اختصاصاته في المدن.

ويجب التنبيه إلى أن عبارة «الأمن الوطني» عبارة حديثة جاءت لتعوض عبارة «الشرطة الشريفة».

يشتمل الأمن الوطني حاليا على إدارة مركزية، وإدارات فرعية على صعيد العاصمة. وهناك على الصعيد الإقليمي مصالح إقليمية تسمى «الأمن الإقليمي».

ويعود حاليا تسيير قوات الأمن الوطني وتنظيمها وتقنيتها إلى نظر المدير العام. أما الممثل الإقليمي للأمن الوطني فيقوم بالحفاظ على النظام ونشر الأمن في الإقليم.

يشكل الأمن الوطني نظاما يوضع رهن إشارة السلطات الإدارية من أجل الحفاظ على النظام العام. فالنظام العام هو المعيار الشرعي لتدخل الشرطة.

وبما أن المديرية العامة للأمن الوطني تخضع لرآسة مدير عام فإن هذا يعني أن جميع السلطات مركزة في يد المدير العام. وكل رؤساء المصالح الخارجية لا يعملون ولا يراقبون إلا باسمه، وهم مسؤولون أمامه.

ولضمان حسن سير العمل الأمني هناك تنسيق بين الإدارة المركزية للأمن وبين المصالح الخارجية يقوم بها مكتب التنسيق ومديريات فرعية (Sous-Direction) وهذه الأخيرة تعد وسيلة مرنة تساعد المدير العام في القيام بعملية الأمن الوطني في جميع أنحاء البلاد.

وتجدر الإشارة إلى أن الأمن الوطني يتوفر اليوم على مصالح اجتماعية في مختلف أقاليم المملكة، ومراكز للتكوين مثل المعهد الملكي لتكوين ضباط وضباط الصف للشرطة بالقنيطرة، ومدرسة تكوين الشرطة ببوقنادل. وتصدر بانتظام *مجلة الشرطة في خدمة الشعب*، صدر العدد الأول منها في يناير 1961، ثم تغير اسمها فأصبح *مجلة الأمن الوطني* ابتداء من العدد 115 سنة 1978. تعنى بكل ما يتعلق بهذا الجهاز، سواء من الناحية القانونية أو التقنية.

مجموعة مجلة الشرطة والأمن الوطني.

B. Boutayeb, *La Direction Générale de la Sûreté Nationale : service - public*. D.E.S, dr. pub. Rabat 1985.

عبد المجيد بنيوسف

الأمناء، مفردها : أمين، من الأمانة وهي ضد الخيانة، وقد اصطلح على تخصيص اسم الأمين ليطلق على المسير أو المراقب الإداري على مصير شيء مّا ولا سيما في نظم البلاد الإسلامية الاقتصادية والمالية، فـ "الأمين" في هذا السياق مكلف بوظيفة فيها مسئولية مالية واقتصادية، و"الأمناء" هم المشرفون على بيت المال أو الجمارك أو مسيرو الأراضي ، وهم من جهة أخرى رؤساء الطوائف الحرفية (Cahen, *amin*, in E.I.) ويسمى هذا الصنف الأخير في بلدان الشرق الإسلامي بشيوخ الطوائف (هـ. چب و هـ. بوون، *المجتمع الأسلامي والغرب*، 113). وقد تسمى القائمون على الخراج في الغرب الإسلامي بأسماء مختلفة منها اسم المشرف الذي استمر على ما يبدو إلى العهد السعدي، أما رؤساء الحرف فقد تسموا بـ"الأمناء" قبل ذلك في العهد المريني كما نقل أبو عبد الله العقباني في *تحفة الناظر* (المنوني، *ورقات*، 110).

وقد وصف لوتورنو (*فاس*، 436) دور أمين الصناع في بداية هذا القرن مبينا لهذا الدور جوانب ثلاثة : 1 ـ المبادرة لمساعدة أحد أعضاء الحرفة يكون في حاجة إلى المساعدة عند إملاق أو مرض أو وفاة وذلك بجمع تبرعات لأولاده ؛ 2 ـ القيام بدور حكم وخبير إذا وقع خلاف بين عضوين من الحرفة أو بين عضو من الحرفة وبين أحد زبنائه أو مموني ويكون القرار نافذا لا رجعة فيه، ومرجع الأمين في جميع هذه الحالات تقاليد مرعية في حرفته، شفوية، بين الطائفة الحرفية والمخزن فيما يتعلق بالمطلوب من العطاء والخدمات كالضرائب الاستثنائية والهدايا في المناسبات وأعمال يطلب إنجازها للأوقاف، ولا يقتصر دور الأمين بهذا الصدد على تنفيذ الأوامر بل كان يقوم بالدفاع عن مصالح أهل حرفته سيما إذا كانت له شخصية قوية تحظى بالاحترام والتوقير تذكر بمواقفها.

أما الأمناء القائمون على جباية السلطان وأعماله فإنما تتوفر عن مهماتهم وهيكلهم معلومات أكثر بالنسبة لعهود كل من السلطان محمد بن عبدالرحمان (1276-1290/ 1859-1873) والسلطان مولاي الحسن (1290-1312/ 1873-1894) والسلطان مولاي عبدالعزيز (1312-1326/ 1894-1908)، ومرد ذلك إلى وفرة نسبية في الوثائق من جهة وإلى النمو الذي طرأ على تقوية جهاز "الأمناء" المخزنيين بتكثيرهم وضبطهم وتوسيع نشاطهم إلى مختلف الجهات التي يتمتع فيها المخزن بوجود فعلي متمثل في العمال على الخصوص، وكل هذه العناصر واردة في سياق اطراد احتكاك المغرب بأوربا منذ معركة إسلي عام 1844، وما ترتب عن هذا الاحتكاك المتضمن لضغوط عسكرية ودبلوماسية، من ازدياد تجارة المغرب مع الدول الأوربية ومن أزمات المخزن المالية ومن اضطراره إلى نفقات مستنزفة.

وليس هنالك ما ينفي أن يكون هيكل الأمناء، من حيث العدد والتخصصات والتنظيم، قد بلغ في القرون السابقة إلى مثل ما بلغ إليه في أواخر القرن التاسع عشر في سياق ملابسات التدخل الأوربي الذي استدعى ما يشبه إصلاحات إدارية ومالية ارتبط بها ما سمته نعيمة هراج التوزاني بـ "جهاز الأمانة" (*الأمناء*، 45). ويتبين لدارس ذلك التوسع و "الإصلاح" أنه نوع من ملاحقة الطوارئ، متسم بعدد من ملامح البساطة وبالتكيف مع الظروف واستهداف الفعالية، لأن بسط أيدي الأمناء كمتصرفين لم يكن سوى جزء من واقع المخزن كنظم ودواليب.

كان من الأمناء مدبرون ومستثمرون وحفظة للأملاك والبناءات والأمراس (مخازن الحبوب) والأهراء (مخازن البضائع عامة) وكان منهم الجباة لمختلف أنواع الواجبات المخزنية يتسمون باختلاف أسمائها كأمناء المستفاد (القابضون للواجبات على البضائع التجارية في أبواب المدن والأسواق) وكأمناء المراسي المكلفين بالنفقات ويسمون أمناء الصائر، وقد يسمى الواحد منهم بـ"أمين الشكارة" (والشكارة مخلاة مغربية يتأبطها الرجل مشدودة بخيط مجدول يحمل فيها ماله وغيره). وقد ينسب الأمناء إلى مكانهم في هرم الجهاز كـ "أمين الأمناء" الذي كان بمثابة وزير للمالية، وقد يتسمون بحسب أماكن مهماتهم كـ"أمناء المراسي" و"أمناء القبائل"، وقد ينسبون إلى تكليف خاص، كأمين العسكر (المكلف بالإنفاق على الجنود) وأمين الفرقوش (المكلف بتدبير أمر البهائم التي يملكها المخزن للركوب والأحمال وغيرذلك). ومنهم من ينسب إلى مكان عمله في عاصمة السلطان كـ "أمين العتبة" أو "أمين

الصائر" المكلف بنفقات الدار السلطانية أو في عاصمة أخرى كـ " أمين بنيقة مراكش " أو "أمين بنيقة مكناس" ، (والبنيقة بيت صغير يجلس به الموظف للنظر في أشغاله).

ومن مظاهر المرونة الهادفة للفعالية والنابعة من البساطة في النظام، أن بعض الأمناء يتولون القبض والنفقة في آن واحد، وذلك على موظفيهم الأقربين في المراسي أو في القبائل أو على وجوه الصرف الأخرى المتصلة بجهاز المخزن ومشاريعه أو بما يصدر إليهم به أمر طارئ.

وقد كان كل أمين مساعَدا بكاتب أو عدة كتاب، وقد يخرج معه عدلان في مهمته، ولهم سجلات يقيدون فيها أعمالهم من يوم البدء إلى يوم انتهاء المهمة، ويوجد عدد من هذه السجلات أو " الكنانيش" محفوظا في الخزانات الحسنية أو في وثائق أسر أمناء سابقين. وقد كانت للمخزن وسائل متعددة لمراقبة أعمال الأمناء منها عيون العمال، وجهاز" أمين الحسابات" الذي قد تنبثق عنه لجنة خبراء للتفتيش.

وقد كان الأمناء يعينون بظهير سلطاني أفرادا أو جماعات، وكانوا يختارون في معظم الأحيان من العائلات الموسرة من عواصم التجارة والعلم ومن الثغور والمراسي التي تتوفر فيها خبرة تدبير الأموال، وقد أعطت أسر معينة كأسرة زنيبر وأسرة التازي أمناء متعددين مرموقين وكلت إلى بعضهم مهام سامية في شئون الدولة. وكان بعضهم ينصب في عين المكان إرضاء لأهل قبيلته، وكان منهم العلماء الحذاق، كما كان منهم الأميون الخبراء بأحوال المعاش.

ن. هراج التوزاني، *الأمناء بالمغرب* ؛ ع. التازي، *رسائل مخزنية* ؛ م. لحبيدي، *قضية المكوس*، د.د.ع. كلية الآداب، الرباط، 1987.

أحمد التوفيق

الأمناء العشرة أصحاب المهدي، تشير كل المصادر إلى كون المهدي بن تومرت صنف أتباعه إلى طبقات، وذكر ابن القطان أنها ثلاث عشرة طبقة يأتي في أولها الأمناء العشرة أصحاب المهدي. وتختلف المصادر في بعض أسماء أولئك الأمناء. ولعل أقدم وأوثق قائمة هي التي نجدها عند البيذق. وتشتمل على الأسماء التالية :

1) عبدالمؤمن بن علي 2) أبو حفص عمر بن علي الصنهاجي 3) أبوالربيع سليمان بن مخلوف الحضري 4) أبو إبراهيم إسماعيل بن يسلال الهزرجي 5) أبو عمران موسى بن تمارَ الگدميوي 6) أبو يحيى أبو بكر بن بگيت 7) أبو عبدالله محمد بن سليمان 8) عبد الله بن يعلا الزياتي الشهير بابن ملوية 9) أبومحمد عبد الله بن محسن الونشريسي المشهور باسم البشير 10) أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي 11) أبو موسى عيسى بن موسى الصودي 12) أبو محمد عبد العزيز الغيفائي.

قائمة البيذق تشتمل على اثني عشر اسما بينما نجد عشرة فقط عند كل من عبد الواحد المراكشي وابن القطان وصاحب *روض القرطاس* وصاحب *الحلل الموشية*. والاتفاق بين المصادر حاصل في الأسماء التالية: عمر أزناك (الصنهاجي)، أبو إبراهيم إسماعيل بن يسلال الهزرجي، أبو بكر بن بگيت، أبو حفص بن يحيى الهنتاتي، عبدالمومن بن علي. وأكثر المصادر اختلافا مع البيذق هو المعجب الذي لا يذكر سليمان بن مخلوف الحضري ولا البشير الونشريسي ولا أبا عمران موسى بن تمار الگدميوي ولا محمد بن سليمان، ولا عبد الله بن يعلا الزياتي، ولا عيسى الصودي ولا عبد العزيز الغيفائي. بينما يتفرد بذكر اسماء أخرى مثل يوسف بن سليمان و عبد الله بن سليمان، وأبي عمران موسى بن علي الضرير وأيوب الگدميوي.

ولعل هذا الاختلاف راجع إلى التقلبات التي مر بها الموحدون في حياة ابن تومرت حيث مات منهم أفراد وعوضوا بآخرين. وقد يرجع، أيضا، للاختلاف بين الرواة. ومهما يكن، فإن رواية البيذق هي الأكثر وثوقا لأنه كان حاضرا وقت تأسيسه التنظيمات الموحدية.

وهاته الطبقة الأولى لها أسماء مختلفة. فالبيذق يسميهم "أهل الجماعة"، وتكتفي بعض المصادر بكلمة "الجماعة"، وتستعمل الحلل الموشية عبارة أصحاب المهدي العشرة، ويدعوهم ابن القطان : العشرة.

وتضم هاته الطبقة أول أتباع ابن تومرت الذين بادروا إلى بيعته على أنه الإمام المهدي، هكذا تروي بعض المصادر نقلا عن عبدالمومن مباشرة. فالمهدي أراد أن يضم في هذه الجماعة أقرب الناس إليه وأجدرهم بثقته. وحرص في نفس الوقت على أن يكون من بين أعضائها رجال لهم نفوذ في قبائلهم مثل أبي حفص الهنتاتي وإسماعيل الهزرجي.

أما الدور القيادي السياسي للعشرة فقد كان على جانب كبير من الأهمية، إذ كان لهم القرار الأخير في كل ما يهم تسيير الموحدين وهو ما يؤكده ابن القطان بقوله : «وكانوا إذا قطعوا الأمور العظام يخلون بالعشرة لا يحضر معهم غيرهم. فإذا جاء أمر أهون أحضروا الخمسين فإذا جاء دون ذلك أحضروا السبعين .... (*نظم الجمان*،81).

وهكذا فالجماعة كانت بمثابة مجلس حكومي يعمل تحت إشراف المهدي ويتقاسم أعضاؤها فيما بينهم المسؤوليات السياسية العسكرية. فكان من بينهم من يشغل وظيفة الكتابة أو وظيفة القضاء أو وظيفة الإعلام والدعاية أو القيادة العسكرية وما إلى ذلك.

وقد برز دورهم الكبير عند وفاة المهدي وقيامهم بتدبير خلافته وعملهم في إنشاء الدولة الموحدية. وكان لهم السبق هم وذريتهم في تولي أهم المناصب في عهد عبد المومن وخلفائه كما نجدهم يتدخلون في القضايا السياسية، وبالخصوص في عهد عبد المومن الذي لم يكونوا دائما على أتم الاتفاق معه في سياسته. وقد غلب عليهم فيما بعد اسم أشياخ الموحدين كما نجد ذلك في عدد من المصادر.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ المقتبس من كتاب الأنساب ؛ *رسائل موحدية* ؛ ابن القطان ، *نظم الجمان* ؛ ابن غذاري ، *البيان المغرب* ؛

مجهول، *الحلل الوشية* ؛ ع.ابن خلدون، *كتاب العبر* ؛ م. عنان، *عصر المرابطين والموحدين* ؛ ع. علاّل، *الدولة الموحدية بالمغرب* ؛ ع. النجار، *المهدي بن تومرت*.

Ch. A Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord* ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc* ; J. Brignon et autres, *Histoire du Maroc* ; A. Laroui, *Histoire du Maghreb*.

محمد زنيبر

أيت **أُمناصف** (إنْزرْ)، مجموعة قبلية أمازيغية تستوطن أراضي شاسعة تمتد ما بين سهل گيكو ومنطقة بحيرة أگلمان - نْ - سيدي علي بالأطلس المتوسط. وتتكون هذه المجموعة من القبائل الآتية : أيت شراد، أيت مسعود، أيت الربع، أيت علي أوغانم، أيت بُوگمان، أيت كْبَل - الحْرام.

ولفظة أمناصف في الأمازيغية تفيد ما معناه نصف الشيء، وبذلك يمكن ترجمة اسم المجموعة الكامل ببني النصف، ومن المرجح أن تكون لهذا الاسم، كما لغيره من أسماء القبائل العالقة بأرقام (أيت شراد، أيت الثلث، أيت الربع، مثلا) صلة بالتقسيمات التي تخضع لها المناطق التي تستوطنها القبائل سيرا مع مبدأ التوازن في الاستغلال و الاستفادة من المجال، خصوصا أن جل هذه القبائل نجده في جهات اشتهرت بالرعي الموسمي (الانتجاع).

Répertoire Alphabétique ; Mezzine, *Le Tafilalt*.

عبد العزيز توري

إمَنْسي : تعني في الأمازيغية وجبة العشاء. لكننا نجد في أعراف قبائل الجنوب المغربي (وادي دادس خاصة)، أنها تفيد معنى الغرامة التي يُمكن أن تصدرها القبيلة في حق شخص من الأشخاص عندما يقوم بخرق أحد بنود عرف فتُلزمه بإطعام الطعام على شكل وجبة العَشاء لأعيان القبيلة. وهو ما تُترجمه الأعراف المكتوبة بالكلمة العربية «المَبيتة». إلا أنه في بعض الحالات يُجبر الجاني على إطعام الطعام لجميع أفراد القبيلة وهو ما يسمى بـ «أفَنگْ». ويعتبر إمَنْسي وأفَنگْ من أقسى العقوبات بالمالَ التي تقتص بها القبائل من المجرمين نظراً لقلة الامكانيات وما يترتب عن ذلك من مصاريف باهظة. لذلك فهذه العقوبات ذات طبيعة زجرية ناجعة.

M. Hammam, *Coutumes inédites des Qsur-s Ayt Ihya*, *H. T.* vol. XXV, 1987, pp. 91 - 106.

محمد حمام

أمْنّو، إدريس بن الحاج محمد بن علي بن سعيد الوزاني، نزح جده سعيد من وزان إلى بلاد سوس واستقر بقبيلة (إداوْمنو) من هشتوكة. توجه أبوه الحاج محمد إلى الديار المقدسة لأداء مناسك الحج فسمع مناديا يدعو الناس إلى الجهاد، فانخرط مع زمرة من المغاربة في سلك الجندية العثمانية. وبعد تألقه في الحرب أصبح ضابطا ضمن جيش منظم بعث إلى طرابلس الغرب. وأثناء مقامه هناك سمع أن سلطان المغرب قد شرع في تنظيم الجند على الطرق الحديثة، فكان هذا الخبر حافزا له على العودة إلى بلده. ولما حل بالمغرب أخبر أن ولي العهد محمد بن عبد الرحمن مستغرق في تجديد الجيش إثر واقعة إسلي عام 1844 بمساعدة ضباط من الترك. انخرط في الجند المغربي ولم يلبث أن أصبح القائد الأعلى رغم معارضة الأتراك. وبحكم قربه من السلطان تزوج امرأة عريفة بالقصر الملكي بفاس وهي من مرضعات الأمير الحسن بن محمد فأنجب منها إدريسا سنة 1875. وبعد الدسائس التي حاكها ضده موسى بن أحمد نفي الحاج محمد أمنو إلى تطوان واستقر إدريس أمنو مع أمه نهائيا في القصر فتربى مع الأمراء وعلى الأخص منهم المولى عبد الحفيظ الذي كان ملازما وقريبا له. وقد تلقى دراسته الأولى في علوم العربية مع أبناء السلطان في زاوية «شراردة» ببلاد أحمر وهي مدرسة قديمة مشهورة بتدريس القرآن يقصدها الأمراء منذ عهد السلطان محمد بن عبدالله. وبالإضافة إلى الدراسة كان الأمراء ومعهم إدريس أمنو يتعلمون الفروسية والسباحة حيث كانوا يمارسونها صباح كل خميس في شواطئ مدينة أسفي.

وبعد وفاة السلطان الحسن الأول أصبح المولى عبدالحفيظ خليفة بتبادلا لأخيه عبد العزيز، وكان إدريس أمنو ملازما له في حله وترحاله و مستشارا خاصا يحظى بثقته.

ولما تولى المولى عبد الحفيظ منصب خليفة السلطان لأخيه بمراكش والمغرب العزيزي يعيش الظروف السياسية المعروفة التي مهدت السبل لدخول الاستعمار، فأصبح إدريس أمْنّو يلعب الدور الأول في محاولات المولى عبدالحفيظ لإنقاذ البلاد من أطماع الأجنبي، فكانت تسند إليه المهام السرية كالمشاورات و المفاوضات التي كان يجريها مع قواد الجنوب أمثال الأگلاوي والمتوكي والگندافي وعيسى العبدي وسواهم. ولما تمت البيعة للمولى عبد الحفيظ أصبح إدريس أمنو المستشار الخاص وصاحب سر السلطان ولا يبت في أمر دون استشارته. وإليه كانت

تسند أكبر المهام وأصعبها، فهو الذي نفذ حكم الإعدام في المدعو بوحمارة بالقصر الملكي بفاس، وهو الذي ألقى القبض على أبناء «حمو» باشا مكناس بعد اكتشاف مؤامرتهم ضد السلطان، وهو الذي كان يفاوض زعماء القبائل في سبيل تثبيت أمر السلطن والقيام ضد الفرنسيين. وأول مسؤولية تحملها إدريس أمنو هي باشوية مكناس فكانت مسؤولية قصيرة المدى حيث لم يلبث المولى عبدالحفيظ أن عين باشا آخر مكانه فعاد إدريس أمنو إلى البلاط لخدمة السلطان. ولما ساءت العلاقة بين السلطان وأسرة الأگلاوي تم عزل الحاج التهامي الأگلاوي من باشوية مراكش وعين إدريس أمنو خليفة مفوضا عاما للمولى عبد الحفيظ في الجنوب. وكان من بين مساعديه القائد الناجم الذي عينه على قبائل سوس والقائد كَبُّا الذي عينه على تارودانت، كما عين حمو الأگلاوي قائدا رسميا بتلوات ضدا على عميه المدني والتهامي. وأثناء ولايته على مراكش كان يتصل سرا بقنصل ألمانيا مسايرة للسياسة السلطانية المعارضة للدولة الفرنسية. وفي الأيام الأخيرة من ولايته دخل الثائر أحمد الهيبة مدينة مراكش فاستقبله إدريس أمنو لا كسلطان ولكن كرئيس للمجاهدين، وقد طلب من الأگلاوي والعيادي و الناجم وباقي القواد أن يستقبلوه بنفس الصفة. وبعد استقرار أحمد الهيبة بالقصبة عمل إدريس أمنو على تهدئته ومداراته حتى لا يهاجم أهل مراكش وعلى الأخص الأسرة الشريفة بدار المخزن، كما عمل على إبعاد الأجانب وإرسالهم على الحمير والبغال إلى أسفي باستثناء سبعة من الفرنسيين بمن فيهم القنصل "ميگري Maigret" لأنهم رفضوا مغادرة مراكش وآثروا الاختفاء بدار التهامي الأگلاوي. ولما استتب الأمر للفرنسيين طلبوا من المولى عبد الحفيظ إصدار ظهير يعين بمقتضاه التهامي الأگلاوي باشا على مراكش . فلما دخل الكولونيل الفرنسي "مانجان Mangin" مراكش كان أول أمر قام به تعيين الأگلاوي، ونزع إدريس أمنو من منصب الباشوية. ولما تنازل المولى عبد الحفيظ عن العرش، في الظروف المعروفة، نفت فرنسا إدريس أمنو إلى مكناس التي قضى بها أربع سنوات. وبعد تدخل أحد أصدقائه الإنجليز وهو بليك Blacke وهو شخصية بارزة كانت تحظى باحترام الفرنسيين، سمح لأمنو بمغادرة منفاه، فذهب إلى سطات ثم إلى مراكش على أساس أن يقضي ثلاثة أشهر في سطات وستة أشهر بمراكش تحت الرقابة الفرنسية، هذه الرقابة التي لم تمنعه من الاستمرار في خدمة السلطان الذي كان إبان الحرب العظمى يتصل ببعض الألمان ويراسل بعض زعماء القبائل أمثال محيد أوحْمُّو الزياني يحفزهم على الثورة ضد المستعمر. فكان رسل المولى عبد الحفيظ الذين يحملون الرسائل والأموال يتبصلون سرا بإدريس أمنو فيرشدهم إلى الطرق المأمونة من أجل مهماتهم. وكان هذا آخر عمل قدمه أمنو للسلطان إلسابق. وبعد عشر سنوات من الحراسة والرقابة أصبح إدريس أمنو حرا طليقا ينتقل إلى حيث شاء ومتى شاء، فظل يتلقى زيارات الشخصيات البارزة أمثال الصدر الأعظم المقري والحاج المعمري ومحمد البشير الإبراهيمي والكولونيل باشاشا Pachacha الحاج سليمان الذي كان سفير الحكومة الفرنسية بالدول العربية، كما كان يتوصل بالجرائد السياسية والمجلات الأجنبية مثل مجلة *البصائر* التي كان يديرها محمد البشير الإبراهيمي بالجزائر. تزوج إدريس أمنو ولم يعقب ذكورا، ولم يكسب من الثروة إلا ما كان يكفيه لحاجياته الخاصة وإطعام الوفود والأصدقاء والأقرباء الذين كانوا يترددون عليه طوال الخمسين سنة التي قضاها بين سطات ومراكش بعد اعفائه من الباشوية عام 1912.

توفي في مراكش عام 1963 عن سن تقارب التسعين ودفن بضريح سيدي لحسن أُعلي بحومة باب دكالة.

م. المختارالسوسي، *حول مائدة الغذاء : رواية بعض أقارب المترجم.*

أحمد شوقي بينبين

أمْنُوگَّالْ، وتجمع على إمْنُوگَّالْنْ (مؤنثها "تامنوگالت" / "تامنوگالين")، كلمة أمازيغية تستعمل عند التارگيين سكان منطقة الهگار، لتدل على الرئيس الأعلى الذي لاتعلو سلطته سلطة زمنية أخرى داخل مجتمعه. ويختار من العائلات المعروفة بالرئاسة، من قبل إمغارن أي من شيوخ كل المجموعات المكونة لفدرالية أوكونفدرالية ما.

يتم اختيار أمنوگال من بين مرشحين عديدين، من ذوي الحق في ارتقاء هذا المنصب. وهم عادة من أنساب معروفة، ولكن مقاييس أخرى تتدخل لترجح مرشحا على الآخرين. منها قوة الشخصية ومتانة الجسد وتوفر الشجاعة والكرم والتمتع باحترام الجماعة، نتيجة ما يتحلى به المرشح من مزايا أخلاقية ومهارة سياسية ويقظة فكرية. ويمكن تنحيته إذا تبين أنه لم يحترم شروط العقد الذي يربطه بجماعته أو أنه عاجز عن القيام بمهامه أحسن قيام.

إن العقد المقصود هنا هو مجموع التقاليد والأعراف والقواعد الأخلاقية التي تتحكم في سلوك مجتمع "إيهكارن" وتصوراته، وهو مجتمع من الرحل الصحراويين.

أما مهام أمنوگال فتتلخص في القيام بدور التحكيم والقضاء في النزاعات والمخالفات، وبدور القائد في الحروب. فهو المسئول الأول عن أمن شعبه وتماسكه وبقائه.

وقد اتسع الحقل الدلالي لكلمة أمنوگال في ما بعد، فأصبحت تطلق على كل رئيس سياسي كالامبراطور والملك والسلطان والأمير ورئيس القبيلة وكبار ضباط الجيش ورؤساء الإدارات المدنية، كما يتسمى بها كل شخص يتوفر على ثروة أو على مزايا أخلاقية أو فكرية أو جسمية. كما يلقب بها كل الأفراد المنتمين إلى أسرة إمنان بأجار شمال شرقي بلاد أهوگار، سواء كانوا صغارا أم كبارا، رجالا أم نساء، ولو لم تكن وضعيتهم المجتمعية تقتضي ذلك. وهذا راجع إلى كونهم يعتقدون أن نبلهم متحقق بالولادة، لأن أجدادهم البعداء كانوا - في نظرهم - أسيادا في منطقة الهوگار.

وتوجد بالمغرب مناطق تحمل اسم أمنوگال كما توجد قبيلة تحمل اسم إمْنَانْ، ودلالات الاسم الأصلي تقود إلى تساؤلات تاريخية في غاية الأهمية.

Ch. de Foucauld, *Dictionnaire Touareg-Français*, pp. 1207,1213, 14 ; E.I., Nlle ed., 1975. I, p. 445, 1214 ; *E.B*, IV, pp. 518 - 589.

علي صدقي أزايكو

أمْهَاوشْ، أبو بكر، يدخل تاريخ آل أمهاوش ومن شابههم من أسر مرابطي الأطلس ضمن "التاريخ الهامشي" الذي لم يحظ باهتمام المؤرخين شبه الرسميين إلا بكيفية عابرة. وحتى عندما يتعرض مؤرخون أمثال الزياني وأكنسوس لذكر أسر مثل آل أمهاوش فإنهم لا يفعلون ذلك في غالب الأحيان إلا للقدح والسب في حق هؤلاء بالرغم مما كانوا يتمتعون به من تقدير وإجلال من طرف القبائل التي عاشوا في وسطها، وبالرغم من الدور الديني والاجتماعي الهام الذي أدوه في مناطق لم تكن تخضع باستمرار لسلطة المخزن المركزية. وبما أن هؤلاء المرابطين كانوا يعيشون في وسط قروي لا يعرف إلا انتشارا محدودا للكتابة، بل وكانوا أحيانا هم أنفسهم يجهلون حتى مجرد القراءة والكتابة، فان جل ما وصلنا عنهم كان عن طريق مؤرخين شبه رسميين، باستثناء الرواية الشفوية التي قد تعكس مكانة هؤلاء المرابطين لدى قومهم ولكنها لا تساعدنا كثيرا في بناء تصور تاريخي لحياة هؤلاء وللأحداث التي عاصروها. والنموذج الذي يمثله مرابط الأطلس بصفة خاصة يختلف عن " المرابط الدجال" الذي كثيرا ما يشير إليه المؤرخون. فالأمر هنا لا يتعلق بمجرد متنسكين أو مجاذيب أو أدعياء معارضين للسلطة الدنيوية، بل نجد أن العائلات المرابطية أمثال الدلائيين أو الحنصاليين أو آل أمهاوش لعبت أدوارا قيادية في الوسط البربري وذلك على مدى أجيال متتابعة. كما أن ظهور أسر من هذا النوع له أسس موضوعية وتاريخية، لأن هذه الأسر غالبا ما تجسد طموحات مجموعات قبلية تمر عبر مرحلة انتقال وتوسع في اتجاه الأراضي المنبسطة.

ينتمي أبو بكر أمهاوش إلى أسرة أيت سيدي علي أُحساين (القرن 18م) والتي تستمد تسميتها من أيت أمهاوش وهي فرقة من أيت سخمان من برابرة الجبل. وقد ظهرت هذه الأسرة المرابطية أول ما ظهرت كامتداد لإشعاع الزاوية الناصرية ؛ فسيدي علي أُحساين كان تلميذا لشيخ الزاوية سيدي أحمد بن ناصر الذي تهيأ حسب الزياني بظهور دجال (مهدي، حسب الرواية الشفوية) من سلالة أمهاوش. وكان ولده امحمد أُناصر (هكذا سماه والده تبركا بشيخ الزاوية الناصرية) من اتباع الناصريين كذلك، وقد حصل على "حظ وافر" من علوم الفقه واللغة وتنسك ولبس الخشن من الثياب و"حصل له نوع من الكشف..".

وشاع أن له خبيرا من الجن يخبره بالمغيبات "فاشتهر أمره بين القبائل الأطلسية أيام سيدي محمد بن عبد الله واتسعت دائرة أتباعه وزبنائه حتى في وسط برابرة الوطاء مثل گروان. وإذا كان سيدي علي قدأحجم عن الخوض في مجال السياسة فإن ولده أُناصر وجد نفسه وجها لوجه مع المخزن عندما وفر الملجأ لمولاي اليزيد المتمرد على سلطة والده سيدي محمد بن عبد الله بتواطؤ من قبيلة گروان وقد كان عاملا عليها. وهذا هو سبب لجوئه في سنة 1770م إلى زاوية أيت إسحاق حيث لقي الحفاوة والتكريم من طرف محمد أُناصر. ولما بويع المولى اليزيد في سنة 1790، قدم عليه هذا المرابط مع أتباعه من برابرة الجبل لتقديم بيعتهم، فأعطاهم ما يزيد على مائة الف ريال مكافأة لهم على دعمهم له في السابق. إلا أن أمد العلاقات الودية مع الدولة لم يطل كثيرا، خاصة بعد وفاة المولى اليزيد عام 1712 وخلافة أبي بكر أمهاوش لوالده.

يعتبر أبو بكر هذا أكبر إخوته ووارث بركة والده، بل إن نفوذه الديني والسياسي تجاوز نفوذ كل مرابطي أسرة أمهاوش وكان لمعارضته سلطة الدولة والهزائم التي ألحقها بجيوش المخزن أثر حاسم في إعلاء شأنه بين القبائل الأطلسية.

أخذ أبو بكر امهاوش هو الآخر الورد الناصري، لكن يظهر أن ميوله الصوفية أصبحت تتجه أكثر نحو الطريقة الدرقاوية التي ظهرت في وقته والتي كانت مبادئها الداعية إلى التقشف والعيش الخشن وكذا الحيطة من بعض رجال المخزن أكثر ملاءمة لنمط عيش المرابط القروي الذي يعتمد نفوذه بين قومه على سلوكه طريق الزهد والتنسك. ولا يظهر أنه كان ملما بالعلوم الفقهية مثل والده، ولكنه كان يتمتع في أعين قومه بهالة من القداسة لايتوفر عليها إلا كبار المشايخ.

تتحدث المصادر المكتوبة عن أبي بكر أمهاوش لأول مرة عند أول مواجهة بينه وبين المولى سليمان في سنة 1800 عندما فشلت الجيوش المخزنية في حصار برابرة الجبل رغم هجوم مزدوج يشمل السفحين الشمالي والجنوبي للأطلس (تادلا وتافيلالت)، فكانت بين أمهاوش وجيش المخزن "وقعة لم ير مثلها في الدهر".

وقد استطاع أبو بكر أمهاوش عن طريق الضغوط التي مارسها على برابرة الوطاء مثل أيت إدريس وگروان من تفكيك جبهة من يسميهم الزياني ببرابرة الدولة، أي القبائل التي نزلت إلى بساتين أزغار بعد وفاة المولى إسماعيل والتي وجد فيها خلفاء هذا الأخير حليفا استراتيجيا وأداة لموازنة القوى الأخرى، جيشا كانت أم قبائل. بل إن الضغط الذي مارسته قبائل الجبل على اتحادية أيت إدراسن مثلا، أدى إلى تشتيت هذه المجموعة التي كانت خلال القرن الثامن عشر وحتى بداية التاسع عشر من أهم دعائم الدولة.

وفي سنة 1811 وقعت مواجهة ثانية بين أبي بكر أمهاوش وعساكر المخزن (وقعة أزرو) كادت أن تتحول إلى كارثة بالنسبة للجيوش المخزنية لولا تدخل أيت إمور وأيت إدراسن إلى جانب هذه الجيوش. وبعد مدة وجيزة حدثت مواجهة ثالثة عام 1814 بين أبي بكر أمهاوش والمخزن، وإن

تمت بكيفية غير مباشرة لأنها جرت أساسا بين أيت إدراسن وأيت أومالو الذين كانوا ينوون، حسب الضعيف، الهجوم على العاصمة مكناس. وبالرغم من كون المولى سليمان كان معنيا بكيفية مباشرة بمصير هذه المواجهة فإنه فضل عدم التدخل إلى جانب حلفائه أيت إدراسن، وهو الموقف الذي أدى إلى اندحار هذه الاتحادية ومقتل رئيسها محمد بن محمد وعزيز، وبذلك سقط جزء هام من خط الدفاع الأول الذي كان يقف في وجه برابرة الجبل وفتح باب المواجهة المباشرة بين أبي بكر أمهاوش والمخزن.

هذه المواجهة الخطيرة حدثت في ربيع 1819 ببسيط أدخسان جنوب خنيفرة، عندما حشد المخزن الجيوش لمحاصرة أيت أومالو وإتلاف زرعهم بعد سنتين من القحط الذي عرفته البلاد (1817-1818). ولم تكن الظروف مواتية لعمل عسكري من هذا النوع خاصة وأن الجيوش المخزنية كانت منهمكة من جراء الطاعون، بينما كان حلفاء الدولة من برابرة الوطاء منقسمين على أنفسهم ومترددين بين ولائهم للمخزن والانضمام إلى حلف برابرة الجبل الذين لم تزدهم هزائم المخزن السابقة إلا قوة والتحاما.

ولما انكسرت جيوش المخزن وقتل ولد السلطان مولاي إبراهيم ووقع المولى سليمان نفسه أسيراً في يد خصومه، زاد شأن أبي بكر أمهاوش لدى القبائل البربرية التي تحققت من صدق تنبؤاته، ورأت في انتصاره أكبر كرامة، وأيقنت أنه "صاحب الوقت" الذي سيملأ الأرض عدلا. وكان هذا سبب تهافت الناس عليه وانضمام جميع القبائل البربرية تحت رايته. وهذه الهزيمة هي التي نالت من هيبة المخزن وفتحت باب الاضطرابات والفتن التي عصفت بالبلاد خلال السنوات الأخيرة من حكم المولى سليمان. وكان أهم ما ترتب عن هذه الهزيمة ما يعرف بفتنة فاس (1820-1822) التي بويع خلالها سلطان منافس للمولى سليمان، هو ابن أخيه إبراهيم بن اليزيد، وقد حضر بيعة هذا الأمير شيوخ أهم الزوايا كما حضرها أبو بكر أمهاوش ورؤساء القبائل البربرية بما فيها قبائل زمور وأيت إدراسن وگروان. إلا أن امتناع جيش العبيد والأوداية عن مساندة المولى إبراهيم وسقوط شيخ الزاوية الدرقاوية أسيرا في يد الأوداية فوتا فرص النجاح على معارضي مولاي سليمان.

وتوفي أبو بكر أمهاوش دون عقب ودفن بموطنه بالقرب من موقع المعركة التي هزم فيها جيوش المخزن في آخر مواجهة بينهما. ولم يتمكن أحد من مرابطي آل أمهاوش من بعده من أن يوفر القيادة الروحية والسياسية الضرورية لاستمرار تلاحم القبائل البربرية الجبلية، إذ سرعان ما دبت الانقسامات الى صفوف هؤلاء، وهي الانقسامات التي شجع المخزن على تعميقها في كثير من الأحيان.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة العلوية*، مخطوط خ.ع. رقم د 660 ؛
أ. الزياني، *الروضة السليمانية*، مخطوط خ.ع. رقم 1275 ؛
م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*، مخطوط خ.ع. رقم د 339 ؛ أ.ابن الحاج، *الدر المنتخب*، مخطوط خ.ح. رقم 1920.

محمد المنصور

أمهاوش، علي بن المكي، ورث بركة والده وصار زعيما في الشؤون الروحية والقبلية لقبيلة أيت سيدي علي وحلفائهم. ولد عام 1844 وأخذ عن الشيخ عبد الله الهواري مؤسس زاوية الجديد الدرقاوية بفركلة كما أخذ عن ابنه. وقد أصهرت عائلة أمهاوش إلى عائلة هؤلاء الهواريين.

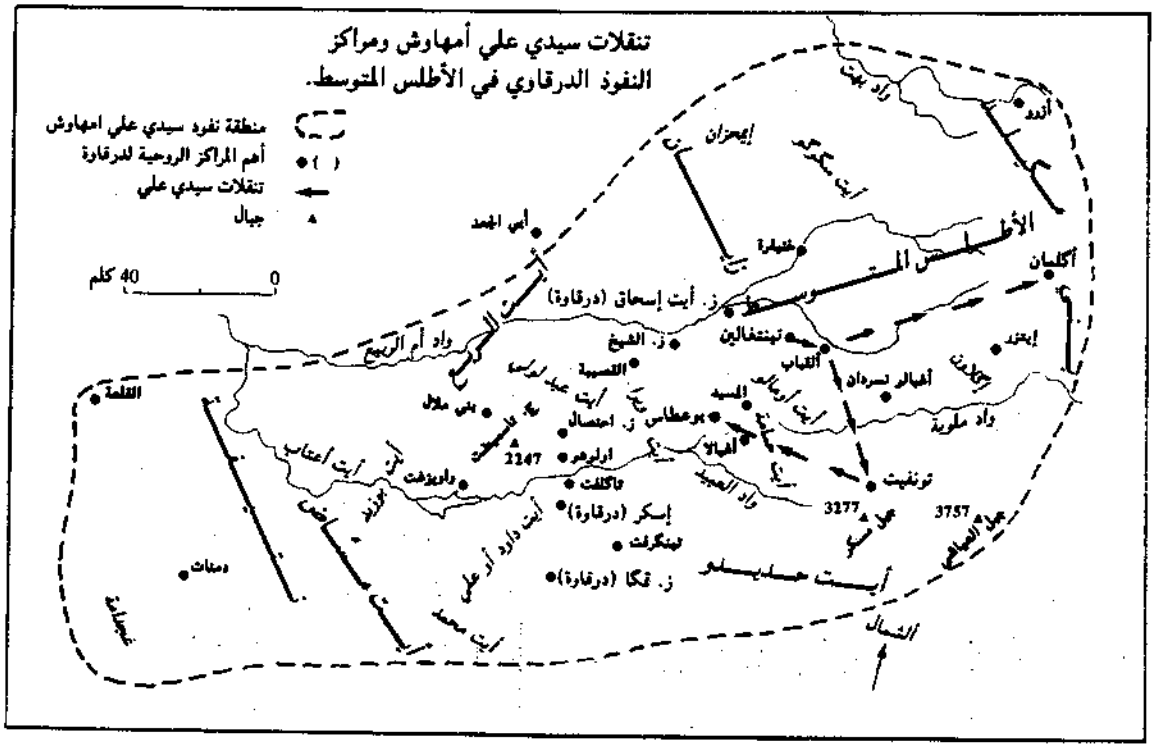

وكان علي أمهاوش مريدا لأحمد البيضاوي الفاسي وهو التلميذ المفضل عند الشيخ مولاي العربي الدرقاوي. ويدعي كل من دراگ Drague ودروان J. Drouin أن آل أمهاوش لم تكن لهم طريقة تذكر. ومعلوم أن القرن التاسع عشر تميز بتوسع نفوذ الدرقاويين بعدما كان القرن الثامن عشر ناصريا. وقد لعبت الدرقاوية دورا مهما في الأطلس المتوسط ولدى جبليِّي زمور وقبائل تافيلالت.

و تناقلت أسرة أمهاوش نسبة إلى الشرف الإدريسي من شواهدها ظهير محمد الشيخ السعدي وظهير سليماني. ويعتبر سيدي علي الزعيم الخامس فيمن عرف من رؤساء هذه الأسرة. وهكذا توفرت له الزعامة والشرف والورد الدرقاوي بحيث يجد فيه أيت أمالو (قبائل السفح الشمالي) الزعيم الذي افتقدوه منذ نصف قرن ، وكانوا في حاجة إليه في مواجهة جيرانهم الزيانيين الذين كانوا تحت قيادة محمد أُحمّو المدعم من طرف المخزن.

وقد وصف الرحالون والعسكريون الأجانب شخصية علي أمهاوش بكثير من الصفات الإيجابية الخلقية، استطاع بها جمع شمل حلفائه.

وعندما داهم الاستعمار بلاد زيان بخيله ورجله التفتت القبائل إلى أمهاوش والتفت حوله القبائل التي تستوطن بين أم الربيع الأعلى وملوية العليا لمقاومة الغزو الفرنسي، وكان مركزه أولا بتنتغالين ثم انتقل إلى القباب (45 كلم من قصبة تادلا) ثم انتقل إلى أگلمان جنوب غرب القباب بـ 12 كلم في نهاية 1913.

وهكذا دخلت تادلا والأطلس المتوسط تحت نفوذه، وظلت عيون الاستخبارات تتتبع حركاته. وفي صيف 1915 أقام بملوية العليا وتونفيت، وباع عدد من الناس في جهات بني ملال أملاكهم والتحقوا به. وكان على اتصال بثوار بني مگيلد.

وفي صيف 1917 توجه إليه موحى أُسعيد قصد تنسيق الجهود ، وشاركا معا إلى جانب موحى أُحمو وسيدي رحو سنة 1918 في تقسيم عدد من الأوراق البنكية من فئة 500 و100 فرنك جاءتهم من شمال المغرب.

ويظهر أن علي أمهاوش فضل عدم المواجهة العسكرية والاقتصار على العمليات الفدائية والاستنزاف. وقد انتظر الفرنسيون هجومه طويلا وارتبكوا وتوتروا ، ولجأوا إلى تفريق صفوف حلفاء أمهاوش بواسطة عملائهم، إلى أن توفي أمهاوش عام 1918 وورثه في الجهاد أبناؤه والزعماء الزيانيون الآخرون.

Drague, *Esquise d'histoire religieuse du Maroc* ; J. Drouin, *Un cycle hagiographique* ; *Rapports militaires sur la pacification.*

الدالكي الملكي

إمُور (أيت ـ)، أو أيت إيمُور أو أيت يمور، قبيلة بقع موطنها حاليا بسهل الحوز في الجنوب الغربي لمدينة مراكش بين قبيلة الأعراب في الجنوب وكل من قبيلة تَامْسْكُلْفتْ والأوداية وأسْكْجُورْ وتَاسْلْطَانتْ في الشمال. وكلمة إمُور في البربرية لها معان متعددة، فهي قد تعني العصا والسهم والمقلع والحماية والحلف. وربما رجع هذا المعنى الأخير لكثرة الأحلاف التي ربطتها بقبائل بربرية أخرى وخرجت منها بسرعة، إلا أن أحد المصادر جعلهم ينحدرون من إمور أحد أبناء ميدول ابن جالوت الذي أصله من مراكش.

يرى عبد العظيم الأزموري أن أيت إمور ينحدرون من أصول عربية، لكن الظاهر استناداً إلى النصوص والرواية الشفوية، أنهم من صميم صنهاجة، وآثارهم وبصمات أقدامهم لا زالت قائمة في أعالي غريس. ومع ذلك فإن البحث عن أصلهم يكتنفه كثير من الاضطراب والغموض. فلا نعرف إلى أي فرع من فروع صنهاجة ينسبون ولا متى انشقوا عن القبيلة الأم، ففي غياب المصادر التي تتحدث عن قبيلة أيت إمور منذ أقدم العصور نجد أنفسنا مضطرين إلى تتبع أخبارها من زمن استقرارها بالأطلس المتوسط.

لقد خرج أيت إمور من أعالي غريس ونزلوا بناحية أغبالا ، وفي ذلك ما يتفق مع تحرك مجموع صنهاجة. إلا أن الحديث عنهم في المصادر لم يرد بشيء من الوضوح إلا منذ عهد السلطان مولاي إسماعيل، فقد كانوا، حسب مخطوط بزاوية سيدي حمزة، في القرن الخامس عشر الميلادي في السفح الشمالي لجبل العياشي، كما تذكر الرواية الشفوية أنهم كانوا من مشيخة محمد الحاج الدلائي وشاركوا معه في منتصف القرن السابع عشر الميلادي في بناء الزاوية الدلائية. وعندما شرع المولى إسماعيل في حصاره المنهجي لحركة قبائل الأطلس المتوسط نحو السهول كانت مواقع أيت إمور موجودة بمنابع ملوية فيما بين تُونْفِيتْ و أراكّو نايت أحمد وأغبالا.

مَن الأكيد أن قبيلة أيت إمور دخلت الأطلس الكبير الشرقي قبل القرن السادس عشر الميلادي، وأن رحلتها التي استأنفتها من جديد كانت بسبب ضغط مجموعات قبلية أخرى، كما أن عدد أفرادها في بداية الأمر لم يكن من الكثرة بحيث يمثل خطرا على القبائل المجاورة أو الدافعة لها، لكنه مع تقدم السنين كثر عددهم وصاروا يهددون أمن عدد من القبائل. ومن الواضح كذلك أنهم توقفوا بالأطلس المتوسط طويلا قبل أن يتابعوا تحركهم.

ونجد الآن بقايا لهذه القبيلة بالأطلس المتوسط عند أيت حنيني وأيت علي أُبراهيم في قبيلة أيت يحيى أُيوسف، كما تشير المصادر إلى أن لأيت إمور فضلا في تأسيس مركز القصيبة على السفح الشمالي للأطلس المتوسط وهو المركز الحالي لقبيلة أيت ويرًا، كما يظهر أنهم كانوا في وقت مّا سادة مركز تُونْفِيتْ الذي نازعتهم فيه عدد من القبائل البربرية الأخرى. ولسنا ندري هل احتلوا في وقت واحد تلك الرقعة الشاسعة أم أن ذلك دليل على تنقلهم المستمر.

لا نعرف شيئا كثيرا عن علاقة أيت إمُورْ بالأحلاف القبيلة وبالاتحاديات الكبرى في مرحلة استقرارهم بالأطلس المتوسط، فالمعلومات التاريخية التي وصلتنا عنهم بخصوص هذه المسألة تنحصر في ما أوردته الرواية الشفوية وفي بعض الإشارات المتقطعة، فهي تارة تدخلهم في اتحادية أيْتْ إدْرَاسْنْ وتارة أخرى تجعلهم متعلقين بأيت يَفْلْمَانْ، وفي هذا الأمر شيء من التناقض والاضطراب، ومن الثابت أن علاقتهم بمن حولهم من القبائل تميزت بكثير من العنف والتوتر وأن دخولهم في حلف أيت إدراسن أو أيت يفلمان لم يكن إلا بارادة من المخزن، وتجدر الإشارة إلى أن قبيلتين صنهاجيتين وهما مجاط وإمْلْوان، بعد أن نزل بكيانهما التفكك والتمزيق، ربطتا مصيرهما بمصير أيت إمور فرافقتاهم في حلهم وترحالهم.

قاوم أيت إمور مثل عموم القبائل البربرية بالاطلس المتوسط إرادة السلطة في ضبطهم، فمنذ سنة 1674/1085 تمرد أيت إمور وحققوا بعض النجاح العسكري، ولما تابعتهم جيوش السلطان لاذوا بالفرار وتحصنوا بالجبل. وبعد حملة القائد المخزني يحيى على أعالي وادي ملوية ووادي العبيد سنة 1680/1091 دخل المولى إسماعيل الأطلس المتوسط ووصل بعساكره سنة 1683/1095 إلى أعالي ملوية وبنى قصبة عين اللوح وأزْرُو، وفي السنة الموالية 1684/1096 شيد سلسلة أخرى من القلاع، وبذلك شدد الخناق على قبائل الاطلس المتوسط وحال بينهم وبين مراعيهم الشتوية، فاضطر أيت إدراسن و أيت إمور معهم إلى الخضوع والطاعة فقدموا الخيل والسلاح للسلطان. وبعد هذه الحركة يقول الناصري (الاستقصا، 7: 81): «ولم يترك لقبيلة من قبائل المغرب خيلا ولا سلاحا، وإنما كانت الخيل والسلاح عند العبيد والأودايا وأيت إمور وأهل الريف».

في هذا التاريخ انحاز أيت إمور إلى المخزن وأصبحوا شيعة الدولة وتم إدخالهم في عداد قبائل الجيش، وغدا السلطان يعتمد عليهم لتنفيذ جوانب من السياسة العسكرية في المنطقة، وأقامهم في شمال مركز أغبالا بتنْتْغالين ووزع عليهم الخيل والسلاح وعين عليهم القائد علي أبركا اليموري.

وفي سنة 1693/1104 قام المولى إسماعيل بحركته الأخيرة للأطلس المتوسط قاصداً أيت أُمَالُّو، فكانت أيت إمور من القبائل التي كلفت من لدن المخزن بمحاصرتهم، وبعد انتصار جيوش السلطان وهزم أيت أمالو استقر أيت إمُور مع قائدهم على أبركا بتنتغالين كي يراقبوا قبائل الجبل ويدافعوا عن مصالح المخزن.

لكن إقامة أيت إمور بتنتغالين لم تدم طويلا، إذ سرعان ما ارتحلوا إلى تادلا. وعن هذا الانتقال لا نتوفر على تفاصيل مهمة، فهل كان بمبادرة من السلطان المولى إسماعيل أم بسبب عوامل أخرى ؟ والظاهر أن دفعة قبلية تمثلت في تحرك قبائل أيت يحيى وأيت إسْرِي وأيت شخمان وغيرهم من قبائل اتحادية أيت أمالو أرغمت أيت إمور على الخروج واحتلت مكانها قبيلة إشقرن بمساعدة قبيلة أيت حديدو. إلا أننا لا نعرف هل كان خروج أيت إمور إلى تادلا كليا أم جزئيا، وكل ما نعرف أنهم كلفوا فيها من لدن السلطان بحراسة القصبات وجنحوا إلى السلم والاستقرار.

وبمجرد وفاة المولى إسماعيل سنة 1727/1139 عادت القبائل البربرية إلى الزحف والتحرك، وفي جو الاضطراب الذي تميز به عهد خلفه أحمد الذهبي، قطع أيت إمور صلتهم بالمخزن ودخلوا في عداد القبائل المشاغبة، فمارسوا النهب والرعب على من جاورهم من القبائل بتادلا وحاصروا القصبات وقتلوا عساكر العبيد. ولم تفلح الحملات التأديبية التي وجهها لهم السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل في كفهم عن أعمال التخريب.

وعندما تولى السلطان سيدي محمد بن عبد الله وقام محاولا إعادة النظام إلى دولته، بادر بنقل فرقة منهم إلى ناحية مكناس، وهناك تمادوا في الهجومات على هذه المدينة، فأبعدهم عنها إلى الوجلة الطويلة بأزغار بين واد سبو وجبل زرهون. وفي سنة 1765/1185 ألحق بهم الفرقة الباقية بتادلا وأنزلها بسلفات بنواحي سهل الغرب.

لم يحل نقل أيت إمور إلى نواحي سهل الغرب دون ممارستهم لأعمال الشغب، وفي سنة 1783/1196 قاموا بزعامة محمد الحاج اليموري ضدّ سفيان وبني مالك وأهل زرهون، فوجه لهم السلطان حملة بقيادة القائد الهاشمي قصد محاصرتهم وعقابهم، وفي السنة الموالية أعاد أيت إمور النازلين بسلفات إلى تادلا وأبعد النازلين بجبل زرهون إلى حوز البهاليل بسايس.

وفي سنة 1791/1206 انحاز أيت إمور الذين بقوا بسهل الغرب إلى المولى مسلمة وساندوه وجنحوا الى المسالمة. وفي عهد المولى سليمان نجدهم تارة يشدون أزره وتارة يثيرون الشغب ضده ويقلقون القبائل العربية المجاورة لهم. ففي سنة 1797/1212 وجه لهم هذا السلطان جيش العبيد والأودايا وأولاد جامع وبني مالك وسفيان، وفي سنة 1800/1215 شارك أيت إمور إلى جانب جيوش المخزن في حركة ضد گروان. ومعنى هذا أنهم صاروا مراقبين من قبل السلطان الذي ولى عليهم قائدا مخزنيا وأعاد الفرقة التي أقامها بالبهاليل إلى سلفات.

وعندما خلف المولى عبدالرحمان أخاه المولى سليمان عاد أيت إمور الذين بتادلا ليلتحقوا بإخوانهم بالوجلة الطويلة وسلفات، وشعورا من الإموريين بأن قوتهم تعززت، تحرروا من وصاية القائد المخزني وعادوا إلى حياة النهب، فصرف المولى عبدالرحمان نظره إليهم إذ أوعز إلى قائده عبد الله محمد بن يشُّو المالكي العروي بالإيقاع ببعضهم، وبعد أن سجن منهم أربعمائة رجل أخرجهم السلطان إلى حوز مراكش. وفي سنة 1829/1245 أطلق سراح من سُجن منهم.

نزل أيت إمور بحوز مراكش فوق التراب الذي شغله الشراردة قبل ترحيلهم إلى سهل الغرب، ولم تتضح حال

إقامتهم ووضعية الأراضي التي أنزلهم فيها إلا بعد أن أصدر السلطان ظهيراً سنة 1845/1269 ينص على أن العطاء هو عطاء تمليك وليس إقطاع استغلال.

انتهى شغب أيت إمور وتنقلاتهم، وكذلك جهود السلاطين العلويين من أجل الحد من قوتهم، بتوطينهم بأجود الأراضي وتمليكهم إياها، ولم يعودوا ملزمين تجاه المخزن إلا بأداء الضرائب. أما مشاركتهم في الحركات والحروب فكانت باعتبارهم مساهمين لا باعتبارهم من الجيش الذي يعرف في الاصطلاح المخزني بالمسخرين أو الگيش. أما فيما يخص أيت إمور الذين ظلوا على ضفاف نهر سبو، فلا نعرف عنهم سوى مشاركتهم سنة 1860/1277 في حرب تطوان، إذ يقول الناصري (*الاستقصا*، 9 : 88)، إن من الذين قاتلوا بنية خالصة وأحسنوا الدفاع البعض من أيت إمور».

عرف أيت إمور باستقرارهم بالحوز نفس تنظيم قبائل الكتابات» وهو شرح أسفار موسى الخمسة، مع ملحوظات نقدية فقهية لغوية وعرقية حول عقائد وتاريخ وأحكام وعادات الشعوب القديمة نشرت مع النص تحت عنوان *طُرَة أدُونَايْ* «حكم الله» (ليڤورن وباريس، 1862-65). وله مؤلفات أخرى بالعبرية، وتاريخ باللغة الإيطالية : تاريخ السانيين (فلورانسا، 1865)، *الأخلاق اليهودية والأخلاق المسيحية*، دراسة مقارنة متبوعة ببعض التأملات حول مبادئ الإسلام (باريس،1867) *جريمة الحرب مفضوحة أمام الإنسانية* (باريس،1881) نال هذا الكتاب مكافأة رابطة السلم.

توفي الياهو أمُوزيغ سنة 1900.

أ. لا ريدو، أسماء يهود المغرب، 332 ؛ الموسوعة اليهودية، ص 684.

سيمون ليفي

أمُوزيغْ، أسرة يهودية كثيرة العدد عاشت أجيالا عديدة بمدينة فاس، وكان منهم فيها أحبارمشهورون، أمثال : أمُوزيغ (القرن 17) شمْطوب، ابن أموزيغ (القرن 18) وهذا الأخير مؤلف لمجموعة مواعظ.

ابن **أمُوزيغ، الياهو**، حبر ومؤلف وناشر، هاجر والداه المولودان بفاس إلى الصويرة، ثم إلى ليڤورن حيث ولد عام 1822. وتعاطي دراسة الفلسفة وعلم اللاهوت محاولا التوفيق بينهما. وعين أستاذا لعلم اللاهوت بالمدرسة الرّبية بليڤورن. وأسس في هذه المدينة داراً مهمة لنشر الكتب العبرية، أصبحت مشهورة في العالم اليهودي وألف الكتب الآتية : *إسرائيل والإنسانية*، وهي دراسة حول مشكل الدين العالمي وحله (باريس، 1914) *إمَتْ مَفْجيا* «خشية المناقض»، وهو رد على انتقادات ليون دي موديانا ضد القبلانية، في مجلدين. (ليڤورن، 1858) *إمْ لاَ مِقْرا* «أم «الگيش» دون أن يعودوا كذلك، وعندما حلت سلطات الحماية بالبلاد عرفت عملية الاستحواذ على الأرض طرقا معقدة وغريبة، وفي إطارها عُد أيت إمور من ضمن قبائل الجيش وحولت خدمتهم العسكرية إلى أداء مسخرات وضرائب خاصة تدفع إلى باشا مراكش.

أ. الزياني، *البستان الظريف*، مخطوط خ.ع. د 1577 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الضعيف* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* 7.8.9 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ *العز والصولة*.

De La Chapelle, *Un document sur la politique du Moulay Ismail* ; G. Drague, *Esquipe d'histoire religieuse du Maroc* ; J. Drouin, *Un cycle oral hagiohraphique* ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, t.I.

عبد العزيز بوعصاب

أمون ← سمك

الأمويون والمغرب، لم يكن من الممكن استراتيجيا وعسكريا، ومن حيث متطلبات العقيدة نفسها، فضلا عن المغريات الاقتصادية، أن يتوقف الفتح الأموي عند مصر دون امتداده غربا. وقد اقتضت السياسة الأموية المشرقية، أن تتريث جيوش الدولة في مسألة الانتشار العقيدي، على أن تضمن استقرار الدولة سياسيا واقتصاديا، وتترك للمجتمعات حرية اعتناق الإسلام ولو أنها (أي الجيوش) تمارس سياسة الشدة في البداية. والواقع أن الفتوح الأولى للمغرب الكبير بدأت فيما بين 22 و23 هـ حيث توغلت جيوش عمرو بن العاص في الأراضي الليبية. ثم كان الزحف الثاني أيام الخليفة عثمان على إفريقية، وكانت مواجهة البطريق جرجير المنشق عن هرقل، وذلك حول سبيطلة، وبعد هذه الأحداث نسمع عن نشاط عقبة عبر المناطق الداخلية من ليبيا ثم إفريقية.

وأول عملية لفتح المغرب الأقصى بدأت سنة 62 أيام الخليفة الأموي يزيد بن معاوية بجيش من خمسة آلاف من عرب مصر، أي الذين استوطنوها بعد الفتح. ويظهر أن الانطلاقة تمت من تاهرت باتجاه غمارة حيث أسلم عدد كثير من سكانها، وتعرف عقبة على يُلْيَان الغماري وهو قوطي كان يحكم سبتة باسم العرش القوطي، وبلغ عقبة مدينة نفيس على النهر المعروف باسمها، وفتح السوس وطرقلة (ترغلة ؟) أي تارودانت (فيما بعد). وواجهته مقاومة صنهاجة عبر الصحراء الغربية وموريتانيا. ومع أن سرايا عقبة بلغت سفوح الأطلس الكبير والمتوسط، فإن قلة الجيش لم تضمن إلا انتشارا محدودا للإسلام، ويؤكد ابن خلدون أن يليان زود عقبة بمعلومات دقيقة عن السكان والمناطق، وأن هذه المعلومات دلته على عوراتهم كما قال.

ومما يستحق التأمل أن المقاومة المغربية في عمومها، لهذه الحملة، كانت ضعيفة، إلا ما كان من مصامدة الأطلس الذين لجأ عقبة وجيشه منهم بمساعدة زناتة.

وبعد رجوع عقبة، وقع تدبير مؤامرة لاغتياله بمنطقة أوراس، وبمساهمة أورية وعناصر بيزنطية، ومعلوم أن قسما كبيرا من أوربة كان يوجد بالأطلس الجزائري، ثم كانت حملة زهير بن قيس التي أدت إلى مصرع كسيلة وانسحاب معظم أوربة إلى وليلي وما جاورها حيث آزر أعقابهم

الدولة الإدريسية. وكانت أوربة على النصرانية قبل الفتح الإسلامي، لكن الحملة الثانية الكبرى التي امتدت بعد حملة عقبة إلى داخل المغرب، كانت هي حملة موسى بن نصير الذي ولاه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان أمر المغرب عام 79 هـ. وامتدت ولايته إلى 96 هـ.

صحب موسى معه أبناء عقبة فثأروا لأبيهم، وانتهى موسى شمالا إلى طنجة، حيث عين بها طارق بن زياد الذي شمل نفوذه القسم الأكبر من المغرب. والأرجح أن أكثرجيشه حسب ابن الأثير كان من البربر. وأسند موسى مهمة الإرشاد الديني إلى سبعة عشر مرشدا، بالإضافة إلى بعض الذين تركهم عقبة، ومنهم شاكر صاحب الرباط المعروف. أما السوس الأقصى فتولى إخضاعه مروان نجل موسى، واستمر يليان حاكما بسبتة مع ولائه للفاتحين عمال الأمويين.

وابتداء من سنة 92 هـ ساهم المغاربة لا سيما غمارة في عملية فتح الأندلس بشكل حاسم. وحيث إن موسى عاد إلى المشرق بعد ذلك، يصحبه طارق، فقد ترك نجله عبدالملك واليا على المغرب منذ 96 هـ. وقد نكبت أسرة موسى بن نصير على يد والي المغرب الإسلامي محمد بن يزيد منذ سنة 97. ثم تسدل الرواية الإسلامية الستار على وضع المغرب الأقصى مسلطة أضواءها على إفريقية والأندلس، وإن ظل المغرب تابعا لوالي إفريقية من قبل أمويي دمشق إلى أن كانت ولاية عبيد الله بن الحبحاب 116-123 الذي عين نجله إسماعيل على السوس الأقصى، وعمر بن عبد الله المرادي بطنجة، ومن جهة أخرى قام القائد حبيب حفيد عقبة بتحرك جديد نحو أقاصي السوس والصحراء الغربية ومناطق مسوفة والسودان، ويؤكد دونيز بولم D. Paulme أن الحملة كان من ورائها مقايضة نسيج الشمال وملحه بعبيد السودان وصمغه وذهبه، وأحدثت هذه الحملة جوا من القلق لدى سكان المغرب حسب المصادر الإسلامية، فقد عمد الجيش إلى تخميس السكان حتى من دخلوا في الإسلام، وحل الاعتداء على الأموال والرقاب محل فترة السلم التي شهدها المغرب مدة لا تتجاوز ربع قرن. وحيث إن كثيرا من طلبة المغرب وشبابه تلقوا مبادئ الحركة الخارجية بإفريقية أو بالمشرق، فإن خروج هذه المبادئ إلى حيز التنفيذ بدأ بالنسبة إلى الشمال الإفريقي انطلاقا من قبيلة مطغرة الزناتية التي عمل زعيمها قبل ذلك سقاء بالقيروان حيث تلقى المذهب الصفري هناك، وهو ميسرة الموصوف بالخفير أو الحقير. ولم تتحرك الثورة إلا في الشهور الأخيرة من ولاية ابن الحبحاب، وكانت مجابهة عمر المرادي وأنصاره حول طنجة حيث صرع الوالي، واستولى الخوارج على طنجة التي عين بها ميسرة، عبد الأعلى بن حديج عاملا، وهو بيزنطي الأصل من إفريقية كذلك. لم تجد نفعا نجدات ابن الحبحاب بقيادة خالد بن أبي حبيب الذي قتل في مواجهة أنصار ميسرة حول طنجة في معركة الأشراف، وهي معركة هلك فيها أعيان قادة العرب. وقتل أيضا إسماعيل والي السوس الأقصى في مواجهة أخرى.

وعندما ولى الأمويون كلثوم بن عياض القشيري سنة 123 على إفريقية أمدوه بنجدات من الشام بقيادة ابن عمه بلج بن بشر، واتجه القائدان نحو المغرب، ثم التحقت بهما قوات حبيب من تلمسان. ويقرب منطقة طنجة صرع كلثوم وحبيب هذا (حفيد عقبة) في مواجهة عنيفة مع الصفرية، بينما انهزمت طليعة بلج إلى سبتة، ومنها أبحرت إلى الأندلس، وهلك كلثوم سنة توليته، كما جرّت هذه الأحداث إلى انسحاب طليعة الجيش في نفس السنة. وظهرت حينئذ حركة قوية أخرى للخوارج بإفريقية، وكانت انطلاقتها قريبة من انطلاقة الحركة المغربية، ولم يعد للأمويين المشارقة ولا للعباسيين بعدهم أي تحرك عسكري أو نفوذ على المغرب بعد سنة 123، باستثناء محاولة يائسة وعابرة، لعبد الرحمان بن حبيب الذي استقل بعد الأمويين بإفريقية، واعترف بالخلافة العباسية، وتوغلت جيوشه في الصحراء الجنوبية عبر درعة وتندوف، وقد اغتيل في مؤامرة عائلية سنة 137.

ولاة الدولة الأموية المشرقية :

1 ـ سنة 50-51 عقبة بن نافع (بإفريقية)
2 ـ " 51. أبو المهاجر دينار
3 ـ " 62.63 عقبة، ثانيا (عموم الشمال الإفريقي)
4 ـ " 63.68 زهير بن قيس البلوي (عموم الشمال الإفريقي)
5 ـ " 73.78 حسان بن النعمان " " "
6 ـ " 79.96 موسى بن نصير (شمال إفريقية والأندلس)
7 ـ " 97.100 محمد بن يزيد الأنصاري (شمال إفريقية والأندلس، مع التبعية لوالي مصر).
8 ـ " 100.101 إسماعيل بن عبدالله بن أبي المهاجر (شمال إفريقيا)
9 ـ " 101.102 يزيد بن أبي مسلم (شمال إفريقيا)
10 ـ " 102.109 بشر بن صفوان (شمال إفريقيا)
11 ـ " 110.115 عبيدة بن عبدالرحمان القيسي (شمال إفريقيا)
12 ـ " 116.123 عبد الله بن الحبحاب (شمال إفريقيا)
13 ـ " 124.126 حنظلة بن صفوان (مصر والشمال الإفريقي)
14 ـ " 126.132 عبد الرحمان بن حبيب (شمال إفريقيا)

ولاة خاصون بالمغرب أيام أمويّي المشرق :

1 ـ 92. طارق، ومقره طنجة
2 ـ 96.97 عبد الملك بن موسى بن نصير، ومقره طنجة.
3 ـ 116.123 عمر المرادي، ومقره طنجة. وإسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب بالسوس الأقصى.

لما انتقل الأمويون إلى الأندلس وأسسوا بها خلافتهم الثانية صرفتهم مشاغلهم الداخلية عن الاهتمام بضم المغرب أو محاولة فرض نفوذهم عليه، خصوصا وأن الأدارسة جيرانهم لم تكن لهم نوايا عدوانية تجاه الأندلس، وهم أيضا بحاجة إلى تركيز جهودهم في الداخل. غير أن ظهور العبيديين على المسرح المغاربي في بداية القرن الرابع (10م). وتنصيب أنفسهم كخلفاء، ثم حصولهم على ولاء ابن حفصون زعيم المولدين، من داخل الأندلس، جعل الأمويين يعيدون ترتيب خططهم السياسية على الصعيد المغاربي كليا.

اعتمد العبيديون على الكتلة الصنهاجية بإفريقية التي كانت مستعدة للاستفادة من الفرصة التي أتاحها لها العبيديون من أجل التحكم في المجموعة الزناتية الضخمة ذات الأثر البعيد، قبل ذلك وبعد ذلك، في مسار السياسة المغاربية لفترة طويلة من الزمن. وقام الأمويون من جهتهم باحتضان العناصر الصنهاجية الغاضبة من المد الشيعي، كما أن العناصر الزناتية الرافضة للحكم العبيدي تقاطرت أفواجا ومجموعات على المغرب (الأقصى) فرارا من الملاحقة بإفريقية والمغرب الأوسط. وكان من أنصار العبيديين، القائد مصالة بن حبوس المكناسي الزناتي الذي قاد جيشا سحق به مقاومة العناصر المعادية للعبيديين في المغرب الأوسط ثم اجتاح النكور سنة 305. وأخذت أوضاع الحكم الإدريسي تتدهور بظهور موسى بن أبي العافية الذي هو أيضا من قبيلة مكناسة. وصار يعمل على تصفية النفوذ الإدريسي مقدما ولاءه للعبيديين، فلما كانت سنة 316 تهيأت ظروف الانطلاقة الجديدة للسياسة الأموية، فقد صفيت ثورة المولدين ومن ورائها التأثير العبيدي داخل الأندلس، وأخذ أمير أرشقول إدريس بن إبراهيم السليماني يعلن استعداده للتعاون مع الأمويين. وهكذا هيأ العبيديون بسياستهم لإعلان الخلافة الأموية ابتداء من عبد الرحمن الناصر سنة 316 بالذات، وفي السنة التالية بدأت وفود الخليفة الأموي تتوارد على زعماء المغرب وأمرائه الأدرسة تستميلهم وتغريبهم بمبايعة هذا الخليفة، وفعلا تلقى القصر الأموي أجوبة إيجابية خلال الشهور اللاحقة. وكانت سنة 319 مليئة بالأحداث، وأبرزها :

1 ـ تسليم سبتة إلى الأمويين، وكانت إدارتها لأسرة بني عصام من قبيلة مجسكة. وهي أسرة حكمت سبتة باسم الأمراء الأدارسة الذين لم يوافق عدد منهم على هذا التسليم الذي تم طواعية من بني عصام. وبضم سبتة إلى الحكم الأموي أصبح الأمويون يراقبون المضيق شمالا وجنوبا.

2 ـ تحول مكناسة بزعامة موسى بن أبي العافية عن ولائها للعبيديين لصالح الأمويين. وكانت مواطنها تمتد على طول حوض ملوية، وحتى سجلماسة جنوبا، كما انتشرت بمنطقة تازا وتسول. ومن ثم كانت تراقب طرق المثلث التجاري : تلمسان ـ فاس ـ سجلماسة. وهو المثلث الذي عرف صراعات حاسمة بين المجموعات الزناتية، بقدر ما ضمن التحكم فيه للأنظمة الوطنية اللاحقة حمايةً فعلية للتراب المغربي شرقا وجنوبا، وعمد موسى في محاولة لتصفية الأدارسة، إلى ملاحقتهم واحتجاز عدد كبير منهم بحجر النسر. غير أن قواته كان عليها أن تواجه زحف أنصار العبيديين بزعامة حميد بن يصليتن قائد تاهرت، حيث تكبدت جيوش موسى خسائر كبيرة سنة 312، كما أرسل العبيديون قوات جديدة سنة 322 بقيادة ميسور الذي انضم إليه الأدارسة عندئذ، وهزم مرة أخرى قوات موسى الذي لم يستطع أن يضبط الأمور لصالح الأمويين، وتوفي سنة 326 حسب مراسلة من نجله مدين إلى الناصر الأندلسي. وحيث إن العبيديين انشغلوا أثناء ذلك بثورة أبي يزيد فقد استغل الأمويون الفرصة لوضع يدهم على عدة مناطق، وامتدت بيعتهم إلى تاهرت ولم يبق للأدارسة سوى البصرة بدلا من قلعة حجر النسر، مما أدى بأميرهم أحمد أبي العيش إلى التخلي عن مهامه والمساهمة في الجهاد بالأندلس حتى وفاته شهيدا سنة 343. ثم أتهم الأدارسة بعده بمحاولة التوسع عن طريق بناء تطوان، وهزمهم جيوش الأمويين سنة 339 قرب وادي لاو بزعامة قائد مكناسي، وفي الواقع لم يبق لمكناسة بعد هذا التاريخ دور مرموق على الصعيد المغربي لأن صراعها مع مغراوة، بالإضافة إلى الضربات المتلاحقة من جيوش العبيديين أدى إلى تضاؤل قوتها، وكانت فترة الأربعينات حتى 347 مرحلة مواجهات بين أنصار الأمويين و العبيديين. وفي هذه السنة برز دور زعيم قبيلة يفرن يعلى بن محمد الذي بايع للأمويين، وكان قبل ذلك قائداً عسكريا للشيعة، وعاملا لإيفكان بالمغرب الأوسط. ولما بدأ الناصر يخاطب زعماء المغربين الأوسط والأقصى بشأن بيعته، كان يعلى من أوائل المستجيبين.

وبنو يفرن كانوا يظعنون بضواحي تلمسان حتى تاهرت، فضلا عن وجودهم القوي بإفريقية أيضا، وتعاون يعلى مع زعيم مغراوة، الخير بن خزر، الذي كان متشبثا بالدعوة الأموية، على طرد الشيعة من المغرب الأوسط، خلال الثلاثينات من القرن الرابع (10م). وعاد بنو يفرن بعد ذلك تحت القهر العبيدي إلى موالاة حكام إفريقية، فلما كانت سنة 347 هـ جددوا ولاءهم للأمويين، وزحفت جيوش الشيعة عندئذ بقيادة جوهر الصقلي إلى المناطق المعادية للشيعة وأثخنت قتلا في بني يفرن، ولقي زعيمهم يعلى مصرعه، بينما التحق عدد كبير منهم بالمغرب. وأخضع جوهر المغرب كله للعبيديين، ما عدا سبتة وطنجة اللتين حرص الناصر على حمايتهما كجبهة خلفية لحماية الأندلس، وعاد جوهر الصقلي بعد ثلاث سنوات من انطلاق حملته إلى القيروان بصحبة العامل السابق للأمويين على فاس، وأمير سجلماسة المدراري، وشخصيات مغربية أخرى وضعت في الأقفاص قبل إيداع الجميع بسجون إفريقية، ولم يكد جوهر يعود إلى إفريقية حتى عاد الأمير الإدريسي الحسن بن گنون إلى ولائه للناصر الأموي ثم للحكم بعده.

وعندما تولى الحكم المستنصر الأموي دشن عهده بدعوة زعماء المغربين الأوسط والأقصى إلى بيعته، غير أن فترة طويلة من الصراع بين صنهاجة المغرب الأوسط الموالية للشيعة، والقسم الأكبر من سائر زناتة، استمرت باسم الهُوِيّة السياسية العقيدية، ولكنها في العمق فترة صراع مستوطنين ورحل، على الأرض التي تتحكم فيها طائفة على حساب الأخر. وتلقت مغراوة ضربات عنيفة من صنهاجة، حتى إن عار الهزيمة أدى إلى انتحار الزعيم المغراوي الكبير محمد بن الخير الوفي للأمويين. وما لبثت مغراوة أن كبدت الصنهاجيين هزيمة مروعة سنة 360 وصرعت أميرهم زيري بن مناد، ولم يستطع نجله بلكين أن يمحو الدعوة الأموية كليا من المغرب، بينما تراجعت مغراوة وبنويفرن إلى حوض ملوية أمام الزحف الشيعي الصنهاجي الذي لم يُستأنف إلا خلال عام 361، وتوقف عند سجلماسة هذه المرة. ليعود سنة 979/369م بقيادة بلكين بن زيري الذي زحف إلى فاس وطرد منها والي بني أمية وعين عاملا من مكناسة، علما بأن هذه القبيلة تقلص دورها كما سلف. وحملة بلكين هاته استمرت حتى 984/373م غزا خلالها برغواطة وأخضع سجلماسة وهلك في رجوعه عبر المغرب الأوسط. وتم تحطيم آخر حملة شيعية عند مشارف فاس سنة 374. وأثناء ذلك تولى زيري بن عطية إمارة مغراوة منذ سنة 368 هـ وحارب الحسن بن گنون، إلى جانب القائد العامري الذي وجهه المنصور بن أبي عامر لإعادة إقرار السلطة الأموية بالمغرب. وابتداء من 376 تولى زيري أمور المغرب الأقصى، وما لبث المغرب الأوسط أن تراجع عن دعوته للعبيديين بفضل الجيوش الزناتية التي قادها زيري بن عطية، وهكذا أصبح زيري يتولى أمور منطقة تمتد من السوس الأقصى إلى الزاب كما قال مؤلف *القرطاس*.

وعندما توجه زيري إلى قرطبة سنة 382 دشن بنو يفرن عهدا طويلا من الصراع على فاس مع المغراويين. لكن زيري تمكن من سحق هجوم بني يفرن عند رجوعه، ثم شاد وجدة لتكون عاصمة تتوسط منطقة حكمه، بدل تلمسان التي أشار عليه المنصور باتخاذها والتي هي ذات أصل يفرني عريق. وابتداء من 386 تتوتر العلاقات بين زيري والمنصور، بالنظر لانتقاد زيري مسألة حجْر المنصور على هشام المؤيد، واستبداده بالحكم، ومن تم ألغى اسم المنصور من خطبة الجمعة. وبدأت مواجهات مسلحة عنيفة بين الفريقين، وبعد هزائم تلقاها زيري، اتجه إلى المغرب الأوسط ومد فتوحه بعيدا ثم حاصر أشير حتى سنة 391 حيث هلك متأثرا بجراحه من طعنات غلام زنجي له، يحتمل أن يكون قد تآمر لذلك مع المظفر بن المنصور.

واستطاع المعز بن زيري بعد وفاة والده أن يعمل على تحسين علاقات المغرب بحكام الأندلس، حتى إن المظفر بن المنصور عينه واليا على المغرب ما عدا سجلماسة التي حكمها بنو خزرون لكن الصراع على السلطة مع بني يفرن استمر حتى الزحف المرابطي، كما انتهت وصاية العامريين الحاكمين باسم الأمويين على المغرب بالفتنة التي أطاحت بهم في الأندلس خلال سنة 1008/399 وما بعدها.

ولاة الأمويين والعامريين :

320 . 323 هـ	موسى بن أبي العافية (ولاية عامة)
347 . 349	يعلى بن محمد اليفرني (ولاية عامة)
363 . 369	محمد بن علي بن قشوش وعبد الكريم بن ثعلبة (بفاس)
373 . 375	عمر بن عبدالله بن أبي عامرثم الوزير حسن بن عبدالودود السلمي (ولاية عامة).
375 . 376	عسكلاجة وأبو بياش المغراوي(بفاس)
377 . 387	زيري بن عطية المغروي (ولاية عامة)
387(ستة أشهر)	المظفر نجل المنصور بن أبي عامر (ولاية عامة)
387 . 389	عيسى بن سعد رئيس الشرطة بالأندلس (ولاية عامة)
389 . 393	واضح الفتى (ولاية عامة)
393 . 399	المعز بن زيري، مع استمراره في حكم المغرب بعد القضاء على العامريين (الأمويين) في هذه السنة 399.

عن أمويي المشرق : ع. ابن عبد الحكم، *فتوح إفريقية والأندلس* ؛ م. أبو العرب، *طبقات علماء إفريقية* ؛ أ. ابن القوطية، *تاريخ افتتاح الأندلس* ؛ م.الحميدي، *جذوة المقتبس*، تر: رقم 793 ؛ أ. البكري، *المسالك والممالك*، ص 117.74.160.162؛ ع. ابن الأثير، *الكامل*، 3 : 230.308، 4 : 112 ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج.1؛ ع.ابن خلدون، *العبر*، 4 :405، 6 :217.240 ؛ ابن أبي دينار، *المؤنس في أخبار إفريقية وتونس*.

عن أمويي الأندلس : ح. ابن حيان، *المقتبس* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن الخطيب، *أعمال الاعلام* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 4 : 95. 99، 6 و7 : 73.58 ؛ مديرية الوثائق الملكية، *مجموعة الوثائق*، 1 : 123 . 157.

Gautier, *Le Passé de l'Afrique du Nord*, Paris, 1931 ; Ch. A. Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord* ; George Marçais, *La Berbérie Musulmane et l'Orient au Moyen Age*, Paris, 1946 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, t. .I, Paris 1949 ; H. R. Idriss, *La Berbérie Orientale sous les Zirides*, pp. 12, 27, 30, 36, 38, Paris, 1962.

إبراهيم حركات

أمير، لفظ عربي - إسلامي في المقام الأول (ابن دريد، *الجمهرة*، 3 :437)، ففي حين لا نجد له أثرا في القرآن اللهم اذا استثنينا عبارة «أولي الأمر» (*سورة النساء*، 59-83) نصادف العديد من الأحاديث النبوية التي تستعمل فعل «أمّر» ومشتقاته كالحديث : «إذا خرج ثلاثة في سفر فليأمّروا أحدهم» (ابن تيمية، *السياسة الشرعية*، 1969، 4 :161) وذلك بمعنى تفويض الأمر لرئيس أو قائد. كما نصادف، ولأول مرة في تاريخ الدولة الإسلامية الناشئة لفظ «أمير» بمعنى الحاكم الأعلى لهذه الدولة في القول المأثور عن أبي بكر في سقيفة بني ساعدة مجيبا به على شعار

الأنصار «منا أمير ومنكم أمير»، والذي مضمونه « بل منا الأمير ومنكم الوزير» (الطبري،1، 1840-1841 ؛ ابن سعد، 2، 126-129 ؛ ابن قتيبة ، *الإمامة*، 1 : 5-7).

والمجتمع المغربي البربري، قبل الفتح الإسلامي، لم يكن يعرف غير لقبي «أگلِيد» للدلالة على الملك الماسك بزمام اتحادية من القبائل، و«أمغار» للدلالة على شيخ قبيلة من القبائل (Julien, *Histoire*, I, 61 - 77 - 95 - 100) ولم تعرف المؤسسات السياسية البربرية لقب «أمير» إلا مع بداية دخول الجيوش العربية الإسلامية إلى أفريقيا الشمالية، والشروع في أنشاء دويلات وإمارات بربرية إسلامية، وكذا مسلسل التعريب الذي سيبلغ أوجه في القرن الرابع عشر الميلادي مع تأسيس الدولة المرينية (المنوني، *ورقات* 258).

فإبان الفتح الإسلامي للمغرب وبعده، نجد أن قواد الجيوش الإسلامية كانوا يلقبون بأمراء الجند أو الجيش، كما نلاحظ أن اللقب كان يلازمهم حتى بعد أن يستتب لهم الأمر، ويعينون من الخليفة عمالا أو ولاة للمصر المفتوح. فصارت هذه الظاهرة بعد ذلك سنة يلقب بمقتضاها الوالي أو العامل بالأمير حتى ولو لم يكن قد امتهن الجندية. وقد أجمع المؤرخون على أن الأمير كان يتوفر على نفس السلطة التي كان يتمتع بها الخليفة، فهو يمثل هذا الأخير في جميع الميادين التي تخص منطقته سواء على الصعيد الديني أو العسكري أو السياسي أو الإداري (الطبري،2 :75 ؛ المسعودي، *مروج*،5 : 308-312). ويمكن اختزال وظائفه فيما يلي : تعيين موظفي الجيش وقيادة الحملات العسكرية وإبرام المعاهدات وإمامة الصلاة باسم الخليفة وبناء المساجد والسهر على تطبيق الشرع والسهر على الأمن بتعيينه لصاحب الشرطة وبعض القضاة وكذا أصحاب البريد وتعيين بعض الأمراء والعمال بعد ترخيص من الخليفة وتدبير السياسة المالية والنقدية وتلقي البيعة من السكان لصالح الخليفة أو لصالح ولي العهد المعين (الطبري، 2 : 1140-1501-1504؛ ابن عبدالحكم، *فتوح* 17، الجهشياوي، 57، البلاذري، *فتوح*، 146).

فعلى هذا المنوال أنشأ بنو الأغلب «إمارة» في افريقيا الشمالية 184-296/800-909 بوصفهم ولاة للخلافة المشرقية على البلاد. وقد كان الأصل الذي تركزت عليه سلطتهم هو «عهدالخليفة» أو «عقد الإمارة» كما يسميه الماوردي، وليس الانتساب لقبيلة قريش أو بيعة الأمة (ابن عذاري، *البيان*، 1 :92) وقد صارت هذه التقنية القانونية مؤسسة تشكل أصل جميع الإمارات التي أنشأها المغاربة بعد اندثار دولة الأدارسة في الربع الأول من القرن العاشر الميلادي، وهيمنة كل من الخلافة الفاطمية والخلافة الأموية الأندلسية على حوض البحر المتوسط. فإمارات كل من بني أبي العافية 320-363/932-974 والمغراويين 377-462/ 987-1069 كانت تستند على قاعدة العهد من قبل الخليفة أو حاجبه (ابن أبي زرع، *القرطاس*، 1973، 83-102 ؛ الناصري، *الاستقصا*،1 : 188-209-210-217) وتترتب عن هذه الوضعية الإماراتية ثلاث نتائج :

- طاعة السكان للأمير مرتبطة بطاعة وولاء هذا الأخير للخليفة الذي عهد له بالإمارة.
- إقامة الصلاة باسم الخليفة على جميع منابر المغرب كما تضرب السكة باسمه.
- تطبيق المذهب العَقَدي الذي تدين به الخلافة في جميع الإقليم الإمارتي.

من هذا الواقع التاريخي، استنبط الماوردي أحكامه السلطانية حول الإمارة، وجعلها إما عامة أو خاصة. فإمارة بني الأغلب إمارة عامة لأن الخليفة يفوض للأمير «ولاية على جميع أهله ونظرا في المعهود من سائر أعماله». وتكون إمارة بني زيري بن عطية المغراوي إمارة خاصة بمعنى أن القضاء وبعض الأمور الأخرى تبقى من اختصاص الخليفة الذي يعين بنفسه موظفين من العاصمة لهذا الغرض. كما تكون هذه الإمارة إما إمارة استكفاء، أي بتعيين مسبق من الخليفة كإمارة بني أبي العافية من قبل الفاطميين قبل إعلانهم عن ولائهم لأمويي الأندلس، وكالأغالبة من قبل بني أمية ؛ وإما إمارة استيلاء «بعقد عن اضطرار» أي أن الأمير يستولي بالقوة على بلاد يقلده الخليفة فيما بعد إمارتها ويفوض له تدبيرها وسياستها (الماوردي، *الأحكام*، 32-33) وهذا نفسه ما ينطبق على سلاطين المرابطين 462-541/1069-1146 وبني مرين 668-869/ 1269-1464 فيما بعد، ولكن مع ظهور ألقاب إمارتية جديدة.

فالحركة المرابطية كانت في بدايتها ذات زعامة ثنائية : زعيم ديني يلقب بالفقيه وهو صاحب الأمر والنهي، وزعيم زمني - حربي يلقب بالأمير. وكانت الإمارة محصورة عادة في قبائل لمتونة وگدالة. فمن الأسماء اللامعة يحيى بن عمر والأمير أبو بكر بن عمر والأمير يوسف بن تاشفين الذي لقب فيما بعد بـ" أمير المغرب" بوصفه والياً على البلاد من قبل أبي بكر بن عمر الذي عاد إلى بلاد السودان قصد الجهاد بعد مقتل الفقيه عبد الله بن ياسين 451/1060 (*الحلل الموشية*، 1979، 29 ؛ *الاستقصا*، 2 :22).

غير أن يوسف بن تاشفين بعد انفراده بحكم المغرب، اتخذ لنفسه لقباً جديداً هو "أمير المسلمين". وقد كان ذلك في 14 محرم 466/1074 (*الحلل الموشية*، 29) وكانت هذه المبادرة من طرفه عبارة عن إعلان لإنشاء «إمارة استيلاء» أبى إلا أن يجعل منها إمارة تفويض عامة بعد انتصاره في معركة الزلاقة سنة 479/1087. ويذكر ابن الأثير أن فقهاء الأندلس اشترطوا على يوسف مقابل طاعتهم إياه أن يعلن ولاءه للخليفة العباسي ويذكر اسمه في الصلاة. وقد وجد السلطان المغربي نفسه مجبرا على إيفاد بعثة رسمية إلى بغداد قصد الحصول الرسمي على لقب "أمير المسلمين". وقد رخص له فعلا بحمل هذا اللقب بعد استصدار فتوى من طرف علماء بغداد في الموضوع. ومن هذه الفتوى نستخلص المعايير القانونية التي بمقتضاها يمكن الحصول على هذا اللقب، وهي معايير تنطبق كلها على سلاطين المرابطين :

- أن يكون المرشح للقب منتميا لقبيلة لمتونة، ومن عشيرة "ورطنطاق" وهو جد يوسف الأعلى. - أن يكون خبيرا بفنون الحرب. - أن يأخذ برأي شيوخ القبائل. - أن يكون على مذهب مالك. - أن يأخذ برأي الفقهاء في كل ما يمس أمور الدين والدنيا (حسن إبراهيم حسن، *تاريخ*، 4 : 316).

فـ "أمير المسلمين" إذاً في مرتبة قانونية دون المكانة القانونية التي يتمتع بها "أمير المؤمنين" أي الخليفة. وبهذا تكون مؤسسة "إمارة المسلمين" إمارة تفويض تستمد قوة مشروعيتها من الخلافة، وذلك حفاظاً على وحدة الدولة الإسلامية. وتظهر لنا نظرية التفويض هذه من خلال حقوق الخطبة والسكة التي يحتفظ بها للخلافة، ففي مغرب يوسف بن تاشفين والمرابطين عموما كانت الصلاة تقام باسم الخليفة العباسي، وكذا الشأن بالنسبة لسك النقود، وذلك إلى جانب اسم السلطان المغربي (*الحلل الموشية*، 87-88 ؛ *الاستقصا*، 2 :57-58-59).

فلقب "أمير المؤمنين" يخص الخليفة، أي الحاكم الأعلى للدولة الإسلامية، المنتمي لقبيلة قريش، والمكلف بإمامة المسلمين في صلواتهم. وبحماية حياة ومصالح المسلمين وغير المسلمين من أهل الذمة، وبتدبير شؤون الأمة. وهو من يحكم فعلا بلاد الحجاز والعراق والشام وكل البلاد التي هي أصل العرب ومركز الدولة الإسلامية (ابن خلدون، *المقدمة*، 180). وله على الأمة الطاعة والامتثال والنجدة طالما هي مطوقة ببيعته وطالما هو قائم بالواجبات التالية أحسن قيام : حفظ الدين على أحواله المستقرة - تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين.- حماية البيضة والذب عن الحريم. - إقامة الحدود.- تحصين الثغور. - جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة. - جباية الفيء والصدقات. - تقدير العطايا وما يستحق من بيت المال. - استكفاء الأمناء. - أن يباشر مشارفة الأمور بنفسه (الماوردي، 15-16).

وقد تمت مَأسَسَة لقب "أمير المؤمنين" على عهد عمر بن الخطاب في خضم المد المؤسساتي الذي عرفته هذه الحقبة نتيجة للفتوحات الإسلامية وتوسع الدولة وتعقيد الحياة المدنية والعسكرية. فإنشاء مؤسسة "إمارة المؤمنين" يعني أن الخلافة قد وصلت إلى درجة من التجريد تجعلها منفصلة عن الأشخاص الذين يتقلدونها.

غير أنه يبدو أن العباسيين ابتداء من 750/132، والفاطميين ابتداء من 910/295، قد أدخلوا في تعريف هذه المؤسسة معياراً جديداً هو الانتماء للبيت النبوي، فبالنسبة للعباسيين يجب أن يكون الخليفة - أمير المومنين منحدراً من سلالة العباس بن عبد المطلب عم الرسول (ابن الأثير، *الكامل*، 4 :537) أما بالنسبة للفاطميين، فأمير المؤمنين لا يمكن أن يكون إلا من سلالة علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء (أحمد مختار العبادي، *في التاريخ العباسي والفاطمي*، 1981، 239). كما تجدر الإشارة إلى أنه بعد سقوط الخلافة العباسية، باتت مسألة الحكم الفعلي للحجاز والعراق والشام شرطاً لا يعتد به في سرد شروط إمارة المؤمنين.

ولعل هذه الاعتبارات جميعها هي التي شجعت أسراً مغربية غير المرابطين والمرينيين على إنشاء خلافة "خاصة" بالمغرب الإسلامي وبالتالي تلقيب سلاطينها بأمراء المؤمنين، وذلك عبر تأكيدها على انتمائها للبيت النبوي الشريف. هذه الأسر هي الموحدون 528-668/1133-1270، والسعديون 916-1069/1511-1659، ثم العلويون 1075/1665.

فعلى غرار تولية أبي بكر خلافة الرسول، تولى عبد المومن بن علي الكومي خلافة المهدي محمد بن تومرت، ولقبه الموحدون بأمير المؤمنين إضافة للقبين خلافيين آخرين هما : "الإمام" و"القائم بأمر الله" (الناصري، *الاستقصا*، 2 :109-110). وحتى تكون هذه الإمارة مطابقة للأحكام الفقهية، ألحق عبد المومن بالشجرة النبوية عبر جدته الشريفة "كنونة بنت إدريس الثاني" (*Documents* 137) بعد أن أعطي للمهدي بن تومرت نفس النسب الشريف مرة عبر إدريس الأول، ومرة عبر محمد بن الحسن السبط ابن علي وفاطمة الزهراء (*Documents* 31) وعلى نفس المنوال لقب جميع خلفاء الموحدين بأمراء المؤمنين، وما زال التاريخ يحفظ لنا حادثة يعقوب المنصور الموحدي 580-595/1185-1199 الذي رأى في مخاطبة صلاح الدين الأيوبي إياه بلقب "أمير المسلمين" سبباً كافيا يمنعه من مساعدته ببعض قطعه البحرية في حربه مع الصليبيين ! (*الاستقصا*، 2 :182).

أما السعديون والعلويون فقد وفدوا على المغرب في القرن الثالث عشر الميلادي قادمين إليه من ينبع النخل بالحجاز، إذ ينتسبون إلى محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن سبط الرسول. فأنشأوا منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي خلافة بالمغرب. وكانوا لا يخاطبون في النصوص الرسيمة كالمراسلات المخزنية وعقود البيعة والمراسيم المخزنية إلا بالأشراف الحسنيين وأمراء المؤمنين.

فمحمد الشيخ السعدي هو الذي افتتح هذه السنّة، وتلقب منذ بيعته سنة 951/1545 بالمهدي ثم بعد ذلك بأمير المؤمنين بعد أن تلقب أبوه محمد بن عبد الرحمن من قبله بـ "القائم بأمر الله". وقد دفعت هذه المبادرة سلطات إسطمبول للانتباه إليه، إذ أرسلت بعثة رسمية لتهنئته بتوليته ولتطلب منه إقامة الصلاة وضرب السكة باسم الخليفة العثماني. غير أن محمد الشيخ استخف بهذا العرض ورفضه لأنه كان يرى أنه أحق بالخطبة والسكة من آل عثمان ذوي الأصل المغولي. وقد كان هذا الموقف من بين الأسباب التي حدت بإسطمبول لتدبير مقتله سنة 964/1557 (الإفراني، *نزهة الحادي*، 1888، 27-42).

نفس الظاهرة نلاحظها عند العلويين ابتداء من سنة 1075/1665. فالقلاقل السياسية التي عرفها المغرب في فترات لم تؤثر في شيء على استمرارية مؤسسة إمارة

المؤمنين بل ونص عقد الحماية في 30 مارس 1912 بطريقة غير مباشرة على عدم المساس بها كمؤسسة تراثية ـ دينية. ومن قوتها الحقوقية، أي احتكار المتقلد لها لكل إنتاج حقوقي، استمدت مصالح الإقامة الفرنسية قدرتها السياسية على تمرير مشاريعها الاستعمارية. فالمقيم العام "ليوطي" كان يرى أكثر من غيره قوة هذه المؤسسة، وكان يدرك تمام الإدراك بأن أمير المؤمنين، السلطان المغربي، هو إمام متوج، ظل الله في الأرض، وزعيم روحي وسياسي لجميع المسلمين في المغرب العربي وغيره حتى " تنبكت"، في حين أن الباي التونسي وخديوي مصر ومن في حكمهم ليسوا غير موظفين أتراك، ولا يعدو شريف مكة أن يكون غير خادم للحرمين الشريفين (Lyautey, Lettre du 24 Octobre 1920) نفس هذه القوة استغلها سيدي محمد بن يوسف والحركة الوطنية في شل كل الإنتاجات القانونية للإقامة العامة، وبالتالي مقاومة الاستعمار الفرنسي.

وقد أبى المشرع المغربي بعد الاستقلال إلا أن يكرس دستوريا "إمارة المؤمنين" حيث نجد أن الفصل 19 من الدستور المغربي الحالي ينص على أن الملك المغربي "أمير المؤمنين" يربطه بالأمة عقد بيعة يجعل منه مصدراً لكل السلطات وبالتالي لكل المؤسسات السياسية، فهو الممثل الأعلى للأمة، ورمز وحدتها، وضامن استمرار الدولة، يسهر على احترام الإسلام والدستور. فهو ضامن حقوق وحريات المواطنين والجماعات والهيئات، ويضمن استقلال الأمة والوحدة الترابية للمملكة في حدودها الحقيقية.

فالأمة عندما صادقت على الدستور بالاستفتاء، خولت للعاهل المغربي مكانة سياسية خاصة وعليا. هذه المكانة تقتضي من الملك أن يكون صاحب سلطة مراقبة عامة على كل أجهزة الدولة بدون استثناء وفي جميع الميادين : الديني والسياسي والإداري، وهذه فكرة أكدها الماوردي من قرون خلت. فلا يعقل، والحالة هذه، أن يعطي لهذه الأجهزة كالقضاء مثلا حق مراقبة الأعمال الملكية في الوقت الذي نقر فيه بأن الملك هو المراقب الأعلى بوصفه أميراً للمؤمنين (باحنيني، *خطاب افتتاح السنة القضائية* 1970 -1971، 27 أكتوبر 1970).

وإذا كان أمير المؤمنين في المغرب هو الملك، فـ "الأمير" دونما إضافة هو المنتمي لأعضاء الأسرة المالكة. ولا نجد في القانون المغربي الوضعي نصاً صريحاً يتعلق بالوضعية القانونية لحمل هذا اللقب، اللهم إذا استثنينا الفصل 168 من القانون الجنائي المغربي الذي يعطينا تعريفاً لأعضاء الأسرة المالكة بأنهم :« أصول الملك وفروعه وزوجاته وإخوته وأولادهم ذكوراً وإناثاً، وأخواته وأعمامه». انطلاقاً من هذا النص، يمكن أن نقول إن لقب "الأمير" يبدو مقتصراً على حبل النسب الذكوري في الدرجة الأولى والذي يكون على رأسه الملك. فبهذا المعنى يكون ابن أخ الملك أميراً، في حين لا يحصل ابن الأخت على هذا اللقب. كما يكون العم أميراً، في حين لا يكون ابن العم كذلك.

عبد اللطيف أگنوش

إمطّر، اسم قرية من بلد رگراگة، ومعنى الاسم : الناظور أو المرصد أو مكان للمراقبة أو الحد بين مجالين، فيحتمل على هذا الأساس أن يكون المكان المذكور بهذا الاسم في *التشوف* واقعا بين رگراگة وموطن برغواطة على خط رباط شاكر، وغير بعيد عن البحيرة الملحة زيما، حيث توجد أنقاض رباطات، وفي دادس وتدغة وفركلة ثلاثة أماكن تحمل هذا الاسم.

التادلي، *التشوف*، ص 113.

E. Laoust, *Contribution*, p. 73 ; *Répertoire alphabétique*, p. 477.

أحمد التوفيق

إمْلشيلْ، أو إميلشيل، يعني، على ما يظهر، مكان وجود أو شراء الحبوب. إذا اعتبرنا أن كلمة " لشيل (= لكيل) هو شراء ما يحتاج إليه من الحبوب. وهو اسم قرية جبلية تقع في موطن المجموعة البشرية المعروفة باسم "أيت حديدو". وهؤلاء تقع أراضيهم في الأطلس الكبير الشرقي، وسط المسافة الفاصلة بين تينغير جنوبا وخنيفرة شمالا. ومن جبالهم تنبع أهم روافد واد زيز وغريس ودادس والعبيد، وبلادهم عبارة عن جبال كلكيرية أو كلسية ملتوية، وهي التي تعرف كذلك باسم هضبة البحيرات، وأشهر بحيراتها بحيرة إسلي (= العريس) وبحيرة تيسليت (= العروسة).

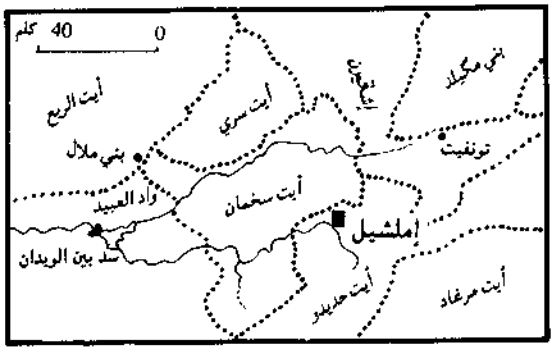

موقع إملشيل

ينتمي أيت حديدو إلى الكونفيدرالية أو الاتحادية المعروفة باسم أيت يَفْلْمَانْ، ويجاورهم من الجنوب والشرق أيت مرغاد وأيت إزْدگْ، ومن الغرب والشمال أيت سخمان وإشقيرن وأيت مگيلد.

أهم أنشطتهم الاقتصادية تربية المواشي والزراعة المسقية. وهذه الأخيرة تقتصر على بعض الأراضي الصالحة المتوفرة على جنبات الأنهر في بطون الأودية.

ويبدو أن منطقتهم كانت ملتقى صيفيا لكثير من "القبائل" الجبلية المجاورة، وسكان الواحات الجنوبية. يرتادون هذه الهضاب العليا بمواشيهم بحثا عن المراعي. وفي أوائل فصل الخريف ينعقد "موسم" تجمع كبير قرب إملشيل يتبادل فيه الناس بالبيع والشراء ما يحتاجون إليه من ضروريات العيش، وربما كانت الحبوب من أهم ما يتزود به الصحراويون بصفة خاصة.

وبهذا الموسم اشتهر إملشيل شهرة كبيرة، وخاصة في الوقت الحاضر، غير أن المبادلات التجارية والتنقلات الرعوية ليست هي السبب الأول في اشتهاره داخل الوطن وخارجه، بل هو احتفاظ أيت حديدو - من بين ما احتفظوا به من عادات وتقاليد متوغلة في القدم - بتقليد مجتمعي متميز هو اللقاء للخطبة قصد الزواج بين فتيان القبائل وفتياتها.

" أگدودن - إيسلان" أو "أيدودن - إيسلان" هو الاسم الأمازيغي لهذا الموسم، أي ملتقى الخطيبات أو العرائس. وينعقد في آخر الصيف من كل سنة. بالقرب من ضريح سيدي أحمد أولغني الواقع بتراب أيت أمْرْ على ضفة أسيف ملولن أو النهر الأبيض. وفيه يتعارف الراغبون في الزواج من الجنسين. وإذا تم الاتفاق والتراضي يتواعدون وتتم المراسيم المعروفة، من عقد وعرس ..في شهر أكتوبر.

إن أهم ما يميز هذه الظاهرة، هو أنها تناسب إلى حد كبير نمط عيش مجتمع تتحكم في حياته الدورة السنوية الطبيعية أكثر من غيره، وتتكامل فيها على هذا المستوى حياة سكان منطقتين مختلفتين من حيث التضاريس والمناخ، لكنهما متشابهتان من حيث تأثيرهما على السكان : منطقة صحراوية أو شبه صحراوية، بمناخها المعروف وأنماط عيش سكانها... ومنطقة جبلية باردة شتاء، منعزلة وسط كتل عريضة من الأراضي المرتفعة، يلفها السكون طيلة فصل البرد الجبلي القاسي. فهي بالتالي مناسبة مثلى وضرورية يتزود فيها الإنسان في جو احتفالي متفتح بما يساعده على تجاوز فترة الركود والقلة في انتظار معانقة الربيع والصيف حين ينجلي الصقيع من جديد عن بحيرتي إسلي وتيسليت.

E. Laoust, *Cours de berbere marocain : dialecte du Maroc Central*, pp. 122, 302 ; F. Corjon, *Le Mariage collectif dans les tribus berbères du Maroc Central, B. E. P.M.* N° 119, Mars 1932, 19e année, pp. 116 sqq ; Mâati Ben Bakkal, *Le Mariage chez Aït Hadiddou, Académie des Sciences Coloniales*, Séance du 21 Juin 1946, pp. 275 - 298 ; G. H. Bousquet, *Le droit coutumier des Aït Hadiddou des Assif Mellol et Isselaten ; Confédération des Aït Yafelmane, A.I.E.D*, t. XIV, 1956, pp.11.

علي صدقي أزايكو

أُميمون، علي أموسى، ولد سنة 1932 بدوار أيت موسى، شارك في معركة تيزي واندري بعد التحاقه بصفوف جيش التحرير. وقد أصيب أثناء هذه المعركة بجروح وتم اعتقاله من طرف القوات الفرنسية التي أعدمته بتاريخ 22 / 10 / 1955.

وثائق النذوبة السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

ابن **الأمين**، أسرة تطوانية شريفة أصلها من قبيلة بني عروس الجبلية، ومنها انتقلت إلى مدينة شفشاون، ثم استوطن بعض أفرادها مدينة تطوان، حيث اشتهروا بالعلم والاعتناء بفن الموسيقى الأندلسية. وما زالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط خاص ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 20 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ *تاريخ تطوان*، 8 : 354 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias Ilustres*. Isidro de las Cagigas, *Familias ; Vademecum de Intervenciones*, año 1931 (R); M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

الأمين (مولاي.....) ابن السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام العلوي، عاصر الأحداث التي عرفها المغرب، خلال عهود أربعة سلاطين. هم أخوه السلطان سيدي محمد بن عبدالرحمان 1859-1873، وابن أخيه السلطان مولاي الحسن 1873-1894، ثم السلطان مولاي عبد العزيز 1894-1908، والسلطان مولاي عبد الحفيظ 1908-1912.

لا نعرف بالضبط تاريخ ولادة مولاي الأمين، لكننا نعلم أنه كان آخر من توفي من أبناء مولاي عبد الرحمان. واذا

كنا لا نعرف كذلك، تكوين الرجل، فإننا نستطيع أن نثبت بأنه كان أحد الشخصيات البارزة في المخزن، ومن كبار القواد المخزنيين طيلة عهدي مولاي الحسن ومولاي عبدالعزيز.

ففي عهد مولاي عبد العزيز، اشتهر مولاي الأمين، كقائد عسكري كبير خلال انتفاضة الرحامنة سنة 1313 هـ حيث تولى قيادة قبائل الغرب. أما خلال حركة الأعشاش 1897-1898 فتولى قيادة قبائل الحوز. وبرز مولاي الأمين خاصة، خلال انتفاضة الشاوية في بداية القرن العشرين، فقد عينه مولاي عبد العزيز قائداً لمحلة من الجيش وجهت للناحية للعمل على تهدئة الوضع. ويبدو أن ترشيح مولاي الأمين، لمهمة إعادة السكينة والأمن للشاوية، جاء من كون أمه (الغالية) أصلها من الشاوية. بيْد أن الرجل، لم يستطع النجاح في مهمته، في تلك الفترة المضطربة، التي كان المخزن يعرف خلالها أزمة مالية خانقة.

وهكذا اضطر مولاي الأمين، بعد ازدياد التوتر بالشاوية إلى الالتجاء بمحلته إلى الدارالبيضاء، حيث خيم بالسور الجديد إلى الجنوب الغربي من المدينة.

وقد اتصل زعماء الانتفاضة بالشاوية بمولاي الأمين في يوم 28 يوليوز 1907، وطلبوا منه بصفته ممثلا للمخزن وقائدا للجيش بالشاوية، أن يعمل هو وعامل الدارالبيضاء أبو بكر بن بوزيد، على إيقاف أشغال الشركة الفرنسية La Compagnie Marocaine، بمرسى المدينة، ويخرجا المراقب المالي الفرنسي من الجمارك. ومعلوم أن هذه المطالب قدمت، في إطار مقاومة الشاوية لمظاهر التدخل الاستعماري الفرنسي، وجاءت بعد حادث احتلال مدينة وجدة.

لم يتمكن مولاي الأمين من إقناع زعماء الانتفاضة ولم يحسن التصرف، وتطورت الأمور بالدار البيضاء إلى وقوع حادث 30 يوليوز 1907، الذي قتل فيه تسعة عمال أجانب. فاتخذت الأوساط الاستعمارية الحادث ذريعة لقنبلة الدار البيضاء واحتلالها.

وخلال القنبلة (5-7 غشت) حاول مولاي الأمين إنقاذ ما يمكن إنقاذه، لكن قنبلة السور الجديد الذي يأوي محلة مولاي الأمين أثر في الرجل مما جعله، يساير رغبات المحتلين للمحافظة على صورة المخزن بالمدينة.

ومنذ 1907 أصبح مولاي الأمين خليفة للسلطان بالمنطقة، وممثلا للمخزن العزيزي في علاقته مع المحتلين للدارالبيضاء والشاوية. كما عينه السلطان رئيساً للجنة الدولية لتعويضات الدارالبيضاء.

ولما بويع السلطان مولاي عبد الحفيظ (غشت 1907) عزل مولاي الأمين من مهامه، وعوضه بمحمد الأمراني سنة 1908.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 1: 388-429.

علال الخديمي

إميني، قرية نشأت حول منجم معدني جنوب الأطلس الكبير غرب ورزازات. كان ينتج في عهد الحماية نسبة مهمة من المنغنيز (52٪ من الإنتاج عام 1953)= 172.000 طن من المنغنيز المعدني، و50.000 طن من المنغنيز الكيماوي. كانت تستغله الشركة الشريفة المغفلة الاسم للدراسات المعدنية. وهذه الشركة مراقبة من طرف شركة مقطع الحديد التي تجمع بنك الإتحاد الباريسي ـ ميرابو ونيرفو وبونتامسون ـ ، وكان فيها لشركة المنغنيز إسهام مهم.

ص. بن العربي، كتاب *الغرب*، 70.

A. Ayache, *Le Maroc*, 172.

أحمد التوفيق

أناتيس Anatis يعتمد بْلين Pline في مؤلفه *التاريخ الطبيعي*، (الكتاب 5 . الفقرة 9) على التقرير الذي جاء به بوليب Polybe حول رحلته الاستكشافية للشواطئ الإفريقية : يتحدث عن أدغال تشغلها حيوانات ضارية ويوجد بالقرب منها نهر أناتيس، ويجعله بلين على بعد 205 ميل من ليكسوس و 496 ميل من الأطلس.

ويذكر بطليموس Ptolemee بدوره شعبا يعرف تحت اسم أنَاتيخُولُويْ Anatixoloi (كتاب *الجغرافيا*، 4 :6، 6) وسموا كذلك لأنهم يقيمون بجوار أناتيس بليبيا الداخلية. وقد مطابقتهم بالفاروزيين Pharusii من طرف بعض الباحثين، بينما اعتبرهم آخرون مجاورين لهم.

على كل، فقد تم توطين الفاروزيين الى الشرق من السولوونتيو Soloentioi. واذا اعتمدنا على ما جاء عند مؤلف مجهول ذكره سطرابون Strabon فإن الفاروزيين يوجدون على بعد ثلاثين يوما سيراً من لينكس Lynx (ليكسوس) وتعادل حوالي 900 كلم، وهي على نفس الخط الذي توجد عليه الشطوط وسرته Cirta الشيء الذي دفع بعض الباحثين إلى اعتبارهم شعبا يقطن جنوب الأطلس بين درعة وغير.

إن توطين الفاروزيين على ضفاف الأناتيس كما جاء به بطليموس وكذلك معرفتنا حول موطن هذه القبيلة يجعلنا

نشاطر دوزانج Desanges رأيه القاضي بتحديد واد أناتيس بجنوب المستعمرة الرومانية ونقصد بها موريطانيا الطنجية.

ويذكر صولان Solin في بُوليهيستُور Polyhistor (24 : 12 . 14) واد يي الأناتيس والأسانا Asana، هذا الوادي الأخير يذكره أيضا بلين (5 : 13) الذي استقى معلوماته عنه من الأهالي، يجعله على بعد 150 ميلا من سلا، ويميزه بمياهه المالحة Saumâtres وكذلك بوجود ميناء على ضفته.

ويجعل بطليموس هذا الوادي على خط 7°32 ولكن معطيات صولان تدفعنا إلى الاعتقاد بوجود نهرين متباينين، وهذا الأمر جرَّ أيضا إلى تباين آراء معظم الباحثين المعاصرين. فهناك من يعتقد بأن أناتيس هو أم الربيع، ومن بينهم رامان J. Ramin الذي يضيف بأنه يحتمل أن يكون أسانا المذكور عند بطليموس هو أناتيس المذكور عند بلين اعتمادا على بولي، ولكن بّديش Pedech يعتبر أناتيس هو وادي تانسيفت الذي يصب في المحيط الأطلسي بين مدينتي أسفي وموگادو، ويطابق أسانا بأم الربيع، مستنداً في ذلك على صولان السابق الذكر، ويرى أن مسافة 496 ميلا التي يعطيها بلين كمسافة فاصلة بين أناتيس والاطلس تعادل 750 كلم ونجدها بالفعل بين الأطلس المتوسط ناحية فاس وصفرو حتى حدود موگادور مرورا بخنيفرة وقصبة تادلا ومراكش.

أما دوزانج Desanges في تعليقه على الكتاب الخامس لبلين وأيضا في الفهرست يطابق الأسانا بأم الربيع. النهر الذي يطلق عليه بلين ـ كما كررنا قوله ـ اسم أناتيس، وهي صيغة هلينية يربطها بعض الباحثين بتسمية واد باسبانيا هو Guadiana Anas.

ولكن يجمع جل الباحثين ونذكر منهم : Vivien de St Martin، وتيسو Tissot وBesnier وRoget Raymond على القول بأن الأناتيس الذي يشير إليه بلين هو الأسانا المذكور عند بطليموس، ويوافق النهران بالنسبة لهم أم الربيع. واستند هؤلاء الباحثون على عمليات حسابية تعتمد على تقدير المسافة الواردة عند المؤلفين القدامى عن طريق قياسها بحرا حيث حاولوا ضبط المسافة الفاصلة من جهة بين ليكسوس وأناتيس ومن جهة ثانية بين Sala (شالة) والأسانا، وانتهوا إلى القول بأن النهرين يوجدان في نفس النقطة التي سبق أن ذكرنا أنها توافق أم الربيع، المميز بمائه المالح والذي يوجد على بعد كيلومترين من مصبه في الضفة اليسرى ميناء، يعتقد جل الباحثين بأنه يطابق أزمور، وعليه فالأسانا والأناتيس من خلال أغلب الدراسات هو أم الربيع أما وادي تانسيفت فيعرف من خلال بلين (5 : 13) تحت اسم فوت Fut، ومن خلال مصادر أخرى تحت تسميات أخرى. والأنيديس Anides الذي طابقه جزيل St. Gsell بالأناتيس والذي يشير إليه سكيلاكس الزائف Pseudo-Scylax قبل وادي اللكوس يجعله دوزانج Desanges مطابقا لوادي غريفة الموجود شمال موقع ليكسوس.

M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc Maurétanie Tingitane, A. M*, t. I, 1904, pp. 301-365 ; J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; Id, *Recherches sur l'activité des méditéraneens aux confins de l'Afrique*, Ecole Française de Rome, 1978 ; Id, art, *Anatis, E. B.* IV, p. 633 ; P. Pedech, *un texte discute de Pline : le voyage de Polybe en Afrique, Hit, Nat* V, 9-10, *(R.E.L)* 33, 1955, pp. 318-322 ; Pline, *Histoire Naturelle*, Livre V, 1-46, Texte traduit et commenté par J. Desanges, éd. CUF, Paris, 1980 ; Ptolemée, *Géographie in R. Roget, Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris . Belles-lettres, 1924 ; J. Ramin, *Le periple d'Hannon, Bar supplemen tary series* 3, 1976 ; R. Roget, *Index de topographie antique du Maroc* , P.S.A.M, 4, 1938, pp. 1-86 ; R. Thouvenot, *La connaissance de la montagne marocaine chez Pline l'Ancien , Hesp*, 26, 1936, pp. 113-121 ; Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Mémoires présentes à l'Académie des inscriptions et Belles-lettres, Paris, 1877 ; Vivien de St Martin, *Le Nord de l'Afrique dans l'antiquite grecque et romaine : étude historique et géographique*, Paris, Imprimerie imperiale, 1863.

عبدالعزيز بالفايدة و البيضاوية بلكامل

أنَاتيكسولوي ← أناتيس

أنَـاسُـول، جبل يقع بقبيلتي بني يدَّر وبني عروس الجبليتين، وعلوه فوق سطح البحر 1059 مترا، وبه منبع نهر شقور. أحد روافد نهر مرتيل الذي تصب مياهه في البحر المتوسط، كما توجد به عين تعرف بعين الماء الحر يعتقد العامة أنه ماء الحياة.

لعب هذا الجبل دورا هاما في الدفاع عن حوزة الوطن حيث كان المجاهدون الذين يقاومون الغزو العسكري الإسباني بناحية جبالة من سنة 1913 إلى سنة 1925 يعتصمون به دون أن يتمكن العدو من القضاء عليهم إلا بعد حروب دامت اثنتي عشرة سنة.

Misisterio de la Guerra, *Accion de España en Africa*, 1930, 2 : 37 ; Domenech Lafuente, Angel, *Geografia de la zona del protectorado de España en Marruecos*, 1943, 30 ; Cabello Alcaraz (J) ; *Apuntes de geografia de Marruecos*, 1951, 70.

محمد بن عزوز حكيم

أنَـامِـر، اسم سفح الجبل الذي في الظل، يقابله أسامر. ورد اسماً لأكثر من أربعين قرية في لائحة القبائل والمواضع التي وضعتها إدارة الحماية.

Répertoire, 288.

أحمد التوفيق

أُنَـايْـنْ، ـ جغرافيـا ـ حوض يقع على مقربة من ممر تيزي ـ ن ـ تاسْتْ على بعد 95 كلم من مراكش و65 كلم من تارودانت، من أهم الأحواض البيجبلية على الواجهة الجنوبية للأطلس الكبير. وقد ازدادت أهميته مؤخرا بسبب المشروع الذي يعتزم اجتيازه بسكة حديدية تربط مراكش بالعيون، والذي ينص أيضا على إنشاء محطة قطار وتجهيزات إدارية بسوق أدوز. وينتشر هذا الحوض على مساحة 178.000 هكتار موزعة على ثلاث دوائر : أمزميز (أفرا) وتالوين (أيت خلف، أيت قدني، أدوز) وتافنگولت (جزء من تامطرگة وأيت الميمون).

تمثل هذه المنطقة عالية حوض المداد، أحد روافد نهر سوس، وتتميز بمعطيات طبيعية فريدة من نوعها، إذ ينغلق

الحوض على شكل شبه دائري بواسطة مجموعة من القمم المرتفعة : وجدان في الشمال الغربي (2843 م) وأدرار أفلأ-نْ-أوفرا في الشمال الشرقي(2833 م) وأورك في الجنوب (2950 م) إلا أن انخفاض خط الأعراف بفج ثلاث-نْ-أولاون (2200 م) يُمكّن الحوض من الاتصال بوادي أكونديسي، أحد روافد النفيس، أما الوادي الرئيسي فيتجه صوب الجنوب مخترقا كتلة كريتاسية صغيرة، ويتكون الحوض من ثلاث وحدات مرفلوجية : وحدة شرقية متكتلة و مرتفعة (اورگ، أزگروز) خلفها بروز طفوحات بركانية ما قبل كمبرية وصخور صلبة أخرى، ثم وحدة وسطى ذات صخور رسوبية أولية (أدوز) ينفتح فيها المنخفض الأوسط، وأخيرا وحدة غربية (وجدان) مكونة من صخور متحولة أولية صلبة. وتحد هذه المناطق الثلاث مجموعة من الحوادث البنائية الهامشية التي تنتمي إلى الحادث البنائي الأطلسي الجنوبي الكبير.

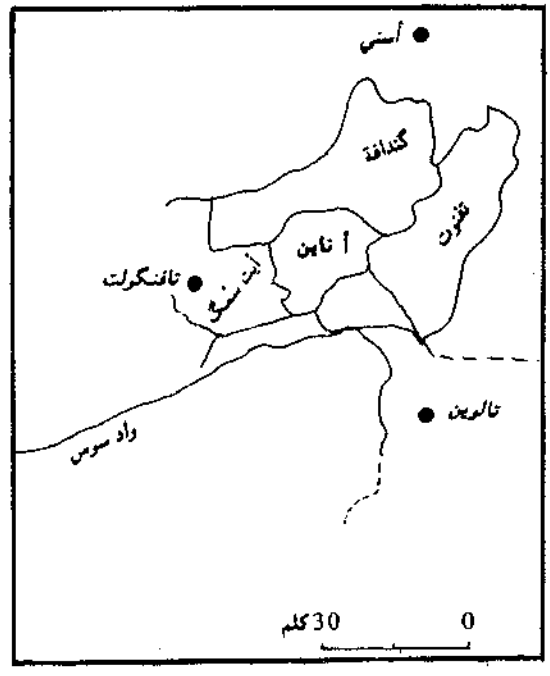

تبعا لهذا التنظيم المرفلوجي يصبح المناخ المتوسطي خاضعا لتأثيرات قاحلة وسط المنخفض وشبه رطبة على المرتفعات الهامشية، إذ يتلقى حوض إنّاون حسب المناطق ما بين 300 و800 ملم من الأمطار سنويا، مع تفاوتات سنوية جد كبيرة. وقد لحق هذا التدرج المناخي تدرج نباتي ملحوظ أيضا. حيث تنحدر الأشكال النباتية من الأعلى إلى الأسفل على النحو التالي : سهوب غير غابوية ذات جفافيات فوق ارتفاع 2400 م، ثم غابة السنديان المكونة من اللاذن أو القوسية، ثم تكوينات خفيفة من العرعر والحلفاء، وأخيرا في الأسفل سهوب شوكية جد مجتثة مع انتشار بعض بقايا الدوم والشيح والخزامي والزعتر.

في هذا الإطار الطبيعي تتوزع 870 أسرة (ما يعادل 5700 نسمة عام 1982) على 52 قرية وتعيش تحت نظام إنتاج فلاحي يتميز بالقدرة القصوى على التأقلم مع المعطيات البيئية القاسية، وبتنويع الموارد الهزيلة وجمود بنيات الاستغلال، يستفيد الفلاحون في تكامل الرساتيق من تنوع المحاطات القروية ويزاولون تربية الماشية والزراعة السنوية البورية أو المسقية 1100 هكتارَ والزراعة الشجرية (الجوز واللوز والزيتون).

ما زالت تربية الماشية الملائمة للمعطيات المحلية ترتكز على قطعان مركبة وضعيفة المردود (خيليات وأبقار وماعز وأغنام) وعلى توفير الجزء الأكبر من غذائها في المراعي المحلية. لقد بلغت عام 1983 نسبة الحيازات الممارسة لتربية الأغنام 50٪ من مجموع 760 حيازة مقابل 70٪ و95٪ بالنسبة للماعز والأبقار على التوالي. ويبلغ معدل قطيع كل حيازة مزاولة لتربية الماشية 3 أبقار و23 رأس غنم و100 رأس ماعز. أما الدورات الزراعية فتختلف حسب نوعية الزراعات يكون التناوب في المجالات البورية بين الشعير أو القمح والبوار الذي يحتل غالبا نصف مساحة الأراضي الصالحة للزراعة ،وتكون الدورة مزدوجة في المساحات المسقية : دورة شتوية (شعير وفصة وبقليات) وتناوب ربيعي (ذرة وفصة) وتشمل كل حيازة في المعدل هكتارا واحدا مسقيا مفتتا إلى 30-40 قطعة، وهكتارين بوريين موزعين على 4 أو 5 حقول.

هكذا تأتي المداخيل الفلاحية هزيلة بمقدار هزال الأسس الفلاحية نفسها، حيث يصبح متوسط المردود الصافي لكل حيازة، بعد سحب القسط المخصص للاستهلاك الذاتي، يصبح جد هزيل (من 3800 إلى 4900 درهم). لا سيما وأن التفاصيل حسب كل نشاط تبرز أن 35٪ فقط من الأرباح تعود للفلاحة (الزراعة الشجرية وتربية الماشية على الخصوص) و 65٪ منها تعود للمداخيل الخارجية (أساسا الأرباح عن الأعمال خارج الحيازة وتحويلات العمال بالخارج). فلا غرابة إذن من أن تصبح حصيلة الهجرة سلبية عام 1983، (0,8٪) نتيجة انسياب اليد العاملة نحو الدارالبيضاء، ومراكش، والرباط، وأگادير، وفرنسا. وبالتالي يظل التزايد الديمغرافي الإجمالي السنوي ضعيفا (1,3٪).

كريستيان كريبو/ تر. مصطفى عياد

أُنَايْن - تاريخ - بلد يقع على السفح الجنوبي لجبل درن (الأطلس الكبير). تحده من الشرق بلاد تيفنوت، ومن الغرب بلاد آيت سْمگ، ومن الشمال حوض وادي نفيس، ومن الجنوب بلد آيت سمْگَ وإيـوْزيوْن. تخترقه سيول كثيرة، تتجمع في نهاية الأمر لتكون نهر أناين (أسيفْ - نْ - لمْداد). سكانه من مصامدة جبل درن وسوس، يتكلمون الأمازيغية. ويتصلون بالمجموعات الأخرى المجاورة عن طريق ممرات جبلية قديمة ومعروفة (مثل تيزي - ن - ويشْدان، وتيزي - نْ - وفْرا وتيزي - ن - تامْشْرگا، وغيرها). تخترقه اليوم طريق للسيارات تصله بوادي نفيس وسهل سوس.

إذا كان لاووست E. Laoust قد لاحظ وجود نوع من التقارب اللفظي بين كلمة أنَاين ولفظ أنَا (= جمع أنُو = بشر)، فإنه تلافي تأكيد وجود أصل مشترك للكلمتين. ونعتقد أنه على حق حينما فعل. أما إشارته بالمناسبة إلى حصن هُنَيْن، فتُعتبر في نظرنا أكثر إفادة. اذ يلاحظ ان التقارب اللفظي بين هُنين وأناين يكاد يكون كاملا. وسنرى الآن أنّ معناهما ربما كان كذلك واحدا. (*Contribution*, 145).

إننا نميل إلى الاعتقاد بأن كلمة أناين جمع غير قياسي للفظ أهَانَاي الذي يجمع على إهَنَايْن، ويعني من بين ما يعني : النظر والمنظرة بالمعنى الجميل فقط بالنسبة إلى الكلمتين الأخيرتين (*Dictionnaire*, 1358). والفعل المستعمل اليوم في اللغة المحلية هو أنَايْ = انظر بحذف الهاء وتشديد حرف النون (*Vocabulaire*, 296) والذي يعرف بلاد أناين سيقتنع بسهولة بأنها بلاد جميلة بمناظرها، مكشوفة أمام الناظر إليها من المرتفعات المحيطة بها، ومشرفة بعلوها على سهل سوس الأفيح. واعتماداً على وصف البكري لحصن هُنين نجد تقاربا كبيرا في المميزات الطبيعية لكلا الموقعين (*المغرب*، 80). ويلاحظ بالنسبة إلى هُنين أنها احتفظت بالهاء المضمومة، في حين سقطت الهمزة التي لا بد أن تكون في الصيغة الأمازيغية. وذلك لأننا نعتقد أن النطق الأصلي هو أهُناين (= أناين ؟).

إن أقدم اشارة تاريخية وصلت إلينا عن أُناين، ترجع إلى بداية تأسيس الدولة الموحدية، حيث ذكر أبو بكر البيذق، أن أهل أُناين كانوا في التنظيم الموحدي يعدون من القبائل، وأن بلادهم فتحها المهدي ابن تومرت عام 25/518-1124، أي في نفس السنة التي فتح فيها وادي نفيس، حيث بنى مدينة تينملّ.

يبدو أن أهل أُناين لم يقبلوا بسهولة الخضوع لسلطة ابن تومرت، فانعكس ذلك بشكل سلبي على رتبتهم كمجموع في التمييز الموحدي. ومما يؤكد ذلك أن المهدي ابن تومرت أعطى كاتبه المقيم بتينملّ، ملّول بن إبراهيم بن يحيى الصنهاجي، أسهما في أناين (*أخبار المهدي*، 39-43-132). وقد يفهم من ذلك أن تلك الأسهم لم تتوفر إلا بعد أن أخذت قهرا من أصحابها. إذ ليس من المستبعد أن يكون أهل أُناين عرفوا نفس المصير الذي عرفه إزميرَن أو هزميرة الجبل. سكان وادي نفيس، حين قتل أغلبهم وتقاسم الموحدون ممتلكاتهم بأمر من ابن تومرت (*نظم*، 94).

يبدو من خلال كتاب *رحلة الوافد* (30. 67) أن أهل أُناين كانوا في القرن الثامن عشر مندمجين في حركة التاريخ المحلي، خصوصا مع جيرانهم أهل وادي نفيس وأيت سْمّگ. يخضعون كسائر جيرانهم لنظام حكم إمغارن أو الأشياخ والتحزب اللفي (*Dresch*, 8 - 9).

وحينما قام باشا مراكش عبد الكريم بن منصور بحملته العسكرية على وادي نفيس قصد إخضاع سكانه وتطويع شيخ زاوية تاسافت المجاورة لتينملّ، وذلك في سنة 1715/1127، كانت بلاد أُناين هي مقر المحلة المخزنية التي بقيت هناك أكثر من شهر (*رحلة الوافد*، 75. 80. 108. 119. 120. 123). وقد مرت حركة الباشا من هذه الناحية، لأنها أسهل طريق يمكن أن يسلكها جيش للوصول إلى الوادي المذكور. وألزم الباشا سكان أُناين بالمشاركة في الهجوم على وادي نفيس، بعد أن جند منهم ثلاثة آلاف رام وجعلهم في مقدمة جيشه (*رحلة الوافد*، 82). لأنهم يعرفون مسالك جبل ويشْدّان الذي يفصل وادي نفيس عن بلدهم. وقد سهلوا عليه كثيرا اختراق صفوف المقاومة المحلية (*رحلة الوافد*، 91-100-115).

وبعد انتهاء مهمة «الحركة» في وادي نفيس، غادرت بلاد أُناين، بعد أن أخذ الباشا من سكانه قدراً من المال (*رحلة الوافد*، 118).

في النصف الثاني من القرن التاسع، حينما عادت منطقة أطلس مراكش تطفو على سطح الأحداث، بظهور ما سمي فيما بعد بكبار القواد، بدأ اسم أُناين يذكر من جديد. فبعد أن كان أشياخ أُناين تحت حماية شيخ تَالاَمْت، علي أُمنصور، لأن رابطة اللّف تجمعهم، أصبحوا في نهاية القرن خاضعين لسلطة عائلة أيت لحسن بتاگنتافت (*Les Berbères*, 134 - 303 - 336) وبالفعل استغل القائد الحاج الطيب الگنتافي حالة «السيبة» التي تلت موت المولى الحسن الأول، ليوسع منطقة نفوذه في السفح الجنوبي للأطلس الكبير. وهكذا أخضع أُناين وأيت سْمّگ فيما وراء تيزي ـ نْ ـ تاسْت خلال سنة 1895 (*Goundafi*, 76) وفي 13 شعبان 18/1314 يناير 1897، عين رسميا قائدا على «أيت إخْلف وأيت قضني وأگديم وأفرا وتضيكت من فرقة أُناين» (*Haouz*, 2 : 1106) غير أن توسع مناطق نفوذ عائلة الأگلاوي في اتجاه الجنوب، لتشمل أيت وأوزگيت وإسكتان، أعطى لبلاد أُناين أهمية إستراتيجية، سواء بالنسبة إلى الگنتافي أو بالنسبة إلى الأگلاوي. ولذلك أصبحت منطقة نزاع بين الطرفين. وهذا ما أدى إلى تقسيمها بينهما في العقد الأول من القرن العشرين (*Les Berbères*, 340 ; *Compétition*, 356 - 7). وقد كرست الحماية الفرنسية هذا التقسيم «التعسفي» ونتيجة لذلك أصبح الخلل الذي ألحقه بالتنظيمات المحلية لمجتمع أُناين، خللا دائما، لم تعد تتحكم الإرادة المحلية في إصلاحه.

البكري، *المغرب* ؛ البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ الزرهوني، *رحلة الوافد*.

Ch. de Foucauld, *Dictionnaire Touareg - Français* ; E. Destaing, *Vocabulaire Français - Berbère* ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; Justinard, *Goundafi* ; E. Laoust, *Contribution* ; J. Dresch, *Documents sur les genres de vie de montagnes* ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech* ; A. Herzenni, *l'Ounain : modes d'utilisation des eaux d'irrigation et rapport sociaux* ; *B.E.S.M*, N° 189 - 160, pp 85-110 ; A. Arrif, *Compétition caïdale et proces d'intégration d'un canton montagnard : l'Unayn*, *A. A. N*, XXII, 1983, pp 347 - 360.

علي صدقي أزايكو

أُنبكي (أيت ـ)، أحد أخماس اتحادية أيت عطا. يتكون من قبيلتي أيت خبّاش و أيت أُمناصف. واسم أيت أُنبكي هو باللغة الأمازيغية ما يمكن أن نترجمه إلى اللغة العربية بآل أو أصحاب الضيف، وهي تسمية قد تجد تفسيرها فيما احتفظت به الرواية الشفوية من كونهم ينحدرون من جد كان قد تزوج من أيت سَدْرات المستقرين بدادس وكون قبولهم في الاتحادية قد تم بواسطة أيت بونْكنيفن من خمس أيت واحليم المؤسس لأيت عطا. إلا أن هذه التسمية قد تجد لها تفسيرا كذلك في توزيع المهام بين القبائل في العصور الغابرة لتاريخ المغرب قد أعطى لهذا الخمس مهمة استقبال الضيوف. ويعتقد جورج سبيلمان G.Spillmann،الذي قام بأعمال البحث الأولى حول أيت عطا أن خمس أيت أُنبكي مكون من عناصر بشرية مختلفة وأن البعض من أفخاذها مثل إيزولاين أو زوالة تنحدر من أصل عربي معقلي.

يقع المجال الجغرافي لخمس أيت أُنبكي في المناطق الجنوبية الشرقية لتافيلالت بالنسبة لآيت خبّاش (منطقة التناوز) وفي واحة الرتّب على وادي زيز وبعض واحات السفح الجنوبي لجبل صَغْرُو بالنسبة لأيت أُمْناصف. وقد خولت هذه الوضعية الأستراتيجية سلطة كبيرة لخمس أيت أُنبكي في مراقبة التجارة الصحراوية وخاصة منها تلك التي كانت تنطلق من تافيلالت نحو تَغْزَى وتوات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وقد شكلت هذه المراقبة وما ترتب عنها من نزاعات مع التجار السبب الرئيسي للصراعات التي خاضها ممثلو المخزن بتافيلالت مع قبائل أيت أُنبكي خلال الفترة المذكورة.

كانت أيت أُنبكي من قبائل جنوب شرق المغرب التي تضررت من التدخل الاستعماري في التخوم المغربية ـ الجزائرية في نهاية القرن الماضي. وكان احتلال واحة توات في نهاية القرن الماضي وبداية القرن العشرين بمثابة الضربة القاضية لاقتصادهم. وشاركوا في الحملات الجهادية التي نظمها سيدي محمد العربي الدرقاوي في نهاية القرن الماضي، وقاوموا التدخل الاستعماري إلى حدود 1933.

قدر جورج سبيلمان G. Spillmann في الثلاثينات خمس أيت أُنبكي بـ 1260 كانونا، وإذا اعتمدنا معدل خمسة أشخاص المعمول به عند المؤرخين بالنسبة لكل كانون فإن العدد الإجمالي لخمس أيت أُنبكي سوف لن يتعدى 6300 نسمة حوالي سنة 1930. ويتكون الآن خمس أيت أنبكي من الأفخاذ المذكورة أسفله وكلها في مرحلة استقرار متواصل يساعد عليه ما عرفته مناطق انتجاعها من جفاف ابتداء من سنة 1970.

مستوى الخمس	أيت أُنبكي			
مستوى القبيلة	أيت خبّاش	أيت أُمناصف		
مستوى الفخذة	أيت يحيى أورموسى	أيت الخلف	فخذة ثالثة	
مستوى إيغص	أيت بلقاسم	أيت أحمى	أيت إبراهيم أُعيسى	

G. Spillman, *Les Aït Atta et la pacification du Dra : Tribus et districts du Haut Dra* ; Ross, E. Dunn, *Resdanu in the desert*, University of Wisconsin, Press Madison, 1977 ; L. Mezzine, *Le Tafilalet*.

العربي مزين

إنتان (باب ـ) بمراكش. يعتقد Gaston Deverdun أن باب إنتان ما هو إلا اسم ثان لباب أيلان أو باب أغمات (*Marrakech* 1 : 127) وهو في ذلك يساير ما قاله Lévi-Provençal الذي اعتبره اسما ثانيا لباب أيلان. وكلا الاعتقادين يبدو بعيداً عن الصواب ذلك أن ابن فضل الله العمري نقلا عن ابن سعيد حدد بدقة موقعه في الجهة الجنوبية الشرقية من السور بين باب الدباغين وباب أيلان، (*ورقات*، 305).

لا نعرف أي شيء عن مكوناته المعمارية ولا زمن اختفائه، صحيح أنه ورد في مصادر تعود إلى القرن الثامن الهجري (*البيان*، قسم الموحدين، 28) إنما ضمن سياق أحداث تهم القرن السادس الهجري. وقد أشار إليه ابن الزيات في خبر يعود إلى سنة 592 هـ (*التشوف*، 297) مما يفيد أن اندثاره كان بعد هذا التاريخ، وفي محاولة لتحديد موقع باب إنتان حالياً اعتقد أن بعض البقايا الأثرية توجد تقريبا وسط المسافة الفاصلة بين بابي الدباغين وأيلان، شكلها العام لا يستبعد أنه باب قديم، ما يظهر منه هو مكونات البرج المشابهة لمثيلاتها الموجودة بباب أيلان، كما أن شكل هذه البقايا يشبه إلى حد كبير باب الرخا وهو باب مرابطي.

كانت خارج باب إنتان مقبرة دفن فيها عدد من المتصوفة (*التشوف* 294، 303، 429)، ومجال أخضر أبرز مكوناته بحيرة الطلبة (*التشوف*، 470) التي يبدو أنها من إنجاز الموحدين إذ كانت تتوفر على إقامة مخزنية هامة ينزل فيها الخلفاء، ومنتزها مفتوحا أيضا في وجه سكان المدينة.

ومن غير المستبعد أن سوقاً أسبوعية كانت تنعقد عند هذا الباب وهو ما يُشتم من وجود مواد غذائية تكون غالبا في هذا النوع من الأسواق مثل الشواء، وكثرة الناس الموجودين بنفس المكان (*التشوف*، 470).

وباب إنتان هو واحد من ثلاثة أبواب دخل منها الموحدون مراكش بعد حصار سنة 541 هـ. فهذا يؤكد أنه باب مرابطي (*أخبار*، 64).

أما إنتان فهو اسم عرفت به أسرة مخزنية على عهد المرابطين (*أخبار*، 28، 35، 49، 63، 64، 83، 92). كان منها رجال سياسة وقادة عسكريون ذكورا وإناثا. وكان لهم حضور خاص في فترة الانتقال بين المرابطين والموحدين.

أما نسبة الباب فيمكن أن تكون إلى قبيلة هنتاتة (*التشوف*، 298) وقد تعود إلى أسرة إنتان كاعتراف بخدماتها، ذلك أن ظرفية تأسيس سور المدينة تسمح بمبادرة من هذا النوع من طرف المخزن تجاه المقربين إليه طمعا في الحفاظ ما أمكن على تماسك ما تبقى من قوته.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، ت. أ. التوفيق، الرباط 1984 ؛ ابن عذاري، *البيان* ـ قسم الموحدين ـ ت. م. إبراهيم الكتاني وآخرين ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية*.

G. Deverdun, *Marrakech*.

محمد رابطة الدين

الانتخابات. تُنظَّم في الأقطار التي تلتزم بالنظام الديمقراطي، الفينة بعد الأخرى، على الصعيد المحلي، وذلك من أجل انتخاب المجالس الجماعية ـ أعضاء المجالس البلدية والقروية ـ وعلى الصعيد الإقليمي لانتخاب مجالس العمالات والأقاليم. وعلى الصعيد الجهوي لانتخاب المجالس الجهوية كما هو الشأن في إيطاليا وإسبانيا وفرنسا مثلا، وأخيرا على الصعيد الوطني لانتخاب أعضاء مجلسي البرلمان، بالنسبة للأقطار التي تقر ثنائية التمثيل، أو لانتخاب أعضاء مجلس النواب إذا كانت تعمل بأحادية التشريع.

تكتسي هذه الاستشارات الشعبية أهمية قصوى وتستأثر باهتمام الباحثين في علم الاجتماع السياسي وفي القانون الدستوري والصحافة ووسائل الإعلام السمعية والبصرية بحكم الاختصاصات الواسعة جدا، المعترف بها لهذه المجالس المنتخبة، الأمر الذي يجعل الطبقة السياسية هنا وهناك تستعد لها الاستعداد الضروري والمُحكم، لأن الأحزاب جميعها تدرك أن تنفيذ برنامج هذا التحالف أو ذاك، هذا الحزب أو ذاك ـ بالنسبة لإنجلترا مثلا، التي تطبق بنجاح كبير الثنائية الحزبية ـ يتوقف على الحصول على الأغلبية، سواء في المجلس الجماعي أو الإقليمي أو في الجمعية الجهوية، فبالأحرى في البرلمان الذي يعد في الأقطار النيابية أهم موقع للقرار بحيث لا يمكن لأي حكومة أن تستمر في الحكم إذا لم تكن باستمرار مساندة من طرف أغلبية برلمانية متجانسة وملتحمة.

هذا وتقتضي دراستنا لهذا الموضوع أن نلم بأشكال الاقتراع المختلفة التي سنتناولها في مبحثين متميزين، يخصص الأول منهما لتحليل الطرق المختلفة للاقتراع والثاني لتأثيراتها السياسية.

تحليل الطرق المختلفة للاقتراع :

1 ـ الفرق بين الاقتراع الأحادي الاسمي والاقتراع باللائحة : إن الاقتراع الاسمي يقضي بانتخاب نائب واحد عن كل دائرة انتخابية صغيرة ؛ فالناخب يصوت لفائدة شخص واحد.

أما الاقتراع باللائحة أو بالقائمة فإنه يقضي بانتخاب عدة نواب من طرف دائرة انتخابية موسعة، وتترتب عنه تساؤلات متعددة. فهل يعترف هذا الشكل من الاقتراع مثلا بحق الناخب في أن يكتفي بالتصويت لفائدة قسم من مرشحي القائمة، وذلك بحذفه لبعض الأسماء ؟ أي هل يحق له أن يمارس نوعا من الإمساك النسبي؟ ثم هل في وسعه كذلك أن يعوض الأسماء، التي يشطب عليها، بأسماء مرشحين آخرين، أي أن يدخل تغييرا على مرشحي القوائم، فيقوم بمزجها ؟ وأخيرا يمكن أن نتساءل ما إذا كان من حقه أن يتصرف في ترتيب مرشحي القائمة أم يكون ملزما باحترام الترتيب كما ورد في اللائحة ؟.

2 ـ الفرق بين الاقتراع المرتكز على الأغلبية وبين التمثيل النسبي : إن لهذا التفارق الثاني علاقة بعدد الأصوات التي ينبغي للمرشح أن يتوفر عليها وجوبا، لكي يعلن عن فوزه، ذلك أنه إذا كان الاقتراع الأحادي الاسمي يقتضي مثلا الحصول على الأغلبية، فإن الاقتراع بالقائمة يمكن أن يكون إما مرتكزا على الأغلبية أو أن يكون اقتراعا نسبياً.

الاقتراع المرتكز على الأغلبية : إن النظام الذي يرتكز على الأغلبية يقضي بالاعتراف بمجموع المقاعد للمرشحين الذين حصلوا على أكبر عدد من الأصوات، ويأخذ هذا النظام أحد الشكلين الآتيين :

أ ـ النظام المرتكز على الأغلبية والمقتصر على دورة واحدة : ففي هذه الحالة، يعترف بالمقعد أو بالمقاعد للمرشحين الذين أتت أسماؤهم في أعلى القائمة.

ب ـ النظام المرتكز على الأغلبية الذي يستلزم إجراء دورتين : ففي هذا النظام لا يعلن عن فوز المرشح أو المرشحين إلا إذا حصلوا على الأغلبية المطلقة للأصوات المعبر عنها (أكثر من نصف الأصوات). أما إذا استحال عليه أو عليهم الحصول على هذه الأغلبية، فإنه يقع تنظيم دورة ثانية، ويعترف، في هذه الحالة، بالمقعد أو بالمقاعد للمرشح أو المرشحين الذين يتوفرون على أكبر عدد من الأصوات (الأغلبية النسبية).

أ ـ التمثيل النسبي : إن التمثيل النسبي يتميز عن نظام الأغلبية بكونه يقضي بتوزيع المقاعد على القوائم الموجودة، أي بين الأحزاب السياسية المتنافسة، وذلك لكي تكون هذه الأحزاب، داخل مجلس النواب، ممثلة تمثيلا صحيحاً، وفقاً للأصوات التي ظفرت بها ؛ وبما أن هذا الشكل في الاقتراع يرمي إلى تمكين الأقليات من انتخاب من يمثلها، فإنه خلافا لنظام الأغلبية، يعترف حتى لمرشحي القوائم المنهزمة بأن يعلن عن انتخابهم ولو ظفروا بأصوات تقل عن الأصوات التي فاز بها المرشحون الأواخر في القوائم المنتصرة.

ب ـ توزيع المقاعد بناء على التمثيل النسبي : يعترف لكل حزب، في المرحلة الأولى، بعدد من المقاعد يضاهي عدد الأصوات التي حصل عليها. وقد يقوم القانون بتحديد هذا العدد كما قد يحدد نفس العدد بالنسبة لجميع الدوائر الانتخابية ؛ لكن العدد عادة يحدد، حسب نتيجة كل اقليم، وذلك باستخراج العملية الآتية : يقسم عدد الأصوات المعبر عنها على عدد المقاعد التي يشملها التوزيع وتكون نتيجة هذه القسمة ما نسميه بالخارج الانتخابي. وقد تسفر هذه المرحلة الأولى عن بقايا، أي بعض المقاعد تظل غير موزعة، كما أن عددا من الأصوات يظل غير مستعمل، وسنأتي بمثال لتوضيح هذا.

لنفترض أن نتائج دائرة انتخابية كانت على الشكل الآتي :

الأصوات المعبر عنها : 400.000

المقاعد المخصصة للإقليم : 4

الأحزاب المتنافسة : 3

لنستخرج الخارج الانتخابي $\frac{400.000}{4} = 100.000$

لنفترض أن الحزب «أ» حصل على أ = 240.000 صوتا

" " «ب» " ب = 100.000 صوت

" " «ج» " ج = 60.000 صوت

فالحزب «أ» سيحصل على : $\frac{240.000}{100.000} = 2$ م + 40.000

والحزب «ب» " : $\frac{100.000}{100.000} = 1$ م

والحزب «ج» " : $\frac{60.000}{100.000} = 0$ م + 60.000

فالحزب «أ» سيحصل على مقعدين و«ب» على مقعد واحد، و نلاحظ أن مقعداً واحدا لم يوزع كما أن 100.000 صوت لم تستعمل، أي 40.000 بالنسبة لـ «أ» و60.000 بالنسبة لـ «ج».

فبأي طريقة يمكننا أن نجعل المقعد الباقي رهن إشارة أحد الأحزاب الثلاثة المتنافسة ؟ من هنا تبرز مشكلة عويصة تتعلق بتوزيع البقايا، ولهذه المشكلة حلان :

1 - توزيع البقايا على الصعيد الوطني : يتم في هذه الحالة، جمع البقايا التي لم يتم توزيعها في مجموع البلاد، وذلك بالنسبة لكل حزب سياسي، كما تُجمّع كذلك المقاعد التي لم توزع في مجموع القطر أيضا ثم يتم توزيعها حسب التمثيل النسبي على القوائم الوطنية للأحزاب. وينتج عن هذا الأسلوب تعدد في الأحزاب السياسية وتشجيع تأسيس أحزاب أخرى.

2 - توزيع البقايا على الصعيد الإقليمي : هذا التوزيع يتم حسب طريقتين اثنتين :

فالأسلوب الأول يعرف بأسلوب أكبر البقايا، ويقضي بتوزيع المقاعد الباقية على الحزب الذي يتوفر على أكبر عدد من الأصوات غير المستعملة. (وفي المثال الذي أعطيناه سابقا ، يعود المقعد الباقي إلى الحزب «ج».

أما الأسلوب الثاني فيعرف بأسلوب أقوى المعدّلات. ويقضي بأن تقسم الأصوات المحصل عليها من طرف كل حزب على مجموع المقاعد التي يتوفر عليها مع إضافة المقعد الباقي، ثم نقوم بمقارنة فيما بين المعدلات، فالحزب الذي يتوفر على أقوى معدل هو الذي يحظى بالمقعد الباقي. وبالنسبة للمثال السابق سيكون المقعد من نصيب الحزب «أ»

لأن معدل هذا الحزب هو «أ» : $\frac{240.000}{3} = 80.000$

بينما معدل الحزب « ج » «ج» : $\frac{60.000}{1} = 60.000$

والحزب «ب» «ب» : $\frac{100.000}{2} = 50.000$

ب - التأثيرات السياسية لأشكال الاقتراع المختلفة :

لقد تسبب الاختيار بين الأشكال المختلفة للاقتراع في نقاش حاد بين فقهاء القانون والسياسيين، فبعدما ظلت فرنسا مثلا تطبق، طوال عهد الجمهورية الثالثة، وبالخصوص، منذ 1928 وفي 1932 و1936 الاقتراع الأحادي الاسمي، فانها قد قررت العدول عنه، مفضلة الاقتراع بالقائمة المقرون بالتمثيل النسبي، وذلك بعد نهاية الحرب العالمية الثانية (أهمية الثالوث الحزبي، الذي مارس الحكم، في أوائل عهد الجمهورية الرابعة، والذي كان يتألف من الفرع الفرنسي للأممية العمالية والحزب الشيوعي والحركة الجمهورية الشعبية)، واحتفظت بهذا القانون الانتخابي في سنة 1951 مع توفيقه مع مؤسسة جديدة كانت تعرف بتحالف القوائم. ثم منذ عودة الجنرال شارل دوگول إلى الحكم، في مستهل يونيه 1958، ما فتئت فرنسا تطبق، في الانتخابات التشريعية أساسا، الاقتراع الأحادي الاسمي ذا دورتين، بالرغم من مطالبة أحزاب المعارضة التي كانت تتألف، إلى غاية بداية ماي 1981، من الحزب الاشتراكي والحزب الشيوعي وحركة الراديكاليين اليساريين، وكذلك أحزاب من الأغلبية الرئاسية سابقا (نزعة داخل الاتحاد من أجل الديمقراطية الفرنسية) بإقرار التمثيل النسبي. وينسب إلى الرئيس الأول للجمهورية الخامسة أنه لم يكن متشددا فيما يخص شكل الاقتراع، الذي يحدّدُ عادة، بواسطة قانون يصوت عليه البرلمان، بل كان يعتقد أن التجربة في إقرار هذا الشكل أو ذاك من أشكال الإقتراع، ينبغي أن يعاد النظر فيه مرة كل خمس عشرة سنة.

أما في المغرب فنلاحظ أن شكل الاقتراع الخاص بالانتخابات التشريعية ينص عليه قانون تنظيمي. وهكذا لم يبق بوسع المشرِّع العادي أي البرلمان أن يغيره بسهولة، ذلك أن المسطرة التي تخضع لها القوانين العادية تختلف عن مسطرة القوانين التنظيمية.

فماذا نقصد بالقانون التنظيمي ؟ إنه القانون الذي أعطاه الدستور هذه الصفة ؛ إنه يُتخذ من أجل إتمام الدستور، من أجل توضيحه ؛ إنه جزء لا يتجزأ من الدستور. كما أنه يخضع لمسطرة خاصة تتميز عن المسطرة التي تخضع لها القوانين العادية، ذلك : إلى أن مناقشة أي مشروع أو مقترح قانون تنظيمي تقتضي التفكير والتروي لمدة عشرة أيام، بعد إيداعه أمام مكتب مجلس النواب ؛ وسواء حظي بأغلبية قوية أو وقعت الموافقة عليه بالإجماع فإن جلالة الملك يصدر الأمر بتنفيذه بعد إعلام الغرفة الدستورية التابعة للمجلس الأعلى، بأنه مطابق للدستور، (انظر القانون التنظيمي، المتعلق بتأليف مجلس النواب وانتخاب أعضائه، الصادر بتاريخ 9 ماي 1977).

ونلاحظ بالنسبة للمغرب أنه بالرغم من تحفظ أهم الأحزاب السياسية، ومن بينها الاتحاد الوطني للقوات

الشعبية ـ الاتحاد الاشتراكي حاليا ـ وحزب الاستقلال، ومنذ 1959، ومطالبتهما بتكريس التمثيل النسبي، فإن الانتخابات الجماعية التي أجريت بتاريخ 29 ماي 1960 أو الانتخابات التشريعية التي نظمت بتاريخ 17 ماي 1963 لانتخاب أعضاء مجلس النواب (144 آنذاك) أو التي نظمت بتاريخ 24 غشت 1970، لانتخاب 90 نائبا من بين 240، بالاقتراع العام المباشر، تلك الانتخابات التي قاطعتها الكتلة الوطنية، أو التي نظمت بتاريخ 3 يونيه 1977 لانتخاب ثلثي أعضاء مجلس النواب (176 عضوا) أو أخيرا التي أجريت بتاريخ 14 شتنبر 1984، لانتخاب ثلثي أعضاء المجلس المذكور، الذي أصبح متألفا ومنذ المراجعة التي عرفها القانون التنظيمي المشار إليه سابقا، في يونيه 1983، من 306 من الأعضاء، قد تمت كلها بناء على الاقتراع الأحادي الاسمي ذي الدورة الواحدة.

هذا وإذا كانت الآراء متعارضة فيما يخص الميزة الخاصة لهذه الانظمة الانتخابية المختلفة، فإنه ينبغي دراسة هذه المسألة من جوانب متعددة : من جانب ممارسة أهلية الانتخاب أولاً، ثم من جانب التمثيل السياسي، وأخيرا من جانب انتظام عمل المؤسسات السياسية .

1 ـ جانب ممارسة أهلية الانتخاب : فمن هذه الزاوية، أي من وجهة ممارسة أهلية الانتخاب من طرف كل مواطن، يمكن أن نقول إن الاقتراع الأحادي الاسمي هو الاقتراع الذي يجعل الناخب يتوفر على أفضل الشروط ليمارس اختياره، ذلك أنه في الإطار الضيق للدائرة الصغيرة، يمكن هذا الاقتراع الناخبين من معرفة شخصية للمرشحين، أي من القيام بتقييم أفضل لمزاياهم.

بينما يكون المرشحون، في اقتراع القائمة، بعيدين عن الناخب، كما أنه قلما تكون له صلة بهم، باستثناء القادة الذين يوجدون على رأس القوائم وتكون بالتالي حرية الاختيار، فيما يخص الناخب، ضعيفة، خصوصا عندما ينص القانون الانتخابي على منع القيام بمزج القوائم وعلى إغلاقها.

2 ـ جانب التمثيل السياسي : إنه ينبغي، لتقييم الأنظمة الانتخابية من هذه الزاوية، التذكير بأن التمثيل السياسي يتضمن، من جهة، التعبير عن الاتجاهات السياسية في البلاد، ويرمي من جهة أخرى، إلى تجنب أي فكرة للتفويض الأمري.

ولهذا السبب يُنتقد الاقتراع الأحادي الاسمي، وذلك لكونه لا يتفق وخصائص التمثيل السياسي، كما قمنا بتعريفها الآن.

أ ـ فإن الاقتراع الأحادي الاسمي يميل إلى تحويل الانتخاب إلى تنافس بين الأشخاص بدلا من أن يكون مناسبة للقيام بمجابهة بين الأفكار ؛ ولقد قيل بأن الناخب، في اقتراع القائمة يصوت لصالح الأفكار بينما يكون تصويته لفائدة الأشخاص عند إقرار العمل بالاقتراع الأحادي الاسمي.

ومن بين منتقدي هذا الشكل في الاقتراع، أحد كبار الشخصيات السياسية في فرنسا، خلال الجمهورية الثالثة وكذلك في عهد الجمهورية الرابعة ـ إدوار هيريو ـ الذي كان ينعت ذلك الاقتراع باقتراع المصارعين.

ب ـ ثم من جهة ثانية يرمي الاقتراع الأحادي الاسمي إلى جعل التمثيل السياسي، بعد انتهاء الانتخاب، نوعا من التفويض الأمري الفعلي، ذلك أنه إذا كان هناك نموذج للتنافس الانتخابي في الاقتراع الأحادي الاسمي، فإن هناك أيضا نموذجا للنائب المنبثق من هذا الشكل في الانتخابات.

فالاقتراع الأحادي الاسمي يجعل النائب مرتبطا بدائرته، بعدة روابط وثيقة وشخصية. وتكون الدائرة واعية بأن لها نائبها الخاص الذي اختير خصيصا لهذه الغاية والذي يكون تحت رحمتها (يتمتع بنوع من الاستقلال، بالنسبة للحزب الذي ينتمي إليه، ولو كان تابعا لناخبيه).

لكن بفضل ثقة ناخبيه يصبح مركزه، مع مر السنين، مدعما ولا يعرف الهزيمة مطلقا، شأنه في ذلك شأن الإقطاعي قديما في إقليمه. فلقد ظل «إدوار هيريو» عمدة لمدينة «ليون» الفرنسية من 1905 إلى 1957 ونائبا في مجلس النواب تم الجمعية الوطنية زهاء خمسين سنة، كما ظل خلفه «بّراديل» عمدة لنفس المدينة، طوال عشرين سنة أي ما بين 1957 و1977. وهذه النتيجة هي التي جعلت نقاد هذا الشكل في الاقتراع ينعتون الاقتراع الأحادي الاسمي بكونه «مرآة منكسرة» أو «مستنقعات راكدة»، واعتبر كذلك بأنه بمثابة انبعاث للتفويض الأمري القديم، وذلك بسبب الطغيان المتبادل الممارس من طرف الدائرة على النائب المنتخب، ولهذا الأخير على دائرته. ويزيد الطين بلة كون هذا التفويض الأمري يمارس لفائدة مصالح خصوصية، تهيمن عليها روح الدائرة. ولهذا لا يتطرق الشك إطلاقا إلى أن طابع التمثيل السياسي يتجلى متباينا كليا، إذا ما قيست نتيجته بنتيجة الاقتراع الأحادي الاسمي. ومن هذه الزاوية تبرز بالخصوص مزايا التمثيل السياسي، إذا كان الاقتراع بالقائمة مقرونا بالتمثيل النسبي، فبفضل هذا الأخير، يكون تشكيل مجلس النواب مرآة للاتجاهات في البلاد، وذلك حسب القوة الخاصة لكل نزعة من النزعات السياسية المتنافسة. فهو يعتبر أساسا كاقتراع يحقق الإنصاف فيما بين القوائم المتصارعة.

هذا وجوابا عن استفسار حول تحفظات مؤسس الجمهورية الخامسة الفرنسية، شارل دوگول، صرح هذا الأخير لأحد المعجبين به، وزير العدل السابق «ألان بّيرفيت» بـ «أن الديمقراطية لا تكمن في التعبير عن التناقضات، بل تقتضي الإرشاد إلى الطريق الذي ينبغي اتباعه» (كتاب *الداء الفرنسي* لـ : ألان بّيرفيت).

كما أن أحد أقطاب اليمين في فرنسا، الوزير الأول السابق ميشال دوبري جدد موقفه من التمثيل النسبي قائلا في أواسط الثمانينات :«إنني أتأسف لما يمكن تسميته

بعودة نظام الأحزاب، ولقد تمكن هذا النظام من الرجوع تدريجيا، ذلك أن أعظم درس استفدنا منه، من الجمهورية الخامسة، لا يكمن في المؤسسات فقط، أو في ممارسة السلطة، من طرف الجنرال دوگول لمدة عشر سنوات، فالدرس الحقيقي يكمن في هذه الفكرة الأساسية وهي بمثابة فكرة قديمة في النظام الجمهوري، ألا وهي كون الحكومة في فرنسا تعد مستقلة عن الأحزاب السياسية، مستقلة عن المنظمات النقابية، فكلما كان تأثير المنظمات السياسية أو النقابية تأثيرا بيناً، لن تبقى المصلحة العامة هي قانون الحكومة».

بينما يرى الرئيس الفرنسي الثالث، ڤاليري جيسكار ديستانغ، أن الأغلبية اليسارية التي كانت قد غيرت القانون الانتخابي في ربيع 1985 وأقرت التمثيل النسبي لم تقم بذلك إلا من أجل تجنب هزيمة نكراء في الانتخابات التشريعية التي أجريت بتاريخ 16 مارس 1986، لذا كان يقترح استشارة الجسم الانتخابي، عن طريق الاستفتاء، فيما يخص القانون الإنتخابي الخاص باختيار أعضاء الجمعية الوطنية، غير أن الدستور يحدد اللجوء إلى الاستفتاء بالحصر في حالات ثلاث لا تشمل مطلقا القانون الانتخابي المتعلق بانتخاب المجلس الأدنى.

3 ـ جانب انتظام عمل المؤسسات البرلمانية : إن هذا الجانب الذي كان ينظر إليه وكأنه جانب ثانوي أصبح الآن من بين أهم الجوانب إن لم نقل أهمها. ذلك أن الشروط المثالية لنظام نيابي هي الشروط التي تؤدي إلى إبراز أغلبيات متماسكة، كفيلة وحدها بمساندة المجالس الوزارية المنبثقة من الجمعيات النيابية، وذلك لمدة طويلة.

وتتحقق هذه الشروط، في بلاد مثل انجلترا التي تتوفر على حزبين كبيرين يتنافسان من أجل ممارسة الحكم. فالحزب الفائز في الانتخابات العامة يشكل أغلبية قارة وملتحمة. وهذه الخاصية التي يتميز بها نظام الأحزاب في بريطانيا العظمى ليست إلا نتيجة لشكل الاقتراع، الذي تطبقه هذه البلاد الأوروبية، أي الاقتراع الأحادي الاسمي ذي الدورة الواحدة.

فلأشكال الاقتراع تأثير حقيقي على وضعية الأحزاب السياسية، هذا التأثير الذي استأثر باهتمام الباحثين في العلوم السياسية وفي القانون الدستوري، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، بالخصوص.

ففيما يخص هيكل الأحزاب يرمي التمثيل النسبي إلى تقوية التلاحم الداخلي للأحزاب وجعل أعضائها أكثر انضباطا. وتعود هذه النتيجة إلى كون الحزب يتوفر على الوسيلة التي تمكنه من إعادة انتخاب مرشحيه، وذلك بتخصيصه في قوائمه الترتيب الذي يريده لهم ؛ فبالتمثيل النسبي يكون المصير الانتخابي للنائب بين يدي الحزب، لذا فإن هذا الأسلوب في الانتخابات يمكن اعتباره من بين العوامل، التي تساعد على تكتل الأحزاب السياسية.

ومن جهة أخرى، فإن هذا الانضباط الداخلي للأحزاب لا يشكل في حد ذاته ضررا من زاوية انتظام العمل النيابي. فالأحزاب الانگلوساكسونية هي أيضا، ولأسباب أخرى، أحزاب قوية الانضباط. وكل ما ينتقد على هذا الانضباط هو أنه قد يؤدي إلى إقصاء بعض الشخصيات، باستثناء الأفراد الذين تتألف منهم قيادة الأحزاب (إن انشقاق حزب العمال، في مارس 1981، وإعلان جماعة من النواب المعتدلين في صفوفه عن تأسيس حزب جديد تحت اسم «الديمقراطيون الاجتماعيون» تسببا في كارثة بالنسبة للحزب اليساري البريطاني، في الانتخابات التشريعية، التي أجريت بتاريخ 9 يونيه 1983، ذلك أن الحزب المذكور لم يفز إلا بـ 210 من المقاعد في حين أن حزب المحافظين حصل على 395 مقعداً في مجلس العموم والتحالف بين الأحزاب والديمقراطيين الاجتماعيين على 24 مقعداً. أما الأحزاب الصغرى فلم تفز إلا بـ 21 مقعداً.

وهكذا عرف حزب العمال انخفاضا في الأصوات التي ظفر بها مرشحوه، يقدر بـ 10٪ بينما عرف التحالف الجديد تقدما في الأصوات التي حصل عليها بنسبة 12٪.

أما الانتخابات التشريعية التي أجريت في انجلترا بتاريخ 11 يونيه 1987، قبل موعدها بسنة، فلقد أسفرت عن نتائج متقاربة مع السابقة ولو أنها عرفت تقلصا نسبياً لحزب المحافظين الذي ظل مع ذلك أقوى حزب في هذه البلاد بحيث يتوفر الآن على فريق برلماني يضم 376 عضواً في مجلس العموم، في حين أن حزب العمال، المعارض لا يتوفر إلا على 229 عضواً، والتحالف الديمقراطي ـ الاجتماعي ـ الليبرالي على 22 عضواً، والأحزاب الصغرى : الحزب الوحدوي الإيرلاندي على 13 مقعداً، والحزب الوطني الإسكتلاندي على 3 مقاعد، وحزب الغال على 3 و4 نواب يمثلون نزعات أخرى.

ويلاحظ، منذ نهاية السبعينات، أن هناك اهتماما متزايدا، من طرف الطبقة السياسية، لإقرار التمثيل النسبي كقانون انتخابي بالنسبة للانتخابات التشريعية. فمن بين الإصلاحات التي من شأنها أن تشجع الحوار بين اليمين واليسار في فرنسا، العدول عن القانون الانتخابي الحالي الذي يستند إلى الاقتراع الأحادي الاسمي ذي الدورتين وتعويضه بالتمثيل النسبي، وكان قد طالب بذلك كل من الرئيس السابق لحركة الراديكاليين اليساريين، عند اجتماعه بالرئيس الفرنسي السابق ڤاليري جيسكار ديستانغ في أكتوبر 1976، كما طالب بذلك الكاتب الأول للحزب الاشتراكي، فرانسوا ميتران، عند مقابلته لرئيس الدولة، يوم 28 مارس 1978، ولم يكتف بذلك بل طالب رئيس فرنسا الحالي، ميتران، بقانون أساسي للمعارضة يمكنها من التعقيب على التصريحات الحكومية والرئاسية بواسطة الإذاعة والتلفزة.

كما أن وزير العدل السابق ألان بْيرفيت، الذي يعد من أنصار الرئيس الراحل دوگول وصيانة تراثه، أعلن هو أيضا

بأنه لا يعارض في جرعة من التمثيل النسبي ويُنسب إليه قولُه :«إن شكل الاقتراع يجب العمل به لمدة خمس عشرة سنة، فهو منوط بالظروف».

وحسب استطلاع للرأي نُظم في فرنسا خلال الفترة الفاصلة ما بين 31/3/1980 و4/4/1980، فقد صرح 46,5٪ من المستجوبين وعددهم ألف شخص يمثلون مختلف الأعمار بأن التمثيل النسبي يعد أكثر ديمقراطية من الاقتراع الأحادي الاسمي. وحسب ميول الأحزاب التي استجوبت، فإن 84٪ من الشيوعيين يناصرون هذا الشكل للاقتراع و77٪ من اليسار المتطرف و75٪ من المدافعين عن البيئة و71٪ من الاشتراكيين والراديكاليين اليساريين و55٪ من التجمع من أجل الجمهورية و52٪ من الاتحاد من أجل الديمقراطية الفرنسية (جريدة يومية باريز :29/5/1980).

كما أن حزب التقدم والاشتراكية في المغرب، بعد إعلان نتائج الانتخابات البلدية والقروية، بتاريخ 10 يونيه 1983 جدد مطلبه بإقرار التمثيل النسبي الكامل كشكل للاقتراع في الانتخابات العامة، لكن الانتخابات التشريعية التي أجريت في 14 شتنبر 1984 لانتخاب ثلثي أعضاء مجلس النواب تمت بناء على الاقتراع الأحادي الاسمي ذي الدورة الواحدة، شأنها في ذلك شأن سابقاتها.

لكن التأثير البالغ الأهمية للتمثيل النسبي يتعلق بتمثيل الأحزاب داخل الجمعيات النيابية.

فلقد تعرض فقهاء القانون العام والمهتمون بالعلوم السياسية، لانعكاسات هذا الشكل في الاقتراع، بالنسبة لعدد الأحزاب، ذلك أن التمثيل النسبي يمكن الأحزاب الضعيفة من أن تكون ممثلة في البرلمان، بل من شأنه، في حالة إقرار العمل به، أن يشجع على تكاثرها خصوصا إذا ما تقرر تطبيق التمثيل النسبي الكامل على الصعيد الوطني، بينما يكون لاقتراع القائمة تأثير على اختزال عدد الأحزاب السياسية. إن للنظام المستند إلى الأغلبية عواقب تختلف كثيرا عن عواقب الاقتراع النسبي. فهذا النظام يرمي، بصفة عامة، إلى إبراز أغلبيات قوية ومتلاحمة ولو كان يتسبب في بعض المظالم. وهو بالإضافة إلى ذلك يمكن من تصفية الأحزاب الضعيفة، حيث أنه يهدف إلى جعلها تقتنع بضعفها فتقبل الاندماج داخل تجمعات موسعة، فهو يؤدي إذن إلى اختزال عدد الأحزاب.

لكن ينبغي التفريق بين الاقتراع المستند إلى الأغلبية والذي يقتضي إجراء دورتين، وبين الاقتراع ذي الدورة الواحدة.

الاقتراع الأغلبي ذو دورتين : ففي الدورة الأولى تميل الأحزاب إلى اختبار قوتها، ولا تتكون التحالفات إلا في الدورة الثانية، حيث يتم التفاوض بين الأحزاب فيما يخص التنازلات المتبادلة (بالنسبة لفرنسا: الانتخابات التشريعية التي نظمت بتاريخ 14 و21 يونيه 1981 (اليسار ضد اليمين) أو التي نظمت في يونيه 1988 (نفس الصراع تحالف اليمين ضد تحالف اليسار).

ورغم الطابع اللاأخلاقي، الذي تتميز به مساومات الدورة الثانية، فإن الدورة الأولى هي التي تقضي على فاعلية النظام الأغلبي، وذلك بسبب تكاثر الأحزاب والمرشحين الذي ينجم عنها.

فالائتلافات الانتخابية، التي تترتب عن الإخفاق في الدورة الأولى، وذلك من أجل الحصول على الأغلبية لا يمكنها أن تمحو خلافات الدورة الأولى، وبالتالي لا يمكنها أن تكون إلا موقتة ؛ فهي ليست ، في الواقع، إلا تحالفات عابرة، عرضية.

الاقتراع الأغلبي ذو دورة واحدة : إن الاقتراع الأغلبي ذا الدورة الواحدة، هو الذي يؤدي إلى اختزال جذري لعدد الأحزاب. فهو لا يترك بتاتا حظوظا للأحزاب الضعيفة، حيث إن هذه الدورة الوحيدة تحثُّ الآراء على الاندماج وسط تجمعات موسعة ذات طابع قار.

هذا وتتجلى فوارق دقيقة، عند تطبيق هذا الشكل في الاقتراع، وذلك إما في إطار الاقتراع الأحادي الاسمي أو في إطار الاقتراع بالقائمة.

فإذا ما أشرك الاقتراع الأغلبي، ذو الدورة الواحدة، بالاقتراع الأحادي الاسمي، فإنه يكون قاسيا جدا وناجعا في نفس الوقت، من حيث مفعوله الاختزالي، فهو الذي يشكل، في الأقطار الانكلوساكسونية، العامل الأساسي لنظام الحزبين، وبفضله تمكن العمال من الحلول محل حزب الأحرار أو الليبراليين أمام المحافظين.

أما في حالة إشراكه بالاقتراع بالقائمة، فإن الاقتراع الأغلبي ذا الدورة الواحدة يخفف من الطابع القاسي لاختزال الأحزاب، ذلك أنه يُمكّن عدة اتجاهات من حق التعبير، داخل الأحزاب المختلفة، التي تشترك في قوائم من أجل تحقيق تكتل فيما بينها.

لكن سواء أشرك بالاقتراع الأحادي الاسمي أو بالاقتراع بالقائمة، فإن النتيجة العامة للاقتراع الأغلبي ذي الدورة الواحدة، هي سعيه لإيجاد جمعيات نيابية ذات أغلبيات جلية، كفيلة بأن تكون دعائم للمجالس الوزارية.

وإذا ما أردنا أن نعرف موقف الطبقة السياسية في المغرب، منذ نهاية الخمسينات، فيمكن أن نؤكد أنه في عهد الحكومة الرابعة برئاسة الأستاذ عبد الله إبراهيم، أي خلال الفترة الفاصلة ما بين 25 دجنبير 1958 و20 ماي 1960، تَمَّ إعداد النصوص الأولى المتعلقة بالانتخابات التي ما زال القسم المهم منها، مطبقا إلى يومنا هذا، بالرغم من مرور ما يقرب من ثلاثين سنة على تلك النصوص، وفيما يخص شكل الاقتراع، الذي كان ينبغي تطبيقه، في الانتخابات الجماعية الأولى، التي عرفها المغرب والتي أجريت بتاريخ 29 ماي 1960، كانت الأحزاب المعترف بها قانونا قد طلب منها إبداء رأيها حول شكل الاقتراع، وكانت أجوبة الحزبين القويين آنذاك : الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وحزب الاستقلال، تقترح العمل بالاقتراع باللائحة، المقرون بالتمثيل النسبي، بينما فضلت الأحزاب الصغرى، التي

أحدثت، بعد صدور الظهير بمثابة قانون، المؤرخ بـ 15 نونبر 1958 المتعلق بالحريات العامة ومن كانوا يعرفون بالأحرار المستقلين، الاقتراع الأحادي الاسمي.

لكن القرار النهائي، بالنسبة لهذه النقطة، كان مطابقا للفتوى التي صدرت عن فقيهين فرنسيين هما أندري دولوبادير وموريس دوفيرجي، والتي يبدو أنها كانت لصالح من يقترح إضعاف الأحزاب واختزالها.

وهكذا فمنذ تسع وعشرين سنة وبعد أن تأسست أحزاب منذ ربيع 1977 إلى الآن، وهي التجمع الوطني للأحرار قبل انشقاقه، والحزب الوطني الديمقراطي، والاتحاد الدستوري، ومنظمة العمل الديمقراطي الشعبي، وكلها لم يسبق لها أن حددت موقفها من أشكال الاقتراع وكأن هذه المسألة لا تكتسي أدنى أهمية بالنسبة لها، أصبح المغرب يُطبِّق في الانتخابات الجماعية وفي الانتخابات التشريعية، الاقتراع الأحادي الاسمي ذا الدورة الواحدة.

وبالرغم من تكريس ذلك الشكل في الاقتراع، فإن نتائج الانتخابات الجماعية الأولى، كانت لصالح الاتحاد الوطني وحزب الاستقلال في معظم المدن المغربية، وبالنسبة للأول منهما، فلقد فاز مرشحوه في العاصمتين الإدارية والاقتصادية وغيرهما بينما كان النصر حليف مرشحي حزب الاستقلال في العاصمة العلمية وفي مراكش وسلا ....

أما الحزب الشيوعي، الذي كان محظورا في المغرب، في أعقاب حكم محكمة الاستئناف الصادر في سنة 1959، فإنه كان يطالب، هو بدوره، بالتمثيل النسبي.

ومنذ استئناف نشاطاته، بصفة قانونية ورسمية، في شهر غشت 1974، ما فتئ يؤكد أن مجلس النواب لن يكون بالفعل مرآة تنعكس عليها القوى المنبعثة من الأمة إلا بإقرار التمثيل الكامل (انظر الافتتاحية، التي خصصتها لهذه المسألة، فور إعلان نتائج الانتخابات الجماعية في 10 يونيه 1963، وقبيل إجراء الانتخابات التشريعية، التي كان من المفروض أن تنظم في شتنبر 1983 والتي أجلت إلى 14 شتنبر 1984).

تعالج مؤلفات القانون الدستوري والعلوم السياسية المعارف العامة الواردة في المقدمة : *المجلة الفرنسية للعلوم السياسية* ؛ *مجلة القانون العام الفرنسية* : اليومية الفرنسية لوموند، أبريل ـ ماي 1979، يونيه 1983، يونيه 1987 ؛ الأسبوعية الفرنسية *لكسبريس*، بعد انفصال مجموعة من أعضاء حزب العمال البريطاني وإعلانهم عن تأسيس حزب جديد يحمل اسم الحزب الديمقراطي الاجتماعي، في خريف 1979 ؛ الأسبوعية الفرنسية *لوبوان*، بعد انهزام حزب العمال في الانتخابات التشريعية لماي 1979 ؛ البرنامج الإذاعي الذي تقدمه بانتظام الإذاعة الفرنسية تحت عنوان : *وجها لوجه مع العموم* ؛ البرنامج الإذاعي الذي تقدمه بانتظام الإذاعة الفرنسية تحت عنوان : *ملتقى* ؛ البرنامج الإذاعي *أضواء*، الذي تقدمه الإذاعة البريطانية في قسمها العربي ؛ *القانون التنظيمي المغربي*، الصادر بتاريخ 9 ماي 1977 والخاص بتأليف مجلس النواب وبشكل الاقتراع، وبالقانون الأساسي للنواب ؛ *التعديلات التي أدخلت على القانون التنظيمي المذكور في غشت 1979* وذلك لتمكين إقليم وادي الذهب المحرر من أن يكون ممثلا بثلاثة أعضاء داخل مجلس النواب، والتعديلات التي أدخلت من جديد على نفس القانون في يونيه 1983 وذلك ليصبح مجلس النواب يتألف من 306 من الأعضاء بدلا من 279 عضواً بحكم النمو الديمغرافي الذي عرفه المغرب منذ السبعينات ولتمكين جالياتنا في الخارج : في أوربا وأمريكا وكندا والمشرق العربي من أن تكون ممثلة في المجلس المذكور ؛ *القانون الانتخابي الفرنسي*، الذي تم التصويت عليه من طرف البرلمان في ربيع 1985 والقاضي بإقرار التمثيل النسبي على الصعيد الإقليمي وذلك لتطبيقه في الانتخابات التشريعية التي كانت ستجرى في 16 مارس 1986 ؛ *البيان*، جريدة يومية تصدر باللغتين العربية والفرنسية.

عبد الرحمن القادري

الأنثراسيت، anthracite فحم غني بالكربون، تقل فيه المواد المتبخرة. وهو مادة غير متجانسة فيزيائيا وكيماويا، مكونة من كربون وهدروجين وكميات من الكبريت والآزوط. وتنتج هذه المادة عن تراكم عناصر نباتية متجزئة تعرضت للتنقل ثم عرفت التآكل داخل الماء. والأنسجة النباتية المتراكمة مكونة أساسا من خليوز وخشبين، إضافة إلى مواد ثانوية أخرى.

ويتم فساد المادة النباتية تحت تأثير آليات عدة : أكسجين وأنزيمات وطحالب وبكتيريا. والعملية عبارة عن تدهور للأنسجة بيوكيماوية أساساً، وكيماويا بصفة ثانوية، حيث يتم تدهور الخليوز وتركز نسبي للعناصر المتأصلة من الخشبين وللدهنيات والشمع والصمغ.

وتعتبر طرق ترتيب المواد الفحمية إما الجانب الجيولوجي والكيماوي أو الجانب الصناعي. وأكثرها استعمالا تلك التي تعتبر الأصل الجيولوجي للفحم وتعبر عن مراحل تطوره بمعاملات كيماوية مضبوطة.

الجوانب الجيولوجية : خلال التاريخ الجيولوجي الذي عاشه المغرب، تم تكوين أحواض فحمية من النوعين الساحلي والبحيري، أهمها الحوض الساحلي لجرادة، الوحيد الذي يستغل لإنتاج الفحم. وهو يشغل قلب مقعر هرسيني كبير مكون من أراض من الڤيزي الأعلى والڤسطفالي، ويظهر وسط بهرة ممتدة في سلسلة الهورست، أبعادها 48 × 13 كلم. وداخل هذه السلسلة من التكوينات يقتصر الإنتاج الفحمي على طبقة الڤسطفالي (رقم ج).

تمتد هذه الطبقة على مسافة 8 كم، وتغلفها شرقا رواسب ترياسية وغربا سلسلة ترياسية ولياسية. وتبدأ الطبقة بمستوى رصيصي قاعدي، وتشكل من مجموع سبعة عشر عرقا فحميا، أربعة منها فقط قابلة للاستغلال حاليا، سمك كل واحدة بين 45 و75 سم. والمستويات جد ملتوية ومنكسرة، مما يجعل من منجم جرادة أحد المناجم الأكثر تعقيدا من حيث امكانيات الاستخراج.

معدل الإنتاج حالياً 700.000 طن سنويا. أما المخزون المضمون فيساوي 25 مليون طن، بينما يرتفع المخزون الإجمالي إلى 145 مليون طن.

الإنتاج وتطوره : يتم استخراج الفحم من آبار ومنزلات منحدرة متفرقة. وحتى سنة 1952 كان المنتوج يوجه إلى محطة انطلاق مجهزة بتلفريك طوله 23 كلم في اتجاه مغسل گنفودة، 33 كلم جنوب وجدة. ومنذ 1952 تربط المناجم سكة حديدية تتجه إلى مغسل حاسي بلال ومن هناك إلى خطوط الشبكة الوطنية للسكة الحديدية. وهذا ما يسمح بإرسال الفحم مباشرة بعد عملية الغسل في كل الاتجاهات.

ومنذ بداية الاستخراج إلى الآن، عرف نشاط منجم جرادة المراحل التطورية التالية :

- من 1930 إلى 1951، تطور تدريجي مع معدل استخراج مقداره 15.000 طن سمح بارتفاع الإنتاج سنة 1951 إلى 376.000 طن.

- خلال المرحلة 1951 - 1961، تم انطلاق محطات استخراجية جديدة، منها المغسل الجديد في حاسي بلال. كما انطلق خلال هذه المرحلة خط السكة الحديدية. أما الإنتاج فقد تطور ليصل سنة 1953 إلى 570.000 طن.

- بقي الإنتاج محدودا خلال المرحلة 1960 - 1970، بمعدل 400.000 إلى 450.000 طن.

- وفي السبعينات انطلقت المحطة الكهربائية، كما بدأ الاستخراج من منجم جديد، مما سمح بارتفاع الإنتاج إلى 700.000 طن سنة 1977.

- وخلال المرحلة 1980 - 1988 تم الاحتفاظ على مقدار الإنتاج في مستوى 700.000 طن وذلك رغم نفاذ الحوض الشمالي والاكتفاء بالمحطة الاستخراجية 5 الجديدة. وقد تم التوصل إلى ذلك بسبب الشروع في مكننة عملية الاستخراج وتعميق بئر جديد إلى 800 م.

وسائل الاستغلال : لقد عرفت طرق الاستغلال تطورات هامة. فمنذ الانطلاق، اعتمدت الطريقة المستعملة على الهدم بالمطرقة الآلية والتخشيب بمساند وأعمدة. أما النقل فيتم تلقائيا بالجاذبية داخل ممرات صفيحية، كما يتم حفر الأروقة باستخدام المتفجرات. لكن هذه الطرق تتطلب أعدادا وافرة من الأيدي العاملة مما جعل جرادة تستقبل وافدين عليها من جميع أنحاء البلاد.

وقد تدخلت تدريجيا طريقة الأشرطة الناقلة لتعريض العربات، كما أدخلت منذ 1970 طرق جديدة للاستخراج تعتمد على المكننة قصد رفع الانتاجية. إلا أن المحاولات الأولى توقفت سريعا لأسباب تقنية ومالية، ثم تم القيام بمحاولات أخرى أكثر جدية في السنوات الأخيرة، سمحت بجعل المكننة أكثر انتشاراً داخل محطات الاستخراج.

الدور البشري والاجتماعي لإنتاج الأنتراسيت : تصل ساكنة جرادة حاليا إلى ما مقداره 60.000 نسمة، بينما كانت المنطقة شبه خالية قبل اكتشاف الحوض الفحمي. ويشتغل بالمنجم حوالي 7.600 من هؤلاء السكان، أغلبهم يقطنون في أحياء تملكها الشركة (أكثر من 4.000 مسكن في المجموع).

وتضمن شركة مفاحم المغرب لكل المشغلين لديها ولأفراد أسرهم العلاج الطبي داخل مستشفى ومراكز صحية تملكها إلى جانب عدة تجهيزات اجتماعية (مدارس - مركز ثقافي - ملاعب - مركز اصطياف بالسعيدية - مركز تكوين في الحرف التقليدية - معمل للملابس - ناد للعمال وآخر للمهندسين.

دور الأنتراسيت في تغطية الحاجيات الطاقية للبلاد : منذ انطلاق الاستخراج سنة 1930، انتجت مفاحم جرادة ما يعادل طاقة 14 مليون طن من النفط، يعني بعبارة أخرى الاستهلاك الوطني الحالي من النفط خلال 3 سنوات.

قبل 1970 كان فحم جرادة يوجه أساسا إلى المحطات الكهربائية بوجدة والبيضاء وإلى معمل الإسمنت بمكناس. ومنذ انطلاق محطة جرادة الكهربائية سنة 1971، صار جل الإنتاج يقتصر عليها ولا ترسل إلى محطتي البيضاء ووجدة إلا كميات ضعيفة. وهكذا مثل استهلاك محطة جرادة ما مقداره 9,5 مليون طن ما بين 1971 و1988، من ضمن إنتاج عام ارتفع إلى 13 مليون طن، أي بنسبة 74٪.

أما عن تغطية حاجيات البلاد من الطاقة، فقد كانت تساوي مساهمة فحم جرادة 21٪ سنة 1956 في وقت كانت فيه الطاقة الكهربائية تمثل 18٪ بينما كان المغرب يستورد حوالي 52٪ من حاجياته. وتطورت الوضعية منذ ذلك الوقت بشكل ملحوظ كما يشير إلى ذلك الجدول التالي :

السنة	نصيب الفحم من الطاقة المستهلكة	نسبة الاستيراد
1956	٪21	٪52
1965	٪15	٪58
1974	٪11	٪76
1980	٪ 8	٪83
1982	٪ 9	٪87

أما فيما يخص دور فحم جرادة في تغطية الحاجيات الكهربائية، فإنه يظهر من خلال الجدول التالي :

السنة	نصيب الطاقة الكهروحرارية المنتجة بفحم جرادة	نصيب الطاقة الكهرومائية
1956	٪ 8,5	٪88,4
1965	٪ 9,5	٪89,1
1974	٪38,2	٪48,2
1980	٪26,3	٪32,1
1981	٪29,3	٪12,8
1982	٪ 9,4	٪10,5

تلاحظ تقوية تدريجية لدور الفحم الوطني بعد انطلاق محطة جرادة سنة 1971، بينما نسبة الطاقة الكهرومائية في تراجع سريع وذلك رغم الاستثمارات الهامة المحققة في هذا الميدان بعد الاستقلال.

وثائق مفاحم جرادة.

حماد حضيكي و حسن رحيوي

أنتسيرابي، Antsirabé مدينة صغيرة في جزيرة مدغشقر تقع على ارتفاع 1.500م في سلسلة جبال أنكارانزا على مسافة 170 كلم جنوب أنتنانريفو عاصمة هذه الجمهورية. ويبلغ سكانها بضع عشرات من آلاف النسمات، وهم مزيج من أهل الجزيرة الأصليين والزنوج الإفريقيين

والمهاجرين من الأندونسيين والعرب وقليل من الغربيين الذين استوطنوها منذ قرون.

كانت أنتسيرابي المحطة الثانية التي نفي إليها يوم 29 يناير 1954م جلالة محمد الخامس وأسرته بعد المحطة الأولى وهي زونزا في جزيرة كورسيكا يوم 20 غشت 1953. ظل جلالته منفيا بأنتسيرابي إلى 29 أكتوبر 1955 يوم عودته إلى فرنسا في طريقه لاسترجاع عرشه بعد الاتفاق مع الحكومة الفرنسية على بيان تضمن «الشروع في مفاوضات تتيح للمغرب أن يرقى إلى وضعية دولة عصرية ذات سيادة».

أما السبب في نقل محمد الخامس من كورسيكا إلى مدغشقر فهي الإشاعة التي راجت حول تخطيط جماعة من المقاومين المغاربة لخطفه وترحيله إلى المنطقة الشمالية من المغرب التي كانت تحت الحماية الاسبانية إذ ذاك والتي ظل خليفة السلطان بها على ولائه ولم يعترف بالأمر الواقع الذي ارتكبته فرنسا.

قضى محمد الخامس في منفاه ببلدة أنتسيرابي واحدا وعشرين شهرا ظل خلالها كريما مثلما كان صامدا في الدفاع عن قضية بلاده في الماضي، فلم يقبل التنازل عن المشروعية وعلي أي حق من حقوقها بالرغم من التهديد والوعيد. كان يتابع أحداث مقاومة شعبه الذي استبسل وضحى لإعادته إلى عرشه. ولم تفته فرصة لتحرير المذكرات والتقارير وتوجيه الرسائل من منفاه احتجاجا على ما كان يعانيه شعبه متخذا من نجله سمو ولي العهد مولاي الحسن كاتبه وأمين سره. أما عن سيرته في منفاه، فقد آثر عيشة البساطة وسط العائلة الملكية وبين سكان أنتسيرابي الذين كانوا يعزونه ويقدرونه ويقدمونه عليهم في الإمامة وخطبة صلاة الجمعة.

تعبت الحكومة الفرنسية من مواجهة أعمال المقاومة والفداء التي لم تزدد إلا استفحالا مع مرور الأيام، فلم يُجده تبديل ممثليها ولا ما انتهجوه من أساليب القمع. وسعيا للخروج من المأزق، أخذت حكومة باريس تبحث عن الحل بطرح بدائل لعلاج الأزمة المغربية ـ الفرنسية، من ضمنها إحداث مجلس للعرش واستدعاء مؤتمرإيكس ـ لي ـ بان وإرسال موفدين وبعثات للاتصال بمحمد الخامس واستخراج رأيه في الحلول الممكنة.

من بين كبار المبعوثين الذين أوفدتهم الحكومة الفرنسية إلى أنتسيرابي الأستاذ جورج إيزار محامي محمد الخامس والدكتور دوبوا روكبير طبيبه الخاص. ثم ما كاد ينفض مؤتمر إيكس ـ لي ـ بان في 27 غشت 1955 الذي دعا إليه م. إدغارفور رئيس الحكومة الفرنسية جميع الذين يعنيهم علاج الأزمة من مغاربة وفرنسيين، حتى أوفد الجنرال كاترو الرئيس الأعلى لجوقة الشرف وهنري إيرسيو مدير ديوان وزير الخارجية أنطوان بني. وتوجه على إثرهم بعد ذلك إلى أنتسيرابي الأمير مولاي الحسن بن إدريس صهر محمد الخامس، والسيد مبارك البكاي أحد الذين أبلوا البلاء الحسن في الدعوة لرجوع المشروعية، والحاج الفاطمي بنسليمان الذي كان مرشحا لتأليف أول حكومة للتفاوض. كما توجه وفد حزب الاستقلال برئاسة الحاج عمر بن عبدالجليل ووفد من حزب الشورى والاستقلال برئاسة المحامي الأستاذ عبدالقادر بنجلون.

وبعد العديد من المخابرات بين جلالة محمد الخامس والحكومة الفرنسية عن طريق مبعوثين ووسطاء استمرت عدة شهور، وبعد مشاورات بين جلالته وزعماء الأحزاب السياسية وبعض كبار الشخصيات، بدأ انفراج الأزمة بتنحية محمد بن عرفة الذي نصبته فرنسا على عرش المغرب وترحيله عن الرباط يوم 28 أكتوبر 1955، والإعلان عن قيام مجلس للعرش مقامه، ثم استقدام محمد الخامس من أنتسيرابي إلى فرنسا والاتفاق معه، وأخيرا بعودته إلى الرباط لتولي عرشه من جديد يوم 16 نوفمبر 1955 ومناداته بنهاية الحجر والحماية وبزوغ فجر الاستقلال.

ق. الزهيري، *محمد الخامس الملك البطل*.

Larousse illustré ; *Le Mémorial du Maroc*.

قاسم الزهيري

إنتي، عمر بن يحيى الهنتاتي المشهور كذلك بكنيته أبي حفص. يسميه البيذق فاسكات بن يحيى، ويسميه عبدالواحد المراكشي «عمر بن ومزال الذي كان اسمه قبل هذا فصكه، فسماه ابن تومرت عمر، يعرفونه بعمر إنتي» وسماه ابن قنفذ، نقلا عن المصادر الحفصية ولا شك :«أبا حفص عمر بن يحيى بن عبد الله العمري الهنتاتي». والنسبة العمرية هي بكل تأكيد من مجاملة المؤرخين للدولة الحفصية. والمهم هو أنه ينتمي لإحدى القبائل المصمودية الكبرى هنتاتة التي نوهت بها المصادر وخاصة ابن خلدون إذ يقول عن ابنائها :«ولهم في قومهم مكان بامتناع معقلهم وإطلاله على مراكش». وقد ذكرهم البيذق في المنزلة الثالثة بين القبائل الموحدية بعد هرغة وأهل تينمل.

وهاته المنزلة هي التي حدت بالمهدي إلى النزول بأرض القبيلة لمناعتها واللجوء إلى دار إنتي في سنة 1120/514. وبما أننا لا نعرف تاريخ ميلاد المترجم، فيمكن أن نقدر على وجه التقريب، أنه كان آنذاك شابا يتراوح سنه بين خمس وعشرين وثلاثين سنة، أي أن ميلاده يقع بين 485 و490 هـ. ويذكر *المعجب* أنه كان رابع من انضموا إلى المهدي.

وما لبث المهدي أن لمس نجابته، فأسند إليه قيادة قبيلته في غزوته الرابعة، كما ذكر البيذق. وهكذا واكب أبو حفص دعوة المهدي وشارك فيها مشاركة فعالة منذ بدايتها. ويعتبر ابن قنفذ أن تلك المشاركة كانت فعالة في نجاح دعوة المهدي. فكان أحد أفراد الجماعة أي أصحاب المهدي العشرة الذين كان منهم المجلس الأعلى الذي يرجع إليه تدبير شؤون الدعوة ومحاربة المرابطين. وكان المهدي يقدره كثيرا ويسميه "المبارك" ويقول : لا يزالون بخير ما بقي فيهم هذا الرجل أو أحد من ولده.

وبرزت شخصيته بصورة أقوى عند وفاة المهدي. ذلك أن وصية هذا الأخير كانت تقتضي إسناد خلافته لعبد المومن بن علي الكومي الذي لم يكن ينتمي إلى مصمودة، فكان، إذن، من الحكمة اعتبار اعتراض المصامدة على بيعته وأخذ الحيطة الكافية لتنفيذ وصية المهدي، دون مصاعب. وكان أبو حفص، حسب رواية ابن خلدون، هو الذي أقدم على بيعة عبد المومن ودعوة المصامدة إلى الاقتداء به، وذلك بعد مرور ثلاث سنوات على وفاة المهدي لأن أصحابه تخوفوا من افتراق الكلمة فكتموا موته ثلاث سنين «يموهون بمرضه» إلى أن ظهرت لهم الفرصة المواتية، فكان لمبادرة أبي حفص دور حاسم في تاريخ الدولة الموحدية.

ويقدم ابن خلدون تفسيرا لمساندة أبي حفص لعبد المومن، فيذكر أن هذا الموقف لم يتم إلا بعد أن «صدع الشيخ أبو حفص، أمير هنتاتة وكبير المصامدة لمصاهرته»، فتزوج من بنت عبد المومن .والمصاهرة السياسية من هذا النوع تفتح باب التعاون والتآزر، بحيث نجد المترجم يقوم بأعمال جليلة في عهد عبد المومن ولا يقصّر في الإخلاص والنصح. طبعا، إن أكثرية الجماعة من المصامدة، كانوا يميلون بهواهم إلى بيعة واحد منهم. ولكنهم، كانوا مقيدين بوصية المهدي الذي عين عبد المومن أمامهم وليا لعهده.

بعد ذلك، تبدأ صفحة مهمة من نشاط المترجم في عهد عبد المومن. فنجده يرافقه في مطاردته الطويلة لتاشفين التي دامت سنوات، ويقوم بدور حاسم في القضاء على العاهل المرابطي. فقد وجهه عبد المومن إلى ناحية وهران في بلاد بني ومانو وبني توجين وبني ورسيفن وهي قبائل زناتية كانت معادية للموحدين. فهزمهم ورجع بغنائم كثيرة إلى جهة وهران، حيث كان الحصار مضروبا على تاشفين وجيشه. وضيق أبو حفص الخناق عليه ووصل بجيشه من الموحدين إلى باب الحصن الذي كان التجأ إليه، فأخذوا النوائل التي كانت في محلة تاشفين والحطب وغير ذلك وجعلوها على باب الحصن وأضرموا فيها النار. فأيقن تاشفين ومن معه بالهلاك وبادروا إلى الفرار. وهكذا زهقت رجل فرس تاشفين وسقطت في حافة عظيمة ومات تاشفين سنة 539 / 1145.44.

توجه أبو حفص بعد ذلك للمشاركة في حصار فاس مع أبي إبراهيم. ورافق بعد ذلك عبد المومن وهو في طريقه إلى مراكش. وبعد فتح مدينة سلا، وجهه هذا الأخير لمحاربة برغواطة، الذين هزمهم في تلك الوقعة، وعاد إلى عبد المومن بالغنائم فقسمها على الموحدين وواصلوا طريقهم نحو مراكش.

لم تكن علاقة إنتي الوطيدة بعبد المومن تعني أنه كان خاضعاً له ومنقاداً بدون قيد ولا شرط، بل بدرت منه مواقف تدل على استقلال في الرأي وخلاف مع صاحبه. من جملة ذلك موقفه من مقتل إسحاق آخر ملوك المرابطين. فالمصادر تذكر أن عبد المومن رق له لصغر سنه وكاد يعفو عنه. لكن بعض أشياخ الموحدين صاحوا في عبد المومن محتجين رافضين، وكان من بينهم أبو حفص الذي لم يأبه لغضب الخليفة ولم يتبعه وبقي في مكانه ليحضر مقتل إسحاق. وهذا لا يدل على أنه كان أقسى من عبد المومن، بل أنه كان يختلف عنه شعورا في النظر لهذه القضية. فهو زعيم أكبر قبيلة مصمودية. ومصمودة كان لها عداء قديم ومستحكم مع المرابطين، وكل حلم أو تساهل منه لن يؤول على حقيقته. ومن ذلك موقفه عند مقتل إبراهيم، أخي عبدالمومن. واستقلاله في الرأي وصراحته مع الصدق والإخلاص هي الخصال التي جعلته يحظى باحترام عبدالمومن وثقته. فمن المعلوم أن الدولة الموحدية وجدت نفسها بمجرد قيامها أمام معارضات وثورات، فمن جملة ذلك ثورة عمر بن الخياط في جزولة الملقب بيويكندي الذي انتشرت ثورته في عدد من القبائل مثل حاحة ورگراگة وهزميرة ودكالة. وانهزم أمامه القائد الموحدي ابن بگيت، فخرج إليه أبو حفص وقمع أنصاره وهزمه. وبعد ذلك توجه للانتقام من هسكورة فهزمهم.

وأخطر من هذه الثورة ثورة محمد بن عبد الله الماسي سنة 541 الذي ادعى الهداية واستقر برباط ماسة وتسمى بالهادي. وصادفت دعوته نجاحا منقطع النظير. ولم يبق مع الموحدين إلا مراكش وفاس وارتدت عليهم سائر البلاد كلها، وباتت الدولة القائمة في خطر، ورجعت أول حملة للموحدين منهزمة، فتوجه حينئذ أبو حفص على رأس جيش فيه أشياخ الموحدين إلى رباط ماسة، وهنالك جرت المعركة مع الثائر، انتهت بهزيمة أصحابه ومقتله في الميدان. وبعد ذلك توجه أبو حفص لفرض هيبة الدولة في عدد من الجهات مثل هيلانة وهسكورة وسجلماسة. إلا أنه صادف صعوبات مع برغواطة الذين أصروا على وفائهم للماسي وردوه منهزما عنهم.

كان عمل أبي حفص في السنوات الأولى من قيام الدولة الموحدية يتلخص في قيادة الجنود من أجل تهدئة القبائل وضبط الأقاليم وتوطيد سلطة النظام الجديد في كل الجهات. وكان، في نفس الوقت، هو المستشار الأول لعبد المومن، والوزير الذي يساعده في كل المهمات. فنجده، مثلا، على رأس رجال الدولة الذين ذهبوا سنة 545 هـ لاستقبال وفد الأندلسيين الذين جاءوا للسلام على عبد المومن في مدينة سلا. وفي سنة 546، كان أبو حفص من جملة الأشياخ الذين استشارهم عبد المومن لما فكر في الذهاب إلى أفريقية حين بلغه فساد الأمن بها وعبث الأعراب في ربوعها واستخلف عبدالمومن أبا حفص على مراكش، لما ذهب في تلك الوجهة.

وثمر سنوات لا تتحدث فيها المصادر كثيرا عن المترجم. ونفترض أنه قضاها في مساعدة عبد المومن على توطيد كلمة الدولة سياسيا وعسكريا. ومصادرنا لا تتحدث عادة إلا عما هو بارز ومثير في شريط الأحداث. ومهما يكن، فنستطيع أن نقول إن أبا حفص بدأ يهتم بالأندلس ويتهيأ

لمرحلة مهمة جدا في تاريخ حياته، يمكننا أن ندعوها المرحلة الأندلسية.

هكذا وجهه عبد المومن سنة 1154/546 إلى الأندلس على رأس جيش عظيم من الموحدين وبرفقته السيد عثمان بن عبد المومن لمحاربة النصارى واستنقاذ مدينة ألمرية التي كانوا قد احتلوها. وتمكن الموحدون فعلاً من استعادة المدينة. ويذكر *المعجب*، بكل إيجاز، أن الذي فتح بلاد الأندلس كان هو «الشيخ أبو حفص عمر إنتي» (ص 213) وللباحث أن يتساءل : لماذا قبل عبد المؤمن أن يفترق عن مساعد جرب كفاءته وفائدته ؟ ولماذا جعله مع أحد أبنائه في حملة الأندلس ؟ هل أراد أن يبعده عن جواره حتى يخلو له الجو ويتصرف بحرية في سياسته ؟ هل أراد أن يشغل أبا حفص بمشاكل عويصة في الأندلس عن التفكير في أي طموح سياسي؟ أم ثقته بكفاءته العسكرية والسياسية هي التي جعلته يختاره لتلك المهمة الصعبة ؟.

أسئلة ليس من السهل الجواب عليها لسكوت المصادر عنها. وكل ما نعلم هو أن عبد المومن الكومي كان متضايقا من مراقبة شيوخ المصامدة وتدخلهم. وبرغم العلاقات الوطيدة التي كانت تربطه بأبي حفص، أحد زعمائهم، فإنه، ولا شك، كان يتخوف، في الباطن، من منافسته. كم بقي أبو حفص بالأندلس ؟ لسنا ندري بالضبط، وإنما نلاحظ مشاركته في قمع الثورات التي وقعت بالجنوب المغربي حوالي 549 هـ، ثورات قبائل جزولة ولمطة وهشتوكة الخ... واستمر في عمله إلى جانب الخليفة الذي ازداد تأكدا من إخلاصه كما تدل على ذلك التطورات التي مرت منها قضية ولاية العهد. لقد كان عبد المومن راغبا في إسناد ولاية العهد لابنه محمد، فأوعز إلى بعض القبائل العربية والصنهاجية باقتراحه وترشيحه حتى يتخذ القرار عن طريق الشورى والتراضي، وحتى يظهر براءته من أي قصد سابق. وكان أول من بدأ البيعة هو الشيخ أبو حفص. وهنالك رواية تقول إن أبا حفص كان هو ولي العهد المقرر وأنه تنازل لمحمد بن عبد المومن لما وقع ترشيحه من لدن بعض القبائل.

وتتأكد الثقة بين الرجلين حينما أسند عبد المومن لأبي حفص الخلافة على مراكش، حسب *القرطاس*، لما غادرها متوجها إلى أفريقية على رأس جيش كبير سنة 553. لكن رواية ابن غذارى تعطي لمهامه مجالا أوسع يتجاوز الحضرة المراكشية، إذ يذكر أن عبد المومن «استخلف مكانه على بسائط العدوة الشيخ المذكور المرحوم أبا حفص عمر بن يحيى ليتطلع أمر البلاد الغربية» (*البيان* ص .61)، بمعنى أن النيابة كانت تشمل بلاد المغرب الأقصى بكامله.

بعد ذلك نجده بالأندلس مرة أخرى سنة 555 ليحضر بناء مدينة جبل طارق التي أمر عبد المومن بإقامتها، فكان ضمن الشخصيات التي التقت هنالك بوالي غرناطة السيد عثمان بن عبدالمومن لتدبير هذا الأمر. وحضر عبد المومن في نفس السنة لمشاهدة المدينة في حفل حافل فقام بتعيينات على الولايات بالأندلس، كان من جملتها إسناد ولاية قرطبة إلي أبي حفص. وهي ولاية صعبة نظرا لمجابهتها المستمرة لاعتداءات القشتاليين.

والظاهر أن إنتي ظل قائما في ولايته إلى سنة 558 حيث أصاب عبد المومن المرض الذي مات منه، ذلك أن الخليفة قرر أن يقوم بحملة كبرى في الأندلس، فتوجه على رأس جيش كبير إلى سلا. ودعا سائر القادة والأشياخ من الموحدين والعرب لعقد مجلس حربي هنالك. ولا شك أن أبا حفص حضر في تلك المناسبة. وفي أثناء ذلك مرض عبدالمومن فقرر أن يخلع ولده محمدا عن ولاية العهد لأسباب دعته إلى ذلك وأن يعين بدله ولده يوسف. وقد قام أبو حفص بدور مهم في تلك التغييرات التي حدثت، سيما وعبد المومن على قاب قوسين أو أدنى من الموت. ولما أحس بدنو أجله دعا أبا حفص فأسند إليه وصيته بالوقوف إلى جانب ولي عهده.

وكذلك كان. فما أن توفي عبدالمومن في 10 جمادى الآخرة سنة 15/558 مايو 1163 حتى كان أبو حفص الهنتاتي إلى جانب السيد أبي حفص بن عبد المومن يقوم بتدبير بيعة أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن، فكان أول من شهد بوصية هذا الأخير في شأن ولاية العهد، وقام بدورفعال في جمع المصامدة والموحدين حول الأمير الجديد. فوعظهم جميعا على اختلاف طبقاتهم وذكرهم بالواجب فيما يخص البيعة، دون أن يفشي سر وفاة الخليفة واستعمل في ذلك صنوف دهائه إلى أن افترق الجيش عن مدينة سلا وعاد يوسف إلى حضرة مراكش.

لم يكتف إنتي بذلك، بل إنه سهر بنفسه على تمهيد دولة يوسف بما أظهره من نصح وخدمة متواصلة وملازمة للأمير. فيذكر ابن صاحب الصلاة أنه «لا زم الجلوس والحضور بنفسه في المجلس العالي واقتدى الموحدون - أعانهم الله - به في حسه فشابروا البكور والالتزام على التوالي، فاتصلت الحال واستقامت على الطريقة، وثبتت الأعمال والآمال بالحقيقة» (ص 237).

والذي يثير العجب في شخصية أبي حفص أنه، برغم كبر سنه، ظل يضطلع بالمهام الصعبة ويباشر القيادة العسكرية. فنجده في سنة 560/64 .1165، عند اندلاع ثورة صنهاجة بشمال المغرب الأقصى، يكون أول من قاد جيشا لمنازلة الثائرين الذين اضطروا إلى الاعتصام بجبل الكواكب المنيع. وكان لا بد من القيام بعملية عسكرية كبيرة للقضاء عليهم.

وفي سنة 564 وجهه الخليفة يوسف على رأس جيش كبير إلى الأندلس لمواجهة النصارى الذين شددوا ضغطهم على غرب الأندلس، في جهة البرتغال الحالي، وليكون طليعة للحملة التي كان الخليفة يستعد لها. وعند حلوله بالأندلس قرأ على أهلها رسالة الخليفة بقصد إعلامهم وتطمينهم. وما هي إلا أيام حتى كتب إلى يوسف يبشره بانتصار الموحدين على «هنريكز» (ابن الرنك)، ملك البرتغال وإنقاذ مدينة بطليوس من خطر الاحتلال.

ولما انفصل ابن همشك عن صهره ابن مردنيش بعد إهانة هذا الأخير له، لم يجد لنفسه ملجأ للدخول في طاعة الموحدين إلا عن طريق أبي حفص الذي وقف إلى جانبه وكتب في شأنه إلى الخليفة سنة 564. وانتهى به الأمر إلى أن جاء في صحبته إلى أشبيلية ليسلم على السيد أبي حفص شقيق الخليفة القادم من المغرب وبذلك انتهى عصيانه.

وفي سنة 566 حضر إنتي مجلسا حربيا انعقد من أجل القضاء على ابن مردنيش الذي كانت حركته بلغت حدا كبيرا من التدهور. وفي السنة الموالية قرر هلال ابن مردنيش الاستسلام والدخول في طاعة الموحدين فالتجأ هو الآخر إلى أبي حفص ووفد على الخليفة إلى أشبيلية في موكب فخم ليعلن ولاءه.

كان أبو حفص في ذلك الوقت قد بلغ من الكبر عتيّاً لكنه ظل، مع ذلك، نشيطا ومعتمدا لدى الخليفة وولاة الأندلس في المشورة وكل ما يخص القضايا الشائكة والمستعصية. فنجد ابن صاحب الصلاة ينوه برأيه وينسب إليه الانتصار الذي وقع بغزوة السبطاط سنة 568.

توفي إنتي سنة 571 / 1175 وهو عائد من قرطبة إلى المغرب، وهي السنة التي حدث فيها الطاعون والوباء وأتى على عدد كثير من سكان البلاد. وقد أصابه الموت قرب مدينة رباط الفتح، فدفن بها، بعد أن قضى حياته كلها في خدمة الدعوة الموحدية والدولة الناشئة عنها، بحيث إن حياته الشخصية كانت مندمجة مع حياة الدولة. وهذا ما جعل ذريته من بعده تتبوأ مكانة خاصة بين الموحدين وتترشح بدورها لتأسيس دولة كان لها شأن في تاريخ أفريقية هي الدولة الحفصيّة.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ع. ابن عذاري، *البيان* ؛ م. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6 ؛ م. ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ أ. المقري، *نفح الطيب* ؛ م. ابن أبي دينار، *المونس* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

أنتيفة ← نتيفة

أنجّار. أحمد بن إبراهيم البوگرفاوي، كان في أيت باعمران كقرينه أعْجّلي بجبال جزولة، فكلاهما رفع راية الروايات السبع، وحظي بانتشار التلاميذ الذين تخرجوا به مع صلاح واعتقاد الناس فيه. نجهل كل شيء عن حياة أحمد أنجار، وعن شيوخه الذين أخذ عنهم، وكل ما نعرف أنه كان قطبا من أقطاب هذا الفن، يحفظ العشر الكبير وتخرج على يديه كثيرون. وكان للشيخ أنجّار ثلاثة أحفاد يتقنون القراءات السبع خلفوه في أداء رسالة هذا الفن.

ومن آثاره القرآنية : منظوم في الإرداف أسماه *بستان المبتدئ*. وجمع القراءات وإرداف بعضها على بعض من الموضوعات التي ابتدعها المغاربة والأندلسيون، ولم يكن السلف يجمعون بين الروايات في ختمة، بل يقرؤون كل رواية على حدة، وإنما حدث ذلك أثناء المائة الخامسة للهجرة على عهد الداني، ومكي، والأهوازي، والهذلي، ومن بعدهم. وله أيضا *تأليف في رمزية الشامي* مع اثنين من أصحابه، وكان لأهل سوس والصحراويين بعامة اعتناءٌ خاص بحرف الشامي ورواته. والرمزُ في القراءات من صنع المغاربة كذلك، لا تعرفه مدارس المشرق العربي، ولعل أول من اخترعه أبو القاسم الشاطبي. وتفنن المغاربة في هذا الميدان، ووضعوا مؤلفات في ذلك اختصروا فيها وجوه القراءات، وظهرت ـ أخيرا ـ مدرسة العدد، فأضافت إلى رموز القُرّاء عدد وجوه القراءات، واختلاف الروايات.

ولأحمد أنجار أيضا *منظومة في مجاعة عام 1266*. وأخرى في *عرف سقاية أگلو*، و*مؤلف في الطب* وخصائص الأسماء الحسنى. توفي أحمد أنجّار عام 1869/1286.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 5 ؛ *خلال جزولة*، ج 1 ؛ *سوس العالمة* ؛ ابن الجزري، *النشر في القراءات العشر*، ج 2 ؛ السفاقسي، *غيث النفع في القراءات السّبع*، ص 10 ـ 11 ابن القاصح على *الشاطبية* ؛ ط. مصطفى محمد بمصر 1934/1352 ؛ س. أعراب، *دعوة الحق*، س17، ص 73 ـ 75.

سعيد أعراب

أنجرة، تقع قبيلة أنجرة على مشارف مضيق جبل طارق وفي المنطقة المتراوحة ما بين مدن طنجة وسبتة وتطوان، وتبعاً لذلك فهي تشكل إحدى قبائل ما يعرف في الفترة المعاصرة بجبالة. لقد ورد ذكر سكانها منذ القديم في كتابات جغرافيين ومؤرخين على أنهم من سلالة المصامدة (*المسالك*، 104)، أو باعتبارهم مندرجين ضمن بطن مجكسة، فغمارة، ثم قبائل المصامدة كانتماء أوسع (*العبر*، 436). كذلك تمت الإشارة، منذ تلك الفترة، إلى بعض معالمها البارزة كمرسى باب اليم أو قصر مصمودة من حيث كان يتم العبور إلى بلاد الأندلس، وكذا جبل موسى، وجزيرة ثورة وقرية بليونش.

إلا أن تسمية أنجرة ورد ذكرها لأول مرة في القرن السادس عشر، وذلك في *وصف إفريقيا* لصاحبه الحسن بن محمد الوزان الفاسي. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن كلمة أنجرة، جمع أنجر، تشير إلى المخطف الذي ترسو به السفينة فسنفهم آنذاك أن هذه التسمية لم تخرج ربما للوجود إلا عندما كثرت المراسي وتزايد استعمال الشواطئ الرملية على امتداد الساحل ما بين طنجة وسبتة (*الزيد* : 40). وتسمية الأرباع الثلاثة التي تتشكل منها قبيلة أنجرة ـ الغابويين والبحراويين والبرقوقيين ـ هي أيضا بدورها، لا تشير إلى انتماء نسبي بقدر ما تشير إلى إطار جغرافي.

يشمل ربع البرقوقيين، أو القبيلة كما يسميه بعض الأنجريين في الوقت الحاضر، المداشر الداخلية في أنجرة البالغ عددها 38 مدشراً. مركزه الرئيسي هو سوق خميس أنجرة. ربع البحراويين، الممتد على الساحل فيما بين طنجة والقصر الصغير، يشتمل على 38 مدشرا، ملوسة هي مركزه

الرئيسي وبها ينعقد السوق الأسبوعي كل يوم اثنين. أما ربع الغابويين، الساحلي كذلك، فإنه يمتد ما بين سبتة والقصر الصغير - يتكون من 36 مدشرا، ويلتقي سكانه أسبوعيا في سوق ثلاثاء تغرمت (*La Kabila*, 18, 32, 49). يتعلق الأمر إذن بقبيلة كبيرة يمثل حجم كل ربع من أرباعها ما يعادل حجم قبيلة بكاملها في مناطق أخرى - أما مجموع مداشر أنجرة فيبلغ 112 مدشراً موزعة بصفة متوازنة نسبياً على أرباعها الثلاثة، وبالرغم من أن هنالك تفاوتاً في مساحة كل منها، فقد استجاب التكوين القبلي مع ذلك لمقتضيات التوازن بين الأرباع، وتضمن الأسس الإيكولوجية لاستقلالها النسبي، بحيث إن كل الأرباع الثلاثة تتوفر على نسب متقاربة من الأرض السهلية والجبلية، فالغابويون، كما يتجلى من التسمية ذاتها، ربع ذو طابع غابوي وجبلي واضح، ومع ذلك فإنه يشتمل على سهل الفنيدق ووادي الرمل والقصر الصغير ؛ وربع البرقوقيين الذي تحتل الهضاب والمرتفعات جزءا واسعاً نسبياً من مساحته، يتضمن في نطاقه حوض خميس أنجرة؛ ويمكن إبداء نفس الملاحظة بخصوص ربع البحراويين الذي يتضمن، إلى جانب بعض المرتفعات، مساحات زراعية خصبة بوادي ملوسة ووادي أليان وسيدي قنقوش.

وفي جل مداشر أنجرة نجد كذلك مزاوجة بين الملكية العائلية الخاصة، والملكية الجماعية التي تشكل في أغلب الحالات ملحقة تابعة لها.

إن ما يثير انتباه الزائر لأنجرة هو وعورة تضاريسها والتواء مسالكها، إضافة إلى طغيان المرتفعات في ربوعها، مما جعل موارد القبيلة تتمثل في الغابات والمراعي أكثر مما تتمثل في الأراضي الصالحة للزراعة - ثم إن مناخها ذو طبيعة متوسطية واضحة حيث تنقسم السنة إلى فصلين رئيسيين، أحدهما رطب ومعتدل والآخر جاف وحار، مما وجه الفلاحين الأنجريين عموماً نحو المزروعات التي تنتهي دورتها الفلاحية قبيل فصل الصيف، وحملهم على التعلق، فيما يخص الفاكهة، بالأشجار ذات القدرة على مد عروقها الطويلة في باطن الأرض بحثا عن المياه الضرورية كأشجار التين والزيتون والخروبة والرمان...

إلا أن ما يميز هذه المنطقة بوجه خاص هو قوة الرياح الشرقية التي تؤدي في كثير من الأحيان إلى إتلاف جزء من النباتات والمحاصيل الزراعية، وكذا إلى وضع عوائق إضافية على مستوى العمل والتنقل وترميم سقوف المساكن. وإذا أضفنا لذلك بدائية وسائل وطرق الإنتاج المعتمدة آنذاك من لدن الأنجريين، فسنفهم روايات بعض مسنيهم حول المجاعات التي تعرضت لها القبيلة فيما مضى، واضطرار سكانها، من حين لآخر، إلى استجلاب الزرع من قبائل الغرب.

إن موقع هذه القبيلة كأقرب نقطة جغرافية إلى أوربا فرض على سكانها أن يكونوا باستمرار ضمن الخطوط الأمامية في مقاومة الأجنبي - لقد شكل احتلال سبتة منطلقاً لمواجهة مستمرة مع الإسبان بلغت أوجها إبان حرب تطوان سنة 1860 م. وحيث إن تصدي الأنجريين للمحتلين الإسبان كان السبب المباشر في اندلاع هاته الحرب، بما نجم عنها آنذاك من فسح المجال أمامهم لاحتلال أجزاء أخرى من التراب المغربي، وفرض تعويضات مالية أثقلت كاهل السكان خلال سنوات طوال، فقد عمد المخزن، محاولة منه تلافي ما من شأنه أن يمنح الأجانب ذريعة إضافية للتدخل السياسي والعسكري، إلى إبعاد القبيلة تدريجيا عن التعامل المباشر معهم وسحب المبادرة منها في هذا المجال.

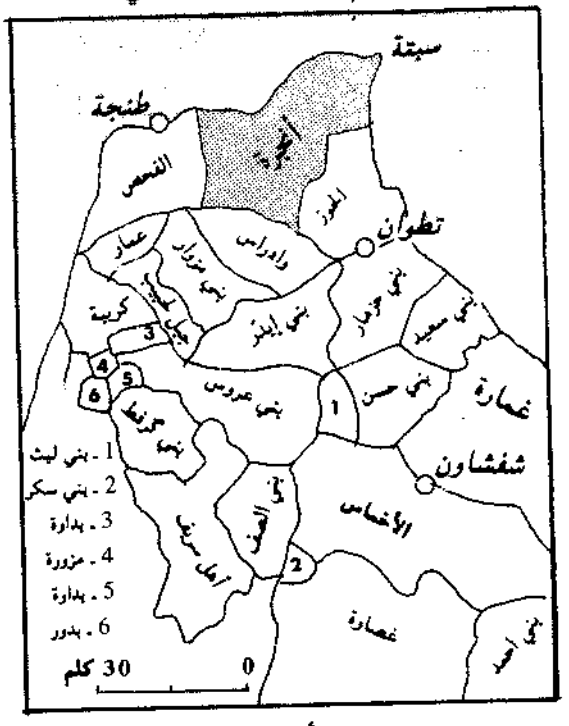

أنجرة

بتنحية الأنجريين عن «حدادة» سبتة وحراسة المراكز الساحلية وتعيين حكام من خارج القبيلة - ثم إن جوار مدينة طنجة، حيث كان يوجد آنذاك ممثلو العديد من الدول الأوربية، زاد من حساسية الأنجريين للضغوط الأجنبية ومنحهم مبررا إضافياً للتكتل القبلي، لقد كانت العلاقة بالأجنبي، عند أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هي المحور الأساسي للصلات المتقلبة والغير منتظمة ما بين أنجرة والمخزن، بحيث إن جل الأحداث والمعاملات، سواء منها المرتبطة بالجباية أو العصيان أو الزعامة المحلية وبالهجوم على المدن المجاورة، كانت تكتسب دلالتها إلى حد بعيد في سياق ردود الفعل الأنجرية تجاه التسرب الأجنبي، والتي لم تكن مماثلة، على مستوى الأسلوب المعتمد، لتلك التي انتهجها المخزن، بل إن طبيعة البنية القبلية نفسها وبما كانت تستند إليه من آليات التماسك والالتحام الداخلي، كانت تكتسب دلالتها، ولو جزئيا، في سياق ما شكله الحضور الأجنبي من تهديد لاستمرار الحياة القبلية.

إن العلاقات الانقسامية في أنجرة، مع أنها كانت منتشرة عبر مختلف مستويات السلم القبلي، فإنها لم تكن مع ذلك المحدد الوحيد لطبيعة السلطة في القبيلة، ولا للاستمرار النسبي للعلاقات الاجتماعية، وذلك لأن الجهاز المخزني كان فاعلاً ومؤثراً بدوره في أوضاع القبيلة، إما عبر ممثليه في المنطقة، أو عبر صلحاء مرموقين توكل إليهم مهام الوساطة وتهدئة الغليان القبلي، من ضمن هؤلاء يمكن أن نذكر مثلا الشرفاء البقاليين وأولاد أبي العيش والشرفاء الوزانيين، وفي هذا السياق كادت أنجرة بمحاولة من بعض الأعيان، لتعزيز موقعه السياسي بين المخزن وحماته الأجانب أن تقع مبكراً تحت الحماية الأجنبية، هذا إضافة إلى كون تحكيم الصلحاء وتأسيسهم لزوايا تخطى إشعاعها حدود القبيلة الواحدة، شكل تعديلا حقيقيا في تنظيمها الانقسامي، وأدى إلى استحالة حصول أي تطابق ما بين الجغرافية القبلية والجغرافية الدينية. لقد كسرت الزاوية البقالية والوزانية والدرقاوية والتجانية (*Recuerdos*, 39) الحدود والفواصل الضيقة للانتماء القرابي والقبلي للأنجريين ،وفتحت أمامهم مجال التعايش، ضمن إطار ديني ـ سياسي مشترك، مع جماعات ذات انتماءات قبلية متباينة ـ وأبعد من ذلك، صارت القبائل الجبلية، بما فيها أنجرة، تلتقي في ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش كلما اقتضتت منها الظروف التماس مباركة الولي الصالح لتصالح حاصل، أو لخطوة قادمة في إطار التعبئة للجهاد، أو مواجهة خصم خارجي ـ من ذلك مثلا اجتماع ممثلي قبائل أنجرة وبني عروس وودراس والحوز وبني حزمر وبني معدان.... بالضريح المشيشي تحت إمارة الخليفة المنشق عن حركة بوحمارة محمد بن الحسن الحياني، حيث تم اتخاذ قرار الهجوم على تطوان سنة 1903م (*Miscelanea*, 68 - 69 ; *Le siège*, 274 - 275). وما كان الأنجريون ليشاركوا في هذا التحالف القبلي لو لم يكن الدعي بوحمارة قد أوحى لهم في البداية بأن ماهم مقبلون عليه هو ضرب من الجهاد ضد اليهود والنصارى وعملائهم من سكان المدينة، مستغلا بذلك ما كان يعتمل في نفوسهم من سخط واستياء، سواء إزاء تعدد أشكال التدخل الأجنبي في المنطقة، أو من جراء الانعكاسات المجحفة للمبادلات اللامتكافئة فيما بين المدينة وأحوازها.

أما الشريف مولاي أحمد الريسوني، فإذا كان قد تمكن من فرض سيطرته على العديد من القبائل الجبلية في السنوات السابقة مباشرة لإقرار نظام الحماية، فقد لقي في أنجرة، على هذا الصعيد، أشد أشكال الاعتراض والمناوأة، وتعذر عليه تبعاً لذلك، إدراجها ضمن دائرة نفوذه.

لم يكن الاستعمار الاسباني، إلى حدود نهاية حرب الريف، في هذا المجال أحسن حظاً من الشريف الريسوني، ذلك أن السكان قاوموا بضراوة التدخل الإسباني في أنجرة، وساهموا بحظ وافر في تدعيم الثورة الريفية، ولقد تحمل الأنجريون في ذلك صعاباً جمة حيث اضطروا حينئذ إلى التخلي عن مزروعاتهم ومغادرة سكناهم باتجاه الكهوف والجبال. ولم تمر سوى سنوات قلائل على التهدئة العسكرية حتى وجد الأنجريون أنفسهم محاصرين بعدة من الفرق والآليات العسكرية والثكنات جاثمة في جهات مختلفة من قبيلتهم، مما يعني أن أنجرة لم تكن، من وجهة نظر الإسبان، مورداً اقتصاديا بقدر ما كانت موقعا استراتيجيا. هذا إضافة إلى الوصاية التي فرضها الإسبان على المؤسسات والهياكل القبلية التي تحولت، من جراء ذلك، إلى مجرد قوالب متدهورة.

وفي فترة الاستقلال شهدت أنجرة تقسيمات إدارية جديدة اخترقت إلى حد ما الحدود القبلية القديمة، واستحدثت جماعات قروية اجتمع في نطاقها الأنجري والودراسي والأنجري والحوزي، وتعاظمت ظواهر التجارة غير القانونية على امتداد الحدود الفاصلة بين أنجرة وسبتة، كما برزت حركة هجرة مكثفة نحو البلدان الأوربية والمدن المجاورة بصفة خاصة، وأدى التزايد الديمغرافي إلى إختلال مثير للتوازن ما بين الإنسان والموارد، إلى حد أصبح معه من المشروع أن نتساءل حول ما إذا كان النشاط الفلاحي يشكل حاليا قاعدة أو استثناء في حياة الأنجريين.

البكري، *المسالك والممالك* ؛ ابن خلدون، *العبر* ؛ التهامي الوزاني، *الزيد... وما ينفع الناس*، دعوة الحق،3، 1970 ؛ م. الهراس، *تطور الهياكل القبلية شمال غرب المغرب، أنجرة كنموذج*، أطروحة السلك الثالث، كلية الآداب، الرباط يونيو 1984.

A. Moulières, *le Maroc inconnu* ; A. Joly, *Le siège de Tétouan par les tribus des djeballah 1903 -1904*, AM, 1905 ; Ricardo Ruiz, *La Kabila de Anyera*, Boletin de la Real Sociedad Geografia, tomol, Madrid, 1908 ; Garcia Figueras, *Miscelanea. de estudios varios sobre Marruecos*, Madrid, 1950 ; Enrique Lopez Ortiz, *Recuerdos de Anyera*, Biblioteca Nacional, Seccion de Africa, Madrid, 1951.

المختار الهراس

الأنجري، أسرة صنهاجية سبتية لعلها من حفدة سعيد بن ميمون الصنهاجي الذي بعث به عبدالمومن بن علي الموحدي سنة 1154/549 مع ولده عثمان حين ولاه سبتة وطنجة. وقد احتفظ هؤلاء الصنهاجيون بنسبتهم القبلية الأصلية، وأضافوا إليها نسبة جديدة إلى سبتة. ويبدو أنهم خرجوا إلى قبيلة أنجرة بعد أفول نجم الموحدين فنسبوا إليها أيضاً، وغلبت عليهم هذه النسبة. ويعرف منهم في العهد المريني :

الأنجري، سعيد الصنهاجي السبتي. فقيه مجتهد اشتغل بالفتوى وتدريس الفقه والحديث بمسجد القفال وبالجامع الأعظم بمدينة سبتة. وطال عمره وانتفع به الناس إلى أن أدركته الوفاة وقد نيف على التسعين، في المحرم من سنة 789/ يناير ـ فبراير 1387.

الأنجري، علي الصنهاجي السبتي، فقيه صالح زاهد، اشتغل بتدريس فروع الفقه المالكي في مسقط رأسه سبتة متنقلا بين مسجد مقبرة زجلو ومسجد زقاق الحرة وجامع التبانين من الربض الأسفل. وكان ينزوي بعد التدريس في

الخلوات ويأوي في أكثر الأوقات إلى الرابطة التي بالسواني من أعلى زقاق شوار الأسفل وفي قالة البساتين من ناحية الحافة ملتقطا البقل يتعيش به.

وقد انتقل في اخر عمره إلى فاس حيث وافته المنية في ربيع الأول عام 814/ يونيه - يوليوز 1411.

الأنجري، محمد بن سعيد الصنهاجي السبتي، عالم كبير درس في المدرسة الجديدة بسبتة ثم جاز إلى الأندلس فقرأ على أعلام غرناطة أمثال أبي سعيد ابن لب، ومحمد الحفار ومحمد بن بكر وأجازوه. ولما رجع إلى سبتة عُين إماما في المدرسة الجديدة ومدرساً بكرسي أبيه سعيد في مسجد القفال. وكان حافظاً لمذهب مالك، يستظهر مختصر ابن الحاجب، متضلعا في الحديث ملازما لتدريس صحيح *مسلم بإكمال* القاضي عياض، وسيرة ابن اسحاق، وعقيدة *رسالة* ابن أبي زيد «بفصاحة منطق وحسن إلقاء من غير تلعثم ولا ترجيع ولا تكرار[...] وكانت عنده قوة حافظة يحصل بها على ما ينصه من ذلك لأول وهلة وأقرب وقت» (*بُلغة*، 45) كما انتصب للشهادة في سماط العدول ملحوظا من طرف حاكم المدينة إلى أن أقعده المرض مدة ومات في العشر الأواخر من ربيع الأول عام 803/نونبر 1400 ودفن بمقبرة أحجار السودان.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، 194 ؛ مجهول، *بلغة الأمنية*، 39-47.

محمد حجي

إنْدغْرتيتْ، كان التحالفان أو اللفان (إمْقُرنْ) الكبيران لقبائل الأطلس يجمعان جميع الوحدات السياسية الصغرى المنتمية للقبائل المستوطنة ما بين ممر بيباون غربا وممر تلوات شرقا. ففي قبائل سكساوة ودمسيرة ومزوضة وگدميوة كان الحلفان المذكوران يسميان «إنْدغْرتيت» و«إمْسيفْرنْ». أما عند وزگيتة جبل كيك وغيغاية ووريكة وگلاوة فكان أحدهما يسمى «أيْتْ فاضْمْتْ» ويسمى الثاني «أيت تْزگّوتْ». أما قبائل وادي نفيس فكانت مقسمة إلى «أيت عثمان» و «أيت إراتْنْ». أما على السفح الجنوبي للأطلس بين بلد إدا وزّالْ ومنابع واد سوس فقد كانت القبائل مقسمة إلى حلف «أيت زوليط» وحلف «إداوزداغ»، ظل هذا التقسيم معمولا به إلى الثلث الثلث الأول للقرن العشرين، ولعل إندغرتيت تعني المستقرين الأقدمين مقابل الوافدين الأحدثين.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*.

أحمد التوفيق

الأندلس والمغرب، إن الصلات بين المغرب الأقصى والأندلس قديمة ترقى إلى التاريخ القديم، وهي صلات فرضتها طبيعة الجوار وأملتها المعطيات الجغرافية، وليس من شرطي في هذه الفقرة أن أعرض لشيء من مظاهر الصلات بين البلدين المتجاورين فيما قبل الإسلام غير أني أود الإشارة إلى رواية ترجع إلى الماضي السحيق حفظتها ذاكرة الأجيال ورددتها كتب الجغرافيا الإسلامية ورواها الإدريسي في (*نزهة المشتاق*، ص 526) كما يلي :

«وكان أهل المغرب الأقصى من الأمم السالفة يغيرون على أهل الأندلس فيضرون بهم كل الإضرار، وأهل الأندلس أيضا يكابدونهم ويحاربونهم جهد الطاقة إلى أن كان زمن الإسكندر، ووصل إلى أهل الأندلس فأعلموه بما هم عليه من التناكر مع أهل السوس فأحضر الفعلة والمهندسين، وقصد مكان الزقاق، وكان أرضا جافة، فأمر المهندسين بوزن الأرض ووزن سطوح ماء البحرين ففعلوا ذلك فوجدوا البحر الكبير يشف علوه على البحر الشامي بشيء يسير، فرفعوا البلاد التي على الساحل من بحر الشام ونقلوها من أخفض إلى أرفع، ثم أمر أن تحفر الأرض التي بين بلاد طنجة وبلاد الأندلس، فحفرت حتى وصل الحفر إلى الجبال التي في أسفل الأرض، وبنى عليها رصيفا بالحجر والجير إفراغا، وكان طول البناء اثني عشر ميلا، وهو الذي كان بين البحرين من المسافة والبعد، وبنى رصيفا آخر يقابله مما يلي أرض طنجة، وكان بين الرصيفين سعة ستة أميال فقط. فلما أكمل الرصيفين حفر للماء من جهة البحر الأعظم فمر ماؤه بسيله وقوته بين الرصيفين ودخل البحر الشامي ففاض ماؤه عليه وهلكت بذلك مدن كثيرة كانت على الشطين معا وغرق أهلها وطغى الماء على الرصيفين نحو إحدى عشرة قامة».

ومهما يكن الطابع الأسطوري لهذه الرواية فإن ما يهمنا منها هو دلالتها على نوعية العلاقة بين العدوتين في الأزمنة القديمة، وهي علاقة عدائية دعت، حسب الأسطورة، إلى القيام بعملية فصل قاري أي عكس عملية الربط القاري التي تتجه إليها الأنظار اليوم.

وإذا نظرنا إلى العلاقة بين المغرب الأقصى والأندلس خلال العهد الإسلامي وجدنا أنها كانت علاقة عضوية حسب التعبير الشائع، وقد بدأت منذ الفتح الإسلامي للأندلس. ومن المعروف أن جيش الفتح كان معظمه من المغاربة وعلى رأسه طارق بن زياد المغربي، وما إن سمع الناس من أهل بر العدوة بخبر ذلك الفتح العجيب حتى لحقوا بطارق وأقبلوا نحوه من كل جهة ، وانتشروا في أرجاء الجزيرة، وظلوا يتوافدون بعد ذلك، وغدوا يكونون عنصرا نشيطا في الحياة الأندلسية وعضوا فعالا في بنيتها الاجتماعية، وقد استقر عدد كبير من هذا العنصر الفاتح من بربر المغرب الأقصى في الثغور الشمالية، وكان لهم الفضل الأكبر في حمايتها ودرء الخطر عن المسلمين في الأندلس زمنا طويلا، وهكذا ظهر الوجود المغربي في الأندلس قويا بعد الفتح وطوال عصر الولاة.

وعندما قامت دولة الأمويين بالأندلس كان للعنصر المغربي إسهام كبير في قيامها، إذ أن أحوال عبدالرحمن الداخل من البربر هم الذين سهلوا له الوصول إلى الأندلس وساعدوه على بلوغ الهدف، وكان لانضمام القبائل البربرية إليه أثر حاسم في ترجيح كفته ونجاح أمره، وقد ظل

الأمويون معترفين بهذا، وكانوا يعينون في عدد من الخطط الكبيرة والوظائف السامية أعلاماً من العائلات البربرية الأصل كبني وانسوس وبني الزجالي وغيرهم، وكان العنصر البربري يستخدم دائما في الجيش طوال هذا العصر الأموي، بل أصبح هو الغالب في زمن الخلافة الأموي والحجابة العامرية. ونبغ في العلوم والآداب خلال هذا العصر في الأندلس عدد كبير من ذوي الأصول المغربية من أمثال يحيى بن يحيى وذريته ومنذر بن سعيد وأولاده وأبي موسى الهواري وعباس بن فرناس وابن دراج القسطلي وغيرهم كثير كما تشهد بذلك كتب الطبقات. وأما إسهام هذا العنصر المغربي في الفلاحة والصناعة والعمارة في هذا العصر أيضا فهو شيء تشهد له النصوص وتؤكده الوثائق، وإذا كانت كفة الأندلس في الميزان السياسي راجحة خلال عهد الخلافة والحجابة العامرية حيث غدت العدوة تابعة للأندلس أيام عبدالرحمان الناصر والحكم المستنصر والمنصور بن أبي عامر، فإن كفة المغرب ستصبح هي الراجحة طوال العصور التالية. فمن المعروف أن الأندلس بعد فترة الطوائف قد اندمجت في الأمبراطورية المرابطية و الموحدية أي خلال أكثر من ثلاثة قرون، كما أن دولة بني نصر في مملكة غرناطة لم يكن لها أن تكون لولا بنو مرين، وقد كان لهذا الاندماج آثار لا تحصى ولا تعد في الأندلس والمغرب، وتم تفاعل كبير بين البلدين والشعبين في مختلف المجالات، وكثر التزاور والتنقل بين العدوتين، ووقعت هجرات متعددة مع تغير في ناموس الهجرة، إذ أن اتجاه الهجرة أصبح من الأندلس إلى المغرب بعد أن كانت الهجرة في القرون الأولى تتجه من المغرب إلى الأندلس. ويمكن تكوين فكرة عن هذه الهجرات من تتبع الأعداد الهائلة من العلماء الأندلسيين الذين انتقلوا إلى مراكش وفاس وغيرهما، وذلك من خلال كتب التراجم، وظلت وتيرة الهجرة من الأندلس إلى المغرب في تزايد إلى أن بلغت نهايتها القصوى بعد جلاء المسلمين الأخير عن الفردوس المفقود.

وقد ظهر أثر ذلك كله في النواحي الثقافية والاجتماعية والاقتصادية سواء في الأندلس أو في المغرب، وما زلنا في المغرب إلى يومنا هذا نعيش مظاهر ذلك التواصل الذي كان بين المغرب والأندلس رغم مرور قرون على ضياع الأندلس. وما تزال آثار مادية ومعنوية مغربية في إسبانيا إلى اليوم شاهدة على الوجود المغربي الذي كان هناك، وتعدادها مما لا تتسع له هذه الفقرة ؛ وما يزال كذلك تراث الأندلس محفوظا ومستمرا في المغرب، تمثله الأسر الأندلسية الأصل في عدد من الحواضر والقرى، ونراه في العمارة والموسيقى والطبيخ وغيرها من رقائق الحضارة، وامتزج هذا التراث الأندلسي بالتراث المغربي فأصبحا تراثا مركبا تركيبا مزجيا. وأما تفاعل المغرب والأندلس في مجال العلوم والآداب فحدث عن البحر ولا حرج.

ولقد كان من نتائج هذا التعايش الطويل بين الأندلسيين و المغاربة ظهور لون من الأدب أطلق عليه اسم أدب المنافرات بين العدوتين وهو يتمثل فيما كان يثور بين أدباء البلدين من مفاخرات وصل إلينا بعضها وضاع بعضها الآخر مع الأسف، وهي تعكس صراعا طبيعيا كثيرا ما يقع بين سكان بلدين متجاورين نتيجة الاحتكاك.

وفيما يتعلق بالمنافرة بين العدوتين يمكن أن نقول إن الأندلسيين كانوا على العموم هم البادئين بالتجني على أهل العدوة الذين كان لهم الحظ الأوفر في فتح الأندلس والإسهام في بناء حضارتها أولا ثم الذود عن حماها والمحافظة على بقاء الإسلام فيها ثانيا.

لقد كان ما وصل إليه الأندلسيون من حضارة وعمران في عهد الأمويين من بواعث تبجحهم على أهل العدوة، ثم زاد شعورهم بالاستعلاء حينما أتيح لهم بسط نفوذهم على المغرب في عهد عبدالرحمان الناصر ومن جاء بعده. أما تعاملهم على المغاربة أو ذوي الأصول المغربية في الأندلس فنجد بواكيره في بعض ما قاله الشاعر يحيى الغزال، كما نلمس أماراته في قصائد الزجالي والإسكندراني. وقصة ابن وانسوس مع الأمير عبد الله الأموي، ومعاملة الطنجيين الذين كانوا في جيش الناصر، ولعلنا نراه بشكل أكثر وضوحا في تلك القصائد التي أنشدها شعراء الحكم المستنصر بمناسبة تغلبه على بقية الأدارسة بالمغرب.

ويبدو أن المفاخرات - بمعناها الدقيق - بين الأندلسيين والمغاربة لم تبدأ إلا في عصر الموحدين، وأول المفاخرات أو المفاضلات المدونة التي وصلت إلينا تلك التي جرت بين أبي الوليد الشقندي وبين أبي يحيى بن المعلم الطنجي.

ومما يلفت النظر في هذه المفاخرة أنها كانت بانتداب من أحد أمراء الموحدين المستنيرين وأن الطرف المفاخر بالأندلس فيها كان قاضيا في خدمة الموحدين، مما يشعر بإنصاف هؤلاء في رعايتهم للعدوتين. كما أن القاضي الأندلسي كان ذكيا في استغلال المس بيوسف بن تاشفين انتصارا لبلده وانتصافا لها من جهة، وتزلفا للموحدين الذين كان يرضيهم ذلك من جهة ثانية. ولكي يضمن الإعفاء عن عصبيته الأندلسية من قبل أهل الدولة التي كان يعيش في ظلها لم يجد بدأ من تضمين مفاخراته بعض كلمات المجاملة أو المداراة في جانب الدولة الحاكمة : «فلولا هذه الدولة، لما كان لكم على الناس صولة».

ومن مظاهر سماحة المغرب أنه كان دوما يغص بالكتاب والقضاة والوزراء وغيرهم من الأطر الأندلسية، حتى لكأن القاعدة كانت تقديم الأندلسيين على المغاربة في الخطط والوظائف بينما قامت حملة قلمية اشترك فيها ثلاثة من أعلام كتاب الأندلس في القرن السابع ضد أديب مغربي فاسي اتخذه أحد أمراء الأندلس كاتبا له، ويستغرب ابن سعيد استخدام ابن الأحمر الأول لأحد حفاظ الموحدين وهو محمد ابن خطاب الهنتاتي فيقول : وكان من النادر أن اصطفاه رئيس الأندلس في عصرنا أبو عبد الله بن الأحمر

فصيره كالعلم، وقلده مهماته ما بين خطتي السيف والقلم.

ويوجد في العصر المريني ثلاثة نصوص من موضوع المراشقات القلمية بين الأندلسيين والمغاربة، أولها *طرمة الظريف في أهل الجزيرة وطريف* ؛ وثانيها *مفاخر البربر* مسرد تاريخي محض ؛ والثالث رسالة *المفاخرة بين مالقة وسلا* لابن الخطيب، وقد أقام ابن الخطيب مفاخرته بين البلدين على ثمانية أشياء هي : المنعة، والصنعة، والبقعة، والشنعة، والمساكن، والحضارة، والعمارة، والإثارة (الفلاحة) والنضارة.

الحميدي، *جذوة المقتبس* ؛ ابن حيان، *المقتبس* ؛ الأمير عبدالله، *التبيان* ؛ م. الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ابن بسام، *الذخيرة* ؛ السلفي، *معجم السفر* ؛ ف .ابن خاقان، *قلائد العقيان* ؛ أ.التطيلي، *ديوانه* ؛ صفوان بن إدريس، *زاد المسافر* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ل. ابن الخطيب، *أعمال الأعلام* ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*.

محمد بنشريفة

الأندلس والمغرب (التأثير) تعتبر إشكالية التأثير المغربي في الأندلس والتأثير الأندلسي في المغرب من أهم القضايا التي يواجهها مؤرخ المغرب ومؤرخ الأندلس خلال العصر الوسيط. لا يمكن لأحد أن ينكر تأثير كل من القطرين في الآخر منذ الفتح الإسلامي، لكن السؤال المطروح هو : أي قطر كان له تأثير أقوى في الآخر ؟ ربما لا تسمح الحالة الراهنة للبحث التاريخي بالجواب النهائي عن هذا السؤال ولكن يمكننا طرحه بوضوح أكثر في انتظار جواب مقنع، ونحن نبحث عن هذا الجواب لن نتطرق لهذه المسألة بالتفصيل، ولكن سوف نحاول أن نحدد أهم عناصر القضية.

رغم أن التأثير الأندلسي في المغرب كان أكثر ازدهاراً خلال العصر المرابطي، خصوصا على المستوى الفكري والثقافي، يمكن القول إنه لم ينقطع على مستوى من المستويات منذ الفتح إلى نهاية دولة بني أمية. إلا أن الأمر لم يتعلق بتأثير كيان قوي في كيان ضعيف بقدر ما كان يتجلى في تعايش قطرين متجاورين تجمعهما عدة عناصر ثقافية ولغوية وبشرية واقتصادية.

استطاعت الأندلس إلى نهاية الدولة الأموية أن تستوعب اللغة العربية والأدب العربي والمذهب المالكي استيعابا تاما، كما استطاعت أن تنشئ دولة موحدة أخذت لغتها الرسمية ومذهبها الرسمي بل وشرعيتها السياسية من نموذج الدولة الأموية في المشرق. كما نرى المدن الأندلسية تتوسع وتنمو وتزدهر خلال العصر الأموي، خصوصا قرطبة عاصمة الخلافة. وخلافا للأندلس نلاحظ أن المغرب ظل متنوعا لغويا ومذهبيا وسياسيا قبل ظهور الدولة المرابطية. وانطلاقا من هذا التناقض يمكننا أن نتساءل، ألم تشكل الدولة الأموية في الأندلس مثالا للدولة الموحدة لغويا ومذهبيا، القوية سياسيا وعسكريا في ظاهرها ؟ ألم يشكل هذا النموذج مثالا كان له تأثير في اتجاه المغرب نحو الوحدة ؟ ثم ألم ير الأندلسيون ضرورة توحيد المغرب لغويا ومذهبا لمواجهة التيارات السياسية والمذهبية في المغرب من جهة ومواجهة الخطر الفاطمي من جهة ثانية ؟ هناك سؤال مهم وهو هل انتشر المذهب المالكي في المغرب إلى نهاية العصر الأموي بتأثير من الفقهاء الأندلسيين ؟ إن تمكن المذهب المالكي وتوفر العلماء المالكيين في الأندلس كان له تأثير في انتشار هذا المذهب في المغرب نظرا للمكانة المرموقة التي استطاع أن يحققها ونظرا للظروف الملائمة لانتشاره في الأندلس وفي المغرب على السواء.

يجب ألا ننسى التأثير السياسي للأندلسيين في المغرب إما عن طريق الضغوط السياسية أو بالتدخل العسكري. لقد كان هاجس الدولة الفاطمية واحتمال تسلل نفوذ الحكام الفاطميين إلى المغرب والأندلس دائم الحضور في ذهن الأندلسيين مما دفعهم الى اتخاذ الاحتياطات اللازمة سياسيا وعسكريا في بعض الحالات.

وأخيرا نذكر التأثير الثقافي والفكري الأندلسي في المغرب نظرا لازدهار الثقافة في الأندلس وانتشارها في عدد من المراكز الحضرية المغربية. إلا أن التأثير الأندلسي في المغرب لم يكن واسع النطاق قبل نهاية بني أمية لأن الأندلس كانت تعيش مرحلة الاستيعاب الفكري والثقافي من المشرق. ولم يأت التأثير الأندلسي الحقيقي في المغرب إلا بعد ضم المرابطين للأندلس في نهاية عصر ملوك الطوائف.

ولقد كان للمغرب تأثير في الأندلس أيضا، إذ شارك جنود مغاربة في فتح الأندلس وانتشرت اللغة الدارجة المغربية بل واللهجات البربرية في بعض أنحاء الأندلس. وانتقلت الثقافة العربية واللغة الغربية والمذهب المالكي إلى الأندلس عبورا من المغرب.

لقد كان تأثير الأندلس والمغرب متبادلا عبر العصور. إنه تغير شكلا وقدرا لكنه لم ينقطع عبر تاريخ القطرين المشترك.

امحمد بن اعبود

الأندلس (جامع -)، ثاني أكبر جوامع فاس، تم تشييده سنة 245 هـ/ 59 .860 م، على يد السيدة مريم بنت محمد بن عبدالله الفهري بعدوة الأندلس، وساهم في بنائه مجموعة من الأندلسيين الذين سكنوا هذه العدوة، وباسمهم سميت كما سمي الجامع نفسه.

أقيمت صلاة الجمعة لأول مرة بهذا الجامع سنة 321 هـ/933م عندما أمر الوالي الفاطمي على فاس آنذاك حامد بن حمدان الحمداني بنقلها إليه من مسجد الأشياخ، ولذلك زوده بأول منبر في تاريخه على غرار ما قام به بالنسبة لجامع القرويين بالعدوة المقابلة.

ويقترن تاريخ جامع الأندلس بتاريخ جامع القرويين، وذلك لكون كل منهما أعتبر في وقته بمثابة المسجد الأعظم لمدينتين شبه مستقلتين عن بعضهما قبل دخول يوسف بن تاشفين فاسا.

واعتمادا على الجزنائي مؤلف *زهرة الآس* فإن صومعة المسجد شرع في بنائها في جمادى الأولى من سنة 345 هـ / غشت ـ شتنبر 956م بأمر من والي الخليفة الأموي الأندلسي عبدالرحمان الناصر نفسه. لكن المرابطين الذين زادوا في توسيع جامع القرويين وزينوه بزخارف من أعظم ما أنجزته الزخرفة الإسلامية في المغرب والأندلس، لم يولوا نفس الاهتمام لمسجد العدوة المجاورة، إذ بقي على حالته الأولى إلى أن تدارك الأمر رابع خلفاء الموحدين محمد الناصر الذي وسع مساحته وأعاد بناء عدوة من جوانبه وأحدث به مقصورة للنساء، ومصرية للإمام، وبيتا للوضوء، كما زوده بمدخل رئيسي مزخرف وجذاب. وقد امتدت الأشغال الموحدية هذه من سنة 1203 إلى سنة 1207م.

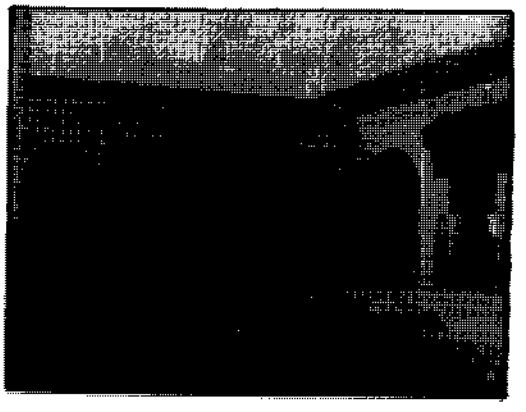

صحن جامع الأندلس بفاس

إلا أن مادة البناء التي استعملت آنذاك، على عكس ما هو معروف لدى الموحدين من جودة المواد وتحكم في التقنيات، لم تكن من النوع الجيد، حيث لم يمر عليها قرن من الزمن حتى مستها علامات التلاشي وأضرت بها، وذاك ما دفع بثاني ملوك الدولة المرينية أبي يعقوب يوسف إلى تدارك الأمر سنة 695 هـ/96 .1295م. ومن أهم الزيادات المرينية بيت المؤقت المتكيء على الواجهة الجنوبية ـ الشرقية للصومعة، والسقاية الجميلة التي تزين الصحن، وكذا المكتبة التي أحدثها يسار المحراب السلطان أبو سعيد عثمان الثالث سنة 1415/816. على أن ترميمات كثيرة لحقت بالجامع في بعض من مرافقه، من أهمها الترميمات العلوية التي مست سقاية الصحن (وكان ذلك في عهد المولى إسماعيل)، وزخرفة المحراب التي يعتقد أنها تعود إلى القرن الثامن عشر على أوسع تقدير.

من ناحية عمارته، شيد جامع الأندلس على رقعة أرضية مسقية، الشيء الذي طبع شكله العام إذ تكثر به الزوايا غير القائمة والجدران المتفاوتة الطول. وبذلك نجد عرضه يتراوح ما بين 52 متر و56 متر، بينما يصل طوله إلى 84 متر.

وتتألف البناية من 15 رواقا عموديا، أي متجها تجاه القبلة و13 رواقاً أفقياً، مغطاة كلها بسقوف من نوع البرشلة. أما الجدران الخارجية فهي مبنية بالباطون بينما استعمل الآجر المشوي لإقامة الأعمدة والأقواس. وهذه المواد كلها تختلف عن مادة الصومعة التي بنيت بالحجارة المتوسطة الحجم سواء في ما يتعلق بنواتها الوسطى، وهي نواة مملوءة، أو ما يتعلق بالجدران الخارجية.

ويرى طيراس H. Terrasse في دراسته لهذا المسجد أن صومعته تنحدر مباشرة، شكلا وتصميما، من المنارات الأندلسية للقرن العاشر الميلادي، إلا أن غطاء القُبّيّة العليا Lanternon هو من تأثير قيرواني. وفي هذين التأثيرين تبرز جوانب من تاريخ فاس الذي عرف عنها لمدة غير قصيرة، خضوعها بالتناوب للحكم الفاطمي تارة والأندلسي تارة أخرى.

ومن أهم ما يمتاز به جامع الأندلس، احتواؤه على مجموعة، تكاد تكون فريدة، من تيجان الأعمدة، يعود بعضها لفترة محمد الناصر الموحدي وبعضها الآخر لنهاية حكم الموحدين وبداية المرينيين، وهي فترة تقل بشأنها الشواهد المعمارية الموضحة لها كفترة انتقال بين شكلين من الإبداع المعماري.

أ. البكري، *المغرب* ؛ ع. الجزنائي، *جنى زهرة الآس* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*.

H. Terrasse, *l'influence de l'ifriquiya sur l'architecture musulmane du Maroc avant les Almohades*, 3e Cong. *F.S.S.A.N.* p. 551 - 558 ; *La mosquée des Andalous à Fès*, Parsi, 1942.

عبد العزيز توري

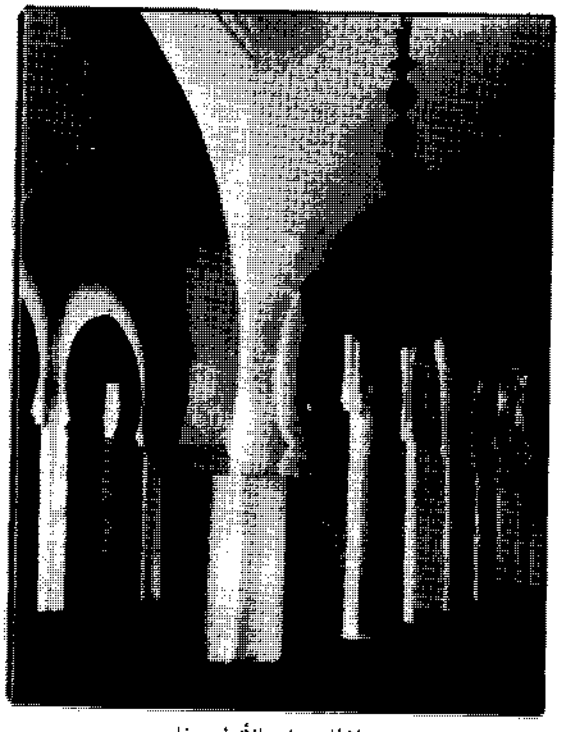

بلاطات جامع الأندلس بفاس

الأندلس، مرسى تقع في رأس هرك على البحر المتوسط شمال غرب مدينة مليلية. وقد أطلق عليها هذا الاسم لأنها أسهل مراسي تلك الناحية التي كان الأندلسيون النازحون إلى المغرب يفضلونها على غيرها، وقد أطلق عليها الإسبان اسم Eusenada del tio Pinar (مرسى العم بينار) ولا شك أنها هي التي سماها البكري مرسى طرف هرك.

R. Castejon, *La playa de los andaluces. Revista de Africa Española*, Madrid 29 - 2 - 1916, p. 126.

محمد ابن عزوز حكيم

الأندلسي، أسر كثيرة بالمغرب هاجرت من الأندلس في فترات مختلفة واحتفظت بهذه النسبة خلال القرون الأخيرة، وما زال بعضها يعرف بذلك حتى اليوم، بينما غلبت كنى أو ألقاب طارئة على بعضهم وأصبحوا مشهورين بها. وهناك في تطوان أسرة أندلسية عريقة ينطق بها (اللندلوسي) لم نعثر على وثائق لها علاقة بهذه الأسرة التي لا زالت موجودة بتطوان، ومن الملاحظ أنه كان بهذه المدينة حيٌّ يعرف برباط الأندلس وهو الذي يعرف الآن بحي السانية.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 24 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 326 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidro de las Cagigas, *Familias* ; *Vademecum de Intervenciones, ano 1931* (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

الأندلسي، إبراهيم بن الطبيب الرئيس القائد علي بن إبراهيم المراكشي، كان طبيباً ماهراً كأبيه علي آتي الترجمة، وانتقل من مراكش إلى مكناس عندما تولى الملك المولى إسماعيل بن الشريف، فكان يشتغل بالتطبيب في جملة أطباء الحضرة السلطانية، كما فتح حانوتا لعلاج عامة الناس وبيع الأدوية، وتخرج على يديه فيها الطبيب الشهير عبد القادر بن شقرون المكناسي (ت بعد 27/1140 . 1728) صاحب *الأرجوزة الشقرونية في الأغذية الصحية*.

ولأسباب غير معروفة انتقل إبراهيم إلى تونس وسمّى نفسه محمد الأندلسي وفتح فيها حانوتا للتطبيب على غرار حانوت مكناس، وهناك انقطع خبره ولم يعرف تاريخ وفاته على وجه التحديد.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1 : 264، 340، 341، 357 . 358 ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، 1 : 188 ؛ م. الكانوني، *تاريخ الطب العربي بالمغرب*، مخطوط.

H. P. J. Renaud, *Le mouvement scientifique au Maroc*.

الأندلسي، إبراهيم بن قاسم الفاسي، صوفي ذو أحوال غريبة. صحب أبا المحاسن يوسف الفاسي منذ مجيئه إلى فاس عام 988/1580. وكان ممن أقيم في مقام التجريد موغلاً في الرضى بالله في جميع الأحوال، فانقلبت لديه الأوضاع وأصبح يضحكه ما يُبكي الناس. فكان «كلما رىء عليه أثر البشر عُلم أنه قد أصيب في شيء من أهله أو ماله لا يتأثر بشيء من ذلك ... وكان اليوم الذي يصبح لا شيء له يصبح مسروراً يطير فرحا حتى يظهر ذلك على ظاهره كثيراً» (*الإعلام بمن غبر*). وأغرب ما عرف عنه في ذلك ما رواه عبدالرحمان بن عبد القادر الفاسي عن الشيخ محمد بن عبدالله معن أن إبراهيم بن قاسم كان يوماً جالساً معهم في حزب العشي (ورد يقرأ عشية كل يوم في الزاوية الفاسية يشتمل على المسبعات العشر ووظيفة الشيخ زروق) فنودي عليه لداره فذهب ثم رجع وهو يضحك وأخبرهم بأن ولده محمد الأكحل قد مات ولم يكن له ولد سواه.

توفي بفاس عام 1617/1026 ودفن بقرب الشيخ محمد ابن عباد داخل باب الفتوح.

ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ عبد الله الفاسي، *الإعلام بمن غبر*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 103.

الأندلسي، أحمد حُبَيْب. بصيغة التصغير - بن محمد بن علي الرندي الغرناطي الفاسي، هذا هو اسمه الكامل وقد سقط من بعض كتب التراجم اسم أبيه محمد وجعل مكانه اسم جده علي، كما سقط من بعضها نسبة الرندي. عالم غلب عليه جانب التصوف حتى كاد مترجموه لا يهتمون إلا به. فلم يذكروا من شيوخه إلا من أخذ عنهم الطريقة الجزولية الشاذلية متسلسلة إلى عبد العزيز التباع فمحمد بن سليمان الجزولي، إضافة إلى شيخ المحدثين والصالحين أبي النعيم رضوان الجنوي (ت 1583/991) الذي أخذ عنه القرآن الكريم والسنة النبوية وذكروا له معه كرامات وخوارق عادات.

ولما جاء أبو المحاسن الفاسي من القصر الكبير ليستوطن فاسا عام 1580/988 كان أحمد حُبيب من أول المبادرين إلى صحبته، وطالت صحبتهما إلى أن توفيا معاً بالطاعون في سنة واحدة. وكان أحمد حُبيب قد أخذ قبل ذلك عن شيخ صوفي آخر كانت له زاوية بالمخفية من عدوة فاس الأندلس هو صهره محمد بن أحمد الغماري الأندلسي المالقي المتوفى بالمدينة المنورة عام 998/89 . 1590.

ألف أحمد حبيب عددا من الكتب والرسائل، ونظم قصائد ومقطعات تحوم كلها حول الفقه والتصوف وقف عليها عبد الله الفاسي صاحب *الإعلام بمن غبر*، وهي : كتاب *يواقيت الأحكام فيما يتعلق بقواعد الإسلام*؛ وكتاب آخر في الفقه والتصوف، وكتاب في القطب والقطبانية، *وشرح على رموز الشيخ ابن عقبة الحضرمي*، و *رسائل أربع*، و *أرجوزتان في شكر النعم*، و *لامية في التصوف*... .

توفي أحمد حُبيب بفاس ليلة السبت 27 ذي القعدة عام 2/1013 أبريل 1605 ودفن خارج باب الفتوح قريبا من ضريح الشيخ أبي المحاسن، وبني عليه قوس. وخلف ولداً صالحاً يسمى عبد الرحمان، سار على نهجه في الزهد والاستقامة، ومات عام 1617/1026 ودفن بجواره.

م. المرابي الأندلسي، *تحفة الإخوان*، مخطوط ؛ م. العربي القادري، *كناشة*، مخطوط ؛ ع. القاسي، *الإعلام بمن غبر*، مخطوط ؛ م. الخطيب، *مطمح النظر*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 79 ؛ م. القادري، *التقاط*، 43 ؛ *نشر*، 1 :117 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 :365.

محمد حجي

الأندلسي، أحمد بن حمدون المعروف بالشديد. أحد أعيان فاس، من أتباع الشيخ الصوفي محمد بن عبد الله الوزاني، أخذ عنه بواسطة تلميذه الحاج الخياط الرقعي، وبعد وفاته أخذ عن ولده مولاي التهامي، ثم عن أخيه مولاي الطيب، وأسند إليه النظر في أحباس فاس، وولي تدريس الرسالة بالقرويين، وظل يدرسها إلى أن توفي بعد عام 1747/1160.

م. القادري، *نشر المثاني*، 4 :204 ـ 207 ؛ م.الكتاني، *سلوة*، 1 : 208.

محمد رزوق

الأندلسي، أحمد بن الطاهر المراكشي. فقيه مشارك أديب متمكن في الحساب وأحكام النجوم والأزياج، اشتغل في مراكش بتدريس علم الهندسة والجدول إضافة إلى الفقه والنحو والأدب. ومن أشهر المتخرجين على يده الإمام عبد الله السكياطي ومحمد التهامي الحمري الأويري.

توفي بمسقط رأسه عقب رجوعه من الحج عام 1250/34-1835 ودفن بروضة باب أغمات.

م.ت. الأويري الحمري، *إتحاف الخل المواطي*، مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 :407 ـ 408 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، عام 1250.

الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد الله الأسفي يعرف بالمقدم وبابن المقدم. ولد باسفي حوالي سنة 1165 ودرس على الشيخ محمد التاودي ابن سودة ومن في طبقته. كما أخذ عن شيخ زاوية تمگروت الناصرية الرحالة الشهير محمد بن عبد السلام الناصري وصاهره بابنته، فتخرج أستاذا مقرئاً فقيهاً محدثاً مشاركاً. قال عنه معاصره القاضي عبد الخالق بن إبراهيم الأسفي :«علامة الزمان، ورئيس الأوان، مفتي الديار الأسفية وما والاها، الذي إليه المرجع في معضلات الأمور ومشكلاتها» (*جواهر الكمال*، 10).

رجع أحمد الأندلسي إلى أسفي فتصدر للتدريس والإفتاء، وتخرج على يده القاضي الجيلالي بوخريص، ومحمد بن عبد السلام السائسي الأسفي. وكان للسلطان المولى سليمان زائد اعتناء به حتى كان يأتيه إلى منزله على عادته في إعزاز العلماء. وبعث إليه عام 1216 بولده مولاي إبراهيم فقرأ معه ختمة من *القرآن*، و*شمائل الترمذي*، ومختصر *خليل*، و*ألفية ابن مالك*، و*جمل ابن المجراد السلوي*.

أما آثاره العلمية فلا يعرف منها إلا ما وقف عليه محمد الكانوني من طرر على *مختصر خليل* و*شمائل الترمذي* وقصيدة *البادسي* في سلسلة الشيخ عبد القادر الجيلاني، وفتاوى محررة في الفقه المالكي.

توفي بأسفي عصر يوم الثلاثاء 20 شوال 18/1239 يونيه 1824 ودفن بضريح الشيخ عبد الكريم الرجراجي.

م. الكانوني، *جواهر الكمال*، 10 ـ 11 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط.

محمد حجي

الأندلسي، أبو إسحاق. جاء من الأندلس إلى فاس وأقام برابطة خارج باب الجيسة، وكان له أصحاب من المريدين كان يعلمهم التوكل. وهو من أهل القرن السادس الهجري. له ولأمثاله من صوفية العدوة الذين قدموا المغرب أهميته في تاريخ تتبع انتشار الأفكار وأنماط السلوك.

التادلي، *التشوف*، 310.

أحمد التوفيق

الأندلسي، عبد الله بن يخلف، فقيه مقرئ، كان من الأئمة المعتمدين في علم القراءات، لقراءته حلاوة وطلاوة. وقد أخذ هذا العلم عن الأستاذ إدريس بن محمد بن أحمد المنجرة. وأخذ عنه العديد من طلبة فاس وغيرها، وتصدر لذلك بمسجد القرويين. وتولى كرسي الوعظ بحلية أبي نعيم، *والحريفشي*، *والرصاع* بظهر صومعة مسجد القرويين. أخذ طريقة التصوف عن الشيخ محمد بن الفقيه، وفيه ألف كتابه *سلوة المحبين والمريدين ونكاية الحاسدين والجاحدين في مناقب سيدي محمد بن الفقيه أحد الأفراد العارفين*. توفي عام 1749/1162.

م. القادري، *نشر*، 4 :67 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 :298 ـ 299.

محمد رزوق

الأندلسي، علي بن إبراهيم الطبيب المراكشي، يلقب بالرئيس وبالقائد. ولعل لقب الرئيس يعني أنه كان رئيس الأطباء المقدم عليهم، وربما كان علي يعمل ـ في نفس الوقت ـ في قيادة جند الأندلس الذي كان يكوّن إحدى الفرق المهمة في الجيش السعدي. إن المعلومات عن هذه الشخصية في المصادر البيبليوغرافية شحيحة جدا، لأنه لم يكن فقيها حتى يثير انتباه مؤلفي كتب التراجم. وكل ما نعرف عنه مستخلص من مؤلفاته الطبية التي وصلت إلينا ـ لحسن الحظ ـ كاملة تقريبا.

أشهر مؤلفاته *أرجوزة في الفواكه الصيفية والخريفية* في نحو ثلاثمائة بيت أهداها للوليد بن زيدان السعدي (ت 1635/1045) توجد منها عدة نسخ مخطوطة، بين في مقدمتها الجانب العملي المتوخى منها وهو إفادة الناس بطبائع هذه الفواكه ومنافعها ومضارها حتى يسلموا من الأوجاع والمغاصات التي تصيبهم منها عادة في هذين الفصلين فيزعجون الطبيب عند طلوع الفجر مشتكين صارخين. والأرجوزة مفيدة، علاوة على الجانب الطبي، في التعريف بأصناف الفواكه والخضر التي كانت تنتج بالمغرب

في القرن الحادي عشر(17 م) وأسمائها الباقية أو التي تغيرت مثل الغراسيا وهو حب الملوك، وعيون البقر وهو الإجاص، والعناب وهو الزفزوف، والمشتهى(؟) وبقلة الأنصار، التي هي الكرنب. وله أيضا *أرجوزة في خواص الأعشاب*، مرتبة على حروف المعجم تقع في نحو عشرة كراريس. وهي لا تقل أهمية و إفادة عن سابقتها. و *أرجوزة في علاج العيون والنوازل* التي تنزل من الرأس في الأعضاء، وتنقية الدماغ المعروفة عند الأطباء بالأيارج، أورد فيها ذكر ثلاثة وعشرين من العقاقير النافعة لهذه العلل. و*أرجوزة في النكاح* لا يعرف منها إلا مخطوط خاص بفاس.

افترض عباس ابن إبراهيم (*الإعلام*، 9 :223) أن يكون المترجم هو صاحب الضريح المعروف في الحي الجزولي بمراكش الذي كتب فيه : «على بن إبراهيم المتوفى عام 996 أخذ عن شيخه عمر الهلالي وسيدي شقرون». وهذا الافتراض بعيد لما ثبت من تقديم *أرجوزة الفواكه الصيفية* إلى الوليد الذي لم يتول الملك إلا عام 1631/1040 لذلك يقدر تاريخ وفاة علي بن إبراهيم بحوالي 1655/1065.

م. الإفراني، *نزهة*، 219 ؛ م.الكانوني، *الطب العربي بالمغرب الأقصى*، مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 9 :222. 223 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 :161 و 2 :395.

الأندلسي، علي بن محمد صالح. شيخ صوفي أدرك شهرة كبيرة بفاس في عهد الوطاسيين. هاجر من غرناطة قبيل سقوطها إلى فاس، وكان تاجرا ناسكاً يجالس الصالحين ويأخذ عنهم منذ كان في الأندلس. واتخذ في سوق القيسارية بفاس حانوتا يبيع فيها الثياب ويغشى مع ذلك مجالس الصالحين. وقد جاء الشيخ عبد العزيز التباع ذات يوم إلى فاس وجلس يستقبل الزوار في وسط قبة مدرسة العطارين وقد انحشر أهل فاس للتبرك به، وجاء علي بن محمد صالح في آخرهم. فقام إليه الشيخ التباع يتخطى الناس لاستقباله وأخذ بيده وصعدا في درج المدرسة فمكثا هنيئة ونزلا وطلب الشيخ سيدي عبد العزيز فرسه للركوب فطلب منه الناس الإقامة فامتنع وقال : إنما جئت لأداء أمانة كانت عندي لربها فقد أديتها إليه وانصرف» (*مجتمع*، 53).

يذكرون أن علي بن محمد صالح حين اراد أن يزور الشيخ التباع نزل من حانوته ورفع المغلاق الأسفل فقط على نية الرجوع قريباً، لكنه لم يرجع إليها قط، وتغيرت أحواله واتخذ لنفسه زاوية بوادي الزيتون من عدوة فاس الاندلس. يلقن فيها اتباعه الكثيرين الطريقة الجزولية الشاذلية، وقد لاحظ مترجموه أن معظم الآخذين عنه أندلسيون، وتسلسل ذلك في الأجيال التالية فكانت طرق كبار الشيوخ الأندلسيين تتصل به كطريقة أبي المحاسن الفاسي، ومحمد بن عبد الله معن الأندلسيين وغيرهما.

توفي علي بن محمد صالح الأندلسي قبل وفاة شيخه عبد العزيز التباع (وكانت وفاة التباع بمراكش عام 8/914. 1509) ودفن بروضة الأنوار المعروفة خارج باب الفتوح بفاس القريبة من ضريح الشيخ درأس بن إسماعيل ودفن فيها بعده كثير من الآخذين عنه.

م. العربي الفاسي، *مرآة*، 189 ؛ م. المهدي الفاسي، *مجتمع*، 53. 54 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 :208.

الأندلسي، محمد شيخ الطائفة الأندلسية بمراكش. فقيه متكلم متصوف مشارك انتقل هو أو أبوه من غرناطة بعد سقوطها واستقر بمراكش، واستطاع أن يجمع من حوله أتباعا كثيرين من الأندلسيين المهاجرين وغيرهم. وإذا كانت بداياته غامضة كدراسته ومشيخته فإن دعوته اتسمت ـ حسبما يتسخلص من المصادر القليلة الباقية التي تحدثت عنه ـ بطابعين : أولهما انتحال المذهب الظاهري واتخاذ بعض آراء ابن حزم مطية للنيل من أئمة المذاهب وبخاصة مالك بن أنس الذي كان مذهبه سائداً في المغرب بدون منازع، فكان ينعى على الفقهاء تشبثهم بالنصوص المذهبية وإعراضهم عن ظاهر الكتاب والسنة، حتى كان يسميهم ومن يتبعهم من العامة بالمالكية، في حين يلقب أنصاره بالمحمدية، نسبة إليه هو ـ على ما يبدو ـ لا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

والأمر الثاني الذي اتسمت به دعوة محمد الأندلسي، وهو أخطر، تهجمه على الرسول الكريم نفسه والتنقيص من قدره بدعوى وجوب إفراد الخالق تعالى بالتقديس وإيهام الناس أن تعظيم النبي عليه السلام وذكر اسمه مع اسم الجلالة إشراك بالله تعالى.

يتضح من هذين المبدأين أن محمداً الأندلسي كان يهاجم في نفس الوقت العنصرين الدينيين القويين آنذاك بمراكش وبالمغرب عامة، وهما الفقهاء الذين لا يبغون عن كتب الفروع المالكية حولا، وشيوخ الطريقة الجزولية الشاذلية المستغرقون في محبة رسول الله المتخذون من الصلاة عليه أوراداً لمريديهم يتلونها آناء الليل وأطراف النهار. فماذا كان يقصد محمد الأندلسي ؟ وهل كانت له نزعة إصلاحية دينية حقيقية أم كان له طموح سياسي يخفيه من وراء دعوته المتطرفة ؟ ذلك مالا يمكن الإجابة عنه بتدقيق ما دام لم يكشف بعد عن المصادر المعاصرة أو القريبة التي فصلت القول في هذه الحركة ومبادئها وصاحبها الأندلسي. لكن في انتظار ما يمكن أن يسفر عنه البحث والتنقيب يمكن القول بأن محمداً الأندلسي عرف كيف يداري معاصريه من الفقهاء والمتصوفة ويظهر أمامهم بمظهر المتمسك بالسنة المتبرئ من كل بدعة كما يفهم مما كتبه عنه محمد ابن عسكر الذي لقيه مراراً في مراكش وتحدث إليه طويلا إبان صولته وانتشار مذهبه. غير أن تقية الأندلسي لم تنطل على فقهاء آخرين وصفوه بالبدعة ومفارقة الجماعة وأفتوا بوجوب الضرب على يده حفظاً لمعتقدات الناس ووحدة صفوفهم، ولذلك دخل محمد الأندلسي السجن أكثر من مرة في عهد عبد الله الغالب، واصطدم أنصاره وخصومه في مراكش وفي خارجها بالقلم واللسان وبالخناجر والبنادق.

ولما قامت الفتنة بعد موت الغالب بين خلفه محمد المتوكل وعمه عبد الملك المعتصم، رأى محمد الأندلسي ـ على ما يبدو ـ الفرصة سانحة لتحقيق مطامحه السياسية فخاض هو وأتباعه غمار الفتنة إلى جانب الذين ثاروا ضد المتوكل وخلعوه، وبينما هو ينتظر أن يخلو له الجو بعد أن تنجلي المعارك التي شبت في عدة نقط من بلاد سوس عن هلاك الأميرين السعديين المتنازعين، إذا بمحمد المتوكل يتمكن من الدخول إلى مراكش لمدة قصيرة عام 1576/984، ويبادر إلى انتزاع محمد الأندلسي من بين أنصاره وسط فتنة عارمة ويسلمه إلى العامة الذين قتلوه وصلبوه على باب داره بحي رياض الزيتون بمراكش.

م. ابن عسكر، *دوحة*، 80 ـ 81 ؛ أ. ابن القاضي، *درة*، 2 : 35 ـ 37 ؛ م. الإفراني، *نزهة*، 47 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 5 : 50 ؛ م. ابن الموقت، *السعادة*، 2 : 86 ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، 5 : 303 ـ 304 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 241 ـ 243.

الأندلسي محمد شعبان الحسني الرباطي، فقيه أديب، أخذ عن الشيخ علي العكاري (ت 1706/1118) في جملة من أخذ عنه من طلبة سلا والرباط، «وقيد عنه في علمي النحو والميزان تقاييد مفيدة ضمها إلى كلام الأقدمين، فجاءت من أحسن المقيدات».

ألف محمد شعبان عدة كتب شرح بها أمهات قديمة، منها *شرح مقدمة ابن أجروم* ؛ و*شرح خلاصة ابن مالك* ؛ و*شرح السلم* المرونق في المنطق للأخضري. ولا يعرف تاريخ وفاته، وإنما يقدر أنه مات أواسط القرن الثاني عشر (18م).

م. بوجندار، *الاغتباط*، 459.

محمد حجي

الأندلسي، محمد بن علي مروان، أستاذ مقرئ مجود، كان يقيم بحومة العيون من عدوة القرويين بفاس. ومن المعلوم أن القراءات من العلوم التي تميز بها المهاجرون المتأخرون من الأندلس، وكان من أشهرهم بفاس في القرن العاشر الشيخ الأستاذ محمد بن علي العدي الغرناطي الذي قال عنه أحمد المنجور في *فهرسه* «جود عليه القرآن من الطلبة من لا يحصى». ويبدو أن محمد بن علي مروان خلفه في هذه السلسلة الأندلسية.

توفي بفاس عام 1695.94/1106.

م. القادري، *نشر*، 3 : 66 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 288.

محمد رزوق

الأندلسي، مهدي بن محمد بن إبراهيم المراكشي. فقيه صوفي لا تعرف له ترجمة إلا ما يؤخذ من كتابه المسمى *بالشرح الكبير لحزب سبحان الدايم* وفيه يظهر متأدبا متكلماً مطلعاً على أقوال الصوفية ونظرياتهم. ومن المعلوم أن حزب الدائم هو للشيخ محمد بن عيسى الفهدي المكناسي شيخ الطريقة العيساوية، وهو عبارة عن عقيدة أشعرية باللسان العربي الدارج، يحفظها مريدو هذه الطريقة عن ظهر قلب ويرددونها في زواياهم بالتناوب، تقرأ جماعةً جملةً وتقرأ أخرى الجملة التالية وهكذا.

ومما يزيد في إبهام هذه الشخصية أن ناشري هذا *الشرح* في تونس نسبوه إلى أبيه محمد بن إبراهيم في حين جاء في آخر النسخة المخطوطة : «كان الفراغ من تبييضه وجمعه عند عشية يوم الثلاثاء 7 من شهر ربيع النبوي عام 1241. ألفه عبد ربه الفقير مهدي بن محمد بن إبراهيم الأندلسي المراكشي».

مهدي الأندلسي نفسه، *الشرح الكبير*، ط. تونس سنة 1909/1327. ومخطوطة خاصة ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، 6 : 218 ـ 219.

الأندلسية، طائفة مبتدعة بالمغرب تستمد مبادئها من فرقة دينية أندلسية قديمة تصدى للرد عليها القاضي أبو بكر ابن العربي في كتابه *عارضة الأحوذي في شرح شمائل الترمذي*. ويبدو أن هذه الطائفة طرأت على المغرب في أوائل القرن العاشر (16م) مع الفقيه محمد الأندلسي الذي هاجر إلى المغرب في جملة من هاجر إليه من الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، واستقر بمراكش حاضرة السعديين.

والطائفة الأندلسية ـ كحركة دينية ـ فريدة من نوعها في هذه البلاد سواء من حيث مبادئها المناقضة تماما لمبادئ الحركات الصوفية المنتشرة آنذاك بالمغرب كالحركة الجزولية الشاذلية المتميزة بمزيد المحبة والتفاني في الجانب النبوي، التي وضع شيخها الشهير محمد بن سليمان الجزولي (ت 65/870 ـ 1466) كتاب *دلائل الخيرات* كتصليات وتسليمات وبركات على رسول الله محمد بن عبدالله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعبارات متنوعة. في حين قامت الطائفة الأندلسية أساسا على التقليل من أهمية الرسول ـ عليه السلام ـ إن لم نقل كراهته ومنع ذكر اسمه مع اسم الله تعالى، تستراً وراء تقديس الخالق القديم تعالى وتنزيهه عن أن يشاركه في قدسيته مخلوق مهما كان نبيا أو غيره. وبذلك مست الطائفة الأندلسية بمبدأ العقيدة الإسلامية وطعنت في أحد شقي كلمة الشهادة التي هي عنوان الإيمان وشعاره.

ويمكن تلخيص مبادئ الطائفة الأندلسية التي كانت تنتحل مذهب ابن حزم الظاهري وتبالغ في انتقاد أئمة الإسلام الآخرين خاصة مالك بن أنس، في ثلاثة :

ـ الاجتهاد في الأحكام الشرعية جريا على ظاهر الكتاب والسنة، وعدم تقليد مالك أو غيره من الفقهاء.

ـ إنكار أحكام جزئية مشهورة عند جمهور المسلمين، فقالوا بعدم مشروعية الدعاء دبر الصلوات، وعدم وجوب إعادة الصلاة إذا خرج وقتها ة الخ.

ـ استنكار ذكر النبي ـ عليه السلام ـ مع الله تعالى في الشهادة وغيرها «لأن ذكر المحدث لا يفيد، ولا يفيد إلا ذكر الله القديم سبحانه» بل قالوا إن الإكثار من ذكر النبي عليه السلام حجاب عن الله.

عرفت البدعة الأندلسية شيئا من الانتشار بعد مقتل شيخها محمد الأندلسي 1576/984 في الحواضر التي يكثر بها الأندلسيون كمدن سلا وتطوان وبادية الشمال، باستثناء

فاس، واعتنقها بعض الفقهاء عن حسن نية ثم تبرؤوا منها لما عرفوها من الداخل، ومنهم أبو القاسم بن سلطان القسنطيني (ت بعد 1591/999) خطيب جامع القصبة بتطوان الذي ألف في الرد عليهم كتابا في مجلدين نقض فيه ضلالات الأندلسيين جملة وتفصيلا وزيف أقوالهم وبين أوجه فسادها ؛ وأحمد بن حسين الورياگلي المعروف بالصغير الذي ألف بدوره كتابا مختصرا في التشهير بهذه الطائفة وقف عليه عبد الرحمان الفاسي مؤلف *ابتهاج القلوب* ونوه به. ويبدو أن رد الورياگلي كان عنيفا دفع الأندلسيين إلى اغتياله في قصبة فاس أو مراكش على عهد أحمد المنصور.

ويبدو أن البدعة الأندلسية استمرت ظاهرة الى عهد المولى إسماعيل بن الشريف، ثم أخذت تلجأ الى التقية والتستر، وانحصرت ـ كالفرقة العكازية ـ في بعض جهات البادية بعد أن تصدى المولى إسماعيل للتنكيل بالمبتدعة على إثر ما كتبه المؤلف المجهول في *تبصرة الرئيس الأمين في ذكر شروط إمام المسلمين*، وعبد الكبير اعليوات في *سراج الغيوب*، والحسن اليوسي في *رسالة العكاكزة*.

م. ابن عسكر، *دوحة*، 80، 91 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 36، 87 ؛ م. الإفراني، *نزهة*، 47 ؛ مجهول، *تبصرة الرئيس الأمين*، مخطوط ؛ ع. اعليوات، *سراج الغيوب في أعمال القلوب*، مخطوط ؛ ح. اليوسي، *رسالة العكاكزة*، مخطوط ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 241، 245.

محمد حجي

الأندلسية (الموسيقى) ← الآلة

الأندلسيون بالمغرب، أول هجرة أندلسية إلى المغرب تتحدث عنها المصادر التاريخية هي هجرة الربضيين من قرطبة إلى مدينة فاس أواخر القرن الثاني الهجري (8 م). حيث استقروا بالعدوة التي تحمل اسمهم (عدوة الأندلس)، وذلك في عهد ادريس الثاني. ويذكر ابن أبي زرع أن عددهم بلغ ثمانية آلاف بيت (*القرطاس*، ص 47). وتواصل بعد ذلك توافد الأندلسيين في عهد المرابطين والموحدين إلى درجة أنه اتخذ احيانا شكلا رسمياً، بصدور ظهير للخليفة الموحدي الرشيد سنة 1240/637 يقضي بإسكان جالية بلنسية وجزيرة شقر وشاطبة وغيرهم من بلاد شرق الأندلس بمدينة رباط الفتح.

أما عن نوعية هؤلاء المستقرين الجدد فيُذكر أنه كان من بينهم عدد كثير من الحرفيين والصناع، خاصة في ميدان دباغة الجلود وتصفية قصب السكر، وصناعة الخزف في كل من مراكش وفاس. وفي الميدان العلمي نشير إلى استقرار عدد من العلماء الأندلسيين بالمغرب ناشرين معارفهم وطرق تعليمهم.

وقد تواصل المد الحضاري الأندلسي بالمغرب في العصر المريني بفضل استمرار هجرة عدد كثير من الأندلسيين من مختلف الفئات : علماء، وأدباء، وأطباء، وحرفيين وغيرهم. ففي الميدان السياسي استعان سلاطين بني مرين بعدد من سياسيي الأندلس وقضاتها وكتابها مثل ابن رضوان المالقي، وعلي بن محمد ابن مسعود الخزاعي ومحمد بن يحيى البرجي. وفي الميدان العسكري نلاحظ حضور الأندلسيين بقوة في الجيش المغربي، إذ اعتلى عدد منهم مناصب القيادة بل صار البعض منهم حكما فصلا بين أفراد هذا الجيش.

على أن أهم فترة في تاريخ الهجرات الأندلسية إلى المغرب هي تلك التي اعقبت سقوط غرناطة سنة 1492/897، إذ وفد على المغرب أندلسيون من فئات مختلفة. وقد تنوع استقرار هؤلاء سواء في البوادي أو الحواضر، فاستقروا بتطوان وأحوازها، وشفشاون، وباديس، وطنجة، وقبائل غمارة الريفية وأصيلا، وسلا، وأسفي، وأزمور، وأنفا. وأهم ما يمكن تسجيله في هذه الفترة هو اختلاف مواقف أفراد هذه الجالية، فهناك فئة كانت تتحفز باستمرار للرجوع إلى الأندلس، وهناك فئة أخرى فضلت البقاء وآثرت المساهمة في الأحداث السياسية التي كان يعرفها المغرب، وذلك بالانضمام إلى الوطاسيين في حربهم ضد السعديين، وفئة ثالثة اتجهت إلى الجهاد لكن على «الطريقة الأندلسية» أي العيش في استقلال تام عن السلطة المركزية.

وقد فتح سلاطين المغرب في العصر السعدي الأول الباب على مصراعيه لمهاجرة الأندلس وقدموا لهم كل المساعدات سواء على صعيد العمليات الجهادية أو على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي. لكنهم في نفس الوقت كانوا حذرين من هؤلاء، فقد كانوا يقدمون لهم كافة المساعدات ما داموا يعملون تحت سلطتهم، ويحترمون التزاماتهم بالكف عن التعامل مع أعدائهم، خاصة الأتراك، أما إذا أبدوا طموحا ما نحو السلطة والنفوذ فإنهم كانوا يتصدون لهم بقوة.

وتبقى أهم فترات الهجرات الأندلسية مع ذلك هي تلك التي تمت في العصر السعدي الثاني، نتيجة صدور قرار نفي الموريسكيين من إسبانيا سنة 1609/1017، فانتقل هؤلاء إلى المغرب عن طريق المراكز التي كانت تحتلها إسبانيا : طنجة وسبتة ومليلية. ومن هناك تسربوا إلى الداخل. كما انتقل موريسكيون آخرون من وهران إلى المغرب بعد أن ضاقت بهم المدينة. وينتمون إلى منطقة الأندلس أو قشتالة، وبلنسية، وغرناطة، ومرسية، وبعض العناصر من أراگون وكطالونيا. وتقدر المصادر الإسبانية عدد الموريسكيين الذين استقروا بالمغرب في هذه الفترة بنحو أربعين ألف نسمة في حين تقدرها المصادر الموريسكية بنحو ستين ألف نسمة. وقد تنوع استقرار هؤلاء بالمغرب تنوعا كبيرا، اذ لم يقتصر على مناطق معينة، بل شمل مناطق عدة من أقصى شمال المغرب إلى أقصى بلاد سوس. على أن أهم تجمعات الأندلسيين هي تجمعات مصب أبي رقراق، وتطوان.

ففيما يتعلق بتجمعات مصب أبي رقراق نشير إلى أن تاريخهم برز في ثلاثة مظاهر أساسية :

- الصراعات الداخلية، وتتجلى بالخصوص في الصراع بين الهورناتشيين سكان القصبة وسائر الأندلسيين سكان الرباط، وفي الصراع بين الأندلسيين والمجاهد العياشي بسلا.

- الجهاد البحري أو القرصنة.

- العلاقات مع الأوروبيين، وقد كان الجهاد البحري هو السبب الأساسي الذي أدى بالأندلسيين إلى ربط علاقات سياسية وتجارية مع الأوروبيين، فقد كان المجاهدون في حاجة ماسة إلى العتاد والذخيرة وإلى الآلات الضرورية لتجهيز السفن، وكذا إلى بعض مواد التموين، كما كان الأوروبيون يريدون أن يفتدوا أسراهم ويؤمنوا سفنهم من هجوم من طرف المجاهدين، ويعملوا على تنمية تجارة مربحة بالنسبة لهم رغم كل الظروف. وكان قواد قصبة الرباط يحاولون فرض أنفسهم كرؤساء دولة حرة ومستقلة، ويراسلون رؤساء الدول المسيحية خاصة شارل الأول ملك انجلترا، ورئيس الولايات العامة بلاهاي، وأمراء Orange.

وقد برز التجمع الثاني بتطوان تحت نفس المظاهر السابقة. فقد كان هناك صراع داخلي، إذ عبر الأندلسيون صراحة عن طموحهم السياسي وعدم رغبتهم في الخضوع لأولاد النقسيس (البرابرة الجبليين) مما أدى إلى وقوع صراع عنيف بين الطرفين. أما المظهر الثاني المتعلق بالجهاد البحري فقد سجل الأب دان Dan أهمية تطوان كمركز من مراكز الجهاد البحري في شمال أفريقيا، لكنه ذكر أن تطوان في عهده (1640) لم تكن لها إلا فرقاطات صغيرة تصل أحيانا إلى السواحل الإسبانية. وبالنسبة للمظهر الثالث المتعلق بالعلاقات مع أوروبا نشير إلى أن العلاقة بين أندلسيي تطوان والأوروبيين لم تقتصر على التجارة والجهاد البحري، بل تعدت ذلك إلى محاولة التحالف مع الأنجليز ضد الإسبان من أجل الأمل الذي ظل يراود الأندلسيين باستمرار وهو العودة.

هذا ما يتعلق بمساهمة هذه الجالية الأندلسية في التاريخ السياسي للمغرب، أما مساهمتها في تاريخه الحضاري فكان أوسع وأعمق في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية. ففي الميدان الاقتصادي أسهموا في تطوير بعض تقنيات الري بالمغرب، وفي تركيب عدة نواعير، خاصة بفاس، ومد عدة قنوات انطلاقا من نهر تانسيفت بمراكش، وقاموا باستغلال العديد من الضيعات الزراعية الممنوحة لهم من طرف الدولة. واشتهر الأندلسيون بغرس أشجار الزيتون، وتحسين إنتاج الخضر والفواكه، وتربية دودة القز. وعرف ميدان البناء معهم كذلك تطورا مهما، فطراز البناء الأندلسي لم يعد يقتصر على مدن الشمال، بل تخطى جبال الأطلس، ودخلت الفسيفساء ونقش الحجر والجبس والخشب والسقايات حتى الدور المتوسطة بعد أن استقر الصناع الأندلسيون بتلك المدن النائية. وبرع الأندلسيون أيضا في ميدان الصناعات المعدنية، فقد كانوا يشرفون على صناعة الأسلحة والذخيرة بمدينة فاس، وعلى العموم فإنهم أدخلوا العديد من الحرف إلى المغرب أو طوروها. وكانت مساهمة الجالية الأندلسية بالمغرب بارزة أيضا في الميدان العلمي، خاصة في العلوم التجريبية والرياضية والترجمة، وبفضلهم دخلت عدة مصطلحات تقنية الى اللغة العربية. ويتعاقب الأجيال انصهر الأندلسيون في بوتقة السكان، وأصبحوا يكوّنون جزءاً لا يتجزأ من الأمة المغربية.

أ. الونشريسي، *المعيار* ؛ مجهول، *نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر*، ت. الفريد البستاني، العرائش 1940 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*؛ م. ابن علي الدكالي السلوي، *الإتحاف الوجيز* ؛ م. بوجندار، *مقدمة الفتح* ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط* ؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس، عن قبائل مدينة فاس*، مخطوط.

Dan, P, *Histoire de la Barbarie et de ses Corsaires*, Paris 1649 ; Castries, H. de *Les Corsaires de Salé, Revue des deux mondes* 1903 ; *S.I.H.M.* ; Brunot (L), *La Mer dans les traditions et industries indigènes de Rabat-Salé*, Paris 1921 ; Coindreau R, *Les Corsaires de Salé*, Paris 1948 ; Caille, J. *La Ville de Rabat jusqu'au Protectorat*, Paris 1949 ; Brown K, *An Urban view of Moroccan history salé 1000-1800, H.T*, vol, XII, Fasc. unique, 1971, pp. 5-106 ; Gozabes Busto, G, *La Republica andaluza de rabat en el siglo XVIII*, s. d.

محمد رزوق

أَنْدَمْسِيرْ، محمّد بن لحسن، ويدعى أيضا : ألبنسير وأَنْدَمْسِيرّ، نسبة إلى قبيلة إندمْسِيرْن. من أكبر الشعراء الروايس الّذين تركوا بصمات واضحةً على التجربة الشعرية والموسيقية الأمازيغية المعاصرة. ولد بدوار «تامْسُولْت» قبيلة إلبنسيرن عمالة مراكش عام 1939، والتحق بالكتاب يحفظ القرآن ويتعلم مبادئ القراءة والكتابة. استهواه الغناء وقول الشعر منذ صباه المبكر، وشرع في ممارسة ذلك في «أحواش» الخاص بمنطقته، مما عرّضه لزجر والده الذي كان يريده أن يستكمل تعليمه التقليدي ليصبح فقيها، لكن شهوة الغناء وقول الشعر ظلت تستبد بالصبي اليافع مما دفعه إلى اكتساب المعارف الأساسية بالعزف والغناء وآداب الروايس من خلال اتصاله بمجموعة الرايس مولاي علي عام 1955، ثم بمجموعة الرايس محمد موراك الذي تأثر به أندمسير بالغ التأثر، وتلقى عنه مهارات العزف على آلة «الرباب». وكان قد اكتسب أيامئذ بعض الشجاعة والمهارة في نظم الشعر، مما أهله سنة 1956 إلى أن يغادر نهائيا الكتّاب بعد أن اتصل بالرايس حْماد أمنتاگ أثناء زيارته لقرية تامسولت، هذا الأخير الذي شجعه وقام بتوجيهه بعد ذلك، خاصة بعدما أصبح أندمسير يرافق الروايس الجوالين عبر مداشر وقرى الأطلس الكبير وبعض مدن الجنوب، تحدوه الرغبة في المعرفة واكتساب الخبرة الفنية، أكثر مما يروم كسبا ماديا، مما أهله لأن يتقن صناعة الروايس بعد معاناة كثيرة وصبر في مرافقتهم. وقد دفعه طموحه بعد ذلك إلى أن يقوم بتسجيل أولى أغانيه على اسطوانة عام 1961 : «اللاّهْتْ ءالْحْبابْ»، لتليها بعد ذاك

أسطوانات أخرى على مدى سنوات الستينات. غير أن أندمسير لم يلفت الانتباه إليه كليا في هذه المرحلة لسببين اثنين : أولهما وجود أسماء لها الصيت الذائع والسبق في الميدان نخص منها بالذكر عمر واهروش وأمنتاگ، وثانيهما أنه لم يتجاوز بعدُ في هذه المرحلة حدود الذين تتلمذ عليهم ليكتسب فرادة الصوت وتميزه، غير أن القصيدة المغناة التي ستفتح له باب الشهرة والتي ستمثل منعطفا هاما في حياته الفنية هي قصيدة «لاكسيضا» ـ الحادثة ـ حيث وصف معاناته بعد حادثة السير التي تعرض لها في نهاية الستينات والتي أصابه شلل على إثرها. وقد توالى إنتاجه بعد ذلك طيلة السبعينات لكي يتميز شعرا ولحنا، ويتبوأ في سنوات الثمانينات صدارة الشعر والغناء الأمازيغي.

أنتج أندمسير خلال حياته الفنية 566 قصيدة منظومة على جميع بحور الشعر الأمازيغي التقليدية إضافة إلى بحور جديدة ابتكرها ـ ومستثناة من هذه القصائد تلك التي كتبها لغيره ـ، وقد توزع تسجيلها كقصائد مغناة بين الأسطوانات والأشرطة، وتناولت جميع أغراض الشعر المطروقة في شعر القدماء من جبل الرواد، ويمكن إدراج جميع تلك الأغراض ضمن خمسة مجالات رئيسية : الشعر الوصفي ـ الشعر الوجداني ـ الشعر الاجتماعي ـ الشعر الديني ـ الشعرالسياسي..... غير أن أندمسير لم يكن مبدعا في كل هذه المجالات إلا نسبيا، فهو بحكم انتمائه إلى جيل وسيط ـ جيل القنطرة ـ بين القديم والمعاصر، قام جل شعره في الوصف والوجدانيات والوعظ الديني على اجترار الصورة الشعرية الكلاسيكية بمحدِّدات بنائها الفني، ولكن الجديد الذي أضافه إليها هو أنه أدخل فيها تفاصيل جزئية غزيرة بعد أن كانت عند غيره من القدماء موجزة مقتضبة، مما أدى إلى جعل جل قصائده تتسم بالطول المفرط : ما بين 100 و150 بيتا، وأحيانا تجاوز المائتين.

غير أن المجال الذي اختص فيه أندمسير بالقول المتميز واللافت للانتباه هو مجال الشعر السياسي الذي اتجه إليه بإصرار واضح منذ نهاية السبعينات لأسباب موضوعية، ذلك أن هذا النوع من الشعر كان مرتبطا من قبل بالمرحلة الاستعمارية مما جعله يعرف هبوطا طيلة المرحلة ما بين 1956 إلى منتصف السبعينات حيث أدت التناقضات الاجتماعية والاقتصادية إلى تعقد العلاقات المجتمعية وتفكك بنية الأسرة وتغير القيم، مما طبع شعره السياسي بحدة وارتفاع في النبرة واشتداد في العاطفة أسقط بعضه في التقريرية والهتاف، ولكن رفع جله إلى ذروة الصياغة الرمزية والتصوير المبدع. ونستطيع عموما أن نجمل خصائص الفن الشعري عند أندمسير في العناصر التالية :

أ ـ الإحكام العروضي وقوة الصياغة والسبك، حيث لا نكاد نجد في شعره مثلما هو الشأن عند كثيرين غيره من القدماء والمعاصرين خللا في الوزن أو اضطرابا في قواعد النظم وتراكيب العبارات، ويعود ذلك إلى الجهد الواضح الذي كان يبذله الشاعر في تنقيح شعره وتمحيصه بعد كتابته.

ب ـ حسن الربط بين المضامين المتعددة للقصيدة، فإذا كان شعر القدماء في أغلبه صورا مختزلة يتم الانتقال فيما بينها دون ربط أو حسن تخلص، فإن شاعرنا قد اهتم بالربط المنطقي بين الصور الشعرية الواردة في القصيدة الواحدة عن طريق زرع تفاصيل غزيرة بينها متوسلا بدقة الوصف وتوليد المعاني.

ج ـ الابتكار في التصوير وتجاوز الأدوات الرمزية التقليدية، فإلى جانب الصور الشعرية الوصفية التقريرية التي يخفف من سطحيتها إحكام السبك وإتقان الصياغة العروضية، هناك في شعر أندمسير صور رمزية ذات بعد إيحائي تخييلي يتم فيها تقديم المعنى متضمنا في ثنايا العلاقات الرمزية بين الكلمات، وقد لجأ بكثرة إلى التصوير الرمزي في شعره السياسي خاصة.

لقد اهتم كثيرا بفنية الشعر وجماليته فاعتبره صناعة لا تتيسر إلا للقلة، كما اعتبر جمهور الشعر متفاوتا في ملكات التلقي والسماع فتحدث عن «خاصة» تفهم «المعاني» الخفية، وعن «عامة» فسد ذوقها وقصرت عن إدراك مراميه.

وعن الجانب الموسيقي : يعتبر كل شعر أندمسير مغنى بألحان وضعها الرايس نفسه وعزفها، فيكون بذلك نموذج الرايس «الكامل» الذي يقوم بالمهام التقليدية الثلاث : النظم والتلحين والغناء.

اعتمد في موسيقاه على آلات تقليدية عرف بها فن الروايس، وعلى رأسها آلة «الرباب» التي كان هو نفسه يعزف عليها، يرافقه عازفان على آلتي «لوطار» يُدوْزِنَان أوتار آليتهما على مستوى نغمة الرباب الذي يضبطه أندمسير دوما في المستوى المناسب لصوته، بالإضافة إلى ضارب على الطارة «تالونت» وآخر على الناقوس، مع ضرورة الإشارة إلى أنه منذ سنوات السبعينات، وبعد المد الذي عرفته الظاهرة الغيوانية أدخل أندمسير آلة «الطامطام» في إيقاع موسيقاه مما كان له تأثير على ألحان مرحلة بكاملها، غير أنه تجنب الضرب عليها بإيقاع عربي، وأولى اهتماماً خاصا بإيقاع رقصة تاسْكِوينْ الأمازيغية.

استفاد أندمسير كثيرا من موسيقى سابقيه الكلاسيكيين، وظلت مهيمنةً على طريقته في التلحين، ولم يستسغ الطرق الجديدة التي اتبعها روايس المرحلة المتأخرة التي غيرت نغمة الرباب نفسه، بالإضافة إلى إدخالها الإيقاع العربي وآلات الأوركسترا الغربية لأغراض تجارية صرفة، ولا يفوتنا أن نشير في هذه النقطة بالذات إلى أن اتجاه الدمسيري في السنوات الأربع الأخيرة من حياته إلى تأدية ألحان قديمة والإصرار من جهة أخرى على شعر الوعظ الديني لم يكن إلاّ ردُّ فعل ضد موجة «التجديد» المتنكرة للأصول التقليدية.

نستطيع إذن أن نقول إن الدمسيري مخضرم الموسيقى، حيث نهل من القدماء، وجدد في عناصر التلحين القديمة استجابة لبعض التغيرات الطارئة على الساحة الموسيقية في المغرب.

أما الأداء الغنائي فهو الوجه الثالث لشخصية أندمسير الفذة، غير أنه إذا كان شعره في مستوى القوة والجزالة العالية، وموسيقاه بالغة التأثير، فلم يكن كذلك صوته، الذي كان يشكو من ضعف منذ بدايات تجربته في الغناء، حيث كان يجد صعوبة في إخراج بعض الأصوات مما جعله يضع لغيره من الرايسات ذوات الصوت الرخيم ألحانا لم يستطع أداءها بسهولة. غير أن ضعف صوت أندمسير الذي اعترف به هو نفسه لم يكن عقبة في طريقه، فقد جعله ذلك يراهن على قوة الكلمة الشعرية وسحر تأثيرها، مما دفعه إلى المحافظة على تقليد الروايس القدماء الذي يعتمد الغناء خارج الإيقاع المتصل، هذه الطريقة التي تفسح المجال أمام بروز مضامين الخطاب الشعري، ولعل ذلك من الأسباب الواضحة التي تكمن وراء طول قصائد أندمسير وغزارة معانيها. وعموما نستطيع أن نميز بوضوح بين نمطين من الغناء عنده : النمط المذكور الذي يتمثل في الغناء خارج الإيقاع، والنمط الثاني هو نمط الغناء داخل الإيقاع، وعادة ما يكون سريعا ويتم فيه توزيع الأداء بالتناوب بين أندمسير وفرقته من الرايسات اللواتي يرددن البيت الأول من القصيدة المغناة.

إن أهم ما يمكن قوله في تقويم عام لتجربة أندمسير الفنية، هو أنها كان يحدوها وعي كبير بنبل الرسالة الفنية وسموها، مما جعل الرايس يتجه في السنوات الأخيرة إلى توجيه النقد في شعره لموجة الغناء الجديد وللجمهور الأمازيغي منددا بالنشازات الماتعة وانحطاط الذوق الفني، ولعل هذا كله كان نابعا من شعور عميق بثقل المسؤولية، وبرسالة الفنان التي ما فتيء يحتفي بها في شعره من مثل قوله في إحدى قصائده في السنوات الأخيرة :

ⵜⴰⵛⵛⴰⵔ ⵏⵍⴰⴳⵉⵙ ⵉⵔⴽⵉⵅ ⵎⵓⵏⵜⵅ
ⵢⴰⵏ ⴷ ⵏⵜⵜⵍ ⵜⵉⴳⵉⵔⴰⵏⵓⵔ ⵉⵙⵉ ⵙⵙⵉⵖⵔ
أنا في عراك إلى أن أموت
ومَن يات بعدي يَحْم الحِمى

أحمد عصيد

إندوزال ← **هوزالة**

أنركي ← **أزيلال** (إقليم.)

إنريكي دالمُونتي Enrique D'Almonte، إسباني، قام ببعثة علمية إلى الصحراء المغربية لحساب «الجمعية الجغرافية بمدريد» وخرج منها بتوصيات تتعلق بسياسة إسبانيا في الصحراء الغربية، ومن هذه التوصيات جعل موقع العيون عاصمة للمنطقة واتباع سياسة الحكم غير المباشر باستعمال ذوي النفوذ من الزعماء المحليين.

T. Hodges, *Historical dictionary.*

أحمد التوفيق

إنزگان ـ جغرافيا ـ مدينة تقع في أقصى غرب سهل سوس، على الضفة اليمنى للواد وعلى بعد 11 كلم من مصبه. وتنفرد هذه المدينة الصغيرة ـ البالغ عدد سكانها 17.952 نسمة سنة 1982ـ وهي تنتصب على يمين الطريق الوطنية رقم 10، عند النقطة الكلمترية 12، جنوب شرق مدينة أگادير، بكونها تتوسط المجموعة الحضرية لأگادير الكبير. وتعتبر قلبها النابض وقطب التجارة السوسية بدون منازع.

النشأة ومراحل التطور : كانت في الأصل عبارة عن قرية صغيرة قديمة جدا، نشأت حول ضريح على نتوء صخري 35 متر وسط المجرى الكبير لواد سوس، مستفيدة من مميزات هذا الموضع حيث وفرة المياه والأراضي الصالحة للزراعة من جهة، وحيث إمكانيات درء فيضانات الواد من جهة أخرى. وقد ظلت منذ نشأتها وإلى بداية هذا القرن، تضطلع بدور العاصمة الادارية والاقتصادية لقبيلة گسيمة.

وبعد دخول الحماية إلى سهل سوس، توطد دورها الإداري. فمنذ سنة 1925 اتخذت منها سلطات الحماية مقرا لإدارة ومراقبة قبائل الجزء الغربي من السهل وحواشيه الجبلية. كما أنشأت بجوارها أكبر قاعدة عسكرية جنوب الأطلس الكبير بجوار قرية بنسرگاو. وقد ساعد هذا على تدعيم دورها التجاري الذي بدأ يتعزز أكثر بعد سنة 1930، وذلك بموازاة توافد أعداد من المغاربة والأجانب الذين نزحوا إليها للاستفادة من الفرص التي أصبحت متاحة بها من جهة، وبالمدينة القريبة الناهضة أگادير من جهة ثانية.

حظيت إنزگان خلال هذه الفترة بمبادرات رسمية في التجهيز والتعمير حيث توفرت شبكة طرق معبدة، فتحت آفاقا جديدة أمام توسع القرية التي ارتقت إلى مستوى مدينة قبيل الحرب العالمية الثانية وشهدت ظهور الأحياء المغربية الأولى على الأطراف الشمالية للنواة الأولى، بالإضافة إلى إحداث حي خاص بضباط الحماية بمحاذاة طريق أگادير (حي العصافير) وبعض المصالح والمؤسسات الادارية والاجتماعية. وقد واكب هذا التوسع تزايد ديمغرافي ملحوظ، حيث ارتفع عدد السكان من 966 نسمة سنة 1931 إلى 4.657 نسمة سنة 1952. وبعد الاستقلال وفي خضم التحولات السريعة والعميقة التي شهدها سهل سوس، عرفت مدينة إنزگان تطورا هاما حيث أصبحت أهم قطب حضري بالمنطقة بعد أگادير. وقد ارتبط هذا التطور في الأصل، بزلزال مدينة أگادير سنة 1960 إذ جعل إنزگان بفضل موقعها وتجهيزاتها تضطلع ببعض وظائف المدينة المنكوبة. واستطاعت خلال هذه الفترة تعزيز وظيفتها التجارية وخاصة بعدما تحولت إلى مقر لدائرة ونجحت في استقطاب معظم الفروع التجارية التي كانت متمركزة قبل 1960 بحي تالبرجب القديم بأگادير. وغدت تضطلع بدور المدينة القديمة على مستوى المجموعة الحضرية لأگادير الكبرى. وقد تطورت علاقتها مع محيطها المحلي والجهوي ومع باقي جهات المغرب وخاصة حينما أصبحت تحتضن أكبر سوق لتجميع وتصريف المنتوجات الفلاحية وأكبر محطة طرقية جنوب الأطلس الكبير، وحينما تحولت إلى

قبلة للمستثمرين في جميع أنحاء البلاد ومن الخارج أيضا وخاصة من العمال المنحدرين من المنطقة.

وقد شهدت المدينة في خضم هذه التحولات توافد أعداد هامة من المهاجرين حيث ارتفع عدد سكانها بين 1960 و1982 من 6.917 ن إلى 17.952 ن. كما عرفت توسعا في مجالها حيث ظهرت بها أربعة أحياء جديدة، أصبح معها حيز المدار الحضري للمدينة على درجة عالية من التشبع نظرا لضيق مساحته من جهة ولوجود معظم أراضيه في ملك الدولة من جهة ثانية. الشيء الذي أرغم معظم القادمين وخاصة من الفئات المحرومة، على الاستقرار بالمراكز الصغيرة المحيطة بإنزگان كالدشيرة وتراست والجرف وتيكوين.

السكان : تزايد سكان إنزگان على العموم بكيفية سريعة ابتداء من الثلاثينات. ويقدر معدل نسبة التزايد السنوي بـ 5,7٪ بين 1936 و1982. وهذه النسبة تفوق معدل النمو الحضري على الصعيد الوطني 4٪. وتجدر الإشارة إلى أن إيقاع التزايد كان جد متغاير بين الفترات. فإذا كانت وثيرته سريعة جدا بين 1936، 1952 بلغت 6,8٪ وساهمت فيها بقسط وافر الجالية الأجنبية التي كانت تمثل 1/4 السكان، فإن الوضعية تغيرت تماما خلال العقود الموالية بحيث انخفضت النسبة من 5,1٪ سنة 1960 إلى 4,1٪ سنة 1982، وأصبحت تعادل تقريبا معدل النمو الحضري الوطني. وتعتبر هذه النسبة الأخيرة من أضعف ما سجل الوسط الحضري بسوس، الشيء الذي كان له بالغ الأثر على هبوط الوزن الديمغرافي لإنزگان في المنطقة بحيث لم تعد تحتضن سوى 7,6٪ من مجموع سكان أگادير الكبرى، بدل 17,5٪ سنة 1960. ويرتبط بطء إيقاع التزايد خلال عقد السبعينات على الخصوص بالوضعية القانونية لإنزگان ونوعية التوسع الذي تم به، فهذا المركز يعتبر إحدى واجهات البلاد المفتوحة على الخارج. وبحكم كونه بلدية فهو يخضع للمراقبة والتقنين في ميدان تجزئة الأرض وبنائها، هذا بالإضافة إلى ضيق حيز المدار الحضري الذي لم يعد يتسع لخلق تجزئات سكنية جديدة. وقد ساهم التوافد بنصيب لا يستهان به في تكوين السكان الحضريين بإنزگان. ففي سنة 1971، بلغت نسبة المزدادين خارج المركز حوالي 58٪ وارتفعت سنة 1983 إلى 72,2٪. وهذا يعني أن المولودين بالمدينة نفسها كانت نسبهم على التوالي 42٪ و27,8٪. وينحدر معظم المهاجرين 74,8٪ سنة 1971 من أصول قروية. ويمثل سهل سوس وحواشيه الجبلية الموطن الأصلي بالنسبة لحوالي نصف الوافدين. على أن النصف الآخر قدمت غالبيته من الهضاب والسهول الأطلنتية وخاصة حاحة وعبدة والشياظمة.

الأنشطة الحضرية : يتبين من تحليل البنية المهنية للسكان النشيطين تضخم القطاع الثالث الذي يستحوذ على 80.4٪ من مجموع النشطين سنة 1988 بدل 24,3٪ سنة 1960. وتعبر هذه النسبة العالية جدا عن الدور الذي تضطلع به المدينة باعتبارها مركزا للخدمات التجارية والادارية والاجتماعية.

الجندية والأنشطة الإدارية والتعليمية والصحية : تعتبر أهم الأنشطة الممارسة من طرف السكان حيث يشتغل بها حوالي 35٪ من النشيطين. وهذه الأنشطة لم تشكل أصلا القاعدة التي قام عليها نمو المدينة. فهي لم تصبح من القطاعات الأساسية المحركة للاقتصاد الحضري إلا بعد الاستقلال. ويرتبط هذا :

أولا : بإنشاء ثكنة للقوات المساعدة بالمدينة وبالتوسع الذي شهدته القاعدة العسكرية المجاورة بعد سنة 1975.

ثانيا : بتعزيز النشاط الإداري بالمدينة حيث أصبحت بلدية وعاصمة لدائرة تتكون من ست جماعات قروية ومقرا لمجموعة من المؤسسات الاجتماعية الأخرى كالمحكمة الإبتدائية والسجن المدني.

ثالثا: بوظيفتها التعليمية باعتبارها تحتضن أربع مدارس ابتدائية وخمس مؤسسات للتعليم الإعدادي والثانوي ومدرسة عليا للأساتذة. بوظيفتها الصحية المتطورة والمتمثلة في عدد من التجهيزات تعطي للمدينة إمكانيات إشعاع جهوي كبيرة جدا. وأخيرا بموقعها وسط المجموعة الحضرية لأگادير الكبرى حيث تمثل مقر سكنى بالنسبة للعديد من موظفي المؤسسات العمومية.

النشاط التجاري : تمثل التجارة أهم نشاط اقتصادي بالمدينة، حيث تشغل حوالي 25,1٪ من مجموع النشيطين سنة 1988. وتمتاز بكونها تعتبر من أقدم الأسس الاقتصادية التي قام عليها نموها. فمنذ سنة 1960 كان هذا القطاع يشغل أزيد من 18٪ من النشيطين.

ويمتاز التجهيز التجاري بالمدينة حاليا بوجود 2.545 محلا تجاريا دائما أي ما يعادل محلا واحدا لكل 7 أفراد. وهذا تضخم كبير في حد ذاته . كما ينفرد بوجود تفاوت صارخ بين أنشطة البيع 83,7٪ والأنشطة التجارية الخدماتية 16,3٪، بالإضافة إلى تضخم واضح لفرع تجارة التغذية التي تستحوذ على 25,3٪ من مجموع المحلات.

فالمدينة تنفرد بكونها تمثل أهم نقطة لتركز تجارة الجملة ونصف الجملة بالمنطقة (271 محلا لتجميع وتصريف المنتوجات الفلاحية، 30 محلا لتوزيع المواد الغذائية، 11 محلا لتجارة الألبسة) وتحتضن أحد أكبر أسواق الماشية بالإضافة إلى سوق أسبوعي، كما تمثل مقر إقامة ونقطة انطلاق الكثير من التجار المتجولين عبر الأسواق الأسبوعية وخاصة منها أسواق الجزء الغربي والأوسط من سهل سوس وحواشيه، وأخيرا تمثل مكانا لعقد الصفقات بين رجال الأعمال والمستثمرين من المنطقة ومن خارجها، وهذا ما يفسر التركز الكبير للوكالات البنكية التي يبلغ عددها إحدى عشرة وكالة.

أنشطة النقل والأكل والإقامة : تكتسي هذه الأنشطة أهمية خاصة بالمدينة حيث تشغل حوالي 19.5٪ من النشطين، وتستحوذ على 18.7٪ من مجموع المحلات.

وتعتبر خدمات النقل أهم هذه الأنشطة على الإطلاق (أزيد من نصف محلات الخدمات بالمدينة). وترتبط أهمية هذا القطاع بالدور الطرقي الذي تلعبه إنزگان على الصعيدين الجهوي والوطني وخاصة بعد استرجاع الأقاليم الصحراوية. فالمدينة تحتضن أكبر محطة طرقية بالمنطقة تجعل منها نهاية غالبية خطوط نقل المسافرين. أما خدمات الأكل والإقامة فهي تمثل 6,6٪ من مجموع المحلات.

الأنشطة الحرفية : تشغل هذه الأنشطة 16,4٪ من مجموع النشطين وتحتل حوالي 836 محلا. ويمتاز النشاط الحرفي بالتنوع وبعدم التوازن بين الصناعات التقليدية المنتجة 46,7٪ والصناعات التقليدية الخدماتية 53,3٪. وتوجد في مقدمة الحرف المنتجة الخياطة (خياطة الجلاليب وملابس النساء) والنجارة واللحام (صنع الأبواب والشبابيك الحديدية).

عصرية أو عمارات صغيرة. ورغم هذا ما زالت معظم الدورمبنية بالطين والحجارة وتتكون من طابق أرضي.

الأحياء المغربية الجديدة : تشمل الأحياء التي بنيت خلال فترة الحماية وخاصة بعد 1925، والأحياء المغربية الأخرى التي ظهرت بعد 1956. الأحياء الأولى بنيت عند القدم الشمالي للنتوء الصخري وتتوسط حاليا الحيز الحضري. وتعتبر مركز المدينة التجاري وقلبها النابض. ويمكن تقسيمها على أساس حدة تركز المحلات التجارية إلى حيزين : الأول يقع شمال مقر الدائرة، وقد تم توسيعه مؤخرا في اتجاه طريق أگادير، حيث أصبح يشمل إلى جانب المركز التجاري القديم، سوق الخضر بالجملة والسوق الأسبوعي والمحطة الطرقية. ويعتبر هذا الحيز المركز التجاري الحقيقي لإنزگان. أما ا لحيز الثاني فيقع بين زنقة هشتوكة وزنقة المدارس وهو ما يسمى بحي إنزگان.

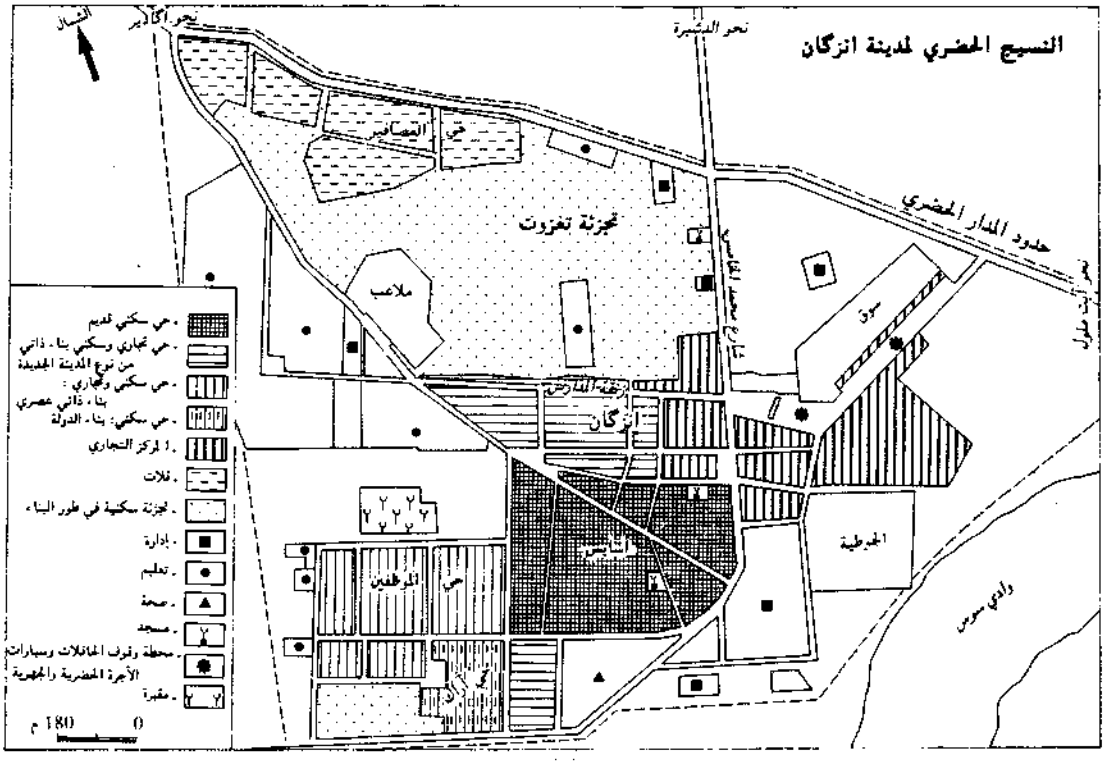

مورفولوجية المدينة : تتميز مرفولوجية المدينة بنسيج مفكك وغير متجانس يتكون من مجموعة من الأنوية السكنية التي تفصل بينها مجالات فارغة أو في طور البناء. ويمكن تمييز خمسة مجالات :

- النواة القديمة : تتمثل في حي أسايس الواقع على قمة النتوء الصخري والذي لازال يحافظ على طابعه القديم حيث الأزقة ضيقة وملتوية، تتضمن بعض المحلات التجارية الصغيرة. وقد بدأ هذا الحي يعرف بعض التغيرات التي تهم الدور القديمة حيث تقام مكانها دور مغربية

والجدير بالملاحظة أن معظم أجزاء هذه الأحياء يظهر اليوم مكتظا بالمحلات التجارية وعلى درجة كبيرة من التشبع. يفسر ذلك حدة المضاربة على الأصول التجارية، وأيضا حركة التغيير وإعادة التهيئة التي يتعرض لها هذا المجال من المدينة، والتي تتمثل في هدم البنايات القديمة وتخصيص الطوابق السفلى وأحيانا جميع الطوابق للتجارة التي تكتسح حتى الدور المعدة للسكنى.

أما الأحياء الأخرى التي بنيت بعد 1956 فتشمل حي بونعمان وحي إراك وحي الموظفين : (حي ولي العهد) وتقع

في الجنوب والجنوب الغربي من المدينة وكلها تأسست بعد سنة 1968. وتتميز بكونها أحياء عصرية منازلها مبنية بالآجر والإسمنت المسلح، وتتكون من طابقين أو ثلاثة طوابق يخصص الطابق الأرضي منها للتجارة، باستثناء حي ولي العهد الذي هو حي سكني بالدرجة الأولى.

حي العصافير : يعتبر من مخلفات سلطات الحماية بالمدينة. وهو حي سكني صغير منعزل في أقصى الشمال الغربي للحيز الحضري، يتكون من مجموعة من الڤيلات التي أنشأها المعمر لإسكان ضباط القاعدة العسكرية. وتمتد حاليا على أطرافه الجنوبية تجزئة سكنية في طور البناء، تعتبر آخر ما تبقى من أراضي المدار الحضري لإنزگان (تجزئة تغزوت).

مجال المؤسسات الادارية والاجتماعية : يمتاز بكونه مجالا غير متصل يمتد على حيزين من المجال الحضري. الأول يقع في أقصى الجنوب والجنوب الشرقي يشرف على وادي سوس ويتضمن مقر الدائرة والسجن المدني بالإضافة إلى المركز الصحي ومستشفى الأمراض الجلدية ومرض السل. أما الحيز الثاني فيوجد في الوسط الغربي ويشمل معظم المؤسسات التعليمية بالإضافة إلى الخيرية والملاعب الرياضية.

ونستخلص في النهاية أن إنزگان مدينة صغيرة نجحت في تنويع أسسها الاقتصادية لتصبح ذات شخصية متميزة في إطار أگادير الكبرى باعتبارها قلبه التجاري النابض. غير أن تشبع حيز مدارها الحضري يدفعنا إلى التساؤل عما إذا كانت تستطيع الحفاظ على هذه الوظيفة خاصة إذا علمنا أن المراكز المحيطة بها وخاصة أيت ملول قد بدأت تنافسها على هذا المستوى نظرا للأهمية التي اكتسبتها بحكم موقعها على طريق الأقاليم الصحراوية المسترجعة.

ع. الحجوجي، *التهيئة الحضرية لحيز مدينة أگادير بين 1960 و1982 من خلال تدخل الدولة*، أطروحة السلك الثالث ـ إكس ـ مرسيليا، 1983.

عثمان هناكا

إنزگان ـ تاريخ ـ كلمة أمازيغية مركبة من (أنزيگ) بمعنى الغار ومن (أنْ) بمعنى ذاك، وهي إما بصيغة المفرد (أنزيگ أن) ذلك الغار أو بصيغة الجمع (إنزيگن أن) تلك الغيران، أي الغيران الواقعة على الجهة الأخرى (اللوادي) وبتوالي الاستعمال أصبح إنزگان، وهو الاسم الذي يشار به لذلك المكان المعروف به الآن، ويوجد في قبيلة مسگينة شمال إنزگان مكان يدعى (أنزيگ أوشن) غار الذئب قرب قرية تاباطكوكت.

وموقع إنزگان يوجد قرب الطريق التجارية الرابطة بين الصحراء وأگادير والصويرة، وهو على مبعدة عشرة كيلومترات من مدينة أگادير، ويشكل تلا صخريا من طبقات كلسية تنتهي بجرف نحو مجرى نهر سوس، وقد أدت التعرية المائية الباطنية إلى تشكيل عدة غيران كظاهرة غريبة في هذه المنطقة السهلية وهي أصل الاسم، ويوجد غاران كبيران أحدهما يفصل بين موقع انزگان وحي الجرف الآن واستغل كمجرى للمياه الحارة، والثاني يوجد في سمت ضريح الولي الحاج مبارك وقد أغلقته سلطة الحماية الفرنسية.

وإلى بداية القرن التاسع عشر كان هذا الموقع خاليا من السكان تنشر عليه أشجار برية منها شجر «الأرگان» الذي لم تبق منه اليوم إلا شجرة واحدة تتوسط المدينة.

وتذكر الرواية الشفوية أن أجنبيا نصرانيا هو أول من سكن هذا الموقع قرب مكان ضريح سيدي محمد العروسي وكان هذا النصراني يتصل بشاطئ البحر ويعود ليلا، اتخذ مسكنا من الحجارة، وقد انتبه اليه سكان «المرس» قرب تيكيوين وجاؤا إليه فطردوه، ومنذئذ كان هذا الموقع محلا للاهتمام وهو بداية القرن التاسع عشر فجاءت إليه بعض الأسر من أصول مختلفة شمالا من حاحة وجنوبا من أيت باعمران والصحراء وبالخصوص بعض الركيبات وحسب تقييد أول فقيه « شارط » في مسجد صغير في بداية تأسيس القرية، فقد بلغ عدد الأسر الأولى سبعا وهي أيت منصور وأيت بلخير وأيت بوحسين وأيت أُبهي وأيت أُلحيان وأيت القايد وأيت العربي، وتلاحقت أسَر أخرى، وما أن انتصف القرن التاسع عشر حتى اصبحت إنزگان قرية كبيرة من بين قرى قبيلة گسيمة التي كانت تسير على نظام قبلي مبني على الأعراف المكتوبة (الألواح)، ويظهر من بعض ألواح قبيلة گسيمة أن هناك ازدواجا بين سلطتين داخل القبيلة لتنظيم الحياة العامة : سلطة المخزن المتمثلة في القائد وسلطة القبيلة المتمثلة في مجلس الأعيان إذ نجد من خلال لوح قبيلة گسيمة لسنة 1895 أن القوانين العرفية تطبق باسم القائد وهو يومئذ القائد أحمد بن إبراهيم الگسيمي وباسم أعيان القبيلة، ويمثل إنزگان في المجلس عضوان هما : الحاج عدي بن القاضي، وإبراهيم بن محمد أمركا. إلى جانب نواب الدشيرة وإرحالن والغياتن والجرف والمزار وأيت ملول، وقصبة الطاهر وغيرها.

كانت انزگان محاطة بسور بسيط من الحجارة وبعضه مبني بألواح الطوب، ولها ثلاثة أبواب، أحدها ينفتح نحو الجنوب الشرقي للمسجد الكبير وهو الباب الرسمي والثاني نحو الشمال الغربي لمنزل أيت بلخير ويدعى «باب التراعت» والثالث شرقا نحو ضريح الولي الحاج مبارك ويدعى «باب الريراو».

وأغلب السكان كانوا يشتغلون بالفلاحة وتربية الماشية ولهم أملاك على الضفة اليمنى لنهر سوس. وكان النهر كما وصفه شارل دوفوكو دائم الجريان طول السنة وضفافه كثيرة الخصب، إلى جانب وجود عدة سواق متفرعة عنه أهمها ساقية الجهاد التي تستفيد منها قرية إنزگان وغيرها من قرى قبيلتي گسيمة ومسگينة. وكذلك ساقية تاراست، مما يكفل للسكان اقتصاديا الاكتفاء الذاتي فلاحيا، إذ كانت إنزگان محاطة بالبساتين من جميع جهاتها باستثناء

الغرب، أما الماشية فكانت كثيرة وترعى بالتناوب : (تاوالا) على شكل جماعي، وتنظم رعايتها «بلوح» خاص، وهناك ساحتان لتجميع الماشية للتناوب لكثرتها : «أسايس نتاگوت» (الساحة الغربية) جنوب المسجد الكبير، و«أسايس القبلت» (الساحة الجنوبية) قرب باب الريراو شرقا، ثم وقع تجميعها في عهد الحماية في ساحة للاميمونة. وقد استمرت تربية الماشية كمظهر قروي بانزگان إلى صيف 1970 حيث وقع منعها رسميا بداخل المدينة.

ومن معالم إنزگان، يوجد المسجد الكبير الذي يتوفر على مدرسة اشتهرت بالقراءات، وقام بالتدريس فيها عدد من العلماء نذكر منهم : الشيخ المقرء سيدي عبد القادر بن أحمد، وسيدي مبارك نْطالب، و سيدي علي بيروك، وسيدي إبراهيم بن التهامي الحاجي، ولكن ازدهار المدرسة علميا انما كان أثناء الأربعينيات وأوائل الخمسينات من هذا القرن حينما تولى التدريس فيها الفقيه الحاج عبد الرحمان بن محمد الحداد الانزگاني خلفاً للفقيه ابن التهامي، ابتداء من سنة 1938. وكان الحاج عبد الرحمان من الفقهاء البارزين وقد استمر في عمله العلمي إلى أن توفي سنة 1982.

ويرتبط تاريخ انزگان بتاريخ أسرة أيت القايد الگسيمي وتعتبر القيادة فيها متسلسلة، وكان بينها وبين أبناء عمومتهم أيت أولحيان صراع حول السلطة كما كان لهم صراع مع قواد مسگينة من آل الشداخ وقواد هشتوكة من آل الدليمي، ومن بين القواد الگسميين واللحيانيين الذين تناوبوا على السلطة، القايد العربي الگسيمي، والقايد أحمد بن إبراهيم اللحياني من قواد مولاي الحسن عام 1882 وعبدالرحمان بن العربي الگسيمي، وأحمد اللحياني والحاج الحسن الگسيمي ومحمد بن عبدالرحمان، وفي سنة 1912 تولى القيادة محمد بن الحاج الحسن الگسيمي. وبعده تولى آخر القواد الگسيمين القايد عبد المالك.

ويتصف هؤلاء بالاعتدال رغم صراعاتهم المذكورة، باستثناء القائد محمد بن الحسن الگسيمي، فقد كان أشدهم وأقواهم عنفا، وحسب شهادة السيد أحمد بوالتّومات وكان «مخزنيا» مساعدا لهذا القائد، فقد كان الناس يتحاشون المثول بين يديه لقسوته ويفضّلون حل مشاكلهم بالمصالحة.

أما من حيث التعمير فيظهر أن هناك ارتباطا بين وضعية أگادير، ونشوء إنزگان وتعميرها ففي الوقت الذي تأسست فيه إنزگان كان مركز أگادير التجاري بعد إغلاق مرساه بأمر من السلطان محمد بن عبد الله قد تحول إلى مرسى الصويرة مما جعل إنزگان لم تشهد نموا سريعا. فباستثناء قلعة أيت القايد بأبراجها، ومنزل القايد محمد الگسيمي الذي اتُّخذ الآن مقر المركز الإداري لا توجد إلا مساكن متواضعة، وظلت القرية غير ذات أهمية كبيرة إلى نهاية القرن التاسع عشر، فقد مر بها بعض الرحالين الأجانب وهم في طريقهم من سهل سوس إلى الصويرة دون أن تلفت انتباههم، وقد اكتفوا بذكر منازل بعض الشخصيات على الطريق المؤدية إلى أگادير، ومن بين الرحالين الذين مروا بها شارل دو فوكو Ch. de Foucauld سنة 1884 ودو سيگونزاك de Segonzac سنة 1899، وقد رسم هذا الأخير موقعها على خرائط كتابه.

وعرفت إنزگان بعض التطور في عهد الحماية بانشاء بعض المرافق وبناء حي خاص بالأجانب مفصول عن المدينة بالبساتين وهو حي لي شالي (حي العصافير حاليا) الذي أحدث في شمال السكن العتيق. غير أن التطور الهام الذي حدث بإنزگان مرتبط أيضا بوضعية أگادير، فبعد زلزالها المشهور سنة 1960 انتقل الأگاديون إلى إنزگان فاصبحت منذ ذلك الحين في نمو متزايد، ويعتبر سوقها أكبر سوق بسوس من حيث ترويج البضائع.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 14 : 149، 152، 158، 175، 15 : 205، 236 ؛ *خلال جزولة*، 1 : 20، 38، 4 : 75، 95 ؛ ع. أفا، *مسألة النقود*، 78، 109 ؛ *رواية شفوية عن السيدين أحمد بوالتّومات والحاج أحمد بلقايد*.

Ch. de Foucauld, *Reconnaissance*, 184-85 ; E. de Segonzac, *Voyage au Maroc*, 278 ; R. Montagne et Ben Daoud, *Document de droit coutumier du sud marocain*, *Hesp*, 1927, pp. 419-445.

الإنزگاني، الحاج عبد الرحمان أمزيل الحداد المستغفر، نموذج من العلماء متفرد كان عليه مدار شئون الناس في مدينة إنزگان، يصلح ذات البين ويفصل في النزاعات وعلى يديه تتم كثير من حالات الزواج وعمليات الرهن والبيع والشراء، ويكتب عقودها ويمارس علم الميراث ويفض في أمور الفلاحة وخاصة في الأراضي الفلاحية التي على الضفة اليمنى لنهر سوس وكذلك التي في مجال مياه ساقية الجهاد، وله مواقف وطنية. كل هذا إلى جانب التدريس وإمامة المسجد.

ولد بإنزگان يوم الأربعاء 16 جمادى الثانية 1326/16-7-1908م وكان والده محمد بن علي ـ كما يقول المختار السوسي ـ عالما مشهورا رفع راية العلم بقريته بإنزگان وكان يقضي بين الناس في عهد القائد الحاج أحمد الگسيمي، وله صلة بملوك المغرب يذكر في تقاييده لقاءه

بالسلطان مولاي الحسن وتقديم مصحف كهدية له في جملة من العلماء أثناء رحلته إلى سوس 1886، وكانت أسرته تحظى بظهائر التوقير والاحترام تكريما للعلم.

تلقى الحاج عبد الرحمان تعليمه في المدارس التالية :

- في الجامع الكبير بإنزگان حيث تلقى القرآن على المقرئ الشيخ عبد القادربن أحمد وعلى ابنه سيدي مبارك بعده.

- في مسجد قرية المزار تمّم دراسته القرآنية بقراءة «المكّي» على المقرئ محمد بن عبد الله الرگراگي.

- في مدرسة سيدي ميمون قرب المزار، تلقى مبادئ العلوم العربية والفقه وغيرها على يد الفقيه مبارك بن محمد البوزوگي الگسيمي لمدة عشر سنوات.

- في مدرسة أيت ملول التي انتقل اليها بسبب ظروف الجفاف والمجاعة لسنة 1926 واستقر فيها إلى سنة 1937.

- في مدرسة إغيلالن العلمية بقبيلة مسگينة ليتخرج على يد أستاذها الفقيه الحاج مسعود الوفقاوي.

بعد أن استكمل تكوينه على يد ثُلّة من خيرة العلماء، بدأ اشتغاله بالتعليم منذ سنة 1938 «فشارط» بقرية إرحالن وهي حي من أحياء «الدشيرة» الآن وبطلب من سكان إنزگان انتقل إلى الجامع الكبير، فتولى التدريس والإمامة، فلمع نجمه، وأصبح مقصد الجميع، وقد توافد عليه الطلاب من مختلف النواحي، لأنه جمع بين تعليم القرآن وتدريس العلوم العربية وأصبحت المدرسة - الجامع - آهلة بالطلبة الآفاقيين، وتسابق الناس في القيام بوظائف المدرسة وإكرام الطلبة مما أدى إلى ازدهار التدريس. وإلى جانب التدريس زاول مهام الإفتاء والإرشاد والفصل في التركات.

ينتمي الإنزگاني إلى الطريقة التجانية، وقد أخذها عن شيوخه : سيدي مبارك بن محمد بأيت ملول (ت 1933) والشيخ أحمد بن مبارك أُتينهـمّو الذي أصبح على يده مقدّما للطريقة، بتاريخ 13 رجب 1356 / 19 - 9 - 1937، وله إجازات من الحاج علي بن أحمد الاساگي سنة 1943، ومن الطيب بن علال من أحفاد الشيخ التجاني، ومن الحاج الحسن الباعقيلي، وله أسانيد متصلة، فكان بينه وبين الشيخ التجاني واسطتان : الاساگي والإفراني، وهو «مقدم» الطريقة في هذه المدينة وعلي يده تؤخذ الأوراد.

وإلى جانب المهام المشار إليها آنفا. كان يمارس أعمال الحدادة مع أخيه الأكبر، كما كان يمارس شخصيا الأعمال الفلاحية في أملاكه، ويشرك أحياناً طلبته القادرين على العمل إلى جانب العمال، ويعتبر ذلك جزءا من تربيتهم العملية، مما يغنيه عن الأجرة التي يؤديها السكان، وقد يلتجئون إليه في ساعة العسرة أحيانا.

كان لا يخاف في الله لومة لائم، إذ كان يعبّر أمام سلطة الحماية عن آراء السكان، ولرأيه أهمية كبيرة لدى تلك السلطة، كما كان له اهتمام شديد بتتبع أخبار البلاد وخاصة عن طريق الجرائد. وقد تعرض قبل 1953 لمضايقات سلطات الحماية فكان البوليس الفرنسي يحمله من داخل مسجد إنزگان وينقله على سيارة جيب مكشوفة قصد إرهابه مرات عديدة، لأنه كان يشكل نقطة يلتقي عندها كثير ممن لهم صلة بالحركة الوطنية، وقد عاش كل مراحل المقاومة التي كانت المدينة مجالا لها.

ولا ينسى أحد من سكان المدينة موقفه عندما زج الاستعمار بمحمد الخامس وأسرته في المنفى السحيق سنة 1953 فامتنع من الدعاء لابن عرفة المنصّب في صلاة الجمعة، وأثناء صلاة عيد الأضحى وهو مطوق بالجيش الفرنسي وجنود (الگوم) فذكر السلطان الشرعي مما جلب عليه سخط الاستعمار وعملائه، فاعتقل فورا، وانتفضت المدينة، مما جعل السلطة تسرحه في نفس اليوم، باشارة من الباشا ابن المدني بن حيون، ولكنه طرد من الإمامة ومن التدريس بالمسجد الكبير، فعانى من النفي الإجباري، وتفرق تلامذته وطلابه، وما أن رجع محمد الخامس من منفاه 1955 حتى كان محل تكريم من السكان، فرجع إلى المسجد معززا وتابع نشاطه، فتفرغ للتدريس والتربية بالكلمة والفعل وملازمة العبادة، مع العناية بتدبير أشغاله، فكان قدوة ونموذجا فريدا حتى وافاه الأجل يوم الأربعاء 22 صفر 1403 (9-12-1982).

ومع أن الفقيه الحاج عبد الرحمان كان يهتم بالتربية العملية أكثر من النظرية فقد خلف بعض المؤلفات نذكر منها :

- *كناشة كبيرة* اهتم فيها كعادة الفقهاء بالنظائر الفقهية والنحوية والأدبية وسجل فيها كثيرا من الأحداث العامة والعائلية وقصائد شعرية من نظمه.

- *رحلة حجازية* في دفتر، ألفها سنة 1957.

- *منظومة نورة الربيع فيما يفسد الحج من الجماع*، ولها شرح بعنوان *فتح العلي السميع بشرح منظومة نورة ربيع*، وهو مخطوط صغير بقلم الفقيه محمد الضوء لسباعي.

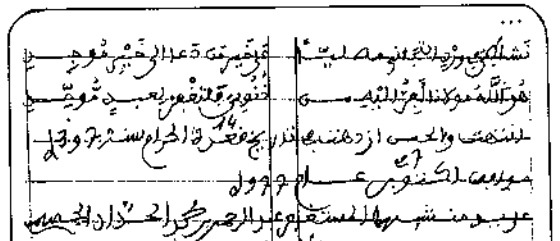

توسل من نظم الفقيه الحاج عبد الرحمان الإنزگاني وبخطه

- *فتوى مطولة في مسألة السدل في الصلاة*، وهي متداولة.

- *قصائد شعرية*، منها قصيدة مطولة في التوسل بمدح الرسول والثناء على الشيخ التجاني.

ـ مجموعة كبيرة من خطب *الجمع والأعياد*. وهي سجل يعكس المواضيع والاهتمامات الدينية والأخلاقية والأحداث التاريخية التي عاشتها المدرسة طوال حياته.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 8 : 255 ؛ *خلال جزولة*، 1 : 37 ؛ *وثائق أسرة الفقيه الحاج عبد الرحمان الإنزگاني*.

عمر أفا

أنْزي، قرية بإقليم تزنيت (تبعد عنها بحوالي 40 كلم)، على المرتفعات الغربية للأطلس الصغير. تجتمع حولها قبائل إداوْلتيت، وهي من أهم قبائل إداوسملال التي انحدر منها الشيخ أحمد أ مُوسى. وتقع بمجال إداوگرسْمُوكْس. ويرجع المؤرخون مجد قرية أنزي لقربها من منجم الفضة «أكُوسام» الذي استغله علي التزروالتي في ضرب عملته المعروفة بـ «تاكُوسامْت».

وأنزي كلمة قريبة من التسمية التي تطلق على نوع من الخمر «أنزير» كان ـ حسب الإدريسي (ص39) في *نزهة المشتاق* ـ يصنع في سوس من أشجار الكرمة بالعنب المعروف بالعذاري. فهل تسمية القرية مشتقة من أنزير ؟.

وتذكر كتب التاريخ أن عبد المومن الموحدي خيم في أنزي أثناء مسيرته في الجبال، وتلقى فيها بيعة جزولة وهسكورة سنة 552 / 1157 م.

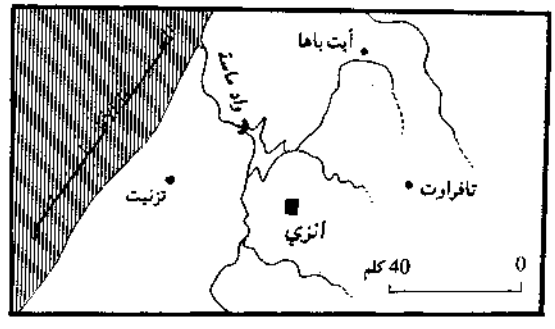

موقع انزي

ويظهر أن المصادر تذكر قرية أخرى تحمل نفس الاسم "أنزي" حيث تشير إلى أن أنزي وتارودانت من أهم المناطق التي جرت بها الحروب بين المرابطين والموحدين قبل دخول ابن تومرت لتنمل. والغالب على الظن أن أنزي المقصودة هنا هي تلك الواقعة بمجال أيت واوزگيت، جنوبي الأطلس الكبير، حيث تقطن قبيلة مسقلة ينتمي إليها الشيخ مَحمد بن سليمان الجزولي (وهو من أنزي)، وكذا أم المهدي بن تومرت.

م. الإدريسي، *نزهة المشتاق*.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; J. Meunié. *Le Maroc Saharien*.

محمد مزين

أنس ← نحاس

أنْسَا، معناه الجُحر والملجأ ومكان المبيت والشِّعب الضيق الصغير. اسم لأماكن مختلفة منها أنسا إماديدن الذي كان به حصن من الحصون التي بناها المرابطون وأقاموا فيها حراسة تراقب قبائل الجبال، ذكره البيذق في حديثه عن الغزوة الخامسة (ص 76) وقال إن قائده المرابطي كان عمر بن ديان. وذكره ابن القطان في *نظم الجمان* (ص76)، وذكره التادلي في *التشوف* (ص 342) ونسب إليه عمر بن هارون الماديدي، وقد توهم ليفي پروفنصال أن أنسا الذي ذكره البيذق هو أنسا الذي بأيت الزات بالقرب من تاسغيموت، والصحيح أنه بفرقة إماديدن بقبيلة سكتانة بناحية تاليوين.

أحمد التوفيق

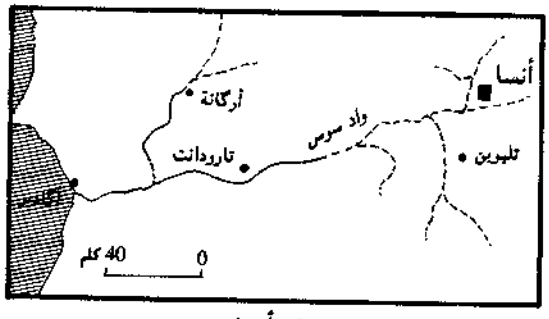

موقع أنسا

الإنسان بالمغرب، في فترة ما قبل التاريخ. يؤرخ الاختصاصيون اللمسات الدالة على وجود الإنسان بالمغرب بمليوني سنة في حين أن الهياكل العظمية البشرية التي عثر عليها لحد الآن لا يمكن إرجاعها إلا إلى أربعمائة ألف سنة خلت.

ويطلق لقب الأطلانْطرُوب Atlanthrope على أولئك البشر الذين عثر على بقايا هياكلهم في المغرب والجزائر، لتمييزهم عن البتيكنتروب Pithécantrope الآخرين الذين كانوا يقيمون بآسيا وافريقيا الشرقية وكذا افريقيا الجنوبية. وينتمي الأطلانطروب إلى مجموعة هومو إركتوس homo erectus (الإنسان القائم المنتصب) وكانت لهؤلاء البشر قامة تصل إلى المتر ونصف بيد أن وزنهم كان لا يتعدى الخمسين كليوغراما. أما جمجمتهم فكانت ميالة إلى الطول وجباههم غير بارزة، وتشرف على عيونهم حواجب قوية ناتئة، سمات وجوههم تذكّر بوجوه القردة حيث إن فكهم الأسفل قوي ومتقدم، وله شكل هندسي مقوس، أما الأسنان فلها بعض الصفات العتيقة.

ومن بين نماذج «الأطلانطروب» التي عثر عليها بالمغرب إنسان الرباط، هذا النموذج عثر له على جمجمة وفك سنة 1934 بالرباط بإحدى المقالع الشاطئية بالقبيبات.

وتتميز الجمجمة بوجه متقدم إلى الأمام في حين أن الأسنان لها بعض الصفات العتيقة، ومورفولوجية الفك تدل على بدائية واضحة، لكن إذا كانت قوتها تذكّر بقوة أفكاك الأطلانطروب فهي تلمح إلى الإنسان العصري ببعض مميزاتها ولا سيما بداية تكوين الذقن، فيمكن إذن وضع إنسان الرباط في صنف الأطلانطروب المتطور.

أما النموذج الثاني فهو لإنسان سيدي عبد الرحمان. عثر له على جزئي فك سنة 1956 بمغارة تقع بالقرب من ضريح سيدي عبد الرحمان جنوب غرب الدارالبيضاء.

وكانتا مدموجتين في الحث الكلسي الذي ملأ المغارة. ولهذا الفك شكل بدائي شبيه بشكل أفكاك «الأطلانطروب».

ويمقلع «طوماس» على بعدٌ بعض كيلومترات من ضريح سيدي عبد الرحمان عثر على فك وجمجمة لهما مورفولوجية بدائية تتمثل في عدم تميز الجبهة عن باقي الجمجمة وبروز العظم المشرف على العينين.

أما بالنسبة لإنسان سلا فقد وجدت جمجمة له سنة 1971 بالقرب من دوار القائد ابن العروسي في كشبان حث يرجع عهدها للدورة الرباعية التانسيفتية. وإذا كان الجزء الأمامي لهذه الجمجمة وكذلك هيكل الإنسان يذكران بميزات «الهومو اركتوس» فإن العظم الجداري للجمجمة وقاعدتها يذكران بملامح الإنسان العصري.

وحيث إن العظام التي عثر عليها في كل من مقلع سيدي عبد الرحمان ومقلع طوماس وكثيب سلا تغطيها رواسب قارية ترجع إلى الفترة التانسفتية فقد اعتبر أنها توجد ضمن رواسب مزامنة لمرحلة المد الأقصى للبحر الأنفاتي، أي قديمة بحوالي 400.000 سنة. أما إنسان الرباط فهو أحدث من النماذج الأخرى ويرجع عهده لنهاية الفترة التانسفتية.

وكانت البيئة التي يعيش فيها هذا «الأطلانطروب» تشبه ببيئة السافانا أي مناطق الأعشاب العالية بافريقيا الاستوائية حاليا. وكانت الوحوش التي تقطن بها مكونة من ظباء وغزلان وخيول تشبه حمر الزرد وأفيال وكراكدين وأفراس النهر وغور وليوث إلى آخره.

أما شكل الأدوات التي عثر عليها بجوار الإنسان فهي من الآشولي نسبة إلى شنت آشـول بفرنسـا. وهي عبارة عن قطع من الصوان المنحوتة كالشوبّير Chooper أو الشوبينطول Chooping tool أو القطع المنحوتة Biface من الجهتين أو الفؤوس الحجرية.

الإنسان الموستيري، نسبة إلى مستي : مكان بفرنسا وجدت فيه نماذج أولى لهذه الحضارة. عثر له على جمجمتين وفك واحد سنتي1962 و1968 بجبل إغُودٌ على بعد سبعين كيلومتراً شرقي أسفي في منجم لمادة البارتين.

فمن بين مميزات الجمجمة الأولى ضخامتها وسمك عظمها، أما مؤخرتها فهي مضغوطة في حين أن هيكل الوجه أفطح ومتقدم إلى الأمام، الجبهة تكاد تكون منعدمة ويلتقي قوسا الحواجب مشكلين دورة بارزة في حين أن جرني العينين كبيران وعلى شكل مستطيلين والفك العلوي فخم.

أما الجمجمة الثانية فهي غير مكتملة العناصر لكنها تشبه الأولى مع تباين بسيط حيث أن مؤخرتها أكثر نتوءا. الأدوات الحجرية التي وجدت بجوار تلك الجماجم هي من النوع الموستيري نحتت على طريقة لُوفَلُوى levalois وتتكون من شظايا ومكاشط ومحاك ورؤوس سهام.

ويبدو أن إنسان جبل إغُودٌ هو النموذج الأول لفصيلة هوموسبينس homo sapiens (الإنسان العاقل) ويرجع تأريخه إلى ما بين 80.000 و100.000 سنة خلت.

الإنسان العطيري، بعد حضارة إنسان إغُودٌ انتشرت الحضارة العطيرية في المغرب الكبير وشملت الأقاليم المتوسطية والصحراوية. أما بقايا الإنسان فلم يعثر عليها إلا في المغرب. وأول نموذج لهذه الحقبة هو فك عثر عليه في سنة 1956 بمغارة «المهربين» بتمارة بضواحي الرباط. ولقد أبانت الدراسة الحديثة أن الفك يمكن اعتباره لمن دون ريب «عطيرياً» نظرا لصفاته المتطورة.

كما عثر على جزء من فك أعلى بالمغارة العليا قرب طنجة وأظهرت التحاليل بالفليور من نسبته إلى الفترة النهائية من العطيري.

ولم تقتصر الاكتشافات على مغارة تمارة العليا بل عثر سنة 1975 على جمجمة في مغارة دار السلطان الواقعة على بعد بضع كيلومترات جنوب الرباط في معسكر للرمي. وفي نفس السنة وجد جزء من جمجمة بمغارة المهربين بتمارة، وكذلك فك ينتمي إلى نفس الفترة العطيرية بمغارة الهرهورة جنوب الرباط دائما.

وتبين لنا الملاحظة أن جمجمة دار السلطان جمجمة فخمة وعالية، قوسا حاجبيها بارزان في حين أن جرني العينين مستطيلان والجبهة ظاهرة شيئا مّا و تجويفات الأنف واسعة والفك الأسفل قوي.

ويبدو أن إنسان دار السلطان ـ تمارة العليا ـ هرهورة يعد من فصيلة الإنسان العاقل «هوموسَبْيَنْسْ» تاريخه حوالي 40.000 سنة قبل الحالي. وتتكون أدوات هذه المواقع من مكاشط ومحاك وشفرات حادة عطيرية ورؤوس حراب ذات أشكال معلقة. ولهذه الأدوات شكل بديع مما يثبت أن الإنسان العطيري كان صانعا ماهرا.

أما بقايا الحيوانات التي عثر عليها بجوار تلك الأدوات فنجد من بينها أصنافا تدل على تكيفها مع بيئة باردة. وهكذا فبجوار الكراكدين والأفيال وأفراس النهر والغزلان والأبقار نلاحظ بقايا حيوانات أخرى كالذئاب والثعالب والصنوريات والدببة والرتنة والأيائل. وتعتبر أصناف الرتنة والأيائل والدببة مؤشرات لنمو غطاء نباتي غابوي.

ويشير انتشار الغابة هذا إلى بزوغ فترة مناخ رطب يخلف الفترة الجافة التي سبقت.

وبعد فترة هيمنة الإنسان العطيري جاءت فترة الإنسان الملقب بـ «الايبيروموروسي» نسبة إلى الحضارة الإيبيروموروسية. ويتضح حسب آخر الافتراضات أن هذا الإنسان أتى من الشرق وليس من شبه الجزيرة الإيبيرية. وتوجد نماذج من بقايا هذا النوع من البشر بالمغرب في مغارة دار السلطان والهرهورة ومغارة الحمام بتافوغالت، وكذلك في الجزائر في مشط العربي وفي مشط أفلو. ويشبه هذا النوع إنسان كرومانيون الأوربي. وأهم المقابر التي عثر عليها بالمغرب هي مقبرة مغارة الحمام بتافوغالت التي توجد بكتلة بني إزناسن على بعد 55 كيلومتر شمال غرب وجدة. وبهذه المغارة تمكن الباحثون من العثور على ما يقرب

من مائة وثمانين هيكلا بشريا دفنت حسب طقوس جنائزية محددة حيث إن الهياكل ممدودة على جانبها على شكل الجنين في بطن أمه، تكسوها حجارة وصباغة وأحيانا مصحوبة بقرني الوعل. وتبين الدراسات الأنتربولوجية أن الإنسان «الإيبروموروسي» من فصيلة العاقل، وله قامة طويلة معدلها 1,70 م ورأس فخم ذو عظام سميكة وجبهة محدبة في غالب الأحيان. ويلاحظ نوع من عدم التجانس بين الجمجمة والوجه، فالوجه مستقيم رغم اتساعه، وقوسا الحواجب بارزان، في حين أن جرني العينين عميقتان ومستطيلتان، أما الفك الأعلى فهو ضيق ويفتقر لسن أو سنين من بين الأسنان الأمامية. وتلاحظ هذه الظاهرة الناتجة عن عملية بتر متعمدة لدى جميع الإيبرولموروسيين لمغاربة. ويبدو أن هذه العادة كانت تقام على الطفل عند بلوغه الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمره. أما الفك الأسفل فهو قوي ويتقدمه ذقن بارز.

وتتميز أعضاء الجسم بطولها وتلاحظ بصمات لعضلات بشكل جلي مما يشير إلى أن هؤلاء البشر كانت لهم قامة طويلة وجسم قوي.

وتطلعنا الدراسات التي أجريت على سكان مغارة الحمام أنهم كانوا يعيشون في إطار مجموعات مغلقة تحرص على منع الزواج خارجها. ويؤكد هذا التصريح وجود بعض الإصابات الوراثية وكذلك نسبة مرتفعة لوفيات الأطفال.

وتظهر الهياكل بعض التوعكات وبعض الاعوجاجات في العظام مما يجعلنا نظن أن هؤلاء الناس كانوا يقضون أوقاتا طويلة في الجلوس وان لهم نمط عيش مستقر.

وقد وصل «الإيبروموروسيون» الذين عثر على بقاياهم في مغارة الحمام مستوى ملحوظا في الحضارة حيث عثر على حالة امرأة تعرضت في حياتها لحادثة أرغمتها على ملازمة مكانها واستمرت في العيش بفضل عطف وحنان من كان معها في تلك المغارة. ومما يؤكد هذا المستوى المتقدم لسكان تلك المغارة آثار عملية جراحية أجريت على شخص في رأسه ونجحت ويؤكد ذلك آثار التجبير الملحوظ في جمجمته وأن هذه العملية في الدماغ بعد ثقب عظم الرأس تعتبر أقدم عملية معروفة من هذا النوع.

و تتميز الأدوات الحجرية المنحوتة لهؤلاء البشر أساسا بصغرها ورقتها حيث تحتوي على نسبة هامة من الشفرات والمحاك والمثاقب.

أما الأدوات المصنوعة من العظام فهي مكونة من مثاقب وإبر وحراب مسننة. واستعمل الإنسان «الإيبروموروسي» المحارير وأجزاء بيض النعامة كحلي له.

وقد استمر هؤلاء البشر مدة 12.000 سنة من سنة 22.000 إلى 10.000 سنة قبل الحالي.

وخلف الإيبروموروسيّين أناسٌ آخرون ينتمون إلى العصر الحجري الحديث، وما يميز هؤلاء عن سلفهم تعاطيهم للفلاحة، أي بعبارة أخرى التغيير الجذري الذي حدث في نمط العيش حيث خَلفَت الفلاحة أنشطة القطف. وبشكل مواز نلاحظ أن الإنسان في العصر الحجري الحديث أصبح يصقل أدواته ويتعاطى صناعة الخزف.

ونجد آثارا لهؤلاء الناس في دوار الدباغ بالرباط، ودار السلطان والهرهورة وعين الشقف والكيفان بالدار البيضاء وناحية طرفاية. ومن مقابر العصر الحجري الحديث مقبرة الكيفان القريبة من الدارالبيضاء التي أجريت فيها حفريات سنة 1971 أدت إلى العثور على عدد كثير من المقابر، وكذلك بعض الأثاث الجنائزي المكون من قلات وخزف مكسر. لكن إلى حد الساعة لم يشرع أحد في دراسة انتروبولوجية لهذه المقبرة.

ومن بين المواقع الأثرية الموجودة بطرفاية يجب إبراز موقع إزرتين الكائن على بعد خمسين كيلومترا شرق طرفاية، والذي يتكون من خمس كتل من حجارة وأبلاط ويحتوي على ثلاث مقابر. وأبانت دراسة البقايا البشرية في هذه المقابر بعض التشابه المورفولوجي مع البقايا الأخرى المزامنة لها. وهذا التشابه يتجلى في نحالة الأجساد وغياب بتر الأسنان العليا الأمامية. ويبدو أن هذه البقايا هي للخلف المنحدر من الإيبروموروسيّين الذين استقروا في هذه المنطقة وعمروا كذلك الجزر الخالدات.

أما موقع الهرهورة فعثر فيه على تسعة عشر هيكلا غير مستكملة الأجزاء ومكنت دراسة الهياكل من الوصول إلى الخلاصة، أن التاريخ بواسطة الكاربون الشعاعي (C 14) مكن من تحديد فترة دفن هؤلاء الناس بين 5.400 و5.100 سنة، مما يدفع بنا لاعتبارهم ضمن مجموعة السكان المنتمين إلى العصر الحجري الحديث، ويؤكد هذا كذلك نحالة الأجساد وانعدام بتر الأسنان العليا الأمامية. وقد نقوم بنفس الاستنتاجات لهرهورة التي مكنتنا من دراسة هيكل كهل وهيكل مراهقة.

وآخر مدفنة عثر عليها هي التي وجدت بكتيب رملي شمال مصب نهر الشراط بعمالة الصخيرات. وأظهرت الحفريات التي أجريت بين سنة 1980 و1984 وجود ثلاثة وتسعين قبرا تحتوي على جثث كهول ومراهقين وحتى بعض الأجنة. وكان الدفن يجري حسب طقوس محددة. فالأجساد وضعت في قبورها منكمشة على نفسها وكسيت بصباغة حمراء. ونجد بجوارها أثاثا جنائزيا مكونا من أوان خزفية وبعض الحلي من قشرة بيض النعام وأدوات من العظم وكذلك بعض الفؤوس المصقولة. ولم تنته بعد الدراسة الأنتروبولوجية لهياكل هذا الموقع الذي يمكن اعتباره أهم مواقع العصر الحجري الحديث.

وكما نرى فرغم ما أنجز لحد الساعة فإن دراسة العصر الحجري الحديث المغربي لا زالت في بدايتها ولا يمكننا في الوقت الراهن أن نضع حصيلة تامة ونهائية لتطور الإنسان وأنشطته في تلك الحقبة.

وانطلاقا من كل ما سبق يتضح لنا جليا أن المغرب الأقصى وسائر الأقطار المغربية الأخرى تحتل مكانة هامة

في تاريخ البشرية ولا سيما على مستوى تطور الإنسان، حيث نجد مكامن ذات شهرة عالمية كموقع سيدي عبدالرحمان وجبل إغُود ودار السلطان وتافوغالت والصخيرات، أي مكامن تهم فترات تطور الإنسان من «هومو إركتوس homo erectus» إلى «الهوموسبينس سبينس homo sapiens Sapiens».

وأصول هذه الأصناف من البشر وإن كانت غير مضبوطة تماما فإنه يبدو أنها إما محلية أو منحدرة من الشرق ومن الشمال وحتي من الجنوب بالنسبة لبعضها. وهكذا يتضح لنا أن المغرب الكبير كان دائما بوثقة اختلطت فيها بشرية من أصول مختلفة استطاعت رغم ذلك أن تضفي على نفسها خصوصية واضحة.

G. Bailloud et P. Mieg de Boofzheim, *La nécropole nèolithique d'El Kiffen près de Tamaris, Libyca*, T. XII, 1964, p. 95-171 ; P. Biberson, *Le Gisement de l'homme de Sidi Abderrahman, B. A. M*, T. I, 1956, p. 38-92 ; *Le Cadre paléogéographique de la préhistoire atlantique*, P. S. A. M, T. XVI, 1961, p. 1-235 ; G. Camps, *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, Paris, Doin, 1974 ; M. Charon, L. Ortlieb et N. Petit Maire, *Occupation humaine holocene de la région du Cap Juby (Sud Ouest Marocain), Bulletins et mémoires de la société d'anthropologie de Paris*, T. X, Séries XIII, 1973, p. 397-412 ; A. Debenath, *Découverte d'une mandibule humaine aterienne à El Harhoura, B. A. M*, T. XII, 1979-1980, p. 1-2 ; G. Delibrias et J. Roche, *Datations absolues de l'epipaléolithique marocain, B. A. M*, T. X, 1976, p. 11-24 ; D. Ferembach, J. Dastugue et M. J. Poitrat-Targowla, *La Nécropole épipaléolithique de Tafralt (Maroc-Oriental): Etude des squeletes humain*, Casablanca, 1962 ; *Les restes humains de la grotte de Dar es Soltane II, Bulletins et mémoires de la Société d'anthropologie de Paris III*, Série XII, 1976, p. 183-193 ; *Les restes humains ateriens de Temara, Campagne 1975, Bulletins et mémoires de la Société d'anthropologie de Paris III*, Série XIII, 1976, p. 175-180 ; *On the origin of the ibero maurusians. Journal of humain evolution* 1985 ; J. J. Hublin, *Human fossils from the north african Middle plistocen and the origin of homo sapiens decouverts, Ancestors the hard evidence*, 1985 Alan , R. Liss, P. 238-288 ; J. J. Jaeger, *Découverte d'un crane d'hominide dans le pleitocene moyen du Maroc*, Colloque international C.N.R.S *"évolution des Vertébres"* Paris 1974, J. Marcais, *Découverte de restes humains fossiles dans les grés quaternaires de Rabat, L'anthropologie*, T. XIIV, 1934, p. 579-583 ; J. Roche et J.P. Tesier, *Découverte de restes humains dans un niveau aterien supérieur de la grotte des contrebandiers à Temara, C. R. S. A.S* Paris, T282, Série D, 1976, p. 43-47 ; J. Roche, *L'Epipaléolithique marocain*, Paris, Didier 1963, Vol 2, p. 262 ; *Chronologie absolue de l'epipaléolithique marocain, C. R. S. A. S*, Paris,, T, 246, 1976, p. 3486-3487 ; A. Ruhlmann, *La grotte préhistoire de Dar Es soltane, Hesp*, 1951, p. 210 ; F. Sausse, *La mandibule atlanthropienne de la carriere Thomas I (Casablanca), L'anthropologie* T. 79, N° 1, 1975, p. 81-112 ; *Les pithécanthropiens marocains*, Union international des sciences préhistoriques IXe congrés, Colloque VI, prestisage, Nice 1976, p. 445-454 ; F. Z. Sbihi-Alaoui, *Les hommes préhistoriques, Memorial du Maroc*, Vol I, 1983, p. 58-68 ; *Les industries préhistoriques, Mémorial du Maroc*, Vol I, 1983, p. 69-78 ; *Le néolithique, Mémorial du Maroc*, Vol U, 1983, p. 79-88 ; H. V. Vallois, *L'homme de Rabat, B. A. M*, T. III, 1958-1959, (1960) p. 87-91.

فاطمة الزهراء الصبيحي ـ العلوي

أنسباخ إدوارد، Anspach E وزير مفوض لبلجيكا من سنة 1888 حتى وفاته بطنجة سنة 1902 في الحادية والسبعين من عمره. له تقارير ديبلوماسية عن المغرب في كناش التقارير البلجيكية Recueil Consulaire Belge.

م. بوشعرا، *الاستيطان والحماية*، 2 : 641.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 2 : 641.

مصطفى بوشعرا ـ

أنشّاد، أبو بكر بن أحمد نَيْتْ الطالب. ولد بإنْشّادن بقبيلة اشتوكة بإقليم أگادير، ينتمي إلى أسرة معروفة بالعلم، إذ كان قاضيا وأبوه عدلا موثقا. عرف اليتم مبكرا. وبعد أن دخل الكتّاب وعاش فترة الصبا في حفلات أحواش التي تحييها نساء البلدة ورجالها كل يوم تقريبا، التحق بفرقة «إهْيّاضْن» (الرماة) التي سحرته بإيقاعاتها المتنوعة المصاحبة لألعابها البهلوانية والرياضية، ولم يعثر له على أثر سنوات إلى أن شوهد أخيرا في ساحة جامع الفنا بمراكش بمعية فرقة من المطربين الأمازيغيين، فسافرت والدته بقصد استرداده بعد أن تلقحت قريحته الفنية بكل ما رأى وسمع. وفي إنشّادن هزه الحنين إلى الغناء والطرب من جديد وغنّى بمفرده في أسواق اشتوكة، ويقال إنه انخرط مدة في فرقة المطرب السوسي المشهور الحاج بلعيد.

ولما ذاع صيته وأحس باكتمال تجربته الفنية ونضج شاعريته، أسس فرقته الموسيقية التي سجل بها جل أغانيه التي يتولى الدور البارز فيها، فهو واضع الكلمات وملحنها وعازف على الكمنجة بصفة خاصة. يساعده كل من صديقيه الحسين أُباشا وهو من تي القائد باشتوكة في آلة الگنبري (الوتر)، ومولاي موح وهو من تازروالت في آلة الرباب.

وفيما يخص مصاحبة الإيقاع العام للأغنية بـ «الناقوس» يتولاها على التوالي مجموعة من أصدقائه، أشهرهم وأكثرهم التصاقا به هو الحسن بن جيلال من دوار لخْمايس.

ولابد من الإشارة بهذا الصدد إلى بعض الجزئيات فيما يتعلق بالكمنجة التي يعزف عليها الرايس أبوبكر. فقد اشتراها صديقه الحسن نَيْتْ بنصالح بدوار تدارت في نهاية العشرينات من فرنسا، فأعطاه إياها. ولما مات الشاعر استردها وأعطاها للرايس بلخير بَخّا، ولما مات هذا الأخير رجعت إلى مالكها الذي باعها إلى محمد أسالم الذي فوّتها إلى السيد أشّن الحسين بأگادير وسط الخمسينات.

كان الرايس أبوبكر يتقن الضرب على «الطارة» تَالّنْت بالأمازيغية، وكانت له براعة في مراقصة النساء والدخول في مساجلات شعرية مع بعضهن، مع الخفة والرشاقة في الرقص وطول النفس، يضرب به المثل في هذا الميدان.

وبالنسبة للمضامين والقضايا التي يتمحور حولها غناؤه يمكن إبداء بعض الملاحظات الأولية حولها:

1 ـ أن أغلبية أغاني ومساجلات هذا الفنان لم تسجل حسب شهادة المعاصرين والمرافقين له.

2 ـ احتلال الحب، حب المرأة وحب الحياة إلى درجة التقديس المرتبة الأولى ضمن انشغالاته، يصاحب ذلك إحساس حاد بقصر العمر وتربص الفناء بالفنان. ويتضح ذلك بجلاء في الأغاني التالية :

مـاخْ ألـموت لِـح أتـاويت نِهْـواوِيـنْ

يـا مـوتُ عـلام تغتـالُ أهـل الهـوى

نكِيخْ أكْ لمَانْ أرِغْ غْويح أداذْ نكْرُفت

أعاهدك أن أتقيض على الغزل وأقبده

3 ـ التفكير الذي يشوبه الإحساس بالذنب في العالم الآخر في الجنـة والجحيم، وينعكس ذلك في قصة «أمحضار» الطالب العارف بكتاب الله المحيط بأسرار الفقه الذي سيجد أبويه في الجحيم ويطلب أن يشفع فيهما ببركة القرآن الكريم. وتجدر الإشارة هنا إلى تسجيل التقاء الفنان أنشّاد في الاهتمام بعالم الآخرة بكل من المعري في رسالة الغفران ودانتي الإيطالي في الكوميديا الالهية وموضوع الجنة، أو بعبارة أخرى الخوف من الجحيم ترددت أصداؤه بإلحاح في أغنية أخرى هي :

نكُونْ الجْنْتْ إخْ يُبذْ وُرْ بـاغ سْ تْرلِيتْ

نِيسْ تْعاوْلْ وُبْوابْ نْمْ أذ رزْمْنْ نِي يانْ

أيتها الجنة لو أني شغلت عن الصلاة من أجلك

أتـرانـي أطمع في تسـامـح البـواب

4 ـ ومن مميزات غناء أنشّاد ابتعادُه الكلي عن المدح والتزلف لحكام عصره بل نستشف ضيقه بالحالة وبالوضعية السائدة التي تخنق أنفاس الفنا.

نِيخْ وُرْ يُوفا بانْ أيْسْمامّي نِيگ ربّيْ ذْ لوكِيلْ

من لم يجد لهمه أن يبثه فليجعل الله وكيلـه

وكان الفنان أبوبكر أنشاد قد عاصر فترة تكالب الاستعمار الفرنسي على منطقة سوس، وشاهد عن كثب مختلف الصراعات التي أذكاها الاستعمار بين المغاربة على الصعيد المحلي بصفة خاصة وما أدى إليه ذلك من تشريد وتفقير الجميع. وكأني به يدعو إلى توحيد الصفوف والتآخي بين الجميع لقطع الطريق على الاستعمار الذي أتى لإسكات كل الأصوات.

وانـا دارگْمـاسْ نْحضُوتْ دُونيـتْ أيـادْ

من له أخ فليدخره ألا ترى أننا في الدنيا

ربما يكون من ضمن المؤثرين في مساره الإبداعي هو «بوجمعة بلْبريك» إضافة إلى أن أنشاد هو الذي خلف الرايس الحاج بلعبد لدى بعض شركات التسجيل في منصب المستشار الفني.

توفي أبو بكر أنشاد مسموماً سنة 1946.

م. المختارالسوسي، *المعسول*، ج 20.

P.Galand-Pernet, *Recueil de poèmes chleuhs* ; A. Bencherifa, *Sous-Massa*.

الحسن كاحمو

أنْشُوفَة، سمك بحري صغير يشبه السردين وأصغر منه حجما. ينتمي إلى رتبة الصابوغيات المصنفة إلى الأسماك العظيمة. حددت إلى حد الآن مائة نوع في العالم من بينها Engraulis engrasiculus، المعروف في المغرب تحت اسم «أنْشُوا» و«شْطُونْ». يعيش في السواحل المغربية التي لا يتعدى عمقها 400 متر.

لا يتعدى طوله 16 سم، ويعيش طول حياته وسط جماعات عديدة الأفراد. نجده خاصة في بحار المناطق الاستوائية. ويعيش أيضا بكثرة في السواحل الغير العميقة بالمناطق المعتدلة. يتعلق ارتباطه بشواطئ هذه الأماكن لوجود كميات كثيرة من الهائمات التي تشكل قوته اليومي. من المعروف أن كتلة الهائمات تقضي النهار في الأعماق وتصعد إلى سطح البحر أثناء الليل مما أدى إلى تنقلات الأنشوفة من الأعماق إلى السطح وهي كثيرا ما تصاد ليلا بواسطة الشباك والقرْطل.

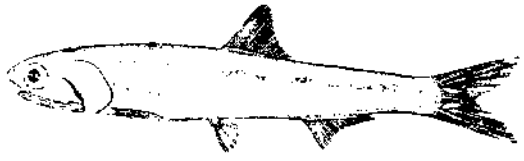

إنه حيوان بيوض قوي التكاثر. يتراوح عدد البيض عند الولادة ما بين 13.000 إلى20.000 وتدوم مدة التفريخ من يومين إلى أربعة أيام. يبلغ طول اليُلعُوط بعد خروجه من البويضة 3 ملم ويبلغ سن النضج التناسلي بعد مرور سنتين.

تقتات منه معظم الأسماك الكبيرة الحجم وخاصة سمك السّـن حيث يقدر أن كل فرد من هذا النوع يبتلع عدة كيلوغرامات في اليوم.

التكاثر السريع الذي تشتهر به الأنشوفة يقوّي انتاجها ويرفع من قيمتها الاقتصادية. يقتصر توزيعها الجغرافي على البحر المتوسط، والمحيط الأطلسي، والبحر القطبي الشمالي.

يمتد موسم التسرئة من يونيه إلى غشت بالنسبة للبحر الشمالي، ومن أبريل إلى شتنبر في البحر المتوسط، ومن ماي إلى غشت في المحيط الأطلسي.

Encyclopédie, 1983, *L'Univers des animaux*, Encyclopédie, Genève, Edito Service S. A. ; F. A. O. 1984, *Ressources halieutiques de l'Atlantique marocain*, Inst. Sc. pêches mar.

محمد رمضاني

الأنصار، عرب المدينة (يترب) من الأوس والخزرج الذين نصروا الرسول ـ عليه السلام ـ لما هاجر إليهم من مكة وهم قحطانيون من كهلان نزحوا من اليمن إلى شمال الجزيرة العربية بعد انفجار سدّ مأرب. وقد دخل الأنصار المغرب والأندلس في فترات مختلفة ونَبَه منهم عدد كثير من العلماء عُرفوا في ميدان التدريس والتأليف وتقلد الخطط الشرعية، واحتفظوا في الغالب بالنسبة إلى الأنصار (الأنصاري)، وربما زاد بعضهم عليها الأوسي أو الخزرجي. وأصبح بعضهم بتوالي الحقب يُعرف بكنى أو ألقاب طارئة، كابن عاشر، وابن عمرو، وابن الشماع، وابن الشاط وبوعشرين.

ابن حزم، *جمهرة أنساب العرب* ؛ ع. الفاسي، بيوتات فاس الكبرى.

محمد حجي

الأنصاري، إبراهيم بن عبد الله الدرعي، أبو إسحاق، سليل أبي حفص عمرو الأنصاري، مؤسس زاوية تمگروت ؛ رجل صالح متصوف. وهو والد القطب أحمد بن إبراهيم الأنصاري. أخذ عن الشيخ أحمد-بن علي الحاجي الدرعي، وتولى بعده مشيخة زاوية تمگروت. لكنه لم يطل بها، إذ تولاها بعده الشيخ عبد الله بن حسين الرقّي، المعروف بالقباب.وصفه صاحب *الدرر المرصعة* قائلا : «وكان من عباد الله الصالحين، وأوليائه المتقين». وجعله ابن سودة مؤسس زاوية سيد الناس، وهو خطأ، لأن مؤسسها، كما هو معلوم، إبراهيم بن أحمد الأنصاري، الشهير بالحاج، كان حيا أواخر المائة العاشرة، ويوجد مدفنه بزاوية سيد الناس.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجلية*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري* ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 1 :74.

أحمد عمالك

الأنصاري، أحمد بن إبراهيم بن عبد الله الدرعي، شيخ زاهد، حفيد الولي الصالح عمر الأنصاري مؤسس زاوية تامگروت في القرن الهجري العاشر. ولد بتامگروت سنة 1001/ 1592 واعتمد في التصوف على الشيخ عبد الله بن حسين الرقّي القباب الذي كان شيخ الزاوية آنذاك، وبعد وفاة شيخه المذكور عام 1045/ 1635. خلفه على شؤون الزاوية وفي تلقين الأوراد الشاذلية وتربية المريدين حتى وفاته بها قتيلا يوم الجمعة 11 جمادى الأولى سنة 1642/1052. وخلفه على أمور الزاوية الشيخ مَحمد ابن ناصر الدرعي الذي كان آنذاك مدرسا بها منذ سنة 1630/1040. وبذلك انتقل النفوذ الروحي والمادي في زاوية تامگروت من الأسرة الأنصارية المؤسِّسة لها إلى الأسرة الناصرية.

ح. ابن ناصر، *فهرس*، مخطوط خ. ع. بالرباط 1234 ك ؛ م. المكي الناصري، *الروض الزاهر في التعريف بالشيخ ابن حسين واتباعه الأكابر*، مخطوط خ. ع.2261 ك، الباب الثاني ؛ *الدرر المرصعة*، مخطوط د.د.ع بالرباط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ص 75-77 ؛ ع. الفاسي، *الإعلام بمن غبر*، مخطوط ؛ م.القادري، *نشر*، 2 : 12 ؛ التقاط.

محمد الحبيب نوحي

الأنصاري، أحمد بن خالص، أبو العباس، من أهل مراكش وبها مات قبل واحد وستمائة، ودفن خارج باب الدباغين. كان من أهل المجاهدة والزهد والتجرد. وأخوه عبدالله الأنصاري من أهل مراكش أيضا؛ تأخر عن أخيه في الوفاة، وكان يتردد كثيرا على سبتة، أخذ عنه التادلي في *التشوف* سنة 617 هـ كثيرا من أخبار الصالحين والزهاد.

ي. التادلي، *التشوف*، ص،411.

أحمد الترفيق

الأنصاري، أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد ابن الصقر الخزرجي. أصله من الثغر الأعلى من سرقسطة. حيث منازل الأنصار هناك، ونظرا لحدوث بعض الفتن بها انتقل إلى بلنسية حيث ولد أحمد هذا عام 492، ومنها انتقل مع أبيه إلى سبتة وهو ابن سبع سنين فأقام بها مدة طويلة قبل أن ينتقل إلى فاس، ومنها إلى مراكش التي استوطنها أخيراً بعد رحلة قصيرة إلى الأندلس.

قرأ أحمد الأنصاري كتاب الله بالقراءات السبع على أبي العباس بن فيرة اليحصبي وعلى غيره من مشايخ القراء. وروى عن ابن العربي، وابن بشكوال، وعبد الحق بن عطية بغرناطة، وشيوخ كثيرين آخرين، وكان مقرئاً مجوداً محدثاً ضابطا، حافظاً للفقه ذاكراً لمسائله، عارفاً بأصوله، متقدما في علم الكلام، عاقداً للشروط بصيراً بعللها، حاذقا بالأحكام، كاتبا بليغا شاعراً محسنا، أتقن أهل عصره خطاً وأجملهم فيه منزعا.

كتب عن القاضي أبي عبد الله بن حسون بن البزاز أيام استقضائه ـ المدة الأولى ـ بمراكش سنة سبع وعشرين وخمسمائة إلى أن صُرف، فاستصحبه أبو القاسم بن أبي جمرة معه لما ولي قضاء غرناطة، ثم استكتبه القاضي عياض ـ لصحبة قديمة كانت بينهما ـ إلى أن صُرف عنها سنة أربع وثلاثين وخمسمائة.

ولما عاد إلى مراكش، وافق ذلك عودة أبي عبدالله بن حسون إلى قضاء مراكش ثانيةً، فاستدعاه إلى الكتابة عنه لشقته به، فقدم عليه واستعمله إلى أن صُرف. وقد استقر أحمد الأنصاري بمراكش متولياً أحكامها والصلاة بمسجدها، إلى أن اختلت أحوال اللمتونيين وآذنت أيامهم بالإدبار فاستعفى من الأحكام فأعفي، ورُغّب في التزام خطة القضاء فامتنع،وبقي على الإمامة بالجامع إلى أن تغلب عبدالمومن وحزبه على مراكش يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شوال أحد وأربعين وخمسمائة، واستبيحت دماء كل من اشتملت عليه من الذكورالبالغين إلا من تستر بالاختفاء. وتمادى القتل فيهم مدة ثلاثة أيام. ثم نودي في سككها بالعفو عمن أسأرته تلك الفتكة الشنعاء والبطشة الكبرى، فكان أحمد ممن شمله احترام عبدالمومن، وعرف فضل علمه، فألحقه بجملة طلبة العلم الملازمين حضور مجلسه، وبالغ في الإحسان إليه وقدمه إلى الأحكام بحضرته مراكش فأقام بها مدة، ثم ولاه قضاء غرناطة ثم صرفه عنها إلى قضاء إشبيلية صحبة ولي عهده أبي يعقوب.

ولما صار الأمر إلى هذا الأخير ألزمه خطة الخزانة العالية، وكانت عندهم من الخطط الجليلة التي لا يعين لتوليها إلا علية أهل العلم وأكابرهم. وكانت أعطيات عبدالمؤمن له جزيلة وصلاته متوالية، وكذلك الحال مع ابنه أبي يعقوب الوالي بعده، وكان يصرفها كلها على الفقراء والمساكين، ولا يدخر منها شيئا قليلا ولا كثيراً، لما نشأ

عليه وألفه منذ صغره من الزهد في الدنيا والتخلي عنها، وكان هذا دأبه إلى أن فارق الدنيا.

وكان مع تقدمه وتبريزه في المعارف بكيء اللسان قصير باع الكلام، لايكاد يؤلف بين كلمتين لفرط حياء كان قد غلب عليه حتى ملكه، فاذا خلا بنفسه لإنشاء أو تصنيف، أو فاوض منْ عادتُه التأنس به، انفجرت منه بحور العلم.

له تصانيف مفيده تدل على إدراكه وجودة وتحصيله كشرحه *الشهاب*، فإنه أبدع فيه، وكتابه *أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد والأبرار*، ابتدأ تأليفه وتوفي دون إتمام غرضه، فكمله ابنه أبو عبد الله، وكانت له عارضة في نظم الشعر خاصة على الطريقة الزهدية. وتوفي بمراكش بين صلاتي الظهر والعصر من يوم الأحد لثمان خلون من جمادى الأولى سنة تسع وستين وخمسمائة، ودفن يوم الإثنين بعده عقب صلاة الظهر، وصلىّ عليه القاضي الحجاج بن يوسف، وكانت جنازته عظيمة الحفل كثيرة الجمع. ولم يخلف رحمه الله ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة، لما كان عليه من الإيثار والصدقة.

م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، القسم 4. السفر 1، ص 223. 232 ؛ ص. خ. *الصفدي*، *الوافي بالوفيات*، 7 :47. 48 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، 1 :182. 186 ؛ إ. ابن فرحون، *الديباج المذهب*، ص 50.48 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، 3 :333 ؛ م. القادري، *الإكليل والتاج*، مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 :84.72 ؛ مجهول، *طبقات المالكية*، مخطوط.

ماربة دادي

الأنصاري، أحمد بن محمد بن عبد الرحمان الخزرجي الفاسي يكنى أبا القاسم وهو من أهل قرطبة، اشتغل إلى جانب العلم بالتجارة، واستجاز له ابن خالته عليّ بن عتيق ابن مومن جماعة من فحول الشيوخ فأجازوه كالقاضي أبي بكر بن العربي، وأبي العباس ابن العريف، والخطيب عبد الله النفزي، وأبي بكر بن النفيس. خرج من قرطبة أيام فتنة ابن مردنيش (554. 555 / 59. 1160) إلى لبلة، ومنها انتقل إلى فاس فاستوطنها وطال عمره حتى انفرد بالرواية عن الشيوخ المذكورين. لذلك تتلمذ له كبار علماء العدوتين على ضعف بضاعته العلمية، وترجموا له في فهارسهم، كالمحدث محمد بن سعيد، والفقيه أحمد ابن فرتون الذي ذكر أن وفاة أحمد الانصاري كانت ليلة الأحد لسبع خلون من جمادى الأولى سنة ست عشرة وستمائة (21 يوليوز1219) بينما يجعلها ابن الأبار ليلة الأحد لسبع خلون من جمادى الأولى سنة عشر وستمائة (24 شتنبر 1213) ولعل الصواب الرواية الأولى.

م. ابن الأبار، *تكملة الصلة* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*.

محمد حجي

الأنصاري، أبو بكر محمد بن عبيدة، يكنى أبا عبدالله، من أصل أندلسي نزح فيمن نزح من الإشبيليين إلى سبتة بعد سقوط حاضرتهم في يد النصارى سنة 646 / 1249. يقال إن مائة ألف من أربعمائة ألف مهاجر إشبيلي، استقروا بسبتة (*رسائل ديوانية*، 13). تفيد المقارنة بين التواريخ أن التحاق أبي بكر الأنصاري بسبتة كان في وقت مبكر من عمره. وبين أحضان موطنه الجديد شب وترعرع، وعلى يد علمائه تشبع بمختلف معارف عصره حتى غدا علامة زمنه. نعته ابن رشيد في *رحلته* بالأستاذ المقرىء الأديب النحوي البارع. ووصفه التجيبي بخاتمة المقرئين، النحوي، الأديب المشارك الصحيح الذهن، القوي المييز والفهم (*البرنامج* :34).

جلس الأنصاري للإقراء في مسجد رحبة الوزان من مدينة سبتة (*بلغة*، 178) كما كان يعقد جلسات دروس أخرى بداره (*البرنامج*، 34) أخذ عنه عدد من علماء سبتة من بينهم : عبد المهيمن الحضرمي، وأبو بكر ابن شبرين، وأبو عبد الله بن هاني اللخمي، وأبو القاسم التجيبي.

برع أبو بكر في ميدان النحو والشعر والتاريخ، ومن آثاره : *اختصار الأخبار فيما كان بسبتة من سنيّ الآثار* ؛ وشرح *جمل أبي القاسم* في سفرين. كما كان له باع في التفسير والقراءات. وتوفي عام 706/1307.

م. الأنصاري نفسه، *اختصار الأخبار* ؛ الحضرمي، *بلغة الأمنية ومقصد اللبيب* ؛ التجيبي، *برنامج التجيبي* ؛ ل.ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ القبتوري، *رسائل ديوانية* ؛ ج.السيوطي، *بغية الوعاة* ؛ أ.التنبكتي، *نيل الابتهاج* ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال* ؛ م.حجي، *ألف سنة من الوفيات*.

زليخة بنرمضان

الأنصاري، الحسن بن أحمد عالم فلكي ميقاتي لم تتحدث عنه كتب التراجم المعروفة، وربما كان من مراكش التي ازدهرت بها الرياضيات والفلك في عهد السعديين. وكل ما نعرف عنه مقتبس من كتابه *تحفة الأحباب في الضروري والأصول من علم الأسطرلاب* الذي بناه على عشرة أبواب وثلاثة فصول. خصص الباب الأول للتعريف بأجزاء الأسطرلاب، والأبواب الباقية لكيفية استعماله في استخراج درجة الشمس من برجها ووضعها والكوكب في المقنطرة، ومعرفة السموت والظلال الخ....

وقد انتهى من تأليف هذا الكتاب في أواخر رمضان عام 981/ يناير 1574.

ح. الأنصاري نفسه، *تحفة الأحباب*، مخطوط بالرباط.

الأنصاري، عبد الحق بن عبد الله بن عبد الحق المراكشي، كان أبوه عبد الله قاضياً للموحدين بإشبيلية ومات بالقصر الكبير كما سيأتي. وتخرج عبد الحق فقيها متمكنا من أصول المذهب المالكي وفروعه، وألف في الرد على أبي محمد ابن حزم كتابا حافلاً، ونال عند الموحدين الحظوة التي كانت لأبيه فولوه قضاء غرناطة ثم إشبيلية ثم قضاء الجماعة بمراكش. غير أنه أصيب بشرر الفتنة التي شبت في عهد إدريس المأمون حين نكث القوم بيعته. فلما تمكن المامون منهم فتك بهم وقبض على القاضي عبدالحق،

«فقيده ودفعه إلى هلال بن حميدان الخلطي فحبسه حتى افتدى منه بستة آلاف دينار» (*القرطاس*).

وكانت وفاته بمراكش في شوال من عام 631/ يونيه - يوليوز 1234.

م. ابن الابار، *تكملة الصلة* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، 252 ؛ أ.باب السوداني، *نيل*، 183 ؛ ع.ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 :39.

الأنصاري، عبد الله بن عبد الحق، أصله من مهدية تونس، من أقرباء الإمام أبي عبد الله المازري. درس على مشيخة بلده ثم انتقل إلى المغرب فولاه الموحدون قضاء الجماعة بإشبيلية «وكان جزلا صارما صليبا في الحق، وكانت له بالدعارة سطوات مرهوبة ، وآثار في الأحكام محمودة» (*تكملة*).

ورد في آخر حياته على يعقوب المنصور بمراكش فأكرم وفادته، لكن المنية عاجلته عند منصرفه من حاضرة السلطان راجعاً إلى الأندلس، ومات بالقصر الكبير سنة 1193/589.

م.ابن الابار، *تكملة الصلة*، 529 ؛ أ. باب السوداني، *نيل*، 136 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 :193.

الأنصاري، عبد الله بن علي بن محمد بن إبراهيم الأوسي السبتي المعروف بابن ستاري. ولد بأستجة سنة خمس أو ست وسبعين وخمسمائة، وانتقل إلى إشبيلية حيث أخذ القراءات عن أبي الحسين بن عطية، والعربية عن الإمام الشلوبين. وفي آخر سنة 602 قام برحلة علمية إلى المشرق أخذ فيها عن شيوخ مصر والشام والحرمين الشريفين، وانكب على دراسة الأصول والفقه.بعد ذلك رجع إلى إشبيلية إلى أن سقطت في يد العدو فخرج منها إلى سبتة واستوطنها. وهناك أخذ عنه «من كان بها من أهل الفهم والتيقظ والاستنباط الحسن» ومنهم شيخ النحاة ابن أبي الربيع.وللأنصاري أجوبة في مسائل متنوعة تدل على رجاحة عقل وتمكن في العلم.

توفي بسبتة يوم الإثنين تاسع صفر عام 647/ 24 ماي 1249.

ابن الشاط، *مشيخة ابن أبي الربيع* ؛ م.ابن الابار، *تكملة الصلة* ؛ أ.باب السوداني، *نيل*، 139.138.

الأنصاري، عبد الله بن مالك المالكي المخزومي الخزرجي أبو الحسن (أو أبو الحسين حسب *جنى زهرة الآس*). ولا ندري نسبة المالكي هل هي لمالك إمام المذهب. وقد أسقط صاحب *القرطاس* هذه النسبة. من كُتّاب الدولة الإدريسية، وهو الذي حرر عقد إشهاد شراء مخدومه إدريس الأزهر من بني الخير الزواغين الأرض التي شيد عليها مدينة فاس عام 807/191، يُعدّ أول كاتب معروف عمل في الدولة المغربية.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. الجزنائي، *جنى زهرة الآس* ؛ أ.ابن القاضي، *جذوة* ؛ أ.الناصري، *الاستقصا*، ج 1.

الأنصاري، عبد الله بن محمد بن عيسى المراكشي يكنى بابن المالقي لأن أصله من مالقة، وبها نشأ ودرس على أعلام عصره في الأندلس ولازم أبا الحكم ابن برجان «وكان فقيها نظاراً خطيباً مفوها ذا حظ من الأدب وافر» (*التكملة*).

انتقل عبدالله الأنصاري إلى مراكش فاستخدمه يوسف بن عبدالمومن الموحدي في بلاطه إلى أن أصبح رئيس كتابه، وحصل على ثروة طائلة. وأدركته الوفاة بمراكش عام 573 أو 1179.78/574.

م.ابن الابار، *تكملة الصلة*، 486 ؛ أ.باب السوداني، *نيل*، 134 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 :193.

الأنصاري، علي بن سليمان بن أحمد القرطبي الأصل، الفاسي الدار، فقيه أستاذ نحوي. أخذ عن حافظ الأندلس أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي(ت.1308/708) مؤلف *صلة الصلة* و *ملاك التأويل* وغيرهما، وعن شيخ حفاظ فاس حامل لواء المذهب المالكي في عصره أبي الحسن الصغير الزرويلي(ت.1319/719) شارح *المدونة*، وصاهره. واشتهر علي الأنصاري أكثر ما اشتهر بالتبحر في علوم القرآن، فكان واسطة عقد سند أساتذة المغرب في القراءات، وخاصة قراءتي ورش وقالون عن إمام المدينة المنورة ومقرئها أبي رئيم نافع بن عبدالرحمان. وكانت وفاة علي الأنصاري بفاس عام 1330. 29/730.

أ. الونشريسي، *وفيات ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات*، ص 106 ؛ م. ابن غازي، *فهرس*، ت. محمد الزاهي، ط. الدارالبيضاء، 1979، ص37 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ط، فاس الحجرية، ص 300، *درة الحجال*، ط. مصر، 1970. 3 :245، *لقط الفرائد*، ضمن كتاب *ألف سنة من الوفيات*، ص 185 ؛ أ.الصبيحي، *الفالوذج* (كتاشة علمية) مخطوط، خ.ص. بسلا، رقم 1304.

الأنصاري، علي بن عبد الواحد السجلماسي السلوي، شخصية علمية بارزة في القرن الحادي عشر (17م). درس في مسقط رأسه سجلماسة، ثم طلب العلم بفاس وزاوية الدلاء، وربما كانت المدة التي قضاها بهذه الزاوية أكبر فترة في حياته الدراسية، إذ ذكر محمد الإفراني في *الصفوة* (ص 135) أنه قرأ على الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي *صحيح البخاري* نحو إحدى وعشرين مرة، كما قرأ عليه *الشفا* للقاضي عياض، و*الموطا* للإمام مالك، و*رسالة* الإمام القشيري، وحكم ابن عطاء الله.

وبعد ذلك رحل إلى الشرق فحج وأخذ عن جماعة من علماء مصر في مقدمتهم شيخ المالكية عليّ الأجهوري، ثم استقر بمدينة سلا سنين طويلة، نشر بها علمه، وحرر تآليفه، مثل : *اليواقيت الثمينة*، وهو نظم في قواعد المذهب المالكي عن نسق المنهج المنتخب للزقاق، و شرح *الأجرومية*، و *تحفة ابن عاصم*، وغير ذلك. ولطول مقامه بسلا نسب إليها.

وأخيرا انتقل علي بن عبد الواحد إلى الجزائر وتصدى بها للتدريس كعادته إلى أن أدركته الوفاة بها مطعونا عام 1045/44.

أ.المقري، *نفح الطيب*، 2 :478 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 135 ؛ س. الحوات، *البدورالضارية*، مخطوط ؛ م.مخلوف ، *شجرة النور*، 308، رقم 1193 ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، 4 :111 ؛ أ. توفيق ا لمدني، *الجزائر*، 91، 92 ؛ ك. بروكلمان، *ذيل*، 2 :610 و690. 691 ؛ م.حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، 137 والهامش 156 ؛ *الحركة الفكرية*، 2 :449.

محمد حجي

الأنصاري، عمر بن أحمد الدرعي، الشيخ الصالح الناسك،ينتمي إلى الأسرة الأنصارية العراقية التي استوطنت منطقة فزواطة بدرعة. كان جده إبراهيم بن محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي أول من قدم من الشرق، واستوطن درعة خلال القرن الثامن الهجري، وأسس بها زاويته المسماة زاوية سيد الناس، وحفيده هذا عمر بن أحمد الأنصاري هو الذي أسس سنة 1575/983 زاوية تامگروت على مسافة حوالي ثلاثة كيلومترات من زاوية جده المذكور، وقضى بها حياته في تلقين الأوراد الشاذلية حتي وفاته بها سنة 1602/1010 وخلفه على الزاوية أبناؤه وحفدته طوال ثلاثين سنة، ثم آلت رآسة زاوية تامگروت إلى الناصريين.

م. الناصري، *الدرر المرصعة*، ص289 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2: 443. 449.

محمد الحبيب نوحي

الأنصاري، فتح بن محمد الإشبيلي ثم الفاسي، أبو نصر، فقيه مقرئ ولد بإشبيلية ودرس بمالقة والمرية، وأقرأ القرآن في قرطبة وشلب. ثم انتقل إلى فاس، فتصدى بها للإقراء، وكان من الآخذين عنه أبو القاسم ابن الملجوم المعروف بأبي رقية، وعبد الجليل بن موسى وعقيل بن عطية، ومحمد بن الدراج وغيرهم من القراء. توفي بفاس في شهر رجب عام 574/ دجنبر1178/ يناير1178.

م.ابن الأبار، *التكملة* ؛ أ.ابن القاضي، جذوة.

عبد اللطيف الشاذلي

الأنصاري، محمد بن القاسم السبتي، اشتهر بكتابه *اختصار الأخبار، عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*. وهو من الكتب الفريدة في تدقيق وصف المدن وتعداد خططها، وربما كان أجمع ما كتب عن سبتة قبيل سقوطها في يد العدو. تحدث عن مساجد هذه المدينة فأحصاها، كما أحصى المدارس وخزائن الكتب، ووصف الربط والزوايا والمحارس والمرامي والمراسي وغيرها، وختم بوصف قرية بليونش أو بنيونس المتصلة بسبتة. وقد فرغ الأنصاري من تأليفه يوم الأربعاء غرة ربيع الأول من عام 828 / 23 فبراير 1422. ولا ندري كم سنة عاش بعد ذلك ولاأين كانت وفاته.

وقد ورد في *اختصار الأخبار* ذكر ثلاثة كتب ربما كانت من تأليف الأنصاري نفسه : *بغية السامع والكواكب الوقادة و الإعلام*.

ع. ابن سودة، *دليل*، 1 :30 ؛ م. ابن تاويت، *مقدمة اختصار الأخبار*، مجلة تطوان، 1958. 1959، ص 74. 75 ؛ ع.ابن منصور، *مقدمة اختصار الأخبار* ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*،1 : 105. 106.

L. Lévi-Provençal, *Une description de Ceuta musulmane au XV^e siècle*, *Hesp*, 1931, t XII, fasc 11.p,145-176.

محمد رزوق

الأنصارية، حفصة بنت عبد الله بن محمد بن علي، من ذرية الحاج إبراهيم الأنصاري، من زاوية سيد الناس، القريبة من تمگروت، إلى غربها، بخمس فزواطة من وادي درعة. نشأت هذه المرأة الفاضلة نشأة صوفية، فقد تتلمذ والدها على الشيخ عبد الله بن حسين القباب، وكان عمها علي بن محمد بن علي، أحد تلامذة الشيخ إبراهيم بن عبد الله الأنصاري.

توفي والدها وتركها صغيرة دون الحلم، فربتها والدتها تربية صوفية، إذ كانت تصطحبها لزيارة مشايخ التصوف. وكما كانت صافية النفس، كانت بارعة الحسن وافرة الحياء.

تزوجها الشيخ أحمد بن إبراهيم الأنصاري بعد وفاة شيخه سنة 1635/1045، فأنجبت ثلاث بنات. وفي سنة 1642/1052 تأيمت بعد مقتل زوجها، فانتقلت صحبة الشيخ محمد ابن ناصر، الذي تصدر لشؤون زاوية تمگروت بعد وفاة ذلك الشيخ، إلى زاوية أغلان. وهنالك تقدم الشيخ ابن ناصر طالبا يدها، فامتنعت لمدة سنة كاملة، ولم تذعن إلا بعد ما رأت رؤيا اضطرت بسببها إلى الاستجابة لطلب الشيخ الناصري، الذي بنى بها ليلة الأربعاء ثالث شوال سنة 1645/1055، بتمگروت، فانجبت له أربع بنات، وهن على التوالي : زينب وأم كلثوم وأم سلمة وسارة، وابنين هما : أحمد وإبراهيم. وأحمد المذكور هو أحمد الخليفة الذي استخلفه والده على شؤون الزاوية الناصرية، من بعده، الأمر الذي يفضي إلى التساؤل عن دوافع هذا الزواج.

من المعلوم أن الشيخ محمد ابن ناصر تولى أمر زاويه تمگروت بعد وفاة الشيخ أحمد بن إبراهيم الأنصاري، وأن أصله من زاوية أغلان، من خمس ترْناتة، شمالي خمس فزواطة حيث توجد تمگروت ؛ وأن الأيم حفصة الأنصارية من أسرة ذات نفوذ وجاه، ليس على المستوى الروحي فحسب، ولكن حتى على الصعيد المادي في المنطقة. لذلك فلا غرابة أن يصر الشيخ محمد ابن ناصر على طلب يدها ؛ لأنه يعلم أن بفضل هذا القران قد يضمن مكانة له بتمگررت، بين جماعة الأنصاريين الذين كان نفوذهم قويا بالمنطقة. ومن الطبيعي أن يسعى إلى التقرب منهم عن طريق المصاهرة، حتى لا يعارضوا تصدره بالزاوية.

وإذا كان كتّاب المناقب الناصريون يلحون على أمر إيصاء أحمد بن إبراهيم لصاحبه محمد ابن ناصر بالتزوج

من حفصة بعد وفاته، ولهذا الأمر ما يبرره، وهو كفالة بناته من بعده، فلماذا جاء رفضها من بعد ؟ وكان الشيخ مَحمد ابن ناصر يربط بين تدبير شؤون الزاوية، وبين مسألة الزواج من حفصة. مما يدل على الأهمية التي كان يوليها لهذا الزواج. فهي ستضطلع بأمر الزاوية كما كانت زمن زوجها الأول، حيث تكفلت بالجانب الزمني، بينما كان الجانب الروحي موكولا لنظر زوجها. وفي ذلك يقول أحمد بن خالد الناصري :«وما كان مراد الشيخ... بتزوجه إياها إلا القيام بأمر الزاوية» أي أنه كان يهدف إلى تدعيم مكانته بالزاوية عن طريق هذا الزواج. هذا من جهة.

من جهة أخرى، لماذا اضطر الشيخ محمد ابن ناصر إلى مغادرة تمگروت بعد وفاة الشيخ الأنصاري، لمدة ثلاث سنوات تقريبا ؟ يبررأحمد الناصري ذلك قائلا :«عاد سيدي محمد إلى أغلان لما ناله من بعض الحسدة...» غير أنه يفصح عن بعض المعارضين، ومنهم صهره المرتقب، الذي يقول بصدده:«فإنه بالغ في الامتناع والتحامل على الشيخ... والبغض له...».

ومهما يكن من أمر فلا ينبغي إغفال التناقضات التي كانت تعرفها تمگروت لما آل أمرها إلى شيخ غير أنصاري. ومن المستبعد ألا يتطرق صدى تلك التناقضات إلى بال الشيخ مَحمد ابن ناصر، وإلا كيف يمكن تفسير إسناد شؤون الزاوية لأحمد بن محمد ابن ناصر دون إخوته ؟ فالمبررات التي يدلي بها كتاب المناقب، على لسان الشيخ، غير مقنعة، من بعض الوجوه. لكن إذا علمنا أن تولية أحمد الخليفة قد جاءت بسبب انتمائه لطائفة الأنصاريين، من جهة أمه ؛ سلمنا بأن رآسته للزاوية لن تثير أي نزاع بين الناصريين والأنصاريين ؛ الشيء الذي قد يحقق نوعا من التوازن داخل تمگروت، بل ربما يضع حدا لسلسلة من الإحن كانت على وشك الاندلاع لو أسند هذا الأمر لابن آخر. علما أن باقي أبناء مَحمد ابن ناصر من أمهات غير انصاريات. وكما أن بعضهم أكبر سنا، وأوفر علما منه، كما هو شأن محمد الكبير....

توفيت حفصة ليلة الجمعة سادس وعشري شوال سنة 1095/1684، بعدما عمرت زهاء سبعين سنة. وهي آخر من مات من أزواج الشيخ. ودفنت بعد صلاة الجمعة، بروضة الأشياخ، وقبرها معروف بداخل ضريح الشيخ محمد ابن ناصر بتمگروت.

م. الإفراني، *صفوة* ؛ م. الحضيكي، *طبقات* ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة* ؛ *طليعة الدعة* ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ أ.الناصري، *طلعة المشتري*.

M. Baudin, *La Zaouia de Tamegrout, A. B*, vol III, fasc. 4, 1981 ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc* ; A. Hammoudi, *Sainteté, Pouvoir et Société, Tamegrout aux XVII et XVIIIe siècles* , A.E.S.C. N° 3 - 4 Mais - Aout, 1980.

احمد عمالك

الأنصاص، تعني ـ عند قراء المغرب ـ النصوص التي يستعان بها على حفظ القرآن، وإتقان رسمه وضبطه ؛ وهي أنظام تتضمن الألفاظ التي تلتبس بمثيلاتها في القرآن، فتذكرأعدادها ومواضعها من السور والأحزاب ؛ مثل : عليم حكيم ؛ وحكيم عليم ؛ ولعب ولهو ؛ ولهو ولعب ؛ قد تطول هذه الأنظام و قد تقصر إلى حد البيت والبيتين والثلاثة .

ويبدو أنها ظهرت ـ أول ما ظهرت ـ بالأندلس في حدود المائة الخامسة أو السادسة، فقد أورد أبو الحسن الرعيني في *برنامجه* طائفة منها عن بعض شيوخه، وهو من أهل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ومما أنشده في ذلك :

حكيم عليم في التلاوة خمسة

فـلا تسمعن من قول من قال سادس

ففي سورة الأنعام منها ثلاثة

وفي الحِجْر حرف ثم في النحل خامس

ويحفظه طلابنا بأسلوبهم الملحون :

ومن زاد سادس كلامه ناقص...

وأنشدأيضا :

سألت إذا أتى لعب ولهو وكم من موضع هو في القُران

فحرف في الحديد وفي القتال وفي الأنعام أيضا موضعان

وقد اقتفى المغاربة أثرهم في ذلك، لكن الطابع الخاص الذي يميز أنصاص الأندلسيين : هوالفصحى والتعبير بالسور. كالأنعام، والحجر، والنمل، والحديد، وسواها ؛ بينما المغاربة ـ في الغالب الأعم ـ يعبرون بالأحزاب والأنصاف والأرباع والأثمان، وربما اكتفوا في ذلك بالكلمة الواردة قبل محل الشاهد ؛ وذلك كقول بعضهم في عدة (ومن يكفر) أو (فمن يكفر) ـ بالواو أو الفاء :

ما تنسخ ننبتكم تفرقا حرمت دابة (ومن يكفر) بالواو فخمسة

وعكسهمْ قل بالفاء حرفان في الذكر تلك الرسل أحسن فخذهم مكملا

كذلك نجد أنظام المغاربة تذكر اللفظ وما يقابله، وتعبر عن ذلك بـ (وعكسهم) كما في هذين البيتين، بخلاف الأندلسيين فإنهم يقتصرون على اللفظ دون مقابلة، كما رأينا في الأبيات السابقة.

ويمكن تقسيم هذه الأنصاص باعتبار الموضوعات التي تناولتها إلى ما يتصل بالرسم والضبط، والتجويد، والوقف، وما إلى ذلك ؛ وبعبارة أصح : أنها تدخل في كل موضوع من موضوعات القرآن، حتى القراءات السبع.

ولعل أقصر هذه الأنصاص وأخفها : نصوص (بعيد)، ويقال إن أول من نظمها هو أبو العباس الميزوري، وهو من أهل القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي ؛ وهي تكتفي بكلمة (بُعيْد) أو (بعْد)، مثل قوله :

صادقين قل بالياء (ألْ) عددهم بعيد كانوا كنتم وما كنا مكملا

وحفاظا على الاختصار يرمز إلى العدد بالحروف الجمل (ألْ)، (يط).

ومن أشهر أبياته قوله في الحروف الممالة.

حروف كضظش أكثر من عـام ونانفتش

ولا وجـدتهم في ورش سـوى متميلا

والشأن أن تكتب هذه النصوص أسفل الألواح فيحفظها الطالب كما تحفظ المتون الأولية المعروفة بـ (الكراريس)، وهي نصوص كثيرة لو دونت لخرجت في مجلد ضخم.

هذه الصناعة التي غايتها : إحصاء كلمات القرآن وتعداد حروفها، ربما قلل من شأنها بعض العلماء القدامى أمثال : السخاوي والسيوطي وسواهما ؛ لكن من المتأخرين من يرى أنها عمل أقل ما يقال فيه : أنه خدمة لكتاب الله العزيز، تعين القارئ على حفظه واستيعاب كلمه، والأعمال بالنيات.

الرعيني، البرنامج ؛ ح. السوطي، *الإتقان* ؛ ت.الراجي، *مجلة دعوة الحق*، س 12، ع. 3، وس 13، ع.2 ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*.

سعيد أعراب

ابن **أنطول**، غرسية، قائد الفرقة الإسبانية المسيحية لدى القصر المريني، وهي فرقة من المرتزقة كانت تحافظ على دينها وشعائرها وتختص بحيها قرب القصر السلطاني بفاس. ولهذه الفرقة وجود بالمغرب منذ العصر المرابطي وكان من مهماتها حينذاك، استيفاء الضرائب من مناطق المصامدة.

وابن انطول قطلوني اشتهر على الخصوص بمشاركته في بعض المؤامرات التي كان فيها حتفه، أيام أبي سالم إبراهيم الذي تولى فيما بين 762.760/ 1359.1361، وكان أبو سالم قد دعا إلى بيعته انطلاقا من غمارة. وقام ابن مرزوق العالم التلمساني المعروف والذي تعرف على ابي سالم قبل ذلك بغرناطة، بدور فعال في هذه الدعوة، فقد كان على عرش المغرب صبي يخضع لوصاية وزير قوي النفوذ. وتمكن أبو سالم من الاستيلاء على السلطة بفاس، وأصبح ابن مرزوق الشخصية الثانية في الدولة حتى وإن لم يشغل وظيفا سياسياً رسمياً، وعمل على رفع مكانة الوزير عمر بن عبد الله اليباني (من قبيلة يبان الزناتية) فصار الوزير صهراً للسلطان وبدأ يتشوف إلى نفوذ أكثر، فقرر تدبير مؤامرة ضد أبي سالم. وسنحت له الفرصة عندما قرر أبو سالم، على إثر تكهنات فلكية، أن ينتقل من قصره بفاس الجديد إلى فاس البالي، وأناب عنه بفاس الجديد صهره ووزيره المذكور. ثم إن الوزير فاوض قائد القوة المسيحية بن أنطول في تنحية أبي سالم وتعويضه بالأمير تاشفين لموسوس، وهو من آنجال أبي الحسن المريني، وكان تحت الإقامة الجبرية مقيدا. وكانت الحجة في ذلك بينهما طغيان نفوذ ابن مرزوق وتآمره ضد كبار المسؤولين. ونُصّب السلطان الجديد وأرغم محمد ابن الزرقاء قائد حامية فاس على مبايعته. أما أبو سالم فقد تخلى عنه أنصاره حتى ابن مرزوق، فلجأ إلى مجشر(تجمع سكني من بيوت القش) بوادي ورغة، وسرعان ما عُثر عليه وتولى إعدامه ذبحا أحد جند النصارى، وخلال ذلك كانت مخازن السلاح بفاس تشهد نهباً وإحراقاً من العناصر الغاضبة والتي تلاحظ تحركات النصاري في أزقة المدينة ودواليب الدولة على السواء. ومس النهب والحريق دار الصنعة (مصنع السلاح) ومعامل النسيج المرتبطة بالقصر.

ثم إن الوزير عمر بن عبدالله المعروف بالفودودي أيضا اعتقل الوزيرين سليمان ابن داود وعبدالرحمن بن ماساي. وكان مكان اعتقال الأول هو مسكن القائد ابن أنطول. ويصف ابن الخطيب ابن أنطول بالكِبْر والصلف ومعاقرة الخمر واحتقار الأمة. وكان يعاقرهُ الخَمر سليمان بن ونزار، وهو من الشخصيات التي كانت في المنفى بغرناطة مع أبي سالم قبل حلوله بغمارة حيث تهيأ للاستيلاء على السلطة، وقرر ابن أنطول وابن ونزار أن يفتكا بالوزير عمر بن عبدالله، لكن هذا أحس بما يدبرانه. ويذكر ابن الخطيب أن ابن مرزوق دخل في المؤامرة هو أيضاً ضد الوزير المستبد. وهكذا سبق الوزير إلى الفتك بابن أنطول ومساعده سليمان بن ونزار، أما ابن مرزوق فصودرت أمواله. ومع أن ابن خلدون يذكر هذه الرواية في مقتل ابن أنطول فهو يشير في مكان آخر إلى أن الفتك بابن أنطول تم بعد أن رفض تحويل الوزير سليمان بن داود المعتقل عنده، إلى السجن. وكيفما كان الأمر، فقد أدى مقتل ابن أنطول إلى قيام السكان بمطاردة جند النصارى وتقتيلهم سواء بأزقة فاس أو داخل حيهم. ولزم تدخل السلطة لوضع حد لهذه المذبحة التي هي، بالنسبة للرأي العام، انتقام من جند معادٍ للأمة ويتدخل في شؤون الدولة.

ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، 2 :272-279. ت. م.المختار عبادي؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 648. 655 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 4 : 38. 42. وعن أهمية المرتزقة في العصر المريني يراجع :

H.Terrasse, *Histoire du Maroc*, 2 : 73.

إبراهيم حركات

أنطي، Antee شخصية أسطورية. ابن إله البحر نبتون Neptune وگايا Gaia فيما يزعمون.

اشتهر أنطي بقوته وجبروته، إذ كانت جعابه لا تلين لأحد. وعلى حد قول لوكان Lucain في (*La Pharsale*, 4, 600) وأوفيد Ovide في (*Metamorphoses*, 9, 184) يكمن سر بأس أنطي وشدته في مدى تشبثه بأمه الأرض، فكلما مستها قدماه استمد منها القدرة واكتسب أنفاسا جديدة.

ويختلف رواة الأساطير في تحديد موطنه: فالشاعر بندر Pindare في (pythique : 9) يجعله في إرازا (Erasa) ناحية مهملة بالمارموريك (Marmorique) وهذه المنطقة حددها هيرودوث (*Histoires* 4,158) بين أزيريس (Aziris) وقورينة (Cyrène).

وإذا كان بندر في قصيدته السابقة الذكر قد حدد موطن أنطي في منطقة محدودة المساحة فإنه في قصيدة أخرى وهي (Isthmique : 4) المهداة إلى أحد أبطال طيبة يذكر بأن أنطي كان ملك ليبيا. وليبيا كما نعلم كانت تطلق على كل الشمال الإفريقي.

ويصف بندر أنطي كعملاق متوحش يمنع الأجانب من دخول أرضه. وكل من سولت له نفسه فتجرأ ووطئت قدماه الأرض يكون مصيره الموت المحقق، لأن العملاق يجبره على خوض صراع كفته راجحة فيه منذ الانطلاقة. وبهذه الكيفية جمّع عدة رؤوس زين بها معبداً لوالده نبتون.

يجعل لوكان بدوره مملكة أنطي بليبيا، ويضيف بأن هذا العملاق يتعرض بالأذى ليس فقط لمن ترميه مياه البحر على شاطئه بل أيضا لفلاحي الحقول (*La Pharsale* 4 : 605).

ويوافق موطن أنطي بالنسبة لبومبونيوس ميلا (Pomponius Mela) في (*De Chorographia* 3: 10 ; 106) أقصى زاوية بإفريقية، على الساحل الخارجي لموريطانيا.

وإذا تتبعنا وصف ميلاً يتبين لنا بأن المنطقة التي يعنيهابوصفه هي موريطانيا الطنجية، لأنه يذكرمدنا نجدها ضمن المثلث طنجة/وليلي/سلا الذي كانت تحصر أضلاعه حدود هذه المنطقة.

وقد خصص لوكان (Lucain) وصفا مسهبا في (*Pharsale*, 4 : 610-655) للحديث عن الصراع الذي جمع العملاقين هرقل وأنطي بالمنطقة المذكورة. واعتقد رواة آخرون ومن بينهم بلوتارخ (Plutarque) في (*Les vies parallèles*, Sertorius) بأن مدينة طنجة هي التي احتضن ترابها أطوار الصراع بين العملاقين.

وجزم بعض المؤرخين بنسبة تأسيس طنجة للعملاق أنطي، ونذكر من بين أصحاب هذا الرأي بلين في (*Histoire Naturelle*, 5 : 2) وبومبونيوس ميلا في (*De chorographia*, 1 : 5) ولبيرهنوا على صحة أقوالهم تحدثوا عن درع من جلد الفيل له حجم كبير لا يناسب أحداً. وذكروا نقلا عن الروايات الشفوية المحلية بأن الدرع كان لباسا للعملاق أنطي، وقد أصبح محط تبجيل وتقديس السكان المحليين (*De chorographia*, 1 : 26) وليزكي أصحاب هذا الرأي زعمهم قدموا دليلا ماديا لا يدع مجالا للشك حول الدور الذي لعبته طنجة في عهد العملاق أنطي ويتمثل هذا الدليل المحسوس في القبر الكبير القريب من طنجة (*De chorographia*, 3 : 106).

وذكر بلوتارخ بصدد ترجمة حياة القائد الروماني سيرتوريوس (*Les vies parallèles*, Sertorius 9) بأن هذا القائد لم يصدق أقوال البرابرة فكشف عن القبر، فوجد بداخله جثة رجل له قامة طولها 60 ذراعا (يعني ثلاثة أمتار) فأعاد طمر القبر وقدم أضحية بشرية قربانا له. وزاد عمل هذا القائد من شهرة القبر وصاحبه.

أما سترابون (Strabon) في (*Geographie* 17 : 3-8) فيحدد قبر العملاق في لينكس (Lynx) التي قد تنطبق على موقع ليكسوس. ونعرف اعتمادا على بلين (*Histoire Naturelle* 5 : 3) بأنه بليكسوس يوجد القصر (Regia) الوحيد بإفريقيا الغربية، وهو مقر سكنى أنطي، وبها أيضا تم الصراع بين أنطي وهرقل وبها كذلك حدائق الهسبيريد (Hespérides) الغناء التي كانت مطمح هرقل إذ جاء إليها ليأخذ منها التفاحات الذهبية ولكنه اصطدم بالعملاق أنطي.

ويدعم الباحث كركُوبِينو (Carcopino) أصحاب الرأي الثاني عندما يؤكد بأن موقع ليكسوس كان مسرحا لأسطورة أنطي، ومن جهتنا نعتبر أن المدينتين معا تقاسمتا ذكريات أنطي.

والمعروف أن جذور هذه الخرافة نمت في البدء بالمستعمرة الإغريقية بليبيا الحالية قورينائية (Cyrenaïque) لتزهر بعد ذلك بموقع ليكسوس على شاطئ المحيط الأطلسي وبذلك تكون قد انتقلت من طرف ليبيا، الشمال الافريقي الشرقي، إلى طرفها الغربي، وكان ذلك منذ القرن الخامس ق م.

وهناك مواد أثرية تم الكشف عنها ببعض المواقع القديمة التي كانت حسب الأسطورة ضمن مملكة أنطي. ويعتبر العثور عليها تتويجا وتدعيما للروايات المكتوبة. ونذكر من هذه اللقى (vestiges) الأثرية تمثالين من البرنز يصوران مشهد الصراع بين العملاقين أحدهما استخرج من موقع ليكسوس والثاني من موقع بناصة. وهناك أيضا بيضاويتان (Deux ovales) وهما من فسيفساء أعمال هرقل بالمنزل المعروف تحت نفس الاسم بوليلي، تبين إحداهما صراع هرقل وأنطي وتشير الثانية - وهي في حالة رديئة لذكرى حدائق الهسبريد الفيحاء التي كانت السبب والدافع لمجيئ هرقل إلى مملكة أنطي. فتعرض لنفس المساومات التي تعرض لها من سبقوه ولكنه اهتدى إلى مكامن ضعف غريمه، فرفعه عن الأرض وخنقه وبذلك نجا وخلص الأبرياء من شروره وغلوائه (*Pharsale*, 4: 610-655).

ب. بلكامل، *فسيفساء الفصول بموريطانيا الطنجية*، د.د.ع. الرباط، 1986، 2 : 272-276.

Lucain, *La guerre civile (La pharsale)* IV,595-655, Paris. Belles-Lettres, 1926 ; Plutarque, *Vies Parallèles* ; trad. B, Latzarus, Garnier ; Pomponius Mela, *De chorographia*, trad. M.L.Bawdel, ed. Pomckoucke, Paris, 1843 ; R. Raymond, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris. Belles-Lettres, ,1924, pp.26-30 ; L.Chatelain, *Un groupe de bronze de Banasa, Hesp.* 1937, pp130-132 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, Gallimard, , 1943. pp 67-68 ; R.Rebuffat, *Bronzes et Hercule à Tanger et à Azzila, Ant. Afr* 5, 1971, pp, 179-191 ; E.Saglio, *"Antaeus", Dictionnaire des antiquites grecques et romaines*, t 1, 1er partie,1877, p.282 ; M. Ponsich, *Tanger Antique*, *A.W.R.W.*10.2, 1982, pp. 788-815 ; A. Jodin, *Volubilis, Regia Ubae : Contribution à l'étude des civilisations du Maroc antique préclaudien*, Paris, de Boccard, , 1987, p .241.

البيضاوية بلكامل وعبد العزيز بلفايدة

أنفا، مدينة في موقع الدارالبيضاء الحالية، أنشأها الرومان حسب الوزان، أو الفنيقيون حسب مارمول. وتجمع كتب الرحلات التي تعرضت لأنفا على مجموعة من الخصائص، منها استفادة المدينة الكبرى من موقعها الذي اعتبره مارمول أحسن المواقع بإفريقيا على الساحل بجانب سهل من أغنى السهول المغربية، الأمر الذي جعل منها منفذا لكميات كبرى من الحبوب والأصواف. هكذا كانت أنفا محج السفن والقوافل على حد سواء. (ابن الخطيب. معيار،75). وتؤكد نفس المصادر على الازدهار العمراني

الذي عرفته أنفا نتيجة رواج أسواقها. فقد ذكر الوزان بأنفا مساجد ودكاكين في غاية الحسن، وقصورا شامخة تحيط بها بساتين شاسعة. ولم يخف الوزان حسرته وأسفه على خرابها. وانعكس هذا الرواج على أوضاع سكانها المعيشية. ويفهم من إشارة للوزان أن أكثر التجار المسيحيين إقبالا على أنفا كانوا برتغاليين. ويرجع ريكار R. Ricard هذه العلاقة التجارية بين أنفا والبرتغال إلى 852 . 1450/853 على الأقل، حيث كان البرتغاليون يعرضون فواكه «المغرب» البرتغالي ويقتنون الحبوب والأصواف والخيول (*commerce*, 92) غير أن حكام لشبونة اضطروا، بسبب تزايد نشاط مجاهدي أنفا، إلى تجهيز حملة تضم ألفي محارب ترأسها الملك دون فرندو. وفضل السكان الانسحاب. ونظرا لاتساع المدينة واستحالة الاحتفاظ بحامية قادرة عن الدفاع عنها، تقرر تحطيم الأسوار وإحراق المدينة قبل الانسحاب.(R.de Pina,8 16) وفي سنة 1472 أقطع الملك ألفونصو الخامس أنفا لأخيه المذكور، غير أن هذا الأخير لم يقم بأي عمل قصد إعادة تعميرها واستيطانها. ففي سنة 893 . 1487/892 نظم البرتغاليون غارة ضد بعض دواوير الشاوية، وكانت أنفا آنذاك مهجورة.(R. de Pina, 942). وكان البرتغاليون قد صنعوا لهم بضواحي أنفا عميلا تذكره الوثائق البرتغالية تحت اسم "Moly Belagegi" يعتقد أنه أبو الحجاج يوسف بن زيان الوطاسي الذي استقل بحكم الشاوية. وفكر الملك البرتغالي إمنويل سنة 1515/921 في تحصين أنفا، غير أن فشل محاولة احتلال المعمورة حال دون تنفيذ هذا المشروع. وبقيت أنفا مخربة إلى أن أعاد السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي بناءها. ووردت عند الضعيف تحت اسم مرسة الدارالبيضاء.

ح .الوزان، *وصف إفريقيا*. ج :1، ط.الرباط : مارمول، *افريقيا*.

R. de Pina, *Chronica de Senhor Rey D. Affonse V ; Chronica d'el-Rey dom Joao II*. Perte, Lello e Irmao Editores, 1977 ; C. de Marmol, *L'Afrique*, trad. franc. Paris 1667, t.II ; R. Ricard *"Le commerce de Berbérie et l'organisation economique de l'empire portugais aux XV et XVI e Siecle"*, in *Etudes sur l'histoire des Portugais au Maroc*. Coimbra, 1955. E. I. *Anfa*, voir bibliographie.

أحمد بوشرب

أنفا (مؤتمر) في سنة 1943، وفي خضم الحرب العالمية الثانية ارتأت الدول الغربية الحليفة أن تعقد لقاء بينها لتنسيق مجهودها العسكري ضد دول المحور. وتم هذا اللقاء بمدينة الدارالبيضاء بحي أنفا الذي باسمه عرف المؤتمر فيما بعد. وقد حضر هذا المؤتمر كل من تشرشل وروزفيلت ودوگول. إن ما يهم المغرب من «مؤتمر أنفا» ليس هو المؤتمر في حد ذاته، بل اللقاء الذي تم على هامشه بين الرئيس الأمريكي فرانكلن روزفيلت وسلطان المغرب سيدي محمد بن يوسف.

لقد جاء هذا اللقاء في ظروف دولية تميزت بالضعف الذي ظهر على الدول المستعمرة (بكسر الميم) والتي سقطت هيبتها في أعين الشعوب المستعمرة (بفتح الميم)، خاصة بعد أن دخل الأمريكيون غمار الحرب وأصبحوا بقوتهم العسكرية وجبروتهم التكنولوجي معقد الآمال في تحرير أوربا وشمال إفريقيا من كابوس النازية. وفي المغرب كان لنزول الجيوش الأمريكية في نونبر 1942 (انظر مادة «أمريكا والمغرب») أثر بالغ على نفسية الوطنيين المغاربة وعلى نفسية سلطان البلاد الذي تحرر نسبيا من الحجر المفروض عليه من طرف الإقامة العامة وأصبح بإمكانه أن يتصل مباشرة بممثلي الإدارة الأمريكية دون حضور المقيم العام.

تم اللقاء بين روزفيلت وسيدي محمد بن يوسف يوم 22 يناير 1943 قبيل وخلال مأدبة عشاء أقامها الرئيس الأمريكي ودعا إليها سلطان المغرب الذي كان مرفوقا بولي عهده الأمير مولاي الحسن. كما حضر حفلة العشاء عدد من الشخصيات مثل تشرشل والجنرال باتن، قائد القوات الأمريكية بالمغرب، وإيليوت روزفيلت، نجل الرئيس الأمريكي، والجنرال نوگيس، المقيم الفرنسي العام بالمغرب. إننا لا نتوفر على أي وثيقة رسمية من أي جهة كانت حول فحوى الحديث الذي دار بين روزفيلت ومحمد بن يوسف، وبالتالي فإن ما كتبه أو صرح به البعض ممن حضر هذا اللقاء يبقى مستندنا الوحيد في معرفة مضمون المحادثات.

إن ما يمكن استخلاصه مما سجله جلالة الملك الحسن الثاني في كتابه *التحدي* أو ما كتبه إيليوت روزفيلت في مذكراته *قال لي أبي* هو أن الحديث بين الرئيس الأمريكي والسلطان دارأساسا حول تصور كل منهما لمستقبل المغرب بعد نهاية الحرب. لقد طرح سيدي محمد بن يوسف بوضوح، حسب محمد المعمري، قضية استقلال المغرب مع روزفيلت «وتمنى أن لا ينسى الحلفاء مكافأة المغرب على ما بذله من جهود حربية بإعادة سيادته إليه». وإذا كان الرئيس الأمريكي قد تجنب تقديم وعد صريح بدعم مطلب المغرب في الاستقلال فإنه اظهر تفهما كبيرا لرغبة المغاربة في التحرر والتطور والاستفادة من خيرات بلادهم. لقد وضح روزفيلت في حديثه مع سيدي محمد بن يوسف أن الخريطة السياسية للعالم بعد الحرب سوف تعرف تغييرا جذريا، وأن النظام الاستعماري نظام محكوم عليه بالزوال، كما أظهر استعداد بلاده للأخذ بيد المغاربة من أجل مساعدتهم على تنمية ثرواتهم واللحاق بمسيرة الشعوب المتقدمة.

لقد كان للتفهم الذي أبداه رئيس أكبر قوة عسكرية في العالم لطموحات شعب يطمح إلى الحرية أثر عميق على نفسية سيدي محمد بن يوسف الذي صرح بعد اللقاء قائلا: «إن بلادي توجد الآن على أبواب عهد جديد». وفعلافإن لقاء أنفا جاء ليعزز إيمان المغاربة بقضيتهم ويدفع بهم خطوة أخرى على طريق القطيعة مع نظام الحماية الفرنسية، وليس من باب الصدفة أن يؤسس حزب الاستقلال خلال نفس السنة التي تم فيها هذا اللقاء، وهو

التأسيس الذي تبعه مباشرة تقديم عريضة الاستقلال يوم 11 يناير 1944.

أ. عسه، *المعجزة المغربية*، بيروت، 1975.

Hassan II, *Le Défi*.

محمد المنصور

الأنفاسي، أسرة فاسية، أصلها من قرية سلاس في جبال الريف المشرفة على منعرجات نهر ورغة، لا يعرف تاريخ انتقالها إلى فاس إلا أنه اشتهر بها منهم عدد من العلماء والصالحين منذ القرن السابع الهجري.

الأنفاسي، سليمان بن يوسف بن عمر الفاسي. عالم مشارك صالح ناسك خلف أباه، وهو مايزال شابا، في التدريس والإمامة والخطابة بجامع القرويين عام 759/61. 1360. وقد تحدث عنه أحمد ابن الخطيب القسنطيني في *أنس الفقير*، وكانت له به معرفة وأخوة، فذكر من ورعه وجده واجتهاده ما يدل على أنه من العلماء العاملين الأتقياء الكاملين. وذكر أن السلطان أبا الحسن المريني رغب في لقاء سليمان الأنفاسي، فجاء إلى جامع القرويين صحبة قاضي الجماعة عبد الله الأوربي بقصد أن يجمعه به، فذهب وجاء القاضي إلى أبي الحسن برجل صالح آخر وجده بالمسجد يدعى أيضا سليمان.... وجدّ أبو الحسن طلب اللقاء بسليمان الأنفاسي مرة أخرى فلم يقابله وكتب له براءة قنع بها السلطان عن رؤيته.

ولما عزم الوزير (العامل) على غرم ديار فاس ورباعها، كما فعل سلفه، مشى إليه سليمان الأنفاسي مع الفقيه القباب، وأغلظ له القول، فهابه العامل وارعوى.

وقد تخلى سليمان عن الإمامة والخطابة تورعاً فوليها بعده الشيخ العارف الشهير محمد بن عباد. وانقطع سليمان للعبادة ولتعليم الطلبة وإفادتهم. ومن تلامذته أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر المؤلف المكثر الشهير، ومحمد بن أبي بكر الحضرمي صاحب *السلسل العذب*، الذي خصص له ترجمة حافلة منها صفحة كاملة في تحليته بصفتات علمية وخلقية عالية وذكر من بين مقروءاته عليه *رسالة ابن أبي زيد* و*رعاية المحاسبي*.

وكان ذا طريقة حسنة في التدريس قال عنها صديقه القسنطيني :«ولا رأيت أحسن قراءة ولا أسرع منه فيها لحديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ» (*أنس الفقير*، 75). وقال عنها تلميذه الحضرمي «ولم يزل يظهر عليه في حفلات العلم من علو الإدراك ومحمود الألطاف والتبري من حظ نفسه وترك المراء والجدال وجودة النظر وإصابة الفهم، وقصد المعاني وقرب المأخذ، ما انقطع به عن القرين وبذّ أصحابه. وله من لطف العبارة وبيان القول وإظهار الحجة أوفر نصيب» (*السلسل*، 74).

توفي بفاس سنة 77/779 ـ 1378 وسنه يقرب من أربعين سنة. وقد صحف هذا التاريخ ـ على ما يبدو ـ في *أنس الفقير*، إذ كتب فيه عام تسعة وتسعين وسبعمائة، وهو خلاف ما في *الجذوة والنيل* وما يقتضيه موته في سن الأربعين وقيامه مقام أبيه بعد وفاته سنة 761 كما سياتي.

م. الحضرمي، *السلسل العذب*، 73 ـ 76 ؛ أ. القسنطيني، *أنس الفقير*، 74 ـ 75 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 38 ؛ *درة الحجال*، 3 : 310 ؛ *لقط الفرائد*، *ألف سنة من الوفيات*، 218 ؛ أ. باب السوداني، *نيل*، 352، 353.

الأنفاسي، علي بن عبد الرحمان السلاسي الفاسي. الفقيه المدرس الصالح الورع، خطيب جامع الأندلس وإمامها، من أشهر تلاميذه الشيخ أحمد زروق، أخذ عنه - في جملة ما أخذ - *المدونة* التي كان يقرؤها بشرح ابن يونس.

كان أحمد زروق معجبا بورع الشيخ علي الأنفاسي إعجابه بعلمه وتحقيقه مداوما الصلاة خلفه، وحكى عنه في *الفهرس* قصة عجيبة نقلها الذين ترجموا له بعد، ذلك أن المطر حُبس ذات سنة فطلب الناس من الإمام الأنفاسي أن يستسقي لهم، فوعدهم أن يفعل ذاك بعد ثلاثة أيام، ثم أخرج في الغد ما عنده من الزرع في بيته، رآه زروق صبرة في صحن الجامع، فتصدق به وقال: الآن أبكي مع المسلمين، ثم استسقى لهم فما رجع إلا بالمطر.

توفي بفاس، وقد طعن في السن، عام 1456/860.

أ. زروق، *فهرس*، مخطوط ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 302 ؛ أ. باب السوداني، *نيل*، 208 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 123.

الأنفاسي محمد الكفيف الفاسي، أخذ عن الإمام محمد بن غازي وطبقته، وبرع في علوم القرآن والأدب، غير أن كتب التراجم لم تحتفظ من أدبياته إلا بقطعة ذيل بها بيت «الغزل الفقهي» عن تمزيق اللخمي مذهب مالك.

وكانت وفاته عام 927 أو 928/21.1522.

أ. ابن القاضي، *جذوة*، 151 ؛ *درة الحجال*، 2 : 150 ؛ *لقط ألف سنة من الوفيات*، 288 ؛ أ. باب السوداني، *نيل*، 334.

الأنفاسي، يوسف بن عمر الفاسي. فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي، مدرس مفت، ناسك زاهد. رشحه أبو عنان المريني للخطابة والإمامة بجامع القرويين بعد وفاة الشيخ عبدالله الجنياري، فأبى واعتذر، لكن السلطان ألح عليه لرغبة الناس في الصلاة خلفه، وبعث إليه في أول خطبة خطبها بالقرويين خلعا سنية بلغت قيمتها مآت الدنانير الذهبية فرفضها وقال «إن هذه الكسوة لا تصلح لمثلي، وفيما عليّ من اللباس كفاية» (*جذوة*، 38) فألح الرسول عليه فقبلها ولبس بعضها في الخطبة الأولى ثم أعطاها لمن يستحقها من شرفاء المدينة مقتصرا على عادته في اللباس، وأناب عنه في الخطبة القاضي محمد الجزولي. ومن كلامه: «أفضل العبادة المراقبة وحفظ الحدود» (*سلوة*، 32).

اشتهر يوسف الأنفاسي بشرحه *على رسالة ابن أبي زيد* القيرواني، المعروف *بالتقييد*، لأنه من تقييد الطلبة لإملاء الشيخ أثناء إقرائه الرسالة. ورغم إقبال الناس على هذا الكتاب وتداوله فإن الشيخ أحمد زروق كان له موقف متحفظ منه ومما شاكله من التقاييد المتداولة قائلا إنها تهدي ولا تُعتمد وإن بعض الشيوخ رأى تأديب من أفتى من التقاييد.

توفي يوسف وقد نيف على المائة سنة، بمدينة فاس عام 1360.59/761 ودفن خارج باب الجيسة بين الحارتين على قرب مقابلة برج الكوكب.

م. المضرمي، *السلسل*، 52.54 ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*، 73 ؛ أ.ابن القاضي، *جذوة*، 38 و364 ؛ أ.باب السوداني، *نيل*، 352 ؛ الكتاني، *سلوة* ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، 4 :77.

محمد حجي

أنْفضواك، عمر بن موحا إبراهيم. ولد سنة 1928 في تَباشْكُورتْ. وشارك في الكفاح المسلح ضمن جيش تحرير الصحراء فجاهد بكل شجاعة إلى أن استشهد في معركة الشبكة بإقليم الرشيدية (قصر السوق) سنة 1959.

وثائق المندوبية السامية وجيش التحرير.

عزالدين العلام

إنْفْلاسْ، هي صيغة الجمع لكلمة «أنْفْلُوسْ» وهي نفس الكلمة التي ينطقها التارگيون (توارگ) «أنا فلاس» ويجمعونها على «إنَافْلاَسْنْ». وتعني في اللغة الأمازيغية بصفة عامة: الإنسان الذي لديه استعداد ليثق/ الذي يثق في نفسه/ الذي يوثق به/ الإنسان الثقة / الذي يوحي بالثقة .... وصيغة الفعل من المادة هي إفلس. وتستعمل عادة للتعبير عن أي نوع من أنواع الإيمان، وعن أي شكل من أشكال الثقة. كالإيمان بالله والثقة به أو بالإنسان أو بأي شيء آخر. (De Foucauld, *Dictionnaire*, p.328) وتستعمل الكلمة كذلك في الأمازيغية المعاصرة، في الجنوب الغربي للمغرب، للدلالة على الإنسان الذكي الماهر، واللبق الفصيح ذي الرأي السديد، والعارف بتقاليد الجماعة أو «القبيلة» التي ينتمي إليها، والعادل في أحكامه وفي سلوكه الخاص مع الناس وهذا ما استفدناه من رواية شفوية بأيت سمگ في سوس الأعلى وما يفهم من نص مونطاني (*Les Berbères*, p.221) أما عن المجال الجغرافي الذي نستعمل فيه الكلمة، فإنه يقتصر، حسب ما نعرفه الآن، على الجنوب المغربي الغربي. أي جنوب الخط الممتد من الصويرة إلى إنتيفت أو نتيفة ماراً بمراكش، وغرب الخط الواصل بين نتيفة وزاگورة ومجرى وادي درعة. وهذه المنطقة تضم الأطلس الكبير الغربي وسهل سوس والأطلس الصغير (R.Montagne, *Les Berbères*, p.217 et 99. , E.Laoust, *Mots*, pp313-314). وإذا كان اللفظ يختلف، فإن مدلوله، كممارسة مجتمعية، يوجد في أماكن أخرى من المغرب الأمازيغي. وهكذا نجد كلمات: أمْزْوَارْ/إمْزْوَارْنْ ؛ أمَاسَايْ/إمَاسَايْنْ، أيت رْبعين، أمْسْلاَيْ/إمْسْلاَيْنْ، أمين/ أمناء.... التي تتضمن معنى من معاني كلمة «أنفلوس» المشار إليها سابقاً. وكيفماكان الأمر، فكلها تدل على الأشخاص الذين يتحملون المسئولية في إطار التنظيم الجماعي الذي كان سائداً في المجتمعات الجبلية على الخصوص. وأعضاء الجماعة كما هو معروف، يحملون اسم «إنْفْلاَسْ» في الجنوب الغربي للمغرب (H.Bruno, *Notes*, p.135, *Introduction*, p. 297).

إن الحقل الدلالي لكلمة «أنفلوس» يتضمن إذن شقين كبيرين : أولهما ديني متغلغل في القدم، والآخر دنيوي متأخر نسبيا. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأمر لا يتعلق في هذه الحالة بتغيير تام للمعنى الأول، بل بانزلاق غير ناتج عن تغير في طبيعة المسمّى. ولكنه ناتج عن تغير في المعتقدات الدينية، جرّ تحولا احتياليا في مهام المسمّى وفي معنى اللفظ الدال عليها.

ولكي يكون ماذكرناه أعلاه أكثر وضوحا، نقول: إن لفظ «أنفلوس» ربما كان يطلق في عهد الديانات الزراعية على أناس يُعتقد أنهم يتوفرون على قوة سحرية أو خارقة، تجر الخير والفوزعلى المتبركين بهم. ومع انتشار الديانة الإسلامية - وربما قبل ذلك في المناطق التي عرفت اليهودية والمسيحية - بقيت فئة «إنفلاس» موجودة، ولكن العقلية الجماعية عملت تدريجيا على طمس جوانب من مهامهم تكشف العلاقة الصريحة بالديانات الزراعية، نظرا لكونها تتنافس مع الديانة الجديدة. في حين كيفت جوانب أخرى منها مع ما تقتضيه المعايير الطارئة. أو احتفظت بها كما هي ما دامت لا تثير انتباه أحد.

هذه المثاقفة على مستوى المعتقدات، هي التي أدت - من بين عوامل أخرى - إلى إحلال كلمات محل أخرى، أو إعطاء معان جديدة لألفاظ قديمة كلما دعت الضرورة الى ذلك، (J. Berque, *Structures*, 374-386).

لقد وردت في بعض كتب النوازل المتأخرة إشارات قليلة، تدل على وجود مجالس «إنفلاس» في جبال دَرْنْ ومنطقة سوس بصفة خاصة. وأقدم هذه الإشارات ترجع إلى القرن الرابع عشر (المنوني، *التيارات*، 47). ويبدو أن القرن السادس عشر شهد تفاقم الظاهرة، واتسعت أكثر في القرن السابع عشر (حجي، *الحركة*،1 :298) وقد وردت كلمة «النفاليس» في أجوبة قاضي الجماعة عيسى ابن عبدالرحمان السكتاني (ت 1651)، (*أجوبة*، 87)، كما وردت في السؤال المعروف الذي استفتى به يحيى بن عبدالله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي (ت 1625) فقهاء الوقت، والذي ابتدأه هكذا :«... جوابكم لله تعالى فيما يفعله بعض أهل البادية، أهل الجبال منهم، من أنهم يجتمعون عن آخرهم و يعملون منهم أهل الحل والعقد، ويقولون لهم إنفلاس، ويسميهم بعضهم الضمان، ويصدر الاتفاق منهم على ضوابط ومصالح عندهم... وهذه العبارة في نسخة عثرنا عليها في جبل إسكساوان أو سكساوة، ويمكن أن تقابل بفائدة مع ما ود عند محمد حجي في *الحركة الفكرية*، ص.300. وقد عرف محمد حجي بهمة إنفلاس في العبارة الآتية :«... يتولى (إنفلاس) الفصل في الجنايات وبعض القضايا المدنية كأحداث الأسواق من غش وتطفيف في الكيل والميزان بحسب ما في الألواح، وأحكامهم لا تقبل الاستيناف. كما يتولون تنفيذ ما يقضي به الفقهاء المحكّمون» (*الحركة*، 1 : 298).

غير أن الدراسات الأوربية المعاصرة، أعطت تعريفات أوسع لوظيفة إنفلاس. فإميل لاووست (E. Laoust) مثلا يعتقد أن «أنفلوس» و«أمزوار» اللذين يعتبرهما كثير من المؤلفين المعاصرين مُباركين يُتيمّن بهما، ليسا الا امتدادا لسلسلة السحرة والكهنة والملوك الزراعيين (rois agraires)، الذين كانت ممارساتهم السحرية أو السحرية - الدينية تضمن رفاهية العشيرة clan وحياتها. كما يعتبر أن فرضيتهُ هذه ثاقبة نظراً لكثرة عدد أفراد النخبة المذكورة. وقد ذهب بعيداً حين زعم أن كثيراً ممن يدعون الشرف من الأمازيغ، قد لا يكونون في الأصل إلا ورثة إنْفْلاَسْ وإمزوارن .(Laoust, 298) وذكر كذلك أن هناك أنواعا من إنْفلاسْ منهم :

أنْفلوسْ ن - تيبّوگا، وهو الذي كان يفتتح عملية الحرث.

أنفلُوس ن - لْباروض، ويعتقد أنه لا تؤذيه ضربات العدو، وأنه يحمي المحاربين، وهو الذي يحمل العلم، ويطلق أول طلقة عند بداية المعركة.

أنفلوس ن - لْهْدْرْتْ، يفتتح حلقات أحواش في الحفلات الجماعية بنقره على الدف قبل غيره (Laoust, 313).

وقد أضاف روبير مونتاني R. Montagne نوعين آخرين هما : أنفلوس نْ - لْخيرْ أو الرجل الميمون، وأنفلوس ن - تّسهيلْ أي الذي تتيسر على يديه الأمور. وأورد في نفس الوقت تفاصيل لاحظها مشاهدة أو جمعها عن طريق الرواية الشفوية، تتعلق بالممارسات المجتمعية المرتبطة بـ «مؤسسة» إنفلاس، وإشارات إلى مناطق وجودها في الجنوب الغربي من المغرب.(Laoust, 130,200, 221) وقد ذكر أيضا إنفلاس ن وامان وهم الذين يسهرون على تنظيم دوات الري (Laoust, 220).

وهكذا نرى أن كلمة «أنفلوس» من الكلمات التي بقيت حية، مع تعديل اضطراري في معناها الأول. ويلاحظ اليوم أن معناها الثاني بدأ - هو بدوره - في الأفول، نظرا لكون المؤسسة المجتمعية التي يتجسد فيها انحلت منذ زمان قبل أن تنقرض نهائيا في الوقت الحاضر (R. Montagne, *L'Aghbar*, p. 13 sq) ونتيجة لذلك تقلص مجال استعمال كلمة «أنْفلوس» ليصبح فقط اسم شخص أو عائلة، لا يمارسون بالضرورة الوظيفة التي كانت تبرر وجودها..

ع. السكتاني، *الأجوبة*، مخطوط خ. ع، ج.1257 ؛ م. المنوني، *التيارات الفكرية في المغرب المريني*، مجلة الثقافة المغربية، 5 :47؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 :298.

Ch. de Foucauld, *Dictionnaire* ; E.Laoust, *Mots et choses berbères* ; H. Bruno, *Notes sur le statut coutumier des Berbères marocains, A. B*, vol. 1, fasc, 3, 1915-1916, Paris, 1916, p.135 ; *Introduction à l'étude du droit coutumier des berbères du Maroc Central, A. B*, vol. 3, fasc,4,1918, Paris, 1918, p 297 sqq; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, p.221 sqq.

علي صدقي أزايكو

أنفلوس، أسرة، أصل اللفظ اسم صفة يطلق في الأمازيغية (الشلحة) على كل إنسان له مكانة اجتماعية مرموقة في قبيلته، أحرز عليها بذكائه وخبرته وشجاعته، فيستشيره سكان القبيلة ويستفتحون به أعمالهم الفلاحية تيمنا وتبركا بقدسيته المعتقدة عندهم، كما يتولى النظر في أمور قبيلته ويمثلها في الإجتماع والحوار مع نفاليس وأعيان القبائل المجاورة.

ولفظ أنفلوس يجمع في الشلحة على إنفلاس، وجمعه بعضهم في العربية على نْفاليس. وأحسن كلمة تعرّبه بها هي النقيب والعريف، قال الله تعالى :«*ولقدْ أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهُمْ اثني عشر نقيباً*» وهم الذين يتولون النظر في ضبط أمور القبائل حتى ربما يكون منهم من يستبد على الآخرين فيكون له الأمر دونهم (*إيليغ*، 47. الهامش : 158).

وقد اشتهرت أسرة حاكمة بقبيلة نكنافة الحاحية في فترة (1912.1871) بهذا الاسم (أنفلوس - إنفلاس) حتى أصبح اسماً علماً لها دون غيرها في جنوب المغرب، وقد تعاقب على كرسي القيادة منها أربعة قواد مشهورين وهم :

أنفلوس، القائد أحمد بن مبارك (1321 .1326/1903 - 1909) تولى القيادة بعد وفاة ابن عمه على حاحة وسوس، إلا أن الحكومة سحبت منه كل جيوشها لتحارب بها بوحمارة، فانسحب هو الآخر من سوس مكتفيا بالقيادة على حاحة الشمالية ومعتمدا على إمكانياته الذاتية فجمع من الأموال والذخائر بسوس والصويرة ما أزعج به جيرانه من قواد الحوز أمثال خَبّان والأگلاوي والمتوگي الذي أوغر صدر الحكومة عليه فوجهت إليه حملة عسكرية من مراكش شارك فيها عشرات من قواد الحوز فهزمهم جميعا، فكان مضرب الأمثال في الشجاعة والإقدام هو وفرسانه الماهرون في الكر و الفر والرمية حتى قيل بأن الفارس منهم يغلب مائتين من رجال العسكر(السوسي، *المعسول*، 3 : 408) واعتقد البعض بأن روح المجاهد الأكبر سيدي محند أسليمان الجزولي (ت 870 هـ) تنصره بتعاون مع جنود من الجن الساكنة بكهف إيمي نْتَقَانْدُوتْ، لأن القائد أنفلوس يذبح على مقاميهما المجاورين لقصبته ثورين أسودين عند الغروب كلما عزم على خوض معركة ضد أعدائه (Doutté, *En Tribu*, 282) وبعدما استعصى أمره على المخزن وقواد المخزن أصبح يقلق تجار وسفراء الدول الأوربية بالصويرة لما يفرضه من مكوس باهظة على القوافل، وما تشكله قوته من خطر ضد مخططاتهم الاستعمارية، لذلك ارتاح الجميع بقتله على يد عبد دسه إليه عدوه اللدود عبد الملك المتوگي وذلك عام 1908/1326. (الصديقي، *إيقاظ السريرة*. 1 :145).

أنفلوس، القائد مبارك، كان كاتبا خاصا للقائد الكبير الحاج عبد الله أوبيهي الحاحي إلى أن توفي هذا الأخير وعجز ابنه محمد أمْعْضُورْ عن تسيير إيالة والده، فقام أنفلوس واستبد بالأمرلنفسه فأسس قصبة تيمْسوريّين بنكنافة قاعدة لحكمه بعد خراب قصبة القائد السابق بأزغار أيت زلطن عام 1871/1288. ثم عينه السلطان مولاي الحسن قائدا على قبيلة نكنافة عام 1875/1292 (الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 1 : 108) إلا أنه لم يقنع بها فدخل في صراع مع جيرانه من قواد حاحة فاعتقله السلطان المذكور بمراكش عام 1298 حيث توفي بعد سنة، واسندت القيادة الى عائلة إيدْ عْدّي من نفس القبيلة سنوات.

أنفلوس، القائد محمد بن أحمد، وخليفته أخوه مبارك بن أحمد أنفلوس، وهما آخر رؤساء إنفلاس الحاحيين ، توليا بعد مقتل أبيهما قيادة قبيلة نكنافة وإداوگرْضْ وإيداوسارْنْ وأيت واضيلْ، وكان لهما نفوذ قوي على مدينة الصويرة، لذلك راودت فرنسا القائد محمد على اقتحام سوس وسلوك منطقة نفوذه إليه مقابل تنصيبه قائدا على كل قبيلة ساعدهم على إخضاعها، فامتنع متعللا بأنه لا بد من مشاورة غيره من قواد حاحة، فصار أنفلوس يقدم رجلا ويؤخر أخرى، وكان من أهل الطريقة التجانية،

فأشار عليه شيخه محند بن سعيد التيلضي بإشهار الحرب على من ناوأه وهاجمه، فاستنفرت الحكومة الفرنسية جيوشها وقوادالحوز بقيادة ماسوتي قاصدة أگادير عبر بلاد حاحة بتاريخ 1912/11/14 فاعترض محمد أنفلوس طريقها مستنفرا جميع قبائل حاحة للجهاد ضد جيوش الاحتلال، وقسم السلاح على من ليس معه منه شيء، فحاصروا الفرنسيين بدار الحاج علي القاضي قرب سميمو من يوم 18 دجنبر إلى 24 منه حتى هلك منهم عدد كثير بالقتل والجوع والعطش، إلى أن جاءتهم إغاثة من الصويرة فأفرجت عنهم بعد حروب يشيب لها الوليد، ثم اشتعلت نار الحرب بين جيوش الاحتلال وبين حاحا بقيادة أنفلوس محمد والگيلولي عبد الرحمان وكان النصر حليف حاحا في عدة معارك بمواقع إبَاشْرَاتْنْ و بيسْنَاسْ وبُوريقي وأكَامُوضْ، وأخيرا تيمْسُورِّينْ دار القائد أنفلوس التي قصفها الفرنسيون يوم 1912/12/25 منتصرين بمساعدة منافس أنفلوس على

القيادة مبارك أعدي النكنافي الذي تولاها بعده فخرج أنفلوس بعياله إلى أيت عيسى ثم إداوتنان حتي توسط له أكبر أعدائه، القائد عبد الملك المتوكي بعد ذلك بشهور لدى إدارة الحماية آخذا له العهود والمواثيق على أن يعيش بعيدا عن المجاهدين في حاحة، فاختار مدينة مراكش حيث عاش معززا مكرما إلى أن توفي عام 1838/1357.

م.م. السوسي، *المعسول*، ج. 3 : 408 ؛ م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 1 : 150 ؛ *ذكريات 45 سنة بالمغرب*، 101.

E. Doutté, *En Tribu*.

أنفلوس، محمد بن الحاج إبراهيم، استرجع في عام 1899/1317 ما ضيعه عمه مبارك من مجد القيادة، ذلك أنه سجن هو الآخر بفاس حيث التقى بالمنابهي فوقعت بينهما صحبة وتعاهدا على أن يتعاونا ويشد أحدهما أزر صاحبه إن تبسم له السعد، فكان هذا هو الحامل للمنابهي، بعد أن تولى في الصدارة، على أن يوجه أنفلوس المذكور قائدا على حاحة وسوس، ويعتاض به الگيلولي (*المعسول*، 1 : 333) وعلى يده امتد حكم إنفلاس حاحة من الصويرة إلى تزنيت إلى أن توفي عام 1903/13.

محند أيت الحاج

انفيفيخ (واد ـ) ← **نفيفيخ**

انقسامية، تعتبر النظرية الانقسامية من النظريات الأنتربولوجية التي وظفت لتحليل النظام القبلي في كثير من المجتمعات القبلية ومن بينها المجتمع المغربي. ومفهوم الانقسام من المفاهيم الأساسية التي بلورتها الأنتربولوجية الاجتماعية على يد إفانس بريشارد في دراسته حول قبائل النوير في السودان، بحيث لاحظ بأن التنظيم السياسي والاجتماعي لهذه القبائل يميل تارة إلى الانقسام وتارة أخرى إلى التحالف والتلاحم.

إن هذا المفهوم الموروث أصلا من العلوم البيولوجية والذي استعمله دور كايم و طوره Evans-Pritchard هو الذي دخل إلى الدراسات التي أنجزت حول المجتمع المغربي، ليطبق على قبائله على يد E. Gellner و D. Hart ويناقشه كل من عبد الله العروي وعبد الله الحمودي وبول باسكون وريمون جاموس وليليا بنسالم وغيرهم من الباحثين.

ما هي خصائص النظام الانقسامي؟

يعتبر إفانس بيشارد بأن النظام الانقسامي النموذجي هو نظام للتعارض المتوازن الذي يتلخص في وجود تناقض حاد بين بعض الأقسام في مستوى، ووجود تلاحم بين أخرى في مستوى آخر. وإذا كان المبدأ الأساسي للبنية الانقسامية هو التعارض والتلاحم بين الأقسام، فبطبيعة الحال لا يمكن أن يوجد نفوذ مسند لشيخ أو رئيس في القبيلة، لأن من خصائص البنية الانقسامية غياب السلطة السياسية المركزية، باعتبار أن السلطة موزعة في جميع مستويات الانقسام.

إن هذا التنظيم الذي وصفه إفانس بريشارد ينطبق بشكل واضح، في نظر إرنست گلنير ودافيد هارت، على قبائل حنصالة وبني ورياغل وأيت عطا في المغرب.

يتساءل گلنير بأي معنى يمكن لنا أن نتحدث عن وجود القبائل في شمال إفريقيا ؟ (Gellner : 1) ولكي يجيب عن هذا التساؤل يلجأ إلى توظيف مفهومي الانقسام والتهميش في تحليله للتنظيم القبلي.

فهو يتفق مع إفانس بريشارد على كون النموذج الانقسامي يفترض وجود آلية بنيوية تتلخص في مبدأ التحالف والتعارض وهي التي تحول دون قيام السلطة المركزية ودون بروز التراتب الاجتماعي والمعطيات التي جمعها حول قبائل حنصالة تجعله يدخل هذه القبائل في إطار هذا النموذج.

أما التهميش فهو الخاصية الثانية لهذا التنظيم في نظر گلنير ؛ بحيث يميز بين القبيلة البدائية والقبيلة المهمشة. فالأولى هي عبارة عن وحدات ثقافية منغلقة، ليس لها جسور رمزية تربطها بالعالم الخارجي. في حين أن النظام القبلي المهمش يتميز بوجود تلك الجسور إلا أنه مهمش سياسيا لأنه يرغب في ذلك التهميش، بل ولأنه كما يقول «يعرف الشيء الذي يرفضه» وهو الحكم المركزي. (Gellner : 2) فإذا كان كل من النموذجين (نموذج القبيلة البدائية ونموذة القبيلة المهمشة) يعرف نفس التنظيم الانقسامي، فكل واحد يختلف عن الآخر من حيث العلاقة التي تربطه بباقي المجتمع و مع العالم الخارجي.

وينطبق مفهوم النظام القبلي المهمش على القبائل الاسلامية عامة. وعلى القبائل المغربية خاصة. نظرا لوجود الدين الإسلامي كعنصر يربط بين مختلف القبائل. إلا أن هذه القبائل تعيش على هامش وحدات سياسية موسعة تتكون من مناطق يسود فيها نفوذ الدولة.

إن الصورة التي يقدمها گلنير عن المجتمع المغربي هي صورة لشكل يتكون من ثلاث دوائر متداخلة : فالدائرة الأولى هي دائرة القبائل التي تقوم بتحصيل الضرائب، فهي (المخزن). أما الدائرة الوسطى فتتكون من القبائل التي تُنتزع منها الضرائب. أما الدوائر الخارجية والثالثة فهي تلك التي تتكون من القبائل التي تمتنع عن أداء الضرائب. و بتعبير آخر، يستعمل گلنير صورة رعوية لوصف المجتمع المغربي : هناك كلاب الحراسة، والخرفان، وأخيرا الذئاب (Gellner).

فتاريخ المجتمع المغربي هو تاريخ صراع مستمر بين القبائل التي يجندها المخزن لكي يفرض نفوذه على الأطراف وبين تلك التي تتملص باستمرار من تلك السيطرة (Gellner : 4). إلا أن گلنير لم يهتم بدراسة الصراع وإنما بالأطراف، بحيث يحدد لنا موضوع كتابه *صلحاء الأطلس* بكونه دراسة «للتنظيم السياسي والديني لبعض الذئاب» (Gellner : 3).

إلى حدود 1933 لم يمارس على منطقة الأطلس الكبير، في نظره، أي نفوذ من طرف الدولة، إذ كان برابرة الأطلس غير خاضعين للسلطة المركزية. وبهذا الرأي يتبنى گلنير أطروحة السيبة التي قالت بها الدراسات الاستعمارية. والسيبة كما يراها هي «تمرد مؤسسي» وهي وضعية سياسية لأن سكان القبائل على وعي بها لأنهم كانوا يستعملون المفهوم، بحيث يرى بأن سكان هذه القبائل وهم على حالة طبيعة (أي السيبة) يواجهون «اختيارا هوبسيا [نسبة إلى الفيلسوف جون هوبس] بين قبول أو رفض العقد الاجتماعي، بحيث يستطيعون الخضوع لمساوئ السلطة والفرار من مساوئ الفوضى أو العكس» (Gellner : 5).

وتتردد نفس الفكرة عند D. Hart الذي درس قبائل بني ورياغل وأيت عطا في ضوء النموذج الانقسامي. يطلق مثلا أيت عطا على الأقسام اسم «البطان» مما جعل هارت يستنتج أن هناك شعوراً بالانقسام لدى قبائل أيت عطا. فهم يشعرون أنهم يعيشون تنظيمهم الاجتماعي كتنظيم انقسامي. فأيت عطا على وعي من أن قبيلتهم تنقسم إلى "خمس أخماس"، كما يشعرون بقوتهم وبسلطتهم اتجاه القبائل الأخرى (Hart, 1988 : 39,19).

تعرف قبائل الأطلس الكبير كباقي القبائل في شمال إفريقيا الانقسام تبعا للنسب الأبوي الذي تترتب عنه حقوق وواجبات كل فرد ينتمي إلى ذلك النسب. ويتلخص المبدأ الانقسامي في شعار «لننقسم لكي لا يحكمنا أحد» (Gellner, 41) قد ينطبق هذا المبدأ على كل القبائل البربرية في نظر الكثير من الأنتربولوجيين. يرى هارت مثلا أن البربر لا يتركون أحدا يعلو رأسه فوق رؤوس الآخرين» وهذا ما يمكن أن نسميه في نظره ب «مرض الجماعة» (syndrome of collectivity, Hart, أو Jma'a syndrome 1980 : 75).

إن النظرية الانقسامية تسلط الأضواء على الآلية التي تضمن التوازن في المجتمع القبلي على الرغم من ابتعاد هذا المجتمع عن تأثير السلطة المركزية. يمكن للصراعات أن تحدث في أي مستوى من مستويات الانقسام : بين الأخ وأخيه، بين أبناء العم، بين الدواوير أو بين القبائل ؛ ولا تعرف هذه المجتمعات حكومة ولا نظاما للرقابة أو مؤسسات تضمن الأمن وتتدخل بين الأطراف المتعارضة ؛ إذ يتم تجاوز هذه الصراعات عبر التحالفات التي تنشأ في بعض مستويات الانقسام (Gellner : 44).

يتساءل گلنير : كيف يمكن لنا أن نفهم وجود الصلحاء إلى جانب وضع طبيعي للسيبة.

إن الأهمية التي يكتسيها العنصر الديني داخل القبائل أو التي تتجسد في مؤسسة الزوايا، دفعت گلنير إلى القيام باجتهاد نظري لكي تطابق النظرية الانقسامية الواقع المغربي، وذلك بصياغة نظرية جديدة حول الصلحاء تضاف إلى النظرية الانقسامية.

يلعب الصالح دورا مهما في الحفاظ على التوازن الاجتماعي، لأن الصالح يشكل عنصر الاستمرارية في نظام مهدد بالفناء، نظرا للصراعات المستمرة التي تفرضها البنية الانقسامية.

يكون الصلحاء والزوايا الدينية شكلا من أشكال التبرير المشروع في الأوساط القبلية. يلاحظ گلنير بأن الأنماط الثلاثة من أسانيد التبرير المشروع في الإسلام، وهي الكتاب والإجماع والخلافة، لا تتوفر عليها المجتمعات القبلية، نظرا لكون أغلبية سكان هذه المناطق لا تعرف القراءة ولا الكتابة وليس لها إلمام بالكتاب المقدس. كما أنها لا تملك الامكانيات الضرورية لرعاية طبقة العلماء، ولا تعرف إجماع الأمة الإسلامية نظراً للعداء الذي تكنه للأوساط الحضرية التي تحتضن هذا الإجماع ؛ وهكذا يتحول التبرير في هذه المجتمعات من الكتاب والإجماع إلى النسب الصالح ؛ وتقوم سلالة الصلحاء بنفس الأدوار التي يقوم بها العلماء في الوسط الحضري. إن دين العلماء هو دين متبلور عقلانيا في حين أن دين القبائل هو دين أكثر انفعالا و مرتبط بالحياة اليومية. فالمدينة كما يقول «تحتاج إلى العلماء و تنتجهم، في حين أن القبيلة تحتاج إلى الصلحاء وتشجعهم» (Gellner : 7).

إن الزاوية داخل البنية الانقسامية، من حيث الشكل، هي قسمة كباقي الاقسام الأخرى، بحيث تربط أفراد الزاوية علاقة قرابة، إلا أنهم يتميزون بوضع خاص : فهم شرفاء. ويميز گلنير بين الشريف وأگرام أي الصالح في القبائل. فالشريف هو فرد ينحدر من السلالة الشريفة، ولهذا الاعتبار كل أگرام إلا وهو شريف، ولكن ليس كل شريف أگرام.

ينحدر كل حنصالة الذين اتخذهم مثالا من سلالة الشرفاء إلا أنهم ليسوا كلهم إگرامن. فاگرام هو شخص «ينحدر من سلالة أحنصال إذا توفرت له خصال أخرى»، كالبركة أو صفات خارقة للعادة وحفظ القرآن والتحلي بالورع والزهد والتقوى (Gellner: 73) بحيث يمكن أن نقول بأن أگرام، بالإضافة إلى كونه شريفا، يتمتع بوضع ديني واجتماعي يميزه عن الآخرين.

فعلى الرغم من أن حنصالة جماعة قرابية تخضع لبنية انقسامية كباقي القبائل الأخرى، فهي متميزة عن القبائل العوام في كونها لا تشارك في الصراعات التي تنشب بين القبائل. كما أن إگرامن يلعبون دورا في التحكيم بين القبائل المتنازعة. فالنزاعات التي تنشأ في المجال العامي تجد حلاً لها في المجال الديني و المقدس (Gellner : 74).

هناك إذن نوع من التكامل بين إگرامن والقبائل العوام، ولا تفهم مختلف المهام التي يقوم بها إگرامن إلا في إطار تلك القبائل. إذ يقومون بالإشراف على الانتخابات التي تنصب أمغار لحلي رأس القبيلة، بحيث يتولى أمغار ذلك المنصب لمدة سنة فيغادره لكي يتولاه شخص آخر، حسب مبدأ التناوب على الرئاسة. ويرى گلنير بأن هذا النوع من

الرئاسة يحول دون الاستحواذ على السلطة ودون تمركزها في يد شخص معين وبشكل مستمر عبر الزمن. كما أن سلطة "أمغار السنة" (الذي يطلق عليه بالبربرية أمغار نسگاس) والذي يتكلف بالإشراف على الأمن و إقرار النظام داخل القبيلة، تتقلص بوجود وبانتخاب إمغارن آخرين يتولون مهام أخرى : كالإشراف على السوق أو المراعي أو مخازن الحبوب المشتركة. (Gellner : 81).

ينتخب الزعماء (إمغارن) في القبائل داخل الزاوية، ولا يحق لأي نزاع أن ينشأ داخل الزاوية. لذلك يرى جلنير بأن الصلحاء يشكلون الرابطة الخلقية التي تجعل جماعتين تجتمعان، على الرغم من وجد نزاع بينهما، لكي يتم انتخاب زعمائهما. من هنا يكون الصلحاء إلى جانب الانقسام أحد مفاتيح الاستقرار السياسي في النظام القبلي.

إن التدخل المباشر للصلحاء في الشؤون الدنيوية لسكان القبائل، إلى جانب الدور الذي يلعبه أداء اليمين في العرف البربري وكذا الأخذ بالثأر، هي الرسائل الأساسية لتجاوز الصراعات التي تحدث بين مختلف الجماعات. فالاعتداءات والصراعات الجدية، كما يقول «سواء كانت وهمية أو واقعية، يعقبها دائما إما أداء اليمين أو توسط الصلحاء أو الأخذ بالثأر أو تركيب أو تتابع هذه العمليات» (Gellner : 1 - 25) ولا يفوت گلنير أن يسجل نوعا من التضخم في البركة وفي الصلحاء، بحيث يلاحظ بأن مهام الصلحاء قليلة بالمقارنة مع كثرتهم وتزايد عددهم. فهناك «كثير من البركة مقابل قليل من المهام المخولة للصلحاء» (Gellner : 140).

يحبذ گلنير أن ينعت النظام القبلي بكونه نظاما انقساميا عوض أن يسميه بنظام ديمقراطي، ولكنه بالرغم من ذلك، فهو يرى فيه نوعا من الديمقراطية، يحدد خصائصها كالتالي:

1 - فهي ديمقراطية بنيوية وليست ديمقراطية إيديولوجية، أي أنها لا تقوم على نظرية أو على معايير معينة، وإنما هي، كما يقول P. Bourdieu «ديمقراطية معيشة» تكون فيها التقاليد مستمدة من ممارسات الأجداد، ويقبلها الجميع بنوع من الرضى (Gellner : 29 - 28).

2 - من الملاحظ عبر التاريخ، أنه كلما كان هناك تحالف يجمع القبائل البربرية تختفي الديمقراطية لتتحول إلى نوع من الملكية.

3 - إن الديمقراطية البربرية والمساواة التي يتميز بها النظام القبلي ممكنة بوجود الأنساب الشريفة. ولا يجوز اعتبار وجود الصلحاء بدعة أو عنصرا اختزاليا يضاف إلى النظام القبلي وإنما هو عنصر مكمل وضروري له. فالمساواة وانتشار السلطة في كل أركان القبيلة، كل هذا ممكن بوجود الصلحاء (Gellner : 29).

أعطت النظرية الانقسامية الانطلاقة لنقاش حاد دار بين كثير من الباحثين. فمنهم من انتقدها ليبين عدم نجاعتها فيما يخص تحليل مكونات القبيلة المغربية (صدقي) ومنهم من انتقدها لكي يفندها ويشير إلى بعض الظواهر في الواقع الاجتماعي التي اغفلتها، مع اقتراح ادخال تعديل عليها. وفي هذا الاتجاه الأخير تصب جل الدراسات التي تناولت النظرية بالنقد. فمثلا : R. Jamous انطلاقا من دراسته لقبائل گلعية في الريف يتبنى النظرية الانقسامية مع اقتراح تعديل على النظرية يعطي شيئا من الأهمية للمبدأ الترابي، بحيث لاحظ أن هناك عند إقلعيين تفصلا بين المبدأ الترابي والمبدأ الانقسامي يجعل التقسيم الترابي ينطبق مع التقسيم الانقسامي (Jamous: 56 - 60 - 62).

أما جون واتربوري فقد وسع مفهوم الانقسام في دراسته حول النخبة السياسية في المجتمع المغربي، ليطبقه على الدولة المغربية العصرية وعلى الممارسة السياسية في المغرب المعاصر. فهو يرى بأن تلك الممارسة ما زالت متأثرة بأصلها القبلي على الرغم من تراجع هذا النظام كمؤسسة. فالمبدأ الانقسامي وما يتبعه من تكتل وتعارض يتحكم في تلك الممارسة. ويخضع التكتل الحزبي للعلاقة الزبونية التي يمكن اعتبارها امتدادا للعلاقات القبلية (Waterbury).

كما يمكن اعتبار مسألة المساواة والتراتب الاجتماعي داخل القبيلة من المحاور الأساسية التي يدور النقاش كلما تعلق الأمر بالنظرية الانقسامية.

لقد تساءل گلنير حول إمكانية اعتبار النظام الانقسامي كنظام للمساواة (Geilner : 54). يعترف گلنير بأن المجتمعات الانقسامية ليست دائما مجتمعات فيها مساواة، فقد تكون متراتبة، إلا أنه لا يفسر ذلك التراتب لأن المبدأ الانقسامي يعمل دائما على إبعاد التراتب والسلطة. ولهذا تكون النظرية الانقسامية في نظر عدد من الباحثين في حاجة إلى تعديل نظري لفهم التداخل الموجود بين الانقسام والتراتب.

هناك كثير من الأبحاث ترى بأن النظرية الانقسامية تفسر مستوى من مستويات الواقع وليس الواقع كله، ولهذا يجب الإنفتاح على نظريات أخرى (كالماركسية مثلا) لتعديلها وتوسيعها. وفي هذا الإطار تناول P. Pascon وجود الانقسام مع التراتب الاجتماعي، ليبرز تداخلها في بنية المجتمع المغربي.

لقد اعتبر گلنير وهارت أن الانقسام يحول دون تمركز السلطة ودون بروز التراتب الاجتماعي، إلا أن بعض الدراسات أبرزت أن الانقسام لا يغيب تمركز السلطة ولا التراتب الاجتماعي بل ويظل ذلك التراتب، ليصبح النسب نفسه هو المبدأ الذي يقوم عليه التمايز الاجتماعي. ليصبح النسب نفسه هو المبدأ الذي يقوم عليه التمايز الاجتماعي. فكل فرد لا ينتمي إلى النسب يعتبر دخيلا في جل المجتمعات القبلية. قد تحتضن الجماعة ذلك الدخيل إلا أن وضعه يبقى في أسفل الهرم الاجتماعي. إذن يظهر نوع من التمايز على أساس الانتماء إلى النسب أو عدم الانتماء إليه. فجل القبائل في المجتمع المغربي لها اسم تطلقه على

الدخلاء وعلى الأفراد الذين لا ينتمون إلى النسب. بحيث لاحظ عبد الله الحمودي بأن للحراطين عند قبائل أيت عطا وضع في أسفل الهرم الاجتماعي لاعتبار أنهم دخلاء ولا ينتمون إلى قبائل أيت عطا. كما أننا نلاحظ نفس الظاهرة عند قبائل أخرى كزيان مثلا، التي تطلق على هؤلاء اسم لشناگيط.

تنطلق النظرية من كون الجينيالوجيا هي الإطار العام لذي تنتظم داخله الأقسام، فهي الرقعة التي يتم فوقها لتعارض و التلاحم الانقسامي. لا يمكن لنا أن نعترض على أهمية الجينيالوجيا في تحريك لعبة الانقسام، ولكن سجل مع ذلك البعد الإيديولوجي للجينيالوجيا وللقرابة، إن المبدأ القرابي، سواء كان واقعيا أو وهميا، هو أولا وقبل كل شيء إيديولوجي يُستعمل كاستراتيجية لمواجهة هجوم العناصر الخارجية. إلا أن هذا التكتل الذي تطلقه القرابة لا ينفي وجود تفاوتات وتمايزات اقتصادية واجتماعية ورمزية داخل الوحدة القرابية. (الحمودي) مما يجعلنا نستنتج أن المجتمعات الانقسامية تعرف، إلى جانب الانقسام، التراتب والتمايز الاجتماعي، إلا أن الانقسام نفسه وما يتضمنه من إيديولوجيا خفي ويضلل ذلك التراتب. إذ يهيمن الكبار على الصغار ويكتسب الشيوخ (القدماء) نوعا من السلطة على الآخرين لاعتبار أنهم يحفظون الأعراف ويسيرون الحرب و يملكون سلطة تسيير واستغلال الأرض والقطيع. كما أن الأنساب داخل القبيلة ليست في تساو، بل يسود نسب على نسب آخر ويحتكر بعض الموارد ويسهر على تسييرها اتجاه الأنساب الأخرى، قد يستحوذ على سوق المنطقة أو على الطرق التجارية وعلى المراعي، كما كان الشأن بالنسبة لقبيلة إمحزان داخل قبائل زيان في الأطلس المتوسط. كما أن هناك أنسابا تحتكر التحالفات وتستعمل التعارضات الانقسامية للوصول إلى الهيمنة. إن الانقساميين أبرزوا وأكدوا على أن كل قسمة هي مرآة للاقسام الأخرى، وبهذا لم يبرزوا ما قد يوجد بين الأقسام من تفاوت بل وتراتب اجتماعي.

إن دعاة النظرية الانقسامية بحثوا عن السلطة السياسية في المؤسسات التي اعتادت السوسيولوجيا والأنتربولوجيا أن تراها فيها، أي في المؤسسات المركزية كالحكومة والدولة ؛ فعندما عثروا على أشكال أخرى من تلك المؤسسات استخلصوا بأن السلطة غير موجودة فيها. إلا أن الحياة السياسية أو السلطة في المجتمع المغربي في مرحلة ما قبل الاستعمار تبرز عبر المواقف وفي إطار علاقتي أكثر مما تبرز عبر وجود مؤسسات سياسية. وفي هذا الإطار العلاقتي يظهر من له السلطة ومن ليست له.

فعلى الرغم من المزايا التي تقدمها النظرية الانقسامية فيما يخص تحليل آليات المجتمع القبلي والتي تتمثل في الانشطار والانصهار وكذا ابراز الدور التحكيمي الذي لعبته الزوايا الدينية، فإنها تنطلق مع ذلك من المركزية الأوربية التي تتخذ المجتمعات الأوربية كمرجع للفهم الديني والسياسي في المجتمعات الأخرى. فوراء تحليل گلنير مثلا لدور المؤسسات السياسية والدينية هناك منظور ينطلق من فصل السلط في المجتمع. يعتقد هذا المنظور أن المؤسسات الدينية يمكن عزلها عن المؤسسات السياسية قصد إبراز وظائفها وبالتالي لا يعير هذا التصور أي اهتمام لتداخلها. ولقد كشف تاريخ الزوايا في المغرب بأن هذه الزوايا لم تلعب دورا دينيا فحسب بل ودورا سياسيا أيضا، بل وباسم المشروعية الدينية تطمح الزوايا إلى الوصول إلى السلطة السياسية (الحمودي).

يمكن اعتبار الدور التحكيمي للزوايا الدينية من الوظائف البارزة التي تمارسها للحد من حدة الصراعات التي تنشب بين القبائل وبين القبائل والدولة. إلا أن الدور التحكيمي لا يمكن الوصول إليه إلا إذا كان للمؤسسة الدينية سلطة. وربماكان من خصائص السلطة القيام بدور التحكيم. وباسم التحكيم تشارك المؤسسة في لعبة التنافس على السلطة السياسية.

م. الهراس، *التحليل الانقسامي للبنيات الاجتماعية في المجتمعات المغاربية*، المستقبل العربي، رقم 75، 1985، ص 96-111 ؛ ع. ص. أزايكو، *حول النظرية التجزئية مطبقة على المغرب*، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ع.14، 1988 ؛ ليليا بنسالم وآخرون، *الأنتربولوجيا والتاريخ*، حالة المغرب العربي، ت. ع. السبتي و ع. الفلق. 1988.

J. Favret, *La segmentarité au Maghreb, L'Homme*, Avril-Juin, 1966 ; E. Gellner, *Saints of Atlas*, London, Weidenfeld and Nicolson, 1969 ; R. Jamous, *Réflexions sur la segmentarité et le mariage arabe*, A. M. S, Rabat, 1969 ; *Honneur et Baraka : Les structures sociales traditionnelles du Rif*. Paris, Maison des Sciences de l'Homme et Cambridge University Press, 1981 ; J.Waterbury, *Le commandeur des croyants : La monarchie marocaine et son élite*, Paris, PUF, 1975 ; D. M, Hart : *The Aith Waryaghar of Moroccan Rif : An Ethnography and History*. Viking Fund Publications in Anthropology, 1976 ; *Dadda 'Atta and his Forty Grandsons : The sociopolotical Organisation of the 'Atta of Southern Morocco. Middle East and North African Studies*,1981 ; P. Pascon, *Segmentation et stratification dans la société rurale marocaine. B. E. S. M. Actes de Durham*, 1979 ; Combs-Schilling. *Family and friend in a Moroccan boom town: the segmentary debate reconsidered. American Ethnologist*, vol.12, N° 4, Vol, 1985, pp .659-675.

رحمة بورقية

أنقّار، أسرة تطوانية أصلها من ناحية جبالة، وجل أفرادها الذين عثرنا على أسمائهم كانوا يعملون في الجيش النظامي الذي أمر بتنظيمه السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام سنة 1845/1261. ونذكر منهم محمد بن عبد الحق، ومصطفى بن المبارك، وأحمد بن عبد الله، وعبد السلام بن قاسم، ومحمد بن المختار، وزين العابدين بن المصطفى، الذين كانوا جنوداً بحامية تطوان سنة 1850/1266. وما زالت هذه الأسرة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط خاص ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ م. بن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indegenas, *Familias ilustres* ; Isidro de las Cagigas, *Familias* ; *Vademecum de Intervenciones* (ano 1913) ; M.Ibn Assuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

أنْقليس أو النّون، نوع من الأسماك العظيمة المنتمية إلى فصيلة الأنقليسيات التي تكون جنسا واحداً Anguilla . لا يعيش إلا نوعان فقط، من بين 19 نوعا الموجودة في العالم، في المحيط الأطلنتي : الأنقليس الأمريكي Anguilla rostrata الذي ينمو في أمريكا الشمالية وگرويلندا. والأنقليس الأوروبي Anguilla anguilla الذي يعيش في شواطئ إفريقيا الشمالية وأوروبا. يعرف عند المغاربة باسم النُّون، وهو حيوان طويل الجسم حيث تبلغ الأنثى 1,8 متراً وتزن 5,3 كلغ بينما لا يتعدى طول الذكور 100 سم. تُكون الزعانيف الظهرية والشرجية لفافة متواصلة. الجلد سميك ويبدو عاريا إلا أنه مكسوٌ بحراشيف صغيرة.

غرابة هذا السمك تتجلى في هجرته حيث إنه يقطع مسافات طويلة ليصل إلى مكان التوالد الموجود في بحر السرگاس.

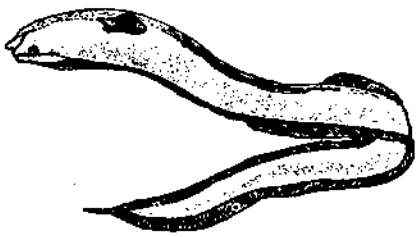

يبلغ طول اليسروع بعد خروجه من البيضة 5 ملم وبعد شهرين من النمو يصل إلى 25 ملم. تعيش اليسروعات في أعماق تتراوح ما بين 100 و300 متر، وتتخذ الطحلب كغذاء لها. يساعدها شكلها الشبيه بورقة شجرة على انسياقها نحو المحيط الشمالي الشرقي بواسطة الرياح والتيار البحري. بعد مدة تتراوح ما بين ثلاث وسبع سنوات تصل اليسروعات إلى الشواطئ الأوروبية والإفريقية فيتغير شكلها تدريجيا إلى أن تصير أفراخاً يبلغ طولها 65 ملم.

تهجر هذه الأفراخ إلى المياه الأجاجة والأنهار وذلك ابتداء من نونبر إلى غاية شهر يوليوز بالنسبة لشواطئ البحر المتوسط بينما تستمر الهجرة طول السنة في باقي الأنهار التي تصب في المحيط.

تتعلق سرعة نمو الأفراخ بالحرارة والأكل. فهي تصعد الأنهار وطولها لا يتعدى 65 سم وبعد سنة يتعدى طولها 17 سم ويتغير لونها الشفاف إلى الأصفر مما أدى إلى تسميتها بالأنقليس الصفراء.

يتكون غذاء الأنقليس في الأنهار من أسماك صغيرة وقشريات وحشرات، وتفضل بالخصوص بويضات الأسماك. يقضي الأنقليس نهاره في الوحل وتحت الصخور والنباتات ويستأنف نشاطه في الليل.

بعد مدة تتراوح بين 4 و10 سنوات يتغير لون هذا الحيوان ليصبح فضيا. تكبر العينان وتتقلص الأمعاء وتستعد الأفراد إلى مغادرة الأنهار لتشق سيرها إلى بحر السرگاس.

تبتدئ الرحلة غالبا في شهر شتنبر ويقدر معدل المسافة التي يقطعها يومياً هذا الحيوان بعشرين إلى أربعين كلم. يتم نضج الغدد التناسلية في مكان التوالد ويحتمل أن الكبار تموت بعد أن تضع بويضتها وقد يصل عمرها أحيانا إلى 50 سنة.

تصادف أفراخ الأنقليس بكثرة في واد سبو وواد اللكوس، وبكمية قليلة في واد أم الربيع وواد ملوية.

F.A.O. 1984, *Ressources halieutiques de l'Atlantique marocain*, Inst. pêches maritimes, Casa.

محمد رمضاني

أنگاد ـ جغرافيا ـ أطلق الجغرافيون هذا الاسم للدلالة على هذه السهول المحيطة بمدينة وجدة التي تكون الجزء الأوسط من منخفض كبير يمتد من گرسيف غربا في اتجاه تلمسان وسيدي بلعباس. تحد هذا السهل من الشمال والجنوب سلسلتان جبليتان هما بني إزناسن من جهة والحاشية المرتفعة الشمالية للهضاب العليا المغربية ـ الوهرانية من جهة ثانية، بينما ينفتح غربا وشرقا على منخفضات مجاورة تتمثل في منخفض نعيمة ـ العيون من جهة وسهل مغنية من جهة ثانية، دون أن يفصله عن هذا الأخير أي حاجز طبغرافي.

هذا المنخفض البيجلي الواسع تجزئ سطحه مرتفعات صغرى بعضها عبارة عن كتل بارزة للقاعدة المكونة للسلاسل المحيطة بالسهل (قاعدة قديمة تغلفها طبقات جوراسية/ ملتوية، وبعضها عبارة عن تلال بركانية ضعيفة الارتفاع، لكن كافية لتقسيم السهل إلى ثلاث منخفضات مفصولة. الجزء الأول يتكون من الحوض الأوسط لواد إسلي (منخفض بني اوكيل) وتحده شمالا مرتفعات جبل السلطان وشرقا جبل الحمراء المطل على وجدة. الجزء الثاني عبارة عن منخفض وجدة أو أنگاد الجنوبية وهو عبارة عن قدم جبل الحمراء، الممتد شرقا في القطر الجزائري في اتجاه مغنية. والجزء الثالث يكون سهل أنگاد الشمالي المفصول عن الجنوبي بمجموعة من التلال البركانية والممتد شمالا حتى قدم جبال بني إزناسن وفلاوسن الجزائرية.

كل هذه الأحواض، يصرفها واد إسلي، وهو نهر قادم من سلسلة جرادة جنوبا، يتلقى من هذه الجبال جل روافده، بينما لا يستقبل من سلسلة بني ازناسن الشمالية سوى بعض السيول المؤقتة. وفي هذا يكمن عدم التماثل الواضح بين جانبي سهل أنگاد، الذي يكون إذن منطقة قدم جبل بالنسبة لسلسلة جرادة المنكسرة. وموقع أنگاد في عالية إسلي وروافده يفسر انبساط السهل وضعف تعمق الشبكة المائية، خاصة وأنه عرف في بعض اجزائه حركة هبوط واضحة خلال الرباعي، جعلت التوضعات تتراكم بعضها فوق بعض. ومباشرة بعد اجتيازه للحدود الجزائرية. يصبح واد إسلي عبارة عن مجرى متعمق، فينتج عن هذا تقطيع للسطح إلى عناصر هضبية ضيقة، مستطيلة.

الشكل المنخفض لأنگاد والموقع بين جبلين، نتاج لتاريخ جيولوجي حديث، وقع خلاله نزول للمنطقة السهلية في حين

كانت بني إزناسن وسلسلة جرادة ترتفع. وقد تم هذا خلال الثلاثي، بينما كانت المنطقة موحدة في الزمن الثاني، تشهد على ذلك الرواسب الجوراسية المتشابهة جنوبا في ناحية وجدة وشمالا في بني ازناسن، وفي الجهة الوسطى عند القمم البارزة وسط السهل كجبل مگرز أو جبل سلطن. ولما حدثت التكتونية الثلاثية و خاصة الحركات الارتخائية النيوجينية تهدلت المجالات الوسطى، فتلقت رواسب فتاتية دقيقة جلها صلصالي يبلغ سمكها في بعض الجهات مئات الأمتار. وقد غمرت هذه الرواسب النيوجينية الحاشية الشمالية لسلسلة جرادة، حيث توضعت أكلاس صدفية وفتاتات حصوية تدل على الموقع الساحلي لهذه الحاشية، على جانب جبال كانت قد بدأت في البروز.

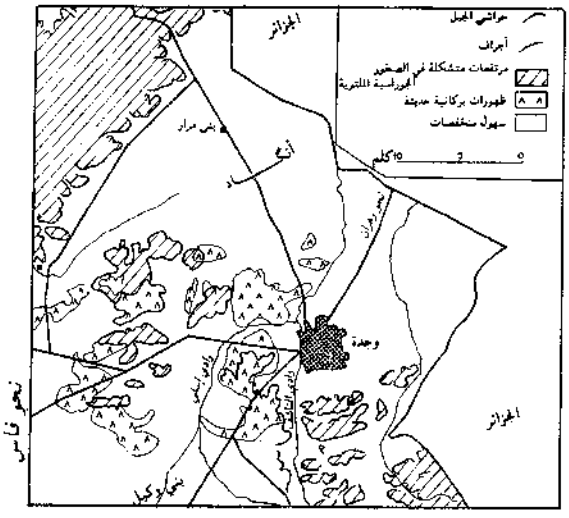

نحو توسيت نحو جرادة

وتغطي الصلصال الميوسيني والكلس الصدفي، عدة تكونات بليورباعية منافرة. وقد مكنت الأبحاث الميدانية (العوينة، *المغرب الشمالي الشرقي*، 1987) من تأريخ بعض هذه التكونات. تبدأ السلسلة الرسوبية بطفوح بركانية ترجع إلى حوالي 6 ملايين سنة، وتنتمي إذن إلى الميوسين النهائي. هذا البزلت القديم يرتبط بفترة نشاط بركاني عمت مجموع السلاسل الوهرانية. فوقه مواد فتاتية رصيصية، لحامها كلسي معمم عند مخارج الأودية من السلسلة الجنوبية. وتغلف هذا الرصيص مواد بزلتية ثانية، قاعدتها مكونة من رماد بركاني تنتمي إلى البليوسين الأسفل، وعمرها حوالي 3 ملايين سنة. ثم يغمر الكل رصيص لحامه حثي، منافر لانكاسارت تمت في نهاية البليوسين. ويعتبر هذا الرصيص أقدم المواد الرباعية المعممة في الهوامش الجنوبية من السهل.

نحو الشمال، تنحني كل هذه التكونات القديمة، لتغلفها في المجالات الوسطى من السهل مواد رباعية أحدث بعضها من الرباعي الأوسط، تمتاز بتكلسها وتصلبها، وبعضها حديث أهم مكوناته الدقة المحمرة والرمال.

في هذه التكونات البليورباعية، نعني داخل الطفوح البركانية وكذا داخل المواد الفتاتية تسري فرشة مائية هامة جلها ليس ناتجا عن تهاطلات السهل (أنگاد تتلقى حوالي 300 إلى 350 مم) خاصة وأن التبخر المتاح مرتفع جداً 1.580 مم بسبب ارتفاع حرارات الصيف (معدل الحرارات العليا في يوليوز 34°) ورغم ضعف الحرارات الشتوية (معدل الحرارات الدنيا في يناير 4°). جزء هام من الفرشة المائية السهلية مصدره جنوبا من الطبقات الكارستية الجوراسية، تصرف الفرشة المائية تبعا للانحدار العام نحو الشمال وتسري داخل التكونات البليورباعية، فوق القاعدة غير المنفذة التي يكونها الصلصال الميوسيني. لكن البنية التفصيلية لسطح هذا الصلصال ليست مستوية بل مشوهة بانثناءات وتقببات، وهذا ما يفسر الإختلافات الواضحة في سمك الفرشة وعمقها.

نظام الفرشة رهين بالتهاطلات مع شيء من التأخير يدوم ما بين 6 إلى 11 شهراً. لكن جزءاً منها متأصل من الفرشات المائية الجوفية الكارستية، وهذا ما يفسر وجود بعض الينابيع عند حاشية الجبل كعيون سيدي يحيى. هذه الفرشة العذبة والغنية هي المستعملة لتزويد مدينة وجدة.

A. Laouina, *Le Maroc nord-oriental* ; Quang Trac, N. et Simont, M, *Le couloir Taourirt-Oujda* ; in *Ressources en eau du Maroc, Notes et Mém. Serv.Géol*, N°231,1971.

عبد الله العوينة

أنگاد ـ تاريخ ـ أهل أنگاد من قبائل المغرب الشرقي (إقليم وجدة)، يستوطنون الجزء الشرقي من بسيط أنگاد، وتمتد أراضيهم من شمال شرق وجدة إلى جنوبها الشرقي بمحاذاة الحدود المغربية ـ الجزائرية. ويُعتبر أهل أنگاد من أصل عربي، يُنسبون عادة إلى بني معقل وبالخصوص إلى ذوي عبيد الله، وقد احتفظت بعض فصائلهم بأسماء معقلية مثل الجعاونة والعثامنة، ويُرجّح أن هذه القبيلة قد استوطنت بسيط أنگاد منذ منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، فسميت باسم المكان الذي استقرت به.

كان أهل أنگاد قبل احتلال الجزائر ينتجعون منطقة امتدت من بسيط أنگاد الى الشط جنوب العريشة (الجزائر). وقد تقلصت مناطقهم الزراعية والرعوية بعد احتلال فرنسا الجزائر سنة 1830، وتطاولت بعض القبائل المجاورة على أراضيهم، وتملكت ما كان صالحاً منها للزراعة، خصوصا قبائل بني إزناسن من جهة الشمال والمهاية من جهة الجنوب، وهذا ما أثار نزاعات مستمرة أدت في النهاية إلى تشتت أهل أنگاد، فاتجه فريق منهم نحو جنوب العريشة، وهم الذين يُعرفون بأنگاد الگور، واتجه فريق ثان إلى سهل تريفة، (دائرة أبركان)، أما الفريق الثالث فقد ظل بمكانه الأصلي الذي عُرف به، وبذلك صارت قبيلة أنگاد في القرن التاسع عشر تتركب من ثلاثة أفخاد حسب التقسيم المخزني وهم : المزاوير

وأولاد أحمد بن إبراهيم وأولاد علي بن طلحة. ويُعتبر المزاوير أكبر أفخاذ أهل أنكاد، ويستقرون شرق وجدة وأراضيهم متصلة بالأراضي الجزائرية، أما أولاد علي بن طلحة وأولاد أحمد بن إبراهيم فيستقرون جنوب شرق وجدة على طول الحدود المغربية ـ الجزائرية.

وهناك إخوان لأهل أنكاد استوطنوا سهل تريفة (دائرة أبركان) منذ منتصف القرن التاسع عشر، وتنعتهم المصادر تارة بـ "أعراب تريفة" وتارة أخرى بـ "أنكاد تريفة"، ويتكونون من ثلاث فصائل وهي : هوارة وأولاد الصغير والعشامنة. يُستفاد من رواية أولى أن نزوح هذه الفصائل كان في مطلع القرن التاسع عشر (قبل سنة 1830) بسبب نزاع وقع بين أهل أنكاد، فاحتمى هوارة وأولاد الصغير والعشامنة ببني إزناسن بعد انهزام لفهم، فسمح لهم هؤلاء بالنزول بسهل تريفة، ويستفاد من رواية ثانية أن زحف الأحلاف على أهل أنكاد في مطلع القرن الماضي أدى إلى تفكك القبيلة، فهاجرت بعض فضائلها إلى سهل تريفة. وتتفق الروايتان على أن هذا النزوح وقع قبل احتلال الجزائر، غير أن هناك معطيات تاريخية تثبت أن ذلك النزوح قد وقع بعد توقيع اتفاقية مغنية حول الحدود بين المغرب وفرنسا سنة 1845، حيث لم تتضمن هذه الاتفاقية أي إشارة تفيد استقرار هوارة وأولاد الصغير والعشامنة بسهل تريفة، وكانت الاتفاقية المذكورة قد حددت القبائل المغربية والجزائرية المجاورة لخط الحدود في جزئه الشمالي، واقتصرت على ذكر أولاد منصور من الجانب المغربي بالنسبة لسهل تريفة، وهذا ما يثبت أن نزوح تلك الفصائل كان بعد اتفاقية مغنية، ويُستفاد من كنانيش الزكاة والأعشار منذ عهد السلطان محمد بن عبدالرحمان 1859 ـ 1873 أن أهل تريفة هم "إخوان" لأهل أنكاد، وظلوا يؤدون الضرائب معهم إلى نهاية القرن التاسع عشر. وكان أولاد الصغير أول من نزح إلى سهل تريفة، وقلكوا أراضي هناك منذ سنة 1857، فحذا حذوهم كل من هوارة والعشامنة، وظلت هذه الفصائل تخيم تارة ببسيط أنكاد وتارة بسهل تريفة إلى نهاية القرن الماضي، ثم استقرت نهائيا بسهل تريفة في بداية القرن العشرين، وقد تحقق هذا النزوح على مراحل طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكانت نتيجة مباشرة لاحتلال فرنسا للجزائر، حيث صارت بعض أراضي أهل أنكاد ضمن التراب الجزائري، فتقلص مجالهم الزراعي والرعوي، وكثرت النزاعات بين فصائل القبيلة، فآل الأمر في النهاية إلى تفكك أهل أنكاد وانقسامهم.

كناش محاصيل الزكاة والأعشار من قبائل مختلفة 1276 ـ 1284 هـ. خ.ع. رقم.62 ؛ *تقييد إبالة وجدة ونواحيها وبعض القبائل المجاورة لفاس سنة 1309 هـ.* كناش خ.ح. رقم.192 ؛ ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي 1873 ـ 1907*، رسالة جامعية غير منشورة، كلية الآداب، الرباط، 1987، ص. 64 ـ 71.

La Martinière et Lacrois, *Documents* : L. Voinot, *Oujda et l'Amalat* ; *Résultats statistiques du recensement, 1926.*

عكاشة برحاب

أنكاي، أسرة تطوانية لم نجد في الوثائق ما يدلنا على أصلها، وكان منها الفقهاء والعلماء، أمثال الفقيه أحمد الذي كان حيا عام 1761/1175، والفقيه محمد بن محمد الذي كان يتعاطى خطة العدالة من سنة 1851/1267 إلى سنة 1889/1306 والفقيه مصطفى بن عبد الله الذي كان حيا سنة 1891/1309.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 24 و27 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ *تاريخ تطوان*، 2 : 345، 7 : 252 ؛ م.ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidro de las Cagigas *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos.*

محمد ابن عزوز حكيم

انكلترا والمغرب، كانت اهتمامات الإنجليز بالمغرب جد باكرة، على الرغم من وجود اختلافات أساسية على المستوى الجغرافي والديني والاقتصادي بين البلدين. وكانت العلاقات بينهما ودية في أغلب الأحيان، دون خلوها من بعض مظاهر التوتر. ويعود أول اتصال بين الدولتين إلى العقد الأول من القرن الثالث عشر الميلادي، حين وجه الملك جون John 1167 ـ 1216م إلى المغرب بعثة لتطلب المساعدة من السلطان الناصر 1199 ـ 1213م الموحدي، أمام التهديدات الفرنسية التي كانت تستهدف إنجلترا.

وشكلت المبادلات التجارية عنصر اتصال مبكر بين الأنجليز والمغرب، ومنذ زمن كانت فيه هيمنة الإسبان والبرتغال شبه تامة على أجزاء مهمة من السواحل المغربية. وكان التجار الأنجليز يحصلون من المغرب، رغم احتجاجات الإبيريين، على الذهب ومادة السكر وملح البارود وريش النعام، مقابل تزويده بالأقمشة والأسلحة النارية، وبعد هزيمة البرتغال بوادي المخازن في 1578 تمتنت العلاقات بين السلطان أحمد المنصور 1578.1603م والملكة إليزابيث الأولى Elisabeth 1st 1533 ـ 1603م، فتبودلت بينهما عدة بعثات سفارية بهدف تعزيز علاقاتهما السياسية، توجت بتحالف مغربي انجليزي ضد الإسبان بقيادة الملك فيليب الثاني Philippe II 1527.1598، وبتدعيم للمبادلات التجارية بينهما حين أسست "شركة بلاد البربر" Barbary Company في 1585م، التي احتكرت التجارة مع المغرب لمدة اثني عشر عاما. وأصدر المنصور في مارس 1588م ظهيرا منح فيه امتيازات خاصة وحماية للتجار الانجليز بالمغرب.

بعد وفاة المنصور السعدي وإليزابيث الأولى في 1603م، وفي غياب سلطة مركزية ثابتة وقوية بالمغرب، وجه جاك الأول Jacques 1st 1603 ـ 1625 إلى زيدان 1608 ـ 1627 بعثة يرأسها هاريسون J. Harisson في سنة 1610م، للتباحث حول تسريح الأسرى الأنجليز. واضطر إلى التردد على المغرب مرات أخرى ما بين 1613 و1615م دون أن يتوصل لنتائج حاسمة في موضوع أسرى كل بلد بالبلد الآخر.

وعند انشغال الدول الأوربية بحرب الثلاثين سنة 1618. 1648م متن المورسكيون علاقاتهم بالهولنديين الذين كانوا في حرب مع الإسبان. فقاموا بمهاجمة المراكب الأنجليزية 1625. 1649 بحكم منافستها لهولندة في التجارة البعيدة المدى وفي عهد تشارلز الأول Charles 1st دخلت انجلترا في حرب مع اسبانيا، فحل هاريسون بالمغرب للحصول على مساعدة المجاهدين التطوانيين والسلويين، لمواجهة الإسبان والعمل على فك الأسارى. فتوجت محاولته باتفاق مع المجاهد العياشي1573. 1641 في 10 ماي 1627، تعهدت فيه انجلترا بتزويده بالعدة والسلاح، مقابل مساهمته في فك أساراهم، وبدأ الحديث عن تحالف بين العياشي والأنجليز لتحرير المعمورة. وبعد عشر سنوات تم اتفاق ثان في 5 ماي بينهما، حرر العياشي بموجبه سبعين أسيراً انجليزيا وتعهد بالتخلي عن أسره للأنجليز في المستقبل، مقابل حصوله على الأسلحة والذخيرة. وفي أعقاب المشاكل التي عرفتها حركة العياشي، لجأ الإنجليز إلى التعامل مع السلطان السعدي محمد الشيخ الصغير 1636. 1654، فعقدوا معه اتفاقية سلم وتجارة في 20 شتنبر1637، صودق عليها في 8 ماي 1638 وتضمنت إحدى وعشرين مادة تنص على الحرية التجارية المتبادلة وعلى أمن الملاحة. والتزم الأنجليز من خلالها بحمل تجارتهم على قطع معاملاتهم التجارية مع خصوم السعديين، ومد العون لمحمد الشيخ ضد أعدائه.

قررت أسرة ستيوارت Stewart العائدة إلى الحكم في عهد تشارلز الثاني Charles II منح الثقة والأمل إلى التجار الأنجليز، بتمتينها للتجارة مع منطقة الشمال الإفريقي والبحر المتوسط، فوجدت في طنجة بموقعها على الساحل الجنوبي للمدخل الغربي لجبل طارق، كل المؤهلات الضرورية لتحقيق تلك الغاية، واعتبرتها بمثابة حجرة الأساس لتكوين امبراطوريتها الاستعمارية. وفي الوقت الذي كان فيه الخضر غيلان يبسط نفوذه على المنطقة الممتدة ما بين القصر الكبير وطنجة، تم الزواج بين البرتغالية كاطرينة دي براگنزا Catherine of Braganza والملك الانجليزي تشارلز الثاني في 1661م وسلم البرتغاليون بمقتضى ذلك الزواج مدينة طنجة إلى الانجليز، فدخلوا إليها في 30 يناير1662. وكان غيلان يحاصر طنجة حين وصلته أخبار بزحف المولى رشيد 1666. 1672م نحو المناطق الشمالية، فاضطر إلى مهادنة الانجليز في يوليوز 1663 لمدة قصيرة. وما لبث غيلان أن هاجم طنجة من جديد في يناير 1664م. ونتيجة للخسائر الفادحة التي لحقت بقواته من جراء هجومه على الإسبان في العرائش، وأمام تعزيز المولى رشيد لقواته انطلاقا من المناطق المجاورة لفاس، اضطر غيلان إلى تقديم تنازلات لفائدة الانجيز، بموجب اتفاق ثنائي في أبريل 1666م نصت على مساعدته إياهم، وتزويدهم بالمؤونة، والاعتراف لهم بحق اتخاذ التحصينات ومساندته لحاكم طنجة في حالة الاعتداء عليه من طرف دولة أوربية. وسلمت له انجلترا مقابل ذلك كله مائتي برميل من البارود، كما وعدته بتوجيه مراكبها لمساعدته ضد خصومه الغير المرتبطين مع الأنجليز بمعاهدات السلم. لكن الهزيمة القاسية لغيلان أمام المولى رشيد في منتصف يونيو 1666م جعلته يفقد الكثير من قوته، ويضحي منعزلا بأصيلا لمدة سنتين. فبادر الانجليز إلى مساندته لابعاد أنظار المولى رشيد عن طنجة، خاصة، وأن هذا الأخير لم يكن قد تمكن بعد من إنهاء سيطرته على الجنوب. وكانت سياسة حاكم طنجة الكولونيل نوروود Norwood تقوم على ابقائه لنزاعات قائمة بين المغاربة، بمساندته للطرف الضعيف على أمل إبعاد القوي، مع الاحتفاظ لنفسه بأوراق رابحة للمساومة بها في الوقت الملائم. إلا أن المساندة الانجليزية لغيلان لم تحل بينه وبين هزيمته الحتمية أمام العلويين في أصيلا سنة 1668م والفرار إلى الجزائر.

وما لبث أن استجاب غيلان لدعوة بعض القبائل المجاورة لتطوان، ليعود إلى منطقة نفوذه بعد وفاة المولى رشيد في 1672م. فدخل في مفاوضات جديدة مع حاكم طنجة اللورد ميدلتن Middleton انتهت باتفاق 12 يناير 1672. والتزم فيه غيلان بتزويد طنجة بالمؤونة والأنجليز بامداده بالأسلحة والبارود. ورغم التحالف الجديد لغيلان مع الانجيز فقد فشل في تكوين قوة كافية لمواجهة ضغوط المولى اسماعيل 1672.1727، وبذلك فإن العلاقات الانجليزية المغربية لا تعكس خلال هذه المرحلة سوى اهتمامات عامة وظرفية انتجتها المرحلة السابقة لتقوية مركز العلويين. وبعث المولى إسماعيل، بعد أن استتب له الأمر، سفارة يرأسها محمد بن حدو العطار، فعاد يحمل معه مشروعا لمعاهدة سلم وتجارة في 23 مارس 1682، رفض السلطان المصادقة عليها، بسبب استمرار الوجود الانجليزي بطنجة وتعقد مشكلة الأسرى المحجوزين في البلدين. ورغم التحالفات التي عقدها الانجليز مع غيلان وغيره من الشخصيات ذات الوزن السياسي بالمنطقة، وبعد المضايقات العنيفة التي باتوا عرضة لها من لدن الجيوش الإسماعيلية، تولد لديهم اقتناع بعدم امكانية الحفاظ على بقائهم في طنجة، فقرر تشارلز الثاني بناء على تلك الاعتبارات الانسحاب من المدينة في 1684 بعد تخطيم كل تحصيناتها. وظلت مسألة تحرير الأسرى كحجرة عثرة أمام العلاقات بين المغرب والإنجليز.

استغلت عاهلة الانجليز الملكة آن Anne 1702. 1714 فرصة قيام حروب العرش في اسبانيا لتضم صخرة جبل طارق في 1704 لممتلكاتها، ودشنت انجلترا بذلك نهجها سياسة جديدة إزاء المغرب ستدوم قرنين كاملين وإلى حدود سنة 1904، وبعد موافقة المولى إسماعيل، في أعقاب انسحاب الأنجليز من طنجة، على تسريح تسع وستين من أسراهم، فسح المجال أمام الجانبين لتحسين علاقتهما، فأمضى القائد أحمد بن على بن عبد الله نيابة عن السلطان، على معاهدة سلم وتجارة بتطوان في 7 يوليوز 1714. واحتدمت أزمة الأسارى من جديد ما بين 1716

و1721م، فقدم إلى فاس مبعوث إنجليزي تمكن بعد مفاوضات بطيئة وعسيرة من اقناع المولى اسماعيل بتجديد المعاهدة السابقة في 23 يناير 1721م.

وفي عهد الملك جورج الثاني George II 1727 ـ 1760 وضع وزيره والبول Walpol أسس الامبراطورية الانجليزية. وعاصر هذا الملك فترة حكم المولى عبد الله 1728 ـ 1757 وخلفه سيدي محمد 1757 ـ 1790. أما العلاقات الثنائية في هذه المرحلة فقد طبعها التوتر ولم تخل من بعض الصدامات، بسبب تزويد التجار الانجليز لأخ السلطان، المستضيء المتمرد في أصيلا، بالبنادق والمدافع والبارود، فرد المولى عبد الله على ذلك بحجزه لسفينتين أنجليزيتين في يناير 1754، لمدة قصيرة، قام بعدها بإعادتهما إلى انجلترا وحمل ركابها تحذيرا إلى جورج الثاني، من مغبة الاستمرار في مؤازرة المستضيء. وأمام اصرار الانجيز على تأييده، أصدر الخليفة السلطاني سيدي محمد أمرا بمغادرة التجار الانجليز لمرسي أكادير، وأمراً آخر ينص على حجز كل سفينة انجليزية قد تحل بالمراسي المغربية. وبعث على إثر ذلك رسالة طويلة إلى جورج الثاني يعلل له فيها أسباب اعلانه للحرب على الأنجليز، مشيرا فيها للعون الذي يقدمه التجار الانجليز لخصوم والده ، ومتهما حاكم جبل طارق بنقل الحبوب من أرض الإسلام لبيعها في أوربا دون أي إذن مخزني. ويبدو أن جورج الثاني قد اقتنع بحجج الخليفة السلطاني، فعمل على إحداث انفراج بين البلدين بإرساله سفارة يرأسها هايد باركر Hyde Parker إلى مراكش في 1 يوليوز 1750، تم في نهايتها التوصل إلى تجديد كل الاتفاقيات السابقة، وقعها بالتفويض عمر بن زيان الدكالي. ومع ذلك، رفض سيدي محمد بن عبد الله إطلاق سراح الاسارى الانجليز، بسبب رفض هايد باركر الموافقة على تزويده بمعدات تدخل في تجهيز المراكب. فغضب عندها ونعث الانجليز بنعوث قاسية وتمنى لو كان الفرنسيون أو الاسبان عوضا عنهم بجبل طارق، وهدد بالتحالف مع الفرنسيين لتحطيم قوة الانجليز. وعلى إثر حادثة انتحار القنصل الانجليزي ريد Reade اثناء وفوده على سيدي محمد بن عبد الله في 1578م للتوقيع على معاهدة للسلم، اضطر السلطان الى تغيير موقفه إزاء الانجليز، فمدد مفعول السلم معهم لسنة اضافية تنتهي بفبراير 1759م، وأعلن موافقته على تزويد جبل طارق بالمؤونة. وفي أعقاب ذلك حلت بمراكش بعثة أنجليزية يقودها مارك مايلبانك Mark Milbanke الذي نال رضى وإعجاب سيدي محمد، فأثنى على سلوكه وكياسته ووقع معه على اتفاقية في يوليوز 1760. ومهدت بعثة مايلبانك لتبادل المزيد من السفارات بين الطرفين منذ تولية جورج الثالث George III 1760 ـ 1820، من بينها سفارة الحاج عبدالقادر عديل في أكتوبر 1762 لشراء أسلحة انجليزية، وأخرى في غشت 1766م يقودها الرايس العربي المستيري والحاج محمد السوادي لقضاء بعض المآرب السلطانية.

وحين اقترحت اسبانيا على سيدي محمد بن عبد الله عرضا ماليا مقابل ايقافه لمعاملاته التجارية مع الأنجليز، وتخليه عن تزويد جبل طارق، وجه مبعوثه يعقوب بن يدر إلى جورج الثالث ليطلعه على ذلك، ويقترح عليه تزويده بالأسلحة كثمن لرفضه للاقتراح الإسباني. وأمام رفض الملك الانجليزي وافق سيدي محمد بن عبد الله على وضع مرسى العرائش وطنجة تحت تصرف الاسبانيين لمدة سنة كاملة. وأطلق الإسبان سراح مائة من المغاربة مقابل ذلك، وتمخض الاتفاق المغربي ـ الإسباني المؤقت على طرد القنصل الانجليزي العام من تطوان. وبانصرام مدة الاتفاق مع الإسبان في 31 دجنبر 1781م عادت الأحوال إلى التحسن بين الانجليز والمغرب.

تميزت علاقات المغرب بأوربا خلال الحروب النابليونية 1792 ـ 1814 بتقارب أنجليزي مغربي واضح، نتيجة للسياسة التوسعية الفرنسية في البحر المتوسط. فنجد المولى اليزيد 1790 ـ 1793م خلال فترة حكمه القصيرة يبين عن حسن نيته إلى الانجليز، ويعدهم بالسماح لهم باستعمال مرسى القصر الصغير لتزويد جبل طارق، ويحاول الحصول على مساعدتهم لمحاصرة سبتة دون أن يتحقق له ذلك. وفي 18 أبريل 1791م وقع اليزيد مع القنصل الانجليزي ماترا Matra اتفاقية من ثلاث وأربعين مادة تعكس جميعها الاحترام المتبادل بينه وبين الانجليز. وبعد سنوات 1800م وعد محمد السلوي المكلف بأمور الأحباس في عهد المولى سليمان 1792 ـ 1822، الانجليز تسليمهم مرسى القصر الصغير أو بليونش. وتمكن الانجليز بفضل تفوق أسطولهم البحري من الحفاظ على علاقات تجارية ثابتة مع المغرب إلى نهاية الحرب في 1814، دون أية منافسة حقيقية من بقية دول أوربا. فبعد التوقيع على اتفاقية 1801 بين جورج الثالث والمولى سليمان، سمح لهم بتصدير ألفي رأس من الثيران إلى جبل طارق مقابل رسوم منخفضة، مع امكانية حصولهم على رؤرس إضافية، في حالة احتياج المغرب إلى شراء أسلحة أو تجهيزات عسكرية من انجلترا أو من جبل طارق. وأثناء مقابلة الجيوش الانجليزية للاسبان والبرتغال، سمح المولى سليمان بتصدير القمح لفائدتهم في 29 يوليوز 1812م، وكان التعاون العسكري من بين المظاهر التي أكدت أهمية النفوذ الانجليزي بالمغرب عند مطلع القرن التاسع عشر. فالأسلحة المستعملة بالمغرب أغلبها انجليزية الصنع، بالإضافة إلى مساهمة الأنجليز في تدريب المدفعيين المغاربة بجبل طارق. وبلغ التعاون المغربي الانجليزي ذروته حين توحدت قوات البلدين لمحاصرة سبتة، فسمح للقوات الانجليزية بالنزول فوق جزيرة تاورة ـ يسميها الإسبانيون بجزيرة المعدنوس Pergil ـ في نهاية مارس 1808 بعد أن طلب منهم المولى سليمان بعض الضمانات. وإذا كانت نهاية الصراعات الاوربية قد قللت من أهمية المغرب بالنسبة لإنجلترا فإن هذه الأخيرة قد ضمنت دون شك تدعيم مكانتها ونفوذها في البلاد المغربية لبقية القرن

التاسع عشر.

وبعد الحروب النابليونية، لم يحدث بين البلدين ما من شأنه أن يؤثر بقوة على علاقاتهما، إلى حدود سنة 1828م، حين قرر السلطان مولاي عبد الرحمن 1822-1859م، في أعقاب التهديدات التي بدأت تستهدف منطقة الشمال الافريقي، إحياء فكرة الجهاد، فقام الأسطول الانجليزي بمحاصرة طنجة، لحمل السلطان على التخلي عن فكرته. وقررت انجلترا بعد الحرب الروسية التركية 1828-1829 حماية الأتراك العثمانيين ضد أي عدوان أجنبي، كما كان ظهورمحمد علي في مصر، وتحركات الفرنسيين بشمال إفريقيا من بين الأمور التي جعلت منطقة البحر المتوسط تصبح ذات حساسية خاصة بالنسبة للأنجليز، فتولد لديهم اقتناع ثابت بأن مراقبة مدخل البحر المتوسط، هي أفضل وسيلة لمراقبة الحوض المتوسطي بكامله. ومن أجل ذلك، تمسك كل القادة السياسيين الانجليز بنهج سياسة تهدف إلى منع أي دولة كانت من مد نفوذها بالمنطقة المجاورة للمضايق. ولتحقيق تلك الغاية، كان لا بد من الحفاظ على الوضع الراهن Statu-quo في المغرب، دون اهمال كل ما من شأنه أن يضمن للأنجليز الا ستمرار في التزود بالمؤونة من المغرب لفائدة جبل طارق.

وشكلت سنة 1830، واحتلال فرنسا للجزائر خلالها، نقطة انطلاق جديدة لتمتين العلاقات السياسية بين المغرب والانجليز بشكل أقوى مما سبق. وصادف ذلك تعيين اللورد بالمرستون Lord Palmerston على رأس وزارة الخارجية البريطانية، ووليام أوريول درموند هاي William Drummond Hay كقنصل عام لانجلترا في المغرب. وتركزت القضايا التي عالجها هذا القنصل على تقديم احتجاجات حكومته على القيود المفروضة من طرف المخزن على تجارة الحبوب والصوف، وعلى استيراد المنسوجات القطنية. كما نالت مسألة تعرض المراكب الانجليزية إلى الحجز والنهب من طرف قبيلة قلعية على وجه الخصوص، اهتماما خاصا من طرف هاي الأب. وشهدت سنة 1835 قيام أحد الطبيعيين الانجليز وهو دافدسن Davidson بمحاولة لتقوية مكانة انجلترا الاقتصادية، فدخل في علاقات تجارية مع الشيخ بيروك بمنطقة واد نون. وبدأ يخطط لإقامة علاقات دبلوماسية على حساب المخزن الذي احتج بشدة. وانتهت مغامرة دافدسن بمقتله من طرف قطاعي الطرق بالصحراء.

وبعد فشل الأمير عبد القادر في مواجهة الفرنسيين بالجزائر، لجأ إلى المغرب الشرقي فحصل على السند المادي والمعنوي، الذي أفضى إلى اصطدام عسكري بين المغرب وفرنسا في إسلي سنة 1844. وفي تلك الظروف، دشن القنصل العام الانجليزي الشاب جون درموند هاي John Drummond Hay 1844-1886 مهامه الجديدة بمساهمة مباشرة إلى جانب السفير الانجليزي في مدريد بولوير Bulwer، في اقناع الفرنسيين بالتخلي عن فكرة غزو المغرب، وعن فرض أي غرامة حربية عليه. وتم توقيع اتفاقية للسلم بين المغرب وفرنسا في 10 شتنبر 1844، دون أن تكون الحكومة الانجليزية غريبة عن تلك التسوية. وساهم جون. د. هاي أيضا في المفاوضات التي أنهت أداء الدول السكندناقية لبعض الإتاوات التي كان يحصل عليها السلاطين المغاربة مقابل حمايتهم لمراكبهم التجارية، وذلك بموجب اتفاقية أبريل 1845م. وبلغ نفوذ الأنجليز بالمغرب أوجه، طوال المدة التي قضاها هاي الابن في تمثيل بلاده بطنجة، بسبب تبنيه لسياسة تقوم على توجيه "النصائح" إلى كل السلاطين ورجال المخزن الذين عاصرهم، معتمداً في ذلك على علاقات زبونية وعلى مخبرين من فصيلة الحاج البشير بن بوبكر الغنجاوي، وعلى نوابه القنصليين الموزعين بكل المراسي المغربية.

وقد استفاد هاي من علاقاته الحميمة مع النائب السلطاني محمد الخطيب، ومساعدته إياه في المفاوضات التي تمت ما بين 1853 و1856م للحصول على موافقة السلطان مولاي عبد الرحمن على معاهدة تجارية كان من أخطر نتائجها حرمان المغرب من التحكم بحرية في تجارته الخارجية، بالإضافة إلى منح امتيازات قضائية وشخصية للأنجليز وتكمن خطورة تلك المعاهدة في امتدادها لتستفيد منها كل الدول الممثلة في طنجة.

ونشب الخلاف بين المغرب وإسبانيا في 1859 عند حدود مليلية وسبتة، ففشلت الدبلوماسية الانجليزية في كل من مدريد ولندن وطنجة في إقناع الإسبانيين بعدم الدخول في حرب مع المغرب، على الرغم من موافقة المخزن وبإيعاز من انجلترا على كل المطالب الإسبانية. فاكتفت وزارة الخارجية البريطانية أمام إصرار الإسبان على الحرب بالحصول منهم على ضمانات بعدم احتلالهم لطنجة، ودخل أودنيل إلى تطوان بالرغم من المقاومة البطولية للمغاربة، فتحركت الدبلوماسية الأنجليزية من جديد، وتمكنت من إنهاء النزاع وإقناع الطرفين المتحاربين بالتوقيع على معاهدة السلم في 26 أبريل 1860. وما كان المغاربة ليستعيدوا تطوان لولا مساهمة أنجلترا في الإجراءات الضرورية لحصول المغرب على سلف من رجال المال اللندنيين للوفاء بالتزاماته المالية إزاء اسبانيا.

وبخروج الإسبان من تطوان، أصبح مفعول المعاهدة التجارية مع انجلترا في 1856 ملموسا جدا. إذ بلغت قيمة المبادلات الإجمالية بين المغرب وأوربا سنة 1865م، 1.014.031 جنيه استرليني بالنسبة للصادرات و1.071.059 جنيه بالنسبة للواردات. وبلغ نصيب انجلترا وجبل طارق من الصادرات ما قيمته 707.891 جنيها، ومن الواردات 907.707 جنيهات استيرلينية. وكان يصدرالمغرب إلى المراسي الأنجليزية ومستعمراتها مواد مختلفة من أصل نباتي وحيواني بالإضافة إلى بعض المنتوجات الحرفية التي كان التجار الانجليز يعيدون تصديرها إلى مصر والمشرق العربي عامة. بينما كان المغرب يستورد مواد متنوعة الصنع، أهمها منسوجات مانشستر والأسلحة. وعرفت السنوات

الموالية تزايدا تدريجيا في حجم المبادلات بين البلدين، إلا أن ذلك قد كان سببا في خلق متاعب شتى لموظفي المخزن بالمراسي وغيرها. وتكفي الإشارة هنا إلى تنامي مشكلة الحماية القنصلية التي ارتبطت بمسألة التجارة مع الأجانب، وما ترتب عنها من مس بسيادة الجهاز المخزني وتقويض لقاعدته المادية.

وأدى النمو المتزايد للمبادلات بين المغرب والانجليز، وغيرهم من الدول الأوربية إلى ضرورة توفير تجهيزات لا عهد للمغاربة بها من قبل. فتبنت انجلترا عن طريق ممثلها جون. د. هاي "خطابا إصلاحيا"، لم يكن يهدف في عمقه إلا لتهييئ الظروف الملائمة أمام مزيد من التغلغل الاقتصادي والسياسي لانجلترا ومعها بقية الدول الأوربية بالمغرب. فاستغل هاي النفوذ الذي أصبح يتمتع به لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن بعد مساهمته الفعالة في استرجاع المغرب لتطوان، فأقنعه بضرورة إحداث إصلاحات في الميدان العسكري للاستفادة على حد قوله "من عبرة تطوان". واستأنف نفس النهج مع المولى الحسن 1873 - 1894 الذي جلب المدربين العسكريين والأسلحة من انجلترا، وأرسل إليها البعثات الطلابية. ونصح الانجليز المخزن باصلاح الجهاز الإداري بالمراسي وتقديم الرواتب إلى موظفيه لخلق نوع من روح المسؤولية لديهم وتجنب مظاهر الفساد. وإذا كان سيدي محمد بن عبد الرحمن قد استجاب لنصائح هاي فأصلح جهاز الأمناء بالمراسي، فإن المولى الحسن لم تساعده الظروف المالية لتنفيذ برنامج الإصلاح الإداري الشامل الذي قدمه إليه هاي في 1875م. وعلى المستوى الاقتصادي حث الانجليز المغرب على تطوير أساليب الإنتاج الفلاحي، وعلى الاهتمام بالمزروعات التسويقية كالقطن وقصب السكر والحبوب، ليجعلوا من المغرب سوقا فعالة لتزويد انجلترا بحاجياتها الضرورية من تلك المواد وخلق سوق استهلاكية لمصنوعاتها. ووجهت انجلترا دعوات إلى المغرب لنهج سياسة تجارية أكثر تحرراً حين طالبت الجهاز المخزني الحسني ابتداء من 1875 بالدخول في مفاوضات لتجديد اتفاقية 1856م. إلا أن كل هذه المحاولات من طرف انجلترا قد فشلت مثلما فشلت كل الإصلاحات المغربية خلال القرن التاسع عشر.

ولما كانت انجلترا معادية لانتشار "الحمايات" في شكله غير القانوني على الأقل، فقد دعت إلى انعقاد مؤتمر مدريد، كمحاولة لاستئصال داء الحماية التي لم تكن تخدم في حقيقة الأمر مصالح انجلترا التجارية بالمغرب. إلا أن نتائج مؤتمر مدريد سنة 1880م كانت مخيبة لآمال المخزن والأنجليز معا.

وقام ماكنزي D. Mackenzie ابتداء من 1878م باقامة محطة تجارية في طرفاية دون الحصول في ذلك على إذن من المخزن، وبالرغم من تحذيرات هاي ووزارة الخارجية البريطانية إليه. وأثار تأسيس "شركة شمال غرب افريقيا" احتجاجا شديدا من طرف المخزن فلجأ إلى تحريض القبائل المجاورة لطرفاية على مقاطعة ماكنزي، واسترعى على كل ما يمكن أن تعرض إليه المحطة من تخريب. وبعد اصطدامات عنيفة، انتهت المفاوضات بالتوقيع على تسوية في مارس 1895 حصلت الشركة الانجليزية بموجبها على تعويضات مالية قدرها خمسون ألف جنيه استرليني مقابل اخلاء طرفاية.

وحاول أنجليزي آخر يدعى كورتيس Curtis مع مجموعة من التجار الانجليز بالصويرة إقامة "شركة السوس وشمال افريقيا" للتجارة، في أواخر1879، فاحتج النائب السلطاني محمد برگاش عبر صحيفة التايز *Times* اللندنية على ذلك، وتمكن المولى الحسن من القضاء على تلك المحاولة بحزم شديد في يونيو 1883م.

وبحلول سنة 1886 تقاعد هاي عن مهامه التي قضاها بنشاط كبير، لدى ثلاثة من السلاطين العلويين، وفي فترة جد حرجة من تاريخ المغرب. فدخلت العلاقات المغربية الأنجليزية في مرحلة التوتر والتلاشي. ويمكن تفسير التحول الجذري الذي طرأ على سياسة انجلترا إزاء المغرب ما بين 1886 ووفاة المولى الحسن في 1894 بنمو النفوذ الألماني بالمغرب بعد التوقيع على معاهدة 1 يونيو 1890، وبحصول تقارب مغربي - فرنسي. هذه العوامل دفعت بخلف هاي، گريي گرين G. Green إلى ممارسة ضغوط قوية على المخزن ما بين 1886 و1891 لموافقته على مد خط تلغرافي، وتجديد الاتفاقية التجارية التي سبق أن تم رفضها أيام هاي. ودخلت علاقات المغرب بانجلترا في مرحلة الأزمة حين قام القنصل العام الجديد شارل ايوان سميث Ch. Euan Smith بتعيين نائبه القنصلي ماك لويْد Mac Leod بفاس دون موافقة من المخزن، ورفعه للعلم الأنجليزي فوق مكان إقامته أثناء زيارته إلى السلطان في يوليوز 1892 يوم عيد الأضحى، فبعث السلطان احتجاجا شديد اللهجة إلى الملكة ڤيكتوريا على إثر ذلك. ورغم تعويض سميث بالقنصل العام الجديد ساتو Satow وما صاحبه من انفراج نسبي، فإن معالم التلاشي والقطيعة بين البلدين قد بدأت تتضح. بينما بدأت تبدو في الأفق بوادر التقارب الفرنسي الأنجليزي.

عند وفاة باحماد في سنة 1900 قرر المولى عبد العزيز 1894 - 1908 الاعتماد على الأنجليزيّين ماكلين Mac lean وهاريس W. Harris للقيام ببعض الإصلاحات، فبعث ماكلين للحصول على سلف من أبناك لندن في 1901 لتمويل مشاريعه الإصلاحية. إلا أن وفاة الملكة ڤكتوريا في يناير 1901 وتولية إدواود السابع Edouard VII 1841 - 1910 جعلت انجلترا تتقرب من فرنسا للحفاظ على مكتسباتها الاستعمارية وتدعيمها في مواجهة ضد ألمانيا. فأرسل المولى عبد العزيز سفارة مغربية إلى لندن في يناير1902 لتمتين علاقاته مع الانجليز، وصد الفرنسيين والإسبان. لكن التقارب الفرنسي الانجليزي كان قويا فأفضى إلى الاتفاق الودي بينهما في 8 أبريل 1904. وبموجب المادتين الثانية والسابعة منه، تركت انجلترا لفرنسا صلاحية

التصرف في المغرب. إلا أن ذلك لم يكن يعني تخليها عن مصالحها الاقتصادية والإستراتيجية لصالح فرنسا، إذ نجدها تلح على حياد منطقة طنجة. وتمثلت ردود فعل المخزن العزيزي في إرسال الحاج المقري للاحتجاج على عقد الاتفاق الودي، في لندن وباريس ومدريد، بل وتمت اتصالات في مصر مع زعماء الحركة الإسلامية، دون التوصل إلى أي نتيجة. فكان من الطبيعي أن تحصل القطيعة بين مولاي عبد العزيز وبين الأنجليز. وأملا في ترضية السلطان المغربي، فقد وافقت فرنسا بتنسيق مع انجلترا على منحه لقرض سيزيد، دونما شك، في تأزيم أحواله المستقبلية. وبما أن فرنسا وأنجلترا كانتا ترغبان في إبعاد ألمانيا عن المغرب فقد كان من العادي جداً أن يلتجئ مولاي عبدالعزيز، ولو بطريقة سرية إلى الألمانيين. وأفضت زيارة غليوم الثاني Guillaume II 1888 . 1918 إلى طنجة في 1905 إلى انعقاد مؤتمر الجزيرة الخضراء في 6 يونيو 1906، رغم اعتراضات انجلترا التي قررت تقديم سندها الكامل إلى فرنسا، حيث اتخذت كل الإجراءات أثناء انعقاد المؤتمر لمواجهة ألمانيا. وإذا كانت نتائج المؤتمر قد أكدت مبدأ الحفاظ على استقلال المغرب وانتصار وجهات النظر الألمانية، فإنها لم تفرغ مقررات الاتفاق الودي من مدلولها العميق، خاصة، وأن النقاب قد كشف في 1911 عن وجود خمس مواد سرية كانت قد الحقت بالاتفاق الودي عند عقده، وتتعلق بتقسيم المغرب بين فرنسا واسبانيا. ومن تم، أصبحت انجلترا ملزمة بتدعيمها لمخططات فرنسا بالمغرب. وعجلت مصادقة مولاي عبد العزيز على مقررات الجزيرة الخضراء، واحتلال الفرنسيين لوجدة وقنبلتهم للدارالبيضاء بإقالته وعقد البيعة لأخيه المولى عبد الحفيظ 1908 . 1912 في يناير 1908. ومما لا شك فيه أن السلطان الجديد قد حظي بمساندة الألمانيين له، واضطرت اسبانيا وفرنسا إلى الاعتراف به بإيعاز من وزارة الخارجية البريطانية. وكادت الأمور أن تنفرج بين ألمانيا وفرنسا حين توصلتا إلى عقد اتفاق بينهما في 6 يناير 1909، نص على حق الفرنسيين في إقرار الأمن داخل المغرب. إلا أن ألمانيا وجدت نفسها أمام الأمر الواقع حين زحفت فرنسا بجيوشها على فاس في 21 ماي 1911. وإذا كانت فرنسا قد حصلت في ذلك على مساند انجلترا، فإن ألمانيا أصرت على اعتبار ذلك خرقا صريحا لمقررات 1906، فكان رد فعلها قويا جدا، تمثل في أزمة أگادير في يوليوز 1911. وفوجئت ألمانيا خلالها باعتراضات صريحة من لدن الأنجليز الذين لم يطمئنوا لاستقرار الألمانيين بالسواحل الجنوبية للمغرب. وتحركت الدبلوماسية البريطانية في باريس وبرلين، وانتهت بدخول فرنسا وألمانيا في مفاوضات أدت إلى توقيعهما على اتفاقية 4 نونبر 1911، فحصلت ألمانيا بموجبها على أراض في افريقيا الاستوائية مقابل اعترافها لفرنسا "بحقوقها" الكاملة في المغرب. وكان من الطبيعي أن تنال تلك المقايضة تزكية انجلترا طالما انها أفضت إلى إبعاد ألمانيا عن المغرب، وفسحت المجال أمام فرنسا لتضغط على مولاي عبد الحفيظ، وترغمه على التوقيع على عقد الحماية في 30 مارس 1912. وظلت انجلترا مع ذلك حريصة على مراقبة تطور الأحداث بالمغرب، وعلى تقديم السند إلى الفرنسيين كلما تطلب الأمر ذلك، إلى أن قررت في 29 يوليوز 1937 التنازل لفرنسا عن كل الامتيازات التي كانت تتمتع بها بموجب معاهدة 1856. فألغيت مادة الدولة المفضلة والحماية الانجليزية بالمغرب. ودخلت أنجلترا وفرنسا في مفاوضات إضافية، انتهت بالتوقيع على اتفاقية تجارية في 18 يوليوز 1938، تنظمت بموجبها المبادلات التجارية المستقبلية بين الانجليز والمغرب. وأثبتت انجلترا بذلك تخليها بصفة نهائية عن مؤازرتها للمغرب، مخالفة لتقليد طبع العلاقات المغربية الانجليزية خلال سنوات طويلة من تاريخهما المشترك.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 2 ، ج 3 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان* ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب*، ج 1 ؛ م. المنصور، *الجهود المغربية من أجل استرجاع سبتة*، مجلة كلية الآداب بالرباط، ع. 5 . 6 ؛ *ندوة الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1983 ؛ روجرز. ب. ج، *تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية* حتى عام 1900، تر. يونان لبيب رزق.

J. C. Allain, *Agadir 1911*, Paris, 1976 ; Anonyme, *"L'abrogation des capitulations britanniques" A. F*, fevrier 1937 ; G. Ayache, *Etudes d'histoire maroccaine*, Rabat, 1979 ; F. Anderson, *The First moroccan Crisis 1904-1906*. Connecticut, 1966 ; *British Documents in the Public Record Office*. Kew, London ; L. A. E. Brooks, *A memoir of sir John Drummond Hay*, London, 1896 ; *Correspondence Respecting Morocco*. In *Confidential prints*. Foreing Office. London ; J. Caille, *Les accords internationaux du Sultan Sidi Mohamed ben Abdellah 1757-1790*, Paris, 1960 ; *"L'abolition des tributs versés au Maroc par la Suède et le Danemark"* Hesp , 1958, T.XIV. 3 et 4 Tr .pp. 203-238 ; C. H. de Castries, *S. I. H. M. Angleterre*. I et II. 1918 ; M. El Mansour, *Political and social developments in Morocco under the reign of mawlay Suleyman 1792-1822*. University of London , 1981 (thèse inédite) ; F. R. Flournoy, *British policy towards morocco in the age of Palmerston, 1830-1865*. London, 1935 ; G. T. Garrat, *Gibraltar and the meditarranean*. New York ; P. Guillen, *"La résistance du Maroc à l'emprise française au lendemain des accords franco-anglais d'avril 1904", R. O. M*, N°sp, 1970 ; P. Hopkins, Letters from Barbary, 1576-1774. *Arabic Document in the P. R. O*. Oxford University Press ; M. Kenbib, *Les protections étrangères au Maroc, 19-20 s*, Paris, 1980 (thèse inédite) ; N. V. Parson, *The origins of the Morocco Question 1880-1900*. London, 1976 ; J. B. Weiner, *Anglo-moroccan relation in the first decade of the occupation of Tangier 1662-1972. H. T*. Vol XVIII , fasc unique, 1978-79.

خالد بن الصغير

أنكمار، يحيى بن إسحاق المسوفي. ومعنى أنكمار: الصياد. من المعلوم أن دولة المرابطين كانت قائمة على حلف قبلي يضم جملة من قبائل صنهاجة الصحراء، تأتي في مقدمتها لمتونة ومسوفة. فكانت القيادات والمناصب العليا توزع على رجال مختارين من تلك القبائل. ومن جملة هؤلاء أنكمار يحيى بن إسحاق المسوفي الذي كان أميرا على تلمسان وقت اشتداد الحرب بين عبد المومن وتاشفين بن علي، ملك المرابطين، في نواحي وهران وتلمسان.

وتشير المصادر إلى حدوث «الشحناء والمقاطعة بين قبيل لمتونة ومسوفة» دون توضيح أسباب ذلك. فهل وقع

خطأ من لدن اللمتونيين في حق إخوانهم مسوفة في تلك الظروف العصيبة ؟ أم هل هي المنافسة بين القبيلتين ؟ أم هي مكيدة دبرها عبد المومن لتشتيت صفوف خصومه ؟

ليس من السهل الجواب عن هاته الأسئلة بأي تأكيد، والذي يتراءى من خلال بعض القرائن هو أن مسوفة الذين لم يكن بيدهم السلطان لم يشاءوا أن يورطوا أنفسهم إلى النهاية مع لمتونة، أصحاب الدولة، وفضلوا أن ينفصلوا عنهم حينما يئسوا من انتصار المعسكر المرابطي وبادروا إلى الالتحاق بالموحدين. ذلك أن أنكمار، حسب رواية البيذق، ظل مع تاشفين إلى النهاية أي إلى أن انسحب أمير المرابطين إلى وهران وتقدم الشيخ أبو حفص الهنتاتي إلى حصاره. وفي غداة وصول هذا الأخير، فرّ أنكمار إلى الصحراء.

لكن رواية ابن عذاري تختلف عن ذلك، إذ تذكر أن أنكمار كان أميرا على تلمسان عند حدوث النزاع بين لمتونة ومسوفة. وأن بعض أعيان مسوفة مثل يحيى بن تاكفت وبراز بن محمد خافوا على أنفسهم فانضموا لعبد المومن وتبعهم يحيى أنكمار. ولم يشأ أن يكون انضمامه عملا فرديا لا يترك أي صدى، بل أراد أن يعطيه صبغة سياسية حتى يستفيد من ذلك هو وقومه، وهكذا وفد على عبدالمومن في سنة 540، وهو بفاس في جملة من إخوانه مسوفة وكلهم ملثمون. وحتى يظهروا انفصالهم كلية عن دولة المرابطين، حسروا عن وجوههم اللثام، رمز صنهاجة الصحراء، وتزيوا بزي الموحدين.

من قصة أنكمار وأبناء عمومته، ندرك خطورة الانشقاق الذي أصاب كتلة المرابطين ولربما كان من أسباب انهيار دولتهم. وقد شجع عبد المومن هاته الظاهرة، وجازى الرجال الذين شاركوا فيها، ففسح المجال لأنكمار وجماعته كي يكونوا في «المحلة» التي تقدمت لفتح مراكش ودخلت إليها في شوال 1147/541. ويذكر ابن عذارى أن زوجة يحيى أنكمار وهي زينب بنت علي بن يوسف احترمت عن البيع وكذلك «جميع عيال أصحابه وأخواته واحترمت داره عن الفيء» وأرادت زينب أن تتقرب أكثر إلى خليفة الموحدين فجمعت مالها وذخائرها وسلمتها للخليفة الذي استحسن فعلها ونفذ أمره بأن لا تصاب البنات التي في جوارها وتحت حمايتها بسوء.

علت، إذن، منزلة أنكمار عند عبد المومن الذي كان في حاجة إلى سند شخصي خارج المصامدة. فوضع فيه ثقة كبيرة وأسند إليه قيادة الجيش المكلف بمحاربة ابن هود الماسي الذي انطلق من ثورة خطيرة على الموحدين عند دخولهم إلى مراكش، وامتد لهيب الثورة إلى كل البلاد حتى ارتدت كلها عن دعوة الموحدين، باستثناء مراكش. توجه يحيى أنكمار لملاقاة الماسي، لكنه لم يقدر عليه وانهزم أمامه. ولم يقض على ثورته إلا أبو حفص عمر الهنتاتي، كما هو معلوم.

بعد هذا لا نعرف أي شيء عن أنكمار، ولعل الهزيمة التي تكبدها حطت من منزلته في عين عبد المومن واخملت ذكره. والمهم من ترجمته هو أنها تكشف لنا بعض التناقضات الخطيرة التي وجدت في معسكر المرابطين لما أن داهمهم خطر الموحدين.

البيذق، أخبار المهدي ؛ ابن عذارى، *البيان المغرب* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*.

محمد زنيبر

إنْكْنافَنْ، قبيلة حاحية تحتل الجزء الشمالي من الصف الأوسط بين قبائل حاحة الاثنتي عشرة المرتبة على الخريطة، تحيط بها أراضي حرارثة من الشياظمة شمالا وإداوكْرْضْ في الشمال المغربي وإداوسارْنْ غربا وإمْكْرادْ جنوبا وأيت زلْطْنْ شرقا. مساحة إنكنافن 351 كلم²، وعدد سكانها 19,998 ن حسب إحصاء 1982. وقبيلة انكنافن تتكون من خمس فرق :

1 ـ خمس أيت محند في الجهة الغربية، وبه توجد زاوية ومدرسة المحصر التجانية أسسها الشيخ محند بن سعيد التلضي التامري المتوفى 1337 وإلى جانبها توجد مدرسة إيمي لحد العتيقة والمشهورة برجال ركراكة الستة والستين الذين يقال إنهم دفنوا بجوار المدرسة بعدما قتلوا في معركة ضد البرتغال. لا سيما وأنها تحت جبل عبد الواحد الذي توجد فوقه بيوت منحوتة من الصخر يطلق عليها السكان تيكما ايرومين (بيوت الروم = النصارى) يقال إنها من بناء البرتغال.

2 ـ خمس أيت باها في الوسط وعلى أرضه تقع مدرسة سيدي مَحمد بن سليمان الجزولي (ت 870) حيث دفن بعد مقتل عمر السياف بايمي نتقاندوت وقبل أن ينقل شلو الشيخ الجزولي مرة أخرى إلى مراكش في عهد السعديين (*الاعلام*، 5 :41) ؛ *خلال جزولة*، 4 :8) وفي هذا الخمس أيضا قصبة قواد إنْفْلاسْ الممتد عهدهم من عام 1298 إلى 1331 مع فترات شغور. وكذلك دار قيادة إدْ عدي وأشهرهم القائد مبارك الحاكم في عهد الحماية من 1331 إلى 1374.

3 ـ خمس إداوْخلْفْ، يحتل موقعا جميلا جهة الجنوب، بتوسطه جبل أمدلْ إفْرْضْ الذي بنى الفرنسيون على قمته مصطافا سياحيا يسمى عوى.

4 ـ خمس أيت جُوجْكّلْ، يقع في الجهة الشمالية على أرض القبيلة حيث تتراءى من بعد قبة الولي الصالح محند إعزّى ويهدى (*العسول*، 10 : 179) وبجانبها مدرسة علمية قديمة اشتهرت بتدريس القراءات والفنون العلمية القديمة.

5 ـ خمس إغْرْمانْ، الموالي لأيت واضيلْ الملحقين أيضا بنكنافة بالقوة والغلبة في عهد إنفلاس المذكورين. ومدرستهم العلمية القديمة بجوار ضريح عبد الواسع ابن عبدالنعيم من أسرة المنانيين بأيت داود (*العسول*، 19:78).

وتتوفر قبيلة إنكنافن على مقر للجماعة القروية بسوق سبت نكنافة القديم. وبها محطة لاستخراج النفط والغاز.

والتكنافيون مشهورون بالشجاعة وحب الرياسة مما جعلهم في صراع دائم مع جيرانهم.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، خلال جزولة.

محند أيت الحاج

أنماي، مكان يناسب اليوم الموقع المنسوب لسيدي رحال الكوش الذي شيد بأنماي زاوية وأقام بها إلى أن وافته المنية حوالي سنة 950/1543. وكانت أنماي على الطريق الرابط بين مراكش وفاس عبر تادلا، بالمنطقة التي تقطنها اليوم قبائل زمران، على سفح الأطلس الكبير. غير أن أنماي لم تستفد على ما يبدو من هذا الموقع على طريق تجاري مهم وبمنطقة سهلية غزيرة المياه. فإلى حدود القرن السادس عشر لم تشر إليها المصادر وكتب الرحلات المغربية. وقد اعتبرها كل من الوزان ومارمول مجرد قرية متواضعة يحيط بها سور غير منيع. إلا أن مصادر القرن السادس عشر، المغربية والإيبيرية، أشارت إلى أنماي لمجموعة من الأحداث همتها بشكل أو بآخر وإن لم يكن لها أي تأثير عليها.

يتعلق الحدث الأول بالغارة التي نظمها برتغاليو آسفي وحلفاؤهم من بعض القبائل الدكالية على شرق مراكش والتي أوصلتهم حتى أبواب أنماي 920/1515. وتكمن أهمية هذه الغارة في كونها أقصى ما نظمه البرتغاليون من غارات. وإذا كانت المصادر البرتغالية قد جعلت منها انتصاراً برتغالياً ساحقاً، فإن الوزان ومارمول ـ الذي نقل عنه ـ اعتبراها هزيمة برتغالية كبرى (*الوزان*، 1 : 108، حدو الذي تشير إليه المصادر البرتغالية حوالي 1520 قبل أن ينتقل إلى الجبل الأخضر بدكالة تحت وطأة الجماعة والحصار الوطاسي لعرض خدماته على البرتغاليين.

أما الحدث الثالث فيهم الصدام السعدي الوطاسي والتقاء جيوش الطرفين بأنماي في ذي القعدة 935/ 1529 بأنماي.

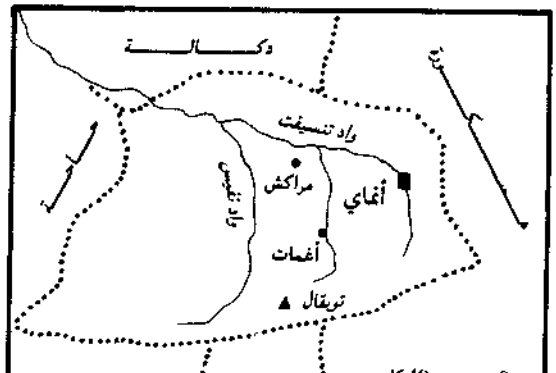

موقع أنماي

أنماي (مُول ـ)، توجد قرب أنماي مزارة لليهود حيث قبر الربّي يعقوب أشكينازي الذي يدعونه "مول أنماي".

ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ مارمول، *إفريقيا* ؛ م. الافراني، *نزهة*.

R. Ricard, *Les Portugais au Maroc* ; G. de Marmol, *L'Afrique*, trad. franc, Paris, 1667. 2 tomes ; P. de Cenival, (et al...), *S.I.H.M., Série sa'dienne, Portugal*, tome 2.

أحمد بوشرب

أنكيس ← الأطلس الصغير

أنمكار (الموسم) جمعه إنمكارن وهي لقاءات تقام مرة كل سنة قرب ضريح من الأضرحة التي شيدتها القبائل على علمائها وفقهائها وصلحائها الذين تركوا بصماتهم في حياة الناس على شكل أشعار وحكم أو مواقف ومحفوظات.

ويكون الموسم (أنموگار) بمثابة الذكرى للترحم على روح صاحب الضريح والتذكير بما قدمه في المجال الديني، فنجد منهم من يطلب من هذا الضريح أو ذاك قضاء مآرب دنيوية وأخروية. وقد تصدى العديد من الوعاظ والمصلحين لهذه الظاهرة لتطهير الدين من الشوائب المحدثة.

وإنموگارن أسواق اقتصادية يقصدها الناس من قبائل بعيدة ومن مدن كبيرة وصغيرة حيث يشكل الموسم معرضا سنويا للمنتجات المحلية وغيرها، ويعتبر وهو أيضا ملتقى الأصدقاء والأقارب ومناسبة لإقامة رقصات أحواش كما هو الشأن مثلا بأنموگار نسيدي مُحنْد بن يعقوب، حيث يحتفي التّكموتيون بالزوار برقصات على ضرب الطبول ؛ وكما هو الشأن بأنموكار نسيدي إبراهيم بن عمر التمانارتي دفين إداوزدُّت؛ وأنموگار نْتَزروالْت قرب ضريح سيدي أحمد ابن موسى.

وترتل بالمناسبة قراءات قرآنية وأمداح نبوية لفقهاء المنطقة والجهات المجاورة، بل هناك ظاهرة المنافسة والتباري في استظهار القرآن وتلاوته بطريقة محلية جهراً وجماعياً (تاحزابْت) بين طلبة المدارس العتيقة وفقهائها. وتُقصى المجموعة التي تعشرت قبل اقام الجزء المخصص لها من طرف لجنة التحكيم المتكونة من الماهرين بالقراءات. بينما تتوج الفرقة المتمكنة تتويجا معنوياً، حيث تتناقل الألسن أخبارها إلى جانب أخبار المجموعة المتعثرة، وقد يمنحون جوائز نقدية بواسطة مقدم الطلبة.

تحريات ميدانية.

محمد مستاوي

إنْـمَـيغْرنْ، من الفعل «غرْ» ومعناه : النداء، وهو في هذا الاسم بصيغة المتفاعلين أي : المتنادين، أي «الأحلاف» الذين يستنجد بعضهم بالبعض الآخر. وإنْـمَـيغْرنْ القبيلة مجموعة قرى ظلت تعرف بهذا الاسم من عهد الموحدين على الأقل إلى قرننا هذا، تقع على مقربة من وادي نفيس بحوز مراكش، بين هذا الوادي وبين هضبة كيك، ذكر ابن

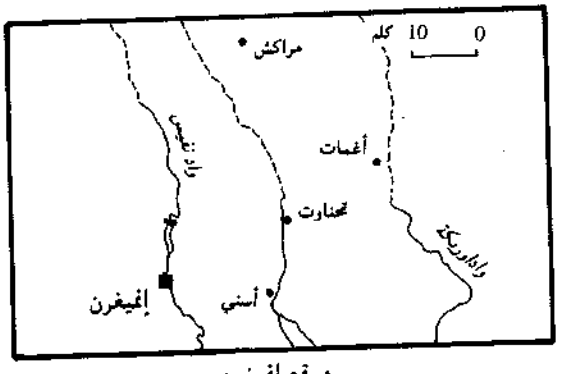

موقع إمْيغرن

عبدالحليم الذي يرجح أن يكون صاحب مخطوط (خ. ع. ك. 1275) أن مدينة نفيس البائدة واقعة ببلدهم، وينسب إليهم بعض أشياخ الموحدين المذكورين في *البيان المغرب*.

أحمد التوفيق

أنّان، Annan منصّرة أنجليزية بروتيستانتية حلّت بالصويرة سنة 1892 واستوطنتها عدة سنوات. ولها مقالات عن التنصير أصدرتها بمجلة ذه ريپر The Reaper .

م. بوشعراء، *الهجرة من المغرب وإليه* (مخطوط).

J-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1: 62, *Les missions protestantes au Maroc*, *Hesp*, 42 : 191.

مصطفى بوشعراء

إنّاوْنْ (واد ـ) يقع في الجزء الأوسط من شمال المغرب حيث يستغل مجراه الرئيسي الممر الطبيعي الفاصل بين جبال الريف وجبال الأطلس المتوسط. اتجاهه من الشرق نحو الغرب مع انجراف خفيف نحو الشمال الشرقي في العالية، وتقوس نحو الشمال الغربي في السافلة. طوله من خانق الطواهر إلى مصبه في واد سبو حوالي 90 كلم، لكن انحداره الخفيف جعله يرسم منعرجات معقدة داخل قعر الوادي.

أما مجراه فهو عبارة عن واد متسع نسبيا بمعدل كيلومتر واحد تقريبا، مع بعض الاستثناءات، حيث نجده يضيق ليصبح على شكل خانق ذي سفوح لها انحدار قوي عند مستوى خانق الطواهر وحول كدية شبار غربه، أو يتسع أحيانا ليعطي أحواضا شبه مغلقة، تستغل فلاحيا.

تطل على الوادي من الناحية الجنوبية مشارف هضبة مقدمة الأطلس المتوسط حتى محطة الطوابة شمال شرق فاس، وبعدها نحو الغرب يتقوس الوادي نحو الشمال الغربي ليدخل في أراضي مقدمة الريف. أما الضفة الشمالية فتتكون من تلال مقدمة الريف الجنوبية والجنوبية الشرقية.

يصرف واد إناوْنْ مياه حوض تبلغ مساحته الإجمالية 5.200 كلم^2 حتى مصبه بواد سبو (أي بإدخال حوض واد اللبن). ويتراوح ارتفاع الحوض ما بين 1.700م و190م مع متوسط يدور حول 720م. وهو أقصى حوض من الناحية الشرقية تتجه مياهه نحو المحيط، إذ مباشرة إلى شرقه (10 كلم شرق مدينة تازا) يوجد خط مفترق المياه بينه وبين حوض واد ملوية الذي يصب في البحر المتوسط.

يتوفرحوض إنّاون على شبكة من المجاري المائية جد كثيفة، وذات تنوع يعكس الاختلاف القائم بين الوحدات الطبغرافية والصخارية التي تشكلت فيها. تتوزع هذه الشبكة من الروافد على شكل شجري جد متفرع. من أهم الأودية التي يكونها نجد وادي الأربعاء، وهو الجزء الأعلى لواد إنّاوْنْ، وواد لخضر وواد إمليل وواد اللبن من الضفة اليمنى، وتصرف مياه الواجهة الجنوبية لجبال الريف، ثم واد تازة وواد موقدة وواد إزدگ وواد بوحلو وغيرها من الضفة اليسرى، وتصرف مياه الهضبة التي تتقدم جبال الأطلس المتوسط.

يتميز واد إناون بجريان دائم، لكنه يعرف تباينا مهما بين فترة الوفرة وفترة الشح. يعتمد في تزويده بالخصوص على مياه التساقطات التي تتراوح في المنطقة ما بين 500 ملم و600 ملم سنويا، وتكون غالباً على شكل أمطار نظراً لقلة ارتفاع الحوض، إذ أن الثلوج لا تتجمع في هذه المواقع إلا ابتداء من ارتفاع 2.000م، رغم أن تساقطها فوق مرتفعات 1.000م ليس نادراً.

تصرف هذه المياه بطريقتين حسب نوعية السطح الذي يتلقاها، ففي مقدمة الريف حيث التلال الطفلية غير نافذة، يكون الجريان سطحيا وآنيا، يتم على شكل أودية وشعاب وأخاديد، أما على الهضبة جنوب الوادي حيث الصخور الكلسية تتميز بنفاذية كبيرة لما يتخللها من شقوق وفواصل، فإن مياه التساقطات تتسرب داخلها لتخرج على شكل عيون تضمن ديمومة الجريان طول السنة (عين سودة 150ل/ث، عين فندل 17,5ل/ث، عين السخون 50ل/ث الخ...).

تبعا لهذه الحيثيات، فإن الصبيب يعرف تغايرية كبيرة، سواء من سنة إلى أخرى أو خلال السنة نفسها. فأهمية التغايرية البيسنوية تظهر في كمية الصبيب المستخلصة احصائيا بالنسبة لفترات التكرار (Périodes de retour) 1.000، 100، 10، 1 التي هي بالتوالي 2.500، 1.400، 660 و180 م^3/ث.

أما الاختلافات بين فترة الوفرة التي تتركز عادة في شهور نونبر ودجنبر ويناير وبأقل أهمية، فبراير ومارس، وفترة الشح الصيفية التي تبلغ أوجها في شهر غشت، فتظهر من خلال متوسطات الصبيب الأعلى والأدنى التي هي كالتالي : 110 و1,7م^3/ث حسب معطيات محطة الطوابة عن فترة 1932 ـ 1963 (دون اعتبار واد اللبن).

ونظرا لطبيعة شبكة تصريف هذا الحوض الشجرية

الشكل، فإن الصبيب يتزايد بشكل مضطرد كلما تعزز النهر برافد من الروافد. ولضبط المعطيات فقد أقيمت عدة محطات على طول مجرى النهر وهي :

- باب مرزوقة قبل خانق الطواهر.
- الكوشات أو الطوابة سالفا (غرب المنطقة)
- عربات (موضع السد الحالي)

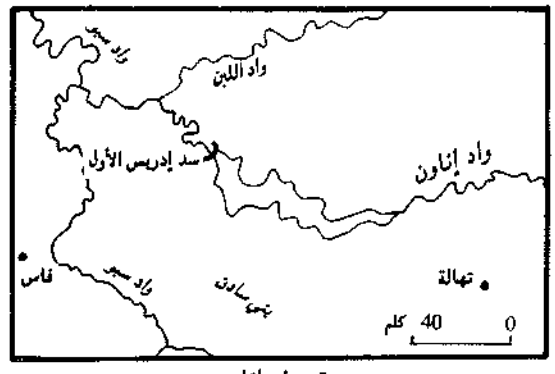

موقع واد إناون

أهمية مياه الحوض من حيث الكم وعدم انتظام توزعها في الزمن، جعلت الدولة تشيد سداً مهما على سافلة الوادي قبل التقائه بواد اللبن، وهو سد إدريس الأول وذلك سنة 1973.

ب. الفلاح، *دراسة جيومورفولوجية لجزء من حدود جنوب الريف*، د. د. ع. كلية الآداب بالرباط.

Ministère des Travaux Publics, *Ressources en eau du Maroc*.

أحمد لقمهري

أنوار، أسرة تطوانية كانت من الأسر الأندلسية الأولى التي جاءت من مدينة بسطة Baza بناحية غرناطة إلى تطوان. ويبدو أن هذه الأسرة انقرضت حوالي سنة 1597/1006 حيث توفي آخر فرد معروف منها هو الولي الصالح الحاج محمد أنوار الأندلسي.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 4 : 67 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ *تاريخ تطوان*، 1 : 307 و327 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

أنوار، محمد بن محمد، ولي صالح وشيخ عالم، وصفه مترجموه «بالشيخ الولي الرباني المحقق الواصل العارف» و «بأحد العارفين بالله الغائب عن قلوبهم كل ما سوى الله لا يرى في الوجود إلا الله» وأجمعوا على أن كرامته كانت كبيرة ومناقبه خطيرة.

وكان أول من ظهر بمظهر التصوف في تطوان حوالي سنة 1596/1004، حيث إنه هو الذي أسس أول زاوية صوفية بتطوان، وهي الزاوية الفاسية الواقعة بحي العيون قبالة الفناء الكبير بأمر من الشيخ يوسف الفاسي الفهري.

ويحكي أنه ذات يوم رآه أحد أصدقائه جالسا بحانوته يتجر فسأله : كيف التجارة مع حالك ؟ فأجابه : الجسم في الحانوت، والقلب في الملكوت.

توفي بتطوان إثر الوباء يوم 3 محرم 1006/ 16 غشت 1597، ودفن بباب المقابر، ويبدو أنه بوفاته انقرضت أسرة أنوار بتطوان.

ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، ص : 181 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 1 : 45 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 78 ؛ ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 4 : 67 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 27 و317.

محمد ابن عزوز حكيم

أنوال، تل يقع بقبيلة تمسمان الريفية (إقليم الناظور) واشتهر بكونه أصبح مركزاً رئيسيا للجيش الإسباني الغازي للشمال الشرقي المغربي، وبه كان يوجد قائد الجيوش الإسبانية الجنرال سيلفيسطري Silvestre في يوم 21 يوليوز 1921 حيث جرت فيه المعركة التي انتصر فيها المجاهدون بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي على الجيش الغازي. وهي معركة إغْـرِّيـبْن التي تعرف خطأ بمعركة أنوال، وهذا ما جعل اسم هذا التل يعرف في العالم أجمع.

وقد ورد اسم أنوال لأول مرة في السياق التاريخي عندما قام الجيش الإسباني باحتلاله يوم 15 يناير 1921 وبنى به ثكنة عسكرية أصبحت هي مقر القيادة العسكرية لجيش الاحتلال بالناحية الغربية من مقاطعة مليلة، وظل أنوال بيد الإسبان إلى أن انهزم جيشهم في معركة إغْـرِّيبن، فانتحر بأنوال الجنرال سيلفيسطري، واضطر الجنود إلى الهروب، وتعرض لهم المجاهدون في الطريق فكانت المجزرة الكبرى التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ الاستعمار، ومنذ ذلك اليوم أصبح اسم أنوال يكون وصمة عار في جبين الاستعمار الإسباني وتكتب بأحرف سوداء في صفحات تاريخه.

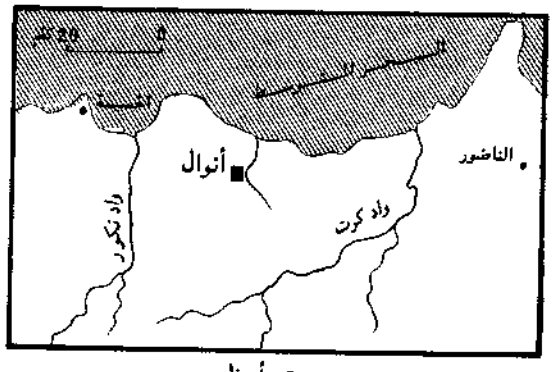

موقع أنوال

وعندما بدأت الثورة الريفية تتقهقر ووصل الجيش الإسباني إلى قبيلة تمسمان للمرة الثانية لم يكن في حاجة لاحتلال أنوال مرة أخرى لأنه كان قد استولى على أماكن أهم منه استراتيجيا، ولكن القيادة العسكرية الإسبانية أمرت باحتلال التل المذكور مرة ثانية، وذلك يوم 18 ماي 1926 حيث وجه الكولونيل بوثاس Pozas إلى المقيم العام الإسباني بتطوان برقية يقول فيها :«في الوقت الذي أطأ

فيه من جديد أرض أنوال بعد خمس سنوات من الغياب أوجه بافتخار واعتزاز إلى إسبانيا عامة تحياتنا وإلى الأبطال الذين ضحوا هنا بحياتهم في الدفاع عن الوطن».

وحتى بعد أن استولى الإسبان على شمال المغرب كله لم يتخلوا في يوم من الأيام عن تل أنوال لدرجة أنهم فكروا في سنة 1947 في تأسيس قرية إسبانية هناك فوضعوا لها تصميما لم يتم إنجازه.

م. ابن عزوز حكيم، *معركة أنوال*، الرباط، 1981.

General Goded , *Marruecos : etapas de la pacificacion* .

محمد ابن عزوز حكيم

أنوال (معركة) ← **إغـرّيبن**

أ ُنيـرْ (أيت ـ)، قبائل تنحدر من صنهاجة الأطلس، وقد وردت أول اشارة عنها تحت اسم أيت تنّار في كتاب *المقتبس من كتاب الأنساب* للبيذق الصنهاجي من رجال القرن السادس الهجري. كانت قبائل أيت تنار خلال ذلك القرن تشكل خُمساً واحداً في اتحادية بني صطاط، إحدي الاتحاديات القوية ضمن تجمعات صنهاجة الظل حسب تصنيف البيذق (*المقتبس*، 56). ونستفيد من تصنيف البيذق أن قبائل أنير كانت على عهده تستوطن المنحدرات الشمالية لجبال الأطلس الكبير، وأن مجالات انتشارها كانت تمتد إلى السفوح الجنوبية للأطلس المتوسط على ضفاف واد العبيد بمنطقتي واويزغت وأزيلال حيث لا تزال بعض بقايا هذه القبائل إلى اليوم بوادي برنات جنوبي أزيلال (*البحث العلمي*، 25 : 86 ـ 69).

قبائل أيت أ ُنير بعد تشكيل اتحادية أيت عطا : بالرغم من أننا لا نتوفر على ما يسمح لنا بتحديد الزمن الذي تحركت فيه قبائل أيت تنّار (أيت أنير) من مواقع انتشارها الأولي في اتجاه الجنوب، فإن الشيء الأكيد هو أن هذه القبائل قد اتصلت بصنهاجة القبلة، أي صنهاجة الصحراء منذ وقت سابق لعهد ابن خلدون، ذلك أن هذا المؤرخ عندما تكلم عن صنهاجة الصحراء أو صناگة حسب تعبيره، وصفها بأنها أوفر قبائل المغرب وأشدها بأسا ومنعة، وحدد مجالات انتشارها ما بين ضواحي سوس غربا، وإگرسلوين شرقا عبر وادي درعة والنـقـُب، ومن التخوم الصحراوية جنوبا إلى قمم جبال الأطلس (*العبر*، 6 : 273 ـ 274) عبر بلاد فركلة وتـدْغة ودادس، ومعلوم أن هذا المجال الذي حدده ابن خلدون، هو الذي عرف ميلاد اتحادية أيت عطا خلال النصف الثاني من القرن العاشر (16م) لتأخذ شكلها النهائي في بحر القرن الحادي عشر (17م).

تشكل قبائل أيت أ ُنير إلى جانب أيت ولأل الخمس الأول في اتحادية أيت عطا (*البحث العلمي*، 23 : 119) لذلك فإن قبائل أيت أ ُنير تحتل موقعاً بارزاً في الاتحادية ولها كلمتها المسموعة بين قبائل أيت عطا.

تمتد مجالات انتشار قبائل أيت أ ُنير من واحة ترناتة بوادي درعة إلى السفوح الجنوبية لجبال الأطلس الكبير، مرورا بالنـقـُبْ وصاغرو ودادس، وتتداخـل مـواقع أيـت أ ُنير مع غيرها من القبائل الأخرى من اتحادية أيت عطا وغيرها.

وإذا كانت البقية الباقية من أيت أ ُنير بـواويزغت تحسب على أيت عطا نومالو، فإن قبائل أيت أ ُنير بدادس ودرعة تحسب على أيت عطا الصحراويين دون أن تقطع صلاتها الأخوية بأيت أ ُنير من أيت عطا نُومَـالُـو. وتتمركز قبائل أيت أنير الصحراويين في ثلاث مناطق أساسية يربط بينها المحور التجاري الذي يربط بين وادي دادس وصَفْرو شمالا ووادي درعة جنوبا.

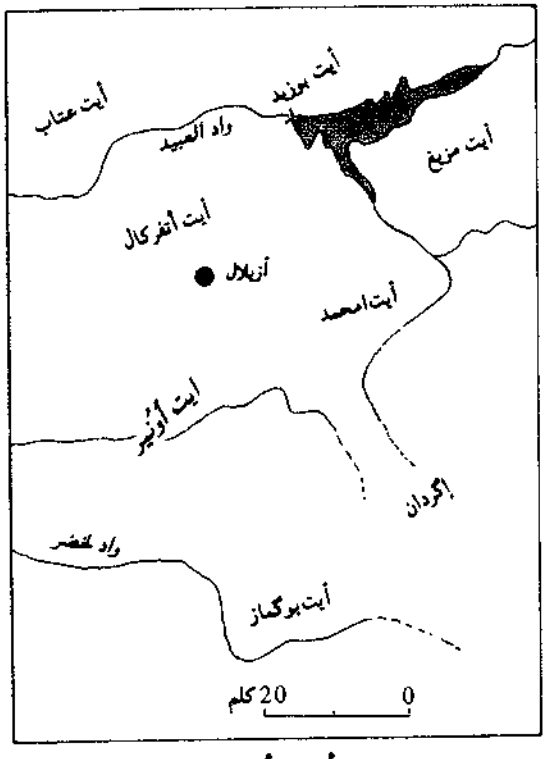

أيت أونير

1 ـ قبائل أيت أ ُنير بدرعة : جاءت أول إشارة مكتوبة عن قبائل أيت أنير بدرعة في إحدى الاتفاقيات العرفية التكفلية (مطلع القرن الثاني عشر الهجري/ نهاية القرن 17م) بين أعيان قبائل أيت سليلُو وأيت مسْكُورْ من أيت أنير، وأولاد سيدي محمد ابن يوسف المليـاني بزاوية تـگرسيفت بواحة فزواطة. ونستفيد من هذه الاتفاقية أن قبائل أيت أنير قد وصلت في أقصى اندفاع لها نحو الجنوب إلى المدخل الجنوبي لواحة فزواطة، حيث موقع زاوية تگرسيفتْ. وإذا كانت الظروف المضطربة بالجنوب المغربي خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17م)، قد جعلت قبائل أيت عطا تندفع نحو الواحات، في محاولة لتجاوز الظروف الاقتصادية الصعبة، فإن كل القرائن تؤكد على أن عمليات اندفاع قبائل أيت أنير، ظلت تترى على واحات وادي درعة بكيفية منتظمة أحيانا، ومتقطعة أحيانا أخرى، طيلة القرنين الثاني عشر والثالث عشر(18 و19م).

وقد عرفت هذه القبائل كيف تستفيد من الفراغ السلطوي الذي عانت منه واحات درعة في بعض الأحيان، لتفرض حمايتها المأجورة على بعض المستقرين. وعن طريق التحالف أو عقد الاتفاقيات التكفلية مع بعض أصحاب الزوايا، تمكنت قبائل أيت أُنير من التمركز بالوادي والمشاركة الفعالة في الأحداث التي عرفها الوادي، خاصة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري (19م). كما كانت لها مشاركة قوية في الفتن التي عصفت بواحات درعة طيلة العقود الأربعة الأولى من القرن الرابع عشر الهجري (20م)، حيث كانت تتحالف مع قبائل الروحة لمواجهة قبائل أولاد يحيى ومن لفّ لفها من قبائل أيت ولاّلْ رغم ما يربط بينهما من أخوة. كان من نتائج هذه الفتن تحول قبائل أيت أنير إلى الاستقرار والارتباط بالأرض بعدما نجحت في الاستيلاء على مجموعة من القصور بواحتي ترناتة وتينزولين.

ومن القصور الخاصة بقبائل أيت أنير بواحة ترناتة تينانوغرابنْ، وأرّو، وتينرْدنْ، وتابرْسُوتْ، وزاوية القاضي، وهذان الأخيران قد استولى أيت أنير عليهما في أواسط العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري. ومن قصورها بواحة تينزولين : الزّرگانْ وتيگنْتْ.

تنقسم قبائل أيت أنيرَ إلى فرعين كبيرين هما : أيت أنير وأيت الربّعْ. وكل فرع من هذين الفرعين ينقسم بدوره إلى فرعين كبيرين :

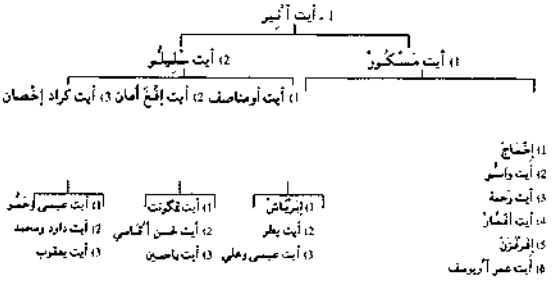

ولا تزال كل قبيلة من هذه القبائل بدرعة مثلا، ترتبط باخواتها في جهات أخرى. وقد أعرضنا عن ذكر تفريعات أخرى أقل شأنا.

2 ـ قبائل أيت أنير في دادس وصغرو : يظهر أ ن وجود هذه القبائل بدادس وصغرو كان الهدف منه مراقبة الطرق التي تربط بين الأطلس الكبير وبلاد درعة لحماية قوافل قبائل أيت أنير وضمان مرور قطعان ماشيتها نحو مراعي جبال الأطلس.

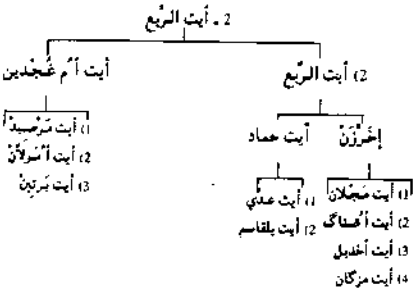

وردت أول إشارة مكتوبة عن قبائل أيت أنير بجبل صغرو في *تاريخ الضعيف* الرباطي، حيث ذكر بأن قبائل أيت أُنير قتلت مولاي علي بن الفضيل العلوي بجبل صغرو في ذي قعدة الحرام عام 1777/1191 (*الضعيف*، 181، خ. ع. د 660).

ولا تزال مراكز استقرار قبائل أُنير بدادس وإمطّرْ وصغرو تحمل أسماء العشائر الأولى التي نزلت بالمنطقة.

3 ـ قبائل أيت أنير بالنّقْب : تقع منطقة النقب غرب واحة تازرين على الطريق التجاري القديم الذي يربط وادي دادس وسكورة شمالا بوادي درعة. وتتمركز بالنقب تجمعات من قبائل أيت أُنير (أيت سليلو وأيت مسكور)، ويبدو واضحا من خلال استقرائنا للخريطة أن تمركز هذه القبائل من أيت أنير بمنطقة النقب كان الهدف منه ضمان السيطرة على الطريق التجاري بين دادس ودرعة عبر فم ورتي، وضمان ربط الاتصال بين المنطقتين.

البيذق، *القنبس* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج : 6 ؛ الضعيف، *التاريخ*، مخطوط .خ.ع. 660 ؛ ع. ابن منصور، *قبائل المغرب*، ج :1.

G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara*, t. II.

أحمد البوزيدي

أهْبّاطْ، أسرة تطوانية أصلها من الناحية التي كانت تعرف بالهبط، وهي غير الأسرة التي تحمل اسم الهبطي والتي أصلها أيضا من الهبط، فالأسرتان كانتا بتطوان، غير أن أسرة أهباط قد انقرضت بها في حين لا زالت موجودة أسرة الهبطي.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 24 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

أهْـراسْ، أحمد، ولد سنة 1914 بتيزي وسلي، إقليم تازا، وقد كان قائد المائة ومن المؤسسين للثورة والمناضلين

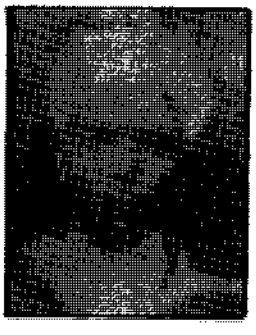

الذين أدوا واجبهم أحسن الأداء، فاستمر في كفاحه إلى أن قتل برصاص المستعمر بتاريخ 27 نوفمبر 1957 بمعركة تيزي ودرار.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عزالدين العلام

أهرمومو ← رباط الخير

إهْرِنْهُوفْ Ehrenhoff، أسرة سويدية كان بعض أفرادها يمثلون الاتحاد السويدي ـ النرويجي بطنجة في النصف الأول من القرن التاسع عشر. ومنها كان :

إهْرِنْهُوفْ، ج. م. J. M. قنصل السويد بطنجة من سنة 1822 إلى وفاته بها سنة 1854. وله تقارير ومراسلات بالأرشيف الوطني للسويد Svenska Konsulers Skrivelser.

إهْرِنْهُوفْ، سليم Slim، ابن السابق وقد خلفه من سنة 1854 إلى سنة 1859 حيث انتقل قنصلاً باسطنبول. وله تقارير تجارية وقنصلية بالأرشيف الوطني السويدي.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، 2 : 644 و645.

L.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe* ; 1 ; 37 et 2 : 126.

مصطفى بوشعراء

أهوكّار، في المدة السابقة لغزو المرابطين شمال المغرب كان برير لمطة قد كونوا إمارة في جهة واد نون. ولما وصل الصنهاجيون في الحركة المرابطية إلى تلك الجهة اشتركوا معهم في تلك الإمارة، والظاهر أنها استمرت حتى بعد أن تغلب الموحدون على المرابطين إذ كان سلطان لمطة هو الرجل المعروف بأهوكّار، أدركه الشيخ أبو حفص إنّتي عندما قام في خلافة عبد المومن بغزو سوس وإطفاء ثورة الثائر بماسة.

واسم أهوكّار قريب من أهوار (= الهواري) وأهكّار وهو النبيل أو اسم قبيل أهكّار، وكذا من أوكّار التي تعني المكان المرتفع والربوة.

ل. بروفنصال، *رسائل موحدية* ؛ البيذق، *أخبار المهدي*.

D. J. Meunié, *Le Maroc Saharien*, 65, 259, 302, 317.

أحمد التوفيق

أهل الحل والعقد ← الأعيان

إهْيّاضْنْ، جمع، وهي كلمة أمازيغية سوسية تعني الفوضويين، مفردها أهياض، الفوضوي، تطلق عادة على من ينتقل من مكان إلى مكان على غير هدى متحديا عادات وتقاليد وأعراف مجتمعه، من ذلك إطلاقهم لكلمة (تاهيّاط) التي تعني الفوضى على من لم يمتثل لنظام الجماعة خاصة عندما يتعلق الأمر بتنظيم جمع غلة اللوز أو أرگان على سبيل المثال، حيث على الكل أن ينتظر نضج الثمار، واتفاق الجماعة على يوم الخروج لالتقاطه، والتزام كل واحد حدوده دون أن يتجاوزها للاستحواذ على متاع الغير، واذا تحدى فرد أو جماعة شاردة قانون الجماعة المنتمية إلى قرية أو قبيلة ما، وأخذ كل فرد يلتقط ما وصلت إليه يده يوصف عمل هذا وذاك بـ (تاهْيّاط) ويتابعون من طرف إمْحيزْنْ الحراس المعيّنون باتفاق السكان لحراسة الغلال، والمحافظة عليها، وفقا لعرف الجماعة المساند من طرف السلطات المحلية، حرصاً على حماية الحقوق المادية والمعنوية للسكان، ويتقاضى الحراس المشار إليهم كمقابل، ما تم الاتفاق عليه من الغلة المحروسة نفسها، وكثيرا ما تكون الذعيرة المأخوذة ممن قام بـ (تاهياط) الفوضى والترامي على متاع الغير من نصيب (إمحيزْن) حراس الغلال... وإهْيّاضْنْ الذين سأحاول التعريف بهم، تعرفت عليهم ميدانيا خاصة عند تنقلاتهم وممارساتهم الإيجابية والسلبية، هم المعروفون لدى الخاص والعام بأولاد سيدي أحمد أُموسى التزروالتي المنتسبين إلى الولي الصالح صاحب طريقة الرماية التي كانت تستهدف تكوين رماة مهرة قادرين على مواجهة التيار الصليبي المتربص في وقته بالمغرب.

ومن تلامذة الشيخ أحمد بن موسى التزروالتي في الرماية، على سبيل المثال، الشيخ محمد ابن ناصر وشقيقه الشيخ علي ابن ناصر الذي أسس زوايا كثيرة، كونت من أتباعها العشرات بل مآت المهرة في فن الرماية على غرار ما يسمى الآن بالمليشيات ...

وما مجموعة إهياضن في نظرنا إلا مجموعة منحرفة جزئيا عن تعاليم تلك المدرسة الشعبية المتخصصة في فن الرماية حيث نجدها تحتفظ بالألعاب الرياضية التي كانت تستهدف تكوين الرماة جسميا وعقليا، وأبرز ما تمارسه الجماعة، ومن صميم الرماية، تسلق الأفراد بعضهم البعض إلى أن يكوّنوا قلعلة عالية، يظنها المشاهد حاليا عملية ترفيهية لا أقل ولا أكثر، علما بأنها عملية رياضية حربية يتمرن عليها الرماة صغاراً وكباراً قصد الالتجاء إليها عندما تدعو الضرورة إلى تسلق جدار أو قلعة من قلع العدو، أثناء نشوب معركة ما وفي حالة حصار...

يمكن القول إن إطلاق اسم «إهياضن» على هذه الجماعة راجع إلى كونهم تخلوا عن عادات وتقاليد محلية، وبالأخص مناسبتي «تيولّت» الدوري و «تارامیت» الرماية، ذلك أن سكان قبائل الأطلس الصغير معروفون بالتجوال في قرى قبيلتهم ويمكن تجاوزها للوصول إلى قبيلة مجاورة فيما يسمى بـ «تيولّت» الدوري حيث اعتاد رجال القبيلة وشبابها أن يجمعوا بالتساوي مما لدى سكان القرى (خاصة الذكور البالغين ممن يرغبون في المشاركة) ما يكفي لشراء اللحم والخضر وغيرها، وعلى القرية أن تعطي المقر اللا ئق والأفرشة والأواني إضافة إلى المرقص كما عليهم أن يقوموا بخدمة الوافدين يوما وليلة على الأقل، وتمتاز إقامتهم بالرقص والغناء والفكاهة ولوحات هزلية تشخص من طرف الموهوبين، يتم فيها تجديد اللقاء بين المهاجرين والمستقرين محليا، ويتعارف من لم يتعارف، قرية قرية، في جو أخوي يرفهون فيه على أنفسهم وعلى نسوة القرى وصبيتها إضافة إلى ما تحققه المناسبة من اختيار الفتيان لفتيات القرى المزارة وخطبتهن بعد ذلك، وفق العادات المتبعة. وتجدر الإشارة إلى أنهم يقومون بـ (تيولت) في الصيف حيث عودة المهاجرين، وقد يتأجل الدوري لسنتين أو ثلاث كما هو الشأن حالياً في قبيلة إداوزدوت لفتح المجال بالتناوب لمواسم أخرى/ كموسم سيدي علي بن ناصر

الذي يقام عادة في قرية تيلكيست، وكانوا يمارسون فيه الرماية، وفي كل موسم تتكون لجنة لاختيار البارعين في إصابة الهدف وذلك بوضع هدف صغير في أبعد نقطة ممكنة، وكثيرا ما يضعون لوحة صبّار أو ما شابهها فوق رأس رجل وعلى الرامي أن يقوم باصابة نقطة سوداء وسطها ماسكا البندقية بيد واحدة وأضعا الأخرى على إحدى عينيه وهذه العملية يقوم بها المهرة من الرماة، كما تقام رقصات أحواش المتنوعة والرائعة شكلا ومضمونا ويقوم الرماة بجمع الهبات والصدقات، أو كما يسمونها زيارة سيدي علي بن ناصر، أثناء جمعها يمارسون بيعا خاصا حيث تباع البيضة (المباركة) مثلا بخروف يسجل دينا على المشتري إلى الموسم القادم، وتقام المواسم كلها في الصيف بحضور المهاجرين من عمال و طلبة وموظفين، ويتحقق اللقاء... وذكر تيولت (الدوري) وتارامیت (الرماية) يكشف العلاقة بينهما وبين جماعة إهْيَاضَنْ وتتلخص في الآتي :

- يقومون بالتجوال في القرى ويمارسون ما تمارسه جماعة تيولت من رقص وفكاهة، إلا أن الفرق الذي جعل جماعة إهياَضن (الفوضويين) تأخذ هذا الاسم هو :

خروجها عن المألوف في دوري (تيولت) خاصة في كونها تتجاوز حدود القبيلة والقبائل المجاورة في جولاتها.

تخلت عن العديد من الممارسات الدينية المعروفة لدى الرماة كقراءة القرآن والأمداح النبوية بالعربية وبالأمازيغية (الأذكار) وعوضتها بمدح سكان هذه القرية أوتلك ومدح فلان أوفلان، إضافة إلى التخلي عن تعليم فن الرماية والاكتفاء بالجانب الرياضي البهلواني والعشوائي المشار إليه والمعروف لدى عامة الناس بألعاب أولاد سيدي أحمد أُموسى.

تتألف جماعة إهياضن من عدة عناصر:

أ - مقدم الجماعة، ويتولى الاتصال بالسلطات المحلية للحصول على إذن التنقل داخل القيادة أو العمالة قرية قرية كما يتولى تسيير الجماعة من الناحيتين الفنية والمادية ولا يستطيع أي أحد أن يقوم بعمل ما إلا بموافقته.

ب - الرقاص، المبعوث الذي ينطلق بأمر من المقدم من القرية التي توجد فيها الجماعة إلى القرية التي ستلتحق بها، وفي ذاكرته أسماء بعض رجالاتها لقنت له خاصة بالمناسبة، وما أن يدخل القرية راكبا دابته صحبة قردة حتى يلتف سكانها حوله، حينذاك يطلق العنان لحنجرته مردداً : آهيا آسيدي أحمد أُموسى، مادحا سكان القرية مستعرضاً أسماء رجالاتها الأحياء منهم والأموات، مذكراً بما تمتاز به قريتهم وقبيلتهم عن غيرها، طالبا باسم المقدم وجماعة إهياضن أن يقبلوهم ضيوفا لديهم ليوم واحد أو يومين حسب طاقة تلك القرية ويقابل طبعا بالترحاب من طرف الصغار والكبار....

ج - كما تتألف الجماعة من الشبان والأطفال المهرة في القيام بحركات رياضية رائعة إلى جانب تقليدهم المتقن لرقصات القبائل التي مروا منها وما يتخللها من أشعار وتنوع في الألحان، مع الاطلاع على العديد من عاداتهم وتقاليدهم بما في ذلك ما يشرفها وما يسيء إليها لاستعمال هذه وتلك عند الحاجة، وقد نقل الأجانب العديد من رواياتهم قبل الاستعمار وأثناءه.

د - حمَلة البنادير والمزامير ويتكونون من كبار الجماعة بمن في ذلك، المقدم.

هـ - (شْمُوتِيتْ) الفكاهي المهرج، وعليه تعتمد الفرقة في اجتذاب الجمهور أكثر من غيره.

يكون دخول الجماعة إلى القرية عند قرب زوال الشمس، مسبوقة بالراكبين على الحمير متبوعين بأربعة قردة فما فوق، وما أن تعقل الدواب وتأخذ علفها، حتى تلتحق الجماعة بأساس ساحة القرية ومرقصها، يرددون ما معناه : (رْما) نْسيدي أحمد أُموسى يطلبون منكم ضيف الله يا سكان قرية....

فتكون الإجابة الجماعية : مرحبا برماة سيدي أحمد أُموسى.

كما يرددون البيت التالي :

أورْ اسْكيرْ شرعْ أيصاصايانْ أهْيَاضْ

مْقارگانْتْ طْنْزِينْ خمْسا واق إوْحْبوب

لا تجيز الشريعة طرد (أهياض)

ولو بلغ ثمن حبة من شعير خمس أواق.

بعد ذاك يقومون بحركات رياضية خفيفة مصحوبة بدقات البنادير ونغمات المزاميرمع استعراض القردة وحركات فكاهية لـ (شْمُوتِيتْ) الفكاهي المهرج، والكل ينادي : آهيا آسيدي أحمَد أُموسى، آسيدي علي بن ناصر...

بعد نصف ساعة تقريبا تلتحق الجماعة صحبة رجال القرية بمكان الإقامة المعد لاستقبالهم، ليجدوا أفخر ما لدى السكان من الأفرشة والأواني حيث الكل يتنافس في استقبالهم أحسن استقبال، والعناية بهم إلى أن يغادروا القرية قريتهم خشية التشهير بهم عندما ينتقلون إلى قرية غيرها. وإلى قبيلة غير قبيلتهم...

فور الدخول، تقدم إليهم القهوة ثم مياه الوضوء، لأداء فريضة الصلاة، بعدها توضع الصواني ذات البراريد المحملة والكؤوس التي يقل نظيرها، وبنوع رفيع من الشاي، أمام المختصين في صنعه، في هذا الجو يحلو الحديث لجماعة إهياضن خاصة المقدم وشموتيت الفكاهي المهرج ويتمحور غالبا حول مزايا القرى التي مروا منها، بل ومساوئها، مستعرضا أسماء الأعيان، إلى أن يتناولوا طعام العشاء فالنوم بعد تفقد الدواب والقردة.

بعد الصلاة والنظافة في اليوم الموالي وهو اليوم الخاص بالقرية، يتناولون الفطور الأول وهو عبارة عن القهوة والحساء، ثم الفطور الثاني حوالي التاسعة والنصف، وهو عبارة عن طاجين مملوء بلحم الخروف أو العجل الصغير، محاط بالسمن والعسل وعصير (أمْلُو) المستخرج من ثمار لوز مقلي بعد طحنه...

حوالي الساعة العاشرة والنصف صباحا يغادرون مقر إقامتهم حاملين البنادير والمزامير مرتدين رداءهم المميز، الأحمر والأخضر متبوعين بالقردة، يتوسطهم الفكاهي المهرج ليجدوا (أسايس) أي ميدان القرية قد امتلأ عن آخره بسكان القرية والقرى المجاورة، واذا قلت المرقص فلكل قرية مرقص صغير محصور بين جدرانها ومرقص كبير في ظاهرها وهو المستعمل في مثل هذه المناسبة، يقابلون بصيحات الأطفال وهمهمة الرجال والنسوة.

يضعون أمتعتهم ويتوجه حاملو البنادير إلى حيث الموقد لتحميتها، وما هي إلا لحظات حتى يختلط هديرها بنغمات المزامير، بينما يقوم أطفال الجماعة بحركات تسخينية ويرددون بحناجرهم الرقيقة : آهيا آسيدي أحمد أموسى، آهيا آسيدي علي بن ناصر. تقوم الجماعة بعروض رياضية رائعة، يقلدون رقصات أغلبية المناطق التي مروا منها، معلنين للجمهور أن هذه الرقصة للمنطقة الفلانية، ويقلدون أعمال بعض المناطق في شكل هزلي مسرحي، كأن يقولوا : الآن سننتقل بكم إلى القبيلة الفلانية لتروا كيف يستقبلون العائدين من المهجر، وعرس الزفاف في القبيلة الفلانية، وتنطلق صيحات الجمهور وضحكاتهم من الأعماق خاصة عندما يتحرك الفكاهي المهرج بلباسه الخشن، وشخصيته الكوميدية ووجهه الملطخ بالرماد، وغيره من مواد محلية كالقطران...

كانت هذه الفرجة تجمع بين رقصات أحواش وبين لوحات مسرحية قصيرة إضافة إلى تدخل (شموتيبيت) الفكاهي المهرج، دون أن ننسى الحركات الرياضية للأطفال والشباب، بينما يقوم حملة البنادير بتنشيط هذه الحركة وتلك، إلى أن يصل وقت الغذاء حيث يعلن براح الجماعة بأمر من مقدمها بأن الفرجة ستستمر مساء، وسيستقبل أولاد سيدي أحمد أموسى الزيارات، مقابل دعواتهم المستجابة بعد تناول الغذاء يغادرون المقر بسرعة، وما أن يصلوا إلى المرقص حتى تدق البنادير وترتفع أصوات المزامير الممزوجة بنداءات صغار الجماعة إلى أن يمتلئ المرقص، حينذاك ينادي البراح معلنا أن (گور) أي مزار أولاد سيدي أحمد أموسى قد بدأ وعلى من أتى بزرع أو نقود أو سكر أو زيت وغيرها، أن ياتينا بها مقابل دعاء مستجاب....

تتعالى أصوات صغار الجماعة وتتوافد الصدقات ويقوم مقدم الجماعة بالدعاء لهذه وتلك، وما أن يشعروا بأن سكان القرية قدموا "زياراتهم" أي هداياهم حتى تلتحق الجماعة إلى طريقتين :

1 - ينتقل المهرج من فلان إلى فلان ومن هذه إلى تلك ويقف أمامه طالبا أن يمنحه شيئا ما وإذا رفض يقوم بحركة تجعل الجمهور يضحك عليه كأن يقول : لما كنت صغيراً كنت تفعل وكنت كذا وكذا. أو وجهك كوجه كذا، مما يجعل كل واحد يقدم ما لديه علماً بأنهم يحاصرون الجمهور الحاضر بدعاء مسبق مضمونه أن من غادر (گور) مزار سيدي أحمد أموسى سيقع له من السوء كذا، ولاعتقاد السكان بأن دعاء إهياضن مستجاب فإن الكل يلازم مكانه من البداية إلى النهاية.

2 - عندما يستنفد المهرج طاقته ويقدم ما جمعه لمقدم الجماعة، يأتي دور الصغار حيث يقومون بوضع قيود في يدي طفل ورجله. وقد لا يتعدى عمره العاشرة، و يربط إلى الوراء ويؤمر بأن يطلب النجدة من الجمهور لإطلاق سراحه فتسمع حنجرته الرقيقة من بعيد وهو يردد ما معناه : أنادي عليك يا سيدي أحمد أموسى لتفك أغلالي، وما أن يسمع الناس طلب الإغاثة من طفل صغير حتى يتسابقوا لإطلاق سراحه، لكن ليغله المقدم ثانيا وثالثا فرابعا. عندما ينتهي الصغار يأتي دور الكبار حيث يدخل الواحد وسط الجمهور طالبا هذا وذاك أن يتصدق عليه مستعملا حركات رياضية ودعوات الاستجداء مدعيا أن المقدم سيطرده إذا لم يحصل على المبلغ الذي حصل عليه الآخرون. وقبل مغادرته للقرية يبيع ما تم جمعه من زرع وسكر ولوز وثمار وأركان وزيت أركان، ثم لينتقلوا إلى قرية من القرى التي توصلت بطلب الإقامة من المقدم بواسطة البراح.

من ملامح جماعة إهياضن :

أ - كونهم يتركون أطفال القرى المزارة يتمرنون وباستمرار على الألعاب الرياضية التي شاهدوها وأعجبوا بالأطفال الصغار الذين اتقنوها وأدوها أحسن أداء.

ب - يعرفون بما لدى المناطق البعيدة لغيرها، خاصة من الناحية الفنية حيث تمارس الجماعة رقصات أحواش الخاصة بالعديد من المناطق وتؤديها بأركانها الثلاثة : الكلمة الموزونة والهادفة، واللحن الرائع والحركة المنظمة، إضافة إلى المسرح في الهواء الطلق، وكل هذا يتم تقليده مباشرة فور انسحابهم من طرف الصغار والكبار....

يمكن القول بأن لا علاقة لجماعة إهياضن التي تعرفنا عليها صغاراً في الخمسينات، وكباراً في الستينات إلى بداية السبعينات بالجماعات الحالية حيث نجد كل واحدة تتألف من خمسة أفراد إلى ستة، وتطلق على نفسها إهياضن أولاد سيدي أحمد أُموسى.

بحث ميداني.

مستاوي محمد

أوبَـانْ، اسم مستعار اتخذه ليون أوجين ديسكوس Descos, Léon Eugène dit Aubin. وهو صحافي ودبلوماسي فرنسي، ولد في 11 أبريل 1863 وتخصص في الشؤون الإسلامية وعاش سنوات في القاهرة والقسطنطينية وسوريا والهند والقوقاز والبلقان والجزائر وتونس قبل أن يعين كاتبا أول في المفوضية الفرنسية بطنجة سنة 1902. حيث وصل إليها في 6 شتنبر، ومنها أبحر إلى الصويرة فجال في المناطق الجنوبية نحو تسعة أشهر قبل أن يبحر من الجديدة عائداً إلى طنجة. ومنها توجه إلى فاس حيث مكث ستة أشهر يطلع على أحوال المدينة ويدرس الأوضاع التي كانت عليها حكومة المخزن وما تعانيه من أزمات مادية وعسكرية في مواجهة ثورة الفتان بوحمارة.

كان أوبان خلال رحلته هذه يكتب مذكرات أو رسائل يومية عن مشاهداته ويبعث بها إلى كبريات الصحف والدوريات مثل «جريدة المناقشات»، و«مجلة باريز»، و«مجلة العالمين»، و«النهضة اللاتينية»، فتنشرها في حينها. ولما عاد إلى طنجة في دجنبر 1903 كان قد تجمع له من هذه المذكرات والرسائل ما يكوِّن كتابا سماه *مغرب اليوم* *Le Maroc d'Aujourd'hui* أضيفت إليه خرائط أنجزها جغرافي فرنسي صحبه في رحلته، وطبع بباريز في السنة الموالية 1904. وهو من المراجع المهمة عن المغرب قبيل الحماية.

ألف أوبان دراسات أخرى عن المناطق التي زارها، مثل : *الأنجليز في الهند وفي مصر* ؛ *وبلاد فارس اليوم*. ولم نقف على تاريخ وفاته.

م. حجي، *جولة في كتاب مغرب اليوم*، في النهضة والتراكم، فضالة 1986، 309، 316 ؛ *أسفي وعبدة في مطلع القرن العشرين*. ندوة أسفي.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, I : 65 ; Office Marocain du Tourisme, *Les pionnieres du tourisme au Maroc*, 1902-1903 , Eugène Aubin, Rabat, S. D.

محمد حجي

أُوبِيـــدُومْ نُوفُومْ Oppidum Novum، اسم أطلقه الرومان على مدينتين بشمال إفريقيا، إحداهما بموريطانيا القيصرية أي الجزائر الحالية (وهي العين الخضراء حاليا)، والأخرى بموريطانيا الطنجية، أي بالمغرب، وهي القصر الكبير حالياً. وهذه الأخيرة هي التي تهمنا والتي سينصب عليها البحث.

وردت مدينة أوبيدوم هذه في *دليل أنطونان* كمحطة على الطريق المؤدية من توكولوسيدا إلى تينگي Tingi. وجعل موقعها بين تريولي (سوق الأربعاء حالياً) وأدنوڤاس أي السوِّير، (انظر الخريطة). وقد ذكرها أيضاً جغرافي رائين.

اويديوم نوفوم (القصر الكبير حاليا)

وقد تمكن شارل تيسو من تحديد موقع أوبيدوم نوڤوم بالقصر الكبير وأيده لوي شاتلان.

وتجدر الإشارة إلى أن إعادة ترميم مسجد القصر الكبير في صيف سنة 1987 كشف عن الكثير من اللقى والبقايا الرومانية سواء بأرضية المسجد أو تحت صومعته. وبمبادرة من أحد أعضاء المجلس البلدي للقصر الكبير كلفت وزارة الشؤون الثقافية السيد عمر أكراز وروني روبيفا بالوقوف عل ما جد في هذه المسألة. وفعلا تم العثور على أربع نقائش وعدة أعمدة وصخور صالحة للبناء تظهر بما لا يدع مجالا للشك أن مدينة القصر الكبير هي أوبيدوم نوڤوم الواردة في *دليل أنطونان*. ونستنتج من هذا الاكتشاف أيضا أن الوجود الروماني بقي مستمراً بالمغرب حتى القرن الخامس الميلادي، وأن قضية انسحاب الجيش والإدارة الرومانية في أواخر القرن الميلادي الثالث لم يمس سوى وليلي وبعض المراكز الداخلية. في حين بقيت المناطق الشمالية والغربية خاضعة لروما.

Itineraria Antonini Augusti et Burdigalense, éd. O. Cuntz, Leipzig, 1929 ; M. Euzennat, *Les Voies romaines du Maroc dans l'Itinéraire d'Antonin*, dans *Hommages à Albert Grenier*, coll. Latomus, vol, VIII, 1912, pp.595-610 ; M. Besnier, *Lexique de géographie antique du Maroc*, C.Klincksieck, Paris 1914, p. 550 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Gallimard, Paris, 1947, p.249 ; R.Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; R. Roget, *Index de topographie antique du Maroc*, *PSAM*. fasc 4, Paris 1938, p. 58-59.

علي واحدي ومحمد مقدون

أُوبِـرْدَان، بن عيسى قائد گروان الشمالية، من عائلة نبيلة كان فيها رؤساء تولى بعضهم مهمات في إفريقية (تونس). استقر قبيلهم گروان أول دخولهم المغرب الأقصى بوادي زيز ثم بتاسمحاط ثم بتاگريگرا عند بني مگيلد. استقرت عائلته في الحوض وكان فيها طلبة فرسان، تولى أبوه محمد أوبردان قائدا بظهير حسني. وشارك في حركات منها حركة الشاوية وحركة تافيلالت. وكان بجانب مولاي عبدالعزيز إلى أن قام مولاي عبد الحفيظ، وكان أوبردان منفيا في الشاوية حيث قتل ودفن في سطات.

وكان أكبر ولديه وهو إدريس مقاتلا إلى جانب مولاي حفيظ، وصار قائداً في عهد الاستعمار، ولما بلغ من الكبر عتيا تخلى عن القيادة لأخيه بنعيسى، فشارك في تطويع بني مگيلد.

J. et M. Gouvion, *A'yan al-Maghrib al-Aqsa*.

أحمد التوفيق

أُوبِـرْكَة علي، أو أوبـرْشَـةْ، كما هي عادتهم : إذ ينطقون الكاف شينا، فينادون مْبارْشْ ومْبارْشَهْ بدل مبارك ومباركة. هو أحد كبار قواد السلطان المولى إسماعيل العلوي. (*الترجمان*، 23) تذكر الرواية الشفوية التي جمعها Reyniers أن المولى إسماعيل قدم متنكرا في زي ابن السبيل إلى قبيلة أيت إمُّورْ بالأطلس المتوسط فنزل ضيفا على أوبركة أو أوبرشة الذي رآه وأكرم وفادته، على الرغم من كونه مجرد راع فقط. ولما ودع الضيف مضيفه، في الصباح، شكر له حسن صنيعه وسلمه رسالة، وقال له : عندما تفد قبيلتك على السلطان، توجه أنت أيضا مع الوفد، وعندما تكونون بحضرته سلمه هذه الرسالة. فإنه قد يتصدق عليك ويقضي حاجتك.

ولما رجع السلطان إلى مكناس استقدم أعيان أيت إمور، فقدموا عليه وبمعيتهم أوبركة، الذي كان الجميع يسخر منه. وفي أثناء الطريق كانوا يتذاكرون حول موضوع هذه الدعوة. فكانت الأغلبية تعتقد أن السلطان سيكافئهم

ويمنحهم - كعادته - الخيل والسلاح. في حين كان علي أوبركة يقول :«وسأكون أنا قائدكم»، الأمر الذي كان يثير استخفافهم واحتقارهم له. وبعدما حظوا بمقابلة السلطان، تقدم علي أوبركة منه وسلمه الرسالة. ولما قرأها أمره بالمكوث. ومن ثم عينه قائدا على إخوانه أيت إمور. فرجع إلى قبيلته في موكب من أعوان المخزن لمزاولة وظيفته.

وعلى الرغم من أن الرواية الشفوية قد تختزل الزمان والمكان في كثير من الأحيان، فمن الممكن أن تقدم معطيات مفيدة، قد توضح أحيانا بعض القضايا التي لا تورها الإخباريات المكتوبة إلا بطريقة موجزة جداً.

من المعروف أن المولى إسماعيل لم يذخر جهدا من أجل تمهيد القبائل، فاستعمل مختلف الوسائل لإدراك هذه الغاية. وإذا علمنا أن الجيوش السلطانية قد فشلت أكثر من مرة في السيطرة على صنهاجة الأطلس (*الاستقصا*، 7 : 80)، فلا نستغرب أن يلجأ إلى تأليف قلوب البعض، وطمأنة الضمائر. لكن هل توجه السلطان فعلا إلى عين المكان، أم أنه اكتفى بإرسال بعض عيونه للقيام بتلك المهمة الصعبة ؟

ويقدر ما نتمادى في طرح السؤال نستنكف عن الجواب !

تؤكد هذه الرواية أن علياً أوبركة ينتمي إلى قبيلة أيت إمور الصنهاجية، وأن علاقة قبيلته مع المخزن لم تكن على أحسن ما يرام، ولا يلج مجالها أحد من جانبه إلا متنكراً. ونستنتج أن معظم التحولات الكبرى التي شهدتها القبائل المغربية، قد انتظمتها روايات شفوية طغى عليها جانب كبير من الخوارق والأسطورة.

متى تم تعيين أوبركة قائداً على أيت إمور؟ من الراجح أن تعيينه قد تم فيما بين ثورة أحمد بن عبد الله الدلائي 1677/1087 (*الاستقصا*، 7 : 53). وخضوع أيت إمور سنة 1683/1093. جاء هذا التعيين إذن في فترة كان السلطان يعمل فيها على توطيد سلطته في المناطق الجبلية، أي أن تبعية هذه القبيلة لم تتم إلا بعد استقطاب أوبركة وتعيينه قائداً على رأس قبيلته، وبالتالي فهو الذي ساهم في تمهيدها.

وهكذا، لما فشلت حركاته الثلاث في حسم مادة التمرد في الأطلس المتوسط، جهز السلطان حركة واسعة النطاق، ترأسها بنفسه وعمّل عليها ثلاثة من أشهر قواده من بينهم أوبركة مع إخوانه أيت إمور(*الترجمان*، 23 ؛ *الاستقصا*، 7: 80). وبالانتصار على أيت أُمالو، أصبحت قبيلة أيت إمور من ضمن قبائل "الگيش"، حيث كتب السلطان، من بينهم، ألف فارس في "الديوان" وأنزلهم مع علي بن بركات بقلعة تنْشْغالّينْ، وسط قبيلة أيت إشْقيرنْ. إحدى القبائل العاتية، (*الاستقصا*، 7: 81) «بين أيت أُمالو وأيت إفلمان» (*الترجمان*، 23). وبذلك أصبح أوبركة يسيطر على المسلك الرئيسي الموصل بين أيت أُمالو وجيرانهم - من جهة الشمال - أيت إدراسن (De la Chapelle, 49) كما استطاع المخزن بواسطة أوبركة وقبيلته تحقيق مراقبة دائمة للقبائل الرعوية النازحة نحو سهول تادلا (أزغار). ولعل قائد أيت إمور هو الذي أسس قلعة أغبالة، وسط بطون قبيلة أيت سُخمان. ولا تخفى أهمية موقع هذه القرية، إذ شكلت، منذئذ، سوقا مركزية لتجميع البضائع وإعادة توزيعها بين القبائل، باعتبارها مرحلة رئيسية، في طريق مطروقة بكثافة، تربط بين أعالي ملوية وتادلا من جهة، ولأنها من أهم الطرق المفتوحة على الجنوب بواسطة أسيف ملّول من جهة أخرى (De la Chapelle, 50) ومن ثم أصبح علي أوبركة يسيطر على قلب منطقة طالما شكلت أهم مشاغل المخزن آنذاك. وبفضله بات من الممكن التوغل في الجبل، الشيء الذي بلوره المخزن ببناء قلاع جديدة لكبس برابرة الجبال في معاقلهم.

تمتع علي أوبركة بدهاء كبير، حيث استطاع استمالة بعض أعيان المنطقة. وفي هذا الإطار يذكر سبيلمان Spillmann أنه صاهر علي وحْسين أمهاوش على إحدى بناته كما انخرط في سلك الزاوية الناصرية، ولعله هو الذي أقطع الشيخ أحمد ابن ناصر الأرض التي بنى بها زاويته بالمنطقة (زاوية الفيض) (De la Chapelle, 49) ولعب دور الوسيط بين الناصريين وسكان منطقته.

قُتل علي أوبركة بعد وفاة السلطان المولى إسماعيل 1727/1138. من طرف أبناء أخته المسماة عائشة أوطرْمون - حسب الرواية الشفوي - ولعل هذا الاغتيال جاء في إطار التصفيات التي ذهب ضحيتها معظم رجال مخزن المولى إسماعيل بعد وفاته، وقد قام بها رجال المخزن الجديد، أو أقدمت عليها بعض القبائل انتقاما لنفسها من عسف القواد. وإذا كان من الصعب تحديد تاريخ وفاته بدقة، فلعل الأقرب إلى الصواب أن قتله جاء في خضم ثورة أيت إمُورسنة 1730/1142، أو قبلها بقليل، حيث انحلت وحدتهم على إثر النزاع الذي دب فيهم بسبب ضغط القبائل النازحة من الجنوب، في إطار موجة الاضطرابات العارمة التي أصابت البلاد بعد وفاة المولى أسماعيل، (Pellow, 158). ومهما يكن، يمكن وضع مقتل علي أوبركة فيما بين 1139 و1727/1142 و1729، أي ما بين وفاة المولى إسماعيل وثورة أيت إمور الأولى.

أ. الزياني، *الترجمان* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ *الرواية الشفوية*، وهي مطابقة للرواية التي جمعها البرطنان رينيي (Reyniers) وهي مستقاة من رواية مكتوبة بالأمازيغية تم العثور عليها في قبيلة أيت إشقيرن من طرف الأستاذ أحمد حداشي.

Magali Morsy, *La Relation de Thomas Pellow*, Paris 1983 ; F. De La Chapelle, *Le Sultan My Ismail et les Berbères Sanhaja*. *A. M.* XXVII, 1927 ; G.Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris 1951.

أحمد عمالك

أويُو جمْعة، سعيد، ولد سنة 1918 بأيت كنول ناحية مرموشة، وسط عائلة محافظة ومتواضعة الحال. كان شديد الغيرة على وطنه فالتحق بصفوف جيش التحرير وحمل

السلاح بجانب إخوانه المجاهدين ضمن فرقة إلياس ميمون أوعقى، وخاض عدة معارك ضد العدو حتى استشهد يوم 2 أكتوبر 1955 بتاغزوت قرب مركز مرموشة.

وثائق المندوبية السامية.

عزالدين العلام

الأويبري، محمد التهامي بن محمد بن مبارك بن مسعود الحمْري، نسبةً إلى قبيلة احْمر العربية الشهيرة بين مراكش وأسفي. وكانت في الأصل تدعى حمِّير، ولذلك يقال له أحيانا الحمْيري. مقرئ في علوم القرآن والتجويد. أخذ القراءات عن كبار مقرئي عصره في المغرب والمشرق. مشارك في الفقه وقواعد اللغة والأدب، شاعر ناثر، متصوف من أتباع الطريقة الوزانية الشاذلية. أخذ عن أشهر شيوخ عصره في مراكش وضواحيها، وفي فاس والقاهرة والإسكندرية. وكانت له حظوة عند السلطان عبدالرحمان بن هشام، وتشفع لديه بقصيدة لامية في قومه احْمر حين سجنهم لما استخفوا بعامله وولده وضربوهما بالبارود.

ألف الأويبري عدة كتب في مواضيع مختلفة، أهمها : *إتحاف الخل المواطي ببعض مناقب الإمام السكياطي*، قال عنه ابن إبراهيم في *الإعلام* : (في نحو ثلاثة كراريس كلها درر) وتوجد منه نسخ مخطوطة في خزائن خاصة بمراكش وفاس وسلا. ومن مؤلفاته أيضا : *منظومة وشرحها في موانع الصرف*، *ومدد اللطيف في شرح البسط والتعريف*، اختصر فيه كتاب *فتح اللطيف* لمحمد المرابط الدلائي (*الزاوية الدلائية* ط 1، 252) *وشرح منظومة العروض* للرسموكي، *وشرح نظمه في حكم الوقف* لحمزة المقرئ.

توفي محمد التهامي الأويبري بعد 7 ذي الحجة عام 1249/ 18 أبريل 1834 (وهو تاريخ انتهائه من تأليف *مدد اللطيف*). ويظهر أن ما ذكر ع. ابن سودة في *دليله* من أنه توفي عام 1246 سبق قلم.

م. ت. الأويبري، *إتحاف الخل المواطي*، مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 6 :251، 253 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 176.

محمد حجي

أويبلو إي كنالس، فيليبي Ovilo Y Canales F، طبيب إسباني كان ملحقاً بالمفوضية الإسبانية بطنجة، كما أنه كان يراسل عدداً من الصحف. وله بعض التآليف المفيدة في تاريخ المغرب منها : *المرأة المغربية*، *وضعها الاجتماعي* *La mujer marroqui estudio social* المنشور بمدريد سنة 1881 في 215 صفحة.

م. بوشعراء، *الهجرة من المغرب وإليه*، مخطوط.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1: 150.

مصطفى بوشعراء

أوثربات ← **الرشيدية (إقليم-)**

أوحسايْنْ حمو، من مواليد سنة 1910 بدوار أيت إبراهيم، قبيلة أيت لحسن، ناحية إيموزار مرموشة. انضم إلى صفوف جيش التحرير، فتعبأ ضمن الوحدة التي كانت متموقعة بإموزّار مرموشة والتي كانت تحت إمرة السيد إلياس ميمون أوعقة، حيث خاض معها عدة معارك ضد المستعمرفكان رحمة الله عليه من العناصر النشيطة، وأثناء هجوم على مركز جنود الاحتلال أصيب برصاص في رأسه يوم 12 أكتوبر 1955 بإموزّار مرموشة، وعلى إثرها توفي يوم 14 أكتوبر عام 1955.

وثائق المندوبية السامية.

عزالدين العلام

أوحنّا رافائيل، ربي وطبيب، نشأ بمكناس عام 1850، وتوفي بصفد عام 1902. حل مرة بمدينة بخارى ربياً مكلفاً بجمع التبرعات. ألف شير حداش *النشيد الجديد*، (القدس، 1881. 1889) يسود مفارابي *الأساس المغربي* مرآلا يلادني *وجه الصبيان* وهو كتاب في الطب التقليدي (القدس، 1900، 1905، 1908) وله كذلك أعمال أخرى.

أوحنّا، سليمان، ربي قبلاني، مكناسي الأصل هاجر إلى بلدة صفد بفلسطين، وهناك كتب شرحا للتوراة ثم مجموعة المدراشيم. (راجع طوليدانو، *نير حماعراب*، 110).

أوحنّا يهودا بن العيزر، ربي بمراكش، نزل بتونس خلال القرن 18، صاحب الخطب التي جمعت تحت عنوان *سفر بري مغر اديم* (أي *كتاب أجود الفواكه*، 1805).

أوحيّون، أحبار حملوا هذا الاسم، ومارسوا مهامهم الدينية، اشتهر منهم بالمدن التالية :

أوحيون صامويل بتازا خلال القرن الثامن عشر.

أوحيون موسى بن داود بمراكش المتوفى عام 1817.

أوحيون ميمون بالرباط، في القرن العشرين.

أوحيون يعقوب، بطنجة في القرن التاسع عشر.

أوحيون يعقوب، بمراكش أيضا المتوفى بها عام 1838.

أحيون يوسف، بالدارالبيضاء، ألف في عام 1948 كتابا عنوانه *سفر ابقات روخيل* يحتوي على مجموعة من الشروح التلمودية.

لاريدو، *أسماء يهود المغرب*، 236.

شمعون ليفي

أوخدّة، عبد السلام بن محمد، ولد سنة 1900 ببني ورعش الشمالية دائرة بركان إقليم وجدة. انخرط في جيش التحرير وساهم في تنفيذ عدة عمليات فدائية بطولية. بالإضافة إلى ذلك كان يتكلف أحيانا بمهمة توزيع المناشير وجمع السلاح بشتى الطرق، كما أنه جعل منزله رهن إشارة المناضلين الوطنيين كملجإ يختبئون فيه عن عيون الجاسوسية. ومن أهم الأعمال التي قام بها المحاولات الناجحة لتهريب بعض الجنود المغاربة العاملين في الجيش الفرنسي من أجل تطعيم قوة جيش التحرير الثائر. وأثناء إحدى محاولاته لتهريب الجنود اكتُشف أمره وقُتل من طرف جنود فرنسيين، في شهر فبراير من سنة 1956.

وثائق المندوبية السامية.

عز الدين العلام

الأُوداية، أو الأداية أو لُودايا، مفردها وَدِيّ، قبيلة من معقل الهلاليين من ذوي حسان الذين كانوا في سوس، ولعلهم استقروا هناك بعد أن كانوا في جهات ملوية وجهات درعة واستصرخهم ضمن ذوي حسان علي الزكندري على سوس عام 615 هـ حيث حارب بهم جزولة وأخضعهم للضرائب، وهذا الحدث حدد مستقبل هذه القبيلة ارتباطا بالخدمات العسكرية للحكام مقابل التمتع بالأراضي، حيث صارت من قبائل الگيش أو قبائل المخزن.

وكان ذوو حسان مع الشبانات معروفين بهذا الدور، وقد استخدمهم أبو علي بن السلطان المريني أبي سعيد سنة 1315/715 لما تملك سجلماسة وما والاها، وتغلبوا على سوس واقتسموا جباياتها.

ويظهر أن حملات المرينيين على سوس أرغمتهم على التراجع نحو شنقيط، فالوزان يذكر أن مواطنهم بين وادان وولاتة، حيث لهم النفوذ على أهل السودان، وكان مقاتلوهم سبعين ألفا وإن كانت خيولهم قليلة، وكان جيرانهم هنالك الرحامنة أولاد دليم وأحمد.

وكان الأوداية سنة 1546 يترددون على مناطق الاحتلال البرتغالي حتى الصويرة وإن كانت مواطنهم في خرائط البرتغاليين عند رأس بوجدور.

وذكر الفشتالي أن الأمير داود بن عبد المومن السعدي حين خرج على عمه أحمد المنصور بين سنتي 979 . 980/ 1579 . 1580 قد فر إلى الصحراء «واستقر به الرحل في عرب الأوداية من عرب الجنوب».

وقد ساند المعقليون دعوة الشرفاء السعديين فاستعملهم أحمد المنصور عام 1588/988 في جيشه، فاندمج قسم من الأوداية مع إخوانهم الشبانات أحد عناصر جيش أهل سوس ونزلت فرقة منهم أحواز مراكش بينما تفرقت فرق أخرى في القبائل أو بقيت في سوس.

وأورد الزياني أن المولى إسماعليل 1083 . 1672/1139 . 1727 جمع الأُوداية المتفرقين في قبائل حوز مراكش والنازلين مع الشبانات فكتبهم في ديوان الجيش عام 1677/1088، وأنزلهم بالرياض المجاورة لقصبة مكناس «وأعطى أعيانهم النوائب وهم الزوايا التي لا تغرم مع القبائل» (*الروضة*، 58) وحين وفدت عليه جموع أخرى سلك معها نفس المسلك، وبعد ذلك سكن قسم من أوداية الرياض بفاس الجديد بعد إخراج الشبانات من أنصار الدريدي. وعندما توجه المولى إسماعيل إلى سوس عام 1678/1089 كان الأوداية ممن قدموا عليه وأدوا الطاعة.

أما الأوداية الذين دخلوا في جيش المخزن فقد قسمهم مولاي إسماعيل إلى ثلاثة أرحاء : رحى أهل سوس ورحى المغافرة ورحى الأوداية، وأطلق على الجميع اسم الأوداية تغليبا لأنها أكبر الأرحاء.

وقد مكنهم السلطان من وسائل القوة وضبط مدينة فاس حيث أسكنهم فاس الجديد ومكنهم من استغلال أراض في سايس حتى إنهم كانوا يهددون أثناء فترة حكم أولاد المولى إسماعيل 1757/1727 بقطع الماء والمؤن عن الحاضرة الإدريسية. وبعد أن ظهر منهم هذا الطغيان عمل السلاطين فيما بعد على إضعاف شوكتهم مع الإبقاء على استعمالهم. وقد ضعف نفوذ الأوداية بالفعل منذ عهد السلطان محمد بن عبد الله ولا سيما وأن السلاطين قد صاهروا قبائل أخرى كالرحامنة واشراگة.

وقد احتد التنافس بين الأوداية واشراگة في عهد أواخر عهد المولى سليمان، وترتب عن ذلك قيام الأوداية بنهب فاس، وقد نظم الكاتب الوزيرابن إدريس الفاسي قصيدة في الموضوع جاء فيها :

والودايا جاءوا بدأوا بعيب داؤهم ما له الزمان دواء
قتلوا سلبوا أخافوا وحافوا ما تناهم عن القبيح ثناء

وقد استمر تمرد الأوداية في عهد مولاي عبدالرحمان 1238 . 1822/1276 . 1859 بالرغم من المحاولات المتكررة من أجل إضعافهم. وقد استبدوا بفاس الجديد حتى إن السلطان لجأ إلى مكناس واستنفر قبائل الغرب بعد مبايعة الأوداية للشريف محمد بن الطيب، ثم صالح الأوداية بشروط منها عزل الوزير محمد بن ادريس.

وقد عمد السلطان عندما واتته الفرصة إلى تشتيت أرحاء الأوداية فنقل رحى المغافرة إلى زاوية الشرادي لملء الفراغ الذي حدث بترحيل الشواردة من حوز مراكش. ونقل رحى الأوداية إلى العرائش وأحوازها ثم ردهم إلى جبل سلفات، ونقل رحى أهل سوس إلى رباط الفتح فأنزل حلتهم بالمنصورية على شاطئ واد النفيفيخ، وأنزل قوادهم ووجهاءهم بقصبة رباط الفتح، وبعد ذلك رد الحلة إلى قصبة تمارة. وقد أسقط الأوداية من الجندية وأعرض عنهم بالكلية سنين ثم استردهم في حدود الستين (*الاستقصا*، 8 : 40).

ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*، 58 ؛ ع. الفاسي، *الأقنوم*، 521 ؛ أ. الزياني، *الروضة السليمانية*، مخطوط ؛ عبدالكبير بن عبدالرحمان المجذوب الفاسي، *إعراب الترجمان عن قصة الأوداية مع مولاي عبدالرحمان*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 و8 و9 ؛ ع. ابن منصور، *قبائل المغرب*، 427 ؛ ث. برادة، *الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر*، د. د .ع كلية الآداب بالرباط، 1984 ؛ م. ناعمي، *بلاد تكنة*، مجلة البحث العلمي، 36 . 233.

J. Le Coz, *Les Tribus Guich du Maroc*, R. G. M, 7, 1965, p. 3 ; E. Szymanski, *Les Tribus de "Guich" et le Makhzen sous le règne de Sidi Mohammed ben Abdellah*, in *Actes du IIe Congrès International des études nord-africaines*, R. O. M. M, 1970, pp. 195-200 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*.

آمنة معطى الله

الأُوداية (قصبة ـ)، أحد أحياء مدينة الرباط الحالية، ونواتها الأولى. اقترن اسمها مؤخراً باسم قبيلة الأوداية العربية، التي سكن عدد من أفرادها القصبة بعد أن جاء بها الملوك العلويون لتقوم بحراسة منطقة الرباط في وقت كثرت فيه هجومات بني عمومتهم من قبائل زعير.

اختار الموحدون موقع القصبة لتكون إحدى قواعد

عبورهم إلى الأندلس، لكن احتلال الموقع لم يكن ليبتدئ، مع القرن الثاني عشر الميلادي، فقد أبرزت الدراسات أن مركز حراسة روماني متقدم، مرتبط بمدينة شالة القديمة، كان يوجد بإحدى نقط الموقع، وفي العهود الإسلامية الأولى لمنطقة تامسنا شيد بهذا الأخير أول رباط للجهاد وذلك في القرن العاشر للميلاد، ثم بعد ذلك ظهرت أيام المرابطين قصبة عرفت بقصبة «بني تارگا»، وهم صنهاجيون من بني عمومتهم، يتوسطها قصر أميري بناه الأمير تاشفين بن علي ما بين 1142 و1145م.

هذه القصبة هي التي استولى عليها الخليفة عبدالمومن في تاريخ اختلف المؤرخون في تحديده، إذ جعله بعضهم سنة 1132م، والبعض سنة 1134م والبعض الآخر سنة 1146.

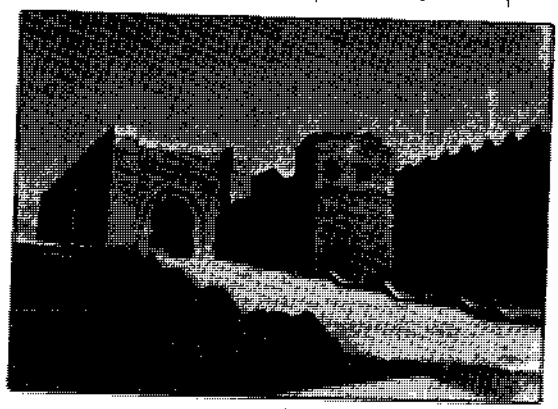

باب قصبة الأوداية بالرباط

ومهما يكن فالظاهر أن أول خلفاء الموحدين تعلق بموقع الأوداية الحالي، إذ أمر ببناء قصبة جديدة به بمجرد ما استولى على مدينة سلا وانتهى من هزم البرغواطيين، وقد أطلق عليه اسم المهدية تبركا بإمامه المهدي بن تومرت، على أن بعض الرسائل الرسمية من عهده تحمل اسم «رباط الفتح» للدلالة عليها، الشيء الذي يجعل من هذه القصبة مكانا حاملا لاسمين في آن واحد أولهما مرتبط بالعقيدة الموحدية وثانيهما بالجهاد في سبيل الله. فمن المؤكد أن المهدية/ رباط الفتح، كانت محطة أساسية تتمركز بها الجيوش المغربية في طريقها إلى الأندلس. ويستفاد من تردد عبد المومن عليها وإقاماته الطويلة والمتكررة بها أنها كانت تحتل مكانة خاصة لديه وأنها كانت عاصمته الثانية، حتى إن المنية وافته بها ما بين 7 و14 مايو 1163.

تراجعت مكانة المهدية/ رباط ـ الفتح بعد موت الخليفة عبدالمومن فلم يعتن بها ابنه أبو يعقوب يوسف، بينما شيد حفيده المنصور مدينة محاذية لها، أكبر وأوسع وأجمل. ومن عهد المنصور انسلخ اسم رباط ـ الفتح عن القصبة ليمتد إلى المدينة الجديدة ويبقى عالقا بها إلى اليوم، وإن أصبح مقتصرا على شطره الأول : الرباط.

ولما امتد حكم المرينيين إلى الرباط، انصرف اهتمامهم عن القصبة حيث اهتموا أكثر بمدينة المنصور أي الرباط الحالية وبمدينة سلا، اللتين خلفوا بهما العديد من الآثار. هذا الوضع أعاد للقصبة مهمتها الأولى، فانساقت بذلك في النموذج التقليدي للمدينة بالغرب الإسلامي الذي يجعل من القصبة وحدة الدفاع والمراقبة والحراسة، توجه اهتمامها نحو الحماية إذا تعلق الأمر بخطر خارجي وصوب المدينة المجاورة تحسبا لكل حركة مناهضة تخرج منها.

وأظهرت بعض الدراسات أن القصبة ظلت محتفظة بدورها وبأهميتها خلال فترة التراجع الذي عرفته البلاد سواء أيام الوطاسيين أو بعد وفاة المنصور الذهبي وأن حياة حاضرة الرباط «منذ 1260م إلى بداية القرن السابع عشر الميلادي، تركزت بالخصوص حول القصبة التي بقيت هي روح المدينة تحمي سكانها المجتمعين حول أسوارها» (J. Caillé, *Rabat*, 183). بعد ذلك دخلت القصبة، كغيرها من المراكز ذات الأهمية الاستراتيجية، دوامة التنافس والتطاحن بين مختلف الطامعين في الحكم، وفي هذه الفترة بالذات وفدت أولى الجماعات الموريسكية المطرودة على مصب نهر أبي رقراق واستوطن قسم منها القصبة بمباركة السلطان المولى زيدان السعدي الذي جعل حماية المدينة بين أيديهم.

كانت القصبة حينذاك قد وصلت إلى أسوإ حال، تلاشت أسوارها من الإهمال ومخلفات المعارك، وهجرت أغلب دورها واندثرت، فكان على الوافدين الجدد أن يعيدوا بناءها وأن يرمموا أسوارها ويفتحوا بها فتحات للمدافع موجهة صوب البحر والنهر على السواء. ولما تقوت شوكة هؤلاء الأندلسيين استقلوا بأمرهم في ما سمي بجمهورية أبي رقراق التي جمعت ما بين القصبة، حيث كانت دار الحكم، والمدينة المجاورة ؛ على أن التعايش لم يكن ليدوم طويلا إذ سرعان ما احتد الصراع ما بين أهل القصبة وأهل المدينة، صراع تُرجم عدة مرات بمعارك وحروب، وقد استمر الأمر كذلك إلى أن دخل المولى الرشيد القصبة وأخضعها وأخضع المدينة لحكمه، شأنهما في ذلك شأن باقي مدن ومناطق البلاد.

وكما شمل اهتمام الموحدين القصبة وجعلوا منها دار حكم وقرار، كذلك فعل الملوك العلويون، إذ جعلوا بها «دار المخزن» وزودوها بما يلزم من الرجال ـ بمن فيهم عبيد البُخاري في عهد المولى أسماعيل ـ والعتاد، وقَوَّوا تحصيناتها وزادوا في منشآتها العمرانية.

وتبقى المنشآت العمرانية بحق، الشاهد البارز على تاريخ القصبة الطويل والحافل. فإذا كانت الإنجازات المرابطية بها وحدها التي أثر فيها عامل الزمان وانفعالات تعاقب الحقب والأجيال وملابساتها السياسية، إذ لم يبق منها سوى جزء من جدار هو اليوم محاذ لمدخل المتحف الإثنوغرافي المواجه لساحة «سوق الغزل» فإن مخلفات غيرها من الدول ومن ساكني القصبة على اختلاف مناطق نزوحهم، لا تزال واضحة شامخة متعددة.

وأهم مخلفات الموحدين، أكبر جزء من السور الخارجي وبابه الكبير والمسجد ؛ لكن هذا الأخير طرأ عليه من التغييرات والإصلاحات ما أفقده الكثير من عناصره الموحدية الأصلية.

استغل الموحدون طبيعة أرض الموقع، فاستعملوا الحجارة الأم التي به، واتخذوا الشاطئ الصخري أساسا للسور من ناحية البحر ومن ناحية النهر، وهو اختيار قوّى الجدار الدفاعي تقوية حافظت على مناعته قرونا طوالا، حيث لا تزال أجزاء منه واقفة إلى اليوم، بطول وعلو مختلفين حسب الجهات. فمن الجهة الشمالية ـ الغربية مثلا، يمتد السور على طول 220,83م ابتداء من الزاوية الشمالية لمنبسط برج المراقبة Sémaphore ، وعلى طول المواجهة الجنوبية ـ وبعلو يتراوح ما بين 8,45م و12,95م. أما سمك الجدار فمعدله 2,50 م (وأقصاه 3,14 م)، وهو ما سمح بمر بأعلى الجدار يصل اتساعه إلى 1,95م. أما الأبراج فنظمت بتباعُدٍ يتراوح ما بين 15م و19م بين البرج والآخر.

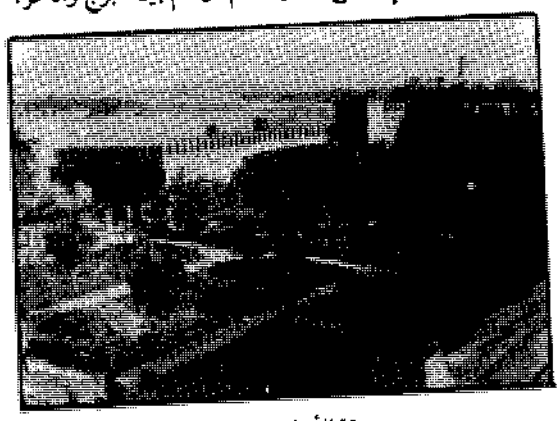

حديقة الأوداية داخل القصبة

استعملت لتشييد هذا السور الفخم حجارة متوسطة الحجم، محكمة البناء، متراصة، إلا أن الزوايا شيدت بأحجار منحوتة متساوية الحجم وذلك لتقوية هذه النقط الحساسة.

يتوسط الجهة الجنوبية، باب ضخم جذاب، فتح على بعد56,19م من الزاوية الغربية، ويشكل بناء عظيما طوله 38,90م وعرضه 16م وعلوه 12 إلى 13م. أما تصميمه فبسيط، مكون من ثلاث قاعات متتالية، الأولى والثالثة مستطيلتا الشكل (7,80م 7,12م و8,12م 7,45م) بينما الثانية مربعته (7,51م 7,53م). وقد أظهرت دراسة هذا الباب أن تصميمها وطبيعة نظامها يجعلان دورها الدفاعي ثانويا، فهي مدخل دار الحكم أكثر منه مدخل قلعة أو حصن، فبالقاعة الأولى كان يقعد الحراس، «بينما في القاعتين الأخريين كان الخلفاء إبان وجودهم على ضفاف أبي رقراق، يستقبلون رعاياهم ويحكمون فيما بينهم، وذلك هو الدور التقليدي للباب في قصور الشرق وفي القصور الإسلامية (Callé, *Rabat*, p : 100) ومما يؤكد هذا الدور بالنسبة لباب قصبة الأوداية جمال زخرفته المتعددة الأشكال والمحكمة الصنع، وهي أشكال منحوتة مباشرة على الحجر الذي استعمل كمادة بناء. كذلك يدخل في نفس الاعتبار التركيز على تزيين واجهتي الباب، الخارجية والداخلية على السواء، وهو أمر يكاد يكون غير عادي إذا قورن بما عرفته زخرفة أبواب المدن التي عادة ما تركز على الواجهة الخارجية أكثر من الداخلية.

ومن مخلفات المورسكيين العجيبة بالقصبة، الممرات الباطنية التي حفروها لتمكنهم من الخروج إلى البحر والدخول منه في تستر وحماية وذلك لغرض القرصنة. فهي ممرات طويلة ومتسعة عرضها 2,70م، مغطاة بسقوف نصف دائرية ليصل علوها إلى ثلاثة أمتار. ومن هذه المنشآت الباطنية كذلك، بناية مستطيلة الشكل طولها 10,38م وعرضها 10,05م، توجد على عمق أكثر من مترين ونصف تحت سطح ساحة برج المراقبة (Sémaphore) الآنف الذكر. وعدم توفرها أصلا على منفذ جهة البحر يجعل منها مخزنا مطمورا أكثر منها ممرا مستترا.

أما الإنجازات والمخلفات العلوية فكثيرة ومتنوعة، نذكر من بينها على الخصوص البناية التي تأوي اليوم المتحف الإتنوغرافي والتي شيدها ومرافقها السلطان المولى إسماعيل، وهي عبارة عن قصر صغير يحتوي على مسجد وحمام وبستان غني نظم على الطريقة الأندلسية، ونذكر كذلك اسقالة وهي من عهد السلطان سيدي محمد بن عبدالله، وهو الذي أمر كذلك «بهدم القصر الموحدي القديم الذي كان يتوسط القصبة على الرغم من كونه لا زال في أحسن حال ومنظم بكل ما تحتاجه الإقامة والاستراحة (Caillé ibid, 305) ويبقى هذا الأمر من النقط الغامضة من تاريخ القصبة.

م. الإفراني، *نزهة* ؛ أ.الناصري، *الاستقصا*، ج : 9 ؛ م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، الرباط، 1925.

L. Brunot, *Aperçu historique sur la piraterie salétine*, B. E. P. M, 1923, p. 159 et 244-253 ; J. Caillé, *La Ville de Rabat Jusqu'au Protectorat français*, Paris, 1949; L. Provençal, *Documents inédits d'histoire almohade*, Rabat, 1941 ; *Trente-sept lettres officielles almohades*, Rabat 1941; H. Terrasse, *Le décor des portes anciennes du Maroc*, Hesp, 1923, p. 147-174.

عبدالعزيز توري

الأوديّي، بوعزة بن عبد الواحد، فقيه نوازلي، قاضي فاس الجديد، وإمام جامع الحمراء وخطيبها «عدل قضاة الزمان... لم يخرج في أحكامه عن السداد والعدل مع النسك والعفاف» أخذ العلم بفاس عن الحسن بن رحال، ومحمد بن الطاهر الفاسي، كما أخذ التصوف عن الشيخ الطيب الوزاني، وكانت له مكانة عند جيش الأوداية يعملون برأيه.

توفي، وهو قاض، عام 65/1179 . 1766 ودفن بالمقابر الواقعة خارج فاس الجديد.

م. القادري، *نشر*، 4 : 168 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 215.

أمينة معطى الله

الأوديّي، الطاهر بن محمد بن عبد السلام الفاسي داراً ومنشأً، حسب ما جاء في كتابه *الاستبصار*، (ص.83)، لا يعرف تاريخ ولادته، ولا ظروف نشأته الأولى، وإنما برز على مسرح الأحداث لما وقع عليه الاختيار كطالب توجه ضمن بعثة دراسية إلى أوربا، على عهد السلطان الحسن الأول، خلال سنة 1879/1297 رفقة طالبين آخرين هما : محمد بن الكعاب الشرگي، وقاسم الأوديّي.

وبعدما قضى أربع سنوات في مدينة باريس، تلقى أمراً من المخزن بمغادرتها، والاتجاه إلى بلجيكا سنة 1884/1301، بقصد الإشراف على بعثة طلابية أخرى أرسلها السلطان المذكور من أجل تعلم «التمارين الجهادية» حسب *الاستبصار* (ص.96). ولم يذكر بالتحديد المدة التي قضاها في بلجيكا، والمعروف أنه قضى سبع سنوات في أوربا.

تقلد الطاهر الأوديي عدة وظائف في العهد الحسني وبعده، أهمها رآسة معمل ضرب السكة بدار السلاح بفاس. كما عمل ترجمانا لسفارة الوزير علي المسفيوي إلى فرنسا سنة 1880/1298. وهي نفس المهمة التي قام بها أيضا سنة 1890/1307 في سفارة المعطي بن الكبير. كما شارك بصفته ترجمانا في مؤتمر فاس الذي انعقد سنة 1906/1324 بين نائب فرنسا من جهة، والوزراء المغاربة وأعضاء مجلس الأعيان المغربي من جهة أخرى. وبنفس الصفة صَاحبَ الوفد المغربي في مؤتمر الجزيرة الخضراء. ويظهر أن مهنة الترجمة هي التي ظل يتقلب فيها على عهد الحماية إلى أن تقاعد، ثم توفي سنة 1945/1365.

والمعروف من الإنتاج الذي خلفه بعده هو :

- رحلة ألفها خلال السنوات السبع التي قضاها بأوربا، ثم أضاف إليها بعد ذلك لما رجع. (*الاستبصار*، 31 و38 و96).

- *خريطة الكرة الأرضية* التي بعث بنسخة منها من مدرسة باريس إلى السلطان المولى الحسن خلال عام 1883/1300، وهي التي أثبتها عبد الرحمان بن زيدان في كتاب *الدرر الفاخرة* (ص. 105)(*مظاهر يقظة المغرب*، 1 : 248).

- *الاستبصار في عجائب الأمصار والجبال والأنهار والبحور ومنافيس النار*. وموضوعه في الجغرافيا العامة كما يدل عليه اسمه، ولكن مؤلفه ملأه بالاستطرادات الكثيرة (في التاريخ، والأديان والسياسة والاقتصاد...).

يدل *الاستبصار* عموما على أن معرفة مؤلفه بأوربا أصبحت عميقة، سواء على المستوى العقلي، أو الايديلوجي، أو التقني. وأن رحلته إلى أوربا ومعرفته باللغة الأجنبية، مكنته من توسيع مداركه حول العالم كله، بما فيها العالم الإسلامي والعربي والصين والهند واليابان وأمريكا.... كما زودته هذه المعلومات المتنوعة والغزيرة بفكر سياسي هام، مكنه من إدراك الأبعاد الحقيقية للاستعمار عموما، والاستعمار الفرنسي للمغرب بالخصوص، حيث أدرك أن الاستعمار يهدف في بُعده النهائي إلى تغيير الذهنية المغربية، والفكر الإسلامي عند المغاربة، كمرحلة أساسية لإدماجهم في الجامعة الحضارية الأوربية. كما أدرك منذ البداية - حسب قوله - أن بريطانيا لم تكن لها نية احتلال المغرب، مما جعله يميل إليها، وينتد بالوزراء المغاربة الذين خانوا بلادهم، ولم يعرفوا كيف يعتمدون على بريطانيا حسب زعمه في التخلص من الاحتلال الفرنسي، واقتباس عدد من المناهج التحديثية منها.

ومن خلال تحليله للمذاهب والديانات في أوربا وآسيا، تمكن من إدراك الفروق بين العقيدة الإسلامية وبقية الديانات والمذاهب الأخرى، وأدرك بالتالي عنصر القوة في الإسلام، ملاحظاً أن هذا العنصر يزعج الأوربيين كثيراً، ولأجله يحاربون الإسلام.

من هذا التحديد يتبين أن الطاهر الأوديّي، غلب على تكوينه في أوربا، الجانب الفكري والسياسي، مما جعل جل الوظائف التي تقلدها وظائف لا تتسم بالخطورة أو الأهمية الكبرى خلال عصر الحماية بالخصوص، لأن جهاز الحماية بالمغرب لم يكن يسمح لشخصية تشبعت بالوعي السياسي والفكري أن تتولى وظائف خطيرة أو مهمة.

وعلى كل فإن الطاهر الأوديّي، يمثل ذلك النموذج للمثقف الذي جمع بين الوعي الذاتي والوعي العالمي، أو النموذج الذي جمع بين الأصالة والمعاصرة. وهو جمع أولي وصفي لا يرقى إلى المستوى التحليلي النظري.

ط. الأوديي، *الاستبصار*، مخطوط ؛ ع. ابن زيدان، *الاتحاف*، 2 : 468 ؛ *العز والصولة*، 2 : 151 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 1 : 34 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 3 : 203 ؛ م. المنوني، *مظاهر*، الجزء الأول ؛ *مجلة تطوان*، ع. 6 ، ص 56.

أحمد العماري

الأوديّي، عبد السلام بن إدريس بن أحمد بن عبدالقادر السبيطي. عالم فلكي ميقاتي درس بأوربا علوم الهيئة، في)جملة طلبة البعثات الأولى التي أرسلها ملوك المغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وهناك شخص آخر يدعى عبد السلام بن الحاج الأوديي كان من أفراد البعثة التي وجهها المولى الحسن إلى أوربا عام 1291، ولعله هو المترجم في *إتحاف المطالع* ضمن المتوفين عام 1912-11/1330. أما عبدالسلام بن إدريس الأوديي فإنه عاش قبله وكان معروفاً كميقاتي في حاشية سيدي محمد بن عبد الرحمان أيام خلافته لوالده، ولعله كان من أفراد البعثة الأولى التي أرسلها المولى عبد الرحمان بن هشام إلى أوربا. ومما يؤكد تعلمه هناك خاتمة كتابه *فتح الملك العلام* التي خصصها للرماية بالمدفع والمهراس واستعمل فيها آلة سماها الرَّكلة العجمية «مقياس جنتر».

لم تتحدث كتب التراجم عن هذا العالم الفلكي وإنما يُعرف من خلال كتابين له، هما : *فتح الملك العلام على عبده الذليل الصغير الأوديي السبيطي عبد السلام في التوصل إلى معرفة الأوقات بالخيط والقلم*، رتبه على 120 باباً بعدد المسائل الميقاتية التي تعرّض لها، مزاوجا بين طريقة الربُع وحساب اللوغاريتمات، إضافة إلى الخاتمة المشار إليها سابقا. انتهى من تحرير هذا الكتاب في متم جمادى الأولى عام 5/1275 يناير 1859. وقرظه مؤقت مكة المشرفة عبد الله بن الرئيس علي في 29 حجة عام 30/1275 يوليوز 1859، الأمر الذي يدل على أن المترجم حج في هذه السنة. وكتابه الثاني عبارة عن *رسالة في العمل*

بالأسطرلاب وضعها للحسن الأول قبل مبايعته، وانتهى من تحريرها في ثاني ربيع الأول عام 22/1288 ماي 1871. ولا يعرف تاريخ وفاته على وجه التحديد.

م. المنوني، *مظاهر يقظة*، 1 : 219 ـ 220 ؛ ع. ابن سودة، *اتحاف المطالع*، مخطوط.

محمد حجي

الأودبي محمد ← الكعاب (ابن ـ)

أوْراغ، صالح، قائد من قواد هنتيفة في الأعوام الأخيرة من عهد ما قبل «الحماية» وكذا من السنوات الأولى من «الحماية» حيث شارك فيما سماه الفرنسيون بعملية التهدئة بالأطلس الكبير الأوسط.

أ. التوفيق، *المجتمع المغربي*.

أحمد التوفيق

الأُورانْـيُوم، عنصر إشعاعي طبيعي مركب من نظيرين، الأورانيوم 238 (99,3٪) والأورانيوم 235 (0,7٪). إلا أن الثاني وحده قابل للانفلاق.

والأورانيوم عنصر نادر نسبيا في تركيب القشرة الأرضية، مقداره بمعدل 1 إلى 2 جزء من المليون. إلا أن الكثير من الصخور، وخاصة منها الصخور النارية الأولية، تحتوي على مضمون من الأورانيوم يرتفع إلى 50 من المليون. وهي الصخور الأصل في أغلب المناجم المكتشفة والمستغلة. ويحتوي المعدن المستخرج من المناجم أو المقالع على نسبة تصل إلى 1 أو 2 في الألف.

يتم تحويل هذا المعدن في مصانع كيماوية إلى مواد مركزة، تحوّل هي بذاتها إلى فلز تصنع منه العناصر المحروقة المرصودة لتغذية المفاعَلات النووية، التي تنتج عادة الطاقة الكهربائية.

ويتنوع الأورانيوم إلى أكثر من 150 معدن طبيعي، يعتمد التفريق الأول فيما بينها على مقدار تكافئها. فهناك المعادن الرباعية التكافؤ، وتكون عادة سوداء (أورانينيت، بيّشبلند، كوفنيت برانوريت ...) وهناك كذلك المعادن السداسية الشحنة، وهي دائما ملونة، وتعتبر ثانوية (أوتونيت، كالكوليت، تيويانونيت، كارنوتيت).

أما طرق التنقيب عن الأورانيوم فتعتمد على قياس الإشعاع والصدور وعلى الجيوكيمياء. إلا أن قياس الإشعاع يبقى قاعدة التنقيب عن هذا المعدن، ويعتمد على كشف الإشعاعات الصادرة عن الأورانيوم باستعمال مشعات مومضة أو عدادات جيجر ـ مولر.

وقد اهتمت بالبحث عن الأورنيوم بالمغرب أول مرة وكالة الطاقة النووية الفرنسية، سنة 1946، في الأحواض الفوسفاطية والجبيلات. ثم تنمى البحث في السنوات 1951 ـ 53 تحت تأثير مجموعة ملحقة بالمصلحة الجيولوجية المغربية إلى حين نشوء الشركة المغربية للبحث والدراسات المعدنية. وقد تمحور برنامج هذه الشركة حول استكشاف الرواسب القارية وحول التنقيب المنظم للصخور الگرانيتية. وقد توقف عمل هذه الشركة سنة 1956 دون أن تكون قد أنجزت مجموع البرنامج المقرر.

ثم تجدد البحث عن الأورانيوم سنة 1970 من طرف مديرية الجيولوجيا بوزارة الطاقة والمعادن ومن طرف مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية بمساعدة إخصائيين ينتمون للوكالة الدولية للطاقة النووية، ولبرنامج الامم المتحدة للنمو. وهكذا تم اكتشاف عدة علامات للأورانيوم في الميدانين الأطلسي والجنوب الأطلسي إضافة إلى المناجم التي سبق اكتشافها قبل الاستقلال.

ومنذ سنة 1974 وسع مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية نشاطه التنقيبي عن الأورانيوم، خاصة في أحواض ملوية العليا وفي الأطلس الكبير والجزء المكون من الركيزة الأولية في جبال الريف. إلا أن مختلف هذه الحملات لم تكشف عن مخزون قابل للاستغلال، رغم أنها أبرزت العديد من الإشارات لمعدن الأورانيوم خاصة في المناطق التالية :

1 ـ في الأطلس الصغير تجب الإشارة إلى مناجم أگوجگال وبوازار وزگوندر. يتمركز تعدن أگوجگال في الحث والدولومي القيلكمبري على شكل كالكوليت CU (UO2) (PO4) 2 NH2O ومواد مصفرة مشتركة مع معادن نحاسية. ويصل مضمون الأورانيوم في هذه التعدنات إلى ما بين 0,9 و1,5٪ داخل مستويات صغرى سمكها من 0,3 إلى 1م. ويتخذ الأورانيوم في بوازار شكل برانوريت (UTH CaY) (TiFe)2 O6. ويوجد داخل اندساسات كوارتزية أو ضمن ديوريت مغناة بالكوارتز والكلوريت في معدن كوبالت بوازار.

أما في معدن الفضة في زگوندر بجبل سيروا، فإن الأورانيوم يوجد على شكل بيّشبلند واورانينيت OU2 داخل الحث الشستي المنكسر والمتحول جزئيا.

2 ـ في الأطلس الكبير تمت الإشارة إلى مناجم أزگر تيشكا، وأفاگا وأرگانة. ففي معدن المولبدين والتانگستين بأزگر، يوجد الأورانيوم على شكل بيّشبلند OU2 على مستويات الانكسارات. وقد تم استخراج حوالي طن من الفلز من هذه المناجم. في تيشكا تم اكتشاف آثار تيطَانات الأورانيوم داخل اندساسات الكوارتز والكلسيت. كما اكتشف معدن آخر للأورانيوم جنوب شرق إيمي ن تانوت في موقع وافاگا، وهو على شكل كارنوتيتK(UO2 (VO4)NH2) داخل حث فاتح من الطباشيري الأسفل القاري سمكه من 0.20 إلى 1م ويضمون يتعدى 1 في الألف. أما في أرگانة، فإن الأورانيوم يشترك مع النحاس في مناجم تطبقية صغيرة الأبعاد، داخل الرواسب البرّموترياسية.

3 ـ في ملوية العليا تم اكتشاف عدة معادن ثانوية داخل اندساسات الأنذريت في سيدي عياد وداخل الكلس السينوماني ـ التوروني ناحية أساكا إجدي، وكذا داخل الحث الترياسي في بومية.

4 ـ في الريف الأولي، يتخذ تعدن الأورانيوم شكل بيشبلند مشترك مع مواد صفراء، وتوجد هذه التعدنات داخل الحث البرموترياسي في منجم الرصاص والزنك ببني معدن.

5 ـ في الرحامنة اكتشف تركز هام للبيشبلند ومواد مرافقة داخل گرانيت ابن گرير، إلا أنه بدون استمرارية.

6 ـ التعدنات الأخرى : لقد تمت الإشارة إلى عدة تعدنات أخرى أقل أهمية في گرانيت زعير وولماس ومنت، وكذلك في الجبيلات وداخل الكتلة القبلكمبرية لصغرو.

أما في الفوسفاط، فمعلوم أن الأورانيوم متوفر فيه، ويمكن الحصول عليه كمادة ثانوية. وقد خصصت عدة دراسات لضبط وسائل الاستخراج والمخزون والجوانب الاقتصادية المتعلقة بذلك. وما دام المخزون الفوسفاطي هائلا، فإن امكانيات الحصول على الأورانيوم هائلة كذلك، فإذا اعتبرنا مضمونا معدلا من الأورانيوم مقداره 110 من مليون بالنسبة لمجموع الفوسفاط، فإن مخزون الأوروانيوم يتراوح بين 7 و10 مليون طن من U3 O8.

سعيد برقاد

الأُوراوي، أسرة. كتب محمد الأوراوي المتوفى سنة 1934 والمعروف بمقالاته في جريدة *السعادة* معلومات عن عائلته الأوراوية. ونلاحظ أن اسم الأُوراوي يقرن أحيانا بلقب العزوزي. وأحيانا توصف بعض شخصيات هذه الأسرة بكونها من الشرفاء، وأحيانا أخرى تنتفي صفة الشرف عن شخصيات أخرى منها. ومن أفراد هذه الأسرة الحاملين للقب العزوزي. مفتي العدوتين أيام السلطان عبد الرحمان بن هشام : المعطي بن محمد بن قاسم الشريف العزوزي الذي لم ينته اسمه بالأواري كما ذكر محمد بوجندار في *الاغتباط* (ص. 353) ومحمد بن علي دينية في *مجالس الانبساط* (ص.167). لكن صاحب مقالات جريدة *السعادة* ذكره من بين أسلافه الأوراويين، ونفس الأمر بالنسبة للعدل المعطي العزوزي بن الفقيه إبراهيم الذي كان كاتبا لدى السلطان محمد بن عبد الرحمان. فقد جعله محمد الأوراوي من ضمن أفراد عائلته، ولو أن كلًا من بوجندار ودينية اقتصرا على وصفه بالعزوزي دون إضافة الأوراوي.

وإذا سلمنا بأن كلا من المعطي بن محمد المفتي والمعطي بن إبراهيم الكاتب العزوزيين ينتميان إلى أسرة الأوراوي فإننا نلاحظ أنهما في نفس الوقت ينتميان إلى فرع الشرفاء، في حين أن هناك فرعاً آخر لا يوصف بالشرف. فعندما تحدث كل من الضعيف وبوجندار عن الباشا المشهور إبراهيم الأوراوي المعاصرللمولى سليمان لم يذكرا أنه من الشرفاء. كما أن بوجندار ودينية لم يذكرا أن القاضي الطاهر بن الفقيه الحارثي الأوراوي ينتمي إلى الشرف. وقد كان هذا الأخير أحد تلامذة الشيخ العكاري، (دينية، 116 وبوجندار 314).

ولا يعرف وقت استقرار أسرة الأوراوي بالعدوتين، فالقاضي الطاهر بن الفقيه الحارثي الأوراوي الرباطي أخذ عن الشيخ العكاري، معنى هذا أن أسرته كانت موجودة بالرباط منذ عهد المولى إسماعيل، ويذكر الضعيف وبوجندار أن الباشا إبراهيم بن محمد الأوراوي استقر مع سلفه بالرباط أي في نفس الفترة أو بعدها بقليل. ولكن هذا لا يمنع من التكهن بأن فرعا من هذه الأسرة وجد قبل هذا التاريخ في الرباط أو سلا اللتين ما زالت أسرة الأوراوي بشقيها الشريف وغير الشريف تقطن بهما.

أما الموطن الأصلي لهذه الأسرة فهو الشاوية. وإذا كان الباشا إبراهيم الأوراوي قد تقلد أمر الشاوية أيام السلطان المولى سليمان فإن المعطي العزوزي الأوراوي المفتي تقلد بدوره قيادة أحد فروع الشاوية وهو فرع الزيايدة عام 1254 (دينية، 167).

تنتمي أسرة الأوراوي إلى قبيلة بني أوْرَى أو (بْني وْرَى) وقد تغير موقعها على مرّ الأجيال في إطار التحركات القبلية التي عرفها المغرب، والتي كانت تذكيها النزاعات بين فروع القبائل وأفخاذها حول الأرض أو الماء أو الماشية، مما كان يتسبب في خصومات تؤدي إلى القتل والجرح والطرد وتنقل الخيام والدواوير من بقعة إلى أخرى وهذا ما عرفته قبيلة بني أورى التي يظهر أنها كانت توجد في منطقة قريبة من سطات أيام المولى سليمان لتنتقل بعد قرن إلى حدود فضالة (= المحمدية).

وفي بداية القرن التاسع عشر عندما كانت الشاوية مقسمة إلى أربع جماعات هي الشهاونة، وأولاد بوعطية، ومزاب، وأولاد ورزق، كانت قبيلة بني أوْرى إحدى القبائل الخمس عشرة التي تتكون منها الشاوية وهي : مديونة، وأولاد زيان، والزيايدة، وأولاد حريز، وأولاد علي، والمذاكرة، وأولاد مراح، والأعشاش، وملال، وأولاد سعيد، والمزامزة، وأولاد بوزيري وأولاد سّي بن داود، وزناتة، زيادة على بني أوْرى.

وفي سنة 1900 أصبحت قبيلة بني أورى ملحقة بالزيايدة، ولم تعد مزاب تعتبر قبيلة. كما لم يعد بنو مسكين من ضمن الشاوية.

وأثناء الغزو الفرنسي للشاوية كانت قبيلة بني أورى إحدى الأقسام الأربعة للزيايدة من الناحية الإدارية، وهذه الأقسام زيادة على بني أوْرى هي موالين لُوطا، مْوالين الغابة، وفضالة، وكات الزيايدة التي تضمّهم تعتبر إحدى المقاطعات الإدارية للمراقبة المدنية لمعسكر بولهوت Boulhaut مقر قيادة منطقة ابن سليمان.

إن بني أورى لا ينتمون إلى قبيلة الزيايدة ولكن ألحقت بها من طرف الفرنسيين لأسباب جغرافية، فبنو أورى قبيلة محاربة أثبتت بفضل ديناميكيتها بين الزيايدة وزعير بدون ارتباط بأية واحدة منهما.

أما أقسام بني أورى فهي : بنومغسال، وگطابة، وأولاد يونس.

يتكون بنومغسال من البرابشة، وأولاد بوعزة، وأولاد العروسي، وبني عيسى. وكان شيخهم في حدود سنة 1914 هو المعطي بن كبور.

وتتكون گطابة من بني موسي، وگطابة، وشيخهم كان في نفس الوقت هو عبد السلام بن الحاج اسماعيل. أما أولاد يونس فكان شيخهم هو المسمى المعطي، وكانت قبيلة بني أورى تضم في نفس الوقت 370 خيمة ولها سوق يعقد كل خميس في مكان يسمى ضاية كالاتو لدى بني مغسال.

أما عن مصير هذه القبيلة اليوم فنعتقد أنها أدمجت ضمن الزيايدة وربما ما زال ضمن الزيايدة فرع يسمى بهذا الاسم.

م. بوجندار، *الاغتباط* ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*.

Mission Scientifique, *Villes et Tribus : Casablanca et les Chaouia*, t , I, II, Paris, E. *Leroux*, Paris VI 1915 ; Dr. Weisgerber, *Casablanca et les Chaouia en 1900*, Paris, 1935.

الأوراوي، إبراهيم بن محمد الباشا. ينتسب إلى بني أورى إحدى قبائل الشاوية. استوطن الرباط مع سلفه، ويذكر محمد الأوراوي صاحب المقالات عن عائلته الأوراوية العزوزية، في إحدى مقالاته بجريدة *السعادة* أن إبراهيم هذا كان عالما شهيرا وفقيها ذا وجاهة ورياسة بين قومه.

اشتغل في البداية ككاتب مع باشا الشاوية الغازي الشاوي في حدود سنة 1811/1226 أيام السلطان مولاي سليمان. وكانت الظروف السياسية آنذاك مضطربة فلقي إبراهيم محنة حيث أسر من طرف أهل مزاب المناوئين للقائد الغازي الشاوي، فنكلوا به وسجنوه. وكان الشاوي المذكور قد أراد الخروج عن طاعة السلطان واستمال بعض قبائل الشاوية، وبقيت قبائل أخرى غير راضية باتباعه، وبعد حين سُرح إبراهيم من طرف أحد شيوخ مزاب.

لم يمض وقت طويل حتى عينه السلطان عاملا للشاوية في حين ألقي القبض على القائد الغازي الشاوي الذي ذهب مع كاتبه الأوراوي إلى السلطان بمكناس، لكن الأوراوي رفضته أغلبية قبائل الشاوية مثل مزاب وأولاد حريز، بل هجم المذاكرة وأولاد علي ونهبوا خيمته وخيله وبغاله. فهرب وأعلم السلطان بما وقع له، فاحتال السلطان على بعض رؤوس الفتنة في قبيلة مزاب وأرسل من قتل الصغير بن الطاهر المزابي أحد شيوخها بتهيئ من الباشا الأوراوي، وقبض على آخر وهو الطاهر ولد عمر بن بوسلهام المزابي، وبقي الباشا الأوراوي بالدارالبيضاء لا ترضى به من قبائل الشاوية سوى الشهاونة، فاندلع القتال بينهم وبين المزامرة والفرق الأخرى التي رفضت الأوراوي، ونزلت مزاب وأولاد حريز وأولاد علي والمذاكرة إلى الدارالبيضاء للهجوم على الباشا الأوراوي، فاستعان ببني حسن وبعاملهم الباشا سليمان بن القرشي السگيري فنهض إليهم بنحو أربعين ألفاً من خيل ورماة ومع بني حسن عرب الأودايا. ووقع قتال كبير، وبأمر من السلطان قبض محمد الزعري صديق الباشا عليه، أي علي إبراهيم الأوراوي، وكبله وسار به ليسجن بالرباط، ثم أرسل إلى سجن طنجة عند عاملها محمد السلاوي. وبعد بضعة شهور أطلق سراحه أواخر سنة 1812/1227.

وصرة أخرى أرسله السلطان للعمل مع الباشا الغازي الشاوي الذي كان السلطان قد سرحه قبل ذلك، غير أن إبراهيم لقي مهانة وسوء معاملة من القائد وقبائل الشاوية مما اضطره إلى الهرب والاستجارم بضريح مولاي إدريس الأكبر، وأرسل إلى عائلته بالرباط يطلب منها الرحيل بعد أن أقنع القائد الغازي السلطان بترحيل إبراهيم وعائلته إلى قبيلته بني أورى. وتوسل إبراهيم إلى السلطان بأن يبعده عن القائد الغازي فنفذ له السلطان داراً بزرهون سكنها مع أسرته أياما.

وفي ربيع الأول 1229/ يبراير، مارس 1814 سار إبراهيم بأسرته إلى الرباط. وفي منتصف ذي القعدة 1230 بعثه السلطان مع أخيه موسى الذي عينه عاملا على درعة.

ولما توفي السلطان مولاي سليمان بقي إبراهيم الأوراوي يعمل مع المخزن. وانتهت حياته مقتولا بضواحي الدار البيضاء في سنة غير معروفة، ودفن بمسجد دار المخزن هناك، ثم نقله السلطان إلى الرباط بطلب من ذويه.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*.

الأوراوي، محمد الطاهر بن الفقيه الحارثي العزوزي. ذكره الحفيد علي العكاري في *فهرست* جده من جملة تلامذته الذين انتفعوا بعلومه ومعارفه، وقال إنه شاركهم في أخذ علم النحو عنه. وقد أخذ محمد الطاهر أيضا عن غير العكاري من مشايخ الرباط وفقهائه. وذكر بوجندار في *الاغتباط* أن محمداً بن علي الدكالي صرح في *الاتحاف الوجيز* بأن المترجم ولي قضاء الرباط ولم يعثر هو على ما يثبت ذلك. بل وقف على ما يقتضي خلافه. وإذا كانت *الفهرسة* تحلّيه بالقاضي فلعله ولي قضاء غير الرباط. لذلك لم يجعل له بوجندار ترجمة ضمن قضاة الرباط المذكورين في *تعطير البساط*. وذكر الصحافي محمد الأوراوي في إحدى مقالاته بجريدة *السعادة* عن أسرته العزوزية أن المترجم ولي قضاء الرباط سنة 1118، ولا أصل له - كما يقول بوجندار- سوى ما في كتاب *الاتحاف الوجيز*. أما التاريخ المذكور فالذي كان متوليا قضاء الرباط فيه هو القاضي أبو عبدالله مرينو حسبما عثر عليه بوجندار في كثير من الرسوم التي فيها خط يده والتسجيل عليه.

م. بوجندار، *تعطير البساط*، *الاغتباط* ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*؛ م. ابن علي الدكالي، *الاتحاف الوجيز*.

الأوراوي، مَحمد - بفتح الميم - بن محمد الرباطي، أديب وكاتب، له عدة مقالات أدبية وأخرى أخبارية وتاريخية نشرت بجريدة *السعادة* التي كان مراسلا لها يسجل على أعمدتها وقائع العاصمة كالحفلات والوفيات. كان ذا هندام جذاب وجمال خلقي، يحرر مقالات بإنشاء فني، ويقرض الشعر.

تقلب في وظائف الكتابة بدار المخزن، فكان مرة كاتبا بالعدلية، وتارة بوزارة الأحباس، وأخرى مفتشا للنظار. أمضى شبابه عزبا. بل كانت له فكرة خاصة عن الزواج بسطها لصديقه عبد الله الجراري الذي ترجم له ضمن *أعلام الفكر بالعدوتين*، وظل عزبا إلى أن وافاه الأجل إثر داء عضال. كان قبل موته يود لو أطال الله عمره ورزق ولداً إذن لعمل جهد المستطاع لتعليمه الطب. وقد أوصى بذلك بعض أبناء إخوته مدفوعا بالآلام التي كان يقاسي منها في مرضه الذي توفي منه يوم الجمعة 9 رجب 1353 موافق 1934.

ع. الجراري، من *أعلام الفكر بالعدوتين*، ط. الرباط، 1971.

الأوراوي، المعطي بن إبراهيم العزوزي. كان موصوفا بالعلم والسياسة والرزانة، معدوداً من العدول المبرزين.. تولى خطة الإفتاء بالرباط ثم أصبح كاتبا بدار المخزن على عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان الذي كانت له معه مُصَاهرة، وكثيراً ما كان يكلفه بأمور سياسية ومهمات مخزنية. ولما اعتلى السلطان المولى الحسن العرش أقره على خطته وبقي فيها إلى أن توفي بمراكش في بعض حركاته معه (في تاريخ غير معروف) فأقام المخزن جنازته وأمر بدفنه في ضريح أبي العباس السبتي.

م. دينية، *مجالس الانبساط* ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*.

الأوراوي، المعطي بن محمد بن قاسم الشريف العزوزي. ذكره الشريف العربي التهامي في فهرسته : *بلوغ المنى والآمال فيمن لقيه مؤلفه من المشايخ وأهل الفضل والكمال*. وعدّه من جملة مشايخه الذين درس عليهم بالرباط. وقد عينه السلطان المولى عبد الرحمان مفتيا للعدوتين، ووصفه تلميذه المذكور بالشرف والكرم وحسن السيرة والمشاركة في العلوم والمهارة في التدريس، وامتلاء مجلسه بالتلامذة. ويذكر بوجندار أن صديقه محمد الأوراوي صاحب المقالات في جريدة *السعاد* أورد أن المعطي الأوراوي بعدما أسند له المخزن خطة الإفتاء المذكورة استدعاه للخدمة معه، وعينه قائداً على عدد من قبائل الشاوية سنة 1838/1254، ثم عينه قاضياً على تارودانت وأحوازها سنة 1260. وكانت له مصاهرة مع السلطان مولاي سليمان والسلطان مولاي عبد الرحمان، وتوفي بالطاعون في حدود 1858/1274.

عبد الإله الفاسي

أوربا والمغرب، من الصعب اليوم أن نرسم حصيلة كاملة لكل العلاقات المغربية ـ الأوروبية، نظرا لاتساع المجالات التي تغطيها هذه العلاقات. واختلاف الأهداف من حالة إلى حالة، وتنوع الأطراف التي تعنيها في كل علاقة، وتمايز أوضاعها القانونية. كل هذه المعطيات لا تسمح بإعطاء صورة مفصلة ومدققة عن ارتباطات المغرب بأوروبا. فاذا أخذت هذه العلاقات في شموليتها، سواء تلك التي تندرج في القنوات التقليدية للعلاقات الدولية (الدبلوماسية، الحرب، التجارة) أو تلك التي ترتبط بمحددات جغرافية واجتماعية ذات طبيعة أعمق (الهجرة، الرحلات، التفاعلات الثقافية...) فقليلا ما نجدها قد وقفت عند مستوى التبادل الرمزي فقط. قد تتغير كثافتها من مرحلة تاريخية إلى مرحلة أخرى، لكن من الواضح أنها عرفت عدة ملابسات وعدة منعرجات، إلى حدود إدماج المغرب إدماجا بطيئا حقا، لكن بصلابة، في الاقتصاد الرأسمالي والأوروبي، وإلى أن انتهى هذا الإدماج بإقامة نظام الحماية في المغرب. فرغم علاقات اقتصادية وتبادلات تجارية موجهة أساسا نحو فرنسا وبدرجة أقل نحو إسبانيا، وذلك منذ مرحلة الاستعمار، دخل المغرب بعد ذلك في علاقات حاسمة مع أوربا بع إبرام معاهدة روما.

فعلاقات المغرب بأوربا اليوم يمكن أن تقاس أولا من زاوية علاقات المغرب بمختلف الدول الأوروبية، كل دولة على حدة أولا قبل أن تدرس من زاوية العلاقات في إطار السوق الأوربية المشتركة ككل ثانيا.

ا ـ نمو العلاقات الثنائية بين المغرب المستقل والدول الأوروبية : من الواضح أن العلاقات الأكثر ثباتا مع أوروبا هي التي تربط المغرب بفرنسا ثم بإسبانيا. ويظهر أن مرحلة الحماية قد عملت على تركيز أهم العلاقات المغربية الأوروبية مع هذه الدول بالضبط. من الطبيعي إذن أن تظهر أكثر متانة وإصرارية، رغم تغيير الأطراف، بل رغم القطيعات، أو ما سمي أحيانا بالانطلاقات الجديدة.

فهكذا بالنسبة لفرنسا، تظهر المرحلة الممتدة من الاستقلال إلى 1962 كمرحلة توتر محكوم نسبيا : فزيادة على أن اتفاقيات مارس 1956 كانت لا تعطي حلولا لكل النزاعات الموروثة عن الفترة الاستعمارية، ظهرت اختلافات وتناقضات جديدة، مرتبطة بالسياسة العالمية (الحرب الباردة) والوضع الخاص في منطقة شمال إفريقيا (قطع العلاقات مع فرنسا بعد اختطاف بعض قادة الثورة الجزائرية من طرف سلطات الجزائر، أزمة السويس، التدخل المشترك الفرنسي ـ الإسباني ضد جيش التحرير المغربي في الصحراء (عملية إكوفيون Ecouvillon) مبادرات فرنسا في موريطانيا، تفجير من قبل فرنسا لقنبلة نووية في منطقة رگان التي يطالب بها المغرب، مساندة المغرب لجبهة التحرير الوطني الخ...)

تبعت مرحلة التوتر هذه، مرحلة شوهد فيها تعزيز العلاقات الثنائية ابتداء من 1962، وذلك بإخلاء القواعد العسكرية الفرنسية بالمغرب، وإيجاد حل لمشكل الأراضي المستعمرة رسميا، بالقرار بزيادة المساعدة الفرنسية لفائدة المغرب الخ... وبقيت العلاقات المغربية ـ الفرنسية على هذا المد إلى بروز قضية اختفاء المهدي بن بركة.

أعيد ربط الحوار من جديد في فبراير 1969. وإذا كانت العلاقات المغربية الفرنسية ستتأثر بالعمل في المغرب بقانون المغربة واسترجاع الأراضي المستعمرة، فسيمكن وصول ڤيري جيسكار ديستان إلى الرئاسة بفرنسا من فتح

عهد تسوية للمشاكل المعلقة بين البلدين. وستتعزز هذه العلاقات تحت الرآسة الأولى لفرنسوا ميتران، حيث ستتكثف علاقات التعاون الاقتصادي والثقافي والتقني، والاجتماعي والأمني الخ...) وكأن الدولتين أصبحتا أكثر من ذي قبل واعيتين بثبات وبعمق المصالح التي تربط بينهما.

في العلاقات المغربية ـ الأوروبية تحتل إسبانيا المكانة الثانية بعد فرنسا من زاوية أهميتها الشمولية. فعند الاستقلال، أكدت إسبانيافي معاهدة 7 أبريل 1956 عن إرادتها في احترام الوحدة الترابية للأمبراطورية التي تضمنها المعاهدات الدولية، والتزمت باتخاذ كل التدابير الضرورية لتطبيقها. وبالفعل تأثرت دائما العلاقات المغربية ـ الإسبانية، ومازالت، بثقل النزاعات الترابية : إرجاع إفني في يناير 1969، اخلاء الصحراء. اضطرابات سياسية في سبتة ومليلة.

إن العلاقات المغربية الإسبانية إن كانت تبدو في ظاهرها تتخللها فترات قصيرة من الحدة، فإن السمة العامة لهذه العلاقات تكمن في بقائها جيدة نسبيا رغم ان التمييز الإسباني منذ بدء قضية الصحراء بين مفهوم «إدارة» ومفهوم «سيادة» قد أضر كثيرا ببراهين الدبلوماسية المغربية، ورغم أن إسبانيا قبل أن تصحح موقفها كثيرا ما خضعت للضغوط الجزائرية إلى حد أنها اعترفت بجبهة البوليساريو.

أما التبادل التجاري فإنه يضل ضعيفا رغم إمكانيات كبيرة للتعاون. فإسبانيا وهي الدولة الصناعية بقيت مدة طويلة تتصرف كدولة متخلفة عاجزة عن اقتراح مشروع تعاون مشترك له مصداقية. وهي تحاول أن تصحح هذا المسار حاليا.

ومنذ منتصف الستينات اتسعت العلاقات المغربية الأوروبية إلى دول أخرى غير فرنسا وإسبانيا. فتكثفت العلاقات المغربية الألمانية ابتداء من سنة 1966. وزادت ألمانيا مساهمتها في مختلف برنامج التنمية الاقتصادية كما تطرحها التصاميم الاقتصادية المغربية.

كما نشأت علاقات تعاون مبكرة بين المغرب وإيطاليا خصوصا بعد سنة 1970 كما يشهد على هذا حجج تبادل الزيارات وجهاز المعاهدات الذي يربط البلدين، وتقدم المبادلات التجارية.

وتحتل بريطانيا العظمى مكانا مشابها لهاتين الدولتين ولكن الاتجاه الحالي هو تطوير العلاقات مع السوق الإوربية المشتركة ككل وليس مع كل بلد على حدة. لقد أدت المفاوضات المطولة التي ابتدأت سنة 1964 إلى اتفاق أول وقع سنة 1969، وهذه الاتفاقية المسماة اتفاقية الإشراك كانت تنظم المسائل التجارية بين الطرفين وخاصة المسائل المتعلقة بدخول المنتجات الزراعية المغربية إلى السوق الأوروبية بأسعار تفضيلية. وقعت المعاهدة لخمس سنوات وتم تمديدها مرتين وتبدو اليوم كأول مرحلة للعلاقات المغربية الأوربية.

وبعد سبع سنوات أبرم المغرب مع السوق الأوربية المشتركة اتفاقية للتعاون في سنة 1976 كان هدفها في الجو الدولي آنذاك حيث كانت تسود الرغبة في إنشاء علاقات جديدة بين الشمال والجنوب ـ إرساء تعاون بين الطرفين يسهل النماء الاقتصادي والاجتماعي للمغرب، وكانت الاتفاقية تغطي مجالات عديدة من مجالات التعاون : التبادل التجاري والتعاون المالي والاقتصادي واليد العاملة. ففيما يخص التبادل التجاري فإن صادرات المغرب إلى السوق الأوربية المشتركة باستثناء المواد التي تشملها السياسة الزراعية تتم باعفاء جمركي كامل.

وسرعان ما عرف الاتفاق الثاني صعوبات في التطبيق عندما شرعت دول المجموعة الأوروبية تتخذ إجراءات للحماية إزاء بعض الصادرات المغربية نذكر منها بالخصوص منتجات النسيج.

وقد تعقدت علاقات المغرب بالسوق الأوروبية المشتركة بالخصوص بعد دخول اسبانيا والبرتغال للمجموعة في يناير 1986، فهذا التوسيع للسوق يجعل الصادرات المغربية في موقع منافسة مباشرة وتهدد التسهيلات الجمركية التي تتمتع بها لحد الآن. وبدخول مدريد ولشبونة للسوق انقلبت عدة معطيات لدرجة أن المجموعة رغم كل شيء اتخذت عدة إجراءات وقائية قبل إعطاء صفة العضوية الكاملة لإسبانيا والبرتغال، وهكذا فقد حددت فترة تجريبية من مرحلتين : الأولى تنتهي في 1991 والثانية في 1996. ويعد تاريخ 1991 الشاغل الأكبر بالنسبة للمغرب إذ يكون المغرب وإسبانيا فيه على قدم المساواة فيما يخص التعريفات الجمركية.

اقترحت أوروبا على المغرب تعويضا شاملا وذلك بتحديد قسم من الواردات ولكن هذا القسم كان محدودا وانتقائيا. ابتداء من 1991 يبدأ بالنسبة لإسبانيا انخفاض التعريفات بينما تتعرض الصادرات المغربية لنظام الحماية.

ويجدر هنا إبداء بعض الملاحظات بالنظر إلى حجم المبادلات المغربية الأوروبية حيث يبدو المغرب مرتبطا جدا بالسوق الأوروبية المشتركة التي يتجر معها بحوالي الثلثين من مبادلاته) ولو أن إسبانيا وفرنسا هما الطرف المفضل، وتؤكد هذه الأهمية نزوعات المبادلات التجارية خاصة عندما نقارنها بالعلاقات التجارية مع باقي العالم.

وعلى هامش الخلافات الموجودة بين المغرب والسوق الأوربية المشتركة فقد تقدم ملك المغرب بطلب رسمي لانخراط المغرب في السوق معتمدا على ثلاثة اعتبارات.

قبل كل شيء يؤكد المغرب بطلبه للانخراط كعضو كامل العضوية رغبته في تجاوز مستوى الاتفاقيات التجارية والاقتصادية. ثانيا إن اقتراب موعد الربط المباشر بين طنجة والجزيرة الخضراء من شأنه أن يدمج المغرب في أوروبا دمجا عضويا. وبالنهاية فقد ركز رئيس الدولة المغربية في الرسالة الموجهة للرئيس فرانسوا ميتران على أن المغرب قد اختار على المستوى السياسي «نظاما يقربه إن لم نقل يدمجه في المجموعة الأوروبية الحرة وذلك باختياره نظاما ديمقراطيا برلمانيا تعدديا وليبراليا».

ولا يهم هنا الامتناع الذي قُوبل به الطلب المغربي والصعوبات التي يلاقيها والرفض البات الذي سيقابلها كل مرة في المستقبل، فالمهم هو أن طلب الانخراط هذا يعبر عن الرغبة في نوعية جديدة من العلاقات مع أوربا.

فما هو مغزى هذه المبادرة ؟ القراءات متعددة، فالبنسبة للبعض يتعلق الأمر بإجراء تكتيكي هدفه الأول هو عزل الحالة المغربية في مجال التعاون الاقتصادي والمالي والتجاري عن حالات الأطراف الباقية غير الأوربية في السوق المشتركة. وقد تم تأويل هذا الطلب كذلك على أنه دعوة للتحالف السياسي والاستراتيجي. أما بالنسبة لآخرين فهو يتعدى مستوى المناورة التكتيكية، وطلب الحلف السياسي الاستراتيجي بل يدخل في اطار الإشكالية الحضارية التي يعيشها المغرب بالنظر إلى امكانيات العصرنة التي يتوفر عليها في عالم يعرف تحولات دائمة في الميادين الاقتصادية والتكنولوجية والعلمية الخ...

والاختيار الأوروبي ليس اختيارا للسلطة وحدها بل هو اختيار النخبة المغربية كذلك بكل تياراتها، هذه النخبة التي تشكل أوروبا عنصراً جوهرياً في التناقض الثقافي الرئيسي لعصرنتها. فمن السهولة بمكان أن نقف على مدى سيطرة ردود الفعل والانطباعات ذات النموذج الأوربي على الإنتاج الفكري المغربي وعلى أسبقية التقنية، والعقلانية والدولة والدمقراطية والدين والفن... حيث يبقى المرجع الأوربي ضمنيا أو علنيا، متبنى عن قصد أو مقبولا عن كره، حتى عند رفضه يبقى هو الحاسم.

Associatioon des Economistes marocains : *Actes du colloque, Le Maroc et le monde arabe face à la C.E.E*, Casablanca,1982 ; Belal, A, *Les perspectives de l'Association Maghreb C.E.E, B. E. S. M* ; Berramdane, A, *Le Maroc et l'Occident*, Paris, Kharthala, 1987 ; L. Cerych, *Europeens et marocains, 1930-1956 : sociologie d'une décolonisation*, Bruge, De Tempel, 1964 ; AR. Guedira., *Hassan II et la C.E.E. Géopolitique*, R.I.I.G, 1985, N°10 ; A. Laroui, *Islam et modernite*, Paris, La Decouverte, 1987 ; A. Leblanc, *La politique européenne au Maroc à l'epoque contemporaine*, thèse, Paris, 1906 ; Mas Latrie (Capitaine de), *Relations et commerce de l'Afrique Septentrionale avec les nations chretiennes du Moyen Age*, Paris, 1886 ; A.G.P. Martin., *Le Maroc et l'Europe*, Paris, 1928 ; J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1830-1894, Paris, 1961, 1964 ; G. Nesterenko, *Maghreb : Le grand tournant Géopolitique*, N° 10, 1985.

عبد الله ساعف

أَوْرِبَة، (إوَارِبِنْ أو إوَارِيبِلْنْ) وتسهّل فيقال (وَرْبَة) قبيلة زناتية كبرى يعدها النسابون إلى صنهاجة وكتامة ومصمودة وعجيسة واوريغة وأزداجة، ولمطة وهسكورة وجزولة.

كانت أَوْرِبَة ذات شوكة عظيمة عند الفتح الإسلامي، يمتد نفوذها ومساكنها من طرابلس إلى طنجة، وإليها ينسب الثائر كسيلة بن إغْز أولزم قاتل عقبة بن نافع. وقد حسن إسلام قبيلة أوربة فدامت لها الوجاهة والإمارة في عهد ولاة بني أمية وبني العباس، إلى أن آوت إدريس بن عبدالله الكامل أواخر القرن الثاني الهجري. وهي يومئذ صاحبة الجاه والنفوذ بمنطقة زرهون، كانت السباقة، بإشارة رئيسها إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي، إلى مبايعة إدريس بمدينة وليلي في 4 رمضان 5/172 فبراير 789 وتبعتها شعوب قبائل زناتة وبطونها من مغيلة وصدينة وزواغة وزواوة وسدراتة وغياثة ومكناسة وغيرها. وقد استوطن بعض أوربة مدينة فاس في جملة من سكنها من العرب والبربر، فكان بيتهم فيها من البيوتات الكبرى، كما استقرت بطون منهم بضواحي فاس عرفت باسم سطّة ونيجَة وكان منهم جميعا علماء أجلة.

تقطن فرقة تدعى أَوْرِبَة اليوم بناحية تازا وتدعى وَرْبَة. وربما انتسب إليها أيضا أيْت أُوربِيلْ من العمائر الكبرى لقبيلة زمور بضاحية الخميسات.

وكانت هناك مدينتان بهذا الاسم في المغرب والأندلس اندثرتا :

أَوْرِبَة المغرب قرب زرهون حيث مواطن القبيلة كما تقدم، ورد ذكرها في أخبار الفتح الإسلامي، وأن موسى بن نصير افتتحها عام 703/84.

أَوْرِبَة الأندلس، هي قصبة كورة جيان «ذكر صاحب *فرحة الأنفس في أخبار الأندلس* أنها تسمى اليوم الحاضرة، وذكر أبو طاهر الأصبهاني أنها من قرى دانية» (*الموسوعة* 4 : 156) ولعل لقبيلة أوربة الزناتية يداً في إنشاء هذه المدينة أو حكمها في عهد ملوك الطوائف.

مجهول من القرن 6 هـ، *الاستبصار*، 194 ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، الهامش 339 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج : 6 و7 ؛ أ. ابن العماد، *شذرات الذهب*، ج : 1 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج : 1 ؛ ع. بن منصور، *قبائل المغرب* ؛ ع. بنعبدالله، *الموسوعة المغربية*، ج : 4.

الأَوْرِبي، إسحاق بن محمد بن عبد الحميد. وسماه بعضهم عبد المجيد ـ بالجيم ـ وأسقط بعضهم اسم محمد من نسبه. كان رئيس قبيلة أَوْرِبَة وحاكم (أو سلطان) وليلي لما نزل بها إدريس بن عبدالله الكامل (الأول) في غرة ربيع الأول عام 172/ غشت 788 على ما عند جمهرة المؤرخين، ويذكر بعضهم تواريخ أخرى متقاربة.

ينعت إسحاق الأوربي ـ مثل إدريس الأول ـ بالمعتزلي. ولا شك أنهم لا ينسبونه إلى المذهب الكلامي المعروف القائل بنفي الصفات عن الله تعالى وبخلق القرآن، لأنه مذهب عقلي كان ما يزال حديث عهد بالعراق والشام وفي طور المناقشة والتبلور، يبعد أن يكون رئيس أَوْرِبَة بأقصى المغرب عالماً بجدليات الاعتزال المعقدة مقتنعا بها حتى يدعى معتزلياً. ولعلهم يقاربون بالاعتزال التشيع لآل البيت، وهو ما يؤكده تصرف إسحاق الأوربي تجاه إدريس الأول المعتنق لمذهب الشيعة الزيدية القريبة من السنة.

كان إسحاق ـ على ما يبدو ـ من أول المستجيبين للرسالة التي وجهها إدريس الأول من طنجة إلى رؤساء قبائل المغرب يدعوهم إلى مناصرته ومقاومة بغي العباسيين وبطشهم وجورهم، والتي يقول في آخرها «واعلموا معاشر البربر أني آتيتكم وأنا المظلوم الملهوف، الطريد الشريد

الخائف الموتور الذي كثر واتره وقل ناصره، وقُتل إخوته وأبوه وجده وأهلوه، فأجيبوا داعي الله...» تُجمع مختلف الروايات على أن إسحاق أعز إدريس غاية الإعزاز حين نزل عنده بوليلي «وأنزله معه في داره فتولى خدمته والقيام بشؤونه بنفسه، فأقام عنده ستة أشهر» (جذوة، 8) ولم تمض ستة شهور حتى بايعت قبائل أَوَرْبَة - بطلب من إسحاق - الإمام إدريس بن عبد الله بوليلي يوم الجمعة رابع رمضان عام 5/172 فبراير 789 ثم تلاحقت القبائل تبايع إدريس، وانفرد صاحب *الدر النفيس*، 12 بخبر إصهار إدريس إلى إسحاق بابنته كنزة، بينما يذكر سائر المؤرخين الجارية كنزة ولا ينسبونها إلى إسحاق.

ظل إسحاق يتمتع بالحظوة الكبرى طوال عهد إدريس الأول وأوائل عهد إدريس الثاني إلى أن حامت حوله شبهاتُ ممالأة الأغالبة أصحاب إفريقية بعد أن تمكن أميرهم إبراهيم بن الأغلب من إفساد نية بهلول بن عبد الواحد المضغري أحد خاصة إدريس وأركان دولته فانحرف عنه واعتزله في قومه إلى أن صالحه إدريس بعد استعطاف وإلحاح. فاتصل إبراهيم بن الأغلب حينئذ بإسحاق الأوربي، واستشعر إدريس الانحراف من إسحاق فقتله عام 7/192. 808.

مجهول من القرن 6 هـ، *الاستبصار*، 195.194 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 4 : 26.24 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. الجزنائي، *زهرة الآس*، 9 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 8 ؛ مجهول من القرن 18/12، *الدر النفيس في ذرية مولانا إدريس* (مخطوط) ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 1 : 140 و149 ؛ ع. الفاسي، *المولى إدريس الأكبر، وثيقة تاريخية* ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، 1 : 97.99 ؛ إ. العربي، *دولة الأدارسة*، 64.69.

الأَوْرَبي، عبد الله بن محمد بن عبد الله الفاسي، فقيه متمكن صالح ناسك «عارف بأحوال زمانه خاصة وعامة وتواريخهم وأنسابهم» (*نيل*، 149). أخذ عن الأستاذ أبي الحسن بن سليمان، وعن الخطيبين أبي جعفر بن الزيات وأبي عبد الله الطنجالي. ومن أشهر الآخذين عنه يحيى السراج وإسماعيل ابن الأحمر اللذان ترجما له في فهرسهما.

ولد عبدالله الأوربي بفاس عام 1302/701 واشتغل مدة بالفتوى كان فيها قرين الشيخ محمد بن أحمد بن عبدالمالك الفشتالي، أيام تولى هذا الأخير قضاء الجماعة بفاس، وفي *المعيار* عدد من فتاويهما المشتركة.

ولما توفي الفشتالي عام 1376.75/777 ولي عبد الله الأوربي قضاء الجماعة بفاس، وكانت أحكامه في غاية التحرير، ولم يكن يتردد في نقض بعض أحكام من سبقه من القضاة متى تبين له وجه النقض. ومنها بعض أحكم سلفه الفشتالي على جلالة قدره. وطال خوض فقهاء فاس في أحكام الأوربي حتى بعد موته لأنها تتعلق بأحباس مهمة لأسر فاسية ثرية، فكان المفتون يؤيدون أحكام الأوربي، مما يدل على نزاهته ومتانة دينه.

توفي في سادس عشر ذي القعدة عام 11/782 فبراير 1318.

أ. الونشريسي وأ. ابن القاضي، *ألف سنة من الوفيات*، 130 و220 ؛ *المعيار*، ج : 3 و7 ؛ *جذوة*، 103 ؛ أ. باب السوداني، *نيل*، 149 ؛ م. الكتاني، *سلوة* 3 : 301 ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، 4 : 77.

الأَوْرَبي، محمد بن عبد الله (الجد) وقعت تحليته بصفات سامية في رسم منتسخ *بالمعيار*، مؤرخ في منتصف ذي حجة متم عام تسعة وستين وسبعمائة، وهو المصدر الوحيد الذي ذكره فيما وقفنا عليه، جاء فيه : «الشيخ الفقيه الأجل، الأسنى الأعدل الأكمل، المرحوم... تدل هذه التحلية على أنه كان من عدول فاس المبرزين، كما يدل تاريخ الرسم على أنه توفي قبل 1368/762.

أ. الونشريسي، *المعيار*، 3 : 341.

الأَوْرَبي، محمد بن محمد بن عبد الله، أخو المفتي والقاضي عبد الله الأوربي المتقدم. فقيه موثق انتصب لتلقي الشهادة بفاس مع قاضي الجماعة إبراهيم بن محمد اليزناسني. ونجد في *المعيار*، (7: 488) إحدى شهاداته معه مؤرخة في العشر الوسط لذي حجة عام تسعين وسبعمائة.

وبعد وفاة اليزناسني في 18 رجب عام 10/794 يونيه 1392 تولى محمد بن محمد الأوربي قضاء الجماعة بفاس. وفي *المعيار* (8 : 81.20) وثيقتان متعلقتان بالنزاع على الغروس الواقعة على حافتي وادي فاس بين أهل أزگان وأهل مزدغة السفلى. الأولى : شهادة بثبوت فتويين للشيخ أبي الضياء مصباح والشيخ عبد الله العبدوسي مؤرخة في رابع وعشري شهر ربيع الأول عام أربعة وعشرين وثمانمائة. والثانية : شهادة ثبوت فتوى للشيخ محمد بن عبد العزيز التازغدري مؤرخة في تاسع وعشري جمادى الأولى عام أربعة وعشرين وثمانمائة.

فتكون وفاته بعد 1412/824.

أ. الونشريسي، *المعيار*، ج : 7 و8.

الأَوْرَبي، النَّيجي محمد بن الحسين، الشهير بالصغير. أستاذ كبير مشارك في التفسير والحديث والفقه وعلوم اللسان. ولد ببلاد نيجة من ضواحي فاس عام 1400/803، ثم دخل الحاضرة الإدريسية واستوطنها متعلما ثم مدرسا وخطيبا بجامع الأندلس. أفرد له تلميذه الإمام محمد بن غازي ترجمة حافلة، وهي أول ترجمة في فهرسه *التعلل برسوم الإسناد* وأطولها، قال فيها :«ما رأت عيناي قط مثله خَلقا وخُلقا وإنصافا وحرصا على العلم ورغبة في نشره واجتهادا في طلبه وإدمانا لتلاوة التنزيل العزيز وحسن نغمة بقراءته وتواضعا وخشية ومروءة وصبرا واحتمالا وحياء وصدق لهجة وسخاء وإيثارا ومواظبة على قيام الليل وتبحرا في القراءات وأحكامها، مع المشاركة في سائر العلوم الشرعية وحسن الإدراك وقوة الفهم وحب الخير لجميع المسلمين».

أخذ محمد الأوربي النيجي عن أكابر شيوخ فاس كعبدالله العبدوسي، وعيسى المصمودي، وأبي القاسم التازغدري، ومحمد بن آملال، وأحمد الفيلالي، وعلي الوهري وعلي الأنفاسي. كما أخذ عن محمد بن أبي سعيد السلوي وإليه يُسند معظم مروياته.

كان درسه درس تحقيق واستيعاب، ومن عادته - كمايقول ابن غازي - إطالة البحث عما أشكل عليه حتى تتجلى الحقيقة ثم لا يكتفي بذلك فيأمر الطلبة بالبحث والتقصي، وكثيرا ما يقول : لا أدري، في المجلس، وربما قالها حتي فيما يدري. ويحض الطلبة كثيراً على الدرس والمثابرة. مات بفاس وهو يطلب العلم ويعلّم وقد ناف على ثمانين سنة، ليلة الجمعة سادس شعبان عام 20/887 شتنبر 1482 ودفن بقرب مسجد الصابرين بجوار قبر الولي الصالح أبي زيد الهزميري داخل باب الفتوح.

م. ابن غازي، *التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد*، ت : محمد الزاهي، الرباط 1979، 36. 69 ؛ أ. الونشريسي، أ. ابن القاضي، *ألف سنة من الوفيات*، 151 و268، جذوة، 150. 151 ؛ أ. باب السوداني، *نيل*، 321. 322.

الأوَرْبي، يَخْلَف بن خزر، ويكنى أبا خزر، وإليه تنسب عينَ أبي خزر بفاس، يذكرون أنه جلس بموضع هذه العين قبل أن يجري به الماء، فاستقى ماء لوضوئه فلم يجده، فركز عكازه بالأرض وجذبه فانبجس الماء. وينتسب إلى قبيلة أوَرْبة البربرية التي ناصرت إدريس الأول، ثم أصبحت من بيوتات فاس الكبرى.

فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي وأصوله، ورع صالح مجاب الدعوة، قضى عمره في عدوة الأندلس بفاس مشتغلا بالتدريس والفتوى. جاء رجل إلى الشيخ الشهير علي بن حرزهم وكان معاصرا لأبي خزر، فأخبره أنه رأى في المنام شمعتين إحداهما بعدوة الأندلس والأخرى بعدوة القرويين فقال له الشيخ : كانت التي بعدوة الأندلس أكثر ضوءاً، قال: نعم. قال ابن حرزهم: ذلك أبو خزر شمعة عدوة الأندلس، وأنا الذي رأيت بعدوة القرويين.

توفي بفاس يوم الخميس الثامن أو السادس عشر من جمادى الآخرة عام 20.12/572 دجنبر 1176. ودفن داخل باب الفتوح قريبا من قبور الشيوخ الصالحين أبي عبد الله الروسي، وأبي زيد الهزميري، وصالح الهسكوري، وأبي محمد الفشتالي بإزاء أبي قطوط.

ي. ابن الزيات، *التشوف* ؛ أ. ابن القاضي، جذوة، 352. 353 ؛ أ.باب السوداني، *نيل*، 360 ؛ م.ابن عيشون، *الروض العطر* (مخطوط) د. د. ع. كلية الآداب الرباط ؛ م. الكتاني، *سلوة*.

محمد حجي

أوَرحُو، أحمد أعقَّى، ولد سنة 1920 بأيت مخلوف، أيت مساعد، إيوزار مرموشة، إقليم بولمان.

انخرط في جيش التحرير فحمل السلاح مع الفرقة التي كان يقودها إلياس ميمون أُوعقى منذ 20 غشت 1955، حيث خاض عدة معارك بطولية إلى غاية 2 أكتوبر 1955، ذلك أنه في هذا اليوم وقع اشتباك مسلح على إثر الهجوم المنسق الذي خطط له جيش التحرير ضد الكومندار «بو» وخلال هذا الهجوم لفظ أورحو أنفاسه الأخيرة على إثر إصابته برصاص العدو.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين.

عزالدين العلام

أُورديگة لاديسلاس Ordega Ladislas، وزير مفوض لفرنسا بطنجة من سنة 1881 إلى أواخر سنة 1884. اشتهر بسلوك سياسة القوة إزاء المخزن. له مقالات وتقارير قنصلية نشرت بمختلف المجلات الفرنسية سنة 1883 و1894.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 2 : 608.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1: 150 et 4M 36 ; H. de Lamartinière, *Notes*, 32.

مصطفى بوشعراء

أُورگاث جُولدي لويس Orgaz Yoldi Luis ولد سنة 1881، وبعد تخرجه من الأكاديمية العسكرية العامة برتبة ملازم التحق بصفوف الجيش، وكان من بين الفوج الأول من الضباط الذين قادوا الجيش الإسباني الغازي لشمال المغرب سنة 1911، وبالمغرب حصل على جميع ترقياته حيث أصبح كولونيلا بتطوان سنة 1925. وفي السنة التالية عين ضمن الوفد العسكري الإسباني الذي تفاوض مع الوفد الفرنسي بباريس بخصوص كيفية التعامل مع القواد المغاربة الذين كانوا على رأس المجاهدين وبدأوا يستسلمون بعد استسلام الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، وانتهت المفاوضات بإبرام اتفاقية 10 يوليوز 1926.

وفي شهر غشت 1932 شارك في محاولة الانقلاب التي تزعمها الجنرال سانخورخو Sanjurjo فألقي عليه القبض

ونفي إلى الجزر الخالدات، وكان لا زال هناك عندما ثار الجنرال فرانكو على الجمهورية الإسبانية في 18 يوليوز 1936 فانضم إليه. وفي الشهر التالي التحق به بتطوان حيث عينه الجنرال فرانكو مقيما عاما بشمال المغرب يوم 6 غشت 1936 وزاول هذا المنصب إلى غاية يوم 18 يناير 1937 حيث كلفه فرانكو بإحدى جبهات القتال في إسبانيا.

وفي يوم 15 ماي 1941 عينه الجنرال فرانكو مرة ثانية مقيما عاما بالمغرب، وذلك من أجل أن يجعل حداً لنشاط الحركة الوطنية التي أصبحت تكوّن خطراً على الوجود الإسباني بالمغرب. وتشهد الوثائق التي نتوفر عليها بأن المقيم أورگاث تمكن من تحقيق المهمة المنوطة به حيث إن المنطقة أصبحت في عهده في حالة طوارئ غير معلن عنها رسمياً، فلم يعد حزب الإصلاح الوطني وحزب الوحدة المغربية يتمكنان من القيام بنشاطهما المعتاد خصوصا فيما يتعلق بوجودهما بالقبائل، كما أن الصحافة الوطنية الممثلة في جريدتي *الحرية* و *الوحدة المغربية* أصبحت هي الأخرى خاضعة للرقابة الشديدة والتوقيف المستمر.

وأعفي أورگاث من منصبه يوم 3 مارس 1945 حيث عين رئيساً لأركان الحرب العامة بمدريد، وتوفي بالعاصمة الإسبانية سنة 1946.

T. Garcia Figueras, *Marruecos*. Madrid 1944 ; Servicio Historico Militar, *Historia de las campañas de Marruecos*, Madrid 1947-1981; Manuel Rubio Cabeza, *Diccionario de la guerra civil española*., Barcelona, 1987.

محمد ابن عزوز حكيم

أوركهارت دڤيد Urquhart David، ديبلوماسي وعضو بمجلس العموم البريطاني سنة 1847 ورحالة تجول بمدن شمال المغرب سنة 1884 ونشر رحلته بلندن سنة 1850 بعنوان : *أعمدة هرقل أو قصة سفريات إلى إسبانيا و المغرب سنة* The pillars of Hercules or a narrative of travels in Spain and Morocco in 1848.

م. بوشعراء، *الهجرة من المغرب وإليه* (مخطوط).

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, T.1, p. 172.

مصطفى بوشعراء

أُوريبْـل (أيَت ـ) من القبائل البربرية التي تشكل التجمع القبلي زمور. يحد موطنها من الجهة الشمالية قبيلتا قبلين وأيتْ عْـبُو، ومن الشرق قبيلة أيت جبل الدُّوم، ومن الغرب أيْت واحي، ومن الجنوب حُدَرَانْ. تنحدر هذه القبيلة حسب بعض الباحثين من قبيلة أوْرَبة التي احتضنت المولى إدريس الأول (Lesne, *histoire* , 28) وتتفرع إلى ثلاثة إغصان (عظام) وهي ادوان و أيت عامر أُعْلِي ونمودجة.

لم تستقر هذه القبيلة مع باقي القبائل المكونة لزمور في المنطقة الموجودة بين مدينتي مكناس وسلا إلا في نهاية القرن الثامن عشر على إثر زحف بعض قبائل الأطلس المتوسط نحو المناطق الساحلية (Colin, *Origine*, 267 و Lesne, *histoire*, 57).

ارتبط تاريخ أيت أوريبل بتاريخ زمور منذ صعود الدولة العلوية إلى الحكم، ولم يبرز اسمها بشكل مستقل في الوثائق التاريخية إلا في القرن التاسع عشر، بحث بقيت منضوية تحت القيادات المتتالية التي عرفتها زمور إلى حدود نهاية عهد السلطان مولاي عبد الرحمان حين انقسمت زمور إلى خمس قيادات أصبحت أيت أوُريبل على إثر ذلك خاضعة للقائد السي الغازي الذي كان على رأس خمس أيت زكري من زمور (Lesne, *histoire*, 128). وفي عهد السلطان الحسن الأول عرفت أيت أوريبل ظاهرة تعدد القيادات التي عرفتها باقي قبائل زمور وأصبح كل من

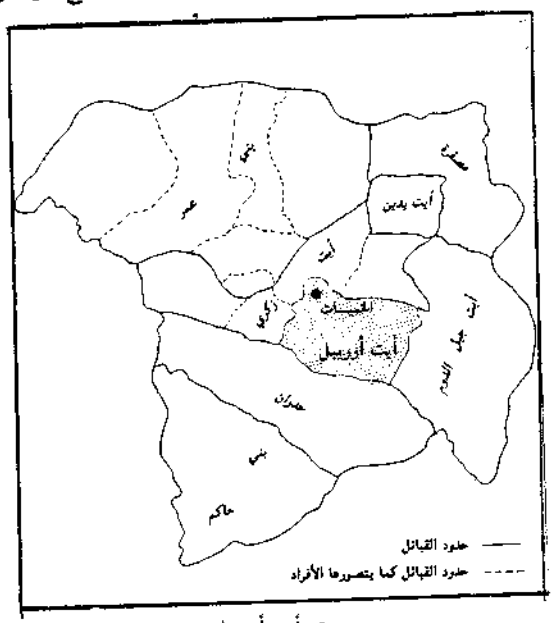

موقع أيت أوريبل

القواد حمادي الأوريبلي ومحمد أعْبو الأوريبلي و بوعزة أحمد الأوريبلي وعبدالله الأوريبلي يحكمون القبيلة بعد تعيينهم من طرف السلطان، ويعود تظافر سلط هؤلاء القواد في أيت أوريبل إلى الموقع الاستراتيجي الذي تحتله في زمور. فمن خلال المراسلات المخزنية تبدو المنطقة التي تحتلها هذه القبلية من المناطق الأكثر اضطرابا في عهد الحسن الأول نظراً لكونها ممراً أساسياً للقبائل الزمورية الفارة من الحركات المخزنية في اتجاه جبل تافديت. فبعد هذه المرحلة المضطربة، وفي حوالي 1890 تولى قيادتها القائد رحو الأوريبلي الذي عقبه ابنه إدريس أرحو الأوريبلي في عهد الاستعمار (Lesne, *histoire*; 138 ; *Villes et Tribus*. 3: 205).

تقدر الوثائق المخزنية عدد خيام هذه القبيلة في نهاية القرن التاسع عشر بألف خيمة، (*وثيقة، مراحل*) وبلغت في عهد الاستعمار: 1415 خيمة (*Villes et Tribus*, 3: 205) تنتمي أيت أوريبل منذ التقسيم الإداري للمغرب في عهد الاستقلال إلى الجماعة القروية لحد أيت أوريبل التي تجمع اثنين وستين دوارا، وتقدر الإحصائيات عدد سكانها في 1982 بـ 19.269 نسمة و 3.156 أسرة. كما يبعد مركز الجماعة عن مدينة الخميسات بثلاثة كلمترات.

يوجد فوق الرقعة التي تحتلها هذه القبيلة عدد من الصلحاء تقام للبعض منهم مواسيم سنوية وهم سيدي عبدالرحمان التاغي و سيدي علي الضاوي وسيدي بالقاسم وسيدي جعفر وسيدي إبراهيم. كما أن بعض الفرق المكونة لأيت أوريبل يعتبرون شرفاء كأيت مجذوب وأيت خالد وأيت حمادي.

وثيقة، مراحل رحلات السلطان مولاي الحسن، 1307 هـ، خ. ح. رقم 12059 : وزارة التخطيط، *السكان القرويون حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1982*، مديرية الإحصاء.

Legay (Capitaine), *Zemmour et Zair*, manuscrit, Archives de l'Armée de Guerre, Paris,Vincennes et Carton , N°3h5; Querleux (capitaine), *Les Zemmours, A. B*, 1917 p. 12-61; *Villes et Tribus du Maroc : Rabat et sa région*, T.III, Paris, Leroux, 1920 ; Colin, G.S, *Origine arabe des grands mouvements de population berbère dans le Moyen Atlas, Hesp*, 1938, 25, P. 265-268 ; M. Lesne, *Histoire d'un groupement berbère : Les Zemmours* Thèse complémentaire pour le doctorat ès-lettres présentée à la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Paris, 1959, *Evolution d'un groupement berbère : Les Zemmours*, Rabat, Ecole du Livre, 1959.

رحمة بورقية

الأُوريبْلي، إدريس أورحُّو بن قسُّو، من بيت رئاسة قديم في قبيلة أيت أوريبل من قبيل زمُّور الذين يقال عنهم إنهم من بقية أوربة التي استقبلت المولى إدريس الأكبر. وكان موطن أيت أوريبل قديما بين جبل زرهون وبين تيگْرِيگْرَا، هنالك زوجوا بنتهم كنزة للمولى إدريس.

كان جده قسُّو (قاسم) شيخا لأيت أوريبل في بداية القرن الثاني عشر الهجري. وقد كان يجمع بين العلم والفروسية. تلقى ظهيراً من السلطان مولاي عبدالرحمان، ومات حوالي 1270هـ. ونال ولده رحُّو ظهيراً من السلطان مولاي الحسن حيث كان أمينا في خمسي القبيلة، وهو مؤرخ بـ 29 رجب 1294، وقد قتله جماعة من إحُودْرَانْ، أما ولده قسُّو الأصغر فقد مات في عهد مولاي عبد العزيز. وكان قتل رحُّو على أيدي أهل تيفلت حوالي 1277 هـ وذلك لما ذهب يعزز القائد المعيَّن عليهم وهو شهبان، وكان أيت واحي وبني عمرو وأيت بلقاسم غير راضين بذلك التعيين.

وقد ترك رحو ولدا صغيراً هو إدريس، وأدار أهله شئون القبيلة إلى أن تمكن هو من الأخذ بزمام شئونها عام 1911.

وكان قد تلقى قبل ذلك من مولاي عبد العزيز ظهير تعيينه أمينا على أيت أُوريبل بتاريخ 8 رجب 1321 (*أمناء الترتيب العزيزي*)، وشارك في عمليات الغزو الفرنسي ولا سيما فيما بين سوق الأربعاء وكلتة الفيلة (زعير) وتيدرس،

وأعان على قهر ثورة زايان، إلى جانب الجنرال ديت Ditte ، وجرح مرات وقتل تحته أفراس.

J. et M. Gouvion, Ayan al-Maghrib al Aqsa.

أحمد الترفيق

أُوْرِيرْ (أيت .)، تقع عند قدم السفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي وعلى بُعد أربعة وثلاثين كيلومتراً من مدينة مراكش في اتجاه الجنوب الشرقي على الطريق الرئيسية رقم 31 الرابطة بين مراكش وورزازات. وتتموضع على الضفة اليمنى لوادي الزات عند خروجه من الجبل وعلى ارتفاع يبلغ 670م. وهو موضع كان ولا يزال يعرف باسم إيمي ن الزات أي فم الزات بمعنى منفذ وادي الزات إلى السهل.

وأيت أُورير التي تعني أهل الأكمة ـ إحدى المدن الصغرى لمنطقة دير الأطلس الكبير الغربي كسيدي رحال وتحناوت ومولاي إبراهيم وأمزميز وإيمي ن تانوت.

التطور التاريخي : أيت أُورير بالمقارنة مع أمزميز وإيمي ن تانوت مدينة حديثة لم تظهر بهذا الاسم إلا في بداية القرن العشرين. ذلك لأن الكتابات القديمة كانت تكتفي بذكر اسم إيمي ن الزات دون أي توضيح آخر. فقد ورد عند البيذق مثلا أن الخليفة عبد المؤمن بعد اندحار الموحدين عند وقعة البحيرة أصبح له الصباح «بموضع يقال له إيمي ن الزات». نفس الشيء ورد على لسان الإفراني من جهة في حديثه عن نفي سيدي رحال إلى موضع يقال له إيمي ن الزات وعلى لسان الناصري من جهة أخرى في موضع النزاع بين المولى عبد الله والمولى المستضيء حيث قال :«فتقدم السلطان المولى عبد الله حتى نزل بوادي الزات».

وإيمي ن الزات، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، هو مكان خروج وادي الزات من الجبل. ولكننا لا ندري أكان هذا الموضع مسكوناً أم لا، على كل حال ليس هناك أي آثار لمبان قديمة. غير أن معلوماتنا حول أيت أورير تزداد وضوحا مع بداية القرن العشرين. فقد أورد Aubin وصفا مفصلا عن سوق ثلاثاء إيمي ن الزات ولكنه لم يذكر هو الآخر اسم أيت أورير.

ويعتبر A. Brives في نظرنا أول من ذكر اسم أيت أورير عند حديثه عن قصبة مسفيوة التي قال عنها : شيدت قصبة القائد على الضفة اليمنى لإيمي ن الزات. وقد تكوّن حولها مدشر كبير يقوم التجار فيه ببيع الشاي والسكر اللازمين للجنود الذين تمّ حشدهم بهذا المكان بكثرة».

يتضح من كلام Brives أن أيت أورير لم تظهر إلا مع حُلول القرن العشرين. وبالضبط بعد أن تمكن القائد المدني الأگلاوي من بسط نفوذه غلى قبيلة مسفيوة. وعلى هذا الأساس تعتبر أيت أورير إحدى القصبات التي شيدها القائد المدني الأگلاوي على طول أودية السفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي جنوب شرق مراكش كأغبالو وأنزال وتزارت بهدف مراقبة الطرق التجارية التي تفضي إلى مراكش أولا وبهدف إخضاع قبائل تگانة ومسفيوة ثانيا.

التصميم الإجمالي لأيت أورير

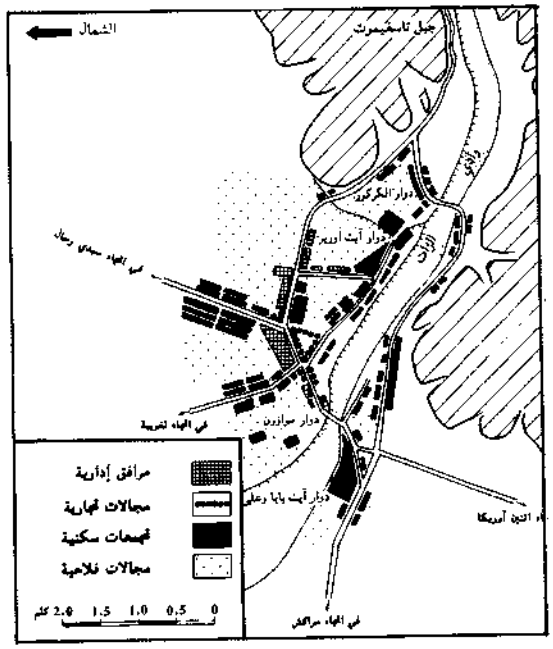

ومما تجدر الإشارة إليه من جهة أخرى أن أيت أُورير تم انتصابها، نزولا عند رغبة الأگلاوي، مركزا لدائرة عسكرية من لدن السلطات الفرنسية بعد 1912. فأصبحت أيت أُورير بفعل هذا القرار تتوفر على وظيفة إدارية على غرار المراكز القديمة التي كانت تتمتع بمثل هذه الوظيفة أيام المخزن المغربي القديم كأمزميز ودمنات مثلا.

ومما لا شك فيه أن هذه الوظيفة ساهمت في نمو هذه المدينة الصغيرة سواء من حيث عدد السكان أو من حيث المرافق الإدارية والاقتصادية والاجتماعية التي استقطبتها فيما بعد.

النمو السكاني : عرف سكان أيت أورير، بالفعل، نموا مطردا ما بين 1931 و1982 كما يظهر من خلال الجدول الآتي :

السنوات	عدد السكان	معدل النمو السنوي
1931	254	.
1936	1064	٪ 33.17
1952	2126	٪ 4.42
1960	3321	٪ 5.73
1971	4034	٪ 1.78
1982	6079	٪ 3.79

المصدر : أ. بلاوي، أيت أُورير، أمزميز ودمنات، وإيمي ن تانوت : دراسة لأربع مدن مغربية صغيرة ولعلاقاتها بمجالها الإقليمي، أطروحة السلك III، تور، 1982.

كتب الطبيب P. Chatinières سنة 1913 بأن قصبة القائد ثم هدمها ونهبها من لدن مسفيوة عند ثورتهم على الأگلاوي وأن «خليفة الأگلاوي بوخلودين (بوإيغوليدن) كان يقطن أنقاض القصبة». ونتيجة لهذا التزايد فقد تحولت أيت أورير من مدشر بسيط إلى مركز حضري صغير في أقل من خمسين سنة.

ولعل السبب في هذا التزايد السريع كونها استفادت :

1 ـ من التشجيعات التي كان يقدمها الأگلاوي لأنصاره من قبيلة أگلاوة، إذ ساهم في استقرار عدد لا يستهان به من الأگلاويين بالمنطقة عامة وبأيت أورير خاصة.

2 ـ من انزلاق سكان المناطق الجبلية ـ وخاصة الوسطى منها ـ نحو منطقة الدير حيث الظروف ملائمة للعيش.

3 ـ من مفعول الهجرة القروية وخاصة بعد الخمسينات.

ومن المعلوم أن تزايد عدد السكان يرافقه تزايد في حجم المرافق التي تتوفر عليها المدينة.

النمو الحضري والوظائف : هكذا استطاعت أيت أورير استقطاب جل المصالح الإدارية التقنية منها والاجتماعية الأساسية التي تخولها لها مكانتها من جهة والأدوار التي أصبحت تضطلع بها داخل المنطقة من جهة أخرى.

فهي إلى جانب وظيفتها كمركز لدائرة تضم أربع قيادات هي : مسفيوة وأيت أورير وأغمات وقيادة القبائل الثلاث، وتسع جماعات قروية هي :أيت أورير وأبادو وأربعاء تغدوين وعبد الله غيات وأغمات وتيديلي ومسفيوة والتواما وتزارت وزركطن. تتضمن أهم التجهيزات العمومية والمرافق التجارية بالدائرة.

تحتوي أيت أُورير على اثنتين وعشرين مصلحة عمومية تعتبر مصالح وزارتي الداخلية والتعليم أهمها سواء من حيث الخدمات التي تقدمها أو من حيث عدد

موظفيها. في حين بلغ عدد موظفي هاتين الوزارتين في نفس السنة : 73 بالنسبة للتعليم و93 بالنسبة للداخلية. أي ما يزيد بقليل على نصف العدد الإجمالي للموظفين بأيت أورير. فتكون بذلك أهم مركز إداري وتعليمي بالدائرة.

وهي في نفس الوقت تتوفر على أكبر تجمع تجاري بالدائرة. ذلك لأن سوق ثلاثاء إيمي ن الزات يحتل المرتبة الثالثة بين أسواق إقليم مراكش إذ يتجاوز مدخوله الأسبوعي المليون سنتيم من جهة ونفوذه مجال النفوذ الإداري لأيت أورير من جهة أخرى حيث يمتد إلى الشاوية ودكالة شمالا وعبدة والشياظمة غربا، وتادلا شرقا ووادي درعة جنوبا.

وإلى جانب سوق ثلاثاء إيمي ن الزات الأسبوعي تتوفر أيت أورير على أكبر «سويقة» أو مركز تجاري حضري بالدائرة. إلا أن جوار مدينة مراكش يجعل مجال نفوذ السويقة محدوداً بالمقارنة مع مجال السوق الأسبوعي، فهو لا يتعدى مجال الجماعة القروية لأيت أورير.

ومن البديهي أن تنعكس هاتان الوظيفتان على بنية الشغل بالمدينة كما يظهر من خلال الجدول الأتي :

الأنشطة	عدد أرباب الأسر	٪	الرتبة
الفلاحة	109	14.53	4
التجارة والخدمات	185	24.66	2
العمل الموقت	122	16.26	3
الوظيفة العمومية	321	42.80	1
الهجرة الخارجية	13	1.73	5
المجموع	750	100.00	.

إن غالبية سكان أيت أورير موظفون أو تجار أو أرباب خدمات، وليس هذا بغريب إذا علمنا أن جل الأراضي المحيطة بأيت أورير هي إما في ملكية الفرق الجبلية من قبيلة مسفيوة (أيت تغدوين وأيت واگستيت وأيت إنزال على الخصوص) وإما في ملكية الدولة (بعد انتزاعها من الأگلاوي) من جهة، وأن النشاط الصناعي بالناحية يقتصر على استغلال الملح من جهة أخرى.

النسيج الحضري : ومن البديهي أيضا أن تنعكس هذه التطورات على النسيج الحضري لأيت أورير. ولعل خير دليل على ذلك كون أيت أورير أصبحت تتألف اليوم من عدة نوى بعد أن كانت في بداية القرن لا تتكون إلا من دوار أيت أورير (حيث مقر إقامة خليفة الأگلاوي) ومن المركز الإداري الفرنسي أو «البيرو» (حيث مقر إقامة ضابط للشؤون الأهلية).

فإلى جانب الدور الذي لعبه الأگلاوي في حشد أعداد غير قليلة من الأگلاويين بجوار إقامته، فقد أدى تدعيم الوظيفة الإدارية إلى توسع الحي الإداري وإلى استقطاب أعداد كبيرة من الموظفين والتجار وأرباب الخدمات، مما استلزم إعداد تجزئات سكنية من لدن إدارة أملاك الدولة ثم من لدن الخواص بعد ذلك.

وقد عرفت هذه الحركة العمرانية، خلال السنوات الأخيرة، دعماً كبيراً من لدن العمال المغاربة في الخارج وعمال مناجم إيميني المتقاعدين وخاصة المسفيويين منهم ومن لدن الموظفين العاملين بالمدينة. ومن الطبيعي أن تؤدي هذه الحركة العمرانية النشيطة إلى اتصال النوى القديمة من جهة وإلى ميلاد نوى جديدة من جهة أخرى.

هكذا تكونت تجمعات سكنية جديدة على طول الطريق الرئيسية رقم 31 بالقرب من السوق وعلى الضفة اليسرى لوادي الزات، وأخرى على طول الطريق الرابطة بين «البيرو» (المركز الإداري) ودوار أيت أورير على الضفة اليمنى للوادي، وأخرى على طول الطريقين التلاثيتين رقم 6701 و6704 المتجهتين نحو سيدي رحال جهة الشمال الشرقي ونحو لغويبة جهة الشمال.

غير أن النسيج الحضري لأيت أورير لا يزال رغم كل هذه التوسعات نسيجا مُنْفَكاً إذ لا تزال تفصل بين أجزاء المدينة المختلفة مجالات فلاحية تشهد على أن أيت أورير لم تستطع بعد التميز عن محيطها الريفي المتجدر.

بحث ميداني : التصميم الحضري لأيت أورير.

أحمد بلاوي

أُوريكَة، نهر جبلي طوله 46 كلم ينبع من قمم الأطلس الكبير المراكشي ويخرج إلى سهل الحوز عند دوار اثنين أوريكا، ثم يتصل بواد الزات حيث يعرف باسم واد الحجر ثم يتصل بواد تانسيفت قرب زاوية الشيخ ابن ساسي. كما يطلق اسم أُوريكة على مجموعة قبلية قديمة ارتبطت حياتها بالوادي وحوضه، ظهر اسمها منذ عهد الموحدين.

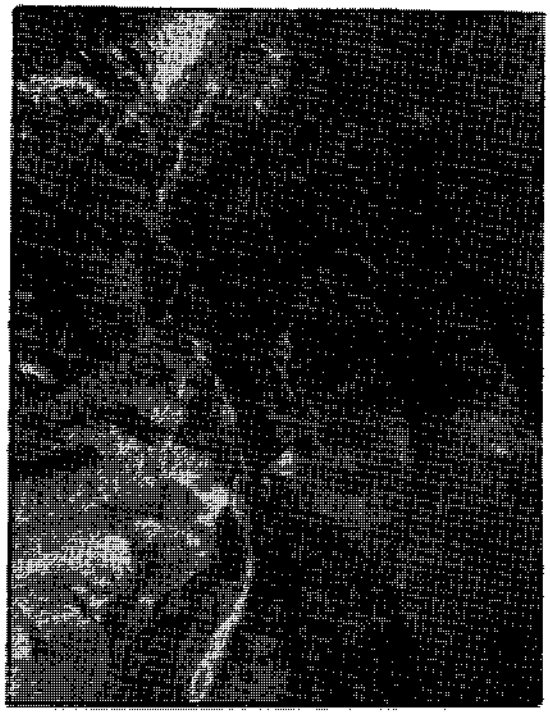

تبلغ مساحة حوض أوريكة 574 كلم^2، وأعلى قمة تشرف عليه هي جبل إفراون 4001 م. وتجري روافده الأولى (تنزار وتيفني) في منطقة صخور غرانيتية صلبة، خالية من السكان تغطى بالثلوج خلال أشهر طويلة، ومن روافده المهمة المسكونة وديان إعباسين وأمنزال وأوكايمدن وأگنس وأودية أيت أوشك. معدل ارتفاع الحوض 2100 م ومعدل ميل مجراه 21٪. أما متوسط أمطاره السنوية فهو 760 ملم. ويبلغ صبيبه السنوي عند دوار أخليج في بداية الدير 180 مليون م^3. لكنه يعرف تباينات سنوية كبيرة مداها من 1 إلى 10 أضعاف، كما يعرف جريانه تغيرات فصلية كبيرة 1.5 م^3/ ثانية في أكثر أشهر الصيف جفافا وحرارة. ويصل في بعض أيام الفيضان الربيعي إلى 1200م^3/ثانية وقد تزيد عن ذلك في بعض الساعات. أما حمولة مياهه الصلبة فتقدر بـ 2,5 كلم/م^3 وهي ضعيفة بالمقارنة مع بقية وديان الأطلس الأخرى.

وكلمة أوريكة صيغة عربية لكلمة إوْرِكْنْ البربرية ومفردها أوْرِكْ وقد يكون معناها الذهبي أو بائع الذهب Aurique، ومعلوم أن هذا الوادي كان من طرق ربط سهل الحوز بوادي درعة حيث كان منتهى ومنطلق قوافل تجارة السودان المؤسسة على الذهب، وقد تحدث الجغرافيون العرب عن ثراء أهل أغمات أوريكة بفضل هذه التجارة. أما إميل لاوست فيرى أن أصل الكلمة من إرك أي القدْر، (*مجلة جغرافية المغرب*، ع. 17، سنة 1970) ويرمز بذلك إلى ضيق الوادي وتعمقه بين منحدرين صخريين عاليين فيعيش السكان في قعر الوادي كأنهم في قدْر (E. Laoust, *Mots et choses berbères*) كما يفسر بعض الباحثين كلمة إيوريكن بمربي النحل.

التنظيم الاداري :تضم أوريكة حاليا جماعتين قرويتين هما :

الجماعة	المساحة	السكان 1985	الكثافة	معدل النمو السكاني السنوي
أثنين أوريكة	125 كلم2	14.700 ن	117.6 ن كلم2	٪ 1.0
ستي فاطمة	375 كلم2	20.500 ن	54.7 ن كلم2	٪ 1.9

تحتوي كل من الجماعتين على مركز قروي إداري من الدرجة الثانية هما سوق اثنين أوريكة وأغبالو، ينعقد بهما سوقان أسبوعيان أولهما وأهمهما سوق اثنين أوريكة والثاني وهو حديث وثانوي، سوق خميس أغبالو.

البنية الجيولوجية : إن أهم ما حدد المجرى الرئيسي للواد وروافده هو سلسلة من الفوالق الطويلة في المجاري العليا تتوازى مع الطيات وأهم السلاسل الجبلية أما في المنطقة الوسطى فنجد فوالق تقطع ثنيات السلاسل بشكل عمودي سواء كانت من صخور صلبة أو هشة ذات اتجاه ش ـ ج. ونجد أقدم الصخور في الجهات العليا بينما تزداد حداثة كلما اتجهنا نحو الهوامش الشمالية. فالمجاري العليا حفرت في صخور غرانيتية صلبة تكون أعلى القمم مثل قمة إيفروان، وخوانق أسيف نْ تيفني وتينزال والقيصرية مشكلة من صخور ترجع إلى ما قبل الكامبري وأحيانا تظهر صخور شستية كامبرية هشة نسبيا مما يسمح باتساع بعض القطاعات بالأودية الأخرى. كما نجد في جهات أخرى كأسيف إيعباسين صخوراً صهيرية صلبة مثل الريوليت. أما المجرى الأوسط فيخترق هضابا ومرتفعات تغلب عليها صخور البرموترياس السمراء بعضها صلب كالحث يكون أجرافا وبعضها لين كالطفل والطين تحفر به أحواض واسعة غنية فلاحيا. وينتهي وادي أوريكة بجبال وتلال مقدمة الأطلس التي تبرز بين صخورها خاصة كلس الكريتاسي وبقايا متفرقة من طبقات رسوبية ترجع إلى الزمن الثالث الجيولوجي تكونت في بحار قليلة العمق وهي من الحث والشست والطفل والرصيص والطين تعرضت لحركات التواء متغايرة القوة، تنتمي في معظمها إلى الكريتاسي. كما تبرز أحيانا سحنات من الشيست الأسود الصلب إلى الكاربونيفير. كما تنتشر تدفقات بركانية (بازلتية) متفرقة ترجع خاصة إلى الزمن الثاني في جهات متفرقة من حوض أوريكة من الدير إلى الأودية العليا.وغالبا ما ترتبط هذه التدفقات بمكامن معدنية صغيرة أو مجهرية للنحاس والرصاص والروتين والحديد.

لقد عرفت هذه السلاسل تاريخا جيولوجيا طويلاً لكن أهم حركة حددت معالمها هي الحركة الألبية التي وقعت في بداية الزمن الثالث، وأدت صلابة البنية إلى رفعها على شكل كتل كبيرة تتدرج في العلو من الهوامش الشمالية نحو قلب السلسلة، صاحبها ظهور فوالق عميقة هي التي حددت مجرى أهم الأودية كما كونت مناطق ضعف صخرية حفرت بها الأحواض الداخلية والأودية الواسعة.

كما خلفت مراحل التعرية والأرساب المختلفة مدرجات على مختلف المستويات يصل عددها إلى أربعة مستويات عند ملتقى وادي أوريكة بأوكايمدن كما تتسع وتبدو واضحة بأغبالو في صخور الرصيص وتبدو كذلك واضحة بالضفة اليمنى عند مخرج وادي أوريكة إلى سهل الحوز.

الغطاء النباتي : يقابل التنوع الصخاري والمناخي المحلي غطاء غابوي تختلف كثافته وجودة أشجاره من جهة إلى أخرى. غير أن العامل البشري يلعب دوراً حيويا في المحافظة عليه أو اندثاره. وعلى كل لا زالت هناك غابات متنوعة تزدهر بشكل خاص في بعض الجهات المحفوظة مناخيا والتي تتوفر على تربة غنية وتتوفر على منحدرات أقل عنفا وتحجراً. وجل الأشجار من البلوط الأخضر والصنوبرياتُ يضاف إليها عينات محلية نادرة.

ومن العوامل المتحكمة في توزيع الأشجار الغابوية التنطيق حسب العلو الذي يغلب عليه الترتيب التالي :

ـ في الطبقة الدنيا المتوسطية الجافة : من 500 إلى 900م : نجد السدرة بمنطقة الدير والدوم والحلفا بتلال مقدمة الأطلس التي تدعم في بعض الأجزاء بتشجير اصطناعي لصنوبر حلب والأكاليبتوس.

- في الطبقة الجبلية السفلى شبه الجافة من 900 إلى 1.400م تنتشر أشجار العرعار في الأسفل تختلط أحيانا في أعلاها بالعرعار الأحمر وعينات محلية نادرة كالبطم والفستق...

- طبقة شبه رطبة تمتد بين 1.400 و2.000م تتميز بانتعاش البلوط الأخضر وهي الأوسع انتشاراً. وعند حدود 2.000م توجد طبقة متوسطية رطبة محدودة الانتشار لكنها غير محددة بدقة تظهر فيها بعض الأشجار الكبيرة ذات الأوراق النفضية كالزان والسنديان.

- طبقة شبه جافة باردة تمتد بين 1.800 و2.000 م إلى 2.600م تتميز بظهور العرعر الفواح وهي شجرة الأعالي بالأطلس الكبير الغربي.

- وبعد 2.500 م تنعدم الأشجار ليحل محلها طبقة من الأعشاب الجبلية أهمها الوزال ونباتات شوكية ملموسة تتخللها أعشاب صغيرة غضة.

- و بعد 3.500م لا نجد إلا السفوح الصخيرة العارية وحقول الحجارة والهشيم في البقع المستوية يظهر بينها في حالات استثنائية بعض النباتاتا الشوكية والعشبية.

يقوم هذا الغطاء الغابوي بوظائف بيئية واقتصادية مهمة فهو يحمي التربة من الانجراف و يوفر إمكانيات اقتصادية مهمة بخشبه ومراعيه كما يكون مجالا سياحيا واعداً. لكن تزايد السكان المعتمدين في حياتهم على الزراعة والرعي غير من طبيعته وأهميته مما أدى إلى اختفاء الأشجار في كثير من الجهات، ومع ذلك لا تزال هناك عشرات الآلاف من الهكتارات الغابوية في حوض هذا الوادي بحيث إن نسبة التغطية لا تزال في حدود 50 إلى 60٪.

التحولات الفلاحية : يحتل النشاط الفلاحي الأولوية في المنطقة سواء على مستوى التشغيل أو المداخيل أو إعداد المجال. وقد قطع مراحل مهمة في تطوره قبل أن يحقق توازنه الحالي. فقد كانت الحياة الفلاحية سابقا تقوم على زراعة تقليدية مسقية بتقنيات محلية بسيطة لاستغلال مياه الوديان والعيون وإنتاج ما تحتاج إليه العائلة من حبوب من شعير وذرة وبعض الخضر من بصل و لفت و جزر... وبعض الأشجار أهمها الجوز في المجرى الأعلى والأوسط وأشجار الزيتون واللوز والفواكه الأخرى في المجرى الأوسط. ولا يوجه إلى الأسواق إلا فائض بسيط.

لكن زراعة الوادي عرفت تحولات عميقة في العقود الأخيرة بعد تغلغل الرأسمال الحضري المراكشي واستيلائه على نسب متزايدة من الأراضي إما لإقامة ضيعات عصرية أو إقامات ثانوية أو منشآت سياحية وتجارية مما أدى إلى تحطيم التوازن التقليدي وإعادة تهييء المجال الريفي الأوريكي على أسس اقتصادية واجتماعية جديدة يتميز ببروز دور الحضريين الذين استولوا على أراض كثيرة بالشراء من المعمرين الأجانب أو من السكان المحليين، وكونوا ضيعات عصرية موجهة لمنتجات تسويقية كالتفاح الذي وجد في الوادي بيئة معتدلة صالحة له وغيره من الفواكه كحب الملوك والبرقوق والخضر خاصة البطاطيس والطماطم و الجزر وكلها تنضج صيفا فلا تجد منافسة قوية بأسواق مراكش.

ومن مظاهر التحولات الفلاحية الحديثة : تربية الأبقار الحلوب المستوردة أو المهجنة التي عرفت توسعا كبيراً على حساب الأنواع المحلية، واضطراب حرفة الرعي التقليدي واستعمال الأساليب العصرية المتمثلة في تقوية الضخ الآلي واستعمال قنوات الإسمنت والأسمدة والمبيدات والبذور المنتقاة وإنتاج كل ما يطلبه السوق. ومع إن انتشار هذا النمط الاقتصادي لا زال محدودا في المناطق المحظوظة والسهلة الربط بالمواصلات الحديثة، فإن فلاحي الأودية المنزوية صاروا يهتمون بإنتاج كل ما يطلبه السوق الحضري والريفي ليشتروا عوضه جل حاجياتهم المعاشية. فحلقة الزراعة المعاشية المغلقة قد انفصمت ولا سبيل لاعادة إقفالها.

تمدين الريف الاوريكي : إن تطوير أساليب الفلاحة وتكيفها مع السوق الحضري المراكشي وإنشاء الإقامات الثانوية لحضريين والمنشآت السياحية، وتقوية ربط المنطقة بمدينة مراكش، ووصول كثير من التجهيزات الأساسية كالكهرباء إلى قرية سيتي فاضمة بأعلى الوادي، وتقوية أجهزة الخدمات الاجتماعية والتقنية ورسملة الإنتاج والعلاقات وزيادة حركية السكان ونمو حركة الاصطياف ضمن الإقامات الثانوية والمؤسسات الفندقية وللشباب خاصة ضمن المخيمات التلقائية وكراء الغرف بالمنازل القروية المشرفة على الطريق أو الواد ، كل ذلك أدى إلى فرز نوع من التمدين الاجتماعي في بعض المراكز القروية أو المنتشرة بشكل نقطي بأطراف الوادي وأنعش مهنا غير فلاحية عديدة ارتبطت بالخدمات السياحية والتقنية والادارية بحيث يتحول الوادي تدريجيا ليصبح ضاحية لمدينة مراكش. ولا غرابة في هذا فقد كان وادي أوريكة منذ قرون تابعاً لمدينة مراكش إذ يحكم من طرف باشا قصبة مدينة مراكش وذلك لحاجة المدينة الدائمة إلى مياهه ومنتوجاته وأخشابه باعتباره مجالها الخلفي المفضل.

بحث ميداني، المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بالحوز ؛ *مجلة جغرافية المغرب*، ع : 17، 1970.

E. Laoust, *Mots et choses berbères*.

أحمد الهوزالي

الأوريكي، عبد الله القرشي، قائد أوريكة. كان جده القرشي بن محمد قائداً من قواد المخزن. قامت ضد قيادتهم انتفاضة على إثر وفاة السلطان مولاي الحسن. ينتسبون إلى سعيد بن إبراهيم السملالي الذي جاء إلى أوريكة عندما اقتحم المولى رشيد العلوي قصبة إليغ، فأسس هذا المهاجر زاوية بأمگدول عند أيت سگور حيث مدفنه، ويذكرون أنهم على نهج أبي حسون السملالي.

ولد عبد الله في هذه الزاوية عام 1889/1306. وقد تزوج هو وأخوه خليفته المعطي بنتين من بنات المدني الأگلاوي. شارك في عمليات الفرنسيين لتطويع سوس.

J. et M. Gouvion, *Aayan al-Maghrib al-Aqsa.*

أحمد التوفيق

أورينگة، نهر توجد منابعه بجبل دهدوه بالقرب من قرية تلاراوات بقبيلة بني سدات الريفية، ثم يمر بقبيلة متيوة

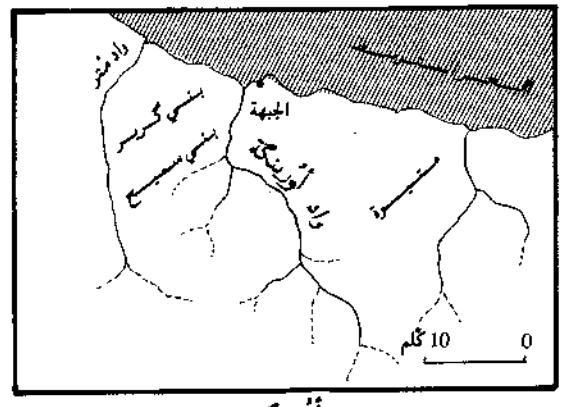

أورينگة

وتصب مياهه بالبحر المتوسط غرب بلدة الجبهة، وروافده هي: وادي المدار ووادي تلاحسن ووادي تازمُورت.

Campañas 2 : Comision historica. *Geografia*, p.32-43-82 ; Domenech, Angel. *Zona Norte*, p. 39 ; Cabello Alcaraz, *Geografia de Marruecos.*

محمد ابن عزوز حكيم

أوريور، أبراهام، أحد شيوخ اليهود. يوجد ضريحه بمقبرة ضاض على بعد أربعين كيلومتراً من سطات، بقبيلة أولاد بوزيري. لا يعرف بالضبط العهد الذي عاش فيه. ويحج العديد من اليهود إلى ضاض بمناسبة عيد هيلولة، فيكون موسمهم هناك عادة في شهر ماي.

ي. بناعيم، *ملخ ريّنان : السوائل، حجّ اليهود إلى الأماكن المقدسة بالمغرب*، الدارالبيضاء، 1980، ص 73. 74.

سيمون ليفي

إوَز، جنس من الطيور المائية من رتبة الوزيان Anseriformes، ومن فصيلة البطيات Anatidae وعشيرة الوزية Anserinae. الاسم الشائع في المغرب هو الوَزّ والإوز ويقال أيضا البط والبَرْك، وعند علماء الحيوان البط والإوز من فصيلة واحدة ويميزون بينهما في الجنس.

تمتاز هذه الطيور بجسم ضخم وعنق متوسط الطول ومنقار قصير وعريض مخروط الشكل وسيقان متوسطة الطول.

إن الإوز من الطيور القواطع تشتو في شمال إفريقيا وجنوب أوروبا وتفرخ في شمال أوروبا وأواسطها. تقضي معظم أوقاتها بعيدة عن الماء وتأكل الحشائش بجانب البحيرات والأنهار والسدود. تتنقل وسط مجموعات على شكل مثلث أثناء القطع وتختار البحيرات المكتفة النبات والصعبة العبور لتبني عشها وتقتات من الربيع المحاط بها وبراعم المزروعات. إنها طيور شديدة الحذر وتميز بين القناص والإنسان العادي.

تشتو في المغرب ثلاثة أنواع من الإوز :

الإوز الرمداء Anser anser، ليمونية المنقار، رمادية الأرجل. الريش رمادي بني محفوف بالأبيض. يبلغ من الطول 76 . 89 سم. بسطة جناحيه 160 سم وطول جناحه 50 سم. يزن ما بين 2,5 و4,5 كلغ. يعتبر هذا النوع هو أصل الإوز المدجن الذي لم يفقد شيئا من هيئة الإوز الوحشي ما عدا الحركات الخفيفة والمشي السريع. إذا أخذت صغيرة تدجن بسهولة وتألف الإنسان. وكثيرا ما يؤخذ بيض الإوز الوحشي ليحضن من طرف المدجن إلا أنه غالبا ما تأتي غريزة الحرية والتوحيش عند الكبر مما يجعل هذا الطائر يلتحق بنظيره الوحشي.

تعتني الأنثى ببناء العش وتأتي بالأغصان والأوراق. تضع من 6 إلى 12 بيضة ولا تبيض الصغار إلا 4 أو 6. يبلغ طول البيضة 90 . 96 ملم، مصفرة اللون وتميل إلى الاخضرار. تنزع الأم زغبها لتغطي به الجانب الداخلي من العش وكذلك البيض أثناء ذهابها للأكل وتدوم مدة الحضانة ما بين ثلاثة و أربعة أسابيع. تغادر الصغار العش في وقت مبكر وتبقى تحت حراسة الأبوين وتطير بعد شهرين. لا تحاول الأم الهروب أثناء الإزعاج قرب عشها وذلك حبا لفراخها، وكثيرا ما يعرضها هذا للخطر.

تعيش عادة وسط مجموعات، ونادراً مزدوجة، تسبح بمهارة، وفي حالة الإزعاج تغطس في أعماق البحيرات. تبلغ سرعة الطيران 70 . 80 كلم في الساعة. لا يغادر الزوج الأنثى، بل يحميها من الآخرين. وكثيرا ما يقع الصراع بين الذكور فيتضاربون بالجناحين. في حالة موت أحد الزوجين يبقى الآخر وحيدا طول حياته.

يأتي هذا النوع من أوروبا إلى المغرب عَبر مضيق جبل طارق ابتداء من شهر نونبر ويعيش في المياه العذبة قرب طنجة وبنواحي ماسة في الجنوب ويعود إلى أوروبا ابتداء من فبراير.

النوعان الآخران : إوزة الثلوج Anser Caerulescens والإوزة السوداء Anser fabalis نادران بالمغرب ولهما نفس المعيشة بالنسبة للإوزة الرمداء.

تخشى هذه الطيور الصقور والنسور والثعالب وابن آوى وخاصة الإنسان الذي يرغب في ريشها ولحومها.

Heinzelh. R, Parslow. J, *Oiseaux d'Europe, d'Afrique du Nord et du Moyen Orient*. 1972, éd, Delachaux et Niestle. Suisse ; J.Pineau, M. Giraud-Audine, *Les Oiseaux de la peninsule Tingitane*. trav. Inst. Sc. Rabat, 1979 ; Thevenot. M, Bergier P, et P. Beaubrun. C, *Compte-rendu d'ornithologie marocaine*. Doc. Inst. Sc. n° 6, 1981.

محمد رمضاني

الأوزالي، أحمد بن مسعود، نسبة إلى قبيلة «إنْداوْزّال» لذلك يقال أيضا الإندوزالي، ويعرّب بالهوزالي. تخرج عن القاضي سعيد بن علي الأوزالي،

وعن أبي مهدي الجراري، وعلي بن أحمد الخياني التمنارتي، تولى قضاء تارودانت كابن أخيه سعيد. وهو موصوف بالزهد والعدالة والورع، تنسب إليه مؤلفات منها *ترتيب نوازل ابن هلال*، ومجموع *فتاو*. توفي في رمضان عام 1030هـ وقد أناف عن التسعين.

م. الحضيكي، *طبقات*، 2 : 117 ؛ ع. التمنارتي، *الفوائد الجمة* (مخطوط) ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 7 : 51 ؛ *سوس العالمة*، 186 ؛ *رجالات العلم العربي*.

الأوزالي، سعيد بن علي بن مسعود السوسي، من قبيلة إنْداوْزَالْ، تولى قضاء الجماعة بتارودانت مدة ثلاثين سنة. أخذ عن جلة من المشايخ كأحمد بن مهدي الجرّاري الجزولي، وشيخ الجماعة أبي القاسم التيفنوتي. وممّن تخرج من مجلسه عبد الرحمن التمنارتي صاحب *الفوائد الجمة*. وهو موصوف بالزهد، له مكاشفات، جرت بينه وبين الشيخ أحمد بابا السوداني مراجعات في مسائل. مذكور بين المؤلفين السوسيين بمؤلفات منها: *مجموعة فتاو* فقهية ومسائل من *الأجوبة الحسان*، *وفهرسة*، ومنشور في قطع التعامل بالثنيا بسوس.

توفي ليلة الاثنية لثمان عشرة خلت من صفر سنة 1001 ودُفن بباب الخميس بتارودانت.

ع.التمنارتي، *الفوائد* (مخطوط) ؛ الكراسي، *بشارة* (مخطوط) ؛ الرسموكي، *وفيات*، 26 ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 185 ؛ *المعسول*، 7: 48 ؛ *رجالات العلم*.

عبدالله درقاوي

الأوزالي محمد بن علي ← أگيبل

أُوزَلّيم أو أزليم أو أسليم، حصن حصين بوادي درعة على عهد المرابطين، يذكر البيذق في أخبار الموحدين أن الاستيلاء عليه كان في أحد الانتصارات على المرابطين قبل سقوط مراكش علي يد عبد المومن. وتذهب مونيي J. Meunié إلى أن موقع هذا الحصن على وادي درعة جنوب ورزازات في منطقة مزگيتة، قريبا من أگدز عند ملتقى عدد من القرى المحصنة تحمل إلى الآن اسم أسليم، وأهمها أسليم ن أوگدز وأسليم ن أوفلا، وقد كانت هذه القصور في القرون الماضية مقرا للخلفاء المخزنيين وقواد المنطقة.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*.

D. J. Meunié, *Le Maroc saharien*, 253.

أحمد الترفيق

أُوزُوض ـ جغرافيا. كلمة بربرية تنطق بالضاد وبالدال، ولها مدلولان : فقد تكون باعتبار الدال مأخوذة من «أزُّودْ» وهو بخار الماء. أو من «أزْديدْ» وهو نوع من الطيور يعيش بهذه المنطقة.

ومنطقة أُوزوض هي عبارة عن شلالات ذات منظر طبيعي خلاب.

الانتماء الإداري : تخضع شلالات أُوزوض لقيادة «فم الجمعة» التابعة لدائرة بزو التي تعد من أكبر الدوائر التابعة لعمالة إقليم أزيلال.

الموقع وبعض المعطيات الطبيعية : تقع شلالات أوزوض بإقليم أزيلال الذي يبعد عنها بحوالي 15 كلم تقريبا. هذه الشلالات تنتمي من الناحية الطبيعية لتضاريس الأطلس الكبير الأوسط، وتقع داخل منطقة شبه منبسطة، عبارة عن مقعر ينتمي من الناحية الزمنية إلى الكريطاسي «الطباشيري» الأسفل والأوسط وهو يتكون من سحنة كلسية دولوميتة، تتخللها مادة صلصالية، هذا المقعر يعرف بمقعر أوزوض.

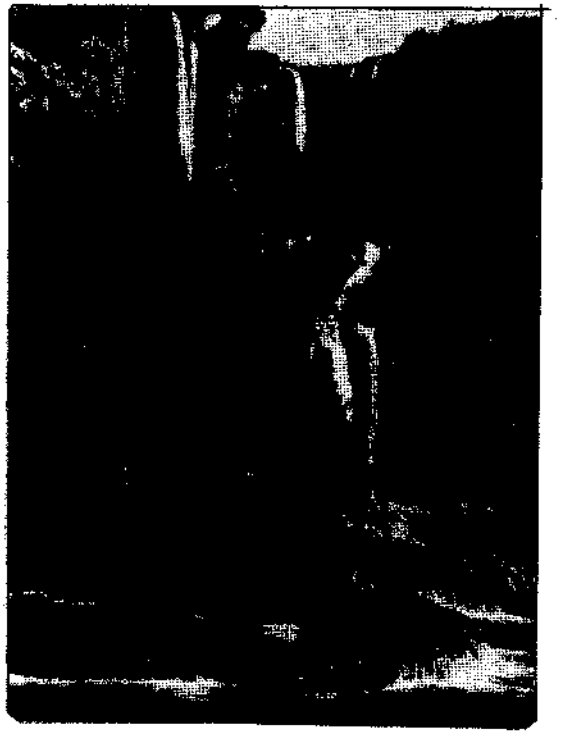

إن طبيعة الصخور و خصائصها التطبقية والتكتونية، لعبت دورا مهما في تكوين الخزانات وتوجيه الجريان الباطني. تنبع مياه الشلالات من خمسة عيون توجد على بعد ثلاثة كيلوميترات تقريبا من أوزوض المركز، وتبلغ مساقط المياه 120م تقريبا، تنتهي هذه المياه في واد أوزوض الذي يعتبر أحد الروافد المهمة لواد العبيد.

مياه هذه الشلالات لها أهمية بالغة تتجلى في تحلل ونقل الكاربوناتات وترسيبها على أشكال مختلفة أهمها على شكل رصراصة متنوعة من حيث السخية والحجم والامتداد.

إن شلالات أوزوض الطبيعية، تمتاز بموقعها الجبلي، وبصببها المرتفع، فريدة من نوعها ،لكن المنطقة تعرف غيابا تاما للتجهيزات الاجتماعية والمرافق الضرورية، خصوصا وأنه يتوافد عليها السياح من كل المناطق.

عبدالرحيم بنعلي

أُوزُوضْ ـ تاريخ ـ ولعل الاسم ـ إضافة إلى ما سبق ـ مشتق من أزّض أي الطحن، بسبب ازدهارالطحانة به أو النساجة لأن فعل «زَضَ» يفيد هذا المعنى أيضا. ذلك أن أوزوض مكان ملائم لإقامة طاحونات مائية. وتوجد به، إلى اليوم، عدة طاحونات مائية تقليدية.

يقع أوزوضْ بأرض قبيلة أيت إنُولْ من هنتيفة الجبل. وفيه شلال يعتبر الأكبر من نوعه في الشمال الإفريقي وذلك في منطقة الاتصال بين الأطلس الكبير والأطلس المتوسط، على بعد حوالي 150 كلم شرقي مدينة مراكش.

وفي عاليته مدشر قديم لعله من بين أقدم مراكز الاستقرار في تلك المنطقة. وقد عرف في القرن الثاني عشر (18م) كمركز صوفي تابع للزاوية الناصرية بتمگروت، كما يتضح من إشارة وردت في *الدرة الجليلة*، حيث قام الشيخ موسى الناصري المتوفى سنة 1730/1142، بالتوسط بين الباشا أحمد العتابي وبين أحد غرمائه من أيت مَسّاضْ (*الدرة الجليلة* 1: 143.142).

م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ تحر ميداني.

أحمد عمالك

إوْزِيوْنْ ← **تارودانت** (إقليم ـ)

الأوْزِيوي، أحمد بن عبد الله، نسبة إلى قبيلة «إوْزِيوْن» السوسية المشهورة في الجبال المحاذية لتارودانت ـ الروداني داراً ـ صالح العلماء وعالم الصلحاء من أخصّ تلاميذ الحضيكي، به تخرج وتهذب في موطنه سوس قبل أن يرحل إلى فاس ليأخذ عن طبقة محمد بن الحسن بناني، وعنه وعن الحضيكي يروي أسانيده.

زاول أحمد الأوزيوي التدريس «بتاويت» و«تاصرخت» في البادية قبل أن يحطّ رحاله بتارودانت ويتولى التدريس والإمامة والخطابة بجامعها الكبير مدة ثلاثين سنة، فانتفع به خلق كثير. ومن أبرز تلاميذه الجيلالي السباعي ومحمد إيجمى التّيوتي ثم المراكشي وغيرهم كثير. ومن أنشطته أيضا الفتيا ومحاربة البدع، كان الشيخ الحضيكي يدل الناس عليه وينوه بينهم بقدره. وهو مذكور بين المؤلفين السوسيين بمؤلفين : *شعب ما انصدع في تبيين البدع* ؛ و*رسالة في عد أنواع البيوع*.

توفي بالوباء في محرم عام 1214 وولادته مجهولة.

الجشتمي، *الحضيكيون* (مخطوط) ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 6: 25 ؛ *سوس العالمة*، 200 ؛ *رجالات العلم*.

عبدالله درقاوي

أوسرْتْ. من أهم مراكز وادي الذهب، يقع شمال مركز الزوگ بين خطي العرض 22 و23 درجة، على بعد حوالي 200 كلم جنوب شرقي الداخلة. وبه يوجد أهم بئر بناحية وادي الذهب يقصدها الرحل من قديم حيث إن خزرته تسمح باستعمال ثماني جرارات في آن واحد، ويعتبر ماؤه صالحاً لعلاج كثير من الأمراض، وقد اختار الشيخ ماء العينين هذا البئر ونزل بجانبه قبل توجهه إلى اسمارة في الوقت الذي جاء فيه لناحية وادي الذهب.

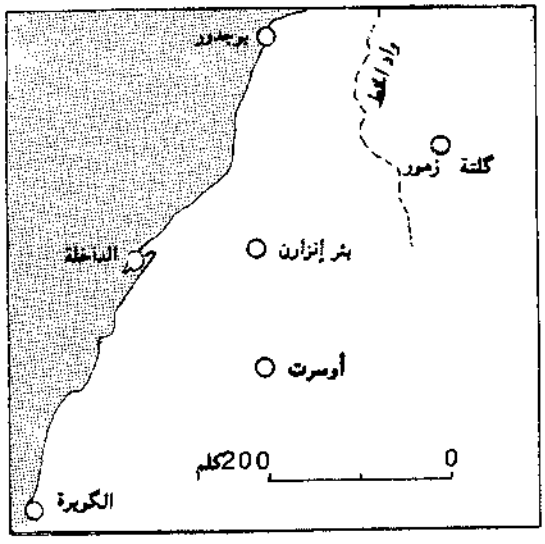

أوسرت

لم يتمكن الإسبانيون من احتلال هذا المركز إلا سنة 1937 أي بعد مجيئهم إلى الداخلة بأكثر من نصف قرن، وقد جعلوه موقعاً إداريا وعسكريا تابعا للداخلة.

Carnero Ruiz, Ismael, *Vocabulario geografico-sahariano*, Madrid 1955, p. 24-140 ; T. Hodges, *Historical Dictionary*.

محمد ابن عزوز حكيم

أُوسْرُوتُو، مصطلح جغرافي، يطلق في بعض الأماكن بوادي دادس على الفدادين التي لا يصل إليها ماء السقي إلا بمشقة نظراً لعلوها، بالمقارنة مع الفدادين التي ترويها مياه السواقي بسهولة. ومن الجدير بالذكر أن الفلاحة بهذه المناطق، لا تقوم لها قائمة إلا بالسقي. وعلى سبيل المثال نجد سكان منطقة أيت إحيا السدراتيين يميّزون بين صنفين من الفدادين : الفدادين التي تُسقى بدون صعوبة، وتكون مباشرة بجانب الوادي ويطلقون عليها اسم تَمَازِيرْتْ. أما الصنف الثاني منها فيسمونه أوسْرُوتُو، تكون بعيدة عن ضفة الوادي ومرتفعة بحيث يعسر سقيها، ولا بد في ذلك من عمل جماعي مكثف يضمن كنس السواقي والسهر على سلامتها. وتفاديا لكل نزاع قد يحدث حول الماء خاصة في فصل الصيف الذي تنقص فيه مياه النهر، فإن السكان بهذه المناطق يعينون وقتا محدداً لكل قبيلة من قبائل المنطقة تسقي خلاله أراضيها. وذلك الوقت المحدد عادة ما يستغرق يوماً واحداً يسمى تِرْمْتْ نْ وَمَانْ (نوبة الماء).

تحريات ميدانية

محمد حمام

أُوسَعْدي بن مبارك. ولد بدوار الزرو بحاحة إقليم الصويرة، والتحق بصفوف المقاومة السرية حيث عمل ضمن خلية السيد شاكر إبراهيم الأسفي منذ سنة 1953. كان يزود الخلية بالمواد اللازمة لصنع القنابل، فألقي عليه القبض،

وسجن بمدينة الصويرة. وبعد بضعة أيام هرب مع جماعة من المناضلين إلاّ أن القوات الفرنسية أدركتهم، وأطلقت عليهم الرصاص فماتوا بمدينة الصويرة سنة 1954.

وثائق المندوبية السامية.

عزالدين العلام

أوسكونتي ← بادّو (معركة ـ)

الأوْسي، محمد بن علي بن محمد بن عبدالرحيم بن هشام الأنصاري، المعروف بالأوسي، وكنيته أبو عبد الله. قرطبي الأصل، ولد بمراكش سنة 1199/595. ونشأ بمدينة سلا، ودرس بمختلف المراكز العلمية بالمغرب والمشرق. أخذ بسلا عن والده، وعن أبي علي عمر بن موسى بن الحسن الصنهاجي الفشتالي الذي لقنه العربية والأدب، وعن أبي إسحاق بن أحمد القلبق، وأبي جعفر بن فرقد، وأبي عبدالله ابن حماد. وبفاس عن جماعة، منهم أبو عبدالله بن عبو.

حج الأوسي مرتين : الأولى سنة 1221/618. وجال في مدن الحجاز والعراق والشام ومصر، وأخذ على علمائها سماعاً وقراءة، وحصل على إجازاتهم. ومن شيوخه في بغداد : إبراهيم بن عبد الرحمن القطيعي الخياط، وأبو بكر محمد بن أبي بكر، وجماعة. وفي تكريت: أبو المعالي محمد بن نصر البرذعولي. وفي حماة : أبو القاسم عبدالله بن رواحة الحموي. وفي دمشق: أبو عبدالله أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، ومحمد ابن هبة الله بن غيل الشيرازي، وغيرهم.

عاد إلى المغرب سنة 1225/622، فسكن بسقط رأسه مراكش زمنا، ثم رحل بعد ذلك إلى الأندلس، وسكن باشبيلية ثم شريش. ومنها قصد الديار المقدسة مرة ثانية سنة 1250/648، وكان دافعه إلى ذلك، حسب ما رواه لابن عبدالملك المراكشي، رؤيا رآها في منامه في العشر الأواخر من رمضان من تلك السنة (*الذيل*، 8 : 338) لذلك لم يهتم بالرواية خلالها كدأبه في رحلته الأولى. فاكتفى بالأخذ عن أبي علي بن عمر الأنصاري بالشام، وأبي القاسم محمد بن محرز التميمي التونسي ببونة.

قال عنه ابن عبدالملك المراكشي :(عرفته بمراكش وصحبته كثيرا، وأخذت عنه معظم ما كان عنده). وذكر أنه كان متصفا بالصدق والعدل والفضل وكرم الأخلاق وحسن المعاشرة. وعن علمه وثقافته، أنه كان بارع الخط، سريع البديهة في النظم، مكثرا منه، محسنا في بعضه، حافظا للقرآن العظيم (*الذيل*، 8 : 339).

مع ذلك لم يصلنا هذا الشعر، ولا نعرف أسماء الآخذين عنه (باستثناء ابن عبد الملك المراكشي)، ولا المواد التي كان يدرسها.

توفي محمد الأوسي بمراكش ليلة الخميس 21 ذي القعدة عام 10/671 يونيو 1272. ودفن بجبانة اسرغين بمقربة من جامع ابن يوسف.

م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، 8 : 337-339 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 4 : 478-479.

حسن جلاب

الأوسي محمد بن محمد ← ابن عبد الملك

أوْسيكس (أيت ـ) ← عطّا (أيت ـ)

أوشيوف، أحمد بن محمد، ولد سنة 1911 بازناگة ناحية سيدي إفني، وشارك في الكفاح المسلح ضد جنود الاحتلال. وقد عمل بكل نزاهة وإخلاص ضمن صفوف جيش التحرير حيث خاض عدة معارك وهجومات أهمها معركة أَصُدْرْ بثلاثاء اصبوية بأيت باعمران التي استشهد خلالها بتاريخ 26 نونبو 1957.

وثائق المندوبية السامية للمقاومة.

عزالدين العلام

أوْصَليمْ، حصن ببلد هسكورة حاضرة المهدي بن تومرت وأنصاره في غزوته السابعة حسب ترتيب البيذق في كتابه *أخبار المهدي* (ص 76 من النص العربي من طبعة ل. بروفنصال) ورسمه عند البيذق : أَزْلَـمْ، مما يؤكد أن الصاد التي في رسمه عند ابن القطان (ص. 93. 196) مشمومة زايا. ورسمه في *نظم الجمان المذكور*: أصليم، ونقدر أن شكله هكذا: أوْزَليمْ (بزاي مفخمة) نسبة إلى البصل. ويدل تتبع حركات المهدي في غزواته أن هذا الحصن الذي خرج ابن تومرت في حصاره يقع في بلد أگلاوة، وقد اندثر على ما يبدو كموضع عامر إذ لا ذكر له عند لاوست Laoust في أسماء أماكن جبل درن، ولا في لائحة أسماء القبائل والمواضع التي انجزتها إدارة الحماية.

أحمد التوفيق

أوضرضور ← الباعمراني الحسن

أوْطاط الحاج، ترجع تسمية مدينة أوطاط الحاج إلى قبيلة أولاد الحاج، حيث تدعى كذلك بأوطاط أولاد الحاج. استقرت هذه القبيلة بالمنطقة منذ ثلاثة أو أربعة قرون خلت. وفيما يتعلق بأصل الكلمة «أوطاط» فهناك من يرى أنها تعني : «لوطا» أي الأراضي المستوية والهضبية، وهناك من يرى أنها تعني الضرب باللهجة البربرية «أوتات» ويربط بذلك خرافة تقول إن أحد الحجاج كان يمر بهذا المكان، فانقض عليه قطاع الطرق وهم يصيحون بالبربرية : «أوتات الحاج، أوتات الحاج» أي اضربوا الحاج. (*ثمان سنوات على إحداث إقليم بولمان*، 1984، ص 15).

تقع أوطاط الحاج في وسط سهول ملوية الوسطى داخل المغرب الشرقي ('33°,21 ش و'3°.42 غ، شكل رقم 1). ترتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي 890 م ويقدر معدلها السنوي للتساقطات بـ 153م، والمعدل السنوي للحرارة بـ 16.9 درجة ثانية، ويقطنها حوالي 6.059 نسمة (حسب تقديرات سنة 1987).

تقع هذه المدينة على الضفة اليسرى لواد ملوية وبالضبط عند نقطة التقائه مع أحد روافده اليسرى واد «شق الأرض» الذي ينحدر من السفوح الشرقية للأطلس المتوسط (سفوح جبل بوناصر). كما تقع على الطريق

الثانوية الرابطة بين مدينة گرسيف التي تبعد عنها بـ 125 كلم في اتجاه ش.ش. ومدينتي ميسور وميدلت الواقعتين في جنوبها الغربي.

تنتمي أوطاط الحاج من الناحية الإدارية، إلى إقليم بولمان الذي أنشئ في 23 أبريل 1975. وهي عبارة عن دائرة مقسمة إلى ثلاث قيادات (شكل رقم 2) : قيادة أوطاط الحاج وقيادة أولاد علي وقيادة تانديت. وتتألف من ثلاث جماعات قروية: جماعة أوطاط الحاج وجماعة افريطسة، وجماعة أولاد علي.

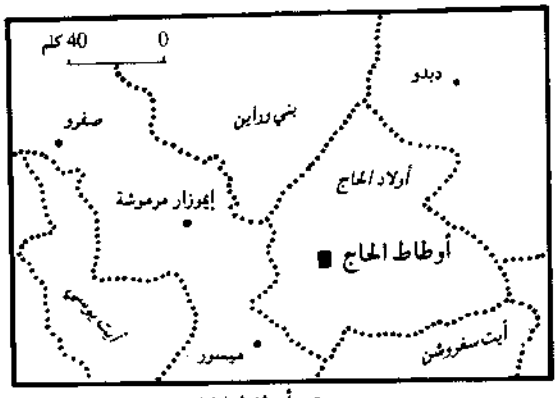

موقع أوطاط الحاج

توجد أولاد الحاج في منطقة تتميز بالجفاف (شكل 3 و4) وندرة الغطاء النباتي، فحسب استدلالي الجذب لثورنويت فإن مناخها مناخ قاحل ساخن جاف ذو نزعات قارية (*Ressources en eau du Maroc*, t. 1, p. 208).

وفيما يتعلق بالمعطيات البشرية، فإن عدد سكان المدينة قد عرف تطوراً مهماً كما هو الشأن في الجدول التالي :

	سنة 1960	سنة 1971	سنة 1982	سنة 1987	سنة 2000
عدد سكان المدينة	..	1.811	4.143	6.059	16.281
عدد سكان البادية	29.308	37.776	48.928	55.088	74.982

وتتميز البنية التسكانية للمدينة بسيطرة العناصر الشابة كما هو الشأن بالنسبة لباقي المدن والقرى المغربية (شكل رقم 5).

السكن في معظمه متجمع داخل مركز المدينة، ولكن في الأطراف يتميز بطابع التشتت حيث تفصل بينه مساحات خضراء (أشجارالزيتون، والبساتين).

وتتألف المدينة من الأحياء التالية: دوار الحرشة شمالا، الحي الجديد أو ما يطلق عليه (الكرطي) شرقا، حي بير أنزران غربا، وحي سيدي أحمد بن خليفة جنوبا.

إن أهم ما يميز اقتصاد منطقة أوطاط الحاج هو سيادة زراعة الحبوب (القمح والشعير)، وهي زراعة سقوية انطلاقا من سد المرصي الواقع على واد شق الأرض، وتقدر المساحة السقوية باوطاط الحاج بـ 1.100 هكتار.

إلا أن المردودية ضعيفة لا تزيد على عشرة قناطر في الهكتار الواحد.

كما تشتهر المنطقة بوفرة أشجار الزيتون حيث يقدر الإنتاج السنوي بحوالي 6.000 طن أي ما يعادل تقريبا 24.000 لتر سنويا من الزيوت، ويتم تسويق هذا الإنتاج عبر مدينة فاس.

كما أنها تعتبر من المناطق الرعوية الهامة، حيث بها سوق كبير (سوق الاثنين) المتخصص في تجارة الأغنام، وله دور فعال سواء على الصعيد الجهوي أو الوطني.

والجدول التالي يوضح أهمية قطاع الماشية :

الغنم	الماعز	البقر	الجمال	الخيول
150.000 رأس	90.000 رأس	3.666 رأس	2.030 رأس	850 رأس

ثمان سنوات على إحداث إقليم بولمان، يناير 1984 ؛ *السكان القانونيون للمغرب حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1982*، مديرية الإحصاء، الرباط.

Raynal. R, *Plaines et piedmonts du Bassin de la Moulouya (Maroc Oriental), Etude Géomorphologique*, Rabat, 1961 ; *Ressources en eau du Maroc*, 1971, t : I, *N.M.S.G.* nº 231, Rabat; *Resultats du recensement général de la population et de l'habitat de 1971. Donneés Communales (Région du Centre Nord), Direction de la statistique, Rabat* ; Tag. B, *La croissance des Petites villes du Maroc oriental steppique, (petites villes et villes moyennes dans le Monde Arabe)* Urbama, 1986, 16-17.

محمد أزهار

أوطيرُو، مخفر صغير أقامه الإسبان من خشب خارج الحدود المصطنعة لمدينة سبتة المحتلة من طرفهم، وذلك في وقت كانت الحراسة المغربية قد عرفت نوعاً من الفتور. وذات يوم أرادوا ضمه إلى التراب المغتصب فشرعوا في بنائه بالحجارة فتعرض لهم المغاربة ليلة يوم 10 غشت 1859، وهدموا ما بُني منه في نهار الأمس وأطاحوا بالعلم الاسباني المرفوع فوقه.

لم يكن الحادث في حد ذاته الأول من نوعه بين المغاربة المطالبين باسترجاع مدينتهم وبين الإسبانيين المصرين على الاحتفاظ بها، ولكن الحالة الداخلية الإسبانية كانت تفرض على مَن بيدهم زمام الحكم أن يقوم بعمل مّا ليشغل بال الرأي العام الإسباني في عمل خارج حدود بلادهم، خصوصا وأن الحكم الفعلي باسبانيا آنذاك كان بيد العسكريين، وعلى رأسهم الجنرال أودونيل O'donell، وهذا ما يفسر الحرب التي أعلنتها الملكة ايسابيل الثانية (Isabel II) على السلطان سيدي محمد بن عبدالرحمن يوم 22 أكتوبر 1859 وهي الحرب التي تعرف عند الإسبانيين بحرب افريقيا (*Guerra de Africa*) لعام 1860.

وكلمة أوطيرو (Otero) بالإسبانية معناها المكان المرتفع الذي يشرف على الأرض المجاورة له أو المكان الذي تتجمع فيه الجنود قبل الشروع في أي عملية عسكرية، والمقابل عندنا بالمغرب لكلمة أوطيرو هو الناظور.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 4 : 15 و78.

P.A. Alarcon, *Diario de un testigo de la guerra de Africa*. Madrid, 1860.

محمد ابن عزوز حكيم

أُوعَاسْ، أحمد بن عمر المزوجي القلعي المشهور أيضا بلقب El Cabo Moreno أي رئيس القبيلة الأسمر، الذي أطلقه عليه الإسبان، وعرف في قبيلته بالشيخ أحمد أوعاس. أحد كبار أعيان قلعية في وقته. من جماعة أولاد عيسى بفرقة بني انْصار، من قبيلة مزوجة، إحدى القبائل الخمس المكوِّنة لاتحادية قلعية.

ولد حوالي منتصف القرن التاسع عشر ونشأ بقبيلته على الشجاعة والشهامة والكرم، وعاش الأحداث الكبرى التي شهدتها هذه المنطقة خلال النصف الثاني من القرن، نتيجة توسيع حدود مليلية بعد حرب تطوان، وترعرع في جو التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي ترتبت على ذلك.

تعاطى الفلاحة منذ شبابه، وكان له عزيب بأولاد ستوت وآخر بكبدانة وثالث ببوعرگ (مزوجة) ينتقل بينهما بقطيعه الضخم من الغنم والجمال والبقر، إلا أن اهتمامه الأساسي كان موجهاً للتجارة بين مليلية وفاس والجزائر؛ يقتني بعض المنتجات من الأسواق المحلية، خاصة الغذائية منها، ثم يوجهها إلى مليلية فيعود منها بالسلع الأكثر رواجا في المغرب مثل السكر والشاي والشموع والقهوة والأثواب... فيوزع جزءا منها بالريف ويوجه الباقي إلى فاس وغيرها بواسطة قافلة كان قد كلف بها أحد إخوته؛ أما هو فكان يسافر إلى القطر الجزائري، وخاصة وهران، على رأس قافلة أخرى فيجلب منها الأجواخ المختلفة وغيرها من السلع المطلوبة في الريف.

وبفضل هذه الموارد الفلاحية والتجارية تراكمت لديه ثروة كبيرة في شكل أموال وأراض ومطامير وماشية وغيرها من الأملاك أهلته للرئاسة في قبيلته مزوجة منذ أواخر القرن التاسع عشر. وقد امتلك معظم الأراضي التي كانت تمر منها الطريق الرابطة بين مليلية وسلوان، مما أتاح له مراقبة طريق القوافل فاكتسب مزيداً من النفوذ عززه ووطده بإنشائه في سنة 1897 محطة بديوانة بني انصار لاستراحة وإقامة التجار احتوت على فندق ومقهى ومرافق أخرى لإيواء الدواب ووضع السلع وغير ذلك. وأصبح هذا المكان يعرف باسمه (La Posada del Cabo Moreno)، ويوجد على بعد بضع عشرات الأمتار غرب جمارك بني آنصار الحالي.

وبفضل كل هذا أصبح الشيخ أُوعاس معروفا لدى الخاص والعام، من قبيلته وخارجها، مهاب الجانب، يسير محاطاً بأقربائه وأتباعه ممتطيا جواده، متقلداً أبدا بندقيته «التساعية» التي ما كان يمتلك مثلها في الريف سوى نخبة من كبار الأغنياء لثمنها الباهض، وكان شديد الاعتزاز بها. له حظوة واعتبار لدى تجار مليلية إسباناً ويهوداً، وتقدير واحترام عند حاكم نفس المدينة، كما ربطته صداقات متينة مع كثير من الإسبانيين خاصة مع الكولونيل (فيما بعد) گابرييل مورالیس Gabriel Morales (الذي قتل في معارك أنوال لسنة 1921) حيث كان كثير التردد عليه في منزله. فكان الإسبان يعتبرونه أكبر صديق لهم في المنطقة؛ ومع ذلك كان حريصاً على تربية أبنائه تربية إسلامية، فبنى كتّابا (مسيداً) صغيراً بداخل منزله استقدم له فقيها خاصا يعلمهم الكتابة ويحفظهم القرءان ويلقنهم العلوم الدينية الأخرى. وكانت له صداقة حميمة مع الثري الحاذق محمادي بن علي زريوح الفرخاني المزوجي (أمين سابق). كما كان من المقربين من سيدي الحاج عبدالقادر بن عبدالقادر زعيم زاوية وُرْكْ (ببني شيكر) القادرية الذي قام بدور كبير في حرب مليلية سنة 1898 لنفوذه الواسع في كل قلعية وخارجها.

وقد شكل هؤلاء الثلاثة في السنوات الأولى من هذا القرن ركائز أساسية لسلطة المخزن ولسياسته في المنطقة لحفظ الأمن والاستقرار وتجنب الاصطدامات مع الإسبانيين، نظراً لما كان لهم من النفوذ في القبيلتين المتاخمتين لمليلية: مزوجة وبني شيكر. ولعل مصالحهم كانت تفرض عليهم التعاون المشترك مع المخزن حتى تستمر التجارة (موردهم الأساسي) مع مليلية، لذلك تآزروا مع قائد الحامية المخزنية المرابطة بقصبة فرخانة (المعروفة محليا بدار المخزن) التي بناها المخزن بعد حرب 1893 لتعزيز سلطته في منطقة الحدود مع مليلية، على بعد حوالي 800 متر من آخر حصن إسباني. إلا أن تشابك المصالح دفعهم أيضا ـ خاصة الشيخ أُوعاس ـ بطريقة أو بأخرى، إلى توطيد العلاقات مع الإسبانيين والتقرب منهم، مما كان ينفر الناس منهم خاصة سكان القبائل البعيدة عن مليلية الذين لا مصالح لهم بها. وعندما وصل مولاي عرفة إلى مليلية في فبراير 1903 في محاولة تكوين حركة من الريف يهاجم بها أبا حمارة في تازة، فإنه اعتمد في ذلك على هؤلاء الثلاثة بالخصوص. إلا أن ابا حمارة لم يمهلهم. إذ لما علم بخطة المخزن، سارع لتوجيه قواته إلى الريف وعلى رأسها محمد بن الحاج علي الشاذلي (من أعيان مزوجة، هاجر إليها من بني سعيد) وبن شلال (من بني بويفرور) الخصمين اللدودين لكل من أحمد أوعاس ومحمادي الفرخاني، فاستولت على صبة فرخانة يوم 13 أبريل 1903 بعد فرار حاميتها إلى مليلية ومنها أبحرت إلى طنجة بعد ذلك بأربعة أيام. كما التجأ أنصار المخزن أيضا إلى مليلية بما فيهم الشيخ أوعاس وغيرهم ...، ومكث بها فترة إلى أواخر يوليوز، انكب فيها مع الفرخاني وسيدي الركيبة ـ الذي وصل إلى مليلية في يوليوز ـ على العمل لكسب الأنصار لتنظيم حركة مضادة لبو حمارة وإعادة سلطة المخزن في قلعية وذلك بتوزيع أموال باهظة على ذوي النفوذ في المنطقة، وعندئذ عاد أوعاس إلى موطنه مصمماً العزم على الدخول في المواجهة المسلحة ضد أنصار بو حمارة الذين كان يتزعمهم بالمنطقة الشاذلي المذكور، فوقعت بين الفريقين اشتباكات عنيفة كانت الغلبة فيها لاتباع هذا الأخير واضطر الشيخ أوعاس في فاتح غشت إلى الالتجاء إلى مليلية مع أهله وأتباعه تاركين

وراءهم منازلهم وممتلكاتهم بين أيدي أنصار بو حمارة يعبثون بها، ونزلوا بمخيمات قرب الحدود هيأها الإسبان لهم.

ويبدو أن وقع الهزيمة كان قويا على أوعباس وأصدقائه؛ لقد وجدوا أنفسهم فجأة يفقدون كل شيء دفعة واحدة : فالمخزن الذي كانوا إلى وقت قريب، يستمدون نفوذهم منه ويحتكمون إليه لم يعد له وجود بالمنطقة. كما أن إسبانيا التي عانوا بسببها مشاكل كثيرة مع أبناء جلدتهم لاتهامهم إياهم بالتواطؤ معها...، قد انحازت لصالح بوحمارة، لأن «الحياد» الذي تظاهرت به لم يكن في الحقيقة إلا أسلوبا لبقاً لإقناع أصدقائها بسياسة الأمر الواقع، وتبريراً ديبلوماسياً لتنكرها للاعراف الدولية ولالتزاماتها تجاه المخزن، خاصة عند موافقتها على طرد موظفي الجمارك المخزنيين وقبولها التعامل بدلهم مع موظفي بو حمارة ؛ أضف إلى ذلك استقبال حاكم مليلية رسميا لبعض قواد بوحمارة وترخيصه لهم بدخول مليلية بكل حرية، علما بأن الإسبانيين كانوا على دراية تامة بحقيقة أمر الفتّان ؛ فما العمل إذن أمام هذا الوضع الحرج بعدما تبين لأوعباس عجز المخزن، ويئس من مساندة اسبانيا له؟ يبدو أن الطريق الذي سلكه لم يقل خطورة عن المأزق الذي وجد نفسه فيه، ومع ذلك فإنه كان حلا بالنسبة إليه.

فقد حاول هو وحلفاؤه البحث عن سبيل للارتباط بفرنسا للاحتماء بها ضد بطش بوحمارة، ونكاية في إسبانيا التي فضلت عليهم السادة الجدد، لذلك أبدى الثلاثة ترحيبا كبيراً باقامة مؤسسة تجارية فرنسية في أي نقطة شاءت فرنسا على شاطئ قلعية، مما كان يعني ضربة قاتلة لمليلية كمركز تجاري بحري وحيد في المنطقة. ويبدو أن السلطات الفرنسية بوهران أوعزت إليهم بتقديم طلبات للحصول على الحماية الفرنسية بواسطة گابرييل ديلبريل Gabriel Delbrel، الجاسوس الخطير، الذي حضر إلى مليلية وأجرى معهم مفاوضات من 9 غشت إلى فاتح سبتمبر. وخلال هذه الفترة راجت بمليلية أنباء أفادت بأن فرنسا ستتدخل في شؤون المغرب، فسارع الأعيان الثلاثة لطلب حماية فرنسا بواسطة رسائل موجهة إلى وزير خارجيتها ديلكاسيه Delcassé بتاريخ 29 غشت 1903. إلا أن ذلك لم يصرف أوعباس عن الانشغال بمقاومة سلطة بوحمارة في الريف.

ويبدو أن الشروط القاسية للإقامة في المخيمات بمليلية وما كان يثيره التجاؤهم إليها من شبهات واتهامات من طرف السكان، إضافة إلى نفاد المؤن واقتراب موسم الحرث... قد حددت موقف أوعباس وأتباعه بالرجوع إلى ديارهم بعد أداء ذعيرة باهضة، فأتاحت لهم هذه العودة فرص تجديد الاتصالات مع رجال القبيلة ومحاولة إقناعهم بزيف ادعاءات بو حمارة. وفي هذه الأثناء وصلهم عن طريق محمادي الفرخاني الذي كان مقيما بمليلية، بأن محلة عزيزية خرجت من تازا قاصدة وجدة. فاعتقدوا بأن الفرصة سانحة لتنسيق الهجوم على بو حمارة وأنصاره في الريف ووجدة، فاندلعت فوق أرض مزوجة معارك أكثر عنفا من السابقة انهزم فيها أنصار المخزن الذين كان يقودهم أوعباس وحليفه ميمون الحاج حدو، فاضطروا مرة أخرى للالتجاء إلى مليلية متبوعين بأسرهم ومواشيهم ودوابهم، حاملين معهم ما خف وزنه وغلا ثمنه، وأقدم الثوار على إفراغ المطامير من محتوياتها واحراق أكثر من 700 متر بعد نهبها. ولم يتمكن الشيخ أوعباس من الرجوع إلى داره إلا بعد أداء ألف ريال إسباني غرامة. وفي هذه المرة، تدخل بوحمارة فأرسل وزيره صالح بن عمرو في فبراير 1904 للمصالحة بين الشاذلي و أوعباس. إلا أن ذلك لم يدم طويلا، إذ تجدد قتال أشد ضراوة من السابق يوم 7 مارس، أصيب أوعباس خلاله بجراح بليغة نقل على إثرها إلى المستشفى العسكري بمليلية، فتوفي فيه متأثراً بجراحه يوم 8 مارس 1904، بعد أن أمضى أكثر من سنة في الدفاع عن سلطة المخزن بقلعية. أما أتباعه فقد أرغمتهم الهزيمة مرة أخرى على الالتجاء إلى مليلية فراراً من انتقام وبطش بوحمارة وأنصاره، متألمين من فقدان رئيسهم. وبوفاته خلا الجو للشاذلي حيث تقوى نفوذه في قلعية كلها.

ورغم اتخاذ هذه المعارك طابع صراع بين لفين حول النفوذ والزعامة فإنها كانت في واقع الأمر انعكاساً للوضع الاجتماعي بالمنطقة عند بداية هذا القرن، وتجسيداً للمقاومة العنيفة التي أبداها سكان قبيلة مزوجة لسلطة بوحمارة بزعامة الشيخ أحمد أوعباس.

وقد خلف أوعباس أسرة فيها رجال ورثوا عنه الجاه والشهامة وصدق الكلمة ومكارم الأخلاق، منهم السيد عمرو أوعباس الذي تولى قيادة قبيلة مزوجة في الثلاثينات من هذا القرن، فلم يعرف عنه أنه آذى أحداً خاصة من الوطنيين، بل كان يخفي على سلطات الاحتلال كل ما من شأنه أن يضر بمواطنيه ؛ ومنهم أيضا السيد المصطفى أوعباس الذي عمل موظفا بدائرة قلعية، وكانت له مواقف وطنية مشرفة منها احتياله على السلطات الاستعمارية وإطلاق سراح السيد الحاج أحمد عمرو علال البويغروري (غالب)، قطب الوطنية في الريف، عندما اعتقل للمرة الأولى بسبب نشاطه السياسي.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية ـ باريس ؛ *وثائق الحربية الإسبانية* ـ مدريد ؛ أعداد من جريدة *تلغراف الريف* *El Telegrama del Rif* خلال سنوات 1909 ـ 1904 ؛ *رواية شفوية*، خاصة عن الأستاذ عبدالعزيز أوعباس.

G. Delbrel, *El Pretendiente y sus hazcas en el nordeste marroqui*, in *Marruecos*, Tanger, 1909 ; Maldonado. E, *El Rogui*, Tetuan (s.d).

مصطفى أريب

أُوعقّي، محمد ولد سنة 1908 بإيموزار مرموشة إقليم بولمان. انضم إلى صفوف جيش التحرير، وعمل في الوحدة التي كانت متمركزة في مسقط رأسه. شارك في عدة معارك واشتباكات ضد قوات الاحتلال الفرنسي تحت قيادة

أخيه ميمون أُوعَقّى. وكان يقوم بجلب الأسلحة من مستودعات فرنسية. استشهد يوم ثاني أكتوبر 1955 أثناء إحدى المعارك بمركز إيموزار مرموشة.

أُوغْدُوجَانْ، محمد بن أحمد ولد سنة 1920 بأيت واحي، قبيلة مساعد، بإموزار مرموشة، انخرط في صفوف جيش التحرير في التشكيلة التي كان يقودها السيد إلياس ميمون أُوعَقّى، فخاض معها معارك بطولية ضد القوات الفرنسية، وساهم بشكل فعال في الهجوم الذي نسقت له قيادة جيش التحرير على المركز العسكري الفرنسي بإيموزار مرموشة في يوم فاتح أكتوبر سنة 1955 وانتقاما قامت السلطات الفرنسية بالقبض على أُغْدُوجَانْ محمد ونفذت فيه حكم الإعدام يوم 4 أكتوبر من نفس السنة وذلك بأيت واحي بإيموزار مرموشة.

وثائق الندوية السامية لقدماء المقاومين.

عزالدين العلام

أوفارس (سيدي مَحمد ـ) ← **أوكايمدن**

أوْفُوسْ. تعني باللغة الأمازيغية اليد مع تحريف بسيط. ووجه التسمية تنطبق على الشعبة التي تقع بها زاوية أوفوس، حيث يجدها الصاعد من واحة أرفود متجها إلى الرشيدية عن يمينه. وكانت أوفوس تطلق على قصر الزاوية الكائن وسط الشعبة المشار إليها التي تبعد عن مقر سوق واحة الرتب بستة كيلو مترات شرقا.

وفي عهد الاستعمار اختار الفرنسيون مكانا يتوسط واحة الرتب لبناء مقر الإدارة المحلية ويدعى بأولاد عميرة (مجموعة قصور). ونظراً لوقوعه على الضفة الشمالية الشرقية لشعبة أوفوس التي تصب في نهر زيز، أطلق الفرنسيون اسم أوفوس على مقر الإدارة الذي أصبح مركز السوق والتبادل التجاري. ومنذ ذلك العهد صارت كلمة أوفوس تطلق على قيادة الرتب. والرتب اسم الواحة الوسطى من الواحات الخمس : الخنگ، ومدغرة، والرتب، رتيزمي، وتافيلالت ـ انظرها في حروفها. الواقعة على امتداد جزء من وادي زيز بضفتيه الشرقية والغربية بدءاً من غار زعبل في طرف الخنگ ونهاية بتافيلالت.

تقع أوفوس وسط واحة الرتب الممتدة بأسفل مدغرة من قصر مسكي إلى قصر الدويرة، وتتناثر قصورها على ضفتي وادي زيز الشرقية والغربية. ويمثل مركز أوفوس مقر الإدارة والقيادة والإشراف التنظيمي على وحاة الرتب كلها البالغ طولها 25 كلم تقريبا. أما المناخ فصحراوي حار صيفا قار شتاء. والسكان شرائح اجتماعية ذات أسماء مختلفة هي ـ أيت عطا: عنصر بربري، والحراطين : عنصر زنجي مستعرب، والشرفاء : عنصر عربي، والمرابطين، عنصر عربي، ويصل عددهم حاليا إلى نحو 25 ألف نسمة إلا أن العنصرين الأخيرين أقل عددا من أيت عطا والحراطين.

تتحدث أيت عطا باللغة البربرية فيما بينهم لكنهم يعرفون اللغة العربية ويتحدثون بها مع بقية العناصر الأخرى التي لا تحسن سوى العربية.

تكثر في أوفوس (واحة الرتب) أشجار النخيل والزيتون وبعض الفواكه الأخرى. ويمتاز تمر هذه الواحة بجودة خاصة وبأنواع غير موجودة في الواحات الأخرى مثل تمر المجهول والفگوس. كما تمتاز هذه الواحة نسبيا بنوع من الخصوبة ووفرة المياه، لا سيما شعبة أوفوس والقصور العليا مثل الجرامنة وأملكيس والكنز حيث تسقى بماء العين الزرقاء الواقعة في رأس الواحة.

أما النشاط الديني بالواحة فيتمثل أساسا في زاويتين: زاوية أوفوس، وزاوية عبد الصادق. زاوية أوفوس أسسها جد الشرفاء هناك في القرن الثاني عشر الهجري، مولاي عمر بن هاشم المشهور بصاحب 36 حجة، لأن من عادته أنه كان يذهب إلى الحج سنة ويستريح سنة، وفي كل حجة يصحب معه عددا من الفقراء الراغبين في الحج على نفقته، وهكذا استمر طيلة حياته إلى أن وافته المنية بالمدينة المنورة. أما زاوية عبدالصادق فأسست قبل ذلك أوائل القرن الحادي عشر من طرف الشيخ أحمد عبد الصادق تلميذ عالم مدغرة الكبير عبدالله بن علي بن طاهر الحسني. وعلى العموم فإن سكان هذه الواحة ـ كسكان سائر الواحات المجاورة لهم سلوك حسن متميز بالمحافظة على الشعائر الدينية والآداب الأخلاقية والسلوكية. يطبعها طابع الاستقامة والتقشف في العيش والرضى بالواقع مع القناعة والتعفف والترفع عن السؤال ولو في أحوال الفقر المُدقع. وعلى الرغم من شح الواحة وضعفها الاقتصادي وما يصيبها أحيانا من جفاف وجدب، فإن سكانها متشبثون بها لا يبغون عنها حولا. فإذا نزحوا إلى المدن الكبرى أوهاجروا إلى خارج الوَطن للاسترزاق وطلب العيش فإنهم يعودن إليها في فترات العطل، ويركزون فيها حصيلتهم من الأجور أو أي نشاط تجاري، ولذلك يلاحظ في عملية بيع الممتلكات وشرائها فيما بينهم ارتفاع الأثمان بشكل مذهل مما يتعذر معه على المشتري أن يسترد الثمن المدفوع في عشرات السنين.

يمتاز سكان هذه الواحة بذكاء حاد ورغبة شديدة في طلب العلم وتحصيله، فإليها ينتمي عدد من العلماء الأجلاء، وشخصيات سياسة مرموقة تقوم بدور بارز في جهاز الدولة وتحمل ألقابا مستمدة من قصور هذه الواحة كالدويرة والبلاغمة.

ص. بلعربي، المغرب : استطلاعات ميدانية، ووثائق محلية.

محمد العلوي الأوفوسي

أوْفِيسْتْ، مرسى تقع جنوب رأس بوجدور وتعرف عند الإسبان بـ «إلْبَرْشِيل El Parchel» و بـ «المِيدَانُو گْرَانْدِي Medano grande» (الجرف الكبير).

A. Domenech, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid 1946, p.74 ; I. Carnero Ruiz, ; *Vocabulario geografico-sahariano*, Madrid 1955. p.60.

محمد ابن عزوز حكيم

أوقاف ← وقف

الأُوقِيَة : ـ بضم الهمزة، كما تكتب (وقيَة) ـ بحذف الهمزة وفتح الواو وتجمع على (أواق) ـ بالتنوين ـ و(أواقي) ـ بالياء ـ ولفظ الأوقية مؤنث. وتستعمل في مجالين : مجال الأوزان ومجال النقود.

أوقية الوزن تُعتبر وحدة من وحدات الوزن بالمغرب. وكان نظام الأوزان يتميز بالتنوع، وتتدرّج وحدات الوزن من أصغر وحدة وهي «حبة الشعير»، فالدرهم الشرعي، فالمثقال من عشرة دراهم، فالأوقية، فالرطل، فالقنطار. ويهمنا من هذه الأوزان الأوقية التي تساوي 16 جزءاً من الرطل، أو ما يعبر عنه بنصف ثُمن الرطل، وهذا تحديد جزئي ومبهم للأوقية، لأنه ليس هناك رطل موحد، فقد كانت لكل حرفة حرية تحديد الرطل المناسب لها، على الرغم من أن الأصل المشترك لكل رطل هو وحدة العملة. فقد كان الأصل هو المثقال من عشرة دراهم قبل القرن التاسع عشر، أما في هذا القرن فقد أصبح الريال الفرنسي من 25 غ هو الأصل المشترك لهذه الأوزان.

أمام هذه الاختلافات يختلف وزن الأوقية تبعاً لوزن كل رطل، وفي أواخرالقرن التاسع عشر ورد على المغرب رطل من النحاس يستعمل في فرنسا (Livre) وأنجلترا (Libra) وهو على شكل عيارات نحاسية متداخلة محكمة الإغلاق، مقسمة إلى نصف وربُع وثُمن ونصف الثُمن، وهذا الأخير هو الأُقية. وقد عثرنا على نماذج من هذه الصنوج في مراكش وسوس وفاس، لكن نتائج الوزن المحصل عليها متفاوته، لنقصانها بكثرة الاستعمال. وكان هذا الرطل يزن بين 506,490 غ تقريبا، والأوقية منه تتراوح بين 30 و33 غ. وحول هذا الوزن تدور التحديدات المختلفة، فوزنها 30,594 غ وهو وزن قريب للوزن المستعمل في باريس في القرن الثامن عشر 30,565غ كما ورد في معجم روبير بيلي (R. Pelit) وهو ما ذهب إليه إيركمان ولوتورنو كذلك. وقد استمرت هذه الأوزان بالمغرب إلى سنة 1925 حيث تأسس القياس العشري المتعلق بالموازين والمقاييس وصدر بالجريدة الرسمية عدد 645 من نفس السنة، فأصبح الكرام ومضاعفاته وأجزاؤه مقياسا للاستعمالات اليومية، وقد اتخذت الأوقية من وزن 30غ مقياسا حتى الآن. أما في أسواق الذهب اليوم فقد اشتهرت أوقية تزن 31,104 غ.

وقد استعملت الأوقية وحدة نقدية في العالم الإسلامي، ووردت في الحديث النبوي وفي كتابات الفقهاء ونصوص الموثقين. استعملت الأوقية في المغرب بمختلف أشكالها، فهي مستعملة أحيانا على هيئة (نقود بقيمة ذاتية) أي قطع معدنية ذات وزن معين أطلق عليها اسم الأوقية، وأحيانا استعملت على هيئة (نقود حسابية) أي لا وجود لها كقطع مجسدة وإنما تركب من غيرها من القطع المعدنية مما نوضحه بعد حين. ومن حيث التطور التاريخي لاستعمال هذا المصطلح فإنه لا ينضبط بزمن محدد، وإنما يمكن استعمال تحديد تقريبي يسير تبعا لنوع المعدن المستعمل، ففي القرون الإسلامية الأولى بالمغرب إلى حدود القرن العاشر (16 م) كانت الأوقية الذهبية والفضية مشهورتين في مجال التداول النقدي، وفيما بعد وحتى القرن الثامن عشر ساد استعمال الأوقية في مجال النقودَ الفضية غالباً، أما ابتداء من النصف الثاني من القرن الثامن عشر فقد بدأت تسود الأوقية النحاسية. فأصبحت الأوقية النحاسية الوحدة الأساسية ، التي تصرف بها المثاقيل والموزونات والريال.

وقد أستخلصنا هذا التصورمن خلال الوثائق والرسائل والجداول الخاصة بالعملة، ومن الكتابات الفقهية ومختلف الدراسات، وتوفرت لنا على الخصوص وثائق كثيرة من جهات سوس.

ونقدم فيما يلي أنواع الأواقي النقدية المستعملة في المغرب مع تعريف لها على أساس نوع المعادن النقدية فنقدم على التوالي : الأواقي الذهبية فالأواقي الفضية فالأواقي النحاسية.

أواقي الذهب

الأوقية الشرعية (السنية) (= 40 درهما ؟)	الأوقية العرفية (=$\frac{1}{6}$ الدينار السداسي)

1 ـ الأوقية الشرعية الذهبية : وتدعى أوقية السنّة، ورد ذكرها في الحديث ـ عند ذكر صداق سيدتنا خديجة على أنه يساوي أربعين أوقية. ويُستنتج من قلة ورودها في الوثائق أنها لم توظف في الحياة العملية إلا نادراً، حيث اكتفى الناس باستعمال الدينار الشرعي كوحدة أساسية في أداء ما يلزمهم شرعا، مثل زكاة الذهب وغيرها، بل يظهر أنه لم تعرف حقيقة هذه الأوقية، خاصة إذا وجدنا أمثال الفقيه الگرسيفي يقول: «فإنا لم نجد مَن بَيَّن قدرها صراحة بعد البحث عنه في مظانه» وقد اكتفى بذكر أنها تساوي 40 درهما كما ورد في الحديث.

2 ـ الأوقية العرفية من الذهب : اشتهر استعمال هذه الأوقية في عقود الناس منذ بداية القرن السابع عشر، وهي تساوي سدس الدينار السداسي وخمس الخماسي، وقد حدد الفقهاء وزنها بـ 16,66 حبة، وهو ما عبروا عنه "بسبعة عشر إلا ثلثا" من الحبات الخارجة من قسمة عدد حبوب الدينار السداسي، وهي مائة على ستة، كما حددوا وزنها بدرهم الصنجة فهي تزن ثلاثة دراهم وثلثا، علما بأن كل درهم صنجي فيه خمسة حبوب فينتج : 3,33 × 5 = 16,65 حبة.

غير أن هناك إشكالا بالنسبة للدينار الخماسي، فأوقيته تزن نفس وزن أوقية الدينار السداسي وهو 16,66 حبة، لأن الدينارين متساويان من حيث وزنهما، لكنهما مختلفان من حيث العيار، فقد ثبت «استواؤهما وزنا، لكن في الخماسي أوقية من الفضة وخمس أواق من الذهب، فنسب إلى أواقيه من الذهب، لنقصانه معنى لأجل الغش لا حساً» فكان لفظ الخماسي نسبة إلى العيار لا إلى الوزن.

ويستثنى من هذا كون الأوقية الذهبية المكناسية وهي للسلطان سيدي محمد بن عبدالله ـ إنما تساوي ثماني حبات أي نصف سدس الدينار السداسي الذي يزن 96 حبة، ونصف خمس الدينار الخماسي الذي يزن 80 حبة. وهكذا فوزنا الدينارين المكناسيين ناقصان وأواقيهما ناقصة، خلافا لما هو واقع بسوس من تساوي الدينارين السداسي والخماسي وزناً.

الأواقي الفضية : تعددت مدلولات الأوقية الفضية، وقد ميزنا في الوثائق بين نوعين من الأواقي : الأوقية الشرعية وفيها 40 درهما شرعيا، والأوقية العرفية وفيها عدة تفريعات، نجملها في الجدول التالي :

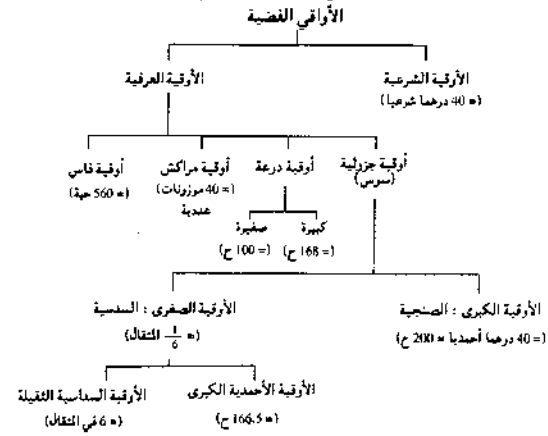

1 ـ الأوقية الشرعية أو الأوقية السنية وتتركب من 40 درهما شرعيا (=40 × 2,6119 = 116,5 غ من الفضة)، وتستعمل في تحديد نصاب زكاة الفضة الذي قرر الفقه حصره في خمس أواق، فإذا قُسمت عدد دراهم نصاب الزكاة من الفضة وهي 200 درهم على 5 تساوي 40 درهم، التي في الأوقية الشرعية.

والملاحظ أن هناك أوقيتين شرعيتين، إحداهما هذه، وهي نقدية، بها تحدد زكاة الفضة، والثانية هي أوقية الكيل، التي أوضحنا أنها تستعمل في تحديد زكاة الحبوب.

2 ـ الأوقية العرفية من الفضة : تختلف باختلاف الأعراف والسكك والبلدان، وذلك حسب الدراهم العرفية التي تتركب منها، وقد استعمل السوسيون أوقية عرفية تتميز عن بقية الأواقي المستعملة في أغلب الجهات والحواضرالمغربية، تدعى أوقية بلاد جزولة، وفي الوثائق السوسية كذلك تذكر الأواقي الأخرى باعتبار أنها تستعمل في سوس، مثل أوقية مراكش، أو تذكر على سبيل المقارنة كأوقية درعة وفاس.

أ ـ أوقية بلاد جزولة : لم نعثر على أي آثار تفيد استعمالها في غير سوس، ويوجد منها نوعان :

* الأوقية الكبرى وتدعى «الأوقية الصنجية» لأنها تتركب من 40 درهما من دراهم الصنجة المنسوبة لأحمد المنصور السعدي التي يزن كل منها 5 حبات من الشعير، أي أنها تزن 200 حبة : (= 8,82 غ).

* الأوقية الصغرى وتدعى «الأوقية السُّدُسية» لانها سدس المثقال، فهي سدس 40 موزونة التي في المثقال العددي، فهي إذن عددية تساوي 6,65 موزونة الناتجة عن 40/6 وتتركب عدديا من أي سكة كانت. ويندرج تحت هذه الأوقية نوعان من الأواقي أيضا وهي :

*الأوقية الأحمدية الكبرى، تتركب من دراهم أحمد المنصور الكبيرة التي يزن كل منها 25 حبة، وهي سدُسية أيضا، ومجموع حبوبها هو (25 ح 6,66 = 160,5 حبة)، أي تساوي 7,3 غ.

* الأوقية السداسية الثقيلة : هي سداسية لأن المثقال يتكون من ست أواق منها من أية سكة، وثقيلة لتميزها عن الخفيفة المراكشية، وهي بذلك تعتبر أوقية عددية 6 منها بمثقال و12 بمثقالين وهكذا، وهي التي يكثر ذكرها في الرسوم، ويعبر عنها «بالسكة الجارية بست أواق للمثقال».

ب ـ أوقية درعة : وقع تحديدها في بداية القرن 17 وتتنوع إلى نوعين :

ـ أوقية كبيرة، تساوي 40 درهما من الدراهم الوازن كل منها 4,2 حبة =168 ح =7,4 غ.

ـ أوقية درعة الصغيرة : وتتركب من 24 درهما المذكورة، فهي إذن تزن 100 من الحبات، وتساوي 4,4 غ.

ج ـ أوقية مراكش : هي أوقية عددية يصفها الگرسيفي بكونها هي التي «يعرفها كل الناس ويتعاملون بها في الأسواق» وعلى أساسها يقع التعامل رسمياً في القرن التاسع عشر في مجموع البلاد، وفي الحسابات المخزنية وتتركب من أربع موزونات من أي سكة كانت، سواء من الموزونات العرفية أو من الموزونة التي هي ربع الدرهم الشرعي، وتعتبر هذه الأوقية عشر المثقال العددي فالمثقال حسب قاعدة الصرف يساوي 10 أواقي.

د ـ أوقية فاس : وقع تحديدها في القرن السادس عشر، وكانت تتركب من 80 درهما وطاسيا، كل درهم منها يزن 7 حبات، وتزن هذه الأوقية 560 من الحبات أو 24,7 غ.

إن كثيرا من الأواقي الحسابية لم يعد الناس يحتاجون إليها ـ منذ القرن الثامن عشر ـ إلا لحل بعض المشاكل في العقود القديمة.

أوقية النحاس : وحدة حسابية، لأن المثقال ظل يطلق على القطعة الذهبية، وكان لفظه مرادفا للدينار إلى القرن الثامن عشر، حيث أصبح يطلق على عشرة دراهم فضية، وفي الإصلاح النقدي الذي قام به السلطان سيدي محمد بن عبدالله سنة 1766م، أسس عملته على هذا المثقال، وهو يمثل أكبر قطعة معروفة، وكان يصرف إما بعشرة دراهم أو بعشرة أواق.

فالأوقية النحاسية إذن تساوي عُشر المثقال، كما أنها تساوي الدرهم الفضي في القيمة، وهي من النقود الحسابية وليست من النقود الذاتية، بمعنى أنه لا توجد قطعة نحاسية بذاتها تسمى الأوقية، وإنما هي حسابية تتركب من 96 فلسا نحاسيا، ونظرا لوجود ثلاث فئات من القطع النحاسية ؛

القطعة الكبيرة من فئة 4 فلوس، والمتوسطة من فلسين، والصغيرة من فلس واحد ـ فإن القطع التي تصرف بها الأوقية تكون على التوالي إما 24 قطعة أو 48 قطعة أو 96 قطعة. كما أن الأوقية النحاسية تعتبر «نقوداً معدودة» وليست «نقوداً موزونة» فليس هناك وزن مضبوط للفلوس النحاسية، فصرفها يكون حسابيا ولا يقع الاهتمام بوزنها لعدة أسباب أهمها أنها لا تدخل في إطار النقود المزكاة ولا تخضع للوزن الشرعي، وكذلك لا يمكن التحكم في أوزانها نتيجة صنعها بطريقة إفراغ المعدن في قوالب لا تحدد الوزن، وكل هذا يضع عسراً في معرفة التناسب الوزني بدقة بين النقود النحاسية والنقود الفضية، وإن المحاولة التي قام بها كل من ايركمان، وبياسكون في إيجاد العلاقة بين أوقية الوزن السابقة الذكر وأوقية النقود النحاسية لا تنطبق على واقع هذه النقود، والأمثلة التي عايناها عبر كتاب بريط Brethes تدل على أن أقل وزن للأوقية النحاسية يتجاوز وزن أوقية الوزن بأربع مرات.

وقد ظلت الأوقية النحاسية مستعملة لصرف المثاقيل والأواقي والريالات طيلة القرنين 18 و19 إلى سنة 1904 حيث عوضها السلطان مولاي عبد العزيز عندما ضرب الموزونات النحاسية التي يصرف الريال الفضي بـ 500 موزونة منها، وتقابل الموزونة السنتيم في النظام النقدي الفرنسي.

ع.الفاسي، *تقييد في الموازين والوزن وتحقيقها*، مخطوط. خ. ع.121 د ؛ ع. الگرسيفي، *رسالة في تحرير السكك المغربية*، مخطوط خاص ؛ *رسالة في تحقيق الأوزان والمكاييل*، مخطوط. خ. ع. 1877 ؛ أ. سكيرج، *الروضة اليانعة* ؛ ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، 1 : 393، 406، 2 : 66 ؛ ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب* ؛ م.اللحية، *وثيقة عن بعض المكاييل والموازين بالعواصم المغربية، فاس، مكناس ومراكش في القرن 19*، مجلة دراسات، كلية الآداب أگادير، ع: 1، 1987، ص 57 ـ 83.

J. Erckmann, *Le Maroc moderne*, p. 159, 161 ; J. Brethes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, p. 128, 240, 241...; *Petit guide de l'immigrant*, Paris, 1911, p. 46 ; J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, t 3, p. 97; D. Eustache, *Etude de numismatique et de métrologie musulmanes, H.T*, vol. X fasc 1-2, 1969, p.95,189 ; *Corpus des monnaies Alawites*, Rabat, Publication de la Banque du Maroc, p. 297, 306... ; P. Pascon, *La maison d'Iligh*.

عبر أفا

أُوگارود، أحمد. من قبيلة تمسمان الريفية، أحد أعيانها البارزين. تميز بأخلاقه الكريمة وأمانته، فأصبحت له مكانة محترمة في قبيلته، وحظوة وتقدير بين القبائل المجاورة.

انخرط في صفوف الثورة الريفية التي تزعمها محمد بن عبدالكريم الخطابي منذ انطلاقتها الأولى، وساهم باخلاص في إنجاحها، مما جعله يحظى باعتبار عند الأمير محمد بن عبدالكريم الخطابي، ويقع عليه الاختيار لشغل أحد المناصب العليا في الجهاز المسيّر للثورة.

ذلك أن الانتصارات العسكرية التي حققتها الثورة وسعت الرقعة الجغرافية المحررة مما استلزم تنظيم شؤونها، فاجتمع محمد بن عبدالكريم مع الأعيان الممثلين للقبائل الريفية، وفوض لهم أمر اختيار مسؤولين منهم (وزراء وغيرهم) ليكونوا إلى جانبه يساعدونه على تسيير إدارة شؤون الثورة، شريطة أن يكون هؤلاء ينفقون على أنفسهم من مالهم الخاص، إلا فيما يرجع للمصاريف الخاصة بالتنقل من أجل الصالح العام، فوقع الاختيار على نخبة من الأعيان الذين يجمعون بين الثقة والثبات والكفاءة منهم السيد أحمد أوگارود الذي عين أمينا مكلفا بنظارة الأوقاف في الجهاز المركزي للثورة إلى جانب المسؤول (الوزير) عن المالية السيد عبدالسلام الخطابي، عم الزعيم ابن عبد الكريم.

كان أُوگارود قد وقع عليه الاختيار للائتمان على المال المقبوض من الإسبانيين بتاريخ 27 يناير 1923 فدية لاطلاق سراح مساجينهم في الريف البالغ عددهم حوالي 370 بين ضباط وجنود. ونظرا لما للمال من أهمية في المحافظة على الثورة وضمان استمراريتها، فقد حرص ابن عبدالكريم على إنفاقه بصرامة وحكمة في مصالح المجاهدين والثورة، لذلك أسندت هذه المهمة إلى جماعة من الرجال الثقاة الأمناء الصادقين وعلى رأسهم عبدالسلام الخطابي والأمين أوگارود والأمين شعيب بزيف الحذيفائي ومحمد أصريح اليوسفي. وأشرف هؤلاء ـ وفي مقدمتهم أوگارود ـ على إنفاق هذا المال في أمور الثورة. فخُصص قدرٌ منه لتقديم معاشات ومساعدات للأسر الفقيرة من جميع القبائل التي قتل بعض أفرادها في معارك الثورة الريفية. كما استعمل في شراء بعض اللوازم الحربية وذخائر البنادق التي كان الناس، إلى ذلك التاريخ، يشترونها من مالهم الخاص. وصُرف قسط منه في دفع رواتب الجيش النظامي الذي أصبح يتقاضى رواتب منتظمة.

ونظرا لما أظهره هؤلاء من الحزم والدقة وضبط الحسابات خلال هذه الفترة، أسندت إليهم نفس المهام عندما تم الإعلان الرسمي عن تشكيل الجهاز الأعلى المركزي لتسيير شؤون الثورة الذي شغل فيه أوگارود منصب أمانة الأوقاف.

وقد أشرف على تنظيم الأحباس، فضبط مداخيلها بحيث بلغت 75 ألف بسيطة سنويا، وهي ضعيفة بمقارنتها مع غيرها من موارد الثورة، وإذا كان قد حرص على صرف هذه الأموال فيما حبست من أجله الأوقاف التي تدرها، فإنه مع ذلك لا يستبعد أن تكون قد أدمجت في مالية الثورة لصرفها في شؤون الحرب وغيرها من الأمور ذات الصبغة الاستراتيجية التي تطلبت أموالا باهظة، خاصة عندما تعاظمت أعباء الثورة بالتحالف الاستعماري الفرنسي الإسباني ضدها.

وبالإضافة إلى المهام السابقة، تولى أوگارود أيضا الإشراف على جمع مداخيل الضرائب من مكوس وأرباح وأملاك ومحاصيل وماشية وغيرها، بلغت حوالي 300 ألف بسيطة نقدا وعينا. وكانت الحبوب تجمع في كل قبيلة فتخزن في المطامر تحت إشراف الأمين المذكور، ثم توجه

على يده لتموين المجاهدين في جبهات القتال وفي المراكز التي كانوا يرابطون بها.

وهكذا دأب الأمين أوگارود على العمل بإخلاص وصدق ونكران ذات لتمكين الثورة من الموارد المالية اللازمة لاستمراريتها، وأشرف على صرفها في مصلحة الثورة من غير أن تمتد يده إلى شيء منها، ولهذه الخصال علا شأنه عند المجاهدين عامة وعند محمد بن عبدالكريم الذي قربه إليه خاصة.

وقد ظل على استقامته طيلة فترة الثورة وبعدها، أمينا مستقيما في عمله واضحاً في مواقفه متواضعاً في سلوكه.

م. أزركان، *الظل الوريف*، مخطوط، ص76. 85 ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف*، 2 : 132. 133 و151. 154 ؛ القاضي محمد عمر، *أسد الريف*، 133. 134 ؛ م. ح. الوزاني، *مذكرات*، 2 : 341.

مصطفى أريب

أُوكَاشْط، أحمد بن على التناني، ويقال له أيضاً الكاشطي نسبة إلى قرية كَاشْطْ بإداوتنان حيث نشأته. ذُكر أن ولادته كانت سنة 1892/1310.

أخذ قليلا من العلم بسوس ثم التحق بناحية جبالة حيث أخذ كثيراً عن علماء تلك الجهة، كما درس أيضا في فاس ثم رجع إلى قبيلته بهمة وإقدام فانتصب للتدريس وتلقين الطريقة التجانية بمدرسة أَلْمَا.

تقع مدرسة أَلْمَا بإسفسافن بإداوتنان، يجهل تاريخ تأسيسها إلا أن المعروف أنها كانت مدرسة صغيرة لا تكاد تذكر إلى أن استقر بها أحمد الكاشطي فازدادت أهميتها وعظمت شهرتها.

طرق الكاشطي جميع أبواب معارف عصره من فقه ولغة وأدب. ومن آثاره المعروفة كتاب *تعريف البلدة التنانية ذات المواهب الريانية*، توجد نسخة منه بمدرسة أَلْمَا، تحدث فيه عن تاريخ إداوتنان، وترجم فيه لعدد من شيوخه وبعض العلماء المحليين. وله ديوان في مدح الرسول (صلعم) والشيخ أحمد التيجاني، وقصيدة في جهاد حاحة ضد المستعمر في فترة الحماية.

توفي سنة 1956/1376.

أ. أوكاشط، *تعريف البلدة التنانية*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 15: 90. 93.

حمدي أنوش

أُوكَالِيبْتُوسْ Eucalyptus (=كَلِيطُو = كَافُور) جنس ينتمي إلى فصيلة الآسيات Myrtaceae. ويحتوي على حوالي 630 نوع، منها الأشجار التي يتجاوز ارتفاعها 100 متر. ومنها الأشجار المتوسطة القامة، ومنها الشجيرات التي لا يتعدى ارتفاعها مترين.

إن الموطن الأصلي لكل هذه الأنواع هو استراليا، باستثناء اثنين يظهران في أندونيسيا وماليزيا.

أدخل الأوكاليبتوس إلى شمال افريقيا في الخمسينات من القرن التاسع عشر وذلك لإصلاح أراضي المستنقعات بسهل ميتدْجَهْ بجنوب الجزائر العاصمة. وابتداء من هذه الفترة أُدْخِلَ إلى بلاد الجزائر ما يقرب من مائة نوع من هذا الجنس.

أما في المغرب فأول نوع أدخل هو أوكاليبتوس گْلُوبُولُوسْ Eucalyptus Globulus الذي استعمل لتزيين بعض الحدائق بالضواحي الغربية لمدينة طنجة. وكان ذلك سنة 1890. لكن أهم عمليات التشجير به بدأت سنة 1920 باستعمال أوكاليبْتوسْ كَمَالْدولانْزيس Eucalyptus camaldulensis وأوكَاليبْتُوس گونْفُوصَفَالا Eucalyptus gomphocephala في الأراضي الرملية بسهل الغرب وغابة المعمورة. وفي سنة 1948 قامت بعثة من الإخصائيين برحلة إلى استراليا لجلب حوالي 200 نوع من الأشجار الحراجية الأسترالية وأغلبها من جنس الأوكاليبْتوس. وقد وزعت على محطات منتشرة عبر المغرب وذلك لمعرفة امكانية استعمالها في التشجير. لكن عدداً قليلاً من هذه الأنواع استطاع أن يعيش ويتكيف مع شروط بيئيّة تختلف عن الشرط التي كانت تعيش فيها في موطنها الأصلي. فمنها ما يتحمل الجفاف، ومنها ما يتحمل البرودة. ومنها ما يقاوم الرياح المالحة.

إن تمييز أنواع الأوكاليبتوس يرتكز على عدة عوامل وأهمها قشرة جذع الشجرة وشكل أزرارها وثمارها.

تكون قشرة الجذع متساقطة أو دائمة. ففي الحالة الأولى تتساقط القشرة بشكل أشرطة طولانية أو صفائح متطاولة أو صفائح صغيرة أو حراشف. أما القشرة الدائمة فهي إما حديدية وإما ليفية وإما حرشفية.

تختلف أزهار الأوكاليبتوس باختلاف الأنواع. وأهم عامل لتمييز الأنواع هو غطاء الزهرة المكون من البتلات الملتحمة مع بعضها مشكلة قطعة واحدة تتساقط عند تفتح الزهرة. وهذا الغطاء يظهر على أشكال جد مختلفة.

وإضافة إلى هذه المعلومات العامة نود أن نتطرق إلى النوعين الأكثر استعمالا في التشجير بالمغرب :

- أوكَالِيبْتُوس كَمَالْدُولانْزيس Eucalyptus camaldulensis شجرة كبيرة يمكن أن يبلغ ارتفاعها 50 مترا، ذات تاج كبير كروي الشكل. قشرة جذعها متساقطة بشكل صفائح متطاولة ذات أبعاد مختلفة. أوراقها البالغة خضراء، غامقة ورمحية. ازهارها مجتمعة بشكل مظلة ذات غطاء منقري قليلا. ثمارها متخشبة ونصف كروية.

أُدخل هذا النوع إلى المغرب في بداية القرن العشرين واستعمل للتشجير الحراجي على نطاق واسع وخاصة في المناطق الرملية حتى سهل الغرب وغابة المعمورة وذلك لإنتاج المادة الأولى لمعجين الورق بمعمل السللوز بسيدي يحيى الغرب.

وقد أعطى نتائج لا بأس بها في المناطق البيومناخية شبه الجافة و شبه الرطبة ذات الشكلين الحار والمعتدل إذ أنه يخشى البرد القارس.

إن هذا النوع يتطلب تربة سميكة وخالية من كربونات الكالسيوم الفعالة.

يستعمل خشب هذا النوع للتدفئة وكخشب صناعي أيضا.

- أوكاليبتوس گونفوصفالا Eucalyptus gomphocephala شجرة كبيرة يمكن أن يبلغ ارتفاعها 40 مترا، ذات تاج كروي الشكل، قشرة جذعها سميكة ودائمة وليفية ومشققة طولانيا. أوراقها البالغة متبادلة معنقة رمحية. أزهارها مجتمعة على هيئة مظلة ذات محلاق مسطح. غطاء الزر بشكل قبعة نصف كروية. ثمارها جرسية الشكل.

استعمل هذا النوع في التشجير على جوانب الطرق في جل أنحاء المغرب شبه الرطب وشبه الجاف، والجاف. إنه لا يبالي بالتركيب الكيماوي للتربة ويمكنه أن يعيش في أتربة غنية بكاربونات الكالسيوم الفعالة وفي مناطق لا يتعدى معدلها السنوي من الأمطار 300 ملم. وقد أعطى نتائج جيدة في المناطق شبه الجافة وشبه الرطبة الحارة والمعتدلة، وخاصة في السهول الساحلية.

يمكن استعمال هذا النوع في التشجير لانتاج خشب النجارة أو الصناعة أو الخدمات، أو حطب التدفئة. كما أنه يعطى نتائج ممتازة في تثبيت الكثبان الرملية الساحلية البعيدة قليلا عن البحر، إذ أنه يتحمل رياح البحر المالحة.

إ. نحال، *أساسيات علم الحراج*، منشورات جامعة حلب، كلية الزراعة، حلب 1983.

A. Métto, *L'ecologie des eucalyptus : son application au Maroc. Mémoires de la Société des Sciences Naturelles du Maroc*, XLIX, Paris, Larose, 1948 ; A. Benabid, *A propos de l'écologie des essences forestieres du Sud Ouest australien méditerranéen : Application au Maghreb, Ann. Rech. forest. Mar*, T.24, 1984.

عبدالمالك بنعبيد

أوكايمدن، يطلق على محطة جبلية للتزلج، تعتبر مركزاً محددا يدخل ضمن الجماعة القروية لأسني التابعة لدائرة تحناوت بإقليم مراكش. كما يطلق على المنتجع الصيفي الذي أنشئت به المحطة، وهو عبارة عن حوض مستو معلق بالسفح الشمالي للأطلس الكبير المراكشي، يقع على علو 2650 م. ويمتد عند أقدام جبل أوكايمدن (3260 م) الذي يتكون من صخور گرانيتية، ويتميز بانحداره المنتظم، والذي يحد الحوض من الجهة الجنوبية، وجبل أنكور (3614 م) الذي يتكون من صخور صهيرية مسننة تحده من الجهة الشرقية. وينتهي الحوض من الجهة الشمالية بحافة تيزراگ، التي تشرف على الجبال المتوسطة وسهل الحوز.

تبلغ مساحة الحوض المستوية حوالي 3000 هـ. ويقطعه مجرى أسيف أيت إيران غير المتعمق والذي يكون المجرى الأعلى لواد أوكايمدن، أحد أهم روافد واد أوريكة. تتكون أرضية الحوض من تربة حمراء مشتقة من صخور الحث، تغطيها الثلوج شتاء، وتنمو بها الأعشاب بعد ذوبانها في نهاية الربيع، ولا تنمو به أشجار إذ يوجد فوق مستوى نمو الغابة، ويتعرض الحوض في جل أيام الصيف لرياح محلية متغيرة واشعاع شمسي قوي، مما يحول لحد الآن دون استغلاله صيفا في السياحة والرياضة الجبلية، رغم توفره على بحيرة اصطناعية صغيرة، وراء السد الصغير المقام على أسيف أيت إيران.

تعني كلمة «أوكايمدن» بالبربرية: مكان تجمع الناس. وهو مرعى جماعي غني تنتفع به مجموعات من فروع قبائل أوريكة وغيغاية، ويوجد تحت حماية الوالي سيد محمد أوفارس الذي يقع ضريحه بهضبة إنغان، أسفل حافة تيزراگ، لا يوجد به سكن دائم، ولكن تنتشر به «عزبان» كثيرة فردية وجماعية.

ظهور وتطور محطة التزلج : ولأهمية التساقطات الثلجية بأوكايمدن وقربه من مراكش (75 كلم). اهتم به الأوربيون في عهد الحماية، وعملوا على تجهيزه، وانشاء محطة لرياضة التزلج. وأول منشأة ظهرت به هي مأوى تابع للنادي الألبي الفرنسي سنة 1936. وبني الطريق الأول الذي يربط أوكايمدن بتحناوت بين سنتي 1937 و1939 من طرف الجيش الفرنسي، الذي أنشأ بها ثكنة عسكرية، وبني كذلك مصعداً ميكانيكيا للتزلج. كما ظهر بها خلال الفترة الاستعمارية عدد من المآوي الرياضية، حوالي عشر إقامات ثانوية وفندقين، كما جهزت المحطة بمولد كهربائي محلي وبرج لتوزيع الماء الشروب.

وبعد الاستقلال لقيت المحطة اهتماما كبيراً من طرف المسؤولين، فوضع لها تصميم تنمية سنة 1960، وربطت بالشبكة الكهربائية الوطنية سنة 1961. كما جهزت سنة 1966 بطريق جديد واسع يربطها بطريق وادي أوريكة، وجددت شبكة الماء الشروب، والماء الحار، وبني بها عدد من الإقامات الثانوية، ووسعت الفنادق والمآوي القديمة.

العمران والتجهيزات الرياضية : تتكون المنشآت العمرانية والرياضية للمحطة سنة 1985 من ثلاثة فنادق. منها فندق كبير لوزارة السياحة، توقفت عملية بنائه بعد أن أشرف على نهايته منذ 1980، يضم 180 غرفة، وفندقان متوسطان سعتهما 120 سريراً. وستة أندية رياضية أكبرها نادي الشبيبة والرياضة 120 سريراً والنادي الألبي الفرنسي الذي جدد ووسع مؤخراً فوصلت سعته إلى 160 سريراً.

كما تنتشر على سفح جبل تيزراگ 75 إقامة ثانوية كبيرة ومتوسطة، بالإضافة إلى تسع عمارات بها 92 شقة، وبعض المنازل الفردية الصغيرة. ويلاحظ اليوم أن الكثير من الإقامات، قسم إلى شقق أصغر مما وسع الطاقة الإيوائية للمحطة. ويتخلل هذه المنشآت طرق معبدة وأعمدة الإنارة، وفي النصف الأول من الثمانينات كان يتم سنويا بناء 63 منازل تحت إشراف مصالح دائرة تحناوت التي تجهز بقعاً وتبيعها.

وينتشر بأطراف حوض أوكايمدن عدد من «العزبان» المنفردة أو المجمعة على شكل قرى، تنتمي إلى مجموعات قبلية أهمها: آيت أوسرتك التي جمعت «عزبانها» وأعيد بناؤها بسفح قريب من تيزي أوكايمدن، بعد أن أزيلت من سفح تيزراگ. لتحل محلها الإقامات الثانوية الحديثة.

وتتوفر المحطة على بعض التجهيزات الاجتماعية، منها مستوصف ومركز تجاري. يتجمع معظمها بأسفل سفح تيزراگ، عند انقطاع الانحدار، على طول الطريق الرئيسي، وأمام المحطة الرئيسية لوقوف السيارات.

أما تجهيزات التزلج فتنتشر على السفح الشمالي بجبل أوكايمدن. وتتكون من ثمانية مصاعد للتزلج وناقلة هوائية طولها ثلاثة كلم وعلوها 650 م تحمل الرياضيين والسواح إلى قمة جبل أوكايمدن. وتبلغ المساحة المعدة لرياضة التزلج 11.000 هـ.

السكان : لا يوجد بالمحطة سكن دائم، فلم يُحص بها في إحصاء 1982 سوى 26 شخصاً كمقيمين، كلهم من حراس المنازل، لكنها تتحول في فصل التزلج الذي يدوم رسمياً أربعة أشهر (جنبر، يناير، فبراير، مارس) إلى مدينة حديثة تزخر بالحياة والنشاط إذا ما تساقطت الثلوج الكافية للتزلج، كما تكون المحطة منطلقا للقيام بجولات مشي على الأقدام لزيارة الأودية والفجاج والقمم، إذ تكون مرحلة مهمة في شبكة الجولات الجبلية بالأطلس الكبير. وفي فصل الصيف يرتادها الرعاة بماشيتهم ابتداء من يوليوز، كما يفد إليها عدد من الأسر القروية، ويستمر بها الرعي إلى أن تنفد جميع الأعشاب في أواخر شتنبر.

لقد كان لاستقرار هذه المحطة الرياضية بعمق الجبل، بمنشآتها العصرية وزوارها، انعكاسٌ مجاليٌ، تزداد خطورته باستمرار، وتتجلى حاليا في تلويث مياه الواد مما دعا إلى إقامة محطة لتنقية المياه المستعملة قبل رجوعها إلى الواد، كما تتجلى في تناثر الأزبال، والتأثير على نفسية الرعاة والريفيين المجاورين الذين يتطلعون إلى المشاركة في النموذج الحضري المهيمن.

بحث ميداني.

أحمد هوزالي

الأولاد (جماعة ـ) ← **سطات** (اقليم ـ)

أولاد أحمد ← **سطات** (اقليم ـ)

أولاد باعمر، فخذة من قبائل أولاد دليم سكان الصحراء المغربية، تتكون من الفرق التالية : المزايدة، أهل الفقير بريكة، العمامرة، السواعيل.

م. الغربي، الساقية الحمراء ووادي الذهب، 1: 419.

I. Camero Ruiz, *Vocabulario geografico-sahariano*, Madrid, 1955, p. 221 ; A. Domenech, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946, p. 155.

محمد ابن عزوزحكيم

أولادبرحيل ← **تارودانت** (اقليم ـ)

أولاد البگّار، فريق من السباعيين المستقرين بالحوز في المنطقة التي تسمى بالـمَجُّون شرق وادي شيشاوة بالمحاذاة مع قبيلتي تكنة ومجاط. وينتشر إخوانهم في أماكن متعددة من الصحراء المغربية كما يوجدون في موريطانيا (*Une Tribu*, 254 et suite).

ينتسب أولاد البگار إلى جدهم محمد البگار السباعي من فرقة أولاد الحاج من فخذ أولاد عمرو. وقد استشهد محمد البگار مع ابنه محمد المختار وإخوته في إحدى المعارك ضد البرتغاليين المحتلين. وأصبحوا يعرفون بالشهداء السباعيين السبعة المدفونين شمال غربي مدينة اسمارة.

السباعي عبد المعطي، *الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع*، 1940 ؛ م. ح. كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*، د. د. ع. 1988.

Bonafas (Capitaine), *Une Tribu Marocaine en Mauritanie, les Ouled bou Sbaâ*, *B.S.G.A.O.* 52e année T. L. Fasc 183, 1929, pp. 249 - 267 ; De la Chapelle (Frédéric), *Esquisse d'une histoire du Sahara occidental, actes du 7e congrès IHEM*, Rabat 1930. *Hesp.* 1930.

أولاد بوتـْليلي، يشكلون فريقاً ينتسب إلى فرقة أولاد إدريس، التابعة لفخذ أولاد عمران السباعيين، ويستقرون بتغسريت وهي الناحية الغربية من القبيلة السباعية بالحوز على مقربة من الحدود مع قبيلة الشياظمة.

عقود نسب الشرفاء السباعيين ؛ م. ح. كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*، د. د. ع. 1988.

أولاد بوحسين، ثلاث فرق تابعة لقبيلة أولاد بو السباع، وهي : أولاد عبد الوهاب وأولاد عبد اللهين مبارك وأهل تـَسَلْولت. أما بوحسين الجد الذي ينتسبون إليه، فهو من فخذ أولاد عمران السباعيين، ويوجد قبره بأدْرار الصحراء، "بواد هنالك بحفرة بوحسين قرب تيرس، بينه وبين جبل التمر المسمى بأدرار مسيرة خمسة أيام" (*عقود النسب*).

م. ح. كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*، د. د. ع. الرباط 1988.

م. حسن كفناني

أولاد بُوزَرارة، قبيلة عربية من عرب معقل الذين وفدوا على المغرب في عدد قليل مع قبائل بني هلال حين أدخلهم الموحدون دكالة، فاستوطنوها بصفة نهائية.

كانت هذه القبيلة إلى أوائل القرن العشرين تشتمل على البطون التالية : مَسْناوَة وأولاد رحّال وفطناسَة وأولاد جابر وأولاد أحمد وأولاد مسلّم وأولاد طويرَة وبني هلال وأولاد سيدي بويحيى وبني عامر وأولاد الطالب. ثم طرأ عليها بعض التغيير، فاختفى منها بطن مَسْناوة نهائيا، وبطن أولاد طويرة موقتاً، بينما أصبح يُعدُّ من أولاد بوزرارة بطن جديد هو أولاد التونسي، وهو لا شك أجنبي عن هذه القبيلة وإنما ضُمَّ إليها إدارياً، إذ أن السلطات الحكومية كانت تعْمَد أحياناً، لاعتبارات تنظيمية أو سياسية، إلى فصل بعض البطون عن قبائلها الأصلية وضمها إلى غيرها، مما يجعل اليومَ التعرُّف على أرومة هذه القبيلة أو تلك من الصعوبة بمكان.

هكذا، فإن التقسيم الاداري الذي توجد عليه حالياً قبيلة أولاد بوزرارة لا يعكس مطلقاً التركيب الحقيقي لهذه القبيلة التي فُصلت عنها بعض بطونها وأدمجت فيها بطون أجنبية عنها، فأصبحت عبارة عن قسمين كبيرين:

أولاد بوزرارة الشمالية تشمل بني عامر الذين يرجع أصلهم إلى قبيلة رياح، واجْدادْ، والشراريد وهم من الشراردة كما يدل على ذلك اسمهم، والزيايْنة، والدّوميّين وأولاد سيدي بويحيى وأصلهم من قبيلة عوف، وأولاد طويرة وأولاد أحمد وأصلهم من سُلَيْم، وأولاد مُومَنْ.

أولاد بوزرارة الجنوبية تضم أولاد رحال، وأولاد مسلّم الذين يرجع أصلهم إلى قبيلة رياح، والكْعَابْرة وأولاد جابر وهم من جشم، والبَرّاكْة وفَطْناسة وأولاد طويرة، وأولاد أحمد وهم من بني سُلَيْم، والقواسم وهم مجموعة مرابطيّة ألحقت مؤخراً بقبيلة أولاد بوزرارة.

ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ م. الكانوني، *أسفي وما إليه*.

J. Goulven, *Le Cercle des Doukkala*, Paris, 1917 ; M. Bellaire, *Les Doukkala, in Villes et tribus du Maroc* ; Ministère de l'Intérieur, *Répertoire alphabètique des tribus du Maroc*.

أولاد بُوعْزيزْ، إحدى القبائل العربية الست المسماة بالقبائل الشرقيّة التي استقرت بدكالة، وهي : أولاد بوعزيز وأولاد سبَيْطة وأولاد فرج وأولاد عمران يليسْكاون وأولادْ عمران أيت علي وأولاد يعقوب. أغلبية هذه القبائل هلالية امتدت فترة دخولها إلى المغرب من القرن الخامس إلى أوائل القرن السابع (11 ـ 13 م).

انتشرت قبيلة أولاد بوعزيز بعد دخولها دكالة جنوب أزمور على طول الساحل إلى حدود الجرف الأصفر حيث كانت تبتدئ منطقة قبيلة مشنزاية المصمودية. والراجح أنها حلت محل قبيلة صنهاجة التي لم يبق منها اليوم سوى قسم صغير حول أزمور يُعرف ب «الهَنّيويّين». وهناك رواية أخرى، هي رواية كتاب *زهر البستان* لمحمد العياشي تقول «إن سفيان كانوا في دولة السعديين حلولاً بأطراف مدينة أزمور بدكالة مَكان قبيلة أولاد أبي عزيز الآن، وكان السلطان أحمد المنصور قد أنزل أولاد أبي عزيز بطرف أزْغار على وادي بهت، وكانت حللهم منتشرة هناك ... حتى مات أحمد المنصور (سنة 1012) فانتقل أولاد أبي عزيز لبلادهم حذاء أزمور وارتحل سفيان من دكالة للغرب».

ظل أولاد بوعزيز يواجهون أعنف الهجومات التي كان البرتغاليون يشنونها على شمال دكالة إلى أن تحررت البريجة على يد السلطان سيدي محمد بن عبد الله. وكانت قبيلة أولاد بوعزيز تضم الفروع التالية : أولاد دويب وأولاد حسين وأولاد داوود وأولاد مسعود وأولاد عيسى وأولاد غانم.

فكان أولاد حسين يضمون البرابرة والسليمنات والبحابحة وأولاد رحمون وأولاد حميان والمعاتگة والجواولة وزاوية سيدي محمد وأولاد بومهدي والخشيلعات والورادة وأولاد ميمون والمساعدة وبوكرمات والگوارّة وأولاد بَجْدّاد وأولاد بوواهْلة وبانسا والغُرْبا والسراحْنة والمراغية.

أما أولاد دويب فكانوا يضمون :

ـ الكلايلية الغنيميين وهم يشتملون على البواشة وهوارة والوجاجنة وأولاد نوح والدحوش والمنادلة والغنادرة والگنادلة وأولاد مقدم والغنيميين.

ـ أولاد عتّو، يشتملون على أولاد بُورّة وبطّيوة والدّرُوسة وأولاد اسماعيل والحبارّة وأولاد القاضي والسراغنة وأولاد حسون والسرابتة والحراريّين.

ـ أولاد جماعة، يضمون أولاد إبراهيم وأولاد ناصر والگناوّيين والمراكشيين.

ـ المعاشات، يضمون الكوانين وزاوية مولاي عبدالله، وشرفاء دار بن حمو والعبابدة وأولاد زليم والعطاعطة.

وفي أوائل الاستقلال أصبحت بطون قبيلة أولاد بوعزيز مرتبة من الناحية الادارية كما يلي :

ـ أولاد بوعزيز الشمالية، وفيها : العبابدة والمنادلة وبطيوة والسراحنة والشرفة وأولاد إسماعيل الجنوبية والسراغنة وأولاد رحمون والمعاشات والسليمنات، والجواولة و الهرابزة والهمامدة.

ـ أولاد بوعزيز الوسطى، وفيها أولاد تريعة وأولاد زليم والعطاعطة وأولاد ربيعة وسيدي اسماعيل.

ـ أولاد بوعزيز الجنوبية، وفيها الزراولة والگنادلة والگطيبات وزاوية سايس والجوامعة وأولاد شعير والحمامنة والعزيزات والمعاليم و أولاد موسى وأولاد عياد.

ومن الملاحظ أن عدة تغييرات قد طرأت على تركيب هذه القبيلة فأصبحت مثلاً فرقة من بطوية تعد منها ـ بعد أن انفصلت عن قبيلتها المعروفة بشمال المغرب، كما أضيف إليها أولاد عتّو وبانسا والگناويين وغيرهم.

أ. بوشرب، *دكالة*.

J. Goulven, *le Cercle des Doukkala*, Paris, 1917 ; M. Bellaire, *Les Doukkala in Villes et tribus du Maroc* ; Ministère de l'Interieur, 1956, *Répertoire alphabétique des tribus du Maroc*.

محمد الشياظمي

أولادبوعلي ←البروج

أولاد بُوعَنْگة، فريق من السباعين المستقرين في القبيلة بالحوز على مقربة من وادي بوعنفير، وفي تغريست، أي القسم الغربي من القبيلة. وينتشر إخوانهم في أماكن متعددة بالصحراء المغربية. ويوجد آخرون في موريطانيا،

وقد انتقل البعض منهم إلى الجزائر جنوب مدينة وهران (*Une tribu*. 254 et suite).

والجد الذي ينتسبون إليه هو إبراهيم السباعي بوعنكة من فرقة أولاد الحاج السباعية من فخذ أولاد عمرو.

ومن المعلوم أن السباعيين قاوموا الاحتلال البرتغالي في الساقية الحمراء واستماتوا في الجهاد حتى طردوا النصارى من المنطقة. وخلال إحدى المعارك التي دارت بينهم وبين كتيبة برتغالية كان يتزعمها قائد يدعى الشمصعي (Soumide) (*Esquisse*, 75) اشتهد إبراهيم بوعنكة وإخوته عيسى ومحمد البكار وابنه محمد المختار وولدا أخيه عبد الرحمان الغازي وهما عبد المولى والعباس، وسباعي آخر يدعى محمد أگلـلش. وكلهم صاروا يعرفون بالشهداء السباعيين السبعة. وهم مدفونون قرب ضريح الولي سيدي أحمد العروسي على بعد حوالي 30 كلم شمال غربي مدينة اسمارة. وإليهم تنتسب عدة فرق سباعية سواء في الحوز أو في الصحراء أو في موريطانيا، مثل أولاد عبد المولى وأولاد البكار (الدفاع، 42).

السباعي عبد المعطي، *الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع*، الرباط، 1940 ؛ ع. كفناني، *قبيلة أولاد بني السباع في القرن التاسع عشر*، د.د.ع، 1988.

Bonafos (Capitaine), *Une tribu Marocaine en Mauritanie : Les Ouled bou Sbaâ*. Bull. Trim. Société. de géog. et d'archéo. oran, 52e année T. L. Fasc. 183, 1929, p. 249 - 267 ; De La Chapelle (Frederic), *Esquisse d'une Histoire du Sahara*

أولاد بويحيى، وبها 4 مداشر : أولاد الداودي وبها 3 مداشر. أولاد الشيخ وبها 4 مداشر. والوادين وبها 7 مداشر. ويوجد مركزها الرئيسي بقرية زايو.

أولاد تايمة، أحد مراكز سهل سوس، يقع وسط قبيلة هوارة في منتصف الطريق الرابط بين أگادير وتارودانت. الأصل فيه النواة القروية التي أنشأتها إدارة الحماية، في الأربعينات بجوار دوار زاوية سيدي الطيب، وسط أهم تركز للفلاحة العصرية في سهل سوس. إلا أن الأنشطة المستحدثة كالتجارة والتلفيف، لم تؤد إلى تزايد ملموس للسكان الذين لم يتجاوز عددهم 250 نسمة سنة 1952.

في السنوات الأولى للاستقلال، أصبح أولاد تايمة مقراً لملحقة تابعة لدائرة إنزگان. حظيت بمبادرات خاصة في التجهيز والتعمير حيث أقيمت بها شبكة طرق معبدة وبدأت تعرف تشييد بعض الدور والمحلات التجارية على أطراف النواة الاستعمارية. لكن إلى حدود سنة 1960، لم يتعد سكان هذه القرية 867 نسمة.

وفي الستينات ـ وبارتباط مع الطريق ومع الفلاحة العصرية التي شهدت بهذه المنطقة الريفية الآهلة بالسكان تحولات هامة بعد 1965 تاريخ تأسيس المكتب الوطني للتسويق والتصدير وصندوق القرض الفلاحي ـ تعزز دورها التجاري حيث ظهرت بها أنشطة تجارية قارة وخدمات أعطت المركز طابعا حضريا. وتجلت نتائج هذه المرحلة التمدينية في ظهور أحياء سكنية جديدة وأيضا في ارتفاع عدد السكان إلى 2.819 نسمة سنة 1971، السنة التي ارتقت فيها إلى مستوى مدينة، وأصبحت عاصمة لدائرة تدير عشر جماعات قروية.ومنذ ذلك التاريخ والمدينة تشهد تحولات سريعة تجلت أساسا في :

ـ ظهور إدارات عمومية ومؤسسات اجتماعية وخدمات راقية.

ـ تعزيز قطاع التلفيف نتيجة إحداث عشر محطات جديدة.

ـ النمو السريع لقطاع التجارة الذي تميز بظهور تجارة الجملة (الخضر والفواكه والتغدية).

ـ سرعة عمليات تجزيء الأرض وبنائها حيث أن 57,4٪ من المجال المبني حاليا جهز وبني بين 1970 و1980. ويرتبط هذا بالوضعية القانونية لأراضي المدار الحضري حيث تسود الملكية الخاصة.

وقد ساعد هذا التطور على استقرار العديد من الوافدين بالمركز الذي بلغ عدد سكانه سنة 1982، 12.519 نسمة و19.211 إذا أخذنا بعين الاعتبار سكان الدواوير التي تطورت على أطرافه.

وهكذا، فخلال 22 سنة، تحولت أولاد تايمة من قرية طرقية إلى مدينة صغيرة. وتعتبر حالة استثنائية للنمو الحضري في المغرب. فقد تزايد سكانها بمعدل 12,9٪ بين 1960 و1982، وتعكس هذه النسبة أسرع وتيرة للنمو الحضري على الصعيد الوطني. وتنفرد أيضا بكونها مدينة التوافد حيث إن 91٪ من أرباب الأسر سنة 1982 ولدوا خارجها. وقد انحدر معظمهم في درجة أولى من وسط السهل وحواشيه الجبلية وفي درجة ثانية من الهضاب والسهول الأطلنتية (عبدة والشياظمة...).

وتمتاز أولاد تايمة أيضا بتنوع أسسها الاقتصادية التي تظهر بوضوح من خلال توزيع سكانها النشيطين بين قطاعات اقتصادية متعددة بخلاف المدن الصغرى الأخرى التي غالبا ما يسيطر عليها قطاع واحد. وأهم أنشطتها هي:

ـ الصناعة الفلاحية : وقد تجددت هذه الوظيفة منذ العهد الاستعماري الذي أنشأ خلاله ثلث وحدات تلفيف الخضر والفواكه التي تتوفر عليها المدينة اليوم. ورغم ضعف مساهمتها في تشغيل السكان الحضريين، فهي مع ذلك تشغل بكيفية موسمية 1.462 عاملا، يساهمون إلى جانب اليد العاملة الأخرى التي تفد على المركز في موسم جني الحوامض في تحريك الاقتصاد الحضري.

ـ التجارة والخدمات والحرف : تعتبر أهم نشاط اقتصادي بالمدينة حيث تشغل 74,2٪ من أرباب الأسر سنة 1982. ويتميز التجهيز التجاري العام بوجود 1509 محل دائم، أي ما يعادل محلا واحدا لكل ثمانية أفراد. ويمتاز بوجود تفاوت بين أنشطة البيع 54,8٪ وأنشطة الحرف والخدمات 45,2٪ وبتضخم تجارة التغدية 30,1٪ من مجموع المحلات، وأيضا خدمات الإصلاح والصيانة 36,8٪. ويفسر

تضخم هذا الجهاز بالدور الذي تلعبه أولاد تايمة بالجزء الداخلي من سهل سوس وحواشيه، باعتبارها أهم قطب تجاري بهذه المنطقة التي لم تعد تارودانت العاصمة التقليدية تلعب فيها سوى دور ثانوي في هذا النطاق.

سنة 1984، 876 فرداً أي أكثر من نصف عمال وحدات التلفيف.

وتجدر الإشارة إلى أن المدينة تستفيد من موارد أخرى إضافية تتمثل في عائدات الهجرة إلى الخارج التي بلغت

أولاد تايمة : المورفولوجية الحضرية

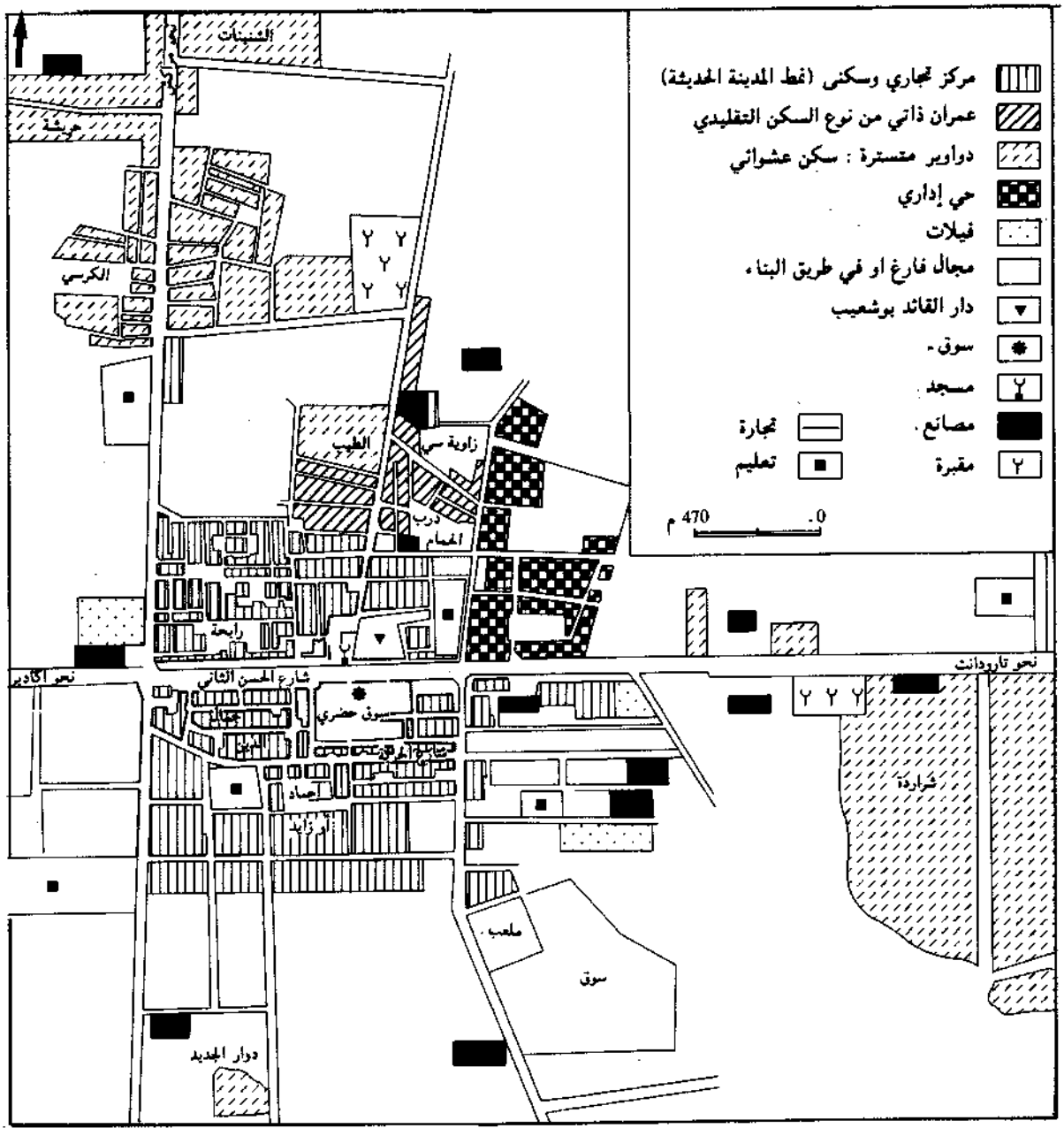

ـ الوظيفة العمومية : أصبحت منذ السبعينات من بين القطاعات المحركة للاقتصاد الحضري. ويعود ذلك إلى تقوية الجهاز الاداري وتوسيع الخدمات الاجتماعية وخصوصا ما يتعلق منها بالتعليم، وكذلك إلى اعتبار هذه المدينة مركزا لدائرة أولاد تايمة ودائرة إسن السفوية حيث تأوي أحد فروع المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي لسوس ماسة. وقد بلغ عدد المشتغلين في قطاع الوظيفة العمومية

قيمتها حوالي 72.900.780 درهما سنة 1984، وظف معظمها في شراء القطع الأرضية والبناء بالمدينة. وبالإضافة إلى هذا، فالمدينة رغم حداثتها أصبحت بعد استقطابها لعدد من الملاكين من المنطقة ذات جذور عقارية. وتقدر مساحة الملكية الحضرية ب 8.615 هـ وهي منتجة في غالبيتها، وتعتبر أحد أهم الأسس المحركة لاقتصاد المدينة.

وأخيرا تمتاز أولاد تايمة بمورفولوجية حضرية خاصة،

فرغم صغرها تقدم نسيجا مفككا مكونا أساسا من أنوية سكنية كبرى تفصل بينها مساحات شاسعة فارغة أو في طور البناء. وتشتمل المدينة حاليا على أربعة أحياء وهي :

- الحي التجاري والسكني : يقع وسط المدينة ويشمل النواة الأصلية والمجالات الحديثة التي ظهرت على أطراف طريق أگادير- تارودانت، حيث حي جمال الدين، تجزئة حماد أوليزيد، تجزئة بورحيلة وشارع الحرية. وتتميز هذه الأحياء بمشهدها الحضري المتجانس ويغلب عليها طابع المدينة المغربية الحديثة، وأيضا بوظيفتها التجارية باعتبارها المركز التجاري.

- حي زاوية سي الطيب : يتكون من دوار الزاوية الذي يعود إلى ما قبل 1936 والتوسعات التي حدثت على أطرافه بعد الاستقلال، كدرب الحمام وتجزئات الشرقي وأكشود والقيوح. ويتميز هذا الحي على العكس من الأول بمشهد حضري غير متجانس حيث نجد تداخلا لاشكال معمارية تقليدية وأخرى حديثة كما يتضمن وحدتين للتلفيف.

- الحي الإداري : يتعلق الأمر بالنواة الإدارية التي أقامتها سلطات الحماية والتي تقع اليوم شرق المدينة. وتشتمل على معظم المؤسسات الادارية والاجتماعية، بالاضافة إلى بعض الفيلات.

- الاحياء الهامشية : تشمل دواوير الكرسي والحريشة والشنينات (شمال المدينة) بالاضافة إلى الدوار الجديد (في الجنوب) ودوار الشراردة (في الشرق) وتشترك كلها في طابعها المعماري المتواضع ؛ حيث نلاحظ تداخل البناء الريفي والحضري، على جوانب أزقة ضيقة وملتوية وغير معبدة. كما تشترك أيضا في أنها - إلى جانب وظيفتها السكنية - تضطلع بوظيفة صناعية بسبب احتضانها لمحطات تلفيف الخضر والفواكه.

وهكذا نستخلص أن أولاد تايمة تعتبر نموذجا فريدا للتمدين السريع الذي شهده سهل سوس على غرار باقي مناطق المغرب، خاصة منها تلك التي تحتضن دوائر سقوية على درجة عالية من الاندماج في الاقتصاد الوطني. وتنفرد بكونها المدينة الصغيرة الحديثة في المغرب التي استطاعت مد نفوذها التجاري والعقاري على حساب منطقة إشعاع مدينة تقليدية عريقة (تارودانت) وأن تنتزع منها بعض أقدم وظائفها (التجارة).

O. Hanaka, *Taroudant et Oulad Taïma, deux pôles urbains du souss*. Thèse 3e cycle, 1987.

عثمان هناكا

أولاد تكدّي، فخذة من قبائل أولاد دليم سكان الصحراء المغربية تتكون من الفرق التالية: أولاد إبراهيم، أهل عثمان بن حمو، أهل علي بن الزبير، أهل علي ولد السويّد.

أولاد تيدوارين، مجموعة قبائل من سكان الصحراء المغربية تتكون من الأفخاذ التالية: أهل الطالب علي، أهل الستيلات، أهل الحاج، أولاد ياسين، أولاد سليمان، أولاد علي، أولاد موسى، أولاد الغازي، أهل أحمد مسكة، العيوبات، الفعاريس، الحسينات، ليداسة، الهموديدة، البرايهمات.

أولاد حريز الساحل ← **سطات** (إقليم-)

أولاد حسّون ← **مراكش** (إقليم-)

أولاد حسين ← **الجديدة** (إقليم-)

أولاد حمدان ← **الجديدة** (إقليم-)

أولاد خليفة، فخذة من قبائل العروسيين سكان الصحراء المغربية، تتكون من الفرق التالية: أولاد سيدي زين الدين، أولاد سيدي الدغاغ، أولاد سيدي محمد.

أولاد خليگة، فخذة من قبائل أولاد دليم سكان الصحراء المغربية تتكون من الفرق التالية: أهل عمر ولد بركة، أهل محمد بن سعيد، الشگاگفة، العوايذ، الشباهني، العلويات.

أولاد داود، فخذة من قبائل الرگيبات السواحل سكان الصحراء المغربية تتكون من الفرق التالية:أهل سالم، أهل بابا عمي، أهل تناخة.

أولاد دليم، مجموعة قبائل تسكن الصحراء المغربية وتنقسم إلى الأفخاذ التالية : أولاد تكدّي، أولاد خليگة، أولاد باعمر، السراحنة، لُوديقات. وتوجد بعض الفروع من قبائل أولاد دليم بنواحي مراكش.

أولاد سعود (قبيلة -) تقع بناحية الكرت (اقليم الناظور) وهي قبيلة عربية كبرى يتكلمون اللهجة العربية الدارجة. وتحيط بها قبائل بني بويحيى، وبني بويفرور، ومزوجة، وكبدانة. تبلغ مساحتها 427 كلم مربع وتنقسم إلى الفرق التالية :

أولاد سعيد الملاّليين، يكوّنون فخذة من قبيلة بني ملال. كانت تسكن نصف مدينة بني ملال تقريباً من الناحية الشمالية والشمالية الغربية، وتمتلك معظم السهول الغربية والغربية الشمالية في ضاحية المدينة. وبذلك كان لها حق التصرف في نصف ماء عين أسردون في ساقيتي الحريولية وأم ظهر.

يكوّن أولاد سعيد، على المستوى الإداري، قيادة يتبعها دوار أولاد يوسف، وتشتهر بأضرحة سيدي صالح، وسيدي عبد السميح، وسيدي بوعبد الله، وسيدي محمد بن سعيد.

أولاد سعيد الواد، هناك قرية صغيرة تحمل اسم أولاد سعيد على بعد حوالي عشرين كلم. من بني ملال في الطريق الذاهبة منها إلى قصبة تادلا، ويسمى أهل هذه القرية بأولاد سعيد الواد، تمييزاً لهم عن أولاد سعيد بني ملال. وذلك لمرور وادي أم الربيع بجوار قريتهم.

م. عريوش، *أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال*، ص 100 وما بعدها.

مصطفى عريوش

أولاد سيدي بومهدي، فخذة من قبائل العروسيين سكان الصحراء المغربية تتكون من الفرق التالية : أهل السيد ولد المهدي، أهل محمد ولد المهدي، أهل التايلي، أولاد سيدي قدور.

أولاد سيدي عبد الحكم ← **وجدة** (إقليم-)

أولاد الشيخ، فخذة من قبائل الركيبات السواحل سكان الصحراء المغربية تتكون من الفرق التالية : أهل الركيبي، أهل بابا علي، أهل الحاج، المويسات، الحواريز، الحسينات.

أولاد صبّاح ← **سطات** (إقليم-)

أولاد الطالب، فخذة من قبائل الركيبات السواحل سكان الصحراء المغربية تتكون من الفرق التالية: أولاد بن حسين، أولاد بابراهيم، أولاد با عيسى، أولاد با موسى، أهل الديرا.

أولاد عبُّو (جماعة) ← **قلعةالسراغنة** (إقليم-)

أولاد عبُّو (مركز) ← **سطات** (إقليم-)

أولادعبدون ← **خريبگة** (إقليم-)

أولاد عزوز ← **خريبگة** (إقليم-)

أولاد علي ← **بنسليمان** (إقليم-)

أولاد علي ← **بولمان** (إقليم-)

أولاد علي، فخذة من قبائل أولاد تيدرارين سكان الصحراء المغربية تتكون من فرقتين: أهل بولسان وأهل البليلة.

م. الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، 1: 125 و417.

Ministerio de la Guerra, *Acciòn de España en Africa* ; A. Domenech Lafuente, *Geografia de la zona norte del protectorado de España en Marruecos*, p. 112 ; *Algo sobre Rio de Oro*, p. 154, 158; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, p. 66 ; I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-sahariano*, Madrid 1955, p. 102, 160, 210, 219, 221, 222.

محمد ابن عزوز حكيم

أولادْ عُمَرْ بن محمّد، من مواليد سنة 1932 بأغماض قبيلة كتامة، إقليم الحسيمة. انخرط في صفوف جيش التحرير بالشمال مع التشكيلة التي كان يقودها السيد حسن اليعقوبي الذي شهد بأن أولاد عمر قام بأعمال جليلة

فكان مكلفا عسكريا بجلب الذخيرة وتزويد المجاهدين بما يحتاجون إليه من السلاح وغذاء حيث إنه كان مسؤولا عن المائة.

وفي خضم المعارك التي كان له دور فعال فيها سقطت قنبلة من طائرة حربية تابعة للسلاح الجوي الاستعماري على مكان وجود المجاهدين فسقط العديد من الضحايا ومن ضمنهم الشهيد أولاد عُمَرْ، وكان ذلك خلال دجنبر 1955.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين.

عزالدين العلام

أولاد عيسى ← **الجديدة** (إقليم-)

أولاد غانم ← **الجديدة** (إقليم-)

أولاد فريحة ← **البروج**

أولاد مبارك ← **بني ملال** (إقليم-)

أولاد مكّود ← **فاس** (إقليم-)

أولاد موسى، فخذتان من قبائل صحراوية، الأولى من قبائل الركيبات السواحل سكان الصحراء المغربية تتكون من الفرق التالية : أولاد القاضي، أولاد الموبيا، أولاد الحسن، أولاد الحسين، أولاد بوبراهيم، أهل يحيى، أهل افريبط، أهل بلاو.

والثانية من قبائل أولاد تيدرارين تتكون من الفرق التالية: أهل محمد أموسى، أهل على أموسى، أهل إبراهيم أموسى، أهل عبدالرحمان.

م. الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، 1 : 113، 414، 417.

I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-sahariano*, Madrid 1955, p. 217, 222 ; A. Domenech, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid 1946, p. 58.

محمد بن عزوز حكيم

أولادالنقسيس ← **النقسيس**

أولاد يعقوب ← **قلعةالسراغنة** (إقليم-)

أولاد يعيش ← **بني ملال** (إقليم-)

أولپيوم Ulpium معسكر روماني يقع غرب وليلي في تل بسفح جبل قفص بجماعة عين الجمعة (گروان). ويعرف هذا المعسكر حاليا بأسماء منها «معسكر نقطة العلو 469» حسب برادیز (Baradez, *Le Limes de la Tingitane*, p. 294-295) أو معسكر «سيدي موسى بوفري، على حد تعبير كل من أوزينا Euzennat (*BAM*, II, P. 212) وروبيفا (*BAM*, X, p. 158). سمي هكذا لوقوعه في منتصف الطريق بين ضريح الولي سيدي موسى وقرية بوفري.

عثر على هذا المعسكر أثناء عملية المسح الجوي الذي كانت تقوم به السلطات الفرنسية سنتي 1952 - 1953 على يد الكلونيل برادیز Baradez.

وأهم ما اكتشفه براديز هو بقايا نقيشة نوردها فيما يلي :

Genio Ulpi (i) / L (ucius) Fabius Flac/cus praef (ectus) / coh (ortis) Parth (orum) / p...ft.

وأولپيوم هو جنّي أو عفريت المكان الذي أقيم فيه المعسكر، والنقيشة مهداة لهذا «العفريت» أو لهذا المكان. ونتوفر على أمثلة من هذا النوع فكثيرا ما تطلق أسماء الأماكن أو المواقع Toponyme على المعسكرات مثل "Aqua frigida".

وتقيم في المعسكر فرقة من أصل «برثي». قدّر براديز طول المعسكر بحوالي 98 م وعرضه بـ 94 م. ويتبين من الصور الجوية أنه على شكل مربع يقارب ضلعه 95 م، في حين أن موريس لونوار Lenoir قدّر ضلعه بحوالي 90 م، مما يجعل مساحته الاجمالية 8.100م2 (*Rapport dactylographié*) هذا وتجدر الاشارة إلى أن مصلحة الآثار المغربية أجرت حفريات بهذا الموقع سنة 1982 بإشراف الباحث الأثري موريس لونوار ومشاركة محمد مقدون وعلي واحدي في الفترة الممتدة ما بين 22 مارس و3 أبريل، وقد تكللت هذه الأبحاث بالعثور على بقايا نقيشة - هي الثانية - نجد تفاصيلها في المقال الذي نشره لونوار في النشرة الأثرية المغربية، ع. 16، *BAM* ص.232.231. وتحتوي النقيشة على سطرين فقط :

.....Vstae

.....Arthor

أي (AVG) VSTAE / (...Cohors P) arthor (um)...

وهذه النقيشة مهداة للالهة أوغوستا، ونجد بها أيضا كلمة Parthorum مما يفيد استعمال هذا المعسكر من طرف فرقة برثية، وتؤيد ما ورد في النقيشة الأولى التي اكتشفها براديز. ويتوفر المعسكر على سور ضخم يبلغ سمكه حوالي 0,90 م. ويساعد موقعه فوق التل على مراقبة الطريق المؤدية من الغرب إلى الشرق والمحادية لوادي الردم، وكذا امكانية ربط الاتصال بوليلي ومختلف المعسكرات المحيطة بها خصوصا معسكر عين الشكور شمال المدينة ومعسكر توكولوسيدا Tocolosida جنوبا. ولا يمكن في الظروف الراهنة إعطاء تاريخ دقيق لهذا المعسكر اعتمادا على النقيشتين أو حتى على اللقى الأثرية الأخرى التي هي عبارة عن بقايا خزفية يتراوح تاريخها بين عهد Domitien وأواسط القرن الميلادي الثالث، فقلة الخزف ذي البريق الأحمر Céramique à Vernis rouge (VR) الذي لا يمثل سوى 4٪ من المجموع. وكثرة الخزف ذي البريق البرتقالي "La Sigillée Claire" أو "RS" يجعل تاريخ المعسكر ما بين أوائل القرن الميلادي الثاني وأواخر القرن الثالث، بمعنى أنه استعمل في أوائل القرن الثاني ليهجر في أواخر القرن الثالث.

J. Baradez, *Deux missions de recherches sur le limes de la Tingitane CRAI*, 1955, p. 294-295 ; M. Euzennat, *l'Archéologie marocaine*, 1955-1957, *BAM*, II, 1957 ; R. Rebuffat, *Les principia du camp romain*, *BAM*, IX, 1973-75, p. 373 ; *Inscriptions militaires au génie du lieu D'Aïn Sckkour et de Sidi Moussa Bou Fri*, *BAM*, X, 1976, p. 151-170 ; M. Lenoir, *Rapport dactylographié*, 1982 ; *Insriptions nouvelles de Volubilis*, *BAM*, XVI, 19886, p. 231-232.

علي واحدي ومحمد مقدون

أولماس ← ألماس

ألمغني سيدي أحمد ← إملشيل

أولوز، عندما يتجه المسافر من تارودانت نحو الشرق يقطع وادي سوس عند الكلم 46. وابتداءً من تلك النقطة يبدأ بلد أولوز المصطلح عليه قديما، وهو بلد وفرة نسبية في المياه يسمى رأس الواد. ومن قراه الكبرى إگيدار وإزناگن وزارية سيدي محمداً يعقوب، وأيت عبدالله وزاوية البور وتامگونت وأكادير نيبلاز وإرحالن. فألولوز واقع في الجهة الشرقية القصوى للأطلس الصغير، وقريباً منه يلتقى هذا الجبل بكتلة سيروا التي تربطه بالأطلس الكبير.

تتحدث رسالة من السلطان مولاي الحسن بتاريخ 1310/4/1 عن صدام بين عامل أولوز وولد السياني عامل تارودانت. (*المعسول*، 3 : 250).

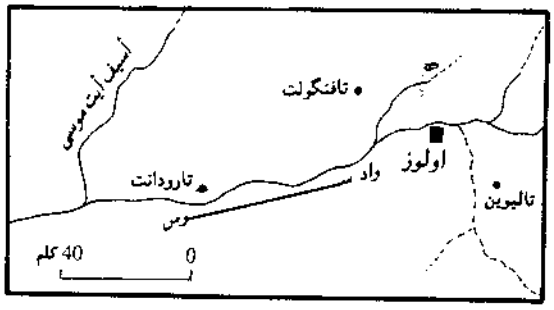

موقع اولوز

وفي تلك الجهات زاوية البور التي هي من مراكزالناصريين بسوس (*المعسول*، 10: 34) إذ بها سكن أول من ورد من أولاد الشيخ الناصري على سوس.

وفي قصيدة لمحمد بن الحاج الإفراني المتوفى عام 1346هـ :

أولوزُ أرض حماها الله من عاد
برأس وادٍ سقـاه الله مـن واد
قطر فسيح بأعلى السوس منظرُه
أبهى من الحوز عند الرائح والغادي

(*المعسول*، 10: 17).

كان بأولوز أسر من الرؤساء من أشهرهم في هذا القرن الضرضوريون الذين كانوا قوادا وشيدوا القصور والدور وامتلكوا الأراضي، كان منهم الرئيس في عهد مولاي سليمان هو الحسن بن محمد فاعتقله في ذغائر باقية عليه، ثم سرحه بتدخل المرابط محمد بن عبدالسلام الناصري، وكان العامل المخزني إذ ذاك في تارودانت قاسم الزيراري.

أحمد التوفيق

أولوف أگريل

Olof Agrell كان قنصلا للاتحاد السويدي النرويجي سنة 1817 بطنجة. له تقارير قنصلية وتجارية عن المغرب بالأرشيف الوطني السويديSvenska Konsulers Skrivelser.

J. L, Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1: 37, 2: 157 et 5: 13.

مصطفى بوشعراء

أوليزوا Aulisua، يزعمون أنه من آلهة افريقيا الشمالية الخاصة بالخصب، ونعرفه من خلال خمس لقى أثرية حاملة لنقائش باسمه، اثنتان من هذه اللقى وهما نصبان تم الكشف عنهما بموقع وليلي.

ويظهر أوليزوا من خلال النصب الأول واقفا، يلبس ثوبا قصيرا، ويمسك بيده اليسرى هراوة وباليمنى سيقانا هي بلا شك سنابل القمح.

وترافق صورته نقيشتان، أعلاهما حطمها النحات ليحتفظ بالنقيشة السفلى ونقرأ من خلال هذه النقيشة الأخيرة النص التالي ما ترجمته :

DEO SANCTO AULISUAE
VOTO DONUM dedit / Valerius Victor, libtus Turnonis, Sutor, Ded (icata) / XII K (alendas) Sept (embras)

«إلى الاله المقدس أوليزوا. فاليريوس فيكتور، عبد معتق لفاليريوس تورنو، اسكافي، نذر وأهدي هذا النصب للاله في اليوم العاشر قبل مطلع شهر سبتمبر».

والنصب الثاني في حالة رديئة، يتضمن سجلين، بأحدهما وهو السجل الأسفل، نرى كبشا بنقش ضئيل البروز ينظر للمذبح الذي يحمل نقيشة من خمسة أسطر ولكننا لم نعد نقرأ إلا ثلاثة أسطر هي ترجمتها على النحو التالي :

AULIS/Aug (usto) Sacru (m)/

«موقوف للاله أوليزوا. أغسطس / ...» ودفعت رموز أوليزوا ومنها سنابل القمح والهراوة وأيضا الفرس بالواجهة الجانبية اليمنى للنصب الأول الباحث الفرنسي موريس لونوار M. Lenoir لتقريبه من جهة بهرقل ومن جهة ثانية بكونصوص Consus.

ونتيجة هذه المقاربة بديهية، ولن تفاجئنا خصوصا إذا علمنا أن الاحتفال بهرقل وكونصوص كان يتم خلال أعياد لها طابع فلاحي. وتمنح لها بواكير غلات الأرض.

هذه الشعائر تخص أيضا أوليزوا. ويؤكد ذلك التاريخ الذي يرافق النصب الأول، فهو تاريخ يصادف الاحتفال ب Consualia (21 غشت) وهو العيد الخاص بكونصوص، إله الخصب. ومن الالعاب التي تنظم خلال هذا العيد سباق الخيول. ولا يخفى عنا مدى الارتباط البين الذي يجمع الحصان بالاله كونصوص الذي هو أيضا إله السّرك.

إذن، فالتاريخ الوارد بالنصب الأول الذي يوافق عيد Consualia من جهة، والفرس من جهة ثانية يشجعان على اعتقاد أن أوليزوا الاله المحلي لشمال افريقيا حصل على الصيغة الرومانية Interpretatio Romana التي قربته من الاله كونصوص.

أما ظهور بوقين بالواجهة الجانبية اليسرى من النصب الأول فيذكر بالدور الذي تلعبه الآلات الموسيقية خلال الاحتفالات العلنية الدينية.

ويتيح لنا الكبش المصور على النصب الثاني عقد مقاربات بينة بين ساتورن Saturne وأوليزوا فجميعنا يعلم مدى تردد صورة الكبش على واجهات المآثر ذات الصبغة الساتيرنية. ولا ريب أن يكون أوليزوا قد اكتسب خصوصيات ساتورن. ونعرف أن المآثر المخصصة لساتورن توجد بكثرة شرق القيصرية (شرشل) وتقل غربها.

فهل ننحو منحى الباحث موريس لونوار فنفسر سبب الاشعاع الضئيل لاله افريقيا الكبير ساتورن بغربها يرجع لمزاحمة العبادات التقليدية المحلية له ؟

على كل، فخمس نقائش لاوليزوا بالموريطانيتين (الطنجية والقيصرية) تشجعنا على التشبث مؤقتا بالافتراض المذكور آنفا. وننتظر أن تجلو الحفريات الاثرية مستقبلا العتمة التي تلف الآلهة المحلية لافريقيا الشمالية.

G. Camps, *Aulisua, Enc. Berb*, t: 17, 1976 ; M. Lenoir, *Inscriptions nouvelles de Volubilis, BAM*, XVI, 1985-86, p. 191-233 ; Id, *Aulisua, dieu maure de la fecondité, L'Africa Romana, Atti del III convegno di studio Sassari, 13-15, Dicembre, 1985, a cura di Ahili Mastino*, Ed. Gallizi, 1986, p. 295-203.

عبدالعزيز بلفايدة و البيضاوية بلكامل

أوَالْ أو عــرْعَر فــواح (= تــاوالْت = أدْرَمَامْ) أو يُونِيبِرُوسْ تُوريفيرا Juniperus thurifera هو نوع نباتي من فصيلة السرويات Cupressaceae.

الصفات النباتية : أوال شجرة جميلة لا يزيد ارتفاعها عن 20 مترا. ولها جذع قوي جدا إذ يتراوح قطر الأشجار ما بين متر واحد وخمسة أمتار. والسبب لبلوغ هذا الحجم يكمن في أن التعديات التي تصيب العرعر الفواح من طرف الإنسان تولد تضخما في الجذع. تاج أوال كثيف، أغصانه مغطاة بالأوراق وتشكل مجموعات مسطحة. الأوراق صغيرة وحرشفية وحادة في قمتها، ومتقابلة مثنى مثنى، وتنشر رائحة زكية تشبه رائحة الليمون، ولذلك سمي بالعرعر الفواح. الأزهار وحيدة الجنس ووحيدة المسكن وتظهر في فصل الربيع على شكل مخاريط هرية بيضوية الشكل. الثمار عنبية وذات لون أزرق فضي.

التوزيع البيوجغرافي : إن العرعر الفواح شجرة جبلية فريدة من نوعها من حيث تحملاتها للبيئة الطبيعية القاسية ولعدوانية الإنسان، وهي رغم كل ما تقاسي من تسلط الإنسان كقطعة للأغصان والرعي الجائر والحرائق، فإنها ما زالت تغطي مساحات شاسعة من قمم جبال البلدان المتوسطية الغربية.

وتقدر مساحتها بالمغرب ب 50.000 هـ موزعة على الأطلس المتوسط والأطلس الكبير الشرقي والأوسط فقط. والسبب في عدم وجود هذه الشجرة بالمناطق الجبلية الأخرى هو عدم توفر الظروف البيئية لها إذ أنها تتطلب بيومناخات شبه جافة وشبه رطبة قارسة جدا وشديدة البرودة جدا.

ولهذا تصادف على أراض يتراوح ارتفاعها ما بين 1.800 م و 3.200 م، أي في الطابقين الجبلي المتوسطي وما فوق الجبلي المتوسطي. والجدير بالذكر أن العرعر الفواح لا يضاهيه أي نوع شجري آخر في تحمل البرودة في شمال

افريقيا. ولهذا فتشكيلاته هي الوحيدة من بين التشكيلات الشجرية التي يمكنها أن تعيش في هذه المناطق العالية. وإضافة إلى هذا فهي لا تبالي بالتركيب الكيماوي للتربة إذ أنها تغطي أتربة مختلفة لكنها في أغلب الأحيان سطحية وذلك بسبب تأثير عوامل التعرية.

ولكن رغم كل تحملات أوال أو العرعر الفواح للتعديات من طرف الإنسان ولقساوة ظروف بيئية جد صعبة فإن قسماً كبيراً من غاباته قد انهارت أو في طريق الانهيار بصورة سريعة، وذلك في كثير من المناطق بحيث أصبح من الصعب تجديدها، لأن الأتربة تدهورت وأصبحت غير صالحة حتى بالنسبة للأشجار المعمرة الباقية المنتشرة على هذه الأراضي الجرداء.

الاستعمالات : إن التعديات التي يلاقيها أوال من طرف الإنسان تتمثل في قطع الأغصان للتدفئة ولطبخ الطعام ولتغذية الماشية التي لا تجد في فصل الشتاء إلا أوراق هذه الشجرة الأصيلة.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaitre*, Paris, Larose, 1938; A. Benabid, *Les écosystèmes forestiers, préforestiers et preisteppiques du Maroc, Forêt méditerranéenne*, t : VII, 1, 1985, 53 - 64.

عبدالمالك بنعبيد

أويّات، اسم عرفت به ثلاثة أماكن متقاربة جغرافيا بناحية سبتة الإسلامية : نهر، وقرية، ومضرب للسمك. قد يكون الاسم أعطي أولا للنهر باعتبار وجوده الطبيعي السابق لتشكل التجمع السكني للقرية وظهور المضرب.

نهر أويات : يفيد البكري أن مجرى أويات كان يمتد على مسافة ميلين جنوب سبتة في اتجاه تطوان. ويخترق قعر واد، ومياهه كانت كافية لتدير عدداً كثيراً من الأراحي خلال فصل الأمطار. يضيف نفس المصدر أن مدينة سبتة كانت تستمد مياهها من نهر أويات عبر قناة امتدت على طول الساحل الشرقي إلى المسجد الجامع العتيق. ينسب المصدر إلى الكونت يوليان Comte Julien حاكم المدينة، عملية إنشاء هذه القناة التي كانت تتكون من مجموعة قناطركان بعضها ما زال قائما أيام البكري.

إذا ما أخذنا بعين الاعتبار التحديد الطبوغرافي للمنطقة كما هو وارد عن الرحالة الاندلسي، يصبح لا محالة من السهل تعيين مجرى أويات الذي لا يمكن أن يكون إلا نهر "Colmenas" وان كان بعض الباحثين يعتقد أن الامر يتعلق بوادي "Tarajal" وبعضهم يرى أنه وادي "Tempul". يلاحظ حتى اليوم بقايا أثرية من هذه القناة بالقرب من حدود "Tarajal" بالموضع المعروف حاليا باسم "Arcos Quebrados" يستنتج أيضا أن التحديد الزمني لإنشاء القناة، أعني فترة حكم يوليان، قد يكون مغلوطا عند البكري، إذ لا يستبعد أن يكون مصدره رواية شفوية تفيد البعد الزمني لا غير.

يفهم أيضا من البكري أن القناة قد توقفت عن العمل منذ زمن غير محدد، الشيء الذي تنفيه بعض الحقائق التاريخية التي تثبت عكس ذلك وتؤكد استمرارية دور أويات كمصدر مائي مهم بالنسبة لمدينة سبتة، على الأقل إلى حدود القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، حيث طرح مشكل قلة الماء بالمدينة على إثر تزايد سكانها، الشيء الذي حتم على حكام سبتة الانتقال إلى بليونش للبحث عن مصادر مائية جديدة.

قرية أويات : تعد من بين القرى الوادية التي كانت تزخر بها بادية سبتة الاسلامية فتمتعت كغيرها من القرى البليونشية بذاتية مستقلة، وتميزت بخصبها وكثرة غلاتها. تبدو أهميتها الانتاجية من خلال احتوائها وحدها على اثنتين وعشرين رحى من مجموع الثلاثة والأربعين التي كانت منتشرة بقرى بادية سبتة. كانت تعد أيضا أهم محطة للمسافرين، كما تدل على ذلك رحلة إبراهيم بن الحاج النميري.

مضرب أويات : نعني عموما بالمضرب المكان المعد لضرب شبابيك صيد السمك. يعتبر مضرب أويات من أهم المضارب بسبتة. يذكر المقري أنه على عهد أبي عنان المريني، كان للشريف أبي العباس الحسيني الصقلي ثلث فائدة هذا المضرب، بينما الثلثان الباقيان كانا لبيت المال. يستنتج من نفس النص أن قيمة المردود اليومي لهذا المضرب كانت تتراوح ما بين 500 و2.000 دينار.

كتاب *الاستبصار*، ت : سعد زغلول عبد الحميد، ص 137 ؛ الانصاري، *اختصار الاخبار*؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، 1978، ج: 1، 42 - 44.

al-Bakri, *Kitab al masalik wa lmamalik*, trad. fr, M. G. de Slane : *Description de l'Afrique septentrionale*, Alger, 1913, p.204, 212, 225 ; G. Ayache, *Beliounech et le destin de Ceuta entre le Maroc et l'Espagne, H.T*, Vol XIII, 1972, p. 13 ; A.L. Premare, de, *Les notes de voyage d'Ibrahim B.al-Hadjdj an-Numayri en l'année 745 H / 1344*, Thèse dactylographiée, Lyon 2, 1978, t: II, p. 32, t: III, p. 251 ; C. Posac Mon, *En busca del pasado de Ceuta*, Transfretana, Revista del Instituto de Estudios Ceuties, nº 1, 1981, p. 13-15 ; A. Gaudio, *Maroc du Nord*, Paris, N. E. L, 1981, p. 67 ; Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIe et XIVe siècles : Essai de reconstitution de la civilisation musulmane*, thèse dactylographiée, Aix Marseille I, 1987, p 142-175 ; *Ceuta: Carte topographique*, publ. de la division de la carte, 1970, feuille NI-30-XIX- 4c, Echelle 1/50.000.

زليخة بنرمضان

الإيالة، من ألفاظ التقسيم الإداري المغربي التاريخي. ولكن تتبع هذه الكلمة في وثائق القرون الأخيرة. يُظهر أنها تطلق على منطقة حكم الحاكم مطلقا، حيث ترد بمعنى المغرب ككل عندما يتحدث السلطان عن «إيالتنا الشريفة»، وبمعنى بلد حكم الغير مثل «الإيالة التركية»، وبمعنى منطقة نفوذ عامل أو قائد قبيلة.

وثائق مخزنية مختلفة.

أحمد التوفيق

الإيبيرُومُوروُسيَّة (الحضارة). تنتمي الحضارة الإيبيروموروسية إلى فترة العصر الحجري الأعلى. وتتكون كلمة الإيبيروموروسية من شطرين هما الإيبيرو، نسبة إلى الجزيرة الإيبيرية، ومورو، نسبة لبعض سكان شمال افريقيا قديما، ولقد اقترح هذا الاسم الباحث الفرنسي بالاري Pallary سنة 1909، حيث كان يعتقد أن الأدوات التي عثر

عليها بموقع مويلح بالجزائر تشبه الأدوات التي تم التنقيب عليها ببعض المغارات جنوبي إسبانيا والتي درسها الباحث سيري Siret وكان هذان الباحثان يعتقدان أكثرمن ذلك، أن هذه الحضارة ظهرت أولا بالجزيرة الإيبيرية، ومنها انتقلت إلى شمال إفريقيا. وسرعان ما تبين عدم وجود أي علاقة بين هذه الأدوات المعثور عليها، وأن المخلفات الإيبيرية حديثة العهد، بحيث تنتمي إلى حضارة العصر الحجري الحديث على أقل تقدير، ذلك ما جعل بعض الباحثين يقترحون أسماء جديدة، مثلا : حضارة المجال الوهراني أو حضارة المويلح، ولكن كل هذه الاقتراحات قوبلت بالرفض وأعطيت الصلاحية للاسم السابق رغم خطأ مضمونه. وفي سنة 1963 تطرق الباحث لابي روش في معرض دراسته للحضارة الإيبيروموروسية لهذا المشكل واكتفى بتعتها بحضارة العصر الحجري الأعلى Epipaléolithique حيث إن هذا الاسم، حسب قوله، يمتاز بإعطاء موقعها الاستراتيغرافي لأنها تأتي بعد الحضارة العطيرية التي تنتمي إلى نهاية فترة العصر العجري القديم، ولكن ما يجب أن نشير إليه هنا هو أن العصر الحجري الأعلى في منطقة شمال افريقيا يحتضن حضارتين: الحضارة الإيبيروموروسية وحضارة الكابسيان. وهنا يمكن طرح السؤال التالي : لماذا لم نكتف بتسميتها بالحضارة الموروسية وحذف كلمة الإيبيرو التي كانت وراء كل هذه الخلافات، ولهذه الأسباب سنجعل كلمة الإيبيروموروسية بين مزدوجتين.

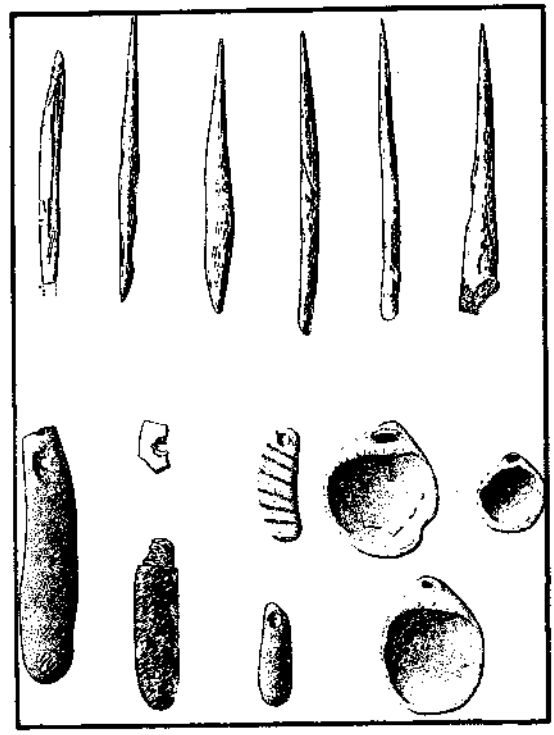

هناك خمس معطيات جعلت الباحثين يستبعدون أن يكون للإنسان «الإيبيروموسي» أصل محلي.

1 ـ اختلاف الأدوات المستعملة خلال الحضارة «الإيبيروموروسية» والحضارة العطيرية، فإذا كانت هذه الأخيرة تمتاز بالأدوات المذنبة والرؤوس المنحوتة من جهتين "Outil pédonculé et pointe bifaciale" وكذا تقنية لوقالوا فإن الحضارة «الإيبيروموروسية » تمتاز بالأدوات الصغيرة الحجم، والأدوات على الشفرات.

2 ـ الاختلاف الحاصل بين مورفولوجية الإنسان العطيري والإنسان الإيبيروموروسي المسمى بإنسان مشتى العربي نسبة إلى موقع مشتى العربي الموجود بالجزائر.

3 ـ التغيرات المناخية، حيث عرفت المنطقة خلال نهاية الحضارة العطيرية مناخا جافا مما أدى إلى الهجرة بحثا عن مناطق أخرى أكثر ملاءمة لمتطلباته اليومية.

4 ـ وجود فرق زمني بعيد بين نهاية الحضارة العطيرية 25.000 سنة تقريبا وبداية الحضارة الإيبيروموروسية (20.000 سنة تقريبا).

5 ـ التشابه الكبير الحاصل بين موروفولوجية إنسان كرومانيون (نسبة إلى موقع كرومانيو الموجود بفرنسا) وانسان مشتى العربي.

كل هذه المعطيات جعلت الباحثين يدرجون افتراضات مختلفة يحاولون بها شرح أصل هذا الإنسان القديم، وهذه أهمها باختصار:

منذ سنة 1934 أرجع بعض الباحثين أصل الإنسان الإيبيروموروسي إلى الشام، ويرون أن هناك طائفة هاجرت عبر الضفة الشمالية للبحر المتوسط لتعطينا إنسان كرومانيون، وأخرى عبر الضفة الجنوبية لتعطينا إنسان مشتى العربي، وذلك هو ما يفسر التشابه الحاصل بينهما ماداما ينحدران من أصل واحد. غير أن فيرمباك Ferembach (1970) استبعدت هذه الفرضية، وذلك نظرا للفرق الكبير الحاصل بين مورفولوجية الإنسان الإيبيروموروسي والإنسان الموجود بمنطقة الشام خلال نفس الفترة، فإذا كان الأول، حسب قولها، ينحدر من الثاني فلا بد من وجود تشابه بينهما.

ويرى باحثون آخرون أن إنسان مشتى العربي ينحدر مباشرة من إنسان كرومانيون الذي هاجر عبر مضيق جبل طارق. غير أن قالوا Vallois 1969 رفض هذه الفرضية لكون الإنسان المعاصر للإنسان الإيبيروموروسي الذي تم العثور عليه جنوب فرنسا وجبل طارق، أقل تطورا من إنسان مشتى العربي، وبالتالي لا يمكن لهذا الأخير أن ينحدر منه.

ونظرا للتشابه الكبير بين مختلف القبائل التي عاصرت إنسان مشتى العربي بالمنطقة الغربية للبحر المتوسط، رأى قالوا وفيرومباك أن لكل هذه المجموعات أصلا إفريقياً واحداً، كما أيد الفكرة طوما Thoma 1978. وخلال سنة 1986 حاولت فيرومباك أن ترسم التنقلات التي عرفتها المنطقة الغربية للبحر المتوسط، والتي كانت وراء ظهور الإنسان الإيبيروموروسي. فحسب رأيها، انتقل الإنسان

العطيري عبر صقلية وجبل طارق إلى أوروبا. ليكون من بين أسباب انقراض إنسان النياندرتال آنذاك بهذه المناطق، وهناك عرف عدة تطورات أعطت في الأخير إنسان كرومانيون ليعود من جديد عبر صقلية إلى شمال افريقيا ويعطينا الإنسان الإيبيروموروسي.

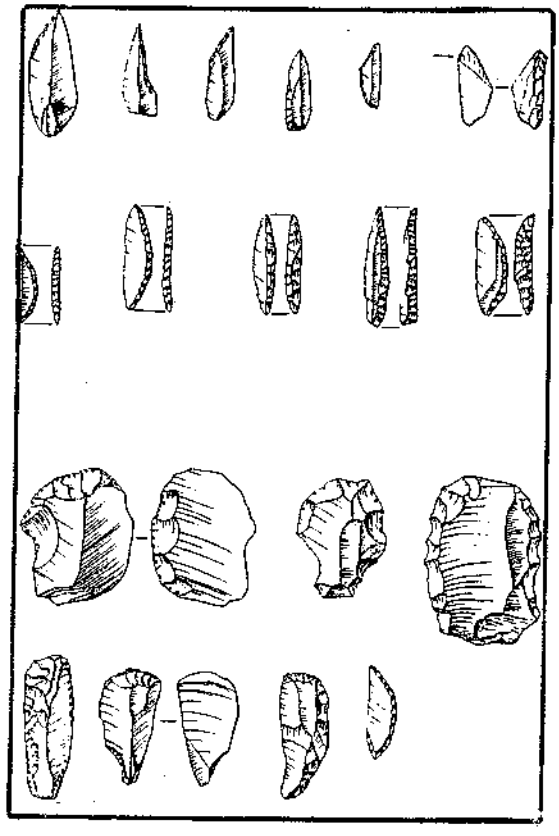

عرف المغرب الحضارة الإيبيروموروسية في الفترة ما بين 20.000 و 8.000 سنة تقريبا قبل الميلاد، ونذكر من بين أهم المواقع الأثرية التي تعود إلى هذه الحضارة، موقع تافوغالت و موقع الخنزيرة وموقع كهف بلغماري ومغارة تمارة، تضاف إليها مواقع بالجزائر وتونس (انظر الخريطة).

تتميز الحضارة الإيبيروموروسية بالأدوات الصغيرة الحجم، وكذا الأدوات على الشفرات والعظام (إبر، مثاقب، مخاطيف، صنارات، الخ...) كما ظهرت عدة أنواع من الحلي وهي عبارة عن أصداف بحرية مثقوبة أو أنياب بعض الحيوانات أو حلق مصنوعة من قشر بيض النعام أو من الحجر، كما عثر الباحث لابي روش على صخرة نقشت عليها صورة فيل. وبالرغم من كون هذه النقوش فريدة، فإنها ذات قيمة كبرى لكونها تبين لنا إدراك الإنسان الإيبيروموروسي لهذا الجانب الفني الهام. ولقد قسم كامبس 1974 باعتماده على تطور الأدوات، هذه الحضارة إلى ثلاث مراحل : المرحلة القديمة والمرحلة التقليدية والمرحلة المتطورة.

كانت للإنسان الإيبيروموروسي عدة تقاليد واعتقادات نذكر منها طريقة جد معقدة في الدفن كانوا يمارسونها، فقد كانوا يدفنون موتاهم حسب موضع جنيني وجثتهم ملطخة بصباغة حمراء ومغطاة بالحجارة ويقرون بعض الحيوانات كالأروية. كما كان من عاداتهم إزالة بعض أسنانهم (الثنيات) عند بلوغهم سن 14 أو 16 سنة من العمر.

ولعل أقدم عملية جراحية معروفة على الصعيد العالمي تعود إلى هذه الحضارة، فهي عبارة عن عملية جراحية أجريت لجمجمة تم العثور عليها بموقع تافوغالت، ومما يزيد من أهميتها أن المريض بقي على قيد الحياة بعد العملية، يستدل على ذلك بما لوحظ من بداية تلميم ثقبة الجمجمة.

ومما يدل على أن الإنسان الإيبيروموروسي، كان يتميز بالعناية بمرضاه وحسن رعايتهم ومعالجتهم ما أوضحته فيرمباك 1974 من خلال دراستها لهيكل عظمي لامرأة عرفت عدة كسور وبقيت هي الأخرى على قيد الحياة.

عرف الإنسان الإيبيروموروسي حياة جد هادئة ومستقرة، فهو لم يعتمد في غذائه اليومي على صيد الحيوانات والأسماك وذلك رغم أن جل المواقع التي حل بها توجد قرب الشواطىء. فقلة بقايا الحيوانات والأسماك وكثرة بقايا الحلزون تبين أنه كان يفضل هذه الأخيرة، ومن الدلائل الأخرى على أنه قضى جل أوقاته جالساً، تعدد كسور عظامه ومورفولوجية الساق الكبرى والكعب (فيرومباك، 1962) كما أن الباحث لابـّي روش وصل إلى نفس النتيجة من خلال دراسته لموقع تافوغالت حيث لاحظ عدم تطور تقنية النحت عند سكان هذه المغارة رغم طول المدة التي مكثوا بها والتي تقدر بما يناهز 1.500 سنة تقريبا.

تعرف الحضارة الإيبيروموروسية بعدة مواقع بالمغرب، ومن ميزاتها استعمال الإنسان لأدوات صغيرة الحجم وأدوات على العظام، وكذا ظهور الحلي وعدة تقاليد وعادات. ويبقى أصل هذه الحضارة وعلاقتها مع الحضارة السالفة (العطيرية) مجرد افتراضات وتساؤلات، وتعد مغارة تافوغالت من أهم المواقع الإيبيروموروسية التي تعطينا فكرة اضافية حول هذه الحضارة وتطورها.

J. Roche, *l'Epipaléolithique marocain*, Paris, 1963, t : I et II, 262 p, fig, 6 pl ; H. V. Vallois, *Les hommes de Cro-Magnon et les Guanches : les faits acquis et les hypothèses. Simposio del Cro-Magnon, Anuario de Estudios Atlanticos*, Madrid, 1969, p. 97 ; D. Ferembach, *L'Ancêtre de l'homme du paléolithique supérieur était-il un néanderthalien ?*, Acte du colloque de l'UNESCO, Paris, 1972, p. 73-80 ; G. Camps, *Les Civilisation préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, Paris, 1974, 366 p. 100 fig ; D. Ferembach, *Les Ibéromaurusiens du Maghreb : origine et évolution, Revue anthropologique*, XVI, 1976, p. 2 - 21 ; A. Thomas, *L'Origine des crognoïdes*, in J. Piveteau, éd, *Les Origines humaines et les époques de l'intelligence*, Paris, 1978, p. 261 - 282 ; D. Ferembach, *Les Hommes du paléolithique supérieur autour du bassin méditerranéen. L'Anthropologie*, T. 90, n° 3, 1986, p. 579 - 587.

محمد عبد الجليل الهجراوي

أيت، من الكلمات الأمازيغية المستعملة بكثرة في تحديد أسماء الناس أفراداً وجماعات على أساس فكرة العلاقة أو الانتماء. وهي جمع مذكر، مفردها «أ» أو «گ»، وتعني الانتساب أو الانتماء إلى شخص أو مجموعة من الأشخاص كيفما كان حجمها، أو إلى مكان معين أو شيء محدود، أو مؤسسة ما....

ومؤنثها هو «أَلْتْ» في المفرد و«إِسْتْ» في الجمع. وإذا أضيفت الكلمة إلى «ما» (=إمِّي = الأم)، فإنها تعني حينئذ حرفيا: أبناء أمي أو بنات أمي. وهكذا نقول: «أُمَّا» أو «گُما» أي أخي. و «أَيْتِما» أي إخوتي. و «أَلْتِما» وتعني أختي، و «إِسْتِما» أي أخواتي. وذلك بغض النظر عن كونهم أشقاء أم لا، وعن كونهن شقيقات أم لا.

غير أن «أَيْتماتن» (= الإخوة)، يمكن أن تكون أخوتهم أو «تاگْمات» (تـ + گْما + ت)، مرتكزة على اعتبارات أخرى لا تمت بصلة إلى القرابة الدموية، فالمنتمون إلى لف واحد مثلا، يعتبرون بعضهم البعض إخوة،رغم أن الرابطة الأساسية التي تجمعهم هي التعاضد المصلحي والتساند السياسي والتحالف الدفاعي.

ف«أيتماتن» (= الإخوة) يمكن أن يكونوا إخوة بالمعنى الحقيقي أو أبناء العمومة أو أبناء القبيلة أو الحلفاء أو مريدي ولي أو زاوية ....

إن كلمة «أيت» التي نصادفها كثيرا في المجالات المجتمعية، كأسماء المجموعات البشرية بمختلف أحجامها، لا تعطي بصفة عامة تحديدا دقيقا لطبيعة الرابطة بين طرفي العلاقة. إنها حقا تتضمن دائما معنى يدل على وجود علاقة ورابطة وانتماء.... ولكن الدم المشترك ليس بالضرورة هو الوصلة الوحيدة. وهكذا فكلمة «أيت» يمكن أن تعني :

أناس مكان ما، مثل: أيت أودرار، وأيت أوزاغار، وأيت واسيف، وأيت مراكش...أي الذين يسكنون الجبل والسهل والوادي ومراكش.

أوأناس شيء ما، مثل: أيت وامان، أيت واگو، أيت إمور، أيت سمُّگ... أي أهل الماء، أهل الدخان...

أو أناس مؤسسة مّا، مثل : أيت الزاويت، أيت ْرما، أيت ربّعين....

أوأناس شخص مّا، مثل : أيت سيدي حماد أُموسى، أيت سيدي أحمد ابن ناصر، أيت سيدي رحال... وقد تحل هنا كلمة «تاروا» (= أبناء) محمل كلمة «أيت»، إذ يقال كذلك: تارْوا نّ ـ سيدي حماد أُموسى...

وفي هذه الحالة التي يتعلق فيها الامر بأولياء مشهورين، لا ينبغي أن يفهم أن المعنيين ينتمون كلهم إلى الأولياء المذكورين بعلاقات القرابة، لأن الانتماء إليهم يمكن أن يكون بالأصل أو بالاصطلاح أو بالحرفة.

غير أن الانتماء إلى الشخص قد يكون سلاليا في حالات أخرى، ولكن لا يكون مؤكدا إلا على مستوى أصغر الخلايا في السلم المجتمعي.

هذا وتجدر الاشارة إلى أن البيذق كثيرا ما يعطي كلمة «أيت» المقابل العربي «بنو». ويبدو أن هذه الأخيرة حلت محل الأولى في أسماء عدد من المجموعات البشرية وخاصة السهلية منها.

وأخيراً نذكر أن كلمة «أيت» ليست هي الوحيدة التي تدخل في تحديد أسماء الأفراد والجماعات،إذ هناك بالفعل كلمة «إد...» مثل: إدّ صالح، و«إدا...» مثل: إداوْزال، و«إنْدْ.....» مثل : إندُوزّال، إندغرتيت، و«إنْ» مثل : «إنكنفيس».

كما أن التارگيين في الصحراء يستعملون كلمة «كُلْ» مكان «أيت» فيقولون مثلا : كُلْ أهگار أي أهل أهگار، ومع ذلك فكلمة «أيت» مستعملة عندهم كذلك.

أ. البيذق، *كتاب أخبارالمهدي*، تر: ليفي بروفنصال، ص 41 وما بعدها.

Ch. de Foucauld, *Dictionnaire touareg-français*, I.N.F, 1952, t:II, p.787, t : III, p. 1440 sqq ; J. Berque, *Structures sociales du Haut-Atlas*, Paris, 1955, p.435-436.

صدقي علي ازايكو

أَيْت ... ← الكلمة التي بعدها

إيتْزَرْ ← إتْزَرْ

إيتيين أوجين Etienne Eugène (1844.1921) قطب التوسع الاستعماري الفرنسي بدون منازع خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر والربع الأول من العشرين، نال عن استحقاق لقب "المؤسس الثاني" للامبراطورية الفرنسية، وكان المؤسس الأول الوزير جول فيرّي Jules Ferry الذي كان أول من أثار انتباه الرأي العام الفرنسي إلى حتمية ارتباط حركة التوسع الاستعماري بسياسة التصنيع، وما كان إيتيين ليخالفه في هذه الرؤيا، فإنه ولد بوهران من أب كان ضابطا، وتشوف هو أيضا إلى الخدمة العسكرية، لكن الظروف حالت بينه وبين ذلك فتابع شيئاً من الدراسة بثانوية الجزائر العاصمة، ثم انتقل منها إلى مرسيليا واضطر إلى تعاطي التجارة باكراً لكسب رزقه، فساقه مزاجه وميوله الجمهورية إلى المشاركة في المعارك السياسية التي كانت تمهد للاطاحة بنابّليون الثالث وإقامة النظام الجمهوري، فاتصل بالزعيم الجمهوري الشهير ليُون گامبيطا Léon Gambetta والتزم به وأصبح من أعوانه منذ 1868، ولما أطيح بنظام نابّليون الثالث يوم 4 شتنبر 1870 وانتقل گامبيطا إلى باريس، كان إيتيين في حاشيته، ثم عاد بعد حين إلى مرسيليا فاشتغل بإثبات دعائم الجمهورية الثالثة بتلك المدينة فعينه گامبيطا سنة 1878 وكيلا تجارياً بشركة السكك الحديدية الفرنسية جزاءً له على إخلاصه وتفانيه. فصار مفتشا عاما لها سنة 1880، وكانت سنة 1881 الموالية حاسمة في حياته إذ انتخب فيها نائبا عن وهران لدى مجلس النواب الفرنسي فأصبح خير مؤازر لصاحبه گامبيطا الذي فتح أمامه أبواب الدوائر السياسية العليا. فلما توفي سنة 1882، تابع إيتيين مسيرته السياسية بحذق وثبات وتمرس على قضايا الدولة من خلال عضويته في لجان المجلس، مثل لجان الميزانية والجيش والأشغال العمومية، وكان مقرراً لميزانية الجزائر والمستعمرات. ولما تجددت الانتخابات سنة 1885، لم يجد أدنى صعوبة في الاحتفاظ

بكرسيه نائباً لوهران، وأضحى مرموقا كخبير في قضايا المستعمرات. لذلك أسند إليه سنة 1887 أول مناصبه الوزارية كنائب لكاتب الدولة مكلف بالمستعمرات. ولم تتجاوز تلك التجربة سنة 1887، لكنها سرعان ما تجدّدت فكان مرة أخرى نائبا لكاتب الدولة مكلفاً بالمستعمرات من مارس 1889 إلى فبراير 1892، وعندئذ تجلت خبراته وآراؤه وممارساته في ميدان التوسع الاستعماري، بما جعله من يومئذ مرجعا لا سبيل إلى تجاهله، فهو الذي أعطى وزارة المستعمرات وسائل نفوذها وخلّصها من هيمنة وزارة الملاحة عليها على شكل ما كانت عليه في العهد الملكي القديم، وهو الذي أعطى الهند الصينية نظامها الاستعماري الذي بقيت عليه إلى أن استقلت، حيث جعلها كتلة واحدة تحت اسم الاتحاد الهند الصيني يضم كوشانشين وأنّام وكامبوديا ولاووس. وهو الذي وضع التصور العام للتوسع الفرنسي في إفريقيا الغربية والشمالية قال أمام مجلس النواب يوم 11 ماي 1890 :«إذا رسمتم خطّا من الحدود التونسية إلى الكونغو عبر بحيرة تشاد، بوسعكم أن تقولوا إن كل الأقاليم الواقعة بين هذا الخط والبحر، باستثناء المغرب وباستثناء ما هو في ملك الإنجليز والألمان والبرتقيز من الممتلكات الشاطئية المنبثة داخل هذه الدائرة، أقاليم فرنسية أو مُقيَّضٌ لها أن تدخل ضمن دائرة النفوذ الفرنسي، ولنا هنالك مجال ضخم عريض علينا أن نستعمره وأن نستثمره، وأظن أنّه في هذا الظرف، واعتباراً لحركة التوسع التي تعمّ العالم كلّه بينما تنغلق الأسواق الأجنبية أمامنا ونحتاج نحن بدورنا إلى التفكير في أسواقنا الوطنية، أحوال أظن أن الحكمة تلزمنا بالنظر إلى المستقبل لنحتفظ للتجارة والصناعة الفرنسيتين بتلك المنافذ التي تنفتح أمامها في المستعمرات وبفضل المستعمرات».

لتلك الأهداف كان إيتيين من الأعضاء المؤسسين للجنة إفريقيا الفرنسية سنة 1891، وكان كنائب لرئيسها محركها الرئيسي، ودأب يناضل بكل ما في كلمة النضال من معنى لإلحاق أكثر ما كان يمكن من المستعمرات بفرنسا بدافع الضرورة الجماعية والفردية، فإنه سأل النواب ذات مرة قائلا:«ماذا تصنعون بمنتجاتكم إذا حيل بينكم وبين تصديرها؟» ولما كان نائبا عن وهران فإن أنظاره كانت جاحظة صوب المغرب، وإنه كان من وراء الضجة التي قامت في الثمانينات والتسعينات حول بناء سكة حديدية للربط بين شواطئ الجزائر ووادي النيجر.وكان أسهل طريق لذلك يمرُّ من واحات توات المغربية، فقام إيتيين وأصحابه في لجنة إفريقيا الفرنسية بحملة مسعورة لنفي كون تلك الواحات في بيعة سلطان المغرب، وجرت محاولة أولى للاستحواذ عليها سنة 1892 وأحبطت بفضل يقظة المولى الحسن وحزمه، ولما كللت المحاولة الثانية بالنجاح في الأيام الأخيرة من سنة 1899، تجنب إتيين و أبواقه لطمس الحقائق، وذلك أن العملية كانت غزوة ماكرة فتاكة ضد سكان إين صالح الذين وُهِمُوا بأن البعثة كانت لأغراض علمية يقودها الجيولوجي فلامان Flamand، فلما خرجوا تلقاءها مرحِّبين أطلق عليهم القبطان بـّان Pein نيران مدافعه فقتل وجوه القوم دفعة واحدة وبقي الجمهور لقمة سائغة لجيش الاحتلال، لكن هذه الحقيقة انطمست في خطب إيتيين، بل وتحولت إلى عكسها حيث قيل إن السكان هم الذين بادروا إلى إطلاق النار على بعثة علمية بريئة مسالمة، فما كان من خفيرها (المدجج بالسلاح !) إلا أن ردّ بالمثل، وكانت تلك الخطوة أولى الخطوات للنيل من التراب المغربي، وتجند حزب الاستعمار وراء زعيمه لإلحاق المغرب بالممتلكات الفرنسية، وكان ذلك الحزب كالأخطبوط الخفي، يستقطب الأعضاء والأبصار من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، ومن صفوف النبلاء المتشبثين بالإرث الملكي إلى صفوف العمال المياومين والصعاليك، ومن المسيحيين المتشددين إلى العلمانيين والملحدين، فإنه كان من نعم الاستعمار على الجمهورية الثالثة. ومما ساعد على إرساء النظام الجمهوري في فرنسا أن ذُوِّبت كل الخلافات الداخلية على حدّتها في ما كان من استنفار الجميع من أجل التوسع خارج التراب الفرنسي، وكان المغرب آخر ضحية لتلك الحملة الممنهجة.

لذلك أنشأ إيتيين "لجنة المغرب" في دجنبر 1903 وترأسها ليتتبع عن كثب تطور المسألة المغربية التي صار إبـّان جنْي الثمار منها يقترب، وقال بصددها في مجلة *إفريقيا الفرنسية* في يناير 1904 :«مسألة المغرب أهم ما يطرح في الوقت الراهن من القضايا على سياستنا الخارجية، ولنا فيها آخر ما يمكن أن يكون من نصيبنا الأمبريالي بالنظر إلى ما تم توزيعه من الأرض». ولذلك كان إيتيين قد احتج احتجاجا صارماً على اتفاقية 1902 مع إسبانيا وهو الذي ألح لكي يقلص من نصيب إسبانيا إلى أدنى ما يمكن، ولقد خطب في إحدى جلسات الاتحاد الكولونيالي سنة 1903، وكان النّقاش قد اشتد فيها بين معمري الجزائر ومعمري تونس على الصوالح فقال : «الحقيقة أنه يحزنني أن أراكم تتخاصمون، فهل من المستحيل أن تزدهر الجزائر دون أن يشلّ ذلك تونس ؟ وهل لا سبيل إلى ثراء تونس دون أن يعرقل ذلك نمو الجزائر، أرجوكم أيها الأصدقاء الأعزاء، خلونا من هذه النزاعات السخيفة ولننظر إلى أعلى من ذلك وأبعد، حوِّلوا أنظاركم إلى ما هو بجانبكم : فهناك المغرب وهناك أرضه المعطاء التي تتلقى أمطار البحر المتوسط وأمطار الأطلنتي نعمة مزدوجة. آه ! أيها الأصدقاء، يالله من ميدان لنشاطكم ! فثمة مناجم الفوسفاط والحديد وثمة أراضي للحبوب وأشجار الزيتون، وثمة مجال لبيع الأقمشة القطنية التي تنتجها معاملنا بروبي Roubaix وتوركاون Tourcoing، وثم مجال لبناء السكك الحديدية، ومجال لحفر الموانئ لفائدة رجالنا في التعدين ومقاولينا، وهنالك مجال للقرض أمام رجال أبناكنا! فهل أنتم دائبون على التشاجر بينكم (...)؟ بل اسمعوا مني سراً كبيراً. إن دلكاسي Delcassé، صديق العمر، يتفاوض في الوقت الراهن مع انجلترا، وإنه، مقابل

بعض التنازلات من جهتنا بمصر، سوف تحرر أيدينا من كل قيد من ملوية إلى المحيط ومن طنجة إلى الصحراء، وأنتم أيها الجزائريون وأنتم أيها التونسيون تتميّزون عن سائر الفرنسيين بما لكم من الخبرة بأراضي الإسلام وبمناخه ورجاله وبشؤونه، فإليكم ستصير فوائد الفتح، فاتحدوا أيها الإخوان المتعادون عوض أن تتحاربوا، ولنؤسس جميعا ملكاً واحداً شاسعاً متصلاً، يضم من خليج قابس إلى المحيط ومن البحر المتوسط إلى الخلاء الكبير، تونس والجزائر والمغرب في امبراطورية إفريقيا الشمالية العريضة».

يتجلى بوضوح من هذا الخطاب أن إيتيين كان من الخبراء بالاستعمار، لأن الاستعمار كان جملة من المقاولات الكبرى تنعقد بأمر الدولة وبضمان منها، ويوحي شارل أندري جوليان الذي نقلنا منه هذه الخطبة والذي كان يعرف إيتيين معرفة دقيقة، لأنه هو أيضا من مواليد وهران، بالدور الخفي الذي قد يكون لعبه لحث الدكتور موشان Mauchamp على استفزاز المغاربة والتجسس عليهم عامة، وعلى المولى عبدالحفيظ وقت كان خليفة بمراكش. وأثبت إدمون بيورك E. Burke أن قرار الزحف العسكري في اتجاه فاس في ربيع سنة 1911 اتخذ في غياب الحكومة الفرنسية المعطلة بسبب عيد الفصح، بضغط من إيتيين على وزير الخارجية كروبي Cruppi وكان من المغفلين، وعلى وزير الحرب بيرطو Berteaux وكان طموحا قابلا لكل إغراء، بحيث لم يتخذ أي إجراء بشأن المغرب في العقد الأول من هذا القرن إلا وكان لإيتيين بعض الأدوار فيه، سواء من ذلك وجوب التفاوض مع الألمان لإشراكهم في استغلال البلاد أو تعيين ليوطي على التخوم الجزائرية المغربية أول الأمر ثم مقيما عاما بالرباط بعد انعقاد الحماية. ولو أضفنا أن للرجل آثاراً سياسية أخرى بارزة مثل تبنيه لقانون فصل شؤون الدولة عن شؤون الدين سنة 1905، وتبنيه أيضا لقانون تمديد الخدمة العسكرية لمدة ثلاث سنوات سنة 1913، لا تضح أنه كان في الحقيقة وجها من وجوه الجمهورية الثالثة وركيزة من ركائزها وكان نموذجاً بورجوازياً من تلك الشريحة الاجتماعية التي أقيم عليها بفضل الاستعمار النظام الجمهوري بفرنسا، ولقد أطلق المسؤولون على المستعمرات اسمه بعد وفاته على ميناء نواديبو بموريطانيا الذي كان إلى حين استقلال هذا القطر يسمى "بور إيتيين Port-Etienne".

J. C. Allain, *Agadir 1911*, Paris, Publication de la Sorbonne, 1976 ; E. Burke, III, *Prelude to Protectorat in Morocco*, University of chicago Press et Chicago-London 1976, E. Etienne, *Discours Parlementaires sur les questions coloniales*, Paris 1907; P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc*, Paris, 1967 ; Ch-A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes 1415-1956*, Editions Jeune-Afrique, 1978 ; Stephen, H. Roberts. *The History of French Colonial policy 1870-1925*, London Frank Cass 1963 ; Y. Benoit, *Dictionnare des ministres 1789-1989*, Paris, Perrin, 1990 ; *Bulletin du Comité de l'Afrique française passim de 1891 à 1921*, sur Etienne et ses interventions.

إبراهيم بوطالب

أيثْبورُو إي مُونديخَارْ لويس Aizpuru y Mondéjar Luis، جنرال إسباني ولد بمدينة بيلباوْ سنة 1872، وبعد تخرجه من الأكاديمية العسكرية التحق بصفوف الجيش، وكان قد حصل على رتبة كولونيل عندما التحق بحامية مليلة سنة 1909 حيث شارك في المعارك الأولى التي جرت بين الجيش الإسباني الغازي لتراب المغرب ورجال المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها البطل مَحمد أمزيان، وكانت أهم تلك المعارك معركة خندق الذئب يوم 27 يوليوز 1909 التي قُتل فيها الجينرال بينطوس Pintos وخسر فيها الجيش الإسباني 752 رجلاً ما بين قتيل وجريح من ضباط وجنود، وعلى إثر هذه المعركة ثارت الجماهير بمدينة برشلونة مطالبة بجعل حد للحرب القائمة بأرض المغرب، وأطلق على الأسبوع الذي عمت فيه الاضطراباتُ المدينةَ المذكورة بالأسبوع المفجع.

احتل صاحب الترجمة جبل الگوروگو المشرف على مدينة مليلة يوم 29 سبتمبر 1909 وبذلك حقق لإسبانيا ما كانت تسعى إليه منذ أربعة قرون.

وشارك الجنرال أيثْبورو أيضا في معركة عزيب علال وقدور ليوم 15 ماي 1912 التي استشهد فيها الشريف مَحمد أمزيان، وعلى إثر هذه المعركة رُقي صاحب الترجمة إلى رتبة جنرال.

وفي يوم 13 سبتمبر 1915 عين أيثبورو حاكماً عسكرياً عاما بمليلة، وخلال فترة وجيزة استطاع أن يوسع رقعة الأرض المحتلة بناحية الكرت. وفي شهر فبراير 1919 عين رئيساً لأركان الحرب العامة بمدريد، وفي شهر ديسمبر 1922 أصبح وزيراً للدفاع.

وعلى إثر الانقلاب العسكري الذي قام به الجنرال بريمودي ريفيرا (Primo de Rivera) في 13 سبتمبر 1923 عين صاحب الترجمة مقيما عاماً لبلاده بالمغرب، حيث تقابل مع بطل المقاومة بناحية جبالة وغمارة الشريف مولاي أحمد الريسوني بمركز سيدي موسى بقبيلة بني عروس يوم 12 أكتوبر من نفس السنة، وأبرم معه اتفاقية هدنة لم يحترمها كلا الطرفين.

وأعفي الجنرال أيشبورو المقيم العام من مهامه يوم 15 أكتوبر 1924 وأحيل على التقاعد، ولم نقف على تاريخ وفاته.

Servicio Historico Militar, *Historia de las campanas de Africa*, Madrid, 1947-1981 ; C. Martinez Campos, *España belica*. Madrid, Siglo XX, 1972 ; T. Garcia Figueras, *Marruecos*. Madrid 1944.

إيجيل (اتفاقية مزعومة)، وهو في الأصل اسم سبخة تقع بناحية أدرار التمر المجاورة لمقاطعة وادي الذهب، التابع حاليا لموريطانيا. وقد ورد ذكر إيجيل في تاريخ المغرب بسبب عملية مشبوه فيها قامت بها إليه بعثة استعمارية اسبانية سنة 1886. فبعد التدخل الإسباني في صحراء المغرب يوم 3 نوفمبر 1884 على إثر قيام الملازم الاحتياطي ايميليو بونيلي Emelio Bonelli بإقامة أكواخ خشبية في شبه جزيرة الداخلة وغيرها، وصدور بلاغ الحكومة الإسبانية بأنها قررت بسط حمايتها على الشاطىء المغربي الممتد من رأس بوجدور (خط العرض 27 درجة) إلى الرأس الأبيض (خط العرض 20 درجة) أرسلت الحكومة الإسبانية بواسطة الشركة الجغرافية الإسبانية Sociedad Geografia Espanola بعثة مكونة من القبطان خوليو ثيربيرا Cervera والأستاذ فرانثيسكو كيروگا F. Quiroga والترجمان فيليبي ريثو F. Riggo والجندي «المغربي» ابن بوزيان الأخضر الحاج عبدالقادر، وصلت إلى الداخلة في 14 ماي 1886 ومنها توجهت إلى ناحية إيجيل حيث قامت يوم 12 يوليوز بتحرير محضرين : ينص الأول على أن «أحمد بن محمد ولد العيدة شيخ ادرار التمر ورئيس قبيلة يحيى وعثمان اعترف بمحضر كبار رجالات حاشيته السادة الشريف يدو من أولاد سيدي يحيى وعثمان ولد محمد بن حميس والشيخ ولد عينين الشنگيطي وإبراهيم ولد مجيد وسيدي أحمد ولد الداي وسيدي إيجيل بن حرمين، اعترفوا بالسيادة الإسبانية على جميع تراب أدرار التمر، حيث يخضع ولد العيدة وقبيلته لحماية الحكومة الإسبانية. وكدليل على خضوعه هذا يسلم ولد العيدة إلى رئيس البعثة الإسبانية جواده وبندقيته، كما يلتمس من الحكومة الإسبانية أن تسمح له باستعمال خاتم خاص في الوثائق والمراسلات التي سيوجهها إلى السلطات الإسبانية. وقد وقع على المحضر بإيجل في 12 يوليوز 1886/ 10 شوال 1303 «الشريف جدو بالنيابة عن أحمد بن محمد ولد العيدة (الأمّي)».

وجاء في المحضر الثاني أن أعضاء البعثة يعترفون بأن الأراضي الواقعة بين شاطئ الممتلكات الإسبانية من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض وبين الحدود الغربية لأدرار التمر أصبحت منذ هذا اليوم في ملك اسبانيا... وللدلالة على ذلك رفع العلم الإسباني وتم تحرير هذا المحضر بمحضر عدد كبير من العرب ممثلي القبائل الذين وافقوا على هذا المحضر وعينوا لينوب عنهم في توقيعه الحاج عبدالقادر بن بوزيان الاخضر.

يتضح مما سبق أننا أمام محضرين لا قيمة لهما، فليس فيهما ما يدل على أن الأمر يتعلق باتفاقية أبرمت بين أمراء وشيوخ قبائل أدرار التمر والبعثة الإسبانية، وهذا ما جعل الحكومة الإسبانية ترفض الطلب الذي تقدمت به الشركة الجغرافية الإسبانية من أجل أن تصدر الحكومة بشأنه بلاغا مماثلا للبلاغ الذي أصدرته يوم 26 ديسمبر 1884.

ومما يدل على أن المحضرين هما من وضع أعضاء البعثة الإسبانية أن الأرقام التي وردت فيهما أرقام هندية لم تكن تستعمل في المغرب ولا في الصحراء، ومن المعلوم أن الترجمان ريثو كان قد سبق له أن تعلم اللغة العربية أثناء وجوده بالشرق العربي، فيكون هو الذي حرر المحضرين بدون شك.

ولما بدأت إسبانيا تفاوض فرنسا بشأن الصحراء المغربية سنة 1887 قدمت المحضرين المذكورين ضمن «حججها» وطالبت بأن يعترف لها بـ «حق» بسط نفوذها على المنطقة الشاسعة المبينة في الخريطة المرفقة، ودامت المفاوضات ثلاث عشرة سنة وانتهت بتوقيع معاهدة باريس في 27 يونيو 1900 التي اعترفت فرنسا بمقتضاها «بحق» اسبانيا في بسط نفوذها على صحراء وادي الذهب.

J. Cervera, *Expedicion al Sahara de Rio de Oro a Iyil. Rev. geografia comercial*, II n° 25 - 30, Julio-Septiembre 1886, 1 - 2 ; F. Quiroga, *El Sahara occidental y sus moradores, rev. geog comercial*, II, n° 25 - 30, Julio-Septiembre 1886, 66 - 72 ; Bonelli, E. *El Sahara*, Madrid, 1887 ; T. Garcia Figueras, *Santa Cruz de Mar Pequeña - Ifni - Sahara*, Madrid, 1941 ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Por que reivindicamos Rio de Oro*, Rabat, 1966.

محمد ابن عزوز حكيم

أيديمُون، ثائر مغربي على الغزو الروماني في القرن الأول للميلاد. لا تتوفر لحد الآن إلا على مصدرين هما نص مقتضب لبلينيوس القديم (Pline, V, 11) ونقيشة «ماركوس فاليريوس سيفيروس (ILM, 116)، وردت في رواية بلينيوس القديم عبارة Liberto Aedemone المعتق أيديمون، وهي نفس العبارة التي توجد في مختلف طبعات النص الأصلي لكتابه *التاريخ الطبيعي*، مما يؤكد اعتمادها على نفس المخطوط. هذه المعلومات التي زودنا بها بلينيوس القديم عن أيديمون ليست كافية ولا دقيقة، إذ لا تفيدنا إلا بكونه معتقا ويحمل اسم أبديمون. وربما نستنتج من تحليل عبارة «أن ينتقم له» انه كان بالفعل معتقا لبطليموس وانه كانت له منزلة في دولته.

أوردت نقيشة «ماركوس فاليريوس سيفيروس» اسم أيديمون فقط دون التعريف بأصله ولا بوضعيته الاجتماعية

والإدارية. ويتميز نصها بخلوه من لفظة Libertum (معتق) والمعروف أن المسؤولين عن تدوين نصوص النقائش التشريفية الرومانية حاولوا تحري الدقة والموضوعية، لذا لا يسعنا إلا أن نقر بمضمون نقيشة ماركوس فاليريوس سيفيروس ونبدي شكوكنا حول ما جاء في نص بلينيوس القديم خاصة وأن الفارق الزمني بين هاتين الشهادتين كبير وقضية المصادر التي اعتمدها بلينيوس ومنهجه في البحث التاريخي لم يحسم فيه بعد..

إذن، يبدو من الأكيد أن خصم ماركوس فاليريوس سيفيروس يدعى أيديمون، وكل ما عدا هذا الاستنتاج يجب أن يبقى من قبيل الاحتمال والافتراض إلى وقت آخر. وهكذا يتحتم علينا أن لا نأخذ مأخذ الجد الاسم الثلاثي Caïus Iulius Aedemon الذي يرى أوزينا Euzennat أنه أعطي لصاحبه المعتق وبهذه الصيغة على غرار سيده بطليموس المتمتع بالمواطنة الرومانية والمعروف بـ Caïus Iulius Ptolomaeus (Euzennat, 164)، ونفس الموقف يجب أن نتخذه من نص بلينيوس القديم إلى حين العثور على مصادر أخرى تتضمن عبارة Libertum Aedemonem.

الاشكاليات التي يطرحها تحليل لفظة أيديمون : يطرح تحليل لفظ أيديمون عدة تساؤلات : إذا كان أيديمون قد تسمى بهذا الاسم، فماذا يعني هذا الاسم بالضبط؟ هل هو لفظ اغريقي أم لا ؟ هل يعني أن حامله له صلة بوضعية العبيد أم لا ؟ هل نستطيع عن طريق تحليله اللغوي الكشف عن أصل أيديمون ومكانته الاجتماعية ؟ يبدو من العبث البحث عن الأصل اللغوي لكلمة أيديمون في ثنايا ما هو معروف في المصطلحات الليبية والبونيقية واللاتينية والسامية، في حين أننا نجد لها شبها كبيراً باللفظتين الإغريقيتين :

= إله، أو الذي يعلم.

= سعيد أي حسن الطالع، مسعود بالعربية المغربية.

Fortunatus باللاتينية.

إذن، فباعتبار صيغته اللغوية ومدلوله، يتضح أن اسم أيديمون يرتبط باللفظة الإغريقية الثانية أكثر مما يرتبط بالأولى ؛ ومن المحتمل جداً أن حرف لم يتصدر الكلمة الاغريقية الأصلية، ذلك أنه في هذه الحالة سينسخ اسم أيديمون باللاتينية مبتدئا بحرف d. إذا ما استخلص المرء مما سبق أن صيغة كلمة Aedemon إغريقية، فهل يحق له أن يخلص في نفس الوقت إلى أن هذا الشخص من أصل إغريقي ؟.

أثبتت الدراسات الحديثة أن الاسم الإغريقي لا يدل دائماً على أن حامله من أصل إغريقي (Marion, 165-166; Euzennat, 162 - 163 ; Lassère, 435) ويجوز لنا، تمشيا مع روح هذه النتيجة العلمية أن نشك في الأصل الإغريقي لـ «أيديمون» إلى حين توفرنا على الوثائق الكافية لحسم هذه القضية، كما يجوز لنا في نفس الوقت أن نتساءل حول الأسباب التي دعته إلى حمل هذا اللقب الذي يبدو أن له صيغة لغوية إغريقية. يجب في هذا الباب أن لا يغيب عن أذهاننا ما للثقافة الإغريقية من قوة الإشعاع في العالم المتوسطي القديم بما فيه المملكة الموريطانية أيام يوبا الثاني وابنه بطليموس (Gsell, VIII, p.207-287) ومن بالغ التأثير على سكانها الحضريين المتمسكين بالدفاع عن مصالحهم والحفاظ على مكتسباتهم والتواقين إلى حياة ملؤها الرخاء المادي والازدهار الحضاري. وقد حمل العديد منهم ألقابا إغريقية قبل أن تتحول بلادهم إلى ولاية رومانية وتبنوا الانماط الهلنستية في التفكير والسلوك.

هناك سؤال آخر يطرح : هل الاسم الإغريقي دليل على أن حامله من فئة العبيد ؟. ينقسم الباحثون حول هذه القضية إلى فريقين : يعتقد الفريق الأول أن الاسم الإغريقي دليل على أن حامله عبدٌ في الأصل، ويرى الثاني عكس ذلك وتقول به مجموعة كبيرة من الدارسين الذين لا يعتقدون أن حامل الاسم الإغريقي عبد بالضرورة. ويبدو أن الرأي الثاني هو الأقرب إلى الصواب، إذ لم يتبلور إلا بعد إجراء تحريات كافية همت فئة السكان الأرقاء في العديد من المدن الافريقية والايطالية ووفقا لمناهج عملية دقيقة. ومن النتائج المحصل عليها في هذا المجال ضعف نسبة الأرقاء والمعتقين في العينات السكانية التي تكونت منها نواة هذه الدراسات. وأوضحت نفس الأبحاث أن عناصر من السكان الاهالي الأحرار حملوا هم أيضا أسماء اغريقية. (Marion, 182 ; Pflaum, 113 ; Picard, 383 ; Lassère, 429) ومن المحتمل جداً، على ضوء كل هذه التوضيحات المنهجية الضرورية، أن أيديمون شخص موريطاني ولد وهو حر وبقي هكذا إلى أن فارق الحياة، وذلك اعتباراً للمعطيات التالية :

- لا يعني الاسم الإغريقي أيديمون بالضرورة أن صاحبه من أصل اغريقي وفرد من فئة الأرقاء أو المعتقين.

- الدعم الذي قدمه بلا شك الكثير من الموريطانيين لأيديمون يجعلنا نشك في أصله الأجنبي الإغريقي وفي انتمائه لفئة الأرقاء أو المعتقين، والغريب في الامر أن نفس السكان ثاروا من قبل ضد بطليموس إذ سلك سياسة مكنت مساعديه الأرقاء من الاستيلاء الفعلي على مقاليد الحكم في بلادهم (Tacite, IV, 23) كيف يتسنى للمرء تفسير هذا التناقض في وقف الموريطانيين ؟ الحل هو أن هؤلاء تصرفوا بهذا الشكل لأن أيديمون لم يكن لا إغريقياً ولا عبداً أو معتقاً. ومن غير المستبعد، إذا افترضنا انتماء أيديمون لبلاط بطليموس، أن يكون أحد أفراد هذه الفئة الجديدة من المواطنين الموريطانيين السامين الذين خبروا النموذج الحضاري الروماني وكان لهم المام باللاتينية قراءة وكتابة. وبالتالي توفرت لديهم وسائل فكرية مكنتهم من ملامسة نقط الضعف في منهج الحكم الروماني وجعلتهم يفكرون في محاولة التحرر من السلطان الأجنبي الذي يرزأون تحته هم والموريطانيون الآخرون المستقرون منهم والرحل.

- المدلول الحقيقي لاسم أيدمون : لو تأكد أن أيدمون مواطن روماني ومعتق لبطليموس لكان اسمه الثلاثي

الكامل «كايوس يوليوس أيديمون»، وإذا تأكد أن اسم أيديمون هو معتق في الأصل فان اسم أيديمون هو في الواقع الاسم القديم الذي كان يحمله قبل أن يعتق من قبل بطليموس، ويجب أن يكتب دائماً مسبوقا بكلمة معتق (Libertus)، وإذا كان معتقاً لـ «كليوباترا سليني» زوجة يوبا الثاني، فيجب أن يحمل أيديمون الأسم الشخصي لأبيها واسمها العائلي واسمه القديم الدال على انتمائه لفئة الأرقاء، ولكننا لم نعثر على أي تأكيد لكل هذه الاحتمالات في النصوص والنقائش التي أشارت في مضمونها إلى أيديمون، مما يدعونا إلى الاعتقاد بأن أيديمون لم يحمل اسما ثلاثيا، بل فقط اسماً منفرداً هو Aedemon.

وتجمع الأبحاث الحديثة حول أسماء الأشخاص في الشمال الافريقي القديم على أن اللقب في هذه المنطقة المتوسطية سواء كان مكتوباً بالحروف الاغريقية أو اللاتينية ما هو إلا تعبير عن تطلعات الفرد واختياراته وتقاليده واهتماماته الدينية، ويتجلى هذا مثلا في هذه الالقاب المشهورة : (المنتصر Victorius)، السعيد (Felix)، صاحب الطالع الحسن (Fortunatus)، المحظوظ (Fortunatus)، العظيم (Maximus)، عابد أو خادم الاله زحل (Saturninus) (Marion, 136-137 ; Benabou, 501-502). والمتفق عليه أن هذه الاسماء الأحادية والدينية ينفرد بها على العموم السكان الأهالي. وهكذا فإن اسم أيديمون (السعيد أو المحظوظ) ربما هو اسم لشخص موريطاني. وما ندرته في الوثائق بهذه الصيغة الإغريقية = (Eu - en grec Aedemon) إلا نتيجة لتعويض الكلمة الاغريقية Aedemon بالكلمة اللاتينية Fortunatus التي تؤدي نفس المعنى.

الخلاصة هي أن أيديمون ربما كان شخصا موريطانيا حراً من أفراد البلاط الموريطاني في عهد بطليموس وليس بشخص افريقي معتق كما يرى ذلك «لوقو Leveau» (p. 317) الذي لم يأخذ بعين الاعتبار النتائج المهمة التي توصلت إليها الأبحاث الخاصة بأسماء الأشخاص في العديد من المدن الافريقية والإيطالية، ولم يعتمد فيه إلا على هذا الحدث وهو أن «يكيليوس Icelius» معتق الامبراطور گالبا Galba عوض لقبه الاغريقي بـ «ماركيانوس» عندما أصبح من فئة الفرسان (Leveau, 217). نعم نفهم لماذا اعتبر«لوقو» ايدمون معتقا، لكن لا نفهم لماذا اعتبره معتقا افريقيا، وحتى لو سلمنا، كما يفعل هو بالقاعدة التي تقول أن لكل وضعية اجتماعية ما يناسبها من الأسماء، فإننا سنتمكن من التعرف على اسم أيديمون وهو عبد وسنعجز عن تحديد اسمائه الأخرى التي حملها قبل استعباده أو بعد عتقه.

البواعث الذاتية لحركة أيديمون : هناك بواعث ذاتية لحركة أيديمون بالإضافة إلى محدداتها الاقتصادية والسياسية (مقدون، 4 : 157) يبدو من خلال شهادة بلينيوس القديم أن أيديمون لم يتمرد على السلطة الرومانية إلا ليثأر للعاهل الموريطاني بطليموس، هل كان المعتق أيديمون يريد حقا أن يثأر لـ «سيده» أم لا ؟ علينا، لكي نبقى منطقيين مع أنفسنا أن نربط الإجابة عن هذا السؤال بكل الافتراضات التي تطلبتها منا دراسة قضية أصل أيديمون ووضعيته الاجتماعية، ويبدو من المستبعد جداً، على ضوء هذه الافتراضات أن يكون هذا الشخص، وهو حر موريطاني، قد وضع مشروعه السياسي بكل تجرد ودون أن يضع نصب عينه تلبيته البعض من رغباته، خاصة وهو على علم بأنه سيقاوم لامحالة من طرف القوات العسكرية الرومانية المرابطة في افريقيا البروقنصلية وبيتيكا والعديد من مواطنيه الموريين الذين حملوا السلاح في وجه بطليموس لأنهم عانوا من سياسته الداخلية ،ولأن الوفاء لعرش بدون وريث كما يقول «فور Faur» (Faur, 270) «يعني الأخذ بقضية فاشلة»

والواقع أن أحسن وسيلة لأخذ الثأر لبطليموس هي البحث بسرعة عن خلف شرعي له وضمان استمرارية السير العادي للشؤون العامة والعمل على أن تندلع الاضطرابات الأولى في العاصمة «قيصرية Caesarea» حيث يتجمع الكثير من رعايا هذا العاهل الموريطاني وأنصاره وأفراد جيشه، غير أن أيدمون فضل انطاق حركته من مكان ما بموريطانيا الغربية التي تقع بعيداً عن معسكر «امايدارا Ammaedara» بافريقيا البروقنصلية حيث تستقر وحدات الفيلق الأغسطسي الثالث. إذن، فهل كان أيديمون يرمي من وراء تحركاته إلى أخذ السلطة العليا في الاقاليم الاطلنتية من الشمال الافريقي ؟ وهل لم يرفع شعار الانتقام لبطليموس إلا ليبرر مشروعه ويُضفي عليه صفة المشروعية ؟ لقد أحاطت بالحركة في بدايتها عدة ظروف مواتية سهلت عليه العمل. فالطريقة الفظيعة التي تخلص بها گليگولا من بطليموس كان من شأنها أن تضاعف من اشتداد مقاومة الموريطانيين للسلطان الروماني، ومن شأنها كذلك أن تجعلهم يحرصون على مساعدة كل زعيم افريقي قوي في مقدوره الاضطلاع بمهمة تسيير الثورة أولا ثم الشؤون العامة في بلادهم، كما أن عدم وجود وريث لعرش بطليموس يجعل أي زعيم يظهر متمتعا بالشرعية وبالمؤهلات اللازمة.

وبالتأكيد فإن هذه الأهداف التي رسمها أيديمون لنفسه ما كان لها أن تتحقق دون افشال مخطط روما التوسعي في الشمال الافريقي. وقد ارتأى أن يتحمل هذه الاعباء بالاشتراك مع العديد من القبائل الموريه التي لم تنس ما ألحقته الادارة الرومانية بنمط عيشها التقليدي من خلل فأصبحت تتحين الفرص المناسبة لكي تلحق بها ضربات قاسية.

وباختصار، فإن أيديمون لم يكن يهمه أخذ الثأر لبطليموس وتزعّم المقاومة الموريطانية بكل اخلاص وتجرد، بقدر ما كان يهمه بالاساس الاستيلاء على السلطة والانفراد بها.

آثار حركة أيديمون بموريطانيا الغربية :تثبت نتائج الحفريات الحديثة التي أجريت في تمودة ولكسوس وناحية طنجة ووليلي أن حركة أيديمون همت بالاساس القبائل والمراكز الحضرية التي كانت ضمن منطقة النفوذ الرومانية في موريطانيا الغربية.

فتخريب تمودة ولكسوس والعديد من المنشآت الزراعية والصناعية بأحواز طنجة يستدعي إبداء الملاحظات التالية:

تشاهد بقايا الحريق والإخلاء والهدم في الكثير من الاستبارات التي أجراها م. طراديل (M. Tarradell) وم. بونسيك (M. Ponsich) في جميع هذه المواقع، وتتمثل في مجموعة من «طبقات الهدم والحريق» وفي مواد محترقة وأمفورات وأوان تكسرت في عين المكان (In Situ) وجدران مقطوعة ومدكوكة.

يبدو أن معدل سمك طبقات الحريق والهدم بأحواز طنجة يفوق بكثير نظيره في تمودة ولكسوس، مما يعني بلا شك أن المعارك والخسائر في هاتين المدينتين الموريطانيتين كانت أقل عنفا وفداحة من التي شهدتها أحواز طنجة.

تؤرخ ظاهرة الحريق والهدم المشار إليها آنفاً بمنتصف القرن الميلادي الأول وذلك اعتمادا على المكتشفات التالية: كمية من شظايا الزخرف الكمباني المتأخر المقلد والزخرف الأرتزي، قطع عديدة من القناديل الهلنستية و«الجمهورية» خاصة القناديل ذات الزخرف الحلزوني ومنقار كراس السندان، امفورات من النوع الاغسطسي ونقود موريطانية ضربت في عهد يوبا الثاني وابنه بطليموس.

يرى م. طراديل (Tarradell, 119) وم. بونسيك (Ponsich, 2) أن هذه الظاهرة التي حدثت حوالي منتصف القرن الميلادي الأول لا يمكن فصلها عن حركة أيديمون التي اندلعت في نفس الوقت الذي اقتحمت فيه الفيالق الرومانية المملكة الموريطانية. والدليل على ذلك في تقديرنا هو أن هذه البلاد لم تشهد خلال الفترة المتراوحة ما بين سنة 17م وسنة 69م سوى حدثين خطيرين هما حركة أيديمون والغزو الروماني لموريطانيا.

تبين دراسة النقائش ILM. 57, 56, 116 أن حركة أيديمون اتسمت بالعنف والخطورة وشملت وليلي ونواحيتها وكبدت هذه المدينة خسائر بشرية ومادية من الصعب تحديدها اعتمادا على المعطيات الأثرية وأن روما ممثلة في شخص كلاوديوس قد منحت بعض الامتيازات لمجموعة كبيرة من الوليليين لاتمنحها عادة إلاّ للبلديات والمستوطنات التي حلت بها كارثة من الكوارث. ونذكر بأن هذه الامتيازات تنحصر في الحصول على المواطنة الرومانية وشرعية الزواج بالنساء غير الرومانيات والاعفاء من أداء الضرائب لمدة عشر سنوات والتحكم في السكان الافارقة المقيمين في وليلي ونواحيتها والتصرف في ممتلكات المواطنين الذين قتلوا في الحرب ضد أيديمون ولم يخلفوا ورثة.

لا يوضح تحليل النقيشة ILM,116 ما إذا كان أيديمون قد لقي مصرعه في المعارك التي دارت بوليلي أم لا ولا تفيدنا عبارة "Oppressum bello" بأي شيء فاصل في هذا الصدد، ذلك أنها لا تعني «قتل في الحرب» بقد ما تعني «هزم أو تم سحقه في الحرب» ويتفق معظم المؤرخين المحدثين على أن محق حركة أيديمون تم بسرعة وأنّ زعيمها قتل أثناء الحرب الموريطانية الأولى قبل أن يفارق كليگولا (Caligula) الحياة في يوم 24 يناير 41م (Gascou, 304, Leveau, 7).

م. مقدون، *ثورة أيديمون*، د. د. ع. خزانة كلية الآداب بفاس، 1984.

Plinius, *Naturalis Historia*, V, éd. 1980 ; Tacitus, *Annales*, éd. 1953-1959 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, 1913-1928 ; L. Chatelain, *Inscriptions latines du Maroc*, 1942 ; G-Ch. Picard, *La civilisation de l'Afrique romaine*, 1959 ; H. G. Pflaum, *Remarques sur l'onomastique de Cirta*, 1959 ; M. Tarradell, *Marruecos punico*, 1960 ; J. Marion, *La population de Volubilis à l'époque romaine*, 1960 ; M. Ponsich, *Recherches archéologiques dans Tanger et sa region*, 1970 ; M. Euzennat, *Grecs et Orientaux en Maurétanie Tingitane*, 1971 ; J.L. Faur, *Caligula et la Mauritanie : la fin de Ptolémée*, 1973 ; J. M. Gascou, *Licinus Crassus Frugi, légat de Claude en Maurétanie*, 1974 ; M. Benabou, *La résistance africaine à la romanisation*, 1976 ; J.M. Lassère, *Ubique Populus*, 1977 ; Ph. Leveau, *La fin du royaume maure et les origines de la province romaine de Maurétanie césarienne*, 1984.

محمد مقدون وعلي واحدي

إيَرْمَوَاس، اللفظ أمازيغي مركب من «إيَر» و«مواس». الأول يدل على قطعة أرض فلاحية مسقية، مساحتها تقاس بمقدار الحبوب الذي تستعمل فيها بذوراً، وهذا يتراوح بين قنطارين وثلاثة قناطير. ويمكن أن ينطق باللفظ «إجَر» و«إگر» كما أنه يمكن اضافة الف زائدة قبل الراء الأخيرة، أي «إجار»، «إيكار».

أما مواس فاسم للجماعة المالكة لتلك القطعة، مع أننا لا نعرف مَن هي تلك الجماعة ولا في أي عصر ظهرت. ويقع موضع تلك الجماعة بقبيلة بني توزين (اقليم الناظور) بجماعة «بني بلغيز» السفلى، على الضفة اليمنى من «واد أمقران» (واد تمسمان).

اشتهر المكان بزاوية، كانت بمثابة مدرسة لتعليم الفقه ومبادىء التصوف منذ العهد المريني. وقد اعتنى المرينيون بالقبيلة لمكانتها في الأسرة المرينية، بحكم قرابة الصهر التي تمت بين على أمحلي وعبدالحق المريني في بنت الشيخ البطوئي المسماة بأم اليمن، أم يعقوب المنصور المولود سنة 607 أو 609.

وإلى هذه الجماعة ينتسب عدد هام من المواسيين البطوئيين المعروفين بفاس منذ القرن الثامن الهجري. ومنهم أحمد بن محمد المواسي البطوئي الفقيه المتوفى عام 842 هـ بفاس، وولده عيسى أبو مهدي الفقيه المفتي بفاس والمتوفى عام 895 هـ.. [ترجمتهما في م]

أ.ابن القاضي، *جذوة* ؛ ع. الزياتي، *الجواهر*، مخطوط. ص. 34 ؛ التسولي، *النوازل*، مخطوط. خ. ع. د 882، ص 156. 162. 197. 209. 258 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ص 314 ؛ *استطلاع ميداني* سنة 1974 ؛ خريطة 100.000، 1954.

حسن الفگيگي

أيْرني ← بكوكة

إيزران (غابة) ← **بني مسّارة**

إيزفاون ← بني عياط

الأَيْسَر، وتكتب أيضاً بدون همز ـ لاَ يْسَر أو لَيْسر ـ أسرة رباطية عريقة لا نعرف من أين ولا متى جاءت إلى هذه الحاضرة. غير أن وجود «جنان الأيسر» بشارع شالة طلعة حسان (بني فيه حالياً فندق حسان والعمارات المتصلة به) يوحي بقدم هذه الأسرة في الرباط وعلى الأقل منذ القرن الثامن عشر. وعرف منهم فقهاء وتجار، انتقل بعضهم إلى الدار البيضاء في أواسط هذا القرن. منهم :

الأيسر، عبد العزيز من تجار سوق السبيطريين المتخصصين في بيع "البلاغي" الجيدة للرجال و"شرابيل" النساء المطرزة. توفي أواخر الخمسينات.

الأيسر، محمد، فقيه إمام الزاوية المعطوية بحي مولاي إبراهيم قرب الجامع الأعظم بالرباط، وكان مقصوداً للاستشفاء بالتمائم. ومن المعلوم أن هذه الزاوية أصبحت مدرسة حرة سنة 1916 يسيرها الحاج محمد بن اليمني الناصري، وبذلك يعدّ الفقيه عبدالعزيز الأيسر من الأولين الذين عملوا في التعليم الحر.

تقاييد خاصة.

محمد الأمين بلكتاوي

إيسُمولْ، ناحية طبيعية بالصحراء المغربية، تقع بوادي الذهب وتحد شمالا بناحية إمسان، وشرقا بأدرار ستوف، وجنوبا ببير غندوز، وغربا بالمحيط الأطلنتي.

I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-sahariano*, Madrid 1955, p. 62.

محمد ابن عزوز حكيم

الإيسي، أسرة سوسية من قبائل جزولة عُرفت بالعلم والأدب والجاه. وهي تنتسب إلى منطقة إيي ـ نْ ـ إيس في تارسواطت في الجهة الشرقية لمنطقة تافراوت بالأطلس الصغير.

وقد اشتهر من الإيسيين في النصف الثاني من القرن العاشر(16م) ثلاثة إخوة أبناء محمد بن موسى، كانوا ثلاثتهم فقهاء أدباء شعراء. اشتغلوا بالكتابة في بلاط أحمد المنصور، وتقلّد اثنان منهم أمانة بيت المال، وامتحنوا سنة 1601/1010 بسبب وشاية كاذبة فثُقفوا بجامع المشور في مراكش، ثم سرحوا في السنة التالية «وخلصوا والحمد لله من هذه النكبة خلوص الذهب بعد السبك، واطلع أمير المومنين نصره الله على عدم صحة ما نُسب إليهم من الكذب والإفك» (*روضة الآس*، 190) وهم :

الإيسي، إبراهيم بن محمد بن موسى، فقيه «يستظهر مختصر خليل ويقوم عليه أحسن قيام، ويشارك في المنطق والبيان والنحو والأصلين وغير ذلك» (*روضة الآس*، 190). لم تتحدث عنه كتب التراجم إلا بإشارات عابرة، لأنه صُرف عن العلم بمشاغل السياسة، فكان محط ثقة المنصور ورئيس المتصرفين في بيت ماله، لذلك غلب عليه لقب القائد أو الرئيس. لقيه أحمد المقري لأول وصوله إلى فاس في صفر عام 1009/ غشت ـ شتنبر 1600، وقد بعث به المنصور لبناء السد الكبير بوادي بوطوبة عند مدخل النهر إلى فاس من ناحية باب الجديد إضافة إلى السد الأصغر بنفس الوادي، وقد أنفق عليهما أموالا طائلة. ولما أنهى إبراهيم الإيسي مهمته أشار على أدباء الحاضرة الفاسية بإنشاء قطع شعرية في مدح المنصور باني السد، فأنشد جماعة منهم مقطعات لطيفة، ومنهم أحمد المقري، فأعجب به إبراهيم الإيسي وأخذه معه إلى مراكش وأنزله في بيته مع إخوته الأدباء وأفاضوا عليه من الإكرام والإنعام ما جعل المقري يكتب: «ولو أني أتعبت اليراعة في بعض مآثرهم الجليلة ما أطقتها، ولو علمت أن أطيار المدائح المحبوسة في قفص الفكر إذا صدحت فوق أفنان الشكر تؤدي بعض حقهم لأطلقتها» (*روضة الآس*، 189).

وقدّم إبراهيم ضيفه المقري إلى مخدومه المنصور فنال لديه الحظوة والقبول.

ولا يعرف تاريخ وفاة إبراهيم على وجه التحديد وإنما المؤكد أنه كان ما زال حيا عام 1602/1011.

وهناك عالم آخر من هذا القبيل يتّحد مع المترجم السابق اسماً ونسباً ويقاربه عصراً هو :

الإيسي إبراهيم بن محمد الفلكي. كان فقيها حافظاً لفروع المذهب المالكي، متضلعا في العلوم الرياضية، عارفا بعلم الأوفاق والزايرجا والرمل وسر الأسماء. درس في مسقط رأسه بسوس، ثم رحل إلى مراكش وفاس وأخذ عن علمائها قبل أن ينتقل إلى الزاوية الدلائية ويلازم مجالس محمد المرابط الدلائي وغيره من مدرسي الزاوية. وكثر عدد شيوخه حتى بلغ مَن يسمون منهم محمداً نحو

وفي سنة 1665.64/1075 انتقل إلى الشرق ودخل إلى مصر، ثم مكة المكرمة. «وله نظم ونثر في غاية الرقة والانسجام» ـ كما يقول المحبي ـ ومراسلات أدبية ومساجلات شعرية مع عدد من كتاب المغرب والمشرق ولا يُذكر له تأليف سوى *نظم رسالة الرجاني* في الوفق الخماسي الخالي الوسط، وشرحها شرحا عجيباً.

توفي بمكة المكرمة عام 1667.66/1077. ودفن بالمعلاة.

م. المحبي، *خلاصة الأثر*، 1: 45.44 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 1: 184.183.

الإيسي، أحمد بن محمد بن موسى، أخو القائد إبراهيم سابق الترجمة وأصغر منه سناً. كان أيضا من أمناء بيت المال في عهد المنصور، وله مساجلات شعرية مع معاصريه تدل على ذوق أدبي رفيع. وفي مدحه وإخوته أنشد أحمد المقري حين نزل بدارهم :

مَن مبلغٌ أهلي وكـلّ أحبتي أني نزلت بمعشر فوق السها
شرفاً، فهم عند السماحة حاتم ولدى البلاغة كعبُها أو قُسُّها

الإيسي، مبارك بن محمد بن موسى، ثالث الإخوة الأدباء، وأحد كتاب البلاط المنصوري بمراكش، إلا أن كتب التراجم أغفلت ذكره، ولم نقف له إلا على مطلع غزلي لقصيدة بعث بها إلى رئيس الكتاب عبد العزيز الفشتالي :

ومـليـح يتـثـنّـى زار في ليـل الذوائـبْ

فأجابه الفشتالي عنها بأبيات تدلّ على إعجابه بهذا الأديب الإيسي المغمور :

أمـدامٌ بـاكـرتـنـا تبرُها في الكأس ذائبْ
أم عبيرٌ المسـك يـندى ضُمِّخت منـه الترائبْ
أم بُـرودٌ طـرّزتـهـا في الرُبى أيدي السحائبْ
جـادها طبعٌ كريـم للحيـا والفضـل ساكب

ولا يعرف عن وفاة أحمد ومبارك إلاّ أنها كانت بعد 1602/1011.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 1: 206،205 ؛ *لقط الفرائد، ألف سنة من الوفيات*، 230 ؛ أ. المقري، *روضة الآس*، 23، 190،189 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 1 ؛ ع. بنعبدالله، *الموسوعة المغربية*، 4: 176.

الإيسي محمد بن عبدالرحمان ← امحوّلو

الإيسي، محمد بن يعقوب السوسي، يلقب بصدر الأفاضل، ولد سنة 966/1559،58 ودرس بمسقط رأسه سوس، وبفاس على محمد القصار، وبمراكش على محمد بن يوسف الترغتي. وكتب فهرساً علمياً حافلاً بيّن فيه شيوخه ومقروءاته، رواه عنه أحمد ابن القاضي تدبيجاً، ونقل عنه معاصروه ومَن بعدهم، لكنه اليوم في حكم المفقود. وقد أجازه كلٌ من يعقوب بن يحيى اليدري وعبد الواحد بن أحمد الحسني شيخ الكتّاب والفقهاء ببلاط أحمد المنصور الذهبي أواخر شوال عام 998/ غشت 1590 وحلاه بالراوية الأديب الحافظ المتفنن الواعية.

كان محمد بن يعقوب أديباً كاتباً شاعراً ذا حاسة تاريخية مهتماً بأحداث عصره. إلا أن معظم مقيداته ضاعت للأسف، وقد أثنى عليه كلّ من عاشره أو اتصل به، وأعجب به كثيراً أحمد باب السوداني واعتمد كتاباته وأخباره الشفوية، وأكثر النقل عنه في *نيل الابتهاج وكفاية المحتاج*، وكان يعبر عنه بصاحبنا وقال عنه «لم ألق بالمغرب أثبت ولا أوثق ولا أحذق ولا أعرف بطرق العلم منه» كما أعجب أحمد المقري بشعره وكان يلقبه بالأديب المؤرخ، ولو أنه لم يلقه في رحلته الأولى إلى فاس ومراكش إذ وجده قد مات. ونقل كثيراً من أشعاره في مواضع متعددة من *روضة الآس*.

من مؤلفاته علاوة على *الفهرس* : *كتاب في التراجم* يعد من مصادر كتب أحمد باب السوداني ومحمد الصغير الإفراني ؛ *كتاب في أحوال اليهود بالمغرب قديماً وحديثا* ؛ *تأليف في السكة المغربية* تكلم فيه على أنواع السكك بالمغرب من أقدم الأزمان، ويقال إنه ما زال موجوداً بسوس.

ومن الغريب أن يغفل تاريخ وفاة عالم أديب كمحمد بن يعقوب كان ملء عين الزمن وبصره، من أنبه كتاب بلاط المنصور، صديقاً حميماً لأشهر من ألفوا في التراجم والتاريخ لذلك العهد. لكننا لا نعرف إلا أنه توفي قبل مجيء المقري إلى فاس عام 1600/1009.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 211،210 ؛ *المنتقى*، 415 و765 ؛ أ. باب السوداني، *نيل، كفاية المحتاج، في مواضيع متفرقة* ؛ أ. المقري، *روضة الآس*، 12، 61، 80، 259، 272، 273 ؛ ع. التمنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *نزهة*، 151، 152 ؛ *صفوة*، 53 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5 : 352،350 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، 2 : 473،472 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 1: 255 و2 : 213 و477 ؛ أ. المكناسي، *مصادر التاريخ*، 47 ؛ ل. بروفنسال، *مؤرخو الشرفاء*، 391 و401.

محمد حجي

إيشمرارن ← مراكش (إقليم-)

إيطاليا والمغرب، يرجع تاريخ العلاقات المغربية الإيطالية على الأقل إلى القرون الوسطى، أمّا ما قبل ذلك العهد، فإنها تعود إلى ما ترتب عن الغزوات الرومانية بإفريقيا وغرب البحر المتوسط.

ومن المعروف تاريخيا قيام علاقات بين الدولة المغربية والمدن - الدويلات الموجودة بإيطاليا، خصوصا منها جنوة والبندقية. ونشير في هذا الصدد إلى أن تجاراً قادمين من هاتين المدينتين - الدوليتين، استوطنوا سبتة وطنجة في عهد الدولة المرينية، وذلك ما يدل على قيام علاقات تجارية متينة ومزدهرة بين المغرب والمدن الإيطالية، ومن خلالها مع أقطار أوربا. ونشير أيضا إلى أن عدداً من التجار المغاربة كانوا يقيمون بجنوة والبندقية ونقرأ عند المؤرخين أن التجار والبحارة الإيطاليين كانوا يقومون بدور نشيط في المغرب، لا في عهد الدولة المرينية فحسب، ولكن كذلك في عهد الدولة السعدية حين كان السعديون يقايضون السكر المغربي بالمرمر الإيطالي، وهي المقايضة التي تناولتها أقلام الرواة المغاربة بإطناب.

ولما أصبح المغرب خلال القرن التاسع عشر محط الأطماع المتزايدة من طرف الدول الأوربية، كانت إيطاليا منشغلة بمشاكل توحيد أقاليمها، فحادت عن لعب أي دور في القضية المغربية، لكنها راحت تشارك في جميع المؤتمرات الدولية التي نوقشت فيها تلك القضية (مدريد 1880، برلين 1885) ولم تُظهر خلالها إيطاليا أي رغبة خاصة للتدخل في شؤون المغرب، علماً أن الدول العظمى مضت تستميلها نحو الاهتمام بالقطر الليبي. من أجل ذلك، كانت سياسة إيطاليا نحو المغرب تتميز بالاعتدال والمرونة دون أن تنسلخ تماماً عن الإستراتيجية التي ذهبت نحوها الدول العظمى.

لما قرر الحسن الأول اتخاذ التدابير اللازمة لإصلاح الشؤون الاقتصادية والمالية والعسكرية، وجد مساعدة كبرى لدى إيطاليا لا سيما عندما أقبل على إصلاح وتحديث الجهاز الإداري والجيش. وفي هذا المضمار أوفد العاهل المغربي بعثات طلابية إلى الخارج، منها بعثة تتألف من أربعة وعشرين طالباً إلى إيطاليا حيث تمرسوا على فنون الحرب العصرية ومعداتها، إلا أنهم لما استكملوا خبرتهم وعادوا إلى وطنهم ألحقوا بمصالح إدارية مختلفة لا علاقة لها بالجيش.

شاركت إيطاليا في مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906، وقد مثلها في هذا اللقاء الماركي دوفيسكونتي فينوستا، غير أن حضورها اكتسى طابعا رمزياً لا غير، دون الإعراب عن أي رغبة في النيل من السيادة المغربية، وقد فضلت أن تجلو عن الميدان لتترك المجال حراً بين فرنسا واسبانيا. وعلى إثر رفض السلطان عبد العزيز المصادقة على معاهدة الجزيرة، كلف المؤتمر ملك إيطاليا بالقيام بمهمة إقناعه بالتراجع عن موقفه. كانت إيطاليا في ذلك العهد تحظى بما يؤهلها للقيام بمحاولة للتوفيق بين الجانبين، وتعد من بين الدول الأوربية القلائل التي لم توقع مع المغرب خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أي معاهدة قنصلية. وفي أوائل القرن العشرين، أقبل إلى المغرب العديد من الإيطاليين، منهم مَن مارس الصناعة التقليدية في بعض قطاعاتها، ومنهم من أسس شركات صناعية ومعامل، نذكر من بينها على سبيل المثال، معمل كامبيني بفاس لإنتاج الطاقة الكهربائية. وتجدر الإشارة إلى أن الإيطاليين الذين أقاموا في هذه الفترة بالمغرب، كانوا يتقربون من المواطنين ومن الطبقات الشعبية على الخصوص، وأضحت العربية الدارجة أداة التخاطب بين الجانبين.

بعدما استرجع المغرب سيادته السياسية، انتعشت العلاقات المغربية الإيطالية في كثير من المجالات، ولعل عدم الخلاف بين القطرين في نظر كل منهما إلى العلاقات الدولية والشؤون العالمية والمشاكل المطروحة في شتى مناطق العالم، تعد مؤشراً لحسن العلاقات بينهما، لا سيما وأن إيطاليا مضت تتمسك بموقف مشجع خلافا للدول الأوربية الأخرى. من ذلك رؤية روما للقضية الفلسطينية خاصة وقضايا الشرق الأوسط عامة، كما أنها لم تضم صوتها إلى الأطروحات المعادية للمغرب في موضوع الصحراء الغربية، لكن بعدولها عن تأييد موقف المغرب صراحة، أعربت عن تشجيع المبادرات الرامية إلى إقامة الحوار والتشاور بين طرفي النزاع.

ومنذ عدة أعوام خلت دخل التعاون الاقتصادي بين البلدين في إطار برامج التعاون التي أقرتها إيطاليا مع دول العالم الثالث، غير أن التعاون المغربي ـ الإيطالي الذي بدأ سنة 1956 وتطور من خلال أعمال اللجن المختلطة، يشمل ميادين الفلاحة، وتدبير المياه، والمواصلات اللاسلكية، والثقافة، والمناجم، والتكوين المهني.

أما فيما يتعلق بالمبادلات التجارية، فإن المغرب يستورد من إيطاليا مواد التجهيز ويصدر المنتجات المنجمية والزراعية.

إن أولى المعاهدات التي أبرمت بين البلدين للتنقيب عن النفط في منطقتي طرفاية وطانطان، تمت بواسطة الشركة الوطنية الإيطالية للطاقة «إيني»، وأول مصفاة للنفط بالمغرب أنشأها الإيطاليون بالمحمدية هي شركة «سامير»، كما أنجزت مشروعات أخرى مشتركة، مثل شركة سوماكا لتركيب السيارات. ومعمل السكر في زايو، ومعمل سونابيل للسكر بناحية مشرع بلقصيري.

ازدادت العلاقات المغربية ـ الإيطالية تطوراً على ضوء عدد من الاتفاقيات الثنائية، منها اتفاقية التعاون الاقتصادي والتقني المبرمة بتاريخ 10 فبراير 1961، والاتفاقية التجارية المؤرخة في 24 فبراير 1964، والمعاهدة المبرمة بتاريخ 7 يونيو 1972 الرامية إلى إعفاء مواطني البلدين من الجبايات المزدوجة، واتفاقية التعاون المالي بتاريخ 12 مارس 1974، واتفاقية التعاون التقني بتاريخ 26 نونبر 1977، واتفاقية التعاون في ميدان الملاحة التجارية بتاريخ 15 أبريل 1982.

إن ميزان المبادلات التجارية بين البلدين يسجل عجزاً مستمراً بالنسبة للمغرب (ناقص 543 مليون درهم عام 1983، ناقص 652 مليون درهم عام 1987) مع ارتفاع متواصل في حجم المبادلات (1234 مليون درهم عام 1983، 2925 مليون درهم عام 1986، 3212 مليون درهم عام 1987...) تتشكل الواردات المغربية من إيطاليا في أغلبها من معدات التجهيز ومن المنتجات شبه المصنعة التي ارتفع حجمها سنة 1987، في حين اقتصرت الصادرات المغربية نحو إيطاليا على المواد الغذائية والمنتجات شبه المصنعة والمنتجات المنجمية، ويكاد حجمها جميعا لا يختلف عن المستوى الذي كان عليه خلال السنين الماضية.

وجملة القول إن إيطاليا تاتي في المرتبة السادسة من بين ممولي المغرب، وفي المرتبة الرابعة من بين زبنائه. وقد استعملت إيطاليا كل نفوذها في تأييد انضمام إسبانيا والبرتغال إلى الرابطة الاقتصادية الأوربية، رغبة منها في جلب هذين البلدين إلى قاطرة مجموعة الديمقراطيات الأوربية الغربية، لكن السلطات الإيطالية احتجبت عن اقتراح أي تعويض لدول جنوب البحر المتوسط التي تربطها بالسوق المشتركة الأوربية عدة أوفاق، والتي تضررت من انضمام اسبانيا والبرتغال إلى هذه السوق.

لم تصرح إيطاليا في هذا الصدد علنيا بموقفها، ولكنها ترفض كل تنازل لفائدة المغرب، وذلك بسبب حرصها الشديد على صيانة مصالح مُزارعيها، متذرعة باحتمال احتجاجات الولايات المتحدة الأمريكية في حالة ما إذا مُنح المغرب امتيازاً خاصاً.

إن معظم عناصر الجالية المغربية المقيمة بإيطاليا والبالغ عددهم حاليا 1.500 نسمة، يوجدون في وضعية غير قانونية

موزعين بين روما وميلانو، من بينهم 10٪، يمارسون أعمالا منزلية، أو يعملون في المصانع والأوراش، أو فنانون أو طلبة، في حين أن 90٪ الباقين، باعة متجولون لا تبعث أحوالهم على الارتياح.

إن ضعف العلاقات المغربية الإيطالية يرجع إلى أن المغرب انطلق بفضل التعامل المكثف مع كل من فرنسا وإسبانيا، ولعل أسباب إعراض المغرب عن التعامل من نفس المستوى مع إيطاليا يرجع أساسا إلى السياسة الإيطالية الخارجية التي ظلت حينا من الدهر تتجاهل البلدان المغاربية، غير أنه أصبح من المؤكد أن التعاون المغربي الإيطالي أخذ ينتعش بكيفية ملحوظة منذ بداية الثمانينات حيث انتبهت إيطاليا أخيراً إلى أهمية ما يمكن ن تجنيه من فوائد بتعاملها مع فضاء جغرافي واسع.

ح. الزعري السلاوي، *مذكرات حول البعثة إلى إيطاليا في عهد الحسن الأول* ؛ م. المنوني، *مظاهر*.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe* : 1830-1894. P. U. F; A. Benramdane, *Le Maroc et l'Occident*, Karthala, 1987.

عبدالله ساعف

إيغلي، (باب ـ) بمراكش يقع جنوب الواجهة الغربية من سور القصبة الحالي، وبذلك يعتبر آخر أبواب مراكش من الجنوب.

يرجع تاريخه إلى ما قبل سنة 1206 هـ / 1792 م، إذ في هذا التاريخ، دخل منه المسلطان العلوي المولى يزيد إلى مراكش أثناء مواجهته لانتفاضة أهل الحوز ضده، ومبايعتهم لأخيه هشام (*الإعلام*، 10 : 186). ولا يعود إلى زمن حكم السعديين لعدم وروده في مصادر الفترة، ولكون عملية إحياء القصبة الموحدية لم تصل في امتدادها إلى موقع باب إيغلي. وعليه فانتماء هذا الباب إلى عهد العلويين يبقى أمراً مقبولا.

ويرى Deverdun أن اسم الباب هو اسم الشخص الذي قام ببنائه، مضيفاً أن بابا آخر يحمل نفس الاسم يوجد في تنمل، وذلك بناء على ما جاء عند E. Doutté ولعل إيجاد طريق أسهل يربط بين القصور المخزنية ومصلى العيدين وحدائق المنارة، كان من وظائف هذا الباب، خاصة وأن شكله المعماري يتوفر فقط على لوازم حصانة محدودة، مما يؤكد أولوية المرور ضمن وظائفه.

ع. إبراهيم، *الإعلام*، ج 10.

G. Deverdun, *Marrakech*, 1 : 501.

محمد رابطة الدين

ابن **إيغيل**، محمد بن علي. شاعر نظام باللسان الأمازيغي، من قرية توزونين بأقا. نشأ في بيت شعراء متسلسلين. كان فصيحا موهوبا مشهوراً بالمدح والقدح، ومن شعره ملاحم، منها ملحمة فيما وقع بين الحسين أُهاشم الإلغي والرئيس محمد بن عبدالرحمان الجرّاري عام 1291هـ.

كان من عادته أن يجول بين البلدان فتقام له ملاعب يلقي فيها قصائده أو يتجاوب مع غيره من الشعراء ارتجالاً فتسير بتلك الأقوال الركبان. كان يقول الشعر أمام الرؤساء، ومنهم الحسين رئيس تازروالت. وقد ذمّ آل أساكا من البعقليين فترصدوه هو وابنه جامع فجلدوهما. وقال شيئاً في المدني الناصري صاحب تانكرت فجلده وجلد ولده جامعا.

توفي محمد بن علي أوائل القرن الرابع عشر الهجري، وخلفه ولده جامع في قدرته على النظم وفي سيرته، وكان ملازماً للرئيس الحسين بن حمو الإيشتي المولع بأحواش. وفي عام 1310هـ كان جامع بقرية إيموكادير فسمع الشيخ علي الدوقاوي يعظ الناس فتأثر به وأخذ عنه السبحة، فلما رجع إلى رئيس إيشت انتزع منه تلك السبحة وكسرها، لكن جامعا ظل ملازما للشيخ يسيح معه، وإذا قال نظما لم يخرج فيه إلى ما يمس الأعراض.

م. المختار. السوسي، *العسول*، 16: 262 ؛ *من أفواه الرجال*.

أحمد التوفيق

إيڤان ـ سميث، تشارليز Ch. Evan-Smith وزير مفوض لبريطانيا العظمى بالمغرب من 1891 إلى منتصف 1892. اشتهر بسلوك المجابهة مع المخزن. له تقارير ومراسلات في السجلات البريطانية.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، 2:526 وما بعدها.

J-L, Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 4: 261.

مصطفى بوشعراء

أيْفَس أو عرعر فنيقي أو عرعر أحمر (= أمَلاّزي = أمَلازي) من فصيلة السرويات Cupressaceae، واسمه العلمي هو يُونيپرُوسْ فنيسيا Juniperus phoenicea، وهذا الجنس يحتوي على أربعين نوعا تعيش كلها في النصف الشمالي من الكرة الأرضية. والأنواع التي تعيش بالمغرب هي العرعر الأحمر والعرعر الفواح (انظر أوّال) والعرعر الكادي (أو تاگًا) أو يُونيپرُوسْ أُوكْسيدْروس Juniperus oxycedrus الذي يصادف بصفة مفردة في غابات البلوط الأخضر والأرز والشوح.. والعرعر العادي أو يونيپروس كُومونيسْ Juniperus communis وهو جنبة تقطن في بعض قمم جبال الريف والأطلس.

الصفات النباتية: العرعر الأحمر يحتوي على ضربين ساحلي وقاري، إنه شجرة جد متفرعة لا يتجاوز ارتفاعها 10 أمتار. تاجها مخروطي الشكل وكثيف. الجذع قصير وله قشرة ذات لون أسمر داكن ورمادي ومشققة طولانيا وليفية. الأوراق صغيرة حرشفية وملتصقة بالأغصان. الأزهار وحيدة الجنس ووحيدة المسكن. الثمار مخروطية صغيرة كروية الشكل وعنبية، وذات لون أحمر يميل إلى الأسمر.

التوزيع البيوجغرافي : تنتشر غابات العرعر الأحمر القاري على مناطق شاسعة من المغرب تقدر بـ 200.000 هكتار، وهي تمتد غالبا على الواجهات الجنوبية لسلسلة الأطلس المتوسط والأطلس الكبير والأطلس الصغير، كما تصادف هذه الشجرة ولكن بصفة منفردة في غابات البلوط والأرز والشوح.

أما الضرب الساحلي فهو يغطي الكثبان الرملية على الساحل في كل البلدان المتوسطية إذ نجده في المغرب يكسو رمال السعيدية والمهدية والصويرة ... الخ.

يعيش الضرب الساحلي في بيومناخات شبه جافة وشبه رطبة ورطبة، ذات الشكلين الحار والمعتدل. أما الضرب القاري فهو متكيف مع بيومناخات شبه رطبة وشبه جافة وجافة ذات الأشكال المعتدلة والبارد والقارس، إذ تصادف غابات ما بين 800 م و2.200 م من الارتفاع فوق سطح البحر، أي في الطوابق المتوسطي الدافئ، والمتوسطي، وما فوق المتوسطي، والجبلي المتوسطي.

إن العرعر الأحمر لا يبالي بنوعية التربة، لكنه ينظم عشائر نبتية متعددة لكون الظروف البيومناخية تختلف من منطقة إلى أخرى من موطنه.

الاستعمالات : تلعب غابات العرعر الأحمر دورا هاما في تثبيت الكثبان الرملية على الساحل، وزوال هذه الغابات يؤدي دائما إلى زحف الرمال على الطرقات أو الأراضي الخصبة أو المنازل. وقد عرفت مدينة الصويرة لعدة مرات في القرون الأخيرة عزلة تامة بسبب تراكم الرمال فوق الطرقات. أما في الجبال الجافة فإن العرعر الأحمر يعتبر من الأنواع الشجرية الأكثر تحملا للجفاف، ووجوده على الواجهة الجنوبية لهذه الجبال يجعل منه سداً منيعاً ضد انجراف التربة وزحف التصحر.

وزيادة على هذا، يعطى العرعر الأحمر خشب الهياكل والبناء، إذ يستعمل في السقوف كما أن أوراقه تلعب دورا مهما في تغذية الماشية في فصل الشتاء.

Emberger, L. *Les arbres du Maroc et comment les reconnaitre*. Larose, Paris 1938 ; Benabid, A. *Les écosystèmes forestiers et presteppiques du Maroc, forêt mèditerranéenne*, T: VII, 1, 1985: 53-64.

عبدالمالك بنعبيد

إيلْ إيكو دي تطوان *El Eco de Tetuan* : صدى تطوان. عندما احتل الجيش الإسباني مدينة تطوان يوم 6 فبراير 1860، كان يحمل معه مطبعة ينشر فيها بلاغاته وأوامره اليومية، وجعلها بأحد مرافق مسجد الباشا بزنقة المشور بتطوان.

وفي هذه المطبعة قام الصحفي الإسباني بيدرو انطونيو ذي ألاركون Pedro Antonio de Alarcon يوم فاتح مارس 1860 بطبع العدد الأول والأخير من هذه الجريدة. وكتب يقول :«كان لي الشرف بأن كنت أول من أدخل الفن الرفيع، فن الطباعة إلى أرض أفريقيا، حيث أصدرت بتطوان يوم فاتح مارس من سنة 1860 أول جريدة إسبانية تحمل عنوان : *El Eco de Tetuan* صدى تطوان.

صدر العدد الأول المذكور في أربع صفحات من حجم 360 × 155 ص. وساهم في تحريره كل من الاركون ونونييت ذي ارثي Nunèz de Arc وفييدما Viedema ونافارو Navarro.

ولما أصدر الإسبانيون سنة 1911 جريدة بتطوان سموها إيل إيكودي تطوان امتدادا للعدد الذي صدر سنة 1890، واستمر صدور الجريدة الأخيرة إلى سنة 1929.

إيلْ نُوطيثيرو دي تطوان *El Noticiero de Tetuan* كانت قد مرت ستة أشهر على الاحتلال الإسباني لمدينة تطوان في 6 فبراير 1860 عندما فكرت القيادة العسكرية في إنشاء جريدة إسبانية بالعنوان أعلاه (مخبر تطوان، جريدة تدافع عن المصالح الاسبانية بافريقيا). وقد صدر العدد الأول منها يوم 16 غشت 1860 وكانت تطبع بمطبعة گارسيا إي كونطيو Contillo Garcia Y لصاحبها فرانسيسكو سالاثار Francisco Salazar، وتصدر مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع في أربع صفحات من حجم 205×300 م م.

كان رئيس تحريرها الأول هو القبطان ميگيل لاطوري Miguel Latorre تلاه القبطان ليُونارد و ماريسكال Leonardo Mariscal. ومن بين المساهمين في تحريرها الكولونيل خوان كريسطو Juan Christou والكومندار مونطيليا Montilla والقبطان سامانييگو Samaniego والقبطان ريسطوري Ristori. كانت الجريدة تهتم عموما بكل ما يتعلق بنشاط جيش الاحتلال ثم بالحياة الاجتماعية للجالية الإسبانية، وأخيرا بما تتوصل به من أخبار عن أحوال المغرب. وانقطعت عن الصدور قبل جلاء الجيش الإسباني عن تطوان، بالعدد 89 الصادر يوم 13 فبراير 1861.

محمد ابن عزوز حكيم

إيلالْنْ، أو هيلالة وقد ينسب إليها:الهلالي. ربما يعتبر الحسن الوزان أول من تحدث عن إيلالن الذين ينسب إليهم جبلٌ يستوطنونه في الأطلس الصغير الغربي يبدأ غرباً من تخوم انكيسة وينتهي شرقاً في جهات جزولة، ويمتد شمالا إلى سوس. ويصفهم الوزان بالشجاعة والنبل وكثرة الخيل، والقتال متواصل فيما بينهم على معدن فضة في جبلهم. ولعله يقصد معدن تامدولت.

ولا يَختلف موطن إيلالْنْ اليوم اختلافاً كثيراً عن موطنهم في القرن السادس عشر، حيث نجدهم اليوم اتحادية قبائل كبيرة في السفح الشمالي للأطلس الصغير شمال شمالي غرب المركز الإداري لأيت عبدالله. يضمون بالإضافة إلى هؤلاء أيت تيفاوت وإدا وگنيضيف وإداكشير وأيت علي وتوفلازت وإدُوسْكًا أوفلاّ وأيت واسّو وإدُوسكا ـ ن ـ سيلا وتاسگدلت واسندالن.

يدعي الإيلالنيون أن أصلهم من تامدولت نْوَافًا التي بناها المولى إدريس الأصغر ثم اشتهرت بمعدنها وتجارتها وثروتها، ويظهر أنها خربت (في القرن الثالث عشر؟) فتفرق سكانها. وتدعي قبائل أخرى أنها من أصل هؤلاء المهاجرين. ويدعون أيضاً أنهم استقروا بعد خروجهم من تامدولت في وادي إسافن قريبا من تيزي ن إداويلال. واضطروا بسبب وباء جارف إلى متابعة الهجرة نحو الشمال فبلغت قبائلهم موطنها الحالي حوالي أواخر القرن الرابع عشر الميلادي.

وقد كانوا يقاتلون أشتوكن لدفعهم نحو الشمال والشمال الغربي، و احتكموا في بعض المواقع إلى سيدي محمد بن مبارك الأقاوي الشهير المتوفى عام 1515، فحدد لهم نهائيا الحدود بين القبيلتين بالمكان الذي يقام فيه سوق أحد إيلالن في طرف تاسگدلت بالنسبة لإيلالن وحدود أيت مزال عند إشتوكن غير بعيد عن أيت باها. وقد كانت أراضيهم تشمل واحة أقا في العصر السعدي.

عرف إيلالن استقرارا تاما من حيث نمط العيش، وكانت كل قبيلة من قبائلهم الثمانية عشرة تنظم شئونها بنفسها دون تدخل خارجي، فلكل قبيلة شيوخ يسمون النفاليس يتولون تنظيم أعراف الشئون الجماعية ويمثلون القبيلة بواحد منهم في مجلس الاتحادية الكبرى. وحياتهم الجماعية دائرة على نظام المخازن المحصنة (إگودار) المنظمة بالمواثيق العرفية وفيها يجتمع النفاليس. وهذا لم يمنع أن تقوم حروب ضارية بين قبائل هذه الجماعة كما ذكر دوفوكو في أواخر القرن التاسع عشر (*Reconnaissance*, 340).

والغالب على الظن أن الفرق المكونة لإيلالن ليست كلها من أصل واحد، بل هناك من دخل في هذا القبيل وانضم في عصبية قوية عريقة في القدم، ومن الباحثين من يرى أن إيلالن هم الأطولول، أو الاتولول Autololes المذكورون عند مؤلفي النصوص الرومانية التي وصفت قبائل شمال إفريقيا، وحجة من قال بذلك هي أن إيلالْنْ إذا أدخلت على صيغة المفرد من اسمهم «أيت» التي تعني «أهل» صاروا أيت إيلال، وإذا حذفت وجب جمع الاسم على إيلالْنْ، وهذا مُستقرى من أسماء قبائل أخرى، علما بأن بين ذكر الأطولول وبين إشارة الحسن الوزان إلى إيلالن زمنا يقدر بألف ومائة عام.

ورد ذكر إيلالن في *كناش* أحمد المنصور السعدي وقيدت عليهم نزلات يعطون فيها المئونة للسلطان هي تافتوت (؟) وماء أدول وتاسكرا مشتركة مع هشتوكة، وكذا نازلة الويدان (إسافن)، ويذكر هذا الكناش أن من رافق السلطان لأوگرض (إدا وگرض؟) من هلالة خمسة عشر ألفاً، بينما كان معه من ولتيتة ضعف هذا العدد، وبعمرانة وتكنة والعرب بثلاثين ألفا كذلك، وهشتوكة باثني عشر ألفا، وهذا من جملة مائة ألف وخمسة آلاف، ومن هذه الأرقام تقدر قوات من كان بسوس من الكتل القبلية الكبرى.

يظهر أن إيلالن كانوا يجتمعون بكافة قبائلهم الكثيرة لتدبير شئون اتحاديتهم، ومن مظاهر تلك العصبية الكبرى رفدهم لعدد من مدارس العلم تقارب عشرين مدرسة كانت موجودة في القرن السابع عشر، منها أربع عند قبيلة اسافن، وثمان في جبل إيلالن، وخمس في السهل، وأشهرها هي مدرسة إفرا الواقعة في قرية أگادير ـ ن ـ الحناء بواحة طاطا، ومنها تخرّج المبرزون من إيلالن خلال القرنين الماضيين.

ديوان قبائل سوس.

D. J. Meunié, *Le Maroc saharien*, 1: 350-360.

الإيلالْني، علي بن سعيد اليعقوبي. ولد عام 1173/1759، وانكبّ على التدريس عمره كله حتى أتقن كثيراً من الفنون، مع العناية التامة بالأسانيد. من مشايخه أحمد بن سعيد التيزرگاني، ومَحمد بن أحمد التاساكتي. شارط في مدرسة إيدُوسْكا وفي مدرسة إيرْس، وأخيراً مدرسة سيدي يعقوب الإيلالْنيّة. وكان إلى جانب هذا ناسخا يعتني بتقييد كل ما هو مفيد، تخرج على يده خلق كثير، ويكفي أن نذكر من تلاميذه الشيخ عبدالله بن عمر البوشواري، والشيخ العربي الأدوزي.

توفي عام 1823/1239، مذكور بين المؤلفين السوسيين بكتابته على *نوازل ابن هلال*.

الإيلالْني، محمد بن علي. ولد عام 1803/1218 وكانت له مكانة في جميع الفنون التي تُتعاطى في مدارس سوس، وامتاز بالتحرير في الأصول، تخرج على والده وأجازه أبو زيد الجشْتمي والأستاذ العربي الأدوزي. خَلَف والده في المدرسة الإيلالْنية، وكان في منهجه المدرسي مكبا على البحث والمناقشة. من تلاميذه الكبار محمد بن علي إگيگ الرسموكي، وسعيد الشريف الكثيري وغيرهما. وكان إلى جانب التدريس يقضي بين الناس بالقضاء الرسمي وبالتحكيم على العادة. كما كان مفتيا تدور حوله نوازل إيلالن وما إليها. من خصاله الكبرى العناية الخاصة بالمصالح العامة والتأهب الدائم للجهاد، ولمكانته المرموقة كان الملوك يخاطبونه أثناء الأزمات كالمولى عبدالرحمن بن هشام والمولى الحسن الأول. وإلى جانب هذا كله ألف العديد من الكتب منها: *شرح منهج الزقاق*، *وشرح خطبة التسهيل*، *ومجموعة فتاويه*، *وشرح بانت سعاد*، *وإجازة* كبرى لأولاده وأحفاده، وبسببها ذكر بين المؤلفين السوسيين. توفي عام 1878/1296.

م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 198 ؛ *المعسول*، 17: 220-223 ؛ رجالات العلم العربي.

عبدالله درقاوي

أيْلالْنْ، قبيلة كانت قرب مراكش، يُعرَّب اسمها هكذا: هَيْلانة، واسمها الأصلي أمازيغي من فعل : «أيْلْ» وهو فعل الطيران، أو من «إلّ» وهو الخال في الوجه أو السواد عامة أو البحر (هامش في *التشوف*، 252).

امتدت نسبة كبيرة من مجال قبيلة أيلان على الحوز الأوسط بين وادي تانسيفت شمالا، ووادي غدات شرقا ووادي نفيس غربا وبلاد هزرجة ووريكة جنوبا (*نزهة* : 45) وقد كان هذا الاطار الجغرافي يدخل في نطاق عمل مراكش على عهد المرابطين والموحدين (*التشوف* : 252).

وإلى نهاية القرن الخامس الهجري (11 م)، يبدو أن أيلان كانت تمثل قوة بارزة داخل مجالها. ومن مظاهر ذلك: نسبة مدينة إليها ـ أغمات أيلان ـ واستشارتها في اختيار مكان تأسيس مدينة مراكش بناء على إستراتيجية توازن بين أيلان وهزميرة والمخزن المرابطي (*البيان*، 4 : 18) يضاف إلى ذلك أن أحد أهمّ أبواب مدينة مراكش ينسب إليها

بباب أيلان - وهو الباب الوحيد في الجانب الشرقي الذي نسب لقبيلة. وفي هذه الأخبار كلها ما يدل على الأهمية التي كانت تتمتع بها هذه المجموعة ضمن محيطها كقوة ديمغرافية وعنصر سياسي بارز، ومغالبة اقتصادية متحركة.

وللاستئناف في هذا الاتجاه يلاحظ أن هزميرة التي كانت تمثل عنصراً منافساً لأيلان (*البيان*، 4 : 18) لا نجد لها حضورا معماريا بارزا سواء في البادية أو المدينة، كأغمات أيلان، وباب أيلان بمراكش.

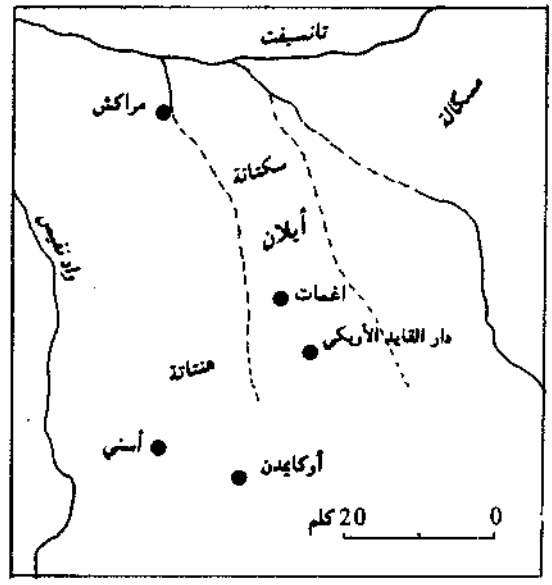

أيلان

ومع بداية القرن السادس الهجري (12م)، يلاحظ أن هذه القبيلة بدأت تبدو عليها حالة تراجع وانكماش، من مؤشرات ذلك أنها كانت من بين ثلاث قبائل صُنفت في التصْنيف الموحدي ضمن المهاجرين، وكانت كلها تحت إشراف مزوار واحد (*المقتبس*، 46) علماً بأن قبيلة گدميوة وحدها كان لها ستة وأربعون مزواراً (*المقتبس*، 44). والمسألة هذه لا يستبعد أن لها علاقة من بعض النواحي بمستوى كثافة ديمغرافية القبيلة. من جهة ثانية يبدو أن التراجع انعكس كذلك في الاهتمام بالتصوف، فمن خلال مقارنة بين عدد متصوفة هسكورة وهزرجة وهزميرة وأوريكة خلال هذه الفترة، وهي قبائل كان يجمع بينها عنصر الجوار، يلاحظ أن أيلان كانت في المقدمة من حيث عدد المتصوفة الذين ذكر نسبهم الصريح إلى أيلان، حيث بلغ تسعة مقابل سبعة لهسكورة، واثنين لباقي القبائل السابقة (*التشوف*). وهذا التوجه الصوفي قد يكون مؤثراً لأزمة كانت القبيلة تمر بها. يضاف إلى ذلك هجرة عدد من أهل أيلان إلى خارج مجالهم مثل تادلا ودكالة (*التشوف*) ولربما بقيت حالة التراجع هذه مستمرة إلى إبان اضمحلال القبيلة، واختفاء اسمها حيث طغى على جزء من مجالها اسم جديد هو قبيلة إمْسّيوان (*التشوف*، 124).

إن مبررات هذا المشكل، تبدو بعضُ عناصرها في مسالمة أيلان للمرابطين ولربّما مساندتها لهم، الأمر الذي ينعكس في اختيار أحد مواقعها كنقطة مستهدفة من طرف الموحدين إثر هزيمة البحيرة سنة 524 هـ (*البيان*، 4 : 84) ويتجلى كذلك في قيامها بدعوة ابن هود الماسي ضد الموحدين بالأطلس الكبير الغربي (*العبر*، 6 : 484).

ومن جهة ثانية هناك دخول القبائل العربية إلى الحوز وما ترتب عن ذلك من أزمة الأمن وعدم الاستقرار بالمجال المجاور لمراكش (*العبر*، 6 : 62).

أ. البيذق، *المقتبس* ؛ ي، ابن الزيات، *التشوف* ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ابن عذاري، *البيان*، ج 4 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6.

محمد رابطة الدين

أيْلانْ (باب -) من أبواب الجنوب الشرقي في السور المرابطي لمدينة مراكش، ينسب إلى قبيلة أيلان التي يفضي إلى جهتها، واحتفظ بهذا الاسم القديم خلافا لأبواب أخرى تغيرت أسماؤها. ذكره البيذق (*أخبار*، 78) حيث اقتحم منه الموحدون المدينة بعد حصار 1147/541 (*البيان*، 27). ملامحه المعمارية مرابطية تتسم بالضخامة في الشكل وبساطة الزخارف. وقد اتسع اسم باب ايلان ليشمل امتداداً داخل المدينة شكّل حومة تحمل نفس الاسم، حيث وصل هذا الامتداد فيما يبدو إلى عمق مهم في المدينة على عهد الموحدين بلغ إلى مجاورة سوق الحبوب في نفس الفترة (*التشوف*، 305).

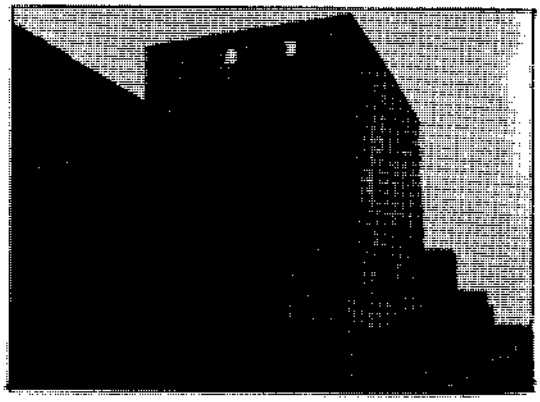

باب أيلان

وقد شكلت حومة باب أيلان عنصرا في الخريطة الدينية للمدينة، فهي جزء من الجانب الشرقي، وبها مدفن القاضي عياض، وتمثل المحطة الثانية في زيارة الرجال السبعة.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف* ؛ ابن عبدالملك، *الذيل والتكملة*، 8 ؛ ابن عذاري، *البيان* ؛ م. رابطة الدين، *قضية الجانب الشرقي بمراكش*، أعمال ندوة مراكش، 1988.

Ch. Allain et G. Deverdun, *Les portes anciennes de Marrakech*, *Hesp* t : XIIV, 1957 ; G. Deverdun, *Marrakech*.

محمد رابطة الدين

الأيْلاني، عبدالغفور بن يوسف، أبو محمد من أهل قرية تكاترت على وادي أوريكة، قريبا من أغمات، وكانت هذه القرية من قبيلة أيلان، مات يوم الثلاثاء سادس رمضان عام 586 هـ، أخذ الفقه على قاضي الجماعة بمراكش حجاج بن يوسف. كان عبدالغفور صالحا، وكان عند إخوته

صك سلطاني بالحمل على المبرة، مما يدل على قدم تقليد «ظهائر التوقير والاحترام» التي أعطاها الامراء فيما بعد للمبجلين لعلمهم أو لصلاحهم، وهذا من أوائل من جمعوا بين الفقه والصلاح في المغرب، وبذلك نالوا شعبية لدى الفلاحين.

ي. التادلي، *التشوف*، 251 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 450.

أحمد التوفيق

الأيْلاني، مسعود الأسود، "أصله من بلد أيلان (أغمات أيلان) ونزل بمحلة داوود من بلاد تادلا، وبها مات عام أربعة وستمائة. وكان عبداً صالحاً زاهداً في الدنيا لا يقبل من أحد شيئاً" (*التشوف*، 329).

ومحلة داوود أو محلة داوود بن عائشة هو حصن أنشأه يوسف بن تاشفين يُدعى تاگرارْت أي المحلة، "ماتزال أطلاله قائمة على بعد أقل من عشرين كلم عن بني ملال وسط السهول بين الموقعين المعروفين اليوم بالبزارة والقراقب". وكان هذا الحصن عامراً في القرن السادس (12 م) حسبما جاء في كتاب *الاستبصار* (ص200) : "وهو الآن معمور فيه الأسواق والجامع، والبلد كله كثير الخيرات والأرزاق أحاطت به القبائل من كل الجهات". وذكره البيذق في *أخبار المهدي* (ص 50) عند حديثه عن حركة عبد المومن لتوطيد سلطة الموحدين في الأطلس المتوسط وبلاد تادلا قائلا :"ثم هبطنا لموضع يقال له تاگرارت متاع داوود بن عائشة ثم خرج منا جمع فأكل تاگرارت".

ي. التادلي، *التشوف*، 329 ؛ مجهول، *الاستبصار*، 200 ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي*، 50 ؛ م. عريوش، *من تاريخ منطقة إقليم تادلة وبني ملال*، 1 : 121، 123 و2 : 106، 107.

محمد حجي

إيعادي، حَمّو، ولد سنة 1922 بدوار أولاد زغيدا ببني يخلف من إقليم خريبگة. شارك في حوادث الانتفاضة الشعبية التي نظمتها حركة المقاومة في خريبگة والنواحي المجاورة يوم 20 غشت 1955 تخليداً لثورة الملك والشعب. ولما تدخل جنود الاحتلال الفرنسي لقمع جموع المتظاهرين وتفريقهم بقوة السلاح سقط في ساحة الشرف كثير من الضحايا من بينهم الشهيد المذكور الذي قتل على إثر غارة جوية بالطائرة يوم 21 غشت 1955.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين.

عزالدين العلام

إيفوت ← **إمفوت**

إيْمُوزّار إداوْتنان، بلدة بقبيلة إداوْتنان الواقعة جنوب غرب الأطلس الكبير الأطلنتي. كان هذا الأسم يطلق أصلا على مجموعة من الشلالات المائية وعلى أحد الدواوير المرتبطة بها. وأصبح حاليا يطلق على مركز قروي وجماعة محلية تنتمي لإقليم أگادير.

1 ـ الشلالات : مجموعة من مساقط المياه المعروفة لدى السياح بمنطقة إداوْتنان الجبلية، مرتبطة بأسيف تنْگرْت، أحد روافد واد تامري الذي يقوم بتصريف حوضَ هيدر جيولوجي واسع ومتجانس نسبيا، يتوافق مع المقعر البنيوي المعروف باسم «مقعر أيت منصور». فمياه الأمطار التي تتساقط فوق هذا المقعر، يتسرب جزء منها باطنياً ولا يظهر على السطح إلا عند «محدب إيْمُوزّار» المفرغ مكوناً سلسلة متدحرجة من الشلالات عند الإفريزات التالية : إسْك عند ارتفاع 1240م ، تَمْروت 1.000 م، لَمْجْديد 700م، تسيلا 580.

صبيب هذه الشلالات غير منتظم، فهو يرتفع شتاءً ويشح صيفا، وذلك بالارتباط مع نظام التساقطات المطرية الذي يتبع نفس التواتر بالمنطقة. أما عن طبيعة المياه، فإنها تبقى دافئة نسبيا على مدار السنة، تعرف نسبة تَمَعْدُن عالية جدا، وذلك بسبب ارتفاع نسبة الكالسيوم ونسبة المغنزيوم بها. ويعود هذا الوضع إلى كون المياه قبل بروزها على السطح تخترق ركائز صخرية كلسية ودلومية سميكة.

2 ـ المركز القروي : يستقر مركز إيْمُوزّار إداوْتنان القروي عند فج ضيق يفصل بين عرفين رئيسيين (عرف امادل ـ أمْزيل وعرف تاغروت)، يقع على الطريق الثلاثية رقم 7.002 التي ربطه بالطريق الرئيسية رقم 8 وبمدينة أگادير التي تبتعد عنه بحوالي 60 كلم. ونجد أيضا أن هذا المركز يقع عند الحدود المشتركة بين الفروع الرئيسية المكونة لقبيلة إداوْتنان، الأمر الذي أهله ليصبح مركزا قياديا منذ القديم. وقد تعزز هذا الدور مع دخول الاستعمار حيث أصبح سوق خميس إيْمُوزار إداوْتنان سوقا رسميا انطلاقا من سنة 1928. وفي نفس الفترة ظهرت مجموعة من التجهيزات والأنشطة : ثكنة عسكرية، محكمة، معمل للحلفاء، مدرسة، مركز صحي، مركز للقيادة. ومع الاستقلال ظهرت تجهيزات أخرى : مدرسة، مركز بريدي، إدارة فلاحية، ومقر الجماعة القروية. إن هذه الوظائف المختلفة ساعدت على اجتذاب السكان وأدت إلى ظهور حي سكني، وجعلت ساكنة المركز تصل إلى حوالي 1.000 نسمة حسب إحصاء 1982.

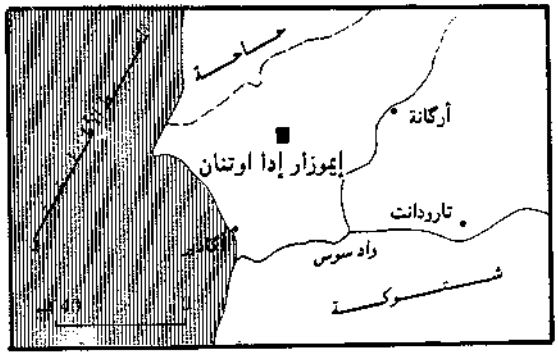

موقع إيموزار إدا اوتنان

3 ـ الجماعة القروية : تابعة لدائرة إنْزگان المنتمية لعمالة أگادير. تحدها من الغرب جماعة تامْري، من

الجنوب، وجماعة أقصري من الشرق، وجماعة إسك من الشمال إقليم الصويرة. وتتوافق هذه الحدود الإدارية مع الحوض الأوسط لأسيف أيت تامر، وهو عبارة عن أراض جبلية تقع عند الجنوب الغربي من الأطلس الكبير الأطلنتي، يتراوح ارتفاعها بين 300 و1.350م، تضاريسها وعرة تتكون من منخفضات وأودية ضيقة تفصل فيما بينها أعراف حادة.

وإذا كانت هذه التضاريس لا توفر إلا مساحة زرعية ضيقة وأتربة فقيرة فإن الارتفاع والقرب من المحيط يوفر رطوبة مهمة (متوسط الأمطار السنوي بمحطة إيموزار يتعدى 500 مم) ساعدت على ظهور غطاء نباتي غابوي متنوع وكثيف نسبيا.

سكان هذه الجماعة ينتمون إلى قبيلة إداوْتنان، بلغ عددهم 9.982 نسمة (حسب إحصاء 1982)، يعرفون كثافة ضعيفة لا تتجاوز 30ن/كلم، يسجلون نسبة نمو هزيلة جداً لا تتعدى 0.08٪ سنويا، أي أنه في كل سنة يضاف إلى ساكنة الجماعة حوالي ثمانية أفراد فقط. إن هذا الوضع لا يعود إلى ضعف التزايد الطبيعي وانما إلى احتدام ظاهرة الهجرة التي تميز كل المناطق الجبلية المجاورة. فالموارد التي يوفرها المجال محدودة جداً تتمثل في الزراعة والرعي وفي النشاط التجاري الذي يتمثل في خمسة أسواق أسبوعية : خميس إيُموزار وجمعة أزيار وأحد أمسكر وأحد إدا وْمْطاط وثلاثاء تنكرت. كما تعرف هذه الجماعة أيضا نشاطا سياحياً استجمامياً دولياً ووطنياً محدوداً يعيش على هامش قطب أگادير السياحي.

الحسن المحداد

إيموزار كندر، مركز اصطيافي هام ارتبط تطوره بموقعه الجغرافي حيث يوجد في منطقة اتصال بين الأطلس المتوسط الغربي جنوبا وسايس شمالا، إذ ينتصب فوق سطح الهضبة على ارتفاع 1.350 م، مطلا بذلك على الأراضي المنبسطة الممتدة نحو فاس والتي تبعد عنه بأقل من أربعين كلم.

هذا الموضع المتميز بالمياه العذبة الغزيرة والغابات الخضراء الفسيحة جعل إيموزار تحمل لقب شرفة فاس. إلا أن هذه الهوية الاصطيافية لم تبرز إلا منذ بداية هذا القرن، خلال فترة الحماية الفرنسية. حيث كان إيموزار كندر يمثل موضعا دفاعيا أقيمت به قصبة لمراقبة القبائل المجاورة وبسط نفوذ السلطة المخزنية، واحتلته قبيلة أيت سغروشن التي تزعم أنها من سلالة الأدارسة، وتقيم به سوقا يربط الاتصال بين الجبل والسهل، وذلك منذ ما يقرب من قرنين. وكانت علاقتها بالمخزن غير قارة. ففي نهاية القرن التاسع عشر وجه المولى الحسن الأول جيوشه إلى إيموزار كندر لمعاقبة سكانه على ما وفروه من مساندة للمتمردين من بني مطير، ومع إقامة الحماية الفرنسية قامت جيوش الاستعمار بتحطيم القصبة سنة 1912 فاتحة بذلك الطريق على المقاومة الجبلية العنيفة. وما أن تمت السيطرة على هذه المناطق حتى ظهر اهتمام بالغ بإيموزار كموضع طبيعي نادر يتميز ببيئة صحية وناعمة : اعتدال الطقس في الصيف، تعدد أماكن النزهة والراحة مثل عين الشفاء وعين السلطان وضاية عوة وضاية حشلاف، إمكانيات واسعة في ميادين الصيد والقنص، إلى غير ذلك. فعملت المصالح الإدارية المختصة على إثر ذلك على تشجيع كل المبادرات. وتشهد بداية العشرينات انطلاقة للعديد من الأوراش العمومية أو الخاصة، ويعتبر نزل «آرنو» 1924 أول نزل شيد بهذه المدينة تلاه بعد ذلك بقليل ملجأ «بارطلمي» عند قدم جبل كندر عن مقربة من القصبة. ونظراً للإقبال الكبير الذي أصبح يعرفه هذا المركز فقد أدى ذلك إلى مضاربات وتعدد التجزءات. وتنعكس العمليات الأولى للمضاربة في إهمالها للمجالات الخضراء وفتحها لبناء بعض أجزاء وادي السلطان الذي يعتبر من أروع ما يميز هذا المركز. ويسجل تاريخ التخطيط المجالي بإيموزار كندر ان تصاميم التهيئة التي وردت لم توقف من خطورة هذه الصيرورة باستثناء تصميم 1944 الذي هدف إلى إنقاذ ما يمكن إنقاذه حيث جاء بقرار منع البناء في المناطق المشرفة على سهل سايس والريف. كل هذه العوامل كان لها أثر عميق في رسم الوجه الجديد لإيموزار كندر وتحديد ملامحه العمرانية. فكما يلاحظ عبر المدينة أعطيت الأسبقية في توزيع المجالات إلى المضاربين والملاكين العقاريين لانعاش وظيفة الاصطياف. وأهملت حاجيات الساكنة المحلية التي بقيت مكتظة في حي القصبة إلى حدود الخمسينات، في الوقت الذي خصصت فيه أحياء شاسعة تحيط بالمركز التجاري إلى الڤيلات الفسيحة (500 .1000م). ولتدعيم هذه الوظيفة الأساسية عرف إيموزار كندر تشييد خمس فنادق أخرى ومركز عسكري للاصطياف ومخيمات للطفولة والشباب تابعة لمؤسسات مختلفة، وكذا مجالات خاصة بالألعاب للأطفال ومكتبة مفتوحة للعموم.

إن الأنشطة التي ظهرت مثل الخدمات والتجارة بقيت رهينة بحركية الفصول، حيث تراها منكمشة طيلة شهور عديدة ولا تزدهر إلا في فترة وجيزة وهي فصل الصيف، الشيء الذي لم يساعد على إنعاش هذا المركز بصفة دائمة ومستمرة. كما لم يلاحظ تزايد ديموغرافي مهم ولا تمدين سريع. فإلى حدود فترة الاستعمار لم تتعد الساكنة 2.000 نسمة. إلا أن هذه الوتيرة تزايدت في عهد الاستقلال، إذ وصل عدد السكان 2.880 نسمة سنة 1960 و4.475 سنة 1972 و7018 في 1982. ولا يرجع أصل هذا التزايد البشري فقط إلى عامل التزايد الطبيعي، بل كذلك إلى الهجرة القروية الناتجة عن استقرار القبائل النصف ترحالية. ويمثل إيموزار كندر بالنسبة لها مركزا إداريا يتوفر على خدمات اجتماعية ضرورية بوجود مؤسسات صحية وتعليمية ابتدائية وثانوية، وكذا أنشطة تجارية دائمة، بالإضافة إلى السوق الأسبوعي الذي يقام يوم الاثنين.

ونتيجة للحاجيات المتزايدة في ميدان السكن وعدم وفرة الأراضي القابلة للبناء ووفرة التجزئات الموجهة لذوي

الدخل المحدود انتشر السكن الغير القانوني بأمشاشة وعلا واشوفي مناطق خصصت حسب تصميم التهيئة إلى السكن الذي تصل مساحة القطعة الواحدة منه إلى 3.000 م فما فوق. وانتشار هذه الظاهرة أمر خطير، إذ يتم ذلك في غياب التهيئة والتجهيز الضروري، ويشوه المشهد الحضري للمدينة، في الوقت الذي تدعو الضرورة إلى صيانته باعتبار الوظيفة السياحية المنوطة به. وهذا التدهور الملحوظ لربما يعتبر من الأسباب التي أدت إلى نفور بعض الفئات الغنية من هذا المركز.

Brignon (et al...), *histoire du Maroc* ; B. Desmazières, *Imouzzer du Kandar, problèmes d'equipement d'une station d'estivage, B. E. S. M*, 1952 ; *Note de Présentation du plan d'aménagement de la ville d'Imouzzer du Kandar*, Ministère de l'intérieur ; *Recensement général de la population et de l'habitat, 1960, 1971, 1982* ; *Carte topographique d'Ifrane* ; *Enquête sur place.*

عائشة البلغيتي العلوي

إيمُوزّار مَرْمُوشة، قرية صغيرة تبعد عن فاس بحوالي 130كلم إلى الشرق، وتقع على ارتفاع 1693م، والاسم مركب من كلمتين أمازيغيتين، ترتبط الأولى بعنصر طبيعي، وترتبط الثانية بعنصر بشري. فإيمُوزار تعني الشلالات المائية، والموقع كثير المياه تسقط كميات منها من أعالٍ مختلفة، أما مرموشة أو إمْرْموشن - ولا نعرف معناه

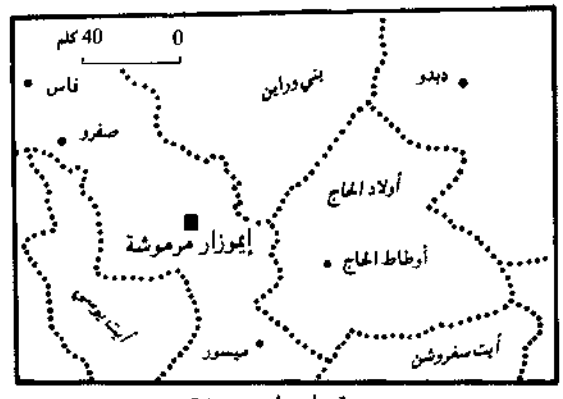

موقع إيموزار مرموشة

اللغوي - فاسم القبائل المستوطنة بالمنطقة، وتعرف كذلك بأيت سليم وهو تحريف لما يعتقد أن يكون هو الأصل لأيت تَنسلمت أي بنو المسلمة، وهو ما تعيده الأسطورة التي تناقلتها الرواية الشفوية إلى أول من اعتنق الإسلام من القبيلة التي كانت تدين باليهودية، وكانت امرأة، جرت معها ذويها إلى الدين الحنيف.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 : 18 ؛ ص. ابن العربي، *كتاب المغرب*، ص 69.

Ch. Reiser et C. Bachelot, *Notice sur le Cercle de Sefrou, B. S. G. M*, N° 4, fev 1918, p. 29-51 ; *Répertoire alphabétique des tribus*, 1939, p.479.

عبدالعزيز توري

إيمي أحد تاسگدلت ← أگادير (إقليم-)

إيمي داكان البارون ڤيكطور لوي Aymé d'Aquin, V. L. Le Baron وزير فرنسا المفوض بطنجة من 1864 إلى 1871. له تقارير ورسائل ديبلوماسية عن المغرب بفرنسا.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، 2 : 606.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 3: 129.

مصطفى بوشعراء

إيمي نْ تَانُوتْ، تقع على بعد نحو 120 كيلومترا من مدينة مراكش في اتجاه الجنوب الغربي على الطريق الرئيسية رقم 40 الرابطة بين شيشاوة وأگادير. موضعها على ضفتي وادي إيمي ن تانوت عند خروجه من الأطلس الكبير الغربي وعند قدم جبلي أرگوسْ 1485م شرقا ولَمْگو 1686م غربا، وعلى ارتفاع 884م من البحر. وبذلك يكون إيمي ن تانوت إحدى مدن دير الأطلس الكبير الغربي كأمزميز وأيت أورير.

غير أنها بالمقارنة مع هاتين المدينتين، بل وبالمقارنة مع باقي مدن ناحية مراكش كشيشاوة وتصلوحت الخ. تسترعي الانتباه سواء من حيث امتداد نسيجها الحضري، أو من حيث نشاط محاورها التجارية الرئيسية، أو من حيث حجم حركة المرور التي تعبرها في اتجاه جنوب المغرب أو شماله.

ومما يسترعي الانتباه من جهة أخرى أن إيمي ن تانوت - التي لم تكن في بداية القرن سوى مجموعة من الدواوير- استطاعت خلال الثلاثين سنة الأخيرة أن ترقى إلى مستوى سابقاتها من مدن دير الأطلس الكبير الغربي كأمزميز وسيدي رحال، وأن تتجاوزها لتحتل الرتبة الثانية بين المدن التي تؤلف النظام الحضري لمنطقتي الحوز والأطلس الكبير الغربي مباشرة بعد مدينة مراكش.

قبل التطرق إلى عوامل ومظاهر نمو إيمي ن تانوت بالمقارنة مع مثيلاتها بناحية مراكش، تجدر الإشارة إلى تحديد مدلول إيمي - ن - تانوت أولا وإلى محاولة التأريخ لها ثانيا.

يتكون اسم إيمي ن تانوت من كلمتي «إيمي» التي تعني الفم أو الباب، و«تانوت» التي تفيد البئر الصغيرة.

موقع إيمي ن تانوت عند قدم جبال الأطلس الكبير الغربي من جهة وعند مدخل أحد فجاجها المطروقة من جهة أخرى. ولربما يعتبر هذا الموقع السبب الرئيسي في كون هذا الموضع بدأ يرد في الكتابات التاريخية بهذا الاسم على الأقل منذ العهد الموحدي.

فقد ورد عند ابن عذارى المراكشي (*البيان*، 4 : 96) في شأن موقعة بني ملول بأراضي حاحة بين القوات المرابطية بقيادة الأمير تاشفين بن علي والقوات الموحدية بقيادة عبد المؤمن أن هذا الأخير طارد تاشفين «حتى موضع يسمى إيمي تانورت»، وهو موضع يبدو من خلال تفاصيل المعركة أنه إيمي ن تانوت.

وإذا سلمنا بأن مثل هذه المواقع كان لها دور كبير في تحديد الطرق التجارية وتوجيهها على مر العصور كما يظهر من الأوصاف التي خلفها الجغرافيون عن المسالك التي كانت تسلكها القوافل التجارية بين شمال المغرب

وجنوبه، فإننا قد نذهب إلى القول بأن إيمي ن تانوت ربما كانت معروفة حتى قبل العهد الموحدي.

فقد ورد عند البكري في كتابه *المغرب* عند وصف الطريق الرابطة بين أغمات وسوس: «من أغمات وريكة إلى مدينة نفيس... مرحلة؛ ومن مدينة نفيس إلى مدينة أفيفن مرحلة وهي مدينة بطحاء كثيرة المياه والفواكه. ومنها إلى مدينة تامدورت مرحلة، وهي مدينة لطيفة طيبة ومنها ترقى في جبل درن».

وهو وصف لطريق يصعب ولا شك تتبعها على الخريطة بسبب اختفاء اسمي أفيفن وتامدورت وبسبب جهلنا لموقع مدينة نفيس.

إلا أن وصف البكري يفيد أن أفيفن تقع في السهل وأن تامدورت تقع عند قدم الجبل، وهما موقعان يشبهان إلى حد بعيد موقعي مدينتي شيشاوة وإيمي ن تانوت الحاليتين. فهل هذا يعني أن أفيفن وتامدورت اسمان قديمان لشيشاوة وإيمي ن تانوت؟

سؤال أجاب عنه أحمد التوفيق بالإيجاب عند تحقيقه لكتاب *التشوف* (ص 129)، إلا أننا إذا كنا نشاطره الرأي بالنسبة لتامدورت فإننا نتحفظ فيما يتعلق بأفيفن. وحجتنا في ذلك كون البكري أورد اسم شيشاوة عند ذكره لطريق أغمات/گوز واسم أفيفن عند ذكر طريق أغمات/سوس. فتكون في نظرنا طريق أغمات/گوز في السهل على شيشاوة، وطريق أغمات/ سوس على الدير وعلي تامدورت التي قد تكون هي إيمي ن تانوت.

ومهما يكن من أمر فإن إيمي ن تانوت لم تذكر بهذا الاسم إلا في بداية القرن السابع عشر. ومما تجدر الإشارة إليه أن ذكرها اقترن بحدث تاريخي مشهور أورده الافراني (*نزهة الحادي*، 208) حيث قال إن يحيى بن عبد الله الحاحي لما بلغ «فم تانوت موضع على مرحلتين من مراكش» وهو في طريقه لإغاثة زيدان كتب له أبو محلي بما نصه «بسم الله الرحمن الرحيم من أحمد بن عبدالله إلى يحيى بن عبدالله بلغني بأنك جندت وبندت وفي تانوت نزلت...» وكان ذلك في ثامن رمضان عام اثنين وعشرين وألف.

إلا أن السؤال الذي يبقى مطروحا هنا هو: ما هي طبيعة هذا الموضع؟ لا شك أن الكتابات التاريخية القديمة لا تساعد على الإجابة عن مثل هذه الأسئلة لكونها تكتفي في غالب الأحيان بالإشارة إلى الموضع دون تحديد طبيعته.

فقد ورد في هذا الشأن على لسان المبعوث الفرنسي Saint Amans أنه «بالقرب من المكان المسمى فم تنوت والذي يعني المضيق لأنه الممر الوحيد الذي ينفذ منه إلى الجبال. توجد قصبة تحمل اسم ميفيتة» (*Journal*, t : 2, p. 328).

نفس الإشارة أوردها طوماس پيلو Thomas Pellow في قصة مقامه بالمغرب. يدل وجود هذه القصبة على أن إيمي ن تانوت لم تكن مجرد مدشر عند مدخل الوادي. إلا أنه من الصعب تحديد وظيفتها. فهل كان الهدف منها حماية طريق سوس على فج تيزي ن ماشو/تيزي ن بياون؟ أم كان الغرض منها قطع طريق السهل أمام سكان الجبل؟. أسئلة ترتبط الاجابة عنها بمعرفة باني هذه القصبة.

لا شك أن بناء القصبات بالمغرب ارتبط بضرورة حماية الطريق التجارية من جهة وبرغبة التحكم في تحركات سكان الجبال من جهة أخرى.

وإذا اعتبرنا أن سكان جبال درن كانت تربطهم بمنطقة الحوز علاقات جد متميزة - لدرجة يمكن القول معها بأن منطقة الحوز كانت على الأقل إلى غاية نهاية الحكم الموحدي جزءا لا يتجزأ من مجال أهل جبال درن - فإن بناء هذا النوع من المعالم يصبح أمراً ضرورياً. ولعل خير شاهد على هذا الحصون التي شيدها المرابطون على طول قدم جبال درن لمنع الموحدين من الهبوط إلى الحوز، وتلك التي بناها المرينيون بنفس المنطقة بهدف محاصرة سكان جبال سكساوة. (*العبر*، 6).

وتعتبر مدينة القاهرة التي اختطها فارس بن ميمون بن وادرار بأمر من السلطان المريني أبي عنان عند مدخل وادي سكساوة على بعد حوالي ستة كيلومترات شرق إيمي ن تانوت، من أشهر هذه الحصون.

إلا أن سكوت الكتابات التاريخية عن ذكر إيمي ن تانوت قبل بداية القرن السابع عشر، بهذا الاسم من جهة وورود ذكر القصبة بجوارها بعد ذلك من جهة أخرى يدفعنا إلى القول بأن قصبة إيمي ن تانوت يعود بناؤها إلى السلطان مولاي إسماعيل العلوي.

وقد يعود بناؤها إلى رغبة هذا السلطان في الإبقاء على الأهمية التي اكتستها طريق تيزي ن ماشو خلال الحكم السعدي، أو إلى رغبته في قطع الطريق أمام منافسيه في الحكم وخاصة ابن أخيه المولى أحمد بن محرز الذي ثار عليه بالسوس.

وخلاصة القول أن إيمي ن تانوت بحكم موقعها عند مدخل أحد فجاج جبل درن المطروقة كانت ولا شك محطة في طريق سوس تارة وقصبة عند قدم جبال الأطلس تارة أخرى. وهما وظيفتان تكاد تختص بهما معظم المراكز الواقعة على الدير عند مخارج الأودية الأطلسية الرئيسية.

إلا أن الوظيفة التجارية كانت على ما يبدو تفوق الوظيفة المخزنية أو الإدارية ببلدة إيمي ن تانوت على الأقل إلى غاية بداية القرن العشرين.

ولعل خير شاهد على هذا ما ورد على لسان A. Brives و E. Doutté حول أهمية سوق إيمي ن تانوت وعلاقاتها التجارية مع الصويرة.

وقد عبر الطبيب الفرنسي P. Chantinières على هذه الأهمية بقوله: «يوجد عند مدخل خانق وادي إيمي ن تانوت مدشر كبير وملاح وسوق هامة. وبإيمي ن تانوت يمر ويحط عدد كبير من القوافل، لذا فإن الحركة التجارية بها جد مهمة».

غير أن إيمي ن تانوت بقيت بالرغم من أهمية المبادلات التجارية التي يشهدها سوقها الأسبوعي عبارة عن مجموعة من الدواوير أي عبارة عن مركز قروي ضعيف الأهمية بالمقارنة مع أمزميز مثلا. ويزيد من ضعفه أنه لم يكن مركز سلطة. فقد لاحظ A. Brives في بداية هذا القرن «أن الدواوير الأربعة أو الخمسة التي تتألف منها إيمي ن تانوت كانت خاضعة لنفوذ شيخ بسيط وأنه لا يوجد بها لا قائد ولا خليفة».

ويعود انعدام الوظيفة المخزنية هذه إلى كون قبيلة نفيفة التي توجد إيمي ن تانوت ضمن مجالها كانت خلال هذه الفترة خاضعة لنفوذ القائد المتوكي الذي كان يقيم ببُوأبُوض ولم تضطلع إيمي ن تانوت بهذه الوظيفة إلا بعد 1912 وبالخصوص بعد تراجع نفوذ المتوكي بهدف إخضاع القبائل المجاورة، كما ورد في إحدى تقارير F. La chapelle (Un grand Caïdat, pp. 372-386). وقد كان لهذه الوظيفة الجديدة أثر كبير في نمو إيمي ن تانوت وتطورها. إذ ساعد ازدياد أهمية إيمي ن تانوت الإدارية والتجارية على ارتفاع عدد سكانها وازدياد حجم تجهيزاتها الإدارية والتجارية، وبالتالي ازدياد كثافة علاقاتها بمجالها الريفي وتشكل نسيجها الحضري واتساعه.

يعتبر التزايد الديمغرافي من أهم مظاهر النمو الذي عرفته إيمي ن تانوت منذ بداية هذا القرن كما يظهر من خلال الجدول الآتي :

السنوات	عدد السكان	نسبة التزايد السنوي
1931	1519 نسمة	-
1936	1866 نسمة	٪ 4.20
1960	2803 نسمة	٪ 1.70
1971	5340 نسمة	٪ 6.03
1982	8672 نسمة	٪ 4.50

وهكذا فقد تضاعف عدد سكان إيمي ن تانوت أكثر من خمس مرات في ظرف خمسين سنة. إلا أن هذا النمو، بعد أن سجل أكبر وتيرة له فيما بين 1960 و1971 ضعف بصفة ملحوظة فيما بين 1971 و1982.

ومما لا شك فيه أن الهجرة القروية تعتبر من أهم الأسباب المفسرة لهذا التزايد كما تدل على ذلك الأرقام الآتية حول مكان ازدياد أرباب الأسر المقيمة بإيمي ن تانوت سنة 1980 :

مكان الولادة	عدد أرباب الأسر	٪
إيمي ن تانوت	320	29.76
الوسط القروي	675	62.79
الوسط الحضري	80	7.45

ولن يفوتنا التأكيد على أن نطاق الهجرة القروية هنا لا يتعدى حدود الدائرة إن لم نقل حدود قبيلة نفيفة التي توجد إيمي ن تانوت ضمن مجالها. مما يجعل هذا النوع من المدن مدنا قبلية قبل كل شيء. فيكون نموها رهينا إلى حدّ بعيد بامكانات القبيلة التي تنتمي إليها.

ومن البديهي أن يكون لهذا التزايد الديمغرافي الكبير انعكاس على التجهيزات التي تتوفر عليها بلدة إيمي ن تانوت.

سبقت الإشارة إلى أن إيمي ن تانوت لم ترق إلى مستوى المركز الحضري إلا بعد أن استقرت الإدارة الاستعمارية بها. مما يجعلها أولا وقبل كل شيء مركزاً إدارياً. وفي هذا الصدد كتب أندري أدام A. Adam يقول : أريد أن أشير إلى ظاهرة جد مهمة تتجلى للعيان وهي لا تزال في بدايتها: ظهور نواة مدينة حول السوق، إننا نشاهد ميلاد مدينة صغيرة بإيمي ن تانوت (*Etude*....).

وعلى هذا الأساس أقيمت بإيمي ن تانوت تجهيزات إدارية هامة تضاعف عددها مرتين ونصفاً منذ 1952 ؛ وهي تجهيزات تطغى عليها المصالح ذات الطابع التقني كالفلاحة والمالية والأشغال العمومية... على حساب المصالح ذات الطابع الاجتماعي كالتعليم والصحة مثلا. وقد بلغ عدد المصالح بها سنة 1980 تسع عشرة، منها ثلاث عشرة تقنية وست ذات طابع اجتماعي.

ومما لا شك فيه أن وجود هذه التجهيزات ساهم في اجتذاب سكان الأرياف المجاورة من جهة وفي إقامة مرافق تجارية حرة بجوار السوق الأسبوعية القديمة من جهة أخرى.

وهكذا أصبحت إيمي ن تانوت تتوفر على بنية تجارية معقدة تتمحور حول قطاع الحرف والخدمات أولا، وحول تجارة المواد الغذائية ثانيا، وهي بنية تشبه البنى التجارية لباقي مدن الدير (Bellaoui, *Aït Ourir* ....) ولا تختلف عن البنى التجارية لمدن شمال المغرب الصغرى (Troin, *Essai méthodologique*...) إلا قليلا كما يظهر في الجدول الآتي :

المواد الغذائية	الألبسة	التجهيز المنزلي	المنتجات الريفية الخام	منتجات الصوف الريفية	الحرف والخدمات
٪ 28.63	٪ 12.57	٪ 5.57	٪ 3.86	٪ 1.13	٪ 48.25

جدول البنية التجارية في مدن الدير الصغرى

يستخلص مما سبق أن مركز إيمي ن تانوت يضطلع بوظيفتين أساسيتين الوظيفة الإدارية والوظيفة التجارية.

وهو أمر ينعكس بديهيا على بنية الشغل بالمدينة كما يظهر من خلال الأرقام الآتية :

القطاع	عدد أرباب الأسر	٪
الفلاحة	40	3.72
التجارة ـ الحرف والخدمات	540	50.22
الوظيفة العمومية	120	11.16
العمال بالخارج	125	11.62
عمال "الموقف"	60	5.58

ومن الواضح أن الوظيفة التجارية بإيمي ن تانوت تستفيد من موقع المدينة بالنسبة لظهيرها الجبلي من جهة، وبالنسبة لسوس ومن خلاله الأقاليم الصحراوية من جهة أخرى. مما يجعل علاقات إيمي ن تانوت بمحيطها الريفي أولا وبمدن الدارالبيضاء ومراكش وأگادير ثانيا جد هامة بالمقارنة مع باقي مدن الدير. ولعل خير شاهد على كثافة هذه العلاقات الحركة الدائبة التي تعرفها المحاور التجارية الرئيسية للمدينة والمكانة التي تشغلها المجالات التجارية ضمن النسيج الحضري العام لهذه الأخيرة.

إن إيمي ن تانوت تتميز، على عكس مدن الدير القديمة كأمزميز ودمنات خاصة، بنسيج حضري متعدد النوى أي بنسيج حضري منفك. إذ تتمدد الأحياء على طول الوادي وعلى طول الطريق الرئيسية رقم 40 والطريق الثلاثية رقم 6403 انطلاقا من الدواوير القديمة الواقعة عند مدخل الوادي. وهذا الانفكاك ناتج :

- أولا: عن وجود مجرى الوادي نفسه الذي يحول دون اتصال السكن بين ضفتيه.
- ثانيا : عن وجود بستان للزيتون على ضفتي الوادي تسهر السلطات المحلية على حمايته كمجال أخضر.
- ثالثا : عن وجود مجموعة من الشعاب غير صالحة للبناء على ضفتي الوادي.
- رابعا : عن وجود مقبرة كبيرة بين تازرُوتْ وإزُوران على الطريق الرئيسية رقم 40.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن النسيج الحضري لإيمي ن تانوت تشكل بالأساس حول دواوير أدار وأفلاَّنْ تلاَت وتگاديرْت وسيدي علي إسحاق. ويبدو من خلال كتابات الرحالة والمستكشفين الأوربيين أن كلا من دواريْ أفلان تلات وتگاديرت كان يضم ملاحاً خاصاً به، وأن الإدارة الفرنسية استقرت ما بين 1927 و1932 بالقرب من دوار سيدي علي إسحاق على الضفة اليسرى للوادي. وعلى هذا الأساس فالأحياء الجديدة هي : الحي الإداري الحالي وامتداده على طول الطريق الثلاثية رقم 6403 في اتجاه دُوتران وعلى طول المسلك المؤدي إلى دوار القصبة «الَتحتانية» ثم أحياء تازرُوت القديمة وتازروت الجديدة وإزُران على الضفة اليسرى للوادي.

ولن يفوتنا هنا التأكيد على الدور الذي لعبه العمال العاملون بالخارج في تنشيط حركة البناء بإيمي ن تانوت، ذلك لأن امتلاك الدار بالمدينة يعتبر من بين الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها جل أهالي المنطقة العاملين بالخارج. وقد أحصي في ملكيتهم 336 مسكنا بإيمي ن تانوت سنة 1980. إلا أن إيمي ن تانوت تشكو من ضيق المجال القابل للبناء بسبب الحواجز التي سبقت الإشارة إليها من قبل وبسبب سيادة الأراضي الجماعية.

لا شك أن إيمي ن تانوت استفادت، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، من كونها اضطلعت منذ مطلع القرن بوظيفتين أساسيتين : الوظيفة الإدارية والوظيفة التجارية، وأن هاتين الوظيفتين ساهمتا إلى حد بعيد في نموها الديمغرافي وفي توسيع مجالها المبني بل وفي ترقيتها إلى مستوى مركز حضري.

إلا أن تحول عدد لا يستهان به من الأسواق - بما في ذلك الأسواق الجبلية - إلى «اسويقات» دائمة تحت تأثير تصاعد هيمنة الحواضر على البوادي، تسعى هي الأخرى إلى التوسط بين المدينة والبادية من جهة، وأن عدم تمكن المدن الصغرى من تنويع بنياتها الاقتصادية والتشغيلية من جهة أخرى، يطرح ولا شك مشكل مستقبل هذا النوع من المدن. مما يستوجب التفكير في تخصيص هذه المدن بوظائف جديدة في إطار سياسة جهوية تتوخى إعادة التوازن بين مختلف مكونات مجال جهوي معين.

أ. البكري، *المغرب في ذكر افريقية والمغرب* ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف* ؛ ابن عذاري، *البيان*، 4 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 6 ؛ م. الإفراني، *نزهة*.

M. Morsy, *La Relation de Thomas Pellow* ; A. Brives, *Voyage au Maroc*, 1901-1907, Alger, 1909 ; Saint Amans, in *les S. I. R. M, dynastie filalienne*, t. 2, p. 328 ; De la Chapelle, *Un grand Caïdat du Sud Marocain, Renseignements coloniaux*, octobre, 1927, pp. 372-386 ; E. Doutté, *En Tribu* ; J. F. Troin, *Essai méthologique pour une étude des petites villes*, Annales de géographie, N° 354, sept-oct , 1971 ; A. Adam, *Etuae économique et sociologique d'un souk du Haut Atlas occidental, Imi-n-tanout*, Genève, 1956 ; A. Bellaoui, *Ait Ourir*...., thèse de doctorat de 3e cycle, Tours, 1982.

أحمد بلاوي

إيمي نيفْري، معناه : باب المغارة، موقع على بعد أربعة كلم من دمنات، في جنوبها الشرقي، مطل عليها من علو 1080 م فوق سطح البحر، تؤدي إليها طريق معبدة وطريق أخرى عبارة عن مسرب بدوي يحاذي مجاري الماء المتدفق ويسظل بظلال أشجار الجوز الشماء، تصعده البغال في حوالي ساعة من الزمن. وإذا بلغ القاصد إلى إيمي نيفري وجد منبع وادي أمهاصر وهو عنصر السواقي التي تروي واحة دمنات المخضرة وتدير عشرات الأرحاء التي كانت إلى وقت قريب على وادي أمهاصر. وعند هذا المنبع مغارة يعلوها جسر طبيعي فريد من نوعه خرم الماء أسفله بعد أن عمل في تضاريس من الكالكير تتدلى من قبتها هوابط (Stalactites) غير أن المغارة التي يبلغ ارتفاعها حوالي عشرة أمتار قد ردم بابها بشكل شبه تام، وعلي علو شاهق من المغارة تطوف باستمرار عشرات من طيور الزاغ الشبيهة بالغربان تقطع بأصواتها صمت الموقع الأزلي الرهيب. وكان للمسلمين واليهود على السواء من أهل القبائل المجاورة اعتقاد مفاده أن مغارة إيمي نيفري يسكنها عفريت له سبعة رؤوس يخطف العرائس، فصالحه السكان بعروس واحدة كل عام، فلما جاء دور ملك عصر مًا أشفق من مصير ابنته واستغاث "بالملك سيف" فاقتحم المغارة وقضى على ذلك العفريت الظالم (Doutté, *En tribu*, 217) وعند المنبع الذي في أسفل المغارة كان المسلمون واليهود إلى عهد قريب يذبحون ثورا ويقيمون وليمة في اليوم الرابع عشر بعد مرور عيد الأضحى.

تحريات ميدانية.

P. Ricard, *Le Maroc*, 143 *(Guide bleu)*, 1930.

أحمد التوفيق

إيميدر ← **ورزازات** (اقليم)

إيميلي ← **وادالذهب**

إيمينولاون ← **ورزازات** (اقليم)

أيننار ← **سمك**

إينولتان، من قبائل الأطلس الكبير الأوسط. وفيها مدينة دمنات، وهي مركزها الإداري والتجاري. كانت ضمن المجموعة القبلية الكبرى هسكورة الممتدة حسب أول الإشارات المكتوبة إليها على عهد الموحدين، في السفح الجنوبي للأطلس شمالي سكورة الحالية شرقي ورزازات، وكذا على السفح الشمالي المقابل له بين وادي تاساوت المار بفطواكة وبين أيت عباس وأيت مصاض المعدودين من صنهاجة، ولربما كانت إينولتان هي «أهل الوسط» من هسكورة، لأن أقرب اشتقاق للاسم أن يكون من أُوَل الذي هو «القلب» وإنْ تدل على نسبة الجمع. ورسمها عند البيذق (ص 44 من طبعة ل. بروفنسال) :«إين ولتان»، ويعطي صيغة تعريبها على عادة قلب الهمزة هاء والختم بالتاء علامة للجمع : «هلتانة». ولعل وصول مقدمة الهساكرة إلى السهل شمالي الأطلس عند حدود موطن دكالة قبل استقرار عرب بني هلال وبني سليم على ضفاف نهر أم الربيع جعل العصبية الهسكورية تتلاشى والمجموعات المكونة لها تستقل وتبرز وتتفكك، حتى إن الانتماء إلى القبيل الهسكوري قد تنوسي نهائيا. ولكن إينولتان لا يدعون الانتساب لجد مشترك، مما يقوي الاعتقاد بالطابع الجغرافي الستراتيجي لتسميتهم.

ولا شك أن الموقع الجغرافي قد تحكم إلى حد ما في تاريخ إينولتان، وأبرز عنصر في هذا المجال هو وجودها في ملتقى طريق الدير(طريق مطاردة عبدالمومن لتاشفين بن علي) مع الطريق المارة بتيزي ن فدغات بين دادس والحوز، وهي طريق طالما نافست في الأهمية التجارية تلك الطريق المارة بتيزي ن تلوات بين وادي درعة ومراكش، إضافة إلى أن دمنات، قلب إينولتان، لا تبعد كثيرا عن الطريق السلطانية المارة بالسراغنة في اتجاه مراكش أو فاس.

فحدود إينولتان اليوم هم هنتيفة وأيت مَحمد وأيت عباس وأيت بُوولّي وفطواكة والسراغنة، أي أنهم بين الكتلتين القديمتين مصمودة من الغرب وصنهاجة من الشرق والشمال الشرقي، ثم انضافت إليهما كتلة عرب بني هلال الذين استقروا في السراغنة ومرتفعات أنماي أو زمران.

أرض إينولتان معظمها جبلي تغطيه الغابات فقير التربة كثير المنحدرات، وفيه ربع أيت شتاشن وأيت بلال وإينتكُطُّو الجبل وربع إيواريضن وأيت تُوتْلِينْ. أما أرض إيشْكُطُّو السهل وفرقة أيت ماجطن من ربع دمنات وحوض وادي أمهاصر الذي به دمنات فأقل انحداراً وأكثر خصباً. وعلى العموم فإن مواردهم اقتضت دوما الموازنة بين نشاط الزراعة ونشاط اكتساب الماشية.

ولا شك أن سكان إينولتان تجددوا على مر العصور بالوافدين عبر الطرق التي تكون ممرا لها، أي من درعة ودادس وتافيلالت وسوس والحوز والجهات المجاورة لهم من الأطلس الغربي ثم من قبائل حوض وادي العبيد، لذلك تجد الأفخاد والأسرالمكونة لأرباعهم تدعي لنفسها انتماء إلى نقطة بعيدة في الغالب، وفيهم أشراف ومرابطون استوطنت أسر تلك الجهة من عدة القرون كما تشهد على ذلك وثائق مكتوبة.

أما تقسيمهم إلى أرباع يتكون كل منها من ربع يضم فرقا متميزة تضم بدورها عدة قرى في كل فرقة تربط بينها عظام، فيخضع من جهة لإستراتيجية تجزيئية ولختميات جغرافية كما يحمل بصمات المخزنة ومقتضيات التقسيم الجباني، وقد لا يعدم الباحث المختص العثور على عنصر أصلي إينولتاني متميز بملامحه، على غرار ما نجد من تميز للغة إينولتان الأمازيغية بكونها وسطا من حيث المعجم والأصوات بين تاشلحيت الأطلس الغربي وتامزيغت أطلس تادلا (Boulifa, *Textes, Introduction*).

يظهر أن إينولتان قد اعتنقوا الإسلام مع مجموعة الظل الهسكورية منذ الزمن الأسلامي المبكر بالمغرب، وقد ذكر صاحب *التشوف*(ق 6 هـ) رجالا مبجلين في إينولتان ما تزال معالم أضرحتهم وأسماؤهم معروفة، كما انضاف إليهم مبجلون آخرون في القرون التالية، وكل هذا يدل على العمل الدؤوب الذي أنجزه رجال لربط هذا الوسط وأهله بالعقيدة وبالشريعة (الكيكي، *مواهب ذي الجلال*)، ولكن ذلك العمل لم يقض نهائيا على كثير من الممارسات والاعتقادات المتصلة بالمجتمع الزراعي الوثني.

وقد كان بإينولتان ساكنة من اليهود المستوطنين بالقرى الجبلية الواقعة على الممرات أو تلك القريبة من السهل كما عند أيت ماجطن، كما كانوا بقصبة دمنات يشكلون في بداية هذا القرن العشرين بنسبة الثلث، وكانوا ممتزجين بالسكان في حياتهم ونشاطهم إلى أن خلفت أزمات التدخل الأجنبي في النصف الثاني من القرن الماضي سياقا طالبوا فيه بأن يخصص لهم حي متميز عن أحياء المسلمين، وكانت لهؤلاء اليهود بِيَعٌ وأماكن معتقد فيها، وبعضها مشترك بينهم وبين بسطاء الفلاحين المسلمين المترددين عليها (Voinot, *Pelerinages*).

إن التاريخ السياسي لاينولتان هو تاريخ أنظمتها في التسيير الداخلي، من جهة، وتاريخ علاقتها مع المخزن، من جهة أخرى. أما أنظمتها الداخلية فلا تختلف عن أنظمة بقية القبائل الجبائل التي درجت على تقاليد الاحتكام إلى الأعراف التي يسهر عليها محكمون أو مجالس يقع التناوب على الإشراف عليها بشكل يستبعد تجذر السلطة الفردية، وتلك المجالس كانت تخدم في كثير من الحالات مصالح بعض الأعيان المتقمصين لهوية تميز الفرق في نسق تجزيئي لا يتعارض فيه التراتب مع التوازن.

وأما علاقات إينولتان بالمخزن فلا تفهم خارج تتبع تاريخ دمنات لأنها نقطة التقاء الطرق التجارية، ولأنها القصبة التي سكنها الولاة المخزنيون والمركزالذي لا يمكن أن يغفل السلطان في عصر من العصور عن التطلع إليه كما تدل على ذلك أخبار شاردة في كتب الحوليات، لانها مركز يليق بحضور الجابي وبقيام العامل الذي يستنفر مجندي القبائل، وهي مفتاح السيطرة على كتلة بشرية هائلة، فهي مصدر المحن للإينولتانيين وهي في نفس الوقت مقر نشاط مربح لا غنى عنه لذلك اجتمع الإينولتانيين للانقضاض عليها لما توفي السلطان مولاي الحسن (1894/1311) وانتقموا من عاملها، ودمروها جزئيا ولكنهم ما لبثوا أن قرروا إعادة النشاط والحيوية إلى أسواقها ونصبوا مشيخة تتناوب عليها القبائل مدة ففي العامل أي قرابة سنتين. وكذلك فعلوا بعد مقتل عاملهم الحاج الجيلالي الدمناتي عام 1904. ولم تكن هذه الحلقة السياسية المتمثلة في تعبئة إينولتان لإقامة مشيخة منتخبة لحفظ الأمن على مستوى مركزها دمنات سوى صدى لما وقع غير ما مرة في أزمان فتور الملك كمثل الحال التي وصفها الحسن الوزان بالنسبة لدمنات وأختها ألمدين المنقرضة بجانبها، وكلما عادت للمخزن سطوته دانت له إينولتان ولو جزئيا فتؤدي الجباية وتشارك في الاستنفار للحرب، وقد كانت كغيرها من قبائل المخزن تسهم بالمشاركة في جميع المطالب المخزنية ومن ضمنها عدد من المجندين متناسب مع قدرتها البشرية وعدتها المادية، وقد قامت ما بين منتصف القرن الماضي وتاريخ الدخول الفرنسي إليها وهو 1914، بعدة انتفاضات على الولاة كرد فعل على أنواع من الاستنزاف، وحتى في أيام الوجود القوي لعمالة دمنات كانت فرق من إينولتان ولا سيما المتوغلة منها في الجبال تتمرد على مطالب قائد دمنات من حين لآخر، سيما إذا لم تكن تربط أعيانها بسوق دمنات مصالح ثابتة.

م. الغجدامي، *التسلي*، مخطوط ؛ أ. نجيب، *القول الجامع*، مخطوط ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي*.

P. Flamand, *Demnate, un mellah en pays berbère* ; E. I. *Demnate*.

أحمد التوفيق

أيّويّس الحسنوي، فقيه مفتٍ من قبيلة بني حسن الشهيرة بمنطقة الغرب بين سلا وفاس. وصفه القادري في *نشر المثاني* (4 : 249) بـ«الشيخ المسن الفقيه العالم المفتي النوازلي» وقال إنه ورد على فاس بعد العشرة السادسة - من القرن الثاني عشر - بعد أن تخرج من مكناسة الزيتون على يد صاعقة الفقه المالكي في وقته الحسن بن رحال المعدني. كان أيويس يخرج باستمرار لبوادي فاس ويحضر الأسواق فيسفتيه البدو فيفتيهم بغير المشهور ويقبض منهم الهدايا. ويعتمد فقهاء البادية على فتاواه فيقضون بها لجهلهم بقواعد الأحكام.

ذكره القادري في خاتمة *نشر المثاني* ضمن أشياخ القرن الثاني عشر الذين لم يقف على تعيين وفاتهم. وعين ابن زيدان في *الاتحاف* تاريخ وفاته بفاس عام 1170 / 1780.

م. القادري، *نشر*، 4 : 249 - 250 ؛ ع. ابن زيدان، *الاتحاف*، 2.

محمد حجي

أيّر، قصبة تقع بدكالة على لسان من الأرض داخل في المحيط الأطلنتي، ويبعد عن قصبة الوليدية جنوباً بنحو ثمانية كيلومترات، ولا يعرف بالضبط تاريخ تأسيس هذه القصبة، غير أن اسمها الأمازيغي يدل على أن تأسيسها يعود إلى عهود قديمة، ويقول الكانوني إنها كانت موجودة في القرن الثامن الهجري، معروفة في التواريخ الافرنجية بـ (كاب أيرْ). ويعني اسمها «الذِّراع»، أي الجزء الأرضي الداخل في البحر، الذي تقع عليه هذه القصبة التي كان لها بابان، أحدهما للبحر وعليه برج كبير، وآخر للبر، وعليه برج كبير كذلك، كما كان بخارج هذا الباب مسجد عتيق يحتوي على عشرين سارية كتب ببابه من الداخل «فُتح هذا الباب لجهة البحر منذ 1200م» وكان كذلك لهذه القصبة منار ومدرسة محتوية على عدة بيوت، كانت بلا شك مُعدّة لإيواء الطلبة الذين كانوا يتوافدون عليها، مما يدل على عناية أهلها بالقرآن والعلم والدين.

يحدثنا ابن عبد العظيم الأزموري أن أبا جعفر إسحاق بن اسماعيل الامغاري الحسني استوطن في أول أمره قصبة أيّر (1028م) وبها تزوج أم مولاي عبدالله، صاحب زاوية تيط، وعاش بها مدة قضاها في الوعظ والإرشاد والتدريس قبل أن يرجع لتيط في بعض الفتن التي حدثت في قصبة أيّرْ، ولا يزال مقامه هناك عليه قبة صغيرة تذكاراً له.

وهي من النقط كالوليدية وناميرالتي احتلها البرتغال، واتخذوها مركزاً لجنودهم الذين كانوا ينقضون منها على مدينة أسفي ؛ وأخضعها المحتلون كغيرها من القرى لأداء ضرائب عينية مُرهقة.

وفي سنة 1517/922، توجه إليها الشريف محمد الشيخ السعدي، وحاصرها، فكان من حسن حظه أن انفجر برميل بارود بداخلها، فانْهَدّتْ بسبب ذلك بعض الأسوار وأختل نظام البرتغال فأسلموا أنفسهم أسارى للشريف.

لم تكن أيّر ميناءً آنذاك. ويروي طيراس أن أحد المغامرين الفرنسيين كان يتوفر على بعض المعلومات التقنية فاستطاع أن يصبح من المقربين لمولاي زيدان السعدي، وأشار عليه ببناء مرسى في بحيرة أيِر، في المكان الذي توجد فيه اليوم الوليدية، وحاول أن يجعل فرنسا هي المستفيذة من هذا المشروع، لكنه أخفق في مسعاه. ومن الواضح أن الأمر قد اختلط هنا على طيراس لأن الفكرة التي راودت مولاي زيدان في انشاء ميناء جديد لم تكن تتعلق بأير وإنما كانت تتعلق ببحيرة الوليدية نفسها.

ويظهر أن قصبة أيْر كانت في الماضي مصمودية، بينهما يؤكد الكانوني أنه يسكنها الآن قوم من صنهاجة وغيرهم كانوا محل إجلال من ملوك الإسلام لقيامهم بحراسة البحر، وهي آخذة في التلاشي على رغم وفرة سكانها.

ويشتغل أهلها الآن بزراعة الطماطم والخضر وبصيد السمك.

ومن الأضرحة الشهيرة بهذه القصبة ضريح أحمد بن الطاهر بن الحسن الفارسي، الذي توفي في أواسط القرن الثالث عشر للهجرة، وضريح أبي العباس أحمد بن عبد الواحد الفارسي الذي توفي في أواخر القرن الماضي ودفن بالزاوية الفارسية بقصبة أيْر كذلك.

ابن عبد العظيم، *بهجة الناظرين* ؛ م. الكانوني، *أسفي* ؛ أ. بوشرب، *دكالة* ؛ م. الشباطي، *حسن الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة*، مخطوط.

H.Terrasse, *Histoire du Maroc* ; Goulven, *Le Cercle des Doukkala.*

محمد الشباطي

أيّل، حيوان من ذوات الظلف، لذكورها قرون متشعبة ومصمتة أي لا تجويف فيها كما في قرون الظباء، وهي تنسلخ عنها في كل سنة وينبت غيرها. وأما الإناث فعلى الغالب جُم لا قرون لها.

الأيايل أجناس وأنواع كثيرة منها الأيل الأحمر 1758 L. Cervus elaphus, إنه من أكبر الأيايل يبلغ طوله جمعاً بين الرأس والجسم 260 سم وطوله عند الغارب 150سم، لونه صحراوي ويميل إلى السواد في فصل الشتاء، الذيل قصير، القرون متشعبة عند الذكر وخاصة بعد خمس سنوات من عمره. صيغة أسنانه كالتالي: 0/3 قوارض، 1/1 أنياب، 3/3 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 34 سنا.

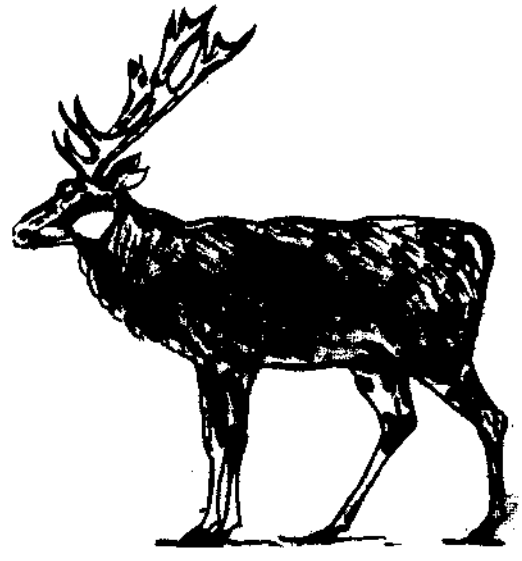

إنه حيوان عاشب يعتمد في قوته على الأعشاب لبرية. يعيش في المناطق المعتدلة المناخ وقد أُدْخِل إلى المغرب عن طريق إسبانيا عدة مرات وذلك في نواحي تطوان سنة 1945 و1952 وقرب فاس سنة 1981 وفي محميات قرب لرباط سنة 1984.

عاش في المغرب الأيل الأحمر البَرْبَري Cervus elaphus barbarus B وذلك في العصر الحجري Paleolithique وهو يعيش حاليا في تونس والجزائر الشرقية. فكر المسؤولون في إدخاله من جديد في المغرب إلا أن مجازفة التهجين مع الأيايل المُسْتَأقلمة في محميات الريف لم تشجع على ذلك.

أُدْخِل أيل داما Cervus,dama L. إلى المغرب سنة 1978 و1984 وذلك بضواحي الرباط. أصله من حوض البحر المتوسط ويوجد الآن بآسيا الصغرى وأدخل في أوروبا الغربية وفي الحدود التونسية الجزائرية، طوله جمعاً بين الرأس والجسم 150.130 سم وطوله عند الغارب 110.80 سم.

Lehmann, E. *Uber das vorkommen des Spanischen Rothirsches, Cervus elaphus bolivari Cabrera 1911*, in *Nord Marokko Säugetierk.* Mitt. 17 : 137-141, 1961 ; Aulagner S et Thevenot, M. *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc.* Trav. Inst. Sci. Zoologie Nº 41, 1986.

محمد رمضاني

أيوب (ابن ـ)، عليّ السلوي، كانَ عالماً فقيهاً إماماً خطيباً مفوها، عابداً خاشعاً جماليّ المقام، يقول: «بالرحمة والرفق أُدركت الأشياء العالية لا بالعنف والمشقة». كما كان مقبلا على كلام الله تعالى تلاوة وتعليماً وتخلّقاً وسلوكا قائلا: «مَن لم يُفتح عليه من القرآن مشرب لا يروى أبدا... ومن ظن الحق في غير القرآن ضل، ومن طلب الوصول على غير طريق السنة لن يصل أبداً».

لقيه محمد بن أبي بكر الحضرمي سنة 1362/763 وهو يعلّم الصبيان كتاب الله في رباط الفتح، ووصفه بما وصفه به أحمد بن الخطيب القسمطيني الذي لقيه بعد ذلك بنحو ثمان سنوات في سلا من النسك والزهد والورع والحياء. ولعل إقامة الشيخ ابن أيوب في عدوة الرباط علاقة بإقامة الشيخ أحمد بن عاشر بها إثر عودته من الحج. فلما انتقل الشيخ ابن عاشر إلى سلا عاد إليها ابن أيوب.

توفي بسلا بعد عام 1369/770 وضريحه من المزارات الكبيرة بسلا في حومة السويقة بين دار الصناعة وباب فاس. كان له سرجم نافذ للمحج الكبير في ناحية القبلة على غرار ما يوجد في كثير من أضرحة الصالحين لكنه سُدّ بالبناء منذ مدة. وقد اختلط الأمر على مؤلف *مجالس الانبساط* فظن أن ضريح ابن أيوب بالرباط.

م. الحضرمي، *السلسل العذب*، سلا، 1988، ص 39.36 ؛ أ. ابن الخطيب القسنطيني، *أنس الفقير*، 84 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، 91 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط* ؛ م. دنية، *مجالس الانبساط*.

محمد حجي

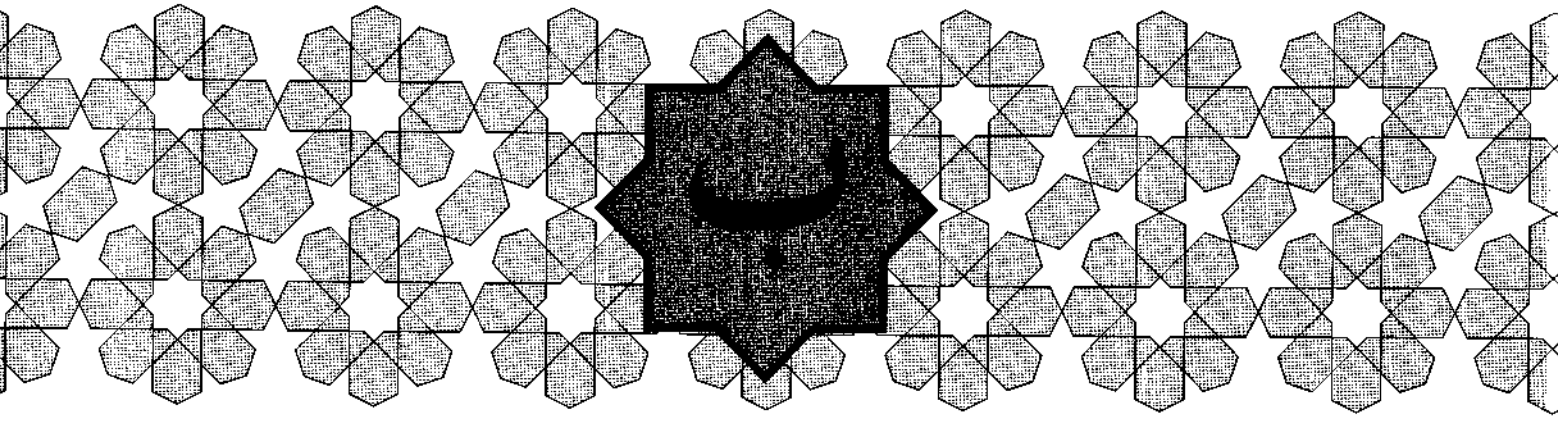

باب ـ أثر. يعد الباب أحد العناصر المعمارية الأساسية، فهو الذي يوصل ما بين داخل المباني وخارجها. والباب نوعان : خارجي وهو الذي يطل على الزقاق العمومي، ويتكون من فتحة ومصراع (أو مصراعين) ودهليز ويسمى هذا الدهليز عند أهل المدن السطوان وعند أهل الأرياف الأمازيغية بأغكمي أو أغدمي. وداخلي : أي الذي يغلق الحجرات ويفتحها عن بعضها أو عن الساحات الداخلية للبنايات. وخلافا للأول فهو لا يتكون إلا من الفتحة والمصراع (أو المصراعين).

ومادة صنع المصاريع هي الخشب، ومن الأنواع الأكثر استعمالا الأرز وهوالشائع في المدن والحواضر، والعرعار وهو قليل، والنخيل ونجده متناولا في المناطق الجنوبية ـ الشرقية بالتحديد.

وعادة أهل المغرب أن يزينوا أبواب مبانيهم بزخارف مختلفة ومتعددة، حتى وإن كانت بسيطة. ففي الحواضر كما في البوادي، تجد الأبواب مزخرفة إما بنقوش محفورة على الخشب أو بقطع نحاسية أو حديدية (مسامير، مفصلات، مطرقات....) مغروسة فيه. وحقيقة الأمر أن هذه العناصر الأخيرة إذا كانت تضفي على الأبواب الخارجية حلة جذابة، فإن الهدف منها كذلك هو تقوية المصاريع وتدعيمها (شكل 4). هذا ولم يقتصر حب زخرفة الأبواب على الخارجية منها فقط، بل كذلك تزخرف أبواب الحجرات، وتزين بالنقوش والألوان الجذابة، التي تضفي على داخل المنازل والقصور رونقا لماعا يجتذب الزائر ويمتعه بأحلى المظاهر.

وبخصوص زخرفة هذه الأبواب، نجد أنها لم تفرط في أي عناصر الزخرفة الإسلامية المعتادة وهي : الخط العربي، والتوريق، والأشكال الهندسية. وقد انتبه المؤلفون القدامى إلى جانب الزخرفة هذه، فوصفوها وأتقنوا وصفها كما فعل الحسن الوزان عند وصف منازل فاس حيث أشار إلى أن حجراتها ذات أبواب واسعة وعالية جدا، ويصنع الأثرياء لهذه الأبواب مصاريع من خشب في غاية الحسن والدقة (*وصف افريقيا*، ص 222).

وبغض النظر عن هذه العموميات فإنه يمكن تناول موضوع الباب في المغرب من عدة جوانب لكونه اختلف عبر الحقب والعصور التاريخية شكلا وتصميما وحجما باختلاف المباني ووظائفها. لذلك نرى أن نتناوله بالتوالي في المباني المدنية ثم في البنايات العسكرية فالدينية. على أن ملاحظاتنا ستنحصر في حدود العصر الإسلامي ولن تتعداها إلى ما قبله من فترات تاريخية.

أ ـ في المباني المدنية : نعني بالمباني المدنية المساكن الخاصة والقصور والمحلات العمومية كالحمامات والفنادق والدكاكين التي بالحواضر أو البوادي. وهنا يجب التأكيد على أن كل هذه العناصر المتميزة من حضارتنا لم تنل بعد ما تستحقه من اهتمام الباحثين والدارسين في الآثار وتاريخ الفن. لذا لا يمكن تتبع تطورها تاريخيا وهندسيا بما يجب من الدقة، لأن ما يتوفر لدينا من معلومات ثابتة ومسلم بها، تهم فترات معينة من فترات تاريخنا الإسلامي دون غيرها، ممثلة هي نفسها بنماذج منفردة من المباني. فإذا كانت منازل القرن الرابع عشر والقرون التي تلته مثلا كثيرة ومنتشرة في عدد من ربوع المملكة، فإن القرون السابقة لا يعرف من مخلفاتها إلا النادر.

ليست لدينا معلومات ضافية مثلا عن البيت الإدريسي أو المرابطي والموحدي. وحتى إن توفرت فإن هذه المعلومات تبقى، في كثير من جزئياتها، وليدة فرضيات واستنتاجات تحليلية جادت بها اجتهادات الدراسين، استناداً إلى مقارنات شبه نظرية لا إلى اكتشافات ميدانية محضة. مثالنا على ذلك دراسة باب قصر عبد المومن الموحدي بقصبة الأوداية بالرباط (انظر Caillé, *Rabat*, p. 105). ثم إن تغييرات هامة أتت بها القرون والدول مست كثيراً من منجزات سابقاتها لا يمكن استنتاجها إلا بالكشف عنها وفرز الدخيل فيها من الأصيل.

من جانب ثالث لم تنكب الدراسات المتوفرة في غالب الأحيان إلا على المدن والحواضر المغربية الكبيرة، أما المدن التاريخية "الثانوية" وبصفة أشمل البوادي، فلم تدرس بعد مع أن أبواب الدور ومداخل المداشر المنتشرة في الجبال

المغربية وخاصة جبال الأطلس الكبير والصغير وفي الواحات مثلا تشكل في حد ذاتها تحفا فنية رائعة (صورة 1).

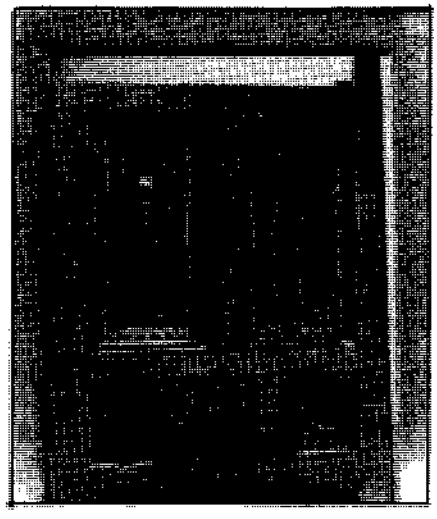

باب دار في الأطلس / ناحية مراكش

هذا وتبقى أقدم بناية كشفت عنها الحفريات الأثرية ببلادنا، القصر الذي بقرية بليونش قرب مدينة سبتة بشمال المملكة. ويعود هذا القصر إلى أواخر القرن الثالث أو بداية الرابع (10.9 م)، وقد كان له بابان : باب رئيسي وآخر ثانوي وكلاهما يفتح على دهليز من عطف واحد (شكل 1).

وببليونش كذلك، كشفت الحفريات على قصر آخر يعود إلى القرن الثامن (14 م) له مدخل من عطف واحد وهو التصميم الذي ميز كذلك المنازل المرينية بالحواضر الكبرى كفاس وسلا وغيرهما. وفي غياب نماذج إضافية ومعبرة عن التصاميم التي كانت لمنجزات الفترات الفاصلة بين القرن الرابع والقرن الثامن، فإنه من المرجح أن يكون تصميم المداخل من عطف واحد هو الذي كان معتمداً. على أن النموذج نفسه لم ينقرض فيما بعد بل بقي ساري المفعول، وإن تطور إلى أكثر من عطف، كما تبين ذلك بعض المنازل من القرن التاسع (15 م) وما بعد (انظر : *L'habitat traditionnel, passim*) وقد بقيت المداخل الملتوية تقليداً معمارياً راسخا نجده حاضرا في قرننا هذا خاصة في منجزات ثلثه الأول.

ومن العناصر المثيرة للانتباه، توفر بعض الأبواب الخارجية للمنازل التقليدية على ساكف أوكنة تعلوها تسمى عند أهل المدن الشواف، وهو إفريز خشبي (وفي بعض الأحيان حجري لكن نتوءه في هذه الحال لا يتعدى بضع عشرات من السنتيمات) محكم الصنع، بهيج المنظر بفضل النقوش والزخارف التي يحملها.

وقد كان لنزوح عائلات أندلسية إلى المغرب بعد سنة 1492 م، واستقرارها ببعض الحواضر كالرباط وسلا مثلا، أثره الواضح في بناء الأبواب إذ عرفت أشكالها تغيرا ملحوظا، من ذلك مثلا ظهور فتحة مقوسة ترتكز على عمودين يعلو كل واحد منهما تاج ـ حجري منحوت، وتحيط بقوس الباب وتعلوه ناتئات ملساء، بينما يحادي عمودي الفتحة عمودان آخران نصف مغروسين في الجدار الخ... ويعرف هذا الشكل من الأبواب بالأبواب الموريسكية (شكل 5).

ب ـ في المباني العسكرية : ونعني بها القصبات والحصون وغيرها. من التجهيزات الدفاعية كالأسوار المحيطة بالمدن على وجه التحديد.

وبخصوص أبواب هذه المباني، فإن مجمل الدراسات الأثرية أجمعت، وفق ما توفر لها من معطيات، على أن الباب ذا العطف الواحد ظهر بالمغرب كما بالأندلس.، في القرن الخامس (11 م)، بينما تعددت الالتواءات ابتداء من القرن السادس. وقد صاحب هذا النموذج الأخير ظهور قسم مكشوف من الدهليز اعتبر بمثابة تطور حقيقي يهدف إلى تقوية الدفاع إذ يمكّن من رمي المهاجمين من الأعلى في حالة اختراقهم للباب واجتيازهم للقسم الأول من المدخل (شكل 2) لكن أبواب المدن لم تكتس كلها طابعا دفاعيا محضا، بل كانت لها أدوار أخرى منها بالخصوص استقبال الأمراء لرعيتهم بها والفصل فيما يعرض عليهم من قضايا (مثال ذلك باب قصبة الأوداية بالرباط).

ولعل هذه الوظيفة إلى جانب كون هذه الأبواب كانت هي المداخل الرئيسية للحواضر (باب أگناو بمراكش، باب الرواح بالرباط، باب منصور بمكناس..) هي التي جعلت مشيديها حريصين على زخرفتها وكسوها بمختلف أشكال الزينة من أحجار منحوتة وقطع زليج، حتى باتت عنوانا لما وصل إليه المعمار الإسلامي بالديار المغربية من تطور وما امتاز به الصانع من مهارة في الإنجاز.

وتعتبر الأبواب الموحدية أقدم الأبواب التي وصلت إلينا كاملة متكاملة، والنموذج الذي ذهب على دأبه من جاء بعدهم من الدول، إما أمانة شبه تامة (المرينيون) أو بتغييرات متفاوتة الأهمية (السعديون والعلويون). ولعل جانب الزخرفة هو الذي يبرز أكثر من غيره مدى هذا الارتباط بالنموذج الموحدي أو مدى التباين معه. ويمكن تقسيم هذا التطور إلى ثلاث فترات تمتد الأولى على العهدين الموحدي والمريني القرن السادس ـ الثامن (12-14م) وتنحصر الثانية في الفترة السعدية والعهد العلوي الأول، وتشمل الثالثة العهد العلوي ابتداء من عصر المولى إسماعيل.

أما الفترة الأولى فهي التي يرى الاختصاصيون أنها أهم الفترات على الإطلاق لامن حيث حجم وأهمية مخلفاتها فحسب، ولكن كذلك على مستوى إنجازاتها الفنية وابتكاراتها ومهارة فنانيها وتعاملهم الرياضي مع المساحات المزخرفة. وأول ما يثير الانتباه في هذا الجانب هو أن تعامل الصناع الموحدين مع عنصر الباب شكلا وزخرفة، يشبه إلى حد كبير تعاملهم مع عنصر المحراب في

المساجد، ونجد أن عرض الإطار العام للباب مثلا أكبر بقليل من طوله، وأن الزخرفة لا تبدأ إلا عند مستوى قوس الفتحة، وأن التغير في عدد وشكل حنايا الأبواب هو الطابع السائد، فإذا كانت حنايا باب أگناو بمراكش أربعة، الأولى والأخيرة منها مكونة من لبنات (claveaux) تارة بارزة وتارة غائرة، فإن حنايا باب الرواح بالرباط كلها بارزة في خط منعرج (sinueux) بينما في باب الأوداية بالرباط لا نجد لا هذه ولا تلك وإنما نجد فصوصا (lobes) نصف دائرية يحيط بها تشابك هندسي.

والتي تصل في تطورها إلى تشكيل صدفة تسم ركنات الواجهة، أو كالغصينات الملتوية والمترابطة فيما بينها والشكل الثعباني (motifs serpentiformes) عند انطلاق الأقواس الخ...

هكذا كان للصناع والفنانين الموحدين الفضل في توظيف أشكال متنوعة سابقة لهم وابتكار أخرى ودمجها لخلق هذه التحف الفنية من تراثنا الحضاري. ولما جاء الفنانون المرينيون بقوا مخلصين لنفس القانون غير خارجين عن قواعده العامة، فانكب اجتهادهم بالخصوص على

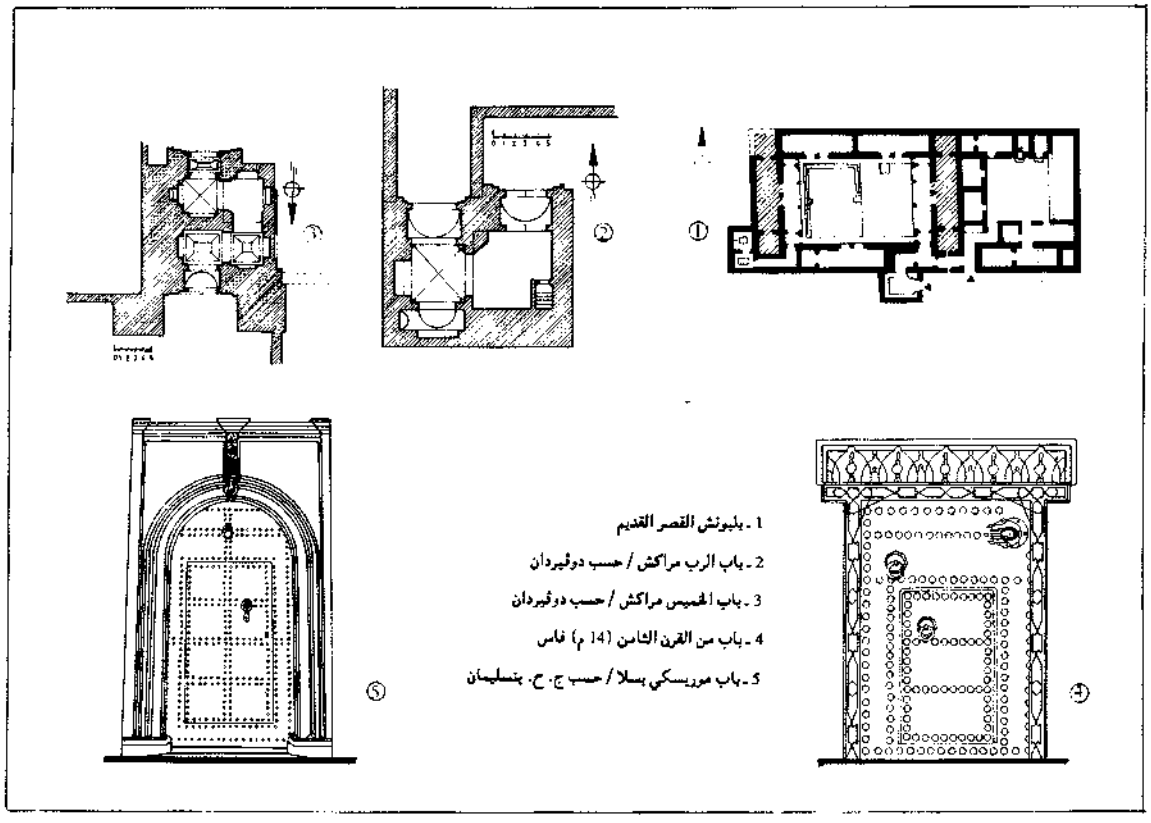

1 ـ بليونش القصر القديم
2 ـ باب الرب مراكش / حسب دوفيردان
3 ـ باب الخميس مراكش / حسب دوفيردان
4 ـ باب من القرن الثامن (14 م) فاس
5 ـ باب موريسكي بسلا / حسب ج. ح. بنسليمان

وإن ما يميز هذه الفترة كذلك هو الوحدة في توزيع عناصر الزخرفة وفي تنظيم مساحاتها اعتمادا على العنصر الهندسي الذي يحدد التقسيمات ويشكل الإطار العام للوحة. هذا العنصر هو ما يعرف بالتشابك الهندسي المعماري (entrelac architectural) الدائم الحضور في كل المنجزات، فهو الذي يندمج مع القوس المتعدد الفصوص (arc polylobé) الذي يحيط بفتحة الباب المقوس (بحيث تتشكل الفصوص في الحقيقة من ذيوله) وهو الذي يرسم أقواس الإفريز الأعلى وينتظم كذلك على جانبي الكتابات المنقوشة يؤطرها. أما هذه الأخيرة فقوامها الخط الكوفي الجميل، تأخذ مكانها في عدة أماكن من واجهة الباب. لكن أجمل حلة تكسو هذا الأخير هي العناصر النباتية الفنية بأنواعها. فإن كانت السعفة (palme) بأشكال متنوعة هي الغالبة على غيرها، فشَمَّت كذلك أشكال أخرى كالسعيفات (palmettes) بأشكالها المتنوعة كذلك

محاولة إغناء اللوحات بإقحام بعض مبتكراتهم، أهمها ظهور الألوان في واجهات الأبواب على أن ذلك لم يكن بالشكل الذي عرف في داخل البنايات من استعمال قطع الزليج المختلف الألوان بكثرة مثلا، وإنما جاء هذا التجديد بكيفية طفيفة كما يشهد على ذلك باب مقبرة شالة حيث كان الطنفان (corbeaux) من المرمر الأزرق والساريتان تحتهما من مرمر أبيض بينما أقحمت في أعلى نقطة من الإفريز قطع زليج صغيرة زرقاء اللون كذلك.

أما الفترة الثانية فما يتوفر لدينا من مخلفات السعديين يبين أن تراجعا واضحا حصل في زخرفة الأبواب، حيث يظهر أن أبواب الأسوار والقلاع على السواء، كانت ملساء أو شبه ملساء، ويظهر أن الملوك العلويين الأول ساروا على نفس النهج كما تشهد على ذلك مخلفات المولى الرشيد مثلا.

ومع حكم المولى إسماعيل واستعادة البلاد لأمنها وتطورها، كثرت المنجزات وتعددت القصبات. وقد كان للاستقرار وأهمية موارد بيت المال الأثر الواضح في إنجازات الصناع والفنانين، فأصبحنا نرى رجوعا إلى الزخرفة والتزيين في كل ما يشيد. (صورة 2).

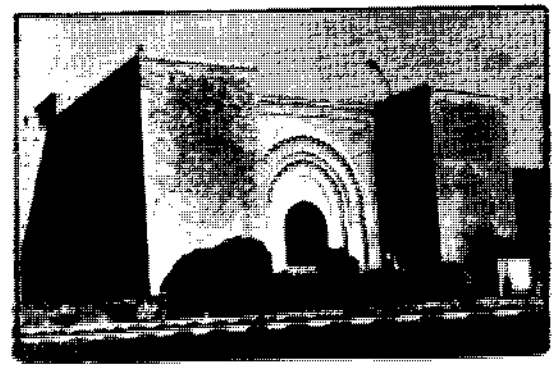

باب الرواح بالرباط

ومن مميزات الفترة الإسماعيلية الأولى في التعامل مع أبواب المنشآت العسكرية استعمال الزليج المختلف الألوان ليكسو إما بعضا من جوانبها (قصبة بولعوان) أو معظم مساحات إطارها (باب الدار الكبيرة بمكناس). والزليج في هذه الأبواب لا نجده على شكل القطع الصغيرة المعروفة فحسب وإنما كذلك كقطع أكبر حجما منقوشة نقشا يرسم أشكالا نباتية أو كتابات مختلفة. ولعل أحسن مثال لأبواب القصبات العلوية زخرفة باب منصور العلج بمكناس الذي يعود حسب الكتابات المنقوشة عليه إلى المولى عبد الله بن إسماعيل الذي شيده سنة 1144 هـ / 32 ـ 1731 م. ففيه نجد كل العناصر مكتملة ومنظمة بالشكل الذي يطبع الفترة العلوية مع ما قد نجده من اختلافات جزئية في منجزات الموالين (صورة 3).

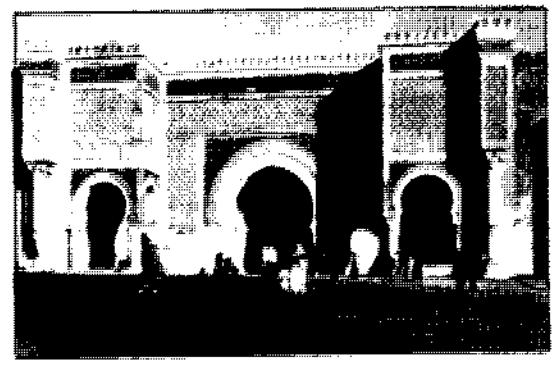

باب منصور العلج بمكناس

ج ـ في البنايات الدينية : لعل البنايات الدينية هي الأكثر انتشارا بالمغرب والأكثر صمودا أمام تحديات العصور وتقلباتها وذلك راجع بالطبع إلى مكانة الدين الإسلامي الحنيف في الأوساط المغربية التي تولي كل ما يتصل به الوقار والاحترام. ويدخل في تعداد هذه البنايات إلى جانب الجوامع والمساجد والزوايا والأضرحة والمدارس.

ولا يخلو رَبْعٌ من ربوع البلاد من هذه المعالم. أما معالجة أبوابها ومداخلها فلا تختلف عما نعرفه في البنايات الأخرى. ذلك أننا نجدها تتفاوت ما بين أبواب ملساء، لا تثير الانتباه فيها سوى قوس فتحتها، وأبواب مزخرفة ومزينة زينة قد تصل في بعض الأحيان إلى المبالغة في استعمال الألوان وتعددها. وهذا الأمر ليس مقتصراً على بنايات ثانوية أو موجودة خارج الحواضر، وإنما نجدها حتى في بعض المعالم المشهورة والمشهودة كضريح المولى إدريس بفاس مثلا.

ويحتفظ جامع القرويين بثلاثة من أقدم الأبواب المعروفة في البنايات الدينية وهي باب الورد وباب الجنائز وباب السبيطريين. وبغض النظر عن شكل كل منها فإن ما يهم فيها هو احتفاظها كلها دون تغيير بمصاريعها المكسورة بصفائح برونزية ملساء أو مرصعة، تعتبر أقدم ما وصل إلينا في ميدان الصناعة البرونزية المعدة للعمارة في العالم المغربي ـ الأندلسي.

وبجامع الأندلس، يقف الزائر والمصلي وقفة إعجاب وتأمل أمام عظمة الباب الرئيسي الذي يفوق علوه علو سقف بيت الصلاة والذي لا نجد له نظيراً في غير فاس من المدن. هذا الباب هو من تشييد الناصر الموحدي رابع ملوك الدولة، لكن الظاهر هو أن التعديلات والترميمات المرينية مسته كذلك وتركت به بعضا من بصماتها.

وإذا ما اتجهنا بالأنظار صوب المدارس، فنجدها كذلك تتوفر على أبواب جلها مزخرفة استطاع الصناع المرينيون ثم السعديون والعلويون أن يجعلوا من بعضها تحفا جميلة. ومثال ذلك باب المدرسة البوعنانية بسلا التي كانت تسمى "المدرسة العجيبة". هذه المدرسة اندثرت بعد أن تغيرت وظيفتها لتصبح فندقا سمي بفندق "أسكور"، ولم يبق منها شاهدا على رونقها سوى الباب. وقد انتظمت زخرفته على مستويين : مستوى أول هو إطار من زليج اتخذت قطعه أشكالا هندسية حسب التشكيلة المعروفة "بدَرْجٌ أوكَتَف"، المندمجة مع المعين (losange) لتخلق نظاماً هندسياً جميلاً يعلوه نص الإنشاء، وهو من زليج كذلك، لا يزال اسم أبي عنان فيه واضحا.

أما المستوى الثاني الذي يعلو الأول فيتكون من خرجة (encorbellement) من تسع مقربصات حجرية كل واحد منها يتكئ على ساريتين صغيرتين في الجدار. هذا النظام هو الذي نجده بشكل عام وبتغييرات جزئية في أهم منجزات الفترة المرينية. وقد اتجهت العصور الموالية في السير على نفس النمط بل وحاولت بعض الإنجازات أن تفوقها كما يتبين من مدخل مدرسة ابن يوسف السعدية بمراكش.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، 1983.

Ch. Allain et G. Deverdun, *Les portes anciennes de Marrakech, Hesp.* 1957, p. 85 - 125 ; A. Bel, *Inscriptions arabes de Fès, Journal Asiatique*, 1918, p. 317 s ; J. Caille, *La ville de Rabat*, Paris, 1949 ; Collectif, *l'Habitat traditionnel dans les pays*

musulmans autour de la Méditerrannée, I, (*L'héritage architectural : formes et fonctions*), Publ. de l'I.F.A.O, 1988 ; K.A.C. Creswell, *"Bab"*, *E.I.*, Nlle Ed., p. 853 - 855 ; J. Hassar Benslimane, *Salé, étude architecturale de trois maisons traditionnelles*, *E. T. A. M.* VII, 1978 ; G. Marçais, *L'architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954. *Les origines de la maison nord-africaine*, *C. A.T. A. N.*, VII, 1974, p. 43 - 62 ; B. Maslow et H. Terrasse, *Une maison mérinide de Fès*, 2ème congrès de la Fédération des Sociétés Savantes d'Afr. Nord, t. II, 1936, p. 503 - 510 ; J. Meunié et H Terrasse, *Recherches archéologiques à Marrakech*, 1952 ; D. Meunié, *El - Maarka, résidence princière dans une oasis au Maroc (XVIIIè s.)*, *C. A.T. A. N.*, 1974 ; P. Ricard et A. Delpy, *Note au sujet de vieilles portes de maisons marocaines*, *Hesp.* XV, 1932, p. 165 - 192 ; H. Terrasse, *Les portes de l'arsenal de Salé*, *Hesp.* 1922, p. 357 371, *Le décor des portes anciennes du Maroc*, *Hesp.* 1923, p. 147 - 174, *Trois bains mérinides du Maroc*, *Mélanges W. Marçais*, 1950, p. 311 - 320 ; A. Touri, *L'habitat domestique de Marrakech*, Thèse d'Etat, paris, Sorbonne, 1987 (ex. dacty.).

عبد العزيز توري

باب ـ تنظيم ووظائف ـ لا يكاد يختلف تنظيم أبواب المدن ووظائفها خلال العصر الإسلامي بالمغرب، لذلك سنتطرق إلى ذلك من خلال نموذج أبواب مراكش على عهد المرابطين والموحدين.

بلغ عدد أبواب سور مراكش حوالي ثلاثة عشر بابا، وارتفع هذا العدد مع الموحدين إلى واحد وعشرين بابا للاتساع الذي عرفته المدينة بالتوالي في الجنوب الغربي والجنوب، ويفوق عددها حاليا ثلاثين بابا.

هذه المعلومات الكمية تسمح بإبداء الملاحظات التالية:

ـ تزايد عدد الأبواب خاصة في القرن السادس الهجري.

ـ التمييز بين أبواب عامة وأخرى مخزنية. تؤدي الأولى وظائف لعموم سكان المدينة وتوجد ضمن سور المدينة المرابطي. أما الثانية فتربط المدينة المخزنية بخارجها. وعدد من أبوابها لم يكن يستعمل إلا من طرف بني عبد المومن فقط، مثل باب البستان (*ورقات*، 302).

ـ تغير أسماء عدد من الأبواب تبعا لتطورات مختلفة، مثل باب الرب الذي حمل اسم باب القصر (*الذيل*، 8 ، 1 : 251)، وباب أغمات الذي حمل اسم باب الفتح في خلافة الواثق بالله الموحدي (*البيان* ـ قسم الموحدين ـ 447). وإجمالا فإن سبعة أبواب على الأقل يحمل كل واحد منها اسمين، وباباً واحداً أسماء.

ـ ارتباط تاريخ هذه الأبواب بازدواجية أساسها اختفاء أبواب وظهور أخرى دون اعتبار للتوازن بينها، وهكذا فمن الأبواب التي اختفت نهائيا : باب إنتان، مسوفة، نفيس ؛ ومن بين التي ظهرت بعد مرور أكثر من سبعمائة سنة على تأسيس المدينة، باب أحمر وباب إيغلي. ومن الملاحظ أن بابا واحدا هدم لضرورة توسيع المدينة هو باب الشريعة وتم بناء آخر في غير موقع الأول وحمل نفس الاسم. (*البيان* ـ قسم الموحدين ـ 153).

ـ وجود أبواب داخلية أصلا مثل باب السراجين القديم (*البيان* ـ قسم الموحدين ـ 358). بينما تحولت أبواب خارجية إلى داخلية مثل باب الصالحة.

يتميز تطور أبواب الواجهة الجنوبية للسور بخصوصية تظهر في كون هذه الأخيرة عرفت أهم تغيير في عدد أبوابها بالنظر إلى باقي الواجهات، حيث انتقل العدد من أربعة إلى ستة أبواب في زمن الموحدين، ولهذا التطور علاقة مباشرة ببناء القصبة التي شكّل جنوب السور واجهتها الشمالية. ولذلك أضيفت لها أبواب أخرى تربط بين هذه المدينة المخزنية والمدينة المرابطية.

ويبدو أن اختيار مواقع الأبواب وتحديد عددها بالنسبة لكل من الواجهات المكونة للسور، قد روعيت فيها عدة اعتبارات، من بينها طول الواجهة، ومستوى أهمية المجال الجغرافي الذي تنفتح عليه في تلبية حاجيات المدينة، إلى جانب المتطلبات الأمنية للحماية.

في هذا الإطار يلاحظ في فترة حكم المرابطين أن الواجهة الغربية والجنوبية توطنت في كل منها أربعة أبواب، بينما عرفت الشمالية بابين فقط. وهذا يستفاد منه دون شك أن الاهتمام بأبواب الواجهات غيرالشمالية حظي باهتمام أكبر من طرف المخزن، ولعل لذلك علاقة فيما يبدو بالانفتاح أكثر على المناطق الفلاحية، وفي نفس الوقت تحصين المدينة ضد أعداء هذا المخزن المتمركزين في اتجاهات الجنوب والشرق والجنوب الغربي. وإذا كان السور يمثل نقطة حدود بين المدينة والبادية، فإن الأبواب شكلت نقط التقاء وتواصل بينهما، وبذلك كانت الأبواب عنصراً فاعلا في حياة المدينة على أكثر من واجهة. واعتبارا لهذه الأهمية فإنها خضعت لنظام خاص ارتكز على توفير الأمن للمدينة ليلاً ونهاراً، وتسهيل الرواج، والتنقل منها وإليها.

وهكذا كانت الأبواب خاضعة لإشراف طاقم بشري يتكون من مجموعتين :

ـ مجموعة أولى : هو البوابون المكلفون بمراقبة تنقل الأشخاص من وإلى المدينة نهاراً، والحراسة بالليل، إلى جانب السهر على ضبط أوقات الافتتاح والإغلاق. وكان كل باب له حراس خاصون به، (*إثمد*، 1 : 239) وللمشرف على تنظيم الحراسة فيما يبدو سكناه الخاصة بجوار الباب الملكف به (*البيان* ـ قسم الموحدين ـ 469).

والملاحظ أن مسؤولية البوابين منحصرة في الباب وحده اعتباراً إلى أن السور كان له المكلفون بهذه المهام وهم الحراس والرقاب (*البيان* ـ قسم الموحدين ـ 438) ولعل في الاسم مضمون اللسان الدارج (الرگّاب) أي المراقب من بُعد.

ومن الوسائل التي استعان بها البوابون في أداء مهامهم الأبراج والشرفات، باعتبارها أماكن مرتفعة تسمح بالمراقبة ويوفر شكلها الهندسي للبواب وسائل حماية نفسه من التهديد الخارجي. بجانب ذلك ومن أجل فرض احترام ما جرت به العادة في هذا الشأن كانوا يحملون عصيا في أيديهم كوسائل للردع والتخويف (*إثمد*، 1 : 239).

ويمكن التساؤل عن إمكانية وجود تنسيق ما بين حراس الأبواب مجتمعة، للإخبار والإنذار المبكر، خاصة وأن إشارة للبيذق يُشتمُّ منها في الغالب أن تنسيقا ما كان العمل جاريا به بين المؤذنين والبوابين (*أخبار*، 78) خلال الليل بالخصوص يكون فيه المؤذن كمراقب للمدينة من الداخل،

مخبراً البواب إذا حدث ما يستوجب ذلك. والإشارة نفسها لا تفهم في الغالب إلا في وجود تنسق بين المآذن وأقرب الأبواب إليها وبين الأبواب نفسها.

- مجموعة ثانية : مهمتها تتعلق بمراقبة مرور البضائع والمنتجات من أجل أخذ مستحقات الجباية عنها. على اعتبار أن الأبواب كانت تؤدى بها المغارم (*البيان* - قسم الموحدين - 449). وكان المكلفون بأخذها هم شهود الباب (*إثمد*، 1 : 229) الذين كانوا يشكلون الخطوة الثانية التي يلقاها القادم إلى المدينة بعد اجتياز البوابين.

ومن غير المستبعد أن زمن إغلاق الأبواب وفتحها كان خاضعاً لتوقيت محدد، مرتبط بالحاطة الأمنية والسياسية للمدينة :

ففي الأحوال العادية هناك تقسيم ثنائي مبني فيما يبدو على أوقات الصلاة، على أساسه تفتح الأبواب عند طلوع الفجر (*أخبار*، 78)، وتغلق بعد الغروب. وتتم عملية الإغلاق بالتدريج، إذ مع قرب غروب الشمس يغلق جزء من الباب فقط كإشعار بالاستعجال موجه بالخصوص لمن هو خارج المدينة ويرغب في الدخول إليها (*التشوف*، 477). ولا ندري هل كان العمل جارياً بهذا الإجراء بالنسبة للافتتاح ويتم غلق الأبواب بواسطة أقفال خاصة (*البيان* - قسم الموحدين - 438 - 439).

أما في الأحوال الغير العادية فإن مبدأ التوقيت المبني على أوقات الصلاة يصبح مجمداً بالنسبة لزمن الاغلاق وتحل محله اعتبارات استراتيجية، على أساسها يمتد زمن الاغلاق على طول النهار أيضا (*البيان*، قسم الموحدين - 478).

إن عناصر التنظيم هذه ليست بالضرورة وحدها التي شكلت مكونات تنظيم الأبواب. وإنما ما سمحت المصادر المتداولة باستخراجه فقط. وعموما فالأبواب جزء من تنظيم شامل لأمن المدينة له أطره وقواعده المختلفة والمتنوعة حسب أوقات اليوم، وحسب الاختصاصات، منسجم مع ذهنية السكان ومساير لمتطلبات الحياة اليومية للمدينة.

الوظائف : يمكن التمييز في الوظائف التي كانت لأبواب مراكش على عهد الموحدين بين نوعين :

- وظائف عامة : هي مختلف الخدمات التي شكلت قاسما مشتركا بين كل الأبواب مثل التنقل وأداء المغارم.

- وظائف خاصة : منها ما كانت حكراً على باب أو أبواب بعينها. ومنها ما كان مشتركاً أيضاً إذ أهميته كانت متزايدة بالنسبة لبعض الأبواب. إلى جانب ذلك فإن من الوظائف ما كان دائما ومنها كان ظرفيا، وهناك التي ارتبطت مع نشأة الباب ومنها ما جاءت لاحقة.

وبشكل عام يمكن حصر الوظائف التي قامت بها أبواب مراكش في زمن الموحدين في خمس وظائف :

1 - وظيفة مجالية : كانت أبواب المدينة بالنظر إلى مواقع توطنها على الواجهات الأربع للسور، تحدد شبكة الاتجاهات، على اعتبار أنها كانت تشكل نقط الاتصالات الوحيدة التي تربط بين المدينة وخارجها.

ومن خلال مقارنة عدد الأبواب ومواقع تمركزها من جهة، ومدى استجابتها لتلبية خدمات المدينة المرتبطة مع خارجها سواء في التبادل أو التنقل من جهة ثانية، يلاحظ أن هناك توازناً حاصلا بين الاثنين.

في هذا الإطار كانت أسماء عدد من الأبواب تحمل في دلالتها جانبا من وظائفها المتعلقة بالمكان الذي تستقبل منه وتؤدي إليه، حيث نجد مثلا :

باب فاس ← الشمال والأندلس.

باب دكالة ← الشمال والمحيط الأطلنتي.

باب الدباغين ← هسكورة، حيث الجلود.

باب أيلان ← قبيلة أيلان منطقة الدير.

باب نفيس ← جهة نفيس منطقة فلاحية.

2 - وظائف دينية : تبدو من خلال ثلاثة عناصر هي :

- المصلى : كان مصلى العيدين يقع خارج باب الشريعة (*البيان* - قسم الموحدين - 320) ولعل لهذه التسمية علاقة بهذه الشعيرة الدينية. حيث كان هذا الباب هو المؤدي إليها قبل تأسيس القصبة الموحدية، إذ بعد ذلك أصبح باب السادة هو الآخر يؤدي إليها إلا أنه كان خاصا فقط بالمخزن والحاشية.

- الاستسقاء : اعتباراً لحالة انحباس المطر وحلول الجفاف التي كانت تعرفها مراكش من حين إلى آخر. حيث مرت بالمدينة حوالي سبع حالات من هذا النوع ما بين 541 / 1146 و585 / 1189 فقد كان اللجوء إلى الاستسقاء من التقاليد الدينية التي كان العمل جاريا بها. وكان باب الدباغين الباب الذي أقيمت خارجه هذه الشعيرة بكثرة. ولعل لذلك علاقة بكونه يقع وسط جهة الجانب الشرقي من مراكش الذي تميز آنذاك بأهمية وجود رجال التصوف من بين أهل الولاية والصلاح (*قضية*، 145 - 153) إضافة إلى أن المكان كان مجالا لمجموعة من كرامات الشيخ أبي العباس السبتي (*التشوف*، 456)

- المقابر : بحكم أن الباب كان يعتبر جزءاً من الوحدة السكنية - الحومة - التي يشكل منفذها على خارج المدينة. فمن بين الوظائف التي كان يؤديها في هذا الشأن، هي ايجاد مقبرة لهؤلاء السكان. وعلى أساس ذلك كانت توجد بقرب كل باب مقبرة باستثناء بعض أبواب القصبة الموحدية كباب البستان.

3 - وظائف اقتصادية : تبدو عنصراً مشتركاً بين مختلف أبواب مراكش على اعتبار أن الأبواب كانت تؤدى بها المغارم كما سبق. بجانب ذلك تخصص بعضها لأنشطة اقتصادية حتى إنها طغت على أسماء البعض منها. ويمكن في هذا السياق التمييز بين ثلاثة أنواع من هذه الوظائف الخاصة :

- ماله صلة بالحرف : ويقدم باب الدباغين أهم نموذج لهذاالصنف. حيث توطنت به حرفة الدباغة. واختيار موقعه

له علاقة إلى جانب وادي اغزر (إميل) بإشرافه على جهة هسكورة التي كانت معروفة بوفرة الجلود (*التشوف*، 241).

ـ ماله صلة بالفلاحة : ويتعلق الأمر هنا بالخصوص بباب الرب، ومعلوم أن الرب هو عصير العنب غير المسكر (*المن*، 113). ومن المحتمل أن هذه المادة كانت تمر عبر هذا الباب، أو تباع فيه مما يؤيد ذلك أن هذا الباب كان منفتحاً على جهة نفيس حيث مصدر جلب العنب إلى المدينة، ومكان تحضير مشهور لمادة الرب (*الاستبصار*، 211).

ـ ماله صلة بالتجارة : لعل إقامة الأسواق الأسبوعية كان العمل جاريا بها بالنسبة لمراكش، وهذا أمر غير مستبعد إذا علمنا أن مجال مصمودة خاصة في الدير عرف هذا النوع من الأنشطة قبل هذا التاريخ بكثير وفي إطار حضري يتمثل في مدينة أغمات أوريكة (*المغرب*، 153) وفي فترة الموحدين أيضا كان شائعاً في مجموعة مراكز استقرار أخذت أسماءها في الغالب من هذا النشاط الأسبوعي، مثل سبت بني دغوغ، وثلاثاء موسى بن ملول (*التشوف*، 187 ـ 248).

انطلاقا من هذه الحيثيات، لا يبعد أن مثل هذه الأسواق كانت تُقام أيضا خارج سور المدينة وبالقرب من بعض أبوابها، ولعل باب إنتان أحد الأبواب التي كان ينعقد خارجها هذا النوع من الأسواق (*التشوف*، 470).

ـ وظائف مخزنية : من جهة هي جملة الخدمات التي تلبي حاجيات المخزن، وتكون فيها الأبواب ضرورية لتحقيقها، في هذا الشأن يمكن اعتبار هذه الوظائف قاسما مشتركا بين أبواب القصبة الموحدية. وإذا كان المرور عبر هذه الأبواب من حق كافة أفراد المخزن والحاشية فإن باب البستان كان حكراً على خواص بني عبد المومن (*ورقات*، 302) ومن جهة ثانية فقد كانت المشاغل السياسية حاضرة ضمن هذه الوظائف من أبرزها :

ـ استقبالات مخزنية رسمية : يقصد بها هنا استقبالات المخزن للوفود الكثيرة العدد من قبائل وجماعات، تقتضي طبيعة عددها الخروج إليها في مكان أوسع. في هذا الإطار يبدو أن تكاملاً كان حاصلاً في هذا الشأن بين باب السادة وباب الشريعة، الأول يكون منه خروج الخليفة وأعوانه، وأمام الثاني يكون الاستقبال (*المن*، 343 ـ 342)

ـ استعدادات عسكرية : كانت بعض الأبواب بحكم موقعها في المدينة معبراً دائما للجيوش المتجهة خاصة إلى الأندلس فهي أساساً باب فاس في الشمال، وباب دكالة في الشمال الغربي (*المن*، 218 ـ 349).

ـ إنزال بعض العقوبات : تميزت عدة أبواب بهذه الوظيفة، والمظهر الذي طغى عليها يتجلى في تعليق الرؤوس، وإن كانت أغلب الأبواب في فترات متفرقة قد اشتركت في أداء هذه المهمة كما حدث في عهد إدريس المامون (*البيان* ـ قسم الموحدين ـ 289). إلا أن الأبواب التي اشتهرت أكثر في هذا الخصوص هي باب الشريعة وباب الكحل (*البيان* ـ قسم الموحدين ـ 337، 347، 348، 366، 439).

5 ـ وظيفة الأمن : هدفها حماية المدينة من التهديدات التي قد تاتي من الخارج، وفي نفس الوقت منع المتابعين في الداخل من الفرار (*أخبار*، 75) وتساهم في أداء هذه الوظيفة بجانب البوابين، المكونات المعمارية للباب، إذ يوجد ـ في الغالب ـ منفذان للباب، واحد داخلي يؤدي إلى وسط المدينة وآخر خارجي يشرف على خارجها، وأحيانا تتوفر بعض الأبواب على عدد من المنعرجات بين المنفذين كما هو الحال بالنسبة لباب الدباغين. ولعل الغرض من إقامتها هو خلق حواجز أمام دخول قوى خارجية إلى المدينة.

ومن الملاحظ أن هذه الوظيفة كانت عنصراً تشترك في أدائه جميع أبواب مراكش.

أ. البكري، *المغرب*، ط. الجزائر، 1857 ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي*، ط. الرباط، 1971 ؛ مؤلف مجهول، *الاستبصار*، ت. سعد زغلول عبد الحميد، البيضاء، 1985 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، ت. عبد الهادي التازي، بيروت 1987 ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، ت. أحمد التوفيق، البيضاء، 1984 ؛ م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، سفر 8، قسم 1، ت. محمد بنشريفة الرباط 1984؛ ابن عذاري، *البيان*، ت. إبراهيم الكتاني وآخرين؛ ابن تكلات، *اثمد العينين*، ت. محمد رابطة الدين، د. د. ع الرباط 1986 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية* ؛ م. رابطة الدين، *قضية الجانب الشرقي من مراكش*، ضمن أعمال ندوة مراكش، الملتقى الأول. كلية الاداب مراكش 1988.

محمد رابطة الدين

باب برّد أو بَرُّت، ـ جغرافيا ـ جماعة قروية ومركز ينتميان لإقليم شفشاون في جبال الريف الأوسط، على بعد 68 كلم إلى الشرق من مدينة شفشاون على الطريق الرابطة بين هذه الأخيرة والحسيمة.

يرتبط اسمه بفج (باب) يقع على ارتفاع 1240م. عند قدم جبل تيزيران 2101 م يشرف على المركز من الجهة الشمالية الغربية.

يمتاز موقع جماعة باب برد بوجوده عند خط تقسيم مياه حوضين نهريين : شمالا الحوض الأعلى لواد أمتر الذي يحمل اسم واد أعوين وجنوبا الحوض الأعلى لوادي أولاي أحد روافد ورغة. ورغم قساوة المناخ الذي يتميز ببرودته الشتوية، فقد ساهمت الإمكانات المائية التي يتوفر عليها هذان الحوضان في ظهور زراعة ربيعية مسقية قائمة أساسا على الحبوب (خصوصا الذرة) وعلى النباتات العلفية. وهذا ما يفسر جانبا من الكثافة السكانية المرتفعة بالجماعة والتي تجاوزت 70 نسمة في كلم^2 سنة 1982. غير أن المنطقة تبقى مدينة للمواد الخارجية، ومنها تحويلات العمال المهاجرين إلى الخارج.

وقد نشأ مركز باب برّد كسوق صغير (سوق الاثنين) أصبح له حاليا إشعاع محلي كبير، إذ يمثل القطب الرئيسي لشبكة صغيرة من الأسواق الأسبوعية في المنطقة الوسطى من جبال الريف. وقد استفاد في ذلك من وظيفته الطرقية بحكم موقعه على ما يعرف "بطريق القمم" وهو الجزء الأوسط من الطريق الرئيسية رقم 39 المارة عبر جبال الريف الأوسط مستعملة مجموعة من الفجاج المجاورة لأعلى قمم السلسلة.

وقد عرف المركز نمواً سريعاً خلال السبعينات حيث ارتفع عدد سكانه من 503 نسمة سنة 1971 إلى1.475 نسمة سنة 1982. وقد واكب ذلك تطور قطاع الخدمات بالمركز، سواء منها الخدمات العمومية (مقر لدائرة، اعدادية، مركز صحي...) أو الخدمات الخاصة (التجارة ، صيدلية...) ويتجلى ذلك في معاينة بنية الساكنة النشيطة، فنسبة العاملين في القطاع الأول لا تتجاوز 10.4٪ سنة 1982 مقابل 14.3٪ بالنسبة للقطاع الثاني و75.3٪ للقطاع الثالث.

تحريات ميدانية.

محمد الرفاص

باب برد، قرية بسفح جبل تيزيران بقبيلة بني خالد الغمارية على علو شاهق، وقد أطلق عليها هذا الاسم لشدة البرودة التي تسود هناك خلال فصل الشتاء لدرجة أن الطريق العمومية التي تربط مدينة تطوان بمدينة الناظور وتمر بالقرية المذكورة تظل مقطوعة جل فصل الشتاء بسبب الثلوج التي تسقط هناك.

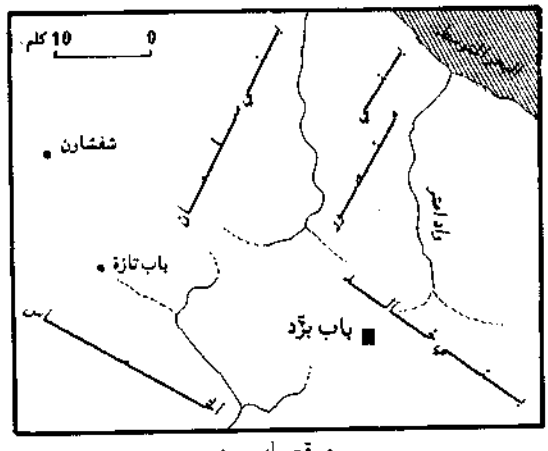

موقع باب برد

وكانت قرية باب برّد من الأماكن التي لم يستطع الجيش الإسباني الاستيلاء عليها إلا بعد أن قضى على الثورة الريفية حيث لم يتمكن الكولونيل گباص من احتلالها إلا يوم 22 محرم 1345/ فاتح غشت 1926، وعندئذ استطاع المقيم العام الجنرال سانخورخو Sanjurjo أن يقوم صحبة رئيس أركانه الجنرال گوديد Goded بأول جولة له عبر غمارة، خلال ربيع الأول/ سبتمبر من السنة المذكورة.

ع. بنعبدالله، *الموسوعة*، 79.

Comision histórica. *Geografía*, p. 40-44 ; A. Domenech. *Zona Norte*, p. 28 ; C. Martinez Campos, *España bélica. El siglo XX. (Marruecos)*, Madrid 1972, p. 335-339-348.

محمد ابن عزوز حكيم

باب سبتة، مركز المرور الموجود على الحدود الفاصلة بين مدينة سبتة المحتلة من طرف الإسبان وباقي البلاد المغربية. وتعتبر نقطة المرور هاته أول باب لدخول المغرب من حيث عدد المسافرين المسجلين سنويا في الاتجاهين. فإذا اعتبرنا آخر الاحصائيات المتوفرة والمتعلقة بسنة 1988 فإننا نلمس أهمية هذه النقطة بالنسبة لتيارات المسافرين القادمين أو المغادرين للمغرب.

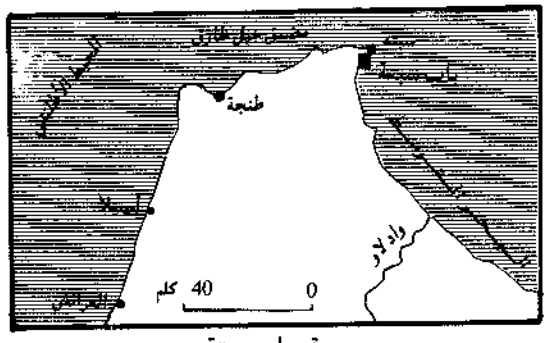

موقع باب سبتة

فمركز باب سبتة يرى مرور رُبع مجموع المسافرين من وإلى خارج الوطن، ويحتل بذلك الرتبة الأولى بين مجموع نقط الحدود، أمام مدينة طنجة بميناءها ومطارها التي تحتل الرتبة الثانية (22٪ من مجموع التيارات). أما إذا اقتصرنا على نقط الحدود الأرضية (دون اعتبار الموانئ والمطارات). فإن باب سبتة يهيمن على 58٪ من مجموع المسافرين المارين من هذه النقط. وهكذا فإن باب سبتة يراقب مع مركز حدود مدينة طنجة ما يقرب من نصف المسافرين. وتسيطر نقطة الحدود بباب سبتة كذلك على جزء كبير من تيار السواح الأجانب نحو المغرب، إذ قدم عبر باب سبتة سنة 1988 : 388.000 سائح أجنبي أي بنسبة 19.6٪ من مجموع السواح الذين دخلوا المغرب هذه السنة مقابل 16٪ بالنسبة لمدينة طنجة.

وتعزى أهمية نقط الحدود الشمالية في استقبال المسافرين إلى وجود مضيق جبل طارق وقرب أوربا الذي يمكّن من رحلات بحرية قصيرة بواسطة البواخر الحاملة للمسافرين والسيارات الرابطة بين ضفتي البوغاز.

حركة مرور المسافرين عبر نقط الحدود (مجموع المسافرين 1988)

نقطة الحدود	الدخول	الخروج	المجموع	النسبة المائوية
1 ـ باب سبتة	943 886	666 683	1 610 569	٪24.5
2 ـ طنجة	651 366	766 044	1 417 410	٪21.5
3 ـ البيضاء	525 249	551 100	1 076 349	٪16.4
4 ـ وجدة + زوج بغال	423 204	481 284	904 488	٪13.8
5 ـ أگادير	274 611	278 040	552 651	٪ 8.4
6 ـ فاس ـ سايس	141 136	127 810	268 946	٪ 4.1
7 ـ بني انصار	236 499	221 833	458 332	٪ 7.0
8 ـ الرباط ـ سلا	39 275	38 074	77 349	٪ 1.1
9 ـ مراكش	21 163	23 982	45 145	٪ 0.7
10 ـ الحسيمة	9 880	17 718	27 598	٪ 0.4
11 ـ نقط أخرى	73 010	66 937	139 947	٪ 2.1
المجموع			6 578 784	٪100

غير أن التنافس حاد بين مدينتي سبتة وطنجة في استقطاب تيارات المسافرين القادمين إلى المغرب وخاصة السواح منهم. فبعد أن كان ميناء طنجة هو الفائز في هذا التسابق خلال الستينات وبداية السبعينات فإنه فقد المرتبة الأولى لصالح باب سبتة الذي يستفيد من رحلات بحرية أكثر ترددا بين المدينة والقطر الإسباني.

غير أن التطور الأهم في بنية وسائل النقل نحو المغرب ليس هو التنافس بين باب سبتة وطنجة بقدر ما هو التنافس بين طريق البحر والبر معا (بالنسبة لباب سبتة) من جهة وطريق الجو من جهة أخرى. فإذا ما تتبعنا تطور عدد السواح الأجانب القادمين إلى المغرب عبر باب سبتة بالمقارنة مع عدد السواح الذين وصلوا بواسطة الطائرة فإننا سنلاحظ اختلافا في التطور. إذ يرافق التزايد الغير المنتظم لعدد السواح الأجانب الذين زاورا المغرب ما بين 1973 و1988، تزايد مستمر للسواح الذين استعملوا الطائرة وانخفاض أو ركود لعدد الزائرين المارين عبر باب سبتة (الشكل رقم 1). فبعدما كانت الوسيلة الرئيسية لنقل

شكل 1

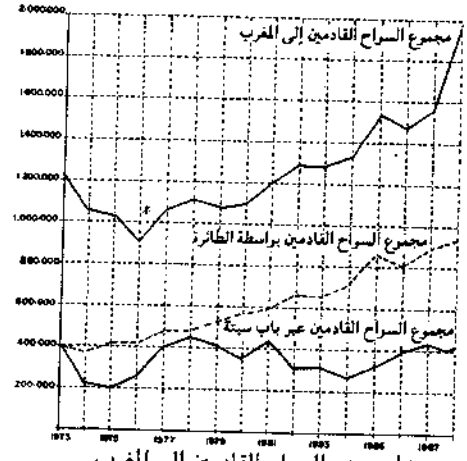

تطور عدد السواح القادمين إلى المغرب

السواح إلى المغرب هي السيارة أو الباخرة، أصبحت الطائرة تنقل أكثر من 50٪ من مجموع هؤلاء السواح ابتداء من أواسط السبعينات. ويرتبط هذا بالتحولات التي عرفتها السياحة المغربية التي أخذت تلتحق بالنموذج المتوسطي حيث تطغى الأسفار المنظمة من طرف الشركات الدولية واستعمال الطائرة كوسيلة نقل رئيسية. وينعكس هذا التطور على الحركة التي كان يعرفها مركز باب سبتة الذي سجل انخفاضا ملموسا لعدد السواح المارين عبره.

وهكذا فإن باب سبتة إذا كان ما زال يراقب ربع المسافرين الدوليين فإنه أخذ يختص في السنوات الأخيرة في استقبال العمال المغاربة العاملين بالخارج. فقد بلغت نسبتهم في مجموع القادمين عبر باب سبتة إلى 748 سنة 1988. كما أنه يستقبل عددا كبيراً من الإسبان العابرين للحدود والقادمين من مدينة سبتة أو من شبه جزيرة أيبريا

(الشكل رقم 2). ويعتبر باب سبتة كذلك نقطة مرور

شكل 2

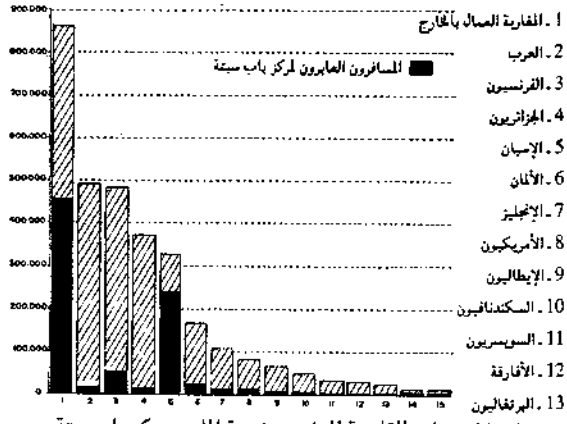

مختلف الجنسيات القادمة للمغرب ونسبة المارين بمركز باب سبتة

السواح المغاربة الذين يغادرون المغرب إلى الخارج. فقد سجل خروج 14٪ من مجموع 478.000 مسافر مغربي غادروا المغرب في نفس السنة. أما السواح الأجانب فباستثناء الفرنسيين الذين عبر جزء قليل منهم الحدود بباب سبتة (10.6٪ من مجموع 485.000 سائح فرنسي قدم إلى المغرب سنة 1988) فإنهم أصبحوا يترددون على المغرب عبر المطارات الدولية كالدارالبيضاء وأگادير ومراكش.

ينعكس وزن المغاربة بين مجموع المسافرين المارين بنقطة حدود باب سبتة على التطور الشهري لحركة المرور بهذا المركز، فبينما أصبح اليوم التوزيع الشهري لقدوم السواح الأجانب إلى المغرب أكثر انتظاما خلال السنة حيث عوض موسم الصيف بموسمين الأول صيفي والثاني ربيعي، فإن حركة التردد على مركز باب سبتة ما زالت تتميز بتركز صيفي حاد. ويظهر هذا الفرق وبوضوح على منحنى الشكل رقم 3. فالمغرب يستقبل ما يقرب من نصف السواح

شكل 3

التطور الشهري لعدد المسافرين القادمين إلى المغرب عبر مركز باب سبتة

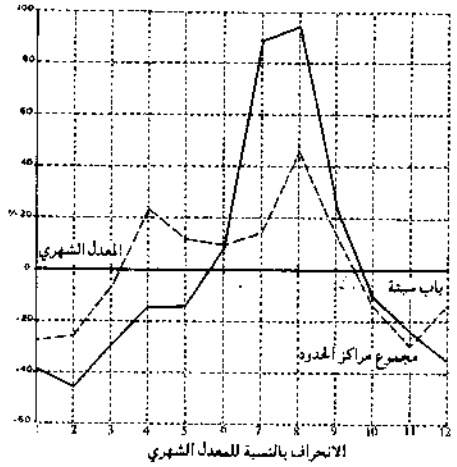

القادمين إليه خلال أشهر أبريل وماي (19.6٪) ويوليوز وغشت (21.6٪) مع تركز 59٪ من الوافدين خلال ستة أشهر

(مابين أبريل وشتنبر). أما مركز باب سبتة فيسجل 32٪ من السواح المارين به خلال شهري يوليوز وغشت مع تركز 51٪ منهم خلال أربعة أشهر فقط (مابين يونيو وشتنبر).

النشرات الإحصائية لوزارة السياحة.

محمد بريان

بابَ السوداني ← أحمد بابَ

بَابَ كُراي، عالم من آل أقيت، الأسرة السودانية العالمة الشهيرة، واسمه عمر بن الحاج أحمد بن عمر عم أحمد باب. كان فقيها نحويا يشتغل بمديح الرسول صلى الله عليه وسلم صباح مساء، ويسرد كتاب *الشفا* في رمضان بمسجد سنكُري (بتنبكت) كما كان وصولا لرحمه، يتفقد أقاربه ويعودهم، مستبشراً منطلق الوجه للخاصة والعامة. وهو ممن نُقل من تبكت إلى مراكش مع أحمد باب إثر الحملة السعدية على السودان الغربي في 25 جمادى الثانية عام 1002 / 18 مارس 1594. وبمراكش توفي في شهر ربيع الثاني عام 1006 / 11 نوفمبر ـ 9 دسمبر 1597.

كان باب كراي صديقاً لعبد الله بن عمران، والد عبد الرحمان السعدي صاحب *تاريخ السودان*. ومن أبنائه سعيد المعروف بسنكم المتوفي بمدينة جنى دفين ضواحيها في المكان المسمى الجنان في ذي القعدة عام 1025 / 10 نوفمبر ـ 9 دسمبر 1616.

ع. السعدي، *تاريخ السودان* ؛ م. البرتلي، *فتح الشكور*.

محمد مطيع

بابا، (رأس ـ) أطلقه الإسبان على رأس تيمرار الواقع بالشاطئ الموالي للبحر المتوسط شرقي وادي بادس، ويعرف كذلك برأس النفساء Punta de la Parida وبه كان المجاهدون يرابطون على جزيرة بادس منذ احتلالها من طرف الإسبان سنة 1508/914.

بَابا عصمان، أسرة جزائرية أتت إلى تطوان على إثر سقوط الجزائر العاصمة سنة 1830/1246. ويستفاد من الإحصاء الذي جرى بتطوان سنة 1841/1257 أن أحد أفراد هذه الأسرة كان يملك دارا بحومة الترنكات.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 355.

Rafael Pezzi, *Presidios menores de Africa*, Madrid, 1893, p. 45 ; A. Domenech, *Zona Norte*, p. 48 ; Cabello Alcaraz, *Geografia de Marruecos*, p. 63 ; Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (B) ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (B) ; *Vademecum de Intervenciones* (año 1931) 1932 (B).

محمد ابن عزوز حكيم

بابونج، أو بابنوج يطلق لفظ بابونج على أجناس وأنواع نباتية عديدة موجودة في المغرب، وأهمها هو نبات عشبي سنوي طبي من الفصيلة المركبة الأنبوبية الزهر Composees وهي قريبة من البهار النبيل Anthemis nobilis. تعرف في المغرب بالبابونج، وهي شائعة في أسواق الأعشاب بالمغرب. تسمى علميا Matricaria chamomilla. تنبت في الأراضي الرملية، في جوانب الطرق وفي الحقول والمراعي والغابات. يبلغ طول النبتة 50.10 سم وهي متلبدة، لها رائحة عطرية قوية. الجذور مغزلية تحمل عدة جذيرات. تتكون النبتة من عدة فروع لونها أخضر رمادي. الأوراق صغيرة متناوبة تحمل عدة شعيرات.

تظهر الأزهار في فصل الصيف ابتداء من يونيو. الرؤيسات منفردة، وسطها أصفر، التويجات بيضاء ومنحنية إلى الأسفل مما يعطي شكل مظلة. الثمرة صغيرة خضراء وطويلة.

استعمل البابونج في الطب التقليدي منذ القدم وذلك لميزاته المقوية والمنشطة. تقطف رؤيساته في شهر يونيو قبل نضجها النهائي ثم تُجفف لتحتفظ بألوانها. عند العلاج، توضع في سائل أو في الكحول (35 درجة) ثم تصفى وتشرب وتقدم أيضا للمريض على شكل دقيق ممزوج بالسكر المطحون.

يستعمل البابونج ضد عدة آلام نذكر منها الحمى التيفية، الحيض الغير المنتظم، الوهن، الهضم الصعب، قلة شهية الأكل، أعصاب الوجه، الشقيقة، داء المفاصل ومغص المعدة. كما يُستعمل أيضا لتعطير البيوت وذلك مع خلطه بعدة نباتات أخرى.

يحتل البابونج الصف الثاني بعد الزيزفون في الإنتاج المغربي للنباتات الطبية بالنسبة لطلبات الأسواق العالمية.

A. Akoka, *Le Medical du XXe siecle*; J. Bellakhdar, *Plantes médicinales, plantes toxiques, Gr. Enc. du Mar., Flore*, Rabat, 1987.

نجاة الخياط

البابوية والمغرب، كلمة «بابا» التي اشتق منها لفظ «بابوية» هي اللقب الذي يطلق غالبا على الرئيس الروحي للمسيحيين الكاثوليك، خليفة الرسول بطرس الذي أقامه السيد المسيح رئيساً روحيا لكنيسته. فهو إذن نائب المسيح في نظر الكاثوليك وحدهم دون بقية المسيحيين من انگليكان ولوتريين وأرثودكس وغيرهم، ويكون الكاثوليك الأكثرية الساحقة من المسيحيين المنتشرين في العالم. وتطلق على البابا ألقاب أخرى مثل نائب المسيح والحبر الأعظم والحبر الروماني والأب الأقدس الخ.

فالبابوية إذن هي المؤسسة الدينية المؤلفة من سلسلة الرؤساء الأعلين الذين تعاقبوا بدون انقطاع على رأس الكنيسة الكاثوليكية من القديس بطرس إلى يومنا هذا.

ولقد تمركزت البابوية منذ أقدم عصور المسيحية، باستثناء فترات قصيرة، في مدينة روما حيث دفن أول بابا، بطرس، ومنذ زمن قديم تولى البابا إلى جانب سلطته الروحية، سلطة دنيوية جعلته معتبرا رئيس دولة معترفا به في القانون الدولي. وكان تحت سلطته المدنية والسياسية، حتى أواسط القرن الماضي، إقليم صغير عاصمته روما. أما في الوقت الحاضر فقد أصبحت سلطته المدنية رمزية أكثر منها فعلية إذ لا تمتد إلا إلى المباني الإدارية للفاتيكان داخل مدينة روما. فمن الواضح إذن أن سلطته هي أساسا دينية ومع ذلك فإنه يتمتع بسلطة مدنية وسياسية مستقلة

عن كل سلطة سياسية أخرى. وبهذه الصفة تقيم لديه معظم حكومات العالم (سواء كانت بلدانها ذات أكثرية كاثوليكية أم لا) سفارات دائمة. كما أن للبابا من جهته ممثلين دائمين لدى معظم الدول ويحملون لقب «القاصد البابوي» ويمتد عمل البابا إلى كل مشاكل الانسانية جمعاء كالسلم وحقوق الإنسان والتعاون بين الأمم والحوار بين الأديان والعدالة العالمية وبؤس الشعوب الخ. وهي مشاكل تهم بني البشر في كل أصقاع الدنيا وأيّاً كانت عقيدتهم الدينية.

وفيما يعود إلى المغرب كدولة فقد أقامت البابوية على مر العصور اتصالات مباشرة مع ملوكه وإن لم تكن بشكل متصل ودائم. أما في الوقت الحاضر فله ممثل دائم برتبة «نائب قاصد» في عاصمة المملكة.

ولن يدور الحديث هنا حول علاقات البابوية بمغرب ما قبل الإسلام، وأول خبر لدينا حول العلاقات بين ملوك المغرب والبابوية ترجع إلى سنة 1233/630. ففي تلك السنة وجه البابا غريغوريو التاسع إلى السلطان الموحدي عبد الواحد الرشيد رسالة يقول فيها إنه سبق له أن كاتبه بواسطة الرهبان الفرنسيسكان المستقرين في المغرب وأنه يشكره على حسن معاملته للكاثوليك الموجودين في المغرب ومن بينهم جنود في خدمته وكذلك أسرى قبض عليهم أثناء الحروب التي كانت دائرة إذ ذاك في الأندلس. وما زال نص هذه الرسالة محفوظا باللغة اللاتينية.

وفي سنة 1246/644. وجه البابا اينوسانسيو الرابع رسالة إلى السلطان الموحدي أبي الحسن السعيد علي بن المامون رسالة يطلب فيها منه مضاعفة أمن الجنود النصارى الذين كانوا في خدمته. إذ أن سلامتهم كانت معرضة لأخطار كبيرة بسبب الحروب الأهلية التي كانت تدور في مختلف الأنحاء بعد أن ضعفت سلطة الدولة الموحدية. وكان حامل الرسالة الأسقف الجديد المعين للمغرب وهو الراهب الفرنسيسكاني الإسباني فرناندیز دي آين. لكنه لم يصل إلى المغرب إلا في سنة 1248/645 بعد وفاة السلطان السعيد علي. فسلم الرسالة إلى خلفه عمر المرتضى الذي أحسن استقبال رسول البابا لكنه لم يجب عن رسالته إلا بتاريخ 18 ربيع الأول عام 20/648 يونيو 1250. وقد جاء في رسالة السلطان المرتضى أنه يتمنى من البابا أن يستمر في مكاتبته بواسطة أشخاص من هذا الصنف، يتقون الله ولا يعملون إلا الخير. وفي السنة التالية أي 1251/649. كاتبه البابا من جديد ولكن هذه المرة كانت المراسلة من أجل معاتبة المرتضى لكونه لم يفعل أي شيء من أجل حماية الجنود النصارى، ولذلك حرم على غيرهم من النصارى الدخول في خدمته.. وما زالت هذه الرسائل محفوظة هي أيضا. وفي سنة 1289/688. صدرت عن البابا نقولا الرابع رسالة موجهة إلى المغرب وإلى تلمسان وتونس. لكنها لم تكن موجهة هذه المرة إلى الأمراء الحاكمين تلك الأقاليم بل إلى الجماعات المسيحية المستقرة فيها، ونص هذه الرسالة محفوظ أيضا. وكان المغرب إذ ذاك تحت حكم السلطان أبي يعقوب يوسف المريني. كما أن أمير تلمسان عثمان الأول الزياني تبادل السفارات مع البابا في سنة 1293/693. وقد شارك في هذه السفارات اسقف المغرب الراهب الفرنسيسكاني الإسباني رود ريغو دي كودال حسبما كتبه ابن خلدون.

واستمر باباوات روما على مر القرون في تعيين أساقفة لتدبير شؤون الجماعات المسيحية في المغرب. لكن قلما كان هؤلاء الأساقفة يقيمون في المغرب، بل كانوا يمارسون مهامهم الدينية وهم مقيمون في ناحية إشبيلية بإسبانيا. ولذلك انقطعت الاتصالات المباشرة بين البابا وسلاطين المغرب زمنا طويلا.

وتفيد الأخبار التي نتوفر عليها أنه في القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر الميلادي أي في آخر عهد الدولة السعدية قامت من جديد علاقات بين البابا وسلاطين المغرب وان لم تكن مباشرة وشخصية. ففي سنة 1637/1046 أقام البابا اوربانو الثامن تنظيما جديدا للسلطة الكنيسية على الجماعات المسيحية في المغرب، بواسطة إحدى هيئات الفاتيكان والقاصد البابوي في اسبانيا انتدب الراهب الفرنسيسكاني نقولا دي فيلاسكو للتفاوض مباشرة مع السلطان السعدي محمد الشيخ الأصغر بشأن الأسرى المسيحيين وقد اعطي للراهب المذكور تفويض من أجل شراء الأملاك وبناء الكنائس والمساكن للرهبان الفرنسيسكان الخ.

وكان في تلك المناسبة يمثل أيضا السلطات المدنية الإسبانية. وقد واصل عمل نقولادى فيلاسكو رهبان فرنسيسكان آخرون منهم ماتياس دي سان فرنسيسكو وفرنسيسكو دي لاكونسيسيون اللذان أوفدهما البابا اينوسانسيو العاشر.

وبعد أن تولت الدولة العلوية الحكم قامت علاقات وثيقة بين السلطان مولاي اسماعيل والرهبان الفرنسيسكان. وكان هؤلاء الرهبان يسهرون على الجانب الديني للأسرى المسيحيين في مكناس وفاس ومراكش وتطوان وسلا . لم تقم إذ ذاك علاقات مباشرة بين هذا السلطان العظيم وبابا روما بالرغم على أنه كانت تتابع باهتمام كبير من عاصمة العالم الكاثوليكي قضية الأسرى، وذلك عن طريق التقارير التي كان الرهبان الفرنسيسكان يوجهونها إليه.

وحصل نفس الشيء في عهد السلطان محمد الثالث. فقد شارك الرهبان الفرنسيسكان برتولومي خيرون وخوسي بولطاس مشاركة فعالة في المجهودات التي كان يبذلها هذا السلطان العلوي من أجل وضع حد لوجود أسرى مسيحيين في المغرب وأسرى مسلمين في البلدان الأوروبية، ولا شك أن البابا كان على علم بهذا التعاون المسيحي ـ الإسلامي في هذه القضية الإنسانية. ومع ذلك لا دليل على أنه أقام مع السلطان العلوي اتصالا مباشرا. وإنما يعرف أن السلطان محمد الثالث وجه في سنة 1782/1196 مندوبه محمد بن

عثمان إلى مدينة نابولي لكي يبحث عما إذا كان في الأقاليم الخاضعة لسلطة البابا أسرى مسلمون ليفتكهم أيضا، لكنه لم يجد فيها أي أسير.

ولا بد من الانتقال إلى القرن الرابع عشر هجري/ التاسع عشر ميلادي كي نجد أول سفارة رسمية بين سلطان المغرب وبابا روما. حدث ذلك سنة 1888/1305 إذ وجهها السلطان الحسن الأول بمناسبة الاحتفال الدولي لتكريم البابا لاوون الثالث عشر، ذلك الاحتفال الذي شاركت فيه معظم دول العالم بإيفاد سفارات فوق العادة. وقد نظمت سفارة الحسن الأول بالاتفاق مع رئيس الكنيسة الكاثوليكية في المغرب آنذاك الراهب الفرنسيسكاني الاب خوسي ليرتشوندى الذي كان يحظى بمقام كبير لدى السلطان العلوي. (انظر : ليرتشوندى) والذي رافق إلى روما السفير المغربي الحاج محمد بن العربي الطريس. وبهذه المناسبة طلب السفير المغربي من البابا باسم السلطان أن يتدخل لدى الحكومات الأوربية لكي تتخلى عما تمارسه من ضغوط طامعة على التراب المغربي. وقد نقل مصطفى بوشعراء في بحثه حول *السفارات المغربية في القرن التاسع عشر* المنشور في "مجلة *دار النيابة*، 3، 1984" ما ورد في تقرير السفير المغربي حول هذه المسألة.

أما خلال مدة الحماية الفرنسية ـ الإسبانية فلم يقع أي اتصال مباشر بين البابا والعرش العلوي. لكن هذا الاتصال استؤنف بعد استقلال المغرب. فعند وفاة البابا بيوس الثاني عشر سنة 1958/1378 وجه الفاتيكان إعلاما رسميا بتلك الوفاة إلى حكومة محمد الخامس، كما أرسل بعد ذلك اعلاما رسميا إلى الملك الراحل نفسه عند اعتلاء البابا يوحنا الثالث والعشرين سدة البابوية.

وبعد ترقي الملك الحسن الثاني عرش المغرب استمرت الاتصالات المباشرة بين الفاتيكان والمغرب. فلما توفي البابا يوحنا الثالث والعشرون سنة 1963/1382 وجه إعلام رسمي بذلك إلى ملك المغرب، وكذلك أيضا حين اعتلى السدة البابوية كل من بولس السادس ويوحنا بولس الأول ويوحنا بولس الثاني. وقد جرى تبادل الرسائل الشخصية بين الحسن الثاني وبولس السادس حول العديد من القضايا منها القضية الفلسطينية سنة 1967/1387. وقضية الأماكن المقدسة في القدس الشريف سنة 1969/1388. وكذلك سنة 1979/1399.

وتوطدت العلاقات بين المغرب والفاتيكان بسرعة إذ أن البابا بولس السادس قبل وفاته سنة 1978 بقليل عين ممثلا دائما له لدى جلالة الملك الحسن الثاني كما أن الملك عين من جهته ممثلا عنه لدى البابا السفير المغربي بباريس بحيث أصبح التمثيلان مجتمعين في شخص واحد. وكانت هذه هي المرة الأولى في التاريخ التي تقام فيها تمثيلية دبلوماسية بين السلطتين. وقد عين البابا المونسنيور نوربيرت كالمس مكلفا بمهمة لدى ملك المغرب في شهر ربيع الأول من عام 1398/ مارس 1978.

وبالنظر إلى الطابع الديني والإنساني الذي يتسم به البابا فإن الملك الحسن الثاني بصفته رئيس لجنة القدس الإسلامية والمدافع عن قضية الشعب الفلسطيني المسلوب، وجه خطابا إلى البابا يوحنا بولس الثاني عام 1979/1399 بعد أن ألقى البابا خطابه في الجمعية العمومية للأمم المتحدة حول قضية الشرق الأوسط. ومما جاء في الرسالة الملكية : «لا صوت في العالم مسموعا ومحترما ومستجابا مثل صوتكم من أجل الدفع إلى الأمام بمسيرة السلم وبالأمل الذي يساور محبي العدالة». وهذا ما حدا بجلالته في تلك الآونة، ومخطط العمل بشأن قضية القدس الشريف موضوع التحضير، بأن يصرح للبابا : «وإننا نتقبل شاكرين كل ما يظهر لقداستكم توجيهه إلينا من اقتراحات وآراء وتوجيهات» وختمت الرسالة بالكلمة التالية : «إن توحيد مجهودات المسيحية والإسلام لمن شأنه أن يساهم مرة أخرى في توطيد الهدوء والاستقرار والسلم في العالم وسيكون العالم بأسره شاكراً لقداستكم».

إن العلاقات بين المغرب والبابوية، كما يتبين من خلال العرض السابق، تجاوزت الطابع السياسي المحض لتتعمق في قيم أسمى وأعلى. فالحسن الثاني، الذي لا يعرف الكلل في مجهوداته من أجل إقرار السلم في الشرق الأوسط توجه شخصيا إلى روما لزيارة البابا يوحنا بولس الثاني. وقد تم هذا الحدث التاريخي يوم 16 جمادى الأولى 1400/ 2 أبريل 1980. وعند إنهاء الملك المغربي هذه الزيارة دعا البابا للمجيء إلى المغرب في زيارة رسمية ردا لزيارته له. وأجاب البابا بكل بساطة وصراحة بأنه لا يرى ما هي الفائدة التي يمكن أن تجنى من زيارته لبلد إسلامي في حين أنه هو رئيس الكنيسة الكاثوليكية. ورد عليه الحسن الثاني بكل صراحة بأن البابا، علاوة على مسؤولياته الدينية، تقع على عاتقه مسؤوليات تربوية وخلقية، ولذلك فهو متيقن من أن الشعب المغربي والشبيبة خاصة، سيكون شاكرا لو أتيح له الاستماع إلى حديث عن المسيرة الخلقية للأفراد والجماعات والشعوب والأديان.

وقد ذكر الملك الحسن الثاني البابا يوحنا بولس الثاني بهذا الحديث الذي راج بينهما في روما سنة 1980 أثناء زيارة البابا إلى المغرب سنة 1985/1405. وإلقائه هو والملك الحسن الثاني خطابا أمام جمهور غفير ناهز 100.000 شاب في ملعب الدارالبيضاء. وقد كان ذلك اليوم يوما مشهودا في تاريخ الديانتين العظيمتين المسيحية والإسلام اللتين تؤلفان الركيزة لبعض أهم الحضارات التي عرفتها البشرية.

وفي سنة 1986/1406 رفع الفاتيكان مستوى تمثيليته في المغرب بتعيينه المونسنيور برنار كاك نائب قاصد بابوي لدى الملك الحسن الثاني.

م. بوشعراء، *السفارات المغربية في القرن 19*، "مجلة دار النيابة" 3 : 1984، 47 ؛ *الاستيطان والحماية بالمغرب*، 1984، 1 : 383.390.

M. Castellanos, *Historia de Marruecos*, Tanger, 1898 ; J. Lopez, *El Padre Lerchundi : Biografia documentada*, Madrid, 1927 ; A. Lopez, *Obispos del Africa septentrional desde el siglo XIII*, Tanger 1941 ; H. Koehler, *L'Eglise Chrétienne au Maroc*

(1221-1790), Vanves (Seine), 1934 ; E. Tisserant, et G. Wiet, *Une lettre de l'almohade el Murtada au Pape Innocent IV*, *Hesp.*, 1926, pp 27-53 ; M. Azzuz Hakim, *Una embajada al Vaticano*, *C.E.A.*, Madrid 1949, pp. 73-84 ; *La embajada del Hach Muhammad Torres al Vaticano*, *C.B.E.T.*, 13-14 (1976) 156-216; J. Aguilera, *Varios documentos referentes a la embajada marroqui al papa Leon XIII*, *Tamuda* 1(1953), 265-271 ; A. Benmansur, *Maa Jalâlat al-Malik Hassan al-Iâni fi hadirat Vatican*, Rabat, 1980 ; R. Lourido Diaz, *La obra redentora del sultan Sidi Muhammad b.Abd Allah entre los cautivos musulmanes en Europa (S. XVIII)* ,*C.H.I.* (Granada) 11 (1984) 139-184 ; *El Padre Lerchundi y el reformismo en el Marruecos del siglo XIX* , *Dar Al-Niaba*, Tanger, 8 (1985) 1-13, *Marruecos y el mundo exterior en la segunda mitad del siglo XVIII*, Madrid, 1989 ; J. Caille, *Sur les rapports du Maroc avec le Saint- Siège*, *H. T.* X 1969, 71-94.

رامون لوريدو دياز/تر. موسى عبود

باجة (ابن ـ)، أبو بكر محمد بن الحسين التجيبي الأندلسي السرقسطي المعروف بابن الصائغ، انتقل إلى مدينة فاس واستقر بها إلى أن أدركته الوفاة.

لا تشير المصادر إلى تاريخ ميلاده كما اختلفت في تاريخ وفاته، ومعظم ما قيل عن أسرته ومراحل تكوينه العلمي والفلسفي مجرد تخمينات. فالمصادر القديمة تتحدث عنه بإيجاز عالماً مشهوراً، شاعراً حكيماً ملحناً، وأخيراً وزيراً في دولة المرابطين بفاس. ويتعذر أن نجد في النسخ المتأخرة لنصوصه ما يعوِّض هذا النقص.

وإذا كان في نسب ابن باجة ما يرجِّح أنه ابن صائغ، كما أن كلمة (باجة) تعني (الفضة) فذلك شأن العديد من الأعلام في الإسلام الذين نسبوا إلى حرف ومهن متواضعة بمقياس العصر، فخرقوا بعصاميتهم ونبوغهم هذا المقياس التراتبي المتواضع عليه. وابن باجة في رسائله يباهي بفطرته الفائقة التي أهلته لإدراك غاية النظر أي علم الحق بينما أخفق بقية أصحابه من طلاب العلم (إشارة هامة في *رسالة الوداع*).

من المرجح أن ابن باجة قضى زهرة شبابه في سرقسطة حيث نشأ وتلقى علومه تبعاً لتقاليد التعليم الأندلسي ليلتحق بعد ذلك ببلاط أمرائها إلى أن سقطت في يد النصارى سنة 1118/512. وسرقسطة في وصف ابن سعيد : مدينة بيضاء تحدق بها بساتين خضراء، وتلتف عليها أنهارها الأربعة. جمال طبيعي تحضر ألوانه ورقته في أشعار ابن باجة، منها قوله :

لا والذي جعل الغصون معاطفاً ... لهمُ وصاغ الأقحوان ثغورا
ما مرَّ بي ريحُ الصَّبا من بَعْدِهِمْ ... إلا شهقتُ له فعاد سعيرا
يا مَكْرَعَ الوادي أما فيك شربة ... لقد سال فيك الماءُ أزرق صافيا
ويا شجرات الجزع هل فيك وثقة ... وقد فاء فيك الظلّ أخضر ضافيا

جمال الموقع لا ينفي خطورته. فالمدينة رغم تحصيناتها ومعاقلها، يصعب الدفاع عنها. لذلك سلك أمراؤها التجيبيون ومن بعدهم بنو هود سياسة مهادنة لجيرانهم النصارى (الأقوياء). وانتهزوا كل فرصة ممكنة لإظهار حسن النية وعقد التحالفات ودفع الإتاوات لهؤلاء الجيران. فعرفت سرقسطة تبادلا تجاريا خصبا مع الشمال المسيحي كما تمتعت بتسامح ديني غير مألوف. وانغمس أمراؤها في حياة أرستقراطية تجمع بين متعة الحس والعقل وعرف بلاطهم مزيجا غريباً من العلماء والأدباء والفقهاء والفرسان والرهبان.

في هذا المناخ السرقسطي انتقل التعليم الفلسفي إلى مرحلة متقدمة تتفوق على بقية المدن الاندلسية. ففيها بدأ المتفلسفة منذ زمن صاعد الأندلسي 1080/462 يستوعبون الموسوعة الأرسطية الضخمة في المنطق والطبيعة وما بعد الطبيعة والتي انتقلت ترجماتها وشروحها من المشرق إلى الأندلس ترديجياً وعبر وسائل متعددة، وهي ذات الموسوعة التي شغلت ابن باجة ونبغ في فهمها وشرحها، ومنحه هذا الفهم وهذا الشرح لقب «الفيلسوف» أو «الحكيم» فلم يعد ابن باجة متميزا فقط في العربية والأدب حافظا للقرآن فاضلا في صناعة الطب متقنا لصناعة الموسيقى جيد اللعب بالعود، بل إنه فوق هذا كله، كما قال ابن أبي أُصيبعة، أصبح في «العلوم الحكمية علامة وقته وأوحد زمانه» فارتفع في تقريظ تلميذه ابن الإمام إلى مقام «أبي نصر الفرابي» بل إن أقاويله رجحت على أقاويل ابن سينا والغزالي «في حسن فهمه لأقاويل أرسطو».

نال ابن باجة حظوة في دولة المرابطين بعد أن استولت هذه الدولة على الأندلس في أعقاب موقعة الزلاقة سنة 1086/479. فقربه أمير المرابطين علي سرقسطة سنة 1110/503 أبو بكر بن تيفاويت فاختص به ولمع في مجالسه. وعند وفاة هذا الأمير رثاه ابن باجة في أشعار حزينة «غنى بها في الحال مبكيه» (بتعبير ابن سعيد في المغرب) منها :

أحقا أبا بكر تقضّى فما يُرى ... تَرُدُّ جُماهيرَ الوفود ستورُ
لئن أنست تلك القبورُ بقبره ... لقد أوحشت أمصاره وقصوره

بيد أن فيلسوفنا لم تمنحه شهرته ولا حظوته لدى الأمراء الاستقرار والهدوء، فظل يحلم بعزلة علمية متعذرة لإنجاز مشاريعه العلمية والفلسفية على أكمل وجه يرضاه ويطمح إليه. فكثرت مشاغله (العلمية) وابتُلي «بمحن كثيرة وشناعات من العوام، وقصدوا هلاكه مرات» (في قول ابن أبي أصيبعة). وتكالب عليه خصوم منافسون يملؤهم الحقد على مركزه ونبوغه، وأحفظهم عليه تعاليه واعتزازه بهذا التفوق، من بينهم أبو العلاء بن زهر واللغوي ابن السيد البطليوسي، والأديب السليط اللسان الفتح بن خاقان.

ومن أحداث هذه الحياة القلقة التي عاشها ابن باجة قبل انتقاله إلى فاس، الإعتقال القصير الذي تعرض له بعد سنة 1110/503 في حصن روطة أثناء سفارته إلى عماد الدولة بن هود (المعتصم بهذا الحصن). تلاه بعد ذلك اعتقال آخر في شاطبة بين سنة 513.512 هـ بأمر من الأمير المرابطي إبراهيم بن تاشفين، ولم يطلق سراحه إلا بعد وساطة ابن رشد الجد. ورغم الملابسات السياسية للاعتقالين فإن تهمة ابن باجة خاصة في سجن شاطبة تنحصر في الزندقة. وقد ترددت هذه التهمة في تشهير خصومه خاصة الفتح بن خاقان والطبيب ابن زهر. وهي تعبر عن موقف عدائي

تقليدي في الوسط المالكي السلفي السائد تجاه (علوم الفلسفة) في الأندلس والمغرب استغلّه هؤلاء الخصوم دون تبصر رغم مشاركتهم في ممارسة هذه العلوم. ولا يستبعد أن يكون لتأويلات ابن باجة العقدية التي تسربت للعامة في صورة انحراف ديني «ما يبرر هذه التهمة» وما تعرض به ابن باجة من محن وشناعات.

ولكن ما يجب تسجيله هو أن الدولة المرابطية لم تأبه طويلا لهذه الحملة، فاستعاد ابن باجة في قصور أمرائها مكانته وحظوته، ونال الحماية والمقام الرفيع حينما استوزره الأمير المرابطي يحيى بن يوسف بن تاشفين في فاس مدة تقدر بعشرين سنة. وثمة شكوك قوية حول صحة ما قيل عن تسميم ابن باجة من طرف منافسيه. لكن مما لاريب فيه أن مشاغله ومضايقة خصومه أرهقته وود لو انتقل إلى وهران، وهو أمر لم يتحقق في حدود علمنا (كما أشار إلى ذلك في خاتمة *رسالة الاتصال*).

إذا استثنينا بعض النسخ الجزئية المتنافرة في خزانات طشقند وتركيا والقاهرة... فان سائر ما يتوفر حاليا من إنتاج ابن باجة العلمي والفلسفي تضمه ثلاث مجموعات : مجموعة ابن الإمام التي تعرف لدى الدارسين بمخطوطة أكسفورد وتحوي أهم الشروح الطبيعية والرسائل الفلسفية؛ ومجموعة الاسكوريال التي تقتصر على التعاليق المنطقية لابن باجة على كتب الفارابي ؛ ومجموعة برلين التي تتميز بوجود مقالات علمية بالإضافة لنسخ مكررة.

هذه المجموعات الثلاث تنسجم ببليوغرافيتها مع معظم ما ورد في *فهرسة ابن أبي أصيبعة* من شروح ورسائل وأقوال وتعاليق تناهز تسعة وعشرين نصا، وتتناول مسائل في الطب والفلك والموسيقى والهندسة والمنطق والفلسفة الطبيعية. وقد انكب الدارسون المحدثون على هذا الإنتاج ونشروا أقساما هامة منه. ونخص بالذكر من بينهم : آسين بلاثيوس A. Palacios ودانلوب Dunlop وماجد فخري ومعن زيادة وبّنيس Pinès ومودي Moody ومحمد صغير حسن المعصومي.

بالإضافة إلى المساهمة العلمية المحضة خاصة في هندسة المخروطات وقوانين الحركة الفيزيقية (الديناميكا)، قدم ابن باجة نصوصا فلسفية خالصة تعد بداية لتأمل أصيل وعميق كان مفقودا في منطقة الغرب الإسلامي خاصة رسائله الأساسية (*تدبير المتوحّد*، *ورسالة الوداع*، *ورسالة الاتصال*) التي وضع فيها ابن باجة تأويلا لنظرية العقل المشائية كطريق صاعد لبلوغ الخلود والسعادة الإنسانية الحقة. طريق وضع له مراتب أقصاها مرتبة السعداء وهو طريق نظري نخبوي (بغاير الطريق الصوفي وإن كان لا يتناقض معه بالضرورة) فابن باجة يخاطب أفرادا قلائل تتوفر لهم أحوال النظر وفضائله، يسميهم تارة (بالنوابت) أو (الغرباء) أو (المتوحدين). فهم يعيشون بفكرهم حياة لا وجود لها في الواقع الاجتماعي الذي يعاشرونه بأجسامهم. فالمتوحد عليه أن يعتزل نقيضه من الجسمانيين أو ممن تشوبهم الجسمانية، وأن يصاحب أهل العلوم فقط ويهاجر إلى أماكن وجودهم ولا يشرك غيرهم إلا في الأمور الضرورية وبالقدر الضروري. وعبر هؤلاء المتوحدين الذين أنجزوا رحلة الاتصال في أقصى مراتبها العقلية ينبثق أمل حقيقي في قيام مدينة (فاضلة) كاملة.

أتيح لمذهب ابن باجة في الاتصال (الذي لا يتمتع في دقائقه بوضوح ويسمح بتفسيرات متعارضة) ذيوع فريد في الوسط الصوفي والفلسفي (ابن طفيل وموسى بن ميمون...) لكن حضوره تم في سياق المشائية الرشدية، حيث أثير انطلاقا منه ومن التباساته جدال نظري عميق وهام حول طبيعة العقل ووحدته وصلته بالإنسان بين الرشديين والتوماويين، جدالٌ يعد بالاضافة إلى الخلاف الإسمي ـ الواقعي في الفلسفة السكولائية مرحلة ما قبل العقلانية الحديثة في أوربا. تنفصل عنها وتتواصل معها في آن واحد.

ابن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء* ؛ ابن باجة، *شروحات السماع الطبيعي*، ت : ماجد فخري ؛ *رسائل ابن باجة الإلاهية*؛ *كتاب النفس*، ت : محمد صغير حسن المعصومي ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، 4، ت : إحسان عباس ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة*، ت : علي عبد الواحد وافي ؛ ابن سعيد، *المغرب في حلى المغرب*، ت : شوقي ضيف، القاهرة 1955، 2 : 434 ؛ ابن طفيل، *حي بن يقظان*، ت : ألبير نادر ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، 4 ؛ معن زيادة، *الحركة من الطبيعة إلى ما بعد الطبيعة*.

Asin Palacios, *Trada a sobre la union del intelecto con el hombre*, *Al Andalus*, 7, 1942 ; *El Regimen del Solitario* , Madrid 1946 ; *La Carta de adios de Avempace*, *Al Andalus* (VIII- 1943) ; Dunlop, *Remarks on the Life and Works of Ibn Bajjah, second Congress of orientalist*, Leiden, Brill, 1957 ; *Philosophical Predessors and contemporaries of Ibn Bajjah* , *I. C.*, July 1955 ; Ernest. A Moody, *Galibo and Avempace*, Vol. XII, 3 June 1951 (New York), Edit, John Herman Randall ; S. Pines, *La dynamique d'Ibn Bajja*, *Melange Alexandre Koyré*. Paris, Herman, 1964.

محمد إبراهيم ألوزاد

بّـاجَدّي،أسرة تطوانية أصلها من الريف، ومن المعلوم أن الجد من جهة الأب يعرف في الشمال بـ «بّاجدّي» في حين يعرف الجد من جهة الأم بـ «باسيدي».

بّاجّو،أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث لا زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Bayo، وكلمة Bayo تعني اللون الأبيض المائل إلى الصفرة. وكان من بين أفرادها :

باجّو، محمد بن عبدالعزيز، فقيه ناسك كان حيا سنة 1747/1160. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1752/1165.

الباجي،أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، ولعلها من مدينة باجة بمقاطعة إكسطريمادورا Extremadura الإسبانية، وقد انقرضت هذه الأسرة الآن بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 20 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion , *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

باحدّو ـ أسرة ـ ← **بوحدّو**

بّاحْنيني، أسرة فاسية، أصلها من تافيلالت من قصر يسمى البطاطحة أحد قصور وادي الرتب على بعد ستة كلمترات جنوب مركز أوْفوس على الطريق المؤدية إلى عاصمة تافيلالت (إقليم الرشيدية).

هاجر جدهم في أواخر القرن الماضي من البطاطحة إلى مدينة فاس فاستوطنها وكان له عدة أولاد، أكبرهم محمد والد الأخوين العالمين أحمد ومَحمد بّاحنيني. اشتغل محمد مدة في المحكمة الشرعية بفاس الجديد عدلا منتصباً لتلقي الشهادات مع القاضي محمد بن العربي العلوي، وكانَ يوقع الرسوم باسم محمد البطّاحي أو البطاطحي، غير أن أولاده اشتهروا بكنية بّاحنيني. وهي صيغة متحضرة لعبارة "بّاحنّون" التي يدعى بها الجد في لسان بطاطحة تافيلات.

محمد العلوي الأوفوسي

بّاحْنيني، أحمد، ولد بفاس عام 1909/1330. وبعد سنوات التحصيل الابتدائي والثانوي اختار مجال القانون لتكوينه العالي، فحصّل على الإجازة في الحقوق ثم على دبلوم الدراسات العليا في القانون الخاص وفي الاقتصاد السياسي. وكانت له ـ إلى ذلك ـ اهتمامات أدبية وفنية، وولع خاص بطرب الملحون، وأثر عنه تعاطيه لقرض الشعر في أغراض وطنية وغزلية. مارس الترجمة بمدينة فاس لمدة ست سنوات، التحق إثرها بسلك المحاماة سنة 1942. من سنة 1956 إلى سنة 1960 عين مديرا لديوان نائب الوزير الأول ثم مديراً للشؤون الإدارية بوزارة الداخلية.

من سنة 1960 إلى 1963، قام بمهام رئيس أول للمجلس الأعلى للقضاء ثم عين كاتبا عاما لوزارة الداخلية فوزيرا للعدل.

حين أسس السيد أحمد رضا گديرة، حزب "جبهة الدّفاع عن المؤسسات الدستورية"، في 20 مارس 1963 التحق السيد أحمد باحنيني بقيادة هذا الحزب. وفي 13 نوفمبر عين وزيرا أول إلى غاية 8 يونيو 1965، حيث أسندت إليه مهام رئيس للمجلس الأعلى وهو المنصب الذي استمر فيه إلى أن توفي بالصخيرات عام 10/1382 يوليوز 1971.

وثائق وزارة الاعلام ووكالة المغرب العربي للأنباء.

مصطفى القباج

بّاحْنيني، مَحمد (الحاج ـ). من أبرز أعلام الأدب المغربي في العصر الحديث، ومن أظهر رجالات الدولة المغربية قبل الاستقلال وبعده، وهو من جيل قُدر عليه أن يولد غداة فرض الحماية على المغرب كما كُتبَ له أن يتعلم في مؤسساتها، ويكتسب منها أدوات أصبحت عنده وعند نُظرائه أساساً في تقصير مدتها وسبباً في زوال عهدها.

ولد الحاج محمد باحنيني بمدينة فاس عام 1914 في الحي المعروف بفاس الجديد حيث توجد المدينة الملكية التي يرجع تأسيسها إلى عصر بني مرين، وفيها الآن القصر الملكي العامر بفاس.

وقد نشأ في بيت أصيل كان من البيوتات القادمة من تافيلالت للاستقرار بحاضره بمدينة العرفان والعلم وعاصمة السلطان والحكم، وذلك في عهد العاهل العلوي مولاي عبد الرحمن. وقد كان والد الحاج محمد من فقهاء فاس المحترمين وعدولها المبرزين وخيرة أهلها المحبوبين، وإليه يرجع الفضل في تربية الحاج محمد وأخيه الحاج أحمد وهي تربية تدل على وعي بطبيعة العصر وتنبه إلى مقتضياته وبعد نظر في آفاقه.

وقد كان الآباء في المغرب بعد إنشاء ما عرف بالمدارس الفرنسية على قسمين : قسم تورع عن إدخال أولاده إليها وقسم تشجع أو شُجع على إلحاقهم بها، وكان من هذا القسم عدد من الأعيان وغيرهم في المدن المغربية وفي مقدمتها مدينة فاس.

وهكذا كان الحاج محمد من الذين أقبلوا ـ بعد مرحلة الكُتّاب القرآني ـ على تعلم اللغة الفرنسية ومبادئ موادها، وحصل بتفوق على الشهادة الابتدائية عام 1925. وهذه الشهادة التي لها شأن أي شأن عند نشأتها كانت تحضر حينئذ في ثانوية مولاي إدريس وكانت منتهى التعليم بالنسبة إلى جل المتعلمين المغاربة يومئذ، ولم يكن يتجاوزها إلى ما فوقها إلا القليل من النابهين النابغين، وكان من هؤلاء الحاج مَحمد وثلة من زملائه الذين واصلوا الدراسة في المرحلة الثانوية بالمؤسسة الإدريسية المذكورة. غير أنه لم يصل منهم إلى الصفوف العليا إلا اثنان، أولهما الحاج مَحمد وثانيهما زميله السيد أحمد الزغاري الذي يقول ـ مد الله في عمره ـ :"أدركتنا السنة الأولى من الثلاثينات فأصبح يتوارد علينا نحن الاثنين ستة أو سبعة من الأساتذة الأفذاذ مثل فرانسوا بونجان وسالفرانك وروجي لوتورنو وخصوصا العالم الكبير المشارك الفقيه محمد بن عبد المجيد أقصبي، رحمة الله عليه، وهو الذي قرأنا عليه إلى جانب *جواهر الإكليل* في الفقه *وقطر الندى* في النحو وكتاب *الأمالي* لأبي علي القالي وبعض أبواب كتاب *الكامل* للمبرد. وهذه الكتب التي تدارسها الحاج مَحمد في

مرحلة التعليم الثانوي تعد اليوم ـ بسبب ضعف الهمم ـ تدرس حتى في الدراسات العليا. ومن جملة مقروءات الحاج مَحمد في هذه المرحلة كتاب *رسائل البلغاء وأمراء البيان* وهما من تأليف محمد كرد علي. كما قرأ خلال

هذه المرحلة أيضا وفي بداية الثلاثينات بالضبط دواوين شوقي وحافظ وكتابات عباس محمود العقاد وطه حسين ومحمد حسين هيكل وميخاييل نعيمة. وخلال هذه المرحة أخذ الحاج مَحمد يطل على الأدب الأندلسي الذي سيولع به فيما بعد أيّما ولع، وقد تُوجت جهود الحاج مَحمد الطالب في هذه المرحة بحصوله على الباكلوريا الفرنسية (شعبة الفلسفة) وكانت تحضر وقتئذ في ليسي گورو فقط. والتحق بعد حصوله على هذه الشهادة بمعهد الدروس العليا بالرباط وواظب على الدراسة إلى أن حصل على الإجازة في الحقوق والإجازة في الأدب وشهادة الدروس الإدارية والقانونية المغربية، وهذه الشهادات قل من حصل عليها يومئذ.

وكان الحاج مَحمد خلال دراساته العليا بالرباط يتردد على فاس ويستدعى للإسهام في المسامرات التي تنظمها جمعية قدماء ثانوية مولاي إدريس، وقد حاضر في موضوعات متنوعة، منها محاضرة عن فن الملحون، وثانية حول كتاب *طوق الحمامة* لابن حزم، وثالثة حول *رسالة الصداقة والصديق* لأبي حيان التوحيدي، ورابعة حول كتاب الإمتاع والمؤانسة له أيضا. ويقول الأستاذ محمد الفاسي في حديث له عن الحاج مَحمد ما يلي :"وفي وقت دراسته بالرباط بمعهد الحقوق وبعد تخرجه ربط الحاج مَحمد باحنيني علائق ودية مع جماعة من أدباء ذلك الوقت، من جملتهم المرحوم محمد بن العباس القباج والأديب الأستاذ عبد الرحمن الفاسي والمرحوم الأستاذ عبد الكريم بن جلول وغيرهم، وكانوا يكونون شبه ناد أدبي يجتمع في العشايا بمقهى فندق باليما بالرباط ويتذاكرون في الشؤون العامة وخاصة في الأدب وإنتاجاته".

ويبدو مما ذكرناه أن الحاج مَحمد آثر العربية على الفرنسية برغم تكوينه المتين في هذه الأخيرة، وهذه من سمات أصالته المستنيرة. وفي هذه الأصالة المتفتحة يقول الأستاذ عبد الهادي بوطالب :"ونجح فقيدنا العزيز فيما فشل فيه الكثيرون من أقرانه ورفقائه في التوفيق في تفكيره وسلوكه بين الحفاظ على تراث الأصالة والتكيف مع مقتضيات المعاصرة".

وكما آثر الحاج مَحمد اللغة العربية على اللغة الفرنسية فقد آثر الأدب على الحقوق. كان الأدب يملأ حياته بينما كان تخصصه الحقوقي والإداري لا يخرج عن دائرة دواوين العمل الرسمي.

لقد عمل الحاج مَحمد في الإدارة «طيلة ما يقرب من نصف قرن حتى مات وهو قيدوم الموظفين على الإطلاق»، وقد شغل خلال هذه المدة وظائف سياسية متعددة قبل الاستقلال وبعده، فمن أوائلها تعيينه قاضي بالمحكمة العليا الشريفة، ومن أهمها أستاذيته في المدرسة المولوية، وقد اختاره لهذا المنصب جلالة المغفور له محمد الخامس، طيب الله ثراه، يقول الأستاذ محمد الفاسي :"وفي سنة 1941 عندما أسس هذا الملك العظيم مدرسة لتعليم أبنائه مع ثلة من أبناء شعبه سماها المدرسة المولوية، أسند لنخبة من الأساتذة مهمة تربيتهم وتثقيفهم من جملتهم الحاج مَحمد باحنيني، وكانت له تلك فرصة ثمينة للتعرف على أدبه وكمال فضله وبراعة تعليمه. وقد تخرج من هذا المعهد نخبة من الرجال على رأسهم صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله".

"ويكفيه فخراً وفضلا ـ يقول الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور ـ أنه ساهم في تربية جلالته وتحبيب الآداب العربية إليه وتحفيظه رائق نثرها وفائق شعرها ولا سيما شعر شعراء الأندلس كابن عمار وابن زيدون الذي لا يزال جلالته يستظهره وينشده بين الحين والحين فينطلق لسانه منوها بمن حفّظه إياه ومشيدا".

وفي سنة 1950 عينه جلالة المغفور له محمد الخامس مديراً للديوان الملكي وذلك في ظرف أخذت فيه بوادر الأزمة تلوح للعيان. ولما تفاقمت تلك الأزمة أوائل سنة 1951 طلبت الإقامة العامة من جلالة الملك أن يعزل الحاج مَحمد باحنيني باعتباره أحد خدامه المخلصين الأوفياء لجلالته المتفانين في خدمة العرش العلوي المجيد، ولما أقدم المستعمر على نفي قائد الأمة ورائد الاستقلال قُبض على عدد من الوطنيين وكان من جملة المقبوض عليهم الحاج محمد باحنيني. وظل محتجزاً في بلدة ميسور بناحية ملوية إلى سنة 1954 وهي السنة التي أطلق فيها سراح المسجونين والمنفيين الوطنيين، وذلك عندما بدأت بشائر عودة محمد الخامس تلوح في الأفق.

ولما رجع الملك المجاهد وتحقق الانتصار وأعلن الاستقلال عُين الحاج مَحمد أميناً عاماً للحكومة وظل يشغل هذا المنصب عدة سنوات إلى جانب مهام سياسية أخرى، ثم تقلد أمور وزارات مختلفة، فكان وزيرا للعدل من سنة 1958 إلى سنة 1965، ووزيراً للشؤون الإدارية مع الأمانة العامة للحكومة من سنة 1965 إلى سنة 1970، ووزيراً للدفاع مع الأمانة العامة للحكومة من سنة 1970 إلى سنة 1971، ووزيرا للعدل (للمرة الثانية) مع الأمانة العامة للحكومة من سنة 1971 إلى سنة 1972، ونائبا للوزير الأول ووزيرا للعدل (للمرة الثالثة) مع الأمانة العامة للحكومة في سنة 1972، ووزير دولة من سنة 1972 إلى سنة 1974، ووزير دولة مكلفاً بالشؤون الثقافية 1974 ثم وزيراً للدولة مكلفاً بالشؤون الثقافية والإشراف على تربية الأمراء والأميرات من سنة 1980 إلى وفاته. وقد كان رحمه الله إلى جانب تقلده مسؤوليات هذه الوزارات الجسام المستشار المقرب والمؤتمن المصدق على ميزانية القصر، وكان بإجماع الشهادات التي كتبت فيه مثال رجل الدولة المخدوم الدؤوب على مصالحها الكتوم لأسرارها، كما كان نموذجاً فريداً في التقيد بالمبادئ والقيم ومثلا شروداً لعفة اليد واللسان.

آثاره الأدبية : تتمثل آثار الحاج مَحمد الأدبية في أحاديث وبحوث ومحاضرات ومقالات نشرت في الصحف

والمجلات منذ أوائل الثلاثينات، ويمكن تصنيفها حسب موضوعاتها إلى المحاور التالية :

- مقالات تتعلق ببعض أعلام الأدب العربي كالجاحظ وأبي حيان التوحيدي وابن حزم وابن بسام والشنتريني، وكان أول من كتب عن *الذخيرة* إثر ما صدر منها سنة 1939، وفي هذا المحور تدخل مقالاته المنشورة في *الثقافة المغربية* حول كتاب *المختار من شعر بشار* للتجيبي القيرواني.

- مقالات في نظام القضاء بالأندلس، وهي تدور حول كتابين تراثيين وأساسيين في الموضوع وهما :*قضاة قرطبة* للخشني، وقضاة الأندلس أو *المرقبة العليا* للنباهي.

- مقالات حول الشعر الملحون، وقد نشرت مجزأة في بعض الصحف، وأصلها محاضرة ألقاها في مدرج كوليج مولاي إدريس بفاس، ويعتبر الحاج مَحمد أول من حاضر في هذا الموضوع، ويقول الأستاذ محمد الفاسي في ذكريات عن الحاج محمد حول هذه النقطة مايلي :"وكان يتذوق شعر الملحون ويعتبره الشعر الحقيقي الذي يعبر عن مشاعر المغاربة وعن مجتمعهم بكل مظاهره" وهذه شهادة تاتي من صديق وزميل للحاج مَحمد وقف حياته على خدمة الملحون وألف فيه *معلمة* مشهورة.

- مقالات حول بعض الكتاب المحدثين من عرب وأجانب ومنهم عباس محمود العقاد الذي كان الحاج مَحمد شديد الإعجاب به وبأدبه، وطه حسين، وريلكيه R. M. Rilke، وفي هذا المحور تدخل مقالاته حول *حديث عيسى بن هشام* للمويلحي.

- مقالات من وحي المناسبات الوطنية كعيد العرش الذي كان موسماً أدبياً تتبارى فيه أقلام الكتاب والشعراء وتحبر المقالات والبحوث في عظمة العرش المغربي والجالس عليه.

تلكم هي محاور مقالاته التي تمثل تراثه المعروف في مرحلة ما قبل الاستقلال وهي منشورة في *ملحق جريدة المغرب* ومجلة *رسالة المغرب* ومجلة *الثقافة المغربية* ومجلة *المغرب* وغيرها.

ويبدو أن إنتاج الحاج مَحمد بعد الاستقلال قد قل، وإذا شئنا التدقيق في العبارة فإننا نقول إن المنشور من هذا الإنتاج بعد مرحلة الاستقلال يبدو قليلا، وذلك لأننا لا نعرف على وجه اليقين إذا كانت له مخلفات أدبية ترجع إلى هذه الحقبة التي كانت مزدحمة بالأعباء السياسية والأعمال الإدارية، وقد أخبرنا أنه كان في الأيام الأخيرة بصدد إقامة بحث يلقي أضواء كاشفة على جوانب غامضة من حياة ابن زيدون الشاعر الأندلسي الكبير، وقد كان الحاج محمد من المعجبين به، ودعا لما كان وزيراً للثقافة أهل الأدب من المغرب والمشرق إلى الاحتفال بذكراه.

ومهما يكن الأمر فقد أشار إلى هذه النقطة الأستاذ عبد الهادي بوطالب وعللها خير تعليل فقال :"كانت ميزته الأصلية هيامه - الذي لازمه طول عمره - بتانيق الكلمة وترصيعها مكلفاً نفسه في ذلك جهداً أدبياً لم يكن يخبر له معه أوار، أو يشق له فيه غبار، لم يكن من كتبة الكلام ولكن من كتاب الكلمة المبرزين، وبعد أقرب ما يكون إلى مهرة النحاتين والنقاشين، لم يكن صاحب قلم ولكن ذا ريشة صناع... لذا كان مقلا متربصا بنتاجه الأدبي موصول المراجعة والتهذيب والتشذيب، تواقا إلى توفير الأناقة والكمال لما يطرزه ويبدعه، لا يهمه امتداد الزمان ولا طول الانتظار".

وإذا كان تراث الحاج محمد الأدبي المنشور في مرحلة ما قبل الاستقلال يقدمه إلى الناس باحثا منهجيا وناقداً ألمعيا فإن تراثه الأدبي المنشور في مرحلة ما بعد الاستقلال يقدمه كاتبا مبدعا ومنشئا متميزاً. وإن في كلماته وخطاباته التي حبرها في مناسبات مختلفة لدليلا واضحا وبرهانا ساطعا على ذلك، وإن تميّز إنشائه أصبح معروفا لدى الخاص والعام ويكمن تميزه في الشكل وفي المضمون. أما الشكل فقد استصفاه الحاج مَحمد من تمثله لأساليب الجاحظ والتوحيدي والمترسلين في *ذخيرة* ابن بسام، وأساليبهم تتسم بالاحتفال في انتقاء الكلمة والاعتناء بالمزاوجة بين الفقر من غير التزام لسجع أو تكلف في استعماله، وأما المضمون فيتميز بكونه لا يخلو - وكيفما كان الموضوع - من استشهاد بما يناسب من أبيات القصيد، واستعمال لما يلائم من الاقتباس والتلميح، والاستشهاد والاقتباس هما خصائص نثر الحاج مَحمد. وقد كان رحمه الله يجتهد دائماً في أن يسمو بنثره إلى مستوى الناثرين الذين أسلفت ذكرهم وكان يبلغ في ذلك إلى ما يريد. وإن في كتيب *شذرات من أدب الحاج محمد با حنيني* الذي نشرته وزارة الثقافة نماذج طيبة من نثره الفني تكشف عن أسلوبه الأنيق الجميل وفيه يقول الأستاذ الأديب أحمد ابن سودة :"إنك أمام أسلوبه المرصع كالناظر لعقد من اللآلئ الجميلة، كل لؤلؤة في مكانها تعلن عن جمالها وتكشف عن لمعانها".

توفي الحاج مَحمد يوم الاثنين 16 صفر 1410 موافق 8 شتنبر 1989 وأقبر بضريح مولاي المكي بمدينة الرباط العتيقة، وقد أتبعه الناس ذكراً حسنا وتكلموا فيه بكل خير وأبنه الوزير الأول في اجتماع لمجلس الحكومة بتعليمات من صاحب الجلالة، كما أبنه زملاؤه في أكاديمية المملكة المغربية، ونظمت وزارة الثقافة حفل تأبين للمرحوم شارك فيه بكلمات ممتازة صفوة من الأعلام، كما نظمت جمعية فاس - سايس ندوة حول "المرحوم الحام محمد باحنيني، رجل الدولة والإبداع"، ألقيت فيها عروض قيمة لعدد من الأعلام.

لقد تمنى البعض أن يكون الحاج مَحمد باحنيني موضوع أطروحة يقوم بإعدادها أحد طلبة جامعاتنا فيستقصي أخباره ويجمع آثاره، ونحن نؤمن على هذا التمني.

ملحق جريدة المغرب ؛ مجلة *رسالة المغرب* ؛ مجلة *الثقافة المغربية* ؛ مجلة *المغرب* ؛ مجلة *المناهل* ؛ جريدة *العلم* 21 أكتوبر 1990 ؛ مجلة *دعوة الحق*، ع. 280 ؛ *شهادات، منشورات وزارة الثقافة* ؛ *شذرات*.

محمد بنشريفة

بَاخَنُّو، بالعربية الدارجة، أو ساسْنُو بالأمازيغية، وقطلب بالفصحى : نوع نباتي يسمى علميا أَرْبُوتُوسْ أونيدُو Arbutus unedo، وينتمي إلى فصيلة الخلنجيات Ericaceae.

إنها شجيرة لا يتعدى علوها أربعة أمتار، جذعها أحمر القشرة. أوراقها دائمة بيضوية أو رمحية الشكل. أزهارها بيضاء مجتمعة على شكل عناقيد. ثمارها كروية الشكل وحمراء اللون تؤكل من طرف الإنسان.

ينتشر هذا النوع في المنطقة المتوسطية، أما في المغرب فإنه يصادف في جل المناطق الشمالية من جبال الأطلس الكبير والمتوسط والريف، وفي الهضبة الوسطى والمغرب الشرقي. وفي كل هذه المناطق فإنه لا يعيش إلا في البيومناخات الرطبة وشبه الرطبة وشبه الجافة وفوق أراض خصبة.

بالإضافة إلى ثماره المستهلكة من طرف الإنسان، يعطي باخنُّو فحما من النوع الرفيع.

أبحاث شخصية.

A. Metro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora, La nature au Maroc*, Rabat, 1959.

عبد المالك ينعبيد

بَاخِيرَاخْت ڤاسِيلِي رُومَانُوڤِتْش Bakherakht Vassili Romanovitch (1851.1916) موظف سام في وزارة الخارجية الروسية، تقلب في عدة مناصب دبلوماسية في كل من سويسرا وإيطاليا والبرتغال والمانيا وبلجيكا قبل أن يعينه الإمبراطور «نيكولايْ» الثاني وزيراً مقيما وقنصلا عاما لروسيا بالمغرب في 4 دجنبر1897 بعد ربط العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، فكان بذلك أول ممثل دبلوماسي رسمي لبلاده في المغرب، استقبله السلطان مولاي عبد العزيز بحفاوة كبيرة يوم 11 أبريل سنة 1899 في القصر الملكي بمراكش. ولقد ظل اسم باخيراخت مقرونا لمدة تفوق سبع سنوات (من 1898 إلى 1906) بمجموع العلاقات المغربية الروسية.

مُوسَاتُوڤا تَاتْيَانَا، روسيا. *المغرب: ماض بعيد وقريب في نفس الوقت*، دار «تاوُوكا»، موسكو، 1990 بالروسية.

عبدالرحيم العطاوي

بادّو، أسرة.

بادّو، أحمد بن الحاج الطاهر محتسب (ت 1278 / 1861).

بادّو، إدريس بن أحمد بن الحاج الطاهر.

بادّو، الحاج الشافعي بن عبد الله المكناسي.

بادّو، الحاج الطاهر بن العربي محتسب.

بادّو، الحاج محمد بن الحاج الطاهر محتسب.

بادّو، السعيدي بن عبد الوهاب بن محمد المكي (ت 1364 / 1944).

بادّو، عبد الله المكناسي (الجد).

بادّو، عبد الوهاب بن محمد المكي.

بادّو، العربي بن الحاج الطاهر، عالم.

بادّو، العربي بن عبد الله.

بادّو، محمد بن عبد الوهاب بن محمد المكي، إمام الجامع الكبير (ت 1377 / 1958).

بادّو، محمد الكبير بن محمد المكي، ناظر أحباس (ت 1340 / 1921).

بادّو، محمد بن محمد بن الحاج علي الفاسي (1147 / 1734).

بادّو، محمد بن محمد الكبير بن محمد المكي، ناظر أحباس (ت 1352 / 1933).

بادّو، محمد المكي بن الحاج الشافعي، عالم (ت 1273 / 1856).

بادّو، محمد الهادي بن الحاج الشافعي، عالم (ت 1278 / 1862).

بادّو، المختار بن أحمد (ت بعد 1298 / 1881).

بادّو، - بتشديد الدال - أسرة نابهة يصعد تاريخها - بمكناس - إلى بداية القرن الثامن عشر، فتاتي الإشارة لها في *الديوان الإسماعيلي* لأسر العاصمة العلوية غير الأشراف، حيث يحمل تاريخ 1121 / 1709، وهو يرفع نسبهم إلى قبيلة صنهاجة، ومن المتوقع أن يكون القصد إلى صنهاجة منطقة مكناس، استناداً إلى نظرية ابن خلدون في *المقدمة*، وفيها يقرر أن أولية أكثر أهل الأمصار، ترجع إلي القبيل الذي بناحية ذلك المصر، وبهذا يتحدد انتساب بيت بادو، إلى الطبقة الثالثة من صنهاجة، حسب تقسيم نفس المؤلف في *العبر* لهذه القبيلة.

على أن ابن زيدان ينقل عن بعض الوثائق الحبسية القديمة : أن نسب هذه الأسرة يتصل بالشيخ محمد بن مبارك التستاوتي دفينها. غير أن هذا المصدر لم يبين طبيعة هذا الاتصال، وهل كان أسرويا أو انتسابا لطريقة الشيخ المنوه به ؟.

ومن الجدير بالذكر، أن فريقاً من هذا القبيل كان انتقل للسكنى بفاس، وبهذه المناسبة أورد ذكره عبد الكبير بن هاشم الكتاني ضمن مدونته عن *بيوتات فاس*، فيقول عند مواد حرف الباء :"ذكر أولاد بادو... اعلم أن هولاء من قدماء فاس، وأصلهم من العرائش ومكناسة الزيتون، وهم أهل نجدة، كان منهم بفاس الطالب الأجل السيد محمد بن الأرضى الأنجد سيدي محمد، بن الحاج علي بادو، بتاريخ عام 1147 هـ، واليوم انقرضوا من فاس".

وأول اسم مذكور من الذين بمكناس هو الحاج عبد الله بادو، والد الشقيقين العربي والحاج الشافعي اسما، مع تحلية الأول بالفقيه الناسك البركة، حسب وثيقة في "حوالة الأحباس الكبرى" بمكناس، ومن الأخوين يمكن أن نفرع أسرة بادو إلى فريقين : فريق العربي وفريق الشافعي.

أ ـ وقد اشتهر من أبناء العربي : الحاج الطاهر بادو محتسب مكناس أيام السلطان مولاي سليمان، وأمين نفقات القصر السلطاني بنفس المدينة، وقد دخل اسمه لمدونات التاريخ، فذكره الضعيف في *تاريخه* ثلاث مرات، ونوه به أكنسوس في *الجيش العرمرم*، فضلا عن حوالة مكناس المشار لها وشيكا، وحسب الضعيف فقد رشحه السلطان أبو الربيع لرئاسة ركب الحجاج الفاسي، غير أن منافسة من بعض الجهات جمدت هذا الترشيح.

ومن مبراته تحبيس معظم جنان له على مؤدب الصبيان بالكتاب المجاور لروضة الشيخ أحمد الشبلي، وعلى طلبة الحزب القرءاني بالمشهد المذكور المجاور لدار سكني المترجم، ثم كانت وفاته آخر العهد السليماني.

وبعد تسلسلت وظيفة الحسبة في بيته أزيد من نصف قرن، فتقلدها أولاد ابنه الحاج محمد، ثم ابنه الثاني أحمد، ولهذا ترجمة في *إتحاف أعلام الناس*، وبعد وفاته انتقلت الوظيفة ذاتها إلى ابنه إدريس بن أحمد، وفي ظهير توليته ياتي تنويه بوالده أحمد، في شهادة من السلطان محمد الرابع يقول فيها :"إن دار خديمنا الأرضى الطالب أحمد بادو، دار أسلافنا قد سهم الله، وكان من المحبة والصدق والأمانة والخدمة والجد والدين بمكان مكين... وما أشبه إلا أباه وجده فيما ذكر....".

وتاريخ الظهير 10 صفر 1278 / 1861، فيوقت تاريخ وفاة المحتسب أحمد بادو. والد المحتسب إدريس.

وبعد وفاة الأخير تحولت الحسبة مدة إلى الحاج الطيب غريط، ثم أسندت إلى المحتسب المختار بن أحمد بادو، حتى أُخر عنها عام 1298 / 1881.

أخيراً : نشير إلى ولد الحاج الطاهر بادو. كان معدودا من العلماء، وبهذه السمة ترجمه ابن زيدان باسم "العربي بادو بن الأمين المحتسب الحاج الطاهر"، كما نشير إلى أن فريق هذا الأخير، لا تزال منهم زمرة طيبة بمكناس، بينهم الأستاذ النشيط السيد محمد بن قاسم بادو. مدير مدرسة دار الثقافة بنفس المدينة.

ب ـ وننتقل ـ الآن ـ إلى الفريق الثاني من الأسرة المنوه بها، وهو الذي يرجع إلى الحاج الشافعي بادو. حيث لمع بين أبنائه : الشقيقان محمد الهادي بفتح أوله، وأخوه محمد المكي، وتوفي أولهما يوم 18 شعبان 1278 / 1862، وقد كان في طليعة أعلام مكناس، وتخرج عليه طائفة من علماء المدينة ذاتها، بينهم الشيخ العربي بن السائح الإمام الشهير، وقد أبنه بقصيدة عصماء ومطولة أثبتها ـ بخطه ـ في كناشته، وعنه أتى ابن زيدان بمعظمها، وفيها يبرز تفوق شيخه في إقراء الحديث الشريف، وتحقيقه في المواد الإسلامية الأخرى، فضلا عن تحليه بأخلاق العلماء.

والشاعر ابن السائح، يمهد لهذه الحلى المنظومة، فيقدم قصيد رثاء شيخه قائلا :"ولكاتبه ـ سامحه الله ـ يرثي أخاه في الله تعالى وشيخه : الفقيه العلامة الصدر، المشارك الفهامة، التقي الورع الناسك...".

وإلى هذا التنويه السائحي، توجد لعالم أسرة بادو ترجمة وجيزة عند القاضي أحمد سكيرج في "*رفع النقاب*".

وقبل محمد الهادي كانت وفاة شقيقه محمد المكي عام 1273 هـ، وله ـ بدوره ـ ترجمة مختصرة في *رفع النقاب*، وفيها ياتي وصفه ـ من جهة كاتبها ـ بالعالم العامل، ويضيف : وكان من الأساتذة الكبار في القراءات والتجويد.

وإلى هذا، فإن المترجم وشقيقه محمد الهادي، كانا من صدور الموثقين بين عدول مكناس، مع التبريز في حساب قسمة المواريث.

ومحمد المكي هو الذي استمر عقبه، فكان بين أولاده الأخوان : الأمين عبد الوهاب، والناظر محمد الكبير، فتوفي أولهما عن ولديه : العدل السعيدي، (ت آخر 1364 / 1944)، ثم الفقيه الناسك السيد محمد الإمام الراتب بالجامع الكبير بمكناس، إلى أن توفي عن خطته ليلة الثلاثاء 21 رجب 1377 / 1958، وهو والد الطالب النبيه السيد محمد التاجر المعتمر بشارع السكاكين بالمدينة ذاتها.

والأخ الثاني من أبناء محمد المكي هو الحاج محمد الكبير، ناظر أحباس الزاوية الشبلية بمكناس، (ت 1340 / 1921)، وهو والد سميه وخلفه في نفس الوظيفة، (ت صبيحة يوم الثلاثاء 7 محرم 1352 / 19 أبريل 1933)، وبين أبنائه نشير إلى الشقيقين : الوطني المجاهد السيد عبد الرحمن، وأخيه وكبيره الأستاذ الغيور السيد المكي.

الديوان الإسماعيلي لأسر مكناس، احتفظ بنصه ع. ابن زيدان في *المنزع اللطيف* : خ. ع، ج 595 ؛ ع. بن هاشم الكتاني، *زهر الأس في بيوتات فاس*، مخطوط، خ. ع، ك 1281 : السفر الأول ؛ *كناشة الشيخ العربي بن السائح*، مخطوط، خ. ع، ج 133 : ص 466 ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة* ؛ ع. بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ١ ؛ 369، 2 ؛ 155 ـ 197 ، 5 ؛ 433 ـ 435 و438 ؛ *تاريخ الضعيف*، ط. الرباط : ص 305، 307، 361 ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم* : ج 2 ؛ أ. سكيرج، *رفع النقاب*، 3 ؛ 270 ـ 271، 4 ؛ 260 ـ 261 ؛ *الحوالة القديمة للأحباس الكبرى بمكناس*. ص 54، 97، 101، 206، 252 ؛ *أربعة ظهائر علوية* عن فريق الحاج الطاهر بادو، صورها لي ـ مشكورا ـ الأستاذ محمد بن قاسم بادو؛ *وثائق عدلية منوعة* : مفردة وضمن كنانيش المحكمة الشرعية بمكناس ؛ جريدة *السعادة*، عدد الاثنين فاتح جمادى الأخرة 1340 / 30 يناير 1922.

محمد المنوني

بادُو، جبل في الناحية الوسطى للأطلس الكبير. وقد كان آخر معاقل مقاومة التدخل الاستعماري. ابتدأت تلك المقاومة عام 1914 بقيادة مبارك بن حسين التوزنيني الاقاوي في تافيلالت ثم امتدت إلى جبل صغرو ثم إلى أعالي ملوية والواحات المجاورة للأطلس الكبير.

اشتبك المقاومون مع القوات الاستعمارية في صغرو في ربيع 1933 ثم اشتبكوا معها في كردوس في يوليوز 1933

وكذا في أعالي إمدغاس، ثم وقعت المواجهة الحاسمة في قمم جبال بادُّو وأسكرسو.

إن مقاومة بادو قام بها أيت مرغاد وهم فرع من قبيلة أيت يَافلْمانْ الكبرى. كان الأگلاوي قد أقام قصبة بتنغير تدغة عام 1918، وأصبح يهدد المقاومين بتافيلالت. وكان أيت عطا وأيت يافَلْمان يضيقون عليه، وخلق وجودُه بين معارضيه ومناوئيه مزيداً من السخط عليه وعلى الفرنسيين.

ظهر زعماء للمقاومة تدربوا في عمليات تافيلالت وتعلموا على يد التوزنيني وخلفه بلقاسم النگادي، ومن هؤلاء أمغار زيد أسكونتي المولود عام 1890 من قبيلة أيت عيسى إزم، وهو فرع من أيت مرغاد، وقد صار قائداً للجهاد في معركة بادُّو، وبرز إلى جانبه علي أطرمون وسيدي الطيبي وباسو عدي نايت الحرف وسكويدير وموحا عرجي وآخرون.

ولربما كان من عوامل تأجيج غضب السكان قيام الفرنسيين بإغراق الأسواق المحلية بالبضائع المجلوبة من بعيد مما أدى إلى إفلاس الفلاحين وتدهور الحرف،كما كان من تلك العوامل احتلال ديرالأطلس وما نتج عنه من تضييق مراعي الصيف لأيت عطا وأيت يافلمان في إقليم أزيلال الحالي.

استمرت المقاومة إلى 5 مارس 1936 حيث قتل آخر زعمائها وهو زيد أُحماد بقصر تادَّغْلْت جنوبي تينغير، وقد توحدت فيهاالقبائل وكذبت بذلك مزاعم من يظن أن التفرقة القبلية ستسهل الغزو (Lieutenant Abbès, *R. G. M*, 1919, p. 61)

سبقت معارك بادو انتصارات مهدت لها مثل مقاومة أيت حمو الذين استولى فرعهم أيت الحسن على مركز الجيش في تالسينت يوم 16 دجنبر1925.

- محاصرة أيت مرغاد وأيت حْدِّيدُو لطلائع الغزو على مقربة من قصر أيت يعقوب بالأطلس الكبير الأوسط حيث ألحقوا بها خسائر فادحة، وكانت لها أصداء في البرلمان الفرنسي. وعلى إثر ذلك أسست فرنسا قيادة التخوم المغربية - الجزائرية Commandement des confins Algéro-Marocains في فاتح مارس 1930 بقيادة الجنرال جيروGiroux .

- معركة تاردا قرب گلميمة التي برز فيها أمغار أسكونتي أكثر من ذي قبل، إذ واجه حشودا عظيمة من جيوش الاستعمار مدججة بأحدث الأسلحة مؤطرة بكبار الضباط.

وقد كتب الجنرال تيفني Thevenet في المجلة العسكرية الفرنسية *La Revue Militaire Française*, N° 141 du 1933-3-29. أي بعد خمسة أيام من إخماد مقاومة صغرو، يقول : «إن عصاة الأطلس الكبير سيفعلون مثل ما فعل عصاة تازگزاوت عام 1932 وعصاة صاغرو عام 1933، إذ سيمتنعون عن المفاوضات ولن يستسلموا إلا بعد قهرهم بالسلاح ودكّ مواقعهم بالطائرات في عمليات منسقة مع المشاة، وإذا ما اضطرهم الجوع والعطش إلى الاستسلام جردناهم من السلاح وضمنّا السلام في الجبل بأكمله».

دارت معارك في بسيط مْسمْرير يوم 12 و13 يوليوز 1933، وحاصر المقاومون جيوش الفرنسيين وجيوش الأگلاوي في مضيق تدغة بأعالي تينغير ثم دارت معارك أخرى يومي 6 و7 غشت بجبل حمدون وأغبالو نْكردوس بقيادة المجاهد علي أُطرمون من أيث مرغاد والفقيه سيدي الطيبي من تلْمي، وقد وصلت للفرنسيين تعزيزات يقودها مشاهير من أمثال جيرو Giraud وترانكي Trinquet وكان في الضباط الملازم هوت كلوك Hautecloque الذي صار ماريشال فرنسا باسم لوكلير Leclerc، ولما ضيق الخناق على المقاومين اعتصموا بجبل بادّو.

اعتصم المقاومون بقمم أوسكرسو وبادو المشرفة على واديْ غريس من جهة أيت هاني، وكانوا يتوفرون على حوالي 300 بندقية منزوعة من الجيش الفرنسي. وقد قام أسكونتي بطلب فتوى من الفقيه سيدي محمد بلحاج أتالت بتفراوت، فقد سأله بحضور المجاهدين عن المستقبل الذي ينتظر المسلمين بسيطرة الاستعمارفأجابه : « الجهاد ! الجهاد !... إن الله لا يرضى لعباده الكفر. ولكن إذا قدر الله وسقطتم تحت وطأة الكفار فهناك بيت لا يدخله الكفر وهو القلب. أما الاستسلام فهو الكفر بعينه». وقد استشهد هذا الفقيه وهو يقاتل في بادو.

دارت معارك صاخبة خلال النصف الثاني من شهر غشت عام 1933 على ارتفاع 3.000 م، وكان الجنرال جيرو قد حضر إلى تينغير حيث جعل مركز قيادته وأمر بتشديد الحصار وقنبلة الماشية وعيون المياه حتى استولى على ما بقي منها يوم 23 غشت، ومع ذلك فقد رد المقاومون كل محاولات التفاوض.

أراد أسكونتي حقن دماء الأطفال والنساء والعجزة فتقابل مع جيرو يوم 29 غشت، وبذلك إستسلم مساعدوه من أمثال سيدي الطيب وموحا عرجي والحاج سكويديرى.

البطل أسكونتي والجنرال جيرو بعد انتهاء معارك بادّو

استمرت المقاومة في شكل عمليات عصابات متقطعة كان من أبرز منظميها زايد أحماد ما بين 1934 و 1936.

أهم معارك تافيلالت والأطلس الكبير والأوسط عن كتاب : J. Saulay, *Histoire des gouns marocains*, t: 1.

- 1908 : معركة بوذنيب.
- 1918 : معركة تيغمرت.
- 1930 : 13 يوليوز، أموگر نايت حديدو حيث واجه مائتان وخمسون مجاهدا من أيت حمو وأيت عيسى إزم المستعمرين وجرح الملازم هوطكلوك Hauteclocque والضابط توزين Touzaine وقتل ضابط صف وثلاثة عشر من الگوم واختفى گومي واحد وقتل ثلاثة وجرح اثنان من المتعاونين.

- معارك 1931 :
- فاتح يوليوز : معركة تونفيت.
- 15 يوليوز : معركة تيزي ميشغراون حيث قتل حوالي اثنين وعشرين مجاهدا.
- 25 يوليوز : سقوط زاوية سيدي يحيى ويوسف.
- 25 يوليوز: معركة تدلوفت حيث قتل ليوتنان الملازم Debray و اثنان من الگوم.
- 8 أبريل : معركة مرزوگة حيث أسقط المجاهدون طائرة وقتل الملازم فرواصار Froissard .
- 19 نونبر : سقوط تديغوست حيث قتل الملازم دوميتر Demaistre وقتل وجرح عدد من الگوميين. سقوط گلمية حيث قتل العقيد Lenoir وجرح سبعة غزاة آخرين.
- 15 يناير : انهزام بلقاسم النگادي في الريصاني وفراره تجاه الغرب صحبة أنصاره.

- معارك 1932 :
- 5 و 6 فبراير: سقوط ملعب واگلي.
- 10 و 11 فبراير : سقوط تنجداد.
- 13 فبراير : معارك قدافين وواد إفغ حيث قتل القبطان أريغ Arrigh وقتل تسعة عشر مستعمرا وجرح الملازم Beaurpère. في صفوف الگوميين قتل سبعة وجرح عشرة.
- 20 و 21 فبراير : خرجت حركة من صغرو وهجمت على قصر مسيسي بالريصاني حيث قتل الملازم Fromentin وجرح ضابط وغزاة أخرون.
- 25 أكتوبر : معركة سودرار حيث قتل القبطان گيطان Gueytand على يد الشيخ أوسكونتي وقتل تسعة عشر مجاهدا.
- 16 نونبر : معركة النيف وفرار ستمائة عائلة إلى صغرو.

- معارك 1933 :
- 12 يونيه : معركة تيركا حيث جرح أوسكونتي وفر مع أصحابه إلى أگوراي.
- 8 و 15 يوليوز: معركة تزگزاوت.
- 9 و 18 يوليوز : معركة تيزي نوغروم حيث أصيب ثمانية وستون من الغزاة.
- 12 و 13 يوليوز: استنطاقُ عَلم منه الغزاة بواسطة جرحى المجاهدين بجبل تدغمامت بأن أسكونتي يوجد أمامهم على رأس ستمائة رجل من أيت حديدو وأيت مرغاد.
- 6 و 7 غشت : سقوط قصر أغبالو وأسر الغزاة بسيدي الطيب، ومن جانب المستعمرين قتل ثلاثة وعشرون وجرح ستة وسبعون اضافة إلى تدمير طائرتين حيث قتل ليوتنان Depenfent و 34 قتيلا و90 جريحا.
- 23 غشت : لم يبق في بادّو سوى أسكونتي و250 إلى 300 رجل من كبار مجاهدي أيت عيسى إزم الذين استمروا في المقاومة حتى النهاية، وقد جرح قبطان الفرقة 34 من جنود الگوم بمعركة اكسرسو وجرح ضابطان واثنان من الگوم.
- 24 غشت : أرسل المستعمرون إلى أسكونتي للتباحث معه فرفض.
- 29 غشت 1933 : نهاية المعارك في «بادّو» بنزول أسكونتي للتفاوض حقنا للدماء.

م. المعزوزي وهاشم العلوي، *الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900 إلى 1935* ؛ م. م. السوسي، *المعسول*، 16 : 263.314.

Lt. Colonel Comet, *Les Operations d'hiver 1931-1932 dans les confins Algero-Marocains* ; Lt. Colonel Juin, *Achevement de la pacification marocaine, Revue Militaire Française* n° 163, Jan. 1935 ; Colonel Arlabosse, *une operation moderne en Afrique du Nord, Revue Militaire*, N° 166, Avril 1935 ; Général Guillaume, *Les Berbères marocains et la pacification de l'Atlas Central*, Paris, 1946 ; Général Huré, *La Pacification du Maroc*, Paris, 1952 ; Général Catroux, *Achèvement de la pacification marocaine, Revue Politique et parlementaire*, octobre 1954 ; Colonel Saulay, *Histoire des Goums marocains* T.I, Paris 1981 ; A. Bouras, *La rèsistance de Baddou, l'Opinion*, 16 Août 1989.

عبدالقادر بوراس

بَادّو، جبل في كتامة القبيلة الريفية، علوه 1565 متر فوق سطح البحر يمتاز بغابته المكونة من شجر الأرز التي

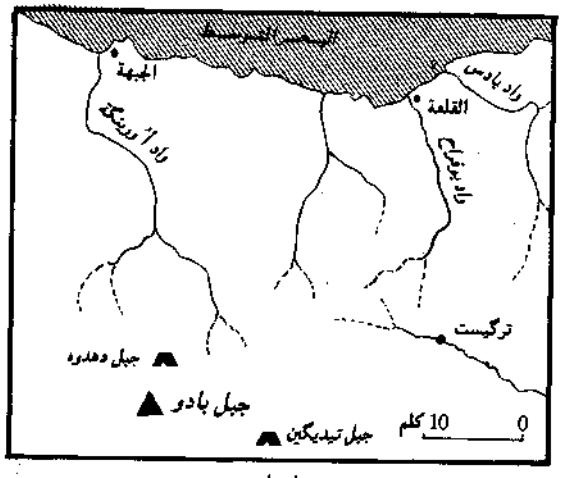

جبل بادو

يرجع تاريخها إلى عهد سحيق.

١ Domenech, *Zona norte*, p. 28.

محمد ابن عزوز حكـ

بادس، لفظ يمكن أن يدل على علَم، وقد كان يحمل هذا الاسم عدد هام من الأشخاص (مثل بادس بن حبّوس أمير غرناطة) ويشخص العديد من الأماكن الجغرافية، منها خلال القرون الوسطى مدينتان مغاربيتان ليس لهما اليوم وجود على الخريطة، وهما بادس الزاب بإفريقيا وبادس

منطقة الريف بالمغرب وهي التي تشكل موضوع هذا المقال.

على بعد مائة وعشرة كلمترات من تطوان شمالا وبإقليم النكور بين جبال بني خالد، توجد بادس على مسافة سبعة كيلومترات من موقع باليس المعروف بقلعة إيريس، أمام صخرة بادس (بمنطقة غمارة)، ولم يبق لبادس استعمال في النطق إلا من خلال التسمية الإسبانية الجارية في صيغة بليز. أما بادس الحالية فلم تعد تذكر إلا بذكر الولي الصالح أبي يعقوب البادسي.

أصل بادس غامض كما هو شأن العديد من المراكز الحضرية المغربية. يبدو أنها كانت في عهد احتلالها من طرف الادارسة، خاضعة لنفوذ سَقّوط البرغواطي المقيم بسبتة، والذي نفى إليها الفقهاء الذين جاحدوه ولاية المسلمين وقد ناصروا المرابطين (البكري، *المغرب*، ص 70 ؛ عياض، *المدارك*، 8 ؛ *تكملة* ابن حمّادة). ويقول البيذق «إن بادس قلعة محصنة»، لبث الغماريون يسكنون بنواحيها إلى متمّ القرن الرابع عشر الميلادي لكن قدوم الإسبان والأتراك إليها خلّف أثراً سيئاً على الساكنة فهجرت المنطقة.

ظلت الحياة السياسية والاجتماعية ببادس غامضة في عهد المرابطين وخلال دولة الموحدّين ؛ أما الأوصاف التي وردت على لسان الإدريسي فإنها بالتأكيد تخص بادس الزاب التي كانت أهميتها تفوق بكثير ثغر بادس المتواضع جداً والذي لم يكن يعمره إلا فئة قليلة من الصناع والتجار ويقصده الغماريون المجاورون لقضاء بعض حاجاتهم (راجع الإدريسي، ص 171)، وقد أشار إلى هذا الموضوع، معاصر الإدريسي، المجهول، صاحب كتاب *الاستبصار*. كانت سبتة تهيمن وقتئذ على كافة مواقع ومراكز الشواطىء الشمالية بما فيها طنجة. لكن ابن سعيد ذكر في مستهل القرن الثالث عشر بادس وجزم أنها أهم مرسى بمنطقة غمارة.

يبدو أن بادس أصبحت ذات أهمية كبرى في عهد المرينيين. وبالفعل فإن ملوك فاس اختاروا بادس مرسى لهم بدل سبتة المناوئة لهم والتي كانت أيضا محط أطماع مملكة جنوى ومملكة قشتالة ووكراً للقراصنة المسيحيين. وبعد احتلال سبتة من طرف البرتغال، غدت بادس ميناء فاس بدون منازع.

لدينا وثيقتان يرجع عهدهما إلى القرون الوسطى وتتعلقان ببادس وكلتاهما تتمحور حول المناقب : الأولى «*المقصد الشريف*» لعبد الحق البادسي الثانية «ترجمة أبي يعقوب البادسي» للقاضي الأوربي وقد أرّختا لنفس الفترة. إنها ألمع فترة في تاريخ البلدة التي واكبها ازدهار تجاري لم يسبق له مثيل، ومضى ميناء بادس النشيط يربط علاقات اقتصادية هامّة مع الديار الأندلسية.

اهتم بنو مرين وخاصة منهم أبو الحسن بالأسطول البحري، فسهروا على تنمية الترسنة المغربية وتنشيط أوراش بناء السفن. كان ممثلو ملوك فاس على جانب كبير من القوة وأمّسوا يتمتعون بسلطات هامّة، بينما كان أحد هؤلاء الممثلين يحمل لقب القائد ويسكن بالقصبة، وكان آخر منهم يحمل لقب الغازي ويتحمّل مسؤولية العمليات الحربية البحرية.

ظلّت علاقات بادس بفاس مهمّة جداً ومنتظمة، غير أن بادس لم تكن تتوفر على مدرسة فكانت تبعث بطلبتها وشيوخها إلى فاس، وها هو التاريخ يسجّل ثورة الشيخ الشهير الورياغلي الأعرج على رأس طلبته! وتطورت كذلك المراسلات البريدية بين فاس وبادس بكيفية ملحوظة، وأقامت بادس، إلى جانب ذلك، خطوطاً بحرية مع المراكز الحضرية الشاطئية مثل سبتة وترغة وتيگيساس.

وأخيراً، أقامت بادس علاقات مع المشرق، ذلك ما يتبيّن من الوثيقتين المذكورتين، إذ أن عدداً كبيراً من الشخصيات الواردة اسماؤها بهما أدى فريضة الحج مرّة أو عدة مرات، ومن تلك الشخصيات من حجّ اثنتي عشرة مرّة، مثل شقيق أبي يعقوب الذي انتهى به الأمر إلى الاستيطان بالديار المقدسة إلى أن وافاه الأجل. لكن تجدر الإشارة إلى أن الحُجّاج البادسيين كانوا يرحلون عن طريق البرّ ماريّن بتلمسان وبجاية وغيرهما في حين كان حجاج سبتة يرحلون عن طريق البحر.

أما علاقات بادس مع قوص بالصعيد (مصر) فإنها تخص الحياة الدينية وتشير إلى التقاليد المحلية.

بادس، جهاد وتجارة : كانت بادس في عهد مجدها، ميناء تجارياً كبيراً وقاعدة عسكرية هامّة، تصنع فيها بأمر من أبي الحسن مختلف أنواع السفن الحربية المخصصة للجهاد، والقوارب والعراضات.

كان عدد كبير من الجنود يعسكرون ببادس ويتدربون في مياهها على العمليات الحربية البحرية، لكن سمعتهم كانت قبيحة لدى وجهاء البلدة الذين راحوا يصفونهم باللصوص.

أما حضور النصارى بالمنطقة فإنه كان كذلك قويا، فيوجد منهم التجار والقراصنة والرهبان والمتسولون.

وأهم تهديد كانت تواجهه بادس، تجسّم على أيدي المسيحيين الذين بات الميناء تحت رحمتهم مدة طويلة، وقد هاجموه مرّة ونهبوه، وإن لم نعلم بالضبط متى تم لهم ذلك، ونأسف أيضا لعدم استطاعتنا تحديد هوية المهاجمين الذين ورد في شأنهم أنهم كانوا من بين العجم أو من بين الروم، هذا اللفظ العام الذي يقصد به النصارى. هل كانوا إيطاليين أو قدموا من كتالونيا أو جزيرة مايوركة؟ لا يخلو تشخيص المَعتدين من أهمية لا سيما وأن النصارى طفقوا حينا من الدهر يتنافسون ويتطاحنون دون أن يفكروا في تشكيل جبهة معادية للإسلام.

الحياة الاقتصادية ببادس : ان البركات والكرامات العديدة التي تحققت بفضل صلحاء بادس اتسمت أساساً بالعلاقات مع الجزر المسيحية، ذلك لأن المجابهات التي

كانت الأندلس وعرض البحر المتوسط مسرحاً لها خلفت أثراً عميقاً في الحياة الاجتماعية المحلية وفي نفوس السكان، ولم يكن لهذه المجابهات انعكاس سلبي على العلاقات التجارية مع النصارى التي واصلت ازدهارها رغم المخاوف والتهديدات.

كانت مجموعة التجار النشيطة ببادس ذات وزن هام وأبانت عن حسن تنظيم عناصرها الذين كانوا يشاركون فيما بينهم ويساهمون بأموالهم في تجهيز السفن وتسليح البحارة، يقيمون علاقات تجارية مع مالقة والمنكّر. كانوا أغنياء ولم يقنعوا بتصدير بضائعهم على ظهر سفن عادية مخصصة للكراء، بل كانوا يمكنون ببادس ليترقبوا الأخبار بعد مراكبهم، ولم يكونوا تجاراً متنقلين مرافقين لبضائعهم، بل أمسوا يشكلون جماعة قويّة لها كلمتها في باب سياسة ملوك فاس، وحصلوا رغم كل شيء على ترخيص منهم لشحن سلعهم على متن المراكب الحربية، ولو كان هذا الأمر مخالفاً للأحكام الملكية الصادرة في الموضوع.

أسطول بادس : كانت بادس ميناء يَرسو فيه الأسطول العسكري المريني أثناء فترات الهدنة، وكانت بادس كذلك تشكل مستودعا هاما للأسلحة. ولئن كانت الدولة تصنع السفن الحربية، فإن التجار كانوا يضطلعون بمهمة تجهيز السفن بالعتاد الحربي على حسابهم وإرسالها إلى الأندلس بما فيها أشبيلية التي كانت يومها تحت وطأة المسيحيين القشتاليين. وكات بادس أيضا محطة للسفن الرابطة بين اشبيلية ووهران.

أما التجارة ببادس فكانت على درجة هامة من النظام والضبط، وكان التجار يستعملون تقنيات متطورة تتمثل في سجلات مزدوجة تسجل على صفحاتها الصادرات والواردات والنفقات والمدخولات والقروض المتوسطة الأمد للاستخلاص في مواقع مختلفة مثل ما بين بادس ومالقة، في حين كانت حاضرة بالبلدة جمعيات تجارية هدفها الدفاع عن مصالحها المشتركة وصيانتها أمام تصرفات ممثلي السلطة المركزية.

كان استئجار السفن التجارية أمراً جارياً، وكان المركب ينقل البضائع من بادس إلى مالقة بثمانين ديناراً، وكانت كل الخدمات والرواتب تؤدى بالدينار.

وينبغي أن يدخل في المبادلات دفع الفدى لتحرير الأسرى المسلمين، ولما كانت المبالغ المالية المطلوبة تفوق طاقة البادسيين، فإن المشرفين على عملية الافتداء كانوا يطلبون مساهمة سكان الإقليم، وكثيراً ما كانوا يتوجهون إلى سكان سبتة لاستخلاص ما يمكن أن تجود به أريحيتهم.

الصادرات والواردات : كانت بادس خلال هذه الحقبة من تاريخها، مركزاً صناعيا هاما خصوصا بإنتاج أنواع من الأنسجة الصوفية التي تصدر إلى الأندلس، مثل الجباب والحياك للكساء، وتستورد لأجل هذه الصناعة المَواد الضرورية للصباغة، أهمها مادة اللك التي تشكل مادة أولية في انتاج العرقوان المشهور.

كان النسيج من الصناعات التي لا تمارسها هناك إلا النساء، ومنهن من كن يغامرن برهن بعض حليهن للحصول على اللك، وإذا كانت بادس تشتغل بالاصواف فإنها مضت تستورد الحرير المخصص إلى معامل فاس.

ظل القمح يعرف رواجاً كبيراً بالمنطقة وهي لا تنتج منه شيئا، فيتدفق عليها من النواحي القريبة من فاس، في حين كان إقليم بادس ينتج الشعير وبفضل موقعه الغابوي، ينتج كذلك كميات هامة من الخشب معظمه يصدر إلى الأندلس حيث يستخدم في صناعة المراكب.

إلى جانب هذا ،كانت المنطقة تنتج الوافر من مختلف أنواع الفواكه.

الحياة ببادس خلال القرن الرابع عشر: في عهد الحسن الوزان كانت بادس محاطة بالأسوار وبها قلعة أو قصبة للحكام، وكان سكانها يشكلون ستمائة كانون. عرف ميناؤها رواجاً اقتصاديا هاماً، وكان مركز بادس يقوم بنشاط ديني وعلمي هام، ومن أبرز الشيوخ البادسيين نذكر الورياغلي الأعرج الذي كان يمارس التدريس بفاس وكان معظم طلبته من منطقة بادس.

أما عهد أبي يعقوب البادسي، فإنه تميز بوجود رباطين ألحقت بناية أحدهماخلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر في معمل السلاح المسمى «دار الصناعة»، وهذا دليل على أن المدينة واصلت تطورها بعد وفاة أبي يعقوب البادسي الذي قضى نحبه عام 1339.

حاولت بادس احتلال مكانة سبتة وذلك قبل أن ينمحي اسم بادس من الخارطة. أقدم بنو مرين على توسيع «دار الصناعة»، فشهد الوزان هذا العمل وشهد كذلك سفن البندقية تتردد بدون انقطاع على الميناء الذي كانت تعيش على العمل فيه طائفة يهودية وافرة العدد، ولما سقطت سبتة في أيدي الغزاة، صارت بادس مدينة للقراصنة وباتت معرضة للتهديدات الخارجية المسيحية.

ينتمي سكان بادس الذين خرجوا من حالة البداوة منذ زمن بعيد، إلى قبائل صنهاجة البطيويين وإلى بعض فروع بقيوة.

في اعتقاد الوزان، أن بادس كانت مدينة مقدسة خلال القرن الرابع عشر، فلم تلبث إلا قليلا حتى تحولت إلى مدينة للهو حيث أخذ الناس يدمنون على الخمر، وهم الطائفة الكبرى من السكان المحترفين لصيد الأسماك والمغامرين في عمليات القرصنة، فأضحت الحياة الاجتماعية تتردى في انحلال الأخلاق والعبث بالقيم ؛ وفي هذه الظروف أقبرت نهائيا هالة القدسية المحلية التي تتحلى بها بادس ولم يبق منها إلا قبر كل من عبد الحق البادسي ويعقوب البادسي.

تنازع حول بادس في القرن السادس عشر، كل من المغرب وإسبانيا والأتراك، لكن في مستهل عام 1508

احتلتها اسبانيا، وفي عام 1528 صارت مع إقليمها إمارة خاضعة لأبي الحسن الوطاسي، وهي التي تسميها المصادر الأوربية مملكة بليز (*S. I. H. M. Portugal*, I, 202, 212, 218, 334, 515. *Espagne* I, 625 ; *France* I, 150, 151). إلا أن هذه المملكة المزعومة لم يبق لها ذكر عام 1564 بعد أن استولى عليها الأتراك، وتنازل عنها السعديون للإسبان حتى لا تسقط في أيدي الأتراك، ويومئذ كانت امبراطورية فيليب الثاني تجاه الإمبراطورية العثمانية، وهما معا تشكلان خطراً جسيما على الوحدة الترابية المغربية التي دأب السعديون على صيانتها بجميع الوسائل. في هذه الأثناء كانت الأساطيل البحرية تلعب دوراً حاسماً في الأحداث. وبالفعل احتل الأسطول البرتغالي سبتة وشفع ذلك باحتلال جل المواقع الحضرية الواقعة بمنطقة البوغاز وكذا المطلة على المحيط الأطلنتي، فصارت هذه الشواطىء ذات أهمية قصوى وحيوية، وأضحى احتلالها مقدمة الجهود الأجنبية لخنق المغرب. وفي هذه الظروف الحرجة، دمر الأتراك بادس عام 1154/961.62، فلم تحي بعد ذلك لأنها فقدت وظائفها الاقتصادية ولم تستطع الدوام وهي تعيش على فلاحة هزيلة، فغادرها الناس وهجرها سكانها بدون رجعة، ويستخلص من الدراسات التي أنجزها باسكون Pascon عن بادس أن القبائل الواقعة حاليا بالمنطقة إنما نزحت إليها من جهات أخرى.

كان لضياع بادس أصداء مفجعة ترددت عبرجوانب المغرب كافة ؛ كانت بادس آخر ميناء تحت السيادة المغربية على السواحل المتوسطية. مع فقدان هذا الثغر وفي ظل الاحتلال الإسباني والبرتغالي، انغلقت أبواب البحر المتوسط على المغرب، هذا البلد الذي قام بدور كبير في المبادلات بين أوربا وإفريقيا جنوب الصحراء، إذ ذاك لم يبق للسكان ما يربطهم بمدينتهم، ففضلوا الجلاء عنها والهجرة إلى جهات أخرى، فرادى وجماعات.

الولي الصالح والمدينة : لم يبرح أبو يعقوب البادسي مدينته - وقد عمّر إلا مرتين في حياته، الأولى حينما ذهب إلى فاس قصد الدراسة والعلم، والثانية حينما حج إلى بيت الله. من الغريب ألا تشير المصادر إلى نفوذ ولو بسيط للولي، ولم تذكر أي اتصال هامّ له مع غيره (كذلك كان الأمر بالنسبة لأبي محمد صالح واليوهانسي) فالخضر هو الذي يلعب الدور الأساس في حياته. كان لأبي يعقوب مكانة مرموقة ببادس، فقد قيل عنه إنه أتى ببعض المعجزات إذ أن بركاته كانت تنزل الأمطار عند الحاجة وتحجبها إذا زادت عن الحاجة، وكانت له رؤى تدهش العقول، إذ كان يرى الملائكة ويتحدث إلى الخضر ويكلم الأرواح التي مات أصحابها أو يراها متقمصة في شكل عصافير، وكان يتوفر على العديد من النقود الغريبة العجيبة.

يوجد كثير من هذه الأمور في مسرد الكرامات التي تحققت من قبله. عاش أبو يعقوب في رباط مع «الفقراء»، ولم يحد عن أخذ آجر ما كان يقوم به من أعمال عند الطلب، لكنه أمسى يهب الأجور إلى المعتكفين برباطه لسد حاجياتهم الغذائية وغيرها. ومما يثير الانتباه أن لفظ زاوية لم يستعمل للتعبير عن رباطه، كما أن أبا يعقوب، خلافا لما هو معروف عن أبي محمد صالح، لم يشترط على مرافقيه من الفقراء التمسك بمنهج خاص، مثل المناهج التي تتبعها الطرق الدينية، فلا ورد عنده ولا أحزابا.

كان للقوم تصور عن أبي يعقوب أساسه ما تحلى به من التجرد عن التعلق بالحياة الدنيا ولكنه في الواقع لم يكن ليحبّذ حياة الفقر والبؤس كما فعل شقيقه الذي تنازل عن نصيبه في الإرث مفضلا جوار قبر الرسول بالمدينة المنورة، كان له دوراجتماعي في حياة بادس ؛ فزيادة على ما روى عن كراماته، فإنه كان يدعو للبحارة المحليين بالأمن والسلامة من القراصنة المسيحيين، ويتوسط لحل الخلافات بين الأفراد والقبائل، ويؤتمن على الأموال في حالة الحروب الداخلية إلى أن يعود الهدوء إلى نصابه.

ولئن كان نشاط الولي واضحا اجتماعيا، فإن المواد التعليمية التي كان يلقنها لطلبته لم تخل من صعوبة وغموض، خصوصا تلك التي تتعلق بالروحانيات. كان الفقهاء يحيطون به في رباطه الواقع خارج الأسوار لكن صلاته بأسرته لم تتوقف ولم تنقطع، فمضى يدخل إلى المدينة كل يوم جمعة ليؤم الصلاة بالناس في المسجد الكبير. يبدو أن تعليمه كان يهدف أساسا إلى تلقين الطلبة أسرار المناقب والفضائل وتنشئتهم عليها. كان يحافظ على السنة، غير ميال إلى الممارسات الغالية أوالباطنية، فلم يصم الدهر ولم يحرم نفسه ولم يُفْرط في العبادة، وإنما كان على مبدإ الاعتكاف لا يكلم الناس خلال صوم رمضان، طريقته كانت مبنية على البسط لا على القبض، وإن كان قد تأثر كثيرا بما جاء في «*الإحياء*» للغزالي.

تم تحرير ترجمة أبي يعقوب قبل سنة 1348، أي قبل تاريخ وفاة الأوربي، ونستخلص من هذه الترجمة عدداً من المعلومات، أهمها ما يلي :

- مقتطفات عديدة من المصنّف المفقود الذي ألفه المراكشي تحت عنوان : *مناقب الأولياء* والذي تقدّم لصاحب المقصد أن رجع إليه عدة مرات.

- انتشار الطريقة الشاذلية بشمال المغرب، وقد كان ابن عباد الرندي من أول رواد هذا المذهب بالمغرب وخاصة بفاس. والملاحظ أن أبا يعقوب كان سبّاقا لتدريس طريقة أبي الحسن، جيلا من قبل. ويلاحظ أيضاً أن كتاب *لطائف المنن* الذي ألفه صاحب *المقصد*، لم يُشر إلى الشاذلي ولا إلى طريقته وقد أتى في بعض صفحاته بترجمة لأبي يعقوب. لكن كتاب الأوربي توسع في نفوذ هذه الطريقة وانتشارها وأتى بخبر يكتسي أهمية كبرى، إذ يشير إلى ترجمة لمولاي عبد السلام بن مشيش لم يأت ذكرها في أدب المناقب والكرامات.

أحمد البوعياشي، *حرب الريف*.

Léon l'Africain, *Description de l'Afrique* ; R. Ricard, *Extraits relatifs au Maghreb : Le Maroc Septentrional au XVe siècle*, *Hesp* 1936.

حليمة فرحات

بادس، جزيرة تقع بالبحر المتوسط على بعد 65 م من شاطىء قبيلة بني يطفت قبالة مصب النهر الذي يحمل اسم مدينة بادس الدارسة والذي يعرف كذلك بوادي تامذة.

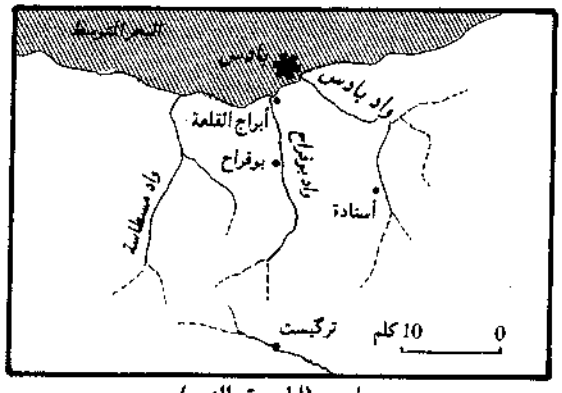

بادس (الجزيرة والنهر)

طول الجزيرة 250 م وعرضها 100 م وعلوها 77 م وأما البرزخ الذي يربط الجزيرة بالياسة فطوله نحو 80 م وعرضه 55 م

بادس، حصن بناه الإسبان بالقرب من مدينة بادس الدارسة وأطلقوا عليه اسم فويطي ذي طيبرا Fuete de Tierra (حصن الياسة) وذلك على إثر احتلالهم جزيرة بادس يوم 24 ربيع الأول 914/ 23 يوليوز 1508. وسبب بناء هذا الحصن يرجع إلى عدم وجود الماء الشروب بالجزيرة المحتلة الشيء الذي جعل الإسبان يبحثون عنه بالأرض المجاورة وهذا ما فرض عليهم بناء حصن على أنقاض جزء من مدينة بادس وجعلوا به مدفعين وحامية تتكون من خمسين رجلا بعد أن حفروا بداخله بئراً أطلقوا عليه اسم بئر الملك Pozo del Rey.

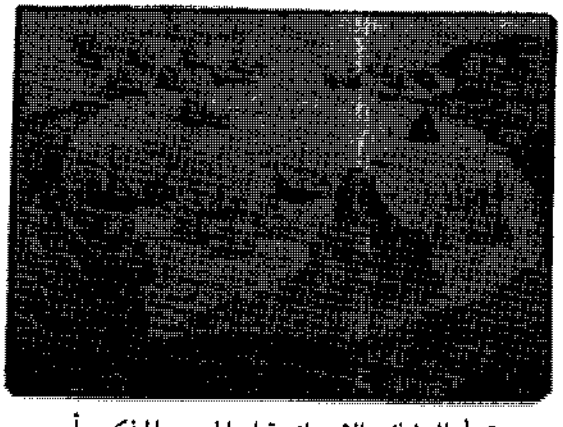

وتقول الوثائق الإسبانية إن الحصن المذكور أصبح محاصرا من طرف القائد مولاي المنصور في اليوم التالي من بنائه، وتمكن المغاربة من استرجاعه للمرة الأولى يوم 18 رمضان 926/ فاتح سبتمبر 1520، الشيء الذي ساعد المغاربة على استرجاع جزيرة بادس يوم فاتح صفر 20/929 ديسمبر 1522.

وفي شهر ذي الحجة 931/ أكتوبر 1525 قام الأسطول الإسباني برآسة الماركيز ذي موندیخار Marques de Mondejar بمحاولة أولى من أجل احتلاله مرة أخرى، غير أنه فشل في محاولته هذه كما فشل في المحاولة التي قام بها يوم فاتح ذي الحجة 22/972 يوليوز 1563.

وفي 29 محرم 6/972 سبتمبر 1564 تمكن الأسطول الإسباني من احتلال كل من الجزيرة والحصن المذكورين للمرة الثانية، ومرة أخرى قام المغاربة بمحاصرة الحصن من يوم 30 محرم 7/972 سبتمبر 1564 إلى يوم 26 ربيع الثاني/ فاتح ديسمبر 1564. وظل حصن بادس هذه المرة بيد الإسبان أكثر من مائة وأربعين سنة تعرض خلالها إلى أحد عشر هجوما عنيفا من سنة 1565/973 إلى سنة 1677/1087، كما حوصر بعد ذلك من 25 ربيع الأول 25/1091 أبريل إلى 16 ربيع الثاني 16 ماي 1680 ومن شعبان 6/1093 غشت 1682 إلى 8 رجب 3/1094 يوليوز 1683، وأما الحصار الأخير فقد بدأ يوم 22 ذي القعدة 2/1112 ماي 1701 وانتهى باسترجاع الحصن بصفة نهائية وتحطيمه يوم 3 رمضان 1113/ فاتح فبراير 1702.

والجدير بالذكر أن بعض الوثائق الإسبانية تسمي هذا الحصن بفويرطي ذي تاميدا Fuerte de Tamida (حصن تامذة) في حين تذكره بعض المصادر المغربية باسم «البستيون» (Bastion) وهي كلمة إسبانية معناها الحصن.

بادس، مرسى تقع بشاطئ قبيلة بني يطفت الموالي للبحر المتوسط، حيث مصب النهر الذي يحمل نفس الاسم.

وقد أطلق عليها نفس الاسم كل من البكري وصاحب كتاب *الاستبصار*، وأما الإسبان فإنهم يسمونها مرسى بيليث ذي لاگوميرا Velez de la Gomera.

بادس، نهر ينبع من جبل تُوفيسْت حيث يعرف بوادي المرغوية ثم يمر بالقرب من قصبة أسنادة بقبيلة بني يطفت حيث يُسمى بوادي بادس وقبل أن تتصل مياهه بالمرسى التي تحمل اسمه يأخذ اسم وادي تامذة.

أ. البكري، *المغرب*، 102،90 ؛ مجهول، *الاستبصار*، 136 ؛ ابن الحاج، *الدر المنتخب*، 6 :355 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 31 ؛ ابن العياشي، *زهرة البستان* ؛ ع. بنعبدالله، *معلمة*، 119،81.

Pezzi Rafael, *Los presidios menores de Africa*, Madrid, 1893, p. 19-24-28-31-32-33 ; Comision historica, 102-295-298- ; A. Domenech, *Zona norte*, 38 ; Cabello Alcaraz, *Geografia de Marruecos*; 63-88-202 ; *Vademecum del Rif*, Año 1946.

البادسي، أسرة فاسية عريقة تنتسب إلى مدينة بادس المندثرة بجبال غمارة في الريف. ويقال إن أصلهم من مدشر هناك يسمى أعراص. لا يعرف تاريخ انتقال البادسيين إلى الحاضرة الإدريسية إلا أن المعروف أنهم استقروا مدة بالأندلس قبل مجيئهم إلى فاس. ولا يُعرف إن كانت لهم

علاقة بالبادسيين التطوانيين مع العلم أن المذكور من هؤلاء يرجع تاريخه إلى القرن الحادي عشر (17 م). وهو عبد الرحمن بن محمد البادسي، تاجر تطواني كان حيا سنة 1089 / 1678 وربما كان آخر البادسيين بتطوان.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 302 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد أبن عزوز حكيم

البادسي، عبد الحق بن إسماعيل بن أحمد بن محمد ابن الخضر، يكنّى أبا محمد وينتهي نسبه إلى قيس ابن عبادة الخزرجي، استوطن أحد أجداده غرناطة، وانتقل جده الأعلى إلى بادس، وبها ولد عبد الحق في حدود سنة 1252/650.

تربى في حجر والده ولازمه ملازمة الظل، فنشأ على الفضيلة ومكارم الأخلاق، مما جعله يميل إلى التصوف والاهتمام بسير الصالحين. وبعد أن أنهى تعليمه ببلده بادس، رحل إلى فاس وأخذ عن كبار مشايخها، وممن جلس إليه وسمع عنه كثيرا أبو إبراهيم الأعرج، وهو ابن بلده، وكانت تربطه به صلات وثيقة.

كان أبو محمد البادسي عالما أديبا، محدثا مسندا، ومؤرخا نسابة، يميل في كتاباته إلى السجع، ويتكلف الشعر، لم أقف على تاريخ وفاته إلا أنه كان حيا سنة 1322/722.

ومن تلاميذه : عبدالمهيمن الحضرمي (الصغير)، وأبو عمرو يحيى بن أبي طالب اللخمي العزفي، سمعا عليه بفاس كتابه *المقصد الشريف*. ولا نعرف من آثاره إلا كتابين اثنين، أحدهما : *طبقات الأولياء* ويعتبر مفقودا الآن. والآخر : *المقصد الشريف، والظل الوريف، في التعريف بصلحاء الريف* وقد طبع أخيرا بتحقيقي.

ع. البادسي، *المقصد الشريف* ؛ إ. ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى* ؛ علوش والرجراجي، *فهرس مخطوطات الخزانة العامة بالرباط*، رقم 2.100 ؛ س. أعراب، *مقدمة المقصد الشريف*.

سعيد أعراب

البادسي، عبد المجيد ابن أبي القاسم، مجذوب ملامتي. أصله من الريف من مدشر في بني يطفت يقال له العرض، كانت سكناه بفاس ببيت في الفندق المنسوب إليه الذي يقع شرقي الجامع المجاور للقرويين وكان يسمى قبل ذلك بفندق الرصاع، عاش فيه معظم حياته إلى أن توفي.

كان كثير الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كثير المحبة والتعظيم لآله، لا يبصق إلا في ثيابه، ولا يرمي ببصاقه إلى الأرض البتة، ويقول : «لا أطرح إلى الأرض ريقا يجري مع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم». ولم يكن له شيخ في هذا الشأن، وإنما مدده من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذه عنه من غير واسطة. وكان من أصحاب الخطوة، ولم تكن له زوجة ولا أولاد وإنما كان له أصحاب وأتباع يلوذون به ويخدمونه.

توفي بفاس سنة 3 أو 1004/94-1595 ودفن خارج باب الجيسة.

م. ابن عيشون، *الروض العاطر الأنفاس*، رسالة د. د. ع، 374 ؛ ع. القادري، *نزهة الحادي* ؛ م. الافراني، *صفوة*، 31 ؛ م. القادري، *الزهر الباسم*، مخطوط، خ. ع، 177 ؛ *التقاط الدرر*، ت. هـ. العلوي، 1 : 23 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3: 107.

زهراء النظام

البادسي، محمد بن قاسم. ولد بفاس ودرس على كبار شيوخها في عصره أمثال مَحمد القادري، ومَحمد گنون وعبد السلام الهواري، والمهدي الوزاني وعبد الله بن خضراء السلوي قاضي فاس. وكان إلى جانب دراسته الفقهية ميالاً إلى الفلك والتوقيت واللغة والأدب، فأصبح فلكياً أديباً شاعراً.

انتقل إلى مدينة الجديدة ليشتغل عدلا مع قاضيها العابد ابن سودة، وهناك بدأ يدرّس مبادئ اللغة والدين. وكان من بين الآخذين عنه فيها عبد السلام ابن سودة الذي ترجم له في فهرسه *سل النصال*. ثم رجع البادسي إلى فاس وعمل في الطباعة الحجرية ينسخ بخطه بعض مطبوعاتها، فكان يختار للنشر كتب الأدب والتوقيت. ومن بين منتسخاته المطبوعة على الحجر بفاس كتاب *روضة الأزهار في علم وقت الليل النهار* لعبد الرحمن الجادري.

وأخيراً انتقل البادسي إلى مدينة القصر الكبير، فكانت له بها حظوة عند عامة السكان وقائد المدينة بوسلهام الرميقي، وعاش بينهم كعالم مدرس مربٍّ إلا أنه شدّد النكير على الطرق وزيارة الأضرحة والتوسل بالصالحين متعصباً للمذهب الوهابي، فجفاه القوم وأفتى بعض الفقهاء بابتداعه ومروقه من الدين، واضطر إلى الانزواء بضريح أبي عسرية الفاسي بحومة القطانين من القصر الكبير، ومرض مدة إلى أن مات هناك عام 1341 / 1922. ودفن بضريح الولي أبي يحيى الملاح من حومة باب الوادي.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1341، *سل النصال*، الترجمة رقم.

محمد حجي

البادسي، يوسف بن محمد بن عبد الله الزهيلي، ويعرف أيضا بابن الغماز. وزاد ابن القاضي في نسبه «المغراوي». ولعله التبس عليه بأبي يعقوب دفين مغراوة، وهو شخص ثان غير يوسف البادسيّ، كما نجد ذلك في وثائق اليعقوبيين الشرفاء الذين استوطنوا تطوان وبعض جهات الريف.

وهناك أبو يعقوب يوسف ثالث - وهو بادسي أيضا، أصله من قصر كتامة (القصر الكبير) وبه توفي ؛ ويعرف بابن الشقاق - وهو أكبر من صاحبنا، ترجمه صاحب *المقصد الشريف* (ص 94.98).

انحدر المترجم من أسرة عريقة في الفضل والصلاح، وكان مولده ببادس في سابع عشر ذي الحجة 640/ ماي 1243. وبها نشأ وتعلم . ومن شيوخه الأولين : أبو الوليد

إسماعيل بن أحمد الخزرجي والد صاحب *القصد الشريف*، قرأ عليه القرآن وحفظه، وجوده بحرف نافع ؛ ودرس العربية والأدب واللغة على أبي القاسم الأندلس، ثم على أبي حفص الطنجي ؛ وقرأ *الرسالة وتهذيب* البرادعي على أبي زكرياء الجعوني، وأبي إبراهيم الأعرج، ورحل مع هذا الأخير إلى فاس وأكمل تعليمه العالي ؛ ومن شيوخه بفاس : قاضيها وإمام الفريضة بجامع القرويين، أبو جعفر أحمد ابن الشيخ الفقيه أبي عبدالله المزدغي، قرأ عليه *موطأ* مالك.

وبعد عودته تاقت نفسه إلى الخلوة والتحنث، فاعتزل بالرابطة التي على ساحل البحر ـ خارج مدينة بادس ـ وأخذ في المجاهدة والعبادة والانقطاع إلى الله تعالى.

أخذ التصوف في بداية أمره عن أبي يحيى الشامي تلميذ أبي الحجاج الأقصوري، قدم من المشرق ونزل على أبي يعقوب بالرابطة، وأقام على تربيته وتهذيبه في جماعة من المريدين.

لازم أبو يعقوب الخلوة، وكان لا يخرج إلى المدينة إلا يوم الجمعة للصلاة مع الناس وزيارة والديه، ثم قدر له أن يخرج إلى معترك الحياة، فتزوج وولد له ؛ ومن حفائده أبو الحسن الخطيب، وإليه تنتسب عائلة الخطيب بتطوان.

كان أبو يعقوب على شبه مذهب أبي العباس السبتي الذي يرى أن الوجود ينفعل بالجود، فكان إذا تعلق به شخص في غرض دنيوي يقول له : تصدق تُقضَ حوائجك ؛ وكان الناس يلجأون إليه في أمورهم، ويستشفعون به لدى ذوي السلطان والجاه ؛ فيتصرف فيهم بهمته، فلا يكادون يردون عليه مرغبا، أو يرفضون له مطلبا. ولاعتقاد الناس فيه كانت داره دار أمانة وودائع ؛ ولما وقعت فتنة بادس عندما تغلب العرب عليها وخرج الناس إلى البادية بأنفسهم وأولادهم، تركوا أموالهم وأمتعتهم بدار الشيخ، فكان يخرج ليلا يتفقدها وهو يقول : اللهم احرسها بعينك التي لا تنام، واحفظها في كنفك الذي لا يضام.

وكان لأبي يعقوب اهتمام خاص بما يجري في عدوة الأندلس من تقلبات وحروب بين المسلمين والنصارى قال لزوجه ذات يوم : يا زهرة ! وقعت غزوة بالأندلس مثل فتح الشام، ويعني بذلك وقعة المنكب التي انتصر فيها المسلمون انتصارا باهرا. وكانت أخبار هذه الجهات تصله من حين لآخر، لارتباط بادس بها تجاريا ؛ فالرحلات بين البلدين لا تكاد تنقطع بحراً ، وكانت القرصنة تلعب دورها الخطير في هذا الميدان، والتجار يتيمنون بدعاء الشيخ لهم في غدوهم ورواحهم، فلا يكاد يخرج قارب إلا بإذنه ومشورته. وإذا طلبت النجدة من المسلمين، يقوم في الناس يحرضهم على الجهاد والموت في سبيل الله.

لم يكد يبلغ يوسف الخامسة والستين من عمره، حتى عقد العزم على أداء فريضة الحج، وأن يقوم بسياحة في أقطار المشرق ـ وخصوصا كنانة التي هي موطن العباد والزهاد؛ وقد حط بها كثير من رجلات المغرب الذين كان لهم مقامهم في المعرفة والتصوف ـ أمثال أبي محمد القنائي، وأبي العباس البدوي، وأبي الحسن الشاذلي، وسواهم.

وكان خروج المترجم من بادس في محرم عام 705/1305، ورافقه زمرة من أصحابه ـ وفيهم خديماه : أبو زكرياء الشاكري، وأبو الحسن بن مغيث، ومر في طريقه على الجزائر، فركب من مرفأ بجاية، ونزل بمصر، فالتقى هناك بأهل العلم والفضل. ولما نزل بمكة المكرمة انقطع للعبادة، فكان يقضي الليل كله في الطواف، وبالنهار يخرج لزيارة مقابرالفضلاء والصالحين ومآثر الصحابة والتابعين.

ثم عاد إلى مصر، ولم تطل إقامته بها، فركب من ميناء الاسكندرية متوجها إلى المغرب ؛ ولم يكد يصل إلى مرسى ابن غازي، حتى هبت عاصفة هوجاء فتحطم المركب، ثم عاد إلى مصر فخرج ثانية.

كان ليوسف شخصية قوية ونفوذ روحي، يتجلى ذلك في إقبال الناس عليه والتفافهم حوله ؛ سواءفي ذلك القوي والضعيف، والغني والفقير ؛ وكان مواظبا على قراءة القرآن وتفهم معانيه، شديد الاتباع للسنة، متقللا من الدنيا، مجتزئا باليسير منها، لم يتول بناء ولا غرسا، ولا اكتسب شيئا، مكتفيا بما ورثه من أبيه.

وكان بشوشا يبسط وجهه ويده لكل من لقيه أو اجتمع به، كثيرالحدب على الأرامل واليتامى والفقراء والمساكين ؛ يتفقد أحوالهم، ويسعى في حاجيتهم ؛ وكانت داره لا تكاد تخلو منهم، لا سيما أهل البادية الذين كانت لهم صلة بزوجته زهرة ؛ كثير البرور بحملة القرآن، يترددون عليه في بيته، ويسلك ألواحهم (يصلحها) بيده، وكانت له غرسة يجلس فيها لتعليم كتاب الله.

وكان إذا دخل شهر رمضان لايكلم أحداً، ويلزم معتكفه طيلة الشهر، وهو في أوقاته كلها كأنه في غيبة عن الناس، لا يكاد يعرف من دنياهم شيئا، ومن أوراده إذا صلى الصبح، لا يتكلم حتى يصلي صلاة الإشراق ؛ وإذا صلى العصر لا يتكلم حتى تغرب الشمس ويفطر إن كان صائما، وإذا صلى المغرب لا يزال في نوافله حتى يصلي العشاء ؛ وإذا صلى العشاء الأخير ركع وانصرف.

ومن عادته : أنه يخرج كل جمعة لزيارة المقابر، ويترحم عليهم سواء من عرف منهم ومن لم يعرف ؛ ويرى أن من حقهم علينا أن نزورهم وندعو لهم. وكان الكتاب المفضل لديه : *إحياء علوم الدين* للغزالي، لا يكاد يفارقه، ويحض أصحابه على مطالعته.

توفي عشية الثلاثاء حادي عشر ربيع الأخير عام734/ دجنبر 1333 عن سن تناهز التسعين، وقبره مزارة مشهورة هناك بسهل بادس، يبعد بنحو كلم واحد عن الشاطئ، وبازائه بئر ومسجد صغير.

ولا نعرف من آثاره إلا كتاب : *وصول العبد بالسمو إلى محل القدس العلو* نسبه إليه بعضهم وتوجد نسخة منه بمكتبه ابن عرضون.

ع.ابن خلدون، *المقدمة* ؛ *العبر* ؛ ع. البادسي، *المقصد الشريف* ؛ الأوربي، *مناقب أبي يعقوب* (مخطوط) ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ *لفظ الفرائد* (ألف سنة من الوفيات) ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية*، ج : 1 ؛ س. أعراب، *مجلة دعوة الحق*، ع. 262.

سعيد أعراب

بادي، مبارك بن علال، ولد سنة 1914 بأسفي. وفي سنة 1953 دفعته الغيرة الوطنية للعمل ضمن المقاومة السرية متنقلا بين الدار البيضاء وأسفي مستعملا أحمد بن الحاج كاسم مستعار.

وساعده عمله كبحري على تهريب السلاح وإخفائه حيث كان يوزعه على أفراد المنظمة السرية. إلى أن اغتيل في 7 رمضان 1956/1376.

وثائق الندوية السامية للمقاومة.

عزالدين العلام

البادية المغربية، تتضمن مستويين من الحياة الاجتماعية يقوم كل منهما إما على النشاط الترحالي أو الرعوي وعلى النشاط المستقر أو الزراعي. ودون الدخول في خصوصيات البنيات الاجتماعية الناتجة عن الاختلاف الصادر عن المحيط البيئي وعن التاريخ، سنتعرض للعلاقات الاجتماعية وللقيم السائدة في البادية المغربية وللعوامل التي ساهمت في تغيير النظام الاجتماعي للبادية.

1 ـ العلاقات الاجتماعية والمنطق السائد بالبادية المغربية. تتحدد البنيات الاجتماعية في البادية المغربية بالعائلة الممتدة التي تجمع عدة أسر نووية أقامها الخلف الذكور المنحدرون مباشرة من نفس الأب المشترك. وتفترض هذه البنية الأبوية الخط سيادة الأب والأولوية المطلقة للرجال على النساء. وتقوم الفرقة كوحدة اجتماعية ثانية على الرابطة الدموية الذكورية إذ أنها تتكون من عدة أسر موسعة يعتبر أعضاؤها الرجال أنفسهم أنهم أبناء عم دون تحديد درجة العمومية، ولا يمارسون الأخذ بالثأر فيما بينهم. وللفرقة زعيمها وهو «الشيخ» ولها أيضا اسمها الذي يميزها عن باقي الوحدات المكونة للقبيلة. وغالبا ما تجد بطقوس خاصة مؤسس اسمها. أما القبيلة فهي عبارة عن تجمع لفرق يدعي أعضاؤها الانتماء إلى جد مشترك. ويقوم بتسيير القبيلة «الشيخ» الذي كان في الغالب زعيما للفرقة القوية داخل القبيلة. أما التجمعات القبلية الغير المحددة والغير الواضحة فتبدو على أنها كانت مرتبطة بالحروب نظرا لوجود خطر مشترك يهددها. ولم يكن لهذه الوحدة الاجتماعية الموسعة ما يجمعها في الواقع سوى الاسم الذي كان له وجود ظرفي ووظيفي. ويضاف إلي تعقد هذه البنية القبلية لعبة اللف التي هي عبارة عن تحالفات سياسية تجزئ المدشر والفرقة والعائلة في بعض الحالات.

ويقوم هذا التنظيم الاجتماعي على مجموعة من الأعراف تحدد العلاقات والتفاعلات فيما بين الأفراد وبينهم وبين الطبيعة. وترتكز هذه التفاعلات على تلك الإرادة القائمة على تقديم للآخر المظهر عوض الكائن الحقيقي. ويشكل هذا المظهر خاصية الشخصية التي لا يمكن إدراكها إلا ككائن من أجل الآخر أي كائن يضع نفسه في اتجاه نظر الآخرين بصفة دائمة ويشعر بضغط الرأي العام. وإذا كانت الجماعة تراقب السلوك بكل دقة وخصوصا ما تعلق منه بمجال العلاقات الاجتماعية فإنها كانت تكتفي بهذا المظهر أو القناع الذي يقدمه الشخص على أنه الحقيقة لما هو. من هنا تأتي أهمية الإحساس بالعرض أو الشرف ونقيضهما الخوف أو العار والتوبيخ الجماعي الذي يعتبر المحرك الحي للسلوكات كيفما كانت والمسيطرة على كل العلاقات بالآخرين.

إن هذا الفرض الموجود من أجل الغير هو كذلك موجود بواسطة الغير ولا يمكن أن يدرك كشخصية مستقلة ، لأنه ليس بإمكانه أن يفرق بين مصيره الخاص ومصير أبنائه عن المصير الجماعي للجماعة القرابية أو النسبية. إن الضغط الاجتماعي في العشائر النسبية أو القبلية يكون شديداً لدرجة أن الحياة الاجتماعية تقهر الحياة الفردية وذلك لكون كل واحد يعرف الآخر. إن اندماج الفرد في الجماعة العائلية أو القرابية يجعل منه كائنا تتحدد وتنتظم أفعاله وأفكاره بواسطة هذه الجماعة. ويشعر أنه لا وجود لطريقة أخرى في الوجود خارج هذا الكل ويخشى بالتالي من فقدان هذا التضامن الحيوي الذي يربطه بجماعته العائلية أو النسبية أو القبلية التي لا وجود بالنسبة له لبديل عنها.

ولا يمكن أن نفهم هذا النمط الخاص من التفاعلات الاجتماعية إلا إذا ربطناه بالنمط الخاص للعلاقة القائمة بين الرجل وأرضه أو قطيعه في البادية المغربية. ولا يمكن بالمناسبة فهم الحياة الاقتصادية نفسها إلا إذا ربطناها بالحضارة البدوية نظرا لاتصالها بالبنيات الاجتماعية التي يقوم تماسكها علي التوازن ما بين الإنسان والطبيعة. إن ما يميز الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالبادية المغربية هو هيمنة الفقر التقنولوجي الذي يؤدي إلى نتائج متعددة أهمها : التبعية الشبه التامة للوسط الطبيعي وللظروف المناخية، وارتباط التوازن بين الخيرات والحاجيات بالأمطار وليس بالتقلب في الأسواق العالمية، وعدم التوازن بين الإنتاج والطاقة والزمن المخصص وعدد العمال المشتغلين من جهة أخرى، وأخيرا كثافة العلاقات الإنسانية التي تنمو في جزء كبير منها كتعويض لانعدام الإمكانيات التي تسمح بالتحكم في الظواهر الطبيعية.

ولا يهدف العمل في إطار هذا النظام الاجتماعي إلا لتلبية الحاجيات الأولية ولضمان إعادة إنتاج الجماعة. وتعمل كل وحدة اجتماعية كل ما في وسعها للعيش في تقشف وذلك بممارسة الاستهلاك الذاتي. ولا تعطى أية أهمية للرأسمال وللآليات الرأسمالية. وكلما توفرت إمكانيات لتراكم الخيرات والقيم المنقولة فإنه لا يتمر

اذخارها بمعنى الكلمة. وتبقى العلاقات سواء داخل الإنتاج أو في إطار التبادل مشخصة ومباشرة وخاصة. وهذا ما يعطي أهمية للتجارة القائمة على العرض أو الشرف ولمعاهدات الحماية والشركة التي تضمن دوران الخيرات والخدمات في غياب الرأسمال وسوق العمل.

وتتميز العلاقة التي تربط سكان البادية المغربية بالأرض بطبيعتها الصوفية. إنها بعيدة عن أن تكون علاقة منفعية. إن الفلاح ينتمي لأرضه أكثر مما تنتمي إليه الأرض ويبقى مرتبطا بها بعلاقة خضوع كما تشهد على ذلك كل الطقوس الفلاحية المعبرة عن التبعية للأرض وللطبيعة. ولا تعامل هذه الأرض كمادة أولية ولكن كأم مرضعة يجب الخضوع لها لأن الوفرة أو الضرورة تابعة لحسن أو سوء تصرفها أكثر مما هي تابعة للمجهود الإنساني. هكذا فإن الأرض ليست مجرد وسيلة للعمل وللوجود أو طريقة لضمان العيش ولكنها طريقة في العيش. ويمكن أن نفهم من هنا المنطق الماقبل رأسمالي المتحكم في سلوك سكان البادية : إن ارتفاع المدخول أو الأجرة يؤدي إلى التنقيص من كمية العمل. ولا يعطى أي اعتبار لما يمكن ربحه إذا تم التكثير من العمل، بل كل ما في الأمر هو أنه يتم التساؤل حول العمل الذي تطلبه الحصول على المدخول السابق حسب الحاجيات، ويعني هذا السلوك انعدام المبالاة بالبحث عن الفائدة.

ولا يمكن أن نفصل هذا التصور للعمل الفلاحي عن خاصية أخرى تميز هذا المنطق وهو غياب الحساب الاقتصادي المعقلن. إن الزمن بالنسبة للبدوي الذي يعيش في إطار الوسط الطبيعي ليس له نفس المدلول الذي نجده في الوسط التقني حيث تكون المدة أو الزمن موضع حساب. ومن هنا فإن الاهتمام بالمنتوجية المؤدية إلى التقييم الكمي للزمن لا وجود لها، وهكذا فإن العمل الذي يجب القيام به هو الذي يتحكم في المدة وليست المدة هي التي تحدد العمل. وتبقى وثيرة العمل الفلاحي أو الرعوي مرتبطة بالدورات البيولوجية سواء الحيوانية منها أو النباتية. أما الوجود اليومي فيبقى مشكلا على أساس التقسيم الخاص باليومية الطقوسية. هكذا فإن المنطق البدوي يتضمن الخضوع للمدة أو الزمن لأن الحياة البدوية والفلاحية قائمة على أساس الانتظار.

ومن هذا المنطق يمكن أن نميز بين مجموعة من السلوكات والممارسات الخاصة بهذا النمط من الحياة الاجتماعية. إن الاختزان la mise en reserve الذي يقتضي خزن جزء من الخيرات المباشرة من أجل استعمال قادم يختلف عن الاكتناز thésaurisation الذي يعني تراكم الخيرات الغير المباشرة التي يمكن أن توظف توظيفا رأسماليا (الاستثمار)، لأن هذا الاكتناز يقوم على أساس التوقع prévision المحسوب والعقلاني، ومن هناك فإن الحساب الذي يمكن أن نلقاه في الاقتصاد الفلاحي الحديث يفترض الاهتمام بمستقبل ملموس وممتد. ولكن الفلاح المغربي لايفرق دائما بين العمل ونتيجته الاقتصادية ويبقى الاختزان عبارة عن استهلاك مؤجل. لهذا فإن الحساب الذي يعرفه هذا الفلاح هو حساب يخدم الشعور بالإنصاف équité ويتعارض مع روح الحساب القائم على تقييم كمي للفائدة والذي لايقبل التقديرات العشوائية والغيرالمبالية لأخلاق العرض والكرم.

إن الفلاح قلما يفهم منطق مؤسسة القرض ولهذا فإن القرض الذي يلجأ إليه هو قرض موجه بالأساس للاستهلاك. إن القرض مثله مثل السلف التقليدي الذي اعتاده الفلاح يفترض الثقة ولكنها ثقة لا تستثني الاحتياط. وبالرغم من هذا التشابه الظاهر فإن هناك اختلافا بين القرض بمعناه الحديث والسلف بمعناه التقليدي. إن واجب الرد ورد أكثر ما يمكن من تجارة العرض التقليدية يقوم على الولاء الشخصي ويكون الشخص نفسه هو الضمانة وليس الثروة أو الممتلكات، في حين أن القرض الحديث لا يهتم إلا بالضمانات المادية، ويفترض الفائدة والقيمة الحسابية للزمن وعدم شخصية العلاقة، كما يفترض أيضا الإحالة إلى مستقبل مجرد ومحدد بواسطة عقد مكتوب ومضمون من طرف نظام العقوبات الوضعي.

ويجب أن نميز كذلك بين سلوك المساعدة entraide الذي نلقاه في البادية المغربية والذي يقوم على أساس الروابط القرابية الحقيقية أوالوهمية وبين التعاون coopération الذي يقوم على تعبئة أفراد تم اختيارهم حسب الأهداف المحسوبة لعملية محددة. تكون الجماعة في حالة المساعدة موجودة قبل الاتفاق وتدوم بعده. بينما في حالة التعاون يكون سبب وجود الجماعة موجودا خارجها أي في الهدف المستقبلي المحدد بواسطة العقد، وتنتهي الجماعة بانتهاء العقد. ويعني هذا أن تقاليد المساعدة القرابية السائدة في البادية تبقى بعيدة من أن تعد الفلاح للتكيف مع الأنظمة التعاونية أو الجماعية الحديثة coopératives،إن الأكثر تكيفا مع هذه الأنظمة هم أولئك الذين لم تعد لهم أي علاقة بالأرض ولا بملكيتها.

ولا يمكن أن نفهم أهمية الخضوع والامتثال لما هو قائم إلا بالإحالة إلى منطق العرض : لأن التفرد والتمايز القائمين على التجديد المجاني والمباهي يعتبران تحديا للجماعة ومسا بعرضها. ومن هنا فإن الثراء الذي لا يكون مصحوبا بكرم يكون محتقرا ومذموما.

ونظرا لأهمية العرض كرأسمال رمزي محدد للعلاقات الاجتماعية بالبادية المغربية فإنه يجب الوقوف عنده وتحديده.

2 ـ القيم السائدة في البادية المغربية : يجب في البداية التمييز بين العرض honneur والشرف sainteté. إن العرض يحدد قيمة الرجل مهما كان نسبه بينما الشرف هو لقب ناتج عن النسب أو الانتساب. ويقوم العرض على مبدإ أساسي وهو الانصاف équité حتى وإن لم يكن موضوعاً بصفة واضحة كمعيارلكل العمليات الأخلاقية. ويمكن

تعريف التبادل العرضي كتبادل يقتضي إمكانية رد أو جواب أو إرجاع أو عطاء مضاد يتضمن الاعتراف بالطرف الثاني في التبادل. من هنا فإنه يقتضي التحدي والتحدي المضاد الغيرالمعترف بهما شعوريا. ويتضمن المبدأ الأساسي وبديله (التحدي/ التحدي المضاد) الدخول في تبادل العرض مع زعيم أو عضو جماعة ما متساوية في العرض. وكل من دخل في تبادل العرض مع من لا يساويه يجلب لنفسه العار أو «البهدلة» أو «التحشيمة». إذا تحدى من هو أعلى منه فهو يتعرض للاحتقار وإذا تحدى من هو أدنى منه فهو يجلب لنفسه العارأو «البهدلة».

إن هذا العرض المحدد للعلاقات الاجتماعية بالبادية المغربية يقوم على إنكار الاقتصاد والمصلحة. ولا يمكن الإلمام به بكيفية ملموسة إلا من خلال مظهرين أو مستويين مرتبطين في الواقع ارتباطا وثيقا. هذان المستويان هما : امتلاك المجالات المحرمة والمشاركة في تبادل العنف.

أ. المجالات المحرمة :

لكي يكون لشخص ما عرض يجب عليه مراقبة المجالات المحرمة والممنوعة على الآخرين وله سلطة عليها. هذه المجالات المحرمة هي : الأرض أو القطيع وتراب الجماعة النساء والبيت.

إن كل رجل متزوج وله أولاد في الجماعات النسبية الترحالية أو المستقرة لا يصبح رجلا كاملا إلا إذا كان يملك أرضا أو قطيعا من الماشية. وبدون الأرض أو القطيع لا يمكن له أن يشعر بأنه رجل عرض. ورجل العرض هذا هو زعيم العائلة، متزوج ومشرف على الميراث العائلي، وهو الذي يتمتع بالسلطة على المجالات المحرمة وهو المسؤول عن عرض جماعته العائلية لأنها عرضه أو عاره وكذا عن تبادل العنف.

وبصفته يتوفر على هذه السلطة فإنه مسؤول كذلك عن تراب الجماعة الذي يصبح بدوره مطابقا للعرض أي مجالا محرما.

وحتى يتم اعتبار رجل ما رجل عرض فيجب عليه مبدئيا أن يكون متزوجا وأن يحجب زوجته عن نظر الآخرين. كما يجب عليه كذلك أن يراقب سلوكها وسلوك بناته وإخوته حتى لا يجلبن له العار أو «البهدلة». إن النساء هن الحرم، والحرم هو المجال المقدس والممنوع الذي يتحمل الرجال مسؤولية صيانته وتحصينه. إن الحرم في هذا الإطار هو العار أو العيب وشرف أو عرض الرجال أيضا. ويكبر العرض كلما كبر العار أو العيب (اتساع الأراضي وامتداد تراب الجماعة وكثرة النساء) ذلك التحدي الحقيقي والدائم لعرض الرجال.

ب ـ تبادل العنف :

إنه لا يكفي لرجل العرض أن يمارس سلطته على المجالات المحرمة. ولكن يجب عليه أن يتحدى الآخرين وأن ينتظر من الآخرين التحدي. إن رجل العرض الذي يحدد حياته في زوجته وأولاده وأرضه أو ماشيته يتم احتقاره من طرف الجميع. إنه كائن من أجل الجماعة وبواسطتها. لهذا فإن العرض هو الوجه والمواجهة دون الخوف من الآخرين. ويكتسي العنف في هذا التبادل مظهرين لازمين ومتعايشين باستمرار. هناك العنف المفتوح، الجسدي أو الاقتصادي. وهناك العنف اللين أو الرمزي وهو الذي لا يعترف به كعنف وهو اختياري. هذا العنف الرمزي هو الثقة والإلزام والوفاء الشخصي والضيافة والعطاء والدين والاعتراف والورع وكل الفضائل التي تشرف أخلاق وسلوكات العرض.

ويمكن تقسيم هذه السلوكات المميزة لتبادل العنف إلى ثلاثة أبعاد : المبارزات الكلامية، مصاريف الأبهة أو التباهي والقتل أو الاعتداء الجسدي.

من هنا يتبين أن العرض هو تبادل قائم على تناقض : إنه يقتضي، من جهة، السلطة والسيادة على المجالات المحرمة، ومن جهة أخرى يقتضي اختراق هذه المجالات المحرمة بالتحدي والتحدي المضاد. ويكون هذا التحدي إما بالكلام أو بمصاريف التباهي (عزومة، هدايا، ضيافة، صدقة، هبة، الخ.) أو بالاعتداء الجسدي. وتأخذ مصاريف التباهي شكلين أساسيين : مصاريف احتفالية كالأعراس والمواسم والأعمال الجماعية (التويزة مثلا)، التي تدخل في إطار منطق الكرم والضيافة والسخاء. أما القتل أو الأخذ بالثأر كعنف مفتوح فإنه يبدأ دائما باختراق المجالات المحرمة أو بالطعن في سلطة أو قيمة رجل عرض. إن الهجوم والسرقة في بيت أو مخزون وإهانة امرأة والمس بالأطفال أو الخيرات تعتبر تحديا لعرض رجل وعرض جماعته العائلية والنسبية.

3 ـ البادية المغربية وعمليات التغيير الاجتماعي :

لقد بدأ التغيير يمس البادية المغربية مع مجيء الحماية، ولكن التغير العميق للعلاقات وللقيم الاجتماعية لم تبدأ إلا مع الاستقلال. ويرجع هذا التغير لعدة عوامل يمكن تحديدها في المسائل التالية : الظواهر الإيديولوجية المرتبطة بالاستقلال، تدخل الدولة في البادية، الظواهر المرتبطة بالنمو الديموغرافي، استعمال النقد على نطاق أوسع في المعاملات الاقتصادية والاجتماعية.

أ ـ الظواهر الإيديولوجية المرتبطة بالإستقلال :

لقد كان لهذا العامل تأثير كبير بحيث إنه أمد سكان البوادي بنظام جديد للتصورات والتمثلات الاجتماعية، خصوصا بتوسيع مجالهم الاجتماعي ورؤيتهم للعالم وباقتراحة زمنا اجتماعيا أخر وتساؤلا تاريخيا جديداً حول تغيير المجتمع. وقد ساهمت وسائل عديدة في نشر هذه المواضيع وفي ربط البوادي بحقيقة وطنية وكونية تتجاوز الإطار القرابي والقبلي.

ب ـ تدخل الدولة في البوادي :

لقد رافق الاستقلال تغيير التراتبات السياسية بالبوادي وتدخل الدولة في قطاعات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والمعرفية وهي إطار التنظيم الإداري والمجالي.

ج ـ الظواهر المرتبطة بالنمو الديموغرافي :

يمكن اعتبار النمو الديموغرافي من الأسباب الأساسية التي تفسر مختلف التغيرات الاجتماعية في البوادي. لقد أحدث هذا النمو الديموغرافي خللا في التوازن ما بين موارد وحاجيات السكان مما أدى إلى أشكال جديدة من التكيفات أهمها الهجرة إلى المدن.

د ـ دخول النظام النقدي :

المقصود هو تلك الظواهر المرتبطة بالتحول الاقتصادي في البوادي وخصوصا الظواهر المترتبة عن المرور من اقتصاد الاكتفاء الذاتي إلى الاقتصاد التبادلي الموسع. ومن بين مظاهر هذا الاقتصاد التبادلي الجديد يمكن أن يذكر انتشار ونمو العلاقات الأجرية والمعاملة بالنقد.

لقد أصبحت الأجرة عنصرا مهما في مداخيل الأسر بالبوادي. إن التأجير هو علاقة اجتماعية غير مشخصة بين الرأسمال والعمل، والمأجور هو شخصية مجهولة الاسم تحررت من قيود العائلة والجماعة النسبية. أما ما يميز التعامل بالنقد وخصوصا الورقي منه فهو طبيعته الغير المشخصة كذلك بحيث إن النقد الورقي يصلح لأي واحد مهما كانت مكانته أو قيمته الاجتماعية وفي أي مكان كان ولأي عملية تبادلية. فهو بهذا يفكك الروابط الاجتماعية التي كانت سائدة في البادية ويخلق علاقات وقيما جديدة لم تكن مألوفة أهمها الحساب والمحاسبة مما يتنافى مبدئيا مع القيم والسلوكات التي تنبذ الحساب وتحتقر من يلجأ إليه و هي القيم الخاضعة لاقتصاد العرض.

م. شقرون، *نظام القرابة والعائلة في المجتمع المغربي*، مجلة كلية الآداب بالرباط، ع 13، ص89.59.

P. Pascon, *le Haouz de Marrakech*, Rabat, 1977 ; *Etudes rurales*, Rabat ; P. Bourdieu, *le Sens Pratique*, Paris, 1980 ; R. Jamous, *Honneur et Baraka*, Paris, 1981 ; G. Lazarev, *Changement social et développement dans les campagnes marocaines, Etudes sociologiques sur le Maroc*, Rabat, 1971, pp. 129-143 ; M. Chekroun, *Crise de la société, Crise de la sociologie*, in *B. E. S. M*, 1984.

محمد شقرون

باديس (ابن ـ) الحسن بن علي، حفيد المعز ابن باديس أشهر أمراء دولة آل زيري بن مناد الصنهاجي خلفاء الفاطميين على أفريقية، الذي تنكّر لمذهب الشيعة الرافضة واعتنق السنة واستقل بحكم المهدية وما يليها من الثغور. وقد خلف الحسن أباه علياً في حكم المهدية، وكانت بينه وبين المرابطين مكاتبات واتصالات. ولما غزا أحمد بن ميمون قائد أسطول المرابطين صقلية وافتتح قرية منها فسباها ومثّل باهلها سنة 510 / 1116 ظن روجار Roger II صاحب صقلية أن ذلك وقع بإيعاز من الحسن ابن باديس، فأرسل أساطيله على المهدية. فكسّرها ابن باديس ثم أعادت أساطيل روجار الكرة مراراً إلى أن ملكت المهدية سنة 543 / 1148 ثم احتلت صفاقس وسوسة وطرابلس وسائر بلاد الساحل، ووضعت على أهلها الجزية.

لحق الحسن ابن باديس بعرب رياح فلم يجد عندهم مصرخاً، والتحق ببونة، فقسنطينة فالجزائر حيث مكث عند أميرها ابن عبد العزيز إلى أن فتح الموحدون الجزائر سنة 547 / 1152 بعد قتلكهم المغرب والأندلس، فخرج الحسن إلى عبد المومن فلقّاه تكرمة وقبولا وصاهره وحمله معه إلى مراكش فأقام معه إلى سنة 553. وصحب الحسن عبد المومن إلى أفريقية حيث فتح المهدية بعد نزال وحصار سنة 555 / 1160 وأسكن بها الحسن ابن باديس فأقام هناك ثماني سنين. ثم استدعاه يوسف بن عبد المومن فارتحل بأهله قاصداً مراكش لكنه مات في الطريق بتامسنا في آبار زلّو سنة 563 / 1167. وقد صُحف هذا الرقم بالتقديم والتأخير في *العبر* فكتب "سنة ست وثلاثين" وتبعه في ذلك من نقلوا عنه.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، 197 ـ 198 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 330 ـ 334 ؛ م. ابن عذاري، *البيان*، 1 : 308 ؛ ل. ابن الخطيب، *أعمال الأعلام*، 33 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 3 : 132 ـ 134 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 1 : 45.

محمد حجي

بَادِيبَا إبْلِيش، دومينكو Badia y Leblich Domingo مغامر إسباني جاء إلى المغرب متنكراً في زي عربي مدعياً بأنه من العائلة العباسية واسمه المستعار، علي باي العباسي بن عثمان Ali Bey el Abbasi ben Otman وكان الغرض من مجيئه إلى المغرب هو القيام بمهمة سرية من أجل تحريض أحد خصوم مولاي سليمان على القيام بثورة ضده مقابل مساعدة مادية تقدمها له اسبانيا على أن يسمح لها باحتلال جزء من شمال المغرب.

باديبا إبليش دومينكو

ولد بَادِيبَا ببرشلونة يوم فاتح أبريل 1767 وتابع دراسته بجامعة بلنسية حيث تعلم اللغة العربية وتفوق في علم الجغرافيا والحساب والتنجيم والفزياء والموسيقى. وفي شهر

أبريل سنة 1801 انتقل إلى مدريد حيث قدم إلى الوزير الأول كودوى Godoy مشروعه الرامي إلى احتلال المغرب ولم يجد أية صعوبة في الحصول على موافقة الوزير المذكر، فبدأت الاستعدادات لتهييء السفر.

وفي 9 ربيع الثاني 29/1218 يونيو 1803 حل بَادِيبَا بطنجة حيث استقبله باشا المدينة الحاج عبدالرحمان أشعَاش كأمير عباسي، وفي يوم 5 أكتوبر حل بالمدينة السلطان مولاي سليمان الذي استقبل المغامر في نفس اليوم، وفي يوم 26 من نفس الشهر غادر بَادِيبَا طنجة متوجها إلى مكناس حيث كان وصوله إليها يوم فاتح نوفمبر. وفي اليوم التالي استقبله السلطان من جديد، وبعد ثلاثة أيام انتقل المغامر إلى فاس حيث زار مكتبة القرويين باحثا عن كتاب تيتوليبيوTito libio الذي كان علماء أوربا يظنون أنه يوجد بها فلم يجده.

وظل باديبا بفاس إلى يوم 27 فبراير 1804 حيث توجه إلى سلا والرباط فوصلهما يوم 4 مارس ولم يغادرهما إلا يوم 10 مارس متوجها إلى مراكش عن طريق الدارالبيضاء.

وبمراكش استقبله مولاي سليمان للمرة الثالثة وسلمه ظهيرا مؤرخا في 29 ذي الحجة 11/1218 أبريل 1804 يهب له به جنان السملالية ودار ابن أحمد الدكالي بمراكش. وفي يوم 26 أبريل توجه باديبا إلى الصويرة التي وصلها يوم 30 ومنها اتصل على ما يبدو بالأمير مولاي هشام ابن السلطان سيدي محمد بن عبدالله.

وفي يوم 15 ماي عاد باديبا إلى مراكش مرة ثانية لينتظر هناك وصول الأسلحة لمولاي هشام. ومما يدل على أن باديبا كان قد اتفق مع الأمير المغربي على ما جاء من أجله، الرسالة التي وجهها الوزير گودوي Godoy إلى الحاكم العام بجنوب اسبانيا يوم 17 يونيو 1804 يخبره فيها بأنه أصدر أوامره إلى حاكم جزيرة ليون Isla de Leon لكي يضع تحت تصرفه ألفي بندقية وأربعة آلاف حربة بندقية، وألفي مسدس وعددا من المدافع الخفيفة.

لكن لم تمر على هذه الرسالة سوى أسابيع حتى كتب گودوى يقول لبَادِيبا يوم 17 يوليوز إن الملك الإسباني كارلوس الرابع Carlos IV عندما اطلع على مشروعه السري أصدر أوامره بعدم تنفيذه، فسُقط في يد بَادِيبَا وصاحبه الوزير، وظل المغامر بمراكش مريضا إلى أوائل شهر مارس من سنة 1905 حيث توجه الى فاس بعد أن كلف باشا مراكش القائد عمر بوستة بالأملاك التي وهبها له مولاي سليمان.

ويبدو أن أمر بَادِيبَا انكشف واضطر إلى مغادرة المغرب بدعوى أنه يريد قضاء فريضة الحج حيث قرر الذهاب إلى الجزائر، وفي يوم 30 ماي غادر فاسا في اتجاه وجدة التي وصلها يوم 9 يونيو. وعند حلوله بوجدة علم بوقوع فتنة بتلمسان فاضطر إلى الرجوع إلى مدينة تازا يوم 9 غشت ومنها توجه إلى وزان ثم إلى العرائش التي حل بها يوم 17 من نفس الشهر، وفي يوم 13 أكتوبر أرغم على مغادرة المدينة على ظهر سفينة كانت متوجهة إلى طرابلس، وهكذا انتهت المغامرة التي قال عنها أحد المؤرخين الإسبان إنها كانت «آخر حلم امبريالي لإسبانيا».

وأما باديبا فقد قام بجولة في الشرق العربي ولم يعد إلى وطنه إلا في شهر ماي 1808 أي في الوقت الذي كانت الجيوش الفرنسية قد تمكنت من احتلال جزء كبير من التراب الإسباني وأصبح أخو نابوليون Napoleon المسمى خوسي بونابارطي Jose Bonaparte ملكا على إسبانيا.

وفي سنة 1814 نشر باديبا بمساعدة الملك الفرنسي لويس الثامن عشر Louis XVIII رحلته باللغة الفرنسية تحت عنوان: *Voyage d'Ali Bey el Abbassi en Afrique et en Asie pendant les annés 1803-4-5-6-7* (Paris 1814) رحلة علي باي العباسي بافريقيا وآسيا خلال سنوات 1803-7.6.5.4.

وقد ترجمت هذه الرحلة إلى اللغة الانجليزية ونشرت بلندن سنة 1816 و إلى اللغة الايطالية ونشرت بميلانو سنة 1817 و إلى اللغة الاسبانية سنة 1836 ببلنسية، وإلى اللغة القطلانية ونشرت ببرشلونة عدة مرات سنة 1888 و 1892 و1926.

توفي باديبا بدمشق سنة 1892 عندما كان يقوم بمهمة سرية كلفه بها الملك الفرنسي لويس الثامن عشر، وكان المغامر باديبا يحمل آنذاك اسم علي بن عثمان.

Coleccion Toda (documentos originales de Ali Bey) en Archivo Municipal de Barcelona ; Torres Amat, *Memorias para ayudar a formar un diccionario de escritores catalanes*. Barcelona, 1836 ; M. Godoy, *Memorias de don Manuel Godoy, principe de la paz*, Gerona, 1836-41 ; Centro excursionista de Cataluña. *Monografia de Ali Bey*, Barcelona, 1879 ; *Viajes por Africa y Asia realizados y explicados por don Domingo Badia y Leblich utilizando el nombre de Ali el Abbasi*, Barcelona, 1934 ; Augusto Caras, *Ali Bey (vida, viajes y aventuras de don Domingo Badia)*, Barcelona, 1943 ; Julio Roman, *Viajes de Ali Bey el Abbasi*. Madrid, 1951; *Viajes de Ali Bey el Abbasi por Africa y Asia durante los años 1803-4-5-6-7. Valencia, 1836.*

محمد ابن عزور حكيم

البَاذِنْجَان، أو البِرَانية أوالدلنجال، نبات خضري يسمى علميا سُولانُومْ مِيلُونْجِينَا Solanum melongena وهو من فصيلة الباذنجانيات Solanaceae التي تضم كذلك البطاطا، والفلفل والطماطم...

النبات عشب متفرع قائم يبلغ طوله حوالي المتر، ذو أزهار صغيرة بيضاء. ثمرته لبية كبيرة ذات أشكال تختلف مع اختلاف الضروب، خضراء اللون ثم تَسْوَدُّ عند نضجها.

الموطن الأصلي للباذنجان هو الهند، لكنه أصبح يزرع بكثرة في المناطق الدافئة والمعتدلة حيث يحتاج إلى حرارة مرتفعة لنموه.

أما في المغرب فزراعة الباذنجان منتشرة في جميع السهول السقوية. وفي الطبخ المغربي تقطع الثمار في غالب الأحيان إلى شرائح ثم تسلق أو تقلى مع البصل والفلفل، والطماطم لتهيئ بعض أنواع الأطعمة الشعبية.

أبحاث شخصية : ألبيرت هيل، *النبات الاقتصادي*، تر زاهرعبدالمجيد وآخرين، القاهرة ـ نيويورك 1962.

عبدالملك بنعبيد

الباذنجان، ـ لغة واستعمالا ـ وية ال فيه الإبذنج، لفظ معرب عن الفارسية، واسمه العربي الأَنَبُ، ويسمى أيضا المغد، والحيصل، والحدق، إلى أسماء أخرى عربية تناهز العشرة، ويقال منه : بَذَنْجْتُ الطعام إذا جعلت فيه باذنجانا.

والباذنجان نبات حَوْلِيٌّ، موطنه الأصلي آسيا الجنوبية (الهند، الصين، برمانيا) وهو قديم العهد أيضا بأرض الحبشة، وما يزال ينبت إلى اليوم في مناطق شرقية بشكل متوحش.

يختلف ثمر الباذنجان في الحجم والشكل واللون باختلاف الجهات التي ينبت فيها، فيكون منه الأسطوانيّ المستطيل، والبيضانيّ، والمدحرج، ويكون فيه الأسود، والأبيض، والأوجواني في ألوان أخرى متقاربة.

والباذنجان يحتاج إلى الكثير من العناية في إعداد تربته، وسقيه، وتهويته، ودفع الآفات عنه، وفي اجتناء ثمره، وفي التخطيط لغراسته تخطيطا مُقدّراً مَقيساً.

ويعالج الباذنجان قديما وحديثا في ألوان شتى، وبأسماء مختلفة في البلاد العربية والإسلامية كما تصف ذاك كتب الأدوية والأغذية وكتب الطبخ، وفي *فضالة الخوان، في طيبات الطعام والألوان* لابن رزين التَّجيبي الأندلسي من أهل القرن السابع الهجري، فيه عشرون لونا منه بما كانت عليه في عهده.

والمغرب يستنبت البَاذنجان على السواحل وبالداخل في محافل مكشوفة وأخرى مغطاة، وينتج منه ما يكفي حاجته، ويصدر منه إلى أوربا (فرنسا، هولاندة، بلجيكا).

ويوكل الباذنجان بالمغرب كإحدى الخضروات المستلذة والكثيرة الاستهلاك على جميع المستويات الشعبية، ويستعمل منه المغاربة لونا يسمونه المدربل، والعمل فيه أن يسلق، ثم يغلى ثم يُدْعَس دعْساً حتى يتعجن، ثم يجعل على طبيخ اللحم في المرق، والتسمية هذه جاءته من تشبيهه بدرابيل الفقراء، واحدتها دربالة، وهي في دارجة المغرب الثوب الخلق المشكل الرقاع، وجاء في *تاج العروس* من مادة (دربل) مانصه :«والدربالة ـ بالكسر ثوب خَشِنٌ يلبسه الشحاذون، وهي عامية». وجاءت كلمة المدربل في قصيدة نظمها الفقيه محمد بن سودة باسم المولى محمد الشريف جوابا لمحمد الشيخ ابن زيدان. قال الفقيه :

دع عنك في الحَمْرا مُروق سفرجـل ومُدَرْبلاً بـه زعفران وفُلفـلُ
واركب مطايا الصافنات إلى الوغى إما تحـوز مزيـةً أو تُقتـل

ولهم فيه لون آخر من شكله، يُنصَف فيه الباذنجان، ثم يغمر بالماء في قدر، ثم يسلق، ثم يصفى من الماء، ثم يدعك دعكا حتى ينحل، ثم يلقى فيه بشيء من الثوم والكمون والفليفلة، ويصب عليه بعض الزيت والخل، ثم يوضع على النار حتى ينضج، فإذا تم عليه ذاك فهو الزعلوك ـ بفتح الزاي ـ كما تنطقه العامة، فأما الزعلوك في الفصيح فهو ـ بضم الزاي ـ ومعناه الصعلوك.

وللمغاربة في الباذنجان معالجة ثالثة يسمونها البرانية، يقطع فيها الباذنجان فلكات، ثم يقلى في الزيت قليا بالغا، ثم يعجن مخلوطا بشيء من السمن وشيء من الخل ثم يوكل إداماً أو يجعل على طبيخ اللحم بالمرق.

ولفظ البرانية ـ فيما يبدو ـ تحريف لكلمة البورانية التي جاء بها المجْدُ في مادة (بور) من *القاموس* فقال ما نصه : « والبورانية طعام ينسب إلى بوران بنت الحسن بن سهل زوج المامون» وهي ـ فيما أحسب ـ طعام مُبَذَّجٌ . وصف ابن رزين الأندلسي لونا منه في *فضالة الخوان*(ص 57.56) بالحالة التي كان عليها بالأندلس في القرن السابع الهجري.

وبعد، فإن في الطب العربي القديم تحذيرات من سوء أثرالباذنجان على الصحة، فهو متهم بأنه يورث السرطانات والجذام، والبواسير، ويسبّب السدد، ويهيج السوداء، ويضعف الذاكرة، ولا يذكره الطب الحديث بهذه الأسواء، ولكنه يقول عنه إنه قليل القيمة الغذائية، عسير الانهضام، فينبغي أن يحتمي منه ذوو المعد الضعيفة، ولا سيما الصغارمنهم والمسنين.

وأخيرا فإنه من الموضوعات حديث (البَاذنْجَان لما أكلَ لَهُ) وقد قال الحفّاظ عنه إنه من وضع الزنادقة، ولبرهان الدين إبراهيم بن محمد الحلبي تأليف في إبطاله سماه : *قلائد المرجان، في الحديث الوارد كذباً في الباذنجان*.

ابن سينا، *القانون* ؛ ابن البيطار، *الجامع لمفردات الأدوية والأغذية* ؛ الملك المظفر، *المعتمد في الأدوية المفردة* ؛ التجيبي، *فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان* ؛ الغساني الوزير، *حديقة الأزهار، في ماهية العشب والعقار*؛ بطرس البستاني، *دائرة المعارف* ؛ م. ف. وجدي، *دائرة معارف القرن العشرين* ؛ أ. أمين، *قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية* ؛ رمزي مفتاح، *إحياء التذكرة في النباتات الطبية والمفردات العطارية* ؛ ع. فـــراج، *الخضروات وقيمتها الغذائية والطبية*، سلسلة المكتبة الثقافية رقم 40.

أحمد الشرقاوي إقبال

بَـارَا ـ أسرة. ← **بارو**

بَـارَا بن محمّـد العبلاّوي ابن هموش، عرف بابن العسري، من رُبُـع قبيلة أيت عبلاً الباعمرانية، ورث المشيخة عن والده، وحمل السلاح وهو ابن سبع عشرة سنة من عمره، كان دائما في صراع ضد القائد المدني، وتعرض للقتل عدة مرات، لكن العمر طويل حسب تعبيره.

عين شيخا على قبيلة أيْت عبلاً، وأصبح مسؤولا عن أمورها وجمع فرسانها، ودفع ما عليها. شارك في معركة تيزى ضد الحملة الفرنسية سنة 1917، كما انضم إلى القائد الناجم الاخصاصي في الهجومات المباغتة على الجيوش الفرنسية بأزغار، وشاهد هجوم قبيلة أيت عبلا على قائدها الفقيه سيدي أحمد بن الحسين بتدبير من القائد المدني الأخصاصي، ولما تخلص منه، ولّى مكانه بُوجَنْوي (أبو الخنجر) عبلا، لكن القبيلة قتلته بعد صراع دام سنة كاملة.

قال الشيخ بارا هذا «إن القائد المدني كان بحق عدوا لدودا لفرنسا، إلا أنه كان يتخلص من كل شخصية

تنافسه، وبجميع الوسائل» ثم قال «احتفلت فرنسا بموت القائد المدني في سوس، لأن أخاه الحنفي لم يكن في مستواه. كما سئم الناس الحروب، وكانت المجاعة عامة، وكادت جيوش فرنسا أن تطبق قوسها على أيت باعمران جنوبا وشمالا.

قال :«فبينما قبائل أيت باعمران. في اجتماع في موضع أدَارْ بقبيلة أيت يعزى سنة 1934 يتذاكرون في كيفية الحرب ضد فرنسا، وترسيم الخطة كما جرت العادة في «أجْمُوع» فإذا برسالة من حكام تزنيت، تأمُر أيت باعمران، بأن يرسلوا أشياخهم الستة إلى ثلاثاء الأخصاص، وفعلا أرسلت كل قبيلة شيخها ومعه نائب واحد، وهؤلاء الشيوخ منهم القائد أحمد أصبّايُو والشيخ سعيد الخمسي لكنه رجع في الطريق، ثم الحاج عبد الكريم بن الحسن الخلفي، ثم الشيخ الحسين البعراوي، والشيخ بلعيد البوبكري، ثم بارا بن محمد العبلاوي. وفي ثلاثاء الأخصاص التقينا مع ضابط إسباني وأخبرنا بالحدود الجديدة لأيت باعمران مع اخراج أيت الساحل منهم، كما طلب منّا إخراج برابر الأطلس المتوسط من بلادنا وهم أيت حمّو وأيت خبّاش الذين قاوموا فرنسا منذ البداية، وبعد مدة خرجت إسبانيا من سيدي إفني، فقبلت شروط أيت باعمران، ماعدا ابقاء السلاح بيد الناس، وبانتزاع السلاح منا صرنا نطبق الأوامر فقط».

ح. الجهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مخطوط.

الحسين جهادي

بَـارَا، محمد بن المهدي. هكذا ورد اسمه في وثيقة ترجع إلى عام 1133 هـ. وكان ناظر أوقاف المشهد الشبلي بمدينة مكناس. كما كان معدوداً من نخبة بلده، فيأتي اسمه بين زمرة أعيان مكناس الموقعين على بيعة السلطان عبد الرحمان ابن هشام. بتاريخ يوم الأحد 15 ربيع الثاني 1238 / 1822.

وفي نفس السنة ـ 22 رمضان ـ كان المترجم يتقلد وظيفه وكيل الغُيب ببلده، حسب رسم جنان في ملكية أسرة ابن عربية.

محمد المنوني

بَّاران، بَيير Parent Pierre، معمر فرنسي فريد من جنسه، لأنه كان يعتبر الحماية أخذاً بيد الشعب المغربي ومساعدة له على النهوض بأعباء العصر ودفاعا عنه من طغيان المعمرين، دخل المغرب سنة 1916، معطوبا من جراء ما لحقه من بالغ الجراح في المعارك الأولى للحرب العالمية، واتصل بليوطي فأعجب ليوطي به لأنه كان يتجرأ على مناقشته ولا يتردد في إعمال نظره في الأمور، ولما قامت حرب الريف، كلف بمهمة صحية لفائدة الأسرى الفرنسيين المحتجزين لدى محمد بن عبدالكريم الخطابي فكان لتلك التجربة بالغ التأثير عليه، قال عنها سنة 1949 :«لقد كانت تلك التجربة بالنسبة إليّ بمثابة إيحاء حاسم حملني على دراسة تاريخ المغرب ومحاولة كشف النقاب عن الفوارق الاثنية وعن مختلف التقاليد، ولما قامت الحركة الوطنية سنة 1930، اعتنيت بها في حينها، ثم تتبعت خطواتها منذ اثنتين وعشرين سنة (...) ويبدو لي أنني أعرف حقيقة ما تنطوي عليه في عمقها من الأفكار ...»

ثم إنه أستقر سنة 1933 بضيعة متواضعة بالبئر الجديد واشتغل بزراعتها إلى سنة 1952، وبها وقف على تعاسة جمهور الفلاحين المغاربة ومعاناتهم فتطوع للدفاع عنهم ولفضح كل وجوه الاستغلال، فنوهت الحركة الوطنية من يومئذ بمواقفه النبيلة وبآرائه التقدمية، ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية كان بيير باران من السباقين إلى مناصرة دي گول، بينما وقف السواد الأعظم من المعمرين إلى جانب حزب بيتان، حزب الكبرياء الجوفاء والخذلان، ولما انتصر حزب دي گول ابتداء من سنة 1943، وتشكل المجلس الفرنسي الاستشاري الموقت، انتخب پيير باران ممثلا فيه للجالية الفرنسية القاطنة بالمغرب، كما انتخب بعد ذلك في المجلس التأسيسي عندما تحررت فرنسا من الاحتلال الألماني، وبعد انتهاء مهمة هذا المجلس عاد پيير بّاران إلى ضيعته واستأنف، على سالف عهده، دفاعه عن قضايا الشعب المغربي، فنشر كتاباً بعنوان : مغرب سنة 1948 لكن رقابة الحماية منعته من الرواج، فأضاف المؤلف إليه معلومات وتنبيهات أخرى ونشره بفرنسا سنة 1949 تحت عنوان : *المشكل المغربي سنة 1949* جاء فيه على سبيل المثال لا الحصر قوله :«على الفرنسيين القاطنين بالمغرب من الواجبات أكثر مما على فرنسيي الوطن الأم : عليهم ها هنا أن يكونوا مرشدين وأمثالا تحتذى، لكن عوض أن نُنبِّه شباب مواطنينا إلى هذا الأمر منذ الطفولة، نلاحظ مشدوهين سكوت برامج التعليم بالمدارس الفرنسية المقامة بهذا البلد الذي جئنا لحمايته، على أمر الواجبات المتميزة الملقاة على عاتق الفرنسيين القاطنين بالمغرب». وقال أيضا:«إننا سرنا دائما وما زلنا نسير على نهج الادارة المباشرة مما يمكننا من أن نثبت أن وجودنا ما زال ضروريا هاهنا وأن نرجئ إلى أجل غير محدد قابلية المغرب لحكم نفسه بنفسه، وبقدر ما يكثر حديثنا عن تلك القابلية، بقدر ما يشتد عملنا للحيلولة دون تمهيد السبيل لذلك قبل أمد طويل». ولقد رام في هذا الكتاب أن يبيّن تقصير الحماية لا بالنظر إلى ما كان المغرب عليه قبلها، ولكن بالنظر إلى ما كان للجماهير المغربية من الحاجيات، ففضح الرقابة والتجسس المستمر على المغاربة ومساندة ظلم القواد والباشوات وروح العنصرية التي كانت غذاءً روحياً لجل الفرنسيين المقيمين بالمغرب، وتأسف على قلة من كان منهم يتعقل ويحاول أن يفهم ويتعاطف وبداية الفهم والتعاطف كانت تقتضي تعلم اللغة العربية، وقليلا من كان من فرنسي المغرب يكلف نفسه عناء تعلمها، قال :«إن ممثلي فرنسا بالمغرب يجهلون على الاطلاق مبادئ وطننا النبيلة، ولا علم للشعب الفرنسي بذلك ولا مسؤولية له فيه، لأنه

مكذوب عليه، وأعمال الذين ينطقون باسمه تعود عليه بأسوإ الأضرار، ولو وكّل بشيطان مريد أن يحمل المغاربة على مقت فرنسا بشكل متزايد، لما تأتى له أن يتصرف بغير ما يتصرف به أُولئك الذين بيدهم مسؤولية المصالح الفرنسية». ونوّه على العكس من ذلك بتعقل الوطنيين المغاربة وانعدام الطيش والتهور لديهم فقال : «ما قرأت قط تصريحا وطنياً واحداً يسكت على لزوم احترام المصالح الفرنسية سواء منها المادية أو الثقافية».

وأبى إلا أن ينشر ملحقاً بالكتاب مجموعة من الوثائق توحي بتعامل الجنرال جوان، المقيم العام آنذاك، مع النازية إبان الحرب، فأثار نقمة جوان عليه وزاد في حدة تحامل الإقامة عليه كونه كان من كتاب جريدة الاستقلال الناطقة آنذاك بلسان حزب الاستقلال، وكان يحاول من خلالها إيقاظ الرأي العام الفرنسي من غفلته وإثارة انتباهه إلى ما كان يجري بالمغرب، وكتب مقالا بأسبوعية "الأوبسرفتور" الباريسية اختتمه قائلا :«إن أخطر ما يؤلب رأي المغاربة علينا وجود تناقض مستمر بين ماندعي أنه من مبادئنا النبيلة وبين أفعالنا التي كثيراً ما تتعارض معارضة مفضوحة مع تلك المبادئ، فندعي أننا أبطال الحرية ونرفض للمغاربة حرية التعبير عن رأيهم وحرية الانضمام إلى النقابات، بل ومجرد حرية التنقل في عقر ديارهم...» ولما كانت أحداث دجنبر 1952 ودُبّرت مجزرة الكاريين سانترال تدبيراً، احتج عليها جماعة من أحرار الفرنسيين، وفي طليعتهم بَيير بَـاران وتجندوا لتفنيد أكاذيب سلطات الحماية، فصدر الأمر بطرده من المغرب بقرار مقيمي ولفقت التهمة لتبرير ذلك تلفيقا، حيث قيل إنه كتب مقالا يقول فيه :«يبدو لي اليوم أن لا وسيلة للخلاص إلا بإراقة الدماء» والذي كان قد كتب به في المقال المذكور بتاريخ 7 يونيه 1952 كما يلي :«يبدو لي اليوم، وقد تحول العالم إلى طبل مدوٍّ ينعكس كل ما يجري بجهة منه في باقي المعمور (...) أن ثمّة وسائل أخرى للخلاص من غير وسائل إراقة دماء الأبرياء».

وبقي بيير باران مبعداً عن المغرب إلى أن كان الاستقلال، فعاد مكرماً محترماً واشتغل بدار الإذاعة الوطنية وكانت له أحاديث مرموقة يوم الثلاثاء نشرت فيما بعد على شكل كراس، وكان لها مفعول إيجابي لإقناع الفرنسيين القاطنين بالمغرب أو الراغبين في ذلك بفائدة إقامتهم بالمغرب، شريطة أن لا ينسوا أبداً من صاحب الدار، حسبما كان قد صرح به المجاهد محمد بن عبدالكريم الخطابي لبعض الصحفيين واستحسنه بيير باران ونقله في كتابه المذكور.

وتوفي هذا الفرنسي الحر القح بالرباط يوم 18 نونبر 1957 وكانت جنازته حفل الصداقة المغربية الفرنسية ورثاه باسم المغرب المرحوم مبارك البكاي.

P. Parent, *Le problème marocain*, Toulouse, Imprimerie régionale, 1949 ; H. Bleuchot, *Les Libéraux français au Maroc*, 1947-1955. Ed. de l'Université de Provence, 1973.

إبراهيم بوطالب

البَارْبَـا، أو البَنْجَر أو الشَّمَنْدَر؛ ألفاظ تطلق على الضروب المتطورة عن بيطا فُولْگَارِيسْ Beta vulgaris النوع النباتي الذي ينتمي إلى فصيلة السرمقيات Chenopodiaceae وهذا النوع بَرّي يصادف طبيعيا على سواحل البحر المتوسط وجنوب أوروبا. أما في المغرب فإننا نجده يعيش في المناطق الرطبة وشبه الرطبة الجافة الدافئة منها والمعتدلة.

إنه نبات عشبي ثنائي الحول، وهو ينتج في العام الأول مجموعة كبيرة من الأوراق تتوّج قمة الجذر الوتدي اللحمي، ولا يزهر ولا يثمر إلا في السنة الثانية من عمره، لأنه يتطلب في السنة الأولى برودة فصل الشتاء للإزهار. وقد ارتكزت الأبحاث الزراعية على هذه المتطلبات لاستنباط ضروب تتطلب برودة شديدة للإزهار، وفي عدم ذلك يوجه النبات كل قواه إلى إنتاج الأوراق والجذور.

والضروب المستنبطة من النوع البَرّي والمزروعة بالمغرب هي السّلق والباريا، والشمندر أو البنجر العلفي، والسكري و العادي :

السّلق هو أقدم أصناف الباريا، وقد عرف منذ نحو أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، إذ كانت تستعمل جذوره وأوراقه الجافة في التطبيب والتغذية. ثم استعملت بعد ذلك الأوراق الطرية. وقد تطورت الأوراق في الزراعة على حساب الجذور فأصبح للسلق الحالي أوراق كبيرة ذات أعناق كبيرة وجذور صغيرة الحجم. وتستعمل أوراقه كلية كعشب أصيص.

يزرع السّلق في جميع السهول المغربية وخاصة بجوار المدن الكبرى، لكنه لا يعرف انتشاراً كثيراً لأنه قليل الاستهلاك.

كانت الباريا، وهي البنجر أو الشمندر العادي، معروفة منذ أوائل التاريخ الميلادي. وتزرع منها عدة أصناف تختلف في الحجم والشكل واللون والمحتوى السكري ووقت النضج، لكن الباريا ذات الجذر الأحمر الكروي الشكل هو الصنف المفضل في المغرب.

يسلق جذر الشمندر أو يخلل لتحضير السّلطات. كما تستعمل الأوراق لتهيىء أشكال أخرى من السلطات.

أما الشمندر أو البنجر العلفي والسكري والعادي فسنتحدث عنه في مادة «شمندر».

أ. هيل، *النبات الاقتصادي*، تر. ع. زاهر وآخرين، القاهرة.

Cl. Ch. Mathon, *Phytogéographie appliquée : L'origine des plantes cultivées*. Paris, Masson, 1981.

عبدالمالك بنعبيد

بارْبَاسْ، رأس يقع بين خليج الرأس الأكحل شمالا والرأس الأبيض جنوباً، وقد احتفظ له الإسبان باسمه الأصلي.

A. Domenech, *Algo sobre el Rio de Oro*, Madrid 1946, p. 82; A. Flores Morales, *El Sahara Español*, Madrid 1946, p. 65 ; I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico - sahariano*, Madrid, 1955, p. 26.

محمد ابن عزوز حكيم

بارت، هينريخ H. Barth مستشرق ألماني ولد سنة 1821، وكان رحالة من أعضاء الجمعيات الجغرافية الأوربية، جاب أقطار إفريقيا من 1850 إلى 1855.

تجول بالمغرب سنة 1845 فزار كلا من طنجة وتطوان وأصيلا والعرائش والرباط.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1498.

J. Caillé, *La petite histoire de Rabat*, 79 ; J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, I : 69 ; P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc*, 10.

مصطفى بوشعراء

بَـارَة - أسرة - ← **بارو**

بَـارَة، المهدي بن أحمد بن موسى. هكذا سماه محمد البصري في *فهرسه*. يعتبر المهدي واسطة عقد الأسرة كأستاذ مبرز في القراءات والتجويد، ومن هنا سجل اسمه ضمن لائحة علماء مكناس عام 1149 هـ، باسم المهدي فارا، وقد يشير رسم لقبه بالفاء بدل الباء، إلا أن النطق بهذه الأخيرة يأتي بين الباء والفاء.

أما شيوخه فيعرف منهم إدريس بن محمد بن أحمد المنجرة الحسني الفاسي، كما يعرف اثنان من تلاميذه : مبارك بن سالم الشيظمي المكناسي، ومحمد بن الطيب البيجري المكناسي.

وهناك مخطوطة *رمزية البدور السبعة* (خ. ع، 2465 ك) ترد بهوامشها إشارات إلى بعض روايات موضوعية يعتمدها المترجم، حيث يذكره المعلق باسم "محمد مهدي بارة".

وكانت وفاته عام 1173 / 59 . 1760.

بَـارَة، موسى (الحاج -) حسب نسخة من رسم عدلي مؤرخ في أواسط ربيع الأول عام 1116 / 1704، وفيه يحلى بالأستاذ المجود. وفي عام 1118 / 1706، يأتي اسمه ضمن مجموعة من شهود وثيقة لفيفية. وذكر معه فيها ابنه الحاج أحمد بارة والد المهدي سابق الترجمة.

م. البصري، *فهرس*، مخطوط خ. ح. 11267.

محمد المنوني

بارا، روبير Barrat Robert ينتمي إلى تلك النخبة الفرنسية التي عملت الأحداث الدامية بالدارالبيضاء (دجنبر 1952) على جلب انتباهها إلى مجريات الأمور بالمغرب. وهكذا نشط في صفوف عدة جمعيات (كالمركز الكاثوليكي لمثقفي فرنسا) و(جمعية فرنسا. المغرب الكبير) عملت على التنديد بالسياسة الاستعمارية الفرنسية بالمغرب.

وكصحفي موفد من طرف الجريدة الباريسية *طيموانياج كريتيان Temoignage Chrétien*، قام روبير بارا بزيارة للمغرب في فبراير/مارس 1953 للتحقيق في أحداث «الكاريان سانطرال». وأثناء إقامته بالمغرب، كثّف بارا من اللقاءات مع أوساط مختلفة، فقابل بعض مسؤولي الإقامة العامة وعلى رأسهم الجنرال گيوم، كما استقبل من طرف ممثل البابوية بالمغرب : الأسقف لُوفيفر Lefevre. وفي الجانب المغربي، التقى ببعض رجالات الحركة الوطنية كالشيخ محمد بن العربي العلوي، كما استقبل من طرف السلطان سيدي محمد بن يوسف ونجله الأمير مولاي الحسن.

لم تستغرق هذه الزيارة للمغرب إلا مدة قصيرة (من 25 فبراير إلى 5 مارس)، لكنها كانت عبارة عن عمل مكثف أسفر عن روبورتاج شامل وغني نشرته جريدة *طيموانياج كريتيان* في عددها الصادر يوم 10 أبريل 1953، وشكل لبنة هامة ساهمت في التعريف بالقضية المغربية لدى الرأي العام الفرنسي.

وفي صيف نفس السنة، شد روبير بارا رحيله من جديد إلى المغرب لمعاينة تطور الأحداث به، وتزامنت هذه الزيارة مع الخلقات الأخيرة من المؤامرة المدبرة من طرف الإقامة العامة لعزل السلطان سيدي محمد بن يوسف. وتمكن بذلك الصحفي الفرنسي من أن يكون شاهدا عليها ومؤهلا لفضح كواليسها، دون إخفاء تعاطفه مع تطلعات الحركة الوطنية المغربية إلى الحرية والانعتاق. وقد سجل روبير بارا مشاهداته وخواطره في كتاب عبارة عن صرخة من أجل *إنصاف المغرب Justice pour le Maroc*.

إن موقف بارا تجاه القضية المغربية يدخل في إطار ذلك التيار المسيحي الليبرالي الذي يمثله على الساحة الفرنسية كل من فرانسوا مورياك وماسينيون و بلاشير. وقد ظل بارا وفيا لهذا الاتجاه ولم يتردد في أن يستلهم منه مواقفه مجددا عندما طرحت القضية الجزائرية بحدة.

R. Barrat, *Justice pour le Maroc*, Paris, Seuil, 1953 ; S. Bernard, *Le conflit franco-marocain* (1943-1956), 3 tomes, Inst. de Sociologie de l'Université Libre de Bruxelles, 1963 ; H. Bleuchot, *Les libéraux français au Maroc*, 1947-1955, Université de Provence, 1973.

جامع بيضا

باريرا، إميلو ألوجاندو Barrera Emilio y Lujando، جنرال إسباني ولد بمدينة بورگوس Burgos يوم 17 يناير 1869. وفي سنة 1885 التحق بالأكاديمية العسكرية وتخرج منها برتبة ملازم سنة 1889، وفي سنة 1897 نُقل إلى كوبا حيث رُقي لدرجة قبطان، وخلال وجوده بمليلية سنة 1912 رُقي إلى درجة كولونيل.

وفي أوائل سنة 1913 كان النزاع القائم بين زعيم المقاومة المسلحة الشريف مولاي أحمد الريسوني والحاكم العسكري الإسباني لناحية العرائش الجنرال سيلفيسطري Silvestre ينبئ بوقوع أحداث خطيرة في ناحية جبالة، الشيء الذي جعل الحكومة الأسبانية تتدخل بصفة مباشرة في الموضوع ومن أجل ذلك عينت الكولونيل باريرا ممثلا لها بطنجة للبحث عن الحل المناسب للنزاع.

وصل باريرا إلى طنجة يوم 11 فبراير 1913 وبعد ثلاثة أيام اجتمع مع الشريف الريسوني بمحضر الوزير الإسباني

المقيم بطنجة المركيز دي ڤيبا سيندا Marqués de Villa Sinda. وفي يوم 20 من نفس الشهر انضم إليهم الجنرال سيلفيسطري Silvestre ووقع الاتفاق على أن يعود الشريف الريسوني إلى مقر عمله بأصيلا على أساس أن يزاول مهامه كعامل للمخزن بناحية جبالة دون أن يتدخل الجنرال سيلفيسطري في شؤونه، غير أنه بعد أيام قلائل اتضح للشريف الريسوني أن الجنرال المذكور ما زال يعمل من أجل عرقلة عمله بجميع الوسائل.

كان ذلك سبب مغادرة الشريف مدينة طنجة واعتصامه بقرية الزينات ثم قرية تازروت، ومنها أعلن يوم 26 جمادى الأولى 3/1331 ماي 1913 الحرب ضد إسبانيا. وبعد أيام بدأ المجاهدون يهاجمون المراكز المحتلة من طرف الجيش الإسباني في كل من ناحية جبالة والهبط، وكان في وسع الحكومة الإسبانية أن تعمل على مواجهة الموقف باستعمال القوة ولكن اندلاع الحرب العالمية الأولى فرضت عليها اللجوء إلى حل سلمي وهو التفاوض مع الشريف الريسوني، ومن أجل ذلك فكرت مرة أخرى في الكولونيل باريرا ليتولى أمر التفاوض مع الشريف بمساعدة القنصل ثوگاسطي Zugasti. وحل باريرا بطنجة في أوائل شهر فبراير 1915 حيث توجه صحبة القنصل المذكور والترجمان ثيرديرا Cerdeira إلى قرية الزينات، وهناك تم التوقيع بالأحرف الأولى على اتفاقية الهدنة ليوم 28 فبراير 1915، وكلف باريرا بالسهر على مراقبة تنفيذ الاتفاقية المذكورة فكان ينتقل بين طنجة وتطوان والعرائش ومدريد إلى أواخر سنة 1916 حيث رقي لدرجة جنرال. وبطلب من الشريف الريسوني عينته الحكومة الإسبانية حاكما عسكريا بمقاطعة العرائش في شهر غشت 1916، واستمر إلى غاية 12 أبريل 1922 حيث عين كاتبا عاما بوزارة الدفاع بمدريد.

ومن سنة 1924 إلى سنة 1930 شغل باريرا منصب الحاكم العام بمقاطعة كاطالونيا، وخلال العهد الجمهوري شارك في جل المؤامرات المدبرة ضد النظام، وفي شهر يوليوز من سنة 1936 كان بجانب العسكريين الذين أطاحوا بالجمهورية الإسبانية.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة*، 1 : 127.67.65.

Enciclopedia Espasa Calpe, t. 1, p. 1349 ; C. Martinez Campos, *España bélica. El siglo XX (Marruecos)*. Madrid, 1972, p. 134,163,170,191,204,267 ; M. Rubio Cabeza, *Diccionario de la guerra civil española*. Barcelona ,1987, t-I, p. 107.

بَارْزِينَة، أو بَازِينَة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Barcena وهو اسم إحدى مدن مقاطعة سانطاندير Santander الإسبانية، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان منذ سنة 1668/1080.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البَارُو، أسرة. في *الديوان الإسماعيلي* : أولاد البَارُو أندلس من إشبيلية، وقد رسم في هذا المصدر بالواو آخره، وكذلك ورد في ثلاث وثائق عدلية ترجع لأواخر القرن الحادي عشر (17 م) ثم صار يرسم باسم "بارا" بألف آخره، و"بارة" بتاء آخره، ومرة بار دون زيادة بعد الراء، وبالتاء ورد عند دوزي : "وبارة إسبانية جمعها بارات : قضيب، مخصرة، عصا يحملها القضاة والسفراء وغيرهم". ويبدو أن هذه الأسرة الأندلسية انقرضت من مكناس في منتصف القرن التاسع عشر وقد عرف من هذه الأسرة :

البارو، محمد بن علي ونستفيد من الباقي من نسخ شهاداته العدلية أنه كان من نخبة شهود مكناس في وقته، فيأتي إمضاؤه للوثيقة سابقاً على توقيع العدل الثاني، ومعنى هذا أنه هو محرر الرسم العدلي، دون رفيقه العاطف عليه، ويعرف ـ الآن ـ ثلاث من نسخ شهاداته أعوام 1083، 1084، 1086 / 1672، 1673، 1675.

دوزي، *تكملة المعاجم العربية*، 229 ؛ *حوالة الأحباس الكبرى بمكناس*، خ. ع. 5 : 1 / 35، 265، 289، 360 ؛ *حوالة المساجد الصغار بمكناس*، خ. ع. 4 : ص 186 ؛ *حوالة أحباس الزوايا بمكناس*، خ. ع. 8 : ص 41 ؛ *فهرس محمد البصري*، خ.ح. 11267، وهو المصدر المعتمد في التعريف بالشيخ المهدي بارة ؛ ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، 2 : 182، *الوثيقة الأصلية لبيعة السلطان عبد الرحمن بن هشام*، خ. ح ؛ *رسمان عدليان في حوزة البعض*.

محمد المنوني

البارود، كلمة تدل على قذيفة نارية أصبحت مستعملة ابتداء من القرن الثامن الهجري (14 م) وهي تمثل تقدماً تقنياً بالنسبة للقذائف النارية التي استعملت قبلها، مثل القذائف النفطية التي استعملت من لدن البيزنطيين ثم المسلمين في حروبهم مع الصليبيين والمغول. وكانت توجه من أنبوب نحاسي يدعى النفاط أو المكحلة أو بواسطة قوارير.

ثم اكتشفت في الصين فوائد ملح البارود الذي انتقل إلى البلاد الإسلامية وأطلقت عليه أسماء أخرى مثل ثلج

الصين ونفط. ولم يطلق عليه اسم البارودالمستعمل اليوم إلا في القرن الخامس عشر بالأندلس، حيث أصبح النفط يدل على اسم المدفع والنفاط، هو المكلف بالقذف بالمدفع، وانتشر بعد ذلك استعمال كلمة بارود في مجموع العالم العربي بهذا المعنى. لكن أصل الكلمة في حد ذاتها مازال غامضاً ويدفع إلى عدة فرضيات.

متى استعملت قذائف البارود في المغرب ؟ إذا رجعنا إلى المصادر نجد أن استعماله يرجع إلى القرن السابع (13م) في عهد السلطان يعقوب المريني حينما هاجم سجلماسة سنة 672 / 1274. «فنازلها وقد حشد إليها أهل المغرب أجمع، من زناتة والعرب والبربر وكافة الجنود والعساكر. ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات وهندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانه أمام النار الموقدة في البارود، بطبيعة غريبة ترد الأفعال إلى قدرة باريها» (*العبر*، 7 : 388).

وكلام ابن خلدون فيه إشارة ضمنية إلى المفاجأة التي أحدثها استعمال ذلك السلاح، كما يدل على مساهمة المغرب المبكرة في صنعه واستعماله. وبرغم بعض الاعتراضات التي أثيرت حول رواية ابن خلدون، فليس هنالك ما يدعو إلى الشك فيها، سيما إذا اعتبرنا التحري الذي عرف به هذا المؤلف.

وظهرت بعد ذلك أسلحة البارود بالأندلس، إذ نجد ابن الخطيب يذكر في حوادث عام 724 / 1324 أن السلطان إسماعيل بن فرج النصري قصد بلاد العدو ونازل حصن إشكر، «فأخذ بمخنقه، ونشر الحرب عليه، ورمى بالآلة العظمى المتخذة بالنفط كرة حديد محماة طاق البرج المنيع من معقله، فاندفعت يتطاير شررها، واستقرت بين محصوريه، فعاثت عياث الصواعق السماوية، فألقى الله الرعب في قلوبهم». (*الإحاطة*، 1 : 390) وانتشرت أسلحة البارود بعد ذلك، إذ نجدها مستعملة من لدن العدوين في الأندلس، أثناء القرن الخامس عشر. فالنصارى يستعملونها للهجوم والمسلمون للدفاع من وراء حصونهم وأبراجهم.

وشاع استعمال البارود، بصورة ملحوظة في عهد الوطاسيين والسعديين. وكان لأحد المغاربة فضل في تقديم أول بندقية للسلطان المملوكي قانصوه الغوري (906 . 922 / 1500 . 1516) أي في أيام الوطاسيين الذين استعملوا الأسلحة النارية والبارود في مواجهتهم للهجمات البرتغالية على شواطئ المغرب. ويشير الحسن الوزان إلى الموضوع، ذاكراً أن ملك فاس، ويعني به العاهل الوطاسي، كان يتصرف «بكيفية مستمرة في ستة آلاف من الفرسان الراتبين، وخمسمائة من القذافين، وخمسمائة من حملة البنادق، كلهم راكبون في تشكيلة منتظمة دائما، متأهبون لتنفيذ جميع الأوامر الملكية» (*وصف إفريقيا*، 289).

وفي عهد السعديين، تطور الجيش المغربي في نظامه وتسليحه، مستفيدا من العثمانيين ومن الإسبانيين. وبما أن الدولة نشأت من أجل الجهاد وإنقاذ المغرب من الاحتلال الأجنبي، فقد أصبح لزاما عليها أن تعمل على التساوي مع تلك الدول في تجهيز جيشها وأن لا تتخلف عن ركبهم. وهذا ما يفسر الانتصارات الكبرى التي أحرزوها على أعدائهم طوال القرن السادس عشر.

وقد أظهر بعض العلماء المسلمين آنذاك اهتمامهم بتقوية الجيش المغربي وتزويده بالأسلحة النارية. فهذا العالم الأندلسي الملتجئ إلى المغرب حيث أمضى فيه ثماناً وثلاثين سنة من حياته، الشهاب أحد الحجري ترجم كتابا عن اللغة الإسبانية، وضع له هذا العنوان الذي لا تخفى دلالته *كتاب العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع*. والكتاب يشتمل على مقدمة وخمسين باباً وخاتمة، وهو ما يزال مخطوطاً في نسخ متعددة. وفيما يخص البارود، ذكر أن اختراعه وقع سنة 768 / 1366 وأن الأسلحة النارية التي استعملت قبل هذا التاريخ، إنما كانت حيلا على وجوه عديدة.

وتشير عدد من المصادر الأوروبية إلى كون المغرب أصبح، آنذاك، مجهزاً بالأسلحة من كل نوع وأن الحرس السلطاني، الذي يتجاوز عدده ثلاثة آلاف جندي، كان مجهزاً ببندقيات من عيار واسع تقذف برصاصات أضخم من رصاصات البنادق العادية. وكل رام كان يحمل معه خمسين رصاصة ورطلين من البارود. لكن الملوك السعديين كانوا، في نفس الوقت، يتخوفون من انتشار أسلحة البارود بين الرعية، اتقاء لما يمكن أن ينجم عن ذلك من ثورات. لذلك لم يكونوا يزودون بها إلا العناصر التي يثقون بولائها مثل قبيلة إيلالن من لف جزولة بالأطلس الصغير الذين كان يتألف منهم الحرس المحيط بالملك، وبعض الأتراك والعلوج والموريسكيين والعبيد. وفي رسالة وجهها المنصور الذهبي إلى ولي عهد المامون سنة 1602، نجد مثل هذا التخوف، إذ يقول له في آخرها :

"ومن جملة من نحذرك من استخدامه في الرماة أهل الجبال من أهل الصحفة والدينار، فلا تستخدم منهم أحدا. وإلا فاعلموا أنكم ما أردتم أن يعطوا لكم حينئذ ولا أن يغرموا لكم بعد شيئا. وإذا أردتم الخدمة فهاهم أهل هذه البلاد مثل أهل سوس وأهل درعة وأهل مراكش. فكل ما تستخدمون من هؤلاء فلا عليكم" (*نزهة*، 178).

وقد أمكن للسعديين أن يتصدوا لصناعة المدافع على نطاق واسع إثر اكتشافهم لمعدن النحاس في دمسيرة بالأطلس الكبير. كما أقاموا مصنعا للبارود بمراكش سنة 1558 بلغ إنتاجه ستة عشر قنطارا من البارود في كل شهر. كما كان يوجد مصنع مماثل بفاس.

وفي القرن السابع عشر، إثر وفاة المنصور وحدوث الشقاق داخل الأسرة المالكة، انتشرت الأسلحة النارية بين السكان في الحواضر والبوادي ولم تبق حكراً على المخزن وحده. فنجم عن ذلك ظهور حالة من الانقسام والفوضى بالبلاد، وأصبحت بعض القبائل الجبلية تنزع إلى العصيان متكلة على أسلحتها النارية. ولعل ظاهرة السيبة بدأت منذ ذلك العهد.

فنرى الدولة العلوية منذ قيامها في الثلث الأخير من القرن السابع عشر وهي تعمل جاهدة على إنهاء الفوضى وجمع الكلمة. وقد كان للسلطان مولاي إسماعيل دور بارز في هذا الباب، إذ إنه أقام جهازاً عسكرياً ضخما. ويكفي أن نشير هنا إلى أن صناعة المكاحل توسعت في البلاد. ومن جملة المراكز التي اضطلعت بهاته المهمة نذكر سوس وتطوان وتاغزوت. واشتهر من بين هاته المكاحل نوعان : *بوشفر وبوحبة*، وهما من صنع محلي. على أن الأسلحة النارية من صنع أجنبي بدأت، هي الأخرى، ترد على المغرب وتدعى بأسماء محرفة عن اللغات الأجنبية مثل كابوس ومشكيط وشكوبيطة وكلاطة وشاسبو الخ...

استطاع المغرب أن يعتز بجيشه وسلاحه ويحافظ على هيبته إلى أواسط القرن الماضي. لكنه لم يستطع مسايرة التطور التقني السريع الذي دخل على الصناعة الحربية ومكن الدول الأوروبية الكبرى من التفوق العسكري على دول إفريقيا وآسيا. وهذا ما فتح لها بابا الاستعمار على مصراعيه ومكنها من فرض سيطرتها على العالم. وقد وضع المغرب في امتحان عسير من هذه الناحية أثناء القرن التاسع عشر فتكبد جيشه أول هزيمة أمام الجيش الفرنسي في معركة إسلي، وبعد ذلك بسنوات معدودة تكبد هزيمة ثانية أما الجيش الإسباني في حرب تطوان.

كان المغرب كما رأينا من السباقين إلى استعمال البارود وبناء قوة عسكرية احتفظت بحرمتها وهيبتها طوال قرون. لكن الجمود الفكري والاقتصادي الذي أصاب المغرب مع بقية العالم الإسلامي جعله في أواخر القرن التاسع عرش وأوائل العشرين يتخلى عن المجهود العلمي والتقني الضروري في ميدان الحرب ويتخلف عن ركب الدول المتقدمة.

ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت 1968 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، القاهرة، 1973 ؛ *اللمحة البدرية*، القاهرة، 1347 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، بيروت، 1983 ؛ أ. الحجري، *كتاب العز والمنافع*، للمجاهدين بالمدافع، مخطوط ؛ ك. مارمول، *افريقيا*، 1988 ؛ م. الإفراني، *نزهة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. المنوني، *ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي*، دعوة الحق 10 / 3.

A.M. XI, IV, XVII, XX.

محمد زنيبر

البارود، يُطلق على الحرب وعلى الصراعات القبلية التي كانت تقع بين القبائل في مرحلة ما قبل الحماية.

كانت حالة البارود في الماضي حالة عادية لدى هذه القبائل، بحيث كانت تنشأ الصراعات على جميع مستويات الانقسام : بين الدواوير وبين الأفخاذ وبين القبائل وبين التحالفات القبلية. إلا أن الصراعات التي كانت تعتبر بارودا، أي حربا حقيقية هي تلك التي تحدث بين القبائل أو بين التحالفات القبلية.

إن أسباب نشوب البارود متعددة منها : القتل، أو السرقة أو الامتناع عن رد المسروقات، أو النزاعات حول الأرض أو المراعي، أو وقوع «النفرة» في السوق، أو عدم الالتزام بواجبات المزراگ، أو نقض عهد التاطا، (Querleux : 47) ويمكن أن نميز بين نوعين من الصراعات التي تخوض فيها القبائل مغامرة البارود :

1 ـ صراعات قد نسميها طقوسية تتميز بالظرفية وبالتكرار وتقع على مستوى داخلي أي داخل القبيلة (بين الدواوير أو بين الأفخاذ) أو داخل التحالف القبلي. في هذا النوع لا تفجر كل الطاقات العنفية الممكنة، وإنما هدفها هو إبراز القوة وتهديد الخصم، وتتوقف ببلوغ هدفها لتتكرر من جديد في مناسبة أخرى.

2 ـ الصراعات التي تكون على مستوى واسع، أي عندما يستهدف تحالف قبليّ آخر. يحدث البارود على هذا المستوى عندما يوجد عداء مستمر بين قبيلتين حول المراعي أو الغابة، كما كان الشأن بالنسبة لصراع زمور مع بني حسن. يتميز البارود هنا بالشراسة والحدة إذ يتم الهجوم على الدواوير، وتحرق الخيام وتختطف رؤوس الماشية ويستخرج الزرع المخزون، وتُجبر القبيلة عدوها على الفرار من مجالها قصد احتلاله، (Querleux : 49) في هذه الحالة تتشكل الأحلاف على مستوى أوسع (بين التحالفات القبلية) وهو ما يسمى «بالخاوة في البارود» كالتحالف الذي يقع بين قبائل بربرية كزمور وزيان وبني مگيلد ضد قبائل عربية كزعير وبني حسن والسهول (Leguay : 45).

تعتبر المشاركة في البارود مقياسا للشجاعة عند هذه القبائل. فكل ذكر بلغ سن الرشد ينضم إلى الرماة. وفي أوقات السلم يتم تنظيم الرماة استعداداً للبارود. إن تنظيم الرماة يضمّ أغلبية الرجال والشباب القادرين على حمل السلاح. ويخضع هذا التنظيم لتداريب مستمرة، كالركوب على الخيل والرمي بالرصاص على ظهر الجواد. ويشرف على هذه التداريب «شيخ الرّمَى» أو «مقدم الرماة» تكون مهمته هي تدريب الرماة والفصل بينهم إذا وقع نزاع وجمع التبرعات من أجل تموين الرماة الذين سيشاركون في البارود. وتبقى مهمة التموين هذه على عاتق العائلات في كل دوار. فعندما يتشكل مخيم الرماة (المسمى بالبربرية تزلمالث) تتقدم كل أسرة بنصيبها من المؤونة (Querleux :23).

عندما تعزم قبيلة ما على البارود يتم الإعلان عن ذلك في السوق لكي يسمع كل أفراد القبيلة الخبر، فيجتمع الأعيان (إجماعن) ويتم اختيار رؤساء الحرب (إمغارن نالبارود) يتكلفون بتنظيم المحاربين مع تسليحهم وتزويدهم بالخيول. كما يتكلفون بحث العائلات التي لها امكانيات مادية، على شراء «مكحلة» وفرس والعتاد اللازم للرماة (Querleux : 48).

يختاركل دوار أمغارالبارود من بين الرجال المعروفين بإقدامهم وشجاعتهم ومعرفتهم بشؤون الحرب، وتنتهي مهمته بانتهاء البارود بحيث يصبح بعد ذلك مجرد عضو في الجماعة.

لا تكون الحرب مباغتة في غالب الأحيان . وإنما ترسل القبيلة «رقاصا» لكي يخبر القبيلة (العدو) بالأمر لكي يستعد الجميع. والحرب المباغتة منبوذة لأنها تعتبر بمثابة غدر.

فبمجرد أن تعلن قبيلة البارود ضد أخرى تتشكل الأحلاف تبعا لطقوس معينة. فعند زمور يقدم ممثلو القبيلة المحاربة كرمز علني للتعهد بالمؤازرة. وتعتبر فترة البارود مناسبة لخلق أحلاف وفسخ أخرى.

عندما تصادف حالة البارود وقت الحرث أو الحصاد يتفق الطرفان على إيقاف النار لمدة معينة قصد التفرغ للأشغال الفلاحية. وخلال هذه المدة يحترم كل طرف الهدنة. وبعد انتهائها يعود البارود من جديد (Querleux : 48). وعندما ينهزم فريق وتتعذر عليه متابعة القتال، يتقدم بأضحيته لقبيلة محايدة أو للشرفاء لكي يقوموا بدور التحكيم والمصالحة. فتؤدي الفدية (الدية) و تنطلق مدة "الهنا". وفي الحالات التي لا تكون فيها هزيمة في جانب ما يلجأ الطرفان إلى إبرام عقد يسمى "إسي" لإيقاف البارود. وتقابل الكلمة البربرية "إسي" كلمة "الرفود" بالعربية (بمعنى الوضع أي وضع الأسلحة بعد أن يقع تحمل تبعات الخلاف). ويقتضي "إسي" أو "الرفود" التعهد بإنهاء البارود مع تحديد شروط السلم. ويتم هذا العقد عبر طقس معين. يجتمع أعيان الطرفين ويتبادلان "الرزة" أو "السلهام" كرمز على الالتزام بعقد الهدنة (Bruno et Bousquet, 368) ويعين ما يسمى بـ "إماسين" بالبربرية أو "الرفادة " بالعربية من الطرفين تكون مهمتهم الحرص على احترام إسي (الرفود). وخلال فترة "إسي" تفتح الأسواق والمراعي وتعقد شركة الحرث والرعي وغيرها من الأنشطة الاقتصادية (Leguay : 49).

وفي حالة ما إذا نقض أحدهم العهد يعيد "السلهام" أو "الرزة" للطرف الآخر وتسمى هذه العملية ترريت (من الفعل البربري إرى بمعنى أرجع) ،وبعدها يصبح الكل يعلم بأن مرحلة البارود قد بدأت من جديد (Bruno et Bousquet : 368).

كانت القبائل حريصة على أن يكون السوق خارج كل صراع، لأن الأمن في السوق هو شيء ضروري لمزاولة المبادلات التجارية. كانت هناك أعراف لمراقبة الأمن في السوق لكي لا يكتسحه البارود، ويعمل الرفادة أو إماسين على تطبيقها. إلا أن الهدوء الظاهري في السوق كان دائما يخفي صراعات باطنية تتربص كل مناسبة للانفجار. تهدد حركة السوق تلك الفوضى المباغتة التي تستولي عليه والمسماة بالنفرة أو (بالبربرية تافراوت). ووقوع النفرة في السوق هي بداية لمرحلة البارود (Benet : 203).

أما فيما يخص توزيع الغنائم فيما بين المحاربين بعد الانتهاء من البارود، فيميز Surdon بين نوعين من الحروب وبالتالي بين طريقتين في توزيع الغنائم.

1 ـ النوع الأول هو الحرب التي تكون بين قبيلة و قبيلة أخرى من أجل الدفاع عن المراعي أو من أجل الرغبة في الاستحواذ على جزء منها، وهي الحرب التي يسميها البربر "البارود نْقيلت" في هذه الحالة يكون جل ماغنمه المحارب ملكاً له، إلا أنه عمليا يعطي جزءا منه للأعيان. وفي حالات أخرى، يتم الاتفاق منذ بداية البارود بين بعض المحاربين على اقتسام الربح و الخسارة. وفي هذه الحالة يُقسم كل ما غنمه المحارب على الجميع، وتسمى هذه الشركة عند البربر ب "تفركانت".

2 ـ النوع الثاني من الحروب هو ما يسمونه بالحركة (الحرْكت) وهي حرب يكون هدفها الهجوم على قبائل أجنبية يعين على رأسها أمغار (أمغار نالحركت)، وفي هذه الحالة تجمع الغنائم التي يحصل عليها كل واحد ليعاد توزيعها على الجميع. إلا أن أمغار يأخذ قسطا أكبر من نصيب المحاربين الآخرين (Surdon : 49-95).

تحول البارود مع التدخل الاستعماري من حرب بين القبائل إلى آلية من آليات التكتل ضد المستعمر. بل وظفت الأحلاف التي خلفها البارود من أجل مقاومة التدخل الاستعماري في القبائل، يقر S. Gueinnoun بأن قبائل أيت أمالو في الأطلس المتوسط تحالفوا تحت قيادة القائد موحا أحمو الزياني لمقاومة زحف الفرنسيين أثناء عملية "التهدئة"، إذ أصبح البارود ضد النصارى (إرُومِينْ) عندهم نوعا من الجهاد.

كان البارود عند القبائل البربرية حاضرا عبر رموزه المتداولة في أوقات السلم، إذ نجد له أثرا في الكلمات والأشياء. تتجلى المكانة التي يحتلها البارود في الأهمية التي يحظى بها الرماة. ففي أوقات السلم يصبح هؤلاء صيادين بارعين في قنص الحيوانات ؛ والصيد عند القبائل هو نشاط يهيئ للحرب. وخارج فترات البارود يقوم الرماة بدور التحكيم في النزاعات التي تنشأ بين الناس. وبقيامهم بهذه الوظيفة يكتسبون مكانة مرموقة في القبيلة.

كما نجد أثراً للبارود في وجود ما يسمّى "عبيدات الرّمى" (عبيد الرماة) وهم فرقة تتجول من دوار إلى دوار للترفيه عن الناس وتقوم بألعاب بهلوانية تضحكهم. وتدل كلمة عبيدات الرّمى على المكانة الاجتماعية المهمة التي يحتلها الرماة.

تستمر الحرب على المستوى الرمزي في أوقات السلم عبر لعب الخيل أو "لعب البارود" المسمى أحيانا "التحراك" (من حرك وحركة)، بحيث تستعرض فيه بسالة الرجال، وجمال الخيل و السروج وأناقة "المكاحل". ففي غياب البارود الفعلي الذي تجند فيه الطاقات العنفية، يبقى البارود الرمزي حاضرا في أوقات المزاح واللهو عبر الاستعراض المستمر لرموزه.وربما لم يبق منه في عصرنا الحديث، الذي غابت فيه دوافع البارود، إلا ذلك الأثر وتلك الرموز.

Leguay, *Le Pays des Zemmour et des Zaer*, 1887, Archives de Vincennes, Paris, No du carton 3H5 ; Querleux, *Les Zemmour*, *A. B.* p. 12-61 ; Abes, *Monographie d'une tribu berbére : les Ait N'dir (Beni Mtir)*, *A. B.* vol, 2, fasc, 2, 1917, p 148-194 ; Ben Daoud, *Notes sur le pays Zaian*, *A. B.* 1917, p.278-306 ; G. Surdon, *Esquisses de droit coutumier berbère marocain*, Rabat, 1928; S. Guennoun, *Les Oumalou et le pays Zaian*, *R. C*, 1928 ; Bruno et Bousquet, *Contribution à l'étude des pactes de protection et d'alliance chez les berbéres du Maroc Central*, *Hesp.* 33, 1946, p. 353-370 ; Francisco Benet, *Explosive Markets: The Berber Highlands*, in Karli Polanyi, Conrad Arensberg and harry W. Pearson, *Trade and Market in the Early Empires*. Gateway, Ed, 1957, p. 187-217.

رحمة بورقية

البارودي، أسرة سلوية انتقل بعض أفرادها إلى الرباط ومراكش. وهي تنتمي إلى صنهاجة الجنوب بناحية أيت باعمران. اشتهر منهم :

البارودي، أحمد بن أحمد بن عبدالرحمان. كان أستاذاً فقيهاً موثقاً حيسوبياً، اشتغل بالتعليم ونساخة الكتب قبل أن يوظف مع المخزن كمراقب في مراسي الجنوب، فاستقر لذلك مدة بمدينة مراكش، فكان يخرج منها إلى الصويرة وأسفي وغيرهما للسهر على ضبط حساب المداخيل وتوثيقها قبل تقديمها لأمين الأمناء.

تزوج أولاً بسلا من ابنة عمه فلم تنجب، فتزوج ثانياً بأمة مالية أنجبت له محمد البارودي الموسيقي الشهير. وفي الخزانة العلمية الصبيحية بسلا كتاب منتسخ بخطه هو *شرح الحكم العطائية* لعبد الله بن حجازي الشرقاوي (ت 1227 هـ)، انتهى من نسخه بخطه في 9 شوال عام 1301.

م. حجي، *فهرس الخزانة العلمية الصبيحية بسلا*، 275 ؛ م. بن أبي بكر الصبيحي، *كناش*، مخطوط، خ. ص ؛ م. بوشعراء، *ملحق الإتحاف الوجيز*، 153.

البارودي، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن. عالم أديب، شاعر ناثر، ضليع في اللغة وقواعدها، متمكن في الفقه والسير. ولد بمدينة سلا في حدود 1863/1280 وبها درس على أخيه الأكبر محمد المعروف بالوليّ آتي الترجمة، وعلى الفقيه محمد بوعلّو بالزاوية العيساوية، وعلى المؤرخ أحمد بن خالد الناصري بالزاوية الناصرية. ثم صحب أخاه أحمد المترجم قبله إلى مراكش فأخذ بها على الشيخ الصوفي محمد النّور، وعلى يده تخرج في التفسير والعلوم الشرعية وأخذ الطريقة التجانية.

رجع محمد البارودي إلى مسقط رأسه بعد موت أخيه وشيخه محمد الولي فخلفه في كُتّابه يُعلّم الصبيان القرآن العظيم، ويدرّس بمسجد مجاور للكتّاب مبادئ النحو والفقه لعموم الطلاب. كما كان يلقّن في نفس الوقت مبادئ العلوم لأبناء عامل سلا الحاج الطيب الصبيحي وأبناء أقاربه بمسجد سيدي الحاج عبدالله من حومة باب حسابن. ومن بين الآخذين عنه محمد بن الطيب الصبيحي الذي سيصبح عالماً مرموقاً وعاملاً للمدينة، وأحمد بن محمد الصبيحي الأستاذ الأديب اللغوي الشهير.

وفي أوائل عهد الحماية أصبح محمد البارودي كاتباً خاصاً لباشا الرباط السيد الصديق برگاش ثم خلفه عبدالرحمان برگاش، فلم يصرفه ذلك عن التدريس. وكان أكثر إقرائه في الزاوية التجانية بسلا. وفيها قرأت عليه في الأربعينيات *مختصر الشيخ خليل*، و *همزية البوصيري*، وكنت القارىء (السارد) بين يديه. كما قرأت عليه بمسجد الزرقاء القريب من دار سكناه بحي زناتة، *ألفية ابن مالك*. كانت دروسه - رحمه الله - ممتعة، يحسن الشرح ويجيد التفهيم، يضرب الأمثال ويذكر أخبار الصالحين. كما كان حسن المنظر والمظهر والصوت وكأنه أُعطي مزماراً من مزامير آل داود. حضرت سنين عديدة قراءته للمولد الشريف بالزاوية التجانية بسلا صبيحة عيدالمولد، وبضريح سيدي العربي بن السايح بالرباط صبيحة سابع المولد، فكان آية الآيات فصاحة وحلاوة نغمة ومحبةً بالغة في الجناب النبوي الكريم، وكذلك كانت قراءته في الصلاة غاية في التجويد والترتيل بصوته الشجي، إذ كان إمام الزاوية في الأوقات التي يلقي فيها الدروس.

حج أكثر من مرة، وزار عدداً من الأقطار الافريقية والأسيوية والأوربية، وقضى سنوات بفرنسا إماماً وخطيباً بمسجد باريز، وفيه عقد قران الأغاخان بالممثلة ريتا هيوارث. وكان، على تصوفه ونسكه، متفتح الذهن متتبعاً الأحداث السياسية، يحصل بشتى الوسائل على الصحف والمجلات الشرقية فيما بين الحربين العالميتين رغم الحظر الاستعماري، ويشجع الوطنيين الشباب ويوقع معهم عرائض استنكار الظهير البربري والضرائب المفروضة على الحرفيين وانتشار الخمارات في أحياء المسلمين وغيرها.

كان شاعراً ينظم القصائد بالفصيح والملحون، ويجمع ذلك في *ديوان* يعد اليوم في حكم المفقود، مثل كنانيشه الأربعة التي كان يسجل فيها تراجم شيوخه وأحداث عصره وفرائد قراءاته ومراسلاته ومذاكراته وفتاواه. علاوة على السجلات الكبرى المحررة بخطه في المحكمة الباشوية بالرباط. وله تعاليق على *موضح ابن هشام*، *ولامية الشاطبي*، *وشرح ميارة للمرشدالمعين*.

توفي - رحمه الله - بسلا فجر سادس عشر ربيع الثاني عام 20/1376 نونبر 1956 عن نحو سبع وتسعين سنة، ودفن خارج باب معلقة بجوار مشهد بوعشرين.

معلومات شخصية ؛ رواية شفوية عن ابنه الأستاذ الحبيب البارودي؛ ع. ابن سودة، إتحاف المطالع، مخطوط ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 2 :101.99 ؛ ع. بنعبدالله، *سلا أولى حاضرتي أبي رقراق*، 82 ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكريات*، 1.

البارودي، محمد بن أحمد المعروف بالوليّ. أستاذ فقيه مدرس نفاع. كان يحفظ القرآن بالقراآت السبع، ويعلّم الصبيان في كتاب يحمل اسمه حتى اليوم بحومة الصفّ (مسيد الفقيه البارودي). كما كان يقوم بتلقين مبادىء العربية والدين في مسجد قريب من الكتّاب مداوماً لا ينقطع عن التدريس حسبما جاء في *وثيقة بيان مَن بسلا من الفقهاء المدرسين* مكتوبة قبل سنة 1886/1279، (*التعريف*، 2 : 57) حيث عُدّ فيها من الطبقة الأولى للفقهاء الملازمين للتدريس. وسبب اشتهاره بلقب "الوليّ" أنه كان، إلى نسكه وورعه، حيياً مطرقاً لايكاد يرفع عينه عن الأرض وماتزال حتى اليوم الزنقة التي كان يسكن بها قرب حمام باب سبتة تسمى زنقة البارودي.

توفي في حدود 1290 / 1873.

رواية شفوية عن الأستاذ الحبيب البارودي ؛ م. بوشعراء، *ملحق الاتحاف الوجيز*، 135 ؛ التعريف *ببني سعيد السلويين*، 2 : 57، 142، 276.

محمد حجي

البارودي، محمد بن أحمد الموسيقي الشهير. ولد بسلا سنة 1898 من أسرة تسلسل فيها التعليم، غير أنه اجتذبه فن الطرب وهو في ريعان الشباب، فكان يستمع لعزف موازين من الآلة من جوق سلا الذي كان يسيره المعلم العربي بوعبيد. ولما لم يشجعه المجتمع السلاوي المحافظ على تحقيق رغبته، اتجه إلى طنجة حيث اعتاد الناس حرية أكثر، نظراً لاختلاطها بالأجانب، فتلقى هنالك أول دروسه ثم تحول إلى العرائش، حيث اتصل بجوق الآلة هنالك، وأخذ مبادئ العزف على مختلف الآلات، وبالخصوص الكمان الذي أمسكه لأول مرة وتردب عليه تدريباً صحيحاً.

ومن هنالك انتقل إلى وزان، حيث اشتهرت أسرة الشرفاء الوزانيين بالإقبال على الآلة والسماع وتحشيعهم للحفاظ والمطربين وإقامتهم لحفلات متعددة من الطرب الأندلسي، فاستفاد كثيراً من إقامته بتلك المدينة، ولازم جماعات المادحين وأخذ عنهم القصائد والأشعار. لكنه لم ينس مسقط رأسه، إذ كان يعود إليه الفينة بعد الفينة ويخالط جوق المعلم بوعبيد وقد أصبح يتقن العزف على الكمان. فإذا عاوده الحنين إلى الجولة الفنية حمل آلته وقضى وقتا بالعرائش، وطنجة، ثم بوزان.

وهكذا أتم تكوينه الموسيقي على يد أساتذة مختلفين وفي مدن متعددة. لكن يجب أن نذكر معلمه الأول العربي بوعبيد، إلى جانب المعلم أحمد زنيبر المعروف بالبراعة في العزف على الكمان من صنف الالطو الذي ترأس في آخر عمره جوق الميتم بالدار البيضاء.

ولما أتم محمد البارودي تكوينه استقر بمدينة سلا وانضم إلى جوق المعلم بوعبيد، وكان له الحظ في اقتناء كمان جيد صنع بإيطاليا سنة 1721 كما هو مذكور في الطابع الرسمي المثبت بداخله.

ولما توفي المعلم بوعبيد، أسندت رياسة الجوق إلى البارودي وأصبح يحمل اسم جوق البارودي. وسرعان ما ارتفع شأن ذلك الجوق بفضل براعته في تسييره وإتقانه للعزف على الكمان. فكان مطلوباً في كل الحفلات العائلية والعمومية وفي المواسم والأعياد بمدينة سلا. واضطر إلى تكثير عدد أفراد الجوق بإضافة حفاظ ومنشدين وعازفين، وأصبح حضوره في تلك الاحتفالات المختلفة هو الذي يجذب المدعوين ويحقق الإقبال عليها.

ومع المزيد من الشهرة بدأ البارودي يُدعى لإقامة حفلات خارج سلا بعدد من المدن المغربية، ويشارك كعازف ممتاز على الكمان في أجواق الآلة الكبرى بفاس والرباط وغيرهما من الحواضر المغربية. وشارك في المؤتمر الثاني للموسيقى العربية الذي أقيم بالبطحاء بفاس سنة 1939 فبرهن عن إتقانه لطرب الآلة، وبهر الحاضرين بطريقة عزفه واستلفت أنظار المشاركين ما بين مشارقة ومغاربة. وفي سنة 1946، دُعي البارودي وجوقه للإذاعة المغربية ليقدم سهرات أسبوعية من طرب الآلة. وعند حلول شهر رمضان، كان يقدم ثلاث سهرات في كل أسبوع. فكانت له فرصة أكبر للتعريف بفنه لدى الجمهور الواسع. وربما قدم حفلة مشتركة مع جوق الرباط في الإذاعة المغربية.

ونظراً لما ناله البارودي من إقبال وشهرة وتوارد الهواة عليه من كل جهة، أسس مقهى بلديا بساحة سوق الغزل بسلا "قهوة البارودي" حيث كان يلتقى الهواة بآلاتهم وأصواتهم في أمسيات فنية تحتوي على الطرب الأندلسي

والملحون والغرناطي، فيغص المقهى بالزبناء. كما يأتي إليه جملة من المطربين المعروفين اليوم، والذين كانوا شباباً في ذلك الوقت مثل أحمد البيضاوي، وعبد النبي الجراري، وعبد القادر الراشدي، ومحمد بن عبد السلام. وفي نفس الوقت، كان يجتذب إليه أنظار الشيوخ مثل البريهي والمطيري، والأقران مثل عبد الكريم الرايس وأحمد الوكيلي وامبيركو، والحسين السلاوي الخ.

ما الذي جعل البارودي ينال كل هاته الشهرة والحظوة عند الجمهور المغربي ؟ لقد تميز، أولا، كرئيس جوق يسير جماعته بكامل السلطة، لكن بدون عجرفة أو إهانة، بل كان يعامل أفراد جوقه كأصدقاء يحبهم ويعطف عليهم ويصارحهم بصراحة الأستاذ الذي يحتد في بعض الأحيان بقصد الإرشاد والنصح والغيرة على الفن. لذلك ظلوا ملتفين حوله، أوفياء له إلى آخر حياته. ولما توفي لم يجدوا لهم رئيساً مماثلا يجمع شملهم ويسيرهم.

وتميز، ثانياً، كعازف ماهر على الكمان مما جعل الكثير من المطربين يمنحونه الدرجة الأولى بين الكمانجية الموجودين بالمغرب. فقد بلغ أعلى درجة في العزف على هاته الآلة من حيث الخفة في الأداء، وتوليد الألحان وإتقان الجواب على التواشيح الأندلسية وأداء التواشي والأهازيج الخفيفة والانصرافات. وكما جاء في الترجمة المكتوبة الوحيدة التي وجدت له، وهي الواردة في الكتيب المعنون *ملتقى البارودي الأول بسلا*، فقد كان يترك أفراد الجوق في العزف العادي للنوبة الموسيقية، وينفرد بتمويجات وتزويقات تنبعث من القوس والأوتار من يديه الذهبيتين وسط تصفيقات السامعين والمعجبين، ثم يعود بأوتاره آخر الأمر إلى الانسجام التام مع عزف أفراد جوقه، فيتكرر التصفيق (ص 16) وهو بذلك يتجه إلى خلق موج من الهارمونيا داخل الآلة، بصورة فطرية وتلقيانية، ويمكن أن يستفيد منه أصحاب الآلة، من هاته الناحية.

ومن جملة ما تميز به البارودي، أيضاً، صنعه للأوتار بنفسه وإصلاح آلات العزف بيده، وتمكنه من اللعب على مختلف الآلات، وبالخصوص السويسدي الذي كان يظهر فيه مهارته للخاصة من أصدقائه.

لم يتوقف البارودي عن نشاطه الفني، وظل نجمه في صعود إلى أن وافاه الأجل المحترم، وهو في حمة سيد حرازم قرب فاس سنة 1951 في سن لا تعدو ثلاثا وخمسين سنة. ولا شك أنه أنفق كثيراً من جهده وصحته في خدمة فنه، وهذا ما جعله لا يعمر طويلا. وعلى أي، فقد ترك موته حزناً عميقاً في كل الأوساط الفنية، واحتُفل بجنازته في فاس حيث دفن بروضة باب فتوح، وكذلك بسلا حيث أقيمت حفلة تأبين شارك فيها الأدباء وأجواق الموسيقى الأندلسية، وكان يوماً مشهوداً بالمدينة.

ص. الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية*، 1977 ؛ ع. بن منصور، *مجموع أزجال وتواشيح*، 1977 ؛ *ملتقى البارودي الأول بسلا*، ط. الدار البيضاء : روايات شفوية.

محمد زنيبر

البارودية . خليط معادن . ← **كبريت**

بَارِيتِين Barytine أو بارتيت : كلمة أصلها إغريقي من باروس بمعنى ثقيل، سلفات الباريوم $BaSO_4$، شكله معيني مستقيم، صلابته 3 . 3,5 ؛ كثافته 4,48 ؛ عادةً لونه أبيض، وأحيانا يوجد بألوان مختلفة كالأخضر والأصفر، والأحمر والأصفر الأصْهَب، والأزرق، والأسمر ؛ لمعانه زجاجي، أحيانا رخوي على بعض الوجوه البلورية.

غالبا ما تتجمع بلورات الباريتين على شكل كتل مُصفحة، مُصمَتة محببة أو مقممة. تتمركز الباريتين في العروق الحرمائية وفي سوائب العروق المعدنية مجتمعة إلى الفضة (Ag)، النحاس (Cu)، الرصاص (Pb)، الكوبالت (Co)، المنغنيز (Mn) وكذلك في الصخورالرسوبية.

من أهم مكامن الباريتين بالمغرب :

. منطقة جبل إيغود (الجهة الغربية للجبيلات) وقد أعطت أكبر كمية من البارتين.

. منطقة زَلو (الأطلس الكبير الشرقي) وتمثل أكبركمية من مدخرات الباريتين المعروفة بالمغرب.

. مناطق أخرى معروفة، وخاصة في الأطلس الكبير الأوسط (تاسوت)، وجنوب وجدة (گنفودة) والمغرب الأوسط.

تستعمل كبريتيات الباريوم في صناعة الألوان البيضاء، وأوحال التنقيب، وتحلية مياه المراجل، والاجرام لتغطية قوقع المسابك، وفي الميدان الطبي وخاصة في التصوير الإشعاعي للمعدة.

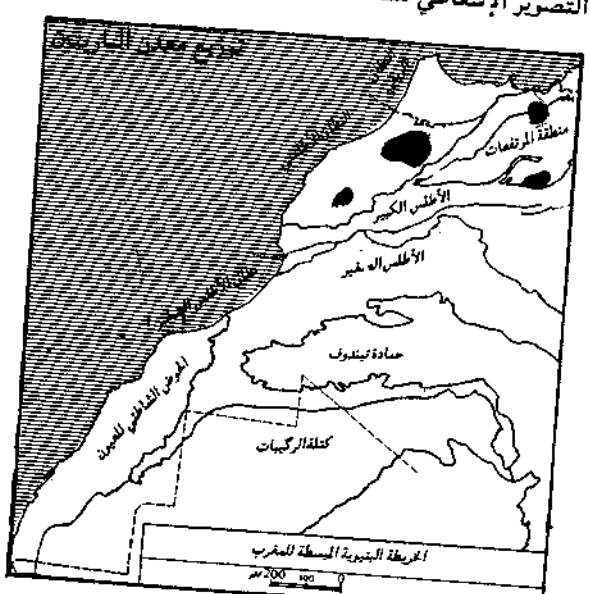

أنتج المغرب سنة 1976 ما يزيد عن 137.463 طنا من هذا المعدن وصدّرحوالي 119251 طنا، أما سنة 1987 فقد انتج المغرب 186.346 طنا وصدر 133.830 طنا، ونشير إلى أن إنتاج المغرب الاجمالي قد بلغ فيما بين 1949 و1976 حوالي 911000 طن، ويتأرجح متوسط الإنتاج السنوي منذ 1960 حول 90.000 طن.

مدخل إلى جيولوجيا المغرب، مجلة المناجم والجيولوجيا منشور إدارة المعادن والجيولوجيا والطاقة، ع. 41. 1977.

A. Foucault, et J. F. Raoul, *Dictionnaire de géologie*, 3 eme Ed. Masson, 1988 ; E. Saaidi, *Lexique de geologie et de géomorphologie (français-Arabe)*, Rabat, SMER, 1990 ; J. Kourimsky, *Encyclopedie des minéraux*, Paris, 1986 ; Rudolf Duda et Lubos Rejl, *La grande encyclopedie des minéraux*, Paris, 1989 ; *Géologie des gites minéraux marocains (Substances métalliques et non métalliques)*, 2ème ed. t 1, Notes et Mémoires du Service Géologique, N° 276, 1980 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (Phosphates)*, 2ème Ed., t 3, Notes et mémoires du services géologique ; Lapadu-Harques P. *Précis de minéralogie*, Masson, 1954.

عبدالقادر بوسحابة

باريز مروك، أروقة تجارية أوربية كانت منتشرة في بعض المدن الكبرى كالرباط ومكناس وتعرف أيضاً بـ Galeries Parisiennes أو Galeries La Fayette ثم صارت تحمل اسم Magasins Modernes وهو الاسم الذي ما زال مكتوبا في أعلى حائطها بمكناس على بعد بضعة أمتار من ضريح سيدي علي منون الواقع بين باب بوعماير يسار الداخل لشارع روى مزيل (الروامزين) من هذه الناحية، وهو أول حي أوربي أنشأه الفرنسيون خلال العقد الثاني من هذا القرن بعد احتلالهم مدينة مكناس سنة 1911. وكان يشتمل على دور الأوربيين الأوائل الذين استقروا بالمدينة القديمة قبل انتقالهم إلى المدينة الجديدة - حمرية - في بداية الثلاثينات من القرن العشرين، كما كان يوجد بهذا الحي بنك ومتاجر تباع فيها البضائع الأجنبية بالدرجة الأولى - قبل بناء متاجر كبرى في حمرية - ومن أهمها ما كان موجودا في أروقة "باريز مروك".

كانت البضائع الأوربية واليابانية والأمريكية المتداولة في "باريز مروك" هي الملابس بكل أنواعها الخاصة بالرجال والنساء والأطفال، كالمعاطف والأقمشة، والبدل الجاهزة "Confections" والقبعات والملابس الداخلية والجوارب والأحذية المستوردة من فرنسا وإسبانيا وانجلترا والولايات المتحدة الامريكية... وسواء كانت هذه المبيعات جديدة في أصلها أم مستعملة، فإن قاسمها المشترك هو الجودة والثمن المنخفض، وطول مدة استعمالها، فكان إقبال الأهالي على ابتياعها إقبالاً منقطع النظير مما ترتب عنه عزوفهم عن الانتاج الحرفي المحلي الذي أهمله السكان إهمالا شديداً، فكان ذلك سبب كساده وتحويل جل أصحابه إلى عاطلين.

لقد كانت الأروقة التجارية المعروفة بـ :«باريز مروك» بما تضمه من منتجات أجنبية بالمواصفات السالفة الذكر، وراء الأزمة الحرفية التي عاشها أصحاب الحناطي بمكناس نظراً للدور التخريبي الذي قامت به هذه الأروقة دون أن ينتبه المستهلكون للآثار السلبية التي لحقت بإخوانهم الحرفيين، خاصة لما لم تعد المنتجات الحرفية المحلية في المستوى المطلوب بمقارنتها مع ما هو متداول في «باريز مروك»، وبالرغم من الشعارات التي رفعها أعضاء الحركة الوطنية لمقاطعة البضائع الأجنبية والإقبال على مثيلاتها الأهلية، فإن هذه الدعوة لم تنجح إلا نجاحاً محدوداً في تحقيق أهدافها، في الوقت الذي حقق فيه التجار الأوربيون أرباحا طائلة على حساب التجار الأهالي والحرفيين المنتجين السابقين لحاجيات الأهالي من الملابس والبلاغي وغيرها.

ب. بوعسرية، *أحداث بوفكران*، الرباط، 1990.

P. Ricard, *Maroc (guide bleu)*, 1952 ; R. et D. Deslis, *Le Commerce des chaussures au Maroc*.

بوشتى بوعسرية

باريلا اگليسياس خُوسي إنْريكي Varela Iglesias José Enrique، جنرال إسباني ولد بمدينة قادس سنة 1891، وبعد تخرجه من الأكاديمية العسكرية قضى جل حياته في شمال المغرب حيث شارك فيما كان يسميه الاستعمار بحروب التهدئة Campañas de pacificacion وقد أحرز مرتين على وسام لاورياداً دي فيرناندSan Laureade de Fernando وهو أعلى وسام إسباني، وبذلك كان بَاريلا الرجل الوحيد الذي حصل على الوسام المذكور مرتين.

وبَاريلا هو الذي أنشأ بمليلية أول فرقة لجنود المرتزقة المغاربة بالجيش الإسباني المعروفة بـ «حَرْكة بَاريلا» سنة 1924/1343 وكان لهذه الحَرْكة دور فعال في إنزال القوات الإسبانية بخليج النكور يوم 8 سبتمبر 1925.

وبسبب تآمره ضد الجمهورية الإسبانية قضى بَاريلا سنوات 1932.1935 بالسجن، غير أنه خرج منه وأعيد إلى صفوف الجيش ورُقي لدرجة جنرال، ثم عاد إلى السجن في شهر أبريل 1936 بسبب مشاركته في مؤامرة ثانية ضد الجمهورية.

وفي 18 يوليوز من نفس السنة أخرجه من السجن العسكريون الذين ثاروا ضد النظام الجمهوري برآسة الجنرال فرانكو Franco وقد شارك باريلا مشاركة فعالة في الحرب الأهلية الإسبانية كقائد للمرتزقة من سنة 1936 إلى سنة 1939، وفي هذه السنة الأخيرة عين وزيرا للحرب في حكومة الجنرال فرانكو، وفي سنة 1942 تعرض لمحاولة اغتيال دبرها أعداء النظام الفرانكوي بمدينة بيلباو Bilbao.

وفي يوم 5 مارس 1945 عين مقيما عاماً بشمال المغرب وظل بتطوان إلى أن وافته المنية يوم 24 مارس 1951.

وخلال المدة التي قضاها في الإقامة العامة كان ألد عدو للحركة الوطنية المغربية حيث قضى على نشاط حزب الإصلاح الوطني وعطل الصحافة الوطنية ومنع زعيم الحزب المذكور الأستاذ عبدالخالق الطريس من العودة إلى تطوان بعد رجوعه من الجولة التي قام بها في الشرق العربي في شهر فبراير من سنة 1948.

C. Martinez Campos, *España belica : El siglo XX, Marruecos*, Madrid, 1972 ; M. Rubio Cabeza, *Diccionario de la guerra civil española*, Barcelona, 1987.

محمد ابن عزوز حكيم

بّاريينطي Parienté، أسرة يهودية قديمة في المغرب. وهناك أسطورة تقول إنه كان بالمغرب قبل الإسلام، حسبما هو متواتر عند يهود المغرب، ربّي يدعى يعقوب باريينطي بسط نفوذه على الريف شمال البلاد. ويقول بعض الربيين الذين عاشوا بتطوان ودبدو مثل شلومو هكوهن كما جاء في *ياهاس فاس* (أخبار فاس) أن ما قيل عن الربّي يعقوب صحيح. ومن المتأخرين منهم :

بّاريينطي، شلومو، كان ترجمانا لحكام طنجة في عهد احتلالها من طرف الأنجليز خلال القرن السابع عشر.

بّاريينطي، موسى، أسس «بنك باريينطي» بطنجة عام 1840، وهو البنك الذي كان يتعامل بالخصوص مع بنك انجلترا قبل أن تنشئ الأبناك الأوربية الأخرى فروعاً لها بالمغرب. وأول هذه الفروع الذي أنشيء بطنجة عام 1900، كان فرع المصرف الوطني للقرض بباريس، وصار يمارس عمليات التحويلات بالشيك والكمبيالات والصرف، إلا أن بنك بّاريينطي نقل عام 1957 مقره من طنجة إلى جنيف.

بّاريينطي، يعقوب، ربّي من أصل إسباني لجأ إلى فاس بعد عملية الطرد التي أعقبت سقوط غرناطة ومارس مهنة كاتب الإشهاد، كان شاعراً وضع مباكي و تأملات (قنوط) ترد في كتب متداولة بالمغرب، وتوجد إحدى قصائده بمكتبة أكسفورد (مخطوط رقم 1189).

I. Laredo, *Memorias de un viejo tangerino ; Les Noms des juifs* ; E. M. Routhe, *Tangier England's lost atlantic out post*, London, 1912 ; A. Lahlou, *Notes sur la Banque et les moyens d'échange commerciaux à Fès avant le Protectorat*. Hesp, 1937, 3e tr., p. 228, 232.

سيمون ليفي

البّاز، جنس من الطيور تنتمي إلى فصيلة الصقريات Accipitridae وإلى رتبة الكواسر النهارية Falconiformes . هذه البزاة صغر العيون، مدورة الرؤوس، قصار الأجنحة، طوال الأرجل، تمتاز بطيران سريع وشجاعة قوية تتجلى في تمكنها من الافتراس في الفضاء لبعض الطيور.كثيرا ما تفزع عشيرات العصافير التي تنقض عليها بأرجلها الطوال وتمسكها بمخالبها القوية.

إنها طيور لاحمة تصطاد في الجو وفي الأماكن العارية وتتابع نشاطها في ساعات متأخرة من النهار، وذلك لتمتعها ببصر قوي يفوق بعض أنواع الكواسر ذات الأنشطة النهارية. فبرغم سرعتها الفائقة تتميز بدقة المسافة والاتجاه والمكان المحاط بفريستها حتى تتجنب الاصطدام مع أغصان الأشجارأو مع الصخور.

تضم فصيلة الصقريات مائتي نوع في العالم و 27 نوعا في المغرب من بينها ثلاثة أنواع من البزاة Accipiter nisus ويسمى الباشق في الشرق العربي وAccipiter gentilis أو الباز وMelierax matabates أو الباز المغنّي.

يتميز الباشق Anisus بطول يتراوح ما بين 27 و38 سم، الأنثى أطول من الذكر، رَمادي اللون جهة الظهر وأبيض مخطط بالبني جهة الصدر والبطن، الذيل موسوم بخمسة إلى ثمانية خطوط سوداء. يظهر بسرعة فائقة، وكثيرا ما يحلق في الهواء أثناء فترة التوالد. يبني الزوجان العش في أعالي أشجار الصنوبريات. يتكون الوكر من الأغصان والأوراق. تضع الأنثى من 4 إلى 6 بيضات و نادرا 2 أو7، تحضنها لمدة ستة أسابيع يأتي الزوج بالأكل للفراخ وتقوم الأنثى بتنظيف العش والاعتناء بالصغار.

يتكون قوته من الطيور كالخطاف والدوري والشحرور والحمام، ويأكل نادرا الحشرات والزواحف والضفادع. استغل الانسان هذا الطير لصالحه ودجنه منذ القدم ليصيد به بعض الطيور من أنواع الحماميات.

تقدّرالمجموعة الآبدة في المغرب ما بين 500 إلى ألف زوجة، ويضاعف هذا العدد في فصل الشتاء أثناء هجرة هذا الطير القادم من أوربا. إن الباشق شائع في جميع أنحاء المغرب. أثناء فترة التوالد يلتجئ إلى الغابات الكثيفة في المرتفعات (أكثر من 2.000 متر) وفي فصل الشتاء يتجه بعض الأفراد إلى جنوب المغرب.

محمد رمضاني

البّاز، أسرة من قرية أمراغ بقبيلة أگلو، كان أفرادها يسمون في القديم باسم «يقرعون» وينتمون إلى سيدي إبراهيم بن إبراهيم بن موسى المعروف ب«بوبراهيم» دفين منطقة (اسك) بأيت باعمران.

البّاز، محمد بن الحسن بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، ابتدأ تعليمه بحفظ القرآن بكتّاب قريته «أمراغ»، ثم قصد قرية الكريمة بالساحل عند الأستاذ عبدالله بن محمد النميض، ثم مدرسة «بونعمان» عند الأستاذين أحمد بن مسعود وابنه البشير. بعد ذلك شد الرحال نحو «إغيلالن» عند شيخها الحاج مسعود الوفقاوي. قبل أن يلتحق بمدينة تزنيت الحاج أحمد بن الحسين الجراري. وأخيرا استقر به المقام بمدينة مراكش بمعهد ابن يوسف حيث قضى ثلاث سنوات ما بين 1950.1953. وقد وجد في المعهد ما كانت تشرئب إليه نفسه، فأخذ العلوم الفقهية واللغوية، وخاصة مادة الحساب والتوقيت على يد الأستاذ محمد بن عبد الرازق. وبعد عودته إلى تزنيت التحق بمحكمة المدينة، حيث عمل ناسخا زمن القاضي المصلوت، وانتظم بعد ذلك في سلك التدريس بجامع تزنيت الكبير. وكانت دروسه تتسم بالجدية والحيوية. مباشرة بعد تأسيس فرع المعهد

الابتدائي بتزنيت سنة 1956، درّس به إلى حدود 1957 وخلال هذه الفترة أسس مع ثلة من علماء سوس بمدينة مراكش جمعية علماء سوس كإطار للعمل والتشاور بين مختلف الفعاليات الفكرية بالمنطقة. والتحق سنة 1958 بالوظيفة العمومية كمدرس بالمعهد الأصلي بتزنيت، وساهم طوال ثلاث عشر سنة قضاها بالمعهد، في تحسين وتطوير مناهج الدارسة، مما فتح آفاقا أكثر امتدادا لزيادة الاعتمادات المادية للمعهد واستقطاب عدد كثير من الطلبة. وبعد تحويل المعهد الأصلي إلى مدرسة ابتدائية سنة 1971، عين متفقدا للكتاتيب القرآنية إلى حدود 1982، حيث أحيل على المعاش.

عرف محمد الباز بالتخصص في مادة التوقيت وساهم في وضع جداول توقيت الصلاة لمدينتي تزنيت وأگادير وصحح توقيت بعض الجهات الأخرى. كما أسهم في الحياة الفكرية والثقافية بعدة مجالات قيمة ومتنوعة كالفقه والتوقيت وهي عصارة نشاطه العلمي لمدة تزيد عن 30 سنة.

معلومات شخصية ؛ روايات شفوية محلية.

أحمد بومزگو

الباز أو ابن الباز ـ أسرة يهودية ـ كثر فيها الربيون والأحبار والمؤلفون في مختلف مدن المغرب وقراه، منهم :

الباز، رفائيل بن موشي (1896.1823)، ربّي وقاض بصفرو من عام 1851 إلى وفاته، وكان أيضاً شاعراً ومادحاً مشهوراً وصاحب قلم سيال في العديد من مجالات المعرفة، فخاض في التاريخ وسرد الأخبار وكتب كيسّي ملاخيم (ظفيرة الملوك) لم تنشر بعد (مخطوطات خزانة ساسون، وخزانة جامعة القدس، هبْ 8 : 1211)، ثم كتب في موضوع علم التكدّس، والجداول المعروفة عند اليهود بـگواح معاسَوْ (قوة الأعمال)، وله في الأخلاق، بيرشَة هكّسيف (آية المال) وبئر *السباع* (الآبار السبعة) حول الحكم السبّع، وله في البلاغة، خلاط *أحَبَ*(السقَم)، وأسفار عن النحر حسب العقيدة الدينية، مثل ذبحي صدق (الأضحية الدينية)، الطلاق وزواج السُلفة مع سفر كيرتوت وله كذلك مؤلفات في الفقه اليهودي مثل *أربع شُمريم* (الحراس الأربعة) وسيون هَـ. ديشباط وهو عبارة عن شرح للنصوص القانونية الجاري بها العمل، و شُلحان عروخ للربّي يوسف كارو، وحوشن مشباط لموشي بن ميمون، لم تنشر بعد هذه الأعمال، في حين أن هالاخة موشي (فقه موشي) نشر بالقدس عام 1901.

اشتهر هذا الربيّ أيضاً بديوان شعر وبالأناشيد الرثائية مثل شرْحَداشْ و قُولْ بوخيم (القدس 1930). يتضمّن هذا الديوان مقطوعات شعرية يعرفها المغاربة لأنها كتبت بالعربية الدارجة قبل أن يتم إدماجها في القصائد المنشورة. أمام ديباجة *يشواع شمعون حاييم عوبادیا* فإنها تعتبر بحق أثرا شعريا من المستوى الرفيع، لأنها نصت على قوانين القريض وفنونه (الزعفراني : *الشعر اليهودي*، 131 و135) والذي توسع في منابع الإلهام الشعري اليهودي «مؤكّدا على ما أخذه واستوحاه هذا الإلهام من فنون وأغراض الشعر عند العرب».

الباز (ابن ـ) **السموأل**، كان ربياً أكبر بصفرو خلال القرن التاسع عشر. ألف *نعام سياح* جمع فيه أشعارا وقصائد رثائية وخطباً وعظية.

الباز(ابن ـ)، **صمويل** (1749.1697) ربّي قاض بفاس، ألف أشعاراً دينية وكتب مقالات عديدة في موضوع التلمود، منها : عوز وهدار(قوة وشرف) ثم سفر هَـ. تَعَر *السموأل*، ثم سفر زِكّارون (كتاب الذكرى).

أسس هذا الربي مدرسة عليا للتلمود يطلق عليها بالعبرية لفظ يشيبة، وبهاكان يدرس هو وأبناؤه الربيون يهودا وموشي ويعقوب.

الباز، موشي بن ميمون، ربّي قبّالي بترودانت خلال القرن السادس عشر. تعرّض في كتابه *هخال هَقُدش* (قصر القداسة) المنشور عام 1653 بأمستردَام، لذكرَ أصوله المتواضعة وفقر آبائه والظروف التي توقّف من أجلها عن مواصلة تحرير كتابه بترودانت عام 5335 ي/1775 م، وهكذا كتب يقول في فصل صلاة ليلة السبت :«مررنا بظروف مادية صعبة للغاية إذ لم نكن نتوفر على مواد غذائية كافية، وكان الغلاء يضرب أطنابه ولم يكن لأسرتي نقود، وغضب الله على سكان الأرض فضرب أهل ترودانت بوباء لم يسبق له مثيل بلغ ذروته في أول يوم من أيام عيد بيساح (الفصح) وكان ذلك عام 1598/5358، يومئذ لجأ جميع أفراد الطائفة اليهودية إلى الجبال المجاورة وتمادى الوباء إلى شهر تموز (يوليوز)» لكن المؤلف ورفاقه الذين نذكر من بينهم مريده يعقوب بويفرگان لجؤوا إلى أقّا. وفي السنة الموالية أعاد الوباء الكرّة فضرب المنطقة من جديد من شهر أبريل إلى شهر غشت.

وفي أقا واصل موشي الباز كتابة مؤلفه *هخال هقُدش*الذي ضمّنه آراءه الصوفية وتأويلاته الباطنية حول سر الصلاة والحكم المتعلقة بالحياة اليومية، جريا على أسلوب القبالبين، أيَ الباطنيين اليهود.

يعالج الكتاب أساسا ذات الله، الواحد الأوحد، ثم يتكلم على خلق العالم ويتطرق إلى السفروت (ح. سفرة) وهي الدوائر الصوفية، انطلاقا من النور الربّاني الذي تَولّد عنه التاج (أي كيثرْ) ثم الحكمة (حُخْمَة) التي تولّد عنها العقل والذكاء، ثم يأتي دور «البنا» ودور العظمة (الجيدولة) والقوة «الجيبورة» والجمال «تيفْ إريت» يتبعها النُصاح (أي الدوام والخلود) وهُوضْ (الجلالة) والبَصُوضْ (الأساس والقاعدة) وأخيرا الملخوت (الملكُوت)...

وفي المرحلة الأخيرة خلق الله الإنسان وأنعم عليه بحرية الاختيار والمصير ليكون أهلا للحياة الدنيا والآخرة. وفي هذا الإطار أنزل الله *التوراة*على بني إسرائيل ليمتثلوا

تعاليمه وأوامره، ومن ثمّ كانت للصلوات اليومية قيمتها، وقد أمر الله بإقامتها. لذلك يرى المؤلف أنه من الواجب كشف أسرار الصلاة والقنوت (گرّنوت) وهي بمثابة قرابين تقدمها الأفئدة، وكذلك المدلول الصوفي للقرابة الجسمية وغيرها من القرابات (الزعفراني : *قبّالة*، 249.263).

Y. M. Laredo, *Les Noms des Juifs*, 263 ; Y. Bennaim, *Malki Rabban* ; Y. M. Todedano, *Ner Hamaearab*, p. 208 ; H. Zafrani, *La Poésis Juive* ; *Kabbale*.

سيمون ليفي

البازي، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني گرير الغمارية، كان من بين أفرادها :

البازي، أحمد الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1636/1046.

البازي، محمد الذي زاول نفس الخطة بتطوان سنة 1612/1012.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 282 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecun*.

بَاسِيل، جبل بقبيلة مزوجة الگرتية قبالة مدينة مليلية، وبقمته التي تعلو على سطح البحر بـ 792 م برجٌ بناه المجاهدون لمراقبة المدينة السليبة منذ احتلالها سنة 1497/903 كما كان يراقب الساحل الممتد من بحيرة بوعرگ إلى رأس هرك، ويكون هذا الجبل مع جبل القلعة أعلى قمتي جبل گوروگو.

وقد أشارت إلى جبل باسبيل الوثائق الإسبانية منذ القرن الخامس عشر الميلادي حيث أطلقت عليه اسم موطابيل Motabel. وعندما بدأ الغزو الإسباني لتراب قبائل گلعية سنة 1909/1327 لعب هذا الجبل دورا مهما حيث جعل به بطل المقاومة المسلحة الشريف أمزيان حامية عهد إليها بإيقاد النار لإشعار المجاهدين بالخطر كلما خرجت القوافل الإسبانية من مليلية، وذلك ابتداء من 9 رجب 27/1327 يوليوز 1909، وهذا ما جعل الحاكم العسكري الإسباني الجنرال مارينا Marina يفكر في احتلال الجبل المذكور، وقد تمكن من ذلك الكولونيل ايتبورو Aizpuru صبيحة يوم 14 رمضان 29/1327 سبتمبر ولكن لمدة بضع ساعات فقط لأنه اضطر إلى مغادرته في المساء عندما تيقن من عدم تمكنه من تحصينه قبل غروب الشمس، وهكذا عاد الجبل إلى يد المجاهدين في نفس اليوم.

ومنذ ذلك اليوم أصبحت قوافل تموين المراكز المحتلة من طرف الإسبان معرضة لهجومات المجاهدين المرابطين بجبل باسبيل، فأيقنت القيادة الإسبانية أنه ما دام الجبل المذكور بيد المجاهدين لم يكن في وسعها تموين مراكزها الأمامية، وهذا ما جعل الجيش الإسباني يقوم باحتلال الجبل في صبيحة يوم 2 ذي الحجة 15/1327 ديسمبر 1909 في الوقت الذي كانت فيه كتيبة المجاهدين منهمكة في القضاء على قافلة تموين أرسلها حاكم مليلية خصيصا ليشغل بها المجاهدين حينما كانت القوات الإسبانية تتسلق الجبل وتقوم باحتلاله دون قتال. وهكذا عندما أراد المجاهدون العودة إلى مركزهم في المساء وجدوه محتلا وعملية تحصينه من طرف الإسبان قد أوشكت عن الانتهاء.

م.ابن عزوز حكيم، *الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في الشمال*

J. Zurita, *Historia del Rey Don Hernando et Catolico*, 1670; *Campañas*, t : 2, p. 96, 204,310,312,570 ; C. Martinez Campos, *España Bélica*. El siglo XX (Marruecos), Madrid 1972, p. 62,79,91.

محمد ابن عزوز حكيم

باستور (معهد -) في المغرب Institut Pasteur du Maroc. أنشئ معهد باستور بالمغرب في الدار البيضاء سنة 1929، بناء على اتفاقية أبرمتها سلطات الحماية مع معهد باستور بباريس. وكان هناك فرع لهذا المعهد بمدينة طنجة يعود تاريخ تأسيسه إلى سنة 1911.

وفي عهد الاستقلال تقرر سنة 1967 ضم فرع طنجة إلى معهد باستور بالدار البيضاء الذي أصبح يحمل اسم "مركز الأمصال واللقاحات" (*المرسوم الملكي* رقم 66.176 بتاريخ 28/6/1967). ويتمتع هذا المركز بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي، وتحدد مهمته فيما يلي :

- متابعة الأبحاث عن الأمراض المعدية والطفيلية التي تصيب الإنسان والحيوان والنبات. كما يمكن لوزير الصحة العمومية أن يسند إلى المركز مهمات أخرى بصفة دائمة أو مؤقتة كالقيام ببعض التحريات والخبرات والتحاليل المتعلقة بنفس الأمراض.

- المساهمة عند الاقتضاء في تلقين علم الجراثيم والطفيليات وكذا استقبال المتدربين والباحثين المغاربة والأجانب.

- تحضير أو استيراد الأمصال واللقاحات والخمائر والمنتجات البيولوجية الضرورية لحاجيات البلاد فيما يخص الطب البشري، وكذا فيما يرجع للطب البيطري باتفاق مع وزارة الفلاحة.

ويسير المركز مجلس إداري يتألف، تحت رئاسة وزير الصحة، من ممثلين عن وزارات المالية والفلاحة والتربية وعن عمادة الطب والصيدلة.

ويُناط بالمجلس على الخصوص إبرام اتفاقيات مع المنظمات المغربية العمومية والخصوصية والموافقة على برامج البحث والإنتاج وحصر ميزانيات وحسابات المركز واقتراح رصد الموارد اللازمة لتمويل برامج البحث والإنتاج وتحديد أثمان بيع المنتجات المصنوعة بالمركز.

ويمكن للمجلس أن يفوض بعض اختصاصاته إلى مدير المركز الذي تساعده لجنة تقنية وعلمية ؛ وفي هذا الصدد يتوفر المركز على عدد من أساتذة الطب والبيطرة والصيدلة وكذلك على عدد من الأطباء والبياطرة والصيادلة المتخصصين في علوم الأحياء والمهندسين الكيماويين وغيرهم من الباحثين والتقنيين والممرضين العاملين في المختبرات بصرف النظر عن الإداريين والأعوان.

وتحتوي موارد المركز على : 1 ـ المحصولات والأرباح المتأصلة من عملياته. 2 ـ مساعدات الدولة. 3 ـ الإعانات التي تقدمها منظمات وطنية أو دولية. 4 ـ التبرعات والهبات.

وتتلخص نشاطات المركز في تلقيح المصابين بداء الكَلَب والسهر عليهم مدة العلاج، وتكوين الممرضين والأطباء المسؤولين عن المراكز المنبثة في نواحي المملكة والمكلفة بالوقاية من هذا المرض.

ومعهد باستور هو المركز الوحيد المسموح له بتلقيح المسافرين ضد الحمى الصفراء والكوليرا والتهاب السَّحَايَا وتسليمهم بذلك شهادة معترفاً بها دولياً ؛ وهو كذلك مؤهل لتقديم المعلومات الضرورية للمسافرين عن الأمراض المعدية.

ويدخل في اختصاص المركز وضعُ وتطبيقُ برامج أخرى للوقاية من داء الكَلَب والتهاب الكبد الفيروسي، وتنظيم التكوين المستمر لفائدة الأطباء والممرضين الراغبين في تحسين معلوماتهم في ميدان التحصين من الأمراض التي تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي.

ويعمل المركز على تلبية حاجيات المغرب فيما يتعلق باللقاحات والأمصال ومشتقات الدم إما بإنتاجها كلياً في مخابره أو باستيراد المواد البيولوجية لصناعتها محلياً بالتعاون مع بعض المنظمات المختصة في هذا الميدان، قصد تمكين وزارة الصحة من القيام بالحملات التي تنظمها دورياً لوقاية المواليد من أمراض الخُنَاق والكُزاز والشلل والسُّعال الديكي والحصبة والسُّل، وكذلك تحصين النساء المنجبات من داء الكُزاز، وكافة السكان، بصفة عامة، من الأمراض المعدية.

الجريدة الرسمية عدد 2852، 1967.

Rapport de l'Institut Pasteur du Maroc 1991.

محمد الشياظمي

باسُّو، أُميمون (الحاج ـ) بن سعيد لَغْمَام شيخ أيت أُنير وخليفة منطقة تازارين (اقليم ورزازات) ولد عام 1884/1302 م. بقصر أُرُّويْ بالنقوب منطقة تازارين أيت عطَّا. كانت أسرته ـ وما زالت ـ ذات جاه وثراء عريقين بقبيلة سليلُّو التابعة لأيت أُنير أحد أخماس أيت عطَّا المشهورة. وفي فترة يصعب تحديدها تحركت قبيلة سليلُّو في اتجاه الأطلس الكبير شمالاً فأحرزت على مكان بوادي دادس قرب بولمان دادس وأقامت به قصراً على الضفة اليسرى لنفس الوادٍ. وقد سمي هذا القصر بنفس اسم القبيلة قصر سليلُّو. ولحد الآن لا تزال أسرة باسو أُميمون تملك به قصبة تيغْرمت التي تعتبر من أهم قصبات وادي دادس. وقد قام ببنائها باسو أُميمون نفسه للإقامة بها مدة كلما قدم من تازارين إلى هذه المناطق. وهذه القصبة التي تتكون من سبع طبقات ما تزال ماثلة للعيان تشهد بعظمة هذا الرجل وقوته.

كان خويا سعيد لَغْمام والد باسو أُميمون رجلاً شجاعاً، مقداماً يقوم بالتجارة على ظهر دابته بين تازارين ومناطق الأطلس الكبير الأوسط (أزيلال، دمنات الخ...) وأثناء تنقلاته المتكررة حدثت له عدة وقائع طريفة ما تزال متداولة بين الناس إلى وقتنا الحاضر. ومن بين ما يحكى عنه أنه كان ذات يوم سائقاً دابته المحمَّلة بكيس من التمر اشتراه بوادي درعة ليبيعه بأزيلال، وبينما هو يواصل السير اعترضت سبيله امرأة نفساء وسألته : ألم تر قافلة خويا سعيد لَغْمام يا رجل ؟ إذ ذاك تبين له أن تجاراً سبقوه في الطريق هم الذين أشاروا على المرأة بذلك استهزاء به لكونه لا يملك إلاَّ دابة واحدة، تخلصاً منها لما طلبت منهم أن يُمدوها بما تيسر من التمر لتقتات به. وهكذا لما تأكد خويا سعيد لغمام من استهزائهم به قسم في الحال حمولة دابته إلى نصفين : نصف أعطاه لتلك المرأة ونصف آخر احتفظ به لنفسه ليبيعه بأزيلال ويشتري بثمنه ما يعول به أسرته من الحبوب. سرت المرأةُ بكرمه ودعت له بخير. وبينما هو يجمع حطباً في المساء لإعداد رغيف عشر على (قمقوم) مليء بدراهم فضية (ما يعرف بالحسني) فحمد الله واشترى بها أربعة بغال حمَّلها بالقمح والشعير وعاد إلى بلدته يقود قافلة من الدواب.

نمت ثروة سعيد لغمام واختارته قبائل أيت عطا ليصبح شيخاً عليهم في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، واستمر إلى بداية القرن العشرين حيث خلفه ابنه الحاج باسو أُميمون سنة 1905 م.

باسو أُميمون خليفة تازارين

تربى باسو في أحضان والده ذي الثراء والجاه. فكانت له شخصية متميزة وهو ما يزال يافعاً، فحمل السلاح وعمره ست عشرة سنة للذود عن مصالح قبيلته. وتولى المشيخة الفعلية بعد وفاة أبيه وعمره إحدى وعشرون سنة (عام 1905 م) ومنذ ذلك أصبح صوته مسموعاً لدى جميع قبائل أيت عطا، يحضر باستمرار اجتماعات شيوخها وزعمائها حين يتدارسون أعرافهم (تيعقَّيدين) التي كانت تنظم حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ولما بدأ خطر الحماية الفرنسية يهدد مناطق صغرو ووادي درعة في بداية التلاثينات رأى زعماء قبائل أيت عطا أن من الواجب التحرك للوقوف في وجه العدو بكل الوسائل الممكنة. وكان الشيخ باسو أُميمون من الشيوخ

الذين قاموا ضد تدخل قوات الأگلاوي المعززة بالقوات الفرنسية بالمنطقة. وتفادياً للاصطدام من جهة ولواقعية الشيخ باسو من جهة أخرى اعترف الشيخ باسو أميمون بسلطة الأگلاوي ومن ورائها سلطة الفرنسيين، على منطقة تازارين. وحذا حذوَهُ شيوخ آخرون هم : عدي أُخيِّي من أيت إسفول بقصر تبسباست (بقيادة تنغير حالياً)، وحمّو أُلحساين بن مورغي من أيت بوداود بتَازارين (خمس أيت واحليم)، ثم يديرْ أسعيد المسوفي من أيت ولاّل بزاگورة.

بيد أنه تأكّد أن خضوع باسو أميمون وغيره من وجهاء أيت عطا لسلطة الأگلاوي والفرنسيين ما هو في الحقيقة إلا خضوع تكتيكي كان الهدف من ورائه الحصول على أحدث الأسلحة. وكانوا يزوّدون بها خفية إخوانهم أيت عطا القاطنين بجبل صَغْرُو حيث تأججت شرارة المقاومة المسلحة ضد المستعمر فوق شامات جبل بوگافر المشهور بقيادة المناضل الوطني الحاج عسُّو باسْلام.

وبعد مرور حوالي عام من المقاومة المستميتة تكبد أثناءها المستعمرون خسائر فادحة في الأرواح والعتاد (قتل القائد الفرنسي بورنازيل الملقب بالرجل الأحمر لكونه كان يرتدي برنوساً أحمر اللون)، تأكد لمقاتلي أيت عطا أن الاستمرار في التصدي للمستعمر أصبح صعب المنال نظراً لنفاد المؤن والذخيرة إضافة إلى الحصار الذي ضربته القوات الاستعمارية على المنطقة كلها.

قصبة باسو أُميمون (7 طبقات) على الضفة اليسرى لواد داس

وفي خضم الظروف الصعبة التي كانت تمر بها هذه المنطقة سعى الشيخ باسو أميمون إلى تحقيق لقاء بين المقاتلين المحاصَرين بجبل صَغْرو وبين قادة الجيش الفرنسي حيثَ تقرر وقف إطلاق النار بين الطرفين. ودون الدخول في التفاصيل والحيثيات التي رافقت المحادثات وافق المقاتلون على إنهاء المقاومة بجبل صغرو وفق شروط معينة أملوها على المستعمرين فقبلوها. وكان من أهمها على الخصوص :

- تولي كبار أعيان أيت عطا الحكم على قبائلهم.
- عدم فرض الرقص والفلكلور على نساء ورجال قبائلهم.
- عدم إخضاع منطقة بوگافر التي دارت حولها المعارك لحكم الباشا الأگلاوي على اعتبار أنها منطقة مقاومة وجهاد ولذلك ستبقى محترمة. وهكذا، وفي إطار البند الأول من الاتفاق، تم تعيين الحاج باسو أوميمون خليفة على قبيلة أيت عطا بتازارين. ومنذ ذلك الحين عمل على رعاية شؤون قبيلته ومصالحها فصانها من أذى الحماية الفرنسية ومن غرامات وإتاوات الأگلاوي إلى أن بزغ فجر الاستقلال ومات - رحمه الله - سنة 1960 م تاركا عدة أولاد.

كان للحاج باسو أُميمون حس وشعور وطني تجلى في كونه :

- رفض تطبيق بنود "الظهير البربري" على قبيلته.
- رفض التوقيع على وثيقة خلع محمد الخامس من العرش.
- رفض تعذيب المناضلين الوطنيين الذين قامت السلطات الاستعمارية باعتقالهم ونفيهم بمنطقة تازارين أيت عطا.

واضح أن الخليفة باسو أميمون كان شخصية بارزة بمنطقة تازارين يحسب لها حسابها. فكان لا يتقاعس عن قول الحق والوقوف أمام مؤامرات الأگلاوي والفرنسيين. وبطبيعة الحال لم يكن تصرفه لينال رضاهم فأخذوا يهددونه ويمارسون عليه وعلى أهله ضغوطا كثيرة. ويتجلى التهديد والوعيد الذي يلوّحون به عليه من خلال قصيدة باللغة الفرنسية نظمها كاتب الشؤون الأهلية بتازارين سنة 1953 المدعوّ دريليـــان، وعنوانها :"واحة تازارين" جاء في مطلعها :

En regardant pousser ces palmes,
Tazzarine s'est endormie.
Par nos chants et par nos cris,
Nous allons briser ce calme et chasser le khalifa.

تضمنت أبيات القصيدة احتقار واحة تازارين ووعيد خليفتها الحاج باسو أميمون الذي اكتفت بنعته بالخليفة دون ذكر اسمه كاملا.

وما انفك الصراع يحتدّ بين باسو أُميمون والمستعمر خلال عقد الخمسينات حتى وصل أوجه سنة 1954 على إثر قصيدة ذات نفَس وطني أنشدها ولده ميمون بمناسبة اختتام السنة الدراسية لذلك العام جاء في مطلعها :

أيهـــا الشعـب تقـــدم للعـــلا خلـــف الإمـــام
فخـرُنـــا تـــاج المعـــالي عـــزّنـــا شبـــل الكـــرام
وطـن المغـرب روحـــي لســـت أحبـــا لســـواه

وقد أثارت تلك القصيدة ضجة كبرى وصل صداها إلى المستوى المركزي وعانى الشيخ بسببها الأمرين. وبعد ذلك بأسابيع قليلة اتهمه المراقب الفرنسي بتازارين وكان يدعى مارشال وهو برتبة كومندان بقطع الأسلاك التليفونية من طرف ولده ميمون بمكان يدعى تاغيا بمركز تازارين أيت عطا، وقام بتنسيق مع مدير المدرسة المركزية بطرد ولده ميمون، ولم يتم قبوله في المدرسة إلا بعد الاستقلال. وبعد رجوع محمد الخامس كافأ باسو أميمون بميداليات الوسام العلوي من الدرجة الأولى والثانية.

تحريات ميدانية.

Les Africains, T. V. (sous la direction de Ch. A. Julien), Paris, J. A., 1977, David Hart, *Assu U-Baslam, de la resistance à la pacification au Maroc*, p. 75-105 ; H. Terrasse, *Kasbas berbères de l'Atlas et des oasis*, Paris, 1938.

محمد حمام

باسّي، أندري Basset André (1895-1956) يرتبط اسمه بحقل الدراسات اللسانية واللهجاتية الأمازيغية ببلدان المغرب الكبير، حيث يعتبر لدى المتخصصين من أبرز رواد المدرسة الفرنسية في هذا المجال، إذ ينتمي إلى مجموعة الباحثين "المستمزغين Berbérisants" الجامعيين الذين يتميزون من حيث نوعية دراساتهم وأهدافهم عن طائفة الضباط والمبشرين Missionnaires الذين كان وراء اهتمامهم بالأرض والإنسان والثقافة الأمازيغية انشغالات إديولوجية استعمارية أكثر مما هي علمية بحتة. وتصنف أعمال أندري باسيه وأمثاله (لاووست E. Laoust وديستان E. Destaing ومارسي Ph. Marcy وروكس A. Roux) كحلقة وصل بين الدراسات الكولونيالية والدراسات العلمية لفترة ما بعد استقلال بلدان المغارب.

أندري باسي هو ابن روني باسي René Basset وأخو هنري باسي Henri Basset المعروفين بأعمالهما في مجالي اللغة والأدب الأمازيغيين. ولد سنة 1895 بمدينة لونيفيل بفرنسا، حيث كانت دراسته الابتدائية والثانوية، ومنها انتقل إلى الجزائر لإتمامها قبل العودة إلى باريس لمتابعة تكوينه الجامعي الذي كان جزءٌ منه أيضاً في الجزائر. كان تخصصه الأصلي في الآداب الفرنسية التي حصل فيها على الإجازة، إلا أن متطلبات مقرر التبريز أرغمته على متابعة تكوين تكميلي في اللسانيات التاريخية والمقارنة على يد أنطوان ميبي A. Meillet الذي أثر فيه بعمق، مما دفعه إلى استكشاف عالم دراسات اللهجاتية الأمازيغية. فبعد أن تحددت آفاقه العلمية في اللسانيات النظرية والتطبيقية وبعد تمكنه من مناهج البحث في إطارها، انكب على دراسة اللغة الأمازيغية بمختلف لهجاتها في ضوء المناهج الاستقرائية التي أثبتت فعاليتها بالنسبة لمقاربة اللغات الهند أوروبية. بعد حصوله على شهادة التبريز في النحو سنة 1922، عمل بالتدريس في الثانوي بمدينة الرباط بثانوية گورو (ثانوية الحسن الثاني حالياً) وثانوية مولاي يوسف. وما لبث أن انتقل سنة 1925 إلى معهد الدراسات العليا (بمقر كليه الآداب بالرباط حاليا) حيث أصبح به مديراً للدراسات. وبعد مناقشة أطروحة الدكتوراه سنة 1929، عين سنة 1930 أستاذاً بكلية الآداب بالجزائر، وفي نهاية 1940، وبعد وفاة إدمون ديستان E. Destaing آل إليه كرسي الدراسات الأمازيغية بالمعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية INALCO بباريس، فواصل التدريس به إلى جانب إدارته لمركز دراسات اللغات المحلية لما وراء البحار. وبموازاة مع هذه المهام، كان أيضاً يزاول التدريس بكل من متحف الإنسان ومركز الدراسات العليا للادارة الإسلامية بباريس. وإلى جانب نشاطه العلمي بهذه المؤسسات، كان أيضاً عضواً عاملاً ومشاركاً في عدة مجموعات بحث وجمعيات علمية، حيث كان يساهم بعروضه وأبحاثه حول الأمازيغية، كما كان رئيساً ثم مديراً لجمعية اللسانيات بباريس Societé de linguistique de Paris فضلا عن مواظبته على المشاركة في المؤتمرات العلمية الدولية، إذ كان منذ 1948، عضواً بلجنة التحريات اللسانية المنتمية إلى اللجنة الدولية الدائمة للسانيين. وكانت أغلب مأمورياته العلمية في البلدان المغاربية وخاصة في المناطق الأمازيغية التي قام فيها بتحريات ميدانية تغطي عدداً كبيراً من المتغيرات اللهجية المحلية. وتعتبر خزانته الخاصة، التي وضعتها زوجته بعد وفاته 1956 رهن إشارة الباحثين بمعهد الدراسات العليا Ephe بباريس، من أهم مراكز التوثيق في مجال البحث في اللغة والأدب الأمازيغيين.

تنصب الأنشطة العلمية والبحوث الميدانية والدراسات المنشورة لأندري باسيه في مجملها على مظاهر اللغة الأمازيغية بمختلف لهجاتها وذلك انشغال ورثه الباحث عن والده روني باسيه وتقاسمه مع أخيه هنري. وكان من بين أهدافه الأساسية تطوير اللهجاتية الأمازيغية بشكل يلائم خصوصية الأمازيغية كنظام لغوي متميز عن اللغات الهندأوروبية خلافاً لما كان عليه الأمر على يد الضباط والتبشيريين (الإرساليين) حيث كانت اللغات المشرقية والمغاربية تعالج من منظور تطغى عليه النزعة الأوربية. وقد اشتهر بجدية أبحاثه المتسمة بالرصانة والدقة والحذر، والقائمة على التوفيق بين التحليل اللساني وبين معطيات الواقع الجغرافي والاجتماعي الذي يشكل أهم مورد للقرائن والمواد التي يبنى عليها افتراضاته واستنتاجاته، فضلا عن استفادته من العلوم الانسانية المتصلة باللسانيات.

من خلال بيبليوغرافيا أعماله، تتجلى غزارة إنتاج باسيه في مجال الدراسات الأمازيغية إذ لم يترك أي جانب منها بمختلف متغيراتها اللهجية لم يتطرق إليه بدقة وحدس علمي جعلا من فرضياته أسسا ومنطلقات لأبحاث قيمة أنجزت فيما بعد على يد تلامذته وخاصة منهم ليونيل گالان Lionel Galand الذي خلفه في منصبه بمعهد اللغات والحضارات الشرقية وبالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا Ephe بباريس.

ويمكن تصنيف إنتاج أندري باسي إلى ثلاثة أنواع :

(أ). دراسات تركيبية حول اللغة الأمازيغية 1952،

(ب). دراسات لهجاتية لمواضيع محددة ودقيقة 1952،

(ج). دراسات معجمية وجغرافية ـ لسنية 1942. أما المناطق التي شملتها تحرياته اللسنية فهي كثيرة في كل من المغرب والجزائر وتونس وليبيا وجزر الكاناري وبعض بلدان إفريقيا جنوبي الصحراء كالسودان والنيجر.

ومن أبرز مؤلفاته :

1 ـ *مورفولوجيا الفعل* 1929 وهو عبارة عن أطروحته الأكاديمية حول نظام تصريف الأفعال الأمازيغية، حيث عالجها من حيث مبناها انطلاقا من دراسة لتنوع جذورها وصيغها وما يلحق بها من زوائد وهي تنتقل بين الأزمنة والأحوال Aspects، وما ينعكس عليه هذا الانتقال من تغيرات شكلية على مستوى الصيغة الصامتية والصوائت الابتدائية.

2 ـ *اللغة الأمازيغية* 1952. دراسة تركيبية مركزة حول تاريخ هذه اللغة وخصائصها اللسنية الصوتية والمورفولوجية والتركيبية والمعجمية. وتتضمن الدراسة أيضا معالجة لمختلف القضايا والتساؤلات المحيطة بالأنظمة اللهجاتية الأمازيغية وتوزعها الجغرافي وبعض المعطيات البشرية والاثنية والأنتروبولوجية للناطقين بها. وقد ذُيّل البحث ببليوغرافيا شاملة تغطي أهم الأعمال المنجزة حول الأمازيغية من النصف الثاني للقرن التاسع عشر إلى غاية 1949.

3 ـ *دراسات في الجغرافيا اللسانية للقبائل* (1929)، وهي أطروحته التكميلية، وتعد من اللبنات الأولى لأطلس لهجاتي محلي لمنطقة القبائل بالجزائر، حيث عززت الدراسة بإحدى وعشرين خريطة لهجية. وقد ترك عدداً من الدراسات الدقيقة المماثلة والمدعمة بخرائط حول عدد من المناطق الأخرى وخاصة المنطوق فيها لهجة التوارگ، كالسودان والنيجر. إلا أن مثل هذه التحريات بقيت دون متابعة من قبل الدارسين بعده.

4 ـ بعد وفاته أصدرت جمعية اللسانيات بباريس بتعاون مع المركز الوطني للبحث العلمي كتابا بعنوان *Articles de dialectologie berbère* تكريماً له، جمعت فيه مقالاته النادرة التي نشرت بمجلات مختلفة وأعمال لم تنشر من قبل، وترجمة لحياته بقلم ليونيل گالان وببليوغرافيا شاملة لكل إنتاجاته.

A. Basset, *La langue berbère. Morphologie, le Verbe. Etude de thèmes.* Paris 1929, 268 p ; *Etudes de géographie linguistique en Kabylie*, Paris 1929, 100 p + 21 cartes ; *Atlas Linguistique des parlers berbères. Algérie Territoire du nord*, fasc. 1, *Equidés* Alger, 91 p + 25 cartes, 1936. (en collaboration avec A. Picard) (1948), *Eléments de grammaire berbère(Kabylie Irjen)*, Alger, 328 p., 1948 ; A. Basset, *La langue berbère*, Hand book of African langages, Oxford, 72 p +1 carte, 1952 ; *Articles de dialectologie berbère*, Paris, Klincksieck, 179 p., 1959.

باسي، روني Basset René (1855 ـ 1924) من الباحثين المستشرقين الأوروبيين الذين كرسوا حياتهم وأنشطتهم الفكرية لدارسة مظاهر الحضارة والثقافة العربية والإسلامية بالمشرق وببلاد المغارب، في المرحلة الكولونيالية التي تحف بأعمالهم سلبيات المرمى الإيديولوجي الاستعماري مع ما بها من إيجابيات تكمن أساساً في الرصيد المعلوماتي الذي أورثنا إياه لما كان لأصحابها آنذاك من إمكانيات التنقل والتحري في أصقاع المناطق التي شملتها إبحاثهم ومأمورياتهم المدعمة من قبل الإدارة الاستعمارية.

وروني باسي هو أب كل من أندري باسي وهنري باسي اللذين واصلا رسالته العلمية في مجال البحث المركز بالخصوص على بلاد الأمازيغ في بلدان المغارب.

ولد في ليونيل فيل سنة 1858، وتخرج من مدرسة اللغات الشرقية الحية سنة 1880 وبعدها من مدرسة الدراسات العليا بباريس. وفي سنة 1885 عمل أستاذاً للغة العربية وآدابها بالمدرسة العليا للآداب بالجزائر التي عين مديراً لها سنة 1894، قبل توليه عمادة كلية الآداب بالجزائر سنة 1909. وكان رئيساً للمؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين سنة 1905.

تتعدد مجالات اهتمامه العلمي لتشمل حقولا معرفية متكاملة وذلك ما أتاح له إنجاز أبحاث ودراسات وتحريات وترجمات جادة في الإسلام واللغة العربية وآدابها واللغات الإفريقية واللغة الأمازيغية وتاريخ الديانات والإثنوغرافيا وثقافات الشعوب الإفريقية والمغاربية وحضاراتها، وقد ساعده على ذلك تعدد مأمورياته العلمية التي لم ينقطع انتظامها طوال حياته الفكرية، حيث كانت أولاها سنة 1881 بجنوب الجزائر وآخرها سنة 1914 بالمغرب. وقد شملت تحرياته العلمية بلدان المغارب لتمتد إلى إفريقيا جنوبي الصحراء وخاصة بلادي السينغال وغانا.

ففي مجال الثقافة الأمازيغية أنجز ترجمات ودراسات نصوص من التراث الشفوي العريق، كقصيدة "الصبي" الشهيرة كما قام بجمع وتحقيق عدد كبير من الحكايات الشعبية في عدة لهجات (1897 و1887) وضع مختصراً لنحو لهجة القبائل (1887) وله عدة دراسات معجمية ميدانية من لهجة كل من الريف وجربة وغات وتوات وگورارة ومزاب.

ففي الحقل العربي الإسلامي، له أعمال تتمثل في ترجمة وتحقيق والتعليق على نصوص مأثورة في الدين والآداب والتاريخ، ككتاب *البردة* للإمام البصيري (1894) *والخزرجية* في العروض (1883 و1924).

ومن أبرز أعماله في الميدان الأفريقاني دراسات حول تاريخ إثيوبيا (1881) وترجمة كتاب *فتوح الحبشة* لشهاب الدين أحمد عبد القادر (1877 ـ 1909) ودراسات أخرى جمعها في مؤلفه *مأمورية بالسينغال* (1880)، فضلا عما أنجزه من ترجمات وتعاليق لحكايات شعبية إفريقية (1903).

وله ترجمات ودراسات نصوص من التراث الشفوي الأمازيغي كقصيدة "الصبي" وتحقيق حكايات شعبية من عدة لهجات، ووضع مختصر لنحو لهجة القبائل. إضافة إلى كثير من المقالات في كل المجالات التي انشغل بها، نشرت في أمهات المجلات العلمية، وكذلك العديد من المواد في كبريات الموسوعات الأوروبية، والتي يعرف فيها بأعلام إسلامية وأمازيغية وإفريقية.

وصدر سنة 1923 مؤلف مشترك تكريماً له، يتضمن دراسات بأقلام معاصريه من الباحثين وببليوغرافيا لمجمل أعماله وأنشطته العلمية.

R. Basset, *La poésie arabe anté-islamique*, Paris, Leroux, 1850; *Etudes sur l'histoire d'Ethiopie, J. A.*, 1881 - 1882 ; *Contes arabes*, Paris, Leroux, 1883 ; *Contes populaires berbères*, Paris, Leroux, 1887 ; *Manuel de langue Kabyle : dialecte Zouaoua*, Paris, Maisonneuve, 1887 ; *Le dialecte de Syouah*, Paris, Leroux, 1890 ; *La Bordah du cheikh - el - Bousiri*, (traduction et commentaire), Paris, Leroux, 1894 ; *Nouveaux contes berbères*, Paris, Leroux, 1897 ; *Fotouh el Habachah* (de Chihab Eddin Ahmed Abd El Qader), traduction et notes, Paris, Leroux, 2 vol, 1897 - 1990 ; *La Khazradjyah, traité de métrique par Ali El - Khazradji*, traduction et commentaire, Alger, Fontana, 182 p., 1902 ; *Contes populaires d'Afrique*, coll. les littératures populaires de toutes les nations, t. XL VII, Paris, Guilmoto, 455 p., 1903 ; *Mille et un contes : Récits et légendes arabes* 3 vol., 1924 ; *Recherches historiques sur les Maures, Missions au Sénégal, p. 437 - 665 ; Mélanges René Basset*, Paris, Leroux, t. I, 1923.

باسي، هنري، Basset Henri (1892-1926) : هو ابن روني باسي وأخو أندري باسي، ويعرف لدى المهتمين بالثقافة المغاربية عامة والثقافة الأمازيغية على وجه الخصوص بمؤلفه حول الأدب الأمازيغي. توفي ولما يتجاوز الثالثة والثلاثين من عمره.

بعد تخرجه من مدرسة المعلمين التحق بالتعليم العالي وتقلد عدة مناصب إدارية بموازاة مع نشاطه العلمي المكثف، ومن أبرز هذه المناصب إدارة معهد الدراسات العليا (بمقر كلية الآداب بالرباط حاليا). انتقل باكراً إلى الجزائر التي اتخذها وطنه الثاني وانكب على دراسة مظاهرها الحضارية والثقافية بحماس متقد، شأنه في ذلك شأن الفرنسيين الغيورين وقتذاك على أهم مستعمراتهم بشمال إفريقيا. هناك جعله التماثل البيئي بين مسقط رأسه "اللورين" وبين الأرياف والجبال الجزائرية يفتتن بواحاتها وهضابها وجبالها، وذلك ما حفزه إلى الانغماس في البحث في الثقافة المحلية بمختلف واجهاتها العربية والأمازيغية، مركزاً بالأساس على الجانب الإثنوغرافي المتمثل في أنماط حياة السكان وممارساتهم الثقافية والاجتماعية والأعراف التي تحكم حياتهم العشائرية. وقد سخر في تحرياته الميدانية بالمجال الأمازيغي رصيده من المعارف المتكاملة من جغرافيا وإثنوغرافيا وتاريخ قديم وأركيولوجيا ولسانيات وآداب. وسيرا على نهج كل من أبيه وأخيه، كرس هنري باسي حياته القصيرة للبحث العلمي في نطاق انشغالاته الواسعة، حيث شملت بحوثه الكثيرة ميادين متنوعة ذات علاقة بتاريخ الشمال الإفريقي وبإثنوغرافيا وآداب العالم الأمازيغي. وقد نشر له بعد وفاته كتاب تكريمي (1928) بمشاركة عدد من الباحثين المعاصرين له، يتضمن بعض مقالاته ونبذة عن حياته وببليوغرافيا شاملة لأعماله وأنشطته العلمية.

ويعتبر كتابه *دراسات في أدب الأمازيغيين* (1920) أهم بحث جامع لمختلف جوانب أدبهم وهو بالنظر إلى شموليته، مرجع لكل دارسي هذا الأدب. إلا أنه مازال لم يحظ بما يستحقه من المعالجة النقدية الشافية.

الكتاب ذو طابع وصفي إثنوغرافي موجه بالأساس إلى جمهور المهتمين بالفلكلور عامة وبإفريقيا الشمالية خاصة. وهو نتاج سنوات من التحريات الميدانية والمأموريات العلمية التي أولاها المؤلف كل اهتمامه.

تقع محاوره في أربعة فصول مسبقة بمقدمة تتناول أصل اللغة الأمازيغية وكتابتها والتساؤلات المطروحة حول علاقتها العرقية بلغات من نفس الأسرة. وهي نفس العناصر التي عالجها بتوسع في الفصل الأول حيث تطرق إلى قضايا مازالت في الوقت الراهن من موضوعات البحث الخصبة، ومنها الازدواجية اللغوية للناطقين بالأمازيغية وإشكالية تفرع هذه اللغة إلى لهجات محلية ومدى إمكانية أو استحالة التفاهم بين مستعملي اللهجات المتباعدة جغرافيا.

ويتناول الفصلان الثاني والثالث بنفس العجالة الشمولية التي تبطع الكتاب برمته، قضايا الأدب المكتوب علما بأن التأليف بالأمازيغية ترجع أقدم النصوص الممثلة له إلى أزيد من ثلاثة قرون، خاصة منها النصوص الدينية المتمثلة في ترجمات الكتب الفقهية والعقائدية كـ*الحوض* و*بحر الدموع* للأوزالي وتآليف شرعية وقانونية وعرفية (أزرف). ودون الخوض في مناقشة الخصائص الفنية لهذا الجنس الأدبي يكتفي المؤلف بالتعريف بظروف ظهورها ووضعية أصحابها، مما يستخلص منه إجمالا مدى حرص الفقهاء والعلماء الأمازيغ على تأدية رسالتهم الإرشادية إلى الناطقين بغير اللغة العربية بعد أن تمكنت العقيدة الإسلامية من نفوسهم واحتضنوا الإسلام ليساهموا بعد ذلك في بلورته ونشره.

أما الفصل الرابع فمخصص لعرض شمولي لمختلف أجناس الأدب الشفوي الناطق بالأمازيغية، وهو مصنف إلى مبحثين أساسيين :

يعالج المبحث الأول جنسي الحكاية والأسطورة بشتى أنواعهما كالحكايات العجيبة والحكايات الساخرة وقصص الحيوان ثم الأساطير التاريخية والمناقبية والتأويلية (تأويل الخوارق).

ويدور المبحث الثاني حول الشعر الشفوي الأمازيغي في كل من المغرب وبلاد التوارگ والقبائل الجزائرية، بما في ذلك من أنواع غنائية وراقصة. ويعتبر هذا المبحث أهم مجال وجد في الدراسات الأدبية الأمازيغية لما بعد الاستقلال منتعشاً على أيدي بعض الباحثين الجامعيين، على خلاف المباحث الأولى المتعلقة بالنشر بمختلف ضروبه.

Essai sur la littérature des Berbères, Alger, Carbonnel, 1920, p. 446 ; *Mémorial Henri Basset : Nouvelles études Africaines et Orientales*, Paris, Geuduner, 1928.

الحسين المجاهد

بَاسْعِيد، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمر، ويعرف من بين أفرادها :

بَاسْعِيد عبد العزيز بن أحمد الذي زاول خطة العدالة من سنة 1901/1319 إلى سنة 1905/1323، وما زالت هذه الأسرة بتطوان. والجدير بالذكر أن الفقيه الرهوني يقول عن هذه الأسرة لعلها من بقية أولادا بن سعيد المشهورين في الأندلس بالعلم والأدب والوزارة، وهذا خطأ لأن أسرة أولاد ابن سعيد الأندلسيين هي التي تعرف في تطوان بأسرة السلاوي (انظر ابن سعيد).

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 4 : 177 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* ; *Familias tetuanies* ; *Vademecum de intervenciones*.

محمد ابن عزوز حكيم

بَاسْكَارْ، أسرة حاحية عالمة، من قبيلة إداگيلول، أنجبت عدداً من الفقهاء والصلحاء، أمثال :

بَاسْكَارْ، أحمد الحاج الشهير بالتدريس والتصوف على الطريقة التجانية.

بَاسْكَارْ، عبد الله بن علي، فقيه متمكن خلف والده علي بن أحمد آتي الترجمة في القيام بمهمة التدريس بمدرسة سدي حسا أُحساين إلى جانب فض الخصومات بين الناس واصدار الفتاوى إلى أن توفي بمرض الطاعون الذي حصدستة عشر عالما بنواحي الصويرة سنة 1878/1296 المشهورة بالقحط.

بَاسْكَارْ، علي بن أحمد الگيلّولي الحاحي، أحد أكابر علماء حاحة في القرن الثالث عشر الهجري، حفظ القرآن بقبيلته ثم شد الرحال إلى القرويين بفاس حيث استوعب من العلوم الدينية واللغوية مالا يوجد مثله في المدارس القبلية بحاحة، وعندما عاد اختبره العلامة المفتي أحمد بن ياسين التامري المتخرج بسوس فشهد له أمام أعيان قبيلته إداگيلول بالتفوق، فعقدوا معه على أن يتولى التدريس بمدرستهم الكبرى (سيدى حسا أُحسايْن) فالتف حوله عدد كبير من طلبة العلم بحاحة، وازدادت شهرته أكثر بمزاولة خطة القضاء والإفتاء بظهير شريف، ولكن ذلك لم يصرفه عن التدريس بجد وحزم.

ومن مواقفه الصامدة أنه حاول أن يتوسط للقبيلة عند القائد الكبير الحاج عبدالله أُبهي في بعض سنوات القحط المتتالية ليؤجل عنها أداء الجبايات إلى سنة قادمة، لكن القائد رفض طلبه وزجره بقوله، (الزم تعليم طلبتك، ولا تتدخل فيما لا يعنيك) فاعتبر الفقيه باسكار هذا الجواب إهانة للعلم والعلماء فأصدر فتوى دينية تستوجب مقاومة الحاكم الطاغي مثل القائد أُبهي إذا تعدى حدود الله وفرض على الناس ما لا طاقة لهم به، فقامت ثورة عارمة ضد القائد شاركت فيها جميع القبائل وتزعمتها قبيلةإداگيلول، فلم يخمد القائد جمرتها إلا باستقدام جيوش كثيرة من مراكش، فظل الفقيه باسكار رمزا للمقاومة والنضال في ذاكرة الحاحيين إلى اليوم.

وقد خلد نظّام أمازيغي اسم القاضي باسكار بمقارنته مع قاضيين آخرين معاصرين له هما الفقيه گُودْرار (الجبلي) الزلطني، والفقيه أحمد بن ياسين التامري المذكور، حيث قال :

إيلاَ گودْرارْ، إيلاَ باسكارْ، إيلا ياسين
القاضي بْلا القاضي ياسين أورلّلين

يعني أن الفقهاء المدعوين بالجَبَلي وباسْكارْ وياسينْ كلهم يُمارسون خطة القضاء، ولكن القاضي المقتدر العادل هو أحمد بن ياسين، ولعله يشير بذلك إلى الحديث النبوي (قاضيان في النار وقاض في الجنة).

وتوفي حوالي عام 1844/1260.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج : 9 ؛ م. الصديقي، *إيقاظ السريرة ؛ تقاييد ورسائل خاصة وعقود في البيوع والفتاوى* بقلم علي باسكار وابنه عبدالله اطلعنا عليها في خزانة حفيدهما الحاج أحمد باسكار.

محمد أيت الحاج

بَاسكون، بُـول Pascon Paul. ولد في فاس يوم 13 أبريل 1932 من أب مهندس في الأشغال العمومية، قضى طفولته الأولى بين مدينة فاس وضيعة جده المتواضعة الموجودة بأحواز حامة مولاي يعقوب. لا شك أن شغف بول بالحياة الريفية وقدرته على الاقتراب من معاناة الفلاح تجد جذورها بهذه الفترة التي كان جده يصارع بشجاعة ضغوط الدائنين والظروف الطبيعية الصعبة.

في سنة 1953 حصل بول باسكون على شهادة الباكلوريا والتحق بفرنسا لمتابعة دراسته العليا. كانت لديه رغبة قوية في ولوج شعبة تمكنه من دراسة المجتمع وتغيراته لكن شعبة علم الاجتماع لم تنشأ بعدُ رغم وجود كثير من أقطاب هذا العلم بباريس. فقد كانت تطغى على العلوم الإنسانية إما نزعة فلسفية أو قانونية، وإما توجه إثنولوجي لصيق بهموم دولة استعمارية.

درس بول مدة عامين العلوم الطبيعية ثم التحق بشعبة السوسيلوجيا إبان إنشائها سنة 1956. هذا الانتماء المزدوج إلى العلوم الإنسانية والطبيعية جعل من بول باسكون شخصية علمية فريدة يمتاز في ممارساته العلمية بالدقة في الملاحظة وتتبع الظواهر في جزئياتها مع شغف كبير بالرسوم التوضيحية الشيء الذي جعله لا يفقد طوال حياته تلك الغريزة الفضولية التي تميز العلماء الكبار.

لم يكن باسكون عالم اجتماع فحسب، بل كان أيضاً وقبل كل شيء رجلا عمليا Un homme d'action مندمجاً في مغامرة التنمية وملتزماً بقضايا المجتمع.

تحمل عدة مسؤوليات لم يكن غيره ليقبلها، وحاول من خلال أبحاثه أن يساهم في عقلنة التوجهات السياسية والاقتصادية للوطن. هذه المواقف أدت به إلى طلب الجنسية المغربية في أوائل الستينيات.

هذا الالتزام بقضايا المجتمع كانت له عدة تجليات في حياة باسكون. إيديلوجياً التقى مشواره الفلسفي بالإيديلوجيا الماركسية فانخرط في الخمسينات في الحزب الشيوعي المغربي. من رفقائه في الخلية نذكر الأستاذ عزيز بلال. لم يدم وجوده بالحزب إلا قليلا. يقول بَاسكون إنه بقدر ما أحب الماركسية كفلسفة للتغيير تسائل الممارسات اليومية للمجتمع، بقدر ما كرهها كنظرية "طوطا ليطارية" للمجتمع والتاريخ.

"Je ne récuse pas la méthode marxiste et j'essaie de m'en servir dans la mesure de mes moyens. Mais elle ne résoud pas tout et ce n'est pas la seule".

على مستوى البحث العلمي الهادف والجماعي، اختار باسكون البحث الميداني كموضوع وممارسة تساهم في الإجابة عن الأسئلة التي يطرحها الواقع على الاختيارات الاقتصادية. كان مثله الأسمى هو ذلك العالم الذي يساهم في أخذ القرار التنموي. بدأت هذه التجربة بأول مكتب متعدد الاختصاصات تعاوني ومستقل عن الإدارة EIRESH تم إنشاؤه في بداية الستينيات. أنجز هذ المكتب عدة دراسات تصب مباشرة في رصد الاختيارات الاقتصادية والتنموية، دراسات حول الواقع القروي في المغرب. حول تنظيم العمل بمناجم الفوسفاط أو في ميناء الدار البيضاء إلخ، وانتهت في الثمانينيات بإنشاء مديرية التنمية القروية داخل معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة. شعار واحد التفكير العلمي في خدمة التغيير الاجتماعي. هذه التجربة قادت باسكون رفقة جماعة من الباحثين الشباب من الشاوية إلى تازروالت عبر الأطلس الكبير والريف إلى دول الساحل جنوب الصحراء.

على مستوى الحياة العملية، تقلد بّاسكون بين 1966 1970 منصب مدير أهم مكتب جهوي للري (مكتب الحوز) في هذه المدة القصيرة نسبيا، قاد عدة عمليات،ريادية في مجال السياسة الفلاحية : استرجاع أراضي المعمرين، تصفية تركة الأگلاوي، تثبيت تجربة الإصلاح الزراعي، إنشاء تعاونيات فلاحية للفلاحين الشباب... خلال هذه الفترة غذّى المكتبُ الساحةَ العلمية والسياسية بعدة دراسات ميدانية. حيث إن بّاسكون ما فتىء يلقي المحاضرات في معهد السوسيلوجيا بالرباط ويعاين عن قرب الطاقات العلمية الواعدة ليدفعها إلى مغامرات ميدانية أثرت الرصيد العلمي بعدة دراسات (عبدالله حمودي، عبدالله حرزني، المكي بن الطاهر، الشرايبي إلخ ...).

في سنة 1970 التحق الأستاذ باسكون بمعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، شعبة العلوم الانسانية. تميزت هذه الفترة بنشاط كبير على المستويين العلمي والتعليمي، حيث كان من وراء حركة البحث في المناهج التلقينية التي تميز إلى الآن معهد الحسن الثاني.

ومن أهمها مؤسسة التدريب التي أصبحت بفضل مجهودات أطر شعبة العلوم الإنسانية محورالأنشطة التعليمية بالمعهد. ففي كل سنة يغادر مئات الطلاب قاعات الدرس لينطلقوا عبر أرياف الوطن ليشاهدوا عن قرب الواقع القروي. كان بول باسكون وراء هذه المغامرة الفريدة التي أثمرت عدة معطيات وبحوث لا تزال في معظمها مع الأسف، حبيسة رفوف الشعبة.

إن حياة بّول بّاسكون العلمية أغنى وأكثر تنوعاً من أن تُختزل في سلسلة من الأطروحات حول المجتمع المغربي. كان عالم مجتمع بتكوينه ومؤرخاً بتوجهاته ومدبراً لشئون التنمية باقتناعاته. ومع ذلك، فإن مساره النظري ليس بذلك الزخم الذي يحسبه الناظر إلى كثرة كتاباته التي تزيد عناوينها على المائة بالرغم من كونه رائداً في عدد من الميادين كالمعالجة الأصيلة للوثائق العائلية، وإعادة الاعتبار للتاريخ الشفوي، والبحث في تصفية الاستغلاليات الفلاحية، وفتح آفاق التحليل المورفولوجي كما هو الشأن في أطروحته حول الحوز....

إننا لا ندعي استنفاد عمله في البحث وهو عمل يتجاوز إمكانية التركيب، كما أننا لا نطمح إلى إعطاء كشاف مختلف إسهاماته في معرفة المجتمع المغربي، ولكننا نود، مع ذلك، أن نتوقف توقفاً قصيراً عند علامتين نظريتين مهمتين طبعتا مساره كباحث من الداخل، وهما : مفهوم المجتمع المتعدد التشكيلات (Société composite)، وموقع السرد الشفوي في إعادة بناء الزمن التاريخي.

لقد شهدت أعوام السبعين ميلاد نقاش شديد الحيوية حول خصوصية المجتمع المغربي. وقد فضل عدد من الباحثين استعمال المعيار الماركسي فجرهم إلى التحدث عن نمط الإنتاج الفيودالي، أما بّاسكون فقد عاكس هذا التيار وسعى إلى الابتكار، إذ رأى أن الباحث في المجتمع المغربي "لا يلقى مجتمعاً واحداً بل مظاهر جزئية من عدة مجتمعات تتساكن في بعض الأحيان في وقت واحد وفي مكان واحد" وهكذا نجد شخصاً معيّنا ينتمي بحسب أنواع السلوك التي تصدر عنه، إلى عدة مجتمعات، والبراهين على ذلك متعددة في كل يوم. فقد نجد فلاحين لهم نصيب في الأراضي الجماعية تذهب نساؤهم يوم "العنصرة" للترحم على أجدادهن وتقديم الذبائح، وإذا أفاقوا في الصباح طلبوا من الخماس أن يحضر البغلة ثم يخرجون بعد أن يتقلدوا الخناجر الفضية (الكمّيّات)، متوجهين إلى مكتب الشئون القروية لتقديم طلب جماعي للحصول على القرض الفلاحي".

إن هذا الوصف يوضح بجلاء مدى تعقد المجتمع المغربي ومدى تعذر حصر غناه التعاقدي في أوشام نظرية جاهزة. وفي اعتقاد بّاسكون أن الباحث لا يجوز أن يقف عاجزاً أمام هذا التعقد، بل عليه "أن يبني شبكات من التوافقات الاجتماعية، وأن يكشف عن أنماط التضامن في مجتمع مغرب اليوم، وأن يتقدم بفرضية ترجع كل واحدة من تلك الأنماط إلى توافق - نموذج ، ومجتمع - نموذج، وعليه بعد ذلك أن يبحث في التاريخ وفي الجغرافيا، وفي الطبقات الاجتماعية عما يمكن أن يعتقد أنه النموذج الأصلي Archétype ثم يدرس حركيته الداخلية وقوانين تطوره وتناقضات ذلك التطور والتضاربات التي يتعين عليه أن يتجاوزها ويجعلها في صراع مع الأنماط السابقة واللاحقة...".

تمكّن بّول بّاسكون انطلاقاً من هذا التموقع المنهجي من إرهاف السمع لتلقي النبضات العميقة للمجتمع بلا تحيز ولادغماتية مذهبية، كما تمكن من إدراك الواقعة في ثرائه

ومن إبراز متعدد جوانبه وهو بصدد ذلك كثيراً ما حطم الحدود الأكاديمية بين الاختصاصات العلمية.

أعاد بول باسكون الاعتبار للرواية الشفوية كمصدر لكتابة التاريخ، ولقد كان وقوفه على روايات مقتل هاشم التازروالتي يُعدّ تحولاً حاسماً في عمله التحليلي لأكثر من اعتبار. فعلى مستوى بنية الكتابة، استطاع أن يتحرر من جفاف الأسلوب المجرد الذي اتبعه من قبل، وصار قلمه متيقظاً تشوبه شاعرية تفيض عاطفة تجاه بلده بالتبني (المغرب) دون أن يسقط في الأبوية أو يذعن للتنازل والمجاملة.

أما على مستوى المنهج المتبع، فإن باسكون ما انفك يطرح السؤال المتعلق بإمكانية الخطاب التاريخي في بلد تغلب فيه الرواية الشفوية وتتميز فيه الوثيقة بالندرة من جهة، وبالإخفاء المعلن عنه من جهة أخرى. فقد عالج تحقيق مقتل هاشم التزروالتي من خلال تقاطع روايات شفوية، همّشت وظيفة الإخبار وتشبثت بتقنية إضفاء طابع الموضوعية على الخطاب المقدم، حيث يصبح الحدث بالنسبة إليها لا يستمد أهميته إلا من حيث الإخبار التام عن استراتيجيات الإبداء والإخفاء. فالروايات الحدث المختلفة تكوّن بنفسها موضوع تاريخ وتلقي ضوءاً كاشفاً على الوثيقة، ومن خلالها يعود الاعتبار للتاريخ المحلي ليشكّل مجالات التلاقي لتاريخ كلي طالما غلب عليه التعميم وقلة الدقة.

* *

المكان واحة صغيرة في أقصى جنوب شرق موريطانيا على الحدود المالية ساني Sani حيث يتم وضع اللمسات الأخيرة على مشروع متواضع الإمكانيات لنقل تقنيات الري والزراعة إلى رعاة من الأهالي دفعهم الجفاف إلى الاستيطان بمنطقة "العصابة". رئيس الورش ومنفّذ العمليات فلاح سوسي بسيط ينحدر من سلالة زنجية عبرت الصحراء تجاه الأطلس الصغير في أواسط القرن التاسع عشر. كان الفلاح أسمر السحنة بربري اللسان لا يميزه عن حراطين ساني إلا بريق عينيه المتأججتين ذكاءً، وشيء من الحزن يطفو على وجهه كلما سأله بعضهم عن رفقائه في المشروع.

أسبوع وهو يبيت خارج كوخه المتواضع في ساني متأبطاً راديو "ترانزستور" أهداه إياه بَول بَاسكون. موريطانيا تعيش في ربيع 1985 أحداثاً سياسية خطيرة... وإلى حدود 24 أبريل لم يكن سي محمد يعلم أن صديقيه قد فارقا الحياة قبل يومين على بعد ألف كلم، على الطريق الرابطة بين نواكشوط وبوتلميت على إثر حادثة سير. الضحيتان عالمان للاجتماع أكبرهما هو بَول بَاسكون جاءت الموت لتجعل حداً لفكر متأجج وصل في منتصف الثمانينيات إلى قمة عطائه العلمي الذي لم ينضب سيله منذ 1953، تاريخ أول مقالة نشرها بول باسكون بمجلة Hespéris.

أهم أبحاث بول باسكون.

Ce que disent 296 jeunes ruraux : études réalisées pour compte de l'UNICEF. B. E.S.M, 1968 ; *La question agraire au Maroc*, 1, en collaboration avec N. Bouderbala, M. Chraibi, Rabat, 1974 ; *La Question agraire au Maroc*, 2, en collabaration avec N. Bouderbala, A. Hammoudi, Rabat, 1977 ; *Le Haouz de Marrakech, histoire sociale et structures agraires*, Rabat, 1977, (Thèse de doctorat d'état en sciences sociales) ; *Les Beni Bou Frah, essai d'écologie sociale d'une vallée rifaine, Maroc*, en collaboration avec H. Van Der Wusten, Rabat, 1983 ; *La Maison d'Iligh et l'histoire sociale du Tazerwalt*, en collaboration avec A. Arrif, D. Schroeter, M. Tozy, H. Van Der Wusten, Rabat, 1984.

محمد طوزي

باسلام ← بَسلامعسّو

باسلام، أسرة سلوية لعل أصلها من الأطلس المتوسط. كان يشتغل أفرادها في الجهاد البحري، ولم يعد لهم ذكر في الوثائق بعد مُضي الربع الأول من القرن الرابع عشر (19 م). منهم :

باسلام، عبد السلام (الحاج ـ)، كان من بحرية الطبجية، وأخذ الصلة معهم في 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875، وكان نصيبه فيها 24 أوقية.

باسلام، محمد (سي ـ) بن الطاهر. كان، على ما يبدو، مقرئاً إضافة إلى اشتغاله بشؤون البحر. وبهذه الصفة الأخيرة أخذ الصلة المنفذة للبحارة في 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875، وكان نصيبه فيها 26 أوقية.

م. بوشعرا، *التعريف ببني بنسعيد السلاويين*، ج 2، الوثيقتان 84 و85 ؛ *تقييد سيدي بوسلهام البرهمي*، مخطوط.

محمد حجي

باسليق Fléau d'armes، آلة عسكرية تدخل في عداد الأسلحة البيضاء الشائعة الاستعمال في المعارك الفردية في الحروب البرية والبحرية قبل اندثارها عقب شيوع استخدام الأسلحة النارية خصوصاً بعد بعد القرن السابع عشر. والباسليق لغويا عرق في الذراع، وعسكريا سلسلة تنتهي عند رأسها برمانة حديدية، كان المجاهدون في الأسطول السلاوي يستخدمونها في القتال على ظهر السفن إما مشدودة أو طائرة.

أنور عبد الحليم، *الملاحة وعلوم البحار عند العرب*، سلسلة عالم المعرفة 13، يناير 1979، ص 113. *S. I. H. M.*

حسن أميلي

بَّاسيدي، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني سعيد الغمارية. قد سبقت الإشارة في مادة «باجَدّي» إلى أن الجدّ من جهة الأم يعرف في الشمال ب «باسِيدي».

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

باشا، لقب تركي من أصل فارسي، أطلقه العثمانيون على عدد من كبار شخصيات الدولة كالوزراء والولاة وقواد الجيش، وكذا بعض الوجهاء. وسيراً على النظام البيزنطي القديم، فإن باشوات الولايات التابعة للأمبراطورية العثمانية، خُوّلت لهم صلاحيات واسعة في الميادين

السياسية والإدارية والعسكرية والقضائية.

انتشر هذا اللقب بالمغرب على عهد السعديين واستمر بعدهم، ولو أن بداية استعماله تعود إلى القرن التاسع (15م). وهكذا أطلق على ولاة بعض المناطق الرئيسية أو بعض المدن الكبرى أو ذات الأهمية كفاس ومراكش ومكناس. كما حمل لقب باشا بعض كبار القواد العسكريين.

وعلى سبيل المثال كان محمود زرقون يحمل لقب باشا، وقد خوله المنصور الذهبي سلطات واسعة كالتي كانت لولاة العثمانيين خارج آسيا الصغرى. ومحمود باشا كان أول ولاة السعديين بالسودان الغربي، كما كان عدد من كبار قواد الجيش في العصر العلوي قبل الاستقلال يحملون هذا اللقب. غير أن التقاليد الرسمية المغربية لم تعممه على غير عدد من الولاة والقواد كما سبق، فلم يشمل الوزراء والوجهاء كما حدث بمصر والدولة العثمانية.

ومنذ القرن الثاني عشر (18م). أخذت الطموحات السياسية تراود أكثر فأكثر عدداً من الباشوات ذوي النفوذ في مناطقهم للاستبداد بالسلطة، كما هو شأن بعض القواد والأمراء أيضا، ولو أن أسباب التمرد تختلف حسب الظروف. لكن عدم وجود أنظمة سياسية وإدارية تحدد بشكل دقيق وعام، اختصاصات الولاة والقضاة، وارتكاز السلطة أكثر فأكثر على الولاة وتقليص سلطات القضاة بعد العصر المريني، ساعد على تداخل سلطات الجانبين إلى أن صار اختيارالقضاة قبيل الحماية الفرنسية موكولا للعُمال أو الباشوات.

وفي ظل الحماية اقتصر تعيين الباشوات على المدن. وسمح لهم بالبت أو بالنظر في قضايا جنحية وفي جرائم لا يتجاوز الحكم بالسجن فيها مدة سنتين، وهذا مع وجود حاكم مفوض إلى جانب الباشا، وهو فرنسي يراقب أعمال الباشا وقد يعترض على تدابيره. أما الشؤون البلدية فسلطة الباشا في هذه المرحلة كانت فيها رمزية لأن تسييرها بيد المحتل، مع مشاركة أعضاء مغاربة ليس لأصواتهم قوة فعلية ملزمة مادام القرار والتنفيذ بيد الأعضاء الأجانب. ولم يكن الأمر يختلف بمنطقة الحماية الإسبانية في كثير عما كان بالمنطقة الجنوبية.

وبعد الاستقلال جرد الباشوات والقواد من بقايا السلطة القضائية التي كانت بأيديهم، لكن احتفظوا بسلطات واسعة في مجال الشؤون البلدية حتى مع إنشاء مجالس بلدية وجماعية، إلى أن تحولت هذه السلطات أو أكثرها أخيراً إلى المجالس المذكورة.

ع. الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ طبعة الرباط، 1973، ص149 ؛ أحمد عطية، *دائرة المعارف الحديثة*، مادة (باشا)، القاهرة،1951 ؛ ع. بنشنهو، *البيان المغرب لنظام حكومة المغرب*، الرباط، 1370/1951 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 :5 ؛ *الجريدة الرسمية* بالرباط، أعداد سنة 1983 وما بعدها ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، 3 ، 400.411.

إبراهيم حركات

باشا ـ في التنظيم المغربي الحديث ـ ترسّخ هذا اللقب في جهاز الحكم المغربي عبر الأجيال إلى أن صار أحد دعائم الحكم والتسيير الجهوي والمحلي بالمغرب، فإلى جانب خليفة السلطان الذي يختاره هذا الأخير من بين أبنائه أو أفراد عشيرته الأقربين لينوب عنه في الأقاليم، أصبحنا نجد الباشا الذي يمثله على رأس المدن الهامة، ينتقيه ضمن أعيان المدينة أو قادة الجند.

إلا أن مرتبة الباشوات (أو الباشات) كانت تتفاوت كثيرا حسب أهمية المدينة وشخصية الباشا والظروف العامة السائدة. وهكذا كان هناك خمسة باشوات يتميزون عن غيرهم بسبب القيمة السياسية أو الإستراتيجية التي تكتسيها المدن الموكل إليهم تسييرها، وهي فاس ومراكش وتارودانت ووجدة ومكناس. وكان لباشا هذه المدينة الأخيرة مكانة خاصة اعتباراً لأهمية جيوش «البواخر» الموجودة تحت إمرته. كما أن سلطة باشا مراكش وباشا فاس كانت، نظرا لوزن العاصمتين، تمتد كذلك إلى أحوازهما والقبائل المحيطة بهما. بل إن حكم باشا فاس الجديد كان يشمل أحيانا، إضافة إلى العاصمة العلمية وما حولها، مدن العرائش وأصيلا وطنجة و تطوان.

فحتى دخول الاستعمار في بداية القرن العشرين، ظل الباشا يتمتع بسلطة واسعة جدا وصلاحيات متنوعة للغاية، تمتد إلى كافة مرافق الحياة بالمدينة. فباعتباره والي السلطان عليها، معيناً من قبله بمقتضى ظهير، يسهر الباشا على تطبيق تعليمات «المخزن» واحترام القانون، ويقوم بدور الوسيط بين السلطان والسكان من جهة، وبين هؤلاء والأجانب من جهة أخرى. وهو الذي يترأس صلاة الجمعة بالمسجد الكبير، في المدن التي ليس بها خليفة للسلطان أو في حالة مرض أو غياب هذا الأخير.

وبصفته مسؤولاعن الدفاع عن المدينة، يتوفر الباشا على حامية من العسكر النظاميين وبعض جنود المدفعية (الطبجية)، وهو القيم على مخازن الأسلحة والذخيرة. ومن أجل حفظ النظام والأمن داخل المدينة وتثبيت السلطة وتنفيذ الأحكام، يعتمد الباشا على خليفة له (وأحيانا على اثنين أو ثلاثة حسب أهمية المدينة) وبضع عشرات من «المخازنية» الذين يقومون بدور الشرطة. وفي المناسبات يتلقى الباشا«الهدية» التي يقدمها له صناع المدينة، كما أنه يلجأ، من حين لآخر، بواسطة الجند النظاميين وبتدعيم من عساكر«الجيش» إلى أخذ «الفريضة»، أي ضريبة استثنائية تفرض على قبائل الأحواز كلما أصبح بيت مال المدينة يعاني من عجز كبير.

يمارس الباشا أيضاباسم السلطان، مهمة قضائية أساسية في القضايا الجنائية والتجارية، إلى جانب القاضي الذي يبت في مسائل العبادات والأحوال الشخصية والمدنية، والمحتسب الذي ينظر في النزاعات التجارية والمشاكل الحرفية. والباشا هو المسؤول عن جمع الزكاة والعشور ودفعها للدولة، متقاضيا، عادة، مقابل ذلك

واحداً في المائة من مجموع هذه المداخيل.

مع بسط الحماية على المغرب، عرفت كل مؤسسات الحكم المركزي والمحلي التقليدية تراجعا كبيرا في قوة ونوعية سلطتها. فكما أن السلطان سُلب جل نفوذه لصالح المقيم العام، فإن الباشا قد فقد النصيب الأكبر من صلاحياته القديمة لفائدة رئيس الأشغال البلدية، ممثل المقيم العام، وذلك بموجب ظهير 8 أبريل 1917 المنظم لكيفية تسيير البلديات. (انظر مادة بلدية).

لم يعد السلطان يسمي في هذا المنصب سوى الأشخاص الذين تقترحهم عليه الإقامة العامة، وبذلك أصبح الباشا خاضعا بالفعل لهذه الأخيرة، وإن استمر شكليا يمثل السلطان الذي يوقع على ظهير تعيينه، تابعا للصدر الأعظم. لذا، غدا في الغالب يتم اختيارالباشوات داخل أسر الأعيان المعروفة بولائها لسلطات الحماية أو ضمن الضباط المغاربة الذين عملوا في جيش الاحتلال. وفي المنطقة الشمالية الخاضعة لإسبانيا. كان الباشا تابعا لخليفة السلطان المقيم بتطوان. أما بطنجة، فإن مندوب السلطان هو الذي كان يقوم بدور الباشا في النظام الدولي المفروض.

ومن الناحية الصورية، بقي الباشا - في عهد الحماية - هو الذي يسير شؤون المدينة، وبيده جل السلطات الادارية والتنظيمية والقضائية التي كانت له من قبل. فظهير 1917، المشار إليه، يجعل منه دائماً الحاكم المسؤول عن تطبيق الظهائر والمراسيم المنظمة للحياة الحضرية والضامنة للأمن والنظافة العامة، كما أنه يخول له حق المحافظة والتصرف في ممتلكات المدينة، وحق تمثيل البلدية أمام القضاء.

إضافة إلى ذلك، غدا الباشا يمارس سلطته التنظيمية هذه باتخاذ قرارات بلدية، لكن باتفاق مسبق مع رئيس الأشغال البلدية و لا تصبح نافذة المفعول إلا بعد موافقة الصدر الأعظم عليها. والملاحظ أن حق الموافقة هذا انتزعه بعد ذلك المقيم العام ليمنحه في مرحلة أولى لرئيس الجهة، ثم منذ 1948، لمندوب الإقامة العامة المكلف بالشؤون الحضرية.

ومنح الباشا أيضا صلاحيات مالية واقتصادية واسعة، منها : اقتراح و تقديم ميزانية البلدية، مراقبة الأسواق والمبادلات التجارية، إنشاء أسواق جديدة، تحويل أو إلغاء أو تغيير وظيفة الأسواق الموجودة، تحديد الضرائب والمكوس الحضرية، ضبط أثمان المواد الاساسية وظروف تسويقها، تنظيم نقل البضائع والسكان، اتخاذ التدابير اللازمة لتسهيل المواصلات والسير على الطرقات، الخ. وبصفته المتصرف في ممتلكات البلدية، كان هو الذي يبرم عقود كرائها وبيعها وشرائها والمعاوضة بها وتجزئتها، كما أنه يتسلم التبرعات والهبات والوصايا لفائدة البلدية. بل كان من اختصاصاته كذلك تسليم رخص البناء وإصدار القوانين المتعلقة باستعمال الأراضي وتنظيم المجال الحضري. وإضافة إلى كل هذا احتفظ الباشا - نظرياً - بصلاحيات قضائية واسعة في كافة المجالات المدنية والجنائية والتجارية.

في الواقع كانت سلطة الباشا جد محدودة من جهة لأن قراراته كانت تصدر بإيعاز من الإقامة العامة عبر المراقب المدني أو ضابط الشؤون الأهلية، ومن جهة أخرى لأن كل أعماله وتحركاته كانت مراقبة عن قرب من طرف رئيس الأشغال البلدية، المسير الفعلي للمدينة والمتصرف المطلق في شؤونها.

على كل، إذا كان الباشا وأعوانه مؤهلين نوعا ما للنظر في بعض أحوال المدينة العتيقة، فإنهم لم يكونوا بأي حال مهيئين لتسيير المدينة الأوربية التي اصبحت عمليا مقر المبادرة الادارية والنشاط الاقتصادي.

لكن بزوال الاستعمار، زالت عن الباشاالوصاية والرقابة المفروضتان عليه، فاستعاد جملة نفوذه وتعززت سلطته بشكل واضح في كافة المجالات. ولم ينقص من هذا النفوذ ظهير1960 المنظم للجماعات المحلية. فبموجب هذا القانون، يبقى الباشا، المعين بظهير وممثل السلطة المركزية لدى المجلس البلدي المنتخب بالاقتراع العام.

فالقانون يخوله حق حضور جلسات المجلس البلدي والمصادقة على توقيع الرئيس على المحاضر. وبامكانه تسجيل أي قضية تريدها السلطة المركزية في جدول أعمال المجلس والتعرض لنقاش النقط التي لا يُوافق عليها. ويمثل الباشا الجهازالتنفيذي لقرارات المجلس البلدي، لذا وضعت كل الامكانات البشرية والمالية والإدارية والتقنية تحت تصرفه. وهو أيضا ضابط الحالة المدنية والمسؤول عن شؤون النظافة والصحة والوقاية والأمن بالمدينة. وبذلك ترجع إليه مراقبة المؤسسات التي تمس بصحة وسلامة السكان، وتسليم رخص فتح محلات بيع المشروبات أو المأكولات الجاهزة، وكذا امتلاك سيارة لتعليم السياقة أو تخصيص مكان لوقوف السيارات. وهو الذي يتخذ التدابير اللازمة في الحالات الاستعجالية والاستثنائية (حريق، فيضان، انهيار البنايات وباء، قلاقل.....)، ويرخص بدفن الأموات أو إخراج الجثث من القبور.

وفي باب الحريات العامة، بإمكان الباشا منع كل مظاهرة في الشوارع وحمل شعارات أو أعلام أو لافتات يرى أنها تخل بالأمن العمومي. وفي المجال الاقتصادي يحدد الباشا أثمان المواد الأساسية، وهو عضو في اللجنة الاقليمية المكلفة بالأسعار. وللباشا اختصاصات كبيرة في ميدان البناء والتعمير، إذ يسلم رخص البناء ويصدر قوانين تخطيط الشوارع، كما أنه محافظ المآثر التاريخية بالمدينة.

وبالجملة، أصبح للباشا بكل هذه الصلاحيات دور واسع جداً في التسيير الحقيقي للمدينة، لذا فإن هذه الوضعية قد تخلق حالات شتى ومتكررة في تنازع الاختصاصات وتضارب المهام وتعارض المصالح بين الباشا من جهة ورئيس المجلس البلدي من جهة أخرى.

وجاء ظهير30 شتنبر 1976، الذي أعاد تنظيم الجماعات المحلية، ليمنح رئيس المجلس البلدي جل الصلاحيات التي

كانت من قبل بيد الباشا. إلا أنه بموجب هذا القانون احتفظ الباشا بمهمة إقرار الأمن وأصبح له دور استشاري تجاه المجلس البلدي، كماأسندت له صلاحية مراقبة هذا الأخير وتنشيط البلدية وإنعاشها. غير أنه لم يعد في الواقع قادرا على القيام بهذه المهام كما ينبغي، لأن جل مستخدمي البلدية، الذين كانوا تحت إمرته، ألحقوا بالمجلس البلدي، مما قلص كثيراً من دورالباشا. ومن أجل إنعاش هذه المؤسسة التقليدية، اسندت للباشا مهمة مساعدة عامل الاقليم في المدن الكبرى حيث عين في منصب الخليفة الأول لهذا الأخير. وهكذا يكون عمله الأساسي هو المحافظة على النظام والاستقرار، مستعينا بخلائفه على صعيد المقاطعات الحضرية، و«الشيخ والمقدمين» على مستوى الأحياء.

دراسة شخصية ؛ ظهير 30 شتنبر 1976.

عبداللطيف فضل الله

الباشا، أسرة رباطية لا يعرف أصلها بالضبط ولا متى قدمت إلى هذه المدينة، غير أنه من المؤكد أنهم استقروا بهذه الحاضرة، على الأقل، منذ عهد المولى سليمان (1822.1792/1238.1207) يدل على ذلك مسجد الباشا المنسوب إليهم بحي البحيرة أمام قصبة الأوداية.

عُرف آل الباشا بالاقبال على التجارة والفلاحة، وكانت لهم علاقات واسعة مع بادية الرباط، خاصة في الميدان التجاري. واشتهر منهم :

الباشا، الحاج محمد، وهو فقيه متخصص في الرياضيات درسها بمصر ثم قضى حياته بمسقط رأسه يعلّم هذه المادة في المدارس الحرة الأولى أو في دروس خاصة بمنزله أو ببعض المساجد. عاش في كفاف، حسن الهندام يلبس "المحصور" ويعتمّ "بشكشمير" رزة صفراء مزخرفة إلى أن أدركته الوفاة في الثلاثينات من هذا القرن.

الباشا، عمر بن أحمد، من نجباء تلاميذ ثانوية مولاي يوسف في أول عهد تأسيسها، تخصص في الحقوق، واتصل بالمقيم العام ليوطي في جملة المتعلمين المغاربة الأولين، ثم عمل في ديوان المقيمين الذين خلفوا ليوطي، قبل أن ينخرط في سلك القضاء، ويصبح عضواً بالمحكمة العليا، محمود السيرة مستقيم الأحكام.

توفي بالرباط سنة 1942/1361، ودفن بضريح سيدي الرفيع الشرقاوي بسوق الغزل أمام قصبة الأوداية.

وثائق عائلية وروايات شفوية.

محمد الأمين بلكناوي

الباشا (جامع ــ) مسجد يقع بمشور تطوان بالقرب من ساحة الفدان، ويعرف كذلك بجامع المشور حيث كان يؤدي الخليفة السلطاني بشمال المغرب صلاة الجمعة بصفة رسمية. وقد بناه الباشا أحمد الريفي سنة 1738/1150، وأثناء الاحتلال الإسباني لمدينة تطوان (1860/1276 . 1862/1278) حوله الجيش الإسباني إلى خزين مؤونة.

والغالب على الظن أنه كانت توجد بمحرابه المطبعة العسكرية التي طُبعت بها أول جريدة إسبانية بتطوان تحت عنوان *إل ايكو ذي تطوان El Eco de Tetuan* (صدى تطوان) يوم فاتح مارس 1860.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 197، 3 : 157، 5 : 322.

F. Villalta, *Las mezquitas de Tetuan*, Ceuta, 1935 ; C. Cerdeira, *La mezquita del Bacha*, Rev. Marruecos, Tetuan, agosto 1933.

بّاطْشُوط، فرانسيسكو مادوث Patxot Francisco Madoz كولونيل إسباني قضى حياته كلها يعمل في الخفاء بحكم مهنته، ولذلك لم يذكر أي مصدر تاريخ ومكان ولادته أو وفاته، وكل ما نعرف عنه أنه تخرج من الأكاديمية العسكرية برتبة ملازم. وفي سنة 1908 كان قد حصل على رتبة كومندار حيث عُين خليفة لرئيس مدربي فرقة الشرطة المغربية المحدثة بطنجة بمقتضى عقد الجزيرة الخضراء لسنة 1906.

والغريب أنه لم يرتق لدرجة كولونيل إلا سنة 1919 وظل فيها إلى أن غادر المغرب سنة 1927 فيكون هو الضابط الإسباني الوحيد الذي لم تعامله حكومته بالسخاء التي كانت تعامل به سائر الضباط العاملين في شمال المغرب، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى كونه، بالرغم من أهمية الخدمات التي قدمها لبلاده في ميدان الاستعلامات، لم يشارك في أية عملية حربية جرت بأرض شمال المغرب من سنة 1909 إلى سنة 1927.

والدليل على ذلك أننا نجده يقوم بدور الضابط المدرب لفرقة الشرطة المغربية بطنجة، وفي نفس الوقت يرأس إدارة المخابرات الإسبانية بنفس المدينة من سنة 1908 إلى سنة 1923.

وتشهد جميع التقارير التي أعدتها كل من المفوضية الاسبانية بطنجة والإقامة العامة بتطوان ومديرية المغرب والمستعمرات بمدريد على أن بّاطشوط قام بأدوار خطيرة في تزويد إدارة الحماية بتطوان ووزارتي الدفاع والخارجية بمدريد بالمعلومات الدقيقة التي كانت تحتاج إليها لمعرفة حركات وسكنات كل من زعيم المقاومة المسلحة بناحية الگرت الشريف محمد أمزيان وزعيم الحركة بالناحية الغربية الشريف أحمد الريسوني وزعيم الثورة الريفية الأمير عبدالكريم الخطابي. ولبّاطشوط دور أساسي في نجاح العمليات العسكرية التي قام بها الجيش الإسباني لاحتلال مدينة شفشاون يوم 4 أكتوبر 1920، حيث تمكن من جلب الشريف مولاي الصادق الدرقاوي الذي كان يقيم بطنجة إلى جانب المخزن الخليفي وإدارة الحماية الإسبانية فنجده يرافق الشريف المذكور في زيارته لكل من الصدر الأعظم للحكومة الخليفية محمد ابن عزوز والمقيم العام الجنرال بيرينكي Berenguer يوم 28 مارس من السنة المذكورة وكانت نتيجة هذه الزيارة أن التزام الشريف الدرقاوي بالعمل على أن يحول أتباعه بغمارة دون تمكن المجاهدين الريفيين من الوصول إلى ناحية شفشاون

والوقوف في وجه الزحف الإسباني نحو المدينة المذكورة.

وفي يوم 20 سبتمبر 1921 حل بًاطشوط بجزيرة النكور صحبة الشريف مولاي عبد الرحمان بن عبد الصادق في مهمة سرية ظل من أجلها بالجزيرة إلى يوم 25 حيث توجه إلى مليلية لإحاطة المقيم العام علما بما قام به.

ويبدو أن الغرض من تلك الزيادة كان هو مفاوضة الأمير الخطابي في قضية الأسرى الإسبان غير أن الأمير رفض التفاوض معه وأخبر حاكم الجزيرة بأنه يفضل متابعة المفاوضات مع كاتب الإقامة العامة إدريس بن سعيدالسلاوي.

وفي أوائل شهر يناير 1923 عُين بًاطشوط رئيساً لمصلحة المخابرات التابعة للإقامة العامة بتطوان، وعندما أعلن عبدالكريم الخطابي نفسه أميراً على الريف توجه بًاطشوط إلى جزيرة النكور، وهناك ترأس اجتماعا حضرته جماعة من القواد الموالين لإسبانيا، منهم القائد سليمان الخطابي والقائد عبد القادر الحاج الطيب الشيكري، والقائد علال الكبداني، وكان الغرض من هذا الاجتماع الذي جرى يومي 29 و30 يناير1923 الاتفاق على الخطة التي يجب اتباعها تجاه القرار الذي اتخذه الأمير الخطابي.

وفي يوم 16 أبريل من نفس السنة جرت بمياه خليج النكور على ظهر السفينة راينا ريخينطي Reina Regente مباحثات سرية بين أخ الأمير الخطابي والجنرال كاسطرو خيرونا Castro Girona رئيس الديوان العسكري للمقيم العام الإسباني، وكان بجانبه الكولونيل بًاطشوط.

وفي يوم 3 فبراير 1924 عُين بًاطشوط كاتباً عاماً بمديرية المغرب والمستعمرات بمدريد، وفي السنة التالية عاد إلى الإقامة العامة حيث كان في منتصف سنة 1926 مازال يزاول منصب رئيس مصلحة المخابرات بها، وبهذه الصفة نجده يستلم بوجدة الأسرى الإسبان الذين أطلق الأمير الخطابي سراحهم يوم استسلامه بتارگيست في 27 ماي 1926، ولم نجد في المصادر التي نتوفر عليها ما يدلنا على ماآلت إليه حياة بًاطشوط بعد ذلك.

م. ابن عزوز حكيم، *ومضات مضيئة عن الحرب الريفية*، 71. 72. 74. 167. 168، *الجريدة الرسمية لمنطقة الحماية الاسبانية بالمغرب*، سنة 1924، ص. 66.

Berenguer, Campañas Rif y Yebala. t : 1, p. 114-255 ; t : 2, p. 55-58-98.

محمد ابن عزوز حكيم

الباعلوية، طريقة صوفية يمنية تمتد سلسلتها إلى المغرب وتمثل أحد مظاهرالروابط الروحية والعلمية بين المشرق والمغرب. وإذا كان آل البيت الباعلوي اليمني ذي النسب الشريف الحسني قد برزوا في المجال العلمي والصوفي فإن علم الباطن قد استهواهم فتسلسل سندهم إلى الشيخ عبدالله المغربي وهو عن الشيخ عبدالرحمان المقعد المغربي وهو عن الغوث أبي مدين شعيب دفين العباد بتلمسان. وقد تفرد عدد من علماء المغرب بالرواية عن الباعلويين وملاقاتهم في الحرمين الشريفين، فعلى سبيل المثال لم يفت الرحالة أبا سالم العياشي أن يتصل بأحد شيوخهم بمكة أثناء حجه سنة 1064 هـ وهو الشيخ محمد باعلوي المتوفى سنة 1071 هـ، ولما علم بوفاته قال هذه الأبيات :

مات فتى المجد من آل علوى ... محمد إمام أرباب النهى
قد كان بحراً في المعارف فلا ... ترى له في الوقت طرا مشبها
وكان غوث مكة تاريخه ... قولك قطب وقته مات بها
أنّا لنا الله به ما نرتجي ... دنيا وأخرى وكفانا مادها

وأورد العياشي سند شيخه هذا، فقال :"وأما سند شيخنا في طريق القوم فقد لقيته بمكة المشرفة بداره أواخر سنة أربع وستين، ولقّنني واليسني كوفيته من لباس رأسه بيده المباركة..." وأعطانا سنداً للطريقة الباعلوية.

وفي سنة 1143 هـ تجددت هذه الروابط الروحية بين الباعلوية والمغاربة ممثلة في الوزير الاسحاقي الذي رافق الأميرة خناثة زوج السلطان مولاي إسماعيل في حجتها، فقد لقي هو وابن أخته محمد بن العربي المكناسي بمكة أحد شيوخ الباعلويين واسمه عمرالباعلوي الحسيني ومن خلال هذا اللقاء تعرّف الإسحاقي على سند الطريقة الباعلوية التي تتصل بأبي يعزى دفين تاغيا بالأطلس المتوسط عن طريق أبي مدين الغوث. وأخذ محمد بن العربي المكناسي الطريقة الباعلوية عن الشيخ عمر البار. وسجل الإسحاقي في *الرحلة* تعلق الباعلويين بالشيخ أبي يعزى ومحبتهم البالغة فيه....

وأما المؤرخ المغربي محمد بن الطيب القادري فقد ترجم للشيخ محمد الباعلوي في *نشر المثاني*، معتمداً على *رحلة العياشي*.

وتستمر هذه الصلات العلمية والتربوية بين آل باعلوي وجملة من العلماء المغاربة الذين أدوا فريضة الحج، فهذا الشيخ أحمد الباعلوي المعروف بجمل الليل، مسند المدينة المنورة ومحدثها المتوفى سنة 1216 هـ يأخذ عنه الرحالة محمد بن عبدالسلام الناصري الدرعي، كما أن المحدث المغربي عبدالحي الكتاني يروي ثبت أحمد الباعلوي ويشير في عدة مواضع إلى الطريقة الباعلوية وروايته لبعض برامج شيوخها في كتابه *فهرس الفهارس*، ومن ذلك حديثه عن كتاب *الجزء اللطيف في علم التحكيم الشريف* لشيخ شيوخ اليمن أبي بكر العيدروس الباعلوي وهو في نحو خمسة كراريس ووصفه بقوله : "وهو مؤلف نفيس فيه مهمات وآداب صوفية بلسان قديم، ذكر فيه أسانيد الباعلوية والقادرية...". ويمضي الكتاني في الحديث عن هذه الصلات العلمية والروحية بين آل باعلوى والمغاربة فيقول : "وأعلمُ من لقيناه منهم شيخنا السيد حسين الحبشي، صافحني وشابكني وألبسني وأجازني كما فعل معه ذلك والده السيد محمد بن الحسين الحبشي الباعلوي المكي ...". وتمتد رواية الكتاني إلى الشيخ أبي بكر الشلبي باعلوي عن والده الامام أبي بكر باعلوي المتوفى سنة 914 هـ.

ومرة أخرى يورد سنده بالباعلويين : "وأروي عَاليا عن السيد أبي بكر شهاب الدين الباعلوي كتابة من الهند عن محمد بن عبدالله بالسودان المتوفى سنة 1281 هـ وتتكرر مروياته لثبت أحد شيوخهم، فهو يروي ثبت محمد بن سعيد المعروف بابن عگيلة، *عقد الجواهر في سلاسل الأكابر*، ويضم ثمان عشرة طريقة، ويزداد اهتمام الكتاني بالشيوخ الباعلويين فيطلع على معجمهم المسمى *عقد اليواقيت الجوهرية وسمط العين الذهبية بذكر طريق السادات العلوية* للشيخ الصوفي المسند عيدروس بن عمر الحبشي الباعلوي المتوفى سنة 1314 هـ. فيختصره في كراستين.

أ. العياشي، *الرحلة العياشية*، 2: 90.89 ؛ الاسحاقي، *رحلة الوزير الاسحاقي*، مخطوط، خ.ح. 1428 ز، ص. 281 ؛ م. القادري، *نشر الثاني*، 2 : 115، ت. محمد حجي وأحمد التوفيق ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، ت. إحسان عباس، ص.109، 120 ، 311، 552، 865، 866، 867.

محمد ماگامان

بّاعلي، علي بن التهامي التازارنيني. للتعرف عليه لا بد من الرجوع إلى مؤلف وضعه شيخ الزاوية الناصرية بتنغير، المهدي الناصري الموالي للأگلاوي وسماه *نعت الغطريس الفسوس هيّان بن بيّان المنتمي إلى السوس*، في ذم المقاومة التي تزعمها مبارك التوزنيني الأقاوي بتافيلالت محاولا إزالة الطابع الوطني عنها ويقول في التعريف بـ "بّاعلي" متحاملا عليه :

"...أصله من حراطين تازارين، وجده يسمى الحسن. له أولاد منهم الحاج عبد السلام قاضي تازارين اليوم، ومنهم التهامي والد "بّاعلي" هذا. وكانت دراهم دار خير وصلاح إلى أن نشأ فيهم هذا الشقي فكان من أصحاب المدعي (التوزنيني) أمره أن يتعاون مع العيساوي (أحد قواد المقاومة)، فأظهر من العسف وسفك الدماء ونهب الأموال شيئاً عظيماً، فلم يتصل بقصر من قصور هذه الناحية إلا بدأ بقتل إمام المسجد وبمصادرة أهل اليسار واعتقالهم، ثم يبعث بهم إلى متبوعه مع ذخائرهم ... وللرجل من الإقدام والصرامة والغلظة والبراعة مالا يجهل...".

مرّ "بّاعلي" بمرحلتين أساسيتين :

المرحلة الأولى من 1916 إلى نونبر 1919 : كان فيها إلى جانب مبارك التوزنيني عند قيام مقاومته انطلاقاً من مرحلة التحضير والإعداد قرب النيف إلى مرحلة اندلاع هذه المقاومة يوم 3 يوليوز 1918 لما دبر "التوزنيني" عملية اغتيال الضابط أستري حاكم تافيلالت. ومنذ ذلك الحين أصبح من المقربين وشارك في معارك ضد الفرنسيين بتافيلالت. وقد أرسله التوزنيني برفقة الخليفة الحسن العيساوي إلى مناطق غريس وفركلة وتدغة خلال سنة 1918 قصد استنفار القبائل للجهاد وجمع الأموال، إلا أن هذه الحملة كانت ذات طابع عنيف انتقامي، حيث تمت الإغارة على القرى المختلفة وقتل الأعيان والفقهاء لموالاتهم للأگلاوي والاستعمار. وقد تمت محاصرة قصر تنغير مثلا لمدة شهر وثمانية أيام، وقطع عنه الماء، وتم قطع الأشجار المثمرة كالنخيل وغيره. وهذا ما دفع الأگلاوي إلى القيام بحملته الأولى على تدغة سنة 1918/1337 بإيعاز من السلطات الفرنسية لمحاصرة مقاومة تافيلالت. ويقول صاحب *نعت الغطريس*"... ثم حلت الحملة الأگلاوية بوادي تدغة، ثم إن الحاج التهامي وأخاه حمو قاما في تدغة 23 يوماً ترد عليهما فيها القبائل. ثم رجع الأگلاويان بعدما وضعا في تنغير حامية، فتعرض لهما العطاويون بفم القوس فأوقعا بهم رقعة شنيعة ...".

أثار وجود الأگلاوي في تدغة غضب قائد المقاومة بتافيلالت، وبعث برسالة إلى المهدي الناصري يندد فيها بالمتخاذلين المتحالفين مع الأگلاوي : "الذين تركوا المسلمين في مشقة الجهاد فاشتغلوا بملاقاة الأگلاوي والفرنسيين". وهدد في رسالته بالانتقام من الذين سمحوا للأگلاوي بوضع قدمه في تدغة. وفي هذا الإطار جاءت الحملة التأديبية لكل المناطق الموالية للأگلاوي وخاصة تدغة، فعين على رأسها بّاعلي التازارنيني، فاستغل هذا الجو المشحون للقيام بمزيد من أعمال الإرهاب والبطش، ومست حملاته الانتقامية أعيان أيت مرغاد بغريس وفركلة وشيوخ الزوايا، وكذلك أعيان تدغة. وهكذا أصبح سكان هذه الواحات موضوع نزاع بين الأگلاوي والفرنسيين من جهة، والحملات الانتقامية للمقاومين من جهة أخرى، الشيء الذي أضعف قدرة هؤلاء السكان على التحمل.

وقد قام بّاعلي في تدغة مثلاً بأعمال انتقامية ضد القصور المساندة للأگلاوي يقول عنها صاحب *نعت الغطريس* :"... ثم احتل أيضاً (بّاعلي) قصر أهل "حلول" باستدعائهم إياه. وكذلك فعل كثيرون حتى لم يبق إلا قصور اسفلو وتنغير وأفنور، فهم الوافون للأگلاوي، فضيق عليهم تضييقاً شديداً. فانقطعت إليهم السبل وارتفعت الأسعار وبلغ مد القمح عشر ريالات إن وجد، وبلغ الشعير سبعا، والملح لا يكاد يوجد. والنخيل يقطع والمزارع تفسد...".

وفي خضم هذه الأحداث شنآن بين قائد المقاومة مبارك التوزنيني وخليفته بلقاسم النگادي مما أدى إلى مقتل "التوزنيني" على يد "النگادي... في نونبو 1919/1337 فآلت أمور الجهاد والمقاومة إلى هذا الأخير.

المرحلة الثانية من 1919 إلى وفاة بّاعلي : لما تولى بلقاسم النگادي أمور المقاومة والجهاد أخذ يُعد العدة لمواجهة الجيوش الفرنسية الزاحفة نحو تافيلالت. وأرسل من جديد بّاعلي إلى الواحات المجاورة لتافيلالت على رأس حوالي خمسين مقاتلا من أيت مرغاد فرع أيت عمرو ومنصور القاطنين بگلميمة، ومائة مقاتل من أيت يحيى وعثمان القاطنين بغريس. فاتجه نحو تدغة إلا أنه انقلب ضد أيت مرغاد المكونين لحركته.

"ولما سمع بّاعلي التازارنيني بثورتهم على النگادي وهو بتدغة اعتقل نيفاً وأربعين من المرغاديين الذين في

جيشه وأهل فركلة من المرغاديين، ثم قتلهم في ساعة واحدة وترك أشلاءهم للكلاب ..." (*المعسول*، 16 : 298) ثم صار باعلي بجيشه منحرفاً عن المقاومة يُغير على قصور سمرير في أعالي نهر دادس، وعلى أيت داود بأعالي نهر غريس، ونهب قصور كردوس وأيت هاني وسلب أموال الأسر الغنية.

هكذا أصبحت عصابة باعلي المكونة من حوالي 300 مقاتل ذات شأن تفرض الإتاوات على أبناء القرى وتُغير عليها في وضح النهار، إلى أن نصبت نفسها سلطة حاكمة. وقد استغلت سلطات الاحتلال أعمال هذا الشخص للإساءة إلى المقاومة وفرض "أمنها" على السكان كبديل لأعمال العنف والنهب والقتل التي مارسها "باعلي". ومن هنا يمكن القول إن باعلي ساهم في إضعاف القبائل على المواجهة ومهّد الطريق لدخول جيوش الأگلاوي إلى المنطقة التي هي بمثابة رأس جسر للاحتلال الفرنسي. وكانت نهاية باعلي علي يد جيش يقوده التهامي الأگلاوي والجنيرال "دولا موط" سنة 1920 في مكان يدعى فم القوس بين إمطر وتنغير.

وما زالت الذاكرة الشعبية في كل هذه المناطق تؤرخ الأحداث إنطلاقاً مما تسميه "عام باعلي".

المهدي الناصري المدعو "باهدي"، *نعت الفطريس الفنسيس هيّان بن بيّان المنتمي إلى السوس* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 16، ص 263. 314 ؛ م. المعزوزي و هـ. العلوي، *الكفاح المغربي المسلح في حلقات : تقارير ضباط الشؤون الأهلية : روايات شفوية*.

عبدالقادر بوراس

باعمران (أيت ـ) ـ جغرافيا ـ هي إحدى القبائل البربرية الكبرى بالسوس الأقصى، تستقر في الأطلس الصغير الأطلنتي. تحدها من الشمال قبيلة أهل الساحل وقبيلة أيت بريم، ومن الشرق قبيلة الأخصاص، ومن الجنوب قبائل تكنة العربية.

تتكون أيت باعمران من مجموعة من القبائل الصغرى : أيت الخمس، أيت بويكر، اصبويا، امستان، أيت عبد الله، وتنتمي إداريا إلى إقليم تزنيت. وهي مقسمة إلى أربع جماعات قروية : اثنين أملو و تريغزة و مستى اصبويا، وجماعة حضرية واحدة هي بلدية إفني.

تستوطن هذه القبيلة قسماً كبيراً من المجال المعروف بكتلة إفني، الممتد على مساحة حوالي 2.000 كلم²، ويوفر بسبب اتصاله بالبحر موارد طبيعية متنوعة ومهمة بالمقارنة مع المناطق المجاورة. لكن خضوع المنطقة للاستعمار الإسباني منذ سنة 1934 وإلى 1969، جعلها تنعزل عن باقي أجزاء التراب الوطني وترتبط بإسبانيا ومستعمراتها في إفريقيا الغربية. الأمر الذي عطل نموها وعرقل عملية إعادة إدماجها في الاقتصاد الوطني.

تشكلت أراضي أيت باعمران في بنية تجمع بين قاعدة قديمة ما قبل ـ كمبرية، مركبة من صخور بلورية وأخرى متحولة، وغطاء رسوبي من الزمن الأول مشكل من صخور كاربوناتية دلوميتية وكلسية. والكل تقطعه انكسارات كبرى ذات اتجاه شمالي شرقي/ جنوبي غربي.

إن هذا التنوع المخاري حدد مشهداً تضارسياً يجمع بين أشكال مختلفة :

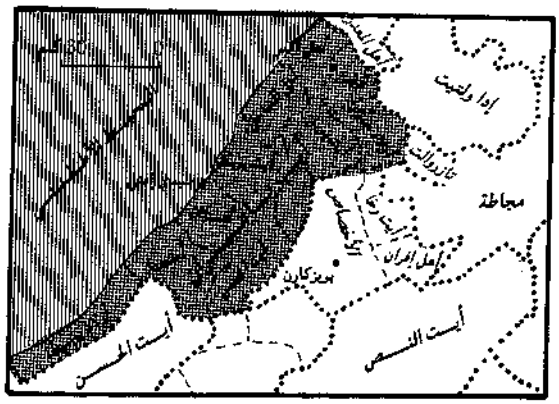

أيت باعمران

المظهر الجبلي يعطي للجهة الجنوبية والوسطى من المنطقة مظهراً خاصا، يتركب من أشكال تضاريسية كتلية مشكلة في صخور الريوليت والأندزيت، يصل ارتفاعها عندها إلى أقصاه (جبل فوكو : 1250 م). وفي اتجاه الشمال يتحول هذا المشهد إلى سلسلة من المتون يتناقص ارتفاعها تدريجيا إلى أن يصل إلى دون 500 م.

المنخفضات : أهمها منخفض تگرگرا المشكل في الشيت والغرانيت، تتخلله تلال وعوارض مرتبطة ببروزات صخرية ريوليتية، ويغلفه غطاء ترابي سميك.

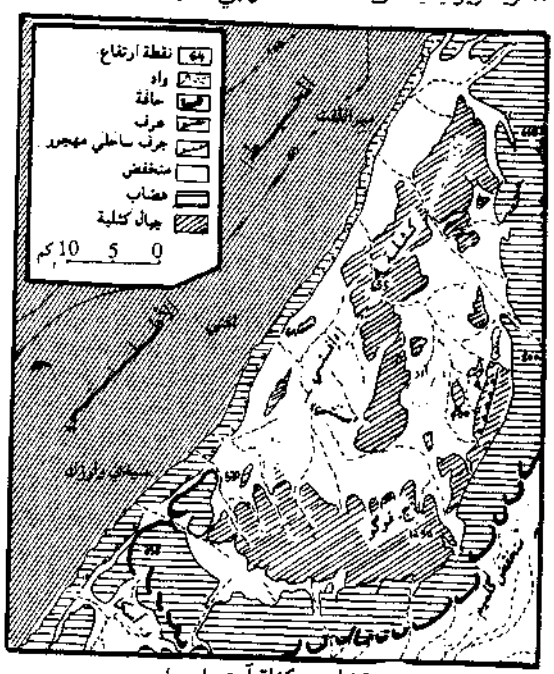

تضاريس كتلة أيت باعمران

الهضاب : تتمثل أولاً في شريط هضبي مرتفع (800 ـ 900 م)، مرتبط بهضاب الأخصاص الكلس ـ دلوميتية، يتخذ شكل هالة انتقالية بين كتلة إفني ومنخفض گلميم. إضافة إلى هذا يمتد على طول الساحل

الأطلنتي شريط هضبي متقطع يتراوح عرضه بين 400 و3500 م يحده ويشرف عليه من الجهة الشرقية سفح طويل بفارق ارتفاعي يتراوح بين 150 و300 م. وينتهي من جهة الغرب بجرف ساحلي يشرف على البحر بحوالي 40 م.

- الساحل : يمثل شكلاً بنيوياً أصليا تخطيطه مستقيم يوفر أجرافاً صخرية تحادي هضبة يتزايد اتساعها بشكل واضح في اتجاه الجنوب، وتواجه عبابا عنيفا في جل الأوقات. أماالشواطئ فإنها محدودة ولا تظهر إلا عند مصبات الأودية (واد إفني، واد أسكا...).

هذه المنطقة رغم وقوعها عند عروض جافة (شمال 29 °) تتميز بضعف التساقطات المطرية(إفني 147 مم/ سنة)، فإن اتصالها بالبحر جعلها تعرف رطوبة مهمة نسبيا تتمثل في ارتفاع نسبة التغيم (إفني : 52٪) خاصة خلال الصيف، وفي أهمية التساقطات الخفيفة. الحرارات المسجلة معتدلة، والفوارق الحرارية السنوية واليومية ضعيفة. الأمر الذي ساعد على ظهور وتطور غطاء نباتي كثيف يتكون من تشكيلتين أساسيتين تشكيلة الأرگان وتشكيلة الدغموس (الزقوم) اللتان تلعبان دوراً أساسياً في استقرارالغطاء الترابي السميك، المرتبط بتطور جيمرفلوجي متقدم، وفي حمايته من التدهور. لكن العامل البيئي المحدد في المنطقة يبقى هو الماء إذ لا تتوفر المنطقة على أي نظام هدرولوجي دائم، كما أن البنية الجيلوجية لا تسمح بتكوين سديمات مائية مهمة، باستثناء التكوينات السطحية الحديثة المنحصرة داخل المنخفضات، أو على طول الأودية والتي تبقى مواردها محدودة جداً. وزيادة على هذا فإن المياه المتوفرة تتميز بتركز ملحي عال.

بلغ مجموع سكان أيت باعمران حسب إحصاء 1982 قرابة 64.000 ن وذلك في الوقت الذي بلغ فيه سنة 1974 حوال 59.500 نسمة. ومعنى ذلك أن ساكنة المنطقة تعرف نسبة نمو سنوي قد تكون الأقل على الصعيد الوطني، وهي 0.65٪. أي أن ساكنة المنطقة لا تنمو إلا بحوالي 400 ساكن جديد في السنة وذلك رغم شساعتها.

	1971		1982		التزايد السنوي (٪)
	العدد	٪	العدد	٪	
سكان الأرياف :					
الجماعات					
مستي	4.707	7.9	4.808	7.1	0.19
اصبويا	11.053	18.5	9.407	14.7	-1.45
تويغزة	15.925	26.7	18.129	28.3	1.18
اثنين املو	14.099	23.7	15.372	24	0.78
المجموع	45.784	77.1	47.706	74.6	0.37
بلدية افني	13.650	22.9	16.188	25.3	1.56
المجموع	59.434	100	63.894	100	0.65

إن هذا النمو يعرف تبايناً واضحاً بين السكان الحضريين والريفيين :

- السكان الحضريون : تتوفر المنطقة على مركز حضري واحد يتمثل في مدينة إفني وهي مدينة حديثة العهد ارتبط ظهورها بدخول المستعمر الإسباني إلي منطقة أيت باعمران، حيث جعل منها موقعا عسكريا وإداريا يراقب من خلاله الطريق الرابطة بين إسبانيا ومستعمراتها بإفريقيا الغربية. وعند مطلع سنة 1969 تخلت إسبانيا عن مصالحها الاستعمارية تحت ضغط المقاومة المسلحة، فعادت إفني إلى المغرب وتم إعلانها جماعة حضرية ومركزاً لدائرة أيت باعمران وأهل الساحل.

هذه المدينة تعرف نمواً ديموغرافياً محدوداً لا يتجاوز 1.56٪ في السنة.

- السكان الريفيون : سجلوا نسبة نمو سنوي هزيلة جداً بلغت إلى حدود 0.37٪. بل هناك جماعة قروية سجلت نسبة نمو سنوي سلبية خلال نفس الفترة (1.45 ٪) وهي جماعة اصبويا. وهذا التفاوت في النمو السكني بين المدينة والريف جعل نسبة السكان الريفيين تتناقص لصالح السكان الحضريين الذين أصبحوا يشكلون نسبة 25.3٪ سنة 1982 مقابل 22.9٪ سنة 1971.

إن هذا النمو السكاني الضعيف داخل منطقة أيت باعمران، لا يعود إلى ضعف التزايد الطبيعي، وإنما إلى الهجرة التي كانت وما زالت تميز المنطقة. وهي مرتبطة بتواضع الموارد الاقتصادية المحلية من جهة، وبالصعوبات التي واجهت إعادة اندماج اقتصاد المنطقة داخل الاقتصاد الوطني من جهة ثانية. وتشكل هذه الهجرة القوية تيارا وطنيا يتجه نحو المدن الداخلية، وتياراً دولياً يتجه نحو أوربا الغربية بدأ يتقلص حجمه. ويلعب هذان التياران دوراً أساسياً في إنعاش الحياة الاقتصادية بالمنطقة، وذلك أمام ضعف موارد النشاط الفلاحي الذي يعتمد على الرعي وعلى زراعة الحبوب على طول الأودية وداخل المنخفضات حيثما تسمح الأمطار بذلك، وأمام ضعف استغلال الموارد السمكية الذي يقتصر عل صعيد ساحلي محدود بمدينة إفني.

P. Oliva, *Aspects et problèmes géomorphologiques de l'Anti-Atlas Occidental*. R. G. M, 1972, 21, 43, 77 ; Ministère du Plan, *Population légale du Maroc*, Rabat, Dir. Statistique, 1982.

الحسن الحداد

باعمران (أيت ـ) - تاريخ - يحد أيت باعمران من الجهة الشرقية مناطق مرتفعة، ومن الناحية الشمالية مناطق واطئة، أما الجهة الجنوبية فتمثل بداية المناطق الصحراوية. ومن ثم فأيت باعمران تعتبر منطقة انتقال من نمط حياة يغلب عليه التنقل المستمر إلى نمط عيش يسود به الاستقرار. ولهذه الخاصية انعكاس على مستوى اللغة، فالعربية تهيمن بالقسم الجنوبي المفتوح على الساحل، بينما تسود تاشلحيت في بقية أرجاء أيت باعمران.

يتميز بلد أيت باعمران بعدم ملاءمة ظروفه الطبيعية، التي زادها حدة تلازم غلبة الجفاف مع سيادة التربة الفقيرة. إلا أن التنوع النسبي للتضاريس والوقوع على المحيط وفرا

إمكانية ممارسة نشاطات فلاحية متكاملة قصد توفير القوت.

شكل انتظام المجموعات بأيت باعمران ضارب في القدم، تؤثر فيه أعراف متوارثة. فكل قبيلة تتشكل من مجموعات متفاوتة الحجم. والوحدة الأساسية في هذا الانتظام كانت هي "الفرضة"، التي تشبه الأسرة الكبيرة بإنولتان من حيث كونها "وحدة مالكة ومنتجة ومشاركة في الحياة الاجتماعية"، غير أنها تختلف عنها من حيث الحجم.

كان هذا الانتظام يكتسي طابع تحالف سياسي يعتريه التغير بصفة دائمة. إذ التماسك داخل كل قبيلة لم تكن تجسده سوى بعض الفرق، بينما الفرق الأخرى كانت متأرجحة من حيث انتماؤها بين القبائل التي كانت تناخمها. إلا أن تطور انتظام المجموعات داخل كل قبيلة لم يكن يخضع لعوامل داخلية، بقدر ما كان يتحكم فيه الصراع الذي كان يعيشه أعيان قبائل الأطلس الصغير الغربي وقبائل تكنة. أما التدخل الصادر عن السلطة المركزية سنة 1882، فلم يكن له أثر مباشر في شكل انتظام المجموعات، سواء بالنسبة لأيت باعمران أو بالنسبة لغيرها من قبائل سوس. وهذا خلاف لما هو وارد في التنظير الاستعماري، خاصة لدى روبير مونطاني وكذا التحاليل اللاحقة للنظرية التجزيئية.

كان لشكل انتظام المجموعات ارتباط بتوزيع المجال الباعمراني، وبظروف استثماره اقتصاديا، وبما انبثق عن تلك الظروف من عادات وتصورات. وبموازاة النشاط الفلاحي هناك نشاط تجاري يتم في أسواق أسبوعية ومواسم. وقد كان لهذه الأسواق والمواسم أدوار متعددة، من جملتها تجسيد شخصية كل فرقة. ومن جملة ما كان يضمن استمرار وحدة فرق كل قبيلة أوفاق عرفية يخصص عدد من بنودها لتنظيم التبادل، وضمان استمراره مع القبائل المجاورة للتراب الباعمراني.

استفاد الباعمرانيون من موقع موطنهم في سد حاجياتهم مما كان ينتجه الرحل، والمستقرون بسهول غنية، أو بمناطق جبلية ذات منتجات مغايرة، إلا أن الصويرة كان لها دور كبير في تزويد أسواق أيت باعمران بالمواد الاستهلاكية المحلية أو المجلوبة من أوربا كالشاي والسكر. وقد كان هذا الاتصال معبرا لانتقال صدى المشاكل التي كانت تعيشها التجارة بالصويرة، كما كان وسيلة لضبط علاقة أيت باعمران بالمخزن.

لم تكن قبائل أيت باعمران وسائر قبائل سوس الأقصى خارجة عن طاعة المخزن، كما تفيد مصادر أوربية مغرضة، ووثائق مخزنية كانت تستهدف مواراة ضعف السلطة المركزية ودرء الأطماع الاستعمارية، وانما ظلت علاقتها بالمخزن إلى حدود 1882 تتميز بخصوصيات :

1 ـ عدم وجود قواد بالقبائل : فباستثناء عامل سوس الذي كان يعين من بين قواد حاحة أو من بين قواد الجيش أو قواد عبيد البخاري، لم يكن لمنصب القائد وجود بقبائل سوس، وإنما كان بها أشياخ يتوسطون بين قبائلهم وبين عامل سوس الذي كان مقره بتارودانت.

2 ـ لم يكن المخزن يهمه من هذه القبائل جباية الأعشار والزكاة، بقدر ما كان يهمه حفاظها على أمن الطرق توفيرها لأشياخ المخزن. ومرجع هذا الزهد ضعف الانتاج الفلاحي للقبائل المعنية، وأهمية التجارة الصحراوية بالنسبة لمداخيل الصويرة من الصاكة والأعشار.

3 ـ وجود مؤسسات تقليدية تشرف على سير الحياة بداخل القبيلة، وفق أعراف تضبط علاقتها بالمخزن منذ ما قبل القرن التاسع عشر. فقبائل أيت باعمران احتفظت بمؤسسات تقليدية تنظم شؤونها الخاصة، وإن كانت تعد من مظاهر خلع طاعة المخزن بقبائل تقع خارج سوس. إلا أن العرف لم يكن المرجع الوحيد في النظام القضائي بأيت باعمران، ذلك أن السلطة القضائية كانت موزعة بحسب الاختصاص بين القضاء الشرعي والعرفي، وتلك حقيقة يجب التأكيد عليها. كما ينبغي التأكيد على ضرورة التمييز في العرف بين صنفين :

ـ المتجدد على يد "الجماعة" وهوالمنظم لسائر جوانب الحياة داخل القبيلة.

ـ المتجدد على يد المخزن، وهو المنظم لعلاقة القبيلة بالسلطة المركزية.

فأهمية الصويرة بالنسبة لاقتصاد قبائل آيت باعمران وبقية قبائل سوس الأقصى، جعلت منها أهم وسيلة لفرض التزام القبائل المعنية بالأعراف التي كانت تنظم علاقتها بالمخزن. غير أن تظافر ظروف داخلية وأخرى خارجية في النصف الثاني من القرن الماضي، مكن دولا أوربية من استغلال استعداد الحسين أ'هاشم وأعيان من أيت باعمران وتكنة، بمن فيهم أشياخ ومخزنيون، للدخول في علاقة تبادل مباشر عبر مراسي محلية. مما دعا السلطة المركزية للانتقال إلى عين المكان سنة 1882، قصد اتخاذ اجراءات تصون مكاسب المهيمنين على وسائل الانتاج، وتضمن استمرار الرقابة المخزنية للتبادل الذي كان يتم بين المؤسسات التجارية الأوربية وبلاد السودان.

تضمنت التعديلات التي أدخلها المخزن، خلق جهاز إداري مشابه لذلك الذي كان موجودا بالقبائل التي تعرف تمركز المخزن. غير أنه جهاز متكيف مع الأعراف المحلية، بما فيها شكل انتظام المجموعات الذي روعي في تحديد القيادات والمشيخات. وقد روعيت أيضا خصوصيات القبائل المعنية، عندما أقبل المخزن على تطبيق الإصلاح الجبائي المعروف «بالترتيب». إذ اكتسى ترتيب سوس الأقصى مضمونا مغايرا «للترتيب» الذي همّ مناطق كانت تتميز بهيمنة المخزن وبأهميتها الاقتصادية. فالظهير المصدر لترتيب قبائل سوس الأقصى، يمتطي المخزن من خلاله الموعظة في دعوة جماعة كل قبيلة إلى أداء الزكاة والأعشار وفقا للنصاب الشرعي لا تبعا للمتلكات، والقدر الواجب يسدد عينا لا بتقدير ما يقابله من الريال.

إن التدخل الأوربي خلخل علاقة قبائل أيت باعمران وبقية قبائل سوس الأقصى بالمخزن، مما استدعى تجديد الأعراف المنظمة لعلاقتها بالمخزن بشكل يستجيب لشروط الظرفية. ومن أهم ما ميز هذا التجديد، اقرار المؤسسات التقليدية مع تركيز سلطتها نظريا في يد القواد المنصبين، الذين تزايدت هيمنتهم على اختصاصات المؤسسات التقليدية إلى أن دكت دورهم انتفاضة عارمة عقب 1894.

كانت قبائل أيت باعمران من جملة القبائل التي ساهمت في حركة الجهاد ضد المستعمر بزعامة أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين فمُرَبِّيه ربّه والشيخ النعمة. إن الاحتلال الفعلي للمنطقة لم يتم إلا في أبريل 1934، حيث تمكن الجنرال كابّاس من إنزال جيشه بمرسى سيدي إفني، بمقتضى اتفاقية أبرمها مع بعض أعيان المنطقة.

منذ 1935 أخذت معالم مدينة ذات طابع إسباني تتبلور في أرض منخفضة تنحصر بين الساحل والجبل، كان من معلماتها ضريح سيدي افني الذي أصبح يميز هذه المدينة الناشئة أسس بها ميناء لإحكام ربطها بكل من جزركناري وإسبانيا والقسم الشمالي من المغرب. ونظراً لضعف الإمكانيات الاقتصادية للمنطقة، ظلت وظيفة مدينة إفني منحصرة في الحفاظ على استمرارالحكم الإسباني بأيت باعمران.

إذا كان الاحتلال الاسباني لم يُحدث تغييرا واضحا على مستوى الانتاج الإقتصادي، فإن تأسيس الميناء جعل المنطقة أكثر انفتاحا على إسبانيا وجزر كناري والقسم الشمالي من المغرب. حيث كان يوجد مقر خليفة السلطان الذي كانت تربط أيت باعمران به تبعية اسمية. مكن ارتباط أيت باعمران بالقسم الشمالي من المغرب الأعيان الباعمرانيين سنة 1947 من الوعي بمرامي مشروع التجنيس، الذي كان يهدف إلى تغيير الوضعية القانونية لسكان المنطقة. عقد أعيان أيت باعمران - بمن فيهم لممثلون الرسميون - اجتماعا بمدينة إفني، أعلنوا على إثره رفضهم سياسة التجنيس التي كان الحكم الإسباني بصدد تنفيذها.

لم تغير سياسة القمع من موقف الباعمرانيين حيال الحكم الإسباني. فقد تأجج رفضهم للحكم الإسباني من خلال ملتمس قدمه وفد باعمراني إلى الملك محمد الخامس في يونيو1957، يحث على استرجاع الحكومة لما بيد إسبانيا من سلط بالإقليم.

في نونبر 1957 حوصرت إفني من جميع الجهات، بعد أن استولى جيش التحرير على جميع المراكز التي كانت محتلة من قبل الجيش الاسباني. تمثل رد فعل الحكم الاسباني في المواجهة المسلحة وفي تغيير التنظيم الإداري، عبرفصل منطقة إفني عن الأقاليم التي كانت منضوية تحت اسم الصحراء المغربية.

منذ سنة 1965 أخذت المساعي الدبلوماسية للحكومة المغربية تؤتي أكلها، كما يستفاد من قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي دعا الحكومة الإسبانية إلى الإسراع بتصفية قضية إفني.

وقد نتج عن تنوع الضغوط وتواليها، إبرام اتفاقية مغربية - إسبانية في يناير 1969 نظمت عودة المنطقة إلى حوزة المملكة المغربية.

م. الاكراري، *روضة الافنان في وفيات الاعيان*، مخطوط. خ. ع. 1332 د ؛ م. المختار، السوسي، *المعسول*، ج : 20 ؛ ع. المحمدي، *السلطة والمجتمع في المغرب : نموذج أيت باعمران* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2 : 206، 217، 242، 247.

P. de Cenival et F. De la Chappelle, *Possessions espagnoles sur la côte occidentale de l'Afrique*, *Hesp*, vol, XX-XXI, 1935, p. 68 ; T. Garcia Figueras, *Santa Cruz de Mar Pequeña, Ifni, Sahara*, 1941.

علي المحمدي

باعمران محمد (مولاي -) مقاوم من مواليد أيت باعمران سنة 1925، انضم عند انتقاله إلى الدارالبيضاء إلى تشكيلة جيش الأطلس سنة 1953، حيث عمل في الحقل الوطني المسلح. وفي سنة 1954 أصبح رئيس التشكيلة مع استمراره في المشاركة الفعالة في الأعمال الفدائية.

وقد قام بإطلاق النار على بعض الخونة بعين الشق حيث افتضح أمره فألقي عليه القبض وسجن بسجن بن مسيك، ثم أطلق سراحه فاستأنف عمله ضمن تشكيلته إلى أن اغتيل بالحي المحمدي بلوك السعادة في 24 مارس من نفس السنة.

وثائق الندوية السامية للمقاومة.

عزالدين العلام

الباعمراني، أحمد بن الحسين السراج (مولاي الحاج -) من مواليد مراكش حوالي سنة 1888، شخصية مثالية في التضحية والاحسان والوطنية تمثلت فيه درجة الوعي والانفتاح في سن مبكر في مختلف المجالات، سواء الاجتماعية أو التربوية أو السياسية. فكان ذلك تشريفا لطبقة الحرفيين التي ينتمي إليها. ولعل مزاولته لمهنته ضمن سراجي إسطبل المولى عبد الحفيظ فتح قريحته ووسع أفقه من خلال اتصالاته ومسموعاته وملاحظاته، فاختزن في ذاكرته كثيراً من الأحداث الاجتماعية والتاريخية التي عرفتها مراكش، وزادته الأسفار وعياً بضرورة تطوير البلاد ونهضتها من خلال المؤسسات الاجتماعية.

كان لحجّاته وزياراته لبلدان المشرق العربي وتركيا تأثير في حياته، فسار في ركب الحركة الوطنية منذ بزوغ فجرها، ودخل السجن في صيف 1937 مع جملة من علماء مراكش وأبنائها على إثر المظاهرات التي عرفتها المدينة في أعقاب زيارة وزير الأشغال الفرنسية رامادي الذي جاء لتقصي الحقائق. ومع ذلك لم تنقطع صلاته بالحركة الوطنية وخاصة مع المرحوم محمد المختار السوسي، وأخيراً بنى مدرستين للتعليم الحر، هما مدرسة الفتح الحسنية بباب دكالة ومدرسة الفلاح بالقصبة. وحبس عليهما جزءا من أملاكه، كما حبس حوالي ألف كتاب على خزانة ابن يوسف بمراكش. وقد دشن محمد الخامس صحبة ولي العهد هاتين المدرستين عندما تم بناؤهما سنة 1945.

وكانت وفاة مولاي الحاج أحمد الباعمراني بمراكش في 15 مارس 1979.

معلومات شفويةمن أسرة المرحوم وأصدقائه ؛ تأبين جريدة العلم، مارس 1979.

محمد ماگامان

الباعمراني، البشير بن محمد. ولد سنة 1918 بأيت النصر من أيت باعمران والتحق بصفوف جيش التحرير أوائل سنة 1957 وناضل تحت مسؤولية القائد كريم محمد بن عبدالله بالمقاطعة 13، إلى أن استشهد في معركة تيكوكت سنة 1957.

كتاب شهداء الاستقلال، ج : 1.

عزالدين العلام

الباعمراني، الحسن أُوضرْضُورْ (ابن الأصم) بن محمد بن محمد ابن سعيد بن علال بن عبد المومن بن محند بن علي بن علي بن باها. ولد حوالي 1798/1213 وينتمي إلى عائلة الشيخ همو الخلفية المخزنية هناك، قال عنه الأستاذ ابن العربي : لم يمر في هذه البلاد (سوس) من القراء في العَشَرين العَشَر الكبير والعَشَر الصغير، إلا اثنان : مولاي أحمد السباعي (الذي نفاه السلطان إلى سوس) وسيدي لحسن أُو ضرْضُورْ... الذي تخرج في العشرين من جبالة، وهو ممن أخذ عنهم سيدي إبراهيم الماسي عندما شارط في تادارت في قبيلة إدْمُوساكْنا الباعمرانية (*المعسول*: 128.18). ومن هنا تعلم فضل هذا الأستاذ الكبير، الذي نشر هذا النوع من الروايات بسوس وبثه في صدور تلاميذه. أما الروايات السبع، فقد كانت منتشرة قبل ذلك بسوس، عادية لدى الجميع.

وقد رغب السلطان مولاي الحسن الأول، عندما نزل في تيغْزي بمحلته سنة 1885/1303، في سماع هذه الرواية من سَيدي الحسن أوضرْضور فمثل الأستاذ أمام السلطان ، مع أخيه سيدي علي، وهو كذلك يتقن قراءة السبع، فأمر السلطان هذا الأخير بقراءة ربع : فدعا ربّه أنّي مغلوبٌ فانْتَصِرْ. ولما أنهى الربع استحسنه كل من حضر من القراء والعلماء، وقال السلطان للأستاذ عرفنا قدرتك في تلميذك هذا، وأريد منك أن تجيب عن هذا السؤال فقط. قال تعالى : «ما لها من فواق» في حزب «فنبذناه بالعَراء وهو سقيم» فأجاب الأستاذ «فُواق» - بضم الفاء - وانتهى الامتحان بنجاح، وأصدر السلطان أمراً بتحريرهما من الكلف المخزنية تشجيعا لتلك الهمم العالية، واعتناء بالقرآن الكريم ورواياته.

وقد ترك الأستاذ الحسن أوضرْضورْ عدداً مهما من المخطوطات الخاصة بالروايات، تفرقت في أيدي الروائيين. وعهدي بمعظمها في خزانة تلميذه الروائي الباعمراني سيدي الحسن بن محند بن الحسن بن بلقاسم إجوي الخلفي المتوفى عام 1962.

توفي الحسن أوضَرْضُور في نهاية عام 1885/1303.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج : 18 ؛ ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مخطوط.

الباعمراني، الحسين بن سعيد بن عبدالله بن أحمد بن موسى، من قبيلة إدْمُوسَاكْنا الباعمرانية، ولد حوالي 1260 فأتقن حفظ القرآن ثم أخذ الأمهات العربية والفقهية على شيخه سيدي سعيد الشريف أولاً ثم على يد سيدي سعيد المعدري ثانياً، وتقلب في عدة مدارس بالمشارطة ابتداء من سنة 1291 هـ وأخذ يزاول الأحكام بين الناس، فقضى حياته في الإفتاء والفصل بين المتخاصمين، وقد نعته صاحب *المعسول* (12 : 172) بأنه «كان من الحفاظ، فقد استظهر *المختصر والتحفة والزقاقية* زيادة على المتون الصغرى» ونظرا لشهرته بالعدالة والتمكن من الفقهيات، انفرد بوصف القاضي في تلك الجهات الباعمرانية. وتوفي يوم 11 رمضان عام 1351.

الباعمراني، عبدالله بن الحسين بن سعيد، خَلَفَ والده في مهنة القضاء واشتهر بالضعيف. ولد عام 1314، وهو من تلامذة العلامة سيدي عبدالله أقاريض الصّوابي. تقلب بين المشارطة والتدريس والعدالة. فعُين مدة كنائب للقاضي وخاصة في عهد الثورة الباعمرانية ما بين 1960.1957 وبعد ذلك أصبح قاضيا عاما على أيت باعمران، وقد خلف أربعة أولاد كلهم نجباء يحتلون مناصب عالية في جهاز الدولة. ومات حوالي 1966.

م. المختار السوسي، *المسعول*، ج : 10 و 12 ؛ ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مرقون.

الحسين جهادي الباعمراني

باعيسَى، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني سعيد الغمارية، واشتهر من بين أفرادها :

باعيسى، محمد بن أحمد الأديب المتوفى سنة 1910/1328.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 9 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*..

باغُوز، أو بَغُوز، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني يدر الجبلية، وكان من بين أفرادها بتطوان من يملكون ثلاث دور بحومة الترنكات سنة 1841/1257، واشتهر منهم :

بَاغُوزْ، محمد، الفقيه الذي كان خطيبا بجامع العيون حيث توفي سنة 1928/1357.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 45 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 354 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330، م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Familias ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*..

محمد ابن عزوز حكيم

بَاقْشِيشْ، يلقب بباقشيش ذلك الفنان الشعبي الذي يقدم عروضا هزلية على شكل حلقة في الأسواق الريفية وفي الساحات العمومية الحضرية قصد الاسترزاق، ومن أشهرهم رجل اسمه فارس كان مسرحه في ساحة جامع الفناء بمراكش ورجل اسمه حرّبا كانت حلقته في جنان السبيل بفاس.

ويمثل باقشيش ظاهرة فنية متميزة وهي ظاهرة الحلقة، يقدم خلالها إنجازات تتجلى فيها مواصفات تقنيات المسرح البدائي، فهو يقوم في غالب الأحيان بجميع المهام حيث يضع السيناريو ويشخص الأدوار ويقوم بالإخراج، كما يضع الديكور ويقوم بمهمة القيِّم، وبالطبع فهو أمين المال، إذ كثيراً ما يتوقف في عرضه قصد التسوّل.

يتكون جمهور الحلقة من المارة وطلاب الفرجة والمتسكعين الذين يقصدون باقشيش من أجل المتعة ولإثارة انتباه المتفرجين يقوم باقشيش بحركات بهلوانية أو بالضرب على البندير أو بمخاطبتهم بشكل استفزازي. أما الموضوعات التي يتناولها باقشيش في عروضه فهي تتعلق بمقام الهزل والفرجة وترتبط ارتباطا وثيقا بالمعيش اليومي للفئات الشعبية، إذ تدور حول العلاقات بين الأزواج وتربية الأطفال وظروف العمل ومعاناة البطالة والتسكع ومظاهر العنف الاجتماعي والسحر وغيره من المعتقدات الغيبية.

ويبدو للملاحظ وكأن العروض التي يقوم بها باقشيش مرتجلة، والحالة أنه لا يكتب سيناريو ولا يقوم بتداريب تمهيدية ولكنه بحكم تقديمه لهذه العروض باطراد تكون لديه ملكة متميزة تجعله يضبط السيناريو وطريقة العرض ضبطا محكما، أما معالم الارتجال فهي تكمن في تكييف العرض مع السياق العام أي حسب المكان والزمان وطبيعة الحضور، ومما يمنح الفرجة سمة الإبداعية والحيوية، تلك التقنيات المرتكزة على التواصل المباشر واللامقيد الذي يطبع علاقة باقشيش بجمهوره، وهي بالذات تقنيات براغماتية تتمثل في ضبط القدرة التواطئية حيث يتم توظيف الانجازات الكلامية المتنوعة مثل الاستفهام والمناداة والأمر، ويقصد منها باقشيش التنكيد والتنكيت والسخرية على حساب الحضور، فتراه تارة يحاور هذا ليجعله هزأة، وتجده تارة أخرى يخاطب تلك ليمازحها، والجميع يقبل قواعد الفرجة المبنية على أساس خطاب يخرق الأخلاق المتداولة كما يتجاوز الأدوار والوظائف الاجتماعية القائمة.

A. Boukous, *Langage et culture populaires au Maroc*, Casablanca, 1977.

أحمد بوكوس

باقع، حيوان من الثدييات اللاحمة الصغيرة من فصيلة العرسيات Mustelidae. شبيه بابن عِرْس وآلف منه وأكبر، يُعرف بالنّمس في المغرب العربي، وبابن مقرض في مصر والعراق. طوله 35 ـ 45 سم جمعا بين الرأس والجسم، يبلغ طول ذيله 12 ـ 18 سم، علوه عند الغارب 4.5 ـ 6 سم وطول قوائمه الخلفية 4.8 سم الشيء الذي يصور حيواناً ذا شكل طولي ومضغوط فوق قوائم جد قصيرة، الرأس غائر وعيناه صغيرتان وخطمه محدد وأذناه قصيرتان جدا. اللون يتراوح بين الصُّفرة المغبرة إلى السمرة المسْودة. لكن يصير فاتحا جهة الرأس إلى حد البياض الكبير مع بقعة سوداء حول العينين. يختلف الحال بالنسبة للباقع الأوروبي الناصع اللون، فهو أبيض مصفر مع دكنة جهة البطن واحمرار في العينين.

عدد أسنانه 34 فقط، بنقصان ضرس أمامي، من كل جهة الطواحن حادج، وعرض الضرس العلوي أكبر من طوله، وهي خاصيات تدل على ميوله الدموية.

ينقض بعنف على فرائسه من الحمام والدجاج والأرانب، يقتلها خنقا، يمتص الدم ويبتلع الدماغ. ويأكل الضفادع والبيض والعظاية والثعابين. يميز الحفئات الغير السامة منها بدون تردد وينقض عليها لأول وهلة وبكل جرأة، يهشم عمودها الفقري ويأكلها. لكن عندما يصادف الأفاعي يقترب منها بحذر ويحاول أن يمسكها من وسط جسمها مستعملا كل الحيل لتجنب أنيابها السامة. أما إذا لدغته الأفعى فهي لا تقتله بل تتسبب في مرضه فقط.

تدوم مدة الحمل 40 يوما وتضع الأنثى مرتين في السنة من 3 إلى 10 أفراد، وقد يصل العدد إلى 13 يزن كل منها 10 غ. تبقى الصغار كفيفة لمدة ثلاثة أسابيع، تتكفل الأم خلالها بالعناية بها بكثير من الحنو.

لا يمكن القول إن الباقع قابل للتدجين حقيقة. كل ما هناك أن الإنسان استطاع استغلال ميوله الدموية لصالحه فهو يُربّى داخل صندوق أو قفص مفروش بالتبن أو الحشيش الذي يجب تجديده مراراً. كما تلزم حماية الحبيس من البرد، وتغذيته بالخبز والحليب والبيض، على أن الوجبة المفضلة تبقى هي اللحوم من الصيد.

من الصعب جعل هذا الحيوان أليفاً والسماح له بمغادرة القفص ليتبع صاحبه مثلا كما لو كان كلباً. فهو في الغالب، بمجرد ما يفلت من سجنه، يقصد الغابة، يستولي فيها على جحر يسكنه، وسرعان ما يفقد كل علاقة كانت تربطه بالإنسان. لكن الفصل البارد يقطع دابر هذا الحيوان نظراً لحساسيته العالية لانخفاض الحرارة باستثناء القلة القليلة منه التي تستطيع العودة إلى مكان تدجينها السابق.

يستعمل الباقع في صيد الأرانب والقنيات، يقوم القناص باستكشاف مخارج جحر من الجحور وإقفالها بالشباك تاركاً المنفذ الرئيسي مفتوحا يدخل منه الباقع مكمما ومشدودا إلى خيط يساعد على استرجاعه بعد انتهاء المهمة. تشم الأرانب رائحته فتهرع هاربة لتقع في المصيدة، فإذا حُلّ خيطه بقي في نفق الأرانب ولم يعد.

يفسر هذا الأسلوب في العيش تعذر معرفة البيئة الطبيعية التي يقطنها الباقع في حالته المتوحشة. لقد جاء في بعض الأبحاث أن الحيوان كان يسكن إفريقيا الشمالية ومنها انطلق إلى أوروبا لكن بدون أي أدلة على ذلك وقد

ذهب بعضهم إلى الإشارة إلى أن معتقله الأصلي يوجد في جبال الريف الوسطى بين شفشاون ونهر النكور.

يرجع تاريخ تدجين هذا الحيوان حسب بعض الاختصاصيين، إلى ألف سنة قبل الميلاد.

إنه حيوان نادر جدا في حالة التوحش في المغرب وشائع شيئاً مّا في حالة الأسر. يعيش في النواحي الصخرية والشجيرة من الريف، وهو نشيط بالليل وبالنهار.

يزن ما بين خمسمائة وألف غرام ويعمر عشر سنوات، اسمه العلمي Mustela putorius furo.

أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، 193، ص. 106.

J. B. Panouse, *Les Mammifères du Maroc*. Trav. Inst. Sci. Cherif. Sér. Zool. 5, 1957, 67-71 ; A. Lakhdar-Ghazal, M. Thevenot et J. P. Farthouat, *Faune du Maroc :Les Mammifères*. Inst. Et. Rech. Arab., Rabat, 1975, 35-36 ; S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*. Trav. Inst. Sci. Sér. Zool. N° 41, 1986, p. 102.

محمد رمضاني

باگا، أول ملك وصلنا خبرعن حكمه في موريطانيا أو المغرب القديم. أفادنا عن ذلك نص وحيد للمؤرخ الروماني تيتوس ليفيوس (Titus Livius, XXIX, 30, 1-4) وهو يروي أحداث الحرب البونية الثانية نقلا عن المؤرخ بوليبيوس Polibius.

نستفيد من رواية تيتوس ليفيوس أن باگا Baga كان ملكا على كل الموريين في موريطانيا. وقد اتصل به الملك النوميدي ماسنيسا Massinissa سنة 206 ق.م قادما من إسبانيا، بعدما عقد فيها حلفا مع القائد الروماني سكيبيو Scipio. يوضح المؤرخ أن ماسنيسا ناشد الملك الموري وتوسل إليه ليمده بمساعدة عسكرية تمكنه من العودة إلى مملكته في شرق نوميدية. وبعد إلحاح شديد استجاب باگا لطلبه، وأمده بأربعة آلاف محارب ليرافقوه في الطريق، واشترط باگا أن يعود جنوده إلى حال سبيلهم بمجرد وصول ماسنيسا إلى حدود مملكته، ورفض أن يشاركوا معه في الحروب التي كان ماسنيسا يخطط لها.

يفيدنا الجغرافي سترابون (Strabon, XVII, 3, 6) في توضيح حدود المملكة المورية خلال القرن الثالث قبل الميلاد، بإشارته إلى أن نهر مولوشات يفصل بين الموريي والماسيسوليين. والنهر المذكور هنا هو ملوية الحالي.

وعن ظروف المملكة المورية في عده باگا حسب ما ورد عن تيتوس ليفيوس، يتضح أن الملك باگا التزم الحياد في الصراع القرطاجي الروماني حفاظاً على استقلال مملكته. وبالفعل لم يرد لهذا الملك ذكر في أشواط الصراع الذي دار بين الرومان وحليفهم ماسنيسا ضد قرطاجة وحليفها سيفكس Syphax ملك الماسيسوليين. بين سنتي 204 و201 ق.م. أي خلال المعارك الأخيرة من الحرب اليونية الثانية التي قامت في أرض افريقيا، وانتهت بمعركة زامة Zama التي انهزم فيها القائد القرطاجي حنبعل Hannibal، بعد رحيله عن إيطاليا للدفاع عن قرطاجة.

وانطلاقا من هذا النص الوحيد، ونظراً لانعدام الوثائق الأثرية عن حكم باگا، لا نعرف شيئا عن فترة حكمه، ولا نعلم هل خلفه الملك الموري بكوس الأول Bocchus في حكم موريطانيا، ولحد الآن لم تسفر دراسة النقود المورية عن حل الإشكال، بحيث لا نعرف نقوداً للملك باگا، ومازال هناك شك في نسبة عينات من النقود للملك بكوس الأول، ونظراً لاختفاء الشواهد الكافية حاليا لمعرفة توالي حكم باگا وبكوس الأول، فلا شيء يمنعه من الاعتقاد بأن بكوس خلف باگا حوالي منتصف القرن الثاني قبل الميلاد.

م. مجدوب، *مملكة الموريين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33 ق.م*، د. د. ع.، كلية الاداب، فاس، 1990.

S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, t.5 ; G. Camps, *Aux Origines de la Berbérie : Massinissa ou les débuts de l'histoire, Libyca*, t : 8, 1960 ; F. Decret et M. Fantar, *L'Afrique du Nord dans l'antiquité*, Paris, 1981.

محمد مجدوب

باكريم بن إبراهيم التاسلاتي الباعمراني، ولي القيادة كغيره من قواد سوس الأقصى في إطار سياسة كانت ترمي إلى وضع حد لمشاريع توسعية أوروبية استهدفت تفكيك الوحدة الترابية.

رشح أعيان قبيلة أيت الخمس الباعمرانية باكريم لمنصب القيادة بالقبيلة ؛ فأصدرالسلطان ظهيراً في 25 شعبان 1299 يزكي ترشيحهم.

ظهير حسني صادر بتاريخ 25 شعبان 1299 هـ ؛ *قائمة بأسماء أعضاء وفود أيت باعمران التي حضرت مراسيم تعيين القواد*.

علي المحمدي

الباكوري، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني سعيد الغمارية، وكان كل أفرادها ينتمون إلى حامية تطوان كجنود لفرقة البحرية بمرتين، أمثال :

الباكوري، أحمد، بحار كان يعمل بالفرقة المذكورة سنة 1246 / 1830.

الباكوري، عبد العزيز بن عبد السلام، بحار أيضا كان هو الآخر بالفرقة نفسها سنة 1268 / 1852.

الباكوري، محمد بن عمر، بحار كان يعمل بنفس الفرقة سنة 1253 / 1837.

وهذه الأسرة غير أسرة البكوري.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 212 . 356 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

باكي Paquet ، شركة ملاحية بدأت نشاطها في المغرب سنة 1860، وتحولت حالياً إلى شركة Comarine تحمل الشركة اسم مؤسسها نيكولا باكي Nicolas Paquet، المولود سنة 1831 في مدينة أنسيفيل Aneceville باقليم الموز Meuse والمتوفى سنة 1909.

وقد بدأ باكي حياته العملية داخل "الوكالة الوطنية للتسفير البحري" بمدينة دنكيرك Dunkerque ثم في ريمس Reims كمستخدم لدى شركة Vautier.

وكانت من أكبر الشركات الملاحية في مرسيليا، إذ كانت أهم شركات الإيداع Consignataire للشركة الملاحية العامة التي تحولت في سنة 1861 إلى الشركة الأطلنطيكية العامة Compagnie Générale Atlantique.

كما كانت كذلك تمثل شركة ديب Dieppe بأنفير Anvers وشركات متعددة في الهافر Havre ودنكيرك Dunkerque التي كانت متخصصة في نقل ملح البارود Salpêtres.

وبين سنتي 1852.1855 عمل في الجزائر كممثل تجاري لجوسلان وشركائه : Josseland et Cie ثم عاد إلى مرسيليا سنة 1856 وفي سنة 1857 بعد انسحاب Vautier من الشركة صار باكي وكيلا معتمداً Fondé de pouvoir للشركة ثم مديراً بعد وفاة Vautier.

وبعد اندلاع الحرب بين إسبانيا والمغرب سنة 1860، وارتفاع حاجة الحكومة الإسبانية إلى السفن لنقل العتاد والزاد إلى الجيوش في المغرب قام باكي بتأسيس "شركة ملاحية تجارية" متخصصة في إيداع وكراء السفن التجارية، وفي إيداع السلع بالجمارك واستقبال البضائع وشجعته الأرباح التي جناها من هذه العملية على خلق خط نقل مباشر بين مرسيليا والمغرب، والتخصص في تجهيز السفن، واشترى أول سفينة له سميت Languedoc وفي 3 يوليوز سنة 1863 تأسست "الشركة المغربية نيكولا باكي وشركاؤه، Compagnie Marocaine Paquet et Cie وكان من بين المساهمين في الشركة إلى جانب نيكولا باكي وشركائه أوربيون من مرسيليا وانفيرس وإسبانيا وجبل طارق، ومساهمون من المغرب خصوصا تجار مدينة الصويرة "موگادور" كلهم من اليهود ماعدا ثلاثة تجار مغاربة مسلمين من بينهم المختار بن عزوز و عبدالقادر العطار، من مدينة مازاگان "الجديدة" ومساهم من مدينة الرباط.

وإلى جانب "الشركة البحرية المغربية باكي" تأسست شركة الأخوين نيكولا وبول باكي" وهي شركة تجارية مستقلة، كانت تتكلف باستقبال السلع المستودعة، والإخبار بالأثمنة وفتح فروع في مختلف موانىء المغرب.

وقد عرفت الشركة الملاحية المغربية باكي "تطورا مستمراً فقد رفعت من قيمة رأس مالها بعد سنة من تأسيسها، ومنذ سنة 1856 بلغت عدد الرحلات المنتظمة بين مرسيليا والمغرب مرتين في الشهر، وفتحت مكتباً في جزر الكناري واشترت أول باخرة جديدة : الصويرة، وفي سنة 1872 صارت تحتكر تقريبا الملاحة البخارية بين المغرب ومرسيليا بفضل توفرها على أربع بواخر هي الموزيل La Moselle، والصويرة والحقيقة La Vérité والموز La Meuse.

ولكن مع تطور صناعة النسيج في أوربا وخصوصاً في انجلترا وتعدد المعاهدات التجارية المغربية الأوربية، وفتح الأسواق المغربية للمواد المصنعة، وحاجة الصناعة الأوربية إلى المواد الأولية خصوصا الصوف، تعددت الشركات الملاحية بين المغرب وأوربا وواجهت باكي منافسة الشركات الأنجليزية خصوصا شركة : الاخوين فوروود Forwood Brothers، وكذلك منافسة عدة شركات فرنسية.

ومع هذا استطاعت شركة باكي التغلب على هذه المنافسة التي تضاعفت على الخصوص بعد تضاؤل العمليات التجارية بين أوربا والمغرب بين سنتي 1878 و1884 بسبب تزامن الأزمة الاقتصادية الأوربية الناتجة عن فائض الإنتاج وتدهور الأثمان مع الأزمة الاقتصادية المغربية الناتجة عن الجفاف والمجاعة وارتفاع أثمان المواد الأولية كالصوف والمواد الغذائية.

نوعت شركة باكي نشاطها، فصار يشمل نقل الحجاج إلى بورسعيد، وأسست شركة ملاحية جديدة بين مصر وأرمينيا سمتها "الشركة الملاحية المغربية الأرمينية" كما كونت شركة لنقل سُكّرسَان لُوِي، واحتكرت تجارة السكر بين فرنسا والمغرب.

وبسبب نوعية رأس مال شركة باكي، والعلاقات المباشرة والغير المباشرة التي كانت تربطها مع مجهزي السفن والتجار والمجموعات المالية والصناعية، كادت هذه الشركة أن تحتكر التجارة البحرية المغربية أثناء الأزمة هي وشركة Forwood الأنجليزية وأن تقضي على النشاط التجاري للسفن الشراعية والشركات الملاحية الأخرى.

ورغم أن هذا الاحتكار انتهى بانتهاء الأزمة، وارتفاع عدد الشركات الملاحية وتعدد جنسياتها، فإنها استمرت في الاتساع بفضل النفوذ الذي أصبح لرجال الأعمال المرسيليين في المغرب.

ومن بين نشاطاتها منذ سنة 1892، نقل البترول الروسي إلى طنجة حيث كان Fabares قد حصل من المخزن على امتياز إيداع البترول.

وقد لعب باكي دوراً في التغلغل الاستعماري الفرنسي في المغرب إذ كان من بين المساهمين في رأس مال الشركة المغربية La Compagnie Marocaine التي فتحت مكتبين لها في فاس وطنجة والتي شاركت في المفاوضات بين المخزن وبين الأبناك الفرنسية في قرض 1903، وحصلت من المخزن على رخصة للقيام بأشغال في ميناء الدارالبيضاء وأسفي، هذه الأشغال التي بدأت سنة 1907 وتسببت في أحداث الدارالبيضاء في 30 يوليوز 1907 في نزول الجيش الفرنسي بالدارالبيضاء.

وقد ساهمت شركة باكي في نقل جنود الجنرال درود Drude إلى الدارالبيضاء. وأثناء فترة الحماية فتحت باكي عدة مكاتب في الدارالبيضاء وطنجة والرباط والجديدة "Mazagan" والصويرة "Mogador" وأگادير ووجدة وميناء ليوطي "القنيطرة". وشمل نشاطها إلى جانب المراكب التجارية والايداع نقل المسافرين، وكان لها خط نقل منتظم إلى دكار عبر المغرب.

وقد استمرت شركة باكي في المغرب في شكلها القديم إلى سنة 1960، حيث أعيدت هيكلة الشركات الملاحية الفرنسية، وبيعت شركة باكي لشركة Fabre المرسيلية التي باعت بدورها سنة 1966 للشركة الملاحية Compagnie Maritime des Chargeurs Reunis التي كان مقرها المركزي بباريز التي اشترتها فيما بعد باسم الشركة الملاحية والتجارية دلماس وفييولجو Société Navale et Commerciale Delmas et Vielgeux وتمثل هذه الشركة في المغرب شركة Comaine التي تشارك فيها رؤوس أموال مغربية.

معلومات مستقاة من بعض الموظفين القدماء لشركة باكي في القنيطرة.

A Ayache, *Le Maroc* ; H. Bordeaux, *Un printemps au Maroc;* J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe.*

براده ثريا

بالانسا، ب. B. Balansa عالم نباتي فرنسي قدم إلى المغرب يوم 12 أبريل 1867 وتجول ببلاد حاحة وإمي نْ تانوت ونواحي مراكش متنكراً بلباس مغربي، فالتقى بمواطنه بول لامبير الذي كان مقيما بمراكش لبضع سنوات من أجل التزود بالمعلومات. ولما ذهب إلى أسني لقيه أعوان عامل مراكش إبراهيم الگراوي وجردوه من سلاحه وأمتعته وحملوه هو وأصحابه إلى مراكش، وتدخل إيمي داكان للافراج عنه ومعاقبة المعتدين عليه.

وقد خلف هذا العالم كتابا عن رحلته من الصويرة إلى مراكش بعنوان : *Voyage de Mogador à Marrakech*.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1525 - 1526 ؛ *الوثائق المغربية*.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 76 ; J. Caille, *La Petite Histoire du Maroc*. 79-82.

باليسطرينو، شارل Ch. Ballestrino تاجر من جبل طارق حل بالجديدة سنة 1861 وكان يمثل هولندا بها نحوا من عشرين سنة. له سماسرة بالجديدة ودكالة.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 3 : 1020.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 19.

مصطفى بوشعراء

بَالِينْ، أوبَلينْ أو بَالْ، جنس من الثدييات البحرية من الفصيلة البالية ورتبة الحيتان وهو حوت كبير ضخم الرأس يستخرج منه دهن الحوت.

وهو نوعان من عشيرة Zyphiidae يعيشان في البحار المجاورة للمغرب : بلين منقار الإوز Zyphius cavirostris وبلين أنف القنينة Hyperoodon ampullatus ويعرف كل منهما في المغرب بالبلين.

بالين أنف القنينة

للبلين أسماء كثيرة، لكن البلين والبال اكثرها شيوعا ويطلق عليها في الشرق العربي الوال والفال وهي مأخوذة من الإنجليزية Whale.

يتميز بلين منقارالإوز بمنك قصير وجبين غير بارز. لا يتعدى طول الأنثى 6 أمتار ويصل طول الذكر إلى 9 أمتار ويزن 2.5 طن. الظهر أسود لامع في المؤخرة وأبيض جهة الرأس. زعانيفه الصدرية والظهرية صغيرة جداً.

يعيش هذا الحيوان وسط مجموعات تتكون من 30 إلى 40 فردا ويسبح غير بعيد عن سطح البحر. تغطس المجوعة وتظهر في آن واحد وتبقى على سطح البحر مدة عشرة دقائق ثم تختفي لمدة نصف ساعة وأكثر.

يوجد هذا النوع في جميع البحار ماعدا القطبية منها ويقطع مسافات طويلة أثناء الهجرة. يأكل الأسماك والإربيان والسرطان والرخويات كالحبارة والأخطبوط.

تدوم مدة الحمل من 10 إلى 12 شهراً، تضع الأنثى خلاله صغيرا واحداً في فصل الربيع.

تَجَنَّح عدة مرات في شواطئ فرنسا وإسبانيا وبريطانيا ورأس الرجاء الصالح، وفي المغرب كما ذكر ذلك الحسن الوزان في *وصف افريقيا*، وأخيراً جُنِّحت أنثى في الشاطئ على بعد 15 كلم شمال الدار البيضاء سنة 1967.

بالين منقار الإوز

يمتاز بلين أنف القنينة بجبين مقبب ويصل طول الأنثى 7.5 أمتار وطول الذكر9.5 أمتار ويزن ثلاثة أطنان. لونه رمادي لامع وأحيانا أسود داكن.

يعيش وسط مجموعات تتكون من أربعة إلى اثنى عشر فرداً أو أكثر، ويسبح عادة غير بعيد عن سطح البحر. يسمع زفيره من بعيد أثناء تنفسه فوق الماء ويغطس مدة عشر أو عشرين دقيقة وأحيانا ساعتين في أعماق تتعدى ألف متر.

يوجد في البحار الشمالية ما بين 63 و70 درجة من خطوط العرض الشمالية ويهاجر خلال فصل الربيع إلى الجنوب ليعيش في البحار الاستوائية. ذكر عدة مرات قرب شواطئ بلجيكا وهولندا وألمانيا وهو نادر في البحر المتوسط.

H. Aloncle, *Note sur un cetacé du genre Zyphius Cuvier, 1823, échoué sur une plage du Maroc Atlantique*. B. I. M. 15, 1967 ; L. Lyneborg, *Mammifères d'Europe*, 1972, p. 227, 229 ; A. Bayed et P. C. Beaubrun, *Les Mammifères marins du Maroc : inventaire préliminaire*, *Mammalia*, 51, 1987, p. 442.

محمد رمضاني

بَالينْثويلا، رفايل أورثايث Valenzuela Rafael Urzaiz كولونيل إسباني، ولد بسرقسطة يوم 23 يوليوز 1881 والتحق بالأكاديمية العسكرية سنة 1898 حيث تخرج منها برتبة ضابط، وفي سنة 1906 ارتقى إلى رتبة ملازم وعلى إثر مشاركته في المعارك التي خاضها الجيش الإسباني ضد

المجاهدين بناحية الگرت سنة 1909 رقي إلى رتبة قبطان، وفي سنة 1919 ارتقى لرتبة كومندار ثم إلى رتبة مقدم في سنة 1920 وأخيراً رقي إلى رتبة كولونيل سنة 1922 وهي السنة التي عُين فيها رئيساً لفرقة اللفيف الأجنبي بالجيش الإسباني المعروف Tercio de la Legion extranjera وقد اختير بَالِينْثويلا للمنصب المذكور خلفا لمؤسس اللفيف الكولونيل ميليان اسطراي Millan Astray ومما يدل على السمعة الكبيرة التي كان يتمتع بها في صفوف الجيش الإسباني أن شهرته آنذاك كانت تفوق شهرة الكومندار فرانكو Franco الذي عمل هو الآخر في صفوف اللفيف الأجنبي.

وغداة تعيينه التحق بَالِينْثويلا بالمركز الذي كانت توجد به فرقة اللفيف المذكور بجبل تيزي عزا من قبيلة تافرسيت في شهر أبريل 1923، هذا المركز الذي احتله اللفيف يوم 28 أكتوبر 1912 وكان في الوقت الذي التحق به بَالِينْثويلا محاصراً من طرف المجاهدين.

وبعد شهرين من وجود بَالِينْثويلا بتيزي عزا تعرض المركز إلى هجوم عنيف قام به المجاهدون يوم 5 يونيو من نفس السنة حيث قتل الكولونيل المذكور وحل محله الكومندار فرانكو Franco.

كان لمقتل بَالِينْثويلا صدى كبير في الصحافة الإسبانية التي كانت تعلق على وجوده بالمركز آمالا كبيرة حيث سبق لها أن كتبت تؤكد أنه سوف يتمكن من فك الحصار المضروب على تيزي عزا منذ ستة أشهر، وأما الحكومة فرأت من واجبها تخليد اسم بَالِينْثويلا فمنحته لقب ماركيزذي بَالِينْثويلا Marques de Valenzuela.

Enciclopedia Espasa Calpe, t. 66, p. 489 ; C. Martinez Campos, *España Bélica. El siglo XX (Marruecos)*. Madrid 1972, p. 277, 308.

محمد ابن عزوز حكيم

بَامْبُتُوم Bambotum ورد هذا المصطلح لأول وآخر مرة في الرحلة البولبيية (ق II ق م) التي نقل لنا بلين القديم (Pline l'Ancien) (ق I م) بعض تفاصيلها بالفقرتين 9 و10 من كتابه 5. وجاء ذكره بالفقرة 10 على النحو التالي :

« .... بداخل الأراضي الجيتول الدرعاي (Gaetuli Darae) وعندما نرجع للساحل نجد الايثوبيية الدرتيتاي (Aethiopes Daratitae)، ونهر بامبتوم (Bambotum) مزدانا بالتماسيح وأفراس النهر».

وتفرق الباحثون المعاصرون إلى مجموعات في محاولتهم للتعريف بالنهر البولبي. ومن بين أقدم الباحثين المعاصرين نجد بوخارت (Bocchart) الذي وافق بين النهر الكبير الوارد عند حانون (القرن 7 ق. م) بعد نهر درعة وبين بامبتوم بوليب المزدان بالتماسيح وأفراس النهر وأرجع الباحث مصطلح بامبتوم للكلمة العبرية بهيموت (Behemoth) التي تحمل مدلول أفراس النهر ونسب استعمالها للقرطاجيين.

واعتبر فيفيان دوسان مارتان (Vivien de St Martin) افتراض بوخارت من أنجع الافتراضات المقدمة في الحقل المعرفي. وبذلك وافق النهر الكبير عنده نهر السينغال.

واستعرض ستيفان گزيل (St. Gsell) المصادر القديمة التي تتحدث عن أنهار أطلسية تزخر بوحشية (Faune) شبيهة بوحشية النيل، وهذه المصادر هي التي تجعل من هذه الأنهار الرأس الغربي الذي يزود النيل في شرقه.

وقارن گزيل بين كسيون (Xion) سيلاكس المزعوم (Pseudo-Scylax) (ق IV ق. م) وليكسوس (Lixus) حانون. وصرح بأنه مهيأ أكثر لمطابقة نهر كسيون بنهر الساقية الحمراء. وهكذا يكون هذا النهر الذي يجري بالصحراء المغربية قد حمل على الأقل ـ وحسب فرضية گزيل ـ اسمين وهما على التوالي ليكسوس وكسيون في مدة لا تقل عن قرن.

ووافق كليرك(Clerc) بين النهر الكبير الحانوني وبين نهر السينغال وذكر بأن هذا النهر الأخير توجد به التماسيح فقط. والمعروف أن النهر الكبير وكما عرفه حانون ـ يتميزبالتماسيح وأفراس النهر معا ـ.

ويعتقد كليرك بأن المؤرخ الاغريقي هيرودوت (Herodote) (ق V ق. م) الذي تكلم طويلا عن النيل ومنابعه الغربية، لا شك أنه استقى معلوماته من العالم الهيليني أو من مصر أو من بلاد ساحلية افريقية كان الإغريق على معرفة بها. وبذلك خالف كليرك الباحثين الذين نسبوا هذه المعطيات لاوتيمين (Euthymenes) والذي جعلوه سابقا لهيرودوت وليس لاحقاً له كما فعل هو عندما أرجع أوتيمين للقرن IV ق. م.

والملاحظ أيضا أن فكرة المنبع الغربي للنيل ظلت سارية المفعول من القرن IV ق. م إلى حدود القرن XVIII ب. م.

وأكد موني (Mauny) بأن نهر بامبتوم المملوء بالتماسيح وأفراس النهر يلزم أن يوافق نهر ماسة. ودافع عن فرضيته بقوله : ويوليب نفسه وطن بدءا من البامبتوم الجبال التي تستمر بدون انقطاع حتى عرية الآلهة (Yheon Ochema).

وتوافق الجبال عند موني المرتفعات الساحلية للأطلس الصغير التي تبتدئ من أگلو على بعد 35 كلم أو أكثر من مصب نهر ماسة. ويعتقد موني بأنه خلال التاريخ القديم استوطنت الحيوانات المدارية من تماسيح وأفراس النهر والفيلة... المنطقة الممتدة من سوس إلى درعة وبخاصة عند مجاري الأنهار ومنها : ماسة ونون ودرعة. وأضاف موني قائلا بأنه حول هذا النهر توجد شهادة بومبنيوس ميلا (PomponiusMela) وحول نهر درعة تملك شهادة أگريبا (Agrippa).

ووطن مؤلفون قدماء آخرون الحيوانات المدارية بمجموع أنهار الجنوب المغربي، وعددهم كبير عدّد موني منهم :

حانون (ق V ق. م)، أوتيمين (ق IV ق. م)، يوبا الثاني (ق I ق. م) من خلال الشذرات المستقاة من مؤلفاته والتي تناقلها الكتاب الذين جاءوا بعده، سطرابون (ق I ق. م)، بومبنيوس ميلا (ق I م) بوزنياص (ق II م)، ديون كاسيوس، ويول أوروز (ق V م).

وعلى كل حال، فأكثر المؤلفين القدماء لم يعملوا شيئا ولم يضيفوا الجديد واكتفوا بترديد ما جاء به سابقوهم.

وإذا كان موني قد دافع عن فرضية مطابقة البامبتوم لدرعة، فإن بديش مقتنع كامل الاقتناع برأيه وقال بعبارة مؤكدة بأن البامبتوس يوافق في واقع الأمر نهر الساقية الحمراء الذي لا يبعد مصبه كثيراً عن رأس جوبي (Cap Juby)

وتساؤل في نفس السياق عن مصدر معلوماتنا حول القبائل التي تسمى نسبة لنهر درعة الجيتول الدرعاي (Gaetuli Darae) والايثوبيون الدرعتيتاي (Aethiopes Daratitae). هل هو بوليب ؟.

وبديش مؤمن بأن بوليب لا يمكن أن يكون قد تعرف عن قبائل الجيتول الدرعاي الذين يستوطنون بداخل الأراضي إلا من خلال توقفه بمحطة ساحلية مجاورة لسكنى الايثوبيين الدرعتيتاي.

واضح أن القبيلتين سميتا كذلك نسبة لنهر درعة الذي استوطن منذ سالف العصور من جهة من طرف العناصر الجيتولية التي استقرت بدرعة الأوسط، ومن جهة ثانية من طرف العناصر الايثوبية التي استوطنت المجرى الأسفل للنهر.

وجزم توفنو (Thouvenot) جزما مطلقا بأن بوليب وصل بالفعل إلى السينغال وبأن نهر بامبتوم المزدان بالتماسيح وأفراس النهر لن يكون إلا نهر السينغال، إذ أن أفراس النهر لم تعد توجد ضمن وحيشة الصحراء منذ القرن II ق.م.

وذكر توفنو بالمقاربة المهمة التي عقدها گوتيي Gautier بين المصطلح وبين الاسم المعاصر لبامبوك Bambouk المنطقة التي يعتبرها الاخباريون العرب بلاد الذهب بدون منازع، وقد ظلت كذلك إلى وقتنا هذا بلاد الذهب.

ولاحظ كاركوبينو Carcopino بأنه من مصطلح بامبوك Bambouk إلى مصطلح بامبتوم Bambotum، ومن هذا إلى مصطلح بهيموت Behemoth سلسلة مسترسلة للتقاليد الشفوية المتعلقة بجزيرة الذهب بالسودان Eldorado du Soudan.

وأردف كاركوبينو قائلا بأن هيرودوت الذي لم يضبط مكان تجارة المقايضة واكتفى بالقول بأنها تمت وراء أعمدة هرقل يعرف أصحابها وذكرهم باسمهم فهم القرطاجيون وعلى رأسهم تجار بعثة حانون، هذه البعثة التي لعبت أدوارا أساسية، فهي بعثة مخصصة لاحتواء صوريي Tyriens المغرب وخصوصا سكان ليكسوس. وعملت البعثة وبمساعدة سكان ليكسوس على تقوية القوة العددية للمستعمرات القرطاجية وأيضا على ازدهار تجارة الذهب التي كان قد تبناها صوريو ليكسوس لصالحهم.

ويعد دوزانج Jehan Desanges من آخر الباحثين الذين أثاروا إشكالية بامبتوم فذكر بأن العنصر الجديد الوارد في الفقرة 10، - والتي تشكل، وكما كررت ذكره القسم الثاني من الرحلة البوليبية - هو نهر بامبتوم المزدان بالتماسيح وأفراس النهر.

وأشار دوزانج إلى إجماع كل من گوتيي وتوفنو وكاركوبينو على موافقة البامبتوم للبامبوك الاسم القديم لجزء من السنغال الأعلى. وفي رأيه أن صعوبة الإبحار نحو السنغال والرجوع منه بينة وستحول دون بوليب وتحقيق هدفه خصوصا أنه كان لا يتوفر إلا على خمسة أشهر ليخرج من قرطاج ويعرج نحو المناطق المدارية ويقفل راجعا نحو بلاد اليونان. والأكثر من هذا أن يسكت الرحالون عن ذكر المعلومات المتعلقة بالمنطقة الممتدة بين درعة والسنغال والتي تقدر مسافتها ب 1900 كلم، فسيكون هذاالصمت من الأمور الغريبة.

وذكّر دوزانج بمقارنة موني الذي وافق البامبتوم عنده نهر ماسة وذكّر أيضا بمطابقة بديش لهذا النهر مع نهر الساقية الحمراء.

وفي اعتقاده أن أنهار الجنوب المغربي وشمال موريطانيا لم تحتو على أفراس النهر خلال العصر النيوليتي، ويعد دوزانج فرضية بديش من الفرضيات المعقولة ولكنها مع ذلك تجر إلى القول بأن نهر الساقية الحمراء كان أقل جفافا مما هو عليه اليوم.

وإذا افترضنا أن نهر السنغال من منبعه إلى مصبه حمل في اللغات المحلية وطيلة العصر القديم اسم بامبتوم. فهذا الرأي يحتاج إلى المزيد من البرهنة.

ودوزانج الذي ساق لنا نظرية ألي Aly نعرف بواسطته بأن هذا الأخير قدم تعريفا مخالفا لتعريف من سبقه، فمصطلح بامبتوم يعني بالنسبة له «النهر الذي يفدي، أو يزدان بكل الاشكال الحية» وبهذا التفسير والشرح سيكون نهر البامبتوم قرين النيل المغذي لكل الأشكال النهرية. وستنطبق المواصفات المقترحة على نهر درعة Darat أو Daras المصادر القديمة، والذي قال عنه بول أوروز Paul Orose بأنه النيل عند منبعه وبأنه يحتفظ بكل وحيشة النيل.

وشجع على الوقوع في الخلط بين درعة والنيل وجود نهرمغربي يحمل اسم نگول Nuchul أو نوهول Nuhul والذي حمل أيضا اسم نونك Nunc ويرافق وادنون أو نول ويذكراسمه بالنون الاسم الهيروغليفي للنيل.

ونقف عند الخلط بشكل أكثر جلاءً عند بول أوروز نفسه الذي قال بأن درعة هو أيضا نوهول Nuhul.

وإذا تصفحنا كتابات فيتروف Vitruve ق I م، نجده ينفي نفيا تاما وجود أفراس النهر خلال العصور التاريخية بالأنهار النابعة من الأطلس المغربي.

وحسب دوزانج يمكن أن يكون الحديث عن التماسيح هو الذي جر بشكل آلي للحديث عن أفراس النهر إذ أن الرحالين افترضوا بأنهم يتعاملون مع وحيشة نيلية من

مميزاتها وجود الصنفين من الوحيشة معا. ويمكن أن نفترض بأن بوليب سمع عن نهر السينغال من الرواية بدون أن يكون قد وصل إليه. والفرضية الثالثة هي أن بلين جمع معلومات تقليدية وذكريات خرافية باعتماده رحلة حانون أو أوتيمين وليس رحلة بوليب. ولا يمكن أن نستثني مع دوزانج الإمكانية الأخيرة. ومفادها أن النهر الذي يغذي كل الاشكال الحية لن يكون إلا نهر درعة بتماسيحه، وجاء التعريف بخصوصية النهر في الفقرة 9 من الكتاب 5 لبلين. وهكذا فلن تكون الفقرة 10 من نفس الكتاب سوى إعادة مفخمة للأولى أراد واضعوها وهم شارحو رحلة بوليب أن يجعلوا نهر درعة نيل المحيط الأطلسي.

ولن نفاجأ بما انتهى إليه منطق التحليل، فأهمية درعة متفق عليها، وقد أثيرت من خلال مجموعة من الكتابات القديمة، وأكدتها الدراسات المعاصرة.

ونعته الكتاب القدماء تحت تسميات عديدة وإن كان معظمها لا يختلف كثيرا عن التسمية التي لازالت منتشرة ليومنا هذا : درعة.

حمل نهر درعة عند حانون اسم نهر ليكسوس وميز انطلاقا منه بين صنفين من السكان : المستقرون المتحضرون (اللكستيون) والرحل وغير المتحضرين (الأثيوبيون وسكان الكهوف). وعرف النهر عند بوليب تحت اسم درعات Darat، تفترض أن يكون مصطلح بامبتوم البوليبي بدوره مرادفا آخر لدرعة بما أن الرحالة تحدث عن النهر في الفقرة 10 من كتابه 5 مباشرة بعد انتهائه من الكلام عن الجيتول الدرعاي، والايثوبيين الدرعتيتاي.

وحمل النهر عند فتروف اسم Dyris وبذلك يكون فتروف قد خلط بين المصطلح الدال على النهر والمصطلح الدال على جبال الأطلس. وسمي النهر زمن بطليموس دراس Daras.

ونجد بنهر درعة وإلى حدود عصر بلين القديم (ق I م) تماسيح صغيرة ? Varans وقد علق العاهل يوبا الثاني جلودها بالمعبد المخصص لعبادة الإلهة المصرية إزيس Isis بعاصمة ملكه القيصرية (شرشل). وللتعريف فبلين القديم هو نفسه الذي أخبرنا بهذه المعطيات، والمعروف أيضا بأن هذا النوع من الوحيشة - وحسب گوثيي - استمرار لزمن طويل بالصحراء المغربية، وإذا كنا لا نجد إلى جانبها أفراس النهر، فلن نعثر على أفراس النهر بنفس الوفرة التي كانت عليها فيما مضى من الزمن بالسنغال. ولذا وحسب روسو Rousseaux ليس من اللازم أن نغامر حتى السينغال لنبحث عن نهر له خصوصيات مدارية. وفي رأيه أن نتوقف عند واد سوس الأقرب من موگادور فهو النهر المناسب وله المناخ الملائم لاحتضان هذه الوحيشة.

ونتساءل بدورنا لما لا نقف عند نهر درعة؟ فهو من خلال معظم الدراسات المعاصرة النهر الجنوبي الوحيد الذي تجرى فيه المياه طيلة السنة، ومجراه الطويل يشكل حدا فاصلا بين صنفين من السكان : المستقرون والرحل.

وهكذا يكون ليكسوس حانون، النهر الغريني، قد حمل عند بوليب تسميتين هما : درعة وبامبتوم وعند غيره تسميات عديدة نقرأ منها : دراس، دريس، نوهول. ولكن قدر للمصطلح الأكثر ترددا من خلال المصادر القديمة أن يعمر طويلا ويصل إلينا مع تغيير طفيف لحق بالأساس الحرف الأخير وذلك باستبدال الصاد أو حذف الألف فحصلنا بدل مصطلح درعات Darat ودراس Daras على مصطلح درعة الذي لا ندري هل هو مصطلح محلي استقاه بوليب من المنطقة التي حل بين سكانها ؟... وإذا كان الأمر كذلك هل يلزمنا أن نغوص في دلالات المصطلح؟....

M. Besnier, *Geographie ancienne du Maroc, A. M,* I, 1904, p. 345-346 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, Gallimard, 11e ed, p. 106-108 ; M. Clerc, *Massalia : Histoire de Marseille dans l'antiquité*, Marseille, 1927, p. 395-397 ; J. Desanges, *Recherches sur l'activité des Méditerranens aux confins de l'Afrique (VI e au IVe ap. J.C)*, Ecole française de Rome, 1978, p.141-142 ; S. Gsell, *Herodote : Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord*, Alger, 1915, t : I, p. 131 note 1, p. 295-302, p. 395-316, p. 475 note 2 et p. 484 note 8 ; R. Mauny, *Autour d'un texte bien controversé : le Periple de Polybe (146 av. J.C)*, *Hesp, XXXVI*, 1949, 1er, 2em trim, p. 60-61 ; P. Pedech, *Le Voyage de Polybe en Afrique*, *R. E. L.* XXXIII, 1955, p. 328-329; Rousseaux, *Hannon au Maroc*, *R. A*, 1949, p. 228-230 ; R. Thouvenot, *Defense de Polybe*, *Hesp* XXXV, 1948, p. 79-92 ; *Le temoignage de Pline sur le périple africain de Polybe*, *R. E. L.* XXXIV, p. 88 ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparèe de la Maurétanie tingitane*, 1876, p. 119-121 ; Vivien de St Martin, *Le Nord de l'Afrique dans l'antiquité grecque et romaine*, 1863, p. 340-41, p. 386, p. 422-23 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, 1924, p. 21-23-34-40-41.

بلكامل البيضاوية

باني (جبل) - جغرافيا- يعتبر جبل باني سلسلة جبلية طويلة تقع جنوب الأطلس الصغير، ولها الاتجاه الشمالي الشرقي - الجنوبي الغربي. وهو جزء من الأطلس الصغير الذي ينتمي بنيويا إلى القارة الافريقية. وترجع الروايات الشفوية تسميته بجبل باني إلى اسم قائد إحدى القبائل تسمى «المغرطيين». هذا القائد يدعى «باني»، استقر بجيوشه تحت أقدام هذا الجبل لكي يغزو قبيلة أخرى. وبعد أن تم الغزو وبطش بهذه القبيلة بطشا، أخذت تدعى هذا الجبل «باني».

والأطلس الصغير الذي ينتمي إليه هذا الجبل كتلة جبلية تمتد جنوب المغرب في العروض المتوسطية عند حدود المجال الصحراوي. تمتد هذه الكتلة على مسافة كبيرة من المحيط الأطلسي غربا إلى تافيلالت شرقا، تحيط بها هضاب توافق الغطاء الرسوبي الذي تغلب فيه الطبقات الكربوناتية والكلسية والدولوميتية. ويرجع بناء هذه الهضاب إلى تسطيح تحاتي أصاب الهوامش الرسوبية لكتلة الأطلس الصغير في نهاية الزمن الثالث. وهذا التسطيح امتد شمالا تجاه سهل سوس، وجنوبا تجاه أحواض واد درعة، ناتج عن التعرية الانتقائية التي أتت على حساب الصخور الهشة. وهذا أدى كله إلى أن تتحول الهوامش للأطلس الصغير إلى منخفضات تمثل السهول المحيطة بها، تتسع وتضيق حسب المناطق، تكسوها الرمال وتخترقها أودية جافة. كما تقل بها الأعشاب وينعدم بها

الغطاء النباتي ويطلق عليهاالفيجات وتتوسط هذه السهول أشرطة طولية بارزة هي عبارة عن عوارض طويلة وإفريزات حادة، تتوافق والدكات الكوارتزية والحثية، هي التي أعطت جبل واركزير وجبل باني.

وجبل باني هذا يمتد من مشارف المحيط الأطلسي غربا في منطقة واد نون إلى جبل صغرو في شمال زاگورة على الجبهة اليسرى لواد درعة. ويتجه أولا نحو الجنوب الغربي لكي ينعطف في منطقة واحة فم زگيد نحو الغرب مشكلا خطا موازيا لوادي درعة وعلى هيئة حائط. ويبلغ ارتفاعه ما بين مترين وثلاثمائة متر فوق الأراضي المجاورة. وتتسع قاعدته إلى ما بين كيلومتر وكيلومترين. ولعل ما يميز هذا الجبل هو تقطعه ما بين مسافة وأخرى إلى ما يعرف بالفوم، هذا التقطع تستغله أودية جافة تشكل روافد واد درعة. وتتعامد مع الوادي كأنهار موافقة للبنية. وعلى هذا الفوم تستقر مجموعة من الواحات على طول جبل باني يستغل سكانها المياه الجوفية التي تخرج على شكل عيون في هذه الأودية. وتتمثل هذه الواحات في واحة فم زگيد، أگادير تسنت، طاطا، أقا، إيشنت وفم الحصن، وبهذه الواحات يصبح جبل باني جبلا مشهورا في الحافة الجنوبية للاطلس الصغير. ويعتمد سكان هذه الواحات على زراعة مسقية في قعور هذه الأودية. هذه الزراعة هي عبارة عن حبوب كالشعير وأشجار مثمرة وأغلبها النخيل ثم الحناء.

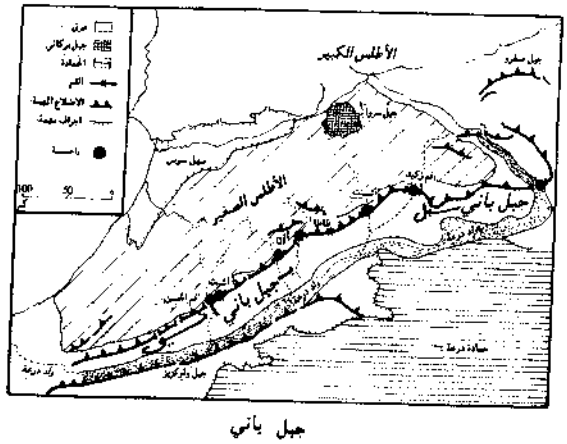

جبل باني

الجانب البشري : إن أهم جانب من تاريخ هذه الواحات مجهول، وخاصة ما يتعلق بالعصور القديمة والوسطى. إذ لا يمكن الاعتماد في دراسته إلا على ما أثبتته بعض الدلائل كالنقوش والرسوم الموجودة بالإقليم في تيكان بطاطا والمغيمية بتسنيت أو ما يأتي به القصص الشعبية، حيث توحي بأن هناك وجوداً بشريا وحضارة، ولم تكن هذه المنطقة في تلك العصور الأولى قد بلغت درجة الجفاف التي بلغتها الآن. ومن هذه الحضارة البائدة آثار قبور يهودية كقبر "النبي دنيال" في تگموت، والمسمى واركناس في ضواحي أسانن بالإضافة إلى معتقدات قديمة تركت بعض مظاهرها المتمثلة في بعض التقاليد، منها اشغال النيران على قمم الجبال في أعياد عاشوراء.

وجاء الإسلام ومعه خضعت المنطقة للحكم الإسلامي ولعبت دوراً مهماً في التجارة بين المغرب والسودان. وذكر البكري (القرن 5 هـ) أن عبد الرحمان بن حبيب والي الأمويين بالمغرب سنة 745 هـ قد سطر معالم الطريق الرابطة بين سوس وإفريقياالسوداء، تلك الطريق التي تمر بأراضي طاطا. وهذا دليل قاطع على أن الأمويين لهم نفوذ وصل إلى هذا الإقليم، وان طاطا بحكم موقعها لعبت دوراً في التجارة لكونها تعد ملتقى القوافل الوافدة بين فاس ومراكش ومنها إلى سوس فإلى إفريقيا السوداء والعكس، وأن نفس المؤرخ ذكر مدينة تَامْدلتْ المشهورة في التاريخ والتي توجد بواحة أقا جنوب طاطا، إذ قال في ذلك : "وبقبلي إگلي وعلى ست مراحل منها مدينة تامدلت أسسها عبد الله بن إدريس بن إدريس وهي سهلية عليها سور طوب وحجر وبها حمامان وسوق عامرة ولها أربعة أبواب... وبها معدن فضة عزير كثير المادة".

ويتضح من هذا أن الأدارسة هم الذين بنوا هذه المدينة وبهذا وصل نفوذهم إلى المنطقة. كما أن بجانب مكان هذه المدينة بالجبل المسمى العدانة معادن الفضة تستغل بطرق عتيقة. كما أن المختار السوسي في *المعسول* أكد أن الأدارسة هم الذين بنوا مدينة تَامْدلت. كما أن أحمد المنصور الذهبي السعدي حينما غزا السودان، وبعد رجوعه من تنبكتُ مع أسارى الحرب كلف قائداً له بإصلاح ماهدم من مدينة تامدلت لأنها منطلق الحركة السعدية الأولى. كما تقول بعض الروايات الشفوية إن أغلب سكان هذه الواحات خاصة طاطا وأقا هم من النازحين من هذه المدينة بعد أن تدهورت واضمحلت ولم تعد تلعب الدور الهام الذي كانت تلعبه. لهذا فإن تاريخ المنطقة كان مهملا أيما إهمال، رغم أهميته وارتباطه بأحداث المغرب العامة وتاريخه عبر العصور والحقب ارتباطاً وثيقاً.

لهذا يمكن القول إن الانسان استوطن الجنوب المغربي ومن بينه الواحات منذ أقدم العصور، ونظراً لموقعها الهام على الطريق التجاري للمغرب والسودان في الماضي، فقد تركزت فيها قبائل مختلفة بربرية وزنجية يربط بينها الدين الإسلامي الحنيف. كماعرفت القبائل العربية التي هاجرت من الجزيرة العربية خلال العصور الوسطى وهي فروع قبائل بني معقل. فهي عبارة عن رحل يجوبون الصحراء ويستوطنون مشارف وادي درعة، جاؤوا إلى المنطقة في فترات مختلفة وعاشوا في البداية حياة الترحال والرعي والغزوات. وكانوا يفرضون الضرائب على سكان الواحات ويغيرون عليهم. إلا أن عدة عوامل قد أرغمتهم على التعايش السلمي مع سكان الواحات والاستمرار إلى جانبهم، وأشهر هذه القبائل، إدويلال، وأيت جلال، وأيت اسا في واحة طاطا، وتسنت، وأولاد يحيى الرحالين في فم زگيد، وأيت أمريبض في أقا. اضطر هؤلاء إلى الاستقرار إما تحت ضغط الجفاف أو تحت ظروف التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفها المغرب إبان فترة

الحماية وخلال فترة الاستقرار وخاصة بعد استرجاع المغرب لصحرائه حيث أصبحت المنطقة تحت تهديد بعض الحملات العسكرية.

إن استقرار السكان في الواحات عادة ما يتخذ شكل جوانب العيون أو على شكل تجمعات بشرية كثيفة، وهم يستغلون بقعاً أرضية جد صغيرة يزاولون فيها زراعة مختلفة تجمع ما بين الأشجار المثمرة وأغلبها النخيل، والحبوب (الشعير) والخضر والفصة والحناء. أما السكن المنتظم على شكل دواوير فيحاط بالأسوار في بعض الأحيان. ويتكون القصر من عدة مساكن مجمعة لها أزقة ضيقة مغطاة بقناطر من جذوع النخيل تؤدي إلى الأبواب الرئيسية للقصر. وتتوسطه ساحة كبيرة غالباً ما تكون أمام المسجد الكبير تستعمل للأفراح والمناسبات ويقام فيها حفلات أحواش وما إلى ذلك. كما تظهر بعض الأبراج العالية من حين لآخر في بعض القصور، وأغلب المنازل تتكون من طابق أو طابقين، حيث لم تسمح مادة البناء أي "التابوت" من تشييد أعلى من ذلك. والغاية من استعمال هذه المادة في البناء هي أنها مادة مقاومة للحرارة المفرطة وتسربها إلى داخل البيوت خلال الصيف.

إلا أنه نظراً للظروف الاقتصادية والاجتماعية والتطور الذي عرفته هذه الواحات في العقود الأخيرة وقع تطوير شكل البناء سواء من حيث الشكل أو مواد البناء. فهناك ظهور مسالك جديدة واسعة وذات أزقة عريضة تستجيب للحياة العصرية واستعمال بعض التجهيزات الحديثة في الداخل كالكهرباء والمطبخ العصري أو في الخارج كاستعمال السيارات والدراجات النارية.

كما أن الواحات عندما كانت تجوبها قبائل الرحل، كانت الخيام تنصب هنا وهناك في كل أطراف الواحات. غير أن الاستقرار الذي عرفته أغلب أسس هؤلاء أدى إلى تقلص عددها وأهميتها وأزيل هذا النوع من السكن ولم يعد يظهر إلا في المناسبات والأفراح، كما تنصبها بعض الأسر داخل منازلها حفاظاً على تراثها وتقاليدها، لكن، على العموم فالسكن القروي بالواحات تنقصه بعض التجهيزات كالكهرباء والماء الصالح للشرب، إذ لم يتأت هذا إلا للمركز الحضري طاطا مقر الإقليم أو مقر الدوائر كفم زگيد وأقا بعد أن أحدث إقليم طاطا في شهر يوليوز 1977.

كانت أجزاء هذا الاقليم تابعة فيما سبق إلى عدة أقاليم كتزنيت وورزازات وأگادير. وبهذا كانت هذه الواحات مهملة ومهمشة ولم تستفد من التطورات والتنمية التي عرفتها الأرياف المغربية إلا قليلا. ولم تعرف بناء بعض المصالح والأنشطة الاقتصادية إلا في العقود الأخيرة بعد أن ربط الاقليم بشبكات من المواصلات كالطرق المعبدة ومقر الهاتف الأوتوماتيكي مما جعل الواحات تعرف حركة البناء والتجهيز، كما تم في السنوات الأخيرة ربط الاقليم بالشبكة الوطنية للتيار العالي، مما جعلها تفك الحصار الطبيعي المفروض عليها، بحيث إن انتماء الإقليم إلى منطقة المناخ الشبه الصحراوي جعله يعرف ظروفاً طبيعية قاسية مما جعل سكانه يعرفون حركة هجرة قوية، كما هو الحال بالنسبة لسائر الأرياف المغربية، إما إلى المدن الكبرى حيث يتعاطون التجارة أو يعملون في قطاع البناء، وإما إلى أوروبا.

لهذا تبقى نسبة السكان العاملين ضعيفة جداً في الإقليم، نظراً لعدم توفره على الصناعات أو على فلاحة منتجة تتطلب الكثير من اليد العاملة التي تعتمد على المواد الأولية المحلية وخاصة الحيوانية كالصوف والوبر وشعر الماعز أو الفلاحية كسعف النخيل وغيره.

ففي مختلف جهات الإقليم كانت معامل الفخارة نشيطة قبل أن تلقى منافسة المواد البلاستيكية والحديدية، كمعمل تغرمت، معمل تماشت ومعمل تيتي بطاطا. ومعمل أقا رغان وتنرضا وإسرعين بتسنت كما أن هذه القبائل كانت مشهورة في صناعة الأطباق والحصير والقفاف من سعف النخيل. كما أن هناك صناعة الزرابي بفم زگيد. ولا ننسى ما تقوم به قبيلة أيت إحيا المشهورة في تسقيف البيوت بالخشبيات الملونة إما من القصب أو الدفلى على شكل رسوم الزرابي كما أن قبيلة الوگوم تصنع الدفوف المزخرفة من الخشب وتتجر فيها. أما إساڤن فإنه كان مشهوراً بدباغة الجلود وصنع الأحذية وقرب الماء.

أحمد المختار العبادي، *في تاريخ المغرب والأندلس*، دار النهضة العربية، بيروت 1978 : أ. البكري، *المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب* : *مجلة الحياة البرلمانية* السنة الأولى دجنبر 1977، العدد الأول.

مبارك أوسديد

باني - تاريخ - إذا كان من الصعب تحديد تاريخ هذه التسمية فإن المجال الذي تطلق عليه يشمل سلسة من الأعراف الجبلية المأهولة على الحدود الشمالية الغربية للصحراء بالمداشر وأمهات القرى منذ الفترة النيوليتيكية على الأقل. فبمحاذاة وادي درعة تؤكد الحفريات هذه الحقيقة مساندة في ذلك من طرف التحريات الميدانية (A. Jodin, *L'Archéologie* : 14). وهو أيضا ما تتبثه مصادر ما قبل الميلاد مبرزة دور أعراف باني في بلورة المقومات الحضارية لجنوب الأطلس الكبير (J. Desanges : *Pline* : 342 - 346)، لقد جاء امتزاج الكوشيين من الأحباش بالأمازيغ (إزناگن وإگزُولْن) إضافة إلى تسربات البحر المتوسط عبر المحيط المجاور، عاملا حسم في تجديد الدور الكبير لأعراف باني. وهو أيضا ما تفترضه الرواية الشفوية عندما تقر بأن أگرْض بواحات وادي أقا تعد أقدم مركز عمراني عرفته السلسلة منذ أقدم الأزمنة. ويتضح أن سيطرة الأمازيغ على الأحباش خلال القرون الأربعة الأولى التي سبقت الميلاد هيأت لالتصاق هؤلاء بالمجال القروي. لقد أصبح الأحباش يمثلون يومئذ الغور السكاني المنتج

الوحيد لمواد الاستهلاك الفلاحي. فنجدهم قد استعملوا الحجر الكلسي الرقيق في بناء قلعة أسا مخلفين بذلك أهم مؤشر على التشابه القائم بين هندستهم وهندسة مصر وحضرموت القديمتين. أما مخلفات الآبار القديمة المنتشرة فإنها تدل على دور الأمازيغ في تنمية قطاع الترحال الرعوي ومنتوجاته. فقد جعل منهم وصول الجمل إلى المنطقة أسياد الصحراء الأطلسية. لم يجد الجغرافيون أي حرج في الحديث يومها عن الأعداد الكبيرة من المراكز العمرانية المؤهولة. بل إن شهادة Pline بوجود مدينة درعة لتعد في حد ذاتها تتبيثا لاستمرارية الطابع العمراني الغالب على هذه السلسلة الجبلية (J. Desanges : *Pline* : 342 - 346). لقد أكدت الوثائق اليهودية القديمة هذه الحقيقة عندما ربطت دور أقا حوالي 580 سنة قبل الميلاد بتمرير البضائع من وإلى الفينيقيين. فالوثائق القديمة تجد اليوم سندها في نتائج الحفريات التي تصب أيضا في دور الاستغلال المنجمي القديم في ترسيخ الغور السكاني. (G.S. Colin, *Les Mines*, 194 - 200 ; B. Rosenberger, *les vieilles*. ; D. M. Dunlop, *Sources*, 44 - 45)

إن هذا التجاوب بين المعطيات الجيومورفلوجية والثروة المعدنية يشير إلى حد مّا دور منطقة باني في تطوير البنيات الاقتصادية وبلورتها سياسيا واجتماعيا، وهو عامل أساسي يحدد بدقة الصيرورة الانتقالية التي ستعرفها منطقة جنوب الأطلس الكبير. إن تسمية تمنارت ـ الحد الفاصل بين الصحراء وما عداها ـ التي كانت مستعملة بشأن بسيط ومداشر وادي هام بمنطقة باني خلال القرن الخامس (11م) (البكري، *المسالك*، 308 - 316) لتصب في نفس الاتجاه. فنحن هنا أمام تأكيد جازم لدور واحات وأعراف باني في الحد من تسرب الصحراء واستقرار المراكز المحلية وتتبيث الغور السكاني. لقد وصل الإسلام ليجد أمامه مجالا قرويا مخضرا هو أبعد ما يكون عن الواقع العمراني للقرون اللاحقة (ابن عذاري، *البيان*، 1 : 365). ولن تلبث دور السكة أن تؤكد الأهمية الاستراتيجية للموقع منجميا وفلاحيا وتجاريا وعمرانيا. فبمدن درعة وتامدلت وتمنارت وأسا ازدهر قطاع البحث والاستغلال المنجمي وتطورت الطرق الاعتراضية لتجعل من باني صلة وصل بين سجلماسة بتافيلالت ونول لمطلة بوادي نون وتارودانت والمحمدية وإگلي بسوس. بل إن من الأهمية بمكان تحديد دور تامدلت كنواة عمرانية وسلالية تلتقي عندها أغلب الفصائل الجزولية السوسية حسب مقولة الرواية الشفوية. فهذه مدينة تاريخية ماتزال تجسد رغم انقراضها رمز ارتباط الغور السكاني السوسي بمجاله القروي منذ أبعد الفترات، وهو موضوع يقفز تدريجيا وباستمرار إلى واجهة الاهتمامات المعرفية والأبحاث الأكاديمية.

ففي إطار الاهتمام الآني بقضايا التحديد الإثني (السلالي) من خلال مختلف الممارسات الاجتماعية المرتبطة تمثل تامدلت ومن خلالها أعراف باني السلطة التاريخية التي يستمد منها لف إگزولن رموزه الانتمائية.

لقد عرفت سلسلة باني بعد انحطاط تامدلت في بداية القرن الرابع عشر الميلادي تفتت الوحدة الإثنية والعمرانية للغور السكاني. ورغم ارتباط الأحياش بواحاتهم وازدهار بسيط أقا النسبي، فإن الرواية الشفويج والمساجلات الشعرية بين لفي اگزولن وتحگات ماتزال تركز على أهمية تامدلت في بلورة التفاعلات البشرية وحجم المد الصوفي (V. Monteil, *Gens*, 385 - 400 ; B. Rosenberger, *Tamdult*). إن الموقع الاستراتيجي لباني في الواجهة الأمامية لمسالك الصحراء لم يحل دونه والتضرر من مضاعفات انجراف تجارة القوافل خلال القرن الرابع الميلادي نحو الشرق (L. Massignon, *Le Maroc*, 194). وهي فترة عانى خلالها المد المعقلي من صلابة التماسك السكاني حيث شكل الغور المحلي منيعا لم يسمح بالتسربات المعقلية الكبرى. فوحدة نظام التحالفات القائم الذات منذ ما قبل الميلاد سمح لإذاويلال وأيت حريبل وأيت أمريبط الأمازيغيين بفتح ثغرة في هذا السد. بل إن نظام التحالفات نفسه قد ازداد تجذرا حيث أقدم إعزّى ويهْدَى مؤسس قبيلة أيت أسا خلال القرن السادس / الثاني عشر، بمراقبة مرتفعات أسا بعد أن أحكم تطويقه للمواقع والمداخل الهامة. وهي إنجازات يضيق المجال عن الإحاطة بها. ونكتفي بالتأكيد على دور الخصوصيات القرابية لبطون إميضن (المطة) وإگزولْنْ (جزولة) في تطويق كل المحاولات الاستيعابية للأعراب. فمن بين الحلقات البارزة لهذه الخصوصيات، تلك التي أشارت إلى استمرارية البنيات الأميسية لدى عائلة إعزّى ويهْدَى المتدينة فاتحة بذلك باب المقارنة مع مختلف الفصائل الجنوبية الأخرى (*المعسول*، 10 : 166 - 211).

هذه المعطيات تعزز في نفس الوقت من الدور الديني لمتصوفة وزوايا باني في ترسيخ المد العقائدي. وهنا لابد من الإشارة إلى أن مدونة زاوية أسا تشكل نموذجا حيا من النصوص التي تكشف دونما حرج معطيات موضوع تطلب لم شعث نصوصه وتحديد إشكاليته المحورية. فمدونة أسا تتسم بالارتباط بالذات باعتبارها منطلقا للمعاودة والتفاعل بالبيئة المحملة لدلائل التأثير والتأثر. فبتركيزها على مراحل تطور مجاهدي أيت إعزّى ويهْدَى تكشف المدونة سلوكا ثقافيا إنسانيا يتصل بالفكر ويحدد منهجا لدراسة التطور الصوفي والسياسي لأعراف باني. يمكن لنا أن نتتبع تأثير أيت إعزّى ويهْدَى في تطوير مفهوم الجهاد كضرورة مقدسة بمجمل سوس ووادي نون والساقية الحمراء. ومن حيث هي كمرحلة استقرائية يجد المد الصوفي امتداده فيما سيسعى إليه متصوفه المنطقة اللاحقون. وهنا يعد سيدي امحند أبراهيم الشيخ دفين تمنارت خلال القرن العاشر / السادس عشر.وهو القطب الثاني لجنوب الأطلس الكبير أحد النماذج الأساسية التي أعطت مضمونا فعليا لتسيد الغور على تراث المنطقة. وتعد معرفة هذه

النماذج ضرورية لتحديد الرؤية المحددة المتداخلة بين زوايا المنطقة وارتباطها بالذات. هذا المنظور يضيف إلى عرض المواقع الجهادية وأهمية مسالك التجارة وتفاعل الصراعات الإثنية وتناقض المصالح في الدفع إلى مواجهة المد المسيحي على السواحل خلال القرنين السابع والثامن عشر الميلاديين. ونخلص من هذه الفترة إلى أن انجراف تجارة القوافل خلال القرن التاسع عشر نحو مرافيء الساحل الأطلسي شكل عاملا حاسما حوّل المتناقضات إلى كيانات متضادة راسخة. وهو ما يتأكد بصورة أوضح عندما تتجذر أزمة باني في الهجرة وتطور نمط العيش الترحالي (G. Salvy, *La crise*). هذه الإشارة تدل على انكسار الصورة الهيكلية التي ميزت المجال القروي لأعراف باني. لقد عرفت القوانين المجتمعية التي ميزت هذا العمران القروي تغييرا جذريا حكم على الغور القديم بالتفتت وعلى الديناميكية الاقتصادية بالنقصان (D. J. Meunié, *Greniers*, 234 - 236). لقد شكل الانتقال التدريجي من حضارة العمران القروي إلى أقصى أنواع البداوة ظاهرة تاريخية حكمت وحدّت من قانون الالتحام الذي شكل الأصل في نمط العيش القديم.

ع. السوسي السملالي، *مطالع الحسن*، مخطوط خ. ع، رقم 81 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، III، 206، X، 166، XVIII، 167 ؛ *من خلال جزولة*، IV، 9، III، 86 ؛ م. ناعمي، *أيت أسا، إعزى ويهدى، معلمة المغرب*، II، 337، 339، 412، 414، 517، 518.

Ch. De Foucault, *Reconnaissance au Maroc* ; A. Al Murrakuchi, *Histoire des Almohades*, Trad. Fagnan, E, 1893, 309-310 ; L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du XVIe siècle*, 1906, Fagnan, *Extraits inédits relatifs au Maghreb*, Alger, 1924, 46 - 47 ; Cl. Justinard, *Note sur l'histoire du Sous au XVIe siècle, A. M*, XXIX, 1933 ; G. S. Colin, *Les Mines Marocaines et les Marocains, B. E. M.*, n° 13, 1936, 194 - 200 ; Al Yaqubi, *Al Buldan (Les pays)*, trad. G. Wiet, Paris, 1937, 225; V. Monteil, *Gens et choses du Bani, Hesp.*, XXXIII, 1946, 385 - 400 - 405 ; Id. *Chonique de la Zaouia d'Assa*, in *Mélanges Mohamed El Fassi*, Xème Anniversaire de l'Université Mohammed V, 1957 - 1967, Rabat, 81 - 90 ; D. J. Meunié, *Greniers - Citadelles au Maroc*, 1951, I, *Note sur Tamdoult Ouaqqa*, 234 - 236 ; Id, *Le Maroc Saharien des origines à 1670*, Paris, 1962 ; G. Salvy, *La crise du nomadisme dans le sud marocain*, mémoire du CHEAM, n° 1563 ; D. M. Dunlop; *Sources of gold and silver in Islam according to al - Hamadani, S.I.*, 1957, XIII, 29 - 50 ; Ibn Hauqal, *Surat Al Ard*, trad. Kra mers et Wiet, *configuration de la terre*, 1964, 91 : Al Bakri, *Description*, 1965, 308-316 ; A. Jodin, *L'archéologie phénicienne au Maroc, Hesp.*, fasc. unique, 1966, 9 - 16 ; B. Rosenberger, *Les vieilles exploitations minières et les anciens centres métallurgiques du Maroc : essai de carte historique, R.G.M.*, n° 17, 1970, 71 - 108 et n° 18, 59 - 102 ; Id. *Tamdult cité minière et caravanière présaharienne IX - XIVe, H.T.*, 1970, fasc. unique, 103 - 139.

مصطفى ناعمي

بّـانيو، إيميل، Pagnon, Emile ولد هذا المعمر سنة 1876 من عائلة مزارعة كانت تستقر في فينيول Vignols بمنطقة La Corréze بفرنسا، أتم تجنيده العسكري بالجزائر، وفي سنة 1905 أصبح يملك مجموعة من القطع الأرضية في شانزي Chanzy في مقاطعة وهران، وكانت مساحة هذه القطع مائتي هكتار وفي سنة 1910 تمكن من الحصول على رسوم تمليك هذه الأراضي، ويدخل امتلاك الأراضي من قبل المجندين الفرنسيين الذين قضوا مدة في الخدمة العسكرية في إطار مكافأتهم عن خدماتهم في صفوف الجيش، إضافة إلى كونهم يمثلون أداة من الأدوات الفعالة لتثبيت السيطرة الفرنسية الاجتماعية في نظر الاستعماريين الفرنسيين الذين استولوا على البلاد والعباد سواء في الجزائر أو تونس أو المغرب.

في سنة 1908 غداة احتلال الجيوش الفرنسية لوجدة والمغرب الشرقي انتقل پانيو Pagnon إلى مدينة بركان بسهل تريفة الخصيب واستولى على مائتي هكتار.

وفي سنة 1914 زار پانيو أحواز مكناس فأعجب بجمالها وبطبيعتها الملائمة للفلاحة، فاستقر بها مع عائلات أوروبية أخرى، وأنشأ أول ملكية زراعية له في هذه المنطقة في بداية الحرب العظمى، واستغل ظروف تلك الحرب فبدأ يمون بالمواد الفلاحية الجنود الفرنسيين في جبهات القتال فزادت أسباب الرزق، وكسب أموالاً طائلة مكنته من توسيع ملكياته الزراعية حتى أصبحت مساحتها تقدر بألف هكتار، وأهم الأراضي التي شملتها هذه المساحة كانت بتولال ووأد نجا، وأضاف إليها ستمائة هكتار أخرى وبذلك وصلت حدود أملاكه إلى سيدي قاسم، وصار يملك آلاف الهكتارات. تقلب پانيو في عدة مناصب إدارية لها علاقة بالفلاحة، كان أهمها سنة 1924، حين عين رئيسا لصندوق القرض الفلاحي بمكناس، كما عمل على تأسيس عدة جمعيات خاصة بالمعمرين، وكان من بين أعضاء الفرقة الفلاحية الدائمين ـ لانتخابه باستمرار ـ بمدينة مكناس.

ويعتبر پانيو أول معمر أدخل إلى أحواز مكناس زراعة القمح الطري والشوفان حيث جلب بذور هاته الحبوب من سيدي بلعباس بالجزائر.

وبالإضافة إلى الأملاك الفلاحية التي استحوذ عليها پانيو فقد كانت له عدة متاجر ودور بالمدينة الجديدة بمكناس (حمرية) مازال أحد أفراد أسرته إلى الآن يتصرف فيها.

ب. بوعسرية، *أحداث بوفكران*، الرباط 1990.

بوشتى بوعسرية

باها (أيت ـ) : توجد بمنطقة سوس ثلاثة أماكن تسمى بهذا الاسم وهي تتفاوت من حيث الحجم الجغرافي والسكاني من قرية واحدة إلى مجموعة من القرى (فرقة) إلى قبيلة بكاملها.

وكلمة باها وقع نحتها من اسم إبراهيم، وذلك تبعاً لقاعدة معروفة في اختصار الأسماء، وتفيد تسمية أيت باها أن أصل هذه التجمعات السكنية مبني على أساس بشري، أي إنها تنتسب إلى جد أعلى تكون قد تناسلت منه، إما حقيقة أو وهماً. ونظراً لأنها استقرت في موقع جغرافي، فقد أصبح لهذا الاسم مضمون بشري وجغرافي معاً، وهو مضمون مزدوج تفي به كلمة (أيت) الأمازيغية، بحيث يمكن استعمالها بشريا، فتدل كلمة أيت باها على عنصر السكان، كما تستعمل جغرافيا فتدل نفس الكلمة على المنطقة المسكونة.

وتنتظم الأماكن الثلاثة التي تُدعى أيت باها من منطقة جغرافية محدودة لا تفصل بينها مسافات شاسعة وتنحصر في سهل سوس والسفوح الشمالية للأطلس الصغير، وهي : أيت باها أُوْدْرَارْ، وأيت باها أوْمْلال، وأيت باها أوْباها.

ـ *أيت باها أوْبَاهَا* : عبارة عن قرية صغيرة تقع على الضفة اليمنى لنهر سوس وتستفيد فلاحيا من مياهه على شكل سواقي وهي على سمت الطريق الرابطة بين مدينة أگادير وأمسكرود نحو مراكش، وتبعد عن أمسكرود بحوالي 25 كلم، مجاورة لضريح سيدي محمد الشريف.

تنتمي هذه القرية إلى قبيلة مسگينة وفي هذه الجهة كانت تستقر أسرة آل الشداخ المسگينية التي كانت تتولى قيادة القبيلة في القرن التاسع عشر، وبالخصوص في العهدين الحسني والعزيزي، وقد كان قواد هذه الأسرة في صراع مع جيرانهم قواد قبيلة گسيمة وبلغ هذا الصراع أقصاه مع القائد محمد بن الحاج الگسيمي في بداية عهد الحماية حيث أدى إلى انقطاع القيادة من بيت آل الشداخ، ولكنها لم تستمر إلا لفترة قصيرة في بيت الگسيميين.

ـ *أيت باها أوملال* : فرقة من قبيلة هشتوكة الواقعة في السهل، من هنا جاءت نسبه أيت باها إلى أملال : (الرمل) وأحيانا إلى أزغار : (السهل) للدلالة على أن هذه الفرقة من ضمن فرق قبيلة هشتوكة السهل تمييزاً لها عن فرقة هشتوكة الجبل، ومن فرق قبيلة هشتوكة الأخرى إلى جانب أيت باها وأيت عميرة وإداأُمحند وأيت بلفاع وأيت ميلك وأيت إيلوگان وغيرها.

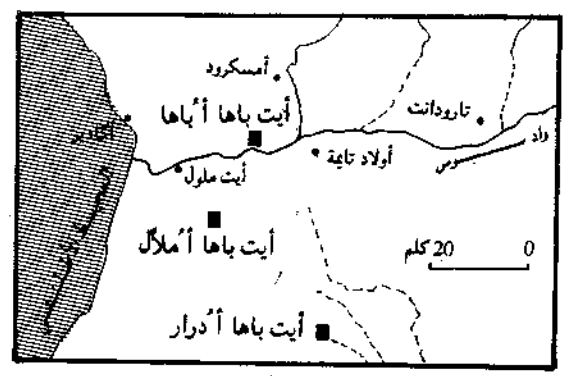

مواقع أيت باها

يبعد موقع فرقة أيت باها عن مدينة أگادير بحوالي 20 كلم، وتمتد رقعتها على طول الطريق الرابطة بين القليعة ودارئرة بيوگرا، وتحدها غربا أراضي فرقة أيت ملول من قبيلة گسيمة الممتدة إلى القليعة، ومن الشرق فرقة إداأمحند التي منها دائرة بيوگرا، ومن الشمال غابة أدميم وحدود قبيلة هوارة، وتحيط بها في الجنوب كل من فرقة أيت عميرة في جزء وإداأمحند في جزء آخر، وتبلغ مساحة أيت باها 1250 كلم وهي كبرى ملحقات دائرة بيوگرا مساحة، وتنتظم قراها في خط يتجه من الشمال إلى الجنوب وهي : أدوزن سعود وأيت مولود والخريبت وأيت حمو وأيت أماليّا وأزدُّو، وإزكريتن وتومشيغال وامهايش وأيت واكمار. ويبلغ عدد سكانها 5704 نسمة (1973).

إن معظم أراضي هذه الفرقة أراض فلاحية خصبة يقع استثمارها من طرف فلاحين محترفين يمارسون الفلاحة العصرية القائمة على استثمار رؤوس الأموال في انتاج مبنى على إنشاء الأروقة البلاستكية المكيفة لتلبية حاجيات التسويق. أما السكان فأغلبهم من العمال المهاجرين إلى الخارج أو النازحين إلى المدن المغربية وبخاصة منها المدن المجاورة مثل أگادير وإنزگان وأيت ملول على التوالي حسب أهمية الاستقطاب تليها مدن أخرى.

ومن الناحية الإدارية تعتبر أيت باها أوملال جماعة قروية مركزها في قرية الخريبت وهي تابعة لدائرة بيوگرا إحدى دوائر إقليم أگادير.

وعلى صعيد التاريخ عرفت هذه المنطقة من هشتوكة أسرة توارث أفرادها منصب القيادة هي أسرة آل الدليمي التي انتقلت من الصحراء إلى هشتوكة بسوس ضمن القبائل العربية التي تسمى أهل سوس، والتي استوطنت جماعات منها بضواحي مراكش والرباط. وكان وجالاتها ينخرطون في أشغال الجيش منذ العهد السعدي ومنهم يتكون القواد والباشوات، وتتوارث بعض الأسر منها هذه الوظائف المخزنية، ومنها أسر آل الدليمي التي توارثت منصب القيادة في هشتوكة، وقد تسلسل قوادها بالخصوص ما بين 1207 / 1793 و1331 / 1913 وكان أبرز قادتهم القائد إبراهيم الدليمي (ت 1307 / 1890) وكان لهؤلاء القادة علاقة المصاهرة بجيرانهم قواد قبيلة گسيمة، واستمر نفوذ هذه الأسرة إلى سنة 1331 / 1913، حيث بسط القائد الناجم الاخصاصي نفوذه على قبائل هشتوكة بتعيين من الشيخ أحمد الهيبة (*المعسول*، 14 : 107) وذلك قبل وصول جيوش الحماية الفرنسية إلى سوس، فآلت قبيلة هشتوكة إلى تنظيم جديد بعد استقرار القائد الطيب الگندافي بتزنيت.

ـ *أيت باها أودرار* : من القبائل المستقرة قديما في الاطلس الصغير، وقد ورد لها ذكر في ديوان قبائل سوس في عهد أحمد المنصور الذهبي باسم «بنو باها» أما كلمة أدرار (الجبل) فإنما ألحقت بها تمييزاً لها عن أيت باها السهل كما سلف.

تقع هذه القبيلة بين قبائل الأطلس الصغير على السفوح الشمالية لسلسلة جبال الگست الأطلسية، على الطريق الرابطة بين أگادير وتافراوت عبر هشتوكة.

تبعد أيت باها أودرار عن أگادير بحوالي 70 كلم وتحيط بها مجموعة من القبائل : أيت مزال شرقاً، وايمشگيگيلن شمالا وهلالة غربا، وقبيلة أيت والياض وأيت واديم جنوباً، ومن بين مداشر أيت باها : مدشر أيت بلقاسم، وأدوز، والجماعت، والقصبت، وأُخريب، وتامغادو، وتيفغلت. ويذكر *ديوان قبائل سوس في العهد السعدي* أن عدد سكانها يبلغ عشرين سرجة وهو ما يساوي 1500 نسمة غير أنه في إحصاء أجرته سلطات الحماية 1936

لم يسجل سوى 659 نسمة، وليس لدينا الآن من تعليل نواجه به هذا النقص في مطلع القرن العشرين، وكذلك ما طرأ في السنة المذكورة نفسها بأيت باها من مطاردة سكان القبيلة وسجن أغلبهم بسبب حركة مقاومة أيت باها للتدخل الأجنبي كما سنذكر لاحقاً.

وبخصوص سكان المنطقة فإنه رغم تشبثهم بالإسلام ونفورهم من الأجنبي يلاحظ وجود جالية يهودية ضمن أقدم جالية استقرت بسوس، وسكنت كثيراً من القرى والمداشر نتيجة ما كان يتمتع به اليهود من الحرية في السكن والامتلاك والبيع والشراء وترويج النقود، وكان أيت باها وأيت ولياض من بين المناطق التي لليهود فيها دور في الحياة التجارية.

وقد اشتهر سكان هذه الجهات ـ عموماً ـ بفعاليتهم في الميدان الاقتصادي وبالخصوص قبائل أيت باها وأيت مزال وأملن وتافروات، فقد أنجبت هذه القبائل كثيراً من التجار ممن لا يزال دروهم المالي قائماً حتى الآن، في مختلف المدن المغربية، وهو أمر أصبح موروثا في كثير من الأسر، فقد صادف شارل دوفوكو Ch. De Foucault سنة 1883 أسراً تجارية بأيت باها وأملن وبالخصوص بأيت سعيد على ضفة أسيف نايت مزال، كما أن المختار السوسي يذكر أن من بين سكان أيت باها كثيراً من الأثرياء أمثال محمد بن داود، وابنه علي، وقد توفي هذا الأخير سنة 1366 / 1947.

ولقد أدى تركز الأموال وترويج البضائع إلى نشوء مركز تجاري بأيت باها حيث تعقد سوق أسبوعية تقام يوم الأربعاء عرفت بأربعاء أيت باها، وتعتبر بحق محطة كبرى لتزويد مختلف قبائل الأطلس الصغير بالمواد التجارية، بواسطة التجار المحليين المتعاقدين مع تجار الصويرة منذ القرن التاسع عشر ومع تجار الدار البيضاء ابتداء من مطلع القرن العشرين.

لم يضطلع هذا المركز بالدور التجاري فحسب وإنما كان له دور ثقافي وديني، وكانت المدارس العتيقة في هذه الجبال منبع إشعاع وبالخصوص في إداوكثير وأيت مزال حيث مدرسة تيمزگيدا وأسيف. وكان مركز أيت باها يستقطب أكابر الفقهاء، ومن العادة أن يحضروا يوم السوق الأسبوعية للفصل في النوازل والأحكام الشرعية المتعلقة بالتركات وغيرها من الحقوق، وقد اشتهر في هذا الباب فقيه إداوكثير سيدي محمد بن الحسين الأسغركيسي، وكان يحضر للمركز بقصد الإفتاء وتحرير الأحكام حتى عزلته سلطة الحماية، ثم انتدب لذلك الفقيه محمد بن محمد الكثيري الذي كان يحضر في محكمة أيت باها على مضض، وبعد حصول المغرب على الاستقلال عين قاضيا بمحكمة أگادير الابتدائية حتى أحيل على المعاش، في بداية السبعينات.

وكان لأيت باها أيضا دور سياسي وإداري، فمنذ بداية الاحتلال الفرنسي لهذه الجهة، ونظراً لما كان لموقعها من أهمية بادرت سلطة الحماية إلى تأسيس مركزها الإداري هناك، وبواسطته استطاعت تركيز نفوذها السياسي ومراقبة سكان القبائل المنتشرة في تلك الجبال. وكان الوجود الأجنبي مرفوضاً لدى السكان، وقد انبعثت في تلك القبائل حركة المقاومة الوطنية التي كادت تعصف بالوجود الفرنسي في هذا المركز.

باها (أيت ـ) ـ معركة ـ يمكن تصنيف هذه المعركة ضمن المعارك الوطنية التي خاضها المغاربة ضد الاستعمار الأجنبي في مختلف الجهات، وقد اشتهرت في سوس مقاومة إداوتنان وأيت عبد الله وأيت باها وأيت باعمران وهوامش الصحراء. ومعركة أيت باها هذه لا نجد لها ذكراً في كثير من الكتابات المغربية باستثناء ما لدى محمد المختار السوسي (*المعسول*، 17 : 263 . 265) وتناقلت الروايات الشفوية وبعض الأهازيج وقائع هذه المعركة على المستوى المحلي، وتتفق هذه الروايات على سرد كثير من التفاصيل المأسوية غير أن وصف الشاعر رزوق كان وصفاً بليغاً في إحدى قصائده المشهورة التي غناها تحت عنوان "القصت ن أيت باها". ولا بد أن تبقى آثار هذه المعركة مدونة في حلقات الحماية المحفوظة في وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية، مما لم نتمكن من الاطلاع عليه بعد.

لقد أثار الوجود الفرنسي في مركز أيت باها الإداري حماسة القبائل المجاورة التي ترفض الاستعمار، ووجدت هذه الحماسة في شخصية الفقيه الحسين بن الطيب البوشواري محور الاستقطاب، فالتف حوله أولا بعض الأفراد مثل الحُسْ أُعمار وإبراهيم بن السي أحمد المزالي، والحاج عبد الله الولياضي، وعثمان الصوابي، ولقد اشتهر عن هذا الفقيه أنه يرى ضرورة تحرير البلاد من هذا المحتل، وكان ينادي بمحاربة الاستعمار، فشاع ذلك في الناس بسرعة، وعلى الرغم من الكشف عن أعماله من قبل استعمالات المراقب المدني، واستدعائه للاستجواب في مركز تانالت، فقد سُرِّح وأهمل أمره بدعوى أنه لا يشكل أي خطر.

لكن هذه التقديرات الاستعمارية كانت خاطئة لأنه سرعان ما استفاد من أحد المواسم المحلية الهامة الذي يقام قرب ضريح السيدة فاطمة تعلاط لأغراض دينية وتجارية، فنادى في الناس آن يلتحق به كل من يرغب في الجهاد، وكان الناس يكرهون الاستعمار فاستجابوا لندائه واجتمعت جموع كثيرة من مختلف القبائل فتوجهت إلى ثنية سيدي عبد الله بن سليمان بأيت ولياض، وبعد صلاة الجمعة تأجج حماس الناس الديني والوطني، فانعقد شبه مؤتمر وضعت أثناءه ترتيبات الحملة المزمع القيام بها لمهاجمة الأجانب في مركز الحكومة بأيت باها.

وفي غياب الوثائق اللازمة لتحليل مثل هذه الأحداث الجماعية يمكن أن نتتبع ذلك من خلال مختلف الروايات. ونستخلص منذ الوهلة الأولى أن المعركة ليست لها قيادة محددة معروفة، كما أنه لا تتوفر عناصر مؤهلة لمثل هذه القيادة، فإلى جانب الأسماء السالفة الذكر تضيف الروايات

وجود بعض شيوخ القبائل أمثال : الشيخ موح ن عگور الكثيري، وحماد بن المختار الإيلالني، وسليمان بن بيهيا من أيت فلاس وسعيد بن أبي الشعر المزالي، لكن كل هؤلاء لا يتوفرون على الخبرة اللازمة لمهاجمة مركز مسلح.

كانت الاستعدادات تشمل إحضار بعض الأسلحة العتيقة على قلتها وبالخصوص بنادق (بوشفر) وأنواع من السلاح الأبيض، وكان الفقيه البوشواري يلوح في كلامه بأن المجاهدين سينتصرون (بجيش خفي). ومن المعلوم أن المركز يحتوي على مخزون من الأسلحة وكانت الخطة مبنية على أساس الاستيلاء عليه واستعماله فور نجاح الهجوم.

كانت هذه التحركات غير خافية على المراقب المدني بل كان على علم بما يجري بواسطة شيخ قبيلة أيت وادريم، ومع ذلك لم يعر المسألة كامل الاهتمام، وربما يرجع ذلك إلى أن مثل هذه التجمعات الوعظية تكون مألوفة في فترة المواسم الدينية عادة.

وفي نفس اليوم تكاثر عدد الوافدين من شتى القبائل وقرروا الهجوم ليلة الجمعة 20 مارس 1936، وكان المهاجمون شبه عزل باعتبار أنهم لا يحملون سوى أنواع من السلاح الأبيض إلى جانب بعض البنادق العتيقة، وزحفوا نحو المركز الإداري في أول الليل.

كان المركز الإداري بأيت باها محصناً وله باب رئيسي وأبواب ثانوية، وفي هذا التاريخ بالذات (1936) كان إحصاء موظفيه يبلغ حوالي مائتي موظف، منهم 22 فرنسياً و35 يهودياً و138 مسلماً وتشمل المراقب المدني وهو من العسكريين وكذا مختلف الرتب الوظيفية وعدداً من الجنود، ويعتبر عدد الموظفين مرتفعا بالقياس إلى عدد سكان القبيلة إذ يشكل 30٪ تقريبا مما يفسر أن هذا الطاقم كان موجهاً لمراقبة مختلف القبائل المنتشرة في هذه الجبال.

ورغم وجود كثير من هؤلاء الموظفين داخل المركز فإن المهاجمين لم يصادفوا بجواره أية حراسة ومواجهة. وهكذا كان عنصر المفاجأة في المرحلة الأولى للهجوم لفائدة المهاجمين،وقد نجحوا في تكسير الباب الخارجي للمركز، وأخذوا في تكسير الأبواب الداخلية بكيفية عشوائية، واقتحموا منزل المراقب المدني بعنف، فاعتقدوا نتيجة تكسير بعض عظامه أنه قتل، كما اتجهوا إلى مخزن السلاح وأثناء الاقتراب منه قام أحد الأعوان المخزنيين من موظفي المركز يدعى أحمد بن المختار فحال بين المهاجمين والحصول على السلاح، وكان يطلق الرصاص عليهم فيتساقطون.

ومن هذه الوهلة وقع تحول في اتجاه الحدث : ذلك أن العون المذكور قتل كثيراً من المهاجمين العزل، وأعطى فرصة لغيره من الأعوان والجنود ليتهيأوا، وعندما وقع تسلح الجنود اتجهوا إلى المجاهدين الذين دب فيهم الرعب فقوي استعمال الرصاص وتساقطت الجثث، وقد فشل المهاجمون وانهارت خططهم التي كانت مبنية على أساس الفوز بالأسلحة والذخيرة.

بعد أن تساقط أعداد من المهاجمين أمام وابل من الرصاص تمت السيطرة على المركز وتعقب الجنود جموع المهاجمين الذين انسلوا هاربين فتفرقوا يلتمسون مداشرهم.

وقبل الصباح جاءت الامدادات العسكرية من مركز بيوگرا ومن مدينة أگادير، وعلى الفور أصبحت المنطقة مدججة بالسلاح البري والجوي. وامتدت الحراسة إلى مختلف الطرق والمسالك، وبدأ البحث على المشاركين في الهجوم، وأثناء ذلك تعرض الكثيرون للقتل والتشريد وأعدم بعض المتزعمين وفي مقدمتهم الفقيه البوشواري وإبراهيم بن السي أحمد، وسعيد بن أبي الشعر قتلوا رميا بالرصاص بينما قتل الحُس أُعمار خنقاً. ونسفت دورهم بالديناميت ونهبت ممتلكاتهم، وتعرض أبناؤهم للتشريد، كما تم اعتقال مآت من أبناء مختلف القبائل : من أيت باها وأيت مزال وأيت وادريم وهلالة وأيت ولياض وهشتوكة وتانالت وإداوگنيظيف، وحتى أبناء القبائل النائية مثل أيت عبد الله وتافراوت، وقد أصدرت سلطات الحماية على هؤلاء أحكاماً قاسية بالسجن، فنقلت العديد منهم إلى سجن العادر قرب مدينة أزمور، وسجن عين مومن قرب سطات، واحتفظت محليا بأفواج منهم لإرهاب السكان وبالتالي استعمالهم في الأشغال الشاقة لفتح الطرق في تلك الجبال لمزيد من تشديد المراقبة على الأهالي وتركيز الاحتلال.

وعلى الرغم مما يبدو من فشل هذه المعركة، فقد كان لها وقع كبير في الوسط الاستعماري بحيث زعزعت كيانه في القطر السوسي، وجعلت جهازه الإداري هناك يعيد تقويمه تجاه السكان فأصبح شديد الاحتراس والحذر نحو مختلف التجمعات وتأهب لضبط تحركات الفقهاء وشيوخ الزوايا، وكبار الأعيان وكل من يلتف حوله العامة.

وظلت ذاكرة السكان إلى اليوم تعيد أحداث معركة أيت باها بنوع من الأسى، ولكن بكامل الاعتزاز وبروح المقاومة والدفاع عن المقومات الوطنية.

إ. الحساني، *ديوان قبائل سوس*، ت. أفا عمر 1988، ص 22 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 8 : 132، 14 : 108، 110، 145، 15 : 212 / 17 : 263، 265، 20 : 138 ؛ *خرائط* تافراوت وتارودانت وأگادير، مقياس 200 ملم ؛ أ. أمزال، *إكراماً لشهداء أيت باها*، جريدة *العلم*، 22.3.1982 ؛ ع.أمارير، *أضواء على الشعر الشعبي*، جريدة *العلم*، 20.12.1974 ؛ إ. أخباط، *معركة أيت باها*. (تقاييد خاصة) ؛ ع. أفا، *روايات شفوية* مسجلة عن السيدين : وفاق علي، وشيشاكل محمد.

Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* 1883 - 1884, Paris 1888, p. 184 ; *Répertoire alphabétique des Tribus, Recencement du 8 Mars 1936*, Rabat, 1941.

عمر أفا

الباهي، أسرة لعل أصلها من الأندلس ومازال بتطوان بعض أفرادها الذين اشتهروا بالتجارة والذي تذكره الوثائق التي نتوفر عليها منهم هو :

الباهي، علي بن إبراهيم، تاجر كان على قيد الحياة سنة 1211 / 1796.

كما نعلم أنه كانت لهذه الأسرة سنة 1257 / 1841 دار بحومة الترنكات حسب ما جاء في الإحصاء الذي جرى بالمدينة في السنة المذكورة.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 7 : 265 / 8 : 352 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

باهيا، أحمد سالم بن محمد كور، ولد سنة 1932 بمدينة الداخلة، وكان جنديا بالجيش الإسباني. وفي أواسط سنة 1957 كلفته السلطات الإسبانية بتجميع الإبل التي كانت بحوزتها بمختلف مناطق الصحراء، وانطلق من مرابط العدو الإسباني صوب المنطقة التي كان يرابط بها أفراد جيش التحرير بمنطقة نكجير سنة 1957 حيث عمل ضمن المجموعة التي كان يرأسها حسن ولد السملالي فرقة المناضل الهاشمي، وظل يجاهد رفقة إخوانه، وقد شارك مشاركة فعالة في معركة لكلات وواصل كفاحه إلى أن استشهد في معركة وادي الشياف وذلك سنة 1957.

المندوبية السامية للمقاومة، *شهداء الاستقلال*، ج 3.

عز الدين العلام

الباهية، قصر من أكبر قصور مراكش التي أنشئت في القرن التاسع عشر. ويحتل موقعه مكانا وسطا بين جنان ابن شگرة والملاح القديم، حيث تغطي بناياته وحدائقه مساحة شاسعة تقدر بـ 37100 متر2.

ويتكون قصر الباهية في الحقيقة من قسمين رئيسيين : الأول أنجزه الوزير موسى بن أحمد البخاري المعروف بسي موسى حاجب السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان (1859. 1873 م) والثاني بناه ابنه أحمد بن موسى المعروف باسم "ابّاحْماد" الذي خلف أباه في حجابة السلطان المولى الحسن الأول (1873 ـ 1894 م)، قبل أن يصبح وصيا على العرش وصدرا أعظم أيام ابنه المولى عبد العزيز (1894. 1908).

يكاد الزائر لا يفطن لتباين هذين القسمين، غير أن المتمعن المهتم أو المختص يصل بسهولة إلى تحديد ذلك التباين، فدار السي موسى، بسيطة في مكوناتها رغم ما تضمه من مظاهر الأبهة من أرضيات مكسوة بقطع المرمر وصهاريج الماء وغيرها. أما القسم الذي يعود لبّا احماد، فيفوق الأول في كل شيء، ذلك أن طموحات الوالد لم تبق كافية بالنسبة للولد. فقد عمل لما أصبح الرجل القوي في الدولة على توسيع القصر الأبوي أقصى ما يمكن، ليكون في مستوى قوته وليأوي عائلته وخدمه وحاشيته التي اتسعت باتساع نفوذه. فجاء الإنجاز العظيم، لكنه جاء عبارة عن مجمع سكني متلاصقة أطرافه، تصل ما بينها أروقة مستقيمة أو ملتوية، وتتخللها حدائق داخلية مختلفة المساحات باختلاف حجم البيوت التي تتوسطها.

ومرد ذلك إلى أن "ابّا احماد" عمد في إنجازه إلى شراء المنازل والأجنة التي كانت تحيط بالنواة الأولى، واحدة بعد الأخرى، وجمع فيما بينها، بتعديلات جزئية أصبحت الأزقة القديمة بفضلها ساباطات والساباطات أروقة. وقد أحصيت المنازل والأجنة التي اشتراها "ابا حماد" بستين منزلا وستة عشر جناناً. واعتمد في ذلك على مساعدة الأمين زنيبر وكان يؤدي الثمن المطلوب من أصحاب الدور والحدائق بكل أمانة (*Marrakech*, 543).

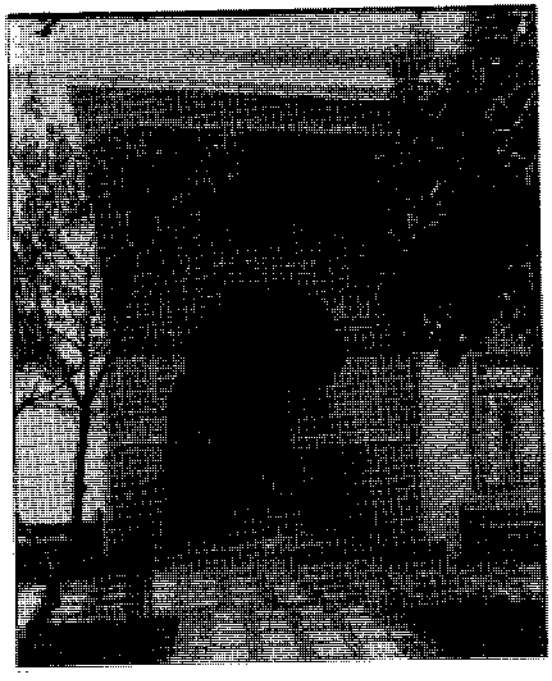

الباهية : بهو الرياض الكبير

مع ذلك وإن كان حقا أن قصر الباهية يتميز في تصميمه العام بتكدس مرافقه وانعدام نواة حقيقية أو محور رئيسي به، فإن زائره يبقى متأملا في زخارفه الداخلية وفي حسن استعمال بعض المواد النفيسة لكسو الأرضية أو الجدران أو السقوف. ولقد جاء "ابا احماد" لإنجاز مختلف الأعمال بأكبر الصناع وأمهرهم من أشهر المدن المغربية "فصهاريج الماء بناها صناع من مراكش، والزليج وضعه صناع من فاس..." (Champion, *Rabat et Marrakech*, 1926, p.129) وكان القيم على مجموع الأعمال أحد أكبر صناع عصره الحاج محمد المكي المسفيوي الذي احتفظ لنا بعض معاصريه من المهتمين الأجانب بنبذة عن حياته مشفوعة بعبارة الإعجاب بمعارفه، كنعته بالمهندس المعماري (المصدر السابق، ص 128).

هذا ولم يخرج قصر الباهية إلى الوجود في أجل قصير وإنما استغرق بناؤه سبع عشرة سنة. وسنقتصر على إعطاء وصف مختصر لأهم مرافقه :

يتكون القسم الأول من الباهية، أي الذي بناه الوزير سي موسى، من الجنان الكبير الخارجي والساحة الشمالية

ومرافقهما. فأما الأول فشاسعة أطرافه وفيه من النبات والأشجار الكثير ليكون منتزها جميلا لصاحب القصر، وقدا احتفظ للحديقة هذه بمحتوياتها بل وربما زيد فيها.

أما الساحة فمكسوة أرضيتها بقطع من الرخام، ويتوسطها صهريجان مثمنا الشكل. ومن هذه الساحة نمر إلى الرياض الذي يعد أحد المرافق الجذابة في القصر، هذا الرياض يمتد فوق مساحة مستطيلة الشكل إذ يصل طوله إلى 34.40 متر وعرضه إلى 31.70 متر، وينقسم إلى أربعة أحواض منخفضة عن مستوى الممرين اللذين يحاذيانها بحوالي 80 سنتم. وفي نقطة تقاطع الممرين المكسوة بقطع من المرمر الأبيض توجد نافورة ماء من مرمر ناصع البياض. هذه النافورة تعلو مساحة مربعة من ستة أمتار للضلع، مغطاة بقطع من الزليج المختلف الألوان، يشكل تشابكها نجمة متعددة الفروع تعرف عند أهل الحرفة بالسبنية، وتقابل النافورة الوسطى نافورتان أخريان نصبتا عند نهاية الممر الأوسط جنوبا وشمالا.

وعلى طول الضلعين الصغيرين للرياض، أي في الجهتين الشرقية والغربية، بنيت قاعتان فسيحتان، يتقدم كل واحدة رواق مغطى، وتقابل مدخليهما كوة تتوسط الجدار الداخلي تسمى البهو. أما الجدران الداخلية فكسيت بالزليج إلى علو 1.60 متر، بعد ذلك تأتي مساحة خالية من الزليج، ثم السقف المزين بزخارف ملونة تجمع ما بين الأشكال الهندسية والنباتية والخطية. أما هذه الأخيرة فكتابة بالخط المغربي لجملة "العز بالله، الملك لله"، تجري على طول قاعدة السقف وعرضها.

لا توجد بالجانبين الكبيرين، عكس الجانبين الصغيرين للرياض، أية بناية اللهم ما كان من كوتين متقابلتين تتوسط كل واحدة منهما جانبا من الرياض. لكن إذا كانت الكوة الشمالية غير نافذة، وبذلك تمثل البهو التقليدي، فإن الكوة الجنوبية تعطي في الحقيقة ممرا يؤدي إلى الساحة الكبيرة المعروفة بساحة الرخام. فيكون الاهتمام بزخرفة هذا الممر ونصبه على شكل بهو نابعاً من حرص صاحب القصر على خلق توازن وانسجام بين مكونات البناية.

تمتد ساحة الرخام على طول 54 م وعرض 28.10 م وهي بذلك ساحة داخلية في القصر. في وسط هذه الساحة صهريج ماء طوله 4.90 م وعرضه 3.30 م وعمقه 0.40 م، تعلوه نافورة من المرمر تصب ماء يضفي خريره على الساحة نشوة جذابة. ويساهم في هذه النشوة نافورتان أخريان نصبت كل منهما على بعد 17 م من الوسطى.

هذا وأعظم ما تؤدي إليه هذه المساحة، القاعة العظمى التي بنيت بجهتها الشرقية، فهي أعظم قاعة في الباهية، طولها 20 م وعرضها 6.40 م،جدرانها مكسوة بالزليج إلى منتصف علوها، وسقفها من خشب الأرز الجيد، نصب في شكل برشلة مثمنة الواجهات على علو ثمانية أمتار من الأرض، ومزينة بزخارف مختلفة وملونة مما يزيد في عظمة هذه القاعدة.

ومن أجمل ما يحويه قصر الباهية المجموعة السكنية المعروفة بدار السيدة المفضلة إشارة إلى إحدى نساء با احماد. علي أن هذه التسمية آتية بدون شك من خيال السواح والمرشدين السياحيين، وهو أمر يتنافى وأعرافنا العريقة، التي تقول باحترام الحرم والامتناع عن كل ما من شأنه أن يفرغ عليه أدنى الشبهات.

تتكون هذه المجموعة من أربع قاعات تتقدمها أربعة أروقة وتحيط بصحن مستطيل الشكل (14.20 . 7.45م) تتوسطه نافورة من الرخام الأبيض تعلو صهريجا صغيرا لا يتعدى عمقه 0.10 م، وشكله مثمن.

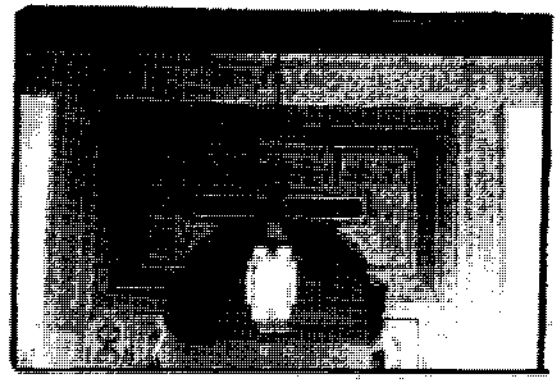

الباهية : جانب من الزخرفة الداخلية

أما القاعات فأكبرها القاعة الشرقية التي عرضها 14م وعمقها 4.50م، والتي زينت جدرانها بنفس الطريقة التي سبق وصفها. أما أصغر القاعات الأربع فهي القاعة الغربية التي لا يتعدى عرضها 7م وعمقها مترين. لكن رغم صغرها فهي فريدة في الباهية من حيث إنها تتوفر على بابين متقابلين وتتوسطها نافورة ماء، بينما تتمبرقاعدة سقفها بمجموعة من الشماسات الخصية ينفذ من ثقبها نور الشمس بشكل طفيف. أما جانباها الصغيران فيحتل كل منهما مضجعاً (الحناية في العرف الدارج) تحد واجهته قطعة خشبية منحوتة ومزينة بزخارف فاخرة. كل ذلك يجعل القاعة تجمع ما بين وظيفة الراحة والاستجمام خصوصا أيام الحر، ووظيفة النوم.

إلى غرب هذه الدار، نجد مجموعة أخرى من أهم مكونات القصر وهي المجموعة التي يمكن تسميتها بمجموعة الرياض الصغير، وتتكون من عدد كثير من القاعات بنيت فوق مساحة تقدر بـ 810 م2، لكن العنصر البارز في التصميم هو أن الساحة المكشوفة (المغروسة بمختلف النباتات مما يبرز تسميتها بالرياض) لا تتوسط البنايات وإنما توجد في جانبها الغربي.

وأهم ما يثير الانتباه في هذه المجموعة، توفرها على قاعتين كبيرتين متصلتين تحتلان الجانب الشرقي، عرض الأولى 18.30 م وعمقها 5.20 م، وعرض الثانية 11.90 م وعمقها 5.20 م، تصطف على طول الجانب الغربي للرياض، أهمها البهو الأوسط وهو مغطى بسقف مزخرف بأشكال هندسية ملونة، وجدرانه ملساء في نصفها الأسفل ومزينة

بشماسات عمياء جصية في نصفها الأعلى.

هذا، ولا نجد بهذا البهو من الكتابات سوى اسم الجلالة يجري على طول قاعدة السقف، بينما تضم الكوتان الأخريان أبياتاً من قصيدة البردة للإمام البوصيري في مدح الرسول عليه السلام.

إلى جنب ما وصفناه اختصاراً من قاعات تعتبر الأماكن الفاخرة بالقصر، هناك كذلك مجموعات من البيوت والساحات الداخلية تحيط بالأولى وتتصل فيما بينها بممرات وأروقة متعددة. هذه المجموعات يمكن حصرها في أربعة، وهي أقل زخرفة من سابقاتها، مما يوحي بأنها المرافق التي كانت مخصصة للخدم ولبعض أعضاء الحاشية والزوار المعتادين. وكل مجموعة نظمت بيوتها حول صحن مكشوف على الطريقة المعروفة.

أما ما يخص البنايات التي يمكن نعتها بالملحقات، فأهمها في قصر الباهية حمام ومسجد، وقد بنيا الواحد قرب الآخر في جانب منعزل عن كتلة البيوتات السكنية.

أما الحمام فشيد فوق مساحة 204 م2، ويحيط به من كل جانب رواق يعزله عن باقي مكونات القصر. ويتكون هذا الحمام كالعادة من ثلاث قاعات متتابعة، الباردة، فالدافئة فالساخنة وهي أكبرها (6 م x 3.60 م)، كلها مغطاة بسقف نصف أسطواني.

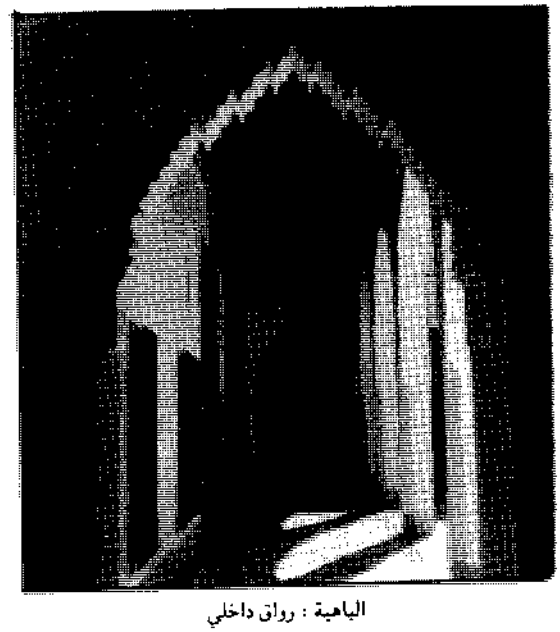

الباهية : رواق داخلي

أما المسجد فيجمع ما بين بيت الصلاة والصحن وضريح أحد الأولياء يعرف عند أهل الحي المجاور بسيدي بوناقة ولم نعثر له على ترجمة فيما تصفحناه من مصادر. ويتكون المسجد من ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة وصحن صغير يفصل ما بين البلاط المحاذي لهذا الجدار والبلاطين الآخرين. ومما يسترعي الانتباه أن البلاط الأول أصغر من أخويه، إذ لا يتعدى عرضه 12.30 م وعمقه 2.18 م بينما يصل عرض البلاطين الآخرين إلى 20 م وعمقهما إلى 3.30 م بالنسبة للبلاط المحاذي للصحن و2.40 م بالنسبة للذي يليه. وهذا الأمر يخرج عن القاعدة المألوفة خاصة في المساجد التي يقف على بنائها الأمراء وكبار رجال الدولة الذين عادة ما يبقون متشبثين بالتقليد الذي يجعل من البلاط المحاذي لجدار القبلة والبلاط الأوسط المتجه صوب المحراب أوسع البلاطات. فهل هذا يعني أن مسجد الباهية لم يكن سوى مسجد الحي وأدمج في القصر ؟ ليس هناك ما ينفي هذا الاحتمال خصوصا وأن المسجد أصبح اليوم مفتوحا أمام سكان الحي المجاور، ربما كما كان في سابق عهده.

أما ما يتعلق ببناء القصر فأهم ما يجب ملاحظته أنه يضم كل المواد التقليدية المستعملة في البناء : الطابية، الآجر، الجص، الزليج، الرخام. لكن البناء ليس بالصلب وإنما فيه من عناصر الضعف ما يجعله هشا في كثير من مرافقه، وخاصة في القسم الذي بناه الوزير ابا احماد، على الرغم من اعتماد هذا الأخير على خبرة صناع عصره. من هذه العناصر مثلا النسبة الضعيفة لمادة الجير وهي أساسية في إنجاز جدران الطابية. ولعل السبب في هذه الصفة السرعة التي يظهر أنها غلبت على ابا احماد لإنشاء قصره والاستمتاع به.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 8، 9 ؛ ابن زيدان، *اتحاف*.

H. de la Matinière, *Souvenirs du Maroc* ; E. Doutte, *Le Palais de la Bahia, F. M.*, 8, 1920 ; G. Deverdun, *Inscriptions arabes de Marrakech* ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1959 ; J. Gallotti, *le Jardin et la maison arabes au Maroc* ; A. Tourri, *L'architecture domestique de Marrakech*, th. dact., Paris, 1987.

عبد العزيز توري

باي، مصطفى، تركي الأصل، أحد القادة العسكريين للسلطان أحمد المنصور السعدي، كان يحمل لقب باي وبه عُرف. قال عنه المؤرخ محمد الإفراني في *النزهة* :"واصطفى من العجم موالي وربّاهم بنعمته وأشمل لهم درر إحسانه، منهم مصطفى باي ومعناه بلغة الأتراك قائد القواد ويختص به قائد الإصبايحية".

شارك هذا القائد في فتح السودان الغربي، وبعد وفاة السلطان أحمد المنصور انضم إلى الأمير زيدان وقاد إحدى معاركه ضد عبد الله ابن الشيخ المامون بفاس فدارت الدائرة عليه وقتل سنة 1018 هـ.

م. الإفراني، *نزهة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 6 ؛ م. الغربي، *بداية الحكم المغربي بالسودان الغربي*.

محمد ماكمان

بايحيى، أسرة سلوية عريقة اشتهر أفرادها بالمروءة والحياء والنسك، واشتغل بعضهم بصناعة السفن (بلالطية) وبعضهم بالجهاد البحري. وممن تذكرهم الوثائق المكتوبة :

بايحيى، بناصر (الحاج ـ) كان من رجال البحرية الواقفين على وظائف الأمور الجهادية، وبهذه الصفة أخذ حظه من الصلة المنفذة لهم في ثامن وعشري حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894، وهو 39 أوقية.

بايحيى، التهامي (الحاج ـ) كان ناظراً لأحباس سلا في أوائل القرن الثالث عشر (19 م). وقد ذكر في رسم مؤرخ بمنتصف جمادى الأولى عام 1212 باسم الحاج التهامي بن يحيى، لكن الوثائق الأخرى تذكره بالكنية السائرة على الألسنة حتى اليوم "بايحيى" ومنها رسم مؤرخ في متم ربيع الثاني عام 1233 باعت بمقتضاه ابنته عائشة داراً معينة بسلا للحاج محمد بن أحمد جغالف.

رسوم قديمة ؛ م. بوشعرا، *التعريف ببني بنسعيد السلويين*، ج 2، وثيقة رقم 171.

محمد حجي

بَايَسُّف، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني سعيد الغمارية، واشتهر من بين أفرادها بَايَسُّف الزبير بن مَحمد الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1322 / 1904.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 9 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* : Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بَايْشُّي، علي بن يشُّو الزموري، كان في بداية عهد مولاي إسماعيل (1672 ـ 1727) من أبرز أعيان زمور. وكانت قبيلته في هذا التاريخ، تنتجع في هضاب الأطلس المتوسط الغربي، في الجنوب والجنوب الشرقي لموطنها الحالي (*Le Sultan My Ismaïl*, p. 31). وكانت تشكل فرعاً من الحادية أيت أُمالو التي كانت تحتل حيزاً كبيراً من جبال فزاز. وكانت هذه القبائل في هذه الفترة خارجة خروجاً تاماً عن سلطة الدولة. ولم تدخل زمور في دائرة نفوذ المخزن إلا في أواخر القرن السابع عشر. ففي سنتي 1098 ـ 1099 / 1687 ـ 1688، خرج مولاي إسماعيل إلى الأطلس المتوسط في حملة عسكرية ضخمة، لتطويع قبائل هذه المنطقة. وبعد معارك شديدة، انهزمت في مرحلة أولى زمور إلى السلطان وأطاعته، وفي أعقاب هذه الأحداث تم تعيين علي بن يشو قائداً على إخوانه، ويستفاد من إشارات المصادر التاريخية أن حكمه امتد أيضا إلى قبائل بني حكم التي انحاشت إلى زمور ودخلت في طاعة المخزن (*Le Sultan My Isamïl*, p. 31). وقد استعان المخزن منذ ذلك الحين بنفوذ هذا القائد، وقوة قبيلته، لتنفيذ أطوار سياسته العسكرية في الأطلس المتوسط. ففي سنتي 1104 ـ 1105 / 1692 ـ 1693 شارك علي بن يشو وقبيلته إلى جانب الباشا مساهل وعلي أُبركة اليموري في الحركة الهامة التي أعدها مولاي إسماعيل لإخضاع سائر قبائل أيت أمالو. وقد أسفرت هذه الحملة عن هزيمة هذه الاتحادية ومصادرة ثرواتها ومعداتها (*الاستقصا*، 7 : 80، 81). وتمكنت جيوش المخزن في هذه المعارك من قتل ما يزيد على 12.000 من العصاة، وحيازة غنائم، قوامها : 10.000 من الخيول، و30.000 بندقية. وفي نفس الموضوع، ذهب مرسيي Mercier إلى التقرير بأن السلطان صالح هذه القبائل بعد التزامها بدفع 10.000 من الخيول و80.000 من الغنم عن كل فرقة منها. (*Sijilmassa*, 282). وبعد هذه الوقائع، استقل علي بن يشو وقبيلته زمور عن المحلة السلطانية، واتجه بأمر من مولاي إسماعيل نحو قبيلة گروان التي كانت ماتزال تعيث فساداً في واد زيز، وتسطو على القوافل التجارية المتنقلة عبر طريق تافيلالت. وكان عدد الفرسان الذين انضووا تحت إمرته في هذه الغارة 10.000 فارس، وقد تمكن القائد بايشي بفصل هذه القوات من هزيمة گروان وتجريدهم من السلاح (*Le Sultan My Ismaïl*, 33 - 34). وبعد تطويع هذه القبائل، أسند السلطان مولاي إسماعيل قيادة الأطلس المتوسط برمته لعلي بن يشو الذي أصبح القائد الأعلى لجميع قبائله، وصار يحظى بمكانة خاصة لدى السلطان (*Le Sultan My Ismaïl*, p. 34). ولم نقف على تاريخ وفاته.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 7.

Mercier, *Sijilmassa selon les auteurs anciens*, *R. A.*, 1867; La Chapelle (Lieutenant), *Le Sultan My Ismaïl et les Berbères Senhaja du Maroc Central*, *A. M.*, Vol. XXVIII, Paris, 1931.

العربي اكتينع

بَايْص، ـ بباء مخففة ـ أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Báez، وقد انقرضت بتطوان حوالي سنة 1205 / 1791، وهي غير أسرة بَايص Paéz الباقية آتية الذكر.

بَايْص، أسرة تطوانية من الأندلس أيضا حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Páez، ومازالت أسرة بَايص موجودة حتى اليوم بتطوان، كما توجد بها زنقة في حومة العيون تحمل اسم هذه الأسرة. ومن بين أفراد هذه الأسرة بتطوان الذين تذكرهم الوثائق :

بَايْص، أحمد الذي كان ضمن الوفد الذي توجه إلى فاس لتسليم عقد البيعة التطوانية للسلطان مولاي عبد الرحمان سنة 1238 / 1823.

بَايْص، الحاج أحمد الذي كان مكلفا ببساتين السلطان بفاس سنة 1242 / 1826.

بَايْص، الحاج محمد الذي عينه السلطان المذكور أميناً بمرسى تطوان في ربيع الأول من سنة 1241 / 1826.

بَايْص، دحمان الذي كان مكلفا أيضا ببساتين السلطان بفاس سنة 1247 / 1831.

بَايْص، عبد الرحمن بن الطاهر الذي كان على قيد الحياة سنة 1133 / 1721.

بَايْص، المهدي بن الطاهر. يقول الكاتب الانجليزي برايطوايط Braithwaite الذي كان يوجد بتطوان رفقة سفير بلاده روسيل Russell سنة 1139 / 1727 إن شخصاً من أسرة بَايص مهنته حداد هو الذي كان يتزعم الحركة التي أدت بأهالي تطوان إلى خلع حاكمهم الباشا أحمد الريفي وتنصيب بَايص المذكور مكانه في شهر ذي القعدة / يونيو،

وذلك في انتظار وصول الباشا الجديد عبد المالك بوشفرة الذي عينه السلطان.

ويقول برايطوايط إن الباشا بوشفرة وصل إلى تطوان في منتصف ذي الحجة / أواخر يوليوز، ففرض عليه الأهالي تعيين بايص خليفة له.

تدل جميع القرائن على أن بايص المشار إليه هو المهدي بن الطاهر الذي أصبح الحاكم الحقيقي للمدينة بالرغم من وجود الباشا بوشفرة فيها، بدليل أنه هو الذي كان يسير عملية الدفاع عن تطوان عندما حاصرها الباشا أحمد الريفي من ثاني إلى رابع صفر 1140 / 19 - 21 سبتمبر 1727.

وكان المهدي بًايص بجانب الحاج عمر لوقش يدافع عن المدينة عندما هاجمها مرة ثانية الباشا أحمد يوم السبت 24 صفر / 11 أكتوبر، وهو اليوم الذي جرت فيه المعركة المعروفة بعيطة السبت، وخلالها فر الباشا بوشفرة من المدينة ولجأ إلى إحدى القبائل المجاورة.

ويبدو أنه عندما عاد الباشا أحمد الريفي لحكم تطوان مرة ثانية بأمر من السلطان ظل المهدي بايص يعمل بجانبه كخليفة له إلى أن ساءت العلاقات بينهما فألقى الباشا عليه القبض وأمر بقتله سنة 1153 / 1740.

أ. الوهوني، *عملة الراوين*، 3 : 45 ؛ م. داوود، *تاريخ تطوان*، 2 : 103. 118. 135. 149. 324 / 7 : 290. 326 / 8 : 71. 84. 276 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Braithwaite, *Révolution* ; Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro; *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بًايْنَا (Paina Insula) جزيرة جاء ذكرها عند الجغرافي بطليموس في مؤلفه *الجغرافيا*، الكتاب IV، الفقرة 8.

وقد وطنها على طول الساحل الغربي لموريطانيا الطنجية بالبحر الداخلي (المحيط الأطلسي) عند خط 5°32'. وهذا الخط هو نفسه الذي يقع عنده ميناء رتيبيس (Rutubis) (تيط).

ويعتبر تيسو Tissot من بين أقدم الباحثين المعاصرين الذين اهتموا بهذا المصطلح وأكد بأنه لا وجود لهذه الجزيرة على خرائطنا.

هل اندثرت ؟ هل كان لها وجود فعلي أو يلزم ربطها بالجغرافيا الخرافية ؟

هذه هي مجموعة الأسئلة التي طرحها تيسو حول هذا المصطلح، ويمكن أن يطرحها غيره من الباحثين.

خلص تيسو إلى القول بأننا لا نجد أدنى أثر للجزيرة. ونفى بزنيي Besnier بدوره وجود أية جزيرة بمحاذاة رتيبيس على الساحل الإفريقي، ولكنه أقر بوجود جزيرة صغيرة شمال نهر أم الربيع، والملاحظ أنه لم تتم الإشارة إلى هذه الجزيرة الصغيرة بأي خريطة من خرائطنا المعاصرة وبذلك تقابل جزيرة بًاينا عند بزنيي الجزيرة الموجودة عند الدار البيضاء، أما سابقه ميلر Muller فيعتبرها إحدى الجزر الجعفرية.

برجوع تيسو إلى الوثائق القديمة بَيَّن بأن هذه المصادر توطن جزر دوكالى (Ducalae insulae) على الساحل الغربي بين مزگان والرأس الأبيض ويمكن أن توافق هذه الجزر جزيرة باينا ولكن هذه الجزر بدورها اندثرت. وقد استدل روجي (R. Roget) على وجود هذه الجزر باستناده لوثائق قديمة ومنها خريطة 1596 التي لاحظ أنه توجد بها بالفعل جزر في المكان الذي حدده تيسو. وفي نفس هذا المكان أشارت التقارير البرتغالية التي تعود للقرن XVI م والتي نقل لنا ريكار (Ricard) تفاصيلها بالجزيرة الصغيرة قرب الخليج الصغير (Anse) الذي بإمكانه أن يستقبل السفن التي تصل حمولتها إلى ثمانين طنا فترسو به.

وهذه الوثائق دفعت روجي (R. Roget) هو كذلك لاستبعاد الآراء التي تنفي وجود هذه الجزيرة والتأكيد على أنه كان لها وجود وأنها من الجزر التي اندثرت بفعل الهبوط المستمر لمستوى سطح البحر شبيه بذاك الذي لاحظه تيسو باسفي. وحركة الأرض هذه أدت أيضا وحسب ما ذكره الباحثان طيراس (Terrasse) وباصي (Basset) لهبوط المستوى القديم لرباط تيط والذي يحتمل أن توجد بالقرب منه جزر دوكالي (Ducale Insulae) أو بعبارة أخرى جزيرة باينا (Paina Insula).

M. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1876, p. 101 - 102 ; M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc : Maurétanie Tingitane, A. M. I*, 1904, p. 340 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924, p. 38 ; R. Ricard, *Instructions nautiques portugaises, Hesp.* VII, 1927, p. 245 ; R. Roget, *Index de topographie antique du Maroc, P. S. A. M.* IV, 1938, p. 61 - 62.

بلكامل البضاوية

بايْنة أو بَيْنَه، أسرة أندلسية كبرى هاجرت إلى المغرب بعد طرد الموريسكيين من الأندلس بقرار فيليب الثالث سنة 1609، فاستقر بعضها في تطوان وبعضها في الرباط. ومازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Baena، وهو اسم لمدينة بمقاطعة قرطبة. وإذا كانت أسرة باينة قد انقرضت من تطوان منذ سنة 1080 / 1669، فإنها ماتزال حتى اليوم متوافرة بالرباط، إلا أنه لم يكن لأفرادها أدوار كبيرة في الأحداث التي عرفتها الرباط منذ عهد المولى إسماعيل، لكن المؤرخ الضعيف يشير إلى أشخاص من هذه الأسرة، فأول من تحدث عنه منهم هو محمد بن حجي باينة. وقد ذكره عندما كان يصف الخلاف الذي وقع بين الرباطيين حول من يبايعون عند وفاة السلطان المولى اليزيد 1792. ويظهر أن باينة هذا كان مخالفا لرأي الأغلبية الرباطية منحازاً لأحد قواد القبائل مما جعل الرباطيين يلقون عليه القبض. أما الشخص الثاني فيجعله المؤرخ صاحب رواية شفوية أدلى إليه بها مفيدا إياه بأن الأجانب تكاثروا بالرباط في سنة 1211 / 96 - 1797 وأنهم أتوا في نحو خمسين أو ستين سفينة رست بالساحل، مما جعل المؤرخ يستنكر ذلك ويستنكر أعمالهم كصعودهم للأبراج ومرورهم على المقابر الخ... وصاحب هذه الرواية هو صديق المؤرخ واسمه قاسم باينة.

باينة، محمد بن أحمد الأندلسي الرباطي. جاء في أحد تقاييد الأديب محمد بن عمرو وصفه بالعلامة. ويستفاد من كتاب الضعيف أنه تقلب في عدة مناصب مخزنية مثل خطة الكتابة والعدالة والقهرمانية بمرسى الرباط في عهد السلطان المولى سليمان. وفي تاريخ يوم الثلاثاء 19 صفر 1227 عينه السلطان في خطة الكتابة معه وملازمته من الصبح إلى العصر. وكان قبل ذلك من عدول المرسى مع القائد محمد أشعاش. وفي 2 ربيع الأول 1229 عندما وجه السلطان رسالة يسترعي فيها على قواد العدوتين ألا يجعلوا خلائف (جمع خليفة) عنهم. كلف محمد باينة بمراقبة من يجعل منهم خليفة ليشهد بذلك. وكانت وفاته يوم الأحد 30 ربيع الأول 1230.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ ت. أ. العماري، 247 . 274 . 370 . 371 . 381 . 387 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، 140 . 141.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

عبد الاله الفاسي

باينة، محمد بن محمد، فقيه ناسك، كان يعلم الصبيان في كتاب بسيدي الحسن المسكيني بين بوقرون والسويقة. وقد انتدبه السلطان مولاي حفيظ لتعليم أبنائه. ونظراً لما كان يتمتع به الفقيه محمد باينة من تقدير واحترام لدى زملائه المقرئين اتخذوه مقدماً ورئيساً، فكان بهذه الصفة يشرف على الحفل السنوي الذي اعتاد طلبة الرباط إقامته بجنان السلطان (الذي أضبح كلية الطب بحي الليمون) وقد أوفد السلطان مولاي يوسف (1331 . 1347 / 1912 . 1928) مرة أبناءه مع هدية ثمينة ليشاركوا الطلبة ورئيسهم محمد باينة في أفراحهم.

انتصب الفقيه محمد باينة في أواخر عمره لتلقي الشهادات بسماط العدول في بوقرون، كما كان يشتغل بنساخة الكتب بخطه الجميل، وبالإمامة في جامع مولاي سليمان إلى أن وافته المنية يوم الأربعاء 23 رمضان 1352 / 10 يناير 1934.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، 2 : 194 . *روايات شفوية*.

م. الأمين بلغتاوي

البَّايْهي، أسرة باعمرانية من فخذة أيت إيقُّوى من قبيلة أيت النّص. أنجبت في النصف الأول من القرن العشرين عدداً من الفرسان الشجعان الذين لعبوا أدواراً مهمة في تاريخ المنطقة سواء في عهد الحماية أو بعد الاستقلال، أمثال :

البَّايهي، أنفلوس محمد بن عبلاً

البَّايْهي، الحسين أُسعيد بن جْبَارَى

البَّايْهي، عَبد بن محمد بن عبلاً

لما قتل أنفلوس محمد بن عبلاً البَّايهي في معركة إيكالفن ضد حملة الباشا حَيْدا بن مَّايْس سنة 1917، عاش قريبه الحسين أُسعيد فاجعة فقدان كبير العائلة، وتأثر بذلك فنشأ صلب العود، قوي الشخصية، مؤمنا بمبدأ "القوي يأكل الضعيف". ولما قتل القائد محمد الوجداري تنافست عدة أسر مشيخة قبيلة أيت النّص ففازت بها حينا من الزمن عائلة البَّايهي، في شخصية السيد عبد بن محمد بن عَبْلاً البَّايْهي، وكان السيد الحسين أسعيد من حماتها، لكن تلك المشيخة كلفت هذه العائلة الكثير، فقد قتل معظم رجالها الحربيين، وأشهرهم بيْروك البَّايْهي.

ورغم أن الحسين أُسعيد كان يحفظ القرآن ويمتحن فيه الطلبة، ويحافظ على الصلاة في وقتها، فإنه كان دائما في مقدمة فرسان القبيلة وحماتها، ومن السباقين إلى إثارة الفتن والمشاكل فيغوص فيها إلى أخمص القدم، ومع ذلك يخرج منها سالما، لذلك ينعته البعض بالداهية، وبالرأس المدبر وأحيانا بموقظ الفتنة، وهو الذي كان سبباً في إشعال فتنة خميس أيت بويكر، التي من أجلها انقسم أيت باعمران إلى قسمين لمدة طويلة، وذلك يوم الخميس الأخير من جمادى الثانية سنة 1339 هـ في خبر طويل، فأزهقت الأرواح، وضاعت الأموال، وفقد الأمن، ونقلت الأسواق من اماكنها. ومن أهم صفاته تلاوة القرآن والتدين والشجاعة وعزة النفس وله فراسة قلما تخطئ، ونظراً لطول عمره واحتكاكه بكبار القوم والعلماء، فقد اكتسب خبرة جعلت منه مستشاراً مفضلاً في الأمور الصعبة، مما جعله يحظى باحترام ووقار لدى الجميع.

رجعت مشيخة قبيلة أيت النص في عهد جيش التحرير بأيت باعمران ما بين 1957 . 1960 إلى عائلة المترجم فقامت بالواجب أحسن قيام، في تلك الظروف الصعبة، وتوفي الحسين أُسعيد عام 1405 هـ. مخلفا ولداً نجيباً في عمله.

ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران - مرقون -*.

الحسين جهادي

بَـايُـو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث لازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Bello، واشتهر من بين أفرادها :

بايو أحمد بن عيسى، اشتغل بخطة العدالة. كان حيا سنة 1082 / 1671. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1088 / 1677 على إثر الوباء الذي أصاب المدينة.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البُـتْر، اسم يطلقه النسابون والمؤرخون المسلمون على قسم من السكان الأمازيغيين في شمال افريقيا، تمييزا لهم عن القسم الثاني منهم والذي ينعتونه باسم البرانس. وإلى هذين الشعبين : البتر والبرانس ينتمي كل الأمازيغيين حسب ما يزعمه المؤرخون المسلمون القدماء. وهذا الانتماء في نظرهم انتماء سلالي، لأنهم يعتبرون أن كل البرانس ينحدرون من صلب جد أعلى اسمه بُرْنُس، وأن البتر سلالة واحدة منحدرة من جد أعلى واحد هو مادغيس الأبتر.

وقد تناول ابن خلدون هذا الموضوع في كتاب *العبر*

بكثير من التفاصيل ما كان له أن يدرجها في موسوعته لو لم تكن متوفرة لديه. وكونها متوفرة دليل على أن الناس قبله اهتموا كثيراً بمسألة أنساب الأمازيغيين، ونسجوا تاريخهم كله على منوال النظرية السلالية أو الجينيالوجية المعتمدة عند الساميين في الشرق الأوسط.

ورغم أن الواقع الجغرافي والتاريخ لا يزكيان البناء الجينيالوجي المطبق على سكان شمال افريقيا الأمازيغيين ككل، خصوصا على المستوى العام، أي على مستوى التقسيمات الكبرى، فإن النظرية النسبية لعبت دورا بينا كإيديولوجية مجمعة على المستوى المتوسط والأدنى، خصوصا عند تجمعات الرحل من زناتة وصنهاجة مثلا.

ويرجع هذا، على ما هو مرجح، إلى ضرورات نمط عيشها، وتأثرها بالنموذج الجينيالوجي الشرقي الذي أطر بشكل فعال ممارسات العرب الوافدين إبان الفتوحات الإسلامية فيما يتعلق بتحديد علاقاتهم فيما بينهم هم وزبناؤهم من الموالي الشرقيين والمغاربيين، أو في ما يتعلق بإدماج مجموعات كبيرة من الزناتيين بالخصوص في حلف القيسيين. وهذا ما فعله حسان بن النعمان مع الزناتيين الذين كانوا في مواجهته، حين ضمن تحالفهم معه باعترافه هو ومن معه من كبار القيسية بأخوة الزناتيين والقيسيين أخوة نسبية تضمن لهم المساواة الكاملة مع العرب. وربما كان هذا التحالف هو أصل ما يدعيه قسم من البتر من الانتساب إلى بر بن قيس.

ولا شك أن قائداً عربياً آخر ينتمي إلى اليمنية، الحزب المضاد للقيسية، فعل نفس الشيء مع قسم من صنهاجة، فيكون ادعاؤهم الانتماء إلى حمير نتيجة تحالفهم مع الحزب اليمني. وإذا كان المؤرخون بمن فيهم بعض القدماء، يشكون في صحة وجود هذا الهيكل الجينيالوجي الذي بناه النسابون والمؤرخون المسلمون الأوائل، وألبسوه برنسا طويلا تارة أو رداء قصيراً أبتر تارة أخرى، فإن هناك مبررات أخرى يمكن أن تكون هي أصل هذا التمييز بين من يسمون بالأمازيغيين البتر والأمازيغيين البرانس.

أهم هذه المبررات هو وجود اختلاف ضروري بين أناس يعيشون في ظروف طبيعية ومناخية متباينة، نظراً لما لتلك الظروف من أثر عميق في تشكيل أنماط عيش السكان وتنظيماتهم الاجتماعية وعاداتهم اليومية في المأكل والملبس والسلوك العام. فسكان المناطق الصحراوية يعيشون عادة رحلا متنقلين، وينتظمون في مجموعات عائلية واسعة، ويبرمون مع مجموعات أخرى تحالفات مصلحية تضمن لهم الحماية المتبادلة والتوسع المجالي الضروري لحياة الرعي والانتجاع. كما أن لباسهم وطعامهم لابد أن يكونا مناسبين لوسطهم الطبيعي.

وبالنسبة لسكان المناطق المعتدلة نجد أن تاثرهم بمحيطهم الطبيعي على جميع المستويات شيء لا جدال فيه. ولكن بشكل يختلف عما يلاحظ عند الصحراويين مثلا، وهكذا. بل إن الاختلاف يظهر حتى داخل المجال الواحد، كما هو ظاهر بين سكان الجبال وسكان السهول المتجاورين على سبيل المثال.

إن كل هذا يعد من قبيل البديهيات كما هو معلوم. ولكن الذي يهم من التذكير به هو أن هذا النوع من الاختلاف الطبيعي يؤدي أحياناً إلى تكييف أحداث كبيرة، بعد توظيفه توظيفا إيديولوجيا مناسبا لضرورات اللحظة التاريخية.

وهكذا، فإن تصنيف النسابين والمؤرخين المسلمين الأوائل للأمازيغيين إلى بتروبرانس له علاقة ظاهرة باختلاف الملبس لدى الفريقين. إذا اعتبرنا أن البرانس جمع لكلمة برنس. والبرنس هو الكساء المعروف لدى المغاربة باسماء أخرى مخالفة. واعتبرنا أن البتر جمع للفظ أبتر، وهذه الصفة تعني من بين ما تعني المقطوع أو القصير من الأشياء. وقد يكون هذا القصير كساء.

ورغم هذا فإن تأويل النسابين لم ينح هذا النحو، بل إنهم أبوا إلا أن يجعلوا من برنس ومادغيس الملقب بالأبتر اسمين لرجلين أخوين، وعدوهما جدين أعليين لكل الأمازيغيين، وإليهما ينسبونهم.

وكلمة بتر، على ما هو شائع، كلمة عربية، وجمع للصفة أبتر، وتعني «المقطوع، ومقطوع الذنب من الحيوانات، وما كان قصيرا أو خبيثا من الحيّات، ومن لا عقب له». وهذه المعاني كلها لا تصلح أن تكون صفة مقبولة لشعب له عقب. وليست له أذناب لتقطع، اللهم إلا إذا كان القصر الذي تعنيه الكلمة لا يختص بالحياة.

وحتى في هذه الحالة لا نعلم هل القصر يصدق على ذات الشخص أو على ملبسه أو على شيء آخر يختص به.

وإذا كانت كلمة أبتر من أصل عربي حقيقة، فإن اطلاقها على الأمازيغيين لا يمكن أن يكون إلا من العرب، وليس من المعنيين بالأمر أنفسهم. لأن هؤلاء لا يمكنهم أن يسموا أصلهم البعيد باسم مأخوذ من لغة أخرى لا يعرفونها، ولم يقع لهم بعد معها الاتصال. في هذه الحالة ينبغي أن نبحث في اتجاه آخر ممكن، وهو معجم اللغة الأمازيغية لعل فيه ما يشفي الغليل أو ما يغني النقاش حول المسألة المطروحة على أقل تقدير.

سأقترح هنا ثلاث كلمات نظرا لقربها من حيث النطق من كلمة بتر، ولأن المعاني التي تؤديها ليست بعيدة كل البعد عما يمكن أن يتصف به الشعب الذي أطلق عليه اسم البتر من صفات تاريخية.

الكلمة الأولى التي لا تزال مستعملة عند أمازيغيي المغرب هي أبضَرْ وتجمع على إبضَرْنْ، وتعني : الأعرج.

وبمجرد حذف «أ» الأولى كما يفعل الزناتيون عادة، وقلب الضاد طاء كما يقع عادة عند الأمازيغيين عامة. أو تاء كما يحدث في بعض الأحيان داخل لهجة واحدة، ستصبح الكلمة «بتَرْ» إذ ذاك يكون التشابه الشكلي واضحا بينها وبين الكلمة العربية «بَتَرَ»،أو«أبْتَر» إذا احتفظ بالهمزة الأولى من الكلمة الأمازيغية. ومن الراجح

أن يكون التحويل ـ إن هو حدث فعلاً قد وقع من «أبِتَرْ» إلى «أبْتَر» بإدخال تغيير بسيط في شكلها.

أما الكلمتان الثانية والثالثة. فهما مأخوذتان من المعجم التارگي الذي احتفظ لنا أكثر من غيره على أقدم ثروة لغوية أمازيغية، سواء من حيث المفردات أو من حيث استعمالاتها المتنوعة ومعانيها العديدة واشتقاقاتها الضرورية.

الكلمة الثانية إذن هي بُدْرْ، والفعل منها إبُدْرْ، وتعني «أن يكون المرء أبّاء شديد الرفض للخضوع إباءً، أو أن يكون المرء لا يحترم أهله أو رئيسه الديني سواء بالأقوال أو بالأفعال». ويمكن أن يفهم من هذا المعنى الأخير أن المقصود هو التحرر من سلطة الأهل وسلطة رجال الدين. إذ التحرر منهم يعتبر عادة انعدام وجه من وجوه الاحترام لهم.

بالنسبة إلى كلمة بُدْرْ يمكن أن تصبح هي بدورها بُتْر بتحويل الدال تاء، وهذا شيء مشهود به كذلك في الأمازيغية.

وإذا نطقها الأمازيغيون كذلك (بُتْرْ) فإن اقتناءها بالمعنى العربي من قبل النسابين ـ الذين كتبوا في الموضوع بالعربية ـ يصبح سهلا. كما أن تأويلها لتناسب النظرية الجينيالوجية لا بد أن يكون بعيداً عن المعنى الأصلي للكلمة الأمازيغية. التي تعني الخروج عن السلطة وعدم الخضوع لها، وهذه صفة معروفة للرحل القاطنين في الصحاري. ومعلوم أن الشعوب التي تنسب إلى البتر كانوا في البداية على الأقل من رحل الصحراء الليبية منذ أقدم العصور.

نأتي إلى الكلمة الثالثة والأخيرة، وهي إبدْرْ وتجمع على إبدْرَنْ، وتعني كل ثوب ـ كيفما كان نوعه وأبعاده ـ يوضع على الكتف ويمر تحت الإبط المقابل، ويدار طرفاه على وسط حامله فيكون له نطاقاً.

وإبدْرَنْ بالجمع، تطلق أحيانا على ثوب يمر على الكتفين كليهما وتحت الإبطين، ويتقاطع على الصدر والظهر، ويدار طرفاه على وسط حامله فيكون له حزاماً. ومن حيث ما يمكن أن يكون قد وقع من تحولات صوتيه في الكلمة، فهو شبيه إلى حد كبير بما افترضنا وقوعه في الكلمتين السابقتين.

نرى كذلك بالنسبة إلى الكلمة الأخيرة، أن لها علاقة بالملبس، بل بطريقة معينة في استعمال ما يلقى على الجسم لباسا ظاهرا للعيان، بحيث تكفي رؤيته ليُعرف الانتماء الجغرافي أو القبلي أو الحلفي لحامله.

ويبدو أن نوع اللباس أو طريقة ارتدائه كلا أو بعضا. كان بمثابة علامة خارجية يتميز بها الخصوم عن بعضهم البعض كما تميزهم الأعلام والبنود أو خُوَذ الجنود.

هذا النوع من الحفريات اللغوية ـ واللغة من أقدم المصادر الأركيولوجية للتاريخ ـ إذا لم يفض إلى الكشف عن حقائق جديدة هن الجوانب الغامضة من تاريخنا، فهو خليق بإدخال عناصر أخرى لتفسير تلك الغوامض، يجد فيها العقل السديد ما يثير فضوله وينحو به صوب اتجاهات تخضع لمنطق الأشياء وتساير جدلية التاريخ.

ومع كل ذلك فإن كلمة البتر لا نصادفها إلا في المصادر المكتوبة بالعربية. لأن تصنيف الأمازيغيين إلى بتر وبرانس لم يظهر إلا بعد دخول الإسلام إلى شمال افريقيا. وخارج تلك المصادر، لا نجد للكلمة أثراً ملموسا في الواقع، إذ لم يثبت لحد الآن وجود علم جغرافي أو بشري يذكر بها.

في حين بقيت أسماء الشعوب التي تنسب إلى البتر متداولة إلى اليوم، ومنها : نفوسة ولواتة ونفزاوة ومكناسة وزناتة وضريسة... ولكل واحد منها بطون وأفخاذ كثيرة معروفة.

ويلاحظ أنه رغم أن الكتب المعروفة متفقة على أن البتر هم أصلا من شرق إفريقيا الشمالية إلى الغرب من نهر النيل، فإن فرقا كثيرة منهم توجد منتشرة في كل من المغرب الأوسط والأقصى منذ زمن بعيد. ولسنا متأكدين هل كان اكتساحهم لهذه المناطق الغربية قبل الفتح الإسلامي أو أثناءه.

وتوجد مراكزهم بصفة خاصة في منطقة الأراضي ما قبل الصحراوية الممتدة من ليبيا إلى سجلماسة وتلمسان وفگيگ مرورا بجبال أوراس... كما توجد فرق منهم في حوض سبو وأماكن أخرى متفرقة.

وعن دور هذه الشعوب في تاريخ شمال إفريقيا، يمكن أن نقول بأنه كان دورا نشيطا جدا منذ القدم. فقد قاوموا بعنف واستماتة الوجود القرطاجي والروماني انطلاقا من أوطانهم بليبيا وجنوب تونس الحالية وجنوب شرق الجزائر. وتميزوا في معاركهم بتفوق حربي بارز، وساهموا مساهمة فعالة في فتح شمال إفريقيا والأندلس في عهد الإسلام، لأن قسما مهما منهم حالف العرب الفاتحين منذ البداية، وانخرطوا في جيوش الإسلام، وخاضوا المعارك لإخضاع باقي القبائل. كما أنهم تزعموا ثورات ضد الولاة العرب في إطار الحركة الخارجية التي أدت إلى تقويض أركان السلطة الأموية في شمال إفريقيا بصفة نهائية.

كما أسسوا إمارات ودولا معروفة في كل من الجزائر والمغرب بصفة خاصة. كما أنهم لعبوا دورا متميزا في تعريب قسم كبير من الأمازيغيين لأنهم تعربوا قبل باقي إخوانهم وذلك لأنهم وضعوا «أيديهم في أيدي العرب لتشابه الحياة عند الفريقين واستهدافهما لكثير من المقاصد المنبعثة عن غرائز طبعا عليها أوعادات ألفاها» (*قبائل*، ص 3.1).

أما *البرانس* فهو جمع للفظ *بُرْنُس* الذي ينطق بالأمازيغية *أبْرْنُسْ* ويجمع على *إبْرَنَسْ*، كما تنطق فيه السين صاداً أو زايا مفخمة. وتعني اللباس المعروف الذي يسميه المغاربة بالسلهام.

يبدو أن الكلمة من أصل أمازيغي، رغم أن استعمالها لدى الأمازيغيين أصبح نادراً إذ ينعتون في غالب الأحيان

أنواع هذا اللباس بأسماء أخرى مختلفة مثل : أَسْلْهَمْ، أو أَخدَسْ أو أَخْنيف أو أَهْدُنْ أو أَزْنَّرْ... وذلك حسب المناطق أو اللهجات، ولعل هذه الندرة راجعة إلى كون الكلمة كانت مستعملة في البداية لدى مجموعات قليلة من السكان الأمازيغيين. وغالب الظن أن هذه المجموعات كانت تقطن بالقسم الشرقي من إفريقيا قبل دخول الإسلام إليها وأثناءه.

هذا من حيث الأصل اللغوي للكلمة، والذي يعتريه كما رأينا شيء من عدم الوضوح سواء في المعجم الأمازيغي أو العربي (بَرنُس، البرنس) أو الاغريقي ـ اللاتيني (BURRUS).

أما المدلول التاريخي لكلمتي *بُرنُس وبَرانس*، فإنه يطرح مصاعب أخرى أكثر تعقيدا من التي لها علاقة بالمدلول اللغوي. وبالفعل فقد اعتبر النسابون المسلمون الأوائل أن *بُرنُس* اسم رجل يعدونه جدا أعلى لقسم كبير من سكان شمال إفريقيا، يُنسبون إليه ويسمون *البرانس*. وفي هذه الحالة، لا أحد يستطيع أن يتكهن بالمعنى اللغوي لاسم الرجل *بُرنُس*، في حالة ما إذا لم تكن له علاقة بالمعنى المتداول اليوم للكلمة.

غير أن الرأي السديد في نظرنا هو اعتبار أن الأمازيغيين الأوائل الذين عاشوا قرونا طويلة جماعات مستقلة طليقة، لا تخضع لسلطة مركزية، تحافظ بالقوة على التوازن الضروري بين التجمعات البشرية المختلفة، وتخلق رموزاً أخرى خليقة بتنمية روح التعايش بينها، أقول طوروا نموذجا بديلا يضمن لهم الانفلات من هيمنة الدولة المركزية والمحافظة على حرية التصرف في إطار توازن ضروري بين مختلف الجماعات يعتمد نوعا من التمييز فيما بينها يكون ثنائيا في أغلب الأحيان. ورغم أن وسيلة التمييز تكون مختلفة حسب الظروف والملابسات المحلية، وكذا الاسم المميز، فإن التقسيم الثنائي يبقى هو السائد في جميع المناطق. ويكون التعارف بين الإخوة المتحالفين محققا في مجالات جغرافية واسعة وكان اللباس أو طريقته من الوسائل المميزة البارزة التي تعتمد لمعرفة الحليف من غيره. خصوصا وأن الاختلاف في الملبس يكون طبيعيا باختلاف الظروف المناخية بصفة خاصة.

فالبرانس الذين تقول عنهم المصادر التاريخية بأنهم كانوا يسكنون بجبال أوراس قبل انتشارهم في مناطق مختلفة من المغربين الأوسط والأقصى، ربما كان *البرنوس* (هكذا كتبها البيذق) هو السائد في لباسهم. فمُيزوا به هم وحلفاؤهم، كما تميز الصنهاجيون الصحراويون باللثام على سبيل المثال. وقد رأينا سابقاً أن الحلف الثاني الذي يمثله الأمازيغيون *البتر* ربما كان يميز كذلك بلباسهم الغالب عليهم. ولاننس أن هؤلاء كانوا جيران الأوائل من جهة الشرق حوالي جبال أوراس.

هناك فرضيات أخرى اقترحها الباحثون في إطار محاولاتهم أساس تقسيم الأمازيغيين إلى شعبين متقابلين ككفتي ميزان، لا تكاد تعلو إحداهما إلا وانخفضت الأخرى. إذا اعتبرنا العلاقة بينهما بصفة عامة جدا.

ومن هذه الفرضيات تلك التي ترجع ذلك إلى اختلاف نمط العيش بين الرحل والمستقرين، غير أن *البرانس* ليسوا كلهم مستقرين، كما أن *البتر* لا يتكونون من الرحل فقط. ومنها كذلك تلك التي تأسست على مبدإ الصراع بين الأصلي والطاريء، فالبرانس أصليون ـ في مساكنهم الأولى على الأقل ـ والبتر طارئون عليهم مدافعون لهم. ولكن هذا يمكن أن يكون مقبولا على نطاق محدود، فكيف أصبح أساس تقسيم عام يشمل كل الأمازيغين ؟

يمكن أن تُصاغ فرضيات أخرى محتملة حول المسألة، تسير في اتجاه يجعل من التأويل الجينيالوجي للثنائية الأمازيغية مبحثا سهلا وعقيما، لأنه مسدود المسلك. ولكن دلالة استعماله الإيديولوجي ذات أهمية تاريخية لا تنكر.

وكيفما كان الأمر، فإن كتب الأنساب والتاريخ تذكر أن شعوب البرانس هي : مصمودة وصنهاجة وهوارة وأوربة وكتامة وعجيسة وازداجة وأوريغة وغمارة. وهناك من يضيف إليهم : گزولة ولمطة وهسكورة. وكل شعب من هذه الشعوب يحتوي على بطون وأفخاذ مذكورة في الكتب المختصة.

والجدير بالذكر أن هذا التقسيم ليس تقسيما مضبوطا يحظى باتفاق الجميع، فغمارة مثلا تعد عند البعض من مصمودة، وكتامة من صنهاجة. كما أن مسألة الاستقرار ليست قاسما مشتركا بين هذه الشعوب البرنسية. أضف إلى ذلك ظاهرة انتشارهم الواسع جغرافيا حيث نجد فرقا منهم في كل أقطار شمال إفريقيا الأمازيغية من أقاصي الصحراء الكبرى إلى جبال الريف وجبال أوراس ومنطقة القبائل بالجزائر وجبال الأطلس.

كما يلاحظ أن أي واحد من هذه الشعوب لا يحمل اسم *البرانس*، بل أسماء أخرى قديمة كذلك ومعروفة منذ بداية الفتوحات الإسلامية، وربما قبل ذلك.

ولا نكاد نجد هذا الاسم إلا في مناطق محدودة جدا من شمال إفريقيا كقبيلة *لُبْرانس* في شمال المغرب وفي اسم قرية في فحص طنجة *وأولاد برنوس* أو *بنو برنوس* في نواحي مكناس وجبل *البرانس* في شمال مدينة قرطبة.

هذا الاندثار الشبيه بالكامل لاسم *البرانس*، لا يمثل حالة منفردة في شمال إفريقيا، لأنه شبيه بما وقع لأسماء أخرى كثيرة منها البتر ومصمودة وبرغواطة وگنفيسة... ويبدو أن ذلك ناتج عن كون هذه الأسماء وليدة ضرورات سياسية واجتماعية وتندثر كلا أو بعضاً بزوال تلك الضرورات أو تجاوزها، نظراً لتغير الأحوال وبروز أخرى تتحكم في الديناميكية التاريخية سواء على المستوى المحلي أو على مستويات أوسع. وهذا ما وقع بوضوح أكثر في أقرب فترات شمال إفريقيا إلينا.

أما عن الدور التاريخي للشعوب التي تنسب إلى

البرانس، فإنه كان دوراً هاماً جداً، لأنهم طبعوا تاريخ شمال إفريقيا أكثر من إخوانهم المنسوبين إلى البتر ببصمات خالدة. بل إن آثار أعمالهم تجاوزت حدود المغارب لتتغلغل في أعماق الصحراء وساحل إفريقيا الصحراوي وفي شبه جزيرة إيبيريا ومصر.

وبذلك ساهموا في بناء الحضارة المغاربية مساهمة فعالة وعميقة، لا بالمشاركة البارزة في أكبر الأحداث التاريخية فحسب، ولكن كذلك بخدمة التربة الوطنية واغنائها والحفاظ عليها واستدرار خيراتها في السهول والجبال والصحاري والسواحل. ولم يمنع اختلاطهم المبكر بمختلف القوى الواردة على بلادهم من الحفاظ على شخصيتهم المتميزة. "وقد تمكنت قبائل البرانس بحكم استقرارها ومجاورتها لسيف البحر أن تتحضر وتتأثل المال وتستفيد مما كان المهاجرون والفاتحون الأجانب ياتون به من مدنيات وثقافات، كما نمت فيها لنفس السبب روح المقاومة، وكثر تعلقها بالأرض التي تقيم فيها والتي لم تألف أن تبرحها كالبتر الرحل" (*قبائل*، 301).

الادريسي، *وصف افريقيا*، ص 52 ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار*، ص 188 ؛ ع. ابن خلدون، *كتاب العبر*، ج : 6 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج : 1، ص 64 وما بعدها ؛ *ابن منصور*، *قبائل المغرب*، ج : 1 ص292 وما بعدها ؛ ت. العلوي، *مقالات عن أصول المغاربة* (القسم الأمازيغي) المنشور في مجلة البحث العلمي، الأعداد : 20. 21. 22. 25. 27. 31 ؛ م. شفيق، *المعجم العربي الأمازيغي*، ج : 1، مادة بتر ومادة برنس ؛ ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، ص 17.

Ch. de Foucault, *Dictionnaire Touareg-français*, 1951, I, pp. 26, 42 ; Ch. A. Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord*, 1975, t. II, p. 22 sqq ; E. Laoust, *Mots et choses berbères*, 1920, 1983, p. 120 - 30 ; *E. I.*, I, p. 1068 - 1389.

علي صدقي أزايكو

الهتروك بالمغرب، إن موقع المغرب من الشمال الغربي للقارة الافريقية ووجود أربع سلاسل جبلية على أرضه (جبال الريف والأطلس المتوسط والكبير والأطلس الصغير) لم يكن بالعامل الذي ييسر مهمة الاستكشاف النفطي بل أدى ذلك إلى تعقيد التاريخ التكويني والجيولوجي لبلادنا. ورغم ذلك توجد أحواض رسوبية على اليابسة يمتد بعضها تحت مياه المحيط الأطلسي والبعض الآخر تغمره مياه البحر المتوسط. ويمكن وجود هذه الأحواض من الجنوب نحو الشمال كالآتي :

- الأحواض الممتدة من بوجدور إلى طرفاية مع امتدادها بالمحيط الأطلنتي.
- منطقة سهول وادي درعة مع الجانب المغربي من حوض تندوف.
- أحواض تافيلالت، وورزازات وسوس جنوب الأطلس الكبير.
- أحواض گرسيف وميسور والهضاب العليا.
- الأحواض الرسوبية بدكالة وتادلا، والحوز والصويرة.
- أحواض الغرب والمناطق الواقعة جنوب سلاسل جبال الريف.

ولكل من هذه الأحواض الرسوبية في أغلب الأحيان تاريخ متميز من وجهة ماترسب بها من صخور، إذ أن لكل عصر من العصور الجيولوجية المتعاقبة خواصه البالیوجغرافية.

وقبل الخوض في التعريف بإمكانات كل من هذه الأحواض وبالتالي معرفة إمكانية وجود النفط بالمغرب، لنلق نظرة وجيزة على النفط، كيف يتكون وشروط وجوده :

إن الحياة متوفرة في الأمتار العلوية من المحيط. هناك تزخر بملايين من الحيوانات والنباتات البدائية الدقيقة تحيا وتموت. وبذا تشكل بداية الحلقة الغذائية عندماتكون حية. وعندما تموت تغطس بعيداً عن ضوء الشمس إلى ظلمات المياه العميقة بعضها يتلف على الطريق بواسطة بكتيريا أو كائنات حية أكبر، وتلك التي تنجو وتكمل الطريق تطمر في الثفالة الناعمة التي انجرفت من الشاطئ. وبينما تتراكم التفالة، تبدأ المواد العضوية حركة التغير والتبدل. تبدأ بالتحلل وإطلاق غاز الميتان. وكلما تزايد عمقُ انطمارها تحت الترسبات الصخرية المنجرفة من اليابسة تبدأ درجة الحرارة في الارتفاع، حيث تتفكك المواد العضوية معطية المواد الكيميائية التي يتركب منها النفط على شكل قطرات مجهرية تبدأ في التجمع بين حبيبات الثفالة الطينية المغمورة بالماء. هذه التفالة تبدأ بدورها تحت ضغط الترسبات المغطية لها بالتحول إلى صخور. وهذا ما يطلق عليه الصخور الأم، الرمل المنجرف من اليابسة وتحت ظروف الضغط يتحول بدوره إلى صخر رملي يحتوي على فجوات مترابطة أو مسامات يستطيع النفط المرور عبرها. عندما يتشبع الصخر المسامي بالنفط، وينحصر في وسط صخور أخرى خالية منه، عندئذ يشكل ما يسمى بالخزان، ويميز الجيولوجيون تركيبات عديدة من الصخور ينحبس بها النفط.

ويشمل هذا التموجات العريضة من طبقات الصخور التي تدعى بالطيات Plis وهناك مصائد أخرى لهذا السائل الذي يهاجر دائما من مركز تكونه ليقع في فخ الفوالق الكبيرة أو ما يطلق عليه التصدعات Failles وحتى تتوقف إمكانية الهجرة للسائل النفطي يجب وجود صخور عديمة المسام والنفاذية لتكون بذلك غطاء حاجزاً.

وهكذا تبرز لدينا الشروط الأساسية لوجود النفط :

1 ـ الصخور الأم، 2ـ الصخور الخازنة، 3 ـ الفخ، 4 ـ الصخور المكونة للغطاء.

ولإعطاء مثل عن الصخور الأم نشير إلى أن الصخور النفطية لطرفاية وتمحضيت والمحتوية على13.5 ٪ من المواد العضوية هي صخور أم. فهذه الترسبات إذا تم غمرها إلى أعماق تتجاوز 2.000 متر تحت طبقات من الصخور المسامية أو صخور الغطاء بإمكانها أن تطرد المادة العضوية التي بها تحت ظروف الضغط والحرارة بتلك الأعماق.

وبذا يتم وجود السائل الزيتي الذي بإمكانه الهجرة إلى الصخور الخازنة وحبسه في إحدى أنواع المصائد تحت غطاء غير نفاذ. وهذا السيناريو هو مايجري حاليا بالشواطىء الأطلنتية غرب منطقة طرفاية.

إذاً فالعناصر الضرورية موجودة بالمغرب فهناك العديد من الصخور الرملية والكلسية تتمتع بقابليتها لتصبح خازنة للنفط، كما أن هناك عديداً من الأماكن حيث ينحبس النفط في طيات طبقات الصخور.

كيف يمكن إذاً العثور على البترول ؟ من الضروري أن نفهم أن البترول يتكون بين حبيبات الصخر المسامي مثل الصخر الرملي، وليس في بحيرات واسعة في باطن الأرض. كما يجب العثور على الخزان.

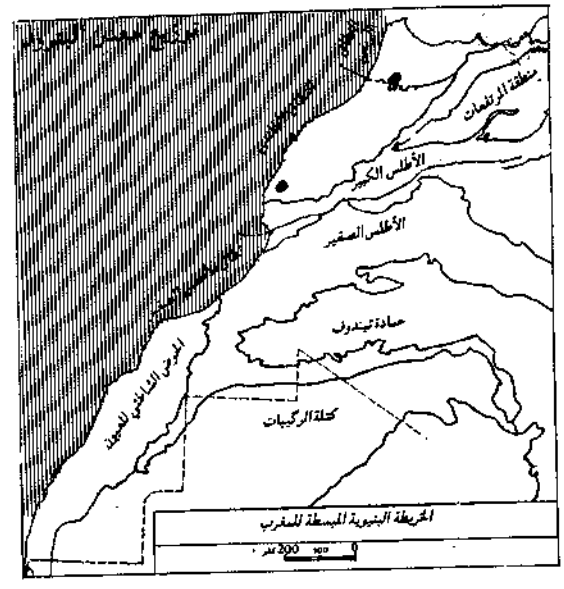

فلنتصور مثلا حقلا للنفط مساحته تعادل مساحة جامع الفنا بمراكش. إنه لمن الصعب جدا إيجاد هذا الحقل دون الاستعانة بخريطة، خاصة في بلد كبير كالمغرب فما بالك بالحصول على نفط على عمق ثلاثة إلى خمسة كيلومترات تحت سطح الأرض دون الاستعانة بخريطة جيولوجية.

إن حفر بئر هو الدليل الوحيد والحقيقي لإثبات وجود حقل نفطي على هذا العمق. لكن ذلك باهظ التكاليف، لذا يجب إجراء الحفر في الموقع الصحيح وبدقة. فبداية البحث تكون مكتبية على الخرائط، كما يتم استخدام خرائط وصور للأقمار الاصطناعية من مختلف المقاييس للتمييز بين تلك المناطق التي لا يتوقع وجود البترول بها.

أما في المناطق الملائمة، فيقوم مهندسو المكتب الوطني بدراسة الصخور السطحية ووضع خرائط تفصيلية للنموذج البنيوي للمنطقة. من هذا يتم استخلاص مناطق الفائدة المتوقعة. ويتم تقصيها باستخدام عربات كبيرة لجمع المعلومات الجيوفيزيائية من تحت سطح الأرض.

- تقوم هذه العربات بهز الأرض واقعيا بواسطة وساداتها الهيدروليكية الضخمة. تجتاز ببطء المناطق المأمولة ضمن قافلة محددة، وترسل أمواجا صادمة شبيهة بالزلزلات، إلى باطن الأرض وعلى فترات منتظمة.

وبواسطة سماعات أرضية أو جيوفونات، تلتقط انعكاسات الموجات الصادمة من على الطبقات الصخرية بالأعماق بعد تمريرها بحاسوب يكشف النقاب عن ملامح الصخور تحت السطح. وما جهاز رسم الصدى أو Echographie المستخدم في الميدان الطبي إلا مثال لذلك. ويشكف فحص لاحق عن مزيد من التفاصيل حول طبقات الصخور وتموجاتها تحت السطح التي غالبا ما ينحبس البترول بها. وتشكل هذه المعلومات إضافة إلى ما سبق الأساس لاختيار موقع حفر البئر الاستكشافية.

عملية الحفر : الحفر عملية معقدة تجري باستخدام جهاز ضخم غالي الكلفة يعمل بواسطة البكرات لرفع وخفض الأنبوب الذي يحتوي في أسفله على رأس الحفر. هذا الرأس الذي يختلف نوعه حسب صلابة وقساوة الصخور، وذلك عن طريقة إدارة دواليب الرؤوس بطريقة تمكنها من طحن الصخور إلى أجزاء صغيرة تصعد إلى السطح عن طريقة سائل خاص للتبريد والتزييت وتسهيل عملية الحفر.

وبمتابعة دراسة الفتاتات الصاعدة يتمكن المهندسون من مراقبة سير الحفر نحو الهدف المنشود ألا وهو الخزان.

إمكانات الأحواض الرسوبية بالمغرب : أظهرت الدراسات الجيولوجية والجيوفيزيائية والآبار القليلة المنجزة في كل من الأحواض التي سبقت الإشارة إليها، عوامل إيجابية تبرر مواصلة التنقيب. ولنأخذ كمثال لإيضاح ذلك نطاق الأطلس الصغير بأحواضه الرسوبية الموجودة في منبسط وادي درعة وتافيلالت وبودنيب والجزء المغربي من حوض تندوف. إن هدف الاهتمام النفطي ينحصر بصفة عامة في الطبقات الرسوبية للعصر القديم، أي التي يرجع تاريخها ما بين 570 إلى 280 مليون سنة خلت، إذ أن للصخور الأم التي سبقت الإشارة إليها والمولدة للمواد الهيدروكربونية منتشرة بشكل عام في هذه المناطق. وهي نفس الصخور الأم المولّدة للنفط بحقل حاسي مسعود، وللغاز بحقل حاسي الرمل بالجزائر، وقد أثبتت الدراسات الأخيرة أن هذه المناطق نظراً لدرجة النضج العالية للصخور الأم لن يكون بالإمكان الحصول على نفط سائل، وإنما سيكون ما قد ينتج عبارة عن غاز.

أما عن الصخور الخازنة التي سبقت الإشارة إليها فإنها توجد على شكل صخور جيرية تعود إلى العصر الديفوني المتوسط أي إلى 370 مليون سنة خلت.

وبانتقالنا إلى حوض سوس فإن الصخور الخازنة به تعود إلى العصر الترياس أي 210 مليون سنة خلت أي نفس الهدف المنشود بحوض الصويرة والذي به يتم إنتاج الغاز المكثف المصاحب وذلك من حقل مسكالة الذي سنفصل الكلام عنه لاحقاً. إلا أن الصخور الأم نشأت بهذين الحوضين بالعصر الديفوني الأعلى أي يعود عمرها إلى 350 مليون سنة.

ومن هذين المثالين ورغم قرب المسافة نسبيا ووجود الأطلس الصغير كفاصل بين المنطقتين (وادي درعة وتافيلالت من جهة، وسوس والصويرة من جهة أخرى) فإن لكل حوض خاصيته باختلاف عمر الصخر الأم وظروف الخازن بهاما يزيد الاستكشاف النفطي تعقيداً.

أما أذا اتجهنا إلى الأحواض الرسوبية بأقاليم طرفاية والعيون وامتدادها بالمحيط الأطلنتي فإن الاهتمام الاستكشافي ينحصر في العصور المتوسطة أي التي يرجع تاريخها إلى 170 مليون سنة خلت. ويمكن أن تتكون الصخور الأم والصخور الخازنة بنفس العصور.

وقد أثبتت عمليات الاستكشاف التي قامت بها شركة "إسو" بين سنة 1967.1976 وبعد حفر عشرة آبار استكشافية وجود مخزون نفطي من النوع الثقيل يقدر معدل ما يمكن إخراجه منه بأربعة عشر مليون برميل. إلا أن الظروف التي سادت وقتها والتكلفة اللازمة لمعالجة المكمن نظراً لدرجة الكثافة العالية أظهرتا بأن استخراجه غير ذي جدوى اقتصادية. وتجرى حالياً مشاورات ودراسات لبعث المشروع من جديد.

إن وجود النفط بهذه المناطق وخاصة بمياهنا الاقليمية من الصويرة إلى طرفاية جنوباً غير قابل للشك، الشيء الذي جعل من هذه المنطقة كعبة لمختلف الشركات العالمية للقيام بعمليات استكشافية وفقاً لنظريات ومؤشرات تتغير باستمرار البحث وإنجاز الآبار. إذ أن الحفر هو الوسيلة الوحيدة لنفي أو إثبات النظريات التي على أساسها يتم الشروع في عمليات الاستكشاف بمنطقة معينة.

أما في النطاق الأطلسي وخاصة مناطق ميسور، والهضاب العليا "جرسيف" فإن الدراسات والآبار المنجزة أثبتت وجود صخر أم من النوع الجيد وجدت بالعصر الكريتاسي أي يرجع عمرها إلى 300 مليون سنة. إلا أن مزيداً من الدراسات مازال القيام بها أساسا لكل عملية مواصلة للبحث. أما بغرب المملكة وخاصة مناطق الصويرة، ودكالة وتادلا والحوز فإن الصخور الأم توجد في عدة طبقات من العصر القديم. أما الصخور الخازنة فتقع بالعصر الترياسي والجوراسي الأعلى.

وقد تم بهذه المناطق اكتشاف الزيت بحوض الصويرة في حقل سيدي غالم والغاز بمنطقة مسكالة بحوض الصويرة. كما أن هناك مؤشرات نفطية بكل من حوض تادلا ودكالة.

لماذا كان إنتاج أحواضنا النفطي والغازي بسيطا لحد الآن ؟ بالرغم من العديد من المؤشرات الإيجابية المثبتة عن طريق ما أنجز من آبار بمختلف الأحواض ؟ كذلك يتبادر إلى الذهن لماذا هذا العدد المحدود من المكتشفات ؟ الغاز الطبيعي بمنطقة الغرب، النفط بسيدي غالم (الصويرة) الغاز والنفط المكثف المصاحب بمسكالة (الصويرة) النفط الثقيل بمنطقة طرفاية البحرية.

وللاجابة عن ذلك يجب أن نأخذ بعين الاعتبار المبادىء الآتية :

1 ـ الهدف : وقد بينا أن الهدف يختلف باختلاف الحوض.

2 ـ كثافة التنقيب: أي إذا أخذنا مساحة حوض كحوض طرفاية الذي تبلغ مساحته 8.000 كلم مربع، وعلما منا أنه لم تنجز به إلا آبار ثلاثة، فإن كثافته الاستكشافية تبلغ 2670 كلم مربع لكل بئر. وهذه درجة ضئيلة جداً على المستوى العالمي. وبمقارنة ذلك بمنطقة طرفاية البحرية نجد أن الكثافة تبلغ 655 كلم مربع لكل بئر. وقد أشرنا إلى ما أكتشف بهذه المنطقة من نفط ثقيل.

وباستمرار المقارنة بإقليم الصويرة نجد أن كثافة الاستكشاف تبلغ 136 كلم مربع. وقد توج البحث بها باكتشاف حقل غالم ومسكالة ولكن بأقاليمنا الساحلية بالبحر المتوسط نجد الكثافة تصل إلى 9.000 كلم مربع لكل بئر.

نستنتج مما سبق أن درجة الاستكشاف ما زالت بالنسبة

لأغلب الأحواض في بدايتها. فعلى المستوى العالمي نجد أنه يجب حفر اثني عشر بئراً استكشافيا في منطقة معينة ليكون واحد فقط منتجاً. وكذلك تجدر الإشارة إلى أنه لزم حفر مائة بئر ببحر الشمال قبل التوصل إلى أول اكتشاف نفطي به.

وإنه لمن تحصيل الحاصل أن كل جهد يبذل في ميدان الاستكشاف هو مجهود علمي وفني ومالي. فالجهد العلمي والفني المترجم عبر دراسات جيولوجية وجيوفيزيائية، سيرفع من مستوى معرفتنا لتمحيص نظريات البحث. أما المجهود المالي، فيكفي أن نعرف أن بئراً على اليابسة وعلى عمق 4.000 متراً يكلف ما بين 36 إلى 50 مليون درهم، ونفس البئر على البحر تصل كلفته إلى 200 مليون درهم.

المكتب الوطني للأبحاث والاستثمارات النفطية :

أنشيء المكتب الوطني للأبحاث والاستثمارات النفطية بتاريخ 10 نونبر 1981، كأداة مختصة للقيام بعمليات التنقيب والإنتاج. وكانت هذه العمليات سابقاً جزءاً من أنشطة مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية.

ويواصل المكتب حملات التعريف بإمكانات أحواضنا الرسوبية لدى الشركات العالمية قصد التخفيف من العبء الثقيل على كاهل ميزانيتنا، والعمل على أن تبلغ دراساتنا للمكامن النفطية درجة النضج، بغية الحصول على أكبر نسبة من اليقين حين اختيار أماكن الحفر، مع مواصلة تكوين أطرنا الفتية بغية تحقيق خبرات فنية وطنية. ويواصل المكتب جهوده هذه بمساعدة شركة بيتروكندا الدولية للتعاون منذ سنة 1982. وتوجت العمليات الاستكشافية بتقييم إجمالي لحوض الصويرة ومناطق الغرب.

حوض الصويرة : يتوفر المكتب حالياً بهذا الحوض على أربعة مكامن للغاز الطبيعي. توكيمت، مسكالة، زلتن، ندارك. يستخرج من الثلاثة الأوائل غاز مع نفط مكثف، أما حقل ندارك فيستخرج منه الغاز الجاف مصحوبا بكمية من الازوت +H 2 S . يقدر المخزون الغازي الممكن استخراجه ب 1.262 مليار ن م^3.

ويتم إنتاج الغاز حالياً من مكمن مسكالة وتوكيمت الذي يوجه صوب وحدات التجفيف للمكتب الشريف للفوسفاط باليوسفية عن طريق شبكة من الأنابيب.

كذلك يتوفر المكتب على وحدتين للإنتاج لفصل النفط المكثف عن الغاز، تبلغ طاقتهما الإجمالية 250.000 ن م^3 يوميا و 100 ن م ^{3} من النفط المكثف. ويعتبر المكتب الشريف للفوسفاط الزبون الوحيد للمكتب حالياً حيث يتراوح استهلاكه من الغاز 12 إلى 13 مليون متر مكعب سنوياً. وما يزال المكتب منكبا على إقناع أطراف أخرى كمعامل الاسمنت بـ "أگادير" ونواحي مراكش باستعمال المنتج الوطني عوض الفيول المستورد. وقد تم إنشاء هذا المشروع على أساس مدة تبلغ عشرين سنة وبلغت تكلفته مائة مليون درهم وحين الوصول بالإنتاج إلى المستوى المنشود سيتمكن المغرب من تحقيق اقتصاد من العملة الصعبة يقدر بمائة وخمسين مليون درهم.

ـ منطقة الغرب : أنتج المكتب بمشاركة شركة Apex كميات من الغاز بلغت إلى مستوى 44 مليون ن م^3 يوجّه أغلبها إلى معمل الكرتون بالقنيطرة ومصفاة سيدي قاسم. وفي سنة 1981 كان إنتاج المغرب من الغاز 1٪ من الاستهلاك الطاقي. وبتحقيق مشاريع التنمية بأحواض الصويرة والغرب، تمكن المكتب من إنتاج 180.000 طن معادل للنفط سنة 1987 موزعة كالآتي :

ـ النفط والغاز المكثف 40.000 TEP

ـ غاز الغرب 50.000 TEP

ـ غاز الصويرة 90.000 TEP

وبذا تمت تغطية 4٪ من احتياجات المغرب النفطية.

أحمد بودة

البترول في الصحراء المغربية، بدأ التنقيب عنه في عهد الاستعمارالإسباني، حيث أذن لعدة شركات بالبحث والحفر من سنة 1960 إلى سنة 1965، ثم استؤنفت عمليات التنقيب سنة 1970، غير أن الحكومة الإسبانية اضطرت إلى التوقف عندما طرحت قضية الصحراء أمام هيئة الأمم المتحدة بصفة جديّة سنة 1972، الشيء الذي يجعلنا نجهل نتائج ذلك التنقيب المكثف الذي قامت به الشركات المذكورة حسبما يتجلى في الجدول التالي :

اسم الشركات المسموح لها بالتنقيب	المـدة	العمق الذي وصل إليه الحفر
Philips	1960 . 1963	2.891 متر
Cepsa - Gulf	" "	19.230 متر
Union Oil	1961 . 1962	10.760 متر
Richfield	" "	3.975 متر
Champlin	1962 . 1963	11.930 متر
Atlantic	1961 . 1963	7.700 متر
Taldebs	1962 . 1964	2.140 متر
Amoseas	" "	9.880 متر
Mananesica	1963	3.000 متر
Tidenater	1964 . 1961	13.000 متر
Texaco	" "	11.100 متر
Empresa Minera del Sahara		2.218 متر
I.N.I.	1964	لم يعلن عن نتائج تنقيبه

إن إقدام الشركات البترولية المذكورة على التنقيب في الصحراء المغربية مع ما تكلفه عملية التنقيب من نفقات باهظة، دليل على أن هناك احتمالات كبيرة لوجود البترول في جوف أقاليمنا الصحراوية.

Direccion General de Marruecos y Colonias, *Prospecciones petroliferas en el Sahara*. Madrid, 1968.

محمد ابن عزوز حكيم

البَيْجْ، حيوان من الثدييات اللاحمة الكبيرة المنتمية إلى فصيلة السنوريات. اسمه العلمي Felis Serval Castantina, Forster, 1780. واسمه الشائع في المغرب هو البيج والتفة وقط فر و واگرزّامْ بالبربرية.

إنه سنور وحشي مرقط، كثير الشبه بالقط، طويل الرأس، أذناه طويلتان وعريضتان في القاعدة. تكسوه فروة صحراوية اللون تتخللها شمامات مسودة، قصير الذيل (35 سم)، يبلغ طوله عند الغرب 55 سم وطوله جمعا بين الرأس والذيل 95 سم. صيغة أسنانه كالتالي : 3/3 قواطع 1/1 أنياب، 3/2 أضراس أمامية 1/1 أضراس = 30 سنا.

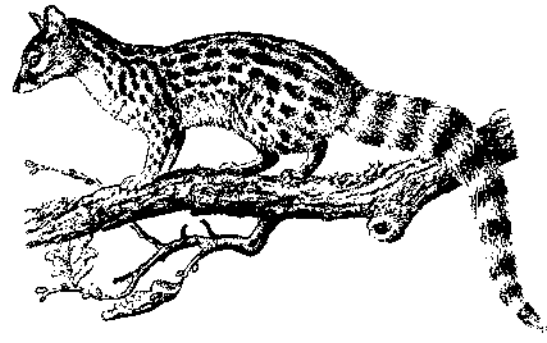

يعيش في السهوب والغابات والجبال التي يتعدى ارتفاعها 1.500 م. يصيد فريسته ليلا ويتغذى من الطيور والزواحف والقواضم والأرانب وصغار المجترات كالخرفان والغزلان. كثيرا ما يغزو مأوى الدجاج ويخلف أضرارا. تقدم إليه اللحوم والأسماك في حدائق الحيوانات.

تعيش على جلده كثير من الطفيليات نذكر من بينها البراغيث والقرادة والخيطيات.

تدوم مدة الحمل حوالي 3 أشهر وتستأنف الأنثى حرارتها الحيوانية بعد بضعة أسابيع من وضع صغارها البالغ عددها ما بين 2 و 4، يزن كل منها من 200 إلى 250 غراما.

يوجد هذا الحيوان في إفريقيا ولا يتعدى توزيعه الجغرافي خط عرض عشرين درجة شمالا. إنه نادر جدا في شمال افريقيا ويحتمل انقراضه في المغرب حيث كان يعمر في جنوب الأطلس الصغير. ذُكر في ضواحي بين الويدان لكن بدون توضيح المكان.

تضم حديقة تمارة بضعة أفراد من هذا النوع.

إن فروته مرغوب فيها لصنع الملابس مما أدى إلى تقليص عدده في افريقيا.

أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، 193، ص 106.

J. B, Panouse, *Les Mammifères du Maroc*, Trav. Inst. Sci. Cherif, Sér. Zool, 5, 1975, 67-71 ; A. Lakhdar-Ghazal, M. Thevenot et J. P. Farthouat, *Faune du Maroc : Les Mammifères*, Inst. et. Rech. Arab., Rabat, 1975, 35-36 ; S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*. Trav. Inst. Sci. Sér. Zool, 1986.

محمد رمضاني

البُجَاوي، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر حيث انتقلت إلى تطوان على إثر الاحتلال الفرنسي لمدينة وهران، وقد انقرضت بتطوان سنة 1326 /1908.

م .داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

البجّاج، محمد بن علي بن محمد المزامزي الشاوي، أحد العلماء الأعلام الذين عرفتهم بلاد الشاوية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وسمّاه مواطنه العربي العزوزي المزامزي هكذا : « الفقيه النوازلي العالم العلامة المفتي السيد البجّاج الشاوي البورزقي العروصي» فهو ينتمي إذن لفخذة أولاد عروص من قبيلة المزامزة. ويظهر أنه هو المقصود بالتعريف الذي قدمه العلامة محمد المنوني في ملتقى فنون الشاوية 1989. في إطار حديثه عن (*الوجه الثقافي للشاوية عبرالعصر الحديث*) حيث قال معرفاً ببعض علماء الشاوية خلال القرن التاسع عشر : «الشيخ محمد البجّاج بن علي بن محمد المزميزي البجّاجي، قرأ بسطات (...) ثم رحل لفاس».

أما ما يتعلق بثقافة الفقيه البجّاج ومساهماته العلمية، فقد ذكر العربي العزوزي أنه كان «كثير الأبحاث والمطالعة في النوازل الفقهية طارت فتواه في الآفاق (*نشر المحاسن والمآثر*، ص 28)، كان بارعا في الإنشاء، الأمر الذي يدل على ثقافته اللغوية زيادة على تكوينه في العلوم الدينية.

ويبدو أن هذه الثقافة هي التي حفزت عالمنا إلى التطلع إلى الوظائف العلمية والمخزنية بمدينة سطات. فقد ذكر العربي العزوزي أنه تقلب في عدة وظائف دينية ومخزنية، ولعب دورا مّا في بيعة الشاوية لمولاي عبد الحفيظ. وبعد احتلال الجيش المفرنسي للدار البيضاء في بداية غشت 1907، سارع بعض أعيان الشاوية إلى كتابة رسالة استغاثة لسلطان الجهاد حررها الفقيه البجّاج بمساعدة الفقيه بوشعيب بن عزوز (مارتان، *أربعة قرون من تاريخ المغرب*، ص 444). ووجهوها إلى مراكش طالبين من مولاي عبد الحفيظ أن يسرع إلى نجدة المجاهدين المواجهين لجيش الاحتلال بالدار البيضاء.

وقد ذكرالقاضي العربي العزوزي أن الفقيه البجّاج توفي وعمره يناهز 70 عاما، وأنه ترك ذرية صالحة بمدينة سطات.

ع. العزوزي، *نشر المحاسن والمآثر لرجال الشاوية الشاهير*، مخطوط ؛ م. المنوني، *الوجه الثقافي للشاوية عبر العصر الحديث*، ضمت أعمال الملتقى الأول لفنون الشاوية، نشر وزارة الثقافة سنة 1989، تحت عنوان : *مدخل إلى تاريخ وفنون الشاوية*.

A. G. P. Martin, *Quatre siècles d'histoire marocaine*.

علال الخديمي

البجّاجين، هناك خلاف في ضبط اسم المكان. فعند البكري يجاجين بالياء (ص 114)، وعند الزياني بالباء (ص 477). وهي مدينة مندثرة كانت تقع في الطريق الذاهبة من سبتة إلى فاس. يقول عنها الحميري إنها بمقربة من سبتة. ولكنها، حسب البكري تاتي بعد المرور من حجر النسر، ثم أفتس، ثم زهجوكة الواقعة بناحية القصر الكبير. ويصفها البكري بأنها "مدينة جيدة مفيدة على نهر عذب

بها جامع وأسواق وحمام ويعرف بالجبل الأشهب وهو على نهر سوسق، نهر كبير كنهر قرطبة وهي من بلد جنيارة". (ص 114) وهي إحدى مراكز الأمراء الأدارسة، إذ كان بها گنون بن محمد وتقع في بلاد بني مسارة من مصمودة. بالقرب من وزان على نهر ورغة أو على أحد روافده كما يفهم من النص. ولعلها هي نفس المدينة التي يدعوها الحسن الوزان أزجن التي تقع على بعد سبعين ميلا من فاس وتشتمل على خمسمائة كانون كما ينعتها بأنها "مدينة متحضرة جدا، فيها صناع يقومون بجميع الأعمال الضرورية. وهي جميلة تكثر فيها صهاريج الماء، وسكانها أغنياء" (ص307).

وقد حاول المستشرق دوسلان في ترجمته المعروفة للبكري أن يفسر اسم المدينة فجعله مركبا من ثلاث كلمات هي مدينة ـ يـ ـ جاجين أولاها عربية وثانيتها بربرية وثالثتها عربية مبربرة بمعنى حجاج، فيكون الاسم يعني "مدينة الحجاج" (*Description de l'Afrique*, p. 224) وهو تخريج قابل للمناقشة.

أ. البكري، *المغرب* ؛ م. الحميري، *الروض المعطار* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا* ؛ أ. الزياني، *الترجمانة الكبرى* ؛ ع. بنعبدالله، *معلمة المدن والقبائل*.

El Bakri, *Description de l'Afrique*, trad. De Slane.

محمد زنيبر

بَجّة، أسرة تطوانية أصلها من العرائش، وقد انقرضت بتطوان غير أنه مازال بهذه المدينة دار بحومة الجامع الكبير وبستان بزنقة الشمع يحملان اسم بجّة، والجدير بالذكر أن هذه الأسرة غير أسرة ابن بجة.

أ.الرهوني ، *عمدة الراوين*، 3 : 29، 4 : 109 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 41،40،39 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* , *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بـجّة (ابـن ـ)، أسرة ريفية الأصل استقرت بمدينة العرائش خلال العصر العلوي الأول. وقد عرفت بخدمتها للدولة منذ عصر السعديين حيث نجد أن أحد قواد المنصور السعدي بشمال البلاد كان يحمل نفس الاسم. كما ينتمي إلى هذه الأسرة العالم محمد بن بجّة العرائشي الذي عاصر المولى إسماعيل وعاش كذلك فترة الاضطرابات التي تلت وفاة هذا السلطان.

بجّة مَحمد بن عمر، كان تاجراً بارزاً من تجار نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. غادر مسقط رأسه العرائش عند أواسط دولة سيدي محمد بن عبدالله 1790،1757 واستقر بمدينة قادس الأندلسية حيث كان يزاول نشاطه التجاري. وعند بداية القرن التاسع عشر انتقل من قادس إلى جبل طارق حيث تابع نشاطه. ويُفسر هذا الانتقال تدهور العلاقات المغربية ـ الإسبانية على عهد المولى سليمان وتحسنها في المقابل مع انجلترا التي أصبحت الشريك التجاري الأول بالنسبة للمغرب. وبقي محمد بجّة بجبل طارق بقية حياته .

كان مَحمد بجّة خير مثال لفئة جديدة من التجار المغاربة الذين ارتبطت مصالحهم بالتبادل التجاري بين المغرب وأوربا خاصة بعد منتصف القرن الثامن عشر. وكان كذلك من التجار المغاربة القلائل الذين حققوا نوعا من النجاح إذ استطاع الاستمرار في نشاطه التجاري بأوربا مدة تناهز الخمسين سنة، مظهرا قدرة كبيرة على التكيف مع الأوضاع الأوربية المتقلبة. وهكذا استفاد من التقارب المغربي ـ الإسباني على عهد السلطان سيدي محمد بن عبدالله، لكنه استطاع كذلك أن يستفيد من التقارب المغربي ـ الانجليزي في عهد المولى سليمان بعد أن وصلت العلاقات التجارية مع إسبانيا إلى شبه قطيعة بسبب رفض هذا السلطان لاتفاقية 1799 المبرمة بين الحكومتين المغربية والإسبانية.

وبجبل طارق كان مَحمد بجّة يشرف على شؤونه التجارية الخاصة، ولكنه بقي وطيد الصلة بتجار بلده وخاصة تجار تطوان الذين كانت تجمعه بهم مراسلات منتظمة. ويظهر من خلال هذه المراسلات أن بجة كان يقوم بدورالممثل التجاري لمصالح العديد من تجار تطوان، فكان يخبر هؤلاء بحالة الأسواق الأوربية مقدما لهم بيانات عن ارتفاع أو نزول أسعار السلع، مستفسراً في نفس الوقت عن الأوضاع الاقتصادية بالمغرب وخاصة ما يتعلق بالفلاحة والجفاف ووفرة المحاصيل الزراعية أو تراجعها نظراً لارتباط ذلك بتجارة التصدير والاستيراد. وإلى جانب ذلك كان محمد بجه بحكم ارتباطه الوثيق بالمخزن يقدم للسلطان العديد من الخدمات، فينوب عنه في إبرام الصفقات التجارية بل ويقضي له من المهمات ما يدخل عادة ضمن اختصاصات الوكيل أو القنصل. لذلك فإن تعيينه في سنة 1815 قُنصلا للمغرب بجبل طارق لم يكن في الحقيقة إلا ترسيماً لمهمة كان يقوم بها في الواقع قبل ذلك التاريخ. وظل محمد بجه يزاول تلك المهمة إلى حين وفاته بالمستعمرة الأنجليزية عند أواخر شهر نونبر 1820.

ترك هذا التاجر وراءه ثروة طائلة قدرتها السلطات الانجليزية بخمسة وعشرين ألف جنيه استرليني. ويظهر أنه لم يترك وارثاً يرث هذه الثروة من بعده، الشيء الذي جعل المولى سليمان يطالب بهالصالح بيت المال، وهو الأمر الذي تم بعد مفاوضات لم تدم طويلا بين المخزن وسلطات جبل طارق.وكان السلطان آنذاك في أشد الحاجة إلى المال في وقت كان يواجه فيه تمرداً داخلياً خطيراً تمثل في إقدام بعض القوى المحافظة على مبايعة سلطان منافس في ظروف عرف فيها مخزن المولى سليمان شبه انهيار تام.

وثائق وزارة المستعمرات البريطانية (جبل طارق) ؛ *وثائق المديرية الملكية للوثائق بالرباط* (مراسلات امحمد بجة) ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 1 : 368.

محمد المنصور

بجعد ـ جغرافيا ـ مدينة أخذت اسمها ـ على ما يقال ـ من اسم الوادي الذي استقرت المدينة على جانبه والذي يُفترض أنه كان في الأصل مرتعا للذئاب (وأبو جعدة كنية للذئب) أوكان يكثر به نبات الجعدة الطيب الرائحة.

تقع مدينة بجعد في الجناح الشرقي لهضبة خريبگة الفسفاطية، على ارتفاع 670 م عن سطح البحر الذي تبعد عنه بنحو 140 كلم على خط مستقيم، بينما لايفصلها عن جبال الأطلس المتوسط سوى 40 كيلومترا. ونظرا لموقعها الداخلي هذا، فإن المدينة تعرف مناخا قاريا، يتميز بصيف طويل شديد السخونة والجفاف، وبشتاء قارس البرودة تتركز فيه جل أيام المطر المعدودة التي نادرا ما تتجاوز تهاطلاتها في المجموع 300 ملم في السنة.

وقد ارتبط ميلاد وترعرع مدينة بجعد بتاريخ الزاوية الشرقاوية التي تأسست حوالي منتصف القرن العاشر الهجري(16م)، مع بداية ظهور الدولة السعدية، على يد الشيخ أبي عبدالله محمد الشرقي. وقد استقرت أصلا على بعد نحو ميل إلى جهة الغرب من مقرها الحالي، في اتجاه مدينة وادي زم. غير أن المكان لم يعمر طويلا، إذ تعاقبت سنوات من القحط والمجاعة والوباء خلال العقد الأخير من القرن، فتسببت في نزوح أو وفاة العديد من أهل الزاوية وعلمائها ومتصوفيها ومريديها. وقد دفن بعض هؤلاء بعين المكان فغدت تعرف هذه المجموعة من المقابر والأضرحة باسم «قباب رجال الميعاد»، وهو مكان تم تسجيله ضمن المواقع الاركيولوجية بالمغرب القمينة بالدراسة الأثرية.

وبانتقال الزاوية إلى مقرها الحالي، انطلق عمران مدينة بجعد. ذلك أن الزاوية الشرقاوية، لما استأنفت نشاطها مع مستهل القرن السابع عشر، كانت الأوضاع السياسية العامة قد تغيرت بشكل واضح بالمقارنة مع الفترة السابقة. فإضافة إلى تناقص التهديد التركي في جهة الشرق، كان الضغط الأوربي قد خف كثيرا على السواحل المغربية بسبب انشغال أوربا بحرب مدمرة طاحنة (حرب الثلاثين سنة التي امتدت بين 1618 و 1648) من جهة، وتمكن الأوربيين من الاتصال بالسودان مباشرة، دون وساطة المغرب، من جهة ثانية. وكان من شأن كل هذه التغيرات أن تراجعت بوضوح أهمية عامل الجهاد في نشاط الزوايا التي أصبحت لذلك تسعى أكثر فأكثر إلى تقوية نفوذها السياسي وتوسيع رقعة سلطتها، يشجعها في مسعاها هذا حالة الضعف المتزايد التي راحت تظهر على السلطة المركزية مع تفسخ الدولة السعدية.

ونظرا لوجود بجعد من جهة، في منتصف الطريق بين عاصمتي المغرب، فاس ومراكش، ومن جهة أخرى عند اتصال مناطق متنوعة ذات وزن بشري واقتصادي هام (الأطلس المتوسط شرقا، وبلاد زعير وزيان شمالا والشاوية وهضبة ورديغة غربا وتادلا جنوبا)، فإن الزاوية الشرقاوية راحت تتمتع بموقع استراتيجي بالغ الأهمية. وقد فسح تراجع ثم انقراض الزاوية الدلائية (العقد السابع من القرن 17) المجال أمام الزاوية الشرقاوية، التي تنشر هي كذلك

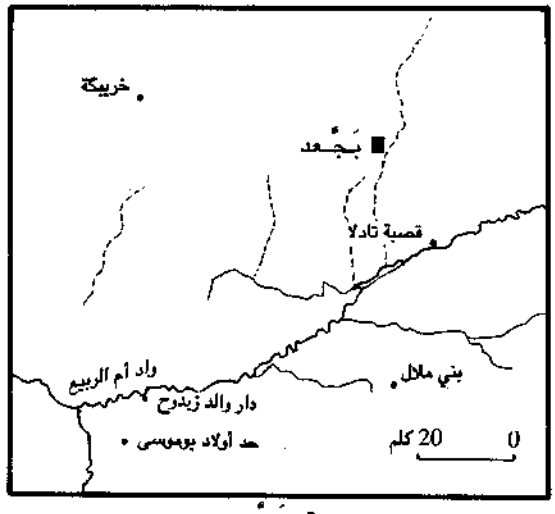

موقع بجعد

تعاليم الطريقة الجزولية، لكن توسعت رقعة نفوذها عن طريق إنشاء فروع ومراقبة الأسواق والتوسط بين القبائل المحلية وبين هذه السلطة المركزية. وبذلك أصبحت تدريجيا قوة روحية واقتصادية وسياسية محلية لها ثقلها في ميزان الصراع على السلطة، كما أخذت بجعد تبرز كأهم مركز ثقافي وتجاري عبر كل المجال الممتد بين فاس ومراكش، يؤمه الطلبة والعلماء والمتصوفة من أصقاع قريبة وبعيدة، وتمر به القوافل ويقصده التجار، مما عمل على استقرار المزيد من السكان بالمدينة وتوسع عمرانها.

وأدت حالة القلاقل والفتن والفوضى الشاملة، التي عمت المغرب زهاء ثلاثين سنة إثر وفاة السلطان المولى إسماعيل، إلى تمرد العديد من القبائل وتزايد نفوذ الزوايا بها، إلى أن تمكن السلطان محمد بن عبد الله من تكسير شوكتها بتثبيت الأولى وإجبارالثانية على الاقتصار على وظيفتها الروحية والثقافية دون القيام بأي نشاط سياسي. وكانت زاوية بجعد من بين تلك التي تعرضت لحملة تأديبية من طرف السلطان، مما أسفر عن تدمير جزء كبير من الزاوية وطرد جل الوافدين عليها ونفي شيخها إلى مراكش.

وتلت هذا الحادث فترة ركود نسبي استمرت نحو أربعة عقود. ثم زالت الأزمة بعد وفاة السلطان المولى سليمان وتخلي خليفته عبد الرحمان بن هشام عن البرنامج الوهابي الإصلاحي المناهض للزوايا والطرق. فانتعشت مدينة بجعد من جديد بانتعاش الزاوية الشرقاوية التي تعاظم شأنها أكثر من ذي قبل بين قبائل المنطقة، حتى غدت من أقوى الزوايا بالمغرب، لا تقل أهمية ونفوذا عن الزاوية الوزانية.

فخلال رحلة شارل دوفوكو (Charles de Foucauld) الاستكشافية *Reconnaissance au Maroc* التي قام بها عبر المغرب في 1883، يصف مدينة بجعد بأنها تعج بالزوار والحجيج الوافدين على الزاوية الشرقاوية من كل القبائل

المحيطة بها على مسافة يومين من المشي، حاملين معهم مختلف أصناف الهبات والهدايا، نقدا وعينا، قصد التقرب بها لأهل الزاوية، ونيل بركة شيخها بنداود. كما كانت قبائل المنطقة (بني زمور والسماعلة و ورديغة والشاوية وتادلا وأيت يسري بالأطلس المتوسط...) تؤدي الإتاوات للشيخ مقابل حمايته ورعايته لها. وكان هذا الأخير يحتفظ بعلاقة جيدة مع السلطان الحسن الأول الذي دأب على إرسال هدية هامة إلى الزاوية كل سنة، وهو ما كان يفعله أيضاً أصحاب النفوذ وجهاء القوم بفاس ومراكش وغيرهما.

وقد مكنت كل هذه المنح والعطايا المختلفة والمتلاحقة على عقود كثيرة أهل الزاوية الشرقاوية من تكديس ثروات وإعالتهم حشداً كبيراً من الخدم والعبيد الذين كانوا يشكلون الجزء الأكبر من سكان المدينة ؛ كما أن تقاطر الزوار والحجاج وتواتر القوافل بالزاوية التي كانت تأخذها تحت رعايتها وتؤمن سفرها عبر مجال نفوذها الواسع سمح باستقرار بعض التجار والصناع وأصحاب الخدمات المختلفة، من ضمنهم طبعا عدد من اليهود.

وتظهر مدينة بجعد، في أواخر القرن الماضي، مكونة من أربع وحدات سكنية متميزة في جهة الغرب، حي الزاوية بالذات، حيث يقطن الشيخ وأهله الأقربون، في منازل فخمة ذات الطراز المعماري الأصيل أسوة بما يوجد في الحواضر المغربية، وسط رياض وبساتين. إلى ناحية الجنوب، نمت تدريجيا، بمحاذاة هذه النواة الأصلية، عدة أحياء كل منها حول مدفن جديد لشيخ من شيوخ الزاوية فيسمى الحي باسمه، مثل درب القادريين (نسبة إلى الشيخ عبد القادر) ودرب الغزاونة (الشيخ الغزواني) ودرب عرباوة (الشيخ العربي) وغيرها ؛ تقطنها الأسر الشرقاوية الأخرى ومن لها نوع من القرابة والانتساب إليها، وكذا أسر العلماء وبعض أعيان القبائل المرتبطة بالزاوية. ثم إلى ناحية الشرق، تنتشر، عبر أراض مهملة، أكواخ ومنازل بسيطة مبنية بالطين والقش، حيث يعيش غالبية سكان المدينة من أتباع الزاوية وخدامها وكذا صغار الفلاحين والتجار والحرفيين. وأخيراً يتجمع اليهود (حوالي 200 نسمة) في حارتهم بالشمال الشرقي.

إلى جانب هذه الأحياء السكنية المختلفة، تتوفر المدينة على عدة مرافق دينية وثقافية، أهمها الزاوية وخزانتها، والمسجد العتيق مع المدرسة المرتبطة به. وتشهد بجعد نشاطا استثنائيا أيام الخميس بمناسبة انعقاد السوق الأسبوعية التي تجتذب إليها الزبناء من كل القبائل المجاورة قصد اقتناء مختلف السلع المغربية والأجنبية التي تأتي بها القبائل من فاس والدار البيضاء لتعود محملة إلى هذا الميناء ببعض منتجات المنطقة للتصدير.

إذا كانت بجعد تملك هكذا كثيراً من أوجه الشبه مع غيرها من المدن المغربية، فإنها كانت تختلف عن هذه الأخيرة بافتقارها إلى بعض المعالم الحضرية الأساسية آنذاك من أهمها : عدم توفرها على موارد مائية، إذ إن غالبية المنازل كانت تتزود بالماء من آبار بعيدة نسبيا أو تختزن مياه المطر في أحواض خاصة ؛ غياب التنظيمات المهنية والإدارية ؛ عدم وجود سور يحيط بالمدينة، لأن هذه الأخيرة لم تكن في حاجة إلى تحصين نفسها ضد قبائل كانت هي التي تسعى إلى اكتساب الحماية والأمان من الزاوية، إلا أن هذا لم يمنع من تحصن الأحياء الكبرى (الدروب) بأبواب عند مداخلها تغلق ليلا.

يظهر أن هذه الاوضاع لم تتغير كثيراً فيما بعد، رغم أن سكان المدينة تزايد بشكل هام. فعندما وقعت بجعد في قبضة القوات الفرنسية سنة 1913، قدرت سلطات الاحتلال حجم سكانها بنحو 4.000 إلى 7.000 نسمة، أي ثلاث إلى أربع مرات ما قدره (1.700 نسمة) دوفوكو قبل ثلاثين سنة. والراجح أن جزءاً كبيراً من هذا التكاثر السكاني جاء نتيجة لتوافد أفواج من أبناء القبائل المجاورة، تحت ضغط الزحف العسكري الفرنسي، بغية الاحتماء بالزاوية.

وعلى عكس تادلا والشاوية المجاورتين حيث وضع المعمرون الأوروبيون أيديهم على مساحات فلاحية واسعة واستقروا بأعداد هامة في المدن والمراكز، فإن الجالية الأوربية ببجعد ظلت دائما محدودة جداً ولم تشهد أرياف قبائل بني زمور المحيطة بالمدينة أي توسع فلاحي يذكر نظرا لفقر أراضيها وجفافها وعدم توفر إمكانية ريها. غير أن تبدل الأحوال الاقتصادية والاجتماعية بصفة عامة نشط الهجرة إلى المدينة التي تضاعف عدد سكانها خلال الفترة الاستعمارية ليناهز 12.000 نسمة قبيل الاستقلال.

واحتد التكاثر السكاني بوتيرة أسرع خلال العقود الأربعة المنصرمة، فبينما اختفت الجماعة اليهودية وتلاشت الجالية الأوروبية، فما عدد المغاربة بمعدل 2.45٪ سنويا بين 1960 و1971، بل بمتوسط 78 و3٪ بين 1971 و1982، ليدنو من 40.000 نسمة عند مطلع التسعينات.

تطور عدد السكان بمدينة بجعد خلال القرن المنصرم :

السنة	المغاربة	الأوربيون	اليهود	المجموع
** 1883	1.300	0	200	1.700
** 1913	6.500 - 3.600	0	500 - 400	7.000 - 4.000
* 1926	7.731	138	1.010	8.879
* 1936	9.324	134	753	10.211
* 1952	10.395	186	808	11.389
* 1960	14.423	89	216	14.728
* 1971	18.819	2	17	18.838
* 1982	28.298	10	0	28.308

ولم يأت هذا النمو السكاني السريع نتيجة لحيوية اقتصادية أو لتعزز وظائف المدينة، بل مرده أساسا إلى احتدام هجرة الأرياف الفقيرة المجاورة التي عانت من عدة سنوات من الجفاف والقحط قضت على المحاصيل الزراعية وأهلكت المواشي وجعلت جل العيون والآبار تغيض أو تنضب. فجماعات بني باتاو وبني زرنتل والشقران وتاشرافت المحيطة ببجعد أرسلت الجزء الأكبر من زيادتها الديمغرافية الطبيعية إلى هذه المدينة بحيث لم تنم إلا بنسبة

2٪ كمعدل سنوي بين 1960 و1971 وفقط 0.73٪ بين 1971 و1982.

فالهجرة الوافدة إلى بجعد هي أساساً هجرة الفقراء، بينما غادر المدينة جل عناصرها الميسورة، الشيء الذي انعكس بقوة على عمران المركز وأنشطته، ورغم كونها مُنحت وضعية مركز مستقل منذ السنوات الأولى من الاستقلال، ثم ارتقت إلى عاصمة دائرة على المستوى الإداري منذ أزيد من عقد خلا، فإن بجعد لم تحصل على تصميم تهيئة معمارية إلا في عام 1987، الشيء الذي ترك توسع المباني يتم بشكل عشوائي طيلة عقود، مخلفاً بيئة حضرية غير منتظرة.

فانتشار البناء الهزيل غير القانوني على نطاق واسع لم يخفف أزمة السكنى الحادة بالمدينة التي تعاني أيضا من عجز فادح في التجهيزات الأساسية الضرورية، فلسكانها وسكان دائرتها الإدارية (أي زهاء 90.000 نسمة) لم تكن المدينة تتوفر، وذلك حتى بداية التسعينات، سوى على سبع مدارس ابتدائية وثلاث إعداديات وثانويتين ومركزين للتكوين المنهي ومركز صحة واحد (به 22 سريرا). كما أن شبكات توزيع الماء والكهرباء والتطهير لم تكن تخدم أكثر من 60 إلى 70٪ من مجموع سكان المدينة، في حين تظل شبكة الطرق المعبدة ناقصة جداً.

كذلك تتميز أنشطة السكان بغلبة الفئات المهنية المتواضعة. فهناك نسبة لابأس بها من السكان الذين يعيشون من موارد الفلاحة، إما عن الريع (امتلاك الأرض أو الماشية) أو بممارسة الزراعة مباشرة. ولاتزال أيضاً بهذه المدينة العريقة نسبة هامة ممن يشتغلون بحرف عتيقة من أهمها الحياكة ونسج الزرابي والخياطة التقليدية والطرازة، وكذا صناعة الفخار التي يزيد الإقبال على منتجاتها في مناسبة عاشوراء. وهناك بقايا لحرفة الدباغة وصنعة الجلد التي كانت مزدهرة خلال القرن الماضي. ونظراً لتوفر المادة الأولية محليا بكثرة، تتعدد بالمدينة (درب الكواشة) وحولها أفران الجير الذي انتعش إنتاجه تبعا لحركة البناء. كما أن هذه الأخيرة قد عملت على تنشيط حرف النجارة والصباغة وغيرها. ويفسر تكاثر السكان في بيئة تندر فيها موارد الماء السطحية أهمية من يحترفون حفر الآبار بالمدينة وحولها.

إذا كانت هذه الأنشطة التقليدية منها والمحدثة، تشغل نحو ألف من الحرفيين فإن التجارة تبقى هي قطاع الشغل الرئيسي بالمدينة حيث تتعدد أنواع من تجارة المكاسرة البسيطة الموجهة لتلبية الحاجيات الأولى لسكان ذوي طاقة شرائية ضعيفة، وتتميز غالبيتهم بأسلوب عيش ريفي (تجارة وتغذية ولباس وتجهيز منزلي بسيط...). وما شابهها، تنتشر عبر أنحاء المدينة، مع تركز أكبر في القديمة منها، وبالخصوص في النواة العتيقة وكذا في السوق الحضري الحديث بالشارع الرئيسي ؛ ثم السوق الأسبوعي الذي تباع به، كل خميس، أعداد هائلة من رؤوس الماشية (خاصة الغنم والماعز) وكميات كبيرة من المنتجات الفلاحية المحلية والسلع المختلفة، مما تمثل عائداته المصدرالأساسي لتمويل ميزانية المركز المستقل.

في الجملة، يظل اقتصاد مدينة بجعد هشا للغاية. فليس هناك مؤسسات صناعية تساعد على تخفيف وطأة البطالة. ورغم توفر هذه المدينة التاريخية على معالم عمرانية عتيقة وبعض النشاط الحرفي التقليدي، فإن حركة السياحية لا تكاد تذكر بها إذا ما استثنينا ما تستقطبه الزاوية الشرقاوية من زوار، خاصة في نهاية الصيف. غير أن الزاوية تراجعت مكانتها كثيراً على الصعيدين الجهوي والوطني. فحتى الثلاثينات من هذا القرن، ظلت بجعد أهم مركز تجاري وثقافي في كل المنطقة الفاصلة بين مراكش وفاس. لكن انطلاق استغلال الفسفاط بهضبة ورديغة من جهة، ثم توسع الري العصري بتادلا من جهة أخرى، وضعا بجعد على هامش الاقتصاد العصري، وساعدا على نمو مراكز حضرية أفضل موقعا وأكثر حيوية تميزت بإيقاع سكاني أسرع. وهكذا بعد أن كانت بجعد تحتل الرتبة الخامسة عشرة بين مجموع المدن المغربية والدرجة الأولى بين كافة مدن المنطقة في 1936، تراجعت حاليا إلى الدرجة الخمسين على الصعيد الوطني والرتبة التاسعة على المستوى الجهوي، بعد كل من مدن خريبگة وبني ملال وخنيفرة ووادي زم ولفقيه بن صالح وقلعة السراغنة وقصبة تادلا وسوق السبت.

إحصائيات السكان لسنوات 1936، 1952، 1960، 1971، 1982 ؛ منوغرافية الجماعة الحضرية لبجعد.

Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* ; J. Brignon (et al...), *Histoire du Maroc*, Hatier, 1967.

عبد اللطيف فضل الله

بَجْعَد ـ تاريخ ـ ويقال أيضا أبو الجَعْد وبُوجَعْد، مركز حضري شمال غربي قصبة تادلا فوق تراب بني زمور في وسط سهل صخري قليل الماء. قامت شهرته على وجود الزاوية الشرقاوية ولم يكن عدد سكانه يبلغ ألفين عندما مر به دوفوكو عام 1883، عشرهم من اليهود. وقد وصفها مارتي Marty عام 1908 وقدر سكانها بثلاثة آلاف، لا يحيط بهم سور، وإن كانت الأزقة ذات أبواب كبرى. ونواة هذا التجمع هي الزاوية حيث سكنى العائلات الشرقاوية وتحيط بها أحياء الخدام. وكان بالمدينة مسجدان كبيران وأربع قبات لأضرحة أجداد سيدي بنداود.

كان بهذه المدينة في بداية القرن تسعة أحياء تنسب لسيدي الغزواني وسيدي المكناسي وسيدي العربي وسيدي عبد القادر وسيدي عبد السلام وسيدي الغراري ولبني زمور، وكان منها حي سيدي علي آهلاً بالشرقاويين، أما حي الملاح فكان به ما يزيد عن ثمانين داراً.

كانت بجعد مركزاً دينياً وسياسياً بتادلا، تكاثر سكانه بلجوء عدد من المتظلمين، كانوا يقيمون خياماً حول المدينة، وجلهم من ورديغة وبني مسكين والشاوية وبعض

أهل الجبل. وكان المرابط الأشهر في بجعد في نهاية القرن التاسع عشر هو سيدي بنداود وكانت له جل أملاكها.

لم يكن مرابطو بجعد مرتاحين لتوافد الأجانب، وقد كان هؤلاء المرابطون يملكون عام 1908 خمس مجموع الأبنية، متمتعين بإعفاءات مخزنية.

كان لبجعد موقع مهم في طرق الاتصالات والمبادلات القديمة ولاسيما بين تادلا والأطلس والساحل وبين مراكش وفاس، لكن طرقها كانت في أوقات ضعف السلطة محفوفة بالمخاطر ولا بد فيها من خفارة أو ضمانة بعض المرابطين.

اشتهرت بجعد بصنائع يدوية متميزة ولا سيما في ميدان نسيج الألبسة والستائر والأغطية والزرابي، وبسوق تنعقد يوم الخميس، وكذا بتجارة دائمة في حوانيت صغيرة تتمون من الدار البيضاء بالبضائع الأوروبية منذ بداية هذا القرن، وكانت محطة في مبادلة هذه البضائع بما يرد عليها من بضائع الجبل كالصوف والجلود.

احتلت القوات الاستعمارية مركز بجعد في نهاية أبريل 1913 وتحددت ملحقته الإدارية عام 1918.

جرت في بجعد أعمال استصلاح عديدة في عهد الحماية غيرت من مظهر المدينة وتضاعف عدد سكانها المبادلات التجارية ثلاث مرات.

وثائق خاصة : أ. الناصري، *الاستقصا*، 5 : 183، 194 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ أ. بوكاري، *الزاوية الشرقاوية*، 69 . 76.

J. Cimetière, *Notice sur Boujad, R. G. M.* t : 24, p. 277-89 ; C. Peyronnet, *Tadla, R. G. M.* 1922 ; *Rapports mensuels du Protectorat*, Avril 1913, Janvier 1914, Août 1917, Fevrier 1917, Mars 1928 ; D. Eckelman, *Morocco's Islam*.

البجّعدي، محمد بن أبي القاسم بن محمد السجلماسي، أخذ عن الحسن بن رحال وعبد العزيز الهلالي وغيرهما، وصفه صاحب *الإعلام* بأنه كان متفننا مشاركاً نظاراً في الفقه.

أخذ عنه جماعة منهم محمد العربي بن المعطي الشرقاوي وأحمد بن عبد العزيز الهلالي وأحمد بن عامر المعداني. من مصنفاته *شرح العمل الفاسي وفتح الجليل الصمد في شرح التكميل المعتمد*، وهو شرح النظم الشهير *بالعمل المطلق*، وشرح المنظومة المسماة *باليواقيت الثمينة فيما انتهى لعالم المدينة*.

سكن محمد بن أبي القاسم بجعد إلى أن أمره السلطان سيدي محمد بن عبد الله بسكنى الرباط للتدريس بجامعها. توفي في رمضان عام 1799/1214 ودفن بجوار قبر سيدي المعطي الشرقاوي ببجعد.

ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، 6 : 155.

المالكي الملكي

بَجْدي سلام صديق، ولد سنة 1931 بدوار أنيس فرقة اجعونة بني عمارت إقليم الحسيمة. انخرط في صفوف جيش التحرير بتاريخ 6 أكتوبر 1955 وعمل في الوحدة التي كان يرأسها محمد بن علال بوزينب إلى أن ألقي عليه القبض من طرف جنود الاستعمار فقتلوه صبراً بمركز بوزينب يوم 3 نونبر من سنة 1955.

وثائق المندوبية السامية للمقاومة.

عز الدين العلام

البجلية (شيعة سوس)، منذ أن ظهرت الحركة الشيعية إبان أزمة الخلافة في صدر الاسلام، وهي تتفرع إلى فرق ومذاهب كثيرة، لم يستطع أصحاب *الملل والنحل* كالشهرستاني وابن حزم أن يحصوها.

والبجلية إحدى الفرق الشيعية التي ماتزال غامضة في تاريخ الفرق الاسلامية، إذ أن المصادر المتخصصة في هذا المجال لم تتحدث بشكل مسهب عنها، فالشهرستاني في *الملل والنحل* لم يذكر فرقة البجلية من بين فرق الشيعة التي ذكرها، رغم أنه أشار إلى ذكر سعيد البجلي وهو يتحدث عن فرقة المغيرة الشيعية "أصحاب المغيرة بن سعيد البجلي الذي أحرقة خالد بن عبد الله القسري حوالي 120 هـ" (1 : 294 . 297).

ولما اشتد بطش الأمويين بالفرقة الشيعية انتقلوا إلى شمال افريقيا، شأنهم شأن الخوارج والفرق المضطهدة الأخرى. ،من بين هؤلاء الشيعيين ـ حسب الروايات التاريخية الإسلامية ـ إدريس بن عبد الله الذي انتقل إلى المغرب ليؤسس دولة الأدارسة، وبعد وفاة إدريس الأزهر وزع ابنه عبد الله بن إدريس في بداية القرن الثالث (9 م). المناطق المغربية على إخوته، ومنهم عبد الله بن إدريس الذي اختص بسوس واتخذ مدينة اگلي مقراً له ثم أصبحت ضريحا له.

في هذه الفترة تتحدث المصادر بشكل غير دقيق ومتناقض أحياناً، عن مذهب متفرع عن الشيعة هو البجلية، انتشر في تارودانت ومحيطها. وفي هذا الإطار يقول البكري (القرن الخامس) وهو يتحدث عن جبل درن : "قبيل يقال لهم بنو لماس وكلهم روافض ويعرفون بالبجليين، نزل بين ظهرانيهم رجل بجلي من أهل نفطة قسطيلية قبل دخول أبي عبد الله الشيعي يقال له محمد بن ورستد، فدعاهم إلى سب الصحابة رضوان الله عليهم وأحل لهم المحرمات (...) وأن الامامة في ولد الحسن لا في ولد الحسين، وكان صاحبهم إدريس أبو القاسم بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن إدريس، (البكري، ط. دوسلان، 160. 161).

وفي القرن السادس يشير الإدريسي في *نزهة المشتاق* (ص 79) إلى نفس المذهب الشيعي دون ذكر اسم البجلية : "وأهل سوس فرقتان فأهل مدينة تارودانت يتمذهبون بمذهب المالكية من المسلمين وهم حشوية، وأهل بلد تيسوبون (تيوتيون) يقولون بمذهب موسى ابن جعفر وبينهم أبدا القتال والفتنة...".

وفي ذكر (شنع الشيعة) أشار ابن حزم في *الفصل* (4 : 140) إلى ماورد عند البكري مع شيء من الاختلاف : "... وفي الكيسانية من يقول إن الدنيا لا تفنى أبدا منه

طائفة تسمى النحلية نسبوا إلى الحسن بن علي بن ورصند النحلي كان من أهل نفطة من عمل قفصة وقسطيلة من كورافريقية، ثم نهض هذا الكافر إلى السوس في أقصى بلاد المصامدة فأضلهم وأضل أمير سوس أحمد بن إدريس بن يحيى بن إدريس ابن عبد الله بن الحسن بن علي ابن طالب. فهم هناك كثير السكان في ربط مدينة السوس معلنون بكفرهم وصلاتهم خلاف صلاة المسلمين، ويقولون إن الإمامة في ولد الحسن دون ولد الحسين...".

أما المختار السوسي فلم يتوسع في ذكر البجلية نظراً لقلة المصادر ولتناقضها، فهو يقول في *سوس العالمة* (ص. 17) :"كماكان هناك في تارودانت بعض أحفاد الأدارسة رافعاً لواء النحلة التي سميت فيما بعد البجلية على حين أن جبال جزولة تخالفها وتتشبث بما عند أهل السنة" ويضيف في الهامش "وقد كان معروفاً أن تلك النحلة رسخت هناك في أول الرابع بمساعي علي بن عبدالله البجلي."

يجد الباحث نفسه وهو يحاول دراسة البجلية بسوس أمام نزر قليل من المعلومات متناثرة في مصادر ومراجع أحياناً متناقضة وغامضة.

أمام هذه الوضعية لا يمكن لهذا الباحث أن يستنتج الشيء الكثير عن هذا المذهب الشيعي بسوس الذي ماتزال آثاره بادية إلى الآن في الذاكرة الشعبية لهذا المجتمع. إذ يستمر الاعتقاد لدى الناس بأن فرس "سيدنا علي" مر في مناطق معلومة بسوس (كراكير من الأحجار" يعتقدون أن صورته موجودة في القمر. وفي مقابل هذا التقديس نجد أن اسم "علي" يحتل مكاناً مشؤوماً في تلك الذاكرة فنجد "علي ايجان" (الخانز) "علي إيوردن" يعني (على المقوس).... (طالب علي) علي الثعلب...

وبالرغم من ذلك يمكن القول إن الفترة الممتدة ما بين ضعف الأدارسة بتوزيع أقاليم المغرب على أبناء إدريس الثاني حوالي 213 هـ وبداية ظهور المرابطين حوالي 430 هـ أي نحو قرنين من الزمن، شهدت منطقة سوس فترة غامضة، ظهرت خلالها حركة البجلية، ولعلها انتقلت من إگلي عاصمة عبد الله بن إدريس إلى تارودانت التي بدأ اسمها يتكرر في مصادر تلك الفترة بشكل كبير رغم أن وجودها أقدم من ذلك بكثير، ولا يستبعد أن تكون إمارة بجلية قد تأسست في تارودانت وانتهت بدخول المرابطين إليها.

على أن ما قيل لم يعد أن يكون إثارة الانتباه إلى ظاهرة تاريخية مازالت بكرا تستحق البحث والتنقيب.

الشهرستاني، *الملل والنحل* ؛ ابن حزم، *الفصل في الملل والنحل* ؛ أ. البكري، *المسالك والممالك* ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*.

محمد حنداين

بَجَن، أو زغلال ـ كما يسمى في المغرب ـ سمك صغير من العظميات ومن فصيلة البجن أو البطريخيات Cyprinodentidae. يعيش في البحيرات والأنهار والصهاريج ومجاري السقي وهو شبيه بالشيوط Cyprinus لكنه أصغر منه. ويسمى في مصر بطريخ وبطحيش. ويعرف موطنه الأصلي بأمريكا، وأدخل إلى عدة دول في نطاق محاربة داء الملاريا الذي ينقله البعوض (الناموس) للإنسان.

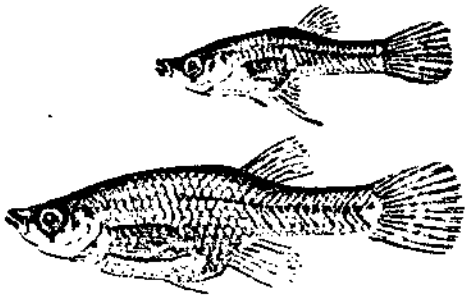

أغلب الأنواع تنتمي إلى جنس Cyprinodon، والنوع الشائع في أنهار وبحيرات المغرب هو Gambusia affinis، زعانفه هشة ولا يملك الخط الجانبي الذي يميز باقي الأسماك. تتميز الأنثى ببطن كبير ويبلغ طولها 6 سنتمترات بينما لا يتعدى طول الزوج 3.5 سنتمترات. تحولت الزعنفة الشرجية عند الذكر إلى عضو التناسل ويصير بالغا ما بين 6 و 12 شهراً. تلد الأنثى 3 أو 4 مرات في السنة وتضع ما بين 10 و 80 صغيرا.

إنه سمك بيوض ولود وهو من أشد الأسماك فتكا بدعاميص البعوض.

م.الشهابي، معجم.

B. J. Muss et P. Dahlstrom, *Guide des poissons d'eau douce et pêche.*

محمد رمضاني

البجوقي، أسرة تطوانية نجهل أصلها، وكل ما نعرفه عنها أنه كانت لها دار بحومة الترنكات سنة 1841/1257 حسب ما جاء في الإحصاء الذي جرى بالمدينة في السنة المذكورة، بالإضافة إلى أنه كان بحامية تطوان سنة 1844/1260 جندي يدعى : البجوقي أحمد.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 351 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum.*

محمد ابن عزوزحكيم

بجير(ابن ـ)، من المؤرخين المغمورين الذين استفاد منهم ابن عذاري في *البيان المغرب*الجزء الخاص بالدولة الموحدية. فنحن نجهل اسمه الكامل وتاريخ ميلاده وتاريخ وفاته، ولا أدل على قيمته من كون ابن عذاري يقرن رواياته بأهم المصادرمثل البيذق وابن صاحب الصلاة وغيرهما. ولا نجد له ذكرا في الأبحاث الببليوغرافية المعاصرة مثل *دليل مؤرخ المغرب الأقصى* لعبد السلام ابن سودة و *المصادر العربية لتاريخ المغرب* لمحمد المنوني.

والظاهر أنه عاش في عهد يعقوب المنصور، إذ يورد له

قطعة شعرية مدح بها الخليفة الموحدي لما بادر إلى إراقة الخمر وقطع المناكر، يقول فيها :

رضيع ثدي العلم طال رضاعه ... لها وهي ليست تستطيع فصاله
أقام حدود الله في كل موطن ... واعمل فيه رعيه واهتبالـــه
فأنهل بطن الأرض منه وعله ... وقد منعت أيدي الورى أن تنالـــه
وبدد منه كل ما فيـــه شبهـــة ... ولم يبق إلا حلوه وحلاله (ص 173)

فهو في هاته القطعة يظهر لنا كشاعر من شعراء المنصور. وتعبيره وأسلوبه يدل على مستوى من الإتقان والإجادة. ونفترض هنا أن المنصور ربما كلفه أواقترح عليه أن يؤلف كتابا في تاريخ الموحدين هو الكتاب الذي ينقل عنه ابن عذاري تفاصيل مهمة تتعلق بمطاردة عبد المومن لتاشفين بن علي عند وفاة علي بن يوسف سنة 537، حيث يذكر المراحل التي مر منها جيشه بين فاس ووهران، مروراً بتلمسان. كما يقدم تفاصيل عن الوضعية الصعبة التي وجد فيها تاشفين نفسه وهو محاصر داخل وهران. كما تحدث عن عودة عبدالمومن من وهران إلى تلمسان وفتكه بأهلها. ويتحدث كذلك عن دخول عبد المومن إلى سلا، وهو في طريق عودته إلى مراكش سنة 540.

والظاهر من بعض عباراته أنه لم يكن يؤمن بالمهدي. وليس في هذا ما يثير سخط المنصورالمعروف، هو أيضاً، بعدم اعتقاده في المهدي.

ع. ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ مجهول، *الحلل الموشية*.

محمد زنيبر

البحاترة، عمارة من عمائر قبيلة عبدة الثلاث هي : البحاترة وآل عامر والربيعة. وتعتبر البحاترة أكبرهم، وتشتمل على مجموعة من الأفخاذ والبطون (انظر خريطة رقم : 1) فقد قسمها الصبيحي في *باكورة الزيدة* إلى ثمانية أفخاذ هي : غياث وأولاد سلمان والدرابلة وثمرة والحجوش والزع والأولاد وأولاد بركة.

بينما قسمها الكانوني إلى ستة بطون هي : آل غياث وأولاد سلمان ودرابلة وثمرة وأولاد زيد واشجع. وجعل كل بطن تحته أفخاذاً وفصائل.

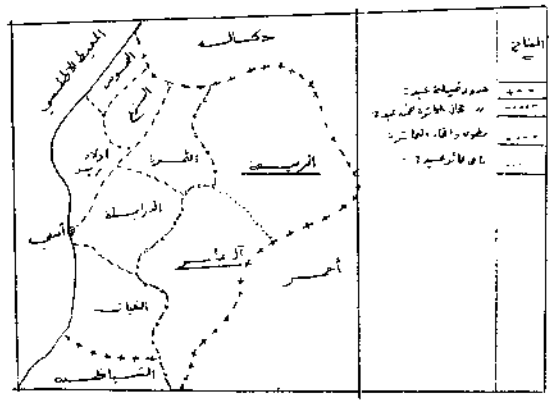

بطون البحاترة داخل مجال قبيلة عبدة

تمتد البحاترة على طول الشريط الساحلي لقبيلة عبدة، من دكالة إلى الشياظمة. وتشكل بذلك محيطاً لمدينة أسفي من كل جهاته البرية، إذ تعتبر البحاترة أحوازاً لها، وتعادل مساحتها مجموع مساحة كل من الربيعة وآل عامر (أي حوالي 1750 كلم) وبذلك تعدّ أكبر عمائر عبدة مساحة. والبحاترة بفعل موقعها ومؤهلاتها الطبيعية والبشرية كانت مرشحة دون بقية العمائر الأخرى لزعامة قبيلة عبدة، أو على الأقل للاستقلال بإمكانياتها.

أصل البحاترة : لا شك أن اسم البحاترة من الأسماء العربية المعروفة، إذ لا يستبعد أن يكون له ارتباط بأصول الجماعة العربية التي استقرت بهذه الجهة، ومن المحتمل أن يكون أصل الاسم "البحاترة" نسبة إلى أبي العمارة أو كبيرها "البحتري" وهو اسم عربي، ومعروف أن العرب كان من عادتها أن تتوسع في إطلاق اسم كبير الجماعة على القبيلة أو العمارة أو الفخذة كلها. وقد يكون الفرع المنتسب إلى "البحتري" هو الذي استوطن هذه الجهة التي عرفت باسمه ثم تحول الاسم إلى صيغة "البحاترة".

ويشير صاحب *التشوف* إلى أن المنصور الموحدي لما خرج إلى افريقية سنة 1186/582، نقل جمهور القبائل العربية من بني هلال، واستقرت جموعهم بالمغرب، ومنهم سفيان من بني جابر "واتصلت الرياسة على سفيان من بني جرمون... وكان سفيان هؤلاء حيا حلولا بأطراف تامسنا مما يلي أسفي" ومعلوم أن بني جرمون هم بطن من بطون آل عامر الذين كانت فيهم الرآسة على قبيلة عبدة، واستمرت إلى حدود منتصف القرن التاسع عشر.

الصراع بين البحاترة وآل عامر : ظلت عبدة عموماً بكل عمائرها، لمدة طويلة، خاضعة لزعامة الجرامنة ومنهم القائد الأشهر عبدالرحمان بن ناصر العبدي، الذي تولى قيادة عبدة في عهد السلطان سيدي محمد بن عبدالله جمادى الأولى عام 1777/1191،وولده محمد بن عبدالرحمان، ثم الحاج حمان الجرموني، الذي عرف بسيرته الحسنة، وكان له خلفاء على سائر عمائر وبطون عبدة منهم محمد بن الغنيمي الخليفة على عمارة البحاترة. وبعد موت الحاج حمان الجرموني وتولية ابنه فضول بن حمان الجرموني سنة 1845/1261 قامت عمارة البحاترة ضده ورفضت توليته وخرجت عليه سنة 1847/1264، فقام القائد فضول بن حمان بعصبية إخوانه الجرامنة من بطن آل عامر لإخضاع البحاترة، ووقعت بينهما منازعات وحروب أثرت على كل مكوّنات عبدة، وامتد أثرها إلى مدينة أسفي، وحاول عامل آسفي محمد بن عزوز التدخل للصلح بينهما، لكن بدون جدوى، ولما استفحل الأمر قام الخليفة السلطاني بمراكش سيدي محمد بن عبدالرحمان بتجهيز جيش نزل به على عبدة، ولما سمع البحاترة بذلك انحازوا للبحر شمال أسفي وتحصنوا بالكهوف، فحاول الخليفة أن ينبههم إلى سوء فعلهم بواسطة الشرفاء الغنيميّين، ويحضهم على الرجوع إلى الطاعة لكن البحاترة ازدادوا نفوراً، فتقدم إليهم الخليفة

ودارت الحرب بشدة، وكان القائد قد أخذته الغيرة من أعمال السبي والفتك فأوعز إلى إخوانه الذين في طاعته بإعانة البحاترة، ولما رأوا منه ذلك أذعنوا للطاعة، فخمدت الفتنة، ودخلت عبدة بما فيها البحاترة في الطاعة من جديد.

ولا شك أن هذا الصراع هو تعبير عن بداية انفجار المكونات التي كانت تجمع قبيلة عبدة تحت زعامة أو قيادة واحدة. كما أنه يعكس رغبة في انتزاع الرآسة من أسرة أولاد جرمون التي ظلت تحتكرها لمدة طويلة، ولعل هذه المعطيات المستجدة هي التي أملت على الخليفة السلطاني سيدي محمد بن عبدالرحمان أن يقوم بإعادة ترتيب أوضاع قبيلة عبدة وتقسيمها إلى ثلاث قيادات تستجيب لطبيعة التوزيع العصبي الذي كانت تعرفه قبيلة عبدة.

ظهورالبحاترة كقيادة مستقلة عن باقي مكونات عبدة : أصبحت البحاترة تنعت في المراسلات المخزنية باسم "قبيلة البحاترة" عوض عمارة البحاترة، وتمشياً مع ذلك، لم يعد مفهوم القبيلة الجامد الموروث عن العرب، بل لعله اتخذ من اصطلاح المخزن نوعاً من "التنظيم الاداري" ولم يعد يساير المفهوم اللغوي للكلمة.

صاحَبَ هذا التقسيم ظهورُ تحولات اجتماعية وسياسية داخل مكونات عبدة، وبرزت داخل البحاترة عصبية فخذة الثمرة التي ظهرت بها أسرة عيسى الگوتي التي كانت بفعل ثرائها مرشحة لمشيخة هذه الفخذة ثم لقيادة البحاترة فيما بعد، وإليها ينتمي أول قائد عينه الخليفة السلطاني بمراكش سيدي محمد بن عبدالرحمان، بعد التقسيم المذكور على قيادة البحاترة، وهو أحمد بن عيسى الگوتي.

وتفيد السجلات والكنانيش الخاصة بقبيلة البحاترة في خ. ح أنها كانت تتمتّع بمؤهلات طبيعية وبشرية تفوق ما كان لسائر القيادات الأخرى، إذ كانت تدفع وحدها سنوياً ماقدره 15.000 مثقال أي مجموع ما تقدّم قيادتا الربيعة وآل عامر اثنان تتقاسمان الباقي وهو 7.500 مثقال لكل واحدة. كما كانت تقدم الفرسان للحركات المخزنية، (مائة فارس يستعملهم المخزن كمخازنية ومسخرين، وأحيانا يستعملهم في تعمير مناطق بنواحي مراكش كأيت سعادة، أو بداخل القصبة المنشية بمدينة مراكش). كما تعززت مشاركة البحاترة في الحركات السلطانية، وكان نصيبها يساوي مجموع ما تقدمه قيادتا الربيعة وآل عامر.

إلاّ أن نصيب البحاترة من إنتاج الحبوب، بالمقارنة مع آل ربيعة، كان ضعيفا، وذلك راجع إلى أن جانباً كبيراً من مساحتها كان يمتد على طول الشريط الساحلي، وهو ذو طبيعة صخرية أو رملية، ولا يشكل الجزء الفلاحي إلا شريطاً انتقالياً هو ما يطلق عليه محليا اسم "الحصبة".

وتفيد كنانيش خرص قبائل عبدة لسنة 1307 و 1309 أن قبيلة الربيعة ذات التربة الخصبة من التيرس، كانت تحتل الصدارة في إنتاج الحبوب بالمقارنة مع قبيلة البحاترة.

مثلا، خرص قبيلتي البحاترة والربيعة ما بين سنتي 1307 و 1309.

الربيعة	906 خروبة قمح	651 خروبة شعير
البحاترة	94 خروبة قمح	37 خروبة شعير

وخضعت البحاترة منذ استقلالها كقيادة عن باقي مكونات عبدة إلى زعامة ثلاثة قواد، هم :

أحمد بن عيسى الگوتي (1854.1847)

محمد بن عمر بن عيسى الثمري (1879.1854)

عيسى بن عمر العبدي (1914.1879)

انتفاضة أولاد زيد من قبيلة البحاترة : أولاد زيد فخذة من أفخاذ البحاترة تمتد على طول الساحل المحادي للمحيط الأطلنتي وعلى اتصال بمدينة أسفي، ولها منفذ بحري طبيعي (كاب كانتان) كما تتوفر على مؤهلات فلاحية هامة بسبب خصوبة تربتها وامتدادها على طول المنطقة المسماة محليا "الحصبة" هذه العوامل جعلت فخذة أولاد زيد مرشحة لمواجهة الشطط الذي كان يمارسه القائد وعصبيتُه من فخذة الثمرة التي كان بعض أفرادها يمارسون نفوذهم على باقي أفراد القبيلة ويجدون حماية وسنداً من القائد، واحتفظت الذاكرة الشعبية بقولة مأثورة في هذا الصدد تقول : "مائة جمرة وجمرة، ولا حر الثمرة".

ترتبط انتفاضة أولاد زيد بالوضع العام المضطرب الذي عرفه الحوز عموماً بعد وفاة السلطان مولاي الحسن (1894/1311) وما ترتب عن ذلك من قيام القبائل ضد عمّالها وقوادها خصوصاً بالحوز. حيث "امتدت أيدي القبائل لنهب ديار العمال بالبادية وتخريبها وسبي نسائهم وأولادهم وهتك عوراتهم" (تلخيص، 46). وتأثرت قبائل عبدة بهذه الظروف. فقامت قبيلة الربيعة ضد قائدها الشافعي بن الحافظي الذي كان غائباً في فاس "فهدموا داره وهتكو حريمه وفعلوا الأفاعيل التي تستحي منها الإنسانية" (علاقة أسفي، 108) وكان قائد البحاترة آنذاك، عيسى بن عمر العبدي يتوقع أن يجد مثل ذلك من قبيلته، وأن يقع بداره وأهله ما وقع لأمثاله، لكن بعد عودته، وجد قصبته في أمان وعلى أحسن حال، "فأظهر للقبيلة كل انعطاف ورضى، وجزى كبرائهم عن حسن استقامتهم خيراً، وسرح المساجين وألآن الكلمة وخفض الجناح" (فضائح، 3) لكن سرعان ماطرأ تحول مفاجئ على سياسة القائد إزاء المقربين والأعوان من عصبيته، حيث سلك موقف الحذر والاحتراس منهم جميعاً، وصار يقرّب إليه تدريجياً غير فرقته بل غير قبيلته، واعتمد على أفراد من قبيلة دكالة وآخرين من قبيلة احمر، وأمدهم بالخيل والسلاح احتياطاً حتى لا يقع له ما وقع لسائر قواد الحوز خلال هذه الفترة. ومما زاد من استفحال التوتر بين القائد وفخذة أولاد زيد محاولته تهميش دورهم داخل القبيلة، خصوصاً بعد أن أمر "بتجريدهم من الخيل والسلاح" (نفس المصدر والصفحة) وكانت هذه المبادرة منه تستهدف إضعاف شوكة أولاد زيد،

لكنها كانت تتناقض مع الأعراف والتقاليد التي كانت لدى القبائل، حيث إن الخيل والسلاح يعدان إحدى دعائم الجماعة داخل القبيلة ولا يمكن التخلي عنهما، فقامت فخذة أولاد زيد، وانتفضت ضد قائدها بزعامة أحد شيوخها الحاج محمد بن ملوك بتاريخ 12 محرم 1313/يونيو 1895.

حاول القائد عيسى بن عمر العبدي في بادئ الأمر معالجة الوضع بنوع من الليونة إلا أن أولاد زيد كانوا عازمين على القيام ضد سلطته، وكتبوا إلى السلطان مولاي عبدالعزيز يطلبون منه بواسطة عامل أسفي حمزة بنهيمة عزل القائد المذكور وتولية غيره مكانه، وصاروا يُغيرون على ممتلكاته وأعوانه ويحرِّضون السكان ضده، فوقعت مجابهات ومنازلات بين الفريقين في عدة جهات من قبيلة البحاترة، سرعان ما انتقلت إلى ضواحي أسفي وألحقت أضراراً بالسكان.

تدخل السلطان لوضع حدٍّ لانتفاضة أولاد زيد، فأعطى أوامره لعامله حمزة بنهيمة، لكي يتوسط من أجل الصلح بين الطرفين، لكن هذه المبادرة لم تحظ بالنجاح، مما دفع بالسلطان إلى تدعيم موقف القائد، وبذلك توفّر لديه إمكانية القضاء على انتفاضة أولاد زيد عشية يوم 15 جمادي الأولى عام 1313/أكتوبر 1895. وأكد بذلك قائد البحاترة جدارته وقوته، وأصبح يتمتع بثقة السلطان وحظوة وزيره أحمد بن موسى. وتمكن بعد ذلك من تهدئة أحوال عبدة عموماً، وهذا ما جعله مرشحاً لتولّي قيادة كل قبائل عبدة حيث أضيفت إلى قيادته على البحاترة كل من الربيعة وآل عامر، وذلك سنة 1896، فتوحدت بذلك من جديد عبدة تحت قيادة واحدة إلى بداية العهد الاستعماري.

دام اندماج البحاترة تحت قيادة واحدة مدة 17 سنة، عرفت بعدها تغييراً في تقسيمها "الإداري" وذلك مع بداية العهد الاستعماري، حيث قامت السلطات الاستعمارية الفرنسية، لأسباب متعددة، بإجراءات تقسيم عبدة إلى خمس قيادات وفقاً لقرار صدر بتاريخ أكتوبر 1913. وبناء على ذلك قسمت البحاترة إلى ثلاث قيادات هي : بحاترة الشمال، بحاترة الجنوب، الثمرة (انظر خريطة رقم : 2).

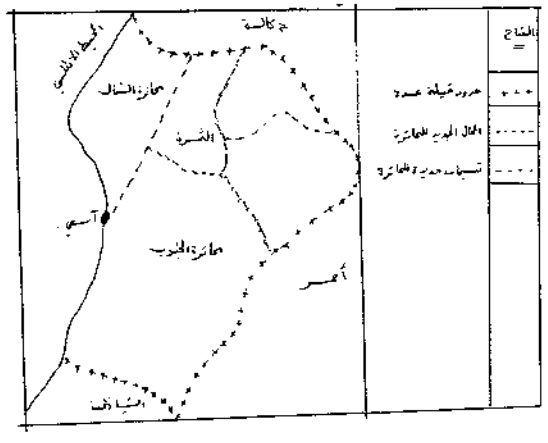

التقسيم الجديد للبحاترة في بداية العهد الاستعماري

بحاترة الشمال : تمتد في معظمها على أراضي صخرية ساحلية، تبلغ مساحتها حوالي 600 كلم وتضم ثلاثة أفخاذ هي : أولاد زيد والزع والحجوش، ويبلغ عدد سكانها 23.723 ن (إحصاء 1926) وعين على رأسها الزرهوني بن الحاج محمد ملوك.

بحاترة الجنوب : تتألف من الشريط الساحلي الجنوبي لعبدة، الممتد من أسفي إلى الشياظمة، الذي يمتاز عن الساحل الشمالي بأرضه الخصبة وتبلغ مساحته 850 كلم، وتضم ثلاثة أفخاذ هي : الدرابلة، أولاد سلمان، الغياثة، ويبلغ عدد سكانها 5.703 ن (إحصاء 1926) عين على رأس قيادتها في الأول محمد ولد عيسى بن عمر العبدي 1914 ثم حل محله القائد محمد العربي الوزاني 1917.1927.

الثمرة : تمتد بجوار دكالة في الشمال، وتتفاوت مؤهلاتها بين الشمال والجنوب. ففي الشمال، ساحل صخري يشغل كل الجهة الممتدة ما بين مول البرگي ودكالة، مساحتها لا تتعدى 300 كلم. وفي الجنوب تربة خصبة من نوع "الترس" أو "الحرش" ذات أهمية فلاحية. عدد سكانها لا يتعدى 9.954 ن (حسب إحصاء 1926) وبذلك تعدّ القيادة الأقل أهمية من التقسيم الجديد. أسندت قيادتها في بادئ الأمر إلى القائد "الشيخ" عيسى بن عمر العبدي إلى نهاية 1914 ثم انتقلت إلى ابنه محمد إلى حدود سنة 1918 ثم إلى ابن آخر هو الحاج إدريس ولد عيسى بن عمر العبدي 1920. ثم انتقلت إلى القائد الزرهوني بن الحاج محمد بن ملوك.

م. الكانوني، *أسفي وما إليه : علاقة أسفي ونواحيها بملوك المغرب*، مخطوط خاص ؛ أ. الصبيحي، *باكورة الزبدة من تاريخ أسفي وعبدة*، مخطوط خ. ع. رقم 1503 د، ومخطوط خ. ص. رقم 434 ؛ *صلحاء أسفي وعبدة*، مخطوط خ. ص. 418 ؛ *فضائح القائد عيسى بن عمر*، مخطوط خ. ص. رقم 108 ؛ عبدالقادر بناني، *تلخيص ما عليه المعول من أخبار مَن بالمغرب من الدول*، مخطوط خ. ح. رقم 1027 ؛ م. فنيتر، *قواد الجنوب الكبار. نموذج : القائد عيسى بن عمر العبدي* (1879.1914) د. د. ع. الرباط 1988 وضمنها مجموعة من الوثائق والمسندات المعتمدة في البحث.

مصطفى فنيتر

البَحّارْ أو البَحَرْ، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة وادراس الجبلية، وهي غير أسرة البحري. والجدير بالذكر أن هناك ولياً صالحاً من أسرة البقالي اسمه سيدي عبد السلام، ويعرف بسيدي عبدالسلام دْ البْحَر حيث يوجد ضريحه على شاطئ البحر المتوسط بالضفة اليمنى لمصب وادي مرتيل (انظر : *البقالي*).

أ.الزهوني، *عمدة الراوين*، 1 : 115 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

Directeur de publication : **Mohamed Hajji**

Comité de rédaction : **Ahmed Toufiq**
Mohamed Hajji

Comités scientifiques :

Pour les sciences humaines

Mohamed BENCHERIFA, Faculté des Lettres, Rabat.
Mohamed ZNIBER, Faculté des Lettres, Rabat.
Salem YAFOUT, Faculté des Lettres, Rabat.
Mustapha NAIMI, Institut Universitaire Pour La Recherche Scientifique, Rabat.

Pour la géographie et les sciences de la nature

Abdellah LAOUINA, Faculté des Lettres, Rabat.
Dris EL-FASSI, Institut agronomique et vétérinaire Hassan II, Rabat.
Mustapha AYAD, Faculté des Lettres, Rabat.
Abdelmalek BENABID, Ecole Nationale Fôrestière, Salé.
Mohamed RAMDANI, Institut Scientifique, Rabat.

Tous droits réservés, y compris le droit de traduction ou de reproducion

mêrne partielles sous quelque forme que ce soit.

Editée par

DAR AL AMAN

Dar Al Aman - Rabat

Kingdom of Maroc - 4, Zanaka Mamouniat - Rabat
Tel.:+212 5 37 72 32 76 / +212 5 37 26 37 87
Fax.:+212 5 37 20 00 55
e-mail: libdarelamane@yahoo.fr

Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

DAR AL AMAN

Dar Al Aman - Rabat

1ere Edition 1989 / 1410
2eme Edition 2014 / 1435

معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

4

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

1411- 1991

المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984 / 629

جميع حقوق النقل والترجمة ـ جزئياً أو كلياً بأي شكل كان ـ محفوظة
للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولمطابع سلا

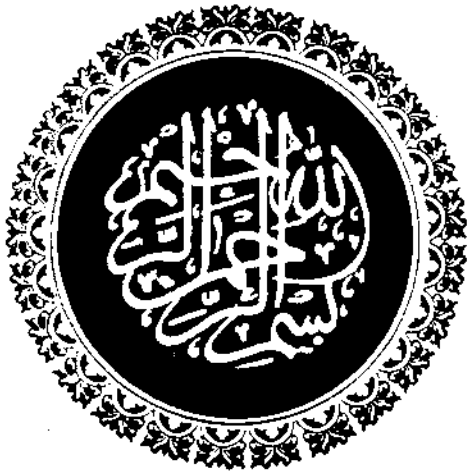
بسم الله الرحمن الرحيم

تشكر الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر منظمة اليونيسكو والشركة الشريفة للبترول على مساهمتهما في إصدار هذا الجزء من معلمة المغرب

المدير المشرف : محمد حجي

لجنة التحرير : أحمد التوفيق، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط
محمد حجي، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

لجنة العلوم الانسانية : محمد بنشريفة، أستاذ الأدب المغربي والأندلسي بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية، الرباط
محمد زنيبر، أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب، الرباط
سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط
مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافيا : عبد الله العوينة، أستاذ الجيمورفولوجيا بكلية الآداب، الرباط
مصطفى عياد، أستاذ الجغرافيا البشرية بكلية الآداب، الرباط
إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
عبد المالك بنعبيد، أستاذ بالمدرسة الوطنية الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
محمد رمضاني، باحث في البيولوجيا الحيوانية بالمعهد العلمي و أستاذ بكلية العلوم، الرباط

نشكر الزملاء الأساتذة، والمؤسسات التالية على ما قدموا للمعلمة من صور ورسوم :
- الخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
- الخزانة العلمية الصبيحية، سلا
- خزانة الأستاذ محمد ابن عزوز حكيم، تطوان
- مديرية التراث بوزارة الشؤون الثقافية، الرباط
- قسم الخرائطية بوزارة الفلاحة، الرباط
- المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير، الرباط
كما نشكر الأستاذ عبد الرحمان الفلاذي الذي رسم الخرائط.

المشاركون في تحرير مواد حرف الباء

ميلود **أحمنّ**، كلية الآداب، مراكش
محمد **أديوان**، كلية الآداب، الرباط
مصطفى **أربيب**، وزارة التربية الوطنية
شفيق **أرفاك**، باحث، الرباط
محمد **أزهار**، كلية الآداب، المحمدية
أ. ح. **أُسادّن**، طبيب، فاس
سعيد **أعراب**، المعهد الأصلي، تطوان
الحسين **أفا**، كلية الآداب، أگادير
عمر **أفا**، كلية الآداب، الرباط
الحسين **أقيوح**، مهندس، الرباط
عبد العزيز **أگرير**، كلية الآداب، بني ملال
عبد اللطيف **أكنوش**، كلية الحقوق، الدار البيضاء
محمد **ألحيان**، المركز الوطني لتنسيق البحث العلمي، الرباط
إبراهيم **ألوزاد**، كلية الآداب، فاس
علي **أمهان**، وزارة الشؤون الثقافية
حسن **أميلي**، كلية الآداب، المحمدية
حمدي **أُنوش**، كلية الآداب، أگادير
محمد **أوجامع**، كلية الآداب، مراكش
مبارك **أوسديد**، كلية الآداب، الرباط
عبد الحميد محيي الدين **الباعمراني**، كلية اللغة العربية، مراكش
محمد **البايك**، كلية اللغة العربية، مراكش
ثريا **برادة**، كلية الآداب، القنيطرة
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب، المحمدية
سعيد **برّقاد**، مهندس بمكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية
محمد **بريان**، كلية الآداب، الرباط
عبد اللطيف **البرينسي**، كلية الآداب، بني ملال
محمد الأمين **البزاز**، كلية الآداب، الرباط
الحسين **البعاوي**، كلية الآداب، الرباط
محمد **البقالي يدري**، باحث
عبد السلام **البكاري**، باحث
أحمد **بلاوي**، كلية الآداب، مراكش
محمد **بلعربي**، باحث، الرباط
عائشة **البلغيتي العلوي**، كلية الآداب، الرباط
عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب، القنيطرة
البضاوية **بلكامل**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد الأمين **بلگناوي**، باحث، الرباط

محمد **بنبراهيم**، كلية الآداب، وجدة
أحمد **بنجلون**، باحث، الرباط
ماجدة **بنحريبط علمي**، كلية الآداب، بني ملال
الحسن **بنحليمة**، كلية الآداب، أگادير
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب، المحمدية
عبد اللطيف **بنشريفة**، كلية الآداب، الرباط
محمد **بنشريفة**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
عبد العزيز **بنعبد الله**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
عبد المجيد **بنعبد الله**، مهندس بوزارة الفلاحة
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين، سلا
عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب، بني ملال
عمر **بنميرة**، كلية الآداب، الرباط
عثمان **بناني**، كلية الآداب، الرباط
لطيفة **بناني سميرس**، كلية الآداب، فاس
عبد المجيد **بنيوسف**، الخزانة العامة، الرباط
أحمد **بوجداد**، وزارة الشؤون الإدارية
الزبير **بوحجار**، باحث
أحمد **بوحسن**، كلية الآداب، الرباط
محمد **بوخبزة**، قسم المخطوطات في خزانة تطوان
فاطمة **بوخريص**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **بُودّة**، مهندس، الرباط
عبد القادر **بوراس**، وزارة التربية الوطنية
رحمة **بورقية**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب، فاس
عبد القادر **بوسحابة**، مهندس، الرباط
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب، المحمدية
مصطفى **بوشعراء**، مديرية الوثائق الملكية، الرباط
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب، الرباط
بوشتى **بوعسرية**، كلية الآداب، مكناس
عبد العزيز **بوعصاب**، المركز التربوي، القنيطرة
العربي **بوعياد**، باحث، الرباط
أحمد **بوكوس**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **بومزگو**، باحث
جامع **بيضا**، كلية الآداب، الرباط
أحمد شوقي **بينبين**، كلية الآداب، الرباط
عبد العزيز **التمسماني خلوق**، كلية الآداب، الرباط

محمد **تميم**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
عبد العزيز **توري**، مديرية التراث بوزارة الثقافة
أحمد **التوفيق**، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط
عبد القادر **تيمول**، باحث، الرباط
محمد جادة، خزانة كلية الآداب، الرباط
حسن جلاب، كلية اللغة العربية، مراكش
الحسين جهادي، وزارة التربية الوطنية
عمر الجيدي، دار الحديث الحسنية، الرباط
محمد أيت **الحاج**، وزارة التربية الوطنية
جعفر ابن **الحاج السلمي**، كلية الآداب، تطوان
حسن الحافظي، باحث
محمد **حجي**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب، وجدة
فاطمة **الحراق**، كلية الآداب، الرباط
إبراهيم **حركات**، كلية الآداب، الرباط
حمادي **حضيگي**، مهندس بمفاحم المغرب
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب، فاس
محمد **حمام**، كلية الآداب، الرباط
محمد أيت **حمزة**، كلية الآداب، الرباط
محمد حنداين، باحث
علال **الخديمي**، كلية الآداب، الرباط
سعيد خليل، كلية الآداب، أگادير
عبد العزيز **الخمليشي**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **الخنبوبي**، باحث، بوردو
إسماعيل **خياطي**، كلية الآداب، الجديدة
نجاة **الخياطي**، كلية العلوم، الرباط
مارية **دادي**، كلية الآداب، وجدة
محمد **دحماني**، كلية الآداب، وجدة
عبد الله **درقاوي**، مركز تكوين المفتشين، الرباط
نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب، مراكش
عبد الرحمان **رحو**، كلية الآداب، فاس
محمد **رحو**، كلية الآداب، فاس
حسن **رحيوي**، مهندس بمفاحم المغرب
محمد **رزوق**، كلية الآداب، الدار البيضاء 1
مبارك **رضوان**، كلية الآداب، أگادير
محمد **الرقاص**، كلية الآداب، الرباط
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي، الرباط
محمد **زرهوني**، كلية الآداب، الدار البيضاء 1
محمد **زكور**، كلية علوم التربية، الرباط
محمد **زنيبر**، كلية الآداب، الرباط
قاسم **الزهيري**، باحث، الرباط
عبد النبي **زين العابدين**، باحث
عبد الله **ساعف**، كلية الحقوق، الرباط
رشيد **السلامي**، كلية الآداب، مراكش
عبد اللطيف **الشاذلي**، عمادة جامعة مولى إسماعيل، مكناس
أحمد **الشرقاوي إقبال**، باحث، مراكش
أحمد **الشرقي**، باحث، مراكش
محمد **شقرون**، كلية الآداب، الرباط

محمد **الشياظمي**، باحث، الرباط
فاطمة الزهراء **الصبيحي العلوي**، متحف الآثار، الرباط
عبد الحق **الصدق**، كلية الآداب، وجدة
علي **صدقي أزيكو**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرزاق **الصديقي**، كلية الآداب، المحمدية
خالد بن **الصغير**، المدرسة العليا للأساتذة، الرباط
محمد **طوزي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
محمد حجاج **الطويل**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد **الطيلسان**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرحمان **الطيبي**، باحث
عبد العزيز بن **عبد الجليل**، وزارة الثقافة
محمد بن **عبود**، كلية الآداب، تطوان
عبد الفتاح أبو **العز**، كلية الآداب، بني ملال
أحمد **عزاوي**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث، الرباط
عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب، الرباط
عز الدين **العلام**، المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير
إسماعيل **العلوي**، كلية الآداب، الرباط
محمد **العلوي الأوفوسي**، وزارة التربية الوطنية
هاشم **العلوي القاسمي**، كلية الآداب، فاس
أحمد **عمالك**، كلية الآداب، مراكش
صفية **العمراني**، كلية الآداب، مراكش
أحمد **العماري**، كلية الآداب، فاس
عبد الله **العوينة**، كلية الآداب، الرباط
مصطفى **عياد**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **الغزالي**، كلية الآداب، فاس
عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب، القنيطرة
حليمة **فرحات**، كلية الآداب، الرباط
عبد اللطيف **فضل الله**، كلية الآداب، الرباط
حسن **الفگيگي**، كلية الآداب، القنيطرة
مصطفى **فنيتر**، باحث
خالد **القادري**، وزارة المالية
عبد الرحمن **القادري**، كلية الحقوق، الرباط
محمد مصطفى **القباج**، أكاديمية المملكة المغربية
محمد **القبلي**، عمادة جامعة عبد الملك السعدي، تطوان
عبد المجيد **قدوري**، كلية الآداب، الرباط
محمد **كريوط**، كلية الآداب، الرباط
علي **كريمي**، كلية الحقوق، الرباط
عبد القادر **كعيوا**، كلية الآداب، الدار البيضاء 1
محمد حسن **كفناني**، باحث
العربي **كنينح**، المدرسة العليا للأساتذة، فاس
محمد **الكير**، وزارة التربية الوطنية
ميشال لافون، باحث
حسن **اللبادي**، باحث
محمد **لبحر**، كلية الآداب، فاس
محمد **اللحية**، كلية الآداب، أگادير
عبد الرحمن **لخصاصي**، باحث
أحمد أمزال **لعسري**، باحث
علي **لغزيوي**، كلية الآداب، فاس

أحمد **لقمهري**، كلية الآداب، الرباط
راصون **لوريدو**، باحث، طنجة
سيمون **ليفي**، كلية الآداب، الرباط
حسن **ليمان**، باحث
محمد **المازوني**، كلية الآداب، أگادير
محمد **ماگامان**، كلية الآداب، مراكش
الملكي **المالكي**، وزارة التربية الوطنية
أحمد **متفكر**، باحث، مراكش
الحسين **المجاهد**، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط
محمد **مجدوب**، كلية الآداب، المحمدية
الحسن **المحداد**، كلية الآداب، أگادير
علي **المحمدي**، كلية الآداب، الرباط
محمد **مرزاق**، وزارة التربية الوطنية
العربي **مزين**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد **مزين**، كلية الآداب، فاس
أحمد **مزيان**، كلية الآداب، فاس
محمد **مستاوي**، باحث، الرباط
محمد العربي **المساري**، سفير المغرب في البرازيل
عبد الله **المصلوت**، مديرية التعليم العالي، الرباط
محمد **مطيع**، كلية الآداب، مراكش
آمنة **معطي الله**، وزارة التربية الوطنية
محمد **مغراوي**، كلية الآداب، أگادير
محمد **مفتاح**، كلية الآداب، الرباط
محمد **مقدون**، كلية الآداب، فاس

محمد **الملحاوي**، باحث
عبد الرحمان **الملحوني**، باحث، مراكش
محمد **المنصور**، كلية الآداب، الرباط
محمد **المنوني**، كلية الآداب، الرباط
محمد **منيوي**، المعهد العلمي، الرباط
جواد **المهدي**، باحث، الرباط
عبد الرزاق **مولاي رشيد**، كلية الحقوق، الرباط
المصطفى **مولاي رشيد**، كلية الآداب، الرباط
شاكر **الميلود**، باحث
محمد **الناجي**، باحث
مصطفى **ناعمي**، المعهد الجامعي للبحث العلمي
عبد الله **نجمي**، كلية الآداب، الرباط
زهراء **النظام**، كلية الآداب، الرباط
محمد الحبيب **نوحي**، كلية الآداب، أگادير
عبد الجليل **الهجراوي**، متحف الآثار، الرباط
المختار **الهراس**، كلية الآداب، الرباط
عثمان **هناكا**، كلية الآداب، أگادير
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب، مراكش
علي **واحدي**، كلية الآداب، فاس
أحمد **الوارث**، باحث
عبد الرحيم **وطفة**، باحث
مصطفى **يعرف**، باحث
سالم **يفوت**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرحمان **اليوبي**، كلية الآداب، بني ملال

اختصارات

ت.	= توفي
تح.	= تحقيق
تر.	= ترجمة
خ. ت	= خزانة تطوان
خ. ح.	= الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص.	= الخزانة الصبيحية بسلا
خ. ع.	= الخزانة العامة بالرباط
خ. ق.	= خزانة القرويين بفاس
خ. ي.	= خزانة ابن يوسف بمراكش
د. ت	= دون تاريخ
د. د. ع.	= دبلوم الدراسات العليا
د. م.	= دون مكان
ط.	= طبعة
←	= انظر

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

بَحَايِر مراكش الموحدية، يقصد بالبَحيرة ـ في اللسان الدارج المغربي ـ البستان والجنان أو الأرض الفلاحية المخصصة أساساً للمغروسات من فواكه وخضر، وهي مناظر فلاحية منها مايوجد حتى داخل سور المدينة (*التشوف*، 317).

ارتبطت بداية هذه البحاير عضوياً بزمن تأسيس مراكش اعتباراً بأن المكان كان قبل ذلك "خلاء لأ أنيس به" (*البيان*، 4 : 19). وقد ذكر الإدريسي أن مراكش في صدر بنائها لم يكن خارجها سوى بستان واحد (*وصف*، 43) ولعله يقصد الأراضي الفلاحية جنوب السور المعروفة ببحيرة الصالحة. واعتباراً لأهمية المنجزات المائية التي عرفتها المدينة في عهد المرابطين، اتسع المجال الفلاحي المحيط بها (*وصف*، 43 : 44) وتم إنشاء بحاير خاصة في شرقها جوار وادي إغزر (ايسيل حالياً)(*Marrakech*, 1 : 88).

وقد عرف المجال الفلاحي الواقع خارج سور مراكش خلال فترة حكم الموحدين خاصة في عهد الخلفاء الأوائل منهم تطوراً كبيراً، تجلى في تشكيل حزام أخضر محيط بالمدينة "وحولها من البساتين والجنات التي يسمونها البحاير العظمى مالا يحصى كثرة" (*الاستبصار*، 210)، وهذا يفيد انشغال الموحدين بإيجاد مجال حيوي لعاصمتهم، التي كانت تعرف نموا متزايداً في عدد سكانها (*البيان*، قسم الموحين، 153)، يضمن التزود بالحاجيات الفلاحية المختلفة، ويشكل عنصراً لتلبية متطلبات كمالية كالنزهة والترويح عن النفس (*المن*، 347).

في هذا الإطار يلاحظ تكرار وتعدد المصطلحات والتعابير التي لها صلة بهذا الجانب مثل : البحيرة، الجنان، البستان، الضيعة، المنتزه، الغابة. كمناظر فلاحية تحيط بالمدينة في هذه الفترة، يضاف إلى ذلك مجموعة أخرى تتعلق بأنواع الإنتاج مثل: الزيتون، الرمان، أعناب، ثمرات، فواكه. ومنها ما يهم حصيلة الإنتاج، حيث توجد ضيع تحمل مضمون القلة والكثرة والوفرة والكفاية والنقص، إضافة إلى بعض تقنيات الإنتاج كالسواقي.

على أساس ذلك يتبين أن المدينة كانت تتوفر على مناظر فلاحية (بحاير) يمكن تقسيمها من الناحية الجغرافية إلى أربع مجموعات تبعاً لواجهات السور الأربع :

مجموعة أولى : في الشمال : تشمل بساتين ومنتزهات ذكرها العمري أمام باب فاس (*ورقات*، 305.304)، ثم ضيعات وبساتين تاووتي التي كانت إحداهما في ملك رئيس الطلبة (*الذيل*، 170.1.8)، إلى جانب بحاير أخرى متفرقة (*التشوف*، 304).

مجموعة ثانية : في الغرب : من أبرز بحايرها، تلك التي أنشأها عبد المومن وتوجد أمام باب نفيس (*الاستبصار*، 210)، ثم بحاير المخالص (*البيان*، قسم الموحدين، 332) ومجموعات بساتين ومنتزهات أمام باب دكالة (*ورقات*، 304 ؛ *التشوف*، 474).

مجموعة ثالثة : في الجنوب : حيث بساتين المخزن الموحدي المتصلة مباشرة بالقصبة، وتضم ما تبقى من بحيرة الصالحة، ثم بستان المسرة الذي أنشأه عبدالمومن (*الحلل*، 146.145)، إلى جانب البحائر التي أضيفت على عهد المنصور (*الاستبصار*، 210)، حيث شكلت مجتمعة ما عرف بأگدال. وجنوبها كانت توجد بحيرة بولعرب (*البيان*، قسم الموحدين، 450).

مجموعة رابعة : في الشرق : هي بحيرة الرفايق (*نظم*، 118) ثم بحيرة الطلبة وبحيرة يطي (*البيان*، قسم الموحدين 434.389) ثم بحيرة أبي مروان (*التشوف*، 317). وجنى أمغار (*أخبار*، 78) ولعل بحيرة الناعورة كانت توجد أيضا في هذه الواجهة (*التشوف*، 469).

وتمكّن الإشارات المتوفرة من التمييز بين نوعين من ملكية البحاير :

ـ ملكية المخزن : وتشمل بني عبدالمومن (*الاستبصار*، 210) وأعوانهم (*الذيل*، 170.1.8) والمقرّبين إليهم (*الحلل*، 149)، ويمثل هذا النوع من الملكيات أهم البحاير سواء على مستوى المساحة أو التجهيز.

ـ ملكية الخواص : كانت مهمة أيضا. من مؤشرات ذلك أن مجموعة من الضياع كانت في ملك شخص واحد يسمى محمد ولد علي ويكنى بالذيب إضافة إلى 12.000 قنطار من الزيت، والرجل كان بعيداً عن المهام المخزنية (*الذيل*، 178.1.8).

وقد تميز الإنتاج بالتنوع، فهناك : الأعناب والرمان والنارنج وفواكه وخضر مختلفة، وكان الزيتون أبرز هذه المنتجات ولعل لذلك علاقة بكون هذه المادة إلى جانب تلبيتها للحاجيات اليومية للمدينة، أصبحت تدخل ضمن مواد التبادل في تجارتها (*الاستبصار*، 210)، ومادة ضرورية لبعض الحرف الموجودة بها مثل معاصر الزيت (*Marrakech*, 1 : 135)، وصناعة الصابون (*وصف*،45).

أما من حيث الكم، فالوفرة، تبدو السمة الغالبة على المنتجات، والأثمنة عادية بالنسبة لزمانها، خاضعة في ذلك لأحوال الاستقرار وعدمه (*الحلل*، 146) وللتقلبات المناخية (*البيان*، قسم الموحدين 16).

هذه الصورة الجديدة للمدينة تعكس تحولا بيئياً في المجال. فقبل سنة 1070/462 كانت النعوت التي يوصف بها هذا الأخير لا تخرج عن : الخلاء، السدر، الحنظل (*البيان*، 4 : 19) الرمضاء، العطش، (*الاستبصار*، 210) بينما أصبح ينعت خلال النصف الثاني من القرن السادس(12 م) بأنه "أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين وأعناب وفواكه وجميع الثمرات" (*الاستبصار*، 210).

ولعل بعض أسباب هذه التحول يمكن إرجاعها إلى ما يلي :

- أهمية الأشغال الهيدروليكية التي حلت مشكل الماء الشروب للمدينة ومياه السقي لمحيطها الفلاحي بواسطة تقنيات الخطارات والصهاريج والسواقي، ومكنت من خلق مساحة مسقية بالحوز الأوسط - الذي يشكل مجال مراكش - ارتفعت من 5.000 هكتار خلال النصف الأول من القرن السادس(12 م)، إلى 15.000 في نصف الثاني (*Le Haouz*, 1 : 75).

مساهمة المخزن الموحدي فيما يبدو في تحفيز سكان المدينة على امتلاك أراضي فلاحية بهذا المجال لاعتبارات اقتصادية وبحكم توفّر الامكانيات المادية لنسبة من السكان خاصة. وإن الرخاء الاقتصادي الذي عرفته مراكش في منتصف القرن كان مشجعا على ذلك جاء عند ابن صاحب الصلاة "ونمت الأرزاق، وعمرت الأسواق بالبيع والتجارة الرابحة، ودرت على الناس الخيرات دورا،... وكثر المال في أيدي من توالى سمحه وبركته، وابتنوا بمراكش الديار العتيقة، واغترسوا خارجها أينع حديقة" (*المن*، 266).

في هذا السياق قدم ابن عبدالملك نموذجا دقيقاً، يتعلق بشخص من أهل المدينة يعرف بالفهمي كان يملك رباعاً كثيرة جيدة إلى جانب عقارات وحمام وغيرهما. وبلغ دخله اليومي من رباعه فقط 500 درهم (*الذيل*، 1.5.400).

- رغبة الموحدين وحرصهم على جعل مراكش باعتبارها عاصمة ملكهم تخلد هذا الحكم، وتجعله محل فخر واعتزاز (*البيان*، قسم الموحدين، 175) في هذا الإطار يلاحظ بالنسبة للجانب الفلاحي أن بعض البحاير المخزنية كانت تتوفر على كماليات من مستوى رفيع، مثل بستان المسرة الذي كان به حوض مائي مصنوع من الرخام تزينه تماثيل لحيوانات مصنوعة من المرمر والرخام في تناسق مع هندسة مياه الحوض، إلى جانب وجود معرضين للحيوانات الأول خاص بالأسود، والثاني خاص بالفيلة والزرافات وحيوانات أخرى من هذا الصنف (*وصف*: 106.105).

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مؤلف مجهول، الاستبصار، ت : سعد زغلول عبدالحميد ؛ ابن صاحب الصلاة ، *المن بالإمامة*، ت : عبدالهادي التازي ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، ت : أحمد التوفيق ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، ت : محمود علي مكي ؛ م. ابن عبدالملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، ت : محمد بنشريفة وإحسان عباس ؛ ابن عذاري، *البيان*، ج : 4، ت : إحسان عباس - قسم الموحدين - ت : محمد إبراهيم الكتاني وآخرين ؛ مؤلف مجهول، *الحلل الموشية*، ت : سهيل زكار وعبدالقادر زمامة ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ت : محمد حجي ومحمد الأخضر، ج : 1 ؛ م. المنوني، ورقات.

G. Deverdun, *Marrakech* ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, t : 1, Rabat, 1972.

محمد رابطة الدين

البحر - تاريخ - يحيط بالمغرب من الشمال والغرب على امتداد مسافات طويلة تبلغ حوالي 3.000 كلم. وقد كان البحر وما يزال أكبر بوابة للمغرب للاتصال بالعالم الخارجي، فعن طريق البحر عرف المغرب الفنيقيين والقرطاجيين ثم الرومان والبيزنطيين في العصور القديمة، وعن طريقه عبر المغاربة إلى الأندلس منذ حملة الفتح وطوال العصر الوسيط، ثم لم تفتأ الأساطيل المغربية، التجارية والحربية، تخوض عباب البحر المحيط منذ مطلع العصر الحديث إلى اليوم.

نعم، يلاحظ سكوت مصادر المغرب التاريخية عن البحر والبحرية إلى حدود القرن الثالث(9 م)، غير أن الجغرافيين العرب قد أعطونا صورا مختلفة عن أنشطة الموانئ المغربية في القرون التالية. تحدث اليعقوبي عن ميناء ماسة وعن أنشطة السفن التي كانت تفدُ عليه من الشرق، وأبرز ابن حوقل علاقات بعض الموانىء المغربية بالأندلس، وأظهر الإدريسي أهمية سلا في علاقات المغرب بالأندلس. في حين بيّن البكري الأنشطة البحرية ونُظم تنقل السفن فيما بين موانىء المحيط (كوز وغيره) والبحر المتوسط. لهذا ومن أجل هذا وجب التراجع عن أحكام الكتابة الاستعمارية وتوجيه البحث والتنقيب في هذه المجالات المرتبطة بالبحر قصد استخراج روابط المغرب بالفضاءات المتوسطية والأطلنتيكية منذ الأزمنة الغابرة، سواء كانت أساطير ميتيّة أو وقائع وأحداثاً مازالت آثارها قائمة. وتكفي الإشارة إلى كل من طريفة وجبل طارق.

تعتبر مساهمة المرابطين والموحدين مساهمة هامة في تشييد وبلورة الحضارة المتوسطية، نلمس ذلك من خلال الوساطة التجارية التي لعبها المغرب بين افريقيا السوداء وأوروبا حيث اعتبر القرن السابع (13 م)، أوج الحضارة والحضور المغربي على الساحة المتوسطية. كانت سبتة من أكبر الموانىء في هذا البحر، وتميز المغاربة في هذه الفترة باتخاذهم المبادرة براً و بحراً. وكانت في ملكهم أساطيل تحدث عنها ابن أبي زرع حين ذكر أن عبد المومن كان يملك سنة 517 هـ حوالي أربعمائة وحدة موزعة عبر الموانىء بالمغرب الإسلامي كله. كما أن المؤسسات البحرية عرفت حركة نشيطة سواء تعلق الأمر بنظم الجمارك أو بدور الصناعة أو السكة.

واستمر الاهتمام بالبحر على عهد المرينيين، غيرأن بوادر الانكماش المغربي بدأت تظهر مع بداية المد الإيبري الذي يعتبر منعطفا تاريخيا حيث انتقلت المبادرة إلى الشمال. وشكل احتلال سبتة عام 1415/818 بداية لهذه الهيمنة التي لن تعرف إلا تزايدا. أدى هذا الاحتلال إلى خنق الاقتصاد المغربي ومنع المغاربة من المساهمة المباشرة في تشييد الفضاءات البحرية الجديدة.

غير أننا، بالرجوع إلى الكتابة البرتغالية نفسها، نلمس الإمكانات المادية التي قدمها المغرب لمنظمي ومجهزي هذه الاكتشافات. كما أن الوثائق البرتغالية والإسبانية المتعلقة بالمغرب تبين اهتمام المخزن السعدي بتشييد أسطول بحري وإن لم ينجح لأن الغزوات الإيبرية كانت تهاجم الموانىء المغربية وتغرق السفن التي توجد بها، كماحصل عام 1517.1516 في ماسة. لقد حاول محمد الشيخ بعد استرجاعه فاس عام 1534 تشجيع أوراش بادس. وتحتاج محاولات عبد الملك السعدي إلى توضيح أكثر نظراً لتجربته ومشاركته في عدة حروب بحرية لعل أهمها معركة ليبنتو. واعتبره المؤرخ المجهول أول من أمر بإنشاء السفن بالعرائش وسلا. أما أحمد المنصورالذهبي فسار في نفس الاتجاه كما توضح الوثائق، غير أن العمل البحري سيأخذ أبعاداً أخرى على إثر الطرد الموريسكي.

دار ومازال يدور نقاش كبير حول موضوع القرصنة. واختلف التعريف بها باختلاف زوايا مقاربتها : إنها اللصوصية والحرب المباحة والحرب الصغرى بالإضافة طبعا إلى مفهومي القرصنة والجهاد البحري. لقد تغير المفهوم في الزمان والمكان، لكن المؤكد أن الظاهرة قديمة وكونية، ولا نعتقد أنها مغاربية فقط كما زعم گاستون زلير. كما لا يمكن اعتبارها مجرد ردود أفعال مغاربية تجاه المبادرات الأوربية الخانقة للاقتصاد المغاربي كما ذهب إلى ذلك عبدالله العروي. بل هي ظاهرة قديمة، ولربما هي مجرد تحويل لعادات وممارسات من البر إلى البحر. كما أنها كانت ترتبط بالأوضاع السياسية والعسكرية للمناطق المجاورة أو المستعملة للطرق البحرية. لقد ازدهرت القرصنة بسبب تقوية السلطة لها لأنها كانت تدرّ عليها فوائد وأرباحا اقتصادية وسياسية داخل وخارج مجتمعها، وتعتبر قطاعا تجاريا شأنها شأن الملاحة نفسها.

لقد ربطت أوروبا القرصنة بالمسلمين لأسباب جيو/سياسية معروفة، إلا أننا نستغرب لتعامل الكتابة الأوربية مع ويلات قراصنة مالطة. ويزداد هذا العجب عندما نقرأ عن بطولات فرسان الجزيرة الذين لا يترددون في مد المساعدة للدول المتوسطية من أجل مهاجمة أساطيل برابرة إفريقيا ! يبدو لنا أن القرصنة كانت تستعمل كأداة سياسية وعسكرية من طرف هذه الضفة أو تلك. وقد حركتها ظرفيات وحتمتهاالمواجهة الثقافية وعززتها التفاوتات الاقتصادية والاجتماعية.

اتخذت القرصنة أو الجهاد البحري بعداً سياسياً وثقافياً هامّين في مغرب العصر الحديث، لا سيما بعد الطرد الموريسكي وتفتيت الجهاز المخزني للدولة السعدية. أصبح شبح قراصنة سلا يطارد المخيلة الأوربية إلى درجة أنها أنتجت حوله الكثير من الأدبيات والأساطير المهولة.

أسس القراصنة "جمهوريتهم" بسلا وقبل عنها الكثير، إلا أنها مازالت بحاجة إلى دراسات وتنقيبات حتى نتمكن من رصد واستخراج أدوار هذه "الجمهورية" في تحول المواجهة من صراع مغربي إيبيري إلى مواجهة مغربية أوروبية (أوروبا الشمالية). لا شك أن البحث قد يظهر وسائل وأبعاد تدجين الجهاد البحري من طرف الجهاز المخزني قصد اعتماده واستغلاله كورقة دبلوماسية. استخدمه المولى إسماعيل للضغط على أوروبا من أجل اقتناء الأسلحة. وربما بسبب هذا الاستعمال تراجعت عمليات الجهاد البحري كما توحي بذلك بعض الوثائق : «لقد تخلى تجار سلا عن تجهيز وتسليم السفن للقراصنة بسبب المصاريف الباهظة التي لا تضمن لهم أرباحا لأن السلطان كان يجد دائما المبررات لسلب كل ما تعود به سفنهم» (*S.I.H.M., France*, 4 : 707).

لم تتراجع سياسة المخزن البحرية، على عهد السلطان سيدي محمد بن عبدالله، بل عرفت نفساً جديداً وتوجهات أخرى. لقد تكون هذا السلطان في خضم وأبعاد الأزمة التي تلت وفاة المولى إسماعيل، وتقلد عدة مهام قبل أن ينفرد بالحكم، ومن ضمن هذه المسؤوليات تسييره لميناء أسفي.

لقد كان هذا السلطان يتوفر على خطة واضحة المعالم في هذا المجال : شجع صناعة السفن الكبيرة، وشيد الموانئ وجهزها، وربط الأسطول وأموره مباشرة بالدولة. كما حاول بلورة مشروع سياسي أهمّ ما تميز به توجهاته الإصلاحية في ميادين مختلفة، لعل أهمها اهتمامه بتقوية السياسة البحرية عن طريق خلق أسطول سلطاني وإصلاح ثم تجهيز موانىء فضالة والدارالبيضاء وسلا، وبالخصوص إحداث مدينة الصويرة : «ثم خرج منها لناحية سلا فنزل بالدار البيضاء فرأى مرساها فأعجبته ووبخ أهل الرباط انهم كانوا يعيبونها له لأنهم كانوا يخافون من عمارتها... فأمر ببنائها وأمر ببناء السور وأذن للنصارى أن يحملوا منها الزرع» (*الضعيف*، 1 : 349).

ربط محمد بن عبدالله كل المؤسسات البحرية بشخصه عن طريق أداء الأجور للبحارة والرياس والإشراف على صناعة السفن كما ذكرنا. ولعل المعاهدات العديدة التي أبرمها مع الدول الأوربية تبين بشكل واضح هيمنة البنود الخاصة بالبحر وشؤونه. وقد حاول تعمير الموانىء عن طريق تشجيع السكان على التوجه من المدن الداخلية إلى الموانىء، وتظهر بعض الكنانيش كيف عمل على نقل أصحاب الحرف من المدن الداخلية إلى المدن الساحلية عموما وبالخصوص إلى ميناء الصويرة. حاول أن يجعل من هذه المدينة عاصمته الدبلوماسية، كما تلح على ذلك عدة

وثائق وتقارير أجنبية. ونلمس من خلال أقوال ابن عثمان اهتمام المغرب بتكوين الأطر البحرية في بلدان أوروبية كإسبانيا (*الإكسير*، ص 41).

ومع حلول الثورة الفرنسية وخلال القرن التاسع عشر يمكن الحديث عن تخلي المغاربة عن البحر لأنه أصبح مصدراً لويلاتهم ورمزاً لتفوق أوربا المتخذة للمبادرات. أصبحت السفن البخارية شعار هذا التفوق وأداة في يد الغرب لحمل المغرب على قبول كل الضغوط والمبادرات، وما المعاهدات الموقعة خلال القرن التاسع عشر إلا تدرج أدى حتما إلى معاهدة مارس 1912.

وبعد الاستقلال استرجع المغرب اهتماماته البحرية، يتجلى ذلك فيما أنشىء من معاهد لتكوين البحارة والتقنيين مدنيين وعسكريين، وفي توفير أعداد قطع الأسطول البحري بكيفية مطردة وفي مختلف الميادين.

أ. البكري، *المغرب* ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض* ؛ اليعقوبي، *التاريخ* ؛ م. الادريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مجهول، *الاستبصار*؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ت : م. البوزيدي ؛ م.ابن عثمان، *الإكسير*، ت : م. الفاسي ؛ ع. قدوري، *صور عن أوربا من خلال ثلاث رحلات مغربية*، مجلة كلية الآداب بالرباط، ع. 15، 1990.

عبدالمجيد قدوري

البحر، (جزيرة ـ) Isla de Mar تعرف بهذا الاسم عند الإسبان الجزيرة الصغيرة المجاورة لجزيرة النكّور السليبة، كما تعرف بجزيرة الحمام Isla de las Palomas وبجزيرة القديس أغوسطين de San Agustin في حين أن اسمها الحقيقي هو جزيرة تيزيران، وتقع على بعد نصف كيلومتر من شاطئ قبيلة بني ورياغل.

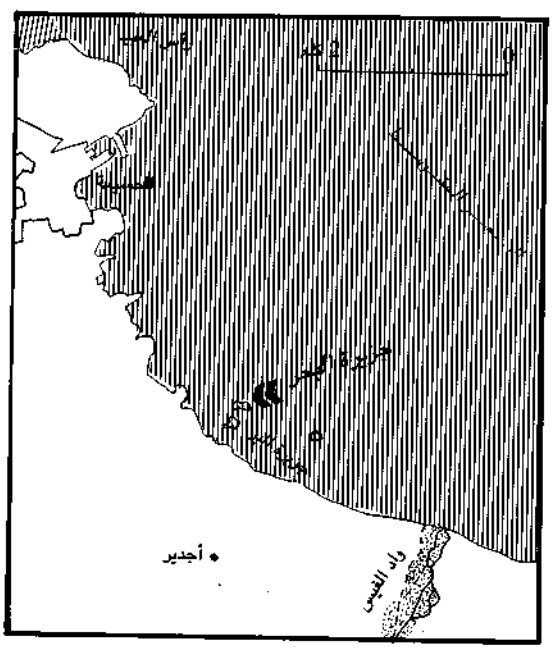

جزيرة البحر

هذه الجزيرة هي إحدى الجزر الثلاث التي تعرف بـ Ad sex insulas في *رحلة انطونينو Itinerario de Antonino* ولم نجد لها ذكرا في المصادر المغربية.

ويزعم الإسبان أنهم احتلوها يوم استيلائهم على جزيرة النكور في 28 غشت 1673 ولذلك اتخذوها مقبرة لموتاهم.

Blazquez y Delgado ; A. Domenech Lafuente, *Zona Norte*, p. 48 ; J. Cabello Alcaraz, *Geografia Marruecos*, p. 63 ; Comision Historica, *Geografia*.

محمد ابن عزوز حكيم

بحر بسُّول، مصطلح نعت به الجغرافيون العرب المساحة البحرية الواقعة جنوب شبه جزيرة سبتة الممتدة جنوبا إلى الرأس الأسود Cabo-Negro، وذكره صاحب *اختصار الأخبار* باسم "أبي السول" مفصّحاً ما كان ينطق به العامة على ما يبدو.

الشريف الادريسي، *نزهة المشتاق*، 2 : 528 ؛ مجهول، *الاستبصار*، ت. سعد زغلول عبد الحميد، ص. 137 ؛ أ. البكري، *كتاب المغرب*، ت. دوسلام، ص. 103.

El Badisi, *El-Maqsad*, trad. fr. G. S. Colin, *A. M*, vol. XXVI, 1926, p. 98, Nº 331 ; Vallve Bermejo. J, *Descripcion de Ceuta Musulmana en el siglo XV*, *Al-Andalus*, vol XXVII, fasc 2, 1962, p. 436, Nº 108.

زليخة بنرمضان

بحر البوران، حوض بحري ذو مساحة متواضعة، يمثل الجزء الغربي من البحر المتوسط. يمتد وسط القوس الريفي ـ البيتي، على مسافة 350 كلم شرق ـ غرب، 165 كلم شمال ـ جنوب. فهو إذن بحر شبه مغلق غربا، حيث لا يتصل بالمحيط الأطلسي إلا عبر مضيق جبل طارق، بينما ينفتح شرقا على الحوض الجزائري ـ البلياري الذي يكون الجزء الأهم من البحر المتوسط الغربي. تحده شمالا وجنوبا سلاسل جبلية مشرفة إشرافا مباشراً، تتمثل في السلسلة الريفية جنوبا، بين سبتة ورأس ملياية والسلسلة البيتية شمالا بين جبل طارق وألميرية.

فهو بحر عند اتصال ميدانين، المتوسطي والمحيطي، وبالتالي يكون على المستوى الهدرولوجي منطقة عبور للمياه المتنقلة من كل من الميدانين إلى الآخر. كما يمثل حوضا ضيقا تشرف عليه مرتفعات جبلية حديثة، تتميز بعنف وتردد تشويهاتها البنائية، ولهذا فهو بالتالي مجال غير مستقر، تعرف فيه القشرة استمرارية الحركات التكتونية.

1ـ جيولوجيا ومرفلوجية الحوض البحري :

يتكون بحر البوران من حوضين عميقين أحدهما شرقي، ينفتح على الحوض الجزائري، والآخر غربي يتصل بمضيق جبل طارق، تفصلهما سلسلة من القعور العالية، لها اتجاه ش ـ ش ش ـ غ ج غ ـ، تبرز منها جزيرة بركانية صغرى، هي جزيرة البوران.

ويفسر انفتاح بحر البوران، بحدوث حركة أفقية نحو الغرب، همت صفيحة جزئية تسمى صفيحة البوران، كانت تفصل بين الصفيحتين الأوربية والإفريقية، هذه

الحركة جعلت أجزاء من الصفيحة الوسطى تساهم في بنية السلسلة الريفية، بينما تم ترقيق القشرة في البحر، الشيء الذي سمح بتسرب محلي لصخور بركانية قاعدية. وقد تم هذا بعد تكوين القوس الريفي ـ البيتي، أي في مرحلة ارتخاء تنتمي لنهاية الميوسين.

ومنذ ذلك الحين انطلق التراكم الرسوبي في البحر وجوانبه القارية أثناء فترات الغمر والطغيان. كما توالت على التجعد الأوسط مراحل تكتونية متعددة هي المسؤولة عن البنية الملتوية للرواسب. وقد ترسبت في الأحواض مجموعة سميكة، تتمثل في أوحال سفلى بليوسينية، ثم مواد مفروشة رباعية منافرة لها، مما يدل على حدوث حركات هامة بين السلسلتين الرسوبيتين.

2 ـ التاريخ التكتوني للبحر وهوامشه الجبلية :

ينطلق تاريخ بحر البوران من فترة البنائية المسؤولة عن تشكيل القوس الريفي ـ البيتي. خلال نهاية الميوسين الأوسط، لما تم زحف جزء من صفيحة البوران على الريف الداخلي، مكونا السلاسل الكريوناتية وما خلفها من ظهورات للقاعدة القديمة.

عندئذ حلت محل صفيحة البوران، قشرة محيطية مرققة، هي الأصل في الأحواض البحرية. وبانطلاق المرحلة الارتخائية، تهدل المجال البحري وعدد من الأحواض الانكسارية الهامشية، مما سمح بترسيب كميات هائلة، تقدر بآلاف الأمتار من النيوجين الأعلى.

ابتدأ الإرساب بمواد الطرطوني الفتاتية، تلتها الأوحال الميسينية التي تدل دقتها على محو المرتفعات. وانتهى الميسيني برواسب تبخارية مزامنة لما يسمى بالازمة الملحية، لما تراجع مستوى البحر لأسباب هزهزية، وانغلق الاتصالات بين المتوسط والمحيط، وعرفت مياه المتوسط تركزاً ملحياً تسبب فيه العجز بين التبخر الشديد وقلة الواردات العذبة. إلا أن المؤلفين حاليا لا يقبلون فكرة الجفاف الكامل للبحر، بل يعتبرون أن البيئة ظلت بحرية لكن حبيسة، مما أدى إلى تجزئ المجال البحري بعد انغلاق الممرات.

بحر البرهان (البوران)

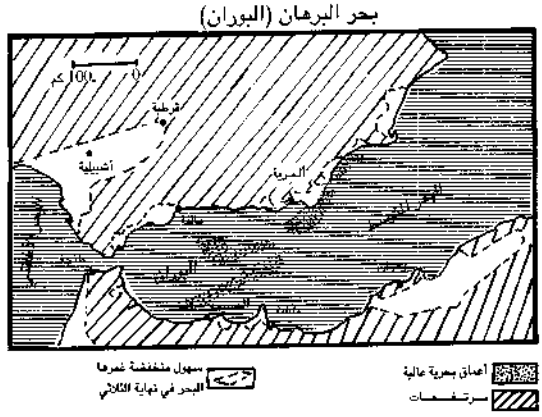

وفي البليوسين، انفتح البحر من جديد على إثر حدوث انكسارات أساسية أنشأت مضيق جبل طارق. وقد تزامن هذا مع فترة طغيان بحري، الشيء الذي تسبب في صعود مستوى المياه، على طول أودية سبق حفرها على شكل خوانق ضيقة في الميسيني. ولذا نرى الرواسب البليوسينية متداخلة وسط الرواسب الميسينية السابقة.

وقد عرفت بداية الرباعي تغيراً شاملاً في النظام التكتوني، حيث تحول الوضع إلى بنائية انضغاط من جديد، بعد أن استمرت مرحلة الارتخاء خلال نهاية النيوجين. وتفسر الحركات الانضغاطية مجموعة من الطيات ومن الانكسارات العكسية والانخلاعات، هي المسؤولة عن تشوه الرواسب السابقة خاصة على طول التجعد الأوسط الفاصل بين الحوضين الشرقي والغربي من بحرالبوران. واستمر الانضغاط خلال الرباعي الأوسط والحديث في الحاشية الشمالية من البحر وفي البحر نفسه، بينماعوضته جنوبا في السلسلة الريفية حركات ارتخائية، واكبتها بركنة قليلة تتضح آثارها في الريف الشرقي، وتشويهات واسعة الآفاق همت المجال الساحلي

وقد ظل النشاط البركاني مواكبا لكل مراحل التطور، في السلسلتين المشرفتين على البحر، أي في الناحية الشرقية من السلسلة البيتية، وشرق الريف، بينما لم يمس النشاط البركاني القوس نفسه. ويمكن تحديد ثلاث فترات بركانية أساسية، الأولى طرطونية حدثت منذ عشرة ملايين من السنين، أعطت صخورا ريوليتية، والثانية ميسينية (4 إلى 5 ملايين سنة) تركت طفوحا اندزيتية، والأخيرة من البليوسين والرباعي هي المسؤولة عن الطفوح البزلتية. أما النشاط الزلزالي، فهو موزع في كل المجال الذي تشغله السلسلتان، مما يدل على تجابه قاري بين الصفيحتين الأوربية والافريقية، دون أن يكون من الممكن تحديد الموقع المضبوط للحدود بين الصفيحتين داخل بحر البوران بينما يتضح الفصل بينهما في المحيط على طول انكسار شرقي ـ غربي.

3 ـ الهامش المغربي لبحر البوران :

يمتاز هذا الهامش بتعقيده. ذلك أنه يكون غربا نقطة انطلاق التجعد الذي يتوسط البحر فاصلا اياه إلى حوضين، بينما يشرف شرقا على الحوض الأكبر الممتد نحو الحوض الجزائري. ويمتاز هذا الحوض بضعف عمقه غربا حوالي 450 م بينما تتزايد الأعماق كلما توجهنا شرقا لتصل حتى 1.800 م تحت مستوى سطح البحر.

وتفصل القارة عن الاحواض البحرية هضاب قريقارية تمتاز بضيقها العام. مع تغايرات من الغرب إلى الشرق امام سلسلة بقوية، لا تتعدى الهضبة 2.5 كم اتساعا و 100 م عمقا، بينما يخددها خانق عميق هو استمرار لواد نكور. وتتسع الهضبة بين رأس طرف وراس مليلية 15 كم. ثم شرق هذا الرأس تنحدر الهضبة ببطء حتى عمق 400 م، دون أن تفصلها عن الأحواض، الحافة المعتادة.

4 ـ المناخ والهدرولوجيا :

ينتمي بحر البوران والمجالات المطلة عليه إلى النظام

المناخي المتوسطي. لكن موقعه الخاص على شكل ممر ضيق يمثل مدخلا للبحر المتوسط، ينفتح على المحيط الأطلنتي ويعطيه صبغة خاصة. أما موقعه العرضي المتمحورعلى خط عرض 36 درجة فهو يجعل منه الجزء من البحر المتوسط الأكثر جنوبية.

هذه المعطيات المتناقضة المفعول، تتضح في التغايرات المجالية، رغم عدد من الخاصيات العامة.

الخاصيات العامة للبحر وهوامشه، يشترك فيها مع باقي المجالات المتوسطية، وتتمثل في حدة جفاف الصيف، الشيء الذي يفسر نجاح النمو السياحي على الساحلين الإسباني والمغربي، وتركز الأمطار في فترة قصيرة، مع ضعف عدد أيام التهاطل (أقل من سدس أيام السنة).

أما الاختلافات الإقليمية فهي ترجع لموقع البحر على مقربة من المحيط وتياراته الهوائية المضطربة. وهكذا نلحظ تدرجا نحو الجفاف، انطلاقاً من مضيق جبل طارق نحو الشرق. فمحطة سبتة 583 م تتلقى أكثر من ضعف تهاطلات مليلية، ومرتين ونصف تهاطلات أليرية.

على الساحل الشمالي، تبقى الظروف رطبة نسبيا حتى محطة موطريل شرق مالقة، ويبقى الغطاء النباتي الغابوي مهيمنا، بينما تتدهور الظروف سريعا على الساحل المغربي،(مليلية : 324 م) ابتداء من جبهة. لكن الأوضاع تنعكس شرقا، حيث يصبح الساحل المغربي في ناحية مليلية وملوية، أكثر رطوبة من نظيره الاسباني (أليرية : 243).

وتمتاز المحطات الغربية بقصر الفصل الجاف، حيث لا يتعدى عدد الشهور الجافة خمسة أشهر (الشهر الجاف = تهاطلات أقل من مرتين من الحرارة). كما تضم بعض الشهور الرطبة جدا والتي تتعدى فيها التهاطلات مقدار ست مرات الحرارة. أما في المحطات الشرقية فإننا نصل، وخاصة على الساحل الإسباني إلى ظروف جافة جدا (رأس گاطا : 140 م)، مع ظهور عدد من التأثيرات النباتية السهوبية.

بالنسبة للهدرولوجيا القارية، يمتاز محيط البحر بمحدودية الجريان فيه وذلك لعموم قصر الأحواض النهرية، ونظامها السيلي المتناقض، إذا استثنينا نهر ملوية الذي يصرف جزءاً من الأطلس وجل الهضاب العليا.

وفيما يخص الهدرولوجيا البحرية تجب الإشارة إلى أن بحر البوران هو بحر تركز، يفقد عن طريق التبخر مما يرد عليه من مياه عذبة مطرية ونهرية. وهذا ما يفسر الحركة المائية التعويضية القادمة من المحيط. وتمتاز المجموعتان المائيتان بالتناقض في حرارتها وملوحتها، الشيء الذي يفسر تعدد الحركات والتيارات.

في بحر البوران ثلاث كتل مائية أساسية : طبقة سطحية محيطية، حرارتها حول 16 درجة وملوحتها معتدلة 36 درجة. وتمتد حتى عمق 200 م. تحتها طبقة وسطى هي عبارة عن مياه متأصلة من البحر المتوسط الشرقي، حرارتها 14 درجة وملوحتها 38.5٪، وعمقها بين 250 و800 م. وأخيرا طبقة عميقة تنشأ في فصل الشتاء في الحوض البروفانسي، وحرارتها 12 درجة.

حركات المياه تختلف حسب عمقها. تعرف المياه السطحية الأطلنتية حركة ضد إعصارية دائرية و لها شعاع 60 كم، قبل أن تنقسم إلى تيارين شرق راس مليلية، أولهما يتوازى مع الساحل الجزائري والثاني يرجع نحو المضيق.

أما المياه العميقة فحركتها نحو الغرب، بسرعة ضعيفة، وتمتاز مياه بحر البوران أخيرا بضعف تراقصها الذي لا يتعدى 90 سم في أشد الحالات، ويتحدد في نصف متر في أغلبها.

B. El Mòumni, *La Sédimentation au quaternaire terminal dans la partie S. de la mer d'Alboran.* Thèse, Perpignan, 212 p ; J. M. Auzende, *The origin of the Western Mediterranean basin. J.Geol. Soc. Lond*, 129, 607, 620 ; M. Durand Deiga. *La Mediterranée occidentale. Soc. Geol.* Fr. Mem. H. S. 10, 203. 224; D. Hatzfeld, *Etude stsmo-tectonique de la zone de collusion ibero-maghrébine.* Thèse d'Etat, Grenoble, 281 p ; J. L. Olivet, Auzende, et J. Bonnin, *Structure et evolution technique du bassin d'Albora. B.Soc. Géol.* Fr , (7), 15, 108, 112 Bergnaud-Grazzini, C et Bartolini, C. *Evolution paléoclimatique de sédiments Wurnens et postwürmiens en mer d'Alboran, Rev. Géo. Phys. et Géol. Dyn*, 12, 325-334.

عبدالله العوينة

بحر الرملة (سبتة) مصطلح جغرافي أطلق خلال العصور الوسطى الإسلامية على الشريط البحري الواقع جنوب مضيق جبل طارق، ويشمل فقط المساحة البحرية الممتدة من شمال شرق سبتة إلى قصر المجاز (قصر مصمودة) غربا. تحف سواحله رمال كثيرة، ومن ثم يكون قد جاء اسمه. تنتشر بهذا البحر عدد من الجزر أو النتوءات الصخرية، ويتميز الشريط الساحلي بتعدد خلجانه التي كانت تعد من أخصب الأحواض البحرية لصيد الأسماك، ويستخرج منه المرجان الذي كان يصدر إلى مختلف جهات العالم. وقد استخدمت هذه الخلجان كمرافيء للسفن لوجودها في مأمن من الرياح، أهمها ميناء مدينة سبتة أو "حفرة عتار" وهو الاسم الذي عرف به خلال العصر الإسلامي للمدينة، وخليج بليونش أو بنزو Benzos.

أ. البكري، *المسالك والممالك* ؛ م. الأنصاري، *اختصار الأخبار*، 1983، ص 51،50 ؛ الحميري، *الروض المعطار*.

El Bakri, *Description de l'Afrique septentrionale*, Trad. De Slane, Alger, 1913, p. 203.

بحر الزقاق، أو (بحر المضيق) مصطلح جغرافي يرد في كتب الجغرافيا الإسلامية للدلالة على الطرف الغربي الضيق من البحر المتوسط أو البحر الرومي أو الشامي كما كان يعرف سابقا. يحدد خطأ بين ألمرية ومليلية غربا، وجزيرة طريف شرقا (*Geographie*, 2 : 32. nº 2 ، *الإحاطة*، 3 : 133، إحالة رقم 1)، إذ الصحيح أن الجغرافيين العرب كانوا ينعتون به أقصى الطرف الغربي الأكثر ضيقا، أي بحر المضيق الحالي الممتد بين جزيرتي طريف والخضراء على الساحل الأندلسي، وبين مدينتي طنجة وسبتة على الساحل المغربي. ينفرد ابن سعيد المغربي في تحديد بدايته عند أصيلا ونهايته عند سبتة على امتداد أربعين ميلا (*كتاب الجغرافيا* : 138).

تصف المصادر أخطار وأهوال أمواجه المتلاطمة والمتدفقة من المحيط الأطلسي أو بحر أقيانوس كما كان يسمى قديما، في اتجاه البحر المتوسط، إذ بعظمتها وعلوها كانت تشكل خطرا على السفن التي كثيرا ما كانت تتحطم على السواحل خصوصا عند هبوب الرياح الشرقية. من مميزات هذا البحر أيضا أنه يجزر ويمد مرتين في كل يوم وليلة (*مروج الذهب*، 1 : 119 ؛ *نزهة المشتاق* 2 : 526 ؛ *كتاب الجغرافيا*، *Description* , 214، 138).

إلى جانب المعطيات الجغرافية الحديثة، تُذكر تاريخياً عدة روايات حول أصل هذا البحر، تتفق في معظمها على أن البحر المتوسط كان أصله عبارة عن بحيرة قارية مغلقة، إلا أنها تختلف حول محدث الزقاق ودوافع ذلك. تذهب إحداها إلى أن حفر الزقاق كان من إنجاز الإسكندر الأعظم بطلب من الإسبان القدامى المتضررين من غارات أهل سوس. أفاضت الرواية في وصف ضخامة الإنجاز وتعداد مراحله، فحددت هندسته ومقاييسه ونتائجه (*نزهة المشتاق*، 2: 529 ؛ *الروض المعطار*، 509). في حين ترى رواية أخرى أن الزقاق من عمل بنى دلوكة وارثي عرش مصر بعد الفراعنة ليجعلو حاجزا بينهم وبين الإغريق (*مروج الذهب*، 1 : 358 ؛ *E.I.* 963).

وحسب روايات أخرى فإن الزقاق كان في أصله عبارة عن خلجانات صغيرة تقطعها قنطرة مبنية بالحجارة والطوب ممتدة على طول اثني عشر ميلا، تنطلق من طنجة وتنتهي عند مكان يعرف بالصفيحة على الساحل الأندلسي. تمضي الرواية في وصف القنطرة وبنائها المحكم والعجيب. كما تحدد دورها في الربط البري بين الساحلين الأندلسي والمغربي لمدة طويلة استمرت إلى ما قبل الفتح الإسلامي للأندلس بحوالي مائتي سنة حسب رواية صاحب *الاستبصار*، أو ما قبل الفتح الإسلامي لمصر بمائة سنة حسب رواية المسعودي، إذ فاضت مياه البحر، فأغرقت القنطرة. من آثار هذه الرواية في ذاكره أهالي الأندلس إعطاؤهم اسم «القنطرة» لأحد المواضع على الساحل الأندلسي المقابل للساحل المغربي (*الاستبصار*، 138 ؛ *مروج الذهب*، 1 : 348،349 ؛ *العبر*، 6 : 195 ؛ *الروض*، 509).

أبو الفداء، *الجغرافيا* ؛ أ. البكري، *كتاب المغرب* ؛ المسعودي، *مروج الذهب* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ ابن سعيد، *كتاب الجغرافيا* ؛ الحميري، *الروض المعطار* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج : 1 و 6.

زليخة بنرمضان

البحر المتوسط ـ جغرافيا بشرية ـ يحتل حوض البحر المتوسط مرتبة هامة في تاريخ وحضارة الانسانية. فهو مهد أرقى الحضارات التي عرفتها البشرية كما ظل طيلة آلاف السنين مركز العالم القديم وقلبه النابض، ثم مع التطورات التي عرفها العالم والتي نتج عنها ظهور مراكز ثقل جديدة على أطراف المحيطين الأطلسي والهادئ فقد البحر المتوسط هذه المرتبة. وهو اليوم ومنذ عقدين أو ثلاثة في طريق استرجاع جزء من أهميته نتيجة عدة عوامل من بينها بناء السوق الأوربية المشتركة على ضفته الشمالية الغربية وظهور التجمعات الإقليمية على ضفتيه الجنوبية والشرقية والوزن الديمغرافي والاقتصادي المتزايد للدول المشرفة عليه وخاصة النمو السريع للنشاط السياحي الذي جعل منه محج الملايين من السواح والزائرين.

ويصعب الكلام عن البحر المتوسط دون التعرض للبلدان المشرفة عليه. فمثل التقلبات التاريخية التي عرفتها هذه البلدان ترتبط الحياة الاقتصادية لهذه البلدان ارتباطا وثيقا بالبحر. ويمكن تركيز دراسة علاقات البلدان المتوسطية ببحرها على أهم ميادين استغلال هذا البحر كالصيد والنقل والسياحة. غير أن هذا الاستغلال المكثف الذي بدأ منذ فترات التاريخ القديم لبحر يكاد يكون مغلقا نتجت عنه اضطرابات ايكولوجية ومشاكل بيئية لا يمكن اغفالها.

استغلال الثروات البحرية : يرتكز نشاط الصيد بسواحل البحر المتوسط على ثروات بحرية لا بأس بها وعلى تقاليد عريقة كما أن هذا النشاط جد متنوع. وقد استغلت منذ القدم الأسماك السطحية المهاجرة كالسردين والاسقمري والتن والانشوفة. أما المناطق الرئيسية لصيد الأسماك السطحية فتوجد على الخصوص بالأرصفة القارية القريبة من مصبات الأنهار الكبرى (خليج المسد، سواحل إسبانيا، الرصيف القاري المواجه لدلتا النيل) أو بمقربة من المضايق (بحر البوران، الممر الفاصل بين تونس وصقلية، هوامش مضيق البوسفور). أما استغلال الأعماق عن طريق صيد الأسماك القعرية فتستعمل فيه بالخصوص المراكب الجبابة التي تبحث عن الأسماك والقشريات للاستهلاك الطري عن طريق جر شباك كبيرة.

ويضاف إلى نشاط الصيد البحري هذا استغلال البحيرات الساحلية في الصيد وتربية الصدفيات والأسماك. وتتمركز أكبر المناطق انتاجا بإيطاليا (خليج طارنطا وساحل نابولي) وفرنسا (حوض الطو قرب مدينة سيت). وبينما تقدر حاجيات بلدان حوض البحر المتوسط من المنتجات البحرية بأربعة ملايين من الأطنان سنويا، لا تغطي الكميات المصطادة بالحوض سوى رُبع هذه الحاجيات على أن 78.5٪ من مجموع ما يصطاد بالبحر المتوسط يعود لأساطيل بلدان أوروبا المتوسطة بينما الباقي تقتسمه بلدان الضفة الجنوبية والشرقية للحوض.

وتمتاز السواحل المتوسطية المغربية بثروات بحرية لا بأس بها من حيث الكم والتنوع. فهي تحتضن أسماكاً سطحية مهاجرة وأخرى قعرية وصدفيات وقشريات. غير أن وزن الساحل المتوسطي يبقى ضعيفا إذا ما قورن بموانئ الساحل الأطلنتي وخاصة الجنوبية (خريطة 1 وجدول 1). فإذا أضفنا ميناء طنجة إلى الموانئ المتوسطية المغربية الأخرى، فإن مجموع الموانئ الشمالية لا يتوفر سوى على 11٪ من مجموع أسطول الصيد المغربي التقليدي مع غلبة

المراكب ذات التجهيزات التقليدية. و16٪ من مجموع الأسطول المتوسطي هي عبارة عن مراكب شراعية أو مجدافية صغيرة. تشغل هذه الموانئ كذلك نسبة قليلة من البحارة 26.4٪ وبالتالي فإن الكميات المصطادة التي يتم إفراغها في هذه الموانئ كميات قليلة (31.000 طن) إذا ما قورنت بمآت آلاف الأطنان من الأسماك التي يتم إفراغها بالموانئ الجنوبية. ويعزى هذا الضعف كذلك إلى رصيف قاري ضيق وتضرس قعر البحر، الشيء الذي يحول دون الصيد بواسطة الجياب ابتداء من عمق 150 م، تجب الإشارة كذلك إلى أن جزءاً كبيراً من حمولة المراكب المغربية يتم إفراغها في مينائي سبتة ومليلية المحتلتين، ويمثل بحر البوران منطقة تركز للسردين الشيء الذي ينعكس على الواردات السمكية لميناء الحسيمة. ويوجه جل محصول الصيد بالساحل المتوسطي إلى الاستهلاك الطري المحلي. وقد أُنشئت سنة 1985 وحدة عصرية لتربية الأسماك والصدفيات بسبخة بوعرگ قرب مدينة الناضور، وتنتج سنويا شركة «ماروست» ما يزيد على 500 طن من الأسماك والصدفيات المختلفة المصدرة بأكملها إلى الخارج (إيطاليا على الخصوص) (انظر التفاصيل بمقال بوعرگ - سبخة -).

الفلسطينية عملت على عرقلة النشاط التجاري المتوسطي. وقد زاد في كثافة هذا النشاط مد قنوات نقل البترول في المناجم القارية بالشرق الأوسط إلى السواحل اللبنانية والسورية وكذا اكتشاف الغاز والنفط بالصحراء الجزائرية والليبية.

أما الخطوط الملاحية بحوض البحر المتوسط فهي اليوم ثلاثة أنواع : خطوط تربط بين الدول المشرفة على البحر، وخطوط تربط بين هذه الدول وأقطار خارج البحر، وأخيراً رحلات تعبر البحر لتربط بين المحيط الأطلسي من جهة والبحر الأسود والبحر الأحمر من جهة أخرى.

ويلاحظ عدم التوازن بين الضفة الشمالية والضفة الجنوبية والشرقية، فالنشاط الملاحي المنتمي إلى دول الشمال (فرنسا، إيطاليا، إسبانيا) اكثف وأقوى من النشاط المنطلق أو القادم إلى بلدان جنوب وشرق الحوض، تتوزع طاقة مجموع الأسطول التجاري التابع للدول المتوسطية والذي يفوق 10.000 باخرة أي ما يعادل 58 مليون برميل كما يلي :

30٪ في ملك دول الشمال الغربي : إسبانيا، فرنسا، إيطاليا.

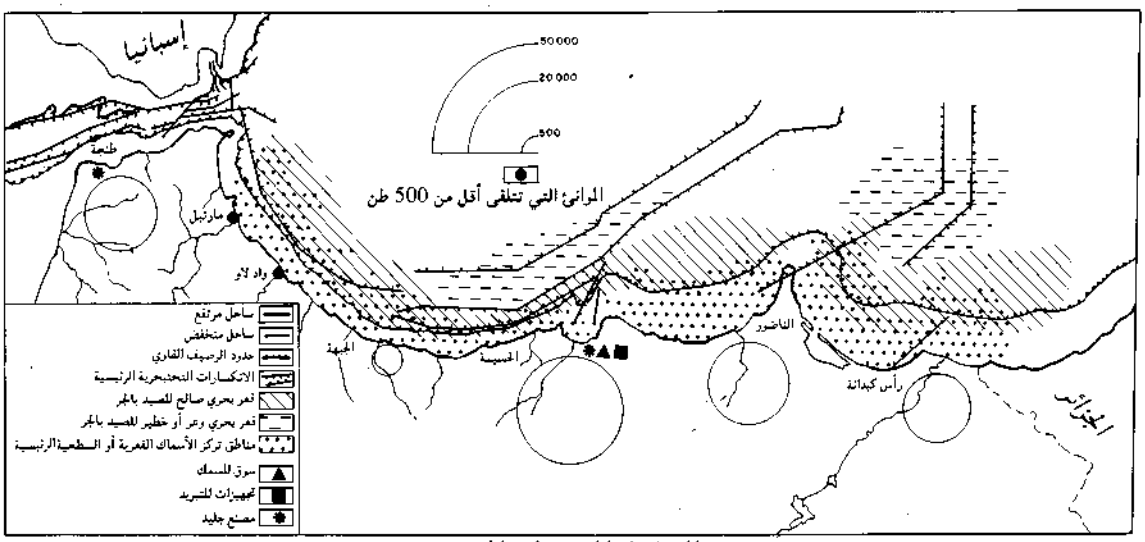

الساحل المتوسطي المغربي

النقل الملاحي : عرف حوض البحر المتوسط بطرقه التجارية التي اعتمدتها عدة حضارات وشعوب كالفينيقيين والقرطاجيين واليونان والرومان والعرب وغيرهم، بنت اقتصادها على الملاحة التجارية. أما بعد الاكتشافات الكبرى للقرنين الخامس والسادس عشر (طريق الهند عبر رأس الرجاء الصالح وطريق أمريكا) فقد انعزل حوض البحر المتوسط في طرق الملاحة الدولية الكبرى. ثم ما لبث أن استرجع دوره في التجارة العالمية بعد شق قناة السويس واكتشاف مناجم النفط بالشرق الأوسط، غير أن الحربين العالميتين الأولى والثانية ومختلف الأزمات السياسية الدولية وعلى رأسها أزمة الشرق الأوسط واحتلال الأرض

55٪ في ملك يوغسلافيا، اليونان، تركيا.

10٪ في ملك جبل طارق، مالطا، قبرص، لبنان.

5 ٪ في ملك المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا، مصر، سوريا.

تطغى المواد النفطية والغازية التي تمثل نصف مجموع المنقولات عبر البحر المتوسط أي 300 مليون طن من مجموع 600 مليون طن. ويُفسر وزن المحروقات في مجموع المواد المنقولة إلى الموقع الجغرافي لحوض البحر المتوسط الذي يجعل منه الطريق الرئيسي لنقل هذه المحروقات في المناطق المنتجة الواقعة بالشرق الأوسط إلى المناطق المستهلكة بأوربا الغربية وأمريكا الشمالية حيث تخترقه ناقلات

النفط انطلاقا من سواحل البحر الأحمر والخليج عبر قناة السويس أو انطلاقا من نقط وصول الأنابيب النفطية التي توصل هذه المادة الخام إلى الساحل الشرقي. ويضاف إلى هذه التيارات الرئيسية المتجهة شرق ـ غرب تيارات ثانوية في نفس الاتجاه تربط بين الموانئ السوفياتية بالبحر الأسود وبعض موانئ جنوب أوربا وكوبا، وتحمل هذه التيارات مشتقات بترولية. وأخيراً هناك تيارات ثانوية أخرى اتجاهها جنوب ـ شمال انطلاقا من سواحل المغرب العربي وخاصة ليبيا والجزائر في اتجاه موانئ أوربا المتوسطية.

وتقدر نسبة النفط والغاز المنقولة عبر البحر المتوسط بـ 20٪ من مجموع حمولة المحروقات المنقولة بالعالم. وإذا تذكرنا أن مساحة البحر المتوسطي لا تمثل سوى 0.7٪ من مجموع البحار والمحيطات الموجودة على سطح الأرض، فإن مقارنة النسبتين تظهر الكثافة العالية لتيارات المواد النفطية والغازية ومشتقاتها بهذا البحر شبه المغلق وبالتالي أخطار التلوث والتدهور البيئي التي قد تنتج عن هذه الكثافة.

النشاط السياحي : يعتبر حوض البحر المتوسط من أهم الاتجاهات السياحية العالمية نظراً للإطار الطبيعي والبشري الذي يوفره والذي ساعد على انتشار وتطوير هذا النشاط الحديث. فإلى جانب مناخ مشمس وغير ممطر صيفاً ومياه هادئة ودافئة ومعالم حضارية وثقافية عريقة ومجتمعات ذات تقاليد وعادات مثيرة هناك الصورة السياحية التي تكونت لدى المستهلك الغربي والتي ساهمت في تدعيمها وتعميمها الشركات الدولية المنظمة للأسفار السياحية حيث اختارت احداهما علم البحر المتوسط لتسميتها وتمييز مُنتَجها.

وقد ظهرت محطات سياحية على الضفة الشمالية منذ بداية القرن (كوط دازور بفرنسا وريفيرا بإيطاليا) غير أن ولوجها ظل طيلة النصف الأول من هذا القرن مقتصراً على زبناء ينتمون إلى الطبقة الأرستقراطية المتوفرة على الامكانيات المادية والوقت الكافي للاستمتاع بهذه الشواطئ.

أما بعد الحرب العالمية الثانية فقد ارتفع الطلب وتعمم إلى باقي الطبقات الاجتماعية وأصبحت السياحة من بين المتطلبات الأساسية للمجتمعات الاستهلاكية الأوربية. وبالتالي صار حوض البحر المتوسط القريب من أوربا يتلقى ملايين السواح سنويا. وهكذا ظهرت مناطق سياحية جديدة بالسواحل الشمالية (إسبانيا والجزر) والشرقية (اليونان ويوغسلافيا) والجنوبية (تونس والمغرب).

ويستفيد الحوض الموتسطي من 35٪ من مجموع السوق السياحية العالمية أي ما يعادل 109 مليون سائح سنويا من مجموع 312 مليون. وهو يعتبر بذلك أول حوض سياحي في العالم، يقدم جل هؤلاء السواح من أوربا الغربية مع هيمنة لأوربا الشمالية إذ تمثل ألمانيا والبنلوكس والمملكة المتحدة والبلدان السكاندنافية ما بين 50 و60٪ من مجموع التيار القادم إلى البحر المتوسط.

أما توزيع هؤلاء السواح على البلدان المضيفة فيعرف هو كذلك عدم تساو إذ تتلقى إسبانيا وفرنسا وإيطاليا ما بين 70 و80٪ من مجموع السواح تليهما يوغسلافيا واليونان ثم باقي دول الحوض.

وتعاني السياحة المتوسطة من طابعها الموسمي. فباستثناء بعض الدول كمصر وسوريا يصل جل السواح خلال فصل الصيف الذي يركز حتى 70٪ من مجموع السواح الوافدين. وينعكس هذا التركز بصفة سلبية على التشغيل والاستثمارات والتسيير إذ يقلل من العائدات على الأقاليم المضيفة ويقلص من مردودية الاستثمارات.

وتتمركز المنشآت السياحية وكذا أكبر الكثافات للزائرين على السواحل. فرغم المآثر التاريخية المنتشرة داخل القارة فإن الانتاج الأكثر رواجا يبقى هو البحر والشمس والإقامة الشاطئية إذ تستقبل السواحل المتوسطية ما يقرب من 100 مليون سائح (51 مليون سائح أجنبي و45 مليون سائح وطني). وهكذا فإن الأقاليم الساحلية تركز 18٪ من السياحة الدولية القادمة إلى فرنسا بينما تصل هذه النسبة إلى 80٪ بتونس و90٪ بيوغسلافيا.

أما الساحل المتوسطي المغربي الذي كان شبه خال من كل منشأة سياحية (باستثناء طنجة ومارتيل والسعيدية) قبيل انطلاق التصميم الثلاثي 1965 ـ 1967 فقد عرف حركة بناء قوية وفجائية للفنادق والتجهيزات السياحية جعلته يتوفر اليوم على 24٪ من مجموع القدرة الإيوائية المغربية. فقد ظهرت به سلسلة من المحطات السياحية بخليج طنجة وساحل تطوان (محطة الرأس الأسود، مضيق، رستنكا) ومدينة الحسيمة وشاطئ السعيدية. ونجد بهذا الساحل جيلين من المنشآت السياحية. الجيل الأول هو وليد مخططات التصميم الثلاثي وهو عبارة عن مجال منظم حسب المتطلبات التجارية للشركات العالمية (هيمنة قرى الاستجمام، كبر حجم المؤسسات، ابتعاد المحطات عن التجمعات السكنية والمدن، هامشيتها بالنسبة لمنطقة الإيواء). أما الجيل الثاني فهو وليد طلب داخلي منطلق من المدن الكبرى والطبقات الاجتماعية العليا والمتوسطة خلال الثمانينات، وهو مجال تغلب عليه الإقامات الثانوية والمركبات السياحية المكونة من شقق وفلات للشراء. وتبقى الانعكاسات الاقتصادية لهذا النشاط جد ضئيلة ليس بالنسبة لتشغيل اليد العاملة المحلية فقط ولكن كذلك بالنسبة لحجم المعاملات التجارية الناتجة عن النشاط السياحي التي تبقى جد هزيلة.

الأنشطة البشرية والتدهور البيئي : ترتبط اقتصاديات جل الدول المطلة على البحر المتوسط بهذا البحر، كما أن الاستقرار البشري يغلب عليه التمركز على السواحل، إذ تصل نسبة السكان الذين يعيشون على السواحل 38٪ من مجموع الساكنة المتوسطية على مساحة لا تتعدى 15٪. كما أن سكان المدن الواقعة على الساحل المتوسطي يصل عددهم إلى 82 مليون نسمة، ويرتقب أن يصل هذا العدد إلى ما

بين 105 و113 مليون نسمة سنة 2000 أي أن نسبتهم ستمر من 61٪ إلى ما بين 75 و78٪ سنة 2000. يجب أن نضيف إلى هذه الكثافات البشرية الدائمة التجمعات البشرية التي تسجل خلال المواسم السياحية والتي تصل اليوم إلى 100 مليون نسمة على أنها ستتضاعف مرتين أو ثلاث مرات سنة 2000. أما إذا أخذنا بعين الاعتبار التركزات الصناعية الساحلية وحركات المواصلات الملاحية السابقة الذكر فإننا نلمس الخطر الذي أصبح يهدد اليوم هذا البحر الشبه مغلق.

فإلى جانب استهلاك الأراضي والغطاء النباتي والمياه الساحلية، وهي موارد جد محدودة، تعرف المياه البحرية سواء الساحلية أو مياه أعالي البحار تدهورات ايكولوجية خطيرة ومتزايدة. وقد قسمت أنواع التلوث التي يعاني منها البحر المتوسط إلى خمسة أنواع :

- تلوث ناتج عن المياه الفاسدة التي تلقي بها المدن الساحلية إلى البحر دون أن تقع معالجتها، وهو تلوث بكتيري يتم عن طريق المواد العضوية التي تحملها المياه. وإذا كانت مياه البحر تتوفر على طاقة ذاتية للقضاء على هذه المواد العضوية، فإن هذه البكتريات قد تكون لها نتائج وخيمة على صحة الإنسان حينما تلتحق بالسلسلة الغذائية البيولوجية عن طريق الأسماك والصدفيات.

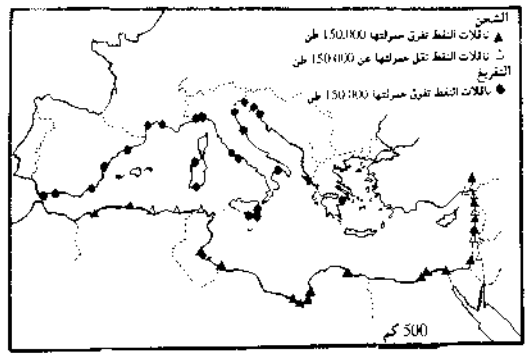

نقط شحن وتفريغ النفط بحوض البحر المتوسط

- تلوث عضوي ناتج عن إلقاء المياه الفاسدة والمواد العضوية التي تحتويها الأسمدة (الفوسفور، الآزوط) وكذا الرواسب، وتكون أهم نتيجة لهذا التلوث مساعدة بعد الكائنات الحية (أنواع من الطحلب) على التكاثر والتزايد بطريقة عشوائية وغير طبيعية. وهكذا فإن هذا التحول المفاجئ الذي تعيشه المنظومة البيئية يهدد هذه الأخيرة، إذ أن نمو وتكاثر هذه الأصناف يقضي على الأصناف الأخرى وخاصة خلال الصيف حيث ترتفع درجات الحرارة. وقد برزت هذه الظاهرة بوضوح خلال السنوات الأخيرة ببحر الادرياتيك وسواحل البندقية، الشيء الذي أزعج آلاف السواح الذين فروا من المنطقة، واعتبر إشارة إيكولوجية تم الانتباه إليها بكامل الجدية.

- تلوث ناتج عن مواد صلبة كالقارورات والأكياس البلاستيكية والتي لا يمكن تحللها بصفة تلقائية.

- تلوث كيماوي ناتج عن المياه الفاسدة التي تلقي بها الصناعات والتي تكون محملة بمواد سامة من محروقات ومنظفات كيماوية وزيوت ومبيدات ومعادن ثقيلة. تصل كل هذه المواد إلى السلسة الغذائية كما أنها تلحق أضراراً بالوسط الطبيعي فتقضي على عناصر حيوية وتساعد أخرى على التكاثر.

وتبقى المحروقات أخطر مصدر للتلوث بالبحر المتوسط، وذلك خلال مختلف العمليات من تنقيب وإنتاج ونقل.

أما الأمل الوحيد في إنقاذ البحر المتوسط المهدد اليوم إيكولوجيا فهو تعبئة الدول المشرفة عليه للقيام بمجهود جماعي. إذ بدأت بعض المبادرات الجماعية في إطار برنامج الأمم المتحدة للبيئة الذي انبثق عنه "المخطط العملي للبحر المتوسط" "Plan d'action pour la Méditerranée". وقد أنجز هذا البرنامج بطلب من الدول المتوسطية مجموعة من الدراسات سميت "بالمخطط الأزرق" الهدف منها ضبط التطورات الديمغرافية والاقتصادية والبيئة التي تعيشها دول الحوض حتى أفق 2025 اعتمادا على مجموعة من السيناريوهات. وأبرزت نتائج هذا المخطط التي نشرت سنة 1988 أن التطورات الحديثة والمستقبلية تميل من اتجاه وضعية غير مقبولة بالنسبة لاقتصاديات وايكولوجية وظروف عيش الحوض المتوسطي. وانطلاقا من هذا التشخيص قام المخطط الأزرق بسبر الخيارات الممكن اقتراحها على دول المنطقة كبديل لاجتناب تدهور الوضع. تتوجه هذه الاقتراحات إلى المسؤولين والمخططين على المستوى الدولي والوطني والجهوي. وإذا كانت الحلول المتعلقة بحماية أعالي البحار تتعلق بالاتفاقيات الدولية الخاصة باستغلال الثروات البحرية فإن خلاصة الدراسة أكدت بشدة على المبادرات الوطنية الرامية إلى توعية العموم بالعلاقة الوتيقة القائمة بين التدهور البيئي القاري وتدهور الوسط الساحلي والبحري.

المخطط الأزرق، برنامج الأمم المتحدة للبيئة 1988 ؛ *أطلس الثروات الطبيعية*، مديرية اعداد التراب الوطني 1984 ؛ بريان، *نموذج لمجال سياحي مغربي : ساحل البحر الأبيض المتوسط*، مجلة جغرافية المغرب، العدد 2 السلسلة الجديدة 1978.

محمد بريان

البحر المتوسط - جغرافيا طبيعية - بحر يدعى كذلك لأنه يتوسط أراضي تشرف عليه من كل الجهات. فهو عبارة عن بحر داخلي، لكنه غير مغلق، حيث ينفتح غربا على المحيط الأطلنتي عبر مضيق جبل طارق.

الميزة الأساسية لهذا البحر من الناحية الجيولوجية التداخل الشديد بين سلاسل جبلية حديثة والبحر، وخاصة على الواجهة الأوروبية التي تتقدمها جزر جبلية، هذه أجزاء من سلاسل كبرى، كما هو الحال بالنسبة للبليار وصقلية وقبرص. وينتج عن هذا التداخل انغماس سريع للقارة تحت مستوى البحر وبالتالي ضيق للهضاب القارية، التي تحدها حافات تنزل بانحدار قوي نحو أحواض عميقة.

أما من الناحية الهدرولوجية، فالبحر المتوسط له خاصية سلبية الميزانية. فهو في موقع عرض يجعل التبخر يفوق الواردات العذبة، بسبب الحرارة الخاصة للبحر والمناطق المحيطة به. وهذا ما ينتج عنه خصاص، على المستوين المائي والبيولوجي، يتمثل في ملوحة مرتفعة نسبيا، انتاجية حيوية أقل من انتاجية مياه المحيط، وبالتالي لزوم تعويض هذا الخصاص عن طريق واردات مائية وحيوية قادمة من المحيط الأطلنتي. وقد توالت في التاريخ الجيولوجي للبحر المتوسط فترات انفتاح على المحيط العالي شرقا أو غربا، وفترات انغلاق للمضايق. ولذا نجد فيه أحياء خاصة، غير معهودة في البحار الأخرى.

والبحر، هو والجبال المشرفة عليه، يمثل مجالا يدعى المجال الألبي ـ المتوسطي، هو عبارة عن صلة وصل بين القارة الافريقية ـ العربية من جهة، والأوروبية ـ الأسيوية من جهة ثانية. وهذا الاتصال هو في نفس الوقت اتصال جيولوجي وبنائي واتصال مناخي ونباتي

1) التضاريس تحت البحرية : التشكيل التضاريسي للبحر المتوسط يتمثل في أحواض عميقة تفصل فيما بينها تجاعيد، وتحيط بها هضاب قارية ضيقة. لكن جد منعرجة الهوامش، بسبب التداخل الشديد بين الجبال والبحر. ولذا لا يوجد في الأحواض العميقة أي مكان يبعد بأكثر من 200 كم عن هضبة قارية مجاورة. وهذا يدعو إلى القول إنه في البحر المتوسط، مختلف الهوامش القارية شبه متصلة فيما بينها، وتتوسطها أحواض عميقة لكن جد منعرجة الجوانب.

ويمكن تقسيم البحر إلى حوضين كبيرين يفصلهما تجعد يمتد بين تونس وصقلية، عمقه يقل عن 400م، بينما اتساعه لا يتعدى 140 كم. الشيء الذي يساهم في انغلاق الوحدات داخل البحر المتوسط.

ـ الحوض الغربي يتكون من وحدتين، الحوض التيريني بين إيطاليا وسردينيا، والحوض الجزائري ـ البروفانسي، غرب هذه الجزيرة، تشرف عليه سواحل جنوب فرنسا وإسبانيا وشمال إفريقيا. وهذا الحوض الغربي ينفتح على المحيط الأطلنتي عبر بحر البوران ومضيق جبل طارق.

ـ الحوض الشرقي أقل امتداداً، رغم اتساع الرقعة البحرية، وهو نفسه ينقسم إلى وحدتين، هما الحوض اليوني جنوب إيطاليا واليونان، وحوض شرقي مجزأ إلى عناصر، شمال مصر وعلى جانبي جزيرة قبرص. ويمتد في البحر الشرقي، وعلى مسافة 1900كم، ظهر مرتفع اتساعه 200كم تقل فيه الأعماق عن 3000م، ويشكل قوسا تحده جنوبا حفر عميقة تنزل حتى 5000م، تغزوها من جهة الجنوب التراكمات الفتاتية لدلتا النيل.

وتنغمس السواحل بسرعة إلى أعماق هامة، حيث تضيق الهضاب الحقيقية. ويتم الانتقال إلى الأحواض عبر حافات منحدرة، تحددها خوانق عميقة وضيقة، تتوافق مع مخارج الأنهار الكبرى.

2) بنية البحر المتوسط : الانغماس السريع للسواحل مرتبط غالبا بانكسارات من النوع العادي، تميل مستوياتها نحو الأعماق، وجلها حديث جدا، بحيث حركيتها مازالت مستمرة، تدل على ذلك الحساسية الزلزالية المرتفعة. وتوافق هذه الحوادث البنائية محال انتقال بين أحواض تتهدل وهامش قاري يرتفع. وهكذا تم تقدير مدى التهدل في البحر الغربي بحوالي 7 كم، بينما قد يصل في الجهات الشرقية حتى 15 كم. وهذا ما تسبب في إرساب سريع ملأ الأحواض وخاصة في ملايين السنين الأخيرة.

ضخامة الإرساب هاته التي قد تصل 10 كم سمكا تمثل حظا، من جهة لأنها تسمح للدارسين بتتبع تاريخ البحر وتطوراته، لأنها قد تكون مكامن للبترول يتم البحث فيها حاليا، لكنها تمنع من التعرف على القاعدة الصخرية السابقة للإرساب، أي تمنع من تحديد نوعية القشرة الأرضية في السهول العمقية.

طبغرافية البحر المتوسط الغربي

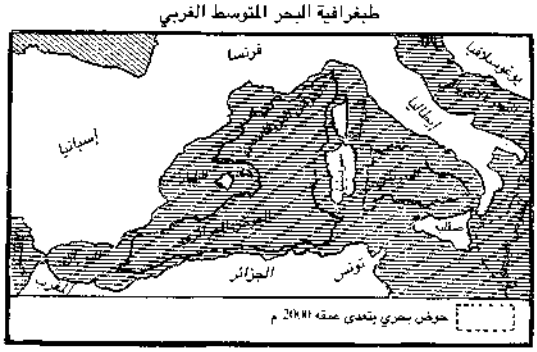

يفترض أن السهول مكونة من قشرة من النوع المحيطي، أي أنها عبارة عن قشرة ذات كثافة عالية وسمك ضعيف، فوق معطف قريب من القعر البحري (حوالي 15كم) ويعزز هذا ظهور براكين تحت بحرية، بعضها بارز، مثل بركان جزيرة البوران شمال الساحل المغربي. وهذا يعني أن الأحواض العمقية ناتجة عن انفتاح محيطي على جانبي ظهر أوسط يعرف صعود الصهير والتصاق مواد جديدة على شفتي الأخدود. لكن التحاليل الجيوفزيائية لا تسمح بالحسم في الموضوع نهائيا، وذلك بسبب تعقيد ماهية القشرة وصعوبة الاستبار لتحديد هذه النوعية.

هذه الأحواض وهوامشها تلقت رواسب منذ حوالي 25 مليون سنة. وهذا يشير إلى بداية فترة تكوينها، بينما عموم رواسب متجانسة في كل الجهات، تنتمي إلى ما بين 9 و6 ملايين سنة قبل الحالي، يدل على انتهاء مرحلة تكوين البحر وحصوله على حدوده وأشكاله الحالية بصفة تقريبية. أما ما حصل خلال البليورياعي فهو فقط عبارة عن استمرار للنزعات السابقة، من تهدل للسهول العمقية وانتهاض للجبال المجاورة.

والرواسب التي يمكن تعميمها على جل مساحات البحر، تنطلق من المرحلة الميسينية التي توافق نهاية الميوسين، بين 5 و10 ملايين قبل الحالي. وتمتاز توضعات

هذه الحقبة بتراكمات ملحية وجبسية، تشير إلى توقف الاتصال آنذاك بين البحر المتوسط والمحيط، مما أدى بسبب التبخر إلى تجفيف مياه البحر، وتركز الأملاح بها إلى درجة صارت تسمح بترسيب مواد تدعى التبخاريات.

والبحر المتوسط الحالي في حدوده النهائية الحالية يعود لفترة البليوسين حيث تجدد انفتاح البحر على المحيط بسبب تكوين مضيق جبل طارق، الشيء الذي أدى إلى غمر أحدث "ثورة" جيولوجية وحيوية حقيقية، رافقها غمر للأودية التي سبق حفرها في الحقبة السابقة. واستمر الوضع على ما هو عليه خلال الرباعي حيث تراكمت مواد وحلية وأخرى متواترة من حيث النسيج، شبيهة بالفليش، بعض فرشاتها دقيق أساسه الطين، والبعض الآخر مكون من رمال دقيقة، ويدل توالي هذه المواد على توالي فترات الهدوء المرفلوجي وفترات النشاط التحاتي في القارات. فمواد الفيض النهري عادة تمتاز بخشونتها النسبية، وتتركز أساساً عند الدلتات والى طلو الخوانق تحت البحرية.

3) مرفلوجية سواحل البحر المتوسط : تشرف على البحر المتوسط عادة أجراف صخرية توافق المجالات الجبلية التي تعرضت للانتهاض خلال البليورباعي، ولا تنخفض السواحل إلا عند مخارج الأودية الكبرى المسؤولة عن تراكمات هامة، وخاصة الأودية التي تشيد دلتات هائلة، مثل النيل، والرون، والپو، وبمقدار أقل نهر ملوية. وبينما نجد الساحل يعرف التسمين والتقدم في هذه الحالات، نجده في الهوامش النشيطة الايجابية، والتي تتفق مع الانكسارات الهامة يعرف التعرية البحرية والتراجع.

وتشير التركات الرباعية وتدرجها إلى أهمية الرفع الذي عرفته القارة بالنسبة لمستوى سطح البحر. فالتوضعات البليوسينية التي توجد تحت البحر في أعماق هائلة بسبب التهدل، توجد على ساحل الريف عند ارتفاع يقترب من 200 م. وعلى الساحل الكلابري بالجنوب الايطالي على ارتفاع 1000 م. وتوجد تحت الدرجة البليوسينية العالية، مستويات متدرجة متعددة، تدل على استمرار ارتفاع القارة خلال البلايستوسين. ففي الريف الشرقي، نجد على الساحل المتوسطي ما لا يقل عن أربع مستويات كبرى، تشير إلى الذبذبات الهزهزية التي عرفها مستوى البحر المتوسط، ارتباطا بفترات التجلد التي واكبها الانحصار البحري، والذوبان والتي نتج عنها طغيان البحرعلى القارات.

4) تاريخ البحر المتوسط، التطور الجيولوجي والجيومرفلوجي : البحر المتوسط بحر قديم. لكن شكله الحالي لم يكتسب إلا حديثا منذ حوالي عشرة ملايين من السنين. بينما ترجع بداية البحر إلى عهود غابرة تنطلق منذ الزمن الأول، في وقت كان فيه المحيط الأطلنتي غير موجود، بل مازال لم يبدأ انفتاحه.

ويمكن الرجوع إلى حوالي 180 مليون سنة قبل الحالي، عند بداية انفتاح المحيط الأطلنتي لتتبع مراحل تطور البحر المتوسط. في ذلك الوقت، بينما كانت أوروبا وإفريقيا ملتصقتين بالقارة الأمريكية، كان بين أوراسيا شمالا وإفريقيا جنوبا، محيط واسع، يعتبر متوسطا قديما، يضيق غربا بين أوربا وإفريقيا، بينما يتسع تدريجيا نحو الشرق، ليصل إلى حوالي 1500 كم اتساعاً بين شرق افريقيا وأوربا الجنوبية ـ شرقية.

ولما انطلق انفتاح المحيط، تم ذلك بسرعة متفاوتة شمالا وجنوبا، إذ كانت إفريقيا وأوربا معزولة الواحدة عن الأخرى تماماً. ففي البداية، أخذت إفريقيا تبتعد عن أمريكا نحو الشرق، بينما بقيت أوربا ثابتة. ومنذ 72 مليون سنة قبل الحالي، أصبحت أوربا هي التي تعرف هذه الحركة، وبسرعة أقوى. وأخيراً، منذ 48 مليون سنة استقر موقع المغرب بالنسبة لإيبريا، بينما انطلقت حركة إفريقيا الشرقية تجاه الشمال، أي تجاه أوربا، الشيء الذي أدى إلى تضييق ثم انغلاق البحر المتوسط الأصلي، وذلك بعد التصاق الجزيرة العربية بآسيا، وأپوليا (إيطاليا واليونان) بأوربا. هذا التلاقي هو المسؤول عن السلاسل الجبلية في آسيا الصغرى وأوربا الجنوبية. واندثر عندئذ المحيط المتوسط القديم، حيث نجد أجزاء من قشرته، داخل السلاسل الألبية، على شكل صخور من نوع خاص، تدعى الصخور الخضراء (أوفيوليت).

وانطلقت عندئذ جنوب مجال هذا الانضغاط، حركة تمدد مسؤولة عن تكوين الأحواض البحرية الحالية، وفي اليوسين، وبعد انتهاء تشييد الجبال الأوربية والمغربية، ابتدأت الحركة العمودية التي تسببت في تهدل البحر وبالتالي تراكم كميات ضخمة من الرواسب فيه.

5) الهدرولوجيا البحرية : البحر المتوسط بحر تبخر بسبب انغلاقه النسبي وحرارة مياهه. كما أن بعض جوانبه تشكو من الجفاف وضعف الجريان. لكل هذه الأسباب، فإن ميزانية البحر سالبة، حيث يفقد عن طريق التبخر أكثر مما يستقبل من تهاطلات ومياه قارية جارية. وهكذا فإن الموارد التي تعوض الخصاص الناتج عن التبخر، تساهم بالنسب التالية : التهاطلات 36٪ ـ المياه النهرية 16٪ ـ المياه المحيطية الداخلية عبر جبل طارق 41٪ ـ المياه القادمة من البحر الأسود عبر البوسفور 7٪.

لكن المضيقين، جبل طارق والبوسفور لا يعرفان تياراً مائياً في اتجاه واحد، بل هما موقع تبادل. فبالنسبة لجبل طارق، يسمح هذا المضيق بدخول تيار مقدار سبيبه 1 مليون متر مكعب في الثانية، يواكبه خروج 960.000 متر مكعب. الفائض إذن والذي يُعتبر الكمية المربوحة من طرف البحر المتوسط يساوي 40.000 متر مكعب في الثانية.

وهذه التيارات هي المسؤولة عن تنوع المياه داخل البحر المتوسط ؛ كما تتدخل لتفسير هذا التنوع الاختلافات المناخية بين الواجهتين الشمالية والجنوبية من البحر، وبين الحوضين الشرقي والغربي. وهكذا يتدخل مؤشران هامان، هما برودة السواحل الشمالية وتأثيرها على حرارة المياه،

وسخونة الحوض الشرقي، المسؤولة عن أهمية التبخر، وبالتالي ارتفاع ملوحة المياه.

وتنقسم مياه البحر المتوسط إلى كتل ثلاث هي : المياه القادمة من الأطلنتي، وهي مياه خفيفة، ولذا تبقى عند السطح، ومياه من الحوض الشرقي، تعتبر وسطى، وأخيرا مياه أصلها الواجهة الشمالية باردة وثقيلة، ولذا فهي تنزل إلى الأعماق. والاختلاف في الكثافة، ارتباطا بالملوحة والحرارة، يتسبب في حدوث تيارات عدة، وتبادلات تؤدي في النهاية إلى حركات دورانية هامة.

6) البيولوجيا : الرصيد الحيوي للبحر المتوسط، هو عبارة عن رصيد موروث، يتم تجدده باستمرار عن طرق مضيق جبل طارق، وحاليا انطلاقا كذلك من قناة السويس. وبسبب ضيق الموردين الأجنبيين، فإن التجدد بطيء، لهذا نجد في البحر المتوسط أحياء قادمة من مصادر إما شمالية، أي متكيفة مع البرودة، الشيء الذي يلزمها بالنزول إلى الأعماق، أو مدارية، دخلت في فترات كانت فيه مياه المحيط، على الساحل المغربي أسخن من الحالي، وبالضبط خلال المرحلة الرباعية التيرينية (حوالي 100 إلى 12.000 سنة قبل الحالي). أما الأحياء القطبية فقد كانت تدخل البحر المتوسط خلال المراحل الباردة الجليدية. هذا الرصيد الموروث يتم تجدده بدخول أنواع إضافية.

لكن مياه البحر فقيرة من حيث العناصر المغذية، وخاصة من الفوسفور، ولذا فهي مياه بطيئة الانتاجية، لا تنمو فيها الأحياء بسرعة كما هو الحال في المحيط، ماعدا في مواقع خاصة، مثلا على مقربة من الدلتات، أو عند العتبات بين حوضين متجاورين، حيث يتم صعود المياه العميقة الباردة إلى السطح.

هذا النمو الضعيف على المستوى الحيوي، تهدده آثار التلوث التي تتفاقم يوميا، وخاصة على الواجهة الشمالية للبحر المتوسط.

J. Bourcart, *La Méditerranée et la révolution du Pliocène* in *Livre à la Mémoire de Paul Falbt, Soc. Geo. Fr*, t : I, Paris ; W. B. F. Ryan, E. Olansson, R. W. Fairbridge, *Mediterranean Sea*, in *The Encyclopedia of Oceanography*, New York ; J. Dresch, et P. Birot, *La Méditerranée et le Moyen Orient*, Paris.

عبدالله العوينة

البحراوي، أسرة رباطية أصلها من بلاد الغرب بشمالي مدينة سلا، لا يعرف تاريخ انتقال من انتقل منهم إلى الرباط، غير أن مصاهراتهم لعدد من الأسر الرباطية العريقة يدل على أن استقرارهم بالرباط يرجع على الأقل إلى القرن الثالث عشر (19 م). واشتهر منهم أخيراً الاخوان الشريان الوطنيان الحاج محمد البحراوي والحاج إدريس البحراوي.

البحراوي، إدريس (الحاج ـ) الرباطي. رجل عمل نشيط، عمل في الدباغة ثم في الجزارة ثم في الفلاحة وتربية الماشية والاتجار فيها. وكان ذكياً سخياً، أسس مشاريع اجتماعية هامة بالرباط، منها مدرسة حي العكاري، بناها في حي شعبي تشتمل على حجرات دراسية عديدة ومرافق متنوعة تستجيب لحاجيات ذلك الحي المزدحم بالسكان. كما أسس مستوصفاً طبياً بحي التقدم، وهو في كثرة السكان نظير حي العكاري.

وأهم عمل قام به الحاج إدريس البحراوي هو تحبيسه دار سكناه الفاخرة بحي دبور الجامع وسط مدينة الرباط لتكون مقر دار الحديث الحسنية، وذلك في 13 شعبان عام 1390 / 15 أكتوبر 1970.

توفي في أوائل الثمانيات.

البحراوي، محمد (الحاج ـ) الرباطي، يعتبر هذا الرجل المومن في طليعة الوطنيين الغيورين المناهضين للحماية، كان ملازماً لدروس شيخ الاسلام أبي شعيب الدكالي فتأثر بنزعته السلفية الاصلاحية. وكان الشيخ أبو شعيب الدكالي أثناء قيامه بمهمة وزارة العدل قد سبق إلى الاطلاع على ضريبة تعسفية فرضها المستعمرون سنة 1920 على الحرفيين والصناع عرفت بضريبة "الاكياب" فنبّه الوطنيين إليها ودعاهم إلى مناهضتها. فتكونت لجنتان بالرباط وسلا وحررت عريضتان قدمتا إلى جلالة الملك السلطان المولى يوسف في مظاهرة سلمية ـ ربما كانت الأولى من نوعها في عهد الحماية ..

وعلى إثر ذلك نفي الحاج محمد البحراوي إلى الصويرة، كما نفي زملاؤه الحاج محمد بلكوره إلى أسفي،

والمحجوب الأزرق إلى الجديدة، والمعطي جوريو إلى طنجة. وفي نفس الوقت نفي من سلا الحاج عبد الله بن سعيد إلى وجدة، والحاج بنعيس لعلو إلى أسفي.

توفي الحاج محمد البحراوي بالرباط في أواخر الأربعينات.

معلومات وتقاييد شخصية ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، 1 : 93. 96 ؛ ح. وگاگ، *دور الحديث في العالم الإسلامي*، 386. 387.

محمد الأمين بلكناوي

البحراويون، إحدى الفرق الثلاث التي تتكون منها قبيلة أنجرة (+ البرقوقيون والغابويون) الواقعة في أقصى الشمال الغربي للمغرب. تحد فرقة البحراويين بالمضيق وخليج طنجة والفحص. وقد كانت في عهد الحماية الإسبانية تابعة لمقاطعة جبالة الشرقية، ولكن في التقسيم الجماعي الحالي أصبحت من جماعة ملوسة التابعة لإقليم طنجة، ويبلغ عدد سكانها حسب إحصاء 1982 : 15.294 نسمة.

يقال إن يعقوب المنصور هو الذي قام ببناء القصر الصغير الذي يبعد عن رأس طريفة بتسعة أميال، وكانت شواطؤه تلعب دورا مهما كميناء عسكري وخزان للأسلحة، ويقول بعض المؤرخين الإسبان إن العرب الذين قطعوا المضيق لفتح الأندلس انطلقوا من هذا المكان بسفن صنعوها من الخشب الموجود بكثرة في بلاد البحراويين وخاصة من جبل موسى وبَلْيُونش. وبدأ تقهقُر أهمية هذا الموقع بعد وقعة العقاب إلى أن استولى عليه البرتغاليون بقيادة الفونسو الخامس سنة 1458.

وهناك من يقول إن تسمية القبيلة بأنجرة ترجع إلى وجود مدشر بفرقة البحراويين يسمى «منجرة» إذ كان بها قديما غابة كثيفة يستعمل خشبها لصنع السفن حتى إن بعض الأساطير الشعبية تقول إن نبي الله نوحا أخذ منها الخشب لصنع سفينته، ومن هنا جاء اسم القبيلة.

ويُعتبر البحراويون من المدافعين المستميتين عن استقلال المغرب حيث كانوا في جيوش صَدّ الغزو الإيبيري على الخصوص، واتّخذت مناوشاتهم وهجوماتهم على سبتة كإحدى الذرائع التي اعتمد عليها الجنرال O'Donnel الإسباني في حرب تطوان سنة 1859.

تشمل هذه الفرقة المداشر التالية : عين الرمل، وعين سعيد، وعزيب بلْعَيشيش، وبني مسعود، وبني مجمّلْ ودار الفوّال، ودار حمران، والبرج، وفدان السعيدي، وفرديوة، وحموني، وحصانة، وخندق زرارا، واللّنجريين، والنشبة، وأمليش، وملوسة، والمخفي، والرمان وتل الشريف، وتافوغالت، وزمي.

يتلخص أهم نشاطات سكان هذه الفرقة في الفلاحة وتربية المواشي وصيد السمك، إضافة إلى صنع الحُصر وتربية النحل واستغلال شجر البلوط.

اشتهر مدشر بني مُجَمّل بكونه كان مدشر زعيم القبيلة الملقب بالحمام الذي كان يقف في وجه الغزو الأوربي، واشتهر مدشر بني مسعود بكون أغلب سكانه فحامين. وفي البرج مزارع عدد منها في ملك عائلة أولاد بولعيش. أما بَلْعيْشيش (ملوسة) فهو مقر عائلة أولاد بولعيش.

ويعتبر سوق اثنين ملوسة مركز فرقة البحراويين. ومن الطرق الصوفية المنتشرة بهذه الفرقة نجد أنه في عهد الحماية كانت بها الطرق التالية : الدرقاوية والتجانية والتهامية والناصرية وعيساوة.

ومن أهم أعيان وشخصيات هذه الفرقة حسب وثيقة سرية موجهة للمراقبين الإسبانيين سنة 1930، نجد عبد القادر التفتافي من مدشر بني مسعود، ومحمد بن الحاج حميد السوسي، والمختار بن سيدي حميد الرقيوق، وعبدالسلام بن مسعود الفتاح، والحاج الدرقاوي من مدشر الرمان، وعبدالسلام بنعجيبة من مدشر زمي.

مديرية التخطيط، الرباط، إحصاء 1982.

R. Ruiz, *La Kabila de Angra, Bol. Oficial de la zona de influencia española en Marruecos*, 10 Feb. 1914, n° 21 ; Intervenciones militares de la region de Yebala central, *Memoria relativa a las kabilas que integran esta regional*, año 1934, Tetuan ; Alta Comisaria de la Republica española en Marruecos, *Vademecum, Año 1930*, Ceuta, 1930 ; Alta Comisaria, *Indigenas significados que no son autoridades, año 1930* ; J. Martinez, Ruiz, *Toponima menor de Yebala*, C.B.T, p. 23 - 50 ; M. Vasquez del Rio, *Arbalado y bosques en Marruecos*, Tetuan, 1935 ; Delegacion de Asuntos indigenas, *Nombres de musulmanes habitantes en la zona del protectirado español en Marruecos*, Ceuta, 1937 ; *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, 2 t ; M. Martin, *El Colonialismo español en Marruecos*, 1860 - 1856, Paris, 1973 ; A. Garcia Perez, *Zona española del norte de Marruecos*, Toledo ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos : contribucion al estudio de la zona*, Melilla, 1926.

محمد بوجداد

البحري، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الساحل وهي غير أسرة البَحَر المتقدمة، وقد انقرضت بتطوان سنة 1921/1339.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين* 3 : 51 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos, *Familias ilustres* ; *Vademecum*, año 1931.

محمد ابن عزوز حكيم

البحري، علي الأندلسي، صوفي أخذ عن الشيخ عبد العزيز التباع تلميذ الإمام محمد بن سليمان الجزولي بواسطتين : عن الشيخ علي الحساني عن الشيخ علي صالح. كان يسكن داراً بعدوة الأندلس في المكان الذي توجد فيه اليوم زاوية القلقيين الفاسية، كان بها بيت واحد وفي وسطها شجرة من الإنجاص، ثم تهدمت عقب موته فصارت طرازاً ثم سقط سقفه وخرب في وباء مطلع القرن الحادي عشر الهجري إلى أن وُهب للشيخ عبد الرحمان الفاسي العارف سنة 1027 فبناها زاوية وحبسها على الذاكرين.

توفي علي البحري بفاس في حدود 980 / 1572 ودفن في روضة الأنوار خارج باب الفتوح.

ع. الفاسي، *بستان الأذهان*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 214؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، ص 66.

محمد حجي

البحريّة، (للا عائشة ـ) دفينة خارج مدينة أزمور، يقال إن أصلها من بغداد، لكن غلب عليها اسم «البحرية» لكون قبرها يقع قرب شاطئ البحر، بجانب نهر أمّ الربيع. ومما يحكى أن هذه الولية الصالحة كانت تعيش في بغداد واتصلت ـ روحيا ـ بالشيخ أبي شعيب السارية، لما بلغها ما هو عليه من الصلاح والورع والتقوى، وتوطدت بينهما أواصر الصحبة الى حَدّ، تقول الرواية الشعبية، أنهما كانا يقذفان بالكرة معاً، فيقول لها :«هاكي آعائشة في بغداد!» فتجيبه هي :«هاكْ آبو شعيب في قرْن الواد !».

وظل الوليان يتراسلان بهذه الطريقة العجيبة، إلى أن بلغت للا عائشة البحرية من الكبر عتياً، وخشيت أن تدركها المنية قبل رؤية الشيخ أبي شعيب، فعزمت على شدّ الرحلة لزيارته بأزمور، وتحملت مشقة السفر من المشرق إلى المغرب، وكادت أن تدرك مُناها، لكن حينما كانت على مرأى من مدينة أزمور سقطت على الأرض منهوكة القوى، فكانت النهاية دون أن تنعم برؤية الشيخ أبي شعيب، ودفنت في المكان الذي ماتت فيه.

ولقد دأبت نساء أزمور على زيارة ضريح للا عائشة البحرية، وخصوصا في اليوم السابع من الأعياد الكبرى.

مدن وقبائل المغرب، مدينة أزمور وضواحيها، تر. م. الشباطي.

محمد الشباطي

البحريّة المغربية، إن المغرب الذي يُطل من جهة الشمال وجهة الغرب على مجالات بحرية تتمثل في البحر المتوسط والمحيط الأطلنتي قد وعى منذ القدم أهمية السيطرة على البحر كطريق مفضل للتواصل مع باقي الحضارات وكحاجز دفاعي ضد أطماع الغزاة القادمين من الغرب.

وهكذا ظل الأسطول المغربي يثبت حضوره عبر العصور بالرغم من اختلاف الظرفيات السياسية والتقلبات الوقتية. إن أهمية المغرب الاستراتيجية جعلته مستهدفا لأطماع الطرواديين والفينيقيين والقرطاجيين والرومان والوندال والبيزنطيين والأوربيين والعثمانيين. ومن المفارقات أن العرب الذين جاءوا إلى المغرب بطريق البرّ هُمُ الذين أغنوا التقاليد البحرية المغربية.

فقد اقتضى فتح الأندلس ونشر الإسلام بها تكوين بحارين من صناديد البربر كانوا ينطلقون من طنجة وسبتة. ففي سنة إحدى وتسعين للهجرة (710 م) عبر البربري طريف بن زهرة المضيق ونزل على رأس أربعمائة من المحاربين في شبه الجزيرة التي سميت باسمه : طريفة. وقد مهد نجاح غزوته في بلد منهار تحت ثقل المشاكل خطوة حاسمة للفتح الإسلامي للأندلس.

وفي العام الموالي كُلف طارق بن زياد على رأس سبعة آلاف من الفاتحين بهذه المهمة فاحتل ما بين مالقة ومدريد مرورا بقرطبة وإشبيلية وطليطلة وغرناطة، ومنذئذ حملت الصخرة المشهورة اسم جبل طارق.

وبعد فتح الأندلس تكون فيها المركز الثاني للنشاط البحري العربي في البحر المتوسط العربي وعلى المحيط الأطلنتي وذلك بعد قواعد بحر القلزم والاسكندرية. كما كان للمولى إدريس الأزهر اهتمام بحري، وقد كانت نكور عاصمة بني صالح في الريف مرسى نشيطا في التجارة مع الأندلس.

أما المرابطون (447 . 542 / 1055 . 1147) الذين تدخلوا في الأندلس فقد كان لهم أسطول من حوالي مائة قطعة بحرية حربية راسية بالمرية وقادس. وكان على رأس التي بقادس أمير البحر عبد الله بن ميمون. وكان لهذا الأسطول نشاط فعال على سواحل فرنسا وإيطاليا حتى صقلية. وشارك في حصار جزر البليار.

أما في عهد الموحدين (542 . 668 / 1147 . 1269) فقد كان الأسطول البحري المغربي يتكون من أربعمائة قطعة : مائة في حراسة المغربين الأوسط والأدنى، ومائة راسية في مراسي شمال المغرب الأقصى، ومائة على سواحل الأطلنتي، ومائة تحرس شواطئ الأندلس. وكان من أمراء هذا الأسطول عبد الله بن سليمان وأحمد الصقلي، ولربما بلغت شهرة هذا الأسطول قدراً جعل صلاح الدين أمير مصر والشام يستنجد به لقتال النصارى المحتلين لبيت المقدس وموانئ الشام من النصارى. ومن المرجح أن أواخر عهد الموحدين عرف ندرة في مادة الخشب الصالح لبناء السفن.

وحتى قبل أن يستتب الأمر لبني مرين (668 . 876 / 1269 . 1471) قام ملك قشتالة الفونصو الملقب بالحكيم بإرسال سفن استولت على مدينة سلا بخدعة، وكان هذا الاستفزاز مما حمل أبا يوسف بن عبد الحق المريني على بناء دار لصناعة السفن عهد بالإشراف عليها إلى محمد بن علي بن الحاج الإشبيلي الذي استعمل أخشاب غابة معمورة في بناء السفن إلا أنه تبين أن هذه الأخشاب لم تكن صالحة، في حين أن أخشاب الريف لا تصل بسهولة إلى معامل بادس ونكور، ولم يتيسر بهذه الظروف تحقيق تنمية ملحوظة في ميدان الأسطول.

وفي عام 1273م قام أبو يعقوب بتجهيز أسطول من سلا ليحاصر آخر جيوش الموحدين بطنجة، وأجبر القشتاليين على الكف عن القيام بعمليات غزو خاطف على السواحل المغربية المتوسطية، وقام المرينيون من جهة أخرى بإرسال قطع بحرية للتعرف على جزر كناريا. فوصلتها وأخضعتها لمراقبتها عام 1280م.

كانت القطع البحرية والتجارية تتردد على المراسي المغربية مثل بادس وطنجة وأنفا وعلى سلا بصفة خاصة، فقد شاركت سلا وحدها بست وثلاثين سفينة بحرية في معركة ضد القشتاليين عام 1285. وكانت مختلف المجموعات البحرية تلتقي عند الاقتضاء في ميناء قصر المجاز (القصر الصغير) على البحر المتوسط وكانت تلك الفلك الصغيرة والمتوسطة تتولى نقل الجنود بين البحر وبين السفن الكبرى الراسية في عرض البحر.

وفي هذا العهد ظهر نوع السفن المعروف "بالغراب" لأنه مصبوغ باللون الأسود وله مقدمة تشبه الغراب، ولربما بقيت منها التسمية الشائعة عند بحارة المغرب إلى وقتنا هذا وهي "القارب" وكذا عند البربر الذين يسمون كل سفينة باسم أغرابو.

كانت السفينة الملكية في عهد أبي يوسف تحت إمارة أمير البحر أبي القاسم الرگراگي. وقد ذكر ابن جزي أن أبا عنان قام بعد أن استولى على المنصورة ببناء قلاع بحرية على امتداد الشواطئ المغاربية عام 1348م. وزودها بالذخائر والحاجيات التي يتطلبها البحريون في حالتي السلم والحرب.

كان عام 1358 بداية انحطاط الدولة المرينية حتى أفضى الأمر بالبرتغاليين إلى مهاجمة شمال المغرب واحتلال سبتة عام 848 / 1445. فقد اضطر الأسطول المريني إلى التراجع أمام قوة الدون هنري المكونة من ثلاث وثلاثين سفينة حربية عظمى وتسع وخمسين سفينة سريعة ومائة وعشر من حاملات الجنود.

وقد مضى أزيد من قرنين احتل فيهما البرتغاليون عدداً من نقط شواطئ المغرب ولم ينشأ أسطول بسبب تظافر عوامل الانحطاط السياسي والاقتصادي في أواخر المرينيين وفي عهد وزرائهم الوطاسيين.

وفي منتصف القرن السادس عشر قام السعديون (916 - 1070 / 1510 - 1659) بمحاولة تجديد الأسطول البحري والتجاري، فقد قام محمد الشيخ بعد احتلال فاس بالتفاوض مع أبي حسون صاحب بادس على قيام هذا الأخير ببناء مائة سفينة حربية سريعة ومائة سفينة لشحن البضائع وذلك في أوراش بادس. وفي عهد عبد الله الغالب كان الأسطول يتكون من زهاء ثلاثين قاربا وسفينة. ولما ثار الموريسكيون في جبال غرناطة عام 1568، زاد اهتمام هذا السلطان السعدي ببناء سفن أخرى.

وفي عهد عبد الملك السعدي المعروف بالمتوكل كان الأسطول يتكون عام 985 / 1577 من أربعين سفينة حربية كبرى، وكان هذا الأمير قد خدم في بحرية الأتراك حيث كان من ضباطها أثناء مواجهة فرسان مالطة وشارك في معركة ليبّانط الشهيرة عام 979 / 1571، وكان بالجزائر حيث تزوج بنت القرصان الشهير مراد رايس، وقد انتفع عبد الملك بخبرته في حرب البحر عندما لقي البرتغاليين في معركة وادي المخازن.

أدى طرد المسلمين واليهود من الأندلس نحو المغرب إلى ظهور القرصنة المنطلقة من بلاد المغرب تبُث الرعب في البحرية الأوربية، وتذكر الحوليات المتعلقة بهذه القرصنة أن السلاويين وحدهم اعترضوا طريق أزيد من ألف سفينة ما بين 1620 و1630 م فأسروا أكثر من ستة آلاف شخص تعادل فديتهم 25 مليون قطعة من العملة الذهبية (Ducats).

كان هؤلاء القراصنة السلاويون خليطا من الأجناس، وسرعان ما استثقلوا ضرائب السلطان على مردود نشاطهم، فاستبدوا بالأمر في أنظمة قدموا للترأس عليها بعض الزعماء المحليين. وقد احتفظت سلا بنفوذها إلى أن استتب الأمر للدولة العلوية.

أعاد العلويين النشاط إلى الطرق البحرية في تعاملهم مع الغرب، كما اهتموا بتحرير الشواطئ التي ماتزال تحت احتلال النصارى كالجديدة وأزمور وأسفي من البرتغاليين وطنجة من الأنجليز والعرائش والمعمورة وأصيلا وسبتة ومليلية من الإسبانيين.

وضع المولى رشيد (1075 - 1083 / 1664 - 1672) حدا لانفصال قراصنة سلا، وقد انطلقوا في حملات ضد فرنسا لما دخلت في صراع مع هولندا.

أما المولى إسماعيل (1083 - 1140 / 1172 - 1727) فقد أولى اهتماماً كبيراً لمصير الأسرى المغاربة ولتحسين التجارة وتقوية الجيش والبحرية وطرد المحتلين الأجانب من المدن الشاطئية، وفي هذا الصدد عين عبد القادر مورينو أكبر أصحاب السفن السلاويين عاملا على الرباط وسلا وأمر عام 1674 بتأسيس وزارة البحر المهتمة بالشؤون الخارجية على أساس ارتباط هذين الميدانين وأهمية قضية الأسرى والحرب. وقد بعث بسفارات إلى الخارج ترأسها خبراء في البحر من أمثال الحاج محمد تميم وعبد الله بن عائشة، ولكن فرنسا رفضت إعادة الأسرى المغاربة الماهرين في تسيير السفن والتجذيف بها.

وبالرغم من توقيع معاهدة مع فرنسا عام 1682 فقد ظلت مسألة الأسرى تميل بالسلطان إلى التشدد مع فرنسا مما خلق جواً من الحرب غير المعلنة تخللته فترات هدنة وعمليات غزو فرنسية ضد السلاويين.

كان ذلك النشاط القرصني، تحت إمرة رؤساء أمثال ابن عائشة والحاكم وفنيش والروسي ومعايز والتاج وقنديل وآخرين، يلحق أضراراً بسفن الأوربيين ولا سيما الأنجليز الذين أمضوا مع المغرب عقداً عام 1714 وجددوه عام 1721.

كانت المراقبة التامة للدولة على النشاط القرصني بسلا تكاد تجعل منه بحرية تابعة للدولة، وهذا ما قلص من عدد الممولين الخواص لتجهيز السفن.

ومما تميز به العهد الإسماعيلي بناء قلاع حصينة على طول البلاد وعرضها، وإصلاح ميناء مهدية عند مصب واد سبو وإعادة بناء طنجة بعد أن جلا عنها الأنجليز.

إذا كان المولى إسماعيل لم يشيد الأسطول الذي كان يتشوق إليه فإن حفيده سيدي محمد بن عبد الله قد أباح افتداء الأسرى النصارى ووفر أموالا جعلته يميل إلى تفضيل أرباح التجارة على موارد القرصنة، وفي هذا السياق اهتم بالواجهة البحرية الأطلسية ففتح أنفا للتجارة البحرية عام 1760 وعقد في نفس السنة معاهدة مع بريطانيا العظمى.

وفي 1764 أي بعد مرور عام على توقيع معاهدة تجارية مع السويد، أمر سيدي محمد بن عبد الله ببناء مرسى الصويرة الذي صار منتهى القوافل الصحراوية وترتب عن

هذه السياسة أمر بتنشيط وتحصين عدد من المراسي ولا سيما مرتيل لحماية ساحل سبتة، وكذا سلا التي عين عليها عبد الحق فنيش.

أنشأ سيدي محمد بن عبد الله أسطولا بلغ عدد العاملين فيه عشرة آلاف شخص، وكان إلى نظر أمراء البحر من أمثال مراد ومارسيل والسلاوي، وكان التنسيق بين وحدات هذه القوات موكولا إلى العربي كدوس، وكانت مصالح الدولة مرعية بواسطة عمال مكلفين بشؤون البحر في المدن المراسي.

وقد وقعت معاهدة بين المغرب وإسبانيا عام 1767 تضمن حرية الطرفين في الملاحة والتجارة والصيد وتتيح تدعيم الأسطول المغربي بوحدات جديدة وصيانة السفن في أوراش الصناعة البحرية الإسبانية.

ومن جملة ما تميز به عهد سيدي محمد بن عبد الله تعميم مبدإ الدولة ذات الامتياز في التعامل التجاري وتقنين جوانب مهمة من نشاط الملاحة البحرية كحرية الملاح وتقديم العون للبحارين ووضع قواعد الالتقاء بين السفن وحماية الممتلكات والمسافرين عن طريق البحر. وكان مما تميز به هذا العهد ووقعت الإشادة به فيما بعد تلك المعاهدة التي أبرمت عام 1787 بين المغرب وبين الأمة الأمريكية الناشئة، وقد نصت على ضمان الحماية لسفن الولايات المتحدة.

أما عهد المولى سليمان (1207 ـ 1238 / 1792 ـ 1822) فقد تميز بالميل إلى الانطواء تجنبا للمشاكل الناجمة عن ذيول الثورة الفرنسية، وقد ترتب عن هذه السياسة تراجع محقق في المبادلات التجارية عن طريق البحر.

ومن جراء هذه السياسة أمر السلطان عام 1795 بإغلاق مرسى المهدية تخوفاً من توغل الغزاة الأوربيين في حوض سبو وتهديد كل من فاس ومكناس. وفي نفس العام حضر القنصل الأمريكي في جبل طارق إلى الرباط ليتسلم الموافقة النهائية للمغرب على معاهدة 1786.

إن عهد المولى سليمان قد عرف وقائع مالت بالمغرب إلى الانعزال والحذر، منها ما هو داخلي كوباء الطاعون عام 1800، وتزايد تمرد القبائل، ومنها ما هو خارجي كطغيان القوات الأوربية وتفوقها العسكري الذي برز في معركة الطرف الأغر عام 1805، وفي حملات الغزو الأنجليزية الهولاندية ضد الجزائر عام 1816.

وقد انبثق عن مؤتمر فيينا عام 1817 تحالف القوات الأوربية ضد "قرصنة بلاد البربر" مما جعل سلطان المغرب يلتزم للويس الثامن عشر بوضع حد لنشاط القرصنة في المياه المغربية. وبعد ذلك بعام تقرر إلغاء الأسطول الحربي المتكون آنذاك من سبع وأربعين وحدة منها ثلاث حراقات وسفينتان من ذوات الصارين ودزينة من الزوارق.

وافق تولية المولى عبد الرحمان (1238 ـ 1276 / 1822 ـ 1859) ظهور البواخر، فكان لزاماً أن يدخل التعامل بين المغرب وأوربا عهداً جديداً.

كان السلطان الجديد متحررا مهتما بما يجري بأوربا، وقد بادر إلى توجيه رسائل تعبر عن عواطف الصداقة إلى قناصل الدول الغربية، وكان البرتغال سباقاً إلى اغتنام فرصة تلك المبادرة حيث عقد معاهدة مع المغرب عام 1823.

وفي العام الموالي جددت بريطانيا مع المغرب معاهدة 1801 وكملتها، وفي 1825 أشعر القنصل الفرنسي السلطان بتتويج شارل العاشر وحصل على الاعتراف ببند الدولة ذات الامتياز. ولم يتردد قنصل سردينيا في القيام بمبادرة مماثلة حصل على إثرها على توقيع معاهدة مع المغرب.

كان الأسطول المغربي في هذا العهد يتكون من ثلاث سفن تعمل في أعالي البحار وبعض الزوارق، وكان يشرف عليه الحاج عبد الرحمان بريطل الزيراوي والحاج أحمد ولد الحاج.

وفي عام 1856 فرض تحالف مكون من أنجلترا وإسبانيا وفرنسا معاهدة على المغرب تمت باتفاقيات للتجارة والملاحة، وكانت تهدف إلى احتلال المغرب والقضاء على سيادته، وعلى إثر توقيع تلك المعاهدة عينت أنجلترا قناصل في جميع المراسي المغربية المفتوحة للتجارة، ومما ترتب على ذلك أن مراقبة التسرب الأجنبي إلى المغرب قد أفلت زمامها من يد المخزن. وكانت حرب تطوان التي اعتدت فيها إسبانيا على المغرب مناسبة وجهت فيها الضربة القاضية للملاحة المغربية.

وقد نص ميثاق دولي موقع عام 1864، وهو متعلق بمنار رأس سبارتيل، نص في بنده الخامس على أن تتولاه الأمم الأوربية، وبذلك يتقرر أن المغرب لم يعد يتوفر على بحرية عسكرية أو تجارية.

قام السلطان مولاي الحسن (1290 ـ 1312 / 1873 ـ 1894) في عامه الأول بمحاولة تهدف إلى إعادة تأسيس البحرية المغربية، وكانت غايته الأولى أن يتوفر على وسيلة نقل سريعة للجنود والعتاد والبضائع لا تتعرض لمشاكل النقل البري، كما كان يهدف من جهة أخرى إلى مطاردة المهربين الذين يلحقون أضراراً بمداخيل الجمارك. وفي هذا الشأن تفاوض السلطان أثناء إقامته بالدار البيضاء في ماي 1876 مع الوزير المفوض الإيطالي سكوفاص Scovasse على اقتناء المغرب لسفينتين حربيتين عصريتين ولسفينة تكون مدرسة لطلبة البحرية.

وفي عام 1877 طلب السلطان إعانة أنجلترا في الحصول على سفينة مزدوجة تصلح للقتال والنقل معا، كما قرر أن يبعث بطلبة مغاربة يتلقون تكويناً بحرياً في المدارس المختصة بأنجلترا، وقد وقع بهذه المناسبة تصميم بذلة وطنية مغربية للبحارين تتكون من قميص صوفي أزرق داكن وشارات عليها أزرار مذهبة وقبعة تحمل نجمة ذهبية مزخرفة على رفرفها.

وقد جاءت مجاعة 1879 بما فرضته من ضرورة إيصال سريع للحبوب إلى جنوب المملكة لتزيد من عزم السلطان على تنمية البحرية، ولكن هذا المشروع تعرض لمضايقات الدول الأجنبية التي عرقلت كل جهود السلطان في هذا الاتجاه.

ومع كل المضايقات أمر السلطان بفتح مرسى أساكا للتجارة وبتنظيم حراسة للساحل ما بين أگادير ووادي درعة.

وكانت غاية ما أمكن إنجازه في آخر العهد الحسني في ميدان الأسطول البحري هو ثلاث وحدات صغيرة للنقل، والسفينة خافرة الشواطئ المسماة بالبشير. ومع ذلك فإن عناية السلطان بإصلاح المراسي قد برزت في عدة مناسبات منها مناسبة زيارته لمرسى الدار البيضاء عام 1878.

أما العناية بالتجارة مع الخارج فقد تمثلت في فتح ثمانية مراسي، وانتقلت الصدارة من الصويرة إلى طنجة في منتصف القرن، ثم انتقلت إلى الدار البيضاء حوالي سنة 1890.

وبعد وفاة السلطان مولاى الحسن وتزايد نشاط البحرية الدولية المستعملة للبخار ذهبت الأهمية عن بعض المراسي التقليدية في مصبات الأنهار كالرباط وسلا والعرائش ومهدية.

وفي عهد وصاية أحمد بن موسى (1894-1900) تم بيع سفينتين كانتا زهرة ما تبقى من الأسطول، ولم يبق سوى السفينة المعروفة بسيدي التركي التي استمرت بضع سنين أخرى تتجول في البحر المتوسط.

وفي عهد السلطان مولاي يوسف، أي في الشطر الأول من عهد الحماية عاد النشاط إلى المراسي وخاصة الدار البيضاء وفضالة والرباط فارتبطت الدار البيضاء وطنجة بمرسيلية بواسطة الرحلة الأسبوعية لسفن شركة باكي Paquet التي كانت قد دشنت عملها بالمغرب منذ عام 1865، كما أقامت هذه الشركة ربطا آخر بين مرسيلية وبرشلونة ووهران وبين المراسي المغربية جنوبي الدار البيضاء. كما أنشئت خطوط اتصال أخرى لسفن النقل الصغرى مع الرباط والقنيطرة، وقد نمت حركة النقل التي كان معظمها قائماً على تجارة الحبوب وصناعة الفوسفاط الناشئة.

ولما ازداد حجم المبادلات قامت السلطات بربط اتصالات بحرية أخرى بمرسى الهافر ومرسى دانكيرك بواسطة زوارق نقل استخدمت لإحباط المبادرة الفردية في هذا الاتجاه.

ولدعم هذه الأنشطة البحرية قامت السلطة عام 1919 بوضع المسطرة التأديبية والجنائية للبحرية التجارية وسن قانون التجارة البحرية. وكانت تلك الإنجازات متميزة بالنسبة لعصرها، واستوحت من القوانين الجاري بها العمل في عدة بلدان.

وفي عام 1920 تم إنشاء مصلحة للبحرية التجارية والصيد البحري، ومعها ظهرت أولى السفن الحاملة للراية المغربية. ومن جملتها مجموعة حملت أسماء الرؤوس البحرية جهزها اتحاد المقاولات المغربية ومن سفنها "بوجدور" و"سبارتيل" و"تريفة" ومجموعة "القواد" ومنها "ميما" و"عزيز" و"حسن" و"الفاسي".

أصبحت الدار البيضاء ميناء لرسو السفن القاصدة والعابرة بكيفية منتظمة، وكان من السفن البخارية الدائمة التردد عليه "أگادير" و"الرباط" وهما تابعتان للشركة الشريفة للملاحة.

وفي عهد سيدي محمد بن يوسف أُحدثت تشريعات بحرية وطنية في ميدان تسجيل السفن أطلقت الحرية في هذا الباب وشجعت عدداً من أصحاب السفن الأجانب على أن يضعوا سفنهم تحت الراية المغربية، وبهذا غدا الأسطول التجاري الوطني يضم ابتداء من سنة 1932 أربع عشرة وحدة تزيد حمولتها على عشرة آلاف طن.

وفي العام الموالي أدت المنافسة إلى صدور ظهير يقصر متاجرة السفن المسجلة في المغرب على منطقة الحماية الفرنسية، وأدى ذلك إلى تدهور ذلك الأسطول حتى إنه لم يعد يضم بعد اثنتي عشرة سنة سوى خمس وحدات مجموع حمولتها ثلاثة آلاف طن.

ابتداء من عام 1946 أدى النمو المتزايد لحركة الملاحة إلى انطلاق جديد في ميدان اقتناء البواخر المتخصصة مثل "مولاي بوشعيب" و"سعادة" التي أصلحتها شركات *ليكارگو فرويتيي شريفيان* (حاملات الفواكه الشريفة) لنقل الحوامض والبواكر وكذا اقتناء وحدات جديدة مثل الناقلة المسماة بـ "الغرب" التي جهزتها الشركة الشريفة لتجهيز السفن، و"جرادة" التي وقع اقتناؤها عام 1948 من طرف الشركة الفرنسية الشريفية وهي التي صارت كوماناف الحالية COMANAV و"الأودايا" وهي سفينة نقل عصرية طاقتها 2500 طن تتوفر على مخازن مكيفة الهواء.

وهكذا صار الأسطول التجاري المغربي في عام 1949 يضم من جديد خمسا وثلاثين سفينة حمولتها الإجمالية 32.000 طن، وكان من بينها ثلاث سفن مهيأة للمسافات البعيدة.

وقد عرفت هذه المدة تكاثر الشركات الصغرى التي أقبلت على الاستغلال التجاري للسفن الصهاريج التي استغنت عنها البحرية الأمريكية وحولتها إلى حاملات لخمور المغرب والجزائر. ولكن تدهور الصادرات من الخمور أدت عام 1956 إلى نقصان عدد قطع الأسطول الذي كان قد وصل إلى أربع عشرة قطعة حمولتها اثنا عشر ألف طن.

ومع إرساء قواعد الاستقلال تطور الأسطول وأصلحت الموانئ ووضعت أسس البحرية العصرية. وقد كان التوجه في ميدان البحرية في هذا العهد الجديد بداية الاستجابة لتطور التجارة الخارجية. ومن رموز هذا التجديد المستند إلى تقليد عريق إنشاء وزارة خاصة بالملاحة التجارية والصيد البحري عام 1981.

A. Timoul, *Les Chroniques maritimes du Maroc.*

عبد القادر تيمول

البحيرات بالمغرب، يتوفر المغرب على عدد كثير من البحيرات، وهي صنفان :

أ ـ بحيرات شاطئية : هي عبارة عن مساحات من الماء معزولة عن البحر، إلا أنها تبقى متصلة به وتحت تأثيره

المباشر بواحد أو عدد من المجاري. وإن ما يميز هاته البحيرات الشائية هو التقلبات الكبيرة في عواملها الهيدرولية كحرارة الماء وخاصة ملوحته التي يمكن أن تصل ما بين 4 و42٪.

مساحتها ثلاثة كلمترات مربعة وعمقها 2.5 أمتار بينما يتعدى عمق بحيرة خنيفيس أكثر من 20 مترا وذلك بسبب تيارات المد والجزر التي ساهمت في حفر خنادق عميقة وسط البحيرة.

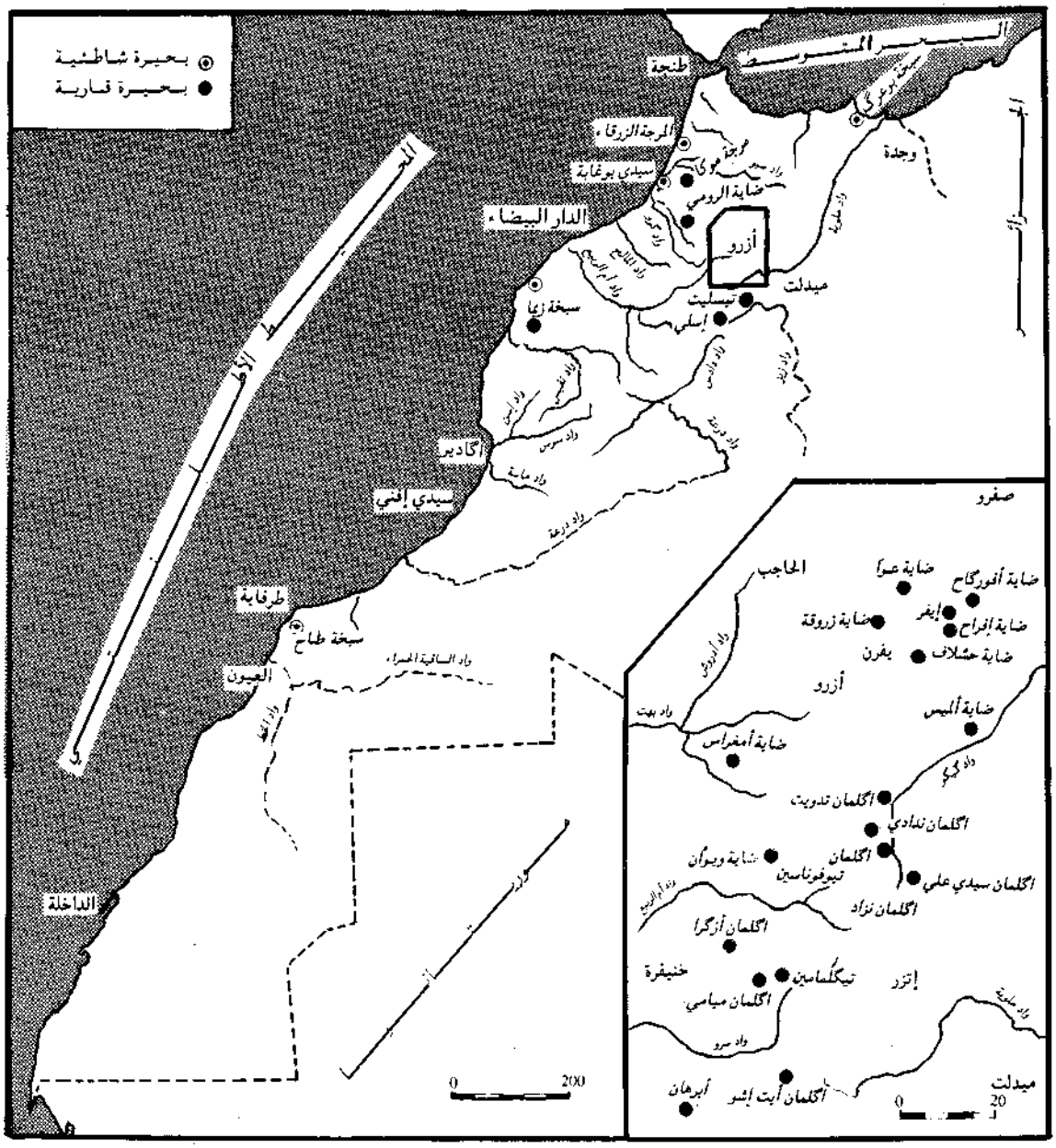

البحيرات الشاطئية والقارية

تتوفر السواحل المغربية التي يبلغ طولها أكثر من 3.000 كلم على عدة بحيرات شاطئية نذكر من بينها على الشواطئ الأطلسية : بحيرة مولاي بوسلهام قرب العرائش، وبحيرتا سيدي موسى والوليدية قرب مدينة الجديدة، ثم بحيرة ناحية طرفاية. أما الشواطئ المتوسطية فتتوفر على بحيرة بوعرگ ناحية مدينة الناضور. وهي أكبر هاته البحيرات مساحة حيث تتعدى 115 كلم مربع، بينما لا يتعدى عمقها ثمانية أمتار. أما بحيرة الوليدية فلا تتعدى

تقع البحيرات المغربية بشكل عام محتجبة بالتلال الشاطئية الرملية مما يجعلها محمية من الرياح والعواصف وبالتالي متوفرة بداخلها على هدوء نسبي. وينتج عن هذا كله تراكم حبات الرمل في قعر البحيرة وندرة في الدعامات الصخرية.

يساعد تراكم الرمال والأوحال في قعر البحيرات على نمو العديد من النباتات باديات الزهر المائية التي تشبه الزهرات البرية. ومن بين هاته النباتات يمكن أن نذكر عدة

أنواع من جنس Posidonia Cymodocea Zostera والتي تبرهن بوجودها فقط عن هدوء وسكون البحيرة.

تعيش في البحيرات الشاطئية أيضا عدة أنواع من الطحالب وخاصة منها الطحالب الخضراء كأجناس Caulerpa Enteromorpha Ulva وأعداد أخرى من الطحالب العالقة. تبقى الطحالب الحمراء نادرة في معظم البحيرات المغربية ويبقى وجودها مرتبطا أكثر بالتيارات المائية ومدى تأثُّر البحيرة بمياه البحر. تلعب هاته الطحالب الحمراء وخاصة Jania rubens دوراً هاماً في تثبيت وتركيز الرواسب في قعر البحيرات.

وحيش البحيرات الشاطئية المغربية متنوع جدا وكثير الشبه بنظيره في البحيرات المتوسطية. تتكون اللافقريات من المنخريات Ammonia Etphidium والاسفنجيات Sycon وشقائق البحر Actinies والقشريات مزدوجات الأرجل Gammarus Corophium ومتساويات الأرجل Idotea وعشاريات الأرجل (الاربيان) بالإضافة إلى الحلقيات Cirratulides والرخويات Hydrobia.

تتكون الأسماك من عدة أنواع يتميز أغلبها بقدرة كبيرة على التكيف مع تقلبات الملوحة، إلا أن منها ما ياتي من البحر ومنها ما ياتي من المياه العذبة.

لا يمكن اقتصاديا أن تُتجاهل الأهمية البالغة لهاته البحيرات وخاصة في ميادين الصيد وتربية بعض الحيوانات البحرية. وبالفعل فإن مياه البحيرات غنية بالأملاح المعدنية والعضوية وبالتالي بمواد التغذية بالنسبة لبعض الحيوانات ذات الأهمية الاقتصادية. بالإضافة إلى ذلك فإن البحيرات الشاطئية سهلة البلوغ مما يجعل استغلالها أقل تكلفة من استغلال عرض البحر أو المحيط.

من الأسماك والحيوانات البحرية الأخرى ما تعيش طول عمرها في البحيرات، ومنها ما تأتي من البحار أو المياه العذبة لتكمل نموها، وأخرى تاتي لتتوالد ثم ترجع إلى موطنها الأصلي. كما تدخل البحيرات أيضا كبحيرة الناضور كميات هامة من الأربيان في مراحلها الأولى لتكمل نموها وتعود لتتوالد في أعالي البحار.

تعتبر البحيرات إذن ربطا طبيعيا لتجمع صغار الأسماك والقشريات والرخويات... وهي بالتالي تكون منجما طبيعيا سهل الاستغلال. نذكر على سبيل المثال وفرة الأربيان من نوع Penaeus Kerathurus والمحار Venerupis Seccussata.

منذ سنة 1956 أنشئت ببحيرة الوليدية عدة أحواض لتربية محار الترق C. Gigas, Crassostrea angulata يصدر معظم إنتاجها إلى الخارج. أما بحيرة الناضور فقد جُهزت أخيراً بأحدث وسائل تربية المحار وتنمية الأربيان والأسماك. يصدر أيضا معظم إنتاجها إلى الخارج.

قد تتعرض البحيرات للتلوث الناتج في أغلب الأحيان عن أنشطة الإنسان، مما يؤدي إلى اختلال توازنها البيئي. فبحيرة الناضور، مثلا، تتلقى مجاري ملوثة من مدينة الناضور، من قرية أركمان، من بني أنصار وأسوان، مما أدى في بعض مناطق هاته البحيرة إلى نمو سريع في اعداد الطحالب الخضراء Ulva وبالتالي قلة نسبة الأكسجين واندثار كل الحيوانات بما فيها الأكثر قابلية للتلوث.

من البديهي أن يكون هذا التلوث خطراً على «الحالة الصحية» للبحيرات وعلى النباتات والحيوانات بها، وعبر السلسلة الغذائية يكون خطراً على الإنسان، لذا يجب حمايتها وعقلنة استغلالها خاصة إذا علمنا أنها، بيئيا، من أكثر المواطن حساسية، بالإضافة إلى أنها مواطن ضرورية لتوالد ونمو عدة أنواع ذات أهمية كبرى في اقتصاد البلاد.

ب - بحيرات قارية: يعد المغرب، بسلاسله الجبلية العالية وبجواره للمحيط الأطلنتي والبحر المتوسط، من أغنى البلدان أمطاراً في شمال إفريقيا مما أدى إلى تعدد بحيراته القارية الطبيعية منها والاصطناعية (بحيرات السدود).

نتج عن تعدد المناخات والطبقات الجيولوجية السطحية بالمغرب حميلات بيئية مختلفة بالمياه الراكدة. توجد معظمها في المناطق الرطبة وشبه الرطبة من البلاد، تميز منها:

- بحيرات طبيعية دائمة يفوق عددها العشرين منها ثلاثة في الأطلس الكبير، وأربعة في السهول الغربية والباقي في الأطلس المتوسط نظراً لتوفره على كمية هامة من الأمطار ولطبقاته الكلسية والدلوميتية. تسمى محليا في الأطلسين أگلميم وإگلمان وتگلمامين، وفي سائر مناطق المغرب المرجة والبحيرة والضاية.

- بحيرات طبيعية مؤقتة وهي كثيرة في المغرب تغمرها المياه في فصل الشتاء والربيع فقط. منها عذبة المياه وتسمى الضايات، ومالحة أو سبخات وتوجد في المناطق الجافة والصحراوية من البلاد.

وهناك بحيرات قارية اصطناعية أو بحيرات السدود. نظراً لما للماء من قيمة قصوى في نشاط الإنسان وأهمية حيويته في التنمية الاجتماعية والاقتصادية (الري، توليد الكهرباء، المياه الصالحة للشرب وللصناعة، تربية الأسماك...) وقع التفكير منذ سنة 1929 في خزن مياه الأمطار وكان سد سيدي سعيد معاشو على نهر أم الربيع هو أول سد بُني في المغرب لتغطية حاجيات سكان الدار البيضاء من المياه الصالحة للشرب وللمعامل والمصانع. ارتفع عدد السدود إلى ثلاثة عشر قبل الاستقلال لسقي 136.000 هكتار وستة عشر سداً قبل 1966 تخزن مليارين متر3. وابتداءً من سنة 1967 ركز المغرب سياسته على الاعتناء بخزن مياه الأمطار في جميع المناطق، وهكذا بلغ عدد السدود الكبرى خمسة وثلاثين تفوق سعتها عشرة مليارات متر3، على رأسها سد سيدي محمد بن عبد الله، والمسيرة الخضراء، وبين الويدان، وإدريس الأول، ومحمد الخامس. أنشئت إلى جانب هذه البحيرات عدة سدود تلّية

في مختلف المناطق وتلعب دورا هاما في الاقتصاد المحلي.

مميزات البحيرات الكمياتية والبيولوجية : أغلب البحيرات الطبيعية لا تتعدى مساحتها مائة هكتار، وعمقها خمسة عشر متراً باستثناء بحيرة أگلمان سيدي علي الممتدة على ثلاثمائة هكتار، وأربعين متراً عمقاً ؛ وبحيرة إفني بالأطلس الكبير (61 متراً) وأگلمان تسليت (92 متراً).

تتلقى البحيرات الطبيعية المياه من الينابيع والعيون المجاورة ومن ذوبان الثلوج ومن الأمطار. أما بحيرات السدود فيبقى نظامها الهدرولوجي طول السنة ومن سنة لأخرى. فهي تمتلئ بعنف في فصل الشتاء وينقص منسوب المياه في فصل الصيف بصفة ملحوظة. تنساق إلى بحيرات السدود كميات هائلة من المواد العضوية والمعدنية بسبب الانجرافات مما يؤدي إلى تراكم التربة داخل البحيرة.

تتراوح الحرارة بالنسبة للبحيرات الجبلية، ما بين 5 و25 درجة مائوية قرب سطح الماء وما بين 5 و8 في الأعماق. وبالنسبة لبحيرات السهول تتراوح الحرارة ما بين 10 و35 درجة مائوية قرب سطح الماء وما بين 12 و18 درجة قرب الأعماق مما يدل على طبقتين حراريتين في كل بحيرة يطلق عليهما : البحيرة الأفقية أو Epilimnion والبحيرة السفلى أو Hypolimnion وهي باردة وقليلة الأوكسجين. تنخفض الحرارة في فصل الشتاء، وحين اقترابها من أربع درجات يصير الماء ثقيلا بالسطح فيهبط إلى الأعماق وتحل محله مياه الأعماق الأقل كثافة. وهكذا يتم جريان المياه من الأعلى إلى الأسفل مرة في كل سنة بالنسبة لبحيرات المغرب باستثناء بحيرة إفني التي يكسوها الجليد مدة طويلة في فصل الشتاء مما يجعل البحيرة الأفقية أكثر برودة من السفلى وبذلك يتم جريان المياه مرتين "Dimictique" في السنة.

ساعدت هذه الحرارة المرتفعة إلى جانب وفرة الأوكسجين والمواد العضوية والمعدنية بالبحيرة الأفقية على نمو وازدهار كل من الطحالب العائمة والنباتات المائية وبهذا تعد معظم بحيرات المغرب من النوع الخصوب Eutrophe.

يعيش في مختلف البحيرات المغربية ما يزيد على ألف نوع من الحيوانات المائية جلها من اللافقريات وفي صدارتها كمّاً وكيفاً القشريات التي تأكل الطحالب العائمة وتشكل البلانكتون الحيواني المتكون من مجدافيات الأرجل، وبراغيث الماء، والمحار الذي يعتبر أساساً لتغذية كثير من أنواع اللافقريات الأخرى والأسماك والضفادع والطيور.

تتكون الحشرات المائية من عدة فصيلات، وفي مقدمتها مغمدات الأجنحة ومزدوجات الجناح ومختلفات الجناح واليعاسيب. تفضل يرقات الناموس (البعوض) العيش في جوانب البحيرات المرتفعة الحرارة والغنية بالنباتات ويعد نوع Anopheles labranchiae هو العنصر الرئيسي لنقل حمى المستنقعات للإنسان.

تعيش أيضاً وسط النباتات عدة أنواع من العلقة التي تمتص دم الحيوانات الداجنة، وعدة أنواع من الحلزونات والحلقيات والضفادع ونوع واحد من السلاحف Emys leprosa وأحياناً نوع واحد من الثعابين Natrix maura.

من بين الأسماك التي تعيش في البحيرات الطبيعية هناك نوعان فقط : التروتة الخضراء التي تعيش في بحيرة إسلي في الأطلس الكبير، وتروتة بلاري Salmo pallaryi التي كانت تعيش في أگلمان سيدي علي وانقرضت بعد إدخال أنواع أخرى من طرف مصلحة المياه والغابات.

في نطاق تنمية الصيد الرياضي والتخفيف من النباتات المائية، أُدخل إلى البحيرات اثنا عشر نوعا من الأسماك موطنها الأصلي أوربا وأمريكا الشمالية والصين. أهمها الزنجور والشبوط الفضي والصيني والبجن والبرعان والصندر والمكه والفجوم وأحمر الأذنين والفرخ.

توجد أيضاً عدة أنواع من الطيور في البحيرات وفي مقدمتها البطيات والطيور المائية وبعض الكواسر التي تأكل الأسماك كالسرنوف، وكذلك بعض العصافير.

R. Boue, H. Chanton, *Biologie animale Zoologie-Invertébrés*, t : I, Paris, 1962 ; G.Bitar, *Etude du peuplement benthique de la côte atlantique méditerranéenne du Maroc : Impact de la pollution comparaisons biogéographiques.* Thèse Doct. Et et Univ. Marseille, 1987 ; A. Campbell et Nicholls, *Guide de la Faune et de la Flore littorales du mers d'Europe*, Genève, 1986 ; M. Menioui, *Contribution à la connaissance des peuplements infralittoraux superficiels de la côte méditerranénne du Maroc : Etude faunistique, écologique et biogéographique*, thése Doct, Et et Univ. MohamedV ; *Les peuplements des milieux lagunaires, G.E.M (faune)* 1, 1987 ; C. Davadie, *Etude de Balane d'Europe et d'Afrique*, Paris,1963.

محمد منيوي

البُحيرَة - جغرافيا -، سهل بجنوب المغرب الأطلنتي يمتد على شكل طولي من الشرق إلى الغرب من سهل تادلا إلى هضبة الگنتور وهضبة الرحامنة في الشمال والجبيلات بالجنوب. مساحته حوالي 1200 كلم2. يقع بإقليم قلعة السراغنة ؛ دائرتي سيدي بوعثمان والرحامنة. وهو عبارة عن حوض مغلق كانت تتوسطه بحيرة موسمية تعرف لدى السكان بگلتة بني حسان وفي الخرائط بسد مجنون، تتسع مساحتها في السنوات الكثيرة الأمطار حيث يصل عمق مياهها إلى ميتر. وهي تعكس صعود المياه الجوفية إلى السطح، لكن بتوالي سنوات الجفاف وتقدم الضغ الميكانيكي انخفض مستوى المياه الجوفية واختفت البحيرة تاركة في مكانها قشرة ملحية بيضاء. وقد استمد الحوض تسميته منها ويقال من كثرة البحاير أي البساتين المروية التي انتشرت في بعض أطرافه قديما.

والسهل عبارة عن منخفض بنيوي علوه عن سطح البحر 410 م، عرف التهدل خلال الحركة الأطلسية، يندس على شكل طولي بين طيتين عميقيتين هرسينيتين هما الجبيلات جنوبا والرحامنة شمالا ويتكون من صخور متنوعة : حث طفل كلس ترجع إلى الزمن الثاني تليها طبقات فوسفاطية من الإيوسين تظهر بالأطراف الشمالية، ويغطي الكل توضعات رباعية ونيوجينية قارية يختلف سمكها من جهة لأخرى، تتكون من سحنتين رئيسيتين : الأولى كلس

مستنقعي يظهر خاصة غرب وشمال سد مجنون يحتضن فرشة مائية غنية. والثانية تتكون من رصيص بليوسين الأعلى، مغطى جزئيا بطبقة طينية رقيقة.

يسود سهل البحيرة مناخ شبه جاف ذو طابع قاري قليل الأمطار : 200 إلى 300 ملم. وحرارة مرتفعة مع مدى حراري يومي وشهري كبير، ونسبة رطوبة ضعيفة ودرجة تبخر كبيرة. كما يعرف السهل درجات حرارة قصوى تتجاوز 40 صيفا ودون الصفر في بعض ليالي الشتاء مما يعرضه للصقيع. وأهم مجرى مائي هو وادي گاينو الذي ينبع من شرق الجبيلات مكان مجرى سابق لتساوت لكنه ينتهي بجريان منتشر كما تنتهي كل السيول الأخرى النابعة من الجبيلات من هوامشه بجريان منتشر أو نحو منخفض سد مجنون.

السكان والنشاط الاقتصادي : كان السهل مرعى تكميليا لسكان الدير والأطلس الكبير. وفي القرون الأخيرة استوطنت قبائل الرحامنة معظم جزئه الغربي بينما بقي الجزء الشرقي الذي يضم أفضل المراعي "أرض الحدرة" تابعا لقبائل السراغنة. ونظراً لشح الأمطار فقد كان السهل أصلح ما يكون للرعي، ولهذا كان السكان الذين يقيمون بقرى كبيرة للاحتماء يهتمون بتربية الأغنام التي تجد كذلك مراعي احتياطية أخرى في شعاب الجبيلات الفارغة،

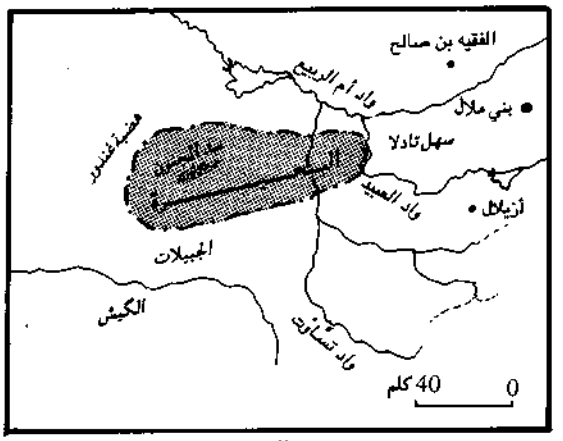

موقع البحيرة

ويمارسون زراعة واسعة يناصيبية للحبوب. إلا أن الهوامش الجنوبية كانت تستفيذ من مياه فيض وديان الجبيلات التي تتلقى مقادير لا بأس بها من الأمطار مما يجعل زراعة الحبوب على حادورها تعطي إنتاجا أفضل. وبتزايد السكان والحاجيات والبحث عن موارد فلاحية أخرى ظهرت ميزة البحيرة وهي وجود فرشة مائية غنية قريبة من السطح وتربة متنوعة لا بأس بها. فبدأت المنطقة تعرف تحولات بعد الاستقلال عندما وجدت شركة "تيسير" التي تنقب عن الفوسفاط فرشة مياه عذبة يبلغ سمكها حوالي 300 م بشرق البحيرة. فأسست أول ضيعة رائدة مساحتها 840 هـ وسرعان ما انتشرت حولها ضيعات أخرى وبدأ المستثمرون الحضريون من مراكش وأگادير والدار البيضاء والرباط بصفة خاصة يشترون الأراضي لتكوين ضيعات تهتم بزراعة مسقية للزيتون والمشماش واللوز والشهدية والبرتقال وبعض الخضر خاصة البطيخ الأصفر. كما أنشأ بعض المستثمرين حضائر لتربية الأبقار الحلوب. وفي إطار تدعيم الري الصغير بدأت مصالح وزارة الفلاحة تتدخل ابتداء من 1969 فأنشأت أجهزة تقنية وطبقت مشاريع إصلاح زراعي لحل مشكل الأراضي الجماعية التي تمثل 30٪ من أراضي البحيرة وتفتيت الملكية في مكان الملك الخاص. فكونت مزارع نموذجية وتعاونيات تمنح أربع هكتار مسقية لكل فرد مقابل التنازل عن نصيبه من الأرض الجماعية للدولة، إلا أن التعاونيات لم تحقق النتائج المرجوة فسعى المسؤولون الزراعيون لنشر زراعة عنب الزبيب والسكر (مشروع تقنية إيطالية يتناول 5000 هـ). وبعد ملاحظة انخفاض مستوى الفرشة المائية لضعف تغذيتها بسبب قلة الأمطار وانعدام وديان كبرى، وفي إطار ترشيد استعمال المياه نشر المسؤولون أساليب ري جديدة : التنقيط للأشجار والأدرع الميكانية المتحركة لإنتاج القمح الذي يعطي مردوداً مرتفعاً (60 ق / هـ) باستعمال الأسمدة والأدوية، معظمها بأراضي الدولة التي تغطي 1700 هـ. ومازالت زراعة القمح العصرية تتوسع ويستعمل إنتاجها كبذور تباع في الأقاليم الشمالية. وهكذا اتسع النطاق المسقي الذي لم يكن له وجود قبل سنوات قليلة، إذ وصل إلى 8300 هـ سنة 1990. لقد أدت هذه التدخلات إلى تقلص المجال الرعوي للسكان المحليين الذين لا يزالون محافظين على نمط إنتاجهم البدائي القائم على تربية الأغنام وزراعة واسعة للشعير، لكن الكثيرين من الشباب يتحولون إلى عمال زراعيين، ويلاحظ أن مساحة بحيرة سد مجنون لم تستغل نظراً لملوحة التربة والمياه بهوامشها كما أنها تعاود الظهور في بعض السنوات الكثيرة المطر. وهكذا يساهم سهل البحيرة في مسلسل التخصص الزراعي الإقليمي ويندمج تدريجياً في السوق الرأسمالية الوطنية مستفيداً من موقعه بوسط المغرب. وبعد تكوين إقليم السراغنة، صار السهل بفضل موقعه المركزي رابطاً بين قطبيه : قلعة السراغنة وبن گرير، مما أعطى أهمية كبيرة للطريق الرابط بينهما والذي يستقطب حركة النقل الوطني من شرق الحوز وقسم من الأطلس الكبير الأوسط وإقليم ورزازات لعبوره باعتباره أقصر طريق نحو العاصمة الاقتصادية الدار البيضاء.

لقد انعكس هذا النمو الاقتصادي على بعض المراكز السكنية مثل الهيادنا واثنين المحارا ونزالة العظم بصفة خاصة إذ تحولت إلى قيادة ومركز فلاحي مهم حظي بمنشآت تقنية مثل معلم معالجة عنب السكر والزبيب ومخزن للحبوب، كما يعقد بها سوق أسبوعي يوم الخميس، وقد استفادت من مجاورتها للقاعدة العسكرية الكبيرة ومن تحولها التدريجي إلى محطة على طريق مراكش ـ الدار البيضاء. لكن أكبر مستفيذ من الانعكاسات الاقتصادية لمسلسل تحولات البحيرة هي المراكز الحضرية والسكنية

القديمة الواقعة بهوامشه على شكل مثلث : قلعة السراغنة وبن گرير وسيدي بوعثمان.

بحث ميداني : معلومات مرشدين فلاحيين بالمركز الفلاحي لسيدي بوعثمان ؛ كتب عامة لجغرافية المغرب ؛ دراسة خرائط طبوغرافية وجيولوجية.

أحمد هوزالي

البُحيرة - تاريخ - بكسر الحاء وفتح الراء تجمع على بحايْر. وهي باللسان الأمازيغي تَبْحرْت أو تبْحرْت جمع تبْحرنْ أو إبْحرْ جمع إبْحرنْ. وتعني السهْل المتصلة أو البستان المغروس بأشجار مختلفة أو بنوع واحد منها كالزيتون، أو المخصص للخضر وأنواع البطيخ وفواكه أخرى أو المحتوي على كل ذلك في آن واحد. كما تطلق البحيرة كذلك على الحقول المسقية المبنية على شكل مدرجات على جوانب الأودية الجبلية في الأطلس الكبير الغربي. فهي إذن مختلفة من حيث المساحة كذلك، ولكنها غالبا ما تكون مسورة أو مسيجة بطريقة أو بأخرى.

ويبدو أن أهم ما يميز البحيرة عن أگدال، هو أن هذا الأخير كان في الأصل على الأقل ملكية جماعية أو خاضعة لقانون الجماعة، في حين كانت الأولى منذ البداية ملكية خاصة، يتصرف فيها مالكها كما يشاء.

تتحدث المصادر التاريخية عن هذا النوع من البساتين في مراكش وضواحيه بصفة خاصة، منذ عهد المرابطين. وهذا يجعلنا نتساءل عن الأسباب الموضوعية التي أدت إلى استعمال كلمة «البحيرة» العربية بدل كلمة تُورْتيتْ التي تعتبر أقدم منها، خصوصا في بلد مصمودة المتمرسين بفنون الفلاحة والزراعة منذ أقدم العصور، وفي زمن كزمن المرابطين الذي كانت فيه العربية غير مستعملة إلا لدى قلة من المتعلمين.

ذكر الإدريسي في وصف افريقيا من *نزهة المشتاق*، (ص 43. 44)، أن رجلا اسمه «عبيد الله بن يونس المهندس جاء إلى مراكش في صدر بنائها وليس بها إلا بستان واحد» وأضاف بأنه هو الذي أوصل المياه الجوفية من قدم الجبل إلى مراكش بطريقة الخطارات. «ثم إن الناس نظروا إلى ذلك ولم يزالوا يحفرون الأرض، ويستخرجون مياهها إلى البساتين حتى كثرت البساتين والجنات واتصلت بذلك عمارات مراكش وحسن قطرها ومنظرها».

وإذا صح ما أخبر به الادريسي، فإن ابن يونس هذا، قد يكون هو الذي أطلق اسم «البحيرة» على بساتين مراكش، إذا افترضنا أنه جاء من الأندلس... وهو المرجح. وبقيت متداولة في أفواه الناس، بجانب كلمات أخرى مثل : جْنانات، عْراصي، إگْرانْ، تورْتيتين.

وهكذا أصبحت مراكش في عهد الموحدين بصفة خاصة بلد «البحاير» بكل معنى الكلمة، سواء بداخل السور أو خارجه. ففي كتاب *الاستبصار* مثلا نقرأ ما يلي : «وحولها (مراكش) من البساتين والجنات التي يسمونها البحائر لعظمها، ما لا يحصى كثرة، وغرس (عبد المومن بن علي) بحيرة عظيمة بغرب المدينة (مراكش) قبل نفيس دورها ستة أميال، وبنى فيها وخارجها صهريجين عظيمين...»، وهذه الأخيرة هي ما يعرف اليوم بجنان المنارة. «وأحدث الخليفة بعده ابنه أبو يعقوب بحاير مثلها في نفس الغرس بل أجمل...» (ص 209. 210). والجدير بالذكر أن حي القصبة الآن، الذي بنيت فيه تماكشت الموحدية، كان قبل ذلك عبارة عن بحاير اتسعت على أرضها المدينة.

غير أن كل الدلائل سواء منها التاريخية أو الحالية تشير إلى أن بحاير مراكش الواقعة خارج السور، تجمعت بصفة خاصة في شرق المدينة، على طول الضفة اليمنى لواد إسيل. وهناك توجد بحسب كتاب *التشوف* بحيرة الصفصفة وبحيرة الرقائق (ص 243، 245، 456).

وكان لبني أمغار إخوة ابن تومرت بحيرة بباب الدباغين (*البيذق*، 118). ومعلوم أن هذه البحاير انتشرت فيما بعد في الجهة الشمالية من المدينة ما بين السور ونهر تانسيفت، وبقيت كذلك إلى وقت قريب حيث تحولت في غالبيتها إلى أحياء سكنية.

ومعلوم أن عبد المومن بن علي اتخذ البحيرة معسكرا لجنوده حين حصاره لمراكش قبيل استيلائه عليها بصفة نهائية. فبعد أن هزم الموحدون بقية جيش المرابطين بضاحية مراكش، جهة باب دكالة "انتقلت المحلة الموحدة إلى دار الفتح وسط البيحرة في صدر شوال من سنة إحدى وأربعين (وخمسمائة)، فلم تزل هناك، وامر المدينة في كل يوم يزيد ضعفاً وأحوالها ترق إلى أن كان يوم السبت السابع عشر من شوال ففتحت مراكش ودخلها الموحدون" (*البيان*، ص 23. 24).

ويبدو أن عبد المومن اعتبر البحيرة دار الفتح تخليداً لذكرى المعركة الأولى التي انهزموا فيها أمام المرابطين قبل سبع سنوات مضت.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* (1928)، ص 28، 78. 79 وغيرها ؛ م. ابن عذاري، البيان، طبعة ميراندا، ص 23. 24 ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف* (1984)، ص 243، 245، 317، 456، 592 ؛ الحميري، *الروض المعطار* (1984)، ص 540 ؛ م. شفيق، *المعجم*، ص 169.

E. Destaing, *Vocabulaire*, p. 160 - 161 ; E. Laoust, *Mots et Choses*, p. 409 ; E. Lévi-Provençal, *Documents*, p. 232 - 233 ; J. Berque, *Glossaire* ; R. Dozy, *Supplément* (1968), t. I, p. 53 - 54 ; *E. I.* (1975), t.I, p. 949-950 ;P. Pascon, *Haouz*, t. I, p. 211 n. 75.

صدقي علي إزايكو

البُحيرة، معركة جرت بين قوات الموحدين والمرابطين، خارج سور مراكش من ناحية الجنوب الشرقي، دامت أربعين يوما : ربيع الثاني - جمادى الأولى 524 / أبريل - ماي 1130، (*أخبار*، 39. 40).

تمثل هذه الأحداث خطة هجوم واضحة، وهو تحرك جديد في عمل الموحدين العسكري ضد العاصمة مراكش. فهل

توفر لمصامدة الأطلس ما شجعهم على نقل المواجهات إلى مركز ثقل المخزن المرابطي ؟

إن تصرفاً من هذا النوع كان يقتضي من جهة اتخاذ احتياطات أمنية دقيقة، وتوفر قوة مهيأة كَمًّا ونوعاً تسمح بالإقدام على عمل من هذا الحجم. ومن جهة ثانية معرفة دقيقة بالمقدورات العسكرية للطرف الآخر، قصد ضمان نسبة نجاح أكبر لتحقيق أهداف هذا العمل العسكري.

ويبدو أن الموحدين لم تغب عنهم هذه العناصر أثناء التهيىء لمعركة البحيرة. فالاحتياطات الأمنية تلاحظ من خلال :

- حماية حركتهم بعدما تم الاطمئنان إلى عدم وجود ما يفاجئها من الخلف.

- توقف هجمات المرابطين على الجبل.

- تصفية العناصر المناوئة والمشكوك في إخلاصها عن طريق التمييز.

أما الجانب الخاص بالقوة الموحدية فتظهر أهميته من جهة في اكتسابها خبرة عالية على مستوى التنظيم (*المعجب*، 188 ـ 191)، وتجربة عسكرية غنية مما ساهم في فعاليتها الاحتكاك بميدان صعب هو ميدان التضاريس الجبلية، ثم القرب من قاعدة وجود الخصم. ومن جهة ثانية تبدو قوة الموحدين في حجم المشاركة الكبيرة التي يوضحها الجدول التالي :

مؤشرات القوة التي شاركت في أحداث البحيرة

	إحصائيات		أوصاف ودلالات الكثرة	
	عدد المشاركين	مصدر	من خلال حجم المشاركة	مصدر
الموحدون	أكثر من 40.000	*نظم الجمان* * *الحلل* 114	مدة التمييز دامت 40 يوما	*أخبار*، 39. *أخبار*، 39. *المعجب*، 192 *الكامل*، 3، 302
			خروج الناس كافة للبحيرة.	
			المشاركة "بجيش عظيم"	
			المشاركة "بجيش كثيف"	
المرابطون	أكثر من 40.000 أكثر من 100.000	*نظم الجمان* * *الحلل* 114	المشاركة "بجيش ضخم" وصول الحشود والعساكر	*المعجب*، 192 *البيان*، 764

* ذكره ابن عذاري في *البيان*، 5 : 75 ـ 76 نقلا عن ابن القطان، ولا يوجد في النسخة المتداولة من كتاب *نظم الجمان*.

مما يستفاد من هذا الجدول أن المواجهات التي جرت بين الطرفين قبل معركة البحيرة كانت كلها لصالح الموحدين، وتكبد فيها جيش المرابطين خسائر بشرية كبيرة خاصة المواجهتين الأولى والثانية اللتين قادهما علي بن يوسف (*نظم*، 117). وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يتم اقتحام المدينة ؟.

إن معطيات واردة في مصادر أخرى تمكن من تلمس بعض عناصر الإجابة، إذ يبدو من خلالها أن اقتحام المدينة في هذه الفترة كان فيما يبدو أمراً صعباً، وذلك بالنظر إلى القدرة الدفاعية الهامة التي كانت تتوفر عليها والتي تلاحظ في جانبين بارزين هما :

1 ـ جانب معماري : يتجلى في السور ومكوناته من أبراج وأبواب وشرافات للمراقبة، ومواجهة الخصم عن بعد بواسطة فرق الرماة.

2 ـ جانب بشري : يتمثل في أهمية القوة العسكرية الموجودة بداخل المدينة "من الفرسان نحو أربعين ألفا، ومن الرجالة ما لا يحصي عددهم إلا خالقهم والغزاة كثير... يعني الرماة" (*الحلل*، 114 ـ 115).

ولعل في هذه القدرات ما يسهم في تفسير بعض أسباب تمكن المرابطين من أخذ زمام المبادرة في المواجهات وذلك بتطويل أمدها لإعطاء الفرصة لوصول النجدات،

مواجهات البحيرة

مصدر	توالي الهجمات	طبيعة الهزائم		مواجهات بارزة	هزائم محددة	
		مرابطون	موحدون		مرابطون	موحدون
أخبار المهدي	- *	-	-	01	00	01
نظم الجمان	+	-	-	02	01	01
البيان	+	-	-	03	02	01
الحلل	+	-	-	02	01	01

أما تقدير إمكانيات الطرف الآخر فأمر غير مستبعد لعدة اعتبارات، منها : تشتت قوات المرابطين على مناطق مختلفة من مجال سيادتهم خاصة في الأندلس التي شكلت إحدى نقط استنزاف هذه القوة. يضاف إلى ذلك وجود قوات محدودة بالمدينة لم يكن في مقدورها مواجهة الموحدين وهو ما تعكسه أهمية الاستغاثة بجنود وعساكر مناطق مختلفة من البلاد (*أخبار*، 40).

اختيار موقع القاعدة : لعل موقع البحيرة المقصود يوجد في النصف الجنوبي من الواجهة الشرقية لخارج المدينة حيث بحيرة الرقايق (*نظم*، 118).

إن الايجابيات التي يقدمها هذا الموقع لتبعد أي عنصر صدفة لنزول جيش المصامدة به، وذلك بالنظر إلى الامتيازات الحمائية والاقتصادية التي يوفرها.

امتيازات حمائية : ساهمت في ضمان المزيد من الأمن للمصامدة بفضل وجود عنصر حمائي طبيعي هو وادي اغزر (إسيل حاليا) الذي يفصل بين المدينة وموقع البحيرة. وفي هذا إمكانية إبعاد عنصر مباغتة جيش المرابطين للموحدين.

ولاستنزاف قوة الخصم قبل المواجهة الحاسمة، اعتمادا على خطة ترمي إلى كسب الوقت من خلال :

1 ـ تحصين المدينة بشكل قوي وتقوية الحرس الخاص بالسور والأبواب.

2 ـ استعمال الرماة بالخصوص لإبعاد خطر الموحدين عن أبواب المدينة وسورها.

3 ـ الدفع ببعض الفرق إلى خارج سور المدينة للمناوشة واختبار قوة الخصم بعد الاطمئنان إلى التغطية الأمنية للمدنية.

أمام هذه الوضعية الاستراتيجية التي لم تكن في صالح جيش المصامدة، من غير المستبعد أن هذا الأخير كان يراهن على المواجهة في مجال مفتوح، وهذا ما يفسر كون الحصار كخطة لم يقم به الموحدون، بل كان وسيلة نهجها فيما يبدو جيش المرابطين للوقوف ضد عدم التوازن في القوة، وإبعاد فرصة تحقيق نصر موحدي حاسم في هذه المواجهات.

الحصار : لا يكشف البيذق بوضوح عن مسألة الحصار، في وقت تؤكد أغلب المصادر التي تعرضت لأحداث البحيرة وجوده. فهل كان هناك فعلا حصار ضد هذه الأحداث ؟

إن مجموعة من القرائن التاريخية لا يستبعد معها كون الحصار كان فعلاً، من أبرزها سكوت البيذق نفسه عن أي عمل عسكري خلال الأربعين يوما السابقة لمعركة البحيرة.

المصادر التي ذكرت الحصار اعتبرته من صميم استراتيجية موحدية، وهو اعتبار مشكوك فيه جدا لسببين على الأقل :

ـ سكوت البيذق عن هذا العمل والاكتفاء فقط بإيراد كلمة "البقاء" المرتبطة بالانتظار.

ـ لو كان الحصار موحديا لاستوجب عزل المدينة عن خارجها، والبيذق يثبت بقاء التواصل بين المدينة والخارج زمن الحصار.

بناء على ذلك من غير المستبعد أن الحصار الذي عرفته المدينة في هذه الأحداث لم يكن واردا في تقديرات الموحدين، وإنما ظهر كإجراء طارئ في عمل المرابطين، يقوم على تحصنهم داخل المدينة، لعدم قدرة القوة المتوفرة لديهم آنذاك على مواجهة عساكر الموحدين بشكل يضمن الحسم لصالحهم. وذلك في انتظار وصول دعم المناطق الأخرى.

إذن فالحصار بالشكل الذي تم به، يتخذ صبغة الحصانة والحماية والتمنع ضد التهديد الخارجي المتمثل في هجوم عساكر المصامدة الذي تعرضت له المدينة، وبعد تراجعا تكتيكيا في استراتيجية المرابطين نظراً لعدم تكافئ قوى الطرفين المتصارعين. وهو صادر عن الطرف الأقل قوة بهدف الدفاع.

النتائج : جرت المعركة الأخيرة خلال نهار يوم واحد وانتهت لصالح المرابطين. ودون شك فإن ضراوة المواجهة كانت حاضرة اعتباراً لوجود ما يقوي ذلك خاصة كثافة جند الطرفين.

ولعل من أبرز انعكاسات هذا الوضع آنذاك أن صلى الناس صلاة الخوف وجمعوا بين صلاتي الظهر والعصر (*نظم*، 119).

وقد ترتبت عن هذه المعركة خسائر بشرية هامة كانت حصيلة جيش الموحدين فيها ثقيلة جدا. فإلى جانب ارتفاع نسبة القتلى، فقد الموحدون خمسة عناصر من مجلس العشرة الذي يشرف على قيادة الحركة وعلى رأسهم قائد الجيش في أحداث البحيرة، البشير الونشريسي (*المقتبس*، 23. 30. 31).

ولعل هذه الخسائر كانت ستكون أكثر فداحة لولا نزول أمطار قوية في عشية يوم المعركة وفرار ما تبقى من جيش الموحدين (*نظم*، 120).

يلاحظ أن البيذق لا يذكر شيئا عن خسائر المعركة. فمن ضمن خمس جمل خصصها لاختصار نتائج هذه المواجهة نجد جملة واحدة فقط فيها اعتراف بالهزيمة "وهزمونا بالعشية" وجملة ثانية ترد الاعتبار "ونجى الموحدون". ولعل الإشارة هنا تحيل إلى قول ابن تومرت "بقي الأمر" أي أمر الموحدين كحركة سياسية مقابل المخزن المرابطي (*البيان*، 4. 76). يضاف إلى ذلك ثلاث جمل بانطباع المحايد المتأسف وبالتعميم.

يبدو إذن أن هناك تسترا ما، فهل هو محاولة للتخفيف من فداحة الخسائر والتأكيد على سلامة حركة المصامدة ؟ لعل من مبررات ذلك :

ـ أسلوب الاختصار الشديد لنتائج البحيرة في وقت كان فيه المؤلف في وضع يسمح له بمعرفة دقائق أمور هذه المعركة.

ـ تغيب المصطلحات التي ترمز إلى الموحدين كحركة سياسية وذلك في حالة الهزيمة، وفي المقابل يتم إحضارها إذا كان الغرض يرمي إلى إثبات سلامتها أو انتصارها. يبقى التساؤل بعد ذلك عن أسباب تحول ميزان القوة لصالح المرابطين ؟

توحي مادة البيذق بما يمكن اعتباره أحد الأسباب وهو عدم تكافؤ قوة الطرفين الذي يلاحظ من خلال الجدول التالي :

قوة الطرفين من خلال مادة أخبار المهدي	
الموحدون	المرابطون
ـ خرج الناس كافة ـ اجتمع معنا 3000 ـ كان معنا أخلا إيلان	ـ عسكر هسكورة ـ عسكر صنهاجة ـ عسكر الغرب
⇓	⇓
كل قوة الموحدين المشاركة في البحيرة	قوة دعم فقط

وفي هذا ما يدل على أن الحصار قد حقق نتائجه. إذ من غير المستبعد أنه ساهم أيضا في استنزاف قوة

الموحدين. الشيء الذي يفسر المدة القصيرة للمعركة وهو نهار يوم واحد.

وأخيراً، فإن خطة المواجهة التي اتبعها جيش علي بن يوسف كانت ذات أهمية، حيث لعب فيها الرماة دوراً بارزاً ساهم في حسم المعركة لصالح المرابطين (*الحلل*، 115).

أ. البيذق، *القتبس*. ط الرباط 1971 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*. ت. محمود علي مكي ط بتطوان ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، ت. محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة 1949 ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، ت. أحمد التوفيق ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج 4، ت. احسان عباس، بيروت 1967 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، ت. سهيل زكار وعبد القادر زمامة.

محمد رابطة الدين

بُحَيْرة أمسنا، أشار ابن حوقل التاجر والرحالة العراقي إلى بحيرة على الساحل الأطلنتي سمّاها أريغ : "أصلها من البحر المحيط ـ صغيرة ترسى فيها المراكب الأندلسية التي تحمل غلات الناحية وفيها يركب أهل البصرة ويشحنون من نواحيهم وناحية بلد بياثة" (*صورة الأرض*، 81) منها من جهة الجنوب (مرحلة إلى مصب وادي سبو).

الإشارة الثانية وردت عند الحميري، يقول :"وبقربها (تشمس) بحيرة كبيرة تسمى أمسنا يصب فيها البحر سبعة أعوام وتصب فيه سبعة أعوام وينقطع البحر فيظهر فيها جزائر بينها غدران يتصيد فيها أنواع السمك" (*الروض المعطار*، 141) هذا الوصف نقله الحميري حرفياً عن *الاستبصار* (ص. 140)، فهل بحيرة أريغ هي بحيرة أمسنا ؟.

من خلال الإشارات الثلاث السابقة، يتضح أنها نفس البحيرة، فأصلها من البحر أو على الأصح اتصالها بالبحر عن طريق فتحات طبيعية. أما اختلاف الوصف في الكبر والصغر فهذا راجع إلى الاختلافات المناخية، إذ أن العهد الموحدي الذي عاش فيه صاحب *الاستبصار* كان أكثر أمطاراً من العهد الذي عاش فيه ابن حوقل (القرن الرابع (10 م). أما مسألة سبعة أعوام الواردة في نص *الروض المعطار* المنقول عن *الاستبصار* فلها علاقة بالأساطير والاعتقادات الدينية، فرقم سبعة له مكانة خاصة عند بعض المسلمين، وتفسير تبادل الماء بين البحيرة والبحر علمياً معروف اليوم ومرتبط بالمد والجزر وبوفرة الأمطار أو قلتها ونشاط التعرية والتبخر إلى غير ذلك من العوامل.

حسب البعد والمراحل التي قدمتها الإشارات السابقة فإن موقع بحيرة أمسنا اليوم هو نفس موقع بحيرة مولاي بوسلهام (أو المرجة الزرقاء) كما هو معروف في كتب الجغرافيا، طبعاً مع تغيير ناتج عن ظروف طبيعية وبشرية. فالمرجة الزرقاء أكبر من الأوصاف المقدمة آنذاك ويرجع كذلك إلى الأعمال التي أنجزت في فترة الاستعمار لاستصلاح سهل الغرب، وأهمها صرف مياه المستنقعات والمرجات التي تحول الرمال والتلال دون وصولها إلى البحر، تم صرفها إلى المرجة الزرقاء المتصلة بالبحر. بقي أن أشير إلى أن الاسم وتغيره مرتبط بطبيعة البحيرة ونشاطها في النقل في العصر الوسيط الأعلى أريغ، أما أمسنا فيفهم منها التسطح والانبساط لأن اسما مماثلا أطلق على السهل المجاور لسهل الغرب من الجنوب "تامسنا" وكلها أسماء زناتية، وقد خضعت هذه المناطق منذ تدهور الوجود الروماني بالمغرب وفي بداية العهد الإسلامي إلى زناتة.

عدم ذكر المصادر اللاحقة لهذه البحيرة لا يعني اختفاءها بل يعني فيما يعنيه إغفالا لها بسبب انحرافها عن الطرق الكبرى آنذاك ولا يصل إليها إلا من ركب البحر أو الأنهار. فالأوصاف الأولى عن المغرب الساحلي عند القدامى كانت انطلاقاً من المحيط.

أشار الحسن الوزان في *وصف إفريقيا* (233 . 236 . 237) في معرض حديثه عن منطقة الغرب (أزغار) والهبط إلى كثرة المرجات والمستنقعات لكنه لم يفصل الحديث عن إحداها، مع أنه أسهب في وصف بحيرة الجبل الأخضر بدكالة (*وصف افريقيا*، 128) فالسبب هنا بسيط، فبحيرة الجبل الأخضر شاهدها وأقام على ضفافها إلى جانب الملك الوطاسي، أما بحيرة أمسنا وغيرها من المرجات، فإنه لم يشاهدها لعدة اعتبارات منها وعورة المنطقة وتعدد مخاطرها (حمى المستنقعات، ووجود الأسد وقطاع الطرق والحروب والغزو البرتغالي...).

ابن حوقل، *صورة الأرض* ؛ أ. البكري، *المغرب*. 1911 و1965 ؛ ش. الادريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ ع. الحميري، *الروض المعطار* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*.

محمد حجاج الطويل

بَحيرة الصالحة ـ مراكش ـ تعرف أيضاً بجنان الصالحة. تقع خارج الواجهة الجنوبية لسور المدينة المرابطية، ومنها أخذ باب الصالحة اسمه باعتباره الباب المؤدي إليها. ولعل اسم الصالحة هو اسم لإحدى أخوات الأمير المرابطي علي بن يوسف (*Note*, 226).

أنشأ المرابطون هذه البحيرة ضمن مجموعة البساتين والجنان التي أقاموها حول السور داخل المدينة وخارجها. ولعلها أول إنجاز لهم في تشكيل المجال الفلاحي المسقي للمدينة، وإحدى العلامات الدالة على قيمة ما أنجزوه في ميدان هندسة المياه. فقد كانت لا شك تتوفر على مساحة واسعة جداً لدرجة أن مدينة بكاملها بنيت على جزء منها فقط. كما توفرت على تجهيزات مائية هامة من ضمنها صهاريج لجمع وتوزيع المياه (*Marrakech*, 1 - 88)،

وعلى جزء كبير منها بنيت المدينة المخزنية الموحدية في أواخر القرن السادس (12م) (*البيان* ـ قسم الموحدين ـ 174). وأضيف قبلها في الجنوب أيضا بستان المسرة، طوله ثلاثة أميال وعرضه قريب منه (*الحلل*، 145).

إن هذه المنجزات الفلاحية والمعمارية الهامة التي قام بها الموحدون في جنان الصالحة لتثير التساؤل حول اختيار هذا الموقع للأغراض السابقة، ألم يكن هناك قصد في محو ماخلفه المرابطون من منجزات بهذا المكان من مجال المدينة؟

وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه الأعمال لم تمنع من بقاء اسم بحيرة الصالحة ملتصقا بهذا الموقع كعنصر من مكونات ما عرف فيما بعد بأگدال، حيث ذكر نفس الجنان في القرن الثامن (14م) (*إثمد*، 1. 233. 234) وفي الثالث عشر (19م) (*الاستقصا*، 2 : 257) وما تزال إلى الآن. أكثر من ذلك فإنه بقي محفورا في ذاكرة أهل المدينة إلى زماننا هذا، ضمن تراثهم الشفوي الخاص بالأطفال، الكلام المسجوع الآتي : "أَجْرَادَ مَالْحَة، فين بَتّ سارْحة ؛ في جنان الصالحة، آش كَلْت واش شْرِبْت، غير التفاح والنفاح".

م. ابن عذاري، *البيان* ؛ ت. محمد ابراهيم الكتاني، *وآخرين* ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، ت. سهيل زكار وعبد القادر زمامة، البيضاء 1979 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 2 ؛ ابن تللات، *إثمد العينين*، ت. محمد رابطة الدين، ر. د. د. ع. الرباط سنة 1986 ؛ *أشغال الملتقى الأول حول مراكش* من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي، كلية الآداب، مراكش، 1988.

G. Deverdun, *Marrakech*, T. I ; A. Sarda, *Note sur Marrakech.*

بَحيرَة أبي مروان، ذكرت هذه البحيرة ضمن بحاير مراكش في أواخر القرن السادس (12م). والمرجح أن وجودها يعود إلى ما قبل هذا التاريخ. وهي تقع في شرق مراكش، ومن غير المستبعد أنها كانت داخل السور نظراً لوجود السكنى بها، ولعل موقعها يتحدد في المكان المعروف حاليا بتابحيرت (*التشوف*، 317).

مما تميزت به أنها كانت تحتضن مقر إقامة إحدى صوفيات مراكش المشهورة وهي منية بنت ميمون الدكالي (ت 595 / 1199) (*التشوف*، 316. 317).

لا ندري من هو أبو مروان الذي تنسب إليه، وتبقى البحيرة الثانية التي تنسب إلى شخص إذا ما تأكد أن بحيرة الصالحة تنسب لأخت الأمير المرابطي علي بن يوسف (*Note* : 226).

ي. ابن الزيات، *التشوف*، ت. أحمد التوفيق، البيضاء 1984 ؛ *أشغال الملتقى الأول حول مراكش* من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي، كلية الآداب ـ مراكش 1988.

A. Sarda, *Note sur Marrakech et l'agriculture du Haouz des Almoravides aux Almohades.*

محمد رابطة الدين

البخاري (صحيح ـ) في المغرب، ويسمى أيضاً *الجامع الصحيح* لأمير المومنين في الحديث محمد بن إسماعيل البخاري (ت. 256). يحتل هذا الكتاب عند المسلمين، لما اشتمل عليه من صحاح أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، المكانة الثانية بعد القرآن الكريم كلام الله القديم. وقد روى المغاربة والأندلسيون *الجامع الصحيح* عن مؤلفه الإمام من طريقين : إبراهيم النسفي (ت. 295) ومحمد الفربري (ت. 320) اللذين يرويانه عن شيخهما البخاري. واشتهر في المغرب سرد *صحيح البخاري* تبركاً، وختمه في رمضان، سواء في الحواضر والبوادي إضافة إلى تدارسه وتفهمه. وأقدم المحدثين المغاربة المعروفين من رواة *صحيح البخاري* أربعة رووه عن أبي ذر الهروي المالكي المكي (ت. 434 هـ) الذي يتصل سنده بالفربري تلميذ البخاري. وهم أبو بكر بن محرز السجلماسي (ت. 413)، ويوسف بن حمود خلف الصدفي السبتي (ت. 428)، وأبو عمران الفاسي (ت. 430)، وبكار ابن الغرديس الفاسي ثم السجلماسي (ت. بعد 492).

ويعد ابن الغرديس أول من اشتهر عنه *صحيح البخاري* بالمغرب لأنه عمّر نحو مائة سنة حتى انفرد بروايته، وأخذه عنه خلق كثير، أشهرهم، علاوة على الأندلسيين، يوسف ابن الملجوم الفاسي (ت. 492) ومحمد ابن الصيقل الشاطبي الفاسي (ت. 500) وإبراهيم بن فرتون السلمي الفاسي (ت. 538)، وأبو القاسم ابن ورد التميمي (ت. 540) وعيسى بن يوسف ابن الملجوم الفاسي (ت. 543).

وعرف المغرب، إلى ذلك، خلال القرون الهجرية الخمسة التالية (من أواخر القرن الخامس إلى العاشر) روايات أخرى *لصحيح البخاري* عن طريق الفربري والنسفي، وتميز في هذا المضمار مركزان أساسيان هما سبتة وفاس.

ففي سبتة اشتهر عدد من المحدثين رواة *صحيح البخاري*، في طليعتهم القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت. 544) صحح نسخته من *صحيح البخاري* على أصل الامام عبد الله بن إبراهيم الأصيلي بخطه وعارضها بها حرفاً حرفاً، كما عارضها بأصل عبدوس الطليطلي وقابل بها مواضع إشكال من نسخته. وأبو الحسن الشاري (ت. 649) كان يعقد مجلساً لإقراء *صحيح البخاري* بالجامع الأعظم من سبتة، ويُحضر وقت القراء أصولا عتيقة منها أصل عبد الله الأصيلي، وأصل أبي القاسم بن ورد والقابسي وغيرها. وعبيد الله بن أبي الربيع السبتي (ت. 688) وأبو علي الحسين ابن أبي الشرف السبتي (ت. 702) اللذان تتعد طرق رواياتهما *للصحيح* عن أبي ذر الهروي وغيره. والرحالة محمد بن رشيد السبتي (ت. 721) الذي حمل من تونس أصل أبي الحسن بن النعمة العتيق المسموع عن أبي ذر بعد أن رواه هناك. وعبد المهيمن الحضرمي السبتي (ت. 749) الذي يروي *صحيح البخاري* عن بلديه ابن أبي الشرف بأسانيده المشار إليها آنفاً.

وفي فاس اشتهر كذلك عدد من المحدثين رواة *صحيح البخاري*، منهم أحمد اليفرني الشهير بالمكناسي (ت. بعد 800) مؤلف *شرح غريب البخاري* حيث يذكر من مصادره تعاليق أبي علي الغساني على أصله من البخاري المكتوب بخطه. ولا يبعد أن يكون أصل الغساني معتمداً في فاس قبل شيوع نسخة ابن سعادة التي سنتحدث عنها فيما بعد.

الأصول الباقية بالمغرب من *صحيح البخاري* حسب التسلسل التاريخي للرواية :

1 ـ المجلد الأول من *صحيح البخاري* بخط عبد المهيمن ابن حرز التميمي عام 698، وهو منقول ومقابل بأصل أبي الحسن ابن مغيث القرطبي المعروف باب الصفار (ت. 532) المكتوب بخط أبي عمر الطلمنكي (مخطوط، خ. الجامع الأعظم بتازا). مع قطعة من *صحيح البخاري* تشتمل على أوراق من السفرين الرابع والخامس بخط علي بن غالب ابن حزمون الكلبي فرغ منه في 12 شوال عام 535 بمدينة باغة الأندلسية. انتسخه من أصل قويل بأصل محمد ابن عتاب المنقول بخطه من نسخة الإمام عبد الله الأصيلي. (مخطوط، خ، ابن يوسف بمراكش رقم 301).

2 ـ السفر الأخير من *صحيح البخاري* ابتداء من أواخر كتاب الأدب كتب في غرة رمضان عام 490، انتسخه لنفسه محمد بن عبد الله بن أحمد ابن القاضي من كتاب قويل بكتاب الإمام عبد الله الأصيلي (مخطوط خزانة المعهد الأصيل بتارودانت).

3 ـ الاسفار الثلاثة الأولى من *صحيح البخاري* سماع أبي بكر بن أبي محرز السجلماسي من أبي ذر الهروي بمكة في المسجد الحرام عام 413 (مخطوط، خ ح رقم 4330).

4 ـ السفر الرابع التابع للأسفار الثلاثة السابقة (السادس حسب التجزئة الأصلية) من *صحيح البخاري* سماع أبي القاسم مضر بن الحباب النفزاوي من أبي ذر الهروي بمكة في المسجد الحرام سنة 413 (مخطوط، خ. ح رقم 4330).

5 ـ نسخة عشرينية من *صحيح البخاري* كتبها بفاس أحمد بن أحمد بن علي ابن سودة وانتهى من نسخها في ربيع الثاني عام 1029. وهي من رواية محمد ابن منظور عن أبي ذر الهروي (مخطوطة تامة في خزانة تمگروت رقم 312).

6 ـ السفر الأول من *صحيح البخاري* في نسختين بخط مغربي من رواية علي بن المفرج الصقلي عن أبي ذر الهروي (مخطوطة خزانة تمگروت رقم 1431 و1451).

7 ـ نسخة من *صحيح البخاري* في مجلد ضخم بخط أندلسي دقيق مدموج مليح مكتوب بالمداد الباهت مع تلوين عند الاقتضاء بالأحمر والأزرق والذهب المصور بالمداد على ورق متين عتيق. كتب في الرابع من جمادى الثانية عام 825. قوبلت بالأصل المكتوب بخط أبي علي الصدفي (ت. 514) المنقول من نسخة أبي الوليد الباجي (مخطوط، خ. ح رقم 5053).

8 ـ أصل أبي ذر الهروي من *صحيح البخاري* الذي استجلبه إلى المغرب الأمير المرابطي ميمون بن ياسين الصنهاجي اللمتوني (ت. 530) عندما ذهب إلى الحج عام 497. وذلك بعدما سمعه بمكة المكرمة من أبي مكتوم عيسى بن أبي ذر الهروي عن أبيه، وابتاع منه أصل أبيه بخطه. وقد رواه عن ميمون كثير، منهم أبو بكر ابن خير الإشبيلي. كانت قطعة من هذا الأصل معروفة في خزانة ابن يوسف بمراكش ثم اختلطت مع مر الزمن ضمن المخروم.

9 ـ نسخة القاضي عياض من *صحيح البخاري* من روايته عن أبي علي الصدفي ظلت معروفة بالمغرب حتى النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، كانت عند محدث فاس إدريس العراقي (ت. 1183 / 1769) ومن هذا التاريخ اختفى خبر هذه النسخة بالمرة.

10 ـ الجزآن الأولان وبعض الثالث من *صحيح البخاري* في مجلد ضخم يبدو أنه من أصل أحمد ابن الحطيئة الفاسي ثم المصري (ت. 560) من طريق أبي ذر الهروي، مكتوب بخط شرقي نسخي مليح عتيق مقابل مع تتميمه في بعض المواضع بخط مغاير عار عن تاريخ النسخ واسم الناسخ. هوامش النسخة كلها تكاد تكون مملوءة بالتعليقات الشارحة بخط مباين فضلا عن تعليقات المقابلة والسماع. وقد دخلت هذه النسخة إلى المغرب حديثاً نحو عام 1358، وهي محفوظة بالخزانة الأحمدية بفاس.

وهناك سفر أول من *صحيح البخاري* منتسخ من أصل أحمد ابن الحطيئة بخزانة تمگروت (مخطوط رقم 1437).

11 ـ نسخة ابن سعادة من *صحيح البخاري* التي اعتُمدت في المغرب منذ القرن العاشر الهجري، وقال عنها محمد العربي الفاسي في *مرآة المحاسن* (ص 50) :"وهذا الأصل أجلُّ الأصول الموجودة بالمغرب"، وهي منسوبة إلى موسى ابن سعادة البلنسي ثم المرسي (ت. 522) كتبها مجزأة في خمسة أسفار وفرغ من تعليقها في العشر الأخير من ذي القعدة عام 492. وقد انتسخها من أصل شيخه وصهره أبي علي الصدفي المكتوب من نسخة محمد بن علي بن محمود المقروءة على أبي ذر الهروي وعليها خطه. وقد طاف الصدفي بأصله من *صحيح البخاري* في الأمصار وسمعه وقابله على نسخ شيوخه بالعراق ومصر والشام والحجاز والأندلس. وكتب الصدفي بخطه على أول السفر الثاني من نسخة ابن سعادة تصحيح سماع تلميذه لسائره عنه بتاريخ ربيع الأول عام 493.

وقد تداول المحدِّثون نسخة ابن سعادة في القرون التالية وكتبوا عليها سماعاتهم وتصحيحاتهم بالأندلس والمغرب. وأقدم ذكر لها معروف في المغرب يرقى إلى أوائل القرن التاسع حيث تمت مقابلة نسخة من *صحيح البخاري* بأصل ابن سعادة قراءة على محمد بن يحيى السراج بمسجد إمامته من زنقة حجامة بفاس في مجالس وهو يمسك أصل ابن سعادة إلى أن كمل أواخر ربيع الثاني عام 836 (مخطوط، خ. ح رقم 9576). ثم وقعت معارضة نسخة خماسية من *صحيح البخاري* بأصل ابن سعادة كتبت عام 838 برسم خزانة الوزير علي بن يوسف الوطاسي (مخطوط خزانة ابن عاشور بتونس) وأخرى في ثلاثين جزءاً صححت عليها في رجب عام 846 (مخطوط خزانة تمگروت رقم 312). ومن ثم يختفي ذكر نسخة ابن سعادة إلى نهاية القرن العاشر، حيث تعود للظهور وتذكر بانتظام ويتأكد وجودها كاملة في خزانة القرويين بفاس. وانتسخ منها فرع خماسي لأبي المحاسن الفاسي (ت. 1013) بخط محمد بن

علي السّري الفاسي. فصارت القراءة فيه عند سرد *صحيح البخاري* في رمضان بمجلس الشيخ أبي المحاسن، مع معارضته بأصل ابن سعادة عند القراءة، فكان الحافظ أحمد ابن يوسف الفاسي يتولى سرد الفرع بينما يمسك عمه عبد الرحمان العارف الأصل الأندلسي، وتعددت هذه المقابلة مرات.

أصبحت نسخة أبي المحاسن الفاسي تعرف في فاس "بالشيخة" لوفرة المنتسخات منها مباشرة أو بواسطة، ولكثرة تداول المحدّثين لها واعتمادهم عليها (مخطوط النسخة الشيخة تام عند أبناء السفير الحاج الفاطمي ابن سليمان، ومنها ميكرو فيلم في خ.ع رقم 736). أما نسخة سعادة الأصلية فلم يبق منها إلا الأجزاء 2 و4 و5 (خ. ع رقم 1333 د) وجدد السفر الأول الضائع بأمر السلطان محمد الرابع بخط محمد الهادي الفاسي عام 1285 (خ. ع رقم 1332 د) وأما السفر الثالث بخط ابن سعادة فاستعاره المستشرق ليفي بروفنصال ليصوره فمات وبقي عنده. وكان هذا المستشرق قد نشر بباريز سنة 1347 / 1928 السفر الثاني من نسخة ابن سعادة بالتصوير مع مقدمة بالعربية بعنوان *التنويه والإشادة بمقام رواية ابن سعادة* للمحدث عبد الحي الكتاني، وأخرى بالفرنسية للناشر.

ومن الفروع المنتسخة من النسخة "الشيخة" *لصحيح البخاري* :

- نسخة محمد ميارة الفاسي (ت. 1072 / 1662) في أربعة أسفار (خ. ع رقم 662 ج).
- نسخ عبد القادر بن علي الفاسي (ت. 1091 / 1680). وكان ينسخ *صحيح البخاري* كثيراً، ويرغب الناس في النسخ التي بخطه، وهي عديدة بالخزائن العامة والخاصة منها مخطوطات بخزانة الزاوية الحمزاوية، ومشهد أبي يعزي، وجامع القصبة بالصويرة. والجامع الكبير بمكناس زيادة على خزائن الجزائر وباريس.
- نسخة محمد بن علي الحريشي الفاسي (ت. 1102 / 1690) (خ. ع أرقام 444 د و509 د و1865 ك).
- نسخة محمد المهدي بن أحمد الفاسي (ت. 1109 / 1597) كانت موقوفة على مسجد زقاق الماء بفاس واختفت.

بالإضافة إلى نسخ أحمد بن العربي ابن سليمان الفاسي، وأحمد بن قاسم حبوس الفاسي، ومحمد بن محمد الدلائي، وأحمد بن عبد القادر الفاسي، ومحمد محمود الصقلي، وعبد العزيز بن محمد الحلو وابنه محمد الحلو، ومحمد الفضيل الإدريسي الشبيهي الزرهوني. وهي موزعة في المكتبات العامة والخاصة داخل المغرب وخارجه.

12 - النسخة اليونينية من *صحيح البخاري*، نسبة إلى القائم بتصحيحها على روايات البخاري علي بن محمد الهاشمي اليونيني اللبناني الحنبلي (ت. 701) وهي آخر الروايات ظهوراً بالمغرب، استجلبها من الشرق أحمد بن الشيخ محمد ابن ناصر الدرعي (ت. 1129 / 1717). وقد اشترى من مكة فرعاً من هذه الرواية من 528 ورقة في عشرة أجزاء بخط شرقي واضح مليح وقع الفراغ من انتساخها تجاه الكعبة يوم الجمعة لسبع خلون من ذي القعدة عام 1117 بخط إبراهيم المكي بن علي القيصري الحنفي، منقوله من الأصل اليونيني مباشرة بخط محمد بن عبد المجيد بن زيد في 28 رمضان عام 669. (الفرع اليونيني مخطوط في خ. ع رقم 481 ق).

وهناك نسخة من هذا الفرع اليونيني في ثلاثين جزءاً (باعتبار جزء لكل يوم من رمضان) ندب لانتساخها أحمد ابن ناصر الدرعي عام 1138 بخط محمد بن محمد بن محمد حجي الفاسي (خزانة تمگروت رقم 949) وبها كان يقرأ *صحيح البخاري* في رمضان بالزاوية الناصرية بتمگروت. وهناك نسخة يونينية أخرى مبتورة بخط شرقي في مجلدين (خ. ح رقم 10806).

عياض، *المدارك* ؛ *المشارق* ؛ *فهرس الفنية* ؛ ابن خير الاشبيلي، *فهرس* ؛ ابن بشكوال، *الصلة*، نشر العطار ؛ مجهول، *مقدمة المورد الأحلى*، ت. م إبراهيم الكتاني، مجلة معهد المخطوطات العربية، نونبر 1958؛ ي.الحموي، *معجم البلدان* ؛ ابن الفرضي، *تاريخ علماء الأندلس*، ط. مصر ؛ عيسى الرعيني، *برنامج الشيوخ*، ط. دمشق؛ ابن الآبار، *المعجم في أصحاب الصدفي* ؛ *التكملة*، ط. مجريط ؛ أ. ابن خلكان، *وفيات الأعيان* ؛ م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، السفر الخامس - بيروت ؛ وجزء الغرباء ؛ أ. ابن الزبير، *صلة الصلة* ؛ م. ابن أبي الربيع السبتي، *برنامج*، ت. عبد العزيز الأهواني، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد 1، 1-2 ؛ م. ابن رشيد السبتي، *الرحلة ملء العيبة*، مصور ؛ أبو القاسم ابن الشاط السبتي، *الإشراف على أعلى شرف في التعريف برجال البخاري*، مخطوط ؛ تاج الدين السبكي، *طبقات الشافعية الكبرى* ؛ م. ابن حجر العسقلاني، *مقدمة فتح الباري* ؛ *الدرر الكامنة* ؛ أحمد البلوي الوادي آشي، *ثبت الشيوخ*، مصور مخطوط ؛ ج. السيوطي، *بغية الوعاة* ؛ م. ابن غازي، *فهرس التعلل برسوم الاسناد*، ت. الباهي التونسي ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ *درة الحجال* ؛ عبد الرحمان الفاسي العارف، *تشنيف المسامع ببعض فرائد الجامع*، ط. حجرية بفاس ؛ أ. المقري، *نفح الطيب* ؛ *أزهار الرياض* ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن* ؛ ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب* ؛ م. المحبي، *خلاصة الاثر*، القاهرة، 1284 / 1867 ؛ م. بن عبد الرحمان الفاسي، *فهرس المنح البادية في الأسانيد العالية*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ *الاكليل والتاج*، مخطوط. ر.د.د. ع الرباط 1989 ؛ س. الحسوات، *البدور الضارية*، مخطوط ؛ م. ابن عبد السلام الناصري، *المزايا*، مخطوط ؛ مح. ابن الحاج، *نفحة المسك الداري لقارئ صحيح البخاري*، ط. الحجرية بفاس ؛ يحيى البكري الجراري السوسي، *فهرس ضوء المصباح في الأسانيد الصحاح*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط. الرباط ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس* ؛ *التنوية والإشادة بمقام رواية ابن سعادة*، ط. باريس.

محمد المنوني

البخاري، (عبيد -) هم جيش السود الذي أسسه مولاي إسماعيل، ولقبوا بعبيد البخاري لأنهم أقسموا

بصحيح *البخاري* على أن يخلصوا إلى السلطان وبقوا يحتفظون بالنسخة التي أقسموا عليها، يقدمونها أمامهم في كل حركاتهم. وإذا كانت تفسيرات المؤرخين للأسباب التي دفعت مولاي إسماعيل إلى اللجوء إلى جيش من العبيد، متعددة ومختلفة، كالصعوبة التي لاقاها مع أهل المدن والبوادي لمده بالحراك، وخصوصا مدينة فاس والمناطق الجبلية، وكقصة أبي حفص عمر الملقب بعليلش الذي كان أبوه كاتبا للمنصور السعدي وأبنائه حيث قيل إنه أطلع السلطان مولاي إسماعيل على ديوان عبيد المنصور موحيا إليه بفكرة جمعهم من جديد، فالشيء المؤكد هو أن مولاي إسماعيل بدأ منذ السنة الثانية لتوليه الملك، بعد استيلائه على مراكش، في جمع السود والحراطين. ويغلب على الظن أن مولاي إسماعيل بدأ يجمع سلالة العبيد الذين كانوا في جيش المنصور، إذ يظهر من الصعب أن نتصور أنه كانت هناك بقية من هؤلاء العبيد، كما يؤكده كاتب مولاي إسماعيل ووزيره أبو العباس اليحمدي، للفارق الزمني الذي يفصل بين عهد المنصور وعهد مولاي إسماعيل والذي يناهز قرناً من الزمن. وقد يكون عززهم بالسود الذين أتى بهم أمير إليغ من تنبكتو، وكذلك بالسود الذين جاء بهم ابن أخ السلطان من السودان سنة 1083 / 1672 والسود الذين كانوا في المغرب عبيدا وأحراراً.

وعلى كل حال بدأت عملية جمع عبيد البخاري في مراكش وأحوازها وقبائل الدير ثم تعممت في مجموع المغرب حيث قام مبعوثو السلطان معززين بقواد القبائل وعمال المدن بجمع السود ذكورا واناثا، إما بشرائهم إذا كانوا عبيداً أو بأخذهم مجاناً إذا كانوا أحراراً. فأبو عبد الله بن محمد العياشي المكناسي مثلا جمع كل السود في قبائل الغرب وبني حسن. كما جمع عبيد فاس ومكناس، وعبيد الهبط وعبيد تامسنا ودكالة حتى لم يبق عند أحد عبد ولا أمة، وكان هؤلاء السود في الأول يساقون إلى مكناس حيث تعطى لهم الكسوة والسلاح، ومنها إلى المحلة من مشرع الرملة، ثم صاروا يرسلون مباشرة إلى مشرع الرملة الذي يقدر موقعه من طرف بعض المؤرخين بين مكناس وسلا في نواحي تيفلت، في حين حدده البعض في نواحي سيدي يحيى الغرب معتمدين في ذلك على كلام الزياني الذي يقول إن محلة مشرع الرملة تعرضت لنهب بني حسن الغرب حوالي عام 1161 / 1748، وكذلك على آثار بنايات بالآجر تدل على وجود معسكر كبير فيما سبق بقرب سيدي يحيى الغرب، وغالب الظن أنه وجد معسكران للعبيد أحدهما في الطريق الرابطة بين مكناس وسلا ومن الراجح أن تكون هي المحلة الأولى، والآخر بناحية سيدي يحيى الغرب.

وقد قدر العبيد الذين جمعوا باثنى عشر ألفا، منهم ألفان من تامسنا، وألفان من دكالة أُنزلوا في الأول بوجه عروس من أحواز مكناس، إلى أن بنى مولاي إسماعيل قصبة أدخسان فأرسل إليها عبيد دكالة وأرسل عبيد تامسنا إلى زاوية الدلاء. زيادة على ألفي حرطاني قد يكون مولاي إسماعيل رجع بهم من حملته على شنقيط عام 1089 / 1678. وقد تزايد هذا العدد باستمرار طوال عهد مولاي إسماعيل، إما عن طريق تجنيد السود الذين كانت تأتي بهم القوافل بانتظام كل سنة من السودان، أو بجمع كل السود والحراطين الذين كانوا لايزالون إما في ملك الخواص أو مفرقين في القبائل إذ أصبح من المحظور على أي كان أن يتملك عبدا أسود، أو عن طريق التناسل إذ منذ البداية ظهرت واضحة إرادة مولاي إسماعيل في جعل العبيد الذين جمعوا في مشرع الرملة أداة للإنجاب إلى جانب دورهم العسكري الاحتياطي حيث كان يعقد لهم على الإماء قبل أن يرسلهم إلى المحلة.

وفي سنة 1100 / 1688 . 1689 تسلم السلطان أول دفعة من هذا الانتاج البشري حينما زار محلة مشرع الرملة ونقل كل الأطفال البالغين عشر سنوات إناثا وذكورا إلى مكناس ليتربوا في ظل قصره منذ نعومة أظفارهم ويهيأوا للمهمة التي كان المولى إسماعيل يؤهلهم لها، بعيدين عن كل التأثيرات الخارجية.

فقد كان الأطفال الذكور يفرقون على أصحاب مختلف الحرف ليتعلموا لمدة ثلاث سنوات كل ما يتعلق بفن البناء من نجارة وصناعة الآجر وزليج وقرميد وضرب ألواح الطابية (المقدار) ثم يتلقون بعد ذلك، ولمدة ثلاث سنوات أخرى، تداريب عسكرية مكثفة يدخلون بعدها الحياة العسكرية بعد أن يزوجهم السلطان من الإماء اللواتي يكن تدرين في قصره على أعمال المنزل، ويولي عليهم قواداً من أكابر عائلاتهم، ثم يفرقون على مختلف القصبات أو يرسلون إلى محلة مشرع الرملة.

ومن خلال نوعية هذه التداريب والعدد الهائل الذي عمل المولى إسماعيل على جمعه تظهر جليا الغاية من تأسيس هذا الجيش، فهو لم يكن يرمي فقط إلى تكوين حرس خاص به وبقصوره المتعددة، أو نخبة عسكرية يكل إليها المهام الصعبة، على غرار المسيحيين والعلوج الذين كانوا داخل الجيش المرابطي والموحدي مثلا، بل كان بالإضافة إلى كل هذا، يسعى لتكوين قوة عسكرية دائمة بعيدة عن التقلبات والأحلاف القبلية تقيم باستمرار وبأعداد كافية في كل أنحاء البلاد لفرض احترام السلطة المركزية، وهكذا نجد مولاي إسماعيل كلما أخضع منطقة بنى بها قلعة ووطن فيها عددا من العبيد بنسائهم وأطفالهم.

وهذه السياسة بدأ فيها السلطان حتى قبل أن يعطي مشرع الرملة أول نتاجه، واتسعت بتزايد عدد العبيد.

ففي سنة 1096 / 1685 اتجه مولاي إسماعيل نحو ملوية عبر صفرو وفي طريقه بني تسع قلاع وأنزل بكل قلعة منها أربعمائة من العبيد بخيلهم ونسائهم. وتعممت هذه العملية حيث أحاط المغرب سياج من القلاع يقدر بأربع وسبعين على طول كل الطرق سواء الساحلية أو الداخلية التي تصل

العاصمة بمختلف جهات المملكة كسلسلة قلاع الدير التي كانت تحرس السهل، والطريق بين مراكش ومكناس وسلسلة القلاع الممتدة من قصبة مديونة إلى مكناس سواء عن طريق الساحل عبر سلا أو من الداخل عبر غابة بن سليمان أو عن طريق سيدي بطاش والرماني وضاية الرومي وطريق قصبة تادلا والدير.

كل هذه القلاع كانت تذكّر القبائل بوجود المخزن وتذكرها كذلك بوجوب أداء الزكوات والأعشار خصوصا وأنها كانت ملزمة بدفعها مباشرة لها، وملزمة كذلك بالسهر على خيل عبيدها.

وسواء كان عدد جيش العبيد قد بلغ مائة وخمسين ألفا كما يؤكد المؤرخون المغاربة أو كان مبالغا فيه كما يستنتج بعض المؤرخين الأوربيين الذي يقدرونه بثمانين ألفا، فإن الشيء المؤكد هو أن جيش العبيد صار له ثقل سواء من ناحية العدد أو من ناحية القدرة العسكرية، الأمر الذي غير العلاقات التقليدية بين المخزن والرعية. فقد استطاع مولاي إسماعيل بفضل هذه القوة على الخصوص، أن يقضي على التمرد التقليدي للقبائل، وأن ينزع منها السلاح والخيل ويحصر نشاطها في العمل الفلاحي ويجعلها تؤدي الضرائب التي ارتفعت ولا شك بارتفاع عدد العبيد ومتطلبات كسوتهم ونفقاتهم، حتى إن جباة المملكة جروا ذيول الظلم على الرعية، فأكلوا اللحم، وشربوا الدم، وامتصوا المخ، ولم يتركوا للناس لا دينا ولا دنيا، كما يقول الشيخ اليوسي في *رسالته* الشهيرة إلى مولاي إسماعيل. وقد يكون نزع السلاح وارتفاع الضرائب من الأمور التي جعلت العلماء والقضاة، وخصوصا علماء فاس قضاتها، يتعصبون في موقفهم من قضية تجنيد العبيد، التي طلب منهم مولاي إسماعيل الفتوى فيها مرتين، في سنة 1108 / 1697 وفي سنة 1121 / 1709، إذ أن تفسير هذا الرفض بتشبث العلماء والقضاة بحكم الشرع فيما يخص تملك السود والحراطين، وبالدفاع عن حقهم في الحرية، يظهر تفسيرا غير تام، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن السود المسجلين في ديوان الجيش لم يكن ينطبق عليهم كلهم قانون العبيد، فقد كانوا يقسمون إلى ثلاث فئات : فئة الأرقاء الخلص وفئة الأحرار الخلص، وفئة بينهما، وإن هؤلاء العبيد كانوا يتمتعون برعاية وحماية خاصة من طرف مولاي إسماعيل جعلتهم في كثير من الأحيان فوق الخواص والعلماء كما أن مولاي إسماعيل أعطاهم حق تملك الأرض كالأحرار.

وقد استطاع مولاي إسماعيل أن يجعل من جيش العبيد قوة منظمة ومدربة سخرها لأغراض المخزن، وفي مقدمتها نشر الأمن في مجموع البلاد وتوسيع رقعة حكم المخزن والدفع بحدودها إلى تخوم السودان في الجنوب ونواحي تلمسان في الشرق، واستطاع طوال ملكه أن يتحكم في هذه القوة الهائلة التي كانت مجبرة على الإخلاص له لأنها كانت تستمد منه وحده وجودها وقوتها، كما أنه لم يتم لها فرصة الاستبداد إلا بأوامره، وإعطائها كل الوسائل لتكون قوة عسكرية دون أن تصير قوة سياسية.

وقد بقي هذا الجيش عنصراً للمحافظة على النظام في ظل سلطة مركزية طالما بقيت موحدة في شخص مولاي إسماعيل، ولكنه أصبح عنصراً من عناصر الفوضى والاستبداد حينما تشتتت هذه السلطة بعد وفاة السلطان.

فسياسة المولى إسماعيل في التأطير العسكري للبلاد، والتحكم في الطرق والهجرات والتحركات القبلية، والقضاء على قوتها العسكرية بنزع الخيل والسلاح، تركت السلاطين من بعده وجها لوجه مع القوة العسكرية المتمثلة على الخصوص في العبيد والأوداية.

وقد دخلت علاقة السلاطين العلويين مع جيش العبيد في حلقة مفرغة لمدة تناهز ثلاثين سنة. فالعبيد انقطعت عنهم الزكوات والأعشار التي كانت القبائل تؤديها لهم، وبدأوا يتعرضون لانتقامها، ففارقوا قلاعهم وخرجوا حتى من مقرهم مشرع الرملة، ناشرين الرعب والنهب في الطرق، وبين القبائل والمدن متجهين نحو فاس ومكناس، لجعل قوتهم في خدمة سلطان من أبناء مولاي إسماعيل يجزل لهم العطاء، ويتخذونه درعا يحميهم من انتقام السكان.

كما أن السلاطين كانوا في حاجة لمساعدة العبيد للاستيلاء والبقاء على العرش، ولإخماد الفتن، واستخلاص الضرائب. ولكن سلاطين هذه الفترة وجيش العبيد رغم حاجة كل طرف لقوة الآخر، كان كل طرف يسعى لإضعاف الطرف الآخر حتى يضمن طاعته، وقد وجد العبيد في تنافس أبناء المولى إسماعيل على الملك وسيلة لذلك، إذ توالى على العرش في مدة ثلاثين سنة تقريباً، سبعة سلاطين كلهم بايعهم العبيد، ثم نقضوا بيعتهم، فالمولى أحمد الذهبي مثلا، بايعه العبيد مرتين ونقضوا بيعته مرة، والمولى عبد الله الذي تسلطن أربع مرات وخُلع ثلاث مرات بايعه العبيد سبع مرات وخلعوا طاعته ست مرات.

أما السلاطين فقد كانوا مضطرين لاستعمال جميع الوسائل للحصول على المال الذي يرضي العبيد ويضمن مساندتهم، فالمولى علي ابن إسماعيل الملقب بالأعرج الذي بويع سنة 1141 وخلع في 1149 قام في بحثه عن المال الذي ينفقه على العبيد بالقبض على أم السلطان عبد الله بن إسماعيل خناثة بنت بكار، وامتحنها لاستخلاص ما بيدها من المال. والسلطان محمد بن إسماعيل المعروف بابن عربية لجأ إلى استخراج الحبوب والأموال من دور أهل مكناس غصبا، والاستيلاء على الحبوب التي كان أهل البادية يدخلونها للمدن لبيعها، وضرب الحصار على أهل فاس، وقبض على عدد كثير من أثريائهم وقتلهم واستصفى أموالهم. والسلطان المولى المستضيء الذي بويع سنة 1151 م وخلع في 1152 بعد أن استنفد كل الوسائل لجمع المال الذي يرضي به العبيد، قام بنهب ما بقي في المخازن الإسماعيلية حيث استخرج الحديد والكبريت وملح البارود، واقتلع كل

ما في القصر الإسماعيلي من نحاس وحديد وباعه لأهل الذمة وألزمهم بأداء ثمنه وأنزل المدافع النحاسية وكسرها وضربها نقوداً، وامتحن تجارفاس بالسجن حتى افتدوا أنفسهم بالمال وصادر أموال أشراف فاس. ولكن كل هذه الوسائل لم تكن كافية لأداء نفقات العبيد وضمان تأييدهم، فكان السلاطين يلجأون في كثير من الأحيان إلى الاستعانة بالقبائل لتكسير شوكة العبيد، خصوصا منهم قبائل الجيش كالأوداية وبعض القبائل البربرية وهذا ما كان يسميه مولاي عبد الله بسياسة "ضرب التيس الأسود بالكبش الأبيض".

وقد خرج جيش العبيد من هذه الفترة ضعيفاً لأنه تعرض لانتقام جميع الأطراف سواء منها القبلية أو السلطانية، فمولاي عبد الله وحده قتل أثناء عهود ملكه المتعددة والمتقطعة، ما يناهز ألف عبد، كما أن كثيراً منهم حينما انقطعت عنهم الزكوات والأعشار، خرجوا من القصبات، وتفرقوا بين القبائل التي كانوا ينتمون إليها في الأول. واستمر عددهم وقوتهم في التناقص خصوصاً وأن تزايدهم لم يبق إلا عن طريق التناسل، إذ لا يوجد ما يدل على أن المخزن استمر بعد مولاي إسماعيل في سياسة جمع العبيد لا في الداخل ولا في الخارج.

كما أن السلاطين لم يحتفظوا بهم إلا في إطار توازن بين مختلف فآت الجيش من جهة وللحفاظ على التوازن بين القوات المخزنية والقبائل من جهة أخرى، ففي عهد سيدي محمد بن عبد الله، أعيد جمعهم لمواجهة قوة الأوداية، ثم فرقوا من جديد حين صارت قوتهم خطراً على التوازن السياسي، فوزعوا بين طنجة والعرائش والرباط ومراكش وسوس، ثم لما كبرت قوة عبيد طنجة والعرائش نقلهم السلطان إلى دار عريبي من بلاد سفيان، وسلط عليهم قبائل الغرب وبني حسن الذين تقاسموا العبيد وأولادهم ونساءهم وأخذوا خيولهم وسلاحهم.

وقد اتبع سيدي محمد سياسته هذه مع العبيد إلى وفاته بجمعهم تارة وتشتيتهم أخرى، وبنقلهم عدة مرات مراعيا في ذلك توازن القوى السياسية والعسكرية في البلاد.

وقد حاول مولاي سليمان إعادة قوة العبيد والاعتماد عليهم لمواجهة القبائل التي بدأت «تخرج من قماقمها» من جديد، فجمعهم في مكناس، ولكن عددا كبيرا منهم يقدر بخمسة آلاف هلكوا في الهزة الأرضية التي عرفت بزلزال لشبونة الذي وقع سنة 1755/1169. ويصور الناصري الضعف الذي تردى فيه جيش البخاري في أوائل القرن التاسع عشر حينما يصف دخول مولاي عبدالرحمن لمكناس بعد بيعته «فلما دنا منها خرج العبيد إلى لقائه بالأعلام مرفوعة على العصي، وكانوا جماعة يسيرة، فقال لهم السلطان : أين جند البخاري ؟ فقالوا : هذه البركة التي تركتها الفتنة، وعلى الله وعليك الخلف».

وقد لجأ سيدي محمد بن عبدالرحمان من أجل تقوية جيش البخاري إلى إضافة بعض العناصر الجديدة كأهل تولال، الذين نقلهم من نواحي فاس إلى ناحية مكناس وأدخلهم في جيش البخاري. وكذلك قسم من الخلط الذين نقلهم من بلاد سفيان وأحواز العرائش وأنزلهم بأرض مكسر وزگوطة إلى أن صار عددهم ألفا وخمسمائة وأضافهم إلى عبيد قصبة حرضان بمكناس. وإلى جانب الضعف العددي وقع التهاون والفساد في تسيره الإداري والعسكري فصار عدد هذا الجيش غير مضبوط، كما أن قيمته العسكرية ضعفت لانعدام التداريب العسكرية، وذهبت هيبته وحرمته وامتيازاته، فبعد أن كان مولاي إسماعيل يعاقب بالقتل كل من تجرأ على عبد من عبيد البخاري، وزيرا كان أم شريفا، نجد مولاي عبدالرحمان يحجم عن معاقبة رجل عادي جرح أحد عبيده.

ويمكن القول إن جيش البخاري في القرن التاسع عشر فقد كثيراً من عدده ومميزاته العسكرية وأصبح ضعيفا لا تقيم له القبائل وزنا، ولا يحتفظ به السلاطين إلا في إطار التوازن بين مختلف أنواع الجيش وخصوصا لمواجهة الأوداية، وأصبح دوره أثناء الحركة دفاعيا، إذ يوكل إليه الدفاع عن أفراگ السلطان أو المحلة الخليفية، كما أن أغلبيته صارت تشكل المسخرين في حناطي القصور السلطانية، وأغلبيتهم كانت تسكن في نواويل حول القصور السلطانية في مكناس ومراكش وفاس، وبقي عدد قليل منهم في بعض القصبات الساحلية كقصبة المهدية.

وقد صار جيش البخاري في أواخر القرن التاسع عشر ينقسم فقط إلى ست أرحاء يضاف إلى كل رحى منها بعض القبائل : كزعير وبني حسن وتادلا والخلط وسفيان وبني مالك وأيت الربع وأيت عصم.

وهذه الأرحاء هي :

- رحى عبيد الزنقة
- رحى سعادة
- رحى الزمراني
- رحى سعود
- رحى الكوارم
- رحى تافيلالت

وفي سنة 1899 بعد التغييرات التي طرأت على الجهاز العسكري المغربي أسست عدة طوابير من البواخر والعبيد تقدر باثنين وثلاثين طابورا عدد أفرادها ألف وخمسمائة فرد. في حين بقي ما يناهز ثمانمائة وخمسين في الجيش وثلاثمائة مسخرين (مخازنية) في مكناس وأربعين في الطبجية.

أ. الزياني، *الترجمان* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ *العز والصولة*.

Archives du Ministère de la Guerre, *Rapport de la mission Française au Maroc le 31 janvier 1899* ; L. Arnaud, *Au temps des Mhallas* ; Le Coz, *Le Rharb*, t : 1 ; M. Morsy, *Moulay Ismaïl et l'Armée de métier*, *R. H. M.* C. Avril-Juin 1967 ; *La Relation de Thomas Pellow* ; N. Cigar, *Une lettre inédite de Moulay Ismaïl aux gens de Fès*, *H. T.* 1974, p. 105-118 ; M. Delafosse, *Les débuts des troupes noires au Maroc*, *H. T.* 1983, pp. 1-33.

ثريا برادة

البخاري، أو البُواخَر، شخصيات نابهة من الجيش البخاري، استقرت غالبيتهم بمكناس عبر العصر العلوي، وإلى جانب المثقفين منهم، ساهم آخرون بالعمل في مختلف

أطر الدولة، وفي *إتحاف أعلام الناس* مجموعة من تراجم الفريقين، كما أن الحاج العربي المشرفي في *الحسام المشرفي* استعرض طائفة مهمة، من الأطر البخارية أيام السلطان محمد الرابع، وثالثا : فإن أحد متأخريهم : محمد العلمي ابن أحمد بن رحال، ألمّ في مذكرته بنخبة من البواخر النابغين في الرياضيات خلال القرن الثالث عشر (19 م).

محمد المنوني

البخاري، أحمد بن **القايد الحاج رحال** المكناسي. فقيه نبيه، أستاذ عارف بالتجويد والحساب والتوقيت، ناسك ذاكر محب لآل البيت النبوي. كان يعلم الصبيان وينوب عن أمين أمناء مكناس بوعزة بن العربي النشار في خطة أبي المواريث، كما كان يتعاطى الشهادة في سماط العدول، ونساخة الكتب بخطه المليح. وكان قد درس بمسقط رأسه مكناس على الأستاذ اليزيد، والعدل أبي يشو البخاري وغيرهما. وممن أخذ عنه إدريس ابن السلطان المولى سليمان.

توفي بمكناس أواخر شوال عام 1329 / أكتوبر 1911، ودفن بضريح سيد عمرو الحصيني.

البخاري، أحمد بن القايد محمد الشادلي المكناسي. "كان فقيها حيسوبيا متضلعاً في جميع أنواعه، وله إلمام تام بمهمات فن الهندسة. وجهه السلطان سيدي محمد (بن عبد الرحمان) لقراءة الفنون المذكورة بحاضرة فاس". (*إتحاف*، 1 : 467). أخذ بفاس عن العالم الرياضي أحمد الصويري ومن في طبقته، وتتلمذ له في هذا الفن محمد بن المدني الملكف بخزائن العدة أيام السلطان عبد العزيز، ومحمد الرجراجي وغيرهما.

البخاري، أحمد بن مبارك، كان والده وإخوته من وصفان السلطان سيدي محمد بن عبدالله (1171 . 1205 / 1757 . 1790). أهداهم هذا الأخير لابنه مولاي سليمان، ومن ثم نشأ أحمد، منذ صباه، في كفالته، وتخلق بأخلاقه، وكسب مودته وثقته. حتى إذا بويع مولاي سليمان بالخلافة سنة 1207 / 1792، بادر إلى توليته حجابته ووزارته فقام بهما خير قيام. ورغم عظم الجاه ونفوذ الكلمة وطول مدة الخدمة فإنه ظل متواضعا زاهدا في أمور الدنيا، لا يفارقه كتاب *دلائل الخيرات* في قبّ جلبابه.

وكانت نهايته على يد عبيد البخاري الذين قتلوه سنة 1820.19/1235، إثر هزيمة مولاي سليمان في وقعة زيان. في هذا السياق كتب المؤرخ الناصري قائلا :«ثم لما سقطت هيبة السلطان وزال وقعه من القلوب سرى فساد القبائل إلى الجند، فإن العبيد عدَوا على كبيرهم القائد أحمد بن مبارك صاحب الخاتم فقتلوه افتياتا على السلطان، مع أنه كان من أخص دولته لنجابته وكفايته وديانته، واعتماد السلطان عليه في سائر مهماته. ولما قتلوه اعتذروا للسلطان بأعذار كاذبة فقبل ظاهر عذرهم وطوى لهم على البت» (*الاستقصا*، 8 : 136.137).

ومما أورده محمد أكنسوس عنه قوله :«حدثنا السلطان العادل رحمه الله تعالى (أي مولاي سليمان) وقد ذكره يوما وأكثر من الثناء عليه حتى قال : والله لولا أنني كفنته وجهزته ما وجد ما يكفّن به. فإننا وجدنا في صندوقه الذي وجدنا مفتاحه معلقا معه ستمائة مثقال، ووجدنا زماما بخطه عليه من الدين ستمائة مثقال، فقضينا ذلك الدين بتلك الدراهم فخرج من الدنيا كيوم وضعته أمه» (*الجيش*، 307).

ومن بين أولاده الذين تبوأوا مكانة رفيعة في جهاز الدولة، سواء في عهد حكم سيدي محمد أو خلفه مولاي الحسن، نخص بالذكر موسى وعبدالله.

م. أكنسوس، *الجيش*، مخطوط خ. ع. 965 د ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج : 8.

البخاري ← أحمد بن موسى

البخاري، إدريس بن أحمد بن محمد المكناسي المدعو البرنوصي "فقيه وجيه حيسوبي جليل القدر نبيه، له مهارة كبيرة في الهندسة والرماية بالمدفع والمهراس" (*إتحاف*، 2 : 29).

تولى أمانة دفع مؤن الجيش أيام الحسن الأول، وحضر معه وقعة فاس الشهيرة عام 1290، وهو الذي تولى رمي منار مدرسة الطالعة.

ولما مرض إدريس البخاري بفاس واشتد به المرض أذن له السلطان بالتوجه إلى أهله بمكناس فتوفي في الطريق في 28 محرم عام 1323 / 4 أبريل 1905.

البخاري، إدريس بن المكي المكناسي، أستاذ يتقن رواية ورش والبصري وقالون إتقاناً جيداً، ماهر في الحساب والأوفاق واستخدام الجان، عارف بالسياسة ونواميس المخزن وضوابطه. "كان متوليا رآسة الجيوش المخزنية وقوراً مهابا، مهما حل بالبساط الملوكي يقوم إجلالا له كل من به من الجيوش، ولم يكن لأحد غيره ممن تقدمه أو تأخر عنه غير الوزير الصدر". (*إتحاف*، 2 : 29).

توفي بمكناس عام 1288 / 1871.

محمد حجي

البخاري، إدريس بن موسى بن أحمد بن مبارك، يكنّى أبا العلاء، ظل اسمه مغمورا ـ مثل أخيه سعيد ـ إلى تاريخ انفراد أخيه أحمد بن موسى (ابًا احمد) بالسلطة سنة 1312 / 1894. فولاه حاجبا، كما ولى أخاه سعيداً ـ الآنف الذكر ـ وزيراً للحربية. وبخلاف أخيه سعيد الذي اهتم، من بين ما اهتم، ببناء القصور ومظاهر الأبهة، فإن إدريس، على حد قول محمد غريط :"كان متشبهاً بوالده في جل أخلاقه وعوائده، يُظهر إلى الخير ميْلا، ويذكر ما شاء الله نهار وليلا" (*فواصل الجمان*، 89).

هناك خاصية ثانية، اتسمت بها شخصيته، تتمثل في انهماكه في تناول الأطعمة إلى حد الشراهة، متجاوزا ذلك ما عرف عن أخيه سعيد في هذا الجانب، حتى إن محمد غريط كان حريصاً على ربط وفاته بنهمه المبالغ فيه :"كان

مملوك نهمه (...) وخشنت بنيته بعد أن كانت لطيفة، ثم مرض أياما قلايل، فتُوفي والحيُّ في الفناء آيل". (نفس المصدر ونفس الصفحة).

كانت وفاة إدريس البخاري في شهر ذي القعدة عام 1317 / مارس 1900، أي بعد وفاة أخيه بحوالي شهرين، وقد دفن إلى جانبه، في نفس روضة مولاي علي الشريف بمراكش.

م. غريط، *فواصل الجمان*.

عبد العزيز الخمليشي

البخاري، بنعيسى بن عبد الكريم ـ باشا مكناس ـ ولد سنة 1275 / 1858، وكان أبوه عبد الكريم أحد البواخر (عبيد البخاري) الذين عاشوا في دار المخزن بمكناس، فتربى الابن بدوره داخل هذه الدار تربية مخزنية، وبعدما اشتد عوده تدرج في عدة مناصب عسكرية بجانب شخصيات مرموقة في الجهاز المخزني، وتحمّل مسؤوليات في هذا الإطار في عهد السلطانيين مولاي الحسن ومولاي عبد العزيز، وقد قربه إليه وزير حربية مولاي عبدالعزيز، المهدي المنبهي، كما شارك في بعثة محمد الجباص التي كلفت برسم الحدود بين الجزائر والمغرب. وصار كبير المحلة في عهد السلطان مولاي حفيظ الذي أنعم عليه يوم فاتح ماي 1911 بوسام الدرجة الرابعة نظرا لخدماته وإخلاصه للمخزن الحفيظي، ومما جاء في ظهير الإنعام، «...أنعمنا على وصيفنا الأنجد الطالب بنعيسى بن عبد الكريم البخاري بالمرتبة الرابعة من وسامنا الحفيظي السعيد وحليناه به عنوانا على نجدته وإخلاصه في كل ما ارتبط به من خدمات جنابنا الشريف واستحقاقه بذلك رضا مقامنا... فليتقلده بمزيد الاحترام وليجعله شاهداً على فوزه برضانا التام...»

شارك بنعيسى بن عبدالكريم في محلة الشراردة سنة 1911، وفي الدفاع عن مدينة فاس حين حاصرتها القبائل بزعامة بني مطير في ربيع هذه السنة، ومن فاس قدم في محلة الجنرال موانيي Moinier صحبة الخليفة السلطاني بالدارالبيضاء محمد الأمراني إلى مكناس للقضاء على برابرة بني مطير الذين احتلوا المدينة ونصبوا بها مولاي الزين ـ أخ مولاي حفيظ ـ سلطانا خلفا للمولى حفيظ بفاس، وكان دخول الجيوش الفرنسية والمخزنية إلى مكناس صحبة بنعيسى بن عبدالكريم البخاري الذي يدلها على الطريق، يوم الخميس 8 يونيه 1911. وفي اليوم الموالي لاحتلال مكناس نصب بنعيسى بن عبدالكريم باشا للمدينة. وفي هذا الصدد قال عبدالرحمان ابن زيدان في جزء مخطوط من كتاب *الإتحاف* :«... ولما كان الغد قُرئ ظهير تولية بنعيسى بن عبدالكريم باشا على مدينة مكناس وزرهون وما أضيف إليهما وذلك بعد صلاة الجمعة بالمسجد الأعظم...»، ونظرا للخدمات التي قدمها هذا الباشا لحكومة الحماية الفرنسية بالمغرب وشح بوسام فارس جوقة الشرف Chevalier de la légion d'honneur إلا أن هذا التوشيح والإنعام لم يزد من قوة سلطته، فمنذ سنة 1915 انتزعت منه عدة مهام كانت من اختصاصه، كالمحافظة على الأمن بداخل المدينة التي أوكلت للجيش والبوليس الفرنسي، كما صار المراقب المدني ريفيو Reveillaud الساهر على الأعمال الإدارية الخاصة بالسكان الأهالي، وكذا نظافة المدينة ومراقبة سير الأسواق بها، وتحديد أثمان السلع والبضائع، مكلفا أيضا بالأملاك البلدية والميزانية الخاصة بالمصالح البلدية، بل صار هذا المراقب الذي عين في نفس الوقت رئيسا لهذه المصالح يراقب أعمال الباشا وكأنه مندوب مخزني يقوم بمهام وكيل الدولة.

بقي بنعيسى بن عبدالكريم يزاول مهامه كباشا لمكناس دون تمتعه بكامل سلطاته المخولة للباشوات قبل سنة 1912، والظاهر أن هذا التهميش والتقليل من أهمية هذا الباشا كان وراء عدم رضاه عن المسؤولين الفرنسيين، فربط عدة علاقات اعتبرها الفرنسيون مشبوهة مع بعض المناوئين لهم، لدرجة أنهم اتهموه بالعمالة للألمان عن طريق الريسوني المتمرد في الشمال.

في نهاية سنة 1918 أعلنت السلطات الفرنسية بمكناس عن اكتشافها «مؤامرة» كان يدبرها الباشا بنعيسى وأعوانه على حكومة الحماية الفرنسية، وكان قد استعد لها استعداداً جيداً سواء من الناحية البشرية أو السياسية كربطة لعلاقات مع بعض القواد كما هو الشأن مع حدو بليماني قائد زرهون بقرية بني عمار، وسي منصور قائد شراردة، وعبد المالك بشرق المغرب، فضلا عن الريسوني السالف الذكر، أو من حيث تجميع الأسلحة التي وصل عددها حسب مذكرة للقنصل الإسباني بفاس ـ : 14.000 بندقية وبعض المدافع وجدت في دار الباشا، واختار بنعيسى بن عبدالكريم توقيت هذه «المؤامرة» في غياب أكثرية القوات الفرنسية المرابطة بمكناس، لقيامها بعمليات حربية في الأطلس المتوسط وتافلالت، كما استغل أيضا مناسبة عيد المولد النبوي الذي تكون فيه مدينة مكناس غاصة بالزوار نظرا لاحتفال الزاوية العيساوية بهذا العيد. ومن بين فصول هذه العملية دس السم في الطعام لبعض الضباط العسكريين بمكناس، إلا أن السلطات اكتشفت هذه «المؤامرة»، وبعد تأكدها من نسبتها إلى الباشا ألقت عليه القبض يوم 12 دجنبر 1918، حيث عزل من وظيفه، ووضع تحت الإقامة الإجبارية ونفي فيما بعد إلى مدينة الجديدة بعد مصادرة أملاكه وحجزها.

وثائق مخزنية : ع. ابن زيدان، *إتحاف*، مخطوط.

بوشتى بوعسرية

البخاري، الجيلالي الشهير بالقصعة، صالح مكناسي كان في البداية شرطياً في الجيش السلطاني مدة طويلة "إلى أن جذبه الله إليه، وكان مكاشفاً بالمغيبات تواتر عنه ذلك على ألسنة أهل العدل والدين وغيرهم. يلبس صيفاً وشتاءً نحو العشرين جلابة لا يفتر عن إيقاد النار..." (*إتحاف*، 2 : 111).

توفي يوم الجمعة 13 قعدة عام 1304 / 3 غشت 1887.

البخاري، الجيلالي بن الباشا حمّ بن الجيلالي المكناسي، "فقيه نجيب، دراكة كاتب أديب لبيب، له إلمام بالفقه والنحو والتصريف والمنطق، متجرد من لباس الدعوى متصف بالإنصاف لمن دونه فضلا عمن هو أعلم منه" (*إتحاف*، 2 : 114)، درس بمسقط رأسه مكناس ورحل في طلب العلم إلى فاس، فكان من شيوخه محمد بن عبد السلام الطاهري، ومحمد القصري، والمفضل السوسي، والطاهر بوحدي، ومحمد بن رشيد العراقي، وأحمد بن الجيلالي، والمهدي الوزاني وغيرهم. لا يعرف عنه أنه اشتغل بالتدريس، لأنه أصبح منذ رجوعه من فاس خليفة لابن أخيه الباشا صالح بن بنعيسى البخاري في صدر الدولة الحفيظية.

توفي فجأة بعد عشاء الثامن عشر من ربيع الأول عام 1341 / 8 نوفمبر 1922.

البخاري، الجيلالي بن حم **المكناسي**، "فقيه ماهر في فن الحساب والوقت والتعديل وأحكام النجوم والزيارج والجفر والرمل والأوفاق وسر الحرف، وكان يدرس ذلك بمدرسة جامع الدار البيضاء من أجدال بالحضرة المكناسية". وإلى جانب علمه كان بطلا شجاعاً عارفاً بمكايد الحروب، تقلد مناصب مخزنية أزيد من خمسين سنة، إذ قربه السلطان عبد الرحمان بن هشام وجعله في حاشيته ثم أسند إليه رئاسة مشوره، وعينه سيدي محمد بن عبد الرحمان عاملا على مراكش ثم على الزراهنة، وأخيراً جعله الحسن الأول عاملا بمدينة فاس بعد خلع إدريس السراج في حادثة ثورة الدباغين ضد الأمين محمد بن المدني بنيس عام 1290. وفي السنة التالية عين عاملا بطنجة وبقي فيها إلى أن وافاه الأجل عام 1295 / 1878.

ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام*، 2 : 110.

محمد حجي

البخاري، الحبيب بن محمد بن الحاج الحبيب الأسفي. لعله من سلالة جيش البخاري انتقل أبوه أو جده إلى أسفي، وبها ولد الحبيب ونشأ وتعلم القرآن ومبادئ اللغة والدين. وفتح مكتبة اشتهرت ببيع الكتب الأمهات المطبوعة والمخطوطة، وباجتماع مثقفي المدينة فيها، وكان للسيد الحبيب البخاري نشاط سياسي ملحوظ في الحركة الوطنية، إلى أن أدركته الوفاة بأسفي سنة 1393 / 1973.

عبد الرحيم العطاوي

البخاري، سعيد بن موسى بن أحمد بن مبارك. هذا الوصيف سعيد ابن الحاجب موسى آتي الترجمة، لم يظهر على مسرح الأحداث السياسية، أو بالأحرى في قائمة المناصب الإدارية السامية، إلا بعد أن استتب الأمر لأخيه الحاجب أحمد بن موسى (ابّا أحمد)، إثر وفاة السلطان مولاي الحسن سنة 1312 / 1894، وانفراده بالحكم، بعد أن تمكن من إزاحة منافسيه التقليديين من الأسرة الجامعية، وبعد أن فرض ما يشبه وصاية على السلطان الشاب مولاي عبد العزيز. في هذا السياق ظهر اسم سعيد كوزير للحربية، واسم أخيه إدريس كحاجب.

وفيما يخص صاحبنا سعيد، فإن أهم ما يميز شخصيته، هو اهتمامه المفرط، بل والمبالغ فيه، بأمور المأكل والمسكن والملبس. اهتم بتشييد القصور، وبالاعتكاف على تزيين المائدة بكل ألوان الطعام، فترتب عن ذلك أن أصيب بالسمنة التي كانت سبب وفاته في رمضان عام 1317/ يناير 1900. وفي هذا المعنى كتب محمد غريط (ص 87) قائلا :« ... كان معتكفا على خوانه، مغتبطا بالتقام ألوانه، حتى كثر شحمه، وعظم جسمه، وظهر سقمه، فحار في معالجته، وهلك غما...» وما زالت داره بمراكش (دار سّي سعيد) تحفة فنية رائعة.

م. غريط، *فواصل الجمان*.

عبد العزيز الحمليشي

البخاري، صالح بن يوسف المكناسي، "فقيه أستاذ يحفظ السبع والعشرين حفظاً متقناً. وكانت له مشاركة كاملة في الحساب والتوقيت والتعديل. وكان من جملة موقتي الحضرة السلطانية الذين يظعنون بظعنها ويقيمون بإقامتها في الدولة الرحمانية".

درس في مسقط رأسه على بلديّه الأستاذ الصديق البخاري، وفي ثغري العرائش وطنجة، وقضى حياته متنقلا في خدمة المخزن. ولما ضعف لكبر سنه أُسندت إليه رآسة الحامية العسكرية بمكناس فاستقر وأخذ يلقي دروساً على طلبة مكناس وانتفع به جماعة.

توفي بعد 1280 / 1863، ودفن بضريح سيدي عمرو بوعوادة من حومة حمام الحرة.

البخاري، الصديق الاجراوي المكناسي، "فقيه أستاذ ماهر يحفظ العشرين حفظاً متقناً، انتفع به جم غفير من حملة القرآن وحفاظ السبع، وكان من أهل الدين والفضل والخير والصلاح". وكان من المتخرجين على يده قراء مشهورون بمكناس.

توفي بعد 1270 / 1854، ودفن بضريح سيدي عمرو بوعودة في حومة حمام الحرة.

ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام*.

محمد حجي

البخاري، عبدالله بن أحمد بن مبارك، برز اسم هذا الوصيف كموظف مخزني سام في عهد السلطان محمد بن عبدالرحمان، لما عُين علاّفاً كبيراً، أي وزيراً للحرب. وكان أول من أسند إليه هذا المنصب، باعتباره منصباً جديداً ظهر أول ما ظهر، في عهد السلطان سيدي محمد، بهدف تنظيم العسكر وفق أسلوب جديد، إثر هزيمة المغرب في معركة إسلي أولاً سنة 1844، وحرب تطوان سنة 1859 . 1860 ثانيا.

ولما بويع مولاي الحسن 1290/1873، ولاه باشا على مدينة فاس. ويبدو أن هذا التعيين ارتبط بالهزة الاجتماعية

التي عرفتها هاته المدينة من جراء انتفاضة الدباغين ومطالبتهم بإسقاط المكوس مقابل تقديم البيعة للسلطان الجديد.

ويتضح من إحدى الرسائل التي وجهها له أخوه موسى بتاريخ 24 شوال 1292 / 23 نوفمبر 1875، أن هذا التعيين تم قبيل فترة وجيزة من هذا التاريخ. ومما ورد في هذه الرسالة :«... فغير خاف على أخوتك أن الشريف اللطيف الفقيه العلامة مولانا الصديق طالما طلب منا حين كنا بفاس بأن يصل معك الرحم من لدن سمع بولايتك على أهل فاس وأن يبارك لك فيها ولم يساعد على ذلك في تلك الساعة... وهاهو يرد عليك استوص به خيراً لكونك اليوم أنت باشا، وأما قبل كنت مخزنياً مثلنا».

هذا ما يستشف من هاته الرسالة. ومهما يكن فإن من بين الخاصيات التي تميزت بها شخصية الباشا عبدالله أنه كان رجل فقه وأدب وعلم، وكان أحب شيء إليه، كأخيه موسى، مجالسة الأدباء والعلماء. إلى جانب هذا كان يبجله غاية، كما يتضح من ديباجة الرسائل التي كان يوجهها له :«أخانا الأعز الأسعد، الفقيه الباشا الأنجد، أديب الزمان، وعين الأعيان ... سيدي عبدالله»، وغيرها من التعابير المشابهة. وقد كانت تلك المراسلات تدور حول ضرورة الوقوف مع بعض الأشخاص إن على مستوى توظيفهم، أو تقديم مساعدات لهم مادية كانت أو معنوية، يتضح منها، من بين ما يتضح، أنه كان الحاكم الأول بالمدينة وأحوازها.

وقد ظل عبد الله البخاري في هذا المنصب إلى تاريخ وفاته سنة 1305 / 1887.

م. غريط، *فواصل الجمان* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج : 2 و4 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج : 8 ؛ *الوثائق*، دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية. المجموعة الثالثة 1386/1976.

عبدالعزيز الخمليشي

البخاري، علي بن صانبَة، "الفقيه المدرس المفتي"، حسب تحليه رفيقه في الدراسة : محمد بن محمد بن عبد السلام البيجري، وذكره السلطان مولاي سليمان في عداد الآخذين عن محمد بن عبد السلام الفاسي، ووصفه "بالشيخ العلامة، الأديب، الأستاذ المحقق"، وفي تعبير ابن زيدان : "علامة أديب، استاذ محقق فاضل نبيل، جهبذ نقاد ألمعي أريب، أصله من عبيد البخاري... وكان من عدول سماط عاصمتنا المكناسية المبرزين". يعرف من أشياخه بمكناس، العالمان عبد السلام بن محمد بن قاسم البيجري، والغازي ابن العربي ابن عبود.

وإلى حلقات الدروس، كان المترجم يعمل مع بعض رفقائه في إطار تكوين أدبي، ساهم فيه مع ابن صانبة : أحمد بن الراضي ابن عثمان الذي سيصير شاعر عصره، وثالث الفئة محمد بن محمد بن عبد السلام البيجري، وهو الذي يحدث عن هذه الناشئة الأدبية :"... وذلك أنا كنا نجتمع قبل مجيء الشيخ إلى المجلس على مذاكرة كالمناظرة، وكان معنا أبو الحسن ابن صنبة، على مثل تلك الصحبة، فكان كل واحد منا يوري زنده، ويرى ما عنده... وكنا نجتمع بعد الدرس ـ أيضاً ـ للتحصيل، وتحقيق الإجمال والتفصيل، فانتفعنا بذلك والحمد لله... وعند ذلك لاح لنا شعاع الأدب، فله ـ حينئذ ـ آثرنا، وعليه تضافرنا، وبه تنافرنا، فتدارسنا *مقامات الحريري* مرات، حتى أدركنا بها المسرات... وتدارسنا كتباً أخرى من الأدب والسير والأخبار، فانطلق بذلك من قلمنا العنان...".

ومن آثار هذه الخلية الأدبية، صار المترجم يقرض الشعر، وقد احتفظ له رفيقه البيجري، بقصيدة قالها بمناسبة بعض ختمات شيخه عبد السلام البيجري، مطلعها :

خلّ التلذذ بالربيع الأزهر وغناء غانية ورنة مزهر

وخلف المترجم *كناشة*، نقل منها بعض ضبته ـ الذي لم يُسمّ ـ معلومات من علم الكلام وغيره. على أن هذه الكناشة لا يعرف منها الآن سوى مقتبسات تلميذه المشار له.

توفي علي بن صانبة عام 1220 / 5. 1806.

م. البيجري، *تقييد في التعريف بأسرته*، مخطوط ؛ سليمان العلوي، *عناية أولى المجد*، المطبعة الجديدة بفاس 1347 هـ ؛ *مقيدات بخط أحد تلاميذ علي بن صانبة*، مصورة ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج 5 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1220.

البخاري، أبو القاسم بن علي الشاوي العلأوي ثم المكناسي، المعروف بلقب "دُراوه"، أحد موالي السلطان مولاي إسماعيل، عالم مبرز في الرسم والقراآت والتجويد، مؤلف في هذه المواد، من المنتصبين لإقرائها، انتفع به من أهل السَّبْع جمع كثير، وجم غفير، حسب شهادة أستاذه محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بصري.

ومن الباقي من مؤلفاته، *حفظ الأماني ونشر المعاني*، حاشية كتبها على *كنز المعاني*، الذي شرح فيه *البرهان الجعبري* قصيدة *حرز الأماني للشاطبي*. (خ.ع، ك 314 : السفران 1، 2 ؛ خ. ح 510 ؛ 8427 : السفر الأول مبتور من بدايته). *تنبيه السالك إلى جنى ثمار داليه ابن المبارك*، وهو شرح للقصيدة الدالية في تخفيف همز الوقف على قراءة حمزة وهشام (خ. ق رقم 1042 : في جزء متوسط بأوله تقريظ بخط محمد بن عبد الرحمن الدلائي. خ. ح. 119 : خامس مجموع ص 557. 610).

وقد كانت سكنى المترجم بمكناس في درب الحمام من حي حمام الجديد، وفي إحدى استرعائيات رسم هذه الدار، جاء اسم ولده هكذا :"يشهد من يضع اسمه عقبه، بمعرفة الصائر لعفو الله تعالى الفقيه الأجل، الأستاذ المبجل، سيدي عبد الله، بن الفقيه الأستاذ المجود، شيخ الجماعة، سيدي أبو القاسم بن دراوة الشاوي أصلا... في أواخر شعبان عام واحد وستين ومائة وألف.

ع. المشرفي، *الحسام المشرفي*، مخطوط خ. ع. 2276 ك ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج 5 ؛ م. العابد الفاسي، *فهرس مخطوطات خزانة*

القرويين، ج 3 ؛ م. المنوني، مقيدة عن *نشاط دراسة الرياضيات والفلك بمكناس في القرن 19*، مجلة *المناهل*، عدد 30 ؛ *ملخصات من وثائق دار سكنى المترجم*.

محمد المنوني

البخاري، محمد بن عبد السلام السلاوي، غلبت عليه نسبة السلاوي حتى عفّت على أصله البخاري وأصبح لا يذكر إلا بالسلاوي سواء في الرسائل السلطانية أو في كتابة معاصريه المؤرخين كالزياني والضعيف الرباطي. حلاه في *جمهرة التيجان* "بالفقيه الكاتب".

نشأ ببيت الإمارة، وقرأ على السلطان المولى سليمان وغيره من فقهاء العصر وأدبائه، وتولى الكتابة بالديوان الملكي قبل أن يترقي إلى الوزارة والحجابة وإمارة الثغور وقيادة الجنود. كان المولى سليمان يثق به ثقة مطلقة فخرج معه من فاس حيث ذهب لتنفقد أحوال مراكش، وفي يوم ثالث عيد الفطر من عام 1218 / 16 يناير 1804 لما وصلوا إلى قصبة الجياد بين مكناس وسلا، خاطب المولى سليمان حاجبه محمد البخاري بقوله "قد وليتك على مدينة سلا ومدينة الرباط وأعطيتك بني حسن. فاقدم على سلا واقبض على قائدها الحاج عبد اللطيف الحافي، واقبض على عامل بني حسن وهو عبد القادر بن الغماري واسجنهما بسجن قصبة الرباط..." (*الضعيف*، 329).

وصل محمد بن عبد السلام إلى سلا يوم الاثنين 9 شوال عام 1218 فاستلم مقاليد الأمور ونفّذ ما أمره السلطان به. ومن ثم أصبح المسؤول الرئيسي عن بلاد الغرب الساهر على تطبيق السياسة المخزنية في المنطقة. وما كاد يشيع خبر مرض السلطان بمراكش في أواخر السنة حتى ارجف الناس بموته خاصة يهود الرباط الذين أخذوا يخرجون لاعتراض القوافل وشراء الزرع جملة، فتوجه إليهم العامل محمد السلاوي وزجرهم أشد الزجر معيداً الطمأنينة إلى النفوس.

وفي 14 صفر عام 1220 / 14 ماي 1805 ورد خطاب السلطان يامر محمد بن عبد السلام بأن يتخلى عن عمالة سلا والرباط وبني حسن وعرب الويدان للطالب الغازي المزمزي الشاوي، وأن يتوجه إلى مكناس ثم يخرج إلى ناحية طنجة وتطوان والعرائش، فقد ولاه السلطان على هذه المراسي، وعلى أهل الجبال والغرب من سفيان وبني مالك والخلط وطليق والقصر الكبير، وفوض إليه في أمر التفاوض مع النصارى إذ أتوا إلى هذه المراسي. فامتثل محمد بن عبد السلام وخرج من سلا متوجهاً إلى مقر مامويته الجديد بالعرائش، وظل المولى سليمان ـ علاوة على ذلك ـ يعتمد عليه في المهمات الحربية والمدنية.

هكذا نجد محمد بن عبد السلام على رأس جيش عبيد البخاري، في شهر ذي الحجة من عام 1224 / يناير 1810 مع السلطان في حركته إلى أيت أمالو، ثم في ربيع الثاني من عام 1226 / ماي 1811 في الحركة التي وقعت فيها فتنة لمحلة السلطان في الأطلس المتوسط. كما نجد في آخر هذه السنة محمد بن عبد السلام قد رجع إلى العدوتين لإصلاح ما اختل من شؤونهما، فسجن أمناءهما والقاضي وعدول المرسى وألزمهم بدفع سبعة قناطر ذعيرة لسوء تصرفهم في مال الدولة، وعين بدلهم موظفين آخرين.

وفي متم صفر عام 1229 / 20 فبراير 1814 قُرئ كتاب مولاي سليمان،وهو يومئذ بالرباط، على أهل الرباط وسلا، أن السلطان أراد أن يحضر عشرة من أهل الرباط وعشرة من أهل سلا مع عدلين من كل منهما، ويخبر قائدا الرباط وسلا الفقيه السيد محمد السلاوي على رأس كل شهر بما وقع في العدوتين من قليل أو كثير. وكل من فعل ذنبا يخبران به محمد السلاوي، فطلع الحاج محمد السويسي قائد الرباط في اليوم الذي قُرئ فيه كتاب السلطان لملاقاته وقال له :"إني لم آكل من أحد شيئا وها أنا ذا".

وكانت وفاة محمد بن عبد السلام البخاري السلاوي بمدينة مكناس يوم الخميس فاتح قعدة عام 1230 / 5 أكتوبر 1815، ووصل خبر موته إلى السلطان يوم تاسع الشهر عند دخوله لمراكش "فتأسف لفقده وتوجع لموته".

قلت : لا علاقة للمترجم هنا بآل ابن عبد السلام السلويين العلماء وسياتي ذكرهم في حرف العين.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ت. أحمد العماري، 329. 393؛ أ. الزياني، *جمهرة التيجان*، مخطوط ؛ *ألفية السلوك*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط 1230 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 142 ؛ ع. بنعبد الله، *سلا أولى حاضرتي أبي رقراق* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 4 : 186 ـ 187.

البخاري، المعطي بن العناية الغرباوي السفياني من أولاد علال. درس بمكناس على الشيخ عبد الرحمان بن محمد بصري، وكانت له مهارة تامة في التوقيت والتعديل والحساب وما يرجع لتلك الفنون. يحسن كل ذلك ويتقنه إتقاناً تاماً. وكان يحفظ قراءة ابن كثير حفظاً متقناً، كثير التلاوة والذكر...".

اتخذه السلطان عبد الرحمان بن هشام في جملة موقتيه الملازمين له حضراً وسفراً، بعد أن كان مستخدما لديه مع أصحاب الفراش. ثم رشحه لإقراء بناته. ولما تقدم سنه تقاعد عن الخدمة السلطانية، وانقطع للتدريس بداره بمكناس فانتفع به خلق كثير خاصة في الحساب والتوقيت.

توفي في ربيع الثاني عام 1276 / أكتوبر ـ نونبر 1859، ودفن بروضة سيدي أحمد الضاوي خارج باب بريمة.

ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام*، 4 : 313.

محمد حجي

البخاري، موسى بن أحمد أحد أبناء الحاجب أحمد بن مبارك (حاجب السلطان مولاي سليمان) يكنى أبا عمران ولا يعرف تاريخ ولادته، لكن يبدو أنه كان ما يزال صغير السن لما فقد والده الذي قتل سنة 1235/1819.1820. ويبدو أنه قضى طفولته وجزءا من مراهقته في حفظ القرآن والتفقه في أمور الدين، ومن بين أساتذته الذين أخذ عنهم

نصيبا من علوم الدين ـ إلى جانب أخيه عبدالله ـ ادريس بن التهامي أجانا المكناسي.

ونظراً للكثير من المؤهلات التي كان يتوفر عليها، من ذكاء ودهاء ونباهة ـ على حد تعبير المؤرخ ابن زيدان ـ ولاه السلطان محمد بن عبد الرحمان بن هشام الحجابة. أما عن تاريخ توليه هذا المنصب، فإن أقدم رسالة وقفنا عليها في هذا الصدد تعود إلى أوائل سنة 1281 / 1864. ومما ذكره صديقه الأديب محمد غريط في شأنه :"كان حليف دين وأمانة وإنصاف، وميل للأشراف، وتوسط بين التقتير والإسراف".

وإثر وفاة السلطان محمد بن عبد الرحمان 1290 / 1873، لعب دوراً لا يستهان به في أخذ البيعة لخلفه وولده مولاي الحسن، مما ترتب عن ذلك أن ازداد نجمه تألقاً، وزاحم الوزير الصدر إدريس بن الطيب برعشرين في منصبه حتى لم يبق له منه سوى الاسم، قبل استعفائه والانتقال إلى الحجاز، إلا أن أجل الحاجب موسى لم يطل بعد استعفاء الوزير الصدر، إذ سرعان ما توفي في محرم 1296 / يناير 1879، نتيجة إصابته بوباء التيفوئيد.

ومما يدل على الحظوة التي كان يتمتع بها لدى السلطان مولاي الحسن أنه شيعه بنفسه إلى مثواه الأخير، ودفنه بجوار والده السلطان محمد بن عبد الرحمان بضريح مولاي علي الشريف بمراكش، بباب أيلان.

أما الأعمال التي كان يباشرها فقد وزعها بين ابن خاله محمد بن العربي بن المختار الجامعي، وبين ابنه أحمد بن موسى، المعروف بـ "أبّا احمد". وأسند إلى الأول الصدارة العظمى، أي شؤون الدولة الخارجة عن القصر، وأسند إلى الثاني الحجابة، أي شؤون القصر الداخلية.

م. غريط، *فواصل الجمان* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1397 / 1977، ج 7 ؛ *الوثائق*، المجموعة الثالثة، 1396 / 1976.

عبد العزيز الحملیشي

البخاري، موسى بن يومين بن باكر بن ياسين بن الحكم بن زيري الحساني الهسكوري النسب، الفاسي الاستقرار، بقي حيا حتى عام 723 / 1323 حسب ابن القاضي (*درة الحجال*، 3 : 5) وحفظ أمهات الفقه وكتاب *سيبويه* و*صحيح البخاري* حتى قيل عنه إنه "من أحفظ أهل زمانه للفقه والأثر" (*جذوة*، 345). ولعل اشتهاره بلقب البخاري راجع إلى إتقان حفظه *لصحيح* الإمام البخاري الذي كان يقوم على تدريسه إلى جانب كتاب سيبويه بجامع القرويين.

عُرف موسى بن يومين بالدعوة إلى الاجتهاد ومساهمته في خلق تيار مخالف للمذهب المالكي الذي عاد إلى الظهور في العصر المريني، ولم يكن هو الفقيه الوحيد الذي ذهب في هذا الاتجاه، بل شاركه علماء آخرون إما بالدعوة إلى الاجتهاد أو بالانتساب إلى بعض المذاهب الأخرى التي انتشرت في ذلك الوقت خاصة المذهب الظاهري. ومن أشهر هؤلاء محمد بن علي بن يحيى قاضي الجماعة بمراكش (ت 682 / 1284) وعبد المهيمن بن محمد الأشجعي البلذودي الذي قتل عام 697 / 1298، ومحمد بن عمر ابن رشيد الفهري (ت 721 / 1321) وأبو الحسن بن أبي بكر المليلي قاضي الجماعة، وابنه محمد (ت 737 / 1337) ومحمد الدكالي (ت 797 / 1395) ثم عبد الرحمان المعافري المعروف بالوقاد (ت 827 / 1424) (*ورقات*، 233 ـ 235).

ومن الأشياء التي ارتبطت باسم موسى البخاري وذاع صيته بها أنه راجع يوماً زوجته عائشة بنت عمر بن عبد السلام اليفرني بعد ثلاث تطليقات مخالفاً ما اشتهر عند المالكية متعللا بأنه طلقها طلقتين وخلعاً، والخلع عند كثير من الفقهاء ليس بطلاق (*المعيار*، 4 : 493، 494)، فكانت هذه الواقعة إضافة إلى ادعائه الاجتهاد من الدوافعُ التي أثارت عليه فقهاء المالكية المنتقدين لتصرفاته المنكرين لدعوته. ومن ردود الفعل على ذلك أن كتب الفقيه إبراهيم بن علي المعافري السريفي الفاسي (ت 716 ـ 1317) رسالة مطولة إلى السلطان المريني أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق يصف فيها تلك النازلة بالقضية الخطيرة والسابقة التي يجب ردعها معتبراً "مسألة البخاري المُضل قد ظهر فيها من عظيم المنكر المستبيح لوجهه ما ظهر من عقوبته بين أيديكم ما نفذ على ما هو به مما كان مستحقاً له قبل ظهور تلك الكبيرة عليه لجرأته على العلم والعلماء وعلى حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودعواه الاجتهاد في دين الله..." (*المعيار*، 4 : 506 ـ 509) كما أن بعض فقهاء فاس وقضاتها ناقشوه فيما ذهب إليه وأنكروا عليه بل حاكموه وأفتوا بضربه ورجمه كما فعل القاضي الزريهني (أو الزرهوني) وأبو الحسن الصغير (*جذوة*، 346)، فارتحل البخاري تحت هذه الضغوط من فاس إلى الأندلس، ثم إلى تونس.

ومن الكبائر الأخرى التي تنسب إلى البخاري ما أشار إليه ابن القاضي من أنه "لما كان في الطريق مر بقرية، وبال في مسجدها، فانتهره الناس، فاحتج بأنه صلى الله عليه وسلم رأى أعرابيا يبول في المسجد فقال، دعوه حتى إذا فرغ دعا بماء فصبه" (*درة*، 3 : 4).

مع كل هذا يظهر أن أفكار البخاري في الاجتهاد لقيت تجاوبا لدى بعض المناصرين لدعوته من عامة الناس الذين أصبحوا يقتدون به، كما كانت له مخالطة للقضاة والحكام وذوي الجاه والسلطان (*المعيار*، 4 : 506 ـ 509).

أ. الونشريسي، *المعيار*، الرباط 1981، الجزء الرابع ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، ت الاحمدي أبو النور، الجزء الثالث ؛ *جذوة*، الرباط، 1974 ؛ م. المنوني، *ورقات*، الرباط، 1979.

رشيد السلامي

البخاري ـ موسم ـ اعتاد فقهاء المدرسة النحلية بقبيلة مزوضة ومدرسة بوعنفير بقبيلة أولاد بوالسباع قراءة *صحيح البخاري* طيلة شهر رمضان من كل سنة، وجرت

العادة بختم الصحيح في وقت آخر يحضر فيه فقهاء النواحي المجاورة ويجد فيه الطلبة القدامى المتخرجون من هذه المدارس فرصة لزيارة أشياخهم وتجديد اعترافهم بفضل المدرسة عليهم، كما يكون موسم الختم مناسبة لتوديع المتخرجين الجدد.

وسرعان ما اتخذ الزوار من هذه التظاهرة الدينية والثقافية مناسبة للتبادل التجاري. وتدريجيا صار يواكب هذه المواسم الدينية مواسم تجارية دون طمس الجانب الثقافي (*المعسول*، 18 : 275) ويحضر هذه المواسم سكان قبائل مختلفة من أهل السهول والجبال. وقد ازدهر بها النشاط التجاري ولا سيما ما يتعلق بالحبوب والمواشي والدواب والزرابي. وصارت كلمة بخاري ترادف عند معظم سكان المنطقة كلمة موسم، فهناك :

بخاري سيدي احماد أُعلي للموسم الذي مازال ينعقد إلى الآن يوم 14 غشت، وبخاري بوعنفير لموسم مازال يعمر إلى الآن يوم 4 شتنبر من كل سنة.

رسالة سلطانية بتاريخ 14 قعدة 1302 / 24 غشت 1885. خ. ح. رقم 364، ص 160 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 18 ؛ م. ح. كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*، ر. د. د. ع. 1988.

م. حسن كفناني

بختي (ابن م)، العباس بن يعلى بن محمد المغراوي، آخر أمراء بني يعلى المغراويين الذين كانوا قد اتخذوا من تلمسان عاصمة لإمارتهم الزناتية الصغيرة. (*العبر*، 7 : 92 ؛ *Histoire*, 1 : 174) ويعاني تاريخ هذه الإمارة الزناتية من نقص كبير في المعلومات مثل العديد من الإمارات التي ظهرت بعد نهاية الأدارسة ؛ وذلك ما ينطبق على أميرها العباس بن بختي الذي لا نعرف عنه سوى أنه "من ولد يعلى بن محمد بن الخير محمد المغراوي" (*الاستقصا*، 2 : 32)، وأنه كان أسيراً على تلمسان عندما شن المرابطون هجوماتهم الأولى على الإمارات الزناتية سنة 472، إذ يذكر صاحب *القرطاس* أنه في هذه السنة، بعث يوسف بن تاشفين قائده مزدلي بن تيلكان اللمتوني لغزو تلمسان والمغرب الأوسط، فظفر بمعلى (أويعلى حسب ابن خلدون) بن الأمير العباس بن بختي فقتلوه. أما وفاة الأمير العباس بن بختي فقد جاءت عقب الحركة التي قادها يوسف بن تاشفين إلى تلمسان عام 474 هـ : "فافتحها وقتل العباس بن بختي أميرها من بني يعلى" (*العبر*، 7 : 94)، فكان آخر أمراء بني يعلى بتلمسان التي عين عليها يوسف بن تاشفين عامله محمد بن تينغمر، بل وكانت آخر إمارة زناتية تسقط تحت قبضة المرابطين.

ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، المجلد السابع ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الجزء الثاني.

H Terrasse, *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1949 - 50.

عمر بنميرة

بَخَّات، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة أهل سريف الهبطية، وكان من بين أفرادها بَخَّات، العربي بن العربي، الذي كان حيا سنة 1280 / 1864.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

البخور، اسم يقع على أية مادة عطرية إذا احترقت انبعثت منها رائحة حادة نفاذة، ثم يتوسع في معناه فيطلق على أي تدخين يثور من أية مادة.

والبخور كان من أقدم العقود يحرق تكريما للآلهة واسترضاء لنفوسها، وهو كان يقدم بصحبة القرابين أثناء المراسم الإلهية، وكان المصريون من أقدم الشعوب التي تحرق البخور زُلْفَى للآلهة، وكان لهم بخور معروف يتركب من ست عشرة مادة يحرقونه في احتفالاتهم الدينية مشفوعا بتلاوات من كلامهم المقدس، وكان للبخور عند العبرانيين مقام وشأن، وكان من بخوراتهم بخور مزيج من الميعة والقنة واللبان والملح، يحرقونه كل صباح ومساء عند هيكل الرب، واستعملت المسيحية البخور من أبكر عصورها، ودامت عليه إلى اليوم.

ثم ننبه على أن البخور لك يمتزج بأية شعيرة إسلامية، فإما نشاهد استعماله في مسجد أو في حلقة ذكر، أو في حفل مولد فإنه إنما يحرق هناك للتطيب والتعطر ليس إلا، فإن رمز به إلى معنى ديني أو حمل اعتقادا ما فإنه يوشك أن يكون ابتداعا، وذلك ما رآه ابن الحاج في *المدخل* (1 : 291) في البخور المعروف ببخور عاشوراء.

ويعزل عن استعمال البخور لأغراض دينية ومقاصد نسكية، ويعزل عن استعماله للتطيب والتنعم، ولتطييب الهواء وقطع النتونة فإن عامة الشعوب ومن قديم الأزمان كانت تستعمل العديد من الأبخرة في التداوي من الأمراض، فمن ذلك التبخير على الحميات، وعلى البواسير (بالباء) والنواسير (بالنون) وعلى بثور الجُدَري وعلى سائر القروح الرطبة لغرض تجفيفها وإيباسها، وعرفت أبخرة يستشفى بها من الزكام والسعال والربو، وأخرى استعملت في إسقاط الأجنة وإخراج المشائم وإخراج العلق الناشب في الحلوق.

واستعملوا أبخرة لإبطال السحر، ولحل العقود، ولرد العين، ولدفع النَّظْرة (الإصابة بالعين من الجن) ولعلاج الصرع بنوعيه : المزاجي والروحاني، ولتزويج العوانس ولتنفيق التجارات.

ويقف القارئ لكتب الطب التراثية العربية والمعربة، وكذا كتب الأعشاب ابتداء "بالمقالات الخمس" لديوسقوريدس اليوناني، فإلى *كشف الرموز في بيان الأعشاب* لعبد الرزاق بن حمادوش الجزائري على أسماء العديد من الأبخرة بما نسب إليها من المنافع والخواص الصادقة أو المزعومة.

وكان التأذي بالهوام فاحشا مزعجا بكل أرض في حاضرة وبادية. فالتمس الناس من قديم الأزمان ما ينفرها عنهم تنفيراً أو يقتلها قتلا ذريعاً، فوقعوا من ذلك على أبخرة وأدخنة يقف القارئ على أكثرها في عامة كتب النبات والحيوان التراثية مما سندل على بعضه في جريدة المصادر.

ومواد البخور فيها النباتي وهو الغالب العام، ومنها الحيواني وهو دون ذلك، وقل التبخير بالمادة المعدنية قلة لا تذكر.

والبخور لفعل الخير يغلب فيه أن يكون بالطيب المحبوب مثل العود الهندي والصندل والجاوي والمصطكي والكندر...والغالب عليه في فعل الشر أن يكون بمواد كريهة أو ذوات نتونة، مثل التنكار، والزفت والحلتيت والصبر والكبريت.

وقد كان المغاربة يستعملون الأبخرة استعمالا فاشيا من قديم العهود، وأكثر ذلك - فيما يبدو - مأخوذ عن كتب الطب والعقاقير، ومن عامة كتب النبات والحيوان مما كانوا يتداولونه منها خلال العصور، ومازال - إلى اليوم - غير قليل منهم في بوادي المغرب وحواضره العتيقة يستعمل أبخرة نذكر منها بَخور ليلة السابع والعشرين من رمضان، وبَخور عاشوراء، وبَخور النفساء، وأبخرة لطرد الجان، ولإبطال السحر، ولفتح الكنوز. واشتهر عندهم بَخور يعرف باسم إشْگاف، وهو يتركب من بضع عشرة مادة فيها الفيجن والشونيز والحرمل والحلبة وسلخ الحية وشوك القنفذ والشب والكبريت، وهو يبخر به لطرد الأرواح الشريرة، ولإبطال السحر، ولرد العين، ولرفع المانع من تزويج العوانس، ولتنفيق السلع الكاسدة وغير ذلك من المكاره والأسواء.

ومازلنا نرى بالمغرب - إلى اليوم - رجالا طوافين على الأسواق وبأيديهم مباخر موقدة، ومعهم أكياس بخور، وعملهم أن يبخروا في الأسواق، وهم يترنمون بأزجال تتكلم بأذكار وصلوات وأدعية، فينفحهم المبخرون ببعض المال. ويخبرنا التاريخ أنهم بقية أقوام كانوا يحترفون التبخير في الخانات والأسواق بأكثر البلاد الشرقية على معلوم موقوت بالشهور أو بالأسابيع، وكان القصد من ذلك إلى التطهير والتعطير، ويمصر إلى اليوم رجال يسميهم المصريون المبخراتية، وشأنهم أن يبخروا في الأسواق، وأحيانا أمام الجنائز.

وبعد فقد أخذ الاعتقاد في البخور ينحلُّ ويسترخي من تأثير التحاليل العلمية الحديثة التي أنكرت الكثير مما نسب إليه من المنافع والخواص، وعلى ذلك فإنه لا ينبغي أن نلوي رؤوسنا عندما يجري الحديث عن البخور، ذلك بأن أشياء من الطب القديم كانت موضع سخرية من الطب الحديث، ثم أصبحت بعد التفتيش موضع تصديق واندهاش من معرفة القدماء بما يكمن فيها من الخفايا والأسرار، وعسى أن يكون بعض ما ينسب إلى البخور من ذلك.

م المجريطي، *غاية الحكيم* ؛ ح. ابن سينا، *القانون في الطب* ؛ م. البوني، *منبع أصول الحكمة* ؛ ع. ابن البيطار، *الجامع لمفردات الأدوية والأغذية* ؛ ز. القزويني، *عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات* ؛ الملك المظفر يوسف بن عمر التركماني، *المعتمد في الأدوية المفردة* ؛ داوود بن أبي النصر الاسرائيلي، *منهاج الدكان ودستور الأعيان* ؛ م. الدميري، *حياة الحيوان الكبرى* ؛ د. الانطاكي، *تذكرة أولي الألباب، الجامع للعجب العجاب* ؛ أبو القاسم الغساني الوزير، *حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار* ؛ أ. الدبربي، *فتح الملك المجيد، المؤلف لنفع العبيد* ؛ ع. ابن حمادوش، *كشف الرموز في بيان الأعشاب* ؛ المعلم بطرس البستاني، المجلد الخامس من *دائرة المعارف* ؛ م. ف. وجدي، *دائرة معارف القرن العشرين* ؛ أ. أمين، *قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية* ؛ مفتاح رمزي، *إحياء التذكرة في النباتات الطبية والمفردات العطارية* ؛ نادية بلحاج، *التطبيب والسحر بالمغرب*.

أحمد الشرقاوي إقبال

بَخُوش (أيت -)، قصر صغير يوجد على الضفة اليمنى لوادي دادس، جنوب قبائل أيت إحْيَا السدراتية، سمِّي باسم القبيلة التي تسكنه. ويدخل هذا القصر ضمن قصور أيت تْلاَگْلُو التي تشكل بالإضافة إلى قصور أيت سْعيدْ قبائل إشْححنْ. وتمثل هذه القصور نهاية امتداد قبائل أيت سدرات على وادي دادس ؛ ذلك أن قبائل أيت سَكْري (أوزكْرى) المغرانية الهسكورية تقف في وجه انتشارها بهذه المناطق.

تحريات ميدانية.

محمد حمام

البدالي، سيدي رحال، أبو العزم السملالي التَّمدُلتي، نسبة إلى مدينة تمدلت السوسية المندثرة. وينسب إلى الشرف الحسني، على النحو التالي : رحال بن أحمد بن الحسن ابن القاضي عبد الواسع بن محمد بن عبد الله بن سفيان بن جابر بن علي بن سليمان بن عبد الله الكامل، إلى آخر عمود النسب المشهور (*الاعلام*، 3 :224).

كان أسلافه الأوائل يقيمون بتمدلت، ثم رحل بعضهم إلى بلاد سملالة، قبل أن تنتقل أسرته إلى مدينة مراكش. وفي هذه المدينة ولد سيدي رحال في العشرة التاسعة من القرن التاسع الهجري (15 م)، وبها نشأ وتعلم. ولسواد بشرته لقب بالكوش، وصار يعرف برحال الكوش (*ممتع*، 41؛ *الإعلام*، 3 : 224. 226).

وبعد أن أخذ العلم الظاهر بمراكش، تاقت نفسه إلى سلوك طريق القوم. على غرار كثير من أقرانه، فانضم إلى زاوية الشيخ عبد العزيز التباع بمراكش (ت 914 / 1509) وأصبح من أخص أتباعه ومريديه. إلى جانب عبد الله الغزواني، وعبد الكريم الفلاح وأبي عثمان سعيد بن عبد المنعم الحاحي، وغيرهم (*دوحة*، 96، 100، 102). وهذا يعني أن رحال الكوش جزولي الطريقة، ومن الطبقة الثانية فيها،

إذ لا يوجد بينه وبين الشيخ المؤسس مَحمد بن سليمان الجزولي، سوى واسطة واحدة. بل يعتبر رحال الكوش من رواد هذه الطريقة وأقطابها الكبار الأوائل، زهدا وشهرة وكثرة أتباع. كان أحد المتنافسين، إلى جانب سعيد بن عبد المنعم الحاحي وعبد الله الغزواني وعبد الكريم الفلاح، حول منصب الزعامة (القطبانية) في الطريقة الجزولية، خلفا لشيخهم عبد العزيز التباع، وارث حال الشيخ الجزولي (*ممتع*، 37. 38).

وفي هذا الصدد يفهم من كتب التراجم أن النزاع المذكور كان السبب المباشر في انتقال رحال الكوش من مراكش إلى أغماي بحوز هذه المدينة. يقول صاحب *المتع* (ص 38) :"إن سيدي رحال الكوش، فيما يقال ظهر بمراكش ظهوراً يضاهي سيدي عبد الله الغزواني. فقال له سيدي عبد الله : إما أن تتركها لي أو أتركها لك، وأما حنشان في غار فلا يجتمعان. فقال له سيدي رحال : أنا أخرج عنك وأتركها لك. فخرج إلى أغماي، فذلك الذي أسكنه هناك".

وفي أغماي ـ الواقعة على بعد أربعين ميلا من مراكش في طريق تادلا ـ أصبحت له شهرة عظيمة، وبعُد صيته، وكثر أتباعه حتى إن عبد الله الغزواني كان يشعر إزاءه بالغيرة وهمٍّ أكثر من مرة بمنازلته في أغماي نفسها، (*ممتع*، 42). ولم تكن هذه الشهرة مرتبطة بما يؤثر عنه من كرامات فحسب، وإنما لمميزات تصوفه أيضا، ولا سيما تقشفه الذي لم يضاهه فيه أحد من أولياء زمانه، رغم كثرتهم. فقد ذكرت المصادر "أنه كان يعيش على نبات البرية، ويدخر زريعة الخردل لقوته"، (*دوحة*، 101). ولذلك اعتبر الصوفية رحال الكوش، من الأولياء الأبدال ـ المرتبة الثانية من مراتب الولاية الصوفية السبع بعد الأقطاب، (*دوحة*، 101 ؛ *ممتع*، 41). وهذه هي الصفة التي اشتهر بها فدعي رحال البدلي، أو البُدالي (*الإعلام*، 3 : 223).

وقد عاصر رحال البدالي حكم الدولة الوطاسية في شمال المغرب، وقيام الدولة السعدية بالسوس، ودخول زعمائها إلى مراكش. وفي هذا الصدد يفهم من المصادر التي ترجمت له، على غرار سائر معاصريه من أولياء مملكة الجنوب، ومنها مراكش، أنه لم يكن له أي اتصال مباشر أو غير مباشر ببني وطاس، وإنما على العكس من ذلك كان من المساندين لنشاط الحركة السعدية معنويا وماديا لملء الفراغ السياسي في الجنوب وتحرير الثغور المحتلة، كما كان أيضاً من بين الذين مهدوا للأميرين أحمد الأعرج وأخيه محمد الشيخ الدخول إلى مراكش والتخلص من ناصر بوشنتوف سنة 930 / 1524 (*شمس*، 87 ؛ *الأولياء*، 2 : 632. 633).

وإذا كانت المصادر لم تخبرنا عن دور رحال البدالي في مساعدة السعديين على صد هجوم السلطان أحمد الوطاسي عن مراكش سنة 933 / 1527، كما فعلت بالنسبة لرفيقه عبد الله الغزواني، فإنها تشير إلى أن الصلح الذي عقد بين الوطاسيين وأحمد الأعرج السعدي أمير مراكش، عقب معركة أغماي، التي جرت بين الطرفين عام 935 / 1529، تم تحت إشراف الأولياء (*L'Etablissement*, 67) ومن ثم، ليس من المستبعد أن يكون للشيخ رحال البدالي، الذي جرت المعركة بجوار زاويته، دور في هذا الصلح، (*الأولياء*، 2 : 638).

على أن أبرز وآخر دور قام به الشيخ رحال البدالي لصالح الدولة السعدية هو توسطه في النزاع الذي نشب بين الأخوين السعديين، أحمد الأعرج ملك مراكش، ومحمد الشيخ ملك سوس، عقب فتح أگادير وتحريرها من البرتغاليين عام 1541 م. إذ تذكر المصادر أنه بمجرد ما شرع الشريفان في الاستعداد للحرب تحرك الشيخ رحال ـ الذي غدا آنئذ قطب أولياء الجنوب ـ بعد وفاة سائر منافسيه (*ممتع*، 86) في محاولة لخنق الصراع (*افريقيا*، 1 : 461). وهكذا اتصل الشيخ رحال بأحمد الأعرج ودعاه للتسمك بجانب الحكمة تلافيا لقطع العلاقات مع أخيه... وحتى يترك له فرصة عرض وساطته على المولى محمد الشيخ. وقد توجت مساعيه فعلا "بتنظيم لقاء بين الشريفين على ضفاف نهر إسل، حيث حضر كل منهما ومعه خمسمائة فارس..." (*افريقيا*، 1 : 461).

وإذا كنا لا ندري فحوى الاقتراح الذي تقدم به الشيخ رحال البدالي لتحقيق الصلح بين الطرفين، فإن أهم ما أسفرت عنه وساطته هو تأجيل الصدام المباشر سنة كاملة، إذا استثنينا بعض المناوشات بين قوات الأميرين، التي تطورت، كما نعلم، إلى معركة أمسكرود في أكتوبر 948 / 1542. ولم يعمر رحال البدالي بعد ذلك إلا نحو أربعة شهور، إذ توفي سنة 949 / يناير 1543 م. ودفن بزاويته، وعليه حتى الآن، بأغماي التي تعرف أيضا بسيدي رحال، قبة هائلة.

ومن أولاد هذا الشيخ : عبد العزيز بن رحال، وهو صوفي كوالده، غدا شيخاً للزاوية خلفاً له بعد وفاته. ثم حفيده أحمد ابن عبد العزيز، وكان ملامتيا، (الإعلام، 3 : 225).

وأشهر تلامذته الشيخان أحمد العروسي صاحب الرباعيات كرباعيات عبد الرحمان المجذوب، ومحمد بن محمد بن ويسعدن السگتاني دفين الأطلس الكبير.

وهناك جماعات يسمون "أولاد سيدي رحال البدالي"، ويدعون أنهم ورثة بركته، التي تتيح لهم الإخبار بالمغيبات والقيام ببعض الخوارق.

م. ابن عسكر، *دوحة* ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع* ؛ أ. الحلفاوي، *شمس المعرفة في سير غوث المتصوفة*، مخطوط خ.ع، رقم 1720 د ؛ ع. التمارتي، *الفرائد الجمة*، مخطوط خ.ع، رقم 1240 د ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977، ج. 3 ؛ أ. الوارث، *الأولياء ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرن 16 م*، ر. د. د. ع. بفاس.

A. Cour, *L'Etablissement des Dynasties des Cherifs au Maroc*, Editeur, 1904.

أحمد الوارث

بداوة، قبيلة تقع بناحية الهبط (إقليم العرائش حاليا) وتحيط بها قبائل : جبل حبيب، بني عروس، بني گرفط، البدور، امزورة، الغربية، وتقدر مساحتها بـ 49 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1940 : 1579 نسمة يتكلمون اللهجة العربية الدارجة، ويوجد بالقبيلة ثمانية مساجد وثلاثة أضرحة وزاوية وعشرة كتاتيب قرآنية.

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق هي : الدويبات والزاوية والگليلات والجهمة. ويُوجد بكل واحد منها ثلاثة مداشر.

وفي التقسيم الإداري الحالي تكوّن هذه القبيلة مع قبائل البدور وامزورة وعامر وجزء من قبيلة بني عروس جماعة قروية واحدة باسم جماعة أربعاء عياشة.

Aranda, Coronel, *Geografia* ; Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos* ; Comision historica, *Geografia* ; A. Domenech, *El Habt*, p. 16 ; Domenech, Angel, *Zona Norte* ; A. Ghirelli, *El Norte* ; *Vademecum, (1948) de la Intervencion Territorial del Lukus*, p. 120.

البَداوْدي، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الخلط، وكان من بين أفرادها بتطوان :

البداودي، الطاهر بن محمد، معلم صانع كان حيا سنة 1275 / 1859.

البداودي محمد بن أحمد، تاجر ممن وقعوا على عقد البيعة لمولاي سعيد بن السلطان مولاي اليزيد بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 1236 / 7 مارس 1821.

البداودي، محمد بن محمد فقيه كان يزاول خطة العدالة سنة 1102 / 1691.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 296، 302 / 3 : 269 / 7 : 305 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro, *Familias*; *Vademecum* (año 1931) (B).

البْداوْري، أسرة تطوانية لعل أصلها من قبيلة بني يدّر وكان من بين أفرادها :

البْداوري، أحمد بن الحاج المفضل الذي كان يتعاطى خطة العدالة بتطوان سنة 1308 / 1891. ولعله توفي حوالي سنة 1317 / 1900، وبذلك انقرضت هذه الأسرة من تطوان.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بَداي ولد البَرْدي، ينتمي أصل البردي بالصحراء الأطلسية إلى فصيلة أولاد موسى من اللف الساحلي لقبيلة الرگيبات. وقد عرفت القبيلة تعدد الأشخاص الذين تمكن مقارنتهم ببداي، بل إن تعدد هذه النماذج هي التي قلبت القبيلة المسالمة أصلا إلى رابطة قبلية للمواجهة العسكرية والمطالبة.

فكلما استنطقنا الأحداث التاريخية حول هذه القبيلة نصطدم بحقيقة هامة وهي أن العصبية إطار تنظيمي تلتئم فيه الفاعليات وتنتظم داخله التحالفات في مجتمع لا يفرق بين أهله إلا الانتماء إلى هذه العصبية أو تلك. فقد عرفت نهاية القرن التاسع عشر تسيد بداي ولد البردي على فصيلته في مرحلة أصبحت فيها قبيلة الرگيبات في مصاف المحاربات. لقد تميز جيل الثلاثينات من هذا القرن بمجابهة تسلط أولاد دليم المعقليين. وهو دور محدد جعل لزاما على الأجيال اللاحقة تجاوزه سياسيا وعسكريا. فبدا عادياً أن يطور جيل بداي مفهوم مراقبة المجال والتوسع إلى أبعد النقط الجنوبية، فعلماً بأن الشمال (وادي نون وباني) يعد ملكا لتكنة الذين يستحيل التصدي لهيمنتهم المطلقة، تستمد العصبية الرگيبية قوتها من مجابهة القبائل الأخرى جنوب الساقية الحمراء وداخلها. وهكذا نجد بداي ولد البردي على رأس غزوة وصلت حتى تاودني لتناوش قبيلة البرابيش وتفقدهم عددا هاما من إبلهم. وإذا كانت هذه القبيلة معروفة بوزنها العسكري الثقيل، فإن عملية بداي تكسب قبيلته وزناً لا يقل أهمية. ذلك أنه لا بد لعملية حربية بمثل هذه الأهمية من ضمانات فعلية يفترضها نظام التحالفات القائم الذات. فلا بد أن تكون وراء هذه الخطوة الاستراتيجية عوامل موضوعية خفية هي التي تؤطر مفهوم التعاون والتعاضد داخل التناحر والتنافس. وهو ما يمكن أن نكتشفه إذا ما ركزنا على انتصار الرگيبات على مجمل القبائل المعقلية الواقعة يومها جنوب الساقية الحمراء.

لقد أصبح الأساس الذي تقوم عليه العلاقات هو نصرة الأقوى ظالما ومظلوما مخافة تسلطه. فكان لا بد للرگيبات قبل الشروع في الغزو من الاعتماد على أولاد المولات القريبين من البرابيش كقاعدة خلفية أكيدة يتم الالتجاء إليها عند الضرورة. وهكذا ندرك لماذا عهد البرابيش بعد تتبعهم أثر بداي ولد البردي ومجموعته إلى الأخذ بثأرهم من أولاد المولات محصلين بذلك على قدر كبير من الإبل. أقام يومها بداي مدة مع أولاد المولات إلى أن قرر مغادرتهم عائداً إلى فصيلته. على أنه اعتباراً لطبيعة ميزان القوى بين القبيلتين وتثبيتا للأمر الواقع، فإن بداي ولد البردي لم يغادر أولاد المولات إلا بعد أن غزا قدراً من إبلهم. وقد لحق مباشرة بفصيلته التي عززته ورفضت إعادة الإبل إلى أهلها (*جوامع*، 74. 91. 92).

واضحٌ إذن أننا هنا أمام نموذج للرئيس الخبير بقواعد ومبادئ نظام التحالفات، المستوعب لأسباب كل حادث. وبذلك فهو يمثل أحد الأمثلة التي تجعل من التاريخ شاهدا على نفسه.

محمد سالم ولد لحبيب ولد الحسين ولد عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرگيبات*، دراسة وتحقيق ناعمي مصطفى، 1991.

S. Caratini, *Rgeibat* (1610 - 1934), L'Harmattan, 1989.

مصطفى ناعمي

البَدّادْ، من فعل "بدّ" الذي يعني بالأمازيغية "وقف"، ومنه أبْدّادْ أي الوقّاف أي الرجل الذي يقف مراقبا وموجها لأعمال عمال مشتغلين مأجورين أو مسخرين في

ورش بناء أو حرث أو حصاد أو غير ذلك. وإدخال الألف واللام في صيغة "البداد" من إدماجه في العربية التي نجدها في وثائق المخزن أو وثائق بعض أعوانه من القواد وغيرهم. والبداد ليس عاملا بسيطاً وليس "متعلماً" صاحب صناعة، فهو قبل كل شيء محرض وحارس ومستحث وزاجر للمتهاونين ممن يقف على رؤوسهم. كانت أجرة البداد قرابة ثلاث مرات أجرة العامل في البناء.

كناش القائد الجيلالي الدمناتي، (النصف الثاني من القرن التاسع عشر).

أحمد التوفيق

البَدّوزة، رأس يقع غرب منطقة عبدة حيث يطل على الساحل الأطلنتي، على بعد خمسة وثلاثين كيلومتراً شمال مدينة أسفي.

مميزات طبيعية : على ارتفاع يناهز 53 م فوق سطح البحر ينبثق رأس البدوزة من ساحل عبدة حيث تسود الكثبان الرملية المتحجرة المتوازية فيما بينها ومع الشاطئ والمكونة من حُث كلسي يرجع إلى أوائل الزمن الرابع يظهر محليا عاريا في مساحات شاسعة، أو تغطيه تربة رقيقة من نوع "الرمل" تكسوها في فصل الأمطار (350 مم) نباتات سفلى عابرة.

يشرف رأس البدوزة على المحيط بواجهتين مختلفتين من حيث المظهر.

- الواجهة الأولى متركبة من جرف مهجور شبه مستقيم يمتد في اتجاه شمالي شرقي وتفصله عن البحر كثبان رملية متحركة تغيب في شريط المد والجزر حيث تبرز نتوءات وسطوح صلبة تحمل بصمات التعرية البحرية (حافات متقطعة، شخاريب ساحلية...).

- الواجهة الثانية متشكلة من جرف ملطوم شبه مستقيم يمتد في اتجاه جنوبي شرقي وتتقدمه كتل صخرية كبيرة انفصلت عنه بفعل التعرية.

يمتد شاطئ البدوزة تحت سطح البحر في شكل رصيف قاري شديد الانحدار تحده حافة تحتبحرية حيث يتكسر العباب بعنف لا تضاهيه إلا برودة الماء التي يبثها تيار الكناري عبر مياهه القطبية.

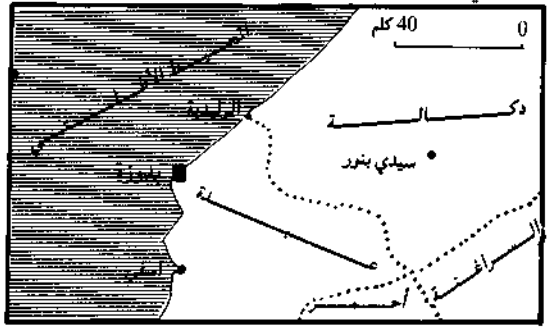

موقع بدوزة

رغم قساوة الظروف الطبيعية (قلة الأراضي الزراعية وفقرها، ضعف التساقطات، خطورة الشاطئ...) عرف رأس البدوزة حضوراً بشرياً منذ أقدم العصور.

معالم تاريخية : ترك إنسان ما قبل التاريخ بصمات مرتبطة بنمط عيشه، وذلك على طول قدم الجرف المهجور، في شكل مواضع الكيوكنمودين Kjökkenmödding (كدس من فتات صدفات الحلزون والبلح المتراكمة في أماكن الطهي). توجد هذه المواضع على مقربة من مغارات قبلتاريخية نُسجت حولها معتقدات وأساطير تسرّب بعضها إلى عصرنا. ومن أشهر هذه المغارات توفري محضار وخلوة سيدي الزلزولي.

يلوح العصر القديم من خلال مؤشرات ما زالت تثير العديد من التساؤلات، ففي قلب الجرف المهجور، على بعد كيلومتر ونصف تقريبا شمال ضريح للاتاساولت توجد مغارة على شكل غرفة مستطيلة لها باب يشبه نافذة، على ارتفاع نسبي يناهز ثلاثة أمتار. هذه الغرفة تحمل آثار النقش بأدوات معدنية على غرار مثيلاتها في سواحل القطر التونسي حيث تدعى حوانت وتنسب إلى قوم نشروا استعمال البرونز.

في العصر القديم عُرف رأس البدوزة باسم رأس الشمس Solis Promuntorium. وقد حظي بمكانة رمزية مرموقة حيث اعتبره سيلاكس Scylax أشهر وأقدس مكان في ليبيا بأسرها. أما حانون القائد والرحالة القرطاجني فقد شيد به، حسب ما رواه بلين، معبداً على شرف إله البحر بوسايدون. ولعل في عناصر البناء الكائنة قرب ضريح سيدي ششكال (1.5 كلم شمال بداية رأس البدوزة) تزكية لهذه الرواية. تشمل هذه العناصر المشكّلة من حُث جد صلب جزءاً كبيراً من عمود أعيد استعماله كعتبة بئر محلي وأحجار منحوتة، متوسطة الحجم استعملت كدعامة للصخرة التي شُيد فوقها الضريح المذكور.

آثار العصر القديم تتجلى كذلك على صعيد بعض الظواهر الثقافية التي تُنسب أصولها إلى تقاليد فينيقية أو قرطاجنية. ففي المقابر العتيقة تحمل المسلات نقوشاً هندسية تَبرز فيها المثلثات على غرار مثيلات لها بمدينة سلا. على أنه يوجد تشابه كبير بين هذه الرسوم وتلك التي تزين جل قوارب الصيد العتيقة على مستوى الجؤجؤ والكوثل.

نجد بالمنطقة آثاراً رمزية من العصرين الوسيط والحديث من بينها هندسة المساجد العتيقة المجاورة لبعض الأضرحة. تتميز هذه المساجد بشكلها الطولي وسقفها المقوس المعروف «بظهر الكيدار» ومقطورتها الدائرية التي تتصدر المسجد وتبرز بسقفها المخروطي. يمثل مسجد للاتساولت نموذجاً لهذا النمط الهندسي. ومن بين ما تركته هذه العقود الغابرة الاسم القديم الذي ظل يُطلق على رأس البدوزة إلى عصرنا هذا، ألا وهو رأس كانتان Cap Cantin ويرجع أصل هذا الاسم - فيما يبدو- إلى كونتي Conte المدينة التي أشار إليها حسن الوزان J. L. L'Africain بكونها مدينة خربة على بعد عشرين ميلا عن مدينة آسفي في ساحل خضع فيما مضى إلى حكم القوط. ولعل مكان هذه المدينة الصغيرة هو ذلك الذي يُعرف الآن باسم للاحاجّة، ويوجد

على بعد أربعة كيلومترات شمال شرق رأس البدوزة حيث تبرز آثار في شكل برج وبقايا جدران عريضة، إضافة إلى مقبرة عتيقة وكبيرة تدعى للامائة أحمد ومحمد، إشارة إلى أن عدد الأموات المدفونين بها يكاد لا يحصى، بيد أن الإشارة إلى أسماء «أحمد ومحمد» فحسب قد تدل على قدسية الظاهرة نظراً لعلاقتها المحتملة مع الجهاد ضد الوجود البرتغالي على السواحل (أسفي، الجديدة). وتتوفر المنطقة على مؤشرات أخرى تدعم هذا الطرح. توجد قرب منارة البدوزة آثار مقبرة كبيرة بجوار ضريح يُدعى سيدي مجمع الصالحين، مما يشير مرة أخرى إلى جماعة (من الصالحين) مع التلميح إلى عادتهم في التجمع. على نطاق أوسع، تعرف المنطقة كثافة قلّ نظيرها من الأضرحة، مما طبع محليا الثقافة الشعبية حيث يرد الحديث عن «رجال الساحل» ويُذكر المجال بنوع من الخشوع والإجلال مصداقا للقولة المتداولة «في الساحل كل حَجرة بصالح» أي أن عدد الصالحين يُضاهي عدد الحجارة.

استقرت بدوار البدوزة خلال عصر الحماية جالية أوربية قليلة العدد نَظّمت حياتها «الثقافية» حول مقهى اشتهر في أدبيات السياحة بمهارته في طهي وتقديم الأسماك والقشريات. وتُعتبر منارة رأس البدوزة أهم معلمة شيدت في أوائل هذا العصر.

في عهد الاستقلال، عرف رأس البدوزة الذي أصبح يحمل اسم الدوار المجاور ميلاد بعض المشاريع الادارية والاجتماعية التي أخذ بعضها يتحقق ابتداء من أواسط السبعينات (مكتب الحالة المدنية، مكتب بريدي، مستوصف، مدرسة ابتدائية، دور لفائدة بعض رجال السلطة المحلية). ومن أهم ما أنجز في أواخر الثمانينات تزويد المنطقة بالماء الشروب والكهرباء. بيد أن التجهيزات الاقتصادية تبقى منعدمة مما يساهم في تفسير هجرة قوية خصوصا نحو مدينة أسفي المجاورة.

عناصر اقتصادية : يرتكز اقتصاد المنطقة على الفلاحة التقليدية والصيد البحري. وتعتمد الفلاحة على زراعة خفيفة للحبوب (شعير، ذرة) وتربية الماشية بأعداد متواضعة ترعى في الأماكن المتدهورة التي انجرفت تربتها.

وظل الصيد البحري أشهر نشاط اقتصادي يميز المنطقة منذ أقدم العصور. وإن كانت أنواع الأسماك وكمياتها ما فتئت تتقلص نتيجة استنزاف هذه الثروة خصوصاً من طرف أساطيل الصيد الدولية.

من المؤشرات التي تبين الطابع العتيق لممارسة الصيد، مانلاحظه من استعمال حالي لمصطلحات بربرية في تسمية أماكن (وارزاق، أقصري...) وأسماك (أمول تاروزيت...) وأجزاء القوارب (اماون، توزومين...) مع العلم أن سكان المنطقة لا يتكلمون الأمازيغية.

يمارس الصيد أساسا بواسطة القوارب الصغيرة. ويمكن في هذا الإطار التمييز بين ثلاث مراحل : تتميز المرحلة الأولى باستعمال القوارب العتيقة Pirogues التي صممت في غالب الأحيان بحيث لا يختلف فيها الكوثل عن الجؤجؤ الشيء الذي يمكنها من شق الأمواج والتخفيف من قوة دفعها وهي تتأهب للخروج من البحر بعد كل «طلعة». كانت هذه القوارب تحرك بواسطة المجاذيف ويمتطيها طاقم مؤلف من ستة أشخاص يقودهم رئيس. وقد كانت تصداد أساسا سمكا يدعى ساركال (سمك أزرق معدل وزنه خمسة كيلوغرامرات) الذي كان يتم تسويقه على ظهر الدواب في مختلف أرجاء المنطقة. لم يعد لهذه المرحلة أثر إلا في ذاكرة السكان.

تميزت المرحلة الثانية بتغييرات أساسية. فقد تقلص حجم القوارب قليلا وازداد عددها (حوالي 60 قاربا حاليا) ولم تعد تخرج إلى اليابس بعد كل طلعة بل تبقى راسية خلف خط الملطم على الواجهة الجنوبية الشرقية لرأس البدوزة حيث يحميها الجرف الملطوم من الرياح الشمالية. وقد تخصصت هذه القوارب أساسا في صيد القشريات (سرطان وجراد البحر) بواسطة سلات معدة لهذا الغرض. وقد كانت تصدر هذه القشريات إلى الخارج عبر الدارالبيضاء.

وتميزت المرحلة الثالثة والأخيرة بإدخال وسائل جديدة حيث حل المحرك محل المجذاف واستبدلت السلات بأشباك متخصصة. وفي السنين الأخيرة تقلصت كمية القشريات المصطادة وارتفعت التكاليف مما حدا بالبحارة إلى الاعتماد شيئا فشيئا على صيد الأسماك العادية.

يتميز الصيد البحري بمردوده المتواضع نظراً لتكاليف التجهيز وعدم استقرار المحاصيل وارتفاع حصة الوسطاء في تجارة الأسماك. ولا يستفيد البحارة من أي تأمين مع العلم أنهم يعملون في ظروف خطيرة بدون أجهزة الوقاية، وأغلبهم لا يحسنون السباحة.

أخذ رأس البدوزة يعرف انتعاشا في مجال السياحة الداخلية حيث أصبح قبلة المصطافين من مدينة أسفي. وقد ساهم في هذا الانتعاش ترشيد وسائل النقل، وكذا التلوث الذي عم الشواطئ القريبة من أسفي من جراء المعامل الكيماوية. بيد أن هذه السياحة ما زالت تفتقر إلى التجهيزات الأساسية وإلى التدابير التي من شأنها أن تحد من الغموض والمضاربات العقارية، وإلى وضع تخطيط متكامل وقار قصد استصلاح أحد أجمل شواطئ المغرب.

A. Guilcher et F. Joly, *Recherches sur la morphologie de la côte atlantique du Maroc*. Travaux de l'Institut Scientifique Chérifien. Série Géologie et Géographie Physique n° 2. Editions Internationales, Tanger 1954 ; M. Rousseaux, *Hannon au Maroc*, Société Historique Algérienne, Alger 1949, p. 71 ; J-L. L'Africain, *Description de l'Afrique*, Traduit par A. Epaulard, Adrine - Maisonneuvre éditeur, Paris 1956, p. 319 ; A. Antona, *La Région des Abda*, Chambre mixte d'Agriculture, de Commerce et d'Industrie de SAFI, Imprimerie Officielle, Rabat 1931, p. 211.

محمد زگور

البدراوي، أسرة فاسية شريفة يرتقي نسبها إلى محمد ابن إدريس بن إدريس الأكبر. خرجوا من فاس ـ كسائر الأدارسة ـ بعد انحلال دولتهم فراراً من عسف موسى بن أبي العافية، واستقروا أجيالا بفگيگ في قصر الوداغير، ثم انتقلوا إلى وادي الرتب بسجلماسة، ومنها عادوا إلى فاس في أواخر القرن الثاني عشر (18 م).

كان أول عائد منهم إلى فاس عبد الله بن عبد القادر البدراوي فسكن داراً بدرب بوحاج من حومة الطالعة، وتوالى عقبه في الإقامة بها حتى اشتهرت بهم وعرفت بدار البدراويين. ويُدعى البدراويون أيضاً بالودغيريين اعتباراً لمقر أسلافهم بقصر الوداغير بفگيگ، وبالبگراويين ـ بقاف معقودة ـ إلا أنهم كانوا لا يحبون هذا اللقب، كما يعرفون بالجماليين والشماسيين نسبة إلى جديهم جمال بن محمد وشماس.

البدراوي، أحمد بن **أحمد** بن الطيب الحسني، فقيه تخرج من القرويين بعد تنظيمها، ومارس التدريس بها مدة ثم عين قاضياً غير أنه أُخر فيمن أخروا من القضاة أواخر عهد الحماية. وبعد الاستقلال عين قاضياً بصفرو ثم بتازا، وأخيراً عضواً بمحكمة الاستيناف بالرباط إلى أن أدركته الوفاة بالرباط عام 1389 / 1969.

البدراوي، أحمد بن **اليزيد** الحسني. ولد بفاس وقرأ بها على كبار شيوخ عصره كأحمد بن الخياط وأحمد بن الجيلالي وأحمد بن المامون البلغيثي وعبد الله الفضيلي وغيرهم. وبعد أن اشتغل مدة بالتدريس في ثانوية مولاي إدريس، انتصب عدلا بسماط العدول قبل أن ينتقل عضواً بمحكمة الاستيناف الشرعي بالرباط، ثم قاضياً بمدينة الرباط، حيث اشتهر بالعدل والاستقامة. وفي نفس الوقت كان يلقي دروساً في فروع الفقه وأصوله. إلى أن أوقف عن عمله بعد نفي محمد الخامس.

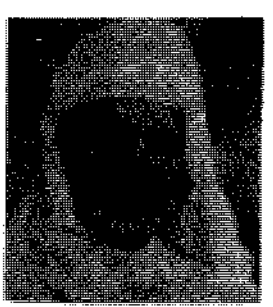

وبعد الاستقلال أصبح رئيس الاستيناف الشرعي، وشارك في وضع مدونة الأحوال الشخصية. ولما أدرك سن التقاعد أُصيب بمرض ألزمه الفراش عدة سنوات إلى أن مات بالرباط صباح السبت عاشر شعبان عام 1388 / 2 نونبر 1968 ودفن بمقبرة سيدي الخطاب خارج باب العلو.

البدراوي، إدريس بن **عبد الله** بن عبد القادر الحسني. أستاذ فقيه مدرس خطيب صالح ناسك، شيخ جماعة القراء في وقته، أخذ هذا الفن عن والده، وعن الأستاذ محمد بن عبد السلام الفاسي. "وكان يدرس *المختصر وألفية ابن مالك* من الزوال إلى الظهر، وإذا أتم نصابه منها نزل لآخر درجات الكرسي وأخذ في قراءة السبع مع جماعة من الطلبة يُعرِّفهم القراءات وتوجهها وينبههم للمخارج والأصول، هذا دأبه ـ رحمه الله ـ مع عفاف وصيانة، وزهد وديانة". (*فهرس الوزاني*).

كان إدريس البدراوي خطيباً مفوهاً، خطب بفاس العليا، ثم بمسجد الرصيف، ثم بجامع القرويين في أوائل عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام، ثم أُخر عن الخطبة في رجب عام 1247 بعد أن استنكر حوادث الأوداية المعروفة.

ذكر الفضيلي أن له أربعة عشر تأليفاً، فصلها ابن سودة كما يلي، ومعظمها في القراءات :

ـ *التوضيح والبيان في مقرأ نافع المدني ابن عبد الرحمن*.

ـ *عمدة البيان في اختصار مورد الظمآن*. فيما ورد من حذف الألفات وتبقيتها التي وردت في المصاحف كما رواها نافع عن السلف الصالح مرتبة على حروف التهجي...

ـ *شرح عمدة البيان* في ثمانية كراريس.

ـ *قاموس قراءة نافع*، بناه على حروف التهجي.

ـ *أزهار الحدائق في مخرج الوصف والحقائق*، في مخارج الحروف.

ـ *تأليف في الضبط وحكم الشدة*.

ـ *شرح دالية ابن مبارك السجلماسي*.

ـ *حاشية علي الجعبري*.

ـ *طرر على فرائض مختصر خليل* وجدول عى مقاصاته.

ـ *خطب وعظية*.

ومنها منظومات وأراجيز تعليمية :

ـ *أرجوزة في الحذف والثبت* ومقرإ السبع عن قالون ومن معه.

ـ *أرجوة العشرة الكبيرة وحمزة*.

ـ *منظومة في همزة الوصل والحرف بعدها*.

ـ أرجوة في سبعمائة وثلاثة وعشرين بيتاً سماها *سلم الفرائض*.

ـ *طرر على سلم الفرائض*.

توفي بعد صلاة العشاء من ليلة الأربعاء سادس عشر محرم عام 1257 / 9 مارس 1841، ودفن بالقباب خارج باب الفتوح قريباً من الشيخ أحمد اليمني.

البدراوي، إدريس بن **محمد** الحسني، فقيه مشارك اشتغل مدة بالنيابة عن قاضي الرصيف بمدينة فاس. وتوفي صباح يوم الأربعاء 29 ربيع الثاني عام 1383 / 19 شتنبر 1963.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 128 ـ 133 ؛ ج. الكتاني، *الشرب المحتضر*، 18 ؛ عباس الحجرتي، *الروض الطيب*، مخطوط ؛ أحمد الوزاني، *فهرس*، مخطوط ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط.

محمد حجي

البدراوي، بدرالدين بن الفاطمي بن ادريس، أحد شباب مدينة فاس الذين استهوتهم الحركة الاصلاحية التي شهدتها تركيا بزعامة مصطفى كمال في بداية العشرينات من القرن الجاري. كما احتك بأفكار الاشتراكيين الفرنسيين المقيمين بالمغرب، على رأسهم الصحافي كاريط بوڤي Carette - Bouvet.

ورغبة منه في بث اقتناعاته السياسية بين الشباب المغربي، أصدر جريدة عربية بالدارالبيضاء تحت عنوان *الأخبار المغربية*، وذلك بتعاون مع كاريط بوڤي. فظهر عددها الأول يوم 26 مارس 1921، وتعتبر هذه الجريدة بذلك أول جريدة عربية رخصت إدارة الحماية لمغربي بإصدارها. لكن نشاطها لم يدم طويلا، ذلك أن الإقامة العامة لم تستسغ انتقاداتها للسعادة، ولا تعاطفها مع حركة مصطفى كمال، ولا نداءاتها بإصلاح التعليم بالمغرب.

Bulletin Oficiel, N° 444, du 29 mars 1921, p. 546 ; Margot, *La presse arabe en 1927*, Publication de la Résidence Générale au Maroc, Rabat, 1927 ?.

جامع بيضا

البدراوي، بَنَّصَر بن إدريس الحسني، هكذا اشتهر اسمه على الألسنة، بينما تفصحه مصادر أخرى فيكتب أبو النصر أو أبو نصر.

تخرج على يد والده ومن في طبقته من شيوخ فاس، واشتغل طوال حياته بالتدريس إلى أن وافاه الأجل في رابع ذي القعدة عام 1286 / 5 فبراير 1870 ودفن بروضة أهله في خلوة بوعزة من حومة البليدة.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 130 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1286 ؛ عباس السجلماسي الحجرتي، *الروض الطيب*، مخطوط.

البدراوي، الطيب بن محمد بن بَنَّصَر الحسني، فقيه ناسك مدرس نفاع، نقيب الشرفاء بفاس "كان من أهل الطبقة الأولى من العلماء. وهو النقيب العام على جميع الأشراف بفاس غير أصحاب الإراثة" (*إتحاف*).

توفي في الساعة العاشرة من ليلة الأحد ثالث شعبان عام 1361 / 16 غشت 1942، عن سن تناهز التسعين، ودفن إثر ظهر الأحد بروضة البدراويين بالبليدة المعروفة بروضة سيدي بوعزة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1361 ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

البدراوي، عبد الله بن إدريس الحسني، ولد بفاس عام 1237 / 1821. ودرس بها على والده ومن في طبقته، وكان "علامة مشاركاً مطلعا محققا مدرساً له الفهم الثاقب، يحضر دروسه فحول الطلبة. تولى نقابة جميع الأشراف بفاس إلى وفاته". (*إتحاف*).

وممن قرأ عليه إدريس ابن الماحي الإدريسي الذي قال في ترجمته :"حضرت عنده في *صحيح البخاري* بمسجد الحدادين من طالعة فاس، وهو يرويه عن سيدي الوليد العراقي". (*وفيات*).

توفي يوم الأربعاء تاسع وعشري ذي الحجة عام 1316 / 10 ماي 1899. ودفن بروضة سيدي بوعزة بحومة البليدة وكانت له جنازة حافلة.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 131 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1316 ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

البدراوي، محمد بن **إدريس** بن **بَنَّصَر** الحسني. ولد بفاس وبها درس على أعيان علماء عصره، كعم والده عبد الله بن إدريس البدراوي، وأحمد بن الخياط، ومحمد گنون، وعبد السلام الهواري، ومحمد القادري. وبعد أن تم تكوينه اشتغل بالتدريس مدة غير قصيرة قبل إدخال النظام في القرويين، وكان من الآخذين عنه فيها عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة الذي ترجم له في كل من *الاتحاف* و*الفهرس*. وبعد ذلك أصبح محمد البدراوي عضواً بالمجلس العلمي بالقرويين، ثم قاضياً بفاس الجديد أواسط عام 1346 / 1927، ثم قاضياً بمقصورة الرصيف بفاس في أوائل ربيع الأول 1350 / يوليوز 1931 وبقي بها إلى أن أدركته الوفاة صبيحة يوم الأربعاء سادس شوال عام 1354 / فاتح يناير 1936، ودفن بروضة سيدي بوعزة من حومة البليدة.

وقد اشتهر في قضائه بالعدل والنزاهة والإنصاف، وفصلت مرثية الشاعر عبد المالك البلغيثي جوانب عدل القاضي البدراوي، وهي طويلة تامة في *صل النصال*، مطلعها :

أقاضيَ المسلمين مَنِ البديلُ ... ومثلُك في محاكمنا قليلُ
أقاضيَ المسلمين رحلتَ عنا ... فكم أسفٍ يُجرِّعُنا الرحيلُ

م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 175 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1354 ؛ *صل النصال*، الترجمة، 164 ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

البدراوي، محمد بن **إدريس** بن **عبد الله** الحسني، عالم مشارك، درس على والده القراءات والعلوم الشرعية، كما درس على غيره قواعد اللغة والمعقولات، فكانت "له اليد الطولي في المعقول والمنقول" قضى حياته في التدريس بالقرويين وغيرها من مساجد فاس ومدارسها إلى أن أدركته الوفاة في حادي عشر رجب عام 1286 / 17 أكتوبر 1869 ودفن بروضة أهله في خلوة سيدي بوعزة من حومة البليدة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1286 ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

البدراوي، محمد بن يَنْصَر الحسني، فقيه مشارك قرأ بفاس على والده وعمه محمد بن إدريس البدراوي ومحمد الحمادي المكناسي وعمر ابن سودة وغيرهم. قضى معظم حياته في التدريس، وتولى قضاء مدينة الصويرة مدة. وتوفي بفاس زوال يوم الاثنين تاسع عشر شعبان عام 1311 / 26 فبراير 1894 ودفن بروضة أهله بخلوة سيدي بوعزة من حومة البليدة.

م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 175 ؛ عباس السجلماسي الحجرتي، *الروض الطيب*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1311 ؛ إ. بن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط ؛ م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 123.

البدراوي، محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني، ولد بفاس عام 1299 / 1881 وبها نشأ ودرس على شيوخ عصره، وفي مقدمتهم والده وأعمامه العلماء، إلا أنه لم يوغل في الدراسات الفقهية، إذ كانت له نزعة أدبية، وهي التي اشتهر بها. كان شاعراً مجيداً أكثرُ شعره في الغزل، وبعضه في التصوف. وله قصيدة بليغة عارض بها تائية البوصيري إلا أن شعره لم يجمع في ديوان.

توفي يوم الاثنين خامس صفر عام 1347 / 23 يونيه 1928، ودفن بروضة سيدي بوعزة من حومة البليدة بفاس.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1347.

البدراوي، محمد بن اليزيد الحسني، فقيه متمكن قضى حياته في التدريس بفاس إلى أن أدركته الوفاة في سابع وعشري محرم عام 1342 / 9 شتنبر 1923.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1342.

محمد حجي

بدرو دي سلزار Petro de Salazar عاش في كنف الملك فليب الثاني الإسباني، وبأمره أخرج كتابه *Hispania Victrix* ليقص فيه تاريخ الحروب الواقعة بين المسيحيين والمسلمين، سواء البحرية منها أو البرية. وتتعلق جل تلك الحروب بالجانب التاريخي المغربي. وعلى الرغم من أن المؤلف حصر أخباره ما بين 1545 و1570 فإنه رجع إلى سنة 1508. وبالبحث عن مواد التاريخ المغربي نجد أن هناك ثلاثة محاور :

1) تاريخ مدينة بادس وصخرتها بدءاً بالاحتلال الإسباني الأول سنة 914 / 1508 (الفصل الثالث)، ثم استرجاع المغاربة للصخرة سنة 922 / 1522 (الفصل 4) وصد المغاربة الحملة الإسبانية سنة 932 / 1525 (الفصل 5) وحملة سنة 971 / 1563 (الفصول : 33. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85). وقص علينا إجراءات الهجوم والاستيلاء الثاني على الصخرة سنة 972 / 1564 (الفصول : من 89 إلى 119). وما اتصل بذلك من المقاومة (الفصول : من 121 إلى 123). ويتضمن هذا الجرد التاريخي معلومات عن وصف الصخرة ومقاييسها وتحصيناتها خلال الفترة الممتدة بين الاحتلالين الأول والثاني (الفصول : 3. 32. 33. 79. 83. 85. 92. 108) ومعلومات أخرى عن القلاع المجاورة، لاسيما قلعة صنهاجة (الفصول : 3. 4. 79. 83. 85. 109. 110. 111. 113. 122. 123). ويمكن استخراج جانب من تاريخ مدينة بادس خلال هذه الفترة، متعلق بتحصينات المدينة وقوتها الدفاعية، وما لاقته على يد الإسبان من إجلاء أهلها وتخريبها في الأخير (الفصول : 82. 108. 122). ويقدم المؤلف أخبار تمرد صخرة بادس على الوطاسيين والسعديين إلى أن تم احتلال الأتراك لها، بعد تردد سابق على مياهها (الفصول : 3. 17. 18. 92. 98).

2) اهتم المؤلف بأحداث مغرب النصف الأول من القرن العاشر الهجري، ملتفتا إلى قيام الدولة السعدية (الفصلان 6. 7) ليصل إلى الصراع السعدي ـ الوطاسي على الملك، والمراتب التي درج فيها أبو حسون الوطاسي منذ خروجه من فاس سنة 956 / 1549 والتجائه إلى بادس، ثم خروجه منها بحثاً عن المساعدات الإسبانية فالبرتغالية والتركية في آخر المطاف، واحتلاله لفاس ومقتله بها (الفصول : 17. 18. 19. 20. 27).

3) أشار المؤلف إلى الأسباب والعمليات التي تطلبت من الإسبان إغلاق مصب واد تطوان (مرتيل فيما بعد) سنة 973 / 1565 (الفصلان : 120. 126).

حسن الفكيكي

بَدْري، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الرهونة، ومنهم محمد بن المختار البدري، فقيه ناسك توفي سنة 1312/1895. وبموته انقرضت هذه الأسرة من تطوان.

Isidoro de las Cigigas, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بدري، عمر، أو البدري، أستاذ جزائري الأصل من طبقة قدور بن غبريط، قدم إلى المغرب سنة 1908. حل أولاً بطنجة حيث اتصل بشرفاء وزان فيها، مولاي علي بن عبدالسلام وإخوانه (أولاد سنيورا) ومنها انتقل إلى الدارالبيضاء كمدرس للعربية والفرنسية. ثم جاء إلى الرباط سنة 1917 ليدرس بثانوية مولاي يوسف، وكان مثال الأخلاق الفاضلة، محبوبا من لدن زملائه وتلاميذه.

امتاز الأستاذ بدري عن سائر الجزائريين بتأقلمه وانسجامه التام مع الوسط المغربي، فأصبح لباسه لا يختلف في شيء عن لباس أعيان البلد، يرتدي «الجبادول» و«الشاشية و الرزة» المحكمة الصنع مع الجلباب والسلهام، كما أصبح من رواد النادي الأدبي بروض سيدي عبدالكريم الوزاني الشهير بالرباط، الذي كان يغشاه جماعات من العلماء والأدباء.

ومما يدل على كمال مروءة الأستاذ عمر بدري، تطوعه بإلقاء دورس باللغة الفرنسية في أول مدرسة حرة بالزاوية الحراقية في درب والزهرا حي بوقرون، في حين كان الأديب المؤرخ محمد بوجندار يلقي فيها دروسا باللغة العربية.

كان لعمر بدري ولد توفي في حياته فلم يعقب، وأدركته الوفاة بالرباط في شهر شعبان عام 1361/ 15 غشت 1942.

تقاييد ومعلومات شخصية.

م. الأمين بلغتاوي

البِدَع باب كبير من أبواب فهم الدين وتطبيقه. أثار جدالا طويلا بين علماء الإسلام وفقهائه على مر العصور ما بين المتشددين والمتساهلين.

والكلمة مشتقة من فعل بَدَعَ الذي يفيد ـ حسب لسان العرب ـ أنشأ الشيء، وبدأه واستنبطه وأحدثه. و البِدْع ـ بكسر الباء ـ هو الشيء الذي يكون أولا.

وقد وقع الخوف على الإسلام منذ ظهوره من أن تتسرب إليه أشياء ليست منه هي التي دعاها النبي صلى الله عليه وسلم بدعة، كما جاء في الحديث :"وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار". ولهذا استعملت الكلمة عند علماء الشريعة في معرض الذم. وهي تناقض ما هو معروف باسم السنة، أي ما أُثر عن الرسول ـ عليه السلام ـ من قول وعمل. وهو ما تؤكده أحاديث نبوية أخرى مثل : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي.

لكن يجب فهم هاته الأحاديث على حقيقتها ووضعها في سياقها. فهي لا تعني تحريم الرأي والاجتهاد، بل تعني كل ما تعارض مع السنة وتجاهل أصول الشريعة. ولذا ميز ابن الأثير بين بدعتين : بدعة هدى وبدعة ضلال. فما كان في خلاف ما أمر به الله ورسوله فهو في حيز الذم والإنكار؛ وما كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله إليه وحض عليه رسوله، فهو في حيز المدح. يضاف إلى ذلك كل ما ليس له مثال منصوص عليه في الكتاب والسنة من أفعال الخير والبر. فقد ورد في الحديث النبوي : من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها. كما ورد أيضا: ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها. ومن الأمثلة على ذلك قيام رمضان لأنها من الأفعال التي لم يسنها النبي صلى الله عليه وسلم. ولذلك استحسنها عمر بن الخطاب وقال عنها : نعمت البدعة، وجمع الناس عليها وندبهم إليها، معتبرا إياها من الأعمال الصالحة.

وقد اهتم علماء المغرب والأندلس بموضوع البدعة وتجندوا عبر التاريخ لمقاومة كل ما ظهر لهم أنه بدعة، ونجحوا إلى حد كبير في تغليب مذهب السنة والجماعة على غيره من المذاهب الأخرى، بحيث لم تبق إلا مجموعات صغيرة من الإباضية في بعض المناطق الصحراوية المنعزلة بليبيا والجزائر. كما نجحوا في توحيد الشرع المعمول به في الأحكام باختيارهم للمذهب المالكي وتنحية غيره من المذاهب. وكانوا صارمين في مقاومة كل الانحرافات الطارئة على الفكر السائد لدى جمهرة العلماء. فتصدوا لبعض المفكرين مثل ابن مسرة وعدد من الفلاسفة وعلماء الكلام والمعتزلة بالأندلس فاضطهدوهم وحرضوا السلطان عليهم. ففسح المجال لتدخل الدولة لقمع كل الذين يخرجون عن الرأي السائد، ومطاردة الأفكار والتيارات التي لا يرضى عنها فقهاء المذهب.

ومن الأمثلة على ذلك الاضطهاد الذي تعرض له العالم المشهور ابن حزم الظاهري الذي أحرقت كتبه وتصدى له عدد من علماء وقته للتشنيع عليه، ومنهم أبو بكر بن العربي، الذي ألف كتاب *الدواهي والنواهي* للرد عليه وانتقاد مذهب الظاهرية. كما يجب أن نذكر الحملة التي قامت على الغزالي بالأندلس والمغرب والتي انتهت بإفتاء العلماء بإحراق كتاب *إحياء علوم الدين*. ومن جملة ذلك الاعتقال الذي تعرض له بعض رجال الصوفية مثل أحمد بن العريف وأبي الحكم بن برجان اللذين وقع ترحيلهما بأمر من السلطان من الأندلس إلى المغرب حيث انتهت حياتهما. وكان سبب نكبتهما انتحالهما للفكر الصوفي وتصديهما لنشره بين الناس. وآخر مثال نورده هو النكبة التي حاقت بالفيلسوف أبن رشد بأمر من الخليفة الموحدي يعقوب المنصور بعد أن نال حظوة كبيرة عنده وعند والده.

لم يكتف العلماء باستنكار البدعة والافتاء بتحريمها، بل تصدوا للتأليف فيها، فنذكر من بين أولئك المؤلفين، على سبيل المثال، أبا بكر بن العربي (ت 543 / 1148) الذي ترك عدة تآليف في الموضوع مثل :

ـ *مشكل القرآن والحديث* : يتحدث فيه، على ما يظهر، عن مشكل القرآن والسنة والرد على المبتدعة وتأويلاتهم (*الطالبي*، 72).

ـ *العواصم من القواصم* : ولعله أهم مؤلفاته في هذا الصدد، تناول فيه عدداً من القضايا التي اعتبرُها انحرافاً من عدد من العلماء والمفكرين عن جادة الشرع وسماها قواصم. والكلمة يمكن اعتبارها مرادفة للبدع.

ـ *الدواهي والنواهي* : وهو كتاب ألفه في الرد على ابن حزم.

ـ *كتاب المتوسط في معرفة صحة الاعتقاد، والرد على من خالف السنة وذوي البدع والالحاد*.

ـ *سراج المريدين في سبيل المهتدين*.

ومن تصدى للموضوع، نذكر :

ـ أبا الحجاج يوسف ب محمد المكلاتي (ت 626 / 1237). الذي ألف كتاباً ضخماً في نقد الفلسفة بعنوان *كتاب لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول*، وهو في الحقيقة، لا يقتصر فيه على الرد على الفلاسفة بل يتجاوزهم إلى نقد عقائد بعض الفرق الأخرى مثل المعتزلة والكرامية.

ـ عبد الرحمن ابن خلدون الذي تعرض في *مقدمته* لموضوع البدعة في جملة من الفصول حين حديثه عن علم الكلام أو عن "المتشابه من الكتاب والسنة وما حدث لأجل ذلك من طوائف السيئة والمبتدعة في الاعتقادات" (*مقدمة*، 848) أو عن علم التصوف (863) أو عن العلوم العقلية وأصنافها أو عن علم الإلاهيات (920).

- أبا إسحاق الشاطبي (ت 790) الذي أولى الموضوع أهمية خاصة في مؤلفاته. ومنها كتاب *الاعتصام بالكتاب والسنة من الحوادث والبدع*. وعاد إليه في كتابه المشهور *الموافقات*، بحيث إن الذي أراد أن يتعمق في الموضوع من وجهة نظر علماء الأصول، لا غنى له عن الرجوع إلى هذا الكتاب.

- أبا الحسن الصغير (ت 719) الذي كانت له سلطة معنوية كبيرة بفاس كقاض وخطيب ومفت. وله تأليف خاص في الموضوع بعنوان *كتاب البدعة*، وفتاوى تناولت عدة قضايا في المجتمع جمعت بعنوان *الدر النثير في أجوبة أبي الحسن الصغير*.

والقائمة طويلة يمكن أن نضيف إليها عدة أسماء مثل ابن الحاج، صاحب *المدخل*، وابن السكاك، وأحمد رزوق، وأحمد الونشريسي صاحب *المعيار*، وعبد الله الهبطي والحسن اليوسي. وفي القرن التاسع عشر، اشتهر العالم محمد گنون بمواقفه الصارمة تجاه البدع والمنكرات التي تكاثرت في عصره، فكان من أول الدعاة للسلفية. وتجسمت في عصرنا مقاومة البدعة في الحركة السلفية المغربية التي تمتد جذورها إلى التطورات التي طرأت على الفكر الديني بالمشرق منذ قيام الوهابية بنجد إلى انطلاق الفكر الاصلاحي بمصر على يد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وتلاميذهما. فكان من رجالها بهذا العصر الشيخ أبو شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي وأبو بكر زنيبر وعلال الفاسي وعبدالله گنون الخ...

إلى جانب المقاومة الفكرية التي كان يضطلع بها العلماء في كل عصر، كانت السلطة بدورها تراقب كل الانحرافات التي تمس الدين داخل المجتمع. ومن القضايا المنصوص عليها في بيعة الملوك حماية الدين وتطبيق الشرع واتباع السنة ومحاربة البدع. وهذا الالتزام نجده مذكوراً في المصادر منذ عهد الأدارسة ونذكر هنا على سبيل المثال :

- التزام المرابطين بتطبيق الفقه المالكي والضرب على يد كل من لا يرضى عنه فقهاء المذهب ويستنكرونه، كما حدث بالنسبة لكتاب *الإحياء* للغزالي.

- مواقف الملوك الموحدين الأولين، وبخاصة يعقوب المنصور في محاربة أصناف من البدع والانحرافات.

- قيام المأمون الموحدي باستنكار ادعاء ابن تومرت للمهدوية.

- تحرك السلطان محمد بن عبد الله أثناء حكمه في مقاومة بعض البدع المنسوبة للطرقية وفي تحديد نهج التعليم بالقرويين وغيرها من المعاهد حتى لا يندس إليها ما هو مخالف للدين. وقد سار خلفاؤه من بعده، أثناء القرن التاسع عشر، على نفس النهج. إلا أن الصراع مع بعض الزوايا كانت له، في بعض الأحيان، صبغة سياسية أكثر منها دينية. ومهما يكن، فإن موضوع الاصلاح أثير بحدة أثناء هاته الفترة ودعا إلى جدال وتدخلات مختلفة كان من أهدافها اجتناب كل ما هو مخالف للشرع.

برغم كل هاته الجهود التي بذلت سواء في الحقل العلمي أو في الحقل العملي، تبقى هنالك مشكلة أساسية مطروحة على المستوى النظري ألا وهي التمييز بدقة بين ما هو بدعة مرفوضة وما هو عمل مستحسن ومقبول. فهنالك بعض العلماء المتشددين الجامدين الذين يستبعدون كل عمل أو سلوك لم يُوثَر عن الرسول. وقد رأينا من خلال أحد الأحاديث النبوية كيف أن الرسول كان متساهلا في الموضوع، فقبل من المومن أن يسن سنة حسنة بمحض اجتهاده. كما أن عمر بن الخطاب اعتبر قيام رمضان بدعة حسنة.

ومهما يكن، فإن اجتهاد العلماء وإدلائهم بالرأي الخاص في الأحكام التي لم يرد بها كتاب ولا سنة، لا يتم إلا إذا حظيت البدعة الحسنة بالقبول. وقد طرح ابن العربي هاته القضية عند تعرضه لتفسير آية :"هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا" (البقرة، 28) إذ قال ما معناه إن كثيراً من الناس فهموا منها أن أصل الأشياء الإباحة إلا ما قام عليه دليل بالحظر. وهنالك طائفة ثانية ذهبت إلى أن أصل الأشياء الحظر حتى يأتي دليل الإباحة. وهنالك قول ثالث مفاده أن الآية لا حكم لها حتى يأتي الدليل بأي حكم اقتضاه فيها. ويختلف أصحاب الإباحة أو الحظر بين الاستناد إلى العقل أو الشرع. فتمييز البدعة عن غيرها يعود بنا إلى أصول الشريعة. ويطرح موضوع حرية المومن في الاجتهاد وتسخير عقله في إدراك الأمور.

ويتناول الشاطبي موضوع المسكوت عنه في الشرع فيذكر الرأي المستند إلى الحديث النبوي :"وما سكت عنه فهو عفو" ويورد أن النبي - عليه السلام - كان يكره كثرة السؤال فيما لم ينزل فيه حكم بناء على حكم البراءة الأصلية، إذ هي راجعة إلى هذا المعنى. ومعناها أن الأفعال معفو عنها. وقد قال صلى الله عليه وسلم :"إن أعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم عليهم، فحرم عليهم من أجل مسألته" (*الموافقات*، 1 : 163). لكنه يورد رأيا آخر مفاده أنه ليس ثم مسكوت عنه بحال، بل هو إما منصوص أو مقيس على منصوص. وهذه الأشياء المسكوت عنها قد تترك لاجتهاد الناس وتفكيرهم، وقد يؤتى إليها من جهة علوم أخرى لا علاقة لها بالعلوم الدينية. فالشاطبي يلح على "أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها وهم العرب" ويستنتج من ذلك أن الناس تجاوزوا الحد في نسبة كل العلوم المعروفة إلى القرآن من "علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق وعلم الحروف وجميع ما نظر فيها الناظرون من هذه الفنون وأشباهها". فالقرآن إذ نزل على العرب، أولا، لكي يفهموه ويتجانس مع بيئتهم ما كان فيه "تقرير مما زعموا". وهكذا، يبقى لهاته العلوم الكونية استقلالها في البحث والاستنباط، وجلب المنافع. ونستنتج من هذا الكلام أن الخوض في هاته العلوم لا يمكن أن ينسب إلى البدعة.

وابن خلدون، من جهته، يتشدد في استعمال العقل، خصوصا في القضايا العقدية، إذ يعتبره مطية للانحراف عن العقيدة الصحيحة. فهو، في حديثه عن علم الكلام مثلا، يبين أن العقل البشري غير قادر على إدراك الأسباب والدلائل المفضية إلى توحيد الله "إذ للعقل حد يقف عنده ولا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط بالله وصفاته. فإنه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه" (1 : 825). ويرى أن التوحيد يتوقف على "التصديق الإيماني" الذي هو تصديق بالقلب واعتقاد دائم في النفس وإقرار باللسان وتجنب للخطإ في تأويل الآيات المتشابهات. ويرى ابن خلدون أن علم الكلام لم تعد له ضرورة، إذ أن "الملحدة والمبتدعة قد انقرضوا، والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم، المتقدمين الذين وقفوا عند حدود الشرع، والمتأخرين الذين تجرأوا في آرائهم، فادعوا كشف الحجاب والوصول إلى ما وراء الحس وتحدثوا عن الحلول والوحدة.

وقد فصل أحمد الونشريسي (ت 914هـ) في *المعيار* الحديث عن البدعة، فصنفها إلى خمسة أنواع :

1 ـ بدعة واجبة بالإجماع : كتدوين كل ما يخشى عليه الضياع من أصول الشرع، مثل تدوين القرآن والشرائع.

2 ـ بدعة محرمة بالإجماع : كالمكوس، وتقديم الجهال على العلماء، وتولية المناصب الشرعية بالتوارث.

3 ـ بدعة مندوب إليها : كصلاة التراويح، وإقامة صور الأئمة والقضاة والولاة بالملابس.

4 ـ بدعة مكروهة : كالزيادة في العبادات أكثر مما حده الشرع.

5 ـ بدعة مباحة، وهي ما تناولته قواعد الإباحة : كاللباس الحسن، والسكن الحسن.

إذا تركنا الآن الجانب النظري في الموضوع ونزلنا إلى التطبيق العملي للشريعة، نجد العلماء ينبهون إلى عدد من البدع الصغيرة والجزئية. وقد عرض لها ابن الحاج في *المدخل* وكذلك الونشريسي في *المعيار*. ولنذكر، على سبيل المثال، البعض منها :

ـ الاقتصار على الضروري من اللباس دون الزيادة فيه : "لا يجوز للإنسان أن يزيد في ثوبه ما ليس فيه حاجة إليه". (*المدخل*، 1 : 124).

ـ ذبح أضحية العيد في غير وقتها وقبل أداء صلاة العيد.

ـ زيارة القبور في يوم عاشوراء.

ـ تزين النساء بالحناء يوم عاشوراء.

ـ صنع الحلاوات "المحتوية على الصور المحرمة شرعا" (*المدخل*، 285).

ـ التغني في ليلة المولد النبوي بأغاني مصحوبة بآلات الطرب "من الطار المصرصر والشبابة وغير ذلك مما جعلوه آلة للسماع" (*المدخل*، 2 : 3).

ـ الأذان بالألحان "وهي بدعة مستهجنة قريبة العهد أحدثها بعض الأمراء بمدرسة بناها" (249).

ـ الصياح ولطم الخدود على الميت (3 : 257).

ـ السجود بين يد المشايخ وغيرهم (*المعيار*، 1 : 359).

ـ لبس الرجال للحرير (1 : 348).

ـ قراءة القرآن على الميت في صباح القبر (335).

والأمثلة في هذا الباب كثيرة بقدر المحدثات التي أدخلت على الشرع، إما كإضافة وإما كتعديل. والعلماء متفقون في الغالب، على استنكار ما هو حرام منها وظهرت حرمته بصورة لا تترك مجالا للشك. لكنهم، في الكثير منها، مختلفون ما بين متشدد ومعتدل ومتسامح.

ولعل الاتجاه الذي غلب في عصرنا هو الاعتدال والتسامح، نظراً للتطورات السريعة والعميقة التي دخلت على المجتمعات الإسلامية، وضمنها المغرب، غداة احتكاكها بالغرب منذ قرنين تقريبا، وبذلك تغيرت أشياء كثيرة فيه وظهرت ضرورات لا مناص من الاستجابة إليها. لكن المجتمع الإسلامي، في نفس الوقت، نظراً لما تفشي فيه من عوامل الانحطاط والجهل، حدثت فيه انحرافات، من الناحية الدينية نفسها. فانتشر فيه التعلق المغالي بالأولياء وأضرحتهم وتعددت مظاهر الشعوذة. فكانت موجات مختلفة من البدع. وكل هذا دفع ببعض رجال الدين إلى التصدي للدفاع عن العقيدة الصحيحة وتطهيرها من كل طوارئ الفساد. فنشأ عن هذين العاملين، عامل التحديث والعصرنة، وعامل التصحيح والعودة إلى الأصول، تياران مازالا يتحكمان إلى اليوم في حياة المجتمعات الإسلامية.

إلى جانب التيار الذي اتخذ مرجعيته إلى الإسلام، بالأساس، يجب أن نذكر تيار التحديث الذي لا يعارض الدين، ولكنه يستند قبل كل شيء إلى نموذج الحضارة الغربية ليتخذ منه منطلقاً للإصلاحات الضروري إجراؤها في المجتمعات الإسلامية. وبالنسبة لعدد من المفكرين الإسلاميين، أدى هذا التيار إلى حدوث عدد من البدع الخطيرة، مثل حصر الشريعة الإسلامية في نطاق الأحوال الشخصية واستحداث تشريع مدني مقتبس من المدونات المطبقة في المجتمعات الغربية، وتشريع مالي يتجاوز الضرائب الشرعية بإقرار ضرائب متعددة من صنف المكوس المحرمة، وإنشاء مصارف عصرية تتعامل بالفائدة أي بنوع من الربا، والتي كان لا مناص منها للأخذ بسياسة التنمية الاقتصادية ومساعدة المقاولات والمشاريع الجديدة، وتحرير المرأة بصورة تتجاوز المسموح به في الشريعة.

وعلى العموم انطبق على المغرب ما انطبق على غيره من الأقطار الإسلامية في العصور الحديثة. فظهرت مقاومة البدع على يد بعض ملوك الدولية العلوية مثل محمد بن عبد الله (1757 ـ 1790) والمولى سليمان (1792 ـ 1822) اللذين اتجه عملهما بالخصوص إلى مواجهة بعض الزوايا باسم تصحيح العقيدة. وظهر في القرن التاسع عشر عدد من العلماء الذين ساروا في نفس الاتجاه أمثال محمد بن المدني گنون، وأحمد بن خالد الناصري، ومحمد بن عبد الكبير الكتاني، ومحمد بن جعفر الكتاني. وكلهم تجندوا للدفاع

عن الإسلام والتحذير من البدع والتوعية بخطر الاستعمار الذي كان يتربص بالمغرب الدوائر، وبوجوب القيام بالإصلاح الداخلي، كل حسب رأيه الخاص.

وجاءت بعد هؤلاء في القرن الحالي جماعة من علماء السلفية من الذين عاشوا في عهد الاستعمار، وذكرنا أسماء بعضهم آنفاً فكانوا يقومون بدعوة إصلاحية شاملة ويحاربون البدع لا سيما الطرقية التي مدت يدها للاستعمار وظلت تدافع عن بعض التقاليد والأفكار المنحرفة عن السنة، باستثناء زوايا أخرى عرفت بمقاومتها للاستعمار ومشاركتها في النشاط الوطني.

وعلى أي، فالحركة السلفية المغربية بدعوتها للرجوع إلى التعاليم الإسلامية الصميمة، تصدت للبدع التي تسربت إلى الدين بسبب طغيان الجهل والشعوذة، وقطعت الطريق على الاستعمار الذي كان من مصلحته أن تسود العقلية الخرافية الداعية إلى التواكل والخنوع والاستسلام. فهي، بهذه الصفة، شكلت المرحلة التمهيدية للحركة الوطنية التي اهتمت بإصلاح شؤون الدين والدنيا.

القرآن الكريم ؛ *صحيح البخاري* ؛ *صحيح مسلم* ؛ صاعد، *طبقات الأمم*، بيروت 1985 ؛ م. الغزالي، *الإحياء* ؛ *تهافت الفلاسفة* ؛ أ. ابن العربي، *أحكام القرآن*، القاهرة 1949 ؛ الشهرستاني، *الملل والنحل*، القاهرة 1961 ؛ م. ابن رشد، *تهافت التهافت* ؛ *بداية المجتهد*، القاهرة 1329 هـ ؛ م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، بيروت والرباط ؛ المكلاتي، *كتاب لباب العقول*، القاهرة 1977 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 1، بيروت 1967 ؛ إ. الشاطبي، *الموافقات*؛ *الاعتصام* ؛ ابن الحاج، *المدخل*، بيروت 1972 ؛ أ. زروق، *كتاب البدع*، مخطوط ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، ج 1 و6 ؛ ابن منظور، *لسان العرب* ؛ رشيد رضا، *تفسير المنار*، القاهرة 1346 هـ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ أحمد أمين، *زعماء الإصلاح* ؛ *فجر الاسلام*، القاهرة 1956 ؛ *ضحى الإسلام* ؛ *ظهر الإسلام* ؛ ع. النشار، *نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام*، القاهرة 1965 ؛ م. أبو زهرة، *تاريخ المذاهب الإسلامية* ؛ *ندوة الحركة السلفية في المغرب العربي*، أصيلة 1989 ؛ أ. بالنثيا، *تاريخ الفكر الأندلسي*، القاهرة 1955 ؛ *مجلة المنار*، *العروة الوثقى*.

محمد زنيبر

البْدُور، قبيلة تقع بناحية الهبط (إقليم العرائش) وتحيط بها قبائل امزورة، بداوة، بني گرفط، الخلط، عامر، وتقدر مساحتها بـ 45 كلم مربع، يتكلم سكانها باللهجة العربية الدارجة، ويوجد المركز الرئيسي للقبيلة بسوق اثنين سيدي اليمني، وتحتوي القبيلة على أحد عشر مدشراً وتسعة مساجد وثلاثة أضرحة وزاوية وعشرة كتاتيب قرآنية.

وفي التقسيم الاداري الحالي تكوّن هذه القبيلة مع قبائل امزورة وبداوة وعامر وجزء من قبيلة بني عروس جماعة قروية واحدة اسمها أربعاء عياشة.

ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية، 51.
Aranda, Coronel ; Belazquez y Delgado, *Estudios geograficos* ; Comission historica, *Geografia* ; A. Domenech, *El Habt, Zona Norte* ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزور حكيم

البدوي، أحمد بن أحمد الشهير بزويتن فقيه وشيخ صوفي من أهل فاس، نشأ بها ودرس على كبار شيوخها أمثال الطيب ابن كيران وحمدون ابن الحاج وعبد السلام الأزمي، غير أنه لم يوغل في علم الظاهر، إذ لقي الشيخ الشهير العربي الدرقاوي عام 1215 / 1800 فسلك على يده طريق القوم ولازمه حتى صار من أقرب مريديه إليه.

وبالرغم على كثرة مريدي الشيخ العربي الدرقاوي من أبنائه وغيرهم، فإن أحمد البدوي عُرف بأنه "وارث سر الشيخ وخليفته من بعده" وأنه أدرك رتبة الغوثية. وبعد وفاة الشيخ الدرقاوي تكاثر أتباع أحمد البدوي فكوّن طريقة صوفية حملت اسمه "الطريقة البدوية"، وهي مقتبسة من الطريقة الدرقاوية وتعتبر فرعاً من فروعها. ويبدو أن الزوايا البدوية كانت تبالغ في الرقص والسماع أثناء عقد حلقات الذكر الأمر الذي أثار انتقاد بعض العلماء لها، فأشار الشيخ البدوي على تلميذه محمد العربي بن محمد الهاشمي المدغري بالرد عليهم، فألف في ذلك كتاباً عرّف فيه بشيخه البدوي إلى جانب الرد على المنتقدين. كما ألف في نفس الموضوع عبد الرحمن بن هاشم الحسني كتابا طويل العنوان *"المشرفي المسلول في إبطال دعوى كل جهول، لنصرة الفقير الآوي، إلى كهف الشيخ البدوي الدرقاوي، في الرد على من زعم بطلان طريقته من كل دعاوي"*، اشتمل على خمسة فصول كتب في الأول منها ترجمة مطولة لشيخه البدوي.

لم يكن لأحمد البدوي كثيرٌ من الأتباع بفاس ومكناس، وإنما انتشرت زواياه بالبادية في بلاد فركلة وغريس ومدغرة بتافيلالت، وبني حسن وغيرها من منطقة الغرب. وله رسائل صوفية كان يبعث بها إلى مريديه جمعت في مجموعتين : *الرسائل الكبرى* وتسمى أيضا *المناجاة الفردية الإلهية*، *في تبيين معالم الطريقة المحمدية* ؛ *والرسائل الصغرى*، وكلها ماتزال مخطوطة في الخزانات العامة والخاصة.

توفي أحمد البدوي بفاس في 13 ذي الحجة عام 1275 / 14 يوليوز 1859 ودفن بزاويته القريبة من دار سكناه برأس عقبة حومة گرنيز ـ السياج.

ج. الكتاني، *الشرب المحتضر*، 30 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 260. 262 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1275 ؛ عباس السجلماسي الحجرتي، *الروض الطيب العرف*، مخطوط، وفيه أن أحمد البدوي توفي يوم الأحد 23 قعدة 1274.

البدوي، أحمد بن أحمد السرايري الرباطي، الفقيه المدرس الخطيب المحاضر، عاش بمسقط رأسه الرباط يدرس للطلبة إلى أن توفي في ثامن وعشرين جمادى الأولى عام 1295 / 30 ماي 1878.

محمد حجي

البدوي، أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن اسماعيل بن عمر بن علي بن عثمان بن حسين بن محمد بن موسى بن يحيى بن عيسى بن علي بن محمد بن حسن بن جعفر بن علي الهادي بن محمد بن علي الرضا ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت الرسول الكريم ص، (*العظة*، 113).

انتقل أجداده إلى بلاد المغرب حوالي عام 692/73، في أعقاب الفتح الإسلامي، وحطوا الرحال بمدينة فاس بعد بنائها. وبهذه المدينة ولد أحمد البدوي في حي شهير يعرف باسم زقاق الحجر. ويحتمل أن يكون ذلك في سنة 1200.1199/596. (*دائرة*، 1 : 465). وكانت أحوال أحمد في نشأته وحداثة سنه غريبة عجيبة. فقد ذكروا أنه كان يلزم الصمت ولا يكلم الناس إلا بالإشارات، وأنه يظل أكثر أوقاته شاخصا بعينيه إلى السماء. (*الأدب*، 147). ويذكر أيضا أن ميوله نحو التصوف أخذت تظهر منذ ذلك الدور المبكر، حتى لقبه قومه في طفولته بالزاهد، كما يقال إنه لبس خرقة التصوف في فاس على يد الشيخ عبدالجليل النيسابوري. (*الجواهر*، 20).

وفي سنة 1206/603 غادر أحمد البدوي رفقة سائر أفراد أسرته مدينة فاس في اتجاه مكة، ولم يكن عمره آنذاك يتجاوز السابعة. (*دائرة*، 1 : 465). وفي طريقهم إلى الحجاز، نزلوا بمصر، حيث قضوا حوالي ثلاث سنوات، فلم يصلوا إلى مكة إلا سنة 1211/607. وفي هذه المدينة عاشت أسرة البدوي عيشة طيبة، إلى أن فجعت بوفاة الشريف الوالد علي سنة 1230/627، ثم أربعة من أبنائه، فلم يبق من أنيس لأحمد سوى شقيقه الأكبر الشريف حسن، الذي تولى رعايته (*الطرق الصوفية*، 163).

وقد اشتهر أحمد البدوي في مكة بالفروسية والفتوة، إلى جانب تضلعه في العلوم الفقهية، وخصوصا الفقه الشافعي (*دائرة*، 1 : 465). لكنه سرعان ما تجاوز كل ذلك، فاعتزل الناس وعكف على العبادة، متخذا مغارة في جبل أبي قبيس، قرب مكة لخلوته. (*الطرق*، 163). وفي حوالي سنة 1236/633، رحل عن مكة في اتجاه العراق، وعمره آنذاك حوالي الثامنة والثلاثين، فزار بيوتات العلم والتصوف، وأضرحة الأولياء والصوفية، وخصوصا منها أم عبيدة مركز الطريقة الرفاعية، ومقام الشيخ عبدالقادر الجيلاني ببغداد، وضريح أبي الفضائل عدي بن مسافر الهكاري، صاحب الطريقة العدوية، وضريح الحلاج. وفي السنة الموالية رحل أحمد البدوي إلى طنطا بمصر، واستقر بها، إلى أن وافته المنية سنة 1276/675 (*دائرة*، 1 : 466 ؛ *الطرق*، 166&168).

وقد أدت رحلته المفاجئة إلى طنطا بالبعض إلى القول بأن أحمد البدوي كان داعية للشيعة الفاطميين بمصر، وأنه انتحل صفة التصوف للتستر خشية بطش الأيوبيين به (*ضحى الإسلام*، 3 : 246) لكن المتفق عليه أن علاقة أحمد البدوي بحكام مصر كانت طيبة جدا، كما أن تصوفه لم يتضح في أي مكان أكثر مما اتضح ونضج في طنطا. (*دائرة*، 1 : 466) ومن أهم ما سجل عن حياته الصوفية في أعقاب نزوله بطنطا أنه كان يصعد إلى سطح البيت الذى سكنه ويرفع عينيه صوب الشمس حتى تحمر وتمرض وتصبح أشبه بالجمرتين المتقدتين. ويقال أيضا إنه كان تارة يطول صمته وتارة يتصل صراخه، وكان يواصل الصيام ما يقرب من الأربعين يوما، مع قيامه الليل في تلاوة القرآن. أما فيمايتعلق بحاله فقد قيل إن حضوره أكثر من غيابه (*دائرة*، 1 : 466 . 467). وقد أحرز أحمد البدوي في طنطا شهرة كبيرة حتى بذ سائر أوليائها، فاعترف له بالتقدم كثير منهم، بينما ضعف شأن خصومه، واضطروا إلى هجر البلدة. ومن ثم، لا غرابة إذا اعتبره الصوفية قطبا من الأقطاب، في مقام أحمد الرفاعي، وعبد القادر الجيلاني، وأبي الحسن الشاذلي.

ولعل أهم ما ميز أحمد البدوي، وأتباعه من بعده، ثلاثة أشياء :

أولا : الخرقة البدوية، وهي من صوف أحمر مع عمامة حمراء. قال البدوي يوصي خليفته عبدالعال :« يا عبد العال اعلم أني اخترت هذه الراية الحمراء... علامة لمن يمشي على طريقتنا ». أما شروط حملها فقد لخصها الشيخ أحمد البدوي في قوله : من شروط (حملها) أن لا يكذب ولا يأتي بفاحشة، وأن يكون غاض البصر عن محارم الله تعالى طاهر الذيل عفيف النفس خائفا من الله تعالى عاملا بمتاب الله تعالى، ملازما للذكر دائم الفكر » (*الطرق*، 169).

ثانيا : الأوراد البدوية، ومن أهمها أوراد ما بعد الصلوات الخمس، والمسماة بالمفاتح، أو مفاتح الخير. وهي آية الكرسي، وسبحان الله ثلاثاً وثلاثين مرة، والحمد لله كذلك، والله أكبر كذلك أيضا، ولاإله إلا الله محمد رسول الله مرة واحدة، والاستغفار مائة مرة، والصلاة على النبي (ص) مائة مرة، وذكر الله ثلاثمائة مرة. وكذلك مداومة قراءة الفاتحة كل يوم مائة مرة على الدوام، هذا إلى جانب أوراد خاصة بكل يوم. (*الطرق*، 169).

ثالثا : ملازمة صوم يومي الاثنين والخميس، (*الطرق*، 169).

أما ما عدا ذلك، فإن الطريقة البدوية لا تختلف في شيء عن غيرها من الطرق الصوفية الملتزمة بالكتاب والسنة. وتسمى الطريقة البدوية بالسطوحية، كما يسمى أتباعها بالسطوحيين، لأن سيدي أحمد البدوي كان يجتمع بأصحابه فوق سطح المنزل (*الطرق*، 169) وللبدوية فروع عدة في سائر أنحاء العالم الاسلامي.

وأخيرا إن مقام أحمد البدوي مزارة شهيرة، وذكراه أعياد ومواسم، وجامعه هو المسجد الجامع لعاصمة وسط الدلتا (طنطا)، وباسمه أسس «المعهد الأحمدي» من أكبر وأعرق المعاهد الدينية للأزهر الشريف.

أ. م. حجاب، *العظة والاعتبار : آراء في حياة السيد البدوي الدنيوية وحياته البرزخية* ؛ ع. زين الدين، *الجواهر السنية في النسبة والكرامات الأحمدية* ؛ أ. أمين، *ضحى الاسلام* ؛ ع. صافي حسنين، *الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري، دراسة في الأدب المصري* ؛ *دائرة المعارف الاسلامية المعربة*، المجلد الأول، حرف ألف ؛ النجار عامر، *الطرق الصوفية في مصر*.

أحمد الوارث

البدوي، أحمد بن محمد السلوي، فقيه متمكن عاش طوال حياته بمدينة سلا يدرس ويفتي إلى أن أدركته الوفاة بها زوال يوم الاثنين ثالث وعشري شعبان عام 1182 / 2 يناير 1769.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1182.

محمد حجي

البدوية، طريقة صوفية متفرعة عن الطريقة الدرقاوية أسسها بفاس في أواسط القرن الثالث عشر (19 م) الشيخ أحمد بن أحمد البدوي زويتن الفاسي من أبرز مريدي الشيخ العربي الدرقاوي. وهي طبعاً غير الطريقة البدوية الأحمدية المصرية الشهيرة. وقد عُرفت الطريقة البدوية الفاسية، منذ عهد الشيخ المؤسس، بالاكثار من الرقص والسماع في حلقات الذكر، الأمر الذي أثار استنكار الفقهاء، فقام فقيهان من شرفاء سجلماسة الحسنين، بطلب من الشيخ البدوي، بالرد على المنكرين وألفا كتابين بيّنا فيهما مزايا هذه الطريقة ومبادئها، وعرّفا بالشيخ البدوي وكراماته.

وقد أسس أتباع الشيخ أحمد البدوي في بلاد تافيلات وغيرها عدداً من الزوايا الفرعية. منهم محمد العربي بن عبد الرحمان بن هاشم المدغري صاحب زاويتي گاوز ورحمة الله بمدغرة، و مولاي عبدالملك صاحب زاوية إيماسين بدادس، والعربي بن عبدالله الهواري صاحب الزاوية الجديدة بفركلة، وابنه علي في واد زيز الذي عارض دخول جيوش الغزو الفرنسي مع أنصاره ثم هادن الفرنسيين فحاربه من أجل ذلك المجاهد بلگاسم النگادي فأسروه في نونبر 1919 وقتلوه.

ومن تلاميذ البدوي كذلك الذين أصبحت لهم زوايا ببلادهم الصديق الگداري مؤسس زاوية فضل الله بتافيلالت، ومولاي أحمد أُلحسن مؤسس زاوية فضل الله بدويرات الصباح، وعلي العمري المراكشي المعروف بالشميط، وعلي أمهاوش، ومحمد العربي من تيزوگارين بين غريس وفركلة، ومحمد بن أحمد العلوي المدغري مؤسس زاوية بصفرو، ومحمد البزيوي، ومولاي أحمد العناية العلوي بسوس، ومحمد بن عبود بسلا. وكان مريدو هذه الزوايا يحملون الخمار الأخضر ذكرى للشيخ البدوي.

ع.ابن هاشم المدغري، *نصرة الفقير الآوي*، مخطوط. خ. ح. رقم 7785 ؛ ع، بنعبدالله، *الموسوعة*، 3.

D. Depont et X. Coppolani, *Les Confréries*, Rinn, *Marabouts et Khouan* ; G. Drague, *Esquisse*.

المالكي الملكي

البديع (قصر ـ) من المعالم التاريخية والأثرية المغربية الهامة وأعجوبة الزمان، بناه أحمد المنصور السعدي وخصصه للاستقبالات والحفلات العظيمة التي أراد بها إظهار عظمة ملكه وتخليد ذكره كقاهر للبرتغاليين في موقعة وادي المخازن وكمنافس للعظماء من ملوك زمانه. ولعل هذا الهدف كان هو الغالب في قرار المنصور على غيره، من كونه مثلا أراد ذكر أول دولة لآل البيت بالمغرب كما يوحي بذلك صاحب *مناهل الصفا*.

وقد اختار المنصور لتشييده الركن الشمالي الشرقي من قصبة مراكش، وكان موقع جنان موحدي قديم لم يُعتن به فأصبح شبه مكان قفر. وتحيط بقرار التشييد وباستقرار رأي المنصور على وقت إعطاء انطلاق الأشغال والبدء في الإنجاز أخبار وخرافات كثيرة أهمها أنه استشار عدداً من العلماء والعارفين والمنجمين وتبرك بهم واستنار بآرائهم. ومهما يكن فإن الأشغال بدأت حسب الإفراني في شهر شوال من سنة 986 / دجنبر 1578، أي خمسة أشهر فقط بعد انتصار وادي المخازن. لتنتهي بعد ستة عشر عاماً، أي سنة 1002 / 1593 . 1594. لكن الآراء في الحقيقة تتضارب حول تاريخ الانتهاء من الأشغال حيث إن الإفراني (*نزهة* ص 187) احتفظ بنص رسالة تبين أن المنصور كان لايزال في سنة 1602 يهتم ببناء بعض المرافق وتوقيف بعض الأعمدة، وهو ما حدى ببعض الدارسين إلى القول بأن الأشغال لم تنقطع طيلة حكم المنصور إلى وفاته سنة 1603 (*Marrakech*, p. 393).

وحول اسم البديع يظهر أن المنصور لم يبتدعه ابتداعاً. فإلى جانب كونه اسماً من أسماء الجلالة فقد كان له وجود سابق في قرطبة حيث كان يطلق على جناح من القصر الأموي وبمدينة بجاية الجزائرية حيث أطلق على جناح كان أحدثه الحماديون ورممه بعدهم الموحدون. لكن البديع السعدي فاق سابقيه في الحلة والزينة وجمع بين المسكن والجنان.

لم يبق قائماً من البديع اليوم سوى جدرانه الخارجية وبعض أجزاء بيوته، فلقد اندثر مجموع البنايات وأصبحت في خبر كان. ويظهر أن سبب هذا الاندثار لم يكن بفعل تأثير الزمان أو ضعف صلابة مادة البناء وإنما بتدخل الإنسان. ذلك أن السلطان المولى إسماعيل هو الذي أمر بهدمه. ولا يعرف الدافع الحقيقي لهذا الأمر. إلا أن كثيراً من مواد بناء البديع نقلت إلى مكناس وأدمجت في مرافق من القصبة الإسماعيلية التي شيدها هذا السلطان بعاصمة ملكه. وتروي المصادر في هدم البديع حكاية مفادها أن المنصور لما فرغ من تشييده نظم حفلا كبيراً رائعاً دعا إليه من أكابر القوم وأعيانهم نفراً كبيراً، وكان ممن دخل في غمار الناس رجل من البهاليل ممن كانت له شهرة بالصلاح في الوقت، فقال له المنصور مباسطاً :"كيف رأيت دارنا يا فلان ؟ فقال له " إذا هدمت كانت كدية كبيرة من التراب" (*الاستقصا*، 5 : 143). ويزيد الإفراني في ذلك ويقول :"وقد

ظهر مصداق ذلك على يد السلطان المظفر المولى إسماعيل ابن الشريف فإنه أمر بهدمه" ؛ إلى أن قال :"تأملت لفظ البديع فوجدت عدد نقط حروفه بحساب الجمل مائة وسبعة عشر، وهذا القدر هو الذي بقي فيه البديع قائما، فإنه فرغ منه سنة اثنتين وألف، وشرع في هدمه سنة تسع عشرة ومائة وألف، فمدة عمره مائة وسبع عشرة سنة على عدد اسمه". (*نزهة*، ص. 102 ـ 103).

مدروس في أقصى جزئياته. ونظراً لما تتسم به مكوناته من تشابه واضح مع قصر غرناطة، فإن بعضهم ذهب إلى الاعتقاد أنه إنجاز من وضع مهندس أو مهندسين أندلسيين.

ومهما يكن فإن ما هو مؤكد أن المنصور استعمل في إنجاز مشروعه العمال والصناع والفنانين من المغرب ومن خارجه، "وحشد له الصناع حتى من بلاد الأفرنجة، فكان يجتمع كل يوم فيه من أرباب الصنائع ومهرة الحكماء خلق

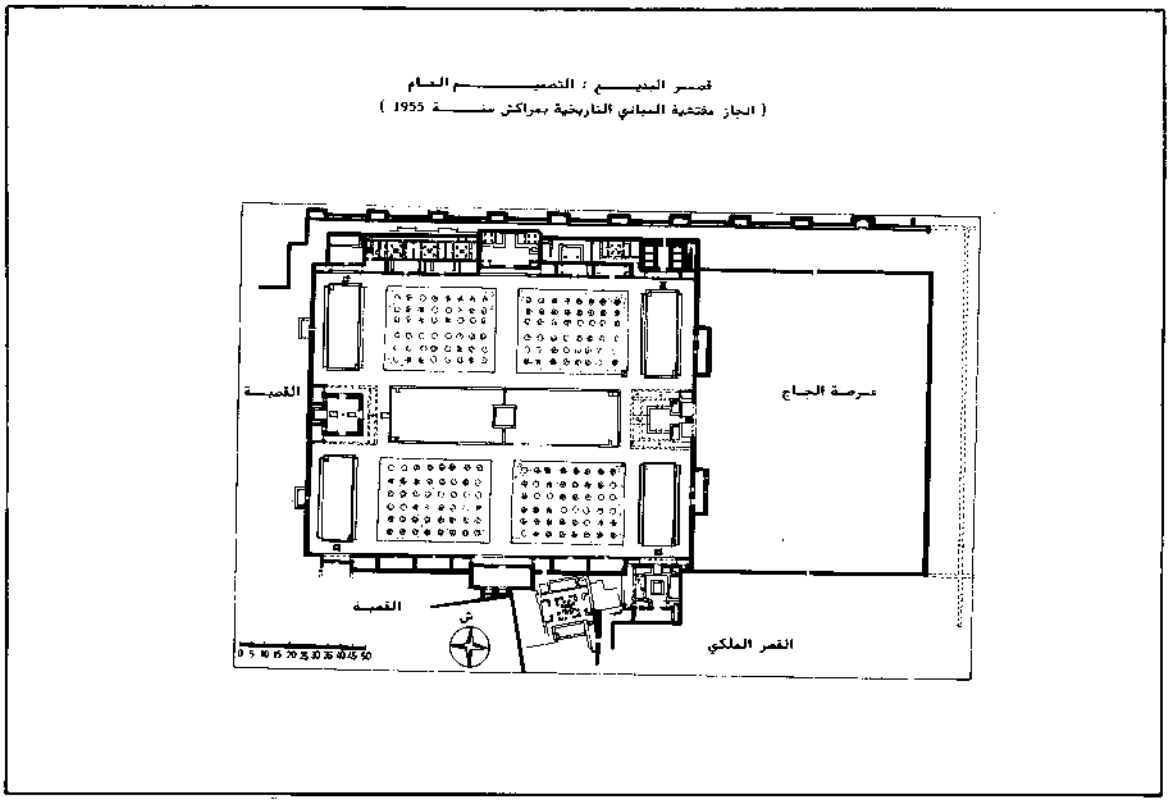

ولكون معظم مكوناته لم تصل إلينا، فإنه من الصعب وصف البديع وصفاً معمارياً دقيقاً. ولا يمكن في غياب البنايات ومرافقها الاتكال كليا على الأوصاف المعاصرة له لعدم دقتها ولاهتمام أصحابها بجوانب من القصر دون أخرى. فالإفراني مثلا لم يول اهتمامه لوصف القصر ومكوناته مثلما أولاه لمحتوياته من النصوص الشعرية والنثرية المنقوشة على الجص والخشب والزليج، ولا نجد عند الفشتالي ولا عند غيره ما يعوض هذا النقص. أما ما خلفه الأجانب فمثل ذلك أو أكثر، وأهم ما هو معروف اليوم من هذه الكتابات الأجنبية نص برتغالي معزز بتصميم عام من سنة 1585 م للقس فرانسيسكو دي سان خوان (P. Fransisco de S. Juan del Porto) وتصميم للأنجليزي ويندوس (Windus) يعود لسنة 1727. على أن هذه النصوص والوثائق تبقى هامة وتساعد على تكوين فكرة عما كانت عليه هذه المنشأة الضخمة.

وأهم ما يسترعي الانتباه، لأول وهلة، في تصميم البديع، التوازن الكبير الذي يطبعه والذي يوحي بأنه إنجاز

عظيم حتى كان ببابه سوق عظيم يقصده التجار ببضائعهم ونفائس أعلاقهم، وجلب له الرخام من بلاد الروم..." (*الاستقصا*، 5 : 135).

شُيد البديع فوق مساحة مستطيلة الشكل وليست مربعة كما جاء بذلك بعض المؤرخين أمثال الناصري وغيره. وتتوسط بناياته ساحة مكشوفة طولها 135 مترا، وعرضها 110 أمتار ؛ في وسط هذه الساحة صهريج كبير مستطيل طوله 90.40 مترا وعرضه 21.70 متراً تتوسطه بدوره نافورة فخمة، وتحده من جانبيه الكبيرين مساحتان مغروستان تنخفضان عن مستوى الصهريج ببضع عشرات من السنتيمات. وفي كل زاوية من زوايا الساحة الأربع نجد صهريجا مستطيلا صغيراً، كسيت أرضيته بقطع الزليج الملون، ويُنزل إليه بسلم من ثلاث درجات. وبين صهريجي كل جانب قبة عظيمة فاخرة تشرف على الصهريج الكبير. ولاتزال أجزاء من جدران القبة الغربية قائمة إلى اليوم بينما إندثرت القبة الشرقية كلية، وقد أبانت الحفريات الأثرية التي أجريت داخل القصر في الخمسينات عن أسسها

الأرضية ليتضح تصميمها المطابق لتصميم أختها المقابلة لها. وقد كانت كل واحدة من هاتين القبتين مربعة الشكل (15 متر x 15 متر) ومغطاة بسقف من أربع انحدارات تحمله اثنتا عشرة سارية وهو نفس عدد سواري القاعة الكبرى من ضريح الملوك السعديين بمراكش نفسها. أما أرضيتهما فكانتا من زليج ويتوسط كل واحدة صهريج ماء صغير بينما تحيط بها من الخارج أروقة مغطاة.

أما وسط الضلعين الكبيرين من الساحة فشيدت فيه قبتان أخريان أكبر من السابقتين إذ تحتل كل واحدة منهما مساحة 345 متر2 في شكل مستطيل طوله 23 متراً وعرضه 15 متراً.

ولعل أعظم القباب وأفخمها على الإطلاق القبة الخمسينية ـ وقد سميت كذلك "لأن فيها خمسين ذراعا بالعمل" (*الاستقصا*، 5 : 136) ـ التي كانت تحتل الجانب الشرقي من القصر، قريبا من بابه الرئيسي. وقد كانت جدرانها الخارجية والداخلية حاملة لأشعار رقيقة وكثيرة تجعلها تفتخر بزينتها ورونقها، منها قول أبي فارس عبد العزيز الفشتالي على لسان القبة وقد نقش خارجها :

سموت فخر البدر دوني وانحطا وأصبح قرص الشمس في أذني قرطا
وضعت من الإكليل تاجا لمفرقي ونيطت بي الجوزاء في عنقي سمطا

وقوله مما نقش داخلها :

جمال بدائعي سحر العيونا ورونق منظري بهر الجفونا
وقد حسنت بقوسي واستطارت سنا يغشى عيون الناظرينا

وقد كان لكل قبة اسم يميزها عن غيرها، فهناك قبة الذهب، وقبة الزجاج (وقد استنتج دوفردان أن كلا الاسمين يطلقان على نفس القبة وهي تلك التي كانت تتوسط الضلع الأصغر الشرقي من الساحة). وقبة الخَيْزران (وهو اسم إحدى نساء المنصور ولعلها أم ولديه الشيخ وأبي فارس) والقبة الخضراء، التي يرجح أن تكون هي تلك التي لاتزال جدرانها قائمة بالجهة الشمالية.

ومما يلاحظ في مرافق القصر غياب مسجد أو قاعة للصلاة، وهو ما يؤكد أن البديع لم يكن قصر إقامة بقدر ما كان قصر استقبالات واحتفالات واستمتاع.

م. الإفراني، *نزهة*، ط. ح. فاس، 1307 هـ ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الجزء الخامس.

G. Aimel, *Le Palais d'el-bédi' à Marrakech et le Mausolée des chorfa saadiens, A. B.*, III, Rabat, 1918 ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1966 ; J. Goulven, *Une ambassade portugaise à la cour de Marrakech au XVIIè S., France - Maroc*, 1924 ; G. Marcais, *L'architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954.

عبدالعزيز توري

بَدِيعَة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Padilla. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1140/1728.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

براءة، كلمة دخلت إلى العامية المغربية، فخففت من الهمزة والتاء إذا لم تكن مضافة، فأصبحت صيغتها بْرَا. وإذا أضيفت ظهرت تاء التأنيث بها، فتقول : براتي، براتك، براة علي. وتجمع على براوات، وتستعمل مصغرة بصيغة بُرَيّة. وهي الكلمة الأكثر استعمالا عند المغاربة للدلالة على الرسالة والخطاب الموجه.

وهي مأخوذة من الكلمة الفصيحة براءة المستعملة في القرآن في مستهل سورة التوبة التي تبتدئ هكذا :« براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين». فهي هنا تحمل، أيضا، معنى الخطاب الموجه والرسالة. إلا أنها في الاستعمال القرآني لا تعني أي رسالة كيفما كان نوعها. بل تعني الخطاب الذي فيه إعذار وإنذار، كما ورد في *لسان العرب*. وفسرها ابن عطية في *المحرر الوجيز* بكونها خطابا يدل على التخلص والتبرؤ من العهود التي كانت بين المسلمين وبين الكفار البادئين بالنقض. وإلى هذا المعنى ذهب ابن العربي في *أحكام القرآن*.

أما رشيد رضا، فإنه يذكر في *تفسير المنار*(10 : 250) أن البراءة مشتقة من برئ كتعب وأن معنى آية براءة :«هذه براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتهم من المشركين، كما تقول هذا كتاب من فلان إلى فلان».

لكن الاستعمال العامي في المغرب لم يحتفظ لها بمعنى التبرؤ والإنذار، بل أطلقها على الرسالة بوجه عام، كيفما كان نوعها. فتستعمل في معنى التبرؤ في التعبير الذي يدل على الطلاق :«وجه للمرأة براتها» أي الإنذار بالطلاق. وتستعمل في معنى المجاملة، فتقول :«وجهت لصديقي برا أدعوه لزيارتي».

معاجم لغوية، تفاسير القرآن على اختلافها.

محمد زنيبر

برابرة الدولة، مصطلح يطلق على بعض قبائل الأطلس المتوسط التي أصبحت تشكل انطلاقاً من القرن السابع عشر حليفاً استراتيجيا للدولة وعنصراً أساسياً من عناصر التوازن السياسي والعسكري بالبلاد. وهذه القبائل هي أيت إدراسن وگروان وأيت زمور وبني حكم، وكلها تنتمي إلى منطقة رأس ملوية التي تعتبر موطنها الأصلي. وعندما يطلق على هذه القبائل تسمية «برابرة الدولة» فإن الدولة المقصودة هي الدولة العلوية التي اتخذت من هذه القبائل حلفاء تعتمد عليهم. لكن يظهر أن أول دولة ارتبط بها هؤلاء البرابرة هم الدلائيون الذين كانوا متمركزين في السفح الشمالي ـ الغربي لجبال فزاز أو الأطلس المتوسط. فالقبائل التي أسكنها محمد الحاج الدلائي (ت. 1082 / 1671) بعاصمته هي تقريبا نفس القبائل التي أصبحت مرتبطة فيما بعد بالدولة العلوية، وهي، كما عددها محمد حجي : مجّاط وأيت إمُّور وأيت نضير (أو بني مطير، الذين كانوا يمثلون محور اتحادية أيت إدراسن) وگروان. وباختفاء الإمارة الدلائية لم يجد العلويون بُداً من التعامل

مع قاعدتها البشرية التي بقيت في منطقة بالغة الأهمية وذلك لعدة اعتبارات. تأتي في مقدمة هذه الاعتبارات أنه أصبح من الصعب حصر هذه القبائل في المناطق الجبلية بعد أن ألفت حياة الترحال بالدير والمناطق المنخفضة. ثم إن هذه القبائل كانت تسكن منطقة شديدة الحساسية نظرا لماضيها الدلائي. وقد ظهر جلياً للمولى إسماعيل، على سبيل المثال، أن احتمالات التمرد بالمنطقة بقيت قائمة حتى بعد تدمير الزاوية الدلائية وإبعاد أهلها. أضف إلى ذلك أن مجال هذه القبائل كان يخترقه الطريق المخزني الهام الذي يربط فاس ومنطقة الغرب بتافيلالت والمناطق الصحراوية. لذلك فإن كسب هذه القبائل، أو بعضها على الأقل، لجانب الدولة أصبح ركناً أساسياً من أركان السياسة القبلية للمولى إسماعيل وعنصراً مكملاً لنظامه العسكري الذي كان من بين مراميه الأساسية حصر القبائل الصنهاجية في جبالها.

كان للحلف الذي جمع هذه القبائل بالدولة بعدٌ آخر يتمثل في التناقضات الداخلية لقبائل الأطلس بصفة عامة. وتدور هذه التناقضات أساساً حول استغلال المجال الصالح للرعي والزراعة. فقبائل الجبل مثل أيت أُمالو كانت تمارس ضغوطا قوية على قبائل دير الأطلس وتحاول دفعها للنزول أكثر نحو الأراضي الواطئة، خاصة في فصل الشتاء عندما تغطّي الثلوج المراعي في الجبال والمرتفعات. ويُشير أبو القاسم الزياني بشكل واضح إلى هذا التناقض الحاصل بين برابرة الدولة (أو «برابرة الوطا» كما يسميهم الضعيف) وبرابرة الجبل: «إن بني مطير وأيت إدراسن وگروان وزمور وإمّور وحكم هم برابرة الدولة وتحت قهرها وغلبتها، ولهؤلاء أيت أُمالو غلبة عليهم وقهر لهم من قديم الزمان، وفي كل عام يغيرون عليهم في رحلة الشتاء والصيف ويطردونهم من بلادهم إلى أن كادوا أن يستولوا على جميعها».

إن أهم ما يميز سياسة المولى إسماعيل تجاه قبائل الأطلس المتوسط هو تصميمه على حصر هذه القبائل في مواطنها ومنعها من النزول إلى السهل. ومن أجل ذلك بنى سلسلة من الحصون على امتداد دير الأطلس المتوسط وأسكن بها حاميات من جيش العبيد لتكون سداً منيعاً في وجه القبائل الأطلسية. لكن المولى إسماعيل لم يعتمد فقط على خطة الحصار العسكري بل حاول إشراك القبائل المحلية في المحافظة على الاستقرار بالمنطقة. وهكذا كلف أيت إمور برئاسة قائدها علي أُبركة بمراقبة منطقة تادلا والتصدي لأيت أُمالو. وأصبحت قبائل زمور كذلك ضمن حلفاء المخزن خاصة بعد أن أسند المولى إسماعيل قيادة البربر كلهم لرئيس زمور علي ويشّي الذي كلف على وجه الخصوص بردع گروان، وكان هؤلاء في ذلك العهد ما زالوا يتنقلون بين رأس ملوية ووادي زيز. ومع أيت إدراسن عقد المولى إسماعيل اتفاقاً من نوع خاص حيث جردهم من الخيل والسلاح ودفع لهم في المقابل الآلاف من رؤوس الماشية لرعيها.

ومع وفاة المولى إسماعيل «خرجت البربر من أقمامها» كما يقول الزياني، واشتغلوا بشراء الخيل والسلاح من جديد. وبعد أن ضعف أمر الدولة وخلت الحصون الأطلسية من جندها لم يعد هناك ما يمنع قبائل فزاز من النزول إلى الدّير وما وراء الدّير من الأراضي المنخفضة. فنزلت أيت إمور إلى بسيط تادلا واندفعت گروان وأيت إدراسن باتجاه الشمال الغربي لتصل إلى مشارف الدير المُطل على فاس ومكناس. وبما أن المولى عبدالله 1729.1757 كان عاجزاً عن احتواء توسع هذه القبائل وحصرها في مواطنها فقد أصبح ملزماً بالتعامل معها، بل إنه وجد فيها قوة عسكرية وظفها بدهاء لكسر شوكة جيش العبيد والحد من طغيانه. والواقع أن سياسة المولى عبدالله في مواجهة الأزمة الداخلية كانت تعتمد على «مصادمة الكبش الأبيض (البربر) بالتيس الأسود (العبيد)» حسب مقولة منسوبة إلى هذا السلطان. وقد حاول المولى عبدالله أن يبني تحالفاً يجمع بين «أخواله» الأوداية وقبائل أيت إدراسن وگروان، وبفضل هذا التحالف استطاع أن يقضي على أهم خصومه وأن يثبت سلطته في البلاد.

ولما وصل سيدي محمد بن عبدالله إلى الحكم في سنة 1757 استمر في الاعتماد على برابرة الدولة، وعلى قبائل أيت إدراسن بصفة خاصة «إذ هم شيعة أبيه». ويقول الزياني إن سيدي محمد أنزل هؤلاء بأحواز مكناسة وولي عليهم رئيسهم محمد وعزيز المطيري الذي أصبح بمثابة عامل المخزن على القبائل الأطلسية كلها. كما استمر هذا السلطان في الاعتماد على قبيلة أيت إمور التي نقلها من تادلا إلى ناحية زرهون حتى تكون له سنداً في حفظ الأمن بالمنطقة. ومما لا شك فيه أن مجموعة أيت إدراسن أصبحت تشكل أهم قوة قبلية اعتمد عليها المخزن خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، والدليل على ذلك، الدور الحاسم الذي لعبته هذه الإتحادية في مبايعة المولى سليمان سنة 1792 ثم في مساعدته على تمهيد البلاد.

وإذا كان المولى سليمان قد استفاد من قوة أيت إدراسن في إخضاع البلاد وتوحيدها تحت سلطته فإنه كان يفتقر إلى سياسة منسجمة تسمح له بدعم حليف هام للدولة وتوظيف هذا الحليف كقوة عازلة بين المخزن وبرابرة الجبل. وهكذا يمكن القول إن هذا السلطان بشنه الحملات التأديبية ضد بعض القبائل مثل گروان وأيت إدراسن، وإحجامه عن مؤازرتها في مواجهة أيت أُمالو وحلفائهم قد ساهم في إضعاف جبهة برابرة الدولة وفتح الباب لاحتمالات المواجهة المباشرة مع برابرة الجبل المنضويين تحت لواء أبي بكر أمهاوش. وظهرت الآثار السلبية لهذه السياسة في وقعة آزرو 1811 ووقعة زيان 1819 التي شهدت انهيار برابرة الدولة كقوة حليفة للمخزن.

وبموازاة ذلك شهد برابرة الدولة تغيرات داخلية كان أهمها أُفول نجم أيت إدراسن كأهم قوة بشرية وعسكرية، خاصة بعد هزيمتهم ومقتل رئيسهم محمد بن محمد وعزيز

سنة 1814. وبتفكك اتحادية أيت إدراسن خلال الربع الأول من القرن الماضي ظهرت اتحادية زمور كقوة بديلة تصدرت جبهة برابرة الدولة خلال معظم القرن التاسع عشر.

أ. الزياني، *الترجمانة الكبرى* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج : 7 و8 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*.

M. El Mansour, *Morocco in the Reign of Mawlay Sulayman*, Cambridgeshire, 1990.

محمد المنصور

بْرَابُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Bravo، ومعناه الشجاع، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1677/1088 على إثر الوباء الذي قضى على عدد كبير من سكان المدينة.

Delegacion, *Familias Ilustres* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البرابيش، من أعراب بني معقل المستقرين في الصحراء الغربية قبل منتصف القرن العاشر (16 م)، وكانوا يشكلون آنذاك فخذاً من الأفخاذ السبعة المكونة لبطن أولاد حسن، وهي دليم، والبرابيش، والأوداية، والرحامنة، واحمر، وذوي عبد الله.

كان البرابيش يعيشون في الصحراء على الترحال وتربية الإبل معتمدين في تغذيتهم على ألبان النوق، بعكس فخذي الرحامنة وأولاد احمر المجاورين لهم اللذين كانا يتوفران على القمح واللحوم والعسل.

كان البرابيش في الصحراء يتوفرون على أزيد من خمسين ألف محارب من بينهم سبعمائة فارس. وبدؤوا ينزحون تدريجياً نحو الشمال منذ القرن العاشر فاستقروا شمال مراكش في المجال الحوزي الذي سبق أن استوطنه بنو عمهم الرحامنة الذين هاجروا مبكراً حيث قدموا من السوس الأقصى في ركاب الأشراف السعديين. بعد أن كان البرابيش في الصحراء يشتركون مع الرحامنة في الانحدار من بطن أولاد حسن انصهروا تدريجيا بعد هجرتهم إلى الحوز داخل مجموعة الرحامنة فأصبحوا يشكلون خُمسا من أخماس القبيلة. وينقسم هؤلاء البرابيش إلى ثلاث فرق : برابيش بني حسن، وبرابيش الجعافرة، وبرابيش أولاد عبد الله.

ك. مارمول، *افريقيا*، الترجمة العربية، 1 : 106، 107 ؛ ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، 1 : 153.

E. Doutté, *Marrakech*, Comité du Maroc, Paris, 1905, p. 392; V. Fernandes, *Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal 1506 - 1507*, tr. De Cenival, Paris, 1938, p 69.

عبد الرزاق الصديقي

بْرَاد أحمد أوعلا. ولد سنة 1910 بتزمورت، بأيت اعمر، است لحسن، ناحية إموزار مرموشة بإقليم بولمان.

انخرط في صفوف جيش التحرير، وعمل ضمن الوحدة التي كانت تحت مسؤولية إلياس ميمون أُعقى منذ 20 غشت 1953 إلى ثاني أكتوبر 1955 حيث شارك في الهجوم على دار حارس المياه والغابات بمرموشة فسقط شهيداً.

شهداء الاستقلال، ح : 2.

عزالدين العلام

البرادعيين (باب ـ) أحد أبواب مدينة مكناس الشهيرة، التي كان يتجمع بها صناع «البرادع» الخاصة بالبهائم. ولا يعادل شهرة هذه الباب سوى باب منصور العلج المعروف عالميا كرمز أو شعار لمكناس.

يقع هذا الباب شمال المدينة، ويُطل على حوائر مكناس القديمة، وجاءت الإشارة إلى هذا الباب عند ابن غازي في *الروض الهتون* حيث قال :«... وتاورا أقرب الحوائر إلى المدينة من جهة باب البرادعيين...» ووردت إشارة أخرى لنفس المؤلف في نفس الكتاب لهذا الباب حينما تحدث عن أبواب مكناس الستة :«... وللمدينة ستة أبواب، باب البرادعيين وباب المشاورين ... وباب عيسى وباب القلعة... وباب أقورج وباب دردورة.

لم نتمكن من العثور على تاريخ بناء باب البرادعيين بالتدقيق، لكن من خلال الإشارات السالفة، إضافة إلى ما ذكره الأستاذ محمد المنوني في دراسته المعنونة *بالتخطيط المعماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور* (*الثقافة الجديدة*، 7 : 1972) تبين أن هذا الباب مرابطي التأسيس، وليس هو الباب الشاهق البنيان الذي يحيط به برجان مرتفعان، ولكن المقصود الباب المؤدي إلى حومة جناح الأمان يمين الداخل من باب البرادعيين المعروف عند ابن زيدان (*الإتحاف*، 1 : 170) بباب البرادعيين القديمة التي يربطها سور بباب البرادعيين الجديدة. وأمام هذا السور قصبة تيزمي الكبرى. وجعل ابن زيدان موقع هذا الباب غرب المدينة، ونقل عنه عبدالوهاب بنمنصور نفس الخطإ عند تحقيقه للروض الهتون، وهو توطين غير صحيح. وجاء في *الإتحاف* (1 : 226) : فأما باب البرادعيين فموقعه قديما وحديثا في الجانب الغربي للمدينة.. وهو باب في غاية الارتفاع والسعة والإتقان وإحكام البناء يكتنفه برجان..." والواقع أن الباب يقع شمال المدينة ـ كما سبقت الإشارة ـ ومنه نخرج لضريح مولاي عبدالله بن حَمد الذي تجاوره مقبرة الشهداء التي هي جزء من المقبرة الكبرى التي بها ضريح الشيخ الكامل محمد بن عيسى الولي الشهير الذي تنسب إليه الطريقة العيساوية. إن الباب الذي يقصده ابن زيدان في النص السابق يرجع بناؤه إلى السلطان مولاي إسماعيل، وهو ما يمكن تسميته بالباب البراني ذي الثمانية عشر قوسا، وكانت بداية بنائه سنة 85 ـ 1686 ونهايته عام 1695 ولم يبق منه سوى خمسة أقواس فقط لأن الباقي زحلق على حد تعبير ابن زيدان، وذلك زمن السلطان سيدي محمد بن عبدالله 1757 ـ 1790، وأشار ابن زيدان لهذا التزحلق لما قال: "وأما الأقواس الثمانية عشر فمنها ما هو قائم العين والأثر حتى الآن ومنها ما هُدَّ وبقيت أساطين أو بعضها شاهدة له."

وأسس في عهد المولى إسماعيل المسجد الذي ينسب لباب البرادعيين، وأسند مهمة بنائه لوزيره علي بن يشّو ذلك عام 1709 كما هو مرسوم بخشب باب مقصورة المنبر، وجدد هذا المسجد السلطان سيدي محمد بن عبدالله.

بو. بوعسرية، *أحداث بوفكران بمكناس فاتح وثاني سبتمبر 1937*، ر.د.د.ع، الرباط.

بوشتى بوعسرية

البرّادُو أو البرّدْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم هكذا Prado أو هكذا Prada وهو اسم تحمله عدة قرى بإسبانيا، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان منذ سنة 1746/1159.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البرازيل والمغرب، ترجع العلاقات السياسية بين المغرب والبرازيل إلى منتصف القرن التاسع عشر. حيث كانت للبرازيل قنصلية في طنجة استمرت من 1861 إلى 1929. واستؤنفت العلاقات الثنائية بعد استعادة المغرب لسيادته الخارجية.

وبين المغرب والبرازيل صلات غير مباشرة ترجع إلى أن المستوطنين الأوربيين الأوائل ينحدرون من أصل برتغالي، وصلات مباشرة ترجع إلى هجرة يهود من تطوان وطنجة إلى البرازيل، وإلى نشاط قنصلية البرازيل بطنجة في مجال منح الحماية لبعض المواطنين المغاربة. وكذلك هجرة البرتغاليين المستوطنين لمازاغان (الجديدة بعد تحريرها) إلى ولاية أمابّا Amapa، ومن جراء هذا وذاك توجد في لغة البرازيليين وعاداتهم بعض مؤثرات مغربية.

إن العلاقات المغربية البرازيلية هي أقدم علاقات سياسية للبرازيل مع العالم العربي وافريقيا. وعلى عكس ما كان يتردد من قبل في الادبيات المغربية والبرازيلية من أن العلاقات الثنائية قد بدأت في 1906، فإنها بدأت في العقد السادس من القرن التاسع عشر.

وتوجد في المكتبة الوطنية في ريو دي جَانيرو رسالة موجهة من وزير خارجية مولاي سليمان محمد بن عثمان إلى رودريغو كوتينيو (وزير خارجية ضون جواو السادس) الذي أصبح فيما بعد أول وزير خارجية للبرازيل بعد إعلان استقلالها. وكان ضون جواو السادس قد نقل البلاط البرتغالي من لشبونة إلى ريو دي جانيرو لدى احتلال البرتغال من لدن فرنسا بتاريخ 1798/5/26. وواضح أنها من وثائق البلاط البرتغالي التي لم ترجع إلى لشبونة.

وفي مديرية الوثائق الملكية بالرباط رسالة من مولاي العباس، بوصفه خليفة لأخيه محمد الرابع بتاريخ 16 ذي الحجة 1277 (موافق 6 يونيو 1861) موجهة إلى الامبراطور ضوم بيدور الثاني، ثاني ملك مستقل لبرازيل، يشكره فيها الأمير المغربي على إهدائه مدفعا، ويهنئه بسلامة من نجا من بحارة السفينة البحرية (إيزابيل) التي حرثت بساحل طنجة قرب رأس اسبارطيل في 1860/11/11.

وورد في كتاب *Catastrophe da Ceorete* D. Izabel الذي ألفه A. J. Victorino De Barros (طبعة ريو دي جانيرو 1861) وصف مسهب لتلك الفاجعة. وذكر المؤلف نقلا عن الناجين من الحادث أن ثلاثين بحارا من ضحايا الحادث دفنوا بالأرض المغربية. وأما من نجوا فقد هاموا على وجوههم إلى أن قادهم الناس إلى خيمة مولاي العباس الذي كان في طنجة قائما على تصفية آثار حرب تطوان 1860.59. فأحسن معاملتهم وأشرف على ترحيلهم بمساعدة وزير بريطانيا في طنجة آنئذ السير درا موند هاي إلى جبل طارق ومنها إلى لشبونة فريو دي جانيرو.

وفي تقرير للحكومة الامبراطورية أمام المجلس التشريعي في ريو دي جانيرو أن الإمبراطور ضوم بيدرو الثاني، وجه رسالة شكر إلى مولاي العباس ورد عليها الخليفة السلطاني برسالة هي التي أومأنا إلى أنها موجودة في مديرية الوثائق.

ولعل هذه الحادثة هي التي أدت إلى فتح قنصلية للبرازيل في طنجة. ويشير الأستاذ مصطفى بوشعراء في كتابه : *الاستيطان والحماية بالمغرب* إلى وجود محفظة برازيلية استقى من الوثائق التي تتضمنها، المعلومات التي أوردها عن المحميين البرازيليين في المغرب. ووقفت في سجلات وزارة الخارجية البرازيلية على ست عشرة محفظة تتضمن مراسلات القنصلية المذكورة التي عملت ثمانا وستين سنة.

وتتضمن هذه الوثائق معلومات عن نشاط هذه القنصلية في ميدان منح الحمايات. وأورد أبو شعراء في إحصائه أن عدد المحميين البرازيليين وصل فيما بين 1863 و1900 إلى مائة وخمسين منهم ثمانية وعشرون مسلمون والباقي يهود، مما يمثل 9.19٪ من مجموع المحميين من لدن دول أجنبية في الفترة المذكورة. ويبدو أن الدستور البرازيلي الليبرالي والاستفادة المالية الشخصية للقناصل الذين مثلوا البرازيل، ساعدا على أن تكون البرازيل سخية في منح حمايتها لبعض المغاربة. وقد هيمن التباس رئيسي على هذه المسألة، إذ كانت البرازيل تعتبر أن المحميين يحملون جنسيتها. ولم يكن المسؤولون المغاربة إذ ذاك حسبما يبدو من الوثائق القنصلية يفرقون بين الحماية والتجنس.

ونشأ من جراء ذلك سوء تفاهم بين الحكومتين المغربية والبرازيلية، إذ أن السلطات المغربية كانت عملا بمبدأ عدم سقوط الجنسية المغربية عن المغربي المتجنس بجنسية أخرى، تحرص على إخضاع المحميين، للقوانين المغربية حالما وجدوا في التراب المغربي. وأشارت المراسلات القنصلية البرازيلية إلى أن الحكومة البرازيلية كانت بصدد القيام بمسعى تشريعي لدى برلمان بلادها وصولا إلى إيجاد حل لهذه المسألة.

وتناولت الوثائق القنصلية المشار إليها تقارير سياسية عن أحوال المغرب، وعلاقاته مع بعض الدول خاصة إسبانيا وفرنسا. ويستفاد من هذه الوثائق ومما عند بوشعراء أنه

كان للبرازيل ممثلون قنصليون في كل من طنجة والرباط والدارالبيضاء والجديدة وأسفي.

وكان لفتح قنصلية للبرازيل بطنجة، ونتائج حرب تطوان التي انحاز فيها يهود المدينة إلى جيش الاحتلال، الأثر المباشر في حمل العديد من عائلات تطوان وطنجة اليهودية على الهجرة إلى البرازيل التي تميز دستورها بحرية التدين منذ إعلان الملك ضوم جواو السادس منع قيام محاكم التفتيش في البرازيل في 1810. ومع ذلك فإن اليهود المغاربة المهاجرين إلى البرازيل تلافوا العواصم الكبرى مثل باهيا العاصمة الأولى، وريو دي جانيرو، واستوطنوا في أقاليم الشمال مثل پارا وأمازوناس بعيدا عن تأثير الكنيسة الكاثوليكية الذي ظل جد قوي. وكان هناك سبب آخر وهو أن المنطقة كانت تتجاوز طور المطاط وهي زراعة صناعية خلفت ازدهاراً كبيراً، وكانت في حاجة إلى مسيرين لهم حظ من التكوين. وكان المهاجرون من تطوان وطنجة لا يقل مستواهم التعليمي عن الابتدائي بفضل مدارس الأليانسا الإسرائيلية في موطنهم الأصلي. وعلى يد هؤلاء نشأت محلات تجارية ومؤسسات صناعية. وألف أحدهم وهو الجنرال أبراهام بينطيس، أبوه من طنجة، ثلاثة كتب عن مساهمة اليهود المغاربة في صنع نهضة البرازيل. وقال إن الهجرة لم تكن لأسباب دينية أو سياسية بل للبحث عن الارتقاء الاقتصادي. ونال هذا الضابط وسام العرش من درجة ضابط في 1890. وكان قبل وفاته يرأس الجمعية الخيرية لليهود المغاربة في ريو دي جانيرو وهناك مثلها في بيلين بولاية پارا وأخرى في ماناوس بولاية أمازوناص. ولهم معابد خاصة بهم. ويرتبطون عاطفيا وثقافيا بموطنهم الأصلي متميزين عن اليهود الاشكنازيين.

ويعزى إلى العلاقات القنصلية المغربية البرازيلية وإلى مسألة الهجرة المتقدم ذكرها تردد اسم البرازيل إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية في الوقائع المغربية أكثر من غيرها من دول العالم الجديد. ويذكر عبدالهادي التازي في كتابه عن *الرموز السرية في المراسلات المغربية* أن البرازيل كان رمزها في المراسلات الرسمية المغربية هو 399 ومدينة ريو دي جانيرو هو 400.

وقد سعى المغرب إلى إشراك البرازيل في مؤتمر مدريد 1880 رغبة منه في ألا تنفرد بالكلمة في الدول التي تمارس عليه الضغط. وكانت الدبلوماسية المغربية تتطلع - على عكس ما آل إليه الأمر فيما بعد - إلى أن يتم في ذلك المؤتمر الحد من التجاوزات الخاصة في ميدان الحمايات. ووسّط المغرب بريطانيا لإقناع البرازيل بالاشتراك في مؤتمر مدريد، ووعد المستشار البرازيلي موريرا دي بارس بالمشاركة إلا أنه أحجم عن ذلك تلافيا للاحتكاك مع ذوي المصالح من الأوربيين.

وهناك عنصر آخر دخل في نسيج العلاقات البرازيلية المغربية وهو هجرة البرتغاليين الذين كانوا يستوطنون الجديدة قبل تحريرها، إلى أقصى الشمال البرازيلي في ولاية أماپا التي يخترقها خط الاستواء. وكان هؤلاء قد وقع ترحيلهم جماعيا إلى البرتغال بعد تحرير الجديدة في عام 1768. ولكنهم ظلوا مستائين من ذلك. فقر عزمهم على الارتحال إلى أماپا وهناك أسسوا في 1770 مدينة خاصة بهم سموها "مازاغان" وهو الاسم القديم للجديدة. وهي تقع على نهر نُوتُواكا Nutuaca قريبا من مدينة ماكاپا عاصمة الولاية. وكانوا في البداية نحوا من ثلاثمائة وستين عائلة. وما زال سكان مازاغان حتى الساعة يتكونون من أحفاد المؤسسين. وهو يقيمون احتفالا سنويا يمتزج فيه الفلكلور بالعاطفة الدينية يشخصون فيه المعارك التي جرت في الجديدة.

وإلى جانب هذا وذاك فإنه قد تسربت إلى البرازيل ملامح من مؤثرات مغربية كقولهم - كما في كلام البرتغاليين - عن القنينة «غراف» وهي لفظة عربية لا يستعملها عربُ المشرق للدلالة على الإناء الذي يحوي الماء. ومنها اشتقوا كلمة اينغارافامينطو أي اختناق السير ونحوه. وهناك أيضا كلمة «الزليج» المأخوذة عن المغرب بينما تستعمل في باقي الأقطار العربية لفظة الفسيفساء. وكذلك لفظة «الواد» بمعنى النهر. وكلمة «طانجرينا» أي البرتقال الطنجي الذي يسمى عندنا كليمانطين، وغير ذلك. وينص قاموس أوريليو على أن كلمة كسكس أصلها مغربي. وهو يذكر ثلاثة أنواع من الكسكس شائعة في البرازيل.

وقد درجت هذه الكلمة على الألسن بفعل عاملين : التأثير غير المباشر المضمن في التراث الإيبيري الذي انتقل إلى البرازيل، وكذلك العبيد الذين كان يؤتى بهم من غرب افريقيا وهي مناطق إسلامية متأثرة كثيرا بالمغرب. وتوجد في باهيا وثائق قليلة لهؤلاء العبيد الذين كانوا يؤسرون وهم ذوو حظ من التعليم حتى قال João Jose Reis مؤلف كتاب تمرد العبيد في البرازيل : إن هؤلاء كانوا في جل الحالات في مستوى تعليمي أفضل من سادتهم. وأن الأوراق القليلة التي حُفظت عن ثورة 1830 للزنوج في باهيا مكتوبة بخط مغربي واضح المعالم.

ويذكر الجنرال أبراهام بينطيس المتقدم الذكر أن المغرب قد تسبب دون أن يقصد في أن تكسب البرازيل حوالي ستة ملايين كلمتر مربع من الأراضي. ذلك أنه بعد معركة وادي المخازن وضم البرتغال وممتلكاتها إلى التاج الإسباني، وقع توسع كبير في اتجاه الداخل، بعد أن كانت الممتلكات البرتغالية تقتصر على ما دون الساحل بقليل. وبعد أن استرجعت البرتغال استقلالها من إسبانيا اتفق على أن حدود البرازيل مع الممتلكات الإسبانية تصل إلى حيث وصلت أعلام الفتح في الفترة الإسبانية. وبذلك ربحت البرازيل كل أمازونيا الحالية.

وبعد معركة وادي المخازن نشأت الفكرة «السبَاسْتْيانية» كناية عن نزوع الوطنيين البرتغاليين إلى رفض السيطرة الإسبانية فتعللوا بأن سباستيان لم يمت في

المعركة وإنما هو مختف، وسيعود إلى ممارسة حقوقه كملك للبرتغال المستقل. وقد انتقلت السباستيانية إلى البرازيل وعاشت زمنا.

وأخيرا يمكننا أن نشير إلى أن البرازيل هي التي تقدمت بأول مشروع قرار قدم في الأمم المتحدة سنة 1952 بمناسبة الشكوى المغربية بالممارسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب. وكان ذلك المشروع تابعا من مجموعة الدول الأمريكية اللاتينية التي أيدت عشرٌ منها تسجيل القضية المغربية في جدول أعمال الأمم المتحدة.

وقبل ذلك بكثير كان الشاعر إلياس فرحات قد أسس مع مجموعة من المهاجرين العرب "لجنة تحرير العرب" للتضامن مع الثورة الريفية، وله فيها قصيدة طويلة. وفي 1953 حينما نفت فرنسا محمد الخامس أنشأ شاعران مجيدان من شعراء المهجر البرازيلي هما الشاعر القروي وأسد موسى قصيدتين في تحية كفاح الشعب المغربي.

وتمت في 1989 إقامة نصب محمد الخامس على هية «سقاية» مغربية في وسط ساحة فسيحة في مدينة صاوباولو تقع قبالة الكاتدرائية الأرثوذكسية.

محمد العربي المساري

البراشوة، فرقة كبيرة من فرق قبيلة أولاد ميمون التي تنتمي إلى قسم المزارعة من قبائل زعير. فالبراشوة يكوّنون مع إخوانهم الگصيصات وأولاد ليلى وأولاد عياد وأولاد مسعود وأولاد صالح غيث قبيلة أولاد ميمون التي تمتد أراضيها فوق هضبة حد البراشوة ومنطقة النخيلة ووادي كريفيلة غرباً إلى حدود قبيلة أولاد عزيز ووادي گرو والسهول في الشمال الشرقي، وتحد شرقاً بقبيلة النجدة، وجنوباً بأولاد كثير.

وهناك سوق أسبوعي مشهور يسمى احد البراشوة يعمّر وسط فرقة البراشوة يوم الأحد، وهو يقع على الطريق الرابطة بين الرماني ومدينة الرباط حيث مركز القيادة التي تراقب جماعتي حدّ البراشوة ومولاي إدريس أغْبَال، وبه مركز للدرك تابع لدائرة الرماني، وإعدادية للتعليم.

دراسة ميدانية.

علال الخديمي

برّاطيل، أسرة تطوانية لعل أصلها من الأندلس، وكان من بين أفرادها بتطوان :

براطيل، المكي بن الحسن، فقيه زاول خطة العدالة بتطوان وكان حيا سنة 1771/1185. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1801/1215 وهي غير أسرة بَرْطيل.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias Ilustres* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بْراكة Braca، اكتفى فيفيان دوسان مارتان Vivien de Saint Martin بترديد ماجاء به بلين القديم Pline L'Ancien من معلومات في كتابه 5، الفقرة 10، وكان بلين القديم أول مؤلف أورد هذا المصطلح نقلا عن صاحبه الرحالة والمؤرخ الاغريقي بوليب.

قال فيفيان بأنه، مباشرة بعد نهر درعات Darat، تطرق المؤرخ والرحالة الإغريقي بوليب Polybe لخليج يمتد على مسافة 606 ميل (وتعادل أحد عشر يوم إبحار) يبتدئ عند رأس سرنتيوم Cap Surrentium المكون بدوره من امتداد جبل براكة، وأضاف بأن الرحالة لم يذكر لنا أين ينتهي الخليج.

وانتبه بوزنيي Besnier لوجود المصطلح في صيغته المفردة : براكس Praxe. وفي صيغة الجمع : جبال براكاي Montes Bracae عند جغرافي راڤين Geographe de Ravenne، وورد المصطلح عند هذا الجغرافي في الفقرة 3 من كتابه الأول والفقرة 10 من كتابه الثالث، وتحدث عن خاصيتهما البركانية، وبذلك فهي جبال تشبه في هذه الخاصية جبال الاتنا Etna.

وتوافق جبال جغرافي راڤينا، وحسب تيسو Tissot الأطلس الكبير البطوليمي، وطابقها بزنيي بجبل براكة الوارد عند پوليب أو أگريبا. وحدد بزنيي موقعه عند مصب نهر درعة وخارج حدود موريطانيا (الطنجية).

وطابق ثوفنو R. Thouvenot جبل براكة بأدرار السطوف وحصر خليج سرنتيوم بين رأس جوبي Cap juby والرأس الأبيض.

وعرف موني R. Mauny براكة على أنها سلسلة الأطلس التي تنتهي عند البحر برأس سرنتيوم وتقع على بعد 25 كلم جنوب موگادور وتمنار.

وعدد موني أسماء الأماكن التي لها صيغة قريبة من المصطلح ضمن خط طوله 30 كلم. فأبان تعددها إذ اكتشف خمسة أضرحة تحمل اسم سيدي امبارك، وثلاثة تحت اسم سيدي بوالبركة ودوار باسم الشيخ امبارك... ولاحظ بأنه لا يوجد في ورقات أخرى هذا المصطلح بنفس الكثافة التي ورد فيها ضمن هذا الخط وخلص إلى القول بأننا أمام الارتفاعات المهمة للأطلس التي تظهر بصفة مفاجئة على الساحل عند رأس Tafelney. وبما أننا ببلاد بربرية فلا شك أن الصلحاء استمدوا تسمياتهم من المنطقة التي استوطنوها. وقد حاول موني الدفاع عن فرضيته بتقديم مثال لذلك سيدي مگدول من موگادور، فهو تغيير للاسم المحلي : ولي مگدول.

وتساءل موني عما إذا كانت هذه المنطقة التي تكثر فيها هذه المصطلحات توافق مكان جبل براكة الوارد ضمن الرحلة البوليبية. وحسب موني أثر هذا المصطلح على التسميات المحلية وهي بدورها أنقذت المصطلح من الاندثار. وليؤكد فرضيته أكثر ذكر بأن القبيلة التي تستوطن المنطقة تسمى إدا . و . اسارين (Ida ou Issarene)، فتسميتها قريبة من مصطلح (Surrentium) وأيضا من مصطلح (Arnisarion) الذي حدده بطوليمي عند

رأس ريزاديون (Rhyssadion) وبالضبط شماله، ويوافق هذا المصطلح الأخير عند جل الباحثين المعاصرين ومنهم موني نفسه ودوزانج رأس گير، ونحا بديش (P. Pedech) منحى آخر عندما طابق براكة بهضبة القعدة التي تنتهي عند المحيط الأطلسي بشاطئ صخري شديد الانحدار.

وانتبه بديش بدوره لوجود هذا المصطلح عند جغرافي راڤينا الذي دل عنده على المنحدرات.

وحاول دوزانج (Desanges) من جهته مقاربة براكة عند بلين وبوليب بفوكرا أروص (Phocra Oros) عند بطليموس وانتقد بطليموس على تحريفه للمصطلحات.

ويمتد فوكورا عند بطليموس على طول البحر من رأس ريسادیون (Ryssadion) أو (Russadeiron) إلى الأطلس الصغير الذي موضعه بطليموس في وصفه للساحل الموريطاني بين شالة وروزبيس (تيط).

وحدد بوزنيي فوكرا كما ذكرها بطليموس عند سلسلة التلال القريبة من الساحل والتي تمتد من رأس سيم إلى رأس گير.

وبتوقفنا عند جغرافي راڤينا وقعن كلماته نستخرج من خلاله مجموعة معطيات منها اعتباره بأن جبال براكاي (Montes Bracae) تشكل ساحل المحيط نفسه وقد وطنها بموريطانيا الايجيلية (Maurétanie Egel) التي توجد بأقصى غرب افريقيا وجنوب موريطانيا القاديتانية أو موريطانيا القريبة من مضيق الأعمدة.

وتوافق موريطانيا الإيجيلية بلا ريب موريطانيا السلسلة الأطلسية،وعليه فجبال براكاي هي الجزء من هذه السلسلة القريب من المحيط الأطلنتي والذي يظهر انطلاقا من رأس گير.

والملاحظ أن دوزانج بدوره انتهى إلى نفس النتيجة التي انتهينا إليها عندما ذكر بأنه من الصعب تحديد جبل براكة (Braca) في موطن آخر غير الموطن الذي توجد به المرتفعات الغربية للأطلس الكبير شرق بلاد حاحة.

Vivien de Saint Martin, *Le Nord de l'Afrique dans l'antiquité grecque et romaine*, imprimerie impériale, 1863, p. 340 ; M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc (Maurétanie Tingitane)*, *A. M.*, I, 1904, p. 350 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924, p. 32 ; R. Thouvenot, *Défense de polybe*, *Hesp.* XXXV, 1948, p. 89 ; R. Mauny, *Autour d'un texte bien contraversé, Le periple de polybe* (146 Av. J.C.), *Hesp.* XXXVI. 1949, p. 59 ; P. Pedech, *Le voyage de polybe en Afrique*, *R. E. L.* XXXIII, 1955, p. 329 ; J. Desanges, *Recherches sur l'activité des méditerranéens aux confins de l'Afrique (VIe au IVe ap J.C)*, Ecole française de Rome, 1978, pp. 137 - 138.

بلكامل البيضاوية

البراكين، تضاريس خاصة ترتبط بنشاط باطني، صدرت آثاره إلى سطح الأرض فخلفت أشكالا وصخوراً، تدعى بركانية. وفي المغرب توجد براكين متعددة، إلا أنها كلها خامدة، بل لا توجد آثار براكين نشأت في وقت قريب منا، إذ أن أحدث الآثار البركانية ترجع إلى الرباعي الأوسط، بينما أقدمها نشأت في عهود غابرة في القدم، سابقة للزمن الأول. إلا أن عبارة بركان تطلق خصوصا على المظاهر التي تتجلى في شكل السطح والصخارة معا، وهذا ما تختص به البراكين الحديثة نسبيا المنتمية لنهاية الثلاثي وللرباعي، بينما الظواهر الأقدم، غالبا لا يتبقى منها إلا المخلفات الصخارية وأشكال تضاريسية جد متدهورة، كثيراً ما تكون مدفونة تحت رواسب لاحقة، وبالتالي لا تلعب أي دور عند السطح.

فإذا ركزنا اهتمامنا على البراكين الفعلية في المغرب أي البارزة عند السطح، فإننا نجدها تميز فترة زمنية خاصة، ونطاقا مجاليا مضبوطا.

- من الناحية الزمنية، ينطلق النشاط البركاني الذي خلف اثاراً تضاريسية واضحة في الميوسين، ويستمر إلى الرباعي الأوسط. بينما في الحقيقة، تم في المغرب نشاط بركاني في كل العهود، قبل الكمبري في الأطلس الصغير وخلال الزمن الأول في الأطلس الكبير، والهضاب الأطلنتية والمغرب الشرقي وخلال الترياس عند انطلاق انفتاح المحيط الأطلنتي، في كل المجال المغربي تقريبا وخلال الجورسي والطباشيري. ويتأكد النشاط البركاني لهذه العهود بما خلفه من طفوح ممتدة وسميكة، وعروق صخرية وتركزات معدنية حرمائية مرافقة، بل أشكال طبغرافية مازالت واضحة رغم قدمها في بعض الحالات، كما هو الشأن بالنسبة لبركان ألوگوم بناحية فم زگيد مثلا، والذي مازال يتضح فيه مركز مكون من سيينيت، على جوانبه طفوح أندزيتية ومقذوفات سميكة، وفرشات فليسية. هذا البركان القديم، كل أجزائه تختفي تحت طبقات الرصيص والكلس الأدودوني، أي أول الرواسب المنافرة للقاعدة القديمة الملتوية والبركانية في الأطلس الصغير.

- من الناحية المجالية، نلاحظ أن جل البراكين الحديثة والمتمثلة في تضاريس حقيقية، توجد في نطاق خاص هو الأقاليم الشمالية للمغرب، وأن استثناء أساسيا يخرق هذا القانون، ويتمثل في سلسلة سيروا الموجودة عند اتصال الأطلسين الكبير والصغير. والموقع الشمالي للبراكين، داخل القارة، وكذلك في بحرالبوران، يدل على ارتباط البركنة بالنشاط التكتوني الذي عرفته خلال الثلاثي والرباعي، هذه الأقاليم وخاصة منهاالمجالات الأطلسية، ومجال الريف.

هذه البراكين النيوجينية والرباعية، هي مراكز نشاط دائم، تشكلت على إثره أجهزة معقدة وطبقية (كما هو الحال في الريف الشرقي وفي سيروا)، أوهضاب وطفوح بركانية ممتدة (كما هو الحال في الأطلس المتوسط والهضبة الوسطى). وقد انطلقت هذه البركنة منذ الأوليگوسين.

يمكن معرفة نوعية النشاط البركاني الذي عرفه المغرب حسب نوعية التضاريس والصخور، وحسب تركيبها العداتي والكيماوي. هكذا نرى غلبة نوعين من الطفوح البركانية : الطفوح أندزيتية غالبة في الأجهزة الثلاثية، وطفوح بزلتية، تصبح هي الأساسية منذ نهاية الزمن الثالث.

1) ـ تمثل البراكين الطبقية المعقدة أجهزة جبلية حقيقية، أو على الأقل أشكالا تلية، انطلق تكوينها منذ الميوسين الأعلى، وبالضبط منذ الطرطوني وتصاحبها في بعض الحالات انسلالات لصخور بلورية، من گرانوديوريت مثلا. وجل هذه الأجهزة مركزة في الريف الشرقي وتحت البحر في البوران، وكذلك على الجانب الأندلسي لهذا البحر. هذا الوجود على الجانبين للقوس الجبلي الريفي ـ البيتي، يدل على ارتباط البركنة بآخر الحوادث البنائية التي عرفتها المنطقة، والتي تمت فترات الانضغاط الأساسي بها خلال الميوسين الأوسط.

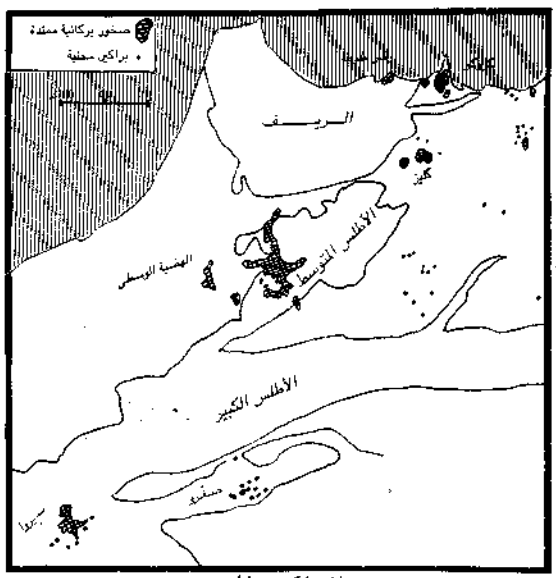

البراكين بالمغرب

نوعية البركنة، هي عبارة عن صخور أندزيتية أو طراكيتية، أي صخور كلكألقلية ومحليا شوشونيتية. هذا النوع من البركنة، أوله المؤلفون بأنه مرتبط ببحر البوران (البرهان) الذي يمثل حوضا هامشيا نشيطا، تحده مجالات انغماس يتعمق جانبها الشمالي تحت إسبانيا، والجنوبي تحت المغرب. لكن هذا الافتراض تعترضه إشكالات تتلخص في كون قشرة هذا البحر ليست محيطية بل هي قارية مرققة، الشيء الذي لا يسمح بالتأكيد على وجود وضعية انغماس عند الساحل الريفي. على كل هذه التسللات الاندزيتية لها دلالة على استمرار حركات الانضغاط خلال الميوسين الأعلى وحتى خمسة ملايين من السنين قبل الحالي.

ضمن هذه المجموعة الأولى الطبقية والمكونة من أندزيت، يمكن أن نعرض لثلاثة أمثلة.

جبل سيروا كتلة بركانية حديثة، ترتفع حتى 3300م لارتفاع القاعدة الصخرية التي تحملها، ويرتبط هذا البركان الضخم بانكسارات أساسية تمثل امتداد الحادث جنوب الأطلسي. والجهاز عبارة عن سطراطو بركان، أي بركان طبقي معقد، مشيد من طفوح ومقذوفات ومواد قفصية، إضافة إلى عروق منسلة متنوعة.

گوروگو، جبل ضخم كذلك، يوجد في منطقة گلاعة، مطلا على مدينتي الناضور ومليلية، بدأ تشييده منذ تسعة ملايين من السنين. وهو مكون أساساً من صخور شوشونيتية وطراكيتية، وقد يحتوي على صخور غنية بالبوطاس من نوع الأندزيت. وهو يمثل أهم كتلة بركانية في الريف الشرقي، تم تشييده فوق قاعدة جوراسية كلسية وصلصالية، وقد صاحبته تسللات ميكروديوريتية كوارتزية هي عبارة عن عروق تخترق الكلس والفليش، أو وسادات تحتل الفواصل بين الطبقات، كما صاحب البركنة صعود مياه حارة عملت على تركيز الحديد، مكونه المنجم الحالي لويشان شمال بني بوإفرور.

أما كتلة گليز فهي مكونة أساساً من طفوح أندزيتية تميل إلى الألقلية، انطلق تشييدها منذ ثمانية ملايين من السنين، وصدر أغلبها بين 7.5 و5.7 مليون سنة. وتاريخ آخر الطفوح الاندزيتية تم تحديده في 4.9 مليون سنة. والطفوح محليا مغلفة بطبقات رسوبية من صلصال ورمل بحري، إضافة إلى رماد وأطيان نفوخة قارية، توجد عند ملقى الويدان على ملوية. وهذا يشير إلى أن أول الطفوح كانت بحرية، بينما استمر التشييد في مجال قاري خلال الميوسين الأعلى.

2) براكين العهد الثاني، هي عبارة عن مواد صهيرية أكثر سيولة تمتاز بالقاعدة وبغلبة العنصر البزلتي، انطلق تكوينها منذ نهاية المسيني ودام حتى الرباعي الأوسط. وتتمثل الأشكال الموفلوجية الخاصة بهذا النشاط بطفوح تغطي مجالات واسعة وتتبع السيلان والأودية، وتنزل إلى المنخفضات، ولا تظهر بها الفوهات والمخاريط الجبلية إلا محليا، لغلبة النوعية السائلة من البزلت خصوصاً أو محليا بنزيت، فنوليت، أنقرطريت.

تنفرد بهذا النوع من البركنة المناطق الأطلسية أوالمسيطية، مثل الأطلس المتوسط والهضبة الوسطى. فالأطلس المتوسط يتميز بطفوح تنطلق منذ الفلفرنشي حيث تم تكوين براكين بومية وإتزر وتالزاست، تم تتعمم خلال الرباعي الأوسط، حيث صدرت طفوح بزلتية عادية، تمتاز بشدة سيولتها، غلفت هضاب الأطلس الشمالي الغربي، ونزلت إلى هوامش هذه الهضاب، تابعة أودية أم الربيع في اتجاه تادلا، أو متساقطة على الأجراف في اتجاه حوض أزرو أو سايس. تكون الطفوح البزلتية هضابا متدرجة عليها مخاريط مكتملة في بعض الأحيان، أو مفتوحة ومتدهورة في أحيان أخرى أكبرها مخاريط الكديات قرب يفران وهبري وتمحضيت. كما تتميز الطفوح بمظاهر انفجارية تعطي منخفضات مغلقة كبيرة تدعى "لشمين" في الأطلس المتوسط مثل منخفض مشليفن أو لشمين إقطان. وأخيرا تظهر إما محليا أو على شكل خطي منخفضات دائرية صغرى يعزى بعضها لأسباب انفجارية والبعض الآخر لاستمرار الكرستة من تحت اللافا البركانية، وتهدل هذه فيما بعد ذلك.

كما أن هذا النوع من البركنة يعم المناطق التي عرفت الجبل الأول الاندزيتي، وعلى الخصوص المجال الخارجي من الريف ومقدمته. وهكذا تجد گليز وگوروگو يحتويان على طفوح بركانية بليورياعية ورياعية، ذات سيولة عالية، تغلب فيها الصخور البزلتية. وقد انطلق هذا النشاط الحديث في الريف الشرقي منذ خمسة ملايين سنة ودام حتى مليون أو مليوني سنة قبل الحالي. في گوروگو مثلا، أول الطفوح البزلتية، تم تأريخها بحوالي 5,3 مليون سنة، بينما عمر آخر الصدورات الباطنية مليونين ونصف المليون من السنوات. أما في گليز فإن النشاط البزلتي انطلق عند 4,9 مليون سنة، وتجدد مرتين، عند 2,5 مليون سنة حيث خلف طفوح جبل الأكحل وعند 1,7 حيث تكونت لافا عين الزهرة، وأخيراً عند مليون سنة، لما نزلت طفوح إلى منخفض گرواو.

إن توالي المرحلتين البركانيتين الكبيرتين له دلالة جيولوجية وبنائية أكيدة.

فالعهد الأول من البركنة يتزامن مع الحركات الاوروجينية النهائية، على إثر تكوين السلسلة الريفية، ومارافقتها من تحولات بنائية داخل السلسلة الأطلسية. ونوع الصخور المتميز بغلبة الاندزيت والطفوح الكلكألقلية دليل على ذوبان محلي للقشرة ومساهمتها في الصادرات البركانية.

أما العهد الثاني البزلتي فهو يدل على بركنة لاحقة للحركات الأوروجينية في وقت صار فيه الصهير يصعد مباشرة عبر شقوق تجزئ القشرة الباردة.

تنفرد بعض المناطق بأحد الجيلين، فالأطلس المتوسط مثلا، ينفرد بالجيل الثاني، وكذلك الهضبة الوسطى. أما في مناطق أخرى فإننا نلقى آثار الجيلين متوالين، متداخلين أو متدرجين. في گوروگو مثلا نجد حالة التدرج، حيث الجهاز الجبلي مشكل في الطفوح والمقذوفات القديمة، بينما البزلت الحديث مركز في أودية متعمقة على هوامش الجبل وينزل منه إلى خارج الكلتة. أما في ناحية وجدة، فإننا نجد الجيلين متداخلين من الناحيتين الزمنية والمجالية. من الناحية الصخارية، كل الطفوح عبارة عن بزلت ألقي تحت مشبع بالسليس ودال حسب تركيبته الكيماوية على انتمائه إلى نوع الصخور الصهيرية التي تصدر بداخل الصفيحة الواحدة وليس من هوامشها. أما التأريخ الإشعاعي فهو يتأرجح بين ستة ملايين ومائتي ألف سنة بالنسبة لأقدم العينات إلى ثلاثة ملايين سنة بالنسبة لأحدثها. ويمكن الفصل بين مجموعتين إحداهما قديمة ميوسينية متفسخة، تغلفها رواسب نهرية وبحيرية جيرية، وثانيهما حديثة تغطي الأولى، وتنتمي للبليوسين.

وعلى كل يتضح أن استمرار البركنة إلى عهود قريبة، دلالة على استمرار البنائية في هذه الهوامش النشيطة من المغرب الأطلسي والريفي، المطل على بحر البوران الذي يتميز هو نفسه بكثرة البراكين تحت البحرية على طول الحوادث الانكسارية الاساسية.

J. Hernandez, *Le volcanisme du Rif Oriental*, thèse sciences, Paris, 1983, p. 418 ; H. Bellon et R. Brousse, *Le magmatisme périméditerranéen occidental*, *Bull. Soc. géol. Fr.*, (7), t. XIX, n°3, 1977 ; D. Tisserant, A. Laouina et N. Claner, *Datation K - Ar des basaltes de la plaine des Angad au S. d'Oujda*, *Sci. Géol. Bull.*, 38, 2, 1985.

عبد الله لعرينة

براندت، فريدريك F. Brandt تاجر ألماني ولد سنة 1856 وحل بالدار البيضاء سنة 1879 وأصبح شريكا لعدة تجار ألمانيين. وكان وكيلا قنصليا للمملكة النمساوية الهنغارية بالدارالبيضاء سنة 1897، وكان له سماسرة وخلطاء بالشاوية ودكالة. ولما نشبت الحرب العالمية الأولى اعتقلته سلطات الحماية الفرنسية وحكمت عليه بالسجن والأشغال الشاقة عشر سنوات بتهمة الجاسوسية.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 2 : 834 - 835 ؛ *الوثائق المغربية*.

Pierre Guillen, *L'Allemagne et le Maroc*, 56 (4).

مصطفى بوشعراء

البرانس، أطلق هذا المصطلح حسب التصنيف التقليدي على إحدى الكتلتين الكُبريَيْن اللتين تكوِّنان غالبية المجموعة الأمازيغية. والكتلة الأخرى، عرفت بـ(البُتْر). وهذا التصنيف كما يذكر (گوتيي) لم يعرفه مؤرخو اللاتين ولا الإغريق ولذلك فهو من وضع نسَّابة البربر، انطلاقا من المصادر التي يرددها ابن خلدون كسابق المطماطي وأيوب بن أبي يزيد. وبالتالي فـ (گوتيي) لا يصدق بوجود بر، ولا مادغيس ولا برْنس كأصُول تناسل منها الأمازيغ. وتقسيم هؤلاء إلى بُتْر وبَرَانس، هو من مخيلة العرب والبربر منذ القرن الرابع (10م). والحقيقة أننا نجد هذا التقسيم في المصادر الإسلامية قبل هذه الفترة. فقد ورد الحديث عند ابن عبدالحكم عن البُتْر و البرانس عدة مرات. وهكذا يذكر أن حسان بن النعمان ولّى على البُتْر الموالين له أحد ابني الكاهنة. وأن عامة نصارى البربر بافريقية كانوا حينئذ من البرانس. أما بطنجة فكان يوجد الفريقان معا (البُتْر والبرانس). وكان ولاة إفريقية لا يتخذون حرسهم إلا من البُتر. وهكذا يبدو البُتر أو أكثريتهم أسرع إلى مُوالاة العرب من البرانس خلال شطر كبير من مرحلة الفتح. حتى إن حسان بن النعمان نُسب إليه أنه أقر علانية بقرابة زناتة من العرب وسجل بذلك وثيقة (رسمية) كما يزعم مؤلف الذخيرة السنية. وكانت زناتة تكون معظم البُتر. وينقل ابن خلدون عن عدد من نسابة البربر أن الأمازيغ فرعان كبيران، بُرنس، ومادغيس الملقب بالأبتر. فبرنس ينتهي نسبه إلى كنعان بن حَام. أما البتر فمن نسل بُرّ بن قيس بن غيلان. غير أن ابن خلدون بعد مناقشة مختلف النظريات التي تعتمد على الأنساب يفضّل إرجاع الجميع إلى أصل حَامي فيما عدا صنهاجة وكتامة الذين يُحتمل أن تكون لهم أصول عربية يمنية. وعلى هذا فإن ابن خلدون رجع إلى النظرية الشجرية بعد أن انتقدها. وتأثر المحدثون به حتى من دارسي اللغات الشرقية الذين وضعوا الأمازيغية ضمن اللغات الحامية.

ويُرجع ويليام مارسي W. Marcais التقسيم الثنائي (بتر وبرانس) إلى القرن الثامن الميلادي على الأقل. ويعتمد على فروق الزي كما وجدها العرب لدى البربر، ففريق من هؤلاء يرتدون البرنس فهم البرانس وفريق بلباس قصير أولاً (قُبٌّ) فيه، فهم البُتر. وتفسير التصنيف على هذا النحو غير دقيق، لأن البرانس لم يختصوا وحدهم بالبرنس وصنهاجة الصحراء وهوارة كانت ترتدي لباساً طويلاً دون برنس، مع أن صنهاجة تصنف ضمن البرانس.

ويرد (گوتيي) التصنيف إلى الخلافات العميقة بين الكتلتين، أي من حيث نمط الحياة والبيئة الاجتماعية والجغرافية، بينما اعتمد تقسيم العهد القديم على أسس جغرافية (نوميديا وموريتانيا). وفي مرحلة متأخرة استعمل تصنيف (الرحل والمستوطنين). وهكذا فتغير المصطلحات مرده إلى مراحل تطور متعاقبة. ثم إن البتر كما يقول (گوتيي) هم صحراويون غرباء، وأثروا أيضا في غيرهم من السكان الأصليين. أما البرانس فهم بالدرجة الأولى سكان المناطق الجبلية. ثم إن هذا المؤرخ الذي لا تخلو ملاحظاته من عمق، يجد فروقا في هندسة المباني بين البُتْر والبرانس، لكن هذه الفروق يصفها كما رآها هو، وليست كما خضعت للتطور عبر مآت السنين. ومن جهة أخرى فيتبين من استقراء التطور الحضاري والسياسي أن اعتبار البرانس كمجموعة مستوطنة تفوق في تحضرها البُتْر، وأن هؤلاء ما هم إلا صحراويون رحل ليس إلا إغفالا لطبيعة التطور ومراحله لدى كل من الفريقين. فمعظم الواحات الصحراوية النائية جنوب المغرب الكبير من عمل البُتر، وهو ما نجده أيضا لدى نفُوسة في منطقة الجريد. وأغلبية المراكز الحضرية الاقتصادية ذات العلاقات الواسعة نشأت أو ازدهرت في ظل الزناتيين البُتر، كتلمسان قبل الإسلام وفي ظل بني عبد الواد، وكسجلماسة ووارغلة وفاس المرينية وتازا. والقلاع الزناتية بالمغرب يضرب بها المثل في الصمود والمتانة لا سيما قلاع الأطلس المتوسط وأشهرها قلعة فازاز التي أتعبت جيوش المرابطين، ولم يأمنوا من خطرها بعد فتحها إلا حين دكّوها. وعلى هذا فإن استئثار البرانس بنمط الاستيطان وتخصيص البُتْر بالطبيعة الصحراوية وروح التقلب وهْم أوقعنا فيه گوتيي ومن سايره.

والآن أصبح ممكنا إعادة الاعتبار إلى البُتر الذين إذا كانوا مهمشين قبل الإسلام فقد تحولوا إلى قوة مؤثرة بعده في كل المجالات. وما يقال عن العداء بين البُتر والبرانس لم يكن شاملا قط، بل هو من شكل العداء الداخلي بين الكتل من نفس الصنف، لا كالعداء بين مغراوة وبني يفرن وكلهم من البتر الزناتيين، وكصراع صنهاجة والمصامدة وكلهم برانس. فيبقى تصنيف الأمازيغ إلى بتر وبرانس مجهول الأصل والأسس، وكل ما قيل بشأنه حتى الآن مجرد افتراضات، خصوصا وأن التصنيف الداخلي للبرانس حسب نظرية ابن خلدون التي تجعل صنهاجة من البرانس، لا يخلو من ارتباك، لأن أغلبية صنهاجة المغرب عاشوا رحلا مدة مآت من السنين. أما اعتبار العرب مغرمين بالتصنيف الثنائي على غرار ما فعلوا من تصنيف أنفسهم إلى قيس ومضر، ففعلوا مثل ذلك بالنسبة إلى تقسيم الأمازيغ إلى بتر وبرانس، فمجرد تصور محدود الأفق، لأن الرومان أيضا قسموا الشعوب إلى متحضرة هي الرومان والإغريق، وبرابرة وهي سائر الشعوب. والأوروبيون من الباحثين، قسموا عرب الجزيرة إلى عرب الشمال وعرب الجنوب. والآن نسمع عن دول الشمال ودول الجنوب، وعن أوروبا الشرقية وأوروبا الغربية وهلم جراً.

وإذا كان البتر إنما يتكونون في غالبيتهم من زناتة، فإن بتر المغرب بوجه خاص برهنوا عن قابلية عجيبة للتحضر والاندماج. أما برانس المغرب وصحرائه فهم صنهاجة ومصمودة. ويعرف صنهاجة الجزء الشرقي للأطلس المغربي باسم زناگة ـ بكاف معقودة ـ وهناك الملثمون عبر الصحراء من الذين كونوا دولة المرابطين وأكثرهم كانوا رحلاً. ويعرف ملثمو شرق الصحراء الكبرى بالهُگار، ولكن قيل إنهم بتر من هوارة، والواقع أن هناك أخذا وردا بشأن هوارة وحتى صنهاجة. وابن خلدون في *العبر* (6، 282) يضع هوارة بين البرانس باتفاق نسابة العرب والبربر كما قال، لكن لا ندري كيف يؤكد گوتيي انتماءهم إلى البتر (*Les Siècles*... p. 215) كما أن ابن خلدون يربط هوارة بالنسب الصنهاجي. وعلى ذلك، فبطون البرانس الرئيسية عنده هي مصمودة وصنهاجة وأوربة وكتامة وعجيسة واوربغة وأزداجة، وبالنسبة للمغرب فالثلاثة الأولى أهمها من حيث الدور التاريخي والاجتماعي ومن حيث سعة الانتشار. ويضيف ابن خلدون مسطاسة إلى البرانس في مكان آخر.

1 ـ المصامدة شغلوا بالأخص منذ القرن الأول (7 م)، عموم السهول الأطلسية ومنطقة سوس ومنطقة غمارة، لكن الزحف الزناتي ثم المرابطي (قرن 5.3 هـ) قلص جموعهم بالسهول الأطلسية شمال أسفي ثم انصهر الباقون منهم في المجموعة العربية. وربما كان المصامدة أقدم مجموعات بربر المغرب.

2 ـ صنهاجة، وهم موزعون بين صنهاجة الظل المستوطنين بالأطلس المتوسط وجوار الريف وصنهاجة الشمس أو الصحراء، وهم رحل، انحدروا أصلا من الشمال منذ القرن الثالث للميلاد واكتسحوا الصحراء الكبرى وبعض المناطق الحضرية المجاورة لها جنوبا. ومنهم تكونت دولة المرابطين، كما أسس الدلائيون من صنهاجة الأطلس إمارتهم خلال القرن 17/11 م.

3 ـ أوَرْبة، كانت مواطنهم فيما بين الأوراس وضواحي تلمسان جنوبا. وتزعمهم كُسَيْلة في بداية الفتح الإسلامي، ثم تعقبتهم جيوش زهير البلوي بعد مقتل عقبة، فلاذوا بالمغرب وانتشروا بين وليلي ومُرّ تازا وضفاف ورغة. وعلى أكتافهم قامت دولة الأدارسة وما تزال بعض فروعهم بأعالي ورغة واللكوس وسبو.

4 ـ كتامة، كان فريق منهم بالريف وأكثرهم بحوض اللكوس ومنطقة الهبط، وأهم مراكزهم الحضرية القصر الكبير، وقد اندمج معظم كتامة المغربية في عناصر سكانية أخرى.

5 ـ ازداجة، لا يبدو أنه كان لهم وجود مؤثر بالمغرب، وكانت مضاربهم بنواحي وهران. وسطا بهم العامريون. وهناك من نسبهم إلى زناتة. وربما كانت منهم مسطاسة الموجودة حالياً بالريف.

6 ـ عجيسة، كان وجودهم ضعيفا بالمغرب. ويظهر أنهم انصهروا في قبائل أخرى خصوصا صنهاجة المجاورة لهم.

7 ـ أوريغة، وإليهم تنسب هوارة حسب ابن خلدون، وكذا مسيلية بالمغرب الشرقي شمالا. أما هوارة فتجمعهم بإقليم سوس. وقيل أيضا إنهم من أصل عربي.

ع.ابن عبدالحكم، *فتوح افريقية والأندلس*، ت. فرنسة لألبير گاتو، ص : 78، 80، 88، 114 ؛ أ. البكري، *المسالك والممالك*، (افريقية والمغرب) ت. دوسلان، ص : 90، 108، 110، 114، 117؛ مجهول، *الذخيرة السنية*، 13 ـ 14، ت. ابن أبي شنب ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 :176، 192، 293، 296 ؛ التقي العلوي، *أصول المغاربة*، مجلة البحث العلمي، الأعداد : 20/ 1973، 31/ 1980، 33/1982.

Léon, L'Africain, *Description de l'Afrique*, p. 10, 15 ; Quedenfeldt, *Répartition de la population berbère au Maroc* 1904 ; Gautier, *Les Siècles obscurs du Maghreb*, p. 190-218 ; *Le passé de l'Afrique du Nord*, p. 227-244 ; H. Lhote, *Les Touareg du Hoggar* ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, 1, 20, 24 ; G. H. Bousquet, *Les berbères*, Collection que sais-je, N° 718.

إبراهيم حركات

البُرَانية ← الباذنجان

براهيم (أيت ـ) تمثل هذه القبيلة الصحراوية الدعامة المركزية لتجزئة أيت النص التي تشكل مع تجزئتي أيت الخمس وأيت بلة لف أيت عثمان. ومعلوم أن هذا اللف ينضاف إلى لف أيت الجمل ليشكلا معا اتحادية تكنة بوادي نون وباني الغربية والساقية الحمراء. يمتد تراب أيت براهيم بهذه المنطقة بموازاة منعرجات باني الغربية عبر سهول ومعادر تفصلها مرتفعات تصل أحيانا إلى 1.000 م. وتعتبر آخر مرتفعات الأطلس الصغير الحد الشمالي لهذه القبيلة بينما يحدها باني جنوبا وأعالي وادي صياد غرباً. على أن هذا الوادي وروافده الأساسية وادي كلمت ووادي خيبر ووادي إفران ووادي مايت تمثل كلها المصدر الأساسي للري كما يؤكد ذلك التوزيع الجيومورفلوجي لتراب أيت براهيم.

متى وفي أية ظروف تبلورت قبيلة أيت براهيم ؟ إذا اعتبرنا، حسب ما تؤكده الرواية الشفوية، بأن عثمان الجد الأسمي للف أيت عثمان هو ابن مندى الذي كان عاملا لعبدالله بن ياسين على نول لمطة عاصمة وادي نون زمن المرابطين، أدركنا البعد الحقيقي للغور «الأهلي» لهذه القبيلة الذي يقول بانتمائه لإبراهيم بن لحسن بن عثمان بن مندى. فمن حيث هو كحفيد لعثمان بن مندى يزامن هذا الجد الأسمي للقبيلة نهاية حكم المرابطين الذي عرف خلال حكم علي بن يوسف بن تاشفين تعدد القلاع و التحصينات الدفاعية ضد الهجومات الموحدية. وإذا كانت تحريات Dr. Dargassiés وTerrasse الميدانية خلال العشرينات من هذا القرن قد ردت قلعة تاغجيجت (اگدير أ گليد ـ اگدير أزناگ) إلى نهاية العهد المرابطي، فإننا نتحسس علاقة وثيقة بين الجد الاسمي مؤسس نواة أيت براهيم والقلعة، يُزكي هذا الاحتمال قدرة الجد على بلورة النواة الفعلية للقبيلة عبر ممارسة تبدو عسكرية أكثر منها دينية. وهو ما لا تكذبه الرواية الشفوية حين تفيد بأن أيت براهيم قد رحلوا إلى حيث استمر انتجاعهم بواحات توات أزيد من قرنين. ذلك أن التسلط الموحدي سنة 1153/548 (البيذق، *أخبار*، 77) يبدو المسبب الرئيسي لهذه الهجرة التي لن تنتهي إلا بحلول القرن الثامن (14 م). لقد كلف عبدالمومن أكبر قواده أبا حفص بتدمير المنطقة كما رأى ذلك كاتب مدونة أسا. هذه الوثيقة الهامة ستكشف استمرارية الحكم الموحدي حين تؤكد بأن عامل يعقوب المنصور الموحدي على المنطقة هو منصور بن عدي البرقوقي. وهو ما يحفزنا إلى تصور المراحل الانتقالية التي حولت أيت براهيم من نواة مهاجرة إلى قبيلة مطالبة بالدفاع المستميت عن نفسها من أجل البقاء. وإذا كنا نجهل تفاصيل هذه المراحل، فإن عودة أيت براهيم إلى عاصمتهم تاغجيجت خلال القرن الثامن (14 م) تعد تأكيدا منطقيا لأهميتها العسكرية. لقد كانت منطقة تاغجيجت جد غنية اقتصاديا بما توفره من مراع ونخيل ومزارع ومعادن. وإذا علمنا بوجود قبيلة أيت حريبل ذات السمعة الحربية الكبيرة يومها أدركنا مدى ما تعنيه عودة أيت براهيم من منافسة عسكرية وسياسية. لقد عادت هذه القبيلة مدججة بخبرة عسكرية وحنكة سياسية أثبتتها انسحاب إذا أُوزيكي من الشمال الشرقي لتگموت المجاورة لتاغجيجت إلى إيمي ـ ن ـ تانوت حيث ما يزالون. وإذا ما نحن ركزنا على مستوى العلاقات الثنائية بين أيت براهيم وجيرانهم أيت حريبل وجدنا بأن السمعة الحربية لأهل تاغجيجت ستزداد على حساب منافسيهم ذوي السمعة العسكرية المتميزة. بل إن التناقص المتزايد لأيت حريبل سيؤدي بهم إلى الدخول في إطار محميي أيت براهيم. وبذلك نتأكد من أن سيرورة التصادم بين أيت براهيم وغيرهم من القبائل المجاورة قد انطلقت على إثر شروع هذه القبيلة في تثبيت قاعدتها محليا وجهويا.

تمر حدود قبيلة أيت براهيم بتمنارت حتى أگجگال ومن تامگروت ـ ن ـ توزونت حتى رأس جبل أغبالو وقمة تيگديرت وأمان وتيگديرت ام گجد وبئر بوگلين، وهي حدود ترسم سعي القبيلة الدائم للحفاظ على التحامها والدفاع عن كيانها إزاء كل خطر خارجي. فمراقبة المجال هنا هي بمثابة رد فعل ضروري اتجاه فقر الطبيعة وضعف التقنيات وتقلب الأحوال السياسية والاجتماعية. إننا إذا ربطنا بين مفهوم الانتماء إلى نفس القبيلة من خلال

منظورين يختلفان باختلاف الرحل عن المستقرين، اتضح بأن القرابة بين هذه الفصائل الناطقة بالأمازيغية تؤكد فعلا أهمية التجذر في إبرام التعاقدات القائمة الذات. بل إن لوائح وحدات وفصائل وتجزئات القبيلة تلعب دور الجرد الذي يحد من عمق وحقيقة البنية القرابية المتجذرة. فالتصور الذي يمكننا تشكيله انطلاقا من البحث الميداني المباشر يكشف عن تنوع المستويات البنيوية المتفاعلة والمتداخلة. ذلك أنه انطلاقا من الروابط التي تجمع بين النواة الأصلية «الأحرار» داخل كل فصيلة يمكننا تقويم التمييز بين تعدد المستويات القرابية عبر مقارنتها. هذه العملية قد تتطلب مجالا أوسع إذا هي شملت كل فصائل القبيلة متجهة نحو البناء الثلاثي الذي يفصل «النواة الأصلية» عن المتحالفين معهم والمستوردين. لذلك فإننا نحصر دائرة معارفنا هنا حول سيرورة التلاحم والتحالف بين هذه الفصائل مكررين بأن مشروعا كهذا يعد جديراً بكل أهمية. يحدد الغور «الأصلي» نفسه في إد احماد أ ُلحسن وإد سالم وإد علي أ ُموسى النازلين من سعيد أ ُبراهيم وإدلمبارك أ ُبراهيم وإد احماد أ ُمسعود وإد علي بن حمو وإد بنسالم وإد بوتيكجدة إنغاتن وإد طالب وإد شيبان وإدالشيخ النازلين من سعيد أ ُلحسن وإد رضوان وإد لحور وإد لماغراو. وهؤلاء يعتبرون أنفسهم النواة الأصلية «الأحرار» للقبيلة رغم صغر حجمهم الديمغرافي الذي لا يتجاوز في أحسن الحالات خمسمائة عائلة حسب الضابط الفرنسي La Ruelle سنة 1948. على أن قبيلة أيت براهيم تتمثل أساسا في :

- إد سعيد أ ُلحسن الذين ينقسمون إلى إدَاوْسعيد والخندق وإغيرن تزغوات وإگرامن وبوتيكجدة وبلة أ ُحمو وبونايدون وإيرز. هؤلاء يمثلون المستقرين من إد سعيد أ ُلحسن خلافا لرحالتهم المتمثلين في إدْحْماد أ ُمسعود وإدْمبارك أ ُبراهيم وإد عبدالقادر وأيت واحسان وأيت تارگمايت.

- إد سعيد أ ُبراهيم الذين يتمثل مستقروهم في بوموسى وتاوريرت ورحالتهم في إداويبان وبودرارة.

- إد الحر المتمثلين في إد الحر وإد رضوان وكلاهما ينتجع جنوب وادي درعة وباني الغربية. على أن لهم مخازن جماعية بتگموت.

- إد موسى أ ُداود ويتمثلون في إد عبد المولى وإد بوقيود وأيت تزيغت. وهم رحل يتوفرون على مخازن جماعية بقصبة أيت موسى.

- إدا زولگان الموزعين بين القصور والمداشر. وينقسمون إلى إدا بولحسن وبويعلى وأگادير إدران.

- أيت إغرمان الموزعين كذلك بين القصور والمداشر، وينقسمون إلى أيت جرار وإنزيفت وتيسلان وإغرغار وإيكم وإغرم إگزولن.

إننا إذا انتقلنا بهذه اللائحة من مجرد إطار عام للعلاقات الاجتماعية إلى اعتبارها بنية محددة لمجموع أيت براهيم، فإنه ينبغي لها أن تعمل لعلاقات انتاجية تشمل مجمل الوظائف على اختلاف مستوياتها. وآنذاك نكون بالضرورة قد وصلنا إلى مجمل الإشكالات التي يمكن أن تكشف عنها دراسة هذه القبيلة على المستوى الفلاحي والتجاري والعسكري والسياسي.

1 - على المستوى الفلاحي نلاحظ بأن أيت براهيم مهما تنوعت فعالياتهم وتعددت أدوارهم وأنماط معيشتهم، فإنهم في كل الأحوال يظلون تحت تأثير الشروط الموضوعية لحياتهم.

- معدر وادي خيبر وواحات تاينزورت وأگادير إدران سيدي منصور بإدا اولگان وتيخبرني بأيت براهيم.

- سهل وادي صياد المحيط بتاغجيجت وما يجاورها من مداشر وقصور تاوريرت ودواودار وإداداويبان وبوموسى وإد سعيد والخندق وإيرن تيغورات وإد بوعشرة وإگرامن وإد نوتكجدة وإد بلة حمو وإد بونايدون وإرز وواحة تگموت وقصر قصبة ن إد موسى أ ُداود وواحة وقصر إغرم إگزولن.

- سهل وادي افران حيث تصطف قصور وواحات أيت جرار أو نزيفت وتيسلان وإغير غار وإيكم.

- أعالي بسيط مايت حيث توجد تارگمّايت.

من هنا فإن الفلاحة ترتبط أساسا بالتساقطات الممطرة لما لها من أهمية على هذه الروافد التي تتسبب في فيض المعادر. أما الغطاء النباتي فهو غني على العموم حيث تعد تربية الأغنام والأبقار من بين الأولويات المحلية. لقد اعتمدت فصائل أيت براهيم منذ عودتها إلى تاغجيجت على اليد العاملة الرخيصة (الحراطين والعبيد) في تطور وتسيير الرعي والفلاحة. وهو عامل أساسي أدى بالقبيلة إلى إحكام سيطرتها على الأسواق الاعتراضية المجاورة.

2 - يرتبط المستويان الفلاحي والتجاري لارتباطهما بفعالية العملية الإنتاجية للأسواق. فبموازاة الاعتماد على اليد العاملة المسخرة في الميدان الفلاحي، لجأت القبيلة إلى توسيع نفوذها عبر الاستفادة من عدانة زكندر ومن القنوات التجارية التي فتحها الصناع المحليون يهوداً كانوا أم حراطين. بهذا المنظور أقبلت قبيلة أيت براهيم على استغلال الدور الاستراتيجي لتاغجيجت. فقد شكلت هذه القاعدة الاقتصادية مقياسا للنفوذ الجهوي الذي يحظى به كل مجال مركزي. لم تكن عدانة زكندر تقتصر على مادة النحاس كما يعتقد صاحب *الاستقصا*، بل كانت تنتج كل المعادن المصاحبة من فضة وأمْيَانْتْ وغيرهما.

3 - لكل هذه الأسباب بات ضروريا البحث عن محاور جهوية للتكتل في إطار نظام التحالفات القائم الذات. ندرك إذن لماذا التزم أيت براهيم بلف أيت عثمان الذي يعد من بين تجزئاته الأساسية أيت بلة ذوي البأس الشديد. لقد شكلت العلاقة بين أيت بلة (أزوافيط) وأيت براهيم مقياسا ثابتا للتعامل داخل بنية تحالفية لم تعرف أي تغيير كبير منذ تشكل اتحادية تكنة. ومما لا شك فيه أن سيرورة التحالف هنا تنطلق من مفهوم المصالح المشتركة سياسيا

وعسكريا واقتصاديا ومجاليا. هذا ما أكدته الأحداث غير ما مرة مبرزة أنه طالما مثلت آاليات الانقسامية مجالا لإقرار علاقات أفقيه بين القبائل، أصبحت مشاركتها في الإشراف على شؤونها تكريسا لمنطلقها العملي المركزي والمعايير الثابثة.

وليس من باب الصدفة كذلك أن تحتوي هذه المنطقة بداخلها خلافات وتباينات بين القبائل القريبة من أمهات القرى والبعيدة عنها وما بين الأراضي الخصبة والأراضي الضعيفة الإنتاج. فنجد مختلف القبائل ذات الوزن التجاري المركزي منصهرة بشكل أكثر التزاما واستمرارية ضمن آليات التحالف الجزولي الذي أدى إلى نشأة دولة السعديين (دولة إگْزُولَنْ). فإذا كان هذا الانصهار قد تحدد استناداً إلى ما كان بهذا المجتمع الجبلي شبه الصحراوي من أشكال الصراعات المصلحية، فإن أشكال الملكية والتبادل التجاري لم تعمل من جهتها إلا على تكريس هذا الواقع. وليتسنى لنا تقدير مدى اندماج قبيلتي أزوافيط وأيت براهيم في هذه السيرورة فإنه يكفي أن نشير إلى دورهما في مساندة السعديين. لقد قام الصوفي المشهور الحسين الشرحبيلي بإداولتيت أواسط القرن العاشر (16 م) بتأسيس سوق الخميس في تاغجيجت بمساندة من صديقه احماد أُمسعود الجد الأسمي للفصيلة التي تحمل اسمه بقبيلة إدا أُبراهيم. وقد جاءت صورة هذا السوق في حد ذاتها كافية لتحديد العلاقات التي ظلت إلى حد بعيد مطبوعة بالطابع الديني المسالم لهذا المكان. وهي مرحلة واكبت الرواج التجاري الاقتصادي الذي شجع سيدي امحند أُبراهيم الشيخ قطب الأطلس الثاني على الرغبة في احتكار مداخيل السوق من أعشار. لقد انضاف سوق الخميس منذئذ إلى المسجد المركزي (أگدير مقورن) الموغل في القدم كمعلمتين جماعيتين يذكران بتعدد الأدوارالاقتصادية والدينية والخطابية والسياسية والشعائرية. وإذا كان أيت براهيم قد رفضوا أداء الأعشار لسيدي امحند أُبراهيم الشيخ فذلك لأنه كان يعتبر تمنارت مقر المخزن المحلي الممثل الشرعي لسلطة السعديين. لم تقم الهياكل المخزنية السعدية يومها على أنقاض التقسيمات القبلية، ولم تسع إلى استحداث وحدات جديدة تلغي الحدود والمعالم القبلية التي كانت تميز يومها أهل تمنارت عن أيت براهيم وحلفائهم. بل إن المخزن السعدي انضاف إلى هذه الحدود والمعالم ليتبناها كمجالات لتعايش سلطته إلى جانب الهياكل المحلية. وهكذا ندرك لماذا فضل أيت براهيم التعامل بعد انحطاط الدولة السعدية مع سليلي سيدي احماد أُموسى قطب سوس الأول بدل سليلي القطب التمنارتي المجاور. لم يجد علي بودميعة من قبيلة أيت براهيم إلا المساندة الفعلية التامة كما تؤكد ذلك إحدى المدونات الخاصة. وتضيف هذه المدونة بأن تمثيلية عن أهم قبائل تكنة من أزوافيط وأيت لحسن كانت حاضرة بتاغجيجت لمساندة بودميعة الذي لم يلبث أن ابتنى له منزلا سمي بالدار البيضاء. وقد كان الولي سيدي صالح دفين قصر أهل توزونت من أكبر المساندين لعلي بودميعة. فلم يجد أية صعوبة في الدفع به إلى محاربة مجاط الذين التجأوا إلى الخديعة للاستيلاء على هذا القصر. هذا التحالف الفعلي بين أيت براهيم وسيد إليغ كشف إلى حد بعيد من امكانياته وأضعف تدريجيا قدرات القبائل المهمشة من طرف حلف إگزولن. وبانهيار إمارة إليغ يكون أيت براهيم قد دخلوا في صراع مفتوح مع الحكم المركزي الجديد. فما تزال بعض وثائق أيت حريبل تؤكد ثورة أيت براهيم على مولاي عبدالمالك خليفة المولى اسماعيل إثر فرضه ضريبة تقدر بـ 1.000 غرارة من الذرة (حوالي 200 كلغرام للغرارة الواحدة). على أن رسائل مخزنية معاصرة تؤكد استعانة مَحمد بن إسماعيل العلوي بالقبيلة ضد اعدائها من أهل الساحل سنة 1115. هذا التحالف يأخذ كما نرى طابعا قبليا محلياً أكثر منه مخزنيا كما هو الشأن بالنسبة لتحالف أيت براهيم وأيت حريبل تحت لواء محمد العالم بن المولى إسماعيل في نفس السنة 1118 التي ستعرف مقتله من طرف والده. ومن الملاحظ أيضا أن القرن الثاني عشر (18 م)، قد عرف غياب السلطة المزكزية عن الأطلس الصغير والصحراء المجاورة. فلم تكن قبائل المنطقة المتجذرة ترغب بحماس في المشاركة في حركات المخزن خاصة منها تلك التي كانت تستهدف إقرار سلطة فوق سلطتها. وقد تجلى ذلك من خلال الصراعات العنيفة بين أيت براهيم وإد بوعشرة حول أدرار نداوثلاثا. هذا الموقع الحصين استعمله أيت براهيم كقاعدة متقدمة مضيفين من خلالها إد بوعشرة إلى لائحة المنهزمين، بل إن ما عمق من أهمية هذا القرن دخول أيت براهيم في صراع مفتوح مع غريمتها الأولي أيت احماد سيدة تجزئة أيت الخمس الهامة زهاء نصف قرن. لقد كانت قبيلة ايت احماد تنتمي إلى لف أيت الجمل شأنها في ذلك شأن أيت أسا. وكانت السمعة الحربية لهاتين القبيلتين قد تجلت في احتلالهما قصر إبرز بتاغجيجت. غير أن نهاية القرن الثاني عشر (18 م)، قد حملت معها انتصار أيت براهيم بمساندة من أزوافيط وتحرير قصر إبرز ودخول أيت احماد في حلف أيت عثمان لتلحق بها قبيلة أيت أسا. ونظراً لما اتسمت به هذه الصراعات من حدة متعاظمة، فإن القرن الثالث عشر (19 م)، حدد معالم مرحلة جديدة عبر هذه التحالفات التي تجاوزت نطاق المحلي إلى مستوى الاتحادية. لقد حاول الحسين أوهاشم سيد إليغ تحطيم تجارة أهل بيروك المتنامية. ولكن تلاحم حلفي أيت عثمان وأيت الجمل سهل مأمورية هزيمته. وقد كان أيت براهيم من بين المنتصرين عليه بإفران معلنين بذلك تناقص تأثيره الروحي والسياسي. ندرك من هنا أنه لم يكن من باب الصدفة أن يتزايد يومها تأثير التمنارتي الذي استطاع أن يجمع حول قصبته بأگرض إگزولن مختلف المحاور الجزورلية الكبرى معيدا بذلك أمجاد سيدي محند أ ُ براهيم الشيخ. واكبت هذه المرحلة التاريخية مضاعفات التغلغل التجاري البحري الأروبي

الذي أخذ يشل الدينامكية التجارية لمسالك الصحراء. وهو عامل جوهري في تعدد التحالفات وكثرتها بين مختلف التجزئات القبيلة على اختلاف أحجامها. وعلى الرغم من أن سوق خميس تاغجيجت قد عرف مضاعفات التدهور الذي عرفته تجارة القوافل. فإن قبيلة أيت براهيم حافظت إلى حد كبير على كثافتها الديمغرافية حتى نهاية القرن. على أن مشكل الماء الذي ازداد حدة وتطور مجاعات وأوبئة هذه الفترة قد مهدا لظاهرة الهجرة نحو الموانئ الأطلسية.

جاءت بذلك معطيات السنوات الأولى من القرن العشرين لتؤطر لمعطيات القبيلة ديمغرافيا واقتصاديا. وهنا يمكن أن نشير إلى أن الحجم الديمغرافي لأيت براهيم بالنسبة لباقي قبائل اتحادية تكنة يعد الثاني بعد قبيلة أيت أ'سا حيث قدره الضابط الفرنسي La Ruelle سنة 1948 بحوالي 1286 عائلة. وهو رقم استدلالي يبرز أهمية القبيلة على المستوى العملي اقتصاديا وفلاحيا. فهو يعني من بين ما يعنيه المقدرة الفعلية على استغلال أكبر قدر من الأراضي الخصبة بورية كانت أم مسقية. كما أنه يعبر عن الاستعدادات العملية لتأطير أيت النص مادياً ومعنويا عندما يتعلق الأمر بتحديد ميزان القوى المفترضة محليا وجهويا. وهي معطيات تكشف الوجه الحقيقي للنفوذ البين لأيت براهيم وتجذرهم الاجتماعي والتاريخي. فإذا كان سوق الخميس الذي تأسس منذ أربعة قرون فقط قد عرف تدهوراً كبيراً، فإن «معروف» ودور مسجد أگدير مقورن الذي يرجع إلى زمن المرابطين على الأقل ما يزال يعرف نفس التجمعات السنوية المبرمجة. ذلك هو المسلسل التاريخي الذي أسهم في بلورة عوامل الانسجام بين تاغجيجت وأيت براهيم منذ عثمان بن مندى. فرغم مضاعفات النكسات الاقتصادية والديمغرافية حافظت هذه القبيلة على مكوناتها اللغوية والحضارية الجوهرية. ولجدها ما تزال تفرض وجودها بنفس الإصرار وبما يكفي من الحزم والجدية. إلا أن استمرارية التصادم طيلة القرنين الماضي والحاضر يحملنا على أن ننظر بعين التساؤل لعلاقة القبيلة بمستقبلها في ضوء التقلص الكبير الذي لحق النشاطات الأساسية.

أ. البيذق، *أخبار المهدي بن تومرت* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. ناعمي، *الصراع من خلال بلاد تكنة*.

La Ruelle, *Les Id Brahim Du Oued Noun*, CHEAM, 1948, p. 80.

مصطفى ناعمي

البراودي، أسرة تطوانية كل ما نعلم عنها أنه كانت لها دار بحومة الترنكات سنة 1841/1257 حسب الإحصاء الذي جرى بالمدينة في السنة المذكورة.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 351 ؛ ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

البربر، سبق تناول الموضوع في مادة أمازيغ. وإنما نقدم هنا بعض الإضافات والاستدراكات. ففيما يخص الكلمة، في حد ذاتها، يجب أن ننبه إلى أن لفظة بربر ظلت أزيد من اثني عشر قرناً هي الاسم التاريخي الذي أطلق على مجموع الشعوب الأمازيغية في عموم الشمال الأفريقي، كما نجد ذلك في سائر المصادر التاريخية باللغة العربية منذ ابن عبد الحكم (ت 257 / 871) إلى اليوم. ولا نجد المؤرخين يستعملون كلمة أمازيغ، مما يدل على أنها لم تكن رائجة بكثرة ولا معممة في سائر جهات أفريقيا الشمالية. وابن خلدون نفسه، المعروف بتقديره للبربر وإعجابه بهم، لم يستعملها، وكذلك عدد من الكتاب المنتمين للمناطق الأمازيغية مثل اليوسي وأبي القاسم الزياني والمختار السوسي الخ.

لكن، منذ أواسط هذا القرن، ظهر اتجاه لدى بعض المفكرين المغاربة لاستبدال كلمة بربر بكلمة أمازيغ، محتجين بأن هذا هو الاسم الذي يفضله المعنيون بالأمر في تسمية أنفسهم. وأما الاسم الآخر فهو مأخوذ عن اليونان، ثم الرومان الذين كانوا يطلقونه على الشعوب الأخرى من باب التنقيص والإهانة. وهكذا أطلقوه مثلا، على الشعوب الجرمانية والسلافية التي اكتسحت الامبراطورية الرومانية في الغرب ابتداء من القرن الرابع الميلادي للدلالة على توحشهم وبداوتهم.

لكن المؤرخ الأنتربولوجي گ. كامبس يعترض على الربط بين هذا الاسم وكلمة بربار Barbare الدالة على التوحش. فقد اعتاد الرومان أن يسموا الشعوب البربرية بأسمائها القبلية أو بأسماء أكثر شمولية مثل النوميديين والجيتوليين والمور. ولذلك، فهو يرجح أن تكون كلمة بربر محرفة عن اسم بڤار Bavares الذي يدل على اسم قبيلتين من المور عانى معهم ولاة موريتانيا الأمرين في آخر القرن الثالث الميلادي. وقد ظهر تحريف اسم بڤار إلى بربر في بعض المخطوطات اللاتينية القديمة (انظر : G. Camps, *Les Berbères*, p. 86).

فالعرب حينما وصلوا بفتوحهم إلى أفريقيا الشمالية أخذوا هذا الاسم كما وجدوه مستعملا آنذاك، وميزوا بين طوائف من السكان في أفريقيا الشمالية، فذكروا الروم والأفارقة، وهم في الغالب الحضريون من بقايا القرطاجيين وغيرهم، والبربر، وهم عامة السكان في البوادي والصحارى. ولذلك، فإن كلمة بربر في النصوص العربية، قديمها وحديثها، بريئة من معنى التنقيص والازدراء، وإنما تدل عل اسم مجموعة من الشعوب لا تختلف في ذلك عن أسماء شعوب أخرى مثل الفرس والعرب واليونان الخ... وحينما كان الوطنيون المغاربة في الثلاثينات يستنكرون الظهير البربري، مرددين اللطيف في المساجد بعبارة "اللهم يا لطيف الطف بنا فيما جرت به المقادر، ولا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابر"، كانوا يشحنون الكلمة بكل معاني العطف والتضامن والتقدير.

وإذا كانت المصادر العربية القديمة ملأى بالأساطير والروايات التي قد لا يقرها النقد التاريخي عن أصول

البربر، فإنها، مع ذلك، لا تخلو من دلالة لما تشير إليه من التقارب الذي بدأ ينمو بين العرب والبربر، منذ الفتح الإسلامي. فابن خلدون، الذي يخصص جزئين ضخمين من تاريخه للبربر ينقل عن عدد من النسابين البرابرة ربط عدد من كبريات قبائلهم بأنساب عربية مثل صنهاجة وزناتة ومكلاتة الخ... كما أورد جملة من أقوال العلماء العرب في هذا الصدد مثل ابن حزم والمسعودي والطبري وابن عبد البر. وإذا اعتبرنا أن مثل هاته الروايات لا تستند إلى حجة تاريخية فاصلة، فإنها، مع ذلك، تدفع بالمؤرخ إلى السؤال: لماذا تكاثرت الروايات من هذا النوع الذي فيه إلحاح على ارتباط النسب بالعرب ؟ ولماذ لم ترد روايات أخرى مناقضة؟.

من المؤكد أن هذا راجع للتربية الإسلامية التي تغلغلت في مجتمع البربر، فجعلتهم يتعاطفون بسهولة مع العرب، قوم النبي عليه السلام. ولئن ثاروا على بعض الولاة الظالمين في آخر عهد الخلافة الأموية بالمشرق، فإنهم رحبوا بعد ذلك بإدريس بن عبد الله لما جاء يبشر بتطبيق الشريعة الإسلامية على حقيقتها، فساعدوه على تأسيس أول دولة إسلامية كان لها شأن في تاريخ المغرب.

ما هي منزلة البربر في التاريخ ؟ هنالك ما قبل التاريخ، وهنالك التاريخ. والاكتشافات الأثرية تبرهن على وجود الانسان بالمغرب منذ عهود سحيقة. وليس من السهل التأكيد بأن البربر ينحدرون من ذلك الإنسان القديم. كما أنه ليس من السهل الاتفاق على الأصول التي ينحدر منها البربر. فالمؤلفون يختلفون في آرائهم واستنتاجاتهم. هل جاءوا من الشرق ؟ هل جاءوا من الشمال أم من الجنوب ؟.

هنالك النظرية التي تريد أن تتجنب المشكل من أساسه فترى أن البربر لم يأتوا من أي جهة، بل إن أصلهم من البلاد التي يوجدون بها اليوم. ولكنها نظرية لا تصمد أمام الوقائع التاريخية. ونحن نعلم، مثلا، أن الفينيقيين أتوا من الشرق إلى الغرب، فنجد أثرهم في المغرب منذ ألف سنة قبل الميلاد، وكذلك الشأن بالنسبة للقرطاجيين، مما يدل على أن أفريقيا الشمالية لم تكن مقفلة أمام القادمين من الشرق. وحتى إذا افترضنا وجود عنصر محلي من السكان، فذلك لا يتنافى مع ورود عناصر أخرى من الخارج واختلاطها به.

وهذا ما تؤكده الأبحاث الأنتربولوجية، إذ تشير إلى ظهور رجل آخر ابتداءً من الألف الثامن قبل الميلاد يتميز عن النوع الذي وُجد قبله بعدة مميزات جسمانية، وهو ينتمي لفصيلة دعيت قريب من المتوسطي protoméditerranéen، ظهرت أولا في الشرق. مما جعل كامبس قائلا :

"إن هذا السير من الشرق إلى الغرب يدل على أنه من الضروري أن نبحث خارج حدود المغارب عن ظهور هذا الصنف البشري القريب من المتوسطي. وهنالك إجماع عام ما بين المختصين في الانتربولوجيا وعلم ما قبل التاريخ، في الوقت الراهن على أنه جاء من الشرق الأدنى" (ص 41).

بل يذهب هذا العالم المختص في الانتربولوجيا وما قبل التاريخ إلى أبعد من ذلك. إذ يبين في فقره أخرى كيف أن الضغط البشري على أفريقيا الشمالية كان ظاهرة مستمرة من الشرق وأن القريبين من المتوسطيين أصبحوا هم أساس الساكنة المغاربية، وأن الحركة التي أتت بهم من الشرق الأدنى لم تنقطع في أي وقت من الأوقات، وأن علماء التاريخ والاركيولوجيا أبرزوا، بالخصوص، "الغارات" أو "الفتوح" في حين أنها تدخل في حركة بشرية لم تنقطع (48).

كما أن الأبحاث اللسانية المعاصرة تنتهي إلى تصنيف اللغات البربرية ضمن مجموعة كبيرة تسمى الحامية ـ السامية، وتجمع بين اللغة المصرية القديمة والكوشية والسامية. بحيث إن التقارب الملحوظ داخل المجموعة الحامية ـ السامية بين البربرية والمصرية والسامية يؤكد انتماء البربر لأصل شرقي قديم. وفي هذا الصدد يقول كامبس :

"إن هذه التوازيات ليست مجرد تشابهات معجمية. بل إنها تمس بنيات اللغات ذاتها مثل نظام الفعل وتصريف الأفعال والصيغة الثلاثية للأصول" (ص 55).

من هاته الملاحظات وغيرها، يتضح أن ماورد في المصادر العربية القديمة عن أصول البربر لا يصح طرحه ونبذه بالمرة. فابن حزم وابن خلدون وغيرهما حينما تحدثوا عن قبائل البربر وأنسابها استندوا إلى نسابين من البربر. وهؤلاء بدورهم كانوا يقدمون الروايات الشفوية (أو المكتوبة) التي كانت متداولة عند القبائل. ولا يهم أن تكون تلك الروايات صحيحة أو غير صحيحة. المهم هو أنها تترجم الاعتقاد السائد لدى تلك القبائل. وهذا الشعور الجماعي كانت له أهمية قصوى على مدى التاريخ. فهو الذي يفسر التعاطف الذي حصل بين البربر والقرطاجيين في العصور القديمة، وهو الذي يفسر اليوم نجاح الاتصال والالتحام الذي حصل بين البربر والعرب في العهد الإسلامي. فقد شعر البربر أن العرب، بسلوكهم وأسلوب عيشهم، من نفس الأسرة البشرية التي ينتمون إليها. وهذا بخلاف ما حدث لهم مع الرومان أو مع الدول الاستعمارية المعاصرة التي رفضوها رفضاً باتاً.

ومهما يكن، فنحن حينما نلقي نظرة شاملة على تاريخ البربر، نجد أنهم لم يستطيعوا أن يبرزوا بروزاً قوياً في التاريخ القديم بين شعوب البحر المتوسط مثل المصريين أو الفينيقيين أو اليونان أو الرومان، بل ظلوا، في الغالب، على هامش تلك الحضارات الكبرى، لسبب بسيط وهو أن "أفريقيا الشمالية ـ حسب الأركيولوجيا وكذلك النصوص ـ لم تعرف لا وحدة سياسية ولا ثقافية، سواء في عهود ما قبل التاريخ أو العهود القريبة من التاريخ أو في العهود التاريخية" (ن. م 77).

حقا، تأسست بعض الممالك والإمارات، وبرزت شخصيات ذات وزن مثل "ماسينيسا" أو "يوغرطا"، ولكن

أفريقيا الشمالية ظلت، بالإضافة إلى انقسامها وتشتتها، تحت النفوذ المباشر أو غير المباشر لدول أخرى مثل قرطاج، ثم روما، ثم بيزنطة، بحيث لا يسجل التاريخ طوال تلك العهود القديمة بروز دولة بربرية مستقلة بلغت درجة كبيرة من السطوة والأهمية وساهمت مساهمة ملحوظة في الحضارة.

وكان الإسلام أعظم حدث في تاريخ البربر، فقد حررهم من كابوس تلك السيطرة الاستعمارية القديمة التي كانت قاسية وامتدت على قرون، ومحا ذكراها من أذهانهم بفتح صفحة جديدة في تاريخهم. صحيح أن بعض الاصطدامات وقعت وبعض الأخطاء ارتكبت أثناء عمليات الفتوح. ولكن البربر رحبوا بالدين الجديد واعتنقته طوائف كثيرة منهم. وإلا كيف نفهم الثقة التي وضعها موسى بن نصير فيهم، حين أسند إليهم مهمة فتح الأندلس وجعل على رأس جيشهم قائداً منهم هو طارق بن زياد ؟.

ثم إن الفتح الإسلامي للمغارب لم يعن سيطرة عربية ثقيلة الوطأة ولم تصحبه مشاريع استعمارية واستغلالية أضرت بالسكان. يقول "كامبس" في هذا الموضوع :

"إن ثاني حدث تاريخي أثار انقلاباً في البنية الاجتماعية في العالم الأفريقي كان هو الفتح العربي. فخلافا لرأي منتشر بأوربا وما زال يتجرجر في الكتب المدرسية، فإن هذا الفتح لم يكن محاولة استعمارية، أي مشروعاً إسكانياً (لفائدة الفاتحين). بل إنه يتراءى كسلسلة من عمليات عسكرية التقى فيها حب الغنيمة مع الروح التبشيرية". (ن. م 129). بحيث إن البربر بعد جيل واحد إثر الفتوح تمكنوا من الاستقلال عن دولة الخلافة الشرقية، ومن تأسيس عدة دول كان من الممكن أن تتراجع عن الإسلام ولما يزل طرياً في البلاد، لكنها حرصت على أن تكون دولا إسلامية باختيار منها وتبنت أشد المذاهب إمعاناً في تطبيق تعاليم الإسلام، ألا وهو المذهب الخارجي. ولئن تمكن العباسيون من المحافظة على جزء من أفريقيا الشمالية تحت سيطرتهم، فإن كلا من المغرب الأوسط والمغرب الأقصى تمتع بكامل حريته وأصبح مصيره بيد أبنائه من البربر. ففي تلمسان دولة بربرية، وفي تاهرت دولة بربرية وفي سجلماسة دولة بربرية، وفي سبتة دولة بربرية، وفي تامسنا دولة بربرية،. وحتى الدولة الإدريسية نفسها يمكن اعتبارها بربرية، لأن إدريس بن عبد الله أتى وحده من المشرق لا يصحبه إلا مولاه راشد، والدولة التي أسسها قامت بفضل أوربة وغيرها من القبائل البربرية التي ذكرت في *القرطاس* وغيره من المصادر. وكذلك حدث بالنسبة للدولة الفاطمية بأفريقية التي قامت بفضل مساعدة قبيلة بربرية أخرى هي كتامة وغيرها من قبائل جبال جرجرة بشرق الجزائر الحالية.

وهذا الاستقلال التام الذي استمتع به البربر لأول مرة في تاريخهم بعد الفتح الإسلامي كان موضوع كتاب مهم لمؤرخ معروف بتخصصه في الاسلاميات وتاريخ أفريقيا الشمالية هو "جورج مارسي". وكتابه الذي صدر سنة 1946 يحمل عنوان بلاد *البربر الإسلامية والشرق في العصر الوسيط* *La Berbérie musulmane et l'Orient au Moyen Age*. وبعد أن درس التطورات التي مرت منها المغارب منذ الفتح الإسلامي وبين كيف أن الاتجاه السياسي العام كان هو الاستقلال عن الشرق، عرض للطفرة الجديدة التي حدثت في هذا الخط التحرري، قائلا :

"إن التحرر من تلك الوصاية إثر الغارة الهلالية، ذلك هو الموضوع الذي سنتابعه في مضاعفاته طوال أربعة قرون رسمنا خطوطها منذ قليل. فلئن كان المرابطون والموحدون والحفصيون والعبد الواديون والمرينيون يعترفون بسلطة روحية للمشرق أو يظهرون لها بعض التبجيل، فإنهم لا يدينون بسلطانهم إلا لأنفسهم ولا يطيعون أحداً. على أن هؤلاء الحكام المستقلين لبلاد البربر هم من سلالة بربرية محضة، برغم النسب العربي، وأحيانا الشريفي، الذي يمنحه بعض المؤرخين المتحببين" (ص 234).

شهادة لها أهميتها لأنها صادرة عن عالم فرنسي ينتمي لتلك المدرسة الاستعمارية التي لا تُجهل حساباتها الخاصة مع العرب والبربر حينما يتعلق الأمر بأفريقيا الشمالية. ومع ذلك، فقد كان لا مفر له من الإذعان إلى الأحداث والظواهر التي لا سبيل لتجاهلها.

وعلى أي، فإننا، حين نبحث عن ألمع العصور في تاريخ البربر وأزهاها، لا نجدها في التاريخ القديم بل في التاريخ الوسيط بعد دخول الاسلام إلى البلاد. فلأول مرة في التاريخ نشأت دول بربرية قوية ومستقلة مثل الدول الزيرية والحمادية في أفريقية، والدولة المرابطية التي كانت على رأس أمبراطورية كبيرة ضمت الصحراء الكبرى والمغرب الأقصى ونصف الجزائر الحالية والأندلس. ناهيك بالدولة الموحدية، وهي الدولة الوحيدة في التاريخ التي استطاعت أن تجمع بين أطراف بلاد البربر من حدود مصر إلى المحيط الأطلنتي. ثم نجد، في خاتمة المطاف، دولا بربرية أخرى اقتسمت الارث الموحدي : بني مرين في المغرب الأقصى والزيانيين في المغرب الأدنى، والحفصيين بأفريقية. وكلها دول شهد لها التاريخ بفترة من الصعود واللمعان، ثم دخلت طور التدهور والاندثار. ودخلت البلاد في عهد جديد أثناء القرن السادس عشر وتغيرت المعطيات السياسية رأساً على عقب، وانتهى عهد الدول البربرية، دن أن يغيب البربر عن الساحة السياسية والاجتماعية والثقافية.

لكن هاته الامبراطوريات والدول الكبيرة لم يقتصر حضورها التاريخي على تولي السلطة، بل أهم ما يقترن به ذكراها هو عطاؤها في ميدان العمران والحضارة والثقافة. ومازال البحث في هذا الشأن لم يستوف كل العناصر والمعطيات. ولكن ما نعرفه كاف الآن للحديث بكامل التحري واليقين عن أهمية مساهمتها.

فلدينا الهندسة المعمارية التي جلت فيها تلك الدول ولئن لم يبق لنا إلا القليل من مخلفات المرابطين ـ وهو قليل

نفيس وقيم ـ فلدينا مآثر الموحدين التي تزخر بها مراكش والرباط وسلا والأندلس وعدد من الأماكن الأخرى، إنها هندسة أصيلة تملأ العين بفخامتها ومتانتها وإتقانها وانسجام أطرافها كما يتجلى ذلك في مسجد الكتبية ومئذنتي حسان بالرباط والخيرالدا بأشبيلية. ولدينا بقايا من المصنوعات المختلفة من الخشب والخزف والجلد والنسيج تصعد بنا إلى تلك العهود البعيدة. ناهيك بالمعمار المريني من مدارس ومساجد وغيرها وما تميزت به من زخرفة على الخشب والجبس والزليج، مترسمة خطا الفن الأندلسي مع المحافظة على الطابع المغربي. مما دعا مؤرخي الفن إلى تسمية هذا الفن بالفن *الإسباني ـ المغربي* - *hispano - mauresque*.

والحضارة تتجلى، أيضاً، في إقامة عدد من المؤسسات العمومية. وفي هذا الصدد نجد لتلك الدول ذكرا، إذ ساهموا في نشر التعليم عن طريق المدارس التي ذكرنا وعن استحداث أوقاف خاصة بالتعليم كانت مشجعاً لاضطلاع بعض المساجد الكبرى كالقرويين بتنظيم تعليم دائم. وهنالك بعض المؤسسات الصحية مثل المارستانات التي كانت تستقبل المرضى بعدد من المدن.

ومن أهم ما قامت به تلك الدول البربرية هو التنمية الثقافية التي سارت بخطى حثيثة في المغرب منذ عهد المرابطين. فإليها يرجع الفضل في نشر اللغة العربية بالمغرب وتنشئة أجيال متلاحقة من العلماء والأدباء والشعراء. فالمرابطون هم الذين أقاموا الترسيل العربي الجيد في دواوينهم واختاروا لذلك أجود الكتاب الأندلسيين مثل ابن الجد وأبي بكر بن القصيرة وابن أبي الخصال. فلما جاء الموحدون ساروا قدما في نفس الطريق وأقاموا حركات علمية واسعة كما يتضح ذلك من الرجوع إلى كتاب عبد الله گنون *النبوغ المغربي* وكتابي محمد المنوني *العلوم والآداب والفنون*، و*ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*.

وكان التعريب يجرى بصورة طبيعية على يد تلك الدول البربرية، بدون ضغط ولا إكراه، لأنها لم تكن ترى في ذلك أي غضاضة أو أي تنكر لهويتها. بل إنها كانت تشعر يومئذ بأنها تقوم بواجب مقدس : خدمة الدين عن طريق تعليم لغة القرآن، وخدمة العلم الذي أصبحت لغته الرسمية في العالم الإسلامي هي العربية. ولم يكن أي تصادم بين الثقافات المحلية التي تختلف من جهة إلى أخرى وهذه الثقافة العربية الإسلامية المشاعة بين الجميع والتي كانت تمثل، عن جدارة واستحقاق، الثقافة الأكاديمية.

بل إن التاريخ يبرز ما هو أدعى للاعتبار من ذلك. ففي كل المناطق البربرية التي حدث فيها تحرك ثقافي كبير، ازدهرت اللغة العربية وعلومها وآدابها. نشاهد ذلك في الأطلس المتوسط عندما بزغ نجم الزاوية الدلائية فيما بين القرنين العاشر والحادي عشر (16 ـ 17 م)، فأصبحت في وقتها أعظم مركز ثقافي في المغرب، وتخرج منها نبغاء يأتي في طليعتهم أبو علي اليوسي. ونشاهده في سوس، أيضاً، التي آوت العديد من المدارس في كل الجهات وأنجبت مئات العلماء، واحتضنت خزائن ملأى بالمخطوطات العربية. ويكفي أن نذكر أن المختار السوسي احتاج لعشرين مجلداً ضخماً ليكتب تاريخ العلم والعماء بسوس.

وهكذا، فإن التعريب بالمغرب لم يفرضه أحد على المغاربة. ولم تكن وراءه لا قوة ولا سيف ولا ضغط معنوي، وإنما حمله التطور الطبيعي عبر القرون ونماه بينهم عن رضى وطواعية.

وكان من الطبيعي أن لا يروق هذا التطور المستعمرين، حينما جاءوا إلى أفريقيا الشمالية وأن ينهجوا سياسة فرق تسد. وظنوا أنهم وجدوا الثغرة التي يمكن أن ينفذوا منها لإحداث التفرقة حينما اكتشفوا وجود سكان يتكلمون البربرية وآخرين العربية. ولأول مرة في تاريخ المغرب بدأ يقع الإلحاح على الفوارق اللغوية بصورة مريبة. فالمغاربة عاشوا قروناً جنباً إلى جنب دون أن يلمسوا في تلك الفوارق أي خطورة. لكن الاستعمار أبى إلا أن يخلق ما دُعي "السياسة البربرية".

وقد بدأ تطبيق تلك السياسة منذ سنة 1859 بالجزائر حيث صدر قانون بفصل منطقة القبائل عن القضاء الشرعي تمهيداً لإلحاقها بالمحاكم الفرنسية. واستفاد الفرنسيون من تجربتهم بالجزائر لإعطاء فعالية أكبر لسياسيتهم البربرية بالمغرب. وقد بدأت محاولاتهم منذ 1914 أي بعد سنتين على إمضاء عقد الحماية، وذلك بصدور مرسوم يعترف لقبائل العرف البربري بأن تحكم وتنظم طبق قوانينها وأعرافها الخاصة تحت مراقبة السلطات. الشيء الذي يعني كسر الوحدة القضائية والتشريعية التي كان يعيش عليها المغاربة منذ قرون.

وقد كان المريشال ليوطي نفسه وراء هذه السياسة فهو الذي أصدر منشوراً جاء فيه :"ليس من حقنا، قبل كل شيء، أن نعلم اللغة العربية لأن اللغة العربية من عوامل الإسلام. فهي لغة القرآن. وتقضي مصلحتنا بأن يتطور البربر خارج نطاق الإسلام. أما فيما يتعلق باللغة، فيجب أن ننتقل من البربرية إلى الفرنسية".

وفي نفس الوقت كانت الجهات المسيحية تسعى لاستغلال هاته السياسة لتحويل البربر عن الاسلام. يقول "دولاسال" :"ستترك المسيحية تؤثر في النفوس البربرية كما أثرت من قبل في نفوسنا، من غير أن نساعد عملها بوسائل شديدة أو رسمية، ولكن بإفساح المجال لها وعدم تشجيع ما يعاكسها. هذا ما يسهل بغير شك تفكيك عرى الكتلة العربية، وبالتالي القضاء على الإسلام في أفريقيتنا الشمالية لفائدة حضارتنا وجنسنا".

وتوجت تلك السياسة البربرية في المغرب بصدور "الظهير البربري" بتاريخ 16 مايو 1930. وهو الحدث الذي أقام الشعب المغربي وأقعده، فواجه لأول مرة بجد ومسؤولية تلك السياسة. وتجند المغاربة في كل جهة للاحتجاج عليها

ومقاومتها. وكانت منطلقا للحركة الوطنية في مرحلة التنظيم والنضال السياسي.

ولم يجن رجال الحماية من وراء سياستهم إلا الشوك، إذ واجههم السكان في المناطق البربرية بالاستنكار والمعارضة. وانخرطوا، هم أيضاً، في صفوف الحركة الوطنية، بحيث أفسدوا حسابات الاستعماريين، الذين برغم فشلهم ظلوا يعاندون الواقع ويواصلون تطبيق سياستهم. وجاءت المرحلة الأخيرة من معركة الاستقلال، فكان البربر من أول العناصر الذين ساهموا بنضالهم في سبيل تحرير البلاد سواء كمقاومين أو كجنود في جيش التحرير.

بقي أن نقول كلمة عن الثقافة البربرية التي يتحدث عنها البعض كمشكل، في حين أنها ليست بمشكل. والذي حال دون الاهتمام بها إلى حد الساعة هو أنها تراث غير مكتوب، في الغالب. وقد بدأ يهتم بعض الباحثين بجمع بعض ما تبقى منه في ذاكرات الناس. والتعريب الذي سار فيه المغرب بخطى حثيثة منذ الاستقلال لا يتنافى في شيء مع المحافظة على ذلك التراث إلى جانب التراث المكتوب باللغة العربية الدارجة. فهو تراث مغربي صميم يستحق كل عناية من جانب العلماء، لأنه سيفيد المؤرخ، والسوسيولوجي، والجغرافي، والاثنوغرافي، والأديب، والشاعر، والناقد الخ..

ابن عبد الحكم، *فتوح إفريقية والأندلس*، بيروت، 1964 ؛ ابن حزم، *جمهرة الأنساب*، دارالمعارف، 1962 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6 و7، بيروت، 1959 ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، الرباط، 1976 ؛ *رسائل*، الدار البيضاء، 1981 ؛ أ. الزياني، *الترجمانة الكبرى*، نشر وزارة الأنباء ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ؛ ع. الفاسي، *السياسة البربرية في مراكش*، القاهرة، 1952 ؛ *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، طنجة ؛ ح. بوعياد، *الحركة الوطنية والظهير البربري*، الدار البيضاء، 1979 ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، المحمدية، 1960 ؛ *المعسول* ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، 1988 ؛ م. شفيق، *معلمة المغرب*، مادة أمازيغ ؛ ع. غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، الرباط، 1987.

E.I, 2ème éd. art. : *Berbères* : G. Marçais, *La berbérie Musulmane et l'Orient au Moyen Age*. Paris, 1946 ; G. Camps, *Berbères*, Ed. des Hespérides 1980 ; *Archives Berbères* ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1950 ; Revue *"Maghreb"*.

محمد زنيبر

بَرْبَرو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وما زالت أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Barbaro، إلا أنها انقرضت بتطوان سنة 1786/1200 ولم يبق بالمدينة ما يذكّر بوجودها سوى قبر سيدي أحمد البربرو الذي يوجد بدار تقع في زنقة الصفصافة بحومة العيون، وكان من بين أفراد هذه الأسرة بتطوان :

بَرْبَرو، محمد، جندي كان تابعا لحامية تطوان سنة 1830/1246.

بَرْبَرُو، محمد عدل كان ممن شهدوا ضد باشا تطوان سابقا عبدالكريم ابن زاكور في تصرفه الغير المشروع في أموال الأحباس، بمقتضى رسم عدلي مؤرخ في فاتح صفر 1767/1180، كما كان من بين أفراد هذه الأسرة :

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 32 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 261، 8 : 216 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 - 332 ؛ ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

البَرْبْري، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Berbera، وهو كذلك اسم قرية بمقاطعة غرناطة، ومن المعروفين من بين أفراد هذه الأسرة :

البربري، عبدالقادر بن أحمد في عداد فقهاء المدينة. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1733/1145. وهي غير أسرة البربيري.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البربوشي (أسرة ـ) ← **البرابيش**

البربوشي، أحمد بن البشير الرحماني باشا تزنيت. ولد حوالي 1293 / 1876 ودرس في زاوية النعيمي، لكنه كان ميالا إلى الفروسية فانخرط صغيراً في جيش المخزن وظهرت نجابته الحربية فرقي إلى قائد مائة، وبعد فرض الحماية على المغرب ظل يعمل في صفوف الجيش الفرنسي وشارك فيما يسمى بعمليات "التهدئة"، يقال إنه خاض نحو ثلاثمائة معركة أبدى خلالها شجاعة فائقة.

وفي سنة 1340 / 1921 عين باشا بمدينة تزنيت وظل مدة طويلة معدوداً من كبار قواد الجنوب. لم نقف على تاريخ وفاته.

J. et M. Gouvion, *Aayan al-Maghreb al-Akça*, 440 - 444.

محمد حجي

البربوشي، البشير بن عبد الحي الصحراوي. كان علامة فاضلا صوفيا، أخذ الطريقة الكنتية عن الشيخ المختار الخليفة بن محمد بن المختار، وأخذ عنه إذن الدعوات والأذكار. توفي المترجم بمراكش في حدود عام 1290 / 1873 ودفن بروضة الإمام السهيلي.

ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، 3 : 77.

عبد الرزاق الصديقي

البربوشي، العربي (الحاج ـ) بن رحال بن علال الطلوحي الجعفري الزيني المراكشي. ولد بالرحامنة عام 1847/1264. وتلقى القرآن ومبادئ اللغة على الفقيه السيد البشير الصحراوي بحربيل. ثم رحل لمصر حيث أتم دراسته بجامع الأزهر، كما درس بالقدس والأردن. وفي أيام السلطان مولاي الحسن الأول استدعاه ليعلم أبناءه : مولاي أحمد، ومولاي الطاهر ومولاي بوبكر ومولاي حفيظ ومولاي جعفر ولالا فاطمة بمدرسة احمر بزيمة، وكانت هذه المدرسة تضم نخبة من العلماء، كالفقيه السيد عبدالقادر بن قاسم الدكالي. ثم انتقل إلى الدار البيضاء بطلب من بعض طلبة العلم.

وفي أيام السلطان المولى عبد الحفيظ ذهب إليه المدني الأگلاوي طالبا منه باسم السلطان العودة إلى مراكش، فاستجاب لهذا الطلب وعُيِّن قاضيا على الرحامنة وزمران والسراغنة، وعيّن هو نُواباً عنه في كل جهة من هذه الجهات الثلاث، وأناب على منطقة تامصلوحت ابنه محمداً.

كما تولى القضاء في جهات أخرى كفاس والصويرة والبيضاء ومولاي بوشعيب بالجديدة. وقضى جل أوقاته في حلقات الدرس بجامع ابن يوسف زهاء ستين سنة، مثابرا على الدرس، لا يعرف الملل ولا السآمة، حتى إنه كان يختم مختصر *خليل* في أربعة أعوام. ومن شيوخه المغاربة : الحاج البشير البربوشي نزيل تركوت غربي مراكش على شاطئ نهر تانسيفت ؛ ومحمد ابن عبد الرحمان السريفي نزيل مدشر ابن مرقى ؛ وأحمد بن مبارك الجرناوي. وفي عام 1868/1285 رحل لفاس وقرأ بها على عبدالله بناني المدعو فرعون، ومحمد گنون، ومحمد بن عبدالرحمان العلوي، وأحمد بناني كلا، وغيرهم وأجازه جمع من أعيانهم.

ومن آثاره : *تهذيب البيان والجمع، في الفرق بين خطاب التكليف والوضع*. وبأوله تقريظ لعبدالله العياشي بن إبراهيم بن محمد بن زيدان المراكشي في فاتح شعبان 1909/1327.

توفي عام 1935/1354. ورثاه شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم.

م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 137.152 ؛ ع. الفاسي، *رياض الجنة*، 2 : 119 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط ؛ أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

البربوشي، محمد المعطي بن محمد الرحماني المراكشي، كان فقيهاً مشاركاً، درس بمراكش على علمائها كالفقيه السباعي، ولازم تدريس *مختصر خليل* و*ألفية ابن مالك* بجامع أبي العباس السبتي سنين عدة، وانتفع بعلمه طلبة كثيرون منهم الفقيه حمّ الضرير، وله *تأليف في التوحيد*.

توفي يوم الخميس سادس عشر محرم عام 1331 / 1913.

ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*. 7 : 181.

عبد الرزاق الصديقي

بربيس، جنس سمك من فصيلة الشبوطيات Cyprinidae. يسمى علميا Barbus ويعرف في الشرق بالبني نسبة إلى Barbus Binni الشائع في نهر النيل. يعرف في المغرب تحت اسم «الباربو» وهو مأخوذ من الفرنسية Barbeau.

يتميز البربيس عن باقي أجناس الفصيلة بأربع زوائد لحمية طويلة على شفتيه وبفم مفتوح أسفل رأسه. زعانفه الظهرية والشرجية قصيرتان ولونه أصفر بني لامع. الحراشف كبيرة وواضحة. يتراوح طوله ما بين 25 و 50 سم، ويصل وزنه إلى كلغ واحد.

يعد البربيس من الأسماك الشائعة في جميع الأنهار المغربية المرتفعة الحرارة. يعيش وسط مجموعات صغيرة وسط المياه الصافية السريعة المجرى. يختفي نهارا تحت الأحجار قرب الشلالات ويخرج ليلا ليأكل القواقع والقشريات الصغيرة والحشرات وبيض الأسماك وأحيانا النباتات. تأكل الكبار منه أحيانا الأسماك الصغيرة.

تتوجه المجموعات في فصل الربيع نحو أعالي الأنهار لتضع البيض على الصخور والحصى ويتم التلقيح، يتراوح عدد البيض حسب الأنواع من 3.000 إلى 32.000 بيضة مصفرة اللون تلتصق بالأحجار وتفرخ بعد أسبوعين أو ثلاثة. يصير الصغير بالغا بعد أربع أو خمس سنوات.

يتكون لحمه من عدة شويكات ويصير لذيذا عند الكبر. يسهل صيده بالصنارة في الصباح الباكر وفي المساء.

أغلب الأنهار المغربية ينقص ماؤها كثيرا في فصل الصيف وتتعدى حرارة مياهها 30 درجة مما يفسر وجود البربيس وحده فيها من بين الأسماك الأخرى وذلك لتحمله ارتفاع الحرارة.

تعيش في مياه المغرب ثمانية أنواع من جنس Barbus و ثلاثة أو أربعة أنواع من جنس Labeobarbus تعيش في الأنهار التي تصب في المحيط الأطلنتي.

من بين الأنواع الشائعة في نهر سبو وبو رقراق وأم الربيع وتانسيفت وسوس وماسة وفي بعض البحيرات والسدود نذكر Barbus callensis و B. L. fritschi و B. L. reini و paytoni B. L.

J. Pellegrin, *Les poissons des eaux douces* ; C. Almaca, *Sur Les barbeaux (genre et sous-genre Barbus) de l'Afrique du Nord. Bull. Mus. Nat. Hist. Nat.* 2e série,42, 1 :141-158, 1970 ; P. Berrebi, *Contribution à l'étude du sous genre Labeobarbus (Genre Barbus, Poisson Cyprinides) Bul. Inst. Sci*, Rabat, n° 5 : 59-7.

محمد رمضاني

بربيش، أسرة جعلها بوجندار ضمن الأسر الأندلسية في تقسيمه لأهالي الرباط في كتابه *مقدمة الفتح*. ومن الراجح أنها هاجرت من الأندلس أثناء الجلاء الأخير بعد قرار فيليب الثالث سنة 1609، كمثيلاتها من الأسر المهاجرة، مثل مورينو وبرگاش وبريس الخ.

لكن لا يوجد في كتب الحوليات ولا عند النسابين والمؤرخين ذكر لهذه الأسرة عدا ما جاء عند *الضعيف* من أن

قائداً يدعى بوجيدة بربيش توفي سنة 1130. وحتى هذا الشخص لم يشر المؤرخ إلى المنطقة التي كان قائداً فيها، ومن خلال سياق كلامه يفهم أنه مات بوباء ذهب ضحيته أيضا القائد أحمد بن حدو والوزير الشاعر أحمد اليحمدي. ولا يمكن التعرف على مدى قرابة بوجيدة بربيش من أسرة بربيش الرباطية.

وعلى كل حال فإنما برز من هذه الأسرة من يستحق الذكر بعد القرن التاسع عشر حسب مصادرنا.

بربيش، محمد بن عبدالله، من علماء الرباط الذين كانت لهم دراية واسعة بالنحو واللغة حتى قيل عنه «سيبويه عصره وشيخ النحاة في مصره». وكان له كامل الإلمام *بالأجرومية وألفية* ابن مالك *وكافية* ابن الحاجب. قال فيه القاضي محمد الرندة :"ما رأيت أعرف منه بالتوجيهات النحوية ومذاهبها، بل والمذاهب الشاذة وما فيها من الخلاف القائم بين أصحابها. وكان يلقي دروسه بمسجد الجزاء، كما كان منزله مأوى للطلبة والمتعلمين. وممن تخرج على يده أحمد بن إبراهيم وعبدالسلام الزيادي الخ".

مات عزبا يوم الأربعاء 24 ذي القعدة 1316/1898، ودفن بمقبرة لعلو بضريح سيدي حسن المسكيني.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ت. أحمد العماري، 96 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، 220 ؛ *مقدمة الفتح*، 194 ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 102 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، 258.

عبدالاله الفاسي

بربيش، المكي بن أحمد الرباطي، أستاذ مجود عارف بالقراءات السبع أخذها عن الشيخين الأستاذين عبد السلام ملين ومحمد المهدي متجينوش وأجازه هذا الأخير، كما درس *الشاطبية* بشرح ابن القاصح في علوم القرآن على الشيخ السلفي أبي شعيب الدكالي.

اشتغل المكي بربيش طوال حياته مدرراً يعلم الصبيان القرآن الكريم، ويدرس للكبار متون علم القراءات، كما كان من بين الأساتذة الذين يقرؤون الحزب بالروايات السبع في الزاوية الرحمانية بعد صلاة العصر إلى أن أدركته الوفاة بمسقط رأسه في عاشر شوال عام 1373 / 12 يونيه 1954.

ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 2 : 463 . 464.

محمد حجي

بربيش، قرية من القرى المندثرة بسبب الاحتلال البرتغالي لسبتة ولوجودها داخل النطاق المحتل. ففي ديسمبر سنة 1415 أعلن من سبتة عن هجرة سكان القرية بعيدا إلى الجبال الداخلية. فقرية بربيش من القرى الوادية، حسب تعبير الأنصاري، متصلة بتل مرتفع، اعتاد مجاهدو جزولة، المرابطون حول المدينة، اتخاذه طالعا لمراقبة تحركات حامية سبتة. ويعرف هذا التل لدى البرتغاليين بجبل جزولة. ويقع المدشر في الزاوية الجنوبية الغربية من جبل غمارة (ظهر سبتة).

Gomes Eanes de Azurara, *Cronica do D. Pedro de Meneses*, t. I, chp. 47, p. 186,187,189. t : II, p. 95.

حسن الفكيكي

بَرْبِيل، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Berbel، وقد انقرضت بتطوان سنة 1677/1088 على إثر الوباء الذي كاد يقضي على سكان المدينة.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

بَرْبِيلِيَة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، ولعل الاسم محرّف عن كلمة مربيا Marbella على غرار التحريف الذي وقع لاسم مالضوناضو Maldonado الذي أصبح يكتب بلضوناضو، وعلى كل حال فإن أسرة بربيلية انقرضت بتطوان على إثر الوباء الذي قضى على عدد كبير من سكان المدينة سنة 1677/1088.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البرتغال في المغرب، (818 . 1183 / 1415 . 1769) اختلف المؤرخون البرتغاليون المحدثون اختلافا كبيرا حول السبب الرئيسي لغزو سبتة والدخول فيما عبر عنه "بالمغامرة المغربية". ودون الخوض في مناقشة مختلف الآراء، يمكن القول إن غزو المغرب مر بمرحلتين متميزتين تختلفان من الناحية الزمانية والجغرافية ومن ناحية الأسباب والدوافع والوسائل المسخرة لها، وكذا الغايات المتوخاة منها.

ففي مرحلة أولى تخص القسم الشمالي من سواحل المغرب، سيطرت الدوافع الإستراتيجية سيطرة مطلقة (حماية أمن البرتغال وضمان سلامة ملاحته والقضاء على الجهاد البحري والحيلولة دون سقوط تلك الثغور في أيدي العثمانيين الخ.) ولتحقيق هذه الأهداف كان الغزو والاحتلال غاية في حد ذاته، استعملت فيه الأساطيل ووسائل عسكرية ضخمة كان الملوك والأمراء وكبار النبلاء على رأسها. وقد تمت هذه المرحلة خلال القرن الخامس عشر إذ دخلت جيوش يوحنا الأول سبتة يوم 21 غشت 1415، بينما احتل القصر الصغير يوم 23 أكتوبر 1458. وتمكن ألفونصو الخامس من دخول أصيلا يوم 24 غشت 1471 بينما استسلمت طنجة دون حرب بعد ذلك بخمسة أيام، وذلك بعد أن افشلت ثلاث محاولات عسكرية برتغالية سابقة (1437، 1463، 1464). وهكذا يبدو أن الغزو في هذا القسم من المغرب لم يكن شاملا ولو للسواحل التي بقيت بها بعض المدن حرة كتطوان والعرائش. كما امتاز الغزو بانعدام الاستمرارية والتعثر إذ بين تاريخ احتلال ثغر وآخر مدد تفوق العقدين. ورغم ضعف المرينيين والوطاسيين فقد مني البرتغاليون في هذا القسم من المغرب بهزائم كبرى : فاجعة طنجة سنة 1437، فشل الهجومين على طنجة (1463 . 1464) والهزيمة بجزيرة المليحة قرب القصر الكبير (1489) (*دكالة*، 161).

أما المرحلة الثانية فتهم السهول الممتدة جنوب أبي

رقراق. وتختلف عن الأولى اختلافا كبيرا. (على الأقل على مستوى تصور الإدارة المركزية البرتغالية).

فقد سيطرت العوامل التجارية سيطرة مطلقة نظرا لخصوبة أراضي هذه الربوع وكثرة إنتاجها لمواد زراعية وحيوانية كان البرتغال في أمس الحاجة إليها. ففضلا عن الحبوب التي كان البرتغال يحتاج إليها لسد حاجته الخاصة وحاجة حاميات الثغور الشمالية (2000 طن/سنة) وكذا لعرضه بمركز أرگان (Arguin) (بالساحل الموريطاني الحالي) أصبحت تلك السهول تكتسي بالنسبة لملك البرتغال، الذي كان أكبر تجار بلاده، أهمية قصوى لتوفرها كذلك على الخيول والأنسجة الصوفية والنحاس، الخ. وقد كان البرتغاليون يبادلون سود غرب افريقيا بتلك السلع المغربية ـ وخصوصا منها الأنسجة الصوفية ـ مقابل التبر والعبيد. وبذلك تزايدت مكانة أسفي وأزمور وأگدير لدى البرتغاليين الذين أوكلوا لكل واحدة منها دوراً تجارياً معيناً. وقد انعكست هذه الأهمية التجارية على الوسائل المستعملة للتحكم في تلك الثغور. فقد اعتمد البرتغاليون هنا على الدبلوماسية وإشراك الحكام والأعيان في الربح لدفعهم إلى الاعتراف بالسلطة البرتغالية وإدخال مدنهم تحت حماية التاج البرتغالي.

وقد نجح البرتغاليون في تحقيق هذه السياسة بأسفي (قبل 1481) وأزمور (1486) وماسة (1497). إلا أن هذه الحقبة لم تطل لتضارب مصالح التجار والعسكريين البرتغاليين، وللمقاومة العنيفة التي واجه بها سكان المدن التغلغل المسيحي. وبذلك اضطر البرتغاليون إلى الانتقال إلى مرحلة الاحتلال الفعلي ابتداء من مطلع القرن السادس عشر : أگدير (1505) امگدول (1506) أسفي (1508) أزمور (1513) ومازيغن (1514). وقد انعكس الغزو على الثغور وظهيرها. فقد قلص البرتغاليون من رقعة المدن المحتلة ـ التي هجرها سكانها المغاربة ـ وأحاطوها بأسوار سميكة من الحجر وبخنادق مائية. وزيادة في الحيطة شيدوا داخلها قصبات منيعة. وقد استغل البرتغاليون ضعف السلطة المركزية وتناحر القبائل ومساعدة بعض الشيوخ كيحيى ابن تعفوفت بدكالة، ومالك بن داود بالسوس الخ، لانتهاج سياسة الأرض المحروقة والقيام بغارات خاطفة استهدفت المغاربة وأنعامهم. وقد وصلت تلك الغارات ألى نقط بعيدة عن الساحل كشرق مراكش وضواحي الرباط (بالنسبة لحامية أزمور) وجبل الحبيب ووزان الحالية (بالنسبة لحامية أصيلا).

نتج عن هذه الغارات خسائر بشرية فادحة، إذ بلغ عدد الأسرى ـ دون الإشارة للقتلى ـ أكثر من 5000 بجبل بني گرفط وحده. واعتمادا على مصدرين إخباريين برتغاليين يغطيان الفترة الممتدة من 1494 إلى 1550 أحصينا حوالي عشرة آلاف أسير مغربي، مع أن المصدرين لم يذكرا عدد الأسرى إلا بالنسبة لـ 72 غارة من مجموع 186.

وبالطبع لم تتأخر ردود الفعل المغربية. فقد سارع الأولياء والفقهاء وبعض شيوخ القبائل إلى تأطير الجهاد والحث عليه (ابن عسكر، *الدوحة*) وذلك قبل أن يضطر الوطاسيون، خصوصا في عهد محمد البرتغالي إلى التحرك وزعزعة المكتسبات البرتغالية بالهبط والمعمورة (حررها الناصر الوطاسي سنة احتلالها 1515) وبدكالة. غير أن الضربة القاضية جاءت البرتغاليين على يد ابني القائم بأمر الله السعدي وخصوصا على يد ابنه الأصغر محمد الشيخ الذي انتزع منهم اعتمادا على مدفعيته وجيشه المدرب على تقنيات الحرب الحديثة أگدير في ربيع 1541. وخوفا من هزيمة جديدة أخلى البرتغاليون أسفي وأزمور 1541، وبعد دخول محمد الشيخ السعدي إلى فاس 1549 أخلوا من جديد أصيلا والقصر الصغير 1550. وبذلك انحصر الوجود البرتغالي في طنجة وسبتة ومازيغن. وقد حاول دون سبستيان الهجوم من جديد على المغرب إلا أن حملته انتهت في معركة وادي المخازن بالمصير المعروف 1578 حيث امّحت الدولة البرتغالية من الخريطة السياسية وأصبحت هي ومستعمراتها تحت سيطرة التاج الإسباني أزيد من ستين سنة. وقد تحررت طنجة على يد المولى إسماعيل سنة 1684، ومازيغن على يد سيدي محمد بن عبد الله سنة 1769، وما تزال سبتة في الأسر بعد ان انتقلت إلى أيدي الإسبان سنة 1640.

أ. بوشرب، *دكالة*.

R. Ricard (Traducteur), *Les Portugais au Maroc*... Rabat 1937 ; *Les Portugais et l'Afrique du Nord*, Paris 1940, T. XIV N 39, 1939 ; *S.I.H.M.*, 1ère série, *Portugal*, 5 Vol.

أحمد بوشرب

البرتغال والمغرب، (العلاقات السياسية) لا شك في أن أول اتفاقية أبرمها المغرب مع البرتغال كانت في الوقت الذي لم تكن هذه الدولة قد استكملت كيانها. وإنما كانت مجرد إمارة صغيرة على رأسها الأمير الفونصو انريكيث Alfonso Enriquez الذي وقع مع السلطان يوسف بن عبد المومن على اتفاقية هدنة لمدة خمس سنوات أبرمت بأشبيلية في شهر ربيع الأول عام 569 / أكتوبر 1173.

ومرت عشرات السنين دون أن تكون هناك أية علاقة سياسية بين المغرب والبرتغال بسبب الحروب التي كانت بينهما بدليل أن السلطان المذكور مات من جراء الجروح التي أصابته أثناء معركة شنترين التي جرت بأرض البرتغال سنة 580 / 1184. وكان الفاتيكان يعلق على البرتغال آمالا كبيرة في أن تكون الدولة المسيحية التي تتزعم الحملة الصليبية ضد المغرب، حيث نجد البابا گريگوريو التاسع يصدر يوم 20 أكتوبر 1232 صكاً يأمر فيه الأمير البرتغالي سانشو الثاني Sancho II بأن يتابع الحرب ضد المسلمين بأرض الأندلس والمغرب.

ويقول ابن مرزوق في *المسند* إن السلطان أبا الحسن المريني فقد المصحف العثماني في معركة طريف المعروفة عند الإسبانيين والبرتغاليين بمعركة وادي الملح Rio Salado التي جرت يوم 8 جمادى الأولى عام 741 / 30 أكتوبر 1340،

هذه المعركة التي شارك فيها الملك البرتغالي الفونصو الرابع Alfonso IV بجانب ملك قشتالة الفونصو الحادي عشر Alfonso XI ويبدو أن الجنود البرتغاليين هم الذين استولوا على المصحف الكريم الذي من أجل استرجاعه بعث السلطان المريني إلى لشبونة التاجر الحسن بن جمي الزمموري فاستطاع أن يفدي المصحف سنة 745 / 1344 "بآلاف من الذهب".

ويقول النميري في *فيض العباب* إنه على إثر الهجوم الذي قام به الأسطول المغربي على ميناء لاگوش Lagos البرتغالي سنة 756 / 1355 بعث الأمير البرتغالي الفونصو الرابع Alfonso IV سفارة إلى السلطان أبي عنان المريني في شهر شوال عام 757 / أكتوبر 1356، لا شك أن الغرض منها كان هو افتداء البرتغاليين الذين أسرهم المغاربة بالميناء المذكور.

وفي سنة 787 / 1385 استكملت البرتغال وحدتها الترابية على إثر انتصار الأمير خوان الأول Juan I على ملك قشتالة خوان الثاني Juan II في معركة الخوبروطا Aljubarrota التي جرت يوم 7 رجب 787 / 14 غشت 1385 حيث اعترف ملك قشتالة بالأمير خوان الأول كملك لدولة البرتغال المستقلة.

وفي تلك الأثناء كان السلطان محمد بن عبد العزيز المريني قد تخلى عن آخر معقل مغربي بالأندلس وهو مدينة جبل طارق التي انسحبت منها القوات المغربية سنة 776 / 1374، الشيء الذي جعل البرتغاليين يفكرون في الاستيلاء على مدينة سبتة، فتم لهم ذلك يوم 14 جمادى الثانية 818 / 12 غشت 1415.

وفي سنة 841 / 1437 قام الملك البرتغالي دوارطي الأول Duarte I بأول محاولة من أجل الاستيلاء على مدينة طنجة، غير أن الجيش البرتغالي عندما كان يحاصر المدينة المذكورة وجد نفسه مطوقاً من طرف القوات المغربية فاضطر الأمير البرتغالي دون أنريكي Don Enrique إلى التفاوض مع القائد المغربي صالح بن صالح العزفي على أساس أن يسمح للقوات البرتغالية بالانسحاب من أرض المغرب مقابل إرجاع مدينة سبتة لحظيرة الوطن، (معاهدة 15 ربيع الثاني 841 / 16 أكتوبر 1437) ويبقى الأمير البرتغالي دون فيرناندو Don Fernando رهينة عند المغاربة إلى أن يتم تسليم مدينة سبتة.

وفي 5 يناير 1443 أصدر البابا أوخينيو الرابع Eugenio IV صكاً يخول ملك البرتغال الفونصو الخامس "حق" احتلال الأراضي المغربية الممتدة من مدينة سبتة إلى الرأس الأبيض بالمحيط الأطلنتي. ومن المعلوم أن هذا "الحق" تم إقراره بمقتضى الصك الذي أصدره البابا نيكولاس الخامس Nicolas V يوم 8 يناير 1455، والصك الذي أصدره البابا كاليكسطو الثالث Calixto III يوم 13 مارس 1456.

وفي يوم 23 أكتوبر 1458 تمكن الأسطول البرتغالي بقيادة الملك الفونصو الخامس من احتلال مدينة القصر الصغير. ثم احتل البرتغاليون مدينتي أصيلا وطنجة يومي 24 و28 غشت فاضطر الأمير محمد الشيخ الوطاسي الذي كان يطالب بعرش المغرب إلى مهادنة البرتغال ليتمكن من متابعة حصار عاصمة فاس، فأبرم مع الفونصو الخامس معاهدة هدنة لمدة عشرين سنة تم توقيعها على ضفة وادي الحلو قرب أصيلا يوم 12 ربيع الأول 876 / 29 غشت 1471، ووقع محمد الشيخ أيضاً اتفاقاً سرياً مع ملك قشتالة فيرناندو الكاثوليكي Fernando el Catolico لإقامة حصار مشترك مغربي قشتالي على مدينة سبتة سنة 881 / 1476.

وفي سنة 884 / 1479 احتد النزاع القائم بين البرتغال وقشتالة حول المغرب لدرجة أن البابا سيكسطو الرابع Sixto IV اضطر إلى التدخل وفرض على الدولتين الدخول في مفاوضات تحت إشرافه، انتهت بالتوقيع على معاهدة الكاثوباس Alcaçobas ليوم 4 سبتمبر 1479 التي اعترف فيها ملك البرتغال بحق قشتالة في احتلال الجزر الخالدات كما اعترف ملك قشتالة بحق البرتغال في احتلال المغرب، وأقر البابا هذه المعاهدة بصك أصدره يوم 9 يونيو 1481.

وفي رابع فبراير 1489 قام الأسطول البرتغالي باحتلال جزيرة المليحة La Graciosa الواقعة داخل وادي لكوس، غير أن الحامية التي تمكنت من السطو على الجزيرة لم تستطع الصمود في وجه المغاربة الذين حاصروها، فاضطر قائدها إلى التفاوض مع السلطان محمد الشيخ لكي يُسمح له بمغادرة الجزيرة وأسفرت المفاوضات عن إبرام معاهدة هدنة لمدة عشر سنوات تم التوقيع عليها بشمس Lexus يوم 30 رمضان 894 / 27 غشت 1489.

وعندما تمكنت قشتالة من القضاء على مملكة غرناطة المسلمة سنة 897 / 1492 بدأت الملكة إيسابيل الكاثوليكية Isabel la Catolica تطالب بـ"حقها" في الشاطئ المغربي الموالي للجزر الخالدات، ضاربة بالمعاهدة المبرمة مع البرتغال سنة 884 / 1479 عرض الحائط، وتدخل البابا من جديد وأمر بإجراء مفاوضات انتهت بالتوقيع على معاهدة طورديسياس Tordesillas يوم 3 رمضان 899 / 7 يونيو 1494 التي اعترفت بمقتضاها البرتغال بـ"حق" قتشالة في احتلال مدينتي مليلية وفساسة.

وفي سنة 910 / 1505 اعتلى عرش المغرب محمد البرتغالي ابن السلطان محمد الشيخ الوطاسي، وفي أيامه قام البرتغاليون باحتلال عدة ثغور في جنوب المغرب، منها فونتي بالقرب من أگادير والقلعة الملكية Castella Réal وحصن گوز، ومدينة أسفي (6 يوليوز 1508).

ولما احتل الإسبان جزيرة بادس والحصن المجاور لها يوم 24 ربيع الأول عام 914 / 23 يوليوز 1508. عملاً بوصية إيسابيل الكاثوليكية بمتابعة غزو المغرب، طالب ملك البرتغال مانويل الأول Manuel I بأن تسلم له جزيرة بادس لأنها من "حقه" فتدخل البابا من جديد وأبرمت معاهدة ثالثة بخصوص المغرب في مدينة ثينطرا Cintra يوم 18 سبتمبر 1509.

وتابع البرتغاليون غزو الشواطئ المغربية فاحتلوا مدينة

أزمور (3 شتنبر 1513) وحصن البريجة ـ مازيغن ـ (يونيه 1514) وقصبة المعمورة (المهدية) على مصب واد سبو (24 يونيه 1515) لكنهم لم يستطيعوا الاحتفاظ بها إلا بضعة أسابيع خرجوا بعدها مدحورين متكبدين خسائر فادحة. وفي هذه الأثناء كانت تجري مكاتبات بين ملك البرتغال وأمير مراكش ناصر الهنتاتي قصد إقامة علاقات تجارية بينهما، لكن لم يتم شيء من ذلك بسبب سقوط مدينة مراكش في يد الأمير السعدي أحمد الأعرج.

وبالرغم عما عرف به الملك الوطاسي محمد البرتغالي من حركات جهادية متتالية ضد الثغور المحتلة وخاصة أصيلا، فإننا نجده يوجه إلى ملك البرتغال مانويل الأول رسالتين بتاريخ 23 جمادى الأولى 920 / 16 يوليوز 1514 و28 ذي القعدة / 14 يناير 1515 يطلب منه ألا يعترض الأسطول البرتغالي طريق السفن المغربية المتوجهة إلى الجزائر وتونس.

وتحسنت العلاقات بعد ذلك بين البرتغاليين والوطاسيين حكام فاس لكن الشرفاء السعديين ما لبثوا أن قضوا على هؤلاء وأولئك.

وعن علاقات البرتغاليين بالشرفاء السعديين في الطور الأول لتأسيس إمارتهم، فقد غلب طابع الحرب والقتال، لكن هناك اتصالات ذات طابع سلمي في فترات محدودة ولدواع ظرفية قصيرة. فقد بعث حاكم أسفي القبطان البرتغالي كونثالو مينديث Conzalo Mendez في شوال929/ سبتمبر 1523 مبعوثه بيدرو ماشادو Pedro Machado للتفاوض مع أحمد الأعرج بمراكش من أجل إبرام اتفاقية هدنة لم نعرف عنها شيئا، ولو أن هناك من يقول إنه تم التوقيع على هدنة لمدة ثلاثة أشهر، في حين أن الهدنة المحققة هي التي أبرمت سنة 931 / 1524 لمدة ثلاث سنوات بين حاكم فونتي أنطونيو لايطاو Antonio Laitao والأمير محمد الشيخ السعدي.

وتبودلت مراسلات بشأن الأوضاع العسكرية ببلاد عبدة بين الأمير أحمد الأعرج صاحب مراكش والملك البرتغالي خوان الثالث، ووقعت اتفاقيات أخرى قصيرة المدى بين هذا الأمير وأخيه محمد الشيخ المهدي مع حكام الثغور المحتلة أو مع مبعوثي الملك البرتغالي. لكن الحرب لم تضع أوزارها إلا بعد معركة وادي المخازن.

ومن المعلوم أن محمداً المتوكل السعدي عندما خلعه عمه عبد الملك وفقد الأمل في استرجاع عرشه لأن النصر كان حليفاً لعمه في جميع المعارك التي جرت بينهما استنجد المتوكل حينئذ بملك البرتغال دون سيباستيان Don Sebastian الذي استجاب لطلبه لحاجة في نفس يعقوب وهي تحقيق حلم كان يراوده منذ أن اعتلى عرش بلاده، وهو احتلال المغرب وضمه إلى إمبراطوريته. وأراد أن يُشرك خاله ملك قشتالة فيليب الثاني Felipe II فقابله بمدينة گوادالوبي يوم 24 نوفمبر 1576 وكانت النتيجة أن رفض العاهل القشتالي عرض ابن أخته ونصحه بعدم الإقدام على غزو المغرب. لكن سيباستيان لم ينتصح وبقي مصراً على تنفيذ فكرته. وبعد استعدادات هائلة نزلت القوات البرتغالية ومن انضاف إليها من المرتزقة الأوربيين الصليبيين بقيادة الملك سيباستيان في مدينة أصيلا التي سلمها المتوكل المخلوع للبرتغاليين.

وبعد أن جرت معركة تامذا المعروفة بمعركة وادي المخازن يوم 30 جمادى الأولى 986 / 4 غشت 1578 حيث استشهد الملك عبد الملك، ولقي حتفه الملك سيباستيان ومات غريقا السلطان المخلوع، عندئذ حاول الملك البرتغالي الجديد الكاردنال دون إنريكي Don Enrique الحصول على جثة سيباستيان. لكن السلطان أحمد المنصور الذهبي فضل تسليم الجثة إلى الملك الإسباني فيليب الثاني حسب ما جاء في الرسالة التي وجهها إليه يوم ثاني رمضان 986 / 2 نوفمبر 1578، وقد تم تسليم الجثة إلى حاكم سبتة يوم 4 شوال / 4 ديسمبر.

وفي شهر جمادى الأولى 987 / يوليوز 1579 وصل إلى مراكش السفير البرتغالي فرانثيسكو دا كوسطا Francisco da Costa من أجل التفاوض في أمر إطلاق سراح الأسرى البرتغاليين بمعركة تامذا.

وعند وفاة الكاردنال إنريكي يوم 31 يناير 1580 تمكن ملك إسبانيا فيليب الثاني من احتلال البرتغال، وعندئذ أصبحت العلاقات المغربية ـ البرتغالية متناسقة مع العلاقات المغربية ـ الإسبانية إلى غاية سنة 1640.

خلال هذه المدة كان ملك إسبانيا يضغط على أحمد المنصور باستغلال وجود كل من الأمير الشيخ ابن المتوكل وعمه الناصر بن عبد الله الغالب الملتجئين إلى البرتغال ثم إلى إسبانيا بعد معركة وادي المخازن، فصار فيليب الثاني يستعملهما كمطالبين بعرش المغرب. وفي المقابل لعب أحمد المنصور ورقة مساعدة الأمير البرتغالي دون أنطونيو Don Antonio المطالب بعرش جده مانويل الأول Manuel I بمساعدة ملكة انگلترا إليزابيط الثانية.

تبودلت رسائل بين المنصور وإليزابيط ودون أنطونيو، وتنقل السفراء بين مراكش ولندرة. وفي شهر ديسمبر سنة 1588 حل بمراكش الأمير دون كريطوبال Don Cristophal ابن الأمير دون أنطونيو ليظل رهينة بالمغرب. ويبدو أنه عندما كان بالمغرب السفير البريطاني برين إدوار Prynne Edwerd في شهر فبراير 1589 وقع الاتفاق على أن الأسطول المغربي سيشارك في الهجوم الذي سيشنه الأسطول البريطاني على عاصمة لشبونة لمساعدة الأمير دون أنطونيو على استرجاع عرش أسلافه، وقد قام الأسطول البريطاني بحملته الفاشلة على لشبونة في شهر يونيو من نفس السنة دون مشاركة الأسطول المغربي لأسباب غير واضحة. ولعل عدم المشاركة المغربية في الهجوم على لشبونة هو الذي حمل العاهل الإسباني على تسليم مدينة أصيلا إلى المنصور في يوم 3 ذي القعدة 997 / 13 سبتمبر 1589.

ثم تحسنت علاقات حاكم البريجة البرتغالي خورخي ماسكارنهاس Jorge Mascarenhas بالسلطان زيدان ابن

أحمد المنصور، وحل بأسفي في 13 يناير 1619 مبعوث هذا الحاكم للتفاوض في أمر إطلاق سراح بعض الأسرى البرتغاليين.

وتقول المصادر البرتغالية إنه في يوم 25 يوليوز 1624 تقابل الملك زيدان مع حاكم البريجة ـ مازيغن ـ گونثالو كوطينيو Gonzalo Coutiño بضواحي المدينة، ويجهل فحوى المحادثات التي جرت بينهما. وتوالت الاتصالات الحبية وهدايا الحاكم البرتغالي للسلطان زيدان.

وفي 16 شعبان 1050 / فاتح ديسمبر 1640 ثار الشعب البرتغالي ضد الاحتلال الإسباني وتمت مبايعة دوق ذي براگانثا Dugue de Braganza كملك للبرتغال باسم جوان الرابع Juan IV وكان مصير الثغور المغربية المحتلة من طرف البرتغال أن أعلن حاكم البريجة اعترافه بالملك الجديد في حين تمكن الإسبانيون القاطنون في كل من سبتة وطنجة من إلقاء القبض على الحاكم البرتغالي والإعلان عن ولائهم للملك الإسباني فيليب الرابع.

وبعد ثلاث سنوات تمكن السكان البرتغاليون بطنجة من إلقاء القبض على الحاكم الإسباني وإعلان ولائهم للعاهل البرتغالي يوم 12 جمادى الثانية 1053 / 24 غشت 1643، إلا أن البرتغال لم تحتفظ طويلاً بطنجة حيث سلمها الملك البرتغالي الفونصو السادس Afonso VI إلى ملك بريطانيا العظمى كارلوس الثاني Charles II في يناير من سنة 1662، فلم يعد البرتغاليون يحتلون بأرض المغرب سوى مدينة البريجة ـ مازيغن ـ.

وفي عهد مولاي إسماعيل بعث إليه الملك البرتغالي بيدرو الثاني سفيره انطونيو دا سيلفا بيريرا Antonio Da Silva Pereira مصحوباً بحاكم البريجة كريسطوبال وتم استقبالهما من طرف الملك يوم 30 جمادى الثانية 1088 / 30 غشت 1677.

وحلت بمكناس سفارة برتغالية أخرى بعثها نفس الملك في شهر محرم 1101 / أكتوبر 1689 للعمل على إطلاق سراح الأسرى البرتغاليين، غير أن مولاي إسماعيل رفض استقبالها مادامت البرتغال تحتل مدينة البريجة، في حين نجد مولاي إسماعيل يستقبل بمكناس السفير البرتغالي خوسي الفاريس Jose Alvarez ويتفاوض معه في أمر الأسرى ولكنه اشترط عليه أن تنسحب البرتغال عن البريجة لإطلاق سراحهم، (ربيع الثاني 1102 / 1690).

وبعد تردد سفراء برتغاليين آخرين على مكناس وجه مولاي إسماعيل رسالة إلى العاهل البرتغالي في 3 صفر 1108 / فاتح سبتمبر 1696 يقول فيها إنه مستعد لقبول مبدإ التفاوض لافتداء الأسرى إذا كان المبعوث عضواً في مجلس الملك البرتغالي، وفي أواخر سنة 1706 بعث مولاي إسماعيل أسيره الإسباني خوسي دياث Jose Diaz لدى الملك البرتغالي في مهمة سرية. وتوقفت العلاقات بين البلدين في عهد الملك البرتغالي خوان الخامس Juan V (1716 ـ 1750).

واستؤنفت العلاقات المغربية ـ البرتغالية بعد أن استرجع سيدي محمد ابن عبد الله مدينة البريجة (الجديدة) في 3 ذي القعدة سنة 1183 / 11 مارس 1769. وبعث برسالة إلى ملك البرتغال مانويل بونطيس Manuel Pontes يحتج على ما قام به حاكم البريجة گريگوريو دي ميلو Gregorio de Mello من تخطيم المدينة بالألغام قبل الجلاء عنها. فكان رد الملك البرتغالي خوسي الأول في 18 يوليوز 1769 مهذباً معتذراً عما حدث، مقترحاً إقامة صلح دائم بين البلدين. وبعد أن تم التوقيع على معاهدة الهدنة التي حملها السفير البرتغالي خورخي بيدرو كولاسو J.P. Colaço في فاتح شتنبر من نفس السنة، أصدر سيدي محمد بن عبد الله أمره إلى الأسطول المغربي بعدم التعرض للسفن البرتغالية.

وبعد أن جُددت الهدنة في 17 يوليوز 1770 لمدة قصيرة وقع القنصل العام البرتغالي بمراكش خوسي رولي فان ديك J.R. Wan - Dek معاهدة صلح بين المغرب والبرتغال بتاريخ 12 رمضان 1187 / 27 نوفمبر 1773. وعاد السفير البرتغالي إلى بلاده مصحوباً بالسفير المغربي عمر الداودي الذي حل بلشبونة يوم 7 أكتوبر 1774 وعاد إلى المغرب يوم 17 نوفمبر من نفس السنة، وكانت هذه هي السفارة المغربية الأولى التي توجهت إلى البرتغال بعد استرجاع مدينة الجديدة.

وعند وفاة الملك البرتغالي خوسي الأول بعث سيدي محمد بن عبد الله السفير عبد المجيد الأزرق لتقديم التعازي وتهنئة الملكة دنيا ماريادا گلوريا D.M. Da Gloria فوصل إلى لشبونة يوم 15 نوفمبر 1777 وعندما عاد إلى المغرب كانت ترافقه بعثة برتغالية مكونة من عدة خبراء في سك النقود يحملون معهم القواليب الضرورية، وظلوا يعملون بالمغرب مدة سنة ونصف.

وفي شهر ديسمبر 1779 بعث السلطان المذكور التاجر الطيب بوهلال من أجل تأسيس دار تجارية بلشبونة وكان يحمل رسالة إلى الملكة البرتغالية، وفي نفس المهمة التجارية بعث السلطان التاجر الحاج محمد العناية الذي ظل بلشبونة شهري سبتمبر وأكتوبر 1780 برفقته كل من رئيسي البحر الحاج محمد التيال والحاج عبد الرحمن بريطل.

وفي يونيو 1785 توجهت إلى البرتغال بعثة مغربية برآسة عباس مورينو، وفي 20 سبتمبر من نفس السنة وجهت البرتغال رسالة إلى السلطان تطلب منه فيها أن يتدخل لدى داي الجزائر لكي يوافق على إبرام اتفاقية هدنة لمدة ستة أشهر.

ولما اتفق جميع قناصل الدول الأوربية بطنجة على مقاطعة السياسية التي كان ينهجها السلطان سيدي محمد ابن عبد الله تجاه بلدانهم، بعثت ملكة البرتغال إلى قنصلها بالمغرب خوسي بيدرو كولاسو J.P. Colaço تأمره بعدم التوقيع على الوثيقة المعادية للمغرب والمحررة يوم 18 يونيو 1788. فوجه العاهل المغربي في أكتوبر من نفس السنة إلى الملكة خديمه البرتغالي مانويل دي بونطيس M. De Pontes حاملاً هدية مكونة من مجوهرات ثمينة، واستمرت هذه

العلاقات الودية بين المغرب والبرتغال أيام مولاي يزيد والمولى سلامة. ولما بويع المولى سليمان بعث إلى ملكة البرتغال رسالة مؤرخة بثامن صفر 1207 / 25 شتنبر 1792 يعبر عن رغبته في استمرار علاقات الصداقة بين البلدين.

وفي يونيو 1798 حل بفاس السفير البرتغالي خورخي بيدرو كولاصو J.P. Colaço وحصل على موافقة مولاي سليمان على إقرار المعاهدة المغربية البرتغالية المبرمة سنة 1773 بمقتضى الظهير الصادر يوم 8 محرم 1213 / 22 يونيو 1798.

وفي أكتوبر 1807 تحالفت إسبانيا وفرنسا ضد البرتغال واتفقتا على توزيع المستعمرات البرتغالية فيما بينهما، وقامت القوات الفرنسية باحتلال معظم التراب البرتغالي، الأمر الذي جعل العائلة البرتغالية المالكة تغادر بلادها وتتوجه إلى البرازيل في الشهر التالي.

سارع المولى سليمان حينئذ بتوجيه رسالة مؤرخة في 26 فبراير 1808 إلى الوصي على العرش البرتغالي الأمير دون خوان D. Juan يواسيه فيما أصاب البرتغال من غزو واحتلال. وقبل طلب المجلس الأعلى للمقاومة لغرب البرتغال قرضاً بمبلغ مائة ألف ريال ثقيل Peros duros لولا تدخل القنصل الفرنسي بطلب من الامبراطور نابوليون. ثم كانت محاولة برتغالية ثانية لاقتراض مائتي ألف ريال ثقيل.

وفي 17 ربيع الثاني 1238 / فاتح يناير 1823 أصدر السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام ظهيراً يقضي بتجديد المعاهدة المغربية البرتغالية ليوم 27 نوفمبر 1773.

ثم نفتقد الوثائق الخاصة بالعلاقات المغربية البرتغالية في عهد الملك بيدرو الرابع Pedro IV والملكة ماريا گلوريا الثانية Maria Gloria II وابنها الملك بيدرو الخامس Pedro V (1826 - 1861).

وقد سلم الملك البرتغالي لويس الأول Louis I إلى سيدي محمد بن عبد الرحمان وسام گران كروث ذي لاطوري إلا إسبادا Gran Cruz de la Torre y la Espada (الصليب الأعظم للبرج والسيف) بعد أن عين القنصل العام بطنجة خوسي دانييل كولاصو J.D. Colaço سفيراً مكلفاً بتسليمه إلى العاهل المغربي بمكناس يوم 14 يونيو 1865.

وفي يونيو 1889 استقبل السلطان مولاي الحسن الأول بفاس سفارة بعثها ملك البرتغال لويس الأول برآسة القنصل العام بطنجة كولاصو الذي كان يحمل رسالة من عاهله أجاب عنها السلطان برسالة مؤرخة في 16 شوال 1306 / 15 يونيو 1889 وقد ألف السفير المذكور في هذه السفارة رحلة سماها *فاتح Fatah* وطبعت بلشبونة سنة 1902 ثم ترجمت إلى الإسبانية سنة 1914.

وعندما اعتلى عرش البرتغال الملك كارلوس الأول بعث السلطان مولاي الحسن لتهنئته في ديسمبر 1889 سفارة تتكون من القائد محمد بن أحمد الموذن والأمين محمد بن عبد الرحمن بريشة والكاتب العربي المنيعي. ومن المعلوم أن البرتغال كانت من الدول التي شاركت في مؤتمر الجزيرة الخضراء ووقعت على وثيقة 7 أبريل 1906.

وفي 4 أكتوبر 1910 أطيح بالنظام الملكي بالبرتغال حيث تم خلع الملك مانويل الثاني Manuel II، فكانت الجمهورية البرتغالية من بين الدول الأوربية التي قبلت نظام الحماية المفروض على المغرب، واعترفت بالحماية الفرنسية بجنوب المغرب في 9 مارس 1914. وبالحماية الإسبانية على شمال البلاد في 20 يوليوز 1918 وانضمت البرتغال إلى المعاهدة المبرمة بين فرنسا وإسبانيا وانگلترا بخصوص النظام الدولي بطنجة يوم 18 ديسمبر 1923.

ولما أعلن استقلال المغرب سنة 1956 كانت البرتغال من الدول التي اعترفت بذلك، ووقعت مع المغرب على البروتوكول الخاص بالنظام الموقت لمنطقة طنجة يوم 5 يوليوز 1956، وعلى التصريح النهائي للمؤتمر الذي أقر إنهاء النظام الدولي بالمنطقة المذكورة يوم 24 أكتوبر. وفي 18 ديسمبر من نفس السنة قدم أول سفير للبرتغال بالمغرب المستقل مانويل هوميم ذي ميلو Manuel Homem de Mello أوراق اعتماده إلى الملك محمد الخامس.

محمد ابن عزوز حكيم

البرتغالي، محمد بن محمد الشيخ بن يحيى الوطاسي. ولد بأصيلا حوالي عام 870 / 1465 وأسره البرتغاليون فيها وهو طفل صغير فمكث عندهم سبعة أعوام تعلم أثناءها اللغة البرتغالية وأتقنها ثم افتداه والده بمال كثير، ولذلك دُعي بالبرتغالي.

ولما تُوفي محمد الشيخ الوطاسي عام 910 / 1505 بويع ابنه محمد البرتغالي خلفاً له، فعمل على تمهيد البلاد وتوسيع منطقة نفوذه في الشمال والجنوب. وكان شجاعاً طموحاً دائم الحركة، عمل في بلاطه الحسن الوزان وشهد معه معارك عديدة خاضها ضد البرتغاليين وبعض القبائل المتمردة، وفصّل القول في ذلك في كتابه *وصف افريقيا*.

حاول محمد البرتغالي مراراً أن يثأر من آسريه القدامى ويطردهم من الثغور التي يحتلونها بشمال المغرب. وفي هذا الإطار هاجم أصيلا في المرة الأولى على حين غرة "وحطم قسماً كبيراً من أسوارها ودخلها وأطلق سراح جميع من كان بها من المسلمين" (*وصف*، 1 : 313) لكن البرتغاليين التجؤوا إلى الحصن ومكثوا فيه يومين إلى أن وصلتهم النجدة من طنجة، فاضطر الملك الوطاسي إلى التخلي عنها والرجوع إلى فاس. ثم أعاد محمد البرتغالي الكرة على أصيلا مرتين أو ثلاثاً بدون جدوى، كما هاجم البرتغاليين في مدينة طنجة وبالغ المجهود لاستردادها لكن لم يتمكن من ذلك بسبب التحصينات والدفاع المستميت من طرف المحتلين. وقد تم ذلك فيما بين 914 و921 / 1508 - 1515.

وقد وصف مارمول بدوره هجومات محمد البرتغالي المتكررة على أصيلا وطنجة بكثير من التفصيل.

هذه الحركات الجهادية الطويلة صرفت نظر محمد البرتغالي عما يجري في الجنوب من تواطؤ بين شيوخ

الزوايا والشرفاء السعديين لإقامة دولة جديدة قوية تستطيع أن تعيد للمغرب وحدته وتطرد المحتلين المسيحيين من شواطئه.

لذلك لم تُجد شيئاً الحركة العسكرية الكبرى التي قادها محمد البرتغالي ضد السعديين، ولو أنه حاصروهم مدة طويلة في مدينة مراكش. فقد اضطر في النهاية إلى أن يرفع الحصار بعد أن بلغته أنباء مقلقة عن قيام بني عمه عليه بفاس ونبذهم دعوته. وكانت وفاة محمد البرتغالي بفاس عام 931 / 1524، بعد أن ملك إحدى وعشرين سنة.

ج. الوزان، *وصف افريقيا*، الترجمة العربية، الطبعة الثانية، 1 : 112، 117، 312، 313، 315 ؛ ك. مارمول، *افريقيا*، الترجمة العربية، 2 : 205، 212 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 132 ؛ م. الإفراني، *نزهة*، 20 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 4 : 140، 148.

محمد حجي

بُـرتيل أو بُرطيل، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Purchil. وهو اسم مدينة بناحية غرناطة، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان منذ سنة 1151 / 1769.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البـرج بالمغرب، بناء عال محصن، قد يكون لاحقاً بغيره من البناءات (أسوار، أبواب الاسوار...)، أو منعزلا عنها، ويتخذ أشكالا مختلفة، فنجده مربع الشكل، أو مستطيله، أو دائريا أو متعدد الاضلاع ؛ كما تختلف مادة بنائه فتكون حجراً أو آجراً أو طابية، أو بعض هذه المواد مشتركة. وتدعم بناية البرج كما تدعم الجدران العادية بمواد أخرى أهمها الخشب.

أما اختلاف الشكل والمادة فتُمليه الحاجة من البرج أو طبيعة الموقع، أو العادات المتبعة محلياً في البناء، كما يُمليه هَوى الآمر بالبناء. لكن هذا العنصر الأخير لا يمكن التسليم به إلا في حالة البرج غير الموجه لغرض الدفاع أو الحراسة.

وللبرج في الحضارة الإسلامية تاريخ طويل وحافل، ووجود مستمر اقترن بالفتوحات والتنظيمات الدفاعية التي اعتمدها المسلمون لحماية وحراسة الأراضي والتحكم فيها. على أن البرج ليس وليد حضارتنا، وإنما كان له وجود شائع قبلها سواء في المشرق أو المغرب.

ومن الأنواع السابقة للعهد الإسلامي التي أظهرت الدراسات المهتمة بتاريخ البرج في الإسلام أن المسلمين الأولين، إستقوا منه انجازاتهم الأولى، "البرج ـ الدعامة" (Tours - contreforts)، وكان أصلا مجرد شكل معماري يضفي على ما حوله نوعاً من الجمال، خاصة إذا اصطحب البنايات والقصور الترفيهية.

أما بالمغرب الإسلامي فتُظهر كافة الدراسات أن عنصر البرج يرتبط بسلسلة تطورية لعبت فيها النماذج الرومانية ثم البيزنطية ـ عن طريق البلاد التونسية والأندلسية ـ دوراً كبيراً. ذلك أن النماذج الأولى استقت مادتها من هذه الأخيرة وعززتها بعناصر شرقية خاصة أيام الأغالبة والفاطميين، بالنسبة لشرق المغرب الكبير، وأيام الأمويين بالأندلس بالنسبة لغربه. وبطبيعة الحال، فالانجازات بالمغرب الأقصى تجد نفسها في ارتباط وثيق بالإنجازات الأندلسية بالدرجة الأولى وإن كانت المنشآت المرابطية الأولى، توحي في مادة بنائها (الحجارة) وفي بعض تفاصيلها، بتأثير أفريقي ـ تونسي.

أما الارتباط بالأندلس فنجده في المادة (الطابية) وفي الشكل الذي اتخذته الأبراج : مستطيلة أو مربعة، وبارزة بروزاً واضحاً خارج جدار البناية، ومرتبة ترتيباً منتظماً على طول الجدار، أو على واجهتي الأبواب. وهذا النظام من صنع الموحدين، في المغرب والأندلس، عرفوا كيف يدمجون العناصر في بعضها ويخلقون تقليداً رفعوه إلى مستوى قانون، بقي سائر المفعول بعدهم، ولم تدخل عليه سوى بعض التعديلات الطفيفة إلى حدود ظهور الأسلحة النارية التي أملت مراجعة قواعد التحصينات الدفاعية بما تستدعيه فنون الحرب الجديدة. وفي هذا الباب انساقت الانجازات مع النماذج الأوربية. وقد كانت بعض القلاع من انجاز الأوربيين الذين كانوا في خدمة السلاطين أو محجوزين لديهم.

هذا في ما يخص المنشآت الدفاعية، لكن المغرب غني كذلك بنوع آخر من الأبراج، وهو الذي نجده ملازماً لبعض الضيعات الفلاحية بالبوادي أو لبعض القصور الفخمة في المدن. وكان الغرض الأول من هذه الأبراج هو راحة صاحبها واستمتاعه في أوقات فراغه بجمال الطبيعة واعتدال الجو حوله.

ومن أقدم هذه الأبراج "برج السويحلة" بقرية بليونش على ساحل البحر المتوسط بالقرب من سبتة السليبة ويعود إلى القرن الرابع عشر الميلادي. ويظهر أن قصر البديع بمراكش كان يضم كذلك برجا شامخا كان المنصور السعدي يأخذ منه نظرة على فضاء عاصمته. ومن هذه النماذج كذلك برج قصر الأوداية العلوي بالرباط وهو القصر الذي يأوي الآن مقر المتحف الإتنوغرافي.

أما بجنوب المغرب على طول الواحات والأودية الكبيرة، دادس، وتدغة، وتافيلالت، فنجد سلسلة من الأبراج الطينية أو المبنية بالآجر غير المشوي، يطلق عليها اسم "أگديم" تتوسط الحقول، وتعلو الربوات، وشكلها هرمي. وهذه كانت طبعاً للحراسة لا للاستمتاع.

E.I., 2ème éd., p. 1355 - 1362 ; Ch. de Foucault, *Reconnaissance au Maroc*, Paris, 1888 ; D-J, Meunié, *Architecture et habitat du Dades*, Paris, 1962 ; G. Marçais, *L'architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954.

برج الدار بالرباط، يقع وسط السور المحاذي للشاطئ من جهة الشمال الغربي، مقابل مقبرة العلو التي تفصله عنها اليوم الطريق الشاطئية المؤدية إلى الدار البيضاء.

أغلب الظن أن باني برج الدار هو السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757-1790) وأنه شيد مكان أسقالة ابن عائشة التي اندثرت. وكان هذا الإنجاز الذي لا يعرف بالتحديد سبب تسميته ببرج الدار، أحد ثلاثة عناصر دفاعية هي برج الصراط وأسقالة وبرج الدار، وقد جاء قرار السلطان سيدي محمد الثالث في إطار سياسة دفاعية شاملة مست أهم المدن الشاطئية وذلك للحد من الهجومات الأوربية البحرية على التراب المغربي.

برج الدار : منظر عام قبل الترميم (1981)

وبرج الدار بناية كبيرة يبلغ طولها 71.88 متر وعرضها 15.73م تتكون أساساً من أرضية فسيحة (61.50م x 13.90م) ومن بنايتين.

أما الأرضية فيحدها من جهتي الشمال والجنوب جدار سميك، يختلف سمكه حسب الجهة وأهميتها في مواجهة الهجومات، فمن ناحية البحر، أي في الشمال، يصل عرض الجدار إلى 1.15 م / 1.20 م، وعلوه إلى خمسة أمتار من جهة البحر وإلى معدل 1.89 م من الجهة الداخلية.

وقد فتحت بهذا الجدار أربع عشرة فتحة للمدافع تعلو سطح الأرضية بـ 0.90 م. أما من ناحية البر، أي في الجنوب، فسمك الجدار لا يفوق 0.65 م / 0.70 م، وعلوه 3.35 م من الداخل و2.90 م إلى 3.15 م من الخارج.

أما البنايتان اللتان تحدان الأرضية من الشرق والغرب، فطول الأولى 8.25 م وعرضها 7.35 م، بينما شكل الثانية شكل مربع منحرف غير متساوي الأضلاع، إذ نجد جداره الغربي يمتد على طول 10.39 م وجداره الشرقي لا يتعدى 9.84 م، بينما يبقى عرضه قاراً في حدود 3.10 م.

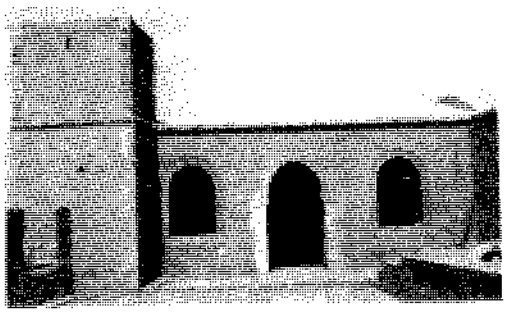

برج الدار : منظر داخلي بعد الترميم (1982)

وفي الزاوية الشمالية ـ الغربية للأرضية، هناك برج صغير ملاصق للبناية الشرقية، مربع القاعدة (2.10م x 2.10م) يصل علوه إلى 6.10 م، ويحتوي على درج داخلي يمكن من الوصول إلى سطح البناية المحاذية وإلى أعلى البرج نفسه. وقد فتحت بجدران هذا الأخير في أعلى نقطة منها، أي مباشرة تحت السقف، نوافذ صغيرة (اثنتان في الشمال، وواحدة في كل من الجدار الجنوبي والجدار الغربي) للحراسة ومراقبة تحركات السفن دون أن يفطن أصحابها بذلك.

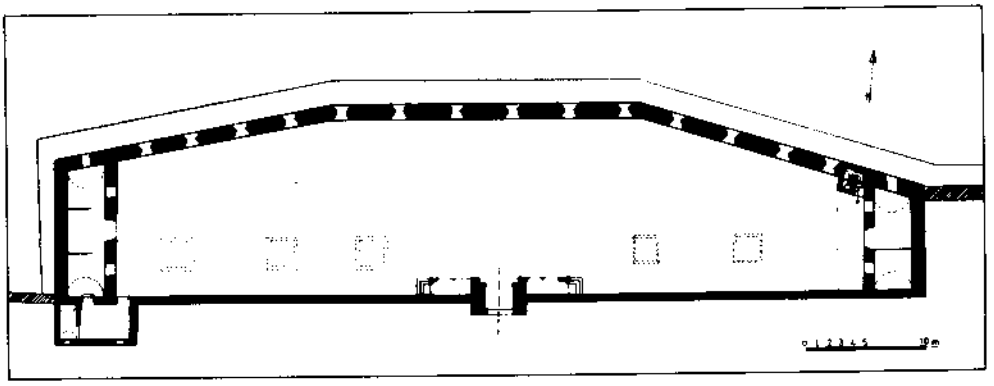

برج الدار: تصميم مسقط حسب كابيه

وبقي أن المادة التي شيدت بها مرافق برج الدار هي الحجارة، وهي نوعان : حجر غير منجور وبه شيدت الجدران، وحجر منجور استعمل في المدخل وفي فتحات المدافع. وقد كانت توجد بأعلى المدخل رصيعة بيضاوية الشكل كتب فيها بخط مغربي ما نصه "الحمد لله وحده، جدد بناء هذا البرج السعيد أمير المومنين سيدنا عبد الرحمان بن هشام تولى الله تأييده سنة 1239 هـ".

وقد أتلفت اليوم تلك الرصيعة واستبدلت بأخرى من نفس الشكل لكنها فارغة من كل نص.

وقد كان برج الدار إلى نهاية السبعينات شبه خراب تام رغم ما سبق أن مسه من ترميم طفيف في عهد الحماية.

برج الدار : المدخل بعد الترميم

لكنه اليوم مرمم بفضل الأعمال التي قامت بها مفتشية المباني التاريخية للرباط. وقد أعيد توظيفه كمقهى يأتيه الناس للاستمتاع بهواء البحر ومنظره.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ص 194 - 195.

L. Brunot, *La mer dans les traditions et les industries indigènes à Rabat et à Salé*, Paris, 1920 ; J. Caillé, *La ville de Rabat jusqu'au Protectorat français*, Paris, 1949.

برج الصراط بالرباط، شيده محمد بن عبد الله، كما يفيد ذلك التاريخ المنقوش بأعلى المدخل : 1189 / 1775 - 1776. ويستفاد من بعض النصوص كذلك أن القيِّم على بنائه كان رجلا يدعى أحمد الانجليزي.

يقع هذا البرج على الشاطئ الأطلنتي في الزاوية الشمالية الغربية للسور الموحدي، حيث يلتصق به من الغرب ويبرز عنه بحوالي 48 متراً من الشمال. وحسب بعض الوثائق والرسوم البيانية التي اعتمدها جاك كايي J. Caillé في دراسته عن مدينة الرباط، يظهر أنه كان بالموقع قبل هذا البرج بناء محصن مصحوب ببرج. فتكون بناية القرن الثامن عشر امتداداً وتجديداً لهذا الحصن وذلك في إطار الأشغال التحصينية التي قام بها هذا السلطان في عدة مواقع ساحلية من البلاد.

وبرج الصراط في حالته الأخيرة هذه، بناء ضخم مكون من أرضية مسطحة فسيحة ومن برج نصب في الركن الجنوبي الغربي، ومن قاعتين محاذيتين لهذا الأخير. أما الأرضية فيشكل تصميمها شبه منحرف يصل ضلعه الشمالي إلى 46.65 م وضلعه الجنوبي إلى 70.60 م، بينما لا يتعدى كل من ضلعه الشرقي والغربي 23 متراً. أما البرج الجنوبي الغربي فسداسي التصميم جدرانه من حجر وعلوه 4.75 م ويتوفر على قاعة وحيدة مغطاة بسقف نصف دائري بُني بالآجر. وكان هذا البرج عنصر مراقبة هام يتتبع منه الحراس كل حركة بحرية باتصال مع برج الدار القريب. وقد كان هؤلاء الحراس يستريحون بالقاعتين الصغيرتين المحاذيتين للبرج السداسي.

أما البناء نفسه فأساسه الحجارة : منجورة وذات حجم كبير على طول السور المواجه للبحر، وغير منجورة وذات حجم متوسط في السور المقابل للداخل. على أن الحجر المنجور يوجد كذلك بهذا الأخير في أعلى نقطة منه وعلى طوله، حيث يُكون متْراساً (Parapet) ببروز طفيف على الواجهتين وبانحدار واضح من الجهة الخارجية.

من جهة البحر وعلى طول الجدار الذي يعلو الأرضية، فُتحت عشرون فتحة للمدافع : خمس في الجدار الشرقي، وثلاث في الجدار الغربي، واثنتا عشرة بالشمال. ومما يسترعي الانتباه أن الفتحة الوسطى في الجدار الغربي متسعة أكثر من غيرها إذ تصل إلى 4.60 متر وذلك لاستقبال مدفع عظيم، محمول على قاعدة متحركة، ومجهز بعجلات تتحرك في حركة نصف دائرية داخل ممر جوانبه من خشب. ويحمل هذا المدفع تاريخ 1215 / 1800، وهو ما يفسر أن الفتحة العظيمة هذه ليست أصلية وإنما أقيمت في مستهل القرن الماضي للغرض المشار إليه.

هذا، ومع دخول الحماية إلى المغرب وتثبيت استقرارها به، نصب على أرضية برج الصراط المنار البحري الذي تهتدي بنوره السفن ليلا، وهو المنار الوحيد بالرباط. ولايزال بهذا الموقع إلى اليوم.

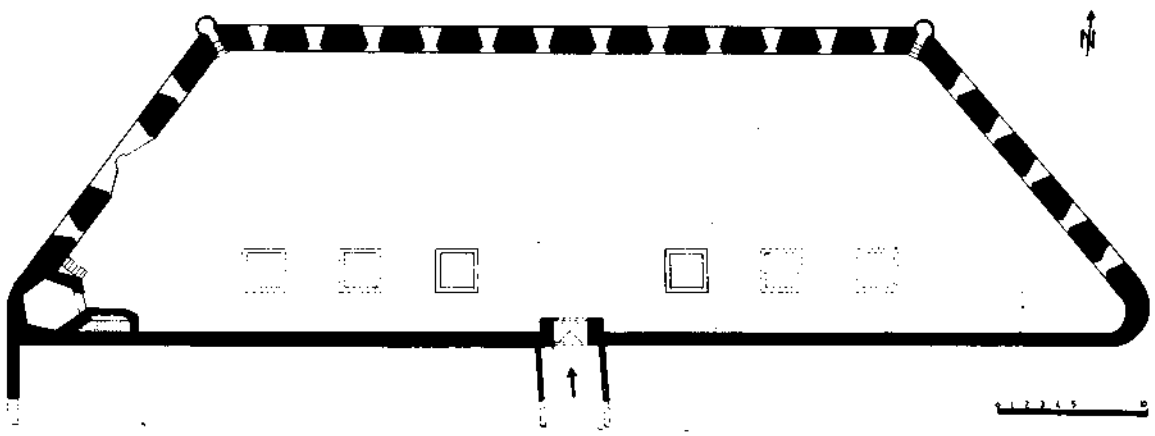

تصميم برج الصراط حسب جاك كايي

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*.

G. Lemprière, *Voyage dans l'empire du Maroc et le royaume de Fez pendant les années 1791 et 1792*, Paris, 1801 ; L. Chenier, *Recherches Historiques sur les Maures et histoire de l'empire de Maroc*, Paris, 1887 ; L. Brunot, *La mer dans les traditions et les industries indigènes à Rabat et à Salé*, Paris, 1920 ; J. Caillé, *La ville de Rabat des origines à 1912*, Paris, 1949.

عبد العزيز توري

البرج، مكان بفرقة البحراويين من قبيلة أنجرة لم يكن له أية أهمية إلى أن أحدثت منطقة طنجة الدولية وتم اختطاط الحدود الوهمية بينها وبين منطقة الحماية الإسبانية بشمال المغرب، فأصبح المكان المذكور يكوّن نقطة وصل بين المنطقتين حيث تقرر أن تكون بالبرج إدارة للجمرك وشرطة للحدود مزدوجتان، وتم تنفيذ ذلك غداة احتلال البرج من طرف الإسبانيين يوم فاتح ماي 1916، واستمرت الحالة هكذا إلى أن استقل المغرب سنة 1956 حيث عطّل البرج وأصبحت بناياته مهجورة.

J. M. Cordero Torres, *Organizacion de la zona de protectorado español en Marruecos*, Madrid, 1943.

البُرجي، أو **البُورْجي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Borge وهو اسم قرية بمقاطعة مالقة، وكلمة Borge مأخوذة من العربية "برج" واشتهر من بين أفراد هذه الأسرة بتطوان سنة 1156 / 1743 فقيهان هما :

البُرْجي، علي بن قاسم.

البُرْجي، محمد بن أحمد، وقد انقرضت أسرة البرجي بتطوان سنة 1220 / 1805.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 344 - 345 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

البرحلي، أسرة إزناسنية من جماعة أولاد موسى ومحمد من بني منقوش، منهم المجاهد البطل الحاج محمد البرحلي الذي ربط نفسه وولديه بحبل مع شجرة لمقاتلة الفرنسيين المهاجمين لوجدة سنة 1907، فظلوا يقاتلون إلى أن استشهدوا رحمهم الله.

البرحلي، إدريس بن عبد القادر الإزناسني. ولد حوالي 1328 / 1910 وقرأ القرآن ومبادئ العربية والدين بمسجد جماعة "حركات" من بني وريمش الجنوبيين ملحقة تافوغالت على الأستاذ عبد السلام ابن البقال الوريمشي، ثم بمعهد وجدة. كان "متطرفاً في النظافة وتحرّي الكلمة الطيبة لا يستطيع أن يُخرج غيرها من بين شفتيه... وإذا كان جالساً في مجلس وسمع لغواً فارق المجلس. وعلى فتوته كان مطرق الرأس جيئةً وذهاباً إلى الدرس". (*ذكريات*، 166).

انتقل إلى فاس عام 1351 / 1932 لطلب العلم بالقرويين، وسكن بيتاً في المدرسة البوعنانية فبقي هناك أربعة أعوام انتقل بعدها إلى تطوان ليلتحق بالبعثة الطلابية التي كانت ستتوجه إلى القاهرة لكن لم يتيسر له ذلك، فالتحق بالناضور وتزوج هناك، واستقر أخيراً به المقام في فگيگ إماماً وخطيباً بالمسجد الجامع إلى أن توفي بالطاعون المنتشر سنة 1360 / 1941.

قدور الورطاسي، *ذكريات الدراسة في فاس*، 163 - 173.

محمد حجي

البَرَد - بفتح الباء والراء - نوع من التساقطات، وفي اللهجة المغربية الدارجة : التِّبْروري أو التبريرو. ولعل أصل اللفظة الدارجة من البربرية إبرور، أو إبرين. وهو ظاهرة طبيعية معروفة علمياً كسائر التساقطات من مطر وثلج، ومعروف توزيعها الجغرافي ومناطق تساقطها العادي، إلا أن ما نشير إليه هنا هو تكرر الظاهرة عبر تاريخ المغرب ومدى وقعها وتأثيرها على الإنسان، أي أننا نرمي إلى رصد الحالات غير العادية التي أثارت انتباه المؤرخين فسجلوها في حولياتهم.

انفرد صاحب *القرطاس* (99 - 100، 413 - 414) بذكر أحداث البرد مفصلة، ونقلها عنه الناصري في *الاستقصا*. ومما ذكره أن الناس كانوا يهرعون إلى المساجد لقراءة اللطيف والاستغفار ليرفعها الله عنهم لأنها غضب من الله، وقبل أن نستعرض هذا النوع من الكوارث لا بد من الإشارة إلى أن نفس الذهول ونفس الخسائر مازالت تحدثها العواصف البردية اليوم رغم التقدم العلمي والتكنولوجي. فقد جاء في خبر صحفي (*الاتحاد الاشتراكي*، ع 2471، 13 ماي 1990) أن منطقة صفرو "تعرضت لعاصفة رعدية محملة بالبرد الغليظ الذي وصل وزنه ما بين 20 وحوالي 250 گرام واستمرت حوالي دقيقتين" مثل هذا الخبر يذهل العارفين وعامة الناس، وبمقارنته بشهود عيان فإننا نصدق روايات الحوليين التي كان يعتبرها البعض إلى وقت قريب من المبالغات، من هذه الروايات استخرجنا الجدول التالي على سبيل المثال :

الزمن	المكان	تقدير العاصفة	الخسائر
951-50/3399	المغرب (فاس والنواحي)	برد عظيم كبير الحجم زنة الحجر رطل وأكثر	قتل الطير والوحوش والبهائم وطوائف من الناس
954-53/342	المغرب (فاس والنواحي)	برد عظيم كبير الحجم	قتل المواشي وأهلك الثمار
1325-24/724	المغرب (ضواحي فاس)	برد عظيم كبير الحجم نزل منه أمثال الجبال زنة الحجر منه أربع أواقي وأقل وأكثر	أتت منه سيول طاغية حملت الدواب والمواشي والدواوير....

وللمقارنة فالخسائر التي أحدثتها العواصف البردية في المغرب في ربيع هذه السنة 1990 وبداية الصيف قدرت بملايير السنتيمات وأضعفت الانتاج الفلاحي (*الاتحاد الاشتراكي*، ع 2512، 22 يونيو 1990) وحسب شهود عيان من إقليم الخميسات فإن الخسائر لم تحدث في الأرواح

البشرية لسبب واحد هو أنها (العاصفة البردية) وقعت قبيل المغرب بقليل وقد دخل الناس إلى منازلهم استعداداً لتناول الفطور (إذ الشهر رمضان) مثل هذه المقارنة تجعلنا نقدر الكارثة حق قدرها في تلك القرون. بل إن كثيراً من المجاعات كان من بين أسبابها سقوط البرد. العاصفة البردية من طبيعتها التقطع وعدم تغطية مساحات كبيرة، بل وجدت حقول متجاورة أصاب بعضها البرد ولم يصب الأخرى، وقد اعتبر ذلك غضباً من الله يصيب به من يشاء من عباده العصاة المذنبين، واعتبر ذلك من كرامات أحد الصالحين (*المنهاج الواضح*، 140) لكن إرّادة الله وحكمته فوق كل شيء، قال تعالى :"ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء..." (سورة *النور*، الآية 42).

أما التقدم العلمي والتكنولوجي الحاصل في ميدان مكافحة الكثير من الظواهر الطبيعية التي تسبب أضراراً فلاحية وغيرها، فإنه يصطدم بعراقيل تعوق تطبيقه، فتبديد السحب المحملة برعدة بردية مثلا يتطلب تقنيات وتكاليف باهظة تفوق أحياناً ما تحدثه الرعدة البردية من خسائر في المحاصيل (*Guide 1978*, 347).

القرآن الكريم ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ أ. الماگري، *المنهاج الواضح* ؛ ابن الحاج النميري، *فيض العباب* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ جريدة *الاتحاد الاشتراكي* 13 ماي و22 يونيو 1990.

Ch. Bois, *Disettes et calamités au Maroc*, in *revue pour l'étude des calamités*, n 26 - 27, Genève, 1949 ; *Guide* 1978 (climat).

محمد حجاج الطويل

بُردَال، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، ومازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Pardal. وهواسم قرية بناحية البسط الإسبانية. وهي غير أسرة بردان الآتية. وقد انقرض آل بُردال بتطوان على إثر الوباء الذي أصاب المدينة سنة 1088 / 1677.

بُرْدَان، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس انقرضت سنة 1153 / 1740.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بردة البوصيري، قصيدة *البردة* في المديح النبوي لمحمد البوصيري (ت. 696 / 1296)، وهو صنهاجي مغربي أصلا، مصري منشأ ومدفنا. اشتهرت بردته "أمن تذكُّر جيران بذي سلم" في أقطار العالم الإسلامي، واكتسبت قداسة خاصة في المغرب الأقصى لما تفيض به أبياتها من محبة وتفان في الجانب النبوي الكريم. وإذا كانت البردة التي كَسَا بها الرسول ـ عليه السلام ـ كعب بن زهير حين مدحه بقصيدته الشهيرة "بانَتْ سعاد" هي المتبادرة إلى الأذهان في أصل تسمية قصيدة البوصيري، فإن صاحب *كشف الظنون* (2 : 1331 . 1332) أورد سبباً آخر لهذه التسمية وروايات في التبرك بها تدخل في باب الكرامات.

وقد اعتاد بعض متصوفة المغرب أن يُنشدوا أبياتاً من *البردة* في حلقات أذكارهم على نغمات نوبات الآلة الإحدى عشرة، وفي ليلة المولد النبوي وسابعه ينشدون *البردة* و*الهمزية* كاملتين، ويمزجونهما بأشعار وموشحات وأزجال ويراول في المديح النبوي لشعراء مغاربة وأندلسيين ومشارقة. وإذا كان تاريخ بداية عادة ختم *البردة* في أعياد المولد النبوي بالأنغام غير محدد فإن من الأكيد أن ذلك كان معروفاً بالمغرب في أواسط القرن الحادي عشر (17 م) خاصة في الزاويتين الدلائية والفاسية. وانتشر ذلك أكثر في القرون التالية مع فروع الزاوية الدرقاوية لاسيما العراقية، وفي زوايا شرفاء وزان.

ولشدة اعتقاد المغاربة في بركة *البردة* يُنشدونها في حفلاتهم الاجتماعية كالزواج والعقيقة والختان، وفي جنائزهم أيضا بعد تلاوة القرآن الكريم .

وقد وضع عدد من علماء المغرب وأدبائه شروحاً مطولة ومختصرة *للبردة*، كما عارضوها وخمسوها. من ذلك :

ـ *شرح البردة*، لسعيد بن سليمان السملالي.

ـ *شرح البردة*، لإسماعيل بن يوسف ابن الاحمر نزيل فاس.

ـ *شرح البردة*، لأحمد بن عبد الله القصار.

ـ *خواص بعض أبيات بردة البوصيري*، لعبد السلام بن إدريس المراكشي.

ـ *تخميس البردة*، لعبد الرحيم ابن يجبش التازي.

ـ *التوشيح بشرح بردة المديح*، لمحمد بن المعطي بن أحمد السرغيني.

ـ *شفاء القلب الجريح، بشرح بردة المديح*، لعبد الواحد ابن عاشر الأنصاري الفاسي.

ـ *شرح بردة البوصيري*، للقاسم بن إبراهيم بن حسين بن علي بن عبد الله الماجري.

ـ *لبس البردة، لمحاذاة البردة*، لعلي بن محمد السملالي.

ـ *الكوكب اللامع الدري، على شرح البردة للأزهري*، حاشية لمحمد بن قاسم القادري، طبعت بفاس.

ـ *الموارد الشهية، في شرح البردة البوصيرية*، لمحمد بن المبارك الهشتوكي في جزئين.

ـ *المنهل الفسيح، على بردة المديح*، لأحمد بن جعفر الكتاني.

ـ *تعليق مليح، على بردة المديح*، لمحمد بن عبد الواحد النظيفي. طبع بفاس.

ـ *الوردة في تخميس البردة*، لأحمد سكيرج.

ـ *نسيم الوردة في تنسيم البردة*، لأبي حامد محمد المكي البطاوري.

ـ *شرح البردة بالأمازيغية*، لعبد الله بن يحيى الحامدي السوسي.

م. البوصيري، *ديوان شعر*، ت. م. سبد كيلاني ؛ ح. خليفة، *كشف الظنون* ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، ج 4.

E.I. 2, 1975 ; R. Basset, *Introduction à la traduction de la Búrda*, 1894.

محمد أديوان

بردة، لباس عربي نال شهرة كبيرة يوم أن جاء كعب بن زهير، الشاعر المخضرم إلى النبي صلى الله عليه وسلم نادماً وتائباً، فأنشده قصيدته المشهورة بانت سعاد، فلما قال فيها :

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

خلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم بردته بعد أن أمنه، ثم اشتراها معاوية من ورثته، وظلت عند الأمويين إلى أن أخذها منهم العباسيون فصارت متوارثة عندهم، وأصبحت أهم جزء من لباسهم الرسمي، إذ كانوا يطرفونها على أكتافهم جلوساً وركوباً، وكان الخليفة يضعها على كتفه في اليوم الأول من أيام عيد الفطر. وإلى ذلك أشار الشاعر البحتري في مدح المتوكل عند خروجه لصلاة عيد الفطر :

ووقفت في بُرد النبي مذكّراً بـالله تنذر تارة وتبشـر

وفي *لسان العرب* وصف للبردة، فهي "كساء يلتحف به. وقيل إذا جعل الصوف شقة وله هدب، فهي بردة" ويذكر *القاموس المحيط* أنه ثوب مخطط يلتحف به. وكان شائعاً عند عرب الجزيرة قبيل الإسلام وينسج في اليمن، ويباع في كل الجهات من الجزيرة. وقد اشتهرت برود اليمن بجودتها.

وإذا علمنا أن عدداً كثيراً من اليمنيين جاءوا مع جيوش الفتوح بالمغرب والأندلس، أدركنا أنه من المحتمل جداً أن يكونوا نقلوا معهم صناعتهم وطوروها نظراً لتوفر مادة النسيج من صوف وقطن وكتان وحرير بهاته البلاد. ويؤكد "مورينو" التأثير المشرقي على صناعة النسيج الأندلسي في كتابه *الفن الإسلامي بإسبانيا* جاعلا منها المعبر الأساسي للأسلوب المشرقي نحو أوربا (ص 411) ولحسن الحظ مازالت بقايا من تلك الأقمشة القديمة تساعد على معرفة نوع الملابس وأنسجتها. فمازالت هنالك مطرزات وأقمشة مخططة في بعض الأديرة تحمل اسم الخليفة الأموي هشام المؤيد. وقد أتى عبد الرحمن الداخل من المشرق بمؤسسة دور *الطراز* وهي مناسج تعمل تحت إشراف الدولة لصنع ما يحتاج إليه السلطان وحاشيته من أقمشة.

ونظراً لتأثير الأندلس على المغرب في الفنون الصناعية النفيسة، فقد بقيت لنا في بعض المصادر إشارات إلى بعض الملبوسات المستعملة في المغرب ومنها ما يذكّر بالبردة. فنجد، مثلا، في إحصاء هدية يوسف بن تاشفين إلى أبي بكر بن عمر اللمتوني ذكر ملبوسات من هذا النوع. منها "سبعمائة كساء بيض ومصبوغة" والكساء هو هذا النوع من اللباس الذي كان يلتحف به الفقهاء والوجهاء في الأعياد والمناسبات ومنها "مائتان من البرانس" والبرنس أو السلهام أقصر من الكساء، ويلتحف به أيضا وهو قريب من الوصف الذي بقي لنا عن بردة الخلفاء (*الحلل الموشية*، ص 27).

وابن خلدون الذي عاش مدة في المغرب وعاصر بني مرين في أوج عزهم ذكر في *المقدمة* إتقان المغاربة لصناعة الجلد والنسيج، وخاصة نسيج الصوف. ونجد في الهدية التي وجهها السلطان أبو الحسن المريني ذكراً لبعض الأنسجة التي تذكر بالبردة إذ فيها "من نسج الصوف المحكم ثياباً وأكسية وبرانس وعمائم وأزرا معلمة وغير معلمة ومن نسيج الحرير الفائق المعلم بالذهب ملوناً وغير ملون" (*الاستقصا*، 3 : 128).

وفي عهد السعديين، نجد شهادة مارمول الذي يصف لباس أهل مراكش فيذكر أنهم كانوا يلبسون جبات من الجوخ الملون وسترات قرمزية أو من الحرير الملون. وفي حديثه عن الفاسيين يذكر أنهم يرتدون ملابس مختلفة الألوان من الصوف تصل إلى نصف ساقهم، وفيها أكمام نصفية ضيقة جداً. كما يلبسون "أردية (سلاهم) من صوف أو من حرير وصوف ممتزجين معا" (21 / 175) كما قد يتزين النبلاء منهم بسترات من صوف وأردية قصيرة من صوف ولئن كان مارمول لم يستعمل الألفاظ المغربية الخاصة بالألبسة، فنحن نفهم من وصفه أنه يعني تارة البردة وطوراً البرنس.

ونظراً لاختلاف مناطق المغرب من حيث الطقس، فإن هاته الألبسة تختلف شكلا ونسيجاً تبعا لذلك. ولكن، في كبريات الحواضر والمدن المخزنية، على الخصوص ساد لدى الطبقات العليا في المجتمع نموذج للباس المحترم في الحفلات الرسمية والاستقبالات الملكية، أعني الجلابية والسلهام الأبيضين، ويمكن للفقهاء أن يضيفوا إليهما تلك الشملة الكبيرة المعروفة باسم الكساء التي تكون من نسيج صوفي خفيف.

وهكذا تكون البردة العربية تطورت عند وصولها إلى بلاد الغرب الإسلامي، وأخذت أشكالا محلية خاصة بالمغرب.

أ. القرشي، *جمهرة أشعار العرب*، القاهرة د. ت. 1936 ؛ ابن هشام، *السيرة* ؛ ابن منظور، *لسان العرب* ؛ الفيروزابادي، *القاموس المحيط* ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة*، بيروت 1968 ؛ ك. مارمول، *أفريقيا*، الرباط 1988 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. ج. مورينو، *الفن الإسلامي في إسبانيا*، القاهرة 1968.

محمد زنيبر

البردعي، أسرة فيلالية الأصل من مدينة سجلماسة. انتقل بعض أفرادها إلى فاس وشفشاون وتطوان وسلا والصويرة في تواريخ غير محددة، غير أن آل البردعي التطوانيين كانت لهم سنة 1257 / 1841 دار بحومة الترنكات.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 355 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

البردعي، الزگراگي. اسمه ـ ابن الحاج مبارك البوزفتوني الصويري، فقيه اشتغل في أول أمره بطلب العلم ملازماً مجالس علماء الصويرة، لكنه تصدى بعد ذلك للتجارة والفلاحة "وكان يتعهد كتاب الله قائماً بالصوائر على الزاوية الجزولية التي أسسها والده".

توفي في ثامن رمضان عام 1377 / 8 أبريل 1958 ودفن بالزاوية الجزولية بالصويرة.

م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 166.

البردعي، عبد القادر بن التهامي الفاسي "الفقيه المدرس المشارك له بعض التآليف، طبع واحد منها صغير".

توفي في جمادى الثانية 1358 / يوليوز ـ غشت 1939، ودفن بالقباب قرب روضة الشامين.

ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط، 1358.

البردعي، مبارك (الحاج ـ) بن علال البوزفتوني الصويري تاجر ثري ومحسن صالح. ولي نظاره أحباس مدينة الصويرة أيام حوادث البيعتين للمولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ، وأسس الزاوية الجزولية بحومة آل اجدير في الصويرة.

توفي في سابع رجب عام 1335 / 1916.

م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 154.

البردعي، محمد الأسود، من أهل سجلماسة "كان عبداً صالحاً شديد الخوف من الله تعالى لا تكاد ترقأ له دمعة".

ذكر ابن الزيات في *التشوف* انه سمع محمد بن أبي القاسم يقول: حدّثوا عنه أنه كان إذا جنه الليل تفتح له أبواب المدينة فيخرج إلى المقابر يعتبر فيها. وأنشد في ذلك قصيدة مطلعها:

يا خاطراً بالقبور منطلقا ... لسانُهُ قِفْ وقوفَ معتبرِ

ولم يذكر تاريخ وفاته.

ي. ابن الزيات، *التشوف*، 278.

محمد حجي

بردُلّة، ـ بضم الباء والدال ـ أسرة أندلسية شهيرة بفاس، عرف منها فقهاء وقضاة منذ العصر العلوي الأول. منهم:

بُرْدُلّة، محمد العربي شيخ الجماعة بفاس وقاضيها على عهد المولى إسماعيل (1727.1672). وصفه المترجمون بآخر قضاة العدل بالحضرة الإدريسية. ولد في ثاني جمادي الثانية من عام 1631/1042 بفاس. ويُجمع الذين ترجموا لهذا العالم على طول باعه في جميع العلوم، وهو ما أهله لأن يصبح شيخ الجماعة بفاس «يُرجع إليه في المعضلات ويعتمد على ما يقوله في النوازل والمشكلات». وقد تولى خطة القضاء عدة مرات كما تولى خططاً شرعية أخرى.

إن المعلومات المقتضبة والإشارات القليلة التي نجدها عند أصحاب التراجم لا تفيدنا كثيراً في تتبع حياة هذا العالم أو معرفة نوع العلاقة التي كانت تجمعه بالمخزن الإسماعيلي. إلا أن المؤكد هو أن هذه العلاقة تعرضت لهزات متعددة وربما سادها بعض التوتر في كثير من مراحلها.

ولي محمد العربي بردلة القضاء بفاس لأول مرة في سنة 1678.1677/1088 ثم أُخّر عنه بعد سنتين. إلا أنه رجع إلى خطة القضاء خلال نفس السنة وبقي متقلداً لها إلى حدود سنة 1700.1699/1111. وفي هذه السنة «أنهي للسلطان أمور على سيدي العربي بردلة فأمره أن يغرم أموالاً... ثم تبيّن للسلطان براءته مما نُسب له» فعفا عنه ورده إلى القضاء في سنة 1702.1701/1113. وفي السنة التي تلتها 1702/1114. 1703 عُزل للمرة الثالثة قبل أن يقلد القضاء من جديد في سنة 1705.1704/1116. وبعد ثلاث سنوات عزل عنه للمرة الرابعة والأخيرة، حيث لم يعد إليه بعد ذلك.

فما الذي أوجب عزل محمد العربي بردلة عن القضاء أربع مرات ؟ أكان ذلك بسبب مواقفه من بعض القضايا الشائكة التي كانت مطروحة على الساحة الفاسية مثل مسألة جيش العبيد وتمليك الحراطين للمخزن، وهو أمر نعلم أنه تسبب في توتر العلاقة بين المولى إسماعيل وعلماء فاس ؟ أم كان ذلك بسبب تناقضات المجتمع الفاسي وانعكاس ذلك على أسرة بُردلة، خاصة وأن صاحب *نشر المثاني* يشير إلى أن بردلة كان يحظى بعطف البلديين من أهل فاس، وهم الفئة التي لم يكن السلطان راضياً عنها. ومما يدل على معارضة بردلة لسياسة المخزن الإسماعيلي، ولو في بعض جوانبها على الأقل، ما يذكره القادري من كثرة المراسلات التي كانت بينه وبين السلطان، وهو أمر يذكرنا بعالم آخر هو محمد بن عبدالقادر الفاسي وكان هو الآخر متحفظاً من مسألة تمليك الحراطين. ويظهر من كلام القادري دائماً أن بردلة كان يتهرب من الإجابة عن أسئلة السلطان مشافهة ويفضل أن يجيبه «بالقلم في الأجوبة والرسائل».

ومما يؤكد عدم مسايرة هذا العالم للمخزن في بعض الأمور على الأقل ما وصفه به المترجمون من «عالم عامل» وهو وصف لم يكن يخص به إلا من كان يتمتع بدرجة كبيرة من الاستقلال تجاه السلطة السياسية

لم تكن خطة القضاء هي الخطة الشرعية الوحيدة التي مارسها محمد العربي بردلة، فقد زاول إلى جانب القضاء الإمامة والخطبة بجامع القرويين، كما اشتغل بالتدريس فتتلمذ عليه العديد من العلماء أمثال محمد بن عبد السلام بناني، وعبد المجيد بن علي المنالي، ومحمد المسناوي، ومحمد بن الطيب القادري وغيرهم. وقبل وفاته بخمس سنوات ولي النظر في أحباس فاس فأحسن تدبيرها. والحقيقة أنه كان في جميع ما تقلده من خطط شرعية قدوة في الاستقامة ومثالاً في العفة. ويذكر صاحب *زهر الآس في بيوتات فاس* أنه كان قانعاً بمستفاد فلاحته وأملاكه لا يدخل عليه من بيت المال والأحباس إلا مرتب مسجد القرويين عندما كان إماماً وخطيباً به.

لم يكن محمد العربي بُردلة من المشتغلين كثيراً بالتأليف، وأهم ما وصلنا من انتاجه الأجوبة الفقهية التي جمعها وطبعها بفاس أحمد بن الخياط الزكاري سنة 1344/1925.1926، كما تذكر له المصادر *رسائل* عديدة وجهها إلى المولى إسماعيل في قضايا مختلفة ومن جملتها قضية تمليك الحراطين.

توفي محمد العربي بردلة عن سن عالية تزيد على التسعين سنة، في منتصف رجب من عام 1133/ماي 1721.

ع. الكتاني، *زهر الآس*، مخطوط خ. ع. رقم 12815 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ت. حجي والتوفيق، ح : 3 ؛ *التقاط الدرر*، ت. هاشم العلوي القاسمي.

محمد المنصور

البردوز، محمد بن علي من فقهاء مدينة سلا في القرن الثالث عشر (19 م). ولا يُعرف أحد من أفراد هذه الأسرة بسلا قبل هذا الفقيه ولا بعده، ولعله من الطارئين على المدينة، عُرف كنائب لقاضي العدوتين السيد الهاشمي أطوبي في ولايته الثالثة سنة 1232 / 1816، فكان الفقيه محمد البردوز ينوب عنه في سلا، والفقيه الطيب بسبر ينوب عنه في الرباط. ولم نقف على تاريخ وفاته.

ج. الناصري، *قضاة سلا*، مخطوط خ. ص ؛ م. بوشعراء، *ملحق الإتحاف الوجيز*، 153.

محمد حجي

بَردُوگو، Berdugo أسرة يهودية كثيرة العدد في المغرب وبخاصة في مدينة مكناس، برز منهم في القرون الثلاثة الأخيرة عدد من الربيين والقبالين والمدرسين والمؤلفين، أمثال :

بَردُوگو، بيطاحي مردخاي (1764.1820)، ربي أكبر بمكناس، صاحب كتاب *نوفيت صوفيم* (عسل على الرفوف) وشروح تلموذية عنوانها : *بيتوحي حوتام* (أبواب المختومات)، (طولبدنو، نيرهمغرب، 197).

بَردُوگو، رفائيل ابن مردخاي (1747.1822)، كان هو أيضا ربيا بمكناس. تصدر طليعة الربيين المغاربة في عصره، ألف *ميشپاتيم بشاريم* (القوانين العادلة) في جزئين، طبع الكتاب بكراكوفيا عام 1891، وضمن المؤلف الفتاوي، ثم له : *مي مينحوت* (المياه الهادئة) طبع بالقدس عام 1901 ـ دراسات في التوراة ـ شربيط زاهاب (صولجان الذهب) ـ دراسة عن التلمود ـ توجد بعض مخطوطات المؤلف بخزانة معهد الدراسات اليهودية بنيويورك وكلها تحتوي على شروح ودراسات لنصوص القوانين الدينية *سلحان هاروح* وحول مشباط، وحول الربي شلومو بن اضريت الحبر الأكبر ببرشلونه 1235.1310 وله كذلك مختصر شرح *تقنوت* (في القوانين العرفية المحلية) لربيي قشتالة التي كانت جارية في البداية في أوساط اليهود المغاربة النازحين من إسبانيا، وهي الأعراف التي امتد تطبيقها إلى قطاعات أخرى من الحياة، مثل الذبائح (شخيطة) وكاف زهاب (كف الذهب)... ثم ألف باللهجة المغربية العربية شرحا *للتوراة* يوجد مخطوطا بمعهد بنزوي بالقدس (رقمه م ـ س 1303 و1329)، وصفه حييم الزعفراني في كتابه *البداغوجية اليهودية بأرض الإسلام*، ويتعلق الأمر بتفسير وشرح المفردات المترجمة الصعبة لأسفار التوراة الأربعة والعشرين ولبعض العبر الواردة في التلموذ أو التي يتداولها الربيون مرتبة حسب الترتيب الألفبائي.

Y. M. Tolédano, *Ner Hama Earab*, pp.196-197 ; H. Zafrani, *Pédagogie juive en Terre d'Islam*, 67-69.

بردوگو، شلومو، (1750.1810) ربي بمكناس، له *شروح التوراة* (مخطوط).

Y. M. Tolédano, *Ner Hama Earab*, 198.

بَرْدُوگو، شلومو بن دانيال (1854.1905) ربي وقاض بمكناس، له ديوان شعر عنوانه شيري شلومو (أناشيد سليمان) نشر عام 1950، وعدد من المخطوطات مضمونها تأويلات ذات طابع شرعي وقانوني للتوراة.

Y. M. Tolédano, *La Saga des Familles* ; Y. Benaïm, *Malki Rabbanan* ; A. Laredo, *Les noms des Juifs du Maroc*, 429.

بردوگو، مردخاي، معروف بلقبه هَمَرْبِيسْ ثم مردخاي الصَّديق ـ شقيق يهودا (الربي القاضي بمكناس، ت. حوالي عام 1730) ـ ربي أكبر بمكناس مدة عشرين سنة، توفي عام 1763. ألف كتبا مضمونها فتاوي قضائية وشروح، عنوانها *دُريش طوب* (الخطيب الموفق) و*مِشْلي المليخ* في الأمثال.

Y. M. Tolédano, *Ner Hama Earab*, 152.

بردوگو، موشي، معروف هو أيضا بلقب هَمَشْبير، كان ربياً بمكناس عام 1723 بعدما قضى مدة طويلة في التدريس وتكوين الربيين القضاة، توفي عام 1731، كان محبوبا في الأوساط اليهودية المحلية بما عرف عنه من عدل وإنصاف وتبصر وحكمة، ترك شروحا ودراسات عن التوراة والتلمود عنوانها *روش مشبير*، نشرت في جزئين بمدينة ليفورن عام 1840، ثم له أيضا كتاب عنوانه *كنيف رنانيم* (العصافير المغردة، القدس، 1909) والذي يحتوي على فتاوي شرعية.

Y. M. Tolédano, *Ner Hama Earab*, 147, 148.

بَرْدُوگو، موشي بن يوسف، ربي بمكناس خلال القرن التاسع عشر، ترك مخطوطا يتضمن فتاوي شرعية ومخطوطا آخر في موضوع التوراة والتلمود.

A. Laredo, *Les Noms des Juifs du Maroc*, 429.

بردوگو، ميمون (1770.1824)، ابن رفائيل السابق، ربي وقاض بمكناس لقبه هامبين، ألف فتاوي وشرحا لكتاب والده حول الذبائح الشرعية، وله أيضا سفر بيني ميبن المنشور عام 1951، وشروح لقانون موسى بن ميمون الأندلسي عنوانه *حوش مشباط*.

Y. M. Tolédano, *Ner Hama Earab*, 197 ; *La Saga des Familles*, 119.

بردوگو، يشواع (1953.1878)، ربي أكبر بمكناس ثم رئيس المحكمة العليا اليهودية بالرباط، من عام 1941 إلى عام 1949، وفي هذه الفترة انعقدت تحت رئاسته أولى المجامع الدينية اليهودية بالمغرب كان هدفها وضع مشروع لتحديث القضاء اليهودي. وبعد وفاة يشواع بردوگو، واصلت هذه المجامع لقاءاتها تحت رئاسة خلفه الربي صاؤول داسون.

A. Laredo, *Les Noms des Juifs du Maroc*, 429.

بردوگو، يعقوب (1843.1783) كان ربيا قاضيا بمكناس ألف ديوان شعر عنوانه *قول يعقوب* (صوت يعقوب) ضمنه أناشيد وتراتيل دينية (كيشوت) طبع بلندن عام 1840 وله كذلك عدة مخطوطات تتضمن فتاوي *سفريا دي يعقوب ويغل يعقوب* (تراتيل).

Y. M. Tolédano, *Ner Hama Earab* ; A. Laredo, *Les Noms des Juifs au Maroc*, 428.

بردوگو، يهودا، تم تعيينه ربيا قاضيا بمكناس عام 1730، توفي بين 1740 و1744، مؤلف ميم عمركيم (مياه عميقة) وهو عبارة عن شرح مختصر للتوراة لم يفلح في نشره، ثم له *محان يهودا* (معسكر يهودا) ضمنه نخبة من الخطب الوعظية انتهى من تأليفه عام 1712، ثم مكوي ميم (حوض الماء)، يحتوي على شروح لما يسمى عندهم هفطروت، أي القراءات الدينية الأسبوعية المقتبسة من كتب الأنبياء والملوك وغير ذلك.

M. Tolédano, *Ner Hama Earab*.

بردوگو، يوسف (1855.1802) ربي قاض بمكناس، ألف كتنوت يوسف (قميص يوسف) في ثلاثة أجزاء نشرت بين 1922 و1943، له شرح لموسى بن ميمون عنوانه *الربي موشي بن ميمون*، وله كذلك فتاوي عنوانها *كوتروت يوسف* (تاج عمود يوسف).

ويزيد طوليدنو على ذلك فينسب إلى هذا الربي كتابا آخر حول قواعد اللغة والصرف في العبرية، عنوانه : *سفر هشراشيم* (كتاب الجذور، مخطوط)

Y. M. Tolédano, *Ner Hama Earab* ; A. Laredo, *Les Noms des Juifs du Maroc*.

بَردوگو، يوسف (1968.1899) رئيس الطائفة اليهودية بمكناس من عام 1935 إلى وفاته، كاتب عام لمجلس الجماعات اليهودية بالمغرب من عام 1957 إلى عام 1961. وكان أحد ممثلي اليهود في مجلس شورى الحكومة في عهد نظام الحماية الفرنسية، ثم كان عضوا في الوفد الذي تشكل من يحيى الزگوري (الدارالبيضاء) وعاميل (الرباط) وغيرهما والذي استقبله المغفور له محمد الخامس في الوقت الذي سعت فيه حكومة فيشي الفرنسية إلى فرض نظام خاص على يهود المغرب، وقد أكد الملك الراحل رفضه لقرار فيشي وأكد رعايته وحمايته لليهود المغاربة.

Y. M. Tolédano, *Ner Hama Earab* ; A. Laredo, *Les Noms des Juifs du Maroc*.

سيمون ليفي

بُرديكاريس، يون Perdicaris Ion أمريكي من أصل يوناني تجنس واستوطن مدينة طنجة نحواً من عشرين سنة حتى وقع سنة 1904 هو وصهره كروموبل فارلي C. Varley أسيراً بيد أحمد الريسوني، ولم يفرج عنهما إلا بأداء فدية مالية. كان من الأثرياء الأمريكيين بالمغرب ذا خلطة كبيرة بالمغاربة في الفلاحة وتربية المواشي، من المولعين بالفنون الجميلة، رسم لوحات زيتية بريشته. كما كان حر الفكر، شهماً، سخياً. واشتهر بمناهضته لتعسفات القناصل والأجانب، وألف عن شجاره مع الكولونيل فيلكس ماتيوز F. Mathews القنصل العام الأمريكي بطنجة كتيبا نشر بلندن سنة 1886 بعنوان : *مطالب أمريكية وحماية الأهالي من لدن مستوطن أجنبي*. *Americain Claims and the Protection of Native Subjectes by a Foreign Resident*.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 2 : 470.469.

J.L. Miège, *Le Maroc et L'Europe*, 1 : 153.

مصطفى بوشعراء

بريدل، قرية تقع جنوب غرب مصطاف تافوغالت على السفح الجنوبي من جبل بني إزناسن في قسم قبيلة بني ورِيمَّش. اشتهرت بريدل باحتضانها قصر القائد محمد بن البشير بن مسعود الإزناسني الذي صار فيما بعد عاملا على "عمالة وجدة"، غير أن هذا القصر تعرض للنهب والتدمير بعد أن قبض السلطان مولاي الحسن على القائد المذكور سنة 1876، وشُرِّد أفراد عائلته، فمنهم من نُقل إلى فاس، ومنهم من فرّ إلى غرب الجزائر. وقد عاين أحد الرحالة الجزائريين معالم القصر المذكور في نهاية القرن الماضي، ومازالت بعض آثاره موجودة حتى الآن.

ق. الورطاسي، *بنو إزناسن*. الرباط 1976، ص. 83 ؛ ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي 1873. 1907*، الدار البيضاء 1989.

M. Ben Rahhal, *A Travers les Beni Snassen*, *B.S.G.A.O.*, 1889, pp. 5 - 50 ; L. Voinot, *Oujda et l'Amalat*. Oran, 1912, pp. 214 - 218.

عكاشة برحاب

البُرّ ← القمح

البَرّ، (جزيرة ـ) تعرف بهذا الاسم Isla de Tierra عند الإسبان وهي جزيرة صغيرة مجاورة لجزيرة النكّور، كما تعرف بجزيرة القديس كارلوس Isla de San Carlos في حين أن اسمها الحقيقي هو جزيردة تازروت النكور وتقع على بعد مائتي متر من شاطئ قبيلة بني وريَاغل.

هذه الجزيرة هي إحدى الجزر الثلاث التي تعرف بـ Ad Sex insulas في *دليل المسافر* لأنطونينو Itinerario de Antonino ولم نجد لها ذكراً في المصادر المغربية.

ويزعم الإسبان أنهم احتلوها يوم استيلائهم على جزيرة النكور في 28 غشت 1673.

Blazquez y Delgado, *Estudios geografico-historicos de Marruecos*. Madrid 1613 (*Itinerario de Antonino*) ; A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la zona norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid 1942, p. 48 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, Tetuan 1951, p. 63.

محمد ابن عزوز حكيم

بَرَاَبَعْ، مكان بأرض قبيلة الزيايدة إحدى قبائل الشاوية، على وادي نفيفيخ إلى الجنوب الغربي من مدينة بن سليمان. في هذا المكان جرت معركة شديدة بين جيش الاحتلال الفرنسي ومجاهدي قبائل الشاوية يومي 16 و17 فبراير 1908.

وقد وقعت هذه المعركة في إطار تنفيذ خطة الجنرال داماد، للقضاء على مقاومة قبيلة المذاكرة وأولاد علي. وهكذا قسم القائد الفرنسي قواته إلى ثلاثة طوابير، كلف الطابور الأول بقيادة الكلونيل Taupin أن يهاجم بلاد المذاكرة من الشمال. تحركت قوات هذا الطابور من مدينة برشيد نحو مدينة فضالة (المحدية). ثم اتجهت شرقاً نحو بوزنيقة. ومن بوزنيقة اتجهت نحو الجنوب. كانت هذه القوات تسير في أرض متعرجة تكسوها الغابات، ولما اقتربت من أرض المذاكرة هوجمت في بَرَاَبَح حيث شبت معركة حامية الوطيس، دامت يومين، اضطرت على إثرها القوات الفرنسية إلى الانسحاب نحو مكان انطلاقها، دون أن تحقق أهدافها.

وقد وصف كونجو Conjeaud قتال يوم 17 فبراير، فذكر أن القوات الفرنسية لما أرادت قطع الوادي صباح هذا اليوم هوجمت من طرف "عدو شديد الاندفاع" فكانت المعركة دامية تدافع الجانبان خلالها على مقطع الوادي بحدة، واستخدم السلاح الأبيض عدة مرات مما بيّن عنف الهجوم المغربي.

وبصرف النظر عن خسائر المغاربة الغير المعروفة، فإن الرواية الفرنسية تشير إلى أن جيش الاحتلال الفرنسي فقد ثلاثة وثلاثين رجلا بين قتيل وجريح. من بينهم الضابط بُول بُولهُو Boulhaut الذي أطلق اسمه على مركز بن سليمان في عهد الحماية. وقتل ضابط آخر يدعى أحمد بن محمد (من أصل جزائري أو تونسي).

ع. الخديمي، *حادثة الدار البيضاء*، د. د. ع. 1985.

H. G. Conjeaud, *Histoire militaire de la Chaouia depuis 1894*, Casablanca, (s.d).

علال الخديمي

البرّاح. ـ بفتح الباء وتشديد الراء المفتوحة ـ يستعمل في العربية الدارجة والأمازيغية بنفس اللفظ والمعنى، ويقابله في الفصحى كلمة (المنادي). ويرى دوزي في *تكملة المعاجم العربية* أن براح بوزن فعّال يدل على الحرفة من برح بمعنى أظهر وأعلن، وهو مضمون حرفة البراح.

فالبرّاح في المفهوم الحضاري هو الشخص الذي يتولى مهمة الإعلام، وذلك بإطلاق النداء بأعلى صوته في الأسواق والمواسم وأمام المساجد وساحات المدينة ودروبها، وفي مختلف القرى والمداشر. وكان يعلن ما جدّ من الأحداث العامة منها والمحلية، وما يتخذه المخزن أو مجلس القبيلة أو الهيئة الحضرية من القرارات والمواقف، كما يعلن أحياناً عن حاجات الأسر والأفراد. وكان لإعلان البراح اعتبار خاص : يسري بسرعة فيتناقله الناس ويبلّغ الشاهد الغائب، ويوضع مقتضى كلامه موضع السمع والطاعة والتنفيذ.

ووظيفة البرّاح تعتبر من المظاهر الحضارية العتيقة التي شاعت في مختلف العصور وكانت معروفة في حضارة الشرق وفي البلدان الأوربية. وقد رسخت في البلاد العربية في العصر الجاهلي، فلما جاء الإسلام أقر هذه الظاهرة، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخذ المنادين لإعلان قضايا الوحي، ووردت بشأن الظاهرة أحاديث كثيرة (*الترتيب الإدارية*، ص 290) وقد تواتر بعد ذلك في أعمال الفقهاء والقضاة أن يُطلقوا البراح للنداء بالأحكام الشرعية كما نجد عند الشيخ خليل في قوله :"ونادى بمنع معاملة يتيم وسفيه".

وتأصلت وظيفة البراح في المغرب فاعتبر "البريح" من وسائل الإعلام المعتمدة إلى أوائل القرن الرابع عشر (20 م) حيث بدأت وسائل الإعلام الحديثة تنتشر وتحل تدريجياً محل البرّاح سواء منها المقروءة والمسموعة والمرئية، وكانت المناشير والصحف والخطب والمجلات أسبق في الانتشار من الإذاعة والتلفزة.

غير أن هذا لم يمنع من الاحتفاظ بوظيفة البرّاح في بعض المرافق الاجتماعية حتى اليوم، سواء في المدن أو القرى. ومازال البراح يمارس مهمته لكن في أضيق مجال، إذ تنحصر في الإعلان عن بعض الممارسات الفلاحية في العالم القروي، وتشييع جنازة أحد أعيان المدينة أو مسنّيها، وبذلك مايزال منظر البراح وهو ينادي أمام حوانيت التجار والحرفيين في بعض المدن العتيقة مثل الرباط وسلا أمراً مألوفاً.

وإلى جانب البراح يوجد الدلاّل والعلاّم، فوظائف هؤلاء متميزة مختلفة. وقد حدث هذا الخلط فعلاً في الكتابات الأجنبية عن المغرب خصوصاً في عهد الحماية، وهو ما يلاحظ في ترجمة كلمتي البراح والدلال فكلاهما معاً تُرجم بعبارة Crieur. وقد تنبهت بعض الكتابات إلى الفرق بين هاتين الحرفتين، فترجمت كلمة البراح بعبارة Crieur public في حين ترجمت كلمة الدلال بـ Vendeur à la criée وهو الصواب.

أما العلاّم فله مهمة محدودة مثل علاّم الحركة العسكرية الي ينادي في وقت الرحيل ووقت الإقامة، وعلاّم البارود الذي يعطي الإشارة أثناء لعبة الخيل، وعلاّم نوبة الماء الذي ينادي أثناء توزيع حصص مياه السقي التقليدي في بعض القرى، وهناك علاّم النوبة الخاصة بإطعام فقيه المسجد، وعلاّم نوبة رعاية الماشية الجماعية، وعلام إشارات الرقص والغناء.

أما الدلال فله أيضاً مهمة محدودة تنحصر في المجال التجاري، يعلن عن أثمان البضائع بالمزايدة، سواء كان ذلك في حلقة المزاد العلني أو كان متنقلا بين حوانيت التجار بتلك البضائع، ولكل نوع من البضاعة دلال خاص، ويتعدد الدلالون في أسواق الجلد والزربية والخيل والحوطية

والقيصارية، وقد أحصى 66 دلالا في أسواق مكناس وحدها سنة 1924.

وبهذا يتضح أن مهمة البراح كانت أعم وأشمل بحيث تستقطب مختلف المجالات في الحواضر والقرى، ولقد وقع تصنيف وظيفة البراح ضمن الحرف التي يوكل أمرها لنظر المحتسب في النظام المغربي، ففي قوائم إحصاء الحرف في المدن المغربية لسنة 1924 وردت حرفة البراحين لدى محتسبي مدينة سلا ومدينة تازا، ولم يكن عددهم يتجاوز اثنين في كل مدينة، وهذا لا ينفي وجودهم في بقية المدن، ويسري عليهم ما يسري على بقية الحرف الأخرى من ضوابط وشروط.

وكانت مواصفات البراح لا تستلزم خبرة معينة أو سعة من الثقافة، وإنما يشترط أن يكون جهوري الصوت حسن الهندام لبقاً حسن التصرف، يقوم بالإعلان عن الأمور المهمة والمتواضعة على السواء.

وبالنسبة للمصادر التي يتلقى منها البراح الأوامر، فقد كانت متعددة تشمل مختلف أصحاب القرار بما فيهم ممثلو المخزن من عمال وقواد وقضاة وأمناء وشيوخ وأعوان، وكذلك تشمل بعض الأعيان مثل شيوخ الزوايا والفقهاء بشأن استفحال بعض القضايا. وكذلك رؤساء الجماعة لدى القبائل فيما يخص أعراف القبائل وشؤونها الداخلية. وقد يكون المصدر شخصاً عادياً ممن ضاعت منه أشياء ثمينة، غير أن هذه المصادر وقع تقنينها تدريجيا في المغرب منذ عهد الحماية بحيث أصبح المخزن يتحكم في الإعلان بفرض الرخص.

وكانت العادة أن يحضر العدول نداء البراح في الأمور المهمة مثل البيعة والقرارات المخزنية ويسجلوا شهادة خاصة كوثيقة تثبت وقائع ذلك النداء وتاريخه، ونجد ضمن نماذج الوثائق التقليدية التي يستعملها الفقهاء عادة نموذج الإشهاد بالتبريح ومضمنه :"حضر كاتبه عفا الله عنه حيث برّح فلان بن فلان على سطح مسجد كذا أو وسط سوق كذا حتى سمعه القريب والبعيد وقال في تبريحه كذا، وهذا ما حضرناه بتاريخ كذا...". ولدينا شهادات عدلية مختلفة من وثائق القرن الثالث عشر (19 م) تشهد بشيوع هذه الظاهرة، منها شهادات بإعلان المخزن للتغييرات الحاصلة في صرف النقود (*مسألة النقود*، ص 332) وكذلك شهادات أخرى تهم العلاقات القبيلة وغيرها، وتلقّينا إلى جانب هذا بعض الروايات الشفوية تدل على أن البراح كان مصدراً لإنتاج كثير من النكث والأقصوصات المتداولة.

أما مصير هذه الظاهرة اليوم فقد تقرر على يد وسائل الإعلام التي أصبحت وسائل بديلة عن "التبريح" خاصة منها التلفزة والإذاعة والصحف، وأحياناً إذا اقتضى الأمر الاستعجال في شؤون محلية تجهز سيارة "براحة" بمكبرات الصوت وتطوف بأرجاء المدينة لنشر الإعلان المقصود. وبذلك آلت ظاهرة البراح إلى الزوال ولم تبق إلا في نطاق محدود كما ذكرنا. وقد وقفنا على نماذج من متأخري البراحين، أحدهم من مدينة سلا يدعى القائد التهامي كان أصلا من قواد الرحا في الجيش العزيزي، ولظروف لا نعلمها تحول ليقوم بمهمة البراح بسلا إلى أن توفي في أوائل الأربعينات من هذا القرن. والثاني من مدينة إنزگان يدعى مبارك أ'بلخير، (انظر الصورة) كان ما يزال حياً سنة 1990، وقد توقف عن هذه الحرفة في أوائل السبعينات بعد أن قام بالتبريح طوال حياته. يقول عن نفسه أنه في الأصل من عبيد سيدي المدني الماسي حيث كان يسكن بالمرس بقبيلة ماسة قرب ضريح سيدي محمد أ'حمد، وانتقل إلى مدينة إنزگان حيث تولى مهمة البراح فترة من الحماية وفي عهد الاستقلال. ويتحدث عن قواد المدينة أمثال القائد ابن المدني، والقائد أموگاي وغيرهما من قواد عهد الاستقلال، ومن هذه الحرفة كان يستطيع ضمان مورد عيش له ولزوجته وأولاده.

ع. الكتاني، *التراتيب الإدارية*، جزءان ؛ خليل بن إسحاق، *مختصر خليل* ؛ ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر* ؛ مجهول، *الوثائق العدلية المصورة وضواحيها* ؛ *روايات شفوية مع أحد البراحين ومع بعض المسنين*.

Enquête sur les corporations d'artisans et de commerçant au Maroc (1923 - 1924), in *Revue du Monde Musulman*, Tome 58, Paris, 1924 ; R. Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*, Bayrouth, 1981, 2 vol.

عمر أفا

بَرّادة، أسرة أندلسية كبيرة، استقرت عندما انتقلت إلى العدوة المغربية، بفاس وتطوان ومكناس. ومازالت هناك أسر إسبانية تحمل حتى اليوم نفس الاسم Barrada.

وقد انتشرت اليوم هذه الأسرة كثيراً، فلم يعد وجودها قاصراً على المدن الثلاث المذكورة، بل لا تكاد تخلو منها مدينة.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro, *Familias Vademecun* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

برادة الطيب بن الخياط. لا يعرف عنه إلا ما ذكره تلميذه الباحث المحقق التهامي بن المكي ابن رحمون الفاسي (ت 1263 / 1847) في مجموع إجازات أشياخه. ويظن عبد السلام ابن سودة أنه من أهل فاس.

توفي في خامس وعشري رجب عام 1235 / 8 ماي 1820.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1235.

برادة، عبد الجليل بن محمد الفاسي "الفقيه العلامة المحدث الرواية المطلع، له عدة إجازات من عدد من علماء المغرب". انتقل إلى المدينة المنورة وجاور بها مدة طويلة إلى أن أدركته الوفاة بها عام 1325 / 1907.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1325.

برادة، عبد الرحمان الفاسي، صوفي صالح، من أكبر مريدي الشيخ أحمد التجاني. لا تدري القرابة العائلية بينه وبين علي حرازم برادة آتي الترجمة، إلا أنهما كانا معاً من خاصة الشيخ التجاني.

توفي بفاس عام 1234 / 1818 ودفن بروضة الشيخ ابن عمرو داخل باب عجيسة.

ع. ابن سودة، إتحاف، مخطوط، 1234.

برادة، عبد السلام بن الحاج أحمد، صوفي ناسك زاهد، من أسرة ثرية، كان والده يتجر بالسودان ذا ثروة طائلة طالما أغدقها على ولده البكر عبد السلام الذي أراده أن يكون تاجراً مثله، لكن الابن أعرض عن متاع الحياة الدنيا اعراضاً تاماً سواء في حياة والده حيث منحه والده ما عمل به حانوتاً في سوق العطارين بفاس فتخلى عنها لعمه، أو بعد أن توفي والده وتركه مقدماً على إخوته، فأعرض عن الجميع وبقي متجرداً منقطعاً إلى الله تعالى. حلاه صاحب *السلوة* بقوله :"الفقير الأرضى، الخير المترضى، المعرض عن الدنيا وأهلها، الزاهد فيما ينسب إليها، مقدم الطائفة العيساوية".

كان من أصحاب الفقيه الصالح عبد المجيد المنالي الزبادي لا يكاد يفارقه، وحج معه سنة 1158 / 1745، وقال عنه المنالي في رحلته *سلوك الطريق الوارية* :"كان محباً صادقاً ذاكراً قانتاً، صيامه كثير من فطره".

وكان عبد السلام برادة شيخاً مربياً لأصحابه، يرشدهم في سلوك طريق القوم، إلى أن توفي بوباء عام 1164 / 1750، فدفن في حي فندق اليهودي بفاس، وبنيت عليه زاوية يجتمع فيها الذاكرون من فقراء الطريقة العيساوية.

ع. المجيد المنالي، *سلوك الطريق الوارية*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر*، 4 : 93 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1164.

محمد حجي

برادة، عبد القادر بن عمر نشأ في حجر والده المعروف في الوسط التجاري بفاس، ودرس دراسة عصرية في المدارس الابتدائية وثانوية مولاي إدريس، ثم اشتغل مع والده في التجارة. كان من الرعيل الأول في الوطنية، وقد نفته فرنسا على إثر حوادث 1937 إلى طنجة، فاستوطنها وأصبح رئيس الغرفة التجارية بها. ولم ينقطع عن نشاطه الوطني وقد أصبح مجال العمل أمامه فسيحاً نظراً لوضعية طنجة الدولية، فكان بيته ملتقى الوطنيين القادمين من منطقتي الحماية الفرنسية والإسبانية، يساعدهم ويسهل مأمورياتهم مستخدماً في ذلك ذكاءه وماله وجاهه، خدمة للقضية الوطنية المقدسة.

وبعد الاستقلال اختُطف من باب داره مع صهره وحُمل

إلى جنان بريشة بتطوان حيث قضى نحبه رحمه الله تحت التعذيب الوحشي أواخر سنة 1376 / 1956.

وثائق عائلية، ومعلومات شخصية.

حمد معنينو

برادة، علي حرازم بن العربي الفاسي، أكبر خاصة الشيخ أحمد التجاني. كان من كبار العارفين رغم أميته وبلغ الذروة العليا. كان بوجدة عندما لقي سنة 1191 شيخه التجاني الذي كان متوجهاً من تلمسان إلى فاس لزيارة المولى إدريس الأزهر فصحبه إلى الحضرة الفاسية.

وفي عام 1213 شرع في تأليف كتابه *جواهر المعاني وبلوغ الأماني* مع كونه لا يد له في العلوم الرسمية كما يقول أبو المواهب العربي بن السائح العمري الشرقي دفين الرباط في *بغية المستفيد*، وقد ظهرت عليه آثار الفتح فخاض لجج المعارف وتبلورت بعض عناصرها الظاهرة في كتابه المذكور الذي أمره شيخه بجمعه ونظم فرائد فوائده، وترتيب فصوله وتهذيب مسائله وتأسيس قواعده، كما يقول أبو المواهب ابن السائح. ومعظم ما انطوى عليه الكتاب من إملاءات الشيخ سيدي أحمد التجاني حول المفاهيم الصحيحة لآيات قرآنية وأحاديث نبوية وقضايا عم بلواها فانبرى لتحليلها في منهج فذ جدير بكبار الأئمة. وقد عرف علي حرازم كيف يرتب ذلك في قوالب رائعة رغم بضاعته المزجاة في العلم وصناعة التأليف. وهذا ـ كما يقول سيدي العربي بن السائح ـ أدخلُ في الكرامة مما وقع لبعض العارفين الموصوفين بالأمية من تأليف بعض مهرة العلماء في مآثرهم وأذواقهم الوهبية، والإشارة إلى كتاب *الذهب الابريز* الذي جمع فيه العلامة أحمد بن مبارك إملاءات الشيخ عبد العزيز الدباغ.

وقد نسخ كتاب *الجواهر* في حياة الشيخ التجاني الذي "أجازه ي سائر ما فيه وكتب له بخط يده المباركة أوله وآخره بذلك في مسجد الديوان" بفاس وأخذت نسخ كثيرة عن هذا الأصل، وفي خزانتي الخاصة إحدى هذه النسخ مذيلة بامضاء العلامة سيدي العربي بن السائح، ثم طبعت *الجواهر* مراراً. ولعل بعض التحريفات والانحرافات لوحظت في النسخ المطبوعة لا وجود لها في الأصل. وقد أشار العلامة الحاج أحمد سكيرج في كتابه *كشف الحجاب* إلى ما

أثاره صدور هذا الكتاب من إعجاب وتقدير لترتيبه ومحتواه، وحررت حوله تقاريظ نثراً وشعراً.

وما لبث الشيخ علي حرازم أن غادر مدينة فاس متوجهاً نحو الحجاز مصحوباً في رحلته بعبد الوهاب ابن الاحمر الفاسي، ولقي في سفرته هذه شيخ الاسلام سيدي ابراهيم الرياحي بتونس الذي نظم في سيدي علي حرازم قصيدة من أربعة وثلاثين بيتا طرزها ببعض شمائله مطلعها :

كرم الزمان ولم يكن بكريم ... وصفا فكان على الصفاء نديمي

إلى أن قال :

وأجلها نظري إلى ابن حرازم ... وتمتعي من خلقه بنسيم

وتعرفي من عرفه بعوارف ... ومعارف ولطائف وفهوم

توفي الشيخ علي حرازم برادة بالحجاز عام 1214 / 1799.

ع. ابن السائح، *بغية المستفيد* ؛ أ. سكيرج، *كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب*.

عبد العزيز بنعبد الله

برادة، عمر بن إدريس الفاسي أقام مدة طويلة بإشبيلية حتى تجنس وتزوج من إسبانية أنجبت له أولاداً سماهم بأسماء مسيحية : خوليو الذي كان طبيباً بتطوان، وسالْبَادُور الذي هاجر إلى البرازيل، وألفونصو. ثم استوطن فاساً في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وأصبح يمثل إسبانيا بهذه المدينة.

كان مثقفاً حاد الذكاء حسن المعاشرة إلا أنه كانت له بعض الخلافات مع السلطات المحلية، ومع ذلك كانت تطلب مساعدته عندما يحل بالمدينة أجانب ليترجم عنهم لمعرفته بعض اللغات. وكانت له خلطة مع الإسبانيين والألمانيين وغيرهم. ولما صدرت جريدة "*المغرب*" بطنجة سنة 1889 كان مراسلا لها.

مصطفى بوشعراء

برَادَة، محمد بن **أحمد** بن المفضل، ولد بمكناس سنة 1900. وفيها تلقى دراسته بمختلف مراحلها وفنونها سواء الدراسات الإسلامية أو اللغة العربية وآدابها. عُرف بتضلعه في الفقه والنحو والأدب، وكانت له ذاكرة قوية للحفظ، وبراعة فائقة في إنشاد القصائد الشعرية الوطنية بطريقة حماسية على النهج المصري وبصوت جهوري، فكان يلهب حماس المكناسيين، وزاد من تأثيره على الجماهير نظراته أثناء إلقاء خطبه وقصائده، فكان في هذه الظاهرة وحيد عصره، علما أنه لم يرحل إلى الشرق، ولم يشاهد سوى بعض التمثيليات المشرقية التي قدمت في مكناس، كما كان اتصاله بالمشرق العربي عن طريق المجلات والجرائد التي كانت تصل آنذاك إلى مدينة مكناس بطرق متعددة، فأكسبه هذا الاطلاع الواسع ثقافة سياسية جعلته يحلل الأوضاع المحلية والعالمية بدقة، غالبا ما يحالفه الصواب في تحاليله، وبهذا الكم المعروف المعتبر استحق محمد برادة لقب أستاذ جيله في مكناس.

كانت دروس برادة على دسامتها وعمقها تتخللها النكتة فتضفي عليها بعض المرح، وما أحوج الطلاب إليه أحياناً، وكأنه بذلك أستاذ تربية وعلم نفس. وأديب موهوب وعالم مقتدر. كان يعطي دروسه بانتظام بمسجد الأنوار بسوق السباط وبجامع النجارين الذي درّس فيه *الكامل* للمبرد.

امتازت مواقفه الوطنية بالوضوح وعدم الخوف من خصوصه السياسيين، كما أنه لم يكترث لانتقادات فقهاء عصره ولم يتردد ـ عن اقتناع ـ في الانضمام إلى الحركة القومية في مستهل سنة 1937 بعدما كان عضواً نشيطاً في فرع كتلة العمل الوطني بمكناس قبل حلها. كما أنه ساهم مساهمة فعالة في الإعداد لأحداث بوفكران بمكناس، فألقي عليه القبض في فجر ثاني شتنبر 1937 وسبق إلى محكمة الباشا أحمد السعيدي الذي حكم عليه ـ صحبة أربعة وطنيين آخرين ـ بثلاثة أشهر سجناً نافذة، قضاها رُفقة إخوانه الوطنيين في سجن سيدي سعيد بمكناس.

بعد خروج محمد برادة من السجن واصل عمله التدريسي ونشاطه السياسي دون ملل أو كلل، إلى أن كانت سنة 1944 سنة تقديم أعضاء الحركة الوطنية لوثيقتي المطالبة بالاستقلال للسلطات الفرنسية، فكان من بين الموقعين على عريضة الحركة القومية، كما تحمل مسؤولية الكتابة العامة للحركة القومية بمكناس، التي صارت تعرف بحزب الشورى والاستقلال منذ 1946، وبقي يزاول مهامه السياسية إلى سنة 1947.

إن ثقافة الفقيه برادة الواسعة والمتنوعة وذكاءه الوقاد جعلا تصرفاته سابقة لعصره حيث كان يطلق العنان لحريته الشخصية في وقت كان يعتبر فيه هذا التصرف من أكبر الكبائر في نظر فقهاء عصره. فيدخن جهاراً، ولا يتزيى بزي "العلماء" إلا قليلا ليحظى بالوقار على حدّ فهم العامة والخاصة من المكناسيين، ولا يتحفظ في مجالسة الذين لا يشاكلون مقامه العلمي، وينتقد جهاراً التزمت والجمود في أشياء سبق بها عصره، هذه التصرفات جلبت عليه كثيرا من المشاكل داخل مجتمع من سماته الأساسية الحفاظ على كل ما هو عتيق، والرجوع إلى التراث وما خلفه السلف الصالح واتخاذه قدوة ونموذجا للتغلب على مشاكل العصر، فصار محمد برادة وسط هذا التزمت والجمود نشازاً. فكان ذلك سبب نكد عيشه وسد أبواب الرزق في وجهه، فزاد فقره، وعسرت حاله لدرجة أنه لم يكن يجد ما يسد به رمقه. وللخروج من هذه الضائقة، طلب العدالة ـ بتدخل المؤرخ عبد الرحمان ابن زيدان ـ وطلب كتابة المعهد الإسلامي، فرفضت طلباته، لأن خصومه السياسيين كانوا له بالمرصاد، فزادت فاقته وحرمانه، مما اضطره إبان الأزمة المغربية سنة 1953 إلى قبول إدارة المعهد السالف الذكر، فسبب له ذلك عدة مشاكل، فقد وزع طلاب المعهد منشوراً يندد فيه بمديرهم، مما جعل أعداءه الحزبيين والدينيين يتهمونه بالخيانة والزندقة وارتباطه بالفرنسيين، وهي تهم

مبالغ فيها، فأثر كل هذا في نفسه ولم يجد سنداً يتكئ عليه في بداية حصول المغرب على الاستقلال، خاصة وأن هذه الفترة امتازت بتصفية الحسابات الشخصية تحت رداء وطني، ذهب ضحيتها العديد من الوطنيين والمقاومين الذين تم اغتيالهم أوتعذيبهم في ظروف غامضة أو أرغم بعضهم على الابتعاد عن الحقل السياسي لما أصبح يتميز به من تعفن، وكثرة الدسائس والكمائن، في وقت كان من المنتظر أن يشهد المغرب المستقل مزيداً من الوعي لأطره السياسية لمواجهة مخلفات الاستعمار. وكان محمد برادة أحد ضحايا تلك الفترة المتوترة حزبيا، فمرض مرضا عضالا لم ينفع معه علاج، بعدما تضاعف ندمه وإحساسه بالغربة لما تبرأ منه أغلب أصدقائه وكل خصومه، في وقت لم ينفع فيه ندم، وتعاظم لديه تأنيب الضمير، فسقط طريح الفراش من شدة الألم والسقم إلى أن توفي يوم السبت 9 شوال 1378 / 18 أبريل 1959 ودفن بمقبرة سيدي عمرو بوعوادة في حي حمام الحرة بمكناس.

ب. بوعسرية، *أحداث بوفكران*، الرباط 1990.

بوشتى بوعسرية

برادة، محمد بن **الطيب** كان وكيلا مغربيا بمصر. وتوفي قبل غشت 1845.

برادة، محمد بن **عبد السلام** استوطن مدينة إشبيلية مدة طويلة ثم عاد إلى تطوان سنة 1884 واستقر بها.

برادة، محمد بن **العربي** أمين بمختلف المراسي ومنها الجديدة التي أصبح عاملا لها، وبها توفي سنة 1894.

وهناك شخص آخر يحمل نفس الاسم :

برادة، محمد بن العربي، تاجر له شركاء في هامبورغ وإفريقيا الشمالية والشرق الأوسط والسينغال ومصر في مطلع القرن العشرين.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 1 : 78، 103، 107، 316 ؛ 3 : 673، 1164 ؛ 4 : 1553 ؛ *الوثائق المغربية*.

مصطفى بوشعراء

برادة، محمد بن محمد (الحاج ـ) الفاسي. «كان يدرس بالقرويين الفقه والنحو وغيرهما، أخذ عن الفقيه العلامة سيدي عبد الله بن إدريس البكراوي (البدراوي) وغيره» (*سلوة*).

توفي بفاس بعد زوال يوم الأربعاء ثامن ربيع الأول عام 1306 / 12 نونبر 1888، ودفن بروضة الشيخ علي المصالي داخل باب الجيسة.

م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 326 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1306.

محمد حجي

بَرّادُو، أسرة رباطية أصلها من الأندلس قطنوا في درب مولاي عبد الله بحي العلو وظلوا يسكنون فيه، ويُصهرون بصفة خاصة إلى الأسر الأندلسية العريقة من أمثال بلامينو، وملين، ورديـاس، وبرقوق. وكانت لهم جميعاً وجاهة وثروة وحظوة لدى الحاكمين، وعرف منهم تجار وصناع وأساتذة ومدررون.

بَرّادُو، إدريس (الحاج ـ) من حفاظ القرآن الكريم المجودين، اشتغل بتعليم الأطفال كتاب الله في مسجد الحرارين مدة، ثم انتقل إلى كتّاب فوق جامع النخلة بحي بوقرون بعد وفاة صاحبه الشيخ بوشعيب ابن يعگوب، فحلّ محله في التعليم بالكتّاب وإمامة الصلاة في مسجد ضريح سيدي يحيى الإفراني بحي بوقرون كذلك. كما كان إدريس

برادو من بين حفظة القرآن الذين يُصلون التراويح بالسلطان مولاي يوسف ثم محمد الخامس. وبعد الاستقلال شارك في حملة محاربة الأمية بإعطاء دروس ليلية للعوام.

توفي بالرباط في 4 جمادى الثانية عام 1379 / 5 دجنبر 1959.

بَرّادُو، محمد (الحاج ـ) فقيه أستاذ حيسوبي اشتغل مدة طويلة مع آل برق الليل الذين كانت لهم تجارة واسعة في الرباط تمتد إلى مختلف مدن الجنوب. ولما نقلوا مركز تجارتهم إلى الجديدة انتقل معهم الحاج محمد برادو فحمدت سيرته وأمانته. ثم رجع إلى مسقط رأسه الرباط واشتغل ـ كأخيه إدريس ـ بتعليم كتاب الله تعالى بكتّاب الزاوية الناصرية، وإمامة الصلاة بمسجد ضريح للأ البيضاء المقابل لكتّابه.

وبعد الاستقلال توجه للحج فأدركته الوفاة بالطائرة حوالي سنة 1378 / 1958 وحمل إلى الرباط حيث أقبر.

تقاييد ومعلومات شخصية ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 2 : 435، 436.

محمد الأمين بلكناوي

بـرّاز بن **محمد** المسوفي أبو إسحاق، من أبرز الشخصيات التي كان لها دور سواء في عهد الدولة المرابطية أو الدولة الموحدية. ليس لنا علم بتاريخ ولادته. ولكننا نفترض أنه ولد في أواخر القرن الخامس أي أنه من أقران علي بن يوسف، نظرا لارتباطه به أولا برابطة الوفاء، ولكونه عند وفاة هذا الأخير سنة 537، كان يعد من أشياخ مسوفة وزعمائها ومن القواد الذين يعتمد عليهم الجيش

المرابطي، وتلك صفات لا يتقلدها إلا من بلغ سنا يدل على معرفة وتجربة وأدرك جاها وحرمة. فيكون سنه آنذاك بين الخمسين والستين.

وقد سكتت المصادر عن الفترة الأولى من حياته إلى أن برز الخلاف داخل صفوف المرابطين وتمثل في النزاع والتقاطع بين قبيلتي لمتونة ومسوفة في سنة 537. ومن المعلوم أن مسوفة هي إحدى القبائل الكبرى في صنهاجة اللثام، مؤسسي الدولة المرابطية. ويذكر ابن خلدون عنهم أنهم كان لهم في دولة المرابطين "حظ من الرآسة والظهوز".

وكان علي بن يوسف مثل أبيه ضامناً للتفاهم والوئام بين قبائل صنهاجة، بشخصيته والاحترام الذي كان يفرضه على الجميع. إلا أن المشاكل العويصة التي دخلت فيها الدولة المرابطية في المغرب والأندلس في العقد الأخير من حكمها زعزع هيبة الدولة فبرزت الإحن الدفينة والمؤاخذات المخبوءة والمنافسات المستبعدة. وعند وفاة علي بن يوسف انفجر الخلاف على أشده، وافتقدت مسوفة حاميها وضامن أمنها فخاف زعماؤها على أنفسهم. وكان من بينهم يحيى بن تاكغت ويحيى بن إسحاق المعروف بأنجمار، والي تلمسان وبراز بن محمد وعدد كثير من أبناء قبيلتهم. ونتج عن ذلك، حسب ابن عذاري، أن "زاد الخلل في أمر تاشفين، وفسدت نيات اللمتونيين لقبيل مسوفة، وترقبوا لهم الوقائع المخوفة، وتباغضوا بغضا، وقتل بعضهم بعضاً" (*البيان*، قسم الموحدين، ص 17).

وهكذا، انفصمت العصبية الصنهاجية التي قامت عليها الدولة المرابطية وانحاز زعماء مسوفة إلى معسكر الموحدين هم وطائفة كبيرة من قبيلهم، وكان ذلك من العوامل التي ساهمت في ترجيح كفة الموحدين وتدهور المرابطين، وربما يعرض هنا للمؤرخ تساؤل : ألم يكن لعبد المومن دور في إثارة النزاع بين القبيلتين ؟ ألم يكن له اتصال سري مع زعماء مسوفة وإغراء لهم ؟ لسنا نستطيع الجواب على هذا السؤال لأن المصادر ترجح أن الخلاف نشأ عن صراع داخلي بين صنهاجة اللثام. لكن المصادر ربما اكتفت بتسجيل الروايات المعلنة، دون أن تكلف نفسها عناء التحقيق في الموضوع.

ومهما يكن، فنحن لا نستبعد أن يكون عبد المومن بما عرف عنه من دهاء، كان عالما بتفاقم الخلاف بين القبيلتين، فصب الزيت في النار، ومنّى زعماء مسوفة بالوعود وفتح لهم الباب، وهكذا استطاع أن ينفذ من الداخل إلى عصبية صنهاجة ويهدّ ركناً من قوة المرابطين.

والذي يقوي في نظرنا حظوظ مثل هذا التفسير هو أن عبد المومن لم يكتف بحدوث الخلاف في صفوف المرابطين بل إنه كافأ زعماء مسوفة مثل يحيى أنجمار وبراز بن محمد. فعيّن هذا الأخير قائدا على أول جيش موحدي بعث به إلى الأندلس، بعد قدوم ابن قسي، أحد رؤساء الثوار الأندلسيين على المرابطين سنة 541 على عبد المومن، والحاحه عليه بالتدخل في الأندلس لتلافي أحوالها. وأصبح براز يحمل لقب الشيخ أبي إسحاق براز بن محمد المسوفي. ولقب الشيخ لم يحمله إلا أعيان الموحدين ونخبة رجالهم مثل أبي حفص الهنتاتي. وكان لعبد المومن حسابه السياسي في هذا التعيين. ذلك أن براز بوصفه من رجال المرابطين سابقاً، كان أحسن المرشحين لتولي هذا المنصب في المرحلة الأولى من دخول الموحدين إلى الأندلس. فبالإضافة إلى كفاءته كقائد عسكري، كان أعرف برجال المرابطين الذين مازالوا متولين بالأندلس، فكان في مستطاعه فتح الحوار معهم واجتذابهم بالأسلوب السياسي إلى جانب الموحدين، وتوفير عدد من الجهود العسكرية التي تكلف ثمناً غالياً.

وظهرت، في الحين، مقدرة براز كقائد عسكري ورجل سياسي. فتقدم أولا إلى مدينة شريش التي كانت على الولاء للموحدين، ومن هنالك تحرك بقواته نحو لبلة بعد اجتياز الوادي الكبير، فإلى مرتله الموالية، فإلى شلب التي اضطروا إلى فتحها، فإلى باجة حيث أعلن سدراي بن وزير طاعته للموحدين وأدخلهم إلى المدينة. وبالجملة، فقد حصلت هاته الحملة العسكرية الأولى التي قادها براز بن محمد على دخول "جميع أهل الغرب والجوف من الأندلس" في طاعة الموحدين.

واضطر براز للتوقف عن العمليات في إبان الشتاء. وما أن تحسنت الأحوال الجوية حتى استأنفها بدعوة زعماء الثوار بالأندلس وجنودهم إلى الانضمام إليه بقصد افتتاح اشبيلية التي كانت ما تزال بيد لمتونة. وتم فتحها يوم 12 شعبان سنة 541. وجلا عنها اللمتونيون. ومما قاله ابن صاحب الصلاة عن دور براز :"وملك الموحدون المدينة وقصبتها التي كانت قصر ابن عباد، وكان شيخ الموحدين الذي يرجعون إليه أبا إسحاق بن محمد المسوفي". (*البيان*، قسم الموحدين، ص 36).

وبعد إتمام هذه العمليات الأولى من إخضاع الأندلس، جاءت مرحلة التفكير في إقامة إدارة إقليمية بالأندلس يكون مركزها هو إشبيلية. وكما كان براز موفقا في أعماله العسكرية. فقد برهن عن كفاءته الإدارية، واكتسب ثقة عبد المومن وتقديره بعد النتائج العسكرية التي توصل إليها في ظرف وجيز، فعينه في تسيير الشؤون الإدارية والمالية كما يفهم من رواية معاصره ابن صاحب الصلاة. فقد وجه عبد المومن إلى أشبيلية الشيخ أبا يحيى بن الجبر "معيناً لمن فيها من الموحدين... واجتمع مع أبي إسحاق براز عن رأي واحد وسعد مساعد، ناظراً في المجابي، شريكاً في التدبير والنظرللموحدين" (*البيان*، ص 36).

لكن أخوي المهدي ابن تومرت عبد العزيز وعيسى جاءا في هاته الأثناء إلى الأندلس وحلا بأشبيلية وصدرت منهما أعمال منكرة أضرت بموقف الموحدين بتلك البلاد وأساءت لسمعتهم لدى سكانها حتى ثاروا على الموحدين وتراجعوا عن ولائهم. مما حدا بعبد المومن تلافيا للأمر إلى توجيه رسالة جامعة لكل البلدان، وبخاصة إلى الأندلس أكد فيها

"قوانين العدل والفضل، والسياسة والرياسة، فكانت حجة بأيدي الناس، ومؤمنة لهم من الباس". كما بادر إلى تعيينات جديدة في أشبيلية، لكنه حافظ على براز بن محمد في منصبه الخطير، منصب "الناظر في المخزن" المكلف بالجبايا والشؤون المالية. ومن ثم نفهم أن كلمة مخزن كانت تعني في الأصل الإدارة المكلفة بالضرائب. فهي التي كانت تشعر الناس بوجود الدولة وسلطتها.

نجح براز في مهمته الجديدة نجاحا باهراً. فيذكر ابن عذاري أنه وجد حالا في غاية من الشدة من كل نوع، فاستطاع أن يعيد السكينة إلى أهلها "بعدله وساس أعاديه بدهائه وعقله"، وأن يفتح أبواب السياسة للوالي الجديد يوسف بن سليمان. وهكذا تولى بنفسه الاتصال بأحد رجال المرابطين الأفذاذ يحيى بن غانية الذي كان متوليا على قرطبة، يحاول الاحتفاظ بما بقي من سلطان المرابطين في تلك البلاد، وهو بين نارين، نارالقشتاليين بقيادة ألفونسو السابع الذي كان يضغط عليه باستمرار، ونار الموحدين الذين جاءوا عازمين على أخذ الأندلس كلها من يد المرابطين. وكان في مستطاعه أن يقاوم ويصمد في مقاومته. لكن براز استطاع في اجتماعه به بإستجة أن يقنعه بضرورة التخلي عن التردد ووضع يده في يد الموحدين والتوصل إلى حل يكون فيه سداد بين الطرفين، فيتنازل عن قرطبة وقرمونة ويستقر في جيان. وهكذا انضم ابن غانية إلى معسكر الموحدين، وتوجه براز بنفسه إلى مراكش ليعلم عبد المومن بالنتائج التي توصل إليها بفضل مساعيه الدبلوماسية، وسر الخليفة الموحدي بذلك ووجه مع براز رسالة ود وعطف إلى ابن غانية زادت في تشجيعه وثباته على موقفه.

وسُقط في يد ألفونسو الذي كان معولا على انحياز ابن غانية إلى جانبه. فهب بجيشه لاحتلال قرطبة. وأمكنه أن يدخل إليها سنة 543 / 1148. إلا أن براز الذي كان واليا على أشبيلية لم يمهله حتى جهز حملة موحدية يقودها قائدان أندلسيان، وتعززت الحملة بورود قوات جديدة من المغرب. وتخوف ألفونسو من الحملة الموحدية فانسحب من قرطبة وأمكن للموحدين أن يستولوا على المدينة في نفس السنة. وكان لبراز في تلك الأثناء دور مهم في عودة زعماء المريدين إلى الولاء للدولة بعد مواقف التمرد التي صدرت منهم وهكذا توجه البعض سنة 544 إلى مراكش للاعلان عن طاعتهم مباشرة لعبد المومن.

واحتفظ براز بسلطته سنوات أخرى من بعد، إذ نجده يساهم في اعتقال يحيى بن يومور الذي صدرت منه أعمال سفك شنيعة في سكان لبلة سنة 549، ويقوم في نفس الوقت بتشقيف أموال تلك المدينة في المخزن. ولما عين عبد الله بن أبي حفص واليا على أشبيلية، كان أول ما اهتم به هو القيام بالجهاد، فاستشار براز في ذلك الشأن وكان ما يزال متوليا على المخزن. فأشار عليه بما يشجعه على المضي في تحقيق نيته.

وفي سنة 555، انتدبه الخليفة عبد المومن ليكون ضمن لجنة تشرف على بناء مدينة سلطانية بجبل الفتح (جبل طارق). وقد وردت الإشارة إلى ذلك في إحدى الرسائل الموحدية التي تتحدث عن "اختطاط مدينة عتيقة مباركة بجبل طارق" ثم تتحدث الرسالة بعد ذلك عن المكلفين بإنجاز المشروع :"واستخرنا الله تعالى ووجهنا الشيخ أبا إسحاق براز بن محمد والحاج يعيش ـ أكرهما الله ـ للاشتغال بذلك على ما وادعناهما عليه وذاكرناهما به في كيفية الاشتغال، وصورة الاعتمال" (*رسائل موحدية*، ص 97) ثم تذكر الرسالة، في الأخير، أفراد اللجنة المكلفين بالسهر على إنجاز المشروع. وقد شيدت بالفعل تلك المدينة وفق الطموح الذي كان للموحدين.

وقرر عبد المومن في آخر حياته أن يحول عاصمة الأندلس من أشبيلية إلى قرطبة، كما كانت في عهد الأمويين. وكان براز هو الذي تولى الإشراف على هذا الانتقال الذي لم يكن يخلو من صعوبات ومشاكل، إذ كان يقتضي نقل الدواوين والأموال وترحيل عدد كثير من الموظفين والكتاب وإيجاد كل التجهيزات الضرورية لذلك. وهكذا "عمرت قرطبة بعد قفرها" كما يقول ابن صاحب الصلاة الذي يؤدي هاته الشهادة المنوهة ببراز، وهو في الأعوام الأخيرة من حياته :

«وأظهر أبو إسحاق عادته في النصح لجميع المخازن، في داخل قرطبة وخارجها وجميع الأقطارالتي للموحدين والمواطن، واستعمل على أشبيلية من أصحابه من وثقه، واختصه وصدقه. ولم يزل في عمله من النصح، وشغله البين الوضوح كالصبح، مدة حياته إلى أن توفي بقرطبة بعد ذلك في عام تسعة وخمسين وخمسمائة من علة النقرس المزمنة به».

يتضح لنا باستعراض حياة براز، أن الرجل قدم خير مثال للموظف السامي، لخادم الدولة المغربية، غير متأثر لا بالعصبية العرقية ولا بالتقلبات السياسية، وإنما همه أن يؤدي مهامه باخلاص وإتقان.

رسائل موحدية، الرباط، 1941 ؛ ع. ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب* (قسم الموحدين) ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

بُرّاس، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Porras. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1733/1145.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

البرّاق، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الحوز المجاورة لتطوان، وكان من بين أفرادها :

البرّاق، أحمد مدفعي كان ينتمي إلى حامية المدينة سنة 1830/1246.

البرّاق، عبدالله بن محمد المنتمي لنفس الحامية سنة 1875/1292.

البرّاق، محمد بن علي الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1732/1144 إلى سنة 1774/1188. وما زالت هذه الأسرة بتطوان.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 170، 297، 8 : 215، 352 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* .

البَرّاني، أسرة كانت بتطوان وانقرضت سنة 1764/1178، وكان من بين أفرادها بنّاء ماهر مشهور اسمه :

البَرّاني، علي بن المهدي وكان حيا سنة 1761/1175.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 32 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 323، 351 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum* .

محمد ابن عزوز حكيم

البرّانية (وزير الشؤون.) ← **الخارجية**

البرّجالي، أسرة سلاوية أصلها من قبيلة أولاد برجال أحد فروع قبيلة بني حسن الهلالية الكبرى المستقرة شمال مدينة سلا، ولعلها من فرع أولاد عامر المهدية. عرف منهم مجاهدون بحريون وغيرهم.

البرّجالي، محمد من رجال البحر المنقطعين للجهاد، ورد اسمه في قائمة الصلة التي وصل بها الحسن الأول هؤلاء البحارة في 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875.

البرّجالي، محمد آخر من حفظة القرآن المشتغلين بالجهاد البحري، ورد اسمه في قائمتي الصلات المخصصة من طرف الحسن الأول إلى الطبجية الواقفين على باب الجهاد بمحروسة سلا، الأولى بتاريخ 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875، والثانية في ثامن وعشري حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894.

البرّجالي، محمد. فقيه كان أمين المستفاد بسلا وتوفي في الأربعينات.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، الوثيقة 84 و170.

Villes et tribus, Rabat et sa région.

محمد حجي

برّجان (ابن.)، أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمان بن محمد بن عبدالرحمان اللخمي. أصله من المغرب. وكان من أبرز رجال التصوف بالأندلس في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، وبالتدقيق في الفترة المعاصرة لنهاية الدولة المرابطية، إذ كانت وفاته، على أرجح الروايات في محرم 536/غشت 1141.

لابن برجان جانبان أساسيان في شخصيته : جانب العالم والمفكر والصوفي، وجانب الرجل العامل، ونستطيع أن نقول، حسب الاصطلاح العصري، المناضل الذي اهتم بشؤون الأندلس وأوضاعها السياسية والاجتماعية في الفترة الأخيرة من حكم المرابطين التي عرفت أزمات ومشاكل مستعصية.

فبالنسبة لتكوينه العلمي، ليست لدينا معلومات دقيقة عن شيوخه وإجازاته، كما هو الشأن بالقياس إلى غيره من كبار العلماء المعاصرين. ونلاحظ أن الكثير من كتب التاريخ والتراجم تحاشت ذكره، لسبب سنحاول تفهمه فيما بعد، وقد اعتبره آنخل جنثالث بالنثيا في كتابه *تاريخ الفكر الأندلسي* من المنتمين إلى مدرسة ابن مسرة المتأثرة بالغنوصية والأفلاطونية الحديثة. والواقع أن مؤثرات أخرى قوية برزت آنذاك في الأندلس أهمها كان هو ورود تآليف الإمام أبي حامد الغزالي وفي مقدمتها كتاب *إحياء علوم الدين* الذي أثار ضجة فكرية كبرى في أوساط العلماء بالأندلس والمغرب. وقد اهتمت طائفة منهم بتدريس الكتاب وحفظه ونسخه ونشره بين الناس. فابن برجان، فيما يخص تثقيفه من الناحية الصوفية استفاد كثيرا من تلك المصادر المختلفة قديمها وحديثها.

لكن ثقافته لم تقف عند حدود التصوف بل كانت أشمل وأكثر تنوعا. وإذا أخذنا برواية ابن الزبير عن ابن فرتون، فإننا نجد أنفسنا بإزاء فكر موسوعي، إذ يذكر عنه أنه من أجلّ رجال أهل المغرب، وأن له الإمامة في علم الكلام ولغات العرب والأدب وأنه كان «عارفاً بالتأويل والتفسير، نحويا بارعا، نقادا ماهرا، إماما في كل ماذكر، لا يماثل بقرين، مشاركا في علم الحساب والهندسة وغير ذلك. قد أخذ من كل علم بأوفر حظ مؤثراً لطريقة التصوف وعلم الباطن متصرفا في ذلك، عارفا بمذاهب الناس...» (*صلة الصلة*، ص :31).

كما ذكر عنه ابن الأبار أنه تلقى *صحيح البخاري* على أبي عبدالله بن منظور وحدث به، وأنه كان ذا معرفة بالقراءات. والذي جعله يقبل بلهف على العلم هو إعراضه عن الدنيا ومغرياتها. فكان يقضي جل وقته بين العبادة والدراسة. وذكرت له جملة من التآليف منها : *تفسير القرآن*، لم يتمه ؛ *شرح أسماء الله الحسنى* ؛ *كتاب الإرشاد*.

تلك هي التآليف التي استطعنا أن نضبط عناوينها من خلال المصادر القليلة التي تحدثت عنه. وليس من المستبعد أن تكون له تآليف أخرى ضاعت في أيام فتنة المريدين. وكان ابن برجان من جملة من وجهت إليهم أصابع الاتهام آنذاك. كما أن المترجمين لم يظهروا حرصا كبيراً على تتبع آثاره وإحصاء تآليفه بكل تدقيق. فمعاصره ابن بشكوال تجاهل وجوده، ولم يهتم به إلا المتأخرون عن جيله مثل ابن الزبير وابن الأبار. فما السبب في هذا الموقف ؟

الظاهر أن ابن برجان لم يحظ بعطف الفقهاء التقليديين وتقديرهم. ولعله أثار حنقهم لأنه أتى بطريقة جديدة في تناول النصوص الدينية والموضوعات التي عالجها في كتاباته. فتفسيره للقرآن، مثلا، يختلف عن التفاسير

المعهودة بما أدخل فيه من الأفكار الصوفية والباطنية حتى إن ابن الزبير يعلق عليه بقوله :«وجرى فيه على طريقة لم يسبق إليها، واستقرأ من آيات عجائب وكوائن من الغيوب. إلا أنه أغمض في التعبير عن ذلك. فلا يصل إلى مقصوده إلا من فهم كلامه وألف إشاراته وإلهامه». وهو ما يؤيده فيه ابن خلكان حين يقول عن ذلك التفسير :«وأكثر كلامه فيه على طريق أرباب الأحوال والمقامات» (*وفيات*، 4 : 237).

وكذلك الشأن بالنسبة لكتاب *شرح أسماء الله الحسنى* فقد جمع فيه أكثر من مائة وثلاثين اسما متداولة ومروية. وخصص لكل اسم ثلاثة فصول : الأول في استخراجها، والثاني في الطريق إلى مسالكها، والثالث يتعرض فيه للتعبد بحقائقها. هكذا قدم صاحب *كشف الظنون* هذا الكتاب الذي يغرق هو، أيضا، في الاتجاه الصوفي.

هذا الموقف الفكري ما كان ليروق الفقهاء المالكية بالأندلس والمغرب الذين دأبوا على استنكار كل ما يخالف فقه الفروع والفتاوي الذي كان سائداً منذ أيام الدولة الأموية بالأندلس. فقاوموا أصحاب الفلسفة وعلوم الأوائل، ونددوا بأصحاب الفرق من معتزلة وشيعة وغيرهم، وتصدوا للظاهرية التي صعد نجمها على يد ابن حزم. وأخيرا، استقبلوا كتاب *الإحياء* للغزالي بالاستنكار وأفتوا بإحراقه. وكانوا في كل قراراتهم ومواقفهم يحظون بعطف الدولة وسندها، ويستعملون سلطتها. وظهروا، في الأخير، بمظهر المتواطئين مع المرابطين في وقت بات الأندلسيون ينظرون إليهم كمتسلطين أجانب ويضربون أكثر فأكثر على وتر القومية الأندلسية كما ظهر ذلك في عدة أحداث أهمها ثورة المريدين، وثورة القاضي ابن حمدين بقرطبة.

وكان من نتائج ذلك أن اتجهت معارضة المرابطين سواء بالأندلس أو المغرب إلى احتضان موقف التصوف. وكل القرائن تشير إلى أن ابن برجان كان هو الزعيم، أو على الأقل، أحد الزعماء الكبار لهذا التيار الصوفي الناشئ. ونجد بالمصادر ما يشير لزعامته. فابن الأبار يذكره إلى جانب ابن العريف وأبي بكر الميورقي ويقول إنهم «كانوا نمطا واحدا في الانتحال والانصاف بصلاحية الحال» إلا أنه يستدرك مؤكدا أن ابن برجان كان له الشفوف عليهم «حتى قيل فيه : غزالي الأندلس» (*المعجم*، ص : 16) وهذا التفوق اعترف به ابن العريف بنفسه في رسائله التي جمعها في كتابه *مفتاح السعادة وتحقيق طريق الارادة*، فهو يدعوه، تارة «الشيخ الإمام» و طورا «الشيخ إمامي وكبيري»، وطورا «المقتبس منه والمتطلع إلى ما لديه » وخاطبه كذلك بقوله : وأنت، يا إمامي بحرمة الشيب اذكرني»، الخ. فمراجعة رسائل ابن العريف تقدم لنا عدة دلائل، كما أن الشعراني ذكر أنه خُطب لابن برجان في حوالي مائة وثلاثين بلدة مما يعني أنه بويع كإمام بها.

وهنا نلمس جانب العمل والتحرك السياسي في شخصية ابن برجان، ويتضح من تتبع نشاطه واتصالاته أنه كان شيخا وأستاذا لعدد من العلماء الذين انغمسوا في حركة المريدين. فقد اتخذ مقره بأشبيلية التي أصبحت آنذاك هي عاصمة الأندلس وأخذت الزمام من يد قرطبة، عاصمة الأمويين. فكان من أول تلاميذه، على ما يتراءى من النصوص، أحمد بن العريف، وكذلك أبو بكر الميورقي، وكلا الرجلين امتحنا معه، مما يدل على اتصالهم العلمي والمذهبي. ومن تلاميذه أيضا :

أبو عبدالله المجاهد، الذي كان من الزهاد والأولياء، وأبو الحسن بن غالب، الذي كان ينحو منحى التصوف السني. وكان له دور مهم في قرطبة، وأبو محمد عبد الغفور الذي أصبح شيخ المريدين بلبلة، وأبو محمد عبدالجليل القصري، وعبدالملك بن عياش، وأبو بكر بن عياش، وأبو الحسن بن عامر الذي كانت له منزلة متميزة بين المريدين بقرطبة، وأبو محمد بن يوسف بن الأبار، وأبو بكر بن عتيق بن مومن، وأبو القاسم أحمد بن قسى، الذى كان له دور كبير في ثورة المريدين، وأبو الوليد بن المنذر، وأبو عبدالله محمد بن سالم، وأبو محمد الاشبيلي، وابن الخراط، ومحمد بن الكبش.

تلك قائمة بأسماء بعض الرجال الذين اتصلوا بابن برجان وأخذوا عنه وانحاشوا عن فقهاء المالكية التقليديين ولم يكونوا راضين عن سلوكهم وموقفهم السياسي. ولم يقتصروا في نشاطهم على النقد، بل تجاوزوه إلى تنظيم نفوسهم كحركة معارضة قادرة على اللجوء إلى العنف، هي حركة المريدين.

ونظرا للدور القيادي والتربوي الذي اضطلع به ابن برجان، فقد كان من الطبيعي أن يتعرض لنقمة الفقهاء المذكورين الذين نعتهم صديقه ابن العريف بعلماء السوء وكبراء أهل الدنيا المغترين بها في جمع الأموال والجاه. ولم يتردد الفقهاء في اللجوء إلى السلطان. فكان ذلك سببا في نكبته. نستخلص ذلك بكل وضوح من رواية ابن الأبار حين يتحدث عن ابن العريف بقوله :«وبعد صيته في الزهادة والعبادة، وكثر أتباعه على طريقته الصوفية حتى نُمي ذلك إلى أمير الملثمين علي بن يوسف بن تاشفين. ويقال إن فقهاء بلده اتفقوا على إنكار مذاهبه فسعوا به إلى السلطان وحذروه من جانبه، فأمر بإشخاصه إليه من ألمرية مع أبي بكر محمد الحسين الميورقي من غرناطة وأبي الحكم بن برجان من أشبيلية».

يبقى لنا أن نتساءل : هل كان السبب في نكبة ابن برجان وأصحابه هو انحرافة عن خط السنة وأخذه بالبدعة؟.

هذا ما لم يقل به أحد من الذين تعرضوا لترجمته. بل إنهم أكدوا عكس ذلك. فابن الزبير يذكر عنه أنه «كان بريئا من تعمق الباطنية، بعيدا عن تحية الظاهرية شديد التمسك بالكتاب والسنة، جاريا في تأويل ذلك على طريقة السلف وعلماء المسلمين وما عليه السواد الأعظم».

فالسبب، إذن، لا علاقة له بالدين. وإنما هو سياسي. فالفقهاء، من جهتهم، كانوا متخوفين من تصاعد نفوذ

المتصوفة ومضايقتهم. وأما الحكم المرابطي، فكان هو الآخر يشعر بأن طائفة المتصوفين النشيطة في الأندلس والمغرب كانت غير راضية عنه وتعمل على النيل من سمعته والانتقاص من سلطته. فكان حتما على الجهتين أن يتفقا على قمع حركة المتصوفة، وهي ما تزال في مهدها.

وهكذا أشخص ابن برجان مع ابن العريف وأبي بكر الميورقي إلى مراكش. وإذا كان الأمير علي بن يوسف عامل ابن العريف بكثير من الرفق والتسامح، فإنه صب جام غضبه على ابن برجان وأمر بالتحقيق معه في أقواله وأفكاره، ولم يبد أي استعداد للصفح عنه. وتوفي ابن برجان بعد ذلك بشهور في سنة 1141/536، فأمر علي بن يوسف أن تطرح جثته على المزبلة ولا يصلى عليه. مما يدل على مبلغ مؤاخذته واستنكاره له.

وعلى أي، فقد نال ابن برجان منزلة ملحوظة عند أهل التصوف، ووصلت كتبه إلى المشرق ونسبت له كرامات، منها تنبؤه في تفسيره بتاريخ استرجاع بيت المقدس من يد الصليبيين، انطلاقا من تأويل القرآن. ولذلك فإن متصوفة المغرب تضامنوا معه، ضدا على المرابطين، إذ أشرف علي ابن حرزهم على انتشال جثته من المزبلة وأمر خادما له بالبريح في أسواق مراكش لحضور جنازته. ودفن جنباً إلى جنب مع ابن العريف.

إن حياة ابن برجان تكشف لنا عن طور دقيق من تاريخ الأندلس في نهاية حكم المرابطين. كما أنها تقدم لنا صورة من الصور الأولى عن الصراع بين طائفتين من المسلمين المثقفين : طائفة أهل الشريعة المقتصرين على الفقه وما يتضمنه من أحكام، وطائفة أهل الحقيقة الآخذين بالتصوف وما يسمح به من تأويل وتعمق في فهم القرآن والحديث. وهو صراع استمر عبر القرون إلى يومنا هذا.

ابن العريف، *مفتاح السعادة*، مخطوط خ. ح. 1562 ؛ ي. التادلي، *التشوف* ؛ أ. ابن الزبير، *صلة الصلة* ؛ م. ابن الأبار، *التكملة* ؛ معجم ؛ أ. ابن خلكان، *وفيات* ؛ ل. ابن الخطيب، *أعمال الاعلام* ؛ م. ابن شاكر، *الوافي بالوفيات* ؛ أ. المقري، *نفح الطيب* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج ؛ 2 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ م. ع. عنان، *عصر المرابطين* ؛ ع. دندش، *الأندلس في نهاية المرابطين*، بيروت 1988 ؛ ع. لحمنات، *التصوف المغربي في القرن السادس الهجري*، ر. د. د. ع. الرباط، 1990.

محمد زنيبر

بَرْزُوق (سيدي ـ) من أولياء الرباط الذين لا تعرف له ترجمة، وضريحه بدرب النجار المتصل بشارع الجزاء الذي يعد اليوم امتدادا لشارع محمد الخامس. ولا يُعرف شيء عن حياته.

م. بوجندار، *الاغتباط*، 276.

عبدالاله الفاسي

بَرْشيد، أسرة تنتمي إلى قبيلة أوْلاد حريز، إحدى القبائل الكبرى المكونة لاتحادية الشاوية. تقع أرض أولاد حريز بجوار قبيلة مديونة التي توجد مدينة الدارالبيضاء في أرضها.

وآل برشيد من الأسر الشهيرة بإقليم الشاوية، توارث أبناؤها زعامة أولاد حريز منذ أواخر القرن الثامن عشر على الأرجح، ومنذ عهد مولاي سليمان على أقل تقدير. فحسب بعض الروايات التاريخية نجد أن المسمى عثمان بن محمد الصغير، وهو جد آل برشيد، وكان من الأعيان المسموعي الكلمة في أولاد حريز، تولى القيادة على قبيلته في عهد مولاي سليمان (1796 ـ 1822).

لكن الذي أعطى اللقب للأسرة، والذي يعتبر المرجع لآل برشيد هو رشيد بن عثمان الذي تولى زعامة أولاد حريز في عهد مولاي عبدالرحمان. بيد أننا يجب أن ننبه إلى أن مؤسس الأسرة ومؤسس قيادة آل برشيد يبقى هو القائد محمد بن رشيد بن عثمان آتي الترجمة.

ينتسب آل برشيد إلى إدريس بن إدريس الأكبر، فهم شرفاء حسنيون استقرّ أجدادهم بالمنطقة منذ وقت مبكر، وينتمون اليوم إلى دوار أولاد علال، الذي ينتمي بدوره إلى فخذة أولاد يوسف، إحدى الفرق المكونة لقبيلة أولاد حريز.

نالت أسرة برشيد حظوة خاصة عند ملوك الدولة العلوية منذ عهد مولاي عبدالرحمان (1822 ـ 1859)، وهكذا نجد ابنه سيدي محمد بن عبد الرحمان (1859 و1873) يتزوج من آل برشيد مرتين (Gouvion, 553)، كما تزوج منهم مولاي عبدالعزيز (1894 ـ 1908). وازدادت هذه الحظوة كثيراً في عهد القائد عبدالسلام برشيد الذي رشح للسفارة إلى بلاطات أوربا في عهد مولاي الحسن (1873 ـ 1894).

ومما يؤكد نفوذ آل برشيد بالمخزن، واستمرار حظوتهم، أن الأسرة حافظت على قيادتها لقبائل أولاد حريز والمذاكرة وأولاد علي في عهد الصدر الحاجب أحمد بن موسى البخاري (1894 ـ 1900)، الذي تزعزع فيه حكم أسر كبيرة بالشاوية وغيرها من القبائل، كما تجدر الإشارة إلى أن آل برشيد حافظوا على حكمهم ونفوذهم بالشاوية في عهد الاحتلال الفرنسي الذي بدأ منذ 1907.

برّشيد، رشيد، بن محمد بن رشيد، تولى قيادة أولاد حريز بعد وفاة أبيه، وكان عهده قصيراً إذ حكم حوالي ثلاث سنوات من 1283 إلى 1286هـ. ويظهر أن اعتلال صحته، في زمن كثرت فيه الاضطرابات وانتشرت فيه الأوبئة بالشاوية خاصة والمغرب بصفة عامة، يظهر أن كل ذلك جعل أخاه عبدالسلام يتولى القيادة بدله.

برّشيد، عبد السلام، يعتبر القائد عبد السلام بن محمد بن رشيد من بين القواد المغاربة الكبار الذين عرفهم القرن التاسع عشر، فقد تعدت شهرته النطاق المحلي بالشاوية لتعرف في المغرب كله، كقائد يعتمد المخزن على استشارته في الأمور التي تتعلق بخلافات القبائل فيما

بينها، وكذا في الأمور التي تهم علاقات المخزن الإدارية والتسخيرة مع قبائل الشاوية وقبائل الجوار، مثله في ذلك مثل القائد المعطي بن عبد الكبير المزامزي، والقائد محمد بن أحمد المزابي، وقائد مديونة أحمد بن العربي المديوني.

تولى عبد السلام برشيد القيادة سنة 1286 / 1869 . 1870 وكانت قيادته تشمل قبائل أولاد حريز والمذاكرة وأولاد علي. وتمتع بحُظوة في أوساط المخزن، لا يفارق السلطان مولاي الحسن في حركاته إلى أطراف البلاد. نظراً لتفانيه في الطاعة والنصح للمخزن، فقد رشحه السلطان مولاي الحسن إلى درجة السفارة إلى أوربا.

ففي سنة 1888 كلفه السلطان بترأس سفارة مغربية إلى ألمانيا. وعندما تساءلت الحكومة الألمانية عن شخصية السفير ومرتبته قدمه السلطان في رسالة إلى النائب المغربي محمد الطريس بهذه الكلمات :

"فأما السفير فهو الخديم القائد عبد السلام بن برشيد الحريزي. وأما مرتبته فالعمالة. وهو من خواص العمال وأرفعهم مكانة لدينا، ودارهم دار ولاية خلف عن سلف، مع مالهم من الاتصال بنا وبأسلافنا المقدسين ومن النصح في خدمتنا الشريفة ولأجل ذلك رشحناه لهذه السفارة وانتخبناه". (*عبير الزهور*، 312).

وخلال هذه السفارة، قام عبد السلام برشيد بمهمة أخرى في البلاد الإيطالية. فزار إيطاليا في طريقة لألمانيا، وقدم هدية معتبرة إلى رئيسها الذي ناوله بدوره خاتمه هدية للسلطان مولاي الحسن، تعبيراً منه عن صداقته وتقديره لسلطان المغرب. كما التقى السفير بطلاب البعثة المغربية الذين كانوا يدرسون بإيطاليا.

ظلت علاقة عبد السلام برشيد وطيدة مع المخزن، خلال عهد صدارة أحمد ابن موسى، الذي مارس ضغوطاً متزايدة على قواد القبائل بصفة عامة وعلى قواد الشاوية بصفة خاصة، كنتيجة لتزايد التدخل الأروبي بالمنطقة. وهكذا وعلى الرغم من الاضطرابات والتوترات التي عرفتها قبائل الشاوية بعد وفاة السلطان مولاي الحسن، تمكن قائد أولاد حريز من المحافظة على مركزه، وخرج من الخلاف الذي نشب بينه وبين قائد مزاب، محمد بن أحمد المزابي منتصراً، إذ سجن هذا الأخير، بل أُبعد إلى العرائش ليسجن فيها، بتدبير من عبد السلام برشيد. (*حادثة الدار البيضاء*، 1 : 234).

وقد ظلت قيادة عبد السلام برشيد هادئة، وسلطته نافذة بالرغم من الانتفاضة التي عرفتها قبائل الشاوية في نهاية 1902. ولهذا استدعاه السلطان مولاي عبد العزيز على رأس حركة إخوانه لمواجهة بوحمارة الذي أعلن تمرده على السلطان أواخر سنة 1902. وفي هذه الحركة توفي قائد أولاد حريز سنة 1903، في وقت اشتدت فيه الأزمة على مستوى البلاد بعامة وفي بلاد الشاوية بصفة خاصة. ومن مظاهر هذه الأزمة، أن قيادة عبد السلام برشيد، أصبحت محل نزاع بين أبنائه من جهة وبين خليفته الحاج حمو بن أحمد بن الجيلالي، وهو من أقرباء القائد المتوفي من جهة أخرى. وقد تمكن الحاج حمو من الاستيلاء على القيادة. ثم أضاف إليه السلطان قيادة الدار البيضاء. لكن بعد وفاته أصبحت قيادة أولاد حريز والمذاكرة محل منافسة شديدة بين محمد بن عبد السلام برشيد وبين الحاج محمد بن حمو الذي كان مقدماً وزعيماً من زعماء انتفاضة الشاوية التي امتدت من 1903 إلى 1908.

برشيد، محمد بن عبد السلام المعروف بولد شميشة، كان آخر قائد من أسرة برشيد تولى قُبيل الاحتلال الفرنسي للشاوية. لكن حكم هذا القائد عرف في بدايته كثيراً من المصاعب والمتاعب.

إن أحداث الانتفاضة التي عصفت بقيادات كثيرة في قبائل الشاوية، تأثرت منها أسرة برشيد بدورها. بيد أن التغيير كان داخلياً ومؤقتاً. فقد عمد خليفة القائد عبد السلام برشيد الحاج حمو بن أحمد بن الجيلالي إلى الاستيلاء على القيادة من 1903 إلى 1905، وبعد وفاته، اشتدت المنافسة بين محمد برشيد وبين الحاج محمد بن الحاج حمُّ. وبما أن محمد برشيد كان يستند إلى حظوة أسرته داخل المخزن ونظراً كذلك لكونه كان صهراً للسلطان مولاي عبد العزيز، فقد تمكن من تسلّم ظهير القيادة، بدل ابن الحاج حمُّ، لكن ظهير الولاية السلطاني لم ينق طريق محمد برشيد من الأشواك.

فقد عمد الحاج محمد بن حمُّ، وكان زعيماً من زعماء انتفاضة الشاوية، كما كان مقدماً في قبائل أولاد حريز والمذاكرة وأولاد علي، عمد إلى جمع أتباعه وساعده زعماء آخرون من قبائل الشاوية، وحاصر محمد برشيد في قصبته.

ولما اشتد الحصار على القائد محمد برشيد، خرج من قصبته فاراً ودخلها الثوار، فنهبوا وخربوا، وتولى الحاج محمد بن حمُّ القيادة أواخر سنة 1905 بيد أنه لم يتمكن من سلفه الذي سيعود إلى مركز قيادة آبائه مع بداية الاحتلال الفرنسي للشاوية أواخر 1907، ليظل قائداً نافذ السلطة، متمتعاً بالاحترام والاعتبار والشهرة بين قواد الشاوية. وساعده على تلك الشهرة والجاه، رصيده المعنوي من إرث آل برشيد، وخاصة ثروته الكبيرة. وفي الأخير تجدر الإشارة إلى أن القائد محمد بن عبد السلام برشيد كان قائداً يتمتع بكثير من الحس السياسي، يشهد على ذلك مبايعته لمولاي عبد الحفيظ (رجب 1325 / 8 شتنبر 1907)، بالرغم من خضوعه للمحتلين وعلى الرغم من معاداة هؤلاء لسلطان الجهاد. وقد استمر حكم محمد برشيد إلى ما بعد 1923.

برشيد، محمد بن عثمان تولى القيادة على قبيلة أولاد حريز في إطار توزيع السلطان مولاي عبد الرحمان قيادة الشاوية إلى قيادات صغرى، وقد حكم من 1260 / 1844 . 1845 إلى 1283 / 1867. استطاع القائد محمد بن رشيد أن يكوّن له شهرة ونفوذاً في قبائل الشاوية، نتيجة لجده واجتهاده في تنفيذ أوامر السلطان مولاي عبد الرحمان.

فقد قام هذا القائد بدور كبير في إخضاع القبائل الثائرة على السلطان، وبذلك استحق الحُظوة والاعتبار عنده، يشهد على ذلك كتاب من مولاي عبد الرحمان يهنئ فيه القائد محمد بن رشيد على ما قام به، وينوه بجده واجتهاده وصبره في قتال الخارجين. والكتاب مؤرخ في 7 رمضان 1263 / 19 غشت 1847، (*عبير الزهور*، 221).

ويروى أن القائد محمد بن رشيد، كان ملازماً للسلطان في جميع الحركات التي يقوم بها إلى الأقاليم إلى أن توفي سنة 1284 / 1867 وعمره يناهز 75 سنة تاركاً ذرية كثيرة : اثني عشر ولداً وستاً وعشرين بنتاً.

برشيد، مدينة صغيرة تبعد بحوالي أربعين كلمتراً إلى الجنوب من الدار البيضاء على الطريق الرابطة بينها وبين مدينة سطات. ظهرت مدينة برشيد انطلاقاً من قصبة اتخذها قواد أولاد حريز من أسرة برشيد مقراً لسكناهم، ومنها كانوا يحكمون ثلاث قبائل هي قبيلة أولاد حريز حيث توجد المدينة، وقبيلة المذاكرة، وقبيلة أولاد علي.

والجدير بالذكر أن قصبة برشيد، التي لاتزال قائمة، خلفت قصبة أخرى شهيرة بأولاد حريز، هي قصبة مرجانة التي بناها القائد كريران الحريزي الذي كان يحكم كل بلاد تامسنا في عهد مولاي سليمان. وإذا علمنا أن محمد بن الطيب العلوي الذي ولاه السلطان مولاي عبد الرحمان على تامسنا ودكالة حوالي 1240 (*الاستقصا*، 9 : 12). هو الذي هدم قصبة مرجانة، ويجب أن نذكر كذلك أنه هو الذي ولى أحد أجداد أسرة آل برشيد قائداً على إخوانه (*مدن وقبائل المغرب، الدار البيضاء والشاوية*، 2 : 76). ويظهر أن التفكير في بناء قصبة برشيد بدأ منذ هذا التاريخ أي حوالي الثلث الأول من القرن التاسع عشر. والأكيد أن بناء القصبة قد بدأ مع القائد محمد بن رشيد (1845 - 1867) وتم في عهد القائد عبد السلام بن محمد بن رشيد (1868 - 1903). ومدينة برشيد اليوم قريبة من موقع قصبة مرجانة، التي توجد إلى الجنوب قرب سيدي العايدي ومازالت بعض أطلالها بارزة.

كانت قصبة برشيد في الأصل عبارة عن حصن، يحيط به سور مرتفع مستطيل الشكل، مبني بالتراب المضغوط (الطابيا) يوجد بداخل السور سكنى القائد وحاشيته المقربة وحرسه. وتعتبر قصبة برشيد واسعة بالمقارنة مع القصبات الأخرى بحيث تحتوي على مسجد بداخلها.

وقد عرفت مدينة برشيد نمواً واضحاً في أواخر القرن التاسع عشر، حيث وصل عدد سكانها قبيل الاحتلال الفرنسي إلى حوالي 2000 نسمة. وشكلت بهذا العدد، مع قصبة سطات، وقصبة بن أحمد أهم المراكز الحضرية بالشاوية بعد مدينة الدار البيضاء.

تأثرت مدينة برشيد بأحداث وتقلبات كادت تجعل منها أثراً بعد عين، لكنها سلمت في النهاية. ففي 1905، تمكن ثوار الشاوية من اقتحامها وتخريب أجزائها. وفي صيف 1907 رابطت بها محلات المجاهدين المحاصرة للفرنسيين بالدار البيضاء. وبعد قتال دام حوالي خمسة أشهر تمكن جيش الاحتلال الفرنسي من دخول مدينة برشيد واحتلالها بدون قتال صباح 13 يناير 1908. إذ كان سكان القصبة والمجاهدون قد انسحبوا منها قبل وصول جيش الاحتلال.

وتجدر الإشارة في الأخير، إلى أن مدينة برشيد عرفت خلال القرن العشرين نمواً متواصلاً نظراً لموقعها وسط منطقة غنية فلاحياً، ولوجودها على الطريق الرابطة بين الدارالبيضاء ومراكش، ولتركز كثير من الصناعات بها في الوقت الحاضر 1990.

ح. الزعري، *مذكرات*، مخطوط ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، 1973 ج 1 ؛ ع. الخديمي، *حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية*. د.د.ع، 1985 ؛ هـ. المعروفي، *عبير الزهور*، 1987 ؛ ع. العزوزي، *نشر المحاسن والمآثر*.

Villes et tribus du Maroc, Casablanca et les Chaouia, T. 2 ; E et M Gouvion, *Kitab Aayane El Maaghreb El Aqça*, Alger, 1939.

علال الخديمي

بَرْشِينة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، ومازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Barrachina، وهو اسم قرية بمقاطعة طرويل Teruel الإسبانية. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1150 / 1738.

بَرُّو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Berro، وهو اسم النبات المعروف بقرة العين. هذه الأسرة غير أسرة أَبَرُّو الريفية.

بَرُّوسُو، أو بن رُوسُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Barroso والكلمة معناها طيني، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان على إثر الوباء الذي أصاب المدينة سنة 1088 / 1677.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

برّي، عبد القادر، قائد مكناس على عهد مولاي إسماعيل العلوي. ذكر من بين مالكي أسرى فرنسيين سنة 1672 ومن الأسر النابهة في مكناس.

S. I. H. M!, Série filalienne, t. I, II.

عبد اللطيف الشاذلي

برّي (ابن ـ)، **علي** بن محمد بن الحسن التازي الشهير أيضاً بالرباطي نسبة إلى رباط تازا ؛ وفي بعض الروايات: الرباضي نسبة إلى أحد أرباض المدينة، وهو تسولي من فخذ بني لنت ؛ ولد في حدود 660 / 1261 وبدأ تعليمه الأولي ببلده تسول، ثم استوطن مدينة تازا وبها أنهى دراسته. ومن الشيوخ الذين اعتمدهم في القراءات : أبو الربيع سليمان بن محمد بن علي بن حمدون الشريشي، (ت 709 / 1309). وكانت مدينة تازا في هذا العصر من أهم

المراكز الثقافية بالمغرب، وكان على ابن بري - إلى جانب تبحره في علوم القرآن - عالما نحويا، أديبا لغويا، فقيها فرضيا، له إلمام بالحديث وتبصر بصناعة التوثيق، قضى مدة في سماط العدول بتازا إلى أن ألحقه السلطان أبو سعيد المريني بديوانه في حدود سنة 715 / 1315، وجعله كاتب ولده أبي الحسن وأستاذه الخاص ؛ وظل في ركابه إلى أن أدركته الوفاة بتازا سنة 731 / 1333، وضريحه مشهور خارج المدينة - وعليه قبة.

ومن آثاره :

- *اختصار شرح الإيضاح* في النحو لابن أبي الربيع الاشبيلي السبتي.
- *شرح تهذيب البرادعي* في فقه مالك - لم يكمله.
- *شرح عروض ابن السقاط*.
- *شرح وثائق الغرناطي*.
- *تأليف آخر في الوثائق*.
- *الكافي في علم القوافي*.
- وأشهر مؤلفاته : *الدرر اللوامع، في أصل مقرأ نافع*. وهي أرجوزة في 273 بيتاً، وقع إقبال الناس عليها منذ حياة ناظمها وأخذوها عنه، وعليها أكثر من أربعين شرحا ما بين مطول ومختصر، وذيول وتكميلات.

ومن تلامذة ابن بري : عيسى بن عبد الله الترجالي، ولي قضاء تازا، وكان من شيوخها المرموقين، ويقال إنه هو الذي أوعز إلى السلطان أن ينقل علي ابن بري إلى فاس ؛ ويذكر الآبلي - شيخ ابن خلدون - أنه مر بتازا فنزل ضيفاً على ابن بري ومعه تلميذه الترجالي ؛ قال : فبتنا ليلتنا نتجاذب أطراف الحديث ونتذاكر شئون الأدب.

ومنهم : أبو عمرو بن أحمد الميموني الفشتالي، ويحتفظ لنا أبو عبد الله الحصار بإجازة لابن بري - بعث بها إلى تلميذه هذا - مع نسخة من *الدرر* بخط يده، أضاف إليها طررا وتعاليق تشرح مضامينها. ويحدثنا أبو الحجاج يوسف بن علي بن عبد الواحد السدوري المكناسي ثم الغرناطي أنه كان يحضر مجالس إقراء ابن بري بجامع القرويين بفاس سنة 723 / 1323، وهناك أخذ عنه منظومته *الدرر اللوامع*، وأقرأها هو بدوره بالمدرسة اليوسفية بغرناطة سنة 774 / 1372.

وخلف ابن بري في كرسي الإقراء بالقرويين تلميذه المقرئ عبد الرحمان بن محمد بن سعيد، من شيوخ يحيى السراج، ذكره في فهرسه وقال إنه سمع عليه كتاب *الدرر* بجامع القرويين سنة 765 / 1363.

هكذا اشتهرت *منظومة* ابن بري بالأندلس والمغرب، فرأينا أبا محمد القيطاجي يقرنها في نفس الوقت بالمدرسة اليوسفية بغرناطة خلفا عن أستاذه المكناسي السالف الذكر.

ومن هنا كان كتاب *الدرر* لابن بري أول دراسة بالمغرب في مقرأ نافع - المذهب الرسمي للدولة - استوفت حروفه ومسائله وهذبت أصوله وفروعه.

ع. ابن بري نفسه، *الدرر اللوامع* ؛ أ. الونشريسي، *الوفيات* (*ألف سنة من الوفيات*) ؛ ع. ابن القاضي، *الفجر الساطع على الدرر اللوامع*، مخطوط ؛ أ. بابا السوداني، *كفاية*، رقم 351 ؛ ع. بعبد الله، *الموسوعة المغربية* ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*.

سعيد أعراب

بَرِّيَانُو، أو بَرِّيَّانُ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Beriano، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1147 / 1735.

بَرِّيرُش، أو البَرِّيرُوش، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Barreiros وهو اسم قرية بمقاطعة لوگو Lugo الاسبانية، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان على إثر الوباء الذي أصاب سكان المدينة سنة 1088 / 1677.

بَرِّيرُو، أو البَرِّيرُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم هكذا Barrero أو هكذا Borrero وهو اسم لبعض القرى في مقاطعة أوفييدو Oviedo الاسبانية. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1086 / 1675.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330، 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بَرِّيمة، باب، وجامع، وحي بمراكش. يقع حي بريمة في الشمال الشرقي لقصر السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي بناه إبان خلافته لأبيه على المدينة. وربما كانت كلمة بريمة تعني إحدى قبائل تافيلالت التي نزحت إلى مراكش مع ملوك الدولة العلوية، واستقرت بمكان قريب من القصر، فأصبح المكان ينسب إليها. وهناك أماكن أخرى تحمل أسماء قبائل حلت بجوار القصر من كل الجهات مثل : باب احمر، ودرب شتوكة، ودرب شبانات. وهذا الافتراض أرجح مما يقال إن بريمة تحريف لابن ريمة، اسم علم.

في هذا الحي باب يسمى باب برِّيمة تشير معظم الكتابات التاريخية إلى أنه بُني من طرف السلطان مولاي إسماعيل لتسهيل إخراج مواد قصر البديع بعد تخريبه. كما استُغل من طرف السلطان سيدي محمد بن عبد الله لإدخال مواد البناء والتجهيزات الضرورية لبناء قصره المشار إليها آنفاً.

أما جامع بريِّمة فقد شيده السلطان سيدي محمد بن عبد الله إبان خلافته بمدينة مراكش (1159 - 1171 / 1746 - 1757) يقول أكنسوس (... أسسه على هيئة عجيبة، بديعة الشكل، متينة الوضع، تُحيِّر من تأملها، وتروي من أبصرها).

يتكون الجامع من المحراب الذي تحيط به زخرفة من الجبص تسمى (تحگة) فوقها ثلاث شماسيات، وتحيط بالكل كتابة (العافية الباقية) وقوس المحراب (قوس السلة) بداخله قبة صغيرة على شكل طاسة مزخرفة.

ويحتوي الجامع على أربعة أساكيب تتوسطها قبة كبيرة.

أسكوب المحراب واسع، وسقفه من الخشب (الورقة والگايزة) على شكل تضليع. ويحتوي هذا الأسكوب على بابين، أحدهما يدخل منه السلطان، والآخر يدخل منه الخطيب. أما المنبر فهو قديم مزخرف بالصباغة.

يلي هذا الأسكوب أسكوبٌ أقل منه اتساعاً، سقفه من الخشب عار من الزخرفة، بعدهما قبة كبيرة مثمنة الشكل، مزخرفة بالصباغة النباتية، وتحت هذه القبة إزار من الشماسيات تحته كتابة (العافية الباقية). ويلي هذه القبة أسكوبان، الأول صغير، والثاني أوسع، سقفه من الخشب بالتضليع المزخرف بالصباغة، وتحته إزار من الجبص، نقش عليه ما يسمى (أربع مطارق) وبطرفي هذا الأسكوب قبتان مربعتا الشكل، سقفهما (بالورقة والگايزة)، مرخرف بالصباغة، وتحت كل قبة إزار من الشماسيات، وتحته كتابة (العافية الباقية). ولكل من القبتين باب كبير مزخرف بالصباغة، نصفه العلوي به دائرة تسمى (الخمسيني) والنصف السفلي زخرفته تسمى (المطعّم أسطشري). أما الصحن فيحمل اسم (المشور) به نافورة من الرخام على شكل أسطواني. وفي الصحن أربعة أبواب : بابان في الجهة الشمالية خاصان بالمصلين، وباب في الجهة الغربية يؤدي إلى دار المخزن، والباب الرابع في الجهة الجنوبية يؤدي إلى دار المخزن أيضاً، وقد أغلق منذ سنوات. وفي أعلى حائط الصحن إزار (إفريز) من الزخرفة المسماة (العقبان) فوقها شرافة. وللجامع مرافق بُنيت معه، وهي كتّاب قرآني، ومدرسة لطلبة العلم، وحمام، ومرحاض.

عرف جامع بريمة عدة أنشطة فكرية وسياسية، منها : أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله كان يجلس كل جمعة بمقصورة الجامع مع علماء مراكش، ومن يحضر عنده من علماء المغرب الوافدين عليه، مع تخصيص أوقات لسرد الأحاديث النبوية وتفهم معانيها.

وفي يوم الجمعة 29 جمادى الثانية عام 1373 / 5 مارس 1954 إبان الأزمة الوطنية، قام ابن عرفة والباشا التهامي الاگلاوي وأتباعهما بأداء صلاة الجمعة فيه، وعند إقامة الصلاة ألقى الشهيد أحمد أقلا قنبلة إلى جهة ابن عرفة، وتبعه ببعض ثوان محمد بن العربي فألقى هو الآخر بقنبلة أخرى وأصيب ابن عرفة بجروح خفيفة في عينه ووجهه ويديه، أما الاگلاوي فلم يصب بأذى. وفي هذا اليوم استشهد أحمد أقلا رمياً برصاص الاگلاوي.

وخطب في الجامع عدد كثير من العلماء والفقهاء، منهم : محمد بن عبد الرحمان العمراني المراكشي، وولده الحسن، وحفيده المكي القاضي أيام السلطان مولاي عبد الرحمان. ثم الفقيه السلفي أحمد اگرام، والفقيه ابن نوح.

م. أكنسوس، *الجيش العرمرم* ؛ م. ابن الموقت، *السعادة الأبدية* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*.

أحمد متفكر

بَرِّيمَة، قصبة أسسها المولى إسماعيل بمكناس، في الجهة الغربية من المدينة قرب حارة اليهود ـ الملاح المحدث سنة 1093 / 1682 ـ بناها على أرض حبسية كانت خاصة بأوقاف جامع الخضراء، بعد أن أدى ثمن هذه الأرض ـ علما بأن ممتلكات الأحباس كانت لا تباع ولا تعوض إلا بصعوبة وفي ظروف استثنائية ـ وأمر ببناء حوانيت خارج باب المشاورين بذلك الثمن في أرض بريمة الحبسية، على أن تكون هذه الحوانيت حبساً مؤبداً مخلداً على جامع الخضراء كما جاء في رسم التحبيس، وأمر المولى إسماعيل خديمه أبا العباس أحمد بن أبي يعزى العرائشي بالقيام بهذه المهمة.

اشتملت قصبة بريمة على مسجد ومدرسة، وتم تجديد هذا المسجد في عهد السلطان سيدي محمد بن عبدالله (1757 . 1790) وتغيرت حاليا معالم هذه القصبة بما أضيف إليها من بناءات وما تهدم منها من آثار.

بوشتى بوعسرية

البَرْسلوطي، من الأسر الجزائرية التي هاجرت إلى تطوان سنة 1830/1246، وكان جل أفرادها يعملون بفرقة البحرية التابعة لحامية المدينة حيث نجد من بينهم في السنة المذكورة محمد البَرْسلوطي الذي كان رايس البحر، وفي سنة 1832/1248 نجد أحمد البَرْسلوطي ومصطفى البرْسلوطي وعبدالعزيز البرْسلوطي كلهم بحارة، كما نجد في سنة 1250/ 1834 البحارة البرسلوطيين عبدالرزاق والعباس وعبد الله.

وقد انقرضت هذه الأسرة اليوم بتطوان.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 212 ؛ *مختصر تاريخ تطوان* ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion , *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بَرْسيم، يطلق على جنس تريفوليوم Trifolium، وفي بعض الحالات على بعض أنواع الفصة ميديكاگو Medicago، وكلا الجنسين المتشابهين ينتميان إلى فصيلة الفراشيات Papillonaceae.

يشمل جنس البرسيم أعدادا كثيرة من الأنواع في العالم. وفي المغرب وحده يوجد منه ستة وأربعون نوعاً.

إنه نبات عشبي حولي أو معمر، تختلف قامته حسب الأنواع. أزهاره إما بيضاء أو وردية أو صفراء.

والجنس الأكثر استعمالا في الزراعة العلفية هو البرسيم الاسكندري Trifolium Alexandrinum الذي زرعه الإغريق والرومان، وأدخل إلى آسيا وأوربا وأمريكا مثل الفصة التي عرفت نفس الانتشار. ومنذ ذلك الوقت تكونت من النوعين عدة سلالات.

إن البرسيم الاسكندري عشب حولي ذو قيمة في الدورات الزراعية، إذ أنه يحسّن خصوبة التربة بإغنائها من النيتروجين، بالإضافة إلى كونه أصبح في المغرب من المحصولات الهامة للعلف في المناطق السقوية، وهو

يستعمل في تغذية المواشي إما طريا أو مجففا كالتبن أو مُخَمّراً.

البرت هيل، *النبات الاقتصادي*، تر: زهر عبدالمجيد وآخرين ؛ بحث ميداني.

عبدالمالك بنعبيد

بَرْطال، أو البرطال، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Partal . وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1786/1200.

البَرْطقيز ← **البرتغال**

برْطيل، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وليست هي أسرة بَرَاطِيلْ. وقد انقرضت بتطوان سنة 1735/1148.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* : *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بَرْعَان، سمك أبيض من فصيلة الشبابيط Cyprinidae ويسمى علميا Rutilus (Lenciscus) rutilus L. وبالفرنسية Gardon.

يعيش في الماء العذب ببحيرات الأطلس، وهو أحمر العينين، تكسوه حراشف فضية كبيرة منها 41 ـ 46 على طول خطه الجانبي، أسنانه موزعة على خط واحد. الزعانف الصدرية مكونة من 16 شعاعاً. يتراوح طوله عادة ما بين 10 و20 سم ونادرا 35 سم، ووزنه 200 ـ 1000 غ بعد عُمر يتراوح ما بين 7 و12 سنة.

يعيش وسط مجموعات عديدة الأفراد تتنقل وسط الربيع قرب ضفاف البحيرات والأنهار الهادئة. يقترب أحيانا من مصب الأنهار ويتحمل العيش داخل المياه المالحة. يتكون قوته من الحشرات والرخويات والقشريات الصغيرة ومن النباتات الملتصقة بالأحجار والعائمة.

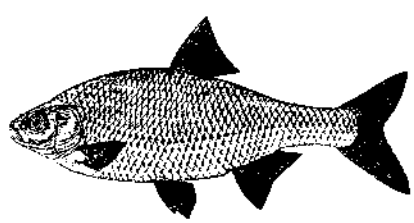

يتوالد ما بين أبريل ويونيه. تضع الأنثى ما بين 5.000 و200.000 بويضة تلتصق بالأحجار والنباتات وتعطي الصغار بعد 6 ـ 10 أيام. تظهر الحراشف عند صغار البرعان بعد 3 سم من الطول ويصير بالغاً بعد 3 سنوات.

موطنه الأصل أوربا وآسيا الشمالية الغربية وقد أدخل إلى المغرب ليعيش في معظم بحيرات جبال الأطلس الصغير والكبير.

يلعب البرعان دوراً هاما في تنقية البحيرات من النباتات التي تسبب التخصيب Eutrophisation وفي تحويل المأكولات النباتية والحيوانية بأعماق البحيرات لكثير من الأسماك ذات أهمية اقتصادية كالزنجور Brochet والفرخ Perche والأنقليس. يستهلك البرعان محليا ويصاد بواسطة الصنارة والشّباك. كثيراً ما تستعمل الصغار كطعم جاذب للزنجور.

P. Dahlström, B. J. Muus, *Guide des poissons d'eau douce et pêche*, Lausanne 86 - 88, 1973 ; P. S. Maitland, *Les poissons des lacs et rivières d'Europe*, Paris, 116 - 117, 1977.

محمد رمضاني

بَرْغَز أو بَرْغَاز، يطلق ـ لغةً ـ على «ولد البقرة أو إذا مشى مع أمه». ويطلق أيضا على «السيء الخلق». إلا أن هذه الكلمة تحمل معنى آخر في بعض المناطق المغربية وهو تاجر البقر. وقد يَرِدُ كذلك هذا المصطلح بنفس المعنى في صيغته الأمازيغية : أَبْرْغَزْ (منطقة إيمنتانوت ـ إقليم شيشاوة). وهكذا، فالبرغز يكون له إلمام واسع بعالم الأبقار: يشخص أمراضها ويعرف أصنافها وأعمارها وأثمانها إلخ. وهو بهذا المعنى الأخير يكون قريب الشبه بِبُومْهَوْت. وتجدر الملاحظة أيضا إلى أن البرغز يطلق كذلك في بعض الجهات المغربية على تاجر الحبوب أو الإنسان الماكر الذي يستاء الناس من تصرفاته.

بطرس البستاني، *محيط المحيط* ؛ *تحريات ميدانية*.

محمد حمام

برغواطة، شغل مصامدة المغرب قبل الإسلام ولفترة بعده، شطراً كبيراً على الأقل، من السهول الأطلسية بما فيها تامسنا ودكالة وسوس بالإضافة إلى القسم الغربي من منطقة الريف. وكانت برغواطة من أقدم قبائل المصامدة حسب ابن خلدون. وابتداء من القرن الرابع (10 م). تمكنت مجموعة من بني يفرن الزناتيين من إنشاء إمارة بسلا. ويظهر أن جموعاً أخرى من الزناتيين تلاحقت بتامسنا قبل ذلك. فهادن بعضها برغواطة، وصارعها فريق آخر، ولذلك اعتبر البكري تامسنا زناتية، كما أن غيره جعل من برغواطة مزيجا من القبائل اعتباراً لمن دان بالمذهب البرغواطي من غير برغواطة. وعلى هذا فبرغواطة مصمودية ساكنتها في اتجاه مُعاد أو مُسالم مجموعات زناتية وغيرها، ولو أن البكري ينقل عن زمور البرغواطي أن تامسنا كانت ملكاً لزناتة وزواغة عند اختلال أمر الصفرية،، بينما في مكان آخر، ينعت البكري تامسنا بأنها بلد برغواطة.

أنشأ البرغواطيون مملكة قاومت باستماتة كل الأطراف التي تصدت لإخضاعها، واستغل المؤسسون النزاعات الداخلية التي سادت صفوف الخوارج بعد سنة 123، وبالأخص بعد أن قتل زعيمهم ميسرة المطغري على يد بعض معارضيه. لكن إذا كانت الحركة الخارجية في انطلاقتها قد ركزت اهتمامها على طنجة لتتخذ منها عاصمة تواصل دورها السياسي والإداري الذي اختاره لها

موسى ابن نصير وطارق قبل ذلك، فإن البرغواطيين أنشأوا مقر حكمهم في السهول الأطلسية لأنها أوسع الأراضي الخصبة مساحة، وبالتالي فاستغلالها الاقتصادي يتفق مع العقلية المصمودية التي تتساكن فيها النزعتان، البراغماتية والميثافيزية.

وفيما يرجع إلى المصادر التي تناولت المجتمع البرغواطي يكاد الكل يحصرها في ابن حوقل والبكري الذي يعتمد هو نفسه على زمور البرغواطي. ويتعين النظر في هذه النقطة من جهات ثلاث :

1 ـ زمور البرغواطي رجع إليه آخرون بشكل مباشر كمؤلف *الاستبصار*. وابن أبي زرع في *القرطاس*، وهو يحيل أيضاً على كتاب له في حكم المفقود، وهو *أزهار البستان* الذي ذكر أن فيه أخباراً مستوفاة عن برغواطة، وابن عذاري.

2 ـ البكري يروي أيضاً عن فضل بن مفضل المذحجي، كما أن ابن عذاري يضيف رواية أخرى لابن القطان وغيره.

3 ـ زمور البرغواطي عاش في القرن الرابع. ومن جهة أخرى فبعض المعلومات التي نقلها عنه البكري تختلف عما نقله غيره كابن أبي زرع. أما الفترات اللاحقة بعد زمور فنجد عنها شذرات قد تكتسي أهمية خاصة لا سيما عند الحسن الوزان كما سيتضح.

وتتفق المصادر في جملتها على تَنَاقُل قصة تأسيس الدولة البرغواطية بشكل متقارب، حيث تبدأ بشخص طريف الذي يذكر ابن عذاري أنه هو قائد الطليعة التي حلت بموقع طريف في الأندلس قبل حملة طارق، وكان يلقب بأبي زرعة، واسمه طريف بن ملوك الذي قيل إنه من سلالة شمعون بن يعقوب، وعلى هذا فيُحتمل أن يكون أصله يهودياً بربرياً لكنه أسلم وحافظ على إسلامه حتى وفاته. وانضم في ظروف غامضة إلى خوارج المغرب وتولى قيادة جيوش ميسرة المطغري. وبعد وفاة ميسرة، التحق طريف بتامسنا. فولاه سكانها أمرهم بسبب خدماته السابقة. وكان له نجل باسم صالح، قيل في رواية أخرى إنه هو الذي التحق بتامسنا وتولى أمرها. بل قيل إن أصله من برباط الأندلسية وأنه درس على غيلان القَدَري وغيره بالمشرق، وادعى أنه صالح المومنين وتنبأ وأنشأ ديانة أوصى ولي عهده إلياس بإظهارها، لكن إلياس دان بالإسلام فلم يُكتب لعقيدة صالح أن تظهر إلا على يد نجله يونس. وكان من توجيهات صالح السياسية أن يكون النظام البرغواطي موالياً للنظام الأموي بالأندلس. وقد احترم هذا الجانب من توجيهات المؤسس لفترة طويلة. غير أن اختيار إلياس للعقيدة الإسلامية حتى وفاته بعد ملك دام أكثر من نصف قرن، يجعل من الغرابة أن لا يقوم بعملية إعدام لتعاليم والده وسلفه صالح، حتى يأتي حفيد صالح ليجدها محفوظة ويتولى إظهارها ونشرها بحد السّيف.

ومهما يكن من أمر، فصالح ابن طريف هو محور العقيدة البرغواطية وقطب رحاها، وهو كوالده قيل عنه إنه بربري مصمودي وربما يهودي العقيدة أصلا. أما إلياس نجل صالح، فإن ابن الخطيب يذكر أنه إنما كان يتظاهر بالإسلام، وهيأ بعض خاصته لتقبل عقيدة صالح، ثم تولى يونس عندئذ إظهارها مما يدل على أن المجتمع البرغواطي في غالبيته كان بحاجة إلى وقت طويل لمسايرة هذه العقيدة واعتناقها. وقد كان هذا المجتمع يشكل بالتأكيد قوة عددية وسياسية كبيرة قُبيل الإسلام وبعده، وهذا بالإضافة إلى المساندة الفعلية من الكتل المصمودية الأخرى التي يحتمي الكثير منها بجبال دَرَن (الأطلس) والباقي موزع بين سهول المحيط الأطلنطي.

وينقل البكري رواية عن فضل المذحجي تفيد أن يونس بن إلياس تلقى دراسته بالمشرق مع رفقاء له من نزعات صفرية وواصلية وغيرها، وأنه تلقى عن غيلان القَدَري، ثم حل بين أهل تامسنا وأذاع فيهم عقيدته التي تمزج بين عدة اتجاهات. لكن هذه الرواية لا تخضع لحقيقة الأحداث لأن يونس بعيد زمناً عن غيلان المتوفى قبل ظهور الدولة البرغواطية، ثم إن رواية المذحجي تَنْسُب إلى يونس ما نُسِبَ بالأولى إلى صالح جده.

أما النسب اليهودي لصالح بن طريف فيرفضه ابن خلدون، كما يرفض إرجاع تسمية برغواطة إلى بَرْباط التي هي قريةٌ وواد بفحص شريش. وأخيراً فهو يؤكد على مصمودية برغواطة وعدم انتمائها إلى زناتة، ويقرر أنه «لا يتم الملك والتغلب على النواحي والقبائل، لمنقطع جذمه دخيل في نسبه». لكن هذا الحكم غير سليم. فقد أسس العبيديون دولة قوية في وسط غريب عنهم، ومؤسس الدولة مطعون في نسبه. وتأسست إمارة القرامطة بالبحرين واتسع نفوذها وليس لها عصبية قبلية، ومؤسسوها عرب وفرس مغمورون. والأمثلة أكثر من أن تحصر. وابن خلدون مُحق في الاستخفاف بمن يردّ نسبة برغواطة إلى برباط وربطها بأصل صالح بن طريف. لأن برغواطة قبيلة كبيرة عرفت كذلك قبل الزحف الإسلامي، وليس لها أيضا علاقة بالـ Baquates الذين يحتمل أن المقصود بهم (بقيوة) وقد كانت ذات وزن وانتشار شمال المغرب أيام الرومان. والأنسب رد مصطلح (برغواطة) إلى برگوتن ـ بكاف معقودة ـ التي تعني التنطع والتمرد كما يشير إلى ذلك باحث معاصر.

ولكي يتاح للمذهب البرغواطي الانتشار على النطاق الشعبي لزم انتظار فترة خمسين سنة لإظهاره على يد يونس حفيد صالح بن طريف، أي فيما بين سنة 176 و195/ 792 ـ 811. وعندما قام إدريس الأول بالهجوم على مناطق برغواطة التي زحف إليها قبل غيرها سنة 172 هـ لم تكن العقيدة البرغواطية قد أخذت طريقها إلى سكان تامسنا، المعقل الرئيسي لبرغواطة. وبفضل مساندة أوَرْبة وزناتة وغمارة تمكن من الاستيلاء على شالة وتامسنا وتادلا بسرعة ودون مقاومة قوية. واستعاد البرغواطيون قواهم بعد عدة سنوات على يد محمد ابن معاذ الذي عاصر إدريس

الثاني، وأخذت العقيدة البرغواطية شكلها النهائي وأصبح المجتمع البرغواطي يقاوم من أجل دولته وأرضه وعقيدته في آن واحد. لكن نشبت صراعات دموية عنيفة بين قوات إدريس الثاني وقوات ابن معاذ البرغواطي الملقب بأبي عُفير (روي بعين مهملة ومعجمة)، كما أن كلا من محمد ابن معاذ وسلفه، اشتبك في صراع مرير مع خصومه، ودارت بين الأنصار والخصوم معارك طاحنة لا سيما بوادي بهت باتجاه مكناس. وفي رواية *القرطاس* وغيره أن منطقة تامسنا وعاصمتها شالة كانت ضمن عملية التقسيم الإداري الذي قام به محمد بن إدريس الثاني، فعين عليها أخاه عيسى الذي استبد بالمنطقة ونكث بيعته، فطرده أخوه عُمر منها وتولاها هو بأمر العاهل محمد بن إدريس. وتسكت المصادر كلياً عن المقاومة البرغواطية بعد إدريس الثاني كأن الأمور سارت على ما يرام لخير الأدارسة بعد ذلك، فكيف يقوم ملوك برغواطة بعمليات قمع داخلية وعلى نطاق واسع، وتصل جيوشهم إلى مشارف مكناس والوضع قار للأدارسة في مهد الدولة البرغواطية ؟ على أن الدولة البرغواطية فقدت شالة بالتأكيد، مع الزحف الإدريسي، وعوضتها بأزمور في فترة غير محدَّدة. ومن ثم أصبحت شالة والعدوة المقابلة لها من نهر أسمير (أبي رقراق) رباطاً تحتشد بهما ألوف المسلمين المناهضين للحركة البرغواطية. وفي مكان قصبة الأودية الحالية على الأرجح أُنشئت قصبة أو رباط جهادي خلال القرن الثالث على ما عند ابن حوقل. بلَ إن الحركة حوصرت عقائدياً وسياسياً وحربياً بمجموعة أخرى من الرباطات القديمة والناشئة كرباط شاكر ورباط نفيس ورباط أغمات ورباط گوز ورباطات دكالة ورباط داي. فدور هذه الشبكة الرباطية تجاوز بكثير آثار القمع الحكومي العسكري العابر حتى مع تكراره. لأنها ساهمت سلمياً في نشر الإسلام والتوعية الدينية والثقافية محتضنة جموع الفلاحين في مناطق حضرية خصبة، في مواجهة النمط الحضاري البرغواطي المرتبط بعقيدة مستقلة.

وشهدت برغواطة أوج عزها السياسي خلال القرنين الرابع والخامس (10 ـ 11 م) فارتبطت بعلاقات ودية مع خلفاء بني أمية حكام الأندلس خصوصا عبدالرحمان الناصر والحكم المستنصر الذي استقبل وفداً رسمياً برغواطياً سنة 963/352 م برأسه زمور بن صالح. غير أن العلاقات ساءت مع العامريين الذين تغاضوا عن الحملة غير الموفقة التي قادها جعفر بن علي والي المنصور بن أبي عامر، إلى جانب كتائب أندلسية حوالي سنة 366. ثم إن شيعة إفريقية جردوا حملة كبيرة بقيادة بُلكين بن زيري لإخضاع المغرب، وتواصل غزوهم لبرغواطة على فترات فيما بين 368 ـ 372 ففقد البرغواطيون أعداداً كبيرة من شبابهم وسبيت نساؤهم وقتل عاهلهم عيسى بن أبي الأنصار. ثم جدد العامريون غزوهم لبرغواطة بقيادة واضح سنة 389 بمساعدة الأطراف المغربية الموالية للمنصور بن أبي عامر.

وخلال شطر كبير من القرن الرابع يبدو بنو يفرن مهادنين لبرغواطة في أغلب الأحيان. لكن الإمارة اليفرنية بفاس، بزعامة أميرها الكبير تميم بن زيري جردت حملات متواصلة ضد برغواطة، ابتداء من عشرينات القرن الخامس إلى وفاة تميم هذا سنة 448. وقيل عنه إنه كان يغزوهم مرة كل سنتين ويسبي منهم. بل إنه وضع يده على منطقة تامسنا وولّى عليها عاملا، ولكن مقاومة برغواطة استمرت أثناء ذلك وبعد ذلك، واستطاع بنو يفرن أن يضربوا حصاراً كلياً حول المناطق البرغواطية فيما عدا سبتة وطنجة المستقلتين عن حكم تامسنا. فبنو يفرن وضعوا يدهم على فاس وأحوازها، وعلى سلا وتادلا وحتى على أوريكة وأغمات، لكن برغواطة تامسنا ظلوا قوة ثابتة أمام الأكتساح اليفرني لمدة ربع قرن.

ثم كان على برغواطة أن تواجه هجوم المرابطين الذين وجهوا همهم فوراً إلى تامسنا بعد سجلماسة، فزحفوا إليها بزعامة عبدالله بن ياسين وبعد حروب عنيفة صرع عبدالله ابن ياسين سنة 1058/451 بمنطقة زعير حيث مدفنه بكريفلة. وكانت تسانده قوات ضخمة من صنهاجة ومصمودة المناوئة لبرغواطة. ثم صرع زعيم ديني آخر أقامه المرابطون خلفاً لعبدالله بن ياسين، وهو سليمان بن حدّو. لكن الغزو المرابطي تواصل بزعامة أبي بكر بن عمر، على رواية *القرطاس* الذي يؤكد أن أبا بكر بدد جموع البرغواطيين «... وتفرقت برغواطة في الصحراء، وأذعنوا له بالطاعة وأسلموا إسلاماً جديداً، ولم يبق لديانتهم الخسيسة أثر إلى اليوم». والحقيقة أن الأحداث في تطوراتها تخالف كل هذه التأكيدات تقريباً. فإذا كان أبو بكر بن عمر قد واصل غزو برغواطة بعد ابن ياسين فإن هؤلاء قاوموا الهجوم المرابطي بتحَدٍّ وقوة، ولذلك كان على ابن تاشفين بعد انسحاب أبي بكر بن عمر، أن يغير من أسلوب الشدة في محاولة لإخضاع برغواطة سلمياً. فوجه من مراكش إلى أنفا، حيث عاهل برغواطة وحاشيته، وفداً من العلماء لمفاوضة هذا العاهل (عبدالله بن أبي عبيد محمد). فكان رده عنيفاً إلى درجة أن عمد إلى قتل أعضاء الوفد وجرد خمسين ألفاً من أنصاره ثم زحف باتجاه مراكش، لكن ابن تاشفين لم ينتظر وصول الجيش البرغواطي، بل قصد على الفور طريق أنفا. والحسن الوزان يقول إن أهل تامسنا فروا أمام الزحف المرابطي وتوجهوا بشكل فوضوي نحو طريق فاس، فسنحت الفرصة للمرابطين من أجل القيام بمذابح مُروّعة وتخريب المزارع وعشرات المدن. وقد تكون هناك خيانات وقعت في صفوف برغواطة ومن إليهم من زناتة وغيرهم، لكن أنفا نفسها، وكانت مسورة ومحصنة، صمدت لحصار طويل الأمد امتد أكثر من خمس سنوات. وقد جرت هذه الأحداث ابتداء من سنة 1061/453 تقريباً أي في الوقت الذي استقر فيه المرابطون في خيام حول مراكش قُبيل بنائها. أما جموع برغواطة الفارة أمام ابن تاشفين بقيادة عاهلها المذكور فقد أضناها العطش والجوع وتعقبتها كتائب المرابطين عند وادي

أبي رقراق ثم حاصرتها فهلكت غرقاً أو تحت السيوف. ومع أن الوزّان يقدم صورة قاتمة عن حالة تامسنا وانهيارها الكلي إلى حين توطين العرب بها، فإن الوقت الآن مناسب لتصحيح هذه الصورة جزئياً على الأقل، من خلال الوصف الإيجابي الذي قدمه الإدريسي بالنسبة للنصف الأول من القرن الخامس (11 م) كما سيتضح، وقد أسندت ولاية تامسنا ضمن منطقة جغرافية كبيرة إلى تميم بن يوسف سنة 467 هـ.

تابع المرابطون غاراتهم على برغواطة بالريف الغربي، لكن الصراع هناك كان سياسياً بالدرجة الأولى، فقد كان على سبتة وطنجة حاكم برغواطي يمسك بزمام المنطقة بحزم، وهو سكوت البرغواطي الذي كان أصلا من عبيد الأدارسة الحموديين، فولّوه على سبتة سنة 1036/427 وولّوا رزق الله البرغواطي، وكان أيضا من مواليهم، على طنجة، وكلاهما اعتنق الإسلام. ثم أصبحت طنجة تحت حكم سكوت أيضاً فاستقر بها، وكان نجله ضياء الدولة والياً باسمه على سبتة. وأنشأ سكوت علاقات حسنة مع بني عباد الأندلسيين وبعض أمراء زناتة المناهضين للمرابطين. وكانت سبتة وطنجة من آخر ما فتحه المرابطون بالمغرب، بل كانت سبتة آخر معقل فتحوه بهذه البلاد. وهكذا كان استيلاؤهم على طنجة سنة 1077/470م. بعد مقتل سكوت، ثم على سبتة سنة 477 بعد مقتل ضياء الدولة، وبفضل أسطول المعتمد الذي تخلى عن حلفائه البرغواطيين.

ومفهوم ضمنياً أن البرغواطيين الذين بقوا على قيد الحياة أرغموا على تجديد إسلامهم كما قال ابن الخطيب في *أعمال الأعلام* (3 : 231). غير أن انتفاضة تامسنا تجددت بشكل عنيف بزعامة ابن هود الماسي الذي تزعم ثورة عارمة ضد الموحدين، انطلقت من تامسنا بالذات سنة 542 وهُزمت فيها جيوش عبدالمومن قبل أن تسترد أنفاسها خلال السنة التالية. ثم تجددت ثورة برغواطة سنة 1149/544 بزعامة يومزگيدة الذي انطلقت ثورته من جزولة. وقد أسند عبد المومن أمر قمعها إلى كبار القادة كأبي حفص وعبدالله بن فاطمة اللمتوني الذي انضم إلى الموحدين. وإذا كانت برغواطة قد تعرضت للتشريد في ظل السلطة الموحدية بعد أن فقدت عشرات الألوف من أبنائها على إثر الزحف المرابطي، فإن توطين عشرات الألوف من العرب أيام الموحدين، ومثلها من زناتة على يد يعقوب المريني، أدى إلى صَهْرٍ تدريجي لبربر تامسنا ودكالة في البوتقة العربية، بالنظر لدور القبائل العربية سياسياً واجتماعياً واقتصادياً. وسجل مؤلف *القرطاس* وجود محاربين من برغواطة بالأندلس ضمن الجيوش المرينية بقيادة العاهل يعقوب. وخلال القرن الثامن (14 م) فقدت برغواطة كل بقايا مميزاتها ككتلة بشرية ذات وزن، وفي ذلك يقول ابن الخطيب :«... وقَبيلُهم اليوم قبيل ضعيف، لَعِبَ سيف الملثمين فيهم، ثم سيف المهدي (أي سيوف المَوحدين) بعده».

كانت برغواطة مثلاً فريداً في الشدة على الآخرين في بعض فترات تاريخها خصوصا في مرحلة إفشاء دعوتها، وفي التعامل مع مهاجميها إذا سنحت لها الفرصة فيهم. ونزعة العنف هاته أيضا من سمات كل الأنظمة التي انطلقت باسم التصحيح العقَدي والإيديولوجي كالموحدين والعبيديين وحتى المرابطين. وقد نُسب إلى البرغواطيين إحراق مآت المدن وتخريبها، كما لو أن مدن المغرب بلغت من الكثرة والاكتظاظ أن كان يلاصق بعضها بعضا وهذا ما لم يرد في وثيقة ولا مصدر، كما لا تشهد به الآثار القائمة. ويذكر الوزّان أن البرغواطيين خربوا شالة وأن المنصور الموحدي جددها أو شاد بها زاوية فخمة، لكن مسألة تخريب المدينة يتناقض مع سياق الأحداث (دولة بني يفرن واستقرارهم بالمنطقة ثم الوجود المرابطي).

أما أنفا فتبدو ميناء نشيطاً في بداية القرن السادس وخلاله، سواء كميناء عسكري أو تجاري له علاقات تبادل مع إيبيريا، تشحن منه الحنطة والشعير، وحول المدينة ثلاثة آلاف رحى لطحن الحبوب. وهذا ما يذكره الإدريسي.

وبالنسبة لأزمور فقد كانت تقع في قلب المنطقة المصمودية، لأن قبيلة صنهاجة التي كانت تعمر منطقتها هي قبيلة مصمودية، أي أن اسمها كان على غير مُسَمّى، خصوصاً وأنها مُحاطة بقبائل أخرى مصمودية كرجراجة وحاحة. وعبدالواحد المراكشي هو صاحب هذا التوضيح، وبينه وبين ابن خلدون الذي تأخر عنه زمناً، حوالي قرن ونصف. ومعنى هذا أن برغواطة عندما تجعل من أزمور إحدى عواصمها فهي في عقر دارها مهما كانت قوة المعارضة في صفوف المصامدة. والمصادر التي ترفض أن تتناول الازدهار الاقتصادي للإمارة البرغواطية يشذ عنها الإدريسي بشكل ملحوظ فيأتي بتفاصيل عن آثار هذا الازدهار واستمراره بالنسبة لمجموع المناطق البرغواطية القديمة والداخلة في ولائها، وهكذا فأرض دكالة كلها منازل وقرى ومناهل، ومنطقة تادلا غنية بالقطن إلى درجة أنها تحقق الاكتفاء الذاتي للمغرب، وكانت ضفاف أم الربيع طافحة بهذه المادة وغيرها من المزروعات. كما أن تامسنا كانت منطقة زراعية غنية بمواشيها وأنعامها، وهذا يخالف الصورة القاتمة التي يقدمها الوزان عن هذه الفترة بالذات. وابن خلدون (ج 6) يصف المنطقة الشاسعة التي تكوّن مثلثا يبدأ من تامسنا ورأسه المقابل بسوس، وثالثه بدرعة، وصفاً أدبياً رائعاً وهو يتناول عمران هذه المناطَق المصمودية في معظمها ونشاطها التجاري والزراعي والاستيطاني، منذ فجر الإسلام حتى عصره. ولم يفُت الحسن الوزان أن يشير إلى الطابع الاستقراري والعمراني لتامسنا التي كانت تحتوي، حسب قوله، على أربعين مدينة وحوالي ثلاثمائة حصن معمور. وكانت أغلب مدنهم مسورة شأن النمط المصمودي الذي ينزع إلى التحصن والاحتياط. وهم لم يتركوا محطاً بحرياً بساحل تامسنا إلا استغلوه في حركة التصدير والاستيراد. وعلى سبيل المثال فإن فضالة

(المحمدية) كانت ترسو بها مراكب الأندلس وتشحن منها الحنطة والشعير والقطاني والمواشي. وبلغ من كثرة العرْض بالنسبة لمادة القمح خلال العصر البرغواطي أن حمْل جَمل كان يقايض أحياناً بفَرْدَتَيْ نعل بسوق النخيلة جنوب فضالة. غير أن السهول الأطلسية تأثرت بدخول قبائل العرب ثم القبائل الزناتية التي رحّلها المنصور المريني إلى تامسنا. فالنظام الزراعي الذي تركه البرغواطيون لم يَختف، لكنه تراجع بالتأكيد خلال هذه المرحلة الطويلة، لصالح النظام الرعوي الذي عاش عليه هؤلاء العرب والزناتيون قبل استئناسهم بالنمط الزراعي.

هل كانت برغواطة على الإسلام السني ؟ أم هل كانوا خوارج صفرية ؟ أم لهم عقيدتهم الخاصة ؟ فالبنسبة للاحتمال الأول، كل المصادر تنفيه وهي في مجملها سنية. والاحتمال الثاني ليس هناك ما يرجحه إلا جانب العنف تجاه الخصوم، وهو عنف سياسي عسكري. وهناك قبائل حالفت برغواطة وليست منها ولم تأخذ بعقيدتها المنسوبة إليها، ولم تكن مبادئ الصفرية تسمح بتقديم تنازلات لمن لا يدين بها. وخضعت برغواطة فيما يظهر على الأقل، لسلطة أُوليغَارْسية تعتمد السرية، ولا يبدو التشاور في اختيار ملوكها، وقليلا ما كان الأمر بهذه الصورة لدى أئمّة إباضية المغرب الأوسط أو خوارج سجلماسة، فيبقى الاحتمال الثالث الذي هو موضع إجماع المصادر تقريباً بما فيها ابن خلدون الذي قال عن صالح بن طريف :«انسلخ من آيات الله وانتحل دعوى النبوة وشرع لهم الديانة التي كانوا عليها من بعده». وأما تنويه ابن حوقل بمكارم برغواطة فلا يتناول شعائرهم واتجاههم العقدي بوضوح. والأخلاق الاجتماعية قد تنشئها العادات والمحاكاة. ولربما نصت عليها العقيدة البرغواطية على نمط الكونفوشيوسية ذات التوجّه العملي، لكن حتى هذه العقيدة البرغواطية الغريبة لم تقدّم إلينا كاملة ولا مباشرة عبر مصادرها الأصلية. فأغلبها مما نسبه البكري إلى زمور البرغواطي وإن كنا نجد بعض الاختلاف بين المصادر بعده فيما أخذ عن زمور.

ويمكن المقارنة بين البكري وصاحب *الاستبصار* مثلا. ودون استعادة تفاصيل هذه العقيدة هنا لا بد من الالتفات إلى ما ياتي : 1 ـ تعتمد العقيدة على قرآن مزعوم. 2 ـ تنشئ صلاة وزكاة وصياما وشريعة زواج وعقوبات جنائية، ولها صيغ مخالفة للشريعة الإسلامية. 3 ـ في بعض العبارات الدينية المستعملة ما يدل على إقرار البرغواطيين بوحدانية الله. ومن جهة أخرى فإن سور "القرآن" البرغواطي تحمل أغلبها أسماء أنبياء خصوصاً أنبياء بني إسرائيل بالإضافة إلى سور ترمز إلى أحداث وصُنّاع لها من بني إسرائيل. وعندما تتناول العقيدة موضوع الدية فهي تجعلها من البقر شأن كثير من الحالات التي وردت في التوراة. وأخيراً فبعض ملوك برغواطة ادعوا النبوءة أيضا. ومعلوم أن عدداً من أنبياء بني إسرائيل جمعوا بين الملك والنبوة كسليمان وداود. أما أخذ بوغواطة، أو بعض أوساطهم بالفلك والسحر والكهانة فقد كان هذا مما عرف عن المجتمع المصمودي في جهات أخرى كغمارة وسوس. وهكذا فإن العقيدة البرغواطية لا تخلو من مؤثرات إسرائيلية إلى جانب المؤثرات الوثنية والتشريعات الخاصة، وكل هذا بطبيعة الحال في حدود ما وصلنا من معلومات عن العقيدة البرغواطية، وهي في كل حال لا تكتمل إلا بمعرفة النصوص الكاملة والأصلية للشريعة البرغواطية.

وقد تحدث البكري عن إسلام كل برغواطة في أواسط القرن الخامس (11 م) على يد المرابطين، وقيل مثل هذا عن العصر الإدريسي، لكن النزعة الاستقلالية لبرغواطة ظلت بارزة السّمات مدة طويلة كما دلت على ذلك انتفاضتها على عهد عبد المومن الموحدي.

أما الجانب الثقافي فقد مُحي كلّ أثر تقريباً لنمطه ومؤثراته فيما يرجع إلى الثقافة المدونة علماً وإبداعاً، مع أن ملوك برغواطة كانوا على مستوى رفيع من المعرفة. وزمور البرغواطي كان صاحب الصلاة في النظام البرغواطي، أي مكلّفاً بالشؤون الدينية لا سيما الصلاة ومعابدها. وفي ظل السلطة البرغواطية المسلمة بسبتة وطنجة خلال القرن الخامس كانت هناك حركة ثقافية جيدة خصبة كما يستخلص ذلك من كتب التراجم الأندلسية *ومدارك* عياض. ومن البرغواطيين المتأخرين يحيى بن إبراهيم الذي نقل المقري ترجمته عن *الإحاطة* وهو معاصر لابن الخطيب. وكان نقاداً صوفياً مع روعة أفكار وأسلوب ومع معالجته لموضوعات تتصل بعلم الاجتماع الديني.

وتعدُّد المصادر، انطلاقا من البكري ومروراً بمؤلف *الاستبصار* وانتهاء بابن خلدون، القبائل التي دانت بالعقيدة البرغواطية مع انتمائها السياسي إلى الدولة البرغواطية، وكذا القبائل المسلمة التي دانت لها سياسياً. ومن الفريقين زناتيون وصنهاجيون ومصامدة، لكن ليس بينهم غماريون. ولذلك يمكن القول إن المجتمع البرغواطي يعتمد في نظامه على الدولة التوحيدية لا دولة العصبيّة الضيقة. والتوحيد هنا يرتكز على تحالفات ونظام للمقاومة والمواجهة كان بالتأكيد صارماً وملتحماً بالنظر لفترات التجديد والانبعاث في الحركة، كما أن النظام الحاكم حافظ على نوع من الشعبية في فترات السلم حسبما يتبين ذلك من عدم أخذه بمظاهر الملك الفخمة المعاصرة له.

ابن حوقل، *صورة الأرض* ؛ أ. البكري، *المسالك والممالك* (إفريقية والمغرب) ص : 87، 135، 141 ؛ أ. البيدق، *أخبار المهدي*، ص : 67، 69 ؛ م. الإدريسي، *نزهة المشتاق* (وصف إفريقيا والأندلس) ص : 71، 75 ؛ مؤلف مجهول، *الاستبصار*، ص : 107، 200، ت : سعد زغلول عبدالحميد ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، ص : 340 ؛ ط. ياقوت، *معجم البلدان*، مادتا سبتة وطنجة ؛ ابن عذاري، *البيان*، 1 : 319، 2 ؛ 6 ؛ م. الدمشقي الأنصاري، *نخبة الدهر*، ص : 236 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص : 110، 190 ؛ ل. ابن الخطيب، *أعمال*

الأعلام، 3 : 184، 231، ت. م. م. عبادي ومـ. إ. الكتاني ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 428، 436، 376، 379 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، 8 : 298 ؛ التقي العلوي، *أصول الغارية*، مجلة البحث العلمي، ص: 241، 248، ع : 28 ؛ إ. حركات، *ملامح من تاريخ طنجة في العصر الوسيط*، مجلة دار النيابة.

Léon l'Africain, *Description de l'Afrique*, p. 157 - 161. Notes de Epaulard, Paris, 1956 ; A. Bel, *La religion musulmane en berbérie*, T. 1, Paris, 1931 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, 1, 128 - 132, Casablanca, 1949 ; R. Basset, *Berghawata*, *E. I.* 2, Paris ; G. Martinet, *Naissance de Casablanca et son évolution commerciale*, in *Actes du Colloque de Casabanca*, Faculté des Lettres I, Casablanca, 1982.

إبراهيم حركات

البرغواطي، سكوت، اختلفت المصادر في إثبات اسمه : فهو سَقوت، عند ابن بسام (*الذخيرة*، 2 : 657)، وسكُوت، عند ابن أبي زرع وابن خلدون (*القرطاس*، 140 ؛ *العبر*، 4 : 335) وسكات، عند المراكشي (*المعجب*، 101) ويعرف أيضا في بعض المصادر باسم سواجات (*البيان*، 3 : 231 ؛ *أعمال الأعلام*، 141).

اسمه الكامل هو سكوت بن محمد، ينحدر من قبيلة برغواطة البربرية التي كانت تتعرض باستمرار لغارات الحموديين الغماريين، وفي إحدى هذه الغارات أسر سكوت هذا وهو في سن دون البلوغ. فاشتراه أول الأمر شيخ حداد من شيوخ غمارة، ثم بيع بعد ذلك إلى أحد الأمراء الحموديين قد يكون على الأرجح علي بن حمود الذي كان آنذاك حاكما لسبتة من قبل الخليفة الأموي سليمان المستعيي (*مفاخر البربر*، 58 ؛ *العبر*، 6 : 456 ؛ *الذخيرة*، 2: 657). يبدو أن سكوت كان له من الخصال الحميدة والشجاعة والذكاء ما جعل مولاه ينعم عليه بالحرية ويفتح أمامه الأبواب ليشغل أهم المناصب بسبتة خلال العصر الحمودي.

في سنة 1021/412 عين سكوت حاكما على سبتة وطنجة وأحوازهما من طرف الأمير يحيى بن علي الذي التحق وقتها بالأندلس ليتولى منصب الخلافة خلفاً لأبيه المتوفى (*المعجب*، 78 ؛ *البيان*، 3 : 250 ؛ *العبر*، 4 : 331 ؛ *الذخيرة*، 2 : 657) انطلاقا من هذا التاريخ بدأ الدورالسياسي لسكوت البرغواطي. إلا أن أهم ما يميز هذه المرحلة الأولى من العهد البرغواطي أن سكوت لم يكن يحكم وحده، بل كان يقاسمه نفس المنصب وبأمر من الأمير الحمودي مولى ثان من موالي آل حمود يعرف بأبي العطاف، (*الذخيرة*، 2 : 657)، وتنعته باقي المصادر باسم «رزق الله» (*البيان*، 3 : 250 ؛ *المعجب*، 101) وفي غياب السلطة الشرعية استبد سكوت وشريكه رزق الله بالحكم، وإن ظلا يعترفان بخلافة بني حمود ويحتضنان أمراءهم جرياً على عادة ألفها آل حمود تتمثل في إبقاء ولاة عهدهم في سبتة منطلق حكمهم، كما أنهما لم يترددا في حسن استقبال وفادة الخليفة إدريس الثاني المخلوع، وإن كان في واقع الأمر أسيرا لديهما. وبالرغم من أن الظروف، كما يستفاد من المصادر، كانت مهيأة للثورة ضد الحاكمين البرغواطيين بسبب تذمر الأهالي من حكمهما فإن سماحة إدريس الثاني لم تدفعه فقط إلى رفض عرض الثائرين، بل أخبر الحاكمين بالمؤامرة، فكان رد فعل سكوت ورزق الله أن أمرا بنفي المتآمرين. أما مصير إدريس الثاني فقد اختلفت المصادر في شأنه : فرواية المراكشي تفيد أن الأمير الحمودي لقي نفس المصير بحيث طرد إلى الأندلس، بينما احتفظ بابنه واستمر الاعتراف بشرعية خلافته (*المعجب*، 102) أما ابن عذاري فيذهب إلى أن الحاكمين البرغواطيين احتفظا به إلى غاية وفاته سنة 444/52. 1053 (*البيان*، 3 : 218).

بعد وفاة إدريس الثاني، عزم سكوت وشريكه على قطع علاقتهما بالحموديين في الأندلس. هكذا لم يتردد سكوت في إصدار أوامره باغتيال الحسن الماسي عندما علم بنزوله في ريف غمارة (*البيان*، 3 : 218 ؛ *المعجب*، 95) وفي سنة 446/54. 1055 تباطأ سكوت في طلب القاسم لمؤازرته لرد عدوان المعتضد بن عباد المتربص آنذاك بالجزيرة الخضراء، وعندما وقعت المدينة في قبضة بني عباد، خشي سكوت على سلطانه من الأمير الحمودي المهزوم، فرفض احتضانه الشيء الذي دفع بهذا الأخير إلى اللجوء إلى قرطبة حيث بقي إلى أن مات (*البيان*، 3 : 213).

انطلاقا من سنة 1061/453 بدأ سكوت عهده الجديد بقتل رزق الله شريكه ومنافسه في السلطة، ثم أعلن نفسه أميراً مستقلاً على سبتة وطنجة، واتخذ من الألقاب السلطانية، لقب «المنصور المعان» (*مفاخر البربر*، 45 ؛ *الذخيرة*، 658 ؛ *البيان*، 3 : 250 ؛ *أزهار الرياض*، 1 : 37). وقد برهن على استقلاله بأن ضرب سكة خاصة به تحمل على وجهها الأول اسمه ولقبه «المنصور المعان ـ سكوت» في حين أثبت على وجهها الثاني اسم ولقب ابنه «الحاجب ـ بهاء الدولة ـ الخ» ولكي يضفي نوعا من الشرعية على ملكه، أثبت على السكة اسم الخليفة العباسي عبدالله القائم بأمر الله (421/1031 . 467/1075).

ولم تفدنا المصادر بأي شيء عن سياسته الداخلية، أما بالنسبة لعلاقاته الخارجية فقد تميزت على العموم بالصراع على الواجهتين الأندلسية والمغربية.

إن كراهية سكوت لابن عباد صاحب أشبيلية كانت كرد فعل لكراهية هذا الأخير لبني جلدته بربر الأندلس. استفحل العداء بين الطرفين وأصبحت الحرب على وشك الانفجار انطلاقا من سنة 1065/457. تروي المصادر أن من الأسباب المباشرة لاندلاعها اعتقال المعتضد لتاجر سبتي في حضرته فردعليه سكوت بالمثل بحيث اعتقل عدداً من التجار الأشبيليين في سبتة فدارت معارك طاحنة بين الطرفين بمضيق جبل طارق، وقد انكشفت هذه الحروب أول الأمر عن قوة سكوت العسكرية، ولم تنهر قوته هذه إلا عندما عزز المعتضد أسطوله البحري بأسطول ثان يشتمل على ثمانين سفينة كان قد فرغ من صنعها كما يروي ابن حيان، ويبدو أن الحرب توقفت عند النصر أو الهزيمة، ذلك أن المعتضد لم يسع إلى قطف ثمار نصره بضم سبتة إلى ممتلكاته بالرغم

مما عرف عنه من جشع. فاكتفى بالانسحاب تاركا المضيق تحت سيطرة سگوت (*الذخيرة*، 2 : 659).

استمرت القطيعة بين الطرفين مدة طويلة. ولم يكن وقتها خافيا على سگوت ما يقوم به ابن عباد ضد الإمارات الأندلسية الصغرى. فكان حذرا من كل ما يأتي به البحر. فقد خشي احتضان حتى أولئك البربر الذين شردهم ابن عباد بعد أن نزع منهم ممتلكاتهم (*البيان*، 3 : 273).

أما بالنسبة للواجهة الإفريقية فيبدو أن علاقة سگوت البرغواطي بالإمارات البربرية المستقلة خصوصا مع إمارة مغراوة الزناتية المحاذية لمملكته من جهة الجنوب، كان يطبعها الود والتحالف، إذ لم تسجل المصادر أي صراع إقليمي أو قبلي بين الطرفين، بيد أن أهم مظهر لهذا التحالف تجلى أثناء الصراع الزناتي ـ المرابطي. ذلك أن تميم بن معنصر زعيم مغراوة الذي يعتبر حجر عثرة بالنسبة للفتح المرابطي بإقليم فاس، كان على اتصال بسگوت البرغواطي، وربما كان يدين له بنوع من الولاء. تذكر المصادر أن تميماً هذا لما قتل المهدي بن يوسف قائد جيوش الملثمين بعث ـ كما يقول ابن خلدون ـ برأسه إلى وليه ومساهمه في شدته الحاجب سگوت البرغواطي (*العبر*، 6 : 378 ؛ *القرطاس*، 140).

يستفاد من هذا أن سگوت كان في مركز قوة بالنسبة للقوى المحيطة به، وكان بإمكانه أن يحافظ على قوته لمدة طويلة في الوقت الذي انهارت فيه إمارة مغراوة الزناتية تحت ضربات الملثمين وتحول زعماؤها إلى سجناء حصن الدمنة الواقع قرب طنجة (*الذخيرة*، 2 : 660)، ذلك أن سگوت كان بوسعه أن يلعب بالورقة السياسية للحفاظ على ملكه ولو إلى حين، فينحاز إلى الحلف المرابطي عندما دعاه هؤلاء إلى مؤازرتهم ضد الزناتيين المعتصمين بحصن الدمنة. إلا أنه رفض الطلب بإيعاز من ابنه وولي عهده العز ضياء الدولة، فكان حدث سقوط حصن الدمنة وجبل علودان ببلاد غمارة في يد المرابطين سنة 465/72. 1073 أو سنة 471/78. 1079، مؤشراً بوقوع الحرب بين الجانبين (*العبر*، 6 : 380. 457 ؛ *القرطاس*، 142 ؛ *الذخيرة*، 2 : 660) كما أن تطور الأحداث بالأندلس الجائم تحت وطأة الخطر المسيحي ومحاولة المرابطين الاستفادة من هذه الأحداث باسم الجهاد، أضعف موقف سگوت العسكري، ففي سنة 467/1075، استقبل يوسف بن تاشفين وفداً أشبيلياً بعث به ابن عباد قصد التفاوض مع الملثمين وليعرض عليهم العبور إلى الأندلس (*القرطاس*، 142).

هكذا وبالرغم من أن كل الأحداث كانت تسير ضد سگوت، فقد أبى إلا أن يصمد في وجه المرابطين «وألا يسمع أهل طنجة طبول اللمتونيين ما دام حياً أبدا» فخرج بالرغم على كبر سنه لملاقاة جيوش المرابطين التي كان يرأسها صالح بن عمران، والتقى الجيشان قرب وادي منى بأحواز طنجة سنة 471/70. 78/1079 فأسفرت المعركة عن مقتل سگوت عن سن تناهز 86 سنة، ودخل المرابطون طنجة، في حين بقيت سبتة تحت حكم ابنه ضياء الدولة (*القرطاس*، 142 ؛ *الذخيرة*، 1 : 661).

سار سگوت البرغواطي سيرة ملوك الطوائف العظام. فأحاط نفسه بثلة من الشعراء والعلماء، أولاهم رعايته وأغدق عليهم نعمه. ولعل من أهم الأدباء الذين حفلت بهم هذه المرحلة وتجاوز صيتهم حدود سبتة حتى حسده عليهم جاره ابن عباد ثلاثة رجال : ابن مرانة الفرضي، وابن غازي الخطيب، وابن عطاء الكاتب (معجم *البلدان*، 3 : 183 ؛ *المطرب*، 89. 90).

اهتم سگوت أيضا بالفقه والفقهاء ولعل من أهم الفقهاء الذين حظوا بعنايته ومنّه، كبير فقهاء عصره أبو الأصبغ بن سهل بن عبدالله الأسدي الجياني صاحب كتاب *الإعلام بنوازل الأحكام* (*الديباج*، 181. 182).

وحسبنا ما رواه ابن عذاري لتبرير مدى اهتمام سگوت بالعلم والعلماء من أن الوليد بن جهور صاحب قرطبة ذكر في أحد مجالسه أنه توصل في يوم واحد بثلاثة كتب : اثنين منهما لابن صادح صاحب ألمرية ولابن عباد صاحب أشبيلية يطلبان مغنية، والثالث لسگوت البرغواطي يطلب قارئا يقرأ القرآن. فتعجب ابن الوليد من الأمر وقال : «جاهل يطلب قارئا وعلماء يطلبون الأباطيل» (*البيان*، 3 : 250).

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن بسام، *الذخيرة*، ج : 2 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج : 4. 6. 7 ؛ ابن الخطيب، *أعمال الأعلام* ؛ ابن دحية، *المطرب* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج : 3 ؛ ابن فرحون، *الديباج* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ مجهول، *مفاخر البربر* ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، ج : 1. 3 ؛ ي. الحموي، *معجم البلدان*، ج. 3.

Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIe et XIVe siècles.* Thèse 3ème cycle, Aix- Marseille I, 1987.

زليخة بنرمضان

بَرْغُوت، أسرة تطوانية أصلها من غمارة، وكان من بين أفرادها فقهاء مثل :

بَرْغُوت، أحمد بن المكي الذي زاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1313/1896 إلى سنة 1316/1899.

بَرْغُوت، محمد بن عبد الصادق الذي كان يتعاطى نفس الخطة بتطوان من سنة 1301/1884 إلى سنة 1305/1888.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

برق الليل، أسرة رباطية أخذت هذا اللقب حديثاً، وكانت تسمى «ابن عبدالرحمان» نسبة لصالح شهير في الريصاني بتافيلالت، أما سبب هذا اللقب فترجعه الرواية الشفوية إلى أن جداً قريباً لهذه الأسرة كان يتوجه إلى صلاة العشاء أو الفجر لابساً البياض على متن حصان أبيض،

فكان لونه هذا يلمع في ظلام الليل فأطلق عليه السكان برق الليل ولا يعرف اسم هذا الشخص بالضبط.

برق الليل، محمد بن عبدالرحمن بن علي المدعو الفيلالي، الذي قدم من تافيلالت ليقطن الرباط كان من العدول المدرسين، وقد رأى محمد بوجندار من آثاره الحوالة القديمة للأحباس الكبرى الرباطية سجل فيها أيام السلطان المولى سليمان بقيادة عامل الرباط آنذاك الغازي بن المدني الشاوي المزيمزي ما يتعلق بأوقاف الرباط، وأحصاها وحددها وجمعها، وهي مبوبة على مسطرة ما تضمنته حوالة السلطان المولى إسماعيل المؤرخة بعام 1112، وكان ترتيب هذه الحوالة في عهد ناظر الرباط الفقيه الحاج العربي بن بناصر ملين بتاريخ أواخر ربيع الثاني عام 1223. وعليها توقيع محمد برق الليل وشكله.

كان محمد برق الليل من خواص الأديب الشهير ابن عمرو، ويستفاد من بعض الرسوم أنه سجن أيام القاضي يوسف البوعناني لتبذيره حانوت أبيه وتضييعها على نفسه وعلى إخواته الذين كانوا تحت كفالته.

وكان يقوم بالتدريس ونشر العلم وقد رأى بوجندار ظهيراً للسلطان المولى سليمان يكلفه بالتدريس في الجامع الكبير وينفذ له راتباً شهرياً لمؤونته وكسوته من أوقاف الرباط، وهو مؤرخ بـ 18 محرم 1234. وبعد وفاة المولى سليمان شمل السلطان المولى عبدالرحمان أسرته برعايته. وحسب ظهير رحماني مؤرخ بربيع الثاني عام 1240 أمر السلطان بأن ينفذ لأولاده بعد وفاته مؤونة شهرية من أوقاف سلا إعانة لهم على يتمهم وفقرهم. وكانت وفاته في رمضان عام 1234 / 1818.

وهناك في القرن التاسع عشر شخص في الجديدة يحمل اسم عبدالرحمان برق الليل لعله كان أميناً بمرساها ولا يعرف إن كان هو والد الفقيه محمد المترجم أعلاه.

م. بوجندار، *الاغتباط*، 153 ؛ *رواية شفوية* أدلى بها السيد قاسم برق الليل إسكاف بدرب وزْهرة ببوقرون بالرباط يوم الأربعاء 23 ماي 1990.

عبدالاله الفاسي

برقوق، فاكهة من أنواع جنس برونس Prunus الذي ينتمي إلى فصيلة الورديات Rosaceae. شجرة البرقوق متوسطة القامة لا تتعدى أربعة أمتار، جذعها مستقيم ومشقق شيئا ما. الأوراق عنقية وبيضوية الشكل، مسننة ومجتمعة على شكل ياقات على الأغصان، تظهر عادة في فصل الربيع ابتداءً من مارس وتسقط في فصل الخريف. الأزهار بيضاء وصغيرة تظهر مع الأوراق، لها خمس تويجيات. الثمار بيضوية الشكل ومتوسطة الحجم حيث يتفاوت قطرها حسب الأنواع والضروب من سنتمتر واحد إلى أربعة سنتمترات مختلفة الألوان بحسب الأنواع : صفراء وحمراء وبنفسجية ومسودة. يُعرف في العالم أكثر من ثلاثمائة نوع من البرقوق، منها الحلوة المذاق ومنها الحامضة. غزيرة العصير وكثيرة اللب بداخلها بذرة يكسوها غشاء صلب. وقد عُرف البرقوق منذ قديم العصور، ويُرجح أن الشجرة الأصلية هي نوع Prunus Spinosa ونوع Prunus Insitia الذي نتج عن تهجينها نوع Prunus domestica .

عرفت زراعة البرقوق في المغرب الحديث تطوراً كبيراً نتج عنه أصناف أخذت تلعب دوراً هاماً في اقتصاد البلاد. تتطلب الزراعة كميات هائلة من الماء وتنبت الأشجار في بيومناخات باردة ومعتدلة حيث نجدها متوفرة في الريف والأطلس المتوسط والكبير والسهول السقوية (سهول الغرب وحوض سوس ونواحي مراكش).

تعتبر الثمار من الفواكه التي تستهلك في الصيف ومن بين الضروب هناك ما يُجَفّف ويُعلّب ليؤكل بعد طبخه. إنها ثمار منعشة المذاق تتكون من 70غ من السكريات ومن كميات هامة من الكلسيوم وڤيتامين pp, B2, B1. كثيرا ما ينصح الأطباء الأطفال بتناول البرقوق المجفف زيادة عن شهرته المعروفة منذ القدم لكونه مسهلا ومُخففا للنزيف والإفراز.

تتم زراعة البرقوق بواسطة البذور أو التطعيم أو بالافتسال، ويفضل الفلاح العمليتين الأخيرتين، وذلك للتأكد من الضرب الذي يريد غرسه. تعد أشجار اللوز المر والبرقوق الشائك والمشمش من النباتات القابلة لتطعيم البرقوق.

Cl. Ch. Mathon, *Phytogeographie appliquée, l'origine des plantes cultivées*. Masson, 1981 ; A. Akoka, *Medecine naturelle*, Paris, 1978.

نجاة الخياطي

برقوق، أسرة رباطية شريفة تنتسب إلى إدريس بن إدريس الأكبر، أصلها من الأندلس، عرف أفرادها بالنسك والصلاح، إلى جانب التجارة والعدالة. وكان لآل برقوق أملاك واسعة تمتد من ضريح سيدي محمد الضاوي الذي يتصرفون في فتوحاته والواقع قبالة باب قصبة الأوداية إلى الزاوية القادرية. وممن ذكرته المصادر المكتوبة منهم :

برقوق، إدريس الإدريسي الحسني، من أعيان أشراف الرباط في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر (19 - 20 م). لقيه الشيخ محمد يحيى الولاتي حين وصل إلى الرباط في طريقه إلى حج بيت الله الحرام سنة 1313 / 1895 وأصهر إليه بابنته خديجة واستقر معها بمنزلها خمسة أشهر قبل أن يتابع رحلته إلى الحجاز. وبعد رجوع الشيخ الولاتي من الحج استقر مع زوجته بنت برقوق في منزلها أيضاً شهراً. وذكر في *رحلته الحجازية* الشريف إدريس برقوق وأثنى عليه خيراً.

م. يحيى الولاتي، *الرحلة الحجازية*، تح. محمد حجي، بيروت، 1990، 157 و315 ؛ م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، 198، رواية شفوية عن م. الأمين بلكناوي.

محمد حجي

البرقوقيون، إحدى الفرق الثلاث التي تتكون منها قبيلة أنجرة، يجاورهم الحوز وقبيلة وَدْراس وفرقة الغابويين شرقا إلى حدود مدينة سبتة.

كانت فرقة البرقوقيين في عهد الحماية الإسبانية تابعة لمقاطعة جبالة الشرقية، ولكن في التقسيم الجماعي الحالي أصبحت تسمى «جماعة خميس أنجرة» وهي قيادة تابعة لإقليم تطوان. ويبلغ عدد سكانها حسب إحصاء 1982 : 10,911 نسمة.

يرتكز نشاط البرقوقيين على الفلاحة وتربية المواشي، ويرجع بعض السكان اسم فرقتهم لوجود عدد كثير من أشجار البرقوق بها. وأهم مركز تجاري بها هو سوق خميس أنجرة الذي يرتبط بتطوان وسبتة وطنجة.

من بين أهم مداشر فرقة البرقوقيين : بني معدن الذي يوجد به ضريح «سيدي النعيمي» حيث يجتمع سكان القبيلة للتداول في المسائل العامة، وكان يعيش به شريف يدعى سيدي أحمد الوزاني، يلجأ الأنجريون إليه لحل نزاعاتهم. وبني حلو الذي تذهب نساؤه إلى سوق الخميس القريب منهم لبيع اللبن والزبدة وبعض المناديل و«الكرزيات» التي يصنعنها. وبني عتاب حيث كان يعيش قائد القبيلة الدواس. وبوزاكي التي كان بها في عهد الحماية جوق للغياطة يلجأ إليها سكان القبيلة لإحياء حفلاتهم. وبلعشيش، أغلب سكانه من أولاد بولعيش المشهورين بالشجاعة المنتمين إلى الطريقة التجانية وأغلبهم طلبة، يذهب كثير منهم لاستكمال تعليمه بالقرويين بفاس.

وكان بأحد دواوير هذه الفرقة (الشّعيرِيّين) مقلع مهم من الرخام وأحجار الجير وذلك قبالة جزيرة البقدنوس.

دراسة ميدانية.

أحمد بوجداد

البركات (أبو ـ) ← بو بركات

بركات، علي (مولاي ـ) بن **الضو**، ولد سنة 1919 بأولاد حريز من أولاد بو السباع إقليم الصويرة. وبدافع الغيرة الوطنية والشجاعة التي كان يتسم بهما أسس خلية سرية بشيشاوة تابعة للفرقة السرية التي كان يرأسها الشهيد حمان الفطواكي.

كانت بداية أعمال تشكيلته قطع الأشجار وتوزيع المناشير وزرع الرعب برسائل التهديد وقطع أعمدة التيلفون مع محاولات جادة للحصول على السلاح، فقد حصل بركات على مسدسين وقنبلة، لكن افتضاح أمره أدى به إلى الاعتقال يوم 25 غشت سنة 1954 حيث سيق إلى مركز الدرك بشيشاوة وهنالك تعرض لأبشع طرق التعذيب لكنه لم يرضخ لسجانيه وآثر التعذيب على البوح بأسرار فرقته إلى أن استشهد يوم 24 شتنبر 1954 بمركز الدرك الفرنسي.

المندوبية السامية للمقاومة، *كتاب الشهداء*، ج 3.

عزالدين العلام

بَـرْكات، (رأس ـ) يقع بشاطئ البحر المتوسط المقابل لمليلية، وقد أشارت إليه الخرائط البحرية الأوربية القديمة

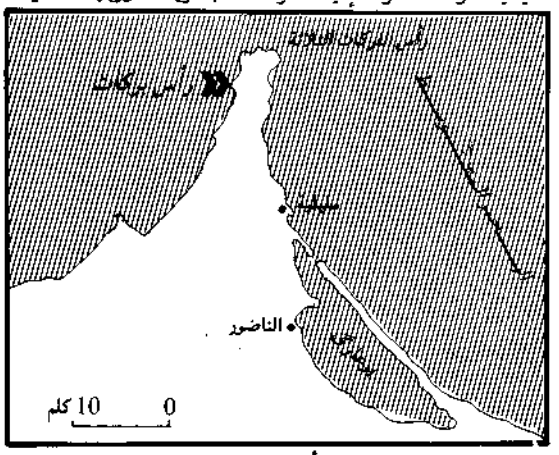

رأس بركات

باسم رأس طرامونطانا Cabo Tramutana.

محمد ابن عزوز حكيم

بركات بن **محمد** (الشيخ ـ) ← **التُّدسي بركات**

بركاتو، علي بن عبد القادر السباعي، تولى منصب القيادة على فخذ أولاد عمران من قبيلة أولاد بو السباع سنة 1312 / 1894 وذلك عندما قُسمت القبيلة السباعية إلى ثلاث إيالات بعد وفاة السلطان الحسن الأول. وكان مقر قيادته في قرية أولاد الزير بالمنطقة المسماة بُوجمادى على مقربة من وادي بوعنفير. وقد ناصبه القائد عبد المالك المتوكي العداء فعمل على خلعه سنة 1899 تطبيقاً لسياسته التي كانت تهدف إلى بث التفرقة بين القواد السباعيين ليحول الصراع بين مختلف أفخاذ القبيلة السباعية دون توحيد كلمتها تمهيداً للاستيلاء عليها. وتولى مكانه القائد بِّيه بن بلعبيد السباعي. ولما اغتيل هذا الأخير في ثلاثْ ـ نْ ـ يعقوب من طرف بعض أكلاوة، انتقاماً منه لخضوعه للقائد الطيب الگنتافي، عاد القائد علي بركاتو إلى منصبه.

وقد ظهرت عدة خلافات بينه وبين قائدي فرقة أولاد عمرو وهما مبارك بن البشير السباعي ويرعاه السباعي. وكانا يطالبانه بأداء نصف الواجبات المخزنية والقيام بنصف الكُلف. بينما كان متشبثاً بأداء الثلث الذي يلزمه فقط بدعوى أن أرض القبيلة كانت مقسمة أثلاثاً بين الإيالات الثلاث. ولما تدخل المخزن قُسمت أرض القبيلة مناصفة ساقيةً وبوراً بين أولاد عمرو وأولاد عمران. فصار يلزمه وحده نصف المتطلبات المخزنية من كُلف ووظائف وغيرها.

ظهير تعيين القائد علي بركاتو مؤرخ بـ 26 شوال 1314، خ. ح. رقم 199 ؛ *نظير رسالة سلطانية* إلى القائد بركاتو بتاريخ 16 محرم 1314 / يونيو 1896 ؛ *نظير رسالة إلى القواد الثلاثة* بتاريخ 9 جمادى الثانية 1314 / نونبر 1896، خ. ح. الرباط 635، ص 213 ؛ م. ح. كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*، ر.د.د.ع. 1988.

L. Baritou, *Les grandes lignes de l'histoire des populations de Chichaoua*, CHEAM, N° 45, pp. 8 - 50.

بركاتو، محمد بن علي السباعي، قائد ابن القائد علي بركاتو السالف الذكر، نصّبه القائد عبد المالك المتوكي قائداً على فرقة أولاد عمران السباعية عندما صارت قبيلة أولاد بوالسباع خاضعة لنفوذه غداة انهزام أحمد الهيبة في معركة سيدي بوعثمان على يد الفرنسيين.

رواية شفوية : م. ح. كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*، ر.د.د.ع. 1988.

م. حسن كفناني

برگاش، أسرة أندلسية شهيرة تنتمي إلى أحد رفقاء عبدالرحمان بن معاوية (الداخل) في فراره من العباسيين إلى الأندلس في منتصف القرن الثاني الهجري. وقد نزح آل برگاش إلى المغرب في جملة النازحين بعد سقوط غرناطة. وما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسمVargas الذي تعرف به أيضا مدينة بمقاطعة لوگرونيو Logroño الإسبانية. وقد استقر آل برگاش عند التحاقهم بهذه العدوة في تطوان والرباط، إلاّ أن فرع تطوان انقرض منذ سنة 1778/1192، بعكس فرع الرباط الذي تكاثر واتسع، واشتهر أفراده بالعمل في أسطول الجهاد البحري إلى أيام السلطان مولاي عبدالرحمان (1238. 1822/1276. 1859) وتولّى عدد منهم وظائف مخزنية سامية كعمالة مدينة الرباط ونظارة الأحباس بها، وكان منهم وزراء وسفراء وأمناء.

برگاش، إبراهيم بن شعيب، لعله الجد الأول لآل برگاش الرباطيين المهاجرين من الأندلس. وقد وجد اسم إبراهيم برگاش في لائحة أعضاء الديوان الأندلسي الذي حكم القصبة في العشرينات من القرن الحادي عشر الهجري (17 م). فقد أمضى بمعية القبطان محمد بن عبدالقادر موريتو وأعضاء الديوان الذين يبلغ عددهم ستة عشر عضوا، باسم كل أندلسيي القصبة وسلا الجديدة، مشروع اتفاقية مع جون هاريسون الإنجليزي في 10 مايو 1627 في إطار العلاقات بين الإنجليز وحكام القصبة الأندلسية التي تميزت تارة بتبادل الهجومات وأسر السفن وسلب الغنائم وطورا بالهدنة. وكان الحاكم العام للقصبة الأندلسية محمد بن عبدالقادر سيرون قد وقع مع ممثل فرنسا الفارس إسحاق دورازيلي Isaac de Razilly وقبطان سفينة du Chalard هدنة في هذا المضمار في 2 إكتوبر 1629. ويعطي دوكاستر أسماء الأشخاص القاطنين بالقصبة، فإلى جانب برگاش أو Vargas هناك Pelafres أو بلافريج، وبلانكو، وباركو وردوريكيز. - وقد انقرضت اليوم هذه الأسر الثلاث الأخيرة - وكراسكو (كراكشو)، وسانتياگو وگولان وكوزمام - وهي أسماء لم يبق لها وجود اليوم ضمن العائلات الرباطية. وكان أعضاء الديوان أنفسهم يستعملون الإسبانية سواء في مراسلاتهم أو في كتابة المعاهدات مع أوربا.

لقد كان إبراهيم برگاش ضمن حكام ما سمي بجمهورية أبي رقراق التي كانت مستقلة في الواقع عن سلطة السعديين على الرغم من أن هؤلاء الأخيرين عزموا على احتوائها، وبقيت مستقلة حتى سنة 1641.

وإذا كان العلويون وضعوا حداً لهذا الاستقلال فإن أبناء إبراهيم برگاش وأحفاده وغيرهم من العائلات الأندلسية لعبوا الدور الأساسي في تسيير مدينة الرباط طوال العهد العلوي.

برگاش، حجي بن الغازي، فقيه وصفه محمد بن علي دينية صاحب *الانبساط* بخصال نقتطف منها ما يلي :«الفقيه...العدل، كان من ذوي المروءة والأخلاق كثير المفاكهة» وقد تصاهر مع القاضي محمد عاشور فتزوج من ابنته وكان من العدول أيام القاضي الطيب بسّير الذي يعرف أنه كان قاضيا سنة 1834.33/1249. ولما تولى عبدالرحمان البريبري نفس الخطة من 1850.49/1266 إلى 1865.64/1281. أخره عن خطة العدالة، لكنه رجع إليها عندما ولي محمد بن إبراهيم النيابة عن البريبري وبقي بها إلى أن توفي في 21 رجب 1/1294 غشت1877.

برگاش، الصديق، ابن ثانٍ لمحمد برگاش النائب السلطاني بطنجة. تقلب في عدة وظائف مخزنية فاستخدم أولا أمينا بمرسى الرباط لمدة طويلة أيام الحسن الأول الذي كلفه ببناء قصره بداخل الروض الموجود بدار المخزن بالرباط، وببناء ضريح السلطان محمد بن عبدالله، ثم عينه خليفة لعامل الرباط محمد السويسي. وفي سنة 1900 عينه المخزن عاملا على مدينة طنجة، ثم استخدم أمينا بمرسى الرباط مدة، ثم رشح كخليفة للعامل أحمد السويسي بالرباط وبقي في هذا المنصب إلى أن ولي عمالة الرباط سنة 1909، وعلى يده انتهت عمالة أسرة السويسي التي استمرت أكثر من نصف قرن بالرباط.

توفي الصديق برگاش يوم الجمعة 17 محرم 2/1336 نونبر 1917 ودفن بالزاوية التهامية.

برگاش، عبدالرحمان رئيس البحر الشهير الذي عمر ما يقارب القرن. وكان قد ورث حرفة «القرصنة» عن أجداده. ومن المعلوم أن السلطان المولى سليمان كان قد ألغى الجهاد البحري في حدود 1817 ووزع قطع الأسطول المغربي على بعض أقطار الشمال الأفريقي، فتوقف الجهاد البحري، لكن السلطان عبدالرحمان بن هشام رغب في إحيائه. ففي سنة 1827/1243 أصدر أمره إلى رئيس البحرية المغربية آنذاك عبدالرحمان بريطل وإلى عبدالرحمان برگاش الذي كان قائداً لإحدى السفن، بالتطواف بسواحل المغرب، ومنع كل سفينة أجنبية من اختراق المياه المغربية إذا لم تتوفر على الإذن بالمرور، وهو ما كان يصطلح عليه بـ«الباسبورط» وفعلا استطاع الرئيسان أسر سفينتين نمساويتين واقتاداها إلى ميناء أبي رقراق، وكانتا محملتين ببضاعة كثيرة متنوعة، وكان الاستيلاء على هذه الغنائم بداية لسلسلة من العمليات البحرية التي ساهم فيها عبدالرحمان برگاش.لكن العملية المذكورة أدت مباشرة إلى توتر في العلاقات المغربية - النمساوية بعد هجوم الأسطول النمساوي على مدينة العرائش ونزول النمساويين إلى بر

المدينة نزولا بناء بالفشل بعدما أرغمهم العرائشيون على التراجع السريع إلى سفنهم.

كان عبدالرحمان برگاش يمتلك سفينة لتدريب الشبان، وقاد عمليات جهادية موجهة لمحاربة التهريب، ويمثل آخر نماذج رؤساء البحر الذين اشتهروا ليس في داخل المغرب فحسب بل لدى الكثير من الدول الأوربية، ولا يعرف تاريخ وفاته.

برگاش، عبد الرحمان بن محمد، حفيد النائب السلطاني وابن محمد وزير الحربية. ولد بالرباط سنة 1287 / 1870، وتعلم على يد أساتذة بطنجة وبخاصة الشيخ عبد السلام ملين بالرباط.

كلفه السلطان الحسن الأول باتمام مهمة أبيه في أوربا أي استيراد الأسلحة. فاصطحب القائد عبد السلام برشيد في السفارة المتوجهة إلى ألمانيا قصد التباحث في جلب مدافع من أجل التحصين البحري، ثم عين أميناً للديوانة ثم باشا للدار البيضاء بين 1892 و1896 وأخيراً باشا للصويرة.

وفي سنة 1895 كلفه الوزير أحمد بن موسى (باحماد) بمساعدة محمد الصفار خليفة نائب طنجة للنظر في الخلاف الواقع بين إسبانيا والريفيين، وفي سنة 1901 وجه ضمن أعضاء البعثة التي ترأسها وزير الحرب المتبهي إلى انجلترا وألمانيا. وبعد عودته استعاد منصبه كباشا للصويرة وبقي فيه حتى سنة 1907 حيث استدعاه السلطان المولى عبد العزيز إلى جانبه ليصبح عضواً في مجلس الوزراء. وفي سنة 1330 / 1912 عين خليفة للنائب محمد الگناص في طنجة، وفي سنة 1336 / 1918 عين باشا للرباط مكان عمه الصديق.

برگاش، عبد الله بن علي، تولى قيادة الرباط مرتين، الأولى في نهاية القرن الثاني عشر الهجري مدة غير مضبوطة، ولكن يمكن وضعها في فترة تتوسط المسافة الزمنية الواقعة بين سنة 1186 / 1776 وهي سنة تولي قيادة الرباط من طرف القائد عبد الوهاب أشكلانط، وبين سنة 1199 / 1785 وهي سنة تولية عبد الله الرحماني.

أما المرة الثانية فكانت سنة توليته القيادة هي 1206 / في 9 رجب / يبراير 1792. وقد لعب دوراً كبيراً في الأحداث التي عرفتها مدينة الرباط بعد وفاة السلطانين محمد بن عبد الله وابنه اليزيد، فبعد وفاة هذا الأخير تزعم الفريق المناضر للمولى سليمان في مدينة الرباط، والمناوئ لفريقين آخرين أحدهما يُناصر سلامة بزعامة أحد أعيان الرباط وهو عباس موريتو، والآخر يساند هشاما، لكن برگاش سرعان ما تحول إلى الدعوة لهشام مخافة أن يقتل الرهائن الرباطيين المحتجزين عنده. وقد عينه هشام قائداً على الرباط في الوقت الذي تولى فيه المولى سليمان الملك، وقد سمي برگاش بسلطان الرباط (*تاريخ الضعيف*، 255) لأنه ربما أراد أن يستقل بالحكم في مدينته متبوعا بربع سكان المدينة. ولما دخل المولى سليمان الرباط ألقى عليه القبض بسبب مواقفه السابقة التي يطول شرحها. وفي 23 ذي القعدة 1209 أرسله إلى فاس حيث سُجن بها. وبعد سنتين رجع إلى الرباط، ولا يعلم هل كان هذا الرجوع نهاية لمدة سجنه أو نقلا إلى سجن الرباط، فالمؤرخ الضعيف الذي يروي هذه الأحداث لم يدقق في تبيان ذلك وإن كان الراجح أنه نال حريته بعد تلك السنتين من السجن ولا يُعرف تاريخ وفاته.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*،ت. أحمد العماري، 201 ـ 207، 242 ـ 248، 253 ـ 301 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 25 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 135 ؛ م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، ص 217 ـ 220 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، 129، 197 ـ 211 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* ؛ م. بوشعراء، *الاسنيطان*، 1، 2 ـ 4 ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط في القرن التاسع عشر وبداية العشرين*، د. د. ع، 26، 29، 33، 34، 87 ـ 115، 124 ـ 232، 233 ـ 256، 259 ؛ *وثائق* خ.ح، كناش 121 ص 174 ملخص رسالة 23 شوال 1301، محفظة رقم 7، الموانئ والملاحة ؛ *وثائق وزارة الخارجية الفرنسية*، المراسلات السياسية رسالة 3 غشت 1886.

Gouvion, *Kitab Aâyane El - Maghrib L'Akça ; Livre d'or : Dictionnaire des personnalités passés, contemporains*, casa. 1934.

عبد الاله الفاسي

برگاش، محمد بن عبد الرحمان، النائب السلطاني بطنجة، ولد بالرباط حوالي 1229 / 1814، وبها نشأ وتعلم على أساتذة الجامع الكبير بدرب السويقة قبل أن يغادرها، وهو ما يزال يافعاً، لامتهان التجارة في جبل طارق ثم في لندن (De La Martinière : 29). والراجح أن ذلك تم بعد وفاة والده سنة 1833. وإذا كان حظ الرجل في تحصيل العلم قليلا، فيما يظهر، بسبب انشغاله بالتجارة في مرحلة الشباب، فقد تحصل له من الخبرات والمزايا ما جعل بلديه الفقيه محمد دينية في *مجالس الانبساط* (ص 211) يسميه :"الطالب النزيه الأمين الخبير ذو الأوصاف الحميدة، والآراء السديدة، الذي طارت الأنباء بمآثره، وتواردت الآثار بمفاخره... كان من أعيان الوجهاء، وذوي السياسة والعقل والذكاء، سمحا وقوراً، فاضلا صبوراً..." وهذه كلها

صفات من شأنها أن تجذب نظر المخزن إليه، في وقت كان يعاني فيه هذا الأخير من ندرة الأطر المهيأة لتقلد المناصب العليا في الدولة. مما فتح الباب أمام المترجم لولوج الإدارة المخزنية والتدرج في أسلاكها كعامل في عهد السلطان المولى عبد الرحمان على مدينة الدار البيضاء وأمين في نفس الوقت لمرساها (Gouvion, 283). ولما تولى الحكم ابنه سيدي محمد سنة 1859 رقاه للنيابة عنه في مباشرة الشؤون الخارجية إلى جانب النائب محمد الخطيب بطنجة، وذلك منذ سنة 1860 حسبما يستفاد من بعض الوثائق المخزنية في هذا الباب (Nehlil, doc. VI, VII)، في وقت كان ما يزال يشغل فيه وظيف الأمانة (داود، 7 : 75). وعند إعفاء محمد الخطيب من مهامه في ذي القعدة 1278 / ماي 1862 وتوجيهه للإقامة بمدينة تطوان بناء على إشارة قائدها آنذاك الحاج عبد القادر أشعاش (نفس المصدر، 6 : 20)، استقل محمد برگاش بإدارة شؤون دار النيابة بطنجة. وكان يوقع رسائله أحيانا باسم محمد برقش أو بارقش. وقد تزامن ذلك مع تصاعد نفوذ الحماية القنصلية الممنوحة للرعايا المغاربة بعد حرب تطوان، مما حدا بالسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان إلى تكليفه في السنة الموالية بأمر التفاوض بشأنها مع الممثلين الأجانب بطنجة، خاصة منهم ممثل فرنسا بيكلار (Béclard). بعد أن أوفد إليه كاتبه إدريس ابن إدريس العمراوي لإعانته على ذلك (*الوثائق*، 4 : رقم 501) وبعد شهرين من المفاوضات بين كل من برگاش والعمراوي من جهة وممثل فرنسا من جهة ثانية، توصل الطرفان إلى تسوية في 19 غشت 1863 تحدد شروط منح الحماية القنصلية للرعايا المغاربة (Miège, 2 : 404، *الوثائق*، 4 : 504) لم تلبث أن انخرطت فيها الدول الأجنبية الممثلة في المغرب بعد إمضائها باستثناء إسبانيا فإنها أمضت تسوية مماثلة مع ابن إدريس (*الوثائق*، 4 : 191-198). هذا ويفيد التوقيع على التسويتين معا من طرف ابن إدريس العمراوي أن محمد برگاش لم يكن حتى هذا التاريخ يتوفر على تفويض من قبل السلطان لإمضاء مثل هذه الأوفاق مع ممثلي الدول الأجنبية. لكن بعد مرور سنتين تقريبا من عقد تسوية بيكلا، أصدر إليه السلطان سيدي محمد ظهيراً بتاريخ 25 ذي القعدة 1281 / 20 أبريل 1865، مفوضا له الفصل في القضايا التي تنشأ بين المغاربة والأجانب تفويضا تاما، بما في ذلك قضايا الحماية القنصلية. وهذا نص المهم من هذا الظهير بعد المقدمة :

"فوضنا لخديمنا الأرضي، الطالب محمد برگاش في فصل الدعاوي التي بين المسلمين والنصارى على الوجه المعروف، والطريق المألوف... ما كان منها مرجعه للشريعة فيرد إليها، وما كان مرجعه للقوانين والشروط فيرد إليها، وأذنا له في إمضاء الحكم فيها من غير توقف على مشورتنا ولا على ردّ لعليّ جنابنا..." (*الوثائق*، 4 : 553).

وبهذه الطريقة أمضى المترجم، بعد مرور حوالي الشهر على صدور هذا الظهير له، على اتفاقية تعتبر من أخطر الاتفاقيات على السيادة المغربية، وهي اتفاقية منارة رأس اسبارتل في 31 ماي 1865 التي تم بموجبها إسناد إدارة هذه المنارة إلى الهيئة الدبلوماسية بطنجة (Miège, 2 : 403، *مجلة دار النيابة*، ع 1 : 66). وبمصادقة السلطان سيدي محمد على الاتفاقية بعد مرور سنتين تقريبا من إمضاء المترجم عليها يكون المخزن قد منح النواب الأجانب امتيازاً آخر يمكنهم من التدخل، بشكل جماعي، في شؤونه الداخلية، مما يزيد في تعقيد مهام النائب محمد برگاش، لما تطرحه هاته الامتيازات من نزاعات مستمرة لم يكن هؤلاء النواب يتوانون في الإلحاح عليه في حلها كامتياز الحماية والمخالطة. ومن أجل إعانته على حل النزاعات التي تنتج عن هذا الامتياز الأخير، أنشأ السلطان سيدي محمد سنة 1874 مجلسا للأحكام بطنجة بعدما كان تقرر إنشاؤه بأزمور للفصل بين الخلطاء المغاربة والأجانب (*الوثائق*، 4 : 508) أطلق عليه اسم "مجلس الفقهاء ونواب الأجناس" (*كناش خ. ح.* رقم 70) وقد أسند رئاسته إلى أحد العلماء يساعده قاضي طنجة وعالمان آخران للإفتاء، بالإضافة إلى كاتب يقوم باستدعاء الغرماء أو من ينوب عنهم للحضور في المجلس المذكور (*الوثائق*، 4 : 581).

محمد برگاش يستقبل في دار النيابة بقصبة طنجة أحد السفراء (عن ...)

لكن بالرغم من إنشاء السلطان سيدي محمد لهذا المجلس وغير ذلك من الجهود التي بذلها المخزن من أجل وضع حد للنزاعات الناتجة عن التدخل الأجنبي في الشؤون الداخلية للبلاد، فإن هذه النزاعات لم يفتأ حجمها يتفاقم يوما عن يوم، مما كان يعرقل سير الإدارة المخزنية ويطرح على النائب السلطاني مشاكل لا حصر لها، والأمثلة كثيرة في هذا الباب خاصة منها المتعلقة بقضية الحماية القنصلية الممنوحة للرعايا المغاربة (*الوثائق*، 4 : صفحات متعددة). لذلك آثر السلطان المولى الحسن منذ توليه الحكم سنة 1873 هذه القضية على سائر القضايا وجعلها شغله الشاغل باعتبارها أصل كل المشاكل التي تنشأ بين المغرب والدول الأجنبية. فقرر سنة 1877 طرحها في مفاوضات جماعية مع الهيئة الدبلوماسية المعتمدة بطنجة، بعدما أسند أمر تلك المفاوضات لنائبه محمد برگاش، وكان قد أوفد قبل ذلك، في سنة 1876، الحاج محمد الزيدي سفيراً عنه إلى كل من فرنسا وانجلترا وبلجيكا وإيطاليا من أجل كسب تأييد هذه

الدول، لكن بدون جدوى (*إتحاف*، 2 : 302 . 311). وبعد ثلاث سنوات من المفاوضات بطنجة 1877 . 1879 لم ينته الطرفان إلى حل لقضية الحماية القنصلية بسبب تعنت أغلب الممثلين الأجانب ورفضهم لاقتراحات النائب السلطاني في هذا المضمار (277 - 269 : 3 ،Miège) *الوثائق*، 4 : 68 . 76 . 5 : 39 إلى نهاية الكتاب) فتقرر حينذاك وبإيعاز من الحكومة الأنجليزية، رفع هذه القضية إلى مؤتمر دولي يعقد خارج المغرب.

انعقد مؤتمر مدريد بعد موافقة كل الدول المعنية وبحضور ثلاث عشرة دولة، بما فيها المغرب، وذلك فيما بين 19 ماي و3 يوليوز 1880 (292 - 277 : 2 ،Miège، *الوثائق*، 4 : 77 . 107). وبالرغم من الجهود التي بذلها النائب محمد برگاش الذي كان يرأس الوفد المغربي، باعتباره وزيراً للشؤون الخارجية، لإقناع المشاركين بوجهات النظر التي يقترحها المخزن لإصلاح نظام الحماية القنصلية، فإن النتائج التي انتهى إليها المؤتمر بعد التوقيع على اتفاقية مدريد في 3 يوليوز 1880 جاءت مخيبة للآمال بتكريسها حق الحماية القنصلية في المغرب وإضفاء الشرعية الدولية عليه. وبهذا التكريس تكون اتفاقية مدريد قد "وضعت حول عنقه بإحكام طوقاً ما يزال يضيق ويخنقه حتى أفقده توازنه وشلّ حركته بعد اثنتين وثلاثين سنة".

وإلى ذلك اهتم محمد برگاش بمسألة حدود المغرب التاريخية، كما كان يضطلع بمهام أخرى تدخل ضمن وظيفته كنائب عن السلطان في مباشرة الشؤون الخارجية مع الدول الأجنبية، حسب تصور المخزن المغربي آنذاك لطبيعة هذا الوظيف. من ذلك الإشراف على مشتريات المخزن المختلفة من الخارج، وتدبير أمور البعثات الطلابية المتوجهة للدراسة بالخارج، والإشراف على المراسلات المتبادلة بين المخزن والأجانب، وضرب السكة المغربية، إلى غير ذلك من الأمور التي لها علاقة بالخارج (*إتحاف*، 2 : صفحات متعددة ؛ *العز والصولة*، 1 : 309).

وطيلة المدة التي قضاها المترجم على رأس دار النيابة بطنجة والتي تناهز ربع قرن من الزمن، كان مثال النزاهة والاستقامة، وتحمّل الكثير من المشاق في سبيل نصرة قضايا بلاده. ولم يكن هذا ليخفى على أنظار السلطان المولى الحسن. فقد ورد في رده على رسالة لمحمد الزبدي في نفس المضمار ما يلي :

".... وأما ما وصفته به (يقصد برگاش) من الصدق والنصح فهو المعهود منه والمعروف فيه، وكيف لا وهو وكيل المسلمين ونائبهم، سدده الله وأعانه ! وأما تحلمه المشاق فطويى له بذلك ! لأنه في سبيل رب العالمين وفي مصالح المسلمين، أفاض الله عليه بركته دنيا وأخرى ! وأجزل له ثوابا وأجراً ! وأما إعانته، فقد كنا أذنا له فيها بوارده الحاج محمد برگاش ! وأما الضعف فالله يزيد من قواه في ضعفه! وأما زيادة الكتاب له فسنرى فيها" (*الاستيطان*، 4 : 395).

لكن بالرغم من هذه الصفات، فإن المترجم لم يكن يتوفق دائما في مساعيه لتواطؤ الأجانب وضعف الحكومة المركزية من جهة، وتخلف الأفكار وقلة الولي والنصير من جهة أخرى (*الوثائق*، 4 : 20. هـ 1)، مما جعله مضطراً أحيانا إلى الاستعانة بالنائب الانجليزي هاي ـ صديقه الحميم ـ واستشارته في الكثير من القضايا التي كانت تعرض له في علاقاته مع النواب الأجانب، شأنه في ذلك شأن سلفه محمد الخطيب (*تاريخ تطوان*، 6 : 126)، كما كان السلطان يوجه إليه أحيانا "بعض المعينين.... لدرس النوازل التي يخشى النائب عواقبها (*العز والصولة*، 1 : 322).

كان النائب محمد برگاش يسكن بقصبة طنجة مقر أشغال دار النيابة، وبها كان يستقبل زواره المغاربة والأجانب (Amicis, 80)، قبل أن تنتقل هذه الدار إلى محل خاص على عهد ولاية محمد الطريس وذلك سنة 1301 / 1884 (*وثائق تطوان*، مح 33 / 10)، وكان هذا المحل قبلُ معداً لنزول أمناء الثغر الفاسيين. كما كان المترجم في عهد السلطان سيدي محمد يتقاضى مرتباً شهرياً مقداره 100 ريال (*كناش خ ح*، رقم 70)، بالإضافة إلى بعض الإنعامات التي كان ينفحه بها هذا الأخير، كلما اقتضت الظروف ذلك، ولما ولي الحكم المولى الحسن أقره على نفس المرتب من غير زيادة (*كناش خ. ح*، رقم 653)، لكنه قطع عنه ما كان ينعم به عليه في السابق، مما ألحق بالمترجم الكثير من الضرر فاستغل مناسبة سفره لحضور مؤتمر مدريد سنة 1880 ليلطب من السلطان إعانته بألف ريال لأن مرتبه لا يكفي للإنفاق عليه وعلى الوفد المرافق له. فأجابه برسالة طويلة نقتطف منها هذا الجزء لأهميته في توضيح جانب من الصعوبات المالية التي كانت تعترض سبيل المترجم أثناء مزاولته لأشغاله بدار النيابة. يقول المولى الحسن :

... وأما تصييرك على ما هو واجب على المخزن فلا علم لنا به لأن كل ما تكتب لنا به وتخبر أنك صيرته على دعاوي أو تفاصلت معهم فيه ننفذه لك... وأما ما ذكرته من كون راتبك لا يكفيك لصائرك بطنجة فضلا عن صائرك بالرباط فإنا نعرف ذلك ونعتقده ونحن أولى بمواساتك وإعانتك وكل ما يعطى لك ففي محله لولا أن المخزن اليوم واجب أن يعان. ولا يخفاك ما نخرجه كل شهر في مشاهرات النجليز والصبليون والآلات الجهادية والبناء لها. وأما ما ذكرته من كون سيدنا ـ رحمه الله ـ كان يعينك الخ فلم يتقدم منك إعلام بذلك قبل الآن ولو أعلمت به لوقع النظر فيه وأقررت عليه كما أقرت على غيره كالمشاهرة وتجديد ظهائر الخدمة ونحو ذلك. وعليه فبين لنا ذلك... وأما تصيير الألف ريال فيما تتوقف عليه لسفرك فلا باس..." (*إتحاف*، 2 : 406 . 407).

إلى جانب هذه الصعوبات التي تشرحها الرسالة السلطانية أعلاه، كان المترجم يعاني من قلة عدد الكتاب والأعوان العاملين معه في وقت اتسع فيه نطاق أشغال دار النيابة، مما كان يعرقل عمله حسبما يشير هو نفسه إلى

ذلك في إحدى رسائله إلى الحاجب موسى بن أحمد بتاريخ 20 حجة 1293 / 6 يناير 1876. من أن سبب تأخير بعض الأجوبة هو أن الوقت كله نستغرقه في الملاقاة مع الترجمانات والنواب وغيرهم... والليل نقطع منه في مباشرة الكتابة نحو الست ساعات تزيد أو تنقص قليلا... "ثم يضيف" : ولو وجدت الفراغ إلى الإعلام بها قبل، لقدمت الكتابة في شأن زيادة الكاتب الذي أمره عندي من أهم الأمور، لأجل الإعانة (*الاستيطان*، 1 : 396). ذلك أنه لم يكن معه غير كاتب واحد من مبرزي العدول (*العز والصولة*، 1 : 309) كان يتقاضى 25 ريالا مشاهرة سنة 1287 / 1870 (*كناش خ. ح*، رقم 70). وفي سنة 1294 / 1877 كان للمترجم كاتبان : كاتب أول وكاتب ثان أقل منزلة من الأول، إذ لم يكن يتقاضى سوى عشرة ريالات مشاهرة (*كناش خ. ح*، رقم 653). ولعل هذه الوضعية لم تكن قارة بدليل ما كتب به الحاج محمد الزبدي إلى المولى الحسن سنة 1301 / 1884 من أن محمد برگاش "هو الآن مخصوص بمعين وبزيادة الكتاب. وقد صرح لي بهذا مراراً، لأن أشغاله اليوم متعذرة بكاتب واحد..." (*الاستيطان*، 395). وهذا مع ما ذهب إليه المؤرخ ابن زيدان من أنه حتى سنة 1308 / 1891 لم يكن مع النواب السلطانيين غير كاتب واحد.

هذا ومن الذين شغلوا هذا الوظيف مع المترجم نذكر العربي بوشنتوف السلوي وهو من أقدم الكتاب بدارالنيابة (*الاستيطان*، 1 : 407) ثم أحمد بن محمد الزعيمي الرباطي (*الاغتباط*، 55 ؛ من *أعلام الفكر*، 2 : 14). ولعله أتى بعد السابق، ثم محمد المكي البطاوري ـ صهر المترجم ـ الذي ولي هذا الوظيف سنة 1290 / 1873 وأقام فيه نحو العشر سنين، رافق أثناءها محمد برگاش إلى مؤتمر مدريد سنة 1880، كما سافر معه إلى إسبانيا ومنها إلى فرنسا ثم أنجلترا، وذلك سنة 1301 / 1884 (*المصدر الأخير*، 2 : 214).

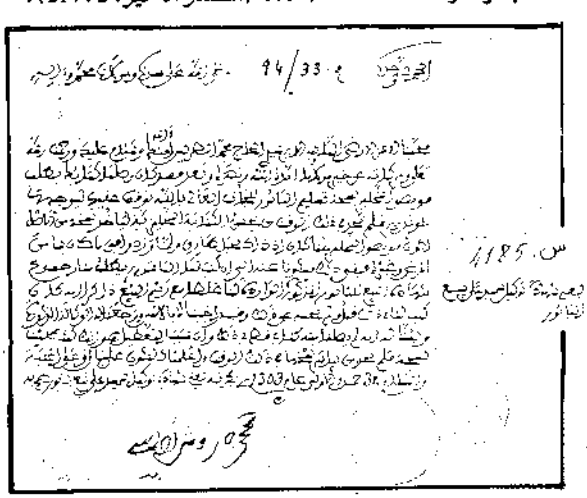

نموذج من مراسلات محمد برگاش للطريس أيام نيابته عنه في طنجة

لقد استمر المترجم في وظيفه إلى أن اعتلّت صحته وضعف بصره، فاستأذن السلطان في الذهاب للتداوي بالخارج، فأذن له وولّى محمد الطريس للنيابة عنه إلى حين أوبته وذلك في شهر مارس تقريبا من سنة 1884 (*الاستيطان*، 1 : 397)، ولم يلبث المترجم بعد ذلك أن غادر المغرب متوجها نحو مرسيليا التي وصلها يوم الثلاثاء 11 جمادى الثاني 1301 / 8 أبريل 1884 (*وثائق تطوان*، 33 / 15)، وقد رافقه في هذه الرحلة كل من ولديه الحاج محمد برگاش والصديق برگاش وكاتبه محمد المكي البطاوري (مح 33 / 29). وبعد أن عرض نفسه على بعض الأطباء هناك أثيرت قضية حماية فرنسا للحاج عبد السلام الوزاني (*الاستيطان*، 1 : 397)، فقرر السلطان، حينذاك، إيفاد بوشتى ابن البغدادي في سفارة إلى باريس للتفاوض مع أعضاء الحكومة الفرنسية بشأن هذه القضية، لكن باقتراح من المترجم تم تأجيل هذه السفارة (*وثائق تطوان*، مح 33 / 29) وأشخص هو مكانه إلى باريس التي وصلها يوم 13 رجب 1301 / 9 ماي 1884 حيث وجد "الأمر في غاية التخويض والجوازيط مشحونة بما تشمئز منه النفوس، وغاية ما أدرك ـ يقول المترجم في رسالة منه إلى الحاج محمد الطريس ـ أنه وقف الأمر في تلك الساعة حتى نتلاقى مع الوزير... (*وثائق تطوان*، مح 33 / 2) وفي 16 ماي اجتمع بالوزير الفرنسي، ـ وزير الشؤون الخارجية ـ وتم حسم قضية حماية عبد السلام الوزاني بينهما (*وثائق تطوان*، مح 33 / 22). وبالرغم من حسم هذه القضية فقد بدا من جديد للمولى الحسن إشخاص القائد بوشتى ابن البغدادي إلى باريس : لكن تحفظ محمد برگاش من إرساله جعل السلطان يعدل عن ذلك :"لأنه في تأخر القائد بوشتى عن السفر ـ يقول المترجم ـ خير كثير" ويضيف :"وبعد فما عسى أن ينشأ من تحريك ما سكن لأن قضية وزان حسمت مادتها بالعزل عن المخزنية، والمقصود الأهم الذي هو سد باب الفتنة قد حصل والحمد لله، وأمر الحماية لازلنا في انتظار ما وعدنا به من جعل تاويل فيه. والحاصل أن العلاج النافع هو حسن السياسة وغض الطرف حتى يأتي الله بما لا نعلمه من ألطافه الخفية" (*وثائق تطوان*، مح 33 / 25).

هذا وبعد إنهائه لقضية حماية عبد السلام الوزاني وقضايا أخرى منها موافقة سفير إسبانيا بباريس على طلبه بتأخير الكلام بشأن إفني، عزم المترجم على العودة إلى المغرب عن طريق لندن (*وثائق تطوان*، مح 33 / 35) وفي يوم توجهه لها ـ فاتح شوال 1301 / 25 يوليوز 1884 ـ كتب إلى الحاج محمد الطريس قائلا :"وبعد فنعلمك أننا متوجهون للوندريز في ساعة 10 من صباح هذا اليوم المبارك السعيد لنتوجه من هناك لجبل طارق نسئل الله التيسير..." (*وثائق تطوان*، مح 33 / 36) ولم يمر وقت طويل على عودته إلى المغرب حتى عاوده المرض فطلب من السلطان في محرم 1303 / أكتوبر 1885 الإذن له من جديد بالرجوع إلى مرسيليا قصد متابعة العلاج (*الاستيطان*، 1 : 389). إلا أنه لم يسافر بالرغم من ترخيص السلطان له بذلك، ربما بسبب تفشي داء الكوليرا في أوروبا وفرض حجر صحي بمرسيليا آنذاك (نفس المصدر والصفحة).

وبالرغم من ملازمة المترجم لبيته بالرباط، فقد ظل على اتصال تام بالنائب محمد الطريس بطنجة الذي لم يكن يُغيِّب عنه شيئا من أشغال دار النيابة، ويتضح من أجوبة المترجم على مراسلات هذا الأخير له أنه (أي المترجم) كان هو المباشر العملي لهذه الأشغال. وكانت آخر رسائله إلى الطريس بتاريخ 27 ذي القعدة 1303 / 1 غشت 1886 (*وثائق تطوان*، مج 33 / 188).

ويظهر أنه منذ هذا التاريخ اشتد به المرض، بعد أن رزئ بفقد ولديه الحاج العباس فالحاج محمد، ولم يمهله المرض كثيرا حيث توفي بالرباط في 3 محرم 1304 / 2 أكتوبر 1886 ودفن بالعلو. وبوفاته طويت صفحة من أخصب صفحات الخارجية المغربية وأعقدها بوجه عام ودار النيابة برجه خاص خلال القرن التاسع عشر.

وثائق خ. ح، كناش 70 و653 ؛ *وثائق تطوان*، مج 33 ؛ *الوثائق*، دورية، ع 4، 5 ؛ ع. الفاسي، *خطرات وخطرات*، مخطوط خ . ع رقم 4401 د ؛ م. بوجنـدار، *الاغتباط* ؛ م. دبنية، *مجالس الانبساط*؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، ج 2 ؛ ع. زيدان، *إتحاف*، ج 2 ؛ *العز والصولة*، ج 1 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب*، ج 2 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ج 6 و7 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، ج 1 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 ؛ ع، ابن منصور، *مشكلة الحماية القنصلية*، الرباط 1985 (2) ؛ *مجلة دار النيابة*، ع 1، 1984 : ص 23 . 24 . 66.

E. Amicis, *Le Maroc*, Paris, 1882 ; M. Chapi, *Quelques grandes familles du Makhzen d'après Ben Zidane*. D.E.S, inédit, Rabat 1973 ; M et Ed, Gouvion, *Kitab Aâyane el-Maghrib l'Akça*, Alger, 1939 ; H. de La Martinière, *Souvenirs du Maroc*, Paris 1932 ; J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, t: II et III, Rabat, 1989 ; M. Nehlil, *Lettres chérifiennes*, Paris, 1915.

أحمد ميلود

برگاش، مُحمد بن **مَحمد** بن عبدالرحمان، الابن البكر للنائب السلطاني بطنجة. ولد بالرباط سنة 1245 / 1829، وكلفه السلطان المولى الحسن بعدة مهام في أوربا، منها حضوره في مؤتمر مدريد سنة 1298 / 1880 مع أبيه، كما كلفه بجلب الأسلحة من الخارج، ولم يلبث أن أصبح وزيرا للحربية.

وقد قام مع أبيه بدور كبير في توطيد علاقة أسرته مع الألمانيين انطلاقا من طنجة، وحول إقناع السلطان الحسن الأول الذي كان ينفذ سياسته الإصلاحية آنذاك برغبة الألمانيين في إنشاء مدفعية وبعض التحصينات الدفاعية والقيام ببعض المنجزات العسكرية بمدينة الرباط. ونظراً لميل آل برگاش الواضح لألمانيا فقد اعتبرت الأوساط الفرنسية محمد برگاش (الابن) عدواً لها، وأرسل ممثلها بطنجة فيرو Feraud إلى وزير الخارجية الفرنسي يقول له : إن محمد برگاش يكنُّ عداء لفرنسا وإنه سمعه أثناء حديث له مع شريف وزان المحمي الفرنسي ينكر عليه دخوله في الحماية الفرنسية عندما كانوا بالقصر السلطاني.

وفي سنة 1884 توجه محمد برگاش بأمر من الحسن الأول إلى ألمانيا وبلجيكا وفرنسا قصد شراء العتاد الحربي، والتقى بالألماني كروب Krupp ابن التاجر المشهور الذي اتفق معه على التوجه إلى المغرب قصد إجراء المباحثات المتعلقة بجلب الأسلحة وبالعلاقات الحربية بين البلدين، وقدم له برگاش طلبات مهمة، وقد استقدم ضباطا مدرِّبين للجيش في سفره الثاني سنة 1886 الذي صحب فيه أباه، حيث استقبل من طرف بسمارك من أجل التباحث في العلاقات المغربية الألمانية. وقد حلّت البعثة الألمانية فعلا بمدينة الرباط وقامت بمنجزات قرب مصب أبي رقراق وبناء تحصينات دفاعية أهمها حصن روتنبرغ Rottenberg نسبة إلى اسم الضابط المهندس بالمدفعية. وقد بدأت الأشغال لإنجاز هذا الحصن في يونيو 1888 وفي سنة 1896، أرسلت دار كروب مايير Krupp Mayer مساعداً لها في هذا الإطار. وقد بنيت مدفعية عصرية على الساحل على بعد 800م من الجنوب الغربي لقصبة الأوداية، وكانت مساعي برگاش في جلب الألمان إلى الرباط مدعاة لتأجج التنافس بينها وبين البعثة العسكرية الفرنسية التي وإن أشاد قنصلها بالرباط بجدية الضابط الألماني ونجاحه في التداريب التي كان يقوم بها لصالح الفرق المغربية فإنه لم يخف تخوفه من الهدف الحقيقي لوجود الألمان بالرباط الذي كان يدعمه آل برگاش والمحتسب عبدالخالق فرج. وكان ذلك سببا في احتضان المدينة لعدد من المناصرين لألمانيا في الوقت الذي كانت البلاد تتقاذفها القُوى الأجنبية من كل جانب قبل أن تحل الحماية.

توفي محمد برگاش في حياة والده عام 1886/1304 وخلف عدة أبناء، منهم عبدالعزيز الذي أصبح خليفة لباشا الرباط بعد أن شغل منصب أمين ديوانتها، وأحرز على صيت دبلوماسي وسياسي.

برگاش، محمد بن **المكي**، عرف بابن المكي أو بلمكي، وإليه تنسب السقاية المعروفة بسقاية بلمكي قرب دارهم التي بالساباط في الرباط. كان قد سجن بفاس مع جده عبدالله المدعو سلطان الرباط، لكن سرعان ما أطلق سراحه. وفي سنة 1212 تنازع السلطة مع عضو آخر من عائلة برگاش له نفس الاسم محمد (لا يعلم نوع القرابة بين الرجلين) وكان هذا الأخير يمارس قيادة الرباط من مدة غير محددة، حيث كان قائدا سنة 1795/1209.

وفي سنة 1212 / 1797 وجه السلطان أخاه المولى الطيب إلى الرباط حيث تحايل على القائد المذكور وألقى عليه القبض بتهمة التلاعب بمال المخزن، ووجهه بدوره إلى سجن فاس، لكنه أطلق سراحه بعد أن أدى ما عليه من مال «خمسة قناطير» وفي نفس الوقت عين محمدا بن المكي برگاش قائداً مكانه، ولا يعرف تاريخ وفاته.

برگاش، المكي بن **عبدالله**، عُيِّن ناظراً لأحباس الرباط سنة 1772/1185، وكلفه السلطان محمد بن عبدالله سنة 1784/1198 بالسفر إلى بيت المقدس ومكة المكرمة والمدينة حيث انطلق إليها من تطوان، قصد توزيع تبرعات

مالية : مائتي قنطار صدقة (*تاريخ الضعيف*، ص 186) وفي سنة 1789/1203 سافر صحبة رؤساء البحر على متن أربع سفن، وهم الرايس محمد السبيع الرباطي، والرايس محمد العنقي الرباطي، والرايس يوسف الطرابلسي السلوي، والرايس تركي إلى إسطنبول حاملين هدية من مرسى سلا إلى السلطان العثماني، وبقي في العاصمة العثمانية مع بعض مرافقيه مدة، في حين رجع الآخرون. ولما رجع في السابع من ذي الحجة عام 1204 مثل أمام السلطان اليزيد مع رؤساء البحر الذين رافقهم بفاس حيث قدّموا له هديتهم، وفي نفس الشهر عينه المولى اليزيد قائداً على الرباط. وقد توفي في حياة والده أواخر سنة 1796/1211.

م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، من 217 إلى 220 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ت: أ. العماري، 215. 218. 261. 263. 301 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، 130 ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين*، د. د. ع. 115.

عبدالاله الفاسي

بَرْكان، وتكتب أيضا بالهمزة «أبركان» هي اليوم نموذج للمدن الفلاحية المتولّدة عن سياسة الرّي التي نهجها المغرب ابتداء من أواسط النصف الأول من القرن العشرين في الدوائر المسقية الكبرى، لاسيّما وأنها تقع في سهل تْريفة (أو طريفة)، أحد أغنى السهول المغربية، الموجود في المَغرب الشرقي الذي يعدُّ من أفقر الأقاليم المغربية.

إن بروز بركان كمدينة ونموّها مرتبطان أوثق الارتباط بالقاعدة الفلاحية المحلّية، إلى حدود أن المنطقة هنا، وبدون مغالاة، هي التي خلقت المدينة وليس العكس، كما يحدث عادة في عملية التمدين، بل لا تزال المدينة تعيش حتى الآن على وتيرة نشاط المجال الفلاحي المحلي الذي تربطه بها حركة يومية متواصلة من اليد العاملة والبضائع والقرارات.

هكذا، ومن قرية متواضعة سنة 1936 (3.600 نسمة)، استطاعت بركان أن ترقى إلى صف المدن المتوسطة سنة 1982 (60.490 نسمة) وأن تأخذ المكانة الثانية بين مدن إقليم وجدة والثالثة ضمن مدن المغرب الشرقي.

كان يوجد سنة 1900 بجنوب موقع المدينة الأصلي سوق يعقد يوم الخميس وحوله دوار يضم بضع عائلات (90 نسمة). أما الولي المحلّي، سيدي امْحَنْد أبرشان (هي التسمية الرائجة محلياً بينما تشير المصادر إلى أحمد بن محمد أبركان) فكان يوجد على بعد كيلومتر في الشمال الغربي. ويقع كل من الدوار والسوق بين ثلاث كديات تتوسط مخروط انصباب يخترقه وادي الشراعة، غير بعيد عن عين السلطان ومقرن وادي وكلام وادي زگزل.

والموقع الوسط الذي اتخذه التجمع السكني جعله محطة التقاء الطرق المؤدية إلى وادي ملوية ووادي كيس وجبال بني إزناسن وسهل تريفة، وبالتالي ممراً اضطراريا بالنسبة للقبائل المنتجعة بالمنطقة التي كانت تفد إلى السوق لعرض فواكه وخضر الجبال وحبوب وأغنام السهل، بل إن الجبل والسهل هما اللذان سيفسران القاعدة البشرية والفلاحية الأساسية للتطور السكني والاقتصادي في هذا المكان.

بالرغم من الموضع الملائم والموقع الإستراتيجي، ظل التجمع السكاني الأصلي دوّارا دون إشعاع إلى حدود الثلاثينات. وكل المؤهلات الطبيعية والتجارية والبشرية لم تشكل أي حافز لتوسعه في تلك الفترة. إلاّ أن تحكم الجيش الفرنسي بالمنطقة سنة 1904 شجع استقرار المعمرين بسهل تريفة. وعند دخول هؤلاء المعمرين كان الدوار الأصلي يتكون من وحدتين سكنيتين مبنيتين بالطين على طريقة الأرياف حول سوق الخميس، وهما الگرابة الفواگة (الأكواخ الفوقية) والگرابة انبويقشار (أكواخ الاقرع) لكن سرعان ما قرر البعض منهم، الذين كانوا يترددون على سوق الخميس، إنشاء قرية لهم على بعد كيلومتر نحو الشمال الغربي لهذا الموضع، قرب مكان عبور وادي الشراعة. فشرعوا في بناء قنطرة وتكنة عسكرية وبعض الطرق والمنازل، كما أسسوا مدرسة لفائدة خمسة وخمسين تلميذاً أوربيّاً سنة 1909 ومركزا بريديا ومركزاً للتمريض سنة 1910.

إن المدينة الصغيرة التي قرر المعمرون إنشاءها في هذا الموضع بالأساس رُوعي فيه القرب من المناطق المستملحة بمنطقة مداغ (وسط السهل) التي بُنيت بها الطرق وتمت عمليات الاجتثاث وقلع الأحجار وإدخال الدورة الزراعية والمغروسات الجديدة.

في سنة 1917 كانت تقطن بقرية سيدي امْحَنْد أبركان 368 نسمة، وبعد الأزمة الاقتصادية العالمية التي أثرت على اقتصاد المعمرين بالجزائر اتجه البعض منهم إلى تريفة سنة 1930 وأدخلوا أسلوب الري بالضخ، مما أثار تغيير أسلوب الإنتاج الفلاحي نحو التكثيف والتنويع. أما الجبال المجاورة فظلت تعيش حياة فلاحية راكدة، اضطر معها السكان تحت الضغط الديمغرافي إلى أن يهاجروا ابتداء من 1930 إلى وجدة والجزائر بالخصوص، ثم إلى بركان وأحفير فيما بعد.

كثير من المهاجرين الذين أصبحوا عمالا في ضيعات المعمرين استقروا مباشرة في النواة السكنية المغربية التي أصبحت تتضخم وتزحف نحو الشمال. لذلك بادرت السلطات المحلية بترحيل السوق قرب الحي الأوربي وإنشاء مجموعة من المؤسسات العمومية في الحد الجنوبي للحي الأوربي، ومنعت كل بناء خاص به للزيادة من الميز المجالي بين السكن المغربي والمركز الأوربي. وتطور هذا الأخير في البداية نحو الشمال الشرقي، على طول طريق وجدة، ثم في مرحلة ثانية نحو الجنوب الشرقي بنسيج خفيف تتخلله كثير من المساحات الفارغة. وكان يضم هذا الحي معملا للنبيذ بني سنة 1929 وعشر محطات لتلفيف الفواكه قصد التصدير.

مع نمو المساحات المسقية (18.500 هكتار سنة 1957) وبعد بناء سد مشرع حمادي (1950 ـ 1956) أصبحت بركان مركزا فلاحيا ديناميا يشهد نمواً سريعاً في عدد سكانه. حيث انتقل عدد السكان من 3.600 سنة 1936 (من بينهم 1650 أوربي و200 يهودي) إلى 7545 سنة 1947. أما في الخمسينات فقد تضاعف العدد مرتين ونصفاً وانتقل إلى 20496 سنة 1960، رغم رحيل جزء من الفرنسيين الذين تقلص عددهم بين 1952 (1057 نسمة) و1959 (555 نسمة فقط) وعرف المركز أيضا توسعا في نشاطه الفلاحي، حيث أصبح سوق الثلاثاء أهم سوق فلاحي بالسهل، رغم إفلات تجارة المزروعات العصرية من قبضته. كما أن النشاط الإداري قد تدعّم بإصلاح 1959 الذي منح لبركان مقر دائرة تابعة لإقليم وجده، تضم القسم الأكبر من جبال بني إزناسن وكل سهل تريفة. مما يفسر أن 45٪ من سكان المدينة سنة 1971 ولدوا أساسا بتلك المناطق.

إلا أن التناقض الكبير الذي يلاحظ في تطور موارد المدينة الاقتصادية، هو قلة وتواضع المصانع بها خارج صناعة البناء، حيث إن 55٪ من الإنتاج الفلاحي المحلي يُصدر إلى الخارج (حوامض، نبيذ، بواكر) و10٪ فقط تحول محليا في معمل السكر بزايو أساساً ثم بمعامل النبيذ وتقطير العطر وسحق النبورا وتصبير الخضر ببركان أو بجوارها. أما محطات تلفيف الفواكه والخضر فإنها تعمل فصليا وتشغل قليلا من اليد العاملة القارة. أما معمل حلج القطن الذي بني سنة 1959 بعد إدخال زراعة القطن فقد أغلق أبوابه سنة 1968 وحول إلى مدرسة للتكوين المهني سنة 1978.

وتتوزع أهم المجالات الوظيفية على الشكل التالي. تتمركز الأنشطة الصناعية شرق حي مربوحة وعلى طول طريق وجدة، وتتمثل إجمالا في خمس عشرة مؤسسة للفلاحة والبناء ومطحنة للحبوب ومعمل للنبيذ ومعمل لبطاريات السيارات ومحطة للتبريد ومؤسسة صغيرة لمواد البناء ومواد التلفيف وواحد وثلاثين محلاً لإصلاح وتجارة الآلات الفلاحية. والأنشطة الإدارية (البلدية، المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي، الدرك، الشرطة، الجمارك، القباضة) تنتشر أساساً غرب حي مربوحة. أما التجارة التي تعد ثاني قطاع بعد الفلاحة من حيث نسبة المشتغلين به فتشتمل على سوق أسبوعي قديم بغرب الحي الأوربي وسوق بين حي الغربي وحي الزوبية، وسوق مغطي بحي الأندلس ومجزرة جنوب الحي الغربي وأخرى غرب مركز المدينة، إضافة إلى التجارة المتنوعة التي استقرت بالخصوص غرب مركز المدينة، من بينها 43٪ من المتاجر لبيع المواد الغذائية و16٪ لتجارة اللباس. كما توجد بالمدينة ثمانية فروع أبناك. وأخيرا تتميز التجهيزات الاجتماعية والثقافية بتجمعها في الحي الأوربي القديم وبعدم مسايرة حجم المدينة لا من الناحية الكمية ولا من الناحية النوعية، إذ يشتمل القطاع التعليمي على إحدى عشرة مدرسة وخمس إعداديات وثانويتين ومركز للتكوين المهني. ويعرف القطاع الصحي نقصاً كبيراً في الامكانيات المادية والبشرية (مستشفى صغير واحد). أما أهم المنشآت الأخرى فتتمثل في نادي المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي ودار الشباب ودار الخيرية وثمانية مساجد وخمسة فنادق جد متواضعة تجمع كلها حوالي خمسة وثمانين سريراً.

بخصوص التشكيل الحضري، تغيرت كثيراً مدينة بركان بفعل النمو السكاني، وشهدت في العقدين الأخيرين حمى البناء الذي بوشر بشكل عشوائي على العموم، والذي يتسم حتى اليوم في كثير من الأحياء بالطابع الريفي. هذا، رغم تعاقب ثلاثة مشاريع لتهيئة المدينة، وضع أولها سنة 1949 والثاني سنة 1953 والثالث سنة 1973. غير أن التطور السّريع للسكن ابتداء من 1970 تحت ضغط طلب البناء من طرف العمال بالخارج والمضاربات الناتجة عنه وقوة الهجرة من الأرياف دفع الفئات الضعيفة إلى الاستقرار بالأحياء المنتشرة خصوصا في الجنوب والهوامش الأخرى. إضافة لذلك، عمل غياب القطع الأرضية المجهزة على تفاقم هذه الظاهرة، وما زالت حاليا 55٪ من العمليات العقارية بيد العمال بالخارج. وهناك عامل آخر يطرح مشكلا أمام التهيئة العمرانية المخططة، ويساعد على نمو المضاربة العقارية، وهو اختلال البنية العقارية الحضرية الذي يبرز أن 98,8٪ من الأراضي المبنية والمجهزة حاليا توجد بحوزة الخواص، وفي المقابل لا تملك الدولة والأوقاف على التوالي سوى 17 هـ و3,5 هـ.

كل هذه العوامل جعلت امتداد المدينة يظل سريعا ومتجاوزا بذلك كل التخطيطات العمرانية الثلاثة، كما جعلته يفرز بنية حضرية غير تامة، يطبعها التباين وانعدام الهيكلة في الوحدات الحضرية الأربع :

ـ مركز المدينة : حيث تتركز جل المصانع ومؤسسات الخدمات والتجارة، ويتكون من الحي الأوربي القديم في الشمال وما حوله مباشرة (حي مربوحة، جزء من حي مَرْسيوين وسلطان).

ـ الحي السكني المغربي الحديث الذي يتوفر على بعض الخدمات والتجهيزات التجارية (جزء من مرسيوين وحي الأندلس).

ـ الأحياء الشعبية الفقيرة (الكَرَابَة انْبُويقْشار والكرابة الفواكة وشمال المَحَال والمكتب وشمال سالم ومولاي الطيب وسيدي سليمان).

ـ المجالات الهامشية التي، بدون أن تكون أحياء للقصدير، تشكل أفقر الأحياء بُوهْديلة ولارْمُود والزوبية وتيوْدار وجنوب المْحال وشرق مولاي الطيب).

لقد بلغ عدد سكان أحفير وبركان سنة 1947 على التوالي 6.000 و7.545 نسمة. لكن ابتداء من هذا التاريخ أصبحت لمدينة بركان المكانة الأولى وسط سهل تريفة من حيث الحجم والأنشطة المرتبطة بالفلاحة ونسبة الأوربيين

المستقرين بها، وذلك، نظرا لموقع تكامل الرساتيق الوسط الذي تحتله المدينة بين قبائل الجبل والسهل، وملتقى الطرق والمسارات المحلية الذي تتميز به، وقربها من المناطق المسقية منذ الثلاثينات في وسط السهل.

وهكذا، بلغ عدد سكان بركان 20.496 ن سنة 1960 وعدد سكان أحفير 10.794 ن. وفي الوقت الذي عرف عدد سكان أحفير تطوراً جد بطيء بين 1960 و1970، وصلت نسبته السنوية إلى 1,25٪، عرفت بركان نسبة عالية تبلغ 5.65٪، وظلت نسبة النمو السنوي بها مرتفعة نسبياً 3,89٪ بين 1971 و1982. ولو أنه إذا قارنا هذه النسبة بنسب نمو المغرب الحضري 4,26٪ والمغرب الشرقي 5,45٪ الحضري أو قارناها بنسب نمو بعض المدن المتوسطة الموجودة مباشرة بعد بركان في ترتيب المدن المغربية، ومن بينها على الخصوص ثلاث مدن فلاحية (سيدي قاسم، سيدي سليمان و الفقيه بنصالح)، سيتضح أن بركان تعرف حاليا أضعف نمو ضمنها.

إن أسباب السرعة النسبية للتمدين في سهل تريفة لا ترجع إلى التصنيع المترتب عن ازدهار الفلاحة المسقية أو نمو أنشطة القطاع الثالث بموازاة مع النمو السكاني للمدن، بقدر ما ترجع أصلا إلى تفتيت البنيات الريفية التقليدية بسبب التحول الفلاحي التقني والاقتصادي الذي دفع بالهجرة المحلية إلى المدن، وبسبب التحول الديمغرافي والاجتماعي الذي يتمثل في سرعة النمو السكني وتحسين مستوى العيش. أصبحت بركان تستمد وجودها من المنطقة الموجودة داخلها لا لأنها تزودها بالمواد الأولية للصناعة والتجارة والخدمات المتخصصة، ولكن بصفة خاصة لتجميع المنتجات وتهيئتها للتصدير وإيواء الملاكين والمشتغلين بالفلاحة والمهاجرين من الأرياف، كما تجدر الإشارة إلى أن دور القيادة الإدارية والتقنية لعب الدور الحاسم في إعطاء مدينة أبركان المكانة الأولى في السهل حيث أمدت السلطات الاستعمارية المدينة بسلطة إدارية محلية على القبائل المجاورة التي كانت تخضع مباشرة إلى عامل وجدة قبل 1912، ثم أصبحت المدينة سنة 1959 مركزاً لدائرة تضم ست جماعات قروية والآن تضم أيضا ثلاث جماعات حضرية (بركان، أحفير، السعيدية) التي تشكل شبكة حضرية فرعية تابعة لنظام وجدة الحضري، علاوة على اثني عشر مركزاً قروياً نشأوا بالمنطقة ابتداء من 1965 تبعاً لدراسة شاملة أقيمت سنة 1953 لتنظيم السهل الحضري ولتخفيف عبء الهجرة القروية على بركان. وأهم هذه المراكز حالياً زكزل 13.814 ن وأگليم 5.940 ن وعين الركادة 2.374 ن.

على الصعيد الإقليمي الذي تنتمي إليه منطقة بركان، يتميز المغرب الشرقي بعزلة إزاء المغرب الأطلنتي وإزاء الإقليم الغربي للجزائر الذي كانت تربطه وإياه علاقات اقتصادية، وخصوصا ميناء الغزوات مع ميناء مليلية اللذين كانا يصدران غالبية المنتجات الفلاحية والمعدنية.

غير أن الانسداد شبه التام لهذه الحدود منذ استقلال الجزائر، وارتباط النشاط الفلاحي والمعدني بالتصدير، ونظراً لضعف الصناعة، تمّ إنشاء ميناء الناضور ابتداء من 1978 (على بعد 80 كلم من بركان) ومركب حديدي ضخم بنفس المدينة. فعمل هذان العنصران بجانب عناصر صناعية أخرى حول مدينة وجدة (العيون، جرادة، بو بكر، وادي الحيمر) على رد الاعتبار إلى هذه المنطقة والتخفيف من اختلال هيكلتها والتقليل من عدم التوازن بينها والمغرب الأطلنتي. وأخذ إدماج المغرب الشرقي العالمي يمر بواسطة ميناء الناضور، المنفذ الوحيد إلى الخارج. أما الإدماج الوطني فلا يزال يمر عبر وجدة، القطب الجهوي بدون منازع، الذي تدعمت سلطاته الإدارية وخدماته المتخصصة. وهكذا أصبحت بركان حاليا مجرد محطة إدارية واقتصادية بين وجدة والناضور التي انتزعت منها المرتبة الثانية في صف مدن المغرب الشرقي من حيث عدد السكان منذ نهاية السبعينات، كما يتضح من خلال الجدول :

	1960			1971			1982			
	الصف الوطني	الصف الجهوي	عدد السكان	الصف الوطني	الصف الجهوي	نسبة النمو	عدد السكان	الصف الوطني	الصف الجهوي	نسبة النمو
وجدة	7	1	128.645	7	1	٪2.8	175.532	7	1	٪3.88
الناضور	28	4	17.583	23	3	٪5.4	32.490	15	2	٪3.68
بركان	23	2	20.496	21	2	٪5.65	39.015	21	3	٪3.89
جرادة	25	3	18.822	24	4	٪1.31	20.433	25	4	٪0.06

مصطفى عباد

البَرْكاوي (القايد ـ) الحسن بن محمد الأگلوي، ولي منصب القيادة على قبيلة أگلو كافة، أثناء قيام السلطان الحسن الأول بزيارته إلى سوس سنة 1882/1299.

ظهير صادر بتاريخ 14 شعبان 1299 ؛ *رسالة* من ق. الحسن بن محمد الأگلوي إلى السلطان بتاريخ فاتح شعبان 1302.

علي المحمدي

البَرَكة، مفهوم البَرَكة سابق للإسلام، عرفته شعوب الجزيرة العربية كما عرفته شعوب أخرى تحت أسماء مختلفة. والبركة كمفهوم مستمدة من الاعتقاد فيما هو مقدس في هذا الكون. فقبل الاسلام كان يُعتقد في وجود البركة في الأصنام والمعابد والأضرحة وحتى في الشجر ومنابع المياه. وكان سكان الجزيرة العربية وشمال افريقيا يعتقدون في وجود قوة سماوية خفية تحمل عند التصاقها بالمخلوقات الخير والنفع. وبحضور هذه القوة السماوية يكثر النسل ويصلح الزرع والضرع ويعم الخير، وقد تزيد البركة وقد تنقص وقد تهجر كائناً بالمرة إذا أصابته لعنة سماوية. وبمجيء الإسلام أصبحت البركة ملكاً واختصاصاً لله وحده، يهبها لمن شاء من خلقه. فالبركَة عند المسلمين هي تلك القوة الإلهية الخفية التي تحمل معها الخير والتي يمنحها الله لمن اصطفاه من عباده وقربه إليه، إما عن طريق الولاية وإما عن طريق الانتساب لرسوله محمد عليه السلام.

وإذا كان محمد عليه السلام هو أفضل الخلق وأقرب الناس إلى الله فإن بركته لا تعادلها بركة، وهي أقوى وأوفر من أية بركة منحها الله لأي من رسله وأنبيائه. وقد ورث أهل البيت النبوي الشريف هذه البركة، أو بعضاً منها. وفي المغرب كان الناس وما زالوا يعتقدون أنه حتى في صفوف الشرفاء تختلف قوة البركة من أسرة إلى أخرى أو من فرع إلى آخر. وهكذا يأتي الشرفاء الأدارسة في المقدمة حسب ويسترمارك E. A. Westermarck وهو ما يفسر في نظره الإجلال والتقديس الذي كان يحظى به شرفاء وزان حتى بداية هذا القرن. وسلاطين الأسرة العلوية يتوفرون هم كذلك على قسط كبير من البركة إلا أن السلطان يستمد بركته من مصدرين : من كونه شريفاً أولاً ومن كونه أمير المومنين. وكان الناس يعتقدون أن بركة السلطان ضرورية لخير البلاد والعباد وبدونها تفسد الغلل وتموت الدواب ويهلك الناس من الوباء ومن شتى أنواع الجوائح. ويذكر ويسترمارك أن حتى القبائل البعيدة الموجودة ضمن ما كان يسمى ببلاد "السيبة" كانت تعتقد أنه بدون بركة السلطان لن تحصل لها بركة لا في زرعها وفي في نسلها، فكانت تتجنب بقدر الإمكان كل عمل يمكن أن يجلب سخط السلطان عليها، ولم تكن القطيعة السياسية التي تحدث أحيانا بين المخزن والقبائل النائية تؤثر في تشبث سكان هذه القبائل ببركة السلطان. وخير ما يظهر ذلك ما أقدمت عليه قبائل زيان بعد أن هزمت جيوش المولى سليمان في سنة 1819 حيث سارعت إلى خيمة هذا الأخير لتتوزعها أشلاء ابتغاء لبركته.

وإذا كانت البركة تنتقل عن طريق الوراثة فإنها تُكتسب كذلك عن طريق الصلاح كما هو الشأن بالنسبة للأولياء والمرابطين. والمرابط الذي يكتسب بركة قد يترك وراءه ذرية تتوارث بركته أو بعضاً منها. كما أن الجهاد لإعلاء كلمة الله قد يصبح مصدراً للبركة كما هو الحال بالنسبة للعديد من المجاهدين الذين كانت تقام لهم أضرحة ومزارات يقصدها الناس من أجل التبرك. وبالإضافة إلى هؤلاء يعتقد أن البركة توجد كذلك عند الأطفال،وخاصة المنكبين منهم على حفظ القرآن "المحضرة" لذلك كان الناس وما زالوا يتشفعون بهم عند الأزمات كالجفاف، معتقدين أن دعاء الصبي القارئ لكتاب الله مستجاب عند الله أكثر من دعاء غيره. والآباء كذلك لهم بركتهم بالنسبة لأبنائهم، وهو ما يعبر عنه برضى الوالدين. كما يؤمن الناس ببركة المجاذيب أو حتى مجرد المجانين، ولذلك فإنهم يتجنبون إذايتهم مخافة أن يحصل لهم مكروه. وهذا الاعتقاد يدل على أن صاحب البركة قادر على جلب الخير ولكنه كذلك قادر على جلب الضرر عندما يفرض الموقف الانتقام من ظالم.

وليست البركة مقصورة على الأشخاص فقط. *فالقرآن* مثلاً له بركة كبيرة تُطلب عن طريق تلاوته أو بواسطة من يقوم بتلاوته من طلبة يحفظون كتاب الله. وسور *القرآن* نفسه ليست متساوية من حيث بركتها، بل إن بعض الآيات تُعتبر أعلى درجة من غيرها، ولذلك يتبرك بقراءتها في مناسبات متعددة. وهناك أرقام وأسماء تُنسب لها بركة خاصة، كما أن بعض الأماكن مثل الأضرحة والمزارات تعتبر ذات بركة خاصة بسبب ارتباطها ببعض الصلحاء المقبورين بها أو الذين مروا منها.

والبركة هي أساس تعظيم الأولياء وتقديسهم. فزيارة الأولياء وإقامة المواسم عند أضرحتهم يقصد منها أساساً الاقتباس من شعاع بركتهم والانتفاع بهم في الأمور الدينية والدنيوية.ويسود الاعتقاد بأن بركة الولي أو بعضاً منها يمكن أن تنتقل إلى الزائر عن طريق الملامسة إن كان حياً والتمسح بقبره إن كان ميتاً، لذلك كان الناس يحجون من أماكن بعيدة لزيارة أضرحة الصلحاء أو لقاء ذوي البركة من الأحياء. وكان لأتباع الطرق الصوفية اعتقاد كبير في بركة شيوخهم فيتقربون منهم ويقدمون لهم الهبات رغبة في بركتهم. ويمكن للمرء أن ينال بركة الولي أو الشريف عن طريق التعلق والمصاحبة والتفاني في الخدمة. فالفاسيون أصحاب زاوية القلقليين بفاس مثلاً يعزون بركتهم إلى سيدي عبدالرحمان المجذوب (ت. 1568) الذي خدمه وتتلمذ عليه جدهم أبو المحاسن يوسف الفاسي. وقد تحصل بركة ولي من الأولياء بمجرد السلام عليه أو مس ثيابه أو الأكل من طعامه.

ويمكن اعتبار البركة مظهراً من مظاهر الولاية إذا نظرنا إليها كقوة تسمح لصاحبها بخرق العادة والإتيان بما قد يُعتبر نوعاً من الكرامات. إن الذي يمتلك بركة غالباً ما يأتي بخوارق تشهد له بتلك القوة الإلهية التي اكتسبها عن طريق الوراثة أو المجاهدة. وكُتب المناقب ما هي في الواقع إلا تسجيل لكرامات الشرفاء أو الأولياء الذين استطاعوا بفضل البركة التي أودعها الله فيهم اختراق الزمن وطي المسافات والإخبار بالمغيبات والتوسل عند الله لقضاء الحاجات. إن امتلاك البركة يسمح لصاحبها بالتوسط بين العبد وخالقه، بل وحتى بين العبد وأخيه. وهنا يكمن دور الشرفاء والمرابطين كوسطاء في حل النزاعات الاجتماعية. فالمرابط أو الشريف المقيم وسط قبيلة نائية لا تمسها الأحكام المخزنية كان محل إجلال واحترام يقصده السكان في أمورهم الدينية أو الدنيوية. وغالباً ماكانت القبائل تتوجه إلى آل البيت الشريف لتطلب منهم الإقامة بين ظهرانيها اعتقاداً منها بأن وجود هؤلاء يضمن لهم البركة في مالهم ونسلهم ويوفر لهم حَكَماً منزهاً يحتكمون إليه لحل مشاكلهم. لذلك فإن البركة لم تكن فقط معتقداً دينياً بل وكذلك دعامة أساسية لحفظ التوازن الاجتماعي.

J. Chelhod, *Les Structures du sacré chez les Arabes*, pp. 59-62 ; R. Jamous, *Honneur et Baraka*, pp. 202-210 ; E. A. Westermarck, *Ritual and Belief in Morocco*, Reprint, Vol. I, pp. 35-141.

محمد المنصور

البَركة، ـ مصطلح سياسي ومالي ـ كما ترد كلمة البَركة في كتب المناقب والتصوف ترد في كتب التاريخ كمصطلح سياسي ومالي، وإن كانت أصول المصطلح الذي كثر استعماله في العهد الموحدي ترجع إلى العامل الديني، فالمهدي ابن تومرت أسس دعوته وثورته على تركيب من المذاهب الإسلامية، وتشبّه بالرسول وقلّده في أفعاله ونسبه، ولذلك اعتبر عمله عملا مقدساً ومعصوماً، فكانت الحركة الموحدية في بدايتها تعتمد على بركته (الدينية)، ولما تحولت الثورة إلى دولة ورث عبدالمومن وأبناؤه فيما ورثوه عن الزعيم والإمام المعصوم بركته إلا أنها اتخذت في عهدهم بعداً آخر فلم تعد تعنى صدقة كما كانت من قبل، واستعملت بهذا المعنى بعدهم (*القرطاس*، 149)، بل أصبحت تعني عطاء للجيش أي رزقا أو راتباً أحياناً اتخذت صبغة منتظمة وأحياناً كانت البركة تخرج إلى الجند في مناسبات معينة (*المن بالإمامة*، 299 ـ 347) إلى جانب أنواع أخرى من العطاءات، كالمواساة والعلوفات والصدقة والحنان والإنعام والإحسان، وهذا النوع من العطاءات غالباً ما كان يتم أثناء سفر الخليفة أو في مناسبة من المناسبات الصعبة كالاستعداد للحرب أو للغزاة. وقد انفرد نوع من الجند بعطاء خاص سمّاه صاحب *المعجب* بالجامكية، وهو عكس البركة، إذ خص به يعقوب المنصور الموحدي الغز (الأتراك) وخلق ضجة بين الموحدين، إذ اعتبر امتيازاً استثنائياً، لأن جامكيتهم يتوصلون بها كل شهر بينما جامكية الموحدين لا يتوصلون بها إلا ثلاث مرات في السنة في كل أربعة أشهر مرة (*المعجب*، 414).

بتتبعنا للبركة ـ كعطاء ـ وتطور مقاديره وتتبع مناسباته والمستفيدين منه نستطيع التعرف على حالة بيت المال الموحدي، ومن خلاله على حالة المغرب الاقتصادية في العهد الموحدي. على أن أزهى هذه الفترات التي قيل فيها للزمن أنت خير زمان حسب تعبير مؤرخ معاصر لها هو ابن صاحب الصلاة (*المن بالإمامة*، 353)، والتي نتخذها كنموذج ملخصة في جدول، هي مدة الخليفة أبي يعقوب يوسف :

البركة	المناسبة	المستفيد
20 ديناراً	عودة ابن الخليفة أبي حفص من الأندلس منتصراً	لكل فارس
20 ديناراً	" "	لكل فارس من سائر عسكر العرب
100 دينار	" "	لكل واحد من أعيان الموحدين وأشياخهم.
10 دنانير	الاستعداد لغزاة الأندلس الأولى.	لكل جندي من سائر الأجناد عرباً وبربراً وموحدين.
ألف ألف دينار	أثناء غزو إفريقية	ما أنفق كبركة على جميع الجنود المشاركين في الغزوة.

على أن البركة بمعنى الصدقة قد وردت في كثير من المصادر وحتى عند ابن صاحب الصلاة نفسه، فقد ذكرها في صفحة موالية لحديثه عن البركة، إذ قال بمناسبة شفاء الخليفة يوسف :«تصدق أمير المومنين على الضعفاء والوافدين الغرباء بثلاثين ديناراً للواحد...».

ولنقترب أكثر من مصطلح البركة الذي ابتدعه الموحدون نسوق الوصف التالي لطريقة توزيع البركة من طرف الخليفة يوسف بشهادة معاصره ابن صاحب الصلاة :«...حدثني الكاتب بن عبدالله محسن كاتب ديوان التمييز لجميع العساكر المنفذ بتسجيله البركات للموحدين وسائر الناس من الأجناد المرتزقين قال : دخلت على سيدنا أمير المومنين... فقلت له... وقفت على هذا التمييز ووجدت فيه زيادة كثيرة عمّا تقدم فقال لي :تنفذ لهم البركة على ذلك إنما غرضنا الإحسان لأجنادنا وأن تظهر عليهم الخيرات والبركات...».

فكلمة البركات هنا غير البركة التي نتحدث عنها، ويضيف ابن صاحب الصلاة : وأحضر الخزانون الأموال بين يديه من الدنانير والدراهم... وعلت أكداساً، وجنسها من الذهب والفضة أجناساً، وقدم الموحدين في تنفيذ البركة لهم...» فهذا الازدهار الذي جسمته لنا البركة وغيرها ليس صدقة كما يدعي الكثير من الباحثين بل إنه ناتج عن خصوصية الدولة الموحدية التي عرف المغرب في عهدها ثورة اقتصادية إلى جانب الثورات الأخرى.

البيدق، *أخبار المهدي* ؛ ع. ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*.

محمد حجاج الطويل

البِركة، ـ نخاسة ـ حسب *لسان العرب* البِركة هي الحوضُ لإقامة الماء فيها أي مستنقع الماء، والعرب يسمون كذلك الصهاريج التي سويت بالآجر وطرجت. ويقال أيضاً البركة الصدر أو ما ولي الأرض من جلد صدر البعير إذا بَرَكَ. وحسب Dozy فإنه انطلاقاً من هذا المعنى يطلق اسم البِركة على سوق البهائم.

وتطلق البِركة في كتب الحوليات على سوق النخاسة التي يباع فيها العبيد ببعض المدن المغربية كمراكش وفاس والرباط وسلا. ففي فاس التي كانت تحتل الصدارة في تجارة الرقيق بعد مراكش، كان بيع العبيد بالمزاد العلني يتم في سوق الغزل بين صلاة العصر وغروب الشمس. وهذا السوق الذي هو عبارة عن ساحة محاطة بحوانيت، له تسميات أخرى مرتبطة بالبضاعات المعروضة فيه. ففي أول الصباح تباع فيه الصوف ومن هنا تسميته بسوق الغزل. ثم بعد ذلك أي في الثامنة أو التاسعة، حسب الفصول، تُباع فيه الحبوب ويدعى بين السواري. أما البركة فتطلق عليه إبان بيع العبيد. وكانت بِركة العدوتين الرباط وسلا في باب القنانط أمام باب قصبة الأوداية.

وحسب Le Tourneau فإن بركة فاس فقدت من حيوتها في نهاية القرن التاسع عشر، وهذا أمر محقق إذا ما تصفحنا كنانيش المكوس المخزنية التي تؤكد بوضوح ركود

هذه التجارة في المدينة آنذاك حيث إنه لم تعد تباع بالمزاد العلني إلا أقلية من العبيد دون قيمة تذكر في الوقت التي تباع فيه الجواري الحسان في منازل السماسرة. وفي سنة 1905 تم منع البيع العلني للرقيق من طرف المخزن في السوق الآنفة الذكر.

ونعت سوق النخاسة بالبركة موجود في عدة مدن بإفريقيا الشمالية. ولا يعرف بدقة كيف تم ذلك وهل له علاقة أم لا بتسمية سوق البهائم رغم أن العبيد تباع برحبة البهائم في عدة أماكن وخصوصاً في الأسواق القروية. وحسب Marçais ربما أطلقت البركة في البداية على سوق للعبيد في مدينة مّا من مدن شمال إفريقيا يوجد قرب بركة ماء، ثم بعد ذلك عُمِّمت التسمية على أسواق النخاسة.

ياقوت، *معجم البلدان*. الجزء الأول ؛ ابن منظور، *لسان العرب* ؛ د. دي طريس، *تاريخ الشرفاء*، تر. محمد حجي ومحمد الاخضر.

R. Le Tourneau, *Fés avant le protectorat* ; L. Bruno, *Textes arabes de Rabat*, t. II *Glossaire*. IHEM, Geuthner ; R. Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*. T.I ; Kazimirski, *Dictionnaire*, T.I.

محمد الناجي

بَـركَة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وهذه الأسرة لا علاقة لها بأسرة بركة التي أصلها من قبيلة بني عروس والتي توجد أيضا بتطوان. وتوجد بتطوان زنقة تحمل اسم طلعة سيدي بركة، كما كان السوق الفوقي الحالي يعرف بسوق سيدي بركة. وفي ساحة هذا السوق يوجد مسجد سيدي بركة، ولذلك يعرف أيضا بجامع السوق الفوقي، وسبب تسميته الأولى هو أن سيدي علي بركة كان إماما وخطيبا ومدرسا به فيما بين سنة 1660/1070 وسنة 1708/1120.

وأثناء الاحتلال الإسباني لمدينة تطوان (سنة 1860/1276. 1862/1278) حوّل الإسبان هذا المسجد إلى مستشفى. ومن هذا المسجد خرجت يوم 22 شعبان 1351/21 ديسمبر 1932 أكبر مظاهرة وطنية نظمها الوطنيون بالشمال احتجاجا على حل المجالس البلدية المنتخبة انتخابا حراً برآسة الأستاذ عبدالخالق الطريس وقد أعفي المقيم العام لوبيث فيرّير Lopez Ferrer من منصبه على إثر هذه المظاهرة.

وممن اشتهر بالعلم من آل بركة الأندلسيين بتطوان وإن لم تعرف لهم ترجمة مفصلة أحمد بن محمد بركة الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1677/1088 إلى سنة 1681/1092، والعالم أحمد بركة الذي كان على قيد الحياة سنة 1761/1174، والفقيه محمد بن عبدالسلام بركة الذي توفي سنة 1738/1150. والفقيه محمد بن العربي بركة الذي كان حيا سنة 1762/1175. والفقيه عبدالسلام بن علي بركة الذي كان حيا سنة 1769/1138، والفقيه عبدالغفور بن أحمد بركة الذي كان حيا سنة 1788/1202، وابنه الفقيه أحمد بن عبدالغفور بركة.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 22، 4 : 94 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 283، 347، 362، 377، 2 : 314، 335، 351، 375 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332، 3 : 327، 7 : 257 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان: يوميات زعيم الوحدة*، 316 - 318.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بَـركَة (أهل ـ) بمنطقة واد نون. تكشف وثائق هذه العائلة عن الاتساع الكبير لأراضيها التي تشمل ما يكاد يغطي نصف مساحة مدينة گلميم الحالية علاوة على بعض الحقول المسقية والنخيل بأسرير مقر نول لمطة العاصمة التاريخية القديمة. وما دام الأمر كذلك، فإن المتقصي لأخبار هذه العائلة يكتشف أنه إزاء موضوع يدور حوله فصل هام من تاريخ گلميم. فبخصوص القصبة القديمة جدا من هذه المدينة، يقول أهلها المنتمون إلى قبيلة أيت موسى أُعلي إن أهل بَركة من أكبر العائلات التي تناقل أفرادها عصبية متماسكة منذ زمن طويل محتكرين جزءاً هاماً من تجارة المحور الرابط بين المدينة وتنبكتُ. ولكي لا نقف عند حد الاستنباط، كشفت إحدى الدراسات الميدانية عن تصنيفات فعلية تفصل بين هذه العائلة وأهل عبيدالله أُسالم الذي هو والد بيروك شيخ گلميم وتاجرها الأشهر خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. والمشكلة الأساسية هنا ليست في ورود عائلة عبيدالله أُسالم على گلميم في وقت لاحق لظهور قبيلة أيت موسى أُعلي في إطار اتحادية تكنة، بل هي في سبب تجاهل الوثائق الأوربية لعائلة هامة بحجم أهل بركة. والجواب هنا هو أنه إذا كان معظم الدارسين يلاحظون أن الوثائق الأوربية قد اقتصرت على ذكر بيروك وأبنائه من قبيلة أيت موسى أُعلي، فذلك لأن بيروك كان المفاوض الوحيد من أجل ميناء تجاري على الشاطئ المحلي. وعلى الرغم من أن ظاهر هذا الكلام يشير إلى تسيُّد بيروك على تجارة سوق گلميم، فإن حجم أهل بركة وأهميتهم التجارية تقوم على ضرورة اجتماعية يفرضها غياب قرابة عائلية مع المولى عبدالرحمان العلوي كما كان الشأن بالنسبة لبيروك. لقد استغل والد هذا الأخير الخلاف القائم بين السلطان المولى سليمان والأمير المولى عبدالرحمن ابن خالته للتغلب على احماد إهيري شيخ أيت موسى أُعلي وحليف بوحلايس. فكان تسيد عائلة بيروك وليد ظروف الصراع السياسي القائم. ولعل أهل بركة قد أدركوا هذه الحقيقة فلم يزجوا بأنفسهم في الخوض في القضايا الجانبية وإنما التجأوا إلى مفهوم السلطة ككل، باعتبارها حدثا له أسبابه ونتائجه، اقتصروا على الميدان التجاري والفلاحي بمقتضى طبيعتها التجارية، وما تزال هذه العائلة تحتفظ بما يكفي من السجلات والوثائق لإعادة النظر في كل ما هو سائد ومعياري حول تاريخ وادي نون. وغني عن البيان القول بأننا نقترب هنا من ضرورة الوقوف المطول والمتأني على محتوى هذه السجلات حتى تدلي بقولتها كاملة غير ناقصة. ولنحرص هنا فقط على ربط هذه العائلة كما يفيد رجالاتها الحاليون ببركة قائد المنصور الذهبي على الجيش

الكبير المتوجه سنة 1581/989 إلى توات وتگورارين. هذا القائد الذي أثبت وجوده محمد الصغير الإفراني (نزهة، 154)، يعد السبب في انتقال أولاده وإخوته إلى مدينتي سلا والرباط حيث عرفوا الاستقرار النهائي (نزهة، 88، 289). ففي مفتتح جمادى الأولى عام 1602.10.17/1011 كتب المنصور الذهبي قبل وفاته بقليل رسالة يؤكد فيها نزوع القائد بركة نحو الاغتناء السريع على حساب وظيفته المخزنية. وهي إشارة قد تعين على فهم الاتجاه الذي أثقل فكر هذا القائد إلى درجة قرر معها الانسحاب من خضم الحياة السياسية والعسكرية والتفرغ للتجارة مع تنبكتْ في وقت لم يصل بعد أجدادُ بيروك إلى گلميم. لا شك أن الترابط بين ماضي أهل بركة وحاضرهم يصلح أن يكون معياراً يتحرى به الباحثون طريق الصواب فيما يصلون إليه من إشارات.

M. Esseghir El Oufrani, *Nozhet El Hâdi : histoire de la dynastie Saadienne au Maroc (1511-1670)*, trad. de O. Houdas, Paris, E. Leroux, 1889.

مصطفى ناعمي

بَركة، علي (سيدي ـ) بن محمد بن محمد، من علماء تطوان وأدبائها وشيوخها وصلحائها. الغالب أن أصله من الأندلس، وقد يكون أصل تسميته من البركة بمعنى التبرك والتماس الخير، إذ اشتهر ـ كأبيه ـ بالعلم والأدب، وبالصلاح والعبادة والورع، حيث يصفه ابن زاكور الفاسي بالعلامة الفقيه الفاضل الوجيه المظفر، شمس الأدب وبدره. كما وصفه بالعلم والصلاح تليمذاه القادري في *نشر المثاني* ومحمد بن الطيب العلمي في *الأنيس المطرب*، وابن عجيبة في *أزهار البستان*.

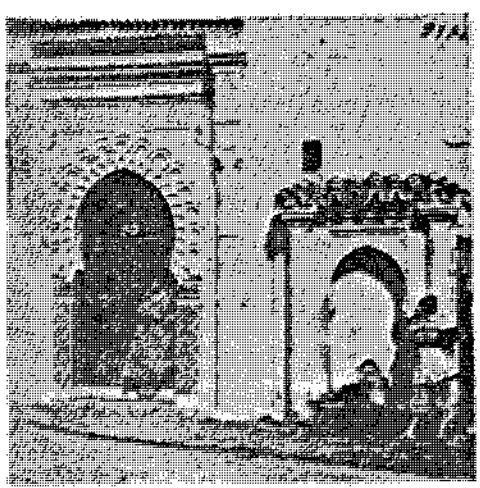

باب زاوية الشيخ العلامة الصالح سيدي الحاج علي بركة ... وتسبقها وهي واقعة جنب المسجد الكبير الجامع بالسوق الفوقي من الرباض من هذه المدينة، وقد دفن بها ايضا بعض العلماء والفضلاء والاعيان وغيرهم ... ادخلت عليها اصلاحات، وبنيت لها صومعة جديدة عالية. وصارت كالمنارة العامة تقام فيها الصلوات الخمس والجمعة وتعمرا فيها القرآن صباحا ومساء وتقرا فيها كتاب دلائل الخيرات كل ليلة. وتقام فيها الحفلات الدينية من والاعياد النبوية وتوزع فيها الصدقات في المواسم والليالي الفاضلة. وغير ذلك من جارية دوافقه لوقوف المصلين. ويظهر في الصورة ايضا ... هذا ... مأوفا غنيا سلسبيلا وكان وما زال ينتفع منه خلق كثير ... انظر ص ...

درس سيدي علي بركة في فاس على عدة علماء كبار كعبدالقادر الفاسي، والحسن اليوسي، ومحمد بن عبدالقادر الفاسي، وأبي سالم العياشي الذي أجازه. ومن شيوخه كذلك القاضي العربي بردلة، والشيخ حمدون المزوار، والشيخ أحمد بن الحاج، ولربما درس على علماء مشارقة لأن له مراسلات مع بعضهم، يطلب رأيهم في بعض الأمور العارضة، كما أنه قام بالحج إلى الديار المقدسة.

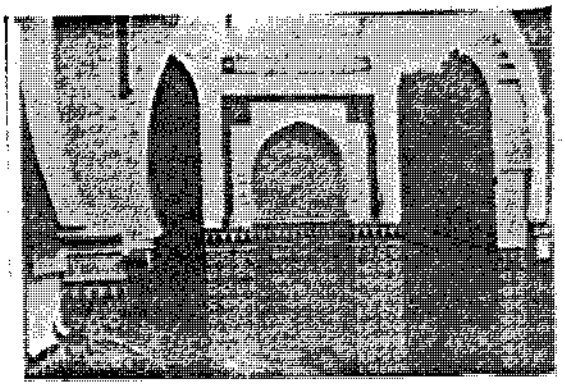

محراب زاوية الشيخ علي بركة الاندلسي التطوافي وقد كتب فوقه بسم الله الرحمن الرحيم. حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين

وبعد رجوعه من فاس إلى تطوان اشتغل بتدريس العلم، وبالإمامة والوعظ بمسجد سيدي بركة، وهو مسجد السوق الفوقي حالياً. ومما لا شك فيه أنه كان يتمتع بشعبية ووزن سياسي في منطقة الشمال على الأقل، بدليل أن السلطان مولاي إسماعيل استعمله في قضية أولاد النقسيس. إذ أرسله إلى أحمد النقسيس ورجاله الذين كانوا ملتجئين في سبتة، وقد يكون علي بركة هو الذي توسط لدى السلطان مولاي إسماعيل في العفو عن أولاد النقسيس كما يذكر المستعرب الإسباني سرديره، وأن

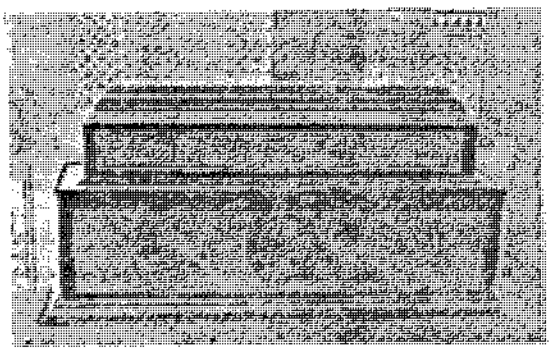

مزارة الشيخ ابي الحسن علي بن محمد بركة، وتقع في خارج ... الفوقي عن سور المذهب الى باب القابر، وهي شبيهة ببعض مزارات فاس ... عوام تطوان، كانوا لا يجاورون عوام فاس في كثير ... التمسح بالمزارات ... والعطفات والاغارات ...

السلطان استغل سمعته ومكانته لياتي بهم من سبتة. كما أن صيته العلمي تعدى حدود تطوان حتى إن عدداً من علماء فاس جاءوا للتتلمذ عليه في تطوان في وقت كان فيه شيوخه الفاسيون ما زالوا على قيد الحياة. فمثلا محمد ابن قاسم بن زاكور الفاسي شارح *ديوان الحماسة* ولامية

العرب، و*قلائد العقيان والخزرجية* ومؤلف *نشر أزهار البستان* تتلمذ عليه ونال منه الإجازة سنة 1683/1094 في حين كان الشيخ أحمد بن الحاج، ومحمد بن عبدالقادر الفاسي ما زالا بقيد الحياة في فاس.

يعدّ علي بركة في مقدمة من أدخل الطريقة الناصرية إلى تطوان بعد أن أخذها عن الشيخ مَحمد بن ناصر نفسه، ويظهر أن نشاطه الفكري عرف أوجه في أواخر القرن الحادي عشر الهجري بينما انزوى علي نفسه في الربع الأول من القرن الثاني عشر، وقد يكون هذا راجعا للصدمة التي أصابته بعد حادثة أولاد النقسيس حيث اعتكف في أواخر حياته منقطعاً للعبادة.

وقد خلف السيد علي بركة عدة آثار أدبية ودينية وعلمية. فمن آثاره الأدبية أشعار قليلة غالبا هي كل ما تبقى من «*قصائد طوال* حلّى بها من فرائد المحاسن كل معطال» حسب قول تلميذه ابن زاكور. و*أراجيز* دينية من دعوات وتوسلات أشهرها أرجوزة مطلعها :

يـــارنـــا يـــا خالق العبـاد حُلْ بيننا وبين ذا الفســـاد

ويرجح أن تكون هذه الأرجوزة قد نظمت سنة 1098 بعد حادثة إلقاء القبض على أحمد النقسيس ورجاله وقتلهم، وكذلك *قصيدة دعاء وتوسل* نظمها في فترة الوباء الذي نزل بتطوان سنة 1088، مطلعها :

يارنـــا يـــا كاشف البلـــواء يـــا رافع الغمـــاء واللأواء

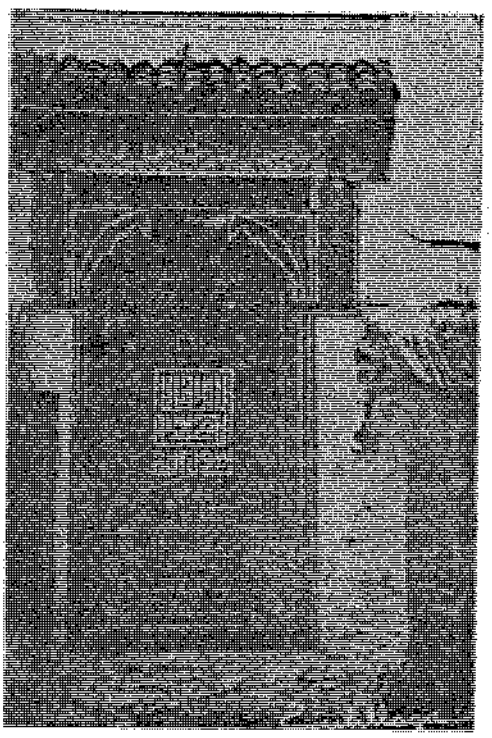

ضريح الشيخ علي بركة داخل زاويته الشهيرة في السوق الفوقي بتطوان وقد كتب عليه في الخشب العبارة الآتية : «العبد الله هذا ضريح العالم تطوان العابد الناسك الزاهد الولي الصالح البركة أبي الحسن سيدي الحاج علي بن محمد بركة الأندلسي الحوراني. توفي رحمه الله بتطوان ودفن عشاء تاسع وعشرين شوال سنة ألف ومائة وثلاثين رضي الله عنه»

وقصائد في الجهاد، وأخرى في *مدح الأولياء* كعبد السلام بن مشيش، كما ترك أراجيز في النحو كأرجوزة *مسوغات الابتداء بالنكرة*. وكذلك *رسائل إلى مشايخه* حول مسائل دينية أشهرها رسالة إلى محمد بن عبدالسلام ابن الطيب القادري. كما خلف عدة تآليف منها *حواش وشروح* متعددة، و*كتاب كبير في الفقه* جله أحاديث، و*تآليف صغير في مناسك الحج* في خمس عشرة صفحة، و*كتاب الدرر والخطب* فيما يخاطب به الإنسان من الإسلام والإحسان في مائة وخمسين صفحة. فرغ من تأليفه سنة 1120هـ. وإلى جانب تآليفه، هناك تآليف تتحدث عنه، كتأليف للعالم عبدالسلام بن الطيب القادري، المتوفى سنة 1110 هـ اسمه *التماس البركة في أجوبة العالم الخير سيدي الحاج علي بركة*.

توفي علي بركة عام 1708/1120 ودفن في زاويته بالسوق الفوقي بتطوان.

م. ابن زاكور، *نشر أزهار البستان* ؛ م. داوود، *تاريخ تطوان*، ج: 1.

ثريا برادة

البَركة، مَحمد الأسفي، من أبرز وجوه الحركة النقابية بالمغرب. ولد سنة 1915 بمدينة أسفي، وعمل في ميدان الصيد البحري، وتعاطى مبكراً النشاط النقابي.

تزعم في الخمسينات رفقة زميله السيد إبراهيم الحلاوي الحركة النقابية للصيد البحري في المغرب التي قامت بإضرابات ناجحة على الصعيد الوطني، واعتقل عدة مرات بسبب نشاطه السياسي والنقابي، وبعد تأسيس الاتحاد المغربي للشغل انتخب كاتباً عاماً لجامعة الصيد البحري.

وفي أواخر السبعينات اعتزل النشاط النقابي وتعاطى العمل الاجتماعي في محاولة منه لمساعدة العمال المتقاعدين رغم إمكانياته المحدودة.

توفي بأسفي سنة 1409 / 1988.

معلومات شخصية، ورواية شفوية.

عبد الرحيم العطاوي

بَركة (ابن ـ)، أسرة رباطية أصلها من قبيلة الزيايدة بالشاوية، ينتمون إلى سيدي عمرو القدميري صاحب الضريح الشهير هناك. لذلك كانوا يدعون "القدميرين" قبل أن تغلب عليهم كنية جدهم الخامس الملقب بركة، وضريحه

كذلك يُزار في الزيايدة. وأول قادم منهم إلى الرباط هو محمد بن بركة القدميري في تاريخ غير محدد من النصف الثاني للقرن الثالث عشر (19 م) وعرف من حفدته بالرباط :

بَـرْكَـة (ابن ـــ)، أحمد بن محمد، صوفي ناسك، صحب الشيخ فتح الله بناني وعمل مع الزمرة الوطنية الأولى في تأسيس المدارس العربية الحرة بالرباط، كان إماماً يقرأ الحزب في زاوية سيدي قاسم بيوقرون، ويعتمر لذلك دكاناً حبيساً مجاوراً للزاوية، يتجر فيه تجارة متواضعة إلى أن أدركته الوفاة عام 1378 / 1953.

معلومات شخصية ورواية شفوية.

محمد الأمين بلكناوي

بَـرْكَـة (ابن ـ)، المهدي بن أحمد. ولد سنة 1920، بحي سيدي بنعيسى في الرباط، نال شهادة البياكلوريا الأولى بميزة حسن جدا، سنة 1938، وشهادة البكالوريا الثانية (شعبة الرياضيات) في يونيه 1939 بنفس الميزة، وظل أستاذ الرياضيات Marti في ثانوية گورو يشيد بنبوغه أمام تلاميذ هذه الثانوية إلى غاية سنة 1950، مؤكداً أنه لم ير نظيراً له. ثم التحق بجامعة الجزائر وتخرج منها مُجازاً في الرياضيات سنة 1942.

وبعد عودته من الجزائر عين أستاذاً للرياضيات في ثانوية گورو (ثانوية الحسن الثاني حالياً)، وفي المدرسة المولوية حيث كان من بين أساتذة سمو الأمير ولي العهد آنذاك مولاي الحسن. وعُـني بتعريب مادة الرياضيات وتدريسها في المعاهد الحرة، منذ سنة 1943. وكانت تجربته الأولى في هذا المجال، في المدرسة الغازية بالرباط.

لقد كان المهدي بن بركة من بين صفوة رجالات المغرب الذين وقعوا على عريضة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944. وعرف هو أيضاً السجن، مثل باقي زملائه. وبعد إطلاق سراحه، قرر التفرغ للنشاط السياسي والصحافي، ضمن المسؤولين الرئيسيين عن حزب الاستقلال.

وبحكم بعد نظره، وما عرفه العالم في أعقاب نهاية الحرب الكونية الثانية (1939 ـ 1945)، وما كان قد التزم به الحلفاء وعلى رأسهم فرنكلان روزفلت، إزاء الشعوب التي ناضلت بجانب الحلفاء وتحملت نصيبها من التضحيات لدحر المحور وإلحاق الهزيمة بالنازية والفاشية، وإدراكاً للتحولات العميقة التي أضحى العالم مقبلا عليها، بعد الاعتراف باستقلال الهند وباكستان في غشت 1947، من طرف حكومة حزب العمال، بقيادة كليمان أتلي Attlée. بادر المهدي بن بركة بإعداد تقرير مهم عن حقوق الإنسان ووضعية الحريات العامة في المغرب وقدمه في أكتوبر 1948، للجمعية العامة للأمم المتحدة، عند انعقاد دورتها بقصر شايو في باريز.

كانت له الشجاعة للصدع أمام الإقامة العامة بأن "المغرب لا يحالف من ينكر حقه في الحرية والاستقلال" واتهم من طرف المقيم الفرنسي الجنرال ألفونس جوان بكونه صاحب التقارير، التي كانت تنتقد انتقادا صريحاً ومعمقاً مختلف جوانب السياسة الفرنسية في المغرب، والتي كانت تلقى أمام المقيم عند انعقاد دورة مجلس شورى الحكومة، وبالخصوص في خريف 1950، لذا كان يعد أخطر خصم للوجود الفرنسي، بل كان يلقبه الجنرال جوان "بمدمر نظام الحماية".

وفي بداية سنة 1951، وفي أعقاب المؤامرات الأولى التي دبرت من طرف الجنرال الفرنسي جوان ضد المغفور له جلالة محمد الخامس طيب الله ثراه، في النصف الثاني من فبراير (26 . 2 . 1951)، قرر ممثل فرنسا إلقاء القبض على المهدي بن بركة فصدر أمر بنفيه أولا إلى ميدلت ثم قصر السوق فبوذنيب فتالسنت، وأخيراً ألحق بمن نفوا بعده في أغبالو نكردوس بالصحراء.

وبعد ثلاث سنوات وسبعة أشهر ونصف أطلق سراحه، في بداية أكتوبر 1954، بعد اقتناع فرنسا بفشل السياسة التي طبقت من طرف الجنرال گيوم، بمساندة مطلقة لجورج بيدو وزير الخارجية، وتعيين مقيم جديد دبلوماسي التكوين، فرانسيس لاكوست، والتخلي تدريجياً عن سياسة التهديد والعنف التي انتهجتها فرنسا ضد المغرب، ما بين 1947 وصيف 1954.

إن المهدي بن بركة، بفضل ما حباه الله من ذكاء ولباقة وسعة صدر وتواضع العلماء، كان شديد الاتصال بمنظمات الشباب، المنضوية تحت لواء حزبه، وكان يترأس اجتماعاتها الأسبوعية لإيمانه العميق بدور الشباب في بناء مغرب الغد.

وكانت المناقشات بين المشاركين في تلك اللقاءات المنتظمة تتسم بالصراحة والجدية. ولم يكن دور أعضاء الجمعيات المذكورة يقتصر على الاستماع للعروض التي كان يلقيها هذا المسؤول أو ذاك من مسؤولي المنظمات المشار إليها، أو على تنفيذ التعليمات التي تعطى لأعضائها من طرف قيادة الحزب، بل كان هناك حوار جاد ومسؤول، وكان الجميع يشعر بأن القائد هو بدوره لا يشمئز من الاستنارة بآراء شباب الحزب ويتجنب أي شكل من أشكال القمع الفكري أو الغرور.

وسيتأكد هذا السلوك، من خلال الاحتكاك به، عندما كان رئيساً للمجلس الوطني الاستشاري، ما بين خريف 1956 وربيع 1959.

فرغم كون أغلبية هذه المؤسسة، كانت تنتمي إلى أقوى حزب سياسي آنذاك، أي حزب الاستقلال، فلم يسبق للمهدي بن بركة أن كان متشدداً مع الأقلية أو حرمانها من حقها في التعقيب، أو الانتقاد، أو تقديم اقتراحات مضادة، بل كان يصغي باهتمام بالغ، إلى تدخلات جميع الأعضاء، حتى ولو كانت تبتعد عن موضوع المناقشة.

وفي تلك الحقبة، وبالضبط، في نهاية سنة 1957، قبيل سفر جلالة الملك المغفور له محمد الخامس إلى الولايات المتحدة، للقيام بأول زيارة رسمية لها، أتيحت لي الفرصة لمشاهدته بكتب بيده نص الملتمس، الذي عرض على المجلس الوطني الاستشاري فيما بعد، والذي أعلن فيه المغرب آنذاك أن سياسته الخارجية تستند إلى عدم التبعية.

وفي نفس التاريخ، كنت بجانبه أمام حديقة المجلس الوطني، وهو يؤكد بحزم ويقين لـ A. Gazier، وزير المعادن والطاقة، في حكومة G. Mollet، الأمين العام للفرع الفرنسي للأممية العمالية، بأن الجزائر قادرة على مواصلة كفاحها ضد فرنسا خمس سنوات أخرى، وبأن السياسة التي تنهجها الحكومة، برئاسة G. Mollet، لن تؤتي ثمارها، بل ستزيد في تعميق شقة الخلاف بين فرنسا وجبهة التحرير الجزائرية، وبالتالي، ستتضرر منها لا محالة علاقات المغرب بفرنسا ؛ كان المهدي بن بركة يقوم بذلك التحليل والمسؤول الفرنسي يصغي إليه باهتمام بالغ.

وفي أكتوبر 1958، استدعي المهدي بن بركة من طرف الكونغريس الأمريكي، للقيام بزيارة للولايات المتحدة وللاتصال بقادة الحزبين الجمهوري والديمقراطي وبالمسؤولين في وزارة الشؤون الخارجية. وعند مغادرته المغرب توقف أربعاً وعشرين ساعة في باريز، قبل استئناف سفره إلى نيويورك، فأقام موريس كوف دومرفيل Maurice Couve de Murville مأدبة عشاء تكريماً له، بصفته رئيساً للمجلس الوطني الاستشاري وأحد الزعماء السياسيين المرموقين في المغرب. وكوف دو مرفيل، الذي ظل وزيراً للخارجية لمدة عشر سنوات، في عهد مؤسس الجمهورية الخامسة، الجنرال دوگول، والوزير الأول لمدة أحد عشر شهراً، كان من بين القلائل الذين يكن لهم دوگول احتراماً وتقديراً كبيرين (De Murville, André Malraux, F. Mauriac).

فخلال ذلك اللقاء بين المهدي بن بركة وكوف دو مرفيل، تمت دراسة المعضلة الجزائرية دراسة معمقة وأُعجب المسؤول الفرنسي بتحليل المهدي بن بركة وببعد نظره وبالمقترحات التي كان من شأنها أن تبعد خطر تدويل القضية الجزائرية، فالتمس منه أن يؤجل سفره بيوم، حتى تتاح له الفرصة للاجتماع بالرئيس الفرنسي شارل دوگول.

وبالفعل، فقد استقبل الزعيم المغربي، من طرف الجنرال دوگول، يوم 17 أكتوبر 1958، واستمرت المقابلة لمدة خمس وأربعين دقيقة، تحدث فيها المهدي بن بركة عن مستقبل العلاقات الفرنسية مع أقطار المغرب العربي، وعن الفشل المحقق لسياسة تتنكر لمطامح الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال، منوهاً منبهاً دوگول، في نفس الوقت، بأن مخطط قسطنطينة، ولو كان من شأنه أن يسهم إسهاماً فعلياً في تصنيع الجزائر، وبعد بالتالي عملا جباراً وإيجابياً للغاية تقدم عليه فرنسا، لن يكون البديل الكفيل بإبعاد الشعب الجزائري عن قيادة ثورته. وألح المهدي على ضرورة الشروع فوراً في التفاوض مع ممثلي الشعب الجزائري الحقيقيين، تجنباً لتفاقم الأوضاع مستقبلا، في منطقة شمال أفريقيا.

فبعد ذلك العرض الذي لم يكن ليفاجأ به دوگول بفضل ما كان يصله من أخبار حول ذكاء القائد المغربي، ودوره في الأربعينيات وبداية الخمسينيات في المغرب، عقب الرئيس الفرنسي على تحليل المهدي بن بركة قائلا :"كم كان بودي أن يكون للثورة الجزائرية قائد في مستواكم، قائد سياسي يدافع عن مثل هذه النظرة الشمولية للمعضلة الجزائرية، عن آفاق التعاون بين فرنسا وأقطار المغرب العربي. فكما تعلمون، يضيف دوگول، إنه من العسير علي ولم تمر على عودتي إلى ممارسة الحكم إلا بضعة أشهر، أن أقنع الفرنسيين بالتفاوض مع من يسمونهم بالسفاحين ! لقد كان بودي أن يختار فرحات عباس أو غيره السبيل الذي سلكتموه أنتم، ولو كان اقتصر على الكفاح السياسي، وبدون أن يقطع علاقاته مع قادة جبهة التحرير الجزائرية، لسهُل الاتصال به ولكن...".

المهدي بن بركة ودوره على الصعيد الدولي : لقد كان المهدي بن بركة مقتنعاً بأن الحركة التقدمية في المغرب مطالبة بأن يكون لها بُعدٌ أوربي وبعد عربي وبعد إفريقي، وبأن تلك الأبعاد هي الكفيلة بتمكينها من إحباط مخططات من يسعون لتصفيتها.

وهكذا وطد علاقات الاتحاد الوطني للقوات الشعبية مع الحركات الاشتراكية في فرنسا وإيطاليا ويوغسلافيا، وألمانيا الاتحادية والنامسا وحزب العمال البريطاني، مدركاً أهمية هذا التعاون بين حزب يريد إدخال اصلاحات عميقة على نظام بلاده الاقتصادي والاجتماعي، ومسترشداً بتجربة من سبقونا في هذا المضمار، سواء كانوا في الحكم

أو في المعارضة ـ ومعظم الأحزاب كانت آنذاك في المعارضة ذلك أن الحكم كان بين يدي الحزب المسيحي الديمقراطي في كل ألمانيا الاتحادية وإيطاليا. ولم تتح الفرصة للاشتراكيين الديمقراطيين، بالنسبة للدولة الأولى، لممارسة الحكم، إلا بعد اختفاء المهدي بن بركة ببضع سنوات، أي في نهاية الستينات.

فمن خلال اتصالاته ومناقشاته المعمقة مع كبار أقطاب الفكر الاشتراكي من إيطاليين وألمانيين وسوغسلافيين وبريطانيين، أصبح يعي مضمون البديل الذي كان يطمح في أن يطبق في المغرب لتحقيق الاقلاع الاقتصادي.

ولم يقتصر هذا الاهتمام على الأحزاب الاشتراكية والتقدمية الأوربية ذلك أن المهدي بن بركة كان يدرك بأن من مصلحة الحركة التقدمية المغربية أيضاً أن تكون لها علاقات منتظمة مع الأحزاب الاشتراكية التي تمارس الحكم في إفريقيا الغربية بالخصوص، وهكذا كان يستجمع المعلومات حول تجربة غينيا وغانا ومالي، محاولا توطيد العلاقات مع قوامي نكرومة، زعيم غانا ورئيسها خلال الحقبة الفاصلة ما بين 1957 ويناير 1966. فالرئيس الغاني كان هو أيضاً من كبار الزعماء الأفارقة الذين كانوا يعون خطورة الاستمرار في بلقنة إفريقيا بعد استقلالها مطالبا بميلاد الولايات المتحدة لإفريقيا، ذلك إنه بالابقاء على الفرقة وتكريس التقسيم الاستعماري، لن تستطيع الأقطار الافريقية منعزلة مواجهة مخططات الاستعمار الجديد.

فالمهدي بن بركة كان يرى في ذلك القائد الافريقي مفكراً كبيراً وأحد الزعماء الذين كانوا يومنون بالفعل بالاشتراكية كأسلوب لتلك الأوضاع الاقتصادية في إفريقيا وبأن ما تم تحقيقه في عهده بالنسبة لغانا بالرغم من الانحراف الذي عرفه النظام السياسي الغاني في أوسط الستينات نتيجة التآمر عليه من طرف الأقطار المجاورة بإيعاز وتشجيع من الاستعمار الجديد، يؤكد أن التغيير العميق للبنيات ممكن إذا كانت هناك إرادة صلبة وخطة واضحة من أجل تطبيق الاصلاحات الاشتراكية التي يتضمنها المخطط، وإذا كان القائد يعتمد على حزب قوي محكم التنظيم، وعلى أطر واعية تجمع بين الكفاءة والاخلاص والتفاني لمصلحة الجماهير، وعلى أطر نظيفة تنبذ كل شكل من أشكال الانتهازية والوصولية.

وكان المهدي، علاوة على البعدين السابق ذكرهما، يعتقد أن من الضروري كذلك أن يكون للحركة التقدمية المغربية بعد عربي، وهكذا بدأ يهتم بما يجري في المشرق العربي وبالخصوص ما يعرفه الثالوث المصري ـ السوري ـ العراقي، من تطورات منذ نهاية الاربعينات. فخلافا لما كان يقال، لا يمكن أن نقارن التجربة المصرية في عهد الراحل جمال عبد الناصر، بتجربة أقطار أمريكا الجنوبية، ومن خلال قراءته لكتاب Jean et Simonne Lacouture, *L'Egypte en mouvement*. ومن خلال التطور الكبير الذي عرفته مصر بعد جلاء القوات البريطانية عنها سنة 1954 وتاميم الشركة الدولية لاستغلال قناة السويس في 23.7.1956، وما أعقب ذلك القرار من عدوان ثلاثي على مصر، ومن تدابير شجاعة مضادة تلخصت في تاميم عشرات الشركات الأجنبية : بلجيكية وبريطانية وفرنسية، وتوسيع القطاع العمومي والاعتماد عليه بالأساس، من أجل النهوض الاقتصادي والاجتماعي لمصر، ومن خلال توثيق عرى التعاون أخيرا بين أقطاب مجموعة عدم الانحياز، وبالخصوص بين جمال عبد الناصر وبروز تيتو وجواهر لال نهرو، زاد المهدي بن بركة اقتناعاً بأن تجربة مصر قد تصبح رائدة في الوطن العربي إذا ما استطاع جمال عبد الناصر بناء الاداة، أي تأسيس حزب جماهيري يومن بالاشتراكية بدلا من الاعتماد على القوات المسلحة بالخصر، وذلك للحفاظ على مكتسبات الثورة المصرية.

ففي نهاية سنة 1963 وبعد القطيعة التي عرفتها العلاقات المصرية ـ السورية بعد فشل الوحدة بين مصر وسوريا التي لم تعمر أكثر من ثلاث سنوات 1958 ـ 1961 حاول المهدي بن بركة ربط الاتصال بين الرئيس جمال عبد الناصر وقيادة حزب البعث الاشتراكي في سوريا لوضع حد لتلك القطيعة التي لم تستفد منها شعوب المنطقة، والتي جعلت إسرائيل تجني ثمار الشقاق بين دولتين رئيسيتين من دول المواجهة، متصلا بقادة القطرين الشقيقين وباذلا قصارى جهده لتذليل الصعاب من أجل تدشين صفحة جديدة في علاقات البلدين.

لقد كان المهدي بن بركة مثالا للزعيم الشعبي المتواضع، للقائد الذي يتكيف مع جميع المجموعات التي يتحاور معها، باذلا ما أوتي من دهاء سياسي وغزارة علم وإخلاص وتفان في خدمتها لكسب عطفها ودعمها، وبإذكاء الوعي في صفوفها.

إن المهدي بن بركة كان قائداً فذاً، يشتغل ست عشرة ساعة في اليوم بدون ادعاء أو منّ، سعادته كانت في سعادة حزبه، في إحكام تنظيمه وفي تطهيره من الوصوليين والانتهازيين، في تحقيق جلاء القوات الأجنبية عن بلاده، في استكمال وحدة بلاده الترابية، في تدعيم استقلالها الاقتصادي والفكري عن طريق التحرر من أشكال التبعية التي فرضت على المغرب فرضا، سعادته كانت في بناء المغرب العربي واستفادة جميع شعوب الشمال الافريقي من الخيرات التي تكتنزها أراضيه، وتشييد مجموعة قادرة على التفاوض مع شركائها، في أوربا وغيرها، على التفاوض وهي في موقع القوة، لأن المسؤولين عنها جديون في إعداد ملفات أقطارها، مخلصون في الدفاع عن مصالحها، قادرون على اتخاذ تدابير مضادة لصيانتها.

وقبيل اختطافه بأقل من سنة انتخب في السكرتارية الدائمة لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية ـ الاسيوية كمسؤول عن التنسيق بين صندوق التضامن الافريقي ـ الاسيوي لدعم حركات التحرر الافريقية والسكرتارية الدائمة لمنظمة التضامن.

وبعد صدور الحكم عليه مرتين بالاعدام غيابيا التحقت عائلته بالقاهرة بدعوة من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

وفي أبريل 1965 انتخب المهدي بن بركة رئيساً للجنة التحضيرية لمنظمة القارات الثلاث التي كانت تتألف من ثمانية عشر قطراً من بينها الصين والاتحاد السوفياتي والهند وأندونيسيا ومصر وكوبا وغانا...

اختطف المهدي بن بركة في العاصمة الفرنسية زوال يوم الجمعة 29 أكتوبر 1965 ومثلث جماعة من المشاركين في جريمة الاختطاف أمام محكمة الجنايات في باريز في خريف 1966 وربيع 1967، وصدرت أحكام بالسجن في حق البعض منهم. وبعد فوز اليسار الاشتراكي في الانتخابات الرئاسية والتشريعية، في بداية الثمانينات، طالب ابنه البشير بإعادة فتح ملف أبيه بعد اقتناع الجميع باختفائه بصفة نهائية فلم يُستجب لهذا الطلب.

مما كتبه المهدي بن بركة :

- *مسؤولياتنا*، الرباط، 1957.
- *نحو بناء مجتمع جديد*، الرباط 1958.

- *Appel à la vigilance du peuple*, *Al Istiqlal*, n° 10, 1 Juin 1956.
- *Le Véritable visage de l'armée de libération*, *Al Istiqlal*, n° 12, 15 Juin 1956.
- *Le Rôle du parti politique dans la nation*, *Al Istiqlal*, n° 38, 21 Déc. 1956.
- *Vous pouvez regarder avec confiance la situation politique au Maroc*, *Al Istiqlal*, n° 49, 16 Fév. 1957.
- *La Commune rurale : la commune, cellule de base dans la démocratie*, *Al Istiqlal*, n° 48, 2 mars 1957.
- *Interview*, *Al Istiqlal*, n° 56, 27 avr. 1957.
- *Le Sahara est une chance commune pour la France et le Maroc*, *Al Istiqlal*, n° 58, 11 mai 1957.
- *La Solution réside en nous*, *Al Istiqlal*, n° 58, 11 mai 1957.
- *L'Indépendance n'est pas un butin qu'on se partage mais la responsabilité commune pour l'aboutissement de la tâche*, *Al Istiqlal*, n° 61, 1 Juin 1957.
- *Le Paysan marocain fera sa propre révolution*, *Al Istiqlal*, n° 74, 5 oct. 1957.
- *M. Guédira que faites-vous encore au gouvernement ?*, *Al Istiqlal*, n° 95, 12 oct. 1957.
- *Le Sud marocain*, *Al Istiqlal*, n° 76, 19 oct. 1957.
- *Gage du succès : la confiance des patriotes dans les destinées du pays*, *Al Istiqlal*, n° 79, 9 Nov. 1957.
- *Notre démocratie nous la trions de notre histoire et de notre pratique constitutionnelle*, *Al Istiqlal*, n° 80, 16 Nov. 1957. Préface à l'ouvrage de Mr. M. Lahbabi : *"Le Gouvernement marocain à l'aube du 20ème siècle"*.
- *La Politique des faux semblants ou les formes extérieures de la démocratie*, *Al Istiqlal*, n° 86, 28 Déc. 1957.
- *Les Problèmes du Maroc d'aujourd'hui*, *Libération*, n° 238, 2 - 8Nov. 1979. Article repris de *"Revue de la Politique Internationale"*, n° 206, 1 Jan. 1958.
- *La Crise ministérielle : ses causes, ses conséquences*, *Al Istiqlal*, n° 91, 1 Fév. 1958.
- *L'Instruction au Maroc*, *Confluent*, n° 20, mars 1958.
- *Rapport politique*, *Al Istiqlal*, n° 96, 8 mars 1958.
- *Faisons face aux réalités*, *Al Istiqlal*, n° 106, 18 mai 1958.
- *Le Maghreb arabe : terre de paix et de coopération*, *Perspectives sahariennes*, n° 5, oct 1958.
- *Problèmes d'édification du Maroc : quatre entretiens recueillis par Raymond Jean*, Paris, 1959.
- *Entretien avec le journal le Monde diplomatique*, *Le Monde diplomatique*, n° 100, Août 1962.
- *Les Conditions d'une véritable réforme agraire au Maroc* - in *Réforme agraire au Maghreb*, Paris, 1963.
- *Option révolutionnaire au Maroc*, (suivi de) *écrits politiques, 1960 - 1965*, av. - prop. de Béchir ben Driss, Paris, 1966 - (Cahiers libres, 84 - 85).
- *Les Exigences des mouvements de libération africains* - in *La Pensée politique arabe contemporaine* d'Anouar Abdel Malek, Paris, 1970. Extrait du Rapport de l'U.N.F.P. lu à la 2ème Conférence des Peuples Africains, Tunis, Janvier 1960.
- *Rôle d'une véritable commune rurale : base d'une vie démocratique et de développement économique*, *Libération*, n° 72, 29 oct. - 4 Nov. 1976.

ع. جبرو، *المهدي بن بركة : ثلاثون سنة من العطاء الفكري والنضال الثوري من أجل بناء مجتمع جديد*، الدار البيضاء، 1976؛

المهدي بن بركة : الرياضيات مدرسة للوطنية، الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. بناني، *شهادة : المهدي بن بركة فلسطينياً*، *الاتحاد الاشتراكي*، ع 2279، 1 نونبر 1989.

N. Attia, *Jo Attia*, Paris, 1974 ; A. Ben Barka, *El Mehdi Ben Barka, mon frère*, Paris, 1966 ; F. Caviglioli, *Ben Barka chez les juges*, Paris, 1967 ; Comité pour la vérité sur l'affaire Ben Barka, *L'Affaire Ben Barka*, Paris, 1966 - (*Cahier du Témoignage Chrétien* ; n° 45) ; *Enseignement et lacunes du premier procès*, Paris, 1967 - (*Cahier du Témoignage Chrétien* ; n° 46) ; *La Mort de Mehdi Ben Barka : un dossier à rouvrir*, Paris, 1973 - (*Cahier du Témoignage Chrétien* ; n° 54) ; *El Mehdi (Ben Barka)*, *Libération* (Casablanca), n° spécial, n° 61, 4 - 10 Nov. 1965 ; D. Guerin, *Ben Barka, ses assassins . seize ans d'enquête* - Nlle ed. remaniée mise à jour - Paris, 1982 ; *Il y a 12 ans : Mehdi Ben Barka*, *Libération*, n° 139, 28 oct. 1977 ; R. Muratet, *On a tué Ben Barka*, Paris, 1967 ; D. Same, *L'Affaire Ben Barka*, Paris, 1966 ; L. Souchon, *Accusé, taisez-vous*, Paris, 1970 ; A. Tislenkoff, *J'accuse Lemarchand*, Paris, 1966 ; U.N.F.P., *Communiqué du secrétariat général de l'U.N.F.P. du 4 novembre : nous dénonçons toute manœuvre destinée à dissimuler la vérité ou à fausser la piste* - *Libération*, n° 61, 4 - 10 Nov. 1965, Repris dans *l'A.A.N*, IV. 1965 ; *Une lecture du discours politique de Mehdi Ben Barka*, signé (Khalid Alioua) - *Libération*, n° 238, 2 - 8 Nov. 1979.

عبد الرحمان القادري

البرگي (مُولى ـ) عبد الرحمان، من صلحاء قبيلة عبدة بضاحية أسفي، تتلمذ على يد الولي الصالح علي السائح الزيدي العبدي، ويذكره الفقيه محمد الكانوني في القسم المخطوط من *جواهر الكمال* بقوله "... الزعيم أبو زيد المدعو مولى البرگي، وهو من أهل أوائل العاشر، وضريحه مشهور...".

م. الكانوني، *جواهر الكمال*، مخطوط.

عبد الرحيم العطاوي

البرلمان، اسم جماعي للجمعيتين اللتين تمارسان السلطة التشريعية في الأقطار البسيطة، التي تطبق ثنائية التمثيل كمعظم الأقطار الأوروبية، مثلا، أو الدول الفدرالية، في هذه القارة أو في غيرها، أو الجمعية التي تمارس نفس

السلطة في الأقطار التي تطبق أحادية التشريع، أي تقتصر المؤسسة البرلمانية فيها على مجلس واحد كما هو الشأن بالنسبة لعدد كثير جداً من الأقطار النامية.

ولقد كانت أنجلترا الدولة الأولى التي نشأ فيها النظام البرلماني، هذا النظام الذي انبثق من المجالس التي كانت تحيط بالملك في الأصل، والتي كانت بدورها منبثقة من التجربة الإقطاعية (واجب التعاون وإسداء النصح إلى الإقطاعي من طرف أتباعه).

ففي القرن الثاني عشر الميلادي كان المجلس الكبير يتألف من الأساقفة والبارونات الرئيسين (النبلاء). ولم يكن للمجلس المذكور إلا دور استشاري باستثناء المجال المالي الذي كان يملك فيه سلطة ستتجلى أهميتها فيما بعد وبالخصوص في القرن السابع عشر، ذلك أنه منذ القرن الثاني عشر كانت جباية المعونات الاستثنائية تتطلب موافقته، أي جباية الضرائب الأخرى غير التي كان يدين بها كل واحد من الأتباع لسيده.

ثم أكد العهد الأعظم (Magna Carta) المؤرخ بسنة 1215 هذا الاختصاص الأساسي، وذلك بالاعتراف بمبدأ موافقة الأتباع على الضريبة. وتعتبر هذه السلطات المالية الأصل في جميع سلطات البرلمان، ومن ثم بمثابة القاعدة التي تستند إليها الملكية المقيدة.

وفي القرن الثالث عشر الميلادي، أُدخل تغيير على تشكيل المجلس الكبير، ذلك أنه بجانب البارونات والأساقفة، ظهر الأشراف الذين كانوا يمثلون الطبقة الوسطى في المدن. وكان هذا التشكيل الموسع للبرلمان السمة التي تميز بها البرلمان المثالي، الذي أمر الملك إدوار الأول بعقد دورة له سنة 1295، والذي اعتبر من طرف الأنجليز كخطوة حاسمة نحو تحويل النظام السياسي البريطاني إلى نظام برلماني.

لكن رجال الدين في أنجلترا، آثروا بعد ذلك تكوين جمعية خاصة بهم بينما كوّن العنصران الآخران مجلسين : مجلساً أرستقراطياً وهو مجلس اللوردات، ومجلساً منتخباً وهو مجلس العموم، الذي كان يتألف من نواب المدن والأقاليم.

وفي القرن الثامن عشر، ومنذ بدايته، ستصبح أنجلترا ملكية مقيدة، أي سيكون الحكم فيها مقيداً بوجود برلمان يصوت على القوانين، وسيستمر هذا التطور التاريخي في القرنين التاسع عشر والعشرين، اللذين عرفا مجموعة من الإصلاحات العميقة في مجال التقسيم الإداري ومحاربة التزوير في الانتخابات وتصفية القصبات المتعفنة (القرى المهجورة) وتعميم حق التصويت. هذه الاصلاحات التي يعود الفضل في إنجاز الكثير منها إلى الوزير الأول المحافظ دسرايلي، كل ذلك من أجل جعل مجلس العموم المنتخب بالاقتراع العام السري والمباشر مجلسا لا يطعن أحد في طابعه التمثيلي، مجلساً يمارس اختصاصات مهمة ذات طابع تشريعي ومالي ودبلوماسي وتأسيسي،كما يراقب الحكومة التي تعد مسئولة أمامه لا غير، حتى ولو كان هذا المجلس الشعبي قلّما يُجبر الحكومة على تقديم استقالتها بحكم ما تَنْعَمُ به أنجلترا ـ وكادت تنفرد بهذه الخاصية ـ نقصد بذلك، بفضل الثنائية الحزبية التي تحصّنها ضد عدم الاستقرار الذي تشكو منه كثير من الأقطار البرلمانية الأخرى.

هذا ويمكن اعتبار النظام البرلماني القاسم المشترك لجميع أقطار أوروبا التي لم تبتكر شيئاً بالنسبة لنظمها السياسية بل اكتفت بتقليد أنجلترا، التي تعد، بدون منازع، مهد هذا النظام الذي عم فيما بعدُ أقطاراً أخرى في آسيا، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، بالخصوص، كالهند واليابان.

غير أن فرنسا، بعد اقتناع الطبقة السياسية فيها بفشل التجربتين البرلمانيتين ما بين 1875 و1958، قد ابتعدت عن النظام البرلماني الأصيل منذ 4.10.1958 (دستور الجمهورية الخامسة) وأصبحت، بحكم الاختصاصات الواسعة التي يمارسها رئيس الدولة في الظروف الاعتيادية أو عند تطبيق الفصل 16، الخاص بالسلطات الاستثنائية، تتبنى نظاماً سياسياً يندرج ضمن الأنظمة المختلطة (أنظمة شبه رئاسية، شبه برلمانية) بل يمكن أن نجزم بالنسبة للنظام الفرنسي، بعد المراجعة الدستورية لخريف 1962، والخاصة بانتخاب رئيس الجمهورية بالاقتراع العام، ومن خلال ممارسة المؤسسة الرئاسية لاختصاصاتها في عهد رؤسائها الأربعة، طيلة العقود الثلاثة الأخيرة أن الطابع الرئاسي يطغى عليه.

أما بالنسبة للولايات المتحدة، التي يختلف نظامها السياسي عن نظام أنجلترا وباقي أقطار أوروبا، حيث إنها أقرّت النظام الرئاسي، الذي يرتكز على مسؤولية كتاب الدولة (الوزراء) أمام الرئيس لا أمام الكونغريس (البرلمان) الأمريكي، المتألف من مجلسين : مجلس النواب ومجلس الشيوخ. فإن البرلمان، في هذه الدولة الفدرالية، هو الذي يمارس بصفة مطلقة، السلطة التشريعية. ذلك أن الولايات المتحدة تجعل ما يسمى بمجال القانون، أي اقتسام هذه السلطة بين البرلمان والحكومة كما هو الشأن في فرنسا وفي الأقطار الإفريقية التي اقتبست دساتيرها من هذه الدولة، كما لا يرخص القانون الأساسي الأمريكي بتفويض التشريع للرئيس ولو لفترة موقتة كما هو الشأن في فرنسا وفي الأقطار الإفريقية التي يرخص دستور كل واحد منها للبرلمان بتفويض قسم من سلطته التشريعية للحكومة لفترة موقتة. فالكونغريس الأمريكي هو صاحب الحل والعقد في التشريع وفي المجال المالي، كما يمارس سلطات متحددة أخرى في المجال الدبلوماسي والتأسيسي، بل كاد يعد أهم مركز للقرار في البلاد، لا يسمح مطلقاً لرئيس الدولة بأن يتدخل في اختصاصاته أو أن يحاول تجاهله فيما يخص السياسة الخارجية للولايات المتحدة أيضاً. وهذا الالتزام بالتقيد بأحكام دستور 1787 الأمريكي يكون تحت مراقبة المحكمة العليا التي تحرص كل الحرص على احترام القانون الأساسي للدولة من طرف الرئيس والكونغريس على السواء.

بينما لم تعط تجربة أقطار العالم العربي فيما يخص تطبيق النظام البرلماني ثمارها، فلقد كانت هناك محاولات في كل من تونس ومصر وإيران، منذ أواسط القرن الماضي، لكن الاستعمار الغربي أجهضها. ولم تصمد كذلك التجارب الحديثة التي عرفتها مصر وغيرها منذ العشرينيات من هذا القرن، أمام الانقلابات العسكرية التي ظلت تعاني منها، منذ أواخر الأربعينيات، في سورية ومصر والعراق والسودان الخ.

وينبغي الإشارة إلى المحاولات التي عرفتها بلادنا في هذا المجال، في بداية القرن العشرين، حيث كانت جماعة من رواد الحركة الدستورية ترغب في اقتباس القواعد التي يستند إليها النظام البرلماني، وهي تعد مشاريع دستورية إصلاحية قدمت نماذج منها إلى الملك عبد العزيز في سنة 1906 وأخرى إلى خلفه الملك عبد الحفيظ، حتى ولو كان المؤرخون أو الباحثون لم يُعيروا الاهتمام إلا لمشروع الدستور، المؤرخ في 1908.10.11، ذلك المشروع الذي أقبره الفرنسيون بمجرد فرض سيطرتهم على المغرب، منذ أوائل القرن في المغرب الشرقي بعد التوقيع على اتفاقيتي الحدود لسنتي 1901 و1902 واحتلالهم لوجدة وإرغامهم الملك عبد الحفيظ على التوقيع على معاهدة الحماية في 1912.3.30.

ولقد عرف المغرب منذ أواسط الخمسينيات، أي منذ أن استعاد السيادة، التي كان الاستعمار الفرنسي قد أفرغها من محتواها لمدة خمسين سنة، عدة تجارب فيما يخص المؤسسة البرلمانية.

وفي هذا الصدد نسجل التجربة الرائدة، التي استأثرت باهتمام الباحثين ما بين خريف 1956 وربيع 1959، والخاصة بالمجلس الوطني الاستشاري.

ذلك المجلس الذي كان يتركب من ستة وسبعين عضواً، ويضم نخبة من ذوي الرأي في الأمة ـ سياسيين ونقابيين وعلماء وحقوقيين وأطباء وتجار ومزارعين ومثقفين ـ لم يكن يقتصر دوره على الاستشارة، بل بفضل كفاءة معظم أعضائه وماضيهم المشرف، كان ذا تأثير قوي على تطور الحياة السياسية في البلاد وعلى اختياراتها الأساسية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية وعلاقاتها بالخارج.

لقد كان المجلس يوخذ نظره في ميزانية الدولة العامة وفي الميزانيات الإضافية كما يُستشار في جميع القضايا التي يقتضي نظر جلالة الملك عرضها عليه، وبالأخص منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مبدياً رأيه بواسطة اقتراعات علنية وبالأغلبية المطلقة (الفصلان 2 و13 من الظهير الشريف الصادر بتاريخ 3 أغسطس 1956).

وكان المجلس الوطني الاستشاري يعقد دورتين في السنة في الربيع وفي الخريف، مع إمكانية جمع المجلس المذكور في دورات غير عادية، ولا تتم جلساته إلا بحضور ثلثي الأعضاء.

أضف إلى ذلك أن المجلس كان كباقي برلمانات العالم ـ ينتخب مكتبه الذي لم يكن عدد أعضائه يتجاوز الثمانية (رئيس، نائبان للرئيس، أمينان، ثلاثة مساعدين) وتنبثق عنه أربع لجان: لجنة المالية، لجنة الاقتصاد، لجنة الشؤون الاجتماعية، لجنة الشؤون السياسية والشؤون العامة.

ولإبراز الأهمية التي كان يوليها المشرِّع لتلك المؤسسة ينص الفصلان 14 و15 للظهير المشار إليه أعلاه على أنه (الفصل 14) يتعين على الوزراء حضور جلسات المجلس الوطني الاستشاري:

1 ـ إذا تبين لجلالتنا أن حضورهم ضروري.

2 ـ وأثناء الجلسات التي تناقش فيها المسائل، التي تهم إحدى الوزارات (الفصل 15) يمكن لكل عضو من أعضاء المجلس الوطني الاستشاري في أثناء انعقاد الدورة أن يوجه أسئلة إلى وزير حول المسائل التي هي من اختصاص وزارته، وتكون هذه الأسئلة موجهة مباشرة وشفويا في أثناء المناقشات، وفي غير هذه الحالة تكون مكتوبة وموجهة إلى الوزير الذي يهمه الأمر بواسطة رئيس المجلس وذلك حسب المسطرة التي يحددها قانون المجلس الداخلي.

وعلى الوزير المعني بالأمر أن يجيب كتابة عن الأسئلة المكتوبة الموجهة إليه وذلك في ظرف أسبوع.

ونسجل أخيراً بأن أعضاء المجلس الوطني الاستشاري كانوا يتمتعون بالحصانة شأنهم في ذلك شأن أعضاء البرلمان في الأقطار الديمقراطية. وكان رفعها عنهم يقتضي لزوما موافقة جلالة الملك، وذلك طبقاً للفصل 19 من نفس الظهير.

لكن المؤسسة البرلمانية في بلادنا عرفت تغييراً عميقاً من حيث الشكل والجوهر، منذ المصادقة على الدساتير الثلاثة: دستور 1962.12.14، ودستور 1970.7.30 وأخيراً دستور 1972.3.10. ذلك أن البرلمان أصبح جهازاً منتخباً منذ ثمان وعشرين سنة ولم يبق أعضاؤه معينين، كما أن القوانين الأساسية الثلاثة، المشار إليها أعلاه، تتطرق للطريقة التي يتم بها انتخابه وللسلطات التي يمارسها.

ففيما يخص تشكيل مجلس النواب الحالي (ذلك أن المغرب قد تخلى عن ثنائية التمثيل: مجلس النواب ومجلس المستشارين، تلك الثنائية التي توقف العمل بها منذ يونيه 1965)، نلاحظ أن ثلثي أعضائه (204) ينتخبون بصفة مباشرة، بناء على الاقتراع الأحادي الاسمي، ذي دورة واحدة، والثلث الباقي (102) من لدن هيئة ناخبة تتألف من أعضاء المجالس الحضرية والقروية (60 عضواً) ومن لدن هيآت ناخبة تتألف من المنتخبين بالغرف المهنية (32 عضواً) وممثلي المأجورين (10 أعضاء).

وتستغرق ولاية مجلس النواب ست سنوات، وفي حالة وفاة أحد أعضاء المجلس أو استقالته أو في حالة إلغاء انتخاب أحد أعضائه من طرف الغرفة الدستورية، تنظم انتخابات جزئية لتعيين خلف للمعني لكن يبقى المقعد شاغراً في أجل أقصاه ستة أشهر.

ولمجلس النواب مكتب منتخب يشرف على مداولاته

ويحدد عن طريق نظام داخلي تنظيم وتسيير المصالح التابعة له، تحت مراقبة الغرفة الدستورية. كما يضم مجلس النواب ستة فرقاء برلمانيين وهي :

فريق الاتحاد الدستوري
وفريق التجمع الوطني للأحرار
وفريق الحركة الشعبية
وفريق حزب الاستقلال
وفريق الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية
وفريق الحزب الوطني الديمقراطي،

وهناك حزبان لا يستجيبان للشروط الخاصة بتكوين فريق برلماني وهما : حزب التقدم والاشتراكية، الممثل من طرف عضوين في المجلس المذكور. ومنظمة العمل الديمقراطي الشعبي، الممثلة من طرف نائب واحد.

وإذا كان المجلس يوزع نشاطاته بين اثنتي عشرة لجنة منبثقة من صفوفه فإن الغرفة الدستورية ظلت ما بين 1978 و1985 متمسكة بموقفها الرافض لإحداث لجان للتحقيق ولجان للمراقبة من طرف البرلمان المغربي، عكس ما يشاهد في جميع الأقطار الأخرى البرلمانية والرأسية، مصنعة كانت أم نامية.

هذا ويعقد مجلس النواب دورتين عاديتين في السنة، تبتدئ الأولى في الجمعة الثانية من شهر أكتوبر ويترأس جلستها الافتتاحية جلالة الملك، والثانية في الجمعة الثانية من شهر أبريل.

وتستغرق كل واحدة منهما شهرين على الأقل كما يحق للمجلس أن يجتمع في دورات غير عادية وذلك إما بمرسوم، أي بمبادرة من الحكومة، أو بطلب موقع من طرف أغلبية أعضاء مجلس النواب (154 عضواً) ـ الأغلبية المطلقة ضرورية ـ وعلى أساس جدول أعمال محدد.

سلطات البرلمان في المغرب :

أ ـ سلطة تشريعية : مقيدة في مواد معينة ينص عليها الفصل 45 من الدستور. أضف إلى ذلك أنه لا يُمسَح لأعضاء مجلس النواب بالتقدم بمقترحات ترمي إلى إحداث تكليف أو الزيادة في تكليف موجود.

وعلاوة على ذلك يمكن لمجلس النواب أن يفوض للحكومة أن تشرع مكانه لفترة موقتة وذلك عن طريق مراسيم تُعرَض لزوماً، قبل نهاية أجل التفويض على المجلس للمصادقة عليها وذلك طبقاً للفصل 44.

ويمكن للحكومة أن تدخل تعديلات على القوانين، بواسطة مراسيم ـ قوانين خلال الفترة الفاصلة ما بين دورتي المجلس وباتفاق مع اللجان التي يعنيها الأمر.

أما فيما يخص دورة النواب بشأن مشروع قانون المالية السنوي، فإن الحكومة تكون ملزمة بعرضه على المجلس في أجل أقصاه فاتح نوفمبر ويكون هذا الأخير مطالباً بالتصويت عليه قبل نهاية السنة الميلادية. وعند الاستحالة يصدر الأمر بتنفيذه عن طريق ظهير.

ب ـ سلطة دبلوماسية : إن الأمر فيما يخص هذه السلطة يقتصر على المعاهدات التي تترتب عنها تكاليف تلزم مالية الدولة، فهذا النوع من المعاهدات هو الذي يتطلب موافقة مجلس النواب. كما أن المصادقة على المعاهدات التي يمكن مخالفة لنصوص الدستور لا تتم إلا باتباع المسطرة المنصوص عليها فيما يرجع لتعديله. (يمكن أن نؤكد بأن السياسة الخارجية في المغرب تندرج ضمن المجال المحفوظ للملك).

ج ـ سلطة تأسيسية : تقتضي مراجعة الدستور التصويت على مقترح أو مشروع المراجعة بأغلبية ثلثي أعضاء مجلس النواب (204).

وهذا الشرط الأول لا يعد كافيا حيث إن المراجعة لا تصبح نهائية إلا بعد إقرارها عن طريق الاستفتاء.

ح ـ سلطة انتخابية : ينتخب مجلس النواب قضاة المحكمة العليا ويعين رئيسه، باتفاق مع الفرقاء البرلمانيين، ثلاثة أعضاء في الغرفة الدستورية.

خ ـ سلطة قضائية : يبث مجلس النواب في التهمة الموجهة إلى الوزراء في شأن الجنايات أو الجنح، التي يرتكبونها أثناء ممارستهم لمهامهم، وذلك بالاقتراع السري وبأغلبية ثلثي أعضائه. وفي هذه الحالة يمثلون أمام المحكمة العليا التي ينتخب أعضاؤها من النواب.

علاقات الحكومة بمجلس النواب : تكمن وسائل ضغط مجلس النواب على الحكومة في هذه الوسائل الأربع :

ـ الأسئلة الشفوية.
ـ الأسئلة الكتابية.
ـ إيداع ملتمس رقابه يلوم الحكومة شريطة أن يكون موقعاً من طرف ربع أعضاء مجلس النواب (77 عضواً)، أما قبوله فيقتضي التصويت عليه بالأغلبية المطلقة لإرغام الحكومة على تقديم استقالتها (154 عضواً).
ـ رفض منح الثقة للحكومة إذا ما رُخص لها بطرحها أمام مجلس النواب، من طرف مجلس الوزراء، لكن الحكومة لا تعد مستقيلة إلا إذا خُذلت من طرف الأغلبية المطلقة لمجلس النواب (154 عضواً).

وسائل ضغط الحكومة على مجلس النواب : منها وسائل غير مباشرة لأعضاء الحكومة :

ـ حق الدخول إلى مجلس النواب والمطالبة بالاستماع إلى عروضهم عندما يرغبون في ذلك.
ـ يمكن للحكومة استدعاء مجلس النواب لعقد لدورة غير عادية.
ـ يُعترف للحكومة بحق الأسبقية في مناقشة مشاريع القوانين التي تتقدم بها أو المقترحات القانونية المقبولة من طرفها.

وسائل مباشرة :

ـ عرض مشاريع قوانين على الاستفتاء مباشرة إما لمراجعة الدستور (الفصل 98) للملك أن يستفتي شعبه مباشرة في شأن المشروع الذي يستهدف به مراجعة الدستور

أو طبقاً للفصل 68 الذي ينص :"... اللهم إلا إذا كان نص المشروع أو الاقتراح قد قُبل أو رفض، بعد قراءة ثانية جديدة، بأغلبية ثلثي الأعضاء الذين يتألف منهم مجلس النواب (204).

- حل مجلس النواب : للملك، بعد استشارة رئيس الغرفة الدستورية وتوجيه خطاب للأمة أن يحل مجلس النواب بظهير شريف (الفصل 70).

- تطبيق الفصل 35 من الدستور الخاص بالسلطات الاستثنائية، التي يمارسها الملك عند الإعلان عن حالة الاستثناء.

مشاريع الإصلاحات الدستورية والإدارية، المقدمة إلى مولاي عبد العزيز في سنة 1906 ؛ *مشروع دستور 15 رمضان 1326 / 11 أكتوبر 1908* ؛ *الدساتير المغربية الثلاثة* : دستور 14.12.1962 ؛ دستور 30.7.1970 ؛ دستور 10.3.1972 ؛ *دستور فرنسا المؤرخ في 4.10.1958* والمراجع في أكتوبر 1962 ؛ ع. القادري، *النظرية العامة للقانون الدستوري* ؛ *الدستور والمؤسسات السياسية* ؛ الأنظمة السياسية.

عبد الرحمن القادري

بَرْمِيجُو، أو البَرْمِيجُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Bermejo والكلمة معناها اللون الأحمر القاني، وكان من بين أفراد هذه الأسرة المعلم الخبير المساعد للقضاء.

بَرْمِيجُو، عبدالرحمان بن عبدالعزيز الذي كان حيا سنة 1150/1738.

بَرْمِيجُو، محمد الفقيه الذي كان حيا سنة 1269/1853. ولعله كان آخر من عاش بتطوان من هذه الأسرة الأندلسية.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 33 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 323،321،303 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecun* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

برناردو رُدريگيس Bernardo Rodrigues، مؤلف *حوليات أصيلا Anais de Arzila*. والده من مرافقي الفونص الخامس أثناء غزوه لأصيلا في 3 ربيع الأول 876 / 20 غشت 1471. وقد ولد صاحب الترجمة بأصيلا سنة 1500. فعلقت بذهنه بعض تصورات حصار محمد البرتغالي للمدينة سنة 914 / 1508، بينما تذكر بوضوح أحداث حصار 922 / 1516. خاصة وأن أباه قتل أثناءه.

وعلى الرغم من مشاركته في بعض الغارات المنظمة من طرف أصيلا ضد القبائل الهبطية، إلا أن مهامه الرئيسية المعروفة عنه اقتصرت على مشاركته في الوفود المرسلة لربط العلاقات التجارية، والمساهمة في مباحثات الهدنة بين قواد إقليم الهبط بالشمال الغربي المغربي والبلاط الوطاسي من جهة، وبين أصيلا ولشبونة من جهة ثانية.

زار القصر الكبير والعرائش عدة مرات، مثل الزيارة التي قام بها سنة 1518 لأحد أسرى أصيلا المعروف علي الرندي، المقيم آنذاك بالعرائش. وكانت الفرصة التي وقف فيها برناردو رُدريگس على موضع القلعة البرتغالية المسماة گراسيوسا Graciosa، التي حاول جواو الثالث بناءها بجزيرة اللكوس. وكان أحد المتوجهين سنة 928/1521 لشراء الأسرى من ناحية دكالة، إثر المجاعة التي اجتاحت البلاد.

سجلت أولى زياراته لفاس الوطاسية سنة 1531، وعاد إليها في السنة الموالية، لبحث التقارب البرتغالي - الوطاسي الذي ظهرت نتائجه بانعقاد هدنة سنة 1538. ثم عاد إليها في مهام أخرى سنة 1542. وكان مؤلف *الحوليات* ممن عاصر الجلاء البرتغالي عن أصيلا في صيف سنة 957 / 1550.

اكتسب برناردو رُدريگس خبرة واسعة عن الوجود البرتغالي بأصيلا، بفضل المعلومات المكتسبة من المجالين الحربي والدبلوماسي، ومن اتصالاته بمواطنيه وبالمغاربة، واستفاد مما سبق أن جمعه أبوه عن حروب أصيلا فشرع في التدوين منذ السادسة عشرة من عمره، إلى أن اجتمعت لديه مادة ضخمة شرع في تنظيمها وتحريرها بلشبونة سنة 1560، وأخرجها في أربعة كتب، خصصت لسرد حياة حكام أصيلا منذ 1508 إلى سنة 1535. وقد أعيد طبع *الحوليات* سنة 1915، بعد أن أضاف إليها الناشر دافيد لوبيس David Lopes ملحقا، ضمنه مجموعة من المراسلات التي عثر عليها بالخزانات الوطنية. طبع الكتاب في مجلدين ضخمين، تجاوزت صفحاتهما الألف صفحة. ويشمل الأول منهما أحداث 1508.1525، بينما يتناول المجلد الثاني الوقائع فيما بين 1525 و1535.

وتأتي أهمية *حوليات أصيلا* من كونها المصدر الأساسي، لا لدراسة تاريخ أصيلا، وإلى حد ما مدينة طنجة، خلال الاحتلال البرتغالي فحسب، ولكن أيضا لدراسة تاريخ مقاومة الوجود البرتغالي بإقليم الهبط. وعلاوة على ذلك فإن *حوليات* برناردو رُدريگيس صورة لا غنى عنها لدراسة جغرافيا إقليم الهبط خلال القرن السادس عشر.

Bernardo Rodrigues, *Anais de Arzila*, publ. de David Lopes, Lisboa, 1915.

حسن الفگيگي

بَرْنَاطْ، أسرة أندلسية استقر أفراد منها بتطوان والرباط، وما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Bernat، وقد انقرضت بتطوان سنة 1792/1206، وما زالت حتى الآن بالرباط.

بِرْنَالْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Bernal. وقد انقرضت بتطوان على إثر الوباء الذي أصاب المدينة سنة 1088/1677.

البرناوي، عبد الله، غير آتي الترجمة، صوفي عاش بفاس في أوائل القرن الثاني عشر (18 م) وكان خامل الذكر لا يكاد يعرفه أحد لولا أن الشيخ الشهير عبد العزيز الدباغ (ت. 1132 / 1719)، أخذ عنه بعد أن لقيه في باب الجيسة بفاس، فذكر معه في كتب التراجم.

أ. ابن المبارك اللمطي، *الإبريز في مناقب الشيخ عبد العزيز* ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي، 203 والهامش 3 ؛ *نشر*، 2 : 227 ـ 228.

البرناوي، عبد الله بن عبد الجليل، صوفي كبير من مدينة بَرْنُو بالسودان، عرفه المغاربة وأخذوا عنه بواسطة تلميذه الصالح أحمد بن محمد اليمني الذي قام بسياحة طويلة زار خلالها بلاد السودان الأوسط وأخذ عن الشيخ عبد الله البرناوي، ثم قدم إلى فاس سنة 1079 / 1668 واستوطنها وأقبل عليه كبراؤها وصلحاؤها وفي مقدمتهم الشيخ أحمد بن عبد الله معن الأندلسي. ويبدو أن أخبار الشيخ البرناوي قد انقطعت عن تلميذه أحمد اليمني مدة فخرج لزيارته بالسودان ووجده قد مات، فرجع أحمد اليمني إلى فاس وبقي بها طوال حياته.

وقد زاد انتشار أخبار عبد الله البرناوي في المغرب بعد أن ألف في مناقبه الصوفي الأديب الشهير أحمد بن عبد الحي الحلبي الفاسي (ت. 1120) كتاباً سماه *ريحان القلوب فيما للشيخ عبد الله البرناوي من أسرار الغيوب*. ومن المعلوم أن ذكر أحمد اليمني، وبالتالي شيخه البرناوي، عم أرجاء المغرب، سواء في أوساط المتصوفة أو العلماء والعامة، كما أفصح عن ذلك أحمد بن يعقوب الولالي في كتابه *مباحث الأنوار* حيث قال :"ثم أطلع الله الشيخ اليمني بأن أظهره للخلق إطلاع البدر فوق الأفق، فأضاءت به أركان ظلمات هذا المغرب، فلم يبق عالم ولا شريف ولا عامي إلا عرفه وتوسل به...".

كانت طريقة عبد الله البرناوي مؤسسة على علم الخواطر والتأمل والتفكر، "إذ كان يذهب بأصحابه إلى موضع خال من الفلاة فيأمرهم بالتفرق ثم يقول لهم : تفكروا في ملكوت ربكم، وينعزل عنهم وهو وحده في ناحية إلى وقت الظهر، فيرجع حينئذ ثم يجتمعون عليه فيرجعون إلى قريتهم" (نشر، 2 : 225) وطريقة الخواطر هذه ظهرت في مدينة فاس، فكانت طائفة من المتصوفة أهل الخواطر، يجتمعون في زاوية سيدي أحمد حجي بحومة البليدة، ويظلون صامتين متأملين متفكرين في ملكوت الله (*سلوة*، 1 : 188). ويُذكر في ترجمة الشيخ أحمد حجي أنه كان في زاويته بسلا كثير الاستغراق والتفكر حتى لا يكاد يشعر بمن دخل عليه، كحال أهل الخواطر.

توفي عبد الله البرناوي قتيلا في حرب وقعت بين البرناويين والتوارگ في 16 ربيع الثاني عام 1088 / 18 يونيه 1677.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر*، 2 : 224.

228 ؛ *التقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي، 201 ـ 203 ؛ القادري، *نزهة الفكر*، مخطوط ؛ أ. الحلبي، *ريحان القلوب*، بنقل المصدرين السابقين.

محمد حجي

بَرَنْجِينة، أو أبْرَنجينة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Berengena والكلمة معناها باذنجان.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1737/1146.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 51 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البُرْنُس، ضريبة مرينية كان يؤديها سكان البوادي للمخزن المريني، وليس هناك ما يدل على أنها شملت سكان المدن في فترة من الفترات. والبرنس في الاصطلاح اللغوي كل ثوب رأسه منه ملتزق به، دراعة كان أو مِمْطرا أو جبة ـ كما سياتي ـ.

ظل العمل بضريبة البرنس ساري المفعول في عهد المرينيين إلى أن تولى الحكم السلطان أبو الحسن علي (1351.1331/752.731) فأصلح أمور الجباية وعمم ذلك الإصلاح على جميع بوادي المغرب ومدنه. فقد رفع هذا السلطان عن أهل البوادي ضرائب لها ألقاب لا تحصى "كالخرس والبرنس والضيافة والإنزال والقاعة والخطيئة" (*المسند*، 284). وهذه كلها أسماء لبعض الضرائب التي كان أهل البادية يؤدونها للمخزن المريني قبل عهد أبي الحسن، وقد كان للتخلي عنها أثر كبير في استقرار أوضاع المغرب الأقصى في عهده.

استعملت كلمة البرنس للدلالة على الكبار، لأن صغار السن في بعض قبائل الجنوب المغربي ـ وإلى اليوم ـ لا يرتدون البرنس قبل بلوغهم سن الرشد، وغالبا ما يحملون هذا اللباس مباشرة بعد الزواج. وهو ما قد يؤهل لابس البرنس لامتلاك خيمة وقطيع من الأغنام إذا كانت أسرته تعتمد في نشاطها الاقتصادي على الرعي، أو يؤهله للقيام بعمل مربح ـ لحسابه الخاص ـ في الزراعة أو الغراسة إذا كان دخل أسرته يقوم على الفلاحة. وعلى ذلك، فالبرنس ضريبة يؤديها كل رجل بدوي بالغ قادر على الإنتاج راعيا كان أم مزارعا، بخلاف ضريبة الخرس التي كانت تؤدى على المنتج الفلاحي بعدما يقوم أعوان المخزن بتقدير ثروة كل فلاح ثم يحددون له قيمة الضريبة التي عليه أن يؤديها.

تخلى أبو الحسن المريني عن الضرائب المذكورة أعلاه، وعن ضرائب أخرى منها ما كان مقتصراً على بعض الجهات دون غيرها كما هو الحال في ضريبة الجَمُّون وهي ضريبة فلاحية كان يؤديها سكان سجلماسة وسائر بلاد القبلة على

حقول النخل والزرع، ويصل ما يجبى منها إلى عدة أحمال من الذهب كل سنة (*المسند*، 283) ويرجع السبب فيما أقدم عليه هذا السلطان من إصلاح جبائي إلى الانتصارات التي حققها في المغرب الأوسط ابتداء من سنة 1336/736 حيث كان لتحكمه في تلمسان والمناطق الواقعة إلى الشرق منها أثره في تحقيق فائدة عظيمة من موارد التجارة الصحراوية التي كان نصيب الزيانيين منها أوفر من نصيب المرينيين خلال هذه الفترة.

شكلت تلمسان منطقة جبائية مهمة بالنسبة للمرينيين بعد سيطرتهم عليها ودليل ذلك أنها أصبحت من المناطق الخمسة الأساسية في الجباية المرينية، هذه المناطق التي حصرها علي بن يوسف الحكيم في فاس وما والاها، وسبتة وما والاها، ومراكش وما والاها، ودرعة وسجلماسة وما والاهما، وتلمسان وما والاها، وما وراءها من البلاد إلى الجزائر (*الدوحة المشتبكة*، 179.180).

م. ابن مرزوق الخطيب، *المسند* ؛ علي بن يوسف الحكيم، *الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة*، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد، المجلد 6، العدد 2،1، مدريد، 1950.

حسن الحافظي

البُرنُس، قلنسوة طويلة كان الناس يلبسونها في صدر الإسلام... أو هو كل ثوب رأسه منه ملتزق به... وقيل إنه غير عربي...(*تاج العروس*). يفيدُ هذا التعريف، اتساع رقعة المجال الذي يُستعمل فيه البرنس، وهو منتشر كثيراً بالمغرب في الحواضر والبوادي، يعرف بهذا الاسم، ويُمد أحياناً "البرنوس" ويؤنث "البرنوسة" ويكتب بالصاد "البرنوص" ومن تم نجد النسبة إليه بُرنُسي، وبرنوسي، وبرنوصي. وله أسماء أُخر : أُخَيف أو الخنيف، وهو خاص بسكان الجبال، تزيِّنُهُ رسوم وأشكال فنية ملونة من خلف. بينما تختص نساء البادية بلباس تَمْلَحْفت. ويسمى أيضا الخَيْدُوس أو أُخَيْدُوس، ويختص به أهل البوادي في الجبال والسهول، ويتميز بخشونته ومتانة نسجه، ويصنع من شعر الماعز. والغالب عليه اللون الأسود، وإذا كان بلون آخر سمي أهْدَوْن.

ويسمى البرنس أيضاً السَّلْهام، ويكاد يكون خاصاً بأهل المدن، ويُصنع إما من الحرير الناعم أو من الصوف، والغالب عليه اللون الأبيض. ويُنطق به أيضا بصيغة المؤنث السَّلْهامة (*التشوف*، 207) ومِنْ ثَمَّ سُمِي بعضهم بأبي سلهام، وأبي سلهامة.

والبرنس بجميع أصنافه كان لباساً خاصاً بالرجال في البادية والمدينة. ويُستخدم أيضاً في الاستعمال اليومي، وفي المناسبات، وتزداد الحاجة إليه في الفصل البارد. وهو لباس خارجي يغطي كل الملابس الأخرى تحته ولا يلبس فوقه شيء آخر. وربما لبسته النساء أيضاً.

ويستشف من خلال بعض الإشارات أن البرنس كان قديما يستخدم في بعض الأحيان كفراش خارج المنازل أو المدينة (*البيان*، 4 : 25) أو كفراش وغطاء (*التشوف*، 421).

ولم يكن لبسه حكراً على فئة دون أخرى، إذ كان من الملابس التي تدخل ضمن الضروريات عند العلماء (*ورقات*، 305) والمتصوفة (*التشوف*، 207. 216. 421) والأعيان ؛ كما يلبسه عامة الناس وفقراؤهم (*وصف*، 1 : 197).

وقد أصبح البرنُس لباساً مخزنياً رسمياً منذ عهد الموحدين على الأقل (*المعجب*، 254)، وتقننت معايير استعماله أكثر في هذا الشأن مع المرينيين : يختص سلطانهم بلبس البرنس الأبيض الرفيع، لا يلبسه ذو سيف سواه، وأما العلماء وأهل الصلاح فلا حرج عليهم في لبسه، هذا في البرانس البيض فأما سائر الألوان فلا حرج على أحد في لبسها كائناً ما كان (*ورقات*، 305).

ومن أطرف الأحداث التاريخية التي لها صلة بالبرنس، تسوية أمور قيادة حكم المرابطين بين أبي بكر بن عمر ويوسف بن تاشفين بواسطته، (*البيان*، 4 : 25) وسُميت به ضريبة كان أهل البوادي في المغرب يؤدونها إلى المخزن المريني كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

ع. المراكشي، *المعجب*، ت. م. سعيد العريان و م. العربي العلمي؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، ت. أحمد التوفيق ؛ ابن عذاري، *البيان*، ت. احسان عباس ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*، ت. م. الفاسي وأدولف فور ؛ م. ابن مرزوق، *المسند*، ت. ماريا بيگيرا ؛ م. مرتضي الزبيدي، *تاج العروس* ؛ م. المنوني، *ورقات*.

محمد رابطة الدين

البرنسي، أسر مغربية عديدة، لعلها تنتسب إلى البرنس اللباس المعرف بالسلهام، أو إلى البرانس القبيلة البربرية الكبرى بناحية تازا. وتختلف هذه النسبة كتابة ونطقاً فنجدها أحياناً "برنسي" وأحياناً "برنوسي" أو "برنوصي" ولم نقف على ما يميز هذا من ذاك فاحتفظنا بالصيغ الثلاث لمن ترجمنا لهم في *المعلمة* حسبما جاء في المصادر المنقول عليها.

البرنسي أبو **طيب** بن عيسى السلوي، فقيه نحوي مشارك، يدرس ألفية ابن مالك وغيرها بالمسجد الأعظم بسلا، وفيه أخذها عنه أحمد بن عاشر الحافي. وذكره في *فهرسه* من جملة شيوخه السلويين وأثنى عليه خيراً.

توفي بمسقط رأسه سلا عام 1112 / 1700، ودفن بضريح الشيخ أحمد الطالب القريب من المسجد الأعظم.

أ. الحافي، *فهرس*، تح. محمد السعديين، د.د.ع كلية الآداب، الرباط، 1990 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 380 ؛ م. بوشعراء، *ملحق الاتحاف الوجيز*، 153.

البرنسي، محمد بن **حمادة** (أو حمادُوه) السبتي. ينتسب إلى قبيلة البرانس البربرية التي كانت تستوطن ما بين فاس وتازا. وهو من رجال المائة السادسة الهجرية، غير أننا لا نعرف تاريخ وفاته ولا ولادته بالضبط. ونادراً ما يشار إلى اسمه كاملا في المصادر المغربية حيث يرد مختصراً هكذا : البرنسي أو ابن حمادة. من تلامذة القاضي عياض (*الديباج*، 361) اعتبره صاحب *مفاخر البربر* (ص 43 و64) من علماء البربر ووصفه بالشيخ والفقيه الحافظ التاريخي.

يظهر أن البرنسي ألف كتباً كثيرة في الفقه والتاريخ غير أن الزمن عفّى عليها جميعاً فضاعت ولم يبق منها إلا بعض العناوين التي حفظتها لنا المصادر *كاختصاره ترتيب المدارك* لشيخه القاضي عياض حيث يذكره ابن فرحون من بين مصادره التي اعتمد عليها في *الديباج* (ص 361). وقد أشار ابن سودة إلى أن صاحب الدر النفيس ذكر أن البرنسي لم يكتف *باختصار ترتيب المدارك* بل زاد عليه زوائد مفيدة. ويضيف ابن سودة أنه وقف على سفر في مجلد ضخم فيه *اختصار المدارك* يعتقد أنه للبرنسي (*دليل*، 1 : 269، 270). كما ذكر المنوني أن نسخة من هذا الكتاب توجد كاملة بالمكتبة الأزهرية بمصر تحت رقم 208 : تاريخ، وتحمل اسم *بغية الطالب، ودليل الراغب*. وقد تساءل نفس الباحث عن هذا الكتاب الأخير : هل هو نفس مختصر ابن حمادة أم هو ترتيب له ؟ مع العلم أن عبد الله ابن سهل القضاعي قام بترتيب هذا الاختصار. وتوجد منه بالمغرب قطعة مبتورة الأول تقف عند ترجمة موسى بن معاوية (*مصادر*، 1، 48).

إلا أن أشهر مؤلفات البرنسي وأهمها هو كتاب *المقتبس في أخبار المغرب وفاس والأندلس*. ورد هذا العنوان لأول مرة كاملا في *مفاخر البربر* (ص 43)، أما ابن عذاري فيشير إليه هكذا : كتاب القبس (*البيان*، 1 : 5). بينما تكتفي المصادر المغربية الأخرى بالإشارة إلى اسم صاحبه فقط دون ذكر الكتاب، فنجد مثلا : قال البرنسي أو قال ابن حمادة. ويلاحظ من النقول المأخوذة عن المقتبس في بعض المصادر المغربية أن هذا الكتاب يتناول تاريخ الأندلس وتاريخ المغرب الأقصى في عهد الأدارسة والمرابطين وبداية الموحدين. وتتجلى أهمية هذا المصدر في كونه شكّل مرجعاً أساسياً لمؤرخي المغرب في العصر الوسيط، أمثال : ابن عذاري حيث اقتبس منه معلومات كثيرة تتعلق بأواخر الخلافة الأموية بالأندلس وثورة أبي زيد مخلد بن كيداء الزناتي بإفريقية، وكذلك بتاريخ المرابطين والفترة الانتقالية من المرابطين إلى الموحدين (*البيان المغرب*، ج 1 : 216، 227... - 3 : 113، 115 - 4 : 58، 74، 83، 88، 96، 98، 99). وابن أبي زرع الذي نقل عنه فقرات تهم تاريخ الأدارسة والموحدين إلى عهد عبد المومن بن علي الكومي (*القرطاس*، 24، 28، 38، 50، 180، 188، 189).

ونشير إلى أن ابن سودة ذكر في *دليل مؤرخ المغرب الاقصى* (1 : 134) أن ابن أبي زرع اعتمد في تاريخه للأدارسة على كتاب للبرنسي في دولة الأدارسة، وهذا الكلام في نظرنا يجانب الصواب إذ المقصود كتاب واحد هو *المقتبس* الآنف الذكر.

أما صاحب *مفاخر البربر* (ص 43. 46. 58) فقد اعتمد البرنسي في معلومات عن ثوار البربر بالأندلس والمغرب الأقصى وعن أصل تسمية سبتة ثم أورد المقري بيتين عن سبتة ذكرهما البرنسي في *المقتبس* (*أزهار الرياض*، 1 : 36) وربما هو نفس الكتاب الذي اعتمده المقري في أخبار القاضي عياض (5 : 6) كما نقل عنه الجزنائي رواية تخص بناء مدينة فاس على عهد الأدارسة (*زهرة الآس*، 23).

أما ابن القاضي فإن كل ما نقله عن *المقتبس* لا يعدو أخباراً عادية تتعلق بالأدارسة وهي متداولة في أغلب المصادر المغربية التي سبقته (*جذوة*، 24، 25، 31، 41، 161، 162، 342) ونجد نفس الشيء مع الناصري الذي اقتبس أيضاً معلومات حول الأدارسة نسبها إلى البرنسي وهي في غالب الظن مأخوذة بشكل غير مباشر عن مصادر أخرى لاحقة (*الاستقصا*، 1 : 154، 159، 171).

ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج 1، ج 3، ج 4 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، نشره ليفي بروفنشال، الرباط 1934 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، ج 1 وج 5، الرباط، 1978 ؛ ع. الجزنائي، *جني زهرة الآس*، الرباط، 1967 ؛ إ. ابن فرحون، *الديباج*، مصر، 1351 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، الرباط، 1974 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الجزء الأول ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، الجزء الأول، الرباط، 1983 ؛ ع. ابن منصور، *قبائل المغرب*، الرباط، 1970 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، الجزء الأول.

رشيد السلامي

البرنسي محمد بن **محمد** بن عبد الرحمان السطي. فقيه نوازلي تولى القضاء بقبيلته سطة مدة طويلة، ثم ولي نفس الخطة بقبيلة الحيانة، وأخيراً انتقل إلى مدينة شفشاون حيث أدركته الوفاة عام 1195 / 1780.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1195.

البرنوسي، أسرة تطوانية أصلها من قبائل البرانس، يوجد بعضهم أيضاً في الرباط وغيره. وكان من بين البرنوسيين التطوانيين شخص يشغل منصب خليفة باشا تطوان القائد علي بن عبد الله الحمامي في حدود سنة 1113 / 1701، وعبد الرحمان بن محمد البرنوسي، فقيه زاول خطة القضاء بتطوان من سنة 1223 / 1808 إلى أن وافاه الأجل سنة 1228 / 1813.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 113، 3 : 50، 6 : 174 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 32، 3 : 240، 7 : 226-228 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

البرنوسي، أحمد بن محمد أو ابن علي بن عبد الرحمان ابن يعلى، قدم من مسقط رأسه قبيلة البرانس بناحية تازا إلى مدينة فاس "وقرأ علم الأصول والكلام على الشيخ سيدي ابن حرزهم مع الشيخ أبي مدين الغوث" (*سلوة*، 3 : 182) وقد صحب الشيخ أبا مدين الغوث وتعبّد معه في جبل الظل زالغ، فلما ارتحل أبو مدين إلى تلمسان صعد البرنوسي إلى جبل زالغ وانفرد في خلوته المعروفة له هناك، فكان يعبد الله ويقرئ القرآن والعلم. واشتهر صلاحه بفاس في حياته وبعد مماته. كما يذكرون أن أهل فاس كانوا يزورون الشيخ أبا يعزى في تاغية فيقول لهم :"تركتم الشيخ أحمد البرنوسي في جبل فاس فهو يعطيكم مثل ما نعطيكم".

ألّف أحمد البرنوسي كتاباً شرح فيه أسماء الله الحسنى سماه *الذهب الإبريز والمختصر الوجيز*. ولبعضهم تقييد موجز في أخبار أحمد البرنوسي وكراماته. وقبة الشيخ أحمد البرنوسي شهيرة بإزاء جبل زالغ جدد بناءها المولى الحسن الأول. ووسع مرافقها ابنه المولى عبد العزيز. ولا يعرف تاريخ وفاة الشيخ أحمد البرنوسي إلا أنه كان من أهل القرن السادس (12 م) معاصراً للشيخين أبي مدين الغوث وأبي يعزى.

م. ابن عيشون، *الروض العاطر الأنفاس*، تح. زهراء النظام، د. د.
ع. الرباط، 1989 ؛ *المدرع، منظومة في صلحاء فاس*، مخطوط ؛
م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 182-183 ؛ م. القادري، *نشر*، (في ترجمة أحمد الصقلي) 4، 157.

محمد حجي

البرنوسي، الصديق بن محمد. ولد بالرباط عام 1326 / 1908 ودرس دراسة مزدوجة، حيث قرأ أولا القرآن والفقه والتوحيد وقواعد اللغة العربية على شيوخ الرباط أمثال محمد بنيعگوب، ومحمد التادلي، وقاسم الحاجي، ثم دخل المدرسة العصرية فأتقن الفرنسية في ثانوية مولاي يوسف ومعهد الدروس المغربية العليا، ثم اشتغل مترجماً بإدارة ناحية الرباط، لكنه كان ذا نزعة وطنية، يرافق الوطنيين ويحضر مجالسهم سراً، ويُسهم في تحرير مجلة *مغرب* التي كانت تصدر بباريز، إلى أن افتضح أمره، فسجن ستة أشهر وطرد من وظيفته، فأصبح كاتباً عمومياً مترجماً حراً بشارع الجزاء. وبعد الاستقلال عين كاتباً إدارياً للغرفة التجارية بالرباط، ثم مندوباً لوزارة التجارة بالشمال إلى أن أدرك سن التقاعد.

توفي بالرباط في ربيع الثاني عام 1411 / أكتوبر 1990.

تقاييد، ومعلومات خاصة.

م. الأمين بلگناوي

البرنوسي، عبد الرحمان بن محمد بن حميدة الرحماني، فقيه صوفي من أكابر أصحاب الشيخ العربي الدرقاوي، ومن الذين نشروا طريقته في الجنوب. ألف كتاباً في *سلسلة المشايخ*، وتوفي بقبيلته الرحامنة عام 1215 / 1800 وشيدت عليه قبة حفيلة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1215.

البرنوسي، علي بن عبد الرحمان، والد أحمد سابق الترجمة. صالح كبير ربما كان له مسكة من علم، وقد ظل ضريحه مزارة مقصودة بالقرب من عين تفراوت قرب ضريح ولده إلى جهة الغرب من العين أسفل منها بأزائها.

م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 183.

البرنوسي، قاسم بن محمد المكناسي أستاذ مقرئ أخذ القراءات بمسقط رأسه على الشيخ الأستاذ العربي بن فضول ابن شمسي.

توفي عام 1262 / 1845.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 443 ؛ ع. ابن سودة، *فهرس إتحاف المطالع*، 1962.

البرنوسي، محمد بن الحاج علي الوزاني "الشيخ الفقيه أديب الحافظ العابد الزاهد" أصله من قبيلة البرانس بناحية تازا، ثم سكن وزان واشتغل بالتدريس والإفادة إلى أن أدركته الوفاة فيه يوم الخميس الثامن عشر من صفر عام 1261 / 27 فبراير 1845.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1261.

محمد حجي

البرنوصي (سيدي ـ) زناتة ـ عمالة جديدة بالدار البيضاء ـ بعد التقسيم الإداري الذي عرفته الدار البيضاء سنة 1976 أصبح حي سيدي البرنوصي يشكل جزءاً من الجماعة الحضرية لعين السبع. وفي سنة 1981 عند إحداث ولاية الدار البيضاء الكبرى، تم تحويل هذا الحي إلى جماعة حضرية ضمن عمالة عين السبع الحي المحمدي بعد إضافة أحياء أخرى مجاورة إليه. وبعد أن عرفت الدار البيضاء إعادة هيكلة جديدة في بنيتها الإدارية خلال شهر دجنبر 1990 نتج عنها إضافة عمالة جديدة إلى العمالات الست المكوِّنة للدار البيضاء الكبرى، وهذه العمالة هي عمالة سيدي البرنوصي زناتة. وقد تم تشكيل هذه العمالة الجديدة من الجماعة الحضرية لسيدي البرنوصي وإدماج جماعتين قرويتين كانتا في السابق تابعتين لعمالتي المحمدية زناتة وبن امسيك ـ سيدي عثمان، كما يظهر من خلال الجدول رقم 1 والرسم المرافق له (رسم رقم 1).

جدول رقم 1 : توزيع السكان بعمالة سيدي البرنوصي ـ زناتة

الجماعات	المساحة (هكتار)	٪	عدد السكان (إحصاء 1982)	٪	الكثافة
الجماعة الحضرية سيدي البرنوصي	1360	5	134023	64	98
الجماعة القروية (تبط مليل)	15500	59،5	26340	12،6	2،7
الجماعة القروية عين حرودة	9300	35،5	48708	23،4	5
المجموع	26160	100	209071	100	8

تمتد عمالة سيدي البرنوصي زناتة شمال شرق الدار البيضاء على مساحة 26160 هكتار أي ما يعادل ربع المساحة الاجمالية للدار البيضاء الكبرى. أما على المستوى الديمغرافي فتعتبر هذه العمالة من أضعف عمالات الولاية سكاناً حيث لا تتعدى ساكنتها 8،5٪ من مجموع سكان الولاية، وكثافتها 8 أشخاص في الهكتار. ويفسر هذا الانخفاض في الكثافة باتساع المجال القروي الذي يشكل 95٪ من مساحة العمالة في حين لا يضم إلا ثلث سكانها.

مجالات متباينة : تتباين هذه الجماعات تبايناً واضحاً فيما يخص نسيجها ووظائفها الاقتصادية.

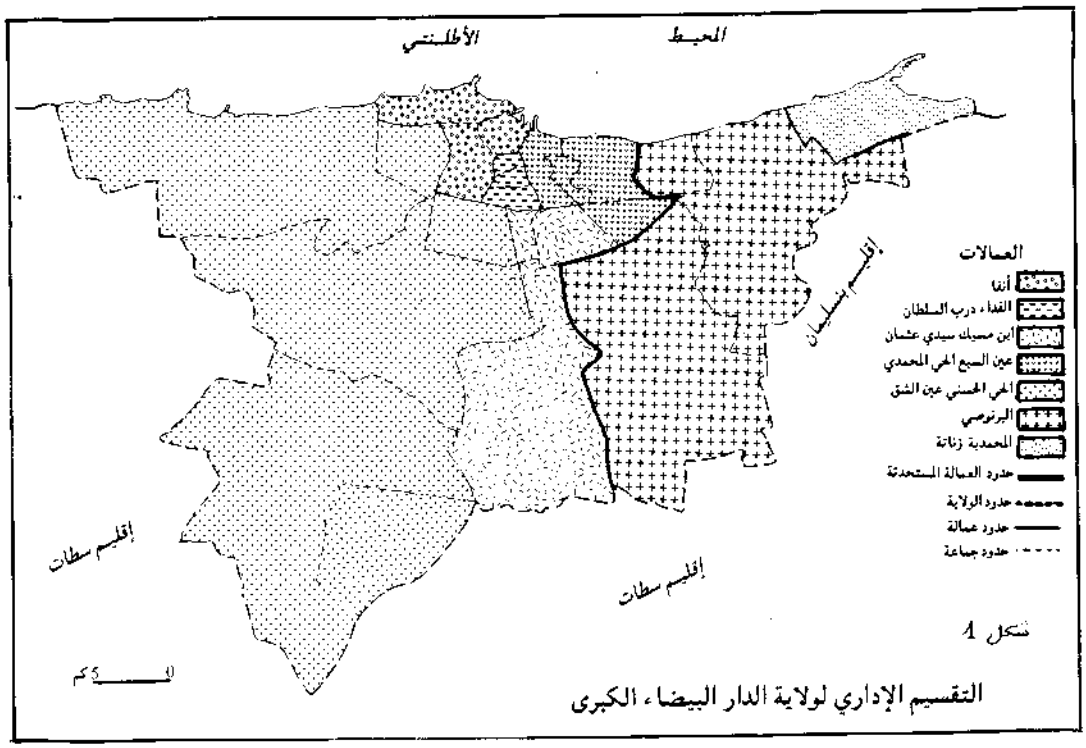

شكل 1

التقسيم الإداري لولاية الدار البيضاء الكبرى

فالجماعة الحضرية لسيدي البرنوصي تشكل أهم تجمع سكاني واقتصادي في العمالة، يطبع نسيجها الحضري نوع من التجانس والانسجام الوظيفي الواضح بين أحيائها. فانطلاقاً من الخريطة المرفولوجية لهذه الجماعة (رسم رقم 2) يمكن التمييز بين ثلاث مجموعات رئيسية :

فشمال السكة الحديدية، بين الجماعة الحضرية لعين السبع والجماعة القروية لعين حرودة تمتد مجموعتان مختلفتا الوظائف :

* قطاع للإقامة يطغى عليه السكن الفردي في شكل ڤيلات صغيرة غرب الجماعة وهو امتداد للحي السكني لعين السبع.

* قطاع مخصص كلية للنشاط الصناعي شمال شرق الجماعة.

أما جنوب السكة الحديدية فتنتشر أحياء السكن الاقتصادي بشكل متراص، وتتكون من مجموعتين رئيسيتين :

- النواة الأولى لحي سيدي البرنوصي التي تم توسيعها في السنوات الأخيرة بعد إنشاء بعض التجزئات العمومية. هذه النواة التي تغطي حاليا حوالي 300 هكتار، تقطنها أساساً اليد العاملة المشتغلة في الصناعة.

- مجموعة "القدس" التي تمتد على مساحة 317 هكتار بين السكة الحديدية والطريق السيار. وتتشكل من عدد من التجزئات : تجزئة عمومية تغطي 210 هكتار، مخصصة للمساكن الفردية الصغيرة والعمارات في طور الإنجاز حالياً، ومجموعة من التجزئات الخاصة التي أنجزت خلال الثمانينات.

وتنتشر أحياء الصفيح بكثرة وسط قطاعات السكن الاقتصادي وعلى هوامش المنطقة الصناعية.

أما الجماعات القروية، فتعرف تحولات سريعة بالنظر لقربها من الدار البيضاء. فقد أصبحت تشكل اليوم مراكز دينامية سواء من حيث الأنشطة أو من حيث التوسع العمراني. ذلك أن الارتفاع المستمر لحاجيات المدينة الكبرى من الأراضي أدى إلى تقليص متوالٍ في الرقعة الزراعية لهذه الجماعة لفائدة السكن والوحدات الصناعية. ولذلك فالمساحات القليلة الفارغة بين هذه المراكز القروية والمدينة أصبحت مهددة بالابتلاع خاصة وأن المخطط المديري للولاية خصصها للتوسع الحضري المرتقب للدار البيضاء الكبرى.

مجال الصناعات الكبرى بالدار البيضاء : أما من الناحية الاقتصادية، فيبقى الطابع الصناعي والعمالي هو الغالب على وظائف هذه العمالة وبالخصوص جماعة سيدي البرنوصي، حيث تتركز نسبة هامة من الوحدات الصناعية الضخمة ذات الاشعاع الوطني والدولي. وتتميز بنية هذه الصناعات بالتنوع الكبير كما يظهر من خلال الجدول رقم 2 :

جدول رقم 2 : توزيع الصناعات بعمالة سيدي البرنوصي، زناتة 1987.

الجماعات / نوع الصناعات	سيدي البرنوصي		عين حرودة		تيط مليل		المجموع	
	عدد الوحدات	عدد العمال	عدد الوحدات	عدد العمال	عدد الوحدات	عدد العمال	عدد الوحدات	عدد العمال
صناعة غذائية	23	2095	2	802	4	426	29	3323
صناعة النسيج والجلد	62	10741	10	898	1	60	73	11699
صناعة الخشب	3	100	4	330	1	210	6	640
صناعة الورق	10	892	4	185	-	-	14	1077
صناعة مواد البناء	7	672	4	64	4	240	15	976
صناعة جديدة وكهربائية	66	6331	14	1061	7	329	87	7721
صناعة كيماوية	31	3123	7	967	6	762	44	4852
صناعة متنوعة	4	185	2	48	-	-	6	233
المجموع	204	24139	47	4355	23	2027	277	30521

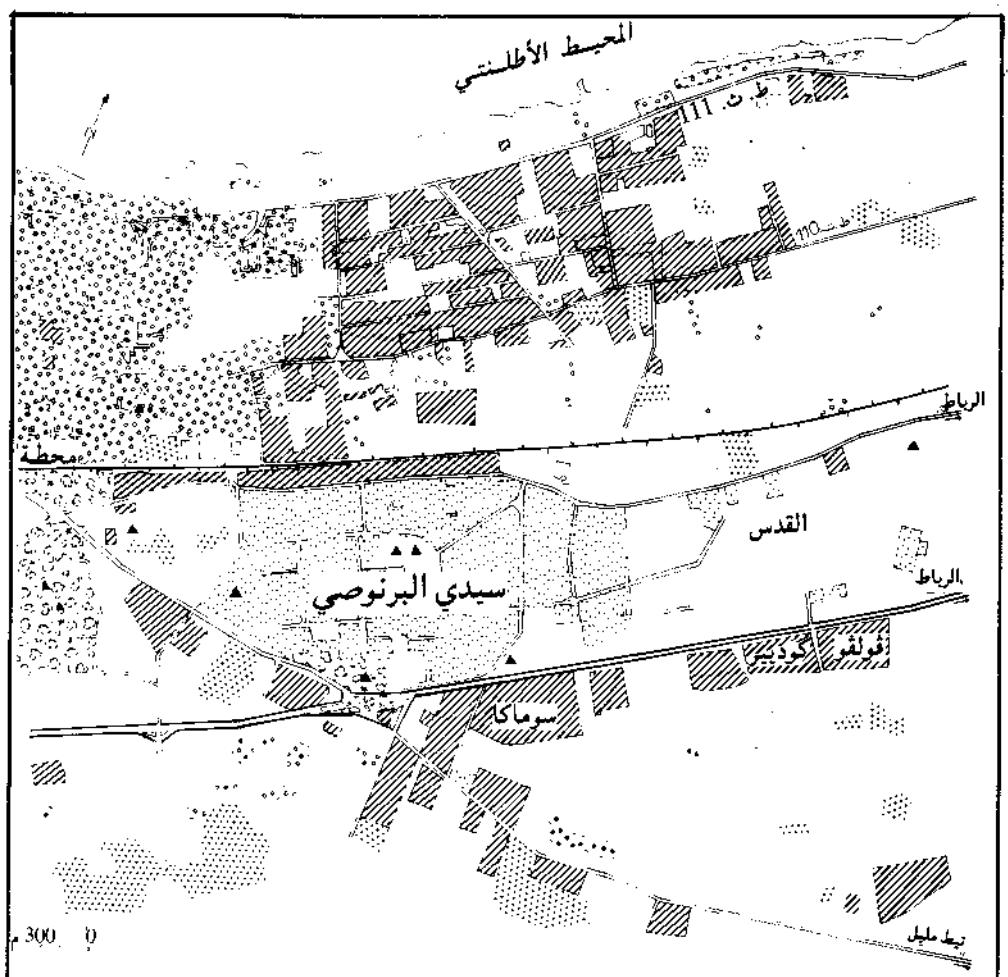

شكل 2 :
أشكال استعمال المجال بالجماعة الحضرية لسيدي البرنوصي 1987

تشغل صناعة هذه العمالة أكثر من 30 ألف عامل أي ما يعادل 15٪ من مجموع اليد العاملة المشتغلة بالصناعة بالدارالبيضاء الكبرى، وهي نسبة هامة تجعل العمالة تحتل الرتبة الثالثة في التراتب الصناعي بعد عمالتي عين السبع وأنفا.

وتتركز هذه الصناعات بصفة أساسية بجماعة سيدي البرنوصي التي تضم ثلاثة أرباع المصانع وحوالي 80٪ من عمال العمالة المشتغلة أساساً في الصناعات النسيجية والميكانية والكيماوية. وتنتشر هذه المصانع في المنطقة الصناعية الشرقية التي تغطي حوالي 536 هكتار، بشكل متواز مع خطوط المواصلات (رسم رقم 3).

فبين السكة الحديدية والطريق الثانوية رقم 110 تمتد الوحدات الضخمة المتخصصة في الصناعات الميكانية والغذائية (بيرليي، سيكاليم...)، كما تنتشر مجموعة من الوحدات الكبرى المغربية أو المتعددة الجنسية على طول الطريق الثانوية رقم 111 والطريق السيار نحو المحمدية (جنيرال، سوماكا، كابلام...) وداخل المنطقة الصناعية، متميزة بهندستها الحديثة واتساع مساحتها.

كما امتدت هذه الصناعات إلى المجال القروي وخاصة بجماعة عين حرودة حيث تنتشر المعامل وسط الحقول وعلى طول الطريق السيار، محتلة مساحات شاسعة. وتنتمي هذه المعامل للرأسمال الأجنبي الألماني والأمريكي (گوديبر، بايير، هوكشست، فولفو...).

وتبقى الجماعة القروية لتيط مليل، مجالا ضعيف

التصنيع بالمقارنة مع الجماعات السابقة، إذ تتوفر على مجموعة من الوحدات الصغرى المتخصصة في صناعات مواد البناء أو إنتاج التجهيز المنزلي متفرقة وسط الأراضي الفلاحية.

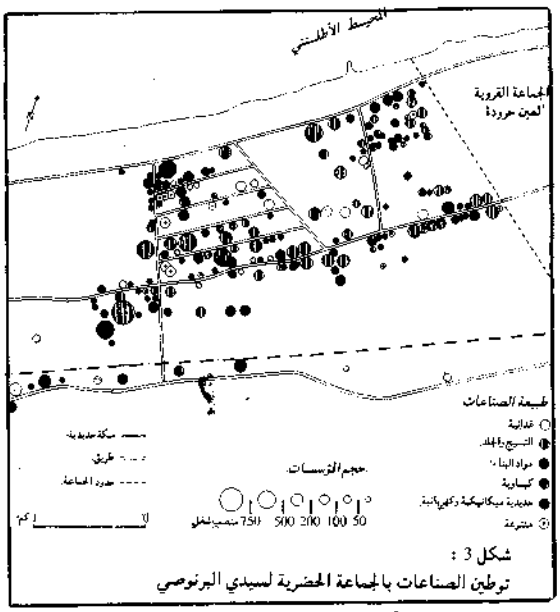

شكل 3 :
توطين الصناعات بالجماعة الحضرية لسيدي البرنوصي

ومن المنتظر أن تستقبل هذه الضاحية قسماً هاماً من الصناعات سواء عن طريق الإنشاء أو التحويل من الدار البيضاء. فلقد خصصت وثائق التعمير ثلاث مناطق صناعية جديدة تغطي حوالي 100 هكتار هي الآن في طور الانجاز بعين حرودة وتيط مليل. مما سيضاعف من ارتباط هذه المجالات القروية بالعاصمة الاقتصادية ويعجل باندماجها المباشر ضمن المجموعة الحضرية للدار البيضاء.

ع. كعيوا، *النسيج الصناعي بالدار البيضاء الكبرى*.

عبد القادر كعيوا

البرنوصي، أحمد بن محمد المعروف ببوكبّة أو بولحية. فقيه أستاذ "كان عالماً مشاركاً يحفظ القراآت السبع بتثبت وإمعان وإتقان في النطق". أخذ عنه في جملة تلاميذه عبد السلام ابن سودة، وقال في ترجمته في *الإتحاف* : له ترجمة في *سل النصال*، إلا أن هذه الترجمة ساقطة من النسخة التي تحت يدي.

توفي الأستاذ أحمد البرنوصي عام 1350 / 1931.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1350.

محمد حجي

البرنوصي إدريس ← البخاري إدريس

البُرْني، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، كان من بين أفرادها العدل محمد بن عبدالخالق البرني الذي كان حياً سنة 1624/1033. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1636/1046.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البرني، عائشة بنت علال، ولدت سنة 1938 بوادي زم، إقليم خريبگة. شاركت في حوادث الانتفاضة الشعبية التي عرفتها مدينة خريبگة والنواحي المجاورة يوم 20 غشت 1955 وحملت العلم المغربي وصورة محمد الخامس في المظاهرة التي أصيبت أثناءها برصاص قوات الاحتلال الفرنسي حين تدخلت لتفريق المتظاهرين بقوة السلاح، فسقطت شهيدة في ساحة الشرف.

المندوبية السامية، *شهداء الاستقلال*، ج : 2.

عزالدين العلام

البَرْنيشة، مصطلح زراعي تقليدي مشهور في المغرب خصوصاً في النصف الشمالي منه. والبرنيشة من فعل بَرْنَش الأرض إذا قام بحراثتها (أو تقليبها) في نهاية موسم الحرث أو خلال فصل الربيع، من أجل مساعدة الأرض على التشميس وتحلل النباتات التي تقلب مع الأرض وتحولها إلى أسمدة تساهم في تقوية التربة، بالاضافة إلى احتفاظ التربة بقدر من الرطوبة نتيجة عملية البرنشة هذه.

وبما أن الهدف هو تقوية التربة فقد ارتبطت عملية البَرْنشة بالزريعة التي تساهم في تقوية التربة مثل القطاني عموماً كالفول والعدس أو بإقامة البحيرة ـ بكسر الحاء ـ فيها، وهي زراعة الفواكه الصيفية كالبطيخ والدلاح والفقوس الخ. باعتبار أن هذه الزراعة تعمل على تقليب الأرض من جهة، وتسميدها من جهة أخرى، وهي عملية تساعد على تقوية التربة كما هو ملاحظ.

وتطلق البرنشة على الأرض الفلاحية التي تمر بالدورة الزراعية الثانوية في إطار النظام الزراعي التقليدي الذي تكون فيه الدورة الزراعية تمر بمرحلتين أو ثلاث مراحل هي :

ـ دورة زراعة الحبوب (قمح أو شعير) وهي الدورة الرئيسية.

ـ دورة ثانوية تزرع فيه القطاني (فول ـ عدس ـ بحيرة)

ـ وإذا كانت الأرض أضعف من ذلك أعطيت دورة ثالثة تترك فيها بدون حراثة لتستريح، وتسمى هذه الدورة دورة (التَّبوُر) من البور وهو عدم الاستغلال، وتكون هذه الدورة الأساسية عادة بعد الدورة الرئيسية الأولى، وتأتي البرْنشة في الدورة الثالثة باعتبارها إعداداً للأرض من أجل الدخول في الدورة الأساسية.

وعندما تترك الأرض لتبور يستفاد من حشائشها الطبيعية في رعي الماشية خلال فصل الربيع. وبذلك تكون دورة التبور هذه دورة رعوية. ومنها تنتقل إلى الدورة الثالثة وهي دورة البرْنشة استعداداً للدخول في الدورة الحبوبية الأساسية.

هكذا يتبين أن بَرْنشة الأرض عبارة عن نظام للدورة الزراعية التقليدية في عصر ما قبل دخول الأسمدة الفلاحية لتخصيب التربة بالمغرب العتيق، دورة تعتمد في الأساس على نظام الأمطار، وطبيعة التربة (الضعيفة الخصوبة بالأساس). والنظام الفلاحي الذي يتميز باندماج تربية

الماشية في نظام الدورة الزراعية. دورة إذن تقوم على ثلاث معطيات تهدف كلها إلى تحقيق انتاج جيد ومتكامل : فالأرض ضعيفة الخصوبة، والأمطار متوسطة أو ضعيفة أحيانا نظراً للذبذبات المناخية التي تعرفها البلاد من حين لآخر. والماشية ضرورية للفلاح سواء بالنسبة لسد الحاجيات الاقتصادية أو بالنسبة لتوفير الأسمدة الطبيعية.

معلومات ميدانية.

أحمد العماري

بَرْنيط، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1747/1160.

Delegacion, *Familias* : Isidoro, *Familias, Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

البُرهان، جزيرة تعرف عند الإسبانيين بـ Isla de Alboran من الجزر المغربية المحتلة من طرف إسبانيا، غير أن الكتاب المغاربة الذين يهتمون بقضية الجيوب المغتصبة يجهلون وضعيتها فلم يعدوها من بين المغتصب من أرض الوطن.

صحيح أن إسبانيا تزعم أن الجزيرة المذكورة غير مغربية لأنها تبعد عن الشاطئ المغربي بـ 56 كيلومترا، ولكن إسبانيا "تنسى" أنها تبعد عن شاطئها بـ 90 كيلومتراً، وأن إسبانيا لم تفكر في احتلالها إلا عندما أقدمت على احتلال جزر كبدانة بدليل أن الاحتلال الإسباني الرمزي لجزيرة البرهان تم بعد يومين من احتلال جزر كبدانة.

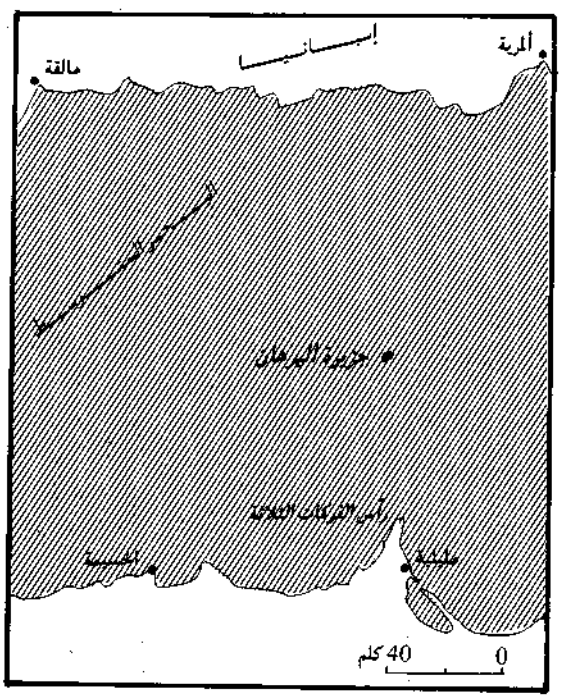

جزيرة البرهان

وهناك حجة أخرى تثبت أن جزيرة البرهان لم تكن تابعة لإسبانيا قبل سنة 1848/1264 وهي أن فرنسا كانت قبل ذلك التاريخ بقرنين قد فكرت في الاستيلاء على جزيرة البرهان وعلى جزر كبدانة حيث نجد الأميرال الفرنسي دي نوهيكا رئيس الأسطول الفرنسي بالبحر المتوسط يقول للوزير الأول ببلاده يوم 11 رجب 1072 / ثاني مارس 1662 ما يلي :

"لقد توصلت بالأمر الذي أصدرتموه لي بأمر من الملك من أجل القيام بزيارة جزيرة البرهان الواقعة على مدخل البحر المتوسط بالقرب من البوغاز، وزيارة جزر كبدانة أيضا".

وفي يوم ثاني شوال 1076/ أبريل 1666 نجد في التقرير الذي أعده المبعوث الفرنسي لدى السلطان مولاي رشيد ما يلي :

"غادرنا مدينة المرية يوم 5 أبريل 1666 (28 شعبان 1076)، وفي اليوم التالي وصلنا إلى جزيرة البرهان حيث قمنا بجولة استطلاعية عبرها منذ الصباح الباكر إلى حوالي الساعة الثانية بعد الظهر".

وفي يوم 9 جمادى الثانية 1080 / 4 نوفمبر 1699، أصدر الملك الفرنسي لويس الرابع عشر مرسوما يأذن لسافيلي وجوليان في إقامة مؤسسة تجارية بكل من جزيرة البرهان وجزيرة النكور، وقد اعترف العاهل الفرنسي في المرسوم المذكور بمغربية جزيرتي البرهان والنكور حيث أشار إلى أنهما تقعان في شاطئ أفريقيا بمملكة ملك المغرب".

وعلى كل حال فإن عملية الاحتلال الرمزي لجزيرة البرهان لم تتم إلا يوم فاتح صفر 8/1264 يناير 1848، أي بعد يومين من الاحتلال الفعلي لجزر كبدانة، ونقول أن العملية كانت رمزية بخصوص البرهان لأن الجنرال سيرانو اكتفى بزيارة الجزيرة المذكورة والتصريح أمام جنوده بأنها أصبحت تُعد جزيرة إسبانية، وقد غادرها دون أن يترك بها أية حامية. ولم يتم إقامة حامية عسكرية بالجزيرة إلاّ يوم 14 ذي القعدة 23/1387 فبراير 1968، أي بعد مرور اثنتي عشرة سنة على استقلال المغرب.

ومن بين المصادر الأجنبية التي تعدُّ جزيرة البرهان من بين الجيوب المغربية المحتلة من طرف إسبانية يوجد كتاب الألماني Wolfrom (ص 40) وكتاب الفرنسي Tardieu (ص 57) وكتاب الراهب الإسباني Castellano (ص 139).

والجدير بالذكر أن جزيرة البرهان هي التي أطلق عليها الجغرافي اليوناني سيلاس Scylax اسم دريناوبا Drinaupa في رحلته المشهورة. ومساحة الجزيرة تقدر بتسعين ألف متر مربع.

G. Wolfrom, *Le Maroc* ; A. Tardieu, *La conférence d'Algesiras* ; P. Castellanos, *Historia de Marruecos* ; Blazquez y Delgado, *Estudios geografico-historicos de Marruecos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البرهمي الإدريسي بن ناجم، من مواليد أولاد بوالسباع بشيشاوة سنة 1929. انتقل إلى الدار البيضاء وانضم إلى الحركة الوطنية وشارك في الكفاح المسلح بروح حماسية تحت رآسة عبدالعزيز لحلو ومحمد الزرقطوني وذلك سنة 1953. كان يوزع المناشير ويضرم النيران ويقوم

بالاستخبارات وإعانة المسجونين وجمع الأموال إلى أن ألقي عليه القبض، فسجن بمركز المعارف للاستنطاق ومعرفة أسرار المنظمة الفدائية. ولتحاشي كل اعتراف لم يتردد في ابتلاع قرص السم واستشهد في 10 رمضان 1373/1954.

وثائق الندوبة السامية للمقاومة.

عزالدين العلام

البرهمي، أسرة سلوية تنتسب إلى المولى عبد السلام بن مشيش الحسني الإدريسي دفين جبل العلم، عن طريق جدهم محمد بن عمران العباسي الشريف العبدلاوي اليوسفي الشهير بمدشر كندماس من منازل بني عبد الله بقبيلة بني يوسف من البلاد الهبطية. وبيدهم في هذا الصدد عدة رسوم ثابتة أحدها عبارة عن نسخة عقد نسب مؤرخ بأوائل رمضان عام 1127 يشهد شهوده العدول العشرة، ثمانية منهم شرفاء بصحة نسب الشرفاء أولاد عمران المُكنّين بالعباس القاطنين بمدشر كندماس... ومنهم ابن عمهم القاطن بمدينة سلا سيدي علي العباس، وبعد ذكر أسماء الشهود إعلامُ القاضي في حينه محمد بن عتّ الشريف بثبوت النسخة بتاريخ 4 رجب عام 1219 يليه توقيع الشهود فالقاضي ابن عت فقضاة آخرين بتأكيد الإعلام بالثبوت. وفي رسم ثابت آخر مؤرخ في أوائل رجب عام 1219 شهوده كلهم عدول شرفاء من آل العباس يشهدون بأن بني عمهم علي الخارج من بني يوسف إلى سلا قد تفرقوا إلى الرباط وبني حسن، وبأن علياً المذكور يوجد مع أسلافهم بظهائر شرفهم.

نعلم إذاً أن جدهم علياً العباس كان قاطناً بسلا منذ أوائل القرن الثاني عشر (18 م) وأنهم كانوا يُدعون بالعباس. وأن أبناءه تفرقوا بالرباط وبني حسن ببادية سلا. ولعل هذا ما يفسر استبدالهم لقب البرهمي بالعباس، إذ يعتبر البراهمة من أهم عشائر قبيلة بني عامر الكبرى بضاحية سلا (*التعريف*، 2 : 265). ومما يدعم هذا الافتراض أن فريقاً من البرهميين السلويين بقوا يشتغلون بالفلاحة وتربية الماشية والاتجار فيها إلى السنوات الأخيرة.

وبأيديهم تقاييد قديمة ورسوم عديدة تثبت ذلك. وقد أضاف أحدهم وهو عبد السلام بن بوسلهام البرهمي كنية جديدة هي بومسلّك لجريان لفظ "سلّك" على لسانه، الدال على تساهله في بيوعاته في الماشية. وكان من جملة أملاكه بسلا سانية (جنان) بباب شعفة قرب المسجد الأعظم مليئة بحظائر المشاية حملت هذه الكنية سانية بومسلّك وأصبحت اليوم حياً عامراً.

البرهمي، بوسلهام (سيدي ـ) بن محمد السلوي، كان فلاحا موصوفاً بالفضل والبركة موسعاً عليه في الرزق، ولدى حفدته تقييد طويل يشتمل على مآت الأسر السلوية العريقة التي كان يتعامل معها، يذكر أحياناً عدد رؤوس الغنم المقدمة إليهم وأثمانها ويكتفي أحياناً بذكر الثمن. ويبدو أن ذلك كان يقع بمناسبة عيد الأضحى وفي ولائم النكاح والعقيقة، ويدل تكرر أسماء بعضهم، ولا سيما الفقهاء والعدول والمدررين، على أن الحياة الاقتصادية بسلا لم تكن ما يرام في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر، لا سيما وأن الكثير منهم لم يشطب على المبالغ التي بذمتهم.

مات بوسلهام البرهمي بعد عام 1312 / 1894، وهو تاريخ آخر عقد إشهاد عليه بالإبراء.

البرهمي، عبد السلام (سيدي ـ) بن سيدي بوسلهام السلوي، كان ـ كأبيه ـ فلاحاً تاجراً، تذكر وثيقة عدلية مؤرخة في ثالث شعبان عام 1318 / 26 نونبر 1900 أنه كان من بين كبار تجار مدينة سلا الذين جمعهم خليفة العامل بأمر من السلطان عبد العزيز، مع أمين المستفاد بالمدينة والعدول لتجديد الاسترعاء عليهم حتى لا يعودوا للتعامل مع العمال والأشياخ ومن في معناهم ممن لديه تصرف بالقبض والدفع في الرعية. متغافلين عما صدر من أوامره وأوامر والده الحسن الأول وجده المولى محمد بن عبد الرحمان بمنع ذلك مادام جميع ما بأيديهم هو لبيت المال.

وكانت وفاة عبد السلام البرهمي حوالي عام 1345 / 1926.

البرهمي، علال (سيدي ـ) السلوي، لم تذكر الوثائق اسم والده، وهو ليس من فريق البرهميين الفلاحين، بل من أبناء عمهم، كان من رجال البحرية الواقفين على وظائف الأمور الجهادية بسلا، وبهذه الصفة نجده في 16 قعدة عام 1296 / 14 دجنبر 1875 أدرج في قائمة البحريين الذين خرجت لهم صلة من الحسن الأول ناله منه ـ كسائر قرنائه ـ 26 أوقية. وفي 28 حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894 أُدرج في قائمة صلة أخرى للبحريين المجاهدين وكان نصيبه فيها 13 أوقية. ولم نقف على تاريخ وفاته.

البرهمي، قاسم بن الهاشمي الزروالي، لا ندري إن كانت له علاقة مّا بالبرهميين السلويين، وكل ما نعلم عنه أنه كان طالباً ينسخ الكتب. ومن منتسخاته مخطوط *معلم الطلاب ما للأحاديث من الألقاب*، لأحمد بن زكري التلمساني المتوفي عام 899 / 1493.

وثائق مختلفة : عقود نسب وأنكحة وبيوعات وتقاييد بيد آل البرهمي : م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد السلاويين ونبذة عن وثائقهم*، ج 2 ؛ م. حجي، *الخزانة العلمية الصبيحية بسلا*، ص 96.

محمد حجي

بَرْهُون، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Barahona وهو أيضاً اسم مدينة بمقاطعة صوريا الإسبانية، وكان من بين أفراد هذه الأسرة بتطوان العالم :

بَرْهُون، محمد بن محمد المتوفى سنة 1336/1917.

وما زالت هذه الأسرة بتطوان، كما توجد زنقة بحومة العيون تحمل اسمها.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 34 / 6 : 172 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بُرُو، (أولاد ـ) أسرة بدوية أنجبت علماء واستوطنت قرية أمولة بقبيلة بني سلمان إحدى القبائل الغمارية الوسطى، منهم :

بُرو، محمد بن علي، قرأ بفاس وتولى التدريس بجامع قريته أمولة واشتغل بالعدالة والإفتاء، ثم عُيِّن قاضياً على قبيلة بني زيات بغمارة، وفي أخريات حياته أُلحِقَ بمحكمة الناضور بمنطقة الريف الشرقية، وتوفي عام 1983/1404.

بُرو، محمد بن محمد، تعلم ببلده، وأنهى دراسته بفاس، وبعد عودته تولى خطابة الرسوم، والفصل بين الخصوم، بدون ظهير أو قرار ـ على عادة فقهاء البادية قديماً ـ وكان ذا خط جميل، ثم ولي القضاء على قبيلته بني سلمان بظهير خليفي مؤرخ بعام 1926/1345 ثم عزل.. ولم أقف على تاريخ وفاته.

بُرو، موسى بن عبدالله السلماني وهو أقدم من عُرف من علماء هذه الأسرة، وربما كان يُدعى برور أو بروج ـ كما عند الزياتي في *نوازله* ـ ولكثرة الاستعمال حذف آخره تخفيفا فصار (برو). كان عالماً جليلاً، وفقيهاً نوازلياً، له *تأليف في علم الجدول* ينقل عنه الزياتي.

لم أقف على تاريخ وفاته، وقد عاش في النصف الأخير من القرن التاسع الهجري (15 م)، معاصراً للحسن بن يوسف ابن عرضون الشهير، كما يذكر التسولي في نوازله.

ع.الزياتي، *الجواهر المختارة*، مخطوط ؛ ع. التسولي، *النوازل*، مخطوط ؛ ع. بوخزار، *تقييد عن أعلام قبيلة بني سلمان*، مخطوط.

سعيد أعراب

برواگ، أو برواق جنس نباتات عشبية معمرة من الفصيلة الزنبقية Liliaceae بعضها برية وبعضها تزرع لأزهارها. البرواگ هو الاسم الشائع في المغرب ويطلق عليه في الشرق العربي الخنشى والبرواق.

الجذمور قصير، الساق قوي وكثيف، الأوراق قاعدية وطويلة. ينتهي الساق بباقة من الأزهار كلها بيضاء. الثمرة جافة متفتحة.

تعيش في المغرب عدة أنواع من البرواگ نذكر منها :

ـ برواگ صغير الثمر Asphodelus microcarpus، وهو شائع في السهول والجبال التي يقل ارتفاعها عن ألفي متر، وذلك في البيومناخات شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة.

ـ البرواگ الصيفي Asphodelus aestivus الذي ينمو في السهول فقط ويقتصر توزيعه الجغرافي على غابة المعمورة وسهول الغرب الشمالية. يعيش على الأراضي الرملية في المراعي وتحت ظلال الغابات.

ـ البرواگ الدقيق الورق Asphodelus tenuifolius وAsphodelus refractus يعيشان في البيومناخات شبه الجافة والجافة والصحراوية.

ـ يعيش البرواگ من نوع Asphodelus ceraseferus في البلدان المتوسطية الغربية، وهو شائع في الريف والأطلس المتوسط وفي السهول والمرتفعات المتوسطية.

M. Ibn Tattou, *Les Angiospermes ou plantes à fleurs* ; N. Galland, *Recherches sur l'origine de la flore orophyle du Maroc*.

نجاة الخياطي

البَرُّوَة أو **البُرُوَي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وقد انقرضت سنة 1757/1170.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 354 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البروج ـ جغرافيا ـ، مدينة تقع على مسافة 130 كيلومتر من ساحل المحيط الأطلنتي و400 متر من الارتفاع عن سطحه. وهي المركز الحضري الوحيد الذي تمكن من النمو داخل مضلع كبير، يغطي نحو 8.000 كلم^2 وله زواياه الخمس بمدن سطات في الشمال الغربي (على بعد 68 كم بخط مستقيم) وخريبگة في الشمال الشرقي (47 كم) والفقيه بن صالح في الشرق (47 كم) وقلعة السراغنة في الجنوب (55 كم) وبن گرير (78 كم) في الجنوب الغربي. وبذلك تبرز البروج منعزلة بين أربع مجموعات حضرية : مدن الفسفاط بهضبتي ورديغة من جهة والقنطور من جهة أخرى، ومدن الري بتادلا والسراغنة ثم مدن الشاوية.

وعلى عكس هذه المدن التي اندمجت، بدرجات متفاوتة وأشكال مختلفة، في الاقتصاد العصري (الاستخراج المعدني، الفلاحة المسقية، المكننة الفلاحية، الصناعة) فعرفت، في مجملها، نمواً سكانياً هاماً. وأحياناً متفجراً، جعل بعضها تنتقل، في ظرف بضعة عقود من الزمن، من حالة مركز بسيط أو قلعة صغيرة أو قرية متواضعة أو سوق أسبوعية إلى مدينة متوسطة أو كبيرة تناهز 150.000 (بني ملال) أو 200.000 نسمة (خريبگة)، فقد تميزت البروج بتكاثر سكاني بطيء نسبيا تركها دون عشرة آلاف نسمة حتى الآن.

يظهر أن البروج دأبت تقوم، في القرن التاسع عشر، بدور نزالة على طريق قوافل ثانوية كانت تشتغل بين السراغنة وتادلا الجنوبية من جهة والشاوية من جهة أخرى، في اتجاه ميناء الدارالبيضاء. وكانت لذلك هي السوق الأسبوعية لقبيلة بني مسكين. غير أن هذه السوق ظلت متواضعة جداً، تقل أهمية عن كل أسواق الشاوية، وهي الوضعية التي تحدث عنها بيرينيي M. de Perigny حيث أكد أن واجبات المكوس المستحقة على الباعة في سوق

البروج سنة 1917 كانت لا تزيد عن 74.000 فرنك، أي أقل بكثير مما يُجمع بأسواق سطات وبن أحمد وبرشيد وبن سليمان والگارة وأولاد سعيد الواقعة كلها بناحية الشاوية الشمالية الأكثر خصباً والأكثف تعميراً.

ولم تعر السلطات الفرنسية أهمية كبيرة للبروج، رغم أنها احتلت ناحية بني مسكين في وقت مبكر، أي بُعَيد معاهدة الحماية، نظراً لسهولة سطحها ولمحاذاتها مجال الشاوية السفلى التي دخلت تحت السيطرة المباشرة لفرنسا ابتداء من 1907. كما أن قبيلة بني مسكين كانت تابعة لقائد سطات قبل الحماية، فإن هذه الأخيرة اكتفت بانشاء مركز للمراقبة المدنية (وهو أدنى درجة في هرم التقسيم الاداري آنذاك) بالبروج، في إطار دائرة الشاوية الجنوبية.

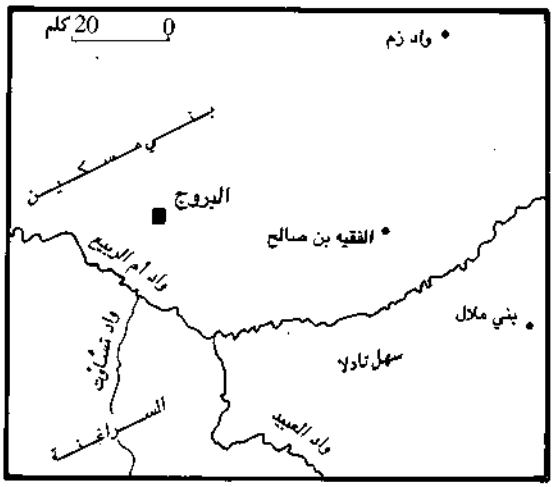

موقع البروج

ونظرا لبعد ناحية بني مسكين عن الساحل الأطلنتي عموماً، وعن الدارالبيضاء خصوصا من جهة، ولجفاف مناخها (إذ أنها تتلقى فقط بين 250 و350 ميلمتر من الأمطار سنويا) مع تعذر إمكانية سقيها (رغم قرب نهر أم الربيع)، وقلة خصوبة تربتها على العموم من جهة أخرى، فإن منطقة البروج لم تعرف الاستعمار الفلاحي الفرنسي مبكراً كما حدث بالشاوية السفلى. لكن على عكس هذه الأخيرة. وكذا جل المناطق الفلاحية الغنية بالتربات أو ماء السقي (سايس مكناس، زمور، الغرب، تادلا، سوس، تريفة...) حيث كانت السيادة لأراضي الاستعمار الفلاحي الخاص المتميز بامتلاك المعمرين مباشرة للأرض، فإن منطقة بني مسكين انتشرت بها فقط أراضي الاستعمار الفلاحي الرسمي الموزعة على المعمرين من طرف الدولة الفرنسية التي اقتطعتها خلال العشرينات من الأراضي الجماعية بالدرجة الأولى (كما يرخص بذلك ظهير 1919). وبذلك فقدت القبيلة قسما هاماً من محاطها جُزِّئ إلى عدة قطع تمتد كل منها على مئات الهكتارات تسلمتها شركات رأسمالية كبيرة لتمارس فوقها تربية الأغنام (سلالة السردي) على الخصوص اعتماداً على زراعة الشعير والقطاني ومزروعات علفية أخرى، إضافة إلى زراعة القمح في الجهات الملائمة.

وبسبب هذا الشكل من الاستغلال الفلاحي المتميز بالضيعات الرأسمالية الشاسعة وبتربية الأغنام، فإن ناحية بني مسكين لم تشهد أي استقرار أوربي ذي بال، بحيث إن الأعمال الفلاحية التي كانت تُسيّر انطلاقا من الدرالبيضاء لم تكن تحتاج إلى تأطير محلي هام. لذا فإن عدد الأوربيين لم يزد عن 17 فرداً بالمجال الريفي وعن 18 بمركز البروج، في 1936. ويظهر أن الطائفة اليهودية لم تكن قط ذات قيمة تذكر بهذه المنطقة بسبب ضعف إمكانياتها التجارية وعزلتها : ففي 1936، لم يُحص سوى 7 يهود بالأرياف و3 بالبروج، مقابل 40.500 و1.344 مغربي. وحتى مطلع الخمسينات، عندما بلغ الاستعمار الفلاحي أشده، بقي عدد الأوربيين دون الثلاثين بالمجال الريفي وفي حدود 60 شخصا بالبروج، بينما اختفى اليهود من المنطقة.

ويفسر هذا الاستقرار الأوربي الضعيف بالمنطقة العناية المحدودة جداً التي أعطيت لمركز البروج الذي لم يتلق سوى تجهيزات بسيطة للغاية، تتلخص في بعض المرافق الإدارية الأولية. غير أن وجوده على تخوم أراضي المعمرين المنتشرة شماله، جعله مقرا لبعض الخدمات الفلاحية التي يلزم توفرها محلياً، كإصلاح الآلات وتزويدها بالوقود، وكذا جمع منتجات الزراعة والماشية ببني مسكين قبل وسقها للدارالبيضاء.

وفي إطار التقسيم الإداري الجديد الذي تلا الاستقلال مباشرة، أصبح البروج مقر جماعة قروية تحمل اسمه. ورغم كون المركز لم يستقبل، إثر ذلك، أية تجهيزات هامة، فإن حركة التوافد إليه انطلقت بحدة من بني مسكين، وبالخصوص من الأرياف المباشرة. غير أن تيار الهجرة هذا خف كثيراً فيما بعد، لأن المركز استمر على حالته السابقة مفتقرا لكل عناصر استقطاب السكان، فيما يخص امكانيات التشغيل والإسكان وتقديم الخدمات الاجتماعية الأساسية. وهكذا توجه مهاجرو بني مسكين إلى خارج المنطقة، نحو تادلا ومدنها حيث يستمر القطاع المسقي في التوسع، نحو خريبگة ومناجم الفسفاط، وكذا إلى سطات العاصمة الإقليمية، وبالطبع صوب الدارالبيضاء. بل إن المركز نفسه فقد جزءاً كبيرا من سكانه خلال عقد الستينات إذ أن نسبة تكاثره الديمغرافي (1.16٪ سنوياً في المتوسط) لم تمثل حتى نصف الزيادة الطبيعية الناجمة عادة عن حركة التوالد والوفاة.

وتغيرت الأوضاع نسبيا أثناء العقد التالي لما ارتقى مركز البروج إلى عاصمة إدارية تؤطر دائرة تمتد على 1934 كم2 وتتضمن ست جماعات قروية، هي، إضافة إلى جماعة البروج نفسها، جماعات القراقرة وأولاد بوعلي ودار الشافعي وبني خلوگ وأولاد فريحة. وسمحت هذه الترقية الادارية للمركز باستقبال بعض التجهيزات الاجتماعية الأساسية في ميادين الصحة والتعليم والتجارة البسيطة والخدمات الأولية، الشيء الذي ساعد على تثبيت نسبة أهم من سكان البروج واجتذاب أعداد أكبر من أرياف بني

مسكين حيث اشتدت الهجرة أكثر من ذي قبل بسبب سنوات الجفاف القاسية التي ضربت المغرب عموماً والمناطق الداخلية بصفة خاصة ؛ فلم تَنْمُ أرياف بني مسكين إلا بنسبة 1,6٪ سنويا بين 1971 و1982، بينما زاد سكان المركز بمعدل 3,44٪ أي ثلاثة أضعاف ما سجلته فترة 1960. 1971. كما يلاحظ أن السكان القاطنين في أحواز البروج، الذين يستفيدون مبدئيا أحسن من غيرهم من تجهيزات المركز وسوقه الأسبوعي، تميزوا خلال هذه الفترة بزيادة ديمغرافية أهم نسبيا من سكان الجماعات الأخرى البعيدة.

تطور سكان دائرة البروج بين 1936 و1982

الجماعات	1936*	1960*	1971*	1982*	1990**
دارالشافعي	10758	13248	17643	20318	22500
بني خلوگ	8821	10482	13571	16858	19500
أولاد بوعلي	5620	10738	12709	15192	17000
البروج	5165	7952	9778	12389	14500
أولاد فريحة	6366	9614	11864	13034	14000
القراقرة	3718	5404	6717	8314	9500
مركز البروج	1344	3954	4489	6510	8500
المجموع	41792	61392	76771	92615	105500

* إحصاء ** تقدير

هكذا تكون أرياف بني مسكين قد زادت بأربعين ألف نسمة بين 1960 و1990 بينما سجل مركز البروج ركوداً سكانياً خلال الستينات (535 ساكن إضافي فقط بين 1960 و1971) وتكاثراً حثيثاً طيلة العقدين التاليين حيث كسب أربعة آلاف ساكن جديد.

كان من نتائج هذه الانطلاقة السكانية العارمة أن توسعت المباني الهزيلة بشكل عشوائي منتشرة في كل الاتجاهات انطلاقاً من النواة المركزية والسوق الواقعتين عند ملتقى الطرق والمسالك الرابطة بين تادلا والسراغنة جنوباً وشرقاً، وهضبة ورديغة والشاوية شمالا. ففي أواخر الثمانينات، كان النسيج العمراني يتألف من حوالي 1300 مسكن موزعة على خمس وحدات كبرى متميزة، إضافة إلى افتتاح ست تجزئات سكنية جديدة تغطي نحو 40 هكتاراً. وقد عمل المهاجرون النازحون من بني مسكين إلى الخارج، وبالخصوص إلى إيطاليا، على تنشيط قطاع البناء بالمركز مما ترتب عنه ارتفاع سريع وحاد لأثمان الأرض، وبالتالي احتدام ظاهرة المضاربة العقارية، خاصة في المواقع المركزية، وما ينجم عن ذلك من تشتت في البنايات على الأطراف، ومن صعوبة ربط أجزاء المدينة بمختلف الشبكات (الماء، الكهرباء، التطهير، الطرقات...).

ولم تواكب التجهيزات العمومية والخصوصية هذا التوسع السكاني والعمراني. ففي 1989، لم يكن بالبروج سوى ثلاث مدارس ابتدائية بها نحو ألفي تلميذ وتلميذة، إضافة إلى ثانوية إعدادية واحدة يدرس بها حوالي ألف آخر ؛ كما لم تكن بالطبع الداخلية التي تتوفر عليه هذه المؤسسة الأخيرة، بأسرّتها المائتين، لتفي بحاجيات سكان الجماعات القروية لدائرة البروج (نحو 95.000 نسمة). يضاف إلى هذا مقر للاستئناس المهني ودار للشباب.

ويشكو القطاع الصحي من نقص بيّن إذ لم يكن بالمدينة سوى طبيبين غير متخصصين، أحدهما بالقطاع الخاص، والآخر بالقطاع العمومي يعمل بالمركز الصحي الوحيد بمعية أربعة عشر من أعوان التمريض، لكن بدون أسرة استشفاء ؛ كما أن هناك صيدلية فريدة.

ويتمثل القطاع الإداري في أجهزة تسيير الدائرة والجماعة، وكذا مكاتب الدرك والقاضي المقيم والبريد والقباضة المالية وتوزيع الكهرباء وماء الشرب. كما أن هناك بعض المصالح للتأطير الفلاحي (المياه والغابات، البيطري، القرض الفلاحي)، إضافة إلى وكالة بنكية.

هناك أيضا ضعف في التجهيز التجاري والخدمات، إذ أن عدد الدكاكين بالمركز لا يتجاوز المائتين، أي بمعدل دكان واحد لأزيد من 40 ساكنا. ويتجمع نصف هذه الدكاكين بقلب المدينة ارتباطا بمحطة المسافرين والسوق الجماعية المغطاة والمسجد، في حين يَتناثر نصفها الآخر عبر أحياء المدينة وخاصة على طول الطرقات الرئيسية ؛ يتعلق الأمر أساساً بمحلات صغيرة تشتغل بتجارة المكاسرة البسيطة (تغذية ولباس) أو بحرف النقل (إصلاح السيارات والشاحنات...) والبناء (نجارة وحدادة) والخدمات الشخصية العادية.

يعوّض نسبياً هذا النقص الحاصل في المحلات القارة سوق الأحد الذي يعتبر بحق الجهاز التجاري الأساسي بالنسبة لسكان لم ينسلخوا بعد من أسلوب عيشهم الريفي. وهو من أهم أسواق الشاوية فيما يتعلق بالأغنام التي يتخصص في شرائها تجار حَجَّاجِيُّون (من جماعة ومركز سيدي حجاج، شرق سطات) قصد حملها إلى مجازر الدارالبيضاء. وينشّط هذا السوق، خلال الصيف، المهاجرون العائدون من الخارج بما يروجونه من عملة أجنبية (الصرف) ومختلف أنواع السيارات المستعملة التي نقلتهم من أوربا، وإيطاليا على الخصوص.

يظهر إذن أنه رغم ارتقاء البروج إلى مركز دائرة، يظل هزيل الاشعاع على قبيلة بني مسكين. فهذا المركز يعاني كثيرا من عزلته من جراء موقعه على الهامش الجنوبي الشرقي للشاوية الداخلية، بعيداً عن الساحل النشيط. فهضبة بني مسكين فقيرة جداً من حيث طرق المواصلات، ضعيفة الربط بالمناطق المجاورة، الشيء الذي لا يشجع على تطوير الانتاج الفلاحي في بيئة جافة تبلغ الكثافة السكانية الإجمالية بها مستوى 55 نسمة في الكم^2. غير أنها تستطيع الاستفادة من عبور أم الربيع على أطرافها الجنوبية لو تيسرت إمكانية السقي من هذا النهر الكبير (سد المسيرة). كما يمكن لمركز البروج أن ينتعش عن طريق

اندماجه في اقتصاد تادلا نظراً لقربه من هذا السهل الذي تتوسع فيه الفلاحة العصرية المسقية باستمرار.

احصاءات السكان لسنوات 1936، 1952، 1960، 1971 و1982.

J. Gadille, *Exploitations rurales européennes, Atlas du Maroc*, planches 33b et notice, 1958 ; M. de Perigny, *Au Maroc : Casablanca, Rabat, Meknès*. Paris, 1919 ; in M. Chouiki : *Settat et son rôle régional*, Thèse de 3e cycle en géographie. Université de Tours.

عبداللطيف فضل الله

البروج، ـ تاريخ ـ قصبة قديمة تقع وسط قبيلة بني مسكين بالشاوية الجنوبية على بعد 144 كم جنوب الدارالبيضاء، و96 كم من تادلا. وتحد من الشرق بقبائل بني موسى، ومن الشمال بورديغة، ومن الجنوب بالسراغنة. وتحيط بها مباشرة قبائل بني مسكين الشرقيين.

ومن المحتمل أن البروج قد صارت فيما بعد علماً للقصبة التي يعتقد بعض عرفاء البلدة ـ حالياً ـ أنها من بناء السلطان الحسن الأول. لكن يبدو أن قصبة البروج قديمة. إذ يذكرها الأسير الانجليزي طومابيلاو في رحلته. ويجعلها إحدى المراحل في الطريق الواصلة بين مكناس ومراكش. وقد مر بها في أثناء الحملة الموجهة إلى هذه الأخيرة سنة 1722. وتشير مگالي مرسي (ص. 161 هامش 407) إلى أن هذه القصبة شكلت جزءاً من المنطقة العسكرية التي كانت إلى نظر بيلاو. ومما يؤكد تعليقها أنه يقول قبل ذلك : "واستقبلت جيوش السلطان (هناك) استقبالا حاراً من طرف السكان الذين أبدوا كثيراً من الحبور" إلا أن المصادر العربية لا تذكر ـ فيما نعلم ـ البروج إلا في القرن التاسع عشر، فقد ذكرها في *الاستقصا* (9 : 129)، إذ مر بها السلطان الحسن الأول عندما توجه من مراكش إلى فاس، لإخماد ثورة الدباغين سنة 1873/1290، حينما علق هؤلاء بيعته على إلغاء ضريبة المكس. وتكررت نفس الاشارة لدى ابن زيدان حيث قال :"فسار من مراكش لقبيلة السراغنة ثم البروج ثم گيسر من بلاد تامسنا متوجهاً إلى فاس لإخماد ثورة الدباغين" (*اتحاف*، 2 : 134).

يظهر أن السلطان مرّ بالبروج، لأول مرة بعد بيعته بمراكش، ويكون ذكرها متصلا بهذا المرور لما جازها نعشه سنة 1894/1311. فقد توفي السلطان الحسن الأول بدار ولد زيدوح من تادلا، ليلة الخميس ثاني ذي الحجة سنة 1894/1311، فكتم الوزير أحمد بن موسى البخاري موته. وأمر نساء الحريم بالتجلد والكتمان (*إتحاف*، 2 : 459). وأدخل جثمانه في المحفة "حملت على القاعدة المعلومة، وأحدق بها من كان يحاذيها على العادة وظل يتردد إليها موهما بأنه يحدثه أو يستجيب لندائه (L. Arnaud, *Mehallas*) وبعدما عبرت المحلة وادي أم الربيع من مشرع ترْمَاسْت جدت السير حتى وصلت إلى البروج، حيث خيمت بها عند الزوال (*إتحاف*، 5 : 372). وبعدما ضربت الأخبية واستراح الناس، اجتمع أعضاء المخزن بالمسجد حيث تم الإعلان عن موت السلطان، ونصر ابنه عبدالعزيز. فأطلقت المدفعية خمسين طلقة، وأمر الحاجب السلطاني بغسل جثة السلطان الراحل ثانية وتسجيته. يستنتج من هذه المصادر أن البروج كانت قصبة مأهولة على الأقل منذ عهد المولى إسماعيل، وأنها بالاضافة إلى ذلك كانت تدار ضمن القبيلة ككل، من قصبة دار الشافعي.

ومن الممكن كذلك أنها كوّنت احدى "النزايل" الرئيسية في الطريق السلطانية، حيث كانت المحلات تحط بها لتستريح قبل أن تستأنف السير. ولعل ذلك دعم مكانتها وأسهم بالتالي في توسع تعميرها خاصة وأنها تقع في وسط اعتبرت قبائله منقادة للسلطة المركزية باستمرار ذلك أن الحاجب أحمد بن موسى خشي إعلان وفاة السلطان في منطقة تادلا لكن بمجرد وصوله إلى البروج بادر إلى البوح بما كتم.

هل احتفظت البروج بنفس المكانة في عهد السلطانين المولى عبدالعزيز، والمولى عبد الحفيظ ؟ يبدو أن الطرق قد انحرفت عنها بسبب الظرفية الجديدة، إذ صارت الطرق الساحلية مفضلة أكثر من الطرق الداخلية. ولما فُرضت الحماية الفرنسية على المغرب تَمَّ احتلال البروج حوالي سنة 1914 انطلاقا من "مشرع بنعبو" بمساعدة القائد محمد بوحافة، بعد سقوط قصبة الشافعي، التي تبعد عنها بحوالي ثلاثين كلم. ومن هنا انتقلت إلى البروج إدارة بني مسكين فاتخذها الفرنسيون منطلقاً لتطويع تلك القبائل، بالإضافة إلى السراغنة وبني موسى وغيرها. فصارت البروج تابعة لمنطقة الدارالبيضاء، كمركز يديره مراقب مدني. وفي سنة 1936 صنفت ضمن القرى وبلغ عدد سكانها آنذاك 1367 نسمة (*Repertoire* ; 40) وظلت تابعة لإقليم الدار البيضاء بعد الاستقلال. وحين صارت سطات إقليماً ترقت البروج إلى دائرة حضرية، فعرفت نمواً سكنياً مطرداً بفضل عدة عوامل، منها : التجهيزات التي أمدتها الدولة بها في ميادين التعليم والصحة والبريد والقضاء وغيرها، وكونها نقطة عبور تصل بين الدارالبيضاء وقلعة السراغنة ودمنات، وبين بني ملال وسطات.

لذلك اتسعت بها حركة التعمير والعمران، حتى صارت مقصداً للهجرة القروية من المناطق المجاورة. فنتج عن ذلك زيادة ملحوظة في عدد سكانها، إذ يناهز عددهم حالياً مائة ألف نسمة.

أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ ص. بن العربي، *المغرب*، ط 2. ص 17 ؛ التحري الميداني.

M. Morsy, *La Relation de Thomas Pellow*, Paris, 1983 ; L. Arnaud, *Au temps de Mehallas*, Casablanca, 1952 ; *Répertoire Alphabétique des agglomérations de la zône française de l'empire chérifien, classées par tribus et par factions de tribu, d'après les résultats du recensement quinquennal du 8 Mars 1936*, Rabat 1939.

أحمد عمالك

بُرُورسي Perorsi، عناصر من سكان المغرب القدماء ورد ذكرهم عند عدد كثير من الكتّاب القدماء في حين لا نجد لهم مكانا ضمن المصادر الأثرية. يعتبرهم بْلينيوس القديم من العناصر الاثيوبية (السوداء) ففي فقرة أولى من

كتاب *التاريخ الطبيعي* (5 : 10) يقول "ما وراء نهر Salsum (ربما نهر سوس) يوجد الاثيوبيون البرورسي وما وراءهم يوجد الفاروزيون". وفي فقرة أخرى (7 : 16) يوطنهم قريبا من نهر Ger (واد غير ؟)، الوادي الذي وصل إليه القائد الروماني سويتونيوس باولينوس أثناء حملته ضد الثوار الموريين سنة 42 م. بعد عبوره لصحاري ذات تربة سوداء. ويقول بلينيوس في هذا الصدد : أولئك الذين يقطنون السهوب المجاورة يطلق عليهم أسم الكناريينCanarii . وقد تم تقريب اسمهم من اسم canés (كلاب). الذين لا يختلفون في معيشتهم عن عيشة الكلاب، وإلى الجنوب منهم يوجد الاثيوبيون البرورسي.

وفي فقرة أخيرة (5 : 43) يوطنهم بلينيوس ضمن الشعوب المجاورة للمحيط والقاطنة على حدود موريطانيا. إذن فهم، من هذا المنطلق، من الشعوب المجاورة للاثيوبيين الغربيين أو Hesperioi خاصة وأن بطليموس يشير إلى وجود ميناء Perorsios في الخليج الهسبري Hesperien الذي ربما هو أحد موانئ موريطانيا البرورسية. فمن خلال هذه الاشارات يبدو أن هناك عدم الدقة في التوطين لدى بلينيوس القديم، إذ يوطنهم مرة ضمن القبائل الداخلية، ومرة ثانية يشير إليهم كشعب مجاور للمحيط.

ألا يمكن أن نتساءل هل المؤرخ بلينيوس خلط بين عنصرين هما البرورسي والفاروزيين Pharusii خصوصا وأن التشابه واضح على مستوى الشكل. وهذا مادفع الباحث S. Gsell (*Haan* I, p. 295) إلى اعتبارهما عرقاً واحداً يكتب بصورتين مختلفتين.

إلى جانب بلينيوس القديم نجد ذكر هذه الشعوب عند الجغرافي بطليموس (4 : 6،5) الذي يعتبرهم من القبائل الكبرى بليبيا الداخلية يوجدون إلى الشرق من الدرداي Daradae يعيشون عند مصب وادي درعة. ويضيف قائلا إن السهل الأحمر (سهل مراكش ؟) يفصل بينهم وبين الأثيوبيين البيض Leucae Aethiopes.

أما الجغرافي راڤينا فهو الآخر يوطن البرورسي بين أراضي الدرداي والأُدرنجداي Odrangidae. ويعتبرهم نستيفان من القبائل الكبرى بليبيا الداخلية.

إن أغلب المصادر القديمة تشجع على تحديد موطن الأثيوبيين البرورسي بالجنوب المغربي بين واد نون وواد سوس، بل هناك من يصل بهم إلى الأطلس الصغير، ولكن ذكر المصادر للبحيرة الحمراء تدفع إلى التفكير أيضا في سهل مراكش إذا احتفظنا بالتعريف الذي يجعل من Purron Pedion مطابقا لسهل مراكش.

فهل وقع الكتّاب القدماء في خلط بين هذا السهل وسهل سوس فترتب عن ذلك خطأ الباحثين المعاصرين؟.

ع. بل الفايدة، ب. البيضاوية، *الجنوب المغربي في عصوره القديمة من خلال المصادر المغربية ـ الرومانية*، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، أعمال الدورة 1، ص 343 ـ 368.

عبد العزيز بل الفايدة

البَرُّوك، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وقد انقرضت بتطوان على إثر الوباء الذي كاد يقضي على سكان المدينة سنة 1088/1677.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

البَرُّوك، تصحيف لكلمة البَرَكة العربية، يطلق بواد دادس على مقدمات بعض الأعياد الدينية يقوم أثناءها أهل القبيلة بذبح بهيمة يقسمون لحمها فيما بينهم. ويتم ذلك قبل يوم واحد من حلول عيد الفطر وعيد المولد النبوي الشريف وليلة القدر، وكذا صبيحة يوم عرفات المدعو محلياً إمْعَرْفا. ثمنُ الذبيحة يتفق عليه مسبقاً أهل القبيلة مع بائع البهيمة وعادة ما يكون ذلك الأجل بعد جني محصول من المحاصيل كالحبوب (الشعير القمح الذرة الخ) أو الفواكه (التين اللوز الخ).

وبعد ذبح البهيمة يجعل اللحم أقساطا تدعى تيخرُوبين، مفرد تخرُوبت (خرُوبة) تقسم على العائلات المكوِّنة للقبيلة كل حسب مستواه الاجتماعي، إذ هناك بعض العائلات التي تأخذ أكثر من خروبة، في حين هناك عائلات أخرى تشترك في الخروبة الواحدة، ويكلّف إمام مسجد القبيلة بتقييد ما بذمة كل واحد من دين في لائحة تسمى "ألزمام" ويأخذ في مقابل ذلك قلب الذبيحة، أما الأسفاط ورأس البهيمة وجلدها فتباع عادة بالمزاد العلني أمام الملإ.

وتبركاً بهذه المناسبات الدينية تطعم بعض العائلات الموسرة في القبيلة الطعام أثناءها، فتاتي بأطباق من الكسكس إلى المسجد يتناوله المصلون من أعضاء القبيلة وطلبتها الذين يحيون الليلة إلى طلوع الفجر إذا كانت الليلة ليلة القدر، أما في سائر الأعياد فيؤتى بالطعام إلى المسجد خلال النهار.

تحريات ميدانية.

محمد حمام

بَرُّول، أسرة لعل أصلها من الجزائر من الأسر التي هاجرت إلى تطوان سنة 1246/1830. وكان جل أفرادها ينتمون إلى العسكرية حيث نجد من بينهم في السنة المذكورة أحمد بَرُّول، وفي سنة 1248/1832 عبدالرزاق بَرُّول، ومحمد برول ومصطفى برول، وفي سنة 1250/1834 عبدالخالق برول والمنجي برول، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 216 ؛ *مختصر تاريخ تطوان* ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

البَرُّولَة، تجمع على بَراول، قطعة شعرية ملحونة، تغنى ضمن موسيقى الآلة، أو قصائد الملحون وسراباته مع

بعض الخصوصيات. وقد أطلق شعراء الملحون البَرْوَلة على لون من النظم لا يرقى إلى درجة قصائدهم وسراباتهم، وهذا اللون له "مرمّاته" أي بحوره، تخضع فيها الكلمات لحركات موسيقية معينة ومضبوطة، تُحدث مجموعة من الأنغام على طبوع موسيقية معروفة يتنشي بإنشادها المستمع. وقد تحدث عنها الأستاذ محمد الفاسي في *معلمة الملحون* (1 : 137) قائلا إن المغاربة ضمّنوها بعض الميازين في الآلة. وتوجد "براول" تغنّى كالقصائد، فكأنها نوع خاص، لكنها لا تمتاز عن القصيد بميزة خاصة، لذلك جعلتها ضمن بحور المبيّت... ومن البراول المعروفة في الملحون : يُوم نْهار الخْميس للشيخ الجيلالي امثيرد، وذَهْبِيّة الصّباح للسي التهامي المدغري.

ويحتمل وجه التسمية أنه حين ظهر فنّ "البراول" في طرب الآلة يطرد من الساحة الفنية بعض القطع الزجلية التي حملت بين كلماتها معالم من اللهجة العامية بالأندلس، لم يرق إلى مرتبة القصيدة الزجلية عند شعراء الملحون، ولم يصل إلى ما وصلت إليه في تنوع طبوعها وميازينها وموضوعاتها، وظلوا يعدونه غزلا من الدرجة الثانية لأنهم يثنون على غزلهم الرقيق الذي يغزلونه في قصائدهم وسراباتهم. ولعل هذا هو الدافع الذي دعا الشيخ الجيلالي مثيرد إلى أن يفاخر بغزله الرقيق حين انتشر غزل "البروال" في الوسط الشعبي إذ يقول :

غزْلِي صافي مَشْنُوع مايْلحْقُو مَنْ كانْ اسْقِيمْ
مَانَا داعي مانَا جْحيدْ

كما يحتمل أن تكون التسمية شيئا آخر عند شعراء الملحون، فهم يعنون بالبرولة زجلاً يخضع لطبوع غير طبوعهم، ولطريقة في الإنشاد غير طريقتهم وبما أن التعامل مع هذا اللون من حيث الغناء والإنشاد يحتاج إلى الإلمام بأنواع من الأنغام في موسيقى الآلة، فإنه كان من الصعب أن يمارسوه كما مارسه أهل الطرب الأندلسي فأصبح معقداً تعقيد خيط "البَرْوَل" عند الحائك.

وربما تكون تسمية البرولة عند الزجال المغربي تعني شيئا آخر يفيد عدم الاعتراف بهذا اللون بتاتا في سوق أدبهم، وفي محافلهم ومنتدياتهم. فهم بهذا يرفضونه في حظيرتهم رفض خيط "البرول" في سوق الحياكة. فإذا راجت قصائدهم وسراباتهم وحظيت بالإقبال عليها من لدن جمهور عريض، فإن "البرول" لم يجد ذلك الصدى، وذلك الإقبال الكبير من عشاق الغناء المغربي عكس براول الآلة التي تعد من أحسن مقاطعها وأشجاها كالبرولة الشهيرة التي تُنشد في قدام الاستهلال ذات المطلع :

يَالعنْسْ طْلعتْ بدْرْ التْمامْ يـاذَاتْ المحبـا الجمبـــلْ
فاق اجْمالك طلعتْ الثريـا والشّـمـسْ الوسْمَـــا
حُرْمَتْ اجْمالكْ يا قدّ لعْلام يـا مـولاتْ التّهليـــلْ

م. الفاسي، *معلمة الملحون*، ج : 1 ؛ ع. الجراري، *القصيدة*.

عبدالرحمن الملحوني

برونو، هنري Bruno, Henri، ولد في شرشال بالجزائر في 29 أبريل سنة 1888، في أسرة يرجع أصلها إلى هايتي بأمريكا الجنوبية، ودرس بثانوية الجزائر ثم التحق بكلياتها حيث حصل على الباكلوريا والليسانس في الحقوق وشهادات في الأعراف البربرية، وأتم دراسته العليا بباريز، حيث سجل كمتدرب بنقابة المحامين هناك ما بين 1909 و1913، قبل أن يعين سنة 1913 محرراً بالإقامة العامة لفرنسا بالمغرب. وفي سنة 1915 شغل منصب مراقب مدني مؤقت ثم مناصب إدارية أخرى. وغادر الإدارة سنة 1920، ليسجل محامياً بهيأة المحامين باستئناف الرباط، ثم أصبح نقيب المحامين بالرباط فيما بين 1930 و1932.

وموازة مع الوظائف التي كان يقوم بها، تولى هنري برونو مهمة التدريس بالمدرسة العليا للغة العربية واللهجات البربرية بالرباط. ثم صار مديراً للدراسات التشريعية بمعهد الأبحاث العليا.

تميز هنري برونو بتحقيقاته عن القبائل البربرية، تلك التحقيقات والأبحاث التي استعملت كمرجع أساسي للقرارات الأولى التي اتخذتها الحماية فيما سمته ببلاد العرف.

وخلال السنوات الأخيرة من حياته خصص هنري برونو حيزاً من نشاطه للعمل ـ تحت رعاية المركز الوطني للبحث العلمي بباريز ـ في موضوع تطور العلاقات الثقافية بين الفرنسيين والمغاربة، وكان من بين المنظمين لسلسلة من المحاضرات ألقاها قاضي الدارالبيضاء بجامعة السربون سنة 1947 في موضوع : *مصادر التشريع الإسلامي*. وبلغت أبحاثه نحو عشرين في مواضيع مغربية وقانونية، ومنها *ترجمة نصوص من معيار الونشريسي*.

ومات في 15 فبراير 1948.

أبحاث هـ. برونو المنشورة.

J. Caille, *Henri Bruno, 1888-1948, Hesp.* 1er et 2em trim. 1949, p. 3-6.

محمد جادة

بْرُونيت Braunite، معدن المنغنيز المختلط بالسيليسيوم $M^{2}n+M^{3}n_{6}+Si0_{12}$ كثافته 7.2، معدنها أبيض/رمادي، يوجد إما في العروق الحرمائية أو في الصخور الرسوبية السرئية.

غالباً ما تكون البرونيت مجتمعة بالبيرولوزيت، والكريبتوملان، والهولانديث والهيماتيت والمرو والباريتين. وتعتبر البرونيت إلى جانب البيرولوزيت من أهم معادن المنغنيز بالمغرب.

يتوفر المغرب على ثلاث مناطق مهمة فيما يخص هذا المعدن :

- منطقة ورزازات (إميني، تبوين، ورزازات).
- منطقة العيون (بدائرة وجدة).
- منطقة بوعرفة (بالأطلس الكبير الشرقي).

يستعمل المنغنيز في الصناعات المعدنية، والفولاذ، وخليط المعادن (النحاس والبرونز والنيكل). أما مركبات المنغنيز فكثيراً ما تستعمل في صناعة الحواشد الكهربائية والزجاج وصناعة الخزف، وحوافز الصباغة والطلاء؛ وتستعمل كذلك في المختبرات كمؤكسد للمنتجات العضوية واليودية، وكذلك له دور مهم في الفلاحة.

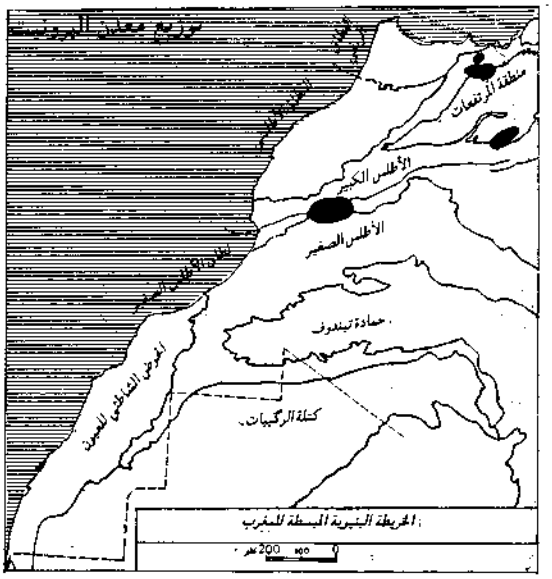

فيما يخص منتجات معدن المنغنيز بالمغرب فتعادل ما يناهز 117.304 طن سنة 1976، حيث صدر في نفس السنة 105.869 طن، مقابل29.953 طن لإنتاج سنة 1987 و27.953 طن صدرت في نفس السنة.

مدخل إلى جيولوجيا المغرب، مجلة المناجم والجيولوجيا منشور إدارة المعادن والجيولوجيا والطاقة، عدد 41، 1977.

A. Foucault et J. F. Raoult, *Dictionnaire de géologie*, 3ème éd., Paris, 1988 ; E. Saaidi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (français - arabe)*, Rabat, 1990 ; J. Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*, Paris, 1986 ; Rudolf Duda et Lubis Rejl, *La grande encyclopédie des minéraux*, Paris, 1989 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (substances métalliques et non métalliques associées)*, 2ème Ed., tome 1, Notes et mémoires du Service Géologique n° 276, 1980 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (Phosphates)*, 2ème Ed., tome 3, Notes et mémoires du Service géologique ; P. Lapadu - Hargues, *Précis de minéralogie*, Paris, 1954.

عبدالقادر بوسحابة

برونيل، روني Brunel, René، ولد في شهر فبراير 1897 وتعلم اللغة العربية في مدشر موساوة بزرهون الجنوبية شمال مكناس ثم انتقل بعد ذلك إلى مدينة مولاي إدريس الزرهون حيث أتم قراءة القرآن على يد أحد الفقهاء المشهورين هناك وكان هذا الفقيه يُلقّب برونيل بالنصراني - لزرقة عينيه - دون أن يعلم أصله، وانتقل من زرهون إلى فاس لإتمام دراسته بالقرويين، فأتقن اللغة العربية إتقانا جيداً إضافة إلى لغته الفرنسية الأصلية فأهله هذا التكوين اللغوي المزدوج إلى الدخول في سلك المراقبين المدنيين وهو في ريعان الشباب سنة 1922، فَعُين بالتتابع مراقباً مساعداً لناحية مكناس، وخليفة أول للمراقب المدني بأسفي، ورئيساً للحقة سيدي بنور لمدة ثلاث سنوات، ومراقباً مدنياً بقلعة السراغنة بإقليم مراكش، وكان آخر منصب تقلده قبل التحاقه بمكناس للمرة الثانية هو المراقبة المدنية بسيدي قاسم "Fort Petit Jean" التي قضى بها زهاء ثلاثة أعوام، ورقي في شهر فبراير 1937 إلى رتبة مراقب مدني فوق العادة من الدرجة الثانية.

عين برونيل مراقباً مدنياً ورئيساً للمصالح البلدية بمكناس بقرار مقيمي مؤرخ في 24 أبريل 1937، ودشن مهامه الجديدة بمكناس بمشكل مياه وادي بوفكران، فبعد أسبوعين من توليته لهذا المنصب، رفع إليه قادة الحركة الوطنية بمكناس عريضة السكان الأهالي المؤرخة بـ 16يونيو 1937 ليقدمها للحاكم العسكري للإقليم الذي وجهها بدوره للجنرال نوگيس المقيم العام في منطقة الحماية الفرنسية بالمغرب.

وبعد مضي ثلاثة أشهر على هذا الحدث، اندلعت أحداث فاتح وثاني شتنبر 1937 وقد قام برونيل بدور أساسي فيها كرئيس للبلدية التي كانت طرفاً في النزاع حول مياه وادي بوفكران مع الأحباس على ملكية وتسيير وتوزيع مياه هذا الوادي.

ظل برونيل رئيساً للمصالح البلدية بمكناس إلى سنة 1940 ونقل بعدها إلى مدينة وجدة لشغل نفس المنصب. وعرف عنه خلال قيامه بهذه المهام العداء والكيد للحركة الوطنية المغربية.

ألف برونيل بعض الكتب والدراسات أشهرها كتاب عن عيساوة وآخر عن هداوة.

Essais Sur les Confrérié relegieuse des Aïssaoua au Maroc, Paris, 1926; *Le Monachisme errant dans l'Islam : Sidi Heddi et les Hadduoua*, Paris, 1955.

بوشتى بوعسرية

بروثير تيودور T.Braüer، تاجر ألماني ولد سنة 1840 بليبسيك، واستوطن الصويرة سنة 1863 إلى أن توفي بها سنة 1884. كان نائباً قنصلياً لبلاده بها نحو العشر سنوات وكان له سماسرة وخلفاء بها وبمراكش.

م.بوشعراء، *الاستيطان*، 3 : 1073، 1074.

J-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 316 ; P. Guillen, *l'Allemgne et le Maroc : 1870-1905*, 25.

مصطفى بوشعراء

البُرِيبْري، أسرة أندلسية استقرت بتطوان وسلا، وعرف رجالها بالعلم والصلاح. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان منذ عام 1186/1772. أما آل البريبري السلويون فقد انتقل بعضهم إلى رباط الفتح في تاريخ غيرمحدد. وربما كان ذلك في الخمسينات من القرن الثامن عشر أيام الأزمة الطويلة التي عرفها المغرب بعد وفاة المولى إسماعيل واستغرقت ثلاثين سنة، وفيها هاجر من سلا أفراد من عائلات الرايسي وبوحدو والشدادي وابن يوسف وفنيش وزنيبر. ويقول المؤرخ محمد بن علي الدكالي إن بقية آل البريبري موجودة بالرباط بمعنى أنه لم يبق منهم أحد بسلا. وقد اشتهر منهم قضاة ومدرسون، أمثال :

البريبري، أحمد التطاوني، شيخ صالح، وصوفي سالك، ذو قدم راسخة في طريق الشاذلية. أخذ عن الشيخ أبي المحاسن الفاسي واعتبر من أعيان أصحابه الذين كانوا يترددون إليه، ويداومون زيارته.. من أبرز الصفات التي ميزت أحمد البريبري تعلقه الشديد بشيوخ الصلاح، والإخلاص في محبتهم والدعوة إلى إحياء ذكراهم، وزيارة أضرحتهم وقبورهم، كما أنه كان "صاحب أحوال عجيبة، وكشوف غريبة، وبصيرة نافذة " (*الإعلام*).

توفي سنة 1611/1020.

البريبري، عبدالرحمان بن أحمد بن التهامي الرباطي، شب على طلب العلم وتتلمذ على عدد من كبار أساتذة المغرب في وقته. أخذ الفقه بفاس عن عبدالسلام الأزمي وأبي عبدالرحمان السجلماسي، وبدر الدين الحمومي، والقاضي التهامي المكناسي الذي أجازه، وعبدالقادر الكوهن وقد أجازه أيضاً. والتسولي شارح *التحفة*. وأخذ الحديث عن العربي الدمناتي، والأصول عن الوليد العراقي، وعنه أيضاً النحو والتصريف، وعن القاضي العباس بن كيران والعربي الزرهوني وعبدالسلام بوغالب، وعلي قصارة.

ومن أساتذته أيضاً جده للأم أحمد بن الطاهر قرأ عليه القرآن وربع العبادات من *المختصر*، ومحمد بن عبدالرحمان الفلالي الذي أجازه، والأمين الزيزي العلوي. كما أخذ عن محمد بن عبدالله الزناتي بالرباط وفضالة، وعن محمد بن مسعود الشيظمي بالرباط.

درّس عبدالرحمان البريبري بالرباط الفقه والحديث والنحو والتصريف وعلوم البلاغة، وأخذ عنه ابنه محمد الكثير من العلوم. تولى قضاء الرباط في 14 ربيع الثاني 1266 وكان يتصدى للأحكام بمقصورة مسجد النخلة، معروفاً بالصرامة فعزل الكثير من العدول ولم يبق معه إلا القليل، ومنع الكثير من علماء الرباط من التدريس كأبي بكر بناني والقاضي أحمد دينية والمكي بوجندار والطاهر بريطل وعبدالقادر بوعياد والمعطي الغربي والهاشمي الضرير وإبراهيم التادلي الذي منعه من التدريس عدة مرات وأودعه السجن مع آخرين مما جعلهم يأتون بظهائر مخزنية يتظاهرون بها ضده في سبيل ما هم بصدده من القيام بالمراسم الدينية، وربما كانت البطانة المحيطة به سببا في إلقاء القبض على هؤلاء العلماء وإيداعهم السجن.

كان عبدالرحمان البريبري يخالف عادة القضاة في الخطبة في العيدين بالمصلى، فينيب عنه الفقيه أحمد بن الغازي، ولما توفي صار ينيب عنه الفقيه محمد بن إبراهيم، وكانت ولاية الدارالبيضاء تسند لقاضي الرباط إذاك، فكان ينيب عنه فيها علي بن منصور الدكالي البوعمراني مفتي الدارالبيضاء. وظل البريبري قاضياً بالرباط أكثر من عشرين سنة إلى أن مرض وضعفت قواه، فأناب عنه محمد بن إبراهيم، وطال مرضه نحو سبعة أعوام إلى أن توفي في 10 شوال 29/1293 أكتوبر 1876، ودفن بزاوية حنصالة.

البريبري، العربي من فقهاء سلا وعلمائها المشهورين بالبحث والمطالعة والتقييد. وقد اطلع المؤرخ محمد بن علي الدكالي على تقاييد له على *شرح ابن حجر للهمزية* بخط يده. وكان من الفقهاء المضطلعين بمهمة التدريس.

توفي في 8 ربيع الثاني 1799/1214 بسبب وباء أصاب البلد تلك السنة ذهب ضحيته أيضا محمد المير حسبما ذكره أحمد الناصري، ودفن البريبري خارج باب المعلقة على شاطئ البحر قرب سيدي عبدالعزيز اللبلي.

البريبري، محمد بن عبدالرحمان. وصفه صاحب *مجالس الانبساط* بالفقيه العالم العامل، وحلاه بصفات الورع والزهد والنزاهة الكبيرة والصلاح والنباهة والفصاحة.

أخذ أنواع المعارف عن بعض أساتذة الوقت وعلى الأخص والده الذي قرأ عليه *المختصر* و*الرسالة* وغيرهما من كتب الفقه، كما أخذ عنه الحديث والنحو والتصريف والبلاغة، وكان الهاشمي الضرير شيخ إبراهيم التادلي والمكي البطاوري أستاذه في القراءات.

درّس محمد البريبري مدة *الرسالة* وغيرها بالزاوية الرحمانية، لكن مدة تدريسه لم تطل إذ كان ميالاً إلى العزلة لا يخرج من داره إلا لصلاة الجمعة أو الجنازة.

وممن أخذ عنه أحمد بناني والمكي البطاوري وأحمد جسوس، ومن آثاره إجازة علمية لمحمد بن خليفة المدني سماها *تحفة ودود بمقصد محمود*. وتذكر له تآليف لم يعثر عليها.

وفي سنة 1880.79/1297 تولى قضاء الرباط بعد القاضي أحمد ملين، وبقي فيه عشر سنوات. ويتفق من كتبوا سيرته عن ليونته وعدم ميله إلى التشديد على الناس في الأحكام، ولكن مع ذلك لم يكن يتسامح في أحكامه مع الذين يتنكرون لمبادئ الدين. ففي سنة 1899 أودع السجن ضابطا جزائرياً اسمه ميسوم كان يعمل ضمن أعضاء البعثة الفرنسية بالرباط بتهمة قذف الشريعة الإسلامية في مشادة مع الخادم الذي كان يعمل عنده عندما طالبه بأداء أجرته التي تماطل ميسوم في دفعها. فثارت حفيظة الأوساط العسكرية والقنصلية الفرنسية بالرباط وتبودلت شتى الرسائل بين الممثلين العسكريين والقنصليين الفرنسيين بالمغرب وبين الوزير الفرنسي في وزارة الخارجية التي توصل بعدة تقارير عن الحادثة، نشرتها الصحف الأجنبية الموجودة بطنجة، وطالب هؤلاء بمعاقبة القاضي البريبري، وادعوا أنه متعصب ضد الأوربيين والمحميين القنصليين، متجاهل للمعاهدات المغربية الأوربية في مادة التقاضي، وطلب من الوزير بّاحماد أن يأتي القاضي لتقديم اعتذاره أمام الناس، بل اقترح على الوزير الفرنسي إرسال بارجة حربية إلى ساحل الرباط للإنذار والمطالبة بالإسراع في إنزال العقاب بالقاضي، وقد حاول Delcassé وزير الخارجية الفرنسي أن ينتزع من المخزن تنازلا آخر لولا موقف الوزير بّاحماد الذي اتسم بنوع من الصرامة والاقناع.

وعندما أُقيل البربيري عرض عليه بّاحماد ألف فرنك يأخذها من الديوانة وبعض الملابس له ولأسرته وأجرة شهرية مقدارها مائة فرنك، ولا يعرف هل قبل القاضي ذلك أم رفضه. ويذكر أحد معاصريه أن السلطان المولى الحسن نفّذ له قبل ذلك برسالة مائة ريال شهرياً يأخذها من مدخول مرسى الرباط، فقابل البربيري ذلك بالشكر للسلطان وكتب على ظهر الرسالة :"إن أربعين ريالاً ياسيدي تكفيني لكل شهر راجياً من سيدنا أيده الله أن يجعل الستين الباقية في بيت مال المسلمين". وظل بالبربيري بعد عزله ملازما لداره إلى أن توفي ليلة الأحد 13 جمادى الأولى 13/1326 يونيو 1908، ودفن بالزاوية الحنصالية أمام درب الجراري.

البربيري، مصطفى بن عبدالرحمان أخو القاضي محمد المذكور قبله. وصف هو أيضاً بالعلم والصلاح والدين، وأفرد له الشيخ فتح الله بناني ترجمة في طبقاته، وذكر أن وفاته كانت يوم الاثنين 18 جمادى الأولى 1318/ 1900 وقد تبودلت في تعزيته رسائل بين أخيه القاضي وقاضي سلا عبدالله بن خضراء تضمنت ذكر أوصافه المنمة عن زهده وصلاحه.

ع.الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ ع. الفاسي، *الإعلام بمن غبر*، مخطوط ؛ م. الافراني، *صفوة* ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، 126 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين* ؛ م. بوجندار، *تعطير البساط*، 36 ؛ *الاغتباط*، 223، 338، 365 ؛ *مقدمة الفتح*، 187 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، 195، 288 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، 102 و389 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط*، د.د.ع 259، 263.

عبد الاله الفاسي

البريجة (مازيغن) لم تعرف مدينة الجديدة الحالية باسم "البريجة" خلال القرون الوسطى، إذ لم تذكرها المصادر العربية إلا باسم "مازيغن" الذي لا نعرف له معنى. وورد نفس الاسم مع بعض التحريف بالخرائط البحرية الأوربية في القرن الرابع عشر. وكان الموقع يذكر مقرونا بمرساه، غير أن مازيغن لم تعرف النمو والشهرة التي عرفتها أزمور المجاورة، بل على العكس من ذلك بقيت في مستوى القرية المتواضعة التي تجمع بها بعض الصيادين، وسرعان ما تعرضت للخراب. فقد سكت عن ذكرها كل من ابن الخطيب والوزان، مع أن هذا الأخير وصف بدكالة قرى متواضعة وأماكن يصعب اليوم تحديد موقعها (مائة بئر، السبيت، تمراكشت...) وقد ذكر الرحالة البرتغالي بريرا Péreira والألماني فرناندیش حوالي سنة 1508 ما يفيد أن قرية مازيغن كانت خربة، وأن البرتغاليين كانوا متعودين على الإقبال على مرساها لاقتناء الحبوب، وذلك منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر على الأقل.

وارتبط مصير مازيغن بالاحتلال البرتغالي لمدة طويلة (1769.1515) وقد احتفظ الغزاة بالاسم البربري الذي أدخلوا عليه بعض التحريف Mazagân. واحتُل الموقع سنة 1504، بعد احتلال أزمور في خريف السنة السابقة، وبعد فشل تحصينه واقتطاعه لنبيل برتغالي سنة 1505. وتمسك البرتغاليون بالموقع لجودة مينائه الذي اعتبره الدوق دوبراگنصا Duc de Bragança، قائد الحملة العسكرية ضد أزمور، أجود موانئ العالم خصوصاً وأن السفن بدأت تميل نحو الضخامة، والحواجز الرملية بمصب أم الربيع أصبحت تحول دون وصولها إلى أزمور. وقد بقيت مازيغن رغم احتلالها مجرد مرفإ في خدمة مدينة أزمور، ولم توكل إليها أية مهمة عسكرية أو سياسية أو تجارية كالتي كلفت بها مدينتا أزمور وأسفي بعد احتلالهما، ولهذا اكتفى البرتغاليون قبل إخلائهم للمدينتين المذكورتين بإنجاز تحصينات بسيطة في مازيغن استمرت من صيف 1514 إلى 1517 واعتمدت على البرج المغربي الذي كان هناك والذي أعطى فيما يبدو اسم "البريجة" للقرية. وكان الحصن صغيراً، مربع الشكل (47 م × 57 م) يرتكز على أربعة أبراج : برج "البريجة" وبرج "الرباط" وبرج السجن،وأخيراً برج "سغونبا". وكان السور يحيط أساساً بقاعة شاسعة مخصصة لخزن السلاح والذخيرة والحبوب.

وقد تغير وجه "مازيغن" بعد جلاء البرتغاليين عن أسفي وأزمور (خريف 1541) واقتصارهم على هذه النقطة بدكالة إذ عرفت تحصينات ضخمة، وأصبح الحصن الأصلي جزءاً صغيراً ضمن ما تمّ تشييده. وقد بنيت المدينة على مقربة من البحر، على رقعة شبه مربعة (250 م × 300 م) يحيط بها سور ضخم يبلغ سمكه أحد عشر ميتراً (لتحمل قذفات المدفعية) وعلوه أربعة عشر ميتراً، وكان هذا السور معززاً بخمسة أبراج عملاقة، يحيط به من البحر إلى البحر خندق عرضه خمسة وثلاثون ميتراً، وعمقه ثلاثة أمتار. وقد حُول الحصن الأصلي إلى خزان للمياه لا يزال قائماً إلى يومنا هذا.

واحتفظت مازيغن فيما بين 1541.1769 بأنشطة عسكرية محْضة، وإن كانت تلعب بين الفينة والأخرى دور خزان للسلع التي كانت تروّج بأسفي وأگدير (النصف الثاني من القرن 16 م). وعاكس بقاء البرتغاليين بهذه النقطة من الساحل الدكالي انتعاش مناطق واسعة تمتد بين أزمور وتيط والمدينة الغربية (اثنين الغربية البوم)، كما تشهد على ذلك المصادر البرتغالية والعربية. (*رحلة أفوقاي*) غير أن تأطير الجهاد عد يد الفقهاء والمتصوفة بعد ضعف الدولة السعدية قلّص كثيراً من هذه الرقعة، وفرض على البرتغاليين الاحتماء بأسوارهم أو اتخاذ تدابير وقائية معقدة للخروج إلى البادية. ومعلوم أن عبد الله الغالب السعدي ضرب عليها خلال ربيع 1562 حصاراً خطيراً وكاد أن يحررها لولا استماتة المدافعين عنها ومناعة أسوارها ووصول المساعدة من البرتغال وافتقار المغاربة إلى اسطول.

وبقيت مازيغن محتلّة إلى أن حررها السلطان سيدي محمد بن عبدالله يوم ثاني ذي القعدة عام 1182/ 1769.3.10

في ظروف ذكرها صاحب *الحلل البهيجة في فتح البريجة*. ومعلوم أن البرتغاليين شحنوا المدينة ألغاماً وبارود قبل انسحابهم وأن طلائع الجيش المغربي تعرضت لخسائر كبيرة لانفجار تلك الألغام على برتغالي تُرك هناك لهذه المهمة، وأن المدينة خربت وسميت "بالمهدومة" واحتفظت بهذه الحال والاسم إلى عهد المولى عبدالرحمان الذي عين ابن عمه محمد بن الطيب عاملا على الشاوية ودكالة، فأعاد بناء أسوارها ورمم ما تداعى منها وأسماها "الجديدة". وكانت الحبوب تصدر أحياناً من مرساها.

م. بن أبي القاسم المراكشي، *الحلل البهيجة في فتح البريجة*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ أ. بوشرب، *دكالة* ؛ م.كريخال، *إفريقيا*، 2 : 87،85.

J. Goulven, *La place de Mazagan sous la domination portugaise*. 1502-1769, Paris. 1917 ; *S. I. H. M*, 1ère série Portugal, t: 1, Paris, 1935, pp. 103-107 ; Ricard, trad. *Mazagan et le Maroc sous le règne du sultan Moulay Zidane, 1608-1627*. Paris, 1956 ; *Un document portugais sur la place de Mazagan au début du XVII*e *siècle*. Paris, 1932.

أحمد بوشرب

بَريخا، سيرَّادُو أنطونيو A. Pareja Serrado رحالة إسباني مستعرب تجول بمدن الشمال الداخلية سنة 1886، وكان يسمي نفسه "أبا جبل" وله كتاب عن مستقبل إفريقيا.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 :1520.

J-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 151-154.

مصطفي بوشعراء

البريد، الكلمة في اللاتينية Veredus وفي الإغريقية Beredos ولعل أصلها أشوري، ومعناه (الفرس المستخدم في نقل البريد) والبريد في الاصطلاح نمط من أنماط الاتصال الإنساني بين الفرد والآخرين وبين الجماعات الاجتماعية، وهو كأداة لهذا الاتصال تسمح بتوجيه واستقبال الرسائل وتوفير مجموعة من الخدمات المالية، تعود أصوله إلى ماض سحيق، فقد عرفه الصينيون والفرس والمصريون القدامى واليونانيون، وكذا الامبراطورية الرومانية على شكل نظام لنقل الفكر الإنساني بواسطة رسائل خطية أو شفهية تنقل على أساس ترحيل مرحلي بواسطة الرسل الراجلين أو الراكبين على البغال والخيول عبر المحاور الطرقية الرئيسية.

وقد كان البريد في تاريخ الدول الإسلامية خدمة رسمية لنقل المراسلات ونقل المخابرات. عرفه العصر الأموي بمصطلحات معظمها فارسي، وصار في العصر العباسي من أعظم مرافق الدولة، يعد بإدارته للمقربين من أمثال جعفر البرمكي. وقد نظمت مراحله حتى غطت مجموع جهات الأمبراطورية. وردت أخباره بتوسع في الكتب المصنفة لكتاب الدواوين مثل *المسالك والممالك* لابن خرّداذ به وكتاب *الخراج* لقدامة بن جعفر. حينها كان البريد موقوفاً في معظمه بأوربا على الملوك والأمراء الذين استخدموه بالأساس لإبلاغ أوامرهم إلى الحكام في ممالكهم وإماراتهم، كما أن أديرة الرهبان عملت على خلق بريد خاص بها تشعب مع نشاطاتها التبشيرية التي نمت والزحف الصليبي في القرون الوسطى. ومع بزوغ النواة الأولى للحياة الاجتماعية المنظمة تحت تأثير تبادل المنافع والمعاملات التجارية ظهرت نخبة جديدة من الاستقراطية عمدت إلى تبادل الرسائل الخطية فيما بينها بلجوئها لبريد الأمراء والاديرة، أو أناس استخدمتهم كمراسيل.

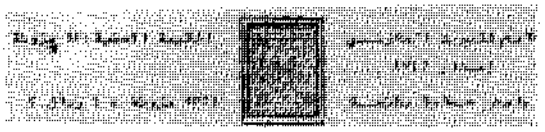

ظل العمل قائماً بهذا النظام في أوربا حتى نهاية القرن الخامس عشر حيث نمت فئات المجتمع الوسطى التي أصبحت تشكل طبقة البرجوازية وظهرت الطباعة التي ساعدت على نشر التعليم بين قطاع واسع من السكان وتم اكتشاف العالم الجديد الذي فتح الآفاق لإقامة علاقات متشعبة بين الشعوب وتنامي حجم المبادلات التجارية بين الدول وأصبحت مقتضيات العصر تقتضي إيجاد نظام جديد للبريد يعوض سابقه، وكان فرانسوا دي تاكسيس François de Taxis أول من قام خلال القرن السادس عشر بتنظيم خدمة بريدية شملت عدة بلدان أوربية، أما شارل الأول (انجلترا) فيعود إليه الفضل في فتح خدمة البريد الملكية في وجه العموم ابتداء من سنة 1635م ويقال إن حاجته إلى المال دفعته إلى اتخاذ هذا القرار.

بظهور الآلة البخارية وتطبيقاتها في تحريك البواخر والقاطرات السككية عرف البريد نقلة نوعية تميزت

باعتماده الوسائل الحديثة لترحيل الرسائل بين مختلف البلدان وإقراره لأساليب أقل تعقيداً ساعدته على التقليل من أجور النقل، وكانت انجلترا أول من لجأ باقتراح من السير رولاند هيل Sir Rowland Hill سنة 1840 إلى تطبيق مفهوم الأجر الموحد ومقداره بيني واحد Penny Postage على الرسائل المتبادلة داخلياً، وقد رافق هذا الإصلاح ظهور أول طابع بريد وهو الذي حمل اسم الشهرة : بيني الأسود Penny Blanck.

إن العلاقات البريدية التي نشأت بداية بين الدول قامت على أساس اتفاقات ثنائية تلبي المتطلبات الخاصة بكل منها، وظهرت صعوبات متعددة لجعل هذه الاتفاقات متعددة الأطراف لتضارب الأجور المعتمدة من قبل كل دولة وأيضاً لاختلاف وحدات الأوزان والعملات النقدية المتداولة مما استعصى معه خلق بريد دولي.

عرف البريد الدولي انطلاقته الأولى عندما دعا وزير بريد الولايات المتحدة الأمريكية السيد منتگومري بلير Mr Montgomery Blair سنة 1862م إلى عقد لقاء دولي لتدارس إمكانية إنشاء نظام بريدي على أسس موحدة، وقد لاقت هذه الدعوة الاستجابة المرجوة من قبل خمس عشرة دولة من أوروبا وأمريكا، النمسا، بلجيكا، كوستاريكا، الدانمرك، إسبانيا، أمريكا، فرنسا، بريطانيا العظمى، إيطاليا، هولندة، البرتغال، بروسيا، جزرالساندويتش، سويسرا، المدن المتحالفة (Villes hansiatiques) اجتمعت بباريس يوم 11 ماي 1863م وتعاهدت فيما بينها على إرساء المبادئ العامة للبريد الدولي.

وحتى يأخذ التبادل البريدي على الصعيد العالمي إطاره القانوني المنظم جاء الاقتراح من موظف سام بالادارة البريدية لكنفدرالية ألمانيا الشمالية السيد هينري ستيفان Henry Stephan سنة 1868 لخلق اتحاد بريدي بين الأمم المتحضرة، وعلى أساسه اجتمع ممثلو اثنتين وعشرين دولة يوم 15 سبتمبر 1874م ووقعوا يوم 9 أكتوبر 1874 على "ميثاق بيرن" الذي على أساسه أنشئ الاتحاد العام للبريد Union Générale des Postes وبعد انقضاء ثلاث سنوات على دخول هذا الميثاق حيز التطبيق 1 يوليوز 1875 ومع تزايد الدول المنضمة إليه تحول اسم هذا المنتظم إلى الاتحاد البريدي العالمي Union Postale Universelle الذي ما زال قائما حتى الآن ويتخذ من بيرن (سويسرا) مقرا له ويضم في عضويته 168 دولة.

يعقد هذا الاتحاد مؤتمراته بصفة منتظمة يضع من خلالها جميع التنظيمات الخاصة بالنظم البريدية والخدمات المالية البريدية على الصعيد العالمي، وقد عقد حتى سنة 1989 عشرين مؤتمراً بكل من :

1 ـ بيرن (سويسرا) 1874.
2 ـ باريس (فرنسا) 1878.
3 ـ لشبونة (البرتغال) 1885.
4 ـ ڤيينا (النمسا) 1891.
5 ـ واشنطن (الولايات المتحدة الأمريكية) 1897.
6 ـ روما (إيطاليا) 1906.
7 ـ مدريد (إسبانيا) 1920. وخلاله أصبح المغرب عضواً بهذا الاتحاد.
8 ـ ستكهولم (السويد) 1924.
9 ـ لندن (بريطانيا العظمى) 1929.
10 ـ القاهرة (مصر) 1934.
11 ـ بوينوس آيريس (الأرجنتين) 1939.
12 ـ باريس (فرنسا) 1947.
13 ـ بروكسيل (بلجيكا) 1952.
14 ـ أوتاوا (كندا) 1957.
15 ـ ڤيينا (النمسا) 1964.
16 ـ طوكيو (اليابان) 1969.
17 ـ لوزان (سويسرا) 1974.
18 ـ ريو ديجانيرو (البرازيل) 1979.
19 ـ هامبورج (ألمانيا) 1984.
20 ـ واشنطن (الولايات المتحدة الأمريكية) 1989.

البريد والطابع البريدي : هناك ترابط وثيق بين طابع البريد والبريد نفسه حتى أصبح ذكر الأول يوجه ذاكرتنا إلى التفكير التلقائي في مفهوم البريد، مع أن البريد ظهر إلى الوجود كخدمة عامة منذ سنة 1644م وظل العمل قائما به قرنين قبل أن يعمل بنظام طابع البريد الذي وضعه أول مرة السير رولاند هيل Sir Rowland Hill سنة 1840 وجعل منه الوسيلة لتوحيد الرسوم المطبقة على تخليص الرسائل، وقد توسع مفهوم طابع البريد مع ظهور هواية الطوابعية التي أسهمت من خلاله في إقامة أول جسر للتواصل الجماهيري بين الأمم والحضارات وأصبحت هذه الوريقة تحمل كثيراً من الدلالات الثقافية والمعرفية والجمالية ساعدت وتساعد على تنمية المدارك حتى صارت تحفة فنية تحمل في طياتها قيمة مادية ومعنوية غنية.

البريد المغربي : عرف المغرب أول محاولة لإقامة بريد منتظم بالمغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على شكل مكاتب بريدية أجنبية أقيمت بتشجيع من سلطات الدول التابعة لها. وإذا كان عملها علانية يتمثل في تأمين نقل البريد الذي لم يكن معروفا لدى المغاربة إلا بشكله الرسمي الإسلامي وفي صورة "رقاصين" أي مبعوثين خصوصيين أو باستخذام القوافل التجارية أو الموسمية، بالأساس لخدمة مصالح دولها وأطماعها على حساب تفكيك وحدة المغرب باسم الحضارة والحداثة، وهذه المكاتب هي :

أ ـ المكاتب الفرنسية بالمغرب أحدثت سنة 1855.
ب ـ المكاتب الإسبانية بالمغرب أحدثت سنة 1865.
ج ـ المكاتب الأنجليزية بالمغرب أحدثت سنة 1872.
د ـ المكاتب الألمانية بالمغرب أحدثت سنة 1899.

كما قامت هذه المكاتب باصدار مجموعة من طوابع البريد الخاصة بنقل الرسائل داخل المغرب وخارجه، وهي

عبارة عن طوابع وطنية لتلك الدول تطبع فوقها كلمة المغرب بالعجمية وقيمتها الاسمية المحلية.

وحين وصل خبر ذلك إلى السلطان الحسن الأول اغتاط لهذا الأمر وأصدر أمره إلى وزيره في البحر (الخارجية) السيد محمد برگاش الذي كانت إقامته بطنجة بتاريخ 27 رجب 27/1296 يوليوز 1879 ليضع حداً لتلك المكاتب باعتبارها غير شرعية، ولكي لا يُفسح المجال أمام أطماع الأجانب عكفت السلطات على تنظيم البريد (البوسطة) بالمغرب حسب ما تمليه المصلحة العليا للبلاد.

أ ـ البريد المخزني، ظهر أول خط منتظم لنقل البريد بين مدينتين مغربيتين سنة 1891 يربط بين الجديدة ومراكش على يد السيد برودو Mr Brudo ابن نائب القنصل آنذاك في مدينة الجديدة، وحين علم السلطان الحسن الأول بذلك سارع بإحداث خدمة بريدية تجريبية على نفس المحور وطلب من أمناء مستفادات (الرسوم على تجارة الأسواق) الجديدة ومراكش بخلق البريد نيابة عن المخزن متطلعا بذلك إلى فتح المغرب أمام العالم الحديث وواضعا حدا لكل تدخل أجنبي يمكن أن يمس بسيادة المغرب واستقلاله.

ظهير الحسن الأول بإحداث البريد بين بعض المدن المغربية المهمة

وقد نجحت هذه التجربة ووقع تعميم البريد المخزني المنتظم على مجموع المدن المغربية بأمر سلطاني مختوم في يوم 2 جمادى الأول 22/1310 نوفمبر 1892 وأحدث البريد بين المدن التالية :

1 ـ الرباط ـ الصويرة (مروراً بالدارالبيضاء، أزمور، الجديدة، وأسفي).
2 ـ الرباط ـ مراكش (مروراً بالدارالبيضاء وأسفي).
3 ـ الرباط ـ تطوان (مرورا بالعرائش وطنجة).
4 ـ الرباط ـ فاس.
5 ـ الصويرة ـ مراكش.
6 ـ أسفي ـ مراكش.
7 ـ مكناس ـ فاس.
8 ـ فاس ـ طنجة (مرورا بالقصر الكبير).
9 ـ القصر الكبير ـ العرائش.

كما تضمن الأمر السلطاني كيفية عمل البريد بكل تفاصيله، وهكذا أحدث في كل مدينة مكاتب الإياب (للرسائل الصادرة) ومكاتب الورود (للرسائل الواردة) وجعل لكل مدينة طابعين (الختم المخزني) لتمييز بريدها عن باقي المدن، يختم بواحد منهما على المظروف والآخر تختم به شكارة (كيس جلدي) "الرقاص" المخصصة لحمل المظاريف، ويتولى "الرقاص" عملية نقل الرسائل بين المدن، ومنع عليه أن يحمل رسائل أخرى غير تلك التي يتضمنها كيسه تحت طائلة العقاب إن هو تجاوز هذا الأمر، كما حددت أوزان الرسائل والأجور المطبقة عليها ؛ فالرسائل التي يصل وزنها إلى نصف أوقية يؤدى عنها مبلغ 8 مزونات (الوحدة القياسية)، وعلى تلك التي زاد وزنها عن نصف أوقية وقل عن أوقية تضاف 4 مزونات للوحدة، وإذا ما فاق الوزن أوقية وقل عن أوقية ونصف تضاف 6 مزونات للوحدة وهكذا. كما طلب إلى أمناء جميع المدن إعداد كشف دوري لحساباتهم كل ستة أشهر يوجهونها إلى الحضرة الشريفة.

وقد سار العمل بهذه الطريقة في البريد المخزني مع إصلاحات أدخلت عليه أيام السلطان مولاي عبدالحفيظ إلى حين إدماجه مع شركة تلغرافات المغرب سنة 1911. أما الأختام المخزنية فلم يقع سحبها إلا بعد ظهور أول طابع بريد مغربي يوم 25 ماي 1912.

ب ـ الأختام المخزنية : نظام الأختام المخزنية جاء به أمر السلطان الحسن الأول سنة 1892 وجعل لكل مدينة خاتمين، الأول على شكل مثمن الأضلاع تتوسطه اسم المدينة التي يصدر عنها البريد، ومن أسفله إلى أعلاه كلمة "المحوط (ة) بالله" وهذا الختم كان مخصصا لطباعة المظاريف بعد استيفاء الأجر المطبق عليها. أما الختم الثاني المستدير الشكل فكانت تطبع به الشكارة (الكيس الجلدي) الذي يحمل بواسطته الرقاص المظاريف إلى المدن الأخرى، وذلك بعد أن يتم إحكام غلق الكيس بلك أحمر مذاب يطبع بالختم، ولا يفتح الكيس إلا عند وصوله لمقصده، ويتوسط هذا الختم أيضا اسم المدينة ومن أسفله إلى أعلاه كلمة "المصون (ة) بالله".

استخدم في ختم المظاريف حبر يختلف لونه باختلاف جهة مصدر الرسالة لتمييز المراسلات المخزنية والحكومية والرسمية عن نظيرتها الخصوصية، فالحبر إما أن يكون : بنفسجياً أو أسود أو أزرق أو أخضر أو أحمر أو برتقالياً.

صدر أول طابع مغربي عن إدارة البريد المخزني بتاريخ 22 ماي 1911 وهو طابع من الحجم الصغير (11 مسننة) مرسوم على واجهته قوس وبداخله جامع عيساوة بطنجة بقيمة اسمية من فئات : 1 أو 2 مزونة، 5 و10 مزونات، 25 و50 مزونة، (كانت 400 مزونة = 1 ريال) ومنذ ذلك الحين

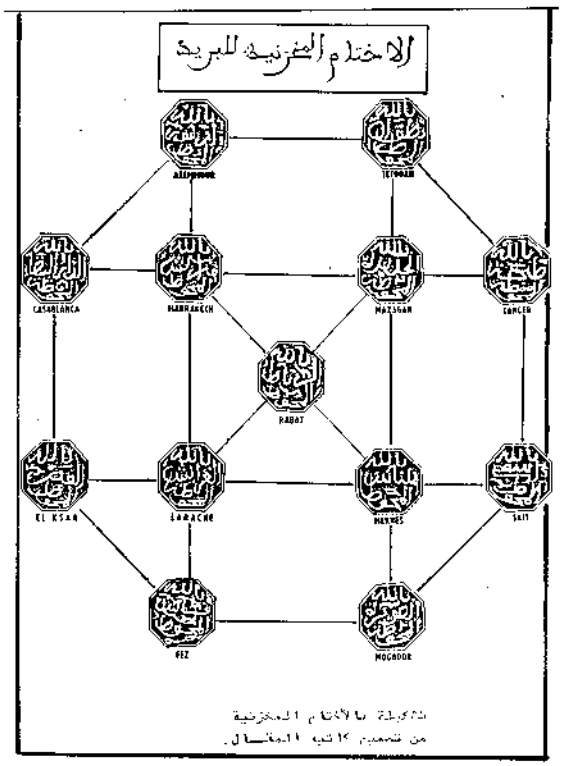

استعيض عن استخدام الأختام المخزنية وسحبت هذه الأخيرة من الخدمة نهائيا سنة 1913.

ج ـ التنظيم الجديد للبريد المخزني : في سنة 1911 أعيد تنظيم البريد المخزني بأمر من السلطان مولاي عبد الحفيظ وذلك باعتماد أساليب أكثر حداثة في التسيير، واستخدام ما أصبح متوفراً من وسائل النقل الجديدة لترحيل البريد بين المدن يسمح بتخفيض مدة النقل ويجعل من خدمة البريد عملية منتظمة، وفي مارس من سنة 1917 أدمج البريد المخزني مع خدمات التلغراف التي سبق أن أوجدتها الشركة المغربية الشريفة للتلغراف سنة 1907.

ولما كان البريد من السيادة الوطنية التي يغار عليها المغرب، فإنه عند توقيع الاتفاقية المغربية الفرنسية بتاريخ 1 أكتوبر 1913م ظل المخزن متعلقاً بمبدإ متابعة إشرافه المباشر على الإدارة الفرنسية المكلفة بالبريد والتلغراف

بالمغرب، وقد كان له ما أراد، وعلى هذا الأساس أحدث المكتب المغربي للبريد والتلغراف والتليفون الذي كان من اختصاصاته أيضاً البث الإذاعي.

وطُبق نفس المبدإ على منطقة النفوذ الإسباني بشمال المغرب، حيث أحدثت مصلحة البريد المغربي التي كانت تقع تحت الإشراف المباشر لخليفة السلطان بتلك المنطقة.

عند استقلال المغرب سنة 1956 أعيد إدماج المصالح البريدية بمجموع أقاليم المملكة، وأحدثت وزارة البريد والتلغراف والتليفون، وأسندت آنذاك مهام البث الإذاعي لوزارة الاعلام.

د ـ التنظيم الحالي للبريد : لم يعد المفهوم الحديث للبريد مقتصراً على كونه مصلحة عمومية تهتم بتسلم وتسليم الرسائل والبعائث، بل تعداه ليشمل جملة من الخدمات والتسهيلات المالية والمصرفية التي أصبحت من اختصاصاته أيضاً، ومعها تنامى الدور الإنمائي لهذا القطاع في التنمية الاقتصادية والاجتماعية لجميع المجتمعات.

في العلاقات الدولية يمثل البريد وحدة متكاملة على الصعيد العالمي لاعتماده مبدأ وحدة الامتداد الترابي البريدي على صعيد جميع الدول، والعمل على أساسه في كل ما يتعلق بالتبادلات البريدية والخدمات المالية المصاحبة لها والتي تقوم على التقسيم التالي :

1 ـ بعائث بريد الرسائل : وتشمل الرسائل والبطاقات البريدية والمطبوعات ومطبوعات المكفوفين Cécogrammes والرزم الصغيرة.

2 ـ الطرود البريدية : وهي البعائث البريدية التي تفوق أوزانها كلغ واحداً وتقل عن عشرين كلغ.

3 ـ الخدمات المالية البريدية : وتغطي جميع النشاطات البريدية التي لها علاقة بالتعاملات المالية والمصرفية وهي :

أ ـ حوالات البريد وسنداته الخاصة بالسفر.

ب ـ خدمة الشيكات البريدية.

ج ـ بعائث مع استيفاء القيمة.

د ـ الاستردادات (المالية).

هـ ـ خدمة الادخار.

و ـ الاشتراكات الصحفية والمطبوعات الدورية.

وجميع هذه التسهيلات تنظمها اتفاقيات دولية يقرها الاتحاد البريدي العالمي في مؤتمراته وتصادق عليها الدول الأعضاء، وتعمل على أساسها في مبادلاتها مع بعضها البعض، كما يجري تعديلها وتحسين مقتضياتها كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

وقد أسند المشرع المغربي إلى الدولة المغربية مسؤولية تنظيم هذه الخدمة لا غير، وذلك بموجب قانون الاحتكار (ظهير بتاريخ 27 ربيع الثاني 1343 / 25 نوفمبر 1924) ويعتبر البريد من ضمن السيادة الوطنية، لذلك تصرفت سلطات الحماية في هذه الخدمة تحت الإمرة المباشرة للمخزن كما ذكرنا، ويلاحظ أن الشبكة التي أحدثتها تلك السلطات في عهد الحماية كانت مخصصة بالأساس لخدمة متطلبات المقيمين الأجانب بالمغرب، وقد عرف البريد مع الاستقلال طفرة نوعية متميزة سايرت التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي عرفها مغرب ما بعد الاستقلال، وقد ظلت إدارة البريد تشكل قسما بوزارة البريد والبرق والهاتف حتى شهر يناير 1984 حيث أحدث المكتب الوطني للبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية الذي عهد إليه بمهمة استغلال قطاع البريد والاتصالات على صعيد المغرب تحت إشراف وزارة البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية. وفي إطار التنظيم الجديد الذي عرفه هذا المكتب وقع تقسيم مهام البريد على مديريتين :

أ ـ مديرية البريد.

ب ـ مديرية المصالح المالية البريدية. وفيما يلي بعض المؤشرات الاحصائية بعدد المنشآت البريدية المتوفرة بالمغرب ومقارنتها بما كان عليه الحال حين استقلال المغرب :

المنشآت / السنة	1956	...	1989
مكاتب بريدية كاملة الخدمات	130	...	507
شبابيك بقمقة	15	...	110
مكاتب ثانوية	29	...	–
وكالات بريدية (القرى)	219	...	578

والعمليات المالية التي أنجزتها المصالح المالية البريدية في المغرب منذ إحداثها (..)

العمليات		1961	...	1989
الشيكات البريدية	عدد الحسابات	86.449	...	326.076
	الرصيد	375.000 درهم	...	3.609.840.272 درهم
الادخار	عدد الدفاتر	168.000	...	533.935
	مجمل الادخار	37.900.000 درهم	...	1.428.426.080 درهم
الحوالات البريدية	عدد الحوالات	3.062.454	...	6.643.739
	المبالغ المتداولة	1.455.140.925 درهم	...	17.620.264.097 درهم

دليل التحف الوطني للبريد ـ مطبعة البريد.

L'Union Postale Universelle (1874-1949), Mémoire BI de l'UPU-Berne, Mai 1949 ; *Les Actes de l'Union Postale Universelle*, Hambourg, 1984, Berne, 1985 ; J. de Langre et A. Cotters, *Etude sur les Postes cherifiennes et les cachets Maghzen*, Casablanca, 1970 ; *Rapport d'activités, 1989 de l'ONPT* : Revues de l'UPU, *Union Postale*, 1985-1990.

حسن اللبادي

بُريدَة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Pereda، كما أنه اسم لعدة مدن بإسبانيا. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان في حدود سنة 1868/1285.

بُريدة، محمد بن الفقيه، وصفه صاحب *عمدة الراوين* بالفقيه الأديب الحيسوبي الميقاتي المنجّم والرياضي والموسيقي والمشارك في عدد من العلوم الأخرى، وقد وقف حياته على تعلّم العلوم وتعليمها في داره التي كان يُلقي فيها الدروس العلمية وكان في نفس الوقت موقتا بالجامع الأعظم، وإليه يرجع الفضل في وضع حصّة تطوان التي نقحها الفقيه محمد لوقش.

توفي محمد بُريدة بتطوان في حدود سنة 1868/1285.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 37، 6 : 42 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 7 : 17 ؛ *مختصر تاريخ تطوان* ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion. *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بّريزانسْ فرانسيزْ Présence Française، معنى العبارة بالفرنسية "الوجود الفرنسي"، أطلقت على جمعية استعمارية أنشئت في السنوات الأخيرة من الحماية على أيدي بعض غلاة الاستعمار الذين راموا دعم ما أصبح مهزوزاً من نفوذهم بالمغرب بأساليب الإرهاب، ولقد أنشئت غداة عزل محمد بن يوسف عن عرشه يوم 20 غشت 1953 بقصد الردّ على ما ترتب عن تلك المؤامرة من انتفاضة الشعب المغربي ودخوله مرحلة الفداء والمقاومة المسلحة، هذا من جهة، وأنشئت من جهة أخرى لمعارضة التيار التحرري الفرنسي الذي لم يتردد عن فضح عملية 20 غشت وعواقبها الوخيمة على مستقبل الصداقة المغربية الفرنسية، وأضحت يومية "ماروك بريس *Maroc Presse*" لسان حاله من يوم ما صدرت بها افتتاحية تحت عنوان "يوم المغالطة" بتاريخ 11 نونبر 1953، فرأى غلاة الاستعمار ضرورة التصدي لكل ذلك، فأسسوا تجمعهم وجعلوا له ذلك العنوان الصارخ الصريح الذي كانت الغاية منه لفت الأنظار واستقطاب الأنصار، وظلت الجمعية شعاراً مثيراً أكثر مما كانت إطاراً سياسياً إلى ربيع سنة 1954.

في تلك الأثناء نشر بعض أحرار الساكنة الأوربية بالمغرب رسالتهم المشهورة برسالة الخمسة والسبعين، ندّدوا فيها علانية بالأخطاء التي ارتكبتها إدارة الحماية في حق المشروعية المغربية ونادوا فيها بلزوم تدارك ذلك قبل فوات الأوان، ثم أقدموا بعد ذلك على تعبئة صفوفهم بإنشاء جمعية تعمدوا إطلاق عبارة "كونسيانس فرانسيز Conscience française" أو الضمير الفرنسي عليها، عندئذ خطا أصحاب "بريزانس فرانسيز" خطوة التنظيم المحكم، فأحدثوا "الاتحاد من أجل الوجود الفرنسي" الذي تركب من أعضاء الجمعية الأصلية، إضافة إلى أعضاء جمعية استعمارية متطرفة أخرى اسمها "اتحاد المغرب" كان صاحبها المحامي جاك ڤيس Jacques Vaysse، فبات الاتحاد الجديد الممثل الموضوعي للسواد الأعظم من الساكنة الاستعمارية بالمغرب ينحشر فيه صعاليك الاستعمار وجيش ما كان يسمى عندهم بصغار البيضان، ممن كان لا ينتمي حتى للجنسية الفرنسية، وإنما دخل المغرب من إسبانيا أو إيطاليا أو مالطا أو كوريسكا هروبا من شقاء مسقط رأسه وبحثا عن لقمة العيش ليومه، وكانوا محتشدين بأحياء المعارف والصخور السوداء (الروشنوار) بالدارالبيضاء، وبحي المحيط بالرباط، يشتغلون عمالا أو مقدمين على العمال المغاربة (كابرانات) بالمعامل، أو موظفين في الرتب الدنيا من الوظائف الخاصة أو العامة، أو في الشرطة بالأحرى، وكان ذلك أعز ما يصلون إليه من الاشغال، إذ كانوا يسلّون فيها عن حقارة أصولهم الاجتماعية بما كانوا يمنحون من السلطة على عموم المغاربة. ولما أضحى هذا الجيش المقطوع عن جذوره مهدداً في مستقبله بالمغرب، أصبح كتلة بشرية هائلة قابلة لتكون أداة تناور على المسؤولين عن الحماية بالرباط أو بباريس، ولم يتورع زعماء الجمعية عن تسخيرها لأغراضهم. ومن أولئك الزعماء من كان مكشوفا مصرحا به، ومنهم من كان واقفا من وراء بعض الستور. فأما القادة الرسميون فكان منهم الدكتور إميل إيرو Emile Eyraud البيطار، وكان موظفا أول الأمر في مصلحة تربية الماشية، ثم تسلق سلم الترقية الاجتماعية إلى أن صار مدير جريدة لاڤيجي *La Vigie*، وانتخب رئيس الهيئة الثالثة الممثلة للمعمرين في مجلس شورى الحكومة. وكان منهم الدكتور فرنان كوس Fernand Causse وكان طبيباً ماهراً في توظيف مهنته لكسب الزبناء السياسيين، ذا شعبية واسعة في أحياء المعارف والروشنوار، وكان منهم الكاهن جارو Jarraud الذي لم يخف كُساء الرهبان ما كان منطويا عليه من حب التصرف في الرقاب، وكان منهم المحامي جان بوسكي Jean Busquet زعيم فرع منظمة "صلبان النار" الفاشستية بالمغرب، وكان منهم أيضا المحامي بيرنار لي كورولير Bernard le Coroller وكان صديقاً حميماً لعبد الرحمان الحجوي حاجب السلطان الزائف محمد بن عرفة، وجميعهم كانوا على اتصال دائم بالتهامي الأگلاوي وشيعته العميلة، وبأنصارهم من كبار المسؤولين الفرنسيين بالمغرب أو بفرنسا أمثال بونيفاس Boniface رئيس ناحية الدارالبيضاء إلى حدود شتنبر 1953، وجميع المسؤولين عن الشرطة، والجنرال گيوم Guillaume، ومن خلفه الجنرال جوان Juin، وبعض رجال الأعمال أمثال بوساك Boussac وإميل روش Emile Roche الذين كانوا يمدونهم بالمساعدات المعنوية والمادية. هذا إضافة إلى وقوف صحافة ماس Mas الاستعمارية إلى جانبهم مباركة أعمالهم الإرهابية ومحرضة لهم عليها، سواء في ذلك "لاڤيجي *La Vigie*" أو لي بيتي ماركان *Le petit Marocain* بالدارالبيضاء، أو ليكو دي ماروك *L'Echo du Maroc* بالرباط أو لي كوريه دي ماروك *Le Courrier du Maroc* بفاس.

كانت أساليب عمل الجمعية هي أساليب كل المنظمات الفاشستية، فكانت تمارس الإرهاب الفردي والجماعي رداً على انتفاضة الشعب المغربي، واشتد تكالبها مع تطور الأحداث وتفاقم الأوضاع داخل المغرب وخارجه، بحيث كانت مرحلة شتنبر 1953 إلى يونيه 1954 مرحلة تنظيم واستنفار وكان المقيم العام ما زال هو الجنرال گيوم والحكومة بفرنسا حكومة جزيف لانييل Joseph Laniel اليمينية المتصلبة، إلا أنها أقدمت في أيامها الأخيرة على تعويض گيوم بمقيم عام مدني هو فرانسيس لا كوست Francis Lacoste الذي جاء بإرادة فتح الحوار مع الوطنيين المغاربة، لكن بشرط أن يُجعل حدّ لأعمال الفداء، فاستفادت جمعية بريزانس فرانسيز من تلكؤ المقيم العام

الجديد لتنتقل إلى درجة عليا من العنف، سيما وأن الحكومة بفرنسا كانت تغيرت وأسندت الأمور فيها إلى ماندیس فرانس Mendés - France في شهر يونيه 1954، وكان من مخططاته تصفية الوجود الفرنسي بالهند الصينية بعد هزيمة ديين بيين فو Dien Bien Phu النكراء في ماي السابق من تلك السنة، وكان مصراً أيضاً على فتح باب الحوار مع الوطنيين التونسيين من أجل منحهم الاستقلال الذاتي. يضاف إلى هذا توفق الفدائيين المغاربة في كيل بعض الضربات الهائلة لأقطاب الاستعمار وبريزانس فراسيز بوجه أخص. ففي مراكش وقع رئيس الناحية الكولونيل دوطفيل d'Hauteville متخنا بالجراح مما أصابه من رصاص الفداء يوم 21 يونيه 1954، وفي الدارالبيضاء تمّ اغتيال الدكتور إيرو زعيم الجمعية يوم 31 يوليوز الموالي، فصارت عصاباتها المجرمة تقتل وتدمّر على مرأى ومسمع من الشرطة الاستعمارية وأحيانا برجالها وبأسلحتها، وهكذا ذهب ضحيتها المحامي عمر السلاوي (1 شتنبر 1954) ورجل الأعمال الطاهر السبتي (2 يناير 1955) والعديد من الأبرياء المغمورين من أبناء الشعب المغربي الذين كانت تقام في صفوفهم غزوات عنصرية دنيئة كانت تسمى في لغة "بّريزانس فرانسيز" بالراطناد Ratonnade أو محق "البيكو Bicot"، وكذلك تعرض لإرهابهم بعض أحرار الساكنة الفرنسية أمثال جاك ريتزير Jaques Reitzer رجل أعمال، وأنطوان مازلا A. Mazella رئيس تحرير جريدة ماروك بريس التقدمية، والمحامي جان شارل ليگران Jean Charles Legrand الذي كان يرافع عن الوطنيين والفدائيين لدى المحاكم الاستعمارية، لكنهم خرجوا كلهم سالمين من الرصاص أو القنابل الموقوتة، إلا مدير ماروك بريس جاك لوميكر دوبروي Jacques Lemaigre-Dubreuil فإنه سقط قتيلا يوم 11 يونيه 1955.

كانت وقاحة الجمعية الإجرامية قد بلغت ذروتها منذ الإطاحة بحكومة ماندیس - فرانس في شهر فبراير من تلك السنة وتعويضه بإدگار فور Edgar Faure وكان من أهداف فور الرئيسية فكّ العقدة المغربية مثلما كان سلفه ماندیس فرانس قد فكّ عقدتي الهند الصينية وتونس، ولتلك الغاية تم تعويض فراسيس لاكوست الذي بات أسيراً لضغوط بّريزانس فرانسيز بمقيم عام جديد هو جلبير گرانڤال Gilbert Grandval في شهر يونيه 1955 وكان مذكورا بصرامته وأفكاره المتفتحة في شؤون الاستعمار، فضاق أعضاء الجمعية ذرعاً بذلك بما كان يُستشف منه من قرب فتح حوار رسمي بين الحكومة الفرنسية والوطنيين المغاربة، وفي طليعتهم ملكهم المنفي محمد بن يوسف، ولذلك انتقلوا إلى أسلوب الضغط الجماهيري على الإقامة العامة بإقامة مظاهرات احتجاجية على نوايا الحكومة الفرنسية وعلى جلبير كرانڤال ممثلها الذي صار لا يبدو في مناسبة من المناسبات الرسمية العمومية إلا واصطدم بالصياح المعادي والشعارات الاستفزازية، وكانت أعمال الفداء لم تفتر هي كذلك بل تفاقمت في صيف 1955 وأضحت جنائز الأوربيين الذين كانوا يسقطون قتلى من جرائها، مناسبات لتعبير الساكنة الأوربية عما كان قد دخلها من اليأس والهلع، وظنت الجمعية أنها كانت قد سيطرت على الشارع وأنها قادرة أن تنال من صرامة گرانڤال مثلما كانت قد نالت من تخاذل سلفه، لكنه ما أن أمر بطرد الدكتور كوس من المغرب أواخر شهر يوليوز حتى تبين أن الجمعية لم تكن سوى هباء ودعاية مسعورة، تبلور شأنها وتضخم حجمها من جراء مساندة إدارة الحماية العليا لها وتغاضيها عن جرائمها، وكفى المقيم العام أن يبدل بعض المديرين وأن يبدي استعداداً لتقصي الحقائق لتظهر "بّريزانس فراسيز" على ما كانت عليه في الواقع، عصابة من الإرهابيين وظفوا لصالحهم قلق الساكنة الأوربية على مستقبلها بالمغرب. ولا أدلّ على ذلك من عودة أعضائها إلى العجرفة العلنية غداة استقالة گرانڤال أواخر شهر غشت 1955 ولدى تعيين الجنرال بوايه دو لاتور Boyer de la Tour مقيما عاما بالرباط خلفاً له، وكان من ضباط الشؤون الأهلية فيما مضى، وكان ماندیس فرانس استعمله ستاراً لإقرار سياسة التفاهم مع الوطنيين التونسيين حيث كان عينه مقيما عاماً بتونس، وكان قد عانى هنالك أشد المعاناة من المعمرين الفرنسيين الذين رموه بالخيانة والاستخفاف بمصالحهم، فلما عين بالرباط جاء وشغلُه الشاغل أن لا يصطدم بنفس الأمر في المغرب، فجعل من أعضاء "بّريزانس فرنسيز" طرفاً معنياً بمستقبل البلاد، فمروا في مقيميته من مرحلة أخرى من العتو والفساد، وإن كانت حيويتهم في تلك الأسابيع الأخيرة من فترة الحماية تشبه حيوية المحموم المحتضر، ذلك أن الحكومة الفرنسية كانت قد فتحت باب التحاور المباشر مع الوطنيين في إيكس لي البان Aix Les Bains منذ أواخر غشت، وكانت قد بعثت بالجنرال كاترو Catroux إلى مدغشقر لإطلاع الملك الشرعي على ذلك في شهر شتنبر. ثم إن حركة الفداء في المدن والقرى تحولت ابتداء من فاتح أكتوبر 1955 إلى حرب تحررية في البوادي والأوعار، فأدرك الجنرال بوايي دو لاتور أن تعيينه بالرباط لم يكن إلا ستاراً لتصفية الحماية الفرنسية بالمغرب، فاستقال يوم 11 نونبر الموالي فأقيل، وكان التهامي الأگلاوي قد أعلن يوم 26 أكتوبر عن توبته وعن ضرورة جعل حد للأزمة بإرجاع المشروعية إلى نصابها، وعاد محمد الخامس إلى فرنسا وأُعلن عن استقلال المغرب، ثم كانت العودة المباركة إلى الرباط فلم يجد أعضاء "بّريزانس فرانسيز" أمامهم إلا حلّم ذلك الملك الهمام الذي لم يتورع عن استقبال بعض أقطابهم ضمن من استقبل من أعضاء الجالية الفرنسية فعمهم بعفوه وخلّى بينهم وبين أغراضهم بالمغرب على أن لا ينسوا واجبات الضيوف.

S. Bernard, *Maroc 1943-1956*, Université Libre de Bruxelles 1963 ; Hervé Bleuchot, *Les libéraux français au Maroc, 1947-1955*, Université de Provence 1973 ; Pierre Boyer de la Tour, *Vérités sur l'Afrique du Nord*. Paris, 1956 ; L. Cerych, *Européens et Marocains 1930-1956*, Brugges 1964 ; Gilbert Grandval, *Ma mission au Maroc*, Paris, 1956 ; C. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes 1415-1956*. Paris, 1978 ; P. July, *Une République pour un Roi*, Paris, 1974.

إبراهيم بوطالب

بْرِيَشْ، قرية، ويحمل هذا الاسمَ في الوقت الراهن ثلاثةُ مواقع : واحد على مجرى واد تهدارت، والآخر في مرحلة وسطى بين واد الغريفة وواد تهدارت، والثالث بين اثنين سيدي اليمني وثلاث الريساني. والواضح أن أقدم هذه القرى، هي التي أشار إليها البكري باسم نبرش، حين وضعها على طريق أصيلا النافذ إلى طنجة من جهة الساحل. وتنتمي هذه القرية القديمة إلى فرقة أولاد خلوف من قبيلة الغربية، وهي واقعة بين مصبي واد تهدارت وواد الغريفة. يجاورها هناك دوار الشريف والصخرة. وقد أخبرنا بنفس الموقع برناردو رديگس، صاحب *حوليات أصيلا* وسماه Brias. وكانت القرية خلال وجود البرتغاليين بأصيلا وطنجة خالية، اتّخذت مبانيها ملجأ لمجاهدي جبل حبيب، وطالعا بالنسبة لجنود أصيلا.

تقع قرية بريَش واد تهدارت على الضفة اليمنى من نفس النهر، مباشرة بعد قنطرة الطريق السيار، بجوار قرية المرس. ويحتل الموقع الثالث موقعاً سهلياً بجوار منابع واد حرتن من قبلة البدور الخلطية، بفرقة البدور، في منتصف المرحلة بين اثنين سيدي اليمني وثلاثاء الريسانة، بجوار أولاد يحيى وأولاد موسى.

أ. البكري، *المغرب*، ص 112.

Bernardo Rodriques, *Anais de Arzila*. 1 : 261, 2 : 60. 168.

حسن الفگيگي

بريشة، أسرة فاسية كانت تُعرف بأسرة الحُميدي قبل أن تتخذ لقب بريشة، وقد انتقلت إلى تطوان في منتصف القرن الحادي عشر الهجري. وأثناء الحرب المغربية الإسبانية سنة 1860 هاجر جل أفراد هذه الأسرة إلى شفشاون باستثناء التاجر الحاج عبدالكريم بريشة الذي توجه إلى مسقط رأس أسرته بفاس.

وتوجد بتطوان عدة أماكن تحمل اسم هذه الأسرة مثل زنقة بريشة الواقعة بحومة الملاح البالي وفندق بريشة الذي كان بزنقة بين الفنادق، ومثل برج بريشة، وجنان بريشة.

وقد اشتهرت عدة شخصيات من هذه الأسرة بتطوان.

محمد ابن عزوز حكيم

بريشة، عبد السلام بن الحاج عبد الرحمن من أبرز وجوه المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي بمدينة أسفي. أصله من عائلة بريشة التطوانية المعروفة. ولد بتطوان سنة 1910، وصحب أخاه الأكبر السيد محمد بريشة حين عين هذا الأخير أمين الديوانة بأسفي سنة 1915. فنشأ بها وكان له نشاط ملحوظ في الحركة الوطنية السياسية، ثم في حركة المقاومة إبان أزمة 53 . 1956.

توفي بأسفي سنة 1377 / 1957.

عبد الرحيم العطاوي

بريشة، عبدالكريم (الحاج ـ) بن محمد ولد بتطوان سنة 1830/1246 وقرأ مبادئ العلوم بمسقط رأسه، ولما بلغ الثالثة والعشرين من عمره توجه سنة 1853/1269 إلى مصر للتجارة بها، لكنه ما أن حلّ بالسويس حتى قرر التوجه إلى جدة حيث استقر وفتح بها متجراً لمدة ثلاث سنوات حج خلالها مرتين. وفي أوائل سنة 1856/1272 عاد إلى تطوان ومكث بها سنة ثم توجه إلى فاس حيث عيّنه السلطان مولاي عبدالرحمان أمينا بمرسى الدارالبيضاء.

وفي أواخر سنة 1275/ يوليوز 1857 أُعفي من أمانة الدارالبيضاء وعاد إلى مسقط رأسه حيث تزوج في أوائل سنة 1276 وهي السنة التي غزت فيها القوات الإسبانية أرض المغرب. وعندما أصبحت تطوان مهددة بالسقوط بيد المعتدي توجه عبدالكريم بريشة مع أسرته إلى فاس حيث اشتغل بالتجارة والتحق في نفس السنة بانجلترا وظل بها

إلى أن غادرت القوات الإسبانية مدينة تطوان سنة 1862/1278. فعاد بريشة إلى مسقط رأسه وظل به إلى سنة 1864/1281 حيث توجه مرة أخرى للتجارة بانجلترا لمدة ثلاث سنوات.

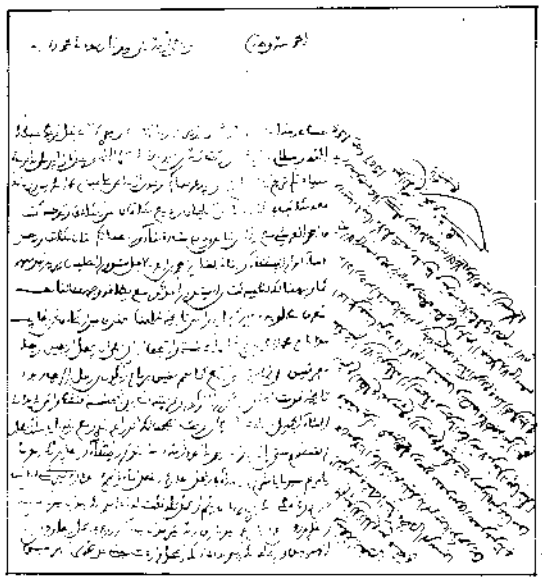

عاد بريشة إلى تطوان في أواخر سنة 1867/1284 ولم تمض أيام حتى ورد الأمر السلطاني بتوليته أمينا بمرسى مدينته، وبعد سنة حلّ محلّه في المنصب المذكور أخوه الحاج محمد بريشة لمدة سنة، فعاد عبدالكريم بريشة إلى مزاولة نفس المنصب الأول أمينا عاماً بين الداخل والخارج بدار المخزن لمدة ثلاث سنوات.

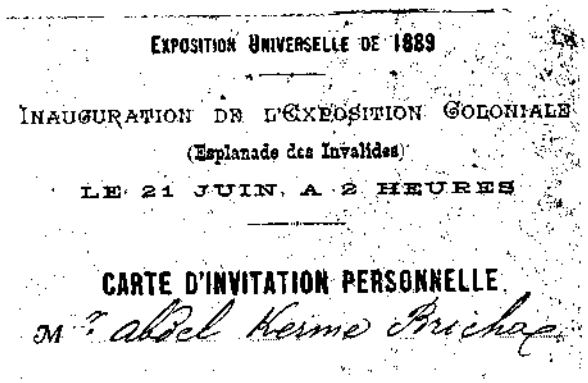
EXPOSITION UNIVERSELLE DE 1889

INAUGURATION DE L'EXPOSITION COLONIALE

(Esplanade des Invalides)

LE 21 JUIN, A 2 HEURES

CARTE D'INVITATION PERSONNELLE.

M. Abdel Kerim Brichat

وفي شهر ذي القعدة 1294/نوفمبر 1877 رافق السفير عبدالسلام السويسي في سفارته إلى مدريد لتهنئة الملك الإسباني بمناسبة اعتلائه للعرش. وفي شهر جمادى الثانية من سنة 1295/يونيو 1878 بعثه السلطان سفيراً لدى ملك إسبانيا الفونصو الثاني عشر لمباشرة قضية سانطا كروث ذي ماربيكينيا Santa Cruz de Mar Pequeña المنصوص عليها في الفصل الثامن من معاهدة الصلح المبرمة بتطوان سنة 1860، وكاد بريشة ينجح في مهمته حيث قبلت الحكومة الإسبانية مبدأ التخلي عن القضية المذكورة مقابل تعويض مالي يدفعه لها المغرب لولا وجود عراقل دستورية حالت دون تمكن الحكومة الإسبانية من تنفيذ الاتفاق الذي حصل بين بريشة ووزير خارجية إسبانيا السنيور سيلفيط Silveta.

وفي سنة 1880/1297 عيّنه السلطان بجانب وزير خارجية المغرب محمد برگاش الذي مثل المغرب في المؤتمر الدولي المنعقد بمدريد لدراسة قضية الحماية الشخصية وانتهى بتوقيع المعاهدة الدولية ليوم 3 يوليوز 1880.

وخلال المدة المتراوحة بين سنة 1881/1298 وسنة 1886/1303 توجه عبدالكريم بريشة إلى الخارج لقضاء أغراض خصوصية للسلطان مولاي الحسن الأول، ومن سنة 1887/1304 إلى سنة 1888/1305 استقر بتطوان يباشر تجارته الخاصة.

وفي شهر ذي الحجة عام 1305/غشت 1888 عيّنه مولاي الحسن ممثلا للمغرب في المعرض الدولي الذي أقيم بباريس، وتم تدشينه يوم 21 يونيو 1889 (22 شوال 1306). وعاد بريشة إلى المغرب في شهر صفر 1307/أكتوبر 1889 واستقر بتطوان إلى أواخر سنة 1309 حيث قام برحلته الثالثة إلى مكة المكرمة.

وفي شهر رجب 1312/يناير 1895 أرسله السلطان مولاي عبدالعزيز سفيراً لدى ملكة إسبانيا الوصية على العرش من أجل إعادة النظر في المعاهدة المغربية الإسبانية المبرمة بمراكش يوم 27 شعبان 5/1311 مارس 1894، وفي يوم 4 شعبان 31/1312 يناير 1895 عندما خرج بريشة من الفندق الذي كان يقيم به بمدريد تقدم إليه الكولونيل الإسباني

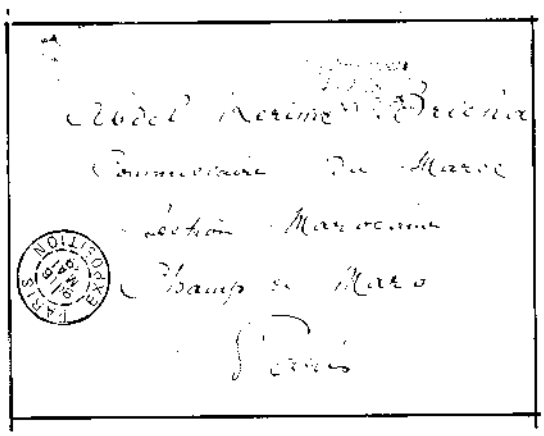

المتقاعد فوينطس Fuentes وصفعه صفعة قوية جعلت السفير يعود إلى الفندق ويمتنع عن التوجه إلى القصر الملكي لتقديم أوراق اعتماده، غير أنه بعد أن اتضح أن الأمر يتعلق بعمل قام به نزق مختل وأن الشرطة ألقت عليه القبض ومثل أمام المحكمة، توجه بريشة إلى القصر الملكي حيث نزلت الملكة من عرشها وتقدمت إليه مقدمة جميع أنواع الاعتذار قائلة له :(أتأسف من صميم فؤادي على الاعتداء الذي وقع عليكم وأني أشعر بألم تلك اللطمة داخل قلبي).

وقد سهل هذا الحادث مأمورية السفير حيث وافقت الحكومة الإسبانية على تعديل معاهدة مراكش باتفاقية أسقطت مليون وأربعمائة ألف ريال من قيمة الغرامة الحربية الناتجة عن حرب مليلية لعام 1893.

وما أن عاد الحاج عبدالكريم بريشة إلى المغرب وعلم السلطان بنتائج سفارته حتى أنعم عليه بخمسين ألف ريال. وتجدر الإشارة إلى أن بريشة عاد من قادس إلى طنجة على متن البارجة الحربية رينا ريخينطي Reina Regente التي تركته بطنجة يوم 9 مارس ولكنها لم تعد إلى قادس حيث ابتلعتها أمواج البحر ومات طاقمها المتكون من 400 بحار.

توفي الحاج عبد الكريم بريشة بتطوان يوم الجمعة 10 محرم 11/1315 يونيو 1897.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 35 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 4 : 289.195، 5 : 231.229 ك 6 : 387.175.171.166، 7 : 328 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 321.

Becher, *España y Marruecos*, Madrid, 1903, p. 171 a 294.

بريشة، عبدالواحد الذي عُين يوم فاتح يناير 1930 أمينا للصائر بمشور الخليفة السلطاني بتطوان إلى يوم فاتح أبريل 1932 حيث عُين حاجباً للخليفة السلطاني مولاي الحسن بن المهدي.

بريشة، العربي بن محمد المولود سنة 1844/1260 الذي خلف الحاج محمد بن العربي الطريس على رأس عمالة الدارالبيضاء. وقد توفي سنة 1899/1317.

بريشة، محمد بن عبدالسلام. يعد الشخصية الثانية بعد الحاج عبدالكريم في أسرة بريشة التطوانية التي لعبت دوراً بارزاً في الحياة السياسية والمالية بالمغرب في عهد السلطان مولاي عبدالرحمان وسيدي محمد بن عبدالرحمان ومولاي الحسن الأول.

ولد المترجم له بتطوان وبها قرأ مبادىء العلوم والتحق بالخدمة المخزنية وهو دون الثلاثين من عمره، حيث نجده يشغل منصب أمين الصائر بدار المخزن بمراكش سنة 1829/1245.

وعلى يديه جرت عملية أداء مال الغرامة المفروضة على المغرب من جراء الحرب التي أعلنتها إسبانيا ضد المغرب سنة 1859/1276، وبهذا الصدد يمكن أن نقول إنه لا توجد وثيقة من بين آلاف الوثائق المخزنية المتعلقة بمال الغرامة لم تكن صادرة عنه وموجهة إلى السلطان أو الصدر الأعظم أو الأمير مولاي العباس، أو تكون موجهة إليه من واحد منهم، أو ورد اسمه فيها على الأقل خلال الفترة المتراوحة بين سنة 1860/1277 وسنة 1883/1301.

وهكذا يكون المُترجم قد قضى نصف قرن من عمره في خدمة بلاده إلى أن وافته المنية يوم 3 محرم 23/1302 ديسمبر 1884.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 36 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 4 : 294، 329، 5 من 14 إلى 133، 8 : 193، 270، 327، 424.

بريشة، محمد بن **محمد** الذي استخدم أمينا بمرسى الرباط ومرسى تطوان، وناظراً على الأحباس بتطوان إلى أن وافته المنية سنة 1899/1317.

بريشة، محمد بن محمد بن عبدالسلام، تولى الأمانة في كل من الرباط والصويرة ومراكش وفاس والعرائش وطنجة في عهد السلطان مولاي الحسن ومولاي عبدالعزيز، إلى أن فُرضت الحماية على المغرب حيث عاد إلى مسقط رأسه.

وفي 23 محرم 23/1346 يوليوز 1927 عُين على رأس باشوية تطوان ثم أُعفي منها يوم 20 شعبان 23/1345 فبراير 1931. وقد توفي بتطوان يوم 28 ذي القعدة 26/1359 ديسمبر 1940 ودفن بالزاوية الحراقية.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 35 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 5 : 37، 228، 231، 6 : 132، 133 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* ؛ *الجريدة الرسمية* لمنطقة حماية إسبانيا بالمغرب سنة 1940، ص 216 وسنة 1932، ص 443.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

بْريط، جوزيف دومينيك Bréthes, J. D. يرتبط اسمه بمجموعته من النقود التُحَفيّة المشهورة (مجموعة بنك المغرب حاليا) وبكتابه المطبوع سنة 1939 عن النقود المغربية، ولم نعثر على تفاصيل موسعة عن حياته. فهو من أصل فرنسي، استقر في الدارالبيضاء بعد تقديم خدمات كضابط في الجيش الفرنسي، له خبرة بعلم الآثار كما تفيد مقدمة كتابه، وساهم في التَنْقيبات الأثرية حيث عثر في إحدى الحفائر سنة 1929 على بعض القطع النقدية من

مجموعته، وقد اشتهر بالخصوص باهتمامه بعلم المسكوكات، ويعتبر أحد أشهر هواة جمع النقود القديمة مختصاً في العملات المغربية، بحيث تعدّ دراسته من بين أهم المراجع في تاريخ المسكوكات المغربية.

المجموعة النقدية : تحدث بريط في *فهرسه العام* عن أماكن الحصول على مجموعته القيمة التي شملت كلاً من المغرب والجزائر وتونس، وهذه المجموعة تعتبر أجمل وأنفس مجموعة نقدية إسلامية في العالم، ذلك أنها تحتوي على ما يناهز اثني عشر ألف قطعة، وتقدم تصوراً وافياً عن تاريخ السكة بالمغرب منذ الفتح الإسلامي إلى يومنا هذا، كما أنها تحتوي على طائفة هامة من النقود القديمة لفترة ما قبل الإسلام، تتكون من قطع تعود للعهد الإغريقي والروماني ومجموعة من النقود الإسلامية المشرقية والمغربية، وتكتنز ثروة عظيمة من المعلومات الخاصة بتاريخ مختلف الأسر الإسلامية الحاكمة وخاصة منها المغربية، وتاريخ الأحداث المالية والاقتصاد عموماً.

تنفرد مجموعة بريط النقدية بخصوص تاريخ المغرب بوجود مجموعة من السلاسل النقدية التي تبرز صورة منتظمة لواقع العملة الاسلامية بالمغرب بما في ذلك عهد الولاة من قبل الأمويين بالمغرب والأندلس وعهد العباسين، ثم الأدارسة ومغراوة بفاس وبني مدرار بسجلماسة، وكذا عهد المرابطين والموحدين والوطاسيين وبني عبدالواد بتلمسان ومدى ارتباطهم بتاريخ المغرب، وكذا العهدان السعدي والعلوي، وهذا مما يفسح المجال للتفكير في كتابه تاريخ عام للنقود بالمغرب.

وقد كان الحظ حليف هذه المجموعة حينما قام بنك المغرب باقتنائها من صاحبها جوزيف بريط سنة 1950، وظلت لمدة عشر سنوات دون أن تكون موضوع دراسة علمية. وفي سنة 1960 عمد بنك المغرب إلى الاستعانة بقسم النقود والأوسمة التابع للمكتبة الوطنية بباريس، فوضع رهن إشارته أحد خبراء علم المسكوكات الإسلامية المشهورين وهو دنيال أُسطاش Dàniel Eustache بتوصية من جورج كولان، وقد سبقت لأُسطاش معرفة بتاريخ المغرب واهتمام بعلم المسكوكات عندما شغل منصب القيم بخزانة معهد الدراسات العليا المغربية بالرباط ما بين سنة 1949 و1955 ثم انتقل إلى المكتبة الوطنية بباريس ما بين 1956 و1968، وقد أعير أثناءها خلال 1960. 1961 لبنك المغرب؛ ثم التحق بالمركز الجامعي للبحث العلمي بعدها مكلفاً بقسم الدراسات في بنك المغرب في أعوام 1968 و1976 ورجع بعدها إلى فرنسا متقاعداً، حيث توفي هناك في 19 يناير 1991.

ونلخص أهم الأعمال التي أنجزها بريط بخصوص هذه المجموعة النقدية في إطار بنك المغرب فيما يلي :

في إطار بنك المغرب فيما يلي :

- قام بوضع *فهرس عام* لهذه المجموعة بعد تصنيفها تاريخيا ما بين سنة 1960 و1961.

- أشرف على تأسيس معرض دائم لهذه المجموعة بوكالة بنك المغرب بالدارالبيضاء يتضمن 2099 قطعة مختارة من أصل 12.000 قطعة معروضة حسب التسلسل التاريخي في تسع عشرة واجهة، وقد وقع تدشين هذا المعرض من قبل جلالة الملك الحسن الثاني بتاريخ 30 أبريل 1964، وأبدى اهتماماً بالغاً بهذا العمل، غير أن المعرض الآن لا يزار إلا بإذن خاص.

- أنجز - بإشراف بنك المغرب - جزءاً هاماً من مشروع يهدف إلى كتابة موسوعة خاصة بتاريخ النقود بالمغرب، اعتماداً على مجموعة البنك وغيرها من المجموعات، وقد أصدر منها: *الجامع في الدراهم الإدريسية* سنة 1970، *والجامع في النقود العلوية* في ثلاثة أجزاء سنة 1964، ومجموعة من المقالات في مختلف المجلات. ويشتغل الآن أحد الباحثين في إعداد *الجامع في النقود السعدية*.

فهرس بريط، عنْونه بمساهمة في *تاريخ المغرب من خلال أبحاث في المسكوكات* طبعت بالدار البيضاء سنة 1939، صفحاته 275 ص رتبت مادتها في أحد عشر فصلا، خصص بعد المقدمة الفصل الأول للنقود النوميدية والموريطانية، والفصل الثاني للنقود العربية قبل الإسلام، وخصص بقية الفصول للأسر المغربية الحاكمة وبعض الإمارات الناشئة سواء في المغرب أو في الجزائر وتونس. وكانت منهجيته مبنية على أساس إعطاء نبذ تاريخية متبوعة بجدول أنساب الأسر الحاكمة، ثم يخلص إلى فهرسة أهم القطع المعروفة كنماذج مصنفاً إياها على أساس دور الضرب، وعلى أساس المعادن التي صنعت منها، مع تقديم أوصافها ومقاييسها وأوزانها. وقد حلّى هذا الفهرس بـ 43 لوحة خاصة بنماذج واضحة للقطع النقدية في مختلف العهود وبعض الأوسمة ذات المضمون التاريخي، وألحق بالفهرس نصين عربيين مترجمين حول السكة.

وإذا كانت هذه الفهرسة ذات أهمية بالغة لأنها أضافت جديداً في بابها وتعد مرحلة متقدمة بالنسبة لفهرسة لافوا Lavoix فهي موسومة ببعض المآخذ كما أنها لا تتوفر على فهارس عامة مما لا يسهل معه الوصول إلى المعلومات المقصودة عن طريق مداخل مفهرسة.

بنك المغرب (وكالة البيضاء) - *معرض النقود القديمة والإسلامية*، تقديم السيد محمد الزغاري، الرباط 1962.

J. D. Bréthes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, Casablanca, 1939 ; D. Eustache : *Corpus des Dirhams Idrisites et Contemporains*, Collection de la Banque du Maroc et autres collections mondiales Publiques et Privées, Rabat, 1970- 1971, p. 15-21 ; *Corpus des Monnaies Alawites*, collection de la Banque du Maroc et autres collections mondiales, Rabat, 1984, 3 t ; *L'Ambassade du Royaume du Maroc à Paris*. - Une Exposition consacrée à la monnaie marocaine. (La collection de la Banque du Maroc) Paris, 1976.

عمر أفا

بريطل، أسرة مغربية معروفة ربما كان أصلها من الأندلس، وبريطل تصغير لكلمة برطال Pordal الإسبانية التي تعني العصفور. وقد عاش آل بريطل في المناطق التي نزح إليها المهاجرون الأندلسيون : تطوان وسلا والرباط.

وقد انقرضوا من تطوان في حدود عام 1100 / 1689، ويُذكر من بين أفراد هذه الأسرة التطوانية الفقيه عيسى بن علي بريطل كان يزاول خطة العدالة سنة 1091 / 1680. ومع ذلك لم تنقطع الصلة بين تطوان وآل بريطل في سلا والرباط، إذ نجد رئيس البحر الحاج عبد الرحمان بريطل الرباطي تصنع له كسوته الحربية بتطوان سنة 1243 / 1828، كما نجد السلطان مولاي عبد الرحمن يأمر باشا تطوان سنة 1250 / 1834 بأن يختار بعض الشبان التطوانيين ويوجههم لتعلم الملاحة على ظهر سفينة الرايس بريطل الرباطي، أما آل بريطل السلويون فأغلبهم مقرئ مجود مدرر، عرفت كتاتيبهم بأسمائهم في مختلف أحياء المدينة، ومنهم بحريون مجاهدون يعملون في المدفعية وغيرها.

وأسرة بريطل التطوانية ليست هي أسرة برطيل ولا أسرة براطيل.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 283 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

بريطل، إبراهيم (الحاج ـ) كان أميناً بمرسى الرباط أيام المولى سليمان، وقد امتُحن مع أمناء الرباط وسلا وقاضي الرباط وناظره وعدوله على يد وزير السلطان محمد بن عبد السلام البخاري السلاوي في فاتح شوال عام 1226 / 20 أكتوبر 1811، وسجنوا جميعاً بحبس قصبة الأوداية، ولم يخرجوا منه إلا يوم الاثنين 15 ذي القعدة على أن يؤدوا ذعيرة قدرها سبعة قناطر (من المال) فدفع الأمين إبراهيم بريطل نصيبه من هذا المال المردود وهو تسعمائة مثقال واثنا عشر مثقالا وخمس أواق وبذلك انتهت محنته.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري، 366 و368.

بريطل، أحمد السلوي، كان من رياس البحر، أدرج اسمه بهذه الصفة في قائمة المستفيدين من الصلات السلطانية المنفذة للمجاهدين. الأولى غير مؤرخة، والثانية مؤرخة بثامن وعشري حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 85 و171.

بريطل، بناصر بن عبدالرحمن. ولد بالرباط عام 1902/1319 وبها نشأ وتعلم على يد والده القاضي عبدالرحمن وغيره. وتولى خطة القضاء بأولاد فرج بدكالة عام 1933/1352، ثم بالرحامنة فزعير فأحواز الرباط. وفي خضم مآمرة سنة 1953، التي شارك فيها إلى جانب الاستعماريين أذنابهم من رجال السلطة المغاربة، رُقي بناصر بريطل إلى قضاء عاصمة الرباط حيث بقي يعمل إلى أن حصل المغرب على الاستقلال، فعزل وأصيب بنوبة قلبية قضت عليه أواخر سنة 1956.

م. ابن سودة، *قبيلة زعير*، 2 : 152،155.

بريطل، الطاهر بن محمد الرباطي "الفقيه العلامة الخير المدرس العدل" بهذا حلاه العربي التهامي الوزاني في معجم شيوخه. كان من الشهود المبرزين في سماط عدول الرباط. وقد أخره القاضي عبد الرحمن بسبر مدة ثم رده إلى الخطة. وكان يقوم في نفس الوقت بالتدريس في المسجد الأعظم، والخطبة به وبالزاوية الناصرية. وكانت وفاته بالرباط في عاشر شعبان عام 1282 / 13 دجنبر 1865، ودفن بالزاوية التهامية.

م. بوجندار، *الاغتباط*، 316 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1282 ؛ م. دينية، *مجالس*، 187.

بريطل، عبد الرحمان (الحاج ـ) الرباطي من رؤساء البحر البارزين في العدوتين. لما عزم المولى عبد الرحمان بن هشام على إحياء البحرية المغربية اعتمد بالأساس على الرئيسيين الحاج عبد الرحمان بريطل وعبد السلام بن الفقيه. ووجه إليهما ظهيراً مؤرخاً في 26 قعدة عام 1241 يأمرهما فيه بالخروج إلى عرض البحر الكبير (المحيط) والبحث عن مراكب دول أوربية معينة لا تربطهم معاهدة سلم بالمغرب، كما أمرهما بالمداومة على قراءة حزب القرآن وحزب البحر صباحاً ومساءً.

وإلى جانب ذلك كان الحاج عبد الرحمان بريطل يقوم بتفقد قطع الأسطول المغربي في مختلف المراسي، ويشير على المخزن بما يلزم من إصلاح وغيره. كما كانت تقام له كسوة بحرية ممتازة على يد صناع تطوان.

توفي بعد عام 1250 / 1834.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 132، 134، 149.

بريطل، عبد الرحمان بن **بناصر** الرباطي. فقيه موقت مشارك، درس بمسقط رأسه على إبراهيم التادلي وأبي حامد البطاوري، وبفاس على أحمد ابن المامون البلغيثي. ولي خطة الشهادة والتوثيق ثم القضاء بالقنيطرة وأحواز مكناس ثم أزمور والعرائش والجديدة وغيرها. ولم

تكن هذه الوظائف تعوقه عن القيام بمهمة التدريس التي كان شغوفاً بها، حتى يقال إنه كان يلقي بمدينة مكناس خمسة دروس في اليوم، في قواعد اللغة والفقه والحديث والحساب والتوقيت. وخلّف مجموعة *نوازل* في مجلدين وتقييداً *على شرح عقود الجمان* للسيوطي، وكتابة *على اللوغاريتمات*، وختم *فرائض المختصر*. من أشهر تلاميذه الرباطيين المدني ابن الحسني، ومحمد السايح، ومحمد بوجندار.

توفي بالرباط في 5 ربيع الثاني عام 1363 / 30 مارس 1944. (كذا في *الإتحاف*، وحسب *أعلام الفكر* : توفي يوم عاشر صفر 1363).

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1363 ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 2 : 336.

بريطل، عبد الله السلوي، من طلبة القرآن المتخرجين من الكتاتيب، كان من بين سبعة طلاب سلويين اختيروا لنجابتهم ليتعلموا اللغة الإيطالية في طنجة قبل إرسالهم في بعثة تعليمية إلى الخارج (رسالة محمد برگاش إلى نائبه الطريس في 25 قعدة 1302) ثم نجد اسم عبد الله بريطل ضمن قائمة الطبجية المجاهدين السلويين الذين شملتهم صلة الحسن الأول بتاريخ 28 حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، 2 : 185 و224.

بريطل، العربي بن إبراهيم السلوي. من المجاهدين البحريين الذين نالوا صلة الحسن الأول بتاريخ 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 84.

بريطل، محمد بن إبراهيم السلوي، أستاذ ابن أستاذ، اشتغل بشؤون البحر، وأدرج اسمه في قائمة المنعم عليهم بصلة الحسن الأول في 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875، وفي القائمة الثانية المخصصة "للطبجية الواقفين على باب الجهاد بمحروسة سلا" بتاريخ ثامن وعشري حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 84 و170.

بريطل، محمد بن الطاهر السلوي أستاذ مقرئ وبحري يعمل في فرقة المدفعيين الطبجية، وبهذه الصفة استفاد من الصلة التي خصها الحسن الأول للمجاهدين البحريين السلويين في 16 قعدة 1292 / 14 دجنبر 1875، والصلة الثانية المؤرخة في ثامن وعشري حجة عام 1311 / 1 يوليوز 1894.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 84 و170.

بريطل، محمد بن عبد الله السلوي (الحاج ـ) الأستاذ شيخ القراء بسلا في عصره، المدعو "ابّا الفقيه". كان يحفظ القرآن بالقراءات السبع، ويعلم الصبيان طيلة حياته في كتّاب يحمل اسمه بحومة باب حسين. وقد كتب بيده مصاحف شريفة في غاية الضبط والاتقان، أحدهما محفوظ بالخزانة العلمية الصبيحية بسلا (رقم 20).

وقد انفرد صاحب *إتحاف المطالع* فوصفه "بالعلامة المشارك القاضي" نقلا عن الشيخ جعفر بن أحمد الناصري، وهي صفات لم يذكرها له غيره خاصة ولاية خطة القضاء. ويوجد اسم الأستاذ الحاج محمد بريطل في قوائم المدررين وحفّاظ القراءات السبع بمدينة سلا المستحقين للصلات الخاصة، إحداها مؤرخة في تاسع عشر شعبان عام 1278 / 19 يبراير 1862.

توفي بسلا عن سن عالية عام 1334 / 1915.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 2 : 421 ؛ م. بوشعراء، *ملحق الإتحاف الوجيز*، 154 ؛ *التعريف ببني سعيد*، 2 : 55-53 ؛ م. حجي، *الخزانة العلمية الصبيحية بسلا*، 53.

بريطل، مَحمد بن محمد السلوي، ابن الأستاذ شيخ جماعة المقرئين سابق الترجمة. فقيه أديب، عين عام 1318 / 1900 عدلا بالمرسى، ثم أصبح سنة 1332 / 1913 مدرساً بأول مدرسة عصرية فتحها الفرنسيون بسلا في دار ابن عطار بباب حساين (مدرسة البنات حالياً) إلى أن توفي قريباً من موت والده في فاتح قعدة عام 1335 / 19 غشت 1917.

رواية شفوية عن العدل السيد عبد النبي النجار.

محمد حجي

بريف Brives، أستاذ في الجيولوجيا كان يدرس في مدرسة العلوم بالجزائر (وصارت كلية للعلوم فيما بعد) أوفدته السلطات الاستعمارية من الجزائر إلى المغرب ليجوب أراضيه ويسبر تشكيلته المورفولوجية ويستنبط بنيته الجيولوجية بحثاً عن مقدراته المعدنية ويجمع المادة العلمية لرسم الخريطة الجيولوجية المدققة للبلاد، وكانت رحلته الأولى بأمر من رڤوال Révoil يوم كان والياً عاماً على الجزائر وامتدت من 3 دجنبر 1901 إلى 25 فبراير 1902، جاب أثناءها مناطق المدن الكبرى كالدار البيضاء ومراكش والجديدة والرباط ومكناس وفاس والرباط مرة أخرى ثم العرائش فطنجة. وكانت الرحلة الثانية بأمر من جونار Jonnart خلف رڤوال على كرسي الولاية الجزائرية وتشجيع من أوجين إتيين Eugène Etienne زعيم حزب الاستعمار بفرنسا، وامتدت من 22 يوليوز إلى 7 أكتوبر من سنة 1902 زار أثناءها منطقة الحوز وقبائلها وبعض أودية الأطلس الكبير الغربي وأبوابه المؤدية إلى سوس. وكانت الرحلة الثالثة من 3 يناير إلى 30 ماي 1904 فانطلق من طنجة وزار وزان ثم فاس ثم العرائش ثم الصويرة ثم أسفي ثم بلاد سكساوة وإدا ومحمود وإدا وتنان فسوس. وكانت الرحلة الرابعة من 15 غشت إلى 10 أكتوبر 1905 مر فيها من الجديدة ومراكش وسكساوة وبلاد احمر فالجديدة في ختام المطاف. وكانت الرحلة الخامسة والأخيرة من 10 نونبر 1906 إلى 24 يوليوز 1907 زار أثناءها الصويرة والشياظمة وتوقف مرتين ضيفاً على القائد الطيب الگندافي. ولقد دوّن بريف مشاهداته وارتساماته ورسومه الجغرافية في كتاب ضخم جاء في مجلدين يقف القارئ فيه على بعض المعطيات الملموسة من واقع المغرب قبل الحماية معززة بصور، هي وإن اصفر لونها، إلا أنها مازالت تفصح من تلقائها عن عادات أسلافنا في اللباس والحلاقة والسكن وألعاب الأطفال مثلا.

ومما تميز به بريف أنه قام برحلاته تلك، إذا ما استثنينا الرحلة الأولى، رفقة زوجته وتوغل معها في الأفاق والأوعار دون أن يعترض سبيلهما أحد ولا ألحق بهما أي مكروه، مما يفند ما كانت تروجه الصحف الأوربية وموظفو القنصليات من انعدام الأمن وعموم الفوضى في المغرب آنذاك، قال :"لقد كنا نرتدي لباسنا الأوروبي باستمرار ولم يكن معنا من السلاح سوى مطرقة الجيولوجي واستطعنا مع ذلك دخول المناطق التي كانت مازالت مجهولة من الأطلس مثل مناطق إدا ومحمود وادا وتنان التي يشاع أنها لا تخترق، بل جبنا سوس نفسه، تلك الحديقة الإسلامية التي مازالت إلى اليوم ممتنعة عن الأوربيين". وقال عن فاس لما زارها في رحلته الأولى :"لقد استطعت أن أتجول هنا وهناك في أحياء المدينة ولم يحصل لي من ذلك أي مضايقة، ولباسي نفسه قليلا ماكان يثير الانتباه". لكن آخر رحلاته صادفت مقتل الدكتور موشان Mouchamp بمراكش وبداية تنفيذ المؤامرة الاستعمارية المبيتة فلم يفت بريف أن يلمس ما أضحى يقلق بال المغاربة حيث قال :"إن هؤلاء الناس لا يحبون الأوربيين لأنهم يخشونهم". وكان الرحالة على بينة تامة من الغاية الاستعمارية من تجواله حيث قال :"إن كانت النتائج المحصل عليها خلال هذه الرحلات وإن كان لما مارسناه من التاثير على الأهالي ما من شأنه أن يخدم قضايا فرنسا في هذا البلد الذي هي مطالبة بالأخذ بزمام أموره، فإننا لن نندم على ما عانينا من المتاعب والقلق".

وقام بريف برحلة خاصة إلى جبال بني إزناسن حصر فيها ملاحظاته عند اهتماماته الجيولوجية وكان ذلك في شهر فبراير 1908.

A. Brives, *Voyages au Maroc 1901 - 1907*, Paris, 1909 ; *Les Beni - Snassen*, Alger, 1908.

إبراهيم بوطالب

بريكْشَة، قرية تقع على مسافة حوالي 19 كلم شمال وزان، وتنسب إلى قبيلة الرهونة في جبالة المنتمية إداريا إلى فخذة أولاد ابْرُونْد، جماعة بريكشة، دائرة مقريصات، إقليم شفشاون، بعد أن كانت منتمية في إحصاء 1971 إلى دائرة وزان في إقليم القنيطرة. وتتكون الآن من أربع وحدات سكنية تخترقها الطريق الثلاثية الموصلة إلى الطريق الرئيسية رقم 28 الرابطة بين مكناس وتطوان عبر وزان.

تتوطن الوحدات السكنية الأربع على سفوح وقمم تلية منخفضة نسبيا، يتراوح مستواها بين 250 و310 متر. وتتكون الصخور الزاحفة من طفْل وزان الأبيض الباليُوسيني الذي يمكّن الشُعب الكثيفة والمنابع العديدة من التفرع نحو اللكُوس أو رافده وادي زَنْدولة.

كما هو الشأن بالنسبة لباقي أجزاء الجماعة، تظل الكثافة السكانية مرتفعة نسبياً (فوق 80 ن/كلم2) وتتخذ الدواوير بنيات متجمعة ومواضع معلقة. أما تطور عدد سكان بريكشة والدواوير المتاخمة لها فبرد على النحو التالي :

الدواوير	1971	1982
بريكشة	395	382
زرّادون	312	360
ليبابْرة	289	277
المجموع	996	1019

يتجلى من خلال هذا الجدول أن نسبة نمو المجموعة السكنية شبه راكدة، بل هي سلبية بالنسبة لزرّادون وحتى بالنسبة لبريكشة التي تعتبر مقر قيادة الجماعة وأهم قرية فيها من حيث التجهيزات الاقتصادية والاجتماعية. ولعل مرد هذا التراجع السكني يكمن بالخصوص في حدة النزوح القروي، نفوراً من الامكانيات الفلاحية المحلية الهزيلة. ذلك أن زراعة الشعير والذرة جد ضعيفة، نظراً لوعورة التضاريس ورداءة التربة وعتاقة أسلوب الاستغلال. إضافة إلى ذلك، لا تغطي الحبوب سوى مساحات متقلصة ومتقطعة، رغم التساقطات الوافرة (800 مم سنويا) وتقدم الاجتثاث في جزء كبير من السفوح. والحالة هذه، تمثل مغارس الزيتون موردا ذا قيمة بالغة، كما يشكل الرعي نشاطا تكميليا حيويا يقوم على استغلال الأراضي البائرة والأحراش والغابات في الغرب (زيتون بري، مصطكا، فستق) والغابة الفلينية المتصلة في الجنوب الشرقي.

موقع بريكشة

مديرية الاحصاء بالرباط، السكان القرويون حسب الاحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1971 وسنة 1982 ؛ أطلس المغرب، اللجنة الوطنية الجغرافية المغربية، الرباط ؛ أ.الغرياوي، خريطة جيومرفولوجية لشبه الجزيرة الطنجية، لوحة الشاون، مقياس 1/100.000، الرباط، 1981.

مصطفى عياد

بْريگولي، گريگريو Bregoli، كولونيل إيطالي رئيس البعثة العسكرية الإيطالية بالمغرب. حل بفاس سنة 1888 ليُسير ماكينة السلاح التي أنشأها السلطان الحسن الأول حتى أُعفي من منصبه سنة 1895.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1469-1470 ؛ *الوثائق المغربية*.

J-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 4 : 99-100.

مصطفى بوشعراء.

بيريل Beryl (زمرد صابوني) هو عبارة عن سيليكات الألومنيوم والبريليوم $Al_2Be_3(Si_6O_{18})$، سداسي الأوجه، على شكل موشورات ممددة مقناة أو مستديرة تحتوي على كسور محارية تنفرد بتحدد ألوانها الكثيرة الوضوح أحيانا، صلابته 7,5-8 ؛ كثافته 2,63-2,80 ؛ ألوانه متنوعة، أصفر إلى أصفر مخضر (الهيليدور) إذا ما كان مختلطا بعناصر نادرة كالكروم (Cr) والأورانيوم (U) وبقايا الحديد (Fe)، أزرق أخضر أو شبيه بلون الماء(زمرد ريحاني) إذا ما كان مختلطا بعناصر نادرة كالكروم (Cr) وبقايا الحديد (Fe)، أخضر عميق (زمرد)، وقليلا ما يكون البيريل عديم اللون ؛ لمعانه زجاجي.

يوجد معدن البيريل بكثرة بالگرانيت (أعبل) والبجماتيت، وقليلا في النضيد الميكائي والكلس الحمري المتحول.

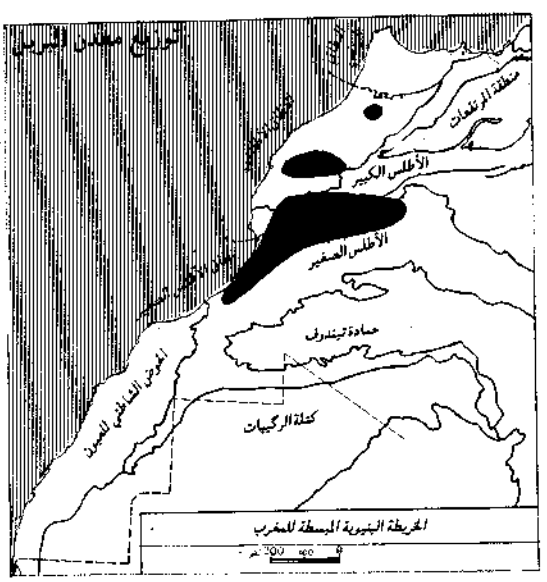

أهم مكامن البيريل بالمغرب تتمركز أساساً في البجماتيت الاعبلي الموجود بالأطلس الصغير الغربي (سهول تازناخت، بهرة، إگر، أگادير ملول، آزرار) ؛ والأطلس الصغير الشرقي (تيوين، أفرمت، إغرم تسيلي، منطقة ورزازات، أنو إيشو، جبل صَغرو).

هناك بعض الدلالات للبيريل بأزگور، وفي الصخور الكلسية المتحولة إلى سكارن بالجبيلات، والمصاحب إما للبجماتيت بالرحامنة أو لعروق الجرانيت والمرو في أُلماس (مكمن القيريت) حيث البيريل مجتمع مع معدن القصدير، سواء في العروق أو في جيوب الميكا.

يستعمل البيريل في الصباغة، وصناعة منافذ مصابيح الأشعة السينية، وفي الميدان النووي مثل إنتاج أو تبطئة النترونات، وكذا لتهيئة التريسيوم ؛ في الصناعات المعدنية كتهييئ البرونز أو كمضاد للتأكسد بالنسبة لسيل بعض خلطاء المعادن ؛ وصناعة الخزف.

رغم وجود البيريل في أُلماس وأزگور والرحامنة والجبيلات، فإن الأهمية الاقتصادية لم تتمثل في الماضي سوى في صخور البيجماتيت لتازناخت وأكردة بالأطلس الصغير.

مدخل إلى جيولوجيا المغرب، مجلة المناجم والجيولوجيا، منشور إدارة المعادن والجيولوجيا والطاقة ـ عدد 41، 1977.

A. Foucault et J. F. Raoult, *Dictionnaire de géologie*, 3ème éd., Paris, 1988 ; E. Saaidi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (français - arabe)*, Rabat, 1990 ; J. Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*, Paris, 1986 ; Rudolf Duda et Lubis Rejl, *La grande encyclopédie des minéraux*, Paris, 1989 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (substances métalliques et non métalliques associées)*, 2ème Ed., tome 1, Notes et mémoires du Service Géologique n° 276, 1980 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains (Phosphates)*, 2ème Ed., tome 3, Notes et mémoires du Service géologique ; P. Lapadu - Hargues, *Précis de minéralogie*, Paris, 1954.

عبدالقادر بوسحابة

بَرِيم (أيت ـ) قبيلة تقع شمال الأطلس الصغير، جنوب شرق تزنيت، شاركت غيرها من قبائل سوس الأقصى في مختلف الأحداث السياسية الهامة التي توالت على المنطقة منذ بداية القرن التاسع عشر على الأقل. نذكر منها :

ـ حركة أغناج الحاحي على عهد السلطان مولاي سليمان.

ـ زيارة مولاي الحسن التي عين بمناسبتها الشيخ يحيى البريمي قائداً على أيت بريم في 13 شعبان 1299.

ـ حَرَكَة أحمد الهيبة التي انخرطت فيها قبيلة أيت بريم، كسائر قبائل سوس الأقصى.

شاركت أيت بريم في مواجهة حملات جيوش الاحتلال الفرنسي، التي توالت على سوس منذ انهزام أتباع أحمد الهيبة في معركة سيدي بوعثمان. من جملة هذه الحملات حركة القائد حيدة مايس، وحملة الجنرال دولاموت التي شارك فيها قواد الحوز وهوارة وحاحة وهشتوكة.

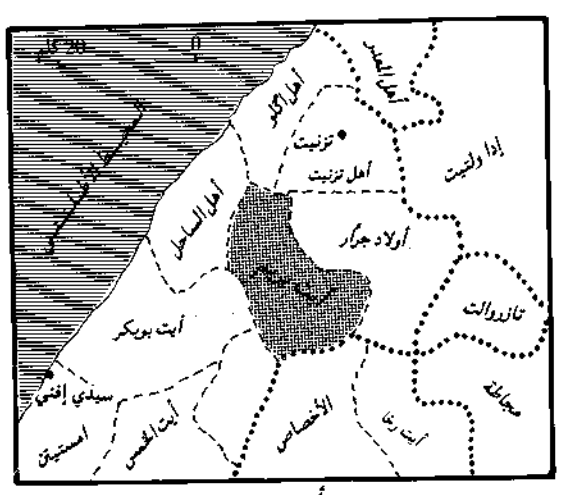

أيت بريم

اشتهرت أيت بريم في مجال المعرفة بفضل مدرستين علميتين تقعان بترابها : المدرسة البونعمانية، والمدرسة البوعبدلية. ولعل أشهر فقهاء المدرسة البوعبدلية الشيخ المحفوظ الأدوزي، الذي تولى مهمة التدريس بها من نحو 1314 إلى غاية 1331.

ومن معالم أيت بريم الدينية زوايا بني نعمان البكريين، التي كانت لها شهرة بين القرنين السابع والثامن الهجريين. ولم يبق منها إلا قباب مشيدة على أضرحة بعض الصالحين منهم.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 13 : 5 و303 ؛ *سوس العالمة*، ص. 165 ؛ *رسالة* من القائد أحمد بن الطاهر : ابلاغ السلطان مولاي الحسن في 15 رجب 1303 هـ ؛ م. الاكراري، *روضة الافنان*، ص. 109. ت. حمدي أنوش، ر.د.د.ع الرباط، رقم 120.

علي المحمدي

بَرِيم، خوان بُراطس Prim Juan Prats جنرال إسباني ولد بمدينة ريبوس بمقاطعة كاطالونيا يوم 6 ديسمبر 1814، وعندما وجبت عليه الخدمة العسكرية فضل البقاء بالجيش حيث شارك في الحرب الأهلية الإسبانية لسنة 1835 وبفضل شجاعته نال رتبة ملازم في نفس السنة ورتبة قبطان في السنة الموالية، كما أنه شارك في جميع الحروب الأهلية التي عرفتها بلاده من سنة 1836 إلى سنة 1843، وفي سنة 1844 حكم عليه بالسجن ست سنوات بسبب مشاركته في مؤامرات ضد النظام الملكي، غير أن العاهل عفا عنه، وفي شهر أكتوبر من سنة 1847 عيّنه حاكماً عاماً بمستعمرة بويرطو ريكو Puerto Rico بأمريكا حيث ظل إلى غاية شهر سبتمبر من السنة التالية، وفي سنة 1850 انتخب نائبا في البرلمان وفي سنة 1856 عُين حاكما عاماً بمقاطعة غرناطة.

وعندما أعلنت الملكة الإسبانية إيسابيل الثانية Isabel II الحرب ضد المغرب في شهر أكتوبر 1859 كُلف بَرِيم برآسة الفرقة الاحتياطية بالجيش الذي غزا المغرب انطلاقاً من سبتة، وكانت العملية الحربية الأولى التي شارك فيها هي معركة الفنيدق المعروفة عند الإسبانيين بمعركة كاسطيبخوس Castillejos التي جرت يوم فاتح يناير 1860 وقد انتصر فيها الجيش الإسباني بفضل الشجاعة التي أظهرها بَرِيم عندما تدخل شخصيا في المعركة للحيلولة دون تقهقر الجنود الإسبانيين، وهذا ما جعل الملكة الإسبانية تنعم عليه يوم 13 مارس 1860 بلقب ماركيز دي كاسطيبخوس Marques de los Castillejos.

بريم : معركة الفنيدق يوم 1.1.1860

وفي شهر ماي 1860 عاد بَرِيم إلى بلاده، ثم ذهب إلى مكسيكو Mexico بأمريكا حيث شارك في الحرب التي كانت قائمة هناك من سنة 1861 إلى سنة 1864 وهي السنة التي عاد فيها إلى إسبانيا وشارك في جميع المؤامرات

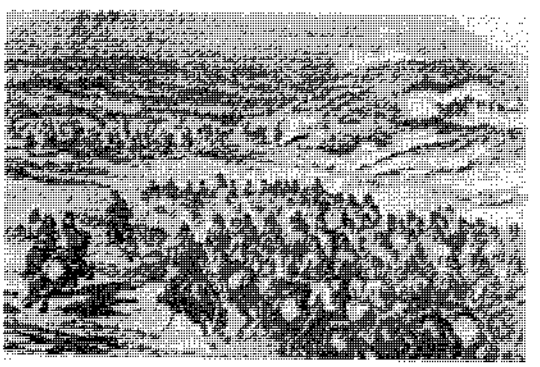

المدبرة ضد النظام القائم في بلاده، وفي يوم 30 ديسمبر 1870 لقي حتفه نتيجة لاعتداء وقع عليه وهو آنذاك رئيس للحكومة الثورية.

F. Jimenez, *Historia militar politica del excmo. Sr. don Juan Prim, conde de Reus*. Madrid 1860 ; F.J. Orellana, *Historia del general Prim*. Barcelona 1872 ; H. Leonardon, *Prim*, Paris 1901 ; Enciclopedia Espasa Calpe, t. 47, p. 390.

محمد ابن عزوز حكيم

بريمُو ذي رِفيرا، جنرال إسباني Primo de Rivera، ولد بمدريد سنة 1870، وبعد تخرجه من الأكاديمية العسكرية شارك في جميع الحروب التي خاضها الجيش الإسباني بشمال المغرب من سنة 1909 إلى سنة 1913.

وعندما كان حاكماً عسكرياً بمقاطعة قادس ألقى في الأكاديمية الملكية الإسبانية الأمريكية بالمدينة المذكورة يوم 25 مارس 1917 محاضرة تحت عنوان "استرجاع جبل طارق Recuperacion de Gibraltar" طالب فيها بضرورة العمل على استرجاع جبل طارق من يد انگلترا في مقابل أن تسلم لها مدينتا سبتة ومليلية والجزر المغربية التابعة لهما، فكانت النتيجة أن أُعفي من منصبه.

وفي سنة 1923 عندما كان حاكما عاما بمقاطعة كاطالونيا قام بعمل مماثل للعمل الذي قام به الديكتاتور موسوليني Mussolini بإيطاليا، حيث أعلن يوم 13 سبتمبر رفضه للوضع القائم بإسبانيا ونصب نفسه ديكتاتوراً على البلاد، ولم يكن بوسع الملك الفونصو الثالث عشر إلا أن يبارك عمله فكلفه بتأليف حكومة جديدة من العسكريين، وكانت النتيجة أن صدر الأمر بحل البرلمان وتوقيف العمل بالضمانات الدستورية وإلقاء القبض على كل من سولت له نفسه الوقوف في وجه النظام الجديد، كما فرضت الرقابة على الصحافة ومنعت الأحزاب السياسية من ممارسة نشاطها.

وحيث إن المشكل الرئيسي الذي كانت تعاني منه الدولة الإسبانية آنذاك هو الحرب القائمة بشمال المغرب، فقد كان أول عمل قام به الجنرال بريمو دي رفيرا هو تنصيب نفسه مقيما عاما لبلاده بتطوان يوم 16 أكتوبر 1924، وكان الغرض من ذلك القضاء على المقاومة المسلحة المغربية التي كان يقودها الشريف الريسوني بالناحية الغربية والأمير الخطابي بالناحية الشرقية.

ويتضح من الوثائق السرية التي نتوفر عليها أن الجنرال صاحب الترجمة لم يكن في أول الأمر يريد الوصول إلى مبتغاه باستعمال القوة، بل كان يرى من الأفضل اللجوء إلى المفاوضة مع كل من الخطابي والريسوني على أساس منح المنطقة نوعا من الاستقلال الذاتي والاقتصار على احتلال بعض المدن المغربية الشاطئية مثل مليلية وسبتة وتطوان والقصر الصغير وأصيلا والعرائش والقصر الكبير.

وهذا ما يفسر عملية الجلاء عن جميع المراكز المحتلة داخل التراب المغربي التي وقع الشروع فيها في شهر نوفمبر 1924، غير أن عملية الجلاء عن مدينة شفشاون وحدها كلفت الجيش الإسباني خسائر فادحة حيث فقد في معركة واحدة جرت في أشروطة الجنرال سيرانو وريفي Serrano Orive و82 من كبار الضباط و700 من الجنود، الشيء الذي جعل رؤساء الجيش الإسباني وضباطه يعلنون عدم رضاهم عن سياسة التخلي عن جزء من شمال المغرب المتبعة من لدن الجنرال بريمودي رفيرا، وقد تزعم حركة المعارضة الكولونيل فرانكو Franco الذي كان يَرأس اللفيف الأجنبي، وكانت النتيجة أن تخلى الجنرال المذكور عن منصب الإقامة العامة يوم ثاني نوفمبر 1925 وبدأ يسعى إلى إبرام حلف مع فرنسا يمكنه من القضاء على الثورة الريفية.

وفي يوم 28 يناير 1930 قدم الجنرال استقالته من رآسة الحكومة وغادر بلاده متوجها إلى باريس حيث وافته المنية يوم 16 مارس من نفس السنة.

م. ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية*، تطوان 1983.

G. Martinez Campos, *España bélica. El siglo XX (Marruecos)*. Madrid 1972, p. 103, 141, 285, 288, 291, 303, 311, 320.

بريهْمُو، أسرة كانت بتطوان وانقرضت سنة 1863/1280 واسمها تصغير لاسم إبراهيم.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

البريهي، أسرة فاسية، أصلها من ناحية تازا. اشتهر منها بفاس رجلان كان لهما دور كبير في الحفاظ على موسيقى الآلة والنهوض بها خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر للهجرة، وهما عبدالسلام البريهي وابنه محمد.

البريهي، عبدالسلام. ولد بفاس أواسط القرن الثالث عشر، وبها توفي عام 1311هـ. تلقى تعليمه الموسيقي عن الحاج حدو بن جلون شيخ الموسيقيين بفاس، وكان من أبرز تلامذته وأبرعهم حفظاً وعزفاً وإنشاداً.

وقد عايش - خلال سنة 1303- حدثا فنياً كبيراً تمثل في مراجعة كناش محمد بن الحسين الحايك من طرف لجنة ضمت شيوخ الموسيقى الأندلسية يومئذ، تحت إشراف السيد محمد بن العربي الجامعي وزير المولى الحسن الأول. وقد انبثق عن أعمال هذه اللجنة وضع مجموع جديد تعارف الناس - منذئذ - على تسميته باسم *مختصر كناش الحايك*، وأصبح يضم مستعملات الموسيقى الأندلسية في صورتها الجديدة كما أصبح العمل به جاريا في الأوساط الفاسية. ونشره - حديثا - رئيس جوق البريهي بفاس الحاج عبدالكريم الرايس تحت اسم *من وحي الرباب*.

ولا يستبعد أن يكون الفنان عبدالسلام البريهي من بين الذين شاركوا في أعمال لجنة المراجعة، وذلك لسعة إلمامه بمستعملات الموسيقى الأندلسية ومكانته من بين رجالها بمدينة فاس. ومن هنا نسب إليه أنه كان وارث سر المدرسة الفاسية الجديدة. ولا غرو فقد استطاع أن يبث *المختصر* وينشر محتواه على نطاق واسع، وذلك من خلال شيوخ

"الآلة" الذين أخذوا عنه، وعلى الأخص منهم ابنه محمد البريهي، والفقيه محمد المطيري، وعمر الجعايدي.

البريهي، محمد بن عبدالسلام، ولد بفاس عام 1850/1267، ونشأ في حجر والده، فتأثر به تأثراً كبيراً، وتلقى تعليمه الموسيقي على يده، فكان يحضر دروسه بدار الجامعي، ثم انخرط في مجموعته الفنية. وسرعان ما غدا من فطاحل المطربين، يحفظ الكثير من التراث الأندلسي، ويتقن أداءه، ويجيد العزف على الرباب حتى قيل إنه لا يضاهيه أحد في صناعة الرباب.

وقد لعب محمد البريهي دوراً بارزاً في ترسيخ العمل بمختصر *كناش الحايك* وإشاعة مستعملاته. ومن أجل تحقيق مراميه الفنية أسس جوقاً ضم نخبة من العازفين والمنشدين بفاس، كان يلقنهم أصول المدرسة الفاسية، ويتنقل بهم عبر المدن المغربية، وبذلك جمع إلى معرفته الواسعة بتراث الموسيقى الأندلسية إحساساً قوياً بمسؤولية رعايتها وضمان استمراريتها، فكان فناناً ومعلماً موجهاً.

وقد توفي بفاس عام 1945.

ع. بن عبدالجليل، *مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية* ؛ سلسلة عالم المعرفة، ع. 65، رجب - شعبان 1403/مايو 1983، ص. 205 و206 ؛ ي. الشامي، *موسيقى الآلة، نوبة العشاق*، ص. 18.

عبدالعزيز بن عبدالجليل

البرِّيش، قرية تقع بفرقة أولاد خلوق من قبيلة الغربية شمال مدينة أصيلا، وهي التي سماها أبو عبيدالبكري "نبرش" ولعلها هي التي أطلق عليها الرومان اسم رأس هيرميس Hermes.

Comision historica. *Geografia*, p. 489 ; *Campañas*, t. 2, p. 738.

محمد ابن عزوز حكيم

بَرِيم ← بَرْيَم

بَرْيَج، من القرى التي اختفت من الخرائط، نتيجة وقوعها بالتراب المحتل بمنطقة سبتة داخل الحدود المرسومة في الوقت الحاضر. عرّف بها محمد بن القاسم الأنصاري السبتي في كتابه : *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*. كانت واقعة بالساحل الشمالي من ظهر سبتة (جبل غمارة)، بين قرية النارنج المندرسة وقرية بليونش الباقية، أي الساحل الذي يدعوه الإسبان في الوقت الحاضر بساحل "بنزو Bensu".

تتألف أراضي القرية من منخفض وشاطئ صغير يضيقان معا بين مرتفعين، ويمر بالمنخفض واد المقصرة، حسبما سماه الأنصاري. والقرية موطن أهل الأنصاري يعرفها جيداً، تكونت من ولجة ومقبرة وعين غزيرة تدعى عين علي، وبها مطحنة واحدة. وحقولها مشهورة بالغلات الصيفية.

فضل سكان بزيج الهجرة إلى مواطن داخلية أكثر أمنا، إثر الغارة المنظمة على قرية النارنج المجاورة لها على الساحل من جهة الشرق يوم 30 شتنبر 1415. وقد بني الإسبان فوق بقعة مسجد القرية برجاً. ومنذ بداية القرن الخامس عشر لم نسمع عن القرية وأهلها أي شيء.

م. الأنصاري، *اختصار الأخبار*، ص. 26، 49، 56 ؛ م. السراج، *خلاصة تاريخ سبتة بالأثر والمأثور*، ص. 35.

Gomes Eanes Azurara, *Cronica de D. Pedro de Meneses*. chap, 24, p. 82 ; Vicente Tofiño. *Derroteo de las costas*, p. 32.

حسن الفكيكي

البزاز، أسرة سلوية عريقة، لعلها أصلها من الأندلس، ولا ندري إن كان لها صلة بمحمد بن البزاز آتي الترجمة الذي كان قاضياً للمرابطين بمراكش أوائل القرن السادس (12م). ويذكر منهم بسلا فقهاء ومدررون، ومجاهدون قائمون بشؤون البحر، وتجار ونظار وصناع من أرباب الخبرة والبصر.

البزاز، أحمد (الحاج ـ) كان يسكن مع خمسة نفر من أهله داراً في حي بوقاع القريب من السوق الكبير، وبهذه الصفة نال حظاً من الصلة التي أنعم بها الحسن الأول على أهل مدينة سلا في خامس حجة عام تسعين ومائتين وألف / 24 يناير 1874.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 80.

البزاز، عبد السلام (الحاج ـ) كان من المجاهدين المشتغلين بشؤون البحر، وبهذه الصفة أدرج في زمام الصلة التي أنعم بها الحسن الأول على الطبجية وغيرهم بتاريخ 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 84.

البزاز، العربي، من رجال "الطبجية الواقفين على باب الجهاد لمحروسة سلا" الذين وصلهم الحسن الأول بصلة سنية في ثامن وعشري حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 170.

البزاز، عمر، كان مقرئاً مدرراً في كتّاب معروف باسمه، ويسكن داراً بحومة درب الأخيار تحت عقبة الجامع الأعظم حسبما جاء في قائمة إحصاء دور سلا حسب الأحياء. ويظن أن هذه القائمة محررة في أوائل القرن الرابع عشر (20 م).

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 230.

البزار (ابن ـ) **محمد** بن **حسون**، قاضي المرابطين بحاضرتهم مراكش، ولاه قضاءها للمرة الأولى عليّ بن يوسف بن تاشفين، وكتب عنه خلالها الفقيه الأديب أحمد بن الصقر الأنصاري سنة 527 / 1132 إلى أن صُرف، ثم ولي قضاء مراكش للمرة الثانية في أواخر دولة المرابطين. ولم يذكر مترجموه تاريخ وفاته.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 75 ؛ 4 : 82، نقلا عن *الذيل والتكملة* لابن عبد الملك.

البزاز، محمد بن **عبد الله**. كان مقرئاً مجاهداً بحرياً. يوجد اسمه في قائمة المستحقين للصلة التي أنعم بها الحسن الأول على المجاهدين السلويين في 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875.

م. بوشعرا، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 84.

محمد حجي

بزو - جغرافيا - وتكتب أيضا بالألف (ابزو) دائرة في عمالة أزيلال. تقع في مؤخرة الأطلس المتوسط جنوب غرب مدينة بني ملال حيث تطل من مرتفعات التلال المحاذية للضفة اليمنى لوادي العبيد وتمرُّ بها الطريق الثلاثية المؤدية من تانانت على الطريق الرئيسية بين فاس ومراكش.

يتميز هذا الموضع المنعزل بتضاريس وعرة وشديدة التقطع رغم ارتفاعاتها المتوسطة (500 إلى 600 م) ويسود المنطقة مناخ شبه جاف حيث التساقطات ضعيفة (ما يقرب من 300 م) تنزل على شكل أمطار عنيفة تؤدي إلى تعرية السفوح وترتفع الحرارة في فصل الصيف وقد تصل درجتها القصوى مع هبوب رياح الشرقي إلى 45°.

لقد عرفت هذه المنطقة تعميراً قديماً معتمداً على استعمال الموارد المحلية رغم صعوبات الوسط، ولعل هذا الاستغلال المبكر والمفرط للغطاء النباتي الغابوي (الرعي وقطع الخشب) المكون أساساً من أشجارالعرعر، كان سببا في انقراض آخر بقاع الغابة.

ومن أهم الأنشطة التي يزاولها سكان بزو ممارستهم للفلاحة الدائمة في إطار الأراضي الجماعية وأراضي الملك الخاص. وتشغل الزراعة السقوية المنتشرة أساسا على أقدام السفوح المكانة الأولى حيث تحظى بعناية كبيرة من طرف الفلاحين الذين يتعاطون انتاج مختلف الخضر والزياتين، ويعتمد السقي فيها على استغلال الآبار ومياه وادي العبيد التي تغذي شبكة من السواقي الممتدة نحو الحيازات المجهرية (5000 م2). أما الزراعة البورية فهي هزيلة وتبقى رهينة بالتقلبات في التساقطات (زراعة الحبوب)، وتلعب تربية الماشية دوراً تكميليا للموارد الفلاحية، إذ أن سكان بزو المنتمين إلى قبيلة مسفيوة البربرية الأصل يتميزون باستقرارهم وتشبثهم بخدمة الأرض. ويستعمل القطيع المكون من بعض الأبقار والأغنام وخاصة الماعز المراعي الجماعية والأراضي المجاورة للحيازات.

لقد ساعدت عوامل مختلفة على ظهور وازدهار صناعة تقليدية محلية في بزو، حيث إن قدَمَ التعمير وضعف الموارد الفلاحية جعل السكان يتعاطون صناعة النسيج المسمى "بالبزيوي" والذي نظراً لجودته العالية اشتهرت به المنطقة منذ القدم. ويعتمد هذا النشاط على استعمال يد عاملة مختصةَ وموادَ أولية دقيقة، وتُصدّر المنتجات إلى الحواضر حيث تستعملها الفئات الميسورة خاصة. وتباع محليا عن طريق المزاد العلني إلا أنَّ كلفة الإنتاج بالإضافة إلى منافسة المنتجات العصرية قد قلّص من أهميته مماساهم في تأسيس تعاونية لمواجهة هذه الصعوبات.

وباعتبار أن بزو يمثل مركز دائرة فقد عرف تنوعاً في أنشطته حيث استقطب وظائف جديدة مرتبطة بالخدمات التسييرية والاجتماعية العمومية حيث تَتركز به أهم التجهيزات التعليمية والصحية، إذ يتوفر بزو، إضافة إلى تعليم قرآني وابتدائي، على إعدادية وثانوية. وقد تحسنت الظروف الصحية به مع بناء مركز صحي بعد أن أصبح المستوصف الوحيد غير كاف لتغطية الحاجيات المحلية. كما تم خلق صندوق محلي للقرض الفلاحي لدعم وتنشيط القطاع الفلاحي. هذا مع العلم أن هذا المركز توجد به محكمة ابتدائية. وإلى جانب هذه الأنشطة عرفت الخدمات مثل طحن الحبوب وعصر الزيت، كما أن السوق الأسبوعي الذي يقام يوم الخميس في بزو يُعدّ مركزاً تجارياً مهماً بالمنطقة.

ونظرا لهذه التحولات الوظيفية عرف المركز نمواً ديمغرافيا ملموساً (2570 نسمة في 1982) حيث صنف كمركز حضري في الإحصاء الأخير. ويمكن القول إن بزو يَعيش الآن مرحلة انتقالية إذ أن صيرورة التمدين التي انطلقت به أفرزت تغيرات اقتصادية واجتماعية ومجالية جعلت الطابع الريفي لهذه القرية يتراجع.

ويتميز بزو على الصعيد المجالي بكونه مركزاً متعدد الأنوية، باهي، المدرسة، فم التاغية، الحي الاداري. وتشكل النواة الأصلية أهم تجمع سكني به ويشغل السكن الأماكن الوعرة للحفاظ على الأراضي الزراعية حيث يشرف على العموم من أعالي السفوح المطلة على مزارع حوض أمزور. أما الدور فتتكون من مباني على شكل مربعات طينية مبنية بـ"التابوت" ويتوسطها فناء أو رياض. أما فيما يتعلق بالتجهيزات الأساسية فباستثناء الكهرباء الذي يعم المركز فإن قنوات الواد الحار ما زالت منعدمة، ويوزع الماء الشروب بواسطة السقايات العمومية في انتظار تحقيق مشروع إقامة شبكة التوزيع على المنازل. ويرافق السكن خمس قاعات للصلاة وفرانين وحمّام.

ويمثل بزو مركزا دينياً حظي باشعاع كبير حيث توجد به زاويتان، ويقام به موسم سيدي الصغير في شهر شتنبر عند نهاية الأشغال الفلاحية الذي تحضره القبائل المجاورة. كما أن الملاح الذي يحمل اسم "مدينة اليهودي" يشهد على وجود سكان يهود وذلك حتى الماضي القريب حيث كان

هؤلاء يتعاطون نفس الأنشطة المحلية، وخاصة الصناعية منها. وما زال بزو يشكل محجاً لليهود في يونيه.

تحريات ميدانية.

عائشة البلغيثي العلوي

بـزُو، ـ تاريخ ـ قرية كبيرة عريقة في القدم، تقع شرقي مدينة مراكش، على بعد حوالي مائة وعشرين كلم، ضمن قبيلة هنتيفة السهل، غير بعيد عن الضفة اليسرى لوادي العبيد. وعلى الرغم من محاولة تأويل لفظ بزو فإنه يظل غامض الدلالة. فقد ذهب البعض إلى أنه بربري الأصل، مركب من أز- بو، ومعناه : كل وانصرف، فتم بعد ذلك تحريك مواقع الحروف لتصبح : أبزو. وظن البعض الآخر أنها تحريف لـ بونزو، أي صاحب الملك، فنُحتت لتصير بزو.

يمكن تقسيم بزو إلى أربع وحدات سكنية :

1 ـ أغبالو في الشمال، حيث يوجد مدفن مولاي سعيد أمغار جد مولاي عبدالله صاحب قصلوحت، بجانب والده مولاي حسين، وإليه ينتسب الشرفاء الأمغاريون في بزو. ومعظم سكانه من العرب.

2 ـ باحي في الغرب، حيث توجد زاوية سيدي أحمد بن أدادس، وهو من حفدة سيدي علي بن إبراهيم دفين أگرض. كل سكانه عرب، وقد استقروا هنالك منذ أمد بعيد، قدموا إليه من دكالة وتادلا. لكن يلاحظ وجود بعض العناصر الطارئة، كما يستشف من خلال استقراء بعض أسماء الأماكن، حيث نجد مثلا "ريف العبيد" أي حي العبيد. وهذا ليس غريبا لأن أهل بزو كانوا يمارسون التجارة البعيدة المدى. يؤكد الحسن الوزان أن تجارتهم امتدت إلى بلاد السودان (*وصف إفريقيا*، 1 : 134).

3 ـ المدرسة : نسبة إلى المدرسة التي أسسها الشيخ سيدي الصغير بن المنيار، حفيد سيدي علي بن إبراهيم. ولعل هذه المنطقة هي النواة الحقيقية لبزو، وهي المركز الحالي للمدينة. تقع شرقي باحي وشمالي أغبالو. معظم سكانها من البربر، وخاصة "أهل القلعة". وبالمدرسة ملاح قديم يدعى ملاح تيگدّمين، يقع شمالي ضريح سيدي الصغير. وعلى مقربة منه شُيد ضريح يؤمه اليهود وبعض السكان بالزيارة، يدعى دفينه "مول البرج".

4 ـ فم تاغبة، حيث يوجد ضريح "مول البرج" في الشمال الشرقي من بزو، وسكانه خليط من العرب والبربر.

اشتهرت بزو، منذ القديم، كمركز تجاري، بسبب موقعها في طريق القوافل الواصلة بين دمنات وفاس. ومن المعلوم أن هذه الطريق كانت ملتقى ثلاث طرق : طريق سجلماسة ـ تدغة ـ دمنات، وطريق درعة ـ دمنات، وطريق مراكش ـ دمنات فبزو.

يصفها الحسن الوزان قائلا :"بزو مدينة قديمة ... يجري تحتها وادي العبيد على بعد نحو ثلاثة أميال. وسكان بزو كلهم تجار أمناء حسنو الهندام، يصدرون الزيت والجلود والأغطية إلى بلاد السودان، وينتج جبلهم كثيراً من الزيت والحبوب. ومختلف أنواع الفواكه الطيبة ... وتمتد الحدائق الغناء إلى ضفة النهر" (*وصف افريقيا*، 1 : 134) يستشف من هذا الوصف أن منطقة بزو حين زارها الوزان، في بداية القرن السادس عشر، كانت كثيرة الخصب والنماء بسبب تعدد محاورها المائية. وكان في المدينة "مسجد في غاية الجمال" وازدهرت فيها حرف كثيرة، مما شجع سكانها على ممارسة التجارة البعيدة المدى، حيث وصلت بضائعهم إلى بلاد السودان. ولعل احتفاظ بزو بمكانتها الاقتصادية راجع إلى الهدوء النسبي الذي كانت تنعم به، بسبب بعدها عن الحواضر التي كانت آنذاك تعج بالفوضى والاضطراب، الشيء الذي أدى إلى اضمحلال الحركة التجارية بالمراكز الكبرى، وساعد على نمو المراكز الصغرى والهامشية، ومنها بزو.

تعززت مكانة بزو في خضم الأزمة العامة التي كادت تعصف بالمغرب في بداية القرن العاشر/ السادس عشر. فبعد استقرار البرتغاليين بتيط سنة 1513، اضطر عدد من بني أمغار إلى الهجرة إلى المناطق الداخلية، حيث أسسوا زوايا في مختلف القرى، منها باحي ببزو (*Esquisse*, 34). لعل أحد الأمغاريين ـ قد يكون هو سعيد جد مولاي عبدالله بن حسين التمصلوحتي ـ استقر في أغبالو وأقام زاوية هنالك تابعة لبني أمغار، وظل أخلافه يتوارثونها حتى اليوم.

وفي القرن الثاني عشر (18 م) صارت أغبالو أحد المراكز الصوفية ببزو. فقد انخرط بعض رجالها في سلك الطريقة الناصرية. ترجم محمد بن عبدالله الخليفتي لاثنين منهم :

البزيوي، إبراهيم بن حسين الذي "كان أستاذاً فاضلاً مجتهداً في بث تعليم القرآن للطلبة... إلى أن مات... في حدود سبعين ومائة وألف..."

البزيوي، أحمد الغزواني التمصلوحتي..." الزاهد التقي، المتواضع ... كان رضي الله عنه ذا حالة حسنة مرضية، وخلق حسان بلغ من السخاء غاية المبلغ، مع قلة ذات اليد... ومع اجتهاده في الدّين والصلاة على النبي (صلعم) وكثرة المحبة للإخوان والطلبة وأهل النسبة" (*الدرة الجليلة*، 2 : 274).

يبدو أن فرع الزاوية الناصرية في بزو قام بدور مهم في الإطعام، ونشر الثقافة الإسلامية، وترسيخ تعاليم الإسلام القائمة على الكتاب والسنة، كما هو ديدن الزاوية الأم بتمگروت، حتى كانت بزو من ضمن المراكز الصوفية الشهيرة في ذلك الوقت. وذلك راجع إلى تمسكها الشديد بالطريقة الناصرية التي كانت في أوجها آنذاك.

وظهرت في "المدرسة" زاوية ناصرية أخرى أسسها الشيخ أحمد الاكة، تلميذ أحمد ابن ناصر الدرعي. وصفه الخليفتي (2 : 274) بأنه "رجل فاضل مجتهد في دينه" وظهرت في نفس الفترة زاوية قادرية في باحي، أسسها

اثنان من أتباع سيدي أحمد بن أدادس ـ سيدي هاشم وسيدي عبدالسلام ـ سنة 1731 (*My Ismail*, 62).

وإذا كانت زاويتا أغبالو والمدرسة قد اضمحلتا، لأسباب ينبغي مواصلة البحث عنها، فإن زاوية باحي ظلت قائمة إلى عهد قريب. إلا أن الطابع العام الذي يميز زوايا بزو أنها لم تحافظ ـ في المرحلة الراهنة ـ إلا على المظهر الاحتفالي، حيث يعقد، حتى اليوم، موسم سنوي بباحي والمدرسة، يوم سابع عيد المولد، كما يقام بأغبالو موسم سنوي كذلك. بالإضافة إلى هذه الزوايا عرفت بزو تأسيس زوايا أخرى منها الزاوية الدرقاوية التي كان المدعو محمد البزيوي يتولى شؤونها في صدر الحماية (*Esquisse*, 25).

ظلت بزو تعيش في هدوء ورغد من العيش بحرفها وتجارتها وزواياها طيلة القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18.19 م) إلى أن دخل المغرب بأجمعه في ظرفية جديدة مع نهاية القرن الثالث عشر، حيث اضمحلت التجارة البرية فتدهورت على إثرها المحاور التجارية التقليدية، مما كان له تأثير على تجارة المراكز الداخلية ومن بينها بزو، وخاصة حين احتلت الجيوش الفرنسية تنبكت سنة 1311/ 1894. لذلك فلا غرابة أن يختفي ذكر بزو من المصادر المتأخرة. ولعل الحركة الصوفية اعتورها بدورها بعض التراجع في هذه الفترة، على الرغم من ظهور بعض الطرق كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وفي بداية القرن العشرين تأسست "بالمدرسة" زاوية كتانية ظلت قائمة إلى عهد قريب. ويذكر بعض عرفاء بزو أن الشيخ عبدالحي الكتاني زارها لنفس الغرض. ولعل غنى مدينة بزو الصوفي وتنوع الطرق التي ظهرت بها من الأسباب التي جعلتها تتوفر على عدة خزانات للكتب، من بينها خزانة "المدرسة" المنسوبة إلى سيدي الصغير التي ما تزال تحتفظ ببعض المخطوطات، وخزانة أحمد بن منصور قاضي بزو، التي يظهر أنها تحتوي على مخطوطات نفيسة، انتقل إليها البعض من خزانة تنغملت... بالإضافة إلى ذلك توجد مخطوطات ووثائق لدى بعض الأفراد من بينهم الأستاذ نورالدين الكتاني... لذلك ليس من الغريب أن يتم العثور في بزو على مخطوطات نادرة مثل كتاب *العرجان والعميان* للجاحظ، ومجموعة *رسائل سعدية* (*الحركة الفكرية*، 1 : 30) بالإضافة إلى *الدرة الجليلة*، *والدرر المرصعة*... *وطليعة الدعة*... *ونزهة الناظر*... وغيرها.

وهكذا آلت الأمور في بزو سنة 1912/1330 إلى نفس صيرورة المغرب عامة. فبعدما سيطر الكولونيل مانجان Mangin على مراكش، وجه طلائع جيوشه إلى دمنات وبزو (*Esquisse*, 176) ورغم ظرفية الاحتلال فإن بزو ظلت تتمتع بنمائها وبساتينها الفيحاء وخزاناتها العامرة. وصفها محمد المختار السوسي، حين زارها سنة 1935/1354، مبتهجاً بجمال طبيعتها، بقصيدة مطلعها:

أهذي جنانُ الخلد أم هذه بزُو مُنَى كلِّ نفس لو يدوم لها الفَوْزُ

ولما نزل ضيفا على أبي العباس وأبي زيد البزيويين، في ربيع 1936/1355، وصف الخزانة قائلا :"حييت يا خزانة المدرسة من بزو حيّيت حيّيت، فلقد كنت أدرت علينا ذلك النهار الذي اعتكفنا حول دفاترك الفريدة ونفائسك الفذة كأساً دهاقاً من سعادة لا يذوقها إلا المستهترون أمثالنا بكل كتاب غريب قد يقع في أيديهم، ثم يجول في أذهانهم أنهم ظفروا بضالة علمية كثيراً ما تجوب أفلاك الباحثين بحور العالم في التفتيش عنها... لا سيما حين اكتشفنا هناك كتاب *العميان والعرجان* للجاحظ" (*الإلغيات*، 3 : 77).

وينوه بعد ذلك بنجاح رحلته إلى بزو مضيفا :" فكنا بعد هذه السفرة إليك أيتها القرية البزيوية سفرة رابحة كل الربح، بما شاهدناه من بنات دفاترك في خزانتك الميمونة"، وقد اشتاق فيما بعد إلى مناجاة الطبيعة في بزو، فخاطبها بقصيدة مطلعها :

خمائل بزُو لا خمائل جلق وأجواءها لا آل كل محلق

وزارها أيضاً الشاعر الحسن البونعماني، بعد سنة، فوصف بدوره حدائق صديقه عبدالرحمن البزيوي المنصوري قائلا :

ظلالٌ ظليلات وماءٌ وخضرة فلله ما أحرزتمُ ساكني ابزُو
تخالفت الألوان فيها كأنها تفتّح للعقيان والفضة الكنزُ
ويُبهرك النارنجُ في خطراته كأن قد عراه من مباهجه هزُّ
كما تتثنّى أولُ الرقص غادةٌ برفق فلا ريثٌ لديها ولا قفزُ
وفي كل غصنٍ صادحٌ مَلأ الفضا غناءً فلا همسٌ لديه ولا ركزُ

ويسترسل في وصفه للمناظر الشاعرية التي تكثر في جنات بزو الفيحاء قائلا :"إنني أخاف على نفسي في هذه المدة أن أكون أسير بزو، ويسلبني ما أرى فيه من شتات المحاسن، ويسليني عن الحمراء ما حدث فيه من مقدمات المدنيّة المدهشة". ولم يخف اندهاشه مما صارت تعرفه بزو بالاضافة إلى محاسنها الأصلية، من جلب بعض وسائل الحضارة الجديدة. إذ وجد في بزو السيارة والمذياع والتليفون وبعض وسائل الرفاه الطارئة على بلاد المغرب إذاك (*المعسول*، 13 : 179).

واكتسبت بزو شيئا من الأهمية يبدو من خلال الشخصيات التي ترددت إليها أو زارتها، آمّين خزاناتها الغنية أو قاصدين التمتع بجمال طبيعتها، أو لأغراض صوفية أو سياسية. من هؤلاء أبو شعيب الدكالي، والمدني ابن الحسني، ومحمد المختار السوسي والحسن البونعماني وعبدالقادر بن سودة، والعباس بن إبراهيم، وعبدالرحمن ابن زيدان، وعبدالحي الكتاني، وشاعر الحمراء وغيرهم. وحتى بعض الأجانب.

ولم تتخلف بزو عن ركب الحركة الوطنية، شأنها في ذلك شأن جميع جهات المغرب. لا شك أن رد الفعل ضد الظهير البربري (16 ماي 1930) كان صداه واسعا في بزو. وحين أقدمت سلطات الحماية على نفي بعض الوطنيين سنة 1937، اهتزت ضمائر الفئة الواعية في بزو، خاصة وأن لبعض هؤلاء صلات وثيقة بها مثل محمد المختار السوسي. ولما اشتدت "الأزمة" بعد نفي محمد الخامس لم

تتوان بزو في تقديم مناضلين شاركوا في الحركة الفدائية التي شهدتها البلاد أنذاك (*الثورة الخامسة*، 1 : 605.603).

الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي و م. الأخضر، ج : 1 ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*. د. د. ع. الرباط 1986 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول : الإلفيات* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية* ؛ م. الحبيب الفرقاني، *الثورة الخامسة. صفحات من تاريخ المقاومة وجيش التحرير*، الدار البيضاء، 1990، 1.

F. de la Chapelle, *Le Sultan Moulay Ismaïl et les Berbères Sanhaja*, *A. M.*, N° 27, 1927 ; *Répertoire Alphabétique des agglomérations de la zône française de l'Empire chérifien classées par tribus et par fractions de tribus, d'aprés les résultats du recensement quinquennal du 8 mars 1939*, Rabat, 1939 ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951.

أحمد عمالك

البزيوي، محمد بن محمد بن أحمد الفاسي، عالم مشارك، لغوي نحوي متمكن من قواعد اللغة، ذو حاسة تاريخية وقدرة على الكتابة. لا نعرف شيئاً عن نشأته وشيوخه، وقد ذكر صاحب *إتحاف الطالع* الذي كان ـ فيما يبدو ـ على اتصال وثيق به، أن محمد البزيوي كان متواضعاً عزوفاً عن الشهرة والظهور، قضى معظم حياته في التدريس والتأليف، ويعد من آخر من درّس كتاب سيبويه بفاس. وكان له مع ذلك صلة بالمخزن مكنته من الاطلاع عن قرب على تجاوزات سلطات الحماية وتسلطها على أراضي الفلاحين المغاربة، فألف في ذلك كتابه *بلادات المغرب التي أخذها الاستعمار من أربابها بعد حماية المغرب*، ويذكر من اطلع عليه أنه يحتوي على معلومات مدققة ومستقصية ؛ وسافر مع السلطان المولى يوسف إلى فرنسا فكتب *رحلة إلى باريز*، و*دليل السائح بالمغرب الأقصى*. ولعل آخر ما ألف هو *تاريخ دول الاسلام بالمغرب الأقصى* الذي كتبه عام 1357 / 1938 وأهداه إلى محمد الخامس.

توفي بفاس ليلة السبت سادس عشر صفر عام 1368 / 18 دجنبر 1948، ودفن خارج باب الشريعة من فاس الجديد.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1368 ؛ *دليل*، 150ـ339ـ 360.443.

محمد حجي

بَسْباس، نبات عشبي سنوي من فصيلة الخيميات Umbellifereae اسمه العلمي : Foeniculum vulgare dulcis والبسباس هو اسمه الشائع في المغرب ويسمى في الشرق العربي شمار وشمرة ورازيانج المأخوذ من الفارسية.

يتراوح طول النبتة ما بين ميتر ومترين، الجذر مغزلي الشكل وغليظ، أغمدة الأوراق القاعدية لحمية وبصلية الشكل، الساق أسطواني ومُغطى يحمل أوراقاً طويلة ومقسمة على عدة قطع خيطية الشكل. تظهر الأزهار في فصل الربيع وهي صفراء صغيرة، تشكل مظلة محمولة على علاقات تنطلق جميعها من نقطة واحدة ويصير الزهر في مستوى مسطح تقريبا.

الثمار خضراء مصفرة، عطرة، بداخلها عنصر نشيط يسمى Anethol. يعد البسباس من البقل، تستهلك أغمدة أوراقه القاعدية بعد طبخها. يزرع في عدة مناطق من المغرب (سهول الغرب وحوض سايس ودكالة ...) وهو شائع في أسواق الخضر الوطنية في فصل الربيع.

تجنى ثماره في فصل الخريف وتستعمل بذوره المجففة لعلاج آلام المعدة، كما أنها تفتحُ الشهية وتنظم الحيض وتساهم في تقوية إفراز الحليب عند المرضعة. الجذور مُدِرَّة للبول وتستعمل ضد داء المفاصل.

A. Akoka, *La phytotérapie : Le médical du 20e siècle*. Paris, 1977 ; M. Ibn Tattou, *Les Angiospermes ou plantes à fleurs. Gr. Enc. Maroc, Flore*. 1987.

نجاة الخياطي

بسباس، ـ لغة وتاريخاً ـ جاء في لسان العرب : البسبس شجر، دون أن يحدد طبيعته، أما البسباس فقال إنه بقلة، وأورد قولاً لأبي حنيفة :"البسباس من النبات الطيب الريح... واحدته بسباسة وهي معروفة عند العرب "وأورده دوزي Dozy في (*Supplément* I) كمقابل للكلمة بالفرنسية فينويل Fenouil وباللاتينية القديمة Fenuculum، إلا أنه ذكر نوعاً من البسباس سمّاه بسباس الهند وقابله بالفرنسية Anis، وفي كتب الطبخ المغربي نجد تمييزاً بين ثلاثة أنواع من البسباس :

ـ البسباس كخضر، Fenouil، ويتفق ذلك مع *لسان العرب* الذي ذكر أنه بقلة أي خضر.

ـ النافع، وهو الذي سماه Dozy بسباس الهند Anis.

ـ حبة حلاوة Anis andalus (أنيسون)، ولا يميز ابن البيطار بين هذه الأنواع حسب ما أورده Dozy.

أولى الإشارات إلى هذا النبات في المغرب وردت في مصادر قليلة : فالتادلي صاحب *التشوف* (355) ذكر أحد المتصوفة وقد جاء ببذور البسباس من المشرق وأنها صالحة لإزالة أوجاع البطن، ويرجع هذا الدخول لبذور البسباس بهذه الطريقة إلى أواخر القرن السادس (12 م) فهل هي بداية لدخول البسباس إلى المغرب ؟ وأي نوع من الأنواع التي شرحناها أعلاه ؟.

إذا رجعنا إلى إشارات أخرى في مصادر متقاربة زمنياً نجدها تذكر أماكن تنسب إلى البسباس كجبل البسابس وعقبة البسباس (*المنهاج الواضح*، 108 ؛ *اختصار الأخبار*، 90) وأما صاحب *روض القرطاس*(39) فيتحدث عن البسباس كنبات طبيعي في معرض حديثه عن اختيار مكان بناء مدينة فاس :"... وكان بعين علون شجر من طخش وعليق وكلخ وبسباس وأشجار برية ...".

إلا أن هذه الإشارات لا تحل المشكل أي أنها لا تفصل ما بين البسباس كما وصفه صاحب *لسان العرب* أي بقلة أو نبات طيب الرائحة وما بين البسبس (بدون الألف) والذي جاء عند صاحب لسان العرب نفسه أنه شجر، إلا أنه أصناف. إن العرب لا تعرف شجراً بهذا الاسم، لكن إشارة ابن أبي زرع لا تؤيد تحفظ لسان العرب فقد جعل البسباس (بالألف) نوعاً من الشجر، وحتى محقق كتاب *فضالة*

الخوان (ص 13). لم يحسم الأمر إذ اكتفى بالإشارة إلى أن "البسباس نبات معروف في المغرب" وأعطاه كمقابل بالفرنسية Fenouil.

والواقع أن البسباس كخضر كما نعرفه اليوم Fenouil حديث الدخول إلى المغرب، يرجع، مثل أغلبية الخضر، إلى القرون الأخيرة كالبطاطس والطماطم والفاصوليا وغيرها التي عرفها المغرب عن طريق الأوربيين الذين استقدموها من العالم الجديد أو من الهند. كما أن الاختلاف في الأسماء لا يعني اختلافاً في التركيب الطبيعي وخصائص النبات، فكلها تشترك في نفس الخصائص كالشكل والبذور والرائحة، إلا أن النوع الحديث أكبر حجماً. من هنا يمكننا القول إن البسباس قد وجد في المغرب في حالة برية، وأن تدجينه لم يتم أو أنه حسب إشارة صاحب *التشوف*، قد دخل النوع المدجن منه في تلك الفترة المتقدمة، ثم عاد لحالته البرية بعد تخلي الفلاحين عن أراضيهم في الفترة التي أعقبت ضعف السلطة الموحدية، فانتشرت بذوره بواسطة الرياح والمياه الجارية. وأكبر دليل على ذلك ما نجده منه اليوم في الكثير من المناطق المغربية وحتى على جوانب الطرق، وأكبر المناطق نجدها في إقليم قلعة السراغنة الذي يزود بكمية كبيرة منه، حتى إن جهة من جهات الاقليم تعرف بالبسيبيسة، وفي هذا التصغير دلالة على ما أشرنا إليه من عودة البسباس المدجن إلى بسباس بري. والتصغير هنا للتفريق بين النوعين Anis البسباس البري وهو المنتشر في الإقليم المذكور بكثرة وFenouil وهو البسباس الفلاحي الذي يحتاج إلى عناية خاصة في مقدمتها السقي، وله موسم خاص لإنتاجه، وينتشر في مناطق زراعة الخضر على طول الساحل الأطلنتي.

ي. التادلي، *التشوف* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن رزين، *فضالة الخوان* ؛ م. الأنصاري، *اختصار الأخبار* ؛ ابن منظور، *لسان العرب*؛ *خرائط وزارة الفلاحة* ؛ *ورقة قلعة السراغنة* 50.000 /1.

محمد حجاج الطويل

البستان (باب ـ) أحد أبواب مراكشت ـ المدينة المخزنية التي بنيت جنوب مراكش المرابطية على عهد المنصور ـ (*البيان*، قسم الموحدين : 174). وبذلك يعد ضمن الأبواب الموحدية بالمدينة. يقع في السور الجنوبي من جهة الشرق، ويرى Deverdun أنه الباب المؤدي حالياً إلى القصر الملكي ويعرف بباب بوعكاز (*Marrakech*, 1 : 220).

وقد حمل هذا الباب في اسمه وظيفته حيث كان منفتحا على بساتين الصالحة، ومنه يتم الولوج إليها، وعلى اعتبار أن هذه البساتين كانت أيضا منتزها خاصا بالمخزن الموحدي، فإن باب البستان "كان لا يراه إلا خواص بني عبد المومن" (*ورقات*، 302).

ابن عذاري، *البيان* ـ قسم الموحدين ـ ت. محمد إبراهيم الكتاني وآخرين ؛ م. المنوني، *ورقات*.

Deverdun, *Marrakech*, t. 1.

محمد رابطة الدين

البَسْتْيُون Bastion كلمة أعجمية تعني البرج الصغير، انتشرت في المغرب منذ القرن العاشر (16 م) بمعنى البرج الكبير ـ عكس المعنى الأصلي ـ. وقد شيد السعديون والعلويون عدداً من البستيونات في المراكز الاستراتيجية سواء بالساحل أو بالداخل.

البَسْتْيُون، (أولاد ـ) أسرة فاسية كانت معروفة في القرن الثاني عشر (18 م) ولا ندري سبب التسمية، هل كان أولاد البستيون من العاملين في تشيد بستيونات فاس أو من الجنود المرابطين فيها، أو من المتعبدين فيها أو حواليها. مهما يكن من أمر فإن كتب التراجم لم تذكر من هذا الرهط سوى المرأة الصالحة آمنة البستيونية (ت 1167 / 1753) المدفونة بدار سكناها قبالة مسجد السمارين من عدوة فاس القرويين وهي :"السيدة البهلولة المولهة في الجلال، الهائمة في الجمال، المتبرك بها من الخاص والعام، المقصودة لزيارة الأنام.. فكانت من أهل البركة تصدق في إشارتها، مقبولة عند العامة والخاصة والعلماء والرؤساء" (*نشر*، 4 : 98).

بستيون سيدي **بونافع**، أو برج سيدي بونافع، من أهم أبراج فاس الجديد يقع خارج باب سيدي بونافع أو باب الجيف ـ كما كان يسمى قديماً ـ شرق فاس الجديد.

يتوج هذا البستيون أو البرج حصناً يطل على منحدر يؤدي إلى منطقة كانت تُدعى النواول، وهي اليوم عبارة عن جنان ومنتزه بلدي. ويظهر أنه بناء سعدي، حيث ذكر الفشتالي في *مناهل الصفا* أن المنصور أدار البلد الجديد بأبراج شيدها لصق سورها.

بستيون تادلا، هو برج قصبة تادلا التي شيدها السلطان المولى إسماعيل على الضفة اليمنى لأم الربيع في نطاق القصبات التي أقامها بمختلف جهات البلاد. وقد بقي اسم البستيون في ذاكرة عامة السكان إلا أنهم تناسوا حقيقته فأصبحوا يطلقونه على المنطقة الواقعة بجوار سد قصبة تادلا الحالي وعلى مكان السد نفسه.

ع. الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ م. القادري، *نشر*، ج 4 ؛ م. عربوش، *من تاريخ منطقة تادلة*، 1 : 104 ـ 105.

محمد حجي

البستيونان شمال وجنوب فاس، وهما برجان عظيمان مشرفان على مدينة فاس، يدخلان ضمن التجهيزات الأمنية التي شيدها أحمد المنصور السعدي. ومن المؤكد تاريخياً أن الأبراج والبستيونات الواقعة خلف أسوار فاس الجديد ليست مرينية البناء وإنما هي سعدية. يدل على ذلك شكلها المطبوع بطابع سعدي واضح. ويؤكده ما جاء في *مناهل الصفا* (ص 264) من أن المنصور "أدار به (أي فاس الجديد) من الأبراج الضخمة لصق سوره حصوناً شامخة، وتفننت في سبيل التحصين أوضاعها، يحرس بعضها بعضاً، وتكاثر عدد أنفاضها الفاخرة". ولو أن الفشتالي لم يذكر البستيونين بالتحديد، وكان صاحب *نزهة الحادي* (ص 159)

أكثر تحديداً لموضع بنائهما حينما قال :"ومآثر خلفها (أحمد المنصور السعدي) منها المعقلان اللذان أنشأهما بفاس أحدهما خارج باب الجيسة والآخر قبالة باب الفتوح، وهذان المعقلان يعرفان عند العامة بالبستيونين، أحدهما بستيون، وهما من الإتقان بحيث لا يعرف قدرهما إلا من وقف عليهما".

أما عن سنة بناء البستيونيين فيحدثنا ابن القاضي في *الجذوة* قائلا :"وأما البرجان المنصوبان على فاس البالي فإنما أمر بإنشائهما وإقامتهما على ما هما عليه الإمام المنصور بعد التسعين والتسعمائة للهجرة" / 1582 م.

وقد تم بناء البستيونين بالحجر الكلسي الموجود بالمنطقة والجير المصنوع بضواحي مدينة فاس، ومكنتهما هذه المواد من مواجهة التعرية المناخية طوال قرون.

أطلق الفرنسيون ـ أيام الحماية ـ على البرج الشمالي بلغتهم تسمية "برج نور" وحورها عامة الناس إلى برج النور. وقد رممت أسواره، وهو اليوم عبارة عن متحف للأسلحة تحت إدارة وزارة الثقافة.

أما البرج الجنوبي فاستعمل في عهد الفرنسيين كثكنة عسكرية، ومن أشهر من أنجز تدريبه العسكري به الرئيس الفرنسي الأسبق ڤاليري جسكار دستان ومازال اليوم عبارة عن ثكنة عسكرية. وقد تلاشى بناؤه وهو في حاجة إلى ترميم.

ع. الفتشالي، *مناهل الصفا* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة* ؛ م. الإفراني، *نزهة*.

محمد مزين

البستيونية، آمنة، وتدعى أيضاً منّانة. صالحة من أهل فاس "الهائمة في الجمال، المتبرك بها من الخاص والعام، المقصودة لزيارة الأنام" بهذا حلاها محمد القادري في *نشر الثاني*، وقال إنها كانت ساقطة التكليف تنطق بإشارات، وتلهج بعبارات يستفاد منها إخبار بمغيبات. وهي تمثل في النساء، جانب تصوف الجذب الذي كثر عند رجال القرن الثاني عشر (18 م).

توفيت بدار سكناها المقابلة لمسجد السمارين من عدوة فاس القرويين عام 1167 / 1754.

م. ابن عيشون، *الروض العاطر*، تح. زهراء النظام، د.د.ع. الرباط، 1989 ؛ م. القادري، *نشر*، 4 : 58 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 308.

محمد حجي

البُسُّد ـ بباء مضمومة وسين مفتوحة مشددة ـ كلمة فارسية (*لسان العرب*)، أطلقها المؤرخون والرحالون المسلمون الأوائل على المرجان، ولعل استعمال المرادف الفارسي كان يقصد به نوع جديد من المرجان عرف به المغرب منذ بداية العصر الوسيط (الاصطخري، *المسالك*، 45). فالشريف الإدريسي وهو ابن سبتة التي اشتهرت بالمرجان قال عنه :"لا يَعدلُه صنف من صنوف المرجان المستخرج بجميع أقطار البَحار" (*نزهة المشتاق*، 5 : 529) أما ابن عذاري الذي جاء بعد الإدريسي فقال عن بحر سبتة : "... يستخرج منه المرجان وهو البُسُّد". (*البيان*، 1 : 202). عرف المغرب المرجان منذ تاريخه القديم، إلا أن إنتاجه وترويجه بشكل تجاري لم يزدهر إلا في العصر الوسيط حتى أصبح المغرب مصدره الرئيسي.

إن المؤرخين المسلمين والرحالين الذين تعرفوا على المغرب بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ذكروا المرجان من ضمن المواد المصدرة منه إلى المشرق وإلى باقي أنحاء العالم (ابن الفقيه، *مقتطفات*، 40)، (الاصطخري، *مسالك*، 45). أما التاجر العراقي ابن حوقل فقد زار المغرب في القرن الرابع (10 م) وذكر وجود المرجان / البسذ في بحر مدينة سبتة، (*صورة الأرض*، 79). وفي نفس القرن ذكر صاحب *أحسن التقاسيم* (238) المرجان بتفصيل لم يعهد عند من سبقه من الكتاب، إذ تحدث عن طريقة صيده التي تعتبر جد متقدمة آنذاك، بل وتعتبر أكثر تقدماً حتى بالنسبة للطريقة التقليدية المتبعة اليوم في صيده، يقول المقدسي : "... يخرجون إلى جمعه في قوارب ومعهم صلبان من خشب قد لفوا عليها شيئاً من الكتان المحلول، وربطوا في كل صليب حبلين يأخذهما رجلان فيرميان بالصليب ويدير النواتي القارب فيتعلق بالقرن ثم يجذبونه..." ونفس المعلومات والتدقيقات ذكرها الإدريسي وأكدها، ولوصفه أهمية كبرى لأنه من أهل سبتة وجاء بعد المقدسي بحوالي قرنين من الزمن.

كلا الوصفين تنقصهما مرحلة سابقة عن الاستخراج وهي مرحلة تحديد مناطق وجود المرجان تحت الماء، فقد كانت عملية اكتشاف شجيرات المرجان وتحديد مجال الصيد تتم بواسطة الغوص واستعمال قطع الخشب أو الفلين المربوطة بشرائط الكتان أو القنب تثبت في أطراف الشجيرات فتطفو تلك القطع على السطح محددة مجال الصيد ومسهلة عمل النواتية.

بعد مرحلة الصيد والاستخراج تأتي مرحلة التصنيع التي لا تقل صعوبة عن المرحلة الأولى، فالمرجان الخام يمر من عدة عمليات قبل أن يصبح جاهزاً للبيع، فمن عملية التقطيع حسب أحجام مختلفة إلى عملية الحك والجلو ثم الثقب فالتلميع إلى غير ذلك من العمليات المساعدة مما يجعل هذه الصناعة من الصناعات الدقيقة التي لا تحتاج إلى ذوق رفيع ومستوى حضاري فحسب بل وأساساً إلى أدوات ودربة خاصة.

أما حجم المرجان المستخرج وكميته المصنعة والمصدرة فقد تحدث عنها المصدران السابقان ونقل عنهما من أتى بعدهما، فالمقدسي قال عن صيادي المرجان "... فمنهم من يخرج عشرة آلاف إلى عشرة دراهم ...".

أما الإدريسي فذكر أن بمدينة سبتة "سوقاً لتفصيله وحكه وصنعه وخرزه وثقبه وتنظيمه ...".

إن أهمية هذه المادة وحجمها التجاري إلى جانب

منتجات أخرى مما جعل مدينة سبتة تحتل المكانة الراقية التي بلغتها في العصر الوسيط الأعلى والأوسط والتي فاقت فيها أكبر المدن المطلة على البحر المتوسط.

ما يسترعي الانتباه أن المصادر المكتوبة في العصر الوسيط و الأدنى بل وحتى المنوغرافيات الخاصة بالمدينة لم تشر إلى هذه المادة في هذه الفترة وبعدها، ومما يفسر هذا السكوت.

- أن هذه الصناعة وازدهارها ارتبط أساساً بالتصدير وأول المستهلكين آنذاك بلاد السودان (*نزهة المشتاق*، 5 : 529).

- فيما بعد العهد الموحدي والعهد المريني الأول بدأت طرق المبادلات التجارية تعرف اضطرابات متتالية سواء براً نحو السودان والمشرق أو بحراً نحو مناطق أخرى.

- أن استهلاك المرجان مرتبط بمستوى معيشي وحضاري متقدم، وهذا المستوى عرف في الفترة المشار إليها تدنياً كبيراً بسبب توالي المجاعات والأوبئة.نذكر منها على سبيل المثال الطاعون الأسود والمجاعات التي ضربت حوض البحر المتوسط وامتدت خارجه في منتصف القرن الثامن (14 م).

- المناطق السهلة الصيد تم استنزافها، وأصبح صيده يتطلب مجهودات وتكاليف أكبر.

- الاحتلال البرتغالي لمدينة سبتة جاء ليقضي على كل أمل في استعادة المدينة لهذا النشاط - إضافة إلى منافسة مناطق أخرى يستخرج فيها بأقل تكلفة كالجزر الإيطالية وعرض السواحل الجزائرية.

- إضافة إلى ما سبق، هناك العوامل الطبيعية التي تؤدي إلى انقراض الشجيرات المرجانية كتعرضها لكائنات بحرية تتغذى عليها أو تتسلقها مثل نجمة البحر وغيرها. وأكبر دليل على ذلك أن المرجان اليوم لا يوجد في البحر المتوسط إلا في نقط قليلة كعرض الشواطئ الجزائرية ... (Guid, 1978 : 1435) طبعاً، هذا الانقراض تاريخي، أي أضيفت إلى العوامل السالفة الذكر عوامل التلوث التي بدأت منذ الثورة الصناعية وازدهار المدن. أما الرأي القائل بضعف هذه الصناعة بسبب انتشار استعمال اللؤلؤ الطبيعي والاصطناعي وغيره من المواد المشابهة، فهو غيرصحيح لأن ثمن المرجان اليوم مرتفع حتى في حالة بيعه خاماً فأحرى تصنيعه، والإقبال عليه مازال كبيراً سواء خاما أو مصنعاً. وما زالت بقايا تلك الصناعة الموروثة عن المغاربة في بعض المدن الإيطالية (Braudel, *La méditerrannée* , 44...).

ابن الفقيه، *كتاب المسالك في معرفة الممالك*، ... مقتطفات منه أوردها حاج صادق، تحت عنوان *صفة المغرب وأوربا* ق 9/3، الجزائر 1949 ؛ إ. الاصطخري، *مسالك الممالك* ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*؛ المقدسي، *أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم* ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ع. الحميري، *الروض المعطار*.

محمد حجاج الطويل

بسّير، أسرة رباطية أصلها من الأندلس، ولعلها جاءت إلى هذا الثغر بعد عملية الطرد في أوائل القرن الحادي عشر (17 م).

بَسّير، محمد الطيب بن إبراهيم، قاضي الرباط. وهو جد القاضي محمد المكي البطاوري المؤرخ ومحمد بوجندار من قبل أمهما. كان من الفقهاء الكبار، عرف بالورع والنسك وكان متمكنا من العلوم النقلية والعقلية زيادة على كونه أديباً شاعراً. خلف عدداً من القصائد الشعرية في المديح النبوي على الخصوص، إضافة إلى نوازل وفتاوى فقهية.

تلقى محمد الطيب بسير العلم عن الشيخ الرهوني، وأحمد العربي، والقاضي ابن العروصي وغيرهم، واسندت إليه خطة الإفتاء ومهمة التدريس بالرباط، وتخرج على يده عدد من العلماء أمثال، الأديب المكي بوجندار، والعالم الطاهر بريطل وغيرهما. ولما تولى خطة القضاء سلك طريق الاستقامة كما يشهد بذلك من عرفوه وكتبوا عنه. ومكث في خطة القضاء نحو خمسين سنة كان يتداول فيها قضاء الرباط ومكناس تارة على سبيل النيابة وأخرى على سبيل التفرد.

رحل إلى وزان عند الشيخ علي بن أحمد الوزاني وهناك أخذ عن الشيخ الرهوني. تولى قضاء الرباط لأول مرة سنة 1219 بعد القاضي أحمد الحكمي. وأعيد لقضاء لرباط كنائب فقط، وفي حدود الأربعين أصبح قاضياً مستقلاً بنفس المدينة حسبما اطلع عليه محمد بن علي دينية في رسم مؤرخ برمضان عام 1239. ثم نقل بعد ذلك لقضاء مكناس، ثم أرجع مرة ثالثة لقضاء الرباط بعد القاضي صالح الحكمي. وبقي بسير في قضائه الأخير هذا من سنة 1248 إلى 1266 ثم تولى بعده القاضي عبدالرحمان البريبري.

وحسب ما ذكره الضعيف أسندت إلى الطيب بسير أيضا خطة الامامة بالجامع السليماني، كما كان عدلا بمرسى الرباط. وكانت وفاته عام 1854/1271، ودفن بالزاوية التهامية المجاورة لضريح مولاي المكي بمحج سيدي فاتح بالرباط.

م. بوجندار، *تعطير البساط*، 34 ؛ *الاغتباط*، 318 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، 173 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ت. أ. العماري، 293، 366، 392 ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين* 1830/1912، ر. د. د. ع. كلية الآداب الرباط 1988، 122، 124، 149.

عبدالاله الفاسي

البَسّيطة، كلمة ذات أصل إسباني من الفعل : Pesar بمعنى وَزَن. اشتُق الاسم : Peso بمعنى الوزن كما اشتُقت منه صيغة التصغير : Peseta بمعنى الموزونة. ولها في الوثائق المغربية صيغ للجمع فتجمع على بساسط وعلى بسيطات وبسائط.

ظهر استعمال البسيطة كوحدة نقدية في مجال العملة

الإسبانية منذ مطلع القرن التاسع عشر حينما ضربت قطعة فضية سنة 1808 وكانت قيمتها أربعة ريالات إذ كان الريال أقل قيمة من البسيطة، ووقع على هذه القيمة تعديلات حيث ضربت في مدينة كاطالونيا سنة 1836 قطعة ريال من الفضة قيمته خمس بسيطات، ثم بعد ذلك تعددت في السنوات اللاحقة إصدارات النقود الفضية المبنية على البسيطة كوحدة أساسية بمالها من مضاعفات وأجزاء.

وابتداء من سنة 1865 وقع انضمام العملة الإسبانية إلى الوحدة النقدية في النظام اللاتيني الأوربي حيث أصبح الريال Real الفضي من خمس بسيطات يزن 25 گراماً ويصرف بـ 500 سنتيم، بينما تزن البسيطة 5 گ وتصرف بـ 100 سنتيم، واعتبرت البسيطة هي الوحدة الأساسية للعملة الإسبانية إلى اليوم.

ويهمنا بالنسبة للبسيطة علاقتها بالنقود المغربية، ففي إطار العلاقات المغربية الإسبانية راجت القطع النقدية لكل بلد في أسواق البلد الآخر بدءاً من عهد المرابطين والموحدين، وظلت كل عملة تحمل بصمات متبادلة من آثار عملة البلد الآخر، وبالخصوص في أسمائها حيث استعمل الإسبان مثلا كلمة (المرابطي) كوحدة نقدية أساسية استمرت حتى نهاية القرن التاسع عشر، واستعمل المغاربة كلمات : الدورو والريال والأشقوبية والبسيطة.

وقد وقع انحسار في تبادل العملات بين البلدين منذ سقوط الأندلس إلى مطلع القرن التاسع عشر الذي شهد حركة المد الأوربي في إطار المخطط الاستعماري الذي استهدف احتلال المغرب والشمال الافريقي عموما، فانتشرت العملات الأجنبية وبخاصة الإسبانية منها بالمغرب مزاحمة العملة الوطنية.

ومنذ القبول الرسمي للعملة الإسبانية بالمغرب بعد تحديد صرفها ضمن المعاهدة المغربية الإسبانية سنة 1799 على عهد السلطان مولاي سليمان أصبحت البسيطة الإسبانية إلى جانب الفرنك الفرنسي تقوم شيئا فشيئاً مقام وحدات نقدية مغربية في الحسابات، فكان المغاربة يعبّرون عن البسيطة الإسبانية بـ "البسّيطة التي فيها مدفع" حسب ما يتمثل في رسم الشعار الإسباني تمييزاً لها عن الفرنك الفرنسي الذي يطلق عليه اسم "البسّيطة التي لا مدفع فيها" وقد ورد هذان المصطلحان في الظهائر والرسائل السلطانية فكان سعرهما متباينا، فقد حدد الظهير الرحماني في إصلاحه النقدي سنة 1852 صرف البسيطة التي فيها مدفع بخمس أواق والبسيطة التي لا مدفع فيها (الفرنك) بأربع أواق، وتطور صرفهما تبعاً لتطور قيمة صرف الريال.

البسيطة الحسنية : حينما ضرب السلطان مولاي الحسن النقود المغربية بأوروبا أثناء الإصلاح النقدي لسنة 1881 اتخذ الريال الإسباني من خمس بسيطات كوحدة أساسية لصرف العملة المغربية بدلا من الريال الفرنسي الذي كان أساسا للعملة المغربية قبل السنة المذكورة، وهذه الوحدة الجديدة أدت إلى جعل المثقال الحسني الفضي من عشرة دراهم مساوياً في الصرف للريال الفضي الإسباني كقيمة اسمية، على الرغم من كون المثقال الحسني يفوق الريال الإسباني بـ 20٪ وزنا أي ما يمثل 4.1 گرام من الفضة في كل قطعة مما شكل كارثة أثناء عمليات الصرف المتمثلة في تهريب الفضة المغربية إلى أوروبا.

وعرف مجال الرواج النقدي نشوء البسيطة الحسنية، وهي عملة حسابية لا وجود لها بالفعل وإنما تعادلها قيمة درهمين شرعيين، وشاع استعمال "البسيطة الحسنية" كمصطلح نقدي لدى المغاربة وفي المراجع الأجنبية، وهي تقابل البسيطة الإسبانية والفرنك الفرنسي، في مختلف الحسابات، وقد فضل التجار التعبير بهذه البسيطة عن حساباتهم خاصة أثناء الأزمات النقدية كما نجد في فترة الأزمة النقدية الإسبانية سنة 1891.

وينبغي التأكيد على أن الوثائق الرسمية التي يحرّرها كتاب المخزن لم تتأثر بنظام البسيطة مع حسابات الصرف، بل ظل هؤلاء الكتاب يحوّلون كل الحسابات في السجلات الرسمية إلى نظام المثقال : (حيث إن المثقال = عشر أواق، والأوقية = أربع موزونات) وكان نظام التعامل الرسمي مستمراً على هذا الأساس إلى سنة 1903 حينما قرر السلطان مولاي عبدالعزيز اتخاذ النظام النقدي الأوروبي كأساس للعملة المغربية، فضرب النقود النحاسية والفضية في كل من برلين ولندن وباريس بلغ مجموعها 65 مليون بسيطة حسنية على أساس أن الموزونة النحاسية تساوي سنتيماً واحداً وأن الريال الحسني (المثقال من عشرة دراهم) = 500 موزونة أو 500 سنتيم. وقد أحدث هذا القرار اضطرابا شديداً في نظام الصرف، وأصيبت العملة المغربية بمزيد من الخسارة والانهيار مما أفضى بها إلى أزمة 1904.

وفي السنوات الأولى من عهد الحماية ظل استعمال نظام البسّيطة الحسنية في الرواج وظلت كذلك الأبناك الأوربية تقدر حساباتها مع المغرب بهذه البسّيطة، كما ظلت العقود العقارية تحدد الأثمان بها على الرغم من تداول السكة العزيزية والحفيظية واليوسفية، ولا تذكر إلا السكة الحسنية إلى أن أصدرت سلطة الحماية ظهير 20 مارس 1920 يقضي بالغاء نظام السكة الحسنية الفضية من التداول تماما واحلال الفرنك محلها، وأكد الظهير على القضاة والعدول بعدم استعمال الريال والبسيطة الحسنية في مختلف العقود ووجوب استعمال الفرنك عوض ذلك.

ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر*، ص 58، 244 ؛ الحسني أحمد بك، *بهجة المشتاق في حكم بيان زكاة الأوراق* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج.9 ص 64 ؛ *جريدة السعادة*، عدد 3063 بتاريخ 3 أبريل 1920 ؛ *المعاهدة الإسبانية سنة 1799*.

Chanone, L. Matagne (et al), *Le guide Marabout des monnaies et médailles*, Verviers (Belgique), 1975, p. 250, 253 ; J.A. Marty, *Le franc marocain, contribution a l'etude de la question monétaire*, p. 34 ; F. Mateu y Ilopis, *Notas para el estudio de los origenes del sistema monetario español*, *Numisma*, año XVI, Num 67, Marzo-Abril 1964, p. 19, 61 ; R. S. Yeoman, *A Catalog of modern world coins*, 1850-1960, U. S. A. 1972, p. 440.

عمر أفا

بسكانيو، يوسف بن مامي، من الأندلسيين النازحين إلى المغرب. عينه السلطان السعدي زيدان بن أحمد المنصور عاملاً على درعة سنة 1624، وربما فكر في توجيهه إلى السودان عاملا عليها. وفي نفس السنة قاد سفارة مغربية مكونة من ستة أعضاء إلى هولندة. ووصلت السفارة إلى روتردام Rotterdam يوم 20 يوليوز 1924، فاستقبل المسؤولون الهولنديون السفير يوم 24 يوليوز، وقدم لهم رسالة من السلطان المغربي تحدّد مهام سفارته. ثم عين الهولنديون مفاوضين ناقش معهم السفير عدداً من النقط (12 نقطة) تؤثر على طبيعة العلاقات بين البلدين، وهي في عمومها حوادث تسبب فيها بحارة هولنديون وأضرت بصالح المغرب وسلطانه. وقد عملت هولندة على إرضاء كل مطالب السفير.

وبينما كانت السفارة المغربية تستعد لمغادرة هولندا (يناير 1625) تعرض أحد أقرباء بسكانيو لجريمة قتل، فتأخر وقت إبحار السفارة إلى مارس 1925.

S.I.H.M. Série Saâdienne, Pays-Bas, t. IV ; J. Caille, *Ambassades et missions marocaines aux Pays-Bas, Hesp*, t. IV, 1963.

عبداللطيف الشاذلي

بَسْلاَمْ، عَسُّو، ويدعى أيضاً عسو أُبَسلام. أو عسو وْبَسلام، من زعماء مقاومة الاحتلال الفرنسي بأيت عَطَّا في جبل صَغْرُو.

فعلى المستوى الوطني، اندلعت مقاومة أيت عطا بعد حرب الريف، وشكّلت عقبة كأداء أمام تقدم جحافل الجيوش الاستعمارية، التي أصيبت بالذهول والإحباط لاعتقادها الراسخ باستحالة ظهور أية مقاومة أخرى بعد حرب الريف. كما أن مقاومة أيت عطا بقيادة عسو بسلام انتهت في الوقت الذي نهضت فيه الحركة الوطنية في المدن، فهي بذلك تعتبر حلقة وصل بين حرب الريف وظهور الحركة الوطنية السياسية في المدن.

وعلى المستوى المحلي كانت صورة قائد المقاومة عسو بسلام - وهو يحقق انتصاراته في هضبة الإبر بجبل صَغْرُو في حرب ضروس غير متكافئة - ترتفع كما يرتفع النجم المتألق في السماء، وأعطت حركته نفَساً لمقاومات مشابهة مثل مقاومة زَايْد أُحمد من 1934 إلى 1936. ولهذا ظلّ عسو بسلام يجسم المقاومة تجسيما مادياً في مواجهة الاستعمار وعملائه في المنطقة.

ولد عسّو بسلام حوالي سنة 1308 / 1890، وهي السنة التي شاهدت ميلاد حلف التآزر والتضامن بين مختلف قبائل أيت عطا، واقترن هذا الحلف بإنشاء مجلس أطلق عليه "تافْراوْتْ نَايْتْ عطَّا" (حصن أيت عطا) مهمته التحكيم والفصل في النزاعات الظرفية وتنظيم تنقلات الرعاة بين صَغْرُو ومناطق الإنتاج. واتُّخذ قصر "إغرم امْزْدَار" الذي يحتل موقعاً استراتيجياً في قلب صغرو مقراً لهذه المؤسسة القبلية المستحدثة. وغير بعيد عن هذا القصر، كانت ولادة بسلام في قصر "تاغيا" شرق جبل صغرو وجنوب تنغير.

تنتمي أسرته إلى فرع "إلْمْشان" من خمس "أيت واحليم". وكان اسمه الحقيقي هو "عيسى" وتصغيره محلياً هو "عَسُّو".

كانت أسرة باسلام من الأسر البارزة لدى قبائل "أيت عطا" حيث كان أفرادها ساهموا في تنظيم مرور الحركات المخزنية بالمنطقة، خاصة حركة المولى الحسن سنة 1893. كما أن من تقاليد هذه الأسرة التي تسمى "أيت بُوتغْراتين" أي "أهل الزغاريد" أنها هي التي تتقدم جيوش "أيت عطا" بالراية في كل الحروف التي خاضت غمارها. وكان والد عسو بسلام، ويدعى علي بَسلام من أعيان قبيلته حيث كان يمارس مهمة "شيخ البلد" أو ما يطلق عليه "أمْغار نْتَمازيرْتْ". ولعب هذا "الأمغار" دوراً كبيراً في بلورة شعور الوحدة والتضامن. حيث دفع أيت عطا إلى تجاوز الخلافات والنزاعات الظرفية التي كانت تنشب حول المراعي ومجاري المياه، خاصة لما بلغه خبر بداية اقتحام أجزاء من التراب المغربي من طرف فرنسا انطلاقاً من الجزائر، وكذلك لما لاحظ مرور عدد من المغامرين الأجانب بالمنطقة.

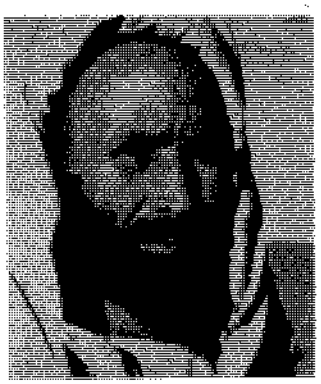

تأثر عسو بسلام بهذا الدور القيادي لوالده، واكتسب حصافة الرأي وحسن الاضطلاع بشؤون القبيلة، فأصبحت له العضوية في الجماعة المسيِّرة للقبائل : "أجْمَّاع" في سن مبكرة، الشيء الذي جعل قبائل أيت عطا تُكنّ له إجلالاً حقيقيا. وبالاضافة إلى هذا الدور كان يتمتع بخَصال حربية تجعله يقوم مقام مجموعة من الفرسان يمكن للقبيلة استنفارها في حالة الحرب.

وقد برهن عسو بسلام عن وعي مبكر من خلال تعاطيه للتجارة، ذلك أن تنقلات الرعاة والتجار شكلت جسراً متيناً لربط المنطقة ببقية مناطق المغرب، والاطلاع على ما يجري بالبلاد خاصة بعد تكالب الاستعمار الفرنسي. وقد كان احتكاكه بمدينة مراكش مناسبة ليقف على النوايا العدوانية للمستعمر، ولهذا عمل بمساعدة أخيه بَاسُّو أُبَسلام وجماعة من تجار أيت عطا على نقل الأسلحة إلى المنطقة استعداداً للمواجهة المحتملة مع الاستعمار. وقد ازداد وعياً وإدراكاً للنوايا العدوانية الفرنسية بعد احتلال تافيلالت، ومساهمة أيت عطا في مقاومة الجيوش الفرنسية هنالك. كما نتج عن حرب تافيلالت امتداد نفوذ باشا

مراكش الأگلاوي إلى "تدغة" سنة 1919 الذي شكل جيشهُ رأس حربة للاستعمار الفرنسي بالمنطقة.

وإلى جانب هذه الأحداث التي عرفتها المنطقة تجمعت عدة عوامل وساهمت في بلورة شخصية عسو بسلام في اتجاه قيادة المقاومة والجهاد : إنه يتمتع بقدرة خارقة على جلب القبائل وتنظيمها حيث تمكن من إسكات جميع المعارضات القبلية حوله ووحّد خلفه جماهير الفلاحين.

إن قبائل أيت عطا سبق أن ساهمت في الدفاع عن الوطن في مناسبات عدة، فقد بعث سيدي محمد بن عبدالرحمان إلى قبائل أيت عطا عن طريق زاوية تامصلوحت سنة 1859 للمشاركة في حرب تطوان المهددة بالاحتلال الإسباني، وقبل ذلك في عهد المولى عبدالرحمان سنة 1844 للدفاع عن الصويرة. ولهذا فمقاومة أيت عطا ليست وليدة الصدفة أو نزعة فطرية للسيبة والفتنة كما تدعي الكتابات الاستعمارية، بل هي استمرار لتقاليد الكفاح الجماعية دفاعاً عن الوطن ضد العدو الكافر.

وحوالي 1919 انتخبت قبائل أيت عطا عسو بسلام شيخاً على "إلْمْشَان" ليصبح بعد ذلك شيخاً عامّاً سنة 1932. ذلك أن دخول جيوش الأگلاوي بإيعاز من فرنسا التي انتهجت سياسة القواد الكبار إلى "تدغة" جعل عسو بسلام يتحرك ومعه أفراد "الجماعة"، وذلك لجمع شمل القبائل من أجل جعل حد للفوضى وجو التناحر الذي شجعته السياسة الاستعمارية وحليفها، حتى يسهل على هذه القوى القيام بدور التحكيم وفرض السلطة. كما قام التهامي الأگلاوي بدور فعال لإضعاف نفوذ عسو بسلام لدى أيت عطا وقطع الطريق أمام جهوده الرامية إلى توحيد القبائل حول راية الجهاد، وهكذا عين مجموعة من الأعيان العملاء كشيوخ على أيت عطا في إيمْطر وتازَرين ودرعة وفي الواحات المجاورة لجبل صغرو. وفي خضم هذه التطورات المختلفة استطاع عسو بسلام تنظيم وكسب جماهير قبيلته على مسافات واسعة جداً، تمتد من أعالي صغرو لتنحدر إلى واحات تدغة ودادْس وغْريس وفَرْكْلة (حيث قبائل أيت مَرْغَاد) وتخوم تافيلالت. وأصبحت بذلك قوات المجاهدين منذ 1930 تحاصر باستمرار جيوش الأگلاوي، وجعلت نفوذه لا يتعدى في تنْغير القصبة التي أنشأها والدواوير المجاورة لها. وعندَما هبت القوات الفرنسية سنة 1931 بقيادة العقيد شاردون Chardon قائد منطقة ورزازات، لفك الحصار عن قوات الأگلاوي أخذ عسو بسلام يُعدُّ العدة بسرعة ليقذف بأيت عطا الأشاوس في المعركة المَصيرية التي دارتْ رحاها في جبل صغرو انطلاقاً من ربيع 1933.

أهم مراحل المواجهة بين عسو بسلام والجيوش الفرنسية: أصبح هم الإدارة الاستعمارية بعد حرب الريف يكمُن في إحكام السيطرة على تافيلالت وصغرو والناحية الوسطى للأطلس الكبيرة، أي ما تطلق عليه هذه الإدارة "المغرب غير النافع"، ولهذا الهدف أنشأت سنة 1913 ما أطلق عليه "قيادة التخوم الجنوبية" لإتمام ما تسميه أيضا المرحلة الرابعة في التهدئة (1931.1934). إلا أن مهمة الجيوش الاستعمارية لم تكن سهلة، ذلك أنها وجدت مقاومات عنيفة في كل مكان، إلى درجة أن الاشتباكات أحياناً تمت وجهاً لوجه بالسلاح الأبيض. وقد وقعت هذه الاشتباكات في واحات دادس ودرعة وتدغة وفركلة وغريس... التي تم احتلالها بين 1931 و1932. وأمام هذا الوضع بدأ عسو بسلام الذي اعتصم بجبل صغرو يستعد لمواجهة القوات الفرنسية رغم اختلال موازين القوى بين الطرفين، ومرت هذه المواجهة بثلاث مراحل أساسية :

المرحلة الأولى من أواخر 1932 إلى مطلع 1933 : تكونت بإيعاز من عسو بسلام فرق من المجاهدين في شكل عصابات مسلحة تقتحم مواقع القوات الفرنسية ومراكز الشؤون الأهلية في نماذج متعددة من هذه العمليات، وهكذا اشتبك رجال أيت عطا لأول مرة مع القوات الاستعمارية في ممر يدعى "تيزى نْتَدارْت" شرق ورزازات. وكانت هذه العملية بقيادة باسو بسلام أخي عسو بسلام أسفرت عن مقتل ثمانية عشر من جنود الاحتلال ومن بينهم ضابط برتبة قبطان. وغنم المقاومون في هذه العملية أسلحة مختلفة.

كانت هذه العمليات تثير انزعاج السلطات الاستعمارية كما يشير إلى ذلك الجنيرال هوري Huré في كتابه *تهدئة المغرب المرحلة الأخيرة 1931.1934* :"إن اعتصام هذه الفرق المسلحة بصغرو يشكل أكبر خطورة بالنسبة لنا، وتكمُن هذه الخطورة في مهاجمة قوافل التموين، وكذلك تشويش وتحريض القبائل المهدّأة، وهكذا وقعت في الشهور الأخيرة من سنة 1931 أزيد من ثلاثين عملية داخل خطوط التماس لجيوشنا" (ص 102).

وقد كان من الطبيعي أن يؤدي النهوض المعادي للاستعمار وعملاته إلى تدخل القوات الفرنسية، الشيء الذي زاد من تأجيج روح المقاومة. ويقول الضابط جون ديسم J. d'Esme في كتابه *بورنازيل الرجل الأحمر* :"إن عسو بسلام وأتباعه لم يتوقفوا عن مهاجمتنا، ففي شهر يناير1933 وحده فقدنا نتيجة هذه الهجومات أربعة من أحسن ضباطنا بالإضافة إلى الجنود ومئات الجرحى والمعطوبين، واستيلاء المهاجمين على غنائم منها البهائم المحملة بالأسلحة والمواد الغذائية" (ص 32).

أمام تأزم وضعية الجيوش الاستعمارية وارتباكها بدأت قياداتها تبحث عن وسائل لإخماد المقاومة، وهكذا ضاعفوا من مراسلاتهم لقائد المقاومة عسو بسلام يطالبونه بالخضوع للمخزن الذي تتم التهدئة باسمه. وكان جواب عسو بسلام عن أحد هذه المراسلات ما يلي :"فليتقدم الذين حرّروا هذه المراسلات لأخذ الجواب هنا".

المرحلة الثانية من 12 فبراير إلى فاتح مارس 1933 : معركة بُوگافر. بوگافر موقع حصين وسط جبل صغرو في الأطلس الكبير الشرقي، جمعت السلطات الاستعمارية

لمهاجمته قوات ضخمة قوامها ثلاثة وثمانون ألف مقاتل تدعمها أسراب من الطائرات بلغ عددها أربعاً وأربعين طائرة. وكانت هذه القوات مكونة في أغلبها من اللفيف الأجنبي لكسر شوكة المقاومين، والقضاء على عسو بسلام. لهذا كان الفرنسيون يلقون إلى المعركة ضد المقاومين بحشود تكاد لا تنتهي من السينغاليين وغيرهم من المرتزقة بقيادة علية من الضباط المصابين جميعا بحمى المغامرة والفتح والترقية السريعة أمثال الجنيرالين جيرو وكاترو والقبطان سبلمان و بوايبي وبشاردون وبولان...

أما بالنسبة للمقاومين فكان عددهم في بوگافر سبعة آلاف رجل منهم ألف ومائتا مقاتل فقط مزودون بأسلحة بسيطة إلى جانب البنادق التي غنموها في مختلف المعارك، ولم يكن الفرنسيون يواجهون في هذه المرحلة أيت عطا فقط، بل انضم إليهم أيضا مقاومون من أيت مَرْغاد الذين أبلوا البلاء الحسن وجعلوا من صغرو مقبرة للغزاة.

ففي يوم 13 فبراير اليوم الأول للهجوم على صغرو غنم المقاومون مائة واثنتي عشرة بغلة محملة بالذخيرة والأسلحة والمواد الغذائية، وتوالت الانتصارات مما جعل كثيراً من المترددين يلتحقون بصفوف المقاومة، كما برز عسو بسلام في صحف الاستعمار كزعيم تهابه القوات الفرنسية.

حاولت الجيوش الفرنسية، أمام فشلها في التقدم وتحقيق الانتصار، تنظيم التراجع، لكن رجال أيت عطا الأشاوس عرقلوا هذه المحاولة مستعملين جميع الأسلحة حتى الحجارة، وطاردوا القوات الفرنسية الغازية من جميع الجهات فحدثت بذلك معركة بوگافر الشهيرة يوم 28 فبراير 1933 تكبدت فيها القوات الفرنسية خسائر تتجلى في قتل أزيد من عشرة ضباط على رأسهم القبطان بورنازيل الذي خلفت وفاته وقعاً كبيراً في الأوساط الأستعمارية، كما فقدت مئات الجنود، واستولى المقاومون على جميع الأسلحة والذخائر التي تركها الجيش الاستعماري في الميدان. والجدير بالذكر أن المرأة العطاوية لعبت دوراً كبيراً في هذه المعارك سواء بتحريض الرجال من الخلف، أو تعويض القتلى في الميدان.

المرحلة الثالثة من فاتح مارس إلى 25 مارس 1933 : سلم بدون هزيمة. أمام عجز القوات الفرنسية عن تحقيق الانتصار بقوة السلاح التجأت إلى الأساليب الوحشية اللاإنسانية، وذلك لتحقيق انهيار المقامة وتفتيت وحدتها. وفي هذا الصدد كثّف الطيران هجومه وقصفه لمجاري المياه وقطعان الماشية، حتى إن الجنيرال هوري اعترف أنه تمت الإبادة والاستيلاء على أغلب الماشية بحيث لم يبق في يد المقاومين إلا حوالي 10٪ من ماشيتهم التي كان يبلغ عددها 25.000 رأس.

وبموازاة سياسة الأرض المحروقة هذه زادت الجيوش الاستعمارية من محاصرة جبل بوگافر لمنع المقاومين وماشيتهم من الاتصال بالسهول والواحات المجاورة للحصول على القُوت والكلإ. ومع ذلك فإن المعارك لم تزد إلا ضراوة. وعمل ضباط الشؤون الأهلية أمثال سبّلمان Spillman الذي يعرف المنطقة جيداً، على تنشيط ما يطلق عليه "العمل السياسي" المستمد من خطة ليوطي في التهدئة. وفي هذا الصدد حاول هؤلاء الضباط إثارة النعرات القبلية القديمة بين مختلف أخماس أيت عطا الذين جمعتهم كلمة المقاومة والجهاد. ولهذا الغرض نودي على أحد عملاء الاستعمار وهو الشاوش حميدة الذي كان له ماضٍ سيّئ في ملازمة الجيوش الاستعمارية وخدمة ضباطها، وبإيعاز منه تم التفكير في جلب كل خمس على حدة للاستسلام، وهكذا كان يؤتى ببعض الأفراد الذين غُلبوا على أمرهم إلى الجبهة قصد جلب أفراد خمسهم المقاومين للخضوع عن طريق الترهيب والترغيب والضغوط النفسية. وبهذه الطريقة استسلمت مائة وخمسون أسرة من فرع أيت إعَزّى وأيت أُنَبْگي، ومائة أسرة من أيت عيسى وَابْراهيم (أيت واحليم) وذلك خلال الفترة الممتدة ما بين 10 و23 مارس 1933.

بسلام يوم 25.3.33 يفاوض الجنرالات هوري، وكاترو، وجيرو

أمام هذا الوضع قرر عسو بسلام - بعد الصدع إلى الجماعة والتشاور معها- النزول للتفاوض يوم 25 مارس 1933، وقد حرص على أن يحاور ضباط الاستعمار من موقف السيادة الكاملة والقوة، كما يتجلى ذلك من هذا الحوار الذي دار بينه وبين القبطان بوايبي Boyé ثم الجنيرال هوري (كما سجله المترجم العقيد بلمدني في *مذكراته* إلى المؤلف وكان آنذاك ضابطا صغيراً) :

- عسو بسلام :"إنني جئت أنا ورفيقي للتفاوض فقط ولم آت للاستسلام".

- الضابط الفرنسي :"بعد هنيهة من الآنْ ستقدم استسلامك وطاعتك للحاكم الكبير الجنيرال هوري الذي سيصل بعد قليل".

- عسو بسلام :"قلت لك، إنني لم أنزل من الجبل للاستسلام، لقد جئت أنا ورفيقي مبعوثين من طرف المجاهدين لمعرفة شروط تحقيق السلم الذي يصون كرامتنا، وإلاّ فانتم هنا ونحن لم نضع السلاح بعد".

وقد اضطر المترجم بلمدني عند وصول الجنرال هوري إلى تعديل فقرات مشحونة بالتهديد والوعيد من خطاب الجنرال هوري محاولا تقليد إشارات الجنرال حتى لا يشعر هذا الأخير بتغيير خطابه وحتى لا يتراجع عسو بسلام عن فكرة التفاوض لو بلغة فحوى الخطاب الزجري.

لم تُرعب عسو بسلام القوات الضخمة من جيوش ومدافع وطائرات التي جمعتها القيادة الفرنسية في الجبهة قصد استقبال الجنيرال هوري وإرهاب قائد المقاومة، بل إن قائد المقاومة صرح كرد فعل :"إنه من المدهش حقاً أن تصمد قواتنا البسيطة طيلة هذه المدة (42 يوماً) في حرب ضروس غير متكافئة وتلحق بالجيوش الفرنسية خسائر كبرى، دون أن يكون في إمكانها، أي القوات الفرنسية، تحقيق انتصار ولو بسيط يذكر".

ومن بين الشروط التي فرضها عسو بسلام على الجنيرال هوري : عدم امتداد سلطة الأگلاوي إلى منطقة نفوذ أيت عطا، وإقرار عسو بسلام في منصبه كشيخ عام على أيت عطا، وهو المنصب الذي احتفظ به فعلا إلى الاستقلال، وإعفاء المرأة العطاوية من المساهمة في الحفلات التي تنظمها الإدارة الاستعمارية في مناسبات مختلفة، وارجاع كل ممتلكات المقاومين المصادرة إلى أصحابها مع إعفائهم من الخدمات الإجبارية والإتاوات المختلفة التي تفرضها الادارة الاستعمارية على السكان.

هكذا حققت حركة مقاومة أيت عطا قسطاً مهما من أهدافها، وظل بطلها عسو بَسلام رمزاً للحرية والشرف. وغداة الاستقلال في صيف 1956 عين قائداً في أكنيون بجبل صغرو، وظل في منصّبه إلى أن أدركته الوفاة يوم 22 صفر 16/1380 غشت 1960.

ع. بوراس، *مقاومة أيت عطا بصغرو، فبراير- مارس 1933، العلم الثقافي*، ع 816، 7 مارس 1987 ؛ *المقاومة الوطنية والاسطوغرافية الاستعمارية من خلال مقاومة زايد أحمد 1934،1936، العلم الثقافي*، ع. 826، 23 ماي 1987 ؛ م. المعزوزي، و هـ. العلوي، *الكفاح المغربي المسلح*، الرباط 1987.

A. Bourras, *La guerre du Saghro 1930-1931*, *Lamalif* N° 138, Août-Sep. 1982, p. 44-45 ; H. Bordeaux, *Henry de Bournazel*, Paris, 1935 ; D. M. Liart, *Assû û-Basslam, Les Africains*, t. V, p. 75-105 ; A. Huré, *La pacification du Maroc : dernière etape, 1931-1934*, Paris, Berger-Levrault, 1952 ;J. Saulay, *Histoires des Goums Marocains*, t. 1, Paris, 1981 ; G. Spillmann, *Les Ait Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra*, Rabat 1936 ; G. Spillmann, *Souvenirs dun colonialiste*, Paris, Presse de la cité, 1936 ; L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939.

عبدالقادر بوراس

البشاريّ، أو البشَرّي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Becerra ومعناه بالإسبانية العجلة (البقرة الصغيرة)، وكان من بين أفراد هذه الأسرة بتطوان :

البشاريّ، محمد الذي اشترك مع جماعة من أصدقائه في اغتيال باشا تطوان محمد تميم في 7 ذي القعدة 8/1163 أكتوبر 1750.

وأسرة البشاري، من بين الأسر التطوانية التي هاجرت إلى القصر الكبير قبل سقوط تطوان بيد الجيش الإسباني سنة 1860/1270.

أ. الزهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 50 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 235، 5 : 229 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بشر، بن صفوان الكلبي، من ولاة الأمويين بالمغرب (103 . 190 / 721 . 726) ولا تتحدث مصادر التاريخ المغربي عنه إلاّ وهو على رأس مسؤوليته في الغرب الإسلامي (*تاريخ أفريقية والمغرب*، ص. 66 ؛ *البيان*، 1 : 49) وكانت مهمته محصورة في معالجة المسائل الآتية :

- قضية الضرائب وجمع المداخيل لدارالخلافة بدمشق من بلاد المغرب والأندلس.
- تسوية الخلافات القبلية العربية في ولايته الجديدة والتغلب على المشاكل التي مازالت تواجه الوجود الإسلامي وانتشاره في بلاد البربر والأندلس.
- البحر والمضايقات المسيحية في غرب البحر المتوسط.

نتج عن سياسة القسوة في استخلاص الجبايات بالولايات الإسلامية النائية عن دار الخلافة بدمشق أن اغتيل والي أفريقية يزيد بن أبي مسلم (102 . 103) فعُين مكانه "بشر بن صفوان" ليعالج المشاكل المعقدة في ولاية أفريقية. وقد سبقت عملية تكليف بشر بن صفوان بأفريقية مشاورات وأحداث يرويها المؤرخون بصور متعددة، وأهم ما في الأمر أن أهل أفريقية لما قتلوا عاملهم أبا يزيد بن مسلم وجهوا إلى الخليفة بدمشق مبعوثهم أبا محمد خالد بن أبي عمران التجيبي ليخبره بقتل يزيد. فلما وصل إلى الخليفة يزيد بن عبد الملك، استشاره هذا الأخير فيمن يوليه فأشار عليه فقبل قوله. وكان الخليفة على دراية ببشر واليه على مصر ونجاحه في تنظيم إدارتها المالية. والذي يظهر أن بشراً حظي بثقة الخليفة وأسند إليه اختصاصات واسعة حيث تشير النصوص إلى أن بشراً هو الذي عين أخاه حنظلة خلفاً له على مصر بعد أن تقلد ولاية أفريقية، وانتقل إلى القيروان وعين على الأندلس عاملا من قبيلته وهو عنبسه بن سحيم واستمر بها من (103 إلى 107). وهذا يعني من وجهة نظر أخرى أن بني كلب اليمنيين المنافسين للقبائل القيسية قد أصبحوا يسيطرون على السلطة في القسم الأفريقي كله والأندلس. ويزيد بن أبي مسلم الذي حكم قبل بشر بن صفوان كان هو أيضاً من بني كلب. فظهر صراع بني العصبية اليمنية على رأس زعامتها الكلبيون والعصبية القيسية وعلى رأسها السلميون .

ونلاحظ أن بشر بن صفوان اجتهد في ضرب العرب البلديين مثل آل موسى ابن نصير ومن شايعهم، كما واصل سياسة القسوة ضد البربر، ووسع دائرة المتابعة إلى المغرب الأقصى مطارداً أسرة موسى بن نصير ومصادراً أموالهم (ابن عبد الحكم، ص. 215 ؛ *البيان*، 1 : 49) وقد جمع الوالي الجديد أموالاً وذخائر كثيرة حملها إلى دمشق سنة 105 / 723. وكان معظم ما حمله قد استصفاه من البربر، ولم يعش الخليفة اليزيد طويلا ليتمتع بهذه الهدايا، إذ وجده بشر بن

صفوان قد مات في شعبان سنة 105 / يناير 724 فقدم الهدية للخليفة الجديد هشام بن عبد الملك الذي أقر بشر بن صفوان على ولايته. وبذلك وافق الخليفة على السياسة الداخلية المتبعة من قبل الولاة في بلاد المغرب والأندلس مما كان له عظيم الأثر في قيام ثورة البربر تحت غطاء الحركات الخارجية ثم الاستقلال والانفصال عن التسيير المباشر لمركزية الخلافة بدمشق وبغداد.

لم يهمل بشر بن صفوان الكلبي مشاريع التمدين فأسهم في توسيع مسجد القيروان الذي أنشأه عقبة بن نافع وجدده الوالي حسان بن النعمان وأكمله الوالي بشر بن صفوان. ولكن الذي أعاد بناءه كله وأعطاه صورته الباقية إلى اليوم هو زيادة الله بن الأغلب (*الدولة الأغلبية*، ص. 275 وما بعدها). كما اهتم بشر أيضاً ببناء المحارس على الساحل والرباطات. وهذا ما ينقلنا إلى مهمته الكبرى على مستوى الجهاد البحري وهي تاكيد سلطان العرب في غرب حوض البحر المتوسط.

كانت مدة ولاية بشر قصيرة لم تجاوز خمس سنوات لكن المجهود الذي قام به في بناء البحرية المغربية بصفة خاصة كان كبيراً جداً. ويخبرنا خليفة بن خياط عن هذه التطوات والحملات العسكرية التي قامت بها البحرية المغربية في عهد ولاية بشر بن صفوان (*التاريخ*، 2 : 475. 479) كما يشير ابن الرقيق إلى ذلك (ص. 66) وابن عذاري (1 : 49). والمهم أن الحملات البحرية وخاصة على صقلية وجنوب إيطاليا لم تنقطع من 103 / 720 إلى 108 / 724 وشكلت أهم المهام الرئيسية لبشر بن صفوان إلى جانب ضبط الأوضاع الداخلية الثائرة والمتقلبة في ولايته. كما نظمت حملات كبرى على الجزر الغربية والوسطى للبحر المتوسط (سردينا وكورسيكا وصقلية).

أصيب بشر بن صفوان الكلبي في حملته الحربية التي قادها بنفسه إلى صقلية سنة 109 / 727 بمرض أودى بحياته، وليس في سنة 107 / 725 كما رجح ذلك الدكتور سعد زغلول (*تاريخ المغرب*، ج 1 ص. 273). وقد سمت المصادر هذا المرض بـ"الدبيلة" وهو عبارة عن خُراج ودُمل كبير يخرج في الجوف فيقتل صاحبه، وكانت وفاته في شوال سنة 109 / 27 يناير 728.

م. ابن عذاري، *البيان* ؛ الكندي، *الولاة وكتاب القضاة* ؛ ابن الرقيق، *تاريخ أفريقية والمغرب* ؛ خ. ابن خياط، *التاريخ* ؛ المالكي، *رياض النفوس*، ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 1 ؛ ع. سعد زغلول، *تاريخ المغرب العربي* ؛ م. الطالبي، *الدولة الأغلبية* ؛ ع. سالم وم.م. العبادي، *البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس*.

هاشم العلوي القاسمي

البُشْرَى، محمد بن عبدالفاضل بن محمد بن أحمد بن قاسم أكشاو العمراني، من الشرفاء العمرانيين أولاد سيدي حنين دفين تلنبوط، الذي يقول عنه ابن عرضون : إنه النسب الوحيد الموثوق به في قبائل غمارة، (*الكتاب اللاتق*، 2 : 204، 205). وأصلهم من أولاد عبدالكريم من بني وكثا بقبيلة بني منصور الغمارية، ومن هنا جاء اسمهم العائلي : أكشاو ؛ انتقل أحد أجداده إلى مدشر علوي ببني خالد إحدى قبائل غمارة، في الجنوب الشرقي لشفشاون على بعد نحو 75 كلم.

ولقب بالبُشْرَى، لأن والده كان أحد المريدين للشيخ الحاج الصديق التجكاني، فسأله أن يدعو له ـ وهو ولده الوحيد ـ أن يكون من حفظة القرآن الكريم، فقال له : إنه البُشْرَى ـ إن شاء الله ـ لعالم جليل. وعنصر من عناصر العلم والمعرفة. فالتصق به هذا اللقب من يومئذ.

ولد في حدود سنة 1892/1310، وحفظ القرآن مبكراً، وبدت عليه بوادر النجابة، درس العربية والفقه على جماعة من فقهاء غمارة وقبائل الهبط، ثم رحل إلى فاس وأنهى دراسته بجامع القرويين على كبار مشيختها، ويذكر في بعض تقاييده : أن من العلوم التي درسها هناك : التفسير وعلوم الحديث والفقه والأصول والأدب والعربية والبلاغة والمنطق والتوقيت وما إلى ذلك.

ثم عاد إلى مسقط رأسه سنة 1920/1339، فتولى التدريس والخطابة ببعض الجوامع، وكانت العادة ـ بالبادية ـ أنه عندما يعود الفقيه من فاس، يتولى ـ تلقائيا ـ الإرشاد الديني، والإفتاء بين الناس. وفي هذه الأثناء صدر قرار وزيري ممضي من طرف الصدر الأعظم أحمد غنمية بتعيينه خليفة للقاضي، ولكنه لم يلبث أن تخلى عنه بمحض إرادته، فتفرغ للتدريس بمدشر علوي، وأصبح إمامه وخطيبه ؛ فتقاطرت عليه أفواج الطلبة من مختلف الجهات، وكان يتمتع بذاكرة قوية، وفصاحة لسان، وسعة بيان، وكان آية من آيات الله في علوم العربية : يحفظ قواعدها، ويستحضر شواهدها. وكان له ميل إلى الأدب، يحفظ *مقامات الحريري* عن ظهر قلب، وربما قرض الشعر.

وفي سنة 1931/1350 ـ رحل إلى المشرق فأدى فريضة الحج، وبعد عودته واستئناف الدراسة لمدة سنتين ؛ ـ جاءه أعيان ووجهاء قبيلة بني ورياغل يرغبون إليه أن يكون خطيبا ومدرساً بجامعهم بأجدير مركز قيادة ابن عبدالكريم الخطابي، فلبى رغبتهم وانتقل هو وطلابه ـ وعددهم يفوق ستين طالبا ـ إلى هناك، وكان محل عناية فائقة من السكان ومن قبائل الريف بعامة ؛ مما زاد في نشاطه فكان قمة عطائه العلمي والفكري. وقد دفعته نخوة العلم ونشوة الأدب لينظم قصيدة مطولة سجل فيها أمجاد الحرب التحريرية بالريف، تعتبر من الحوليات ضاعت مع الزمن.

ثم عاوده الحنين إلى البقاع المقدسة فحج ثانية سنة 1937/1356.

وفي عام 1939/1358 عين قاضياً على قبيلة بني خالد. وكان صدر ظهير خليفي باستقلال القضاء في شمال المغرب، ولكنه عانى من المسئولين الأمرّين مما جعله يضرع إلى الله ـ عز وجل ـ في أخريات حياته أن يدفع عنه هذا البلاء، ويفارق بينه وبين القضاء ولو بالموت، فكانت وفاته

سنة 1946/1366، عن عمر يناهز ستاً وخمسين سنة.

محمد بن محمد أكناو، تقييد في ترجمة الوالد، مخطوط.

سعيد أعراب

بشراي بن محمد يَحْضيه. ولد بتاريخ 1917 بالساقية الحمراء، وانخرط في جيش التحرير بالمقاطعة التاسعة في مركز تافودارت تحت قيادة صالح ابن عسو، وقام بعدة أعمال جليلة من أجل تحرير الوطن إلى أن استشهد بالصحراء في معركة الدشيرة بتاريخ 13 يناير 1958.

وثائق المندوبية السامية للمقاومة.

عز الدين العلام

البشري، إدريس بن محمد التلمساني، جاء سلفه من تلمسان إلى فاس في أوائل القرن الرابع عشر (19 م)، واشتغل إدريس البشري بتعليم الصبيان القرآن الكريم في كتّاب مسجد سيدي المخفي من حومة المخفية عدوة القرويين، وكان من الآخذين عنه عبد السلام ابن سودة الذي ترجم له في فهرس شيوخه *سل النصال*.

كان إدريس البشري أستاذاً مقرئاً يحفظ القرآن بالروايات. صالحاً مقبلاً على شأنه، ملازماً للعبادة يؤم بالنيابة بمسجد المدرسة، ويربي الصبيان ويلقنهم القرآن. يصوم ثلاثة أشهر من كل عام "رجب وشعبان ورمضان" ويتهجد من الليل ما شاء الله إلى أن توفي راضياً مرضياً في أواسط عام 1336 / 1917، ودفن بفدان الغرباء خارج باب الفتوح.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1336 ؛ *سل النصال*، الترجمة 43.

محمد حجي

بشري محمد بن عبدالله. ولد سنة 1944 بالساقية الحمراء، وانخرط في جيش التحرير المغربي بالجنوب سنة 1956. كان نشيطاً في مشاركته مع إخوانه المجاهدين وقام بعدة أعمال جليلة وبقي يعمل إلى أن استشهد في معركة مركالة بنفس السنة 1956.

شهداء الاستقلال، ج 2.

عزالدين العلام

بشّار (وبالبربرية أبشار) يعني في الكلام المتداول الشخص الذي يأتي بالخبر المفرح. فهي كلمة مشتقة من الفعل العربي بشّر. إلا أن للمفهوم معنى خاصا عند القبائل المغربية في مرحلة ما قبل الاستعمار وخلال فترة الاستعمار. كانت مهمة البشار هي إخبار من سُرق له شيء بالمكان الذي يوجد فيه ذلك الشيء والعمل على استرجاعه له. وتسمى المهمة في حد ذاتها البشارة (أو تَبَشَّارَتْ بالبربرية).

والبشارة ظاهرة عامة وجدت في جل القبائل المغربية والجزائرية لأنها ارتبطت بظاهرة السرقة وباللصوصية. ولا يمكن أن نفهم وظيفة البشّار إلا في إطار وجود تلك اللصوصية، بحيث كان لهذه الأخيرة طابعٌ منظم ومؤسسي يتجلى في كونها لازمت النظام القبلي والصراعات القبلية (هارت : 15.14).

يصف بيارني في بداية القرن طبيعة السرقة، وهي في الواقع لا تعني الاختلاس والسطو عن طريق الاحتيال، مصنفاً أنواعها في حوض سبو وورغة. ويميز السكان المحليون ـ حسبه ـ بين ثلاثة أنواع من السرقة :

ـ تلك التي تمارس عن طريق السلاح وهي الدرزة، (والدريز هو الصوت الذي يحدثه الحصان)، والضربة والحركة، وهذه الأنواع الثلاثة تكُونُ مباغتة في كثير من الحالات وتمارس فوق ظهر حصان، ويكون أصحابها مسلحين.

وتستهدف كل هذه الأنواع من السرقة السطو على المتاع كيفما كان نوعه، وخصوصا رؤوس الحيوانات، من الخيام داخل الدواوير أو من القوافل التجارية. ولا تمارس السرقة من طرف الفئات الاجتماعية المهمشة فحسب، بل كل الفئات تمارس اللصوصية. ولا ينظر إليها كممارسة منبوذة، وإنما هي دليل على الشجاعة وتكون بالنسبة للسارق مصدراً للاعتزاز. هناك أعراف لاسترداد الأشياء المسروقة دون اللجوء إلى عقاب المذنبين أو متابعتهم ؛ وفي غالب الأحيان لا يتم عقاب اللصوص. (بيارني : 135).

تعتبر سرقة الماشية أكثر شيوعا، فهي على حد تعبير ميشو بلير رياضة تهيئ أفراد القبيلة إلى الحرب. ولا يتردد أبناء الأعيان من ممارستها لاختبار شجاعتهم. (ميشو بلير: 45).

تتم السرقة في إطار جماعي. فالسارق الذي يسرق لحسابه الخاص وبمفرده هو ظاهرة نادرة حسب بيارني. غالبا ما يكون اللصوص جماعات، وكل جماعة يترأسها زعيم، يسمى "الكمان" ينسق فيما بينهم، يوزع الأدوار عليهم، ويتكلف بإخفاء الأشياء المسروقة في منزله. وللكمان سلطة في منطقته. كما أن له علاقة طيبة مع القبائل المجاورة. بحيث يهاب ويحترم من طرف الجميع. فهو إذن ذو وضع اجتماعي متميز، فهو ثري، أساس وأصل ثروته الاتجار في المسروقات، التي يبيعها بثمن رخيص. ويحكي موليراس، في كتابه *المغرب المجهول*، على لسان مخبره محمد بن الطيب استضافته من طرف كمان مرموق في ناحية فاس ـ تازا.

للكمان وضع مزدوج : فهو من جهة، العارف بأمور اللصوص، يتعامل معهم وينظمهم ويؤطرهم، ومن جهة أخرى يحمي البعض من هجمات اللصوص نظراً لكونه يملك تلك المعرفة. (بيارني : 139). كما أن له أيضا علاقة طيبة مع ممثلي المخزن، إذ يقدم لهم الهدايا في المناسبات التي تقتضي ذلك (بيارني : 136).

هناك نوع من التشابه بين الحملات اللصوصية والحركات الهجومية التي يشنها بعض الأعوان على القبائل. فغارات اللصوص هي عبارة عن حركات صغيرة تتضمن بين 20 و30 رجل مسلحين، يكون من بينهم 10 إلى 12 رجل يركبون الخيل ويوزعون الأدوار فيما بينهم لانجاز مهمتهم (بيارني : 140).

في بعض الحالات ليست السرقة هدفا لذاته وإنما تدخل في إطار الصراعات التي تحدث بين القبائل أو بين فرق القبائل أو بين الأفراد، بحيث يكون الدافع هنا هو نوع من الانتقام لرد الاعتبار. وهذا النوع من السرقة هو الذي يحدث عندما تغير قبيلة على أخرى أو عندما تغير الحركات المخزنية على بعض القبائل.

في كلتا الحالتين، أي في حالة اللصوصية المنظمة أو في حالة الحركات الهجومية يلعب البشار دورا في استرداد الأشياء المسلوبة. فالبشار هو الذي يقود الناس إلى الكمان لكي يسترجعوا متاعهم وذلك بشرائه منه من جديد.

غالبا ما يكون لكل قبيلة بشارها كما كان الأمر عند قبائل زمور، إذ يسمى عندهم بـ "أبشار نقبلت" أو "أسيد نقبلت" (أي ضوء القبيلة)، فهو الذي يتولى مهمة البحث عن المسروقات وإخبار أصحابها بذلك. ويتحدد ثمن البشارة بقيمة الشيء المسروق، وفي غالب الأحيان يكون محدداً ومعروفاً عندما يتعلق الأمر برؤوس الحيوان (مارسي : 295).

لقد تناول الفقيه المهدي الوزاني في *نوازله* مسألة الأجر الذي يتلقاه البشار مقابل البشارة، مستنداً إلى أقوال الفقهاء السابقين، بحيث أبرز تضارب آرائهم فيما يخص هذه المسألة، فمنهم من رأى بأن البشارة المتعارف عليها في العرف هي "من أكل أموال الناس بالباطل" ومنهم من رأى لزومها، غير أن السارق هو الملزم بأدائها (*النوازل*، 8 : 118).

هناك فرق بين البشار و"البياع" (من فعل باع). يمكن لأي شخص أن يصبح "بياعا" عند الضرورة، أما البشار فهو شخص معين يقوم بوظيفة البشارة وهي مهمة محددة. غالباً ما يخدم البياع مصالح السارق، فهو الذي يخبر الكمان بقيمة وأهمية ضيعة ما (عزيب) يوجد بها عدد كبير من رؤوس الماشية ليشن عليها اللصوص غارتهم، في حين أن البشار يخدم مصالح الشخص الذي سرق منه متاعه مقابل أجر معين يتم الاتفاق عليه (هارت : 15).

كما يقوم البشار بإخبار المخزن عندما تتعرض قبيلة ما أو الحركة المخزنية لهجمات اللصوص، إذ يخبر بمحل السرقة وبهوية مرتكبيها ؛ وعقب ذلك الإخبار يفرض المخزن غرامة (ذعيرة) على السارقين.

فللبشار علاقة طيبة مع المخزن ومع أعيان القبيلة، باعتبار أنه يقوم بمهمته تحت طلب المخزن أو ممثلي القبيلة في الجماعة.

فعندما يتعرض فرد مّا لسرقة، يقصد من له نفوذ في القبيلة حاملا له بعض الهدايا متوسلا إليه أن يساعده على إيجاد متاعه. يرسل صاحب النفوذ هذا في طلب البشّار وعندما يتم الاتفاق على ثمن البشارة، ينطلق البشار في البحث. وعندما يجد الشيء المسروق يباع في أحد الأسواق، فإما أن يخبر به صاحبه وإما أن يشتريه بثمن أقل من قيمته (ما يسمى بالمرفقة)، مع اقتطاع ثمن البشارة، ويأتي به لصاحبه، في غالب الأحيان لا يسترجع الفرد متاعه إلا بعد أداء ثلاثة أرباع ثمنه الحقيقي، تتوزع بين أجرة البشارة وثمن شرائه من جديد. (بيارني : 144) و(سالمون : 139).

ولقد طرأت تحولات على وظيفة البشار خلال المرحلة الاستعمارية. فحسب سالمون، لم تختف عادة البشارة عند القبائل الفحصية في الشمال خلال وجود المستعمر ولكنها تحولت شيئا ما، أصبح البشار ليس بالضرورة ذلك الوسيط بين من سُرق منه متاعه والسارق، وإنما هو الشخص الذي يخبئ الأشياء المسروقة، كما كان الكمان سابقا، إلى أن يظهر صاحبها فيؤدي عليها حق البشارة و يأخذها. كان في منطقة الفحص أربعة أو خمسة منهم يترددون على سوق طنجة. إلى جانب وظيفة البشارة أصبحوا يقومون بوظيفة الدلال لبيع الخيول، (سالمون : 201).

تعتبر البشارة آلية من الآليات المتعددة التي كان النظام القبلي ينتجها للمحافظة على توازنه. ففي غياب جهاز منظم للمراقبة ولإثبات الأمن، نجد عدداً من المؤسسات تقوم بتلك الوظائف. وإذا كانت اللصوصية مبدئيا هي الاعتداء على الآخرين ومناسبة لانفجار العنف المطلق، فإن هذا العنف لا يصل إلى حده الأقصى نظراً لوجود مؤسسات من بينها البشارة، تقلص دائماً من حدته وتعمل على حفظ التوازن وضمان أمن قد يكون مؤقتاً.

المهدي الوزاني، *النوازل الجديدة الكبرى*، الجزء الثامن.

A. Hanoteau, et Letourneux, *La Kabylie et les coutumes kabyles*, Paris, A. Challamel, 1893, t. 2 ; A. Mouliéras, *Le Maroc inconnu*, Paris, A. Challamel, 1899, t. 2 ; G. Salmon, *Institution berbère et tribu Marocaine : La Fahçya, A. M.*, vol. I, 1904, p. 127, 149, 261 ; E. Michaux-Bellaire, *Le Gharb, A. M.*, vol, XX, 1913 ; Ben Daoud, *Notes sur le pays Zaian, A. B.*, vol. 2, fasc. 3, 1917, p. 276, 306 ; E. Biarnay, *Voleurs, receleurs et complices dans les vallées inférieures de Sebou et l'Ouargha, A. B.*, vol. 2, fasc. 2, Rabat, 1917, p. 135, 148 ; G. Marcy, *Le droit coutumier Zemmour*, Alger, Jules Carbonel, Paris, Larose, 1949 ; D. Hart, *Banditry in Islam : Case Studies from Morocco, Algeria, and Pakistan North west frontier*, Middle east and North african Studies, 1987.

رحمة بورقية

البَشْنَة، حبّ يتضمن عدداً كثيراً من أنواع فصيلة النجيليات، بالإضافة إلى كون هذا اللفظ يستعمل أيضا في بعض مناطق المغرب للبشنيخة التي تنتمي إلى فصيلة الخيميات.

إنه من الصعب سرد جميع الأنواع النباتية النجيلية التي يطلق عليها لفظ "بَشْنَة"، وتعرف بمجموعة من الأسماء العلمية التي يقع فيها خلط بين أجناسها وأنواعها وضروبها، فهناك :

1 ـ البَشْنَة أو أنيلي أو إلأنْ أو الانْجّار (انظر إلأن) وهي الذرة الرقيقة: سُرْغُومْ حَلَبَانْسي Sorghum halepense.

2 ـ البَشْنَة أو الذرة البيضاء أو تَافْسُوتْ أو اعْبَابُو بالأمازيغية، وهي أنواع وضروب أخرى من جنس سُرْغُومْ مثل سُرْغُومْ فُلْگَارِي Sorghum vulgare وسرغوم سرنيوم Sorghum cernuum أو الذرة أمُّ شْرُورة التي تزرع بكثرة في مناطق الريف المغربي، وكلا النوعين يستعملان في تغذية الإنسان والدواجن.

وقد زرع النوعان منذ قديم الزمان في افريقيا وآسيا بعدما استأنسهما الإنسان، وانتشرت زراعتهما بعد ذلك في البلاد الحارة من المناطق المعتدلة والحارة. وذلك بالرغم من أن قيمتهما الغذائية تقل عن الذرة الهندية (الأمريكية الأصل) إلا أنهما تكوّنان غذاء أساسياً لبعض الشعوب في أفريقيا وآسيا.

والنوعان من السرغوم يشبهان الذرة الهندية في الصفات النباتية : نباتات طويلة الساق، حولية خشنة، ذات نورة سنبلية الشكل، غزيرة أو مفككة، وحَبّ أصغر.

إذا كان فصيل السرغوم (النبات الأخضر الطري) يحتوي على بعض المواد السامة بالنسبة للماشية فإنه يعتبر من أحسن الأعشاب العلفية بعد تجفيفه.

تستعمل البشنة أيضا في التطبيب التقليدي كمَوَاغ لعدد من الأدوية المبتلعة عن طريق الفم وفي بعض حالات أمراض المعدة.

3 ـ البَشْنَة أو الزّوان أو الدُّهْن أو الدُّخْن أسماء تطلق على بَانيكُوم مِلْيَاسِيُوم Panicum miliaceum وسيطاريًا إطَاليكا Setaria italica وفَالاَريسْ أرُونْدناسيا Phalaris arundinacea وفَالاَريس تُوبيروزا Phalaris tuberosa الخ... وكلها أنواع أصلية في المغرب، تعطي حبوباً دقيقة ذهبية اللون وتستعمل في أغلب الأحيان في تغذية الطيور الصغيرة المدجنة داخل الأقفاص.

كما تستعمل لتحسين المراعي الدائمة إذ أنها تعتبر من أحسن الأنواع الرعوية.

أ. هيل، *النبات الاقتصادي*، تر. عبدالمجيد زاهر وآخرين ؛ *أبحاث شخصية*.

Mathon, *Phytogeographie appliquée : L'origine des plantes cultivées*, Masson 1981 ; Bellakhdar, *Medecine traditionnelle et toxicologie ouest sahariennes*, Rabat, 1978 ; Renaud et Colin. *Tuhfat Al Ahbab*, Paris, 1934.

عبدالمالك بنعبيد

البشير، أو "بشير الإسلام بخوارق الأعلام" اسم سفينة مقنبلة اقتناها المغرب سنة 1897 صنعت في أوراش ليفورنة بإيطاليا في إطار السياسة العسكرية التي نهجها المغرب في القرن التاسع عشر خصوصا بعد معركة إسلي، وكانت تهدف لتجديد القوات العسكرية سواء منها البرية أو البحرية.

وقد بدأت محاولة إحياء الأسطول البحري منذ عهد مولاي عبدالرحمان واستمرت إلى وفاة مولاي الحسن، حيث باءت كغيرها من المحاولات "الإصلاحية" الأخرى بالفشل.

فمولاي عبدالرحمان الذي كان في حاجة ماسة إلى مداخيل مالية غير الزكوات والأعشار والمكوس التي كانت مرهونة باستقرار الأحوال السياسية الداخلية المضطربة، حاول أن يفتح من جديد عهد المبادلات التجارية مع أوربا والولايات المتحدة، فكان لا بد من إعادة إحياء البحرية التي لم يبق لها أثر في أواخر عهد مولاي سليمان.

وتقهقر البحرية المغربة، يدخل في الإطار العام لتحول موازين القوى في البحر المتوسط، الذي كان من أهم مظاهره فقدان الأندلس والانكماش السياسي والجغرافي بالمغرب، وإن كانت البحرية قد استطاعت الصمود إلى أواخر القرن الثامن عشر.

فقد ظلت السفن المغربية تمارس "الجهاد البحري" في شكل القرصنة التي نشطت في عهد الموريسكيين، ثم في عهد مولاي إسماعيل الذي احتكر البحرية، ولقيت طوال هذه المدة تشجيعاً من طرف الدولة التركية التي كانت تؤمل أن تصير القوة البحرية المغربية حاجزاً بين جزرها وبين البحرية الأوربية في بوغاز جبل طارق، خصوصا وأن كل جهودها الحربية كانت موجهة نحو الشرق في حروبها مع روسيا.

ورغم أن هذه البحرية أصبح لها دور تجاري محض على الخصوص في عهد سيدي محمد بن عبدالله، فقد بقي لها مفعول سياسي خارجي وداخلي، إذ أن مظهر القوة البحرية ساعده على التحكم ـ موقتا ـ في المبادلات التجارية في فترة تصاعدت فيها الأطماع الأوربية، واحتد تهافتها على المواد الأولية والأسواق لصناعتها الناشئة، كما أن مداخيل التجارة البحرية دعمت قوة المخزن وسلطته في الداخل على حساب القوة القبلية.

وبقي هذا التحكم إلى أوائل عهد مولاي سليمان الذي عقد عدة معاهدات تجارية مع أوربا في ظل البحرية الحربية، فعقد مع اسبانيا معاهدة مكناس سنة 1799/1213 ومع انجلترا معاهدة فاس 1801/1216 وجدد المعاهدة التجارية مع السويد والدانمارك تقريباً بنفس الشروط التي كانت في صالح المغرب، وكذلك مع الولايات المتحدة الأمريكية.

ولكن مظهر القوة البحرية بدأ يتضاءل، بسبب تدهور الأسطول البحري الذي أصابه الإهمال وتعذرت النفقة عليه من مدخول الموانئ بعد أن اضمحلت المبادلات التجارية البحرية من جراء الحروب الأوربية من جهة، ومن جراء الأزمة الاقتصادية والسياسية الداخلية في عهد مولاي سليمان، فخرجت التجارة البحرية عن نفوذ المخزن، وعادت القرصنة "الخاصة" مما عرّض السواحل والسفن المغربية لانتقامات أوربية، وعلى سبيل المثال فالمقنبلتان المغربيتان

زايدة والمربوحة، حُجزتا في ميناء مرسيليا سنة 1809 وبقيتا تحت الحجز مدة ثلاث سنوات.

وفي سنة 1817م قرر مولاي سليمان منع عمليات القرصنة والتجارة البحرية، وأرسل إلى الجزائر وتونس آخر السفن الحربية المغربية من بينها : "المنصورة" التي كانت تشتمل على 34 مدفعاً وحمولة 50 رجلا، وكذلك "الصويرة" وكانت تحتوي على 18 مدفعا وحمولة 30 رجلا، كما فرق محاربي البحرية على الجزائر وتونس وليبيا.

وهكذا كان على مولاي عبدالرحمن لإحياء التجارة البحرية أن يبتدئ بتأسيس أسطول بحري، فاشترى سفينة حربية من ستة مدافع من سردينيا، واهتم بأوراش صناعة السفن في الرباط وسلا، وخرجت أول السفن المغربية للتعرض للسفن الأوربية التي لم تكن لها معاهدات تجارية مع المغرب كنابولي Naples وروسيا، والنامسا، ومدن الهانسل، ولكن هذه المحاولة ووُجهت بعنف من طرف الدول الأوربية : فانجلترا أرسلت فرقة بحرية بقيادة دافيد هوب David Hope لمحاصرة طنجة سنة 1828، والنمسا قنبلت العرائش وأصيلا وتطوان سنة 1829، مما جعل المخزن يتخلى عن مشروع إحياء البحرية إلى عهد مولاي الحسن حيث بدأ من جديد الاهتمام بالأسطول البحري، في إطار سياسة "الإصلاحات" العسكرية التي كان من أهم مظاهرها اقتناء الأسلحة والتجهيزات وآلالات من البلدان الأوربية.

وفي هذا الإطار وقع اتفاق الدارالبيضاء سنة 1876 بين المخزن والوزير المفوض الإيطالي في طنجة شكوفسو Scovasso، على اشتراء سفينتين مقنبلتين من أوراش ليفورنة، وقد أدى المخزن مسبقاً ثمن المقنبلة "البشير" ومقداره 1.500.000 فرنك فرنسي لشركة الاخوان أورلاندو Les frères Orlando بليفورن، وكان مولاي الحسن ينوي استعمالها كباخرة تعليمية.

ولكن "البشير" لم تصل إلى المغرب إلا سنة 1897 بعد وفاة مولاي الحسن، وكانت السفينة من الطبقة الثالثة، وحمولتها 1.100 طن ومجهزة بأربعة مدافع حسب المصادر الفرنسية و12 مدفعاً حسب مصادر مغربية، ويعمل فوقها عدد من البحارين المغاربة من بينهم طلبة تعلموا في إيطاليا.

لم تستعمل البشير إلا نادراً، وبدأ التفكير في بيعها قبل البدء في استعمالها، إذ أصاب مشروع تكوين أسطول بحري مغربي ما أصاب الميادين الأخرى من تلاش وإهمال بسبب تدهور الحالة السياسية والاقتصادية العامة للبلاد، زيادة على التكاليف الباهظة لهذا الأسطول لتوقفه على فنيين ومدربين أجانب، بحيث كان كل عطب فني بسيط يصيب سفينة يتطلب إرسالها إلى قادس أو جبل طارق أو انجلترا للإصلاح. فجرت مفاوضات لبيعها لإسبانيا، ثم فنزويلا، وبيعت في الأخير للحكومة الكولمبية سنة 1900 م بـ 100.000 بسيطة.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف* ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث* ؛ ع. التازي، *الأسطول المغربي، البحث العلمي*، نونبر 1982 ؛ ث. برادة، *الجيش المغربي وتطوره في ق 19*، د. د. ع. كلية الآداب بالرباط 1984.

J-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, t. II.

ثريا برادة

البشير (سيدي ـ)، رأس واقع بالجهة اليسرى من مصب وادي ملوية بأرض قبيلة كبدانة، ويعرف كذلك برأس كبدانة، وتوجد على بعد ميلين ونصف منه جزر كبدانة المحتلة من طرف الإسبان.

وهذا الرأس هو الذي أطلق عليه كل من استرابون Estrabon وبطوليمي Ptoléme اسم Promontorium Metagonium، وأما تسميته الحالية برأس الماء فلا أساس لها لأنها مجرد ترجمة عربية للاسم الذي أطلقه الإسبانيون عليه Cabo de Agua (رأس الماء) على إثر احتلالهم لجزر كبدانة سنة 1848/1264 وذلك لأنهم كانوا يجلبون منه الماء الشروب إلى الجزر المذكورة، وهذا ما جعل الحكومة الإسبانية تقوم باحتلال الرأس المذكور يوم 7 صفر 11/1326 مارس 1908 حيث أنزل به الكولونيل لاريبا Larrea قواته

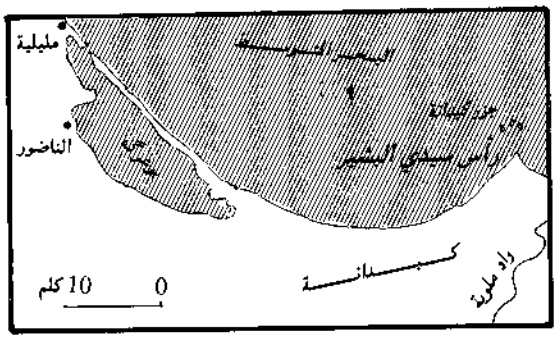

رأس سيدي البشير

بالرغم من الاحتجاجات الشديدة التي قدمتها الحكومة المغربية آنذاك، ولم تمر سوى أيام قلائل حتى انطلقت الجيوش الإسبانية من رأس سيدي البشير وانتشرت في أرض قبيلة كبدانة.

ع. بنعبدالله، *معلمة المدن والقبائل*، ص 173 و202.

Blazquez y Delgado, *Estudios geografico-historicos de Marruecos*, Madrid 1913 ; A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, p. 47, 62 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*. p. 61, 185 ; C. Martinez Campos, *España belica : El siglo XX. Marruecos*. p. 23, 62, 98, 124.

محمد ابن عزوز حكيم

البشير، أحمد بن علي، من الأندلسين المستقرين بقصبة سلا. يرد اسمه محرفا في الوثائق الأوربية بشكل Baxer أو Bexer أو Bexel، وأول ذكر له كان في فبراير 1628 حيث وجه رسالة إلى هولندا، باسم سكان القصبة، بين فيها حسن استعدادهم للتعامل مع الهولنديين. واعتبر منذ ذلك التاريخ قائداً للقصبة خلفاً لمحمد بن عبدالقادر صيروف، إلى سنة 1630، فكان صيروف هو القائد، إلى 5 فبراير 1631 حيث عاد البشير إلى قيادتها. بعد هذا التاريخ

نجد اسم البشير في مراسلات مع هولندا وفرنسا وبريطانيا، تدور كلها حول مشاكل القرصنة وتحرير الأسرى. كما كان من الموقعين على اتفاقية الصلح بين فرنسا وسلا في 3 شتنبر 1630. حيث أمضاها من الجانب المغربي أحمد بن علي البشير وعبدالله بن علي القصري، "قائدا وحاكما قصبة ومدينة سلا (الرباط) والمدن التابعة لهما، باسم السلطان عبدالملك (...) وباسم سكان سلا وقصبتها. وبموافقة وعلم أهل الديوان" (S. I., Fr, t. 3 : 292).

S. I. H. M., Série Saadienne, Angleterre, t. III, *Pays-Bas*, t. IV, France, t. III.

البشير (القائد ـ)، بن الحسن الأصبوبي أو الصبوبي ينتمي لأسرة استوطنت رقعة ترابية ممتدة بواد نول في الجنوب الغربي للمغرب. كانت هذه الأسرة من جملة الأسر الدليمية التي استبدلت بالعيش في الصحراء الاستيطان في مجال جغرافي ممتد بمحاذاة الساحل الأطلنتي شمال مصب درعة. منذ القرن السادس عشر، فغدا هذا المجال الجغرافي يحمل اسم أصبويا وتحذف الهمزة أحياناً فيكتب صبويا.

كانت أسرة القائد البشير ذات وجاهة بهذه القبيلة، لا سيما على عهد السلطان الحسن الأول الذي أصدر ظهيراً يولي بموجبه الشيخ الحسن بن عليات الصبوبي قائداً على قبيلته تزكية منه لرغبة أعيانها.

ورث القائد البشير منصب أبيه الحسن بن عليات عقب وفاته بموجب ظهير صادر عن أنفلوس الحاحي الذي كان خليفة للسلطان بسوس. شارك في حركة أحمد الهيبة بن ماء العينين منذ بداية تشكيلها بأسرير. وامتدت مدة حكمه من 1321 إلى 1333هـ.

ظهير تولية القائد الحسن بن عليات الصبوبي؛ رسالة موجهة من طرف القائد أحمد بن مبارك الزلطني إلى السلطان مولاي الحسن بتاريخ 11 رجب 1303 هـ؛ م. الاكراري، *روضة الأفنان*، ص. 73، ت. حمدي أنوش. د. د. ع. الرباط، رقم 120.

علي المحمدي

البشير. (ابن ـ) أسرة فاسية شريفة النسب، أصلها من بركان بالمغرب الشرقي، تنتسب إلى جدها الولي الصالح البشير دفين بركان الذي يتصل نسبه بعبد الله بن إدريس بن إدريس الأكبر (انظر الشجرة). وقد خرج من بركان في أواسط القرن الثالث عشر (19 م) أولاده الثلاثة أحمد الكبير دفين فاس، وأحمد الصغير دفين الجزائر، ومحمد الصغير دفين طنجة، ثم انتقل ولدا هذا الأخير أحمد الكبير

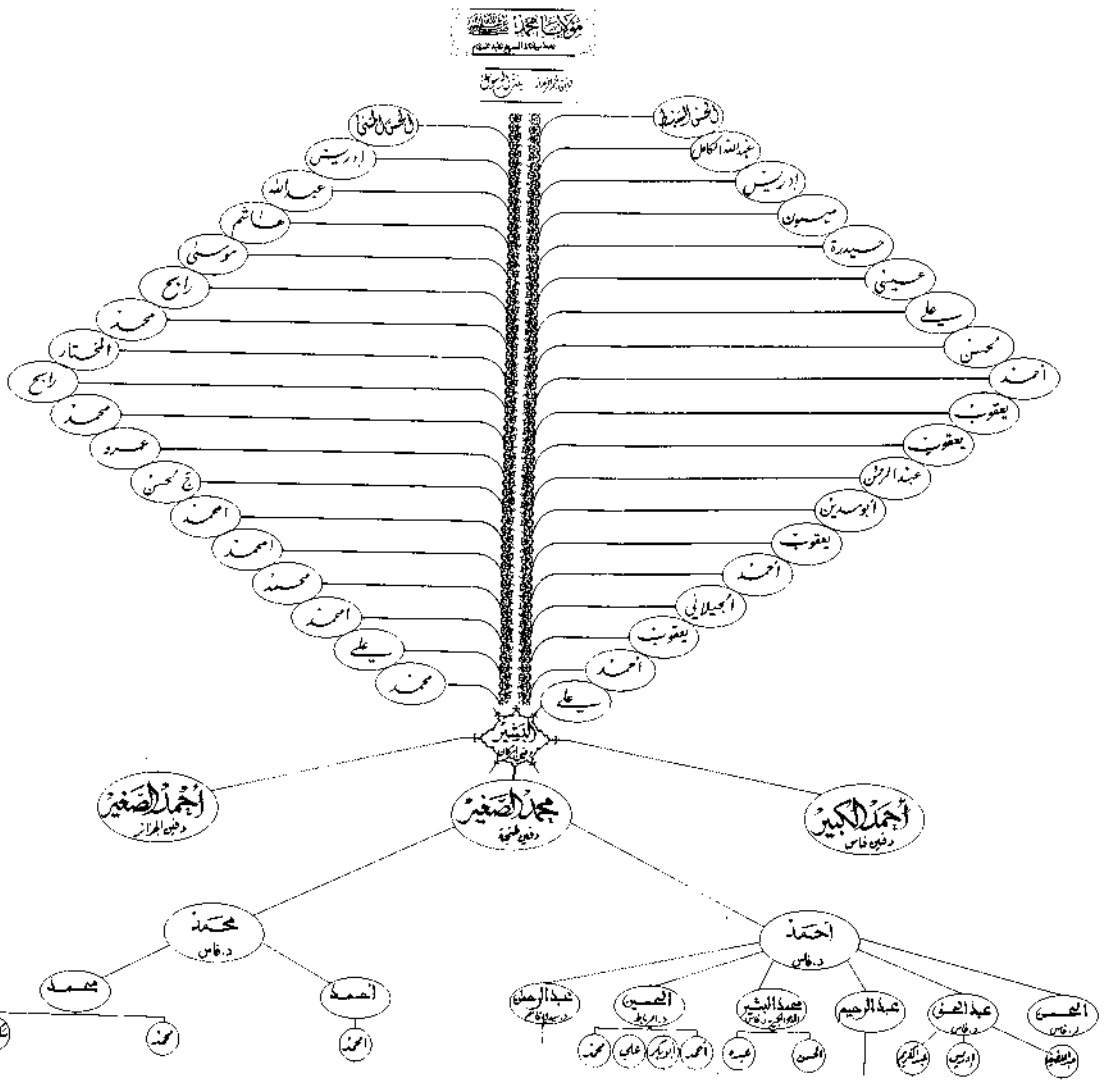

والأستاذ محمد آتي الترجمة إلى فاس واستقرا به، ومنهما تفرعت هذه الأسرة الفاسية. وهم على العموم أهل مروءة ونزاهة ونسك. منهم :

البشير (ابن ـ) **الحسين** بن أحمد الحسني. من العلماء المتخرجين من جامع القرويين. درّس به مدة قبل أن يلتحق بسلك القضاء محافظاً بمجلس الاستيناف الشرعي بالرباط، ثم رئيساً لمحكمة الاستيناف الشرعي بفاس. وبعد ذلك رجع إلى التدريس فالتحق بكلية الآداب بالرباط حيث كان يحاضر في قواعد اللغة العربية وآدبها بكتاب *المغني* لابن هشام، *والكامل* للمبرد، *والخصائص* لابن جني، وغيرها من أمهات المصادر.

توفي بنوبة قلبية بعد قريب من إلقاء أحد الدروس بالكلية صبيحة يوم الأحد سادس وعشري شوال عام 1384 / 28 فبراير 1965 وأقيم له حفل تأبين الأربعين ألقيت فيه كلمات وقصائد في رثائه، منها قصيدة للشاعر محمد بن العباس القباج مطلعها :

عصف الزمان بسيبويه زمانه ومضى إلى الديان قبل أوانه

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1384 ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 2 : 295 ـ 297.

البشر (ابن ـ) **حمّ**، ويدعى كذلك محمد بن البشير. أحد قواد السلطان السعدي زيدان بن أحمد المنصور. بعثه سنة 1609 سفيراً إلى هولندا، فوصل إلى روتردام يوم 3 أكتوبر من السنة ليعرض عليها مشروع حلف بينها وبين المغرب، كما كان مكلفاً بالتفاوض معها في مسائل تهم التجارة.

وقد تم استقبال السفير من قبل المسؤولين الهولنديين يوم 5 أكتوبر، وقدم لهم هدية السلطان، وعرض المغرب عقد تحالف بين الطرفين ضد الإسبان، يقدم في إطاره السلطان المال وتقدم هولندا الجنود والسلاح. وأخذت هولندا مهلة للتفكير. وفي توديع السفارة سلم الهولنديين لابن البشير هدايا لسلطان المغرب. وعادت السفارة إلى المغرب في 26 مارس 1620.

S.I.H.M., Série Saadienne, Pays - Bas, T. I, II, III, V.

عبداللطيف الشاذلي

البشير (ابن ـ) **سلامة** بن حماد، مقاوم ولد سنة 1927 بطرفاية. ولما اندلعت انتفاضة جيش التحرير بالجنوب انخرط في صفوفه وناضل ضمن المقاطعة الثامنة بقيادة السيد الدويهي حسن، وشارك في عدة معارك منها معركة الدشيرة وتافودارت، ووادي الصفاء ومعركة الرغيوة التي استشهد فيها مع عدد من المجاهدين سنة 1957.

البشير (ابن ـ)، **سليم** بن عمر، مقاوم ولد سنة 1928 بالساقية الحمراء وكان من أوائل المنخرطين في جيش التحرير المغربي بالجنوب. عمل في المقاطعة التاسعة تحت مسؤولية صالح الجزائري. وشارك في معارك عدة ضد الجيش الاستعماري الإسباني إلى أن استشهد في معركة الدشيرة بتاريخ 13 يناير 1958.

كتاب شهداء الاستقلال، ج. 2.

عزالدين العلام

البشير (ابن ـ) **عبد الحق** بن أحمد الحسني. "المخلص الكبير، المدافع الخطير، بماله وسنانه، مع أخلاق سامية، وأحوال مرضية. دخل إلى السجن مراراً دفاعاً عن دينه وشعبه، مع نباهة ونزاهة".

توفي بالرباط ليلة الأبعاء تاسع جمادى الأولى عام 1379 / 10 نونبر 1959 ونقل إلى فاس ودفن بروضتهم داخل باب فتوح قبالة ضريح سيدي بوغالب.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1379.

البشير، عبدالله بن محسن بن يكنيمان الونشريسي، المعروف في كتب التاريخ بالبشير وبأبي محمد الونشريسي. من المعلوم أن محمد ابن تومرت وهو عائد إلى المغرب الأقصى نزل من المركب بأفريقية، وفضل أن يعود عن طريق البر وأن يتوقف في جملة من المدن والقرى ليقوم بمهمة الوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن جملة الأماكن التي توقف بها ونشريس، وهو جبل كبير في جنوبي غربي الجزائر العاصمة، به غابات كثيفة وتسكنه عدة قبائل من مكناسة وأورية وكتامة ومطماطة وزواوة وغيرهم. وهنالك تعرف ابن تومرت على جملة من الرجال صاروا من أتباعه المخلصين فيما بعد. منهم فضلا عن البشير، عبدالمومن بن علي وعبدالواحد الشرقي. وتفسير ذلك أنه كان يفكر في إنجاز مشروعه السياسي الكبير على المدى البعيد. فكان يختار كل الرجال الذين يأنس منهم الذكاء والمقدرة. كما أنه كان يريد أن يعطي لدعوته كل ما يمكن من الصدى والانتشار، فكان لا بد من أن يدخل فيها رجالا بعيدين عن بلده سوس حتى لا تنحصر في حيز ضيق، بل تعم كل بلاد المغرب. ومن دون شك أنه استصحب معه أفراداً آخرين لم تذكر المصادر أسماءهم، ولكننا نلمس وجودهم من بعض الإشارات. وهناك سبب آخر لا يقل أهمية عما ذكر من الأسباب، وهو أن المهدي كان متخوفاً من الخلاف بين قومه المصامدة واستحالة اتفاقهم على تولية رجل منهم بعد مماته، فارتأى أن يقرب إليه أفراداً أغراباً عنهم حتى يستطيع أن يختار من بينهم الخليفة الذي يستطيع أن يقوم بينهم بدور الحكم دون أن يكون وراءه حزب ولا عصبية.

والظاهر أن البشير حظي بعطف وتقدير كبيرين من لدن المهدي حتى لتوحي بعض القرائن والروايات الواردة في المصادر أنه لربما كان هو الشخص المرشح لخلافة المهدي فنرى هذا الأخير يلحقه بقبيلته هرغة، مع أفراد "على سبيل المحبة والإكرام" كما يقول البيذق، لأنهم لا ينتمون إلى القبائل الست التي قامت عليها الدعوة الموحدية.

كما أنه حظي بثقة كبيرة من لدن المهدي الذي كلفه بمهام سرية خطيرة، بالنسبة للدعوة الموحدية ومصير المشروع بكامله. وكان من أول الذين بايعوا ابن تومرت عند تحليه بلقب المهدي. وجرى ذلك بتينمل تحت شجرة الخروب، كما يذكر البيذق الذي وضعه في المرتبة الرابعة من المبايعين الأولين. وذكره ابن القطان على رأس العشرة من أصحاب المهدي في الرواية الأولى، والثاني بعد عبد المومن في رواية ثانية. وكذلك ورد عند صاحب *القرطاس*.

ومن أهم الأدوار التي قام بها ما دعي في المصادر بالتمييز، وهو استعراض الناس وتمييز الصالحين منهم من غير الصالحين. وقد يكون مصير هؤلاء الأخيرين هو القتل. وهكذا خرج المهدي، يوما إلى الناس في سنة 519 هـ وقدم لهم البشير وذكر لهم أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولكنه صاحب كرامات. منها أن الله جعله مطلعاً على أسرار الناس، قادراً على التنبؤ بالمستقبل حافظاً للقرآن، عارفاً بركوب الخيل. ثم وضعه أمامهم بقصد الامتحان طوال أربعة أيام حتى يتحققوا مما ذكره لهم. وكان الامتحان مؤكداً لأقوال المهدي في شأن البشير.

وعند ذلك، التفت المهدي للحضور واستشهد بالآية : *"ليميز الله الخبيث من الطيب"* وأفهمهم أن من بين الناس الذين انضموا إلى دعوته منافقون ومخادعون، وأن البشير بما وهبه الله من قدرة على معرفة دخائل النفوس، يستطيع الكشف عنهم وفضحهم. "ولابد من النظر في أمورهم حتي يتم المراد من العدل في أحكام هذه البلاد".

ووافقه الحاضرون على فكرته، فأمر بالنداء على الناس في جبل المصامدة "من كان مطيعا لله تعالى ولرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وللإمام المهدي رضي الله عنه، فليقبل !".

وتوالت القبائل طلبية للنداء فيعرضون على البشير فيُخرج قوما عن يمينه وآخرين عن يساره. فيقول عن الأولين إنهم من أهل الجنة، وعن الآخيرين بأنهم شاكون في الدعوة وفي المهدي. وعند ذلك يَجري الانتقام من هؤلاء عن طريق التصفية الجسدية. وربما تصدى إلى ذلك أقرباؤهم لشدة إيمانهم بالمهدي وولائهم له.

وهو الذي اختارته قبيلة هنتاتة ليسير على رأسهم، وكانوا ثلاثة آلاف راجل وثلاثمائة فارس يتزعمهم إسحاق بن عمر الهنتاتي، لزيارة المهدي والتعرف على دعوته والتحقق من أمره وذلك في سنة 518. فعاد إليهم إسحاق مؤمناً بدعوة المهدي، وقال لهم :"النور، النور في بلاد هرغة، وأنتم في الظلمة يا هنتة" (ابن القطان، 88).

كان الكل مقتنعا بكفاءة البشير وامتيازه من المهدي إلى أصحابه وأتباعه. ولذلك، فإن المهدي أسند إليه قيادة أول جيش للموحدين سنة 520، وذلك حينما جمع قبائل المصامدة وخطب فيهم ليدعوهم إلى جهاد المرابطين. وانتخب منهم عشرة آلاف من الرجال وقدمه عليهم، فأغار البشير بجيشه على كيك، ووصل إلى أغمات وحوز مراكش ثم عاد إلى الجبل.

وذكرت له تحركات عسكرية أخرى تجاه تغزوت وحصن تفركگونت حيث رجع هو وأصحابه بغنائم.

وفي سنة 523، قام بتمييز آخر بقصد الخروج إلى معركة البحيرة، مما يدل على أن عمليات التمييز كان الهدف منها هو تنحية المترددين والمتشككين وإيجاد جيش منتخب من عناصر تتميز بإخلاصها للمهدي وإيمانها بدعوته وامتثالها لأوامره وانضباطها في نظامه.

وهو الذي أمّره المهدي على الجيش الذي ذهب لمعركة البحيرة سنة 524، وهي أكبر معركة جرت بين المرابطين والموحدين في حياة المهدي وانتهت بهزيمة الموحدين. وفي هاته الواقعة فُقد البشير، ولم يعثر له على أثر لا حيا ولا ميتا، وأشاع الغلاة في شأنه أسطورة بأنه رفع. ونسب إليه لبيذق أنه تنبأ بموته أمام أصحابه أثناء المعركة وهو يعظهم ويحذرهم، ونسب إليه ابن القطان تنبؤات عن انتصار الموحدين في إحدى المعارك. وهذا الجانب الأسطوري قدم منه ابن الأثير تفاصيل كثيرة في *تاريخه* وكذلك النويري في *نهاية الأرب*.

هكذا يتضح من أخبار أبي محمد البشير أنه قام بأدوار خطيرة في المراحل الأولى من الدعوة الموحدية وساهم مساهمة فعالة في النشاط السياسي والعسكري الذي اشرته الجماعة الأولى من الموحدين.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ *الأنساب* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ابن الأثير، *الكامل* ؛ ابن خلكان، *وفيات* ؛ النويري، *نهاية الأرب* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*.

محمد زنيبر

البشير (ابن ـ) **محمد البشير** المدعو **الكبير** بن أحمد الحسني. ولد بفاس عام 1325 / 1907، ودرس بمسقط رأسه في القرويين وغيرها وجلى في علم سر الحرف واستكشاف المستقبل. اشتغل بالتجارة مع والده، وكان متشبعاً بروح الوطنية شجاعاً مقداماً. خدم قضية بلاده بشخصه وماله وفكره، فسجن وعذب مراراً حتى خارت قواه الجسدية وتغيرت سحنته لكن لم تلن قناته أو ينكص على عقبه. وعاش بعد الاستقلال في عَفاف وكفاف مترفعاً عن المغانم والمناصب التي تهافت عليها من لم يسهموا في مقاومة الاستعمار بل حتى الذين تعاونوا معه وخدموه.

توفي بسيدي قاسم عام 1389 / 1969، ونقل إلى فاس حيث دفن بروضتهم داخل باب الفتوح.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1389 ؛ *معلومات شفوية* من ابن أخيه الأستاذ عبد اللطيف بن البشير.

البشير (ابن ـ) محمد بن محمد الحسني، "الفقيه العلامة الأستاذ المجود المقرئ". كان يحفظ *القرآن* الكريم بالروايات المختلفة، ويضبط قواعد التجويد ويطبقها في التلاوة بإتقان تام، بالإضافة إلى اشتغاله بالتجارة. وقد بنى كتاباً قرآنياً بحي مصمودة بفاس أسند التعليم للأستاذ ابن عطية، ونسخ بيده مصحفاً سلّمه لهذا الأستاذ. وتولى الأمانة بمرسى الصويرة مدة طويلة في أوائل عهد الحماية.

توفي بفاس يوم الثلاثاء مهل صفر عام 1353 / 15 ماي 1935. ودفن بروضتهم داخل باب الفتوح أمام ضريح سيدي بوغالب من حومة الصريوة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1353.

محمد حجي

البشير بن محمد، مقاوم ولد سنة 1918 بأيت النص أيت باعمران من عائلة متواضعة، والتحق بصفوف جيش لتحرير في أوائل سنة 1957 وناضل تحت مسؤولية القائد كريم محمد بن عبدالله بالمقاطعة 13، وظل يجاهد إلى أن استشهد في معركة تيلكوكت أواخر سنة 1957.

كتاب *شهداء الاستقلال*، ج 1.

عزالدين العلام

البْصَارة، اسم قبيلة تسكن سهلا شبه منغلق، يوجد في المغرب الشمالي الشرقي، بين سلسلة بني إزناسن ومجموعة خطية من التلال والمرتفعات متواصلة بين مدينتي العيون ووجدة. ويطلق هذا الاسم بالتالي على السهل نفسه، رغم أن مجموعات قبلية أخرى غير البصارة، تسكنه، وخاصة عند الحواشي الشمالية الجبلية، كمثل بجموعة بني موسي حول مركز سيدي بوهورية.

مساحة سهل البصارة 300 كلم2، تحيط به المرتفعات من كل الجهات، عدا في الزاوية الجنوبية الغربية، حيث يخرج مجرى صغير، هو واد ملغلاز من المنخفض، متعمقا في تلال شبكة المحارات، ليصب في مياه بورديم في سهل لعيون. والمرتفعات المشرفة على الحوض هي : شمالا سلسلتا بني بومحيو وبني إزناسن، شرقا مرتفعا مگراز ومغيريس، جنوبا تلال نعيمة، وغربا تلال شبكة المحارات.

وهو حوض تهدلي منذ النيوجين، أي منذ تكوين التضاريس الأساسية للمجال الأطلسي الذي يكون المغرب الشرقي أحد أجزائه. فالتواء جبال بني إزناسن، وارتفاع كتل بني محيو أو مگرز كان الاشارة لانطلاق تهدل أصاب مجال أوسط، أصبح يتلقى فتاتات تهديم هذه المرتفعات.

المرتفعات المشرفة مكونة من قاعدة أولية شستية، تظهر شمال البصارة عند سافلة جبل تانزرت، ويُغلفها غطاء رسوبي ينتمي للترياس والجورسي. الترياس عبارة عن طبقة سميكة أهم مكوناتها طفوح بزلتية متفسخة ترافقها مواد طينية، بينما الجورسي عبارة عن توالي طبقات من الكلس والدولومي من جهة، والصلصال أو الحث من جهة أخرى. بعض الطبقات، بفعل صلابتها وسمكها تمثل أجرافا ضخمة وتغطي سفوحا طويلة تشرف على المنخفض السهلي.

المنخفض، جزء من مجموعة السهول التي تمثل الممر الواسع الفاصل بين بني إزناسن وجبال وجدة، والذي يمتد من گرسيف غرباً إلى تلمسان وسيدي بلعباس في الجزائر. رغم ذلك، لم يعرف سهل البصارة نفس التطور الجيولوجي الذي عرفته المنخفضات الأخرى المجاورة.

ذلك أن وضعه كمنخفض شبه مغلق، منع دخول البحر الميوسيني اللاحق لمرحلة البنائية المسؤولة عن تشكيل المرتفعات الجبلية. ذلك البحر الذي مثل حلقة وصل بين مختلف المجالات المتهدلة جنوب السلسلة الريفية ـ التلية، مكن من ترسيب مواد متشابهة في السحنة من سهل الغرب غربا، حتى سهل تلمسان شرقا. بينما ينفرد حوض البصارة بعدم دخول هذا البحر إليه. فهو بالتالي منخفض في موقع جنوب ريفي، لكنه تلقى رواسب قارية خاصة.

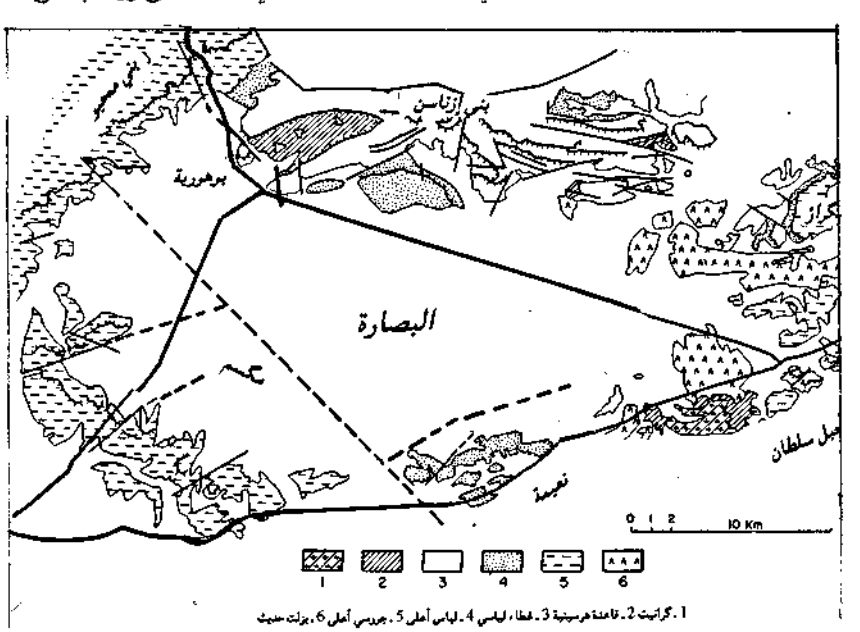

1. گرانيت 2. قاعدة هرسينية 3. غطاء لياسي 4. لياس أعلى 5. جورسي أعلى 6. بزلت حديث

هذه الرواسب عبارة عن مواد تحطيم السلاسل والمرتفعات المشرفة، يتم توضعها مفروزة ارتباطا بحركية السيل أساساً ومياه الفرشة المائية ثانيا، والموارد الشمالية هي الغالبة بسبب ارتفاع سلسلة بني إزناسن ـ بني بومحيو، تبدأ عند قدم الجبل بفتاتات خشنة هي عبارة عن حصى ثم رمال، عندما يتضاءل الانحدار تتموضع المواد الطينية التي تزيد دقة بعد ذلك. وتصل المياه السائلة إلى ضايات أو مستنعقات حيث تتركز المحلولات معطية طبقات من الكلس المنقعي. كما أن عمليات التصخر الناتجة عن حركة بطيئة للفرشة المائية تؤدي إلى تركز بعض الأملاح في المستويات المعرضة للتبخر، الكلس أولا على شكل قشرات، والجبس ثانيا في مناطق الانحباس الكلي.

وهكذا نجد الرواسب القاعدية، الموافقة تاريخيا للميوسين البحري خارج البصارة، تتكون أساساً من صلصال مبرقع (أحمر وأخضر) تحت تأثير الميهة التي أصابت مواداً أصلياً حمراء، وجبسا. وهذه الرواسب تصل إلى 100.80 م سمكا. والتراكم الرباعي اللاحق أكثر تنوعا، به دقة، ورصيص وكلس بحيري، كما تصله مقذوفات وطفوح بركانية قادمة من الهامش الشرقي للسهل. وتتضح التغايرات الجانبية للتوضعات من فحص الاستبارات التي قامت بها شركة الإسمنت للمغرب الشرقي، قبل فتحها لمقلع ضخم قصد تزويد معمل الإسمنت بمواد طينية. يتضح أن الرباعي امتاز باستمرار الخشونة عند قدم الجبل وكذلك على طول واد ملغلاز، المحور الجرياني الوحيد الذي يصرف المنخفض. وسط السهل، وتحت 5 م من القشرة الكلسية، يصبح الإرساب متجانساً مكوناً أساساً من مواد طينية (60 م) تتحول نحو الأعماق إلى صلصال أبيض (30 م) ثم إلى طين جبسي وأخيراً طين أخضر. أما عندما نتجه للجهة الجنوبية من الحوض، مباشرة شمال مرتفعات نعيمة فإننا نلاقي وسط الطين طبقات متعددة من الكلس تدل على غلبة الإرساب الكيماوي في الجهات الأبعد من الموارد الفتاتية القادمة من بني إزناسن.

وهكذا يصل السمك العام للرواسب التي تغلف القاعدة الجوراسية للحوض إلى حوالي 250 م في وسط السهل، مع تضاؤل نحو الجوانب، الشيء الذي يدل على النزعة التهدلية، منذ الميوسين الأعلى. لكن طبغرافية القاعدة الصخرية السابقة للإرساب تمتاز بالتعقد الكبير، دلالة على بنائية متغايرة تبعاً لمواقع مختلفة داخل المنخفض. وهكذا أظهرت الدراسة الجيوفزيائية والاستبارات المتعددة وجود عدة انكسارات لها اتجاه عام شرق ـ غرب، وتجاعيد تتوسط السهل ويقل فيها سمك الرواسب النيوجينية والرباعية.

داخل هذه التكونات تسري فرشة مائية، قاعدتها الطين الميوسيني غير المنفذ. وهي فرشة اتساعها اتساع السهل، انحناؤها بطيء يقدر بمعدل 1 للألف. وعمقها بين 14 و42 م، مع تغاير واضح حسب فترات الاختزان والشح، وسمكها بين 10 و15 م. وهكذا يقدر حجمها العام بما يساوي 150 إلى 225 مليار من الامتار المكعبة (مساحة 300 كلم^2 ـ سمك 10 إلى 15 م ـ نسبة التخزين حوالي 5٪).

تتسم ميزانية الفرشة بنوع من الاستقرار بسبب ضعف نسبة المياه التي تسيل خارج المنخفض والتي لا تتعدى نصف الكمية الإجمالية. فهي إذن فرشة محجوزة نسبياً، نصف مخزونها يضخ باستعمال آليات ضخ عصرية، تضاعفت أعدادها منذ سنة 1950. إلا أن تكاثر الآبار، والطاقة المفرطة للمحركات التي تجهز هذه الآبار، أدت إلى اقتلاع كميات مائية صارت تفوق إمكانيات تجدد المخزون المائي.

A. Laouina, *Le Maroc nord-oriental*, Publ. Rectorat Univ. d'Oujda, N° 1, 1990 ; *Approche du phénomène de l'encroutement calcaire (Cimenterie de l'Oriental) R. G. M.*, N° 7, 1938 ; M. Simonot et Q. T. Nguym, *Le couloir de Taourirt Oujda*, in *Ressources en eau du Maroc*, t. 1, Notes et Mém. Serv. Géol. N° 231.

عبدالله العوينة

البصرة. ـ أثر ـ هي إحدى المدن الإدريسية، الواقعة بين فاس وطنجة، وما زالت آثارها ماثلة للعيان على جانبي الطريق الرئيسية المؤدية إلى مدينة وزان، على بعد حوالي 22 كلم من مدينة سوق أربعاء الغرب، و40 كلم من شاطئ المحيط الأطلنتي.

كانت رقعة البصرة تمتد على مساحة 30 هكتارا، يحيط بها سور سميك يمتد على 2.5 كلم، ويشكل شبه مستطيل ضلعه الأول 625 متر والثاني 500 متر تقريبا (انظر التصميم العام). واليوم يحتل مدشر كبير تسكنه عائلات من المزارعين القسم الشمالي الأوسط من الموقع القديم، كما تشقه الطريق المعبدة الرئيسية الواصلة ما بين سوق الأربعاء ووزان.

ونظراً لما كان لهذه المدينة، من أهمية فإن ذكرها يوجد في أمهات المصادر التاريخية، لم يُغفلها أي منها، وصفاً وتحديدا. ولعل أهم هذه الأوصاف تلك التي نجدها عند كل من ابن حوقل والبكري، وخلاصتها أنها كانت "مدينة متوسطة، تقع في منتصف الطريق بين طنجة وفاس، تحيط بها أسوار مبنية من أحجار وآجر، تفتحها عشرة أبواب، وبداخلها مسجد جامع له سبعة بلاطات، وحمامان ومقبرتان توجد كبراهما بشرق المدينة والثانية بغربها" (*Corpus*, p. 119).

ويرى بعض الباحثين المعاصرين أمثال تيسو Tissot (*Recherches*, p. 160) وطيراس (*Hist.* I : 61) أن البصرة أخذت مكان مدينة تريمولاي Trimulae الرومانية التي نجد ذكرها في رحلة أنطونان *Itinéraire d'Antonin*. وفي غياب أية حجة مادية وأثرية تؤكد هذا الزعم، فإن ما هو مؤكد أن تجمعا سكانيا كان موجودا قبل الفترة الإدريسية بنفس الموقع، ثم اختار الأدارسة تطويره وحمله إلى مرتبة مدينة. لكن حتى في هذه الحالة فإننا نفتقر للمعطيات التي تحدد بما يجب من الدقة الفترات الأولى للحاضرة الادريسية، ذلك أن ما توحي به المصادر هو أن الواقف على جعل البصرة

مدينة كان هو إدريس الثاني وأن بعض الباحثين يرى أن التأسيس قد يكون تم في 833/218 (*وصف افريقيا*، ص 310، هامش 102). فقد كانت البصرة في تعداد المدن التي ضربت بها النقود باسم المولى إدريس الثاني في فترة كفالة مولاه راشد وفي فترة ملكه بعد رشده. وبعد وفاة هذا الامام سنة 828/213 آلت البصرة إلى ابنه القاسم، قبل أن تنزع منه سنة 216 هـ لتقع تحت حكم أخيه عمر، ثم تعود إليه في عهد ابن أخيه يحيى بن محمد إلى أن توفي سنة 254 هـ. ما بين هذا التاريخ و347 هـ، تاريخ دخول جوهر الصقلي واستيلائه على المدينة. كانت هذه الأخيرة محط نزاع بين الأسر الإدريسية المتعاقبة على حكم الشمال الغربي. ثم في سنة 362 هـ دخلت البصرة تحت حكم أمويي الأندلس لما دخلها قائدهم الغالب. وفي سنة 368 هـ عاد إليها الحكم الفاطمي بقيادة أبي الفتوح يوسف ابن زيري المكنى بُولُكّين الذي هدم جانبا من أسوارالبصرة وأزال عنها بصفة نهائية دور العاصمة الإقليمية الذي كان لها فيما قبل، لتستمر كمدينة تجارية نشيطة إلى نهاية القرن الخامس الهجري (11 م) حيث يؤكد المقدسي بعد ذلك خرابها (*أحسن التقاسيم*، ص 26).

هامشية، قامت بها بعثة أمريكية في بداية الثمانينات، تلتها أخرى قامت بها بعثة مغربية ـ أمريكية في السنة الماضية 1990 استهدفت بالخصوص معاودة التحري ومتابعة ما قامت به الأولى. وقبل تقديم نتائج هذه التحريات، فهذا وصفٌ بما يزال من آثار هذه الحاضرة.

لم يبق واقفا من السور الخارجي الذي كان يمتد كما سبق الذكر على طول 2.5 كلم سوى قسمه الشمالي ـ الغربي، وهو بناء سميك من أحجار متوسطة الحجم، يشتمل على برج نصف دائري مهدم، هو واحد من مجموع ثمانية أبراج كانت ملصقة به (قطر كل برج 4 أمتار) وبجوار السور، توجد بقايا خزان ماء مدفون، ما زالت بجدرانه آثار الأقواس التي كانت تحمل السقف. هذا وتنتشر بقايا بنايات مختلفة الأحجام والمساحات على مسافة كبيرة تغطي معظمها النباتات البرية والمحروثة. وفي أيام الصيف، بعد الحصاد، تظهرمساحات هامة تكسوها قطع صغيرة من الفخار ومواد البناء كالآجر والجير وغيرهما.

أما الحفريات الأثرية السالفة الذكر فهمت أماكن متفرقة من الموقع مع تركيز على الجهة الغربية الوسطى (انظر التصميم العام). ومن أهم ما كشفت عنه مجموعة

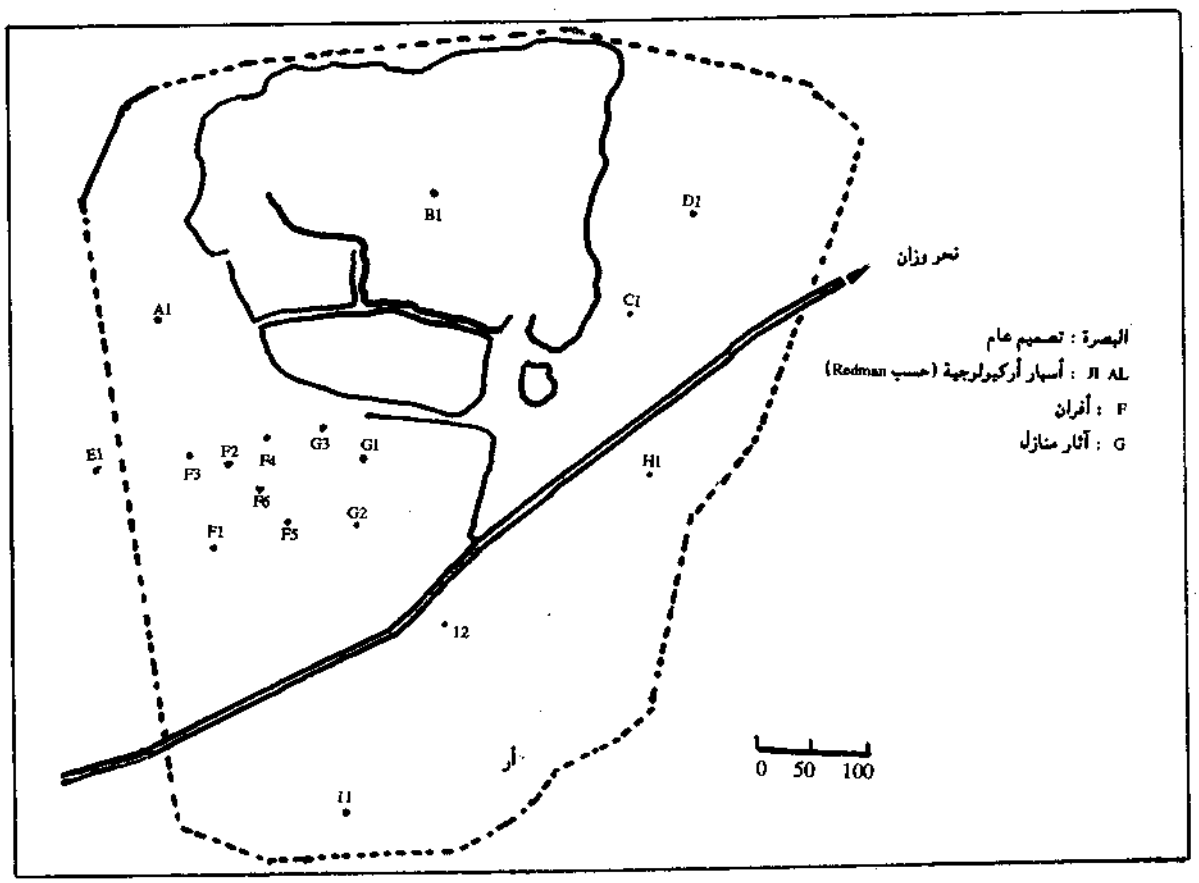

وعلى الرغم من أهمية البصرة بالنسبة لفترة هامة من تاريخ المغرب، وخاصة منه ما يعود لتاريخ التمدن وتاريخ الفنون، فإنها لم تنل بعد ما تستحقه من اهتمام وفضول علماء الآثار. فأهم ما أقيم بموقعها أسبار محدودة وتحريات

من بقايا منازل (G3, G2, G1) هي عبارة عن جدران متراكبة (G2, G1) وأرضية لغرفتين (G3). ووضوح التراكب في الموقعين الأولين مكّن من تمييز ثلاث مستويات ستراتيغرافية يمثل كل منها مرحلة خاصة، وهو ما يتفق

والتاريخ العام للموقع : مرحلة التشييد الأولى (القرن الثالث (9 م))، ثم مرحلة "الاحتلال" الخارجي (القرن الرابع (10 م))، فمرحلة إعادة التعمير الذي يرجح أن يكون قد امتد إلى ما بعد القرن السادس (12 م) كما تبين ذلك بعض نماذج القطع الخزفية. هذه الملاحظة تناقض طبعا ما نجده عند المقدسي، وهي في نفس الوقت دعوة لتكثيف البحث وتوسيع رقعة التحري بغية الكشف عن خبايا الموقع والتأكد من المعطيات. هذا ومما يميز الفترة الثانية آثار حرائق تبين عنف الاحتلال القاطمي وعنف الرد الأموي ـ الأندلسي.

كذلك أبانت الحفريات عن مجموعة من الأفرن (F1 إلى F6) كانت تستعمل في غالبيتها لصنع الأواني الفخارية أو لإنتاج مادة الجير والجبس. وكثافة هذه الأفرن توضع أهمية النشاط الصناعي (المتمثل هنا بالفخار خصوصا) الذي كان لمدينة البصرة، والذي لا يفسر إلا بحركة تصدير هامة في اتجاه مناطق أخرى من البلاد. على أن حصيلة هذه الأسبار الأركيولوجية لا تمكّن في مستواها الحالي من تمييز نوع خاص من الخزف يمكن إلصاقه بهذا الموقع، لكون أغلب اللقى هي قطع فخار يدوي الصنع وغير مطلي (1٪ فقط هي نسبة القطع المطلية)، لا يختلف كثيراً عما نعرفه في غير البصرة من مواقع.

أ. البكري، *المغرب* ؛ ابن الأثير، *الكامل في التاريخ* ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*.

E.I, NIIe, Ed. p. 1220 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, I : 61, 122, 160, 187 ; *L'Art Hispano-Mauresque*, p. 214 et p. 1. XLI; *Guide Bleu*, 1954, p. 278 ; D. Eustache *El - Basra : Capitale Idrisside et son port, Hesp.*, 1955 ; *Corpus des dirhams idrissites et contemporains*, Rabat, 1971, p. 20, n° 67, p. 28 et 118, 123 ; L. Ch. Redman, *Survey and test excavation of six medieval islamic sites on northen Morocco, B.A.M.*, 15, 1984, p. 311, 349.

عبدالعزيز توري

البصرة ـ تاريخ ـ مدينة مغربية أثرية، أسسها المولى إدريس الثاني، أو ابنه محمد ثالث الملوك الأدارسة، ويرجّح نسبتها لإدريس الثاني أن محمداً ابنه لما ولي أمر المغرب وزع ـ بإثر ذلك، و بإشارة من جدته السيدة كنزة ـ أقاليم المملكة بين إخوته، فجاءت البصرة في حظ أخيه يحيى ومعها أصيلا والعرائش... وهي ما كانت لتكون في القمة إلا لأنها كانت يومئذ قائمة الذات.

والبصرة سميت كذلك تذكيرا ببصرة العراق، وهي تنعت بالحمراء من كونها على تربة تضرب إلى الاحمرار، وتعرف أيضا، بمدينة الكتان، لأن أهلها كانوا يقايضون به في أكثر أعمالهم التجارية، وتُنْبَزُ بمدينة الذبان، لأنه كان يتكاثر بها من كثرة ما يوجد بها من الألبان.

والبصرة كانت مدينة رائقة لأنها وجدت بأرض كثيرة الريع والخصوبة، وكان حوالَيها العديد من الحدائق والمزارع، ووراء ذلك المراعي التي كان أهلها يُسيمُون فيها المروج، كما كانت أرجاؤها مُستَراداً للقنص والاصطياد لوفرة ما هنالك من الحيوان الدَّابِّ والطائر.

وقد نوه غير واحد من المؤرخين والجغرافيين والرحالة بما كان عليه أهلها من بَسْطَة خَلْق وكرم شمائل، كما ذكروا عن نسائها أنهن كن على غاية من اللطف والرقة والجمال.

كانت البصرة مُصطافاً طيبا للأولين من ملوك الأدارسة، ثم اتخذها الآخرون منهم قاعدة لهم، وظلوا يكابدون قوتين كبيرتين هما دولة العبيديين بإفريقيا ودولة الأمويين بالأندلس إلى أن كانت نهايتهم بموت الحسن بن گنون مقتولا سنة 375 هـ وبعدها تراجعت حال البصرة عما كانت عليه من عمارة ويسار لما كان ينتابها من الغزو والنهب حالا على حال، وهي لم تصابر الزمن إلا قليلا قبل أن تصبح أطلالا ما تزال بقايا منها قائمة إلى اليوم.

ي. الحموي، *معجم البلدان*، 2 : 208.207 ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، 1 : 215 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 311.310 ؛ ك. مارمول، *إفريقيا*، 2 : 197.196 ؛ *دائرة المعارف الإسلامية*، المجلد 3، ص 668.667 ؛ ش. أرسلان، *الحلل السندسية*، 1 : 67.66 ؛ أحمد المكناسي، *خريطة المغرب الأركيولوجية*، ص 11 ؛ ص. بن العربي، *كتاب المغرب*، ص 86 ؛ ع. بن عبدالله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية*، 4 : 243.241.

D. Eustache, *El Basra Capitale Idrissite et son port, Hesp.*, 1955, p. 217 - 238.

أحمد الشرقاوي إقبال

بصري، أسرة مكناسية علمية نابهة. تنتسب إلى الجد ولي الله أبي موسى عمران البصري ـ بالتعريف ـ من بصرة المغرب، وهو أول من انتقل منهم إلى مكناس في تاريخ غير محدد، غير أن حفيده محمد بصري صاحب *الفهرس* يرفع نسبه إلى عمران في عمود يشتمل على ستة جدود. وعلى القاعدة الخلدونية يمكن أن يقدّر تاريخ استقرار عمران البصري بمكناس بالقرن العاشر (16 م) وتذكر المصادر عدداً غير قليل من العلماء والأساتذة والصالحين من آل بصري المكناسيين، أمثال :

بصري، الطيب بن محمد من أفراد أسرة بصري المكناسية، وباسم الطيب ذُكر عدد من أفراد هذه الأسرة، والمقصود هنا قاضي مكناس وإمام مسجدها الأعظم في حدود عام 1786/1201.

بصري، العربي بن الطاهر المكناسي المدعو قطيطة. علامة مشارك قضى حياته في التدريس والإفادة إلى أن توفي بعد 1290 / 1873.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 3، 81 ؛ 5 : 429.

محمد حجي

البصري، عمران بن عبدالله، نسبة إلى بصرة المغرب، يتصل نسبه بعمر بن الخطاب. لذلك يقال له العمري. وتذكر بعض الروايات أنه خرج حاجاً مع جماعة من أهل بلده، فوصلوا إلى المدينة المنورة، فقصد دار جده عمر بن الخطاب، فاجتمع بأهله وانتسب لهم، فقبلوه وصححوا نسبه، وأخرجوا إليه درع عمر وسيفه، فلبس الدرع وتقلد السيف.

سمع بالأسكندرية من ابن مبسر، وابن أبي مطر، وبالقيروان من ابن اللباد؛ وكان عمران عالما جليلا، فقيها متضلعاً؛ وهو أول من أدخل كتاب ابن المواز إلى الأندلس والغرب الاسلامي بعامة، يقول سلمة بن الفضل البجائي (ت 949/338): «طرأ علينا إلى بجانة - أبو هارون البصري، فسمع منه أبي *كتاب ابن المواز*». وتذكر بعض الروايات أنهما تدبّجا: فسمع كل منها من الآخر. وكانت وفاة عمران ببلده البصرة سنة 925/313.

ق. عياض، *ترتيب المدارك*، 5: 148، 149.

سعيد أعراب

بصري، محمد بن**عبدالرحمان** بن **أحمد** مقرئ يحفظ السبع. قال في حقه صاحب *الإتحاف*: "حامل راية الإقراء، وخاتمة الحفاظ والقراء؛ حسن الصوت، متقي الشبهات...". سمع السلطان المولى إسماعيل بصوته وجودة تلاوته، فأمر باحضاره ليلة سبع وعشرين من رمضان، فأم به تلك الليلة، وختم القرآن برواية ابن كثير - يكبر ويهلل عند ختم كل سورة من آخر والضحى إلى آخر والناس - وأدرج القراءة إلى المفلحون؛ فخلع عليه السلطان حلة سنية كانت عليه، وطلب منه صالح الدعاء، ثم أصدر ظهيرا بتوقير واحترام آل بصري جميعا، مؤرخا بربيع الأول عام 1112.

له *حاشية على الجعبري* في مجلدين، ورجز في *إمالة البصري* يقع في 33 بيتا. لم أقف على تاريخ وفاته، وهو من أهل القرن الحادي عشر الهجري (17 م).

ع. ابن زيدان، إتحاف، 4: 57-60.

عبد العزيز بوعصاب

بصري (ابن -)، **محمد** بن **عبدالرحمان** بن عبدالله بن عمر الولهاصي المكناسي النشأة والدار، المعروف بسيدي بصري. أدرك جملة من مشايخ العلم، غير أن اسمه ارتبط باسم العلامة أحمد ابن الحباك الفاسي (ت. 1529/936).

ويفهم من نص الإجازة التي أجازه بها شيخه المذكور أن ابن بصري قرأ عليه *القرآن العظيم* من فاتحته إلى خاتمته ختمة واحدة، جمع فيها قراءة الأئمة السبعة المشهورين، فأجازه فيها وفيما يتعلق بها من كتب القراءات، مع *الألفية والرسالة والبردة*، إلى جانب قصيد أبي القاسم الموسوم بحرز *الأماني ووجه التهاني*، وقصيد أبي الحسن ابن بري الموسوم *بالدرر اللوامع*، والرجز الموسوم *بمورد الظمآن في رسم أحرف القرآن* لأبي عبدالله محمد بن إبراهيم الشهير بالخراز... وغير ذلك مما ورد في نص الإجازة التي أجازه بها شيخه سنة 1519/925 (*إتحاف*، 4: 29، 31).

وقد اسندت إليه مهمة الخطابة بالمسجد الجامع بمكناس، وهي المهمة التي ظل يقوم بها إلى أن توفي. غير أنه لم يكتف بالعلم الظاهر، وإنما نزعت همته إلى أخذ العلم الباطن، والدخول في طريق القوم. وإذا كانت المصادر تتفق في القول بأنه تربى، في هذا الصدد، على يد امرأة صالحة، اختلفوا في تسميتها. فالبعض يقول إنها "السيدة الجليلة ذات الأحوال الباهرة والخوارق الظاهرة، مريم بنت عبود الأندلسية، دفينة رأس التاج خارج باب عيسى، أحد أبواب مكناسة الزيتون" (*دوحة*، 84؛ *إتحاف*، 4: 33). بينما يذكر البعض الآخر بأن المرأة المتصوفة المقصودة هي "فتحون البزازية، دفينة رأس التاج وأن السيدة مريم هي التلميذة (*إتحاف*، 4: 33).

ومهما يكن من أمر، فقد ترقى ابن بصري في مقامات الطريق الصوفي، حتى أصبح من الأولياء الصالحين العارفين، وظهرت على يديه الكرامات وخوارق العادات. الأمر الذي زاده شهرة، وجعله يتمتع بالتعظيم من لدن العامة والخاصة على حد سواء. وكان زاهدا خاملا، سخر نفسه وحياته في خدمة العلم إلى أن أدركته الوفاة في ذي الحجة عام 1584/991، ودفن بداره من القرسطون إحدى حومات مكناس الشهيرة، وقبره إلى الآن مزارة شهيرة.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*؛ م. الحضيكي، *طبقات*؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*.

أحمد الوارث

بصري، محمد العربي بن مَحمد - فتحاً كانت له مشاركة تامة في جل المعارف المتداولة في عصره. تلقى العلم بمدينة مكناس على أشهر فقهائها أيام المولى إسماعيل كأحمد بن يعقوب الولالي وأبي عثمان سعيد العميري والبهلول البوعصامي وغيرهم. وبهذه المدينة تصدر للتدريس في جامعها الأعظم وتخرج عليه كثير من التلامذة كان منهم من علت شهرته العلمية كأبي القاسم العميري. ومن مؤلفاته *منحة الجبار ونزهة الأبرار وبهجة الأسرار، والكواكب الدرية في مدح النبي وآله وصحبه وسائر الامة المحمدية*، وبوجدان ضمن المجموعة الزيدانية بالخزانة الحسنية بالرباط.

كانت وفاته حسب الضعيف الرباطي سنة 1711/1123، ودفن بضريح سيدي بصري بمكناسة الزيتون.

ع. ابن زيدان، إتحاف، 4: 426-427؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، 92.

عبد العزيز بوعصاب

بصري، مَحمد بن **محمد** بن **محمد** عبدالرحمان المكناسي، عالم مقرئ، وراوية مسند؛ أخذ عن والده السالف الذكر، ولازم الشيخ مباركاً الشبظمي، قرأ عليه عدة ختمات من *القرآن العظيم* بما يحتاج إليه من رسم وضبط؛ ثم انتقل إلى فاس وأخذ عن جملة من مشايخها، من بينهم: محمد بن الحسن بناني محشي الزرقاني، والشيخ التاودي ابن سودة، وبنيس والعراقي واليازغي وابن شقرون وسواهم، واعتمد في القراءات إمام عصره محمد بن عبدالسلام الفاسي.

رحل إلى المشرق سنة 1788/1203، فحج ودخل مصر وغيرها من البلدان، وطوف على المشايخ في مختلف

الأقطار، فعاد مملوء الوطاب، وجمع من الروايات والأسانيد ما عز نظيره عند غيره من شيوخ العصر ؛ وجمع كل ذلك في ثبته الحفيل الذي أسماه *إتحاف أهل العناية والتوفيق والسداد، بما يهمهم من فضل العلم وآدابه والتلقي وطرق الإسناد*، فرغ من تبييضه عام 1791/1206.

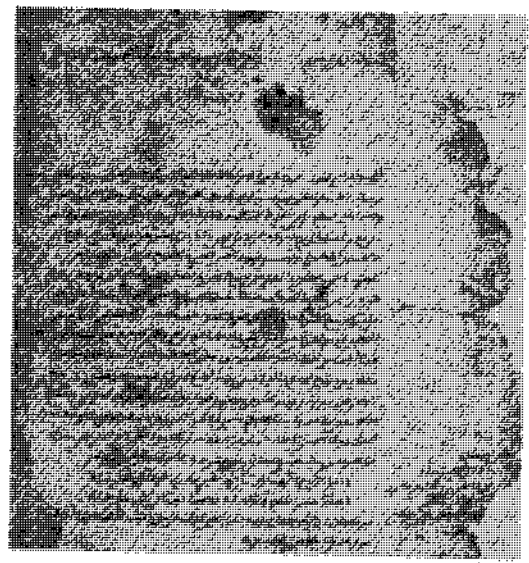

أول صفحة من فهرس بصري بخطه ومسودته

(عن *إتحاف* ابن زيدان، 4 : 158)

والغريب أن الرجل على سعة حفظه وطول باعه في سائر العلوم والفنون، أبت كتب التراجم والسير إلا أن تطبق بالصمت عنه، ولم تشر إليه لا من قريب ولا من بعيد، لولا هذا الثبت الذي خلفه في مسودته بخط يده لامحى أثره !.

م. بصري نفسه، *الفهرس*، مخطوط ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف* ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*

البصري، مصطلح يعني في عرف القراء المغاربة القراءات الثلاث : قراءة نافع بن عبدالرحمان المدني (ت. 169/ 785)، وقراءة عبدالله بن كثير المكي (ت. 120/737)، وقراءة أبي عمرو البصري (ت. 154/770) تغليبا لهذا الأخير ؛ فيقال : فلان بصري، وفلان يحفظ البصري ـ يعني القراءات الثلاث.

البصري ـ في عرف القراء المغاربة ـ يعني القراءات الثلاث : قراءة نافع بن عبدالرحمان المدني (ت 169/ 785)، وقراءة عبدالله بن كثير المكي (ت 120/737)، وقراءة أبي عمرو البصري (ت 154/770) تغليبا لهذا الأخير ؛ فيقال : فلان بصري، وفلان يحفظ البصري ـ يعني القراءات الثلاث.

ولعل هذه التسمية جاءت بعد ما ابتدع المغاربة والأندلسيون جمع القراءات وإردافها. وطريقة المغاربة في ذلك : أن يحفظ القرآن أولاً برواية أبي سعيد عثمان بن سعيد المصري الملقب بورش (ت 179/795)، ثم يردف ذلك برواية أبي موسى عيسى بن مينا الملقب بقالون، (ت 220/835). ويسمى ذلك التحنيش، والأندلسيون يعكسون فيقدمون قالون على ورش ؛ والحروف التي اختلف فيها الراويان تزيد على ثلاثة آلاف حرف، مثل تخفيف الهمز وتحقيقه، وإظهار وإدغام، ومد وقصر، وفصل ووصل، وترقيق وتفخيم، إلى غير ذلك. فإذا حفظ الطالب حرف نافع، جمع إليه حرف عبدالله بن كثير براوييه البزي وقنبل؛ وإذا حفظ حرفي نافع وابن كثير، جمع إليهما قراءة أبي عمرو البصري، والرواية المشهورة عنه بالمغرب. هي رواية اليزيدي يحيى بن مبارك العدوي (ت 202 / 817)، وأشهر طرقه : طريق الدوري أبي عمر بن عبدالعزيز بن اصبهان الأزدي (ت 250 / 864)، وطريق السوسي ـ نسبة إلى سوس الأهواز ـ (ت 261 / 874).

أما الطرق إلى نافع، فأنهاها بعضهم إلى مائتين وخمسين طريقا، منها ثمان وستون لورش، وست وسبعون لقالون، اقتصر ابن غازي منها في أرجوزة له على عشر، أسماها *تفصيل عقد الدرر، في طرق نافع العشر*. وأشهرها عند المغاربة ثلاث :

طريق أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت 444 / 1052)، وطريق أبي محمد مكي بن أبي طالب بن حموش القيسي القيرواني الأندلسي القرطبي، (ت 437 / 1045)، وطريق أبي عبدالله محمد بن شريح الرعيني الإشبيلي (ت 476 / 1083).

أبو القاسم الشاطبي، *حرز الأماني (الشاطبية)* ؛ ابن الجزري، *غاية النهاية ؛ النشر في القراءات العشر* ؛ ع. ابن القاضي، *الإيضاح لما ينبهم عن الورى، في قراءة عالم أم القرى* ؛ *علَم النصرة، في تحقيق قراءة إمام البصرة*، مخطوطان ؛ م. ابن غازي، *تفصيل عقد الدرر*، مخطوط ؛ م. ابن عبدالسلام الفاسي، *الوقف والابتداء*، مخطوط ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*.

سعيد أعراب

بصيلة، أو بَصَل فرْعَون أو عَنْصَل، أسماء تطلق على أنواع برية من جنس سِيلاّ Scilla أو أُرجِينيا Urginea، وهي من فصيلة الزنبقيات Liliaceae.

يتوطن هذا الجنس منطقة البحر المتوسط، وهو ممثل في المغرب بستة أنواع، أهمها العنصل أو البصيلة البحرية Scilla maritima الذي يعطي بصلا من حجم كبير لا يستعمل في الطبخ لأنه يحتوي على مادة سامة تستخدم لإبادة الفئران.

وتكثر البصيلة أو العنصل في المراعي الساحلية التي تعرف رعياً جائراً، يجعل الأعشاب تنقرض تاركة لها المجال فارغا لتترعرع.

أبحاث شخصية ؛ أ. هبل، *النبات الاقتصادي*، تر. زاهد عبدالمجيد وآخرين، القاهرة ـ نيويورك 1962.

عبدالمالك بنعبيد

البَصَل، بقل زراعي بصلي معمر من فصيلة الزنبقيات Liliaceae يسمى علميا Allium cepa وضروبه الزراعية كثيرة. البصل هو الاسم الشائع عند العرب.

تتكون النبتة من جذور خيطية الشكل ومن ساق أرضية مستديرة ومنتفخة بداخلها قرص لحمي مخروطي قليلاً وأوراق لحمية متراصة ومحمولة على القرص. الأوراق أسطوانية الشكل ومقعّرة، البرعم المركزي طويل ومجوف، يحمل في مؤخرته أزهارا صغيرة بيضاء خيمية الشكل. الثمرة جافة ومتفتحة تحمل بداخلها عدة بذور.

موطنه الأصلي حوض البحر المتوسط وآسيا، يزرع في جميع أنحاء المغرب وهو شائع في أسواق الخضر ويعتبر من المواد الغذائية الهامة. يحتوي على مادة متبخرة مسيلة للدموع وعلى كمية هائلة من الأملاح المعدنية وفيتامين "ب" و "ج".

للبصل عدة مميزات عقاقيرية فهو مسكن لآلام داء المفاصل بفضل خاصياته التي تزيل مادة البَوْلة (Urée) والكلورور الزائدة في الجسم كما أنه مُدِرٌ للبول ومنقص للسكر في الدم.

يستعمل عصير البصل لإفراغ الصفراء، ولإيقاف نمو الجراثيم وللمساعدة في تركيب الكويرات الحمراء في حالة فقر الدم.

يستعمل شراب البصل المحلي (Sirop) ضد التهاب اللوزاة والبلعوم. للاحتفاظ بكل هذه المزايا يستحسن أن يؤكل البصل نيئا.

A. Akoka, *Médecine Naturelle, Le médical du 20ème siècle*, Edilec, 1978 ; *La Phytotherapie, Le médical du 20ème siècle*, Edilec, 1977

نجاة الخياطي

البصير، (آل ـ) أسرة صحراوية تقول بانتمائها إلى قبيلة الركيبات الساحليين بالساقية الحمراء، ويقول زوايا ومرابطو أسرير بوادي نون بانتمائها إليهم. ومعلوم أن الفقير گيسوم (قاسم) الجد الفعلي لهذه الأسرة عاش في نهاية القرن الثاني عشر/1780، وهو لا يُخفي انتماءه إلى آل المؤذن الركيبات. أما تسمية البصير فإن أول من تلقاها هو ابنه إبراهيم الذي كان ضريراً، وخلف ابنه مبارك الذي كان أيضاً ضريراً، شأنه في ذلك شأنُ ابنتيه وعدد من أحفاده وحفيداته.

وبموازاة ما كان يتمتع به آل المؤذن من سمعة دينية، فإن إبراهيم البصير سيعمل على توسيع نفوذه الديني ليستفيد من القنوات التي فتحتها أمامه وظائفه المختلفة في هذا المجال. فقد تميز بما يتميز به كبار الزوايا المرابطين ذوي السلطات التي تؤهلهم لفض النزاعات القبلية على مختلف أحجامها. فمكانته المتميزة كانت تقربه من قبيلة أزوافيط، وكذا باقي قبائل اتحادية تكنة والأطلس الصغير. ولعل هذه العلاقة وما كان يغدقه الناس عليه بموسم سيدي مَحمَد بن عمرو اللمطي بأسرير هي التي قربته من الأسرة الدينية التي صاهرته وأهدته سبعة بساتين وماء يوم كامل بالساقية (*المعسول*، 12 : 90). مهما يكن فإن هذه العلاقة تنتقل كما نرى بالقرابة من مجرد إطار عام للعلاقات الاجتماعية إلى اعتبارها بنية محددة لكيان آل بصير بأسرير. وبهذا المدلول المحدد لا تعود إقامة آل البصير منحصرة فقط في ركيبات الساحل بقدر ما تمتد أيضا إلى وادي نون والأطلس الصغير.

البصير إبراهيم، أسس سنة 183029/1245 زاوية آل البصير بقبيلة الأخصاص، مضيفاً وهو في التاسعة والسبعين من عمره، إلى حجمه الاجتماعي والسياسي، ولا غرابة في ذلك ما دامت هذه المرحلة لن تنتهي إلا بعد خمس وثلاثين سنة حين توفي وهو ابن 114 سنة. على أن السيرة الذاتية لابنه مبارك ستحُولُ دون هذه المرحلة والانتهاء. فقد حرص على ما خص به مجمل أعيان وفقهاء إگزولن والده من التوقير والاحترام، شأنهم في ذلك شأن كبيرهم سيِّد إليغ.

كان محمد بن محمد واعزيز قد طوّر قبر إبراهيم البصير إلى مدرسة لتعليم علوم الظاهر. وقد أسهمت هذه المؤسسة إلى حد كبير في الدفاع عن سمعة هذه الأسرة وعن كيانها بسوس والأطلس الصغير.

البصير، مبارك بن إبراهيم. عمل على تعزيز مكانة أبيه على ضوء ما اتخذه من مواقف واختطه من طريق متمِّمة لمسيرة أبيه. فلم تمض سنتان على وفاة أبيه سنة 1864.63/1280 حتى كان من أبرز الفقهاء بمجلس الحسين أ هاشم فوق رأس وادي أ لغاس للنظر في أمر حضور المولى الحسن يومها كخليفة لأبيه. وإذا كانت خاصية ووظيفة السلطان محددتين ضمن نصوص الشريعة الإسلامية، فإن مبارك كان من بين المؤيِّدين يومها لضرورة إقامة "ميزان الشرع" مع ابن أمير المومنين (*المعسول*، 12 : 99). وهو تأكيد لحرص مبارك على موروثه من مفاهيم وممارسات عائلية. وعلى امتداد حياته اللاحَقَة سيُعرف دوماً بتجنبه للدوائر المخزنية على اختلاف مستوياتها بما في ذلك خلال سنة 1884/1302 التي عرفت الزيارة السلطانية لتزنيت. وقد كان يتحكم في ذلك إلى علاقته الوثيقة بالأعيان المحليين وبأنداده من كبار رجال علم الظاهر والباطن، كسيدي لحسن بيبيس والشيخ لحسن التِّيمكدشتي والشيخ سعيد المعدري والقطب ماء العينين. وبذلك تكون ممارسات مبارك البصير وممارسات أبيه قد ارتبطت بالعوامل المحددة لاستمرارية الكيان الاجتماعي وآلياته المحددة لاستمراره أو تحوله. ويتجلى ذلك فيما لا تزال تشهد به الرواية الشفوية المحلية.

وهناك نضيف بأن التساؤلات التي يمكن أن نطرحها بشأن آل البصير تصب كلها في إشكال التفاعل بين الثوابت والمتغيرات بما تفرزه من تكيفات ويترتب عنها من نتائج وردود أفعال. فمع وصول الاستعمار إلى عين المكان سيزداد الاحتكاك بين آل البصير وقيمهم المثلى في حقبة

لايمكن فهم التحول الهيكلي للمجتمع المحلي إلاّ على ضوئها. فقد حرصت هذه الأسرة على قطع أواصرها مع الجهاز المخزني مقتصرة على وظيفتها الاجتماعية الدينية، وأفسحت المجال أمام كل المحتكمين إليها. وهي حقيقة فيها خضوع أبدي لسلطة الزوايا بأبعادها الدينية والدنيوية.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 12 ؛ م. سالم ولد الحسين ولد لحبيب ولد عبدالحي، *جوامع المهمات في أمور الرگيبات*.

مصطفى ناعمي

البضاضوة، مفردها بَضّوي ـ بكسر الضاد المشددة ـ وهي تحريف لتسمية الإباضية مفردها إباضي. ورغم هذه المواطأة في التسمية، فإنه لا وجود لمشابهة أو جامع أوجب إطلاق لقب شيعة عبدالله بن إباض (ت 705/86) على البضاضوة الذين ينتسبون إلى الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت 1524/931) مؤسس الطريقة الراشدية بالمغرب الأوسط، المعروفة أيضاً بالطائفة اليوسفية التي نشأت في المغرب خلال الربع الأول من القرن العاشر الهجري (16 م)، وهي طائفة صوفية يتصل سندها بالامام أبي الحسن الشاذلي (ت 1259.58/656) عن طريق الشيخ أحمد الراشدي تلميذ الشيخ أحمد زروق (ت 1493/899).

وتسمية البضاضوة هي إحدى التسميات المتعددة التي ابتدعها خصوم اليوسفيين من أهل السنة، تعبيراً عن رفض نسبتهم إلى التصوف بوجه عام والطريقة الشاذلية بوجه خاص، وعملا على إخراجهم من دائرة السنة بالمرة والزج بهم في دائرة الملل والنحل الضالة.

تشكل هذه التسمية أحد عناصر التداخل الحادث بين تاريخ الطائفة اليوسفية وتاريخ الطريقة الراشدية، على مستوى المعارضة التي واجهت الشيخ أحمد بن يوسف ومذهبه وأتباعه في كل من المغربين الأوسط والأقصى. ذلك أننا لا نستبعد أن تكون هذه التسمية قد أطلقت أول ما أطلقت من قبل خصوم الراشدية من أهل المغرب الأوسط: فقد أكد محمد الصباغ مؤلف أقدم سيرة مفردة في الشيخ أحمد بن يوسف، وهو كتاب *بستان الأزهار* المصنف ما بين 1545/952 و1555/962، أن فقهاء هذا الصقع حاولوا إخراج شيخه الراشدي ومذهبه وأتباعه من دائرة السنة، ورامو الزج بهم في دائرة الملل والنحل. ولم تكن هذه المحاولة وهذا المرام ليكلفا فقهاء المغرب الأوسط بوجه عام وفقهاء البلاد الراشدية بوجه خاص كبير عناء، لأن الوحدة المذهبية في إطار السنة لم تتحقق في هذه البلاد، مثلما تركزت السنة ورسخت في المغرب الأقصى، على هذا العهد ومن قبله ومن بعده. وقد كان خصوم الراشدية، في وطنها الأصلي، في غنى عن الرجوع إلى أسفار السلف المؤلفة في الملل والنحل، وكان يكفيهم التفكير في حال الواحات الجنوبية، ليتذكروا المجتمع الإباضي المستقر بها، والمستعصي على السنة، منذ عهود الاسلام الأولى في هذه البلاد : فسقوط الدولة الإباضية الرستمية، بالمغرب الأوسط، على يد الشيعة الفاطميين عام 908/297 ولم يقض القضاء النهائي على مذهب الخوارج الإباضية في هذه البلاد، ولم يستأصل شأفة أتباعه الذين فرت بقيتهم ناجية بدمائها وأموالها وكتب عقائدها إلى الواحات الجنوبية، فنزلت أول الأمر بواحة سدراتة ثم انتقلت بعد ذلك إلى وادي مزاب الذي استقرت به بصفة نهائية.

وقد دأب أهل السنة في المغرب الأوسط على مكافحة مجتمع مزاب وتطويقه، وطالت هذه المكافحة قرونا عديدة، وأصبحت النسبة إلى مذهب الإباضية أخطر وأعظم تهمة تحارب بها البدع المخالفة للسنة، والتي نشأت بالمغرب الأوسط، سواء كانت على صلة بنحلة مزاب أو لم تكن لها أية صلة بها. ولما ظهرت الطريقة الراشدية في المغرب الأوسط، في مطلع المائة العاشرة (16 م)، رفض أهل السنة مذهبها القائم على الجراءة في النظر والتجريد والمغالي في الدعوة إلى التحرر من التقاليد الصوفية الفكرية والسلوكية السائدة خلال هذا العصر، وأنكروا عليها نسبتها إلى الطريقة الزروقية القائمة على الحسبة لصالح السنة في العلم والعمل وفي الشريعة والطريقة، ودفعوا بها خارج سلك التصوف بالمرة، ونسبوها إلى نحلة الإباضية بالذات. وما زال علماء الجزائر على عهد سلفهم، ينظمون العلاقة بين الطريقة الراشدية وإباضية مزاب، وهذا إلى مطلع القرن الرابع عشر(20 م)، وحذا حذوهم غير واحد من الباحثين الأجانب الذين اهتموا بالراشدي والراشدية.

وقد انتقلت هذه التسمية إلى المغرب الأقصى، مع دخول هذه الطريقة إليه، واستخدمت لتمييز الفرع اليوسفي من أتباعها. وتمت نسبة اليوسفية إلى نحلة الإباضية في مرحلة مبكرة من تاريخها، إذ يذكر ابن عسكر(ت. 1578/986) في *دوحة الناشر*، بأن مؤسس هذه الطائفة قد "تزندق وذهب مذهب الإباضية". لكن تسمية البضاضوة والعكاكزة لا تظهر إلا مع مصادر القرن الحادي عشر(17م)، وبالضبط في *رسالة العكاكزة* التي حررها الإمام الحسن اليوسي عام 1670.69/1080، وقد اشتهرت بها خلاله فرقة معينة من الطائفة اليوسفية من أعراب تادلا. وبعد هذا القرن تمركزت دواوير البضاضوة بالغرب، ويذكر لنا عبدالكبير الكتاني (ت 1931/1350) في تأليفه *زهر الآس*، استقرار رهط منهم بفاس، وتأسيسه لأحد البيوتات الفاسية الشهيرة وهو بيت بني البضاضوة.

لانعرف بالضبط متى استوطن البضاضوة سهل الغرب، غير أنه يمكننا الاطمئنان إلى القول بأن بداية استقرارهم به تعود إلى عهد المولى إسماعيل، وأن دواويرهم به قد تكون، في الأصل، إحدى المنافي التي رحّل إليها المولى إسماعيل بقية اليوسفيين الناجين من نكبة عام 1691/1102. وقد انضم إليهم خلال القرن الثالث عشر (19 م) العديد من حفدة الشيخ أحمد بن يوسف، على اثر هجرتهم من مدينة مليانة التي تأوي ضريح جدهم، فارين في وجه الفرنسيين.

ولا يزال يوسفيو الغرب يسمون بالبضاضوة وهذا إلى

مطلع القرن الرابع عشر (20 م)، ويعيشون في عدة دواوير، أهمها دوار الملاينة من قبيلة أولاد عيسى الواقعة على ضفاف نهر سبو. وترجع بعض الروايات أصلهم إلى عنانمة الساورة، مثلهم مثل الغنانمين اليوسفيين المستقرين في ناحية مراكش.

م. الصباغ، *بستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار*، مخطوط خ. ع. بالرباط، 243 ك، ص 112 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، ص 115 ؛ ح. اليوسي، *رسالة العكاكزة*، مخطوط ضمن مجموع في خ. ع. بالرباط ، 1224 ك، ص 175 ؛ ع. الكتاني، *زهر الآس في بيوتات فاس*، مخطوط خ. ع. بالرباط، ع 1281 ك، ص 327 ؛ ع. بنعبدالله، *الموسوعة المغربية*، ملحق 2، ص 8، 100، 316، 345 ؛ ع. نجمي، *مساهمة في دراسة تاريخ التصوف المغربي في القرنين 16 و17، طائفة العكاكزة*، ر. د. د. ع. كلية الآداب بالرباط.

G. Salmon, *Les Bdadoua, A.M*, Vol. 2, n° 2, 1904, p. 358 - 363 ; A. Moulieras, *Une tribu zénète anti-musulmane : les Zkara*, Paris, 1905, p. 5, 54, 55 ; E. Doutte, *Marrakech*, p. 368, n° 1 ; L. Gognalons, *Une fraction des Ghenânema de la banlieue de Fès : Ouled Aïssa, B. S. G. A. O.*, t. 27, p. 354, 359 ; A. Bernard, *Les confins Algéro-Marocains*, Paris, 1911, p. 29 - 30 ; E. Michaux-Bellaire, *Le Gharb, A.M.*, Vol. 20, 1913, p. 249 - 251 ; *Les Confréries religieuses musulmanes, A. M.*, Vol. 27, 1927, p. 13 ; G. S. Colin, *Sayyidî Ahmad Zarruq*, Estrato dalla *revista della Tripolitania*, anno 2 , Roma 1925, p. 14 ; E. Dermenghem, *Le culte des saints dans l'Islam Maghrébin*, Paris, 1954, p. 240, 241, 244, 245 ; R. Brunel, *Le monachisme errant dans l'Islam : Sidi Heddi et les Heddawa*, p. 436, 437 ; Monsempes, *Contribution à la connaissance d'une tribu : Les Zkara*, Archives du C.H.E.A.M., Paris, (s. d.), p. 19 ; J. Berque, *Structures sociales du Haut-Atlas*, p. 436 ; *L'intérieur de Maghreb*, Paris, Gallimard, 1978, p. 101, n° 1.

عبدالله نجمي

بطاطا أو بطاطس، نبات زراعي عشبي حولي عسقولي من الفصيلة الباذنجانية صولاناسي Solanaceae. ضروبه الزراعية عديدة ومنابته الأصلية من البيرو Perou وقد تم إدخاله إلى إسبانيا سنة 1535 م ومن هناك انتشر في الدول المجاورة. إن لفظة "بطاطا" إسبانية وهي من لغة سكان هايتي الأصليين. اسمها العلمي صولنوم توبيرزوم Solanum tuberosum.

يبلغ طول النبتة 100،60 سم، الأوراق متركبة. ينتهي الساق بسنمة من أزهار بيضاء لها 5 تويجات ملتحمة ومستديرية الشكل. الثمرة عنبية سوداء. تنتج العساقل المستهلكة عن عدة عقد على سيقان تحتأرضية.

تغرس العساقل في المزارع السقوية عادة وذلك في المناطق المعتدلة المناخ. أما في المغرب فإن زراعة البطاطا تصادف في جميع أنحاء البلاد.

تعتبر البطاطس من المواد الغذائية الأساسية في المغرب وتحتل الصف الرابع في الإنتاج الوزني العالمي للتغذية.

تحتوي البطاطس أيضا على ڤيتامينات B1 وB2 وC.

كما تحتوي العساقل الخضراء على جراثيم ومواد سامة Solamine تضر بمعدة الإنسان وينتج عنها صداع وعرق بارد وانخفاض في الدورة التنفسية والدموية.

تستعمل البطاطس في علاج الحرق ولفحات الحَرّ.

من المكونات الغذائية في 100 گرام نذكر :

	المطبوخ	النيء
الماء	74،29	76،10
الزلاليات	2،58	2،06
الدهنيات	0،10	0،12
هيدرات الكربون	21،26	20،69
رماد	1،07	1،03

بالاضافة إلى هذا النوع المعروف توجد أجناس أخرى يطلق عليها لفظ بطاطا وأهمها :

بطاطا حلوة، نبات عشبي معمر من ذوات الفلقتين ومن فصيلة المحموديات Convolvulaceae. يزرع لعساقله النشوية السكرية المغذية وهو من أصل أمريكي.

بطاطا حلوة هو اسمه الشائع في المغرب، ويقال له في الشرق العربي قلقاس هندي، واسمه العلمي هو Ipomoea batatas أو Convolvulus batatas.

السيقان رقيقة، تحمل أوراقاً بسيطة كاملة الصفيحة وأزهاراً مزدوجة الغلاف، لها 5 تويجيات ملتحمة و قمعية الشكل. العساقل حمراء، منتفخة يفوق وزنها أحيانا كيلوغراما واحدا وهي غنية بالنشأ Fécule.

تغرس في المناطق الشبه الاستوائية والبَيْمدارية وخاصة في السهول والمناطق الغير المرتفعة.

ثم إدخالها إلى المغرب من إسبانيا وهي شائعة في أسواق الخضر، وخاصة في فصل الخريف.

بطاطا قصبية، نبات عشبي معمر من الفصيلة المركبة Composées يُزرع لعساقله وهو من أصل أمريكي.

بطاطا قصبية هو اسمه الشائع في المغرب، ويعرف في الشرق بعباد الشمس العسقولي، وقلقاس رومي. وطرطوفة، وحرشف القدس، وتفاح الأرض. واسمه العلمي Helianthus tuberosum.

الساق سنوي، يتراوح طوله ما بين 0.7 ومترين. يتراوح قطر الرؤيس ما بين 4 و10 سم. الأوراق مسننة، متقابلة في القاعدة ومتناوبة قرب الأزهار.

العساقل بيضاء غنية بالإينولين Inuline تغرس في السهول وهي شائعة في أسواق الخضر بالمغرب.

م. الشهابي، *مصطلحات العلوم الزراعية*.

P. Crete, *Précis botanique*, T. 2 ; Cl. Ch. Mathon, *Phytogéographie appliquée : L'origine des plantes cultivées* ; A. Akoka, *Médecine naturelle : Le Médical du XXème siècle*.

نجاة الخياطي

البطانة، ناحية طبيعية بالصحراء المغربية حيث توجد الفَرْسِيَّة، المنبع الرئيسي للساقية الحمراء. تنقسم الناحية إلى قسمين : البطانة الكلبية، والبطانة التلّية، وبها توجد

السبخة التي تحمل اسم الناحية التي تقع بين المنطقتين الطبيعيتين المعروفتين بالعيدر وأخشاش.

I. Carnero Ruiz, *Vocabulario géografico-saharico*, Madrid, 1955, p. 27, 189.

محمد ابن عزوز حكيم

البطاوري، أسرة رباطية جاءت من مدينة شرشال القريبة من العاصمة الجزائرية على ساحل البحر المتوسط، لذلك يدعى البطاويون أيضا بالشرشاليين وهم ينتسبون إلى الشرفاء الحسنيين ولا يعرف جدهم الذي هاجر من شرشال إلى الرباط حيث برز منهم العديد من أهل العلم والصلاح. ويتصل عمود نسب هذه الأسرة بسليمان بن عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت الرسول عليه السلام.

وسليمان هذا هو شقيق المولى إدريس الأكبر، أمهما عاتكة بنت عبدالملك المخزومية. كان بعثه أخوه محمد المعروف بالنفس الزكية حين بايعه أهل الحجاز إلى مصر داعيا له، ولما علم بقتل أخيه سار إلى بلاد النوبة ثم إلى السودان ثم إلى زرب إفريقية ومنها توجه إلى تلمسان فاستوطنها أيام أخيه المولى إدريس، وتعاقب نسله بها، وانتقل بعض أولاده إلى شرشال. وأحد أجداد البطاويين هو الشيخ العالم عيسى الغبريني الذي عاصر الإمام ابن عرفة. ومنذ استقرار أسرة البطاويين بالرباط برز فيها عدد من رجالات التصوف والفقه والأدب، وأسندت إلى بعضهم الخطط الشرعية كالإمامة والخطابة والقضاء.

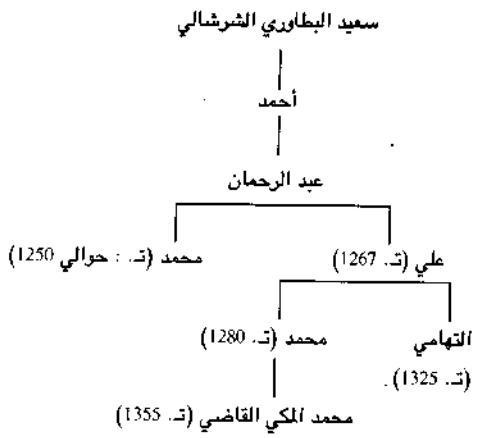

وهناك أسرة بطاورية تطوانية يذكر أن أصلها من الأندلس ما زالت موجودة حتى اليوم بتطوان، ويعرف منهم محمد البطاوري الذي تصفه وثيقة عدلية سنة 1133/1721 بالقائد ؛ وعبدالقادر بن محمد البطاوري الذي كان على قيد الحياة سنة 1182/1866.

البطاوري، التهامي بن علي، صهر قاضي الرباط أحمد بناني الذي ذكر نسبه في *كناشته*. تفقه على يد علماء الرباط أمثال الطاهر بريطل وأحمد دينية، وكان من المهتمين بالحساب والفرائض أخذهما عن الحيسوبي الطاهر ضاكة. وقد ذكر ابن أخيه القاضي محمد المكي البطاوري أنه كان من المدرسين، قرأ عليه الكثير من المتون وبعد التدريس يتعاطى الشهادة، وكان من العدول الذين اشتغلوا برسمي الجديدة. وفي السنين الأخيرة من حياته لازم المسجد الأعظم بالرباط في الأوقات الخمس وخصوصا في الليل، عرف بالوقار والجد، ووصف بالفضل والرزانة والصرامة. وفي سنة 1325 توجه إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج. وعندما قفل راجعا توفي بطنجة أوائل ربيع الأول 1908/1326، ودفن بضريح الشريف عبدالسلام الوزاني.

البطاوري، علي بن **عبدالرحمان** جد القاضي محمد المكي، وقد ذكره الشيخ العربي التهامي الوزاني في معجمه المعنون *بلوغ المنى والآمال فيمن لقيته من المشايخ أهل الفضل والكمال*. ووصفه بالفقيه العدل الخطيب البليغ الشريف... كما حلاه رسم صداق زواجه بأديب الفقهاء وفقيه الأدباء. ترك بعض القصائد في المديح النبوي مطلع إحداها :

بمدح رسول الله كن متمسكاً ... تنالُ به قرباً وعزاً ومنصبا
فيا منشداً ردِّد مديح محمدٍ ... وعلِّلْ به قلب الشجيِّ مُرحِّبا

تتلمذ على القاضي الشهير الطيب بسير وغيره من علماء وقته الرباطيين. وتولى الخطابة في مسجد المولى سليمان بعد الفقيه أحمد الرغاي أواسط القرن الثالث عشر، وظل شغوفاً بالعلم إلى وفاته سنة 1267.

البطاوري محمد بن **عبدالرحمان**، عاش أواخر القرن الثاني عشر والنصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري (18-19 م) وذكره أديب الرباط محمد بن التهامي بن عمرو في جملة تلامذة أستاذه الحكمي. ويلتقي كل من الأديب ابن عمرو هذا ومحمد البطاوري في جد واحد هو القاضي عيسى الغبريني التونسي. ذلك أن والدة ابن عمرو شرشالية.

عرف محمد البطاوري بخطه الجميل وباعتنائه بالتقييد، فقد ترك تقاييد كثيرة. وله *قصائد* منها واحدة في مدح الرسول أنشدها ليلة المولد النبوي عام 1231 مطلعها :

قد أقبل السعدُ واستوت زواهرُهْ ... وخَيِّم اليُمْنُ وازدهتْ أزاهرُهْ

وله *شرح على لامية العرب*، يقول عنه بوجندار «يشهد له بالتقدم في الأدب» كما قال عن قصيدته «ولو لم يكن من مآثره الأدبية سوى تلك القصيدة الرائية المولدية لكان كافيا في الدلالة على قدره وتفوقه في الأدب».

توفي أواسط القرن الثالث عشر الهجري (19 م).

البطاوري، محمد بن **علي** الرباطي. فقيه ناسك تولى الخطابة بعد والده بالمسجد السليماني وكان منخرطا في الطريقة الوزانية. تزوج بنت القاضي الطيب بسير في حدود 1270 فأنجبت ولده الشهير محمد المكي آتي الترجمة.

توفي عند فجر يوم عيد الأضحى عام 1284/1868.

البطاوري، محمد المكي بن محمد، ولد عام 1274 وتلقى تعليمه على يد إبراهيم التادلي، وعمه محمد

التهامي البطاوري والهاشمي الزياني وأحمد مُلين والقاضي محمد بن إبراهيم والقاضي محمد بن عبدالرحمان البريبري وعبدالرحمان لبريس وعمر عاشور ومحمد المكي بن عمرو ومحمد دينية والشيخ العربي بن السايح وأحمد بناني وغيرهم.

وممن أجازه إبراهيم التادلي، وعلي البوجمعاوي الدمناتي، وعبدالملك العلوي، وحسن بن إبراهيم الأزهري مفتي المالكية بمكة، وصديق عبدالرحمان كمال شيخ مكة، ومحمد الكسراوي. عُرف محمد المكي بطول الباع في التحصيل والتلقين والإملاءات، وفي شمولية المعرفة، وكان يلقي دروسه بالزاوية التهامية وبضريح مولاي المكي. وقد أجاز عدداً من الطلبة والعلماء منهم محمد المدني بن الحسني وعبدالحفيظ الفاسي، وهذا الأخير ترجم للمكي البطاوري في كتابه *المعجب المطرب*، كما أجاز الغازي سباطة ومحمد بوجندار.

وظف المكي البطاوري أولا مع صهره النائب السلطاني بطنجة محمد برگاش سنة 1290 وبقي في هذه الوظيفة زهاء عشر سنوات سافر أثناءها ضمن الوفد الرسمي إلى إسبانيا، وحضر مؤتمر مدريد عام 1880/1297، ثم سافر مرة ثانية سنة 1884/1301 إلى إسبانيا وفرنسا وإنجلترا مما ساهم في تنويع معارفه ومشاهداته، وفي سنة 1886/1304 توجه إلى الحجاز، فلقي أعلام المشرق وأخذ عنهم، ودفعته رحلاته إلى تحرير رحلة صور فيها ما شاهده وتحدث فيها عن نفسه وأساتذته سماها *ثمرة أنسي بالتعريف بنفسي* وقد ضاعت.

انتدبه الخليفة رشيد بن عبدالرحمان بن هشام لتعليم أولاده. وفي سنة 1311/93.1894 عينه السلطان المولى الحسن لتعليم أولاده الذين كانوا موجودين في قبيلة مزاب. وبعد ذلك وظف عدلاً بمرسى لرباط مرتين وفي ديوانة طنجة. وكان في أثناء ذلك مواظبا على التدريس إلى أن ولي قضاء الرباط سنة 1323/1905.1906. فاكتمل بذلك نشاطه العلمي الذي كان مضرب الأمثال. وقد ظل في القضاء عشر سنوات، وألف ما يَربو على ستين كتاباً زيادة على قصائد شعرية عفوية تدل على أنه كان من الشعراء الموهوبين، ومن هذه المؤلفات عدد من الشروح الأدبية، منها على مقصورة المكودي : *أزهار الأغصان المهصورة من رياض أفنان المقصورة* ؛ وعلى الشمقمية : *اقتطاف زهرات الأفنان من دوحة قافية ابن الوَنّان*، إضافة إلى رائية حسن العطار المسمى *منح الأوطار في نفح العطار*، وشرح *الجوهرة في التوحيد* لإبراهيم اللقاني، وشرح صغرى *السنوسي* وهو مطبوع.

وقد أفرد الشيخ البطاوري بكتب ألفها في ترجمته عبدالحي الكتاني، وعبدالرحمان ابن زيدان، والعربي الوزاني وأحمد سكيرج ومحمد المدني ابن الحسني ومحمد بوجندار ومحمد بن علي دينية وعبدالله الجراري.

توفي محمد المكي البطاوري ليلة الأربعاء ثاني محرم 1355/25 مارس 1936.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 214، 279، 289 ؛ *سلسلة شخصيات مغربية* (3)، *شيخ الجماعة محمد المكي البطاوري الرباطي* ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، 166، 172، 190، 271 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، 50، 180، 183، 188، 285، 444 ؛ *تعطير البساط*، 46، 49 ؛ *دورية الوثائق الملكية*، 4 : 93، 94 ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط*، 150، 166، 287، 289 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

عبدالاله الفاسي

بَطَايُون، قاعدة عسكرية كبرى بناها الإسبانيون بإفني سنة 1934 في أرض قبيلة أيت اخلُف، على هضبة مستوية مشرفة على المحيط مباشرة على حافة انكسار جيولوجي بـ 50 م على مستوى سطح البحر. مساحتها 4 كلم × 2 كلم، يحيط بها سور كبير. تشتمل على ميدان للحرب والتدريب، ومكان للرماية، واصطبلات للخيول، ومخازن للسلاح والتموين، وصهاريج للمياه. فهي أشبه ما تكون بمدينة عسكرية قائمة بذاتها. وفي سنة 1957 ضمت إسبانيا أراضي أخرى خارج تلك التكنة، فشيدت ثلاثمائة منزل لضباطها أطلقت عليها "كولومينا" وتسمّى حاليا حي كلاّميا.

كوّنت إسبانيا في قاعدة بطايون جيشاً كبيراً من أيت باعمران وغيرهم من شمال المغرب، قادهم الجنرال فرانكو في الحروب الأهلية الإسبانية ما بين 1936 و1939. ومن أشهر القادة المغاربة المكونين في هذه القاعدة : القائد أُلودي محمد الدكالي الأصل، والقائد عبدالله السرغيني، والقائد المحجوب السرغيني، والقائد محمد الرميلي الزيلاشي، الذين أسند إليهم اختيار الشباب وتدريبهم لإرسالهم إلى إسبانيا.

وفي باطايون أنزلت إسبانيا أركانها الحربية لتسيير أربعين ألفاً من الجنود في عهد الثورة الباعمرانية 1957.1969 وهي القاعدة الجوية الوحيدة التي صدّت هجوم أيت باعمران وجيش التحرير بعدما استسلمت الثكنات الأخرى خارج مدينة سيدي إفني، بل ألحقت خسائر كبيرة بالمجاهدين عند هجومهم على هذه القاعدة العسكرية، فقبض على كثير من رجال جيش التحرير (*العلم*، ع 2737 في 57.124).

ومن باطايون أخذ المقاومون كثيراً من السلاح، بطرق مختلفة نقلوه إلى الدارالبيضاء. وقد حافظت هذه القاعدة على مدينة إفني إلى أن استرجع المغرب بطايون في سائر ما استرجع من إقليم سيدي إفني بموجب اتفاقية فاس بين إسبانيا والمغرب في 4 يناير1969، وبذلك رجعت قبائل أيت باعمران ـ كما كانت ـ جزءاً لا يتجزأ من الأمة المغربية.

الخريطة الطبوغرافية لباطايون بمكتبة الباعمراني الحاج مبارك الخلفي ؛ *وثائق باعمرانية* عنده أيضاً ؛ مجلة *الشاهد*، عدد خاص

بتاريخ فاتح سنة 1958 ؛ ح. جـهـادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مرقـون ؛ *الجريدة الرسمية* عـدد 2958 بتاريخ 28 مايو 1969، الرباط.

الحسين جهادي

البطحاء، من المعاني التي أعطاها صاحب *لسان العرب* لكلمة البطحاء : مسيل فيه دقاق الحصا ، ومنه الحديث أنه صلى الله عليه وسلم صلّى بالبطح يعني أبطح مكة، قال هو مسيل واديها. الجوهري : والبطيحة والبطحاء مثل الأبطح ومنه بطحاء مكة".

وفي مدينة فاس تطلق البطحاء على حي من أحيائها القديمة (فاس البالي)، في الجهة الغربية منها بين باب بوجلود وباب الحديد في منطقة مسيل واد فاس. ومن بنايات هذه المنطقة قصر البطحاء المعروف عند العامة بدار البطحاء أو دارالسلاح (السناح).

حديقة قصر البطحاء سنة 1950

أسس قصر البطحاء في أواخر القرن الثالث عشر (19م) بين 1883 و1879، وبُني معظمه في عهد السلطان الحسن الأول، وزاد في بناياته ابنه المولى عبدالعزيز، وأشرف على إنجازه الحاج عبدالسلام المقري أمين الأمناء آنذاك. ويعتبر قصر البطحاء من أجمل البنايات التي خلفها ملوك الدولة العلوية. إذ يحتوي على أحسن رياض أندلسي موجود بالمغرب العربي، تبلغ مساحته 2918 مترا مربعا، أي ما يعادل تقريبا 40٪ من المساحة الاجمالية، وتوجد في كل من الجهتين الشرقية والغربية ساحة تفصل رياضا عن قاعات الاستقبالات، وتبلغ مساحة كل منها 711 م، وكلها مبلطة بالرخام والزليج.

يحتوي هذا القصر، بالاضافة إلى القاعات الشرفية المخصصة للاستقبالات، على عدة مرافق ، منها المطبخ والحمام والمراحيض والمخازن.

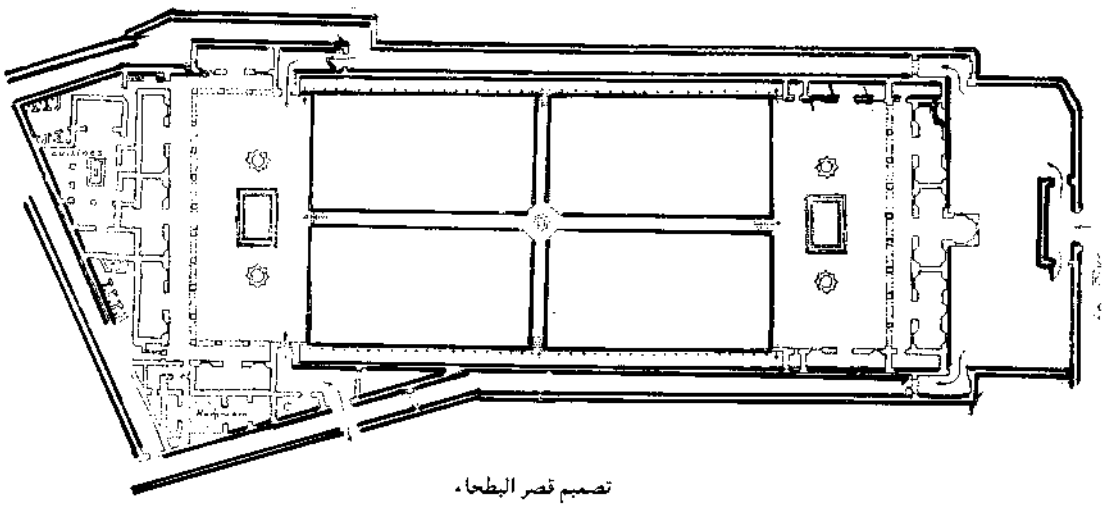

تصميم قصر البطحاء

وفي سنة 1915/1334 أصبح قصر البطحاء مقراً لأول متحف أُنشئ بالمغرب، وهو يعتبر من أكبر متاحف المملكة نظراً للقيمة التاريخية والتراثية التي تمتاز بها المجموعات التي يتوفر عليها، خصوصا في ميدان الآثار والفنون الاسلامية الحضارية بالمغرب.

ومن المجموعات الموجودة بهذه المؤسسة نذكر :

1 ـ الخشب المستعمل في المباني العتيقة والاثاث ذي الطابع الديني، وأذكر منها قطعة مزخرفة بخط كوفي بديع يرجع تاريخها إلى عهد الادارسة (داوود بن إدريس سنة 256 هـ)، وقطعا أخرى من الخشب المنقوش والمخروط والمزوق بالألوان، وأغلبها يرجع إلى عهد الدولة المرينية (1358.1258/760656) التي تعتبر بحق الدولة التي خلفت أكبر عدد من البنايات وأجملها بمدينة فاس.

وتضم المجموعة الخشبية بمتحف البطحاء عدداً من المنابر، أهمها منبر مسجد الأندلس الذي يرجع صنعه إلى القرن الرابع الهجري، وهو أقدم منبر في العالم الإسلامي بعد منبر جامع القيروان بتونس، أول إنجاز فني يحمل بصمات الفن الإسلامي المغربي.

2 ـ مجموعات من الجبص المنقوش والزليج والرخام والبرونز إلى غير ذلك مما يتعلق بالفنون المعمارية.

3 ـ مجموعات الفنون التقليدية الحضرية : كالخزف والطرز والنسيج وأثاث معدنية، ونعرف أنّ الخزف يعتبر من الفنون العريقة بمدينة فاس، ويحتوي هذا المتحف على مجموعة هامة تبين ما استطاع الخزفي الفاسي إنتاجه من أواني منزلية جميلة ذات زخارف نباتية وهندسية وخطية إلى غير ذلك.

وتبين قطع المخطوطات مدى اهتمام المغربي بفنون الكتاب من خط وتزويق وتسفير، فمجموعات البطحاء تمهد للمهتم كيفية تتبع تطور هذا الفن من القرن السادس الهجري إلى اليوم.

4 ـ مجموعات الفنون القروية، منها مجموعة الزرابي من انتاج بعض قبائل الأطلس المتوسط والمغرب الشرقي، كبني وَرَاين وبني سَدّنْ وبني مْگيلْدْ وبني بويحيي الخ، والفخار المصنوع في أشهر المراكز المغربية كالتسول وسلاس وبني وريغل والبهاليل، كما يحتضن هذا المتحف أيضاً عدداً من التحف الأخرى كالحلي والنقود المغربية والأسطرلابات إلى آخره.

منتزه داخل قصر البطحاء

والجدير بالذكر أن قصر البطحاء كان مقراً لتنظيم الحفلات ذات الطابع الديني والثقافي كموسم مولاي إدريس، والعروض المسرحية، والسهرات الموسيقية والندوات إلى غير ذلك من الأنشطة التي تشهدها المدينة.

دراسة ميدانية.

علي أمهان

البط، طيور مائية من فصيلة البطيات Anatidae ورتبة كفيات القدم Palmipèdes وصفيحيات المناقر Anseriformes التي تشمل عشيرة الإوز والتم وغيرها.

البط مفرده بطة ويقال أيضا بَـرَكة جمعها بْـرُك وبراك كما هو شائع في شمال افريقيا وفي الشرق العربي. إن البط الإوز واحد في اللغة ويميز العلماء بينهما في العشيرة والجنس.

تتكون عشرة البط Anatinae من جنس البط Canards وجنس البلقشة Harles وجنس الحذف Sarcelles وجنس العفاس Fuligules.

البط شبيه بالإوز في هيئته إلا أنه أصغر منه، الأرجل والعنق قصيرة. المنقار عريض ومصفح. الأقدام كفية مما يساعدها على السباحة.

يتميز البط بازدواجية الشكل الجنسي : للإناث ألوان موحدة، شقراء بنية في أغلب الحالات، وللذكور ألوان مختلفة براقة ولامعة تساعد على معرفة النوع.

تبيض الأنثى ما بين 8 و12 بيضة ابتداء من مارس تحضنها لمدة تتراوح ما بين 21 و25 يوما. تطير الفراخ بعد خمسة أسابيع على الأقل. يتكون غذاء البط من مختلف الحيوانات المائية اللافقرية كالحشرات والقشريات والديدان والحلزونات ومن أوراق النباتات، كما أنها تصفي كل ما في الماء من بذور وطحالب وبلنكتون Plancton. تتغذى أنواع البلقشة من الأسماك وهي تحسن الغطس. يفضل البط العيش في البحيرات العذبة والمالحة الكثيرة النباتات.

تضم عشيرة البط 116 نوعا، 17 منها تعيش في المغرب خلال فصل الشتاء. إنها طيور مخالطة، تتنقل وسط مجموعات عديدة الأفراد وتنظم في الجوّ خطوطا منحرفة أو على "٨" أثناء القطع الذي يتم في أوائل فصل الشتاء (قادمة من أوروبا لتشتو في المغرب وجنوب الصحراء) وفي أوائل فصل الربيع (لتتوالد في شمال أوروبا وأواسطها).

تتوالد ثلاثة أنواع من البط في المغرب :

1 ـ البط ذو العنق الأخضر، المعروف بالخضيري Anas platyrhynchos وهو أكثر الطيور انتشارا على طول الساحل الأطلنتي وحول البحيرات والمستنقعات حيث يصل عدده إلى أزيد من 12.500 أعظمها تأتي من أوروبا لتضاف إلى الأفراد التي تعيش في المغرب. العنق والرأس أخضران لامعان عند الذكر، تتوسط العنق حلقة بيضاء رقيقة، الصدر بُني، البطن رمادي، الأقدام برتقالية. يبلغ طوله 58 سم وطول بسطة جناحيه 95.80 سم ويزن ما بين 900 و1400 گرام. يبني عشه وسط العشب المكثف القريب من الماء وكثيراً ما يألف الإنسان ويعيش بجانبه. قنصه منظم في جميع الدول. إنه أصل البط الأهلي الذي دُجِّن منذ زمن بعيد.

2 ـ شهرمان أو أبوفروة المسمى علميا Tadorna ferruginea هو بط بري أحمر الرأس والعنق، في أسفل عنقه طوق أسود وسائره أمغر أي ضارب إلى الحمرة. يطلق عليه في المغرب البرك الأحمر، ويكثر في البحيرات الجبلية وفي المستنقعات والوديان بالمناطق الشبه الصحراوية. يبلغ طوله 64 سم وطول بسطة جناحيه ما بين 105 و115 سم ويزن ما بين 800 و1500 گرام. يتراوح عدده ما بين 650 و800 ومن المحتمل أن كل أفراده آبدة في المغرب وقنصه منظم.

3 ـ الحذف المعرف Anas angustirostris هو النوع الثالث الذي يتوالد في المغرب وهو بط صغير يبلغ طوله 41 سم يألف المناقع وشواطئ الأنهار والبحيرات، الأرجل خضراء زيتونية والظهر أبيض وأشقر. يتوالد في مَخْلف سيدي

بوغابة ولا يزيد عدده عن 50 زوجة هناك إلا أن عدده في باقي مناطق المغرب يفوق 500 فرد.

يشتو في المغرب ما يعادل 50.000 فرد من البط يأتي معظمه من أوروبا وعلى رأسه البط الصافر Anas penelope وأبو ملعقة Anas clypeata اللذان يشكلان ما يعادل 30.000 فرد. يتكون العدد الباقي من الأنواع الآتية : الحذف الصيفي Anas querquedula وهو أقلهم عدداً، الحذف الشتوي أو الشرشير Anas crecca، البلقشة المتوجة Mergus scrator، البط الأشقر Netta ruffina، العفاس fuligula A. nyroca وAythya، A. ferina والبلبل Anas acuta وA. strepera وTadorna tadorna وAnas discors الذي يعد من البط النادر جداً في المغرب. توجد أيضا في فصل الشتاء بالسواحل الأطلنتية والمتوسطية Melanitta nigra قنص البط منظم في المغرب ويمنع صيده في المخالف.

P. Geroudet, *Les Palmipèdes*, Genève, 1972, p. 284 ; H. Heinzel, R. Littre et J. Parslow, *Oiseaux d'Europe, d'Afrique du Nord et du Moyen Orient*, Genève, 1972, p. 319 ; M. Thevenot, P. Bergier, et P.C. Beaubrun, *Compte-rendu d'ornithologie marocaine*, Document Inst. Scient., Rabat, n° 6, 1981, p. 95.

محمد رمضاني

بطّاش (سيدي ـ) ـ جغرافيا ـ قرية تعتبر مركزاً لهضبة سيدي بطاش وهي جزء من بلاد زعير السفلى التي تنتمي لشمال غرب الهضبة الوسطى. يشكل واد كريفلة حداً شرقيا، وواد الشراط حداً طبيعياً من الغرب. تنقسم هذه الهضبة إلى متون وعناصر هضبية طولية وواسعة تفصل بينها أودية تتجاوز 250 م عمقاً.

سيدي بطاش

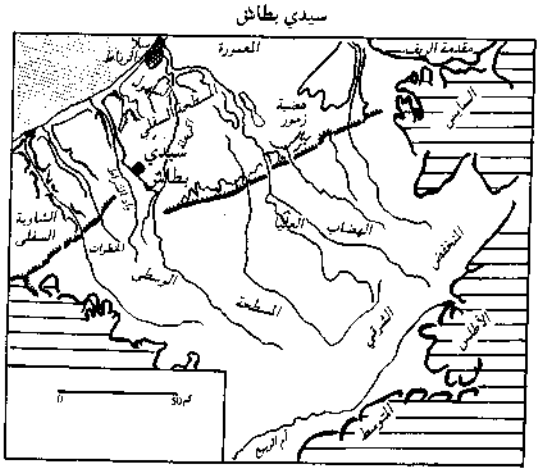

الانحدار العام من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي حيث تتناقص الارتفاعات من 520 م جنوباً إلى 200 م عند مشارف هضاب سيدي يحيى زعير.

ويتميز السطح الطبغرافي بانتشار منخفضات مغلقة تملأ بالمياه خلال الفصل المطير وتعطي المنطقة طابعا خاصاً.

ـ جيولوجياً : تتميز المنطقة بانتمائها للقاعدة الأولية، ولم تعرف إرسابات الزمن الثاني لأنها ظلت مرتفعة. كما أن توضعات الزمن الثالث محدودة جداً. وقد تأثر السطح بمحاور نهرية فيلافرانشية مملوءة بإرسابات من عالية الهضبة الوسطى غنية بالحصى تفصلها هضاب عرفت تفسخا محلياً للقاعدة أعطى فسخات غنية بتصلبات فلزية خصوصاً في المجالات التي تحتلها الضايات.

ـ عناصر المناخ : تتميز بالطابع شبه الجاف، فالتساقطات تتميز بعدم انتظامها وتركزها الفصلي واليومي الحاد مع ما لذلك من آثار كالتخديد والانزلاق وانجراف المواد الدقيقة. متوسط التساقطات 462 ملم علما أن المنطقة لا تبعد عن المحيط إلا بـ 38 كلم. وعدد أيام المطر 58 يوماً.

متوسط الحرارات القصوى 25.8° أما متوسط الدنيا 5.5°.

تتميز المنطقة باحتوائها على واحدة من أكبر غابات البلوط الفليني بالمغرب، ويمثل النبات الأوجي المتوازن مع البيئة المحلية التي تقع بين الطابق البيومناخي شبه رطب وشبه الرطب، ويتوزع النبات بالشكل التالي :

ـ على سطح الهضبة تنتشر غابات البلوط الفليني.

ـ على السفوح الشمسية والقوية الانحدار تنتشر الزيتونيات والعرعر البربري.

ـ على المصطبات نجد البطم والزيوج والطرفاء والخزامى وشجر الغار.

ـ هناك نباتات فصلية متحملة للميهة في الضايات.

ـ على السفوح العارية والهوامش المجتثة تنتشر أشجار الصنوبر الحلبي و الاوكالبتوس وهي أنواع مشجرة اصطناعيا.

فيما يخص التربة فهي تتنوع حسب وضعيتها الطبغرافية والقاعدة الصخرية، فعلى سطح الهضاب تمتد الأتربة الميهة الغنية بالتعقدات الفلزية وتتميز بلونها الأحمر، أما فوق السفوح فتوجد أتربة ضعيفة التطور. وعلى الدرجات النهرية نجد أتربة ترسية أو طينية حمراء غنية بالحصى.

عرفت المنطقة استقرارا بشريا حيث تعيش قبائل زعير ذات التقاليد العربية كالسكن في الخيام والرعي والعناية بالخيول.

وقد استقرت قبائل المنطقة أول الأمر في الأطلس المتوسط حيث مارست الرعي، وقد أشار الحسن الوزان إلى أنهم كانوا يوجدون خلال القرن العاشر (16 م) في منطقة خنيفرة، واستمر زحفهم نحو الشمال الغربي، وفي القرن الموالي دفعهم من طرف قبائل زيان نحو أودية بورقراق، وكريفلة، وگرو.

وفي أصلهم خلاف فحسب الوزان يرجع أصلهم إلى بني معقل وقد وصلوا إلى المغرب في القرن السادس (12م). بينما يشير ابن خلدون إلى أنهم ينتمون لقبائل لواتة الزناتيين الرعاة وقد أتوا من برقة بليبيا. لكن حتى تسميتهم فهي عربية خالصة وتعني "الصعلوك أو الجوال".

وأهم القبائل المحيطة بمركز سيدي بطاش : بني عبيد، أولاد ميمون، أولاد خليفة في الشمال، السلامنة، أولاد زيد أولاد قطير أولاد عمران، الرواشد في الجنوب.

بين الحربين العالميتين توطد الاستعمار الفرنسي والخاص على سطح الهضبة حيث استولى حوالي 180 معمر على مساحة أربعين ألف هكتار وقد أدى ذلك إضافة إلى النمو الديمغرافي والضغوط الادارية إلى استقرار السكان نهائيا، لكن ظل الرعي مورداً أساسياً خصوصاً على هوامش الغابات وحول الضايات وفي الأراضي البائرة.

ويتم استغلال الغابة لمدة طويلة خلال السنة في إطار نظام إحصائي لعدد الأيام بين مختلف الفخذات يصل أقصاه إلى 300 يوم، الشيء الذي يؤثر على نمو الغابة واستمراريتها بالاضافة إلى استغلالها للاستعمال المنزلي كالحطب والتدفئة والبناء.

لذا تتخذ إجراءات حمائية كتحديد أيام الرعي، ومنع أراضي السفوح العطوبة وتحريم دخول الماشية إلى المجالات التي تكون في طور الانبات، وتشجير المناطق العارية بأشجار ملائمة للبيئة وسريعة النمو بالاضافة إلى المنع التام لقطع الغابة أو حرقها وفرض ضرائب على قطعان الماعز للحد من تربيتها لأثرها السلبي على النبات.

ـ الحياة الاقتصادية تتمثل بالاساس في الزراعة والرعي واستغلال الغابة بالاضافة إلى التجارة والمبادلات الداخلية بين الأسواق المحلية أو مع المدن الكبرى المجاورة.

تتوفر المنطقة على أسواق أسبوعية كثيرة مثل سوق خميس سيدي بطاش، يحيط به سوق ثلاثاء سيدي يحيى شمالا، وسوق ثلاثاء صيبارة جنوباً. وسبت مغشوش شرقا، وسوق بئر الكلب في ج غ هذه الأسواق لها أهمية بالغة حيث تربط بين المركز والشاوية غربا، والقبائل الساحلية لمنطقة الرباط شمالا.

ومن أهم المنتجات بالمنطقة القمح الصلب والطري والشعير والمغارس والقطاني والذرة بالاضافة إلى اللحوم والألبان ومشتقاتها. تنتمي جماعة سيدي بطاش إداريا إلى اقليم الخميسات دائرة الرماني، عدد سكانها 10.550 ن سنة 1982 بكثافة تصل إلى 20 ن /كم2.

يتميز السكن القروي بتمزقه، ونادراً ما تُصادف تجمعات سكنية متقاربة، وتنتشر المنازل المنعزلة حتى داخل المجال الغابوي وعلى هوامشه، ويتميز السكن في غالبيته بالنوع الصلب أو المبني مع استعمال الخيمة في إطار محدود وخصوصاً في فصل الصيف أو أثناء التنقل بالقطعان.

أخيراً تتوفر منطقة سيدي بطاش على إمكانيات سياحية مهمة تتمثل بالأساس في توفرها على غابة غنية بالحيوانات والطيور توفر المتعة للممارسين لهواية القنص، نذكر منها غابة بني عبيد 15.000 هكتار. غابة كريفلة 15.000 هكتار، غابة سلامتة 5.500 هكتار، غابة الواد العاطش 15.500 هكتار، غابة صيبارة 9.000 هكتار. وكل هذه إمكانيات هائلة مازالت لم تستغل كاملة، وتكوّن ذخيرة بالغة الأهمية بالنسبة للمنطقة.

ر. نافع، *دراسة جيورفلوجية لمنطقة سيدي بطاش*، ر. د. د. ع.

الرباط 1987 ؛ *البيئة الطبيعية والسلوك البشري في منطقة عطوبة مثال : هضبة سيدي بطاش*، مجلة بحوث، كلية الآداب III بالمحمدية، ع. 1، ص 197-212.

P. Aubert, *Le Pays des Zaers, B. E. S. M.*, Vol. XXIV, 1961 ; *La Mise en valeur et équipement rural de la province de Rabat, B. E. S. M.*, N° 69, 1956 ; *Rabat et sa région, Villes et Tribus*, T. III, Paris, 1920 , Sicar, *L'Organisation des Zaers, R. M.M.*, T. XI. Juin 1910.

رشيدة نافع

بطاش (سيدي ـ) . تاريخ . مركز قيادة قبيلتي السلامنة والخلاليف في بلاد زعير تابع لدائرة الرماني التابعة لعمالة الخميسات.

كان سيدي بطاش في بداية القرن العشرين عبارة عن روضة لدفن الموتى، ويبدو أن تلك الروضة اتُّخذت بجوار مدفن أحد الصلحاء المسمى بهذا الاسم، تكاثرت العمارة حولها إلى أن تأسست فيها قيادة سيدي بطاش سنة 1979، بعد أن كانت تابعة لقيادة أحد الغوالم.

وتجدر الإشارة إلى أن ذلك الرجل الصالح غير معروف، كما لا يعرف تاريخ وفاته. على أنه يمكن الاستئناس بالرواية الشفوية التي تشير إلى أن الأمر يتعلق بعالم ينتمي لجهة أخرى، توفي ودفن بالمنطقة. روضة سيدي بطاش اليوم مهجورة، وبقربها ضريح أو روضة أخرى مهجورة أيضاً تنسب لشخص آخر يسمى سيدي محمد المباركي.

يعمر بسيدي بطاش سوق أسبوعي كبير يوم الخميس منذ العشرينات من هذا القرن. فحتى سنة 1916 كان السوق الأسبوعي لقبيلة السلامنة يعمر بعين فوزار، وهو مكان مشهور معدّ لتخييم المحلات السلطانية في الطريق بين مراكش وفاس عبر الرباط. وكان السوق يعمر يوم الأحد وعندما حول لمركز سيدي بطاش أصبح يعمر يوم الخميس.

روايات شفوية.

Cicar, *L'Organisation des Zaers, R. M. M.*, 1950.

علال الخديمي

بطاش (بن ـ)، هارون المعروف بهارون اليهودي في مخطوط مؤلفه مجهول وعنوانه : *ذكر قصة المهاجرين المسمين اليوم بالبلديين*، كما أن الوزان ذكره باسم بن شمون، يقال إن بن بطاش كان وزيراً بفاس للسلطان المريني عبد الحق، لكن أهل المدينة ثاروا على السلطان فجعلوا حداً لدولة بني مرين وقتلوا بن بطاش، وذلك عام 1465/869.

لم يترك بن بطاش أثراً يذكر في تاريخ يهود فاس في حين أن سبب اضطهادهم بعد الثورة ضد المرينيين، يرجع حسب ما ذكره الربي أبنير حسا رفاتي مستنداً بنفسه إلى ماورد على لسان الربي سعدياً ابن دثان ـ إلى الاتهام الموجه إلى اليهود بقتل أحد المسلمين (انظر أخبار فاس : *Yahas Fas*, de Ribbis Abner Hassarfaty) المصادر العربية متعددة لكن *رحلة عبدالباسط* بن خليل مصري هي الوحيدة التي أشارت إلى هذه الأحداث، مع العلم بأن صاحب الرحلة لم يشاهدها وإنما سمع عنها خلال إقامته بتلمسان

(عبدالباسط بن خليل : *الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم*. انظر كذلك : R. Brunschwig, *Deux récits inédits de voyage en Afrique du Nord au XVème siècle*, Paris, 1936) وحسب المؤلف فإن هارون بن بطاش كان صرافاً أو رجل أعمال يخدم الوزراء، فجعل منه عبدالحق شبه وزير لمواجهة ما كان لوزيره الوطاسي من نفوذ، فأصبحت لهارون أهمية كبرى، وعلت كلمته فوظف في شؤون الدولة بعض أقاربه من اليهود، منهم شاول بن بطاش الذي غدا يقوم مقامه كلما رافق السلطان في حركاته بنواحي تازا. فاغتاظ سكان فاس لنفوذ اليهود وانفجر غضبهم يوم تطاولت وقاحة شاول فشتم امرأة شريفة وانهال عليها بالضرب، فغضب أهل المدينة وأخذوا في تقتيل اليهود ـ ومن بينهم شاول ـ ثم إلى تمردوا على السلطان، فاستولوا على السلطة ونصبوا محمد ابن عمران على رأس الدولة، ثم نصبوا كمينا لعبدالحق لجلبه إلى فاس لكن هارون نصحه بعدم التوجه إلى فاس، فاتهمه السلطان بأنه هو سبب الفتنة، وقتل أحد رجال حاشية السلطان هارون، وبمجرد ما وصل عبدالحق إلى فاس، ألقي عليه القبض وقتل ذبيحاً. ويقول الوزان في كتاب له باللغة اللاتينية عنوانه : *De viris quibusdam illustribus apud arabes*, Hambourg, 1726 (في تراجم بعض مشاهير الأعلام عند العرب) يقول : "إن هارون، ابن شنتون ولد في أسرة يهودية رفيعة الشأن بفاس، وكان طبيباً وفيلسوفاً وفلكياً وعضوا في الحاشية الملكية منذ كان السلطان شابا" وفي رواية أخرى للوزان "كان الوزير الوطاسي يسيطر على السلطان ويسوس البلاد، فأوحى إليه هارون بالتخلص منه. وبعده عين الوزير هارون وليا، فبقي بمنصبه سبعة أعوام إلى أن ثار السكان ودبر الأشراف مقتل هارون وهو في حركة مع السلطان، وعندما ألقي القبض على عبدالحق في أرباض المدينة، وضعه القوم على ظهر بغلة عرجاء ثم ذبحوه. تحلل المؤرخة الإسبانية مرسيديس كارسيا أرينال Mercedès Garcis Arenal في كتابها القيم : *ثورة فاس لعام 869/1465 وموت السلطان عبدالحق المريني* The Revolution *of Fas in 869 / 1465 and the death of sultan Abd Al-Haqq Al Mrini - BSOAS*, 41, 1978 كل المصادر المعروفة والأخبار المغربية التي أفرزتها رواية أحمد ابن القاضي في درة الحجال التي تكشف النقاب عن رجل ثالث اسمه الحسين، كان يستخلص الجبايات فلم يستثن منها امرأة من بيت الشرفاء، فضرب يوماً هذه المرأة. وقد مضى هارون وشاول يضطهدون الشعب والشرفاء والعلماء. وعالج كل من عبدالسلام القادري في *الدر السني* ومحمد القادري في *نشر المثاني* هذا الموضوع الذي اتخذ اتجاها آخر عند الناصري في *الاستقصا* حيث ورد أن الحسين كان يهودياً صاحب الشرطة ومكلفا باستخلاص الجبايات. وأضاف الناصري أن البرتغاليين كانوا في هذه الفترة يحتلون طنجة بينما آل جبل طارق إلى الإسبان، وهو آخر موقع كان بأيدي المرينيين بإسبانيا.

إذا أضفنا هذه المعطيات إلى تحركات الوطاسيين وتقليص رقعة مملكة فاس تبين لنا بوضوح مدى الضغط المالي الذي أمسى بنو مرين يعانون منه، فباتت مضاعفات الأزمة المالية تطغى على أهالي فاس بمن فيهم الشرفاء، فترتب عن هذه الحالة غضب السكان قاطبة، في حين أن الضغط المسيحي تزامن مع هذه الأحداث التي شكلت أحد العوامل الهامة لتنظيم المقاومة في ظل الطرقية الدينية القوية، مثل الجزولية وغيرها.

تتحدث الأخبار المتواترة عن تقتيل لليهود كاد يكون جماعياً، وهذا ممكن حسب بعض الرواة المسلمين الذين لم يعاصروا تلك الأحداث وحسب ما يؤكده الربي ساعديا ابن دنان الذي جزم بأنه لم ينج من اليهود في الكارثة إلا ما يقرب من عشرين رب أسرة وعدد قليل من النساء والأطفال. ولكن من هو يا ترى هذا الشخص المسمى ساعديا ؟ إن أقدم من حمل هذا الاسم كان ربيا بغرناطة قبل أن يهاجر إلى فاس ويتوفى بها عام 1493.

ومهما يكن فإن المؤرخ اليهودي المعاصر هيرشبيرغ Hirshberg, *A History of the jews in North Africa*, Leiden, 1974, p. 339 يخالف هذا الرأي بقوة مؤكدا عدم وجود أي نص يهودي مكتوب في عهد ذلك الجيل من اليهود، فلا صحة إذن لما قيل عن تقتيلهم جماعياً، وليس من الممكن أن يكونوا قد تمسكوا بمؤامرة الصمت عن حدث بالغ الهول كهذا، لذلك فإن الخبر يتميز بجانب خرافي، أي بالعنصر الروائي الأدبي كما أشارت إليه المؤرخة مرسيديس گارسيا أرينال.

المصادر المذكورة داخل النص.

سيمون ليفي

بطّالي، محمد بن المكي المكنى بـ "الفيرنسور" مقاوم ولد عام 1933 بالدارالبيضاء. وكان عضواً بارزاً في منظمة اليد السوداء. ومن بين العمليات الفدائية التي قام بها اغتيال الشرطيين "عدكوني" و"تيزيدو".

تم اعتقاله يوم 27 نوفمبر 1953 وحكم عليه بالإعدام بتهمة تكوين عصابة مجرمين ومحاولة اغتيال شرطيين عمداً. ونفذ في حقه هذا الحكم بتاريخ 9 دجنبر 1954 بسجن العاذر وهو ما يزال عازباً لم يتجاوز السنة الواحدة والعشرين من عمره.

كتاب *شهداء الاستقلال*، ج 1.

عزالدين العلام

بطّان، أو أبطان أسرة يهودية أعطيت كثيرا من الربّيين الذين مارسوا مهامهم الدينية بفاس والصويرة ومراكش والدارالبيضاء وجبل طارق، من القرن السابع عشر حتى القرن العشرين.

بطّان، إسحاق، ربّي يستقطب قبره بدرعة عدداً هاماً من الزوار اليهود الذين يحجون إليه من جهات كثيرة.

بطّان، يعقوب ابن القبّالي مردخاي بطّان المراكشي، تولى مهام الربّي الأكبر لمدينة مراكش. إلى أن مات عام 1873، وهو مؤلف حدّوشيم، الذي يحتوي على تأويل أصيل لما يتضمنه التلمود من نصوص فقهية وما يطرحه من مشاكل. ونشير إلى أن حدّوشيم تشكل بعض فصول كتاب عنوانه قُولْ مبصّر (القدس، 1908) الربّي يعقوب بطّان واسمه موشي روزيليو.

الزعفراني، *يهود المغرب*، ص 8.

Y. Benaim, *Malke Rabbanam* ; A. Laredo, *Les Noms des Juifs*.

سيمون ليفي

بطّان (ابن ـ) الصنهاجي، يذكر ابن الخطيب تحت هذا الاسم كنيتين : الشيخ أبا الحسن بن بطان، والوالي الفاضل أبا محمد بن بطان. ويبدو أن الاسمين لشخص واحد.

فالأول يقول عنه :"... وخاطبت الشيخ أبا الحسن بن بطان، بقية الرعيل، وخاتمة الاسراء، أهنئه بولده عبد الواحد... بعد اغتراب وشدة، وانبتات بالبلاد الشرقية عظم لأجله بثه، إلى أن تأتى خلاصه ..." (*نفاضة*، 2 : 145، 146 ؛ *ريحانة*، 2 : 198). ويتحدث عن كرم أبي الحسن المذكور والاعتذار له عن عدم الحضور للتهنئة :"لولا أنني ملازم حرمة لا أبرحها" ولعله يقصد حرمة ضريح أبي الحسن المريني بشالة. أما البلاد الشرقية التي يذكرها فيحتمل أنها تلمسان التي قد يكون قصدها عبدالواحد المذكور ضمن حملة أبي سالم المريني سنة 761.

أما الشخص الثاني، فيقول ابن الخطيب في بداية رسالته إليه :"وخاطبت الوالي الفاضل أبا محمد بن بطان... :

لا ناقة لي في صبري ولا جمل — من بعد ما ظعن الأحباب واحتملوا
قالوا استقلوا بعين النظر قلت لهم — ما عرسوا بسوى قلبي ولا نزلوا

(*ريحانة*، 2 : 195 ؛ *نفاضة*، 2 : 199). وهذا ما يفيد بأن المخاطب هو والي عين الفطر أو تيط بناحية أزمور، خصوصاً وأن المقري يضيف إليه لقب (الصنهاجي) (*أزهار*، 1 : 288 ؛ *نفح*، 6 : 484)، فيصفه ابن الخطيب بالجود والكرم، وربما يكون قد تعرف عليه في طريقه إلى جبل هنتاتة قبل الاستقرار بسلا. ويتضح من بعض الإشارات عند ابن الخطيب تعرض هذا الوالي للنكبة واستصفاء الأموال، وهذا شيء كان عادياً في فترة ضعف السلطة المركزية وتوالي السلاطين على الحكم بعمليات انقلابية، وهي فترة سادت فيها سلطة الوزراء. يقول ابن الخطيب مادحاً كما ورد في *أزهار الرياض* وفي *نفح الطيب* :

لله درك يا ابن بطان فما — لشهير جودك في البسيطة جاحد...
ويستعين الله يصلح منك ما — قد كان أفسده الزمان الفاسد

ويثني عليه في شكل حوار بينه وبين شخص خيالي يصف فيه بتركيز أحوال بعض الولاة فيسأل :"... قلت : فوالي تيط ابن بطان ؟ قال : كوكب سحر، وكريم قرى ونحر، وأبهت وسحر، ما شئت من ترتيب وتقدير، وخليق بالبر جدير، وروض غدير... هذب الأدب خدامه، وأطاب الاحتفال خبزه وإدامه، إلى عطاء يحسب الاسل، ويثقل الناقة والجمل، عضه الدهر فما عض من طباعه، واستأثر بماله ورباعه، وتركه فريسة بين سباعه، فما حط من همته ولا قصر من باعه". (*نفاضة*، 2 : 277، مع بتر).

ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، ج 2 ؛ *ريحانة الكتاب*، ج 2 : أ. المقري، *أزهار الرياض*، 1 : 288 ؛ *نفح الطيب*، 6 : 484.

أحمد عزاوي

بطّوطة (ابن ـ)، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يوسف اللواتي الطنجي. ولد بطنجة في 17 رجب 25/703 فبراير 1304. جل معلوماتنا عن حياته نستقيها من رحلته المشهورة التي تبوئه المرتبة الأولى بين الرحالين المسلمين على الإطلاق. ولا وجه للمقارنة بينه وبين معاصره الرحالة الإيطالي المعروف "ماركو بُولو" الذي ذهب من البندقية متجهاً إلى الصين حيث أقام ست عشرة سنة في ضيافة الامبراطور المغولي كوبيلاي خان حفيد جنكيز خان، ثم عاد إلى بلاده عن طريق البحر. فابن بطوطة تفوق عليه بكثرة البلاد التي زارها وأقام بها، وبطول المدّة التي قضاها في غيبته. وتفوّق عليه بشيء أهم، وهو أنه كمسلم استطاع أن يمتزج مع سكان البلاد التي زارها، إذ أكثرهم مسلمون واختلط بهم عن طريق المصاهرة والوظائف التي تقلدها، والاتصالات المختلفة التي أقامها مع أعيان البلاد وعلمائها.

وليست لدينا معلومات كثيرة عن نشأته. ولم يهتم أبناء بلده المغاربة بكتابة ترجمته. ولعل تخليه عن كتابة رحلته بنفسه يدل على ضعف مواهبه في الكتابة. ومع ذلك، فإن قيامه ببعض الوظائف الدينية المهمة مثل القضاء يكفي كبرهان على تمكنه من علوم الشريعة وتحصيله جملة صالحة من مادة الثقافة السائدة في عصره.

انطلق ابن بطوطة في رحلته الطويلة ابتداء من ثاني رجب عام 13/725 يونيو 1325. فخرج من طنجة في ذلك التاريخ "معتمداً، كما يقول في بداية رحلته، حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول" فقصد إلى تلمسان ثم من هنالك إلى مليانة، فإلى مدينة الجزائر، فبجاية، فقسنطينة، فبونة، فتونس، فسوسة، فصفاقس، فقابس، ثم طرابلس. وتزوج في تلك الأثناء ببنت من تونس اضطر إلى فراقها ليتزوج ببنت مغربية، ويصل في النهاية إلى الاسكندرية التي يطنب في وصفها، وبعد ذلك إلى القاهرة التي يسميها "مدينة مصر" واصفاً إياها "أمّ البلاد، وقرارة فرعون ذي الأوتاد، ذات الأقاليم العريضة، والبلاد الأريضة".

وينتقل بعد ذلك إلى الجنوب في أعالي النيل فيزور بلاد الصعيد وبعض المدن مثل البهنسا ومنفلوط وأسيوط وإخميم، وتنتهي رحلته هنالك في عيذاب "مدينة كبيرة

كثيرة الحوت واللبن" واتجه بعد ذلك إلى الشام فمر بفلسطين، حيث زار مدينة الخليل والقدس التي وصف معالمها الدينية. ووصل إلى لبنان فزار صور، فصيدا، فبيروت، فطرابلس، فحمص، فحماة، فحلب التي أفاض في وصفها، ثم تحدّث عن بلاد النصيريين ومدينة اللاذقية ليصل إلى مدينة دمشق "التي تفضل جميع البلاد حسنا وتتقدمها جمالا".

ومن الشام يتجه إلى المدينة، فيدخل "الحرم الشريف" ويخصص صفحات لوصف معالمها ومزاراتها، ويتجه بعد ذلك إلى مكة التي يفيض أيضا في الحديث عنها، واصفاً المسجد الحرام والكعبة المشرفة وكسوتها والصفا والمروة وعرفة.

وفي 20 ذي الحجة عام 17/726 نوفمبر 1326، يغادر ابن بطوطة مكة، متوجها نحو العراق، حيث يبدأ بزيارة مدينة النجف، ثم واسط فالبصرة "إحدى أمهات العراق الشهيرة الذكر". ومن هناك توغل في بلاد الفرس، فزار اقليم خوزستان، وفارس حيث يقف طويلا على مدينة أصفهان، ثم يتجه إلى شيراز "مدينة أصيلة البناء، فسيحة الأرجاء، شهيرة الذكر منيفة القدر" فيتوسع في وصفها. ويعود أدراجه نحو العراق، فيمر على الكوفة "مثوى الصحابة والتابعين" ثم يصل إلى بغداد "مثوى الخلفاء ومقر العلماء". ويتحدث عن الخراب الذي أصابها ويصف بعض آثارها كالمساجد وقبور الخلفاء والصالحين. قبل أن يتجه إلى الموصل.

ويجاور بعد ذلك طوال ثلاث سنين بالبقاع المقدسة من عام 727 إلى عام 730/1327.1330 ويتجول في البحر الأحمر ويزور اليمن، حيث يقيم في ضيافة سلطانها وشاهد مدنها مثل صنعاء وعدن وزيلع، ثم يتجه إلى الساحل الشرقي في أفريقيا، فيزور موكاديشيو وقد نزل أيضا في ضيافة سلطانها. كما زار مراسي أخرى في أفريقيا الشرقية، ثم عاد أدراجه إلى البقاع المقدسة عن طريق عمان والخليج العربي فأدى حجة أخرى عام 732/1332.

بعد ذلك قام برحلة ثانية إلى مصر فسوريا فآسيا الصغرى حيث انتشرت الإمارات التركية في عدد من جهاتها وتقلصت رقعة الدولة البيزنطية. ووصل في تجواله إلى بلاد القفجق Cosaques وبلاد القرم Crimée والبلغار وتجول في بلاد التتار. وزار بعد ذلك القسطنطينية، عاصمة الأمبراطورية البيزنطية واستطاع أن يحظى بمقابلة الامبراطور "تكفور" ويزور تلك المدينة التاريخية ويتحدث عن معالمها. ثم اتجه بعد ذلك إلى بلاد خوارزم، وانتقل إلى ما وراء النهر فزار بخارى، وتحدث عن خرابها على يد التتار. واستقبله ملك ما وراء النهر. كما زار بلاد أفغانستان.

وفي فاتح محرم عام 12/734 شتنبر 1333، وصل إلى الهند وأقام بدلهي إلى غاية سنة 743/1342 أي أنه أقام بها تسع سنوات. وتوسع في ذكر معالمها وغرائبها وزار "دلهي" أي دلهي الحالية. فوصفها بأنها "مدينة كبيرة الساحة، كثيرة العمارة" وأفاض في وصف مسجدها المتميز بكبره وهندسته ومواد بنائه ولما تحدث عن صومعته قال :"وهذه الصومعة من عجائب الدنيا في ضخامتها وسعة ممرها بحيث تصعده ثلاثة من الفيلة متقارنة".

ويزور بعد ذلك عدة جهات أخرى في الجنوب الشرقي بآسيا مثل جزر المالديف وسيلان والبنغال وأسام وسمارة. ثم يصل إلى الصين. وكانت أول مدينة نزل بها هي ميناء الزيتون وزار مدينة شوان شوفو. وقد خرج بانطباعات مهمة عن تلك البلاد التي يتحدث عنها بقوله :"واقليم الصين متسع، كثير الخيرات والفواكه والزرع والذهب والفضة لا يضاهيه في ذلك إقليم من أقاليم الأرض". وتحدث عن الفنون والصناعات الصينية وعن الأحكام والتنظيمات الادارية بتلك البلاد، دون أن ينسى الكلام عن الجماعات الإسلامية المستوطنة بها.

وفي محرم عام 748/أبريل ـ ماي 1348 خرج من الصين واتجه إلى سوماطرة، ثم انتقل بعدها إلى ملابار. وكان في طريق العودة من رحلته الطويلة، حيث يم الخليج العربي وزار بغداد مرة أخرى، ثم سوريا، ثم مصر وحج مرة أخرى. وأخذ الطريق من جديد ماراً بمصر، فالاسكندرية، فتونس فجزيرة سردانية، فالجزائر، ففاس، فغرناطة، ففاس. وكان ذلك في سنة 750/1350.

لكن ابن بطوطة لم يطل به الاستقرار أكثر من سنتين ونيف حتى اشتاق للرحلة من جديد، فخرج في محرم عام 753/فبراير 1352 من سجلماسة في رفقة قافلة. فقطع الصحراء وزار الأفارقة وملوكهم ورجالهم ودرس عاداتهم، ورجع في السنة الموالية إلى سجلماسة وبذلك انتهت رحلات ابن بطوطة التي دامت ثلاثين سنة تقريبا.

كان من الضروري التعرف، ولو بمنتهى الاختصار، على المسالك والطرق الكبرى التي مر منها ابن بطوطة حتى نستطيع تقويم رحلته ووزن أهميتها بالنسبة لمن سبقوه أو عاصروه من كبار الرحالين. ونستطيع أن نقول، دون تردد، أنه يفوقهم جميعا. وليس من المستبعد أن يكون هنالك أشخاص سافروا وتجولوا أكثر منه. وقد تحدث لنا هو نفسه عن لقياه مغربياً آخر في بلاد الصين أصله من سبتة. ولكن ميزته هو أنه كتب رحلته، بينما الآخرون لم يتركوا لنا شيئا. وتفوقه على أصحاب الرحلات المكتوبة يتجلى :

1 ـ في اتساع البقعة الجغرافية التي زارها والتي تمتد من المحيط الأطلنتي غرباً إلى بحر الصين شرقاً، ومن بلاد التتار شمالاً إلى أواسط أفريقيا جنوبا. وهكذا زار القارات الثلاث التي كانت معروفة في عصره وهي أفريقيا وأروبا وآسيا. وعرف عدة بحار مثل المحيط الأطلسي والبحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي والمحيط الهادي وبحر الصين الخ ....

2 ـ في طول المدة التي قضاها في رحلاته والتي تقترب من ثلاثين سنة. الشيء الذي مكنه من إغناء اطلاعه

باستمرار وتعميق معرفته بالأشياء والأشخاص والأحداث.

3 ـ في أهمية اتصالاته. فهو لا يلج البلاد كأي مسافر، بل يهتم برجالها وكبرائها ويسعى للاتصال بهم والتعرف عليهم. فيلتقي برجال العلم والقضاة والشرفاء من آل البيت والأولياء. بل إنه يجد السبيل لربط الصلة مع الملوك والأمراء في عدد من البلدان التي زارها مثل أفراسياب ملك إيذج وتستر ؛ وأبي سعيد بهادر خان ابن محمد خذابنده التتري، سلطان العراق وخرسان ؛ والامبراطور نكفور بالقسطنطينية ؛ وسلطان ما وراء النهر علاء الدين الخ ... والأمثلة كثيرة. ففي أي محل وصل تكون له، في الغالب، لقاءات على أعلى المستويات. ومن ذلك يخرج بمعلومات لا يفوز بها الزائر العادي، وتفتح له الأبواب ويلتقط الروايات من أفواه رجال لهم مكانتهم في المجتمع وكفاءتهم الفكرية.

4 ـ في فضوله وتطلعه إلى اكتشاف الأسرار ودقة ملاحظته واهتدائه إلى الأشياء الجديرة بلفت النظر والتسجيل.. فما أكثر اللوحات التصويرية التي قدم لنا عن مجتمعات مختلفة مثل مجتمعات الهند والصين وبلاد السودان بأفريقيا.

5 ـ في محصول الرحلة بالنسبة لبعض العلوم، مثل التاريخ والجغرافيا والإثنوغرافيا والتراجم الخ... فهنالك تعريف بكثير من الدول الاسلامية المعاصرة وبدول أخرى غير إسلامية، ووصف لكثير من العادات والتقاليد المحلية، وإشارات متعددة للإنتاجات الزراعية والمعدنية، ووصف لمشاهد الطبيعة من جبال ووديان وسهول، وذكر لعدد من الرجال من حكام وقضاة وفقهاء وعلماء وصوفية.

أثارت رحلة ابن بطوطة قديما وحديثا الاهتمام. وهكذا نجد السلطان المريني أبا عنان يعجب بها ويأمر بتدوينها ويكلف أحد أدباء البلاط ابن جزي بمساعدة ابن بطوطة على تحريرها. ولا أدل على الشهرة التي أدركتها الرحلة من شهادة ابن خلدون، الذي يشير إلى ورود ابن بطوطة على بلاط أبي عنان بعد رحلته الطويلة ويقول :"وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الأرض. وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند، ويأتي من أحواله بما يستغربه المستمعون" (1 : 323) فيتضح من هاته الرواية أن ابن بطوطة قبل أن يدون رحلته حدّث الناس بها. وهذا ما أثار فضولهم واستغرابهم ودفع إلى الأمر بتدوينها.

وقد أثارت كتابة الرحلة تعاليق بسبب كونها عملا مشتركا بين مؤلفين : ابن بطوطة وابن جزي. وليس من الصعب التمييز بين كلامي الرجلين. فهنالك فقرات مكتوبة بأسلوب طبيعي وسهل تحتوي على معلومات وعناصر ملموسة، لا أثر فيها للتكلف وهي التي يمكن نسبتها لابن بطوطة. وهنالك فقرات أخرى قليلة المحتوى ولكنها تتميز بالتأنق في إنشائها ولجونها للوسائل البيانية وربما كان فيها تقليد لابن جبير وغيره. ولا ينسى ابن جزي، في بعض الأحيان، أن يشير إلى كونه هو صاحب الكلام الآتي من بعد. ويوضح في مقدمة الرحلة طبيعة العمل الذي قام به بقوله :

"ونقلت معاني كلام الشيخ أبي عبدالله بألفاظ موفية للمقاصد التي قصدها، موضحة للمناحي التي اعتمدها، وربما أوردت لفظه على وضعه، فلم أخل بأصله ولا فرعه. وأوردت جميع ما أورده من الحكايات والأخبار، ولم أتعرض لبحث عن حقيقة ذلك ولا اختبار(*رحلة*، ص 8).

ظلت رحلة ابن بطوطة تقرأ في المغرب وفي البلاد العربية دون أن تثير كثيراً من التعاليق إلى أن حل القرن الثالث عشر(19 م). وكان العلماء والمستشرقون الأوربيون، بالخصوص، يجهلونها ويجهلون مؤلفها إلى ذلك العهد. وكان أول من اكتشفه بعض الرحالين الأوربيين مثل زيتسن Seetzen وبوركهارت Burckhardt. وفي سنة 1829، قام العالم الانجليزي لي Lée بترجمة مختصر *الرحلة*. كما ترجمت الرحلة بمتنها الكامل إلى البرتغالية. وحصلت المكتبة الوطنية بباريس على عدة مخطوطات، منها فصول بخط ابن جزين نفسه. وقام المستشرقان دوفريمري Defrémery وسانگينتي Sanguinetti بترجمتها إلى الفرنسية فيما بين سنتي 1853 و1858 في أربعة أجزاء، واستقبل الكاتب الفرنسي رونان Renan بكثير من الاهتمام هذا العمل. وهنالك ترجمات أخرى يطول تعدادها، ولعل أهمها جميعاً هي التي أنجزها المستشرق الانجليزي جب Gibb مشفوعة بتعاليق جد مفيدة. ولا ننس، في الأخير، الاهتمام الذي أظهره المستشرق أندري ميكيل André Miquel في كتبه وفي الدراسة التي خصصها له في *دائرة المعارف الاسلامية* (الطبعة الثانية).

يبقى علينا، في الأخير، أن نقوم ولو بتقويم موجز للرحلة وعطائها العلمي. لقد جمع ابن بطوطة في شخصه بين صفات المستكشف للعالم وصفات العالم الانتروبولوجي والجغرافي والمؤرخ. وهي صفات قلما تجتمع في شخص واحد. هل كان محقاً ومحققاً في كل ما أورده في رحلته ؟ قد تكون هنالك هنات وأخطاء مرجعها إلى النسيان لأن ابن بطوطة اعتمد على ذاكرته أكثر مما اعتمد على مذكراته. ولكنه، على العموم، كان صادقاً ومدققاً في الكثير مما أورده.

فرحلته إلى أفريقيا، مثلا، ظلت هي القول الفصل، كما ذكر كراتشكوفسكي، في الموضوع إلى عهد الرحلات الأوربية في القرن التاسع عشر. وقد شكك عدد من الباحثين في كون ابن بطوطة وصل إلى الصين. لكن كراتشكوفسكي Krachkovski المتخصص في الأدب الجغرافي العربي يبين بالحجة أنه لا مجال لتكذيب ابن بطوطة، ثم استشهد بقول الباحث الياباني ياماموتو Yamamoto :"إنه لمن العسير القول بأن جميع حكايات ابن بطوطة عن الصين هي من نسج الخيال وحده. حقاً، إن وصفه المفصل لتلك البلاد يشمل عدداً من النقاط الغامضة، ولكنه لا يخلو أحيانا من فقرات معينة تعتمد على ملاحظة

مباشرة عن الصين". (كراتشكوفسكي، *تاريخ*.. ص 466).

وابن جزي الذي كتب الرحلة كان هو أول من شعر بأهمية الرجل وقيمة رحلته حيث أصدر عليه هذا الحكم في ختام الكتاب :

"ولا يخفى على ذي عقل أن هذا الشيخ هو رحال العصر. ومن قال : رحال هذه الملة لم يبعد" (ص 681).

ونستطيع أن نضيف إلى هذا الحكم أنه كان أكبر رحال في العالم بأسره إلى غاية القرن الرابع عشر، وأن العرب لم ينجبوا بعده رحالا من هذا المستوى، وتركوا مهمة استكشاف العالم للأوروبيين. وليس بين وفاة ابن بطوطة واكتشاف أمريكا إلا قرن ونيف.

وكانت وفاته بالمغرب في سنة 1377/779. فيكون قد عاش ثلاثاً وسبعين سنة.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 1 : 322 ؛ م. ابن بطوطة، *الرحلة*.

H. A. Gibb, *Notes sur les voyages d'Ibn Battuta*, in *Etudes Levi-Provençal*, 1962 ; R. Blachère et H. Darmaun, *Extraits des principaux géographes arabes du Moyen Age*, Paris, 1957 ; A. Miquel, *Ibn Battuta*, in *E. I*, 2.

محمد زنيبر

البَطُّومي، أسرة تطوانية لعل أصلها من الجزائر لأنها لم تكن موجودة بتطوان قبل سنة 1830/1246، لذلك ربما كانت من الأسر الجزائرية التي هاجرت إلى تطوان على إثر الاحتلال الفرنسي لبلادها. وكان جل أفرادها يعملون في الجندية حيث نجد من بينهم الجندي محمد البطومي في السنة المذكورة، كما نجد الجندي عبدالصمد البطومي وعبدالرزاق البطومي وأحمد البطومي ومصطفى البطومي سنة 1832/1248 وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 216 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بَطُّوية أو بَطِّيوة، أو بني بطوي، أسماء مشتقة من الأصل الأمازيغي أبطوي، جمع إبطوين. وإذا التجأنا إلى المفهوم اللغوي للفظ، وجدنا أن المعنى موافق لما يفهم من لفظ "بطو". وهذا دال على التجزئة المرتبطة بالانقسام والانفصال. فإذا أخذنا بهذه الدلالة، نكون قد تصورنا أن البطوي، رئيس الجماعة المنفصلة أعطى اسمه لبنيه ولمواطنهم الجديدة بالجبال الشمالية المشرفة على البحر المتوسط من الريف الشرقي. (اقليم الناضور الحالي).

وبتطبيق فكرة الهجرة يطرح مبدأ البحث عن الموطن الأصلي، وهذا بدوره مرتبط بمعرفة الفصيلة الرئيسية التي انحدر منها بنو بطوي، موضوع يصعب إيجاد الاتفاق عليه. فابن حوقل البغدادي الذي زار بلدان المغرب حوالي 331 هـ. اكتفى بإدراج بني بطوي ضمن قبائل زناتة. وسار على منواله كل من ابن أبي زرع وعبدالحق البادسي. وقد زاد هذا الأخير توضيحا لذلك النسب بجعل بطوي ابن جانا، جد زناتة كلها. وفي الوقت الذي أوحى إلينا البكري بانتماء بطوية إلى جذع صنهاجة، أكد لنا ابن خلدون برد ذلك الأصل إلى الفصيلة الصنهاجية، ولو أنه أثار شكوكا بعد ذلك بتحويل الاحتمال إلى قبائل نفزة. ومهما تعدد هذا الاختلاف، فإن الرأي الراجح مائل إلى شرقية أصل بطوية. وإلى قدم استقرار تجمعاتها بجبال الريف الشرقي. ولا يسع تقديرنا هذا القدم إلا بما لا يقل عما قبل زمن الفتح الاسلامي.

ويمكن تحديد الإطار الجغرافي لناحية بطوية من خلال ما ذكرته المصادر وما يُستنتج من كتب التراجم. فالمستخرج من مصادر ما قبل القرن السابع الهجري أن حدود بلاد بطوية منطبقة على القسم الشرقي من جبال الريف، أي ما كان معروفا آنذاك بقلوع جارة أو جارت (قلعية العصر المريني ومابعده)، إذ أن كلا من البكري والإدريسي أشار إلى الانتماء البطوني في مليلة ونواحيها، وكان من هؤلاء السكان بنو ورتدى أو ورتيدي في الجهات الوسطى والغربية من السلسلة الجبلية (تمسمان).

وارتبط اسم بطوية خلال العصر المريني أكثر بقبائل القسم الأوسط من جبال الريف الشرقي، أي المساحة التي كانت تشغلها قبائل بني سعيد وبني توزين وتمسمان وبني أوليشك وتفرسيت. كانت الجهة مصدر قوة المرينيين المعدة لمواجهة الموحدين والزيانيين. فهذا هو البارز لدى ابن أبي زرع وابن خلدون. ويعود الفضل إلى هذا الأخير لتأكيد استمرارية انتماء جبل قلعية إلى بطوية، مضيفا إلى ذلك جبل أمجاو، المجاور له من الجهة الغربية، بمناسبة المساندة التي وجدها عبدالرحمن بن أبي يفلوسن الثائر بجهات غساسة. على أن ابن خلدون وسع نطاق بلاد بطوية من الناحية الغربية، حينما جعلها ممتدة غرب واد النكور، متضمنة أيضا بني وريا‌غل وبقُّوية.

وأحسن تعبير عن حدود بلاد بطوية هو الذي قدمه عبدالحق البادسي، إذ جعلها ممتدة من جهة الغرب من حوز المزمة الذي شمل آنذاك كلا من بقوية وبني وريا‌غل إلى مصب واد ملوية، عند مشارف شرق جبال كبدانة. وسار الحسن الوزان على نفس الرسم بتعداد الجبال الدخلة في اقليم كرط الذي يعرف سكانه باسم بطوية، إلا أنه لم يذكر من تلك الجبال جبل تمسمان المتصل بكل من بني توزين ووردان (بني أوليشك)، كما ألزمه الانتقال بالحديث إلى اقليم الريف لإدخال بني وريا‌غل وبقوية ضمن الإقليم الأخير.

ويرسم حدود جبال بطوية من جهة الجنوب مجرى واد كرط الذي يجري من الغرب نحو الشرق، ليفصل الجبال عن المنخفضات والهضاب الجنوبية المعروفة خلال القرن العاشر(16 م) بصحراء كرط. وحدد البادسي الزاوية الجنوبية الغربية من بطوية بفج العروس (باب بوعروس) ليفصل بينهما وبين جبال گزناية.

ابن حوقل، *وصف الأرض*، ص 102 ؛ البكري، *المغرب*، 94 ؛ الإدريسي، *نزهة*، 533 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين*، 10 ؛ ابن أبي

زرع، *الذخيرة*، 36 ؛ ابن عذاري، *البيان*، 14 ؛ ع. البادسي، *المقصد الشريف* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 174، 268، 441، 472 و7 : 245، 256.

حسن الفگيگي

بطّـُوية، رأس يقع غرب مصب وادي كرت بأرض قبيلة بني سعيد الريفية، ويعرف عند الإسبان بـ Punta Betoya وهو الاسم الجغرافي الوحيد الذي يذكرنا اليوم بقبائل بطّـُوية أو بطيوة التي كانت بناحية الكرت في القديم.

A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, p. 47 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, p. 62 ; Comission historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos (protectorados y posesiones de España en Africa)*, Madrid, 1936.

محمد ابن عزوز حكيم

البطّـُويي أو البَطّيوي، أسرة تطوانية أصلها من قبائل بطّيوة أوبطّـُوية التي كانت بناحية الكرت واندثرت، وكان من بين أفراد هذه الأسرة بتطوان الفقيه محمد بن علال البطيوي الذي كان يزاول خطة العدالة سنة 1645/1055.

وأسرة البطيوي هي نفس الأسر التي تعرف بـ"أبطّـُو" و"الحمامي" و"أولاد حدّو" و"التمسماني" و"الريفي" فبهذه الأسماء كلها نجد بتطوان أفراد أسرة البطيوي التي اشتهرت بقيادة جيش المجاهدين الذي أسسه السلطان مولاي اسماعيل وكلفه بالعمل على استرجاع الجيوب المغتصبة في شمال المغرب وغربه.

ولازالت أسرة البطّـُيوي وأسرة أبطّـُو موجودتين بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 41 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 282 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

البطّـُويي، أحمد بن حدو، (ويكتب أيضاً البطّـُوني والبَطّيوي) من كبار قواد جيش المجاهدين الذي أنشأه السلطان مولاي إسماعيل للدفاع عن حوزة الوطن واسترجاع المغتصب من التراب المغربي وأسند رآسته إلى القائد الكبير عمر بن حدو البطيوي ـ أخ المترجم ـ.

كان القائد أحمد في أول الأمر خليفة لأخيه عمر عندما كان قائداً بالقصر الكبير، وفي شهر جمادى الثانية 1084/ سبتمبر 1673 عينه مولاي إسماعيل حاكما بتطوان وناحيتها. ومنذ ذلك العهد تنسب إليه زنقة القائد أحمد حيث كانت توجد داره التي تعرف اليوم بدار الحمامي.

وفي جمادى الأولى 1090/نوفمبر1679 عين القائد أحمد حاكما بالقصر الكبير حيث إن أخاه القائد عمر كُلّف بأمر الجهاد من أجل استرجاع الجيوب المغتصبة في شمال المملكة.

وفي سنة 1681/1092 شارك بجانب أخيه عمر في حصار مدينة المهدية (المعمورة) التي تم استرجاعها من يد الإسبان يوم 30 أبريل 1681. وفي نفس السنة توفي عمر بالوباء فحل أحمد محله على رأس جيش المجاهدين حيث نجده بمعية ابن عمه القائد علي بن عبدالله يحاصر الأنجليز بمدينة طنجة ويتمكن من استرجاعها يوم 5 فبراير 1684.

ولا صحة لما جاء في بعض الكتب من أنه قام بأمر السلطان مولاي إسماعيل بمحاصرة مدينة أصيلا إلى أن استرجعها سنة 1690/1101 لأن استرجاع هذه المدينة من يد البرتغال كان قد تم يوم 13 سبتمبر 1589.

وفي شوال 1100/غشت 1688 شارك القائد أحمد في محاصرة الإسبانيين بمدينة العرائش التي تمكن القائد علي بن عبدالله من استرجاعها أيضاً يوم 17 محرم 1101/فاتح نوفمبر1689.

ونجهل متى وكيف مات القائد أحمد حيث يقول سكيرج إنه أراد أن يقتل السلطان مولاي إسماعيل فاشترى من بلاد النصارى لباساً مسموماً وقدمه هدية للسلطان، وحيث إن زوجة القائد كانت قد أخبرت السلطان بمكيدة زوجها فإن السلطان عندما قدم له اللباس أمر قائده بلبسه فمات في حينه وذلك سنة 1684/1095.

هذه الرواية لا أساس لها من الصحة لأن سكيرج يقول إن اسم القائد هو حدو وأنه مات سنة 1684/1095 ونحن نعلم أن اسم القائد هو أحمد وأنه كان حياً بعد ذلك التاريخ بخمس سنوات، وأما الرهوني فقد اكتفى بأن قال إن مولاي إسماعيل قتل القائد أحمد سنة 1688/1100.

ويوجد قبر القائد أحمد قرب وادي مْضَى بناحية الغرب وقد بنيت عليه قبة يقام حولها موسم بمناسبة "العنصرة" في كل سنة.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط، ج 1، ص 134، ج 2، ص 27 و32، ج 3، ص 66 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 253، و2 : 401.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البطّـُويي، علي بن عمر (وقيل بن قاسم) عالم محقق كثير التقاييد، ولد بفاس سنة 1559/967 ونشأ بها حيث أخذ مختلف العلوم عن جماعة من أئمة فاس أمثال الشيخ اليدري ورضوان الجنوي والقدومي والمنجور، كما أخذ عن مفتي فاس وقاضيها يحيى السراج وعن قاضي الجماعة عبدالواحد الحميدي وأبي المحاسن يوسف الفاسي وأضرابهم.

تصدر البطيوي للتعليم بفاس واشتهر منهجه بالسهولة وعدم التكلف، فتخرج عليه كثيرون منهم الشيخ محمد ميارة.

ولي المترجم قضاء الجماعة بفاس مدة، لكنه كان يؤثر العزلة والخلوة للذكر والمطالعة والتقييد، قيد فوائد عن شيخه المنجور على العقيدة الكبرى للسنوسي، وله تقييد على المطول، وحاشية على تحفة ابن عاصم، وأخرى على

شرح المكودي للالفية. وله فهرس ذكره صاحب دليل مؤرخ المغرب الأقصى.

توفي علي البطيوي بفأس يوم الجمعة 28 ربيع الثاني 1039/1629.

أ. ابن القاضي، *درج المجال* ؛ م. مبادرة، *شرح المرشد المعين*، 329؛ م. الإفراني، *صفوة*، 48، 94 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 1 : 280 ؛ *التقاط الدرر*، ترجمة رقم 154 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 179 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ*، 2 : 314 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 454.

محمد الحبيب نوحي

البطّـويي، عيسى بن محمد الراسي، ولد بقبيلة بني سعيد الريفية، فرقة أولاد الفقيه، مدشر تيزي عدنيت. وكان في سنة 996/1587.1588 في سن الدراسة الأولى حيث تتلمذ على يد مجموعة من الشيوخ البطوئيين أمثال علي وارث الغساسي وأحمد بن إبراهيم الراسي، واستكمل دراسته على يد شيوخ العلم الواردين على بني سعيد، أمثال الشيخ أحمد الفيلالي، دفين بني بوزرة وأحمد السوسي (ت. 998 هـ). وفي سنة 1002 أو 1003 هـ . انتقل البطوئي إلى فاس بقصد التحصيل، فلم تطل إقامته فيها بسبب وباء مطلع القرن الحادي عشر، ولذلك غير اتجاهه إلى تلمسان، التي كان بها سنة 1008. واستمر بها إلى آخر العقد الأول.

كانت هذه المرحلة الدراسية حدثاً رئيسياً في حياة عيسى البطوئي بفضل احتكاكه بالعديد من رجال العلم بتلمسان، إذ أن قائمة شيوخه وصل عدد أفرادها إلى تسعة عشر شيخاً، منهم الشيخ المفتي سعيد المقري. إلا أن تعلقه اشتد أكثر بالشيخ محمد بن مريم التلمساني، إذ أنه قصد من التقرب إلى مجلسه الانتساب أيضا إلى مذهبه الصوفي. وهذا ما توصل إليه عيسى قبل وفاة شيخه سنة 1025 هـ. إذ حصل على إجازته.

بعودة عيسى البطوئي إلى منزله بتيزي عدنيت من قبيلة بني سعيد دخلت حياته في طور جديد، قدم لنا خلاله أول انتاج له في التصوف ورجاله. ففي سنة 1028هـ. كانت فكرة التأليف قد شغلت باله، وفي سنة 1033، أصبحت قابلة للتنفيذ، لتستمر إلى ما بعد 1040 هـ. أخرج مؤلفه مطلب الفوز والفلاح، في آداب أهل الفضل والصلاح، في قسمين، خص القسم الأكبر منهما لشؤون التصوف عامة، بينما أفرد الباقي لتعداد رجال الفضل والصلاح على عهده.

توفي بعد عام 1040/1630.

م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 454، 456 ؛ ح. الفكيكي، *عيسى بن محمد الراسي البطوئي، دعوة الحق*، ع 250 . 251.

حسن الفكيكي

بطّي بن إسماعيل، لا شك أنه اسم مقتبس من اللغة الصنهاجية اللمتونية. ولذا، فإن المؤرخين لم يضبطوه ضبطا دقيقاً فمنهم من كتبه بالباء مثل القرطاس، ومنهم من كتبه بالياء فأصبح يطي.

وقد كان بطي بن إسماعيل من القادة المرموقين في جيش يوسف بن تاشفين، إذ كانت تسند إليه مهام عسكرية صعبة تحتاج إلى كثير من الخبرة والمهارة والصبر.

فهو الذي قام ببسط نفوذ المرابطين في الغرب ومكناسة وناحيتها، وذلك بعد أن وجهه يوسف بن تاشفين على رأس جيش إلى تلك الجهات. واستطاع أن يدخل إلى مكناسة دون حرب. إذ بعث بكتاب إلى أميرها الخير بن خزر الزناتي يدعوه إلى الطاعة. وعرض الخير الكتاب على زناتة لإخبارهم واستشارتهم. فأظهروا التمنع وأشاروا بمحاربة بطّي. إلا أن الخير أبى أن يسير في هذه الطريق وفضل أسلوب التفاوض والتفاهم. فبعث إلى بطّي رسولا من عنده هو منغفاد بن عبدالعزيز الزناتي. وأمكن للرجلين أن يتفاهما ويصلا إلى اتفاق تمكن بطّي بمقتضاه أن يدخل إلى مكناسة بعد أن قبل الشروط التي اشترطها الخير بن خزر الزناتي. وانسحب هذا الأخير من المدينة إلى جهة القناطر، بينما عين الافضال اللمتوني والياً عليها. ويظهر أن يوسف كان راضيا على بطي من حسن قيامه بالمهمة التي أسندت إليه إذ يقول ابن عذاري في هذا الصدد : "ورحل ابن إسماعيل بعسكره مع الخير المذكور إلى مراكش، وأنعم عليه الأمير يوسف بكل ما أراد ثم صرفه. فبقي الخير مستوطنا بخارج مكناسة إلى أن مات رحمه الله" (*البيان*، 4 : 27).

والظاهر أنه ظل يعمل إلى جانب يوسف كأحد القادة الذين رافقوه في مواصلة العمليات العسكرية بالمغربين الأقصى والأوسط، وأنه كان من جملة القواد المرابطين الذين اتفقوا على أن ينادوا يوسف بن تاشفين بلقب أمير المؤمنين، فرفض وقال لهم :"حاشا لله أن أتسمى بهذا الاسم، إنما يتسمى به الخلفاء. وأنا راجل الخليفة العباسي والقائم بدعوته في بلاد الغرب". واتفق معهم على أن ينادوه باسم أمير المسلمين.

ويدل على أهمية الرجل ومكانته أنه كان من بين القادة المرابطين الذين شاركوا في حروب المرابطين بالأندلس، حيث قام بأدوار عسكرية مهمة، وبالخصوص في الحملة الثانية التي قادها يوسف بن تاشفين إلى تلك البلاد ابتداء من سنة 481/1088. ومن المعلوم أن العاهل المرابطي لم يصادف الإقبال والمساعدة التي كان ينتظرها من ملوك الطوائف الذين قاطعوه ما عدا ابن عبدالعزيز صاحب مرسية والمعتمد بن عباد، وظلوا يتعاملون مع ملوك النصاري. الشيء الذي أغضبه ودفع به إلى احتلال بلادهم وخلعهم عن عروشهم. مما أدى بابن عباد إلى التخوف منه والانقباض عنه. فنشأت عن ذلك جفوة بين الرجلين. قرر يوسف بن تاشفين على إثرها الاستيلاء على مملكة ابن عباد وخلع المعتمد. وأسند المهمة إلى قائده سيري بن أبي بكر اللمتوني.

وبينما كان سيري يحاصر أشبيلية، بعث بطّي، الذي

كان يعمل تحت إمرته، على رأس جيش لإخضاع عدد من المدن الأندلسية الأخرى، فاستولى على جيان بعد أن حاصرها ودخلها صلحا. ثم سار بعد ذلك إلى قرطبة التي كان المأمون بن المعتمد أميراً عليها. ففتحها وفتح حصونها ومعاقلها، وذلك في صفر من سنة 484 / 26 مارس 1091. ثم استولى على بياسة وأبذة وحصن البلاط والمدور والصخيرة وشقورة.

وتنقطع عنا أخبار بطّي لمدة طويلة. والظاهر أنه ظل يعمل في قيادة الجيوش المرابطية وهو شيخ كبير، إذ نجده بعد ذلك بأربعين سنة وهو ما يزال يشارك في المعارك التي قامت بين الموحدين والمرابطين في الأطلس الكبير. فيخرج مع بكور بن علي بن يوسف لملاقاة الموحدين في ناحية أغمات، فينهزمون، حسب رواية ابن القطان إلى مراكش.

وكان تميم بن علي بن يوسف في جبل كيك لمنازلة الموحدين. لكنه انهزم أمام هجومهم وتراجع المنهزمون إلى الخروبة، فخرج بكور بن علي ومعه بطّي بن اسماعيل لمصادمة المهاجمين في عسكر ضخم. فانهزموا وتركوا وراءهم غنائم كثيرة في يد العدو. وواصل الموحدون زحفهم إلى أمجدار بقبلة أغمات وريكة. ويذكر ابن القطان أنهم صادفوا هنالك "عسكر بطّي وعمر بن تورجير بن يوسف زوج ابنته مريم في عساكر" فهاجموهم. ولم يصمد المرابطون كثيراً أمامهم. بل بدأوا ينهزمون. وهنا أظهر بطّي موقفاً بطولياً وصفه ابن القطان بقوله :"ولما رأى بطّي بن إسماعيل الهزيمة وثب من صهوة فرسه إلى الأرض وجلس على درقته ليرجع الناس إليه. فأدركته الدفعة وقتل وهو على درقته".

1. ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ م. ابن عذاري، *البيان*، ج 4 ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

بطّيخ، نبات حولي عشبي زراعي يمتد على الأرض من الفصيلة القرعية Cucurbitacés، يسمى علميا كوكوميس ميلو Cucumis melo وضروبه الزراعية عديدة. كنيته في المغرب البطيخ الأصفر "لهاية" والسويهلة والشمام Cucumis, melo et dudaim.

موطنه الأصلي هو آسيا، وقد انتشر في افريقيا وأوروبا منذ القرون الوسطى. وهو شائع جداً في الأراضي السقوية في المغرب لثماره المشهورة.

يزرع في فصل الربيع وتُجنى ثماره في فصل الصيف.

تتكون ثماره من :

95.00٪ ماء

0.60 ٪ مواد أزوتية

0.11 ٪ مواد دهنية

3.72 ٪ مواد سكرية

0.33 ٪ سلولوز

0.25 ٪ رماد

وتحتوي أيضاً على ڤيتامين A, B1, C. تختلف مكوناته السكرية حسب الضروب وحسب النضج وتتراوح ما بين 1 و6.8 غ ٪.

البطيخ من الفواكه المفضلة في فصل الصيف، يساعد على الهضم، وينقي الدم، ويُدرّ البول ويسهل.

لمجاة الخياطي

بطّيوة ← **بطّوية**

البطّيوي ← **البطّوي**

بُطْم، أو بَطْمَة، أو بَطُّوم، أسماء تطلق على جنس بِسْتاسْيا Pistacia الذي ينتمي إلى فصيلة البطميات Anacardiacea والأنواع الموجودة في المغرب منه هي :

1 ـ البطم الحقيقي Pistacia vera الذي يعطي الفُسْتُق. وهو غير متوطن بالمغرب، وقليلٌ من أهالي هذا البلد يعرفونه. غراسته بالمغرب جد محدودة، وهي لا تُعرف إلا في بعض ضيعات سهل سايس، غير أن إمكانية انتشار الفستق متوفرة، وذلك بسبب وجود الظروف البيئية الملائمة، وشجرة البطم الأطلسي الذي يمكنه أن يُطعَّم من طرف شجرة الفستق.

أما موطنه الأصلي فهو يمتد ما بين إيران وتركيا، ومنهما انتشر في جميع أنحاء شرق البحر المتوسط.

2 ـ بسْتاشْيا تريانْتوس Pistacia terebinthus أو بطم تريانْتْ، شجيرة نفْضية، تعيش عامة في غابات البلوط الأخضر المصادف في الارتفاعات المتوسطة من سلاسل الريف والأطلس.

3 ـ المُصطكي أو بطم لانْتيسْكْ أو فاضيس باللهجة البربرية، أو الضْرو أو الدْرو يسمى بسْتاسْيا لنْتسْكوسْ Pistacia lentiscus شجيرة دائمة الاخضرار تعيش بكثرة في السهول أو على سفوح الجبال التي لا يتعدّى ارتفاعها 1200 م، وعلى أتربة طينية كثيرة الرطوبة، وفي مناطق بيومناخية شبه جافة وشبه رطبة، ورطبة، ذات شتاء دافئ ومعتدل ؛ حيث يُصادف في أحراج الزيتون البري، والعرعر الفنيقي والعرعر البربري.

يستغل الضرو في تغذية الماشية. إذ تقتات من أوراقه المعز، ويستعمل في التدفئة وتهيىء الفحم. كما يستخرج منه راتنج المُصْطكَى الذي عرف منذ العهود القديمة. ويمكن للمصطكى أن يبرز تلقائيا من جذع الشجيرة على هيئة دموع هشة بيضاوية طويلة لونها أصفر ناصل. ويحضر من المصطكى بْرنيق ناصل اللون، يستعمل في حفظ المعادن والصور الزيتية والمائية، وفي صناعة العطور وبعض الأدوية الخاصة بتقوية لثّة الاسنان.

4 ـ البطم الأطلسي أو بِسْتاشْيا أطْلنْتيكا Pistacia atlantica، شجرة جميلة تتراوح قامتها ما بين 15 و20 متراً؛ قطر جذعها يبلغ متراً واحداً ؛ تاجها كبير الحجم ومستدير، أوراقها مركبة ونفضية. أزهارها على هيئة عناقيد جد متفرعة، ثمارها مفردة النواة لا يتعدى حجمها حجم

الجلبانة، صفراء تميل إلى الاحمرار قبل نضجها ثم تسود بعد ذلك.

إن البطم الأطلسي شجرة تميز المناطق الجافة حيث كانت تشكل سفانات واسعة الانتشار في الجانب الجنوبي من حوض البحر المتوسط ابتداء من الجزر الخالدات في عرض ساحل المحيط الأطلسي إلى إيران.

أما في المغرب فكانت تنتشر تشكيلات هذا النوع في السهول الدافئة الممتدة في ناحيتي ملوية السفلى والوسطى. ويمكنه أن يصادف ممثلا بأفراد موزعة في أحراج العرعر البربري والزيتون البري وأرگان.

تتميز مناطق البطم الأطلسي بيبومناخات شبه جافة وجافة ذات شتاء دافئ أو معتدل، تكون أتربتها متوسطة السمك وحمراء.

إن للبطم الأطلسي كما أشير من قبل، دورا اقتصاديا كبيراً في تنمية زراعة الفستق، والسر يكمن في أن البطم الأطلسي الذي يتحمل قساوة الجفاف يستعمل كمطعّم للفستق الذي يقل تحمله لهذه الظروف البيئية.

بالاضافة إلى هذا فإن البطم الأطلسي يعتبر من أحسن الأشجار العلفية، وخشبه جيد جداً يستعمل لإنجاز الأثاث من النوع الرفيع. لكن تشكيلاته التي كانت تغطي مساحات شاسعة بشمال أفريقيا والتي تحدث عنها المؤرخون العرب، قد اندثرت تماما بسبب الرعي المفرط، وبسبب اجتثاثها لفائدة زراعة العرض، وصناعة الصابون "البلدي" "صابون تازا" التي كانت تتطلب كميات كبيرة من رماد هذه الشجرة.

أبحاث شخصية : أ. هيل، *النبات الاقتصادي*. تر. زاهر عبدالمجيد وآخرين.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبدالمالك بنعبيد

بطن الرمان، مكان في الأطلس المتوسط وقعت فيه المعركة الحاسمة بين العلويين والدلائيين في أوائل عام 1079 / 1668، حيث انتصرت جيوش الرشيد بن الشريف على فرسان الدلاء بقيادة عبد الله بن محمد الحاج الدلائي.

ولا يعرف بالتحديد موقع بطن الرمان الذين جرت فيه المعركة، إذ يكتنف الزاوية الدلائية موضعان يحمل كل منهما اسم الرمان. ففي شمال الزاوية الدلائية بطريق خنيفرة يقع السهل الذي تسميه قبائل زيان (بو رمّان) وهو الذي نرجح ان المعركة دارت فيه، لوقوعه على الطريق الطبيعية التي يمكن أن يسلكها الرشيد من فاس إلى الزاوية الدلائية. ويوجد جنوب مدينة الدلاء في طريق قصبة تادلا مكان يسمى (بطن الرمان) تقوم فيه اليوم قرية زاوية الشيخ. ويبعد أن يكون جيش العلويين قد سلك طريق الغرب التي تبلغ مسافتها ضعف مسافة الطريق الأولى، لا سيما وأن بلاد الغرب وتمسنا وتادلا لم تكن قد دخلت بعد في طاعة السلطان الرشيد، ولا يمكن أن نفترض اختلاط الاسمين على بعض المؤرخين، لأن الحسن اليوسي وهو البربري الذي لا تخفى عليه مواقع بيئته ولا تلتبس عليه أسماؤها قد عبر في *المحاضرات* عن ميدان المعركة ببطن الرمان، وعنه نقل ذلك سائر المؤرخين. فلم يبق إلا أن نفترض أن (بورمان) كان يسمى آنذاك بطن الرمّان، أو أن اليوسي تصرف قليلا وأدخل كلمة (بورمّان) في قالب عربي.

ح. اليوسي، *المحاضرات*، تح. محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، 1 : 249 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، 253، هامش 28.

محمد حجي

بَطْنوطْر، جـول Patenôtre. J وزير فرنسا المفوض بطنجة من يناير 1889 إلى أن عين سفيراً بواشنطن في أكتوبر 1891. ولد في أبريل سنة 1845، وكان أستاذاً من 1867 إلى 1871، وانخرط في السلك الديبلوماسي وعُيّن باليونان والصين والهند. له مراسلات مع السلطات المغربية وتقارير وجهها إلى الحكومة الفرنسية. وكان شقيقه لويز Louis مساعداً له بالمفوضية.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 2 : 610 . 611.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 26.

بَطيرْسون جون، Peterson, J مبشر أنجليزي من بعثة "سوذرن مروكومبش" استوطن الصويرة من سنة 1890 إلى 1893 ثم انتقل إلى مراكش حيث مات سنة 1895.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1414.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 151.

مصطفى بوشعراء

البعثات الثقافية بالمغرب ← التعليم الأجنبي بالمغرب

البعثات الطلابية، في إطار المحاولات الإصلاحية التي قام بها المخزن بعد منتصف القرن التاسع عشر اقتداء بالعثمانيين وبمصر أيام محمد علي، واستجابة لنصائح بعض ممثلي الدول الأوربية بطنجة، تمّ إرسال بعثات طلابية مغربية عديدة في اتجاه الديار المصرية وأوربا لتحصيل العلوم العصرية في مختلف التخصصات.

وارتبط توجيه هذه البعثات إلى الخارج قصد التعلم بضعف الأحوال العسكرية للمغرب وتراجعها، حيث أظهرت هزيمتا إسلي 1844 وتطوان 1859 . 1861 مدى التباين الموجود بين القوات المغربية ومثيلتيها الفرنسية والإسبانية، سواء على مستوى العتاد الحربي، أوعلى مستوى خبرة المقاتلين المستندة إلى تكوين علمي وتقني محكم ودقيق.

اعتقد السلطان عبدالرحمان بن هشام (1822. 1859) في بداية الأمر أنه بالإمكان الاعتماد على خبراء من العالم الإسلامي لتطوير بنيات المغرب العسكرية على مستوى الأطر. ولأسباب دينية امتنع السلطان عن فكرة إرسال طلبة مغاربة مسلمين للتعلم في "بلاد الحرب"، وفضل توجيههم إلى مصر قبيل وفاته سنة 1859. وتكونت تلك البعثة من

ثلاثة أفراد فقط كان من بينهم الحاج محمد بنكيران وأحمد شهبون الفاسيان.

وفي عهد السلطان محمد بن عبدالرحمان 1859.1873 ارتفع عدد البعثات المغربية إلى مصر إلى ثلاث بعثات أرسلت آخرها سنة 1867 وتجاوز عدد أفرادها الثلاثين وكان يتم اختيار عناصر هذه البعثات بناء على أوامر سلطانية كانت توجه إلى عمال المدن العريقة كفاس والعدوتين ومراكش والصويرة. وكان المقياس المعتمد في الترشيح هو الانتماء في بعض الأحيان إلى عناصر جيش البخاري وصغر السن والنجابة ومعرفة القراءة والكتابة وأحياناً الوجاهة. وبعد عملية الانتقاء يخضع المرشحون إلى تكوين أولي يتلقون خلاله المبادئ الأولية البسيطة في مواد الحساب والتوقيت والهندسة. وتنوعت الميادين التي أرسلوا قصد التكوين فيها بين صناعة البارود والنجارة والطباعة وغيرها. واشتهر من بينهم عبدالقادرين عبدالكريم الذي حل بمصر لتعلم فن الطباعة ومكث بها إلى وفاته سنة 1895. وقد اتجه إلى مصر بعض المغاربة قصد التعلم بطريقة اختيارية دون أن يكونوا ضمن بعثة رسمية وعددهم غير مضبوط.

وبعد الهزيمة الثانية التي لحقت بالجيوش المغربية في تطوان اقتنع محمد بن عبدالرحمان بضرورة الاعتماد على خبرة الأوربيين ومعاهدهم ذات الفعالية العلمية الحقيقية لتكوين الأطر المغربية في مختلف التخصصات ذات الصلة القريبة أو البعيدة بالمجال العسكري. في هذا الإطار، ونظراً للمكانة الخاصة التي تبوأتها بريطانيا لدى المخزن. خاصة بعد مساندتها للمغرب لتمكينه من استعادة تطوان، فقد طلب من ممثلها بطنجة جون دراموند هاي الكتابة إلى لندن للحصول على موافقة رسمية تم بموجبها السماح لحوالي مائتين من الشبان المغاربة الذين وقع اختيارهم من مختلف القبائل والحواضر المغربية، بالتمرن على فنون الحرب والهندسة في جبل طارق. وقد مكثوا هنالك ثلاث سنوات أظهروا خلالها لمدربيهم البريطانيين قدرة عالية على التحصيل والتعلم وتطبيق الخبرات المكتسبة بدقة متناهية أثارت إعجابهم وتقديرهم.

إن لجوء محمد بن عبدالرحمان إلى المناهج والأساليب الغربية في تكوين بعض الأطر المغربية في الوقت الذي كانت فيه عناصر مغربية أخرى تتكون في المشرق يدل على أن المخزن كان بصدد جس النبض للمقارنة بين النتائج الأكثر فعالية لدى الشرقيين والغربيين حتى يتسنى له اتخاذ موقف نهائي وتحديد السياسة المستقبلة الأكثر مردودية لتكوين المتعلمين المغاربة. هذا وإن كان خلفه المولى الحسن قد أقدم على إرسال بعثة خامسة إلى مصر في 1875 فإن ذلك لم يكن إلا مجرد وفاء لتقليد سابق وللحفاظ على نوع من العلاقات والصلات الودية مع باشا مصر. أما في الحقيقة فإنه قرر الاعتماد الكلي على المعاهد والمراكز التعليمية الأوربية لفعالية التكوين بها من جهة، واستجابة لضغوط ممثلي بعض الدول الأوربية بطنجة من جهة ثانية.

حين قرر المخزن الحسني بعد 1873 وضع برنامج بعيد المدى لتحديث الجيش وتطوير أساليبه اتضح غياب شبه تام للأطر المستأنسة بالتكوين العلمي الحديث. وأملاً في الاستجابة إلى ضروريات كانت ملحة وقتئذ اضطر المولى الحسن كإجراء أول ومؤقت إلى جلب مهندسين وخبراء أجانب من أوربا رغم التكاليف الثقيلة التي فرضها ذلك. وحتى لا تستمر البلاد في تحمل أعباء المصاريف بدأ التهيئ لإرسال بعثات مغربية إلى بلدان أوربا للتكوين في المعاهد المختصة في الهندسة والصحة والفنون الحربية وفقا لآخر المستجدات التي عرفتها تلك التخصصات.

وكانت بريطانيا بحكم نفوذها الذي تقوى أكثر أيام المولى الحسن، وبحكم اللهجة الاصلاحية التي تبناها نائبها في طنجة د. هاي، مؤهلة أكثر من غيرها ليعتمد عليها المخزن في تكوين أطره بالديار الأوربية. وكان من الطبيعي أن يستغل المولى الحسن حسن الاستعداد الذي كان عند بريطانيا في هذا الميدان فآثرها بنصيب هام من البرنامج التكويني للمتعلمين المغاربة وخاصة في جبل طارق كمرحلة أولى.

تلقى هناك حوالي أربعمائة من المشاة والمدفعيين تداريبهم العسكرية ما بين 1873 و1878 تحت إشراف الكولونيل كامرون Cameron. وتتوفر معلومات دقيقة حول البعثات الثلاث الأخيرة إلى جبل طارق، من حيث أعداد مبعوثيها والميادين التي تكونوا فيها. ففي 1879 أرسلت مجموعة من خمسة وعشرين فرداً كان على رأسهم علال بن بلأ المراكشي. وبعد سنة كاملة استوفت عناصر هذه الدفعة تكوينها في الرماية والمدفعية وعادت إلى المغرب لترسل مكانها بعثة أخرى تكونت من ثمانين فرداً، اثنا عشر من بينهم لتعلم مهارات استخدام المدافع وصيانتها. وسبعة وستون من المشاة للاستئناس بمختلف الأساليب العسكرية الحديثة، وخمسة فقط لتعلم الطب وطرق العلاج. وبلغ عدد أفراد آخر البعثات المغربية إلى جبل طارق سنة 1878 مائة وخمسة وسبعين فرداً، مائة وثلاثون من المشاة، وخمسة وأربعون من المدفعيين. وكان على رأسهم القائد محمد الزروالي. وفي بعض الأحيان كان يلتحق بجبل طارق لمدة قصيرة بعض "الزنايدية" للتمرن على طرق إصلاح الأسلحة النارية الخفيفة وصيانتها.

أبان الطلبة الخمسة الذين بعثوا إلى جبل طارق سنة 1877 لتعلم الطب رغبة أكيدة في التحصيل، فنالوا كامل الثناء من أساتذتهم. واطلع المولى الحسن على المراحل التي قطعوها في تكوينهم. فاتضح بأن استكمالهم لتكوينهم الطبي يتطلب توجيههم إلى المستشفيات الكبرى لمعاينة طرق العلاج بها لمدة أربع سنوات إضافية. وقد وافق السلطان على إرسالهم إلى أي بلد أوربي لتمكينهم من إتقان مهنة الطب. ويبدو أن ذلك قد تعذر، والراجح أنهم

اكتفوا بما تلقوه في جبل طارق. وربما كانوا هم الوحيدين الذين تلقوا تكوينا طبيا من بين كل المتعلمين الذين بُعثوا إلى جبل طارق.

كانت كل المصاريف اليومية المتعلقة بهؤلاء المتعلمين على حساب المخزن. وتشمل أداء أجور المدربين البريطانيين ومجازاتهم بالهدايا كلما انهوا تدريبهم لكل بعثة. أما المتعلمون فكانوا يتقاضون رواتبهم بانتظام بالإضافة إلى كسوتهم وآلاتهم الموسيقية والأسلحة الضرورية لتداريبهم. وحتى مصاريف إطعامهم كان يتحملها المخزن. حيث خصص مكان وطباخ لأطعامهم بوجبات تتلائم مع العادات والتقاليد المغربية. بالإضافة إلى العناية الطبية، حيث أسندت إلى طبيب بريطاني مهمة تلقيح أفراد البعثات ضد الجدري وإجراء فحوص منتظمة عليهم مقابل أجرة قيمتها خمسون ريالاً عن كل ثلاثة أشهر.

وتجدر الاشارة إلى أن تكوين البعثات المغربية بجبل طارق كان يطرح بعض المشاكل. ذلك أن عناصر البعثات كانوا إما ينتمون لفئات اجتماعية مرموقة كأن يكونوا من أبناء الخاصة، أو كانت لديهم مرتبة سامية داخل الجهاز المعزني أو حتى قرابة مع السلطان، وبالتالي كانوا يجدون صعوبة كبيرة في تحمل أعباء التداريب وأتعابها. بل كانوا يشعرون بنوع من الاستصغار والاحتقار خاصة وأنهم كانوا يتلقون تكوينهم ويجرون تداريبهم فوق أرض مسيحية وعلى يد مدربين نصارى. وقد تكررت بعض الأحداث والخصومات بين المتدربين ومكونيهم، وكان من أهم أسبابها في الغالب رفض المتعلمين الانصياع للأوامر التي كانت توجه إليهم وتظاهرهم بالمرض للافلات من متاعب التداريب. وحين بلغ ذلك إلى علم المولى الحسن، أنّبهم على سلوكهم "بأنهم من جملة عامة العسكر حتى تقدمهم مزية الخدمة أوتؤخّرهم". وابتداءً من 1877 توقف المخزن عن إرسال البعثات التعليمية إلى جبل طارق بناءً على نصائح د. هاي الذي أقنع المولى الحسن بإمكانية الاعتماد على أولئك المتعلمين لنقل خبراتهم إلى غيرهم من المغاربة فوق التراب المغربي. وقد حل أعضاء بعثة 1877 بالجديدة واستقبلهم السلطان بمراكش مبديا رضاه التام عما اكتسبوه من مهارات.

واتضح فيما بعد أن فرنسا لم تكن راضية عن استئثار البريطانيين بتدريب المغاربة بجبل طارق. وراج الحديث عن احتمال دخول مدربين عسكريين فرنسيين في خدمة الجيوش السلطانية. وحين تحقق ذلك بالفعل لم تجد بريطانيا بداً من اقناع المولى الحسن بإيقاف البعثات إلى جبل طارق سنة 1878 وإسناد مهمة الإشراف على تكوين عناصر من الجيش المغربي إلى بعثة عسكرية بريطانية ترأسها ماكلين.

وفي الوقت الذي كانت تستكمل فيه آخر بعثة مغربية تكوينها في جبل طارق، وبينما حل أفراد البعثتين العسكريتين الفرنسية والبريطانية بالمغرب للإشراف على تدريب المشاة والمدفعيين كان قد وقع الاختيار على مجموعة من خمسة عشر طالبا من جهات مختلفة من البلاد، واتخذت كل التدابير لاستقرارهم بطنجة فتلقوا مبادئ الحساب واللغات الأجنبية بالمدرسة الحسنية. وتم تقسيمهم فيما بعد بالتساوي إلى خمس مجموعات صغيرة من ثلاثة أفراد، اتجهت كل واحدة منها إلى كل من فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وإسبانيا وألمانيا. ولم يكن التفكير في إرسال هذه البعثات التي قسمت بصفة متكافئة على كل الدول الأوربية التي كانت مهتمة بشكل أو بآخر بمصير المغرب، لم يكن عملا اعتباطيا، بل كان جزءاً من مخطط إصلاحي واسع. وكان هذا البرنامج يسير بشكل مطابق للسياسة العامة التي نهجتها بريطانيا في تعاملها مع المغرب، والتي كانت تقوم على مبدإ الحفاظ على الوضع الراهن والحيلولة دون كل ما من شأنه أن يفسح المجال لأي دولة أوربية لتنفرد بامتيازات كبيرة في المغرب.

تكونت البعثة الموجهة إلى بريطانيا من محمد الجباص وإدريس بن عبدالواحد والزبير سكيرج. وقد وافقت الحكومة البريطانية على تعليمهم بمعاهدها منذ 1875 في الوقت الذي كانوا ما يزالون بصدد تعلم اللغة الانجليزية بطنجة. وفي سنة 1876 التحقلوا ببريطانيا "لتلقي العلوم المتنوعة في صفوف ضباط الجيش بمدرسة مدينة شاتهام Chatham التي هي مركز حربي لبناء المدرعات الحربية، على حد قول الزبير سكيرج في مذكرته. وقضى أفراد البعثة في بريطانيا ثلاث سنوات حصلوا خلالها على إجازات في تخصصاتهم. واستقبلت أكاديمية مودينا Modena الإيطالية ابتداء من 1876 أيضا كلا من المختار الرغاي وعبدالسلام الأوديي ومحمد بناني، فمكثوا هنالك ست سنوات، حيث عادوا إلى المغرب سنة 1882 حاملين معهم إجازات في العلوم التي تلقوها. وتكون أعضاء البعثة المغربية إلى اسبانيا من أحمد بنشقرون ومحمد الشدادي وعبدالسلام الفاسي أو الرباطي. وتلقوا تكوينهم بأكاديمية الهندسة بوادي الحجارة Guadalajara. وكانت عودتهم إلى المغرب سنة 1884. أما ألمانيا فقد اختير للتوجه إليها منذ 1881 كل من الميلودي الرباطي والحسين الأوديّي وعبدالسلام التسولي. وقد اضطروا إلى انتظار وصول أحد الرهبان مباشرة من برلين لتلقينهم مبادئ اللغة الألمانية في طنجة. ودخل التسولي إلى مدرسة للمعادن في كلاوسطال Klausthale بينما التحق الحسين الأوديي بمدرسة للضباط المهندسين والميلودي بأكاديمية عسكرية أخرى. واتجهت أول بعثة طلابية مغربية إلى فرنسا سنة 1881، بعد أن مكث أفرادها الثلاثة أكثر من ست سنوات بطنجة لتعلم مبادئ اللغة الفرنسية والرياضيات. وكان أعضاؤها هم قاسم الأوديي، والطاهر الأوديي، ومحمد بن الكعاب الشرگي. ومكثوا بفرنسا أربع سنوات والتحقوا مباشرة ببلجيكا سنة 1884 كمترجمين للبعثة المغربية هناك.

بالنسبة لعناصر هذه الدفعة الأولى من الطلبة الذين توجهوا أساسا إلى أوربا نسجل بعض الملاحظات.

فالعناصر الثلاثة الذين حلوا ببريطانيا انتقاهم د. هاي من ضمن المتفوقين من مجموعة الخمسة عشرة الذين كانوا بطنجة ولا سيما الجباص الذي أثنى عليه أساتذته البريطانيون والذي وضع أول خريطة مستوفية لكل الشروط العلمية باللغة العربية وإن كان قد اعتمد في وضعها على نسخ أجنبية. كما أن عناصر البعثة المغربية إلى بريطانيا قد استكملت تكوينها بنجاح في أقصر مدة وهي ثلاث سنوات، بينما قضت عناصر البعثة المغربية في إيطاليا وإسبانيا تسع سنوات، والبعثة الموجهة إلى ألمانيا اثنتي عشرة سنة. وعلى مستوى النتائج تمكن أفراد البعثة البريطانية من شغل مناصب هامة بعد عودتهم. حيث تمكن الجباص من الصعود بسرعة ليعين وزيراً للحرب ثم نائباً سلطانياً فصدراً أعظم فيما بعد. أما الزبير سكيرج فقد تولى مهمة إتمام بناء الأبراج التي بدأ بناءها مهندسون بريطانيون في طنجة وتقاعسوا عن إتمامها. كما ساهم سكيرج في مساعدة الألماني روتنبورغ Rottenburg لبناء أبراج الرباط وإقامة مدافع كروب عليها. بالاضافة إلى تركيب الموازين المجلوبة من بريطانيا بالمراسي المغربية وصيانتها. في حين تولى إدريس بن عبدالواحد الفاسي مهمة تكوين المدفعيين المغاربة بنجاح. وتولى أعضاء البعثة الإيطالية بعد عودتهم سنة 1882 مهمة تدريب عناصر من الجيش المغربي. أما أعضاء البعثة الفرنسية فقد زارهم محمد برگاش في فرنسا، وقال عنهم إنه "توسم فيهم عدم النتيجة ولم يحصلوا سوى معرفة اللسان التي صلحوا بها لجعلهم ترجمانات للأناس الذين توجهوا للتعلم بالبلجيك بخلاف الذين تعلموا ببلاد النجليز والطليان والصبنيول فكلهم تعلموا ووردوا وينتفع بهم". وعند عودتهم إلى المغرب، عين محمد بن الكعاب مهندساً بالمكينة بفاس، والطاهر الأوديي كلف بالعمل في مصنعي السكة والسلاح بفاس. وعين عناصر البعثة المرسلة إلى ألمانيا في مناصب مختلفة. ففي 1886 اشتغل كل من الميلودي والحسين الأوديي كترجمانين للمهندس ڤاگنر Wagnerممثل شركة كروب Krupp. في حين عين التسولي ترجمانا بأحد المراكب الألمانية بالرباط. واشتغل الحسين في الجيش، وعين قائداً عسكرياً على طرفاية. وعاد الميلودي إلى ألمانيا مجدداً في 1888 وتابع دراسته في برلين إلى حدود 1896 حيث اشتغل كاتبا بالقنصلية الألمانية بالدارالبيضاء إلى حدود سنة 1903 مع ما أثار ذلك من خلافات بين المخزن والسفارة الألمانية بطنجة.

وفي سنة 1882 رغب المولى الحسن في تكوين نواة للبحرية المغربية تتوفر على أطر تقنية بمساعدة الدول الأوربية، فأمر نائبه محمد برگاش باجراء الاتصالات الضرورية في الموضوع مع ممثلي الدول الأوربية بطنجة واستفهامهم عن إمكانية موافقة حكوماتهم على المساهمة في تكوين ثلاثين من الشبان المغاربة بمعدل ستة أفراد بكل دولة في اختصاصات تتعلق بقيادة المراكب وعلم الميكانيكا البحرية. وحين استشير د. هاي في ذلك أشار بأن يُوجه إليه ستة أفراد لا تتجاوز أعمارهم الخامسة والعشرين على أن تكون قامتهم طويلة حتى يتولى هو تسليمهم إلى أرباب المراكب البريطانية التي تجوب السواحل المغربية لتمكينهم من الاستئناس بشؤون البحر. ونصح المخزن بأن يسلم نفس العدد إلى ممثلي إسبانيا وفرنسا ليتعلموا على متن مراكبهم التجارية. ويبدو أن المولى الحسن رفض هذا الاقتراح لكونه غير كفيل بتعليم البحارة المغاربة أسرار البحرية، ولو استجاب لذلك الاقتراح لكان قد قدم لأرباب المراكب التجارية الأوربية يداً عاملة بالمجان لاستغلالها في التنظيف والشحن والتفريغ فقط. وفي أواخر 1884 جدد المخزن الحسني طلباً إلى د. هاي واقترح عليه تهيئ الظروف لتوجيه خمسين متعلماً للتكوين على متن المراكب التابعة للأسطول البريطاني في علوم البحر، على "أن يتعلم عشرة من بينهم هندسة مكينة "البابورات". لكن فوجئ المولى الحسن برفض تام لاقتراحه، وبرّر د. هاي رفضه ذلك باستحالة قبول الحكومة البريطانية لذلك لكونه مخالفاً تماماً للتشريعات البريطانية. كما طرح أمام المخزن صعوبات كثيرة حول موضوع تعليم الشبان المغاربة لهندسة الميكانيكا البحرية منها ضرورة إتقانهم للرياضيات واللغات الأجنبية، واختيارهم من خيرة القوم ثم جعلهم رهن إشارة خبير أنجليزي لابد أن يتعاقد معه المخزن مقابل أجرة ثابتة ومرتفعة. وبذلك لم تتح الفرصة مجدداً لإرسال أي بعثة إضافية إلى بريطانيا باستثناء بعثة أرسلها مولاي عبدالعزيز سنة 1901 لا نعرف عنها شيئا لحد الآن. واضطر المولى الحسن إلى الاعتماد على الدول الأوربية الأخرى للاستمرار في إرسال البعثات قصد التحصيل والمعرفة.

وبذلك التحق بألمانيا سنة 1884 عشرة أفراد للحصول على تكوين في المدفعية تحت إشراف مؤسسة كروب. وفي نفس السنة حل مُحمد برگاش ابن النائب السلطاني بألمانيا ليطلب من غليوم الأول 1797 - 1888 السماح لوفد يتكون من أربعة وعشرين فرداً للحصول على تكوين في مختلف التخصصات ولا سيما العسكرية منها في كل من برلين وإسين وأوهم Berlin-Essen-Ulm. وفي سنة 1885 حلت بألمانيا بعثة من تسعة طلبة وخمسة عشر جنديا لنفس الغاية. واستمرت مؤسسة كروب في استقبال المغاربة للتمرس على اكتساب خبرة المدفعين.

وابتداء من سنة 1884 وإلى حدود 1888 استقبلت بلجيكا أزيد من ستين متعلّما مغربيا في ست دفعات، حلُّوا بكل من سيران Seraing وليبج Liege وتلقوا تكوينهم في المدفعية والميكانيك والبحرية. وكل من ظهرت نجابته استمر في التحصيل ومتابعة التكوين، وإلا عادوا إلى المغرب وعوضوا بآخرين.

وفي سنة 1884 أخبر رئيس البعثة الفرنسية بالمغرب لوڤالوا Levallois وزارة الحربية الفرنسية برغبة السلطان في توجيه بعثة طلابية لتمكينها من تكوين عسكري متطور

وألحّ على ضرورة الاستجابة لتلك الرغبة لخدمة المصالح الفرنسية بالمغرب. وعند موافقة وزارة الحربية الفرنسية على هذا الطلب أمر السلطان بدفع نفقات المبعوثين التي بلغت ستة فرنكات يومية لقائد البعثة، وفرنكين لكل متعلم. وفي 1885 حل اثنا عشر شاباً مغربياً بفرنسا للالتحاق بمدرسة المهندسين في مونبليي Montpellier للحصول على تكوين في التلغراف والهندسة. وكان النائب السلطاني فيما يبدو قد اعترض على إرسال هذه البعثة إلى فرنسا مستشهداً بالنتائج الهزيلة التي حققها أفراد البعثة الأولى سنة 1881. حين قال : إن الكفيل بتعليم المغاربة حقا هم الألمان خاصة وأن تكاليف التعليم عندهم أرخص بالمقارنة مع فرنسا. وبعد أربع سنوات أي في 1889 صدقت توقعات برگاش واتضح عجز البعثة المغربية في مونبليي، حسب مكونيهم، عن مسايرة الدراسة، وحصلوا على نتائج ضعيفة، بل تجاوزوا ذلك إلى ارتكاب مخالفات عوقبوا عليها بالسجن هناك. فالطالب محمد بن عبدالرحمان العلج سجن سبع مرات لمخالفات متنوعة وصدرت عقوبات مماثلة في حق كل من محمد بن سعيد السوسي وعبدالله بن مالك الأوديي وصالح التدلاوي وغيرهم، وبناء على ذلك اقترحت وزارة الحربية على المخزن إرجاعهم إلى المغرب. ووصلت هذه الأخبار إلى السلطان في الوقت الذي كانت توضع فيه الترتيبات لارسال بعثة أخرى للتعلم في مدرسة المدفعيين بڤرساي. وكان من الطبيعي أن يتم إلغاء هذه البعثة أمام النتائج السلبية لمجموعة مونبليي. ولم ترسل بعدئذ أية بعثة جديدة تجاه فرنسا إلا بعد سنوات 1912.

وفي 1884 حلت بإيطاليا بعثة طلابية مغربية تكونت من خمسة عشر طالبا تراوحت أعمارهم بين 13 و16 سنة، حيث تلقوا تكوينهم بالمدرسة الملكية الدولية بطورينو Torino وفي أكاديمية ليفورنو Livourne البحرية. وتضمنت هذه الدفعة ثلاث مجموعات في شؤون البحرية، وفنون الحرب البرية. والصناعة الميكانيكية وشؤون الأسلحة. وكان من بين هذا الوفد محمد بن طوجة الرياطي. وقد حظيت هذه البعثة باهتمام كبير من طرف المخزن الحسني حيث أرسلت سفارة ترأسها عبدالسلام بن رشيد السلاوي إلى إيطاليا سنة 1892 لتفقدها. وقد اشتغل عناصرها بعد عودتهم على متن المركب المخزني المعروف "بالبشير" وأشتهر من بين المتعلمين في إيطاليا في بعثات موالية الحسين الزعري وأحمد الجبلي العبدوني. وقد حصل الزعري على شهادة عليا من مدرسة اللغات بطورينو سنة 1898، وعرف عنه إتقانه للغات أوربية متعددة. وتقلب في عدة مناصب بعد عودته إلى المغرب وترك مذكرة مفيدة عن البعثات المغربية التي حلت بإيطاليا.

وعلى العموم، فإن البعثات الطلابية التي تحمل المخزن مصاريفها الثقيلة لم تحقق إلاّ نتائج متواضعة جداً لصالح البلاد، وذلك لأسباب عديدة لخصها الناصري في قوله : «إلا أن ذلك لم يظهر له كبير فائدة، إذ كان ذلك يحتاج إلى تقديم مقدمات وتمهيد أصول، ينبغي الخوض في تلك العلوم والعمل بها عليها».

وكان من المنتظر أن تساهم تلك العناصر القليلة التي تفتحت على العلوم الحديثة في إحداث بعض التأثيرات الايجابية داخل المجتمع المغربي التقليدي، إلا أن أعدادهم كانت قليلة لم تتجاوز في أقصى الحالات أربعمائة متعلم في تخصصات مختلفة. ولم ينالوا الرعاية اللازمة بعد رجوعهم إلى المغرب باستثناء عدد قليل منهم، وشغلوا مهام بسيطة لا تتناسب مع التكوين الذي حصلوا عليه بالاضافة إلى كل هذه العوامل فإن إرسال تلك البعثات وإن كان ضروريا، فإنه كان بعيدا كل البعد عن تمكين المغرب من تدارك التفاوت الحاصل بينه وبين أوربا التي تبنت المنهاج العلمي القائم على التجربة والملاحظة والصياغة الرياضية للقوانين التي تتحكم في كل الأشياء مهما كانت طبيعتها. ومن تم كان فشل البعثات شيئا حتمياً لغياب قاعدة علمية فعلية عند المتعلمين منذ البداية.

محفظة التعلم بالخارج بمديرية الوثائق الملكية ؛ ع. ابن زيدان، *العز والصولة* ؛ م. بوشعرة، *الاستيطان*، 4 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، 1 ؛ ع. سكيرج، *مذكرة الزبير سكيرج* (1850-1932) دارالنيابة، ع. 8 ؛ خ. بن الصغير، *المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر*، ولأدة 1880.

E. Aubin, *Le Maroc d'Aujourd'hui* ; J. Caillé, *Les Marocains à l'école de génie de Montpellier, 1885 - 1888, Hesp*, Vol. XLI; 1954 ; P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc, 1870 - 1905* ; A. Laroui, *Les Origines sociales et culturelles du nationalisme marocain, 1830 - 1912*, Paris, 1977 ; J.L Miège, *Le Maroc et l'Europe, 1830-1894*, T. 4, Paris, 1964 ; B. Simou, *L'Islah au Maroc : les réformes militaires de 1844 à 1912*, thèse de Doctorat (inédite), Paris IV, 1987, Vol. II.

خالد بن الصغير

البعثة العسكريّة، Mission Militaire تعريف أطلقته فرنسا وبعدها باقي الدول الغربية على المدربين العسكريين الأوربيين الذين دخلوا الجيش المخزني منذ 1877 في إطار السياسة العسكرية التي نهجها المخزن بعد معركة إسلي والتي كانت تهدف إلى تغيير نظام الجيش التقليدي وخلق جيش نظامي مدرب على النمط الأوربي.

وهذا التعريف يدلّ على الطابع الرسمي الذي أعطته الدول الغربية لهؤلاء المدربين، في حين أن المخزن ظل يسميهم بالمدربين أو "الحرّابة"، لنزع كل صفة رسمية عن مهمتهم.

تزامن تاريخ البعثات العسكرية مع ارتفاع الضغط الأوربي على المغرب في العقد الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وتطورت هذه البعثات بتطور هذا الضغط حتى أصبحت شكلا من أشكال التغلغل الاستعماري ووسيلة من وسائل "زعزعة" الاستقرار التي التجأت إليها الدول الأوربية لإخضاع المغرب.

وقد بدأ مشروع البعثات العسكرية منذ سنة 1876 حين توقف مولاي الحسن في وجدة بعد حركة ضد القبائل الشرقية اندحر فيها الجيش المخزني أمام قبيلة غياثة، وقدم

الجنرال Osmont على رأس وحدات من جيش وهران ليقدم التحية للسلطان باسم الحكومة الفرنسية. وقد استغلت السلطات العسكرية الفرنسية الإعجاب الذي أبداه السلطان بالمناورات التي قام بها الجيش الفرنسي أمامه، وتعبيره عن رَغبته في تدريب جيشه على النمط الفرنسي، لتحقيق الحلم الذي ما فتئ يراود الفرنسيين منذ احتلال الجزائر وهو زرع عناصر فرنسية دائمة داخل "المخزن المتنقل"، بإرسال بعثة عسكرية لتدريب الجيش المخزني.

ورغم تحذيرات ممثلي إسبانيا وألمانيا وإنجلترا للسلطان من أخطار قبول بعثة عسكرية فرنسية داخل الجيش، وتراجع مولاي الحسن عن الفكرة فإن الحكومة الفرنسية استطاعت بعد ضغوط دبلوماسية الحصول على طلب رسمي في هذا الباب.

وبقي المخزن يماطل في قبول البعثة مطالباً بأن لا تكتسي البعثة أي صفة رسمية وأن تقتصر على مدربين مسلمين يدربون العسكر على الرماية ويدخلون في خدمة المخزن بصفة شخصية.

وانتهى الأمر بإرسال بعثة أسست في الجزائر باقتراح من الحاكم العام، مكونة من تسعة أفراد : 3 ضباط وطبيب و5 ضباط صف من بينهم مسلمان جزائريان.

ولإضفاء صفة غير رسمية على هذه البعثة اعتبر أعضاؤها في حالة إجازة إدارية بدون مرتب، ووضعوا في خدمة المخزن الذي صار يؤدي لهم أجورهم وتعويضاتهم التي تبلغ ضعف أجورهم الأصلية، وقد استقرت هذه البعثة الأولى في وجدة في دسمبر سنة 1877 ولم يذهب منها إلى مراكش إلا الضابط Erckman وضابط الصف Richert المتخصصان في المدفعية واللذان صارا ملحقين بشخص السلطان يتبعانه في جميع تنقلاته، في حين بقي أعضاء البعثة الآخرون يزاولون تداريب منقطعة في وجدة، ولم يلتحقوا بالرباط إلا بعد سنتين، وذلك على إثر الاستياء الذي أظهره السكان من وجود الضباط الفرنسيين وتعرض أحدهم لمحاولة اغتيال.

وقد وزع أعضاء البعثة فيما بعد بين الرباط والدارالبيضاء وفاس ومراكش، ولم تكن مدة إقامتهم في المغرب تخضع لقاعدة قارة رغم أن المدة التي حددت للإجازة دون مرتب كانت سنتين.

وتناوب على رئاسة البعثة من 1877 إلى 1912 أحد عشر ضابطا هم :

النقيب بّيين Capitaine Payenne نوفمبر 1877 غشت 1879.

النقيب إركمان Capitaine Erckman سبتمبر 79 سبتمبر 1883.

رئيس طابور لُوفالوا Chef de Bataillon le Vallois سبتمبر 1883.

مقدم دْبْرُويْ Commandant de Breuille أكتوبر 85 سبتمبر 1889.

مقدم گوشميز Commandant Gauchemez دسمبر 89 أكتوبر 1892.

مقدم شلومبرجي Commandant Schlumberger يناير 94 سبتمبر 1897.

النقيب روستينگ Capitaine Rostaing سبتمبر 97 دسمبر 1898.

مقدم بوركارت Commandant Burckardt دسمبر 98 نوفمبر 1902.

ملازم عقيد دوبرايّي دوسان جوليان Lieutenant-colonel de Boyer de St-Julien يناير 1903 فبراير 1904.

مقدم فاريان Commandant Farian مارس 1904 دسمبر 1908.

مقدم مانجان Commandant Mangin يناير 1909 مارس 1912.

وبسبب التنافس بين الدول الأوربية وطبقا لسياسة مولاي الحسن المتمثلة في الحفاظ على التوازن بين مختلف الدول الأورية الطامعة في المغرب لمنع تمركز نفوذ أي دولة منها، فتحت البعثة الفرنسية الباب أمام البعثات الأوربية الأخرى.

فأثناء المفاوضات حول البعثة العسكرية الفرنسية، عبر المخزن لممثل انجلترا في المغرب جون دراموند هاي عن نيته في قبول مدربين انجليز، وباقتراح من هذا الأخير تم تعيين الضابط الأنجليزي هاري أوبرى دوفير ماكلين Harry Aubry de vere Mac Lean وهو ضابط مستقيل من الحامية الأنجليزية في جبل طارق حيث كان يدرب الطابور 69. ووصل ماكلين إلى طنجة في مارس 1877 قبل وصول البعثة الفرنسية كمدرب في خدمة المخزن دون أي طابع رسمي.

لم تعين انجلترا بعثة عسكرية رسمية إلا بعد وفاة مولاي الحسن وذلك لتعويض الأخوين ماكلين اللذين صارا متخصصين في تجارة الأسلحة وصفقات تجارية أخرى.

وفي سنة 1887 قبل المخزن بعثة عسكرية إيطالية برئاسة الملازم العقيد Bregoli كانت تضم الضابط Falta الذي خلفه الملازم Ferrare سنة 1889 وخبيرين في صناعة السلاح (Notari) واستقرت البعثة بفاس في أبريل 1888 وأوكل إليها بناء مصنع للسلاح داخل دار المخزن "الماكنة" والسهر على تجهيزه وإدارته.

وفي سنة 1888 وصل إلى الرباط المهندس الألماني Rottenburg وكان قبطاناً في Landwehr واستخدمه المخزن بصفة غير رسمية لبناء حصن ساحلي في الرباط "حصن الألماني" أو "حصن Hervé" فيما بعد لاستقبال مدافع Krupp. وابتداء من 1892 عزز Rottenburg بمهندسين عسكريين ألمانيين من شركة Krupp هما : نيلسن Nielsen وروزيس Rosinsa ثم بضابط صف ميير Meyer في 1896 لتدريب رماة الحصن على استعمال مدافع Krupp التي اقتناها المخزن.

وفي فبراير 1890 استقرت بفاس بعثة إسبانية مكونة من ضابطين من درجة مقدم Commandant هما خوصي الفاريز José Alvarez Cabrera ونقيب هندسي فيلاردي Velardé وبضابطي صف من أصل مغربي من حامية سبتة، وعززت هذه البعثة في 1891 بطبيب عسكري كورتس Cortés للأهمية الخاصة التي كان يتمتع بها الأطباء داخل المخزن، وقد أوكل لهذه البعثة القيام بالأعمال الهندسية وتكوين مختصين في بناء الجسور، وقد انضافت هذه البعثة لبعثة طوبوغرافية مكونة من ثلاثة ضباط وطبيب استقرت في تطوان سنة 1881 وترأسها في سنة 1882 Alvarez Ardamey وهو ضابط شارك داخل الجيش الإسباني في حرب تطوان، وكان رئيساً لأركان الحرب العامة في سبتة سنة 1883. وبلغ مجموع المدربين الأوربيين في آخر عهد مولاي الحسن خمسة عشر مدرباً.

ورغم أن التجاء المخزن إلى عناصر أجنبية في الجيش لم يكن وليد القرن التاسع عشر إذ أن مختلف الدول التي تعاقبت على حكم المغرب استخدمت في جيوشها إما العلوج أو الأسرى المسيحيين أو الأتراك أو السود، فإن هذه العناصر كانت تختلف عن البعثات العسكرية الأجنبية في القرن التاسع عشر في كونها كانت خاضعة لأوامر المخزن معزولة عن كل تأثير خارجي، على عكس البعثات سواء الرسمية منها أو غير الرسمية التي كانت تعتبر "تتميما للعمل السياسي الذي تقوم به القنصليات" إذ كانت تقوم بخدمة مصالح بلدانها وتنفيذ تعليماتها، تحت غطاء تدريب الجيش المخزني.

لهذا فإن وجود هذه البعثات لمدة عشرات السنين داخل الجيش العسكري المخزني لم يعط إلا نتائج ضعيفة من الناحية الثقنية ظهرت آثارها على المدى القريب في عهد مولاي الحسن، فيما كانت له انعكاسات سياسية خطيرة على المدى البعيد.

لقد أعطت هذه البعثات بعض التفوق للجيش المخزني على مقاتلي القبائل في عهد مولاي الحسن وخصوصا في ميدان المدفعية التي أوكلت للبعثة الفرنسية، واشهرُ من نظمها ودرب الطبجية وقاد مدفعية المخزن في الحركات، هو ايركمان الذي كان من بين أفراد البعثة الأولى وترأس البعثة الثانية من 1879 إلى 1883.

كما أن "القائد" ماكلين استطاع أن يكوِّن طابوراً من الحرابة مدربين على النمط الأوربي صار يشكل العسكر الخاص بالسلطان، مما أعطى للجيش المخزني مظهراً من النظام والقوة ميزه عن مقاتلي القبائل.

أما أعمال البعثات في الميادين العسكرية الأخرى فكانت نتائجها ضعيفة لا تتناسب مع المصاريف التي أنفقت عليها، وذلك بسبب حذر المخزن الذي لم يول البعثات كل ثقته، وبسبب انشغالها في الصراع فيما بينها وفي التجسس فيما بينها وعلى المخزن، وعدم تقبل العساكر المغربية الخضوع لمدربين "كفار".

ففي ميدان المشاة "الرجالة" لم تستطع البعثة الفرنسية بعد عدة سنوات من الوجود في المغرب أن تدرب أكثر من طابور الرباط والدارالبيضاء وفضالة.

أما في ميدان التجهيزات العسكرية فإن الماكينة التي تكلفت بها البعثة الإيطالية وأولاها مولاي الحسن كثيراً من الاهتمام والجهود والمال منذ سنة 1887 لم يكن إنتاجها في أواخر عهد مولاي الحسن يغطي مصاريفها، إذ لم يكن معدل هذا الانتاج يفوق ستا وأربعين بندقية (مكحلة) في الشهر، وكما أن انتاج البارود كان يتوقف لأتفه الأسباب كعدم وجود عود الدّفلى مثلا، وكادت مهمة الماكينة سنة 1894 تنحصر في إصلاح أوان لا علاقة لها بالأسلحة.

أما حصن الرباط الذي تكلفت به البعثة الألمانية، فلم يتم بناؤه رغم السنوات الستّ التي قضاها روتنبورغ في ذلك ورغم المصاريف الهائلة التي خصصت له.

وعلى عكس النتائج التقنية لهذه البعثات التي بقيت سطحية وضعيفة فإن نتائجها السياسية كانت لها انعكسات مباشرة وعميقة على الجهازالمخزني، فدخول بعض أفراد البعثة الفرنسية والأنجليزية لمراكش لتدريب المدفعية والحرّابة ودخول البعثة الإيطالية لفاس، فتح العواصم السّلطانية لباقي البعثات العسكرية الأخرى، وللتجار الأجانب والقناصلة والبعثات الدينية التبشيرية الأنجليزية والإسبانية والأمريكية.

كما أن هذه البعثات ساهمت في "تدويل" المسألة المغربية واحتدام الأطماع حول البلاد، إذ أن الصراع والتنافس على احتلال مواقع النّفوذ داخل المخزن كان مستمراً من المدربين الفرنسيين والإسبان والإيطاليين والأنجليز والألمانيين، وكل امتياز أو تساهل من المخزن لفائدة بعثة ما، كان يذكي هذا الصراع ويفتح باب المناورات والضغوط لكن يطبق على البعثات الأخرى ويصبح حقاً ذا صبغة دولية. وهكذا كان دخول إركمان Erckman وماكلين Mac Lean، للمحلة السلطانية، حافزاً لإسبانيا وألمانيا فيما بعد للوصول لنفس الشيء، إذ استطاع الدكتور الإسباني بيلار كافاليس Pilar Cavalez الذي كان مكلفا بتكوين ممرضين عسكريين بطنجة أن يدخل المحلة كطبيب للعسكر، كما دخلها الألمان كخبراء في المدافع، وانتهى الأمر بتمثيل كل البعثات داخل الحركات السلطانية. كما أن هذه البعثات سواء التي لها صفة رسمية أو خاصة، قامت بحركة وجمع معلومات لصالح حكوماتها. وسَهّل مأموريتها وجودُها داخل الجهاز المخزني وتنقلها في أنحاء البلاد بصفة رسمية من خلال مصاحبتها للحركات.

كانت هذه المعلومات ترسل في شكل تقارير إلى الوزراء المفوضّين في طنجة الذين يقومون بدورهم بإرسالها إلى الجهات المسؤولة حسب نوع التقرير، فمثلا كان رئيس البعثة الفرنسية يرسل تقاريره إلى الوزير المفوض الفرنسي الذي يقوم بتوجيهها حسب محتواها، إما لوزارة

الدفاع أو الخارجية أو الحاكم العام في الجزائر وفي بعض الأحيان حينما يتعلق الأمر بأمور جد سرية يرسل التقرير في غلاف مختوم باسم الوزير الذي يريد رئيس البعثة أن يزوده بالمعلومات ويوضع الغلاف في غلاف باسم الوزير المفوض ثم صار رئيس البعثة يرسل كل شهر تقريراً للحاكم العام في الجزائر مباشرة. وكانت هذه التقارير تحتوي على تحليلات ومعلومات مختلفة عن الحالة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، وعن السلطان وحركاته وسكناته واستقبالاته وكل أنواع الأخبار الرائجة عن القصر وفي الأوساط المخزنية، وعن كل أفراد المخزن وذهنيته، ونقط ضعفه وميولاته، وعن الأشخاص الذين يمكن "الاعتماد عليهم" إذا اقتضى الأمر، وعن البعثات الأوربية الأخرى ونوايا حكوماتها وعلاقاتها بعضها ببعض وعلاقتها بالمخزن. وهذا النشاط الاستعلامي قام به حتى الضباط الذين حازوا ثقة المخزن، فقد استغلوا هذه الثقة ليستقوا معلوماتهم من مصدر موثوق، وليكونوا عيناً على كل ما يجري داخل البلاد، ويوجّهوا كثيراً من الاختيارات المخزنية لصالح بلادهم، وأشهر هؤلاء ثلاثة ضباط هم :

- إركمان الذي اختاره الجنرال Chanzy الحاكم العام الفرنسي من بين جنود الجيش الفرنسي في الجزائر الذين يتقنون اللغة العربية، ويعرفون العادات والتقاليد المغربية، وقد مكث داخل الجيش المخزني ست سنوات من سنة 1877 إلى 1883، لبس خلالها الزيّ المخزني وصار مستشاراً لمولاي الحسن في أمور السلاح، وكان يجتمع به مرة كل أسبوع في دار المخزن للرمي بالمدفع، وقاد حركاته وعند انتهاء مهمته أنعم عليه السلطان بظهير شريف. وإلى جانب التقارير التي أرسلها إركمان طوال هذه المدة، خلف كتابا بعنوان *مغرب اليوم* وهو تحليل نقدي عسكري وسياسي لعهد مولاي الحسن.

- الدكتور لبناريس الذي مكث داخل الجيش كطبيب عسكري من سنة 1878 إلى 1902، وقد اتخذت اجراءات إدارية منذ البداية لإزالة كل الشبهات حوله. وتسهيل مأموريته، إذ تم انتدابه "Détaché" عن وزارة الحربية ووضع رهن إشارة وزارة الشؤون الخارجية، وطوال الأربع والعشرين سنة التي بقي فيها داخل الجيش وبحكم مهنته كان يدخل القصر، ويرافق السلطان في كل مكان ويقدم النصائح. وعمل على التعرف على أكثر الأسر المغربية سواء المخزنية منها أو غيرها، وعلى تكوين "لوبي" فرنسي، ولم يتوقف عن نشاطه إلا حينما أصيب بمرض في عينيه فارق على أثره المغرب، وقد نعتته بعض الكتب والجرائد في ذلك الوقت بلقب "الفاتح الأول للمغرب".

- القائد ماكلين Hary Haubry de vere Mac Lean وقد اشتهر باسم القائد ماكلين، و"الكلونيل" وعمل داخل الجيش المخزني كمدرب للحرّابة، وكان يلبس الزي المغربي هو وزوجته وبناته واخوانه، وبصفته غير الرسمية حاز ثقة السلطان مولاي الحسن ومولاي عبدالعزيز من بعده.

وأوكلت إليه كل الأمور المتعلقة بشراء الأسلحة والتجهيزات كتجهيز الماكينة "وصار في عهد وزارة المنبهي للحربية يحتل تقريبا مكانة رئيس عام لأركان الحرب" وأوكلت إليه حتى المهمات السياسية والدبلوماسية، فمثلا في سنة 1902 حينما تزايد الضغط الفرنسي على المغرب أرسل في مهمة سرية لانجلترا حيث استقبله الملك إدوارد السابع، وبلغت درجة قربه من مولاي عبدالعزيز حداً جعلت الإشاعات تروج عن زواج السلطان بأحد بنات ماكلين، وكان هاي يعتبره "السفير الأنجليزي في المغرب".

وإضافة إلى هذا النشاط الاستعلامي المتمثل في جرد علمي لكل المعطيات في المغرب مما سهل إلى حد ما المهمة الاستعمارية فيما بعد، إذ كشف للأجانب نقط الضعف في البلاد ودرجة تدهور المؤسسات العسكرية والسياسية، ساهمت البعثات بقسط وافر في عملية زعزعة المؤسسات التقليدية. بصفة غير مباشرة ومباشرة.

فوجود عناصر "كافرة" داخل الجيش المخزني في وقت تأججت فيه الحزازات الدينية ضد العدو الكافر الذي احتلّ الجزائر وتأكدت فيه الأطماع الاستعمارية تسبب في مشاكل للمخزن تضاعفت بارتفاع الضغط الأوربي. فمثلا لم تلق البعثة الفرنسية الأولى التي استقرت في وجدة أي ترحيب من السكان رغم توجّه شريف وزان لأهالي وجدة يطلب منهم أن يحسنوا علاقاتهم مع الفرنسيين، وتعرض أحد أفرادها اليوتنان جورني Journée لمحاولة اغتيال، وبقي الجنود يرفضون إطاعة أوامر مدربي البعثة. وبالرغم من كون الضباط الأجانب داخل المحلة خلال الحركات كان يفرض عليهم لباس الطربوش عوض القبعة العسكرية الأوربية، فقد تعرض الضابط Smith للاغتيال في قبيلة زمور. مما أوقع المخزن في مأزق مع الحكومة الفرنسية التي طالبت بتأديب قبيلة القاتل وفرض غرامة عليها دية للقاتل.

وقد ظهرت أخطار هذه البعثات للسلطان المولى الحسن فطالب سنة 1886 الدول الأوربية بسحب بعثاتها، وجدد طلبه في 1889 بمناسبة إرسال بعثة مغربية للمشاركة في المعرض الدولي بباريس، وبقي إلى موته يطالب بذلك فرنسا والدول الأخرى، ولكن كل دولة كانت تشترط قبول سحب بعثتها بانسحاب البعثات الأخرى أولا، بل إن فرنسا عرضت على السلطان أن تؤدي هي مرتبات بعثاتها حتى تخفف من عبء النفقات التي كانت من بين التبريرات التي قدمها السلطان لتعزيز طلبه.

ومع تسارع حركة التغلغل السياسي الأجنبي، وانحلال المخزن المغربي تحت الضغط الأجنبي في أواخر عهد مولاي الحسن خلال حجابة أحمد بن موسى، لعبث البعثتان الأنجليزية والفرنسية دوراً مباشراً في هذا التغلغل وفي خلق متاعب المخزن في علاقته، فالبعثة الأنجليزية ازداد نفوذها في فترة وزارة المنبهي في الحربية، ووجد ماكلين في ترويج الاختراعات العصرية الأوربية بابا للربح، إذ زاول كل أنواع التجارة من سلاح وآلات ودراجات وسيارات الخ وأدخل

مجموعة من الأنجليز كان لهم أثر سلبي في أعين القوى الحية من قبائل وعلماء وسكان المدن، كما أن وجود قواد أوربيين في جيش مولاي عبدالعزيز عند مواجهة جيش مولاي حفيظ المكون من القبائل كان له نصيب وافر في انهزام الجيش المخزني أمام الجيوش الرافعة لراية الجهاد.

وبعد انتهاء الوضع القائم المغربي Statuquo marocain والاتفاق الفرنسي ـ الانجليزي في 8 أبريل 1904 وإعطاء الضوء الأخضر لفرنسا في المغرب، تعززت البعثة الفرنسية بفرع في طنجة، وصار دورها هو وضع اللبنات الأولى للاستعمار الفرنسي، فقد وسعت اختصاصاتها واستولت على تسيير الجيش وتدريبه وصارت منذ 1905 تعلن صراحة أن هذا الجيش الذي أسند إليها تدريبه يجب أن يستعمل مباشرة في تدخلها العسكري في المغرب. ولهذا الغرض قدمت مشروع قانون جديد لتنظيم الجيش المغربي، واضطر المخزن الذي كان في حاجة إلى اعانة الجيش الفرنسي لإخماد ثورة الجيلالي الزرهوني الملقب ببوحمارة الذي كان من بين الطلبة المهندسين الذين دربّهم الضابط طوماس، إلي الرضوخ لمطالب البعثة : فاستغنى عن البعثات الأخرى بما في ذلك المدربون الأتراك العشرة الذين كان المولى حفيظ قد أحضرهم لمقاومة نفوذ البعثة الفرنسية، وكلفها سنة 1909 ببناء مستشفى عسكري في فاس وأوكل المدفعية وخزائن السلاح والعدة التي كانت فيما قبل تحت يد وزير الحرب الى قائد البعثة مانجان وأوكل إليه كذلك مؤونة الجيش والرواتب مما زاد في عزل الجيش المخزني.

وأسست البعثة ست وحدات من الگوم في كل وحدة مائة وخمسون من الرجالة وخمسون من الخيالة، وقاد مانجان كل العمليات العسكرية ضد القبائل المغربية "الثائرة" كالعملية ضد شراردة وأولاد جامع وبني مطير.

وفي 4 مارس 1910 قامت البعثة بتطبيق القانون الذي قدمته في 1905 بتجريد العسكر المغربي من سلاحه وجمعته في خمسة طوابير من الرجالة و ثلاثة من الخيالة وطابورين من العبيد.

ومنذ 1911 نسقت البعثة تسير الجيش المغربي مع جيش الاحتلال مما تسبب في خلافات متعددة حول "الصلاحيات".

وبمرور الجيش "الشريف" تحت أوامر الجنرال الفرنسي Brulard منذ مارس 1912 انتهى دور البعثة الفرنسية.

كناش تنزون الجيش في خ. ح، كناش 112 م، 210 شؤون الجيش، كناش 429، 3144 ؛ *تقارير البعثات الفرنسية* ؛ *وثائق وزارة الحربية الفرنسية فانسين* ؛ *وثائق وزارة الخارجية، كي دورسي Quai d'orsay* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ ع. ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، ج 1 و2.

J. Erckman, *Le Maroc moderne*, Paris, 1885 ; E. Doutté, *Les moyens de développer l'influence française au Maroc*, Paris, 1900; E. Ferry, *La réorganisation marocaine*, Paris, 1905 ; Ch. René-Leclerc, *L'armée Marocaine*, Alger, 1905 ; Brives, *Voyages au Maroc, 1901 - 1907*, Alger, 1909 ; J. Caillé, *Quelques renseignements sur le capitaine Erckman, Hesp.*, 1954, T. XLI ; M. Lahbabi, *Le gouvernement marocain à l'aube du XXème siècle*, Rabat, 1958 ; J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe 1820 - 1894*, Paris, 1961 - 1963, T. III et IV ; T. Berrada, *Quelques aspects du rôle des missions militaires européennes au Maroc, Hesp.*, Vol. IXXV, 1987.

ثريا برادة

البعثة العلمية للمغرب، La Mission Scientifique du Maroc مجموعة فرنسية للبحث اهتمت بالدراسات المغربية لأغراض سياسية استعمارية بعد أن تم احتلال الجزائر سنة 1830، ومرّ وجودها بعدة أطوار خارج المغرب قبل أن تصبح مؤسسة رسمية تعمل بطنجة ثم بالرباط، وتُصدر منشورات متنوعة عن المغرب الأقصى. ومن الأكيد أن عملية الاستكشاف "العلمي" قد تفاعلت، خصوصا في فترة ما قبل الحماية، مع مصالح اقتصادية ومالية فرنسية صعّدت الصراع بين الشركات الرأسمالية الكبرى. وكان لكل من هذه المصالح امتداده أو من يمثله على مستوى الفعاليات "العلمية" التي كانت تهتم بالمغرب. مما أدى إلى نوع من الصراع بين باحثين ينتمون للمدرسة العليا للآداب بالجزائر، وآخرين ينتمون للمتربُول. ويمكن اعتبار سنة 1890 كبداية للاهتمام الذي أولاه الباحثون الجامعيون الفرنسيون لدراسة منتظمة للمغرب. ذلك أن المعلومات كانت، قبل هذا التاريخ، غير كافية. ويلاحظ أن هذه الدراسة تركزت، في البداية، على معرفة المغرب من الناحية الجغرافية : بنية الأرض، تحديد المناطق الجغرافية، وعلى جمع المعطيات، والمخطوطات المتعلقة بالمغرب : تاريخ البلاد، اللهجات المستعملة من طرف السكان وعاداتهم، وكذا معتقداتهم وتنظيماتهم الاجتماعية.

احتكر عملية الاستكشاف هذه "فرنسيو الجزائر"، بينما ظل "فرنسيو فرنسا"، الذين كانوا يُنعتون ب "المغاربة" يعتبرون أن المغرب يجب أن يبقى ميدان بحث من اختصاصهم. ونتج عن هذا التنافس، على مستوى البحث "العلمي"، تكوين لجنة المغرب Le comité du Maroc ضمن لجنة افريقيا الفرنسية Le comité de l'Afrique Française التي تأسست سنة 1890، بادرت باصدار دورية : نشرة لجنة افريقيا الفرنسية *Le Bulletin du comité de l'Afrique Française*، صدر العدد الأول في يناير 1891. ومن بين المهام التي أنيطت بلجنة المغرب، داخل لجنة افريقيا الفرنسية، تولى إدارة العملية الاستكشافية المتعلقة بالمغرب وذلك حتى تاريخ تأسيس البعثة العلمية.

تأسست اللجنة العلمية للمغرب بطنجة على يد الفريد لوشاتوليي Alfred Le Chatelier، الذي بدأ عمله بالجزائر كضابط للشؤون الأهلية، وكعضو في لجنة افريقيا الفرنسية أصبح يتتبع، بعد 1890، السياسة الاستعمارية لبلده وخصوصاً منها المتعلقة بالمغرب. ومما ميزه أنه أكد منذ البداية على ضرورة معرفة المغرب ودراسته دراسة مستفيضة سواء من حيث الطبيعة، أو الانسان، أو من حيث المعتقدات والتقاليد والمكونات الاجتماعية. كما كان لوشاتوليي من الذين ألحوا على ضرورة الحصول على ثقة السكان و ثقة المخزن.

ابتداء من سنة 1889، بدأ لوشاتوليي في إلقاء دروسة بكوليج دو فرانس Collège de France. وبفضل مساندة ودعم شخصيات سياسية وبرلمانية كأوجين إتيين Eugène

Etienne وريفويل Revoil تم تأسيس كرسي علم الاجتماع الاسلامي Sociologie Musulmane بكوليج دو فرانس سنة 1903 وعين الفريد لوشاتليي أول أستاذ لهذه المادة. والظاهر أن الغرض من تأسيس هذا الكرسي، لم يكن يقتصر فقط على تكوين إداريين استعماريين، بل أيضاً بناء سياسة استعمارية بالعمل على اقتراح برامج استناداً على وثائق ومعرفة "علمية" بالأوساط الاسلامية. لذلك فكر أ. لوشاتليي، أول الأمر في خلق ملاحق لكرسي علم الاجتماع الاسلامي عبر مختلف المستعمرات الفرنسية، بغية الاقتراب، بما فيه الكفاية، من السكان المعنيين وإفادة كل من يهمهم الأمرسواء كانوا مدنيين أو عسكريين. وقد راودته، في البداية، فكرة تأسيس معهد مغربي، على غرار معاهد أخرى كمعهد الآثار الشرقية بمصر ومعهد الهند الصينية.

وبعد أن تخلى لوشاتليي عن فكرة تأسيس "المعهد المغربي" ومباشرة بعد إحداث كرسي علم الاجتماع الاسلامي بكوليج دو فرانس، أرسل جورج سالمون Georges Salmon أحد قدماء مدرسة القاهرة، الذي سبق أن التقى به بطنجة في سنة 1892، في مهمة لمدة سنتين للبدء في تكوين اللبنات الأولى لما سمي "بالبعثة العلمية للمغرب". كما كلفه أيضا بجمع الكتب وتنظيم مكتبة مختصة في كل ما يتعلق بالمغرب لتكون في خدمة أطر البعثة العلمية والمفوضية الفرنسية بطنجة والعمل على إنجاز دراسات منغرافية حول المغرب.

تأسست "البعثة العلمية للمغرب" بقرار من الحاكم العام بالجزائر م. جونار M. Jonnart بتاريخ 20 أكتوبر 1903. وبالرغم من اعتبارها مؤسسة خصوصية، إلا أنها استفادت من إعانات وزارة الخارجية الفرنسية كما اضطلعت الجزائر بتمويل جزء من ميزانيتها. وكانت تعمل بجانب المفوضية الفرنسية بطنجة. الغاية من تأسيسها حددها إ. ميشو بيلر Edmond Michaux-Bellaire كالتالي :"البحث في عين المكان عن كل الوثائق الضرورية لدراسة المغرب، وإعادة صياغة تنظيماته وحياته، ليس فقط بالاستعانة بالكتب والمخطوطات، بل أيضا بالمعلومات الشفوية وبأعراف القبائل والزوايا والعائلات". وبموازاة مع هذه الوظيفة "العلمية" هناك وظيفة أخرى ذات طابع سياسي، الغرض منها توفير الظروف المواتية للدخول الفرنسي إلى المغرب مع "تفادي الأخطاء المرتكبة في الجزائر نتيجة عدم دراسة البلاد بما فيه الكفاية". ذلك ما دفع بفرنسا لتعطي كامل الأهمية لتهيىء دخولها إلى المغرب بطريقة منهجية. لذلك نوى أن العمل على إعداد دخول استعماري "علمي" و"سلمي" كان من بين الأسباب التي دفعت إلى إحداث البعثة العلمية.

أصدرت البعثة العلمية مباشرة بعد تأسيسها أول جزء من سلسلتها *الوثائق المغربية Les Archives Marocaines*، هذه السلسلة التي تكوّن رصيدا وثائقياً يضم 34 جزءا (الجزء الخامس والعشرون لم يظهر) توالى نشرها فيما بين 1904.1936. تشكل هذه السلسلة إحدى المجموعات الوثائقية المطبوعة، الأساسية لدراسة المغرب سواء من ناحية التاريخ والجغرافيا أو اللغة والسكان، والغرض الأساسي من إصدار هذه السلسلة كان هو العمل على إعداد "فهرس" للمغرب وقبائله ومدنه وزواياه، وكذا البحث عن أصول القبائل المغربية وأصول السكان وتتبع مختلف الصراعات والأحلاف عبر الدول التي مرت بالمغرب، والتعرف على أعراف البلاد ومؤسساتها.

ومن النتائج العملية المباشرة لانشطة البعثة العلمية أنْ تم توزيع الأجزاء الأولى من سلسلة الوثائق المغربية على المشاركين في مؤتمر الخزيرات سنة 1906، والذي حضره جورج سالمون وتولى فيه الرد على مندوبي المغرب الذين نبهوا إلى أن الدراسات الاستكشافية تتنافى ومقتضيات التشريع الإسلامي. وأكد سالمون مشروعية هذه الأبحاث وشرعيتها.

بعد وفاة جورج سالمون سنة 1906، خلفه زميله ميشو بيلير، الذي كان يعمل بجانبه في البعثة منذ سنة 1904. وفي نفس سنة 1906 أصدرت البعثة العلمية للمغرب، إلى جانب *الوثائق المغربية*، *مجلة العالم الإسلامي La Revue du Monde Musulman*، التي أضافها لوشاتليي، لأنه كان يفكر ـ حسب ميشو بيلير ـ في إصدار دورية لدراسة الحضارة الإسلامية، التي يجب أن تدرس، على اعتبار شكلها ونتائجها، حسب مختلف البلدان الإسلامية. استمر صدور هذه المجلة حتى سنة 1927 ثم تغير عنوانها فأصبحت تحمل عنوان : *مجلة الدراسات الإسلامية La Revue des Etudes Islamiques*.

بعد التوقيع على معاهدة الحماية، حصلت البعثة العلمية على الشخصية القانونية بمقتضى ظهير 11 أكتوبر 1913. ولأن المقيم العام آنذاك Lyautey فكر في إحداث إطار تابع للإقامة العامة يتكلف بالإعلام "العلمي"، لذلك اقترح على لوشاتوليي في مراسلة وجهها إليه بتاريخ 31 يناير 1913، مشروعاً للتعاون بين البعثة العلمية والاقامة العامة. من بين ما يتضمنه هذا المشروع العملُ على تجميع ونشر بعض أعمال ووثائق مصالح الحماية. كما نص هذا المشروع، في بنده الأول، على أن الجذاذات التي تتناول الأوضاع التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والادارية للمدن والقبائل المغربية التي يتم إنجازها في مختلف المناطق، وكذا الكتابات والأعمال المختلفة التي تصدر عن أعوان الحماية، والتي لها طابع اجتماعي أو تهم السياسة الأهلية، ويراها المقيم العام تستحق النشر، يتم تجميعها لتكوّن سلسلة وثائقية تتولى البعثة العلمية للمغرب بطنجة نشرها، تحت إشراف الاقامة العامة.

وأكد هذا المشروع، كذلك، على امكانية استشارة البعثة من طرف مصالح الحماية في كل المسائل المتعلقة بالتاريخ الإسلامي للمغرب، بنظامه القانوني ومؤسساته الأهلية بمختلف أشكالها، وفي مختلف النقط المتعلقة

بالسياسة المغربية الداخلية. كما حدد الفصل السادس طبيعة هذه الاستشارة، حيث نص على أن المعلومات التي قد تتمّ بصددها الاستشارة يمكن أن تكون ذات طابع وثائقي أو طابع استشاري، للحصول على معلومات ذات طابع "موضوعي".

بعد أن تم الاتفاق مع المقيم العام بتسليم الجذاذات التي يعدها ضباط الاستعلامات، للبعثة العلمية، تكفلت هذه الأخيرة بكتابة منغرافيات تتعلق بمدن وقبائل المغرب. وهكذا ابتداء من سنة 1914، وبتعاون مع مديرية الشؤون الأهلية ومصلحة الاستعلامات، ظهرت سلسلة *مدن وقبائل المغرب Villes et Tribus du Maroc*، والتي تتكون من أحد عشر جزءاً تم نشرها فيما بين 1915 و1932. وتهم هذه الدراسات على التوالي :

1 ـ *الدارالبيضاء والشاوية Casablanca et Chaouia*، 1915، في جزئين.

2 ـ *الرباط واقليمه Rabat et sa région*، 1918، أربعة أجزاء.

3 ـ *طنجة ومنطقتها Tanger et sa zone*، 1921، جزء واحد.

4 ـ *القبائل البربرية Les Tribus Berbères*.

I ـ *أيت باعمران*، ج 1، 1930.

II ـ *مقاطعات وقبائل الهضبة العليا لدرعة*، ج 2، 1931.

5 ـ *منطقة دكالة La Région des Doukkala*، 1932، جزآن.

وفي سنة 1919 تم إلحاق البعثة العلمية بمديرية الشؤون الأهلية ومصلحة الاستعلامات تحت اسم "الشعبة الاجتماعية Section Sociologique"، وانتقل مقرها من طنجة إلى الرباط.

ويمكن القول إن أنشطة البعثة العلمية همت، حتى سنة 1920 بالخصوص، المناطق التي تستعمل فيها اللغة العربية؛ كما أنها ركزت أساسا على انجاز أعمال منغرافية عن مدن وقبائل الشمال الغربي للمغرب.

عملت المنشورات والأدبيات التي أنتجتها "البعثة العلمية" على تطوير ونشر فكرة أو مصطلح "بلاد السيبة" مقابل "بلاد المخزن" بالمغرب، كما تميزت السياسة الأهلية بالارتكاز على نتائج الأبحاث وعلى معطيات الاستمارات والتحقيقات التي أنجزتها البعثة، حيث إن الاستعمار عمل جاداً في البحث عن طريقة تمكنه من إخضاع الأهالي بأقل كلفة ومن إحلال وضعية سلمية دائمة. كما احتل ميشو بلير، كرئيس للبعثة من سنة 1906 حتى تاريخ وفاته في 15 ماي 1930 مركزاً هاماً في تسطير سياسة الحماية، وكان ألفريد لوشاتولييه قد سبقه بالوفاة في تاسع أكتوبر 1929. فأخذ معهد الأبحاث العليا المغربية يحل محل الشعبة العلمية. وبصدور العدد الرابع والثلاثين من الوثائق المغربية سنة 1936 عن "شعبة الدراسات الإسلامية" التابعة لمديرية الشؤون السياسية، برآسة الكولونيل جوستينار، انتهت إصدارات "البعثة العلمية".

E. Burke III, *La Mission Scientifique du Maroc. Sciences Sociales et politiques dans l'âge de l'impérialisme au Maroc, Actes de Durham : Recherches récentes sur le Maroc moderne*, Rabat, *B.E.S.M.*, 1979, N° 138 - 139, p. 37 - 56 ; E. Michaux-Bellaire, *La Mission Scientifique du Maroc, Conférence faite au cours des Affaires Indigènes*, Rabat, 1925, p. 22.

مَحمد جادة

البَعْزة، أسرة تطوانية يقول عنها الفقيه الرهوني إنها شريفة دون أن يذكر أصلها، حيث نجد في المصادر الإسبانية ما يؤكد أنها أندلسية، وما زالت هذه الأسرة معروفة حتى اليوم بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 45 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 332 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azszuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البعّاج ← **الصبيحي**

بعقيلة ← **إدا وْبعقيل**

البعقيلي، إبراهيم بن عبدالله البوشيكري، أدرجه صاحب *المعسول* (11 : 136) بين إخوة سبعة ترجم لهم، ينتمون إلى الوالد عبدالله ويُذكرون بحفظ القرآن الكريم والاشغال بالتدريس بمدارس بلدهم بعقيلة مع المشاركة في فضّ النوازل المحلية، يضاف إلى ذلك ما نقل عن بعضهم من منظومات وأرجاز.

أخذ إبراهيم عن والده عبدالله آتي الترجمة، *القرآن الكريم* وما معه من المعارف، واقتصر على الأخذ عليه فيما يظهر، وذلك بسبب ما كان لوالده من حدب على بَنيه تربية وتعليماً وتغدية، حتى إنه كان يستصحبهم جميعاً إلى كل دعوة طعام مؤثراً إياهم آحيانا في الأكل مقتحماً في سبيلهم مشقة قرع أبواب المسؤولين بالناحية حتى لا ينشأ أحدهم جاهلاً أو ناقص تعليم.

لذلك نشأ هؤلاء الأبناء، من بينهم إبراهيم، على ما ورثوه من والدهم من خصال البساطة في العيش والنسك مع سذاجة في الطبع تتناسب ومقام الأسرة في الشرف والنسب، وحرص على التحلي بالسنة والابتعاد عن البدعة في المأكل والمشرب واللباس والزواج وغيره.

واشتهر إبراهيم، إلى جانب التدريس، بالمداعبة والمرح، وكانت له لحية كثيفة مسترسلة على صدره بلغ من شدة الاعتناء بها ومشطها والحرص على ألا يسقط شعرها الكثيف أنه كان ينام على قفاه خوفا من تعرضها للضغط وسقوط شعرها. وكان يقول : ليس من السهل على أي إنسان أن يربي مثل هذه اللحية !.

وكانت فيه إلى جانب روحه المرحة صراحة عرف بها بين أهل بلدته وعند (المجاطيين) عامة حيث قدر له أنه يعلّم بمساجدها على الشرط متنقلا ما بين مسجد دوگادير وقرية أكْرض نْتَسْگدلت.

توفي إبراهيم البعقيلي عام 1883/1301.

م. المختار السوسي، *رجالات*، 134،135 ؛ *المعسول*، 11 : 136، 143، 144.

البعقيلي، الأحْسن بن محمد بن بوجمعة (الحاج ـ) ويكتب أحياناً الحسن ـ بدون همز. حفظ القرآن ببلدته الأولى بعقيلة بمدرسة (إگضي) وفيها رأى أن الرسول عليه السلام كساه حلة أولّها صاحب الترجمة بالدين والإمامة والاطلاع على الحقائق (*المعسول*، 11 : 163.161).

ثم انتقل بعد ذلك إلى دراسة العربية، فأخذ عن جملة من الأساتذة أمثال أحمد المافاماني وأبي القاسم التاجرمُونتي بالمدرسة الإلغية، والمحفوظ الأدوزي بالمدرسة البوعبدليّة، وأحمد البوزوگي الگسيمي، والحاج علي المسفيوي بمدرسة أخليج بأريكة قرب مراكش. ثم لازم بعد ذلك الحاج مسعوداً الوفقاوي بمدرسة بُوابُوض قبل أن يلتحق بفاس سنة 1900/1318 حيث بقي بمدرسة الصفارين مدة يسيرة، ثم التحق بالقائد سعيد الدمناتي من قواد الرحى وحضر معه في وقعة نزع السلاح من الجيش في عهد المولى عبدالحفيظ. ثم التحق بأولاد گنون فتزوج هناك وولد له واكتسب مالاً قبل انتقاله إلى القصرالكبير الذي تزوج به من إحدى الأسر الفاسية، على أنه سرعان ما انتقل إلى مدينة سطات ماراً بالخزازرة واستقر به المقام أخيراً بمدينة الدارالبيضاء سنة 1929/1348 وظل بها إلى وفاته سنة 1948/1368.

إلى جانب هذا النشاط العلمي والرحلات والمهمات الرسمية أسهم صاحب الترجمة بحظ وافر في مجال التصوف، فقد أذن له باكراً في الطريقة الأحمدية = التيجانية أستاذه الشهير الحاج الحسين الإفراني مؤسس الزاوية التجانية بتزنيت.

كما أخذ التصوف أيضاً عن الشيخ عبدالله القشاش السويري (*المعسول*، 11: 160) وقد أثبت صاحب *المعسول* إجازة الشيخ الإفراني لصاحب الترجمة تتضمن توجهات دقيقة في كيفيات استعمال بعض الأذكار وآداب ذلك للمريد السالك طريق الترقي والتزكية عند الصوفية عامة وعند الشيخ التجاني خاصة، مع الإذن بتلقين المريدين هذه الأذكار وما يفعل في تلقين الاسم الاعظم (*المعسول*، 11 : 161).

وقد أجيز صاحب الترجمة في السلوك الصوفي من طرف شيوخ آخرين، منهم علي الإگسلي والطيب بن أحمد بن الطيب السفياني، وأحد أحفاد الشيخ التجاني مؤسس الطريقة، ومن الشيخ التجاني نفسه عن طريق الاتصال الروحي في الاسم الأعظم وغيره.

وحصل له بسبب هذا التجوال على مستوى الأمكنة والرجال ما بين قراء وعلماء وصوفية وحكام ملامحُ سلوكية وعلمية بارزة طبعت شخصيته فجعلته متمكناً من الحديث، حَسَنَ المحاضرة والاستطرادات اللغوية والقصصية وغيرها، مع ميل إلى الانبساط، متخذاً ذلك أسلوباً تربوياً لإنياس المريدين والزوار، مع ما استلزمه ذلك من كرم في الضيافة ورفع للحرج بينه وبين خواص جلسائه إلى درجة المازحة الحرة اللافتة للنظر.

ورغم ذلك كان ضابطاً للسانه في تناول سيرة الأشخاص مع حرص على ملازمة الوضوء وإقامة الصلوات في أسرته ذات العدد زوجات وأبناء.

وإلى جانب هذه الحياة الصوفية الحافلة أنتج قلمه مجموعة من المؤلفات وربما كان ذلك من أثر تخرجه من المدرسة الإلغية ذات الاتجاه الأدبي بسوس حتى وصفت مؤلفاته بالجودة، فكتب في التفسير على طريق الصوفية أهل الحقائق كتابه المسمى *مقاصد الأسرار والخفى والجواهر المرضية والكاملة في نهاية الأخفى*، وهو في تفسير سورة البقرة في جزءين طبع بالدارالبيضاء سنة 1935/1354. وكتب في الأنساب كتابه المسمى *تبيين الأشراف أهل دائرة الوسائل وقبلة توجّه كل سائل*، طبع بالمطبعة نفسها سنة 1939/1358 في 122 صفحة. وطبع له أيضا كتاب *تحفة الأطفال في مُعرب الأسماء والأفعال*، سنة 1935/1354 في 36 صفحة. وله في هذا الاتجاه *رسالة إلى الولدان من فارس أهل الميدان*، طبعت سنة 1938/1357.

كما خصص بعض مؤلفاته للرد على بعض العلماء ككتابه *الاشفاق على مؤلف صاحب الاعتصام مما جناه إفكه على أهل الاسلام*، المطبوع عام 1938/1357 في 60 صفحة. وكذا كتابه : *إعلام الجهال بحقيقة الحقائق بأسنة نصوص كلام سيد الخلائق*، ممزوجا بالمولد النبوي، طبع سنة 1938/1357 في 37 صفحة.

وله في التصوف وعلوم الحقيقة عدة مؤلفات، منها *حاشية على كتاب علي حرازم برادة جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدنا أبي العباس التجاني* وسمى هذه الحاشية *بالشرب الصافي من الكرم الكافي*، طبعت سنة 1935/1354 في جزأين. وله أيضا *إراءة عرائس شموس فلك الحقائق العرفانية*، طبع سنة 1934/1353. *وتحقيق الحقائق عن كشف مقالات أهل الطرائف*، طبع سنة 1937/1356 في 160 صفحة. وله أيضاً : *ترياق لمن فسد قلبه ومزاجه*، طبع سنة 1939/1358. *والزلال الأصْفَى واللباب المحض الأوفى*، طبع سنة 1934/1353 في 220 صفحة. وكذا *سوق الأسرار إلى حضرة الشاهد الستار*، طبع في السنة المذكورة أيضاً في 135 صفحة. *ورفع الخلاف والغمة فيما يظهر فيه اختلاف الأمة*، طبع سنة 1935/1354 في 108 صفحة. *وإيضاح الأدلة بأنوار الأئمة*، طبع سنة 1934/1953 في 115 صفحة.

وقد أسس من أجل إخراج هذه المؤلفات التي دأب على نشرها تباعاً المطبعة العربية بالدارالبيضاء، وكانت زاويته بحي درب غلّف في المدة التي قضاها بهذه المدينة ما بين نشاط علمي وطباعي ونشاط تربوي صوفي لم يخل من مكدّرات وظروف حرجة ومواقف صعبة في مرحلة دقيقة من تاريخ المغرب.

وكانت وفاته عام 1948/1368.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 186.155، 12 : 193 ؛ *سوس العالمة*، 208، 218 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ*، 74 ؛ م. ر. كحالة، *معجم المؤلفين*، 3 : 211 ؛ إ. بلماحي الإدريسي، *معجم المطبوعات*، 175.174.

البعقيلي، أحمد بن علي بن إبراهيم، أحد الفقهاء البعقيليين المشهورين خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر(17م) في منطقة إداوْبعقيل بالأطلس الصغير(جبل جزولة) وقد تخرج من هذا الجبل خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر عدد كثير من الفقهاء والعلماء من بينهم العلامة عبدالله بن يعقوب السملالي المعروف لدى السكان في سوس بـ "ابن يعقوب" الذي يعتبر صاحب الترجمة من تلاميذه حسب الحضيكي (1 : 68) فهو يقول :"أحمد بن علي بن إبراهيم البعقيلي كان رضي الله عنه فقيها خيراً صالحاً من أصحاب الشيخ الإمام سيدي عبدالله بن يعقوب توفي رحمه الله سنة إحدى وخمسين وألف". ونقل المختار السوسي عن *المناقب والوفيات في المعسول* (5 : 20) قال في الوفيات :"الولي الصالح المسكين المتبرك به سراً وإعلاناً. كان رحمه الله ذا مسكنه وديانة ملازما لدين الله غاية، توفي رحمه الله في رمضان قبل عيد الفطر بيوم أو يومين من عام 1033 وصلى عليه نحو أربعة آلاف. ودفن بـ(تيزكي) ...".

هكذا وقع اختلاف في سنة وفاته، إلا أن المختار السوسي يرجح سنة 1033 باعتبارها منقولة في *الوفيات* التي يأخذ منها صاحب *الطبقات*. ولم يُعرف تاريخ ولادته ولا الشيء الكثير عن أسرته مما جعل السوسي يقول : "هناك عالم بعقيلي يكبره من (تافراوت) يسمى علي ابن إبراهيم ولا أدري أهو والده أم لا...".

م. الحضيكي، *مناقب* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 5.

محمد حنداين

البعقيلي الحسن بن مبارك ← **الوَسّلامي**

البعقيلي، سعيد بن الطيب بن خالد الأكماري الأغرابوئي. ولد حوالي عام 1863/1280، وكان والده الطيب من العلماء الربانيين، له تسعة أبناء منهم صاحب الترجمة، وقد أتيح له ولبعض إخوته وأخواته أن يحفظوا القرآن الكريم، وكانت إحدى أخواته عائشة بنت الطيب (ت بعد 1925/1344) فقيهة أيضا (*المعسول*، 11 : 96).

أخذ سعيد عن خاله الأستاذ أحمد بن عبدالله بن عبدالوافي (ت نحو 1903/1321) من قُرا، البصري، وأحمد بن بلقاسم التاضكوكتي، وحماد بن بلقاسم وهو من هذه الأسرة نفسها (ت نحو 1904/1322)، بالاضافة إلى أخذه عن صالح بن أحمد التاضكوكتي بمسجد "إفْغَل" من (إغير مَلُولن).

وبعد أن جود القرآن الكريم انتقل إلى دراسة العلوم العربية والاسلامية فأخذ عن الفقيه محمد بن عمرو البعقيلي (ت 1933/1352) بمدرسة (موزايت) وعن الشاعر الفقيه داوود الگرسيفي (ت 1893/1311) وعن الأستاذ النحوي الفارس الرحالة محمد أُعَبُّو (ت 1913/1332) وبه تخرج.

على أنه رجع بعد ذلك وقبل حلول سنة 1893/1311 إلى بلدته "بإداك گمار" ليدرّس بمدرسة تانكرت إلى سنة 1901/1319 وانتقل بعدها إلى التدريس بمدرسة تاضكوكت وأناب عنه في تعليم الصبيان المسمى (الحاكي) متفرغا بعد ذلك إلى الإمامة، ولم يلبث أن انتقل إلى مسجد إليغ بتازروالت فجمع فيه بين القضاء والإمامة.

على أن ولعه بالإمامة ومحافظته على أوقات الصلوات في هذه البيئة السوسية لفت النظر إليه حيث إنه ليقيم الأذان بمنزله على منهج السنة عند حلول أوقات الصلوات، الأمر الذي جعل أهل الوادي في (إداك گمار) ينتظرون تسميعه في صلاة الصبح استمتاعاً بصوته، فكان تسميعه في ليالي الصيف الساجية ليسمع في كل جنبات الوادي المذكور، ويعزى ذلك إلى ما أُعطيه من حلاوة وإقبال على التهجد وقيام الليل على نهج السلف الصالح، مُفضّلا ذلك على الإخلاد إلى النوم شأن عامة أهل بلده. يضاف إلى هذا النشاط التعبدي الرفيع قيامه بتهيء الوَضوء لنفسه ولأهله في جوف الليل كما يشهد بذلك أحد معاصريه من الإلغيين (*المعسول*، 11 : 199) ولم يمنعه ذلك من التدريس، حريصاً على التبكير إلى المسجد ليلا، حاملا معه مصباحاً زيتياً بين الطرقات المتشعبة في ضفاف الوادي المذكور، مع ملازمة المسجد من الليل إلى الضحى، متعمداً أن يصل وقت المغرب بوقت العشاء مكوثاً بالمسجد كل يوم.

ومع هذا النسك أولع سعيد البعقيلي باقتناء الكتب بسبب ما بث فيه والده من محبة لها. فجمع مكتبة نفسية معظمها ما يزال مخطوطا (رجالات، 130 ؛ *المعسول*، 11 : 98). واشتهر، إلى ذلك، بفض المنازعات والنوازل، وقد أوتي من ذلك حظاً عظيماً مع نفوذ معنوي لا يجاري واتصال بالرؤساء المنفذين للأحكام في تلك النواحي، رؤساء (أيت الرخا) و(إليغ) مما تسبب له في بعض المتاعب بينه وبين آل المقدم عدي بن أحمد الكردوسيين (*المعسول*، 11 : 98).

ولعل هذه الشهرة والنفوذ الواسع مع ما نقل عنه من صلابة وقوة في المواقف أو غرت عليه صدور أعوان الحماية الفرنسية بعد احتلال سوس، فكان ذلك سببا في سجن ولديه : أحمد ومحمد، وتوقيفه عن التدريس بمدرسة تانكرت ثم توقيفه عن القضاء بعد أن كثرت الشكاوي الكيدية به، فاتخذ أحد شيوخ بلدته تخلُّفَ صاحب الترجمة عن المساهمة بدوابه في خدمة إجبارية ذريعةً للإيقاع به (*المعسول*، 11 : 99).

ولعل قوة بنيته وتمرسه بالعبادة وتنظيم أوقاته عوامل ساعدته على الصمود أمام الزوابع حتى إنه ليواجه أعماله اليومية حاسر الرأس مع الاقتصار على ما عرف ببلده من ألوان الطعام المحدودة العدد والنوع، مستغربا من أن يقدم إليه مرةً القائد أحمد بن محمد الإلغي أربع دجاجات في صحن واحد على خلاف عادة بلده سوس.

وكان مع ذلك شديد التوقع للأخطار، فكان يقول : إنني أرتعش ترقباً كلما ذهب الناس إلى سوق (أنزي) يوم الأحد حتى أعرف ما راج به.

توفي سعيد البعقيلي عام 1935/1354.

م. المختار السوسي، رجالات، 131، 137، 152 ؛ *المعسول*، 11 : 85، 86، 96، 97، 98، 99، 100.

البعقيلي، عبدالرحمان بن عمرو بن أحمد بن زكرياء الجزولي. من قرية (أيت الطالب) ببعقيلة، ومن بيت آل عمرو المجيد، يتصل نسبهم بآل سعيد بن عبدالمنعم الشرفاء فيما قيل (*المعسول*، 8 : 150) لم يذكر مترجموه شيئاً عن دراسته الأولية، وان كان يظهر من ثنايا ترجمته أنه صحب والده إلى فاس أثناء مرضه الذي توفي فيه، وأنه أوصاه بمغادرة فاس إشفاقا عليه (*المعسول*، 8 : 155).

وإذا كان والده عمرو قد اشتهر بالفقه والإفتاء والخطابة والقضاء فإن صاحب الترجمة ممن حالفهم التوفيق حتى وصف بالنبوغ في ميادين أخرى كاللغة والنحو والعروض والتصريف. يضاف إلى هذه الدراسات اللغوية علوم عقلية كالحساب والفرائض والتوقيت والمنطق، وأخرى كالتنجيم وعلم الأوفاق.

وقد استطاع بفضل رحلاته في طلب العلم من بلدته جزولة إلى كل من تارودانت ومراكش وفاس أن يتمكن من توسيع دائرة معارفه. ويظهر أن ما اتصف به من ذكاء وفطنة إضافة إلى ما تقدم كان له أكبر الأثر فيما بعد على تصديه للتأليف في عدد من الحقول المعرفية. واشتهر بلقب (الجرادي) نسبة إلى حشرة الجراد المعروفة وذلك في قصة طريفة : فعندما رأى المنصور السعدي (ت 1603/1012) من دلائل علم التنجيم شيئاً كأنه جيوش مقبلة إليه هاله الأمر وظنها جيوشا حقيقية تزحف إلى حاضرة مراكش من مكان مّا، فكاشف بهذا صاحبَ سره عليّ بن سليمان بن عبدالله التملي (ت. بعد 1500/999) فما كان من هذا الأخير إلاّ أن كاتب أخاه بسوس أبا بكر بن سليمان (ت. حوالي 1602/1010) الذي كان في هذه الفترة يدرس على صاحب الترجمة فتجرأ وسأل أستاذه عن هذا الأمر : وكان الأستاذ بارعا في علم الهيئة والتنجيم والأوفاق، فنظر فرأى أنها مجرد فرق من الجراد ستطبق على أنحاء من المغرب، فلما وصل الخبر إلى المنصور وعلم بجلية الأمر سرّي عنه وأمر باستقدام صاحب الترجمة إلى مراكش حيث قُدر له البقاء حتى دفعه الوباء إلى الهجرة عنها.

وقد انتصب في هذه المدة لتعليم علم التوقيت بحاضرة السعديين، ثم انتدب إلى الإشراف على تنظيم الأوقات الشرعية بمساجد تارودانت : كمنارة القصبة والجامع الكبير، فوضع بها رخامات نقشت عليها الساعات والأصابع المبسوطة والسموت وخط الزوال وخط الظهر والعصر وخط آخر العصر لمدينة تارودانت وما وافقها في خط العرض، مع تركز مسمار في وسط كل رخامة يعتبر بظله مع كل خط من تلك الخطوط حتى يهتدي بذلك مؤذنو المساجد إلى أوقات الصلوات النهارية بشكل مضبوط (*المعسول*، 8 : 153).

أما ماذكر من أن لقبه (المجرادي) بالميم نسبة إلى المنظومة المسماة بجمل المجرادي فلم يصح، لأن صاحب هذه المنظومة هو أبو عبدالله محمد بن محمد السلوي المعروف بالمجراد (ت 778/ 1376). وصاحب الترجمة وان اشتهر بقول الشعر المليح إلا أنه لم ينسب إليه أنه نظم في الجُمل. ومن جيد شعره قوله :

تسفّه بعضُ النـاس كِبراً ونخوةً ... وجاروا وعمَّ الناسَ منه فسادُ

فيا أسفي ! إن الأفاضلَ قد مَضوا ... فقام علينا الأرذلون فسادوا

وتعتبر الرياضيات والفلك والمنطق وعلم الأوفاق مواد تخصص المترجم، وفيها ألف شرحه لكتاب ابن البناء العددي المراكشي (1326/721) المسمى *بالجسارة في تعديل الكواكب السيارة* والذي عليه عدة شروح أخرى غير شرح البعقيلي صاحب الترجمة، وقد وصف شرح البعقيلي بأنه فتح رموز هذا الكتاب وأوضح مسائله.

وشرح *القصيدة الموضحة* لعبدالرحمن الكَادِيري (ت 1435/839) في علم التوقيت والهيئة. وشرح *روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار* لعبدالرحمان الكَادِيري المتقدم. وله أيضاً *أرجوزة في المنطق* تصدّى لشرحها بعد ذلك عالم سوسي من الأسرة اليعقوبية الأدوزية يبُورك بن عبدالله بن يعقوب السملالي (ت 1648/1058) وسماها *الدّريّ المشرق في علم المنطق*.

ومن هذا الباب أيضاً اهتمامه بعلم الأوفاق : فنذكر أن بعض تلامذته قرأ عليه بعض شرح الجزنائي في علم الأوفاق (وهو المسمى بعلم سرّ الحرف وعلم الجدول).

فيما عدا هذا النشاط العلمي يظهر أن غلبة الانقباض على طبعه صرف عنه معظم الطلاب، فلم ينقل من أسماء تلامذته إلا ما كان من مؤسس الأسرة العلمية الأدوزية عبدالله ابن يعقوب (ت 1616/1025) الذي قرأ عليه مع علي بن أحمد الرسموكي (ت 1662/1073) بعض شروحه الآنفة الذكر، وكفاك بهما ! وإن كان الخلاف في عدد الآخذين عنه قائماً بين مترجميه (*المعسول*، 8 : 154، 155).

ووقع الخلاف أيضا في محل وفاته : فقيل إنه توفي بمسقط رأسه بعقيلة في قرية أيت الطالب، وقيل ببلدة أغرابوا بجزولة، ولعل الرواية الأخيرة أصحّ إذ رجحها الحضيكي صاحب *الرفيات* ناقلا عن أحد أبناء المترجم مباشرة، (*المعسول*، 8 : 154). ووقع شيء من الخلاف أيضا في سنة وفاته، فقد صحح ابن إبراهيم في *الإعلام* (8 :117) ما في *نشر الثاني* (1 : 110) من أن وفاته عام 1611/1020.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 117 ؛ م. المختار السوسي، سوس، 186؛ *رجالات*، 31 ؛ *المعسول*، 8 : 153، 155 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 159، 573، 583، 585.

البعقيلي، عبدالكريم بن عبدالواحد بن عمرو الأغرابوني الأكماري، اشتهر بالعلم والرآسة وحفظ كتاب الله تعالى والاهتمام بالقراءات والاشتغال بالنوازل والرحلة في طلب العلم خارج سوس.

فوالده ممن عاصروا الشيخ الشهير أحمد بن موسى الجزولي (ت. 1563/971) وحضروا وفاته وشاركوا في غسله وكفنه والصلاة عليه إماماً (*المعسول*، 11 : 91).

وربما تكون الرابطة بين صاحب الترجمة وبين ما قيل من أن والده عبدالواحد بن عمرو قد دُفن بمراكش واضحة إذا علمنا أنه كُتب له أن يسكن مراكش مدة من الزمان وأن يبقى بها إلى حين أدركته الوفاة أواخر القرن الحادي عشر (17م).

والعجب أن ابن إبراهيم صاحب *الإعلام* لم يذكره ضمن من حل بمراكش وأغمات من الاعلام، كما أغفل ذكر والده.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 81، 91، 132 ؛ *رجالات*، 30.

البعقيلي، عبدالله بن محمد البوشيكري من أسرة البوشيكريين الشريفة المشهورة في وادي (إداك گمار) ببعقيلة، انتقل أحد أجداده من (تُودما) بقبيلة أيت صواب فنزل في قرية (بوشيكر) فنسبت الأسرة إلى هذه القرية. واشتهرت بالعلم والتدريس وما إلى ذلك. وذكر صاحب *المعسول* من بين رجالها المترجم لهم حوالي خمسة وأربعين عالماً أشهرهم عبدالله هذا المولود قبل 1766/1180.

أخذ عن الأستاذ أحمد الهوزيوي (ت 1799/1214) نزيل تارودانت المؤلّف الشهير، وكان مبرزاً في ميدان الحديث الشريف والفصل في النوازل والاهتمام بسيرة الرسول عليه السلام. وأخذ عنه، في مقدمة من أخذ، أبناؤه الستة. وعبدالله بن سعيد الايعداني المجاطي (ت بعد 1844/1260) النوازلي الماهر. وبالإضافة إلى ما تقدم شغف عبدالله البعقيلي بتدريس *صحيح البخاري* وأكب على سرده في المناسبات وغيرها حتى وصف بأنه كان قائما على السنة راميا للفخفخة من ورائه. يدل على ذلك قصة تزويجه ابنته إلى أحد علماء الناحية بطريقة سهلة مقتصراً على الحد الأدني في الصداق حتى أصبح ذلك مثلاً يضرب بسوس.

ويظهر أن أخذه أمور الدنيا ببساطة الشريعة شجع الناس للاحتكام إليه في النوازل من قبيلة مجاط، فوصف بالنزاهة والنظر السديد فيها (*رجالات*، 134).

وقد جمع إلى ذلك كله الإقبال على التعليم، ومن العجب أن هذه الأشغال المتعددة لم تكن لتجعله بالعالم الميسور الحال، فقد طلب مرة من العالم الشهير الطيب بن خالد الأغرابوني أن يتنازل له عن مدرسته بسبب أنه لا يملك حتى قوت يومه، وقد دفعته الحاجة أيضا إلى الاتصال بأحد الشرفاء السملاليين شاكياً إليه الحاجة إلى النفقة على أبنائه الطلبة حتى لا يضيع العلم بتضييعهم، فأهداه حمارة للركوب لقب بسببها صاحب الحمارة.

ومن شدة تعلقه بأبنائه الكثيرين وحدبه عليهم أنه كان يصر على استصحابهم عند الدعوة إلى طعام، ووقعت له نادرة بذلك تُحكي (*المعسول*، 11 : 144). ومن نوادره في إحدى المناسبات قوله على البديهة باللسان البربري ما معناه (كسكس بلحم أفضل من عصيدة) فأرسلها مثلا. يضاف إلى ذلك المثل الذي أطلقته العامة بعد أن سمعوا بتزويج ابنته بالطريقة آنفة الذكر (هل تريد مثل عرس البوشيكري) على سبيل الاستغراب.

توفي عبدالله البعقيلي عام 1851/1270.

م. المختار السوسي، *رجالات*، 134، 185 ؛ *المعسول*، 11 : 134، 144، 146.

البعقيلي، علي بن أحمد الرسموكي، تنتمي أسرته إلى المولى إدريس الأكبر على ما صححه صاحب *المعسول* (11 : 201) مخالفا ما ذهب إليه الحضيكي من نسبه إلى رجال رگراگة. وترجم لنحو أربعة عشر عالما منهم اشتهروا بالتدريس والفقه والافتاء وتعاطي الأحكام في النوازل، كما اشتهر بعضهم بالقراءات والمشاركة في التأليف مع مكاتبة بعض أعلام السياسة لهم.

ولد علي بقرية إغشان برسموكة إحدى قبائل وَلْتيتة، وكان أحد أجداده المسمى زوزان بن يعلى المولود برسموكة قد انتقل من تامْدُولْت إلى تافْراوت فاستوطنها، ثم إن بعض أولاده انتقل إلى قرية إغشان مسقط رأس المترجم.

رحل علي في طلب العلم إلى تارودانت مع العالم الشهير جد الأدوزيين عبدالله بن يعقوب (ت 1643/1052) وصحبه في الأخذ عن عدد من الشيوخ أشهرهم أبو مهدي عيسى السكتاني (ت. 1652/1062).

وبعد أن اكتمل تكوينه العلمي انتقل إلى قرية "أفلاوگنس" برسموكة للتدريس، فأنشأ بها مدرسة، وولد له فيها أبناؤه الثلاثة : محمد وأحمد ويحيى، كما يستفاد من تقييد أورده السوسي في أولاد المترجم له وفروعهم وأصولهم (*المعسول*، 11 : 203). لازم صاحب الترجمة التدريس بهذه المدرسة نحوا من عشرين سنة، فرحل إليه الطلبة من كل ناحية وأخذوا عنه مختلف المواد العلمية التي كانت تدرس بسوس في هاته الفترة. كما اشتغل بالإفتاء والنشاط الأدبي نظماً ونثراً، فحصلت له بسبب ذلك شهرة عظيمة جعلت بعض أمراء سوس آنذاك من أمثال علي بودميعة يكتب إليه (تحريراً) له ولأبنائه من بعده من جميع التكاليف المخزنية مع وضع أعشار وزكوات الناحية رهن إشارته لتُصرف على طلبته (*المعسول*، 11 : 204).

كما يستفاد من مكتوب آخر من الأمير المتقدم الذكر أن صاحب الترجمة وبنيه وطلبته معفون من المشاركة في (الحركة) و(الخرص) و(الإدام).

أما الآخذون عن علي البعقيلي في هذه الفترة فيذكر من بينهم ولده محمد آتي الترجمة، وأحمد (ت. 1662/1073) ويذكر في مجال الإفتاء والقضاء خاصة (*المعسول*، 11 : 215).

أما مؤلفات المترجم فمنها *شرح مبسط لجمل المجراد* محمد بن محمد السلوي (ت 1376/778)، *وشرح لألفية ابن مالك* (ت 1273/672) *وكتاب في حقائق الإعراب*، *وشرح على الكبرى والصغرى* للإمام محمد بن يوسف السنوسي

(ت 1409/895). وقد ذكر الرسموكي صاحب *الوفيات* أنه (كان حيا سنة 1683/1095) وأنه حضر إحدى مجالس صاحب الترجمة ذات ليلة فصادفه يشرح للطلاب *عقائد السنوسي* المذكور مع *متن السلم* في المنطق لعبد الرحمان الأخضري (ت. 1575/983) كما ينسب إليه *شرح فرائض ابن بامون* قاسم بن أحمد التليدي الأخماسي (معجم *المطبوعات*، 371).

أما قول المختار السوسي : إنه جمع كلمات من الأموات وشرحها فيفهم منه أنه قد يكون ذا روحانية خاصة مكّنته من الاتصال ببعض الأشخاص وتسجيل كلماتهم (*المعسول*، 11 : 202) كما قد يفهم منه عكس ذلك وأنها كلمات من أفواه رجال ماتوا وتركوا كلمات تستحق أن تسجل فقام صاحب الترجمة بذلك، والمسألة تحتاج إلى تمحيص.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 204، 213 ؛ *سوس العالمة*، 184 ؛ إ. ابن الماحي، *معجم المطبوعات*، 371 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 583.

البعقيلي، عمرو بن أحمد المفتي، من بيت يتصل بنسب آل عبدالنعيم الشرفاء فيما قبل (*المعسول*، 8 : 150) وهو جد لمجموعة من كبار العلماء الذين عدّ منهم صاحب *المعسول* نحو عشرين.

أخذ عن الإمام ابن غازي وطبقته بفاس حين رحل إليها، فأتيح له الاطلاع على كتب هذا الأخير في التاريخ والرجال والحساب والفقه والقراءات ورسم القرآن والنحو، إلا أنه غلبت عليه الميول التشريعية فكانت أكثر دروسه في الفقه. على أنه مارس الخطابة مدة من حياته وهو بتارودانت. ويتضمن *المعسول* وثيقة منقولة من خطه يتحدث فيها عن معاناته خطيبا بهذه المدينة التي كانت عاصمة للمغرب في بعض الفترات، وأتبعها بقصيدة متوسطة الجودة هي إلى شعر الفقهاء أقرب. (*المعسول*، 8 : 152).

وقد اشتهر في ميدان الفتوى خاصة في بلدته الأولى "بعقيلة" ولكثرة دَوَران الافتاء عليه دون غيره عُرف بعمرو المفتي، وهو ممن بَحَثَ في *ألواح سوس* المسماة *ألواح جزولة* المكتوبة باللغة العربية ولكنها لا تخلو من اللحن والدخيل من الألفاظ الشلحيّة السوسية. وتدور في معظمها على تحديد الغرامات الصارمة المطبقة على التجاوزات الجنحية والخيانات. وكان عمرو لا يرى بأساً في اعتماد هذه الألواح ما دامت لا تصادم القواعد الشرعية مع استجابتها في الوقت نفسه للمتطلبات والتقاليد المحلية. وله في هذا الصدد *لوح* نموذجي وضعه لقبيلته بعقيلة يحمل تاريخ جمادى الثانية عام 964/أبريل 1557 بناء على قوله تعالى : «*وداوُودَ وسليمان إذْ يَحْكُمان في الحرث إذْ نَفَشَتْ فيه غنم القوم*». (الأنبياء، 78) وعلى مبدإ الغرم لما أتلف مثلاً أو قيمة المنصوص عليه في الشريعة الإسلامية، مجتهداً في تحديد المبالغ والعقوبات المالية بحسب ما تتلفه الماشية من الأشجار، سيراً مع خطة الألواح من ذكر الجنايات وعقوبتها، في مثل من دخلت غنمه أو أبقاره بستاناً للغير وأتلفت له شجرة التين أو الهرجان "أرگان" فيغرم درهما كبيراً عن الشجرة الجيدة ودرهما صغيراً عن المتوسطة ونصف درهم عن الصغرى، مع تفصيلات في وسائل الإثبات والإلزام (راجع نص اللوح في *المعسول*، 8 : 151، 152).

ومن آثاره الفقهية المخطوطة *تقييد* على قول خليل : "وخصّصت نية الحالف وقيدت" وهو بخزانة أحفاد صاحب الترجمة ببعقيلة. كما ذكر له صاحب *المعسول* شرحاً على متن فقهي لم يذكر اسمه (*سوس العالمة*، 179) وكذا *أجوبة فقهية مخطوطة*.

وقد مكث صاحب الترجمة أواخر عمره بمدينة فاس إلى حين مرضه الأخير فأوصى أحد أولاده الثلاثة المتقدم ذكرهم بمغادرة هذه المدينة إلى سوس بمجرد دفنه، وقد اعتقد أبناؤه أن ذلك منه على سبيل المكاشفة، فما كان منهم إلا أن نفذوا وصيةَ والدهم بمجرد وفاته.

ع. التمنارتي، *الفوائد*، مخطوط خ. ع. 38 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات سوس*، 18 ؛ *المعسول*، 8 : 150، 155 ؛ *سوس العالمة*، 179 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 5 : 336 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 712 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 584.

البعقيلي، محمد بن إبراهيم التيفروني المعروف بالطالب، إليه تنسب قرية (أيت الطالب) ثالثة المراكز الشهيرة ببعقيلية، وهو جد لأسرة من الأحفاد العلماء والقراء الذين تسلسل فيهم العلم أجيالاً، واستقروا فيما بعد بقرية (بونعمان) غربي مدينة تزنيت بحوالي 15 كلم. وقد ذكر منهم صاحب *المعسول* (12 : 279، 280) خمسة عشر عالما.

وقد قال صاحب *بشارة الزائرين* عن الطالب البعقيلي إنه رسموكي الأصل، ورسموكة إحدى القبائل الكبرى الثلاث المستقرة بجبال "ولتيتة" إلى جانب بعقيلة وسملالة. (*المعسول*، 12 : 280).

أما سبب لقبه بـ "الطالب" دون غيره من العلماء بهذه الناحية، فإنه لما خرج الشيخ محمد بن إبراهيم التمنارتي من بلدته تمنارت مع بعض أبنائه وتلامذته ومريديه لمجاهدة البرتغال في البريجة (الجديدة) مر على قرية (أيت فروين) محل التدريس الذي كان قد اختاره صاحب الترجمة فتسامع به الطلبة فأخبروه فخرج مسرعا حافيا يطأ الشوك بدون شعور فرحاً واهتماما بمقدم هذا الشيخ العالم المربي المجاهد، فلما التقيا، وكان الشيخ التمنارتي على دابته وهو في سن متقدمة، أراد صاحب الترجمة أن يقبل يده على العادة، فأنكر عليه ذلك وقال له : مسألتان إن لم تنته عنهما فلا أعرفك ولا تعرفني : تقبيل اليد وكلمة (سيدي فلان) فهما محدثتان في هذه البلاد. (*المعسول*، 12: 279 ـ 280). ويذكر أن أول من قدم بلقب (سيدي) الذي أطلق على العلماء آنذاك، إلى سوس هو الحسن بن عثمان التملي آتي الترجمة (ت. 1525/932) شيخ التمنارتي المذكور وكان تخرج بفاس،

ولم يكن لقب العلماء بسوس إلا (الطالب فلان) أو (عمي فلان) (*إيليغ قديما وحديثا*، 267، هامش 534).

هذا ويُذكر صاحب هذه الترجمة من بين أصحاب الشيخ الشهير أحمد بن موسى السملالي (ت. 971/1563). وفي هذا السياق ينقل محمد بن أحمد المرابط البعقيلي، وهو تلميذ صاحب هذه الترجمة، أن أستاذه هذا كان قد أفتى للطلبة بعدم جواز السلام على تاركي الصلاة من المسلمين، فأوقع ذلك التلميذ في حيرة من أمره، فلما كانوا معه في إحدى زياراتهم للشيخ أحمد بن موسى، وبعد أن عانق صاحب الترجمة شيخه في مشهد حافل بالشوق، وصافح الشيخ التازروالتي بقية الحاضرين قال موجها الخطاب في الحقيقة إلى تلميذه صاحب الترجمة : جميع من لقيتموه فسلموا عليه كان من المصلين أو من غيرهم، فكان هذا الجواب بمثابة كشف لحيرة التلميذ.

ويذكرمن بين تلاميذ الطالب البعقيلي أيضاً عبدالله بن عمر الماسكيني وقد وصفه زميله في التلمذة صاحب *مناقب البعقيلي* (ص. 34) بالصلاح والعلم والعمل.

أما الجانب الأكثر لفتاً للنظر في سيرة المترجم، بالاضافة إلى اهتمامه *بمختصر خليل*، فهو عكوفه على *كتاب سيبويه*. ورغم أن الكتاب طويل النفس صعب العبارة عويص المسائل فقد أكب عليه صاحب الترجمة حفظا واستظهاراً، وبذلك يكون - إن صحّ - آخر حفاظ هذا الكتاب.

توفي محمد الطالب البعقيلي عام 976/1569.

م. الحضيكي، *طبقات*، 2 : 7 ؛ م. البعقيلي، *مناقب*، 8، 9 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 12 : 279، 280 ؛ *رجالات*، 18 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 585.

البعقيلي، محمد بن **أحمد** بن عبدالواسع، من أسرة الأغرابوئيّين الفضلاء، وفيهم علماء ورؤساء يرتفع نسَبهم إلى الحسن بن علي بن أبي طالب وتطفح تراجم أسرته هذه بالأعمال العلمية والمآثر، وقد ذكر منهم صاحب *المعسول* نحو سبعين رجلا (11 : 81، 133). ولم نجد في ترجمته من لقبّه بالصبّاغ إلاّ ابن سودة في *دليل مؤرخ المغرب الأقصى* (ص 266) وهو نفس المترجم الوارد عن محققّي مناقب البعقيلي باسم محمد بن أحمد المرابط، وذكر بهذه النسبة نفسها في *سوس العالمة* (ص 185) وربما أسقط بعضهم اسم والده أحمد فسماه محمد بن عبدالواسع، ونسبه بعضهم إلى جدوده الأغرابوئيين بدل البعقيليين. ومهما يكن فإنه غير محمد بن أحمد البعقليلي شارح *المرشد المعين*.

أخذ محمد البعقيلي في صغره عن شيوخ الإقراء أمثال محمد بن محمد اخنافو البعقيلي وهو من الموصوفين بالفضل وإتقان التلاوة ومعرفة أحكام القرآن، حذق عليه القرآن حذقتين ووصفه بإجابة الدعوة. (*مناقب البعقيلي*، 13). كما أخذ تجويد القرآن، وهو شاب، عن الشيخ العابد عمه يحيى بن محمد البعقيلي الاغرابوئي (ت. أوائل ق. 17/11م) بمسجد أزرو الذي قضى به الشيخ المذكور أكثر من ثلاثين سنة. كما أخذ القراءات عن الإمام محمد بن يوسف الترغي (ت. 1595/1004 تقديرا) ويظهر أن شيخه هذا قدم من فاس إلى إليغ بتكليف من السلطان السعدي عبدالله الغالب بالله للبحث عن شيخ مرب يأخذ عنه الأذكار والسلوك الصوفي، فالتقى بأستاذ صاحب هذه الترجمة قطب سوس الكبير أحمد بن موسى السملالي (ت. 971/ 1563) في قصة ذكرها صاحب الترجمة في *مناقبه* (ص 29، 30) (انظر *إيليغ*، 22، هامش 101).

وأخذ صاحب الترجمة بعد ذلك *مختصر خليل* وختمه على أستاذه محمد بن إبراهيم الطالب البعقيلي، وكذا *ألفيه ابن مالك* حفظاً في اللوح وتقريراً في الكتاب.

وقد ذكرمؤلف *المعسول* أن صاحب الترجمة صحب بالإضافة إلى من ذكر الشيخ القطب أحمد بن موسى وعبدالرحمن التيلكاتي (ت. 1599/1008 تقديراً) وعبدالله بن سعيد الحاحي (ت. 1903/1012).

ويظهر أن المترجم رحل إلى أسرير بالجنوب الصحراوي وبقي به نحو أربع سنوات. ساعدته هذه الاتصالات والرحلات المحلية بالاضافة إلى ما رُكز فيه من حب للصلحاء وحرص على زيارتهم، على التمكن في الفقه والتصوف، وجمع نحو ثمانين ترجمة لرجالات جزولة وغيرهم، ولم يُسبق إلى هذا الصنيع من معاصريه.

وقد طبعت *كراسة البعقيلي* في رجالات جزولة وغيرهم باسم *مناقب البعقيلي*، وهي التي ترد أيضاً تحت اسم *طبقات بعض الأعلام*. والكتاب عبارة عن تراجم تتراوح ما بين أسطر قليلة وما بين صفحة ونصف ولا خطة للكتاب في ترتيب التراجم وإن كان أشار إلى أنه يبدأ بشيوخه ثم يُتبعهم بذكر مَن تيسر له الاطلاع على حياتهم مشاهدة أو قراءةً مع الاهتمام بوفياتهم، وهو ما لم يلتزم به إلاّ في القليل النادر. على أنه صرح في أثناء الكتاب باهتمامه ببلديّيه البعقيليين بعد ذكر شيوخه وذكر من صحبهم أو اتصلوا بشيوخه، ثم أتبعهم برجال الفحص، ثم برجال رسموكة وسملالة وما يليهما من المتقدمين ثم من المتأخرين مختتما برجال تمنارت.

وقد تفرد ابن سودة بذكر تاريخ وفاته سنة 1665/1072.

م. البعقيلي، *مناقب*، 8، 11، 13، 17، 25، 29 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 266 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 129 ؛ 12 : 55 ؛ *رجالات*، 25، 30، 38، 51 ؛ *سوس العالمة*، 185، 193، 84 ؛ م. حجي، *الحركة*، 161، 603.

البعقيلي محمد بلعيد ← **بلعيد** (الحاج -) (الرايس)

البعقيلي، محمد بن **علي** بن أحمد الرسموكي، المكنى أُوباها. تنسب أسرته إلى المولى إدريس الأكبر كما تقدم في ترجمة والده.

أخذ عن والده بمدرسة أفلاً وكُنْس ما تيسر له من المواد العربية والإسلامية، كما قرأ عليه في الغالب، شروحه على *ألفيه ابن مالك*، *والجمل* للمجراد السلاوي، وكبرى *السنوسي*

وصغراه وغيرهما من المواد التي كانت تدرس في عهد والده بالمدرسة المذكورة.

وبعد أن أتم محمد البعقيلي دراسته رجع إلى مسقط رأس والده برسموكة حيث فضل السكنى بالمكان المسمى "عنق تكنفل" وبنى هناك مدرسة تلقّى فيها مكاتبات من قبل أهم الشخصيات السياسية في عصره، أمثال المولى الرشيد العلوي (ت. 1670/1081)، الذي كتب إليه ظهير (تحرير) له ولإخوته ولأولادهم وعمومتهم، مع الأمر بتوقيرهم واحترامهم وأن يُحملوا على سبيل البر والإكرام ولا يُمسُّوا بسوء جزاءً لهم على طريقتهم، ويحمل هذا (التحرير) تاريخ 1670/1081. (*المعسول*، 11: 207، 208).

وقد أقطع المولى الرشيد في السنة نفسها صاحب هذه الترجمة أرضا (فيضا) بالموضع المسمى اسمَنْ بين تكدُوت وأتراض بحدود سماها حبساً عليه وعلى أولاده وأن يعمل بمقتضى ذلك (*المعسول*، 11: 208).

كما أن المولى إسماعيل، فيما يظهر، كتب إليه سنة 1671/1082 تحريراً لطلبته أن لا يحبسوا في "نائبة" ولا في غيرها ما داموا "مسافرين" عنده. ويستفاد منه أن طلبته كانوا يجمعون بين حفظ القرآن الكريم ودراسة أمهات المواد العلمية (*المعسول*، 11: 209).

ومما يؤكد اتصاله بالمولى إسماعيل ومكاتبته إياه وجود خطاب إسماعيلي آخر إلى صاحب هذه الترجمة سنة 1087/1676 يجيب فيه المترجم عن رسالة بعث بها إليه صحبة ولده يخبره فيها بحال القرية والمدرسة والناحية والسكان من المحبة له والرعاية لجانبه، ويحمل هذا الخطاب تاريخ 20 صفر من السنة المذكورة قبله.

ويظن صاحب *المعسول* أن الرسالة التي وجهت إلى صاحب الترجمة في شأن (حركة) يعتزم صاحب الخطاب القيام بها إلى سوس ناحية (أيت صواب) و(رسموكة) قد تكون من قبل المولى إسماعيل يطلب منه أن يتدخل لإقناع القبائل المشار إليها وحملهم على القدوم إلى السلطان وعليهم الأمان، وإلا فسينتقم منهم (*المعسول*، 11: 209).

وفي سنة 1670/1090 تلقى محمد البعقيلي خطاباً يظن أنه من المولى إسماعيل أيضاً يشعره فيه بمحبته وتقديره لدوره في القبائل المجاورة له وينعم عليه فيه بالجبايات المخصصة لبيت المال من قبل أهل ولتيتة (بعقيلة وسملالة ورسموكة) وأحوازها ويذكر فيها أماكن بعينها يُقطعه إياها إقطاعاً كلياً.

وفي سنة 1681/1092 وصله (تحرير) آخر له ولطلبته يتضمن توقيرهم من قبل القبائل الساكنة بجبال هلتيتة (يقصد ولتيتة). وفي السنة نفسها وجه أحد الأمراء خطاب (تحرير وتوقير) إلى صاحب الترجمة يُحيل إليه زكاة وأعشار قبائل ولتيتة كلها على طلبته ومدرسته، وقد نص فيه على أسماء بعض القواد المكلفين بتلك الناحية.

وفيما يتعلق بوفاته يظهر من الوثائق الآنفة الذكر أن آخرها زمنا ينتهي إلى سنة (1681/1092) مما يدل على أنه عاش إلى أواخر القرن الحادي الهجري(17 م). وقد وقع اضطراب في تحديد تاريخ وفاة محمد البعقيلي والمؤكد أنه توفي بعد 1681/1092.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11: 203، 209.

البعقيلي، يحيى بن إبراهيم صهر الشيخ الشهير أحمد بن موسى دفين تازروالت. لازم الشيخ وصاحَبَه، لذلك يرد ذكره بين ثنايا تعداد مناقبه كأحد الرواة المباشرين عن الشيخ الناقلين عنه شفاهاً أو كتابة.

كان يحيى حاضراً حين قبّلت إحدى الأعرابيات لحية الشيخ تبركاً، فبكى الشيخ متأثراً، وسأله صاحب الترجمة عن سبب ذلك فأجابه الشيخ مظهراً التواضع لله تعالى.

ونقل أيضاً كلام الشيخ محمد بن إبراهيم التمنارتي (ت. 1564/971) وشهادته في صهره الشيخ السملالي، وذكر أيضا قصة الشيخ السملالي مع أحد طلبته المتوفين وكيف جلس بجانب قبره منصتاً. كما ذكر أيضا عن صهره المشار إليه أنه بقي ثمانية عشر عاماً وليس على جسده ثياب منسوجة، وعدّ ذلك من كراماته.

يوصف صاحب الترجمة عموما بالعلم والعمل مع الورع، وقد دفن بعد وفاته في ناحية المقبرة الخاصة بالشيخ أحمد بن موسى مع أبنائه.

م. البعقيلي، *مناقب البعقيلي*، 8؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 11: 44؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 601، 617.

البعقيلي، يحيى بن محمد الونكضائي نسبة إلى (انكضا) ببعقيلة، من الشرفاء الوَسْلاميين. وهو غير يحيى بن محمد البعقيلي المشهور بالإقراء. (*مناقب البعقيلي*، 12).

ويظهر من الشيوخ الذين أخذ عنهم يحيى هذا مدى المكانة العلمية التي وصل إليها وهو تلميذ قبل أن يشرع في التأليف. فمنهم أحمد الصوابي (ت. 1736/1149) العلامة شيخ الجماعة المرشد بأگدال ماسة، وإبراهيم بن محمد بن عبدالله ابن يعقوب السملالي (ت. 1747/1160)، والشيخ أحمد بن مَحمد بن محمد ابن ناصر الدرعي (ت. 1717/1129). كما أخذ عن مسعود المزرگوني السملالي (ت. بعد 1840/1156) بمدرسة بومروان. وقد استقر صاحب الترجمة بهذه المدرسة وتصدى للتعليم بها حتى وقع الوباء سنة 1749/1163. فاضطر إلى الرجوع إلى داره بأگلاي حيث توفي ودفن بالمقبرة المجاورة للمسجد، وعُلّم قبره بحجارة بيض (*المعسول*، 12: 257).

تعدد نشاط يحيى البعقيلي ما بين خطة التوثيق والإفتاء، وقد وقف صاحب *المعسول* على بعض فتاواه، وهي تدل على مدى توفيقه في هذا الاتجاه. كما اشتغل إلى جانب ذلك بالقضاء مضيفاً إليه التدريس، إذ يُذكر من بين تلامذته محمد المرواني السوسي.

أشهر مؤلفات يحيى البعقيلي شرح الارجوزة التعليمية المشهورة في سوس *بمنظومة الزواوي* والمتداولة بين طلبة

سوس إلى مدى قريب، وهي في نحو مائة بيت وخمسين بيتا في إعراب الجمل وبعض الأدوات والحروف. وتعتمد مصدراً للتدريس متكاملة مع شروح *الآجرومية* التي اقتصرت على جانب من العربية لا يتم إلاّ بالأرجوزة هاته، وقد اعتمد السوسيون فيها على شرحين محليين أحدهما لأحد معاصري المترجم محمد إبراهيم الركني (ت. 1756/1170) والثاني لصاحب الترجمة وسماه *المنهل العذب الحاوي شرح أرجوزة الامام الزواوي*، سار فيه على نشر الأبيات وتطريزها مع تفسير المضمّن والاستشهاد بالأمثلة وإعراب الأبيات غالبا والإشارة إلى بعض الخلافات بدون ترجيح إلاّ في القليل محيلا على بعض مصادره التي لا تتجاوز في الغالب *مغنى اللبيب* لابن هشام، و*شرح منظومة المَجْرادي* ليبورك السملالي، و*شرح القواعد* للسوسي.

وقد طبع الشرح المذكور طبعتين، أولاهما بالمطبعة العربية بالدارالبيضاء سنة 1936/1355 في 150 صفحة، والثانية بمطبعة الأمنية بالرباط سنة 1952/1371 في 120 صفحة، وتداول الطلبة بسوس في هذه المدة الشرح مطبوعا ومخطوطا أثناء دراستهم للمنظومة المذكورة بالتصحيح والتعليق والاضافة.

أما الأثر الثاني للمترجم فيتعلق بجانب صوفي بحت اذ يُنسب إليه شرح *بعض الأدعية التي وضعها الحسن اليوسي* (ت. 1691/1102) ذكر صاحب *سوس العالمة* ص 191 أنه وقف عليه.

ومما يتصل بنشاط صاحب الترجمة في النظم والقريض *قصيدته الرائية في رثاء شيخه إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن يعقوب* (ت. 1747/1160) وهي دون شعر الفقهاء بكثير (*المعسول*، 12 : 253).

توفي يحيى البعقيلي عام 1749/1163.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 12 : 252، 254 ؛ *سوس العالمة*، 191 ؛ *رجالات*، 58 ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *معجم المطبوعات*، 176، كلية اللغة العربية بمراكش، *بحث منجز حول المنظومة وصاحب الترجمة* (مخطوط) بخزانة الكلية.

البعقيلية، تاونّو الأحكاكية. يتصل نسبها بالشرفاء الأحكاكيين المذكورين في نسب ولدها الشيخ الشهير أحمد بن موسى السملالي التازروالتي (ت. 1563/971) ذي الشهرة الخارقة والكرامات المتواترة والمواقف الغريبة، وفي أحفاد السيدة تاونّو نحو اثني عشر عالماً وأربعة أمراء وثمانية رؤساء حكام (رجالات، 24).

أما زوجها موسى بن عيسى والد الشيخ أحمد فمازال قبره ظاهرا ملحوظاً بسملالة، مثلما هو الأمر بالنسبة إلى صاحبة الترجمة والدة أحمد بنموسى. وقد نسب الناس الصلاح إلى الوالدين المذكورين إما على سبيل الاستصحاب لحالة ولدهما الشهير أحمد، وإما على سبيل الشرف المتسلسل في الأسرة قبله.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 3 : 207 ؛ 12 : 6 ؛ 18 : 402 ؛ *إيليغ*، 19 ؛ *رجالات*، 24.

البعقيلية، عائشة بنت الطيب الأكمارية، من بيت الشرفاء الأغرابوئيين ووالدها الطيب بن خالد (ت. 1893/1311) صوفي ناسك متوسط في التدريس، ولها إخوة ثلاثة علماء أشهرهم سعيد بن الطيب البعقيلي.

تزوجت صاحبة هذه الترجمة محمد بن عبدالله بن عبدالوافي البعقيلي الأكماري الأستاذ المجوّد العارف بالقراءات والنوازل. وتذكر في ترجمته قصة احتكام عالمين سوسيين مشهورين إليه ورضاهما ونزولهما على مقتضى ما حكم به (*المعسول*، 11 : 87). ولمّا كانت زوجُه صاحبة الترجمة قد عكفت على *مختصر خليل* المترجم إلى تاشلحيت من قبل محمد بن علي أوزال (ت. 1748/1162) حتى أتقنته حفظاً واستشهاداً، فقد ساعدتها هذه الميزة على تقديم المعونة لزوجها فيما يعرض له من أمور الفتوى حتى في بعض المواقف الحرجة (*المعسول*، 11 : 87).

كما يذكر لها إلى جانب هذه الميزة حفظها لطرف من *القرآن الكريم* وتصدّرها لتعليم النساء ووعظهن، ووصفت بأنها لا نظير لها في عصرها.

توفيت عائشة البعقيلية بعد عام 1925/1344.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 87، 94، 134 ؛ *رجالات*، 75.

البعقيليّة، فاطمة أمّ هدوز التازروالتيّة، من حفيدات الشيخ الشهير أحمد بن موسى السملالي دفين تازروالت ومؤسس زاويته الشهيرة بها. تزوجت أحد مريدي الشيخ سعيد أُهمو المعدري ناشر الطريقة الدرقاوية بسوس. وكانت سكنى الزوج بقرية إغبولا القريبة من مدينة تزنيت إلى الجنوب، وقد صادف أن نزل بهما الشيخ المذكور ليلة فحدثت فاطمة نفسُها على استراق السمع إلى كلامه الذي سرعان ما أثر فيها، فحاولت ـ وهي في حالة نفاس ـ القيام ببعض المجاهدات التي لقفتها خلسة حتى أضرّ بها ذلك وغيرت أحوالها إلى درجة المرض الذي لم ينفع معه طبيب، وصادف أن حضر الشيخ المذكور مرة أخرى إلى قرية إغبولا فأسرت إليه بجليّة أمرها، فتمكن الشيخ من إنقاذها من حالتها تلك بهمته. ففُتح عليها وظهر عليها الصلاح في تلك الناحية، وقد صادفها الشيخ الحاج علي الإلغي والد المختار السوسي (ت. 1910/1328) وأحد المريدين البارزين للشيخ سعيد أُهَمو المذكور في إحدى سياحاته صحبة مريدي الطريقة، فوجدها بقرية العوينة القريبة من سكنى زوجها، ولم ينشرح صدره لها لما رأى من أحوالها وهي عجوز شمطاء باذلة نفسها في سبيل الاتصال بالمريدين، لكنه لم يلبث أن تغير موقفه منها بسبب ما رأى من مكاشفتها له ولواقع حاله. وكانت لا تنفك عن الضرب على فخذه وعلى كتفه في محاولة منها لإفهامه حقيقة حالها حتى عجب منها (*المعسول*، 16: 28، 29) وقد أورد صاحب *المعسول* جملة من أحوالها وكراماتها في كتابه *من أفواه الرجال*. وعلى قبرها مشهد يزار.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 : 62 ؛ 4 : 306 ؛ 6 : 28، 29 ؛ *من أفواه الرجال*.

محمد البايك

بعل، يعتبر من بين أشهر الآلهة التي عرفت لدى الفينيقيين والقرطاجيين. وباعتبار أصل قرطاجة Carthage الفنيقي، فإن الديانة القرطاجية حافظت على الكثير من الملامح الدينية الفنيقية، فسيطر على مجمع آلهتها بعل هامون Baal Hamon وتانيت Tanit وملقرت. ويبدو أن بعل هامون كان هو الاله الرئيسي والأكثر حيوية وفعالية بمدينة قرطاجة إلى غاية القرن الخامس قبل الميلاد، لأن النقائش النذرية بالمدينة خصصت له وحده فقط.

نتج عن استيطان القرطاجيين للمراكز التي انشؤوها على السواحل المغربية انتشار الحضارة البونيقية في هذه المراكز التي من أهمها طنجة ولكسوس اللذين كانا يعتبران مركزين مستقلين من الناحية الإدارية. ولقد تم العثور بهذين الموقعين على قطع نقدية تحمل شعاراً باللغة البونيقية وبعض صور الألهة التي من بينها صورة للإله بعل هامون (Mazard, 181) وهذا الدليل الأثري قد يؤكد انتشار عبادة هذا الإله مع الديانة القرطاجية بصفة عامة بين المورين في المراكز والمستوطنات القرطاجية على الأقل.

ولما أفل نجم قرطاجة وتسربت الحضارة الرومانية إلى المجال القرطاجي وقع تحول في الديانة، فحل الإله ساتون Saturne محل الإله بعل هامون الذي كان يقابله لدى الرومان مثلما قابله كرونس Krones لدى الإغريق.

Y. Mazard, *Corpus nummorum numidiae mauritaniaeque*, Paris, 1955, Diodore de Sicile, XX, 14, 4 ; F. Decret, *Carthage ou l'empire de la mer*, Paris, 1981 ; M. Cras (et al...), *l'Univers phenicien*, Paris, 1989 ; G. Charles-Picard, *Les religions de l'Afrique antique*, Paris, 1954 ; *Vie et mort de Carthage*, Paris, 1970.

الزبير بوحجار

البغدادي (ابن ـ) **بوشتى** بن محمد الجامعي، نسبة إلى قبيلة أولاد جامع العربية التي تمتد مساكنها إلى أسوار مدينة فاس من جهة الشمال. لا نعرف مصادر تعرضت لترجمته، ومن ثم لا نعرف تاريخ ولادته أو وفاته، والمعلومات التي نعرضها عنه هنا مقتطفة من بعض الوثائق المخزنية أو الرحلات.

تصفه الوثائق بالذكاء والقوة والجرأة والكفاءة في إدارة الأمور، وهذه الصفات إلى جانب كونه من أعيان قبيلته أولاد جامع، ومن عشيرة الوزيرين الجامعيين الحاج المعطي الجامعي الوزير الصدر على عهد مولاي الحسن، وأخيه الصغير الجامعي وزير الحربية لنفس السلطان، رشحته لمنصب القيادة على قبيلته أولاً وعلى جيش شراگة ثانيا (حسب المشرفي). ثم عينه السلطان الحسن الأول عاملا على مدينة وجدة لما توجه إليها سنة 1874/1291 حسب *الإتحاف* (2 : 162) ورشحه السلطان المذكور كذلك خبيرا وقائداً للبعثة التي أرسلها لمراجعة الحدود مع فرنسا سنة 1883/1301 والتي كان على رأسها الأمير عرفة صنو السلطان، والفقيه علي السوسي السملالي كاتبا لها. وفيها ألف رحلته المشهورة منتهى *النقول* وتحدث عن موقف بوشتى بن البغدادي ودوره في هذه البعثة ضد الفرنسيين حول المساحة التي اغتصبوها على الحدود بنقطة (گرگر سيدي حمزة) حيث قال :

"وقد أخذ النصارى هنا حرث خمسمائة زوجة.. وبسبب الأخذ أن هناك موضعين متشابهين ككوشة الجير، فترك التي تليه وزاد أمام إلى التي تشبهها فقال : هذا گرگر سيدي حمزة، وهنا وقع نزاع كبير بين بوشتى ابن البغدادي هو والروم، بأن قال بوشتى للرومي : أنت أردت أن تجعل الحدود وجدة، فقال له الرومي : وأنت أردت أن تجعل الحدود بمغنية، وجرى بينهما كلام ألح فيه الرومي على أن المقابل لجوج بغال هو الذي يليه لا الذي يلينا".

كما عين السلطان الحسن الأول بوشتى بن البغدادي عضواً في السفارة التي بعثها إلى إسبانيا سنة 1882/1300 وكان على رأسها محمد برگاش إلى جانب عضوية أحمد البلغيثي، حسب رسالة حسنية لبرگاش مؤرخة في 4 رمضان 1300 (*الإتحاف*، 2 : 331).

كما عُين بوشتى بن البغدادي عضوا في اللجنة التي بعثها السلطان المذكور لتسوية المشاكل مع إسبانيا في سانتا كروز حسب رسالة ملكية إلى برگاش بتاريخ 14 قعدة 1883/1301 (*الإتحاف*، 2 : 337). وترأس بوشتى بن البغدادي السفارة التي توجهت إلى إيطاليا بمعية الكاتب العربي المنيعي في السنة التالية حسب رسالة حسنية إلى وزير الخارجية الإيطالي بتاريخ 7 شوال 1884/1302 (*الإتحاف*، 2 : 351، 352).

وحسب كتاب *العلائق السياسية للدولة العلوية* لابن زيدان (مخطوط خ. ح. الوثيقة : 132) فإن بوشتى بن البغدادي أصبح باشا لمدينة فاس، ولذلك عالج مشكل التاجر القنصل البريطاني الذي حاول أن يرفع علم بلاده على مقر سكناه بمدينة فاس يوم عيد الأضحى من سنة 1310 هـ مما أثار ضجة كبرى نجح ابن البغدادي في إخمادها وعجل بطرد القنصل في الحال كما تفصل ذلك الفقرة التالية من الكتاب :

"وفي عاشر حجة منصرم هذه السنة 1310 هـ رفع علم دولته على باب محل نزوله باشدور الانجليز الذي ورد سفيراً من دولته في أمور تجارية.. وأكرم المترجم وفادته وأنزله ببستان بنيس الشهير بفاس... فاغتنم تلك الفرصة (فرصة العيد) ورفع العلم والناس في مصلاهم، ورغم ذلك فإن الملكف بمراقبة أموره من قبل الحكومة وهو رئيس الشرطيين بمحكمة باشا فاس إذ ذاك القائد بوشتى بن البغدادي الجامعي ـ والد الباشا محمد ابن البغدادي عامل فاس المتوفى قريبا ـ علم بذلك وأعلم به الرعاع فهرعوا لباب محله وهموا بقتله... لولا تيقظ العامل المذكور وإتيانه قبل وصول العامة وكفه أذاهُم عنه بكل ما أوتيه من قوة ودهاء وسياسة وكياسة، وأخذ العامل الباشدور إلى أن أوصله للحضرة السلطانية في فزع عظيم.. وبارح فاسا من يومه منقلبا لوطنه".

إن السياسة والكياسة والدهاء هي العناصر التي

رشحت بوشتى بن البغدادي ليتولى مهام كثيرة على عهد السلطان مولاي الحسن، وهي العناصر التي جعلت السلطان المذكور يقربه إليه. ولا نعلم كيف اختفى بوشتى بن البغدادي عن المسرح السياسي إثر وفاة السلطان مولاي الحسن سنة 1894/1311. مما لا شك فيه أن نكبة الحاجب أحمد بن موسى للوزيرين الجامعيين المذكورين على إثر بيعة السلطان عبدالعزيز كان لها تأثير على وضعية بوشتى بن البغدادي الجامعي ووظيفته ودوره الذي من الممكن أن يكون قد تجمد مع تجميد وظائف جميع الجامعيين باعتبارهم من عصبية المعطي الجامعي الوزير الصدر السابق. ونتوقع أن يكون بوشتى ابن البغدادي توفي في العصر العزيزي وخلفه ولده محمد في مكانته الاجتماعية ودوره على فاس خلال عهد الحماية.

ع. السوسي السملالي، *منتهى النقول ومشتهى العقول*، مخطوط. خ. ع. رقم 633 د ؛ ع. بن زيدان، *إتحاف*، ج 2 ؛ *العلاقات السياسية للدولة العلوية*، مخطوط، خ. ح. رقم 3176 ؛ ع. المشرفي، *الحسام المشرفي*، مخطوط، ح. ع.

أحمد العماري

البغدادي، محمد بن **أحمد** بن إبراهيم بن عيسى بن هشام بن جراح بن لواء الخزرجي من أهل جيان يعرف بالبغدادي لطول سكناه ببغداد، وإليه ينسب مسجد البغدادي بجيان.

ولد بجيان يوم الخميس ثاني عيد الأضحى من سنة 470 هـ، وبها درس، ومن الأندلسيين الذين روى عنهم، أبو علي الغساني وأبو محمد بن عتاب. ثم رحل للحج فحج وتوجه إلى بغداد فاستقر بها مدة طويلة وقرأ بها وروى عن جماعة وافرة، منهم أبو الحسن علي بن محمد الطبري المعروف بالكيا الهراسي أخذ عنه تواليفه وجلب منها إلى الأندلس كتاب *أحكام القرآن*، وكتاب *أصول الفقه*، وكتاب *الرد على أحمد بن حنبل*. كما أخذ ببغداد عن أبي طالب الزينبي وأبي بكر الشاشي.

كان البغدادي فقيها مشاوراً يحفظ كتاب البرادعي، قال : حفظته وأنا صغير قبل رحلتي. وألف تعاليق في الفقه وغيره.

وروى عنه أبو عبدالله النميري، وأبو محمد بن عبيد الله، وأبو عبدالله ابن حميد، وأبو القاسم عبدالرحيم بن الملجوم الفاسي، وأبو علي الحسن بن عبدالرحمان بن عبدربه البجلي وغيرهم كثير.

قال في *الجذوة* : خرج من جيان في الفتنة والشدة التي لحقت أهلها عند تقلبها في أول الموحدين وخرج بسببها عدد من الشخصيات والعلماء، فكان البغدادي ممن غادرها نتيجة ذلك، واستقر بمدينة فاس، وبعد سبعة أعوام من خروجه لحقته منيته فتوفي بفاس يوم الجمعة 26 حجة 1152/546.

ابن الابار، *التكملة لكتاب الصلة*، 2 : 474 رقم 1311 ؛ أ. القاضي، *جذوة الاقتباس*، 262، العدد 269 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3: 266.

أحمد العماري

البغدادي، (ابن ـ) محمد بن **بوشتى** الجامعي باشا فاس الشهير الذي ظل عاملا عليها أزيد من عشرين سنة في بداية عهد الحماية، كان أبوه عاملا على فاس وعلى غيرها من حواضر المغرب مدة طويلة كما ذكر آنفاً. وصفه صاحب *إتحاف المطالع* بقوله :"الفارس الأنجد، والقائد الأسعد، كان له بعض العدل في أحكامه، وربما حكم بشدة لكن بغير قصد". وهو الذي جلد الوطنيين المتظاهرين بفاس بعد صلاة الجمعة 8 من نونبر سنة 1930 ضد الظهير البربري وفي مقدمتهم محمد حسن الوزاني الذي تحدث عنه طويلا في *مذكرات حياة وجهاد* وسجّل حديثه معه ومع القبطان الطروشي المندوب المخزني، كما وصف ابن البغدادي وهو يدخل عصر ذلك اليوم دار بوعلي (مقر المحكمة الباشوية) راكباً على بغلته المطهمة ومن حوله المخازنية راجلين يؤدون له التحية التقليدية : (الله يبارك

عمر سيدي) ثم يدخل الغرفة الكبرى حيث يجلس عادة للأحكام على فراش وثير ويأمر باحضار الماعون (فلقة وسياط). أشار ابن البغدادي إلى زبانيته بالعمل فبدؤوا بالفقيه خطيب المظاهرة فأسقطه عونان على الأرض وأدخلا رجليه في الفلقة وأمسك آخران بيديه موثقتين، وانهال آخران على مقعدته بالسياط المفتول من الجلد بعد غطسه في الماء. وبعد ذلك جاء دور الصفريوي فمحمد حسن الوزاني فبقية الشبان المعتقلين. كل ذلك يجري "بينما كان الباشا ـ محمد ابن البغدادي ـ ينظر باهتمام وهدوء وهو يحرك شفتيه فتتحرك لحيته الكثيفة، ويداه تمسكان سبحة كأنه في حفلة ذكر أو كأنه يحصي الضربات".

توفي بفاس يوم الثلاثاء ثاني وعشري رجب عام 1351 / 13 نونبر 1932، ودفن بروضة الشيخ قاسم ابن رحمون.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1351 ؛ م. حسن الوزاني، *مذكرات*، 3 : 87.92.

محمد حجي

البغدادي، محمد (الحاج ـ) اسم مستعار اتخذه المغامر الاسباني خوسي ماريا ذي مورگا إموگارطيگي Jose Maria de Murgay Mogartegui الذي كان يعرف بلقب المورُو بيثكاييكو El Moro Viscacico (المغربي من مقاطعة بيكايا Viscaya الاسبانية)، ولد بمدينة بيلباو Bilbao في 20 يونيو 1827، والتحق بالأكاديمية العسكرية في 30 ماي 1843 حيث تخرج برتبة فارس سنة 1846 والتحق بصفوف الجيش وبه حصل على رتبة ملازم، فقبطان، فكومندار سنة 1853، وفي السنة الموالية منحت له إجازة لمدة سنة شارك خلالها في حرب كريميا Crimea.

ومن سنة 1851 إلى سنة 1859 قام مورگا بجولة عبر دول أوربا، وتعلم اللغة العربية أثناء مقامه بباريس ثم عاد إلى صفوف الجيش في شهر غشت 1859 إلى غاية شهر ديسمبر من السنة التالية حيث قدم استقالته.

زار مورگا المغرب مرتين وهو يرتدي جلباباً مغربيا مدعيا أنه اعتنق الاسلام، وكان تارة يتعاطى التطبيب وتارة يقوم بدور العطار المتجول. دامت رحلته الأولى من 1863 إلى 1866 حيث زار ناحية الغرب انطلاقا من طنجة التي ظل بها عدة أشهر يتعلم اللهجة العربية الدارجة، وبعد ذلك زار أصيلا والعرائش والقصر الكبير وسلا والرباط ومكناس وفاس ومنها عاد إلى طنجة.

وفي سنة 1866 عاد البغدادي إلى اسبانيا فحرر كتابه المشهور بعنوان : *Recuerdas maroquiés ذكريات مغربية*، وطبعه في بيلباو سنة 1868.

وكانت للبغدادي رحلة ثانية للمغرب سنة 1872 زار خلالها عدة أقاليم قبل أن يعود إلى بلاده، وفي شهر أكتوبر من سنة 1876 بينما كان بقادس يستعد للقيام برحلة ثالثة فاجأته المنية يوم 30 نوفمبر من نفس السنة.

يشتمل كتاب *ذكريات مغربية* على الفصول التالية : المرتدون، تأسيس الدولة العلوية بالمغرب، معركة وادي المخازن، مفارقة بين الاسبانيين والبرابرة، بنو جبفة (اليهود)، الأجناس المتساكنة بالمغرب، شريعة الدخل.

ومن الغريب أن الأستاذ عزيز سلام في كتابه *ثلاثة قرون وعشر سنوات من تاريخ الدولة العلوية* الذي أصدرته وزارة الأنباء بمطبعة فضالة د. ت. نشر في صفحة 103 صورة هذا المغامر الإسباني وتحتها العبارة التالية : "الحاج محمد البغدادي أحد قواد القرن الثامن عشر/1876".

J. Murga, *Recuerdos Marroquies*. Bilbao, 1868 ; F. Duro, Cesareo, *Apuntes biograficos del Hach Mohammad El Bagdady* (Jose Maria Murga), Madrid, 1877 ; T. Garcia Figueras, *El Hach Mohammad El Bagdady. Rev. El Español*, Madrid IV num. 150 de 8 Septiembre 1945 ; T. Garcia Figueras, *Murga o la originalidad*, Archivos del I. E. A. Madrid. num. 1 P. 85 - 106 ; *El Moro Vizcaino y el Padre Lerchundi. Rev. Africa*, Madrid, 1967, p. 130 - 132 ; *Miscelanea de estudios historicos sobre Marruecos*. Larache, 1949, p. 369 - 340 ; J. de Ibarra. *Jose maria Murga, El Moro Vizcaino*, Madrid, 1944 ; *El porque del Moro Vizcaino. Rev. Africa*, Madrid, 1966, p. 716 - 717 ; M. de Olivart. *Recuerdos marroquies del Moro Viscaino*. Madrid, 1906 - 1907.

محمد ابن عزوز حكيم

البغل، حيوان ثديي، عاشب، يصدر عن التهجين المفروض من طرف الإنسان على فحول الحمير وإناث الخيل. اسمه الشائع في المغرب هو البغل و "الكدار" في بعض المناطق، ولو أن هذه التسمية تُعطى للفرس العادي في مناطق أخرى.

يشبه الفرس في بنيته وفي عرفه وذيله الغزيري الشعر وفي عدد فقرياته الصلبية (65). ويشبه الحمار الأب في طول أذنيه الكثيرة التحركات، وفي ثقل رأسه وفي نهيقه القريب من صوت الحمار.

يختلف البغل عن أبويه في عدد صبغياته (للفرس 64 صبغية، للحمار 62 وللبغل 63)، وفي جلده الصامد لاحتكاكات العدة، وفي قامته التي لها صلة وثيقة بقامة أمه وأبيه. فالبغل المتولد من الحمار المغربي العادي أقل قامة من نظيره المتولد من الفحول الجبدة التي تعطي بغلا قويا ضخما صبوراً. تتعدى قامته 155 سم.

تدوم مدة حمله ما بين 310 و370 يوما بمعدل سنة تقريبا.

طوله عند الغارب ما بين 120 و155 سم، ويزن من 300 إلى 400 كلغ.

صيغة أسنانه كالتالي : 3/3 قواطع، 1/1 أنياب، 3/3 أضراس أمامية، 3/3 (4) أضراس = 40 أو 42 سنا عند البالغ. الأنياب عموما منعدمة عند الإناث. تستعمل الأسنان في تحديد أعمار الخيليات.

يبدو أن إنتاج البغال يرجع إلى الميكيين Myciens، (ألف سنة قبل الميلاد)، كما أن الإغريق والرومان أحسنوا تربيتها. وقد عُرف إنتاج البغال بافريقيا منذ العصور القديمة، ونمت تربيته عند الفنيقيين والقرطاجنيين حيث

استعملوه في نقل العتاد الحربي والبضائع. وما زال البغل يقدم للإنسان خدمات متعددة وهامة سواء في القرى أو المدن وذلك لصبره وقوته وتحمله للمشاق.

يُستعمل حالياً في الفلاحة (الحرث والدراس) ونقل البضائع والأسفار، وجر العربات ونقل المواد الغذائية وغيرها داخل المدن الضيقة كما هو الشأن في فاس وتطوان.

والمعروف عن البغل أنه ذو مزاج ذكوري وعاق، لذا يخضع غالبا لعملية الخصي المعروفة بـ "الصلح" وهي عملية غالبا ما تجري من طرف "المعلم البيطار" ونادراً من طرف الطبيب البيطري.

ترتكز تغذيته أساسا على العشب والتبن والشعير.

الذكور كلها عقيمة، أما الإناث فقد ثبتت مؤخراً خصوبتهن بالصين بفضل بحوث على مستوى الصبغيات. وقد حدث أن وضعت بغلة في أوائل السبعينات بالمغرب، وأخرى أجهضت في نواحي گرسيف سنة 1989.

يبقى البغل، بالنظر إلى الخدمات التي يسديها للإنسان ولضآلة تكلفة تربيته، مطلوبا أكثر من الفرس في البادية المغربية، حيث يتم التناسل في أغلب الأحيان بين فحول الحمير المحلية وإناث خيل غير مناسبة مما يؤدي إلى انتاج بغال قصار القامة وأقل قوة وصموداً.

ولقد اهتمت مرابط الخيول الوطنية بالمغرب منذ نشأتها برفع مستوى التهجين وإنتاج بغال جيدة، وذلك باستيراد أجود فحول الحمير من فرنسا وإسبانيا. ويوجد الآن في حيزها ما يناهز مائتي رأس توضع بالمجان رهن إشارة المربين بمحطات تجويد نسل الخيول.

أدى تفوّق طلبات البغال، خاصة في المناطق الجبلية، إلى فقدان التوازن بين عدد البغال وعدد الأحصنة الذي عرف تدهوراً كبيراً منذ سنة 1950.

يعيش في المغرب حالياً أكثر من 500.000 رأس من البغال أغلبها من صلب الحمير المحلية. ويختلف البغل عن النغل الذي يصدر عن التهجين بين الأتان والفرس. فالنغل أقل قامة وقوة من البغل، فهو يقدم للانسان نفس الخدمات التي يقوم بها الحمار، مما جعله غير مرغوب فيه زيادة على صعوبة الحصول عليه. فهو نادر جداً بالمغرب.

H. Aublet et L. N. Marcenac, *Encyclopédie du Cheval*, Paris, 1980 ; H. Benjelloun, *Conditions d'utilisation des équidés dans le milieu urbain : Cas de la Medina de Fès*. Thèse de Doctorat Véterinaire, I. A. V. Hassan II, Rabat, 1990 ; A. C. Chandley, MRC, *Human Genetics University Edinburgh, Fertility in mules and hinnies* 1 st International Colloquium on Dinkey, mules and Horses, 3 - 6 Sept., 1990 Edinburgh U.K.

مصطفى بعرف

بڤار (Bavares)، من القبائل التي عرفت انتشاراً في كل من موريطانيا القيصرية ثم الستيفية وفي موريطانيا الطنجية وحتى في نوميديا. إن اسم "Bavares" على هذه الصيغة لا يوجد سوى فوق النقائش في حين أن النصوص الجغرافية حملت اسم "Barbares".

ففي لائحة ڤيرون (*G. L. M.*, p. 129) نجد أسماء عدد من القبائل في موريطانيا من بينها على سبيل المثال، الموريون المازيكيس ثم الموريون البكوات والموريون البربار (Bavares).

فالمازيكيس يوطنون من طرف بطليموس جنوب شرشال (IV, 2, 19) أي في الورسونيس، أما البڤار فيشغلون قسماً من الهضاب العليا ويمتدون إلى غاية الأطلس المتوسط المغربي.

يذكر صاحب كتاب "*Liber Generationis*" عدداً من أسماء القبائل فيقول "الموريون البكوات والمكناتيون والجيتوليون والبربار الأفري (Afri) والمازيكيس وأخيراً الگارامانط". نلاحظ إذن من خلال هذه اللائحة أن "البڤار" لوحدهم سموا بالأفري (أفارقة) فهل هذا راجع لأهميتهم أو لكونهم الأكثر انتشاراً في الأراضي الخارجة عن النفوذ الروماني ؟

نلاحظ كذلك أنه يفصلهم عن قبائل البكوات، الجيتوليون ولكن هؤلاء يوطنون في الغالب جنوب البكوات.

يرى الباحث توڤنو أن صاحب لائحة ڤيرون يذكر أسماء القبائل من الشرق نحو الغرب بينما صاحب "*Liber Generationis*" يشير إلى وجود هذه القبائل على نفس خط الطول انطلاقاً من الشمال نحو الجنوب.

يعطينا الفلكي "Julius Honorius" (Riese, *G L M*, p. 53) توطيناً طبوغرافياً أكثر دقة فيقول "إن نهر مالڤا.. يفصل البڤار والبكوات ويصب في البحر الذي نسميه أعمدة هرقل". ويعطينا أيضاً لائحة بأسماء القبائل فيقول "هناك النبطيون ثم عرب Bosha (شبه الجزيرة العربية) ثم النازامون وينتهي بالمازيكيس والبربار والسلاماگنيت (المجاورين لسلا) والبكوات والماسيليين". يبدو من خلال هذه اللائحة أن المازيكيس يوجدون في الورسونيس كما سبق ذكره (وقسم منهم يوجد في موريطانيا) والبڤار فوق الهضاب العليا الوهرانية، أما القبائل المتبقية فتوطن في موريطانيا الطنجية.

يذكر المؤرخ A. Marcellin (XXIX, 5, 33) في حديثه عن حملة الامبراطور Theodore ضد الثائر Firmus أسماء بعض القبائل التي توجد في موريطانيا القيصرية والستيفية منها Baivrae، Abanni ثم Davares.

إلى جانب النصوص، فإن اسم البڤار، وكما سبقت الإشارة إلى ذلك، حملته العديد من النقائش سنشير إلى بعضها.

أولى هاته النقائش عثر عليها بمدينة لمبيز تتحدث عن الهزائم التي منى بها البڤار وحلفاؤهم Quinquegentani على يد القائد الروماني "Micrianus Decianus" سنة 259. 260 م ثم ظل البڤار في هدنة نسبية مع الرومان إلا أنه سرعان ما بدأوا يتحركون، تشهد على ذلك بعض النقائش المعثور عليها في موريطانيا القيصرية، فالأولى مؤرخة بفترة حكم الأباطرة ديوقليتيانوسي وماكسيميانوس مهداة إلى الإله Jupiter تعبيراً عن الانتصار الذي حققه

حاكم موريطانيا القيصرية Aurelius Litua على Barbari Transtagnenses (يقطنون قرب سبخة الحضنة)، والثانية مهداة إلى الآلهة المورية حيث يقدم لهم القائد الروماني Aelius Aelianus اهداءً تعبيراً عن انتصاره وسحقه لقبيلة من البقار تسمى "Bavares Mesegneitses". كما تشير إليهم أيضاً إحدى النقائش التي عثر عليها في مدينة Anzia وهي مؤرخة بسنة 260 م.

إذن هذا العدد من النقائش دفع الباحثين إلى اعتبار البقار من القبائل القاطنة في موريطانيا القيصرية والسيتيفية، إلا أن العثور على نقيشتين بموريطانيا الطنجية غير اتجاه البحث. فالنقيشة الأولى (*IAM*, 2, 402) تشير إلى التحالف بين البقار والبكوات تحت رئاسة قائد موحد (تحت حكم سڤير ألكسندر) ـ كما كان الشأن بين البكوات والمكناتين سنة 173 ـ 175 م ـ وإلى الاتفاق بين هاته العناصر وحاكم موريطانيا الطنجية. إلا أن هذه العملية لن تكون طويلة الأمد حيث إن النقائش الوليلية المؤرخة ابتداء من سنة 239 م لن تحمل سوى اسم البكوات وحده. فمن المعروف أن قبائل البكوات كانت دائماً في مناوشات مستمرة مع السلطة الرومانية كانت تنتهي عادة بإبرام اتفاقيات بين الطرفين.

إن ما يهمنا من هذه النقيشة هو ذكر اسم البقار الذي يشكل العنصر الأساسي في هذا التحالف حيث إنهم سيشكلون قبيلة واحدة إلى جانب البكوات، وهم الذين ورد ذكر اسمهم في الأول، الشيء الذي يدل على أهميتهم وعلى احتياط روما منهم. أما النقيشة الثانية فقد عثر عليها بمدينة تمودا (*IAM*, 2, 55) وتشير إلى اجتياح هذه القبائل (Barbares) لتمودا في فترة مجهولة لدينا. إلا أنه بعد حكم الامبراطور Sévère Alexandre لن نجد لهم وجوداً في موريطانيا الطنجية. أما في باقي الولايات فلن نعثر على نقائش تحمل اسمهم إلا مع انتشار الحركة الدوناتية حيث سيظهرون في الجزائر الغربية وسوف يتوغلون إلى غاية مدنية Al Regias (Arbal) حيث عثر بهذه المدينة على نصب تذكارية تشير إلى قيامهم بتقتيل عدد كبير من السكان حوالي 366 م. ثم سنجدهم أيضاً ينضمون إلى صف الثائر Firmus كما سبقت الإشارة إلى ذلك، حوالي 373 م. ولن نجد لهم ذكراً في الوثائق بعد هذا التاريخ.

إذن من خلال هذه المصادر التي ذكرنا سواء كانت مكتوبة أو أثرية يبدو أن البقار يسكنون شريطاً ترابياً هاماً يمتد على حد قول توڤنو من ملوية العليا إلى جنوب شرق مدينة سطيف، هذا الشريط المكون من الهضاب العليا ومن السهول هو الذي سيشكل في الفترة الوسيطية، مجال القبائل الزناتية.

G. Camps, *Les Bavares, peuples de la Maurétanie Cesarienne*, *R. A.*, XCIX, 1955, p. 241 - 288 ; Dessau, S.V "Bavares", *Real-Encyclopédie*, Col. 149 -150 ; R. Thouvenot, *Rome et les Barbares africains, à propos d'une inscription de volubilis*, *PSAM*, VII, 1945, p. 166 - 183 ; M. Euzennat, *Les troubles de Maurétanie*, *CRAI*, 1984, p. 372 - 391 ; Desanges, *Catalogue des tribus africaines*, p. 47 - 48 ; Ch. Tissot, *Géographie comparée de la province romaine d'afrique*, T. I, p. 458 - 460 ; *CIL* VIII, n° 9324, 21486, 9047, 21630, 2615.

عبد العزيز بل الفائدة

بَـقْـدُورَة (معركة ـ) من المعارك الكبيرة التي دارت في المغرب بين الجيش العربي والبربر اثر انتفاضتهم تحت راية الخوارج سنة 741/123. فبعد الانتصارات الأولى التي حققها الثوار بقيادة ميسرة المطغري، قرر الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك (743.724/125.105) القيام برد فعل قوي، فعزل واليه على افريقية عبدالله بن الحبحاب، وعين بدله كلثوم بن عياض القشيري، وجعل بجانبه نائبين، هما بلج بن بشر القشيري وثعلبة بن سليمة العاملي، وأمده بجيش كثيف من الجند الشامي تضخم تضخما عظيما بمن انضم إليه من جند مصر وطرابلس وافريقية، حتى إن المصادر قدرت عدده بسبعين ألف مقاتل. خرج هذا الجيش العظيم من افريقية سنة 741/123 في اتجاه طنجة لتأديب الثوار البربر الذين جمعوا جموعهم تحت قيادة إمامهم الجديد خالد بن حميد الزناتي. إلا أن الضغائن والأحقاد كانت تنخر عظام الجيش العربي بسبب الانقسام الذي دب في صفوفه بين العناصر الشامية الوافدة وبين العرب الأفارقة "البلديين"، الذين استقروا بالبلاد منذ الفتح الاسلامي، وأصبحوا يعتبرون أنفسهم أصحابها ولا يطمئنون إلى أحد من القادمين من المشرق.

على هذه الحالة تم اللقاء بين الطرفين على الضفة الشمالية لأسافل وادي سبو، في موضع يقال له بقدورة (أو نقذورة حسب بعض الروايات)، وكان لقاء هائلا تمكن فيه البربر من تحقيق انتصار كبير (741/123). ويؤكد المؤرخون أن ثلث الجيش العربي قتل، وأن ثلثه الآخر قبض أسيرا، وأما الباقون فقد تفرقوا فلولا مهزومة. وقد قتل في المعركة كلثوم بن عياض وعدد كبير من وجوه العرب، من أمثال حبيب بن أبي عبيدة ومغيث الرومي وهارون القرني وسليمان بن أبي المهاجر. وكان من جملة الناجين فرقة من الجند الشامي من حوالي تسعة آلاف رجل بقيادة بلج بن بشر، تحصنت بسبتة حيث شدد عليها البربر الحصار حتى كادت تهلك جوعا، إلى أن سمح لها والي الأندلس، عبدالملك بن قطن، بالعبور إلى الضفة الشمالية بعد أن تفاقمت هنالك ثورات البربر.

كان لمعركة بقدورة هاته نتائج حاسمة، إذ أنها كانت نذيرا بامتداد الثورة إلى كل بلاد الغرب الاسلامي، من طرابلس إلى الأندلس، كما أنها كرست انفصال المغرب سياسيا بصفة نهائية عن الخلافة الشرقية.

مجهول، *أخبار مجموعة*، نص عربي وترجمة اسبانية، نشره Lafuente Alcantara مدريد، 1867، ص 31، 34 ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، ت. كولان وبروفنصال، ليدن 1948، ج ١، ص 54، 56.

محمد الأمين البزاز

بقر، حيوان أهلي من البقريات Bovidés ومن فصيلة البقر ورتبة مزدوجات الأصابع المجترات، يربّى للحرث ودرّ اللبن واللحوم.

البقرة في العربية واحدة البقر وتطلق على الذكر والأنثى، فإذا أريد التخصيص قيل ثور وبقرة. الاسم العلمي هو Bos Taurus الذي ينحدر أصله إلى نوع Bos primigenius الذي كان يعيش في أوروبا وأفريقيا الشمالية في العصر الحجري.

يرجع تاريخ بداية علاقة الانسان بالبقر إلى ما يزيد عن 6.500 سنة قبل الميلاد وقد أكدت أبحاث علوم الأثريات أن أول علامات تدجين الثور الوحشي ظهرت في الباكستان ما بين 7.000 و6.000 سنة قبل الميلاد ثم في خرزستان وإيران وتركيا وجنوب أوروبا وشمال أفريقيا. تطورت طريقة التدجين مع تطور الفلاحة وخاصة في عهد الفراعنة والرومان، ونتجت عن هذا التهجين عدة سلالات لتلبية حاجيات الإنسان من اللحوم والحليب وخدمة الأرض.

من السلالات الشائعة في المغرب هناك سمراء الأطلس La Brune de l'Atlas التي تعيش في تونس والجزائر والمغرب ويحتمل أن البرابرة أتوا بها من النيل منذ 3.000 أو 4.000 سنة.

يتراوح وزن سمراء الأطلس ما بين 280 و310 كلغ بمعدل 300 كلغ في حالة التربية المكثفة بالمزرعات، وما بين 187 و245 كلغ في حالة التربية الممددة وهي الأكثر استعمالا في المغرب. ينخفض الوزن في فصل الشتاء لقلة الأكل في المراعي ويرتفع في فصل الصيف لوفرة الأعشاب وتنوعها. تشرب من مياه الآبار والعيون والبحيرات العذبة والوديان مرة كل يوم.

تقوم بعض المزرعات بالتربية المكثفة لسلالة سمراء الأطلس فتقدم لها الكلأ الوافر طول السنة، ويتكون من البرسيم والشمندر والذرة وسرغو. تعطي البقرة صغيراً كل سنة في هذه الحالة ولا يُعزل عنها بينما تعطي صغيراً كل سنتين في حالة التربية المُمَدّدة. تعطي الحليب في الصباح والمساء لمدة ثلاثة أشهر ونصف بعد الولادة وكثيرا ما تفصل الصغار عن الأمهات لكي لا ترضعها وسط النهار.

تعيش في المغرب أيضا سلالة أُلماس وهي كثيرة الشبه في عاداتها الغذائية. تكوِّن إلى جانب سمراء الأطلس 80٪ من عدد رؤوس البقر المحلي في المغرب، وتشتهران بمقاومة قوية ضد الأمراض الناتجة عن الجراثيم والطفيليات التي تفتك بسهولة السلالات الأوروبية المستوردة كالبقرة المبرقعة Pie noire وHolstein وSwiss Brown Guernesey وغيرها.

استوردت السلالات الأوربية إلى المغرب لتلبي حاجيات السكان من الحليب واللحوم.

عرف عدد رؤوس البقر تطوراً محسوساً منذ سنة 1982 في المغرب كما يوضح الرسم ذلك. بلغ العدد 3.136.900 رأس في نونبر 1988 منها 67.7٪ تابعة للإدارة الاقليمية للفلاحة و32.3٪ تابعة للمكاتب الجهوية للإصلاح الزراعي.

يعتبر إقليم سيدي قاسم من أهم الأقاليم في تربية البقر (16.4٪) ويليه إقليم الجديدة ومراكش والخميسات وتطوان وسطات وتاونات وأگادير ومكناس حيث يشكل مجموعها 48٪ من عدد الرؤوس داخل الوطن.

Ministère de l'Agriculture et de la Réforme Agraire : *Enquête d'élevage : Effectifs des bovins, ovins et caprins*, 1989 ; M. Chadli, *Physiopathologie de la malnutrition chez les bovins bruns de l'Atlas*, Doctorat Es-Sciences agronomique, 1989 ; F. Marleen, *Genus Bos : Cattle breeds of the World*, MSD, Agvet. Rahway - USA, 1985.

محمد رمضاني

البَقْس، أو بُوكْسوس Buxus شجيرات تعدُّ جنساً من فصيلة البقسيات، وفي المغرب نوعان طبيعيان منه :

1 ـ البقس الدائم الاخضرار أو بُوكْسوس سَامْبرْفرانْس Buxus sempervirens شجيرة أو شجرة قصيرة القامة، لها قشرة متجعدة ذات لون رمادي يميل إلى الاصفرار، وأوراق جد متعددة دائمة الاخضرار لكنها تحمر بسبب قساوة البرودة الشديدة في أعالي الجبال، وأزهار صغيرة بيضاء.

يُعرف هذا النوع من البقس في جميع سواحل البحر المتوسط الشمالي ابتداء من المحيط الأطلسي إلى جبال القوقاز، بالإضافة إلى بقعتين الأولى في الجزائر والأخرى في المغرب.

يسكن البقس الدائم الإخضرار في بعض أحراج البلوط الأخضر، والعرعر الفنيقي، والعرعر الفواح، وعلى سفوح صخرية شستية وكلسية في بعض جبال الأطلس الكبير الشرقي ما بين 1900 و2.800 م من الارتفاع.

إنه بالإمكان استعمال البقس الدائم الاخضرار للزينة لأنه سهل التشذيب. خشب البقس جد ثمين ومطلوب لأنه يعتبر الخشب المثالي للنحت والنقش، ولهذا كانت أجود قطع الشطرنج الخشبية هي التي تصنع من خشب البقس.

2 ـ بقس البليار أو بُوكْسُوسْ بَليَاريكا Buxus balearica يشبه النوع السابق لكنه يتميز عنه بعدم ظهور الزغب على الأغصان الصغيرة وبأوراق أكبر.

يصادف هذا النوع في جزر البليار حيث ينحصر في بقعة محدودة، وفي جنوب إسبانيا وفي جزيرة سردينيا وفي المغرب.

ففي المغرب يسكن بقس البليار في الغابات المنفرجة المشكلة من البلوط الأخضر أو العرعر البربري أو العرعر الفنيقي أو الأرز. وذلك في الريف، وسلسلة بني ازناسن، والاطلس المتوسط والأطلس الكبير. وفي هذه المناطق يصادف البقس ما بين سطح البحر في الريف و2.500 م من الارتفاع في الأطلس الكبير.

أما من حيث متطلباته البيومناخية فإنه يقطن في شبه الجاف وشبه الرطب والرطب ذوي الشتاء الدافئ والمعتدل والبارد والقارس. وفي كل هذه الحالات لا يبالي البقس بالنوعية الصخرية التي يعيش عليها.

استعمالات بقس البليار لا تختلف عن استعمالات النوع السابق.

أبحاث شخصية.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaitre*, Paris, 1938.

عبدالمالك بنعبيد

البقس، وله في اللسان المغربي الدارج أسماء أخرى تختلف باختلاف المناطق. عرفت هذه الشجرة الطبيعية انتشاراً كبيراً في المغرب خلال تاريخه القديم والوسيط، ثم تقلص وجودها تبعاً لتقلص المساحات الغابوية، إلا أن تقلص تجمعات شجر البقس كان كبيراً وذلك لعدة أسباب، منها : الاستغلال البشري المكثف لهذه الشجرة لميزاتها وخصائص خشبها المتمثلة في الصلابة والدقة وحسن المنظر، وتتميز عن باقي الأخشاب بكونها تصلح لصناعة الأدوات والأشياء الدقيقة والحادة الرؤوس، أي أن خشبها وعيدانها لا تنكسر رؤوسها بسهولة ولا تتشعث عند النحت أو عند الاستعمال في الأمشاط والمغازل والملاعق وما إلى ذلك (*التشوف*، ص 6 ؛ *وصف افريقيا*، 1 : 191) هذه المميزات جعلت الاستهلاك يزيد في العصر الوسيط الأوسط والأدنى بسبب التحسن النسبي في المستوى المعاشي والإقبال الكبير على المصنوعات الخشبية خاصة في المدن. أهم أماكن تجمعات البقس، غابات البلوط الفليني، أي أنها كانت تختلط بها خاصة في المناطق الساحلية والمطلة على المحيط (*وصف افريقيا*، 1 : 88، 165، 251) إلا أن غابة المعمورة ربما كانت في الدرجة الأولى حسب نفس المصدر.

تأتي صناعة الأمشاط كصناعة أولى تستهلك البقس، وليس المقصود الأمشاط المخاصة بتسريح الشعر فقط بل حتى الأمشاط المستعملة في صناعة النسيج، لأن مميزات خشب البقس تساعد على نحت تلك الأمشاط دون أن تنكسر أسنانها أو تتشعث.

هذا الاستغلال المكثف الذي أشارت إليه مصادر أخرى (*فضالة الخوان*، 53) تَراجع لعدة أسباب، منها تراجع الغابات كما أسلفنا خاصة حول المدن الكبرى، فأصبح الحصول على البقس يتطلب تكاليف ومشاق أكثر، ومنها انتشار استعمال الحديد والأدوات الحديدية بشكل أوسع منذ العصر الوسيط الأدنى (*وصف افريقيا*، 1 : 184، 188، 191) فصنعت أدوات النسيج منه. واستمرت صناعة أمشاط تسريح الشعر تعتمد على شجرة البقس لكن بكثافة أقل من السابق لدخول الأمشاط المصنوعة من العاج وقرون الأبقار في المنافسة. فقل تصدير هذه البضاعة، لكن استهلاكها بقي منتشراً في الأوساط الفقيرة لأن الأنواع الأخرى ليست في متناولها.

استمر وجود الأمشاط الخشبية إلى وقت قريب منا، إلا أنها ليست مصنوعة من شجر البقس فقط، بل دخلت أنواع أخرى من الخشب في هذه الصناعة خاصة الأخشاب المستوردة التي عرف المغرب بعض أنواعها منذ تاريخ قديم كالأبنوس مثلا، ويمكننا أن نجد بسهولة في السوق اليوم بعض الأمشاط الخشبية المنحدرة صناعتها من تاريخنا الوسيط، وقد نعثر من بينها على أمشاط من البقس.

لم تعد شجرة البقس اليوم تشكل تجمعات كبيرة كما كانت في العصر الوسيط، بل أصبحت متناثرة وسط غابات البلوط إلى جانب أنواع أخرى في المعمورة وامتداداتها جنوب وادي أبي رقراق وعلى السفوح الغربية لمنطقة جبالة وجبال الريف الغربية (*A. M.*, 1911, Vol. 17).

ي.التادلي، *التشوف* ؛ ابن رزين، *فضالة الخوان* ؛ م. الأنصاري، *اختصار الأخبار* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، الترجمة العربية.

R. Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*, Beyrouth, 2 Vol.

محمد حجاج الطويل

البَقّ، حشرة من رتبة نصفية الأجنحة Hemiptera ومن فصيلة البقيات Cimicideae. ومن أسمائها في المغرب بق الفراش، بق الخشب، بق الحيطان، وفي الشرق العربي البق والضَمْج وبنات الحصير والفسافس.

إنها ذويبة مفرطحة حمراء أو سوداء منتنة، جناحاها قصيران جدا لا يساعدان على الطيران. تنتهي مقدمة الرأس بمثك رقيق يمتص الدم ويلسع. لا يتعدى طول الحشرة 10 ملم.

يعيش من هذه الفصيلة ثمانون نوعاً في العالم من أشهرها Cimex lectularius وCimex hemipterus التي تكيفت مع الإنسان منذ أقدم العصور، وهي منتشرة الآن في جل بقاع العالم.

تعيش هذه الدويبة عادة في المنازل داخل أخشاب السقوف وداخل الفراش. تختفي في النهار وتخرج في الظلام لتلسع النائم وتمتص دمه وتعود إلى الأخشاب وفتحات الجدران لتلد البيض.

تتغذى الأنواع الأخرى عادة من دم الخفافيش ونادرا من دم الطيور.

إن البق شائع في المنازل القديمة بالمغرب، ومحاربته بالأدوية والنظافة تساعد على انقراضه.

أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، 1932.

J. Carayon, *Les Hemiptères, Grande Encyclopédie Alpha des Sciences et Techniques, Zoologie II.*

محمد رمضاني

البقّاش، أسرة تطوانية أصلها من قبائل غمارة، وكان من بين أفرادها :

البقاش، عبدالخالق بن أحمد فقيه كان حياً سنة 1818/1233 وكلمة البقاش في اللهجة الدارجة تعني الشخص الذي يقوم بالتفتيش والبحث، ومازالت هذه الأسرة بتطوان.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

بقّاق، أو البقّاق، أسرة تطوانية أصلها من قبائل جبالة وقد انقرضت بتطوان حوالي سنة 1899/1317.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

البقال، أسرة من شرفاء الغصاوة بناحية وزان، استقر بعضهم في تطوان ومكناس وغيرهما، وعنها تفرعت أسرة البقالي آتية الذكر. وهناك أفراد يدعون البقال لا صلة لهم بهذه الأسرة.

البقال، أحمد بن أحمد من مواليد مراكش سنة 1932 وهو شقيق الشهيد محمد البقال. شارك في الحركة الوطنية في سن مبكر وتعرض لمطاردة سلطات الحماية كلما تأزمت الأوضاع السياسية. وكان من بين المنظمين لمظاهرات المشور في 15 غشت 1953 المنددة بمؤامرة الاستعمار وأذنابه من الخونة فسقط فيها بعض الشهداء والجرحى وتم اعتقال أحمد البقال بعد إصابته برصالة في رجله. فقضى سنتين في السجن. ولما أفرج عنه التحق بجيش التحرير بالصحراء. وفي 14 جمادى الأول عام 17/1376 دجنبر 1956 أسندت إليه قيادة بني عامر بقلعة السراغنة، وفي 22 ربيع الأول 17/1377 أكتوبر 1957 تم نقله قائدا لقبائل تكنة وغجدامة واگلاوة الشمالية وظل متحملا هذه المسؤولية إلى سنة 1962 حيث استقال وهاجر إلى فرنسا وهناك وافاه أجله في أحد مستشفيات باريز بتاريخ 7 أبريل 1989.

م. الحبيب الفرقاني، *صفحات من تاريخ المقاومة وجيش التحرير*، ج 1 ؛ *ظهير التعيين* ؛ *جريدة الاتحاد الاشتراكي* بتاريخ 1989.4.17 ؛ *معلومات من أسرة أحمد البقال*.

محمد ماگامان

البقال، بكر أبو بن علي الحاج، ولي صالح من رجال القرن العاشر (16 م) يوجد قبره بضريح أخيه سيدي عيسى آتي الترجمة بحومة السانية بتطوان.

البقال، الطيب بن عبدالسلام، فقيه ولد بمدشر محراشن من قبيلة بني حسان سنة 1174، وكان من بين الأعيان الموقعين بتطوان على عقد البيعة للأمير مولاي سعيد بن السلطان مولاي اليزيد يوم 12 جمادى الثانية 17/1236 مارس 1821 كما كان من أعضاء الوفد التطواني الذي توجه إلى فاس لتهنئة السلطان مولاي عبدالرحمان بمناسبة عيد الأضحى لسنة 1827/1242 وكان يزاول خطة العدالة بتطوان إلى أن وافته المنية سنة 1837/1253.

البقال، عبدالجليل، فقيه تطواني زاول خطة الإفتاء بمدينته من سنة 1772/1186 إلى أن وافته المنية بها سنة 1804/1219.

البقال، عبدالفضيل بن المهدي، فقيه تطواني كان يزاول خطة العدالة بالمدينة من سنة 1819/1234 إلى سنة 1828/1243.

البقال، عبدالله بن محمد، فقيه تطواني كان يزاول خطة الإفتاء والعدالة بمدينته سنتي 1882/1299 و1883/1300.

البقال، عبدالله الحاج بن محمد، ولي صالح ولد بتطوان وتوفي بها يوم 5 ربيع الثاني 20/1207 نوفمبر 1792 وقد بني عليه ضريح بساحة الفدان بتطوان في نفس سنة وفاته، وبجانبه شيّد القائد أشعاش سنة 1834/1250 مسجدا تقام به الصلوات الخمس وصلاة الجمعة.

ويحكى عن الشيخ البقال هذا أنه سُئل عن مصير تطوان ومصيره فقال : "مسكينة يمّا. (أمي) تطّاوين وأما أنا فَهَمّي (مصيبتي) بالشبك" (أي عظيمة)، وقد فسر الناس فيما بعد هذه المقولة بأنها إشارة إلى الاحتلال الإسباني الذي تعرضت له مدينة تطوان و إلى ما آل إليه ضريحه معهم فقد حوّل الإسبان هذا الضريح المسجد عند احتلالهم لتطوان إلى كنيسة أطلقوا عليها اسم سيدتنا ذات الانتصارات. وأقاموا بها قداّسهم يوم الأحد 20 رجب 12/1276 فبراير 1860. ويذكر أيضا أنه أول مسجد تمت فيه قراءة القرآن الكريم جماعة ابتداء من يوم الجمعة 4 جمادي الثانية 14/1353 سبتمبر 1934.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 12، 4 : 89، 113، 130، 6 : 11، 13، 187 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 234، 235، 3 : 156، 217، 267، 294، 4 : 221، 5 : 326، 6 : 185، 215، 7 : 142، 247، 249، 254، 295، 8 : 117.

محمد ابن عزوز حكيم

البقال، علي الحاج، أو ابن البقال. حسب بعض النصوص ينتمي إلى شرفاء اغصاوة المشهورين ببلاد جبالة، وهو مؤسس الزاوية البقالية بها. تصفه المصادر بأنه شيخ وولي، وفقيه وأديب.

فصفته الأولى التي طغت على غيرها، ذكرت في كل الكتابات التي ترجمت له، وجلها تتفق على أن علي الحاج البقال من كبار شيوخ العصر القرن العاشر (16 م)، تظهر "الخوارق على يديه". وقد أخذ عن شيوخ مشهورين مثل عبدالله الهبطي ومحمد الخروبي السفاقسي، وغلبت على عليّ الحاج البقال طريقة الخروبي التي تميل إلى القادرية.

كان كثير الصوم، ينقطع عن الناس على عادة الأولياء. وقد أسس زاوية ببلاد الهبط، وكان له أتباع كثيرون، يقصدونه في زاويته باغصاوة من ضاحية وزان، حتى خشيه الأمراء السعديون. وقد وفد على السلطان الغالب بأمر الله مرتين، وخرج السلطان للقائه بظاهر فاس تكريما له.

ذكر صاحب *الجذوة* أنه كان ينزله "منزلة الأمراء". ولا غرابة في ذلك حيث إن الدولة السعدية كانت تعتمد بالأساس في نشر دعوتها ودعم سلطتها على مكانة هؤلاء الأولياء في قلوب العامة.

أما صفته الثانية فلم تكن أقل شهرة من الأولى حيث إن علي الحاج البقال اشتهر كذلك بالتمكن في فقه الفروع، درسه على فقهاء المشرق، وزار أقطاره وقضى هناك ما يزيد على ست عشرة سنة. وكان قرين ابن عسكر صاحب *الدوحة*. ذكر المنجور في *فهرسه* أنه قرأ عليه بالمدرسة المصباحية بفاس قبل أن ينتقل إلى زاويته باغصاوة ببلاد الهبط، حيث استمر يدرس ويشارك في المناظرات والنقاشات بين الفقهاء في غمارة وخارجها. ومن أشهر تلك المناظرات التي وقعت بينه وبين ابن عسكر حول مسألة إقامة الجمعة في قرى البادية، وبين الشيخ أبي عمران موسى بن علي الوزاني في مسألة الفرار من الطاعون.

أما شهرته بالأديب فلم نجد لها مبرراً ملموساً من شعر

أو كتابة أو غير ذلك، اللهم إلا عبارة الأديب التي وصفه بها كل من ابن عسكر والمنجور.

م. ابن عسكر، *دوحة*، ص 4039 ؛ م. الهبطي، *المعرب الفصيح*، الفصل 15 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 2 : 76 ؛ أ. المنجور، *الفهرس*، ص 77 ؛ م. القادري، *نشر*، 2 : 76.

محمد مزين

البقال، عيسى بن علي الحاج، ولي صالح توفي بتطوان في أوائل القرن العاشر الهجري ويوجد ضريحه بحومة السانية، وهو جد الولي الصالح سيدي محمد الحاج بوعراقية دفين طنجة الذي كان قبل وفاته قد أوصى بصرف جميع ماله في صيانة ضريحه.

البقال محمد بن أحمد، ولد في مدينة مراكش سنة 1926، ونشأ يتيما، فسهرت أسرته على تربيته حتى حفظ القرآن وأخذ مبادئ العربية والفقه، ثم اشتغل بالتجارة في المواد الغذائية بحي القصبة، فكان من جملة الشبان المراكشيين الذين نشأوا في أحضان الحركة الوطنية منذ الطفولة وعرفته المدينة شاباً مستقيماً ووطنياً غيوراً. تعرض للاضطهاد والمضايقات والسجن من طرف سلطات الحماية بسبب مواقفه وتأطيره السياسي داخل الحي. ومنذ مظاهرات الدارالبيضاء في دجنبر 1952 احتجاجا على اغتيال الزعيم التونسي النقابي فرحات حشاد أخذ يفكر في تغيير أسلوب العمل داخل الحركة الوطنية واختمرت فكرة التغيير في ذهنه فوجد في اعتداء المستعمر على العرش المغربي في غشت 1953 فرصة سانحة للانتقال من الدعوة إلى العمل المسلح، وقاد مظاهرات 15 غشت بالمشور سقط فيها عدد من الشهداء، وعلى إثرها اختفى عن الأنظار وشرع في العمل السري حيث أسس أول خلية للمقاومة بمدينة مراكش كان من بين أعضائها : أحمد المزوضي وعبدالقادر الوجدي وأربعة آخرون من قبيلة أولاد سيدي الشيخ بالسويهلة وخلية أخرى شكلها بمعية الشهيد العربي البناي فكانت أول تجربة لمثل هذا التنظيم السري لاختبار مخططه الذي عليه أن يراعي التنظيم والهدف ووسائل التنفيذ حتى لا ينكشف أمره. ومن المؤسف أن هذه الخلايا التي ترأسها محمد البقال لم تعمر طويلا فقد ألقى عليه المستعمر القبض في 29 دجنبر سنة 953 وحاكمه بتهمة تخريب السكة الحديدية ووضع المتفجرات والمس بالأمن العام وأعمال العنف ونفذ فيه الحكم بالإعدام في سجن العادر في 22 أبريل 1954.

معلومات من عائلة الشهيد ؛ روايات شفوية من أهل مراكش ؛ مذكرات من تاريخ المغرب، ج 7.

محمد ماگامان

البقال، (ابن ـ) **محمد** بن **محمد** بن علي. كان عالماً محصلا مشاركا محققا، قرأ الفرائض والحساب بتازا على أبي عبدالله العباس بن مهدي، والكلام على محمد الترجالي، ثم قطن بفاس حيث دأب على القراءات وأتقن المعقول، ثم اشتغل بالتفسير والفقه الخلافي، وذلك إلى جانب حظه الوافر في الأدب واللغة والبيان والعروض وقرض الشعر والكتابة. أما في الفلسفة فكان من أبرز علماء وقته فيها مع التدين والوقوف مع الشريعة. وقد عرف عنه الورع والنسك، وأصبح في آخر عمره مدرساً بارعاً في الفقه مكثراً من قراءة *القرآن*، وله أجوبة في *التفسير والأصول* أجاب بها عبدالرحمان بن العشاب (ت 1324.1323/724).

توفي محمد ابن البقال سنة 1325.1324/725 بفاس، ودفن داخل باب الفتوح، وعمره يقارب الخمسين (حسب ما أورده أحمد باب في *نيل الابتهاج وكفاية المحتاج*. وفي *وفيات الونشريسي* ورد منسوبا بالأنصاري والفاسي منعوتا بالمدرس و الكاتب، وذكرت وفاته سنة 1377.1376/778.

أ. الونشريسي، *وفيات* ؛ أ. باب، *نيل الابتهاج* ؛ *كفاية المحتاج*.

ر.د. د. ع. بكلية الآداب بالرباط.

محمد مطيع

البقال، المختار، فقيه من أعيان تطوان الذين وقعوا على وثيقة مبايعة الأمير مولاي السعيد بن السلطان مولاي اليزيد يوم 12 جمادى الثانية عام 1230.

البقال، النادي بن الطاهر، فقيه كان يتعاطى خطة العدالة بتطوان وكان من بين الذين وقعوا على عقد مبايعة الأمير مولاي السعيد بن اليزيد العلوي.

البقال، الهاشمي بن عبدالرحمان، فقيه كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1842/1258.

البقال، يخلف بن الراشدي، فقيه كان يزاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1758/1171 إلى سنة 1811/1226.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 12 ؛ 4 : 89، 113، 130 ؛ 6 : 11، 13، 187 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 234، 235 ؛ 3 : 156، 217، 267، 294 ؛ 4 : 221، 5 : 326 ؛ 6 : 185، 215 ؛ 7 : 242، 247، 249، 254، 295 ؛ 8 : 117 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب*، 1 : 188.

Rodriguez de Celis, *Rev. Mundo*, Madrid, 27 - 12 - 1911 ; P.t. de Alacon, *Diario*.

البقالي، أسرة شريفة أصلها من مدشر الحرايق بفرقة بني مدراسين من قبيلة اغصاوة قرب مدينة وزان حيث توجد زاويتهم الأم. وهي ذات فروع عديدة وشعب كثيرة حاول جمعها والترجمة لأعلامها وإثبات نسبها الشريف محمد سكيرج الطنجي في كتابه : *الدرر الآلي في إثبات الشرف البقالي*، وهو مطبوع على الحجر بفاس، وعلى الحروف بطنجة. وقد انتقل بعض البقاليين إلى تطوان وفاس ومكناس وسلا وغيرها.

واشتهر منهم بتطوان :

البقالي، أحمد بن **التهامي**، فقيه صالح ولد بقرية تاسفت بفرقة أمسا من قبيلة بني سعيد الغمارية سنة 1800/1215 وتوفي في فاتح ربيع الأول 1876/1293.

البقالي، أحمد بن **محمد** فقيه تطواني تولى القضاء بقبيلة الحوز المجاورة لتطوان سنة 1928/1347 وتوفي بمسقط رأسه سنة 1941/1360.

البقالي، التهامي بن أحمد، فقيه صالح كان إماماً بالزاوية الريسونية إلى أن وافته المنية سنة 1893/1310 بتطوان.

محمد ابن عزوز حكيم

البقالي، الطيب بن عبدالسلام، ولد بقبيلة بني حسان القريبة من تطوان سنة 1174، وفيها قرأ القرآن ومبادئ العلم، ثم قدم تطوان يافعاً وواصل الدراسة والأخذ عن علمائها، واختص بأحد علماء أسرته محمد بن المهدي البقالي وبه تخرج وتزوج ابنته.

كان له اتصال كبير بعامل تطوان القائد عبدالرحمان أشعاش، ورزق قبولا كبيراً بين الخاصة والعامة، وجاها عند الحكام، ملحوظا منهم بالتجلة والتعظيم. ولوفور عقله ودينه وصلاحه استغل ذلك كلّه في الإصلاح بين الناس، فكان يخرج لإصلاح ذات البين وإطفاء نيران الفتنة والشحناء عندما تتقد بين القبائل وعشائر البادية.

ومن مواقفه المذكورة أن مولاي إبراهيم بن مولاي اليزيد لما خرج داعيا لنفسه مخالفاً على عمه مولاي سليمان وقدم تطوان توفي بها بالقرب، فقام أخوه مولاي السعيد مطالبا أهل تطوان ببيعته، وفاوضهم في ذلك، فلم يجبه منهم إلاّ المترجم قائلا له : نحن لا نبايعك. فقال له ولِمَا ؟ قال : لأن بيعة عمك في أعناقنا ولا يجوز لنا خلْعه بدون سبب شرعي، فأمر في الحال بسجنه، وبينما الأعوان يسوقونه مع المسجونين مصفّدين بالأغلال نازلين إلى (باب الرُّموز) مروا بداره التي كانت قرب مسجد الساقية الفوقية، فقال القائد أحمد اعنيقد رئيس (الطّبجية) الآن سنأكل هذه الدار يعني نهبها، فسمعته بنت السيد الطيب فقالت وهي باكية مشفقة على مصير أبيها وهي تطل عليهم : الله يجعلك فريسة للذياب. فكان من قدر الله إجابة لدعوة البنت المظلومة أن مولاي سعيد خرج لقبيلة الحياينة فخرج عمه مولاي سليمان لمقابلته فقيل له : إن بمحلة ابن أخيك مولاي السعيد معلماً (طبجيا) لا نظير له، يقال له المعلم أحمد اعنيقد، فوجه إليه جنداً أمرهم بقتله بحيلة للتخلص منه، فتسلل الجند لمعسكر مولاي السعيد وجعلوا ينادون المعلم فلما أجابهم وخرج جاهلا بهويتهم أفرغوا فيه بنادقهم وفروا، فقامت الحرب وسرعان ما انكسر مولاي السعيد فلجأ إلى الضريح الادريسي بفاس محتميا به، وتفرق شمل جنده، وتُرك المعلم اعنيقد مضرجاً بدمائه في العراء بأرض المعركة حتى أكلته الذياب.

ولما وقع الصلح بين المولى سليمان وابن أخيه السعيد سرح السلطان مساجينه ومن جملتهم الفقيه السيد الطيب البقالي، فأنعم عليه وعرض عليه قضاء تطوان فأباه، وظل مشتغلا بالتدريس والعبادة إلى أن توفي - رحمه الله - سنة 1253 / 1837، ودفن بالزاوية البقالية بالطرافين.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط، 6 : 11.

محمد بوخبزة

البقالي، عبدالسلام المعروف بسيدي عبدالسلام دَ البحر وبكحل العيون، ولي صالح لا نعرف عنه سوى أنه مدفون بشاطئ مرتبل بالضفة اليمنى من النهر التي تعرف بديزة سيدي عبدالسلام.

البقالي، عبدالله بن عبدالسلام، ولي صالح توفي بتطوان سنة 1854/1270.

البقالي، محمد بن أحمد بن التهامي، فقيه ولد بتطوان سنة 1838/1254 وكان خطيبا بجامع القصبة من سنة 1910/1320 إلى أن أعفي يوم 14 جمادى الثانية 23/1328 يونيو 1910. وقد توفي يوم الجمعة 22 محرم 8/1336 نوفمبر 1917.

البقالي، محمد بن **الحسني**، فقيه طبيب من أهل تطوان، وصفه الفقيه الرهوني بقوله "النبيه النبيل الأصيل الطبيب الماهر، ذو السر الظاهر، والخارق الباهر وقد حصلت له بمطالعة *قانون* الشيخ أبي علي الحسن ابن سينا و*تذكرة* الشيخ داود الأنطاكي وغيرهما ملكة في الطب والتشريح يعجز عن إدراكها من أفنى عمره في "الاسبطارات" و"المارستانات" وله من الاطلاع على مفردات الأدوية ومركباتها ما يعجز عنه أكبر صيدلي، والحاصل أن الله سبحانه قد فتح عليه في هذا الفن فتحاً كبيراً".

البقالي، محمد بن **عبدالسلام**، فقيه كان يزاول خطة العدالة بتطوان إلى أن توفي بها يوم الإثنين 9 جمادى الثانية 15/1317 أكتوبر 1899.

البقالي، المفضل بن عبدالسلام، مجذوب كتب في شأنه السلطان مولاي عبدالرحمان يقول في رسالة موجهة إلى باشا تطوان محمد أشعاش بتاريخ جمادى الثانية 1839/1255 "تأمرك أن تدفع لحامله البركة السيد المفضل البقالي أربعة أذرع من الملف وخمسة وعشرين ذرعاً من الطرول وعشرين مثقالا" وقد توفي سنة 1854/1270.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 1 : 115، 184 ؛ 2 : 114 ؛ 6 : 13، 15، 150، 151، 187، 188 ؛ 8 : 12 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 324.

البَقُّولي، أسرة تطوانية مجهل كل شيء عنها بالرغم على أنها كانت من أنبل أسر تطوان، بدليل أنه كان من بين أفرادها شخص أرسله السلطان مولاي إسماعيل سفيراً إلى انجلترا ونحن نجهل اسمه الشخصي لعدم توفرنا على وثائق تتعلق به وبمهمته باستثناء ما أورده عنه الكاتب الانجليزي برايطوايط Braithwait في رحلته المشهورة حيث قال إن البقولي أرسله مولاي إسماعيل سفيراً إلى أنجلترا أواخر سنة 1726 وأنه حلّ بجبل طارق عائداً من الديار البريطانية

يوم 29 أبريل 1727. وكان بصحبته السفير البريطاني جون روسيل John Russel.

ويبدو أن البقولي علم بوفاة مولاي إسماعيل عند حلوله بجبل طارق، وحيث إنه كان يحمل معه هدايا ثمينة من ملك أنجلترا إلى ملك المغرب فلم يقدم على الرجوع إلى أرض الوطن في الوقت الذي كانت فيه الأوضاع مضطربة حيث إن سكان تطوان كانوا على خلاف مع الباشا أحمد الريفي الموجود آنذاك بطنجة، فإذا عاد البقولي إلى طنجة فسوف تتعرض أسرته إلى غضب سكان تطوان، وإذا عاد إلى مسقط رأسه وقع في غضب الباشا، وهذا ما جعله يفضل البقاء بجبل طارق إلى أن يقع انفراج في الحالة المضطربة، وحيث إن حاشية السلطان مولاي أحمد الذهبي كانت تنتظر بفارغ الصبر الحصول على "حقها" في الهدايا الثمينة فقد أوحوا للسلطان بأن يبعث أمير البحر عبدالقادر بِّيريس إلى البقولي يأمره بالعودة إلى أرض الوطن فكان وصول البقولي إلى طنجة يوم 10 سبتمبر.

هذا كل ما نعرفه عن هذا السفير التطواني الذي لم نجد ذكره في أي مصدر مغربي باستثناء ما نشره الفقيه داود اعتماد على ما جاء في كتاب Braithwait.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 105، 162، 318 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Braithwait, *Histoire des révolutions de l'empire de Maroc depuis la mort du dernier empereur Muley Ismael*, Amsterdam, 1731 ; Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*.

البَقّيقي، أسرة غمارية كانت بتطوان إلى حدود سنة 1677/1088 حيث انقرضت على إثر الوباء الذي كاد يقضي على سكان المدينة كافة.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

بَقّيوَة، أو بقُّوية، قبيلة تقع بناحية الريف (إقليم الحسيمة) وتحد شمالا بالبحر المتوسط، وتحيط بها قبائل بني ورياغل وبني يطفت. وتقدّر مساحتها بـ 281 كلم²، وكان عدد سكانها سنة 1946 : 11.135 نسمة، يتكلمون باللهجتين الريفية والعربية الدارجة. وبهذه القبيلة كانت توجد مدينة بادس، وسوقها الرئيسي يوجد بأحد الرواضي، كما تحتوي القبيلة على أربعين مسجداً و أحد عشر ضريحا وثلاث زوايا وأحد وأربعين كتاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى ثلاث فرق هي : أزغار (17 مدشراً) وايزمُّورن (9 مداشر) وتبگْذيث (15 مدشرا).

وفي النظام الاداري الحالي تنقسم القبيلة إلى جماعتين قرويتين هما جماعة ايزمُّورن وجماعة الرواضي.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 20، 63، 91، 122، 124 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 257 ؛ ع. بنعبدالله، *الموسوعة*، 101.

Aranda, Coronel, *Geografia de Marruecos en general y de la zona española de protectorado en particulier*, s. l. s. a. ; A Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos de Marruecos*, Madrid, 1916 ; Comisiòn histórica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, T. II ; A. Domenech, *Zona Norte* ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos*, Melilla, 1926 ; *Vademecum*.

البقّيوي، أو البَقُّويي، أسرة تطوانية أصلها من بقّيوة أو بقُّوية، وكان من بين أفرادها بتطوان بعض الفقهاء مثل:

البقّيوي، أحمد بن حدو المتوفى سنة 1871/1288.

البقّيوي، علوش بن عمر الذي كان يتعاطى خطة العدالة بتطوان سنة 1897/1315.

وما زالت هذه الأسرة بتطوان.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

البُقُول، (عام ـ) أطلق في المغرب على سنة 987/ 1580.1579. ويرجع سبب هذه التسمية إلى كون المغاربة خلال العام المذكور اضطروا إلى أكل البقول أي حشائش الأرض لقلة المنتجات الزراعية وشدة الغلاء. (*نزهة*، 161). بل تذكر بعض المصادر التي اهتم أصحابها بمنطقة الشمال الغربي أن المجاعة والغلاء كانا شديدين للغاية إلى حد أن سكان أحواز مليلية وغساسة وغيرهما من الثغور المغربية المتوسطية المحتلة آنذاك اضطروا إلى بيع أولادهم للنصارى (*مطلب*، الفصل 9).

وقد سميت هذه السنة أيضاً بعام كحيكيحة لانتشار مرض السعال، الذي أزهق أرواح عدد كثير من المغاربة (*نزهة*، 191 ؛ *الاستقصا*، 5 : 191).

مجهول، *تاريخ الدولة السعدية* ؛ م. الإفراني، *نزهة* ؛ ع. البطوئي، *مطلب الفوز والفلاح*، مخطوط، خ. ع ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*.

أحمد الوارث

بَقِيّ، (ابن ـ) **أحمد** بن يزيد بن عبدالرحمان الأموي، يكنى أبا القاسم. ولد بقرطبة في 12 ذي القعدة عام 1142/537. وهو ينتمي إلى بيت من أجل بيوت قرطبة، والأندلس قاطبة، علماً ونباهة، وقد توارث سلفه خطه القضاء بالأندلس منذ عهد بني أمية، وهو من أحفاد محدث الأندلس الشهير بقيّ ابن مخلد.

درس أحمد بن بقي على عدد من علماء الأندلس أمثال ابن بشكوال وأبي جعفر بن مضاء وأبي القاسم ابن حبيش والإمام السهيلي وابن الرمامة وابن مسرة وابن عات وأبي الحسن بن وهب وغيرهم ممن ضمنهم في برنامجه الذي لم يصل إلينا، وإنما نقل عنه بعض من ترجموا له.

وقد برع المترجم في علوم اللغة والعربية حتى عُد إماما فيها، كما كان له تمكن في علم الحديث والفقه والتفسير.

تنعكس شخصية أحمد بن بقيّ في التراجم التي خُص بها وأشادت بقوة شخصيته وأخلاقه الرفيعة ومكانته العلمية المتميزة، فقد أشار بعض مترجميه إلى ميوله المذهبية الظاهرية وتشيعه لابن حزم، رغم أنه أولى *موطأ الإمام مالك* عناية خاصة دراسة وتدريساً، حيث إنه انفرد بروايته عن ابن عبدالحق قراءة وعن ابن الطلاع سماعاً، ولهذا عده صاحب *نيل الابتهاج* من علماء المالكية نقلا عن *فهرس* أبي القاسم ابن الشاط.

ومما يؤكد ظاهرية ابن بقي إضافة إلى شهادات مترجميه، اختيار يعقوب المنصور الموحدي له وتعيينه قاضياً للجماعة بمراكش سنة 1195/592 بعد عزل القاضي محمد بن علي ابن مروان الذي كان هو الآخر ظاهري المذهب، في وقت أبدى فيه المنصور تشجيعه لعلماء الظاهرية والمحدثين، بعد قيامه بإحراق كتب المذهب المالكي ومتابعة بعض فقهائه.

وقد كان أحمد بن بقي يعمل بمقتضى الظاهرية في أحكامه القضائية، ومن ذلك أنه كان لا يرى الحكم بالتدمية ولا العمل بها.

ويبدو أن ارتياح المنصور لابن بقي جعله يسند إليه - إضافة إلى قضاء الجماعة - خطة المظالم التي كان الخليفة يتولاها بنفسه، وخطة الكتابة العليا، أي ديوان الرسائل السلطانية، نظراً لما كان المترجم يتمتع به من إجادة في كتابة الرسائل وميل نحو السهولة والاختصار.

ومما يثير الانتباه في ترجمته أن المنصور اشترط عليه عندما عينه قاضياً للجماعة أن يجلس للحكم بين الناس في مكان لا يفصله عنه سوى ستر من ألواح حتى يتمكن المنصور من سماع أحكامه في القضايا التي تعرض عليه. وربما كان ذلك رغبة من المنصور في مراقبة القضايا التي تعرض عليه في إطار نظره في المظالم التي تتجاوز عادة اختصاص القضاة. ولا شك أن المنصور اتخذ هذا الإجراء بعد توقفه عن الجلوس للأحكام بنفسه في مسجد مراكش، وكذا عن الجلوس للمظالم من حين لآخر.

لقد برهن ابن بقي عن جديته واستقامته مدة ولايته لقضاء الجماعة إلى أن توفي المنصور سنة 1198/595 ولم يلبث ابنه محمد الناصر، على الرغم من وصية المنصور له بأن يُترك في القضاء ما حَيِي، أن عزله في السنة الموالية وعيّن القاضي محمد بن علي ابن مروان في ولايته الثانية.

وقد استقر ابن بقي بمراكش مدة طويلة بعد عزله، ثم عُين قاضيا على بلده قرطبة، وصُرف عن القضاء قبل وفاته بقليل.

وإلى جانب مهامه القضائية كان أحمد بن بقي يجلس لتعليم الطلبة سواء بمراكش أو بقرطبة حتى سمع منه خلق كثير، ونظراً لعلو أسانيده وكثرة سماعه تنافس الطلبة والعلماء في الأخذ عنه. ومن تلاميذه جلة من علماء القرن السابع الهجري أمثال ابن الزيات صاحب *التشوف*، وأبي الحسن الرعيني، وابن القطان المراكشي.

ألف ابن بقي *كتابا في الآيات المتشابهات*، اعتبره العلماء أحسن شيء في بابه، وكان يعتني بتدريسه إلى درجة أنه لم يكن يفارقه في سفر ولا حضر. كما وضع *برنامجا* جمع فيه شيوخه ومروياته ومقروءاته، لكن واحدا من الكتابيين لم يصل إلينا.

وإضافة إلى هذا فقد كان ابن بقي يقرض الشعر وجمع *ديوانه* في حياته، وتوجد بعض المقطعات متفرقة في الكتب التي ترجمت له.

ع. المراكشي، *المعجب*، 264، 285، 312 ؛ أ. الرعيني، *برنامج شيوخ الرعيني*، ت. إ. شبوح، دمشق، رقم 16، ص 50 ؛ ابن الأبار، *التكملة*، ت. عزة العطار الحسيني، القاهرة، رقم 292، ج 1، ص 115 ؛ م. ابن عبدالملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، ت. إحسان عباس، بيروت، رقم 264، ج 4 : 140 ؛ أ. النباهي، *تاريخ قضاة الأندلس*، نشر ليفي بروفنصال، القاهرة، 1948، ص 117 ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب* (قسم الموحدين) ص 232 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، ت. إحسان عباس، 5 : 68 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، ت. عنان، 4 : 190 ؛ أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج*، ص 63 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط. الرباط، ت رقم 165، 2 : 135 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 1 : 271.

محمد مغراوي

بَكّادة، مبارك، ولد حوالي 1932 بقلعة السراغنة وسط عائلة متواضعة، حيث حفظ القرآن وتعلم قواعد الدين فشبَّ مؤمنا زاهداً. وفي ريعان شبابه انتقل إلى مدينة القنيطرة ليعمل هناك كسائق طاكسي. واحتجاجا على السياسة العدوانية التي كانت تقوم بها سلطات الاستعمار انضم إلى صفوف المقاومة السرية بمنظمة "اليد السوداء" تحت مسؤولية سفيان العربي، وكان نشاطه موزعا بين مدينتي قلعة السراغنة والقنيطرة، حيث شارك في عدة محاولات لاغتيال الخونة بكل من المدينتين المذكورتين.

وبالقنيطرة حصل على مسدس لاغتيال أحد عملاء الاستعمار. وأثناء جمع المعلومات عن هذا الخائن علم به هذا الأخير واستعد لمواجهة الموقف. ورغم ذلك استطاع الشهيد التمكن منه إلا أنه أثناء قيامه بالعملية تعثر مسدسه فأطلق عليه الخائن الرصاص وسقط بكادة صريعا على الأرض سنة 1954.

وثائق الندوبة السامية للمقاومة.

عزالدين العلام

بِكار، إرنيست Picard, E. محام وصحافي بلجيكي رافق البارون ويطنال وزير بلجيكا المقيم بطنجة أثناء سفارته لدى السلطان الحسن الأول سنة 1889. وقد أصدر سنة 1893 كتابا بعنوان : *المغرب الأقصى* تحدث فيه عن أحوال المغرب. وكان مراسلا لصحف بلجيكية وجريدة *التايز أوف مروكو* أثناء وجوده بالمغرب.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1524.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 269.

مصطفى بوشعراء

أبو بكر بن أحمد الوطاسي، حفيد محمد البرتغالي ابن محمد الشيخ مؤسس الدولة الوطاسية. ترتبط بداية ظهور اسم أبي بكر بالمعارك التي دارت بين المتأخرين من بني وطاس وبين الشرفاء السعديين القائمين بسوس. وهكذا نجد هذا الأمير يقود جناحاً من جيش والده أحمد الوطاسي في معركة درنة أمام السعديين (شتنبر 1545)، حيث انتهت المعركة بانهزام الوطاسي ووقوعه وابنه أبي بكر في الأسر.

ثم نجد أبا بكر طليقاً قائداً لقبيلة قلعية، ينظم بمساعدتها هجوما على الإسبانيين في مليلية (يناير 1554). وظل على صلة بأبي حسون عم والده بعد أن انهزم بدوره أمام السعديين وفر مستنجداً بالإسبان ثم بالبرتغاليين، فكان يتصل به ويكاتبه وينقل إليه أخبار المغرب ورغبة أهل فاس في عودته إليهم.

يظهر أن أبا بكر التحق بالجيش التركي الوافد على المغرب نصرة لأبي حسون، وأنه تقرب من قائد الحملة التركية صالح رايس إلى حد أنه فكر في تنصيبه ملكاً على فاس، تشويشاً على أبي حسون واحتجاجا بكونه أحق منه بولاية عهد أبيه أحمد، فكان أن ثار أهل فاس ومالوا لأبي حسون، فعاد التركي عن عزمه (يناير 1555) وتسارعت الأحداث بهجوم السعديين على فاس وتغلبهم على أبي حسون في معركة انتهت بمقتله.

وقد فر أبو بكر إلى تلمسان حيث توفي فيها بالوباء قريبا من دخوله إليها أواخر سنة 966/1555.

د. دي طوريس، *تاريخ الشرفاء*، تر. م. حجي و م. الأخضر ؛ ك. مارمول، *افريقيا*، تر. جماعة من الأساتذة.

S.H.H.M ; Série saadienne, Espagne Tomes I et II.

عبداللطيف الشاذلي

أبو بكر بن عبدالحق المريني، كنيته أبو يحيى. خلف أخاه محمد بن عبدالحق على رأس قبائل بني مرين سنة 1244/642، وساندته جميع قبائل بني مرين إلا قبيلة بني عسكر التي تحالفت ضده مع أعدائه بني عبدالواد وكذا مع الخليفة السعيد الموحدي. عمل أبو بكر على تقوية بني مرين الذين تنتمي إليهم عشيرته. وكان هدفه هو جمع شملهم ليتأتى له استغلال خيرات البلاد والاستيلاء على حكم الموحدين. وليضمن لنفسه إخلاص شيوخ القبائل وولاءهم منح كل واحد منهم إقطاعاً. وقد طلب منهم أن يُمدُّوه بالرجال المحاربين والفرسان، وبعد أن استتب له الأمر على قبائل الموحدين، بدأ يُغير على ممتلكات الموحدين بالبوادي. وقد اكتسب خبرة في تدبير الشؤون. كما كانت له خطة محكمة في الميدان العسكري تتمثل في اجتناب مواجهة العدو إذا كان الأمر لا يقتضي ذلك. وكانت تلك هي خطته حينما قام باحتلال مكناس وجاء إليه الخليفة السعيد بجيوش عديدة لا قبل له بها. فكان رد فعله أن اجتنب المعركة ولاذ بالفرار. وقد استطاع ان يدُس الدسائس ويُفرّق الحلف الذي كان قد تكون ضده. وكان هذا الحلف ـ كما رأينا ـ يضم عسكر الموحدين وبني عبدالواد إلى جانب بني عسكر. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل إنه أفلح في خلق العداء بينهم حتى إن الخليفة السعيد الموحدي قام بمحاربة يغموراسن العبد الوادي ولقي حتفه أثناء المعركة التي دارت بينهما. وكان قد منع أخاه من الجواز إلى عدوة الأندلس قصد الجهاد.

ولما قُتل الخليفة السعيد الموحدي وعلم بذلك أبو بكر انتظر فلول جنود الخليفة المهزومين في گرسيف وقضى عليهم. ثم أدمج في عسكره جُند النصارى والغُزّ الذين كانت لهم دراية وبراعة في الرّماية واستعمال القوس. وكان ذلك مما منح التفوق لجنوده من الرجال والفرسان. وهكذا تكوّن لديه جيش متنوع الاختصاصات، فتوجه إلى فاس واحتلها واتخذها عاصمة له، ثم احتل تباعاً تازا ومكناس ثم الرباط وسلا. وبينما هو في فاس، جاء لمقاتلته الخليفة الموحدي المرتضى الذي تمكن من استرجاع الرباط وسلا، فخرج إليه أبوبكر وجابهه وهزمه.

في سنة 1257/655 استولى أبو بكر على الرباط وسلا من جديد ثم على سجلماسة وسيطر على أغلبية حواضر المغرب إلا مراكش. وعيّن العمال ونظم الجبايات وقرّب إليه الفقهاء الذين كانوا معادين للموحدين، وقد عيّن أحدهم وهو الفقيه أبو عبدالرحمان المريني كاتبا لها.

وهكذا يمكن القول إن أبا بكر هو مؤسس الدولة المرينية الناشئة لكونه مهّد السبيل لأخيه يعقوب بن عبد الحق أول سلطان من بني مرين. وهو الذي قضى على الموحدين بصفة نهائية. ومن الجدير بالذكر أيضا أن فترة أبي بكر شاهدت نشأة العديد من مؤسسات المخزن المريني.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ مجهول، *الذخيرة السنية* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ إ. ابن الأحمر، *روضة النسرين*.

M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc (XIV°, XV°s)*, Paris, 1987 ; A. Khaneboubi, *Les premiers Sultans Mérinides, 1269 - 1331 : Histoire politique et sociale*, Paris, 1987.

أحمد الخنبوبي

أبو بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين، يحرّف اسمه أحيانا إلى بكُّور أو بكُّو، وهي صيغة للتدليل والحميمية. وهو أول ولد لعلي بن يوسف وُلد له وهو ابن ست عشرة سنة، عام 493، وجده يوسف ما زال بقيد الحياة. واختار والده أن يوجهه إلى الأندلس، ليتلقى تربية راقية حسب تقاليد الأسر الأرستوقراطية بتلك البلاد فيجمع بين العلم المتين والتهذيب الرصين. وأسند تكوينه إلى الطبيب المشهور عبدالملك بن زهر. فنمت شخصية أبي بكر وتأكدت بفضل تلك التربية التي أبعدته عن جو البلاط السلطاني والتي جرت في جو لا يخلو من الحرية والجد مع الصرامة. فاكتسب من ذلك روح الاعتزاز والاستقلال برأيه والعزوف عن مواقف الضعف والاستكانة. الشيء الذي سبب له مشاكل في حياته. وقد لخص ابن عذارى طبيعته حين قال عنه إنه "كان ذا مروّة ونجدة". ولعل أباه اصطدم بشخصيته القوية فلم يكن دائما راضياً عنه بل وجه إليه مرة رسالة يعاتبه فيها.

تقلد أبو بكر أول منصب في الدولة وهو ابن خمس وعشرين سنة، حين عينه والده واليا على أشبيلية في محرم سنة خمسمائة وثمان عشرة، وعزله عنها في رجب سنة خمسمائة واثنتين وعشرين، فكانت مدة ولايته أربعة أعوام وخمسة أشهر. وهي مدة يدل طولها على أنه كان موفقا في مهمته مسموع الكلمة من المرابطين والأندلسيين على

السواء، في وقت كانت الأندلس تجتاز ظروفاً حرجة وتعاني أزمات حادة.

فنجده في سنة 1127/520، يخرج على رأس قوات أشبيلية للمشاركة في مطاردة ألفونسو المحارب الذي أراد أن يقوم بهجوم واسع النطاق على أراضي المسلمين بالأندلس ووصل بتهديده إلى غرناطة، ولكنه اضطر إلى التراجع أمام مقاومة المرابطين وهجماتهم المضادة. إلا أن هؤلاء تكبدوا، مع ذلك، هزيمة بسبب خطإ ارتكبه القائد الأعلى أبو الطاهر تميم بن يوسف.

عزل علي بن يوسف ابنه أبا بكر عن ولاية أشبيلية سنة 522، لا لخطأ ارتكبه في أداء مهمته، ولكن لأنه لم يرض عن تقديم أخيه سير لولاية العهد، معتبراً، ولا شك، أنه أكبر منه سناً. والظاهر أن علياً لم يعتبر مسألة السن، بل ربما كان متأثراً بايحاءات من داخل بلاطه، من النساء ومن بعض رجال حاشيته. وهذا ما جعله ينحّي أكبر أولاده أبا بكر من ولاية العهد، إلا أن هذا الأخير، نظراً لقوة شخصيته، لم يرضخ لقرار أبيه، ولم يرد أن يعترف بأخيه سير ولياً للعهد.

اكتست القضية، حينئذ، جانبا من الخطورة بالنسبة لمستقبل الدولة. فلم يجد علي بن يوسف، تلافيا للخطأ السياسي الذي ارتكبه، بداً من عزل أبي بكر ونفيه إلى الصحراء. ولنقل، بين قوسين، إن قضية ولاية العهد كانت تثير دائماً مشاكل في تاريخ المغرب، لأنها لم تكن خاضعة لقواعد ثابتة وصارمة. والذي زاد في حنق أبي بكر أن والده كان، في نفس الوقت، يعترف بكفاءته، إذ عينه قائداً أعلى على جيش المرابطين بالأندلس منذ سنة 520 واستطاع أن يقود حملة عسكرية إلى كولية في سنة 522.

نُقل أبو بكر إلى الصحراء مكبولا. لكن سرعان ما زال غضب والده عليه، خصوصاً وقد أصبحت الدولة المرابطية تواجه حرباً مصيرية أمام تنامي خطر الحركة الموحدية الناشئة تحت قيادة ابن تومرت، وتحتاج إلى تجنيد كل الكفاءات لحسم الداء. وهكذا رجع أبو بكر إلى مراكش ليكون بجانب والده وأسندت إليه، حسب *القرطاس* قيادة "جيوش عظيمة من لمتونة وقبائل صنهاجة والحشم وغيرهم" لملاقاة عساكر الموحدين التي كانت قادمة من تينمل إلى مراكش. وجرت المعركة في أغمات ودامت ثمانية أيام وانتهت بهزيمة المرابطين. ويقول صاحب *القرطاس* في هذا الصدد :

"فهزم الأمير أبو بكر بن علي ولمتونة. وتبعهم عبد المومن ابن علي بجيوش الموحدين يقتلونهم في كل فج، واتصلت الهزيمة إلى أن أدخلوهم مدينة مراكش وسدوا الأبواب في وجوههم. فحاصروهم بها ثلاثة أيام . ثم ارتحلو عنها إلى تينمل" (ص 179).

ويذكر ابن القطان والبيذق معارك أخرى حضرها أبو بكر في الخروبة وفي تيفنوت وفي أمجدار عام البحيرة أي سنة 524، دون أن يحقق أي انتصار. ومعلوم أن المؤلفين كان هواهما إلى جانب الموحدين كما يظهر ذلك بوضوح من قراءة روايتهما.

وتسكت المصادر بعد ذلك عن أبي بكر، ولعله ظل إلى جانب والده يسانده ويساعده في تلك الظروف الحرجة التي أصبح فيها وجود الدولة المرابطية مهدداً. ومن رواية أوردها ابن القطان يظهر أنه كان يتصدى للقبائل التي وحِّدت، فينتقم منها بما يدل على أن سكان المغرب أصبحوا في تلك الآونة يتعرضون لإرهاب مزدوج : إرهاب الموحدين وإرهاب المرابطين. وهو ما حدث، مثلا، بالنسبة لبني سوار من منانة الجبل" الذي قتل منهم أبو بكر بن علي أشياخهم وأعيانهم لأجل توحيدهم في كاسطت من منانة" (*نظم الجمان*، ص 241).

وفي سنة 533، توفي ولي العهد سير بن علي، فلم يكن من علي بن يوسف إلا أن تناسى أبا بكر، مرة أخرى، وأسند ولاية العهد لأخيه تاشفين، فعاوده حينئذ ريح الرفض، ولم يرض بقرار أبيه. ولم يكن والده يطمئن إلى موقفه إذا توفي ونودي بولي العهد خلفا له. لذلك، عمد إلى نفيه، مرة أخرى، ووضعه تحت الحراسة. ويصف لنا ذلك ابن عذارى بقوله :"ولما يئس (علي) من نفسه، أمر عند ذلك بإخراج ابنه أبي بكر من مراكش وحمله إلى الجزيرة الخضراء ليسجن بها، لأنه خاف من خوضه في أمور. فأصاب أبا بكر في سفره مرض، فكان الرجال يحملونه على أعناقهم. ووصل المذكور إلى الجزيرة فسجن بها ولم تطل مدته في محبسه هذا إلى أن هلك" (4 : 101).

وهكذا، يكون موت أبي بكر قد حدث فيما بين سنتي 537 و538 أي مات وهو لم يتخط الشباب إلا بقليل، إذ لم يتجاوز خمسا وأربعين سنة. وعندما نتأمل ترجمته، ندرك أن الدولة المرابطية كانت تعاني مشاكل داخلية تصل إلى الأسرة الحاكمة ذاتها، مما يدل على وجود شروخ داخل العصبية الصنهاجية التي كانت ترتكز عليها. وتلك إحدى نقط الضعف في معسكر المرابطين التي ساعدت خصومهم على الإطاحة بدولتهم في خاتمة المطاف.

م. ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*.

أبو **بكر** بن **عمر** بن تلاكاكين اللمتوني، ثالث أمراء المرابطين بالصحراء. كان أولهم هو يحيى بن إبراهيم الگدالي الذي استصحب معه عبدالله بن ياسين إلى الصحراء بعد عودته من الحج. ولما توفي انتقلت الرياسة من قبيلة گدالة إلى قبيلة لمتونة، لأن عبدالله بن ياسين قائد المرابطين وزعيمهم الذيني لاحظ أن هاته الأخيرة أكثر إقبالا على دعوته وأكثر مساهمة في نشرها والدفاع عنها، فاقترح أن يكون أمير صنهاجة اللثام منها. وهكذا كان ثاني أمرائهم هو يحيى بن عمر بن تلاكاكين (وفي رواية تكلاكين) اللمتوني. وفي عهده توسعت مملكة المرابطين من تخوم السودان إلى سجلماسة. وأدركته الوفاة في بعض غزواته ببلاد السودان سنة 1056.55/447.

وعندئذ، قام عبدالله بن ياسين بتعيين أخيه أبي بكر بن عمر سنة 1056/448. وتلح المصادر على إعطاء الأولوية في السلطة الفعلية لعبدالله بن ياسين، جاعلة من الأمير اللمتوني مجرد منفذ لإرادته. ولا ننس أن معظم المصادر كتبها فقهاء أو متفقهون، ولذلك فهم يشعرون بتعاطف خاص مع فقيه جزولة الذي استطاع أن يحل في مقام الزعامة والرياسة بفضل علمه وذكائه. ولا شك أنهم يبالغون بعض الشيء في تقديرهم للوضع السياسي الحقيقي في تلك الفترة الأولى من تاريخ المرابطين.

والحقيقة أن عبدالله بن ياسين كان محتاجا إلى اقتسام السلطة مع أمير صنهاجي، اعتباراً لعامل العصبية، من جهة، وللاختصاص في مباشرة الحرب، من جهة أخرى. فعبدالله بن ياسين جاء كفقيه وعالم إلى صنهاجة لا كرجل متمرس بالحروب. فكان لا بد من أن يستند إلى قائد متعود عليها مستعد للقيام بمهام القيادة العسكرية. كما أن صنهاجة كانوا محتاجين إلى عبدالله بن ياسين، فيما يخص الدين وسائر الأحكام الشرعية والآداب الاسلامية. هنالك، إذن، تعاون وازدواجية في مباشرة السلطة، شبيهة بما نجد عند بعض الدول المسيحية في التمييز بين السلطة الروحية والزمانية. وهذا ما هو واضح من عبارة *القرطاس* حين يقول :

"لما توفي يحيى بن عمر، قدَّم عبدالله بن ياسين عوضا عنه أخاه أبا بكر بن عمر وقلده أمر الحرب" (ص 128).

والظاهر أن عبدالله بن ياسين كان يفضل أن يتحلى بلقب الإمامة ويزهد في لقد الإمارة، إذ نراه، حسب ابن عذاري، يتوجه بأبي بكر إلى سجلماسة ليأخذ له البيعة من أهلها. ثم يجدد أبو بكر تلك البيعة بنفسه سنة 450 في سجلماسة ذاتها.

ومنذ ذلك الحين تُفيض المصادر في ذكر أعماله، ففيما بين 548 و550، تقدم أبو بكر على رأس جيشه وفي طليعته ابن عمه يوسف بن تاشفين لغزو بلاد سوس، حيث فتح الأطلس الصغير أي بلاد جزولة واستولى على مدينتي ماسة ورودانة، وهنالك قضى على نحلة البجلية المنبثقة عن الشيعة الرافضة التي كانت انتشرت هنالك منذ عهد العبيديين. ويظهر أن المعركة معهم كانت حامية ودامية وانتهت باقرار مذهب السنة في المنطقة وإقامة جهاز إداري بها.

وبعد ذلك قام عبدالله بن ياسين بإخضاع جبل درن وما بقي من بلاد المصامدة، فكان من المدن التي فتحها شفشاوة ونفيس كما أخضع قبائل گدميوة ورگراگة وحاحة. وبعد ذلك، اتجه إلى أغمات. والظاهر أن خطة المرابطين كانت هي الحصول على خضوع المصامدة، أقوى شعب وأوسعه استقراراً بأراضي المغرب، والاستعانة بهم لإخضاع بقية البلاد. ولذلك نرى المرابطين منذ البداية يتصلون بهم ويوجهون لهم الزكوات والصلات ويعملون على التقرب منهم، ويبلغونهم دعوتهم.

وبرغم كل تلك الاحتياطات السياسية، كان لا بد للمرابطين من الاستيلاء على أغمات التي كانت تعتبر عاصمة الجنوب آنذاك. واشتهرت عند الجغرافيين الذين تحدثوا عنها بالخصب والثراء. وكان يبرر استيلاءهم عليها كونها كانت تحت حكم أمير من خصومهم زناتة : لقوط بن يوسف المغراوي. ثم إن دخولها في حوزتهم سيزيد من هيبتهم لدى سكان الأطلس الكبير والحوز. لذلك فإنهم بقيادة أبي بكر قاموا بفتح أغمات في سنة 450 على الأرجح وطردوا منها لقوط الذي التجأ إلى تادلا، فطارده أبو بكر وقتله في معركة جرت بعد ذلك بشهرين.

وترك لقوط وراءه أرملة اشتهرت في وقتها بالجمال والذكاء وصواب الرأي هي زينب بنت إسحاق النفزاوية. فخطبها أبو بكر وتزوجها. ولا شك أنها ساهمت في كثير من التدابير التي حولت المرابطين من جماعات رحل إلى أهل استقرار وحضر، ومن جملة ذلك بناء مراكش، وهو موضوع سنعود إليه.

تأتي بعد ذلك فترة عشر سنوات، تقريباً، لا نعرف عنها إلا القليل. فلا شك أن أبا بكر توجه لبرغواطة في تامسنا لأخذ الثأر منهم، بعد مصرع عبدالله بن ياسين في حربهم، وقضى هنالك زمانا في قتالهم ومحاولة القضاء عليهم. ولا شك أن جيش المرابطين قضى فترة أخرى في الاستراحة، بعد الجهود الكبيرة والمتواصلة التي بذلها في ملحمته منذ خروجه من الصحراء.

ومن القضايا المهمة التي تطرح في ترجمة أبي بكر بن عمر البحث عن دوره في تأسيس مراكش. هل كان هو مؤسسها ؟ أم تأسيسها يرجع لابن عمه وخلفه يوسف بن تاشفين ؟.

إن معظم المصادر تضع تأسيس مراكش بين سنتي 454 و462 وهي فترة كان أبو بكر ما زال مقيما أثناءها بالمغرب. ونجد من بين تلك المصادر، مؤلفات تعتبر هي أوثق ما لدينا عن تلك الحقبة وأقربها إليها، مثل *الاستبصار* الذي عاش مؤلفه بعد قرن من تأسيس مراكش، وابن عذاري الذي يذكر أن مراكش أسست سنة 461 تارة، وطوراً 462، *القرطاس*، الذي يورد تاريخ 454، *والحلل الموشية* التي تورد تاريخ 462 الخ... وكل هذا يجعل من أبي بكر، كما قال "دوفردان" في كتابه *مراكش منذ التأسيس إلى 1912* الرجل الذي ينسب إليه "شرف اختيار مراكش، والذي كان أول من استقر فيها، على الأرجح في مايو 1070، وشرع يبني فيها أول قصبة في تاريخ المرابطين" (ص 63).

ولعل بناء المدينة في أرض كانت خالية إحدى القضايا الكبرى التي شغلت أبا بكر ومن حوله من المرابطين في العشر سنوات التي لاحظنا من قبل سكوت المصادر في شأنها، وهي كما قلنا الفترة الواقعة بين 452 و462. ونحن في غنى عن الإلحاح على أهمية الحدث، حدث بناء مراكش بالنسبة لتاريخ المغرب عموما، إذ كانت كما هو معلوم عاصمة لأكبر الدول التي حكمت المغرب..

هذا الانجاز الحضاري الكبير كان له أثره في اشهار دولة المرابطين الناشئة وتمكين سلطتها. مما جعل ابن عذاري يقول: "وفي سنة ستين وأربعمائة استقامت الأمور للأمير أبي بكر بن عمر وطاعت له البلاد ووجّه عماله إليها". فنفهم من ذلك أن المرابطين بقيادته اشتغلوا بجد واجتهاد أثناء السنوات العشر السابقة. ونجد نفس الانطباعات لدى صاحب *الحلل الموشية*.

وسيتحرك أبو بكر في السنة الموالية، أي 461، إذ سيواصل العمل العسكري بالمغرب في جهة عرفت بوعورتها وهي الأطلس المتوسط، الذي كانت ما تزال فيه بقايا من زناتة ومن عناصر التمرد. وقد رصد لعملياته جيشاً كبيراً يضم جملة من أشياخ لمتونة وقبائل المصامدة وقدم عليه يوسف بن تاشفين. وكان القصد من هذا الجيش الضخم مواصلة إخضاع الأقاليم الأخرى في المغرب، وبالخصوص القضاء على بني يفرن الزناتيين الذين اعتصموا بقلعة المهدي بن تبالا أو توالى، وتسمى كذلك قلعة فزاز. وتمكن المرابطون منهم وفر من جملتهم معنصر بن حماد إلى فاس.

وبينما هو منهمك في المهام العسكرية وفي تدبير شؤون دولته الناشئة، إذ تواردت عليه الأنباء من الصحراء بحدوث نزاع شديد بين گدالة ولمتونة وأن الأولين هجموا على الأخيرين وقتلوا الرجال وسلبو الأموال. وعندئذ جمع أبو بكر قومه وأخبرهم بأنه راحل إلى الصحراء لفض النزاع القائم بها وعين يوسف بن تاشفين خليفة له على المغرب وقسم الجيش معه فأخذ الثلثين إلى الصحراء وترك له الثلث. كما أنه رأى من الأنسب تطليق زوجته زينب، لأنها لا تستطيع أن تعيش معه عيشة الصحراء وسط الفتن والحروب. ولعلها هي التي رغبت، من جهتها في الطلاق. ومهما يكن، فإنه طلقها طلاقا شرعياً وأشار على يوسف بن تاشفين بالتزوج منها. وذلك ما كان، إذ دخل بها يوسف في شعبان عام 563، بعد تمام عدتها.

سار أبو بكر على رأس جيشه نحو الصحراء، فتصدى لمحاربة گدالة وانتقم منهم. وكان يتلقى، في تلك الأثناء، مراسلات يوسف بن تاشفين الذي كان يخبره بكل ما يصنع ويطمئنه على أحوال المغرب. ولم يكتف أبو بكر بتسوية الخلاف بين قبائل صنهاجة، بل انه اهتم بمواصلة غزو بلاد السودان لنشر الإسلام بها. وظل هنالك قرابة سنتين وبدأ يفكر في العودة إلى المغرب.

لكن يوسف استطاع في هاته المدة أن يحقق أعمالا كبيرة بالمغرب، منها مواصلة بناء مراكش، وتحقيق انتصارات أخرى بجهات من المغرب، وانشاء إدارة جديرة بدولة كبيرة. يقول ابن عذاري: "فدوّن يوسف الدواوين ورتب الاجناد وطاعته البلاد. وكتب إلى بعض إخوانه في السرّ من أبي بكر بن عمر يحضهم على الوصول إليه والقدوم عليه ويعدهم بالخير الجزيل الحفيل فوصل منهم جماعة كبيرة".

يتضح من هاته الرواية أن يوسف بن تاشفين بدأ يفكر بالحلول محل أبي بكر بن عمر بصفة نهائية على ملك المغرب ورئاسة الدولة المرابطية. ولعل زينب النفزاوية لم تكن أجنبية عن نشأة هذا الطموح في نفسه ؛ سيما وأنها لم تكن ترغب في أن يعود الرجل الذي طلقها إلى منصب الإمارة على البلاد.

ومنذ سنة 464 بدأ أبو بكر يفكر في العودة إلى المغرب، وقد بلغته أنباء التطورات الكبرى التي حصلت في الدولة المرابطية على يد يوسف، والمنزلة الرفيعة التي أصبح يتمتع بها هذا الأخير. وصعب على يوسف أن لا يفي بالتزامه لابن عمه ويحنث بكلمته، فاغتم لذلك كثيراً. لكن زينب أشارت عليه بالرأي الذي يساعده على التخلص من أبي بكر.

ووصل أبو بكر إلى ناحية مراكش في ربيع الأول عام 565 فوجد مملكة قائمة برجالها ورسومها، فعلم أن عودته إلى الإمارة لم يعد شيئا سهلا. وازداد يقينه بذلك لما أخذ أصحابه يتسابقون إلى يوسف للحصول على صلاته وهداياه. فقرر حينئذ أن يتنازل له عن الملك. وجرى ذلك في احتفال كبير بمحضر الجنود والعبيد. وكان مما قال أبو بكر في المناسبة :

"يا يوسف أنت ابن عمي ومحل أخي، وأنا لا غنى لي عن معاونة إخواننا بالصحراء. ولم أر من يقوم بأمر المغرب غيرك، ولا أحق به منك. وقد خلعت نفسي وولايتك عليه، فاستمر على تدبير ملكك ...".

وحضر في المناسبة أشياخ لمتونة وشهد بذلك بعض العدول وأعيان القبائل. وعاد أبو بكر إلى أغمات ويوسف إلى مراكش. ويشير ابن عذاري إلى أن حل المشكل على هاته الصورة البادعة كان برأي زينب النفزاوية التي جسرت يوسف على أخذ ذلك الموقف الذي جعله يصبح ملكا على المغرب. ووجه يوسف لابن عمه أبي بكر من مراكش هدية سنية تحدثت عنها المصادر بإسهاب وذلك تطييبا لخاطره وسعيا في رضاه.

وعاد أبو بكر إلى الصحراء حيث أقام ثلاث سنوات أخرى كان يتلقى أثناءها الهدايا من يوسف. ودأب على محاربة السودان، كما ذكرنا من قبل. وفي إحدى غزواته لهم أصيب بسهم كان سبب وفاته، وذلك في شهر شعبان من سنة 468/نوفمبر 1087. وكان حكمه قد استتب بالصحراء كلها إلى جبال الذهب. ودفن بالبيبة التي تبعد عن تيجكجة بيوم ونصف وقبره معروف بها.

م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، 4 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ ع. بن منصور، *أعلام المغرب العربي*.

محمد زنيبر

أبو **بكر** بن أبي **عنان** المريني الملقب بالسعيد. بعد رجوع أبي عنان من تلمسان سنة 1358/759 أحس بمرض أليم وعيّن ابنه أبا زيان وليّا لعهده. لكن هذا الاختيار لم يُرْض

شيوخ بني مرين وخاصة الوزير الحسن بن عمر الذي دبّر مؤامرة وعين مكانه أخاه أبا بكر بن أبي عنان الذي كان طفلا يتراوح عمره ما بين خمسة أو عشرة أعوام. وهكذا حكم هذا الوزير باسمه وقام بقتل كل من ولي العهد أبي زيان وأبي عنان الذي خاف من انتقامه وبطشه. وبعد ذلك حجز السعيد في قصره. ودام حكم هذا السلطان سبعة أشهر وبضعة أيام. ثم قُتل غرقا أواخر عام 1358/759 وخلفه عمه أبو سليم إبراهيم.

ع: ابن خلدون، *العبر*؛ إ. ابن الأحمر، *روضة النسرين*؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*.

أحمد الخنبوبي

أبو **بكر** بن **يعقوب** بن عبدالحق المريني، يكنى أبا يحيى، أحد الأمراء المغمورين في تاريخ بني مرين، إذ لا نعرف شيئا عنه في حياة والده، بل حتى المصادر المرينية لم تذكر اسمه صراحة ضمن أولاد يعقوب ما عدا كتاب *روضة النسرين* (ص 18). في حين كان لأخويه يوسف وأبي زيان منديل حصة الأسد في الأخبار التي ارتبطت بأبناء السلطان يعقوب، لا سيما المتعلقة بالحملات الجهادية التي كان يوجهها إلى بلاد الأندلس. لكن في عهد أخيه السلطان أبي يعقوب بدأنا نتوفر على إشارات قليلة عن الأمير أبي بكر بعد أن كلفه أخوه بقيادة الحملات العسكرية ضد بني عبدالواد وبالمساهمة إلى جانبه في حصار تلمسان.

فعندما كان السلطان يوسف متوجها إلى المناطق الشرقية من المغرب الأقصى سنة 1296/695، نزل بحصن تاوريرت الذي كان مقسما بين سلطان بني عبد الواد عثمان بن يغمراسن وسلطان بني مرين يوسف، وهو بذلك يعتبر حداً فاصلا بين بلادهما. لكن بعد أن طرد يوسف عمال بني عبدالواد من حصن تاوريرت، أعاد بناءه ثم سوره وأسكن به قبائل بني عسكر وعين عليه شقيقه أبا بكر بن يعقوب (*القرطاس*، 385) وهي أول إشارة ترد في المصادر المرينية بخصوص هذا الأمير.

وفي سنة 1297/696 ولّاه يوسف كذلك على مدينة وجدة بعد أن حصّن أسوارها وبنى بها القصبة ومنشآت أخرى، كما نقل إليها قبائل بني عسكر وأمره بضبط نواحي المنطقة والقيام بحملات استطلاعية على أحواز تلمسان عاصمة بني زيان (*القرطاس*، 385؛ *العبر*، 7: 195). وعند محاصرة يوسف لتلمسان الحصار الثاني سنة 1298/697، أمر أبا بكر بالإغارة على ندرومة وتاونت وما والاهما من الجهات، فضاق أهل ندرومة بذلك "فأقبل أشياخها إلى الأمير أبي يحيى فبايعوه وطلبوا منه الأمان، فأمنهم ومكّنوه من البلد فقبضه وبعث بالفتح والأشياخ إلى أخيه أمير المسلمين يوسف... فبايعوه بفاس... وسألوه التوجه إلى بلادهم ليريحهم من عدوهم..." (*القرطاس*، 386).

كان هذا من بين الأسباب التي شجعت السلطان المريني على التوجه إلى تلمسان سنة 1299/698 ومحاصرتها الحصار الطويل الذي استمر مائة شهر ولم ينته إلا بمقتله بضواحيها سنة 1307/706 (*العبر*، 7: 195، 199؛ *القرطاس*، 386، 387).

وينفرد ابن خلدون بمعلومات هامة عن دور الأمير أبي بكر في تطويع بعض القبائل المتمردة بالمناطق الشرقية خلال حصار تلمسان الأخير، فتحدث عن منازلته سنة 1305/704 لراشد بن محمد في معقل بني بوسعيد وحصاره إياه، ثم استيلائه على بلاد مغراوة إلى أن استسلم راشد الذي راسل السلطان المريني يوسف من أجل عقد السلم بينهما. في هذا الاطار أيضا تمكن أبو بكر من وضع حد لتمرد ابن علان مليكش الذي كان متغلباً على جباية بلاد متيجة، فصالحه بعد أن توسط له في ذلك القاضي أبو العباس الغماري لدى السلطان المريني (*العبر*، 7: 140، 141، 209).

عند وفاة السلطان يوسف أثناء حصاره لتلمسان طرحت من جديد مشكلة الخلافة، خاصة أنه لم يعين خليفة له مما ترك المجال مفتوحا للصراع حول الحكم بين أبنائه وإخوته، وهو الصراع الذي برز فيه أبو ثابت عامر ـ حفيد يوسف ـ كمرشح أقوى بفضل المناورات والدسائس التي كانت السبيل إلى سيطرته على الحكم دون بقية المرشحين. فقد تعصب له أخواله بنو ورتاجن وبايعوه خليفة لجده وهو ـ أي عامر ـ لا يزال بالمنصورة في ضواحي تلمسان. بينما بايعت حاشية السلطان المتوفي ووزراؤه ولده الأمير أبا سالم. وحتى يقضي أبو ثابت على منافسيه ويحسم الأمر لصالحه عقد حلفاً مع صاحبي تلمسان أبي زيان وأبي حمو ابني عثمان بن يغمراسن، اتفقوا فيه على أن يمداه بالعون والآلة ويساعداه في السيطرة على الحكم مقابل رفعه الحصار عن تلمسان. فتمكن بذلك أبو ثابت من قتل غريمه أبي سالم بندرومة بعد أن فر إليها وخلت له الساحة من أقوى المنافسين (*العبر*، 7: 485، 486).

كان الأمير أبو بكر حاضراً أثناء وقوع هذه الأحداث، بل ساهم فيها بشكل يدفعنا إلى التساؤل عن طبيعة موقفه منها، خاصة وأن المصادر تشير إلى أنه لم يبذل أي مجهود يذكر في سبيل خلافة أخيه مع العلم أنه كان الأحق من أخويه أبي ثابت وأبي سالم بالحكم. بل على العكس من ذلك نجده يساند عامراً ويبايعه على الخلافة ويعهد له الأمر، حيث كان من وراء تصفية بعض رجالات أخيه السلطان يوسف كوزيره يخلف بن عمران الفودودي وأبي الحجاج ابن اشقيلوله الذي كانت له معه عداوة قديمة (*العبر*، 7: 486، 487).

بالرغم على كل ذلك ارتاب أبو ثابت في أمر أبي بكر وتخوّف من تنامي نفوذه "لما تعدد فيه الترشيح، وفاوض في شأنه كبير القرابة يومئذ عبدالحق بن عثمان بن أبي معرف محمد بن عبدالحق، ومن حضره من الوزراء... وغيبت عنه كلمات في معنى التربص بالسلطان ودولته، وابتغاء العصابة لأمره". (*العبر*، 7: 487). فصنع له كميناً بأن أدخله إلى قصر المنصورة بظاهر تلمسان لعزاء الحرم في

أخيه السلطان يوسف، ودس إليه من اعتقله، وهو عبدالحق بن عثمان المذكور سلفاً، فأمر بالإجهاز عليه وقتله هو ووزيره عيسى بن موسى الفودودي. وذلك في شهر ذي القعدة من عام 1307/706 (*العبر*، 7 : 488 ؛ *رحلة التجاني*، 197).

ع. ابن خلدون، *العبر*، الجزء السابع، بيروت 1968 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ إ. ابن الأحمر، *روضة النسرين*، الرباط 1962 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 3 ؛ التجاني، *رحلة التجاني*، قدم لها حسن حسني عبدالوهاب، ليبيا، تونس 1981.

M. Kably, *Société* ; A. Khanboubi, *Les premiers Sultans*.

رشيد السلامي

أبو بكر بن يَنْدُوح، اسمه يثير بعض الخلاف بين المصادر. فابن القطان يسميه أبا بكر بن يندوح، بينما يدعوه البيذق في *أخبار المهدي* عمر بن يندوك. ولعله هو الشخص الذي يسميه ابن خلدون أبا بكر بن محمد اللمتوني عامل سوس.

مهما يكن، فالفائدة التاريخية الوحيدة التي نجنيها من معرفة هذا الشخص هي أنه كان أحد القواد المرابطين المكلفين بالسهر على الحصون التي "بنوها في مواضع دارت بها الجبال من جميع الجهات لكي ينتصروا بها على الموحدين" كما ذكر البيذق (ص 91).

والحصن الذي كان يشرف عليه ابن يندوح هو حصن تافركّونت في كيك غيغرة. ذات الأهمية الاستراتيجية بالنسبة لمراكش. مما جعل علي بن يوسف يسند لابنه تميم قيادة جيش مهم نعته ابن القطان "بعسكر لجب". ثم يذكر هذا المؤلف أن تميما تلقى ما يكفيه من الأموال والسلاح، مما جعل الجند يطالبون بنصيبهم من ذلك، لكن الهزيمة حاقت بهم في يوم الغد، فأضاعوا كل شيء.

وعندئذ، أمكن لعسكر الموحدين الذين كان يقودهم أبو محمد البشير أن يهجموا على حصن تافركّونت وأن يتغلبوا عليه ويقتلوا ابن يندوح، ويغنموا مائة وخمسين فرسا، ويقتلوا خمسمائة من الرجال ويستولوا على كثير من الدواب والأنعام.

وإذا رجعنا إلى رواية ابن خلدون، نجد أن الرجل كان عاملا بسوس وأنه أول من زحف على هرغة حين ظهر بينهم ابن تومرت. فاستغاثوا بإخوانهم من هنتاتة وتينملل الذي هبو لنصرتهم "فاجتمعوا إليهم، وأوقعوا بعسكر لمتونة. فكانت مقدمة الفتح" (*العبر*، 6 : 470).

وهكذا، يتضح أن ابن يندوح كان من القواد المرابطين الأولين الذين واجهوا حركة ابن تومرت، وهي ما تزال في مهدها، وأنه اعتُمد عليه لمراصلة عمله العسكري إلى أن قتل في المعركة التي جرت بناحية كيك غيغرة. فالمرابطون حاولوا أن يوطدوا سلطتهم على الأطلس الكبير (جبل درن) ببناء عدد من الحصون وتعيين عدد من القواد العسكريين بها، لكن الظاهر أن مصامدة الجبل ظلوا مستوحشين من جهة المرابطين ومستعدين لأن ينتقضوا عليهم متى أتيحت لهم الفرصة.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6.

أبو بكر بن يوسف بن تاشفين، لعله أكبر أولاد يوسف بن تاشفين، وربما كانت أمه هي زينب النفزاوية. كان وليا لعهد أبيه. وله أخ أصغر منه هو، أيضا، ابن زينب النفزاوية. ذكر ابن عذاري أن أبا بكر ولد سنة 564. وذكر في *القرطاس* أن يوسف بن تاشفين لما بدأ يستعد لنصرة الأندلس، "بعث ولده المعز إلى سبتة في جيش عظيم، فنزل عليها وحاصرها حتى فتحها، وذلك في شهر ربيع الأول من سنة سبع وسبعين وأربعمائة، وكتب إليه بالفتح" (ص 144).

إذا قارنا بين التواريخ، وجدنا أن المعز أسندت إليه قيادة جيش عظيم وهو في سن الثالثة عشرة. وهذا غير معقول. ولا شك أن قائد الجيش كان هو أبا بكر الابن الكبير وولي العهد، وأن الأمر التبس على صاحب *القرطاس*. ومهما يكن، فالمعلومات عن أبي بكر قليلة في المصادر. وذلك راجع لكونه لم يعش طويلا، إذ تتفق المصادر على أنه مرض في سبتة وقت ذهاب أبيه يوسف إلى الأندلس على رأس جيشه لمنازلة النصارى في معركة الزلاقة.

وهنا تطرح علينا أسئلة يصعب الجواب عنها، ولكن عدة قرائن تدفعنا لطرحها : هل كان أبو بكر يسير في ركاب أبيه عند جوازه إلى الأندلس وأمسكه المرض بسبته ؟ أم هل كان مقيما بسبتة أو والياً عليها كما كان الشأن بالنسبة لأخيه عليّ من بعده ؟.

على كل، لم يستمتع يوسف بن تاشفين طويلا بنشوة الانتصار في معركة الزلاقة سنة 1086/479، إذ سرعان ما وردت عليه الأنباء بوفاة ابنه أبي بكر بسبتة "فاغتم لذلك وانصرف راجعاً إلى العدوة. ولولا ذلك لم يرجع" (*القرطاس*، 152)

تدل هذه العبارة على أن أبا بكر كان بمكانة كبيرة عند والده، وأن وفاته تركت فراغا لا يصح التباطؤ في علاجه. وهذا ما جعله يتخلى بسرعة عن ميدان انتصاره ويعود في الحين إلى حضرة مراكش.

أما كونه ابن زينب، فكل القرائن ترجح ذلك. فما كان يوسف يستطيع أن يعين ولياً للعهد من غير أبنائها لما كان يكنُّ لها من تقدير ومحبة. يشهد بذلك ما قاله ابن عذارى عنها. "وكانت أحب ما لديه، امرأة غالبة عليه.. ولا كان أمر إلا أمرها. وكان يقول لبني عمه إذا خلا بهم وورد ذكرها إنما فتح البلاد برأيها" (4 : 30).

ولعل هاته المنزلة الخاصة التي حظي بها أبو بكر كولد بكر وولي عهد هي التي جعلت ولده يحيى يتلكأ في مبايعة عمه عليّ لما اعتلى عرش المرابطين سنة 500 هـ، ويثور بفاس إذ كان واليا عليها.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، ط. الرباط 1972 ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

أبو بكر بن يوسف بن عبدالمومن، أحد أولاد الخليفة الموحدي الثاني يوسف بن عبدالمومن. وقد أورد كل من *القرطاس* و*المعجب* و*البيان المغرب* اسمه ضمن قائمة أسماء أبنائه الذكور الذين يبلغ عددهم ثمانية عشر.

والمعلومات عنه قليلة حيث لا تتحدث عنه كل المصادر فهنالك إشارة غامضة في *البيان المغرب* تذكر أن أبا بكر بن يوسف الگومي كان يعمل كوزير ليوسف بن عبدالمومن "بين يدي ابنه أبي يوسف" أي يعقوب الذي سيحمل لقب المنصور فيما بعد. فهل يتعلق الأمر به أم بشخص آخر والغالب على الظن أنه شخص آخر، لأن ابن الخطيب ، حين يورد اسمه في ترجمة الخليفة يوسف بن عبدالمومن، لا يذكر أي صلة للقرابة بينه وبين يوسف. وتلك جزئية ينتبه لها، عادة، أصحاب التراجم، سيما إذا كانوا من صنف ابن الخطيب.

هنالك إشارة أخرى اختص بها *القرطاس* حين يقول : "وفي سنة ثمان وستين أغزى أمير المؤمنين يوسف ولده السيد أبا بكر بلاد الروم، فسار حتى بلغ طليطلة. فقتل وسبا وأحرق القرى، فخرج إليه زعيم الروم سانشو خيمينو المعروف بأبي برذعة، عرف بذلك لأنه كان يركب برذعة من الحرير منسوجة بالذهب مكللة بأصناف الجواهر. فكان بينهما قتال عظيم، قتل فيه سانشو أبو برذعة وجميع جيشه. ولم يفلت منهم أحد، فكان عدد من قتل في هذه الغزاة من الروم ستة وثلاثين ألفا" (*القرطاس*، ص 212).

لكن، عند مراجعة المصادر الأخرى، نجد الاشارة إلى الأحداث، دون إيراد اسم أبي بكر بالمرة أثناء سردها. فابن صاحب الصلاة يتحدث عن خروج "القومس المسن الضال شان منوس المذكور المعروف عند أهل الشغور والمسلمين بالأحدب" أي أبي برذعة، ويذكر بعد ذلك بالتفصيل معارك المسلمين معه. وكان الخليفة يوسف حاضراً بالأندلس آنذاك فوجه له جيشا لمناجزته. وأسند قيادة الجيش لأخيه أبي زكريا يحيى" ومعه أخوه أبو إبراهيم إسماعيل، وبنو الجماعة كالحافظ المرحوم أبي عبدالله بن الشيخ المرحوم أبي إبراهيم وأبي يعقوب يوسف بن أبي عبدالله بن تيجيت وأشياخ الموحدين أعزهم الله، وأشياخ العرب بنخبة قبائلهم" (519). ثم ذكر ابن صاحب الصلاة بعد ذلك التقاءهم بجيش الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي وهجومهم على العدو وقتلهم لأبي برذعة.

كيف يمكن أن نفسر الخلاف بين المصادر في هذا الموضوع ؟

إذا وازنا بين الروايات، لا نجد بدا من ترجيح رواية ابن صاحب الصلاة الذي كان معاصراً للأحداث وكان حاضراً مع الخليفة في تلك الأثناء. إلا أن هذا لا يمنع من تأويل رواية *القرطاس*: فيكون أبو بكر انتدب من أبيه ليحضر المعركة لا كقائد أعلى ولكن كأمير شاب ليتدرب على فنون الحرب. فأبلى فيها بلاء حسنا وظهرت شجاعته وهذا ما جعل الروايات تتناقل أخباره. وكان صاحب *القرطاس* هو الوحيد الذي تلقفها.

وبالجملة، فنحن بإزاء أمير لم يحظ باهتمام المصادر التاريخية، لأنه لم تسند إليه مناصب عليا، ولربما توفي صغيراً، إذ لو طال عمره لكان حظه أحسن عند المؤرخين.

ع. ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ع. ابن عذاري، *البيان المغرب*.

محمد زنيبر

بكراوي، إبراهيم، ولد سنة 1916 ببني ميمون ناحية وجدة. ولما تحركت الجماهير ضد السياسة الاستعمارية، كان من الأولين الذين حاولوا التصدي لهذه السياسة، فانخرط في صفوف جيش التحرير بالشمال، وعمل تحت مسؤولية السيد حماد البرياس والسيد الناجم الكروج بمدينة بركان. نفذ عدة عمليات فدائية وقام إلى جانب رفاقه الثوار بعدة اشتباكات ضد جنود الاحتلال ومواقعهم. وآخر اشتباك وقع بعين مومن حيث سقط بكراوي إبراهيم في ساحة الشرف على إثر إصابته بنار العدو يوم 6 أكتوبر 1955.

كتاب شهداء الاستقلال، ج 2.

عزالدين العلام

البكراوي، إدريس بن عبدالقادر الودغيري، حامل راية القراء في وقته، وكان إليه المرجع في ذلك ؛ عارف بالتجويد لا يضاهيه فيه أحد من أبناء عصره، حسن الصوت، كثير التلاوة، متفننا في علوم شتى من فقه ونحو ولغة وما إلى ذلك.

أخذ علم القراءات عن الشيخ ابن عبدالسلام الفاسي، ولا نعرف له في هذا الفن شيخاً سواه ؛ قال في *السلوة* : "وبه خُتم فن القراءات، فلم يوجد بفاس من يقوم فيه مقامه". كان فصيحا بليغا، خطب بالسلطان المولى سليمان في فاس العليا، ثم في الرصيف ؛ وفي أيام خلافة المولى عبدالرحمان تولى خطابة القرويين، وظل به إلى أن تنحى عن ذلك في أخريات حياته.

وكان السلطان المولى سليمان يقدره ويعرف فضله في هذا الفن، وهو البقية الصالحة من شيوخه، وكان كثير الاتصال به يجالسه ويذاكره، نظم ثلاثة أبيات في علم القراءات، فأجازه عليها بثلاثمائة مثقال.

توفي في 16 محرم عام 1257/1841.

خلف في علم القراءات مؤلفات أنهاها بعضهم إلى ثمانية عشر مؤلفا، منها :

- *التوضيح والبيان، في مقرأ نافع المدني ابن عبدالرحمان*. أمره بتأليفه السلطان المولى سليمان، واقترح عليه أن يرتبه على حروف المعجم.

- *عمدة البيان، في حكم المحذوف في القرآن*، أرجوزة في 387 بيتا.

- وله عليها شرح.
- *درر المنافع، في أصل رسم السبع غير نافع*، منظومة في 220 بيتاً.
- *حاشية على الجعبري*.
- *تقييد في تفسير الغنة*.
- *شرح دالية ابن المبارك*.
- *أزهار الحدائق، في علم مخارج الحروف والصفات والبوائق*، أرجوزة في نحو 100 بيت.
- *نظم في الفرق بين السكت والوقف*.
- *رجز في مراتب المد لدى القراء السبعة*.
- *منظومة في التوسط*.
- *رجز في همزة الوصل*.

توفي إدريس البكراوي في 16 محرم 9/1257 مارس 1841.

إ. البكراوي نفسه، *التوضيح والبيان* ؛ م. الكتاني، *سلوة* ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*.

سعيد أعراب

البَكْري، أسرة تطوانية لعل أصلها من الأندلس وقد انقرضت بتطوان حوالي سنة 1886/1303 وكان من بين أفرادها :

البَكْري، محمد فقيه كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1648/1058. والمعلم :

البَكْري، محمد بن العربي معلم خبير كان حيا سنة 1702/1114.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 282، 290 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* : Isidoro, *Familias* : M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البكرية، آمنة بنت عبدالله بن أحمد الشكورية، نسبة إلى أبي بكر الصديق، الصالحة إحدى نساء الشيخ أحمد الناصري الخليفة. ولدت بشفشاون سنة 1089 هـ ونشأت في أحضان أسرة فاضلة من ذرية المجاهد أبي حسون بن عبدالحميد الشفشاوني، إلى أن تزوجها الشيخ أحمد الخليفة عام 1102 هـ. وتدخل هذه المصاهرة في إطار تمتين الصلات بين زاوية تمگروت ومدينة شفشاون. فمنذ عهد الشيخ مَحمد ابن ناصر (ت.1085هـ) انخرط في سلك الطريقة الناصرية العديد من رجالات المدينة الذين أصبحت لبعضهم علاقة متينة بالناصريين وترددوا مراراً على زاوية تمگروت مثل الشريف الحسني محمد الحوات قاضي شفشاون (ت. 1160 هـ) وابنه المؤلف الشهير سليمان، والفقيه الأديب أحمد بن محمد الشفشاوني البرنسي (ت. 1127 هـ) والفقيه أحمد بن عبدالله الشكوزي صهر الشيخ أحمد الخليفة الذي صاهر كذلك الأسرة البرنسية بالزواج من السيدة صفية بنت محمد البرنسي (ت. 1138هـ) فكانت هذه العلاقات المتميزة تمتينا للصلات الروحية التي تربط رجال الطائفة الناصرية بمدينة شفشاون بأشياخ الطريقة. وقد كانت صاحبة الترجمة أحظى أزواج الشيخ لديه فاسكنها زاوية الفضل التي أسسها عام 1115 هـ جنوب تمگروت واشتهرت في الزاوية بالصلاح والفضل والعناية بالضعفاء والمساكين وإعانة ذوي الحاجات، وكانت لها مسكة من الطب، تعالج المرضى احتسابا لله تعالى، إضافة إلى ما كانت عليه من زهد وورع ومثابرة على أوراد الطريقة الناصرية، كما استمرت بعد وفاة زوجها في الإشراف على شؤون الزاوية المادية حتى وفاتها مفتتح سنة 1153 هـ ودفنت بتمگروت.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط خ. ت. م. نوحي، د. د. ع. بالرباط.

محمد الحبيب نوحي

البكرية (الزاوية ـ) ← **الدلائية** (الزاوية ـ)

بكّار، أسرة فاسية تتكوّن من ثلاث فرق، فرقتان عربيتان من بني قيس انقرضتا، وفرقة من بربر أحواز فاس وهي باقية حتى اليوم. يبتدئ ذكر الأولى مع بكار حاجب المولى إدريس بن إدريس وقد انقرضت في القرون الأولى. والفرقة القيسية الثانية استمرت بفاس إلى منتصف القرن السادس (12 م) واشتهر منها الجد بكار بن قاسم قاضي فاس المتوفى سنة 1061/453. وحفيده الفقيه العلامة بكار بن عبدالرحمن بن بكار بن قاسم المتوفى عام 1145/540.

أما الأسرة البربرية الباقية فإليها تنسب عقبة المخفية المسماة بعقبة ابن بكار، وسماهم الفضيلي في *الدرر البهية* (2 : 361) البكارين، وذكر منهم الشيخين الجليلين : يحيى ابن بكار وابنه محمد بن يحيى ابن بكار.

بكّار (ابن ـ)، **محمد** بن يحيى المعروف بالأصغر، وهو أخو زوجة الشيخ المجاهد محمد بن يحيى البهلولي. لا تذكر المصادر شيوخه ولا تلامذته، وإنما تحدث عن ولايته وصلاحه عبدالله الهبطي، ومحمد ابن عسكر. ويبدو أنه كان يهتم بالشؤون السياسية حيث اعتمده ملوك عصره السعديون واسطةً بينهم وبين الرعايا في المهمات من المسائل الدينية والدنيوية"، ومات مسموما بفاس عام 1567/975.

ع. الهبطي، *الألفية السنية* ؛ م. ابن عسكر، *دوحة* ؛ م. الكتاني، *سلوة*.

بكار (ابن ـ)، **يحيى** بن عبدالله المعروف أيضاً بالغمدي (بفتح الغين)، ولعل هذه التسمية التي حملتها الأسرة كلها منذ القديم، كما ذكر أبو عبدالله ابن يحيى، ترجع إلى سكناهم قرب جبل وبلان بموضع يقال له الغمد (جفن السيف) لشكل تضاريسه الحاد كالسيف، وجبل وبلان أو بويبلان من جبال الأطلس المتوسط "على مرحلة من فاس" كما يقول ابن عسكر.

اشتهر يحيى بن بكار بصلاحه وزهده. ولعله ورث ذلك عن أبيه الذي اشتهر كذلك "بمفاخره الحسان" وباتّباعه لطريقة أبي مدين الغوث (ت. 1196/594) كما اشتهر يحيى بمساهمته في الجهاد حيث "كان يمد أهل الثغور بالخيل والعدة" يأخذ ذلك من الصدقات التي كانت تصله من زواره وأتباعه. وكان معاصراً لأحمد الوطاسي وحضر وصول محمد الشيخ السعدي إلى مدينة فاس عام 956 هـ.

توفي يحيى ابن بكّار عام 960 أو 961 / 52 . 1553.

م. ابن عسكر، *دوحة*، ص 63، 64 ؛ م. الكتاني، *سلوة*.

محمد مزين

البكّارة، تحمل هذا الاسم في الوقت الحاضر فرقة تابعة لقبيلة وادراس، من عمالة تطوان. تحتل فراغا سهليا بين مجموعة من المرتفعات : جبل وادراس في الشمال والشرق، وجبل حبيب في الجنوب وجاره جبل بني مصور في الغرب. يدخل ضمنها من المداشر : غرباوة ومرج اللوه والرمل وظهر ميمون وگليد والعتنون. وينطبق اسم الفرقة على ما تشتهر به من تربية الأبقار بفضل مسارحها الواسعة وفرشة مياهها الغزيرة.

وعرف اسم البكّارة خلال القرن التاسع الهجري، وآنذاك كانت قرية مستوطنة للفراغ السهلي الواسع الممتد بين تطوان والبحر المتوسط. واشتهرت منذ ذلك الوقت بعدد رؤوس الأبقار التي كانت بحوزتها، نتيجة الاستفادة من المسارح المنتشرة بين واد أليلى وواد تطوان (مرتيل).

وعلى الرغم من كثرة سكان القرية فقد اعتادت إقامة الحراسة الليلية بالتلال الشمالية جهة سبتة. فإذا ما حل وقت الضحى وتأكد الأمن، انسحبت الحراسة بعد إعطاء إشارة تسريح الابقار وتوجه الرجال إلى أعمالهم اليومية. توصل حاكم سبتة بهذه المعلومات، فلم يتوان في الاغارة عليهم وقت الضحى، ولذلك بلغ ما جلبه الجيش ثلاثمائة وخمسة وثمانين رأسا من الأبقار. كان ذلك في جمادى الأولى أو جمادى الثانية عام 839/ ديسمبر1435. ومنذ ذلك لم نسمع عن وجود القرية بمكانها، خاصة بعد تردد جنود سبتة على جارتها بني معدن وعلى مدينة تطوان. وليس ببعيد أن تكون فرقة البكّارة الودراسية من أصل قرية البكّارة الحوزية.

ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية، ص 40.

Gomes Eanes Azurara, *Cronica de D. Pedro de Meneses*. 2 / chap. 36, p. 607 ; *Cronice de D. Duarte de Meneses*, p. 86 ; J. Mascarenhas, *Historia de Ceuta*, p. 179.

حسن الفكيكي

البكاري، محمد بن محمد، ولد بفاس وبها نشأ ودرس على أكابر الشيوخ، أمثال : مَحمد بن قاسم القادري، وأحمد بن الخياط، ومَحمد گنون، وعبدالسلام الهواري، وخليل الخالدي وأحمد بن الجيلالي الأمغاري وأبي شعيب الدكالي وغيرهم. تخرج عالماً مشاركاً، وأديباً شاعراً ناثراً، لم يَشتغل بالتدريس، وإنما تقلب في عدة وظائف مخزنية، أصبح في نهاية المطاف خليفة وزير العدلية، ثم نائباً في الأملاك المخزنية. وهو طويل النفس في الشعر ينظمه على الطريقة الأندلسية.

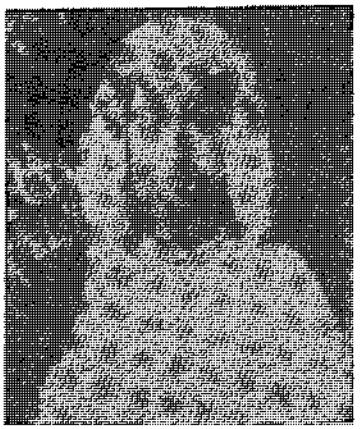

وقد جمع شعره في *ديوان*، ونَشَر بعضَ قصائده عبدالرحمان ابن زيدان في مجموعة أمداح السلطان المولى يوسف.

توفي محمد البكاري بالرباط عشية يوم الأحد سادس ربيع الأول عام 23/1375 أكتوبر 1955.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1375 ؛ *سل النصال*، الترجمة 228.

البكاري، محمد بن محمد بن إدريس، فقيه مدرس وخطيب مفوّه. دَرَس بفاس وتخرج عالما من القرويين. لم يشتغل منذ ريعان شبابه بغير التدريس والخطابة، فكان في أواسط الخمسينات أصغر خطيب بفاس، إذ رشح للإمامة والخطابة بجامع بوجلود حين أدّى به صلاة الجمعة محمد الخامس في أول زيارة لفاس بعد رجوعه من المنفى، ومن ثم لمع نجم محمد البكاري وأصبح في نهاية الخمسينات خطيب الجمعة بزاوية سيدي أحمد ابن ناصر بسويقة ابن صافي، فكانت خطبه "تستقطب مجموعة كبيرة من المصلين من كل

أحياء فاس، يفدون على المسجد للاستماع إلى دررالفقيه البكاري الذي لم يكن سماعها مألوفاً آنذاك... أحدث صياغة جديدة لخطب الجمعة تتناسب والظرف المعيش،

ووظف في خطبه لغة عربية ذات أسلوب سلس ومفردات متداولة ...".

ظل محمد البكاري يؤدي رسالته كأستاذ يفيد الطلبة والعوام، وخطيب بالمسجد والمصلى إلى أن لقي ربه في 20 شعبان عام 7/1411 مارس1991.

معلومات عن عبدالكريم الوزاني : *مجلة الجواهر*، العدد 21، ماي- يونيه 1991.

محمد حجي

بكّاس، موسى بن أحمد البعقيلي. ينتمي لأسرة كانت ذات وجاهة بقبيلة إدا وبعقيل. ولي منصب القيادة على نصف إدا وبعقيل من قبل السلطان الحسن الأول في 13 شعبان 1299 هـ.

ظهير حسني صادر بتاريخ 13 شعبان 1299 هـ : م. الأگراري، *روضة الافنان*، ص 102، ت. أنوش حمدي، ر.د. د. ع. الرباط.

علي المحمدي

البكّاي، مبارك الهبيل، ولد بمدينة بركان من قبيلة بني إزناسن سنة 1325 / 1907 وتخرج من المدرسة العسكرية بمكناس سنة 1926 برتبة نقيب (قبطان) وساهم في الحرب العالمية الثانية إلى أن أصيب بجروح خطيرة أدت به إلى فقد إحدى رجليه سنة 1941. وأسند إليه في عام 1943 منصب قائد لقبيلة بني درار بإقليم وجدة، كما عين سنة 1944 باشا لمدينة صفرو، وظل بهذا المنصب إلى أن استقال منه سنة 1953 احتجاجاً على خلع السلطان محمد الخامس، وهو يحمل عدة أوسمة ملكية وعسكرية.

ترأس مبارك البكاي أول حكومة عرفها المغرب بعد حصوله على الاستقلال، وكان ذلك في 7 دجنبر 1955، كما ترأس حكومة ثانية في 28 أكتوبر 1956 إلى غاية 16 أبريل 1958، وقبل ذلك عُيّن عضواً في مجلس حفظة العرش الذي كان قبل عودة محمد الخامس من المنفى.

توفي ليلة الخميس 27 شوال عام 1380 / 13 أبريل 1961.

دوگلاس آي، آشفورد، تر. د. عائدة عارف أبو حكمة، *التطورات السياسية في المملكة المغربية*، مراجعة عبدالهادي بوطالب، ص 111 إلى 469 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1380.

Hassan II, *Le Défi*, p. 73 ; Ch. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, p. 148, 430 ; E. Faure, *Mémoires*, T. II, p. 372, 381, 461... ; G. Delanoë, *Lyautey, Juin, Mohammed V : Fin d'un protectorat*, p. 171, 174 : *Grande Enc. Mar.*, Vol. I, (*Institutions*), p. 28, 58.

جواد الهدي

بَكُّو أو **بَكُّور** ← أبو **بكر** بن **علي**

بكُّور، أسرة تطوانية أصلها من بني حزمر القبيلة المجاورة لمدينة تطوان، وما زالت هذه الأسرة بتطوان لحد الآن.

البَكّوري، أسرة تطوانية شريفة، وهي غير أسرة الباكوري.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 41.40 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias ; Vademecum.*

محمد ابن عزوز حكيم

بُكّوكة، أو يَرْني = أرْني = إرْني، نوع نباتي عشبي يسمى علميا أرُومْ أريزارُوم Arum arisarum وينتمي إلى فصيلة الأراسيات Araceae.

إنه نبات عديم الساق، ذو أوراق قليلة العدد. رُمْحية الشكل. لها إزهاد جُبّابي أسود وأبيض يشبه في شكله الجرو ومحمول على رأس سويقة.

للنبات بصيلة صغيرة لا يتعدى حجمها حجم حبة العنب، وتحتوي على كمية كبيرة من النّشاء.

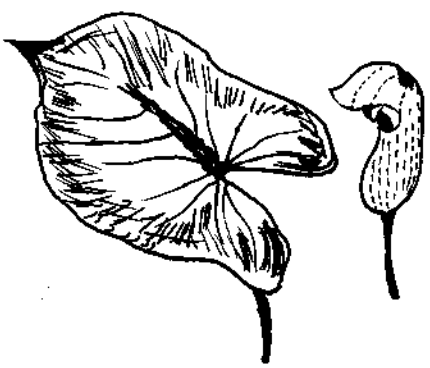

ينتشر هذا النوع في أرجاء حوض البحر المتوسط وقد لعب دوراً كبيراً في تغذية الإنسان خلال سنوات المجاعة التي عرفها المغرب في أوائل الأربعينات، إذ كان المغاربة في البوادي يقضون ساعات طويلة من النهار للبحث عن بصيلات بُكوكة لتعويض طحين القمح.

أبحاث خاصة.

عبدالمالك بنعبيد

بلاد سيدي علال **البحراوي**، من أهم المخلفات الأثرية التي تم اكتشافها بمنطقة سيدي علال البحراوي في منطقة الغرب بعض المدافن التلية، وأهمها ذلك الذي تم التنقيب به على يد سوفيل خلال سنة 1957. بني المدفن بعدة طبقات رملية وطينية ممتزجة بعدة أحجار. ويبلغ قطره 30 متراً في حين قد يتراوح علوه ما بين مترين أو ثلاثة أمتار. وعلى عمق يناهز ثلاثة أمتارتمّ الكشف عن هيكل عظمي. ومن خلال التنقيب تبين أن الميت دُفن على ظهره كما وجه رأسه نحو اليمين، ووُضعت يده اليمنى على صدره، أما اليسرى فكانت بعيدة شيئا ما عنه. وفيما يخص الساقين فكانتا متقاطعتين فوق الركبة في حين لم يعثر على الرجلين معا. ويرجع سوفيل ذلك إلى تقاليد الدفن التي كانت متبعة آنذاك بالمنطقة. وقطع الأرجل يعني حسب رأيه منع الميت من الاختلاط بالأحياء مرة ثانية.

ولم يعثر كذلك على أية أداة أثرية قرب الهيكل يكون من شأنها أن تسهل تحديد تاريخ الدفن ولو نسبيا، في حين وجدت عدة شظايا وقطع فخارية بالطبقات العلوية أو فوق سطح المدفن، غير أنه لا يمكن التعرف عن مصدرها أهي حديثة بالنسبة للمدفن أو أُوتي بها مع الرمل والأحجار التي بني بها المدفن وبالتالي تكون قديمة بالنسبة إليه.

وللإشارة فقد تم الكشف على ما يناهز ثلاثين هيكلا عظميا على عمق 25 إلى 50 سنتم أرجعها الباحث إلى الفترة الإسلامية وبالأخص إلى عهد المولى الحسن نظراً للعملة النقدية التي وجدت قرب الهياكل.

ويعدّ هذا المدفن واحداً من بين العشرات التي تم جردها بالمنطقة، غير أنه يبقى الوحيد الذي تم التنقيب به....

G. Souville, *Le Tumulus de Si Allal Bahraoui. Lybica*, T. 6 - 7, 1958 - 59, p. 243, 259 ; *Bled Si Allal El Bahraoui. Atlas préhistorique du Maroc*, 1973, p. 145, 147.

محمد عبدالجليل الهجراوي

بلاد الجماعة، يقصد ببلاد الجماعة مجموع الأراضي (من حقول ومراع وغابات) التي هي في حوزة إحدى التجمعات القبلية (دوار، فخذة...). وتمثل أول إشكال تملك الأرض بالمغرب، الذي ساد إلى أوائل هذا القرن، خصوصا في المناطق التي يعتمد أهلها في عيشهم على الرعي (كالمغرب الشرقي، وسهل ملوية، والغرب، ونواحي البروج ومراكش...) مما يحملهم على التنقل باستمرار، فكانت الأرض تحتل عندهم مرتبة ثانوية بالنسبة للماشية، رمز الغنى والجاه.

إنها أراض غير قابلة للتفويت، وتوزع مبدئيا سنويا بين أرباب الأسر بالتساوي، مع مراعاة خصائص بقع الأرض، اجتنابا لاحتكار أفضلها من طرف البعض دون غيرهم. إلا أنها في الواقع غالباً ما كانت توزع حسب الإمكانيات الاقتصادية للأفراد (عدد زوجات الحرث التي يملكونها)، مما يتيح تكديس الأرض بين أيدي الموسرين، الشيء الذي يفسر مطالبة هؤلاء بتوزيع نهائي قصد امتلاك بقعهم. وفي حالة ما إذا تم هذا التوزيع وطعن فيه من طرف أحد أفراد الجماعة، فإنه يُلغَى وتعود الأرض إلى وضعها السابق، إلا أن جزءاً من هذه الأراضي تم تملكها من طرف بعض الخواص - كما حدث بالنسبة لأراضي الإقطاع - (انظر مادة : إقطاع) إما باللجوء إلى العنف أو بوضع عقود ملكية مزورة.

مثلت الملكية الجماعية قاعدة لمقاومة التدخل الاستعماري، لذا، عمل الاستعمار على القضاء عليها قصد تدمير البنيات القبلية وإنشاء مستوطنات للمعمرين. ولهذا الغرض، كان الاستيلاء على الأراضي الجماعية يتم باسم المصلحة العامة، وبضمها إلى أراضي الإقطاع (أراضي الگيش) حتى يمكن توزيعها بدعوى أنها أراض مخزنية وأن للسلطان (أو لمن يمثله) الحق في التصرف فيها، بل أحيانا بمجرد العنف حيث كانت الإدارة الاستعمارية تحجز الأراضي "غير المستغلة" (المراعي) التي قد تكون صالحة للاستيطان بدعوى أنها ملك للمخزن.

اجتناباً للدخول في صراع مع القبائل، وسعيا إلى إضفاء الشرعية على سياسة الاستعمار فإنه أخضع الأراضي الجماعية لمقتضيات ظهير 27 أبريل 1919 الذي يجيز للقرويين كراء أراضيهم - بعدما يتم توزيعها عليهم - للمعمرين كراء أبديا مقابل ربع سنوي، الشيء الذي يمثل في الواقع بيعا دون مقابل. وبمقتضى ظهير 2 يونيو 1923، أصبحت الأراضي الجماعية بالمناطق البربرية، هي بدورها، خاضعة للتسجيل، ومن ثم للمحاكم الفرنسية، مما يسهل عملية خلق مستوطنات للمعمرين بها. كما أنشئت في فترة البيزانا (انظر هذه المادة) جل قطاعات التحديث Les S. M. P. فوق أراض جماعية.

ما زالت حالياً، هذه الأراضي خاضعة لنفس القوانين، إلا أن إعادة توزيعها الذي كان معمولا به سابقا، لم يبق ساري المفعول منذ 1956، مما دفع بالبعض إلى محاولة استغلال هذا الوضع للاستيلاء على هذه الأراضي، فكان ذلك سببا في أزمات عرفتها بعض المناطق (مثل تادلا في أوائل الثمانينات).

E. Amar, *L'Organisation de la propriété foncière au Maroc*, Paris, 1913 ; Benachenhou, *Régime des terres et structures agraires au Maghreb*, Alger, 1975 ; Callies, *Les terres collectives au Maroc*, C.H.E.A.M/322 ; A. Guillaume, *La Propriété collective au Maroc*, 1960 ; A. Halim, *Structures et changement social au Maroc*, Casablanca ; Leclère, *Terres collectives de tribu*, Rabat, 1925 ; J. Moland, *Le régime juridique de la terre au Maroc*, Paris, 1963.

عبدالجليل حليم

بلاد الگيش ← **الگيش**

بلاد مورگان، أشار بيبيرسون وشوبير وفوري موري ولوكوانتر إلى وجود عدة أدوات ببلاد مورگان تعود حسب رأيهم إلى الحقبة الجيولوجية الملقبة بالسالسيان أي السلاوي نسبة إلى الموقع الموجود بمدينة سلا. ويوجد موقع مورگان على الضفة الشمالية لوادي بورقراق على بعد 25 كلم من مصب النهر. وتتجلى هذه الأدوات في عدة أنواع من الحجر القاطع.

وللاشارة فإن المقطع الجيولوجي الذي اتخذ كنموذج للحقبة السلاوية تمت مراجعته في بداية الثمانينات من طرف جون بول راينال وجون بول تيكسيي اللذين يعتقدان بأن اختلاف اللون الظاهر على المقطع وخاصة بالنسبة للطبقة الجيولوجية التي أرجعها السابقون إلى الحقبة السالبسية ناتج عن تطور التربة القديمة، وبالتالي لا يمكن اعتبارها في أي حال من الأحوال طبقة جيولوجية خاصة.

P. Biberson, G. Choubert, A. Faure et G. Lecointre, *Contribution à l'étude de la Pebble-culture du Maroc Atlantique*, *B.A.M.*, T. III, 1958 - 59, p. 18 ; J. P. Raynal et J. P. Texier, *Rapport d'activité de la mission préhistorique et paléontologique française au Maroc*, 1982 ; G. Souville, *Bled El Morgan. Atlas Préhistorique du Maroc*, 1973, p. 112.

محمد عبدالجليل الهجراوي

بَلاش ← بلياش

بْلاشْكو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم هكذا Blasco أو هكذا Velasco.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1787/1201، ويقول الفقيه الرهوني إنها كانت تدّعي الشرف.

بْلاصْكّة، أو بلاشْكة، أسرة تطوانية من الأندلس، وقد انقرضت بتطوان سنة 1747/1160.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 50 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Ademecon* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البلاط، إحدى القرى الداخلة حالياً "بقبيلة الساحل" الجنوبي، فرقة المدشر الجديد، مقابلة جارتها بني كيسان وتركونت، ترتفع مبانيها على كدية (100 م) بالقرب من واد بوفكران، رافد واد المخازن.

أشار برناردو رديش، صاحب *حوليات أصيلا* إلى قرية البلاط، فكثيراً ما وصلت الحملة البرتغالية إليها من أصيلا، لوقوعها بالحد الجنوبي مما كان يعرف خلال القرن العاشر الهجري (16 م) بحوز أصيلا. واتخذ المغاربة القرية طالعا لمراقبة التحركات البرتغالية داخل نفس المحيط. مما اضطر حكام أصيلا لتنظيم الحملات على المكان، مثلما حدث سنة 1508/914.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الايبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 316، 352، 354، 359 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالنطقة الخليفية*، 51.

Bernardo Rodrigues, *Anais de Arzila*, p. 155, 156, 205, 206.

حسن الفكيكي

البلاغة بالمغرب، يرى متتبع تاريخ البلاغة العربية أن التسمية بـ "علم البلاغة" لم تهيمن إلا في عصور متأخرة باعتبارها علما شاملا للعلوم الثلاثة : المعاني والبيان والبديع. لقد أشار ابن خلدون إلى أن الاسم الأول الذي كان متداولا بين المهتمين هو "البيان" الذي كان ينقسم إلى "علم البلاغة" الباحث في مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وإلى "علم البيان" الذي يهتم بالبحث عن الدلالة على اللازم والملزوم مما يجعله يحتوي على الاستعارة والكناية والمجاز المرسل، وإلى "علم البديع" الذي يبحث في وسائل تزيين الكلام وتحسينه.

والمتتبع للدراسات البلاغية في المغرب يجد، حقا، أن التسمية التي كانت شائعة بين أوساط المهتمين هي اسم "البيان". ذلك أن الكتب التي وصلتنا للمؤلفين المغاربة تجعلنا نميل إلى هذا الحكم، فالسجلماسي في *المنزع البديع* يستعمل ثلاث تسميات وهي : "علم البيان" و"صنعة البلاغة" و"البديع"، إلا أنه غالبا ما يردد في كتابه "علم البيان" و"صنعة البلاغة". أما ابن البناء في كتابه *الروض المريع في صناعة البديع* فيتحدث عن "البلاغة" وعن "صناعة البديع"، وعن "علم البيان" الذي منه "صناعة البديع" ويرى أن العلم أشمل من الصناعة لأنه يميز الكليات ويميز الجزئيات ويميز بين جزئيات كلي وجزئيات كلي آخر لا يختلط شيء بشيء، وأما الصناعة فتعطي القوانين الكلية التي تنضبط بها الجزئيات، وعلى هذا، فإن "علم البيان" أعم من "صنعة البلاغة" و"صناعة البديع". ومن ثمة شاعت التسمية في المغرب بـ "علم البيان" فصار المؤلفون يتداولونها في كتبهم وينص عليها السلاطين في ظهائرهم، فأمر بعضهم بتدريس البيان *بالإيضاح والمطول*.

على أن هذه التسمية لم تكن مستعملة وحدها، ذلك أن الباحث يعثر أيضا على احتلال "علم البلاغة" موقع "علم البيان" تبعا لتأثير مفتاح العلوم للسكاكي وخصوصا تأثير كتابي القزويني : *الإيضاح وتلخيص المفتاح*، فالقزويني يشير بصراحة إلى أن كتابه *الإيضاح* هو "كتاب في علم البلاغة وتوابعها"، مسايراً لما ورد لدى البلاغيين العرب من أمثال عبدالقاهر الجرجاني. وقد مشى على نهج القزيني سعد الدين التفتازاني. ومهما يكن، فإن التسميات الثلاث : "علم البيان" و"علم البلاغة" و"البديع" كانت شائعة في المشرق وفي المغرب.

تبادلت التسميات الثلاث المواقع بحسب الظروف التعليمية والثقافية والاجتماعية، ولكن هذا التبادل لم يكن إلا في عناوين الكتب، وأما داخلها فكانت تتعايش وتتفاعل وتتداخل، هكذا يجد المهتم *أسرار البلاغة*، ويعثر على *البديع* ويُواجهُ *بالبيان والتبيين*، ولكنه يجد في كل كتاب من هذه الكتب حديثاً عن العلوم الثلاثة. إلا أن التسمية بـ "علم البلاغة" فرضت نفسها بعد كتب القزويني.

يقدم ابن خلدون شهادة على أن أهل المغرب اختصوا من أصناف "علم البيان" بـ "البديع" وصعب عليهم مأخذ "البلاغة" و"البيان". ولربما كان مستند ابن خلدون في هذا الحكم هو ما وجده في مؤلفات سابقيه ومعاصريه من المغربيين والمصريين والأندلسيين ككتاب *العمدة* لابن رشيق الذي جرى عليه كثير من أهل أفريقية والأندلس *والمنزع البديع في تجنيس أساليب البديع*، *والروض المريع في صناعة*

البديع، والإضاءات والإنارات في البديع، وإحكام التأسيس في أحكام التجنيس، وبديع القرآن وتحرير التحبير والوافي في نظم القوافي وغيرها.

على أننا نتساءل عما يقصد ابن خلدون بـ "المشرق" و"المغرب" وبـ "المشارقة" و"المغاربة" وبـ "العجم" و"العرب". وللإجابة عن التساؤل نرجع إلى ما ورد في *المقدمة*. ليس هناك تحديد جغرافي مضبوط للمشرق وللمغرب، وغياب التحديد يوحي إلى الأذهان أن المقصود هو المغرب الأقصى، ويعضد هذا الإيحاء تنصيصه على أهل أفريقية والأندلس. بيد أن ذكر "العجم" الذين هم معظم أهل المشرق يشوش على هذا التأويل لكلمة "المغرب". وعليه، فقد قابل ابن خلدون بين "أهل المغرب" الذين هم من يتوطن أفريقية والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، بالإضافة إلى الأندلس ومصر والشام، وبين "أهل العجم". ولعل هذا الامكان يصير احتمالا إذا لم نقل يقينا حينما يطلع القارئ على ما ورد من كلام لأبي حامد أحمد بن علي بهاء الدين السبكي المصري (ت 763/1361) في *كتابه عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح*. فقد تحدث فيه عن أهل المشرق الذين لهم اليد الطولى في العلوم "ولا سيما العلوم العقلية والمنطق" كما تحدث عن كتابه الذي جاء "واسطة بين *مفتاح* المشرق *ومصباح* المغرب". وعلى أساس هذا ذكر من الكتب المشرقية : كتاب *الزهرة والخريدة والأغاني واليتيمة* (...) ومن الكتب المغربية *العقد والعمدة وقلائد العقيان والذخيرة* (...) هناك مقابلة، إذن، بين "أهل المشرق" وبين "أهل المغرب"، بين المدرسة العجمية وبين المدرسة المغربية "العربية".

هناك فرق واضح، بحسب ابن خلدون، بين المدرستين. إذ يرى أن المشارقة أقوم على "فنّ البيان" من المغاربة الذين اختصوا من أصنافه بـ "علم البديع" خاصة، فاستفاضوا في الحديث عنه لأسباب ذكرها. إن قول ابن خلدون صحيح في مجمله لأن الكتب المؤلفة في فن البلاغة قبل ابن خلدون وأثناء حياته يحتل فيها اسم "البديع" وألقابه وأبوابه وأنواعه مكانة مرموقة. ولكننا سنقسم التأليف البياني في المغرب إلى حقبتين متمايزتين، هما ما قبل *مفتاح العلوم* وما بعده. والقدماء أنفسهم من المشارقة والمغاربة أشاروا إلى هذه القسمة. فعبروا بـ "سلف البلاغيين" وبـ "خلف البلاغيين" أي ما قبل السكاكي، وما بعده.

ما قبل المفتاح : يصح هذا التقسيم في التأليف البلاغي في المغرب أيضا. فقد كان كتاب *المفتاح* وما أحدثه من تأثير فاصلا بين عهدين. وبحسب ما بأيدينا من مؤلفات مغربية بالمعنى الجغرافي المتقدم، فإن العهد الأول يمكن أن يصنف إلى ثلاثة اتجاهات :

- الاتجاه الأول مزج فيه أصحابه أنهاج البلغاء القدماء من مثل الجاحظ وقدامة بن جعفر وعبدالقاهر الجرجاني والحاتمي والزمخشري وغيرهم مثلما يجد القارئ في *العمدة*، وفي *الذخيرة* (...) ولكن لم تصلنا مؤلفات مغربية بالمعنى الضيق لكلمة مغرب.

- الاتجاه الثاني استثمر فيه أصحابه معارفهم الفلسفية والمنطقية والرياضية والأصولية. ولحسن الحظ، فإن بعض مؤلفات هذا الاتجاه وصلت. لذلك يمكن استخلاص الآليات التي حكمت مؤلفاته، وتشخيص الاستراتيجية التي وجهتهم.

- الاتجاه الثالث حاول أن يوفق بين الاتجاهين : الاتجاه البلاغي العربي "الصرف" والاتجاه البلاغي المبني على المعقول. وليس بأيدينا مؤلفات هذا الاتجاه حتى نبرز معالمها، ولكننا سنعتبرها نواة ستنمو فيما بعد *المفتاح*.

يفرض علينا عدم توفرنا على الوثائق أن لا نتحدث عن الاتجاه الأول نهائيا ولا عن الاتجاه الثالث إلا فيما بعد، ولكن وجودها يحتم علينا العناية بالاتجاه الثاني. لقد وصلنا منه كتابان قيمان هما : *المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع*، *والروض المريع في صناعة البديع*. وتتحكم المعقولات في هذين الكتابين تحكما واضحا تقسيما وتحديداً ووصفاً وإجراء. وقد اعترف صاحب *المنزع* باتجاهه في تقديمه لكتابه. فقد قام بعملية إحصائية أولا ثم صنف إحصاءه ضمن عشر مقولات، وكل مقولة دعاها جنسا عاليا، والأجناس العالية هي : الإيجاز والتخييل والإشارة والمبالغة والرصف والمظاهرة والتوضيح والاتساع والانثناء والتكرير. وقد عرف كل جنس أو رسمه بحسب الصناعة المنطقية. لكنه أقر بالصعوبات التي اعترته في التحديد المنطقي الصناعي. وقد دعا التحديد الجامع المانع بـ"الفاعل" الذي هو "الحد المحرر بحسب الأمر الصناعي"، ولكنه غالبا ما لا يستقيم له الفاعل ويصعب عليه القيام به فيلجأ إلى الرسم. ولذلك نجده يعبر بقوله "فلنرسمه". وعلى هذا، فإن الخلفية المنطقية للتحديد والرسم - كما شاعت في أوساط المتفلسفة والمتمنطقة الإسلاميين - هي التي تحكمت في بنائه لكتابه. وإذا ما استعرض القارئ الأجناس العالية التي بني عليها الكتاب تتبين له استراتيجية صاحب *المنزع*، ولنمثل لها بمقولة "الإيجاز" أو جنس "الإيجاز" فهو يتشعب إلى "نوع" أول وإلى "نوع" ثان، وكل نوع من هذه الأنواع يصير "جنسا" لما بعده، فهو، إذن، "نوع" بالنسبة لما بعده، وهو "جنس" لما قبله. وقد كون هذا التسلسل تلك القسمة المعروفة في الكتب المنطقية التي هي الأجناس العالية والأجناس الوسطى والأجناس السفلى، تلك القسمة الناتجة عن التحديد الأوسطي وما لحقه من تطوير وإيضاح في الشجرة الفورفورية.

على أن المقولات العشر إذا كانت ذات طبيعة إجرائية فعالة في مجال الأشياء الطبيعية مثل أنواع الحيوان والنبات والجماد ومختلف الماديات كما تصورتها علوم عصر أرسطو من بيولوجيا وفيزياء وميكانيكا (...) فإنها تعترضها صعوبات مؤكدة في مجال اللغة الطبيعية وفي منظور إبستمولوجي غير وضعي، فالمقولات تلتقي وتتقاطع في موضع ما من التَفْرِيع والتشجير مما ينتج عنه تداخل وتقاطع. إن التداخل يشمل كل التفريعات التي قام بها

السجلماسي تحت جنس أعلى أو تحت مقولة. ومن ثمة تصبح عملية التجنيس أو الصياغة المقولية لإحصاء الأشياء والكائنات والكيانات وعملية وصفها وتصنيفها في معزل عن بعضها بعض غاية عسيرة المثال.

يمكن التمثيل لما تقدم بالجنس الثاني أي "التخييل" من كتاب *المنزع البديع*، فقد فرع إلى ما يلي :

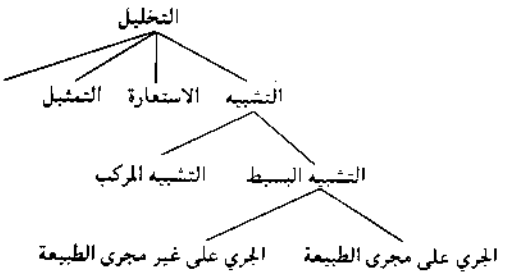

وأما الكتاب الثاني فهو *الروض المريع في صناعة البديع*. والمعقول وراء نسيج هذا الكتاب. إذ تتجلى فيه المعرفة المنطقية والرياضية والأصولية. فمن بين الأركان التي يقوم عليها الكتاب خمس مقولات أساسية، وهي الخروج من شيء إلى شيء، وتشبيه شيء بشيء، وتبديل شيء بشيء، وتفصيل شيء بشيء، واشتباه النسب. وما يجمع بين هذه المقولات مفهومان مركزيان هما : المناسبة التي تدخل ضمنها كل العلائق بمختلف أنواعها مما يسوغ عمليات الإبدال والحذف والعكس والتركيب والتفصيل. وأما المفهوم الثاني فهو المشابهة ؛ والمفهومان متلازمان استقاهما ابن البناء من مهارته العددية والهندسية ووظفهما لدراسة البلاغة العربية على أسس جديدة، كما وظفهما غيره بوعي أو بدونه لإقامة علم الأصول الذي له صلات حميمة بالدراسات البلاغية.

إن الكتابين معا استندا إلى المعقول لتبيان إعجاز المنقول وجماله، ولذلك نجدهما يحللان الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأشعار العربية، والمأثورات المتداولة ؛ وعلى هذا فهما اشتركا مع من سبقهما من البلاغيين في المادة ولكنهما امتازا عنهم في الصورة.

ما بعد المفتاح : على أن هذا الاتجاه المعقولي "الصرف" لم يكتب له النجاح، وإنما هيمن عليه الاتجاه الثالث الموفق بين المعقول والمنقول الذي احتل الفضاء البلاغي في مختلف البقاع الإسلامية إلى يومنا هذا. والسكاكي صاحب *المفتاح* (ت. 1228/626) هو ناشر هذا الاتجاه. وقد خصص القسم الثالث من كتابه لـ "علم المعاني والبيان والبديع". وتحدث فيه عنها حديثاً جعله مصدرا ومرجعاً للمشارقة والمغاربة. وهكذا اختصره بدرالدين بن مالك (ت. 1287/686) في كتاب عنوانه : *المصباح في اختصار المفتاح*، وتناوله القزويني (ت. 1338/739) في كتابيه : *التلخيص* و*الإيضاح*، ثم شرح مسعود بن عمر التفتازاني (ت. 1390/793) *تلخيص المفتاح* في كتابه : *المطول على تلخيص المفتاح* وكتاب : *مختصر المطول*. وإلى جانب هذه الكتب هناك *الفوائد الغياثية* لعبدالرحمان بن أحمد الإيجي الشافعي المدعو بالعضد (ت 1355/756)، و*حاشية المطول* لعلي بن محمد السيد الشريف الجرجاني المشهور بالسيد (ت. 1313/816)، والأرجوزة المشهورة *بالسمرقندية* للسمرقندي (ت. 1475/880)، و*الرسالة الفارسية* لإبراهيم الإسفراييني الملقب بالعصام (ت. 1582/990).

هذه أهم الكتب المشرقية التي وصلت إلى المغرب بطرق مختلفة فبدأت تدرس في الأمصار والقرى والبوادي في شمال المغرب وجنوبه وشرقه وغربه، وعكف عليها العامة والخاصة، لأن قراءتها والإحاطة بما فيها وفهم مغاليقها كانت عنواناً على التبريز والتفوق وكسب الحظوة.

هكذا، يجد الباحث اهتماماً كبيراً من قبل البلاغيين المغاربة بتلك الكتب المذكورة. فقد رجز المصباح في اختصار المفتاح المراكشي الأكمه (ت. 1404/807) بعنوان : *ترجيز المصباح في اختصار المفتاح*. وأما كتاب *التلخيص* فتناوله من جميع جوانبه : فهناك *تلخيص المفتاح* لابن الصباغ المكناسي (ت. 1348/749) و*تلخيص المفتاح* لعبدالهادي بن عبدالله بن طاهر الحسني (ت. 1646/1056)، و*حاشية على تلخيص المفتاح* وإن لم تتم لليوسي (ت. 1692/1102)، ومختصر *تلخيص المفتاح* وشرحه لمحمد بن سليمان الروداني (ت. 1683/1094)، وخَتْم *تلخيص المفتاح* لمحمد بن حمدون بن الحاج (ت. 1857/1273)، و*خطبة مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح* لأبي العباس أحمد بن يعقوب الولالي (ت. 1717/1128)، و*مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح* له أيضا، و*تقاييد على الشرح المختصر على التلخيص* لمحمد ابن عبدالسلام البناني (ت.1163/1750)، و*معالم التنصيص على ما خفي من شرح التلخيص* لمصطفى بن محمد البناني.

وقد حازت كتب السعد إقبالا مهما في الأوساط المتعلمة بالمغرب، ومن مظاهره : *استعارات مختصرة من السعد* للطيب بن عبدالمجيد بن كيران (ت. 1812/1227) و*الثمر المهتصر من روض المختصر* لحمدون بن عبدالرحمان ابن الحاج المرادي المرداسي (ت.1232 / 1817)، و*إحاطة الدرر الثمين بلبة مختصر سعدالدين*، له أيضا، وحاشية *على مختصر السعد على تلخيص المفتاح* لمحمد بن محمد بن منصور الشفشاوني (ت. 1817/1232)، و*مراقي المجد في آيات السعد* لأحمد المنجور (ت. 1587/995). كما تناول المغاربة بعض الأرجوزات المشرقية بالتعليق والشرح مثل *تقييدات على رسالة الإمام السمرقندي في الاستعارات* لحمدون بن الحاج، و*شرح الجوهر المكنون في صَدَف الثّلاثة فنون* للولالي، و*الصنيع البديع في شرح الحَلية ذات البديع* لابن زاكور (ت. 1708/1120).

وقد ساهم البلاغيون المغاربة في ميدان الأراجيز لضبط علم البلاغة بعلومه الثلاثة أو أحد علومه. هكذا يجد القارئ *أرجوزة ياقوتة البيان* لمحمد الصغير الإفراني (ت. 1740/1153). و*أرجوزة المجاز والاستعارة في علم البيان* للطيب بن كيران، و*فيض الفتاح على نور الأقاح* لعبدالله الشنجيطي (ت. 1817/1233)، و*علاقات المجاز* لابن

الصباغ المكناسي، ونظم *تلخيص المفتاح* لعبدالهادي بن طاهر السجلماسي (ت. 1646/1056)، و*أرجوزة عبدالغني بن الحاج بنيس* (ت 1907/1325). وقد شرحها المرجّزون أنفسهم أو غيرهم، فهناك *المسالك والبرهان في التوصل لدقائق علم البيان* لعبدالغني بن الحاج بنيس، وهو شرح لأرجوزته، و*شَرح الإفراني أرجوزته ياقوتة البيان*، و*شرح أرجوزة ابن الصباغ* أحمد المنجور، و*شرح أرجوزة الطيب ابن كيران* محمد التهامي بن محمد البوري (ت. 1827/1243)، و*شرح* أحمد الولالي *الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون*، وقد كتب حول هذه الشروح حواش وتقارير ونكت وتحارير.

ويعثر الباحث على مساهمات أخرى للبلاغيين المغاربة منها : *القطف الداني في البيان والمعاني* لعبدالرحمان الفاسي (ت. 1685/1096)، و*المباحث الإنشائية في الجملة الخبرية والإنشائية* لمحمد بن عبدالقادر الفاسي (ت. 1116/ 1704) و*المجاز إلى معرفة المجاز* لإبراهيم التادلي (ت 1893/1311)، و*القول المعتبر في بيان أن جملة الحمد إنشاء خبر* لأحمد بن المبارك اللمطي السجلماسي (ت. 1156/ 1743).

هذه بعض الكتب البلاغية المغربية التي سارت على نهج المؤلفات المشرقية التي تنتمي إلى "ما بعد *المفتاح*" ولذلك اتسمت بسماتها وإن بدرجات مختلفة ؛ وأهم المظاهر التي يلاحظها الباحث في المؤلفات المغربية هي :

أ ـ عرض آراء البلاغيين في القضية الواحدة ومواجهة آراء بعضهم ببعض لترجيح رأي على آخر. وهكذا يجد القارئ في كل قضية بلاغية آراء السكاكي والقزويني والسعد والعصام والسمرقندي وغيرهم، وكأن همّ الشارح أو المحشي أو الراجز هو أن لا يسقط شيئاً من كلام العلماء الذين سبقوه، وأن لا يحرفه عن مواضعه.

ب ـ مزج الدراسات البلاغية بالمقاصد الكلامية والرياضيات والطبيعيات وقواعد المنطق وعلم الأصول ؛ فالقارئ يجد حضور هذه العلوم كلها، واستثمارها لتحليل الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأشعار العربية، والأمثال المأثورة، ولتبيان القواعد التي تحكمها. ويتجلى هذا الحضور في :

1 ـ المقاصد الكلامية لضوابط إدراك الحقيقة من المجاز؛ فالتعبير يكون مجازيا حين يستحيل إدراكه عقلياً أو نظرياً أو عادياً ؛ وأنواع الاستحالات هذه تظهر في التراكيب التي تسمى بالمجاز العقلي، فالموحد لا يقول بتأثير الأسباب في مسبباتها، وإنما المؤثر حقيقة هو الله وحده ولا فاعل سواه. كما أن عرف اللغة يوجه بعض التراكيب لأن تؤول بالمجاز.

2 ـ الرياضيات، فقد استعمل البلاغيون المتأخرون القواعد الرياضية لتفريع الأقسام وضبط العلائق فيما بينها. ويكفي أن نضرب مثلا بما فعله الولالي في تفريع أقسام طرفي التشبيه، وهذا التفريع ينطبق أيضا على ركني الاستعارة، وقد شاعت مثل هذه التقسيمات الرياضية في مجال البحث في كل العلوم الإسلامية في المغرب حينئذ، بل وتسربت إلى الشعر فصار بعض الشعراء يولدون قصائد اعتمادا على عمليات حسابية.

3 ـ الطبيعيات، وقد استثمرت في الحديث عن الحسي وعن العقلي، وعن أسبقية الحسي على العقلي، وهذه النزعة الحسية متوارثة عن نزعة أرسطية وبيولوجيته الشعبية. وقد دفع بهذه الحسية أغلب البلاغيين العرب، ومنهم المغاربة، إلى أقصى مدىً، فخطّأوا بعض الشعراء لتفضيلهم الوهمي والمتخيل على المحسوس الذي يدرك بإحدى الحواس.

4 ـ المنطقيات، وتأسيسا على النظرة الفلسفية والعلمية التي أثرت في دراسات البلاغيين عبر العصور، فإن البلاغيين المغاربة كانوا يخضعون لذلك التأثير بشعور منهم أو بدونه. هكذا يجد القارئ تأثير المقولات والتحديد المنطقي في تحليلهم للجامع الذي قسموه إلى نوعين : الجامع الذي يكون داخلا في مفهوم الطرفين والجامع الذي هو خارج عن الحقيقة ؛ فالشجاعة خارجة عن ماهية الأسد والرجل معا، والصفات الخارجية هي التي تسوغ التعابير الاستعارية. كما يجدهم يتحدثون طويلا عن التناقض وعن شروطه... وكانوا بين آونة وأخرى يستعينون بالقواعد الأصولية لضبط القواعد البلاغية، وكانوا لا يجدون صعوبة للتماثل بين بعض الآليات الذهنية لعلمي الأصول والبلاغة.

5 ـ تحكم العرفان في البيان : على أن هذه النزعة العقلية كانت في خدمة نَزْعة صوفية وعرفانية، فالقارئ يجد مشاهير المؤلفين المغاربة يكتبون في البلاغة والمنطق والتصوف في الوقت نفسه، كما يعثر على التعابير الصوفية، وقد تسربت إلى أمثلتهم وملأت مقدمات كتبهم. بل صار المتحدثون عنهم يردون نبوغهم إلى مخالطة العارفين من المتصوفة.

6 ـ آفاق بلاغية مغربية جديدة : تلك خطوط كبرى لرصد تطور التأليف البلاغي في المغرب، ولبعض مظاهره، ويتجلى منها أن البلاغيين المغاربة تلقوا الكتب البلاغية المشرقية فدرَسوها ودرّسوها ثم كتبوا حولها. وقد تنوع تلقيهم بتنوع المشارب الثقافية. ذلك أن القارئ يجد مؤلفين استوعبوا المعقول والمنقول معا فأتوا بمؤلفات ذات نكهة خاصة، ويعثر على من له نزعة تعليمية صرف، ويصادف من حاول أن يستعرض مجمل معارف عصره من خلال التأليف البلاغي ؛ على أن نواة تفكير بلاغي معاصر بدأ يشق طريقه لصياغة بلاغة مراعيه لطبيعة اللغة ولدورها في المجتمع ولعلاقتها بتحصيل العلم وإبداعه.

أبو القاسم السجلماسي، *المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع*، ت. علال الغازي ؛ أ. بها الدين السبكي، *عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح* ؛ أ. الولالي، *مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح* ؛ أ. ابن البناء المراكشي، *الروض المريع في صناعة البديع*، ت. رضوان ابن شقرون ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة* ؛ *علم البيان* ؛ الخطيب القزويني، *الإيضاح في علوم البلاغة*، شرح وتعليق وتنقيح محمد عبدالمنعم خفاجي ؛ م. المهدي الوزاني، *حاشية على شرح*

البوري لمنظومة الطيب بن كيران، طبعة حجرية ؛ *مجموع مهمات المتون*، ط 4، 1949، ص 737.558 ؛ م. رمضاني الجربي، *دراسة وتحقيق كتاب جامع العبارات في تحقيق الاستعارات* ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية* ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة*؛ السكاكي، *مفتاح العلوم* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*.

ملاحظة : أغلب الكتب المذكورة مخطوط موجود في الخزانات المغربية (خ. ع ؛ خ. ح ؛ خ. ص وغيرها) كما أن بعضها مطبوع بالطبعة الحجرية.

محمد مفتاح

البلاغمة، اسم لأحد قصور منطقة "الرتب" بتافيلالت (عمالة الرشيدية)، ولا ندري أصل التسمية. يقع قصر البلاغمة على ضفة وادي زيز قرب زاوية ابن عبد الصادق بجوار ضريح سيدي علي الكومي القريب من "ربيت" وهو قصر صغير رباعي الشكل شبيه بالقصبة، ويظهر أنه بني لهذا الغرض التحصيني، سكنه في الأصل عناصر عربية معقلية، وبعض أُسر الأشراف العلويين، والحراطين.

وقد نقل السلطان مولاي عبدالرحمن بن هشام (1859.1822/1274.1236) جماعة من سكان قصر البلاغمة إلى فاس الجديد، وهؤلاء هم الذين أعطوا الاسم الحالي لحي البلاغمة بهذه المدينة، وهو مكون من أربعة أزقة متفرعة عن زقاق رئيسي ينتهي برياض السلطان المجاور لشارع بوطويل.

اشتهر من سكان حي البلاغمة بفاس الجديد بعض رجالات الدولة منهم القاضي التهامي البلغمي، وأسرة الوزير الحاج محمد ابا حنيني. ويلاحظ أن الأسر التي سكنت حي البلاغمة بفاس الجديد هي التي عُرفت بلقب "البلغمي" أما التي تعيش بقصر البلاغمة بتافيلالت فتحمل أسماء أسرها الأصلية.

معلومات ميدانية.

هاشم العلوي القاسمي

بلافريج، أسرة رباطية مجيدة أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك في إسبانيا أسر تدعى Pelafres. وقد أنجبت عدداً من التجار والصناع ورجال الدولة والسياسة، منهم :

بلافريج، أحمد (الحاج ــ) بن **عبد السلام** من الشخصيات التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ المغرب المعاصر بوصفه أحد زعماء الحركة الوطنية المغربية منذ تأسيسها. وبفضل ذكائه وتجربته، كان من القادة الذين استطاعوا أن يسيّروا النضال الوطني بحكمة ومهارة إلى أن تمكن المغرب من الحصول على استقلاله. كما كان من السياسيين الأوائل الذين عملوا إلى جانب جلالة محمد الخامس وابنه جلالة الحسن الثاني في عهد الاستقلال من أجل تصفية مخلفات الاستعمار وبناء مغرب جديد.

ولد أحمد بلافريج بالرباط سنة 1326 / 1908. وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية بالرباط. واحتفظ لأساتذته الأولين بتقدير ومحبة كبيرين. وواصل دراسته في القاهرة حيث شارك في تأسيس جمعية الشبان المسلمين. ثم التحق بفرنسا حيث أتم دراسته العليا بالحصول على الليسانس في الآداب من كلية السوربون بباريس.

بدأ نشاطه السياسي بالديار الفرنسية بالمشاركة في تأسيس "جمعية الطلبة المسلمين لشمال أفريقيا" سنة 1926، في نفس الوقت الذي تأسست فيه حركة سياسية مهمة تجندت للدفاع عن قضايا شعوب شمال أفريقيا، وهي "نجم شمال أفريقيا" التي تزعم تسييرها القائد الوطني الجزائري مصالي الحاج. وكانت ثورة محمد بن عبد الكريم بالريف لم يمر على انتهائها آنذاك أزيد من سنة واحدة، بحيث إن هاته الفترة التي بدأ يتحرك فيها بلافريج وبعض أقرانه من الطلبة المغاربة بالخارج يمكن أن تعتبر حلقة وصل بين تلك الثورة المسلحة المجيدة وبين بزوغ الحركة الوطنية السياسية سنة 1930، إثر صدور الظهير البربري.

وفي تلك الأثناء بدأ بعض الشبان المتنورين يتصلون ببعضهم ويكونون حلقات في كبريات المدن للتباحث في شأن بلادهم. وكان بلافريج من مؤسسي أول جماعة وطنية من هذا النوع، عقدت أول اجتماعاتها بعرصة جسوس التي أصبحت فيما بعدُ مكان مؤسسة جسوس الحالية بالرباط.

وفي سنة 1930، صدر الظهير البربري، فأثار احتجاج الشعب المغربي ونشأت الحركة الوطنية المتمثلة في "كتلة العمل الوطني" ضمت جملة من الشبان الواعين كان من بينهم أحمد بلافريج، الذي اختار منذ ذلك الحين مسيرة حياته في إطار الكفاح الوطني من أجل تحرير البلاد. وظهرت مخايل نجابته وهو ما يزال في بداية الشباب بما اتصف به من رصانة في التفكير وحصافة في تقدير نتائج الأحداث ولباقة وتوفيق في الاتصال مع الناس، مواطنين وأجانب، لإبلاغهم الدعوة وإقناعهم بوجهة النظر الوطنية، مما رشحه لأن يقوم بعدة أعمال خارج البلاد.

اتصل أحمد بلافريج، مع شبان مغاربة آخرين بالأمير شكيب أرسلان الوطني العربي الكبير الذي كان مقيماً بسويسرا فراراً من الاضطهاد الاستعماري، والذي كان يشارك بآرائه وتوجيهاته في نضال الحركات الوطنية القائمة بالعالم العربي من شرقه إلى غربه. وعن هذا

الاتصال انبثقت فكرة إصدار مجلة "مغرب" في باريس باللغة الفرنسية لإبلاغ صوت الحركة الوطنية المغربية إلى الخارج، وبالخصوص إلى الرأي العام الفرنسي. وكان لبلافريج بما عرف عنه من كياسة ولباقة دور مهم في الاتصال بعدد من الشخصيات الفرنسية وإقناعهم بتبني المشروع. وهكذا صدرت مجلة "مغرب" لمدة طويلة. وكان لها صدى في الأوساط السياسية بفرنسا.

وما أن تم إنجاز هذا المشروع حتى عاد بلافريج إلى المغرب لإنجاز مشروع آخر ذي أهمية كبرى، على المستوى الوطني، وهو إنشاء "معهد مَحمد جسوس" المدرسة الحرة النموذجية التي ستستقبل عدداً كبيراً من التلاميذ المغاربة لتلقنهم تعليماً عربياً إسلامياً، وفي نفس الوقت، تعليماً عصرياً يضاهي بمحتوياته وبرامجه وتجهيزاته أحسن ما تقدمه المدارس في البلاد المتقدمة. ففتح بذلك صفحة أخرى من النضال لمواجهة التعليم الحكومي الذي كانت تقدمه المدارس الاستعمارية وتسعى من ورائه إلى إضعاف شأن اللغة العربية وطمس الثقافة الوطنية.

ودخلت الحركة الوطنية في أطوار نشيطة، كان من بينها تقديم مطالب الشعب المغربي للحكومة الفرنسية ثم المطالب المستعجلة، وشارك فيها بلافريج دون توان. فسافر إلى فرنسا لإجراء اتصالات مع الفرنسيين، وبالأخص مع الاشتراكيين غداة وصولهم إلى الحكم، إثر نجاح "الجبهة الشعبية" في الانتخابات. وكان الاشتراكيون أكثر الفرنسيين تعاطفاً مع الوطنيين المغاربة. لكن، لما صعدوا إلى الحكم، أصبحوا متحفظين ومماطلين في وعودهم، ومتخوفين من ردود فعل اليمين الفرنسي. وهو ما ظهر للعيان في حوادث 1937، إذ ترك الاشتراكيون للمقيم العام الفرنسيي بالمغرب الجنرال نوگيس حرية التصرف في قمع الحركة الوطنية المغربية، فكان اعتقال آلاف الوطنيين ونفي الزعماء. واضطر بلافريج إلى الالتحاق على جناح السرعة بباريس لمحاولة الدفاع عن أصدقائه. لكن ظروف الإرهاق التي عاشها أثرت كثيراً على صحته، فاضطر للتوقف عن العمل والذهاب إلى سويسرا للاستشفاء من المرض الخطير الذي كان يهدد حياته.

ولما أبل من مرضه، استأنف نشاطه السياسي، متنقلا بين مختلف العواصم الأوربية، وكانت حريته الشخصية مهددة إذا عاد إلى المغرب لأنه يعتبر من الشخصيات الخطيرة في نظر الدوائر الاستعمارية. ولذا، بقي مقيماً بأوربا إلى أن اندلعت الحرب العالمية الثانية، وانهزمت فرنسا سنة 1940. وحاول بلافريج أن يتصل بالألمان إثر انتصارهم ليتحقق من نواياهم تجاه المغرب، فلم يجد لديهم أي استنكار للنظام الاستعماري وأي عطف على القضية المغربية. مما جعله يحذر أصدقاءه الوطنيين من أي أمل في الألمانيين. وعند ذاك عاد من توه إلى طنجة الخاضعة للنظام الدولي والمنطقة الشمالية التابعة لإسبانيا، حيث ظل هنالك يتربص الفرصة للقيام بخطوة جريئة في مجال الكفاح الوطني، سيما ورياح الحرية بدأت تهب مع اشتداد الحرب وتصريحات الحلفاء بإقامة النظام العالمي على حرية الشعوب.

أمكن للحاج أحمد بلافريج بعد غيبة طويلة عن بلاده أن يعود لأهله وأصدقائه ومدرسته. فكان لرجوعه صدى كبير في البلاد، سيما وقد تراءى للمغاربة، إثر مؤتمر أنفا، ما كان لهم من حظ بوجود ملك مثل محمد الخامس على رأس المغرب. فزادت عودة بلافريج الزعيم المحنك والقائد الحكيم في آمالهم. فكانت حركة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944 التي سيرها بلافريج برفقة أصدقائه من بدايتها إلى نهايتها، فقلبت المعطيات السياسية بالمغرب رأساً على عقب وغيرت من مجرى الحركة الوطنية. وتأسس حزب الاستقلال في تلك المناسبة وكان الإجماع على تعيين بلافريج أميناً عاماً له.

لكن أساطين الاستعمار لم يكونوا ينظرون بارتياح إلى التطورات السياسية الجارية بفضل موقف محمد الخامس ونشاط الحركة الوطنية. ولذلك فإنهم أقدموا على قمع عنيف للوطنيين في 29 يناير 1944، فاعتقلوا بلافريج واتهموه بالتعاون مع المحور ونفوه إلى كورسيكا، ولم يطلقوا سراحه إلاّ سنة 1946. وكانت الحرب العالمية قد انتهت آنذاك. فاستأنف بلافريج نشاطه السياسي وسافر إلى فرنسا لربط الاتصال من جديد مع أصدقاء الحركة الوطنية المغربية وتنظيم فرع الحزب بباريس الذي أصبح يضم آلاف الطلاب والعمال والتجار.

وكان لخطاب محمد الخامس بطنجة سنة 1947 وقعه القوي الذي زعزع الأوساط الاستعمارية وزاد في تحميس الوطنيين حيث بدأت الأنظار تتجه إلى تدويل القضية المغربية، وإجراء اتصالات مع الدول الأجنبية، وخاصة الدول العظمى للدفاع عن قضية المغرب. وفي هذا الإطار، خرج بلافريج من المغرب. واقتسم العمل مع الوطنيين الذين ذهبوا إلى القاهرة لإجراء اتصالات مكثفة إلى جانب قائد الثورة الريفية محمد بن عبد الكريم الخطابي، مع القادة العرب، وتنشيط مكتب المغرب العربي. وذهب إلى أمريكا مع وفد من الوطنيين للدفاع عن القضية المغربية سواء لدى الأمريكيين أو في أروقة الأمم المتحدة.

ولما أقدم الفرنسيون على نفي محمد الخامس في 20 غشت 1953، انطلقت معركة التحرير على قدم وساق في المغرب وخارج المغرب، وكان بلافريج يتردد بين أمريكا وإسبانيا. ففي نيويورك، يحضر جلسات الأمم المتحدة بصفته عضواً في الوفد الباكستاني يحمل جوازاً باكستانياً، فيشارك في الدفاع عن قضية المغرب كلما أثير الموضوع. وفي إسبانيا، يعمل على تنسيق العمل بين الوطنيين المغاربة في الداخل والخارج. واستمر في تحركه ونضاله إلى أن أذعن المسؤولون الفرنسيون للمطالب الوطنية، بإعادة محمد الخامس من منفاه في نوفمبر 1955، والاعتراف باستقلال المغرب في مارس 1956.

ظل الحاج أحمد بلافريج الأمين العام لحزب الاستقلال منذ تأسيسه، وكان، في الحقيقة، هو الزعيم الوحيد الذي اضطلع بتسيير الحزب الوطني منذ نفى علال الفاسي إلى الگابون في 1937. وفتح صفحة جديدة في حياته بتحمل أعباء المسؤوليات الرسمية. فكان وزيراً للخارجية منذ 26 أبريل 1956، في ظرف خطير وشائك يتطلب تسيير المفاوضات مع فرنسا وإسبانيا والهيئة الدولية لإنهاء مخلفات الاستعمار وإعادة توحيد البلاد. ثم عُين وزيراً أول في مايو 1958 في وقت بدأ يعاني فيه حزب الاستقلال من أزمة داخلية أدت إلى انقسامه، وإلى استقالة بلافريج من منصبه، ثم التخلي عن وظيفته كأمين عام لحزب الاستقلال. ولا شك أنه لم يتحمل التطورات الخطيرة التي حصلت في حركة كانت تتميز بوحدة الصف والانسجام والتعاطف بين أفرادها.

كان بلافريج قد أعطى أحسن ما يمكن للمواطن المخلص أن يعطيه لوطنه، لكنه لم يخلد إلى الراحة، بل ظل يواصل عمله فعاد إلى وزارة الخارجية في سنة 1962. ثم عينه جلالة الحسن الثاني ممثلا شخصياً له في نوفمبر 1963 إلى أن تخلى عن عمله في يونيو 1972. ومنذ ذلك الحين، ترك كل مسؤولية، ومع ذلك ظل قدوة ومرجعاً لكل الوطنيين المخلصين ولكل الراغبين في معرفة ذلك الماضي الحافل لحركة نبيلة كان هدفها هو تحرير المغرب وإعادته للمنزلة الرفيعة التي يستحقها في مصاف الدول الحرة.

توفي أحمد بلافريج بالرباط بعد مرض عضال ألزمه الفراش سنوات عديدة في 18 رمضان عام 1410 / 14 أبريل 1990.

وثائق مختلفة، ومعلومات شخصية.

محمد زنيبر

بلافريج، أحمد بن محمد، من أعيان الرباط وكبار التجار في القرن الثالث عشر (19 م). كان يتاجر مع أوربا وبخاصة مع هولاندا، ويحقق أرباحاً طائلة ينفقها في وجوه البر والإحسان. وإلى ذلك كان متصوفاً من مريدي الزاوية المختارية الكنتية. شيّد قبة ضريح سيدي بوعزة بن مالك بجوار باب الجديد أمام السوق البلدي بالرباط، وجدد ضريح سيدي علي بوبركات المدعو بوقنادل بحومة تحت الحمام، وظل يتعهد ضريح سيدي بوعزة بالهبات والصدقات، وخلفه في ذلك ابنه رضوان آتي الترجمة وبذلك بقي الطلبة يقرؤون فيه *القرآن* وينالون جرايات منتظمة.

وفي إحدى سنوات المسغبة وهب الحاج أحمد بلافريج ثلث ماله للضعفاء نقداً وعقاراً ولم ينقطع إحسانه إلى أن توفي في شهر رجب عام 1302 / أبريل - ماي 1886.

بلافريج، رضوان بن الحاج أحمد. قرأ ما تيسر له في صباه، ثم اشتغل بالتجارة مع والده، وخلفه في ذلك بعد موته فأصبح من أكبر المتاجرين مع هولاندا. ثم أسندت إليه خطة الحسبة بالرباط في شهر قعدة عام 1334 / شتنبر 1916 وظل يزاولها بنزاهة واقتدار طوال عشر سنوات إلى أن صرف عنها سنة 1344 / 1926 وقد جال كثيراً بأوربا وأقام مدة بمدينة طنجة وأدركته الوفاة بمسقط رأسه الرباط حوالي سنة 1384 / 1964.

م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، 194 ؛ *تقاييد، ومعلومات خاصة.*

محمد الأمين بلغّاوي

بلاك، روبير Blake Robert، مواطن أنجليزي ولد عام 1599 وتوفي عام 1657 بمدينة بليموث بأنگلترا، قضى زهاء عشرين سنة من حياته في المغرب بالخصوص بين مراكش وآسفي وسلا، في عهد الملك السعدي محمد الشيخ الأصغر، فجاءت إقامته بالمغرب حافلة بالأحداث المدنية والدبلوماسية والحربية.

قدم بلاك إلى المغرب عام 1636. ليمارس التجارة لحساب جماعة من أصدقائه الأنجليز المقيمين ببلادهم. وما أن لبث بضعة أسابيع حتى التحق بمراكش وتمكن من ربط صداقة مع محمد الشيخ الأصغر الذي كان بدوره يتحين الفرص لتدعيم علاقاته مع شارل الأول ملك بريطانيا العظمى التي كانت تكنُّ العداء لإسبانيا وهولاندا والبرتغال لأسباب سياسية واقتصادية من جراء المنافسة القائمة بين هذه الدول على احتكار المعاملات التجارية مع المغرب من شماله إلى جنوبه، والطموح إلى امتلاك بعض المواقع البحرية به.

استطاع بلاك أن يقنع ملك مراكش بضرورة إطلاق سراح الأسرى الأنجليز المحتجزين بأسفي وسلا، لتطبيع العلاقات بين المغرب وبريطانيا العظمى، فاستجاب الملك لذلك وسرح بدون افتداء بعض هؤلاء الأسرى ووعد بتسريح الأخرين عندما يسترجع سيادته على سلا والرباط وإقليم سوس.

كان وقتها إقليم سوس بما فيه حاحة والشياظمة وثغر أمگدول (الصويرة فيما بعد) غير خاضع لنفوذ ملك مراكش، وكان محمد الشيخ يحرص على منع بيع الأسلحة إلى خصومه بجنوب المغرب وإلى الدلائيين الذين سيطروا على سلا وأطراف أخرى من البلاد.

وتتويجا للصداقة بين محمد الشيخ وبلاك، قرر ملك مراكش تعيين التاجر الانجليزي سفيراً له لدى ملك بريطانيا، ثم أوفده إلى لندرة رفقة عبدالله جؤدر في سفارة قصد التفاوض مع شارل الأول لإبرام معاهدة بين البلدين، تقتضي احتكار الانجليز للتجارة الخارجية المغربية، وضمان سلامة رعايا البلدين في كل منهما ومنع الأنجليز من بيع الأسلحة والبضائع الأخرى إلى خصوم ملك المغرب.

على أثر ذلك أمرشارل الأول بتأسيس شركة تجارية انجليزية تحمل أسم "برباري كومباني Barbary Company" يسيرها بانجلترا تجار محليون ويسيرها بلاك بالمغرب حيث يكون مقرها بأسفي، على أن يؤدي التجار الأنجليز تعويضات إلى بلاك.

عندما عاد بلاك إلى المغرب، استأنف نشاطه التجاري لحسابه ولحساب شارل الأول ولحساب مؤسسي "برباري كومباني". فأخذ محمد الشيخ يكلفه بالتفاوض مع المجاهد العياشي بسلا ومع الموريسكيين بقصبة الرباط من أجل إطلاق سراح الأسرى الأنجليز وإعلان ولائهم إلى ملك مراكش.

أما التجار الأنجليز فإنهم مضوا يخالفون بنود المعاهدة المبرمة بين البلدين وذلك ببيعهم الأسلحة وغيرها إلى خصوم ملك مراكش، فغضب بلاك، وأدى ذلك إلى حل شركة "برباري كومباني" بعد أربع سنوات على تأسيسها.

مقابل ما ضاع لبلاك، قرر محمد الشيخ تنحية اليهود من ديوانة أسفي والوليدية وإسناد شؤونها إلى هذا التاجر الأنجليزي الذي جمع بين مصالح بلده ومصالحه من جهة، ومصالح الطرفين بمصالح ملك مراكش الذي تزايدت مكانته لديه خاصة ولدى الأنجليز عامة. وهكذا رأينا بلاك المغامر يرافق محلة محمد الشيخ الأصغر لمحاربة فرقة من الدلائيين بتادلا، بموقع بوعقبة يوم 26 أكتوبر 1638، على واد العبيد، وهي المعركة التي انهزمت فيها محلة الملك الذي نجا هو وبلاك بمعجزة من الوقوع في أيدي الدلائيين.

رجع بلاك إلى أنجلترا بعد ذلك فتصدى لانتقاد شديد من طرف التجار الأنجليز الذين ألحقت بهم "برباري كومباني" أضراراً جسيمة بمنع حرية التجارة مع جميع جهات المغرب. وطالبوا بالرجوع إلى ما كان عليه الأمر قبل تأسيس الشركة المذكورة، فوافق المجلس البريطاني الخاص على طلبهم، فانتعشت التجارة من جديد، إذ كان الأنجليز يرفضون إخلاء المكان الصالح للهولانديين والإسبان وغيرهم. على إثر هذا القرار، عاد بلاك إلى أسفي عام 1640 وأطلع ملك مراكش على ما آلت إليه الأمور، فكان رد فعل الملك أن ألغى المعاهدة المبرمة مع الأنجليز، فشعر بلاك بخيبة كبرى، و مضى يحجز بميناء أسفي سلعاً محظورة ويتحين الفرصة للرجوع إلى أنجلترا، وكان ذلك في غضون شتنبر من عام 1641.

هناك أطاح كرومويل بنظام شارل الأول، فوجدها بلاك فرصة لدق باب مغامرات حربية، فاقترح على حكومته احتلال قصبة الرباط للقضاء على القرصنة في الشواطئ المغربية، فأسندت إليه قيادة أسطول بحري حربي مهمته ضرب الأتراك في البحار وانتزاع مواقعهم في البحرالمتوسط وبسط نفوذ انجلترا بالقوة على الشواطئ المغربية، وصار بلاك التاجر يسمى الأميرال بلاك.

ظهرت بطولاته غير المتوقعة ضد الأسطول التركي بتونس عام 1655، حيث تفوق على الأتراك وعلى البحارة التونسيين في معركة أسفرت عن تدمير سفنهم، وتفوق عليهم بالجزائر حتى انتزع من حاكم الجزائر وقتئذ اتفاقية متميزة للغاية بالنسبة لمصالح الأنجليز، بعد ذلك تصدى لقراصنة سلا فضرب حصاراً شديداً على سلا وقصبة الرباط، غير أنه لم يحقق نتائج إيجابيه إلا بعد انتصاره على الأسطول الإسباني بالجزر الخالدات وهو الانتصار الذي مكنه من التفرغ لخصوم محمد الشيخ الأصغر، عام 1657.

بعد هذه الأحداث، رجع بلاك إلى بلده إلا أنه توفي قبل أن تصل سفينته إلى مدينة بليموث في أواخر نفس السنة 1657.

م. حجي، *الزاوية الدلائية*.

S.I.H.M. ; A. Cour, *L'Etablissement des dynasties des chérifs au Maroc* ; E. Albertini, G. Marçais, G. Yver, *L'Afrique du Nord française dans l'histoire* ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*.

أحمد بنجلون

بلال، عزيز، ولد بتازا سنة 1351 / 1932 وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية بوجدة. بدأ يشارك، وهو ما يزال تلميذاً، في الحركة الوطنية المناهضة للاستعمار. وتابع دراسته العليا في تولوز بفرنسا. ولما عاد إلى المغرب عُين مكلفاً بمهمة في التخطيط حيث ساهم في إعداد المخطط الخماسي الأول (1960 ـ 1964)، ثم سُمي كاتباً عاماً بوزارة الشغل، ونائب عميد كلية الحقوق بالرباط حيث كان يدرس الاقتصاد السياسي. وفي سنة 1965 ناقش أطروحته للدكتوراة حول *الاستثمار بالمغرب*، وقد أحرزت على جائزة جامعة گرونوبل الفرنسية.

شارك في عدة مؤتمرات دولية للاقتصاديين حول مشاكل دول العالم الثالث، وقام بنشاط كبير للتعريف بالقضية الفلسطينية على الصعيدين الوطني والدولي. يعد عضواً بارزاً في حزب التقدم والاشتراكية، ونقابة أساتذة التعليم العالي. وقد انتخب سنة 1976 عضواً في المجلس البلدي لعين الذياب بالدار البيضاء ونائب رئيس المجلس، وأسس في نفس السنة مع جماعة من زملائه "جمعية الاقتصاديين المغاربة" وظل رئيساً لها إلى وفاته. كما انتخب ثلاث مرات على التوالي رئيساً لشعبة العلوم الاقتصادية بكلية الحقوق بالدار البيضاء.

توفي مخنوقاً بغاز انفجر في فندق هلتون بمدينة شيكاغو يوم 23 ماي سنة 1982، ونقلت جثته إلى المغرب حيث أقبر في الدار البيضاء.

ما نشر من كتابات عزيز بلال :

كتب :

- *Abdelkrim Ben Abdallah : Un modèle d'intellectuel révolutionnaire* - *Al-Bayane*, N° 121, 2 Avr. 1975.

- *Plus une minute à perdre dans la bataille pour notre sahara*, *Al-Bayane*, N° 137, 3 Juin 1975.

- *Quel socialisme africain ?*, *Al-Bayane*, N° 184, 29 Juillet 1975 ; N° 191, 6 Août 1975.

- *La Négociation avec l'Espagne ne doit pas aboutir au relachement de la mobilisation*, *Al-Bayane*, N° 258, 25 Oct. 1975.

- *La Gauche européenne et la question du Sahara marocain*, *Al-Bayane*, N° 317, 10 Jan. 1976 ; N° 318, 11 - 12 Jan. 1976. *L'Actuel*, Vol 1, N° 3, 1976.

- *Science, idéologie et révolution nationale démocratique*, *Al-Bayane*, N° 330, 25 - 26 Jan. 1976.

- *Le Concept de révolution*, *Al - Bayane*, N° 335, 1 - 2 Fév. 1976.

- *La Véritable authenticité*, *Al-Bayane*, N° 341, 8 - 9 Fév. 1976.

- *Le Socialisme en Afrique*, *Al-Bayane*, N° 358, 28 Fév. - 1 Mars 1976.

- *La Déroute du gauchisme marocain*, *Al-Bayane*, N° 353, 22 - 23 Fév. 1976.

- *Abdelkrim Ben Abdallah : L'unité de la pensée et de l'action*, *Al-Bayane*, N° 383, 30 Mars 1976.

- *Les Révolutionnaires marocains qui luttent depuis plus de trente ans, n'ont de leçon de patriotisme ni de révolutionnarisme à recevoir de personne*, *Al-Bayane*, N° 400, 18 - 19 Avr. 1976.

- *Le Parti d'avant-garde et la révolution nationale démocratique*, *Al-Bayane*, N° 423, 16 - 17 Mai 1976.

- *Elections : espoirs indécis, interview* - *Lamalif*, N° 84, Nov., Déc. 1976.

- *Les Elections communales et municipales*, *Al-Bayane*, N° 590, 1 Déc. 1976.

- *Encore une fois sur le problème des emprisonnés politiques*, *Al-Bayane*, N° 598, 11 Déc. 1976.

- *Va-t-on reconduire les mêmes options dans le futur plan ?*, *Al-Bayane*, N° 706, 19 Avr. 1977.

- *Le Gage du succés du processus démocratique c'est le P.P.S.*, *Al-Bayane*, N° 707, 20 Avr. 1977.

- *Nous sommes confiants dans l'issue de la bataille électorale parce que nous présentons un programme très clair : notre confiance, c'est notre intégrité, notre honnéteté*, *Al- Bayane*, N° 738, 27 Mai 1977.

- *Contre la falsification de nos positions : une propagande mensongère et grossière*, *Al-Bayane*, N° 739, 28 Mai 1977.

- *Evolution comparée des politiques économiques maghrébines* - *Les Temps modernes*, N° 375 bis, Oct. 1977. Spécial, "*Du Maghreb*", *Al-Bayane*, N° 1156, 10 Oct. 1978 ; N° 1157, 11 Oct. 1978 ; N° 1158, 12 Oct. 1978.

- *Elevons le niveau de débat politique*, *Al-Bayane*, N° 897, 2 Déc. 1977.

- *Il faut doter les communes des moyens nécessaires*, *Al-Bayane*, N° 901, 7 Déc. 1977.

- *Amilcar Cabral : notre ami, notre camarade*, *Al Bayane*, N° 938, 20 Jan. 1978.

- *Il faut satisfaire les revendications des travailleurs et faire avancer la cause nationale et démocratique*, *Al-Bayane*, N° 1022, 3 Mai 1978.

- *La Roumanie socialiste connait un développement accéléré et prodigieux dans tous les domaines*, *Al-Bayane*, N° 1033, 16 Mai 1978.

- *L'Economie marocaine : bilan et perspectives*, *Al-Bayane*, N° 1053, 8 Juin 1978.

- *L'Evolution de la situation économique et sociale au Maroc*, *Al-Bayane*, N° 1075, 4 Juillet 1978.

- *Un Protectorat déguisé : l'association au marché commun européen*, Casablanca, 1962.

- *L'Investissement du Maroc, 1912 - 1964, et ses enseignements en matière de développement économique*, Pref. André Page, Paris ; La Haye, 1968, 2ème éd., Casablanca, 1976.

- *Problèmes socio-économiques du monde arabe*, Rabat, 1974 (Coll. B.E.S.M. ; série Economie).

- *Développement et facteurs non-économiques*, Rabat, 1980. (Coll. Atlas).

- *Impératifs du développement national*, Rabat, 1984.

مقالات :

- *Algérie, au IV de la révolution* - *La Nation*, N° 7, 6 Juin 1958 ; N° 9, 20 Juin 1958 ; N° 12, 11 Juillet 1958.

- *Bas les pattes devant Cuba* / A. Belal (et al...) - *Al Moukafih*, N° 12, 9 Nov. 1982, suppl. en langue française au N° 115.

- *Le Référendum n'est pas démocratique : le peuple veut une assemblée nationale constituante* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 12, 9 Nov. 1962, Suppl. en langue française au N° 115.

- *Nous boycottons le référendum sur la constitution octroyée pour faire triompher le principe de la souveraineté populaire* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, suppl. au N° 120, 7 Déc. 1962.

- *Après le référendum : poursuivons la bataille pour la souveraineté du peuple* / A. Belal (et al...) - *Al Moukafih*, N° 15, suppl. en langue française au N° 122, 21 Déc. 1962.

- *L'Etat doit prendre toutes ses responsabilités devant les inondations* / A. Belal, (et al...) - Al Moukafih, N° 24, 22 Févr. 1963.

- *Boycottons dans l'union la presse colonialiste* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 27, 15 Mars 1963.

- *Aux menées colonialistes : opposons des mesures anti-colonialistes* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, suppl. hebdo, N° 28, 22 Mars 1963.

- *Déclaration des communistes marocains (relative aux élections législatives)* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 34, 1 Mai 1963.

- *Travailleurs, travailleuses : faisons du 1er mai, une journée de lutte pour les revendications, la libération totale, la démocratie et la paix* / A. Belal (et al...) - *Al Moukafih*, N° 34, 1er Mai 1963.

- *Pour répondre aux élections à la sauvette : réalisons le front patriotique et progressiste* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 33, 26 Avr. 1963.

- *La Lutte pour le pain et la lutte pour la démocratie sont inséparables* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 40, 20 Juin 1963.

- *Unissons-nous pour vaincre la réaction aux élections du 28 Juillet* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 43, 11 Juil. 1963.

- *Il n'y a pas de conflit entre les peuples marocain et algérien* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 56, 10 Oct. 1963.

- *1er Mai : Unité et actions pour salaires, démocratie, réforme agraire, solidarité internationale* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 85, 1 Mai 1964.

- *Imposer dans chaque circonscription l'élection du condidat progressiste* / A. Belal, (et al...) - *Al Moukafih*, N° 35, 8 Mai 1965.

- *Comment prépare-t-on l'homme de l'an 2000*, *Al-Kifah al-Watani*, N° 209 - 210, 7 - 14 Fév. 1969 ; N° 206 - 207, 17 Jan. - 7 Fév. 1969.

- *La Résistance palestinienne et le mouvement révolutionnaire mondial*, *Souffles*, N° 15, 3ème trim. 1969. Spécial : "*Pour la révolution palestinienne*".

- *Les Solutions que propose le P.P.S. constituent une alternative démocratique et progressiste à la crise actuelle*, *Al-Bayane*, N° 1086, 18 Juillet 1978.

- *Les Relations entre le Maroc et la C.E.E. et leurs perspectives d'avenir*, *Al-Bayane*, N° 1112, 17 Août 1978.

- *A propos du prochain congrès national des indépendants : maintien du statu-quo et des options existantes*, *Al-Bayane*, N° 1142, 22 Sept. 1978.

- *Les Interférences dans les facteurs économiques et non économiques dans la stratégie du développement*, *Lamalif*, N° 104, Fév. 1979.

- *Tout en défendant ses droits : la classe ouvrière reste mobilisée pour la défense de l'unité territoriale, elle n'a de leçon de patriotisme à recevoir de personne*, *Al-Bayane*, N° 1263, 18 - 19 Fév. 1979.

- *Hadi Messouak : notre ami, notre frère*, *Al-Bayane*, N° 1519, 14 Déc. 1979.

- *La Crise persiste avec un endettement extérieur qui approche les 6 milliards de dollars et un déficit des finances publiques de 722 milliards de centimes : le plan triennal n'a atteint aucun de ses objectifs*, *Al-Bayane*, N° 1710, 2 Août 1980 ; N° 1711, 3 - 4 Août 1980.

- *Le Redressement de la situation de notre enseignement exige un changement radical dans l'orientation, la conception de la politique de l'enseignement, ses objectifs et ses moyens*, *Al-Bayane*, N° 1816, 13 Déc. 1980.

- Parti du progrès et du socialisme, *Aziz Belal : Vie d'un militant exemplaire*, Casablanca, 1982.

عبد المجيد بنيوسف

بلامبو ← بلانبو

بّـلاميـنُو، أسرة أندلسية كبيرة استقر بعض أفرادها بتطوان، وبعضم بسلا والرباط، ومازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Palamino ومعناه عندهم فرخ اليمام، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان على إثر الوباء الذي أصاب المدينة سنة 1677/1088. لم يرد ذكرها عند الضعيف الذي أحاط بأخبار الرباطيين في العصر العلوي إلى أيامه. مما يدل على عدم بُروز شخصيات هامة في العدوتين من هذه الأسرة قبل القرن الثالث عشر (19 م).

بّـلامينو، محمد بن يحيى الرباطي أديب شاعر فقيه تجاني الطريقة، تلقى تعليمه على يد المؤدب محمد بن علي البطاوري والشيخ العربي بن السائح وغيرهما، ووُصف بالدين والنسك. له قصائد في المديح النبوي وفي أغراض أخرى خاصة الهجو المقذع. ومن شعره مرثية قالها في رثاء شيخه العربي بن السايح الشرقي. كان يدرس في الزاوية التجانية وغيرها، وتعاطى خطة الشهادة وعرف بالصدع بالحق وتجنب البدع.

توفي في 4 جمادى الأولى عام 1914/1333 ودفن بمسجد سيدي محمد الضاوي.

م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، 194 ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، 231 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، 310.

عبدالاله الفاسي

بّـلان، حيوانات من رتبة هدابية الأرجل Cirripeda ومن القشريات البحرفية، تعرف ببَلوط البحر وكانت قديما تنسب من طرف علماء الحيوانات إلى الرخويات.

يعيش ملتصقاً بالصخور الشاطئية بواسطة قشرته الكلسية التي تكسو جسمه. يتكون الصدر من أجزاء يحمل كل واحد منها زوائد مجذافية يساعد الحيوان على التنفس وأخذ المأكولات. يبقى البالغ منعدم العينين والزباني.

يعد البلان من الحيوانات النادرة التي تلتصق بالصخور بواسطة قشراتها الصلبة المخروطية الشكل. إنها قوقعة مكونة من ستة أجزاء تشكل سوراً يغلق من فوقه بغلاف رقيق أثناء الجزر ليحمي الجسم من التبخر وفقد الماء من داخل القوقعة ويفتح أثناء المدّ لتخرج الهدابات لتتنفس وسط الماء وتمسك المأكولات.

إنه حيوان مزدوج الجنس ويُحتمل أن الأفراد المنعزلة تستعمل التلقيح الذاتي. أما بالنسبة للمجموعات المحتشدة بالصخور فيتم التلقيح بواسطة المجس الذي يخرجه الذكر من القوقعة ويمد به الأفراد الملتفة حوله.

تبقى البويضات الملقحة داخل القوقعة حتى تفرخ وبعد ذلك تسرع الصغار لتلتصق بدورها بالصخور المجاورة.

تعيش على الصخور بالشواطئ المغربية عدة أنواع من هذا الحيوان.

R. Boue H. Chanton, *Biologie animale zoologie-invertébrés*, T. I, Paris, 1962 ; G. Bitar, *Etude du peuplement benthique de la côte atlantique méditerranéenne du Maroc : Impact de la pollution, comparaisons biogéographiques*, Thèse Doct. Et. et Univ., Marseille, 1987 ; A. Campbell et Nicholls, *Guide de la faune et de la flore littorales des mers d'Europe*, Lausanne, 1986; M. Menioui, *Contribution à la connaissance des peuplements infralittoraux superficiels de la côte méditerranéenne du Maroc - Etude faunistique, écologique et biogéographique*, Thèse Doct. Et. et Univ. Mohammed V.

محمد منيوي

بّـلان، أوربان Blanc Urbain عمل مفوضاً عاماً لدى الإقامة الفرنسية بالمغرب مدة أربع عشرة سنة، من يوم تعيينه سنة 1919 خلفا للالية دي كودريه Lallier Du Coudray إلى يوم عزله في شهر نونبر من سنة 1933 ليخلفه هيلّه Helleu، ولقد ضرب رقما قياسيا في احتلال ذلك المنصب الذي كان على صاحبه أن يعوض المقيم العام كلما تغيب المقيم أو ينوب عنه كلما استنابه في بعض المهام. ولئن كنا ما زلنا لا نتوفر على دراسة مستوفية لأدوار المفوض العام لدى الإقامة، ولا على ترجمة لحياة أوربان بلان وأعماله، فإننا نعلم أن تلك الوظيفة مقتبسة من وظيفة نائب الرئيس في دستور الولايات المتحدة، وأن المسؤولين عن الحماية أرادوا بها اجتناب كل انقطاع في استرسال السلطة الفرنسية بالمغرب، كما أرادوا منها نوعا من التوفيق بين موظفي وزارتي الحرب والشؤون الخارجية. وإننا من جهة أخرى نستقرئ من طول احتلال أوربان بلان للمنصب ما كان له حتما من النفوذ والتأثير على سير الحماية. فإنه كان من موظفي السلك الديبلوماسي واشتغل كاتبا عاماً للحماية التونسية قبل أن يعين مفوضاً عاما بالمغرب، وقت كان ليوطي في أشد الحاجة إلى من يساعده على إطفاء غليان المعمرين والمرشحين للاستعمار الذين

كشروا عن أنيابهم غداة الحرب العالمية واشرأبت أعناقهم لاستغلال خيرات المغرب بدون قيد ولا شرط، فلم يعودوا يطيقون تحفظات ليوطي، ولا سياسته الرامية إلى حصر الاستعمار في نخبة من المعمرين، فثاروا عليه كفاحا سنة 1919، فاحتاج إلى من يتوسط بينه وبينهم ويحول بين كبريائه وجسارتهم، وكان أوربان بلان مؤهلا لذلك بما كان عليه من الاقتناع بفضائل الاستعمار، مهما كان من هوية المعمر، وبما كان عليه من الخبرة بإدارة المستعمرات وأساليب التحايل على أهل البلاد، فعمل بالتي هي أحسن، في ظل ليوطي، لتحريف الحماية من مفهومها الدولي القاضي بحصرها عند مجرد مراقبة فرنسية للإدارة المغربية، إلى إدارة فرنسية مباشرة للمغرب وتصرف قهري في أدنى جزئيات حياته، حتى إذا عزل ليوطي سنة 1925، سهر أوربان بلان على توطيد دعائم تلك الإدارة المباشرة بدعوى الإخلاص إلى أساليب المارشال، ومسؤوليته ثابتة في هذا الصدد، لذلك أطلق اسمه أثناء النصف الثاني من عهد الحماية على أحد شوارع الرباط الكبرى (شارع المولى الحسن حالا).

عمل أوربان بلان بإزاء أربعة مقيمين عامين، وهم ليوطي الذي عينه، وستيك Steeg، ولوسيان سان Lucien Saint وهانري بونصو Henri Ponsot، وهو الذي تم عزله في مقيميته، وفي ذلك إشارة واضحة إلى ما كان عليه بونصو من الاعتدال في الاستعمار وما كان عليه أوربان بلان، بالعكس، من التصلب الناتج عن قناعاته الذاتية وعن طول مكوثه بالمغرب وتعاقب أربعة مقيمين عامين فيما بين 1925 و1933، مما خول المفوض العام سلطة لم تكن مقدرة له في الأصل. وكان أوربان بلان قد تعود على الاستقلال بالتصرف منذ عهد ليوطي الذي تغيب عن الرباط فيما بين 1920 و1924 فترات طويلة، لأسباب صحية. وتبدو بصمات أوربان بلان في العديد من القرارات التي أثرت على مجرى تاريخ الحماية الفرنسية بشكل ملموس، فهو الذي أوحى لليوطي بضرورة إشراك المعمرين، وهو الذي ساهم في جعل حد لرواج السكة الحسنية لفائدة الفرنك من خلال ما اقترح من أوجه الإغراء للتجار المغاربة مثل السخاء برخص بيع السكر ورخص الذبح بالمجازر البلدية، وهو الذي كتب رداً على اقتراح تقدمت به وزارة الخارجية سنة 1923 بإلحاق المغرب وتونس بجمعية الأمم، لا حبا فيهما ولكن لتوازن بهما وجود المستعمرات الإنجليزية بتلك الهيئة الدولية، قال: "إذا قلنا للعالم إن المغرب وتونس أمتان قابلتان، بعد تهذيبهما واقتفائهما لمثال فرنسا، لأن تصبحا شخصيتين تستطيعان إحراز استقلالهما في المستقبل، فإننا نكون قد اتخذنا موقفا نهائيا ووجهنا محميينا وجهة تبرر وتقنّن كل ما سيبذلونه من المجهودات لإقصائنا، وسوف ينحصر النقاش بين فرنسا وبينهم عندَ مسألة التوقيت، فإنهم سوف يزعمون أنهم قدنوا قبل الوقت، وسوف يعلنون الرفض.

ومن الأكيد، على ما قال الأستاذ ريفي، أنه أحبط مجهودات ليوطي، على تواضعها، للأخذ بيد الشباب المغربي الناهض، وهو الذي واخذ المولى يوسف بعدم ذكره لفرنسا في بعض خطبه قائلا: "إن باي تونس كان لا ينسى ذلك أبداً"، مما اضطر ليوطي إلى الرد عليه، بنوع من الحدة، بأن المولى يوسف سلطان ابن سلطان،، وباي تونس موظف من موظفي الدولة العثمانية.

وتميز أوربان بلان في تاريخ الحماية بما سعى فيه، في العلانية والخفاء، لبلورة سياسة التمييز الاجتماعي والقبلي، فهو الذي أثر على ليوطي الذي لم يكن مريضا "بالبربرومانيا"، كما يقول الأستاذ ريفي، إلى الحد الذي كان عليه بعض أعوانه، وفي طليعتهم أوربان بلان، ليلعب على حبل التفرقة العنصرية بين المغاربة، فهو الذي أخرج موريس لوگلي Maurice Le Glay قطب تلك السياسة على الإطلاق، من شبه النفي الذي كان قد اضطر إليه، عندما عين مراقبا مدنيا بإقليم أسفي بإلحاح من المولى يوسف الذي كان قد عيل صبره من أقوال ذلك الضابط ومن تصرفاته في قبائل الأطلس المتوسط. استقدمه إلى الرباط سنة 1923 واستعان به في ضبط قواعد السياسة البربرية، كما استعان بمارتي، القطب الآخر في هذا المضمار، لتعزيز القضاء العرفي بواسطة الجماعات القبلية على حساب القضاء الشرعي. ولولا دولة المولى يوسف، لكان هذا الثالوث من أعداء وحدة الشعب المغربي، قد استطاع استصدار الظهير البربري قبل 16 ماي 1930، وكانت الغاية من الظهير إلحاق نصف سكان البلاد بالقضاء الفرنسي، ولا يسع المؤرخ إلا أن يسجل أن الظهير المشؤوم صدر سنة 1930 وأوربان بلان مفوض عام بالإقامة بالرباط، وأن الظهير الذي ألغى مبدأ إلحاق القبائل البربرية بالمحاكم الفرنسية في أبريل سنة 1934 صدر وهو معزول عن منصبه، وكيف لا، وقد كان عدواً لدوداً للإسلام، قال سنة 1922: "إنه ينبغي كلما عرضت آثار الكنائس على أحد أهالي افريقيا الشمالية أن لا يقال له: "هذا ما بناه آبائي"، لأن ذلك خطأ، بل يقال له: "هذا ما بناه آباؤك"، لأنهم كانوا مسيحيين قبل أن يكونوا مسلمين"، هذا مع العلم أنه لم يكن لا كاثوليكيا ولا ملتزما بأية عقيدة، بل كان لايكيا وعضوا في الجمعية الفراماصونية الميالة على العموم إلى الإلحاد، لكن لما كان الأمر يتعلق بمحاربة الإسلام وحضارته. كان أوربان بلان يتحول إلى صليبي متصلب، وما ذلك إلا من مفارقات الاستعمار.

كان أوربان بلان يترقب ظهور الحركة الوطنية بعد جيل من انعقاد الحماية، فإنه كتب قائلا سنة 1923، بناء على تجربته التونسية: "إن الحركة الوطنية لا تظهر إلا بعد اختفاء الجيل الذي يكون قد شاهد وعاش الأيام القديمة"، ولما بدت طلائع الأفواج الوطنية الأولى، خاطبها بلغة من يريد إسكات المخاطب قائلا: "إنكم سوف تحرمون على الاستقلال يوم تستطيعون صنع القاطرة"، وغني عن البيان أنه كان ساهراً على أن لا يتعلم المغاربة أبدا تلك

الصناعة، فهو الذي كان ينهى عن استقدام أبناء البادية المغربية إلى المدن ليتابعوا بها دراستهم، بدعوى أن المدينة تفسد أخلاقهم، والحقيقة أن المدينة باتت تعلمهم كيف يقاومون حيل الاستعمار بسلاح العرفان.

الجريدة الرسمية، سنوات 1919 إلى 1934.

D. Rivet, *Lyautey et l'institution du Protectorat au Maroc*, Paris, 1988.

إبراهيم بوطالب

بلانبو، وتكتب أيضاً بالميم بلامبو، وبدون واو : بلانبُ، أسرة رباطية سلاوية أصلها من الأندلس، عُرف أفرادها بالديانة والمروءة. اشتهر السلويون بالمشاركة في الجهاد البحري، والرباطيون بالانتساب للطريقة العيساوية، وحفظ أذكارها وإنشادها بأنغامها المعروفة، والاعتناء بشعر الملحون عموماً، حفظاً وإنشاداً. منهم :

بلانبو، عبد الله، (الحاج ـ) من المجاهدين البحريين السلويين الذين نالوا صلة الحسن الأول بتاريخ 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875.

بلانبو، محمد الرباطي تاجر في سوق السباط، من أعيان الطائفة العيساوية الذين كانوا لا يتخلفون عن مجالس الأذكار والإنشاد الأسبوعية.

توفي حوالي عام 1376 / 1956.

بلانبو، محمد السلوي. كان أستاذاً من حفظة القرآن ومن رجال البحر الواقفين على باب الجهاد، وبهذه الصفة أدرج في قائمة الصلة التي خص بها الحسن الأول المجاهدين في وثيقة مؤرخة بثامن وعشري حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894.

م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، 195 ؛ م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، 150 و223 ؛ *معلومات شخصية*.

م. الأمين بلكناوي

بْلانص، أو بلانس، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل الاسم Blanes. وهو اسم مدينة بمقاطعة خيرونا Gerona.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1163/1750.

بْلانْكُو، أسرة تطوانية ورباطية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم هكذا Blanco أو هكذا Palanco.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1171/1758.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بْلانْكُو، بلقاسم من الأندلسيين المهاجرين إلى الرباط، كان من بين الموقعين على الاتفاقية المعقودة بين سلا وبريطانيا في 10 ماي 1627.

بْلانْكُو، محمد من أندلسيي الرباط كذلك. شغل حوالي سنة 1630 وظيفة كاتب للديوان، وحرر بهذه الصفة عقد الهدنة بين السلاويين وفرنسا. كما كان ضمن لائحة محرري نص مشروع اتفاق بين الرباط وملك إسبانيا، حيث يظهر اسمه مقترنا بصفة "كاتب المحكمة".

S.I.H.M., Angleterre, T. 3 ; G. S. Colin, *Un projet de traité entre les morisques de Rabat et le roi d'Espagne*, *Hesp.*, Vol. 42, 1955.

عبداللطيف الشاذلي

بلبل، طائر من رتبة الجواثم وفصيلة Pycnonotidae التي تضم 119 نوعا يعيش معظمها في أفريقيا وآسيا. إنه طائر جميل حسن الصوت يبلغ طوله 19 سم، طويل الذيل، أسود الرجلين، ظهره رمادي بني داكن وبطنه أبيض. يسمى علميا Pycnonotus barbatus.

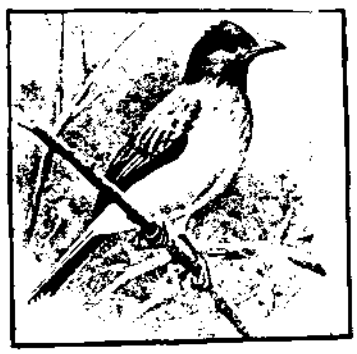

البلبل المغربي هو ضرب من هذا النوع يعيش في المغرب والجزائر وتونس وسط مجموعات صغيرة كثيراً ما تحدث أصواتا مطربة أثناء تنقلاتها. يعيش في الغابات والبساتين والحدائق والأماكن المشجرة وبقعات من الشمار اللحمية كالعنب والتين والبرقوق ومن الحشرات أيضا.

إنه طائر مشاكس، كثيرا ما يقوم بتغاريد متواصلة في الصباح الباكر وقبل غروب الشمس. تبتدئ مدة التوالد من أبريل، ويبني عشه على الأشجار، وتبيض الأنثى عادة من بيضتين إلى ثلاث، ونادراً أربع بيضات، مزركشة بنقط بنية، يبلغ قطرها 24.6 × 17.2 ملم.

البلبل شائع في المغرب من شمال البلاد إلى سفوح الأطلس الصغير، ويعيش ضرب آخر من هذا النوع في مصر والشرق العربي ويسمى أيضا بلبلاً كما يسمى كُعيباً وجُمَيْلاً.

H. Heinzel, R. Fitter, et J. Parslow, *Les Oiseaux d'Europe, d'Afrique du Nord et du Moyen Orient*, Suisse, 1972 ; Thevenot Berger et Beaubrun, *Compte-rendu d'ornithologie marocaine*, 1980

محمد رمضاني

بَلّج بن بِشْر القُشَيْري القَيْسي، نسبة إلى قُشير بن كعب، من فروع قيس بن عيلان، هو قائد خيل كلثوم بن عياض والي بني أمية على المغرب سنة 123 /741. وبهذه الصفة تولى قيادة طلائع كلثوم، وكان الجيش الذي صحب الوالي الجديد يضم عشرات من الألوف. ولم يكن كلثوم ولا قريبه بلج القشيري من ذوي الحنكة السياسية، فلما بلغا أفريقية لم يحلاّ بالقيروان، بل أهان بلج ممثليها، وتنحيا عنها إلى سَبيْبَة قريباً منها، ثم كانت لهما صدامات مع بعض القادة الأمويين الموجودين بأفريقية قبلهما. وأخيراً

توجها نحو طنجة. وكانت الحزازات شديدة بين عرب أفريقية والجيوش الشامية التي رافقت ابن عياض. وقد أثرت هذه الحزازات في مصير العرب بهذه المنطقة، لأن عرب أفريقية خشوا من استقرار جيوش الشام بينهم، واستيلائهم على مقدرات البلاد. وكان الزحف على طنجة انتقاماً من البربر الذين أوقعوا بالعرب حولها قبل ذلك سنة 123 هـ. وهلك في هذا الصدام عدد من قادة العرب فسميت المواجهة بغزوة الأشراف أو موقعة الأشراف. لكن هذا الزحف الجديد لم يتجاوز به العرب نهر سبو، أي أن صفرية البربر الذين يستولون على طنجة، لم يمكنوا جيش ابن عياض من الاقتراب من هذه المدينة التي كانت حينذاك عاصمة للمغرب، فكانت هذه المواجهة بمنطقة الغرب في حوض سبو وقيل ببقدورة وليس عند تاهرت كما نقل بعض المعاصرين (حسين مؤنس، *فجر الأندلس*). وقاتل البربر بزعامة خالد بن حميد الزناتي الذي نصبوه خليفة بعد ميسرة. قاتلوا وهم يرتدون سراويل، وباقي جسمهم مكشوف. وكانت طلائعهم رجالة، فهاجمتهم خيل بلج لتدوسهم، فانهزموا لأن الهجوم كان مباغتاً عند الصّبح، ثم عادوا فألقوا بمقذوفات من مقاليعهم وهجم عدد منهم راجلا على قادة العرب فقتلوا كلثوما وحبيب بن عبدالرحمان وآخرين، وانهزم معظم الجيش العربي مولياً نحو افريقية، وكان المنهزمون من أهل مصر وعرب إفريقية. أما عرب الشام فقصدوا سبتة بزعامة قائدهم بلج بن بشر، وكان قد جُرح في المعركة، وكان المفروض أن يتولى أمر المغرب ويستقر بطنجة فيما لو انتصر الجيش العربي. وعلى هذا فهو لم ينعم بهذه الولاية كما وهم الحميدي. ويذكر ابن عذاري، نقلا عن ابن القطان أن العرب كانوا في ثلاثين ألفا، على أن الشاميين الذين كانوا عشرة آلاف هم الذين انتقلوا مع بلج إلى سبتة، وتذكر المصادر أن كلثوم ابن عياض أوصى بالولاية بعده لبلج، وكانت الأندلس ضمن منطقة ولايته، ولذلك كتب إلى عبدالملك بن قطن يطلب منه تجويز مراكب الأندلس إلى سبتة ليعبر فيها بلج من سبتة مع جيش الشام، لكن البربر منعوا الإمدادات عن سبتة فضاق الأمر بالشاميين حتى أكلوا دوابهم، كما أن والي الأندلس المذكور امتنع عن إمداد بلج ومن معه، ثم استقدمه بعد أن اشترط عليه أن يعود إلى أفريقية وأهل الشام بعد مُقام سنة. فلما اجتازوا إلى الأندلس رفضوا الخروج منها بعد ذلك، وكانت لهم اشتباكات مسلحة مع عبدالملك بن قطن وأنصاره، انتهت بمقتل هذا الوالي بعد أن اعتقل مدة، واستولى بلج على السلطة بالأندلس، لكنه لم يقم بها إلا أسابيع قليلة، ثم قتله الشاميون سنة 124 وولوا مكانهُ ثعلبة العاملي بعهد من الخليفة بدمشق. وقيل إن قتله تَمّ على يد عبدالرحمان بن حبيب في مواجهة وقعت خارج قرطبة.

ويرتبط انتقال بلج إلى الأندلس بحادثيين مهمين : 1 ـ المذابح التي قام بها جيشه في صفوف بربر شذونة والتي ازدادت قسوة بعده في صفوف بربر ماردة على يد خلفه ثعلبة. 2 ـ نشأة دولة برغواطة بسهول تامسنا المغربية. وهذا الحدث الأخير تعبير عن القطيعة النهائية مع الخلافة المشرقية، فيما عدا الاعتراف الرمزي اللاحق أيام المرابطين ولشَطْرٍ من الدولة المرينية. وهكذا توقف النفوذ العباسي الحَقيقي عند طُبْنَة، أيام الأغالبة.

ع. ابن عبدالحكم، *فتوح أفريقية والأندلس*، ت. البير كاتو، ص 126، 132 ؛ أ. ابن القوطية، *تاريخ افتتاح الأندلس*، ت. عبدالله الطباع، ص 41 ؛ م. الحميدي، *جذوة المقتبس*، ت.م. ابن تاويت الطنجي، ص 170 ؛ ع. ابن الأثير الجزري، *الكامل*، ت. ع. النجار، ج 4، 223، 250، 254 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 4 : 258، 406 ؛ حسين مؤنس، *فجر الأندلس*، ص 172، 175 ؛ عمر رضا كحالة، *معجم قبائل العرب*، مادة قشير.

إبراهيم حركات

بَلْجي، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر هاجرت إلى تطوان سنة 1830/1246 على إثر الهجوم الفرنسي. وكان جل أفرادها يعملون في فرقة البحرية التابعة لحامية تطوان، حيث نجد من بينهم رايس البحر أحمد بلجي في السنة المذكورة، والبحارة محمد بلجي وعبدالله بلجي وعبدالعزيز بلجي وحسن بلجي وعبدالغفور بلجي سنة 1834/1250.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 202 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بلجيكا والمغرب، يبدو أن العلاقات الدبلوماسية بين المغرب وبلجيكا ترجع إلى عهد السلطان مولاي عبد الرحمن الذي وافق عام 1838 على تعيين ليون فان لار (Léon Van Lare) قنصلا لبلجيكا مقيماً بطنجة، ثم جاء تعيين إرنيست دالوين (Ernest Dalvin) قنصلا عاماً لبلجيكا بالمغرب سنة 1845 ليجسم الأهمية التي أخذت تطبع العلاقات بين البلدين ؛ وعندما خلف السلطان السابق ولدُه المولى محمد، أبرم البلدان بتاريخ 4 يناير 1862 معاهدة تجارية وملاحية، مما أعطى القنصل البلجيكي السابق الذكر اختصاصات وصلاحيات مضى يشمل مداها جميع الشواطئ المغربية المطلة على المحيط الأطلنتي. أما الوثائق المتوفرة فإنها تشير إلى اقتناء المغرب، أسلحة بلجيكية بمقتضى عقد تجاري مؤرخ في 6 فبراير 1866. وفي عهد الحسن الأول، عينت بلجيكا قنصلا آخر بالجديدة، يدعى فليكس ديسگان (Félix Desguin) وقد تميز هذا العهد بتطوير العلاقات بين البلدين من مرحلة العلاقات القنصلية إلى مرحلة تبادل البعثات الدبلوماسية، وهكذا بعث العاهل المغربي عام 1876 وفداً هاماً إلى بلجيكا يرأسه الزبدي ويضم عسكريين وتقنيين وملحقين. وبعثت بلجيكا إلى المغرب بعد سنوات قليلة سفارة برئاسة إ. ويثنال (E. Whethnal) للتباحث مع العاهل المغربي حول إمكانية تنمية العلاقات الاقتصادية بين القطرين ووضع خطوط للسكك الحديدية وتنظيم البريد بالمغرب.

وفي سنة 1890، توجهت إلى بلجيكا بعثة دبلوماسية ثانية بقيادة أحمد بن المؤذن السرغيني الذي أبلغ الحكومة البلجيكية موافقة المغرب على الترخيص لها بإيداع فحمها الحجري بموانئه وذلك لمدة ثلاثين سنة. وورد في بعض المصادر أن الملك البلجيكي ليوبولد الثاني (Léopold II) زار المغرب مستخفياً عام 1897. ونشير بهذا الصدد إلى أن ما تضمنته عدة مصادر عن النوايا الاستعمارية البلجيكية للمغرب، إنما هو افتراء كشف عنه التاريخ مقابل ما كانت تبيته فرنسا وإسبانيا من أهداف استعمارية.

غير أن العلاقات بين المغرب وبلجيكا لم تختلف إلا قليلا عن علاقاته بالدولتين الأوربيتين الحاميتين سابقاً وغيرهما من الدول الأوربية. ثم أخذت روابط المغرب ببلجيكا طابعاً متميزاً وقوياً لبعض الفترات بعد الاستقلال حيث أعرب المغرب عن معارضته الشديدة للسياسة البلجيكية بالكونغو الذي كان مسرحاً لاضطرابات خطيرة غداة حصوله على الاستقلال في يونيو 1960.

تميزت هذه الأحداث بعصيان الجيش المحلي ضد ضباطه البلجيكيين وشهدت البلاد في مجموع ترابها حركات تمرد أهمها إعلان موسى تشومبي (Moïse Tchombé) استقلال إقليم كاطنگا (Katanga) وانفصاله عن المجموعة الكونغولية، ثم أرسلت بلجيكا إلى الكونغو وحدات من جيش المظليين لحماية رعاياها.

أمام هذه الأحداث، طلب الوزير الكونغولي الأول، بتاريخ 11 يونيو 1960، من الأمم المتحدة إيفاد جنود للحفاظ على الأمن وصيانة وحدة البلاد الترابية وتنظيم الجيش الوطني. وهكذا وقع تدويل النزاع الكونغولي البلجيكي، فأعرب المغرب عن تضامنه المطلق مع الحكومة الكونغولية.

للموقف المغربي عدة أسباب منها مقاومته للمطامع الاستعمارية الأوربية بالقارة وللمواقف العدوانية التي اتخذتها دول حليفة لبلجيكا، ومنها مساندة الشعوب المكافحة من أجل السيادة والاستقلال. وقد نجد هناك تشابهاً بين ما كان عليه المغرب سنة 1950 وما كان عليه الكونغو سنة 1960.

ترجم المغرب مساندته للمشروعية الكونغولية على الصعيدين العسكري والدبلوماسي، فعلى المستوى الأول، أرسل إلى الكونغو وحدات تتألف من ألف جندي مجهزين بأسلحة خفيفة تحت القيادة العامة للجنرال الكتاني، أقلتهم طائرات أمريكية، للعمل تحت لواء الأمم المتحدة. غير أن تفاقم الأحوال الداخلية أدى إلى فشل مهمة القوات الأممية.

أما على المستوى الدبلوماسي، فإن المغرب شجب وهاجم علانية مناورات الاستعمار الجديد ضد افريقيا والأمم المتحدة معاً. وفي أوج هذه الحملة الدبلوماسية، دعا محمد الخامس إلى عقد مؤتمر الدار البيضاء لمواجهة أخطار الاستعمار الجديد. وصار العمل المغربي ضد سلوك بلجيكا يكتسي طابع الجد والصرامة تجسم بتحرك المملكة المغربية بهيئة الأمم المتحدة وبمجلس الأمن الذي اجتمع بطلب من مجموعة الدار البيضاء في يناير 1961. وخلال الدورة الخامسة عشرة للمنظمة الأممية، قام ممثل المغرب بانتقاد شديد اللهجة لخروج بعثة الأمم المتحدة عن المهمة التي أنيطت بها بالكونغو ولوقوعها فيما خططه البلجيكيون ؛ وكان المغرب صاحب الآراء الواردة في الوصية التي تقدمت بها مجموعة الدار البيضاء والتي طالبت من منصة الأمم المتحدة بسحب الجنود والمستشارين السياسيين البلجيكيين من الكونغو، تلكم الوصية التي صادقت عليها الأمم المتحدة بتاريخ 15 أبريل 1961.

انعكست هذه الأحداث سلبياً على العلاقات البلجيكية المغربية، ثم أخذت تستعيد نشاطها انطلاقاً من سنة 1964 فتميزت بإبرام معاهدة تتعلق باليد العاملة المغربية ببلجيكا، بتاريخ 17 فبراير 1964، وأضحت العلاقات بين البلدين تتسع وتنمو بعد تدهور العلاقات بين المغرب وفرنسا، وراح المغرب يبحث عن بديل لفرنسا، فوجد لدى بلجيكا استعداداً للتعاون معه. وهكذا انتعشت العلاقات البلجيكية المغربية وصارت حكومة بلجيكا توفد عدة مبعوثين إلى الرباط، فتوالت الزيارات الرسمية إلى المغرب الذي حل به تباعاً من بلجيكا وزير السياحة في دجنبر 1966 ثم وزير التجارة الخارجية في أبريل 1967 ؛ ثم زيارة رسمية للعاهلين البلجيكيين خلال يناير / أبريل 1968 وزيارة أخرى قاما بها في نفس السنة للمغرب خلال أكتوبر 1968، رفقة وزيرهما في الشؤون الخارجية.

تجدر الإشارة إلى أن ما عرفته هذه الفترة المتميزة من ازدهار في العلاقات بين المغرب وبلجيكا كان ينبني على عدد من الأوفاق المبرمة بين البلدين، نذكر منها المعاهدة العامة المتعلقة بالضمان الاجتماعي (يونيو 1968) واتفاقية التعاون التقني (شتنبر 1971) واتفاقية حول ازدواجية استخلاص الضرائب (مايو 1972). وتمخض عن الحوار المثمر بين البلدين تشكيل لجنة مختلطة (أبريل 1965) بدأت أعمالها انطلاقاً من يوليوز 1968 فكانت هي الأداة الأساس في التعاون بينهما.

في الظروف الحالية يمكن تقييم ما وصل إليه التعاون بين البلدين سواء بمدى أهمية النصوص القانونية المبني عليها أو بمدى العلاقات الاقتصادية التي تربطهما (اتفاقية التعاون الزراعي المبرمة بتاريخ 17 / 04 / 1981 ؛ اتفاقية حول النقل البري الدولي وعبور المسافرين والبضائع المبرمة بتاريخ 12.5.1981 ؛ الاتفاقية الخاصة المتعلقة بتمويل دراسة تهتم بإنشاء محطة حرارية لتوليد الطاقة الكهربائية بالجرف الأصفر والمبرمة بتاريخ 17 / 04 / 1987، إضافة إلى مختلف الاتفاقيات المالية المبرمة من 1968 إلى 1991.

أما جرد العلاقات التجارية بين البلدين فإنه يعكس كذلك مدى أهمية هذا التعاون : إن دراسة اتجاهات التبادل الاقتصادي بين الطرفين والمسجلة من 1983 حتى 1986 تعطي صورة واضحة عن أهميته، ذلك أن قيمة الحجم

الإجمالي لهذه المبادلات التجارية ارتفعت من 1.143 مليون درهم إلى 1.746 مليون درهم، أي بمبلغ 603 ملايين درهم، وهو ما يعني زيادة نسبتها 52.75٪ نجد لها تفسيراً في رفع حجم الواردات المغربية من بلجيكا بما نسبته 86.13٪. ومقابل ذلك فإن الصادرات المغربية في نفس الاتجاه لم تسجل إلا زيادة نسبتها 26.33٪. من ثم فإن العجز في الميزان التجاري بين البلدين أمسى على حساب المغرب.

يظهر أن العلاقات القائمة بين المغرب وبلجيكا ليست جوهرية في حد ذاتها وإنما تكتسي طابع المساعدة أو التكملة، وتتسم على العموم بما تتميز به اليوم علاقات المغرب بالدول الأوربية وما تعرفه هذه العلاقات من مشاكل (قضايا الهجرة، الروابط الاقتصادية، آفاق مستقبلية تتعلق بتوحيد أوربا...).

A. Berramdane, *Le Maroc et l'Occident*, Karthala, 1987 ; De Vos, *Vie et mort de Lumumba*, Paris, Calmann Levy, 1961 ; A. Duchesve, *Léopold II et le Maroc*, Bruxelles, 1965 ; Buisseret. Le Comte de, *A la cour de Fès*, Bruxelles, 1907.

عبد الله ساعف

بُلح - طائر - ← بولخية

بُلح البحر ← بوزروگ

البلدية، تنظيم حديث للتسيير المحلي. وعندما احتل الفرنسيون والاسبانيون المغرب في أوائل هذا القرن، لم يجدوه يتوفر على إدارة مركزية هامة (المخزن) فحسب، بل يتوفر كذلك على تنظيمات أصيلة ومحكمة للتسيير، بعضها خاص بالمجال الريفي وبعضها الآخر بالوسط الحضري.

ففي هذا الأخير، كانت الحياة الحضرية، التي ترعرعت وازدهرت بالمغرب منذ قديم، تتميز بوجود جملة من المؤسسات لتأطير السكان وتنظيم المعاملات بينهم وتسيير مختلف شؤون المدينة ومرافقها. وكان جل هذه المؤسسات والتنظيمات عريقا، نما وتفنن وتحسن عبر عدة قرون، في ظل العمارة الإسلامية والقوانين الفقهية، ومن هذه الخطط التي كانت تتولى ضبط الوظائف الحضرية قبل إحداث النظام البلدي المعاصر، خطة الشرطة، وخطة الحسبة، وخطة الأمانة الخ، ولكل خطة تنظيم يتميز بالمرونة وسهولة الاتصال بين مختلف المسؤولين عن تسيير المدينة وأهلها، لكنه تحجر تقريبا مع الاستعمار الذي شل مختلف المؤسسات الوطنية الاقتصادية والاجتماعية، المركزية منها والمحلية، لصالح مؤسسات الحماية التي غدت هي المرجع الأساسي للحكم والايالة والتسير والتدبير في كافة الميادين.

مباشرة بعد بسط الحماية سنة 1912، أقام الفرنسيون إدارة مؤقتة بالمدن، تختلف حسب المدن الساحلية المسيرة بصفة مشتركة بين الباشا وقنصل فرنسا، والمدن الداخلية التي تسيّرها مباشرة مكاتب الاستعلامات الفرنسية. وصدر بعد ذلك بقليل ظهير 27 يونيه 1913 المتعلق بإحداث لجن بلدية في المدن الساحلية مكلفة بالتدبير المالي وصيانة الشوارع والأبنية العمومية. وكانت هذه اللجن، التي أُسندت رئاستها اسميا للباشا، تتألف من موظفين فرنسيين هم قنصل فرنسا ورئيس الأشغال البلدية، وممثل إدارة مراقبة الديون (التي فرضتها القوات الأوربية على المغرب في 1904 و1910) وممثلين محليين لمديرية الأشغال العمومية ومصلحة الصحة العمومية ونائب رئيس الغرفة التجارية، إضافة إلى المحتسب وأمين المستفاد وعدد من أعيان المدينة يختارهم الصدر الأعظم.

لكن سرعان ما استبدلت سلطات الاستعمار بهذا التنظيم البلدي تنظيما آخر يتناسب أكثر مع تكاثر الجالية الأوربية وتعاظم اطماعها في التسيير المباشر للمدن والاستحواذ على المزيد من الأراضي والهيمنة على الاقتصاد. هكذا أصدرت ظهير 8 أبريل 1917 الذي استمر العمل به كقانون أساسي لتنظيم البلديات حتى 1952، رغم ما لحقه من إضافات وتعديلات مختلفة (ظهائر 1923، 1924، 1926، 1931 وغيرها). فقد نص هذا القانون الجديد على ضرورة تحديد المدار الحضري للبلديات وتقسيم المدينة إلى مقاطعات حضرية، وجعل التنظيم البلدي يقوم على ثلاث مؤسسات : رئيس الأشغال البلدية المجلس البلدي، الباشا وأعوانه.

فهذا الأخير فقد جل سلطاته لصالح رئيس الأشغال البلدية ممثل الإقامة العامة بالمدينة، الذي غدا يراقب الباشا في كل أعماله وقراراته، وبالتالي تولى التسيير الفعلي للمدينة في كافة ميادين الحياة الاقتصادية والاجتماعية. كذلك همش هذا القانون وظيفة المحتسب الذي سلبت منه غالبية صلاحياته، خاصة بعدما صدر ظهير 29 غشت 1923 الذي أقر بالمغرب النظام المتري في المقاييس والمكاييل والأوزان، فلم يعد للمحتسب دور المراقبة في هذا الباب، وكذا بعد ظهير 8 غشت 1927 الذي أفقده كل سلطة تحكيمية (فض النزاعات المهنية) لصالح الباشا، وبذلك لم يعد المحتسب سوى عضو ثانوي في اللجنة البلدية، له مجرد دور استشاري في بعض القضايا التي كانت تدخل في نطاق اختصاصه.

أما المجلس البلدي، فهو جهاز غير منتخب، يعين أعضاؤه من طرف الإقامة العامة باقتراح من رئيس الجهة. فحتى 1927، كان هناك نوعان من المجالس : بعضها مؤلف من الأهالي فقط، والبعض الآخر من الأهالي والأوربيين. لكن بعد هذا التاريخ، دخل الأوربيون كل المجالس فأصبحت مختلطة. يختلف عدد الأعضاء حسب أهمية المدينة، كما تتفاوت نسب الأهالي ونسبة الأوربيين منهم تبعا لوزن كل طائفة في حجم السكان ؛ تمثيلية الأوربيين كانت دائما أقوى من تمثيلية المغاربة. تنعقد جلسات المجلس البلدي باستدعاء من الباشا (رئيسه الاسمي) أو رئيس الأشغال البلدية (رئيسه الفعلي). تعقد الجلسات مشتركة مبدئيا، لكن نظرا لمشاكل اللغة وتعارض المصالح واختلاف القضايا اللازم مناقشتها، غالبا ما كان المجلس

يتفرع إلى ثلاث لجن تشتغل كل منها على حدة يترأسها رئيس الأشغال البلدية أو مندوب عنه، الفرنسيون بالنسبة للأحياء الأوربية، والمسلمون بالنسبة للمدينة العتيقة، واليهود بالنسبة للملاح. إلى حدود 1926 كان الأعضاء يعينون لمدة سنة واحدة، ثم لمدة ثلاث سنوات بين 1926 و1931، لتصبح المدة ست سنوات بعد ذلك، مع قابلية تجديد نصف أعضاء المجلس كل ثلاث سنوات.

لم يكن لهذه المجالس المعينة سوى صلاحيات استشارية في القضايا التي يحددها القانون والمتعلقة أساسا بميزانية البلدية وإبرام العقود والصفقات ووضع برنامج الأشغال البلدية وتحديد أسعار المواد الأساسية، لكنها لا تملك حق الخوض في أي مسألة ذات طابع سياسي. ولميزانية البلدية موارد متنوعة، أهمها المكوس الحضرية المختلفة (عن المباني والعمليات التجارية والأسواق والمجازر والحفلات، واستعمال الطرق والمقابر) والعُشر المضاف إلى ضرائب الدولة، وريع الممتلكات البلدية من عقارات وغيرها، وعائدات الخدمات الجماعية التي تقدمها كتوزيع الماء والكهرباء وتيسير النقل العمومي. كما أن للبلدية، التي تتمتع بالأهلية المدنية، الحق في الحصول على مساعدات الدولة وكذا على القروض. وتصرف هذه الأموال أساسا لتسديد النفقات العامة لتسيير الجهاز الإداري البلدي وصيانة الطرقات والممتلكات البلدية ورفع الأزبال وتقديم الإعانات للمدارس والمؤسسات الخيرية.

ضمن هذا التنظيم العام،كانت هناك ثلاث مدن لها نظام بلدي خاص، نظراً لأهميتها، هي فاس والدار البيضاء وطنجة. فرغم كون فاس فقدت مع الحماية وظيفتها كعاصمة إدارية واقتصادية، فإن مكانتها ظلت مميزة بفعل ثقلها التاريخي ونفوذ تجارها ووزن علمائها وأعيانها. لذا أنشأ بها ظهير ثاني شتنبر 1912 مجلسا بلديا متميزا، وهو أول مجلس بلدي أحدث بالمغرب، يتألف من خمسة عشر عضوا، سبعة منهم معينون (الباشا وخلفاؤه الثلاثة ومحتسبان ومقرر يدعى بنائب المجلس) وثمانية منتخبون من طرف أعيان المدينة لمدة سنتين بحصة عضوين لكل من المقاطعات الحضرية الأربع، ويضاف إلى هؤلاء الأعضاء الذين لهم حق التصويت، أمين المستفاد الذي له رأي استشاري، علاوة على الترجمان الذي يدوّن محاضر الجلسات.حتى 1919، كان هناك مجلسان، أحدهما للمسلمين من أجل تدبير شؤون المدينة العتيقة، والثاني لليهود خاص بالملاح، ثم أنشيء بعد ذلك مجلس ثالث للفرنسيين لإدارة المدينة الجديدة.

كذلك أنشأ المقيم العام، ليوطي، مجلسا خاصا بالدارالبيضاء التي أرادها أن تكون العاصمة الاقتصادية للمغرب الجديد، والتي راحت الجالية الأوربية تتكاثر فيها بسرعة. كان المجلس يتكون من واحد وعشرين عضواً أوربيا، مقابل ستة مسلمين فقط ويهوديين. ونظراً لأهمية المشاريع وتعدد القضايا وتشعبها، يتفرع المجلس إلى لجن متخصصة (الشؤون العامة، الميزانية، الأشغال الكبرى، الطرقات، الأسواق والتغذية، الصحة، العمران...) يسير كلا منها خليفة لرئيس الأشغال البلدية.

وفي طنجة، وقّعت الدول الأوربية، سنة 1923، على معاهدة تحدد القانون الجديد لإدارة المدينة، معوّضة بذلك الإدارة الدولية العاملة منذ 1878. هنا، يقوم مندوب السلطان بدور الباشا، أي رئيس البلدية، يترأس المجلس التشريعي الدولي المؤلف من سبعة وعشرين عضوا يمثلون السكان الأجانب والمغاربة الذي يصدر القوانين والقرارات التنظيمية. وتمارس لجنة الرقابة المكونة من قناصل الدول الموقعة على معاهدة الجزيرة الخضراء، إضافة إلى ممثلي الولايات المتحدة والاتحاد السفياتي منذ 1945، حق المصادقة أو الاعتراض على هذه القوانين والقرارات التي صوت عليها المجلس التشريعي. غير أن جل الوظائف الرئيسية يتقاسمها الفرنسيون والإسبانيون، كما يتولى مهمة الإدارة الفعلية للمدينة حاكم عام (وهو منصب يتناوب عليه الأوربيون) بمساعدة أربعة نواب أوربيين.

على غرار النظام البلدي الذي أقامه الفرنسيون في المنطقة الجنوبية من المغرب الخاضعة لهم، أنشأ الإسبانيون في المنطقة الشمالية بلديات في المدن التي كانت تتعدى آنذاك 2.000 نسمة. هناك أيضا يملك الباشا، ممثل خليفة السلطان، نفوذا صوريا كبيراً بصفته رئيس البلدية، غير أن الحاكم الحقيقي هو المراقب الإسباني المدني أو العسكري حسب الحالات، ويوجد المجلس البلدي، الذي يترأسه هنا المحتسب، تحت وصاية ومراقبة المندوب السامي الإسباني الذي يعين أعضاءه.

بقي هذا التنظيم البلدي، الذي وضع في أوائل الاحتلال، قائما بدون تغيير كبير طيلة مدة الحماية، في جنوب المغرب كما في شماله. وقد تبدلت الأوضاع شكليا مع الاستقلال بنهاية الإدارة الاستعمارية. ثم جاء قانون 23 يونيه 1960 المنظم للجماعات فأقر مبدأ انتخاب المجالس البلدية. غير أنه لم يمنحها أي صلاحيات هامة، بل قوى كثيرا مكانة الباشا الذي استعاد ما كان قد سلبه منه رئيس الاشغال البلدية من نفوذ، فغدا الحاكم شبه المطلق للمدينة.

ولزم انتظار قانون 30 شتنبر 1976 لتسجيل إصلاحات هامة على صعيد تنظيم وتسيير البلديات بحيث غدت المجالس أكثر تمثيلية للسكان، وخففت بشكل ملموس وصاية وزارة الداخلية عليها عن طريق إضعاف نفوذ الباشا وتدعيم دور رئيس المجلس الذي غدا هو المحرك الأساسي للبلدية، وعصب نشاطها. وأصبح للمجلس البلدي الصلاحية الكاملة في تحديد جدول أعمال جلساته دون أي تدخل مباشر للسلطة المركزية في ذلك، وكذا الأهلية لوضع برامج إنعاش وتجهيز المدينة في كافة الميادين الاجتماعية والاقتصادية في إطار الخطة الإنمائية الجهوية والوطنية.

ولتسهيل مأمورية المجالس البلدية، منح هذا القانون إمكانات مالية وبشرية جديدة وهامة للبلديات. فقد تم

إصلاح إجراءات المصادقة على ميزانية البلدية وتحسين تدبيرها. كما تدعمت المداخيل المالية بشكل واضح عن طريق إعفاء البلديات من بعض النفقات الإجبارية التي كانت تتحملها (بالنسبة للتعليم والصحة والشرطة وغير ذلك)، وحصولها على تسعة أعشار مداخيل الضريبة الحضرية (التي رفع قيمتها القانون المالي لسنة 1978)، علاوة على عائدات مكوس جديدة تستمد من استهلاك الماء والكهرباء بالمدينة، وكذا من استعمال الملاعب الرياضية البلدية. كذلك أصبحت البلديات تستفيد من الاعانات المالية التي يقدمها صندوق تنمية الجماعات المحلية الذي انشأته الدولة، وتستطيع أخذ القروض من صندوق تجهيز الجماعات وصندوق المدن العربية. وفي 1987، غدت البلديات تتقاضى 30٪ من مداخيل الضريبة على القيمة المضافة، علاوة على ما تدره الضريبة المهنية من مداخيل كبيرة.

ويخول القانون أيضا للبلديات إمكانية إقامة نقابة فيما بينها من أجل التعاون لإنجاز مشاريع مشتركة تتطلب اعتمادات هامة وتبادل الخبرات، كما أن لها الحق في إبرام عمليات التوأمة مع مدن أجنبية عبر كل أنحاء العالم.

ولتحسين تدبير هذه المداخيل والقيام بالمهام الجديدة التي تحتاج إلى كفاءات أفضل، كان من اللازم تدعيم التأطير البشري للبلديات عن طريق توظيف مستخدمين يستجيبون للمتطلبات المحدثة. وقد ساعد على ذلك قانون جديد سوّى بين موظفي البلديات وموظفي الدولة، وكذا فتح مؤسسات لتكوين الأطر المتخصصة الضرورية.

ومما زاد من فعالية إصلاح 1976 في عديد من البلديات أن مستوى تكوين أعضاء المجالس البلدية قد تحسن بشكل عام بالمقارنة مع الفترات السابقة. فهؤلاء ينتخبون بالاقتراع المباشر لمدة ست سنوات. يلزم المجلس أن يجتمع أربع مرات في السنة في دورات عادية (فبراير، أبريل، غشت وأكتوبر)، يهيىء رئيس المجلس جدول الأعمال ويبعث بمحتواه للسلطات المحلية التي يمكنها أن تضيف إليه النقط التي ترى مناقشتها. كما يمكن استدعاء ممثلي المصالح الخارجية لحضور الجلسات.

هكذا يكون النظام البلدي بالمغرب قد مر بمراحل شتى وقطع لحد الأن أشواطا هامة ليصير من المؤسسات المهيكلة الرئيسية في حياة المدن الكبيرة والمتوسطة. وقد عجل نمو هذه المدن وتكاثر سكانها بسرعة وتعقد مشاكلها على تعددْ البلديات وانتشارها عبر مختلف التراب الوطني. بل إن المدن الكبرى أصبحت تتقاسم كلا منها بلديات متعددة. إن عدد البلديات بالمغرب، بعد أن ظل مستقراً طيلة الفترة الاستعمارية قد صار في الستينات 28 بلدية، وفي السبعينات 29 بعد استرجاع مدينة إفني سنة 1969، و نحو 45 في مستهل الثمانينات (خمس منها بالصحراء المسترجعة وخمس أخرى بالدارالبيضاء)، وقرابة 70 بلدية في بداية التسعينات (باعتبار 17 بلدية بالدارالبيضاء وحدها، أربع بالرباط ـ سلا، وثلاث بكل من فاس ومكناس ومراكش).

P. Decroux, *La vie municipale au Maroc*, Paris, 1932 ; S. Benbachir, *L'Administration locale du Maroc*, Casablanca, 1969 ; M. Belfquih et A. Fadloullah, *Mécanismes et formes de croissance urbaine au Maroc*, Rabat, 1986 ; D. Basri, *L'Administration territoriale, l'expérience marocaine*, Paris, 1990.

عبداللطيف فضل الله

البلديون، فئة متميزة داخل المجتمع الفاسي التقليدي. وتطلق هذه التسمية على ذوي الأصل اليهودي الذين اعتنقوا الإسلام خلال حقب مختلفة. وقبل أن يُسموا بالبلديين كانوا يُنعتون بـ"المهاجرين" وبالإسلاميين أو "العوام". ومن البيانات التي تُقدم لتفسير مصطلح "المهاجرين" أن اليهود الذين رفضوا تبديل دينهم خلال عهد المرينيين أصبحوا ينعتون إخوانهم الذين اعتنقوا الإسلام بالمهاجرين، أي الذين هجروا اليهودية إلى الإسلام. إلا أن هذه التسمية اختفت بعد القرن الحادي عشر (17 م) لتحل محلها تسمية "البلديين"، وهو ما تؤكده المصادر المكتوبة

إن ظاهرة اعتناق الإسلام من طرف اليهود المغاربة ظاهرة قديمة ترجع إلى العصور الأولى للدعوة الإسلامية بشمال إفريقيا. ويشير عبدالواحد المراكشي إلى أن مسألة وجود الإسلاميين ذوي الأصل اليهودي قد شغلت بال الأمراء الموحدين الذين وضعوا يهود دولتهم أمام اختيارين لا ثالث لهما : إما الإسلام أو السيف. لذلك فإن يهود المغرب على عهد الموحدين إما أسلموا وإما تظاهروا بالإسلام في انتظار ظروف تسمح لهم بممارسة ديانتهم. وقد أدى ذلك إلى صعوبة التفريق بين المسلم حقاً والمتظاهر بالإسلام، وهو ما دفع الموحدين إلى أن يشككوا في حسن إسلام اليهود ككل، ويلزموا الجميع بلباس زي خاص تمييزاً لهم عن بقية الرعية.

لكن ظاهرة الإسلاميين لم تكتسب البُعد الذي عرفت به في تاريخ مدينة فاس إلا في عهد المرينيين. ففي عهد الدولة المرينية التحق بالإسلام عدد من الأسر اليهودية وذلك خلال ثلاث مراحل. المرحلة الأولى ابتدأت بسنة 1276/674 عندما هاجمت عامة فاس اليهود بالمدينة فتدخل السلطان أبو يوسف يعقوب (ت. 1286/685) لحمايتهم. وبعد هذا بقليل نقل السلطان عاصمته إلى فاس الجديد ونقل معه اليهود إلى ملاحها. ويُعتقد أن العديد من العائلات اليهودية فضلت اعتناق الإسلام لتبقى بالمدينة القديمة ولتُحافظ على مصالحها التجارية هناك.

أما المرحلة الثانية فيرجع تاريخها إلى سنة 1438/842، وهي مرتبطة بعودة الشرفاء الأدارسة إلى مسرح الحياة الدينية والسياسية بالمدينة. ففي تلك السنة بالضبط تم اكتشاف قبر المولى إدريس الذي أصبح ضريحاً يحيط به حرم يزار ويُقدس. وكان من الطبيعي أن تتعزز قُدسية المدينة القديمة بصفة عامة كنتيجة لذلك وأن يُطالب أهل الذمة بإخلاء "فندق اليهودي" للالتحاق بإخوانهم بفاس

الجديد. وهنا كذلك فضلت بعض عائلات الأثرياء من اليهود، خاصة ممن كانت لهم مصالح بالقيسارية، أن تعتنق الإسلام لتبقى بالمدينة الإدريسية.

وأخيراً هناك مرحلة ثالثة جاءت بعد سنة 1465/869 وهي السنة التي ثار فيها أهل فاس على عبدالحق بن أبي سعيد، آخر الملوك المرينيين، المعروف بعبدالحق الأصغر. وكان قد اتُّهم بتقريب اليهود وجعل أمور المسلمين في أيديهم. وتذكر المصادر التاريخية أن اليهود كانوا قد بلغوا في عهده شأواً كبيراً واستأثروا ببعض المناصب الهامة في الدولة كالوزارة والحجابة والإشراف على الشرطة وجمع المغارم والمكوس. وحسب ذكر *قصة المهاجرين* المجهول المؤلف فإن عبدالحق هذا كان يقبض المغارم حتى من الشرفاء، وهو ما أثار امتعاض واستياء أهل فاس بصفة عامة. وفي عهده كذلك استطاع البلديون أن يعودوا إلى قيسارية فاس بعد أن كانوا قد أخرجوا منها في سنة 1276/674. وبرجوعهم إلى القلب التجاري النابض للمدينة أصبحوا يزاولون الحرف والأنشطة التي كانوا ممنوعين منها بدعوى الغش وقلة المروءة والتعامل بالربا. وقد سمح عبدالحق للبلديين بالعودة إلى القيسارية مقابل هدية سنوية تعهد هؤلاء بدفعها للسلطان. إلا أن أمر هذه الهدية لم يبق محصوراً في المهاجرين بل فُرضت المساهمة فيها على جميع تجار القيسارية بمن فيهم الشرفاء، وهذا ما أثار غضب أهل فاس وهيأ الظرف المواتي لتفجر الأوضاع ضداً على اليهود وعبدالحق الذي اتُّهم بالتواطؤ معهم وتفضيلهم على سائرالفئات الاجتماعية. وكان البلديون في عهده قد استفادوا من امتيازآخر زاد من حقد أهل فاس عليهم. وتمثل هذا الامتياز في تفويت الحوانيت الحُبسية لصالح التجار البلديين الذي سُمح لهم بشراء حق الجلوس فيها. واستمرت الأمور على هذا الحال إلى أن ثار أهل فاس بقيادة الشريف محمد الحفيد الجوطي على السلطان عبدالحق سنة 1465/869 وهي السنة التي قتلوه فيها ثم بايعوا الشريف المذكور محله. وكان ذلك إيذاناً بإطلاق يد القتل في يهود فاس وإخراج البلديين مرة أخرى من القيسارية بعد أن انتُزعت من أيديهم حوانيت الأحباس.

بقيت الأمور على حالها إلى أن جاء أحمد بن محمد الوطاسي (1549.1526/956.933) فرد الاعتبار للبلديين وعيَّن منهم أحمد المنجور الإسلامي قابضا للمكوس، وبما أنه كان في حاجة إلى المال لمحاربة السعديين بالجنوب فإنه سمح لتجارهم بالرجوع إلى القيسارية مقابل مبلغ يدفعونه كل سنة. ومن جديد احتدّ الصراع واختلف العلماء في فتاويهم حول مسألة التمييز بين البلديين وغيرهم من المسلمين. ولما جاء السعديون تمسك محمد الشيخ المهدي بالفتاوي المناوئة للبلديين فأخرج هؤلاء من أسواق فاس الإدريسية، لكن حفيده الأمير المامون الشيخ أصدر سنة 1601/1010 ـ عندما كان والياً على فاس نيابة عن والده أحمد المنصور الذهبي ـ ظهيراً يندد فيه بما كان الإسلاميون يتعرضون له من تمييز واحتقار ويؤكد حق جميع تجار المسلمين في ولوج أسواق المدينة.

وبعد أن ضعفت الدولة السعدية خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر (17 م) أصبح البلديون بفاس عرضة من جديد للاضطهاد والتفرقة. وكان الفقيه محمد بن أحمد ميارة (ت. 1073 / 1662) في طليعة المدافعين عنهم من خلال مؤلفه *نصيحة الفترين وكفاية المضطرين في التفريق بين المسلمين* الذي بيّن فيه بطلان الفتاوي التي تكرس التمييز بين المسلمين على أساس العرق أو الانتماء السابق لغير الإسلام. ويظهر من هذا المؤلف أن الشرفاء هم الذين كانوا يحملون لواء العداء للبلديين، وكان طبيعياً أن يؤكدوا على الحسب والنسب كأساس للتراتب الاجتماعي لأن ذلك كان يسمح لهم باحتلال الصدارة في المجتمع خاصة في مواجهة البلديين الذين استطاعوا بفضل كفاءتهم التجارية والعلمية أن يبرزوا كقوة تُضايق باقي الفئات الاجتماعية.

وعلى الرغم من مرور السنين والقرون فإن ظاهرة المهاجرين أو البلديين لم تتآكل بفعل الزمن وظلت تطفح إلى سطح الأحداث من حين لآخر. وخلال العصر العلوي استطاع البلديون أن يتبوؤوا مكانة متميزة في المجتمع الفاسي ونبغوا على الخصوص في مجال التجارة كنتيجة لتفتح المغرب المتزايد على التجارة الأوربية، ولكنهم كذلك أنجبوا العديد من العلماء اللامعين. ولاشك أن هذا النجاح كان وراء احتدام الصراع من جديد بشأن البلديين. ولم يكن المولى إسماعيل ينظر إليهم بعين الرضى و يرى فيهم قوة تُعارض سياسته بمدينة فاس سواء فيما يتعلق بمسألة تمليك الحراطين (موقف عبدالسلام جسوس) أو المساهمة العسكرية والجبائية للمدينة (تهرب أهل الثروة من تقديم الرماة). لكن المولى إسماعيل أقر تجارهم على وضعهم السابق الذي كان لهم زمن أخيه الرشيد والمتمثل في إبقائهم بالقيسارية مع إلزامهم بوضع شارة مُميزة فوق حوانيتهم. «فلما مات المولى إسماعيل أسقطوا الشارة بالمرة ـ يقول صاحب ذكر *قصة المهاجرين* ـ ولم يجدوا من يُنازع، وحتى إن وُجد مُنازع لا يصغى إليه» ويظهر أن العلاقة بين البلديين وباقي العناصر قد تأزمت بشكل ملحوظ خلال القرن الثاني عشر(18م)، والدليل على ذلك الجدل الذي ظهر حول أفضلية العرب أو بني إسرائيل، والتهم المضادة المتبادلة بين أنصار الحسب والنسب العربي والمسلمين الجدد المنسوبين إلى العجم. ومن تلك التهم ما وجهه محمد بن الطيب القادري (ت. 1773/1187) إلى العالم محمد بن زكري (ت. 1731/1144) من أنه ألف كتاباً ينتصر فيه لبني إسرائيل وينقص من شأن العرب. لكن القادري يعترف بأنه لم يطلع على الكتاب وأن ما وصله كان عن طريق السمع والرواية فقط. أما أبو القاسم الزياني (ت. 1833/1249) فيذكر أنه تحرى الأمر وطالع مؤلف ابن زكري دون أن يجد فيه أثراً لما اتُّهم به من شُعوبية. و الذي يهمنا هنا هو الجدل حول الموضوع وهو مؤشر واضح لاستمرار الصراع بين البلديين وخُصومهم.

وعند بداية القرن الثالث عشر (19 م) أُثيرت المسألة من جديد في شكل مؤلف وضعه أحمد بن عبدالسلام بناني (ت. 1231/1818) ينتصر فيه لابن زكري السابق الذكر وينفي عنه تهمة الشعوبية. ومما لا شك فيه أن البلديين أصبحوا مع نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر يحتلون مكانة اجتماعية متميزة، إذ نجد ضمن كبار التجار عدة أسماء تنتمي إلى هذه الفئة الاجتماعية، وفي مقدمتهم الطالب ابن جلون، أكبر التجار الفاسيين على الإطلاق وأمين بيت المال بفاس خلال عهد المولى سليمان. كما احتل العلماء البلديون الصدارة ضمن فقهاء الحضرة الإدريسية، وتكفي الإشارة هنا إلى محمد الطيب ابن كيران (ت. 1226/1812) شيخ الجماعة، وعبدالقادر ابن شقرون (ت. 1220/1805) وقد نُسب للسلطان المولى سُليمان تقريبُه البلديين وتفضيلُهم على غيرهم. ونجد في تاريخ الضعيف انتقاداً صريحاً لموقف السلطان تجاه هذه الفئة. «وكان السلطان ـ يقول الضعيف ـ يُساعدهم ويُوافقهم في الأمور ويُحبهم محبة كبيرة ويفضلهم على غيرهم من أهل فاس ويُعاملهم بالمال ويدفع في أيديهم السِّلع، ونالوا معه وأدركوا مالاً وافراً». كما يورد المؤرخ الرباطي بيتين لشاعر مجهول يعكسان نفس التذمر من سياسة المولى سليمان تجاه فئة البلديين :

بنو قُريضة قد نالوا مرادهـــمُ ... مـن الأمير وحـازوا غايـةَ الأرب
لا عيب فيه سوى تفضيله لهمُ ... على بني المصطفى وجملة العرب

ولا شك أن البلديين قد استفادوا خلال القرن الثالث عشر (19 م) من الاندماج التدريجي لاقتصاد المغرب ضمن النظام العالمي وخاصة عبر نمو المبادلات التجارية مع أوربا. كما أن حاجة المخزن المتزايدة للمال وذوي الخبرة في تسيير الشؤون المالية والإدارية سمحت للعديد من التجار البلديين بولوج أبواب الخدمة المخزنية. وكانت نتيجة ذلك أن اتسعت الفوارق الاجتماعية بين أهل اليسار وغيرهم من الفئات التي تضررت من الآثار السلبية للانفتاح التجاري على أوربا. وقد اتخذ تذمر هذه الفئات عدة أشكال من بينها انتفاضة الدباغين بفاس عام 1290/ 1873 ضد الأمين محمد بنيس الذي حُمل مسؤولية فرض المكوس على أصحاب الحرف بالمدينة. ولا أدل على استمرار مشاعر العداء للبلديين بفاس خلال النصف الثاني من هذا القرن من هذه الأبيات لمحمد العربي المشرفي (ت. 1313/1895) :

كم من مكان بيّضوه بالبنـا ... وسودوا وجهَ الإسلام بالفنـا
أموالهم قد كثرت من الرِّبـا ... ومن مكوس صعدت على الرُّبا
تقدموا ونالوا غاية الأرب ... تـأمّروا وذلّ أبنـاءُ العـرب

مؤلف مجهول، *ذكر قصة المهاجرين بفاس*، مخطوط خ. ع. ك 270/ 8 ؛ م. ميارة، *نصيحة المغترين*، مخطوط خ. ع. م. ك 923 ضمن مجموع ؛ م. القادري، *نشر الثاني*، تـ. م. حجي وأ. التوفيق، الرباط، 1977، 1986.

محمد المنصور

بَلْطي، جنس أسماك نهرية بالخصوص، من شانكات الزعانف ومن فصيلة البلطيات Cichlidae ويدعى أيضا المشط.

من مميزاته منخر واحد في كل جانب بدل اثنين عند باقي الأسماك الأخرى. الحراشيف دُوَيْرية.

موطنه الأصلي افريقيا الاستوائية وشبه الاستوائية وقد تم إدخالها إلى بلدان أخرى بآسيا وأمريكا الجنوبية والوسطى وذلك لمحاربة يرقات الناموس والبعوض بالبحيرات وكذلك لتربيتها التي أعطت نتائج مرضية

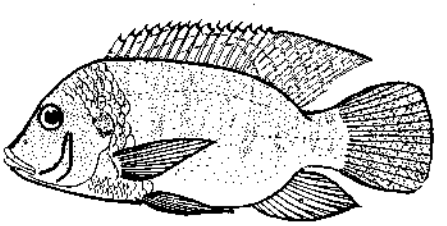

أنواع هذا الجنس كثيرة، جميعها متوسطة القد أو صغيرة يوجد منها نوعان بالمغرب بالأنهار القريبة من المناطق الصحراوية. يسمى النوع الأول بلطي زيلة Tilapia Zillü وهو شائع في الأنهار بأفريقيا الاستوائية والبيمدارية. يبلغ طوله 28 سم ويزن 1.000 ، 1.070 غ. والنوع الثاني بلطي طبرية Tilapia) Sarotherodou galilaeus) يبلغ طوله 34.33سم ويزن 1.600 غ.

تعيش هذه الأنواع بالأنهار المجاورة لتزنيت وتتغذى من الطحالب والبلانكتون والحيوانات الصغيرة ولكن الطيورالآكلة للحوم تُقْبل على اصطياده. أما الأهالي وإن اصطادوه فإنهم قلما يأكلونه لا لأنه غير صالح للتغذية، ولكن اعتباراً لعاداتهم الغذائية التي تلغي السمك غير البحري من مأكولاتهم.

يتميز البلطي بكون الأنثيات منه تبيض عدة مرات في السنة وتحتضن في أفواهها صغارها. لحمه لذيذ وكثيرا ما يكون جزءاً هاماً من الأسماك فَي أسواق عدة مدن إفريقية.

J. Daget et J.R. Durand, *Les Poissons : Faune et flore aquatiques de l'Afrique Sahelo-Soudanienne* II, 1981 ; J.P. Farthouat, *Les ressources piscicoles des eaux du Maroc : Nature et forêts*, N° 5, 1975, p. 5 - 13.

محمد رمضاني ومحمد الملحاوي

بلعيد، أحمد بن محمد الزياني الرباطي، من حفاظ الأشعار والموشحات والأزجال لطرب الآلة، ومن الماهرين في العزف على العود. كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، لكنه يتمتع بحس دقيق وذاكرة قوية، يلازم الوطني الغيور أحمد الجبلي العيدوني، ويعمل معه في ميدان الحركة الوطنية في عهودها الأولى، وعرف بالكرم والبذل على قلة ذات يده.

توفي بالرباط أوائل الخمسينات من هذا القرن.

تقاييد، ومعلومات خاصة.

م. الأمين بلكناوي

بَلْعيد (الحاج ـ) **محمد البعقيلي**، من أكبر "الرّاس" الموسيقيّن الذين نتوفر على جزء مهم من أعمالهم ؛ فهو أشهر مؤلف موسيقي للأغنية الأمازيغية بالجنوب المغربي، وقد سجل أكثر من ستين قصيدة على أسطوانات " 78 دورة"، من بينها ثلاث عشرة أسطوانة أعيد تسجيلها على أسطوانات ميكروسيون " 45 دورة" قبل انتشار الشريط الصوتي (الكاسيط)، بالاضافة إلى مجموعة من القصائد الشعرية غير المسجلة. وبذلك يكون الحاج بلعيد من بين المغنيين المغاربة الأوائل الذين سجلت إنجازاتهم الفنية في فونوغراف مع بداية العشرينات من هذا القرن، حيث بدأ الرايس بلعيد في تسجيل أغانيه لدى شركة "غراموفون" الانجليزية الأصل (قصيدة «وارلامان» رقم K 4094 مثلا) قبل أن يلتزم مع «بيضافون» التي تعتبر أكبر شركة غير أوربية للأسطوانات، والتي عملت في الشرق الأوسط وشمال افريقيا في مطلع هذا القرن (Racy : 39) ؛ إلا أن علاقة المغني السوسي بهذه الشركة لم تخل من مشاكل نتيجة لمحاولة ممثل بيضافون بالمغرب، السيد تيودور الخياط، استغلال الحاج بلعيد وفنه بأبخس الأثمان ؛ وتوجد عدة أدلة على ذلك من بينها رسالة مؤرخة بتاريخ 12 شعبان 1933/1352 يعبر فيها موجهها السيد محمد القباج لفناننا عن استعداده للتدخل لتسوية النزاع القائم بينه وبين الخياط. ومع ذلك فإن هذه المشاكل لم تمنع الحاج بلعيد من التعامل حتى السنوات الأخيرة من حياته مع شركة بيضافون في غياب بديل آخر.

كان الحاج بلعيد معلماً مشهوراً وسط "الروايس" في عهده. بل إن الكثير منهم تتلمذوا على يديه، حيث يكون تقديم أغانيهم عادة على الشكل التالي : الرايس فلان أمحضار ن ـ لحاج بلعيد (أي تلميذه).

سافر الحاج بلعيد إلى الشرق ومكث فيه سنتين متتابعتين حيث أدى فريضة الحج قبل رجوعه ليستمر في تكوين أفواج من" الروايس" إلى أن توفي قبل نهاية الحرب العالمية الثانية. وقد أشرف منذ الحرب العالمية الأولى على تكوين عدد من "الروايس" وعدة أجواق موسيقية. ويستفاد من رسالة مؤرخة بسنة 1919/1338 أنه كان يتم اللجوء إليه كفنان للحصول على بعض المغنيين الأمازيغيين الراغبين في الغناء والرقص في المقاهي، وتفيد نفس الوثيقة أيضا أن الرايس محمد بُودْرَعْ كان عضواً في فرقته آنذاك قبل أن يعتزل المجموعة ليكون مجموعته الخاصة ؛ بينما ظل الرايس مبارك أُو- تْزروالْتْ الذي رافقه منذ سنة 1927، إن لم نقل قبل هذا التاريخ، مرتبطاً به ووفياً له إلى اخر حياته. وكان الأمر كذلك بالنسبة للرايس العربي بن عبدالله.

ويحكى عن الحاج بلعيد أنه كان راعياً وهو غلام صغير في قريته أنُّو نْ ـ عْدُّو التي تبعد عن مدينة تزنيت بمسافة اثني عشر كلم شرقاً. فكان آنذاك يتقن الغناء بالمزمار، مما جعله يلفت انتباه شيخ زماة سيدي محمد أُصالح أُتزروالت، الذي أدمجه في فرقته البهلوانية. وخلال تنقل الشاب بلعيد مع هذه الفرقة باعتباره واحداً ممن يتقنون الغناء بالمزمار، كان يعمد ـ في أوقات فراغه ـ إلى العزف على آلات موسيقية أخرى وخصوصاً منها الرّباب، وظل الأمر على هذا النحو إلى نهاية القرن الماضي تقريباً. وحسب أقدم وثيقة متوفرة لدينا، وهي وثيقة شخصية يعود تاريخها إلى سنة 1908 م، فإن الرايس بلعيد قد حل بمدينة طنجة قبل أن يسافر إلى الشرق العربي. وفي يوم 28 أكتوبر 1910 وصل بلعيد في طريق عودته من الحج إلى مدينة مرسيليا الفرنسية واتصل هناك بقنصلية الإمبراطورية العثمانية قبل عودته إلى طنجة ثم إلى الصويرة.

ومنذ ذلك الوقت والحاج بلعيد ينتقل مع مجموعاته المتوالية متجولا بين قصور القواد والأعيان في كل من سوس والأطلس وحتى في مراكش والصويرة. وما فتىء طوال هذه الفترة يتلقى من شتى مناطق البلاد دعوات مكتوبة يوجهها إلى بعض الرؤساء السياسيين والأغنياء، بل وحتى من الجاليات المغربية المقيمة بفرنسا. فالكل يود الاستماع إلى أغانيه وألحانه. كما كان في ذلك الوقت يتوصل بهدايا عينية بخاصة من القواد والأثرياء في الظروف العادية وحتى في أوقات الأزمات. وفي سنة 1932م كان الحاج بلعيد ضيفاً عند بروسبير ريكار Prosper Ricard في معهد الموسيقى المغربية الحديث التأسيس بالرباط، حيث قنن الباحث الموسيقي أليكسيس شوطان Alexis Chottin الخطوط الرئيسية لبعض أعماله الموسيقية شأنها شأن أعمال الرايس الساسبو والرايس إبراهيم (Service : 45-53). وكان الحاج التهامي الأكلاوي باشا مراكش هو الذي قدم الفنان السوسي للباحث الفرنسي المذكور.

وحسب ما رواه لنا المرحوم الشيخ الحاج موسى بن الطيفور، وهو واحد من الذين زودونا بأخبار الحاج بلعيد، فإن لقاء الأگلاوي بالحاج بلعيد كان في مدينة تزنيت إبّان الرّتْلْ (الطابور) الأول الموجه إلى سوس قصد الاحتلال سنة 1917 م بحضور القائد الطيب الگنتافي. ومنذ ذلك الوقت والحاج بلعيد ينزل ضيفا على أگلاوة بمراكش وتلوات.

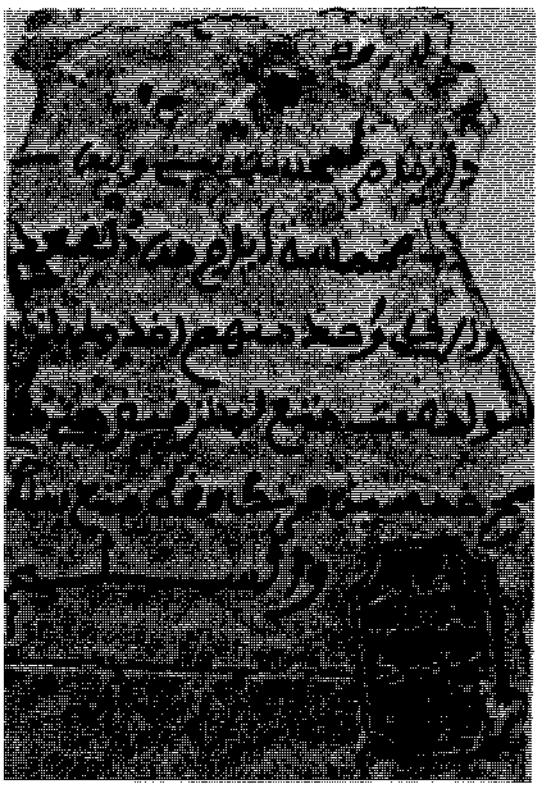

خط الحاج بلعيد وطابعه

كان الحاج بلعيد يقوم بجولات عمل في جنوب تزنيت إلى غاية نواحي أيت باعمران الواقعة آنئذ تحت حماية الإسبان، وفي شمالها حتى مراكش والصويرة، ولعل أطول جولاته وآخرها هي التي قام بها إلى العاصمة الفرنسية باريس سنة 1938. ولا شك أنه كان يطمح للذهاب إلى فرنسا منذ أن أنشد قصيدة بعنوان : أمُودُّون باريز (الرحلة الباريزية) يصف فيها - دون أن يكون موجوداً بعين المكان - حلول سلطان المغرب محمد بن يوسف بالعاصمة الفرنسية عام 1931 (Galand-Pernet : 47-51). ثم إنه توصل سنة 1935 بدعوة من الجالية المغربية برويل - ماميزون (Rueil-Malmaison) بضواحي باريس وبأخرى بعد سنتين ؛ غير أن الظروف لم تسمح له بتلبية الدعوتين. وفي الأخير فإن جولته في فرنسا جاءت نتيجة اتفاقه مع شخص يحمل اسم الرايس حماد شحوريم المعروف بگُّو - گلّو كان يعمل في «سيرك» شعبي وأبرم مع فناننا عقداً مدته ثلاثة شهور يلتزم بموجبه الحاج بلعيد بتقديم سهرات موسيقية مقابل مبلغ ضئيل كل شهر. في حين التزم الرايس حماد هذا من جهته بتنظيم جميع جوانب العمل بما في ذلك سفر الحاج بلعيد وأفراد فرقته وإقامتهم. وقد غنى الحاج بلعيد خلال هذه الجولة في جانفيليي Genevilliers ونانتير Nanterre وكاتر- روت Quatre-Route بضواحي باريس، كما غنى في مدن أخرى حيث يوجد المهاجرون المغاربة كسانت - إيتيان Saint-Etienne وليون Lyon وغيرهما.

وخلال هذه الجولة سجل الحاج بلعيد لشركة بيضافون في باريس مجموعة من أخريات قصائده. وكانت هذه الأسطوانات تتميز بكونها تحمل في بدايتها الشعار الإشهاري التالي :«بيضافون الكومبنية الشهيرة، عمارة باريس، الحاج بلعيد والرايس مبارك والجماعة بحضور الأستاذ محمد عبدالوهاب». وكان من عادة هذه الشركة استعمال هذا النوع من المغالطات الإشهارية، مع العلم أن المغني المصري المذكور لم يكن حاظراً حسب المرحوم سيدي محمد أُبوبكر الذي كان آنذاك عضواً في مجموعة الحاج بلعيد. في الواقع كان الأستاذ عبدالوهاب قد أصبح شريكاً جديداً في شركة بيضافون منذ عام 1931 م لما توفي ممثل مصر داخل الشركة، السيد بطرس بيضا، وهو أحد الإخوان الثلاثة المسؤلين عن شركة بيضافون (Racy : 41).

وفي سنة 1940 نقرأ في وثائق الحاج بلعيد أنه قد أعفي من الخدمة المخزنية بسبب تقدمه في السن. وبعد بضع سنوات توفي الحاج بلعيد حوالي عام 1944/1364 بعد أسبوع من المرض ودفن في قريته أنو- ن - عدّو بإدا - أُوبعْقيل.

اعتمدنا في هذا التعريف بالحاج بلعيد على استجوابات مع شيوخ من تزنيت وضواحيها وعلى بعض *الوثائق* الموجودة في حوزة الرايس محمد ابن المرحوم. ومن بين *الأشخاص* الذين زودونا بمعلومات عن الحاج بلعيد الشيخ الحاج موسى بن الطيفور المتوفي في شهر فبراير 1990 عن سن تناهز المائة سنة، وكان ابن الطيفور يستضيف باستمرار الحاج بلعيد في رياضه بالعوينة ؛ كذلك سيدي محمد أُبوبكر المتوفى في الثمانينات الذي كان عضوا في آخر فرقة رأسها الحاج بلعيد ؛ والحاج محمد أُالعوينة والحاج الحسين إگيدر وكلاهما يستهويهما فن الحاج بلعيد من صباهما. فلهم جميعا منا جزيل الشكر.

Services des Arts Indigènes, *Corpus de musique marocaine*, fasc. II, Paris, 1933 ; P. Galand-Pernet, *Recueil de poèmes chleuhs*, Paris, 1972 ; A. Racy, *Record Industry an Egyptian Traditional Music : 1904 - 1932*, *Ethnomusicology*, 20 (1), 1976, p. 23 - 48.

عبد الرحمان لخصاصي

البلغة، جاء في معجم دوزي حول كلمة «بلغة» ما يلي:"... هي النعل المصنوع من الحلفاء، كما أشار أيضاً إلى البيت الشعري الذي نقله ابن عبدالمالك المراكشي (القرن 8هـ) عن ابن عسكر المالقي (ت. 636 هـ) حول البلغاء :

لتبليغها المضطرُّ تدعى بِبُلْغَة وإن قست بالتشبيه شبّهتها نعلا

تبين مما سلف ذكره أن وجود البلغة بالغرب الإسلامي قد عُرف منذ القديم كما لا تزال تلك البلغة المصنوعة من

الحلفاء مستعملة في بعض مناطق المغرب خاصة الجبلية إلى حدود الستينات. وتسمى بالأمازيغية "أُرْكَاسَنْ"، ويوجد نموذج من هذا الطراز معروضا بمتحف البطحاء في الجناح الخاص بالمجال القروي. وما يسمى الآن «البلغة» عند عامة الناس هو نوع من الأحذية المصنوعة من الجلد المدبوغ، يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع :

1 ـ بلغة الرجال : وهي كلها من الجلد "فالوجه" يتكون من جلد الماعز مبطن بجلد الغنم، والنعل يتكون من جلد البقر.

2 ـ بلغة النساء : وتسمى "الشربيل" ويكون هذا النوع مطروزا بخيوط مذهبة أو بالحرير أو الجلد الملون ويكون "الوجه" في بعض الأحيان من الثوب. و"الشربيل" يلبس عادة في مناسبات خاصة كالأعراس والأعياد.

3 ـ النوع الأخير يسمى "الرِّيحيَّة"، ويكون كله من الجلد وتطرز بالجلد الملون في بعض المناطق المغربية.

وكانت صناعة البلغة في بعض المدن المغربية تعد من أنشط الحرف بها، فمدينة مراكش مثلا كانت تتوفر في سنة 1923 على 1411 صانعا يعملون في قطاع "البلاغي"، وكان هذا العدد موزعا على 300 معمل، كما توفرت في

نفس السنة على واحد ومائة بائع لهذا الإنتاج.

أما مدينة فاس المشهورة بجودة إنتاجها في هذا القطاع في جميع أنحاء المغرب، بل حتى في بعض البلدان العربية الأخرى، فكان عدد "الخرازة" صانعي البلغة بها يصل إلى ألفي خراز سنة 1936، وكانت البلغة المغربية تصدر إلى باقي بلدان المغرب العربي ومصر والسينغال. وإذا كانت بعض المواد الحديثة "كالكارتون" و"البلاستيك" قد دخلت الآن في صناعة البلغة، بالإضافة إلى انتشار استعمال الأحذية العصرية، فإن البلغة ما زالت تتميز بجودتها وأناقتها واستطاعت أن تفرض وجودها في السوق الوطني وحتى في الخارج.

R. Dozy, *Supplément*, T. 1 : 113 ; L. Massignon, *Enquête sur les corpotations d'artisans et de commerçants au Maroc, R.M.M.*, 1927, T. 58, p. 14 ; R. Guyot, R. Letourneau et L. Paye, *Les cordonniers de Fès, Hesp.*, T. XXIII, fasc., I, p. 8, 1936 ; P. Ricard, *Les métiers manuels à Fès, Hesp.*, 2ème Tr., p. 217, 1924.

علي أمهان

البَلْغَمي ـ أسرة ـ ← **البلاغمة**

البَلْغَمي، التهامي بن الحسن الفيلالي "الفقيه العلامة المشارك المطلع القاضي الأعدل المدرس النفاعة" (*سل النصال*)، ولد بفاس الجديد وبها نشأ وقرأ على كبار شيوخ عصره أمثال مَحمد القادري، ومَحمد گنون، ومحمد بن جعفر الكتاني، والمهدي الوزاني، وأحمد بن الخياط، وأحمد بن الجيلالي الأمغاري.

اشتغل مدة طويلة بالتدريس وانتفع به عدد كثير من الطلبة، ومنهم عبدالسلام ابن سودة الذي ترجم له في فهرس شيوخه *سل النصال*. وتولى القضاء في عدد من المدن، أخراها مدينة تازا التي ظل قاضيا بها إلى أن تقدمت سنه كثيرا، فأُخر عن القضاء، ورجع إلى مسقط رأسه فاس الجديد حيث أدركته المنية صباح يوم الاثنين خامس عشر شعبان عام 1379 / 14 فبراير 1960..

ع. ابن سودة، *إتحاف الطالع*، مخطوط، 1309 ؛ *سل النصال*، الترجمة 50.

محمد حجي

بلغيث، عبدالواحد بن يوسف بن علي الشريف، وبلغيث أو أبو الغيث كنية له بها عرف واشتهر فصار أولاده يعرفون بأولاد بلغيث ثم بالبلغيثيين. كان عبد الواحد بلغيث يشتغل بالتجارة موصوفاً من لدن معاصريه بالصلاح والنسك، وخلّف من الأولاد ستة بسجلماسة. كانت منازلهم معروفة هناك في قصر يسمى أُخَنُّوس بجوار ضريح مولاي علي الشريف بالريصاني. لم نقف على سنة وفاة عبدالواحد هذا، ومرقده يوجد بمقبرة سيدي بوزكري بسجلماسة، وقبره مزارة هناك.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، 228 ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، 297 ؛ *الدر السني*، 53 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 210 ؛ *الشجرة الشماء*، 275.

عبدالعزيز بوعصاب

البلغيثي، أسرة علوية من شرفاء سجلماسة الحسنيين، أخذت اسمها من الجد بلغيث (أبي الغيث) عبد الواحد بن يوسف بن مولاي علي الشريف سابق الترجمة.

وقد خرج أبناء بلغيث الستة من تافيلالت وتفرقوا في جهات المغرب فتكونت منهم فروع البلغيثيين في الحواضر والبوادي من بلاد توات بأقصى الجنوب إلى مراكش وفاس ومكناس وزرهون وتازا. وتكاثر البلغيثيون في الحاضرة الإدريسية وتفرعوا إلى أهل حومة العيون، وأهل الطالعة، وأهل حومة النجارين، وأهل الجزيرة، وأهل زقاق الحجر، حسبما هو مفصل في *الدرر البهية*. وأنجبت هذه الأسرة في القرون الخمسة الأخيرة عدداً من العلماء والأدباء والصالحين.

م. ابن الحاج، *الإشراف على بعض من فاس من الأشراف*، مخطوط ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 210-230 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 : 11.

البلغيثي، أحمد بن **العربي** العلوي الحسني، فقيه أديب شاعر، اختلفت فيه روايتا إدريس الفضيلي وعباس الحجرتي السجلماسي، وكلاهما معاصر له. فقد جاء الأول في *الدرر البهية* (1 : 228) بقوله :"يتقلب في بحر الإنشاء، كيف يشاء، فإذا نظم جواهر اللآلي، في سلوك المعالي، أو أسس قواعد المباني، في عمود المعاني، أتقن مبانيه غاية الإتقان، وحذف ما ثبت لابن خاقان ..." وقال إنه تولى خطة الكتابة في بلاط الحسن الأول مدة طويلة، وكان ملحوظاً لديه إلى أن أدركته الوفاة. بينما قال عنه الثاني في *الروض اليانع* :"الفقيه العالم العدل الفرضي... كان رحمه الله يتعاطى الشهادة بسماط عدول هذه الحضرة (فاس)، ثم لما تولى القائد السيد عبد الله بن أحمد السوسي تولى الكتابة معه هو والسيد محمد الصنهاجي، وبقيا كذلك إلى أن صارا كاتبين مع الوزير السيد محمد بت العربي الجامعي".

فقد يكون المترجمان مختلفين متفقين اسماً ونسباً، وإلا أمكن الجمع بين الروايتين بأن أحمد البلغيثي اشتغل بالشهادة والكتابة مع القائد والوزير قبل أن ينتقل إلى البلاط السلطاني، وإن كان سياق الحجرتي يقتضي أن عمله مع الوزير الجامعي اتصل بمرضه التي توفي منه ليلة الأربعاء ثالث وعشري ربيع الثاني عام 1307 / 11 دجنبر 1889.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 229-228 ؛ ع. الحجرتي السجلماسي، *الروض اليانع*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط، 1307 ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

البلغيثي، أحمد بن علي بن محمد العلوي الحسني، من فرع البلغيثيين أهل زقاق الحجر بفاس، كان "علامة مشاركاً موقتاً معدلاً" (*إتحاف*)، له *شرح منهاج الطالب في تعديل الكواكب*، توجد نسخة منه بالخزانة العلمية الصبيحية بسلا في 45 صفحة، لعله بخط الميقاتي محمد ابن علي الأغزاوي الفاسي. ومتن *منهاج الطالب* لأحمد ابن البناء المراكشي.

كان أحمد البلغيثي وثيق الصلة بالسلطان المولى سليمان، فوجهه صحبة ولده الطيب لزيارة ضريح الشيخ عبد السلام ابن مشيش فدخلوا تطوان وصعدوا أحد أبراجها، واتفق أن انفجر فيه صندوق بارود فمات أحمد البلغيثي بذلك الانفجار عام 1208 / 1793.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 227 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط، 1208 ؛ م. حجي، *فهرس الخزانة العلمية الصبيحية*، 515-516.

البلغيثي، أحمد بن **المامون** بن الطيب العلوي الحسني. ولد بفاس عام 1282 / 1865 وبها درس على أعلام الشيوخ أمثال محمد بن عبد الرحمان العلوي قاضي الجماعة بفاس، وعبد الملك بن محمد العلوي الضرير، ومحمد بن المدني گنون، وأحمد بن الطالب ابن سودة، وجعفر بن إدريس الكتاني، وأحمد بن الخياط الزكاري، ومحمد بن قاسم القادري، ومحمد بن التهامي الوزاني، وعبد الله بن إدريس البدراوي. وأجازه بعضهم ورحل إلى المشرق ثلاث مرات، أولاها عام 1307 / 1889 حيث مكث ستة أشهر لقي خلالها جماعة من الشيوخ أخذ عنهم، وأجازه منهم بدر الدين بن يوسف المغربي الدمشقي.

كان أحمد بن المامون البلغيثي فقيهاً أصولياً معقولياً، وأديباً شاعراً ناثراً، وصوفياً تجانياً ذاكراً، ووطنياً غيوراً يشارك طلبته الشباب بفكره وعمله وماله، لا ينقطع عن التدريس في الإقامة والظعن، ولا يجف له قلم في تحرير الكتب التي يؤلفها، والرسائل والقصائد والمقامات التي يحبرها. وبالجملة كان وجهاً مشرقاً متميزاً في سماء المعرفة والأدب والشهامة بالمغرب طوال النصف الأول من القرن الرابع عشر (19 م). تولى خطة القضاء قبل الحماية

بالصويرة مرتين وبالعرائش. ثم عين عضواً بمجلس الاستيناف الشرعي بالرباط مرتين، فكان أكثر مقامه بمنزل باشا سلا العلامة الحاج محمد الصبيحي الذي كان شبه ناد علمي أدبي يغشاه كل مساء علماء العدوتين وأدباؤهما، وفي مقدمتهم الشاعر الطيب بن عبد الله ابن خضراء، والأديب المؤرخ محمد بوجندار. وكم لهم من مساجلات نثرية وشعرية تعد ـ لو جُمعت ـ طرفة أدبية رائعة. كما تولى قضاء الدار البيضاء ومكناس، ولم يكن يقرّ له قرار في مختلف الوظائف التي شغلها لصلابته في الحق وعدم مداراته فيه.

ألف أحمد بن المامون البلغيثي عدداً غير قليل من الكتب، طبع بعضها في حياته، وبقي معظمها مخطوطاً عند ولده الشاعر عبد المالك في فاس، وبعضها في الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، منها :

الابتهاج بنور السراج شرح به قصيدة الأديب العربي المساري في العلم وآداب التعلم. طبع بمصر في جزءين عام 1319 ؛ *حسن النظرة في أحكام الهجرة*، طبع أيضاً ؛ ديوان شعر : *تنسم عبير الأزهار بتسنم ثغور الأشعار*، مخطوط في أربعة أجزاء ؛ *تشنيف الأسماع، بأسماء الجماع، وما يلائمه من مستلذات السماع*، جزآن، *مجلي الحقائق، فيما يتعلق بالصلاة على خير الخلائق* ؛ *تحبير طرسي، بعبير نفسي، في التعبير عن نفسي* ؛ *فتاوى وأحكام*، في ثلاثة أجزاء ؛ *بيان الخسارة، في بضاعة من يحط من مقام التجارة* ؛ *استدراك الفلتة على من قطع بقطع البتّة* ؛ *تشطير قصيدة ابن أبي جمرة في ختم صحيح البخاري* ؛ *رحلة حجازية* مخطوطة، *رحلة حجازية* ثانية منظومة بعنوان *النحلة الموهوبة النجازية، في الرحلة الميمونة الحجازية*، طبع بفاس عام 1346 / 1927.

توفي أحمد بن المامون البلغيثي بفاس عام 1348 / 1929.

أ. البلغيثي نفسه، *تحبير طرسي*، مخطوط ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 225 ؛ م. القباج، *الأدب العربي في المغرب الأقصى*، 1 : 15 ؛ ع. ابن إبراهيم، *جواهر الكمال*، 1 : 52 ؛ م. المختار السوسي، *الإلغيات*، 2 : 227 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، 437 ؛ ع. الفاسي، *معجم الشيوخ*، 1 : 183 ؛ أ. النميشي، *تاريخ الشعر والشعراء بفاس*، 102 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1348 ؛ *سل النصال*، الترجمة 7 ؛ إ. بن الماحي الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 39 . 40 ؛ م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 134 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 1 : 201 ؛ م. رضا كحالة، *معجم المؤلفين*، 2 : 56 ؛ إ. البغدادي، *إيضاح المكنون*، 1 : 9 ؛ م. العلمي، *أحمد بن المامون البلغيثي وبعض مظاهر التجديد في شعره*، ندوة كلية الآداب ـ وجدة 1984، الدار البيضاء 1986 ؛ *تحقيق ديوان أحمد بن المامون البلغيثي*، د. د. ع.

البلغيثي، إدريس بن **الطايع** العلوي الحسني الفاسي. عالم رياضي موقت حكيم مشارك، امتاز في عصره بالتفوق في العلوم العقلية، وهو الذي صحح كتاب *إقليدس* حين طبع على الحجر بفاس.

توفي بفاس في 28 رجب عام 1322 / 8 غشت 1904.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1322.

البلغيثي، إدريس بن عبدالرحمان العلوي الحسني. "له باع طويل في التدريس والفتيا، إمام في سائر العلوم". اختصر *المعيار المغرب* لأحمد الونشريسي في سفرين. وعاش ممتعاً بالحظوة والثروة مع القناعة والزهد. ولم يذكر الفضيلي تاريخ وفاته.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 252 . 253.

البلغيثي، الطاهر بن أحمد العلوي الحسني. ولد عام 1276 / 1859، ودرس على كبار شيوخ القرويين بفاس إلى أن تخرج فقيهاً أديباً ناثراً شاعراً. وفي سنة 1296 / 1878 عمل كاتباً مع الحسن الأول ثم مع ابنه عبد العزيز. له كناشة علمية حافلة وقف عليها عبد السلام ابن سودة، كما وقف له على *قصائد* عديدة جلها في المدح، وأورد له قطعة خمّس به إحدى قصائد أبي نواس الخمرية.

توفي بمراكش يوم الاثنين ثامن ذي قعدة عام 1316 / 20 مارس 1899، ودفن بروضة الشيخ عبد القادر الجيلالي هناك.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 229 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط، 1316 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 3 : 265 . 267.

البلغيثي، الطايع بن محمد بن هاشم العلوي الحسني، عالم عامل وصالح عارف. أخذ عن الشيخين التاودي ابن سودة، وابن شقرون وغيرهما، وكان على صلة وثقة بالولي أبي القاسم الوزير الغساني.

توفي بتافيلات في ربيع الثاني عام 1234 / يناير ـ يبراير 1819.

م. الكتاني، *سلوة*، 3، 28.

البلغيثي، عبد الكريم بن محمد بن أحمد العلوي الحسني، "فقيه نبيه، باقعة زمانه وأوحده نبلا وفضلا وسياسة وجوداً وشجاعة وإقداماً" (*إتحاف أعلام*، 5 : 294).

استوزره السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل، وقاسى معه شدائد الاضطرابات التي تسبب فيها جيش العبيد، ولا تعرف ظروف وفاته ولا تاريخه على وجه التحديد، وإنما يذكر أنه توفي بمكناس في حدود الخمسين 1150 / 1737 زمن الوباء. ومن المعلوم أن المولى عبد الله انهزم في هذه السنة أمام أخيه محمد ابن عربية الذي كان يؤازره عبيد البخاري، وطاردوه إلى تافيلالت، فانقطعت السبل وقلت الأقوات وعم الوباء.

م. القادري، *التقاط الدرر*، 2 : 276 . 381 ؛ ع. ابن زيدان، *اتحاف أعلام الناس*، 5 : 294.

البلغيثي، العربي بن أحمد بن علي العلوي الحسني، حلاه السجلماسي الحجرتي في *الروض الطيب* "بالفقيه

العلامة الأصولي الفرضي الحيسوبي". تولى الخطابة بجامع الرصيف، ونقابة الشرفاء بفاس.

وكان إلى ذلك أديباً شاعراً، له *ديوان* صغير كله في المديح النبوي. توفي مطعوناً أواسط ربيع الثاني عام 1271/ يناير 1855، ودفن بوصية منه في مقابر الغرباء خارج باب عجيسة.

العباس السلجماسي الحجرتي، *الروض الطيب العرف*، مخطوط؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 227 . 228؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط، 1271.

البلغيثي، علي بن محمد ابن الشريف الحسني، جد البلغيثيين أهل زقاق الحجريفاس. "كان عالماً عاملا مشاركاً، تفقه على الفقيه العلامة سيدي أحمد بن مبارك اللمطي البكري وغيره من أقرانه، وانتفع به خلق كثير". (*الدرر*).

سكن أولا مدينة تازا واشتغل فيها بالتدريس، ثم انتقل إلى فاس أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1171 . 1207 / 1757 . 1792) وكان حظياً لديه.

توفي بفاس (دون تحديد تاريخ) ودفن بضريح الشيخ عبد العزيز الدباغ خارج باب الفتح.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 226؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 204.

البلغيثي، المامون بن الطيب العلوي الحسني، والد العالم الأديب أحمد بن المامون البلغيثي سابق الترجمة. من الشرفاء البلغيثيين أهل حومة النجارين بفاس. حلاه في *الدرر البهية* بقوله :"أحد العباد القانتين، الأخيار المنتخبين الذاكرين الناسكين... وهو من أهل الثروة والمجادة، والتعظيم والسيادة". ولاه الحسن الأول نقابة الأشراف فأحسن السيرة إلى أن أدركته الوفاة يوم الجمعة عاشر ذي الحجة عام 1316 / 21 مارس 1899. ودفن بقبة الشيخ علي ابن حرزهم خارج باب الفتوح.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 224 . 225؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط، 1316.

البلغيثي، محمد بن أحمد بن العربي العلوي الحسني "الشيخ العلامة المشارك الأصيل سلالة العلم والأدب" (إتحاف). أخذ عن والده أحمد البلغيثي ومحمد بن التهامي الوزاني، ومحمد بن المدني گنون، ومحمد القادري، وعبد الله البدراوي وغيرهم.

كان ملازماً لضريح المولى إدريس الأزهر، منقطعاً للعبادة والإفادة، إلى أن توفي صبيحة الجمعة تاسع رجب عام 1335 / فاتح ماي 1917 ودفن بروضة الشيخ محمد بن الحسن خارج باب عجيسة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1335؛ *سل النصال*، مخطوط، الترجمة 161.

البلغيثي محمد بن الطاهر بن أحمد العلوي الحسني. ولد بفاس أواخر القرن الثالث عشر (19 م) ودرس على والده الطاهر البلغيثي، وعبد الله الكامل الأمراني، وعبد الملك العلوي الضرير، ومحمد گنون، ومحمد القادري، وأحمد بن الطالب ابن سودة وغيرهم. حلاه في *سل النصال* بقوله :"الشيخ الجليل العلامة المشارك المستحضر المطلع المدافع عن الحق بأقواله وأفعاله من غير خوف ولا وجل ولا مداهنة ولا نفاق".

ويعد محمد بن الطاهر البلغيثي في طليعة الوطنيين الذين رفضوا الحماية منذ فُرضت على المغرب، لذلك نُفي إلى إسبانيا مدة، ثم رجع واستقر بمراكش مشتغلا بالتدريس، وكان من الآخذين عنه عبد السلام ابن سودة، لذلك ترجم له في جملة شيوخه في فهرسه *سل النصال*، وذكر أن أكثر ما استفاد منه عن حوادث المغرب في بداية الحماية.

توفي، وقد أشرف على مائة سنة، في آخر ربيع الأول عام 1388 / 17 يونيه 1968، ودفن بدار سكناه في الزاوية العباسية بمدينة مراكش.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1388؛ *سل النصال*، مخطوط، الترجمة 185.

البلغيثي، محمد بن الطيب العلوي الحسني، من أهل زاوية زرهون، "فقيه علامة محقق عدل رضى وجيه بركة فاضل، منور السريرة وقور معتقد عالي الهمة صلب في دينه". ولي منصب نائب قاضي زرهون من عام 1250 إلى عام 1260، وألف شرحاً على حكم *ابن عطاء الله* في جزءين، ونسخ بخطه *صحيح البخاري* وغيره، واشتهر عقبه في زرهون بأولاد القاضي.

توفي بمسقط رأسه زرهون عام 1263 / 1846 ودفن بالظهير المقبرة المعروفة هناك.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 4 : 188 . 189؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1263.

البلغيثي، محمد المبارك بن الطايع بن محمد بن هاشم العلوي الحسني، لا يُعرف عنه إلا أنه كان "علامة مشاركاً من أهل فاس".

توفي في آخر رمضان عام 1235 / 11 يوليوز 1820 زمن الوباء.

م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 29؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط، 1235.

البلغيثي، مصطفى بن الطايع بن محمد بن هاشم العلوي الحسني. ديِّن صالح نسابة من أهل فاس، ينسب إليه *كتاب الدرة الفائقة في أبناء علي وفاطمة*.

توفي ليلة الخميس رابع وعشري شعبان عام 1268 / 13 يونيه 1852 ودفن بقبة الشيخ أبي القاسم الوزير بالقباب.

م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 30؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، مخطوط، 1268.

محمد حجي

بَلقاسم أُبراهيم، (أهل ـ) تنتمي هذه الفصيلة إلى جدها الفعلي بلقاسم أُبراهيم بن داود بن الفقير بن سيدي أحمد الركيبي الجدّ الأسمي لقبيلة الركيبات. وإذا كان داود بن الفقير قد تزوج سنة 1680/1110 بامرأة من قبيلة سلام المعقلية (*جوامع المهمات*)، فإن ابنه إبراهيم تزوج بدوره من أخواله. وتزوج ابنه بلقاسم سنة 1762/1182 من فصيلة أولاد بوكرزي المنتسبة إلى أولاد المولات المعقليين. وعن هذا الزواج تفرع أهل بلقاسم أُبراهيم الذين ينتمون كما نرى إلى القواسم من الركيبات.

ومما يؤكد الامتياز الروحي لأهل بلقاسم أُبراهيم من بين فصائل القبيلة، أن افراكهم تعرف عادة "بحصر العناية". فقد اعتادوا ارتياد الكلأ والمراعي المحاذية للضفة الشمالية للساقية الحمراء (M. Dupat, *Notes*, 1937) حيث تربطهم بلفيٌ تكنة أوثق روابط التحالفات الحمائية، ومعلوم أن النصف الثاني من القرن التاسع عشر قد عرف انجراف تجارة القوافل نحو السواحل حيث تسربت التجارة الأوروبية بشكل قاتل، وبتفكك البنيات التجارية اختلّت الموازين التحالفية وأصبح على القبائل المرابطية المسالمة أن تتحمل مشقة الدفاع عن نفسها، وكانت قبل ذلك من مهام قبائل تكنة. وبذلك يدخل الركيبات في الدوامة العامة التي جعلت المواجهة تكون شاملة والصراع من أجل مراقبة المجال عنيفا.

وقد تسبب الاحتلال الفرنسي لمدينة تنبكتو سنة 1894 في احتدام الصراع خاصة بين الركيبات وتحكانت. فما كان من هؤلاء إلا أن تحالفوا مع البرابر لمباغتة محصر العناية بخنيگ السكوم بجوار الساقية الحمراء. فكانت النتيجة أن فقد أهل بلقاسم أُبراهيم جل رجالاتهم وإبلهم وخيامهم. وهو ما أفقد باقي الركيبات صوابهم فاندفعوا في أثر الغزاة إلى أن لحقوا بهم بالحمادة في المكان المعروف بالعريضة. ولكن تفوق عدد الغزاة تسبب في هزيمة الركيبات الذين فقدوا في المعركة خيرة محاربيهم وخاصة منهم أهل باد، كما أشار إلى ذلك محمد سالم ولد عبدالحي في مخطوطه *جوامع المهمات في أمور الركيبات*.

م. سالم ولد الحبيب ولد عبدالحي، *جوامع المهمات في أمور الركيبات*، ت.م. ناعمي، 1991.

M. Dupat, *Notes sur la confédération des Reguibats Legouacem*, CHEAM, N° 770, Paris, 1937 ; S. Caratini, *Les Reguibats*, Paris, 1988.

مصطفى ناعمي

بلقاسم، لحسن بن محمد، ولد سنة 1900 بأسًا، إقليم گلميم. انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956، وشارك مشاركة فعالة في الكفاح المسلح الذي خاضه جيش التحرير بالصحراء المغربية، ضمن المقاطعة السابعة بقيادة مبارك منار. كما خاض عدة هجومات ومعارك الرغيوة، ووادي الصفا وغيرها إلى أن استشهد بحمادة بالصحراء المغربية سنة 1959.

وثائق المندوبية السامية للمقاومة.

عزالدين العلام

بُلكّين بن **زيري** بن مناد، أول أمراء الأسرة الزيرية الصنهاجية التي استخلفها الفاطميون على افريقية بعد رحيلهم إلى مصر. أبوه زيري كان له الفضل في القضاء على ثورة أبي يزيد الخارجي (947/335) التي كادت تطيح بالعرش الفاطمي. وبعد مقتله سنة 970/360 في إحدى حروبه مع زناتة، تولى ولده بلكين زعامة صنهاجة، وبادر بتمهيد سبيل الثأر لأبيه، فسحق بني يفرن ومغراوة في المغرب الأوسط وطردهم إلى ما وراء نهر ملوية، مظهراً بذلك كفايته الحربية. فكان من الطبيعي أن يختاره الخليفة الفاطمي المعز (975،952/365،341) ليخلفه على افريقية عندما قرر نقل مقر الخلافة إلى القاهرة في 21 شوال 5/361 غشت 972. وقد شرفه بلقب أبي الفتوح، وسماه بيوسف.

كرس بلكين عهده (984،972/373،362) لتأكيد حضور الفاطميين أمام خصومهم الزناتيين وأمويي الأندلس. وقام في هذا الاطار بحملة كاسحة على المغرب سنة 979/369. قبيل هذه الحملة، كان الخليفة الأموي، الحكم الثاني (976،961/366،350)، قد أعاد المغرب إلى حظيرة السيادة الأموية بعد قمع ثورة الأدارسة بزعامة الحسن بن گنون (362،361 هـ). وبعد وفاته، تابع الحاجب الأموي المنصور بن أبي عامر سياسته القائمة على إبقاء هذه البلاد تحت سيطرة الأندلس لتكون خط دفاعها الأمامي ضد الخطر الشيعي.

في ظل هذه الظروف، خرج بلكين من افريقية، وأناخ على فاس سنة 979/369، وقتل عامليها محمداً بن علي بن قشوش، وعبدالكريم بن ثعلبة، واستعمل عليها محمداً بن عامر المكناسي. وولى وجهه شطر سجلماسة، وقتل صاحبها ابن خزرالمغراوي. ثم اجتاح اقليم الهبط، وتعقب رؤساء زناتة الذين انحازوا جميعا إلى سبتة مستصرخين بالمنصور بن أبي عامر. وأما الجيش الضخم الذي أعده هذا الأخير بظاهر المدينة، لم يجد الأمير الزيري بداً من الرجوع أدراجه، لكنه اجتاح البصرة وهدمها، وزحف إلى أصيلا واستولى عليها، ثم قصد برغواطة وقتل أميرها صالح بن عيسى بن أبي الأنصار. وبذلك استولى على المغرب كله ـ عدا سبتة ـ ومحا دعوة بني أمية من بقاعة.

تعتبر هذه الحملة آخر محاولة هامة قام بها أتباع الفاطميين لاعادة بسط نفوذهم على المغرب. وبعد رجوع بلكين، ووفاته في 11 ذي الحجة 25/373 ماي 984، عاد الزناتيون إلى احتلال مواقعهم في البلاد.

H. R. Idris, *La Berbérie Orientale sous les Zirides, Xe - XIIe siècles*, Paris, 1962, T. 1, p. 55 - 59.

محمد الأمين البزاز

بلاّ (ابن ـ) **مسعود** العبدي، فقيه صالح شهير في قبيلة عبدة في القرن الثالث عشر (19 م)، أصله من أولاد بو السباع، ثم استوطن عبدة وأسس بها مدرسة شمال ساحل أسفي على مقربة من سيدي بوشتا، وكان الطلبة يقصدونه من جميع النواحي المجاورة، ومازالت بناية هذه المدرسة قائمة، وبها اليوم مسجد وكتّاب.

رواية شفوية واطلاع ميداني.

عبد الرحيم العطاوي

بَـلاَّ نْقَرْعَمْتْ، أويلاّ واحْسين، حكيم شاعر، ومنشد شعبي يسترعي الانتباه في زمانه عندما يقف في الملاعب الأحواشية التي تقام احتفاءً بمختلف مناسبات الزفاف والعقيقة والإعذار وخلال الأعياد التي يحتفل بها سكان القبائل الواقعة فيما بين أيت باها وتافراوت وإداگنضيف إلى شتوكة على مشارف ماسة باقليم أگادير.

واسمه بلاّ نترعمت مشلّح ومختصر لاسم (عبدالله الناقة) وُلد وترعرع بقرية تولحاج قبيلة أيت واسّو بمنطقة أيت باها، وهو قصير القامة سذج بسيط في لباسه ومأكله وأسلوبه في الحياة، لكنه ذكي دقيق الملاحظة يتميز بموهبة شعرية وفنية، يمزج الشعر الشعبي الشلحي بالحكمة البالغة رغم أنه لا يقرأ ولا يكتب، وكان في قمة عطاءاته الشعرية خلال الثلاثينيات حيث ذاع صيته وامتدت شهرته إلى جميع مناطق سوس والجنوب المغربي، وما يزال البعض حتى الآن يحفظ أشعاره وأقواله المأثورة وخاصة ما يتعلق بحواراته مع أحد كبار شعراء أحواش بسوس وهو الشاعر الشعبي البنضيگ الكثيري.

توفي ـ حسب رواية بعض معاصريه ـ قبل الأحداث التاريخية التي عرفها مركز أيت باها ضد الاحتلال الفرنسي لمنطقة سوس سنة 1936 بعد أن تقدم به السن إلى درجة أنه كان في أواخر حياته يحمل عكازاً يتكئ عليه.

روايات شفوية.

أحمد أمزال لعسري

بَـلاَّرج، طائر من فصيلة اللقلقيات Ciconiidae ورتبة طوال الساق، يسمى علمياً Ciconia coconia وبلارج هو اسمه الشائع في المغرب العربي ويعرف باللقلق أو اللقلاق في معظم البلدان العربية الشرقية، ويعرف أيضا بالعنز في مصر والحاج لقلق أو الحاج بلارج لزعم العامة أنه يحج. ويطلق عليه في لبنان البجع وهذا خلاف ما ورد في كتب اللغة لأن كلمة "بجع" تطلق على جنس Pelecanus وهو طائر ماني كبير له حوصله عظيمة، وتوزيعه الجغرافي يقتصر على بلدان شرق الأبيض المتوسط وآسيا وأستراليا ولا يوجد في المغرب إلا في حديقة الحيوانات.

سمي بلارج باللقلق للقلقته أي طقطقة منقاره فإنه لا يصوت من حنجرته كسائر الطيور. إنه طويل الساقين والعنق والمنقار، قصير الذيل، أحمر الرجلين والساقين والمنقار، أبيض اللون ماعدا قوادم الجناحين فهي سوداء. يتراوح طوله ما بين 100 و105 سم. غالباً ما يقف على ساق واحد أثناء الاستراحة.

إنه من الطيور القواطع يفرخ في شمال أوروبا وأواسطها والمغرب والجزائر وتونس وآسيا الصغرى والعراق، ويشتو في أفريقيا الاستوائية ولا يفرخ في مصر وإنما يعبرها في قطعه. شوهدت الطيور المختصة في المغرب في غانا ونجيريا ومالي كما شوهدت في المغرب الطيور المختصة في ألمانيا وإسبانيا. للتذكير فإن الخواتم توضع للصغار قبل مغادرة العش.

يعيش هذا الطائر بجوار الإنسان الذي أنسَه منذ القدم واحترمه. يتغذى من الحيوانات المضرة للإنسان كالأفاعي والفيران والجراد وباقي الحشرات والديدان ويأكل أيضا الضفادع. يتكون عشه الضخم من الأغصان والأعشاب والطين يبنيه عادة فوق أعالي المباني المأمونة والأشجار والصخور وكثيراً ما يُستعمل العش عدة سنين من نفس الطائر الذي يعود إليه بعد الهجرة الشتائية.

تبيض الأنثى عادة ابتداء من شهر فبراير وتمتد مدة التوالد إلى غاية شهر أبريل. تضع الأنثى في المرتفعات من 3 إلى 5 بيضات عادة ونادراً واحدة أو 6، لونها أبيض يبلغ طول قطرها 73×52 ملم.

تدوم مدة الحضانة 29 إلى 34 يوما ويقدم الزوجان للصغار الحشرات والديدان وأحيانا صغار الضفادع. وبعد 55 يوما يغادر العش ويلاحظ في شهر يوليوز مجموعات متعددة الأفراد تستعد للهجرة نحو افريقيا الاستوائية.

إن بلارج شائع في المغرب بينما عرف عدده انخفاضا ملحوظا في أوروبا. وهو طائر مقدس لا يُؤكل لحمه ويلاحظ في شمال المغرب أن بعض الأعشاش تفرغ من الصغار وذلك لأن بعض الناس يعتقدون أن هذا يحل مشكل العقم عند المرأة.

نذكر في المغرب أيضا نوعاً آخر من نفس الفصيلة اللقلاقية وهو البلارج الأسود Ciconia nigra المعروف بالعَنْز والمعز وهو أبيض البطن وأسفل الذنب، أحمر الرجلين والمنقار وسائره أسود، يبلغ طوله 97 سم.

يفرخ في شمال أوروبا وأواسطها وآسيا الصغرى ويشتو في جنوب افريقيا والهند. يعبر المغرب أثناء القطع خلال فصل الربيع وفصل الخريف وقد شوهد مراراً بماسة وأولوز والضويات ونواحي تطوان.

إنه أقل شيوعاً من البلارج الأبيض ولا يعيش بجوار الإنسان.

أ. معلوف، *معجم الحيوان*، ص 237.

H. Heinzel, F. Fitter et J. Pabslow, *Oiseaux d'Europe d'Afrique du Nord et du Moyen Orient*, Neuchatel, Suisse, p. 320; C. Harrisson, *Nids, œufs et poussins*, Bruxelles ; J. Pineau et M. Giraud-Audine, *Les oiseaux de la peninsule tingitane*, Trav. Inst. Sci. Zool, N° 38, Rabat.

محمد رمضاني

بَـلاَّوْ (أهل ـ) تنتمي هذه الفصيلة إلى بلاو بن موسى بن علي بن سيدي أحمد الركيبي الجد الأسمى لقبيلة الركيبات بالصحراء الأطلنتية. وقد أدى اتساع فصيلة أولاد موسى إلى تمييز الوضع التسلسلي القرابي لأهل بلاّو باعتبارهم سليلي الابن الكبير لموسى. فمفهوم وحدة التسلسل القرابي ينشأ ابتداءً من مبدأ التدرج النسبي مضمراً بذلك أحقية الأخ الأكبر. وهكذا فإن أهل بلاّو يتفرعون بدورهم إلى أهل يحيى، وأهل إبراهيم، وأهل بابا حمو، وأهل بوزيد وبلاّو وأهل سوفي. وقد وجه مجمل هؤلاء فاعليتهم نحو التسيُّد على أولاد موسى الذين يتزعمون بدورهم اللف الساحلي للقبيلة. فنجد محمياتهم من التجزئات والفصائل الأخرى كأهل بوعلية، وأهل بويالله وأهل البويشير من قبيلة أولاد تيدرارين، وأهل مبروك، وأهل سويدي احمدُّو من أهل داود، وأهل تايني ولد بشرة من أولاد الشيخ، وبعض أهل دادي، وأهل الكوري ولد عمار ولد داود من أهل لحسن، وأهل عبدالفتاح ولد الشيگر من أولاد بوالسباع، وأهل ددّي.

ويعود انشطار أهل بلاّو إلى فصيلة مستقلة إلى فترة انتقال القبيلة الركيبية من مرابطية محمية من طرف تكنة الذين غادروا مسالك التجارة بعد انجرافها نحو المرافئ الأوروبية، إلى مُحاربة تعتمد على نفسها في المواجهات الخارجية. ومعلوم أن انسحاب تكنة التدريجي نحو شمال الساقية الحمراء قد تسبب في مرحلة من الصراعات وتناقض المصالح بين سائر القبائل المحمية دامت زهاء قرن. وقد عُرف علي ولد بَلاّو منذ نهاية القرن الثامن عشر بتصديه لقبيلتي تجكانت وأولاد بوالسباع شأنه في ذلك شأن الشيگر ولد باب المساوي. فقد كانا من بين الأوائل الذين استعملوا بنادق الورور المحصل عليها بوادي نون ابتداءً من 1796 (Larribaud, 253).

وهنا لا بد لكي نعني بالدور الحربي الطلائعي لأهل بلاّو الذي يجرى مفعوله على العصبيات الأخرى من الإشارة إلى أهل أفريبط، فهؤلاء يمثلون أصلب تجزئة داخل فصيلة أهل بلاّو تميزت بسمعة المحاربين الأشداء إلى ما بعد سنة 1934. فقد استطاع أهل أفريبط قلب الموازين الاعتيادية حين ادخلوا المعقليين أولاد سالم تحت حمايتهم بعد أن هزموهم. وبالرغم من أن منافسة الفصائل الأخرى وخاصة أولاد لحسن قد انتهت بكسر هذه العلاقة (*جوامع المهمات*، 91 ؛ Caratini, 88, 89) فإن سمعة أهل أفريبط ومن خلالهم أهل بلاّو لم تزدد إلا قوة. لقد عُرف أهل أفريبط بأنهم أول من ناوش أعداء الركيبات التاريخيين أولاد دليم. فتعملوا الدفاع عن محميي أولاد دليم من أولاد أحمد وأولاد تيدرارين الذين اعتادوا منذ القرن الثاني عشر (18 م) دفع اغفار لحاميهم. وقد جاء هذا الدفاع عبر عملية عسكرية أفقدت أولاد دليم عشرة من محاربيهم وأُدخلت أولاد تيدارين تحت حماية أهل أفريبط (*جوامع*، 91.92). كان محمد ولد الخليل يومها على رأس تجزئة أولاد القاضي من فصيلة أولاد موسى. وبالرغم من موقفه المنافس لأهل بلاّو، فإن لجوء أولاد دليم إلى لف أيت الجمل التكني وخاصة أيت لحسن، إدى إلى التحام المواقف الركيبية ضد العدو الخارجي. لقد اضطر أولاد دليم يومها إلى طلب المساعدة من لف أيت الجمل عن طريق إزركيين. ولكن هؤلاء رفضوا حسب ما أورده Caro Baroja مجبرين بذلك أولاد دليم على التوجه شمالا نحو أيت لحسن ومعلنين انتقال الصراع لأول مرة شمال وادي درعة.

هكذا وبالرغم من استحالة الدخول مع تكنة في مناوشات حربية فإن المساهمة الفعلية لأهل أفريبط تتجلى في رغبتهم التوسعية وتطوير الإطار الهيكلي للقبيلة جمعاء. على أن هذه الميزة الهجومية مهما اشتدت مع تطور الأحداث، فإنها تظل رهينة بظروف الترحال الرعوي التي تفرضها الظروف المناخية لتربية الإبل. فتدجين الوسط الطبيعي يقتضي تتبع الكلأ بضفتي الصحراء : أدرار التمر جنوباً ووادي درعة شمالا. نخلص بذلك إلى الارتباط العضوي بين فصائل هذه القبيلة والظروف المناخية المتوفرة بضفتي الصحراء حيث الكلأ والمرعى باستمرار. هذه المميزات الأساسية لمنطقة أدرار التمر جنوبا ستؤهل الحاكم الفرنسي في عين المكان للضغط على كبار الرحل بما فيهم اللف الساحلي لقبيلة الركيبات. فقد أدت سنوات الجفاف إلى احتداد الأزمة السياسية بين فصائل هذه القبيلة لمعرفة ما إذا كان الأولى هو إبرام اتفاقيات مهادنة مرحلية مع الوجود الفرنسي بأدرار. وكان من نتائج الجفاف أن ظهرت عمليات مد وجزر قربت بين بعض الفصائل الركيبية والحاكم الفرنسي خلال سنوات الجفاف وفرّقت بينهم خلال السنوات الممطرة. فكثيرا ما سجلت التقارير الفرنسية عدم احترام الفصائل لالتزاماتها مع ظهور المطر والابتعاد داخل الصحراء. لم يكن إذن من المستغرب أن نجد أهل بلاّو وأولاد القاضي من فصيلة أولاد موسى والتهالات بصدد ابرام اتفاقية مع الحاكم الفرنسي Gaden بسان لوي St Louis سنة 1925 (Brissaud, 1938). فعلينا أن نفرق هنا بين الضرورة التي فرضها الجفاف هذه السنة على مربي الإبل والاستراتيجية السياسية الفرنسية البعيدة المدى. لم يكن بين طرفي الالتزام أي تحالف موضوعي تفترضه إستراتيجية التغلغل الاقتصادي المشترك. بل الأولى أن نأخذ هذا الوضع بعين الاعتبار لفرز الخلط والخطأ النظريين إذ يتبين لنا أن وراءه خلفيتين سياسيتين متناقضتين. ذلك أنه بينما عرفت نفس السنة مغادرة الماريشال ليوطي للمغرب معلنة بداية الاستعدادات الفرنسية لمهاجمة الصحراء شمالا وشرقاً وجنوباً، يفقد أولاد موسى رئيسهم محمد ولد الخليل وتعرف التناقضات والمفارقات بين مواقف فصائل القبيلة تطوراً كبيراً. فقد بدأت جبهة هذه الفصائل في التصدع أمام الزحف الفرنسي المتزايد واختلفت المواقف بفعل العوامل الخاصة المميزة لكل فصيلة. وهكذا ستعرف

نفس السنة إمضاء أول اتفاقية بين الحاكم الفرنسي بأدرار وفصيلة القواسم من اللف الشرقي عن طريق كبيرهم لحبيب ولد البيلاّل (Brissaud, 1938). وستستمر الوضعية على ماهي عليه بفعل الجفاف المتزايد إلى أن عرفت سنة 1927 صراعاً عنيفا بين الفقرا ومعهم بعض التهالات المتمردين على اتفاقهم مع الحاكم الفرنسي من جهة، وأهل أفريبط ومحمبيهم إذْ يعقوب والشيخ سعدبوه أخي الشيخ ماء العينين قرب مقطر من جهة ثانية. تسبب هذا الصراع في جرح أبي زيد ولد محمد أُبراهيم ولد افريبط بعد أن فقد 150 رأسا من قطيع إبله. وعلى أساس الأخذ بثأرهم انطلق محاربو أهل أفريبط (70 أو 80 مدفعا) إلى تندوف مصحوبين ببعض أهل محمد بن القاضي من السكَارني قصد مباغتة الفقرا من الناحية الشمالية الشرقية (Fournier, Archives Nationales, Nouakchott, 13/3/1927, A. P. E/2/77) وقد كان من نتيجة هذه العملية أن تسببت هزيمة الفقرا في مسارعتهم إلى أدرار التمر لإبرام اتفاقية سلام مع الحاكم العام. ويفيد الضابط Tranchant في تقرير له بتاريخ 1928/1/12 بأن محمد سالم ولد أفريبط كبير أهل بلاّو قد توجه إلى سان لوي St Louis للدفاع أمام الحاكم العام عن سياسته الحربية ضد باقي الفصائل المتمردة أو الرافضة لموالاة فرنسا، وهو موقف يبدو متطرفا من حيث حرصه على تركيز الوجود الفرنسي. ولكن علينا أن نفرق بين هذه الرؤيا والمعرفة المبنية على الموروث السلالي والقرابي كظاهرة أكثر بروزا. يجب أن نعلم بأن هذا الموقف لم يتأت إلا لمجابهة موقف محيمد ولد محمد ولد الخليل كبير أولاد موسى الذي تميز بموقفه ضد استعمال العنف. فنكشف بذلك مرة أخرى طبيعة التنافس بين أهل بلاّو وأولاد موسى من أجل التسيُّد على ركيبات الساحل. الدليل على ذلك هو دور أمطار سنتي 1932 و1933 في تغيير مجرى الأحداث. فقد لعب انتشار فصائل الركيبات بكل من الحنك وزمور والساقية الحمراء في اشتعال نار مجابهة الوجود الفرنسي بدائرتي أدرار والترارزة. هذا ما يمكن أن نسجله ابتداء من شهر سبتمبر 1931 الذي عرف عملية غزي تجونين. فقد قام مائة وعشرون محاربا ركيبيا على رأسهم محمد المامون وأحمد ولد حمادي وعلي ولد ميارة الذي لم يتجاوز يومها سن العشرين بالقضاء على كتيبة فرنسية وغنيمة أسلحتها وذخيرتها. وكان من نتائج هذه الغزوة أن خرج أولاد موسى عن التزاماتهم ليتبعهم بعد ذلك بقليل أهل أفريط ومجمل الفصائل والتجزئات المسالمة لفرنسا.

لم يكن من شأن استعمال الطائرات أن يضعف من عزيمة هذه الفصائل التي استفادت سياسيا وعسكريا من التناقضات الفرنسية ـ الإسبانية حول مراقبة المنطقة. كما أن بوادر الفتور قد بدت على ضباط "الگوم" من أبناء القبائل المحلية حيث رفضوا تدريجياً المحاربة باسم فرنسا. على أن أهم غزوة قام بها أولاد موسى، وأهل بلاّو المنشقون عن فرنسا انتهت بالفشل الذريع. وقد كان على رأس هذه الغزوة التاريخية المعروفة بغزي السودان في مارس سنة 1932 لعروسي ولد بابا حمّو من أهل بلاّو ومحمد سالم ولد عبدالحي قاضي ركيبات الساحل وصاحب كتاب *جوامع المهمات*. فقد اجتمع مائة وأربعون محارباً بعيون عبدالمالك لينطلقوا في اتجاه الجنوب الشرقي حيث يستهدفون كتيبة فرنسية قرب بئر تيجيجيل. وقد وقعت العملية في السادس من أبريل لتفشل بسبب الاستعداد المسبق للكتيبة التي كانت قد اتخذت جميع الاحتياطات بمجرد أن أخبرها البر ولد لحبيب من فصيلة أولاد الشيخ ومحمد ولد الناجم من كبار أهل بلاّو (Cercle de l'Adrar, *Rapport Politique*, Archives Nationales, Nouakchott, Juin 1932) لقد أعدت الكتيبة الفرنسية مدفعا رشاشاً للمناسبة وأحاطت تكنتها بالأسلاك الشائكة. وبالرغم من المحاولات المتكررة ووصول لعروسي رئيس الغزوة إلى الداخل فإن الكتيبة تمكنت من "قتله وحصد عدد قليل من الغزاة. وتمكن هؤلاء بعد مقتل رئيسهم من الانسحاب بعد أن قادوا أكبر عدد من الإبل منقسمين إلى قسمين. اتجه القسم الأول نحو الجنوب حيث وجد أمامه محاصرة فعلية من طرف قبيلة مشظوف بتمبدرة ولم ينج منها إلا بمشقة. أما القسم الثاني فقد اتجه نحو الشرق مضطراً إلى المرور ببئر القصيب بالحدود الفاصلة بين أزواد وتيرس. وهي عملية شاقة تقتضي تجنب أكبر عدد من الكتائب الفرنسية الملاحقة ومواجهة الإعياء والعطش والرياح الحارة التي أحرقت المراعي. وهكذا لم تصل إلا قلة قليلة إلى البئر لتجد في انتظارها كتيبتين تابعتين للدائرة الفرنسية بالسودان والدائرة الفرنسية بمالي، وقد قرر ضابط الكتيبة السودانية قتل جميع المسجونين بينما قرر الضابط الآخر الاحتفاظ بهم. وقر رأيهما أخيراً على توزيعهما إلى قسمين تنفذ فيهما التعليمات حسبما ارتأياه. وبذلك تنتهي هذه العملية المعروفة محليا بغزي تجيجيل والتي أفقدت أولاد موسى وأهل بلاّو سبعين محاربا وأفقدت أولاد القاضي أربعين محاربا.

وفي نفس شهر أبريل قام أحمد ولد حمادي وعلي ولد ميارة بتجميع جيش محلي مكون من أربعمائة محارب من أولاد دليم والعروسيين وأربعمائة محارب من القواسم من اللف الشرقي من الركيبات ومائة وثمانين من محاربي اللف الساحلي وأربعين محارباً من قبائل مختلفة. على أن هذا الحجم قد تجلى من حيث هو كرمز للإرادة القبلية في التحدي والمواجهة أكثر منه جبهة متحدة. فقد فشلت جميع المحاولات التنسيقية ولم يقوموا بأي عملية خاصة، وأن الطيران الفرنسي قد أسهم بشكل كبير في كشف المحاولات وصدها. وكانت فصائل الركيبات تنتظر إلى شهر غشت حين غزا بعض العناصر من قبيلة الكدادرة ابل الشيخ مبارك من أهل بلاّو وأهل داف من أولاد موسى (حوالي ألف رأس) بمنطقة عيون عبدالمالك. فجاءت هذه الغزوة من بين العوامل التي أطرت لعملية التونسي التاريخية التي

أفقدت دائرة الترارزة سبعة وثلاثين عسكريا ونجا فرنسي واحد. ففي عملية انتحارية انطلق أولاد دليم والعروسيون والركيبات من تيرس مخترقين مجمل التراب الموريطاني من الشمال الغربي في اتجاه الجنوب الشرقي في وقت تميزت شبكات المراقبة الفرنسية بقوتها وفعاليتها ومراكزها المحصنة وكتائبها المتحركة. وقد نشرت عمليات أبناء المنطقة الرعب الكبير بين الفرنسيين وأعوانهم بكل من أدرار وتگانت والترارزة قبل الرجوع من جديد إلى المنطقة الساحلية (Caratini, 189).

إن الاحتفاظ لأهل بلاّ بهويتهم الخاصة كنموذج لفصيلة لكبار الرحل ضرورة تفرضها المعرفة لذاتها. فقد عاشت وتعيش تجارب عصرها بما يشرح مواقفها وممارساتها أو يبررها. وهي ليست في الواقع إلا امتدادا للتجربة الكبرى، تجربة قبيلة الركيبات في وسطها الطبيعي والاجتماعي.

محمد سالم ولد لحبيب ولد الحسين ولد عبدالحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، دراسة وتحقيق م. ناعمي ، الرباط، 1991.

M. Brissaud, *Historique de la question Rgueibat*, Nouakchott, Archives nationales, A.P.E/2/82, 1938 ; J. Caro Baroja, *Estudios Saharianos, Instituto de Estudios Africanos*, Madrid, 1955 ; S. Caratini, *Les Rgaybat : Des Chameliers à la conquête d'un territoire*, T. I, Paris, 1989 ; J. Larribaud, *Tindouf et le Sahara Occidental*, Archives de l'Institut Pasteur d'Alger, XXX, N° 3, Alger, septembre 1952.

مصطفى ناعمي

بلبريك بوجمعة (مغن شلحي) ← أنشّاد

بَلّة (أهل ـ)، يمثل أهل بلة إحدى فصائل أيت احماد أُعلي من قبيلة ازوافيط التكنية (م.ناعمي، *ازوافيط*، *معلمة*) ويرد ازوافيط احماد أُعلي إلى عثمان بن أحمد بن إبراهيم بن عثمان الذي قد يكون هو ابن مندى عامل عبدالله بن ياسين على نول لمطة خلال القرن الخامس (11م). أما مدى صلاحية انتماء أهل بلة إلى هذا النسب الصنهاجي، فإن تضارب الروايات يحدّ في الوقت الراهن الابحاث من الفصل فيه. ذلك أن ما يزيد من حدة التناقضات اختلاف أيت احماد أُعلي أنفسهم حول أنسابهم. فمنهم من يحد عدد الفصائل المؤسسة في بلة والمعطي واحماد واسعيد وحمو. ومنهم من يكذب أو يضيف إلى هذا العدد فصائل أخرى. ومهما يكن من أمرفإن أهل بلة الذين يهمنا أمرهم هنا ينتمون إلى احماد أعلى الذي يصعب تحديد هويته وتاريخه الفعلي. ويضيف أهل بلة بأن جدهم الفعلي قد خلّف ابنين وبنتاً واحدة : علي واحماد ورقية، وقد خلف علي كلا من محمد مولود واحمدفال واعلي والبشير والحسين والكورية وفاطمة. أما احماد فقد خلف علي سالم والحريطاني الذي يحمل اسم أخواله من أبناء بوالسباع والأمين وعبدالله والسالكة وفاطمة وعائشة والباتول. أما رقية بنت بلة فلم تعقب. تعتبر هذه الأسماء أعلاما حقيقية لوحدات عائلية حديثة التكوين. ذلك أن أربعة أجيال فقط تفصل بينها وبين آخر أحفادها الحاليين.

وفي هذا السياق لا بد أن نشير إلى الاختلاف البين الذي ميز سيرورة هذه الأجيال الأربعة مركزين على الفوارق الجوهرية التي أصبحت تفصل أبناء علي ولد بلة عن أبناء احماد ولد بلة. فبينما يقتصر أبناء علي على ممارسة الفلاحة التقليدية وتربية المواشي، يتميز أبناء وحفدة احماد باهتمامهم الكبير بالتجارة عبر مسالك الصحراء، وقد عرفوا بخبرة واسعة في هذا الميدان الذي جعل منهم أسماء لامعة على ضفتي الصحراء. أما تديّن أهل الحريطاني وخاصة منهم أحمد وابنه محمد علي فقد جاء على ما يبدو نتيجة لتاثير أخوالهم من أولاد بوالسباع ذوي الصيت الذائع في هذا الباب (*جوامع المهمات*).

ولابد أن نشير أيضا إلى مساهمة أهل الحريطاني خاصة في تطوير وتأطير الوجود الزفاطي بموريتانيا منذ بداية هذا القرن. ولعله أمر يرجع إلى زمن اقرضوا فيه مجمل القبيلة مبالغ مالية أسهمت على حد قول السيد بلعيد ولد الحريطاني في حل بعض المشاكل العالقة يومئذ. من هنا ندرك إلى أي مدى يمكن لعائلة معينة أن تتميز بدور طلائعي يجعل منها وحدة متكاملة على المستويات الفلاحية والتجارية والدينية والسياسية.

م. سالم ولد عبدالحي، *جوامع المهمات*، تـ. مصطفى ناعمي.

بلّة (أيت ـ)، إذا حاولنا تحديد المعطيات التعريفية لأيت بلّة وجدنا متطلبات الملاحظة المضبوطة تقتضي مقارنة كل القرائن التي تكشف عنها قبائل اتحادية تكنة على امتداد وادي نون وباني الغربية والساقية الحمراء.

تنقسم هذه الاتحادية إلى لف أيت عثمان شرقا ثم لف أيت الجمل الممتد غرباً على طول الشريط الساحلي من أيت باعمران شمالا إلى ما وراء الشبيكة جنوباً مروراً برأس الطارف والأدكن والحميديات وشبكة الأودية النابعة من سلسلة جبل زيني. ومن المعلوم أن تسمية أيت الجمل إنما تنبثق من مراقبة هذا الشريط الذي يسيطر عليه الترحال الرعوي بفعل العوامل المناخية والجيومرفلوجية. أما تسمية أيت عثمان فتشمل كل ما عدا هذا الشريط من أراض رعوية وفلاحية ومداشر (13 مدشراً لأيت الجمل و53 لأيت عثمان). وترتبط بالجد الاسمي عثمان بن مندي خليفة عبدالله بن ياسين على نول لمطة عاصمة المنطقة والأطلس الصغير حتى القرن السابع (13 م). هذا التفاوت في المساحات المراقبة يتجلى بوضوح أكبر إذا علمنا أن لف أيت الجمل يمثل أربع قبائل هي أيت لحسن وإزرگيين ثم أيت موسى أُعلي فأولاد بوعيطة، بينما يمثل أيت عثمان ثمانية قبائل تنقسم إلى أربع مجموعات فرعية هي أيت بلة وأيت الخمس وأيت النص وأيت أُسا.

يبتدئ تراب أيت عثمان غربا بمجموعة أيت بلة المجاورة للف أيت الجمل. وتنتهي هذه المجموعة بتراب أيت الخمس شرقا التي تنتهي بدورها بتراب أيت النص لنصل بعد ذلك مباشرة إلى تراب أيت أُسا.

أيت أُسا : من المعلوم أن هذه القبيلة اعتادت ارتياد مراعي تنفوشي وإيگيدي والحنك شرقا، أما جنوبا فهي ترتاد گلتة زمور ورأسي الشبيكة وطرفاية على الساحل الأطلسي. ويبدو جلياً أن قوة أيت أُسا وقدرتهم على التسلط على قبائل سلسلة جبل باني من امريبط وغيرهم هي التي أهلتها منذ أزيد من ستة قرون لمراقبة حمادة وادي درعة والطريق الرابطة بين عواصم وادي نون وتندوف عبر خنيك بولجير وخنيك أكحل بسلسلة واركزيز. كما أن هذه القبيلة اعتادت ارتياد البطانة حيث تتقاسم أفراوإيدار وزيني مع قبيلة يگوت التي انتهت بدخول لف أيت عثمان بعد أن غادرت لف أيت الجمل. وبذلك نجد تراب أيت أُسا تحد شمالا بباني وگير بينما تحدها شرقاً واحة تيكوراين ومعدري افتاس وتفتايس، وغربا لف أيت الجمل وتراب أيت النص. أما قبيلة يگوت فإنها تؤكد بانتماتها إلى أيث عثمان مدى قدرة هذا اللف على مراقبة الطرق التجارية والمحاور الرعوية بعيداً عن مجاله الفلاحي.

أيت النص : في إطار هذه المزاوجة بين المنظور المجالي ونظام التحالفات تستجيب مجموعة أيت النص المجاورة غرباً لأيت أُسا لمتطلبات التكامل الاقتصادي والسياسي. فقبيلة أيت براهيم المركزية بهذه المجموعة تشتمل خلال العشرينات من هذا القرن بمعزل عن حراطينها على ستمائة عائلة (La chapelle, *Les Tekna*, 97) ويمكن لأية دراسة متأنية حول هذه القبيلة أن تبرز التقابل بين التقسيم الترابي القديم والبنية الاجتماعية. ذلك أن أولوية التقسيم الترابي بالنسبة للعلاقات القرابية تتجلى بوضوح في الارتباط بالساقية والمداشر. بل إن تشكل مجموعة أيت النص حول أيت براهيم يعد مرهونا بالروابط القروية بين هذه المداشر الستة عشروأمها تاغجيجت (انظر أيت *براهيم*). ومعلوم أن تراب أيت النص تصل إلى أحواز أسا ودرعة المجاورة حيث يعد أيت براهيم من أشباه الرحل صغار النجعات. غير أنه ينبغي ألا نتناسى أن ارتباط أيت براهيم الشديد بلفها يعود أيضا إلى ذلك الجد الاسمي الذي يربطها بعثمان بن مندى. وهو مبدأ ينتعش إلى حد بعيد من العلاقة المتميزة التي تربط هذه القبيلة بأيت بلّة المرتكز المحوري لأيت عثمان.

أيت الخمس : أما اذا انتقلنا إلى قبيلة أيت احماد جارة مجموعة أيت النص فنجدها لا تكتفي بتصدر مجموعة أيت الخمس، بل تتمتع بسمعة حربية تجعل منها قوة متميزة بقدرتها على حرية القرار بمعزل عن أي طرف كان. وفي موقعها بين أيت بلة غربا وأيت النص شرقا تقدر هذه القبيلة حسب نفس المصدر بـ450 عائلة (*Les Tekna*, 97) تقيم بأوتلت وتوتلين وفصك وتاوريرت. وعليه فإن مميزاتها الآنفة الذكر وموقعها تؤكد جميعا دور المجال في إدماج المجموعات المتباينة أو المتكاملة وتكييفها مع مقتضيات الجوار، فإذا كانت الأودية المستعملة في تربية المواشي والأراضي البورية والمسقية هي الطاغية من حيث المساحة فقد استند النشاط الفلاحي ـ الرعوي إلى تبادل المنافع. وبذلك نرى أنه سواء تعلق الأمر بخطر الاستبداد الداخلي أم في إطار التصدي لعدوان جماعة مجاورة فإن تحالف هذه المجموعات في اطار أيت عثمان يفترض أن تعبئتها تتم على سلم النسق المحلي. هذا النسق يقتضي أن كل مجموعة تعد تجسيدا مجالياً لما تمخض عنه التجانس والصراعات من تحولات. كما أن كل مجموعة تعد في حد ذاتها تغييراً فعلياً عن تحقق الميكانزمات الواقية لمجموعة من صغريات الوحدات القبلية الملتفة حول قبيلة محورية.

من هنا فمجموعة أيت بلة التي تتصدرها قبيلة ازوافيط تتحدد أمامنا كبنية مجالية محشورة بين مجموعات أيت عثمان شرقا ولف أيت الجمل غرباً. فما من شك أنها مطالبة أكثر من المجموعات الأخرى بمقاومة عوامل الانشقاق والتفاوت بمجرد ما تظهر بوادرها الأولى. كما أن استمرارها لا يقتضي ركود عناصرها أو بقاءها في وضع ثابت قار، بل يتطلب قدراً معيناً من الدينامية في حدود النسق القائم. هنا يكون من المؤكد أننا باقتصارنا على هذا التعريف المجالي لن نكون قد عالجنا الموضوع من كل جوانبه ولا استوفينا كل مايطرحه من صعوبات وإشكالات.

أهم سؤال نكون قد وصلنا إليه الآن هو ما هي الأسباب التي جعلت تسمية أيت بلة تطغى باستمرار على تسمية أيت عثمان رغم المقدرات الحربية والمساحات الشاسعة والثقل الديمغرافي والسكني لأيت الخمس وأيت النص وأيت أُسا ؟ هل هو الحجم الديمغرافي أم أنه الغطاء النباتي أو الموقع أم أن هناك عوامل أخرى ؟ إذا نحن قارنا بين المنغرافيات الفرنسية لسنوات F.C. de la و P. Marty, 1914 V. Monteil و Chapelle, 1943 اتضح أن الحجم الديمغرافي لأيت بلة يتجاوز أكثر من نصف أيت الجمل مجتمعين. وقد أوضح الإحصاء الشخصي الوارد بآخر هذه المنغرافيات أنه بينما يمثل مجمل لف أيت الجمل 2780 عائلة يمثل لف أيت عثمان 6120 عائلة تحتل من بينها قبيلة أزوافيط دون باقي أيت بلة 1250 عائلة (*Les Tekna*, 6). ولكن هذا الرقم يكاد لا يتجاوز حجم أيت براهيم بينما يقل عن حجم أيت أُسا التي تعد بحق أكبر قبائل تكنة حجما. نزيح بذلك العامل الديمغرافي لمسائلة دور الغطاء النباتي كمميز لأيت بلّة عن باقي أيت عثمان. وهنا أيضا يتضح أن قبيلة أيت أُسا تعد بحق أغنى القبائل التكنية على الاطلاق. فقطيعها من الإبل يتجاوز حجم قطيع أيت لحسن وإزركيين القبيلتين المتخصصتين في هذا المجال. كما أن عدد نخيلها يصل حسب نفس المصدر إلى 30.000 نخلة متجاوزة نخيل كل مجموعات أيت عثمان بينما لا يملك أيت الجمل إلا القليل الأقل. وإذا كان سؤالنا ما يزال مطروحا، فإننا نكون قد استخلصنا منذ الآن أن مجموعات أيت عثمان تتحدد كبنيات مجالية بتراتباتها وبتفاوت مستويات وحداتها أكثر مما تتحدد بتجانسها أو بتكافؤ قبائلها المحورية.

يبقى أن نساءل موقع أيت بلّة عن دوره في تداخل التسميتين الذي يطرح هذه المجموعة كهيكل شمولي ينتظم داخله كل أيت عثمان. إذا كانت كبريات قبائل الرحل بالصحراء الأطلسية جمعاء تؤكد على هذه الحقيقة فذلك على ما يبدو راجع لما يرافق عادة تسمية ايت بلّة من ارتباط بكبريات إمارات الصحراء وحماية لصغريات القبائل. وهو عامل يكشف خلافا لما يراه De la Chapelle عن نزوع قبيلة ازوافيط الدائم إلى التوسع الحربي والسياسي (*Les Tekna*, 58-68-77). فندرك لماذا تعد هذه القبيلة بمثابة مركز الثقل الأساسي لأيت بلّة الملتفين حولها. بل الأوضح من هذا أن تسمية أيت بلة لا تفيد في نظر القبائل الجنوبية إلا الاسم الحقيقي لقبيلة أزوافيط (*Les Tekna*, 63). فنكون قد وصلنا إلى دور الموقع والوظيفة الحربية كعاملين أساسيين في تداخل تسميتي أيت بلّة وأيت عثمان.

وهنا لا بد من أن نتساءل ما إذا كان من الضروري الاكتفاء بهذين العاملين أم أن هناك عوامل خفية يجدر اكتشافها. فينبثق السؤال حول ما إذا كان المنظور الأصح يقتضي التحديد الدقيق والمفصل لمجمل تفرعات أيت بلة ككيان مندمج مع أزوافيط في الهيكل التأسيسي لهذه المجموعة ؟ هذا السؤال يطرح نفسه بإلحاح خاصة إذا علمنا أن القرابة بين هذه التجزئات تجعل منها أبناءً لبلّة المعاصر للقرن الحادي عشر (17 م).

حقا لقد كانت الوحدات القبلية تنتقل خلال هذه الفترة من إطار عام للعلاقات الاجتماعية إلى اعتبارها بنية محددة للكيانات الكمفدرالية، ولكن ظهور بلة وتطوره إلى جد اسمي يبدو نتيجة فعلية لتسيّد عصبية معينة. كما أن احتكار ازوافيط لهذا الشخص كجد أعلى تجعل العلاقة بينهم وبين وحدات المجموعة تسيطر على صعيد البنية برمتها حتى تشمل وظائفها بقية المستويات المتداخلة والمعقدة. فمثلا نسجل بأن نزوع أزوافيط الدائم إلى التوسع على حساب أراضي الجيران الساحليين لم يشمل وحدات أيت بلة التي هي أيت ياسين وأيت مسعود وأولاد بلحويلات وأيت بكو وإذا أ'لكان. هذا المعطى التاريخي الهام يبدو في حد ذاته كقاسم مشترك بين مختلف الفترات مثبتاً الإطار الجوهري المحدد لكيان أيت بلة (م. ناعمي، *أزوافيط، معلمة*، 2 : 367،364) ففي مجتمع يتميز بسيادة الملكية القبلية، يبدو جلياً أن عوامل الدفع إلى احتكار وتقسيم الأراضي المسقية والبورية هي التي أدت إلى تطوير أساليب التوثيق المكتوب من جهة وإلى ارتكاز الكيان الأساسي المتعايش لأيت بلة من جهة أخرى. ذلك أن التقسيم الترابي يعكس البنية الاجتماعية بحيث نجد أن معالم احتلال المكان والاقامة على الأرض تتطابق إلى مدى بعيد مع الحدود التي تجمع أيت بلة ككل متكامل موحد ومتماسك جغرافياً ومتمفصل بين باقي أيت عثمان وأيت الجمل. وبذلك ندرك أن الاقامة والدفاع عن الرقعة المشتركة من حقول وشبكات ري ومراعي وأراضي بورية يمكنها أن تتبلور في نفس الوقت مع تداخل الخطوط النسبية القرابية العريضة. فبحكم حاجات وطاقات أيت ياسين وأيت مسعود وأيت بكو وأولاد بلحويلات وإدا أ'لكان يتحدد مدى التضامن والالتفاف مع أيت احماد أ'علي وأهل حايين وأيت الخنوس وأيت امحند أ'لحسن في إطار يصعب معه معرفة أي هذه الفصائل أكثر انتماء إلى ازوافيط. مما يزكي هذه المقولة أن تماسك الروابط القرابية ما تزال تعمل حاليا على هيئة مشجر لما يسمى هناك بأولاد بلة. كما أن اتحادية تكنة التي تقسم نفسها إلى أصليين ومنتمين ومتحالفين تصنف أيت بلة في إطار الأصليين. وهو ما لاحظته المنغرافيات الفرنسية حيث اعتبر De la Chapelle أزوافيط بمثابة ثلث الأصليين من أيت عثمان (*Les Tekna*, 9). وندرك بذلك لماذا يتشبث أيت ياسين وأيت مسعود وأيت بكو وأولاد بلحويلات وإدا أ'لكان بعثمان بن مندى كجد أسمي يربطهم بباقي أزوافيط. بل الأوفى من ذلك أنهم يرفضون إدماج "الأصليين" من لف أيت الجمل في نفس النسب (*Les Tekna*, 11).

وهنا لا بد أن نشير إلى كون هذه المقولة في حق أيت الجمل تعتبر بغض النظر عن مدى صلاحيتها اعترافا صريحا بتراتب مجتمع يعمد إلى كشف صراعاته. فإذا كان من خصوصيات مجموعة أيت بلة بالنسبة لباقي أيت عثمان منافسة لف أيت الجمل في مراقبة المسالك التجارية، فلأنها ملزمة بحكم موقعها بأن تمثل رأس حربة لفها. وهي حقيقة تعد من أهم الأسباب الداعية إلى احتكاكها المباشر بأيت لحسن وإزرگيين القبيلتين المحوريتين في لف أيت الجمل. ولا شك أن احتكاك هاتين القبيلتين بالمجال الترحالي جعلهما تفقدان استعمال الامازيغية بفعل تداخلهما مع القبائل المعقلية. فلم يعد غريبا والحالة هذه أن يتميز أيت احماد أ'علي الفصيلة الزفاطية الأكثر تصدراً للأحداث والأكثر احتكاكاً بالصحراء المعقلية، بالانتظام المبكر في سلك الناطقين بالحسانية (انظر تراب *البيضان*). من هنا تبدو خطورة التوقف عندما يدعيه أيت عثمان وعلى رأسهم أيت بلة بشأن انحطاط أصل أيت الجمل بانتمائهم إلى لف إگزولن. فهم يقولون على لسان أيت بلة بأن دخول أيت الجمل تحت حمايتهم هو الذي حال دون هؤلاء والبقاء في إطار لفهم الأصلي (*Les Tekna*, 14). غير أن أية نظرة متأنية تكشف عن مطالبة عدد من عائلات أيت لحسن وأيت موسى أ'علي بحقها في إرث نخيل وساقية أسرير وتيغمرت إلى الآن. وإذا كانت تنقلات قبيلة أيت موسى أ'علي من وإلى لف أيت بلّة قد تعددت، فإن مطالبة أيت لحسن تكشف عن طردها التعسفي من ممتلكاتها كعامل حسم نهائي بين اللفين. وهي هزيمة يمكن أن نستشفها أيضا من مطالبة إزرگيين بمدشري ازريويلة واوزرولت. فنحن على ما يتضح أمام تعبير عن إيديلوجية التمايز المجالي والسياسي بين لفين لا يعترف أضعفهما

صراحة بعلاقاته المحددة مع جيرانه، وهو بالفعل ما يدعو إلى إلغاء مفهوم «الديمقراطية القبلية» التي لا تخدم الا رؤساء القبائل والأحلاف دون غيرهم.

إن إبراز هذا الجانب التاريخي من علاقة اللفين يطرح بوضوح دور أيت بلة كإطار عام مجاور لأيت الجمل تتجسد من خلاله حدة الصراعات على تناقضاتها. فمن حيث هي كنسق مرجعي ترتبط بها مجموعات أيت عثمان كدعامة لوحدتها، تبرز مجموعة أيت بلة على صعيد الفوارق بين اللفين لتنتظم بها المقاييس ومقومات الهوية الجماعية واستمراريتها. تتجلى الأهمية الحقيقية لهذه المجموعة من خلال استقرارها بمداشر وعرون وزريويلة واوزرولت ودوبيان وأيت مَحند وأيت بكو وتالمكيست وسركس وبامهات القرى أسرير وتيغمرت المجسدتين لبقايا نول لمطة. لاشك أن الأهمية الاستراتيجية لهذه الأراضي الفلاحية المتميزة تجعل من أهلها مراقبي أهم المواسم وما يصلها من قوافل.

من هنا وبالنظر إلى تطورهذه المجموعة ككيان مركزي متصدر لإمكانات مجالية تنهض بمهام التنسيق بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، فإنه لا بد من مسائلة علاقتها بمحيطها القريب والبعيد. وسيكون أولى بنا آنذاك أن نتحدث عن أقرب الأزمات إلينا وأكثرها رسوخا في الذاكرة الشفوية والمقروءة. معلوم أن التماسك البنيوي بين لفي تكنة قد عرف خلال العشرينات بعض التفكك بفعل التغلغل الاستعماري المتزايد. وكان التعارض الانقسامي قد تجاوز مستوى الاتحادية ليشمل مجمل المحاور الشرقية في صراعها ضد الساحلية. وهكذا تبلور محور المدني الاخصاصي ـ أيت بلة ـ الرگيبات ضد محورأهل تزنيت ـ أيت الجمل ـ أولاد دليم. انطلاقا من هذا المنطق قام بعض أزوافيط خلال المگار سيدي بوعبداللي بتراب قبيلة أيت بُريم قرب تزنيت سنة 1928 بحث تجار قبيلة أيت ياسين على المشاركة في العمليات الحربية ضد أيت الجمل بحكم انتمائهم إلى أيت بلة. فما كان من التجار إلا أن طلبوا المهلة الكافية لإيصال حمولة قافلتهم إلى مقرهم بأفركط وأسرير حيث يصل عدد عائلاتهم يومها إلى أربعمائة (*Les Tekna*, 97). ولكن تصلب أزوافيط انتهى بمعركة مات فيها ثلاثة أفراد من كل طرف وفقدت أيت ياسين قافلتها المكونة من ستين جملاً من المواد الغذائية والأثواب وغيرها. وبذلك تجلى النسق القبلي لأيت بلّة على هيئة بنية مبتورة خاصة وأن موقف أيت ياسين أصبح يقتضي منهم التحالف مع لف أيت الجمل. على أن الأهم هو رفض أيت الجمل لأيت ياسين بدعوى مقدراتها الحربية الكفيلة بصد أزوافيط. هذا المبرر الذي يُبقي على أولوية التضامن بين قبيلتي أيت بلة رغم أن ديناميات اللامساواة بين اللفين يعد في حد ذاته معطى أساسيا. فاعتباراً لرغبة لف أيت الجمل وسيدته أيت لحسن في التغلب على أيت بلة لا يمكن تفسير هذا الموقف إلا من باب استحالة التطابق مع أيت ياسين على حساب أزوافيط. هذا التفسير يمكن أن يتأكد بصورة أكبر خاصة إذا علمنا بتوفق أيت أُسا في مساعيها السلمية بين الطرفين المتنازعين. فقد فقدت آليات التعارض بين الطرفين من مصداقيتها إذ لم تشمل وظائفها بقية المستويات الأخرى. هذا ما يمكن أن نتأكد منه إذا تمعنا جيدا في الكيفية التي انبثق عنها الخلاف. فحرمة المجال الترابي قد ظلت مقدسة بقدر ما سمحت بذلك المسافة الفاصلة بين فهم الطرفين لمعنى الحقوق والواجبات. وهو دليل على أن الاختلاف والتباين بين تجزئات أيت بلة لا يكتسي طابع التعارض أو تقابل المصالح الأساسية حتى في أحلك اللحظات. إن هذه التجزئات تتضمن مستويات متفاوتة، منها ما يقرب الشقة، ومنها ما يضفي على تقابلها صبغة تقاطب حاد. وإذا كانت العلاقات السلطوية تعد من مسببات التعارض، فإن البنية الانقسامية تتمكن في نهاية المطاف من استيعابها.

م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة، تاريخ العلاقات التجارية والسياسية*، الرباط، 1988 ؛ مواد : *إزرگيين، أزوافيط، أيت أسا، أيت اعزى ويهدي، أسرير بعلمة المغرب*، 21 ؛ م. سالم ولد عبدالحي، *جوامع المهمات في أمور الرگيبات*، ت. م. مصطفى ناعمي، 1991.

M. Marty, *Les Tekna du Oued Noun* in *Les Tribus de la Haute Mauritanie*, Publications du comité de l'Afrique Occidentale Française, 1915 ; F. C. De la Chapelle, *Esquisse d'une histoire du Sahara occidentale*, Etudes, notes et documents sur le sahara occidental, VIIe congrés de l'IHEM, hesp, XI, 35-96, Rabat-Paris, 1930 ; *Les Tekna du S. O. Marocain, étude géographique historique et sociologique*, A. F., 1934, p. 109 ; Cl. Justinard, *Archives Marocaines*, vol XXIX, Paris Champion, 1933 ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna*, IHEM, notes et documents, III, Paris, 1948, p. 59.

مصطفى ناعمي

بَلّة (سيدي ـ)، عبدالله ابن عزوز المراكشي، العباسي نسباً، السوسي أصلا، ويكتب أيضاً «بَلّ» و«بَلاّ» وهو غير ابن عزوز الرحماني دفين بن گرير، وغير محمد ابن عزوز الرباطي المراكشي وزير الحسن الأول خلال مدة خلافته بمراكش (*الإعلام*، 6 : 149).

لم تذكر المصادر تاريخ ميلاده ولم يبق اليوم من عَقِبِه بمراكش سوى سيدة. ومن أشهر شيوخه أحمد بن محمد الحبيب بن صالح اللمطي البكري الغيلالي المولود سنة 1629/1039 والمتوفى سنة 1751/1165، وكان صالحاً شهيراً قارئاً من الدرجة الأولى، عارفاً بعلوم الحديث والعقائد. أخذ عنه سيدي بلّة الطريقة الشاذلية، ولازمه مدة طويلة، وذكر في *أجوبته النورانية* العلوم التي تلقاها عنه (*السعادة الأبدية*، 1 : 96.95). ويتصل سند اللمطي في الطريقة بعبدالسلام بن الطيب القادري، عن قاسم الخصاصي.

لم تذكر المصادر شيوخا آخرين في العلم لسيدي بلة، ومع ذلك أجمعت على أنه كان مفتوحا عليه في علمي الظاهر والباطن حتى كاد أن يعد من المجتهدين، ورأس الأئمة المعتبرين (*السعادة*، 93).

كان من أزهد الناس في وقته وأخشاهم لله متقشفا في دنياه، لا يأكل إلا من كسب يديه، وحرفته في ذلك صناعة

النعال الصغار، وككل الصوفية نسبت له كرامات ظهرت على يديه. إلا أن هناك من وصفه بالزندقة ورفض القواعد الشرعية وإبطال الصلاة (*السوسة*، 2 : 59). وينسب لمحمد الحضيكي كتاب في الرد عليه وعلى طائفته الضالة التي كانت تنزل بجبل گيليز، ذكره المختارالسوسي (*سوس العالمة*، 193). وقال إنه رآه يباع في (دلالة) الكتب بمراكش (*خلال جزولة*، 4 : 193) وذكره ابن سودة كذلك إلا أنه لم يشر إلى موضوعه (*دليل*، 2 : 446).

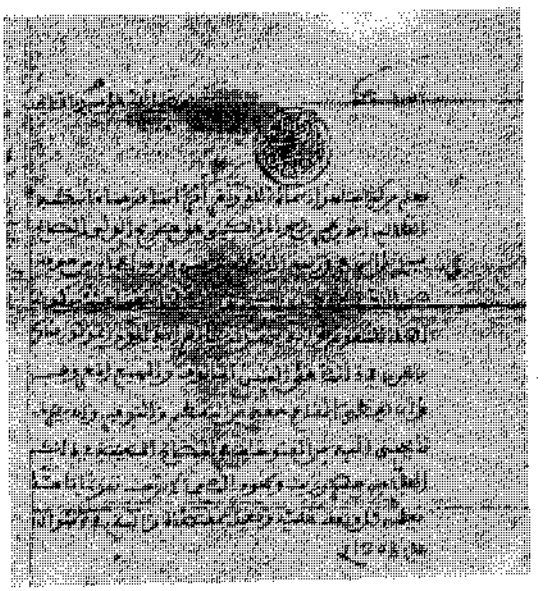

ظهير حسني بتقديم على ضريح سيدي بلّة ابن عزوز بمراكش

وقد سبقت الإشارة إلى الالتباس الحاصل حول هذه الشخصية من وجود ابن عزوز الرحماني، وابن عزوز الرباطي، لذلك يصعب الحسم في هذا الموضوع بهذه السهولة.

وعلى العكس من ذلك فإن أغلب المصادر تشير إلى مكانته الاجتماعية والعلمية : فقد أصلح بين السلطان سيدي محمد بن عبدالله والعالم الفقيه التاودي بن سودة بعد الجفوة الواقعة بينهما بسبب رفض هذا الأخير توقيع حقوق الديوانة التي فرضها السلطان (*السعادة*، 1 : 9593 ؛ *الحياة الأدبية*، 317).

عظمت مكانة سيدي بلة عند الشيخ التاودي بعد ذلك وصار يثني عليه، وجعل فيه تقييداً قال ابن المؤقت (أخبرني به من كان تحت يده) (*السعادة*، 1 : 95). وحظي بمكانة علمية محترمة فلقب (بحكيم الإسلام، ورأس الأئمة المعتبرين، وأحد الأفراد بالحضرة المراكشية). وكان يهتم، إلى جانب التصوف، بالطب والتنجيم وأسرار الحروف، تشهد على ذلك مؤلفاته التي بلغ عددها ستة عشر هي :

أ ـ في أسرار الحروف والأوفاق :

1 ـ *إثمد البصائر في معرفة أحكام الظاهر*، توجد منه نسخة خ.ع، 1559 ك ونسخ في خ. ح. 6891. 7686. 1081.

2 ـ *الأمر الوافي والترتيب الكافي في السر الخافي*، مخطوط خ. ح. 758. 1678. 9023 وخزانة ابن يوسف بمراكش 340.

3 ـ *الأنوار في سر الاختصار*، مخطوط خ. ح. 31.

4 ـ *بحر الوقوف على سر الحروف*، ذكر في *السعادة*، 1 : 96، وفي *الإعلام*، 8 : 318.

5 ـ *الفصول في حل المعقود وعقد المحلول*، مخطوط خ. ح 4576.

6 ـ *لباب الحكمة في علم الحروف وعلم الأسماء الإلهية*، مخطوط خ. ع 269. 1752. خ. ح. 1081 و1514.

ب ـ في التصوف :

7 ـ *الأجوبة النورانية*، مخطوط خ. ح. 1139.

8 ـ *تنبيه التلميذ المحتاج في الجمع بين الشريعة والحقيقة*، مخطوط، خ. ع. 2635 ك و2010 ك ؛ خ. ح. 3212 و7741.

9 ـ *رسالة الصوفي للصوفي في التعرف بالاسم الأعظم المفرد الجامع الكافي*، مخطوط خ. ع. 2454 د، و478 ك، وخ. ح. 31 و5887 و7711.

10 ـ *قصيدة في التصوف*، مخطوط خ. ح. 6844.

ج ـ في الطب والحكمة :

11 ـ *ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة*، مخطوط خ. ع 173 د، 1133 د ؛ خ. ح. 314. 5774. 5799. 5880. 887. 11.

12 ـ *كشف الرموز في العقاقير والأدوية*، مخطوط خ. ع 1551 د ضمن نفس المجموع.

د ـ في الفقه وأصوله :

13 ـ *الأسئلة والأجوبة*، ذُكر في *السعادة*، 1 : 96، وفي *الإعلام*، 8 : 318.

هـ ـ في البدع :

14 ـ *التذكرة السانية في بدع الدنيا العانية*، مخطوط، خ. ح. 3429.

و ـ في الفهارس والبرامج :

15 ـ *المختصر الأزهر في فضل العلم والعمل*، مخطوط خ. ح. 6891. 7686.

وهي مؤلفات تبين مكانة المترجم له العلمية، ولا يسمح المجال بالحديث عنها بتفصيل. وكانت وفاة سيدي بلة بمراكش سنة 1789/1204، وهذا التاريخ يطابق ما جاء في آخر مؤلفاته، ووفاة معاصره التاودي ابن سودة. خلاف ما جاء ـ خطأ ـ عندابن المؤقت في *السعادة*، وگنون في *النبوغ* من أنه توفي سنة 1295 هـ. ودفن في داره بدرب الحمام من حومة باب أيلان.

م. ابن المؤقت، *السعادة* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ ع. گنون، *النبوغ* ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة* ؛ *خلال جزولة* ؛ ع. ابن سودة، *دليل* ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية* ؛ ع. بنعبدالله، *الموسوعة*.

حسن جلاب

بلحاج ـ أسرة فاسية ـ ← ابن الحاج السلمي

بلحاج، أحمد الحسين، ولد سنة 1919 بأيت عبلا أيت باعمران سيدي إفني. كان معروفا بغيرته الوطنية، الشيء الذي دفعه إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير سنة 1957، ورغم قصر المدة التي قضاها بين صفوفه أظهر شجاعة نادرة إلى أن استشهد في نفس السنة التي التحق فيها بصفوف جش التحرير في معركة تاموشة.

بلحاج، محمد الريفي، ولد سنة 1923 بدوار يوزيكي بورد أجدير دائرة أكنول إقليم تازا. التحق بصفوف جيش التحرير عند انطلاقته الأولى بالشمال في أكتوبر 1955. ورغم قصر فترة كفاحه بصفوف جيش التحرير فإنه أبان عن وطنية كبيرة وإيمان قوي وشجاعة نادرة. وقد استشهد بمعركة تمصرانت في الرابع أو الخامس من شهر أكتوبر 1955.

بلحاج، مسعود بن البشير، ولد سنة 1905 ببني خيران إقليم خريبكة، ونشأ في أحضان أسرة متواضعة. وعند اشتداد الأزمة المغربية ونفي محمد الخامس تحمس للعمل الوطني والكفاح المسلح فشارك مشاركة فعالة في المظاهرة الشعبية التي نظمت بوادي زم يوم 20 غشت 1955

فسقط شهيداً في ساحة الشرف بعد أن أصابته القوات الاستعمارية بطلقات نارية.

وثائق المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير : كتاب الشهداء، ج 1 و3.

عزالدين العلام

بلحسن، وتكتب أيضاً ابن لحسن أو ابن الأحسن، أسرة سلوية عريقة، لا يعرف تاريخ مجيئها إلى هذه المدينة وربما كان ذلك في القرن الحادي عشر (17 م)، كما لا يعرف إن كان لهم علاقة بمن يحملون نفس الاسم في مدينة مراكش وغيرها. وقد ذكرت المصادر والوثائق المكتوبة عدداً من آل بلحسن السلويين بالعلم والأدب، أو التجارة والجهاد البحري.

بلحسن، أحمد بن إبراهيم الضرير الملقب بنجم الدين. ولد بمراكش عام 1894/1312 بحي حارة الصورة. إذ نزح والده من بلاد مسفيوة إلى مدينة مراكش، واشتغل بالفلاحة في بعض بساتين المدينة وكان يأخذه معه ليساعده في أعماله الفلاحية، لكن سرعان ما أصيب الطفل بمرض العينين أدى به إلى فقد نور البصر، ولما أحسّ والده بما يعانيه ابنه من الفراغ، أحاله على صهره السيد محمد (فتحاً) الجامعي الذي كان مدرراً بكتاب الحي، فاعتنى به، وسهر على تحفيظه القرآن الكريم في مدة وجيزة مع بعض المتون، ثم التحق أحمد بالجامعة اليوسفية فأخذ عن شيوخها أمثال : شيخ الجماعة الحاج العربي الرحماني، والفقيه الصوفي أحمد ولد الحاج المحجوب، وبلحسن الدباغ، وبوشعيب الشاوي، وابن كبور. وأجازه بعضهم.

ولما تأسس النظام بجامعة ابن يوسف كان المترجم من الأساتذة الأوائل الذين التحقوا بالتدريس فيها بعد اجتيازمباراة. وتدرج في أسلاك التعليم الثانوي إلى أن أصبح أستاذا بالقسم النهائي. وطوال المدة التي قضاها في التعليم كان محط إعجاب الطلاب والأساتذة. لحسن أدائه، وقدرته على امتلاك طلابه، ورواد مجالسه في الدروس الوعظية التي كان يلقيها بمسجد أبي العباس السبتي حيث كان يسكن بالزاوية العباسية.

إلى جانب هذا كان يتصف بالجود ، وعلى رأس المستفيدين من كرمه طلبة العلم، يوثرهم على أبنائه ليخفف عنهم وطأة العوز والغربة، فيطعم الجائع، ويكسو العاري، ويأخذ بيد المحتاج.

لقد وهبه الله لسانا ذاكراً، وقلبا خاشعاً، مع مسحة صوفية في جميع تصرفاته. ألف رسالة سمّاها : *مبرة الصلح والإلمام، بين الإخوان وذوي الأرحام*، وله *نظم صوفي* في الاستغفار والتوسل، و*نظم تعليمي* ضاع كله.

توفي رحمه الله في 27 صفر 1955/1375.

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط ؛ *روايات شفوية*.

أحمد متفكر

بلحسن، حجي (الحاج.) من بين كبار تجار سلا الذين جمعهم خليفة العامل أحمد الطالبي بأمر من السلطان عبد العزيز، مع أمين المستفاد محمد بن الحاج قاسم جسوس والتجار اليهود بأساقفتهم وأعيانهم ليسترعي عليهم بأن من خاطر منهم بمتاعه وأعطاه لأحد ممن له يد تصرف بالقبض والدفع من الولاة وموظفي المخزن فقد عرض ماله للتلف، كما سبق أن وقع تحذيرهم من طرف الحسن الأول ومحمد بن عبد الرحمان لأن جميع ما بيد أولئك الولاة هو لبيت المال.

وقد وقع الإشهاد على حجي بلحسن ومن معه من التجار في 3 شعبان عام 1318 / 26 نونبر 1900.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، 2 : 257. 259.

بلحسن، عبد الغني، لعله ابن الأديب محمد بن الحاج عبد الغني آتي الترجمة. كان عبد الغني من رجال الطبجية الواقفين على باب الجهاد بحروسة سلا، ونال بهذه الصفة حظه من الصلة التي خصصها الحسن الأول للمجاهدين في 16 قعدة 1292 / 14 دجنبر 1875.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، الوثيقة 84.

بلحسن، عبد الله بن أحمد، كان كسابقه بحرياً في فرقة الطبجية. أدرج اسمه بهذه الصفة في لائحة المستحقين

للصلة التي خص بها الحسن الأول المجاهدين السلويين في 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875.

بلحسن، محمد بن الحاج **بناصر** من قادة رجال المدفعية الطبجيين الواقفين على باب الجهاد بمحروسة سلا، ولذلك كان من المستحقين للصلتين الحسنيتين، الأولى في 16 قعدة 1292 / 14 دجنبر 1875، والثانية في 28 حجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894.

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، وثيقة 84 ووثيقة 170.

بلحسن، محمد بن **عبد العزيز** فقيه ناسك، من بين الفقهاء والأئمة والأعيان الذين قدموا للسلطان عام 1294 مطالب تهم مدينة سلا، ومطالب شخصية. وقد طلب محمد بلحسن "أن يجود عليه بظهير شريف يتضمن توقيره واحترامه وعدم مطالبته بالوظائف المخزنية".

م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، 2 : 164 ـ 165.

بلحسن، محمد بن الحاج **عبد الغني**، واسطة عقد هذه الأسرة، وعالمها الأديب الشاعر الناثر. ولاعتدال مزاجه ورقة طبعه كان ينظم القصائد بالفصحى وباللسان الدارج الملحون ويجيد في كل ذلك. كما كان يتميز بروح إسلامية ومزيد محبة في الشرفاء والصالحين، وبروح وطنية تجلعه يهتم بأمور قومه وبلديه، يتألم لآلامهم ونكباتهم ويسجل بطولتهم ومآثرهم. وعلى الرغم من ضياع أكثر شعره، فإن ما بقي منه مبعثراً في بعض كتب السلاويين وكنانيشهم العلمية يدل على علو كعبه في هذا المضمار.

ومن قصائده الباقية بائية في مدح آل البيت يقول في مطلعها :

من غرة الغرب نجمُ السعد لم يغب
ودار سلمى على الدوام في طرب

وأخرى في مدح الجد أحمد حجي مكتوبة في لوح كبير بخط جميل وألوان زاهية معلق بالضريح امحت بعض كلماته غير أن المؤرخ السلوي محمد بن علي الدكالي نقل نصها كاملا في كتابه *السفينة المنجية بأخبار أهل الزاوية الحجية*.

ومن قصائد الملحون الباقية للمترجم *الجهادية* وهي طويلة وصف فيها هجوم الأسطول الفرنسي على سلا عام 1268 / 1851 مبرزاً دور المجاهدين السلويين في التصدي للأسطول المهاجم، منها :

حافت له الرجال التياكْ اغْـزاوْ فيه بالطعن الباترْ
هَـدُّوهْ بحربْ شديـدْ بعدْ جـانـا بشقوف النارْ

توفي محمد بلحسن بمسقط رأسه سلا في ثاني قعدة عام 1273 / 24 يونيه 1857.

م. ابن علي الدكالي، *الاتحاف*، 30، والهامش 13 ؛ *السفينة المنجية*، مخطوط ؛ أ. الصبيحي، *الروض*، مخطوط، 100.

محمد حجي

بَلْحَسَن، محمد بن محمد الدباغ شيخ الجماعة بمراكش وأحد كبار العلماء الذين جمعوا بين العقل والنقل.

ولد بمراكش في السبعينات من القرن الماضي، ونشأ بها وحفظ القرآن وهو صبي على يد الفقيه ابن علال الذي تتلمذ عليه العديد من أبناء أعيان البلد كأولاد بوعشرين وغيرهم. درس علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة ولغة وأدب وتفسير وحديث على الفقيه الهواري، كما كان يحضر دروس العلامة الحاج العربي الرحماني بجامع المنصوري بحي القصبة إلى جانب أبناء السلطان المولى الحسن الأول، وأنهى تعليمه في القاهرة بجامع الأزهر حيث درس المنطق وعلم الكلام والأصول والفلسفة، وأجازه عدد من علماء الجامعة المصرية. وكان قد وصل إلى مصر عام 1909 م برفقه أحد أعيان البلد إبراهيم ابن عثمان، بعد أن تم الاختيار عليه لفكره الثاقب وذكائه الراجح. وبعد ثلاث سنوات عاد الفقيه بلحسن متضلعا في المعقولات يكاد ينفرد بالتخصص فيها في ذلك الوقت.

وقد مارس حرفة الدباغة في صغره بحكم أن أباه كان أمينا لهذه الحرفة، ثم احترف الحدادة قبل أن يوظف بوزارة الأحباس ثم كاتبا عند الباشا.

ولما حل بمراكش السيد الجاي أول وزير للأوقاف بعد عقد الحماية رفقة السلطان المولى يوسف الذي عزم على إقامة عرس بناته بهذه المدينة، طلب الوزير من الباشا الأگلاوي أن يبحث له عن أستاذ كفء لتعليم أبنائه فاختار الباشا الفقيه محمد بلحسن للقيام بهذه المهمة. ثم انتدبه الأگلاوي لتعليم ابنيه المهدي وإبراهيم. ولما أرسلهما الباشا إلى فرنسا للدراسة سنة 1924 اختار لرفقتهما الفقيه بلحسن الدباغ فبقي هناك إلى حدود عام 1933.

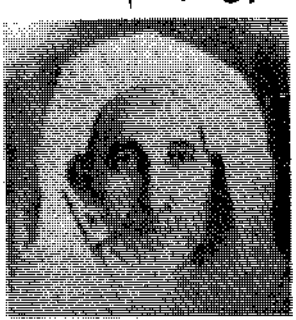

مكنت هذه الرحلة الفقيه بلحسن من القيام بأنشطة عديدة والتعرف على عدد من المستشرقين والعلماء مشارقة ومغاربة. وقد كان التدريس بمسجد باريز أهم هذه الأنشطة حيث تحلق حوله عدد من الطلبة المغاربة أمثال أحمد بلافريج ومحمد الفاسي. وتمخضت هذه الدروس والحلقات عن إنشاء رابطة للطلبة المغاربة يرأسها الفقيه بلحسن، هذه الرابطة التي كانت نواة لمنظمة طلبة شمال افريقية التي ما تزال قائمة إلى اليوم. وقد أنشئت هذه الرابطة لدحض الأفكار التبشيرية التي كانت تنشرها آنذاك ثلة من المسيحيين في أوساط الطلاب المغاربة المسلمين. وما يزال حفدة الشيخ يحتفظون برسالة المنتصر ابن عبدالجليل إلى أستاذه بلحسن الدباغ يخبره فيه بتخليه عن دين الاسلام واعتناقه ديانة المسيح ابن مريم. ومن الذين اجتمع بهم

بلحسن في باريز الدكتور فرج والأمير شكيب أرسلان والسلطان المولى عبدالحفيظ وعدد من المستشرقين أمثال ماسينيون ودرمنغيم وآخرين.

ومما طبع رحلته من الأحداث عقدُه قران الأغاخان الزعيم الروحي لفرقة الاسماعيلية مع الأنسة كارون Carron من مدينة إيكس ليبان في بداية شهر دجنبر 1929 م. وقد حضر الزفاف الرئيس دوميرگ وعدد من سامي الشخصيات الفرنسية، كما حضره الاستاذ محمد الفاسي للقيام بمهمة الترجمة. ومما يتميز به هذا الحدث هو أن الفقيه بلحسن لما سأل قبل عقد القران عن ولي الآنسة كارون قيل له إنه لا وليّ لها، فرفض كَتابة العقد باعتبار أن الولاية شرط صحة في المذهب المالكي الذي يلتزم به الشيخ. وبعد نقاش طويل اقترح محمد الفاسي هو أن يكون وليّ الآنسة الفرنسية فقبل الاقتراح وتم الزواج على الطريقة الإسلامية كما أراد الآغاخان، وفي إطار المذهب المالكي كما أراد الفقيه العدل بلحسن الدباغ.

ولما عاد الشيخ إلى المغرب في مطلع سنة 1933 استأنف دروسه بمختلف المساجد والزوايا بمدينة مراكش وأخذ يتحلق حوله عدد من التلاميذ أصبح معظمهم من العلماء الأعلام أمثال ابن عبدالقادر مسّو، وعبدالجليل بلقزيز، والمختارالسوسي، وأحمد بنفضيل، والخليل الورزازي، والحسن ابن الصديق، وأحمد أكنسوس، ومحمد بنبين، والصديق العلوي وآخرين.

وفي سنة 1937 رفض الفقيه بلحسن مع عدد من علماء مراكش التوقيع على وثيقة هيأها الاستعمار بواسطة السلطات المحلية تتهم زعماء الحركة الوطنية بالإلحاد والكفر. فحكم عليه بثلاثة أشهر سجنا ونقلوا إلى حبس تارودانت. وكان من بين المحكوم عليهم عبدالله إبراهيم وعبدالقادر حسن وأحمد الملاخ وعمر الحركاني وعبدالقادر المسفيوي، وأحمد بنفضيل، وابن عبدالرزاق وابن المختار وآخرون.

وفي سنة 1939 دخل النظام الجامعة اليوسفية، وكان بلحسن من بين العلماء الذين رفضوا الدخول فيه، واستمر في التدريس الحر بمختلف المساجد بحيث كان الطلبة الذين يتحلقون حوله أكثر عدداً من طلبة ابن يوسف، الشيء الذي جعل رئيس الجامعة آنذاك الفقيه محمد ابن عثمان يطلب من الشيخ بواسطة الباشا الأگلاوي أن يلتحق بالجامعة ليجمع الشمل وتعم الفائدة، ولم يستجب بلحسن إلا في عام 1943 حين أصبح النظام يشمل السلك النهائي بابن يوسف.

هكذا استمر محمد بلحسن يدرس في جامعة ابن يوسف إلى أن وافته المنية في شهر يناير 1952 فكانت جنازته مشهودة، حضرها عامة المراكشيين وخاصتهم، ورثاه عدد من الشعراء، منهم تلميذه الصديق العلوي ببائية مطلعها :

أيها الشيخ ضاع فيك الشبابُ ... وبكتْكَ العلومُ والآدابُ

معلومات شفوية من تلاميذ المترجم ؛ وتقاييد خاصة بمراكش ؛ أ. متفكر، ذيل الإعلام، مخطوط. أحمد شوقي بنبين

بلحسني ـ أسرة ـ ← ابن الحسني

بَلْحْويلات (أولاد ـ)، يتوسط مدشر وعرون حيث يقيم القارون من أولاد بلحويلات أهم منطقة فلاحية وتجارية بحوض وادي نون. هذه الأهمية الاستراتيجية للموقع تجعل منه نقطة مركزية لرصد المبادلات السلعية والتحركات البشرية من وإلى الصحراء من جهة ومن مراقبين مقتدرين من ذوي الكفاءة السياسية والحربية الأكيدة. يعتبر هذا المدشر أقرب ما يكون لأهم الأسواق الأسبوعية والموسمية القديمة والحديثة. وهي دلالة واضحة على كفاءة أولاد بلحويلات تأخذه مغزاها العميق خاصة إذا علمنا أن الرواية المحلية تنسبهم إلى الغور السكاني اللمطي الجزولي الأقدم. فعلاوة على الحراطين المحليين الذي تنسبهم الروايات وتربطهم كل الدلائل بأبعد الفترات القديمة، نجد أولا بلحويلات يتقاسمون هذا المدشر مع أيت احماد أ'علي، أهم فصيلة في قبيلة أزوافيط.

عن هذا الجوار وارتباط أولاد بلحويلات باتحادية تكنة، فإن المتصفح لعقود جماعات أيت أربعين التي يعود بعضها إلى أزيد من قرنين، يسجل انتماءهم الدائم إلى لف أيت بلة. ونسجل كذلك بأن صيغ هذه العقود واللوائح المطولة تجعل من هذا الانتماء تحالفاً دائماً قد يصل في بعض الفترات التاريخية إلى حد الاندماج الفعلي بقبيلة أزوافيط المحورية في هذا اللف. وهي حقيقة تاريخية تضع أولاد بلحويلات في خانة فصائل أيت بكو وأيت ياسين وأيت مسعود التي تنسبها الرواية المحلية إلى أقدم سكان هذا الحوض (*أحرار تكنة*). نستطيع بذلك تلمس خلفيات التحالف الموضوعي من أجل مراقبة المجال الاستراتيجي، خاصة وأن وعرون يطل على الحدود الفاصلة بين مداشر لفي أيت الجمل غربا وأيت بلة شرقا. هذه الخصوصية المميزة لورعون تجعل بنيته الداخلية أكثر عرضة للحساسيات والصراعات التي قد تحدّ من فعالية نظام التحالفات. وهنا لا بد من الاشارة إلى أن الاسم الأسبق لوعرون هو أگاوس الوارد في وثيقة معاهدة مملكة بوطاطا وملك وملكة قشتالة سنة 1499/904 (*معلمة*، 2 : 597). خلال هذه السنة كان محمد بن أحمد المنتمي إلى قبيلة أولاد عمران الهلالية هو شيخ أگاوس. وكانت تجمعه بكل من محمد ميمون شيخ مدينة تگاوست المجاورة وعلي بن اينو شيخ قصبة تسگنان رابطة النسب إلى أولاد عمران والمصاهرة، وقد كانت قصبة أگاوس تحتضن يومها مقر المقيم العام الإسباني على جزر كناريا. كان محمد بن أحمد شيخ أگاوس قد تميز عن سائر شيوخ القبيلة المنتشرين عبر سهول وهضاب أودية نون وافران وتمنارت بمعرفته اللغة الاسبانية مضيفا بذلك إلى حجم علاقته التحالفية مع الإسبان حاميه وحاميي قبيلته.

وكنا قد أشرنا في إحدى الدراسات بأن المنحنى الاسطوغرافي لهذه الوثيقة يميز شيوخ هذه القصبات الثلاث عن باقي شيوخ القبيلة بالاستقرار والمراقبة الفعلية. كما

انتهينا إلى أن الاختلاف بين موقف شيوخ هذه القبيلة وباقي الغور السكاني اللمطي الجزولي من التحالف مع الإسبان كان كبيراً وجوهريا. فالبعد الدلالي يكشف من خلال الاستعراض والمقارنة بين بنود ومراحل المعاهدة عن حدة الصراع بين أولاد عامر والغور السكاني القديم. من هنا فإن هذه المرحلة المضطربة لا تخلو من انعكاسات على بلورة الصيغة اللاحقة لأولاد بلحويلات.

إننا نجهل العوامل التي ساهمت في هيكلة هذه التجزئة القبلية على صيغة «أولاد» بدل «أيت» كما نتساءل ما إذا كانت تسمية وعرون تفيد حقا اسم شخص معين كما تريد ذلك بعض الروايات. لعل أقدم وثيقة ظهرت بها هذه التسمية هي عقد شراء ممتلكات الشيخ يحيى بن احماد الوعروني من طرف أمير إليغ بودميعة سنة 1633/1043 (P. Pascon, *La Maison*, 22) ندرك من هنا أنه ليس من السهل الإحاطة بتاريخ أولاد بلحويلات نظراً للقطيعات المحيطة به. ولما لم يكن لنا من مصادر تاريخية نعتمدها، فإننا نظل ملزمين بالاكتفاء بما يمكن أن تفضي به الرواية الشفوية. وهنا نلاحظ أن ذاكرة أولاد بلحويلات تكتفي بالتأكيد على أن عدم تدوين الأحداث إنما فرضته ندرة الاختلافات مع باقي فصائل القبيلة. وهو استنتاج يزيد من فعاليته الحضور البين لهذه الفصيلة على الواجهة السياسية والعسكرية من حيث هم كنموذج للوحدات الإثنية الجزولية اللمطية المتشبثة بمجالها القروي منذ ما قبل تشكل اتحادية تكنة. لقد كان سيد أولاد بلحويلات خلال الفترة الحاسمة التي عرفت طرد آخر الوحدات المعقلية من وادي نون والساقية الحمراء هو نفسه ولد مريزيگ الذي تزعم كل العمليات الحربية التكنية. وقد جاء طرد فصيلتي امْعَرُفْ واسْنان في المعركة الفاصلة في الموقع حاليا بميگسم ولد مريزيگ. هاتان الفصيلتان كانتا تنتميان إلى اتحادية أولاد دليم التي كانت تشمل علاوة على الدليميين الحاليين أولاد سالم وأولاد المولات.

من هنا يتضح أن الاستنفاع بتراكمات التجربة المحلية يخضع أساسا لإدماج أولاد بلحويلات في باقي الفصائل الزفاطية. فأولاد بلحويلات قد شكلوا دائما كياناً مرتبطاً بالسياق العام للعلاقات المجتمعية للقبيلة كما تشير إلى ذلك أقدم وأحدث الوثائق على حد سواء. وهي حقيقة لا يمكننا أن ننتقل على ضوئها بالقرابة بين أولاد بلحويلات وقبيلتهم من مجرد إطار عام للعلاقات الاجتماعية التحالفية بل إلى اعتبارها بنية محددة لمجموع قبيلة أزوافيط. ذلك أن العلاقات القرابية تعد مهيمنة على صعيد بنية قبلية برمتها تشمل وظائفها بقية المستويات الأخرى مقننة الفاعليات السياسية وغيرها. وهو ما سيسجله الضابط الفرنسي P. Marty سنة 1914 حين نسب فصيلة أولاد بلحويلات إلى قبيلة أزوافيط محدداً عدد عائلاتها في 100 وحدة (*Les Tribus*, 68). إلا أن خلافا مجهل اليوم دقائقه حدث بعد ذلك بسنوات بين أولاد بلحويلات وأيت بليد انتهى بتعميق هوة الخلاف بينهما. وإذا كانت الأساليب التي اعتمدها أزوافيط في التقريب بين المتصارعين لم تأت بنتيجة، فإنهم يعتبرون أيت بليد الطرف المسؤول عن هذا النزاع الذي أضر بمصالح القبيلة. أما فيما يتعلق بمنظور الضباط الفرنسيين لهذا الخلاف فنجده سنة 1934 على لسان F. C. De la Chapelle حين يقول بأن خلافاً كبيراً قد عصف خلال العشرينات بانتماء أولاد بلحويلات إلى لفّ أيت بلة (*Les Tekna*, 93). وهو ما سيؤكده V. Monteil سنة 1948 مسجلا اقتراب أولاد بلحويلات من قبيلة أيت لحسن (*Les Tekna*,, 10-11-14) على أن مميزات أولاد بلحويلات منذ اشتعال الخلاف مع فصائل أيت احماد أُعلي الزفاطيين اقتصرت على التأرجح بين اللفين في إطار لا يسمح بالتشكيك الفعلي في انتمائها أساسا إلى لف أيت بلّة. وهنا لا بد أن نسجل بأن التعارض بين فصائل القبيلة الواحدة لا يكون دائماً مصدره مشاكل وصراعات جوهرية حول قضايا استراتيجية بل كثيراً ما يكون فقط نتيجة نزاع محدود بين شخصين لأسباب واهية. وإذا نحن ركزنا على تطور العلاقات الاندماجية بين أولاد بلحويلات وغيرهم من أزوافيط لم نعثر على أي انعكاس واضح للصراع الذي وقع خلال العشرينات. فعلى غرار آبائهم نجد أجيال ما بعد العشرينات توظف سعيها إلى تحديد وتثبيت البنية القرابية والفلاحية والاقتصادية على ما كانت عليه. أما فيما عدا ذلك فإن توجه أولاد بلحويلات إلى الانشطاريزول بمجرد ما يتم التركيز على الطبيعة الانقسامية لفصائل قبيلة أزوافيط.

إن الأساليب التي يعتمدها أولاد بلحويلات في تحصيل معاشهم تعتمد على نفس المقاييس التي تعتمدها باقي الفصائل الزفاطية بالمقارنة مع لف أيت الجمل مثلا. لقد أوضح De La Chappelle بأن ثلثي مدشر وعرون يدخل خلال الثلاثينات تحت مراقبتهم الفعلية المباشرة. وأن نصفهم ينتجع ما بين وادي نون والقعدة. كما أكد على أن طابعهم الحربي لم يزد إلا تطوراً مما جعلهم يدخلون تحت حمايتهم بعض وحدات أهل الشيخ من قبيلة الركّيبات. أما الهجرة إلى الموانئ المحيطية فقد قلصت حجمهم الدمغرافي إلى حد كبير. نجد أنفسنا بذلك أمام وضعية مطابقة لما كانت عليه فصائل أزوافيط المتبقية آنذاك. فتوطينها لأواصرها القرابية والتحالفية نجد الطرفين يختطان نفس الأسلوب في مواجهة هذا الظرف العصيب. هل معنى ذلك أن الروابط التي تشد الجماعات إلى أرضها أقوى وأمتن من الروابط التي تشدها إلى بعضها البعض. إن الصورة التي تحتفظ بها ذاكرة أزوافيط لشيخي أولاد بلحويلات إبراهيم ولد امبيركات والصديق ولد بوشلگة تؤكد إلى أي مدى لم يكن التعايش في نطاق القبيلة يكتسي صبغة تضامن ميكانيكي. كما أن السمات التي ما تزال تطبع المقولات المحلية على اختلافها هي من صميم البنية الاجتماعية

الممتدة في التاريخ. وقد ساعدت التطورات المجتمعية خلال الستينات على احتواء الحساسيات القبلية القديمة. فقد تميز المهاجرون من أبناء هذه الفصائل بارتباطهم التام بسيرورة مجتمعهم.

ويعتبر المعطى الأساسي لأولاد بلحويلات الحاليين في المعركة التي يخوضونها من أجل الاحتفاظ بسماتهم الرئيسية هو الارتباط بالأرض. فالبنية الاجتماعية تبرز لنا اليوم كيف أن أولاد بلحويلات يتحدون على مواجهة كل ما يحدق بهم من خطر خارجي متجاوزين نزاعاتهم. وهنا لا بد من أن نشيد بالدور الطلائعي الذي يلعبه السيد محمد مولود ولد السالك الحبيشي الذي تميز بما يتميز به الخواص من ذوي النظرة البعيدة المدى.

م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة* ؛ أگاوس، *معلمة المغرب* ج : 2.

P. Marty, *Les Tribus de la Haute Mauritanie* ; F. C. De La Chapelle, *Les Tekna du Sud Ouest Marocain* ; Vincent Monteil, *Les Tekna du Sud Marocain* ; P. Pascon, *La Maison d'Iligh.*

مصطفى ناعمي

بلخريف (ابن ـ) علال، ولد سنة 1910 بقبيلة بني توزين بناحية الناضور، وعندما تأسس جيش التحرير، انخرط فيه وأبان عن فعالية كبيرة في المعارك والاشتباكات التي كان يَخوضها بمعية فرقته التي كانت ترابط بشمال المملكة بقيادة كل من السيد الحاج بخريف أحمد التوزاني والسيد محمد الغبوشي. وفي أحد الاشتباكات بين الثوار وجنود الاحتلال، سقط العديد من الشهداء ومن بينهم السيد بن بلخريف يوم 24 أكتوبر 1955.

كتاب *شهداء الاستقلال*، ج 2.

عزالدين العلام

بَلْخَضِر أو بَلْخَضِر، وتكتب أحيانا ابن الخَضِر، أسرة معروفة في رباط الفتح وأسفي ويحمل هذا الاسم أيضا جماعات في قبائل الرحامنة والشاوية والغرب. وينتسب آل بلخضير الرباطيون إلى الشيخ أبي الشكاوي الحسني الإدريسي صاحب الضريح بشالة. أما آل بلخضير الأسفيون فيستغرب من كون محمد الكانوني أغفل ذكرهم في كتابه *أسفي وما إليه كما* أغفل غيرهم، مع أنهم كانوا يحظون بمرتبة خاصة في مجتمعهم وأن الوثائق العدلية المتعلقة ببعضهم تشير إلى الأخوين الحاج الهاشمي بن محمد وشقيقه المكي بن محمد، وهما اللذان يشكلان فرعين كبيرين لآل بلخضير، وتضيف بعض الوثائق لقب الصفار إلى بلخضير، فتُسمّيهم "بلخضير الصفار" وكان منهم فقهاء وتجار وصناع.

بلخضير، أبو **بكر** بن الحاج مُحمد، ولد عام 1318/ 1900، وتلقى تعليمه بأسفي وأخذ يمارس التجارة مبكراً، وخصوصاً في الحبوب، إذ كانت له علاقة متينة مع أهل البادية. ظل طيلة حياته يحظى بتقدير السكان فأمسى من رجالات المدينة ووجهائها وتوفي في غضون عام 1391/ 1971.

بلخضير، عبد السلام الرباطي، من نجباء التلاميذ المنقطعين لطلب العلم في أوائل هذا القرن، لازم بالخصوص مجالس الشيخ المكي البطاوري وانتسخ له جل مؤلفاته. ثم أخذ يلقي دروساً بالزاوية التهامية إلى أن أدركته الوفاة، وهو مازال في مقتبل عمره، عام 1325 / 1904.

رواية شفوية عن م. الأمين بلگناوي.

بلخضير، محمد الحسني الإدريسي الرباطي. حلاه صاحب *البدور الضاوية* بقوله : "كان من العلماء الأدباء المحاضرين ذوي الإجادة في النظم على اختلاف أنواعه ما بين قصائد موزونة وأزجال معربة وملحونة، وموشحات ذات أسماط وأنماط، تزري بجواهر الأسماط" وأورد له قصيدة رائية طويلة في مدح الشيخ علي العكاري مطلعها :

سما في سماء المجد عن كوكب البدر
ثناؤك يـا شيخ الجهابذة الغُـرّ

توفي عام 1180/1766.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ *رسوم عدلية ووثائق مختلفة* ؛ أ. بنجلون، *تاريخ أسفي*، مخطوط ؛ *بعض أسر أسفي*، مخطوط.

أحمد بنجلون وعبد الاله الفاسي

بلخضير، محمد اليوسفي، وتكتب أحياناً بلخدير، ولد سنة 1328 / 1910. من رجال موسيقى الآلة بالرباط، أخذ عن أحد شيوخ الآلة في وقته المعلم أحمد زنيبر فابتدأ عنده بعزف الطار، ثم تحول إلى الكمان، وأصبح يباشر مهنته كفنان في الثلاثينات. عمل كأستاذ للموسيقى الأندلسية بمعهد مولاي رشيد بالرباط، تحت إشراف الأستاذ الفرنسي المختص في الموسيقى المغربية شوتان، وساعده على إنجاز عدد من الأعمال الخاصة بموسيقى الآلة، وبالخصوص في تنويط عدد من موازينها، بعد أن أخذ أصولها عن بعض كبار الأساتذة، مثل عمر الجعيدي، رئيس الجوق الملكي لموسيقى الآلة. وكان بلخضير من جملة الموسيقيين الذين شاركوا في الثلاثينات بالمعرض الدولي في أمريكا مع عبد السلام ملين والمعلم سلومو الصويري حيث رافقوا العبدي صاحب المقهى التقليدي بمتحف الأوداية.

كان بلخضير من أول العاملين في الإذاعة المغربية، حيث كان يقدم حصصاً موسيقية على رأس جوق من تلاميذه. ثم واكبه جوق ثان كان يضم موسيقيين آخرين على رأسهم المعلم حبيبي امبيركو. ثم نُحي الجوقان ليحل محلهما جوق البارودي. على أن بلخضير استأنف نشاطه الموسيقي كعازف كمان في الجوق الوطني بالإذاعة المغربية.

توفي بالدار البيضاء في 12 رمضان 1385 / 4 يناير 1986 وكانت له جنازة كبيرة.

أرشيف الإذاعة : استجواب مع المطرب صالح الشرقي.

محمد زنيبر

بلعامري ←ابن العامري

بلعربي ـ أسرة سلوية ـ ←ابن العربي

بلغازي ـ أسرة ـ ← ابن الغازي

البَلْفيقي، محمد بن محمد بن إبراهيم يَكنّى أبا البركات، وابن الحاج، من كبار أعلام القرن الثامن (14 م) قال عنه ابن خلدون :"شيخ المحدثين والفقهاء والأدباء والصوفية والخطباء بالأندلس. وسيد أهل العلم بإطلاق، والمتفنن في أساليب المعارف" (*تعريف*، 60) واشتهر البلفيقي باعتباره أحد شيوخ كبار أعلام الغرب الإسلامي، أمثال ابن الخطيب، وابن خلدون، والنّباهي، والسراج، وقد أفرد له هؤلاء تراجم مهمة تحدثوا فيها عن نسبه، ورحلاته، وشيوخه، ووظائفه وعلاقاته بسلاطين ذلك الزمان. وهكذا اهتم ابن الخطيب بالنسب العربي للبلفيقي وصعد به إلى عصور ما قبل الاسلام (*الإحاطة*، 2 : 143)، وذكر المقري بأن البلفيقي كان "من بيت كبير علما وصلاحا، وزهداً، وجده الامام العارف سيدي أبو إسحاق ابن الحاج، أشهر من نار على علم، وقبره مشهور بمراكش" (*نفح*، 5 : 474).

وقد عُرف البلفيقي أيضا برحلاته العديدة فقال عنه السراج في *فهرسته*، "رحل في طلب العلم قديماً وحديثا"، وتتخلل المصادر العديدة من الأخبار حول تنقلاته بين حواضر الغرب الإسلامي كفاس، وسبتة، ومراكش، وبجاية، وتلمسان، ومدن الأندلس. وخلال هذه الرحلات كان يتلقى إجازات كبار شيوخ عصره، فبالاضافة إلى ما تلقاه على شيوخ الأندلس تذكر بعض المصادر أنه أخذ عن الإمام المشدالي ببجاية (*نفح*، 5 : 485) وعن أبي الحسن الصغيّر الزرويلي بفاس. كما أخذ عن ابن البناء العددي بمراكش (*جذوة*، 292، 295). وإذا كانت هذه الرحلات قد جعلت من البلفيقي عالما متنوع المعارف، حاصلا على مبتغاه من المعقول والمنقول فإنه كان أيضاً، وخلال هذه الرحلات يعقد مجالس للتدريس بمدن فاس، وسبتة، وبجاية، ومراكش وغيرها.

ولي البلفيقي قضاء الجماعة بالعدوتين وكان قاضياً بمدينة المرية ومربلة ومالقة وبجاية، واشتغل في نفس الوقت بالتدريس، ويذكر ابن خلدون أن السلطان أبا سالم المريني استقدمه عام 762 هـ للأخذ عنه، وكان ابن خلدون هو الذي يسرد على البلفيقي المدونات التي أخذها عنه السلطان، ومنها كتاب *الموطأ* للإمام مالك. وإلى جانب التدريس والقضاء أنيطت بالبلفيقي مهمة السفارة، فتردد عدة مرات على حواضر المغرب، ولا شك أنه قام بهذه الوظيفة لأن السلاطين كثيراً ما كانوا يختارون سفراءهم من ضمن قضاتهم، كما أن ذلك يرجع إلى المكانة التي كان يحظى بها لدى سلاطين عصره. وفي هذا السياق يذكر النباهي أن البلفيقي "استُعمل في السفارة بين الملوك فصحبه السداد، ورافقه الإسعاد" (*المرقبة*، 165). كما وصفه ابن خلدون بالمتفنن في "آداب الصحابة والملوك" (*تعريف*، 61،60) وفي هذا الصدد يذكر ابن خلدون أن البلفيقي قدم هو وأبو القاسم الشريف السبتي ليشفعا عند السلطان أبي عنان لفائدة القاضي أبي عبدالله الفشتالي آخر سنة 756 هـ (*تعريف*، 60) كما أشار إلى أنه قدم إلى فاس في سفارة بين ملك الأندلس وملك المغرب (*تعريف*، 305).

توفي محمد البلفيقي في شهر رمضان عام 772 / مارس ـ أبريل 1371.

ل. ابن الخطيب، الإحاطة، ط. القاهرة 1974 : *الكتيبة الكاملة*، ص 127 : النباهي، *المرقبة العليا*، ص 164 : ع. ابن خلدون، *التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا* : أ. المقري، *نفح الطيب*، 5 : 471 وما بعدها : أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* : ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط. الرباط، 4 : 418 ـ 442.

عمر بنميرة

بلقاضي ـ أسرة سلوية ـ ← ابن القاضي

بلقايد، فرقة نابهة من قبيلة أولاد يعقوب بالسراغنة، ينتسبون إلى المولى عمران الإدريسي دفين دادس، ويكثر فيهم الفقهاء والقراء. وظلت قيادة القبيلة بأيدي آل بلقايد مدة طويلة وكان آخرهم بالقبيلة القائد المدني بن المعطي.

بلقايد، المعطي بن المدني اليعقوبي السرغيني. ولد بالسراغنة عام 1290 / 1873، وظهرت شجاعته وميله للفروسية في مراحل حياته الأولى، فانخرط، وهو لم يكد يبلغ العشرين من عمره، في جيش المخزن الحسني كقائد

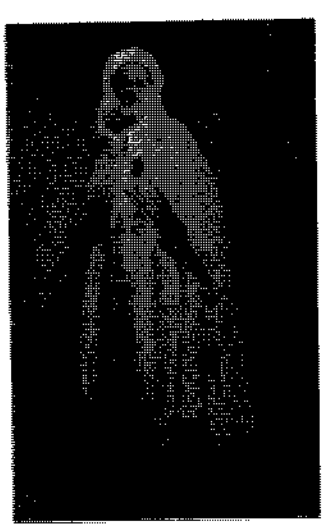

مائة، ثم رقاه الوزير الصدر الگباص إلى قائد الرحى (خمسمائة). وفي عهد الحماية أسندت إليه قيادة بلاد الغرب حيث عين باشا لمدينة القنيطرة قبل سنة 1925 ولم نقف على تاريخ وفاته.

J. et M. Gauvion, *Aayan al-Maghrib al-Akça*, 567 - 569

محمد حجي

بلْقزيز، أسرة مراكشية، ينحدرأصلها من شرقاوة بجَعد ذرية الشيخ المعطي بن الصالح الشرقي. ويرجع تاريخ نزوح هذه الأسرة إلى مراكش إلى أيام السلطان المولى سليمان حيث نزح من أبي الجعد أخوان، هما أحمد ومحمد، وسكنا بحي أزبزط قرب جامع ابن يوسف. وكان لأحمد ذرية من امرأة حرة بحي أزبزط، وأخرى بالزاوية العباسية.

وبالرجوع إلى بعض عقود الأنكحة نرى أن هذه الأسرة عُرفت بادئ الأمر بالتادلي أما كلمة بلقزيز فهو لقب، يعني عند أهل مراكش نوعاً من (الخرشوف) البلدي المشوك. ومع انعدام الوثائق التي توضح سبب تسميتهم بهذا الاسم، فلا بأس أن نستأنس برواية شفوية عن قيدوم هذه الأسرة الفقيه القاضي محمد بلقزيز يقول: «إن أحد أفراد هذه الأسرة كان كلما أراد أن يشتري بلقزيز (أي الخرشوف) قطع قطعة منه وأكلها، ليتأكد من جودته وعدم مرورته، فيقول للبائع (آش هذا بلقزيز !؟!) » تنقيصا له من جودته، وعدم رضاه عن طعمه ومذاقه، وتكرر هذا مرات فأطلق عليه الباعة هذا اللقب، وأصبح الناس ينادونه به فيتقزز منه، لكنه مع مرور الأيام تقبله، وغدا آله يحملونه كلقب عائلي. ومن أبرز أفراد هذه الأسرة أيام السلطان مولاي عبدالرحمان الفقيه أحمد بلقزيز الذي أخذ عن سيدي البهلول بن علي بوسلهام الرحماني. أما الآن فيوجد لها فروع كثيرة بمراكش وغيرها.

عقود أنكحة لآل بلقزيز : روايات شفوية.

بلْقزيز، عبدالجليل بن أحمد المراكشي، ولد بمراكش عام 1900/1318، وكان والده ينوب عن المحتسب السيد عبدالرحمان المتوگي. ووالدته السيدة زينب بن داني، من حفظة القرآن الكريم، بعد حفظ القرآن الكريم، اشتغل قرابة عشر سنوات بطلب العلم، تلقى فيها مجموعة من العلوم على علماء مراكش وغيرهم أمثال : الفقيه محمد الداودي السرغيني، وبوشعيب الشاوي، وسيدي أحمد ولد الحاج المحجوب، ومولاي أحمد العلمي، وفتح الله بناني.

ومن حين لآخر كان يزور مراكش علماء نابهون أمثال : المدني بن الحسني ومحمد الرافعي وأبو شعيب الدكالي فينتهز فرصة وجودهم بمراكش ليُجالسهم ويأخذ عنهم العلم والمعرفة. وقد كان معجبا إعجابا خاصا بالفقيه الرافعي، يزوره من حين لآخر بمدينة الجديدة، ويتبادل معه الرأي فيما يراه مشكلا من قضايا الفقه والأصول والتفسير والحديث.

قام عبد الجليل بلقزيز بالتدريس في جامع ابن يوسف، حيث كان يلقي دروسا من الفجر إلى العشاء. وتختلف الدروس موضوعا ومستوى حسب قدرات الطلبة. ولما نظمت الجامعة اليوسفية يقول العلامة الرحالي الفاروق رئيس الجامعة : (عرضنا عليه أن يدعم الحركة العلمية بجامعة ابن يوسف، وعلى الرغم من أنه كان يميل إلى اكتساب الرزق عن طريق التجارة التي تعد عاملا قويا من عوامل التمدن والبناء، فقد لبى - رحمه الله - هذه الرغبة وانخرط في سلك النظام ...)

توفي بمراكش عام 1967/1387. ودفن بالزاوية الدرقاوية بسيدي بولعبادة.

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

بلْقصيري ← مشرع بلْقصيري

بلْكاهية، أسرة أسفية، ينسبون أحيانا بصيغة "الكواهي" ويذهب بعضهم إلى أنهم من أصل تركي، معتمدين في ذلك على لفظ "الكاهية" الدخيل الذي يعني "الخليفة" عند الأتراك. قد يكون هذا الزعم صحيحا نظراً لما كان للأتراك من نفوذ، ولو محدود، في شمال المغرب وفي الجيش المغربي خاصة. لكن صاحب أسفي وما إليه يقول إن أصل آل بلكاهية من دكالة، وإن أحد أجدادهم كان يسمى بلاً وسمي ابنه كاهية، فصار اسم الأسرة "بلاكاهية" ثم "ابن الكاهية" وتطور إلى بلكاهية. ويستبعد هذا بأن اسم بلا يوجد في المغرب الشرقي وبناحية ورززات، ولم يسمع قط بدكالي اسمه بلا.

ويذهب آخرون إلى أن أسرة بلكاهية نزحت إلى المغرب من الأندلس، فمنهم من استوطن الرباط وسلا، ومنهم من استقر بأسفي. وفعلا ما يزال يوجد قليل من آل بلكاهية بالرباط.

أما الذين أقاموا بأسفي، فإنهم يشكلون فرعين جدهما المشترك عبدالفضيل بلكاهية، ينحدر أحدهما من سعيد بن عبدالفضيل، والثاني من محمد بن عبدالفضيل. ويلاحظ أن فرع سعيد بلكاهية يسير نحو الانقراض اذ لم يبق منه إلا ثلاثة أفراد يقيمون حالياً بأسفي، بينما هاجر عقب محمد بلكاهية إلى مراكش وأگدير ولم يبق منهم بأسفي إلا امرأتان.

ومع ذلك، فإن لكلا الفرعين أفراداً، منهم من تقلد القيادة، ومنهم من برز في التجارة أو في ميدان العلم والموسيقى.

بلْكاهية، أحمد (حمدان) بن محمد، من فقهاء أسفي ومن ألمع وجهائها. اشتهر بسداد الرأي وتفتح البصيرة ورحابة الصدر والفضيلة وسمو الأخلاق، فولاه السلطان سيدي محمد بن عبدالله القيادة على يهود أسفي الذين كانوا من قبل لا يقبلون قائداً أو مقدماً عليهم إلا منهم. وبعد ذلك، تولى عمالة أسفي والصويرة معا في عهد السلطان المذكور.

وافاه الأجل عام 1775/1189.

أحمد بنجلون

بلكاهية، الطيب الرباطي، من شيوخ موسيقى الآلة، ولد سنة 1318 / 1900، وكان والده من أهل الزاوية الحراقية ومن حفاظ موسيقى الآلة. وعن والده أخذ العزف عن الطار. ثم تتلمذ على الحاج عبد السلام بنيوسف الرباطي وعلى عزوز بناني الفاسي في النقر على تلك الآلة قبل أن يأخذ في حفظ موازين الآلة على عدد من الشيوخ من بينهم الحاج المختار الأوديي وعبد السلام الأزرق.

ولعله استمع كثيراً إلى الفقيه المطيري لما كان يرد على الرباط فتأثر بطريقته التي كانت تختلف عن طريقتي الجعيدي والبريهي، وإن كانت كل هاته الطرائق لا تختلف عن بعضها من حيث الرواية. على أنه استفاد كثيراً من عمر الجعيدي الذي لقنه جملة من الموازين تدخل في نوبات الاستهلال والأصبهان والرصد والعشاق.

ونظراً لنبوغه في هذا الفن، قدر له أن يترأس وهو لم يتجاوز العشرين، جوقاً يضم أحسن المطربين بالرباط من بين أفراده شيخه عبد السلام بنيوسف ومحمد السبيع ومحمد امبيركو ومصطفى المعروفي. وكان له دكان معروف بشارع الجزاء يصنع فيه أطر الصور ويبيع فيه بعض اللوازم الموسيقية.

اشتهر بالاستقامة الخلقية والروح الاسلامية والوفاء بالعهد. ومن جملة ما يشهد له بذلك أنه التزم هو وجملة من أفراد جوق الإذاعة في أيام الاستعمار بمقاطعتها لتحقيق بعض المطالب، فكان هو من الأفراد القلائل الذين تشبثوا بموقفهم إلى النهاية.

توفي بالرباط عام 1392 / 1972.

ع. بنمنصور، *مجموع أزجال وتواشيح : استجواب مع المطرب صالح الشرقي*.

محمد زنيبر

بلكاهية، الطيب بن محمد بن عبدالله، من فروع سعد بن عبدالفضيل، تلقى تعليمه بأسفي ثم بمراكش، وتولى قيادة أسفي في عهد السلطان مولاي عبدالرحمان.

توفي عام 1255/1833.

بلكاهية، عبدالرحمان بن مَحمد بن أحمد، تلقى العلم بأسفي، وكان يزاوج بين التدريس والفلاحة، ويعدّ من أكابر تجار المدينة.

وافاه الأجل عام 1358/1939.

بلكاهية، محمد بن محمد بن الطيب، من مواليد سنة 1891 بأسفي، وبها نشأ ودرس على شيوخها ثم أتم دراسته بالقرويين بفاس، ولازم هناك بصفة خاصة الشيخ الفلكي سيدي مَحمد العلمي الذي انتهت إليه رآسة علم الفلك، وتعتبر تآليفه العديدة من أهم المراجع في هذا الفن.

بعد رجوع محمد بلكاهية من فاس إلى أسفي تلقى عنه طلبتها علم التوقيت بصفة خاصة، ولم يكن أحد يتقدم عليه في هذا المضمار. اشتغل بخطة العدالة، وكان أحياناً ينوب عن قاضي المدينة الفقيه الأصولي محمد العبادي.

عرف عنه التحري الشديد في تلقي الشهادة وتحريرها والتنزه عن كل ما فيه شبهة، كما كان له الباع الطويل في علم الفرائض والحساب.

وبصفة عامة، كان ثاقب الذهن، حاضر البديهة، دقيق الملاحظة، تطبع سلوكه الجدية وعلو الهمة، ذو نكت لطيفة.

توفي سنة 1377 / 1957.

م. الكانوني العبدي، *أسفي وما إليه* : أ. بنجلون، *من تاريخ أسفي*، مخطوط ؛ ط. البواب، *مذكرات خاصة*.

أحمد بنجلون

بلكناوي، أو ابن الأكناوي، أو ابن الأجناوي أو ابن الجناوي، وتكتب أحياناً بدون ابن : الأجناوي أو الجَناوي وحتى اللجنوي، أسرة رباطية مجيدة أصلها من رجراجة أو من جبل العلم مقر الشيخ عبد السلام بن مشيش الإدريسي الحسني. وفي تطوان آل الجنوي الحسنيون العمرانيون كان فيهم علماء وقضاة، يوجد ظهير رحماني مؤرخ في 17 رمضان عام 1238 يجدد ما بأديهم من ظهائر الملوك السابقين ويوصي بتعظيمهم وإعفائهم من الوظائف المخزنية مراعاةً لنسبهم الشريف واعتكافهم على التعليم، ولا يُعرف ما إذا كانت لهم علاقة بآل بلكناوي الرباطيين. وقد استوطن بعض هؤلاء بلاد زعير حيث أُقبر الشيخ الصالح محمد بن الطاهر بن المكي بلكناوي في كريفلة بجوار المجاهد عبد الله بن ياسين. وتذكر الوثائق وكتب التراجم والحوليات عدداً غير قليل ممن عرفوا من آل بلكناوي بالعلم والصلاح، أو بالتجارة وخدمة المخزن.

م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، 198 ؛ *الاغتباط*، 244 ؛ م. بنسودة، *قبيلة زعير*، 2 : 217 . 218.

بلكناوي، إبراهيم بن محمد بن الطيب الرباطي، فقيه عدل فرضي حيسوبي موقت؛ كان إليه المرجع في قسمة التركات، خطيباً بجامع السنة، إماماً راتباً بضريح مولاي المكي بحومة الدورة، قبل أن يعين قاضياً بالنيابة في الدار البيضاء، فاشتغل هناك بالتدريس والخطابة. وقد توسع في ترجمته تلميذه العربي الوزاني في *فهرس شيوخه*. وفي عام 1298 / 1880 رجع إلى مسقط رأسه فاشتغل عدلا بمرسى أسفي إلى أن توفي في قعدة عام 1311 / ماي ـ يونيه 1894 وأقبر بضريح مولاي المكي بالرباط.

العربي الوزني الرباطي، *فهرس الشيوخ*، مخطوط بنقل م. بوجندار؛ الاغتباط، 244 . 245 ؛ م. دبنية، *تعطير البساط*، 2 : 235 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط، 1311 ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 2 : 260 . 1961.

بلكناوي، إبراهيم بن محمد البدر ولد بالرباط عام 1321 / 1903، وتلقى تعليماً مزدوجاً : تقليدياً على علماء الرباط، وعصرياً بثانوية مولاي يوسف. واشتغل بقسم الترتيب بإدارة المالية إلى أن طرد سنة 1944 لعواطفه الوطنية، ثم التحق بالإدارة الشريفة كترجمان. وبعد

الاستقلال نقل إلى قسم الترجمة برآسة الحكومة إلى أن توفي سنة 1391 / 1971.

معلومات شفوية عن م. الأمين بلكناوي.

بلكناوي، أحمد بن إبراهيم الرباطي، فقيه أديب، عمل مدة ناظراً لأوقاف الصويرة، وكان يتّجر مع آل بنشقرون في منشستر. ثم أقام مدة بمراكش مراسلا لجريدة *السعادة*، حيث تعرّف على إدريس البوكيلي، وقدم معه إلى

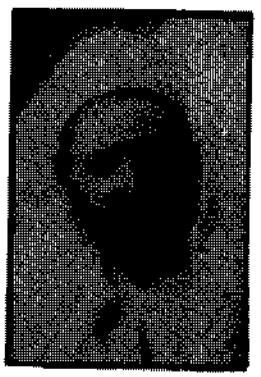

الرباط للعمل بدار المخزن في الصدارة، ثم في الاستيناف الشرعي، والأحباس. وأخيراً عاد إلى الصويرة حيث أدركته الوفاة يوم عيد الأضحى من عام 1361 / 19 دجنبر 1942.

بلكناوي، الطاهر بن المكي، أديب شاعر، فقيه مدرس نفاع، من تلامذته مولاي المكي بن محمد الوزاني صاحب الضريح الشهير بسيدي فاتح.

توفي بالرباط قبل عام 1150 / 1737.

بلكناوي، عبد السلام بن إبراهيم الرباطي، فقيه اشتغل مدة بالتجارة حيث كانت له دار سلعة (متجر كبير) بالسوق التحتي، وكان في نفس الوقت إماماً بمسجد سيدي عبد الله الحويشي في حي بوقرون. وقد رشحه السلطان مولاي يوسف سنة 1926 للإمامة والخطابة بجامع باريز،

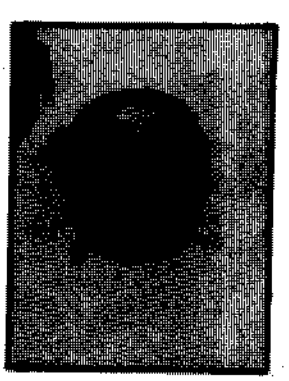

فكان ثاني إمام مغربي فيه. ولما رجع إلى مسقط رأسه التحق بالمحكمة العليا الشريفة رئيساً لقسم الضبط ثم عضواً فرئيساً للقسم الجنائي.

وتوفي بالرباط عام 1392 / 1972.

م. الأمين بلكناوي، *تقاييد*.

بلكناوي، العربي بن علي بن الطيب، حلاه في *تعطير البساط* بالفقيه العدل. عمل كاتباً خاصاً للخليفة السلطاني بالرباط المولى رشيد، ثم سمي خليفة للمحتسب، فعدلا في سماط شهود الرباط إلى أن توفي في جمادى الثانية عام 1243 / دجنبر 1827 - يناير 1828.

م. دينية، *تعطير البساط*، 2 : 272 ؛ م. الأمين بلكناوي، *تقاييد*.

بلكناوي، علي بن الطيب الرباطي، توفي والده وهو صغير طالب علم بمسقط رأسه، فخرج إلى مدينة فاس لإتمام دراسته أوائل عهد المولى سليمان (1207 - 1238 / 1792 - 1822)، ومكث بها مدة طويلة إلى أن كادت أخباره تنقطع عن أهله. وفي أول رسالة كتبها لهم أخبرهم بأنه أصبح من كتّاب المخزن المقربين إلى السلطان المولى سليمان.

وكان إلى جانب الكتابة يكلف أحياناً بمهام مدنية وعسكرية. فقد وجهه المولى سليمان إلى الشرق مع من سار لصلة الرحم مع أخته زوجة شريف مكة، فتعرف هناك على الحركة الوهابية. كما كلفه السلطان بإخضاع بعض القبائل الثائرة، وقد جاء في رسالة سليمانية :"خديمنا الأرضى الفقيه المرتضى، الحاج علي اللجناوي... فإن قبائل زعير قد زاغت وراغت فاخرج إليها فإن هي طاعت وأذعنت فذاك وإلا فاعمل فيها السيف". وأدرك علي بلكناوي حظوة لدى السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام (1238 - 1276 / 1822 - 1859) فعندما عقد لابن عمه المامون بن الشريف على كتيبة من الجند وجهها إلى وجدة عززه بالفقيه علي بلكناوي، ثم ولاه عمالة وجدة وما حولها.

كانت دار علي بلكناوي بدرب مولاي عبد الله من أكبر دور الرباط سعةً وأبهةً وكرماً، إذ كان له ثمانية عشر ولداً واثنتان وعشرون بنتاً، وأصهر إليه كثير من علية الأسر الرباطية والسلوية. وقد وشى به بعض الحساد إلى السلطان فانتقل إلى الصويرة، وفيها توفي مسموماً - على ما يقال - عام 1276 / 1859، ودفن بضريح سيدي مگدول.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 50 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 225 ؛ م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، 198 ؛ م. الأمين بلكناوي، *مقيدات*.

بلكناوي، محمد بن إبراهيم المعروف بالبيضاوي، فقيه ناسك درس في الرباط على الشيخين المكي البطاوي وأبي شعيب الدكالي وغيرهما. اشتغل كاتباً بمرسى الرباط ثم محرراً بجريدة *السعادة*، وأستاذ بمعهد

الدروس المغربية العليا. تزوج بنت قنصل فرنسا بالرباط المترجمة الخاصة لزوجة المقيم العام ليوطي، ومديرة مدرسة البنات الأولى بالرباط. وقد أسلمت وسميت فاطمة. وأخيراً انتقل إلى العمل بالصدارة العظمى ككاتب أول رئيس قسم في الأملاك المخزنية، وفي نفس الوقت كان إماماً وواعظاً بمسجد الجزاء.

توفي بالرباط عام 1380 / 1960.

م. الأمين بلكناوي، *تقاييد*.

بلكناوي، محمد بن **أحمد**، فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي، يحفظ عن ظهر قلب أهم متونه : *كمختصر خليل* و*رسالة* ابن أبي زيد، و*تحفة* ابن عاصم، و*لامية* الزقاق، و*العمل الفاسي*، لعبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي، و*العمل المطلق* لبلديّه الرباطي. اشتغل بالعدالة والتوثيق في مسقط رأسه، كما كان يخطب مع انقطاع في كل من الزاوية الناصرية وجامع السنة، ملازماً لتلاوة القرآن وقراءة الأذكار.

توفي عام 1310 / 1892.

م. بوجندار، *الاغتباط*، 202 ؛ ع. بنسودة، *إتحاف*، مخطوط، 1310؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 81 ؛ م. دينية، *تعطير البساط*، 2 : 234.

بلكناوي، محمد بن **علي** بن الطيب، فقيه واعظ عدل، أخذ عن شيوخ الرباط في عصره وفي مقدمتهم أحمد دينية، وانتصب للشهادة والتوثيق في سماط عدول الرباط ثم الدار البيضاء، وأسند إليه قاضي الرباط محمد البريبري النيابة عنه في قضاء الدار البيضاء ـ إذ كانت تابعة له ـ وكان يخطب فيها بجامع السوق، ويعقد مجالس الوعظ بالجامع الأعظم، إلى أن استبشهد في واقعة الدار البيضاء حين هاجمها الفرنسيون عام 1325 / 1907. ودفن بضريح سيدي بليوط.

م. دينية، *تعطير البساط*، 2 : 272 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، 221.

بلكناوي، محمد المهدي بن عبد السلام، (الدكتور)، ولد بالرباط عام 1339 / 1920. وتكون تكويناً مزدوجاً حيث درس أولا على الشيخ الصديق الشدادي وغيره من فقهاء المدينة مبادئ اللغة العربية والتوحيد والفقه، ثم دخل المدارس العصرية فأتقن اللغة الفرنسية.

وفي أثناء دراسته بباريز انتُخب رئيساً لطلبة شمال افريقيا المسلمين لمدة ثلاث سنوات، وتخرج في القانون والطب، وقد عمل في المعهد المولوي معيداً وأستاذاً مساعداً ملحوظاً من طرف محمد الخامس. ثم زاول مهنته كطبيب ناجح بالدار البيضاء معرضاً عن المناصب الإدارية السامية التي عرضت عليه بعد الاستقلال.

توفي في حادثة سير وهو راجع من يفرن إلى الرباط في صيف عام 1388 / 1963.

ع. ابن سودة، *فهرس إتحاف المطالع*، ساقط من المخطوط الذي تحت يدي ؛ م. الأمين بلكناوي، *تقاييد*.

محمد حجي

بلكورة، أسرة رباطية أصلها القريب من ليبيا، والبعيد من بلاد فارس ـ على ما يقال ـ انتقل ثلاثة إخوة منهم من ليبيا في القرن الثالث عشر (19 م) فاستوطن أحدهم المدعو الطاهر بفاس، بينما استقر الثاني، وكان فلاحا، بحمة سيدي حرازم، والثالث في مكان آخر. وأنجب الطاهر بلكورة ولداً سمّاه عبدالكريم، فانتقل هذا إلى الرباط واستوطنها وولد له فيه ثلاثة أولاد، المختار الذي انتقل إلى مكناس، والمصطفى الذي انتقل إلى سيدي قاسم فسيدي سليمان، وأحمد الذي استقر بالرباط إلى أن توفي فيه ودفن بزاوية سيد عبدالرفيع الأندلسي قرب سوق الغزل، ويرجع فرعا آل بلكورة الرباطيين إلى ابني الحاج أحمد هذا، وهما أبو بكر والحاج محمد.

بلكورة، أبو **بكر** بن أحمد بن عبدالكريم. ولد بالرباط عام 1303/1884، واشتغل في بداية أمره بصناعة الحرير، ثم التجارة إلى أن أصبح متجره بالسويقة قرب المسجد الأعظم بالرباط من أكبر متاجر الشاي والسكر. وإلى ذلك كان متدينا ملازما حضور المجالس العلمية الليلية التي تعقد بالمساجد لا سيما مجالس الشيخ السلفي أبي شعيب الدكالي، فتشبّع بروح النهضة والاصلاح، وكان من الوطنيين الأولين الذين ناهضوا الاستعمار وسعوا في تأسيس المدارس الحرة، فحوالي 1928 شارك في فتح أول مدرسة قرآنية حرة بدرب والزهراء بالرباط، ثم المدرسة الرحمانية بحومة بوقرون. كما شارك في حركة الاحتجاج ضد الضرائب التي بدأ الفرنسيون يفرضونها على صغار التجار والصناع أيام أول مقيم عام المرشال ليوطي، وضد قيامهم بتوسيع شارع لعلو على حساب مقابر المسلمين. فكان أبو بكر بلكورة من بين المتظاهرين، وأحد أعضاء وفد أعيان العدوتين الرباط وسلا الذين ذهبوا إلى القصر الملكي يشتكون والي الإقامة العامة يحتجون. وعلى إثر هذه الحركة الاحتجاجية الأولى نُفي أبو بكر بلكورة وينعيسى لعلو إلى مدينة أسفي، كما نُفي أربعة آخرون من رواد الحركة الوطنية بسلا والرباط إلى وجدة والصويرة وطنجة، وسجن الأستاذ عبدالرحمن حجي الذي قاد المظاهرة في سلا.

وبعد أن رجع أبو بكر بلكورة إلى مسقط رأسه، اتسعت دائرة نشاطه التجاري، وخاصة بالخميسات من بلاد زمور، فأصبح هناك داعية للسلفية والوطنية، رفيقا لطلائع الوطنيين الزموريين الذين ستكون لهم مواقف مشرفة ضد الظهير البربري سنة 1930. كما كانت دار أبي بكر بلكورة في الرباط ملتقى الوطنيين، وفيها حرر رجال كتلة العمل الوطني المطالب المسعجلة سنة 1934.

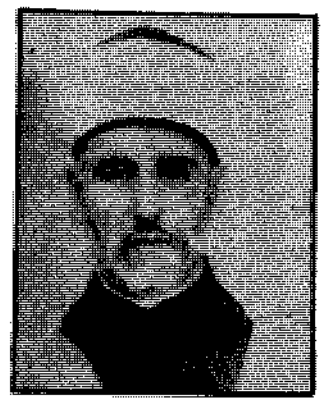

وفي هذه السنة كانت له تلك المواقف المشرفة مع قبيلة بني خيران بدائرة واد زم المهددة آنذاك من طرف الإدارة الاستعمارية بانتزاع ملكية أراضيها الفلاحية التي تبلغ 33.000 هكتار، وقد تطوعت القبيلة لبلكورة بتمليكه ثلث هذه الأراضي كمكافأة عن أتعابه، لكنه بعد أن أحسن الدفاع وسلمت الأرض لأصحابها وجاؤوه ليملكوه ثلثها، أكرمهم وأبى أن يأخذ منهم أي شيء عن عمل يعدّه خدمة للمواطنين.

وقد أتاح قيام الحرب العالمية الثانية الفرصة للفرنسيين لينتقموا من أبي بكر بلكورة ويعملوا على تعطيل تجارته التي كانت تغطي معظم أسواق المغرب، واحتجاز منتجات ضيعاته من بقر وغنم وصوف وغير ذلك، ثم أجهزوا على نشاطه التجاري بعد تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال فعطّلوا جهازه التليفوني وسدّوا أمامه كل سبل الارتزاق، فما وهن لما أصابه في سبيل الله وما ضعف وما استكان حتى أدركه الأجل سنة 1373 / 16 شتنبر 1953 ودفن بمقبرة سيدي الخطاب المعروفة اليوم بمقبرة الشهداء.

ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية* ؛ ع. غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية* ؛ م. ابن سودة، *قبيلة زعير*، 2 : 236 ـ 251 ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، ج 1 ؛ *روايات شفوية* عن م. الأمين بلكناوي.

محمد حجي

بلكوش، أسرة من أشهر بُيوتات قبيلة أحمر وأعرقها حضارة واتصالا بالمخزن. تنتسب إلى علي بن ناصر الحمري شيخ رماة عصره مع أخيه سعيد، دفين باب الدباغ بمراكش. ومن أبرز أفرادها :

بلكوش، العربي بن محمد بن الحاج العربي بن الطاهر الناصري الحمري من زاوية الخنوفة، ولد سنة 1292 / 1875. وتوفي والده وهو ما زال صبياً، وفي أثناء رحلة السلطان إلى الجنوب نزل بقصبة الشماعية التي كان أنجاله الأمراء يتدربون فيها على الرماية وركوب الخيل تحت إشراف أهل زاوية الخنوفة حفدة الشيخ علي بن ناصر. ولما كان محمد بن الحاج العربي بلكوش من خدام المخزن، استفسر السلطان عن أولاده، فأُخبر بأنه لم يترك إلا ولداً واحداً هو العربي، فأمر الفقيه الحاج المختار بن حميدة النواصري بأن يسهر على تربية هذا الولد. وفعلا حفظ العربي القرآن وهو ابن خمس عشرة سنة براويتي المكي والبصري، ثم توجه عند خاله الفقيه الطاهر بن الحبيب الگدالي القاضي بناحية أسفي "الساحل" وهناك درس مبادئ الفقه والنحو، ثم رجع إلى زاوية الخنوفة واشتغل بالفلاحة. وسرعان ما وقع عليه الاختيار ليندرج في المناصب المخزنية، فعُين شيخا مع القائد عيسى ابن عمر العبدي، ثم اختير قائداً لحركة أهل احمر المتجهة إلى تازا لمحاربة بوحمارة. ولما دخل الفرنسيون إلى أسفى ألقي عليه القبض القائد أحمد ابن عيسى العبدي ثم أطلق سراحه، وبعد ذلك تولى منصب خليفة الزَرّة احمر سنة 1916 م. وفي سنة 1918 عُين على الزَرّة احمر ثم أضيف إليه أولاد يوسف وأنعم عليه بعدة أوسمة.

عرف القائد العربي بلكوش بالاستقامة والتمسك بالدين والوطنية الصادقة، الأمر الذي جعله في خلاف مع المراقب المدني وخاصة في العقدين الثالث والرابع من هذا القرن. وفي سنة 1943 حظي باستقبال الملك محمد الخامس لما زار زاوية الخنوفة وبقي معروفاً بالاستقامة إلى أن توفي سنة 1365 / 1945.

بلكوش، محمد بن العربي. ولد سنة 1325 / 1907 وخلف والده في قيادة قبيلة احمر وسار على سنته في الوطنية والاستقامة، وهكذا أخلصت هذه الأسرة إلى الوطن فرفضت مؤامرة الاستعمار ضد العرش المغربي في غشت 1953 فأقيل القائد وخليفته شقيقه عبدالله ونُفيا إلى الجديدة وَوُضعا تحت الإقامة الإجبارية إلى أن رجع محمد الخامس إلى العرش فأعاد إليهما اعتبارهما، وتوفي محمد بلكوش سنة 1395 / 1975.

معلومات من أسرة بلكوش، وروايات شفوية أخرى.

محمد ماگمان

بلماحي، أسر متعددة منتشرة في أنحاء المغرب، لا نعرف عنها كثيراً. وربما كان أشهرها أسرة بلماحي في تازا. ومنهم :

بلماحي، محمد بن مَحمد، المولود عام 1353 / 1934 بتازا. شبَّ يتيما فكفله أحد أعمامه، وكانت أمه تتفانى في خدمته، ولما أخذ المغرب يطبق النظام العصري للحالة المدنية، أضاف اسم أسرة أمّه "الوزاني" إلى اسمه العائلي فأخذ يعرف بـ "بلماحي ـ الوزاني".

كان طالبا متميزا متفوقاً في الرياضيات، حصل على دبلوم مهندس من جامعة بوليتيكنيك بلوزان (سويسرا) ثم

دكتورة الدولة في الفزياء من جامعة زوريخ (سويسرا) وانخرط في سلك أساتذة كلية العلوم بالرباط، ابتداء من فاتح أكتوبر 1965.

توفي في حادثة سير بالرباط أوائل شهر يوليوز 1977، له كتابان مخطوطان لم يطبعا بعد، الأول : *دروس في الفزياء*، والثاني : *مصطلحات فزيائية*. وقد سمي باسمه أحد المدرجات في كلية العلوم بالرباط.

ملف المترجم في كلية العلوم بالرباط ؛ معلومات مستقاة من زملائه وأقاربه.

أحمد بنجلون

بَلْهاشمي، محمد بن عبدالقادر، ولد عام 1905 بخنيفرة، وانخرط في صفوف المقاومة سنة 1955. ومن بين العمليات التي قام بها مجموعة من الحرائق والإتلافات ضد المصالح الاستعمارية، كما كان يشجع المتظاهرين بكل الوسائل المادية والمعنوية. وأثناء المعارك الحامية التي دارت بخنيفرة يوم 20 غشت 1955 استشهد برصاص الاستعمار.

كتاب شهداء الاستقلال، ج 1.

عزالدين العلام

بَلْهاشمي، محمد المسفيوي المولد، المراكشي القرار والمدفن، ولد عام 1907/1325، بقرية تسمى الثلثية بمشيخة أيت فاسكة بمسفيوة، وفيها حفظ القرآن الكريم بروايتي ورش والمكي، وأتم دراسته القرآنية على يد عمه عمر نيت حَمْد بأمنوز مشيخة أيت عبدالسلام بمسفيوة. ودرس الأجرومية على الفقيه السيد سعيد المنتالي بفروگة، ثم انتقل عام 1917/1336 لطلب العلم على يد العلامة سيدي أحمد أكرام بمدرسة مولاي الجيلالي اجعيدي بالويدان بالرحامنة، ولزمه في مختلف العلوم من نحو وصرف وبلاغة وفقه وغير ذلك من العلوم التي تدرس آنذاك.

بعد ذلك التحق بالكلية اليوسفية، فدرس فيها علوما أخرى على يد شيوخها أمثال : الحاج عبدالسلام بن المعطي السرغيني، وأحمد أكرام اليعقوبي ومولاي أحمد العلمي ومحمد بن عمر السرغيني المعروف بابن نوح، ومحمد بن التاودي ومحمد بلحسن الدباغ وبوشعيب الشاوي، ومحمد المختار السوسي والحاج لحسن الشاوي والفقيه الصوفي أحمد ولد الحاج المحجوب. وأجازه بعضهم.

ولما آنس من نفسه القدرة على التدريس التحق بالجامعة اليوسفية كأستاذ عام 1939/1358 بقسمها النهائي، وتدرج من سلك الأستاذية إلى مفتش بالجامعة اليوسفية، ثم مراقب للدروس إبّان مرض رئيسها السيد عبدالقادر المسفيوي. ولما عُزل هذا الأخير من منصبه كرئيس للجامعة اليوسفية بسبب مواقفه الوطنية عُين المترجم مكانه، وقد جاء هذا التعيين في ظروف حرجة، على إثر نفي السلطان محمد الخامس، وقد خلق له هذا المنصب الجديد متاعب ومشاكل في حياته التعليمية والاجتماعية.

ولما أحرز المغرب على استقلاله عَزل من رئاسة الجامعة. وأسندت الرآسة إلى العلامة الرحالي الفاوق، وعُين المترجم أستاذا بكلية اللغة العربية، وبقي بها إلى أن أُحيل على التقاعد. وتوفي عام 1983/1404، وأُقبر بمقبرة باب أغمات بمراكش.

أ. متفكر، *ذيل الاعلام*، مخطوط ؛ *روايات شفوية*.

أحمد متفكر

البَلْهْوان، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر، وقد انقرضت في أوائل القرن الحالي.

محمد ابن عزوز حكيم

بلْوازن، قرية مندرجة اليوم بفرقة البحراويين من حوز تطوان، حسب التقسيم الاداري المعاصر. وأرضية القرية عبارة عن منخفض معلق بالجانب الشرقي من جبل "فتح المهر" شمال تطوان، مما يقابل رأس المضيق، المعروف بكدية الطيفور، حسب الاصطلاح المعاصر (الرأس الأسود)، ويستفيد التجمع السكاني من العيون المتدفقة المكونة لعدد من منابع واد اسمير.

شكلت قرية بلْوازن خلال النصف الأول من القرن التاسع الهجري أهم نقط تجمع المجاهدين ضد سبتة، بما آوته من رؤساء الجهاد، فهي موطن رئيس المجاهدين عبو بن محمد وإخوانه وأبنائه. ولذلك حددت سبتة المحتلة موعداً لاقتحام دورها في جمادى الأولى 836 / ديسمبر 1433. ومن رجالها أيضا أحمد بن سلام بن مرزوق، رئيس المجاهدين سنة 833. 1430 / 834.

أ. الشراط، *تقييد*، نشره م. ابن عزوز حكيم بعنوان : لماذا تطالب بسبتة ومليلية، ص 31 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالنطقة الخليفية*، ص 40.

Gomes Eanes Azurara, *Cronica do D. Duarte de Meneses*, p. 77 ; *S. I. H. M.*, Portugal, 4 : 173 ; J. Mascarenhas, *Historia de Ceuta*, p. 175.

حسن الفگيگي

البَلّوري، أسرة كانت بتطوان إلى حدود سنة 1701/1113 حيث انقرضت.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 50،43 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

بلْوش (ابن ـ) ← **البلْوشي**

البَلّوشي، أو **البَلّوشيّة**، أو البلوشية. كما ترد أحيانا عند محمد المختار السوسي ـ من الأسر العلمية الست التي وردت في *سوس العالمة* بالنسبة لمنطقة أيت باعمران وما إليها، باعتبار الشرط الذي التزمه المؤلف وهو أن يتسلسل العلم في أسرة مّا فترة معينة يقول : (وشروطُنا في الأسرة العلمية، أن يتوالى العلم فيها في ثلاثة أجيال على الأقل، أو جيلين إن تعدد فيها العلماء، فتجاوزوا الأربعة (*سوس العالمة*، 121).

على هذا الأساس، أورد هذه الأسرة، التي تنتسب إلى المقرىء عبدالله الملقب (بَلُّوش). ولفظة (بلّوش) تصحيف لعبدالله، فقد صحف السوسيون اسم (عبدالله) هذا التصحيف العجيب، بعد أن اعتادوا أن يصحفوا (عبدالله) إلى (بلاّ) فزادوه الشين فقالوا (بَلّوش) (*المعسول*، 10 : 163) وتوجد بعض الأسر في سوس تحمل هذا اللقب ولا علاقة لها بهذه الأسرة العلمية الباعمرانية.

البلّوشي، محمد بن عبدالله (بلّوش) بن عمر بن أحمد الباعمراني. ولد بقرية أدار في أيت عبدالله الباعمرانية سنة 1902/1320. أحد رجالات سوس العلمية، وفذّ من الأفذاذ، الذين تخرجوا من المدرسة (الإلغية)، وقد تكونت له حالة من الشهرة بعلمه وأدبه وتدريسه، ثم بتولّيه خطة القضاء في إفني سنين كثيرة (*المعسول*، 10 : 232) تخرج بالإلغيين، فكانت له أيضاً في الآداب يد، وقد تصدر للتدريس، والافتاء والقضاء في بلاده، وعلا شأنه، وبقي على ذلك إلى وفاته (*رجالات العلم في سوس*، 237) وقد حفظ القرآن على يد والده عبدالله بلوش فختم عليه خمس ختمات، ثم التحق بالمقرئ الأستاذ مبارك التباني، في مسجد العوينة فختم عليه ختمتين، وهما شيخاه في حفظ القرآن لم يتعداهما. ثم اتجه، صحبة أخيه الذي يكبره بعامين الحسن بن عبدالله (بلوش) إلى مدرسة (دُو أگدير) بإلغ، وهو لم يجاوز الثالثة عشرة من عمره وذلك عام 1914/1333 حيث ألقى عصا التسيار، ولازم المدرسة المذكورة ما ينيف عن أربع عشرة سنة، آخذاً عن أساتذتها المشاهير أمثال علي الالغي وأبي القاسم التاجر مونتي (ت. 1364) وأحمد بن محمد اليزيدي (ت. 1364/3/24) والمدني ابن علي (ت. 1365/6/17) ومولاي عبدالرحمان البوزكارني (ت. 1380/9/17) سواء في المدرسة الإلغية أو في أيت باعمران، حيث كان يتردد عليه شيخه هذا، أثناء مشارطته في مدرسة قبيلته بأيت عبلاً وبعد توليه القضاء (بافني) سنة 1928/1347 وهي السنة التي توفي فيها عميد المدرسة الشيخ علي بن عبدالله الإلغي.

وبالرغم من أن المختار السوسي يؤكد أن القاضي محمد ابن بلوش أخذ كل معارفه في مدسة (إلغ) ولم يبرحها إلى غيرها إلاّ لكي يتولى التدريس ثم القضاء في بلده، فإنه ذكر في ترجمة الفقيه محمد بن عبدالله المعروف (بأقاريض) أن المترجم من بين تلاميذه، وهذا العلامة تردد بين المدرسة التي في تانالت بأيت صواب حيث أبطأ كثيراً، ثم مدرسة فوكرض نحو سنة 1911/1330، وبقي في الثانية إلى أن توفي عام 1352 (*المعسول*، 8 : 88،87 و95). وإن صح أن المترجم أخذ أيضا عن (أقاريض) فإن ذلك يتصور في مدرسة (فوگرض) لأن مسيرة حياته العلمية، بعد حفظه القرآن، لا تخرج عن إطار المدرسة الإلغية، ففيها بدأه وظل لا يبرحها إلى غيرها أزيد من أربع عشرة سنة، والشيخ أقاريض أمضى الفترة الطويلة من حياته، وهو يدرس في مدرسة تانالت قبل أن يحفظ المترجم القرآن ويشرع في الدراسة العلمية. وعلى التسليم بأخذه عن هذا الشيخ في المدرسة الثانية، بعد سنة 1330، فإني أرجّح أن يقع ذلك، وهو يغادر المدرسة الإلغية إلى بلاده في أيت باعمران بحيث لم يمض أكثر من سنة عند أقاريض ثم لم يلبث أن استجاب إلى رغبة قبيلته أيت عبلاً ليشارط في الجمعة ابتداء من عام 1347. ومما يجعلنا نرتاب في هذه المشيخة الأخيرة أن تلاميذه الذين تخرجوا على يده في فترة تدريسه الأولى، وتمثلوا في الرعيل الأول الذي أخذ عنه بعيد تخرجه من مدرسة إلغ يؤكدون في رواياتهم الشفوية، أنه شارط في قبيلته، خلال السنة التي توفي فيها شيخه علي الإلغي، ويقول أكبر مؤرخيه : "بعد تخرجه شارط في مدرسة قبيلته آيت عبلا في تلك السنة نفسها (يعني التي توفي فيها شيخه في إلغ) فلازمها اثنتي عشرة سنة، كان فيها مثال الجد والإكباب على التعليم" (*المعسول*، 10 : 233).

ولما قضى في المدرسة الفترة المذكورة، وأعطى ثمار تحصيله من إلغ أحسن ما يكون العطاء، وتخرج على يديه كثير ممن لا يزال بعضهم فاعلين في ميادين القضاء والتعليم، انتدبه الواجب ليقوم بمهمة أخرى رشحته لها مؤهلاته المتعددة، ذلك أنه، وهو منهمك في التدريس والإفتاء، طلب منه، بمعية فقيه نوازلي آخر من أيت باعمران أن يتقدما لتولي قضاء إيالة إفني على أن يختار أكفأهما لقضاء الجماعة، ويكون الثاني من بين القضاة النواب في مختلف نواحي أيت باعمران.

كانت إسبانيا بعد احتلالها مدينة إفني والقبائل التابعة لها من أيت باعمران ابتداءً من سنة 1934 عمدت إلى تنظيم الشؤون العامة للمنطقة ومن جملتها الشؤون الدينية، وذلك محاولة منها لتطبيق الاتفاق المبرم بينها وبين أعيان البلاد الذي ينص على عدم تدخل إسبانيا في شؤون الباعمرانيين الداخلية، وخاصة الشؤون الدينية والعمل بالأحكام الشرعية دون العرفية، واحترام العادات والتقاليد المحلية. وتطبيقاً لهذيه البندين، وقع الاختيار من لدن القبائل الباعمرانية على محمد البلوشي من أيت عبلا وعلى فقيه آخر ليتوجها إلى مدينة تطوان في المنطقة الخليفية، قصد إجراء امتحانات هناك، فتفوق محمد البلوشي، وعين قاضي

القضاة في مدينة (إفني) سنة 1940/1359، ومن ثم عين نواباً عنه في كل النواحي التابعة للمدينة، باعتبارها عاصمة الباعمرانيين (*المعسول*، 10 : 229) وكانت محكمته في المدينة بمثابة استئناف، ترفع إليها أحكام القضاة الذين يتبعون إيالة إفني، كما كانت تسمى، وكان البلوشي وهو قاض لا يفتأ يدرس في الجامع الكبير بإفني، حيث انتقل معه جمع من طلبته المتقدمين، على حين بقي عدد منهم في مدرسة الجمعة تحت مسؤولية ابن أخيه الأستاذ أحمد بن اليزيد، الذي كان من أبرز المتخرجين على يده، فواصل سيرة عمه (*المعسول*، 10 : 231 ؛ *المدارس العلمية*، 337).

ظل البلوشي في خطته القضاء حوالي أحد عشر عاماً، إلى أن شعرت السلطات الاستعمارية بأن الشؤون الدينية أمست بعيدة كل البعد عن ضغوطها وتعليماتها، خاصة أن البلوشي يقوم بعدة مهام، كالتدريس في الجامع الكبير والخطابة أحيانا، بالاضافة إلى مهمته الرئيسية في القضاء، حينذاك بدأت السلطات تضايقه، وتحاول عرقلة أحكامه، خارقة بذلك بنود الاتفاقية المبرمة بينها وبين الأعيان حتى إنها لجأت، إلى تنصيب هيأة من علماء خارج المنطقة، لنقض أحكامه، ففضّل مغادرة القضاء والرجوع إلى عمله الأول في مدرسة قبيلته بأيت عبلاً.

أعاد سيرته الأولى في مدرسة الجمعة مدعوا من قبيلته، ابتداء من 1951/1371، فحمدت تلك السيرة، وازدهرت بعودته العلوم والفنون من جديد.

وتمثل هذه الفترة مرحلة أخرى من مراحل حياته، استغرقت حوالي ثمان سنوات أعاد فيها المترجم إلى مدرسة الجمعة سالف مجدها، وتالد عزها، إذ استقطبت المدرسة من جديد طلبة أيت باعمران وغيرهم، حتى سنة 1379 / 59 ـ 1960 التي تعد من السنوات الحاسمة في تاريخه، إذ كانت أيت باعمران بجميع قبائلها تعيش معارك التحرير ضد اسبانيا منذ سنة 1957، مما جعل الظروف العامة غير مواتية للقيام بمهمة التدريس، فقد غدت البلاد كلها عرضة للهجمات الإسبانية خاصة القصف الجوي، فغادر مدرسة قبيلته إلى مدينة أگادير مترددا على الرباط ضمن الوفود الباعمرانية التي كانت تتوجه إليها، لعرض قضيتها على أنظار الملك الراحل محمد الخامس. وقال البلوشي في إحداها قصيدة مطلعها :

الحمد لله زال الذعر والحـــذر ... وجاء ما كانت الآمالُ تنتظـــر
ليت القوافيَ تدنو لي فأجملهـا ... في سلك مدحك لولا العي والحصر

وفي حياة محمد البلوشي جانب آخر لا يفتأ يتعهده بالصقل والتهذيب بالرغم من اشتغاله بالقضاء سنين طويلة، هذا الجانب هو القريض، ومن هنا حلاه مؤرخون بالأديب البارع، وسجلوا مشاركته في مساجلات أدبية، وندوات شعرية، كالتي شارك فيها، وهو ما زال طالباً بمدرسة إلغ إلى جانب فطاحل الأدب من شيوخه وكبار أدباء تلك المدرسة، بتاريخ 1923/1342 كما أثبت ذلك المختار السوسي في *المعسول* (2 : 45، 46، 47، 48).

والبلوشي، إلى جانب فقهه وعلمه، أديب طويل النفس، وأهم الأغراض التي تناولها في شعره : الإخوانيات، والوطنيات، وبعض قصائد المدح الخاصة بالملك محمد الخامس، نُشر بعضها، وما زال معظمها مخطوطاً. وله نظم أسامي البلاد ما يذكّر منها وما يؤنث، ونظم في أعضاء الإنسان، ما يذكر منها وما يؤنث، إضافة إلى نثره الفني، ورسائله العديدة بخط يده، وإجازات لبعض تلاميذه وأحكام قضائية بخط يده كذلك، وله تعليقات واستدراكات كتبها على *القاموس المحيط*.

ثم إن الظروف التي ساقته إلى أگادير، أدت به إلى تولي القضاء من جديد، بعد الاستقلال، نزولا عند رغبة بعض طلبته، بالرغم من أنه كان يتمنى أن لا يغادر مدرسة قبيلته الباعمرانية بقية حياته، غير أن الأقدار عاجلته، ولما يمض على مقامه في أگادير إلا نحو أربعة شهور، فكان من الذين استشهدوا في الزلزال، أوائل رمضان 1960/1379 مع زوجته وبعض أولاده.

م. المختار السوسي، *المعسول* : *رجالات العلم بسوس* : ع. بنعبدالله، *الموسوعة المغربية للاعلام البشرية* : *معلمة الصحراء*، (ملحق 1) مادة : أدار، *معلمة المدن والقبائل* (ملحق 2) ص.19 ؛ المتوكل، عمر الساحلي، *المدارس العلمية العتيقة بسوس* : *كتاشات ووثائق خاصة في ملكية أسرته*.

عبدالحميد محيي الدين الباعمراني

البلّوط أو السنديان جنس من فصيلة السنديانيات Fagacées يحتوي هذا الجنس على ستمائة نوع تقريبا، تعيش متفرقة، حسب خاصياتها البيئية، في نصف الكرة الأرضية الشمالي وبصورة خاصة في المكسيك والولايات المتحدة الأمريكية وأوربا وشمال افريقيا والشرق الأوسط واليابان.

يعيش في المغرب ستة أنواع من هذا الجنس حيث تغطي مساحات شاسعة، وتلعب دورا اقتصاديا مهما.

الصفات النباتية للجنس : أشجار أو جنبات، البراعم حرشفية، الأوراق متساقطة أو دائمة، بسيطة أو مسننة أو مفصصة أو مجزأة، ريشية التعريق، نادرا ما تكون كاملة، الأزهار وحيدة المسكن، وحيدة الجنس، المذكرة (♂) رفيعة متهدلة بشكل نوارات. المؤنثة (♀)، دائرية أو مجتمعة بشكل نوارات قصيرة، الثمار جافة، تدعى "بلوطة"، محاط قسم منها بقمع يتألف من حراشيف رفيعة ومتطاولة، ملتصقة أم لا، متراكبة بعضها فوق بعض، تنضج خلال سنة أو سنتين حسب الأنواع.

الأنواع الموجودة في المغرب :

1 ـ البلوط الفليني Le chêne liège, Guercus suber L.
فرنان ـ بشم ـ دلم ـ فرشي.

الصفات النباتية : شجرة يتراوح ارتفاعها ما بين 15 و20 مترا، كثيرة التفرع، تاجها مستدير، الجذع قصير طوله حوالي مترين، عرضه يصل إلى 50 سم في غالب الأحيان،

تغطيه قشرة غليظة مجعدة تسمى "الفلين"، الأوراق دائمة 2 إلى 3 سنوات، معنقة، قاسية، ذات حرف مسنن أو شوكي، خالية من الأوبار على الوجه العلوي، وبرية على الوجه السفلي، الثمار عبارة عن بلوطة طويلة متفردة أو مجتمعة، قمعها له حراشيف وبرية ملتصقة تنضح الثمار خلال السنة الأولى، ولهامذاق حلو في غالب الأحيان. تعيش الشجرة من 100 إلى 500 سنة وتخلف بقوة بعد القطع.

الموطن : يعيش البلوط الفليني بصورة طبيعية في القسم الغربي من منطقة البحر المتوسط، حيث يوجد في يوغوسلافيا وإيطاليا وجنوب فرنسا، وكورسيكا، وفي إسبانيا والبرتغال والمغرب والجزائر وتونس.

يشكل هذا النوع في المغرب غابات تغطي حوالي 350.000 هكتار، تنتشر في مناطق شاسعة من الريف الغربي، وعلى الساحل ما بين الدار البيضاء وطنجة. كما يوجد كذلك في الهضبة الوسطى، وبصفة استثنائية في جبال الأطلس المتوسط والكبير. تعد غابة المعمورة الواقعة بين مدينة سلا وتيفلت والقنيطرة من أكبر غابات هذا النوع بالمغرب، حيث تغطي أكثر من 60.000 هكتار.

وجود البلوط الفليني في مناطق متفرقة بالمغرب يشهد على أنه كان يغطي مساحات كبيرة تقلصت بسبب الاستغلال المفرط من طرف الإنسان.

البيئة : يعيش البلوط الفليني خصوصا في الأراضي الرملية الحمضية، نافر من الكلس. يعيش في المناطق نصف الجافة والشبه الرطبة. في المناطق نصف الجافة، يفضل القرب من البحر حيث رطوبة الهواء تخفف عنه جفاف الطقس وقلة الأمطار. يقاوم البرودة نسبيا، إذ يصل إلى ارتفاع يفوق 2.000 متر عن سطح البحر في الأطلس الكبير.

الضروب : إن البلوط الفليني متعدد الأشكال وتوجد منه ضروب عديدة في المغرب تختلف حسب شكل الأوراق والثمار ومذاق الثمار، إلا أنها تعيش في نفس الظروف البيئية، ولذلك فإن تمييزها من الناحية النباتية ليس له فائدة كبيرة من الناحية الحراجية.

الاستعمال : تنتج غابات البلوط الفليني، الخشب والثمار والفلين، ولا يخفى كذلك أن عشائره النباتية غنية بالأنواع الصالحة للكلأ، بل حتى أوراقه تصلح لتغذية المواشي خصوصا في فصل الشتاء.

أما الخشب فإنه قاس ومتين وثقيل، يستعمل أحيانا لصنع الركائز وأيادي المعاول، ونادرا ما يستعمل لصنع الأثاث المنزلي، يصلح خصوصا للتفحيم وكوقود للتدفئة والطهي.

تحتوي قشرة البلوط الفليني على مادة عفصية تستعمل في الدباغة خاصة في البوادي. أما ثماره فتصلح لتغذية المواشي، وكذلك للإنسان.

الفلين : يتكون الفلين أو القرق من القلف الخارجي للشجرة، وهو غير متساو ومشقق وقيمته الاقتصادية ضعيفة. ولكن عندما يبدأ ينزع الفلين المذكر من الشجرة عند الأشجار التي يتراوح محيطها بين 50 و70 سم، تنمو طبقة فلينية أخرى تدعى الفلين المؤنث أو فلين التكاثر، وهو فلين منتظم وغير مشقق وقيمته الاقتصادية كبيرة.

يجري نزع الفلين من جذع الشجرة على ارتفاع يتراوح بين ميتر وثلاثة أمتار على رأس كل عشر سنوات تقريبا، وذلك حسب الظروف المناخية والبيئية. وأثناء هذه العملية تؤخذ الاحتياطات اللازمة بعدم جرح القلف الداخلي الذي قد يمنع تكوين قلف جديد في حالة تضرره، وربما هدد حياة الشجرة.

وأحد المشاهد العادية في غابات الفلين هو اللون الداكن المحمر للاجزاء المكشوفة. وينجز التقشير عادة في أوائل فصل الصيف حيث الجو أكثر ملاءمة. وتتلخص عمليات استخراج الفلين في عمل قطاعات عمودية ومستعرضة في جذع الشجرة ببلط أو منشار، ثم تنزع أجزاء القلف مع العناية التامة بأن تكون كبيرة.

استعمالات الفلين : يستخدم الفلين في أغراض كثيرة، وفي صنع عديد من المنتجات. ويستعمل تارة الفلين الطبيعي وتارة أخرى الفلين المركب الذي يصنع من قطع الفلين التي طحنت طحنا دقيقا وعوملت بمواد لاصقة. ومن بين السلع التي تصنع من الفلين الطبيعي : سدادات القنينات، والأحذية، والعائمات، ومقابض مضارب الگولف، والستارات، ومراس السفن وزوارق وألبسة الانقاذ وكور الأمواج. وتستعمل ألواح الفلين الطبيعي والمركب كمادة عازلة للمنازل وغرف التخزين الباردة والثلاجات. وتستعمل كذلك كوسيلة لتحسين الخواص الصوتية للحجرات، ولمنع الاصداء. ونظراً لمرونته يستعمل الفلين لعزل الآلات. ويدخل خصوصا في هذه الصناعات الفلين المؤنث، أما الفلين المذكر فيطحن ويدخل في صناعات أخرى. ويستعمل هذا النوع كذلك في بناء مساكن النحل التقليدية.

ويستعمل الفلين المركب لتبطين القبعاء، والأغطية المعدنية لختم الزجاجات، والسدادات، وفرش الأحذية، وعجلات التلميع، وبكرات الاحتكاك، وفي بعض لوازم السيارات وكذلك الطائرات، ويستعمل كذلك في أنواع مختلفة من الأغطية الأرضية، وتزيين الجدران والسقوف.

ويدخل الفلين المطحون في صناعات كثيرة مع الخشب أو دقيق الخشب.

2 ـ البلوط الأخضر Quercus rotundifolia L. كروش ـ كريش ـ تاسافت Le Chêne vert.

الصفات النباتية : شجرة يمكن أن يبلغ ارتفاعها 25 مترا، الجذع قصير ومعوج، يتفرع في سن مبكرة، تاجها مستدير فروعها غير مستقيمة، عمودية أو أفقيه، داكنة اللون، وبرية في السنة الأولى، القشرة رمادية داكنة إلى سوداء، متشققة في الكبر، الأوراق دائمة سنتين إلى 3 سنوات، متغيرة الشكل والقياس(0.5 - 5 سم ×1 - 8 سم)،

ذات حرف مُسنّن أو شوكي، نادراً شبه كاملة، معنقة قليلا، قاسية، خالية من الأوبار على الوجه العلوي، وبرية على الوجه السفلي، الأوراق الصغيرة داكنة وبرية على الوجهين، الأزهار المذكرة على شكل نوارات متهدلة، معنقة طويلا ومجتمعة، الأزهار المؤنثة صغيرة، غالباً مجتمعة، الثمار بلوطة وبرية من الرأس، ذات قمع شبه بيضوي وبري، حراشف القمع ملتصقة كثيرا به، تنضج الثمار خلال السنة الأولى، شبه حلوة عند بعد الظروف، تعيش الشجرة طويلا وتخلف بقوة بعد القطع.

مناطق الانتشار : ينتشر البلوط الأخضر بصورة طبيعية في القسم الغربي من منطقة البحر المتوسط حيث يوجد كذلك البلوط الفليني، إلا أن المساحة التي يغطيها أكبر من مساحة هذا النوع، ذلك أن خصائصه البيئية تسمح له بالعيش في ظروف مختلفة من حيث المناخ، والتربة والارتفاع عن سطح البحر.

في المغرب يغطي حاليا مساحات شاسعة تقدر بـ 1.350.000 هكتار، ويأتي في الدرجة الأولى من حيث مساحته. وتشهد آثاره الموجودة في مناطق كثيرة من المغرب أن غاباته كانت تغطي أراضي جد شاسعة غير أن تعديات الإنسان عليه تسببت في إتلاف أجزاء كبيرة من أحراج هذا الشجرة.

ينتشر هذا النوع في جبال الريف، والأطلس المتوسط والكبير والصغير، وكذلك في الهضبة الوسطى وتلال بني إسناسن في الشرق.

البيئة : يعيش البلوط الأخضر على صخور مختلفة وهو لا يبالي بالتركيب الكميائي أو الفزيائي للتربة، إلا أنه يفضل التربة الكلسية في المناطق الباردة. يقاوم الحرارة والبرودة إذ يصل إلى ارتفاع 2.800 متر عن سطح البحر في الأطلس الكبير بسكساوة. يعيش في المناطق نصف الجافة والشبه الرطبة والرطبة. إنه من الأنواع الاليفة الثور والبطيئة النمو.

الاستعمال : الخشب قاس جدا، متين وثقيل، يستعمل بصورة خاصة للتفحيم وكوقود للتدفئة، فحمه من أجود الأنواع. يستعمل كذلك كركائز ومقابض المعاول، ويمكن استعماله أيضاً في صناعة الأثاث المنزلي ولبناء السكة الحديدة خصوصا عندما يكون جدع الشجرة مستقيما وطويلا.

تحتوي قشرته على مادة عفصية تستعمل في الدباغة، كما أن أوراقه وثماره تصلح كغذاء للمواشي خصوصا في فصل البرد حيث قلة المراعي وانعدام العشب تجعل الفلاحين يتوجهون إلى غابات البلوط الأخضر لقطع الفروع الصغيرة وحملها لقطعانهم التي تقضي جل أوقاتها في الاصطبلات. وهذا الاستعمال تسبب إلى حد كبير في انقراض مساحة شاسعة من هذا النوع خصوصا في ضواحي القرى والمنازل.

3 ـ البلوط القرمزي = Quercus coccifera L. الكريش = Le chêne Kermés

الصفات النباتية : شجرة صغيرة يمكن أن يصل ارتفاعها إلى 10 أو 12 مترا، عادة شجيرة، جذعها غير مستقيم، محشرف، أسود رمادي، التاج مستدير، الأغصان وبرية في السنة الأولى، الأوراق دائمة، قاسية حداً، بيضية أو طويلة ـ بيضية ذات عنق قصير، ذات حرف مسنن أو شوكي، لماعة على الوجهين وخالية من الأوبار، الأزهار تظهر في أبريل أو ماي، المذكرة على شكل نورات طويلة متهدلة، الأزهار المؤنثة صغيرة جدا دون عنق تقريباً، البلوطة منفردة أو مجتمعة، ذات شكل بيضوي، قمعها نصف كروي وله حراشيف وبرية صغيرة وحادة وغير ملتصقة. تنضج الثمار بعد سنتين من عمرها بخلاف الأنواع الأخرى، تخلف الشجرة بقوة بعد القطع.

مناطق الانتشار والبيئة : يعيش البلوط القرمزي بصورة طبيعية على جوانب البحر المتوسط الغربي. في القسم الشرقي يحل محله نوع قريب منه اسمه البلوط العادي Quercus calliprinos Webb. يوجد في المغرب قرب السواحل الشمالية والجبال الغير المرتفعة المطلة على البحر المتوسط من جبال الريف وبني إسناسن.

يعيش هذا النوع في الأراضي الفقيرة والصخرية وهو لا يبالي بالتركيب الكميائي أو الفزيائي للتربة، إلا أنه يفضل التربة الكلسية.

إنه من الأنواع الأليفة للنور والبطيئة النمو جداً. يعيش في المناطق نصف الجافة وشبه الرطبة والرطبة.

الاستعمال : خشبه قاس جداً ومتين وثقيل، يستعمل خاصة كوقود وللتفحيم، كما تستعمل قشرته في الدباغة، وتستخرج مادة القرمز، مصدر اسم الشجرة، من بويضات الحشرة التي تعيش عليها.

4 ـ بلوط الزان = Quercus Faginea L. التاش = تاشت = Le chêne Zéen

الصفات النباتية : شجرة متعددة الأشكال، يمكن أن يبلغ ارتفاعها ثلاثين متراً، ذات قشرة متشققة، حرشفية في بعض الأحيان، بنية اللون، أغصان السنة الأولى وبرية أو شبه وبرية، الأوراق معددة الأشكال، متساقطة أو شبه متساقطة (تصفر في الخريف وتسقط في الربيع)، معنقة، وبرية على الوجه السفلي، لماعة على الوجه العلوي، ذات حد مستقيم، متموجه، شبه مستقيمة، شبه مفصصة في بعض الأحيان أو مسننة، الأزهار شبه وبرية، المذكرة على شكل نوارات متهدلة ومعنقة، المؤنثة صغيرة وغير معنقة، البلوطة غير مستطيلة أو بيضاوية، قمعها نصف مستدير، يغطي ما بين ثلث وخمس البلوطة، الحراشيف ملتصقة وشبه وبرية. تنضج الثمار خلال السنة الأولى. تعيش الشجرة طويلا ولا تخلف بعد القطع إلا نادراً.

الموطن : يعيش بلوط الزان في القسم الغربي من حوض البحر المتوسط حيث يوجد في إسبانيا والبرتغال والمغرب والجزائر وتونس.

يغطي في المغرب مساحة تقدر بـ 16.000 هكتار يوجد القسط الأكبر منها في الريف الغربي والأوسط. ويوجد كذلك في الأطلس المتوسط والكبير وفي الهضبة الوسطى وفي هذه المناطق الأخيرة يغطي مساحات ضيقة حيث يقطن خاصة في الأودية والمنخفضات الرطبة بحثا عن الرطوبة الكافية والتربة الجيدة. تعد غابة "الجُعْبَة" الموجودة قرب مدينة إفران من أحسن غاباته حاليا بالمغرب حيث تغطي مساحة تقدر بحوالي 900 هكتار. أما غابات الريف فقد استغلها الإسبان أيام الحماية بشكل فظيع، ولم يبق من غابات جبال الخزانة والعلام وأبو هاشم الجميلة إلا الأشجار ذات القيمة الضعيفة الغير الصالحة لاستخراج الخشب أما الأشجار الجيدة فكلها قطعت وشحنت إلى إسبانيا قصد بناء خطوط السكة الحديدية هنالك.

البيئة : هذا النوع يعيش في المناطق الشبه الرطبة والرطبة، أما المناطق الشبه الجافة فإنه يصادف في الوديان والمنخفضات الرطبة حيث الماء والتربة الجيدة.

يصادف بلوط الزان على الصخور الكلسية والدولوميتية والبازلتية وكذلك الرملية. وهو لا يبالي بالتركيب الكميائي أو الفزيائي للتربة. إلا أنه يفضل التربة العميقة الرطبة. ينشتر ما بين سطح البحر قرب مدينة طنجة (الجبل الكبير) و2.000 متر في جبال الأطلس. يتحمل البرودة والثلج.

الاستعمال : الخشب قاس نسبيا متين وثقيل، كان ولا يزال يستعمل في بناء خطوط السكك الحديدية، خواصه التقنية أحسن من الأنواع الأخرى، يمكن استعماله لصناعة الأثاث المنزلي. يستعمل كذلك كوقود. أما للتفحيم فجودته ناقصة. الدراسات التي أجريت عليه في تونس، حيث يغطي مساحات شاسعة، أثبتت إمكانية الاستخراج منه خشبا جيداً بعد معالجته وتجفيفه. تستغل أوراقه كتغذية للماشية في فصل الصيف خصوصا في منطقة الريف.

5 ـ بلوط البرانس = البلوط الزغبي Quercus pyrenaica Willd = Quercus tauzae Bosc

تاشت Le chêne Tauzin = Le chêne des pyrenées

الصفات النباتية : شجرة قامتها متوسطة ، يمكن أن يصل ارتفاعها إلى عشرين مترا، جذعها غير مستقيم وقصير، تاجها خفيف، أغصانها بيضاء، كثيرة الوبر، القشرة سوداء،مشققة، الأوراق متساقطة، معنقة طويلا، مجزأة، مفصصة، وبرية على الوجهين، التوريق متأخر (مايو، يونيو)، البلوطة، صغيرة، بيضوية الشكل، معنقة قليلا، القمع رمادي، نصف كروي، محشرف، مزغب الحراشيف خفيفة التركيب. تنضج الثمار خلال السنة الأولى. يعرف بلوط البرانس بكثرة تخليفه بواسطة جذوره السطحية.

الموطن والبيئة : يعيش بلوط البرانس بصورة طبيعية في المنطقة الساحلية الأطلنطية من حوض البحر المتوسط، حيث يوجد في جنوب غرب فرنسا وشبه الجزيرة الإيبيرية والمغرب.

يغطي في المغرب مساحة ضيقة، ويعيش خصوصا في الريف الأوسط والغربي فقط. ينتشر في الجبال المتوسطة الارتفاع ما بين 900 و1.800 متر عن سطح البحر، حيث يكوِّن غابات نقية أو مختلطة مع بلوط الزان على الخصوص. يكثر في جبال تيزيرين وخزانة والسنة وأبو هاشم والعلام والوتكة، وجلها مكونة من صخور حتية تغطي أتربة حمضية. يتطلب هذا النوع رطوبة كثيرة، ولهذا لا نجده إلا في المناطق الممطرة من الريف الغربي والأوسط.

الاستعمال : لخشب قاس وثقيل وكثير العقد، يستعمل خصوصا كوقود. فحمه ضعيف القيمة، قشرته غنية بالعفص (الدباغ)، أوراقه تصلح لتغذية المواشي في فصل الصيف. وهذا الاستعمال الأخير تسبب في تدهور غابات هذا النوع، لأن الأغصان تقطع كل سنة مما يضعف الشجرة ويتسبب في إتلافها.

6 ـ البلوط القزمي Quercus humilis L: كريش = Quercus.Fruticosa Brot

الصفات النباتية : شجرة صغيرة جداً لا يتعدى ارتفاعها أكثر من متر واحد تشكر بكثرة حتى أنها تغطي الأرض، أغصانها معوجة، مزغبة، الأوراق تتساقط متأخراً، قاسية، معنقة قليلا، صغيرة (25 - 6 × 1,5 -3 سم)، لماعة على الوجه العلوي، وبرية على الوجه السفلي، شبه مسننة، البلوطة صغيرة، شبه معنقة، القلف صغير، نصف كروي، حراشيفه ملتصقة، تزهر الأشجار في مايو، تنضج الثمار خلال السنة الأولى.

الموطن والبيئة : يعيش في نواحي مضيق جبل طارق، ويوجد فقط في جنوب إسبانيا والشمال الغربي المغربي. في المغرب لا يتعدى منطقة طنجة وتطوان وسبتة. نافر من الكلس يعيش خصوصا على التربة الحمضية وفي المناطق الرطبة. استعماله محدود جداً، تأكله المواشي، جذعه صغير لا يصلح إلا كوقود.

أ. هبل، *النبات الاقتصادي*، 1962، تـر.د. ع. زاهر وآخرون، المكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ؛ إ. نحال، 1983، *أساسيات علم الحراج*، منشورات جامعة حلب، كلية الزراعة، حلب سوريا.

E. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1988 ; A. Benabid, *Etude phytoécologique biogéographique et dynamique du Rif occitenial (Maroc)*. Thèse d'état, Fac. St Jérome, Marseille, France, 1982 ; A. Zine El Abidine, *Application de l'Analyse multidimensionnelle à l'Etude taxinomique et phytoécologique du chêne Zéen et de ses peuplements au Maroc*. Thèse de Docteur Ingénieur, Fac. St Jérome, Marseille, France, 1987.

عبدالنبي زين العابدين

البلوط. ـ تاريخ ـ كانت الغابات أكثر كثافة مما هي عليه الآن، بينما غطت غابة البلوط الفلييني السهول الساحلية والمرتفعات المجاورة لها من طنجة إلى وادي تانسيفت، فالحسن الوزان ذكر أن غابة البلوط تكسو الجبل الأخضر وضفاف بحيرته في دكالة (*وصف إفريقيا*، 1: 126)

أي أن غابة البلوط كانت تمتد إلى أن تختلط بغابة أرگان جنوب تانسيفت.

إن تراجع غابة البلوط الفليني أساسه الكثافة السكانية التي عرفتها المنطقة الساحلية الرطبة منذ بداية العصر الوسيط وما صاحب ذلك من إحراق الغابات للحصول على الأراضي الزراعية الخصبة والمراعي أو إزالتها لأسباب أمنية، كما هو الحال أثناء الصراع البرغواطي الموحدي، وربما تسارعت وتيرة اجتثاث غابة البلوط الفليني في المنطقة الساحلية وخاصة السهول (تامسنا ودكالة وأزغار والهبط) منذ العهد الموحدي وبصفة خاصة منذ نزول القبائل العربية بها ـ وأيضا للإقبال على استهلاك الفحم والحطب في الأفران والحمامات التي كثرت وكثر الإقبال عليها للتحسن النسبي في المستوى المعيشي (*القرطاس*، 414).

وقد تكون صناعة السفن أضعفت إلى حد كبير غابة المعمورة في العهد المريني، ذلك أن ندرة شجر الأرز والصنوبر، وجه هذه الصناعة نحو خشب البلوط الفليني (*الاستقصا*، 3 : 22). إذ قطعت أعداد كبيرة من الأشجار وبطريقة عشوائية غالباً لتزويد دار الصناعة بسلا بما تتطلبه من مواد خام. وقد استمر استنزاف غابة المعمورة من طرف هذه الصناعة التي ازدهرت بعد العصر المريني على ضفتي أبي رقراق موازاة مع نشاط الجهاد البحري منذ أواخر العهد السعدي ـ واستمر هذا الاستنزاف إلى العقود الأولى من هذا القرن ـ أو لنقل إلى بداية استيراد الأخشاب الأكثر صلاحية لهذه الصناعة عن طريق الأوربيين.

وأكبر دليل على ما ذهبنا إليه آنفا أن وادي سبو الذي يخترق المعمورة وينتهي بمرسى عرفت بحلق المعمورة أو المهدية، كان يتلقى في العهد الموحدي خشب الأرز والصنوبر من جبال فازاز (الأطلس المتوسط) بالطريقة العصرية المعروفة اليوم في أنهار كندا والاتحاد السوفياتي، فتسير الأخشاب مع الماء إلى حلق المعمورة حيث دار صناعة السفن (*المن بالإمامة*، 4 : 214 ؛ *زهرة الآس*، 38).

لم تشر المصادر التاريخية إلى الفلين واستعمالاته رغم كثرته، اللهم إلا إذا قمنا ببعض الإسقاطات من القرن الثاني عشر (19 م) حيث وصفت البعثات العلمية الفرنسية التي زارت المغرب تمهيداً لاستعماره بعض حالات الاستعمال، كاتخاذه فراشاً في بعض المنازل في شمال المغرب، ومثال ذلك ضريح مولاي عبدالسلام ابن مشيش. واستعمل الفلين الأسطواني الشكل والمجوف، أجباحاً لتربية النحل إضافة إلى استعمال الصيادين لقطع منه في شباكهم واستعمال قطع منه بشكلها الخشن كسدادات للقارورات والجرد وقنافش (قلالش) السمن (*Archives Marocaines*, V, 17, 1911).

أما ثمرة البلوط فقد كانت تعتبر من الفواكه الخريفية (*اختصار الأخبار*، 94) فرغم كثرته وسهولة التقاطه فإنه كان يباع في المدن الكبرى خاصة فاس وسبتة (*وصف إفريقيا*، 1 : 166) ويحقق ملتقطوه وتجاره أرباحا لا بأس بها، يقول الحسن الوزان متحدثا عن المعمورة "... بها أشجار باسقة تثمر بلوطاً طويلاً غليظاً بحجم برقوق دمشق يبيعه الأعراب في فاس ويحققون ربحاً". ويزداد هذا الربح إلى درجة كبيرة أيام المجاعات وغلاء الأقوات، بل إنه يعتبر نعمة من الله يرسلها بسخاء وقت الشدة حتى يقتات به الفقراء وضعاف الحال في فترة المسغبة (*رسائل موحدية*، 199).

أ. البكري، *المغرب* ؛ ا بن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ج. الجزنائي، *جني زهرة الآس* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*.

محمد حجاج الطويل

بلوط البحر ← بلان

بَلِيشَاع أو بن ليشاع Bellichaa أسرة يهودية اشتهرت بكون بعض عناصرها كانوا خداما لبعض ملوك المغرب في التجارة فأطلق عليهم لقب تجار السلطان بمراكش والصويرة. ولهم فرع انجليزي في طليعته يشواع اللوب بَلِيشاع، آتي الترجمة. وبعد إلقاء نظرة على شجرتهم التي وضعها حييم الزعفراني، نجد منهم :

بليشاع، إسحاق كان عام 1872 رئيسا للطائفة اليهودية "العربية الشرقية" المستقرة بمانشتير. لما توفي ابنه يعقوب، خلف من بعده صبيا اسمه ليلي (سلي) وتزوجت أرملة يعقوب بانجليزي من أسرة نبيلة اسمه سير أضبر هوري، فأصبح ليلي يسمى سير هوري ـ بَلِيشاع (1894. 1957)، كان موظفا ساميا بالخزينة الوطنية (1932.1934) ثم وزيراً للنقل، ثم كاتبا للدولة في الشؤون الحربية 1937 ثم عضواً في مجلس اللوردات 1954.

بليشاع، اللوب، جدّ هذه الأسرة أصله برتغالي، قدم إلى المغرب عام 1491، ولقي به مصرعه عام 1517 فأطلق على ولده موشي لقب بَلِيشاع (بن ليشاع).

بليشاع، موسى (1788. 1851) تاجر بجبل طارق ومانشتير.

بليشاع، يشُواع اللوب (1738. 1808) حصل حسب ما ورد في تقييد لأسرته على رخصة تأسيس أولى بيعة بالصويرة.

دائرة المعارف اليهودية، القدس، ج 4، عمود 437 ؛ ح. الزعفراني، *الآداب الشعبية اليهودية*، 303.307.

ليفي شمعون

بليمني، ـ أسرة سلوية ـ ← ابن اليمني.

بَلَيْمَني حدّو، قائد بزرهون، تلقى تربية مخزنية أهلته لتولي مناصب سياسية في منطقة زرهون شمال مدينة مكناس، كخليفة في مدشر بني عمار في عهد السلطان مولاي عبدالعزيز، ثم عينه المدني الأگلاوي ـ الصدر الأعظم في مخزن مولاي حفيظ ـ شيخاً لنفس المدشر الذي كان في مقره الرئيسي، إضافة إلى مداشر أخرى كانت تابعة لمشيخته كالصخيرات، وبني مرعاز، وأيت احساين،

والخنادق، وصار في نهاية الحكم الحفيظي قائداً لهذه المداشر.

خلال توجه الحملة الفرنسية من الدارالبيضاء إلى فاس لرفع حصار القبائل عن مولاي حفيظ، مرت قوات هذه الحملة عبر فج زكوطة وفي طريقها إلى فاس قصفت بالمدافع مقر قيادة بليمني حدو في بني عمار وذلك يوم 31 ماي 1911، وكان قائد القوات التي قامت بهذه الغارة هو الجنرال گورو Gouraud في حين كان قائد الحملة العام هو الجنرال موانيي Moinier وذلك لإظهار قوة فرنسا وإرهاب سكان المنطقة التي سهل فيما بعد احتلالها.

بعد احتلال القوات الفرنسية صحبة الجيوش المخزنية لمدينة مكناس يوم الخميس 8 يونيو 1911، توجهت لإخضاع سكان زرهون الذين استسلموا دون مقاومة تذكر، وأثناء اجتماع القائد العام لهذه القوات بأعيان وقواد وأشياخ وسائر رجال السلطة بالمنطقة وترك جلهم في مناصبهم، ومنهم حدّو بليمني الذي احتفظ بقيادة المداشر السالفة الذكر، وبقي في هذا المنصب إلى نهاية سنة 1918 حيث ألقت القوات الفرنسية عليه القبض بتهمة المشاركة في مؤامرة باشا مدينة مكناس بنعيسى بن عبدالكريم البخاري التي دبرها للإطاحة بالقيادة الفرنسية بمكناس في شهر نونبر من تلك السنة. وكانت الأحكام الصادرة في حق حدّو بليمني تتلخص في عزله عن وظيفته ومصادرة أملاكه ـ استرجع بعضها سنة 1925 ـ والحكم عليه بالسجن لمدة سنتين، يعود بعدها إلى قبيلته الأصلية أو يبقى تحت الإقامة الإجبارية في مدينة تعينها السلطات الفرنسية.

توفي حدّو بليمني في نهاية الثلاثينات من هذا القرن.

بوشتى بوعسرية

بَلَنْجِينة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Balaizena، وكان من بين أفرادها بتطوان الفقيه العدل :

بَلَنْجِينة، أحمد بن عبدالنبي المتوفي سنة 1689/1100.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1690/1101.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بْلَنْدْ Blende أو سفاليريت، زنك أوخارصين الكبريت ZnS. نظامه البلوري تكعيبي، غالباً ما تكون بلوراته متلاصقة على شكل صفائح رقيقة، ممتازة الانفصام. صلابته 4 .3.5 كثافته 4.2.3.5 ؛ أسمر إلى أسود، أحيانا أصفر، مخضر إلى مصفر، قليلا ما يكون عديم اللون، صمغي اللمعان، احيانا شفاف مصحوب بانعكاسات ضوئية حمراء.

يعتبر البلند أهم معدن خام للزنك، ويوجد على الخصوص على طول التسللات الحرمائية، ومصاحبا للبغماتيت أو منتشراً على شكل حبيبات في الصخور الرسوبية.

الكثير من مكامن البلند تم تشخيصها بالمغرب : (انظر الخريطة)،

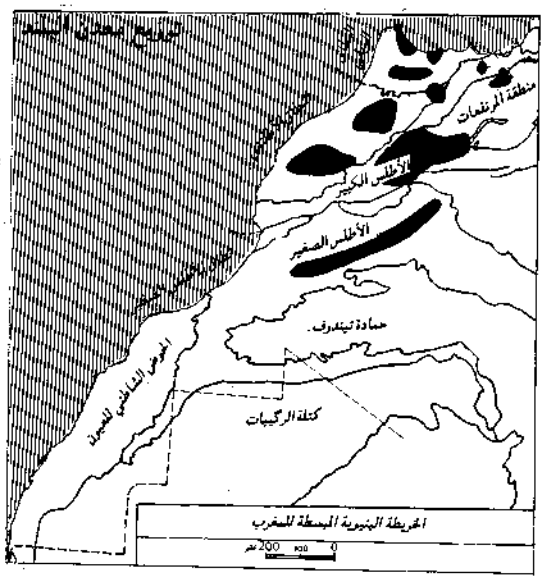

ـ منطقة ملوية العليا (مكامن أحولي، مبلدن وزيدة).

ـ منطقة الأطلس الكبير المتوسطي وتافيلالت.

ـ المنطقة الشرقية لسلاسل الهورست منطقة المرتفات (تويسيت، بوبكر، بديبان ومكنة).

ـ منطقة الأطلس الصغير، وخصوصا بالطاوس وعدانة.

ـ المناطق المتعددة المعادن، كجبل عوام (مريرت)، والرحامنة، وتازكا والريف الداخلي (الجنوب الشرقي وشمال مدينة تطوان).

يستعمل معدن الزنك للغلفنة، والصناعات المعدنية، ونقل لمعادن الثمينة، وكذا لخاصيته كمختزل في الصناعة. أما كبريت الخارصين فيستعمل كخضاب في صناعة الصباغة والمطاط، والمنتجات الضيائية.

أنتج المغرب سنة 1976 حوالي 29.568 طنا من فلز الزنك، وصدر ما يناهز 31.385 طنا ؛ مقابل إنتاج 14.796 طنا وتصدير 15.023 طنا سنة 1987.

مدخل إلى جيولوجيا المغرب، مجلة المناجم والجيولوجيا منشور إدارة المعادن والجيولوجيا والطاقة ـ عدد 41، 1977.

A. Foucault et J. F Raoult, *Dictionnaire de géologie*, 3ème édition, Paris ; E. Saaidi, *Lexique de géologie et de géomorphologie* (français-arabe), Rabat, 1990, Rabat ; J. Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*. Paris : Rudolf Duda et Lubos Rejl, *La grande encyclopédié des minéraux*, Paris, 1986 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains*, (substances métalliques et non métalliques associées), 2ème Edition, tome 1, notes et mémoires du Service Géologique n° 276, 1980 ; *Géologie des gîtes minéraux marocains* (Phosphates), 2ème Edition, tome 3, notes et mémoires du Service Géologieque ; P. Lapadu-Hargues, *Précis de minéralogie*, Paris, 1954.

عبدالقادر بوسحابة

البَلَنْسِيَانو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Valencianus أي البلنسي نسبة لمدينة بلنسية Valancia، وكان من بين أفرادها بتطوان :

البلنسيانو، العربي المعلم المساعد للقضاء الذي كان حيا سنة 1737/1150.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1737/1150.

بَلَنْصويلة، أو بنوصويلة، أو بن صويلة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم هكذا Valenzuela أو هكذا Palenzuela.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان على إثر الوباء الذي أصاب المدينة سنة 1677/1088.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 43 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 323 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بْلُونْدان، Blondin مهندس عسكري فرنسي كان ضابطا في جيش الاستعمار الذي احتل الشاوية ابتداء من صيف سنة 1907، وهو الذي أشرف على بناء القنطرة العابرة لمصب وادي النفيفخ، ومازالت القنطرة قائمة إلى يومنا ويشهد ضيقها على وظيفتها العسكرية الأصلية، وتوفي الضابط المذكور بمركز الإسعاف المقام ببرشيد يوم 29 أكتوبر 1908 من أثر الجراح التي ألحقها به المجاهدون المغاربة، فأمر الجنرال داماد d'Amade إطلاق اسمه على تلك القنطرة وما زال الاسم رائجا على الألسن إلى يومنا.

Général d'Amade, *Campagne 1908 - 1909*, Paris ; Grasset, *A travers la Chaouia avec le Corps de débarquement*, Paris, 1911 ; Seconds, *La Chaouia et sa pacification*, Paris (s/d) ; L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939.

إبراهيم بوطالب

البلوي، أحمد بن محمد بن عبدالرحمن القضاعي الإشبيلي أبو القاسم قرطبي الأصل، عرفت أسرته في قرطبة ببني علي. والأصل الأقدم للبلويين من القحطانيين اليمنيين، وقد سكنوا الحجاز قبل الإسلام. وكان مولد أبي القاسم البلوي في أواسط سنة 1179/575.

اشتهر بمهنتي القضاء والكتابة، قد تولى القضاء في شبابه، حيث اشتغل مسددا في إستيجونة (جنوب رندة) حوالي سنة 606 هـ (*العطاء*، 74.73). و قضاء السدد هو قضاء في الأمور الأقل خطورة خاصة في غير المدن الكبرى، وأحكامه قابلة للاستئناف. وكان على صلة برجال الدولة الموحدية، منهم كاتب الخليفة الناصر أبو عبدالله بن عياش، وكتب عن عدد من السادة (الأمراء) الموحدين منهم السيد أبو إسحاق إبراهيم ابن الخليفة يوسف والي اشبيلية (600 . 612) الذي كان ينجز في عهده كتابه المسمى *بالعطاء الجزيل*. يقول البلوي عن نفسه :"ابتدأت جمع هذا الكتاب في شعبان سنة 610 هـ وختمته الآن هنا في شعبان 613... وقد كنت سميته في الصدر : *تشبيب الإبريز، والمزيد اللاحق التبريز، على ما جاء من الترسيل في كتاب أبي عمر المسمى بالوجيز*... ولما كمل الآن قده ... زدته درجة في التفضيل، وسميته : *العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل*، فهو كتاب ذو اسمين، (*العطاء*، ص 172.171) ولهذا فإن الاشارات الواردة في بعض المصادر تذكر اسم المؤلف تحت عنوان : *تشبيب الأبريز* ... (*الذيل*، 1 : 455).

قسم البلوي كتابه إلى عشرين باباً، كل باب يخص فناً من فنون الأدب يقدم خلاله نماذج ابتداء من العهد الإسلامي الأول ويختم بمساهمته في كل فن، وأضاف بعد ختم الكتاب رسائل سماها "زوائد" يمكن إلحاقها بكل باب في الأبواب. غير أن النسخة الوحيدة بالخزانة الحسنية بالرباط مبتورة البداية، فلم يبق غير الأبواب من الخامس عشر إلى العشرين، ومبتورة النهاية حيث ضاع في الزوائد وسائل تهم الباب الأول والزوائد التي تهم الأبواب اللاحقة. وقد استفاد كاتب هذه المادة من بعض رسائل العطاء في إنجاز رسالة جامعية تحت عنوان : *مجموعة جديدة من الرسائل الموحدية*.

يذكر ابن عبدالملك المراكشي في *الذيل* مساهمات لأستاذه البلوي في علوم أخرى، فبالإضافة إلى مكاتبه في ميداني الآداب والقضاء له معرفة بعلم الحساب والهندسة، كما أنه ترك تأليفاً في اللغة، وبدأ في أواخر حياته *تأليفاً في ميدان الشعر* لم يكمله (*الذيل*، 1 : 456).

ومما يدل على اهتمام رجال الدولة بأهل العلم أن كتاب *العطاء* (أو *تشبيب الابريز*) أنجزه البلوي باقتراح وتشجيع من المشرف (أي المسؤول المالي) أبي عبدالله ابن عبدالرحمن بن سهيل الاشبيلي (*الذيل*، 1 : 359.358)، وأن رسائل *"الزوائد"* أطلعه عليها مخدومه السيد أبو إسحاق في خزانته وشجعه على تنقيحه بهذه الإضافات (*العطاء*، 172).

قضى البلوي أواخر حياته في مراكش التي دخلها في أول عهد الخليفة الموحدي المعتضد سنة 1243.42/640 إلى وفاته بها في رمضان من سنة 1259/657، وكان يعيش فيها من دخل بسيط من مهنة التوثيق في دكان له. هذه الفترة كانت فيها مراكش من أهم المدن التي تستقطب رجال الفكر الأندلسيين الفارين من المدن الأندلسية التي كانت تتساقط بأيدي الإسبان، وهذه الكثرة لرجال الفكر بمراكش وبالمغرب عامة تؤكدها كتب التراجم، رغم أن هذه الفترة تمثل تدهور أحوال الموحدين الذين ستنتهي دولتهم في مطلع سنة 1269/668.

أ. البلوي، *العطاء الجزيل* ...، مخطوط خ. ح. رقم 6148، ص 172.171 ؛ م. ا. عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة* ...س. 1 : 461.453 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، ج 2 ؛ م. المنوني، *مصادر تاريخ المغرب*، 1 : 123 ؛ أ. عزاوي، *مجموعة جديدة من الرسائل الموحدية*، ق. 1 : 4 و18، د. د. ع. الرباط.

أحمد عزاوي

البلوي، أبو بكر عبدالرحمان بن سليمان السبتي، عالم أديب، وشاعر رقيق، رحل إلى الأندلس للأخذ عن مشيختها، وانتهى به المطاف إلى قرطبة، وكان من رفاق أبي محمد ابن حزم الإمام الشهير، يختلفان جميعا إلى حلقات الدرس، ويتجاذبان شئون الأدب، وربما أنشد كل

منهما الآخر ما عنده من شعر ؛ وكان لهما رفيق ثالث يكبرهما قليلا، هو الحسين بن علي الفاسي، قدم على الأندلس تحدوه الرغبة في طلب العلم والأخذ عن المشايخ، ورغم ما اشتهر به من نسك ووقار، وفضل وصلاح، فقد كانت له أريحة أدبية، حدث ذات مرة أن أنشد أبو بكر البلوي أبياتا له في صفة متجن معهود، يقول فيها :

سريع إلى ظهر الطريق وأنه إلى نقض أسباب المودة يسرع
يطول علينا أن نرقع وده إذا كان في ترقيعه يتقطع

فصادف حضور أبي علي الفاسي - وهو في طريقه إلى مجلس شيخه أبي القاسم الصواف - فتبسم وقال :

إلى عقد المودة - إن شاء الله ...

وتدفع نشوة الأدب أبا محمد بن حزم إلى أن يقول في نفس الموضوع : - عاتبا على المتجني صدوده ونقضه لأسباب المودة - مضمنا في ذلك قول صديقه الفاسي :

دع عنك نقض مودتي متعمداً واعقد حبال وصالنا يا ظالم
ولترجعنّ. أردته أو لم ترد كرها - لما قال الفقيه العالم

ولا يخفى ما في البيت الأخير من ضعف، فقد جاءت كلمة : (الفقيه العالم) - ثقيلة الظل، ولعل للارتجال دوراً في ذلك ؛ بينما بيتا أبي بكر ليس فيهما ما يخدش وجه البلاغة.

ولأبي بكر قطعة أخرى أوردها الحميدي في *الجذوة*. ظل أبو بكر يتردد على مجالس العلم بقرطبة ردحا من الزمن وهي تعج بالعلماء والأدباء، ولما وقعت فتنة البربر بقرطبة، غادرها كثير من أهل العلم والأدب - وفيهم شيوخه أمثال أبي القاسم الصواف المصري، ورحل كذلك زميله أبو علي الفاسي - متوجها إلى المشرق، وتوفي في طريقه إلى الحج قبيل سنة 1026/417 ؛ وابن حزم نفسه لم يستطع المقام بقرطبة، فغادرها إلى المرية ومنها إلى بلنسية، ثم إلى جهات أخرى بشرقي الأندلس.

والمرجح أن أبا بكر البلوي قد عاد إلى سبتة، ويبدو من صنيع ابن حزم في *طوق الحمامة* : أنه كان في سنة 1027/418 لا يزال على قيد الحياة، فهو عندما يذكر أبا علي الفاسي لا يذكره إلا مقرونا بدعاء الترحم، والشأن أن يقال ذلك في حق من فارق هذه الحياة، بينما يذكر أبا بكر البلوي مجرداً من ذلك، ومعلوم أن تأليف ابن حزم *لطوق الحمامة* كان سنة 1027/418.

م. ابن حزم، *طوق الحمامة* ؛ الحميدي، *جذوة المقتبس*.

سعيد أعراب

البَلوي، خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن علي بن أبي خالد البلوي، يكنى أبا البقاء. وصفه الشاطبي بالشيخ الفقيه القاضي الأعدل (*نفح الطيب*، 2 : 532)، وترجم له معاصره ابن الخطيب في *الإحاطة*، ويستفاد من هذه الترجمة أنها ثانية اثنتين كتبهما هذا المؤلف للبلوي بعدما ترجم له في *الرحلة* التي قام بها برفقة السلطان الغني بالله النصري إلى البلاد الشرقية في الأندلس وهي المسماة *خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف* (*الإحاطة*، 1 : 500).

خالد البلوي من أهل قنتورية من حصون وادي المنصورة. وقنتورية هاته يذكرها البلوي مقرونة بكلمة بلدي (*تاج المفرق*، 2 : 155) وقد علق عبدالله عنان على الاختلاف في كتابة اسم هذا البلد بقوله إنها قنتورية المسماة بالإسبانية Cantoria وهي بلدة صغيرة من أعمال ولاية ألمرية على نهر المنصورة (*الإحاطة*، 1، هامش 500).

بهذه البلدة كان مولد البلوي في تاريخ غير معروف، من أسرة مشهورة بالعلم والجاه، وبها تلقى تعليمه الأولي على والده، ثم رحل إلى غرناطة وأخذ بها عن محمد بن محمد بن عاصم القيسي وغيره. ثم جاز البحر إلى العدوة فأخذ العلم بفاس عن عبدالعزيز بن محمد القروي وأحمد بن شعيب الجزنائي ومحمد بن عبدالكريم وعبدالرحمان الجزولي. كما أخذ بتلمسان عن أبي موسى بن الإمام وقاضي الجماعة أبي علي منصور بن هدية وعمران المشدالي والقاضي محمد بن عبدالنور (*جذوة الاقتباس*، 1 : 186.187) وقد عاد البلوي بعد ذلك إلى مسقط رأسه قنتورية ليغادرها مرة أخرى في اتجاه المشرق طلباً للاستزادة من العلم وأداء فريضة الحج. ذكر ابن القاضي أن رحلة البلوي كانت سنة 1337/737 (*درة الحجال*، 1 : 263). وهذا غير صحيح لأن هذه الرحلة دامت خمسة أعوام إلاّ شهرين وثمانية عشر يوما (*تاج المفرق*، 2 : 156) من تاريخ خروج المؤلف من قنتورية يوم السبت الثامن عشر لصفر من عام ستة وثلاثين وسبعمائة (*تاج المفرق*، 1 : 144) إلى تاريخ عودته إليها صبيحة يوم الاثنين أول ذي الحجة من عام أربعين وسبعمائة (*تاج المفرق*، 2 : 154).

اشتهر البلوي بكتابه الرحلة الحجازية المسماة *تاج المفرق في تحلية علماء المشرق*، وقد نقل المقري عن هذه الرحلة ووصفها بقوله مشحونة بالفوائد والفرائد، وفيها من العلوم والآداب ما لا يتجاوزه الرائد (*نفح الطيب*، 2 : 532) وللمؤلف تواليف أخرى نقل عن بعضها ابن القاضي (*جذوة الاقتباس*، 1 : 186.187) وأشار محقق الرحلة إلى أن للبلوي *تخريجا في حديث الرحمة* وأن له *ديوان شعر* من نظمه ومجموعة *شعرية منتقاة* اختارها من أشعار معاصريه (*تقديم تاج المفرق*، 36).

تقلد البلوي وظائف، أهمها اشتغاله بالكتابة لأمير تونس أبي زكريا يحيى الحفصي مدة قليلة من سنة 1340/740 (*الإحاطة*، 1 : 500) كما اشتغل بالقضاء في مناطق عديدة من الأندلس كبلده قنتورية وبرشانة وألمرية (*تاج المفرق*، 2 : 159 ؛ *جذوة*، 1 : 191).

قال ابن القاضي إنه لم يقف على تاريخ وفاة البلوي (*جذوة*، 1: 191). وذكر الزركلي أنه توفي بعد سنة 1364/765 (*الأعلام*، 2 : 297). وهذا التاريخ لا يفيد كثيرا في موضوع وفاة المؤلف لأنه لا يمثل شيئا بالنسبة لحياته ولا بالنسبة لكتابه. وكل ماهو مؤكد أن البلوي أكمل تدوين

رحلته في اليوم الأخير من شهر ربيع الأول من عام سبعة وستين وسبعمائة حسب ما ذكره حفيده خالد بن أحمد (*تاج المفرق*، 2 : 159). وقد ذكر محقق الرحلة أن وفاة المؤلف كانت قبل عام 680 هـ لأن ابن الخطيب ذكره في *الريحانة* وترحّم عليه (*تقديم تاج المفرق*، 26).

خ. البلوي، *تاج المفرق*، تـ. الحسن السائح، مطبعة فضالة ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، 1973 ؛ ابن القاضي، *ذرة المحجال*، 1970 ؛ *جذوة الاقتباس*، 1973 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، 1968 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 1979.

حسن الحافظي

البلبار (جزر ـ) ← بني غانية

بلياش، ويكتب أحيانا بُلاش، ترجمة عن الفرنسية Pallache ؛ أسرة يهودية خرجت من إسبانيا الكاثوليكية والبرتغال بعد النكبة الأندلسية، في أواخر القرن الخامس عشر وما بعده. ومن اليهود البرتغاليين الذين لجؤوا إلى المغرب في ذلك الوقت، أسرة ورد ذكرها في الوثائق الأجنبية بلقب Pellache وجاءت في المراسلات السعدية بلقب بلياش، وهو اللقب الذي اعتمدناه إذ أنه هو المستعمل عبْريا. ولو أن *بهاس فاس* أخبار فاس، المكتوبة بالعبرية بقلم الربّي حالسرفاتي لم تعالج هذا الموضوع.

كان أحد شيوخ أسرة بلياش، المدعو إسحاق ربّيا بفاس خلال القرن السادس عشر، وكان من بين أولاده، صمويل ويوسف، اللذين ظلا يبحثان عن الثروة والجاه فترددا على بعض البلاطات الأوربية قبل سنة 1579 حسب ما كتبه سفير فرنسا بدريد، وترددا على فاس ومراكش وسلا، يعرضان خدماتهما على من يستطيع أداء الثمن. ثم أقام الأخوان صمويل ويوسف بأسفي التي كانت ميناء مراكش وثغراً هاماً للتجارة الخارجية ونقطة عبور إجبارية للبعثات الذاهبة من مراكش إلى الخارج أو الوافدة عليه من أوربا. وبأسفي تعرّف صمويل ويوسف، وهما يلمان باللغات الأجنبية، على تجار هولانديين، فحصلا على مساعدتهم للتوجه إلى هولاندا. وقد تقدم صمويل إلى السلطات الهولاندية للحصول على تأشيرة الدخول إلى أمستردام سنة 1608 وعرض خدماته كوكيل تجاري لشركات هولاندية بأسفي، فحصل على جواز سفر هولاندي بتاريخ 18 أبريل 1608، لكن السلطات الهولاندية تراجعت ولم تسمح لصمويل بالإقامة ولو مؤقتا ببلادها، خصوصا بعدما تذكرت عروضه الخالية من الجدّية، مثل غزو مدينة تطوان "المستعدة لاستقبال أي كان من الغزاة" واحتكار التجارة في الموانئ والمدن المغربية القارية، ويكونه على علم تام بأن ما تحتاجه هولاندا لصناعاتها، متوفر بالمغرب وبثمن بخس، مثل الأصواف وملح البارود والسكر وغير ذلك، كما أن المغرب الذي كانت له مشاكل مع إسبانيا والبرتغال وغيرهما يحتاج إلى التعامل مع هولاندا.

توجه صمويل بلياش إلى الملك زيدان بن أحمد المنصور السعدي واقترح عليه احتلال تطوان لكسب ثغر قريب من أوربا وذلك بعد أن ينقل إليها الجنود بحراً. فكيف يتأتّى ذلك وزيدان لا يملك أية سفينة ؟ فلوح صمويل بما يمكن جنيه من ثمار من التعامل مع هولاندا، زاعماً أنه يعرف هولاندا حق المعرفة وله فيها أصدقاء يهود برتغاليون وغيرهم ممن يسيطرون على القطاع التجاري والحربي.

استحسن زيدان الفكرة، وهكذا فتح صمويل باب النفوذ والدبلوماسية على مصراعيه لأخيه يوسف ولأبناء أخيه داود وموسى وإسحاق، وفتح باب البلاط السعدي لغيرهم من اليهود ليتلاعبوا بالمصالح العليا للمغرب،غير مهتمين إلا بمصلحتهم الخاصة.

بلياش، إبراهيم بن يوسف، كان يقوم بدور الرقّاص من مراكش إلى أسفي حاملا إلى الوكلاء الأجانب رسائل الملوك السعديين أو الرسائل التي يتسلمها من شقيقه موسى أمين زيدان الموجهة إلى هؤلاء الوكلاء أو إلى اليهود الذين كانوا يمسكون بشؤون ثغر أسفي وبالديوانة.

بلياش، إسحاق (الأعرج) كان كأخيه داود وأبيه يوسف، وعمّه صمويل، كان خبيراً في المناورات، استفاد كثيراً من الامتيازات الدبلوماسية والتجارية، ذلك ما جعل أسرة بلياش بكاملها تلعب دوراً كبيراً في العلاقات المغربية الهولاندية.

بلياش، داود بن يوسف. كان يقوم مقام السفير المغربي بلاهاي نيابة عن أبيه من عام 1620 إلى عام 1638، ثم صار وكيلا للسلطان محمد الشيخ الأصغر بهولاندا، من عام 1638 إلى عام 1649.

لم يحد داود عن الخطة التي كان يسير عليها أبوه وعمه، فافتضح أمره وظهر نفاقه وخداعه في علاقات المغرب بفرنسا، إذ تهاون في القيام بالواجب وأساء إلى سمعة المغرب والملك الوليد بن زيدان بشأن معاهدة بين البلدين، حيث توانى في تسليم نصها إلى ملك مراكش بعد ما وقعه لويس الثالث عشر. ولما انكشف الأمر، تبين أن داود كان يلفّق الوثائق الرسمية ويزوّر إمضاء الوليد، فطلب هذا الأخير من السلطات الهولاندية اعتقاله، لكن داود علم بذلك وفرّ إلى ألمانيا واختبأ بمدينة كولوني، ومنها أخذ يحرك الوساطات لتكذيب الاتهامات، فتوجت مساعيه بالنجاح وتراجع الوليد عن مطلبه وعفا عنه. الأمر الذي دفع الأوربيين إلى اتهام الوليد بالتواطئ مع اليهودي.

توفي داود بلياش بالمغرب سنة 1649.

بلياش، صمويل بن إسحاق، أشهر من قام في هذه الأسرة بأدوار سياسية وتجارية خطيرة في هولاندا كممثل للملك زيدان بن أحمد المنصور. لم تستطع السلطات الهولاندية أن ترفض صمويل بلياش كممثل الملك زيدان، حفيد الشرفاء، فقبلت أوراق اعتماده ممثلا لملك مراكش بلاهاي، وقبلت أن يكون شقيقه يوسف بلياش وكيل زيدان بأمستردام، وهكذا قضت مصلحة البلاد بتناسي ماضي

صمويل وغض الطرف عن مناوراته السابقة، فدام صمويل على رأس السفارة المغربية بلاهاي، من سنة 1609 إلى سنة 1616.

لم يلبث صمويل إلا أشهراً معدودات حتى أخذ يتبوأ مكانة مرموقة في هولاندا وصار زيدان يسبغ عليه كثيراً من النعم ويخصّه بالمزيد من العطف والثقة، فادعى اليهودي النبل بين الأوساط اليهودية والمسيحية في هولاندا واتخذ لنفسه شعاراً ولأسرته رمزاً تجسمهما قطعة نقدية من قيمة ريال ذهبي ببيضوي الشكل يتوسطه أسد منحوت يعلوه تاج ملكي، فأضحى الهولانديون يسمونه "الكونت بلياش".

قلّما كان صمويل بلياش يُطلع زيدان على كل تفاصيل المفاوضات التي يجريها مع السلطات الهولاندية فانعكس ذلك سلبيا على مكانته لدى زيدان، وسخط عليه دبلوماسيو فرنسا وإسبانيا وانكلترا والبرتغال، خصوصاً عندما سمح لنفسه بامضاء الصفقات باسم ملك مراكش، دون أن يكون له تفويض خاص بذلك.

ما من وفد رسمي توجه من مراكش إلى هولاندا إلا وكان صمويل حاضراً في جلسات العمل، فيقدم النصائح ويحرر التقارير بالشكل الذي يخدم مصالحه أكثر مما يخدم مصالح المغرب، ولم ينكشف مكره إلا بعد وفاته، ذلك كان شأنه مع الوفد الذي ترأسه القائد حمو بن البشير أواخر عام 1608، ومع الوفد الذي ترأسه القائد أحمد بن عبدالله عامي 1610.1611 في شأن إبرام معاهدة تحالف بين المغرب وهولاندا التي كانت تضمر العداء لإسبانيا والبرتغال وانكلترا. وقد شارك في هذه المفاوضات موسى بن يوسف بلياش بصفته "مساعداً" للوفد المغربي، وقد أدرجه زيدان قبل ذلك في هيئة كتابه. وكذلك كان الأمر عندما قرر زيدان إيفاد بعثة ثالثة إلى هولاندا عامي 1612.1613 برياسة القائد أحمد الجزولي للتباحث مع الحكومة المحلية في شأن الباخرة الفرنسية التي كانت تقل خزانة كتبه وبعض النفائس من أسفي إلى درعة عن طريق أگدير والتي غيرت اتجاهها إلى الشمال فوقعت في أيدي القراصنة الإسبان.

وفي عام 1612، قاد صمويل وحده مفاوضات مع هولاندا قصد تزويد ملك مراكش بسفن حربية وأنواع من الأسلحة، وإيفاد مهندس للوقوف على أعمال تحصين المعمورة ـ قبل أن تقع في قبضة الإسبان ـ وتحصين أمگدول، أو كاستيلو ريال، تلك القلعة التي بناها البرتغاليون بجزيرة صغيرة تحادي اليوم ميناء الصويرة ـ ولم تكن الصويرة مبنية ذلك الوقت ـ لكن صمويل لم يفلح في تحقيق رغبات زيدان.

في منتصف سنة 1613، أبحر صمويل إلى روتردام في ظروف غامضة أثارت تشكك سفير انكلترا المقيم بأسفي، جون هارسون الذي نبّه حكومته إلى تحركات صمويل حيث اتهمه واتهم أخاه يوسف بالتحايل وخداع زيدان والنصارى.

في غضون سنة 1614، انتقل صمويل إلى انكلترا فألقي عليه القبض هناك بطلب من سفير إسبانيا الذي كان يقيم بمدينة درموت، لكنه التمس من الحكومة الهولاندية أن تتدخل لفائدته لدى جاك الأول عاهل انكلترا، ففعلت، فأطلق سراحه بعد عام تقريباً رغم معارضة ديبگو دوكونيا السفير الإسباني. وعندما رجع إلى هولاندا، صادف عدة مشاكل في وجهه لأنه تطاول في البحر على يخت هولاندي فأغرقه، وحجز سفينتين برتغاليتين محملتين بالبضائع وأراد أن يحتفظ بالغنيمة دون إعطاء نصيب منها إلى بحارته، فتسبب له ذلك في متاعب جمة مع السلطات المحلية ومع الملاحين وغيرهم.

أصيب صمويل بمرض ألزمه الفراش، فتوفي بهولاندا يوم 5 فبراير 1616، وهو فقير، وتم دفنه بمقبرة اليهود البرتغاليين بمدينة "أدكيرك". ويحمل النصب الواقع عند رأسه، شعاره ورمزه البيضوي الشكل.

بلياش، موسى، قرّبه عمّه صمويل من زيدان، فاستحسن طلعته ومعرفته باللغات الأجنبية، وجعله عضواً في ديوانه، ثم سمح له بالسكنى بالقصر ليكون دائما قريباً منه، فصار موسى صاحب القلم كلما كانت لزيدان مراسلات مع الحكومات الأوربية أو مع ممثليها بأسفي أو مراكش أو غيرها. كان عندما يترجم الرسائل من العربية إلى اللغات الأجنبية يستبدل كلمة "ذمي" التي كانت تخص الوكلاء من أسرة بلياش، بلفظة "خديمنا" أو "مفوضنا الوفي". اشتكى منه العديد من الأجانب خصوصا بعدما أصبح على رأس الكتابة الخاصة لزيدان بمقام أمين السر، حيث تجلى مكره ورياؤه. والغريب أن أصداء تذمر الأجانب من سلوك أسرة بلياش لم تلق لدى السعديين صدى إلا في عهد محمد الشيخ الأصغر الذي نحّاهم تقريبا واستبدل بهم التاجر الانجليزي روبير بلاك.

بلياش، يوسف، تميزت حياته الدبلوماسية والتجارية بفترتين، الأولى واكبت أنشطة شقيقه صمويل (1609.1616) حيث كان ينوب عنه أثناء غيابه عن هولاندا، فكان بمثابة قائم مقام السفارات المغربية، والثانية ابتدأت عام 1616 وانتهت بوفاته عام 1638. وقد واصل الأعمال التي كان يقوم بها صمويل، فكسب ثقة زيدان، ثم ثقة ولده عبدالملك فالوليد بن زيدان فمحمد الشيخ الأصغر، وكل هؤلاء مضوا يدافعون عنه لدى السلطات الهولاندية كلما أثيرت الشبهات حوله أو تعرض لمضايقات بسبب لعبه على الحبلين.

لم يحد يوسف عن الخطة التي كان ينهجها صمويل، فأخذ يلازم مرافقة الوفود المغربية لدى الحكومة الهولاندية والتي كانت في بعض الأحيان لا تتشكل إلا من اليهود، مثل البعثة التي تألفت من رموخ ويعقوب بن روش اللذين أوفدهما السلطان زيدان إلى هولاندا لاقتناء الأسلحة. يلاحظ أن السعديين مضوا يبعدون المواطنين المسلمين عن الصفقات التجارية وغيرها التي يتفق في شأنها مع الدول

الأوربية ؛ ويعزى هذا إلى قوة نفوذ اليهود لدى البلاط السعدي وإلى إتقانهم حبك المؤامرات على المصالح المغربية والأوربية.

في عام 1921 أوحى يوسف إلى زيدان بفكرة بناء مرسى بين الجديدة وأسفي بموقع "أبير"، فاستحسن السلطان المشروع وكلفه بالدخول في مفاوضات مع هولاندا بشأن إنجازه، فطالت المفاوضات عدة شهور، ولما وافقت هولاندا، بعثت وفداً من الخبراء إلى عين المكان، يترأسه ألبير رويبل، لكن هذا الأخير "اشتكى من سلوك آل بلياش وخاصة منهم يوسف وابنه موسى وكافة عصابة اليهود الذين يتلاعبون بمصالح المغرب ومصالح الأوربيين"، فلم ينجز المشروع وتوترت العلاقات بين البلدين بسبب تنطع يوسف بلياش الذي مضى يقدم لزيدان صورة عن الأوربيين مخالفة للواقع ويدّعي في نفس الوقت أنه مؤهل للتفاوض معهم وله كامل الصلاحيات لاتخاذ القرارات الملائمة. ولما عاد إلى أمستردام على متن السفينة التي كانت تقل البعثة التقنية الهولاندية اتهم رويبل بتعذيب ولديه إسحاق وداود طيلة الرحلة في البحر.

كان يوسف بلياش يسدي النصائح إلى السلطات الهولاندية كلما انتقلت السلطة الرسمية في المغرب إلى سلطان جديد، وكان في بعض الأحيان يلتمس من الهولانديين مؤازرته لدى الحكومات الأوربية والثناء عليه لدى السلطان بالمغرب وكما أنه خلف أخاه، أفلح في استخلاف ابنه داود على رأس السفارة المغربية بلاهاي.

م. الإفراني، *نزهة الحادي* ... ؛ أ. بنجلون، *تاريخ أسفي*، (مخطوط).

A. Ruyl, *Journal, S. I. H. M, Pays Bas, France* ; M. Eisenbeth, *Les Juifs au Maroc*.

أحمد بنجلون

بُليد (أيت ـ)، تقول هذه التجزئة بانتمائها إلى فصيلة أيت احماد أُعلي من قبيلة أزوافيط التكنية (أزوافيط، معلمة) على أن اختلاف أيت احماد أُعلي حول تحديد أنسابهم يحد من صلاحية هذه المقولة. ولعل أهل المهدي بقرية أسرير حيث موقع نول لطة عاصمة المرابطين خلال القرن الخامس (11 م) هم أقدم أيت بليد وألزمهم رسوخا بالمنطقة. على أن التاريخ الفعلي لأيت بُليد يعد محط كثير من التساؤلات الكفيلة حقا باستنطاق سيرورة مداشر تغمرت وأسرير وازريويلة. فما معنى أن يعتبر أيت بُليد بعض وحداتهم دخيلة كأهل لحمير مثلا بينما يحتفظ هؤلاء بمنزلهم بتمسوفت تغمرت الموغلة في القدم وبساتين ونخيل يثبت إلى حد كبير انتماءهم القديم إلى عين المكان؟ وما معنى أن يرتبط جل أيت بليد بقرية أزريويلة التي لم يغادرها أصحابها من قبيلة إزركّين إلا منذ ثلاثة قرون ونصف ؟.

يتميز هذا المدشر بمجاورته لمرس هام يحتوي على مجموعة من المثامير التي تحذ بها رعاية أيت إعزّى ويهدّى ذوي السلطة الروحية المتميزة بجمل الأطلس الصغير وباني والساقية الحمراء. فالرواية الشفوية تُسبغُ على هذا المرس من الأوصاف ما يجعله محط احترام جميع المحتالين وتقديسهم (أيت *إعزّى ويهدّى*، معلمة) وتضيف الرواية المحلية بأن قريتي لـ ـار وازريويلة كانتا محايدتين لا تدخلان في الصراع القبلي بين لفي أيت الجمل وأيت عثمان التكنيين. كما أن التجار اليهود كانوا يضمنون أهل القريتين في عملياتهم التجارية.

نتساءل من هنا عن موقع أيت بُليد من هذه الوضعية خاصة وأن طبائعهم الاجتماعية لا توحي بأية تقاليد تجارية تزكي وجودهم قرب مرس البيُص بزريويلة. فمن يكون أيت بُليد وما علاقتهم التاريخية باحماد أُعلي وما دورهم في بلورة القبيلة ؟ وإلى أي مدى يمكن تتبع مراحل تطورهم من خلال جرد لأنسابهم ومقارنتها من خلال تداخل العلاقات الزفافية الأخرى ؟ تلك مجموعة من التساؤلات قد تسمح إذا ما هي نالت ما تستحقه من العناية بالوصول إلى أجوبة شافية. نكتفي هنا بالإشارة إلى سياسة فرنسا القاضية بالمحافظة للأعيان على مهامهم وأدوارهم التقليدية قد أدت بعد سنة 1934 إلى تعيين سيدينا ولد علي ولد عمار كشيخ لأيت بُليد. وقد تميز بمظهره الأنيق وشخصيته القوية خاصة عن أقرب المقربين إليه. على أن أيت بُليد قد عرفوا خلال نفس الفترة من الأعيان كعبدالحي وأخيه عبدالودود ولد عبدالله ما يجعل منهم فصيلة من أجدر الفصائل بالانتماء إلى قبيلة أزوافيط واتحادية تكنة.

مصطفى ناعمي

بليدة، منجم يقع قرب دوار بليدة وأخذ منه تسميته، وهو بكتلة بووازار الكرارا في قلب الأطلس الصغير الأوسط الذي يكتسب منه شخصيته الطبيعية، لذلك يزخر باطن وسطح أرض المنطقة بثروة معدنية شبه نفيسة متمثلة في معدن النحاس. هذا المعدن الذي ظل ملازما للحضارة البشرية منذ اكتشافه، حيث صنعت منه الأواني والحلي والأسلحة وضربت منه النقود، وكان عملة صعبة استبدله المغاربة بالعبيد والسكر والأسلحة، وذلك قبل أن ينال شهرته واستعمالاته المتعددة خاصة في الصناعة الكهربائية في وقتنا الحاضر.

ففي بليدة هذه، عثر المستكشفون المنجميون على استدلالات أثرية من حفر وآبار، وأدوات للاستخراج، ومصهرة للسبك وقرية منجمية تدل على الاستغلال المبكر للمنجم الذي لا يستبعد أن يستغل من قبل السكان المحليين فيما بين القرن الثالث والسابع (13.9 م)، والذي ذكره البكري باسم "تيناء ودادن". إلا أن هذا الاستغلال التقليدي لم يدم طويلا على غرار مناجم أخرى استمرت حتى التدخل الأوروبي. وقد يعود السبب في ذلك إلى نفاد المكامن السطحية، وركود تقنيات الاستغلال، ووعورة المسالك وانعدام الأمن، والبعد عن مواطن الاستهلاك ومنافسة مناجم أخرى أكثر استراتيجية.

وفي القرن العشرين، ولتعويض تكاليف الاحتلال، سنت الحماية قوانين وانشأت مكاتب وشركات بهدف استغلال المدخرات المعدنية المغربية، وتم بذلك فتح معادن "المغرب غير النافع" في وجه الصناعة الأوروبية، واعتبرت كتلة بووازار الكرارا من بين الحدائق الجيولوجية المغربية منذ اكتشاف معدن الكوبالط ببووازار سنة 1931.

هكذا، سعياً وراء تموين احتياطات منجم بووازار، تم العثور على كنوز بليدة وتم القيام بحملات استكشافية من قبل شركات منجمية دامت من سنة 1967 إلى 1973 حيث حددت المعالم الرئيسية للتمعدنات وأسندت مهمات الاستغلال للشركة المعدنية لبوگافر التي عملت على دراسة الصلاحيات التكنولوجية والاقتصادية للمنجم الذي افتتح رسمياً سنة 1982.

فمن حيث المعالم الرئيسية للتمعدنات أبانت الدراسة الجيولوجية والجيوكيماوية أنها من نوع "المكمن الكبريتي، البركان ـ الرسوبي" المنتمي إلى البروتروزويك الأعلى، تتكون معادنه من الكالكوبيريت، والبورنيت والبيريت. أهم مشتقاته هي النحاس، والحديد والكبريت يصل محتواها 3٪ في النطاقات الفقيرة و7٪ في النطاقات الغنية.

تكونت هذه المعادن في حوض مغمور بمياه المحيط على حاشية الدرع الشمالي الافريقي، حيث تعرضت مسطحة الدرع والحوض المرافق له لنشاط بركاني، وترسبت الطفوحات في الحوض منذ 623 ± 10 مليون سنة، وتعرضت هذه الترسبات للحركات الانتهاضية الكبرى لما قبل الكامبري الثاني والثالث لتأخذ الطبقات اشكالها بصفة نهائية : التوائية وانكسارية ذات اتجاه شبه عمودي إلى عمودي من الأسفل في اتجاه الأعلى مع تنضيد قوي.

ومن حيث تقنيات الاستغلال فقد استعملت أحدث آلات الاستخراج. وتمشياً مع الوضع الجيولوجي للافاق المعدنة اختيرت طريقة "الغرف الصاعدة المردومة" للاستخراج، وهي كلاسيكية في النطاقات الفقيرة وشبه ميكانيكية في النطاقات الغنية. صبيبها يجمع بباطن الأرض لينقل آليا إلى مركز المعالجة حيث يركز المعدن إلى أكثر من 30٪ من ركاز النحاس، وهي طريقة تختزل اليد العاملة حيث يشتغل بالمنجم أزيد من 300 عامل بصفة رسمية. هذا بالاضافة إلى عدد من اليد العاملة المؤقتة المسكوت عن أرقامها المظلة.

النتيجة أن منجم بليدة ينتج كميات مهمة من ركاز النحاس كما يظهر في الجدول الأتي :

انتاج المعدن القابل للبيع بـ 1000 طن

1989	1987	1985	1983	1982
34.1	35.1	45.9	53.8	47.6

يوضح الجدول أعلاه أن الكميات المنتجة مهمة مع تراجعها من سنة لأخرى نظرا لارتفاع نسبة الشوائب وتقلص نسبة المعدن بعد استنزاف قلوب المكامن الغنية. وهذه الكميات جعلت المنجم ينتج 88٪ من نحاس المغرب ويحقق 80٪ من كمية المبيعات و93٪ من قيمة الصادرات سنة 1988. ومن شأن هذه النسب أن ترتفع مستقبلا بعد استغلال أكاسيد النحاس على السطح واكتشاف احتياطات مهمة بالواحة شرق بليدة وامكانية استغلال المكامن المتواضعة المحتوى نتيجة التحسن الذي عرفته أسعار خام النحاس في السوق الدولية. ذلك أنه بعد انخفاضها المحسوس سنة 1986 أخذت في الارتفاع لتصل إلى 1734.89 جنيه استيرليني سنة 1989 محققة بذلك تزايدا بلغ 29.8٪ بين السنتين.

ومن منظور آخر، نجد أن استغلال الثروة المعدنية ببليدة أدى إلى تغيير هياكل المنظومة المجالية الموروثة حيث كان نشاط السكان مرتكزاً على الرعي وزراعة الواحات في إطار حياة اجتماعية بسيطة، ثم حدث تحول جذري حيث أصبح الاقتصاد المحلي مرتكزا على النشاط المعدني ومرهوناً بالوظيفة المعدنية، التي أدت إلى فك العزلة على هذه الأرياف وأحدثت تقسيماً جديداً للعمل، وتعمل على إدخال أساليب النظام الرأسمالي بصفة عامة. ويضاف إلى ذلك ادخال آليات صناعية وسكن منجمي غير مألوفين، وسكان غرباء في محيطهم الجديد، حيث تأوي القرية المنجمية أزيد من 2.000 نسمة يعيشون بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على النشاط المعدني، وقد استفادت منها بليدة خصوصا بعد إقفال منجم بووازار سنة 1983، وانتشار ظاهرة الجفاف الذي استفحل وقعه في الكرارا أيضا. هذا ويتعدى اشعاع منجم بليدة نطاقه المحلي إذ ينعش المراكز الحضرية المجاورة تازناخت وزاگورة، وينشط ميناء أگادير ويجلب العملة الصعبة للمغرب.

أخيراً أدى اخضاع الظروف الطبيعية من مناخ وتضاريس وجيولوجيا بفضل استعمال التقنيات الجديدة إلى تنشيط منجم بليدة، وساهم في ذلك الاستفادة من قوانين الاستثمارات المنجمية وتحسن ظروف التسويق. كل ذلك جعل منجم بليدة يحتل الصف الأول في انتاج النحاس بالمغرب. وتبقى الوظيفة المعدنية بالكرارة وظيفة موكولا عليها وستؤدي دورها كاملا بتدعيمها بوحدة للسبك لادخال الصناعة الاستخراجية في استراتيجية جديدة.

أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب*، جزء من كتاب المالك والمسالك، ص 165.155 ؛ ح. أقبوح، *النشاط المعدني بإقليم ورزازات، نموذج بليدة*، بحث لنيل الاجازة، جامعة القاضي عياض بمراكش، 1987.86 ؛ *مجلة صدى بليدة* رقم 4، 1985 ؛ مديرية التخطيط، *النشرة الاحصائية المغربية لسنة 1985 و1989* ؛ مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية لسنة 1982 إلى 1989.

P. Billau, *Les Structures panafricaines du gisement de cuivre de Bleida*, thèse de 3ème cycle, Univ. de Languedoc, 1977; J. Coefic, *Litho-Géochimie des minéralisations cuprifères, liées à un volcanisme acide sous-marin du Proterosoique supérieur (Bleida sud, Anti-Atlas)*, Mémoire de D.E.A, Univ. Montpellier, 1984 ; B. Rosenberger, *Les anciennes exploitations et les anciens centres métallurgiques du Maroc, RGM*, N° 17 - 18, 1970.

الحسين أقبوح

البليدي، أسرة تطوانية لعل أصلها من مدينة البليدية الجزائرية، ووجودها بتطوان كان قبل الهجوم الفرنسي على القطر الجزائري، حيث نجد أحد أفرادها وهو رايس البحر محمد البليدي من بين أعيان تطوان الذين وقعوا على وثيقة بيعة الأمير مولاي سعيد بن السلطان مولاي اليزيد بتاريخ 12 جمادى الثانية 1236 / 17 مارس 1821، كما نجد من بين بحارة حامية تطوان سنة 1834/1250 أحمد البليدي وعباس البليدي ومصطفى البليدي وعبدالمومن البليدي.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 267 ؛ *مختصر تاريخ تطوان* ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias : Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بْليشي، (الدكتور ـ) Dr Bleicher عالم بيولوجي وطبيب في مستشفى وهران، رافق سفارة شارل تيسو وزير فرنسا المفوض بطنجة من هذه المدينة إلى مكناس سنة 1874. وخلّف كتابا عن رحلته بعنوان : *Un Voyage au Maroc*.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1527.

J-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, I : 77.

مصطفى بوشعراء

البليطة أو البلطة، موضع يقع بالقرب من مدينة طنجة، ذكرت المصادر أنه هو المكان الذي التقى فيه يوسف ابن تاشفين بالمعتمد بن عباد عند قدوم هذا الأخير إلى المغرب طالبا نجدة المرابطين، ولم يرد ذكر هذا الموقع في المصادر الجغرافية، وأشار صاحب *القرطاس* (ص 144) إلى الموضع بقوله إنه يقع على ثلاث مراحل من سبتة، وهي نفس الرواية التي أوردها الناصري في *الاستقصا* (2 : 34) مع اختلاف في رسم الكلمة حيث كتبها هذا الأخير "بلطة" عوض "بليطة". أما ابن خلدون فلم يشر إلى هذا الموضع بل ذكر أن اللقاء تم بمدينة فاس.

ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 2 : 34 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 382.

عمر بنميرة

بْلينيوس أو بْلينْ القديم Pline l'Ancien وموريطانيا الطنجية. ولد كايوس بلينيوس سوكندوس بكوم Côme بشمال إيطاليا ما بين 25 غشت عام 23 ق. م، و24 غشت 24 ب. م، وتوفي سنة 79. كان ينتمي إلى الطبقة البورجوازية التي زوّدت روما بالعدد الوافر من الأطر العسكرية والمدنية، إلا أننا لا نعلم الكثير عن طفولته وتربيته. استند هذا المؤرخ في مؤلّفه الشهير الحامل لعنوان *تاريخ الطبيعة Histoire Naturelle* إلى يوبا الثاني حيث استغل مباشرة كتاب عربيا Arabia وكتاب ليبيكا Lybyca، ومن المعلوم أن بلينيوس قد وصف بإسهاب موريطانيا الطنجية في بداية الكتاب الخامس من المؤلّف المذكور، حيث يعتبر هذا العمل أحد المراجع الأساسية للتعريف بالمغرب الأقصى القديم. وصف الشاطىء الأطلسي لهذا البلد، استناداً إلى رحلة بْوليبيوس Polybe، لكن يبدو المُؤلّف وجيزاً فيما يتعلق بشاطىء البحر المتوسط لموريطانيا الطنجية حيث وقعت الإشارة إلى بعض المواقع لكل من الضفة المغربية من المضيق والبحر الإيبيري وباقي الشاطىء المطل على البحر الداخلي إلى نقطة الحدود مع موريطانيا القيصرية. وإذا اعتبر رأس سبارطيل كأول نقطة جغرافية بالنسبة لشاطىء المحيط، فإن طنجيس Tingis تظل بمثابة الناحية الغربية للبحر المتوسط وتحمل اسم تراداكتايوليا Traducta Julia، كما تُقابل موقع بيلو Bélo على الضفة المقابلة بإقليم البتيك Bétique. وتُعَد الناحية الشرقية لطنجيس كمجال جبلي حيث تتم ملاحظة كل من سبتيم فراطريس Septem fratris وجبل أبيلا Abila ونهري تامودا Tamude واللود Loud ومدينة ريسادير Rhyssadir وأخيراً وادي المالفان Malvane. ومن المحتمل أن تنطبق هذه المواقع حسب بلينيوس على كل من الإخوة السبعة غرب سبتة وجبل أشُو Acho لهذه المدينة الأخيرة وعلى ريومارتيل Martil Rio ووادي لاو Laou ومليلية ونهر ملوية الذي يميزه عن وادي كيس Kiss. ومما يلاحظ أن بلينيوس لا يقترح أبداً المسافات الفاصلة ما بين المواقع الجغرافية المختلفة لشاطىء موريطانيا الطنجية المتوسطي، كما أن نفس المؤلف لم يقم بغض الطرف عن أنهار المحيط (لكوس Lixus وسوبوبوس Sububus وسالاتا Salata) وأنهار البحر المتوسط (تامودا واللود والمالغان)، بدراسة وافية لداخل أراضي شمال المغرب الأقصى القديم، إذ اقتصرت الإشارة على بعض السلاسل الجبلية الغير الموطنة بالتدقيق كالإخوة السبعة وجبل أبيلا Abila، بيد أننا نلاحظ نوعاً من اللبس في المنظور عندما يتعلق الأمر بالأطلس Atlas الذي يتعالى وسط الرمال بجوار المحيط في مجال ما بعد نهر السالاتا Salata مع ذكر الغابات العديدة والفيلة بجبال المضيق وكذلك بجنوب سلا كولونيا Sala Colonia. ثم يذكر مؤلّف *تاريخ الطبيعة*، بالإضافة إلى كل من روسادير Rhussadir وطنجيس Tingis وزليس Zilis ولكسوس Lixus وموليوكا Mulucha وسلا Sala وروتوبيس Rutubis، مدنا داخل الأراضي، لا سيما وليلي Volubilis وبناصا Banasa وبابّا Babba، وقد لا يشير إلى البلدان المجاورة للمغرب القديم ولا إلى الحدود بين الموريطانيتين، بل يكتفي بذكر نهر سالاتا Salata كحَدٍّ فاصل ما بين موروزيا Maurusie شمالا وجيتوليا Gétulie جنوبا. وبصفة عامة، قد يُلاحَظ نوع من القصور في التعريف بمظاهر موريطانيا الطنجية التي ستُسلّطُ عليها الأضواء طبقاً لمراحل الاحتلال الروماني لها. وبالتالي، ستتضح المعطيات الجغرافية، بل الجوانب الخاصة للولاية الجديدة في إطار أمني واستغلالي للأراضي الغربية والملحقة بالأمبراطورية الرومانية، ذلك ما سيقوم بإنجازه بتفصيل، العالم الجغرافي الأسكندري بطليموس القلودي Claude Ptolémée.

Pline L'Ancien, *Histoire Naturelle*, V, éd. J. Desanges, 1980 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; El Mostafa My Rchid, *Maurusia : Recherches sur la géographie historique du Maroc antique*, 1987.

المصطفى مولاي الرشيد

بليوة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، يقول عنها الفقيه الرهوني إنها انقرضت سنة 1677/1088 على إثر الوباء الذي قضى على جل سكان تطوان. غير أننا نتوفر على وثيقة عدلية تثبت أنه كان موجوداً بتطوان على قيد الحياة سنة 1762/1175 شخص يدعى :

بليوة، الحاج علي كان شيخ النظر بالمدينة.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 351 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بليوط، (سيدي ـ) صاحب الضريح المشهور بالدارالبيضاء، الواقع في الركن الشمالي الشرقي للمدينة القديمة، قرب مدخل الميناء. الكنية الحقيقية لسيدي بليوط، هو أبو الليوث، الذي ورد كثيراً في المراسلات الرسمية المتعلقة بأحباس الضريح وأوجه صرفها. وقد غلب استعمال النطق العامي، فأصبح سيدي بليوط اسما مشهوراً عند سكان الدارالبيضاء، يطلقونه أحيانا على أولادهم.

وإذا تساءلنا عن صاحب هذه الكنية، فإننا لا نجد له ترجمة متفقاً عليها باسمه الحقيقي ولقبه المعروف. بيد أننا نثبت ما رجحه الشيخ هاشم المعروفي البيضاوي، في كتابه *عبير الزهور* من أن الاسم الحقيقي لسيدي بليوط هو : أبو حفص عمر بن هارون المديوني الذي ترجم له ابن الزيات في *التشوف*. وقال عنه "إنه كان عبداً من عباد الله الصالحين، كثير الاعتزال للناس مداوماً على الاختلاء بنفسه والجلوس في المقابر".

وقد ذكر صاحب *التشوف* أن أبا حفص عمر بن هارون توفي سنة 595 هـ. وذكر له كرامات أشهرها ما ارتبط بلقبه أبي الليوث فقد ذكر أن الأسد كان يأتيه في خلوته، فيمسح على ظهره ويقول له :"اذهب جعل الله رزقك، حيث لا تضر أحداً من المسلمين فينصرف عنه".

وهكذا نلاحظ أن سيدي أبا الليوث عاش، في زمن ظهر فيه كثير من أولياء الله الصالحين. مثل مولاي بوشعيب دفين آزمور ومولاي بوعزة (أبي يعزى) ومولاي عبدالسلام بن امشيش.

وتجدر الإشارة، كذلك، إلى أن بلاد تامسنا، كانت مشهورة بوجود الأسود فيها، كما أن منطقة الدارالبيضاء ما زالت تحتفظ ببعض الأسماء الدالة على وجود الحيوانات المفترسة، مثل : عين السبع، عين الذئاب.

على أن ما ينبغي ذكره، ونحن بصدد التعريف بسيدي بليوط، هو ما ارتبط بضريحه من أحداث تاريخ الدارالبيضاء. فنظرا لأهمية الضريح وحرمته عند السكان، توفر له دخل من الصدقات والمنافع المحبسة عليه لتصرف في أعمال البر والإحسان. وهكذا كانت الدولة المغربية، خلال القرن الماضي، تعين ناظراً لأحباس أبي الليوث. وكانت مداخيل هذه الأحباس تصرف لفائدة الضعفاء القاطنين بجوار الضريح، وفي ختان اليتامى وأبناء الضعفاء. كما كلف ناظر أحباس سيدي أبي الليوث بإيواء المرضى والأفاقيين مما يتوفر في ربيعة الضريح.

وهناك حدث آخر، يرتبط بالتدخل الأجنبي، جعل ضريح سيدي بليوط يدخل ضمن تاريخ الدارالبيضاء المعاصر. فعندما شرع في إصلاح مرسى الدارالبيضاء في بداية 1905 حدث أن مدت سكة حديدة من المرسى إلى محاجر قريبة ويظهر أن السكة مرت قرب الضريح فأصابت بعض أرض المقبرة المجاورة. فكان هذا الانتهاك مما حفز الناس إلى مقاومة أعمال الشركة الفرنسية.

ي. ابن الزيات، *التشوف* ؛ هـ. المعروفي، *عبير الزهور*.

علال الخديمي

بلْيُون، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Bellon. وقد انقرضت بتطوان سنة 1708/1120، ومن المعلوم أن البليون في الاصطلاح المغربي هو جزء من 20 جزءاً من الريال. والكلمة مأخوذة من الإسبانية Real de Vellon.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بلْيون، قطعة نقدية إسبانية من الفضة تساوي نصف عشر الريال الإسباني المعروف بدُورُو Duro. وكلمة بليون وجمعه بْلايْن مأخوذة من اسم القطعة بالإسبانية Réal de Vellon.

وتبعاً للرواج الذي عرفته النقود الإسبانية بالمغرب وتصاعدها منذ نهاية القرن الثامن عشر وطوال القرن التاسع عشر، فقد استعمل المغاربة كلمة بليون مرادفة لكلمة گرش جمعه گروش (قروش) بنفس المعنى لأن كلا منهما يعني 1/20 من الريال الإسباني. غير أن كلمة بليون شاع استعمالها غالبا في شمال المغرب وجبال الريف أي في مناطق النفوذ الإسباني، بينما شاع استعمال كلمة قرش في بقية جهات المغرب لنفس القطعة الفضية الصغيرة.

وبخصوص البليون هناك اختلاف في الاستعمال بين المغاربة والإسبان، فعلى حين يطلق الإسبان على البليون اسم ريال بليون انطلاقا من اسم القطعة سابقة الذكر، وأحيانا يسمونه ريال بدون ذكر اسم البليون، بينما يطلق المغاربة الريال على 20 بليونا، والبليون على جزء واحد من عشرين من الريال، وهكذا فالريال عند الإسبان يساوي بليونا واحداً وعند المغاربة يساوي 20 بليونا.

ولقد أدى هذا الاختلاف في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى مناقشة قانونية بين المغاربة والمفاوضين الإسبان حيث فرضت إسبانيا على المغرب غرامة

مالية من جراء حرب تطوان سنة 1860، وذلك أثناء تحرير فصول معاهدة الصلح، فلما وقع تحديد مبلغ الغرامة بعشرين مليون ريال، وعند تسجيله في المعاهدة، وقع التنصيص في الفصل التاسع على أن الغرامة تبلغ "20 مليون دورو" لأن الدورو لا يختلف من حيث الاستعمال لدى المغاربة والإسبان لكن وقع التأكيد باضافة تعبير آخر في نفس الفصل تحدد الغرامة ب "أربعمائة مليون من ريال بليون" وذلك لاختلاف الاستعمال بالنسبة للريال بين بليون واحد عند الإسبان وعشرين بليونا عند المغاربة، فالريال لا يدل في الواقع على القطعة الكبيرة من الفضة، ذلك أننا نجد احدى نماذج هذه القطعة وقد كتب على ظهرها 20 ريالاً بمعنى أن الريال هو ما يُطلق عليه المغاربة البليون، وقد ضربت هذه القطعة سنة 1859 في عهد الملكة إيزابيلا الثانية Isabel II (1833،1868)، وتزن 27.06 گراما من الفضة، وهي دورو Duro أما البليون فلا يزن إلا 1.453 گراماً من الفضة.

ولقد توطد هذا المصطلح في الاستعمال المغربي، بالخصوص بعدما اتخذ السلطان مولاي الحسن (1873،1894) النقود الإسبانية نموذجا للنقود المغربية التي ضربها بأوروبا سنة 1881. فكان المثقال الشرعي من عشرة دراهم مماثلا للدورو الإسباني ووحداته وذلك حسب الجدول التالي :

المثقال	الدورو	القيمة
عشرة دراهم (ريال حسني)	5 بسيطات (دورو/ريال)	500 سنتيم
خمسة دراهم (نصف ريال)	نصف دورو	250 سنتيم
درهمان ونصف (ربع ريال)	ربع دورو	125 سنتيم
درهم شرعي	نصف بسيطة (2 بلابين)	50 سنتيم
نصف درهم (گرش/بليون)	ربع بسيطة (1 بليون/گرش)	25 سنتيم

أما البسيطة فهي تقابل درهمين شرعيين وقد استعملت بسيطة حسنية كعملة حسابية أثناء عمليات الصرف.

ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب*، ص. 140، 1980 ؛ ر. لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، (مترجم)، ص.413، م. داود، *تاريخ تطوان*، ج.12.

D. Eustache, *Corpus des monnaies Alawites*, p. 340 - 398, 1984 ; A. N. E., *Asociacion Numismatica Española*, Barcelona, 4 y 5 de Junio de 1970, (Catalogo).

عمر أفا

بليُونَش، وتكتب أيضاً بنيونش، أطلال قصور وسط جنان فسيحة تقع غربي مدينة سبتة على بعد ثمانية كلمترات، تطل شمالا على البحر المضيق، فيرتسم ساحلها على شكل هلال يتوسطه خليج بنزو Bensus. أما من جهة البر، فتحدها سلسلة من المرتفعات أكثرها علواً جبل موسى الذي يتاخمها من جهة الغرب (841 م). ومن المعلوم أن جبل موسى هذا أو "جبل القردة" ـ كما تسميه المصادر الكلاسيكية ـ أو أيضا جبل بليونش، هو الذي كان يعرف عند الإغريق والرومان باسم أبيلاً Abilla والذي كان يشكل مع جبل طارق أو كالبيّ Kalpé المقابل له على الساحل الأندلسي، ما عرف تاريخيا باسم أعمدة هرقل Colonnes d'Hercule (*Recherches*, 26) تشكّل هذه المرتفعات التي تغطيها غابة كثيفة حاجزاً طبيعيا يقي المنطقة من الرياح الجافة القادمة من الجنوب، بينما تنفتح بليونش في وجه الرياح الشمالية الرطبة (*اختصار الأخبار*، 55 ؛ *Les navigations*, 3 : 374).

تقع بليونش على بسيط مرتفع ينحدر تدريجياً في اتجاه البحر، وتخترق المنطقة مجموعة من السواقي كانت تدير في طريقها عدداً من الأرحى. وقد استطاعت هذه الأودية أن تحفر عند مصباتها خلجانا، استخدمت كمراسي طبيعية، أهمها اثنان : مرسى بليونش، ومرسى موسى اللذان اعتبرا من أهم المرافئ بالمنطقة لوجودهما في مأمن من الرياح طول السنة (*Description*, 207 - 209). كما ينبع من سفوح المرتفعات عيون كثيرة تتدفق منها مياه غزيرة كثيراً ما كان توزيعها وكيفية استغلالها مصدر خلاف بين أصحاب الجنان خلال العصور الوسطى (*مذاهب الحكام*، 22، 23). والواقع أن هذه المياه الغزيرة هي التي كانت مصدر غنى وجمال بليونش، ذلك أنها كانت تعدُّ من أخصب القرى السبتية وأكثرها انتاجا. فعلاوة على أشجارها المثمرة المتعددة الأصناف وخضرواتها المتنوعة ولحومها وألبانها كانت المنطقة مصدراً مهما لبعض المواد الأولية المغذية لبعض الصناعات المحلية أو السبتية أو حتى العالمية، كقصب السكر الذي خصصت له مزارع بعينها. يضاف إلى ذلك الأخشاب ومعادن الحديد والقار المعدة لانشاء السفن وآلات الحرب وصناعة البناء وغيرها، (*نزهة المشتاق*، 2 : 528 ؛ *اختصار الأخبار* : 56 ؛ *Géographie*, 2 : 169). ولم يكن بحرها أقل من برها، إذ بسواحلها كان يتم جلب الأسماك والمرجان الذي كان يصنع بسبتة قبل تصديره إلى مختلف أسواق العالم (*نزهة المشتاق*، 2 :525 ؛ *الروض المعطار*، 386).

توفرت بمنطقة بليونش كل العناصر الضرورية لإقامة نواة حضرية، وهذه العناصر نفسها هي التي اعتمدها البحاثة الهليني فكتور برنار V. Bernard ليجعل من بليونش وجزيرة تورة Ile du Persil الواقعة وراء جبل موسى، مسرحاً حقيقيا لأحداث ملحمة الأوديسا Odyssée الشهيرة وإطاراً طبيعياً لتحركات بطلي القصة الرومنسية :

كليبسو Calypso ابنة أطلس إله المضيق وحارسه، وأسيرها أوليس Ulysse البطل الاغريقي - (*Les navigations*, 353 - 375 ; *Ceuta*, 40).

فإذا كنا نصنف ملحمة الأوديسا ضمن الأساطير التاريخية وذلك في غياب أدلة مادية تدعم ما يفترض حول وجود نواة حضرية افريقية ـ بربرية ببليونش منذ ذلك العصر، فلا يوجد ـ كل العكس ـ ما ينفي أن المنطقة عرفت منذ وقت مبكر تأثيرات رومانية. إن الاصطلاح بليونش الذي عُرفت به المنطقة وما زالت تعرف به، يتفرع عن الأصل اللاتيني Vignobles وتعني الكروم. وقد يكون الرومانيون أطلقوا هذا الاسم على المنطقة لكثرة انتاجها لهذه المادة (*Etymologies* ؛ *وصف افريقيا*، 1 : 317). ووسط بساتين الكروم هذه شيد الرومانيون حصنا لهم أطلقوا عليه اسم اكسليسيا Exilissia (*Recherches*, 30 ; *Ceuta*, 15). وقد استطاع هذا الحصن أن يصمد في وجه نوائب الدهر، فإلى حدود القرن الخامس (11 م) كانت آثاره ما تزال قائمة (*Description*, 208).

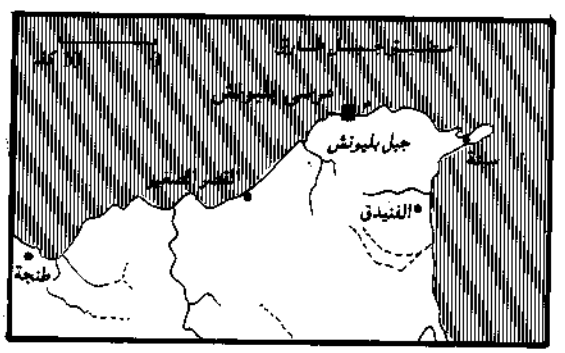

مرسى بليونش

خلال العصر الإسلامي توضحت المعالم الحضرية لبليونش بعد أن ارتبطت بسبتة فاستقطبت أنظار هواة النزهة ومحبي الطبيعة من أشراف سبتة والأندلس. فمنذ القرن الرابع (10 م) شدت إليها أنظار الخليفة الأموي عبدالرحمان الناصر (961.912/350.300) الذي بنى بها قصرا على أنقاض قصر قديم، إلا أن هذا الإنجاز لم يعمّر طويلا، إذ خرّبه أهالي مصمودة سنة 952.51/340 (*الاستبصار*، 138؛ *Description*, 207)، ثم خلال العهد العامري تجددت الرغبة في تشييد صرح أميري بالمنطقة، إذ أصدر الحاجب ابن أبي عامر أوامره ببناء قصر على الشاطئ وسط حدائق بليونش، وليحميه من أخطار الأعراب المجاورين وضعه تحت حراسة حصن يطل على البحر (*Histoire de l'Espagne*, 2 : 206).

لم تلبث أن ترسخت بين السبتيين هذه العادة الأندلسية، أو بالأحرى عادة أهل الحضر في اتخاذ منازل للنزهة بالبادية. وقد كان لعامل الأمن والاستقرار السياسي الذي شهدته تلك المنطقة أثر كبير في ازدهار بادية بليونش وزوال الجفوة التي غالبا ما كانت تطبع العلاقة بين البادية والحاضرة. فمنذ القرن الخامس (11 م)، يحدثنا ابن حيان القرطبي (ت. 1076/469). عن متنزهات بليونش وأبنيتها العظيمة (*أزهار الرياض*، 1 : 34). ويستفاد من مصادر أخرى أن بليونش كانت المتنفس الطبيعي لأهالي سبتة، بل المستودع البشري والحزام الغذائي والأمني للمدينة. في سنة 1184/580، صدرت أوامر من الخليفة يعقوب المنصور الموحدي (1198.1184/595.580) لجلب مياه بليونش إلى سبتة عبر قنوات باطنية، إلا أن ثمة عوارض حالت ـ على ما يبدو ـ دون تنفيذ المشروع إلى ما بعد حين (*الاستبصار*، 136) وفي سنة 1235/632. استنفر أهالي بليونش الغماريون وغيرهم من القرى للدفاع عن سبتة ضد الهجوم الجنوي، هذا الدور الدفاعي كان من المهام التي كثيراً ما كانت تُلقى على عاتق أهالي بليونش كلما تعرضت المدينة لتهديد خارجي، وسوف يتضح أكثر بعد سنة 1415/818. (*Ceuta*, 90).

خلال القرن الثامن (14 م)، ازدادت أهمية بليونش بتضاعف ساكنة سبتة وازدحام بناياتها فأصبحت الرئتين اللتين لا يمكن لسبتة أن تتنفس بدونهما، بل جزءا لا يتجزأ من النسيج الحضري السبتي. فببليونش أقيمت قصور الضيافة حيث يستقبل الوفود والزوار. وفي سنة 1362/763 نزل أبو عبدالله ابن الأحمر سلطان غرناطة في ضيافة أحمد الحسيني بأحد القصور البليونشية، أعد له هذا الأخير ولوفده المتكون من علي بن الحسن المعروف بالنباهي، قاضي غرناطة، ووزيره محمد ابن الخطيب ضيافة ملوكية «أكل من فضل هذه الضيافة ـ كما يقول المقري ـ معظمُ من كان بالقرية، من قوي وضعيف، ورفيع ووضيع» ومن إحدى مراسي بليونش، غادر سلطان بني الأحمر المغرب في اتجاه بلده غرناطة (*أزهار الرياض*، 1 : 38).

يحدثنا المقري عن الاستقبال الذي كان يخصصه الشريف أبو العباس الحسيني بجنانه البليونشية لذي الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب كلما نزل بسبتة موفدا من قبل سلطانه. ومن البديهي أن يثير جمال بليونش وجاذبية منظرها الطبيعي قريحة ابن الخطيب.. فمن بين ما أنشده فيها :

بليونش أسنى الأماكن رفعةً ... وأجلُّ أرضِ اللهِ طراً شانا
هي جنةُ الدنيا التي مَنْ حلّها ... نال الرضا والرَّوْح والريحانا
قالوا القرودُ بها فقلت فضيلةٌ ... حيوانُها قد قاربَ الإنسانا

وقد سبقه إلى ذلك القاضي عياض وأبو الحجاج المنصفي، وأبو عبدالله محمد بن أبي عبدالرحمان الكميلي وأبو العباس البنشتي، وأبو الحسن بن سعيد العنسي وغيرهم (*أزهار الرياض*، 1: 35.34 ؛ *نفح الطيب*، 2 : 311 ؛ *الروض المعطار*، 103).

مع مطلع القرن التاسع (15 م)، اكتملت الصورة الحضرية لبليونش، إذ تحولت في ظرف ثلاثة أو أربعة قرون من قرية غارقة بين البساتين إلى مركز حضري لا يقل أهمية عن غيره من الحواضر يحتوي على كل المرافق الحضرية الضرورية من منشآت عمومية ودينية واقتصادية

وعسكرية، كالحمامات والمساجد والحوانيت والفنادق والأرحي والأبواب والأبراج. ويبدو أن انتظامها تم وفق تصميم فرضته طبوغرافية المنطقة : فتصافّت عمارتها على جوانب الطرق والمسالك، وأحاطت بها أسوار مدعمة بأبراج. ولعل أهم برج بها برج السويحلة الذي أفاض الانصاري في وصف جماله، وبديع فنونه (*اختصار الأخبار*، 53،52).

والغريب في الأمر أن بليونش ـ بالرغم من هذا التطور الحضري الذي عرفته ـ لم تستطع أن ترقى إلى مستوى المدينة، فظلت تُنعت في معظم المصادر بالقرية باستثناء ياقوت الحموي الذي أحال إليها باسم "المدينة" (*معجم البلدان*، ١ : 493) وقد يكون من العوامل التي حالت دون ذلك اثنان : أولهما افتقادها إلى حصانة طبيعية تقيها من أخطار البر، من ثم يمكن تفسير الطابع الدفاعي الذي اتخذته بيوتات بليونش المحصنة والمدعمة بالأبراج، كما كشفت عن ذلك البحوث الأركيولوجية (*Quelques remarques*, 218 ; *Las ruinas*, 286) ثانيهما وقوعها في حضانة سبتة وتحت تأثيرها.

العاملان معا يفسران ـ من جهة أخرى ـ سرعة اختفاء القرية مباشرة بعد الغزو البرتغالي لسبتة سنة 1415/818. وبالرغم من أن بليونش غدت سهلة الاستيطان بعد أن فر منها الأهالي، فإن البرتغاليين لم يقدروا على احتوائها وضمها إلى مستعمرتهم في سبتة، لضعف امكانياتها الدفاعية (*Le Maroc*, 98 - 99 - 104). بل ستصبح المنطقة مصدر خطر هدد الوجود المسيحي مدة طويلة سيما بعد أن ظهرت بعين المكان رباطات تقوم بتنظيم الحملات الجهادية. وقد أسفرت هذه الوضعية عن قضية شائكة في التاريخ المغربي ـ الإسباني، ذلك أن الإسبان سيسعون إلى محاولة فكّ الحصار المضروب عليهم من طرف قبائل أنجرة عن طريق المطالبة بضم بليونش، فكان ذلك بداية أزمة سياسية بين الطرفين ستستمرّ زهاء قرنين من الزمان.

إن المطلب الإسباني كان يخفي في الحقيقة أهدافا استراتيجية واقتصادية تمثلت في توسيع حدود سبتة إلى ما وراء وادي بليونش والاستفادة من خيرات المنطقة وخصوصا من مائها الذي لا يمكن لسبتة أن تنمو وترقى بدونه. ولم يفضّ هذا الخلاف إلا إبان الحماية الأجنبية، فرنسية وإسبانية، على المغرب، ذلك أن الإسبان استغلوا ظروف غياب السلطة الشرعية، فسارعوا إلى شق قنوات فولادية أوصلوا عن طريقها الماء إلى سبتة، بعد أن انتزعوا ـ بطرقهم الخاصة ـ حق ملكية عيون القرية من أصحابها. حتى إذا كانت فترة الاستقلال وأرغم الإسبان على التراجع إلى الحدود المعترف بها بعد حرب 1860، وجد الأهالي أنفسهم فوق أراض تكاد تكون جدباء، غير قادرين على إحياء قريتهم بعد أن فقدوا ملكية عيونها المائية التي كانت ـ قديما ـ مصدر جمالها وازدهارها وشهرتها.

ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار* ؛ م. حسن الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ الحميري، *الروض المعطار* ؛ م. بن عياض، *مذاهب الحكام في نوازل الأحكام*، مخطوط، خ. م. رقم : 4042 ؛ ي. الحموي، *معجم البلدان* ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، ج ١ ؛ *نفح الطيب*، ج 2 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الأجزاء 7، 8، 9.

Aboulféda, *Géographie d'Aboulféda*, T. II, 1ère partie, Trad. M. Renaud, Paris, 1848 ; G. Ayache, *Etudes d'histoire marocaine*, Rabat, 1979 ; A. El-Bekri, *Description de l'Afrique septentrionale*, Trad. M. G. de Slane, Alger, 1913 ; Z. Benramdan, *Ceuta aux XIIIe et XIV siècles : Essai de reconstitution de la civilisation musulmane à Ceuta*, T. D. L. Aix Marseille I, 1987 ; V. Berrad, *Les navigations d'Ulysse*, 3. *Calypso et la mer de l'Atlantique*, 1971 ; E. Levi-Provençal, *Histoire de l'Espagne musulmane*, Paris, 195 ; R. Ricard, *Le Maroc septentrional au XVe siècle d'après les chroniques portugaises*, *Hesp.*, 1936, T. XXIII, Fasc. 2 ; H. Terrasse, *Quelques remarques sur les édifices de Belyunès*, *Al-Andalus*, Vol XXVIII, 1963, Fasc. 1 ; M. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane*, Paris, 1977 ; L. Torres Balbas, *Les ruinas de Belyunes o Bullines, Tamuda*, T. V, 1957.

زليخة بنرمضان

بليونش، أو جبل موسى ـ معارك ـ، في يوم 28 ربيع الأول / 25 أكتوبر1859 أعلنت إسبانيا الحرب على المغرب، وفيما بين يوم 24 ربيع الثاني/20 نوفمبر و5 جمادى الثانية/30 ديسمبر جرت بجبل موسى المعروف عند الإسبان بجبل بليونش Sierra Bellones عدة معارك وذلك على إثر الغزو الذ تعرضت له أرض المغرب عندما خرج الجيش الإسباني من مدينة سبتة يوم 23 ربيع الثاني/19 نوفمبر

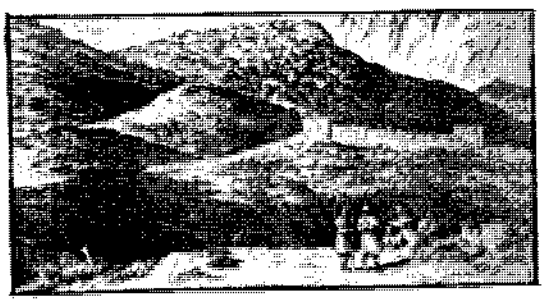

جبل بليونش الذي جرت فيه معارك نونبر ـ دجنبر 1859

واحتل معسكر دار البيضة الواقع بتراب قبيلة أنجرة، وفي اليوم التالي عندما شرع الإسبانيون في تحصين المعسكر المذكور هاجمهم المغاربة وجرت هناك المعركة الأولى التي أسفرت عن مقتل ثلاثة من الإسبانيين وجرح ستة وأربعين منهم.

وتلت هذه المعركة معارك أخرى جرت خلال الشهر المذكور نتيجة للهجومات التي قام بها المغاربة على النحو

بليونش : معركة يوم 19 ـ 11 ـ 1859

التالي :

يوم 26 ربيع الثاني/22 نوفمبر حيث فقد الإسبان سبعة من القتلى وثمانية وأربعين من الجرحى.

يـوم 5 جمـادى الأولـى /30 نوفمبر قتـل سبعـة من الضباط وخمسة وأربعون جندياً وجرح عشرون ضابطاً وثلاثمائة وستة عشر جندياً.

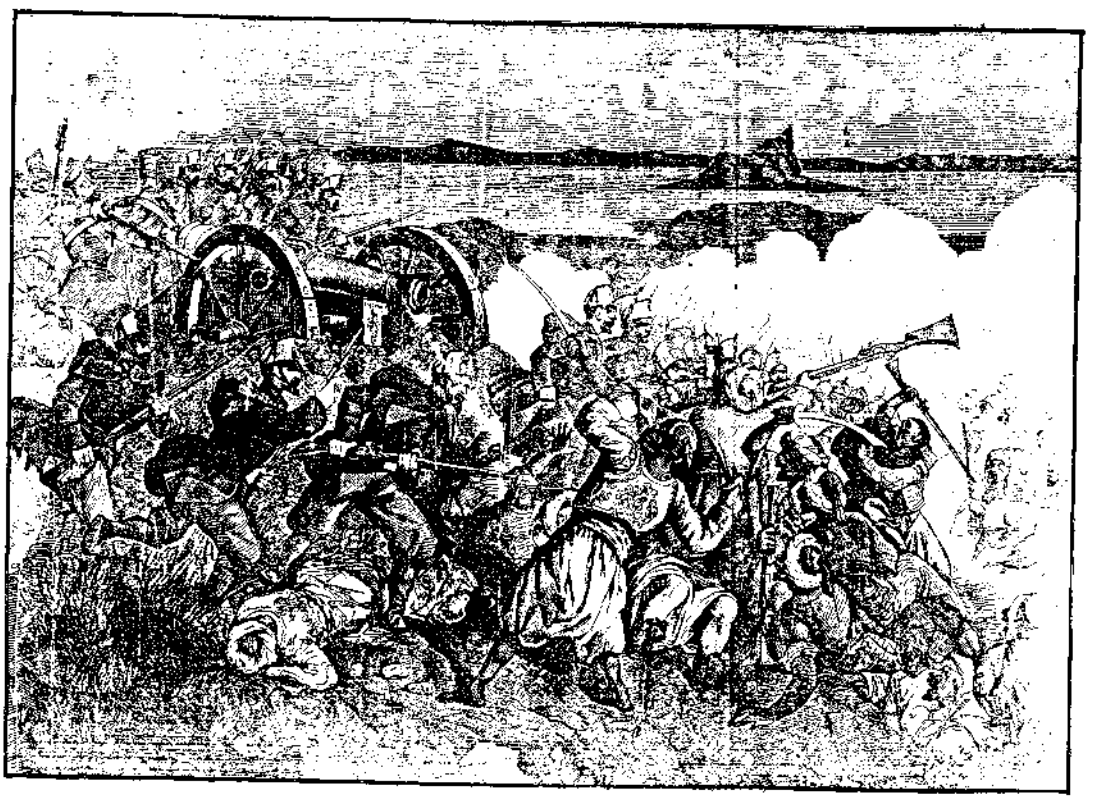

بليونش : معركة يوم 25 ـ 11 ـ 1859

يوم 27 ربيع الثاني/23 نوفمبر قتل منهم ثلاثة من الجنود.

يوم 28 ربيع الثاني/24 نوفمبر أسفر عن مقتل ثمانية وجرح تسعة وثلاثين.

يوم 29 ربيع الثاني/25 نوفمبر قتل ستة من الضباط وستة وثمانون جندياً وجرح عشرون ضابطاً ومائتان وثمانية وتسعون جندياً. وكان من بين القتلى الكولونيل بينيس Pinies ومن الجرحى قائد الجيش الجنرال اشاكوي Echagüe.

بليونش : معركة يوم 9 ـ 12 ـ 1859

يـوم 14 جمادى الأولى /9 ديسمبر قتل خمسة من الضباط وخمسة وسبعون جندياً وجرح أربعة وثلاثون ضابطاً ومائتان وتسعون من الجنود.

يوم 20 جمادى الأولى/ 15 ديسمبر قتل ضابط واحد وستة وخمسون من الجنود و جرح خمسة عشر ضابطاً ومائة وسبعة وسبعون جندياً.

بليونش : معركة يوم 15 ـ 12 ـ 1859

يوم 25 جمادى الأولى/20 ديسمبر قتل ستة من الجنود وجرح خمسة عشر ضابطاً ومائة وتسعة من الجنود.

يوم 30 جمادى الأولى/25 ديسمبر قتل ثمانية جنود وجرح سبعة عشر ضابطاً ومائة وثمانية عشر جندياً.

بليونش : معركة يوم 30.12.1859

و أما في المعركة الحادية عشر التي جرت يوم 5 جمادى الثانية/30 ديسمبر فقد قتل فيها ضابط واحد وعشرة من الجنود وجرح أربعة من الضباط وسبعة وثمانون من الجنود.

الجنرال اشاكوي الذي جرح في إحدى معارك بليونش

والجدير بالذكر أننا لم نات إلا بخسائر القوات الإسبانية لاعتمادنا على الوثائق الإسبانية التي عندما تشير أحيانا إلى عدد الشهداء والجرحى المغاربة تعدهم بالمآت بل بالآلاف.

Alarcon, P. A *Diario, Campañas*, T. I, 212 - 225 ; Garcia Figueras, *Recuerdos ceutenacios de la guerra de Africa*, p. 10, 142, 200, 232, 274, 287.

بليونش، (مركيز جبل ـ) Marques de Sierra Bellones لقب منحته الملكة الإسبانية إيسابيل الثانية إلى الجنرال خوان ذى ثبالا إذي لا بوينطي Juan de Zabala de la Puente جزاء له عما قام به من أعمال في المعارك التي جرت بجبل بليونش (جبل موسى) أيام 20 و22 و23 و25 و30 نوفمبر وأيام 9 و15 و20 ديسمبر 1859 وأيام 15 و21 مارس 1860. وقد ولد هذا الجنرال بمدينة ليما Lima في البيرو يوم 27 ديسمبر 1804 وهناك التحق بالأكاديمية العسكرية وبعد تخرجه منها برتبة ضابط صف توجه إلى إسبانيا سنة 1825 حيث شارك في قمع المحاولات العديدة التي جرت بإسبانيا لقلب النظام.

وعند إعلان الحرب ضد المغرب سنة 1860/1276 عُين الجنرال المذكور على رأس الفرقة الثانية للجيش الغازي الذي احتل مرتفعات جبل موسى المجاور لمدينة سبتة حيث جرت هناك عدة معارك عرفت بمعارك Sierra Bellones

ماركيز جبل بليونش

(معارك جبل بليونش) وقد تقلّد الجنرال ثاباه عدة مرات منصب الوزارة مثل وزارة البحرية ووزارة الدفاع وتوفي بمدريد يوم 29 ديسمبر 1879.

A. Domenech, *Zona Norte* ; *Enciclopedia Espasa Calpe*, T. 70, p. 853 ; T. Garcia Figueras, *Recuerdos*, p. 264.

البُمْباجي، لعل أول من اتخذ هذا الاسم لأسرته هو المكلف بتسيير معمل القنابل المدفعية الذي أسسه السلطان مولاي إسماعيل بتطوان سنة 1694/1105، ومن المعلوم أن كلمة البمباجي تعني صانع البمب وكلمة البمب مأخوذة من الإسبانية Bambo أي القنبلة خصوصا ونحن نعلم أن دار البمبة أو البنبة الحالية كانت تعرف في الماضي بدار البمباجي، وبهذا الاسم نجده في الاحصاء الذي جرى بتطوان سنة 1841/1257.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 354.

Vademecum de Interventiones, (año 1931) 1932 (B).

محمد ابن عزوز حكيم

بمگوت (أيت ـ)، فصيلة من الرحل ذوي النجعات المحدودة تنتمي إلى قبيلة أيت لحسن من لف أيت الجمل التكني. هذه الفصيلة تحرص على إبراز مميزات المشترك الترحالي الرعوي وتقاسم نفس المواصفات مع قبيلتها ولفها. ترتاد عادة تيدرگيت ومشيوك مرورا بوادي درعة والساقية الحمراء. وتتجاوز في تتبعها للمرعى هذه المنطقة واصلة إلى زمور وتيرس حيث كان يوجد خلال العشرينات مَحمد الدليمي كبير أيت بوگزّاتن من نفس القبيلة (انظر أيت بلة). ومن المعروف أن احتكاك قبيلة أيت لحسن بالمجال الترحالي حيث تسيطر القيم اللغوية الحسانية قد افقدها استعمال اللغة الأمازيغية (انظر تراب البيضان). كما أن المشتركات الزراعية لهذه القبيلة تجعل من أراضيها البورية أراضي جموع تستغل حسب عادات وأعراف متوارثة منذ قرنين ونصف (انظر أزوافيط).

أما التنظيم الحربي والاجتماعي لدى فصائل أيت لحسن واستمراره عبر الزمن فتؤكده حماية أيت بمگوت لفصيلتي

السواعد وأولاد الطالب الركيبيتين (*La Chapelle* ; *Les Tekna*, 76 - 77). حتى الثلاثينات من هذا القرن. خلال هذه الفترة كان كبير أيت بمكوت هو الشيخ علي ولد أحمد حسب ما أورده نفس المصدر وما تعززه الرواية الشفوية.

م. سالم ولد عبدالحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، تح. م. ناعمي، 1991.

P. Marty, *Les Tekna du Oued Noun in les Tribus de la Haute Mauritanie*, Publ. du Comité de l'Afrique Occidentale Française, 1915 ; F. C. De La Chapelle, *Esquisse d'une histoire du Sahara occidental, Etudes, notes et documents sur le Sahara occidental, VIIe Congrès de l'IHEM, Hesp.*, XI, 35 - 96, Rabat - Paris, 1930 ; *Les Tekna du S. O. Marocain, Etude géographique, historique et sociologique*, *A. F.*, 1934, 9. 109 ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna*, IHEM, notes et documents, III, 1948, p. 59, Paris.

مصطفى ناعمي

بن أحمد ـ مركز ـ ← ابن أحمد (رتب خطأ)

بن سليمان، أو بنسليمان أو ابن سليمان، إقليم يتكون إداريا من إحدى عشرة جماعة قروية موزعة على دائرتين : دائرة بوزنيقة : وتضم جماعات سيدي يحيى زعير وبوزنيقة وبني يخلف وسيدي موسى بن علي ؛ ودائرة بن سليمان : وتضم جماعات موالين الغابة وفضالات وموالين الواد وأولاد علي والزيايدة ومليلة وأحلاف.

بلغ عدد سكان إقليم بن سليمان سنة 1982 : 174.464 نسمة، من ضمنهم 24.125 في مركز بن سليمان و10.137 في مركز بوزنيقة.

ويمتد تراب الإقليم أساسا على المنطقة الواقعة بين واد الشراط والضفة اليسرى لواد المالح، وهي جزء من الهضاب المنخفضة الأطلنتية الوسطى. ويتعلق الأمر بأشرطة هضبية تنحدر من الجنوب، حيث لا يتجاوز ارتفاعها 400 م، نحو الشمال حيث تشرف على الشاطئ الأطلنتي بواسطة جرف بحري لا يزيد ارتفاعه عن بضعة أمتار. وتفصل هذه الهضاب محاور نهرية تأخذ على العموم اتجاه الانحدار العام عبر أودية متعمقة (واد الشراط، واد النفيفخ، واد المالح). وعلى غرار مجمل الساحل الأطلنتي الأوسط تظهر أشرطة طويلة موازية للشاطئ تمتد على شريط عمقه حوالي عشرة كيلومترات داخل اليابسة، وهي عبارة عن كثبان رملية متصلبة. ورغم الطابع المتقطع الذي تكتسيه أحيانا هذه التلال فإنها تحول دون انسياب المياه السطحية نحو البحر، باستثناء المجاري المتعمقة، وهذا ما يفسر جانبا من ظاهرة "الضايات" المنتشرة فوق هذه الهضاب. كما تتخلل السطح نتوءات صخرية تدعى محليا "بالصخور" من أبرزها صخرة بوشويطينة جنوب بن سليمان، وهي عبارة عن بروزات من الكوارتزيت المرتبطة بالقاعدة الصخرية القديمة.

وبالفعل تتشكل هذه الهضاب من قاعدة قديمة هي جزء من الهامش الشمالي للهضبة الوسطى. وتتكون أساسا من صخور شستية وحثية. ورغم الاستقرار الجيولوجي النسبي للمنطقة منذ الزمن الأول فقد ساهمت الحركات التكتونية والهزهزية في خلق بعض التنوع في التوضعات الرسوبية.

فالتوضعات المنتمية لحقبة الترياس تنتشر غرب واد النفيفيخ في اتجاه مقعر برشيد. غير أن التوضعات الحثية ـ الكلسية "المغربية". (نهاية الزمن الثالث) والكثبان الرملية المتصلبة (الزمن الرابع) هي التي تساهم بصورة أكبر في التنوع الصخري لسطوح الهضاب. فالأولى تنتشر جنوب بن سليمان وغرب واد النفيفيخ، بينما تنتشر الثانية على طول الساحل.

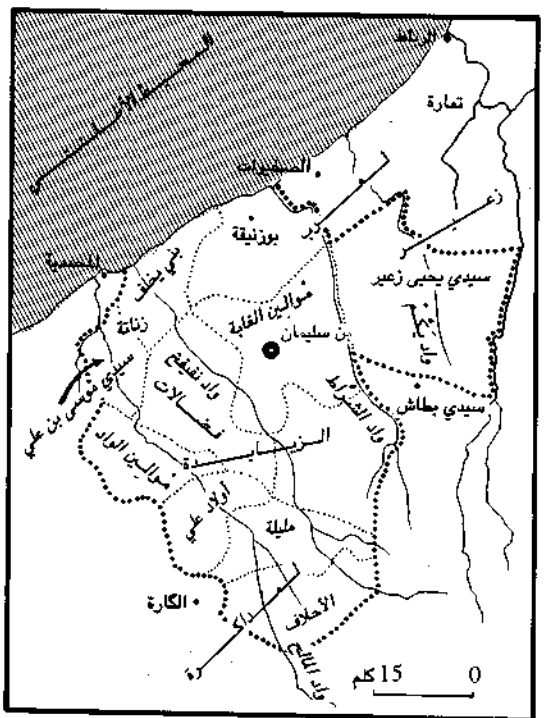

إقليم بن سليمان

ويشكل هذا التنوع الصخري، إلى جانب الوضع الطوبوغرافي، عاملا أساسيا في تنوع التربة. فتربة "التَّرس" تنتشر فوق الكلس المغربي، على أن أنواعاً أخرى من "الترس" آليَّة تظهر في المنخفضات ووسط الضايات. أما تربة الحمري فترتبط عموما بالتلال الحثية المكونة من الكثبان الرملية المتصلبة. وفوق المناطق الشستية ـ الحثية المنتمية للقاعدة القديمة توجد تربة "الحَرْش"، وهي تربة خشنة تفتقر إلى المواد العضوية.

ويصنف إقليم بن سليمان ضمن المجال المناخي المعتدل النصف جاف. فمتوسط الحرارة الدنيا لشهر يناير لا يقل عن 6.7 في بن سليمان و8.1 في بوزنيقة، بينما يتراوح متوسط الحرارة العليا لشهر يوليوز بين 31.4 في المحطة الأولى و26.8 في المحطة الثانية. وتندرج كميات التساقطات السنوية من 400 إلى 500 ملم في المتوسط، مع نزعة نحو ارتفاع هذه الكميات من الجنوب إلى الشمال، ومن الساحل نحو الداخل. (بوزنيقة 398 ملم، بن سليمان 479 ملم) وفي هذه الظروف يتشكل الغطاء النباتي من غابة البلوط الفليني وتشكيلة "الماطورال" التي تمثل شكلا من الأشكال الناتجة عن اتلاف الغابة.

وتعتبر غابة بن سليمان الممتدة على مساحة 10.600 هـ، نموذجاً نادراً لغابات البلوط الفليني في المجال المناخي النصف جاف من المنطقة المعتدلة. وإلى حدود مطلع القرن العشرين كان السكان باقليم بن سليمان يمارسون نمط عيش قائم على الزراعة والرعي المتنقل، باستعمال تكامل الرساتيق. فمحاط القهائل، ومنها على الخصوص قبيلة الزيايدة، كان يتكون من رستاق زراعي يمتد على تربة التيرس، بينما يخصص الساحل للرعي في إطار ملك جماعي للأرض. وقد استطاع المعمرون اقتناء ما يقارب ربع أراضي الإقليم، في حدوده الحالية، وعلى حساب الملك الجماعي بالمنطقة الساحلية، وكان من نتائج ذلك انتشار زراعة الكروم التي تشكل حاليا إحدى أهم الزراعات في الضيعات المسترجعة.

يعرف النظام الفلاحي بالإقليم تنوعاً ملحوظاً، وذلك بالارتباط مع نظام حيازة الأرض وطبيعة التربة والموقع من الأسواق الحضرية الكبرى المتمثلة في الرباط والدارالبيضاء. فالمناطق الترسية الواقعة في جنوب الإقليم ترتبط من حيث نظامها الزراعي بالشاوية، حيث تسود بها زراعة الحبوب في دورة مع القطانيات. بينما على الساحل تسود زراعة الحبوب الواسعة إلى جانب زراعة الكروم، وتنتشر زراعة الخضر على الشريط الساحلي مستغلة وجود فرشة مائية مرتبطة بالكثبان الرملية المتصلبة، والقرب من الأسواق الحضرية، وهذا هو الشأن بالنسبة لجماعة بني يخلف وسيدي موسى بن علي. وإذا كانت تربية الماشية تشكل عنصرا أساسيا ضمن النظام الفلاحي بالإقليم، خصوصاً حيث تنتشر الغابة، فإن هذا النشاط قد عرف تحولات كبيرة ابتداءً من السبعينات، تمثلت في انتشار تربية الأبقار الحلوب منها على الأخص، وتحسين نسلها واستعمال الاسطبلات. وواكب ذلك تطور المساحات المزروعة بالعلف (الخرطال، الجلبان العلفي ...) كما أن قرب الاقليم من أسواق حضرية كبرى جعل تربية الدواجن تأخذ أهمية بارزة ضمن النشاط الفلاحي. ويتوفر الاقليم على بعض الامكانيات السياحية تتمثل من جهة في الشاطئ الذي يقصده المصطافون الآتون من الرباط والدارالبيضاء، وفي استغلال المجال الغابوي لممارسة القنص من جهة أخرى.

بن سليمان، مركز يقع على بعد حوالي خمسين كيلومتراً شرق الدارالبيضاء. وتعود نشأة كان بولهو Camp Boulhaut وهو الاسم الذي أطلقه الفرنسيون على النواة الأولى لمركز بن سليمان، إلى مطلع القرن العشرين حيث شكلت إحدى نقط الدعم العسكري لجيش الاحتلال إبان غزوه لمنطقة الشاوية. ولعل من أهم أسباب اختيارها وجودها وسط قبيلة الزيايدة، في موضع يستقطب إليه السكان حول سوق أسبوعي كبير (سوق الأربعاء) وبالقرب من ضريح الولي سيدي بن سليمان الذي دأبت قبيلة الزيايدة على إقامة موسمه سنويا إلى حدود الاحتلال الفرنسي.

وقد تحول موقع بن سليمان العسكري إلى مركز للخدمات لفائدة المعمرين الأوربيين الذين استقروا بالمنطقة. غير أن عدد السكان المغاربة بالمركز سار نحو الارتفاع. فمن 351 فردا سنة 1926 انتقل عدد المغاربة إلى 1.522 سنة 1951، في الوقت الذي مر فيه عدد الأوربيين من 308 إلى 651 فرداً خلال نفس المدة. وفي سنة 1960 سجل المركز أكثر من 10.000 نسمة ليرتفع هذا العدد إلى 17.000 نسمة سنة 1971، ثم إلى حوالي 2.400 سنة 1982.

السكان بجماعات إقليم بن سليمان

الدائرة	الجماعة	المركز (ضمن الجماعة)	عدد السكان 1971	عدد السكان 1982
بن سليمان			**94.835**	**106.941**
	احلاف		11.693	11.576
	فضالات		15.504	15.580
	ملبلة		10.934	11.389
	مولاين الواد		7.818	8.354
	مولاين الغابة		11.382	13.588
		بن سليمان	17.302	24.125
	أولاد علي الزايدة		8.876	10.081
			11.326	12.248
بوزنيقة			**46.829**	**67.523**
	بني يخلف		11.723	20.010
	بوزنيقة		13.205	20.946
		بوزنيقة	4.942	10.137
	سيدي موسى بن علي		10.979	13.760
	سيدي يحيى زعير		10.922	12.807
مجموع الإقليم			141.664	174.464
سكان حضريون			22.244	34.262
سكان قرويون			119.420	140.202

وهكذا تكون ساكنة بن سليمان قد تزايدت بوتيرة أسرع من مجموع الساكنة الحضرية بالمغرب. فبين 1936 و1960 كان معدل تزايدها السنوي هو 6٪ مقابل 3.4٪ بالنسبة لمجموع السكان الحضريين، وبين 1960 و1971، 4.6٪ مقابل 4٪. غير أن وتيرة التزايد هذه عرفت بعض التقلص خلال الفترة 1971.1982 حيث لم تتجاوز 3.04٪ في حين كان هذا المعدل بالنسبة لمجموع الساكنة الحضرية هو 4.4٪ ويعزى النمو السريع الذي عرفته بن سليمان إلى الهجرة القروية، ذلك أن 87٪ من أرباب أسر المركز سنة 1971 وُلدوا خارج بن سليمان، حيث ينتمي 43٪ منهم إلى قبيلة الزيايدة. غير أن بن سليمان تشكل كذلك محطة للهجرة في اتجاه المحمدية والدارالبيضاء.

وتعتبر مدينة بن سليمان مركزاً للخدمات على صعيد منطقة الزيايدة. فالتجارة والخدمات تشغلان أكثر من 65٪ من الساكنة النشيطة، مقابل 48٪ بالنسبة لمجموع السكان الحضريين بالمغرب. وكان من المفروض أن يستفيد المركز من قربه من الدارالبيضاء فيستقطب بعض الأنشطة الصناعية، وبالفعل استقرت بالمدينة ثلاثة معامل (صناعة الصنابير، معمل للنسيج ومعمل للجوارب). إلا أن المخططات الحالية في مجال توطين الصناعة على الصعيد الوطني استثنت بن سليمان من لائحة المدن المرشحة لاحتضان مناطق صناعية جديدة، وذلك لفائدة بوزنيقة، بحجة الحفاظ على المؤهلات السياحية للمدينة. لذلك فإن الصناعة، بما في ذلك الصناعة

التقليدية، لاتشغل سوى 20٪ من السكان النشيطين (مقابل 30٪ على صعيد مجموع المدن).

وقد بقيت الوظيفة العسكرية طاغية على المركز حتى بعد الاستقلال. فمن خلال احصاء 1971 تبين أن 20٪ من الساكنة النشيطة كانت تزاول مهنة عسكرية أو شبه عسكرية، إلى جانب الوظيفة الإدارية التي كانت تهم 16٪ من السكان النشيطين. وقد تعززت الوظيفة الإدارية للمركز عقب إنشاء إقليم بن سليمان سنة 1977.

وكان من نتائج ارتقاء المركز إلى مقر عمالة أن شهدت بن سليمان تحولا عمرانياً سريعاً، حيث تم القضاء على أحياء الصفيح، خصوصا منها دوار عين العشرة شمال المركز.

تحريات ميدانية.

محمد الرفاص

بن سودة، أهم مركز في الضاحية الجنوبية لمدينة فاس ليس فقط من حيث عدد سكانه بل وكذلك من حيث توسعه المجالي. وقد ساعد على هذا التوسع موضعه الهضبي المنبسط، الذي يتوفر على فرشة مائية لا بأس بها، وموقعه وسط منطقة سايس الفلاحية جنوب غرب فاس تربطه طرق ثانوية بالمدينة الموجودة على مسافة أقل من ستة كلم وبالقرى المجاورة. وهو عبارة عن أملاك مخزنية تم بيعها للجماعة القروية عين الشقف التي كان مركز بنسودة ينتمي إليها قبل دجنبر 1990، ومنذ هذا التاريخ أصبح ينتمي لعمالة زواغة مولاي يعقوب تبعا للتقسيم الإداري الجديد. وعن تاريخ هجرة السكان إلى هذا المركز يرجع أنه ظهر في بداية الثلاثينات انطلاقا من تجمع عمال الضيعات الفلاحية والمقاطع الحجرية بمحاذاة السكة الحديدية، حيث عرف قطاعا الفلاحة والبناء ازدهارا مهما منذ العشرينات عندما استولى المعمر على الأراضي الفلاحية الجيدة وطرد منها قبائل الگيش وعندما أخذ في تشييد المدينة الجديدة لفاس، الشيء الذي جلب اليد العاملة لهذه المنطقة عامة وبن سودة خاصة.

ترجع تسمية هذا المركز إلى مقلع حجري كان مستغله يدعى ابن سودة. إنه عبارة عن ورش بناء عرف تحولات كبيرة منذ نشأته إلى اليوم. ففي البداية كانت هذه التحولات مرتبطة بالسيل الهائل للمهاجرين الذين يتهافتون على مسكن كيفما كان حجمه لاقترابه من سوق العمل الذي توفره نسبيا مدينة فاس وضيعاتها المجاورة، ومنذ أواسط الثمانينات أصبحت هذه التحولات نوعية حيث أخذت الدولة تنظم هذا المجال مع إنشاء مرافق إدارية واقتصادية، غير أن هذه التحولات مهما كانت مهمة فهي تظل محدودة.

بن سودة

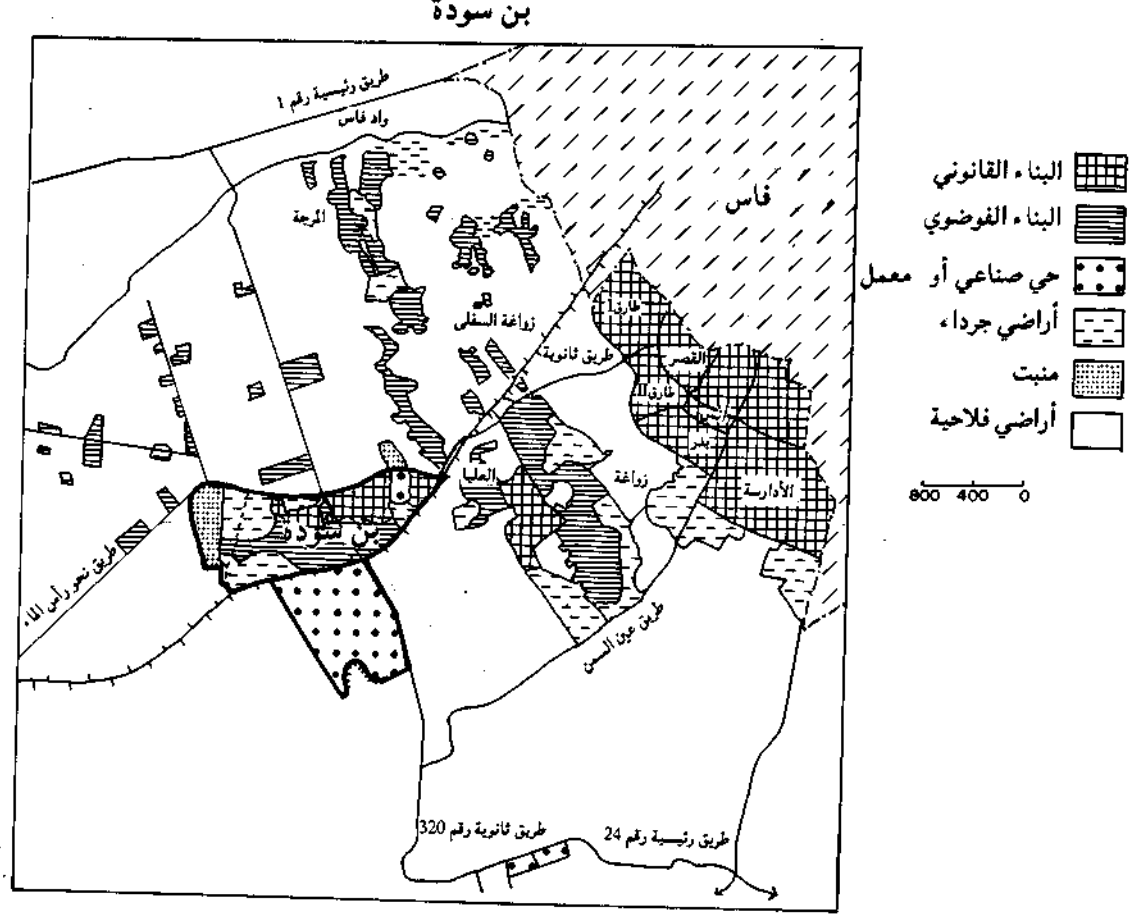

بن سودة مركز انفجار ديمغرافي : ظهر دور بن سودة لأول مرة في إحصاء سنة 1960 بـ 2814 نسمة، وارتفع هذا العدد إلى 5581 خلال إحصاء 1971 ثم إلى 17.120 نسمة خلال 1982.

وترتبط الزيادة العارمة التي عرفها هذا المركز بعامل الهجرة التي تهم نصف سكانه الذين أتوا من الأرياف المجاورة خاصة، ويمكن التمييز بين ثلاث فترات : الفترة الأولى قبل 1950 : يلاحظ في أوائل الثلاثينات أنه هاجر إلى بن سودة أرباب الأسر دون اصطحاب ذويهم كأنها هجرة موسمية لليد العاملة فقط، لكنها أخذت شيئا فشيئا تهم بعض أفراد الأسر، ورغم هذا فقد كان عدد أرباب الأسر يفوق باقي السكان، وكانت حصيلة هذه الفترة ضعيفة لم تتجاوز 4٪ من مجموع السكان الوافدين على المركز. الفترة الثانية خلال الخمسينات والستينات أي فترة الاستقلال وما بعده مباشرة. تضاعف خلالها حجم الهجرة وفاق حصيلة الفترة الأولى خمس مرات. أما الفترة الثالثة التي تأتي بعد 1970 فهي تتميز بهجرة مكثفة خاصة خلال النصف الثاني من السبعينات. وكان مجموع النازحين خلالها ثلاثة أضعاف الفترتين السابقتين.

المؤسسات التعليمية في بن سودة : خلال 1982 لم تكن هذه المؤسسات تجاوز ثلاث مدارس وإعدادية واحدة. وكانت نسبة تمدرس الأطفال آنذاك 53.1٪ من مجموع الأطفال وارتفعت هذه النسبة إلى 68.5٪ خلال 1986، وفي أواخر الثمانينات أصبح مركز بن سودة يتوفر على أربع مدارس وثانوية ومؤسسة التاجموعتي للتربية والتعليم مما أدى إلى ارتفاع نسبة تمدرس الأطفال.

بالإضافة إلى البناء "بحي الصفيح" الذي كان سائداً في بن سودة هناك مبانٍ صلبة لم تكن تمثل خلال إحصاء 1971 سوى 4.3٪ من مجموع المباني، وترجع هذه النسبة للمساكن التي ساهم في بنائها برنامج التغذية العالمي وهي تحمل اسم هذه المنظمة (بام) ويقترب عددها من 600 مسكن على شكل دور "مغربية" ذات طابق أو طابقين. وخلال 1982 انتقلت نسبة المباني الصلبة إلى 12٪ حيث تمّ تشييد مساكن لموظفي عمالة فاس ومجموعة أخرى لموظفي شركة لاسيميف. وخلال 1986 ارتفعت نسبة المباني إلى 24.1٪ حيث عرفت بعض المساكن الهشة تحولا في نوع بنائها بالاضافة إلى بعض المباني الجديدة. ومنذ يوليوز 1989 أخذت الدولة تعوض سكان الدور الهشة ببقع تتراوح مساحاتها بين 60 و80 م^2 حسب حجم الأسرة شريطة أن يتم هدم المسكن الهش لتسليم المستفيد رقم البقعة.

وهناك تحولات أساسية في مركز بن سودة سواء على مستوى نشاط السكان أو التجهيزات الاقتصادية للمركز. لقد ارتفعت نسبة النشيطين المشتغلين وعرفت تغيراً بين الفترتين الاحصائيتين إذ انتقلت من 24.7٪ سنة 1971 إلى 27.8٪ سنة 1982 وربما رجعت أهمية هذه النسبة إلى اعتبار بعض الأنشطة التي ليست سوى بطالة مقنعة مما جعل نسبة العاطلين تتقلص بشكل ملحوظ من 5.4٪ سنة 1971 إلى 1.8٪ سنة 1982.

انخفضت نسبة المشتغلين بالفلاحة بأكثر من الثلث بين 1971 و1982 بحيث لم تعد تشغل سوى 4.3٪ مما يدفعنا إلى التساؤل هل هذا التراجع ظرفي يعكس الأزمة الاقتصادية التي خلفتها فترة الجفاف أم تحول جذري ؟ نلاحظ أولاً أن العدد المطلق لليد العاملة بالفلاحة لم ينخفض إن لم نقل عرف ارتفاعاً طفيفاً إذ انتقل من 643 إلى 670 عامل بين 1971 و1982. ثانيا هناك علاقة بين تراجع المجال الفلاحي بمنطقة زواغة بن سودة وعدم ارتفاع نسبة المنشيطين به، بحيث إلى جانب ارتفاع سكان بن سودة عرفت منطقة زواغة نسبة تزايد سنوية مرتفعة بلغت 17.4٪ بالإضافة إلى ظهور عديد من التجزئات السكنية كتجزئة بدر التي تمتد على مساحة 25.4 هكتار وتجزئة طارق 1 و2 على مساحة 34 هكتار تقريباً. وإذا كان تاريخ الشروع في بناء هذه التجزئات هو سنة 1983، إلا أن التهيئة المجالية وتوزيع البقع على المستفيدين انطلقت منذ أواخر السبعينات.

ارتفعت الصناعة العصرية بنسبة 1٪ بين إحصائي 1971 و1982. وقد ظهرت وحدات صناعية في بن سودة لم تتعد الأربع، ففي سنة 1974 تم تأسيس شركة الصناعة الميكانيكية والكهربائية، وبدأ العمل بالشركة المركزية للحليب سنة 1979 ومعمل الغاز التابع للمكتب الشريف للبترول سنة 1980 ومعمل الخروب سنة 1981، لم يتجاوز عدد المشتغلين بهذه المعامل 48٪ من الساكنة النشيطة للمركز خلال إحصاء 1982. بينما كان الباقي من العاملين بهذا القطاع ينتقل يومياً إلى فاس خاصة إلى الأحياء الصناعية سيدي إبراهيم والدكارات. ورغم ما تضمه أنشطة البناء من عدد هائل لليد العاملة فإنها لم تسجل سوى ارتفاع 8.8٪ بين 1971 و1982 بينما سجلت قطاع الحرف ككل ارتفاع 17.9٪ وحرف الانتاج 17.5٪.

وعلى مستوى المؤسسات التعليمية بالاضافة إلى مدارس ابتدائية وثانوية أصبح المركز يلعب دوراً مهماً بحيث توجد به المدرسة العليا للأساتذة ومركز صناعي للتكوين تم افتتاحه في أكتوبر 1990، ومؤسسة خيرية للتربية والتعليم يلجأ إليها الأيتام والفقراء من أطفال كل المنطقة، ومؤسسة محمد الخامس للمكفوفين. وعلى المستوى الصحي توجد بالمركز إلى جانب المركز الطبي والمستوصف عيادة خاصة وصيدليتان.

وعلى الصعيد الصناعي تم إنشاء حي صناعي منذ أواخر السبعينات للتخفيف من الضغط الواقع على أحياء سيدي إبراهيم والدكارات الصناعية بفاس، على مساحة أكثر من 60 هكتار مقسمة على 132 بقعة تتراوح مساحاتها بين 500 م^2 وهكتار ونصف، وتشتمل على خط حديدي هو لحد الآن في خدمة معمل الغاز، ويمكن للوحدات الصناعية الأخرى استغلاله في نقل السلع وتوزيعها. وقد أخذت بعين الاعتبار نوع الصناعات التي ستقام بالحي لتجنب مشكل

التلوث سواء على مستوى المياه أو الهواء لمدينة فاس، لا سيما وهذه المنطقة توجد بعاليتها وقريبة من الاتجاه السائد للرياح الغربية. فالصناعة الموجودة بالحي هي إما غذائية أو تهتم بخياطة الملابس الجاهزة، وبلغ عدد المصانع الكبرى التي كانت تعمل به إلى حدود سنة 1986 عشرة أغلبها في حوزة الفاسيين الذين يعتبرون بن سودة كحي من أحياء فاس.

دراسة معدة لنيل دبلوم الدراسات العليا.

عائشة الخميري

بن صميم أو بنصميم، من أقدم القرى في الأطلس المتوسط الغربي (جماعة إركلاون، دائرة أزرو، إقليم يفرن) يقع في منطقة اتصال الهضبة العليا الكلسية ليفرن وسهل تكريكرا الغريني، محاذية للطريق الثانوية الرابطة بين يفرن وأزرو.

تحتل القرية موضع عالية سفح يعلو 1.400 م على شكل مدرج يشرف على وادي بن صميم الصغير. ونظراً لهذا الارتفاع وهذا الموقع يكون الشتاء بارداً وتنزل التساقطات التي تكون أحياناً ثلجاً بمعدل سنوي يفوق 800 ملم، مما يجعل المنطقة تتوفر على مؤهلات طبيعية مهمة تتمثل في غزارة المياه وانتشار غابات البلوط الأخضر والأرز. هذه الغابات تشكل مراعي للماشية وموارد للخشب. وقد مثل هذان الموردان العنصر الحاسم في تعمير المنطقة، إذ استقرت بها مجموعة من المزارعين الذين قدموا من تافيلالت وذلك منذ تأسيس الزاوية.

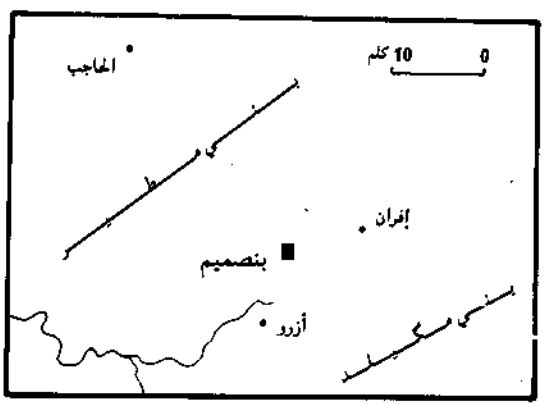

موقع بنصميم

لقد كانت قرية بن صميم تزود المراكز الحضرية المجاورة، كفاس ومكناس، بالأخشاب المنقولة على البغال التي كانت تعود محملة ببعض المواد الاستهلاكية. وبعد انقراض هذا النشاط تعاطى السكان منذ بداية القرن العشرين فلاحة هزيلة تعتمد على استغلال الامكانات المحدودة للمحيط الوحيد الذي يشكل إطار عيشهم. بالإضافة إلى زراعة الحبوب والقطاني البورية. تنتشر الزراعة السقوية المنتجة للخضر والفواكه على طول وادي بن صميم. وتتميز الحيازات بتشتتها عبر رساتيق مختلفة، كما تتميز بطابعها المجهري، إذ لا تتجاوز مساحة غالبيتها بضعة مئات من الأمتار المربعة. لذلك اهتم الفلاحون باستكمال النشاط الزراعي بتربية الماشية. غير أن قطعان الأغنام والماعز والبقر غالبا ما تكون هزيلة. وتجدر الإشارة إلى أن سكان بن صميم هم مربُّو الماشية المستقرون دون غيرهم من القبائل المجاورة، إذ أن قطعانهم ترعى محليا أو غير بعيد في المراعي الجماعية بالقرب من مطار يفرن.

نظراً لضعف الانتاج الفلاحي، يلجأ جل الفلاحين إلى البحث عن أنشطة مكملة في عين المكان. وذلك عندما تنعدم إمكانية الهجرة. لكن المخيمات الصيفية التي تقام بجانب القرية لا توفر إلا بعض فرص التشغيل المؤقتة، كما أن بناء أكبر مستشفى لمعالجة داء السل بالمغرب في الخمسينات على مقربة من القرية خلق العديد من مناصب الشغل بالنسبة للسكان وخاصة الشباب منهم بالإضافة إلى أن هذا المشروع ساهم في التعريف بالمنطقة التي تمتاز بجمال طبيعتها، إلا أن إغلاق هذا المركز الصحي في بداية العقد الأخير كان له وقع سيء على هذه القرية التي لم تعرف أي تحسن لوضعيتها منذ تلك الفترة، حيث سجل عدد سكانها انخفاضاً ملحوظاً من 1576 نسمة سنة 1971 إلى 1207 نسمة في سنة 1982.

يتمركز مجموع الساكنة داخل قرية بن صميم باستثناء بعض الدور المنعزلة، ويظهر السكن على شكل متراص ومزدحم. وينتظم النسيج السكني حول المسجد الذي يعتبر زاوية كذلك، على شكل بنية شعاعية. وباستثناء بعض الخلايا الصغيرة المنعزلة عن النواة في الغرب، فإن مجموع المنازل تنتظم على طول أزقة صغيرة تنتهي كلها عند ساحة الزاوية. وتتميز هذه الدور المنخفضة والمبنية بالطين بسطوحها المنبسطة المغطاة بالشيست المهشم المعروف بضعف مقاومته لتقلبات الجو الشديدة. ورغم أن هذه التقنية الصحراوية مازالت سائدة، فإن المواد الجديدة للبناء أخذت تغزو الإطار السكني لقرية بن صميم.

أما فيما يخص التجهيزات فعلى عكس بعض المجموعات الريفية الجبلية نجد أن هذه القرية تتوفر على الكهرباء والماء الشروب وشبكة الوادي الحار، كما تتوفر أيضا على بعض المرافق الاجتماعية ذات السمات الحضرية، كالحمام الذي تستغله الزاوية والفران ومدرسة ابتدائية ومستوصف ومركز للهاتف. إلا أن النشاط التجاري بقي محدوداً (جزار واحد وبعض بائعي التوابل). مما يدفع السكان للتنقل إلى أزرو قصد قضاء حاجياتهم والاستفادة من الخدمات التي لا تتوفر في المركز.

يستعمل المسجد علاوة على إقامة الصلاة كمقر للزاوية التي أسست على ما يبدو من طرف شرفاء أدارسة استعارت فخذات سكان بن صميم أسماءهم مثل أيت عبد الرحمان وأيت عبد القادر وأيت بلقاسم وأيت عبد الله أُلحسن الذين يعتقد أنهم قدموا من الجنوب واستقروا بهذا المركز منذ عهد قديم حيث كانت تمثل زاويتهم رباطاً. وكان

المقيمون بها ينعتون باللهجة البربرية "إمرابطن" أي المرابطين، وقد شكلت هذه الزاوية مركزاً دينياً ذا نفوذ كبير يحظى باحترام وتقدير قبائل بني مگيلد النصف الترحالية التي كانت تقدم إليها الهدايا والقرابين كلّما تنقلت نحو الجبل أو نزلت إلى أزغار. ومما يفسر هذا النفوذ أن الزاوية كانت مركزاً لتعليم القرآن والحديث وتطبيق التشريعات الإسلامية في تنظيم الحياة الاجتماعية القروية في الوقت الذي كانت المناطق المجاورة خاضعة للأحكام العرفية "إزرف" حيث كانت تحرر فيها عقود الزواج والبيع والشراء والإرث ويقوم الفقهاء بتقديم الفتاوى. وقد عرفت الزاوية فرقاً طُرقية مختلفة من تجانية ودرقاوية مازالتا تتمتعان بنفوذ كبير في المنطقة. إلا أن هذا الاشعاع مافتئ أن تراجع حيث تقلص نشاطها وضعف نفوذها، ورغم هذا هناك من السكان من لايزال يعتبرها من مفخرة المنطقة.

الخريطة الطبغرافية لبفرن، وأزرو، أطلس المغرب، أطلس الموارد الطبيعية للمغرب، الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1971، الاحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1982، استمارة ميدانية ماي 1987.

A. El Belghiti Alaoui. *Urbanisation et émigration du monde rural*. Thèse de doctorat de spécialité, 1978 ; G. Beaudet, *Les Bni Mguild. Etude géographique de l'évolution récente d'une confédération semi-nomade du Maroc* R.G.M., n° 16, 1969.

عائشة البلغيتي العلوي

بن قرّيش (دار ـ) وتكتب أيضا ابن قرّيش وبنقريش، قرية بفرقة الواد من قبيلة بني حزمر التي كانت تعرف قديما بقبيلة بني يجّم، وسبب تسمية القرية هو أنها من تأسيس أسرة أولاد بن قرّيش الشريفة التي هاجرت من الساقية الحمراء في القرن التاسع الهجري (15 م).

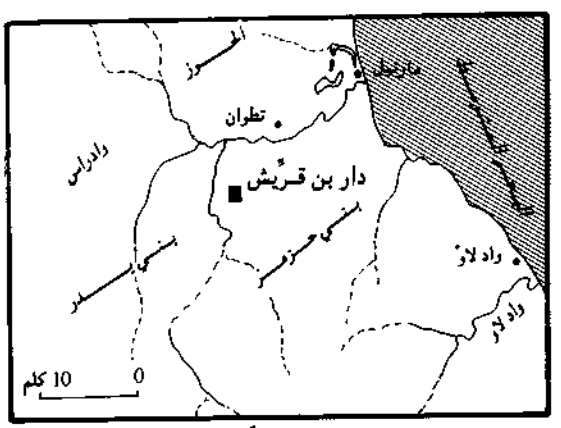

دار بن قرّيش

وليس لدينا ما يثبت تاريخ تأسيس القرية، وكل ما نتوفر عليه هو ما جاء في المذكرة التي أعدها القبطان الإسباني كوگويو دو Cogolludo رئيس فرقة الشرطة التي أحدثت بتطوان بمقتضى عقد الجزيرة الخضراء لسنة 1906، يقول القبطان المذكور إنه "في سنة 1689/1100 كانت القرية تشتمل على خمسة من الدور وأن عدد سكانها كان نحو أربعين نفرا، وذلك بعد مرور عشرات السنين على بناء الدار الوحيدة التي كانت بالقرية".

كما نجد مذكرة أخرى أعدتها إدارة المراقبة بالقبيلة سنة 1931/1350 تقول :"إن تأسيس القرية يرجع تاريخه إلى حوالي أربعمائة سنة وأنها كانت تعد بمثابة عاصمة لقبيلة بني حزمر سنة 1640/1050 حيث كانت بها مدرسة للتعليم الديني اندثرت عندما انتقل جل أفراد عائلة ابن قريش إلى تطوان في القرن الحادي عشر الهجري".

ولا شك أن واضع المذكرة الأخيرة اعتمد في كلامه على رواية شفوية كانت تروج بالقبيلة، وهي رواية تحتمل الصحة، لأن أسرة ابن قرّيش اشتهرت فعلا بكون جل رجالها كانوا علماء وفقهاء يزاولون خطة القضاء والإفتاء والتوثيق والإمامة والخطابة والتدريس بمدينة تطوان من سنة 1628/1037 إلى سنة 1793/1207.

ويقول القبطان كوگويودو في *مذكرته* : إن جل الصناع التطوانيين الذين كانوا يربون دود الحرير في فصل الصيف كانوا يختارون الشرانق الجيدة و يضعونها في صناديق من خشب ثم يتوجهون بها إلى قرية دار بن قرّيش فيتركونها بأحد أضرحة القرية إلى أن يأتي فصل الصيف الموالي فيعودون بها إلى تطوان، وسبب ذلك أن الناس كانوا يعتقدون أن الشرانق التي تحفظ بدار بن قرّيش تنتج حريراً أكثر جودة من الشرانق المحفوظة في قرية أخرى.

وعلى إثر احتلال تطوان يوم 12 ربيع الأول 19/1331 فبراير 1913 لعبت قرية دار ابن قرّيش دوراً رئيسياً في المقاومة المسلحة ضد الغزو العسكري الإسباني لناحية جبالة، حيث تأسس بالقرية أول رباط للجهاد يوم 20 ربيع الثاني 29/1331 مارس 1913. فتأخر سقوط القرية المذكورة بيد الجيش الإسباني إلى يوم 9 شوال 26/1338 يونيو 1920 حيث أنشأت بها إدارة للمراقبة العسكرية بالقبيلة ومنها انطلقت العمليات العسكرية التي مكنت القوات الإسبانية من احتلال مدينة شفشاون يوم 20 محرم 4/1339 أكتوبر 1920.

ولجودة مناخ القرية اختارتها إدارة الحماية لتشييد المصحة الوحيدة الخاصة بداء السل التي كانت توجد في شمال المغرب، فكان ذلك سبب ازدهار القرية التي أصبحت بعد الاستقلال مقر قيادة القبيلة.

Cogolludo El bagalato de Tetuan (Marreucos), 1920 ; *Intervencion de Ben Karrich, Memoria del año 1931* ; Comicion historica, *Geografia*, p. 52 - 54 - 61 - 164 - 175 - 493 ; *Campañas*, t. 2, p. 693 - 697 - 703 - 712 - 761 - 764 - 785 - 796 - 809.

محمد ابن عزوز حكيم

بن گرير، ويكتب أيضاً بن جرير وابن جرير، مركز ينتمي إلى المنطقة الاقتصادية لتانسيفت، ويمثل إحدى قيادات دائرة الرحامنة الثلاث، وهي قيادة الرحامنة الوسطى التابعة لعمالة إقليم السراغنة الواقعة شمال سلسلة الجبيلات.

تقع بن گرير عند تقاطع خط الطول 57' 7° وخط العرض 14' 32° شرق مدينة اليوسفية. يعبرها محور طريقي حيوي،

تمثله الطريق الرئيسية رقم 7 الرابطة بين مدينتي طنجة والعيون والمارة بمدينة الدار البيضاء في الشمال ومدينة مراكش مقر عمالة إقليم الحوز في الجنوب.

بدأ تطور هذا المركز مع إقامة أول قاعدة عسكرية أمريكية في منطقة الرحامنة منذ أواسط هذا القرن، انطلاقا من أقدم حي بالمركز يعرف بحي "الزاوية" الذي أقيم حول ضريح سيدي أحمد ابن عزوز.

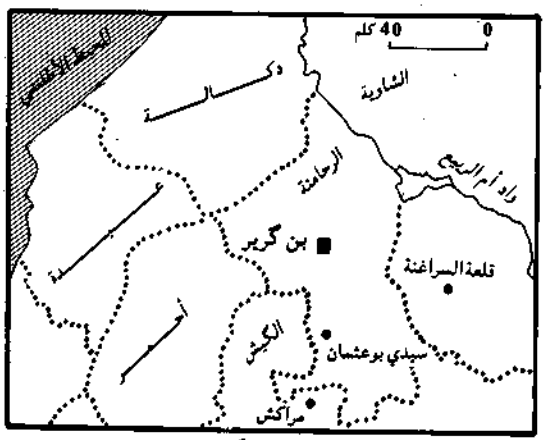

موقع بن گرير

ولا بد من الإشارة إلى أن مؤهلات ضواحي هذا المركز الطبيعية ضعيفة، فالقاعدة الصخرية أولية شستية تعتبر الهامش الجنوبي للرحامنة تغلفها في الهوامش الشرقية والجنوبية طبقات كلسية كريتاسية وايوسينية لهضبة الگنتور بنيتها منضدية. والمناخ قاري ينتمي للطبقة البيومناخية الجافة بتساقطات لا يتعدى معدلها 200 ملم مع شتاء بارد (0° و3°) وصيف جاف حار (35° في المتوسط). ويعكس هذا الجفاف غياب الغطاء النباتي الشجري، وكذا ضعف التربة التي تبقى هيكلية من نوع الخبار المؤهلة لإقامة نشاط رعوي إلى جانب نشاط زراعي بوري مقلال تسود فيه زراعة الشعير بمردودية ضعيفة.

الكثافة السكانية الإقليمية ضعيفة بأقل من 40 نسمة في الكلم². لكن المركز عرف مؤخراً تطوراً سكانياً سريعاً، فقد قفز عدد سكانه من 6.941 نسمة سنة 1971 إلى 22.354 نسمة سنة 1982. وتسببت في هذه الزيادة السريعة عدة عوامل منها : اكتشاف مناجم الفوسفاط بالمنطقة، وإنشاء مكتب جهوي للمكتب الشريف للفوسفاط تابع لمديرية البوسفية منذ سنة 1974، لاسيما وأن فوسفاط بن گرير يعتبر من أجود أنواع الفوسفاط المغربي، كما يضم مدخراً يأتي في المرتبة الثالثة بعد مدخرات مناجم خريبگة واليوسفية. يتم تصديره خاماً إلى معامل المركب الكيماوي بأسفي وإلى مينائه عبر خط سكة حديدية أقيم لهذا الغرض.

كما أن حدة الجفاف الذي عرفته منطقة الرحامنة خلال السنوات الخمس 80 . 85 دفعت بالعديد من سكان الرحامنة وإقليم السراغنة إلى الهجرة في اتجاه مركز بن گرير بحثاً عن العمل، في مركز أصبح اليوم محطة أنظار سكان دائرة الرحامنة بعد اكتشاف مناجم الفوسفاط بضواحيه، ونظراً لوظيفة المركز التجارية كمحطة خدمات طريقية، يتنبأ لها بمزيد من النمو والازدهار. لذلك تم التخطيط لبناء مركب تجاري ضخم في السنوات القليلة القادمة، مع الشروع في بناء فندق من ثلاثة نجوم، لا سيما أنه كان ولايزال يشكل مقر سوق وطني للماشية التي توزع منه إلى جميع أنحاء المغرب، ولا سيما بعدما أصبح بن گرير مقراً لقيادة وجماعة الرحامنة الوسطى إلى جانب وجود ثانوية (الثانوية الجديدة) وإعداديتين، مع مفتشية للتعليم الابتدائي نظرا لتعدد المدارس الابتدائية بالمركز بالإضافة إلى وجود دار للشباب تابعة لوزارة الشبيبة والرياضة ومركز للتعاون الوطني.

هكذا تعرف رقعة مركز بن گرير توسعاً مطرداً سنة بعد أخرى، ويتمثل في تعدد أحيائه وهي : حي "الزاوية" ودوار الجديد، وحي الراضي، وحي افريقيا، إلى جانب الحي الإداري وحي الفوسفاط، وتتكون جميعها من سكن صلب، تنعدم فيه مساكن الصفيح.

وقد تطورت هذه الأحياء بصفة عامة على طول الطريق الرئيسية رقم 7 وعلى الجهة الشرقية للطريق بصفة خاصة. هذا التطور الذي يعكس ارتباط المركز بوظيفته التجارية القديمة كمحطة طرقية وكسوق للماشية، واتساعه الحالي في اتجاه الشرق صوب مناجم الفوسفاط المكتشفة مؤخراً.

الخرائط الطبوغرافية بمقياس : 1 / 50.000 التالية : بن گرير ؛ صخور الرحامنة ؛ سيدي بوعثمان ؛ واد بوشان ؛ *خريطة المغرب الطبوغرافية* لمقياس 1 / 1.200.000 ؛ *خريطة جيولوجية عامة للمغرب* بمقياس 1 / 2.000.000 ؛ *أطلس المغرب للثروات الطبيعية* 1983، مغرب التنمية : *السكان القانونيون للمغرب*، حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1982 ؛ ثانوية مركز بن گرير، *مجلة المشكاة*، العدد 8، سنة 1986 (عدد ممتاز وخاص عن منطقة الرحامنة) ؛ *بحث ميداني في عين المكان*.

Carte métallogémique du Maroc, ech. 1/2.000.000 ; Ch. Sauvage. *Atlas du Maroc, Etages Biclimatiques*, Rabat, 1963 ; H. Gaussen et J. Debrach, F. Joly, *Atlas du Maroc, Précipitations Annuelles*.

محمد الطيلسان

بَنْ گيرْ، قرية كانت تقع على مشارف هسكورة السهل، شرق الجبل الأخضر غير بعيد عن واد أم الربيع، بين بولعوان ومشرع بن عبّو. ولم تسلم هذه القرية في أوائل القرن العاشر (16 م) من الهجومات العنيفة التي كان يشنها البرتغاليون على قبائل دكالة، رغم بعدها عن مراكز الاحتلال البرتغالي وقد وصلت إليها جيوش الاحتلال المرابطة بأزمور في فبراير 1514 م. وأرغمتها على الرضوخ لشروطها بعد أن عجز السعديون عن حمايتها.

أ. بوشرب، دكالة.

Marmol, *L'Afrique* ; *S.I.H.M, Portugal* I et II.

محمد الشباطي

الإنسان بالمغرب
الفك الأسفل للأشلولتروب
مقلع طوماس : الدار البيضاء (انظر صفحة 837)

الفك الأعلى والأسفل
الإنسان الإيبيروموروسي (انظر صفحة 838)

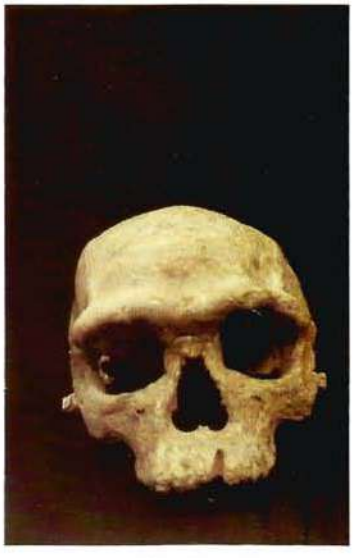

الإنسان بالمغرب
إنسان إيغود (انظر صفحة 838)

هيكل عظمي
الإنسان الكارديالي
العصر الحجري الحديث القديم (انظر صفحة 839)

الإنسان بالمغرب
الإنسان العطيري (انظر صفحة 838)

الإنسان بالمغرب
جمجمة إنسان العصر الحديث (انظر صفحة 839)

أوكاليبتوس : سيدي يحيى (انظر صفحة 907)

أوّال : جبل بوبلان (انظر صفحة 916)

أوكاليبتوس : واد الشراط (انظر صفحة 907)

عملية التنقيب في فترة ما قبل التاريخ (انظر صفحة 917)

أوّال : شجرة ضخمة (انظر صفحة 916)

الحضارة الإيبيروموروسية
عادة إزالة الأسنان في سن 14 (انظر صفحة 919)

أيفس : أوراق وثمار (انظر صفحة 930)

باريتين : معدن (انظر صفحة 987)

أيفس : كثبان الصويرة (انظر صفحة 931)

الباز (انظر صفحة 989)

إوزة رمداء (انظر صفحة 896)

بحيرة عواً (ضاية –) (انظر صفحة 1081)

بحيرة الوليدية (انظر صفحة 1082)

بحيرة آفورگاخ (ضاية ـ) (انظر صفحة 1081)

بحيرة الناضور (بوعرگ) (انظر صفحة 1081)

بحيرة إيفر (ضاية ـ) (انظر صفحة 1081)

بحيرة سيدي بوغابة (ضاية ـ) (انظر صفحة 1081)

بحيرة حشلاف (ضاية ـ) (انظر صفحة 1081)

بحيرة أكلمان سيدي علي
(انظر صفحة 1081)

البط الخضيري (انظر صفحة 1264)

باخنّو (انظر صفحة 962)

بطم (انظر صفحة 1274)

بشنيخة

البغل (انظر صفحة 1296)

البقر (انظر صفحة 1298)

بلوط فلليني (انظر صفحة 1364)

البقس (انظر صفحة 1299)

بلوط فلليني (انظر صفحة 1364)

بلان (انظر صفحة 1326)

بلوط أخضر (انظر صفحة 1365)

بلوط قرمزي (انظر صفحة 1366)

البلوط الزغبي (انظر صفحة 1367)

بلوط الزان (انظر صفحة 1366)

البلوط الزغبي (انظر صفحة 1367)

البلوط الزغبي (انظر صفحة 1367)

البلوط القزمي : الكريش (انظر صفحة 1367)

تم طبع هذا الجزء من معلمة المغرب بمطابع سلا
في صفر عام 1419 / يونيو 1998
وأعيد طبعه في جمادى الأولى عام 1433/ أبريل 2012

مطابع سلا

19، زنقة الحافظ السلفي
المعاريف - الدار البيضاء

© : 05.22.25.65.65

Directeur de publication : **Mohamed Hajji**

Comité de rédaction : **Ahmed Toufiq**
Mohamed Hajji

Comités scientifiques :

Pour les sciences humaines

Mohamed BENCHERIFA, Faculté des Lettres, Rabat.
Mohamed ZNIBER, Faculté des Lettres, Rabat.
Salem YAFOUT, Faculté des Lettres, Rabat.
Mustapha NAIMI, Institut Universitaire Pour La Recherche Scientifique, Rabat.

Pour la géographie et les sciences de la nature

Abdellah LAOUINA, Faculté des Lettres, Rabat.
Dris EL-FASSI, Institut agronomique et vétérinaire Hassan II, Rabat.
Mustapha AYAD, Faculté des Lettres, Rabat.
Abdelmalek BENABID, Ecole Nationale Fôrestière, Salé.
Mohamed RAMDANI, Institut Scientifique, Rabat.

Tous droits réservés, y compris le droit de traduction ou de reproduction même partielles sous quelque forme que ce soit.

Imprimerie de Salé

19, Rue El Hafid Salafi
Maârif - Casablanca
Tél.: 05.22.25.65.65

Encyclopedie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

L'Imprimerie de Salé

1991 - 1411

Encyclopédie
du
Maroc

معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

1992 - 1413

المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984 / 629

جميع حقوق النقل والترجمة ـ جزئياً أو كلياً بأي شكل كان ـ محفوظة
للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولمطابع سلا

ردمك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)
ردمك 8 - 005 - 03 - 9981 (الجزء 5)

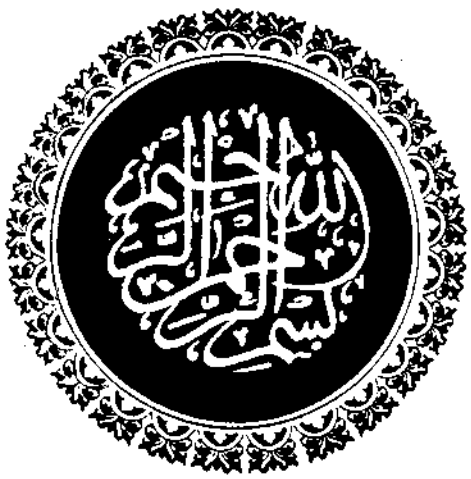
بسم الله الرحمن الرحيم

تشكر الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر
مؤسسة الحسن الثاني للمغاربة المقيمين بالخارج
والشركة الشريفة للبترول
على دعمهما لإنجاز المادة العلمية لهذا الجزء

المدير المشرف : محمد حجي

لجنة التحرير : أحمد التوفيق، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط
محمد حجي، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

لجنة العلوم الانسانية : محمد بنشريفة، أستاذ الأدب المغربي والأندلسي بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية، الرباط
محمد زنيبر، أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب، الرباط
سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط
مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافيا : عبد الله العوينة، أستاذ الجيمورفولوجيا بكلية الآداب، الرباط
مصطفى عياد، أستاذ الجغرافيا البشرية بكلية الآداب، الرباط
إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
عبد المالك بنعبيد، أستاذ بالمدرسة الوطنية الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
محمد رمضاني، باحث في البيولوجيا الحيوانية بالمعهد العلمي و أستاذ بكلية العلوم، الرباط

اختصارات

ت.	= توفي
تح.	= تحقيق
تر.	= ترجمة
خ. ت	= خزانة تطوان
خ. ح.	= الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص.	= الخزانة الصبيحية بسلا
خ. ع.	= الخزانة العامة بالرباط
خ. ق.	= خزانة القرويين بفاس
خ. ي.	= خزانة ابن يوسف بمراكش
د. ت	= دون تاريخ
د. د. ع.	= دبلوم الدراسات العليا
د. م.	= دون مكان
ط.	= طبعة
←	= انظر

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

إشارات

ما تزال الهيئة العلمية المشرفة على إعداد *معلمة المغرب* وتحريرها في طور التجربة والاستكشاف، تقف من حين لآخر أثناء عمليات الجرد والتنميط على حالات تستلزم كثيراً من التوقف والتأمل. فبعد صعوبات مواد حرفي الهمزة والباء التي حاولنا التغلب عليها وأشرنا إلى الحلول التي انتهينا إليها بشأنهما في مقدمتي الجزءين الأول والثالث من *المعلمة*، اعترضتنا حالات من نوع آخر في حرف التاء، منها اختلاف كتابة أسماء بالزيادة والحذف، وبخاصة أسماء الأماكن الأمازيغية التي تكتب تاؤها الأولى المفتوحة ممدودة بألف في بعض الأسماء وبدونها في أخرى، والمضمومة متلوة بواو تارة وبدونها تارة، والمكسورة مشبعة بالياء في بعض الحالات وبدونها في أخرى، بل كثيراً ما يختلف رسم نفس الكلمة الواحدة بالمد وبدونه، أمثال : تَركونت ـ تاركونت ؛ تَغجيجت ـ تاغجيجت ؛ تَمگروت ـ تامگروت ؛ تُبكال ـ توبكال ؛ تُفلعزت ـ توفلعزت ؛ تُنفيت ـ تونفيت ؛ تديكين ـ تيديكين؛ تسيت ـ تيسيت ؛ تكساس ـ تيكساس.

وإذا كان إثبات المد وحذفه لا يظهر له أثر يثير الانتباه في الكتابة المنفردة لأسماء الأماكن والأعلام البشرية المنسوبة إليها، فإن الأمر بعكس ذلك تماماً عندما تكون هذه الكلمات مداخل لمواد في *المعلمة*، فقد يختلف ترتيب الكلمة بعشرات الصفحات بل ومن جزء لآخر اعتباراً لكونها مبدوءة مثلا "بتا أو تَرْ" "تُو أو تُبْ"، "تيـ أو تدْ". وبعد الاستقراء وإمعان النظر ارتأينا، في إطار توحيد المداخل، أن نثبت حروف المد بعد التاء الأولى ولو أن المد لا يوجد في اللسان الأمازيغي، واضطررنا مع ذلك إلى استثناء كلمات لا تُكتب عادة ممدودة مثل تكنة وتمسمان وتدغة وترغة، وتطوان، وإلى استعمال سهم الإحالة فيما يتعلق بكلمات أخرى تكتب بالمد وبدونه واستعملت أخيراً بدون مد مثل تيزنيت ← تزنيت.

إننا لا نزعم الكمال لاجتهاداتنا ولو أننا نبالغ المجهود في التحري والتمحيص، ونرحب بكل الانتقادات والاقتراحات البنّاءة سواء من طرف الزملاء المشاركين في المعلمة أو من عموم القراء.

الرباط، في : 25 جمادى الثانية عام 1413 / 21 دجنبر 1992

المشاركون في تحرير مواد هذا الجزء

محمد **أبو طالب**، كلية الآداب، الرباط.
عبد الفتاح **أبو العز**، كلية الآداب، بني ملال.
محمد **أديوان**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **أزهار**، كلية الآداب، المحمدية.
ا. ح. **أسادّن**، طبيب بفاس.
سعيد **أعراب**، أستاذ سابق بمعهد التعليم الأصيل بتطوان.
الحسين **ألفا**، كلية الآداب، أكادير.
عمر **ألفا**، كلية الآداب، الرباط.
عبد العزيز **أكرير**، كلية الآداب، بني ملال.
محمد **الحيان**، المركز الوطني لتنسيق البحث العلمي، الرباط.
أحمد **أمزال العسري**، وزارة الاعلام.
علي **أمهان**، وزارة الشؤون الثقافية.
حسن **أميلي**، كلية الآداب، المحمدية.
حمدي **أنوش**، كلية الآداب، أكادير.
محمد **أرجامع**، كلية الآداب، مراكش.
عبد الحميد محيي الدين **الباعمراني**، كلية اللغة العربية، مراكش.
ثريا **برادة**، كلية الآداب، القنيطرة.
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب، المحمدية.
محمد **بريان**، كلية الآداب، الرباط.
عبد اللطيف **البرينسي**، كلية الآداب، بني ملال.
محمد الأمين **البزاز**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **البقالي يدري**، باحث.
عبد السلام **البكاري**، باحث.
محمد **بلعربي**، باحث.
عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب، القنيطرة.
البيضارية **بلكامل**، كلية الآداب، الرباط.
محمد الأمين **بلكناوي**، باحث.
عائشة **البلغيثي العلوي**، كلية الآداب، الرباط.
رقية **بلمقدم**، وزارة التربية الوطنية.
محمد **بنبراهيم**، كلية الآداب، وجدة.
أحمد **بنجلون**، باحث.
ماجدة **بنحبريط علمي**، كلية الآداب، بني ملال.
حسن **بنحليمة**، كلية الآداب، أكادير.
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب، المحمدية.
عبد اللطيف **بنشريفة**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **بنشريفة**، كلية الآداب، الرباط.
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين، سلا.
عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب، بني ملال.
عمر **بنميرة**، كلية الآداب، الرباط.
عثمان **بناني**، كلية الآداب، الرباط.
لطيفة **بناني سميرس**، كلية الآداب، فاس.
عبد المجيد **بنيوسف**، وزارة الشؤون الثقافية.
محمد **بوخبزة**، محافظ سابق في قسم المخطوطات بخزانة تطوان.
فاطمة **بوخريص**، كلية الآداب، الرباط.
عبد القادر **بوراس**، وزارة التربية الوطنية.
رحمة **بورقية**، كلية الآداب، الرباط.
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب، فاس.
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية.
مصطفى **بوشعراء**، مديرية الوثائق الملكية، الرباط.
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب، المحمدية.
عبد الله **بوصحابة**، مهندس، الرباط.
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب، الرباط.
بوشتى **بوعسرية**، كلية الآداب، مكناس.
عبد العزيز **بوعصاب**، المركز التربوي، القنيطرة.
العربي بن الحسن **بوعيادة**، باحث.
أحمد **بوكوس**، كلية الآداب، الرباط.
أحمد **بومزكو**، وزارة التربية الوطنية.
أحمد شوقي **بينبين**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **بن تاويت**، كلية الآداب، الرباط.
جامع **بيضا**، كلية الآداب، الرباط.
عبد العزيز **التمسماني خلوق**، كلية الآداب، الرباط.
عبد العزيز **توري**، مديرية التراث بوزارة الثقافة، الرباط.
أحمد **التوفيق**، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط.
محمد **جادة**، خزانة كلية الآداب، الرباط.
عبد الرحيم **الجلدي**، باحث.
حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية، مراكش.
الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية.
عمر **الجيدي**، دار الحديث الحسنية، الرباط.
جعفر ابن **الحاج السلمي**، كلية الآداب، تطوان.
محند أيت **الحاج**، وزارة التربية الوطنية.
محمد **حجي**، كلية الآداب، الرباط.
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب، وجدة.
فاطمة **الحراق**، كلية الآداب، الرباط.
إبراهيم **حركات**، كلية الآداب، الرباط.
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب، فاس.
محمد **حمام**، كلية الآداب، الرباط.
محمد أيت **حمزة**، كلية الآداب، الرباط.
علال **الخديمي**، كلية الآداب، الرباط.
أحمد **الختبوبي**، باحث، بورلو.
إسماعيل **خياطي**، كلية الآداب، الجديدة.
نجاة **الخياطي**، كلية العلوم، الرباط.
مارية **دادي**، كلية الآداب، وجدة.
حفيظة **الدازي**، كلية الآداب، القنيطرة.
محمد **دحماني**، كلية الآداب، وجدة.
نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب، القنيطرة.

محمد رابطة الدين، كلية الآداب، مراكش.
محمد رزوق، كلية الآداب، الدار البيضاء 1.
مبارك رضوان، كلية الآداب، أكادير.
محمد الرفاص، كلية الآداب، الرباط.
محمد رمضاني، المعهد العلمي، الرباط.
محمد زرهوني، كلية الآداب، الدار البيضاء 1.
محمد زنيبر، كلية الآداب، الرباط.
رشيد السلامي، كلية الآداب، مراكش.
عبد اللطيف الشاذلي، عمادة جامعة مولاي إسماعيل، مكناس.
الميلود شاكر، كلية الآداب، الرباط.
أحمد الشرقاوي إقبال، باحث، مراكش.
أحمد ابن الشرقي، باحث، مراكش.
مصطفى شويكي، كلية الآداب، الدار البيضاء 2.
محمد الشياظمي، باحث، الرباط.
عبد الحق الصدق، كلية الآداب، وجدة.
عبد الرزاق الصدّيقي، كلية الآداب، المحمدية.
علي صدقي أزايكو، كلية الآداب، الرباط.
محمد حجاج الطويل، كلية الآداب، الدار البيضاء 2.
عبد الرحمان الطيبي، باحث.
عبد العزيز بن عبد الجليل، وزارة الشؤون الثقافية.
أحمد عزاوي، كلية الآداب، القنيطرة.
محمد ابن عزوز حكيم، باحث، الرباط.
عبد الرحيم العطاوي، كلية الآداب، الرباط.
عز الدين العلام، المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير.
إسماعيل العلوي، كلية الآداب، الرباط.
محمد العلوي الأوانوسي، باحث.
حسن علوي حافظي، كلية الآداب، مراكش.
هاشم العلوي القاسمي، كلية الآداب، فاس.
أحمد العماري، كلية الآداب، فاس.
أحمد عمالك، كلية الآداب، مراكش.
صفية العمراني، كلية الآداب، مراكش.
عبد الله العمراني، باحث، تطوان.
عبد الله العوينة، كلية الآداب، الرباط.
مصطفى عياد، كلية الآداب، الرباط.
حياة الفراس، باحثة.
أحمد الغزالي، كلية الآداب، فاس.
عبد الإله الفاسي، كلية الآداب، القنيطرة.
عبد اللطيف فضل الله، كلية الآداب، الرباط.
حسن الفكيكي، كلية الآداب، القنيطرة.
مصطفى فنيتير، باحث.
عبد الرحمان القادري، كلية الحقوق، الرباط.
محمد مصطفى القباج، أكاديمية المملكة المغربية.
محمد القبلي، عمادة جامعة عبد الملك السعدي، تطوان.
عبد المجيد قدوري، كلية الآداب، الرباط.
محمد كربوط، كلية الآداب، الرباط.
عبد القادر كعيوا، كلية الآداب، الدار البيضاء 1.
محمد حسن كفناني، باحث.
العربي كنيتح، المدرسة العليا للأساتذة، فاس.
محمد الكير، وزارة التربية الوطنية.
ميشال لافون، باحث.
محمد لبحر، كلية الآداب، فاس.
محمد اللحية، كلية الآداب، أكادير.
علي لغزيوي، كلية الآداب، فاس.
أحمد لقمهري، كلية الآداب، الرباط.
سيمون ليلي، كلية الآداب، الرباط.
حسن ليمان، محافظ آثار وليلي.
محمد المازوني، كلية الآداب، أكادير.
محمد ماكامان، كلية الآداب، مراكش.
الملكي المالكي، وزارة التربية الوطنية.
أحمد متفكر، باحث، مراكش.
محمد مجدوب، كلية الآداب، المحمدية.
الحسن المحداد، كلية الآداب، أكادير.
علي المحمدي، كلية الآداب، الرباط.
محمد مرزاق، وزارة التربية الوطنية.
محمد مزين، كلية الآداب، فاس.
أحمد مزيان، كلية الآداب، فاس.
محمد مستاوي، باحث.
محمد مطيع، كلية الآداب، مراكش.
آمنة معطى الله، وزارة التربية الوطنية.
محمد مفراوي، كلية الآداب، أكادير.
محمد مقدون، كلية الآداب، فاس.
محمد المنصور، كلية الآداب، الرباط.
محمد المنوني، كلية الآداب، الرباط.
محمد منيوي، المعهد العلوي، الرباط.
المصطفى مولاي رشيد، كلية الآداب، الرباط.
مصطفى ناعمي، المعهد الجامعي للبحث العلمي.
إدريس الناقوري، كلية الآداب، الدار البيضاء 2.
زهراء النظام، كلية الآداب، المحمدية.
الشيخ النواوي، باحث.
محمد الحبيب نوحي، كلية الآداب، أكادير.
محمد عبد الجليل الهجراوي، متحف الآثار، الرباط.
المختار الهراس، كلية الآداب، الرباط.
عثمان هناكا، كلية الآداب، أكادير.
أحمد هوزالي، كلية الآداب، مراكش.
علي واحدي، كلية الآداب، فاس.
أحمد الوارث، كلية الآداب الجديدة.
جمعة واركي، باحث.
محمد حمادي الورياغلي، باحث.
عبد الرحيم وطفة، باحث.
مصطفى يعرف، باحث.
سالم يفوت، كلية الآداب، الرباط.
عبد الرحمان اليوبي، كلية الآداب، بني ملال.

أهم المصادر والمراجع المعتمد عليها مع اختصارها

م. **أبو طالب،**

ـ *مواقف بريطانيا في مغرب القرن التاسع عشر، ضمن أعمال ندوة الاصلاح والمجتمع المغربي*، الرباط، 1983.

أ. **أحضري،**

ـ *ديوان الأمداح النبوية وذكر النغمات والطبوع*، مخطوط. (ديوان الأمداح النبوية).

م. **أيت حمزة،**

ـ *ملامح التحولات السسيومجالية بحوض أسيف أمكون*، د. د. ع، الرباط، 1986.

ب. **باسكون،**

ـ *إعادة شراء أراضي تازروالت من طرف دار إليغ*، أبحاث، ع 4، 1984.

ـ *اغتيال هاشم زعيم دار إليغ*، أبحاث، ع 3، 1983.

ك. **الباعمراني،**

ـ *شهادة المقاوم كريم محمد بن إبراهيم الباعمراني*، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

محمد الأمين **البزاز،**

ـ *تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر*، الرباط، 1992 (*تاريخ الأوبئة*).

ع. **بن منصور البزيوي،**

ـ *مجموعة من الرسائل في البونعماني إلى أسرته*، مخطوط.

ب. **البستاني،**

ـ *محيط المحيط*، بيروت، 1944 ـ 1979.

م. **البصري،**

ـ *مع الفقيد عبد الرحيم بين أول لقاء وآخر لقاء*، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

ر. **بلمقدم،**

ـ *الأوقاف بمكناس في عهد مولاي إسماعيل 1082 ـ 1139 / 1672 ـ 1727*، د. د. ع كلية الآداب، الرباط، 1991 (*الأوقاف بمكناس*).

أ. **بنجلون،**

ـ *من تاريخ أسفي*، مخطوط

ع. **بنجلون،**

ـ *عبد الرحيم : الزعيم المرشد*، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

م. بنشريفة،

ـ علاقة مكناس بالأندلس والأندلسيين حتى نهاية العصر المريني، أعمال ندوة الحاضر الاسماعيلية، 1988.

ـ الفقيه الكانوني ومؤلفاته، كتاب أسفي، دراسات تاريخية وحضارية، أسفي، 1989.

ـ الماجريون، ضمن كتاب أبو محمد صالح : المناقب والتاريخ، الرباط، 1990.

ـ الماجريون، المناظرة، ع 2.

بنك المغرب،

ـ دراسات وإحصاءات، ع 12، نونبر 1960.

بورصة القيم،

ـ التقرير العام لسنة 1990، الدار البيضاء، 1990.

ع. **بن بوزيد،**

ـ تقييد في نسب آل بوزيد السلويين، بنقل أ. الصبيحي، كتاب التراجم، مخطوط، خ ص.

أ. **بوشرب،**

ـ عرض حول كتاب المؤرخ البرتغالي فيفاني، نشر ضمن أعمال ندوة أكادير الكبرى، أكادير، 1990.

م. **بوشعراء،**

ـ الاستيطان والحماية بالمغرب، ج 3 و4، الرباط.

إ. **بوطالب،**

ـ الذاكرة أساس العقل، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

ح. **بوعشرين،**

ـ رحلة ضمن كتاب : التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب، مخطوط.

م. **البوعصامي،**

ـ إيقاد الشموع للذة المسموع بنغمات الطبوع أو نزهة القوافي في حدائق الأغاني، مخطوط، خ ح ع 11333 مجموع 14.

ط. **البواب،**

ـ مذكرات، مخطوط.

ج. **بيضا،**

ـ سقوط أكادير تحت الاحتلال الفرنسي وسياسة القواد الكبار في عهد ليوطي، أعمال ندوة أكادير الكبير، 1990.

ـ قضية الجوارب الأجنبية بطنجة خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، مجلة دار النيابة، ع 18، ربيع 1988.

ل. ت. **بيندو،**

ـ ديوان، مخطوط.

م. **التازي سعود،**

ـ *سكان أرض المغارب في عصور التاريخ القديم، مجلة كلية الآداب فاس*، ع 2 ـ 3، 1979 ـ 1980.

ـ *التصميم التوجيهي لتهيئة المجموعة الحضرية للناظور*، الرباط، 1988.

ـ *تقييد عن شرفاء بني عمران بالقبائل الهبطية*، مخطوط، خ. ع.

ع. **التمسماني خلوق،**

ـ *حول علاقات المدينة المغربية بأحوازها في بداية القرن العشرين مثال حصار جبالة لتطوان، 1903 ـ 1904*، الباحث، ع 4، أبريل 1982.

أ. **التوفيق،**

ـ *أبو الحسن علي بن سليمان البوجمعوي الدمنتي ورسالته إلى آفاق الاسلام*، ضمن كتاب : *في النهضة والتراكم*، الدار البيضاء، 1986.

غ. **الجائي،**

ـ *دوحة المجد والتمسك في وزارة ونسب العالمين ابني العشرين*، مخطوط.

ع. **الجراري،**

ـ *أبو إسحاق إبراهيم التادلي*، الرباط، 1980.

ـ *المجالس الأدبية*، مخطوط، د. د.ع الرباط.

م. **جسوس،**

ـ *ما تعلمته من السي عبد الرحيم*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

م. **الحجوي،**

ـ *الرحلة الوجدية*، مخطوط، خ ع 123 ح.

ابن حرزوز،

ـ ثبت، مخطوط، خ ح بمراكش.

م. **الحضيكي،**

ـ مناقب، مخطوط.

ب. **حميش،**

ـ *عبد الرحيم الرمز المضيء*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

س. **الحوات،**

ـ *الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة*، مخطوط *(الروضة المقصودة)*.

ل. **ابن الخطيب،**

ـ *معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار*، الرباط، *198*.

أ. **بن صالح الدرعي،**

ـ *الدرر المحمولة في شرح الهدية المقبولة*، مخطوط، خ ح 12030. *(الدرر المحمولة)*.

م. **الدلائي،**

درة التيجان، ولقطة اللؤلؤ والمرجان، مخطوط خ ع 598 د *(درة التيجان)*.

م. ب. ع. **الدلائي،**

ـ فتح الأنوار فيما يعين على مدح النبي المختار، مخطوط (فتح الأنوار).

الراشدي،

ـ الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، قسنطينة، 1973.

ا. م. **روزلي،**

ـ اه لو عرفنا من يكون هؤلاء الرجال، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

م. **ابن ريسون،**

ـ فتح العليم الخبير، مخطوط.

م. **ابن زاكور،**

ـ الاستشفاء من الألم بذكرى صاحب العلم، مخطوط. (الاستشفاء).

م. **الزبادي،**

ـ دوحة البستان ونزهة الاخوان في مناقب الشيخ علي بن عبد الرحمن، مخطوط، خ ع د 390، 2339 ك.

ـ سلوك الطريقة الوارية بالشيخ والمريد والزاوية، مخطوط، خ ح 12444، خ ع 190.

م. **الزروالي،**

ـ شمس القلوب لكل محبوب، مخطوط، خ ع د 3694.

ع. **زمامة،**

ـ باب بوجلود بفاس، المناهل، ع 13، 1978.

م. **زنيبر،**

ـ شباب مشوب بالعزيمة المتقدمة، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

أ. **الزياني،**

ـ تكميل الترجمان في خلافة مولانا عبد الرحمن، مخطوط، خ ح 2746.

م. **الزياني،**

ـ دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، مخطوط.

م. **السباعي،**

ـ البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عد مآثر السلطان مولاي الحسن، مخطوط خ ع، د 1346.

ع. **السجلماسي الحجرتي،**

ـ الروض الطيب العرف، مخطوط.

أ. **السطاتي،**

ـ عبد الرحيم رمز الشموخ الوطني، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

ابن السكاك،

ـ نصح ملوك الاسلام، فاس (د. ت).

ع. السكرادي،
ـ تحلية الطروس وبهجة النفوس في مناقب أعيان سوس (تحلية الطروس)، مخطوط.
ع. سكيرج،
ـ نزهة الإخوان وسلوة الأحزان في الأخبار الواردة في بناء تطوان، ومن حكم فيها أو تقرر من الأعيان (نزهة الاخوان)، مخطوط.
ع. السوسي السملالي،
ـ منتهى النقول، مخطوط خ ع 633 د.
ـ السي عبد الرحيم بوعبيد، القائد الرائد، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.
م. شاكر،
ـ دراسة جيومرفلوجية للهوامش الشمالية الغربية لسلسلة الهورست : ممر تاوريرت، العيون، د.د.ع. الرباط، 1985.
ع. الشاوي،
ـ عبد الرحيم بوعبيد : تجربة الرهان الديمقراطي، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.
م. شفيق،
ـ في أن أسماء الأماكن في المغرب جلها أمازيغية، البحث العلمي، ع 27، يناير ـ يوليوز، 1977.
أ. الصبيحي،
ـ مسودة كتاب أعلام سلا، مخطوط، خ ص.
ـ كناشة علمية، مخطوطة خ ص.
ع. صدقي أزايكو،
ـ زاوية تاسافت، مجلة كلية الآداب، الرباط، ع 16، 1991.
ـ عرض مذكرات المؤرخ البرتغالي المجهول، نشر ضمن أعمال ندوة أكادير الكبرى، أكادير، 1990.
ابن صعد،
ـ النجم الثاقب، مخطوط، خ ح 2491.
ـ صفرو بين غنى الماضي واهتمامات الحاضر، الملتقى الثقافي الأول لصفرو، فاس، 1987.
م. الضوء السباعي،
ـ رجالات گسيمة، مخطوط.
م. طولبدانو،
ـ عبد الرحيم بوعبيد واحد من آخر العظماء، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.
م. ابن عباد،
ـ الرسائل الصغرى، بيروت، 1976.
ـ الرسائل الكبرى، فاس 1320 / 1902.

محمد سالم بن الحبيب بن عبد الحي،
ـ *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، تح. م. ناعمي، الرباط، 1991. (*جوامع المهمات*).
ابن عجيبة،
ـ *شرح تائية البوزيدي*، مخطوط، خ. ت.
م. ابن عزوز حكيم،
ـ *حصار مولاي إسماعيل لمدينة سبتة من سنة 1106 / 1649 إلى سنة 1139 / 172*.
ـ *مشروع الدليل الدبلوماسي المغربي*، مرقون.
ع. العزوزي،
ـ *نشر المحاسن والمآثر*، مخطوط.
م. العميري،
ـ *فهرسة*، مخطوط.
ع. بن علي عواد،
ـ *كناشة*، مخطوطة خ ص.
ن. العوفي،
ـ *قراءة سريعة في التجربة التاريخية لسي عبد الرحيم بوعبيد، 1958 ـ 1960 : تقعيد الاقتصاد وشروط التاريخ*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.
ز. الفاسي،
ـ *الفقيه بودميعة الحسن بن علي*، *الإرشاد*، ع 2، س 15، 1983.
ع. الحفيظ الفاسي،
ـ *الآيات البينات*، الرباط، (د. ت) ج 1.
ع. فجال،
ـ *النمو الحضري بمركز المنزل : مظاهره ونتائجه بالتنمية المحلية وتهيئة المجال بالمغرب، صفرو ومنطقتها نموذجا*، الملتقى الثقافي الثاني لصفرو، فاس، 1989.
أبو النصر الفرابي،
ـ *الدرة المنتخبة فيما صح من الأدوية المجربة*، مخطوط، خ ح 2995.
ابن فضل الله العمري،
ـ *مسالك الأبصار*، الدار البيضاء، 1988.
ح. الفكيكي،
ـ *مليلة حاضرة قلوع كرط*، دار النيابة، ع 7 و9.
أ. القادري،
ـ *عبد الرحيم بوعبيد : رجل وطني صادق وسياسي ماهر*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.
ع. القادري،
ـ *مسيرة عبد الرحيم النضالية : عبد الرحيم المناضل القدوة*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

م. **القادري،**

ـ *الطرفة في اختصار التحفة*، مخطوط، خ ح 1271.

م. **القرشاوي،**

ـ *السي عبد الرحيم صحفيا*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

القلصادي،

ـ *رحلة*، تح. أبو الأجفان، تونس، 1978.

د. **الكرامي،**

ـ *بشارة الزائرين*، مخطوط.

إ. **كردية،**

ـ *القائد الوزير عيسى بن عمر العبدي*.

م. **كرم،**

ـ *السي عبد الرحيم : المحامي، الانسان، الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

كوستي ـ عشاش،

ـ *بيوتات مدينة سلا*، تح. نجاة المريني، سلا، 1992.

ع. **اللجائي،**

ـ *دوحة المجد والتمكين في وزارة ونسب العالمين النبي عشرين*، مخطوط خاص.

م. **اللحية،**

ـ *الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس في القرن التاسع عشر*، د.د.ع، الرباط، 1984.

ع. **لغزيوي،**

ـ *أضواء على قبيلة بني يازغة وبعض أعلامها بصفرو ومنطقتها : بيئة، تاريخ، مجتمع*، **الملتقى الثقافي الثالث لصفرو**، ج 1، الدار البيضاء، 1990.

ح. **ليمان،**

ـ *حصيلة البحث الأثري بمنطقة العنصر، صفرو ومنطقتها : بيئة، تاريخ، مجتمع، فكر*، **الملتقى الثقافي الثالث**، مدينة صفرو، الدار البيضاء، 1990.

م. **مجدوب،**

ـ *مملكة الموريين وعلاقتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م*، د. د. ع. كلية الآداب فاس، 1990.

مجهول،

ـ *تقييد نسب قبيلة قلمية*، مخطوط، خ ع.

ـ *الروضة الغناء في أصول الغناء*، مخطوط، خ ع 192 د.

ـ *كناشة : تقييد المكاتب الموجهة للحضرة الشريفة*، خ ع، 2721 ك.

ـ *مراحل رحلات السلطان مولاي الحسن*، مخطوط، خ ح.

ع. **المزريوي،**

ـ *مذكرة المزريوي*، مخطوط.

م. **المشرفي،**

- *الحسام المشرفي*، مخطوط.

أ. **معنينو،**

- *جلالة الملك عبد العزيز*، دعوة الحق، سنة 23، ع 1، 1982.
- *الدبلوماسية المغربية ومقاومة أطماع الاستعمار في العهد العزيزي*، البحث العلمي، يوليو - ديسمبر، 1976، ع 26.

م. **المنوني،**

- *التخطيط المعماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور*، مجلة الثقافة المغربية، 7، 1972.
- *حياة فقد المغرب المختار السوسي*، الإيمان، ع 13، 1982.

ت. **موساتوفا،**

- روسيا - *المغرب : ماضي بعيد وقريب في نفس الوقت*، موسكو، 1990 (باللغة الروسية).

م. **الناصري،**

- *عبد الرحيم بوعبيد : رجل التراضي والحسم*، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

م. **المكي الناصري،**

- *طليعة الدعة في تاريخ وادي درعة*، مخطوط.

م. **ناعمي،**

- *أهمية علاقات الرحل والمستقرين في التطور التاريخي لمجموع اتحادية تكنة*، البحث العلمي، ع 38، 1988.

ع. **نجمي،**

- *الملامتية*، مجلة تاريخ المغرب، ع 1، 1981.

أ. **النميشي،**

- *الشعر والشعراء بفاس*، فاس، 1343 هـ.

م.ع. **الهجراوي،**

- *الحضارة الايبروموروزية*، معلمة المغرب، ج 3، الرباط.

ع. **الهواري،**

- *النور الحنفي في مناقب الشيخ سيدي محمد الحنفي*، مخطوط.

م. **الوديع الأسفي،**

- *شهادات للتاريخ عن المناضل السي عبد الرحيم بوعبيد*، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

ق. **الورطاسي،**

- *إلى رياض الخلود*، العلم، 23 دجنبر 1991.
- *وصية الفقيد العزيز*، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

م. **الولاتي الشنقيطي،**

- *الرحلة الحجازية*، تح. محمد حجي، بيروت، 1990.

ف. **ولعلو،**

- *عبد الرحيم بوعبيد مرجع اقتصادي لا محيد عنه*، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

Supplément
à la bilbiographie des ouvrages et des articles cités dans l'encyclopédie avec leurs abréviations

AKOKA, A.G. - *Le medical du XXème siècle, Enc. med.*, Paris, 1980.

ALCALA GALIANO, P. - *Desquerias y comercio en la costa N.O. de Africa*, Madrid, 1900.

ARDANT, H. - *Introduction à l'étude des banques et des opérations de banque*, Paris, 1954

ARIE, R. - *L'Espagne musulmane au temps des Nasrides, 1232 - 1492*, Paris, 1973.

ARQUES - GIBERT - *Los Mogataces*, Ceuta ; Tetuan, 1928.

AZAM, P. - *Tagounit du Ktaoua quarante trois ans plus tard, La Koumia*, n° 115, Déc. 1989.

BALDOUI, J. - *Artisanat marocain à la foire de Marrakech, Hesp.*, XIX.

BARTHELEMY, A. - *Tazra : tapis et bijoux de Ouarzazate*, Casablanca, 1990.

BEAUBRUN, P. C., *Catalogue raisonné des poissons des mers marocaines, B.I.P.M.*, n° 23, 1978.

BEAUBRUN, P. C. - THEVENOT, M. - *Recensement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc, Janvier 1986 - 87 - 88*, Rabat, 1988.

BEL FAIDA, A. - *Le culte des divinités des eaux en Afrique du Nord à l'époque romaine*, Thèse 3ème cycle, Bordeaux, 1987.

BELTRANLLORIS - *El Comercio del aceite en el Valle del Ebro a finales de la Republica y colienzos del imperio in producion y comercio del aceite in la antiguedad, I Congreso internacional*, Madrid, 1980.

BENABDELJALIL, A. - SIJILMASSI, A. - AYAD, M. - *Etudes d'architectures régionales : région du centre*, Rabat, 1985.

BENOTHMANE, M.L. - *La profession bancaire au Maroc*, Rabat, 1985.

BENS, - *Mis memorias : 22 años en el deseirto*, Madrid, 1947.

BENTER, A. - *Os Sefardim Hakitia*, Belim (Brésil), 1981.

BERCQUART, M. - *Porte ce festin aux pauvres*, Paris, 1970.

BERRADA, M. A. - *Les techniques de banque et de crédit au Maroc*, Casablanca, 1985.

BESSIS, S. - *Abderrahim Bouabid : un démocrate d'état*, J. A., 24 Janv. 1992.

BIANCHI, G. - *Ressources halieutiques de l'Atlantique marocain, Fiches F.A.O. d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, Rome, 1984.

BIDWELL, R. - *French administration of tribal areas, 1912 - 1956*, London, 1973.

BOHUMIL, S. - *Les plantes sauvages*, Paris, 1973.

BOLIVAR, I. - *Dermaptera y ortopteras de España, Hist. Nat.*, 8, 1914.

BONELLI, E. - *Nuevos territorios españoles en la costa del Sahara, B.S.G* (Madrid), 18, 1885.

BONS, J. - *Les lacertiliens du Sud-Ouest marocain*, Rabat, 1959.

BOUBE, J. - *Amphores préromaines trouvées en mer au voisinage de Rabat, B.A.M.*, XII, 1979.

BOUBE, J. - *Supplément II au catalogue des marques de potiers, B.A.M*, VIII, 1968.

BOULLE, - *La France et les Beni Snassen : campagne du général Lyautey, Archives historiques de Vincennes.*

BRANGER, J. - *Les techniques bancaires*, Paris, 1975.

BREHM, A.E. - *La vie des animaux illustrée : les oiseaux 1910.*

BRUNSCHVIG, R. - *La Berbérie orientale sous les Hafsides : des origines à la fin du XVème siècle*, Paris, 1940 - 1947.

BRUNSCHVIG, R. - *Deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord au XVème siècle*, Paris, 1936.

BUNIS - *History of later Rome empire from the death of Theodosius I to the death of Justinian, A.D. 395 to A.D. 565*, London, 1931.

CAMPS, G. - *Les derniers rois numides : Massinissa 2 et Arabion, B.C.T.H. Nelle Ser.*, fasc. 17 B, 1981.

CANO MARTIN, - *Bu Hamara y Melilla*, Mellila, 1989.

CHAINEAU, A. - *Mécanismes et politiques monétaires*, Paris, 1973.

CHASSIN, C. M. - *Bélisaire généralissime byzantin, 504 - 565*, Paris, 1957.

CHATELAIN, L. - *Inscriptions et fragments inédits de Volubilis et de Banasa, B.C.T.H.*, 1916.

CLAUDE, H. - *Histoire événementielle abrégée de Moulay Abdelaziz Ibn El Hassan, in Corpus des monnaies Alaouites*, Vol. 1, Rabat, 1988.

Codex Justinianus, Ed. Krüger, Berlin, 1877.

COELLO - *Mapa de las posesiones españolas en Africa*, Madrid, 1850.

COLIN, G.S. - *Baniqa, E.I* 2.

COLIN, H. - *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe*, Paris, 1977.

COLLES, [et al...] - *L'épave de Port-Vendres II et le commerce de la Bétique à l'époque de Claude, Archaemantica*, II, 1977.

COURSIMAUT, - *Ttata, A.B.*, Vol. 2, fasc. 3, 1917.

CRAVIOTO, C.G. - *La Costa Africana del Estrecho, siglos I5 - 16, C.B.E.T.* n° 21.

DAILLIERS, J. - *Enquête sur les associations agricoles et la situation économique et sociale des populations rurales, secteur de Fés - sud*, C.H.E.A.M., n° 4336.

DAVADIE, C. - *Etude de la baleine d'Europe et d'Afrique*, Paris, 1963.

DAVEAU, S. - *L'itinéraire de Tamdult à Aoudaghost*, in *Tegdaoust*, I, Paris, 1970.

DELBREL, G. - *Geografia general de la provincia del Rif*, Melilla, 1911.

DESANGES, J. - *L'Afrique romaine et libycoberbère, in Rome et la méditerranée occidentale*, T. 2, Paris, 1978.

DESSAU, H. - *Benta, Real - Encyclopädie*, col. 277.

Dictionnaire des personnalités passées et contemporaines : livre d'or, Casablanca, 1934.

DUCY, R. - *Les problèmes du Khamessa au Maroc*, C.H.E.A.M., n° 2575.

DUFOURCQ, C.E. - *L'Espagne catalane et le Maghrib aux 13ème et 14ème siècles : de la bataille de Las Navas de Tolosa, 1212 à l'avènement du sultan Abul-Hasan*, Paris, 1966.

DUNN, R. - *Resistance in the desert : Moroccan response to French imperialism, 1881 - 1912*, Wisconsin, 1977.

EL GHARBAOUI, A. - *La terre et l'homme dans la péninsule Tingitane*, Rabat, 1980.

EMBERGER, L-MAIRE, R. - *Catalogue des plantes du Maroc*, Alger, 1941.

Emergence de la province de Beni Mellal en tant que futur pôle de développement, Casablanca, 1985.

EUZENNAT, M. - MARION, J. - *L'Archéologie marocaine de 1958 à 1960, B.A.M.*, IV.

EUZENNAT, M. - *Recherches récentes sur la frontière de l'Afrique, 1964 - 1974, Studien Zu du Militurgensen*, Roma, 2, *vorträge des 10 internationalum lines kongrassen in suddentschland*, Koln, Bonn.

FERNANDEZ DURO, C. - *Exploracion de una parte de la costa noreste de Africa, Bol. Soc. Geog.* Madrid, marzo 1879, n° 3.

FEVRIER, J. G. - *Bocchus le jeune et les Sosii, Sémitica*, 11, 1961.

FIGANIER, J. - *Historia de Santa Cruz do Cabo de Gue, Agadir, 1505 - 1541*, Lisbonne, 1945.

FISCHER, W. - SCHNEIDER, M. - BAUCHOT, M. L. - *Méditerranée et Mer noire*, in *Fiches F.A.O. d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, 1987.

GAHIZ - *Le livre de la couronne : Kitab at-Tag fi ahlaq al-muluk*, trad. par C.Pellat, Paris, 1954.

GAHIZ - *Le livre des avares*, trad. franc. C. Pellat, Paris, 1951.

GARCIA ARENAL, M. - *The Revolution of Fas in 869 = 1465 and the death of Sultan Abd al-Haqq al Marini, B.S.O.A.S.*, XLI.

GARCIA - BELLIDO, A. - *Fenicios y carthagineses en occidente*, Madrid, 1942.

GASCOU, J. - *Inscription antiques du Maroc, 2 : inscriptions latines*, Paris, 1982.

GASCOU, J. - *La population de Volubilis à l'époque romaine, B.A.M.*, IV, 1960.

GENEVOIS, H. - *Un rite d'obtention de la pluie : la fiancée d'Anzar, Actes du IIème congr. int. d'études des cultures de la médit. occid.*, Alger, 1975.

GIRARD, S. - *Banasa préromaine : un état de la question, Ant. Afr.*, 20, 1987.

GOMEZ MORENO, P. - *Pozos del Sahara*, Madrid, 1956.

GUASLLE, P. - *La evolucion de las exportaciones beticos durante el imperio, I Congreso internacional : produccion y comercio del aceite en la antiguedad*, Madrid, 1980.

GUERARD, M. - *Contribution à l'étude de l'art de la broderie au Maroc, II.T.*, 1969.

HADDOU, A. - *L'odyssée des Aït Hammou de Talsint, Lamalif*, n° 143, fév. - mars. 1983.

AL HAROCHI, R.M. - *Introduction et évolution religieuse et spirituelle de la confrérie Qadiriya au Maroc*, Mém. maitrise, 1986.

HARRISION, C. - *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris, 1977.

HEINZEL, H. - FITTER, R. - PARSLOW, J. - *The birds of Britain and Europe with North Africa and Middle East*, London, 1984.

HERPIN, E. - *Géographie du Maroc Oriental, B.E.P.M.*, 234, 1956.

HESNARD - LENOIR - *Les amphores du Cécube et du Falerne : prospection, typologie, analyse, M.E.F.R.A.*, 93, 1981.

HESNARD - *Un dépôt angustéen d'amphores à la Longarine, Ostie, in Roman Seabonne Commerce, M.A.A.R.*, (Rome), 1980.

Informe reservado sobre los fostatos de Bukraa en el Sahara Español, Madrid, 1970.

Informe sobre los puntos de agua existentes en el Sahara Español, El Ayun, 1943.

JAHIZ, - *Le kitab at-Tarbia` wat-t-tadwir*, introd., glos., table de fréquence, index, par C. Pellat, Damas, 1955.

JODIN, A. - *Bijoux et amulettes du Maroc punique, B.A.M*, VI, 1966.

JODIN, A. - *Les établissements du Roi Juba II aux iles purpuraires, Mogador*, Rabat, 1967.

JODIN, A. - *Mogador : comptoir phénicien du Maroc atlantique*, Rabat, 1966.

JOLEAUD, L. - *Gravures rupestres et rites de l'eau en Afrique du Nord, J.S.A*, II, 1933.

JUSTINARD, L. - *Le Kennach : une expédition du Sultan Ahmad el Mansour dans le Sous, 985 / 1580, A.M.*, vol. 29, 1933.

JUSTINARD, C. - *Le Tazerwalt et les Oulad Jerrar, A.M.*, 23.

KERBOUT, M. - *Quelques aspects de l'évolution quantitative du peuplement dans le Moyen Atlas et le bassin de la Moulouya, R.G.M.*, vol. 12, n° 1, 1988.

KOCHER, L. - *Catalogue commenté des coléoptères du Maroc*, Rabat, 1956 - 1962.

LABADIE - LAGRAVE, H. - *Le mensonge marocain : contribution à l'histoire vraie du Maroc*, Casablanca, [1925].

LACOMBE, - *Le Khamessat au Maroc occidental*, C.H.E.A.M., n° 854.

LANÇON, - *Les dernières étapes de la pacification marocaine, 1931 - 1933, Revue militaire française*, Août - décembre 1934.

LANCRE, P. - *Répertoire alphabétique des agglomérations de la zône française de l'Empire Chérifien : résultats du recensement du 8 mars 1936*, Casablanca.

LAPIE - *Recueil des itinéraires anciens*, Paris, 1844.

LECOINTRE, G. - DELEPIN, G. - *Etudes géologiques dans la région paléozoïque comprise entre Rabat et Tiflet, Sehal et Belkacem, Notes et mem. Serv. geol. Maroc*, n° 28.

LESSARD, J. M. - *Sijilmassa : la ville et ses relations commerciales au 11ème siècle d'après El Bakri, H.T.*, 10, 1er - 2 ème fasc, 1969.

LUQUET, A. - *Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Le Maroc punique, B.A.M.*, IX, 1973 - 1975.

MARCY, G. - *L'alliance par colectation, tad'a, chez les berbères du Maroc central*, Alger; 1936.

MARMOL, - *Historia del rebelion y castigo de los Moriscos del Reino de Granada*, Madrid, 1797.

MARTINEZ, J. - *Portulano*, Messina, 1579.

MARTINEZ CAMPOS, C. - *España belica : el siglo XX*, Madrid, 1972.

MAYET, E. - *Marques d'amphores de Maurétanie Tingitane : Banasa, Thamusida, Volubilis, M.E.F.R.A.*, 90 - 1, 1978.

MEAKIN, B. - *The Moorish empire : a historical epitome*, London, 1899.

MENIOUI, M. - *Contribution à la connaissance des peuplements infralittoraux superficiels de la côte méditerranéenne*, Thèse Doct. Univ., Mohammed V.

MENOUILLARD - *Mœurs et coutumes indigènes pratiques pour solliciter la pluie, R.T.*, 1910, n° 79.

MERAUD, M. - *Histoire des A.I, La Koumia*, 1990, Tome 2.

MEUNIE, J. - *Bijoux et bijoutiers du sud marocain, C.A.T.A.N.*, VI, 1960 - 1962.

MEUNIE, J. - ALLAIN, C. - *La forteresse almoravide de Zagora, Hesp.* 33, 1956.

MICHAUX - BELLAIRE, E. - *Le Bniqat ech-chikayat de Moulay Hafid, R.M.M.*, Juin 1908.

MINISTERE DE L'INTERIEUR - *Monographie de la province de Figuig*, Figuig, 1986.

MONCHICOURT, C. - *Les rogations pour la pluie, R.T.*, n° 108, 1915.

MULLER, C. - *Numismatique de l'ancienne Afrique*, Copenhague , 1960.

AL-MUQADDASI, Chams ad-Dîn, - *Description de l'occident musulman au IV - Xème siècle*, trad., introd., notes et index par C. Pellat, Alger, 1950.

NALLINO, C. A. - *La littérature arabe des origines à l'époque de la dynastie umayyade*, trad. franc. C. Pellat, Paris, 1950.

PAJARES, - *Apellidos y nombres de lugar hispano-marroquies*, Madrid, 1918.

PASCON, P. - *La maison d'Iligh et l'histoire sociale de Tazerwalt*, Rabat, 1984.

Les pays inaccessibles du Haut Draa, R.G.M., 1929.

PEDECH, P. - *Notes sur la digraphie de polybe, Les études classiques*, XXIX, n° 2.

PELLAT, C. - *L'arabe vivant : mots arabes groupés d'après le sens et le vocabulaire fondamental de l'arabe moderne*, Paris, 1952.

PELLAT, C. - *Etudes sur l'histoire socio-culturelle de l'Islam au VII - XVème S.*, Londres, 1976.

PELLAT, C. - *Intoduction à l'arabe moderne*, Paris, 1956.

PELLAT, C. - *Langue et littérature arabes*, Paris, 1952.

PELLAT, C. - *Le milieu basrien et la formation de Gahiz*, Paris, 1953.

PELLAT, C. - *Nemrod et Abraham dans le parler arabe des juifs de Debdou, Hesp.*, T. 39, 1 - 2ème trim., 1952.

PELLAT, C. - *Textes berbères dans le parler des Aït Seghrouchen de la Moulouya*, Paris, 1955.

PELLAT, C. - *Une charge contre les secrétaires d'états attribuée à Gahiz, Hesp.*, 1er - 2ème trim., 1956.

PEREDA ROIG, G. - *Capaz en la pacificacion de Gomara*, Ceuta, 1939.

PEREDA ROIG, G. - *El raid de Capaz por Gomara*, Tetuan, 1949.

PEYRE, C. - *Quelques aspects de la végétation du Massif du Bou-Iblane, in Etude de certains milieux du Maroc et de leur évolution récente*, Paris, 1973.

PEYRE, C. - *Recherches sur l'étagement de la végétation dans le massif du Bou-Iblane, Moyen Atlas Oriental*, Thèse 3ème cycle, Aix-Marseille, 1979.

PICARD, - *Les religions de l'Afrique antique*, Paris, 1954.

PICARD, G. ET C. - *Vie et mort de Carthage*, Paris, 1970.

PIERSUIS, - *Etudes sur les communautés rurale des Beni Ahsen*, Rabat, 1947.

PINTOINE, M. - *Coléoptères carabiques du Maroc*, Rabat, 1955 - 1961.

PLINIO EL VIEJO, - *Naturae historiarum*, Leypzig, 1906.

PONSICH, M. - *A propos d'une lampe grecque trouvée à Banasa, B.A.M.*, VI.

PONSICH, M. - *Fours de potiers puniques en Maurétanie Tingitane, in Acta del Congreso Nacional de Arqueolagia*, Saragosse; 1969.

PONSICH, M. - *Nouvelles perspectives sur l'olivier du Bas- Guadalquivir, in produccion y comercio del aceite en la antiguedad, I, Congreso internacional*, Madrid, 1980.

PONSICH, M. - DOUAS, M. - *Port antique et carrefour des voies de Maurétanie Tingitane, B.A.M.*, VII, 1967.

POTOCKI, J. - *Voyage en Turquie, en Egypte, en Hollande et au Maroc*, Paris, 1980.

El pozo fuente de vida capital en el Sahara, El Ayun, 1948.

AL-QAYRAWANI, Muhammad Ibn Charaf, - *Questions de critique littéraire : masâ'il al-intiqâd*, texte arabe établi et trad. avec introd. et notes par C. Pellat, Alger, 1953.

QUEZEL, P. - SANTA, S. - *Nouvelle flore de l'Algérie*, Paris, 1963.

QUEZEL, P. - VINDT, J. - *Flore du Maroc analytique, descriptive et illustrée*, Rabat, 1953.

Rapport sur l'étude des parcours dans la province de Figuig, Oujda, 1984.

READE, W. - HOSKING, E. - *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids*, Paris, 1968.

RIVET, D. - *Ethnographie et conquête du Moyen Atlas, 1912 - 1913, in Sciences de l'homme et conquête coloniale*, Paris,.

ROCHE, J. - *L'atérien de la grotte de Taforalt, Maroc oriental, B.A.M.*, VII, 1967.

ROCHE, J. - *La grotte de Taforalt, L'anthropologie*, 57, 1953.

ROCHE, J. - *La grotte de Taforalt, B.S.H.M.*, 3, 1970 - 71.

ROCHE, J. - *La grotte de Taforalt : note préliminaire sur la grotte de Taforalt, Maroc oriental, Hesp.*, T. 40, 1953.

ROCHE, J. - *Les industries paléolithiques de la grotte de Taforalt, Maroc oriental : méthode d'étude, évolution technique et typologique, Quaternaria* (Rome), XI, 1969.

ROGE, J. - *Recherche sur l'organisation du commerce maritime en Méditerranée sous l'Empire*, Paris, 1966.

SAIDI, E. K. - *Etude géomorphologique de la région de Tiflet et des conditions morphostructurales et sédimentologiques de genèse de la formation de la Mamora*, Thèse 3ème cycle, Rabat, 1974.

SAULAY, J. - *Zaïd ou Ahmed : le dernier dissident de l'Atlas central marocain, 1934 - 1936*, **Bull. de la Koumia**, Déc. 1979.

Schéma d'armature rurale : région du centre, Rabat, 1972.

Schéma directeur d'urbanisme du groupement du grand El-Jadida : rapport de synthèse, Rabat, 1983.

Schéma directeur de la ville de Beni-Mellal, Hambourg, London, 1978.

SCHOUTEN, J. - RAMDANI, M. - *Fish of the Nifiss Lagonn and the Tarfaya coast*, Rabat, 1988.

SEGONDS - *La Chaouia et sa pacification*, Paris, [s.d.].

SEMACH, Y. D. - *Yahas de Fès, Hesp.*, XIX, 1934.

SERYOUHI, I. - *Le Moyen Atlas plissé, in Ressources en eaux du Maroc, T. 3 : domaines atlasique et sud atlasique*, Rabat, 1977.

SHATZMILLER, M. - *L'historiographie mérinide*, Leiden, 1982.

SHATZMILLER, M. - *Marinides, E.I.*, Nlle éd., vol VI.

SIMONEAU, A. - *La région rupestre de Tazzarine, R.G.M.*, n° 20, 1971.

SLOUSCH, N. - *Notes sur l'histoire des juifs du Maroc, A.M.*, VI, 1905.

SORIANO, R. - *Geografia del Kert*, Melilla, 1941.

SOUVILLE, G. - *Beni Gorfet, in Atlas préhistorique du Maroc*, Paris, 1973.

TARRADELL, M. - *Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : région de Tetouan, B.A.M.*, 4, 1960.

TARRADELL, M. - *Las excavaciones de Tamuda de 1949 a 1955*, Tamuda, IV, 1956.

TARREDELL, M. - *La necropolis punico-mauretania del Cerro de San Lorenzo en Melilla, I Congreso Arqueolagico del Marruecos español*, Tetuan 1953, Tetouan, 1956.

TARRADELL, M. - *El Poblamiento antiquo del Valle del Rio Martil, Tamuda*, 5, 1957.

TCHERNIA, A. - *Les amphores romaines et l'histoire économique, J.S.S*, 1967.

TERRASSE, C. - *Médersas du Maroc*, Paris, 1927.

THEVENOT - BERGIER - BEAUBRUN - *Compte-rendu d'ornithologie marocaine : statut, répartition et écologie, Annales CEEP*, n° 3, 1987.

THOUVENOT, R. - *La côte océanique du Maroc : ce qu'en ont connu les anciens, B.E.P.M.*, n° 215, 1951.

THOUVENOT, R. - *Rapport sur l'activité du Service des Antiquités du Maroc, 1948, B.C.T.H.*, 1950 et 1951.

THOUVENOT, R. - *Rapport sur l'activité de l'Inspection des Antiquités du Maroc pendant le second trimestre 1954, B.C.T.H.*, 1955 - 56.

THOUVENOT, R. - *Une colonie romaine : Valentia Banasa*, Paris, 1914.

THOUVENOT, R. - *L'urbanisme romain dans le Maroc antique, Revista de la Universidad Complutensis*, T. 18, 118.

TIANO, A. - *La politique économique et financière du Maroc indépendant*, Paris, 1963.

TOFIÑO DE SAN MIGUEL - *Derrotero de las Costas de España*, Madrid, 1847.

TURBET - *Le droit coutumier des Beni Ouarain, Cheraga, R.A.T.M.L.J.*, T. 47, 1931.

Vademecum de la intervencion territorial de Gomara, 1946.

Vademecum de la intervencion territorial del Kert, 1948.

Vademecum de la intervencion territorial del Lukus, 1948.

Vademecum de la intervencion territorial del Rif, 1946.

Vademecum de la intervencion territorial de Yebala, 1948.

VIENNET, Cap. - *Trouvaille à Banasa, B.C.T.H.*, 1912.

VOLLERIE, P. - *La pénétration militaire au Maroc*, Paris, 1934.

WARMINGTON, B. - *Histoire et civilisation de Carthage*, Paris, 1961.

WORTHE, Ch. - *Les routes et le trafic commercial dans l'Empire romain*, Paris, 1938.

Yebala y el bajo Lucus, 1934, [s. l.], 1935.

Liste des principales abréviations des périodiques

A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales.*
A.E.S.C : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
A.F : *Afrique Française.*
A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
A.M : *Archives Marocaines.*
A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie.*
And. : *Al-Andalus*
Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
Ant. Afr. : *Antiquités Africaines.*
B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
B.A.R : *British Archeological Reports.*
B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
B.I.F.A.N : *Bulletin de L'Institut Français d'Afrique Noire.*
B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne.*
B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
B.S.G.A.O : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique.*
C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos.*
C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam.*
C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée.*
C.R.A.I.B.L : *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
C.R.A.S : *Comptes Rendues des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
C.T : *Cahiers de Tunisie.*
E.I.1 : *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*

E.I.2 : *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*
E.T.A.M : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
Et. Medit. : *Etudes Méditerraniennes.*
F.S.S.A.N : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
Hesp : *Hespéris.*
H-T : *Hespéris-Tamuda.*
H.T.E : *Hommes, Terre et Eaux.*
I.G : *Information Géographique.*
I.H.E.M : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
I.H.E.M : N-D : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabes*
I.S.C : *Institut Scientifique Chérifien.*
Isl. Cult. : *Islamic Culture.*
I.S.P.M : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
J.H.S.N : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
M.A.I.B.L : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
Medit : *Méditerranée.*
N.A.M.S.L : *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
P.I.H.E.M : *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
P.S.A.M : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
P.S.H.M : *Publications de la Section Historique du Maroc.*
R.A : *Revue Africaine.*
R.A.P : *Revue de l'Action Populaire.*
R.C.C : *Revue de la Chambre de Commerce.*
R.D.M : *Revue des Deux Mondes.*
R.E.I : *Revue des Etudes Islamiques.*
R.E.L : *Revue des Études Latines.*
Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
R.G.M : *Revue de Géographie du Maroc.*
R.H.M.C : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
R.M.D.E.D : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
R.M.M : *Revue du Monde Musulman.*
R.P.P : *Revue Politique et Parlementaire.*
S.G.L : *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
S.I : *Studia Islamica.*
S.I.H.M : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*
Trav. Inst. Sc. : *Travaux de l'Institut Scientifique.*

بن مسيك ـ سيدي عثمان، إحدى العمالات الست المكوِّنة لولاية الدار البيضاء الكبرى، وقد تم إحداثها على إثر التقسيم الإداري الذي شهدته مدينة الدار البيضاء خلال شهر يوليوز سنة 1981. وتمتد جنوبا على مساحة 27870 هكتار أي ما يعادل 27٪ من المساحة الإجمالية للدار البيضاء الكبرى (انظر الرسم).

أما على المستوى الديمغرافي، فتمثِّل هذه العمالة أهم تجمع سكاني بالولاية حيث يتركز بها حوالي 640.000 نسمة حسب إحصاء السكان الأخير الذي أجري في سبتمبر 1982، أي ما يعادل 26٪ من مجموع سكان الولاية. وقد ارتفع هذا العدد سنة 1988 إلى 851.000 نسمة حسب تقديرات مديرية الإحصاء.

ويتوزع هؤلاء السكان بشكل متفاوت في مختلف الجماعات المكونة للعمالة كما يظهر من خلال الجدول رقم 1.

الجماعات	المساحة (هكتار)	٪	عدد السكان (1982)	٪	كثافة السكان
الجماعة الحضرية لابن مسيك	480	1.7	308.276	48.2	642
الجماعة الحضرية لسيدي عثمان	1.270	4.7	213.862	33.4	168
الجماعة الحضرية لسيدي مومن	1.020	3.6	59.569	9.3	58
الجماعة القروية لتيط مليل	15.500	55.6	41.469	6.5	2.7
الجماعة القروية لمديونة	9.600	34.4	16.390	2.6	1.7
المجموع	27.870	100	639.566	100	23

جدول رقم 1 : توزيع السكان بعمالة بن مسيك ـ سيدي عثمان

جدول رقم 1 : توزيع السكان بعمالة بن مسيك ـ سيدي عثمان

لقد تفرعت عمالة بن مسيك ـ سيدي عثمان عن جماعة بن مسيك التي تم إحداثها بعد التقسيم الإداري الذي خضعت له مدينة الدار البيضاء سنة 1976 والذي قسم ترابها إلى خمس جماعات (عين الذياب، مرس السلطان، عين السبع، عين الشق، بن مسيك). وفي سنة 1981 أصبحت هذه الجماعة مقراً لإحدى عمالات ولاية الدار البيضاء، يشمل نفوذها الإداري خمس جماعات :

ـ ثلاث جماعات حضرية : بن مسيك، سيدي عثمان، سيدي مومن، ثم أُلحقت هذه الجماعة أخيراً بعمالة عين السبع ـ الحي المحمدي بعد إنشاء عمالة سيدي البونوصي ـ زناتة في أواخر سنة 1990.

ـ جماعتان قرويتان : تيط مليل ومديونة.

ويستخلص من الجدول رقم 1 أن الجماعات الحضرية لا تغطي سوى 10٪ من تراب العمالة في حين يتركز بها أكثر من 90٪ من سكانها.

ولقد ظل هذا الجزء من الدار البيضاء مهمشاً لسنوات عديدة مشكلا وسط استقبال للاعداد الكبيرة من المهاجرين المتوافدين على المدينة ومكوِّناً ما يمكن أن نسميه "بغرفة انتظار" قبل ولوج العالم الحضري.

هذا التهميش كانت له انعكاسات سلبية كثيرة سواء على مستوى ظروف عيش السكان أو على مستوى أشكال السكن والنسيج الحضري. فابن مسيك ـ سيدي عثمان تضم الأحياء الأكثر فقراً والأكثر كثافة بالدار البيضاء، بحيث يتراوح معدل كثافة السكان ما بين 500 و2000 نسمة في الهكتار حسب الأحياء، مما يوضح الظروف الغير الملائمة لإقامة السكان.

أما من حيث المعمار وأشكال السكن فإن الطابع الغالب هو تتابع المباني والتجزئات السكنية بشكل روتيني ومتراصٍ في غياب المساحات الخضراء والتجهيزات الاجتماعية الأساسية.

ومما يميز هذه العمالة على مستوى السكن تركيزها لأضخم أحياء الصفيح بالدار البيضاء، وبالخصوص حي بن مسيك حيث يقطن حوالي 90.000 نسمة.

فحسب المخطط المديري لولاية الدار البيضاء، كان عدد السكان في أحياء الصفيح في بداية الثمانينات يقدر بحوالي 360.000 نسمة، يسكن نصفهم مجال عمالة بن مسيك سيدي عثمان. وقد اتخذت مجموعة من التدابير

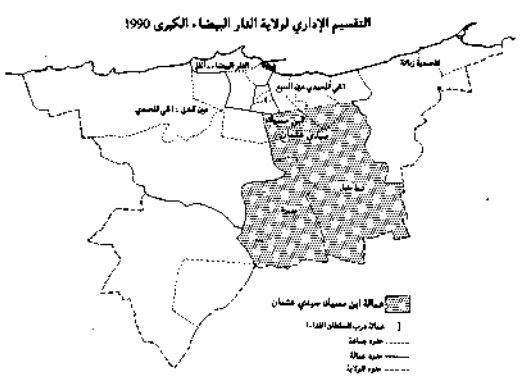

منذ سنة 1984 للقضاء على هذه المساكن الهشة، وتم إنشاء مؤسسة "التشارك" وهي مؤسسة عمومية للإشراف على عمليات القضاء على أحياء الصفيح بابن مسيك. ومن أبرز العمليات التي أُنجزت في هذا المجال إعادة إسكان 6.500 عائلة بحي مولاي رشيد، غير أن أعداداً كبيرة من السكان تقدر بحوالي 150.000 مازالت تقطن في هذه الأحياء الفقيرة المنتشرة وسط جماعات العمالة (سيدي مومن، بن مسيك، سيدي عثمان، مديونة، تيط مليل).

أما من حيث الأنشطة والوظائف، فإن هذه العمالة تبقى مجالا سكنياً بالدرجة الأولى، فهي لا تتوفر على صناعات أو أنشطة ثلاثية هامة، بل يتميز اقتصادها بسيادة الوحدات التجارية التقليدية المنتشرة داخل الأحياء السكنية بالإضافة إلى النشاط الفلاحي بالجماعات القروية الذي أصبح مهدداً نتيجة للتوسع السريع للمدينة.

أما من حيث النشاط الصناعي، فالعمالة لا تتوفر إلا على 61 وحدة إنتاجية في معظمها صغيرة الحجم موزعة مجاليا كالشكل التالي :

جدول 2 : توزيع الصناعات بعمالة بن مسيك سيدي عثمان

تُشغل صناعات العمالة 7.362 عاملا أي حوالي 3٪ من مجموع اليد العاملة الصناعية بالدار البيضاء. تتركز هذه الصناعات بشكل أساسي في جماعتي سيدي مومن وتيط مليل حيث يشتغل أكثر من 90٪ من اليد العاملة خاصة في قطاعات الصناعة الكيماوية والحديدية. أما باقي الجماعات الحضرية، وخاصة سيدي عثمان وبن مسيك التي تركز أكثر من 80٪ من السكان، فإن النشاط الصناعي بها شبه منعدم. لذلك ينتقل آلاف العمال يومياً نحو الأحياء الشرقية أو الوسطى من الدار البيضاء حيث تتركز الصناعات والأنشطة التجارية والخدماتية الهامة، مما يعطي لهذه الجماعات طابعا "مناميا" بدرجة أولى.

ولإيجاد حلول لمشاكل هذه المنطقة، تعرف عمالة بن مسيك - سيدي عثمان منذ الثمانينات تحولات هامة في إطار توجهات المخطط المديري لولاية الدار البيضاء. فبالإضافة للعمل على التخفيف من السكن الهزيل وإنجاز بعض التجهيزات الاجتماعية، تبذل مجهودات في الميدان الاقتصادي للحد من الطابع السكني المميز لهذه العمالة. فقد تقرر إنشاء ثلاث مناطق صناعية بكل من سيدي عثمان وتيط مليل ومديونة، تغطي حوالي 100 هكتار لاستقبال الصناعات الصغيرة والمتوسطة.

مديرية الإحصاء، الرباط، *إحصاء السكان والسكن سنة 1982* ؛ ع. كعيوا، *النسيج الصناعي بالدار البيضاء ؛ أطلس ولاية الدار البيضاء*، منشورات مجموعة *أبحاث ودراسات حول الدار البيضاء*، كلية الآداب 1 الدارالبيضاء، ومركز أورباما للدراسات الحضرية، تور - فرنسا، 1989.

عبد القادر كعيوا

البنات، (جامع -) يقع بحومة السانية بتطوان قرب برج اللفعة، ويعرف كذلك بجامع السانية، وتقام به الصلوات الخمس، وقد أسسه الموريسكيون الذين هاجروا إلى تطوان سنة 1610/1019 وتم تجديد بنائه سنة 1920/1338، وليس لدينا ما يدلُّ على سبب تسميته بجامع البنات.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 5.

F. Villalta, *Tetuan y sus mezquitas ; Revista de tropas coloniales*, 1924 - 1925.

محمد ابن عزوز حكيم

بَنَاسا أو بَنَاصا، موقع جغرافي، تمَّ تحديده من طرف شارل تيسو على الضفة اليسرى لنهرسبو، إذ يصفه بالعبارات التالية : "بقايا (بناسا)... تغطي مرتفعا ممدودا، أو ثلاث قمم موازية للنهر (سبو) الذي يغمر المرتفع الشمالي ..." (Ch. Tissot, 1878, p. 277-279). يوجد هنا

نوع الصناعات	صناعة غذائية		صناعة النسيج والجلد		صناعة الخشب		صناعة الورق		صناعة مواد البناء		صناعة حديدية		صناعة كيماوية		المجموع	
الجماعات	عدد المصانع	عدد العمال	عدد المصانع	عدد العمال	عدد المصانع	عدد العمال	عدد المصانع	عدد العمال	عدد المصانع	عدد العمال	عدد المصانع	عدد العمال	عدد المصانع	عدد العمال	عدد المصانع	عدد العمال
سيدي مومن	-	-	3	1107	2	664	-	-	3	113	12	1923	4	804	24	4620
سيدي عثمان	-	-	1	80	-	-	1	22	-	-	2	115	-	-	4	217
بن مسيك	3	100	-	-	-	-	-	-	1	46	-	-	-	-	4	146
تيط مليل	4	426	1	60	1	210	-	-	4	240	7	329	6	762	23	2027
مديونة	1	45	1	80	-	-	-	-	-	-	4	227	-	-	6	352
المجموع	8	571	6	1327	3	874	1	22	8	399	25	2594	10	1566	61	7362

جدول رقم 2 : توزيع الصناعات بعمالة بن مسيك - سيدي عثمان

موقع بالضبط ما بين الانعطافين السادس والسابع اللذين يرسمهما واد سبو.

تبعد بناسا من ناحية الغرب عن شاطئ المحيط الأطلسي بـ 30 كلم، ومن ناحية الشرق بـ17 كلم عن مدينة مشرع بلّقصيري. فالمرتفعات التي تغطيها مدينة بناسا يمكن اعتبارها النتوآت الوحيدة بسهل الغرب. ولقد اقترن موقع بناسا باسم أحد الأضرحة التي تحتل قمة إحدى المرتفعات الثلاثة، وبالضبط بسيدي علي بوجنون (R. Roget, 1924, p. 40).

حظيت مدينة بناسا عند المؤرخين القدماء بإشارات عديدة، فبلينيوس يتكلم عن مدينة بناسا، التي يحددها خطئاً بالنسبة للكسوس بـ75 ميلا، وبالنسبة لوليلي بـ35 ميلا. ويصنفها ضمن مستعمرات أغسطس، كما أنه يشير إلى لقبها وهو "فلنتيا".

"A b, Lixo... et Tertia (Augusti Colonia).
Banasa, LXXV millia, Valentia Cognominata"

ويشير إليها بعبارات أخرى كالتالي : "Amnis Sububus preter Banasam Coloniam defluens, magnificus et navigabilis (Pline *H. N*, V, 5

أما بطليموس فيصنفها ضمن المدن الداخلية لموريطانيا الطنجية ويحددها تحديداً يكاد مضبوطاً يكون بالنسبة لوليلي وبالنسبة كذلك لمصب واد سبو بـ 20 و6 د، 15 و30 د، (Bx') Vx (Ptolemée, 4, 1, 7).

أما في مسلك أنطونان أو مرحليته فنجد الإشارات التالية على الطريق الرابطة بين طنجة وسلا : فإن بناسا توجد على بعد 32 ميلا شمال تموسيدا، وعلى بعد 34 ميلا جنوب مدينة فريجداي (*Itineraire Antonin*, 7). أما الجغرافي الرافيني Géographe de Ravenne فيكتفي بالإشارة إليها في كتابه (*Guide de Géographie*) (*Anonyme de Ravenne*, 5, 11 ; 5, 4).

أما الجغرافي پومپيوس ميلا، فلا يعتبرها من بين المدن الغنية بموريطانيا الطنجية (Hominum. pars uribus a gunt quarum ut inter pariva oputentissimae procul a mari gilda vo dvbritnia (Pompius Mela, 3, 107)

فيما يخص إشارة ميلا، اقترح فريك Frick استخلاص اسم مدينة بناسا من هذه الفقرة الغامضة (J. Gascou, 1982, p. 69 et R. Roget, 1924, p. 29) واستخلاص أو تقارب Brisciana من بناسا بدون أن يدلي ولو بشرح صغير لهذا التحريف. أما الباحث توفنو فيظن أن Prisciana تفهم أو تشرح جيدا بواسطة علم الكتابة المنقوشة ويتساءل : ألا يمكن أن تقرأ Taenia عوض Prisciana (Thouvenot, p. XI).

أما المرجع المعروف بـ *Notitia Dignitatum* فيشير إلى Castra Beriensica والتي تم تصحيحها من طرف Bockling بـ Castra Banasasencia (R. Roget, p. 37).

أما في لوائح الإپيسكوپال فقد وردت إشارة مقاربة للسابقة وهي Banasensis épiscopus.

وفي العصر الوسيط ربما لم تكن تعرف أو لم تُذكر من طرف الرحالين العرب والمسلمين، إذ لم ترد ولو إشارة الى هذه المدينة لا عند البكري ولا الإدريسي، ولا عند الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي أو عند مارمول. وقد يرجع هذا إلى أن المدينة لم تكن توجد على الطريق الرابطة بين طنجة وفاس، بل أكثر من هذا فإنها لم تحظ كذلك ولو بإشارة من طرف الرحالين الأوربيين (Thouvenot, p.XII).

تاريخ البحث بالموقع : انطلاقا من سنة 1844 اقترح لاپي أن موقع بناسا يتطابق مع ضريح سيدي علي بوجنون (Lapie, 1844 ; Roget, 1924, p. 40). وفي 1871.1874 أعطى شارل تيسّو، الذي كان في هذه الفترة يشغل منصب

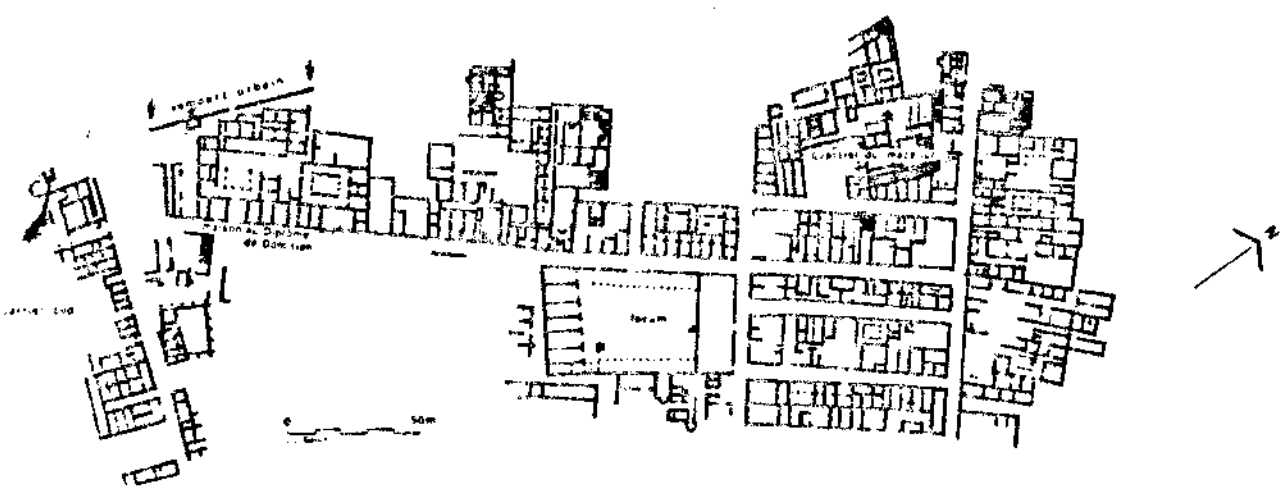

رسم 1 : تصميم عام لمدينة بناسا الرومانية

سفير فرنسا بطنجة، وصفا دقيقا لموقع بناسا. وعندما مر هذا الباحث بالموقع، عثر على قطعة أحد النقوش اللاتينية، فنسبها مباشرة إلى الأمبراطور كمود Comode بالإضافة إلى تاجين كورنتيين.

أما في سنة 1889، فإن هنري دو لامارتينيير H. De La Martinière عندما كان متوجها إلى مدينة وليلي، عرج على مدينة بناسا، حيث عثر على الجزء الأعلى من النقش اللاتيني الذي سبقت الإشارة إليه والذي وجده تيسو، فنسب لامارتينيير القطعتين معا إلى الأمبراطور مارك أوريل، وشاهد التاجين المشار إليهما من طرف تيسو (H. De La Martinière, 1887, p. 442 et 1888, p. 357, et Thouvenot, 1941, p. XV).

نظمت أول حفريات في بناسا سنة 1911، قام بها أحد العسكريين الفرنسيين يدعى فيني Viennet وهو قبطان فيلق المشاة الاستعماريين. ونتج عن هذه الحفريات استخراج رأس جينو Junon وبعض القطع من البرونز تنتمي لمشكاة مستطيلة، وكذلك بعض القطع الأخرى التي تنتمي إلى

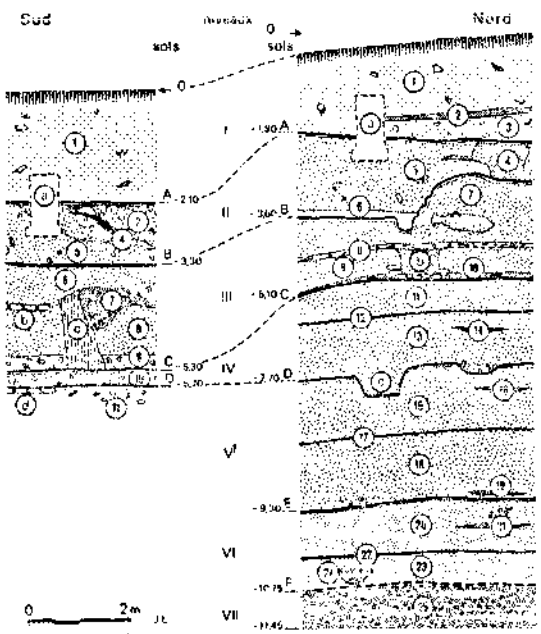

رسم 2 : مقطع إستراتيغرافي لأحد الاستبارات التي أجريت بموقع بناسا

تمثال مدرع. كما أن كشف عن حمامات في الموضع الذي كان تسوّ قد اقترح أنه موضع باب المدينة. لقد أظهرت هذه الحفريات مجموعة من البنايات (R. Thouvenot, 1941, p. XII) (*B. C. T. H.*, 1912, p. CLXXXVII, et CXCIX).

في 1916، أشار شتلان الذي كان يشغل منصب مفتش المباني التاريخية بالمغرب إلى مجموعة من النقوش اللاتينية (L. Chatelain, 1916, p. 164).

لكن الحفريات المنتظمة لم تبدأ بموقع بناسا إلا سنة 1933، وذلك تحت إشراف ريموند توفنو برفقة كل من أوجين ألبرتو وأرموند ليكي. كان الهدف الرئيسي من هذه الحفريات هو محاولة إبراز بعض معالم المستعمرة الرومانية. وشكلت نتائج هذه الحفريات مادة خاما لمؤلف عن هذه المدينة تحت عنوان *دراسة عن مستعمرة رومانية بموريطانيا الطنجية : فلانتيا بناسا* (R. Thouvenot, 1941).

في 1953 أجريت عدة استبارات في أحياء متعددة من المدينة، وبالأخص في الساحة التي تحمل اسم الفُرُوم. لقد لاحظ توفنو تحت البنايات السطحية مستوى أقدم بكثير اعتبره مستوى المستعمرة الأصلية أو نواة بناسا الأولى ويكوّن قسماً من المدينة القديمة، المستعمرة الجولیانية البدائية المتواضعة جداً (R. Thouvenot, 1954, p. 79 - 90). وبقي توفنو متشبثا بهذه الفكرة إلى سنة 1979، ثم عدل عنها، وقد بين هذا في مقال خصه لمشاكل التعمير الروماني بالمغرب القديم (R. Thouvenot, 1979, p. 321-349).

لقد عثر في المستوى السابق الذكر على مجموعة من الأفران التي اعتبرت من طرف ثوفنو كأفران للفخار أو الآجرّ (R. Thouvenot, 1950, p. 58-59 et 1951, p.. 154-155). وفي سنة 1955 عمل أرمون بيكي تحت إشراف م. أوزينا، مدير المباني التاريخية بالمغرب واستطاع أن يظهر الحيّ الشمالي، وأبان عن الشارع الرئيسي في اتجاه الشرق. وفي جهة الجنوب تم التنقيب عن منزلين ؛ أما في جهة شمال الشارع الرئيسي فقد أظهر عمارة كبيرة مازالت غامضة (M. Euzennat, 1957, p. 202).

وشجع اكتشاف الفخار ذو البرنيق الأسود المعروف بالفخار الكمباني الباحثين على إقامة استبارين عميقين. فالزخرفة التي يحملها هذا الفخار تذكرنا بالفخار المعروف تحت اسم الفخار الإيبيري (M. Euzennat, 1956, p. 232). أقيم الاستبار الأول في مركز الساحة ب والثاني شمال الشارع الرئيسي. أظهر هذان الاستباران ستة مستويات متتالية للسكن منضدة على سمك أكثر من 10.75م، تفصلها مستويات الرسوبات النهرية. تمثل المستويات الستة المشار إليها ثلاث مراحل للمدينة الرومانية، وثلاثة مستويات للسكن المحلي متتالية يرجع أقدمها إلى القرن الثالث قبل الميلاد على الأقل (Euzennat, 1957, p. 202) (الرسم 2).

هذه المستويات التطبيقية يمكن ترتيبها من الأحدث إلى الأقدم كالتالي :

- بناية رومانية مؤرخة بالقرن الثاني والثالث بعد الميلاد، يتميز هذا المستوى بوجود الكثير من الفخار ذي البرنيق الأحمر.

- الفخار ذو البرنيق الأحمر، الفخار المصبوغ، ثم أفران مبنية بالآجرّ والطوب.

- بقايا أفران ومبان متشابهة، مع وجود الفخار

المصبوغ بكثرة، وكذلك الفخار العادي.

- في المستوى السادس لم يعثر على أثر أية بناية، إلا ما كان من بعض المواقد التي تحتوي على قطع من الفخار المصبوغ والأمفورات. فكما هو الشأن في الحي الجنوبي ليس هناك إلا المباني الرومانية المنتمية للمستوى الأول التي كانت مشيدة بالحجارة. أما المستويات السفلى فلم تكن مبنية إلا بالآجرّ والطوب (M. Euzennat, 1957, p. 202).

لقد تم إتمام هذه الاستبارات سنة 1956، إذ تم حفر خندق للمراقبة على طول 30 م يقع في الجهة الشمالية على طول الشارع الثانوي (Cardo) وذلك ما سهل وضع بعض المقاطع الستراتيغرافية أو التطبيقية (S. Girard, 1984, fig 5 et 6) لموقع بناسا (الرسم 2).

فاللقى الأثرية التي استخرجت من هذه الاستبارات متنوعة ومتعددة. بعد معاينة م. فيلار لهذه اللقى، استطاع أن يستخلص غياب الفخار الإغريقي، وتأثير الأشكال الأتيكية والأيونية التي تنتمي إلى القرنين السابع والسادس قبل الميلاد، الشيء الذي يسمح بتأريخ التعمير والاستقرار في هذا الموقع وهو استقرار قديم جدا (M. Euzennat et J. Marion, 1960, p. 541 ; M. Villard, 1960, p. 10 - 12 ; M. Ponsich, 1960, p. 465 - 468)

لقد حاولت س جرار S. Girard أن تقدم عملا كليا يجمع بين اللقى الأثرية والمقاطع التطبيقية (الستراتيغرافية) (S. Girard, 1984, p. 11-93). فكل المعطيات المقدمة، ساعدت على إظهار دوام تاريخ هذا الموقع، وحل مشكل أصل المرتفعين الذين شيدت عليهما مدينة بناسا (S. Girard, 1984, p. 145-154). بالإضافة إلى هذا، أقيمت دراسة عددية لمختلف قطع الفخار المصبوغ التي عثر عليها في كل مستوى على حدة، مكنت من ضبط الأهمية الإيجابية لإنتاج هذا الفخار، وكذلك التحولات التي طرأت خلال فترات الاستقرار المتتالية (S. Girard, 1984, p. 24). وفي هذه الدراسة كذلك، تمت إعادة النظر في المقطع الستراتيغرافي ومستويات التعمير للموقع، حيث لوحظ أن المستوى الثاني يشابه المستوى السابق، ويتميز عنه بظاهرتين أساسيتين :

أولا، وجود الفخار المبرنق (بدون تحديد النوع) والتوقف المفاجئ لإنتاج الفخار ذي البرنيق الأسود المحلي الذي يحدد جان بول موريل توقف صناعته بحوالي سنة 40 قبل الميلاد. يضاف إلى هذا أن المرور من المستوى الثالث والثاني ببناسا يمثل بدون شك وضع اللبنة الأولى للمستعمرة الرومانية الأولى التي أسست من طرف أوكتاف Octave بعد موت الملك بوكوس ما بين سنة 33 و27 قبل الميلاد (S. Girard, 1984, p. 90).

لقد عرف الموقع الأثري ببناسا بحثا آخر قام به أوزينا وأليي حول الساحات العمومية بموريطانيا الطنجية (M. Euzennat et G. Hallier, 1986, p. 78) إذ تمت دراسة الساحة العمومية لبناسا بمقارنتها مع كل من ساحات مدينة وليلي وسلا كولونيا، حيث تم ربط علاقة تقارب بين هذه المباني العمومية وما يسمى بـ "Principia à Vorhalle" (M. Euzennat et Hallier, 1986, p. 78). وآخر دراسة تقام حاليا بالموقع الأثري بناسا، تنصب على أحد المباني العمومية المسماة بحمامات ذات الصباغة الحائطية "Thermes aux Fresques" رغم أن هذا المبنى قد تم التنقيب فيه ونشر أبحاث التنقيب في إحدى مجلات مصلحة الآثار المغربية. (R. Thouvenot, 1951, p. 21-80) فما زال محط دراسة وتنقيب لما لوحظ من فجوات وجوانب لم توخذ بعين الاعتبار من طرف الباحثين السابقين. هذه الحمامات أقيمت على مبنى قديم جدا، يؤرخ ببداية القرن الأول قبل الميلاد، وعرفت تطورات وتغيرات عمرانية عديدة خلال القرن الثاني والثالث بعد الميلاد. وانطلاقا من هذا المبنى يهدف الفريق المشرف على هذا البحث إلى تعميم الحفريات إلى مناطق جديدة بالموقع نفسه.

تاريخ المدينة : تم الاستقرار بمدينة بناسا منذ القرن الرابع قبل الميلاد أو قبل هذا التاريخ بقليل، كانت قرية موريطانية بهذا المكان حوالي القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد كما يدل على ذلك كثرة الأفران التي كان يطبخ فيها الفخار الذي يحمل اسم الفخار المصبوغ لبناسا. وهي أفران مبنية بالآجرّ المطبوخ ومن الطوب مؤرخة بنفس الفترة. وهو فخار مصبوغ مستنبط من الفخار البونيقي ومن الأشكال الإيبيرية. ومن جهة أخرى ارتبطت هذه الفترة بمجموعة من المقابر توجد بالجنوب الشرقي للساحة العمومية، وقد عثر فيها على مجوهرات بونيقية يمكن أن تؤرخ بما بين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد. لكن الأثاث المأتمي متأخر عن هذا التاريخ. (M. Euzennat, 1976, p. 140). في هذا الموقع أسس أوكتاف (الامبراطور أغسطس فيما بعد)، مستعمره لجنوده سميت : كولونيا يوليا ڤلانتيا بناسا، ما بين موت الملك بوكوس وتنصيب يوبا الثاني (33 . 25 ق.م). لقد كانت بناسا، بدون شك، هي المؤسسة الرومانية الأولى التي عانت من الفوضى التي عمت موريطانيا بعد موت الملك بطليموس سنة 40 بعد الميلاد، وكذلك من جراء ضم مملكته إلى الأمبراطورية الرومانية (Euzennat, 1976, p. 140).

أما بالنسبة للفترات التالية، فإننا لا نتوفر إلا على شذرات من تاريخ هذه المدينة، تترجمها الوثائق الأثرية التي عثر عليها بالموقع نفسه وهي النقوش اللاتينية. نعرف بواسطة طاولة شفاعة، أنه خلال السنة السابعة من حكم فزبازيان (75 بعد الميلاد) أن معمري مستعمرة يوليا فلانتيا بناسا بالمقاطعة الجديدة لموريطانيا، قد جمعوا كلمتهم حول حاميهم أو شفيعهم سكستوس كايسيليوس Sextus Sentus caecilianus الذي كان يشغل مهمة قاصد رسولي أمبراطوري من منصب حاكم شرعي مكلف بإعادة

تنظيم الموريطانيتين. وقد تم إثبات هذا الإجماع على لوحة من البرونز بواسطة شخصيتين مهمتين هما ليسبوس كيسليوس كالفوس وليسيوس سليستيوس (R. Thouvenot, 1941, p. 79 et L. Chatelain, 1968, p. 73 et J. Gascou, 1982, p. 110, n° 126).

هناك وثيقتان وهماعبارة عن نقشين لاتينيين يحملان في طياتهما مجموعة من المعطيات التاريخية التي تهم مدينة بناسا. الأولى وهي ما نسميها بطاولة بناسا التي تؤرخ ببداية حكم الأمبراطور مارك أوريل. من بين ما تحمله هذه الوثيقة أن بناسا قد حصلت على لقب جديد وهو أوريليا نسبة إلى الأمبراطور مارك أوريل، وسكانها أصبحوا يدعون بالأوريليين.

يذهب ج. كسكو إلى القول بأن مارك أوريل في بداية حكمه استطاع منح المواطنة الرومانية لمجموعة من المعمرين الرومان الذين يسكنون ببناسا، وأن تنمية الكتلة المدنية بالمستعمرة قد ساعد على الإسراع بإعطاء لقب أوريليان للمدينة (J. Gascou, 1982, p. 70, n° 94 et M. Euzennat et Seston, 1971, p. 468 - 490).

وفيما يخص الأسماء والألقاب الممنوحة للمدينة، يضيف هذا الأخير أنه ليس بديهيا أن تكون بناسا قد تخلت نهائيا عن الأسماء السابقة : يوليا فلانتيا، لصالح اللقب الجديد أوريليا. ولكن ما هو مؤكد إلى حد الآن هو انعدام الوثائق التي من شأنها أن تؤكد على أن المدينة قد حملت اللقبين معا (يوليا أوريليا فلانتيا، أو فلانتيا أوريليا (J. Gascou, 1982, p. 70, n° 94).

الوثيقة الثانية وهي مرسوم الأمبراطور كَرَكَلاَّ، حيث وافق للموريطانيين كلهم على تخفيض مما تبقى من الضرائب نقداً وقمحا كانت ستذهب لبيت المال (J. Gascou, 1982, p.89) وهذا مخالف تماما لمقال شاتلان (L. Chatelain, 1968, p. 71).

تضاف إلى هذه الوثائق مجموعة أخرى، وهي شهادات عسكرية سنشير إليها حسب الترتيب الزمني. الشهادة العسكرية الأولى مؤرخة بـ 9 يناير 88 بعد الميلاد، منحت لأحد الجنود من أصل سوري وبالضبط من مدينة فيلاديلفيا (J. Gascou, 1982, n° 234).

الثانية هي كذلك شهادة عسكرية مؤرخة في 14 أكتوبر 109 بعد الميلاد، منحت للجندي بُركاتيس، من أصل سوري كذلك (J. Gascou, 1982, n° 235). أما الشهادة الأخيرة فقد منحت للجندي المسمى ماركوس أنطونيوس ماكسيموس، وذلك في عهد الأمبراطور أدريان. وهذه الوثيقة مؤرخة بـ 18 نونبر 122 بعد الميلاد. (J. Gascou, 1982, n° 239).

هذه الشهادات العسكرية تحمل مجموعة من المعلومات، فهي أولا تخبرنا عن وضعية الجنود الذين كانوا مواطنين رومانيين من أصل إيطالي أو أجنبي، فضلوا الاستقرار بدون شك في المكان الذي كانت ترابط به فرقهم العسكرية، كما تخبرنا عن تكوين الفرق العسكرية المرابطة بموريطانيا الطنجية أو التي كانت في حالة عبور لا غير.

حظيت مدينة بناسا بكل ميزات المركز الحضري، فقد كانت تتوفر على مجموعة من المباني العمومية، نذكر من بينها أولا الساحة العمومية :فوروم Forum الذي يدخل في إطار البنية الأخيرة الشبه متعامدة للمركز الحضري. وهي عبارة عن ساحة مبلطة، ذات شكل شبه منحرف، منظم حول بهو مستطيل متطاول، مؤطر برواقين ومقفل من جانبه الصغير الشمالي بواسطة قاعة ذات جناح فريد يرجح أنها المحكمة (بازيليك). ومن الناحية الجنوبية كانت الساحة العمومية مسدودة بواسطة بناية أقيمت على منصة تجاور ست قاعات عميقة، في مؤخرة المعبد المستعرض. في هذه الجهة بالضبط لوحظ استعمال جدران بناية قديمة، خاصة في أسس القاعات الثلاث الشرقية الموجودة في الجانب الجنوبي.

وفيما يخص الساحة العمومية يمكن إبراز مستويين مختلفين : المستوى الأول يمكن ربطه بالمستوى الروماني القديم، اعتماداً على المقطع الستراتيغرافي، وهو مستوى مستعمرة أغسطس، أما المستوى الثاني فيمكن تأريخه بحكم الأمبراطور تراجان Trajan. لقد اعتمد في التأريخ لهذين المستويين على مجموعة من النقود التي تم العثور عليها خاصة في الردم الوسطوي لهذه البناية، وتؤرخ هذه النقود بما بين 41 و98 بعد الميلاد، يضاف إلى هذه المجموعة، نقد مؤرخ بـ 104-110 بعد الميلاد عثر عليه تحت باب إحدى القاعات وبالضبط، في ملاط الحائط (M. Euzennat et G. Hallier, 1986, p. 78).

ثانيا، الحمامات : تتوفر مدينة بناسا على مجموعة من الحمامات إضافة إلى البنايات الصغيرة الموجودة بجوار الساحة العمومية. فالحمامات الكبرى عددها خمسة، مركزة في نفس الحي أي الحي الغربي وهي كالتالي من الجنوب الغربي إلى الشمال الغربي : الحمامات ذات الصباغة الحائطية، الحمامات الغربية الكبرى، الحمامات الغربية الصغرى، الحمامات الشمالية (R. Touvenot, 1941, et 1951, p. 21 - 80).

كما كانت المدينة تتوفر على سوق Maccelum يوجد غرب الساحة العمومية (R. Thouvenot, 1951, p. 81-99) يضاف إلى هذا أن بناسا كانت محاطة بسور حضري ربما كان راجعا إلى عهد تأسيس المستعمرة، أو فيما بعد، في القرن الثاني بعد الميلاد. لقد تم إظهار جزء من هذا السور، بالضبط في الجنوب الغربي من المدينة (R. Thouvenot, 1941, p. 4) (انظر التصميم العام للمدينة) (الرسم 1) واعتمادا على الصور الجوية التي أخذت للمدينة، يمكن أن نميز بقايا معسكر، وكذلك بقايا قلعة صغيرة أقل أهمية. هذه البقايا لا يمكن معاينتها على سطح الأرض. وجود هذه المباني العسكرية بالموقع يؤكد الوجود العسكري بالمدينة

.(M. Euzennat, 1976, p. 141)

لقد دام الاستقرار بهذا المركز الحضري إلى غاية القرن الثالث بعد الميلاد، وتم تدميرها في أواخر هذا القرن، فغدت بناسا بعد ذلك عبارة عن محطة من المحطات الموجودة على الطريق الرابطة بين طنجة وسلا.

Pline, *Histoire Naturelle*, V ; Ptolémée, *Géographie*, éd. Carl Muller ; *Itinéraire Antonin*, éd. Cuntz ; *Anonyme de Ravenne*, V ; Pompius Mela, *Géographie*, éd. C. Frick ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie*, Mémoires présentés à l'Académie des Inscriptions, t. 9, Paris, 1878, p. 277 - 279 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; R. Thouvenot, *Une colonie romaine : Valentia Banasa*, Paris, 1914 ; *Rapport sur l'activité de l'Inspection des Antiquités du Maroc pendant le second trimestre 1954*; *B.C.T.H.*, 1955 - 1956, p. 79 - 90 ; *L'urbanisme romain dans le Maroc antique, Revista de la Universidad Complutensis*, t. XVIII, 118, V, P. 171 - 149 ; *Rapport sur l'activité du Service des Antiquités du Maroc*, 1948, *B.C.T.H.*, 1950, p. 52 - 59, et aussi dans *B.C.T.H.*, 1951, p. 154 - 155 ; *Les thermes du Nord et de l'Ouest et les thermes aux fresques, P.S.A.M., 1951, p. 21 - 80 ;* Lapie, *Recueil des itinéraires anciens*, Paris, 1844 ; H. De La Martinière, *C. R. A. I.*, 1887, p. 422 et 1888, p. 357 ; Capitaine Viennet, *Trouvailles à Banasa, B.C.T.H.*, 1912, p. CLXXXVI et CXCIX ; L. Chatelain, *Inscriptions et fragments inédits de Volubilis et de Banasa, B.C.T.H.*, 1916 ; *Le Maroc des Romains*, Paris, 1968 ; M. Euzennat, *L'archéologie marocaine de 1955 à 1957, B.A.M.* II, 1957, p. 202 ; *Fouilles opérées à Banasa en 1955, B.C.T.H.*, 1955- 1956, p. 232 ; *Banasa*, in *the Princeton encyclopedia of classical sites*, R. Stillwel éd., Princeton, 1976 ; *Recherches récentes sur la frontière de l'Afrique (1964 - 1974), Studien Zu du Militürgenzen*, Roma, 2, *Vorträge des 10è internationalumlimes kongrassen in suddentschland*, Kölin, Bonn, p. 431 et suivantes ; M. Euzennat et J. Marion, *L'archéologie marocaine de 1958 à 1960, B.A.M.*, IV, p. 10 - 12 ; M. Euzennat et G. Hallier, *Les Forums en Tingitane : observation sur l'influence de l'architecture, sur les constructions civiles de l'occident romain, Ant. Afr.*, 22, 1986, p. 78 et suivante ; M. Euzennat et Seston, *Un dossier de la chancelerie romaine : La tabula Banasatina, C.R.A.I.*, 1971, p. 468 - 490 ; S. Girard, *Banasa préromaine : un état de la question, Ant. Afr.*, 20, 1987, p. 11 - 93 ; *L'alluvionnement de Sebou, premier Banasa, B.C.T.H.*, fasc, 178, 1981, (1984, p. 145 - 154) ; M. Ponsich, *A propos d'une lampe grecque trouvée à Banasa, B.A.M.*, VI, p. 465 - 468 ; J. Gascou, *Inscriptions antiques du Maroc*, 2, *Inscriptions latines*, Paris, 1982

حسن ليمان

البَنّان ← العوز

البناينو أو البَـنَـيْـنُـو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وقد انقرضت بتطوان سنة 1784، وبقيت بشفشاون. ولعل أصل هذه الأخيرة يختلف عن أصل الأسرة التطوانية.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 47 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد بن عزوز حكيم

البناينو، المفضل (الحاج.) بن محمد بن عبد الكريم، من أسرة أندلسية استقرت بمدينة شفشاون حيث يوجد زقاق يحمل اسم الأسرة. وقد قام بدور تاريخي إلى جانب البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي. كان الإسبان يصفون المغرب آنذاك بكونه "مقبرة شباب إسبانيا"، حينما كان المستعمر يواجه معارضات قوية لمحاولة فرض سلطته على القبائل المجاهدة بالشمال.

كان الحاج المفضل البناينو يشتغل بالفلاحة وتجارة المواشي، وكذا بالمتاجرة في الأسلحة التي كانت متوافرة عند الكثيرين. وبمجرد تنفيذ خطة الجنرال بيرنگير Berenguer لاحتلال منطقة شفشاون في خريف سنة 1339 / 1920، حيث لم تكن آنذاك خاضعة لسلطة الجيش الإسباني، قاد البناينو جماعة من المجاهدين في سلسلة من عمليات "البارود" دامت أزيد من أربع سنوات. من تلك العمليات عملية غاروزم خارج المدينة ليلة دخول الإسبان بالذات، عملية "دمنة المخزن" بقلب المدينة (حيث يوجد فندق شفشاون حاليا) وعمليات القبض على مجموعة من المتعاونين مع الإسبان، إضافة إلى محاصرة القوافل الوافدة بالمؤونة من بني حسان إلى شفشاون. وفي تلك الأثناء كانت قوات ابن عبد الكريم الخطابي تنتشر إلى حدود شفشاون بعد التغلب على عدد من قبائل غمارة. وهناك عملية دامت سنة كاملة، وذلك بإرسال خمسين مجاهداً كل يوم إلى رأس الجبل المطل على مدينة شفشاون بالتناوب، قصد إطلاق النار على جيش الاحتلال. ومع استقرار التنظيمات الهجومية قام فريق البناينو في أواخر غشت من سنة 1921 بهجوم على مدينة شفشاون، انطلاقا من الدردارة بقبيلة الأخماس في اتجاه المعسكر الإسباني بعقبة القُـلّة بين بني يسف وبني زكار، وإثر معركة حامية الوطيس مات العديد من الخونة، وكذا ما لا يقل عن سبعمائة إسباني. ولم تسترجع القوات الاستعمارية نَفَسَها إلا في شهر دجنبر.

ومن أهم العمليات معركة أكراط ومعركة وفاء الدشر ومعركة دار الراعي التي أنزل فيها العدو أزيد من مائة قنبلة مسمومة تسببت في إحراق ما كان يعترض طريقها. وهناك معركة مرابطش ومعركة مشكرالة التي شارك فيها مبعوث الخطابي إدريس خوجة ومعركة تزرار ببني وريا غل ومعركة عين الرامي ومعركة دار الزلال بوغابش وعملية دار العزف.

عندما حاول الإسبان إغراء البنانيو عن طريق أحد المتعاونين بمنحه امتيازات مغرية في حالة تخليه عن تحركاته كان الرد اللجوء إلى مدشر القلعة للفتك بمن ساعدوا على دخول قوة الاحتلال.

وفي هذه المرحلة قام القائد الإسباني كاسترو خيرونة Castro Girona بتفاوض مع مولاي أحمد الريسوني الذي جمع المجاهدين ليخبرهم باستلائه على سبع عشرة قبيلة بموافقة الحكومة الإسبانية، باستثناء غمارة التي لم تسانده قط حيث تم إبرام اتفاقية سنة 1922، تنفيذاً لأحد أهم أهداف سياسة حكومة سانشيز گيرّا Sanchez Guerra. ويتحدث البنانيو باستمرار عن مبايعة تلك القبائل الفعلية للريسوني، وأنه رفض الخضوع لذلك واعتزل بجماعته للاستمرار في تحركات بطولية سرعان ما بلغ صداها ابن عبد الكريم الخطابي الذي كان أحمد حريرو أو خريرو (من دار خرخور أصلا) قد التحق به بعد شق عصا الطاعة على الريسوني. وهكذا أصبحت القوافل الريسونية هي الأخرى تتعرض لتحركات لم تزدد إلاّ تمكناً بفضل تشجيعات الخطابي.

وبعد أن استطاع ابن عبد الكريم أن يتغلب على مجموع تلك القبائل تقريبا على إثر خوض معركة دار الراعي أوفد شقيقه مَحمد إلى البنانيو يعرض عليه الالتحاق بمركز فراحة بقبيلة اغزاوة وشغل منصب قائد على قبائل بني زكار وبني يسف وسوماتة وبني عروس وأهل سريف وبي گرفط وبني يدر، باستثناء قبيلتي بني منصور وجبل الحبيب اللتين عين الزلال قائدا عليهما. وبعد ذلك أسندت إلى البنانيو مهمة محاصرة مدينة شفشاون إلى أن أرغم الإسبان على الشروع في الخروج منها في شتنبر ومغادرتها نهائيا في نونبر سنة 1924، مما أدى إلى انهزام كاسترو خيرونة ودخول الخطابي الذي تعرض لقصف إسباني ـ فرنسي. وإثر ذلك عين الخطابي البنانيو باشا على المدينة، وسنه يقارب الأربعين. وبمجرد استلامه السلطة أخذ يتخلص ممن كان يغضبه تعاملهم مع المستعمر، حيث عوض عددا من المسؤولين بأبناء أسر ريفية مثل أسرة العمارتي، الأمر الذي أثار استياء كبيراً. وما كان يسعه إلا أن يقدم استقالته.

وبعد التخلي عن الباشوية استأنف البنانيو نشاطه الميداني سواء بمواجهة قوة الاحتلال أو ملاحقة التحركات الريسونية، كما كلفه الخطابي بقيادة عملية عسكرية بقبيلة الأخماس.

أثناء مواجهة مع كتيبة ريسونية تم أسر البنانيو، ذلك القائد الذي قيل عنه إنه الشخص الذي شاهد عن كثب انهيار قوات الشريف مولاي أحمد، ثم سيق إلى تازروت حيث ألقي في السجن مكبلا وكأنه "النمرود"، كما كان يقول مازحاً.

وفي تلك الأثناء كان الخطابي يعد للهجوم على مقر قيادة الريسوني بتازروت. ففي أواخر جمادى الآخرة عام 1343 / أواخر يناير 1925، انطلق فريق بقيادة محمد ابن سعيد الحساني وآخر بقيادة الطالب الشاوني السوماتي قصد تنفيذ العملية. وبعد هجوم محكم أفضى إلى تطويق العاصمة الريسونية أطلق سراح البنانيو الذي أسرع للالتحاق برفاقه المجتمعين، ومن جملتهم مَحمد البكار العروسي ومحمد رمبوك والقائد ولد القرّفة السعيدي واليزيد بن صالح الغماري والفقيه محمد بن علي بولحية والفقيه الحداد الخمسي وأحمد خريرو ومحمد الشاعر الأنجري والبغدادي اليدري وأحمد ولد الفقيه القنفودي. ولما دخل الجميع على الشريف الذي لم يستطع التحرك بسبب ورم في رجليه، انطلقت مشاجرة حادة بين الجانبين دون أن يمنع هذا من البتّ في مصير الأسير وذويه. ومن سخرية الموقف أن يكلف البنانيو بمرافقة الشريف في موكبه والسهر على أمنه وراحته أثناء الرحلة إلى مقر منفاه ومثواه الأخير حيث وافته المنية في أبريل من نفس السنة.

ومع استمرارالمعارك وحبك المكائد لإضعاف قوى المجاهدين لم تتمكن القوات الإسبانية من دخول شفشاون من جديد واحتلالها بصفة رسمية إلا في 25 أغسطس من سنة 1926، أي قبيل الإعلان عن انتهاء الحرب بقليل. ولم يمنع توقف القتال البنانيو من القيام بعمليات انفرادية مضايقة للإسبان الذين كانوا يحاولون إلقاء القبض عليه، مما اضطره إلى الهروب لمدينة طنجة حيث لم يعد منها إلى شفشاون إلا بعد استقلال المغرب، فكان بذلك الشفشاوني الوحيد الذي لم يعرف الحكم الإسباني.

توفي الحاج المفضل البنانيو في طنجة يوم الثلاثاء 25 ذي القعدة عام 1410 / 19 يونيو 1990.

تصريحات مسجلة للبنانيو في فترات مختلفة وعلى مدى عدة سنوات ؛ طوماس كارثيا فيگيراس، *المغرب* Marruecos، تطوان، مطبعة كريماديس، 1955، ص. 196، 199، 223 ؛ *حول المغرب الفيودالي : حقب من حياة الشريف الريسوني* Del Marruecos feudal : Episodios de la vida del Cherif Raisuni، مدريد، منشورات الشركة الإيبيرية الأمريكية، 1930، ص. 209 ؛ ف. هرناندیث میر، *من الكارثة إلى النصر* Del Desastre a la victorie، مدريد، 1926، ص. 37 ؛ إليسيو بيرمودو صوريانو، *الريسوني : قائد جبالة* El Raisuni : Caudillo de Yebala، مدريد، منشورات فرانسيسكو ڤيثينتي الأدبية، 1941، ص. 71.

محمد أبو طالب

بنباروخ، أو بن باروخ Ben Barukh **داود**، المكنى ربّي إفلاح أي الشيخ داود، مداح شهير بالصويرة، ولد عام 1867. قال عنه حييم الزعفراني : " قبل انه كان في كثير من الأحيان يتلقى الدعوة للحضور إلى القصر الملكي بالرباط ومراكش في عهد مولاي يوسف ومحمد الخامس ليكون ضمن فريق الجوق الملكي أي ما يسمى الستارة. كان أحد العناصر الذين ينقلون المعلومات إلى أ. شوطان ـ أستاذ الموسيقى بالرباط ـ والذي نشر صورته في كتابه *نظرة*

عامة عن *الموسيقى المغربية* (اللوحة 15). وإلى هذا الربي وزميله ربّي داود ألقَييم وغيرهما من المداحين بفاس توجه ألبير إدلسون خلال القيام ببحثه في الموسيقى اليهودية بالمغرب وجمع القصائد والتراتيل التي ألف بها الجزء الخامس من موسوعته التي تحمل عنوان : *الموسيقى الشرقية والعبرية*، وألف بمشاركة ربّي داود ألقَييم وحييم أفريات المنتخبات شير يديدوت (أناشيد في حب الله) لمرتلين مختلفين تغنوا بها على طبوع النوبات الأندلسية، وقد طبعت هذه المنتخبات بمراكش عام 1913 وأعيد طبعها عام 1921، كما طبعت بالقدس عام 1961 و1968.

بنباروخ، هَكُوهن داود، ربي قبالي عاش خلال القرن الثامن عشر، ويوجد قبره غير بعيد من تارودانت ببلدة أزرو نُوبَا حمُّو، ويشكل إحدى المزارات التي كان اليهود يحجون إليها بكثرة.

ح. الزعفراني، *الموسيقى اليهودية في الغرب الإسلامي*.

H. Zafrani, *Kabbale : Poésie Juive*, 101.

سيمون ليفي

بنبراهيم، حماد بن العربي، ولد سنة 1922 بالدار البيضاء. وانخرط في صفوف "الهلال الأسود" و"اليد السوداء" حيث بدأ عمله الفدائي المسلح ضمن هاتين المنظمتين، وشارك في عدة عمليات، منها زرع قنبلتين في منزل أحد الخونة، وأخرى بطريق مديونة صحبة ابن عزوز. فاغتالته منظمة اليد الحمراء الإرهابية التي أطلقت عليه الرصاص وهو يضع قنبلة بإحدى القاعات السينمائية فأصيب إصابات خطيرة نقل على إثرها إلى المستشفى يوم 22 دجنبر 1955 حيث توفي رحمه الله يوم الغد.

وثائق المندوبية السامية للمقاومة.

عزالدين العلام

بِنْتا، Benta من المحطات المجهولة في المغرب القديم، يوطنها الجغرافي بطليموس (*Géog.*, IV, 1 - 11) ضمن المدن الداخلية بموريطانيا الطنجية، حسب الإحداثيات التالية (9° 30° - 32° So) الشيء الذي يمكّن من توطينها إلى الجنوب الشرقي من وليلي. وحسب الباحث بيسني (*A. M.*, I, 1904) فإن محطة بنتا تحمل اسم "Gent" عند جغرافي رافينا واسم "Bervic" عند Ximénés Hispanus وهذه المحطة الأخيرة "Bervic" تبقى مجهولة لدينا، فمدونة النقائش اللاتينية لا تضم سوى نقيشة واحدة عثر عليها بهذه المحطة وهي عبارة عن نقيشة مأتمية لشخص يدعى كونيتوس بومبونيوس روگاتوس (*CIL*, VIII, 10002).

أما بالنسبة للباحث موليير C. Mullier فإن محطة بنتا بالإضافة إلى محطات تريسيديس Trisidis (10° - 33° - 9°) وگالافا Galapha (40° - 32° - 11°) ومولوشا Molochat (5' - 33° - 10°) توجد شرق موريطانيا الطنجية، أي على الطريق المؤدية إلى موريطانيا القيصرية عبر محطة توكولوسيدا، أي ما يطابق حاليا الطريق الرابطة بين فاس وتلمسان عبر مدينة تازا.

وهذه الفرضية يدعمها اكتشاف مركز روماني عند بوحلو. إذن، هل يمكن اعتبار هذا المركز هو المكان الذي وجدت فيه بنتا قديما؟ من الصعب الإجابة عن هذا السؤال ما دامت معلوماتنا ضئيلة لا تمكّن من القيام بمقارنات في هذا المجال.

H. Dessau, *Benta*, *Real-Encyclopädie*, col. 277 ; Ptolemée, *Géographie*, éd., C. Muller, p. 590 ; *Cil*, VIII ; R. Roget, *Index de topographie antique du Maroc*, *P.S.A.M.*, 4, 1938, p. 28 - 29 ; p. 45 - 55 et p. 82.

عبدالعزيز بل الفايدة

بَنْجَر ← باربا

بَنجيُو أو بنجو، Benjyo ou Benjo، حمل هذا الاسم عدد من اليهود بطنجة والدارالبيضاء، وتفرع عن هذه الأسرة فرع يحمل اسم بن دْرَاعُو. وأشهرهم المسمى مردخاي بنجو (1825.1917) الذي تم تعيينه ربياً أكبر بطنجة عام 1855 وعمره يومئذ لا يتجاوز ثلاثين سنة، وهو المنصب الذي تولاه إلى يوم وفاته، أي مدة اثنتين وستين سنة، ذلك ما جعله يتمتع بحظوة كبرى ومكانة عظمى معنويا وفقهيا. أسس خلال مهامه الدينية بيعة عيص حاييم (أي شجرة الحياة) ومنشأة تربوية تحمل اسم توراة وحاييم والتي تقابلها بالعربية عبارة "دين ودنيا" الهدف منها إدخال تعليم المواد غير الدينية في المدارس الدينية اليهودية، يتولى تلقينها معلمون مستقلون عن الرابطة الإسرائيلية العالمية، ويلقنون كذلك، اللغات الأجنبية إلى جانب الرياضيات وغيرها.

جريدة طنجة، 14.1.1967.

S. Y. Benaim, *Les pélerinages juifs*, 160 - 164.

سيمون ليفي

بنخديجة، قائد إزاجن (أسجن الحالية) الواقعة شمال مدينة وزان على بعد نحو تسعة كيلومترات. أصله من مصمودة جبل رهونة، من مدشر أمزو، على واد اللكوس غرب رهونة، حيث لا يزال أحفاده حتى الآن. تولى منصب قيادة إزاجن في بداية عام 934 / آخر 1527، إثر مقتل السابق له المدعو القائد محفوظ، نتيجة حصوله على تعضيد حاكم شفشاون إبراهيم بن علي بن راشد العلمي، وتزكية أحمد الوطاسي له، جزاءً لما قدمه من المساندة للسلطان، إذ كان بنخديجة من مدبري الانقلاب على أبي حسون، إلى جانب إبراهيم العلمي. ومن ذلك جاءت العلاقة الحسنة التي ربطت بين حاكمي إزاجن وشفشاون، تمثلت في تزويج بنت بنخديجة بعبدالله سلمة، أخي مولاي إبراهيم.

سار بنخديجة على اتباع تقليد حكام إزاجن في الدأب على سنة الجهاد بالثغور الهبطية. بدأ أولى حركاته سنة 939/1532، حين زحف بنحو مائتي فارس وعدد من كبار رجال فاس، كان من بينهم المرابط أحمد بن بوبكر وعلي بن شقرون، أحد إخوة قائد قصبة فاس، وحاكم العرائش سابقا

(1521.1515). وبمعية بنخديجة قواد الهبط (مولاي إبراهيم والمنظري والناصر العروسي). ففي يوم الجمعة 10 صفر عام 939/ 12 شتمبر 1532 وصل بنخديجة إلى محلة واد شرقان، رافد واد عياشة، على بعد فرسخين من أصيلا المحتلة من طرف البرتغاليين. وهناك رابط قائد إزاجن نحو ثلاثة أشهر لإقلاق راحة حنود أصيلا تارة وحامية طنجة تارة أخرى. وإلى غاية 30 نوفمبر 1532 كان ما يزال بالمكان في نفس المهمة. عاد بنخديجة مرة أخرى إلى ميدان أصيلا سنة 941/ 1534 برفقة قواد الهبط مساهما بنحو ألف فارس. وكانت الغاية من تلك الحركة التمهيد لزحف أحمد الوطاسي نحو الثغور الهبطية.

تحول ميل بنخديجة عن الوطاسيين لصالح السعديين مع ميل قواد الهبط إلى محمد الشيخ السعدي إثر دخوله مدينة فاس عام 956/ 1549. وبذلك كان من جملة الحاضرين في اجتماع القصر الكبير الخاص ببحث التدابير المطلوب اتخاذها تجاه الوجود الأجنبي.

استمر بنخديجة في حكم إزاجن إلى حين عودة أبي حسون الوطاسي إلى فاس معززا بقوة حلفائه أتراك الجزائر، وبذلك فر بنخديجة إلى تطوان، حيث بقي إلى انتهاء أمر الوطاسيين في خريف سنة 961/ 1554. وبعد ذلك اختفى عنا أمره.

ح.الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 528، 539، 540، 625.

B. Rodriques, *Anais de Arzila*, 1 : 224 ; 2 : 105 - 239 ; F. Andrade, *Cronica de D. Joao 3*, p. 288.

حسن الفكيكي

بنداود، أسرة تنتمي إلى بعض قبائل الگيش المخزني كانت لها مصاهرة مع الحاجب ابًا احماد بن موسى. والمعروف منهم بمراكش محمد وأحمد، لكن أشهرهم وآخرهم هو عباس.

بنداود، عباس، باشا مراكش، أثارت حدته غضب الخرازة وتزعمهم علال بلحسن الخراز في أول انتفاضة لهم، حاصروه بداره في روض الزيتون القديم. وهذه الدار ما زالت قائمة تحت صابة تسمى صابة بنداود.

لم يرض السلطان محمد بن عبدالرحمان أن تُهان السلطة الرسمية، فقصد إلى مراكش لمعاقبة أهلها رغم أنهم ذهبوا للقائه وتبرأوا مما فعل فلم يعبأ بهم. غير أن الموت عاجله ونجوا من العقاب. وروى دو لامارتينيير، أنه حضر هو وأصحابه مأدبة غذاء أقامها الباشا بنداود دامت ثلاث ساعات من كثرة الصحون المقدمة إلى الضيوف وكؤوس الشاي المنعنع.

كان ذلك على إثر وقوف الزوار الأجانب لتحية عاهل المغرب في إحدى زياراته، فسأل عن هويتهم فكان الباشا بنداود يشرح للسلطان هويتهم، فابتسم لهم السلطان ورد التحية، فكانت المأدبة وحصل تغيير كبير في علاقاتهم مع الناس والجيران.

ويذكر عن الآنسة مكنب الإنجليزية أنها زارت مراكش ومرت بسوق النخاسة فوجدت ما بقي من أهل دار بنداود يباعون هناك في السوق الذي يسمى اليوم (سوق الغزل) وقد بيعت الطباخات بأغلى ثمن إذ بلغ ثمن إحداهن 250 دولار.

لامارتينيير، *مراكش على عهد السلطان مولاي الحسن* ؛ ع. بن جلون، *جولات في تاريخ مغرب أمس*.

أحمد ابن الشرقي

بنداود، (أولاد سيدي ـ) من قبائل الشاوية، تكوّن مع قبائل أولاد سعيد والمزامزة وأولاد بورتيرى، مجموعة قبائل الشاوية الجنوبية التي كان يطلق عليها خلال القرون الماضية أولاد بورزق.

تقع قبيلة أولاد سيدي بنداود إلى الجنوب الشرقي من سطاتِ حول قرية گيسر في منتصف الطريق الرابطة بين مدينة سطات وقصبة ابن الشافعي المسكيني.

وإذا كان موقع القبيلة يجعلها تحتل أقصى نقطة في جنوب الشاوية بعيداً عن مؤثرات المحيط وعن السهول الخصبة، فالواقع هو أن أرضها صالحة لزراعة الحبوب خاصة القمح بنوعيه حيث يتميز بجودته ونضارته.

وقد اختلف في أصل أولاد سيدي بنداود، فالرواية المحلية تؤكد انتماءهم لسيدي بنداود، أحد أتباع الشيخ عبدالعزيز التباع وتقول إن أصله إدريسي. لكن النسابين المغاربة يشيرون إلى أن أصله من أولاد بوزيري المجاورين لأولاد سيدي بنداود. وكذلك تدعى الرواية الشفوية بأولاد بوزيري، أن أولاد سيدي بنداود إخوان لأولاد بوزيري انفصلوا عنهم. وقد تسبب هذا الادعاء في عدة فتن بين القبيلتين.

ويدعي أولاد سيدي بنداود أن جدهم سيدي بنداود، جاء من الساقية الحمراء، واستقر بأولاد بوزيري، داعياً إلى الجهاد، لكنه طرد من الشاوية واستوطن تادلا. وقد ندم الذين طردوه فطلبوا منه العودة فرفض. وبعد الإلحاح أرسل معهم ثلاثة من أبنائه، هم :

سيدي أحمد الطالب، الذي استقر بگيسر، وضريحه موجود بها وإليه تنتمي القبيلة.

سيدي محمد بن الكبير الذي استقر بأولاد حريز، وهو ضمن أولاد بن صالح.

سيدي خمليش، الذي استقر برأس العين بقبيلة أمزاب حيث ضريحه، وإليه تنتمي فرقة الخمالشة. وبقي هو هناك حيث يوجد قبره بأزراراگ قرب إغرم نْ لعْلام بالأطلس المتوسط.

وقد خلف سيدي أحمد الطالب ثلاثة أبناء هم : عبد العزيز والصغير وسيدي زكاك، وهم أجداد فرق أولاد سيدي بنداود الثلاثة : أ ـ أولاد عبدالعزيز : الحمادات، أولاد المامون، الدغاغنة، الهباطات، أولاد أحمد. ب ـ أولاد الصغير : أولاد القاضي، أولاد الصغير،

أهل الزاوية الگزازرة. ج ـ أولاد زكاك : أولاد زكاك بن الهبطي، أولاد زكاك بن أحمد، أولاد الزموري، أولاد الهواري.

والملاحظ أن الفرقة الأخيرة اندمجت في الفرقة الأولى. بحيث كان أولاد سيدي بنداود خلال القرن الماضي منقسمين إلى فرقتين هما : أولاد عبدالعزيز وأولاد الصغير.

وفي عهد الاحتلال الفرنسي أضيفت ثلاث فرق أخرى لأولاد سيدي بنداود، أُخذت من أولاد يورْير هي : ريمة، سنينات، بني يگرين.

قدرت إحصاءات جيش الاحتلال عدد خيام أولاد سيدي بنداود سنة 1914 كالآتي :

أولاد عبدالعزيز	:	561 خيمة
أولاد الصغير	:	210 خيمة
ريمة	:	221 خيمة
سنينات	:	337 خيمة
بني يگرين	:	120 خيمة
المجموع	=	1449 خيمة

وقد وصف القاضي العربي العزوزي أولاد سيدي بنداود بأنهم في أعلى "درجة الشجاعة والفروسية، لهم شهرة في ذلك عظيمة، وأخبار في الحروب عجيبة" *(المحاسن والمآثر)*. وبالفعل يعتبر أولاد سيدي بنداود من أكثر قبائل الشاوية مقاومة للاحتلال الفرنسي. واشتهر سكان القبيلة منذ أواخر القرن التاسع عشر على الأقل بتمردهم على الحكام المحليين، ودخولهم في صراعات مع القبائل المجاورة الأكثر منهم عدداً. وخلال انتفاضة الشاوية بين 1903 و1906، كان زعماء أولاد سيدي بنداود من بين الرؤساء المسيّرين للانتفاضة. والملاحظ أن انتفاضة القبيلة لم توجه لقائدها آنذاك وهو الجيلالي بن الرغاي الذي كان مرتبطاً بجماعته ومدافعاً عن مصالح قبيلته كما كان أخوه وخليفته القرشي بن الرغاي من أشهر زعماء انتفاضة الشاوية.

ولقد أبلى مجاهدو أولاد سيدي بنداود، بلاء حسناً وأبدوا من أنواع الصمود والمقاومة ما تحدث به الناس وقتا طويلاً، وكان قائدهم في الجهاد حول الدارالبيضاء وفي معارك سطات هو القرشي بن الرغاي نفسه الذي قتل في إحدى المعارك التي جرت بمدينة سطات سنة 1908.

ع. العزوزي، *نشر المحاسن والمآثر لرجال الشاوية المشاهير*، مخطوط ؛ ع. الخديمي، *حادثة الدارالبيضاء واحتلال الشاوية*، د.د.ع.

علال الخديمي

بنداود بن الغزواني، إدريس. مقاوم ولد سنة 1904 بقبيلة بني سمير بوادي زم، من الأوائل الذين انضموا إلى صفوف الثورة فخاض مظاهرة يوم 20 غشت 1955 شاهراً بندقية في وجه قوات العدو، أسقط بها العديد من الذين تصدوا له إلى حدود الساعة الثانية بعد الظهر حيث تدخلت قوات فرنسية مدججة بأحدث الأسلحة، وتم تفريق المتظاهرين. قامت قوات الاحتلال بتفتيش واسع النطاق، كان بنداود من الذين شملتهم عمليه التفتيش فحاولوا القبض عليه لكنه استعصى عليهم. وعند لجوئه إلى منزله حاصروه بالدبابات والرشاشات إلى أن ألقوا عليه القبض واقتادوه إلى مركز الشرطة لاستنطاقه وبعد التحقيق قرر العدو إرجاعه إلى منزله وقتله بالرصاص، ثم حطموا بندقيته على رأسه فانشطر إلى قسمين وذلك يوم 22 غشت 1955.

وثائق المندوبية السامية للمقاومة.

عزالدين العلام

البندقي، رايس، يعرف في المصادر الأجنبية بـ Venetia، كان في بداية أمره من لصوص البحر الإيطاليين، قبل أن يُسلم وينخرط في صفوف أسطول الجهاد البحري المغربي بسلا، ثم في أسطول مولاي إسماعيل. وقد اشتهر بشجاعته وجرأته، وتميز بالخصوص خلال موسم 1683/1094 بنجاحه في السيطرة على سفينة إنجليزية للقبطان بلامي Bellami بعد معركة ضارية.

R. Coindreau, *Les corsaires de Salé*, p. 82.

حسن أميلي

البندقي، Sequin de Venise، قطعة نقدية ذهبية كانت تضرب بمدينة البندقية بإيطاليا، ونظراً لشهرة هذه المدينة كميناء لعب دوراً مهماً في التجارة البحرية، انتشرت هذه القطعة النقدية مع التجارة الإيطالية في كافة بلدان حوض البحر المتوسط، وكذا في بلدان المشرق العربي. ولما كانت العملة الإيطالية من العملات القوية، فقد أصبح اسم البندقي وخاصة في القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر، يطلق على عملات ذهبية متعددة سواء في بعض البلدان الشرقية أو في المغرب الأقصى.

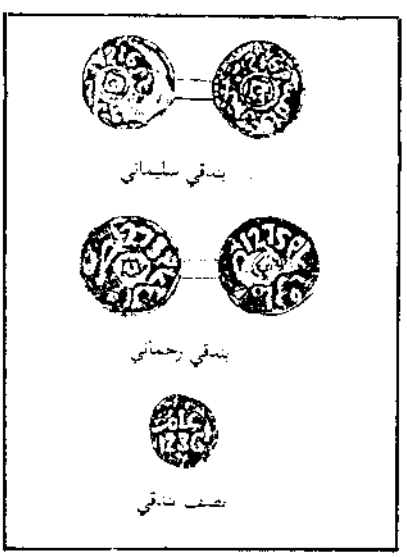

نماذج من عملة البندقي الذهبي

غير أن مصطلح البندقي لم يستعمل للدلالة على نقد ذهبي مغربي قبل القرن التاسع عشر حيث كان يستعمل مصطلح الدينار أو مصطلح المثقال للدلالة على القطعة الذهبية الكبيرة إلى حدود سنة 1766 حينما قام السلطان محمد بن عبدالله بإصلاحه النقدي فأصبح هناك تمييز بين المصطلحين، صار المثقال دالا على قطعة نقدية فضية من عشرة دراهم، بينما استعمل الدينار للقطعة الذهبية التي يبلغ وزنها الشرعي 4.25 گرام.

وقد ضرب الدينار المغربي باسم البندقي ابتداء من عهد السلطانين مولاي سليمان (1207 - 1238 / 1792 - 1822) وعبدالرحمان بن هشام (1238 - 1276 / 1822 - 1859) فكان وزن البندقي في العهد السليماني هو نفس الوزن الشائع في العهد الإسماعيلي وهو : 3.50 گرام، لكن هذا الوزن تناقص مع مرور الزمن بحيث لم تعد تزن بعض قطع البندقي الرائجة في عهد السلطان محمد بن عبدالرحمان سنة 1868 سوى 2.21 گرام، وكلها أوزان مخالفة للوزن الشرعي بالقياس إلى أوزان النقود الذهبية الرائجة ما بين العهدين الموحدي والسعدي. وللبندقي عدة أجزاء منها النصف ويزن 1.6 گرام، والربع ويزن بين 0.80 و0.75 گرام، وأصغر هذه الاجزاء كان عباره عن قطعة صغيرة تمثل 1/16 من البندقي.

حدد المخزن الصرف الرسمي للبندقي سنة 1269 / 1852 بسعر 40 أوقية من الفضة، بينما كان صرفه الحقيقي في المعاملات التجارية بسعر 50 أوقية في نفس السنة.

وقد استمر رواج القطع الذهبية المغربية عموماً وقطع البندقي على وجه الخصوص إلى أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر. حيث انسحبت العملة الذهبية المغربية من التداول نهائيا واختفت في السنوات التي تلت سنة 1862 حينما دفع المغرب القسط الأول من غرامة حرب تطوان، وبعد سنة 1868 لم يعد الذهب يروج إلا نادراً، وبالخصوص على شكل ذهب (تبر) وكان دينار موزونا، فأصبحت الفضة والنحاس القاعدة النقدية المزدوجة للعملة المغربية، وهي بداية الأزمة النقدية التي عرفتها هذه العملة في القرن التاسع عشر.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 64 ؛ الكرملي، أنستاس ماري، *النقود العربية وعلم النميات*، القاهرة، 1939، ص 62 ؛ ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن 19*، ص 130 - 222.

J. D. Brethes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, p. 241 ; A. G. P. Martin, *Quatre siècles d'histoire marocaines au Sahara de 1504 à 1904 au Maroc de 1894 à 1912*, p. 13 ; R. Dozy, *Supplément*.

عمر أفا

البندقية، سلاح ناري ينسب إلى مدينة البندقية الإيطالية، ويسمى "المكحلة" باللسان الدارج المغربي نسبة إلى لون البارود الأسود. تعتبر البندقية من الأسلحة المنتشرة في جميع أنحاء المغرب منذ أواخر القرن العاشر (16 م)، ثم أصبحت البنادق تُصنع محلياً في القرون الأخيرة. وفي هذا الإطار يقول دوشيني : كان "جنود المخزن في عهد سيدي محمد بن عبدالله مسلحين أساسا بالبنادق والسيوف وكلها مصنوعة بالمغرب (*Recherches*, 3 : 237).

وقال أنطوان بوريل Antoine Burel وهويتحدث من جهته أيضا عن جنود المولى سليمان : "أسلحتهم لا تتكون إلا من بندقية من نوع واحد طولها خمسة أو ستة أقدام ولكنها خفيفة... وكثير من البنادق والسيوف مصنوعة في البلاد من الحديد المنتج في منطقة الريف" (*La Mission*, 3 : 66).

انتشرت معامل صنع البنادق في مختلف مناطق المغرب، ويمتاز كل مركز بأسلوب إنتاجه المميز، فالبندقية المصنوعة بإداوْلْتيتْ (الأطلس الصغير) تمتاز بمؤخرتها الخفيفة التي تكاد تكون أسطوانية الشكل، وبدقة زخرفتها، إذ ترصع بالعاج والعظام والصدف وتزين بالفضة المنقوشة والمطلية.

ويمتاز الطراز المصنوع بمركز إغرم (الأطلس الصغير) بدوره بتلفيف البندقية بسبائك من فضة كما تربط بين الفوهة والخشب حلقات فضية.

أما فيما يخص البندقية المصنوعة بمعامل تَاغْزُوتْ (الريف) فتكون في غالب الأحيان خالية من الزخارف ومؤخرتها الخشبية عريضة وضخمة بالمقارنة مع النموذجين المذكورين آنفا.

وتجدر الاشارة إلى أن البنادق المصنوعة بالمدن كمراكش وفاس تشبه كثيراً إنتاج منطقة الريف، إلا أن أغلبها مزخرف بماء الذهب، أو مرصع بخيوط فضية ويكتب على بعضها آيات قرآنية أو أدعية أو اسم الصانع أو المالك بخط نسخي جميل.

ونشير إلى أن بعض النماذج من هذا الطراز معروض بمتحف الأسلحة بمدينة فاس.

أما من الناحية التقنية فيوجد بالمغرب بصفة عامة نوعان من البنادق : بوشفر، وبوحبة (انظر بوشفر).

L. De Chénier, *Recherches historiques sur les Maures et histoire de l'Empire de Maroc*, Paris, 1787, 3 : 237 ; J. Caillé, *La mission du Capitaine Burel au Maroc en 1808*, Paris, 1953, p. 66.

علي أمهان

البندقية، Venise مرفأ ومدينة تقع في الشمال الشرقي من إيطاليا على ضفة بحر الأدرياتيك، كانت خلال العصر الوسيط جمهورية تتحكم مع الجمهوريات الإيطالية الأخرى (بِيزا وجنوة وفلورنسا ونابْل) في ملاحة وتجارة البحر المتوسط. وبالرغم من أن الكنيسة، وعلى رأسها البابا، كانت قد شجّعت المسيحيين على الحروب الصليبية ضد المسلمين بشمال افريقيا، فان المصالح التجارية لهذه الجمهورية كانت عائقا أمام عقيدتها الدينية، وبالفعل كانت التجارة قوام البندقية فأشرفت على نشأة رجال الأعمال والرأسماليين خلال القرن الحادي عشر الميلادي، أما فيما يتعلق بمعلوماتنا حول العلاقات التجارية والسياسية التي كانت قد أبرمتها مع المغرب فهي جد قليلة إن لم نقل منعدمة نظراً لندرة المصادر في شأنها، وربما يرجع ذلك

أيضا لمنافسة مدينتي جنوة وبّيزا لها في هذا الميدان .إلا أن المعروف والموثوق به هو أن البندقية كانت تتعامل خاصة مع تونس، وقد يبدو أيضا أن سفن هذه الجمهورية إلى جانب سفن جنوة وبّيزا قد وصلت إلى سبتة وسلا خلال القرن السادس (12 م).

F. Braudel, *La Méditerranée et le monde méditerranéen* ; Y. Renouard, *Les Hommes d'affaires italiens du moyen-âge*, Paris, 1968.

أحمد الخنبوبي

بَنْدَلَة، أو ابـــن دلة، **أحمد** بن عثمان، وطني من الموقعين على عريضة المطالبة بالاستقلال. ولد بمدينة فاس سنة 1327 / 1909 وتعلم في الكتّاب القرآني بمدرسة درب بن يعيش، كما كان يتابع بعض دروس القرويين إلى سنة 1345 / 1926. وبعدها انتقل إلى القنيطرة حيث مارس التجارة. وفي سنة 1349 / 1930 انضم إلى الحركة الوطنية وساهم في مقاومة الظهير البربري برفقة عبدالعزيز صقال ومحمد الزرهوني والعربي الدكالي ومحمد الديوري وبوشتى الجامعي والجيلالي بناني وولديه محمد ومَحمد ومحمد برادة المدعو (الفقيه). وفي هذه الفترة كان منزله ناديا لعمال الميناء بالقنيطرة.

كان يخرج متنكرا كبائع حبوب إلى فاس وإقليمها ينشر الدعوة الوطنية وينقل المناشير السرية، ونظراً لانسجامه التام مع المجموعة أطلقوا عليه لقب (الخاوة).

أُلقي عليه القبض مع مجموعة رفاقه سنة 1356 / 1937 بعد صلاة العصر من يوم الجمعة بالزاوية التجانية بالقنيطرة، وحكم عليهم بسنتين سجناً، وكان أحمد بندلة أول من غادر الزاوية آنذاك وهو يردد يا قهار يا جبار بعد تلاوة اللطيف. وقد نقل في البداية إلى الريش حيث ساهم في بناء قنطرة أطلق عليها اسم قنطرة الوطنيين، ثم نقلوا إلى سجن عين مومن بناحية سطات. وبعد انقضاء مدة السجن نُفي إلى مسقط رأسه فاس سنة 1358 / 1939. وفي أواخر السنة التالية انتقل إلى الدارالبيضاء، حيث استقر بمنزله المشهور بشارع فيكتور هيگو الذي قال فيه الشاعر عبدالواحد السلمي :

يوم الوثيقة ذكراه تذكّرنـــا ... ماضي رجال ذوي عزم وإيمان
دارُ بَندلة خلف القصر كعبتُنا ... وبيتُ أحمد ليلاً ركنُنا الحاني

وفي البيضاء صار يمارس التجارة بطريق مديونة. وقد اشتهر بخصاله الحميدة وبتمسكه بمبادئه وتفانيه وإخلاصه معروفا بالتواضع ودماثة الأخلاق، مرحا متفائلا مهما كانت الظروف، يضرب المثل بكرمه الحاتمي.

تمّ التوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944 بالدارالبيضاء بمنزله من طرف مجموعة من الوطنيين، وأصبح منزله بالدارالبيضاء ملتقى الوطنيين الأحرار.

اعتُقل أحمد بندلة أولاً بالدارالبيضاء يوم 20 ربيع الأول 1372 / 8 دجنبر سنة 1952، ثم اعتقل ثانياً يوم 9 ذي الحجة عام 1372 / 20 غشت 1953 حيث سيق إلى سجن غبيلة بالدارالبيضاء ثم إلى أغبالو نكردوس حيث أصيب بداء السكري نتيجة قسوة التعذيب. وبعد إطلاق سراحه في آخر شهر مايو 1954 بقي تحت الحراسة الإجبارية بمنزله، ثم أُلقي عليه القبض مرة أخرى أوائل سنة 1375 / 1955 وسيق إلى مركز القُواد الذين جاؤوا بهم إلى الدارالبيضاء ونصبوا لهم الخيام وجهزوها بكل وسائل التعذيب لينكلوا بالوطنيين. وفي مركز القائد محمد، المعروف "بداركم" المشهور بشدته وقساوته، مكث بندلة عدة أسابيع ذاق فيها شتى أنواع العذاب حتى تفجرت قدماه، وكان يفترش الأرض ويلتحف السماء، ويتوسد حجرة أعطاها لجارته في سجنه السيدة فاطمة الروداني.

وبعد إطلاق سراحه سافر إلى مدريد حيث التحق بالحاج أحمد بلافريج ثم ذهب معه إلى فرنسا لينضم إلى إخوانه العاملين في مكتب المغرب العربي، ولم يعد للمغرب حتى عاد محمد الخامس.

توفي في 10 جمادى الثانية عام 1392 / 22 يوليوز سنة 1972.

روايات شفوية عن ابنة أحمد بندلة التي لا تزال بالدارالبيضاء، وبناصر حركات، وأم كلثوم الخطيب، والهاشمي الفيلالي، وإبراهيم الكتاني الذي ذكره أيضا في كتابه : مذكرات سجين مكافح.

لطيفة بناني سميرس

بَنْدُو، الحسن بن الحاج محمد التامري الحاحي، فقيه ومقرئ ومدرس. ولد عام 1349 / 1930 بقرية تاسيلا التي تُكوِّن مع قرية أفرا وتبَنْدُوت دوار أيت عمرو من دواوير قبيلة أيت أمر بحاحة الجنوبية الغربية.

تعلم القراءة بمسقط رأسه بمساجد القرى المجاورة وحفظ القرآن الكريم على الطريقة السائدة في جيله (وقد تحدث المترجَم له عن هذه الطريقة بشيء من التفصيل ونوع من الطرافة في مذكرات حياته).

ثم أخذه أبوه إلى زاوية "المحصر" التجانية بقبيلة إنْكَنافْنْ، التي أنشأها هناك قبيل الحماية الفرنسية أحد دعاة الطريقة التجانية بحاحة، وهو الشيخ محند بن سعيد التامري المشهور بالتلضي، وبها تلقى المتون العلمية الرائجة في مدارس البوادي والحواضر التقليدية على الشيخ الفقيه سيدي محمد بن إبراهيم أويلاً المكرادي السوسي،

وهذا هو شيخه الوحيد في العلوم، لازمه نحو ثلاث عشرة سنة، إلى أن استقدمه بعض وجهاء قبيلة إيداوسارن إثر استقلال المغرب، لتعمير مدرسة سيدي بوالبركات بالإقراء والتدريس، فاستقر بها أزيد من ربع قرن إلى حين وفاته بها فجأة في نهاية عام 1982/1403.

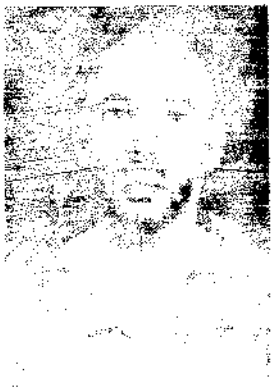

قرأ على بُندو طلبة كثيرون في حاحة، فاستتم حفظ القرآن الكريم عنده العشرات منهم، وتتلمذ عليه في علوم العربية والدين أكثر من هؤلاء، وأحصى هو نفسه من تتلمذوا عليه فبلغ عددهم أكثر من ثلاثمائة طالب، كلهم تأثروا به في العلم والعمل واعترفوا له بالتفرد في وسطه، وقدرته على العطاء الكثير، لو وجد مجالاً غير مجاله.

ومن آثاره الأدبية : *مذكرات حياته ومجموعة أشعاره* على شكل ديوان مخطوط قام هو بترتيبه. وفيما يلي أبيات مقتطفة من قصيدته المطولة في وصف موطنه حاحة قالها عام 1979/1397 :

حاحا الحبيبةُ ان راحَـكَ راحـي ... حُيِّيت يا حاحا تحيّة حاحي
وطني العزيز، رأيتُ حبّك في الحشا ... أمضى من الأسياف والأرمـاحِ
مرحى أيا حاحا ففيك صبَاحةٌ ... وصبابةٌ فـي قلبـيَ المـُـراح
آيات حسنك واضحـاتٌ كالضُّحـا ... تُتلى وتُقرأ مثل وحْي الواحـي

وقد ذكر فيها المآثر التاريخية والعمرانية والمظاهر الطبيعية الجميلة في حاحة وذلك في مائة بيت.

ح. بندو، *مذكرات* ؛ *ديوان شعر*، مخطوطان ؛ م. الطيب الصويري، (تلميذ بندو وصهره)، ترجمة بندو، مخطوط.

محند أيت الحاج

بَنْدوصَة، أو بَنْضوصة أو مَنْدوصة، أو مَنْضوصة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم هكذا Mendoza أو هكذا Mendosa. ويقول الفقيه الرهوني (6 : 178) إنها انقرضت بتطوان سنة 1717/1130.

بندوصة، علي. أديب شاعر تطواني، قال فيه ابن زاكور في *نشر أزهار البستان* (ص 36) "الأديب الذي حاك من برود الأدب كل قشيب، وهصر من أفنانه كل غصن رطيب" كما قال فيه ابن الطيب العلمي في *الأنيس المطرب* (ص 343) : "شاعر مفلق، فقير من التوقف مملق، يقيّد ما شاء من القوافي ويطلق، ويفتح أبواب المعميات آونة وتارةً يغلق". وقد أتى ابن الطيب بنماذج من شعر بندوصة، وأضاف إليها الفقيه داود نماذج أخرى في كتابه *تاريخ تطوان* (1: 384).

لم نقف على تاريخ وفاة هذا الأديب الذي نعلم أنه كان حيا سنة 1683/1094. ويقول الفقيه داود إن وفاته تأخرت إلى الربع الأول من القرن الثاني عشر الهجري في حين يؤكد الفقيه الرهوني أنه توفي سنة 1718/1130.

وهناك رسوم عدلية مؤرخة في سنة 1787/1201 تشهد بأنه كان يوجد آنذاك بالمدينة تاجر يدعى :

بَنْدوصَة، علي بن **عبد الباقي**. ونتوفر كذلك على وثيقة تثبت أنه كان بتطوان سنة 1668/1078 شخص يدعى :

بَنْدوصة، محمد (الحاج ـ) كان من بين أعيان المدينة الذين شهدوا بظلم أولاد النقسيس وطغيانهم عندما قرر السلطان مولاي رشيد استغراق ذمتهم وبيع أملاكهم، والوثيقة مؤرخة في 21 شوال عام 4/1078 أبريل 1668.

بَنْديبية، أو بن ديبية، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث توجد هناك أسر إسبانية تحمل حتى اليوم نفس الاسم Valdivia، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1730/1142.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 6 : 178 ؛ م. ابن الطيب العلمي، *الأنيس المطرب*، ص 343 ؛ م. ابن زاكور، *نشر أزهار البستان*، ص 36 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*. 1 : 239 ـ 384 ؛ 2 : 355 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البندير، عبارة عن دائرة من خشب، قطرها حوالي 40 سم وعلى حاشيتها ثقب يولج فيه الناقر إبهام يده اليسرى، وتغطي أحد جانبيه قطعة من جلد الماعز قد يبسط على امتدادها من الخلف وتران من المصران بغرض إحداث اهتزازات صوتية عند النقر.

ويعتبر البندير إحدى الآلات الرئيسية في ضبط الايقاع الموسيقي، ولذلك فهو يعتمد في مصاحبة كثير من أنماط الموسيقى الشعبية العربية والأمازيغية.

ويعمد الناقرون في العادة إلى تعريض جلود البنادير للحرارة قبل استخدامها، ثم يضربون عليها على طرائق، أبرزها :

ـ النقر على وسط البندير بسبابة اليمنى. ويحدث ذلك رنات صوتية عميقة الدرجة.

ـ النقر على حاشيته بالبنصر والخنصر والوسطى من اليد اليسرى بينما يمسك بالآلة الابهام والسبابة. ويحدث ذلك رنات متوسطة الحدة.

لا يستخدم البندير عادة في طرب الآلة، ولا في طرب الملحون، ولكنه ـ مقابل ذلك ـ يستعمل في كثيرمن أنماط الغناء الأمازيغي والأهازيج الشعبية الحضرية.

فبالنسبة للطرب الأمازيغي يضطلع البندير بصاحبة رقصات أحيدوس وأحواش. ومما يدل على علو شأنه في أحواش ـ مثلا ـ أن شيخ الفرقة (الرايس) يعلن من خلاله عن انطلاق الرقصة، فينقره نقرات موسعة في البدء، ثم تنطلق البنادير الأخرى في حوار منسق ومنظم يحدد حركات الراقصات ويضبط توقيع خطواتهن، حتى لا تكاد تسمع في النهاية إلا دقات البنادير ممزوجة بقصف الأرجل وصرخات الأصوات الحادة.

أما بالنسبة للطرب الشعبي الحضري فللبندير ـ إلى جانب التعاريج والغيطات والأبواق ـ دور رئيسي في مصاحبة الأهازيج لدى أغلب الفرق الشعبية كعيساوة، وأهل توات، والدقة المراكشية، وأغاني الشيخات في الأفراح والمواسم والأعياد، حتى أصبحت هذه الآلة مما تحرص الأسر على اقتنائه في بعض المناسبات كيوم عاشوراء.

ومما يدل على أهمية البنادير في هذه المناسبات أنها كثيرا ما تتفرد بأداء فقرات إيقاعية معقدة البنية دونما مصاحبة آلية.

A. Chottin, *Corpus de musique marocaine*, fasc. II.

عبدالعزيز بن عبدالجليل

بنديوان، عمران. ولد بالخليل (فلسطين) وتوفي بوزان عام 1782، معروف عند اليهود بأنه "ربّ عمران بن ديوان). أقام بفاس ثم بصفرو ثم بتازا، مدفون على بضعة كيلومترات من المقبرة اليهودية المسماة أسجن، تحت جدار ـ كركور ـ من الحجر، فأصبح الموقع يشكل إحدى المزارات الشهيرة التي تستقطب اليهود فيحجون إليه من كل البقاع خصوصا بمناسبة موسم هيلوله الذي يقام خلال شهر ماي، وتنسب بعض الكرامات إلى هذا الرّبي.

Y. Benaïm, *Malke Rabbanan : Les pélerinages juifs*.

بَنْرقَّاصة أو بن وقّاصة، خليفة Ben Roqqasa, Khalifa كان أحد أفراد حاشية السلطان المريني أبي يعقوب يوسف، وتوفي عام 1302 م، وقد وقع عدم ضبط كتابة الاسم العائلي لتشابه حرفي الراء والواو الواردين في المخطوطات التي أتى فيها ذكره، لذا التبس علينا الأمر بين رقاصة ووقاصة، علما أن الناصري صاحب *الاستقصا* كتب : وقاصة، كما أن ابن خلدون ذكره باسم وقاصة حسب طبع بولاق عام 1867 م، لكن دوسلان كتب رقاصة، غير أنه يوجد في الأوساط غير اليهودية اسم الوقاش والوقاشي ووقاشة بني أيوب. ولئن كان هذا ليس دليلا قاطعاً يستدل به، فإننا نضيف أن "بن رقاصة" اسم نادر ولكنه ظل متداولا ووارداً إلى أواخر القرن التاسع عشر، فمن ذلك أن لاريدو (ص. 1103)، ذكر إسحاق بنرقاصة وقال عنه : هاجر من تطوان إلى كاركاس . نفس اللقب نجده عند بنايم في كتابه *مالكي رينام* (ص. 194) وعند داود كركوص في كتابه *اليهود في عهد الدولة المرينية*.

إن أهم مصدر يتناول أسرة بنرقاصة هو كتاب *العبر* لابن خلدون حيث نقرأ ما معناه : "كان أبو يعقوب يوسف يدمن في شبابه على الخمر مع أصدقائه فتعرف على يهودي يدعى خليفة بن رقاصة كان معاهدا بفاس، فربطتهما الصداقة، فعينه علافا جريا على العادة التي كانت سارية لدى الملوك والأمراء. وعندما أصبح أبو يعقوب يوسف ملكا، عين ذلك اليهودي قيما على أموال القصر، فصار ذا جاه وسلطة، يصدر الأوامر للشخصيات المخزنية والوجهاء، ثم فتح باب القصر لأخيه إبراهيم ولصهره موسى السبتي ولابن عمه خليفة الصغير، غير أن أبا يعقوب بمجرد ما اكتشف أن الوزراء والعلماء والشرفاء من بني مرين وغيرهم يسعون إلى كسب مودة اليهودي، ارتاب في أمر هذا الأخير وخشي أن يحدث ما يندم عليه، فقرر إبعاده عن القصر. وهنا تدخل صديق الملك، عبدالله بن أبي مدين الذي بيّن له ما ينبغي أن يتذرع به لإدانة اليهودي. وخلال شهر شعبان عام 701 /1302، ألقي القبض على خليفة وإبراهيم بن رقاصة وموسى السبتي وإخوته في معسكر المنصورة بتلمسان، فتعرضوا جميعا للتعذيب ثم قتلوا. كما تعرض لنفس العقاب أعضاء عائلتهم ولم ينج إلا خليفة الصغير لأنه كان ما يزال شابا فلم يثر إلا احتقار وازدراء الملك".

لم يكشف ابن خلدون التهمة التي وجهها متملق للقضاء على متملق آخر فيما ينبغي وضعه في إطار الصراع الصامت والدسائس المحبوكة التي تحاك خيوطها في الخفاء والمؤامرات من أجل الاستحواذ على السلطة والتي ستؤول إلى مقتل أبي يعقوب نفسه.

لم تتوقف تلك المؤامرات في عهد الملك أبي الربيع (707، 709 / 1307 ـ 1310) الذي قرب منه خليفة الصغير بن رقاصة ذلك أن هذا الأخير سيعارض مقاصد أبي مدين الذي سيقتل بسبب إثبات خيانته، كما أن خليفة الصغير سيلقى نفس المصير بعد ذلك.

قال ابن خلدون : إن شيخه الآبلي هو الذي أطلعه على هذه الأنباء، لكننا نلاحظ أن *القرطاس* الذي كتب عام 1326، أي في الفترة التي وقعت فيها هذه الأحداث، لا يشير إليها لا من قريب ولا من بعيد.

ع. ابن خلدون، *كتاب العبر*، 7 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 4.

Y. Benaïm, *Malki Rabbanan*.

بنزاقين Ben Zaqèn **صمويل**، ولد بفاس عام 1660 وتوفي بها عام 1740. ربّي وصاحب مؤلفات أهمها: *سفر بيري عيصْ ها ـ گان*، يتضمن شرحا للتوراة ومعناه : *"ثمار شجر البستان"* جاء الكتاب في جزئين، طبع بالقدس عام 1904، ثم له : *گفنْ پوريحْ* (حقل العنب الخصيب) حول الشريعة غير المكتوبة "ميشنا"، وله في الأمثال *"أگادوت"*

بيري مغاديم وعدة فتاوي.

بنزاكين، ليون ـ إلياهو (الدكتور) وكان اسمه يكتب في الجرائد العربية بالكاف : بنزاكين. ولد عام 1901، ينتمي إلى أسرة طنجية الأصل استقرت بالدارالبيضاء. وتخرج من إحدى كليات الطب بباريس متخصصا في الأمراض الرئوية، اشتغل بالدارالبيضاء وساهم بصورة فعّالة في أنشطة عصبة مقاومة أمراض السل ابتداء من عام 1930. كان له الفضل في تأسيس مركز علاج أمراض السل ببلدة "ابن أحمد" وهو المركز الذي ساعد على علاج عدد هام من أفراد الطائفة اليهودية القاطنة بالدارالبيضاء. كان يتمتع برصيد كبير من الاحترام والتقدير من لدن جميع اليهود، الأمر الذي جعله يحظى بثقة الملك محمد الخامس فأسند إليه منصباً وزاريا في الحكومتين الأولى والثانية بعد الاستقلال (كان وزيراً للبريد والهاتف والبرق في الحكومة التي ترأسها مبارك البكاي عام 1955 وفي الحكومة الثانية التي تأسست في أبريل 1958. ومن عام 1967 إلى عام 1977 وهو تاريخ وفاته تقلد منصب رئيس للطائفة اليهودية بالدارالبيضاء.

A. J. Larédo, *Les Noms des Juifs* ; Y. M. Tolédano, *Ner Hama'arab*.

سيمون ليفي

بَنْزْطيطْ ← معنينُ بنزطيطْ

بَنْزْميرُو، أسرة يهودية أندلسية هاجرت من غرناطة في جملة من هاجر من المسلمين واليهود. ويعرفون في أسفي بأولاد بنزميرو، وقد لعبوا دورا سياسيا واجتماعيا في الحياة المغربية خلال الاحتلال البرتغالي لأهم ثغور المغرب ولا سيما في الفترة المتراوحة ما بين عام 1498م وعام 1550م التي تزامن نصفها الثاني مع قيام مملكتين بالمغرب، مملكة مراكش الخاضعة لمحمد الناصر بوشنتوف الهنتاتي ومملكة فاس التي كانت تحت سلطة الوطاسيين قبل أن يبسط السعديون نفوذهم على كافة التراب الوطني بما في ذلك ما كان يسمى بمملكة مراكش.

زيادة على الدور السياسي والاجتماعي الثابت تاريخيا الذي لعبته أسرة بنزميرو بالمغرب، تتميز كذلك بما كسبته من حُظوة خاصة لدى أهالي أسفي والمناطق المجاورة، يهوداً ومسلمين، فاعتقد العامة "أن سبعة إخوة منهم دون تحديد اسم لأي منهم، وهبوا أنفسهم للعبادة والقراءة، يرقدون في مقبرة مجاورة للأسوار، لا أحياء ولا أمواتا، لهم بركات ويحققون المعجزات، فيستقطبون الزوار من المسلمين واليهود يشفون المرضى ويحولّون عقم النساء إلى خصوبة..." إلا أن هذه الشهرة الخرافية مالت إلى التردي في السنوات الأخيرة بسبب تقلص عدد أفراد الطائفة اليهودية وانسلاخ متوسطي العمر والشبّان المسلمين عن المعتقدات الأسطورية.

أما عن ماذا تعني كلمة بنزميرو، فمن المرجّح أن تكون مشتقة من الكلمة العبرية ـ العربية "زمر" ومن العبرية "زِمْرة" التي تفيد الغناء والشدو.

يقول بعض الباحثين إن أسرة بنزميرّو لجأت إلى البرتغال تحت قيادة شيخها إبراهيم بنزميرو، الربّي الطبيب الذي لقي الترحاب لدى ملك البرتغال حين كان في خلاف تام مع ملوك قشتالة بإسبانيا بسبب نزاعات إقليمية وأخرى تتعلق باكتشافات البلدين في ما وراء البحار، بافريقيا وآسيا وأمريكا. بعد سنوات قليلة توجهت أسرة بنزميرو إلى المغرب، فاستقر بعض أفرادها بالعرائش التي كانت خاضعة للبرتغال منذ عام 1471. نزل اثنان منهم بأولادهما في أزمور، وهما إسماعيل وإسحاق، أخوا إبراهيم، ونزل إبراهيم وأخوه موسى وابنه يعقوب بآسفي، وذلك عام 1499.

بنزميرو، إبراهيم، أظهر هذا الربي كثيرا من الوفاء والإخلاص إلى التاج البرتغالي ومضى يعمل على صيانة مصالح اليهود بالتوازي مع خدمة النفوذ البرتغالي بالمغرب، فحظي بثقة عمانويل الأول ملك البرتغال الذي جعله ترجمانا رسميا بالمدينة ومستشاراً سياسياً في الشؤون المغربية، ثم عينه ربيا كبيرا على يهود أسفي وأكد له هذا التعيين برسالة ملكية تحمل تاريخ 5 يونيو 1510، أضاف إليها لقب القاضي الأعلى لليهود مع اختصاصات قضائية وتنفيذية تجعل من اليهود رعايا للبرتغال منفصلين عن تدخل الحاكم المسلم المحلي في شؤونهم أو سجنهم مع المسلمين، إذ خصص لهم سجنا يديره اليهود ومنع بناء حي خاص بهم معتبراً أن المدينة كلها لهم وأن المسلمين هم الدخلاء عليها، وخفّفت عليهم من الإتاوات إذ لم يعودوا يدفعون إلى البرتغال إلا أوقية ذهبية في السنة بالنسبة لكل دار مهما كان دخل أصحابها.

زيادة على هذه الامتيازات، استطاع إبراهيم بنزميرّو أن ينتزع من البرتغال الوعد بأن يهود أسفي لن يجبروا على مغادرة المدينة في حالة ما إذا أمرت السلطات الدينية البرتغالية بتهجيرهم، وحتى إذا حدث ذلك فلن يجردوا من ممتلكاتهم وأمتعتهم، ويمكنهم الرجوع إلى أسفي متى شاؤوا لتفقد مصالحهم.

ظل إبراهيم بنزميرو على اتصال وثيق بالحاكم العسكري المحلي وبالسلطات العسكرية بالبرتغال، فكان يبلّغ إلى المحتلين أنباء عن السكان ويطلعهم على ما يتوصلون به من أخبار عن أهل البوادي وعما يتناقلونه من معلومات حول مملكتي مراكش وفاس وتحركات المجاهدين. فكان إبراهيم مع زمرة من اليهود كأعوان في الاستعلامات، يفيدون البرتغال ويستفيدون منه.

كان إبراهيم يتشكك في إخلاص يحيى بن تاعفوفت للبرتغال وقد عينه عمانويل الأول قائداً على أسفي، فكان إبراهيم يرقب تحركات يحيى ويوافي الملك البرتغالي بتقارير خطيرة يضمنها ما مضى يسميه بتواطؤ يحيى مع القبائل المناوئة للوجود البرتغالي وتصرفه في المنطقة وكأنه ذو

سيادة وأقوى من ملك البرتغال.

عندما ضرب ملك مراكش الناصر بوشنتوف أواخر عام 1511 حصاراً على أسفي دام عدة أسابيع، بعث إبراهيم موفدا عنه إلى يهود أزمور يطلب منهم النجدات، فقام إسماعيل وأخوه إسحاق بنزميرّو بتعبئة مائتي يهودي وبعض المرتزقة ثم زودهم بالعتاد والمؤونة وأرسلهم بحراً إلى أسفي. وذات ليلة، بينما كان الأهالي المسلمون وعساكر ملك مراكش نياما، تمكّن إبراهيم وعصابات يهودية من فتح باب البحر في الأسوار وأشاروا إلى يهود أزمور، فنزلوا من سفنهم فشكلوا، مع يهود آخرين التحقوا بهم، جماعات انقضت على الخيام مع جنود الاحتلال البرتغالي وفتكوا بجيش الناصر بوشنتوف، وأسروا عددا من الأفراد، رجالا ونساء، وحصلوا على غنائم أخرى.

أخذ نجم إبراهيم يتألق في الأوساط البرتغالية، فما كانت تنظّم محادثات أو مفاوضات بين وفود مغربية وحكام البرتغال إلا وكان إبراهيم حاضراً ليترجم أقوال هؤلاء وأولئك وليدلي برأيه في هذا الموضوع أو ذاك.

لا يدري أحد متى ولد إبراهيم بنزميرو هذا ولا أين توفي ومتى. كان له، علاوة على موسى، ولد آخر اسمه يعقوب، برحا معا آسفي - ولا ندري متى - إنما كان إبراهيم على قيد الحياة عام 1527. هذا وقد ورد في الوثائق الأوربية ذكر موسى ويعقوب مشفوعاً بلقب "الروتي"، فقيل موسى الروتي ويعقوب الروتي.

وجاء في بعض المصادر أن يهودياً اسمه إبراهيم بنزميرو كان ترجمانا بالبريجة - مَزيغانْ في عهد البرتغال، الجديدة حاليا - عام 1527، لكن الأمر لا يتعلق بإبراهيم الطبيب الربي الأكبر.

بنزميرو، موسى الترجمان، استوطن مدينة فاس، فتقرّب من السلطان السعدي أحمد الأعرج وأصبح ترجمانه لدى البرتغاليين عام 1536، ثم وسيطا بينه وبينهم. وقد استقر أخوه يعقوب بأصيلا ومضى يمارس التجارة ويربط العلاقات المتينة مع معظم أهل المنطقة ورجالات السلطة بفاس، وذلك بعدما تولى مهمة الترجمة بأسفي عام 1523 قبل وفاة أبيه إبراهيم.

غير أن أحد الزعماء الدينيين البرتغاليين ذهب يلاحق الأخوين بدعوى أنهما على غير دين النصرانية، وأنه يجب طردهما شرعاً من أي موقع من مواقع الاحتلال البرتغالي، متناسيا المعاهدة المبرمة بين سلطان فاس محمد الشيخ وملك البرتغال التي نصّت على أن اليهود المغاربة القاطنين في المدن المحررة أو الذين برحوا المواقع المحتلة من طرف البرتغال، إنما هم رعايا السلطان، مثلهم مثل المسلمين ولا يحق لجنود البرتغال ملاحقتهم أو إلقاء القبض عليهم. من أجل ذلك توترت العلاقات بين فاس ولشبونة بعدما تم إلقاء القبض على موسى (الروتي) بنزميرو بطنجة حيث كان في مهمة رسمية من قبل السلطان مولاي أحمد الأعرج والتي أعقبتها موجة من الاحتجاجات نقلها يعقوب بنزميرو إلى السلطات البرتغالية التي كانت تؤاخذ موسى بمناوشاته لبعض المسيحيين وتوسطه لبيع الأسلحة البرتغالية إلى مملكة تلمسان بعدما صدر أمر باباوي بحظر بيعها إلى بلاد المسلمين، كما تؤاخذ شقيقه يعقوب بشن حملة ضد المصالح البرتغالية بالمغرب وتحريض الأسرى النصارى بالمغرب من أصل برتغالي على اعتناق اليهودية أو الانسلاخ عن طاعتهم وولائهم لملك البرتغال.

انتهت الاحتجاجات السلطانية بإطلاق سراح موسى وعدم ملاحقة أخيه يعقوب الذي صار، فيما بعد، شيخ الطائفة اليهودية بفاس. وقد ورد في الوثائق الأنجليزية المؤرخة بعام 1590 - 1591، اسم تاجر يهودي يدعى يعقوب الروتي، وليس من المستبعد أن يكون من أسرة بنزميرّو، وقد يكون حفيدا ليعقوب بن إبراهيم أو ابن أحد إخوته أو أعمامه، بينما ذكرت وثائق أخرى يهوديا اسمه يعقوب الروتي كان ترجمانا لدى أحمد الوطاسي ملك فاس، من عام 1524 إلى عام 1550. وهناك يهودي آخر بنفس الاسم.

بنزميرّو، موسى أو موشي، موثق بتطوان، توفي عام 1778، له كراسات وشروح في موضوع التوراة. كان ابنه صمويل إبراهيم (1737 - 1830) ربّيا وقاضيا بفاس، ولحفيده رحاميم حييم *داود* ديوان في السّجع تحت عنوان *مليصة* ما زالت قطع منه موجودة ضمن مجموعة يوسف بنايم بنادي اللاهوت اليهودي في نيويورك.

أ. بنجلون، *من تاريخ آسفي*، مخطوط.

S.I.H.M. France, Portugal, Angleterre, Espagne, Pays-Bas; P. De Cénival, *Hesp.*, 1925, p. 180 ; Y. D. Semach, *Yahas de Fès*; *Hesp.*, XIX, 1934, p. 92 - 93 ; A. Antona, *La région des Abda* ; M. Eisenbeth, *Les juifs du Maroc* ; L. Voinot, *Pèterinages Judéo-Musulmans du Maroc* ; E. Doutté, *En tribu* ; Y. M. Toledano, *Ner Hama'arab* ; H. Zafrani, *Les juifs du Maroc*; A. Laredo. *Les noms des juifs au Maroc*.

أحمد بنجلون

البَنْزي أو البّانزي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس ومازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Ponce. وكان جل أفراد هذه الأسرة بتطوان يعملون في فرقة البحرية التابعة لحامية المدينة بمرتيل سنة 1830/1246 حيث تذكر الوثائق منهم أسماء البحارة : البّنزي سلام ؛ البّنزي عبدالخالق بن أحمد ؛ البنزي عمر ؛ البنزي قدور.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 7 - 47 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 211 - 212 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بنزي، محمد بن عبدالسلام، مقاوم ولد سنة 1941 بقبيلة مسفيوة دوار بولكرار، واختار العمل السري صحبة مجموعة من المقاومين الشباب، وانخرط في المقاومة المسلحة السرية و"الهلال الأسود" سنة 1954، فكان صديقا للسيد أحمد بن صالح وعلى اتصال بالسيد عبدالله

الحداوي، وقد عرف منذ شبابه بالغيرة الوطنية والحماس ومناهضة الظلم والاستعمار ومن أعماله مشاركته في تفجير سيارة "جيب" في ملك فرنسي، كما أطلق الرصاص على عدد من الجنود الفرنسيين في كل من مكناس والرباط والبيضاء، وبقي مستمراً في عمله بكل شجاعة إلى أن اتفق المسؤولون عن منظمة الهلال الأسود على تكليفه بمهمة رئاسة إحدى خلايا الفرقة بمراكش، إلا أن أيدي المستعمر الغاشم لم تمهله حيث اغتالته في 7 يوليوز 1954.

المندوبية السامية للمقاومة : كتاب الشهداء، ج 3.

عزالدين العلام

بنزيان، أو ابن زيان، أسرة وجدية، ربّما ترجع نسبتها إلى الشيخ الشهير محمد بنزيان دفين خارج مدينة وجدة.

بنْزيان، محمد المعروف بصاحب البر والبحر، لما نسب له من كرامات بنجدته للحجاج في البحر وقت الشدة والأهوال، وهو من سلالة عبدالحاكم بن عبدالقادر سيد الشيخ أي أولاد سيد الشيخ الغرابة.

كان الشيخ محمد بن زيان رحالة دائم التنقل عبر ربوع إقليم وجدة ومناطقه إلى أن وافته المنية حوالي سنة 1194 / 1780 بمدينة وجدة فدفن خارجها وقد أقام بوعمامة على قبره قبة غدت مزارة شهيرة.

م. مرزاق، *الشيخ محمد بن بوزيان وزاويته بالقنادسة*، مرقون، د. د. ع. كلية الرباط 1988 ؛ *وثائق محلية ؛ روايات شفوية*.

محمد مرزاق

بنساسي، (زاوية -) تقوم هذه الزاوية حول ضريح الشيخ عبد الله بنساسي آتي الترجمة، قرب ملتقى واد تانسيفت بواد الحجر (الذي يتكون من واد أوريكا وواد الزات). بالضفة اليسرى، وبوالوروص بالضفة اليمنى، بمكان غني بالمياه الجوفية القريبة والعيون النابعة من ضفة تانسيفت الجنوبية، يعرف بالولجة أو الويدان بحوز مراكش التقليدي، وقد استولى الرحامنة على هذا الجزء في القرن الثاني عشر (19 م). وتتميز الأراضي هنا باستوائها وخصوبتها، وتلقّيها حوالي 250 ملم من الأمطار سنوياً.

وقد توسعت الزاوية فغدت قصبة محاطة بسور قديم مبني بالحجارة والجير، على علو 443 م، بها قبة ضريح منقوشة، ومسجد بصومعة منقوش نصفه الأسفل تقام به صلاة الجمعة. بنيت الزاوية فوق قاعدة شستية ترتفع عن سرير الواد بحوالي مترين، محصورة بين واد تانسيفت شمالا وسيل عرضي بالجنوب الشرقي، يوجد بداخلها سبعة وعشرون منزلا بلغ سكانها 402 ن سنة 1982 مبنية بالتراب المدكوك من طبقة واحدة معظمها في طريق الانهيار ولا يوجد بها سوى منزل واحد من طبقتين. ولا يوجد بالزاوية من التجهيزات العمومية سوى بئر يزوّدُ السكان بالماء الشروب. ويكوّن حفدة الولي الصالح نصف سكانها، يمتلكون بساتين بجوارها، كما أن هناك بساتين محبسة على الزاوية وأخرى على أضرحة أولياء أيت أمغار بمراكش.

توجد زاوية بنساسي ضمن جماعة أولاد حسون، مساحتها 150 كلم^2 وسكانها 26.639 نسمة، تابعة لدائرة الأحواز بإقليم مراكش (مشيخة بنساسي) وتغطي الجماعة بساتين مروية تقليدية ترجع ملكية الكثير منها إلى حضريين بمراكش وبعض الملكيات للأحباس، إلى جانبها ملكية صغيرة مفتتة لفلاحين محليين. كما استقر بها المعمرون الأوربيون الذين طبقوا أساليب استغلالية حديثة سرعان ما نقلها الفلاحون وعم انتشارها.

تستفيد الزراعة من السقي من مصادر مياه عديدة : واد تانسيفت وواد الحجر وفيض مسيلات ومياه العيون والخطارات وأخيرا الضخ الآلي. وتغطي الأشجار حوالي 50٪ من مساحتها : زيتون وعنب ومشمش وفواكه متنوعة، وهي تتحول اليوم لتصبح ضاحية حليبية وبقلية لمدينة مراكش. ويزداد اهتمام الفلاحين العصريين والتقليديين بتربية الأبقار الحلوب "الرومية" المستوردة والمهجنة، وبإنشاء الحضائر العصرية، ويوجد بالجماعة خمس محطات لجمع الحليب. ويرافق مسلسل رأسمالة الزراعة حركة دمج الملكيات وغزو الملاكين الحضريين على حساب الفلاحين الصغار الذين يبيعون بقعهم الصغيرة ويتحولون إلى عمال زراعيين أو يهاجرون، والعديد من شباب الجماعة يعمل بمراكش ويسكن بقريته الأصلية، يتراقص يوميا بينهما مستفيدا من وصول حافلات النقل الحضري إلى قنطرة واد الحجر ومن سهولة النقل على الدراجات الهوائية والنارية والعربات. كما ينتشر السكن المتشتت بالمزارع العصرية بينما يبقى السكن التقليدي بالدواوير. ويوجد بالجماعة عدد من المراكز الكبرى التي تسير في طريق التمدين والنمو العمراني أهمها مركز الشويطر ومركز واد الحجر على طريق مراكش ـ فاس حيث ظهرت منشآت عمومية واجتماعية وسويقة دائمة.

ربطت زاوية بنساسي مؤخراً بطريق ثلاثي مرصف بالطريق الرئيسي عند قنطرة واد الحجر طوله خمسة كيلومترات، وتبعد هذه الأخيرة عن مراكش بسبعة عشر كيلومتراً وكان يعقد بجانب الزاوية موسم ديني للولي بنساسي لكنه توقف منذ عقود من السنين، كما كان ينعقد بجانبها سوق أسبوعي يوم الجمعة بفصله الواد عن الزاوية، مما يجعل السوق ينقسم إلى سوقين يعقد كل منهما بضفة عند فيضان الواد، ونقل السوق في بداية الستينات إلى مكان مجاور لقنطرة واد الحجر حيث صار يعقد يوم السبت، وما زال يحمل اسم سوق بنساسي، يعرف نشاطا متزايدا، إذ يقصده كثيرمن السكان الحضريين لشراء الخضر الطازجة واللحوم، وهو سوق حديث حسن التجهيز به سوق للمواشي وآخر للجزارة : سبعون دكاناً، وحوالي ثلاثين دكاناً آخر وبعض المنشآت الإدارية. يقام بوسطه خيام وسقائف لبيع منتجات حضرية يشتريها الريفيون أو ريفية يشتريها الحضريون والريفيون. ونظرا لموقع الزاوية المهدد بفيضان الواد فإنه لم يشيد حولها أي بناء، وظهرت بعض الدكاكين

والمباني الجديدة على بعد 100 م منها بجانب الطريق يحيط بها عدد من القرى وسط البساتين، وظل عدد سكانها ثابتا منذ عقود، فإن استفادت قديما من موضعها الحصين بمكان غني فلاحيا فإنها صارت اليوم ضحية هذا الموضع الضيق الخطير، الذي حكم عليها بالركود، كما عانت من سياسة التهميش الاستعمارية وفقدت موسمها وسوقها والكثير من شبابها.

بحث ميداني في خريف 1990 ؛ بحوث السنة الرابعة في الجغرافيا لبعض الطلبة بكلية الآداب بمراكش.

أحمد هوزالي

بنساسي، عبدالله السبعي، نسبة على غير المشهور إلى أولاد بوالسباع الذين كانوا يقيمون بحوز مراكش أواخر القرن التاسع (15 م). ويكتب أيضا مفصولا : ابن ساسي. نشأ في بادية قومه السباعيين، وأخذ علم الظاهر والباطن في مدينة مراكش. وإذا كنا لا نعرف العلماء الذين تتلمذ لهم، فإن المصادر تؤكد أنه سلك طريق القوم على يد الشيخ عبدالله الغزواني تلميذ عبدالعزيز التباع أشهر مريدي الشيخ مَحمد بن سليمان الجزولي مجدد الطريقة الشاذلية ومؤلف *دلائل الخيرات*. وقد أذن له شيخه الغزواني - بعد أن اكتمل حاله - باتخاذ زاوية له على ضفة واد تانسيفت بمكان كان يدعى تانفريت وأصبح يعرف بزاوية بنساسي.

لم ترتبط شهرة بنساسي بمجال التصوف فحسب، وإنما اشتهر أيضاً بإسهاماته الفعالة المتعددة في مقاومة المحتلين البرتغاليين للشواطئ المغربية، ولا سيما في إقليم دكالة. ولعل من أهم الشواهد الدالة على ذلك، القصة المسماة في بعض المصادر "قصة المرابطين" (*مدينة*، 76) وفي بعضها الآخر "أسرى أزمور" (*ممتع*، 86). وتقول هذه القصة إنه لما أجْلي البرتغاليون عن مدينة أزمور، عقب فتح محمد الشيخ السعدي لأگادير سنة 1541/947، تسارع إليها جماعة من الصوفية والمجاهدين على رأسهم أبو محمد عبدالله بنساسي السبعي ورفيقه في طريق القوم أبو محمد عبدالله الكوش، بقصد حراستها حتى يأتي مدد المسلمين ومن يعمرها منهم مخافة أن يرجع إليها المحتلون. فإذا بالبرتغاليين المحتلين لمازيغن (الجديدة) قد اقتحموها عليهم قبل وصول المدد، وأسروهم ثم ساقوهم إلى مازيغن، ولم يقبلوا بإطلاق سراح الوليين المذكورين إلا مقابل فدية بلغت ألفي ريال ومائتي ريال، أداها عنهما المسلمون بأمر من سلطان مراكش أحمد الأعرج السعدي. (*الاستقصا*، 5 : 20).

وإلى جانب ذلك، وعلى غرار أولياء مراكش، كان عبدالله بنساسي ممن ساند الحركة السعدية المتنامية في الجنوب المغربي، وممن ساعد زعيميها أحمد الأعرج ومحمد الشيخ على الدخول إلى مراكش (*الأولياء*، 2 : 632). على أن أبرز دور قام به هذا الشيخ لصالح الحركة السعدية هو توسطه في النزاع الذي نشب بين الأخوين الأميرين أحمد الأعرج ملك مراكش، ومحمد الشيخ ملك سوس عقب فتح هذا الأخير مدينة أگادير، وذلك تتميما للدور الذي قام به كل من الشيخ رحال الكوش البدالي المتوفى سنة 1543/949، ثم الفقيه الجيهاني المراكشي (*افريقيا*، 1 : 461. 464. 465).

فبعد سلسلة من الصراعات، حدث أن التقى الأخوان في معركة القاهرة (مكان بجهة جبل سكساوة) الشهيرة 1544/950، وكان النصر فيها لمحمد الشيخ الذي اقتحم عاصمة أخيه مراكش، بينما التجأ أحمد الأعرج إلى زاوية عبدالله بنساسي واحتمى بحماها. (*افريقيا*، 1 : 465. 466).

أوفد أحمد الأعرج من ملجئه ابنيه زيدان والناصر في طلب النجدة من غريمه الأسبق أحمد الوطاسي بفاس. ولما شاع خبر هذه الوفادة في الأوساط المراكشية اتصلت مجموعة من الفقهاء والصوفية، وعلى رأسهم الشيخ عبدالله بنساسي، بأحمد الأعرج وأقنعوه بالعدول عن رأيه، ونظموا بينه وبين أخيه لقاءً أخيراً على مقربة من العاصمة. (*تاريخ*، 93). وانتهى اللقاء بمبارحة أحمد الأعرج للمنطقة إلى تافيلالت، ورجوع محمد الشيخ إلى مراكش وانفراده، بالتالي، بالسلطة.

توفي عبدالله بنساسي ليلة الجمعة 26 شعبان 27/961 يوليوز 1554، ودفن بزاويته بضاحية مراكش.

م. ابن عسكر، *دوحة*، 110 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة* ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع*، 82 ؛ مارمول، *إفريقيا* ؛ دييگو دي طوريس، *تاريخ الشرفاء* ؛ م. الافراني، *نزهة*، 19 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ أ. الوارث، *الأولياء ودورهم في مغرب القرن السادس عشر*، د. د. ع. كلية آداب فاس، 1988.

أحمد الوارث

بَنْسَبَات، Bensabat أسرة يهودية أصلها من المغرب استوطنت البرتغال خلال القرن الثامن عشر، منهم :

بنسبات، شلوم بن أبراهام، كان ربيا بتامَسّارت آخر القرن السابع عشر وطرفا من القرن الثامن عشر، صاحب كتاب *هليا گاسور* (الحمد المطلق)، 1726. يقول بنايم في كتابه *مالكي ربنان* : إن كتاب هذا الربي قد يعتبر مقدمة *لمعارة سدة همحبيلة* لموشي ابنصور وهو مؤلف قبالي مكتوب شعراً.

بنسبات، ليفي، وابنه ماركوس اللذان خاضا معا صراعا ضد حكومة ضوم ميكيل 1828. 1834.

A. Laredo, *Les Noms des Juifs du Maroc* ; *Encyclopaedia Judaica*.

بنسبات، يعقوب، ولد بالمغرب وتوفي بليفورن عام 1858. صاحب ديوان شعر ديني مقدس (*بيوتيم*) نشر تحت عنوان *ويغل يعقوب* (وابتهج يعقوب) نشر بليفورن عام 1887. وله أيضا خطب ومواعظ نشرت مجموعة بليفورن عام 1881 تحت عنوان *رواح يعقوب* (نفس يعقوب)، ويتعلق

موضوعه بمقالات وفصول حول القواعد العشر للأخلاق الواردة في النشيد الخامس عشر من *الزبور*، لكل فصل مقدمة بالنثر المسجوع أي بالمليصة عندهم. وقد قام حييم الزعفراني بتحليل هذا الكتاب واتخذه نموذجاً للآداب اليهودية المغربية المكتوبة بالعبرية.

Y. Benaïm, *Malki Rabbanan* ; H. Zafrani, *Poésie juive en Occident musulman.*

سيمون ليفي

بنسعيد (أسرة سلاوية.) ← ابن **سعيد**

بنسلامة، أسرة رباطية أصلها من الشاوية، انتقلت إلى الرباط في تاريخ مبكر، وأصبحت لها وجاهة ومكانة، حتى إن زنقة حملت اسمها في بوقرون أهم أحياء المدينة القديمة، بين زنقة اليوسفي وزنقة الرايسي. وأكثر اشتغالهم في تجارة المنسوجات والملابس بالسوق الفوقي، (شارع القناصل اليوم)، معدودون في أتباع طريقة شرفاء وزان، مذكورون في ذوي المبرات والصدقات، لا سيما الحاج المحجوب والحاج التهامي بنسلامة التاجرين الكبيرين.

بنسلامة، المعطي بن المحجوب (الحاج.) من نبغاء طلبة الرباط في أواخر القرن الثالث عشر (19 م). كان ملازماً دروس شيخ الجماعة إبراهيم التادلي، وهو السارد بين يديه، مما يدل على أنه في طليعة الدارسين. وكان المعطي بنسلامة أثيراً لدى الشيخ مقربا إليه، إلا أن المنية عاجلته وهو ما زال في شرخ الشباب.

توفي قبل عام 1311 / 1893، ودفن بدار الشيخ إبراهيم التادلي بحي تحت الحمّام في البيت الذي يدرس به العلم. وفي هذا البيت أقبر الشيخ التادلي بعد وفاته.

بنسلامة، المعطي بن الهاشمي بن الحاج التهامي، من شبان الرباط المتعلمين تعليما مزدوجاً في المدارس العصرية، ومن السباقين إلى الانخراط في الحركة الكشفية المغربية، كان من أفراد الفرقة الكشفية المغربية التي قامت لأول مرة باستعراض في يفرن وخيمت به سنة 1934، ثم أصبح لاعباً لكرة القدم في فرقة المغرب الرباطي. وكانت له بعد ذلك مساهمة في الحركة الوطنية وفي المقاومة بعد أزمة سنة 1953، وتوفي بمسقط رأسه حوالي عام 1980.

م. بوجندار، *الاغتباط*، 261 ؛ *رواية شفوية* عن م. الأمين بلكناوي.

محمد حجي

بنسلمة الغياتي، دأب قواد إقليم الهبط خلال القرن العاشر (16 م) على تعيين نواب عنهم لحراسة القبائل الهبطية من غارات جنود الثغور الشمالية الواقعة بيد البرتغال. وسموا هؤلاء النواب بالمقدمين. ففي هذا الإطار عين طلحة العروسي، قائد القصر الكبير سنة 915 / 1509، المدعو بنسلمة الغياتي مقدما على جبل بني عروس، لحراسة قرى أفكير وميسرة وسوق اثنين بني عروس، وهي أكثرها عرضة لغارات جنود أصيلا. وكانت مهمته الأساسية مراقبة مدخلين : شمالي واقع بين جبل حبيب وجبل بني عامر، يتوسطه مجرى واد الخروب، وآخر جنوبي ينفتح بين جبل سماتة وجبل بني عامر، يخترقه واد المخازن.

قام بنسلمة الغياتي بمهمة مقدم خلال سنوات عديدة من مدة حكم طلحة العروسي وابنيه أحمد (1511-1530) وعبد الواحد (1530-1559). واعتاد التحرك بعدد من الفرسان بين 70 و80 فارسا. بقي في عمله إلى سنة 1534، حينما توارت عنا أخباره.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, vol, 1, p. 30 - 46 - 203 - 207 ; vol, 2, p. 259.

حسن الفگيگي

بنشطون، زكري بن نسيم كان ربّيا لطائفة اليهود البلديين أي تُشابِّيمْ المحليين (الأهالي) بفاس، وهو التعبير الذي يُضادّ به اليهود النازحون من إسبانيا الملقبّين بالعَجْميين أي الروميين الملقبين أيضا بالمغوارشيم (انظر بنّايم، مالكي ربّنان).

بنشطون، شطون بن شاويل هالفي، كان أحد الأعيان المرموقين من بين اليهود البلديين عام 1525 (انظر طوليدانو، *نير همعرب*، ص. 60).

وكان لقب بنشطون متداولا بأصيلا بين سكانها اليهود من القرن الرابع عشر إلى القرن العشرين، وكان هناك ربّي يدعى بنشطون مسعود هالفي على قيد الحياة خلال القرن الرابع عشر (انظر لاريدو، *أسماء*...، ص. 775).

Y. Benaïm, *Malki Rabbanan* ; A. Laredo, *Les Noms des Juifs*; Y. M. Toledano, *Ner Hama'arab.*

بَنْشِيمُولْ أبراهام، Benchimol، كان ترجماناً بالقنصلية العامة لفرنسا بطنجة في أوائل القرن التاسع عشر، وقد خلف أباه موشي في هذه المهنة التي مارسها من عام 1805 إلى عام 1813. شارك بصورة فعالة في المفاوضات المغربية الفرنسية التي أفضت إلى اتفاقية إسْلي المبرمة بين البلدين بتاريخ 10 شتنبر 1844. وفي شأن أبراهام بنشيمول كتب لاريدو يقول : "منحه السلطان مولاي عبد الرحمان ظهيراً للتوقير اعترافاً بالخدمات التي أداها للمغرب، وعندما أحيل على التقاعد، عينه السلطان أميناً مديراً لجمرك طنجة".

خلفه في مهام الترجمة بطنجة ولداه موشي وحييم اللذان حصلا على الحماية الفرنسية مدى الحياة، عام 1863.

بَنْشِيمُولْ حَيِّيمْ، ابن أبراهام المذكور، اشتغل بالترجمة في المندوبية الفرنسية بطنجة بعد أخيه موشي. وهكذا أصبح عام 1868 يعمل برتبة نائب موثق بنفس المؤسسة. ثم في عام 1884 صار خليفة قنصل شرفيا، ثم أنشأ بنك حييم بنشيمول، وكان يمثل كمبانية باكي Paquet للملاحة. ساعد على فتح المدارس اليهودية التابعة للرابطة الإسرائيلية العالمية، وانتخب عام 1890 رئيساً لأولى لجنة للطائفة اليهودية، ثم أسس بطنجة مستشفى بنشيمول وأهداه للمدينة.

A. Lahlou, *Notes sur les banques* ; A. Laredo, *Les noms des Juifs*, p. 1125.

سيمون ليفي

بُنْصْ أو **بُونْصْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Pons، وهو اسم قرية بناحية لاردة Lérida، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان منذ سنة 1149 / 1737.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بَنْصالح، لعزيزية بنت بوعزة، مقاومة ولدت سنة 1910 بدوار العمامرة، فرقة أولاد عبدون، قبيلة أولاد بحر الصغار، بإقليم خريبگة. شاركت في المظاهرة الصاخبة التي عرفتها مدينة خريبگة والنواحي بمناسبة ثورة الملك والشعب يوم 20 غشت 1955. وعندما اشتدت الأمور على الفرنسيين أطلقوا النار بطريقة عشوائية ووحشية فكانت لعزيزية من بين الضحايا الذين سقطوا في ساحة الشرف حاملة العلم الوطني عالياً.

شهداء الاستقلال، ج 2.

عز الدين العلام

بَنْضُونَادُو، أو بن**ضُونَادُو**، أو **مَلْضوناضو**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Maldonado. وكان من بين أفراد هذه الأسرة بتطوان التاجر علي مَلْضُونَاضُو، الذي كان حيا سنة 1062 / 1652. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1090 / 1679.

Et-Tabyi (Eduardo Maldonado), *Miscelanea Marroqui*, Ceuta, 1953, p. 183 ; Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بنضوصة ← **بندوصة**

بنطاطا، يعقوب، المولود عام 1895، محام ورجل قانون بطنجة، له كتاب في الفولكلور كتبه باللغة الإسبانية، عنوانه *الخوگلاردولوس سوكوس* أي "مطرب الأسواق" عضو مراسل لأكاديمية التاريخ الإسبانية، وكان أحد الثلاثة الذين يمثلون الطائفة اليهودية في المجلس التشريعي بطنجة إبان النظام الدولي. وبعد الاستقلال هاجر إلى كاركاس.

A. Laredo, *Les Noms des Juifs du Maroc*, p. 602.

سيمون ليفي

بَنْعَوْدَة، محمد بن العربي، مقاوم ولد سنة 1932 بدوار بنعودة بأولاد المنكار بأحفير، إقليم وجدة. وبحكم قربه من المنطقة الشمالية انخرط في صفوف جيش التحرير في الوحدة التي كانت مرابطة ببني إزناسن تحت إمرة السيد ميمون الرحماني، فشارك في جل المعارك التي كانت تخوضها وحدته ضد جنود الاحتلال. وأثناء هجوم للعدو الفرنسي على موقع رجال جيش التحرير بمنطقة تسمى أزرعلو حيث وقع اشتباك عنيف استعملت فيه أفتك الأسلحة، أصيب بنعودة بشظايا قنبلة مدفع فسقط جريحاً. وبعد إلقاء القبض عليه قام الجنود الفرنسيون بقطع عضوه التناسلي، فمات رحمه الله بعد أن لقي من جنود الطغيان أبشع تعذيب وتمثيل يوم 23 ماي من سنة 1956.

شهداء الاستقلال، ج 2.

عز الدين العلام

بنعبّاد. أسرة. ← ابن **عبّاد**

بنعبد النبي. أسرة. ← ابن **عبد النبي**

بنعبود. أسرة. ← ابن **عبود**

بنعجيبة ← ابن **عجيبة**

بنعيسى (شيخ عيساوة) ← ابن **عيسى، محمد**

بَنْغَبا، البصير بن محمد، مقاوم ولد سنة 1922 بدوار الأحواز بالسماعلة، ناحية وادي زم، إقليم خريبگة. شارك في المظاهرة التي انطلقت بمدينة وادي زم والنواحي يوم 20 غشت 1955 حيث قامت قوات الاحتلال بإطلاق الرصاص على المتظاهرين فسقط قتيلا رحمه الله.

شهداء الاستقلال، ج 2.

عز الدين العلام

بنغبريط، أسرة تلمسانية انتقل منهم إلى المغرب في أواخر القرن التاسع عشر أبناء أحمد بنغبريط الخمسة : عبد الرحمان والغوثي وقدور ومحمد ومصطفى. وكانوا جميعاً يحسنون اللغة الفرنسية الأمر الذي أهلهم للعمل كتراجمة قبل فرض الحماية وبعدها. وقد نوه أوجين أوبان E. Aubin في مقدمة كتابه *مغرب اليوم Le Maroc d'aujourd'hui* (ص 3) بالمساعدة التي قدمها لها قدور بنغبريط منذ وصوله إلى طنجة في شتنبر سنة 1902 قائلا : "كان لي السيد قدور خلال رحلتي الطويلة عبر المغرب الشمالي أوفى رفيق وأحسن مخبر".

وتفرق آل بنغبريط بعد سنة 1912 في مختلف حواضر المغرب كفاس والرباط وتأقلموا مع الوسط الجديد لباساً وعيشةً باستثناء الغوثي الذي ظل في وجدة محتفظاً بهندامه "الواسطي".

بنغبريط، أحمد بن محمد بن أحمد التلمساني أصلا، تلقى تعليمه بالمغرب وعرف بنشاطه الاجتماعي والرياضي، فكان من المؤسسين للحركة الكشفية بالمغرب.

سعى أحمد بنغبريط إلى اعتراف السلطات بجمعية الاتحاد الرياضي الرباطي السلوي، فتم ذلك يوم 7 أكتوبر 1932، وأصبح هو رئيساً لمجلسها الإداري الذي ضم عدداً من شباب العدوتين، أمثال السبتل العيساوي، ومسعود الشيگر، وعبد الجليل القباج، ومحمد الرشيد ملين. وكان الاتحاد يتكوّن من خمس فرق : كرة القدم، وكرة السلة،

والسباحة، والرياضة البدنية، والكشفية.

نمت فرقة الكشفية بانضمام شبان مغاربة كانوا يدرسون في "ليسي گورو" إليها، وصارت تحمل اسم "الكشافة الحسنية" بعد أن قبل محمد الخامس - رحمه الله - تعيين ولده مولاي الحسن رئيساً شرفياً لها (انظر المرسوم الملكي) وقام هؤلاء الكشافة بأدوار طلائعية في الحركة الوطنية الأولى ابتداءً من صيف 1933، وأصبح لها فروع بفاس والدار البيضاء والجديدة وغيرها من الحواضر المغربية، وتكاثر عدد الشباب المنخرطين فيها، فكانت مدرسة للتربية والتوعية والتنشيط.

وعرف أحمد بنغبريط كذلك بنشاطه الثقافي والصحافي، إذ ساعد الحاج أحمد بلافريج في مرحلة تأسيسه لمدرسة مَحمد جسوس بالرباط، أول مؤسسة تربوية حديثة بالمغرب، وعمل مع سعيد حجي في إرساء قواعد جريدة *المغرب*، أول جريدة وطنية يومية صدرت بالمغرب، وملاحقها الثقافية التي تطورت إلى مجلة *الثقافة المغربية*.

ولما توفي سعيد حجي سنة 1942 تولى أحمد بنغبريط إدارة مجلة *الثقافة المغربية*، فكبّر حجمها وأطال عنوانها : *الثقافة المغربية للآداب والعلوم والفنون*، وجعل سنة إصدارها بهذا الشكل سنة ثانية اعتباراً للاعداد السابقة التي أصدرها مؤسس المجلة سعيد حجي سنة أولى. صدر العدد الأول من السلسلة الجديدة يوم الثلاثاء 19 شعبان عام 1361 / 1 - 9 1942 واستمر صدورها بانتظام، عشرة اعداد في كل سنة، إلى أن توقفت عن الصدور بالعدد المزدوج من السنة الرابعة، عدد 9 - 10، بتاريخ رجب - شعبان عام 1364 /جوان - جويلية 1945، وذلك بسبب امتناع صاحب المطبعة الوطنية بالرباط عن الاستمرار في طبعها.

وأصدر أحمد بنغبريط بعد *الثقافة المغربية* بيسير جريدة أسبوعية سماها *المرشد*، توقفت هي كذلك عن الصدور سنة 1945 بسبب رفض نفس الطابع.

وبعد الاستقلال انعزل أحمد بنغبريط عن الحياة العامة، واستقر في ضيعة له بضاحية سلا إلى أن أدركته الوفاة يوم الأربعاء 25 جمادى الثانية عام 1412 / فاتح يناير 1992 عن سن تناهز اثنتين وثمانين سنة.

أ. معنينو، *ذكريات*، 2 : 41 - 46 ؛ *مجلة الثقافة المغربية*، سنوات 1942 - 1954 ؛ جريدة *العلم* ليوم 5 - 1 - 92 ص. 10.

بنغبريط، قدور بن أحمد، ولد في مدينة تلمسان سنة 1872، وتعاطى مهنة الترجمة منذ أواخر القرن التاسع عشر، وارتبطت شهرته في المغرب بالأدوار التي قام بها كمترجم للمفوضية الفرنسية بطنجة، وللبعثات الفرنسية الموجهة إلى العاصمة المغربية في بداية القرن العشرين. ومنذ ذلك التاريخ، أصبح من الصناع المهرة والمديرين النشيطين للمحادثات الدبلوماسية التي كانت المفوضية الفرنسية تجريها مع موظفي المخزن بدار النيابة بطنجة من جهة ومع المخزن بفاس من جهة أخرى.

دخل قدور بنغبريط عالم الدبلوماسية عندما آشركه ريفوال Revoil في القضايا الدبلوماسية المتعلقة بشمال أفريقيا عامة وبالمغرب بصفة خاصة ابتداءً من سنة 1901، فقد صحب سفارة وزير الخارجية المغربية عبد الكريم ابن سليمان إلى باريز وإلى روسيا سنة 1901، وأصبح يلعب دوراً حيوياً في كل المفاوضات والاتصالات بين الفرنسيين والمخزن، كما كان عضواً بارزاً في كل السفارات التي ذهبت إلى فاس. وهو الذي ترجم كل الاتفاقيات والمعاهدات التي عقدت بين فرنسا والمغرب في بداية القرن العشرين بما فيها معاهدة الحماية المنعقدة سنة 1912.

ظل قدور بنغبريط شخصية سياسية مرتبطة بالسياسة الفرنسية في المغرب وشمال أفريقيا، وتولى رئاسة جمعية أحباس الحرمين الشريفين، وبهذه الصفة كُلّف بإعادة تنظيم تلك الأحباس، فكان يقوم بزيارات لأقطار شمال أفريقيا

والحجاز، ويدعو لعقد اجتماعات سنوية يشارك فيها مندوبون من تونس والجزائر والمغرب. وأول هذه الاجتماعات انعقد في 20 غشت 1917 بالرباط (Lyautey, *Paroles d'action*, 231)

ويبدو أن الاحتفال بوضع حجر الأساس لبناء معهد إسلامي ومسجد بباريز في 19 أكتوبر 1922 كان عملا رائعاً في نظر المسلمين، خاصة أولائك الذين تحتل فرنسا بلدانهم. ولاشك أن قدور بنغبريط، كرئيس لجمعية أحباس الحرمين الشريفين، كان له دور فعال في إبراز ذلك العمل الحضاري للوجود، فهو الذي استدعى وفود الدول الإسلامية لحضور التدشين، وأشرف على الاحتفال وافتتحه.

ولقد ظل قدور بنغبريط يدير شؤون مسجد باريز إلى وفاته سنة 1954 فدفن فيه.

ع. الطرابلسي، *سمط الآلي، في سياسة المشير ليوطي نحو الأهالي*.

Lyautey, *Paroles d'action*, 1926 ; J. Caillé et F. Charles-Roux, *Missions diplomatiques*.

علال الخديمي

بنغبريط، محمد بن أحمد التلمساني، أخو قدور بنغبريط سابق الذكر، اشتغل سنين عديدة ترجماناً بالمحكمة الباشوية بالرباط. وكان إلى ذلك ولوعاً بالطرب، يتقن العزف على الكمان، وبهذه الصفة حضر مؤتمر الموسيقى العربية بالقاهرة سنة 1932. وكان يصحبه بالرباط جماعة من الهواة خاصة الشباب، يأخذون عنه الموسيقى صناعة وتدريباً على آلاتها المختلفة بمقهى مجاور لزنقة العريفة المسماة زنقة الأوراوي في طريق الجزاء، شارع محمدالخامس اليوم. ويعد محمد بنغبريط في طليعة مَن أدخلوا الطرب الغرناطي إلى الرباط. ومن أشهر المتخرجين على يده في هذا الفن الحسين بن المكي وابن عمر وأحمد بناني رئيس جوق الطرب الغرناطي الرباطي.

توفي محمد بنغبريط بالرباط حوالي سنة 1359 / 1940.

تقاييد خاصة.

محمد الأمين بلكناوي

بنفسج، نبات عشبي من فصيلة البنفسجيات Violaceae ومن جنس ڤيولا Viola. يعيش منه في العالم أزيد من أربعمائة نوع من بينها سبعة عشر نوعاً توجد في المغرب، تساهم أغلبها في تكوين حراج الغابة.

الجذور زاحفة، الساق مرتفع يتراوح طوله عامة ما بين 5 و40 سم، الأوراق قاعدية، الأزهار طيبة الرائحة وعطرة. تتكون من خمس تويجيات تنتهي السفلى منها بشوكة، ألوانها بنفسجية عادة زرقاء بيضاء أو صفراء. الثمرة جافة متفتحة تشمل عدة بذور ذهنية يتغذى منها النمل عادة.

من أهم أنواع البنفسج بالمغرب نجد : ڤيولا مومبينا Viola Mumbyana نوع من البنفسج مستوطن في غابات ومغاضر شمال إفريقيا ابتداءً من 1.200 م من الارتفاع. إنه عشب معمِّر، يثمر عدة مرات في حياته. له أزهار جميلة، بنفسجية مبقعة بالأحمر الأرجواني، بيضاء، صفراء أو زرقاء. يعيش في حراج غابات جبال الأطلس المتوسط الشرقي وجبال الريف. يُعد من النباتات العطرة ويستعمل في الطب التقليدي. ينتج المغرب كمية ضعيفة من أزهاره حيث يحتل هذا العشب الصف 66 من بين 112 عشبة طبية الأكثر رواجاً في متاجر الأعشاب.

استخرج أول دليل ملون في الكمياء من البنفسج ومايزال يستعمل بكثرة في هذا الميدان.

وهناك أنواع وضروب أخرى تستعمل للزينة في الحدائق.

L. Emberger et R. Maire, *Catalogue des plantes du Maroc*, Alger, 1941 ; S. Bohumil, *Les Plantes sauvages*, Paris, 1973 ; M. Ibntattou, *Les Angiospermes ou plantes à fleurs, Gr. Enc. Maroc, Flore*, 1987 ; J. Bellakhdar, *Plantes médicinales : plantes toxiques, Gr. Enc. Maroc, Flore*, 1987.

نجاة الخياطي

بنفضيل، أحمد بن محمد، من أسرة نزحت من الأندلس إبان محاكم التفتيش. ولد بمراكش عام 1321 / 1903 وبها نشأ وتعلم، آخذاً عن الفقهاء أمثال ماء العينين وابن المدني وابن كبور وسيدي أحمد ولد الحاج المحجوب وسيدي حمو والمحدث أبي شعيب الدكالي. ثم اشتغل بالتدريس تارة بجامعة ابن يوسف، وأخرى ببعض مساجد مراكش، أو بمنزله. وقد تخرج على يديه عدد كثير من الطلبة. وأسس هو وثلة من أصدقائه مدرسة حرة بحي أزبزض، درب القاضي. لكن سرعان ما أقفلتها السلطات الاستعمارية. كما عمل في صفوف الحركة الوطنية واعتقل أكثر من مرة، واعتلّت صحته في السجون والمنافي. وكان إماماً وخطيباً في عدة مساجد كجامع المختارين وجامع حارة الصورة وجامع سيدي غانم.

توفي بمراكش عام 1368 / 1948.

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

البنك بالمغرب. كانت الأبناك والمؤسسات المالية أثناء فترة الحماية أجهزة دخيلة على المغرب، وكانت غايتها الأساسية تعبئة أموال البلاد واستثمار خيراتها في أقرب الآجال، لذلك كان على الدولة المغربية بمجرد استرجاعها للاستقلال أن تتدخل في شؤون تلك الأبناك وفي مجال الرواج النقدي الذي يعتبر من أخطر أدوات السيادة الوطنية شأنا، ولكن كان عليها أيضاً أن تتحلى بمنتهى الصبر والأناة بحكم استحالة محو نصف قرن من التبعية الاقتصادية بجرة قلم أو لمجرد إرادة دولة الاستقلال ذلك، فإن النقود شأنها كشأن وسائل النقل مثلا، فلا يكفي أن يمسك بزمام أمورها أبناء الوطن ليستمر الإنتاج وتزاول المبادلات بسرعة وسلام. ولما كان الرأسمال المحرك لدولاب الإنتاج بالمغرب سنة 1956 مازال كله بيد الأجانب، كان لا مناص من التريث في إجباره على شيء من المراقبة الوطنية، حتى لا يفقد أربابه كل ثقة بالبلاد فيسحبوا

أموالهم دفعة واحدة، فتنقطع المعاملات النقدية والمبادلات التجارية ويتحول الاستقلال إلى أزمة وشماتة. ولذلك سارت الحكومات الأولى، غداة الاستقلال، باللازم من التبصر، واكتفت ببعض الإجراءات التحفظية، فتلافت مضاعفات تخفيض الفرنك الفرنسي الذي وقع في شهر غشت 1957 وقت كان الفرنك المغربي مازال مرتبطا به، وأحدثت مكتب مراقبة الصرف في 22 يناير 1958، وأقدمت في فبراير 1958 على جعل حد لرواج البسيطة الإسبانية في المناطق التي كانت خاضعة للحماية الإسبانية وعوضتها بالفرنك المغربي، كما أدخلت التنظيمات البنكية التي كان معمولا بها في المنطقة الفرنسية السابقة بتلك الجهات، وذلك دعما لوحدة التراب الوطني الذي كان منقسما بين فرنسا وإسبانيا منذ 1912. ولكن لما أقدمت الحكومة الفرنسية مرة أخرى على تخفيض قيمة الفرنك الفرنسي يوم 28 دجنبر 1958 ولم تشعر المسؤولين المغاربة بذلك إلا في آخر اللحظات، وجدت الحكومة المغربية نفسها مضطرة لفصل الفرنك المغربي عن الفرنك الفرنسي على الفور، لحماية المصالح الوطنية، وترتب على ذلك سلسلة من الإجراءات التي عززت السيادة الوطنية وجعلت حداً لتلك المرحلة من التناقض بين الاستقلال السياسي وحرية التصرف بالرواج النقدي والمالي، وكان من ذلك، بالترتيب الزمني، إحداث صندوق الإيداع والتدبير (10 فبراير 1959)، وإلغاء امتيازات البنك المخزني وإحداث بنك المغرب (30 يونيه 1959)، وإحداث البنك الوطني للتنمية الاقتصادية (24 يوليوز 1959)، وإحداث البنك المغربي للتجارة الخارجية (فاتح 1959) وإحداث الدرهم المغربي وحصر قيمته بالذهب (أكتوبر 1959)، وإلحاق منطقة طنجة الدولية بالنظام النقدي والبنكي الوطني (مارس 1960)، وإعادة النظر في نظام القرض الشعبي (2 فبراير 1961)، ثم إصدار القانون المنظم لمهنة الأبناك بمرسوم ملكي مؤرخ بيوم 21 أبريل 1967، وإحداث القرض العقاري والفندقي يوم 18 مايو 1967، إلى غير ذلك من القرارات التأسيسية التي استوجبتها المصلحة الوطنية وانتهى إليها تطور وظيفة الأبناك في النصف الثاني من هذا القرن في جميع الأقطار.

فمن جهة المصلحة الوطنية، كان من الضروري أن تقام وسائل مراقبة الرسمال الأجنبي، لكون الرأسمال الوطني في تلك السنوات الأولى من الاستقلال كان مازال في مستويات من التراكم متواضعة، وكان من غير الصواب أن تترك الأموال الأجنبية على ما كانت عليه إبان الحماية من حرية الاستثمار والمضاربة، وكان لا بد أن تلزم بالانصراف إلى ما فيه النهوض باقتصاديات البلاد، لا على أساس أن تجني كمشة من الأفراد أكبر الأرباح في أقرب الآجال، ولكن على أساس أن تكون التعبئة المالية دعما لوسائل الانتاج والاستهلاك لفائدة جميع طبقات الشعب في المدى البعيد. فكان لا مناص من تعزيز سلطات البنك المركزي، ومن إنشاء البنك الوطني للتنمية الاقتصادية، وتدعيم القرض الشعبي، وإلغاء القرض الفلاحي مثلا، لتتأتى مراقبة الأموال الأجنبية الضرورية للتجهيزات الوطنية الأساسية، وأيضا لتعبئة الرسمال الوطني ليعوض الأموال الأجنبية التي انسحبت من المغرب المستقل الناشئ، ولذلك كان حتماً على دولة الاستقلال أن تتمسك بالنهج الليبرالي ومبدأ حرية المبادرة الاقتصادية، على أن تكون تلك الليبرالية موجهة حتى لا تتحول إلى فوضى وأنانية، فكان الاتجاه إلى تشجيع كل مبادرة إلى إقامة أدوات الإنتاج والاستهلاك الأساسية، وكان الحرص على الحيلولة بين أرباب رؤوس الأموال، سواء منهم الأجانب أو المواطنون، وبين أن يوظفوا أموالهم في المضاربات المالية والنقدية، لأن ذلك الشكل من المعاملات يزيغ بالنقود عن أطوارها الطبيعية، لأن النقود في الأصل وسيلة لتيسير المبادلات التجارية، فلا ينبغي أن تحول إلى بضاعة قائمة بذاتها تباع وتشترى لتدر على أصحابها أرباحاً آنية طائلة فيُحرم سلك الإنتاج من ريعها وينتهي الأمر إلى الكساد.

وكان العالم أجمع قد مر من تلك المخاطر خلال الأزمة الاقتصادية الكبرى لسنة 1929، وكان سبب انفجارها تسلسل المضاربات المالية والنقدية آنذاك، في إطار اقتصاديات كانت مازالت لم تصلح شؤونها بعد من جراء ما لحق بها من الدمار والتآكل أثناء الحرب العالمية الأولى، وكان من مفعول ذلك انهيار الإنتاج وارتفاع الأسعار، مع إصرار حكومات الدول العظمى على أن يبقى صرف النقود الائتمانية (الورق البنكي) على ما كانت تصرف به ذهبا قبل الحرب، وكان ذلك ضربا من المستحيل، ولم تدرك تلك الحكومات خطأها إلا بعد أن سار الاقتصاد العالمي بخطى حثيثة نحو الأزمة التي اندلعت يوم الخميس 29 أكتوبر 1929، ويومئذ عم الوعي بخطورة ترك الرواج النقدي، الذي زاد في ضخامته تعميم الرواج الائتماني والنقود الكتابية، إلى المبادرة الفردية الحرة، واقتنع المسؤولون في كبريات الدول الرسمالية بوجوب إدخال شيء من المراقبة والتأطير في الرواج المالي، وكان من ذلك، فيما يعني المغرب، تأميم البنك المركزي بفرنسا في صيف 1936 على يد حكومة الجبهة الشعبية المنبثقة عن أحزاب اليسار، ولم يكن ذلك منها تصرفا إيديولوجيا بل ضرورة وطنية، ودليل ذلك ما كان من إثبات القرار على يد حكومة المارشال بيتان اليمينية النزعة، المعادية للجبهة الشعبية أشد العداء، بالقانون الذي صدر عنها لتنظيم مهنة الأبناك في دجنبر 1940، وكان أول قانون فرنسي يرمي إلى إخضاع أرباب الرساميل إلى شيء من الانضباط ويقضي بحصر المضاربات في حدود معينة. ولما كان المغرب آنئذ واقعا تحت سلطة الحماية، وكانت جل الأبناك المقامة على ترابه مرتبطة بالأبناك الفرنسية ارتباط الفرع بالأصل، كان من الحتمي أن يتسرب شيء من تلك الإرادة التنظيمية إلى

البلاد، وتجلى ذلك في ظهير 2 مارس 1943 الذي خول مدير المالية في إدارة الحماية سلطة إقرار ما يراه مناسباً من الترتيبات في مجال مهنة الأبناك وتبادل القيم المنقولة، وصدر في نفس التاريخ أول قرار مديري في الموضوع، وأدخلت عليه بعض الإصلاحات وبعض الإضافات في السنتين الأخيرتين من عهد الحماية (1954 و1955)، وأهم ما كانَ من تلك التقنينات إدراج الأبناك العامة بمنطقة الحماية الفرنسية في لائحة رسمية لإلزام أربابها بطلب رخصة مسبقة لمزاولة مهنتهم، وإحداث لجنة الأبناك، مركبة من مدير البنك المخزني الذي أسندت إليه رئاستها، ومن ممثلي كل الأبناك المأذون لها بالعمل، ومن مندوب للإدارة العمومية، وعهد إلى تلك اللجنة بمتابعة قضايا المهنة وإرشاد مدير المالية عن أحوالها، لدى حاجيته إلى اتخاذ القرارات المنظمة لشؤون الإيداع والقرض والمنافسة بين الأبناك، أو بالأحرى لدى وجوب الفصل في الأحوال الذاتية أو الموضوعية لأربابها كلما وقعوا تحت طائلة القانون.

ولم تكن تلك المحاولات التقنينية مع ذلك لتفقد الأبناك، بما فيها البنك المخزني ماكانت عليه من حرية التصرف شبه المطلقة في دولة الاستعمار، لإن الإدارة العمومية، في ذلك الإطار، لم تكن قائمة لخدمة الصالح العام، وإنما أقيمت لتيسير استثمارات الخواص ولدعم مصالحهم، ولذلك كان لزاماً على دولة الاستقلال أن تراجع تلك القوانين وأن تصححها أو تزيدها مفعولا، فتجعل الأموال في خدمة الانتاج وليس الانتاج في خدمة المضاربات الخاوية، سواء كانت تلك الأموال من مساهمات او قروض اجنبية او كانت من تعبئة الادخار الوطني، وهكذا أقيم، في أقل من عشر سنوات، نظام بنكي متماسك رأسه بنك المغرب وقوائمه مؤسسات مالية متخصصة، عمومية أو شبه عمومية، ولحامه شبكة من الأبناك الخصوصية، مما سنعرض له فيما يلي فنبسط القول شيئا ما في ما يحمل من هاته المؤسسات اسم البنك، ونكتفي بالإشارة إلى ما يحمل عناوين أخرى، مثل "صندوق" أو "قرض"، ونحيل على مكانها من هذه المعلمة للتفاصيل.

بنك المغرب : أنشئ بنك المغرب بظهير مؤرخ بيوم 30 يونيه 1959، ويحتوي هذا الظهير على ثلاثة وسبعين فصلا موزعة على تسعة أبواب، ووظيفة بنك المغرب الأساسية أن يقوم بأعباء البنك المركزي في السوق النقدية والمالية المغربية، وهو جهاز عمومي رسمي، ممول باكتتابات الدولة دون سواها، وذلك خلافا لما كان عليه البنك المخزني الذي كان شركة بنكية تابعة لبنك باريس والأراضي المنخفضة، على أن بنك المغرب مؤسسة عمومية تتمتع بالشخصية المدنية وبالاستقلال المالي، ويعتبر شركة تجارية قابلة للتعامل مع جهات غير جهات الدولة، ولذلك لا تخضع حساباته لقوانين المحاسبة العمومية وإنما تخضع لأسلوب المحاسبة المعمول به في التجارة، وتقرر أن تكون مدينة الرباط، عاصمة المملكة، هي المقر المركزي للبنك، عوضاً عن طنجة التي كانت المقر الرسمي للبنك المخزني، ويبقى بيد الدولة أن تنقل هذا المقر إلى أي مكان آخر من البلاد كلما اقتضت المصلحة الوطنية ذلك.

ولبنك المغرب غايات ووظائف وردت تفاصيلها في البابين الثاني والثالث من الظهير المذكور، من الفصل 5 إلى إلى الفصل 42، وتندرج إجمالا على ثلاثة مستويات : المستوى النقدي والمستوى المالي والمستوى الاقتصادي.

فعلى المستوى النقدي، وظيفة البنك الأولى، يتولى إصدار العملة المغربية، وهي الدرهم، سواء منها القطع النقدية أو الأوراق النقدية، وهذه الوظيفة موقوفة على بنك المغرب، وهي امتياز لا يتمتع به بنك آخر في المغرب، لتبقى ميزة الرواج النقدي الشرعي والقوة الإبرائية حكراً على تلك العملة، بحيث لا يحق لأي امرئ أن يرفض التعامل بها داخل التراب الوطني، ويعاقب كل من يروم تقليدها أو تزييفها بأشد العقاب، وإذا كانت القوة الإبرائية للأوراق النقدية لا حد لها فإن القوة الإبرائية للقطع المعدنية لا بد في شأنها من مرسوم يرخص برواجها. ولبنك المغرب على كل حال، أن يختار الأشكال العامة لتلك النقود الائتمانية، وحجمها ووزنها وألوانها ومادتها من الورق أو المعادن، كما له أن يسحب من الرواج ما فسد منها أو تآكل أو تقرر إلغاؤه لسبب من الأسباب، وعليه أن يبدلها لأصحابها كلما وقف على اندثار معالمها، ولا يُسأل البنك عن تلك الأمور إلا من لدن السلطة الحكومية المكلفة بالشؤون المالية (فصول 14 إلى 20).

على أن النقود الائتمانية ليست غاية في حد ذاتها، بدليل افتقارها لكل قيمة مادية، سواء منها ما يُسكُّ من المعادن المبتذلة مثل البرونز أو النحاس أو النيكل، أو ما يطبع منها ورقاً بالأحرى، إنما النقود وسيلة من وسائل تيسير الرواج التجاري الملموس، وحافز لجمهور المنتجين والمستهلكين على تبادل البضائع بأسرع سبيل، ولما كانت سرعة المبادلات لا تتأتى إلا بضمان الثقة التامة في الأداة النقدية، فإن البنك المركزي يكون بمثابة قطب الرحى بالنظر إلى كل المعاملات النقدية والمالية التي تتم داخل التراب الوطني، كما يكون مقدماً على جميع العمليات التي تتم مع الأسواق الخارجية، سيما إن كان البلد مازال بحال المغرب في طريق النمو، وكان عليه أن يحمي مذخراته النقدية وإنتاجه الوطني. ولذلك كان من مهام بنك المغرب أن يسهر على قيمة الدرهم، وأن يحفظ شروط صرفه، كما عليه أن ينهض بالسوق النقدية المغربية، وأن يرتب شؤونها مع مراعاة سلامة المعاملات بين المؤسسات المالية الكبرى والأبناك الخصوصية، ومسايرة حاجيات الاقتصاد الوطني، وتتم صيانة قيمة الدرهم بحفاظ صندوق البنك على مخزون من الذهب (قطعا نقدية أو سبائك)، أو على رصيد من العملة الصعبة القابلة للتحويل في الأسواق العالمية، يتراوح بين تُسع (1/9) وثلث (1/3) ما يروج من الدرهم في مجموع

البلاد (فصول 21 إلى 23)، فلا ينبغي أن ينزل هذا المخزون دون الحد الأدنى حتى لا يحصل تضخم نقدي وتتحول المبادلات إلى مضاربات، ولا ينبغي أن يتجاوز الحد الأعلى لئلا يقع انكماش نقدي ويُعاق الرواج التجاري من جراء قصور الكتلة النقدية، ولذلك خُوِّل بنك المغرب، شأنه في ذلك شأن كل الأبناك المركزية عبر المعمور، امتياز الاستقلال المالي، حتى لا يكون أداة طيعة في يد الحكومة التي قد تحملها الطوارئ السياسية على ما لا تحمد عقباه من القرارات المالية. وبنك المغرب مستشار الحكومة المالي (فصل 6)، وهو ووزارة المالية ملزمان بالعمل يداً في يد للحفاظ على التوازنات الأساسية، بل بنك المغرب يقوم لدى الحكومة بالوظائف المعهودة في كل بنك، فيما يتصل بالعمليات النقدية أو القروض المالية، أو عند الحاجة إلى التدخل في السوق المالية داخل التراب الوطني أو خارجه، فبنك المغرب ككل الأبناك يقوم بأعباء الإيداع والصرف والاكتتاب في قروض الدولة، وهو بنك الخزينة العمومية التي تودع فيه لزوماً كل مداخيل الدولة، وتتصرف فيها بواسطة حساب جارٍ يسوِّل، من بين ما يمول به، بالقروض العمومية والأوراق التجارية العمومية والقروض التي تصدر بضمان من الدولة داخل الوطن أو خارجه، ويشارك بنك المغرب في المفاوضات المتصلة بالقروض المبرمة لحساب الدولة أو بضمان منها (فصل 7)، وله في هذا الصدد حق إنجاز جميع العمليات النقدية على الذهب أو على العملات الأجنبية بيعاً وشراءً، وأيضاً على جميع الأوراق التجارية الوطنية والأجنبية لصرفها بما تقتضيه الظروف من الخصم أو الفائدة (فصول 25 إلى 27).

ولبنك المغرب أن يتصرف بالودائع الضخمة التي تتوفر لديه، فيخصم أو يقتني أو يحفظ لديه أو يفوت الأوراق التجارية ما لم يتجاوز استحقاقها 120 يوماً انطلاقاً من تاريخ خصمها، وكل الأوراق التجارية الصادرة عن الدولة أو بضمان منها، شريطة أن لا تحاز مباشرة من الخزينة العمومية أو من الجهات المصدرة، وله أيضاً أن يقرض أمواله أو يمنح تسبيقات لأجل معين شريطة أن يكون ذلك بضمان الدولة، أو أن يكون مرهوناً بالذهب أو بالعملة الصعبة أو على شكل أذينات بالعملة الصعبة، أو بقيم منقولة أو أوراق تجارية صادرة عن الدولة، أو مضمونة من قبلها، أو بأي نوع آخر من القيم يقبله البنك (فصل 28)، ولتلك القروض والتسبيقات شروط وردت تفاصيلها في البنود 29 إلى 34 سعياً في سلامة المبادلات واجتناب المضاربات المجحفة. من ذلك أن الأوراق التجارية لا تخصم في المدى القريب إلا إذا كانت تحمل ثلاثة توقيعات موثوقة، ولا تخصم في المدى المتوسط (سنتين إلى خمس سنوات) إلا إن كانت تحمل ثلاثة توقيعات، يكون أحدها توقيع مؤسسة مالية للقرض المتوسط المدى، مقبولة لدى وزارة المالية، لأن الغاية من تلك القروض غاية اقتصادية يراد منها تنمية وسائل الإنتاج أو النقل مثلا، أو تعزيز التجهيزات الأساسية أو تشجيع بعض الصادرات أو بعض الواردات عند الاقتضاء، (فصول 36 إلى 39).

تلك في الحقيقة هي الغاية القصوى من أعمال بنك المغرب، فإننا لم نميز بين الوظائف النقدية والمالية والاقتصادية إلا لنساير بيان الظهير المؤسس في بعض جزئياته، أما جوهر القول فهو أن بنك المغرب يقوم مقام المنسق لحركة المبادلات في الداخل والخارج، فهو بنك الدولة وبنك الأبناك، والساهر على التصرف بأموال الدولة وبالكتلة النقدية الوطنية في الاتجاهات التي ترسمها السلطات العمومية، ولذلك يكون البنك المركزي صلة الوصل مع المؤسسات المالية الأجنبية، خاصة في عصرنا هذا الذي تداخلت فيه الأسواق وأقيمت أبناك مثل البنك الدولي للبناء والتنمية، والصندوق النقدي الدولي، بقصد مساعدة الدول على تخطي العقبات الظرفية أو البنوية التي تعترض سبيلها، وبنك المغرب لدينا هو المكلف بالتفاوض مع تينك المؤسستين وهو المسؤول عن تنفيذ ما يبرم معها من الأوفاق، ولذلك يشارك في مراقبة مداخيل الدولة ونفقاتها بالعملة الصعبة، كما يشارك في وضع لوائح الاستيراد كلما أرادت الدولة أن تحمي الإنتاج الوطني أو تخفف من مقتنياتنا من الخارج (فصول 8 إلى 10)، وقد تُكلف الدولة بنك المغرب بإدارة بعض المؤسسات المالية ذات المصلحة العامة، إن كانت تحت إشرافها أو كانت قائمة بضمان أو كفالة منها، ويكون البنك الوكيل المالي على المؤسسات التي تكتسي طابعاً عمومياً فينجز عملياتها البنكية من إيداع أو قرض داخل المغرب أو خارجه، والبنك على الإطلاق مكلف بالسهر على أحوال المهنة البنكية، وعلى التزام الأبناك الخصوصية بقوانين الحرفة ومتطلبات السوق النقدية والمالية (فصول 11 إلى 13).

ويدير بنك المغرب مقره المركزي بالرباط هيئة تشرف على قيامه بوظائفه عبر مجموع التراب الوطني، وتتركب تلك الهيئة من جهاز إداري وآخر استشاري، وثالث للمراقبة والمحاسبة.

أما الجهاز الإداري فيوجد على رأسه والٍ يعين بظهير، وهو المسؤول الأول عن أعمال البنك (فصول 44 إلى 46) يساعده نائب الوالي أو مدير عام يقوم مقام الوالي كلما تغيب أو كلفه الوالي بمهام معينة (فصول 46 إلى 46)، ويشتغل تحت إمرة هذين الرئيسين مجموعة من المصالح، تعنى بما على البنك من المسؤوليات في ميدان النقود والقروض، وفي ميدان التسيير المادي والتقني للمؤسسة، وفي ميدان تسيير شؤون موظفيها والسهر على تكوينهم، ولقد انضاف إلى هذه المصالح سنة 1988 دار السكة التي وُكِّل بها أمر سك القطع النقدية وطبع الأوراق البنكية. ويشترط في هذه الهيئة الإدارية أن لا تمارس أية وظيفة زيادة على وظيفها في بنك المغرب، سواء كان ذلك في

السلك السياسي أو بالأحرى في القطاعات المالية الأخرى، وأعضاؤها ملزمون بكتمان أسرار البنك (فصول 59 إلى 62).

ويتكون الجهاز الاستشاري من مجلس مركب من والي البنك ونائب الوالي، ومن رؤساء بعض المؤسسات شبه الحكومية المكلفة بالقرض يعينهم وزير المالية، ومن ممثلين لوزارة المالية، وممثل لوزارة الفلاحة، وممثل لوزارة التجارة والصناعة والمعادن والملاحة التجارية، ومن أربع شخصيات يعينها وزير المالية اعتماداً على خبرتها بشؤون الرواج المالي والاقتصادي، ويجتمع هذا المجلس مرة كل ثلاثة أشهر بدعوة من والي البنك، أو كلما دعا إلى انعقاده ثلاثة من أعضائه على الأقل، ومن وظائفه وضع شروط القانون الداخلي للبنك، وشروط تنظيم الملحقات والوكالات، وشروط إنجاز عمليات البنك المركزي، ومنها أيضاً وضع ضوابط مكافأة مستخدمي البنك، والإدلاء برأيه في تعيين نائب الوالي والمدراء وتحديد مرتباتهم، ومنها وضع المواصفات العامة للنقود الائتمانية التي يصدرها البنك، أوراقاً أو قطعاً معدنية، وإقرار رواجها أو الأمر بسحبها، ومنها تسعير عمليات إعادة التمويل وخصم الخصم (Réescompte) ومراقبة عمليات القرض التي يقوم بها البنك وكذا العمليات المنجزة بالعملة الصعبة، ومنها مناقشة المعاهدات والأوفاق النقدية والمالية وإقرار أوجه استعمال أموال البنك المركزي الخاصة به، مع الفصل في أمر اقتناء عقاراته، أو بيعها، إضافة إلى المصادقة على ميزانية المؤسسة وعلى ما يمكن أن يطرأ عليها من التغيير أثناء موسمها، ومنها فوق ذلك كله الإدلاء برأيه في كل ما يتصل بأنظمة البنك وسياسته العامة (فصول 49 إلى 51).

أما جهاز المراقبة فينحصر في شخص مندوب الحكومة، الذي يعين من بين كبار موظفي وزارة المالية بمقتضى ظهير، ومهمته مراقبة أعمال البنك نيابة عن الجهاز الحكومي، ومراقبة علاقات البنك بالخزينة العمومية على وجه التخصيص، وله أن يحضر جلسات مجلس البنك وجلسات ما قد يتفرع عنه من لجان مصغرة، كما له حق حضور جلسات هيئة المحاسبين، وله أن يطلع على جميع الوثائق والمستندات، وأن يرشد إلى بعض القرارات، وأن يطالب المجلس بإعادة النظر في بعض ما يكون قد اتخذه من القرارات، ولا يتم الفصل في حسابات البنك (الحصيلة النهائية، حساب الأرباح والخسائر) إلا إذا صادق عليها المجلس وأقرها المندوب الحكومي الذي يلزمه القانون بأن يبعث لوزير المالية بتقرير عن مهامه على رأس كل ستة أشهر (الفصلان 54 و55). ويعزز هذه المراقبة العامة، مراقبة مالية تجري على أيدي ناظرين اثنين، يعينان باقتراح من وزير المالية بظهير لمدة أربع سنوات، وظيفتهما مراقبة حسابات البنك وإحصاءاته، ولهما في ذلك منتهى السلطة ليطلعا على مذخرات البنك من مختلف النقود الائتمانية والكتابية والعملة الصعبة والأوراق المالية والتجارية، وعلى ممتلكاته العقار بالمقر المركزي أو بمقر فروعه ووكالاته، ولهما أن يقوما بأعمال المراقبة والتفتيش كلما بدا لهما ذلك ضروريا، وإذا كانت لهما ملاحظات في الأمر، فإنهما يرفعانها إلى والي البنك الذي يلزمه القانون بالرد عليها في ظرف أسبوعين، فإن وقع التصويب فذاك، وإلا فمن واجبهما أن يُشْعِرا مندوب الحكومة بذلك، ولمجلس البنك، بحضور المندوب والناظرين، القول الفصل بغير مشاركة الهيئة الإدارية في القرار النهائي (فصول 54 إلى 58).

وتنص الفصول الباقية من الظهير التأسيسي على بعض المقتضيات الإدارية والقانونية المختلفة أو الانتقالية، منها ما يتصل برسمال البنك وبممتلكاته وبمواعد حصر حساباته، وبإعفائه من الضرائب وواجبات التنبر، ومنها ما يحدد العقوبات التي تتخذ في حق من يزيف السكة أو يروم تقليدها أو تقليد مستندات البنك على العموم.

المؤسسات البنكية والمالية المتخصصة : يقوم إلى جانب البنك المركزي، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، مؤسسات بنكية أو مالية متخصصة، يميز القانون المغربي، إلى حد كتابة هذه السطور، بينها وبين أبناك الخواص، بالرغم مما طرأ عليها في السنوات الأخيرة من أسباب التحول التي توحي باحتمال مراجعة النظام البنكي المغربي في مجمله، وهذه المؤسسات المتخصصة ثمانية :

الصندوق الوطني للقرض الفلاحي
الصندوق المركزي للضمان
الصندوق المغربي للصفقات
صندوق الإيداع والتدبير
البنك الوطني للتنمية الاقتصادية
الصندوق الوطني للتوفير
القرض العقاري والفندقي
الشيكات البريدية

وتتميز الأبناك والمؤسسات المالية المتخصصة عن أبناك الخواص بكونها أجهزة مالية عمومية منشأة بإيعاز من الدولة، وتدار بإشرافها مباشرة أو بشكل غير مباشر، ولا تخضع لقانون 21 أبريل 1967 المنظم لمهنة الأبناك، بل لها قوانينها الخاصة بها، وتختلف الغاية منها عن الغاية المتوخاة من أبناك الخواص من حيث إنها تستثمر الأموال المرصودة لها في التجهيزات الأساسية وتكون لذلك قروضها للأمد المتوسط أو الطويل، بينما وظيفة أبناك الخواص تعبئة الأموال للمعاملات والمبادلات التجارية فتكون قروضها للأمد القصير، والمؤسسات المالية المتخصصة تعمل في المدى البنيوي، بينما لا تعمل أبناك الخواص إلا في المدى الظرفي، ولما كان هذا الفرق في المهام، ترتب عليه فرق في نوع الأموال المسخرة لها، فإن أموال المؤسسات المتخصصة تجعل رهن إشارتها من قبل الدولة أو بواسطة قروض وطنية أو أجنبية، أما الأموال التي تعتمدها أبناك الخواص، فإنها أموال كتابية تدخلها إلى السوق المالية من ودائع زبنائها، بحيث يكون الفاصل

الأساسي بين أبناك الخواص والمؤسسات المتخصصة في قدرة الأولى على إحداث نقود كتابية واستحالة ذلك على الأخرى، أو كان هذا هو جوهر الفرق إلى أن مُنح الصندوق الوطني للقرض الفلاحي، سنة 1970، رخصة تلقي ودائع العموم، وإن كانوا من غير قطاع الفلاحة، ورخص بنفس الرخصة، منذ 1986، للبنك الوطني للتنمية الاقتصادية وللقرض العقاري والفندقي، فصارت هذه المؤسسات الثلاث تفتح الشبابيك البنكية هي الأخرى وتقوم بما تقوم به باقي الأبناك من الخدمات المصرفية، ويعزى هذا التحول إلى نمو الادخار الوطني نسبيا في السنوات الأخيرة، وإلى تواضع تكاليف تعبئته بالنظر إلى تكاليف القروض الأجنبية. وهكذا صار الفرق بين المؤسسات المالية المتخصصة والأبناك التجارية أبين في الأشكال القانونية وفي الأهداف الاقتصادية منه في الحيثيات المالية والنقدية. ونعرض فيما يلي لبعض تفاصيل البنك الوطني للتنمية الاقتصادية، بما أنه يُدعى بنكاً، ونرجئ الحديث عن باقي المؤسسات المالية المتخصصة لمكانها من هذه المعلمة (شيكات، صندوق، قرض...).

البنك الوطني للتنمية الاقتصادية : أنشأت الدولة هذا البنك بتاريخ 24 يوليوز 1959، وجعلته شركة خفية الاسم خاضعة للقانون الخصوصي، واكتتبت أغلبية الأسهم المركبة لرأسماله ومازالت ماسكة بجلها بالرغم من تقلص نسبة مساهمتها في السنوات الأخيرة بالنظر إلى تقدم المساهمات الأجنبية وتقدم مساهمات التوفير الخصوصي الوطني. ويدير البنك مجلس إدارة يعين الرئيس المدير العام الذي يعمل إلى جانبه مديران مساعدان. وينص الفصل الثالث من القانون الأساسي على أن الغاية من هذا البنك النهوض بالاقتصاد المغربي على الإجمال، إلا أن وجود مؤسسات متخصصة في القرض لبعض القطاعات الحيوية من الاقتصاد، مثل صندوق القرض الفلاحي والقرض العقاري والفندقي، حصر حتماً أعمال البنك الوطني للتنمية الاقتصادية في مجال الإنتاج الصناعي، وكان تاريخ إنشائه قد واكب فترة انطلاق المخطط الخماسي 1960 . 1964، واعتبرته الدولة أداة رئيسية لإنجاز مقتضيات ذلك المخطط في ميدان التصنيع واستقطاب الأموال الأجنبية للنهوض به، ولذلك استرعى البنك، بمجرد إحداثه، انتباه المؤسسات الدولية الأجنبية، مثل الشركة المالية الدولية، التابعة للبنك الدولي، وبعض الأبناك الأجنبية التي تساهم في رأسمال المؤسسة، وكان هذا الرأسمال في أواخر الثمانينات 210 من ملايين الدراهم، كان توزيعها في نهاية 1984، على الشكل التالي : 34،16٪ بيد الدولة، 24،50٪ بيد الأبناك والمؤسسات المالية المتخصصة المغربية الأخرى، 24،33٪ بيد المؤسسات المالية الأجنبية، 17،01٪ بيد الخواص من المواطنين، وهذا الرقم الأخير مثير للانتباه بما يوحي به من نمو الادخار الوطني، ولذلك أصبحت أسهم البنك الوطني للتنمية الاقتصادية قابلة للتفويت ضمن باقي قيم البورصة منذ 1973، ورخص له مؤخراً بفتح شبابيك لتلقي ودائع العموم، لكنه مازال في حاجة إلى السوق المالية الأجنبية، ولقد بلغ مجموع اقتراضاته من الخارج 47٪ في ختام سنة 1987، وكان الباقي من اقتراضات وطنية سندية ومن قروض طويلة الأمد من الخزينة العمومية، وأهم ما يقوم به البنك من الأعمال منح القروض المتوسطة أو الطويلة الأمد لقطاع التصنيع أو للشركات التي تتعاطى القروض الإيجارية، والمشاركة في بعض المقاولات، مع خصم بعض الورق التجاري للأمد المتوسط بعد ترخيص بنك المغرب بذلك وإعادة تمويل ذلك الورق لديه، كما يجوز له أن يدير بعض القروض الممنوحة من قبل المنظمات المالية الدولية لقطاع الصناعة الصغرى والمتوسطة، وذلك نيابة عن الخزينة العمومية.

الأبناك التجارية : تخضع الأبناك التجارية لمقتضيات المرسوم الملكي الصادر في 21 أبريل 1967 الذي يضم واحدا وأربعين بنداً موزعة على ستة أبواب. فالباب الأول (البنود 1 إلى 13) ينص على مفهوم المهنة البنكية وعلى شروط مزاولتها، فالبنك كل مؤسسة تزاول وظيفة تَلَقِّي الأموال من العموم على وجه الإيداع أو لغرض آخر وتستعملها إما لحسابها وإما لحساب زبنائها أو جهات أخرى في عمليات مالية أو في القرض أو الصرف أو أعمال البورصة، ولا بد لكل مؤسسة تتعاطى هذه العمليات من رخصة لمزاولتها، يمنحها إياها وزير المالية بعد استشارة بنك المغرب، ويحفظ بنك المغرب لديه قائمة الأبناك المرخص لها بالعمل ويضيف إليها أسماء الأبناك الجديدة أو يمحو منها أسماء الأبناك التي توقفت عن العمل بإرادة أصحابها أو لسبب من الأسباب المضبوطة في القانون، كما يراقب بنك المغرب كل تغيير يطرأ على بنيات الأبناك الإدارية أو المالية، أو على مقر مراكزها أو وكالاتها عبر التراب الوطني، وينص نفس هذا الباب الأول على أجل الودائع التي تودع بالأبناك، فإن كانت ودائع تحت الطلب فلا ينبغي أن تتجاوز أمد السنتين، ويكون من هذه الودائع الحسابات الجارية والأموال المودعة لأمد معين أو لإشعار مسبق، وكذا الودائع في مقابل أوراق سند الصندوق، سواء ترتب عنها فائدة أو لم تترتب، وينص البند التاسع على وجوب انتظام الأبناك التي يوجد مقرها الرسمي بالمغرب في شكل شركات خفية الاسم، لخضوع هذا النوع من الشركات لترتيبات إدارية مضبوطة في مدونة المعاملات التجارية، كما ينص نفس البند على ضرورة محافظة كل بنك على حد أدنى من الرأسمال يقدره وزير المالية، ويتعين أن يكون هذا الحد الأدنى مدفوعاً، وأن يكون الواجب للبنك يفوق باستمرار الواجب عليه بما لا يقل عن ذلك الحد الأدنى من الرأسمال، وعلى الأبناك العاملة بالمغرب وعلى وكالاتها وفروعها أن تسهر على ضبط ما تزاول من العمليات داخل البلاد وأن تلتزم برصد الأموال لذلك طبقاً لما يقرره وزير المالية بعد استشارة البنك المركزي

واستشارة مجلس القرض والسوق المالية. وتنص باقي بنود هذا الباب الأول على استحالة مزاولة الأعمال البنكية بدون رخصة رسمية، وعلى امتناعها على أصحاب السوابق الجنائية والمفلسين، ولا ينبغي للأبناك أن تزاول أعمال الصناعة أو التجارة التي لا صلة لها بالأعمال البنكية إلا بترخيص من وزير المالية.

وتنص بنود الباب الثاني (بنود 14 إلى 18) على إقامة مجلس القرض والسوق المالية، وعلى طبيعة المهام المنوطة به وعلى تركيبه وكيفية مزاولة أعماله، فهو مركب من وزير المالية رئيسا، ومن والي بنك المغرب نائبا للرئيس، ومن نائب والي بنك المغرب ومدير الخزينة والأموال الخارجية بوزارة المالية، ومن مندوب الحكومة لدى بنك المغرب ومدير التصميم، ومدراء البنك المركزي الشعبي والبنك الوطني للتنمية الاقتصادية والصندوق الوطني للقرض الفلاحي والصندوق العقاري والفندقي، إضافة إلى أربع شخصيات من رجال الأبناك التجارية، تنتخبهم تعاضدية الأبناك لمدة سنتين، ويجوز للمجلس أن يستدعي لجلساته كل شخص يرى ضرورة الاسترشاد برأيه من جهة ما هو مطوق به من مهام اقتصادية أو إدارية أو لمجرد خبراته. وعلى بنك المغرب ضبط كتابة هذا المجلس الذي يجتمع مرة كل ثلاثة أشهر على الأقل، لينظر في كل ما يتصل، مباشرة أو بشكل غير مباشر، بالقروض وتوزيعها، والنقود ورواجها، والتوفير وسعر الفائدة، وأحوال السوق المالية، وكيفية تمويل الاستثمارات والنهوض بالإنتاج والمبادلات. ولوزير المالية أن يكلفه بإجراء الدراسات والخبرات المتصلة بميادين اختصاصاته. وعلى المجلس أن يبعث لوزير المالية، كل ستة أشهر، بتقرير عن أوضاع القرض والسوق المالية. ويجوز أن تتفرع عنه لجينات دائمة يوكل لها متابعة بعض القضايا الخاصة، من ذلك مثلا اللجنة المصغرة المركبة من والي بنك المغرب، ومدير الخزينة والأموال الخارجية ومندوب الحكومة لدى بنك المغرب وممثلين عن تعاضدية الأبناك ممن يحضر اللجنة الكبرى، وتنظر هذه اللجنة المصغرة في القضايا الفردية والشخصية، وتعنى بتسجيل الأبناك الجديدة أو بما يفتح من الفروع والوكالات، كما تعنى بأمر حذف ما يستحق منها ذلك، إما تأديباً له وإما لأسباب عرضية أخرى. وينص البند 17 على اضطرار الأبناك للانخراط في تعاضدية الأبناك، التي لها أن تضع قانونها الداخلي بناء على شروط إقامة الجمعيات، ويشرط أن يحظى ذلك القانون بموافقة وزير المالية، والمهمة الأساسية لهذه التعاضدية هي السهر على تطبيق ما يصدر من قرارات خاصة بأعمالها من لدن وزارة المالية أو من لدن البنك المركزي، فما هي إلا مستوى آخر من مستويات مراقبة السلطات العمومية لأعمال الأبناك.

وتتم تلك المراقبة حسبما ورد في بنود الفصل الثالث (بنود 19 إلى 22) على يد وزير المالية الذي يصدر القرارات المناسبة في ميدان النِّسَب الدنيا والعليا التي يجب أن تكون بين موجودات الأبناك ومطلوباتها، ونسب تغطية المبالغ الواجبة على الأبناك بالسندات العمومية في المدى القصير أو بودائع لدى بنك المغرب الموقوفة عن التصريف، كما يقرر وزير المالية في النسب العليا أو الدنيا للفوائد، وفي مدتها وحجمها، وفي شروط منح القروض على اختلاف أشكالها. وبنك المغرب مكلف بالسهر على تنفيذ تلك القرارات، وعليه أن يشعر وزير المالية بكل المخالفات، وعليه أن يستقصي أمر الأبناك دوريا بتتبع أوضاعها المالية، مالها وما عليها، وعليه أن يتتبع حساباتها بانتظام حتى لا يقع أي خلل بسوق الأموال، وتبقى مهنة الأبناك منحصرة في حدود المتوخى منها، الذي هو النهوض بالإنتاج وتيسير المبادلات، واجتناب أن تتحول إلى مجرد مضاربات فارغة في الوقت الذي أضحت فيه النقود كتابات ورموزاً.

ويتطرق الباب الرابع (بند 23) لضوابط المؤسسات المالية التي تقوم بأعمال القرض والبورصة والصرف دون تلقي الودائع، فهي ملزمة كذلك بالتصريح بتأسيسها لدى وزارة المالية، وبأن توضح طبيعة ما تنجزه من العمليات، وبرأسمالها الأساسي، ومن هم أعضاء مجلس إدارتها، وعليها أن تشعر السلطات المالية بكل ما يطرأ عليها من التغيير، وعليها أن تبعث إليها بحساباتها وبأوضاعها المالية بشكل دوري، ولبنك المغرب على كل حال حق إجراء أعمال التفتيش والمراقبة في تلك المؤسسات في كل وقت وحين.

وردت تفاصيل العقوبات التي تلحق بكل من يخالف القانون أو يتلاعب به في بنود الباب الخامس (بنود 24 إلى 33)، وجاء في الباب السادس والأخير (بنود 34 إلى 41) مقتضيات مختلفة أو انتقالية تنص على كيفية تطبيق القانون وإلغاء القوانين والقرارات السابقة له، ومنها بالخصوص ظهير 31 مارس 1943 والقرارات المترتبة عليه. ومن الترتيبات المختلفة الواردة في هذا الباب شروط تعيين إدارة مرتقة من قبل السلطات المالية العمومية لكل بنك عجزت إدارته الأصلية عن مزاولة نشاطها أو وقع إخلال كبير بأعماله، ومنها أيضاً إلزام الأبناك بوضع حساباتها السنوية رهن إشارة زبنائها من مودعي الأموال أو مقرضين أو مقترضين، أو مفوتي السندات، أو المفوت لهم بها. والأبناك ملزمة بالمساهمة في عمليات إصدار الدين العمومي ومجاراته طبقاً للشروط التي يقرها وزير المالية، وعلى كل من يعمل في مجال لجنة القرض والسوق المالية وفي بنك المغرب ويشرف على أعمال الأبناك، أن يلتزم كتمان أسرار المهنة.

قائمة الأبناك التجارية : كان عدد الأبناك الخصوصية العاملة بالمغرب سنة 1954 يناهز سبعين بنكاً، وكانت مراكزها الرسمية جميعها، إما بطنجة وإما بالدار البيضاء، لكن ما أن استقلت البلاد وصارت الدولة المغربية تمسك بزمام مسؤولياتها، وامتدت التنظيمات البنكية التي كان

معمولا بها في المنطقة الجنوبية إلى المنطقة الشمالية وإلى المنطقة الدولية حول طنجة، حتى أقدمت جل تلك الأبناك والمؤسسات المالية على سحب أموالها من المغرب، مشيرة بذلك إلى أنها كانت تسعى في المضاربات النقدية أكثر مما كانت تسعى في إدارة دولاب الانتاج بالبلاد، فانخفض عدد الأبناك التي ظلت شبابيكها مفتوحة أمام الجمهور، أو انصهر بعضها في بعض أثناء السنوات الأولى من العقد الستيني، وكان ذلك أحياناً بإيعاز من الدولة، بحيث نزل عدد الأبناك المرخص لها بالعمل من ستة وعشرين أواخر سنة 1961 إلى ستة عشر أواخر 1966. ولما صدر الأمر بمغربة الرساميل المستثمرة بالمغرب أصبح عدد الأبناك أربعة عشر، ثم انضاف إليها البنك المركزي الشعبي لما أذنت الدولة بذلك.

وجميع هذه الأبناك أبناك إيداع، ولما كانت ودائعها إما تحت الطلب وإما لاستحقاق لا يتعدى السنة الواحدة، فإن القروض التي تمد منها السوق المالية لا يمكن أن تتجاوز الأمد القصير، ولكن القانون لا يمنعها (وهو أيضاً لا يحثها على ذلك) من أن تقرض للأمد المتوسط أو البعيد، شريطة أن لا يخل ذلك بتوازناتها المالية وبالتزاماتها حيال أصحاب الودائع. وفيما يلي قائمة هذه الأبناك بالترتيب الأبجدي، مصحوبة برموزها بالحرف اللاتيني وعدد شبابيكها في المغرب سنة 1988 :

	عدد الشبابيك
ـ ألجمين بنك المغرب ABM	8
ـ البنك التجاري المغربي BCM	109
ـ البنك المركزي الشعبي BCP	212
ـ البنك المغربي لإفريقيا والشرق BMAO	21
ـ البنك المغربي للتجارة الخارجية BMCE	126
ـ البنك المغربي للتجارة والصناعة BMCI	72
ـ بنك الوفا WAFA BANK	67
ـ الاتحاد البنكي الاسباني المغربي UNIBAN	18
ـ الاتحاد المغربي للبنك UMB	6
ـ سيتي بنك (المغرب العربي) CITIBANK	3
ـ شركة البنك والقرض SBC	10
ـ الشركة العامة المغربية للأبناك SGMB	78
ـ الشركة المغربية للإيداع والقرض SMDC	18
ـ مصرف المغرب CM	65
ـ البنك العربي للمغرب ARAB BANK	5

ويشير الانتباه في توزيع هذه الأبناك عبر التراب الوطني، (وهذا بغض الطرف عن شبابيك المؤسسات المالية المتخصصة أو شبابيك بنك المغرب)، أنها ملموسة التجمع أفقيا وعموديا، ففي ختام سنة 1987، كان 89٪ من مجموع الشبابيك تابعا لسبعة من تلك الأبناك، بل وكان 40٪ منها في ملك بنكين اثنين، بحيث لم يكن في ملك الأبناك الثمانية الباقية سوى 11٪ من مجموع الشبابيك، ويزيد في حدة هذا التجمع الوظيفي تجمع جغرافي يصور بوضوح لما أحدثه الاستثمار الرأسمالي في المغرب خلال الحماية من تفاوت بين الأقاليم الداخلية للبلاد والشواطئ الأطلسية، ويمكن التمييز بين ثلاث مناطق متباينة من حيث الكثافة البنكية، إذ يوجد 46٪ من الشبابيك في مدن الساحل الأطلسي، بل وعلى محور طنجة ـ الدار البيضاء بوجه خاص، بل 25٪ منها في مدينة الدار البيضاء وحدها التي تأوي مجموع مقرات الأبناك الرسمية، وهناك منطقة متوسطة الكثافة تمتد من فاس إلى مراكش ومن الجديدة إلى خنيفرة وحول ميناء أگادير، تتوزع 26٪ من الشبكة البنكية مع تجمع الشبابيك في مدنها الكبرى : ست وستون وكالة بين فاس ومكناس، وإحدى وثلاثون وكالة في مراكش، وعشر وكالات في بني ملال، وسبع وستون وكالة في أگادير ومحيطها من الجنوب الغربي الذي يضم 8٪ من مجموع الشبابيك، ويدخل باقي التراب الوطني في منطقة ثالثة ضعيفة الكثافة تتوزع 20٪ من الشبابيك البنكية، يوجد أكثرها على محور وجدة بركان. وبالرغم من إدراك السلطات العمومية لهذا التفاوت الذي يوحي بتفاوت في وتيرة النمو بين مختلف جهات المملكة، وبالرغم من سعيها في الحد منه وتصويبه، فإن المناطق القوية الكثافة هي التي تقدمت فيما بين 1976 و1986 من 43٪ إلى 46٪ من مجموع عدد الشبابيك، بينما ظلت المناطق الضعيفة الكثافة واقفة عند نسبة 20٪.

ويثبت هذا التفاوت الجغرافي، تفاوت في نسبة العمليات البنكية المنجزة وفي التشكيلة المالية للأبناك، من حيث العمليات، فإن أبناك محور طنجة الدار البيضاء كانت تتلقى، أواخر 1987، 52٪ من الودائع وتستفيد من 76٪ من القروض، وكان نصيب الدار البيضاء وحدها 35٪ من الودائع و59٪ من القروض، هذا بالرغم من تقلص طفيف في هذه النسب بين 1976 و1986 على هذا المحور.

أما من حيث القوة المالية، ففي نفس التاريخ (31 دجنبر 1987)، كانت حصيلة بنكين اثنين، بملايين الدراهم : 40.820، وهي نسبة 49.9٪ من مجموع حصيلات الأبناك يومئذ، وكانت حصيلة ستة منها 35.430 م. د، وهي نسبة 43.3٪، وكان نصيب السبعة الباقية 5.609 م. د، وهي نسبة 6.8٪، مما يعني أن ثمانية من أصل خمسة عشر بنكاً كانت تتصرف في 93٪ من مجموع حصيلات الأبناك، وأن اثنين منها فقط يتصرفان فيما يناهز 50٪ من تلك الحصيلات.

هذا، ولقد رخص للأبناك المغربية منذ 1971 بفتح شبابيك لها خارج التراب الوطني لتساير المعاملات مع الأسواق الأجنبية عن كثب، ولتستقطب مدخرات الجالية المغربية المقيمة بالخارج، وكان عدد الشبابيك المفتوحة خارج البلاد في نهاية 1987 عشرين شباكاً.

ويتميز من هذه الأبناك، البنك الوطني للتجارة الخارجية والبنك المركزي الشعبي، لما هو منوط بهما من المهام وأيضاً

لطبيعة رأسمالهما الأصلي، فلا مناص من ذكر بعض تفاصيل ذلك.

البنك المغربي للتجارة الخارجية : إن الدولة هي التي أنشأت هذا البنك بتاريخ فاتح شتنبر 1959 وشاركت في اكتتاب رأسماله إلى جانب مؤسسات عمومية مغربية وأجهزة مالية أجنبية، وكانت الغاية من هذا البنك، إضافة إلى قيامه بالوظائف البنكية العادية، تيسير السبل المالية لمبادلات المغرب مع الخارج، ولذلك سرعان ما أضحى أمر استيراد بعض المواد الاستهلاكية الكبرى، مثل الشاي والسكر والحبوب والنفط حكراً عليه، ومنحته الدولة بظهير 23 أبريل 1974، امتياز إدارة شؤون التأمين الخاص بعمليات التصدير.

البنك المركزي الشعبي : أنشئ القرض الشعبي أول الأمر تحت هذه التسمية، وكان ذلك بظهير 25 مايو 1926، لكن نظامه الأساسي تجدد غداة الاستقلال بمقتضى ظهير 2 فبراير 1961، وكانت الغاية الخاصة من ذلك تنشيط الصناعة التقليدية وتنميتها ومساعدة المقاولات المتوسطة والصغرى من خلال قروض قصيرة أو متوسطة أو طويلة الأمد. والبنك مكلف إلى ذلك بالأخذ بأيدي العمال المغاربة في الخارج، ومساعدتهم على تمويل بعض مشاريعهم من اقتناء العقار أو نقل مذخراتهم بأيسر سبيل، ولتلك الغاية أقيمت وكالات للبنك حيثما توجد جاليات مغربية كثيفة بفرنسا وبلجيكا. ويتميز البنك المركزي الشعبي، الذي يعد من أغزر الأبناك المغربية ودائعا، بانتظامه حول شبكة من الأبناك الشعبية الجهوية وبنك مركزي شعبي تشرف عليه لجنة إدارية مركبة من ممثلي وزارات المالية والتجارية والصناعة والصناعة التقليدية والداخلية، وبنك المغرب وصندوق الإيداع والتدبير والبنك الوطني للتنمية الاقتصادية، إضافة إلى ممثلين منتخبين من قبل الأبناك الشعبية الجهوية، وممثل عن هيئة التجار وأرباب الصناعات العصرية وآخر عن هيآت الصناعة التقليدية. ورأسمال البنك الشعبي متغير تكتتبه الدولة بمشاركة بعض المؤسسات العمومية أو شبه العمومية، مثل بنك المغرب وصندوق الإيداع والتدبير ومكتب التنمية الاقتصادية، والبنك الوطني للتنمية الاقتصادية، والصندوق المغربي للصفقات، والبنك المغربي للتجارة الخارجية، والصندوق العقاري والفندقي، زيادة على اكتتابات الأبناك الشعبية الجهوية واكتتابات المساهمين الذاتيين والمعنويين من القطاع الخاص.

وقد يبدو مما سبق أن واقع الممارسات البنكية بالمغرب بات يختلف كثيراً عن لفظ القوانين المؤسسة لها، فيضيق عنها بالنظر إلى الأبناك التجارية، أو يتجاوزها بالنظر إلى المؤسسات المالية المتخصصة، مما قد يوحي بافتقار المهنة إلى نظام مضبوط بالرغم من وفرة النصوص التقنية، لكن هذا الارتسام السطحي مفند بما يلمس من سعي الدولة بوتيرة متباطئة وربما متذبذبة، لكنها واضحة الاتجاه، في دعم الرأسمال المغربي وتقويته، لا بإغلاقه على نفسه، ولكن بجعله قادراً في أجل قريب، على الانفتاح إطلاقا على الأسواق المالية الأجنبية للعمل فيها بثبات، وإغراء الأموال الأجنبية بفائدة الاستثمار في كبريات مشاريع التجهيز الوطني. ولقد خطت السلطات العمومية في هذا الاتجاه ببعض الخطوات المثيرة التي منها إصدار ظهير يسمح بإقامة أبناك للاستثمار بالبلاد، مع إعفاء الرساميل الموظفة في هذا النوع الجديد من الأبناك من شرط أن يكون نصفها على الأقل مغربياً، ومنها عزم الدولة على السماح للأبناك الأجنبية، على اختلاف مشاربها، بأن تعمل في المغرب "أوف شور" (Off Shore) يعني أن تفتح شبابيك لها على التراب الوطني وتحتفظ بحرية عملياتها في الخارج بالعملة الصعبة.

أبناك الاستثمار : تقرر إحداث هذا الصنف من الأبناك بمقتضى ظهير 2 أكتوبر 1984، ومنطوقه مختصر لا يتجاوز ثلاثة بنود، يعرف البند الأول بوظائف هذه الأبناك التي هي أساساً مشاركة في رساميل مختلف المقاولات المقامة أو التي قد تقام بالمغرب أو بالخارج، مع المشاركة في إدارة شؤونها، ولأبناك الاستثمار مع ذلك أن تمارس باقي أعمال المهنة المنصوص عليها في الفصل الأول من مرسوم 21 أبريل 1967. وينص البند الثاني على الشروط المالية التي تخضع لها هذه الأبناك، من وجوب الالتزام بحد أدنى من الرأسمال في حصيلتها يشير به وزير المالية، والالتزام أيضاً بالحدود الدنيا والعليا لما ينبغي أن يكون ثابتاً من النسب بين عاملين أو أكثر من الواجب لكل بنك استثمار والمطلوب منه. أما الفصل الثالث، فإنه يعفي هذه الأبناك من شرط مغربة رأسمالها بحيث من حق أصحابها من الأجانب أن يتمسكوا بأكثر من نصف رأسمالها إن أبوا إلا ذلك. وهذا دليل على قصور نفس الرأسمال الوطني وحاجة البلاد إلى الاستثمارات الأجنبية.

بنك العمل : لم ينشأ من أبناك الاستثمار، إلى حد كتابة هذه السطور، سوى بنك العمل، أُحدث بالدار البيضاء بتاريخ 28 مارس 1989، رأسماله الأصلي مليونان من الدراهم، وهو شركة خفية الاسم اكتتب أسهمها بنك المغرب والبنك الشعبي والبنك الوطني للتنمية الاقتصادية وصندوق الإيداع والتدبير والصندوق العقاري والفندقي وأبناك أخرى، هذا بغض النظر عما قد يكون من الاكتتاب في المستقبل، وإن الغاية من هذا البنك تمويل الاستثمارات التي من شأنها أن تنهض بالاقتصاد والمجتمع المغربي، كما أن إحدى غاياته الكبرى مساعدة مواطنينا المقيمين بالخارج كلما عادوا إلى البلاد وأرادوا استثمار مذخراتهم، ويمكن أن يتم ذلك إما بالمشاركة في المقاولات على اختلاف مجالات أعمالها، وإما بمنح قروض إشراكية أو قروض عادية في الأمد المتوسط أو الطويل، ومن وظائفه أيضاً تلقي الودائع والاقتراض للأمد المتوسط أو الطويل، وله أن

يوظف فائض أمواله في العمليات المالية، أيا كان نوعها. وغني عن البيان أن هذه المؤسسة مازالت في نشأتها الأولى، ولا سبيل إلى استخلاص أي عبرة من سيرها أو مقاصدها، سوى ما أومأنا إليه آنفا من اتجاه المشرع في المغرب إلى مراجعة نظام الأبناك على أساس وضع جذع مشترك من الوظائف تتفرع عنه بعض التخصصات.

بنك المغرب، دراسات واحصاءات، عدد 74 مكرر (دجنبر 1980) ؛ *بنك المغرب : نبذة تاريخية* (1987) ؛ *الجريدة الرسمية*، سنوات 1943 . 1954 . 1955 . 1958 . 1967 . 1984 ؛ فتح الله ولعلو، *الاقتصاد السياسي* (3 أجزاء)، الدار البيضاء . دار النشر المغربية (1972 . 1975).

H. Ardant, *Introduction à l'étude des banques et des opérations de banque*, Paris, 1954 ; M. L. Benothmane, *La profession bancaire au Maroc*, Rabat, 1985 ; M. A. Berrada, *Les techniques de banque et de crédit au Maroc*, Casablanca, 1985 ; J. Branger, *les techniques bancaires*, Paris, 1975 ; A. Chaineau, *Mécanismes et politiques monétaires*, Paris, 1973 ; J. J. Laurendon, *Psychanalyse des banques*, Paris ; A. Tiano, *La politique économique et financière du Maroc indépendant*, Paris, 1963.

إبراهيم بوطالب

بنك باريبا Paribas، هو اختصار لبنك باريز والبلدان المنخفضة Banque de Paris et des Pays-Bas، من المؤسسات المالية الأجنبية التي امتزج اسمها بالتاريخ الاستعماري في المغرب، تأسس في باريس سنة 1872 باندماج بين بنك باريس المؤسس سنة 1865 وبنك البلدان المنخفضة للقرض والإيداع المؤسس سنة 1863. وهذا البنك الذي كان بنك أعمال أداره لمدة نصف قرن هوگو فورالي Hugo Furaly (1844 . 1914)، وابنه Horace هوراس (1871 . 1945) وعرف تطوراً سريعاً ومستمراً. ومنذ أواخر القرن التاسع عشر أصبحت المعاملات المالية وكل القروض في الساحة الباريزية تخضع لمراقبته بفضل تحكمه في اتحاد الأبناك Consortium الذي كونه، كما بدأت سيطرته الاقتصادية في فرنسا بتأسيسه الشركة العامة للكهرباء وشركة الأسلاك التيليفونية.

مع أزمة فائض الانتاج التي عرفتها أوربا بين سنوات 1880 . 1895، وضيق مجال الاستثمار في أوربا، بدأت المؤسسات الرأسمالية الأوربية تضغط على حكوماتها لتسلك سياسة استعمارية نشيطة، وصار المغرب بحكمه من بين البلدان القليلة التي احتفظت باستقلالها في إفريقيا مركز الضغط الاستعماري ومحط أنظار ومناقشة رجال الأعمال في هذه الفترة.

فمنذ سنة 1886 بدأ بنك باريبا Paribas يولي اهتمامه للمغرب، فكان من بين مؤسسي "لجنة المغرب" Comité du Maroc التي كان يترأسها Eugène Etienne أوجين إتيان نائب وهران وخليفة رئيس مجلس النواب آنذاك، وكان من أعضاء هذه اللجنة التي ضمت مجموعة من رجال الأعمال الفرنسيين ومديري شركات الملاحة وممثلي المعمرين بمنطقة وهران الجزائرية الخ.

وفي سنة 1901 حاول بنك باريبا Paribas أن يؤسس بنكاً فرنسياً مغربياً، ولكن محاولته باءت بالفشل بسبب اعتراض Delcassé وزير الخارجية الفرنسية آنذاك، وكان هذا الوزير يسعى إلى المحافظة على الوضعية القائمة في المغرب statu quo، وللتغلغل "السلمي" بالوسائل الدبلوماسية وعدم إثارة انتباه الآخرين. وذلك يتطلب الحد من المناقشة والصراع بين رجال الأعمال، كما كان Delcassé يميل إلى إعطاء الأسبقية لشنيدر Schneider سيد الصلب وصناعة الأسلحة في لوكروزو Le Creusot، للحظوة التي كان يتمتع بها داخل القصر، واحتكاره للميدان الاقتصادي في المغرب خصوصا بعد تأسيس شركة مؤسسات گوتش Gautsch في 12 أبريل 1902، هذه الشركة التي تحولت إلى الكبانية المغربية في 30 مايو من نفس السنة، وفتحت فرعين في طنجة وفاس وكان من بين المساهمين فيها صاحب الشركات الملاحية المرسيلي نيكولا باكي Nicolas Paquet.

ولكن منذ سنة 1902، باشتداد الأزمة المالية والاقتصادية في المغرب وفراغ الخزينة بسبب ارتفاع المصاريف في عهد مولاي عبد العزيز، كمصاريف الجيش ومختلف التعويضات المالية للأجانب ومصاريف القصر، وتضاؤل المداخيل بعد حذف الضرائب التقليدية من زكاة وأعشار ونايبة. وتعذر استخلاص الضريبة الجديدة المسماة بـ "الترتيب"، التي ضغطت الدول الأوربية على مولاي عبد العزيز لفرضها منذ 1901 ولم تصادق عليها إلا في 1903، تحت وطأة هذه الوقائع كلها دشن مولاي عبد العزيز عهد القروض وبدأت أهمية المؤسسات البنكية تفوق أهمية الدبلوماسية والشركات الصناعية، فدخل بنك باريبا Paribas الذي كان يسانده وزير المالية الفرنسي موريس روفيي Maurice Rouvier في صراع ضد الأخوين جوزيف أوجين Josephe Eugène وأدولف شنيدر Adolph Schneider، واحتدم هذا الصراع في قرض 1903، بلغ أوجه بعد "الاتفاق الودي" بين أنجلترا وفرنسا في 8 أبريل 1904 وانسحاب أنجلترا من ساحة التنافس على المغرب، حيث انفتحت أمام الرأسمال الفرنسي آفاق واسعة، وبدأ الانسجام بينه وبين رجال السياسة الاستعمارية حيث اختلطت "مصالح الأبناك بمصالح السياسة".

وتدخلت الحكومة الفرنسية للضغط على شنيدر Schneider لصالح بنك باريس والبلدان المنخفضة، فاضطر شنيدر Schneider تحت تهديد الحكومة بتقليص طلباتها من الأسلحة إلى أن يقوم بتنازلات ويقبل اتفاقاً يحصر نشاط الكبانية المغربية "La Compagnie Marocaine" في الميدان التجاري والصناعي، ويعطي لبنك Paribas حق احتكار كل المبادرات البنكية.

وجاء قرض 1904 ليدشن عهد هيمنة باريبا Paribas على الحياة المالية والاقتصادية والسياسية في المغرب. ولم

تنقطع هذه الهينمة حتى في عهد الاستعمار. فقد تزعمت باريبا Paribas المفاوضات التي جرت بين اتحاد الأبناك الفرنسيةConsortium وبين الحكومة المغربية التي كانت قد تقدمت في 29 يناير 1904 بطلب قرض للحكومة الفرنسية بواسطة نائبها في طنجة حيث سلمه الحاج عبد الرحمن بنيس خليفة الحاج محمد بن العربي الطريس، النائب السلطاني في طنجة، رسالة شخصية من مولاي عبد العزيز يطلب قرضاً جديداً من الحكومة الفرنسية.

وانتهت المفاوضات الطويلة التي استعملت فيها Paribas كل أنواع الأساليب من ضغط ومن رشوة بعض أعضاء المخزن، بتوقيع اتفاق في فاس في 12 يونيو 1904. وقعه عن الطرف المغربي عبد الكريم بن سليمان وزير الخارجية ومحمد بن عبد الكريم التازي وزير المالية، وعن الطرف الفرنسي Georges Langaussiano ممثل بنك باريس والبلدان المنخفضة نيابة عن اتحاد الأبناك الفرنسية. ويمكن اعتبار هذا الاتفاق أول لبنة فعلية للاستعمار الفرنسي في المغرب.

فقد منح البنك قرضاً للمخزن مبلغه الرئيسي اثنان وستون مليون وخمسمائة فرنك، بفائدة سنوية قدرها 5٪، وقسم إلى مائة وخمسة وعشرين ألف التزام Obligations على شكل سندات بين الأبناك، قيمتها 80٪ من القرض أي 50 مليون فرنك. وحجزت 20٪ الباقية من "القيمة الاسمية" Nominal (23٪ حسب بعض الجهات) وعند القيام بتطبيق الإجراءات العملية للقرض، لم يتسلم المغرب فعليا إلا عشرين مليونا وخمسمائة ألف فرنك، إذ أن الأبناك احتجزت تلقائيا اثنين وعشرين مليون فرنك لتأدية القروض السابقة التي كانت كثير من الأبناك المكونة لاتحاد الأبناك Consortium قد ساهمت فيها، كما احتجزت خمسة عشر مليون وخمسمائة ألف فرنك وهو ثمن النقود المعدنية التي كان المخزن قد سكها في برلين وباريس والتي فاقت تكاليفها قيمتها بسبب ارتفاع سعر الفضة المقتناة من أوربا والعمولات التي أديت لمختلف الوسطاء وسعر السك.

وتقرر أن يسدد الدين بكامله بعد خمس وثلاثين سنة ابتداء من 1 يوليوز 1906، ومنع على المغرب أن يقوم بأي تسديد مسبق أو مستعجل قبل خمس عشرة سنة ابتداء من تاريخ تسديد الدفعة الأولى من الالتزامات المؤداة "Obligations amorties" أي قبل 1 يناير 1922 وذلك لأن الأبناك تخوفت من أن يلجأ المغرب إلى التخلص من عبء مديونيته قبل مدة طويلة بسبب ارتفاع قيمة الفائدة المفروضة خصوصاً وأن العملة كانت مستقرة في وقت الاتفاق، وأنه لم يضرب حساب للتقلبات المالية التي نتجت عن الحرب العالمية الأولى فيما بعد. كما نص الفصل 11 من العقد على إعطاء الأسبقية لتسديد هذا القرض، وأن يكون التسديد من مجموع مداخيل الجمارك من صادرات أو واردات جميع الموانئ الموجودة في تاريخ عقد القرض والتي ستنشأ فيما بعد، وعين لهذا الغرض ممثل للأبناك لمراقبة وتحسين مداخيل الديوانة ومراقبون إلى جانب الأمناء في كل الموانئ لاستخلاص 60٪ من مداخيل "الديوانة" يوميا. كما اشترط في الفصل 33 إعطاء الأسبقية في كل القروض التي يلجأ إليها المخزن مستقبلاً لاتحاد الأبناك التي قدمت إليه السلف، أي أن اتحاد الأبناك الذي يترأسه بنك باريبا Paribas صار يتحكم في المداخيل الوحيدة للمخزن ويتحكم في كل المعاملات المالية والنقدية في المغرب منذ 1904.

ومن الشروط التي وضعت على المغرب حق هذا البنك Paribas في الأسبقية في كل إصدار نقدي يقوم به المغرب في المستقبل أي أن اتحاد الأبناك الفرنسي الذي يتزعمه باريبا Paribas صار يتحكم في المداخيل الوحيدة للمخزن، ويحتكر المعاملات المالية والنقدية في المغرب منذ 1904، ورغم أن باريبا Paribas تنازلت عن مراقبة الدين واحتكار الميدان المالي للبنك المخزني الذي كان تأسيسه من بين الشروط التي وضعتها باريبا Paribas في قرض 1904 ـ وان كانت الاتفاقية النهائية لم تنص عليه، فإن حصصها (Parts) في رأس مال البنك المخزني عام 1907 إلى جانب ثلاث عشرة دولة أوربية التي كان لكل منها حصة واحدة، وحصولها على أسهم النامسا في 10 سبتمبر 1919 بعد الحرب العالمية الأولى، وعلى أسهم روسيا بعد الثورة البلشفية، كلها عوامل جعلتها تمارس كل أنواع الضغوط على المخزن قبل الحماية وأثناءها، إذ لم تستطع حتى السلطات الاستعمارية بعد 1912 أن تحد من نفوذها.

كانت لبنك باريبا Paribas أثناء فترة الحماية سلطة سياسية ومالية واقتصادية حقيقية على "المملكة الشريفة" التي أصبحت مستعمرة لها خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية حيث ركزت مجهودها على ترسيخ مكتسباتها وعلى استغلال الثروات المعدنية، وتوسيع المنطقة الجغرافية لنفوذها وأصبح لها منذ 1949 فرع دائم في الدار البيضاء يسهر على نشاطاتها المتعددة.

وبواسطة هذا الفرع في الدار البيضاء وعن طريق أسهمه في البنك المخزني وامتلاكه لعدة شركات عملاقة، صار بنك باريبا يتحكم في جميع الميادين الحيوية للاقتصاد المغربي بما فيها المواصلات والطاقة والمعادن، ومن بين هذه الشركات العملاقة التابعة لهذا التجمع Holdings :

I ـ الشركة المغربية العامة، وقد أسسها البنك في 1912، لـ"غرض اجتماعي وتنمية الاقتصاد المغربي" حسب تعبير البنك. قد تحكمت هذه الشركة إلى ما بعد الاستقلال في مجموع السكك الحديدية المغربية بواسطة شركات متفرعة متعددة منها : الشركة الفرنسية الإسبانية للسكك الحديدية بطنجة، وشركة السكك الحديدية بالمغرب، وشركة السكك الحديدية بالمغرب الشرقي.

كما كانت الشركة المغربية تتحكم في توزيع الماء والغاز والكهرباء بواسطة شركات تابعة له منها :

ـ الشركة المغربية لتوزيع الماء والغاز والكهرباء Compagnie Marocaine de Distribution d'Eau, de

Gaz et d'Electricité

. شركة الإنارة والطاقة في المغرب :

Compagnie d'Eclairage et de Force au Maroc

. الطاقة الكهربائية للمغرب :

Energie Electrique du Maroc

. الشركة الفاسية للكهرباء :

Compagnie Fassie d'Electricité

كما كان يتحكم في المواصلات البلدية في مدينة الدار البيضاء، وفي عدة شركات مغربية مهمة في ميدان الصناعة الغذائية والمطاحن، وفي صناعة النبيذ والسكر الخ، وأهم هذه الشركات :

شركة مطاحن المغرب : Société des Moulins du Maghreb التي تتوفر على ثلاث مطاحن في الدار البيضاء ومكناس وأسفي.

شركة مصانع البيرة للمغرب :

Société des Brasseries du Maghreb

شركة مجهولة الاسم للصيد والمصبرات الغذائية :

Société Anonyme de Pêcheries et de Conserves Alimentaires

شركة ستيوفيتا : Société Steovita (تعليب وبيع المواد الحليبية)

الشركة المغربية للزراعة والمقاولة :

Sté Marocaine de Culture et d'Entreprise

الشركة الإفريقية للنباتات العطرية :

Sté Africaine des Plantes à Parfum

المجازر البلدية والصناعية المغربية :

Les Abattoirs Municipaux et Industriels du Maroc

وكانت كذلك تتحكم في الأشغال الكبرى والبناء بواسطة :

الشركة العامة للمقاولات بالمغرب :

Société Générale d'Entreprise au Maroc

شركة المناجم المغربية :

Société des Carrières Marocaines

الشركة الشريفة للجبس :

Compagnie Chérifienne du Plâtre

الشركة العقارية الفرنسية المغربية :

Compagnie Immobilière Franco-Marocaine

الأومنيوم التقني

O.T.H, Omnium Technique

شركة الجير والإسمنت في المغرب :

Société des Chaux et Ciments du Maroc

شركة المغرب للسكنى :

Société d'Habitation du Maroc

شركة الدراسات والمقاولات المعدنية لتادلا:

Société d'Etudes et d'Entreprises Minière de Tadla

الشركة الشريفة لفحم جرادة :

Société Chérifienne des Charbonnages de Djerada

كما كانت الشركة المغربية العامة تتحكم في الموانئ عن طريق عدة شركات :

شركة ميناء طنجة Société du Port de Tanger، بالإضافة إلى الشركات التي ساهم في تأسيسها في ما بعد فرع بنك Paribas في الدار البيضاء مثل :

شركة تنمية ميناء نيمور :

Société pour l'extension du Port de Nemours

ومجمع لدراسة وإحداث مرافئ ومستودعات لميناء الدار البيضاء :

Groupement pour l'Etude et la Création de Docks et d'Entrepôts pour le Port de Casablanca

الشركة الشريفة لاستغلال المنجزات البحرية.

II ـ أما الشركة العملاقة فهي أمنيوم الشمال الإفريقي O.N.A.، وقد ساهم بنك باريبا في تأسيسه بـ 1.58٪ و4 ممثلين في المجلس في أكتوبر 1966 ويعتبر من بين المنتجين الأساسيين للكوبالت، ويتحكم في الانتاج المغربي للكوبالت والمنغنيز والنحاس عن طريق شركات تابعة له، أهمها :

. شركة تفنوت ـ تيغانيمين :

Compagnie de Tifnout - Tiranimine

. مناجم بوازار وگرارة :

Mines de Bouazzer et du Grara

. شركة مناجم بوسكور :

Société des Mines de Bouskour

. أومنيوم المناجم : Omnium des Mines

احتل في عهد الحماية مكانة مهمة في ميدان النقل عبر الطرق ويحتكر النقل الخاص نحو الجنوب المغربي والصحراء ويضم عدة شركات :

شركة النقل الإفريقي :

Société des Transports Africains

شركة النقل المعدني :

Société des Transports Miniers

شركة مجهولة الاسم لنقل سيارات سوس :

Société Anonyme des Transports Automobiles du Souss

كما تحكم في الميدان التجاري والعقاري عن طريق شركات منها :

عبر الافريقية لتمثيل السيارات :

Interafricaine de Représentation d'Automobiles

المغربية للمقاولات التجارية والصناعية Marocaines d'Entreprise Commerciale et Industrielle التي تمثل شركة Peugeot في المغرب.

الشركة العقارية للبحر Société Immobilière de la Mer التي تملك حاليا فندقا يستعمله نادي البحر المتوسط.

وإلى جانب هذين التجمعين Holdings للشركتين العملاقتين الأساسيتين فالبنك كان يسيطر على :

الشركة العالمية المهتمة بتبغ المغرب :

Société Internationale de Régie intéressée des Tabacs du Maroc

وهو منح امتيازي سلم في 1910 لليون ويل Léon Weill ممثل بنك باريس بعد الاتفاق مع رجل الأعمال الإسباني جوان مارك Juan March الذي كان له الاحتكار الفعلي للتبغ في المنطقة الإسبانية، وهذه الشركة احتكرت صناعة نبات التبغ في المغرب فحققت أرباحاً باهظة. كما يتحكم في شركات متفرعة عن شركات فرنسية كانت بنفسها تابعة لمقر البنك بباريس، ولم تحدث أي تغييرات أساسية منذ نهاية عهد الحماية على نشاط وسياسة باريبا Paribas، فقد اكتفى بتبديل أسماء الشركات ما عدا فيما يخص البنك المخزني Banque d'Etat du Maroc والسكك الحديدية. فالأول أوقف نشاطه في 30 يونيو 1959 (انظر البنك المخزني)، إلا أن "الموجودات المالية" المهمة "actifs" لهذا البنك حولت لفائدة شركة مالية جديدة هي :

الشركة العالمية للتمويل وتوظيف الأموال : Société Internationale de Financement et de Placement (Sogininter) التي اندمجت في بنك باريس في جوان 1960.

وهكذا يكون بنك باريس، كما تقول صحيفة الحياة الفرنسية *La Vie Française* في 3 جوان 1960 "قد قام بعملية جديدة مربحة".

وبالفعل فإنه ضمن الموجود المالي للبنك المخزني كان يوجد مقدار ستين مليون فرنك بالعملة استعملت لتأسيس رأس مال بنك باريبا كوربوراسيون Paribas Corporation وهو فرع جديد لبنك باريس فتح في نفس السنة في نيويورك.

أما بالنسبة للسكك الحديدية فقد استرجعت الحكومة المغربية سنة 1963 الامتياز concession الذي لم يكن من المقرر استرجاعه إلا في سنة 1975 و1999 لعدم توقع بنك باريبا Paribas نهاية الاستعمار قبل هذه الفترة.

وكان هذا "الامتياز" concession في يد شركة المغرب للسكك الحديدية وشركة المغرب الشرقي للسكك الحديدية، وشركة المغرب للطاقة الكهربائية، وقد وقع الاتفاق مباشرة بين بنك باريس والحكومة المغربية دون اشتراك الشركات المعنية المذكورة في المفاوضات.

وحددت التعويضات التي أعطيت للشركتين الأوليين بمقدار مائة وسبعة وسبعين مليونا وثلاثمائة وستين ألف فرنك فرنسي (ثقيل) وستين مليون وستمائة ألف درهم للشركة الثالثة من بينها ثلاثة وعشرون مليونا يمكن تحويلها transferable، والباقي غير قابل للتحويل، وقد تحولت الشركات الثلاث فيما بعد إلى شركة قابضة Holdings حيث تحولت الشركة المغربية للسكك الحديدية سابقاً إلى الشركة الفرنسية المغربية، وتحولت شركة المغرب الشرقي للسكك الحديدية إلى الشركة المغربية للإقليم الشرقي Société Marocaine de l'Oriental وشركة المغرب للطاقة الكهربائية إلى الشركة المالية الفرنسية المغربية للدراسات والتجهيزات : Société Financère Franco - Marocaine d'Etudes et d'Equipements (Erielfir).

وقد استعمل بنك باريبا Paribas رؤوس الأموال المسترجعة على الخصوص خارج المغرب واستعملت المقادير "المجمدة" في المغرب في تأسيس شركات جديدة منها مثلا شركة الدراسات والإيداع الصناعية التي أسستها الشركة الفرنسية المغربية باتفاق مع الحكومة المغربية "لتنمية الاستثمارات في مختلف ميادين الاقتصاد المغربي" ومن بين إنجازاتها تأسيس أول شركة ليزينگ Leasing "القرض الايجاري" في المغرب : مغرب ليزنك سنة 1965 Maroc Leasing مساهمة فيها بنسبة 40٪ وشارك في رأس مالها بنك باريبا Paribas بنسبة 10٪ والبنك الوطني للتنمية الاقتصادية بالمغرب بـ 20٪ والشركة المغربية لتوزيع الماء والغاز والكهرباء، وستة أبناك أمريكية من بينها كوهن لوب وشركاؤه : Kuhn Lob and Co والإخوان لهمان Lehman Brothers.

وإذا كانت شركة مغرب ليزينك Leasing قد أسست كما تقول مجلة Entreprise لتساهم بفعالية في حل المشاكل التي تسببها قلة رؤوس الأموال الخاصة للاستثمار في هذه البلاد، فإن Paribas باستثمارها مجموع التعويضات القابلة للنقل transférables التي سددتها لها الحكومة المغربية، خارج المغرب في الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وإسبانيا، تكون قد ساهمت مساهمة كبيرة في التقليص من رؤوس الأموال الخاصة في المغرب، وبالفعل فإنه منذ 1960 صرفت الشركات المغربية التابعة لها قسما مهما من أموالها في اقتناء أسهم في شركات صناعية فرنسية كمقاولات فوجرول Entreprise Fougerolle، وكوفر Cofor وفورنكو Forenco ولاروشيل سمبا La Rochelle Cempa، مما عزز تحكم بنك باريبا Paribas في هذه الشركات.

وفيما يخص سياسة باريبا Paribas في بقية القارة الافريقية، فقد وجه هذا البنك بعد الحرب العالمية الثانية اهتمامه للتغلغل خصوصاً في اتجاه الجزائر وافريقيا السوداء التي بقيت مناطق بعيدة عن نفوذه، واهتم على الخصوص بالثروات الباطنية الصحراوية ودشن هذا التغلغل في 17 يناير 1955 بفتح فرع في الجزائر العاصمة (لتصنيع هذه المنطقة ولاستثمار الثروات المعدنية في الأرض الجنوبية).

L'Acte Général de la Conférence d'Algésiras ; *Rapport de la Banque de Paribas* ; St. René Taillandier, *Les origines du Maroc Français* ; Bomet, *La Banque d'Etat du Maroc et le problème marocain* ; A. Roland Lebel, *Impôt agricole au Maroc "le Tertib"*, Paris, 1925 ; A. Reynier, *La Banque d'Etat du Maroc* ; H. Claude, *Histoire évenementielle abrégée de Moulay Abdelaziz Ibn El Hassan* (dans *Corpus des monnais Alaouites*, Volume I) ; A. J. Marty, *Le Franc marocain* ; A. Ayache, *Le Maroc* ; J. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 4 ; C. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes* ; M. Bouarfa, *Le Rial et le Franc*; *Revue Française* du 3 Juin 1960.

ثريا براده

البنك المخزني، كان يطلق عليه دولياً : بنك الدولة المغربية. أو "البنك". يرجع تأسيسه إلى عقد مؤتمر الخزيرات

سنة 1907، وتحول إلى بنك المغرب في 30 يونيو 1959.

تختلط الظروف التاريخية لتأسيس البنك المخزني بالظروف التاريخية التي هيأت المغرب لمعاهدة الحماية، وجاء قانونه الأساسي ليجسم الحجْر الدولي الذي فرض على المغرب منذ معاهدة الخزيرات، كما أن تطوره مرتبط بتطور النفوذ الأجنبي في المغرب من 1906 إلى 1959 أي إلى ما بعد ثلاث سنوات من استقلال المغرب.

1) ـ الظروف التاريخية لتأسيس البنك المخزني :

يمكن اعتبار تاريخ البنك المخزني جزءا لا يتجزأ من تاريخ بنك باريبا في المغرب، ومن التاريخ الاستعماري بصفة عامة. فمنذ سنة 1902 بدأ بنك باريس والبلدان المخفضة (باريبا) يفكر في مشروع خلق بنك تابع له في المغرب، وكان هذا المشروع من بين الشروط التي طرحها سنة 1904 أثناء المفاوضات المتعلقة بالقرض الفرنسي للمخزن.

أوراق البنك المخزني

من إصدار سنوات 1339 ـ 1341 / 1920 ـ 1922

فقد تقدم لانكسيانو Langaussiano باسم التجمع البنكي التابع لبنك باريبا، بطلب إلى المخزن لكي يمنح التجمع البنكي المقرض، امتياز تأسيس بنك مخزني.

وإذا كان موقف المخزن من هذا الطلب، لم يظهر بوضوح، فإن الحكومة الفرنسية أرجأت هذا الطلب، حتى يدرج داخل مخطط عام (للإصلاحات) كانت فرنسا تعتزم فرضه على المخزن وهو مخطط لم يكن قد هيء له بعد دبلوماسياً وتقنياً.

فعلى الصعيد الدبلوماسي تزامن طرح موضوع البنك مع المفاوضات الأنجليزية الفرنسية التي سبقت "الاتفاق الودي" والتي تعهدت فيها فرنسا بأخذ "مصالح إسبانيا في المغرب بعين الاعتبار"، وكان حصول مؤسسة مالية فرنسية على الاعتبارات اللازمة لتأسيس بنك مخزني، يتعارض مع هذا التعهد، خصوصاً وأن النقد الإسباني كان يلعب دوراً كبيراً على الساحة النقدية في المغرب.

لهذا كان من الضروري إعطاء إسبانيا ضمانات كافية، تجعلها تتنازل عن المشاركة في الإصلاحات المالية والنقدية.

وأثناء المفاوضات التي دارت بين باريس ومدريد في هذا الشأن تقرر إشراك نقابة أبناك إسبانية بمفعول رجعي في قرض 1904، مع كل الامتيازات التي تنشأ عن هذه المشاركة، خصوصاً فيما يتعلق بحق الأسبقية في القروض وإصدار النقود في المستقبل، كما أن فرنسا تعهدت في فصول سرية في التصريح الفرنسي الإسباني المؤرخ بـ 13 أكتوبر 1904 بإشراك الممثلين الإسبان في مراقبة الجمارك المغربية وأن لا تتخذ أي تدابير تمس بمصلحة البسيطة كعملة داخل السوق المغربية.

وعلى الصعيد التقني والسياسي كانت فرنسا لازالت لم تتوفر على الوسائل الكافية التي تمكنها من فرض برنامج "الإصلاحات" الاقتصادية والإدارية والإشراف مباشرة على تطبيقه خصوصا وأن تأسيس بنك مخزني تسند إليه الأمور المالية والاقتصادية وحتى الأمور ذات الطابع الإداري، كان يتطلب مراقبة مباشرة ومستمرة وواسعة النطاق على الأجهزة الاقتصادية والإدارية في المغرب.

وبعد الاتفاق الفرنسي الأنجليزي في أكتوبر 1904 كُلف سان روني طاياندييه St René Taillandier ممثل فرنسا في طنجة بالتوجه لفاس لتقديم برنامج الإصلاحات الذي كان يشتمل إلى جانب الإصلاح العسكري وإصلاح الموانئ على الإصلاح المالي الذي كان يقتضي تأسيس بنك الدولة "ليتكلف" بالشؤون المالية الشريفة ويساهم في حدود الإمكان في تقديم الوسائل المالية التي من طبيعتها أن تقوم التدهور الحالي للنقد المغربي.

وبعد أن استنفد مولاي عبد العزيز كل الوسائل ليتجنب الرضوخ للمطالب الفرنسية التي كانت تعني فقدان المخزن ما تبقى له من سلطة داخل البلاد كتمطيط المفاوضات واللجوء إلى تأسيس مجلس الأعيان للنظر في قضية الإصلاحات، لجأ في الأخير إلى قبول اقتراح ألمانيا المتمثل في عقد مؤتمر دولي لدراسة القضية المغربية، وطرح قضية "الإصلاحات" على مؤتمر دولي. وكان مولاي عبد العزيز يؤمل الاستفادة من التنافسات الدولية لمقاومة هيمنة فرنسا والحد من تدخلها المباشر في المرافق الحيوية للبلاد. وبعد عدة جولات من المفاوضات حصل الاتفاق بين ألمانيا وفرنسا في سبتمبر 1905 على إقامة المؤتمر في مدينة الخزيرات وحول برنامجه الذي كان الإصلاح المالي من بين عناصره. ابتدأ المؤتمر أشغاله في 16 يناير 1906 بمشاركة الدول الاثنتي عشرة الموقعة على معاهدة مدريد في 1880 وانضمت إليها روسيا.

ومنذ البدء ظهر الخلاف بين ألمانيا وفرنسا حول النقط الأساسية لتكوين البنك، ومن هذه النقط النظام القانوني للمؤسسة وتوزيع رأس المال وتكوين مجلس الإدارة. فقد

كان المشروع الفرنسي يقترح أن يكون رأس مال البنك بالعملة الذهبية ويقسم حسب الدول المشاركة بنسبة قسمة لكل دولة تريد المساهمة في البنك، زيادة على أربع قسمات للتجمع البنكي التابع لبنك باريس والبلدان المنخفضة، صاحبة قرض 1904، نظراً للحقوق المعترف لها بها في الفصل 33 من عقد القرض. ولحصر المجموع في خمس عشرة قسمة، اقترح المشروع الفرنسي أن تشترك السويد وروسيا في قسمة واحدة وأن يتنازل المغرب عن قسمته، كما اقترح أن يكون مجلس الإدارة مكوناً من خمسة عشر عضواً وأن تسند المراقبة إلى مراقب Commissaire مغربي ولجنة دولية. وأن يخضع البنك للقانون الفرنسي. وفي 3 مارس تقدمت هيئة تحرير المؤتمر بمشروع قانون "تكوين بنك الدولة" وكان هذا المشروع الذي درس في الجلسة العامة العاشرة مستوحى من المشروع الفرنسي. وقد طالب الكونت طاطنبات Tattenbath باسم الوفد الألماني بإدخال تعديلات على المشروع، منها : أن يكون رأس المال بالعملة الإسبانية ومقسماً إلى ثلاث عشر قسمة متساوية بين الدول المشاركة، وأن يضم مجلس الإدارة ستة وعشرين عضواً : عضوين لكل دولة، ولجنة الوزراء ممثلي الدول المعنية في طنجة، وأن تخضع النزاعات للقوانين المختلطة المصرفية.

المقر الأول للبنك المخزني بطنجة عام 1325 / 1907

وقد طغى الصراع الطويل بين فرنسا وألمانيا حول قضية البنك المخزني، على اشغال أغلبية جلسات المؤتمر، وانتهى الأمر بالاتفاق في نهاية شهر مارس 1906 على مشروع البنك في الشكل الذي تقدمت به فرنسا مع بعض التعديلات لإرضاء الطرف الألماني. وفي معاهدة الخزيرات الموقعة في 7 أبريل 1906 من طرف كل الدول المشاركة ماعدا المغرب، احتل تأسيس البنك المخزني الفصل الثالث واشتمل هذا الفصل على 27 بنداً من البند 31 إلى البند 58 من المعاهدة.

2) القانون الأساسي للبنك المخزني :

جاء الفصل الثالث من معاهدة الخزيرات ليكرس الحجر الدولي الذي فرض على المغرب في شكل "بنك دولة المغرب" وحددت الامتيازات التي يمنحها "السلطان" للبنك لمدة أربعين سنة ابتداء من توقيع العقد في 27 فصلا.

ولتتميم وتوضيح هذه الامتيازات والقوانين أُضيف نصان وضعتهما لجنة خاصة نصت عليها المعاهدة، وترأسها جورج بالان George Pallain رئيس بنك فرنسا بين 1897 و1920 وصودق على هذه القوانين أثناء الجمع التأسيسي لـ 2 فبراير 1907.

وفاقت صلاحيات وامتيازات وحقوق البنك المخزني المغربي الذي أسس على شكل شركة مجهولة الاسم خاضعة للتشريع الفرنسي، الصلاحيات والامتيازات المخولة عادة للأبناك حتى المركزية منها ذات الطابع الوطني المحض، مما جعل جان جوريس يقول سنة 1912 "إن هذا البنك ليس بنكاً، وإن رأس المال الذي يكونه ليس في الحقيقة إلا وسيلة لتغلغل مختلف الدول الأوربية في المغرب، وان البنك في الحقيقة ليس إلا مجلساً أوربياً كبيراً".

فقد قسم رأس المال الذي حدد في 15.400.000 فرنك ذهبي إلى أربع عشرة قسمة متساوية منها إحدى عشرة قسمة للدول الأوربية المشاركة بعد انسحاب الولايات المتحدة وقسمة للمغرب وقسمتان للتجمع البنكي الفرنسي الذي ترأسه باريبا، وبلغت أسهم كل دولة 2.200 سهم من مجموع 80.800.

وأُعطي للبنك امتياز إصدار الأوراق النقدية، وسك العملة، والأسبقية في القروض التي يلجأ إليها المخزن في المستقبل وصلاحية اتخاذ كل أنواع التدبير التي يراها ضرورية لإصلاح الحالة النقدية في المغرب - شرط احترام تداول العملة الإسبانية - وامتياز اشتراء المعدن النفيس والقيام بوظيفة الخزينة العامة، حيث ينص الفصل 33 على أن المخزن يودع في البنك أهم مداخيل الخزينة وهي مداخيل الجمارك - ماعدا القسط المخصص لتأدية قرض 1904 - ومداخيل الضريبة الخاصة التي نص عليها الفصل 66 من نفس المعاهدة، كما عهد إليه بتأدية الرواتب المخزنية.

وإلى جانب هذه الامتيازات التي كانت تعني تدخل البنك بكيفية غير مباشرة في الشؤون الداخلية المغربية الاقتصادية منها والسياسية، كان البنك بمقتضى البندين 45 و46 خارجاً عن نطاق القانون المغربي، إذ لم يُعط للمحاكم المغربية حق التدخل في النزاعات التي تخص البنك ماعدا في حالة دعوى للبنك ضد مواطن مغربي غير محمي، أما

في غير هذه الحالة فيكون حل النزاع من اختصاص ثلاثة أنواع من المحاكم الأجنبية.

- المحكمة القنصلية في حالة نزاع بين البنك وبين طرف أجنبي أو طرف محمي.

- محكمة خاصة مكونة من ثلاثة قضاة قناصلة، وعونين قضائيين في حالة دعوى ضد البنك. ويختار قضاة هذه المحكمة من بين لائحة للقضاة والأعوان تضعهما كل سنة الهيئة الدبلوماسية في طنجة، وتتبع هذه المحاكم القانون التجاري الفرنسي.

- المحكمة الفيديرالية في لوزان Lausanne في حالة استيناف حكم المحكمة الخاصة، في حالة نزاع بين المخزن والبنك، أو بين المشاركين والبنك، وفي كل الحالات يكون الحكم الصادر عن المحكمة نهائياً وغير قابل للاستيناف أو الطعن.

- كما أن الامتيازات الجبائية التي أعطاها له الفصل 41 من المعاهدة الدولية جعلته خارجاً عن نطاق السيادة المغربية، فقد أعفى من جميع أنواع الضرائب سواء على المعاملات أو على الأملاك التابعة لمصالحه أو على الرسوم والأسهم والأوراق المالية أو تصدير واستيراد المعادن والنقود المعتمدة لعملياته.

وأسندت كل السلط والصلاحيات تقريباً لمجلس إدارة مكون من أربعة عشر عضواً بنسبة عضو لكل دولة مساهمة.

وبما أن اكتتاب كل دولة في رأس مال البنك كان عن طريق شركات بنكية - ماعدا المغرب - فإن أعضاء مجلس الإدارة كانوا - مبدئياً - تقنيين تعينهم المؤسسات المكتتبة. وفي حالة تنازل إحدى هذه المؤسسات عن نصف أسهمها لطرف آخر تفقد حقها في تعيين عضو لها، ويصبح هذا من اختصاص الجمع العام للمساهمين الذين يقوم بانتخاب عضو جديد في مجلس الإدارة.

ورغم أن ألمانيا طالبت أثناء مؤتمر الخزيرات بإخضاع مجلس الإدارة لمراقبة جهاز سياسي مكون من قناصلة الدول المكتتبة المعتمدين في طنجة للحد من السلطات الواسعة التي خولت له، فإن المعاهدة اكتفت بإسناد مراقبة المجلس لجهازين لم يكن لهما في الحقيقة أي نفوذ ولا أي تأثير على سير البنك، فقد أوكل البند 42 من المعاهدة العامة السهر على مصالح المخزن الشريف لمراقب سام يعينه المخزن بعد موافقة المجلس الإداري، وينحصر دوره في الاطلاع على شؤون البنك وإعلام حكومته دون أن يكون له حق التدخل في شؤون البنك أو الحضور في اجتماعات مجلس الإدارة أو الاطلاع على الوثائق. كما أوكل البند 51 من المعاهدة حق مراقبة الحسابات وحضور اجتماعات المجلس، والقيام بتقارير سنوية عن نشاط البنك، لأربعة مراقبين تعينهم أبناك دولة ألمانيا، وإسبانيا وفرنسا وأنجلترا دون أو يخول لهم أي حق في التدخل في إدارة الشؤون الداخلية للبنك أو في المعاملات، كما أن التقرير يرسل إلى مجلس الإدارة الذي يطلع عليه ويضيفه إلى تقريره السنوي قبل أن يرسله إلى حكومات الدول الموقعة على المعاهدة. وبحكم احتلال بنك باريس والبلدان المنخفضة لثلاثة مقاعد في مجلس الإدارة : مقعدين باسم مجموعة الأبناك الفرنسية صاحبة قرض 1904، ومقعد باسم الدولة الفرنسية التي اكتتبت بواسطتها، فقد ظهر التأثير الفرنسي منذ البدء على مجلس الإدارة الذي كان يعقد اجتماعاته في باريس عوض المكتب المركزي لطنجة المخصص لهذا الغرض، كما أن الحسابات كانت تجرى بالفرنك الفرنسي.

تطور البنك المخزني بين 1906 و1959 :

كانت معاهدة الخزيرات التي بقي مولاي عبد العزيز يماطل في توقيعها إلى 18 يونيو 1906 بداية العد العسكري لنهاية استقلال المغرب، حيث اختلطت ردود الفعل الداخلية العفوية بالاضطرابات التي شجعتها فرنسا ضد مولاي عبد العزيز والمصالح الأوربية في المغرب، لتبرير تدخلها العسكري والقضاء على الصبغة الدولية التي أعطاها مؤتمر الخزيرات للقضية المغربية.

وبدأ البنك المخزني نشاطه في 22 أبريل 1907 في طنجة والدار البيضاء والصويرة في الوقت الذي بدأ فيه الاحتلال العسكري الفرنسي للمغرب احتلال وجدة في مارس 1907 والدار البيضاء في 5 غشت من نفس السنة.

ويمكن تمييز ثلاث مراحل في تطور البنك تلتقي إلى حد كبير مع مراحل الاستعمار الفرنسي في المغرب هي : مرحلة ما قبل الحماية، ومرحلة من بداية الحماية إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، ومرحلة من نهاية الحرب إلى استقلال المغرب.

أ) مرحلة ما قبل الحماية : وهي مرحلة مارس فيها البنك مراقبة مالية وسياسية غير مباشرة على المخزن، فقد ركز البنك نشاطه على تتبع "الإصلاحات" التي نصت عليها معاهدة الخزيرات كتأسيس جهاز الأمن والسهر على أمن الأوربيين حيث بلغت مجموع التسبيقات التي قدمتها للمخزن لهذا الغرض سنة 1907 ما قدره 57٪ من رأس مالها الأساسي. كما تكلفت بتقديم قرض للمخزن لتأدية مختلف أنواع الغرامات والتعويضات للدول الأجنبية. ولمستوطنيها في المغرب، والمحميين المغاربة من يهود ومسلمين. وهكذا قام البنك سنة 1910 بتقديم قرض للمخزن يقدر بـ 101.124.000 فرنك بفائدة 5٪ لمدة 75 سنة على أن لا يبدأ في تأديته قبل خمس عشرة سنة ابتداء من 1926.

وخصص هذا القرض لتأدية تعويضات خسائر الحرب بفرنسا وإسبانيا، ففرنسا فرضت على المخزن 70 مليون فرنك كتعويض للخسائر التي أصابتها أثناء حملاتها "التأديبية" في وجدة والدار البيضاء، وإسبانيا طالبت المخزن بـ 65 مليون بسطة كتعويض للأضرار التي لحقتها أثناء حملتها على الريف وسلوان لـ"تأديب" القبائل التي

هاجمت مشروع بناء سكة حديدية بناحية مليلية.

كما خصص لتأدية مختلف التعويضات للأجانب والمحميين التي قدرت في 1910 بثلاثة عشر مليون فرنك فرنسي.

وكضمان لهذا القرض استولى البنك على ما بقي من مداخيل الديوانة واحتكار التبغ والكيف والمكس والزكاة والأملاك المخزنية المحيطة بالموانئ وحصة المخزن من الضريبة البلدية. وإذا كان هذا القرض لم يحل في شيء مشاكل الخزينة المغربية التي بقيت مجبرة على اللجوء إلى قروض أخرى، فإن البنك على العكس من ذلك استطاع بفضل القرض، ورغم ضعف العمليات التجارية أن يُضاعف أرباحه ثلاث مرات، كما أن البنك استطاع بفضل هذا القرض تنشيط بنيته المالية التي كانت راكدة قبل 1910.

وبفضل هذا التحسن الذي طرأ على النسبة المالية قام البنك بإصدار أول الأوراق النقدية من قيمة "20 ريال مخزني فضة".

كما قام بسك قطع نقدية في باريس من قيمة ريال و1/2 ريال و1/4 ريال.

وقام بفتح فروع جديدة في الرباط ووجدة.

ب) البنك بين 1912 و1920 :

بعد التحولات الطارئة على العلاقات الدولية وانسحاب ألمانيا من ساحة التنافس في المغرب وانفراد فرنسا وإسبانيا بالمغرب بعد معاهدة الحماية عام 1912، وجد البنك المخزني المغربي نفسه أمام مقاومة السلطات الاستعمارية، إذ صارت تعتبر طابعه الدولي وامتيازاته متنافية مع نظام الحماية الذي كان من المفروض أن يلغي معاهدة الخزيرات، كما أن النظام الاستعماري الذي كان غرضه الأساسي التوحيد السياسي والاقتصادي لإفريقيا الشمالية تحت السلطة الفرنسية، كان يرى من الضروري توحيد النقد في عملية ائتمانية يصدرها بنك الجزائر الفرنسي مائة في المائة.

ولم يستطع البنك المخزني الصمود إلا لتخوف السلطات الاستعمارية من نقض معاهدة دولية كمعاهدة الخزيرات، وللوزن الذي كان لبنك باريس والبلدان المنخفضة داخل فرنسا وداخل البنك المخزني، وكذلك للتحولات التي طرأت على تركيبة البنك بعد الحرب العالمية الأولى. وقد ظهرت نية السلطات الاستعمارية في التدخل في شؤون البنك والحد من امتيازاته منذ المعاهدة الفرنسية الإسبانية لـ 26 نوفمبر 1912. بالرغم من أن هذه المعاهدة نصت على أن إرساء الحماية في المغرب، وتقسيمه إلى عدة مناطق سياسية مستقلة لا يمس في شيء الحقوق والامتيازات التي منحتها معاهدة الخزيرات للبنك المخزني على مجموع تراب الأمبراطورية فإن الحكومة الفرنسية والإسبانية كانتا تعتزمان التدخل مباشرة في الميدان النقدي الذي كان من اختصاص البنك، وبدأتا تنسقان عملهما لتعديل نظام البنك ليصير ملائما للنظام الداخلي لكل منطقة، ولتمكين الحكومة الإسبانية من تسمية مراقب مغربي ثان في منطقة نفوذها تكون له نفس الاختصاصات التي كانت للمراقب الأول.

أما البنك الجزائري فقد بدأ منذ تأكد بوادر الحماية الفرنسية على المغرب، يهيء المجال لتعويض البنك المخزني المغربي ذي الطابع الدولي، حيث طالب في فبراير 1912 بممارسة حقه في فتح فرع في المغرب معتمداً على قانون 29 دسمبر 1911 الذي يعطي للحكومة الحق في السماح للبنك الجزائري "بخلق فروع في البلدان التي لها علاقات تجارية خاصة مع الجزائر وتونس".

كما أن البنك الجزائري كان يطمح إلى منازعة البنك المخزني امتياز الإصدار، إذ أن قانون يوليوز 1900 أُعطي لهذا البنك الذي كان موجوداً في الجزائر منذ 1851، وكان له امتياز إصدار الأوراق النقدية في الجزائر وتونس إمكانية مزاولة نشاطه وإصدار الأوراق البنكية في المستعمرات الفرنسية في إفريقيا.

وأمام تخوفات السلطات الفرنسية من عواقب خرق معاهدة الخزيرات الدولية ورفضها لطلب البنك الجزائري، قام هذا الأخير بالاستقرار في المغرب، بصفة غير مباشرة، عن طريق فتح بنك تابع تحت اسم البنك الجزائري التونسي للتجارة والتصدير الذي أصبح يتوفر منذ بداية 1914 على عدة فروع في طنجة ووجدة والدار البيضاء والرباط، واستطاع أن يحصل من الحكومة الفرنسية على حق أداء أجور جيش الاحتلال الفرنسي بالعملة التي يصدرها، مما جعل العملة الجزائرية (الفرنك الجزائري) تغزو الميدان البنكي المغربي.

وحاول البنك المخزني بمساعدة بنك باريس والبلدان المنخفضة أن يكسب الوقت، ولهذا خضع في أغلب الأحيان لأوامر السلطات الاستعمارية، فكرس كل جهوده للمحافظة على استقرار قيمة الفرنك الفرنسي الذي كان يتدهور باستمرار أمام البسيطة الحسنية والريال، ولتعويد السكان في المغرب على استعمال أوراق النقد الفرنسي والجزائري، ولهذا الغرض قام بين مارس 1912 و1914 بفتح ثلاثة فروع في العرائش وأسفي والجديدة. كما قام بسك عدة قطع نقدية جديدة وإصدار عدة أوراق نقدية مغربية من فئة تساوي 20 بسيطة من الحسني و4 ريالات، وحاول تحديد قيمة الفرنك الفرنسي بالنسبة للبسيطة الحسنية والريال، ولكن عجز البنك عن تزويد السلطات والنظام البنكي بالأوراق البنكية اللازمة أثناء الحرب وفشله في الحفاظ على قيمة الفرنك الفرنسي بالنسبة للنظام المغربي، جعل بنك الجزائر يعود من جديد للمطالبة بفتح فرع بالرباط، تسانده في ذلك الأوساط الاستعمارية التي اعتبرته أكثر صلاحية للإصدار من البنك المخزني، وحظي طلبه هذه المرة

بالقبول من طرف الحكومة الفرنسية (13 غشت 1914). ولكن قرار الحكومة لم ينفذ بسبب تطورات الحرب وتقدم الجيوش الألمانية في الأراضي الفرنسية، وانتقال الحكومة من باريس إلى بوردو، وكذلك بسبب اعتراض الجنرال ليوطي المقيم العام الفرنسي بالرباط الذي كان يريد إيجاد حل للمشكل النقدي بالمغرب، دون أن يربط النظام النقدي المغربي ببنك يوجد مقره المركزي بالجزائر. ولهذا الغرض طلب تعيين لجنة لدراسة مشكل النقد بصفة عامة. وفي 7 مايو 1915 عينت اللجنة بقرار من وزارة المالية الفرنسية وأسندت رئاستها لأرنوني Arnauné مستشار في محكمة الحسابات، وشارك فيها عدة موظفين كبار من وزارة المالية والخارجية ورئيس مجلس إدارة البنك المخزني والمدير العام لبنك الجزائر ونائب مدير بنك فرنسا الذي كان في نفس الوقت مراقباً في البنك المخزني.

وبعد عدة اجتماعات، أصدرت اللجنة في 18 مارس 1916 اقتراحاتها التي جاءت في اتجاه طموحات بنك الجزائر، إذ اقترحت تعويض العملة المغربية بالعملة الفرنسية ونزع امتياز الإصدار من البنك المخزني لصالح بنك الجزائر. وقد أثار الاقتراح الأخير احتجاج بنك باريس والبلدان المنخفضة وانسحاب رئيس مجلس إدارة البنك المخزني من اللجنة، وساند نائب مدير بنك فرنسا موقف بنك باريس والبلاد المنخفضة الذي كان يرى أنه من الممكن أن يدع النظام النقدي المغربي في النظام النقدي الفرنسي مع محافظة البنك المخزني على امتياز الإصدار.

وشرعت السلطات الاستعمارية منذ 1916 في اتخاذ التدابير العملية لتعويض النقد المغربي بالنقد الفرنسي فبدأت بالتدخل مباشرة في سوق الصرف لفرض تعادل بين النقد المغربي والفرنك الفرنسي الذي كانت قيمته تتدهور باستمرار. وبعد عدة تدخلات حصر التعادل في 5 فرنكات للريال لتعويد السكان على الحساب بطريقة النقد الفرنسي. كما صار الفرنك في أكتوبر 1917 هو العملة الرسمية للحماية الفرنسية، وصارت الميزانية والأداءات العمومية بالفرنك، كما شجع على استعمال الفرنك في دفع ضريبة الترتيب، وحُظر استعمال غير العملة الفرنسية في تحديد الأسعار منذ يناير 1918. ولكن آثار الحرب على الاقتصاد الفرنسي، وارتفاع قيمة الفضة في السوق العالمية، وتهافت السكان على الريال الحسني، أفقد الفرنك تعادله وجعل قيمته تسقط عام 1919 بنسبة 34٪ بالمقارنة مع الريال الشيء الذي أثار حملة في الصحف الاستعمارية كجريدة لافيجي ماروكين *La Vigie Marocaine* وليزانال *Les Annales* ضد البنك المخزني والسلطات الاستعمارية، وقام المستوطنون الفرنسيون بمظاهرات أمام مقر البنك، وأسست لجنة الدفاع عن الفرنك ترأسها بول لافيت Paul Lafitte مدير الجريدة اليومية الاستعمارية *La Vigie*.

وعينت الحكومة الفرنسية برون Peronne المفتش العام في المالية لدراسة الأزمة النقدية في المغرب، وقام هذا الأخير معززاً بالمدير العام لبنك الجزائر بتقديم تقرير في 9 دسمبر 1919 يقترح فيه من جديد إعطاء امتياز الإصدار لبنك الجزائر وتعويض الريال الحسني بصفة نهائية بالفرنك الفرنسي.

وقد زادت هذه الأزمة في تهميش البنك المخزني الذي انحصر دوره في اشتراء الريال الحسني لحساب السلطات الاستعمارية، بينما أخضعت هذه الأخيرة كل عملية تحويل لمراقبة تأشيرة السلطات المالية للحماية.

وابتداء من نهاية سنة 1919، وبطلب من الإقامة العامة بالرباط، عينت الحكومة الفرنسية لجنة ثانية يترأسها كورتان Courtin رئيس غرفة في محكمة الحسابات تضم عدة موظفين كبار من وزراء المالية والخارجية الفرنسية، ولم يشارك في هذا الاجتماع لا البنك المخزني ولا بنك الجزائر، ولكن اقترح أن يقوما باجتماعات ثنائية. وفي هذه الأثناء كانت فكرة نزع امتياز الإصدار من البنك المخزني لصالح بنك الجزائر قد بدأت تلوح دون صبر، بسبب التحولات التي طرأت على توزيع الأسهم داخل البنك المخزني وعلى طابعه الدولي، بعد معاهدتي فرساي وبعد تحركات بنك باريس والبلدان المنخفضة للرفع من أسهمه داخل البنك.

فبمقتضى البند 141 من معاهدة فرساي تخلت ألمانيا عن كل الحقوق والامتيازات والرسوم التي خولتها لها معاهدة الجزيرات الدولية في 7 أبريل 1906، كما نص البند 145 من نفس المعاهدة على تحويل أسهمها إلى "الشخص" الذي تعينه لها الحكومة الفرنسية وأن تخصم قيمة هذه الأسهم من تعويضات الحرب على أن تقوم الحكومة الألمانية بتعويض المساهمين الألمان في البنك المخزني. كما أن الإجراءات التي قام بها بنك باريبا لاقتناء أسهم أنجلترا وروسيا في البنك المخزني كانت تؤكد أن فرنسا ستتحكم مستقبلا في مجلس إدارة البنك المخزني. لهذه الاعتبارات جاءت اقتراحات لجنة كورتان Courtin في اتجاه نظرية السلطات الاستعمارية في ما يخص سحب جميع القطع النقدية المغربية التي تحمل سك السلاطين وكذلك أوراق الريال، وتعويضها بنقد من نوع الفرنك، ولكنها لم تشر إلى البنك الذي سيقوم بإصدار هذه الأوراق الجديدة.

ولكن الظهير حول الإصلاح النقدي في الأمبراطورية الشريفة وتاريخه 19 مارس 1920 نص على أن إصدار ورقة الفرنك سيكون من اختصاص البنك المخزني. في حين لم يتوصل البنك المخزني والجزائري لأي اتفاق.

2) البنك المخزني من 1920 إلى 1956 :

منذ 1920 تأكدت "فَرَنْسَةُ" البنك المخزني وتأكدت كذلك امتيازاته، وبدأت آمال بنك الجزائر في تعويض البنك المخزني تتضاءل.

فمنذ يوليوز 1920 ارتفعت نسبة الأعضاء الفرنسيين في مجلس الإدارة ونسبة الأسهم الفرنسية، فمن جهة صارت

نسبة مشاركة بنك باريس والبلدان المنخفضة 5 من 14 عوض 2 من 14 الأولية باشترائه لقسمة الأمبراطورية الروسية التي كانت في حوزة بنك الشمال، وكذلك بحصولها على قسمة الأمبراطورية الهنغارية النمساوية التي أرغمها البند 100 من معاهدة سان جرمان آن لي على التنازل عن أسهمها في البنك المخزني لصالح فرنسا. كما أن حصول فرنسا في شخص بنك الجزائر على القسمة الألمانية في البنك بمقتضى معاهدة فرساي رفع عدد الأعضاء الفرنسيين في مجلس الإدارة إلى 6 من 14 من بينهم الرئيس، زيادة على العضو المغربي الحاج إبراهيم بن جلون الذي كانت السلطات لا تشك في إخلاصه للمصالح الفرنسية والذي بقي في مجلس الإدارة إلى وفاته في 1932 رغم أن أغلبية الأسهم المغربية التي كانت فيها قبل لتجار مغاربة يمثلهم الحاج إبراهيم بن جلون فوتت للمستعمرين الفرنسيين. وبعد وفاة هذا الأخير عوض بعضو فرنسي، ومنذ 1921 شرع في سحب الأوراق النقدية الجزائرية والفرنسية وتعويضها بالفرنك المغربي الذي يصدره البنك المخزني.

وبربط البنك المخزني نهائياً بفرنسا، وإخضاع النظام النقدي المغربي للنظام النقدي الفرنسي وقع اتفاق بين وزير المالية الفرنسية بول دومير وستيفان درفي رئيس مجلس إدارة البنك المخزني في 29 دسمبر 1921، ينص على أن الحساب المفتوح باسم البنك المخزني في سجلات الخزينة الفرنسية يقوم بدور الوسيط بين فرنسا والمغرب.

وفي دجنبر 1924 أصدر ظهير يؤكد امتياز البنك المخزني في التصدير وينص على العقوبات اللازمة في حق مزوري الأوراق مما جعل بنك الجزائر يتخلى نهائياً عن فكرة تعويض البنك المخزني في الإصدار، ويعقد معه اتفاقية يتعهد فيها الطرفان باحترام حقوق الآخر وبالامتناع عن كل تدخل مباشر أو غير مباشر في شؤون الآخر، وأن يعملا على تسهيل العلاقات بين الجزائر والمغرب وأن يشتري البنك المخزني العقد التجاري للبنك التونسي الجزائري (فرع الجزائر في المغرب) بعدما سحب كل الأوراق النقدية الجزائرية.

وابتداء من 1925 فتح للبنك المخزني حساب العمليات في الخزينة الفرنسية تحت رقم 20.0.77 مما ربط نهائياً الفرنك "المغربي" بفرنك الدولة المستعمرة. وفي سنة 1925 دشن البنك المخزني مقراً جديداً في الرباط صار هو المقر المركزي، جاعلا بهذا حداً نهائياً للطابع الدولي الذي كان يضفيه عليه استقراره بطنجة، كما دشن فرعاً جديداً في مكناس انضاف إلى الفروع الموجودة في الدار البيضاء والقصر الكبير والجديدة والصويرة وفاس والقنيطرة والعرائش ومراكش ووجدة ووادزم وأسفي وسطات وتطوان.

وقد أدخلت على القانون الداخلي للبنك عدة تعديلات في اجتماعات غير عادية في 8 مايو 1926 و26 مايو 1930 و11 مايو 1936 و2 شتنبر 1946.

وفي 26 ماي 1946 بعد انتهاء مدة الامتياز الممنوح للبنك التي كان عقد الخزيرات قد حددها في أربعين سنة ابتداء من 1906، أصدر ظهير يمدد هذا الامتياز لمدة 20 سنة إلى تاريخ 31 دسمبر 1966. ولكن باستقلال المغرب سنة 1956 أصبحت قوانين وامتيازات البنك المخزني متنافية مع السيادة المغربية، وكان على المغرب المستقل أن يسترجع سلطته النقدية والمالية، وأن يجعل حداً لوجود البنك المخزني ويعوضه بمؤسسة وطنية.

وطرح المشكل على المجلس الوطني الاستشاري وقدمت عدة اقتراحات أهمها :

- اشتراء الأسهم التي كانت متفرقة بين عدة دول وغالباً بين أيدي مصالح عمومية أو أبناك خاصة، ولكن هذا الاختيار كان يقتضي أن تبقى المؤسسة الجديدة التي تحوز الأسهم في شكل شركة مجهولة الاسم، قد تشارك فيها أطراف أجنبية.

- استدعاء البلدان الموقعة على معاهدة الخزيرات لمناقشة التسيير المالي المنصرم وطرح المشاكل التي كانت لازالت موضوعة أمام المغرب المستقل، كمشاكل الحدود، ومشاكل القوات الأجنبية التي بقيت فوق التراب الوطني.

وبعد عدة جلسات ظهر فيها الصراع بين مختلف التيارات السياسية في البلاد تقرر أن تجرى مفاوضات بين البنك المخزني والحكومة المغربية في شخص وزير المالية آنذاك السيد عبد الرحيم بوعبيد، يكون الغرض منها استرجاع امتياز الإصدار من البنك المخزني قبل حلول الأجل المحدد وبدون تعويضات، وجعل حد لنشاطه البنكي، وخلق مؤسسة وطنية تمارس هذه الامتيازات دون أي طابع استمراري. وبدأت المفاوضات رسمياً سنة 1958 وانتهى الأمر باتفاق يشمل ثلاث نقط أساسية : 1) تحويل الامتياز 2) المستخدمين 3) اجراءات مختلفة. ويشتمل الاتفاق على 24 بنداً.

ويقتضي هذا الاتفاق تنازل البنك المخزني ابتداء من فاتح يوليوز 1959 عن امتياز إصدار النقد والامتيازات الأخرى التي خولتها له معاهدة الخزيرات والتي أعيد تجديدها بظهير في 26 مايو 1946 لمدة 20 سنة، كما تقررت عودة هذه الامتيازات للدولة المغربية التي سلمتها في نفس التاريخ إلى بنك المغرب باعتباره معهد الإصدار الجديد، كما نصت الاتفاقية على أن يبيع البنك إما مباشرة أو بواسطة الشركة التابعة له، وهي شركة إفريقيا الشمالية العقارية، كل أملاكه العقارية لبنك المغرب مقابل مليار وأربعمائة مليون فرنك 1.400.000.000، وكذلك التجهيزات من أثاث وسيارات وآلات مقابل مبلغ 260.000.000 فرنك مغربي. ووقع هذه الاتفاقية وزير المالية آنذاك السيد عبد الرحيم بوعبيد عن الطرف المغربي ورئيس مجلس إدارة البنك المخزني السيد دوروا Deroy، وقد أنهى البنك المخزني نشاطه البنكي رسميا في 1 يوليوز 1959، وحل محله بنك المغرب الذي أعطيت رئاسته للسيد محمد

الزغاري وحدد قانونه الأساسي في 73 بنداً بظهير رقمه 1.59.233 بتاريخ 23 ذي الحجة 1378 موافق 30 يونيو 1959. وحول البنك المخزني موجوداته المالية وأرباحه إلى شركة مالية جديدة هي الشركة العالمية للتمويل والاستثمار Sofinter التي استولى عليها بنك باريس والبلدان المنخفضة (باريبا) سنة 1960.

القانون الأساسي لبنك المغرب، خطاب السيد عبد الرحيم بوعبيد وزير المالية في 2 يوليوز 1959 بمناسبة تدشين بنك المغرب من طرف السلطان محمد الخامس.

L'Acte Général de la Conférence d'Algésiras. Rapports de la B.P.P.B. ; Bomet, *La Banque d'Etat du Maroc*. St. R. Taillandier, *Les Origines du Maroc* ; A. Roland Lebel, *Le Tertib* ; A. Reynier, *La Banque d'Etat du Maroc* ; A.J. Marty, *Le Franc Marocain* ; H. Claude, *Histoire, réalité et destin d'un monopole* ; A. Ayache, *Le Maroc* ; M. Bouarfa, *Le Rial et le Franc*.

ثريا برادة

بنك المغرب ← البنك بالمغرب

بنموسى - أسرة - ← ابن موسى

بنموسى، إبراهيم ربّي قبّالي، عاش في المغرب خلال القرن السابع عشر، له كتاب حول التلمود، مخطوطاته المتعلقة بالموضوع، مثل "يوما" و"سُوطاح"، ماتزال محفوظة برفوف "بوضليان" بأكسفورد. المقال الذي يعالج موضوع *"الناظر"* طُبع بمدينة ليفورن عام 1800 (مجموعة بريت يعقوب).

بنموسى، إبراهيم بن شلومو، ربّي بتطوان ثم بتونس. له مؤلفات في شرح الأعمال القبّالية لإسحاق لوريا، وشرح حول *المشنة* (الشريعة غير المكتوبة)، والهگادة (هجرة اليهود من مصر) في إطار الصوفية القبّالية والأغاني الدينية (بيوتيم) الرثائية (قينوط) ويذكر حييم الزعفراني وجود دروس تفسيرية (بيئوريم) تتعلق بابن ميمون الأندلسي، ضمن مجموعة يوسف بنّايم. وهي من تأليف إبراهيم بنموسى. ونشير إلى أن مجموعة بنايم توجد بمعهد الدراسات اليهودية بنيويورك.

دائرة المعارف اليهودية، 1907، ج 1 : 116.

A. Laredo, *Les Noms des Juifs* ; Y. M. Toledano, *Ner Hama'arab*.

سيمون ليفي

بنميرة، الهاشمي بن عمر السلامي السرغيني المراكشي ولد بأولاد سلامة في قبيلة السراغنة عام 1324 / 1906 من أسرة عريقة استوطنت المنطقة منذ أزيد من قرنين، درس في مسقط رأسه وفي بعض المدارس والزوايا بأحواز مراكش خاصة مدرسة الفقيه محمد البصري بفنطاسة السراغنة وأجازه هذا الأخير، ثم التحق بجامع ابن يوسف بمراكش فأخذ عن الشيوخ محمد بن عثمان المسفيوي، ومحمد بن الحسن المراكشي، والمختار السباعي وغيرهم، وتلقى الحديث عن الحافظ أبي شعيب الدكالي وأجازه فيه، وأخذ الكلام والمنطق والبلاغة عن الشيخ محمد العلمي بفاس، وأجازه فيها كذلك، وحصل على شهادة العالمية في مباراة بالرباط سنة 1358 / 1939.

التحق الهاشمي بنميرة بجامع ابن يوسف مدرساً، وبعد أن امتُحن سنة 1953 وأوقف عن عمله لموقفه الوطني، عين بعد الاستقلال أستاذاً بثانوية ابن يوسف، ثم بكلية اللغة العربية حين أسست بمراكش سنة 1963. وكان في نفس الوقت يقوم بمهام إدارية كمفتش في التعليم الأصيل، ودينية كالوعظ والإرشاد والافتاء والإمامة والخطابة بعدد من المساجد.

أما آثار قلمه فما زالت كلها مخطوطة، وهي في التعليم والتصوف، ومنها رحلة حجازية وخطب جمعة.

توفي بمراكش في ثامن شوال عام 1388 / 29 دجنبر 1968.

تقاييد المترجم وإجازاته ؛ ترجمة له كتبها الفقيه الكنسوسي المراكشي، ترجمة له كتبها عبد الرحمان الكتاني في جريدة الميثاق، بتاريخ 15 ربيع الأول 1389.

عمر بنميرة

ابن البنّاء، أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي نسباً، المراكشي مولداً ووفاة (654 . 721 / 1256 . 1321) يكنى بابن البنّاء لأن والده كان يحترف بصناعة البناء، ويلقب بالعددي إعلاما بأنه كان متميزاً في علم الأعداد.

تلقى القرآن عن محمد بن بشير، وعن الشيخ الأحدب وهما كانا لوقتهما من خيرة المقرئين بمراكش، وأخذ علوم السنة عن أبي الحجاج يوسف بن أحمد بن حكم التجيبي قاضي الجماعة بفاس، وعن أبي يوسف يعقوب بن عبد الرحمان الجزولي، وعن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري. ودرس الفقه والأصول على أبي عمران موسى بن أبي علي الزناتي المراكشي، وأبي الحسن محمد بن عبد الرحمان المغيلي، وتلقّن العربية عن محمد بن علي بن يحيى الشريف المراكشي، وعن أبي إسحاق إبراهيم بن عبد السلام الصنهاجي المعروف بالعطار، وتعلم العروض على أبي بكر محمد بن إدريس بن مالك القضاعي المعروف

بالفأر، وتتلمذ في العدد على محمد بن علي المعروف بابن أبي حجلة، وفي علم النجوم على محمد بن مخلوف السجلماسي نزيل مراكش، وفي الطبّ على حكيم من أهل زمانه يعرف بالمريخ، وقد تظنن عبد الله گنون أنه الذي هجاه الحسن بن نصر الدباغ بزجل يقول فيه :

إن رأيت من عاداك ... يشتكي من تلطيخ
وتريد أن يقيء ... احمله للمريخ
قد حلف ملك الموت ... بجميع أيمانو
ألا يبرح ساعه ... من جوار دگانو

وتربى صوفياً بالشيخ أبي زيد عبد الرحمان بن عبد الكريم الهزميري وانتهى إلى طريقته الأغماتية، وكان يحدّث ويقول :"كنت إذا أشكل علي شيء ركبت دابتي وانصرفت إلى أغمات وريكة فأجتمع بسيدي عبد الرحمان، فيشرح لي ما انبهم علي من المسائل، ثم أعود إلى منزلي، ولقد كنت أسير في بعض الأحيا، فأجد الناس قد أحدقوا به فلا أجد كيف أجتمع به، فأقعد خلف السارية التي يستند إليها فيتكلم على المسائل التي جئت أستفتيه فيها مسألةً مسألةً حتى يأتي على آخرها فأخرج وأركب دابتي وأرجع إلى مراكش من يومي".

وأخذ عنه العديد من طلبة العلم كان فيهم أعلام، نذكر منهم عبد الرحمان بن محمد التلمساني المعروف بابن الإمام الفقيه المجتهد، وأخاه أبا موسى عيسى بن محمد الذي كان في الفقه من طبقة أخيه السابق الذكر، ومحمد بن علي التلمساني المعروف بابن النجار شيخ التعاليم لوقته، ومحمد بن إبراهيم الآبلي أحد حكما، الإسلام وشيخ عبد الرحمان بن خلدون، ومحمد بن أحمد بن شاطر المراكشي الصوفي الظريف المليح، وأبا البركات محمد بن إبراهيم البُلْفيقي أحد أشياخ ابن خلدون الكبار، وعبد الرحمان بن سليمان اللجائي الذي كان كثيرا ما يقول :"ما وجدت إلا بركة ابن البنّا، وما وجد ابن البنّا، إلا بركة الهزميري".

يعتبر ابن البنّا، أحد المؤلفين الموسوعيين المكثرين، فقد أحصى له مترجموه ما ينيف على الثمانين تأليفا ما بين كتاب ورسالة ومقالة، وذلك ما نذكر جلّه مصنفاً على المواضيع في المسارد الآتية :

له في القرآن وما إليه : *اختصار كشاف الزمخشري*، وحاشيةعليه ؛ *وكتاب في منحى ملاك التأويل، في المتشابه اللفظ من آي التنزيل* لمعاصره أبي يعقوب أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الغرناطي، *ورسالة في تسمية الحروف* وخاصية وجودها في أوائل سور القرآن، *ورسالة في تفسير الاسم من البسملة*، وأخرى في *تفسير الباء من البسملة*، وهما توجدان مخطوطتين ضمن مجموع بمكتبه جامع القرويين بفاس، وعنوان *الدليل، في مرسوم خط التنزيل*، كتبه في تعليل رسم المصحف الإمام، وهو يوجد مخطوطا بالخزانة العامة بالرباط، وبالخزانة الحسنية بالقصر الملكي بالرباط.

وله في الأصول والفقه : *منتهى السول، في علم الأصول*، وشرح على *تنقيح الشهاب القرافي*، *والفصول في الفرائض*، وشرح على بعض *مسائل الحوفي*، *ومقالة في الإقرار والإنكار*، *ومقالة في المدبر*، *ومقالة في المكاييل الشرعية*.

وله في العربية والأدب : *الروض المريع، في صناعة البديع*، صدر محققا بعناية الأستاذ رضوان بشقرون عن دار النشر المغربية بالبيضاء سنة 1985، وله *كليات في العربية*، *وقانون في الفرق بين الحكمة والشعر*، *وقانون في معرفة الشعر*، *وقانون في عيوب الشعر*.

وله في الحساب والجبر والهندسة : *التلخيص في أعمال الحساب*، وهو أشهر كتبه، وعليه شروح تنيف على العشرة، منها *اللباب، في شرح أعمال الحساب* لعبد العزيز علي الهواري، منه مخطوط بمكتبة عارف حكمت بالمدينة تمت كتابته سنة 746 هـ، *والتمحيص في شرح التلخيص* لابن هيدور (مخطوط)، *وشرح القلصادي* (مخطوط) وعقده ابن غازي المكناسي نظماً في ألفية سماها *منية الحساب* وشرحها شرحا سماه *بغية الطلاب* والنظم وشرحه مطبوعان معاً بفاس سنة 1317 هـ، وكان *التلخيص* قد ترجم إلى الفرنسية بعناية المستشرق الفرنسي أرستدمار Aristide Marre، طبعت الترجمة بروما سنة 1864، *والتلخيص حققه* الدكتور محمد سويسي، وطبع التحقيق بتونس سنة 1964، وله *رفع الحجاب عن وجوه أعمال الحساب*، وهو شرح له على التلخيص، قال عنه ابن خلدون في مقدمته وهو يتكلم عن علم العدد :"أدركنا المشيخة تعظّمه، وهو جدير بذلك"، وقد قام الباحث المغربي محمد أبلاغ بتحقيقه، وأصحبه بتحليل رياضي له، ودراسة فلسفية عليه، وقدم ذلك أطروحة لنيل دكتوراه من جامعة باريس (1) پانثيون ـ سربون فنالها بدرجة تشريف، وعلى *رفع الحجاب* تقييد لابن هيدور سماه "*تحفة الطلاب، وأمنية الحساب*" منه مخطوطة بالڤاتيكان برقم : (1403 عربي).

ومن ذلك رسالة في *الأعداد التامة والزائدة والناقصة والمتحابة*، جمعها الدكتور محمد سويسي ونشرها في حوليات الجامعة التونسية بالعدد 13 سنة 1976. *وكتاب في الجبر والمقابلة*، *ومقدمة على أوقليدس*، *ورسالة في الأشكال المساحية* حققها الأستاذ محمد العربي الخطابي ونشرها بالعدد 256 من مجلة دعوة الحق 1406 / 1986.

وأخرج في الفلك وما إليه زهاء العشرين تأليفاً نستعرض جلها فيما يأتي :"*منهاج الطالب، في تعديل الكواكب*"، نقله المستشرق الإسباني خينيس پيرنيت إلى الإسبانية، ونشرت الترجمة مع النص العربي بعناية معهد الأبحاث بتطوان سنة 1952 وله *اليسارة، لتعديل السيارة*، وعليه شرح لأحمد بن حميدة المطرفي سماه *المقصد الأسنى في حل مقفل يسارة ابن البنا*، منه مخطوط بالخزانة العامة بالرباط ؛ *والإشارة في اختصار اليسارة*، *وكتاب في الأنواء* ترجمه الدكتور رينو إلى الفرنسية ونشره معهد الدروس العليا المغربي نصاً وترجمة سنة 1948 ؛ *ورسالة في معرفة الأوقات بالحساب*، وقد حققها الأستاذ محمد العربي

الخطابي وأودعها كتابه : *علم المواقيت* المطبوع بفضالة سنة 1986، *ورسالة في العمل بالصفيحة الزرقالية*، وقد نشرها الأستاذ محمد العربي الخطابي محققة بالعدد 242 من مجلة *دعوة الحق* سنة 1305 / 1985 ثم أعاد نشرها ضمن كتابه *المواقيت* السابق الذكر، *والمنهاج في تركيب الأزياج*. *وكتاب في أحكام النجوم*، وثلاثة *مداخل في أحكام النجوم*.

وله في العلوم الخفية : *رسالة في الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر* ؛ *وكلام على خط الرمل*، وكلام *على الزجر والفال والكهانة*؛ *وكلام على العزائم والرقى والتمائم*، وكلام *في خواص بعض الدعوات* ؛ *ورسالة في صناعة الأوفاق*، وكلام *في عمل الطلسمات*.

ثم له كتبٌ أفرادٌ أو مجهولةُ الكُنه نعزلها في السرد التالي :

كلام في الصرع الروحاني والصرع المزاجي، *اختصار في الفلاحة*، *رسالة في مسائل فقهية ونحومية*، *رسالة في العلوم الثمانية* ؛ *رسالة في الحملاء الستة* ؛ *الرد على ابن عبد العظيم في خلوته*، *الرد على البوني*.

كان ابن البناء بُجوّد كتبه تجويداً اعتبر به إماما في صناعة التأليف على عهده بالغرب الإسلامي، ففي *روضة الأقحوان من أزهار الرياض* (3 : 23) ما نصه :"انتهت صناعة التأليف في علماء المغرب لشيخ شيوخ العلماء في وقته ابن البناء المراكشي في جميع تصانيفه، أوجب ذلك براعة نسبه من البداوة، وملكته في التصرف التي هي نتيجة تحصيله".

وقد كان في كلامه عامةً وفي تآليفه خاصة دقيقا، شديد التركيز ، ميالا إلى الإيجار، فجاء ذلك تصديقاً لقوله في أبياته المشعورة :

قصدت إلى الوجازة في كلامي ... لعلمي بالصواب في الاختصار
ولم أحقِرْ فهوماً دون فهمي ... ولكن خفتُ إزراء الكبار
فشأنُ نحولة العلماء شأني ... وشأن البسط تعليم الصغار

وكان ابن البناء قوي الشخصية حسن السمت، وقور المجلس محبوبا في الخاصة والعامة، مشغولا بالعلم أخذا وإعطاءً، وكان إذا تكلم ألقى إليه الحاضرون بالأسماع، حتى قيل عنه إنه عمل طلّسماً يرغم له الحاضرين على السكوت والإصغاء، وكان مَتنعما في عيشه طعاما وملبسا ومسكنا، يشهد على ذاك حكاية أوردها ابن قنفذ في *أنس الفقير* (67. 68) نقتضبها فيما يأتي :

"خرج أبو عبد الله الگومي إلى زيارة الفقيه اليقُّوري قال : فوجدته بين كتبه على التراب، وعليه مرقعة غليظة، وعرقه يقطر، ثم خرجت إلى زيارة ابن البنا فوجدته في قبة رياضه، وعليه ثياب كتان من عمل تونس. وفي القبة أقطعة ومخاد، وعليها حجاب حسن، فنادى الخادم، فقدمت الأطعمة والسكر والبطيخ، فقلت في نفسي : سبحان الله ! كيف تركت اليقُّوري ووجدت هذا الرجل ! فقال لي : دع الفضول، لو كان اليقُّوري في هذا المقام وأنا في مقامه لاختلّ حال كل واحد منا".

واطلاع ابن البنّاء على ما دار في خلد الگومي، قد حكى عنه مترجموه أشياء من أمثاله، وجائز فيه أن يكون من بابة الكشف، ويجوز في بعضه أن يكون من قبيل الزّكانة، وبعض حاسديه يدعي عليه أنه من النجامة، ويكذب ذلك ما كان عليه من سلامة العقيدة وشدة التديّن، ويفنده أيضا أن له تأليفاً في إبطال أحكام النجوم.

ثم نختم الكلام في ابن البناء بذكر أثارتين بمراكش إحداهما دار تعرف بدار الفقيه الجبلي يقال عنها إنها كانت دار سكناه، وهي بحي قاعة ابن ناهض الواقع بوسط مراكش العتيقة، ونُذكّرُ بأن غير واحد من مترجميه ذكروا أنه ولد بذلك الحي، وعليه فمن المحتمل أن تكون على مكان ولادته، وأن تكون على موضع سكناه الذي زاره فيه الگومي، والأخرى مدفنه المعروف بالبرج الركني والواقع بحي جنان بوسكري من شرق مراكش العتيقة.

ابن قنفذ، *أنس الفقير* (60. 69) ؛ ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة* (1 : 297. 298) ؛ ابن هيدور التادلي، *مقدمة التمحيص في شرح التلخيص* (مخطوط) ؛ القلصادي، *مقدمة شرحه على التلخيص* (مخطوط) ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* (1 : 148. 152) ؛ *درة الحجال* (1 : 14. 16) ؛ أحمد بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج* (65. 68) ؛ م. مطيع، *كفاية المحتاج*، دراسة وتحقيق ؛ رسالة جامعية (مرقونة) ؛ الشوكاني، *البدر الطالع* (1 : 108. 109) ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة*، (2 : 52) ؛ سوتير وابن أبي شنب، *دائرة المعارف الإسلامية*، 1 : 102. 103 من الترجمة العربية ؛ ألدو ميبلي، *العلم عند العرب* (411 / 412. 413) من الترجمة العربية؛ ابن الموقت، *السعادة الأبدية* (1 : 70. 74) ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* (2 : 202. 210) ؛ خ. الزركلي، *الأعلام* (1 : 222) ؛ ع. گنون، *ابن البناء العددي*، العدد 32 من *الذكريات* ؛ قدري طوقان، *تراث العرب العلمي* (429. 432) ؛ م. العربي الخطابي، *علم المواقيت أصوله ومناهجه* (86. 99 / 136. 174) ؛ م. بن عبد العزيز الدباغ، *ابن البناء المراكشي وكتابه تفسير الاسم من البسملة*، *دعوة الحق*، العدد 262، الجمادياف 1407 / يناير. فبراير 1987.

H.P.J. Renaud, *Notes critiques d'histoire des sciences chez les musulmans : Ibn Al-Banna de Marrakech, sûfî et mathematicien. Hesp*, T. XXV, 1938 1er trim., p. 13 - 42.

أحمد الشرقاوي إقبال

البنّاء (ابن .)، **أحمد** بن **محمد المالقي**، يوافق ابن البناء العددي المراكشي اسما وكنية وسكنى. ولد بمالقة عام 647 / 1250. 49، وبها درس حتى أصبح فقيهاً مشهوراً فأسند إليه قضاء أغمات. وكانت وفاته بمراكش عام 741 / 1340. 1341. حسب أحمد ابن القاضي في *لقط الفرائد*، وحسب ما ورد في *نيل الابتهاج* وفي *كفاية المحتاج* نقلا عن *فهرسة* محمد بن إبراهيم الحضرمي بخطه. كانت وفاته سنة 724 / 1323. 1324.

أ. ابن القاضي، *لقط الفرائد* ؛ أ. باب السوداني، *نيل الابتهاج* ؛ *كفاية المحتاج*، د.د.ع كلية الآداب، بالرباط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*.

محمد مطيع

بناصر، شيخ درعة ← ابن **ناصر**

بنّاصر عمرو ← **الزموري** عمروبناصر

بنّاصر، محمد بن **العربي** بن الحبيب بن **المصطفى**، من آل الولي الصالح سيدي أحمد بن علي دفين غريس قرب معسكر، الذي ينتسب إلى الحسين بن علي بن أبي طالب. هكذا كتب اسمه بخطه (محمد بناصر) بينما كتب "ناصر" في قائمة الشرف.

ولد بمدينة وجدة عام 1325 / 1907، وبها حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ علوم اللغة والدين، واستظهر من المتون *الآجرومية*، *والألفية*، *ولامية الأفعال*، *والمرشد المعين*، *ومقدمة السنوسي* في التوحيد، ومعظم *مختصر خليل*، *وورقات* إمام الحرمين، *وسلّم* الاخضري.

أخذ بالمدرسة العلمية بمدينة وجدة عن والده الذي كان يشغل منصب مديرها، وعن عمه أحمد بن الحبيب الذي كان متخصصا في عمل النحو والأدب، وأبي بكر بن زكري الفاسي، ومحمد بن الحاج المازوني، والقاضيين محمد بن قدور العبادي، وإسماعيل الادريسي، وعبد الرحمن الشفشاوني. وحصل على شهادة العالمية بوجدة إلا أن الفرنسيين انتزعوها منه في جملة ما انتزعوا من مخطوطاته ووثائقه أثناء حملاتهم التفتيشية بمنزله. وبعد ذلك تمكن من دراسة اللغة الفرنسية في ليسي مدينة وجدة إلى أن وصل إلى القسم ما قبل البكالوريا.

عرف الوطنية منذ سنة 1930 فندّد بالظهير البربري في المساجد والنوادي، وقام سنة 1936 بتحرك وطني هام مع السيد عبد السلام الوزاني الذي أوفده الحزب الوطني إلى وجدة، وحكم عليه بالسجن سنتين على إثر الأحداث التي عرفتها هذه المدينة، ثم أفرج عنه كسائر المعتقلين. ودخل السجن مرة أخرى سنة 1937 بعد نفي الزعماء حيث قضى سنتين بسجن غبيلة بالبيضاء. ووقّع على عريضة المطالبة بالاستقلال نيابة عن المغرب الشرقي، واعتُقل على إثر ذلك مع مجموعة من الوطنيين حيث قضى عامين آخرين بسجون وجدة وغبيلة وعين علي مومن.

شغل عدة مناصب إدارية، فعمل رئيسا لمصلحة الحالة المدنية بوجدة، ثم مراقب الجمارك بنفس المدينة. وبعد الاستقلال انخرط في سلك القضاء حاكما للسدد ببركان، ثم عضواً بالمحكمة الإقليمية بفاس. وأدركته المنية بالرباط يوم 13 دجنبر 1970 ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه وجدة حيث دفن في مقبرة أسرته.

ترجمتة بقلمه وخطه في ملف الحاج أبي بكر الصبيحي، مخطوط خ. ص ؛ لجنة الإعلام والنشر لحزب الاستقلال، *قائمة الشرف*، 106. 107.

بناني، أسرة بفاس والرباط، يذكر أحد المصادر أن بنّان (بنون مشددة) هو ابن يعقوب الكندي الكوفي المعروف بالزقومي أخو حمدان، ويقول ابن ماكولا إن ابن الأعرابي تحدث عنه وروى عنه ابن منده وأبان بن عبد الله بن أبان. ونقل عن أبي القاسم البرزلي في *تاريخ افريقيا* أن بني بنّان قرية بافريقية قرب باجة، وإليها ينتسب آل بناني أو البناني بفاس وبلاد المغرب، وردوا منها مع من ورد أيام يحيى بن محمد بن إدريس أوائل القرن الثالث الهجري (9 م).

وفي أيام المولى إسماعيل انتقل الحاج عبد السلام بناني من فاس إلى الرباط بأمر من السلطان حيث أقام بالمدينة للتدريس ونشر العلم، وتناسل عقبه بها، وإليه تنتسب أغلبية الأسرة البنّانية الموجودة حاليا بالرباط. وقد عرفت أسرة البنّانيين سواء الذين بقوا بفاس منهم أو الذين نشأوا بالرباط بالعلم والدين واشتهر منهم قضاة وعلماء ومتصوفة. ويظهر أن فرعاً آخر من آل بناني انقرض من الرباط في حدود سنة 1200 / 1785 حسب ما عند بوجندار في *مقدمة الفتح* (ص 190).

ومنذ القرن الثامن عشر برزت في كل من مدينتي فاس والرباط شخصيات مرموقة من هذه الأسرة واستمرت هذه المكانة فيها إلى الآن، فمنذ سنة 1222 / 1807 كان رئيس مرسى الرباط هو الحسن بناني. وفي نفس الوقت برز الكاتب الطاهر بناني الذي أرسله السلطان محمد بن عبد الله سفيراً إلى الدولة العثمانية كما عاصر هذين الشخصيتين ناظر أحباس الرباط الحاج العربي بناني. وبعد ذلك تولى الحسبة كل من محمد بناني وابن عمه وسميه الحاج محمد بالرباط. وهذا الأخير هو والد الأمين الحاج أحمد بناني المثري الشهير صاحب العقارات الكبرى بالرباط المعروف بحميدو بناني. أما في فاس فعدد العلماء والوجهاء البنانيين كثير.

م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، الرباط 1345 هـ ؛ *تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط*، 1345 ؛ *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط*، 1986؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، 297. 377 ؛ ع. بن منصور، *أعلام المغرب العربي*، 1 : 262 ؛ م، دينية، *مجالس الانبساط*، 137. 162. 188. 208. 232.

Dictionnaire des personnalités passées et contemporaines, livre d'or, Casablanca, 1934.

بناني، أحمد بن **الصالح** بن أحمد. ولد بفاس عام 1216 / 1801 وأخذ فيها عن كبار علماء عصره، كمحمد بن عبد الرحمن الحجرتي الفيلالي، وعبد القادر الكوهن، وبدر الدير الحمومي، ومحمد السنوسي. وكان ـ كأبيه ـ صوفياً درقاوياً. اشتغل بالتدريس، وبعد وفاة والده المريد المباشر للشيخ العربي الدرقاوي، غلب عليه النسك وتربية المريدين.

توفي بفاس عشية يوم الثلاثاء سادس عشر ربيع الثاني عام 1286، ودفن بجوار والده بروضته خارج باب الفتوح.

م. الكتاني، *سلوة* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1286.

بناني، أحمد بن **عبد السلام** بن محمد بن أحمد أحد

العلماء البارزين في عهد المولى سليمان (1792 ـ 1822). تتلمذ على كبار علماء عصره مثل شيخ الجماعة بفاس محمد الطيب ابن كيران، ورحل إلى المشرق في سنة 1218 / 1803 لأداء فريضة الحج، وكان الوهابيون آنذاك يحاولون فرض سيطرتهم على الحرمين الشريفين فتعرض المترجم للكثير من المضايقات على يد أتباعهم المتشددين. ولما عاد إلى مسقط رأسه بفاس حمل معه رسالتين في موضوع الدعوة الوهابية فسلمهما إلى شيخه ابن كيران قبل أن تصلا إلى يد السلطان المولى سليمان.

وإذا كان الطيب بن كيران قد كُلف من طرف المولى سليمان بالرد على أقوال الوهابيين فإن أحمد بن عبد السلام بناني انتصب هو الآخر لتفنيد حججهم من خلال مؤلفين له سمّى الأول *الفيوضات الوهبية في الرد على الطائفة الوهابية* والثاني *الصواعق والدواهي في الرد على المبتدع الوهابي*. كما ترك هذا العالم عدة مؤلفات في مواضيع شتى منها ما له علاقة بالجدل الذي قام في وقته حول بعض الطرق الصوفية : *المعيار المعرب عن فضيحة التيجاني بين أهل المشرق والمغرب* ومنها ما له علاقة بمسألة البلديين التي كثر فيها الخلاف بين علماء فاس منذ وقت طويل. وبخصوص هذه المسألة وضع المترجم مؤلفاً سماه *تحلية الآذان والمسامع بنصرة الشيخ ابن زكري العلامة الجامع*، وفيه ينفي تهمة الشعوبية عن العالم المذكور ويدحض حجج الذين يميزون بين المسلمين على أساس العرق أو الانحدار من أصل يهودي كما هو الشأن بالنسبة للعديد من الأسر الفاسية.

توفي أحمد بن عبد السلام بناني في سنة 1234 / 1818، ولا يستبعد أن يكون من ضحايا الوباء الذي أصاب البلاد بين سنتي 1818 و1820. وذكر ع. ابن سودة في *الإتحاف*، أنه توفي في القيروان بتونس.

أ. بناني نفسه، *بعض مؤلفاته* ؛ ع. ابن سودة، *دليل؛ إتحاف المطالع*، مخطوط.

محمد المنصور

بناني، أحمد بن **عبد السلام** بن **محمد** بن أحمد بن الصالح، أديب من رواد القصة والمقالة في المغرب. ولد بفاس في بيئة علمية، إذ كان والده عبد السلام مدرساً بالقرويين، وعمه عبد العزيز فقيهاً قاضياً بفاس. وتكوّن أحمد تكويناً مزدوجاً، درس العربية قبل أن يلتحق بالتعليم العصري. وبعد إنهاء دراسته بثانوية مولاي إدريس انتقل إلى الرباط لدراسة الحقوق والترجمة بمعهد الدراسات المغربية العليا. وبعد تخرجه عُين كاتباً مترجماً بإدارة الشؤون الشريفة التي كانت الواسطة بين القصر الملكي والإقامة العامة، ثم في ديوان الصدر الأعظم الحاج محمد المقري. وقد عرف السجن والنفي لأفكاره ومواقفه أيام الكفاح الوطني. وبعد الاستقلال عينه محمد الخامس رئيساً للتشريفات، ثم تقلد مناصب سامية أخرى كالسفارة وغيرها.

ظهر نبوغ أحمد بناني مبكراً في ميدان الكتابة الأدبية والاجتماعية فكان من رفاق سعيد حجي يكتب في جريدة *المغرب وملحقها* الأدبي، *والثقافة المغربية* وغيرها. وتميز أسلوبه بالسلاسة والوضوح والمتعة.

وفيه يقول الأستاذ قاسم الزهيري : "لم يكن أسلوب المرحوم ـ أحمد بناني ـ يخفى وسط أساليب الكتاب من أبناء وطنه، فكانت مقالاته السياسية وقصصه الاجتماعية حديث المجالس ومثار التفكير والتأمل. يكتفي منها القراء العاديون بمسحتها الساخرة الضاحكة، بينما يحاول المثقفون أن ينفذوا إلى ما تبطنه من خفي المعاني. وفي أيام الاستعمار كانت مقالاته موضع اهتمام قلم الرقابة يحتار في إدراك مضامينها، وكلما أعجزه الفهم لجأ إلى الشطب والحذف فبات أضحوكة القراء. وإمعانا في النكاية بالرقابة نشر أحمد بناني مقاله الشهير "حذفته الرقابة" معرضاً إياها للسخرية والتسفيه".

من آثاره المنشورة، علاوة على المقالات العديدة التي تتضمنها الجرائد والمجلات الوطنية، كتاب *فاس في سبع قص* (1968)، وكان في آخر حياته يكتب تاريخ المغرب ويقول إنه سيصدر قريباً.

توفي بالرباط يوم 12 محرم عام 1399 / 12 ديسمبر 1978، وأقيمت له ذكرى الأربعين شارك فيها جماعة من أصدقائه رجال الفكر والأدب، وأشادوا بمزاياه نثراً وشعراً.

أحمد بناني فقيد الأدب والوطنية، حياته اتجاهاته الأدبية والفكرية، الرباط 1981.

محمد حجي

بناني، أحمد بن **محمد** بن الحسن بناني الرباطي. فقيه وأديب وشاعر. ولد بالرباط سنة 1260 / 1844. قال عنه

عبد الحفيظ الفاسي في معجم *الشيوخ* "كان عالماً مشاركاً في كثير من العلوم العقلية والنقلية، ماهراً في علم النحو، مبرزاً في علم التوثيق، ضابطاً متقناً، منقبضاً عن الناس متباعداً عن مخالطتهم، متصوفاً، عارفاً بزمانه، مقبلا على شأنه، مستعملا الجد في سائر أحواله، مكباً على المطالعة والتقييد، معمراً أوقاته بنوافل الخيرات، وكان معظم الجناب موقراً عند الخاص والعام" (2 : 116).

قرأ على شيوخ الرباط في وقته كالقاضي محمد البريبري (ت 1326 / 1908)، وإبراهيم التادلي (ت 1311 / 1894) وسيدي العربي بن السايح (ت 1309 / 1891). ورحل لفاس ومكناس وزرهون ولقي كثيراً من أهل العلم والفضل (*الاغتباط*، 77). وفي يوم السبت 26 رجب عام 1287 / 1870، قصد تطوان وبها أخذ الطريقة الريسونية عن الشيخ سيدي محمد ابن ريسون، ومكث هناك مدة يدرس بالزاوية العيساوية. ثم رحل للمشرق مرتين فحج وزار، واستقر مدة بمكة والمدينة والقاهرة، وأخذ العلم عن بعض شيوخ الحجاز ومصر. وكانت حجته الأولى سنة 1284 / 1867، والثانية سنة 1292 / 1875. وقد أجازه من الرباط شيخه إبراهيم التادلي، ومحمد البريبري، وفتح الله ابن الشيخ أبي بكر بناني الرباطي (ت 1353 / 1933)، ومن الديار المقدسة محمد بن خليفة المدني (ت 1313 / 1895)، وأجازه إجازة عامة مفتي مكة أحمد بن زيني دحلان المكي الشافعي(ت 1304 / 1886) صاحب كتاب *الفتوحات الإسلامية* الذي قال عنه صاحب *فهرس الفهارس* (1 : 391) "أحد من نفع الله به الإسلام في الزمن الأخير في تلك الربوع العربية".

بعد عودة أحمد بناني من حجته الأولى عُين في خطة الشهادة ودام يزاولها نحو ثلاثين سنة. ثم عُين إماما بالزاوية الناصرية بالرباط وأُسندت إليه سائر وظائفها الدينية من خطبة وإمامة ووعظ وتدريس، فقام بما أسند إليه خير قيام، واعتكف على نشر معارفه بالزاوية المذكورة (*الاغتباط*، 77). وكان مجلسه كما قال بوجندار في *تعطير البساط*(ص. 45) "مجلس الفحول من الرجال ومما تشد له الركاب والرحال"، ولا غرو في ذلك، فقد كان الفقيه أحمد بناني يُعتبر في بداية هذا القرن قمة من القمم الثقافية في مدينة الرباط.

وأخذ عن أحمد بناني مجموعة من الفقهاء والأدباء، منهم زين العابدين ابن أبي بكر بناني (ت 1310 / 1892)، ومَحمد والزهراء (ت 1325 / 1907)، وعلي بن عبد الله الرباطي (ت 1342 / 1922)، ومحمد بن أحمد بناصر ملين (ت 1342 / 1922)، ومحمد بن عبد الواحد بنونة الرباطي (ت 1345 / 1926)، وعلي بن مَحمد عواد السلاوي (ت 1354 / 1935)، ومحمد المكي البطاوري (ت 1355 / 1936)، ومحمد ابن عبد السلام السايح (ت 1367 / 1948). وقد أجاز من هؤلاء محمد ملين ومحمد السايح، وأجاز من فاس عبد الحفيظ بن محمد الطاهر الفاسي صاحب معجم *الشيوخ* (ت 1383 / 1964)، كما أجاز عبد الحي الكتاني (ت 1382 / 1962) إجازة عامة (*فهرس الفهارس*، 1 : 391).

اشتهر أحمد بناني بالمشاركة في فنون وعلوم شتى، وتشهد كناشاته التي تم الاطلاع عليها على أنه نثر ونظم وساجل وكاتب وأجاز وأفتى. ولا يُعرف من مؤلفاته سوى: *الفتح الودودي* وهو عبارة عن حاشية على المكودي على ألفية ابن مالك في ثلاثة أجزاء، ابتدأها من أبواب الإشارة؛ *وكشف الستارة عن خطبة ميارة*، وهو شرح على خطبة ميارة ؛ *والفتح الهادي*، وهوتقييد على لامية المجرادي في الجمل ؛ *وإتحاف أهل المودة*، وهو شرح على ميمية البوصيري (البردة)، لم يكمل ؛ *وإكرام الضيف بشرح المفاخرة بين القلم والسيف*، وهو عبارة عن تعليق على *رسالة* ابن نباتة في المفاخرة بين السيف والقلم ؛ *والعمل بالتلغراف* وهوتقييد فقهي ؛ *و حاشية على شرح ميارة على المرشد المعين*، وصل فيها إلى الصلاة ؛ *ونظم في التصريف على نهج لامية ابن مالك* ؛ *وشرح أحاديث من الجامع الصغير* التزم فيه نقل كلام أهل الحديث والصوفية والأدباء؛ *وشرح مختصر على جوهرة اللقاني* ؛ *ورسالة عن المدينة المنورة*، ختمها المؤلف بالحديث المسلسل بالمشابكة بينه وبين العلامة الحجازي محمد بن خليفة المدني.

وقد دلت هذه التقاييد والمصنفات على اطلاع المترجم وقدرته على الكتابة والتأليف، وهي مع الأسف ماتزال كلها خطية حيث لم يطبع منها شيء. ولأحمد بناني ثلاثُ كناشات، واحدة بالخزانة العامة بالرباط، والثانية بالمكتبة الصبيحية بسلا، والثالثة في ملك حفيدته عائشة بنت الفقيه محمد بن الحفيان الشرقاوي. وهذه الكناشات حافلة بمعلومات متنوعة تاريخية واجتماعية وسياسية وثقافية وشخصية. وبعض المعلومات تتعلق بأحداث هامة عاشها صاحب الكناشة أو نقلها مباشرة عن شخصيات عاشتها وساهمت فيها، مثل "خبر الهزيمة التي وقعت للمحلة العزيزية قرب مراكش وكانت يوم الأربعاء الموافق للواحد والعشرين من رجب الفرد الحرام 1326" (*كناشة* الخزانة الصبيحية، 398). وقد قال د. محمد حجي عن *الكناشة* المحفوظة بالمكتبة الصبيحية :"هذه الكناشة آية في الوراقة المغربية حيث كُتبت ـ خلال عشرات السنين ـ بعناية فائقة بحيث لا تجد فيها محواً ولا شطباً، ولا اختلافا في الخط الدقيق الجميل، وهي مليئة علما وأدبا وفوائد نادرة" (م. حجي، *فهرس*، 608). وكتب عبد الله الجراري عن *كناشة* الخزانة العامة "كناش ملئ بفوائد علمية، يمكن الباحث فيه أن يستخرج من كل فن من فنونه كتاباً" (ع. الجراري، *أعلام*، 2 : 365).

ولأحمد بناني أشعار ورسائل أدبية عديدة، ويمتاز شعره بحسن السبك والرقة، وهو يدور في الأغراض المألوفة في وسط أدباء العصر كالمدائح والمراثي والفكاهات والمعارضات. ومن أحسن قصائده توسلاته ومدائحه للرسول

الكريم (إ. السولامي، *الشعر*، 226). وكنموذج من شعره ما نظمه ردا على الأديب الرباطي أحمد بن قاسم جسوس (ت 1331 / 1912) :

وافى قريضكمُ والكونُ أجمعُهُ ... بنوره يستضيء والشمسُ والقمرُ
والأفقُ من طيبه وعرف مأرجه ... قد أخجل الطيبين الوَردُ والزهرُ
ولمْ وكيف وقد خطته أقلامُ منْ ... بزهر آدابه الشمّا استضا العمُرُ
وهل يسود الفتى من غير ما أدبٍ ... وإن علاه المشيبُ واعترى الكبرُ

وفي يوم الأربعاء 23 شعبان 1317 / 1899، تولى أحمد بناني قضاء الرباط، فدام في ولايته حتى يوم السبت 8 ربيع الأول 1323 / 1905، أي نحو الخمس سنين كان فيها كما قال بوجندار في *الاغتباط* : "مثال العدل والجد والصرامة... وزهد وورع، وبُعد عن الطمع، ورسوخ دونه رسوخ الأوطاد وثبات يزري بثبات الأوتاد" (*الاغتباط*، 80). وبعد تخليه، لم يبق يتعاطى سوى وظيف الإمامة والخطبة والوعظ بالزاوية الناصرية بالرباط. وقد طولب لأن يكون قاضي الجماعة بفاس فامتنع تورعاً، كما خاطبه السلطان المولى يوسف في قضاء الرباط مرة أخرى، فاعتذر بضعف الحال والعجز عن القيام بالخطة وفق مقتضيات الأحوال (*الاغتباط*، 79).

وكانت للقاضي أحمد بناني منزلة خاصة عند السلطان المولى يوسف الذي كان يصطفيه للخطبة به في الأعياد وبعض الجمع، وعينه من جملة العلماء الذين يحضرون مجلسه الحديثي (معجم، 1 : 118)، بل إنه استدعاه قبيل وفاة والدته ليتلو في حضرتها بعضاً من آي الذكر الحكيم، ثم قدمه للصلاة عليها بعد وفاتها. وقد توفي القاضي أحمد بناني بالرباط في ليلة الثلاثاء 16 ربيع الثاني عام 1340 / 17 دجنبر 1921، ودفن بالزاوية الناصرية، وكانت له جنازة حافلة حضرها السلطان المولى يوسف ووقف على شفير قبره إلى أن وُوري بالتراب.

أ. بناني نفسه، *كناشة أحمد بناني*، مخطوط خ. ص. بسلا ؛ ع. الفاسي، *معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب*، جزآن، الرباط، 1932 ؛ *تعطير البساط*، مخطوط ؛ م. بوجندار، *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط*، الرباط، 1987 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، 3 أجزاء، بيروت، 1986 ؛ م. حجي، *فهرس الخزانة العلمية الصبيحية بسلا*، الكويت، 1985 ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر* ؛ إ. السولامي، *الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية 1912-1956*.

L. Mercier, *Les Mosquées et la vie religieuse à Rabat*, A. M., Vol. 8, 1906.

بناني، أحمد المدعو حميد بن محمد بن عبد السلام الفاسي، فقيه مشارك، قال عنه عبد الحفيظ الفاسي في معجمه (2 : 20) إنه كان "من أكبر علماء عصره وأشهرهم، مشاركاً في كثير من العلوم، متبحراً في العربية، متضلعا في الفقهيات، عارفاً بالنوازل المعرفة التامة". أخذ بالسماع عن طبقة عالية كالشيخ بدر الدين الحمومي ومحمد بن أحمد السنوسي، والشيخ محمد صالح البخاري، وأجازه قاضي الرباط أحمد بناني. تولى قضاء طنجة سنة 1294 / 1878، وظل كذلك حتى نقل إلى فاس حيث تولى القضاء بها سنة 1304 / 1888. واستمر في ولاية القضاء أزيد من ثلاث وثلاثين سنة كان فيها من أفضل قضاة زمانه وأعدلهم وأعفهم. وهو من الفقهاء الذين استشارهم السلطان الحسن الأول في 6 ربيع الثاني 1300 / 1883 في تجاوز يهود فاس لتبعيتهم المغربية وعملهم على الاستقلال عن حاكم فاس حيث نصبوا حكاما منهم للفصل في تظلمهم (*إتحاف*، 2 : 235)، كما كان ضمن الفقهاء الذين استشارهم السلطان في عام 1303 / 1886 في مسألة التجارة مع أوربا ورفع الحظر عما كان تصديره ممنوعاً كالحبوب والأنعام والدواب (*المصادر*، 2 : 144). ولأحمد بناني *حاشية على شرح بنيس على الهمزية* لم تكمل، وثبت صغير ترجم فيه لمشايخه، وذكر بعض أسانيد الكتب المستعملة والمسلسلات، جمعه له تلميذه عبد الرحمان بن جعفر الكتاني بإعانة عبد الحي الكتاني (*فهرس الفهارس*، 1 : 346).

توفي أحمد المدعو حميد بناني يوم الاثنين 15 صفر سنة 1327 الموافق 8 مارس 1909 بعدما تجاوز التسعين ودفن بروضة الصقليين بفاس.

ع. الفاسي، *معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة*، 2 : 20 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ م. المنوني، *المصادر العربية*.

عثمان بناني

بناني، إدريس (الحاج ـ) بن عبد السلام ولد بفاس عام 1300 / 1882. وعندما وُقع الاتفاق في مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 على إنشاء البوليس بالموانئ المغربية ووافق المخزن على تحمل نفقاته، عين الحاج إدريس بناني أمينا لفرقة البوليس التي أُنشئت بتطوان سنة 1907، وبعد أن احتلت إسبانيا مدينة تطوان سنة 1913 وانتهت مهمة هذا البوليس عين إدريس أميناً بميناء مرتين ثم أميناً بمدينة تطوان ثم مستشاراً بالصدارة العظمى في الحكومة الخليفية.

وفي نوفمبر من سنة 1927 عينه الخليفة السلطاني في الشمال الأمير مولاي الحسن بن المهدي ضمن الوفد الذي قدم البيعة للملك محمد الخامس بفاس برآسة الصدر الأعظم محمد ابن عزوز ووزير العدل الفقيه أحمد الرهوني،

وبالمناسبة مُنح الحاج إدريس بناني الوسام العلوي.

وفي سنة 1933 عين إدريس بناني باشا بمدينة أصيلا وعاملا على إقليمها، ثم أميناً للأمناء في الحكومة الخليفية سنة 1937.وظل بهذا المنصب إلى أن استقل المغرب سنة 1956.

ولما انتهت مهمة الحكومة الخليفية في شهر أبريل من نفس السنة منحه الملك محمد الخامس لقب مستشار بوزارة المالية في شؤون الجمارك اعترافاً بالخدمات التي قدمها للمخزن في الميدان الجمركي زهاء أربعين سنة.

وخلال عمله في الإدارة المخزنية في الشمال عُين عضواً في المجمع العلمي الذي تأسس بتطوان، وفي لجنة الآثار والسياحة والضرائب. كما عين عضواً في الوفد الذي مثل الخليفة السلطاني بالمعرض الإيبيري ـ الأمريكاني الذي انعقد بإشبيلية. وقد رشح للصدارة العظمى بالشمال بعد وفاة ابن عزوز سنة 1931، وكان في جيله من القلائل الذين يتقنون اللغة الإسبانية.

توفي بمدينة طنجة سنة 1391 / 1971.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 46 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *الحاج عبد السلام بنونة*، 3 : 17.

Delegacion de Asuntos Indigena, Seccion Politica, *Expediente personal*, num. 1214 : Hach Dris Bennani.

محمد ابن عزوز حكيم

بناني، أبو **بكر** بن **إبراهيم** (المقدم) ولد بالرباط وعرف بالأخلاق الحميدة وكثرة الذكر. وكان منخرطاً في الطريقة الدرقاوية الدباغية التي أخذها عن سميه الشيخ أبي بكر بناني آتي الترجمة، وهو وإن كان رباطياً فليست له صلة قرابة مع البنانيين المنحدرين من عبد الله بن عبد السلام، إذ ينتسب إلى فرع بناني آخر. وكان مقدماً بزاويتهم البنانية الموجودة بالسويقة في الرباط.توفي سنة 1310 / 92. 1893.

م. دينية، *مجالس الانبساط*، ص 261.

عبد الإله الفاسي

بناني، أبو **بكر** بن **أحمد** بن محمد الرباطي، فقيه أديب شاعر. ولد بالرباط في 11 رمضان عام 1301 / 5 يوليوز 1885 (*كناشة القاضي بناني*)، حفظ القرآن على يد والده والفقيه محمد التادلي، وأخذ النحو عن المكي الأوديي ومحمد بن العباس العلمي، والفقه عن القاضي عبد السلام بن إبراهيم، والسيرة عن القاضي المكي البطاوري، والحديث عن الشيخ أبي شعيب الدكالي، ودرس ذخيرة سيدي المختار الكونتي على الفقيه عبد السلام الرّندة، والأصول على أديب الرباط الشاعر أحمد جسوس. ولم يقف أبو بكر بناني بثقافته عندما أخذه عن علماء الرباط، بل سافر إلى مراكش وأخذ عن شيخ الجماعة بها محمد بن إبراهيم السباعي والشيخ النظيفي. ثم سافر إلى فاس وأقام بها من سنة 1916 إلى 1920، حيث درس بجامع القرويين على شيوخه المشهورين مثل محمد بن علال الوزاني، وعبد السلام العلوي، وعبد الله الفضيلي، ومحمد بن العربي العلوي وأحمد بن الخياط، وأحمد بن الجيلالي الأمغاري. وأجازه شيخ الجماعة بالجديدة المحدث محمد بن إدريس القادري. وقد أورثته دراسته على هؤلاء الشيوخ وملازمته لهم واجتماعه بالعديد من العلماء والأدباء غيرهم ملكة قوية في الفقهيات والأدبيات.

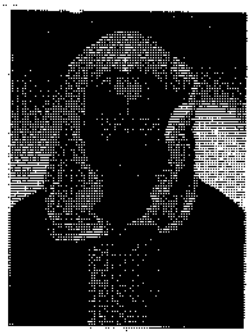

تقلب في مناصب عديدة، عمل أولا محرراً في جريدة السعادة، ثم في إدارة عقل الأملاك الألمانية والنمساوية، ثم بإدارة الشؤون الجنائية بالقصر الملكي، ثم بمجلس الاستيناف الشرعي، فبقي به إلى أن أحيل على المعاش في نهاية سنة1956. وكان في نفس الوقت سارداً في الدروس الحديثية بالمجالس اليوسفية والمحمدية والحسنية، وبقي يزاول ذلك إلى أن ضعف بصره في منتصف السبعينات.

يُعتبر أبو بكر بناني من فحول الشعراء المغاربة الذين حافظوا على مكانتهم الشعرية طيلة العقود الأولى من القرن العشرين، ويعد من الشعراء المخضرمين أمثال محمد غريط، والمكي البطاوري، ومحمد بوجندار، ومحمد اليمني الناصري، فشعره ينطلق من مفهوم معين للشعر، هو المفهوم الذي يربط الشعر بثقافة العالم أو الفقيه باعتباره عنصراً مكملا لهذه الثقافة، ووسيلة لإظهار القدرة التعبيرية، وباعتبار دوره لا يتعدى الترويح عن النفس وتبادل العواطف مع الآخرين. ولهذا نجد أن الموضوعات التي اهتم بها أبو بكر بناني كانت في الغالب موضوعات ذاتية كالغزل ووصف الطبيعة، وإخوانيات ومطارحات ومساجلات وشعر مناسبات من مدح ورثاء وهجاء، يضاف إلى ذلك المديح النبوي. لكن الشاعر بناني لم يحصر نفسه في هذه الموضوعات، وإنما تجاوب مع حركة النهضة التي ظهرت في أعقاب دخول الحماية وجاءت كرد فعل لها، ولذلك نجده ينظم الشعر في موضوعات اجتماعية ووطنية غير مألوفة. وأهم ما يُذكر به الشاعر بناني مساندته للثورة الريفية قولا وعملا، واشتهر من نظمه نشيد هذه الثورة الذي جاء فيه :

يابني المغرب ما هذا الرقـاد ... مالكم صرتـم كأمثال الجماد
فدعوا النوم وقوموا للجهـاد ... واسألوا الله انتصـار الريفيين

* * *

يابني المغرب سيروا للأمـام ... وارفعوا راية مولانا الإمـام
فخرنا عبد الكريم ابن الكرام ... واسألوا الله انتصـار الريفيين

* * *

يـابني المغرب هبّـوا هـبّـةً واضـربوا وجـه فرنسـا ضربـةً
ذكـرُهـا يبقى عليـها سبـةً واسـألوا اللـه انتصـار الريفيين

* * *

يـا بني المغرب موتوا شهـدا واسلبوا في الحـرب أرواح العدا
مـزّقوا الكفر وأشراك الرّدَى واسـألوا الله انتصـار الريفيين

ويلاحظ أن هذا النشيد نشره بعضهم بألفاظ مخالفة قليلا لما هنا، وهذا النص أرويه مباشرة عن الشاعر. وقد صاغ أبو بكر بناني نشيده هذا صياغة ثورية وبأسلوب خطابي. والسر في ذلك هو أن الروح التي أملته هي روح الوطنية الصادقة والإيمان القوي بحق المغرب في حريته واستقلاله، مع الاعتقاد الجازم بأن القوة هي السبيل الوحيد لتحقيق المطامح القومية، واللغة التي يفهمها المستعمر الغاشم (ع. گنون، *الأدب المغربي*، 4).

وقد ساهم أبو بكر بناني في العديد من المساجلات الأدبية التي أبرزت موهبته الشعرية واتجاهاته الفكرية، ومن ذلك قصيدة عنونها بـ *"غليان الصدر على شباب العصر"* أجاب بها الشاعر السلاوي عبد الرحمن بن أحمد حجي الذي طلب منه إعطاء أفكاره في شباب العصر، والتي ختمها بالأبيات التالية :

وحسبي في التمدن دين ربي أدين لـه كراهـة أن أضـلا
وترقية الصنائع في بـلادي وتحصيل العـلوم لديّ أعـلى
وتعليم اللغات لطيف معنى تذود عن الـورى جهـلا وذلاّ
توصلنـا لمقصدنـا المرجّـى ونقـدر بينهـم أن نستقـلا
فهذي فكرتي لا شك فيهـا حـواها نظـم ذي أدب تجلّى

لم يكن الشاعر بناني يهتم بنشر آثار قلمه، باستثناء ما ظهر بجريدة *السعادة*، فتفرقت أشعاره بأيدي أصدقائه ومعـارفه، وتنـاثرت في بعـض الـكتـب والـكنـاشات والتقييدات، وقد زاد من حدة إتلاف ما تركه مكتوباً عنده أنه فقد بصره قبل وفاته بمدة طويلة، وخلال ذلك نُهبت مكتبته ثم اندثرت وكانت تضم الغالي والنفيس من كتبه ومخطوطات والده القاضي أحمد بناني.

ورغم تقدم سنه وهو مكفوف البصر، ظل يتمتع حتى آخر لحظة في حياته بذاكرة قوية وتوازن عجيب، إلى أن توفي رحمه الله يوم 12 رمضان عام 1407 / 11 مايو عام 1987، ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط.

إ. السولامي، *الشعر الوطني* ؛ أ. بناني، *كناشة القاضي أحمد بناني*، مخطوط خ. ص رقم 373 ؛ ع. الجراري، *العالم المجاهد*، 1985 ؛ *من أعلام الفكر المعاصر* ؛ ع. گنون، *أحاديث* ؛ ع. بن المنصور، *أعلام المغرب العربي*، ج 1 ؛ العربي بنونة، *واضع لحن نشيد حزب الاستقلال :"مغربنا وطننا"*، العلم، 6 يونيو 1990 ؛ م. الأمين بلگناوي، *رواية شفوية*.

بناني، أبو **بكر** بن **العربي** بن مُحمد بن مَحمد. ولد بفاس عام 1262 / 1845، وأخذ بها عن مشاهير علماء الوقت مثل محمد بن عبد الرحمان العلوي، وعبد الله بوغالب، وجعفر الكتاني، وأحمد بناني، ومحمد بن المدني گنون، كانت له معرفة بالنحو، لكن لم يكن له تحصيل ولا يد في الفقه. وله تقييد مشتمل على اثنتي عشرة ورقة من القالب الرباعي في تراجم الرجال السبعة بمراكش، كتبه للسلطان الحسن الأول.

ولي أبو بكر بناني القضاء بالصويرة والجديدة، ثم بمراكش حيث ظل قاضيا بها طيلة الفترة من 1298 إلى 1314 (1880 - 1897 م)، وبعدها نُقل لقضاء الدار البيضاء، ثم أعفي، ورجع إلى فاس، وبها كانت وفاته في حادي عشر جمادى الثانية سنة 1330 / 28 ماي 1911.

ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، الجزء 1 : 222 ؛ ع. ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، 261.

عثمان بناني

بناني، أبو **بكر** بن **محمد** (الشيخ ـ) من حفدة عبد الله بن عبد السلام آتي الترجمة جد البنانيين الرباطيين.

نشأ أبو بكر بناني في مسقط رأسه الرباط آخذاً عن والده محمد وعمه المكي، ثم رحل إلى فاس فاستقر بمدرسة الصفارين سنين عديدة يدرس على شيوخ القرويين أمثال المعقولي عبد السلام بوغالب الذي أخذ عنه العلوم العقلية والنقلية والمتصوف عبد الواحد الدباغ الذي يقول عنه بوجندار "على يده لاحت أنواع العناية الإلاهية وأدرك ما أدرك من المعارف والعوارف الحقانية".

ولما عاد إلى الرباط تصدى للتعليم والإرشاد والتربية وبواسطته فتح الله على أفواج من علماء الظاهر والباطن وكانت له مشاركة في عدة علوم مثل التفسير والحديث زيادة على التصوف، وأحدث بالرباط زاويته المشهورة بعد أن منحت له البقعة التي أنشأها بها، وكانت بقعة خالية بالسويقة.

وذكر ابنه الشيخ فتح الله بناني أن تآليف والده تزيد عن ستين، إضافة إلى رسائل وقصائد تجمع بين مدح الرسول وبين أغراض شعرية أخرى، مثل القصيدة التي مدح بها الوزير محمد بن العربي الجامعي وزير السلطان المولى عبد الرحمان سنة 1268 (انظرها في *الانبساط*، 189، وفي *الاغتباط*، 270)، أما مؤلفاته المشهورة فهي :

- *بلوغ الأمنية في شرح حديث إنما الأعمال بالنية*.
- *شرح نوابغ الزمخشري* (لم يتم).
- *مدارج السلوك إلى مالك الملوك* (مطبوع).
- *بغية السالك وإرشاد الهالك...* (مطبوع).
- *الفتوحات الغيبية في حل ألفاظ الصلاة المشيشية*.
- *شرح الحكم العطائية*.
- *الفتوحات القدسية في شرح القصيدة النقشبندية*.
- *الفتح الوهبي في التعريف بالشيخ مولاي عبد الواحد وشيخه مولاي العربي*.
- *الفصول الفاصلة في بيان الزاد والراحلة*.
- *تحفة الملوك والممالك في شرح ألفية ابن مالك*.
- *حديقة الأزهار في نتائج الصمت وما فيه من الأسرار*.

ـ *جواب عن سؤال يتعلق بالحلول والاتحاد*.
ـ *كتاب الطبقات، في ذكر شيوخه والوصايا والنصائح*.
ومن المؤسف أن جل هذه التآليف قد صار في حكم الضائع.

توفي الشيخ أبو بكر بناني فجر يوم الأربعاء 17 جمادى الثانية سنة 1284 / 16 أكتوبر 1867 م. ودفن بزاويته بالرباط.

بناني، التهامي بن محمد، من فقهاء الرباط ومدرّسيه المشاهير، أخذ عن عدد من العلماء أشهرهم أحمد دينية الذي قيل إنه لم يكن يطالع إلاّ من أجل تلميذين له هما ابنه علي دينية والتهامي بناني بسبب عمق بحثهما أثناء تدريسه للطلبة، ومن أشهر تلاميذه مفتي الرباط الجيلاني بن ابراهيم والمكي البطاوري، وقد أفرد له ابن أخيه الشيخ فتح الله بناني ترجمة في *طبقاته* ذكر فيها أنه عزم مرة على افتتاح درس في توحيد *المرشد المعين* بشرح الشيخ الطيب بن كيران مع بعض الطلبة فأرسل إليه القاضي عبد الرحمان البريبري يأمره بتوقيف الدرس، ومنذ ذلك الوقت أخذ يتعاطى التجارة وقل تدريسه.

توفي في محرم 1300 / نونبر ـ دجنبر 1882 ودفن بالزاوية الدرقاوية البنانية.

بناني، الجيلالي، وطني مكافح. ولد بفاس عام 1316 / 1898، وبها تلقى تعليمه الأولي الأصيل، ثم اشتغل بالتجارة وانتقل إلى مدينة القنيطرة عقب إحداثها سنة 1914، وكان متشبعاً بالروح الوطنية، فاختير ليمثل سكان القنيطرة في الوفد المرافق للسلطان المولى يوسف في رحلته إلى فرنسا. وبعد الرجوع أسندت إليه رآسة الغرفة التجارية، وبقي يشغل هذا المنصب إلى سنة 1951، مع العضوية في المجلس البلدي والجمعية الخيرية. وكان من بين العاملين على إنشاء مدرسة حرة في القنيطرة هي مدرسة التقدم التي مازالت تعمل حتى الآن.

ألقي عليه القبض إثر الاضطرابات التي عرفها المغرب بعد نفي الزعماء الوطنيين، وأدخل السجن المركزي بالقنيطرة يوم 23 شعبان عام 1356 / 29 أكتوبر 1937 مع ولديه محمد ومَحمد، ثم نقلوا إلى معسكر الريش بالصحراء فسجن عين مومن فسجن الدار البيضاء ولم يطلق سراحهم إلا يوم 7 رمضان عام 1358 / 21 أكتوبر 1939، وكان الجيلالي بناني من الموقعين على عريضة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال فازداد ضغط المستعمر عليه والتضييق به، وكان عضواً بمجلس شورى الحكومة بصفته ممثلا للغرفة التجارية.

توفي في 7 محرم 1399 / 8 دجنبر 1979.

ترجمته بقلمه وخطه في ملف أبي بكر الصبيحي، خ. ص ؛ لجنة الإعلام والنشر لحزب الاستقلال، *قائمة الشرق*، 34. 35.

محمد حجي

بناني، الحسن بن أحمد بن محمد ـ فتحاً ـ صنو العلامة أحمد كلا بناني سابق الذكر. عالم أديب، وصوفي صالح، كان ذا حظوة خاصة عند الشيخ أحمد التجاني، كتب له بيده في اللوح سورة الرحمن ودعا له بالفتح فكان عند أصحاب الشيخ معظماً مبجلا. قال في حقه محمد التاشفيني في *اللؤلؤ المكنون* : "الفقيه الأجل العالم المدرس. أخذ عن أشياخ عديدة، وله مجالس بالقرويين وجامع فاس الجديد في النحو والمنطق والبيان وغير ذلك، إمام بجامع الرنج بزقاق الحجر".

انتقل إلى مراكش، ودرّس وأفاد، وبها أدركته الوفاة في ربيع الأول عام 1271 / نونبر ـ دجنبر 1854، ودفن بها.

م. التاشفيني، *اللؤلؤ المكنون في اختصار ابن عبشون* بنقل صاحب *الإعلام* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 3 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1271.

بناني ، حمدون بن محمد بن عبد السلام، واسمه أحمد وإنما اشتهر بحمدون، نشأ في حجر والده الشيخ الصوفي محمد بن عبد السلام فغلب عليه النسك والزهد، وكان إلى ذلك ـ كما جاء في *إتحاف المطالع* ـ علامة مشاركاً مفتياً.

توفي حاجاً بمكة المكرمة أو المدينة المنورة عام 1190 / 76. 1777.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1190.

بناني حميد ← **بناني أحمد** المدعو **حميد**

بناني الديوان، محمد بن محمد بن عبد القادر، عرف بالديوان لكونه كان إماماً راتباً بجامع الديوان. فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي مشارك في كثير من العلوم النقلية والعقلية، كثير التدريس، تولى القضاء بفاس الجديد بالنيابة مدة، وكان تجاني الطريقة ذا اعتقاد راسخ في الشيخ أحمد التجاني حتى انتقده بعضهم وعدّه مغالياً. ألف عدة كتب، منها : *تأليف في نوني التوكيد، وشرح منظومة الشيخ الطيب ابن كيران في الاستعارة* (طبعت

على الحجر بفاس عام 1321 في 68 صفحة)، *والسر الرباني في مولد النبي العدناني* (طبع على الحجر بفاس عام 1325 في 68 صفحة، ومرة ثانية سنة 1332 في 30 صفحة).

توفي بفاس في حادي عشر شعبان عام 1344 / 24 فبراير 1926. ودفن بروضة الشيخ المزالي داخل باب عجيسة.

ع. علوش، *فهرس المخطوطات*، 1 : 342 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف الطالع*، 1344 ؛ *سل النصال*، الترجمة رقم 227 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 44. 45.

بناني، زين العابدين ابن الشيخ أبي بكر الرباطي ولد عام 1277 / 60. 1861، وأشهر الشيوخ الذين تعلم على يدهم إبراهيم التادلي الذي أجازه سنة 1303، بجميع مروياته كما أخذ عن أحمد بناني وعن السلاويين البارزين القاضي عبد الله بن خضراء والشيخ أحمد بن موسى وغيرهم.

انتصب للتدريس بالرباط بإشارة من الشيخ إبراهيم التادلي فدرّس النحو والتصريف والفقه والبيان والحديث والسير، وكان يحضر مجالسه عدة علماء منهم شقيقه فتح الله بَناني، والقاضي محمد الرندي، والقاضي عبد الرحمان بريطل، والفقيه محمد بن عمر دينية. واشتغل بالعدالة في أوائل القرن الرابع عشر، وكان الفقيه علي دينية الخطيب الشهير ينيبه عنه في الخطبة بجامع السوق.

وفي سنة 1306 رشح للعمل كعدل بمرسى أسفي فبقي فيها سنتين، ولما رجع إلى الرباط انكب على التدريس، وفي آخر عمره ذهب إلى فاس وحضر دروس الفقيه التهامي الوزاني الذي اشتهر بتدريسه *للمختصر*، ودروس المحدث جعفر الكتاني في *الجامع الصحيح* بالزاوية الكتانية.

ومن آثاره *تعليق على شرح الخرشي للمختصر*، *وفهرس* يضم أسانيده التي رواها عن شيخه إبراهيم التادلي، وعدة تقاييد في الأدب والنحو والعقيدة وأشعار أثبتها من ترجموا له.

توفي يوم الثلاثاء 28 جمادى الثانية 1310 / 7 يناير 1893، ودفن بالزاوية البنانية.

بناني، الطاهر (الحاج ـ) بن الحسن، لا نعرف مدى قرابته من عبد السلام الجد. وهو فقيه أديب كاتب، أحد سفراء السلطان محمد بن عبد الله، وجهه مع الخياط عديّل الفاسي سنة 1174 / 1760 سفيرين إلى القسطنطينية في وفد من أعيان المغرب لربط العلاقات الودية مع الدولة العثمانية، وقد اصطحب السفيران هدية فخمة ورجعا مع وفد السلطان العثماني بهدية قوامها مدافع وآلات حرب. ويخالف المؤرخ أحمد الناصري المؤرخ ابن زيدان في توقيت هذه السفارة التي يجعلها الناصري سنة 1175، ويذكر الناصري أيضا أن السفير بناني أُرسل مرة أخرى من طرف السلطان سنة 1179 صحبة الفقيه الطاهر بن عبد السلام السلاوي باشدورين إلى السلطان مصطفى العثماني حاملين هدية نفيسة تتكون من خيول سروجها مذهبة ومرصعة بالياقوت والجوهر والأحجار الكريمة وسيوف مذهبة مرصعة بالياقوت الملون، ورجع السفيران من الدولة العثمانية بهدية قوامها مركب محمل بالمدافع والمهاريس والبارود زيادة على ما تحتاجه المراكب القرصانية من "إقامة".

كان الطاهر بناني مقربا إلى السلطان، ففي سنة 1198 اصطحبه إلى الصويرة في جملة الفقهاء والعلماء والكتاب، ولم تنته شهرة هذا الكاتب بموت سيدي محمد بن عبد الله بل استمرت أيام خليفته المولى سليمان، إذ بعثه صحبة ولده المولى ابراهيم إلى الحجاز سنة 1227، مع بعض الكتاب وأفراد الحاشية. وفي هذه الرحلة زار الطاهر بناني الشام ومصر والعراق، وبعد أداء مناسك الحج عرج على تونس بأمر من المولى إبراهيم فكان له لقاء مع العالم الأديب الشهير إبراهيم الرياحي، وأنشأ هذا الأديب قصيدة في مدح المولى سليمان نقلها كل من أكنسوس والناصري وصاحب كتاب *تعطير النواحي*، واصطحبها بناني معه وسبق الأمير في القدوم إلى طنجة، ومنها توجه إلى فاس حيث استقبل ببالغ الحفاوة وقدم القصيدة إلى السلطان فوصله بصلة مهمة ونفّذ له زيادة على ذلك مرتبا خاصا من أحباس الرباط، وعاش بقية حياته مشمولا برعاية المخزن إلى أن توفي في حدود 1230 / 1814.

بناني، العباس بن أبي بكر بن العربي الفاسي. ولد بمراكش عام 1301 / 1883 حيث كان والده يتولى خطة القضاء، ورجع صغيراً إلى فاس حين عاد إليها والده، فأتمّ حفظ القرآن الكريم ودرس العلوم الإسلامية على شيوخ القرويين البارزين آنذاك، أمثال والده أبي بكر وأعمامه البنّانيين عبد العزيز وعبد السلام بن الحسن وعبد السلام ابن محمد ومحمد بن محمد بن عبد القادر، وأحمد بن الجيلالي الأمغاري، وعبد الله الفضيلي، والتهامي گنون، وأحمد بن الخياط، ومحمد القادري، ومحمد بن جعفر الكتاني، وأحمد بن المامون البلغيثي وغيرهم.

قضى معظم حياته في التدريس بالقرويين، وكان من السابقين إلى الالتحاق بالتعليم النظامي بعد إصلاح القرويين عام 1350 / 1931، وأسندت إليه مواد جديدة *كمقدمة* ابن خلدون، *ومحاضرات تاريخ الاسلام* للخضري، بالإضافة إلى إعجاز القرآن وأصول الفقه. وقد تولى سنة 1336 قضاء قبيلة شراگة لبضع سنوات، ثم رجع إلى التدريس إلى أن أحيل على المعاش بعد الاستقلال.

توفي بفاس يوم الاثنين سابع رمضان عام 1392 ودفن بروضة أولاد ابن موسى بالقباب، وأقيمت له ذكرى الأربعين أبّنه فيها نثراً وشعراً بعضُ تلاميذه وزملائه العلماء.

محمد بن الفاطمي ابن الحاج، *إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، الدار البيضاء، 1412 / 1992، ص. 344. 350.

بناني، عبد السلام (الحاج ـ) الجد الأعلى لآل بناني الرباطيين، أصله من فاس وبه تلقى العلم واشتغل

بالتدريس ثم ارتحل للحجاز لأداء فريضة الحج. ولما رجع إلى فاس أمره السلطان المولى إسماعيل بالانتقال إلى الرباط بقصد التدريس ونشر العلم، وكان من المعاصرين للشيخ علي العكاري، وقد ذكره الحفيد العكاري في جملة من تلقى العلم عن جده الشيخ المذكور، وترك الحاج عبد السلام بالرباط ذرية حملت أعباء العلم وظلت تتوارثه حتى الآن.

بناني، عبد السلام بن **الحسن** بن أحمد، علامة مشارك، كان عليه رونق العلم وأبهة الأستاذية، ومع ذلك يميل إلى الانعزال والخمول. كثير التدريس والإفادة، أخذ عنه جم غفير من طلبة فاس، ومنهم عبد السلام ابن سودة الذي أفرد له ترجمة من بين شيوخه في *سل النصال*.

توفي بفاس يوم الأربعاء حادي وعشري جمادى الثانية عام 1347 / 5 دجنبر 1928. ودفن بروضة العراقيين بحوانيت سيدي عبد الله.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1347 ؛ *سل النصال*، الترجمة رقم.

بناني، عبد السلام بن **محمد** بن العربي فقيه عالم مشارك، من رجال التدريس بالقرويين، وكان إلى ذلك يتعاطى الطب ويباشر العلاج حتى مهر في ذلك. تخرج على يده عدد كثير من طلبة فاس الذين أصبح لهم شأن يذكر في التدريس والتآليف.

توفي بفاس في رمضان عام 1329 / غشت ـ شتنبر 1911. ودفن بروضة آل بناني بالقباب خارج باب الفتوح.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1329.

بناني، عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن الصالح. ولد بفاس سنة 1278 / 1861، وأخذ عن مجموعة من الشيوخ أجازه منهم أحمد بن الخياط، ومحمد الطيب بن كيران، ومحمد ابن قاسم القادري، ومحمد بن التهامي الوزاني.

كان عبد العزيز بنّاني عالماً مشاركاً في الحديث والتفسير والفقه والتصوف، مبرزاً في الأصول والمنطق والكلام والعربية، واسع الاطلاع حسن السمعة طيب الذكر. وله مؤلفات كثيرة منها ما لم يتم. وقد قضى معظم حياته في التدريس، وتولى إلى جانب ذلك القضاء بفاس، ثم أعفي وعين نائباً لرئيس المجلس العلمي بنفس المدينة، وظل كذلك إلى أن توفي في ثاني جمادى الثانية عام 1347 / 1928.

ع. الفاسي، *معجم الشيوخ*، الرباط، 1932، 2 : 100.

عثمان بناني

بناني، عبد الكريم بن محمد بن عبد السلام، قال في حقه صاحب *إتحاف المطالع* كان "علامة مشاركاً مطلعاً". ألف في ترجمة والده الشيخ محمد بن عبد السلام بناني كتاباً سماه *تحفة الفضلاء الأعلام بالتعريف بالشيخ أبي عبد الله بناني ابن عبد السلام*.

توفي بفاس يوم الخميس سادس عشر ذي القعدة عام 1196 / 23 شتنبر 1782. ودفن في زاوية والده بحومة الصاغة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1196.

بناني، عبد الله بن **حمدون** بن عبد الهادي بن محمد فرعون الفاسي، القاضي الفقيه النحوي المدرس، ولد بمدينة فاس خلال الأربعينات من القرن الثالث عشر (19 م) على ما يظهر من معلومات دراسته. تلقى تعليمه في القرويين على يد علماء عصره، أمثال الشيخ بدر الدين الحمومي، واليزمي، والحجرتي، والمهدي بن سودة وغيرهم. كما أخذ التصوف وأوراد الطريقة الناصرية التي كانت الزاوية البنانية تتولى إعطاءها بإذن من شيخها محمد ابن ناصر الدرعي لما زار مدينة فاس.

اشتهر عبد الله بناني بتضلعه في علمي الفقه والنحو، وكان له كرسي لتدريسهما بالقرويين، كما أن تضلعه في الفقه وأحكامه رشحه لمنصب القضاء حيث عين قاضياً بطنجة ثم بالصويرة وغيرهما فأثنى الناس عليه. وقبل ذلك كان يتعاطى الشهادة بسماط العدول بفاس، واشتهر بالتحري والاحتياط.

توفي ليلة الخميس 3 ربيع الثاني سنة 1307 / 27 نونبر 1889، ودفن بالزاوية البنانية بدرب القطان من عدوة القرويين بين الصاغة والديوان.

م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 149ـ150 ؛ إدريس الجعيدي، *الابتسام*، مخطوط خ. ح. 1204 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص 431، 1698، م. الحجوي، *الفكر السامي*، 4 : 138 ؛ ع. السجلماسي، *الروض الطيب*، مخطوط، ص. 37 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، 1307.

أحمد العماوي

بناني، عبد الله بن **محمد** بن عبد السلام اشتهر كخطيب ومفت، وقد ذكره الضعيف عند حديثه عن كسوف الشمس في شوال من سنة 1195 وجفاف تلك السنة فقال : "وصلوا صلاة الاستسقاء، فصلوا برباط الفتح للمرة الأولى، وكان الخطيب السيد عبد الله البناني".

ويذكر كل من محمد بوجندار ومحمد بن علي دينية أن عبد الله بناني كان من أبرز من تصدر للشهادة والإفتاء، كما اشتغل بالتدريس وبرع في الخطابة وبرز ككاتب، وتولى خطة القضاء بالرباط، لكن لا يعرف متى تولاها بالضبط ولكن رسماً مسجلا عليه اسمه مؤرخ بسنة 1205، وأعفى منها سنة 1209 حسب قول الضعيف : "وفي الثامن والعشرين من شعبان عام تسعة ومائتين وألف عزل قاضي الرباط وهو عبد الله بناني وولي محمد بن عبد الله الغربي".

لا تعرف سنة وفاته، ولكن حياته اتصلت إلى حدود العشرين من القرن الثالث عشر 1220 / 1805.

بناني، عبد الهادي، لا تعرف له ترجمة، إلا أنه على ما يبدو كان يعيش في أوائل القرن العشرين بفاس، وله مسكة أدبية لا بأس بها، يتابع الأحداث السياسية في

عصره عن قرب، ويتمتع بعاطفة وطنية متأججة يعبِّر عنها بالشعر الملحون. وله في ذلك قصيدتان شهيرتان. أولاهما تسمى *الدرر البهية في مدح رجال الشاوية*، قالها عندما ثار الشاويون ضد الفرنسيين لما هاجموا الدار البيضاء سنة 1907. وقد طبعت على الحجر بفاس في ثمان صفحات. والثانية قالها في الأزمة السياسية الداخلية التي أدّت إلى خلع السلطان عبد العزيز والفتن التي نشأت عنها. وقد طبعت هي أيضاً على الحجر بفاس في أربع صفحات.

إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، ص. 41.

بناني، فتح الله بن أبي بكر الرباطي، توفي والده وهو ابن ثلاث سنوات، فنشأ في حجر أكابر أصدقاء والده نشأة حسنة، وبعد حفظ القرآن على يد المؤدبين الهاشمي القصري وعلي بن أحمد النجار، أخذ العلم عن أخيه زين العابدين، وإبراهيم التادلي الذي أجازه بجميع مروياته إجازتين، والجيلاني بن إبراهيم. كما أجازه محمد ابن جعفر الكتاني، والمحدث محمد بن خليفة المدني والعالم بكري العطار الدمشقي، ويوسف بن إسماعيل وعبد المجيد بن محمود الدرغوتي، وإبراهيم السندروسي.

أخذ الطريقة الشاذلية الدرقاوية الدباغية عن أصحاب والده. أما الذين تتلمذوا له فجماعة منهم القاضي أحمد بناني ومحمد المكي البطاوري وأحمد بن محمد العلمي، وأخوه الماحي، والمامون العلوي، والغازي سباطة، وعمر مُلين، وابن عمه العربي، والحاج محمد عاشور، والعباس دينية، ومحمد سباطة. وله مؤلفات ورسائل منها :

- *فتح الله في مولد خير خلق الله* (مطبوع).
- *تحفة أهل الفتوحات والأذواق في اتخاذ السبحة وجعلها في الأعناق.*
- *الطبقات المسماة المجد الشامخ فيمن اجتمعت بهم من أعيان المشايخ* (مخطوط).
- *تحفة الأصفياء في بيان معنى القول بعصمة الأنبياء.*
- *إتحاف أهل الغاية الربانية في اتخاذ طرق أهل الله وإن تعددت مظاهرها الحقانية.*
- *خلاصة الوفا في مقدمة الشفا.*
- *تحفة الأحباب فيمن تكلم في المهد بالأمر العجاب.*
- *فتح الله فيما يتعلق بأسماء الله.*
- *النصيحة الوفية.*
- *تعليق على جامع الشيخ خليل وشرحه للشيخ التاودي.*
- *تعليق على اختصار المواهب*، والتعليقان لم يكملا.
- *رسالة الإخوان* وغير ذلك من التقاييد والتصانيف.

وقد مدحه عدد من الشعراء بقصائد منهم الشاعر أحمد الزعيمي، وأحمد بن العياشي سكيرج ومصطفى بن أحمد ملين.

وأصدر السلطان المولى يوسف ظهير توقير واحترام في حق الشيخ فتح الله بتاريخ 9 ذي الحجة 1330 يوصي زيادة على ذلك بمراعاة الفقراء ومعاملتهم بما يجب من المبرة والإحسان.

وكانت وفاة الشيخ فتح الله بناني عام 1353 / 1933، ودفن بزاويته المسماة باسمه، واستمر أتباعه الفقراء يقيمون ذكراه كل سنة.

عبد الإله الفاسي

بناني فرعون، محمد بن **أحمد** الفاسي. لم تذكر المصادر تاريخاً لولادته بمدينة فاس، ويظهر أنه ولد في الربع الأخير من القرن الثاني عشر الهجري.

تلقى دراسته الأولى كما هي العادة في الكتّاب، ثم انتقل إلى القرويين لدراسة العلوم الشرعية والعربية على علمائها المشهورين أمثال الشيخ التاودي ابن سودة، والطيب بن كيران، وعبد القادر بن شقرون، وحمدون بن الحاج ومحمد بنيس وغيرهم، حتى برز في العلوم النقلية والعقلية، خصوصاً في الفقه والفرائض التي نبغ فيها.

لم يكن يهتم بالتدريس كثيراً وإنما كان يتعاطى شيئا منه أحياناً، ويظهر أن الضرورات المادية للحياة ألجأته إلى العمل في سلك العدول بفاس، ومارس مهنة الفتوى التي تؤكد تضلعه في الفقه وأحكامه. كما كانت له معرفة بالتوثيق، فهو مؤلف الوثائق الفاسية المشهورة *بالوثائق الفرعونية* رتبها وفق منهج علمي سهل، وبذلك أصبحت متداولة بين الطلبة ومصدراً أساسياً في التدريس، وهي تكشف جانباً من جوانب أزمة المناهج في التعليم المغربي آنذاك. طبعت على الحجر بفاس مراراً وتكراراً، أولها عام 1320.

توفي عن سن عالية يوم الخميس 7 محرم فاتح عام 1261 / 17 يناير 1845 ودفن بالزاوية البنانية بدرب القطان التي أقيمت على ضريح جده محمد بن عبد السلام بناني سنة 1163 هـ، حيث كان المترجم يقضي جل أوقاته في الذكر وإعطاء الورد الناصري.

م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 149 ؛ ع. اللجاني، *المفاخر العلية في الدولة الحسنية*، مخطوط خ. ح 460 ؛ إ. الجعيدي، *الابتسام عن دولة ابن هشام*، مخطوط خ. ح. رقم 104 ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، 4 : 132 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، ص. 43.

بناني كلاً، أحمد بن **أحمد** بن مَحمد ـ فتحاً ـ أحد الإخوة العلماء الثلاثة (هو والحسن وعلي آتيا الترجمة)، وسبب شهرته بكلاً كثرةُ جريانها على لسانه في التدريس. قال في حقه صاحب *إتحاف المطالع* : "الشيخ الامام المشارك الأصولي البياني، شيخ الجماعة في وقته، له سند عال، وتخرج على يده عدد من فطاحل العلماء".

توفي بفاس عند شروق يوم الجمعة ثامن جمادى الأولى عام ستة وثلاثمائة وألف / 11 يناير 1889 ودفن بروضة آل بناني في القباب خارج باب الفتوح.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1306 ؛ م. السجلماسي، *الروض الطيب*، مخطوط ؛ م. الوزاني، *فهرس*، مخطوط. محمد حجي

بناني، محمد بن **أحمد الرباطي**، ولد عام 1295 / 1878. فقيه غيور، تولى الإمامة بالزاوية الناصرية خلفا لأبيه القاضي أحمد بناني، ثم تولى خطة العدالة والشهادة بأحواز الرباط حتى وفاته. قال عنه في *أعلام الفكر* (2 : 410) إنه كان ذا همة عالية ونفس أبية.

سعى مع بعض الوطنيين في إنشاء مدارس حرة بالرباط مثلما حدث بفاس وسلا والدار البيضاء، الهدف منها تطوير التعليم التقليدي المغربي وترقيته منهجا وبرنامجا ونظاما، حتى يوقف التيار الفرنسي أو يحد من غلوائه على الأقل (*الحافظ الواعية*، 111). أسست المدرسة الحرة الأولى بالرباط في الزاوية المباركية سنة 1920، وكانت ميزانيتها من تبرعات بعض الأعيان كبناصر والزهراء وعبد الواحد برگاش. وكان من ضمن العاملين بالمدرسة، مؤسسها محمد بناني، يقومون بعملهم مجانا. وقد درّس بالمدرسة مجموعة من العلماء والأدباء كالطيب بن الحسن مرسيل (ت 1968) قاضي الرباط فيما بعد، ومحمد بن أحمد البارودي السلوي (ت 1956) والتهامي بن المعطي الغربي (ت 1959) قاضي الرباط فيما بعد، وهو من أدباء الرباط وشعرائها، وكان يلقي دروساً في النحو والأدب، وعبد الله بن العباس الجراري، (ت 1983)، وكان علاوة على حصصه المعتادة في البرنامج، يلقي دروساً كانت تعتبر يومئذ جديدة في الجغرافيا مستعينا بخرائط جلبت من مصر، ومعتمداً على كتاب *النخبة الأزهرية في تخطيط الكرة الأرضية*. وقد ظلت مدرسة الزاوية المباركية تقوم بنشاطها إلى حدود سنة 1930.

توفي الفقيه محمد بناني ليلة الثلاثاء 10 صفر عام 1370 / 21 نوفمبر 1950، ودفن بزاوية سيدي القجيري بمدينة الرباط.

ع. الجراري، *العالم المجاهد ؛ من أعلام الفكر ؛ الحافظ الواعية*.

عثمان بناني

بناني، محمد بن أحمد الفاسي، يعرف أيضا بالعلمي، أحد الطلبة الذين توجهوا في العهد الحسني للتعلم بإيطاليا. ولما عاد أواخر سنة 1882 عُين أميناً بمراس مغربية متعددة.

ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، 2 : 150 ؛ م. المنوني، *مظاهر*، 1 : 146، الطبعة 2 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1354 ؛ *الوثائق المغربية*.

مصطفى بوشعراء

بناني، محمد بن **الحسن** بن مسعود فقيه نحوي علامة محقق، ولد بفاس عام 1133 / 1720 وأخذ عن شيوخها أمثال أحمد بن مبارك ومحمد جسوس ومحمد بن عبد السلام بناني. وسار مع هذا الأخير إلى تطوان في مجاعة عام خمسين ومائة وألف هـ، فأخذ هو وأخوه بها على الشيخ أحمد الورزازي ومولاي الطيب الوزاني بوزان.

وبعد أن حج رجع إلى فاس وبدأ يدرس بجامع القرويين *مختصر خليل*، و*ألفية* ابن مالك، حيث أخذ عنه جم غفير، منهم الشيخ عبد الرحمن الحائك والشيخ الرهوني والشيخ الطيب بن كيران والشيخ بنيس والشيخ حمدون بن الحاج والشيخ سليمان الحوات والشيخ عبد القادر شقرون وأحمد ابن الشيخ التاودي وغيرهم.

له مؤلفات عديدة، معظمها شروح وحواش، منها :

ـ *حاشية على شرح الزرقاني* على *مختصر خليل*.

ـ *حاشية على مختصر السنوسي* في المنطق.

ـ *شرح على السلم* في المنطق.

ـ *حواش على تحفة ابن عاصم* في القضاء.

إضافة إلى *فهرسين* عامّ في جميع مروياته، وخاص بأسانيده الفقهية.

وتوفي بفاس عام 1194 / 1780 حسب صاحب *شجرة النور الزكية*، أو أواخر العشرة السادسة أو أوائل السابعة بعد مائة وألف حسب صاحب *النشر*.

م. القادري، *نشر المثاني*، 4 : 214 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 169 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص 357 ؛ م. المنوني، *مصادر*، 1 : 228.

بناني، محمد بن **الطاهر** فقيه متمكن، مدرس نفاع يعرف بالقاضي بناني. لأنه تولى القضاء مدة طويلة في كل من الدار البيضاء والقصر الكبير. وبعد تأخيره عن القضاء حصل له خلل في عقله، فصار يطوف في الأسواق بما يستر عورته من خلق الثياب يتكفف الناس خاصة وعامة، ويحضر الولائم بتلك الحالة ويتناول الطعام ويذهب به إلى بيته، ثم عوفي من هذا المرض ورجع للتدريس والافتاء إلى أن أصابته علة ألزمته المكوث في داره إلى أن أدركته الوفاة يوم الجمعة خامس عشر شوال عام 1346 / 16 أبريل 1928 فكانت جنازته حافلة ودفن بروضتهم بالقباب.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1346 ؛ *سل النصال*، الترجمة رقم 188.

بناني، محمد بن الطيب، فقيه مقارك، وأديب كاتب، غلب عليه طابع الأدب فلم يحفل به أصحاب كتب التراجم ولا يُعرف شيء من آثار قلمه سوى ما وُصف به من البلاغة والمقدرة المتميزة في الكتابة.

توفي بفاس يوم الأحد سابع رمضان عام 1347 / 17 فبراير 1929. ودفن بروضتهم بحي القباب خارج باب الفتوح.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1347.

بناني، محمد بن **عبد السلام**، وأكثر ما يكتب بالألف واللام : البناني، إمام فقيه نظار شيخ الجماعة. كان له إذن في تلقين الأوراد الناصرية، إذ لقي أحمد ابن ناصر الدرعي مراراً عديدة بفاس وأخذ عنه. كما أخذ عن الشيخ ميارة الصغير وأبي سالم العياشي والحسن اليوسي. يذكر صاحب *السلوة* أنه اشتهر بين الناس بأخلاق كريمة وأوصاف حميدة. وكان مجلسه مجلس وقار وهيبة يتردد عليه كبار عصره أمثال : الشيخ التاودي ابن سودة، وعبد المجيد المنالي، وعلي بن محمد قصارة، وعبد القادر بوخريص، ومحمد ابن الخياط بن إبراهيم، وأحمد الشرايبي، ومحمد بن محمد بردلة.

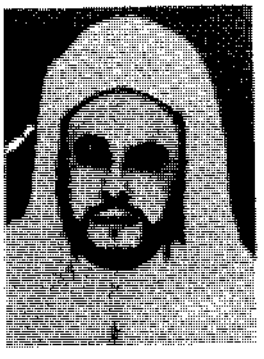

كان يدرس الفقه بالصف الأول من القرويين ضحوة كل يوم، وقبله كان يعقد مجلساً للحديث بمسجد القاضي عياض، وبين العشاءين كان يعقد مجلساً *لصحيح البخاري* و*رسالة ابن أبي زيد* القيرواني، وذلك بالمدرسة المصباحية.

ويذكر صاحب *النشر*، أنه كان في ميدان الفقه ملازماً لتدريس *مختصر خليل*، وكانت طريقته في التدريس مبنية على الاختصار والإيجاز ببيان مدلول اللفظ دون أن يعرض لبحث أو تقليب نظر أو مناقشة. كما أن أسلوبه في العرض يقوم على سرد فقرات من *المختصر* ويشرحها دون تطويل.

له تآليف عديدة معظمها شروح، منها :

- شرح *الاكتفاء* للكلاعي، في ستة أسفار.
- شرح *لامية الزقاق*، في الأحكام، في سفر صغير.
- شرح *منظومة* عبد الرحمن الفاسي في الأسطرلاب.
- شرح *الحزب الكبير* للإمام أبي الحسن الشاذلي.
- شرح *صلاة عبد السلام ابن مشيش*.
- شرح *أرجوزة الشاطبي* في التقاء الساكنين.
- شرح *حزب النصر* لمحمد ابن ناصر.
- شرح *حدود ابن عرفة*.
- *اختصار شرح الشفا للشهاب*.

رحل إلى تطوان في المجاعة العظمى التي عرفها مطلع النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، فخصص له عاملها مرتباً، وظل يدرس بها إلى أن انتهت المجاعة وعاد إلى فاس. ثم لزم الفراش نتيجة المرض الذي لازمه مدة طويلة وتوفي عن سن تناهز الثمانين في السادس عشر من ذي القعدة عام 1163 / 1749. وبوصية منه، بنى عليه أولاده زاوية، وكان بدء بنائها في حياته، وهي مجاورة لزاوية أبي عياد ابن جلون دفين حومة الصاغة بفاس.

عبد الكريم بناني (أخوه)، *تحفة الفضلاء الأعلام بالمعرف بالشيخ محمد البناني ابن عبد السلام*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 4 : 80. 81 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 1 : 146. 169 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص. 353 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 2 : 53.

سالم يفوت

بناني، محمد بن **الهادي** بن محمد فرعون. فقيه مشارك اشتهر بالتضلع في فروع الفقه المالكي، يقوم على تدريس *تحفة ابن عاصم* وغيرها من كتب أحكام القضاء.

توفي بفاس ليلة السبت خامس رمضان عام 1264 / 5 غشت 1848. ودفن بزاويتهم بحومة الصاغة.

م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 149 ؛ ع. السجلماسي، *الروض الطيب*، مخطوط، ص. 14 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1269.

بناني، المكي بن القاضي عبد الله بناني الرباطي. أخذ عن جماعة من الفقهاء المشهورين بالرباط وسلا وفاس ووزان. أمثال محمد بن أبي القاسم السجلماسي، ومحمد ابن أحمد الغربي، وعبد الرحمان السرايري، ومحمد الرهوني، ومحمد الميرء وعبد السلام حركات، والتاودي ابن سودة، ومحمد بنيس، ومحمد بن إبراهيم الدكالي.

اشتهر المكي بناني بالأدب والشعر، وأشعاره مبثوثة في تآليف مخطوط، لمحمد بن علي دينية عنوانه *التحفة العنبرية في الألغاز الفرضية*، واشتهر أيضاً بعلم النوازل والإفتاء، وله *تقاييد* متضمنة لكثير من فتاويه وفتاوي مشايخه ومعاصريه.

أسندت إليه الخطابة بجامع مولاي سليمان وانخرط في سلك الطريقة الدرقاوية على يد أحمد النجار العلمي من تلاميذ الشيخ العربي الدرقاوي، كما قام بالتدريس فتعلم على يده جماعة أمثال أحمد دينية وصهره البدوي السرايري، والهاشمي الزياني. واشتغل بخطة الشهادة أحياناء، فهناك رسم باسمه مؤرخ بعام 1227 اطلع عليه صاحب كتاب *الانبساط*. ويذكر المؤرخ الضعيف أن المكي بناني كان سنة 1226 / 1811 مع بطانة القاضي عبد القادر مُرينُ أثناء الخلاف الذي حدث بين القاضي وبين ناظر

أحبَاس الجامع الكبير، فكان القاضي قد أخبر السلطان المولى سليمان بعدم نزاهة العربي ملين الناظر واختلاسه لأموال الأحباس بمعية العدلين محمد بن جلون ومحمد البوعزاوي، وكان المكي بناني يؤيد موقف القاضي، وذلك ما أدى إلى إدخال المتهمين إلى السجن، ولم يسرحوا إلا بعد أداء ما بذمتهم من مال. (انظر بعض شعره وإجازته لأحد تلاميذه في *الاغتباط*، 346 ـ 349).

توفي المكي بناني عام 1255، ودفن بمقبرة لعلو جوار قبر شيخه العلمي المذكور بناء على وصيته.

م، دينية، *مجالس الانبساط*، 137 ـ 144 ـ 162 ـ 163 ـ 188 ـ 208 ـ 267 ؛ م. بوجنيدار، *الاغتباط*، 263 ـ 284 ـ 298 ـ 315 ـ 346 ـ 349 ـ 388 ـ 310 ؛ *تعطير البساط*، 21 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 3 : 162 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 : 17 ـ 25 ـ 31 ـ 54 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، 167 ـ 183 ـ 258 ـ 364 ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط*، 122 ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، من ص. 377 إلى 383.

عبد الإله الفاسي

بناني، المهدي بن محمد (الحاج ـ) محتسب فاس. فقيه نزيه، تولى خطة الحسبة بفاس طوال ثلاثين سنة، فحمدت سيرته وأثنى الناس عليه خيراً. ضبطت أسواق فاس في عهده، وقل الغش والتدليس.

قلده الحسبة السلطان عبد الرحمن بن هشام أواسط عام 1275 / 1859 وظل يزاول هذه الخطة إلى أن أدركته الوفاة ليلة الأحد سابع عشر شعبان عام 1305 / 29 أبريل 1888، ودفن بروضة آل بناني بالقباب خارج باب الفتوح. وخلفه في الحسبة بفاس محمد بن محمد ابن الحفيد الشامي.

ع. السجلماسي، *الروض الطيب*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1305.

بناني الهادي ← بناني عبد الهادي

بناني، الهاشمي بن البشير بن محمد الصديق الأقاوي، وسماه صاحب *معجم المطبوعات المغربية* : محمد الهاشمي. ولد عام 1311 / 1893. وأصله من آل بناني الفاسيين. استوطن أقا بالسوس الأقصى فنُسب إليها. فقيه متمكن وأديب شاعر، ولي قضاء أقا السوسية مما يلي بلاد الصحراء مدة طويلة وألف عدة كتب في موضوعات مختلفة، منها : *كشف الغوامض عن الأضرُب والأعاريض*، و*كشف الغياهب عن إعفاء اللحى وقص الشوارب*، وله معارضة قصيدة كعب بن زهير : بانت سعاد، سماها *بغية الإرفاد في مدح خير العباد*، وشرحها بكتاب سماه *نيل المراد بشرح بغية الإرفاد في مدح خير العباد*، طبع بفاس عام 1368 في 314 صفحة.

توفي الهاشمي بناني وهو قاض بأقا في رابع ربيع الثاني عام 1375 / 20 نونبر 1955.

م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 208 ؛ *المعسول*، 9 : 138 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1375 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، ص. 45.

محمد حجي

البنّانيون المكناسيون، هم من الأسرة البنّانية الفاسية النبيلة الشهيرة، وأول من انتقل منهم إلى مدينة مكناس في أواسط القرن الثالث عشر (19 م) هو والد الحاج عبد الرحمن ابن محمد بناني الذي يعدُّ رأس الفرقة الأولى من البنّانيين المكناسيين.

1 ـ اشتغل أفراد من فرقة الحاج عبد الرحمن بناني بالتجارات الواسعة فأثروا وأسندت لبعضهم وظائف مخزنية محترمة، ومنهم بناة القصور الشامخة في حي زقاق القرموني بنفس المدينة، ثم اتجه شباب منهم للدراسات العصرية فأحرزوا على درجات عملية متنوعة. وتعتبر هذه الفرقة أكثر شغوفا وأوفر عدداً، يقول عنها الحاج العربي المشرفي خلال حديثه عن مكناس : "ومن البيوتات المشاهير بها ـ الآن ـ في هذه الدولة المحمدية (دولة محمد الرابع)... دار أولاد بناني بيتهم سعد وسؤدد، وحرز ومركز مجد، ووجاهة وجاه وعز...".

وقد انتشرت فروع الحاج عبد الرحمن من أبنائه الثلاثة: الأمين الحاج عبد الكريم المتوفى عام 1320 / 1902 والحاج محمد ضما، والطالب الحاج مَحمد فتحاً.

أ ـ الحاج عبد الكريم هو والد الطالب الحاج عبد الله المتوفى عام 1359 / 1940، وأخيه الأمين الطالب الحاج التهامي، وكان هذا أشهر أفراد الأسرة ثروة ووجاهة واعتباراً رسمياً وشعبياً، المتوفى عام 1355 / 1936. وقد خلّف الحاج عبد الله الشقيقين سَمِيّ جده الفاضل الحاج عبد الكريم دُعي بّاسيدي، ثم صغيرَه السيد الصديق.

وأعقب الحاج التهامي من أبنائه الثلاثة : الطالب السيد محمد دُعي سيدُهُم والسيد لحسن والسيد علال وكلهم متوفون. وكانت وفاة أولهم السيد محمد عام 1364 / 1945.

وأبناؤه هم الأشقاء : المهندس الفلاحي السيد إبراهيم المتوفى بمراكش، ثم الضابط المصطفى المتوفى عام 1370 / 1951، وثالثهم الأستاذ السيد العربي موظف سام بالداخلية إلى أن تقاعد، والرابع الحاج الطاهر الذي لم يعقّب.

أما السيد الحسن بن الحاج التهامي، فالباقي من أبنائه هم الأشقاء السادة : المهدي مهندس فلاحي وعبد الحفيظ مفتش بوزارة الشغل والحسين مهندس في عمالة الدار البيضاء. وكان مولده يوم 18 جمادى الأولى عام 1355 / 1936. وخلّف السيد علال ثالث أبناء الحاج التهامي ولده المرحوم السيد المكي.

ب ـ أما الحاج محمد ضما بن عبد الرحمن فهو والد الإخوة الثلاثة : الحاج الطالب محتسب مكناس في الدولة الحفيظية والسيد محمد الخنفوري الخليفة الأول لباشا الدار البيضاء ثم أمين الأملاك بمراكش أيام الملك محمد الخامس

المتوفى سنة 1945، وأخوهما السيد العربي. وكلهم متوفون.

ج ـ والثالث الحاج مَحمد فتحاً بن عبد الرحمن خلّف ثلاثة أبناء : الشقيقين الحاج عبد الوهاب والحاج إدريس وأخاهما للأب الحاج السعيدي الذي لم يعقّب ذكراً.

وقد عقب الحاج عبد الوهاب من ولديه الشقيقين السيد الهادي المتوفى عام 1362 / 1943 والسيد عمر.

فالسيد الهادي أبناؤه هم الشقيقان السيدان عبد الرحمن وعبد الملك مدير مدرسة درب السلوي بمكناس، ثم الشقيقان السفير فاضل المتوفى عام 1391 / 1971 وعبد المولى مندوب وزارة الشغل بفاس.

وأبناء السيد عمر هم الاشقاء : الكولونيل السعيدي والطيب ملحق بوزارة البريد بالرباط والسيد محمد، وأخوهم للأب السيد حميد سينمائي.

2 ـ فرقة محتسب مكناس الحاج مَحمد ـ فتحاً ـ بن أحمد بناني، المتوفى عام 1327 / 1909، وأبناؤه كلهم متوفون، وهم الوجيهان السيدان حسن وعبد القادر، والشقيقان عبد النبي وعبد الرحيم، وابن أخي المحتسب الحاج أحمد دُعي منقار، وسكنى غالبهم كانت بالدار الكبرى التي ابتناها عميدهم في حي حمام الجديد بأقصى درب الشيخ عبد الرحمن التاغي.

3 ـ فرقة الطالب أحمد دُعي حميدة بناني، أمين الأملاك بمكناس أول العهد اليوسفي والمنشد البارع المتوفى عام 1340 / 1921، وعقبه من ابنيه الفاضل السيد بوبكر والفقيه العدل سجين الثبات على المبدإ السيد المهدي المتوفى عام 1413 / 1992، وهو والد الشقيقين د. الحاج أحمد وأخيه.

4 ـ فرقة السيد عبد الوهاب بناني والد الأخوين الفقيه العدل الفارض للنفقات السيد عبد الرحمن المتوفى عام 1358 / 1939، والتاجر السيد مَحمد فتحاً أبي الأخوين الوطنيين باشا سلا السيد عبد الوهاب والقايد السيد عبد القادر.

5 ـ فرقة بناني الدُّقيوَقْ، ونزولهم بمكناس يرجع إلى أواخر العهد العزيزي، وهم من فريق قاضي الرصيف بفاس الشيخ حميد بناني. وأول قادم منهم ورد بوصفه ناظراً لأحباس كبرى مكناس وهو السيد المدني بن عبد الكريم بن عبد السلام بناني المتوفى عام 1341 / 1923. ومن بعده استوطنها أبناؤه وأحفاده... وكان أبناؤه ـ مباشرة ـ هم الخليفة الباشوي بنفس المدينة السيد مَحمد ـ فتحاً ـ المتوفى أواخر الخمسينات وأخوه السيد محمد ضما وسواهما.

ع. المشرفي، *الحسام المشرفي*، مخطوط خ. ع، 2276 ك : فقرة منه ؛ ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، مخطوط، خ. ع، 1281 ك : إشارة واحدة عند مادة بيت بناني الفاسي ؛ *ثلاث وثائق* / أسرة بناني ؛ *جريدة السعادة* ؛ *تحريات شخصية*، *ورواية شفوية* عن الحاج عبد الكريم بناني.

محمد المنوني

البناي، أسرة تطوانية لم نجد في الوثائق ما يدل عن أصلها، وكل ما نعرفه عنها أنه كان من بين أفرادها :

البناي، أحمد كان يشغل منصب مقدم حومة الترنكات بتطوان سنة 1257 / 1841.

البناي، أحمد بن **محمد** كان حياً سنة 1126 / 1714.

البناي، التهامي، أشهر أفراد أسرة البناي التطوانية المنقرضة، قال عنه تلميذه مؤرخ تطوان الأول الفقيه عبد السلام سكيرج إنه كان فقيها أديباً شاعراً عالماً بالتوثيق ملازماً للشهادة في سماط العدول الموالي للجامع الكبير التطواني، وهذا ما تؤكده الوثائق العدلية التي نتوفر عليها وتشهد بأنه كان يزاول خطة العدالة من سنة 1184 / 1770 إلى سنة 1201 / 1787 باستثناء سنة 1196 / 1782 التي غاب خلالها عن تطوان، حين عين صديقه الفقيه عبد الكريم ابن قريش ضمن الوفد الذي رافق السفير محمد ابن عثمان إلى مالطة ونابولي، وهي السفارة التي ألف فيها ابن عثمان رحلة سماها *البدر السافر لهداية المسافر إلى فكاك الأسارى من يد العدو الكافر*، ومنها يُعرف أن السفارة غادرت مراكش يوم ثاني ذي الحجة عام 1195 / 19 نوفمبر 1781 متوجهة إلى مكناس ففاس ثم طنجة التي غادرتها يوم 7 ربيع الأول سنة 1196 / 20 فبراير 1782 في اتجاه جزيرة مالطة ومملكة نابولي من أجل افتداء الأسرى المسلمين.

ونجهل تاريخ وفاة التهامي البناي الذي كان مازال على قيد الحياة سنة 1201 / 1787.

م. ابن عثمان، *البدر السافر لهداية المسافر* (مخطوط) ؛ ع. سكيرج، *نزهة الاخوان*، (مخطوط) ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 4 : 23 / 5 : 216 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 310، 344 / 6 : 264 / 7 : 267 / 8 : 357 / 2 : 280 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البناي، العربي بن أحمد باعدّي، مقاوم شهير، ولد في مراكش سنة 1351 / 1933 فكان من الوطنيين السابقين للدفاع عن البلاد بعد الاعتداء على العرش المغربي في 20 غشت 1953، فكان من الحرفيين الذين انضموا إلى خلية المقاومة التي أسسها محمد البقال بمراكش، فأصبح رفيقه في الكفاح المسلح ضد الاستعمار وأذنابه، غير أن هذه الخلية لم تعمر إلا بضعة شهور حيث تم إلقاء القبض على أفرادها بتاريخ 23 ربيع الثاني 1373 / 20 دجنبر 1953، فحوكم البناي بتهمة وضع عبوات لنسف السكة الرابطة بين مراكش والدار البيضاء والمشاركة في الاغتيال وإحراق ممتلكات المعمرين، ونفذ الاستعمار فيه الإعدام بسجن العادر بتاريخ 13 شعبان 1373 / 22 أبريل 1954.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير، *ملخصات عن حياة وكفاح شهداء الاستقلال*، ج 1 ؛ م. الحبيب الفرقاني، *صفحات*

محمد ماگمان

البناي، علي بن محمد، من أفراد الأسرة التطوانية الآنفة الذكر. كان على قيد الحياة سنة 1214 / 1800.

البناي، محمد بن التهامي، فقيه كان يزاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1184 / 1770 إلى سنة 1201 / 1787.

البناي، يوسف بن عاشور، معلم من خبراء تطوان، كان على قيد الحياة سنة 1156 / 1743.

وقد انقرضت أسرة البناي بتطوان ولم يبق ما يذكّر بها سوى زنقة تحمل اسمها بحومة العيون.

محمد ابن عزوز حكيم

بنّعمان، نبات عشبي سنوي من الفصيلة الخشخاشية (پاپڤيراسي Papaveraceae) التي تضم أربعة أجناس في المغرب : پاپڤير Papaver، وكيليدونيوم Chelidonium، وگلوسيوم Glaucium وروميريا Roemeria. الاسم الشائع في المغرب هو بنّعمان أو بلّعمان، وفي الشرق العربي خشخاش منثور وشقائق النعمان. ينبت اثنا عشر نوعاً من هذه الفصيلة في المغرب، لها أزهار جميلة تتكون من فصيلتين و4.6 تويجيات مَشْنية داخل الزر الزهري. النوع الشائع في المغرب هو پاپڤير روياس Papaver rhoeas الذي يصادف بكثرة في الحقول ومزارع الحبوب والأراضي المستريحة. يبلغ طول النبتة 25.80 سم، السويقة قائمة وبدون فروع تتخللها شعيرات مشوكة. الأوراق كبيرة، مسعفة الشكل. الأزهار حمراء، مبقعة أحياناً بالسواد في قاعدة التويجيات. الثمرة جافة متفتحة، بيضوية الشكل، يبلغ طولها سنتمترين. تنتج كل نبتة ما يقرب من خمسين ألف حبة. تختلط هذه الحبوب غالبا مع القمح والشعير إبان الحصاد. من أهم مكونات النبتة الحليب Latex الخالي من الأفيون. تحتوي الأزهار على كمية ضعيفة من قلويد سام Rhéadine يمكنه أن يسمم الإنسان والماشية.

استعمل بنعمان منذ القدم في الطب التقليدي لمعالجة السعال. نقيع تويجياته الجافة مسكن ونافع للصدر ومعالج للسعال. ينتج المغرب كمية كبيرة من أزهار بنعمان ويحتل هذا العشب الصف الثامن والأربعين من بين مائة واثنتي عشرة عشبة طبية أكثر رواجاً، ويعد من الأربعين عشبة طبية الأكثر استعمالا في المغرب.

يوجد بنعمان في العديد من دول العالم، وكثيراً ما تغنّى به الشعراء منذ القدم، وجعل منه الرسامون عدة لوحات لجمال أزهاره.

يوجد في المغرب نوع آخر من بنعمان هو پاپڤير صومنيفيروم Papaver somniferum وهو عشب سنوي يزرع. توزيعه الجغرافي متوسطي، إنه نبات أجرد، الأوراق رمادية خضراء كبيرة، والأزهار على رأس كل سويق طويل، بنفسجية بيضاء، مبقعة بالأحمر المسود في قاعدة التويجيات. تسمى ثمرته خشخاشة. ألبُوم Album هو ضرب من هذا النوع. في حالة جرح خشخاشته يسيل حليب غني بالأفيون يستخرج منه المورفين وقلويدات أخرى تستعمل للتنويم في الطب.

نيگروم Nigrum هو ضرب آخر من نفس النوع يستخرج منه زيت التويم (زيت الخشخاش).

P. Quezel et J. Vindt, *Flore du Maroc, analytique, descriptive et illustrée*. Fasc. 1 n° 4 ; Trav. Inst. Sci. Chérif., 1952 ; Bohumil Slavik, *Les plantes sauvages*, Bruxelles,1973, p. 183 ; M. Ibn Tattou, *Les Angiospermes ou plantes à fleurs*, 1987, *Gr. Enc. Maroc*, 58 ; J. Bellakhdar, *Plantes médicinales, plantes toxiques*, 1987, *Gr. Enc. Maroc*, 212 - 215.

نجاة الخياطي

بنغموش، أسرة سلوية ربما رجع أصلها إلى قبيلة النغامشة في زعير جنوبي الرباط، التي يبعد ترابها عن قرية زحيليگة بنحو أربعة كيلو ميترات. وقد اشتهرت قبيلة النغامشة أخيراً بمعركة المحروگ التي جرت بها سنة 1330 / 1911. وأكثر ما يعمل آل بنغموش السلويون في التجارة، ولا سيما تجارة الثياب، ومنهم حرفيون وعاملون في البحر، ومن المتأخرين منهم :

بنغموش، محمد (الحاج ـ) من رجال البحرية الواقفين على وظائف الأمور الجهادية بمدينة سلا، وبهذه الصفة أدرج اسمه في قائمة الذين أنعم عليهم الحسن الأول بالصلة في ثامن وعشري ذي الحجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894.

بنغموش، مَحمد ـ فتحاً ـ بن محمد، كان تاجراً في الثياب كأبيه، وتولى أمانة القيسارية مدة طويلة. وكان إلى ذلك من المسار عين إلى المشاريع الاجتماعية، عضواً مؤسساً لمدرسة الفتاة السلوية الحرة سنة 1365 / 1945، وأمين صندوقها، والعامل على نشر الدعوة لها إلى أن أصبحت مؤسسة تربوية مهمة تحمل اسم الأميرة عائشة.

توفي بسلا في 29 ربيع الثاني عام 1405 / 22 يناير 1985.

ابن سودة، *قبيلة زعير* ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 225 ؛ *معلومات شخصية وشفوية*.

بنّور (سيدي ـ) أو أبو النُّور، عبد الله بن وكريس الدكالي. صالح وفقيه من أكبر أولياء دكالة. أصله من مشنزاية، إحدى القبائل المصمودية التي كانت تعمّر تلك المنطقة. كان يعيش في قرية يليسكاون في النصف الأول

من القرن السادس الهجري الذي ازدهرت فيه حركة التصوف والزهد، معاصراً السلطان علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي.

ومن أقرانه شيوخ التصوف أبو يعقوب تَصُولي ابن وابُوسْكَط المحاسبي، وأبو وَلْجوط، وغانيم ابن وابُوط الدكالي، وأبو حفص عمر ابن مَيْكْسوط الدغوغي، وأبو علي منصور بن إبراهيم المسطاسي. ومن أشهر تلاميذه الولي الصالح أبو شعيب أيوب السارية دفين أزمور.

خصص صاحب كتاب *التشوف* لسيدي بنور ترجمة قصيرة أشاد فيها بصلاحه وتقواه، لكنه لم يذكر تاريخ ولادته ولا وفاته. ومن جملة ما حكاه عنه أنه لما مات أخوه تزوج امرأته، فقدمت له طعاماً لكنه لما وقع في نفسه أن في هذا الطعام نصيب أولاد أخيه، أمسك عن الأكل وبات طاوياً.

دفن سيدي بنُّور بسوق الثلاثاء على الطريق الذاهبة من الجديدة إلى مراكش غير بعيد عن مسقط رأسه قرية يليسكاوْن، فأصبح هذا السوق يعرف باسم دفينه سيدي بنّور.

وقد بنى السلطان سيدي محمد بن عبد الله قبة على قبره، ثم قام بتزيين هذه القبة القائد السيد رحال كان يحكم قبيلة أولاد جابر بدكالة، في عهد السلطان الحسن الأول. وقامت حول ضريح هذا الشيخ قرية ما زالت تتسع حتى أصبحت اليوم مدينة من أهم مدن دكالة.

بنُّور (سيدي ـ)، مدينة تقوم حول ضريح الولي الصالح عبد الله بن وكريس، وتتوسط سهل دكالة الذي يسمى أحياناً باسمها، وتبعد بحوالي مائة وعشرين كيلومتراً عن مراكش وسبعين كيلومتراً عن الجديدة. إلا أن موقع هذه المدينة المتطرف بالنسبة لإقليمها سمح في ظرف وجيز بظهور وتزايد إشعاع سيدي بنور على كل أرجاء السهل، حيث تتفرع اليوم من هذا الملتقى وفي كل الجهات عشرات المسالك، والطريق الرئيسية نحو مراكش والجديدة، والطريقان الثانويتان نحو أربعاء العونات وسبت المعاريف والطرق الثانوية الأربع نحو خميس الزمامرة وأربعاء أولاد عمران وأحد العونات وجمعة بني هلال.

إن هذا الموقع في قلب منطقة تعرف تعميراً قديماً وكثيفاً وتحولات اقتصادية جذرية قد عجّل بترقية سيدي بنور من صف الأسواق والمراكزالفلاحية إلى مكانة المدن الصغيرة التي قلما نشاهد مدينة في حجمها بالمغرب تنمو عمرانيا وديمغرافيا بمثل وتيرتها السريعة : 5.479 ن سنة 1960 و11.140 ن سنة 1971 و23.429 ن سنة 1982.

يساهم التوافد الريفي بالقسط الأوفر في تضعيف سكان المدينة مرتين، إذ بلغت نسبته العامة 62.6٪ بين 1960 و1971 و70.5٪ في الفترة المتراوحة بين 1971 و1982. وإذا كانت أسباب النزوح تكمن أساساً في البنيات الزراعية والمعيشية للأرياف المحلية، حيث يتوافد منها ثلثا عدد المهاجرين حسب احصاء 1982، فإن حيوية المدينة الوظيفية تزيد الاستقطاب حدة.

بالفعل، بعد مدّ القناة السفلى من سد إمفوت سنة 1963 وبعد تجهيز قطاع سيدي بنور بين 1970 و1974 وريه بواسطة القناة الوسطى، انتقل الاقتصاد المحلي في النمط الاكتفائي إلى نمط الزراعة التسويقية والصناعية، وكل المزروعات التي تم إدخالها (قطن، علف، شمندر سكري) أو تكثيفها (قمح، ذرة، قطاني) مكنت المدينة من احتضان وتطوير أهم قطاع صناعي فلاحي بالإقليم يشغل ربع اليد العاملة (1982).

يعتبر معمل قنوات وأنابيب الري أقدم وحدة صناعية بالمدينة، إذ شيد سنة 1959 على يد شركة حرة تشغّل 30 شخصاً يعملون بشكل متقطع حسب أهمية الطلب داخل أو خارج الإقليم. ثم تأسست بعد استصلاح السهل باقي المصانع الأخرى. يتعلق الأمر بتعاونية تلفيف البواكر قبل تصديرها وبمعمل صنع غذاء الدواجن والماشية الذي أسسته الشركة الوطنية لتنمية تربية الماشية ليوفر 50 منصب شغل، وبمشروع المطحنة الضخمة التي يملكها مجموعة من الفلاحين الكبار. أما معمل العلف الذي شيد سنة 1976 لإنتاج 40 ط يوميا ولتشغيل 40 عاملا دائما فقد أغلق سنة 1983 لأسباب عديدة. غير أن مكانة المدينة الصناعية تتمثل على وجه الخصوص في وجود معملي القطن والسكر اللذين افتتحا في نفس السنة (1970).

يشغّل معمل حلج القطن حوالي 150 عامل (جلهم موسميون) ويستمد مادته الأولى محلياً وحتى من منطقة الحوز. لكن لا يوظف سوى 44٪ من طاقته الإجمالية، نظراً لتذبذب الإقبال على زراعة القطن بدكالة. أما معمل السكر الذي تساهم الدولة في رأس ماله بنسبة 40٪ وشركة كوزيمار بنسبة 21.9٪ فهو أكبر وحدة صناعية بالمدينة سواء من حيث عدد المشتغلين بها (400 فرد نصفهم قار) أو من حيث الانتاج، ذلك أن الطاقة الأصلية لمعالجة الشمندر تضاعفت منذ 1974 وأصبح الإنتاج السنوي يتعدى 60.000 ط. من السكر الخام الذي ينقل إلى معمل كوزيمار بالبيضاء لتصفيته. ومما زاد زراعة الشمندر تنمية كذلك إنتاج أكثر من 20.000 ط من العلف سنويا.

إذا كان اشعاع مدينة سيدي بنور الوظيفي يتجلى أساساً في النمو الصناعي فإن أنشطة القطاع الثالث تشغل بدورها سنة 1982 ثلثي اليد العاملة بنسبة 45٪ في الخدمات و23.6٪ في التجارة. وتمثل سيدي بنور قبل كل شيء بالنسبة للريفيين سوق الثلاثاء الأسبوعي الذي يعتبر ثاني سوق على الصعيد الوطني بعد سوق أربعاء الغرب من حيث الرواج، بإمكانه استقبال 50.000 زائر في أوج نشاطه. لقد استمر منذ سنة 1978 في أقصى الجنوب الشرقي على طريق مراكش بعد أن تحول مرتين من مركز المدينة.

بالنسبة للأنشطة التجارية اليومية التي تتركز خصوصا

في وسط المدينة وعلى طول المحاور الرئيسية، أحصى تقرير سنة 1984 للغرفة التجارية والصناعية بالجديدة 332 محلا تجارياً للمنتجات الغذائية والحرفية وستة محلات لتجارة الجملة، من بينها الشركة الفلاحية التي تهيمن على كل الإقليم. لقد تأسست سنة 1977 ويعمل بها عشرون مشتغلا في مجال بيع أنواع الآلات الفلاحية العصرية بالإضافة إلى آلات الضخ والسيارات الصغيرة والدراجات النارية.

تتحكم المدينة كذلك في منطقتها بواسطة معظم الخدمات النادرة والمتخصصة. ومن أهم المنشآت الاجتماعية سبع مدارس عمومية وثلاث حرة وثانوية واحدة (28 حجرة و1.385 تلميذ سنة 1988) وإعدادية للبنين (33 حجرة و1.917 تلميذ) وإعدادية للبنات (39 حجرة و2.631 تلميذ وتلميذة). وإذا كانت المدينة تفتقر لمستشفى فإنها تتوفر على مركز صحي صغير (13 حجرة) يسيِّره اثنان وعشرون ممرضاً وطبيب عام وآخر اختصاصي. وإضافة إلى بعض مؤسسات الخدمات الرئيسية (قاعة سينما، 5 شبابيك بنكية، 6 محطات بنزين، 3 صيدليات، 3 مكاتب للطب الخاص...) يبرز نفس التقرير للغرفة التجارية والصناعية وجود 115 محل للحرف والخدمات المتنوعة و60 محلا خاصا بالمقاهي والمطاعم و13 محل إصلاح السيارات والجرارات.

ما سبق ذكره من نمو ديمغرافي وديناميةٍ وظيفية عمل على هيكلة المساحة المبنية (أكثر من 1000 هـ) ولو أنها لم تستطع بعد إفراز وحدات متباينة ومتكاملة تماما، نظراً لحداثة العمران وتطوره وفق تصميم حضري يرجع تاريخ وضعه إلى سنة 1951.

تتخذ المدينة شكلا متكتلا وتصميما مركزاً في الجهة الوسطى وشعاعيا على العموم، حيث تتفرع من المركز عدة محاور رئيسية، كلها عبارة عن امتداد للطرق. وبإنشاء السلطة الاستعمارية سنة 1914 شركة فلاحية، وسنة 1915 دار الحاكم (مقر الدائرة الحالي) والسجن والثكنة العسكرية، تكون قد اختارت أن تجعل من سيدي بنور مركزاً فلاحياً وللمراقبة، فسلمت في العشرينات بعض التجزئات للإداريين الفرنسيين أقيمت حولها مرافق إدارية واجتماعية.

توجد كل هذه المنشآت في الحي الإداري الذي يضم اليوم مقر الجماعة والمحكمة والمكتب الوطني للكهرباء، وفي امتداده على طول شارع الجيش الملكي وحي المستشفى (درك، شرطة، مصلحة الشركة الفلاحية وأهم الخدمات المالية والاجتماعية والمحلات التجارية)، ويفصل بين الحي الإداري والمكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي في الشمال الحي العسكري الذي يتضمن بجانب الثكنة منازل أرضية كثيفة.

لم تكن القرية في ظل السياسة الاستعمارية مؤهلة لاستقبال كل الأعوان والمهاجرين الأوائل، لذلك تضخمت الدواوير الهامشية وتكونت أخرى بعد الحرب العالمية الثانية (قبر النصراني العبدي، الحاكم). مازالت كلها تفتقر إلى الماء والكهرباء، وتتخذ مظهراً قروياً رغم اندثار الأكواخ والنوالات وتصلب السكن بنسبة 70٪.

أما أولى تجزئات خصصت للإداريين والتجار المغاربة فيرجع تاريخها إلى سنة 1930، حيث بدأت تتضح معالم المركز الفلاحي انطلاقا من طريق مراكش ومركز المدينة الذي يطلق عليه الناس اسم "الفيلاج"، وهو حي مكتظ بالسكان، تتوزع فيه المنازل الأرضية أو ذات الطابق الواحد وفق تصميم غير منتظم وأزقة ضيقة. ما زال الحي بدوره يعرف مشكل عدم تعميم الكهرباء والماء الصالح للشرب. لكن الشوارع التي تحفه وتخترقه تعد أهم محاور في المدينة من حيث النشاط التجاري والحرفي (محمد الخامس، الحسن الثاني، مولاي عبد الله، ابن الدرقاوي).

في الجهة الوسطى، وبمحاذاة مركز المدينة، تتنوع المنازل الحديثة. وإذا كانت المحلات التجارية والحرفية به قليلة فإن مساحة مهمة اقتطعها منه الملعب الرياضي وثانوية طارق. وما يطلق عليه اسم الحي الصناعي يتألف في حقيقة الأمر من نواتين : الأولى في الشمال، وتضم معمل السكر على بعد كيلومترين (10 هـ) ومعمل القنوات بعد أربعة كيلومترات (10 هـ)، والثانية في الجنوب، وتشمل معمل القطن (10 هـ) والمطحنة المبرمجة مؤخراً.

لقد قام المكتب الوطني للاستثمار الفلاحي بتشييد عمارتين وڤيلات لفائدة موظفيه قرب معمل القطن، وأسست شركة السكر لمستخدميها حيا قائما بذاته منعزلا عن باقي الأحياء (يطلق عليه الناس اسم لاسيتي)، إذ يتوفر على مائة مسكن وسط شجر الأوكليبتوس تشتمل على ڤيلات وعمارات ومنازل أرضية.

في نفس الفترة (بداية السبعينات) شرع في بناء حي بَّام بالجنوب الشرقي في إطار برنامج التغذية العالمية وتحت إشراف المنظمة العالمية للتغذية، شيد على مساحة 20 هـ يضم 800 بقعة أرضية من بينها 732 منزل وبعض الأنشطة والخدمات اليومية. من جراء ذلك، فهو يُعد حاليا من أعلى الكثافات السكانية بالمدينة.

أخيراً، تتوسع المدينة بسرعة نحو الشمال في اتجاه الجديدة ونحو الجنوب الغربي (حي الفتح الاقتصادي) وخاصة نحو الشرق والجنوب الشرقي، انطلاقا من قلب المدينة (تجزئة الموظفين) إلى تجزئة أرض الخير الموجهة لأصحاب الدخل المحدود من الموظفين أساسا (بين حي سمافت السكني والإعدادية الجديدة) والتجزئات الخاصة العديدة.

تجدر الإشارة إلى أن مدينة سيدي بنور تسلم أكبر عدد من رخص البناء وسط الإقليم (394 رخصة سنة 1986) وتحظى بثاني مساحة للسقوف بعد الجديدة (39661 م^2). ولم تحتسب في هذا العدد تلك المساحة المبنية في الوحدات الريفية للتجهيز والتسيير التي تحيط بالمدينة. وهي قرى

نموذجية تكلف ببنائها المكتب الوطني للاستثمار الفلاحي ابتداء من سنة 1973 لتجميع السكان بعد ضم الأراضي لإقامة تجهيزات جماعية وتكييف السكن مع أسلوب الري. لقد تقرر بناء أربع عشرة قرية بمنطقة سيدي بنور من فئة إيواء 200 إلى 300 ن، لكنّ أربعاً منها فقط رأت النور لحد الآن على شعاع 3 كلم إلى 7 كلم من وسط المدينة ؛ گريشات الرگ وكدية المريسات والعطاطرة والمويسات.

ستعرف منطقة دكالة في المستقبل القريب ولا شك تحولات أخرى من شأنها إنعاش وظائف مدينة سيدي بنور وتوسيع رقعتها بنفس الوتيرة، أو بأسرع منها. ويتعلق الأمر بالسكة الحديدية التي ستربط على مسافة 130 كلم بين الجرف الأصفر وسيدي بنور واليوسفية وبالتهيئة المائية على مساحة 40.000 هـ جنوب المدينة، من المرتقب إنهاء تجهيزها في حدود سنة 2000، كما يتعلق الأمر باكتمال تجهيزات مشروع شمال دكالة الذي سيكون مجمعا صناعيا وحضريا ضخما بين أزمور والجديدة والجرف الأصفر.

ع. ساعلي وأ. إدريسي، *تطور مدينة سيدي بنور وعلاقتها بالهوامش الريفية*، بحث إجازة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1984-1985 ؛ مديرية الإحصاء، وزارة التخطيط، النشرة *الإحصائية السنوية للمغرب*، 1987 ؛ *نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى*، 1960، 1971، 1982.

A. Benabdeljalil, A. Sijilmassi, M. Ayad, *Etudes d'architectures régionales, Région du Centre*, M. H. A. T., 1985 ; R. Fosset, *Le Réseau urbain des bas plateaux atlantiques moyens*, Tours, 1977 ; *Société rurale et organisation de l'espace, les Bas Plateaux Atlantiques du Maroc Moyen, Chaouia, Doukkala, Abda*, Th. d'Etat, Montpellier, 1978 ; ORMVAD, *Plan d'ensemble de Souk Tléta de Sidi Bennour*, 1/1000, El Jadida ; M. H. A. T., SCET, *Schéma Directeur d'Urbanisme du groupement du grand El Jadida, Rapport de synthèse*, Rabat, 1983 ; M.H.E., CERF, *Schéma d'armature rurale, Région du Centre*, Rabat, 1972.

مصطفى عياد

بنونة، أسرة نابهة توجد في فاس وتطوان والرباط وغيرها. قال عنها الأستاذ الطيب بنونة التطواني : "لا توجد عندنا وثائق تاريخية في شأنه ـ النسب ـ وان كان المرحوم الحاج عبد السلام بنونة قد وقف على شهادة تثبت انتسابهم إلى شخصية عربية إسلامية كبيرة، لكنه زهد في اقتنائها من الشخص الجزائري الذي أطلعه عليها وحاول أن يستفيد من هذه الفرصة مادياً. ونحن نأبى أن ندعي هذا الانتساب دون أن تكون تحت يدنا حجة، ونكتفي بحمد الله بالانتساب إلى أسرة مسلمة. وكل ما هو ثابت عندنا أن عائلة بنونة كانت في الأندلس لوجود أفراد منها في طبقات الفقهاء، وفي تلمسان مقبرة لآل بنونة بجوار ضريح سيدي أبي مدين الغوث، وبها كتابات على الرخام عن شخصيات هذه العائلة. وأما آل بنونة في تطوان فقد جاء جدهم الفقيه المحدث الحاج محمد بن عبد الواحد من فاس في أوائل القرن الثاني عشر للهجرة (18 م). والحاج عبد السلام هو ابن الحاج العربي بن المهدي بن العربي بن محمد بن الحاج مَحمد بن الفقيه الحاج محمد بن عبد الواحد بنونة (الفاسي الأصل)".

وكان الحاج عبد السلام بنونة يبحث عن نسب أسرته وسبب تسميتها ببنونة، وممن استفسرهم في الموضوع الأمير شكيب أرسلان الذي أجابه في رسالة بتاريخ 31 أكتوبر 1930 يقول فيها :

"وأما "بنونة" فرأيي أنا أنه محرف من "أبي النونة" وأنه وجد رجل له نونة في ذقنه لطيفة فقيل له "أبو النونة". وقد اشتهر هذا الرجل فاشتهر الاسم المذكور، إذ لو لم يشتهر المسمى لم يشتهر الاسم، وبعد ذلك قيل له "بنونة" وغلب عليه وعلى نسبه".

كما نجد في رسالة أخرى للأمير المذكور إلى بنونة بتاريخ 21 فبراير 1931 ما يلي :

"أما ما جاء في *تاج العروس* عن بنونة فهو هذا بالحرف من الجزء التاسع صفحة 146 :"وبنونة كسفودة لقب رجل. وأبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن حمدون البناني الفاسي روى عنه شيخنا العلامة الإمام محمد بن عبد الله ابن أيوب التلمساني وشيخنا إسماعيل بن عبد الله بن علي المدني وغيرهما رحمهم الله تعالى".

الطيب بنونة، *نضالنا القومي*، 130، 163، 164، 417.

بنونة، الطيب بن عبد السلام التطواني. ولد في فاتح صفر عام 1329 / فاتح فبراير سنة 1911 بمدينة تطوان.

وابتدأ تعليمه في عهد لم تكن فيه مدارس على النمط العصري، فقرأ القرآن الكريم في الكتاتيب ودرس مبادئ اللغة العربية والدين بالمساجد على مجموعة من علماء تطوان، كالزواقي والرهوني واللواجري والكحاك والقاسمي والخطيب. وعندما أُسست المدرسة الأهلية سنة 1925 كان

من أول الملتحقين بها، فتلقى التعليم العصري على أساتذتها وفي مقدمتهم محمد داود ووالده الحاج عبد السلام بنونة. وعمه الحاج مُحمد بنونة ومَحمد النبخوت وأحمد الفرطاخ.

وفي سنة 1927 انتقل للدراسة في القرويين بفاس فدرس على مجموعة من العلماء كابن العربي العلوي وعبد المجيد أقصبي، ومحمد بن الحاج، ومحمد بن العباس بناني والحسين العراقي وغيرهم.

وعندما قرر والده إيفاد بعثات إلى الشرق كان الطيب في أول بعثة خرجت من تطوان في أكتوبر سنة 1928 إلى نابلس بفلسطين، فتلقى دروسه الثانوية بمدرسة النجاح الوطنية على يد الشاعر إبراهيم طوقان والأستاذ أكرم زعيتر والرياضي قدري طوقان والدكتور عمر فروخ والشيخ عبد الحميد السائح وغيرهم. ونال الشهادة الثانوية سنة 1932 بتفوق، ومكنته هذه الشهادة من حق الالتحاق بالجامعة الأمريكية ببيروت، لكن الحكومة الفرنسية منعته من الدخول إلى لبنان نظراً لما كانت تكنه لوالده من العداء، فالتحق بالسنة الأولى من قسم الهندسة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، ومنها انتقل إلى الجامعة الأمريكية باستانيول (روبرت كوليج) حيث درس سنتين في كلية الهندسة الميكانية الكهربائية. وفي سنة 1935 توفي والده الحاج عبد السلام فاضطر إلى العودة إلى مسقط رأسه ليشرف على شؤون العائلة وتربية إخوته الثمانية الصغار.

شارك الطيب بنونة منذ سنة 1926 في اجتماعات الجماعة الوطنية الأولى من شباب الرباط وسلا، وكان له دور في ربط الصلات الروحية بينهم وبين جماعة تطوان. وحضر المؤتمر الإسلامي العام بالقدس كملاحظ سنة 1931، وكان عضواً في عدد من الجمعيات والهيئات بالشرق العربي أثناء دراسته بفلسطين والقاهرة، وساهم في الكتابة بالصحف العربية عن القضية المغربية، وكان أول من ألقى محاضرة في نادي جمعية الشبان المسلمين للتعريف بالمغرب وتاريخه ووضعيته تحت سيطرة المستعمرين، وشارك بالخطابة في شتى المناسبات، والاتصال بالزعماء والسياسيين ناشراً قضية المغرب العادلة، ومدافعاً عن وطنه وفاضحاً مكايد المستعمرين في عهد كانت فيه الآذان العربية ماتزال صماء وقضية المغرب مجهولة.

وعند عودته سنة 1935 إلى المغرب التحق بكتلة العمل الوطني في الشمال وحل محل والده في عضويتها، وأصبح يعمل إلى جانب الأستاذ الطريس في الحركة الوطنية بالشمال، فوضعوا قوانين الكتلة التي انتخب الطريس رئيساً لها. وكان أحد مؤسسي المدرسة الثانوية الأولى بتطوان (المعهد الحر) وحزب الإصلاح الوطني (أول حزب وطني في تاريخ المغرب) وكان عضواً في لجنته التنفيذية، وأحد أركان القيادة في فرق الفتيان التي نظمها الحزب.

اشتغل الطيب بنونة مديراً لشركة التعاون الصناعية ومديراً للمعهد الحر ورافق بعثة المعهد إلى القاهرة وبذل مجهوداً مع الحكومة المصرية لإدماج أعضائها في الكليات والمعاهد العلمية، فتخرج منهم الطبيب والمهندس والمعلم. وشارك مع الطريس في المؤتمر البرلماني للدفاع عن فلسطين بالقاهرة سنة 1938.

زاول الطيب بنونة مهنة التعليم الثانوي الحر متطوعاً عدة سنوات وعين عضواً في المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي وشارك في وضع نظم التعليم بمنطقة الشمال. كما ناضل كأحد قادة الحركة الوطنية في الشمال بقلمه وخطبه ومقالاته في الصحافة الوطنية. كان مديراً لجريدة *الأمة* وحرر عريضة المطالبة بالاستقلال (في الشمال) سنة 1944 ووقعها مع لجنة الحزب وناب عن الطريس في تسيير شؤون الحزب أثناء غيابه في الشرق وكان صلة الوصل بين الحزبين : حزب الإصلاح الوطني وحزب الاستقلال.

ومن سنة 1946 إلى سنة 1953 قام بزيارات سرية عديدة للملك الراحل محمد الخامس لمشورته باسم حزب الإصلاح الوطني وإطلاعه على جهود رجال الحزب في الداخل والخارج وتلقي الإرشاد والتوجيه من العاهل الكريم. وقد ساعده هذا الاتصال ليكون أول شخص من المواطنين اطلع على رغبة صاحب الجلالة في الرحلة إلى طنجة. وقد نُفي من تطوان سنة 1948 وبقي مهاجراً في المنطقة الدولية بطنجة رفقة الطريس، ودام هذا النفي أربع سنوات.

بعثه حزب الإصلاح الوطني إلى القاهرة سنة 1951 وقضى مدة في الجامعة العربية يعمل مع ممثلي الأحزاب الوطنية المغربية : علال الفاسي ومحمد الحسن الوزاني، وأحمد ابن سودة في تقديم الوثائق عن القضية المغربية للأمين العام للجامعة ومساعديه ودراسة القضية قبل عرضها على هيئة الأمم، وشارك في نشاط مكتب المغرب العربي بالقاهرة.

وبعد إلغاء قرار النفي عاد الطيب بنونة إلى تطوان في أبريل 1952 واستأنف نشاطه السياسي كأمين عام لحزب الإصلاح الوطني، واعتقلته السلطات الإسبانية سنة 1953 برفقة الأستاذ الخطيب وحاكمته على ما كان يبعثه إلى هيئة الأمم من شكاوى وتفاصيل عن حالة المنطقة الشمالية وحكمت عليه بالسجن والنفي لمدة عشر سنوات لكنه شمله عفو الخليفة السلطاني فعاد لميدان العمل.

عمل مع الأستاذ الطريس في مساندة المقاومة المغربية ومساعدة الفدائيين اللاجئين بتطوان وإمداد المقاومة بالمال والسلاح الذي كان يجمع من الشعب. وكان أميناً لصندوق جمع التبرعات من جميع أنحاء الشمال. وبعد إدماج حزب الإصلاح الوطني في حزب الاستقلال أصبح مفتشاً عاماً لمنطقة الشمال.

وفي 30 يوليو سنة 1956 عين كأول عامل على إقليم تطوان وساهم في فترة الجلاء والوحدة والإدماج. وفي 2 يوليو سنة 1958 عينه محمد الخامس سفيراً لجلالته في مدريد. وكانت هذه السفارة تعتبر الثانية في الأهمية،

واستطاع السفير بنونة أن يلعب دوراً إيجابياً في خدمة بلاده وحل بعض المشاكل القائمة بين البلدين.

وشّح جلالة الملك محمد الخامس عنق عامله بنونة بالوسام العلوي من درجة كمندور في حفل رسمي كبير بساحة الحسن الثاني بتطوان. وفي 5 سبتمبر سنة 1961 انتهت مهمة بنونة كسفير بإسبانيا، فمنحه الجنرال فرانكو بهذه المناسبة وسام (گران كروث دي إسابيلا لا كاثوليكا).

وبعد العودة إلى المغرب كلف السفير بنونة بإدارة قسم آسيا والشرق في وزارة الخارجية بالرباط. وفي 29 فبراير سنة 1962 عين سفيراً بإيران، كما أُسندت إليه في نفس الوقت أعباء السفارة بتركيا، فقام بدور مهم في ربط صلات الأخوة الإسلامية بين القطرين الشقيقين إيران وتركيا وبين المملكة المغربية.

انتهت مهمته كسفير لبلاده في إيران وتركيا في متم سنة 1964 وعاد في السنة الموالية للاستقرار بتطوان بعيداً عن النشاط السياسي والمهام الحكومية، لأن صحته لم تعد تساعده على ذلك. نعم، رضي بأن يشغل نفسه بعضوية أو رآسة بعض المجالس الإدارية في شركات صناعية وتجارية وسياحية وفلاحية، وذلك لأنه ما انقطع طيلة حياته وخاصة في فترات الوظيف الحكومي عن الكسب عن طريق التجارة تارة والصناعة أو الفلاحة تارة أخرى.

وقد انتهى إلى نادي الأسد (ليونس) وكان رئيساً لهيئته بتطوان. وكان في السنوات الأخيرة يكرس أوقاته للمطالعة وخاصة دراسة التفاسير القرآنية ويحاول أن يجمع شتات الوثائق والمعلومات والمذكرات الوطنية التي تزخر بها خزانته عن الحركة الوطنية المغربية وعن نشاطه خلال سنوات الكفاح الوطني قبل الاستقلال وبعده في المهام الرسمية. وفي سنة 1980 نشر بطنجة الرسائل المتبادلة بين والده عبد السلام بنونة والأمير شكيب أرسلان تحت عنوان : *نضالنا القومي*.

وكانت وفاته بتطوان يوم 5 ربيع الثاني عام 1399 / 4 مارس 1981.

م. ابن عزوز حكيم، *لمحات من بيان المجاهد الأستاذ الحاج الطيب بنونة*، الرباط، 1981 ؛ جمعية الطالب المغربية، *فقيد الوطن الأستاذ الطيب بنونة في ذكراه الأربعينية*، تطوان 1986.

محمد ابن عزوز حكيم

بنونة، الطيب بن العناية المكناسي الضرير. قال في حقه تلميذه عبد الرحمن ابن زيدان في *الاتحاف* (3 : 117) "فقيه نبيه ذو إدراك وتأن وإنصاف وتواضع. كف بصره بعدما شبّ وقرأ، ولم يزل ملازماً دروس شيوخه إلى أن شاب". درّس بالضريح الإسماعيلي وغيره، وكان يحسن التعليم، ويجيد العبارة والتفهيم.

توفي بمكناس في جمادى الأولى عام 1325 / يونيه - يوليوز 1907.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 3 ، 117، 118 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1325.

بنونة، الطيب بن محمد بن عبد السلام بن عبد الله الفاسي، من العلماء الأدباء المؤلفين له قدرة على قرض الشعر، لا سيما النظم التعليمي والملحون. ومن آثاره في ذلك *نظم رجال سلوة الأنفاس* لمحمد بن جعفر الكتاني، *ونظم الآجرومية*، إلى غير ذلك.

توفي بفاس يوم الخميس تاسع عشر ربيع الثاني عام 1347 / 4 أكتوبر 1928، ودفن بروضة آل بنونة قرب ضريح أبي غالب بحومة صريرة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1347.

بنونة، عبد السلام (الحاج) بن **العربي**، ولد بتطوان في عشرين رجب عام 1305 / 2 أبريل 1888، وبها تعلم القرآن الكريم في الكتّاب، ومبادئ العلوم اللغوية والشرعية في الزوايا والجامع الكبير، وكان من رفقائه في الدرس الفقيه الشهير محمد المُرير، ومحمد بن التهامي أفيلال الذي أصبح وزيراً للعدل في الحكومة الخليفية على عهد الحماية بشمال المغرب.

كانت هواية الحاج عبد السلام بنونة في الانكباب على مطالعة الكتب عاملا أساسياً في تكوين نفسه تكويناً متيناً، كما كان ميالا إلى كتب التاريخ والجغرافيا والرحلات والرياضيات والفلك والطب والسياسة، الشيء الذي جعل منه المغربي الأول والوحيد الذي صعد المعارج الراقية للأكاديمية الملكية الإسبانية للتاريخ بمدريد يوم 5 نوفمبر 1921. ومكنه ذلك من الالتحاق بالهيئة العليا لتاريخ المغرب وجغرافيته بالعاصمة الإسبانية يوم 6 فبراير 1922.

إنه من الصعب، والحق يقال، أن نجد مثله في تاريخ المغرب شخصاً خاض وحده غمار الكفاح الوطني دون مؤازرة أحد عندما رأى وطنه محتلاً وبلاده ممزقة، وأمته فاقدة الآمال في استرجاع مكانتها ومجدها واستعادة حقوقها الضائعة، خصوصا أن عمله كان يقابل بالجهل والتعصب وعدم التفهم ويلاقي أحياناً تنكر الرفقاء. غير أنه تحدّى العراقيل والصعاب في سبيل الوصول إلى الأهداف التي كان يسعى إليها جاهداً، والتي استحق من أجلها لقب "أبي الحركة الوطنية" من طرف زعيم العروبة والإسلام الأمير شكيب أرسلان.

كان الحاج عبد السلام بنونة يرى أن الكفاح الذي ينبغي أن يخوضه المغاربة لمواجهة الغزاة الإسبانيين والفرنسيين يجب أن يتخذ طابعاً سلميا وسياسياً، خاصة وأنه يدور في ميدان يختلف عن ميدان المقاومة المسلحة، أي أنه يدور في المدينة وليس في البادية، وفي تطوان بالذات التي كانت عاصمة الشمال. ومنها انطلق بنونة عندما شعر بأنه مدعوٌ لقيادة المقاومة السلمية السياسية، وتيقن بأن الواجب يحتم عليه أن يهب حياته لخدمة وطنه والدفاع عن قيمه المقدسة وحقوق شعبه المهضومة، ولم تكن تعوزه المواهب الطبيعية ولا روح النضال اللازمة للقيام بعمل جليل وعظيم كهذا.

تتبين الخطة السياسية التي آمن بها بنونة في رسالة بعث بها إلى ولده الطيب بتاريخ 26 غشت 1930 جاء فيها :"الاستقلال والحرية شيء يؤخذ ولا يعطى، وأخذه بقوة السلاح مع الجهل لا يدوم، ونتيجته الثورة المتتابعة القاضية على البلاد وأهلها، والوصول إلى الاستقلال التام بقوة العلم وكثرة المعارف يكاد يكون من قبيل المحال، اللّهم إذا ساعدت الظروف بأسباب خارجية. ومحصل هذا كله أن الأمة المغربية تتوقف على رجال ذوي مقدرة في المعارف بأنواعها ليكونوا قادة للشعب، يسيرونه حسب إرادتهم لمصلحة الدين والوطن، ويجب إيجاد هؤلاء الرجال عاجلا ما دام بالقبائل الداخلية رمق من الحياة الحربية.

وقد طبق هذه الخطة في المرحلة الأولى من نضاله الوطني على النحو التالي :

أ) المشاركة في الحكومة الخليفية وإدارة الحماية قصد تحقيق اتصال مباشر برجال المخزن والسلطات الإسبانية، ليتمكن من التعرف عليهم وتتبع أعمالهم عن كثب، وللاستفادة من خبرتهم واكتساب ثقتهم.

ب) تكوين الشبان المغاربة وتثقيفهم على أساس اللغة العربية.

ج) العمل على تأسيس اقتصاد وطني تساهم فيه جميع طبقات الأمة بواسطة شركات صناعية وتجارية وفلاحية تعاونية.

د) القيام بالدعاية المنظمة من أجل توعية الأوساط الشعبية وبث الروح الوطنية في نفوس المغاربة.

كان من نتائج خطة بنونة في المرحلة الأولى من كفاحه (1916. 1926) تخفيف حدة رجال الحماية الإسبانية وتمتع شمال المغرب ببعض الحقوق السياسية والاجتماعية التي لم يكن يسمح بها الاستعمار الفرنسي في منطقة حمايته.

كان أول منصب شغله الحاج عبد السلام بنونة هو وظيف أمين الأملاك المخزنية والمستفاد من فاتح أبريل 1915 إلى 14 ماي 1916، ثم منصب محتسب تطوان من 15 ماي 1916 إلى 19 أبريل 1918، فنائب رئيس المجلس الصحي الأعلى من سنة 1918، فوزير للمالية في 9 شتنبر 1922 إلى 3 شتنبر 1923، كما كان عضواً في اللجنة العليا للسياحة من 1921 إلى 1927، وفي المجلس الأعلى للآثار التاريخية والفنية من سنة 1921 إلى سنة 1929، ومستشاراً بلجنة التشريع إلى غاية سنة 1934.

يعتبر الحاج عبد السلام بنونة صاحب فكرة تأسيس المجمع العلمي المغربي بتطوان يوم 27 ديسمبر 1916، هذا المجلس الذي كان يضم مائة من أبرز العلماء والفقهاء والأدباء والفنانين والمثقفين عامة بالمنطقة الشمالية، وفكرة إنشاء المدرسة العربية الإسبانية التابعة للمجلس المذكور (يناير 1917) وهو الذي أُنشئت فيه مطبعة الإصلاح العربية، وجريدة *الإصلاح* التي كانت لسان حال المجلس، ومدرسة الصنائع التقليدية الأولى من نوعها بالمغرب.

وإن المدرسة الأهلية المؤسسة بتطوان يوم 20 ديسمبر 1924 هي من عمل الحاج عبد السلام بنونة الخاص، وكانت أول مدرسة ابتدائية عصرية عربية حرة بشمال المغرب بإدارة الفقيه محمد داود. كما أرسل بعثات طلابية إلى الشرق العربي في أكتوبر سنة 1928، ثم في سنوات 1929 و1930 و1932 و1933 و1934. وحاول إنشاء كلية عربية بتطوان (29 سبتمبر 1929) تدرس فيها الآداب والفلسفة والهندسة والمعمار والفلاحة والطب والبيطرة والترجمة، ويتم فيها تكوين الأساتذة والمحامين والعدول.

وفي ميدان الاقتصاد تمكن الحاج عبد السلام بنونة من إنشاء عدة مؤسسات تعاونية وطنية كشركة التعاون الصناعية (فاتح مارس 1928) والمطبعة المهدية (21 نوفمبر 1928) ومعمل الثياب الوطنية (فاتح يناير 1931) وشركة الزرابي الشفشاونية (16 يوليوز 1934).

كان أول ما فكر فيه المترجم، في ميدان التوعية الوطنية، هو إنشاء جريدة عربية. وقد تقدم بعدة طلبات إلى الإدارة الإسبانية لتأسيس جريدة *النهضة* (29 يونيو 1927) وجريدة *البيان* (25 أكتوبر 1928) وأخيراً تقدم بمشروع ثالث لتأسيس جريدة وطنية باللغة الإسبانية تحت عنوان *La Gaceta de Marruecos* (*جريدة المغرب*) بتاريخ فاتح يناير 1930.

وقد استضاف بنونة الأمير شكيب أرسلان عند زيارته التاريخية لتطوان في شهر غشت من سنة 1930 حيث اجتمع بعدد من قادة الحركة الوطنية من جميع أنحاء المغرب، وعلى إثر هذه الزيارة قام بنونة بإنشاء الهيئة الوطنية السرية الأولى بشمال المغرب يوم 5 شتنبر 1930.

وعلى إثر الإعلان عن الجمهورية الإسبانية في أبريل من سنة 1931 فكر المترجم في استغلال تلك الفرصة لتقديم أول وثيقة تضم مطالب الأمة المغربية بتاريخ فاتح ماي، كما كان وراء تقديم أول وثيقة بالمطالب العمالية المؤرخة في يوم 5 من نفس الشهر. وعندما عاد عبد الخالق الطريس من القاهرة وفكر في تأسيس حزب سياسي باسم : "هيأة وفد مطالب الأمة" كان بنونة بجانبه، وعين فيه مستشاراً (19 يونيو 1931).

ولما قررت الإقامة العامة الإسبانية تلبية أحد مطالب الأمة الخاصة بإجراء انتخابات بلدية حرة بالمنطقة في 24 شتنبر 1931، فازت اللائحة الوطنية، وكان بنونة من بين مرشحيها، وعين نائباً لرئيس المجلس البلدي.

ويرجع الفضل للمترجم في القرار الذي اتخذته الحكومة الإسبانية بشأن إنشاء المعهد العالي للدراسات الإسبانية ـ العربية بمدينة سبتة (9 أكتوبر 1931) وإحداث مفتشيّة للتعليم المغربي بالمنطقة (21 يناير 1932)، وإنشاء معهد الدراسات العربية بغرناطة (27 يناير 1932).

وفي 5 مارس 1932 عاد عبد الخالق الطريس من فرنسا إلى تطوان فأسس بمشاركة المترجم جمعية الطالب المغربي (23 مارس) وأعيد تنظيم هيئة وفد مطالب الأمة بشمال المغرب التي كانت تتكون من جماعة علنية برآسة الفقيه محمد الصفار ومن جماعة سرية برآسة المترجم.

قام الحاج عبد السلام بنونة بتحركات وطنية مكثفة إلى مدريد وجنيف خلال سنة 1932 وشارك كعضو نشيط في الهيئة التحضيرية لوضع نظام حزب الإصلاح في 15 يناير 1933، وفي هيئة العمل الوطني بشمال المغرب في 20 نونبر 1933. وسافر مع الطريس في مطلع سنة 1934 باسم هذه الهيئة للتباحث مع الحكومة الإسبانية في السياسة المتبعة في المنطقة الخليفية. وكانت له إسهامات مادية في جريدة *الحياة*، وفرقة الكشاف المهدية، والجمعية الخيرية بالشاون، ولجنة مقاطعة فرنسا ومقاومتها.

وفي أواخر 1934 طرأ انحراف على صحة الحاج عبد السلام بنونة، فتوجه إلى مدينة رندة بالأندلس حيث وافته المنية يوم 3 شوال 1353 / 9 يناير 1935.

م. ابن عزوز حكيم، *أبو الحركة الوطنية الحاج عبد السلام بنونة : حياته ونضاله*، في 6 أجزاء، طبع منها 3 أجزاء (1987 ـ 1988) ؛ الحاج عبد السلام بنونة ـ *مجلة الإيمان*، عدد 95، أبريل ـ ماي 1980.

محمد ابن عزوز حكيم

بنّونة، محمد (الحاج ـ)، كان يتاجر بجبل طارق. ولما توفي الحاج سعيد بن أحمد جسوس وكيل السلطان بالصخرة عُيِّن الحاج محمد بنونة مكانه سنة 1890 وظل يشغل هذا المنصب إلى أن توفي بجبل طارق سنة 1316 / 1898، وخلفه عبد السلام بن أحمد بوزيان.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 1 : 83 / 4 : 1554 ؛ *الوثائق المغربية*.

مصطفى بوشعراء

بنونة، محمد بن **محمد** الفاسي، فقيه مدرس عدل من شيوخ المهدي ابن سودة، وكان في عام 1240 قاضياً بالنيابة في فاس البالي.

توفي بفاس عام 1261 / 1845.

أ. الزياني، *شرح ألفية السلوك* (طرة) بنق ؛ ع. بن سودة، *إتحاف المطالع*، 1261.

بنونة، محمد بن المعطي الرباطي، فقيه أديب سياسي اشتغل في الدواوين المخزنية في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فكان الكاتب الأول بالمالية في عهد الحسن الأول وابنه عبد العزيز، كما كان الكاتب العام للوفد المغربي في مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1298 / 1880، وله *كناشة* تشتمل على نصوص ظهائر ومعاهدات أبرمها المغرب مع الدول الأجنبية في تلك الفترة، نقل عنها ابن زيدان في *الإتحاف* (2 : 505 ـ 508) ظهيراً عزيزياً يتضمن الأوامر للرياس والبحارة المشتغلين عل ظهر السفينة المسماة بشير الإسلام، وهو مؤرخ في تاسع وعشري رجب عام 1317 / 3 دجنبر 1899.

لم نقف على تاريخ وفاته.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2 : 505 ـ 508.

محمد حجي

بنّيس، أسرة فاسية عريقة، عرفت بنشاطها التجاري، ذكرها روني لوكلير R. Leclerc وروجي لوطورنو R. Le Tourneau ضمن لائحة التجار الرئيسيين في تاريخ فاس الحديث كآل لحلو وبرادة وگسوس.

وهناك آل بنيس آخرون بتطوان يبدو ألاّ علاقة لهم بآل بنيس الفاسيين، ومنهم :

بنّيس، أحمد، بحار كان تابعاً لحامية مدينة تطوان سنة 1246 / 1830. وإلى هذه الأسرة ينتمي شاب اعتنق المسيحية سنة 1257 / 1841.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 47 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 211 ـ 256 ـ 274 ـ 344 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Familias ilustres* ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)*, 1932 (B).

محمد ابن عزوز حكيم

بنّيس، عبد الكريم بن العربي، ولد ونشأ بفاس، ودرس على كبار شيوخ عصره، أمثال عبد السلام بوغالب، والمهدي ابن الحاج، والمهدي ابن سودة، ومحمد بن المدني گنون، وأحمد بناني كلاً وغيرهم. تخرج عالماً مشاركاً، وأديباً شاعراً (من آخر مَن نظم الشعر على طريقة أهل الأندلس مع الإجادة) (*سل النصال*).

درّس بالقرويين سنين طويلة، وانتفع به عدد عديد من الطلبة "مع ضيق في عبارته" وكان تجاني الطريقة، يلازم ضريح الشيخ أحمد التجاني ويدرس فيه لا يكاد يفارقه.

توفي عن سن عالية يوم الاثنين فاتح جمادى الأولى عام 1350 / 14 شتنبر 1931 ودفن بروضتهم بالقباب خارج باب الفتوح.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1350 ؛ *سل النصال*، الترجمة، 93.

بنّيس، العربي بن أحمد الفاسي، فقيه أديب. كان "علامة مشاركاً مدرساً.. له شعر متوسط الجودة". (*الإتحاف*).

توفي بعد زوال يوم الثلاثاء آخر ذي الحجة عام 1213 / 4 يونيه 1799 ودفن بروضة داخل باب عجيسة.

ج. الكتاني، *الشرب المحتصر*، 6 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1213 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 205.

محمد حجي

بنّيس، محمد بن أحمد بن محمد الفاسي، وصفه صاحب *السلوة* وغيره بألقاب بلغت النهاية في الكفاءة والتقدير، منها :"الفقيه العلامة الدراكة المحقق الفهامة، الضابط المتقن.. الماهر في الفرائض والحساب الفائق فيهما جميع الطلاب، البركة الصالح، المهتدى بهداه الواضح".

ولد بفاس ليلة الاثنين منتصف رجب من سنة 1160 / 1747، وأخذ عن أشياخ كثيرين منهم : شيخ الجماعة محمد ابن قاسم جسوس وعبد الرحمان المنجرة ومحمد بن الحسن بناني وعبد القادر بن شقرون ومحمد بن عبد السلام الفاسي. كما أخذ التصوف عن الشيخ أحمد الهلالي لما زار مدينة فاس، اتصل به بنيس وهو طفل بدار جده لأمه.

توجه بنّيس إلى المشرق لأداء فريضة الحج سنة 1196، وفي طريقه لقي جماعة من علماء مصر والحجاز وتبادل معهم المعارف العلمية ثم رجع لفاس وتصدر للتدريس بالقرويين وبضريح المولى إدريس الأزهر، فأخذ عنه جماعة منهم السلطان المولى سليمان العلوي، درس عليه النحو والفقه والفرائض والحساب، وحمدون بن الحاج وأحمد بن عجيبة وعبد القادر بن أبي جيدة الكوهن.

كان محمد بنيس هذا مع التاودي بن سودة وعبد القادر بن شقرون وحمدون ابن الحاج من أكبر العلماء الذين يتصدرون مجلس السلطان المولى سليمان، ومن الذين لهم تأثير كبير في توجيه الدراسة والحياة العلمية والسياسية بالبلاد، وهو التوجيه الذي كان يتقوقع حول الأوضاع الداخلية الضعيفة المغلقة المتدهورة التي كانت تزداد تغلغلا في الانغلاق والضعف، حتى إن الإحساس بما يجري حول البلاد كان مجهولا وغير مُبالىً به. ولذلك يشكل عصر بنيس عصر الانتقال من الانهيار إلى السقوط.

توفي بالوباء عام 1213 / 1798. ودفن بباب الجيسة، وترك عدة تآليف منها :

- *لوامع أنوار الكوكب الدري في شرح همزية البوصيري* مطبوع.
- *بهجة البصر في شرح فرائض المختصر*، لخليل، مطبوع.
- *حاشية على بغية الطلاب في شرح منية الحساب لابن غازي*،مطبوع.
- *تلخيص وتحصيل ما للأئمة الأعلام في مسائل الحيازة الدائرة بين الحكام*. مخطوط خ. ع، 1447 د.

م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف*، تح. أحمد العماري ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 / 204-205 ؛ ع. اللجائي، *المفاخر العلية في الدولة الحسنية*، مخطوط. خ. ح. رقم 460 ؛ إ. الجعيدي، *الابتسام عن دولة ابن هشام*، مخطوط. خ. ح. رقم 1204 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 6 : 15.

بنّيس، محمد بن عبد القادر، طالب نجيب متحمس للقضية الوطنية إبّان الأزمة، كان يتابع دراسة الطب بمدينة بوردو، فاغتاله هناك أحد الاستعماريين المتعصبين في أوائل شعبان عام 1373 / أبريل 1954. ونقل إلى مسقط رأسه فاس حيث أقبر مأسوفاً على شبابه (28 سنة) وطنيته.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1373.

أحمد العماري

بنّيس، محمد (الحاج ـ) بن **المدني**، أمين الأمناء، كان من الأثرياء الوجهاء بمدينة فاس، خبيراً بالشؤون التجارية والمالية، بالإضافة إلى أنه كان يحظى بثقة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، وكانت له عنده "يد ومكانة مكينة لما اتصف به من رجحان العقل والإصابة في الرأي وعدم التدخل فيما لا يعنيه" (*الإتحاف*، 2 : 134) ولعل ذلك ما رشحه لتقلد مسؤولية أمين الأمناء.

كان أمين الأمناء يعد بمثابة وزير، إلا أنه لم يكن يحمل هذا اللقب (*العز والصولة*، 1 : 273) وهو الذي كان يقوم بتفقد أحوال أمناء المراسي، ويراجع أعمالهم، ويقوم بتصفية حسابات مداخيلهم، كما كان يشرف على تنفيذ كل الصوائر التي يأمر بها السلطان. وأثناء عقد بيعة السلطان مولاي الحسن، كتب أمين الأمناء إلى كل من كان إلى نظره من الأمناء بمختلف المدن الساحلية والداخلية بالانضمام إلى هذه البيعة. فاستحق بذلك رضى السلطان وعطفه (*الوثائق*، 2 : 456. الوثيقة 299).

وإذا كان الحاج محمد بن المدني بنّيس قد حظي بثقة السلطان وأقره على منصبه كأمين للأمناء منذ بداية عهده، فإن هذه الثقة سرعان ما اصطدمت بوقائع وأحداث نسبت إليه وأوقعته في محنة قاسية.

تورط الحاج محمد بن المدني بنّيس في أحداث فاس : تعد المرحلة الانتقالية بعد وفاة سلطان وتولية آخر من أدق مراحل التاريخ السياسي في المغرب، ويشير العارفون بحقيقة الأمور إلى هذه المرحلة بأنها "وقت الوسوسة" وكثيراً ما يميل الناس خلالها إلى "الطمع وبالأخص المخازنية" (*الوثائق*، 3 : 47، الوثيقة 316).

عند بيعة مولاي الحسن ارتبطت هذه الحالة بمسألة المكس الذي كان مفروضاً على الأسواق منذ القرن الثامن

عشر، وكان مرفوضاً من طرف عامة الناس، لأنه لم يكن في اعتقادهم يستند على أساس شرعي. وفي الوقت الذي تقررت فيه بيعة السلطان اعتقد السكان أن المكوس التي كانت موظفة على الأبواب والأسواق، ومن جملتها ما كان يؤدى على بيع الجلد، قد ألغيت. وكان أمين الأمناء بفاس الحاج محمد بن المدني بنّيس هو صاحب التفويض في ذلك، فاجتمع بمن كان مرشحاً لقبض الواجبات المتحصلة من فندق بيع الجلد، واقترح عليه إعادة المكس على سوق الجلد. وبعد استشارة أمين الأمناء لبعض أعيان المدينة، أشار عليه أحدهم بالتأخر عن هذا الأمر قليلا حتى تطمئن النفوس (*الاستقصا*، 9 : 129) وحذّره وأنذره وأشار عليه بإرجاء الطلب إلى مقدم السلطان، لكن أمين الأمناء أصرّ على إعادة المكس، وهو بلا شك كان يريد أن يستنفد مدة عقده لأنه هو الذي استأجر محصول هذه الضريبة (عياش، *دراسات*، 133) فكان ذلك الموقف منه هو السبب في انفجار "انتفاضة الدباغين" ضده.

كان بنّيس وظف على سوق الجلد نصف موزونة للمثقال تؤدّى عند البيع. وذكر ابن زيدان أخذاً من كتاب *الدر المنتخب المستحسن* لابن الحاج أن بنيس لما سمع بعض الحاضرين يتحدثون بأن سبب هذا الحادث هو عزمه على ردّ المكس بفندق الجلد، حلف يميناً جمع فيها كل الأيمان الراجعة للبتات وغيره أنه ما أذن في ذلك ولا عزم عليه (*الإتحاف*، 2 : 137) لكن الدباغين اعتبروا ذلك بمثابة استفزاز لهم، فتجمهروا وثاروا، وحاولوا عرض القضية على أنظار أمين الأمناء ومراجعته في الأمر، وهبُّوا إلى داره بالقطانين يوم الأحد 12 شعبان سنة 1290 / 4 أكتوبر 1873. فمنعهم حراس الدار من مقابلته، واستفزهم أحد خدامه (عبيده) بسبهم وشتمهم وسد الباب في وجههم، وحضر من نهاهم عن ذلك فعزموا على الرجوع، فإذا بعمارة بارود وأحجار ضربوا بها من داخل الدار (*الوثائق*، 3، الوثيقة 405) وزاد هذا من استفزازهم وتصعيد حدة التوتر، فاجتمع الغوغاء من كل حدب وصوب وقرروا الهجوم على الدار.

صادف الحال أن الحاج محمد بنّيس لم يكن بداره، بل كان يغتسل بحمام ابن عباد بحومة القطانين. لذلك عمّ الذعر والخوف عياله داخل الدار، فحاول بعض جيرانه تهريبهنّ عن طريق السطح خوفاً عليهن من الفضيحة، وأوعز إليهن أن يصحبن معهن مالهن من الحلى والمجوهرات والذخائر النفيسة الخفيفة الحمل الغالية الثمن. وما هي إلا برهة حتى اقتحمت دار بنّيس ووقع بها النهب واستولوا على ما بها من النفائس والذخائر والأموال... وكذلك الأثاث والأمتعة، بل حتى أواني الخليع والسمن والزيت والدقيق وما أشبه ذلك (*الإتحاف*، 2 : 135).

ولمّا بلغ الخبر إلى رجالات المخزن بالمدينة، حاولوا القيام بمبادرة لوقف الفتنة، فبعث الخليفة السلطاني بفاس مولاي إسماعيل بكتيبة من العسكر المخزني تحت قيادة الباشا الحاج سعيد، لوقف عملية النهب داخل دار بنّيس، ولما دخل الدار بمن معه من أهل النجدة لم يعبأ به أحد ولم يرفع إليه رأس، فرجع من حيث أتى ناجياً بنفسه. كما حاول عامل البلد إدريس السراج إيقاف الفتنة، ولما وصل الدار ورام كف أولئك المتمردين باللين في القول لم يبال أحد بمقاله وأعرضوا عنه إعراضاً كلياً. كذلك فعل قاضي الحضرة الفاسية الذي ذهب بنفسه إلى دار بنّيس، فلم يلتفت إليه أحد، ولا وقع بصره على من يعرفه.

هاجت الفتنة بالمدينة وماج الناس بعضهم في بعض، خصوصاً بالقطانين والعقبة الزرقاء. وانتقلت عملية النهب من دار بنّيس بالقطانين إلى عرصته بالدوح فنهبوا جميع ما بها وأزالوا حتى الأبواب والسراجب وجوائز السقف وخربوها وتركوها بلاقع في أقرب الأوقات وأقصرها.. كما عمّ النهب باقي أملاكه وعزبانه خارج المدينة بكل من حميان بسايس غربي فاس، والحياينة شمال شرقي فاس على نهر سبو.

وحاول الشرفاء الأدارسة وباقي الأعيان إنقاذ بنّيس، واجتمعوا بين العشاءين، وأخرجوه من الحمام حيث كان مازال مختبئا وهو في حمايتهم، وتوجهوا به إلى الحرم الإدريسي.

ولما وصل الخبر إلى السلطان، وهو بمراكش، عقد للقائد إدريس بن العلام على عشرين من الخيل ووجههم بكتاب شريف لكافة أهل فاس وذلك يوم الخميس 23 شعبان عام 1290 / 15 أكتوبر 1873. فلم يصل إلى فاس إلا يوم الأربعاء 7 رمضان.وفي الغد، ثامن رمضان، قرئ الكتاب على منبر القرويين وفق المقرر المألوف في المكاتب السلطانية، ومما جاء فيه ".... إن بعض السفهاء ظهر منهم طيش وبغي، واستهواهم الشيطان، فاتبعوا سبيل الغي فتمالأوا على خديمنا الأمين الحاج محمد بن المدني بنّيس، ونهبوا داره، ولم يراعوا ماله بسبب خدمتنا الشريفة من حقوق، ولا خافوا سطوة الخالق ولا استحيوا من المخلوق، وذلك لا يجمل الإغفاء عنه ولا سكوت عليه". (*إتحاف*، 2 : 138). ولما تُلي الكتاب، اعتقد الناس أنه تهديد وأمر بردّ ما نهب من دار بنيس، فتجمهروا واجتمعوا وسط مسجد القرويين حتى اكتظ بهم وامتلأت الطرقات المؤدية إليه، وخاف السكان من عودة الفتنة.. ومدّ اليد في الأسواق ودكاكين التجار. وكثر اللغط وارتفعت الأصوات، واتخذ التجار والأعيان منهم الحرس "العسس" على أبواب دورهم ودكاكينهم ووقع الناس في حيص بيص (*إتحاف*، 2، 139).

حاول ولاة المدينة وأعيانها تدبر الأمر، فاجتمعوا بقصورة القرويين قصد التشاور فيما يمكن القيام به لتهدئة الأحوال وتصفية الأجواء، واتفق نظرهم على توجيه وفد لمقابلة أمين الأمناء الحاج محمد بنّيس لطلب مسامحته فيما نهب من داريه ويخرج من الحرم آمناً. وتوجه الوفد صبيحة يوم الجمعة 9 رمضان إلى الحرم الإدريسي حيث يقيم محمد بنّيس ووجدوا معه جماعة من الأعيان.. فسلّموه ووعظوه وبالغوا في استعطافه للمسامحة، فأبى كل

الإباية، وصرّح لهم بأنه ضاع له أضعاف ما في بيت المال (*إتحاف*، 2 : 140) ولما فشلت مساعيهم مع بنّيس بدأ الذعر والحذر يسود ولاة المدينة وأعيانها، فكثر اللغط والهرج، وحاول الخليفة السلطاني مولاي إسماعيل تسكين روعة الناس وتفهيمهم مراد السلطان من كتابه لأهل فاس وهو إغراء بالكف وزجر على العودة خوفاً من أن يقع للغير ما وقع لبنّيس، لكن عودة الاضطرابات من جديد حالت دون ذلك.

توجهت جموع المنتفضين إلى الحرم الإدريسي بقصد قتل الحاج محمد بنّيس، فاتخذ الشرفاء الأدارسة إجراءات أمنية لحراسته، وأنزلوه بشماسة وطاقة من شماسات الضريح، وأقفلوا أبواب الحرم، وتقلدوا الأسلحة، وأطلقوا النار من السطح، فأصاب بعض الفقراء. وفي الجهة المقابلة طلعت جموع أخرى للسطوح العالية المشرفة على سطح الحرم الإدريسي لقتل جميع من راج به. وكادت أن تؤدي هذه المواجهة إلى كارثة كبرى لولا تدخل القاضي مولاي محمد مع جماعة من الأعيان حالوا دون خرق الجموع لحرمة الحرم الإدريسي.

ولم يستقر الوضع بصفة نهائية داخل مدينة فاس، حيث تجدد النهب في الأسواق والدكاكين صبيحة يوم الأحد 11 رمضان، وحمل التجار سلعهم لدورهم وجعلوا على أبوابهم وسطوحهم العسس الكافية، وازداد الأمر شدة، وحاول القاضي والعلماء والأعيان ـ مرة أخرى ـ وضع حد لهذه الانتفاضة، فاجتمعوا في جامع القرويين بعامة الناس وخاصتهم قصد شرح كتاب السلطان ومراد خليفته مولاي إسماعيل، وقام القاضي ووعظ وذكّر وحذّر وأنذر، وخوّف من بأس السلطان وسطوته، وضمن لهم ألاّ يروا من السلطان، إن هم أذعنوا وأطاعوا، ما يكرهون، ولا يعنّف أحداً منهم. فرضوا بذلك والتزموه.

وأمر الأشراف الأدارسة بفتح الحرم الإدريسي، ففتحت أبوابه وانفرجت الأزمة بعد أن انتقل الحاج محمد بنّيس إلى منار ضريح مولاي إدريس الأزهر، وبذلك أصبح آمناً على نفسه، وبقي أمره معلقاً وقراره بيد السلطان.

عجّل السلطان مولاي الحسن بقدومه إلى مدينة فاس لإنقاذ الموقف، فاتخذ إجراءات أمنية، وعزل أمين الأمناء الحاج محمد بن المدني بنّيس وعيّن مكانه أحمد بن محمد ابن شقرون المراكشي وأمره أن يرتب الوظيف المجعول على أبواب فاس وأسواقها على ما كان عليه أيام السلطان سيدي محمد رحمه الله ففعل. كان ذلك أواخر شهر ذي القعدة الحرام عام 1290 (*الاستقصا*، 9 : 136).

كان الإجراء الذي اتخذه السلطان بعزل الحاج محمد بن المدني بنّيس من منصبه مجرد إجراء سياسي لتهدئة النفوس، ومع ذلك كان صدمة بالنسبة لبنّيس تجرع منها الأمرين : ذلّ الإعفاء وشماتة الأعداء، وكتب رسالة إلى الحاجب أحمد بن موسى يشكو حالته ويطلب الرحيل من المغرب فراراً من الذل والهوان.

وقد حاول الحاجب أحمد بن موسى تطمين بنّيس عدة مرات، وذكر له في إحدى رسائله بأن السلطان :"... لم يُسلمك ويَفُتْك، ولازال أيده الله ينظر في جبر كسرك وخلف ما ضاع لك".

بعد محنة الحاج محمد بنّيس، على إثر عزله وضياع متاعه، ومحاولة استبداد الآخرين بعقاراته، التفت إليه السلطان مولاي الحسن بعد أن هدأت الأحوال لإرجاع الاعتبار إليه، وتعويض ما ضاع وما نهب من متاعه. فأنعم عليه في بادئ الأمر بتنفيذ "مائتي ألف فنيكة (مكيال إسباني كالمدّ) من القطاني قصد وسقها من المراسي" (*الوثائق*، 3 : 335) على مراحل، وأصدر في هذا الصدد ظهيراً يرخص بمقتضاه للحاج محمد بنّيس بحق تصدير القطاني إلى الخارج من بعض المراسي المغربية وإعفائه من واجب الصاكات. فانتدب بنيس صديقه الطيب بن كيران ومحمد بن عبد الجليل للذهاب إلى مراسي الدار البيضاء والجديدة وأسفي ليُنوبا عنه في تحقيق ما أنعم به عليه السلطان، وباع الوكيلان رخص التصدير للتجار الأجانب لقاء مبلغ مالي معلوم، وتركهم يتولون مهمة شراء القطاني وتصديرها، وطالب وكيلاه بنسبة 5٪ من قيمة المعاملات مقابل أتعابهما إلا أن بنيس اختلف معهما ولم يرضه ذلك.

ثم أصدر السلطان ظهيراً آخر بإسقاط ما كان بذمة بنّيس لجانب بيت المال بعد قيام الفتنة، وذلك قصد إعانته وتعويضه عما ضاع له. وبعد مضي حوالي ثلاث سنوات فقط، بدأ الحاج محمد بن المدني بنّيس يسترجع مكانته فعينه السلطان وكيلا عنه في حيازة مناب والدة السلطان لالاّ فاطمة. وأصبح بهذا المعنى وكيلا شرعياً يقوم بتصفية التركات وينوب عن المحاجير. وفي هذا السياق كذلك وكّل الوزير إدريس بوعشرين ـ حين هجرته إلى المدينة المنورة ـ الحاج محمد بن المدني بنّيس على أملاكه وجعله مقدماً على عياله، فبعث السلطان برسالة إليه يستوصيه خيراً بأبناء الوزير جزاء لسابق أعماله وتفانيه وإخلاصه في خدمة السلطان. ولتعويضه عن الخسارة التي لحقت داره بالقطانين وعرصته اللتين خربتا أيام "وقعة بنّيس" أصدر السلطان ظهيراً يأمر فيه أمين البناءات السلطانية الحاج عبد السلام المقري، بإصلاح داره وعرصته. (*الوثائق*، 3 : 380).

وما هي إلا شهور مرّت على تاريخ صدور ظهير إصلاح دار الحاج محمد بنّيس حتى أصابه مرض خفيف لم يلزمه الفراش إلا أياما قليلة توفي على إثرها في شهر ذي القعدة عام 1298 / سبتمبر 1881. ودفن بضريح مولاي أحمد الصقلي بمدينة فاس.

الوثائق، ع 2 و3 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2 : *العز والصولة* ؛ ج. لوتورنو، *فاس قبل الحماية*، ا (الترجمة) ؛ ج. عياش، *دراسات في تاريخ المغرب* ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ا.

مصطفى فنيتير

بنهيمة، وتكتب في بعض الوثائق مفصولة : ابن هيمة، أسرة عريقة بمدينة أسفي، يبدو أن أصلها من مراكش، وأن أول شخص ورد منها إلى أسفي يسمى عبد السلام، لكننا لا ندري في أي تاريخ، إلا أن قولا في الأدب الشعبي ينسب إلى الشيخ عبد الرحمن المجذوب ذكر لفظ "هيمة" في سياق حديثه عن أسفي، في زجل له يقول فيه :

أهل أسفي هينين لينين (....)
ما فيهم غير هيمة وقارة وقرقارة وشقارة

من المحتمل إذن أن آل بنهيمة وجدوا بأسفي خلال القرن العاشر (16 م). ذكر محمد العبدي الكانوني بعض رجالهم وأغفل بعضاً من الذين عاشوا قبله ممن كان لهم صيت كبير بالمدينة. كان فيهم العلماء والقضاة ورجال المخزن، قواداً وأمناء. التصق اسمهم بأسفي مسقط رأسهم، فتكاثروا فيه بحيث أخذوا يشكلون أربعة فروع، حتى إن بعضهم يكاد يجهل اسمه الحقيقي، ومنهم من التصق به اسم أحد أجداده مثل "بن ابراهيم" أو أحد أخواله مثل "العلج" أو ارتبط به لقب من الألقاب مثل "البنانة"، وكلهم في الواقع من آل بنهيمة تنفرد بهم أسفي فلم ينزحوا إلى مدن أخرى.

بنهيمة، إبراهيم بن الحاج المحجوب بن عبد السلام. تلقى تعليمه على أيدي فقهاء أسفي ومراكش، وكان عدلا خيِّراً ناسكاً، ولّى ظهره لمتاع الحياة الدنيا، حتى إن إرثه كان بسيطاً للغاية. توفي عام 1252 / 1836 عن عدة أولاد انتسبوا إليه وأصبحوا يسمون "بآل بن إبراهيم" وقليل من الناس يعلم أنهم من آل بنهيمة.

م. العبدي الكانوني، *أسفي وما إليه : جواهر الكمال* ؛ عبد الله بنهيمة، *مذكرات* ؛ أ. بنجلون، *تاريخ أسفي*، مخطوط ؛ *بعض أسر أسفي*، مخطوط ؛ *رسوم ووثائق مختلفة*.

أحمد بنجلون

بنهيمة، أحمد بن **الطيب** بن الغالي، ولد عام 1348 / 1927 بمدينة أسفي، وتلقى تعليمه الثانوي بمراكش ثم التحق بفرنسا حيث حصل على الإجازة في الحقوق من جامعة نانسي ودبلوم معهد العلوم السياسية بباريز. خلال مقامه بفرنسا ترأس جمعية الطلبة المغاربة وتولى شؤون حزب الاستقلال بكل من فرنسا وبلجيكا، وناضل في صفوف فرع المقاومة المغربية بالخارج مما جرَّ عليه مضايقات الاستعمار، فاضطر إلى التوجه إلى سويسرا لاجئاً سياسياً بمدينة لوزان. ولدى عودة جلالة المغفور له محمد الخامس إلى سان جرمان أون لي سنة 1955 عُيِّن عضواً في الديوان الملكي ثم مديرا لديوان وزارة الدولة المكلفة بالمفاوضات فكاتباً عاماً للوفد المغربي المكلف بالمفاوضات من أجل الاستقلال فوزيراً مستشاراً لأول سفارة مغربية بباريز.

وبعد ذلك تقلّد مناصب دبلوماسية وقام بنشاط بارز كعضو في الوفد المغربي بمنظمة الأمم المتحدة توج بانتخابه عضواً في مجلس الأمن الذي ترأس اجتماعاته خلال فترتين (يونيه 1963 ويوليوز 1964). ومن سنة 1964 إلى سنة 1966 تولى وزارة الشؤون الخارجية، وفي سنة 1966 عُيِّن وزيراً مديراً للديوان الملكي، ثم عاد لتحمل مسؤولية وزارة الشؤون الخارجية سنة 1972 ثم وزيراً للدولة في الأنباء سنة 1977.

وخلال قيامه بالمهام الدبلوماسية مثّل المغرب في عدد كثير من المؤتمرات الجهوية والدولية ومؤتمرات القمة العربية والإسلامية والإفريقية.

حين أسس جلالة الملك الحسن الثاني أكاديمية المملكة المغربية عيّنه عضواً بها، وأول أمين سر لها إلى أن توفاه الله في 17 صفر عام 1401 / 25 دجنبر 1980.

وثائق وزارة الخارجية، والإعلام، وأكاديمية المملكة المغربية.

محمد مصطفى القباج

بنهيمة، أحمد بن **محمد** بن ابراهيم. ولد عام 1285 / 1868، وتلقى تعليمه بأسفي ومراكش وفاس عن عبد الله التريكي (أسفي) وعلي بن سليمان الدمناتي (مراكش) وأحمد بن الخياط ومحمد بن التهامي الوزاني ومحمد بن عبد السلام گنون (فاس). ثم اشتغل بالتدريس بأسفي، وتولى الخطابة بالمسجد الأعظم وبمسجد الرباط (رباط أسفي)، كما كان ناظراً للأحباس وعدلا.

توفي بمسقط رأسه أسفي عام 1355 / 1936.

بنهيمة، إدريس بن محمد الطيب. والده هو القاضي آتي الترجمة. ولد إدريس يوم 25 شوال عام 1294 / 1877. وقرأ بأسفي على عبد الرحمن المطاعي ومحمد بن إدريس ومحمد التريكي وأحمد الصويري. ولمّا رحل إلى فاس قرأ على أحمد بن الخياط ومحمد بن قاسم القادري والتهامي گنون وجعفر الكتاني وغيرهم.

كان محبّاً للعلم قلّما يفارق مجالس الأدباء مثابراً على التدريس متزهداً في الحياة. توفي بالدار البيضاء على إثر عملية جراحية عام 1351 / 1932.

بنهيمة، حمزة بن الطيب. كان له إلمام بالعلوم العربية، وكان في صغره يخالط التجار والفلاحين الذين

كانوا على صلة وثيقة بأبيه القائد الطيب بنهمية، فتعاطى التجارة في أول شبابه بمدينة أسفي، ثم ارتحل إلى مراكش في أوائل عهد السلطان الحسن الأول، فحصل له جاه كبير بسبب ما كان لأبيه من حظوة لدى المخزن، كما توفق في تجارته فتوفرت له أرباح طائلة.

تولى حمزة عمالة أسفي بعد وفاة أخيه عبد الخالق بنهيمة، وذلك من شهر شوال 1311 / أبريل ـ ماي 1894 إلى شهر ربيع الثاني 1322 / يونيه ـ يوليوز 1904. وبعد شهر ورد عليه الأمر المولوي بالسفر إلى طنجة والإقامة بها، حيث عيَّنه السلطان مولاي عبد العزيز باشا وكلّفه بترتيب استقبال أمبراطور ألمانيا گيوم الثاني الذي قام بزيارة رسمية لطنجة يوم 31 مارس 1905. وفي عام 1325 / 1907 أُعفي حمزة بنهيمة من هذا المنصب فعاد إلى ممارسة التجارة بأسفي. وبعد مدة قصيرة ولاّه مولاي عبد العزيز أمانة مرسى أسفي إلى أن تولى مولاي عبد الحفيظ الملك فأبعد جميع الأمناء الذين كانوا على موانيء المغرب من قبَل أخيه، فعاد حمزة مرة أخرى إلى تجارته.

غير أن تقلبات الظروف السياسية بالمغرب بعد الحماية الفرنسية كانت من أسباب إفلاسه وإفلاس غيره من التجار المغاربة، فمات حمزة على بساط الفقر والفاقة يوم الخميس 24 رجب 1351 / 24 نونبر 1932، عن سن تناهز خمسا وثمانين سنة.

م. العبدي الكانوني، *أسفي وما إليه : جواهر الكمال* ؛ عبد الله بنهيمة، *مذكرات* ؛ أ. بنجلون، *تاريخ أسفي*، مخطوط ؛ *بعض أسر أسفي*، مخطوط ؛ *رسوم ووثائق مختلفة*.

أحمد بنجلون

بنهيمة، الطيب بن محمد بن المحجوب، ولد بمدينة أسفي حوالي عام 1235 / 1819، وتربى في كنف أبيه الفقيه العدل محمد بن المحجوب، وتلقى تعليمه الأولي بمدينة أسفي، آخذاً عن شيوخها، وتعاطى التجارة مع أبيه في بداية الأمر إلى أن صار من أعيان المدينة، وتأهل لتقلد مهام مخزنية.

أول مهمة تقلدها الطيب بن محمد بنهيمة كانت خطة الأمانة بمرسى أسفي التي ولاّه إياها السلطان المولى عبد الرحمان حوالي سنة 1264 / 1847 وذلك نظراً "لحزمه وضبطه ومروءته". وقد مكّنه منصب أمانة المرسى من ترسيخ نفوذه وزيادة ثرائه، والدخول في معاملات تجارية مع الأجانب المقيمين بمدينة أسفي مثل كرارة الأنجليزي وجُويل الأطرش اليهودي السوري المتفرنس المقيم بالصويرة، بل كان مشتركاً مع هذا الأخير مناصفة في تصدير القمح إلى مرسيليا وجنوة، وذلك حوالي عام 1271 / 1854. ولعل هذا ما جعله من مشاهير التجار حسب تعبير الكانوني.

وبعد تولية السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، جمع الطيب بن محمد بنهيمة أعيان المدينة لمبايعته، فحظي لدى السلطان، وسمّاه عاملا على أسفي في بداية عهده، حيث نجد رسائل موجهة من هذا السلطان تشير إلى الطيب بنهيمة بصفته قائد أسفي، وتأمره بمعالجة قضايا تهم المدينة. وقد أورد الكانوني مجموعة منها يعود تاريخها إلى سنة 1278 / 1862. ونذكر من بين هذه الرسائل أمراً ورد على القائد الطيب بنهيمة في أواسط شوال من سنة 1278 / أبريل 1862 يأمره بحصر رسوم الريال في ثلاثين أوقية وعشرة أوجه، وكان صرفه أربعين ؛ وأمر آخر ورد عليه بتاريخ 4 شوال عام 1278 / 4 أبريل 1862 يقضي بعزل العمال ـ ومنهم عامل أسفي ـ عن النظر في شؤون المراسي واستقلال الأمناء بذلك تحت نظر السلطان. وكان هذا الأمر معمماً على كل العمال بالمراسي.

كما تفيد رسالة أخرى مؤرخة بتاريخ ربيع الأول سنة 1280 / غشت 1863 بما حدث في إيالة عامل أسفي الطيب بنهيمة، حينما تعرض أحد نواب الإسبان الذي كان يقبض غرامة حرب تطوان بمرسى أسفي، إلى القتل، على يد أحد اليهود. وكان على العامل أن يتدبر الأمر داخل إيالته، ويخبر السلطان بذلك، ويتخذ الاجراءات اللازمة لضبط الأمن.

وفي إبّان القحط والغلاء الذي عمّ المغرب سنة 1284 / 1867، بعث السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان إلى عامله على مدينة أسفي الطيب بنهيمة، لمواجهة هذه الحالة داخل المدينة، وأمره في رسالة موجهة إليه بتاريخ 28 قعدة عام 1284 / 22 مارس 1868، بتنفيذ عشرين خبزة يوميا توزع على المساكين والمحتاجين الذين هم برباط الشيخ أبي محمد صالح، وبغيره من المواضيع التي يجتمع فيها المساكين، ويكون ذلك من مال الأحباس، وعلى يد ثقة.

وقد استغل العامل الطيب بنهمية مركزه، وزاد من احتكار المعاملات التجارية، خصوصاً في مجال تسويق الحبوب من أسواق عبدة، خلال فترة القحط والمجاعة، ممّا جعل السلطان يُحذّره من مغبة هذا التصرف في رسالة جاء فيها :".... فقد بلغ لعلمنا الشريف أنك وجهت أولادك وأصحابك لأسواق عبدة، يسوقون لك بها القمح والشعير بقصد التجارة فيها، فاقتدى بك جميع التجار في ذلك، وانكبوا على شرائها بتلك الأسواق حتى تضاعف ثمن العبرة بسبب ذلك، مع أن شراء ما ذكر واذّخاره فيه حرام في جميع الملل والأديان، في هذا الوقت الذي لازال أثر المسغبة فيه ظاهراً في الناس".

ولم يكن المنطق التجاري يمنع العامل الطيب بنهيمة من التمادي في احتكاره لمعظم العمليات التجارية والمالية المربحة، وهذا ما جعل المخزن خصوصاً في عهد السلطان المولى الحسن، يكثر من العيون لمراقبة تصرفات العمال، وبالأخص الأمناء الذين كانوا يراقبون كل شاذة وفاذة، ويبعثون إليه إثر كل نازلة تستلزم الإخبار بها. ونعثر في هذا الصدد على رسالة بعثها أحد أمناء أسفي وهو أبو بكر بن الحاج الباشا إلى موسى بن أحمد بتاريخ 20 رمضان

1291 / 31 اكتوبر 1874 يفهم منها أن العامل الطيب بنهيمة تواطأ مع أمينين سابقين (....) بطريقة التدليس والاحتيال من أجل حيازة المكس بأبخس ثمن، كما تحايل لأجل توفير مبلغ من المال لصالحه، حينما رفع من قيمة المبلغ الذي قُوِّم به بناءُ أحد الأسوار من 43 ألف الذي قوم بها في البداية إلى مبلغ 69 ألفا. ويكون بذلك قد وفّر لصالحه مبلغاً قدره 26 ألفا.

كان العامل الطيب بنهيمة يقدِّم أحياناً مصالحه التجارية على مهامّه المخزنية التي عُيِّن كعامل لمدينة أسفي من أجلها، وبالأخص منها رعاية الواجبات وانضباط العموم لها، فكان بصفته عاملا وتاجرا في نفس الوقت، يخرق هذه العادة، ممّا تسبب في تفشيها وانتشارها وسط بقية التجار وبالأخص منهم شركاؤه وتجار الأجناس. ونستشهد في هذا الصدد برسالتين بعث بهما أمين المستفاد بمرسى أسفي الحاج محمد الحساني إلى برگاش.

الأولى مؤرخة بتاريخ 9 رمضان 1299 / 25 يوليوز 1882 جاء فيها :

"... والعامل (الطيب بنهيمة) هو الذي يغريهم على كل ما يفعلونه (امتناع الأجناس عن دفع الأداء) ليندرج هو وشركاؤه في ذلك، لأن غالب التجار غير القوانص شركاء لبنهيمة. وهذا الثغر الأسفي أمره غير منضبط كما لا يخفى عليك - حفظك الله - من أجل تجارة العامل والقوانص به". والرسالة الثانية، لا تهم فترة عمالة الطيب بنهيمة، لكن، نفهم منها صراحة أنه هو الذي كان امتنع من الأداء أولاً عمّا يدخله من الحبوب هو وأولاده، فسمع بذلك الأجناس فا متنعوا من الأداء عن الحبوب. وكل ذلك تعلّمُوه من عامل البلد القائد الطيب بنهيمة.

وفي جمادى الأولى عام 1295 / ماي 1878 اختار الحسن الأول الطيب بنهيمة سفيراً إلى ألمانيا، فبالإضافة إلى كونه عاملا لمدينة أسفي التي كانت لها خصوصية في المعاملات التجارية مع الأجانب فإنه كذلك، كان تاجراً له علاقات مع عدد من التجار الأجانب، وعارفاً بلا شك بعقليتهم وطريقة تعاملهم، وكذلك كان بارعاً في عقد الصفقات التجارية، وربّما كان في علاقته مع بعض الوسطاء من التجار الألمان، كلُّ هذه الاحتمالات هي التي رشحته، على ما يظهر، لرآسة السفارة. وتجب الإشارة في البداية إلى أنه توجه سفيراً إلى البرتغال، دون معرفة تاريخ ولا دواعي السفارة، ومن المحتمل أن يكون ذلك عند سفارته لألمانيا سنة 1878، فعرّج على البرتغال، ونستشف ذلك من إحدى الرسائل التي أشارت عرضاً إلى أحد أعضاء السفارة، جاء فيها ".. كان ممن توجه مع الوالد رحمه الله (الطيب بنهمية) لبر ألمان والبرطقيز، وكان بيده نيشانان من الجنسين" (*الاستيطان*، 3: 1026).

كانت السفارة إلى ألمانيا تضم بعثة تتألف من خمسة عشر عضواً إلى جانب السفير الطيب بنهيمة. واستقبل أثناء حلوله بألمانيا من طرف الأوساط الرسمية بحفاوة بالغة، ووجد أثناء إقامته بألمانيا التي دامت شهراً كاملا، كرم الضيافة وحسن الاستقبال. وأول زيارة قام بها أثناء وجوده بألمانيا، كانت إلى معامل إيسن Essen لصناعة الأسلحة، ممّا يبين أن مهمة هذه السفارة كانت بالدرجة الأولى تسعى إلى عقد صفقة لشراء الأسلحة الألمانية.

وخصص يوم 23 ماي لاستقبال الامبراطور الألماني غليوم الأول للسفير بنهيمة بصفة رسمية، وقدّم له السفير عشرة خيول مغربية كهدية من سلطان المغرب المولى الحسن. كما عقد عدة اتصالات مع شخصيات ألمانية من بينها كاتب الدولة الألماني بيلو Bûlow الذي أجرى معه محادثة بمحضر ويبر Weber ودو ملهميه De Melhameh، ومع ذلك فقد عبّر السفير المغربي عن وجهة نظر السلطان المغربي بأنه ".. لم تعد له الثقة الكاملة في ألمانيا، وكذلك في باقي الدول الأوربية الأخرى". كما أكّد رغبته في تمتين العلاقات مجدّداً مع ألمانيا، وأعرب عن أمله في أن تظهر ألمانيا عطفها وتأييدها لموقف المغرب في مسألة الحمايات.

واعتباراً لكون هذه المحادثة لم تكن تدخل في الإطار الرسمي، فقد اكتفى كاتب الدولة بطمأنة السفير المغربي بدون الإعلان عن موقف رسمي، وعاد الطيب بنهيمة إلى المغرب بدون عقد اتفاق محدد، ومع ذلك فقد أثارت هذه السفارة ردود فعل دولية ركزت بصفة خاصة على أن المغرب وقّع مع ألمانيا اتفاقية منح بموجبها لألمانيا ميناءً على ساحل الريف، وفنّدت ألمانيا هذا الادعاء، حسب خطة بسمارك السياسية، وزعمت أن السفير المغربي الطيب بنهيمة منح ميناءً بالساحل الريفي لألمانيا مقابل تقديم ألمانيا إلى المغرب مساعدة عسكرية.

وبعد عودة الطيب بنهيمة من ألمانيا، رجع إلى منصبه عاملا على أسفي، وقد ازدادت مكانته لدى السلطان، وتقوّى مركزه الاجتماعي بعد أن ازدهرت تجارته وأصبح شريكاً لكل تجار أسفي بمن فيهم الأجانب، إلى أن وافاه الأجل في منتصف سنة 1302 / 1885.

بنهيمة، عبد الخالق بن الطيب، تولّى عمالة أسفي بعد وفاة والده الطيب سنة 1302 / 1885. وتفيد بعض الرسائل أنه كان أكثر حزما وامتثالا من أبيه لأوامر السلطان، ممّا جعل الكانوني يصفه بأنه "كان خير العمال" (*أسفي وما إليه*، ص 19). ونقف فعلا على بعض التصرفات التي تؤكد حزمه وعدم تردده في تنفيذ الأوامر المخزنية ولو كانت صادرة في حق أهله وذويه، وهذا ما تحدثنا عنه بعض الرسائل المخزنية. فقد انضبط لأمر السلطان القاضي باعتقال أخيه "الطالب عمر بنهيمة" رغم ما سبَّبه هذا الاعتقال من إحراج للعامل أوضحه في رسالته الموجهة إلى غريط يقول فيها :"... ومن اليوم التالي سافر من هنا (الطالب عمر بنهيمة) وأولاده مقابلون لنا يبكون علينا وينوحون". ومثل ذلك وقع له مع ابن عمه أحمد بن محمد بنهيمة الذي حاول انتحال شخصية أبيه، وتجاسر على أحد قناصل الدول، فعلق نيشاناً كان لأبيه وذهب عند قنصل

البرطقيز، وقال له :"يكون منه على بال". ولما رأى العامل منه ذلك الطيش لم يتردد في تأديبه، وأمر باعتقاله لوضع حد لتصرفاته وتجاسره على القناصل.

ورغم ما عرف عن عبد الخالق بنهيمة من استقامة وإنصاف، فإنه مع ذلك كان ينساق أحياناً مع مصالحه الشخصية سعياً وراء منفعة مالية أو تجارية، كاحتكاره مثلا لضاية الملح المسماة "زيما" ونسوق في هذا الصدد رسالة رفعها الأمين الحساني إلى السلطان مولاي الحسن يشكو فيها احتكار العامل لاستغلال هذه المملحة دون مراعاة مصلحة المخزن، تقول الرسالة :".. إن الذين يريدون مزاحمته عليها كانوا ينالون عقابه لأن السمسار كان يذكر أن كل من يريد الزيادة فيها لا يزيد حتى يقدم عند القائد، فكل من ورد عليه يوصيه بعدم الزيادة". (*الاستيطان*، 3 : 1028) ومعلوم أن احتكاراً من هذا القبيل لا يقبله المخزن لأن فيه شططاً في استعمال السلطة ويضيع جزءاً من مصالح الدولة.

ولم تدم ولاية عبد الخالق بن الطيب بنهيمة على عمالة أسفي أكثر من تسع سنوات، حيث وافاه الأجل بمراكش، لمّا ذهب على رأس وفد من أهل أسفي لتهنئة السلطان بسلامة عودته من تافيلالت، وذلك يوم الأربعاء 11 شوال عام 1311 / 1893، ودفن بأمر من السلطان في ضريح الشيخ عبد العزيز التبّاع.

وثائق خ. ح ؛ م. الكانوني ، *أسفي وما إليه* ؛ *علاقة أسفي ونواحيها بملوك المغرب*، مخطوط ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، ج 3.

P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905*, Paris, 1965.

مصطفى فنيتير

بنهيمة، عبد الله بن محمد بن الطيب. ولد عام 1869/1286 بأسفي، وتلقى العلم عن والده القاضي وبعض فقهاء المدينة. عمل عدلا ثم أذن له القاضي أبو بكر بناني، عام 1898/1316، ليعمل كاتباً بقنصلية فرنسا بأسفي إلى عهد آخر قنصل بها، مدة تسعة أعوام، أي إلى سنة 1325 / 1907. وأثناء هذه المدة عُيّن عدلا بجمارك أسفي، وبعد عامين استقال من هذا المنصب وتفرغ لخدمة القنصلية. وفي عام 1918/1337، أسندت إليه خطة الحسبة التي دام فيها مدة إلى أن توفي إثر مرض عضال.

بَنْهِيمَة، محمد بن الطيب بن الغالي (الدكتور)، ولد بمدينة أسفي في 22 ذي القعدة عام 1342 / 25 يونيو 1924، وبها تابع تعليمه الابتدائي، وتلقى تعليمه الثانوي بمراكش، والعالي بفرنسا إلى أن تخرج طبيباً من جامعة نانسي سنة 1954.

تقلد منذ بداية الاستقلال مناصب سامية، فكان مدير ديوان وزير الصحة، (1956-1957) ثم كاتباً عاماً لوزارة الصحة، فعاملا على إقليم أگادير وطرفاية. وفي عام 1381 / 1961، صار وزيراً للأشغال العمومية، ثم وزيراً للتجارة والصناعة التقليدية والمعادن والتجارة البحرية ابتداء من 10 يوليوز 1962. وفي عام 1383 / 1963 تقلد من جديد مهام وزير الأشغال العمومية.

شغل منصب وزير التربية الوطنية والشبيبة والرياضة من عام 1965 إلى عام 1967. ثم عاد مرة ثالثة إلى منصب وزير الأشغال العمومية (ماي - يوليوز 1967) وبعدها أسندت إليه مهام وزير أول مكلف بالشؤون الاقتصادية والتخطيط وتكوين الأطر. وفي 7 أكتوبر 1969، عين وزيراً للفلاحة والإصلاح الزراعي إلى 6 غشت 1972، ثم وزيراً للدولة مكلفاً بالتعاون ؛ ثم وزيراً للدولة مكلفاً بالشؤون الداخلية من 10 أكتوبر 1977 إلى مارس 1979.

توفي بالرباط يوم الاثنين 27 جمادى الأولى عام 1413 / 23 نونبر 1992، ودفن بمقبرة الشهداء.

وكالة المغرب العربي للأنباء، *جريدة العلم*، يوم 25.11.92.

بنهيمة، محمد بن **الطيب** بن **محمد**. تلقى العلم بأسفي وفاس، ولمّا استكمل تكوينه اتخذه والده كاتباً له بعد استئذان السلطان مولاي عبد الرحمان. ثم صار عدلا فأميناً لمرسى أسفي عام 1856/1273. وبعد ذلك دعاه القاضي محمد بن عبد الخالق لينوب عنه، فمارس هذه النيابة عدة مرات، وخطب بالمسجد الأعظم. ثم عُين قاضياً بأسفي بعد وفاة محمد بن عبد الخالق عام 1869/1286 وبقي قاضياً إلى أن توفي يوم فاتح ربيع الثاني عام 1302 / 1884، قبل أبيه العامل الطيب بنهيمة بعدة أشهر. وكان خلال مهامه، يلقي دروساً بالمدرسة وبالمسجد الأعظم.

م. العبدي الكانوني، *أسفي وما إليه* : *جواهر الكمال* ؛ عبد الله بنهيمة، *مذكرات* ؛ أ. بنجلون، *تاريخ أسفي*، مخطوط ؛ *بعض أسر أسفي*، مخطوط ؛ *رسوم ووثائق مختلفة*.

أحمد بنجلون

بَنْوَعِيش، إبراهيم، Benwaïs، رئيس الطائفة اليهودية بمراكش في مستهل القرن الحادي عشر (17 م)، وأحد التجار الكبار الذين كانوا يعملون لحساب المخزن السعدي حوالي عام 1606 (طوليدنو، *نير همعرب*، ص 106-107. 111) وحسب يوسف طوليدانو: *مناقب الأسر*، ص 113، فإن إبراهيم بنواعيش كان يحتكر تصدير السكر إلى هولندة

في عهد مولاي زيدان.

بَنْوَعيش، إبراهيم، رئيس الطائفة اليهودية بمكناس، في أواخر القرن الحادي عشر (17 م) ويقول يوسف طوليدانو، *مناقب الأسر* (ص 113) إن إبراهيم بنوعيش قام بحملة ضد العادات المسيحية المستوردة مثل إطالة شعر الشاربين كما كان يفعله بعض اليهود القاطنين بالمدن الشاطئية.

بَنْوَعيش، صمويل (1739 - 1817) ربّي يقوم بعملية الختان، وكان له سجل ضمّنه أسماء كل الأطفال الذين ختنهم، وله كذلك *مذكرات* عن تنقلاته عبر المغرب الشرقي والجزائر.

Y. M. Toledano, *Ner Hama'arab ; Saga.*

بَنْوَليد - أسرة - يكتب هذا الاسم غالبا هكذا Bengwalid باللغة الإسبانية، وهو اسم لعدد من الربّيين والوجهاء بشمال المغرب، يغلب على الظن أنهم ممّن هاجروا من الأندلس، نخص منهم بالذكر :

بَنْوَليد، إسحاق، ربّي أكبر بتطوان، توفي عام 1870، وقد بلغ من العمر 93 سنة، وهو ابن الربي شيم طوب بَنْوَليد، وله مؤلف بعنوان *وأمير إسحاق* في الفقه اليهودي يعتمده بالخصوص الربيون والقضاة اليهود بالمغرب، (وقد طبع هذا المؤلف في جزءين بمدينة ليفورن عام 1876).

خلفه ولداه شيم طوب وبيدال تباعا في مهامه الدينية بتطوان، أما ولده يوسف فإنه تولى الربّية بوهران، وهناك ألف كتاب *شيم يوسف* الذي طبع بالقدس عام 1907. يتضمّن هذا المصنف شروحاً وتعاليق موضوعها التلمود والقوانين الدينية، توفي يوسف بوهران سنة 1914.

بَنْوَليد، شيم طوب ابن يوسف المذكور أخيراً، تولى مهام والده وحده، وكان لمدة سنوات أحد الممثلين الثلاثة للطائفة اليهودية بالمجلس التشريعي بطنجة خلال النظام الدولي في النصف الأول من هذا القرن.

A. Laredo, *Les Noms des Juifs*, p. 534 - 534.

بَنُوليل خوسي، B. José (يوسف)، من مواليد طنجة سنة 1858 وبها توفي سنة 1936 تخرج من مدارس "الرابطة الإسرائيلية العالمية" ومن "المدرسة الشرقية بباريس" التي أناطت به مهمة التدريس بحيفا ثم بطنجة والصويرة وأخيراً بلشبونة التي التحق بها عام 1881 فصار يدرس الفرنسية بعدة ثانويات والعبرية بأقسام معهد الدراسات الأدبية والعبرية التابع "لأكاديمية الدراسات الحرة".

ولما أُحيل على المعاش عام 1921 رجع إلى طنجة حيث تولى رآسة مجلس الطائفة اليهودية، علاوة على اشتغاله كمراسل لعدة مؤسسات علمية مثل أكاديمية العلوم بالبرتغال وأكاديمية إسبانيا ومعهد كويمبرا، وجمعية الجغرافيا بلشبونة، وغيرها. كان يتقن اللغات العبرية والعربية والفرنسية والإسبانية والبرتغالية، وله ديوان شعر بالبرتغالية عنوانه *"إيكو دا سليداذ"* (أصداء الانعزال) وله بالفرنسية *"فار"* (منارات)، ومؤلفات أخرى بالإسبانية والعبرية. يقول لاريدو إنه ألف في نفس اللغات والعربية أيضاً كتباً مترجمة عن البرتغالية كأمويس وجواوودوس وغيرهما .. كما أن له نصوصاً دينية بالعبرية. (ارجع إلى اللائحة الكاملة التي نشرها لاريدو : *Les Noms des Juifs*, 928.

ألّف بَنُوليل خوسي كذلك *قاموساً* "فرنسيا - برتغاليا" وكتاباً في النحو الفرنسي كان متداولا في الثانويات البرتغالية.

غير أن الكتاب الأكثر أصالة والأكثر شهرة للمؤلف يبقى هو *الحكيتية* المتعلق بالدارجة اليهودية - الإسبانية - المغربية، كما تحدث بها اليهود الذين استوطنوا تطوان وطنجة وأصيلا والعرائش والشاون والقصر. يتضمن الكتاب الذي صدر باللغة الإسبانية العصرية دراسة عن تركيب الكلمات (الأفعال والمصادر والأسماء، والصفات والأعلام والحروف) ومنتخبات من الأمثال وعبارات القسم والسخط، ممّا هو متداول بكثرة، وذلك في ثلاثين صفحة وواحد وعشرين نصّاً من الأشعار الشعبية باللهجة الحكيتية، وختم الكتاب بمائة صفحة من المصطلحات عددها 4423 من بينها 1714 أصلها عربي ومئات منها أصلها عبري. فلا غنى إذاً عن هذا الكتاب للباحث في الدارجة الإسبانية المنعزلة حتى القرن التاسع عشر، بالديّار الإسبانية - وهكذا فإن بنوليل استطاع أن يحدد أصالة الحكيتية ويحفظها من تأثير الإسبانية العصرية. صدر هذا المؤلف بعنوان *"ديا ليكتو جديو - اسبانو - مروك او حكيتية"* في نشرة الأكاديمية الملكية الإسبانية، المجلد 13، فصلة 62 (1926) ص 209 - 233، ثم فصلة 63، ص 342 - 363، ثم فصلة 64 (1926) واستمر في الصدور بنفس النشرة إلى عام 1952. وقد جمع رفائيل بن أصراف ما نشر متقطعاً بمدريد عام 1977 في 267 صفحة في كتاب عنوانه :"جوزي *بَنُوليل، ديا ليكتو...*" وقدم لهذا الكتاب يعقوب بن تاتة، بطلب من بن أصراف.

ترجم الكتاب إلى البرتغالية، أبراهام راميرو بن التيس، وهو جنرال، متقاعد بالجيش البرازيلي، أصله من طنجة. وأضاف إلى النص المترجم نصوصاً بقلمه الخاص بعنوان *"اوس سفرديم"*.

A. Benter, *Os Sefardim Hakitia*, Belim, Brésil Mitograph. éd., 1981, p. 309.

بَنُوليل، يهودا المتوفى سنة 1839. كان رئيساً للطائفة اليهودية بجبل طارق ورئيس الغرفة التجارية هناك وقنصلا للنمسا والمغرب بهذا الموقع، ولعب دوراً في الخلاف الذي كان قائما بين المغرب ومملكة سردينيا سنة 1836. وحسب الأخبار المتواترة، كما أوردها لاريدو، فإن الفضل يرجع إلى مساعيه لدى السلطان مولاي عبد الرحمان الذي أذن سنة

1822 بإعادة بناء بيَع طنجة التي دُمِّرت عام 1820 كنتيجة لمشاجرة بين يهوديين في المدينة داخل إحدى هذه البيع.

Laredo, *Les Noms des Juifs*, p. 925 - 928.

سيمون ليفي

بني احمايد، وتكتب أيضاً بدون ألف : بني حمايد، فرقة صغيرة تابعة في الوقت الحاضر لقبيلة بني يدر من إقليم شفشاون. وهي تضم مداشر الاثنين، والقلعة، والزيتونة، وعين قمور، والبوال، وأزگاوط، والزاوية، وأبراق. وهي موزعة حول مجرى واد الخروب، منتظمة على الضفة اليسرى. تعرفنا على التمجع الأصلي بما أخبرتنا به *حوليات أصيلا*. فقد تكرر اسم بني أحمايد، وعيّن موقع القرى حول منابع واد الخروب، عند قدم جبل الزاوية (1040 م) والاسم معروف لدى ابن خلدون.

كانت جماعة بني احمايد تابعة لإمارة شفشاون العَلميَّة، واشتهرت بما آوته من السكان الفارين من غزو جنود أصيلا، وبما تجمَّع لديها من رؤوس الأبقار التي التجأ بها أهلها إلى تلك الجبال، تفادياً لوقوعها بيد البرتغاليين. ولهذا السبب تعددت الغارات عليها طيلة بقاء البرتغاليين بأصيلا، رغم الحماية التي كانت تتلقاها من جبل حبيب وجبل بني عامر ومن بني عروس.

ابن خلدون، *العبر*، 6 : 572 ؛ *ضابط الأمور الوطنية* بالمنطقة الخليفية، ص. 14.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, p. 29 - 32 - 55 - 206, 2 : 24 - 257 - 259.

حسن الفكيكي

بني احمد، هناك في شمال المغرب قبيلتان تحملان كل منهما اسم بني احمد. تقع الأولى بالريف بناحية صنهاجة السّراير (إقليم الحسيمة) وتحيط بها قبائل زرقات وبني بشير وبني بوشيبت وتغزوت وبني بونصار. تقدر مساحتها بـ 106 كلم مربع، وكان عدد سكانها 4.302 نسمة سنة 1946 يتكلمون باللهجتين العربية الدارجة والصنهاجية، ويوجد بالقبيلة أربعة عشر مسجداً وثلاث زوايا وثلاثة أضرحة وثمانية عشر كتاباً قرآنياً.

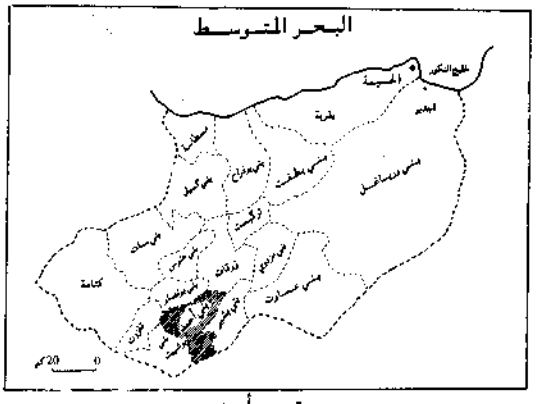

موقع بني أحمد

تنقسم القبيلة إلى ثلاث فرق هي : بني اعلاهم (6 مداشر) وأطيل (3 مداشر) والأحلاف (10 داشر). وفي التقسيم الإداري الحالي تكوِّن هذه القبيلة مع قبيلة بني بشير جماعة قروية واحدة تسمى جماعة تابرانت.

وتقع قبيلة بني احمد الثانية بناحية جبالة (إقليم شفشاون)، وتحيط بها قبائل اغزاوة والأخماس وبني خالد وبني زروال وبني مسّارة، وتعرف هذه القبيلة ببني أحمد السراق لوجود مدشر اسمه السراق بفرقة اضوار. تقدّر مساحة القبيلة بـ 347 كلم مربع، وكان عدد سكانها 16.341 نسمة سنة 1946، يتكلمون اللهجة العربية الدارجة، وتوجد بالقبيلة سوق الثلاثاء وسوق سبت عنقود كما تتوفر على ستة وخمسين مسجداً وستة عشر ضريحاً وخمس زوايا واثنين وخمسين كتاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى عشر فرق هي : اشتوان (6 مداشر) اضوار (4 مداشر) تلوان (3 مداشر) ككات (9 مداشر) تلاندواد (5 مداشر) بومان (3 مداشر) بني مسترة (9 مداشر) تغزة (4 مداشر) بني لاوة (12 مدشرا) تلازمور (6 مداشر).

وفي النظام الإداري الحالي تنقسم القبيلة إلى ثلاث جماعات هي : جماعة بني أحمد الشرقية وجماعة بني أحمد الغربية، وجماعة الملحة.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 105، 388 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 263.

Aranda, *Geografia de Marruecos en general y de la Zona española de protectorado en particular*, - s. l., s. a. ; Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos de Marruecos*, Madrid, 1916, passim ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, t. II, passim ; A. Domenech, *Zona Norte*, passim ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos*, Mellila, 1926, passim ; *Vademecum de la Intervencion Territorial del Rif* (1946).

محمد ابن عزوز حكيم

بني إزناسن (جبال ـ) تقع عند النهاية الشمالية الشرقية للمغرب، وتمتد من الحدود مع الجزائر شرقا، إلى الأحواض الداخلية لگرواو وحاسي بركان غربا، حسب اتجاه عام من شرق الشمال الشرقي إلى غرب الجنوب الغربي، وعلى مسافة تصل إلى 130 كم، بينما لا يتعدى اتساع السلسلة 25 إلى 30 كم. وتبلغ أعلى قمة 1532 م عند رأس أفوغال في الجزء الشرقي من الكتلة الجبلية.

وتمثل بني إزناسن القسط الأوسط من شريط جبلي متشخص يمتد من مقدمة الريف حتى واد تافنة في القطر الجزائري. هذا الشريط مُكوّن غربا من مجموعة مزگوط بني بوياحي التي يفصلها عن بني إزناسن ممر واسع يتمثل في منخفض گرواو ـ حاسي بركان. أما شرقا، فإن فجا منخفضا يمثل حلقة وصل بين بني إزناسن وسلسلة اترارا ـ فلاوسن الجزائرية.

وتشرف السلسلة شمالا وجنوبا على منخفضات منتظمة على شكل ممرين موازيين لها، أحدهما ساحلي

يتمثل في سهل تريفة ـ صبرة الذي يفصلها عن كبدانة، والثاني داخلي مكوّن من مجموعة من الأحواض تمتد على شكل شريط من تاوريرت غربا إلى وجدة شرقا ويفصلها عن المجموعة الجبلية التي تكون النهاية الشمالية للهضاب العليا (سلسلة جرادة).

وتختلف تضاريس بني إزناسن من جهة إلى أخرى. فهي تبتدئ غربا بهضاب لا تتعدى 400 م تحف بنهر ملوية. ثم تقوى ارتفاعاتها في الجهة الوسطى والشرقية، لتنخفض من جديد على مقربة من الحدود المغربية الجزائرية (حوالي 600 م عند فج الكربوز).

وكما تتنوع التضاريس من الشرق إلى الغرب، فإنها تتناقض بين الواجهتين الشمالية والجنوبية. ذلك أن السفح الشمالي قوي المدى بسبب إشرافه على سهول ساحلية منخفضة. وهو بالتالي معرض للتقطيع والتعرية. كما أن موقعه المواجه للرياح الممطرة يجعل منه سفحا أرطب وأكثر اعتدالا، تكسوه نباتات كثيفة نسبيا. أما الواجهة الجنوبية فهي أضعف مدى لأنها تشرف على سهول عالية. لهذا السبب وكذا بسبب ندرة التهاطلات، فإن الموارد المائية لهذه الواجهة ضعيفة، تتلخص في مسيلات متفرقة وبعض المجاري الصغيرة.

إلا أن أهم تغاير فيها هو التغاير الذي بين جزئي السلسلة : الغربي والشرقي. ذلك أن هذا التغاير ليس مظهريا فقط، بل هو إلى جانب ذلك أساسي لأنه يُسجّل على كل المستويات الجيولوجية والتضاريسية والمناخية والنباتية والترابية.

ـ الأشكال التضاريسية : يمكن أن نفرق بين أربعة مظاهر تضاريسية من الشرق إلى الغرب :

ـ الهضاب الغربية : تحف بملوية التي تقطعها على شكل خوانق عميقة ما بين مشرع قليلة ومشرع حمادي. وتتشخص بها بعض الأعراف المعزولة مثل جرف أحمر أخضر.

ـ الجزء الأوسط من السلسلة أكثر تكتلا وارتفاعاً. وميزته الأساسية الشكل البنيوي للتضاريس التي تتخذ طابع الأعراف غير المتماثلة الجوانب والتي تشرف على أودية عميقة وعلى بعض الأحواض العالية المتقطعة.

ـ تستمر نفس التضاريس المشكلة من أعراف في الجهة الشرقية، إلاّ أنها لا تبقى خطية ومتوازية بل تصبح متفرعة انطلاقاً من عنصر هضبي شاخص، يصل ارتفاعه إلى حوالي 1500 م ويكوّن قمة السلسلة (جبل فوغال).

ـ شرقا، تنخفض التضاريس تدريجيا، بينما تتحول الأعراف الحادة إلى متون محدبة. وفي نفس الوقت تضيق السلسلة في منطقة الحدود مع الجزائر (فج الكربوز).

تبلغ السلسلة إذن، أقصى امتداد لها في ناحيتين : أولا، ناحية رأس فوغال بين مركزي عين الصفا جنوباً وعين گادة شمالا. هنا يتأكد الطابع الجبلي المتمثل في الارتفاع والتكتل وصعوبة المواصلات وارتفاع الفجاج الرابطة بين الأودية. أما الناحية الثانية فتمتد غربا عند مستوى تالزرت شمال غرب مدينة العيون. هنا تمتد السلسة على اتساع يقترب من 30 كم، لكن التضاريس تظل متواضعة من حيث الارتفاع والتكتل، بل تمتاز، عكس ذلك، بالتهوية وسهولة الاتصال بين هذين المجالين، تضيق السلسة بوضوح في جزئها الأوسط عند مستوى تافوغالت وذلك بسبب امتداد حوض كبير يحفها جنوباً ويتعمق في الحاشية الجبلية شمال مركز بوهورية (حوض بلاد الدير).

الحواشي الجبلية شديدة التنوع. ففي جهة الشرق، تمتاز جوانب الجبل بالخطية على الواجهتين الشمالية والجنوبية، مع تَسَنُّنات ضعيفة المدى وذلك رغم توفر عدد من التلال والأعراف المعزولة، تتقدم الهامش الجبلي.

أما جهة الغرب، فإن حاشية السلسلة تمتاز بالتقطع الشديد، حيث تتكون من تضاريس تلّية بارزة، تفصلها خلجان واسعة تتعمق إلى داخل السلسلة. وخير مثال على هذه الوضعية، الهامش الجبلي ناحية الشويحية شمال غرب بني إزناسن.

الشبكة المائية معقدة، ميزتها الأساسية عدم تماثل واضح بين الواجهتين، وذلك بسبب التفاوت التضاريسي من جهة والأهمية الخاصة لنهر ملوية من جهة أخرى. فملوية في الواجهة الشمالية الغربية، شريان أساسي يجلب إليه أغلبية المجاري، أيّاً كانت أهميتها. أما غربا، فكل المجاري تصل إلى ملوية بعد مسار جبلي شرق ـ غرب وانعطاف واضح نحو الشمال عند الاقتراب من خانق ملوية. وبعض هذه المجاري أصله من خارج بني إزناسن، فنهر قصب مثلا قادم من الجبال الجنوبية ناحية العيون، يجتاز السهل الذي تتوسطه هذه المدينة ثم يسير بمحاذاة السفح الجنوبي لبني إزناسن قبل أن يقطع هذه السلسلة في اتجاه جنوب ـ شمال.

شرقا، يظل عدم التماثل مهيمناً بالرغم على الابتعاد عن ملوية. فواد زگزل ـ شراعة يصرف أغلبية السلسلة الوسطى، وتنطلق بعض روافده من الجهة الجنوبية. كما أن جزءاً كبيراً من شبكة الجهة الشرقية تصب في نهر كيس الحدودي. في الجهة الجنوبية الشرقية وحدها، نجد شبكة مائية منتظمة، تصب في سهل البصارة أو أنگاد.

يستخلص من هذا أن سلسلة بني إزناسن التي تكوّن حاجزاً تضاريسياً واضحاً، لا تمثل أبداً حداً فاصلا على المستوى المائي حيث تجتازها مجار هامة قادمة من الجنوب، أهمها واد القصب وواد ملوية.

الوضع البنيوي : السلسلة عبارة عن محدّب كبير وكتلي، مرفوع حديثا بين مقعّرين مختلفين من حيث قوة وسرعة التهدّل، إلاّ أن المحدّب ليس تقبيا بسيطا. ذلك أنه يمكن الفصل بين نوعين مختلفين من الناحية البنوية، على جانبي حادث أساسي يتوسط السلسلة اتجاهه ش غ ـ ج ش.

الجهة الشرقية (شرق تافوغالت) عبارة عن ظهر محدّب، محوره قوسي، هذا الاتجاه ليس له أثر على الشكل

التضاريسي، إلاّ أنه أصل في توزيع الصخور. فالنواة الأولية الشستية والگرانيتية تابعة لهذا التخطيط القوسي، ويحيط بها حزام من المنخفضات الضيقة محفورة في الصخور الترياسية الهشّة. وتشرف على هذه المنخفضات أعراف بنيوية لياسية ثم جوراسية، متشكّلة في صخور كربوناتية متماسكة. تمثل الواجهة الشمالية النزول العادي للطبقات الجوراسية المائلة إلى ما تحت سهل تريفة. أما السفح الجنوبي فهو معقد، حيث تلتصق محدّبات ثانوية فرعية بالمحدّب الرئيسي، بالإضافة إلى العديد من الانكسارات.

الجهة الغربية، سلسلة أكثر امتداداً وتجانساً، وذلك بسبب غلبة نوع صخري واحد، يتمثل في المواد الكربوناتية والحثكلسية. وتمتاز البنية هنا ببساطتها حيث تسود طيّات ضعيفة المدى هي عبارة عن تموجات أكثر ممّا هي التواءات، لكن الحوادث البنيوية تتدخل لتجزئ هذه الطيات الواسعة، وتزيد كثافة الانكسارات ناحية ملوية ما بين مشرع حمادي ومشرع قليلة فيُصبح السطح مكوّناً من كتل مربعة الشكل تقريبا، شديدة التفاوت من الناحية الجيولوجية. إلا أن التفاوت ليس محسوساً في التضاريس، ذلك أن التعرية سوّت هذه المنطقة ومحت التغايرات الارتفاعية الأصلية.

وقد سمح هذا التسطح بتقدم البحار الميوسينية التي تمكنت من تغطية أجزاء واسعة من السلسلة الغربية وبعض الخلجان في السلسلة الشرقية. وتظهر بقايا هذه الرواسب الثلاثية منافرة للبنية الأطلسية الملتوية والمنكسرة بعد تسويتها.

هذا التاريخ القديم للسلسلة، وخاصة تسطيح أجزاء واسعة منها قبل الميوسين هو ما يجعلها متشخصة بالنسبة للشريط الريفي ـ التلي الذي توجد ضمنه من حيث الموقع. تمثل بني إزناسن، في الحقيقة، مجالا انتقاليا بين الميدانين الجيولوجيين الأطلسي والريفي. وتشخصيها هذا قديم يعود إلى الفترة الجورسية. ففي ذلك العهد مثلت بني إزناسن مجالا غير مستقر، انتقالياً بين الرصيف الثابت ضعيف التهدل الذي كوّنته الهضاب العليا المغربية ـ الجزائرية والأخدود الريفي الذي انطلقت عمليات تهدّله الناشئ. وعدم الاستقرار الدائم الذي عاشه الميدان الذي تغطيه حالياً السلسلة الزناسنية هو المسؤول عن التنوع الصخاري الكبير خلال الحقبة الرسوبية الواحدة بين المواطن المختلفة للتوضع.

لكن المنطقة لم تبق طويلا ميداناً انتقالياً. بل منذ بداية الطباشيري، ومع التراجع العام الذي عرفه البحر، أصبحت مرتبطة وبصفة نهائية بالمجال الأطلسي الذي بدأ يعرف النهوض بينما انفصلت تماما عن الميدان الريف ـ تلي الذي ظل مجالا متهدّلا يعرف الإرساب.

وجاءت التكتونية الأطلسية الأولى خلال الأيُوسين بنظام بنائي بسيط يعتمد على الطيّات العمودية الواسعة. وأعقبت هذه المرحلة الانضغاطية، فترة ارتخاء خلال الاوليگوسين تعرضت فيها هذه الطيّات لانكسارات كبرى عادية جزأت المجال إلى كتل واسعة، وفصلت، خاصة، فصلا واضحا بين ميدان شرقي ناهض ومجال غربي مستقر. وتلت هذه الحركات البنائية مرحلة تعرية طويلة أتت على قمم المحدّبات ومحت العديد من المرتفعات، والشاهد على ذلك أن البحر النيوجيني القادم من الشمال غمر الحواشي الشمالية من السلسلة، وتقدم داخل خلجان واسعة، بل استطاع أن يغطي أجزاء واسعة من الميدان الغربي المنخفض خاصة على جوانب ملوية. ونجد الرواسب النيوجينية منافرة لقاعدة مسوّاة : فهي غربا متوضعة فوق الجوراسي الأعلى، وشرقا فوق اللّياس بل محليا فوق الترياس أو القاعدة الأولية. وهذا دليل على أن الجزء الشرقي من بني إزناسن قد أصابته قبل النيوجين تعرية قوية أزالت من النواة الوسطى الغطاء الرسوبي الجوراسي واللّياسي لتظهر القاعدة القديمة.

وهذا يوضح بأن المعالم الحالية للسلسة معالم موروثة في أغلبها، وأن التطورات اللاّحقة منذ النيوجين لم تغير الكثير من المظاهر العامة. فقد وقع بعد التراجع العام للبحر النيوجيني رفع إجمالي للسلسلة حدث على إثره تعمق الأودية. هذا التعمق المنطبع هو المسؤول عن تنوع تضاريس الأودية التي تتخذ محليا مظهر الخوانق الضيقة، وفي محلات أخرى نجده مسؤولا عن تشكيل الأحواض المتسعة، وذلك ارتباطاً بنوعية الركيزة الصخرية التي تخترقها.

فالصخور والوضع البنائي عاملان رئيسيان في تنوع المظاهر الجيومرفلوجية. أمّا المناخ فدوره ثانوي بسبب تواضع ارتفاع السلسلة. ودوره لا يتعدى تأثيره على الغطاء النباتي والتربة. بينما لا تلاحظ عند القمم مظاهر تذكر بتأثير البرد والصقيع أو تراكم الثلوج.

يمتاز مناخ السلسلة بالميزات العامة العادية للمناخ المتوسطي : أمطار جد متغايرة من سنة إلى أخرى، وعدم انتظام فصلي، وعنف التهاطلات التي لا تغطي إلا فترة وجيزة خلال السنة بل خلال الفصل الممطر نفسه. زد على هذا تناقضاً كبيراً بين جهتي السلسلة يظهر في ناحية غربية جافة وشرقية أرطب، وبين واجهتيها الشمالية المقابلة للرياح الممطرة والجنوبية القاحلة.

هذا التوزيع الرديء له آثار على تصرف الأمطار بعد التهاطل. فالعنف يؤدي إلى ضعف التسرب، رغم غلبة الصخور الكربوناتية المتشققة، وأهمية السيل وبالتالي قوة الضياع عن طريق التبخر. لذا فإن الأنهار التي تصرف السلسلة تمتاز بصبيب ضعيف (في شراعة 100 متر مكعب / ثانية ما بين 70 و120 في كيس). وتمتاز ملوية وحدها بصبيب هام لكنه غير صادر عن المنطقة الزناسنية نفسها.

كما أن المواد المائية الباطنية تمتاز بضآلتها وخاصة في الجهة الغربية الجافة ذات التركيب الصخري غير المساعد.

في الجهة الشرقية ارتفاع التهاطلات وتوفر الطبقات اللّياسية الكربوناتية يفسر وجود خزّانات مائية كارستية. والفرشة العميقة تميل نحو الشمال وتساعد في تزويد سهل تريفة بمياه جوفية، كما تغذي عدداً من العيون والآبار توجد في منطقة قدم الجبل، كعيون كبس وركّادة وأغبال.

A. Laouina, *Le Maroc nord-oriental : reliefs, modèles et dynamique du calcaire*, Thèse d'Etat, Univ. Paris I, 1987.

عبد الله العوينة

بني إزناسن، اتحادية قبائل كبرى بالمغرب الشرقي، وتُكتب أيضاً في بعض النصوص "بني يزناسن" و"بني يزناتن" تذكيراً بنسبتهم إلى قبيلة زناتة الشهيرة، بينما تتفق المصادر على أن أصولهم متعددة، وبطونهم مختلفة، يرجع بعضها إلى زناتة، والبعض الآخر إلى صنهاجة، والبعض الثالث إلى أصل عربي.

فابن خلدون، عقد لزناتة باباً خاصاً بها كقبيلة من القبائل، بينما تحدث عن بني يزناسن (*العبر*، 6 : 114) كبطن من البطون العربية، خلال حديثه عن نفزاوة التي هي من البُـتر. وهناك رواية تقول، بأن بني يزناسن إخوة غيساسة، يجتمعون معهم في جدهم لوا، ومن لوا كان نفزاوا الذي هو جد نفزاوة التي تفرع منها بطن بني يزناسن، على الرأي القائل بأنهم برابرة، ويجتمع بني يزناسن مع زناتة في زحيك ابن مادغيس الأبتر، الجد الأعلى للبرابرة.

وهناك فصائل من بني إزناسن، ترجع في أصولها إلى صنهاجة، كالبرنوصيين من فرع بني منقوش، وكذلك بطن بني حماد، الذين ينسبون إلى أصحاب قلعة بني حماد أمراء المغرب الأوسط قبل عصر الموحدين. ثم بطن أهل الوادي، من فرع بني ورغش، الذين ينسبون إلى بني عبد الواد، ملوك تلمسان المشهورين من بني يغمراسن. هذا إلى جانب عدد من البطون العربية التي دخلت في القبيلة عبر الزمن، وعد من الأسر الشريفة التي يغلب عليها النسب الإدريسي. وكل هذه الفروع والبطون تحمل اسم بني إزناسن، إما من إطلاق الجزء على الكل، أو من إطلاق اسم المكان على الحال به.

يتضح مما سبق أن بني إزناسن من المجموعات البشرية التي عمرت المغرب قديماً، ولكن لا نعرف بالضبط متى كان ذلك، فحتى ابن خلدون، لم يشر إلى تاريخ استقرارهم بالجبال التي يوجدون بها، وقال فقط بأنهم يستوطنون الجبل المطل على وجدة، وهي الجبال التي يوجدون بها اليوم. بينما ذكر دارس فرنسي (A. BERNARD, 4) أنهم كانوا يستقرون خلال القرن الهجري الأول (ق. 7 م) بسهل قرب مدينة معسكر، ثم تراجعوا بسبب ضغط القبائل نحو الغرب، وتحصنوا في الكتل التي يوجدون بها اليوم، والتي تحمل اسمهم. ومن هذا الموقع الحصين، استطاعوا أن يصمدوا أمام ضغط القبائل الزاحفة من جهة الشرق، أو من جهة الغرب.

وهكذا، فالمساحة التي تستقر عليها قبيلة بني يزناسن اليوم، تقع ما بين سهول تريفة في الشمال، وسهول أنكاد في الجنوب، وتميل غربا إلى وادي ملوية، وشرقا إلى الحدود المغربية الجزائرية، بل كان بنو منقوش وعطية من بني إزناسن شرق خط الحدود سنة 1845 حسبما جاء في آخر الشرط الثالث من اتفاقية الحدود، الذي أوضح بأن فرنسا تعترف لهم باستغلال أرضهم، رغم كونهم من رعية المغرب. وعموماً، فإن مجموعة بني إزناسن تنقسم إلى أربعة فروع كبرى هي :

- فرع بني خالد : وهو الفرع المستقر على الحدود الجزائرية المغربية، ما بين أولاد الزعيم على بعد 17 كلم جنوب وجدة... ثم سهل تريفة شمالا. وهو قسم يقع ضمن سهل أنكاد الشرقي، ما بين الكربوص غربا، ونصب 17 كلم جنوبي وجدة، ومعظم هذا القسم يتحدث العربية فقط، ومن عرب السقاينة المشهورين بعرويتهم، وأقليته تتحدث الشلحة، وأرض هذا القسم فقيرة. القسم الثاني، يمتد من

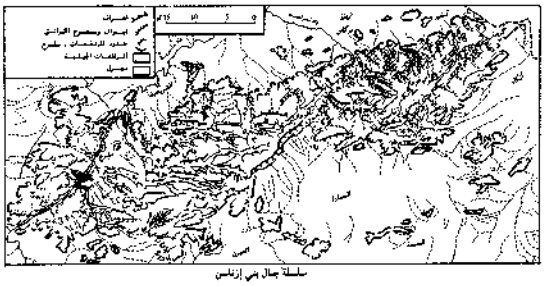

سلسلة جبال بني إزناسن

ربوة الكربوص إلى حدود سهل تريفة، ومعظمه يستعمل الشلحة والعربية، وأقله يستعمل العربية فقط. يضاف إلى هاتين المجموعتين عدد من الأسر الشريفة، أشهرها : أولاد سيدي عبد الله عزة، الذين اشتهروا هناك بزاويتهم التي كان يرأسها الشيخ الحاج محمد الهبري الكبير. وكذلك الشرفاء القادريون أولاد سيدي المختار بوتشيش، الذين اشتهروا بالزاوية البوتشيشية، التي ينتشر أتباعها اليوم في مختلف مدن وبوادي المغرب كله. ثم الشرفاء أولاد بن العالم الذين هم أقل شهرة بهذا الاسم هناك.

- فرع بني منقوش، لا ينتسبون إلى زناتة، بل ينتسبون إلى منقوش الذي هو من أعلى الجدود الصنهاجيين، الذين كان بلكّين المنقوش من أكبر قوادهم، قد اشتهروا تاريخياً باسم صنهاجة المنقوشيين، كانوا يعيشون بصحراء سجلماسة، ثم تغلبوا على المغرب الأوسط، وكان بينهم وبين أمراء زناتة حروب تعرض لها ابن خلدون بتفصيل. غير أن هناك أسراً زناتية وإزناسية اختلطت ببني منقوش، إلى جانب بطون كثيرة أخرى، لا تنتمي إلى الأسر المذكورة، مثل بطن بني مريضن الذين يتحدثون العربية فقط. وكذلك عدد من عائلات قبيلة بصارة (الأبصار)، فهم لا يعرفون

الشلحة الإزناسية أصلا. يضاف إلى عدد من أسر الشرفاء المختلطة بعناصر هذا الفرع، مثل : أولاد سيدي علي البكاي، الأسرة التي كان منها المناضل مبارك البكاي الذي كان في أول وزارة تكونت في المغرب بعد الاستقلال. والبكايون من بني وكيل الأدارسة، نسبة إلى سيدي البكاي، الذي يوجد قبره بقرية أجدير، إحدى قرى هذا الفرع الجميلة. ثم أولاد بنيعقوب، وآل وگوت، وكسينيون، والورمضانيون، والوليون، وأولاد الطاهر بناحية عين الصفا، ثم قبيلة بني خلوف التي يتكلم معظمها العربية فقط. ثم هناك عدد من أسر الشرفاء تتكلم الشلحة بطلاقة، وبعضها يتكلمها بصعوبة.

ومن أشهر بيوتات بني منقوش بيت الاكرارجة الذي كان منه عدد غير قليل من الزعماء والقواد، وبيت أُشْنْ (وأشن بالشلحة معناه : الذئب)، وتتحدث المصادر أيضا عن بيت أولاد الهبري، الذي كان منه الثائر بوعزة الهبري على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، ثم قضى عليه السلطان الحسن الأول وأنهى تمرده. وفي سهل بني منقوش تقع قصبة عين الرگادة التي أعاد بناءها السلطان المولى إسماعيل العلوي سنة 1090 هـ، ومن عجيب هذه العين أن ماءها تارة يغور وتارة يفور، وقد تتدفق في وقت الجفاف، وتغيض في وقت المطر.

- فرع بني عتيق، بنو عتيق من مغراوة الزناتية الذين كان لهم سلطان تلمسان، كما يوجد من بينهم، بطن بني حماد الصنهاجيين الذين يستقرون قرب تافوغالت، بالإضافة إلى أسر عربية متعددة، وأسر الشرفاء الأدارسة، خصوصاً الحافيون والسغروشنيون وأولاد مولاي أحمد بن العياشي والورطاسيون وآل تيزي أزمور والصبانيون. وتمتد أراضي بني عتيق ما بين بني منقوش شرقاً وبين وريمش غرباً، وأرضهم من أخصب الأراضي وأجملها، ويرويها وادي شراعة ووادي زگزل، إلى جانب عدد من العيون المتدفقة مثل عين تافوغالت الشهيرة بمائها العذب البارد ومناخها الجميل، حيث إن قريتها تشبه إلى حد كبير مدينة إفران بالأطلس المتوسط، باعتبارها تقع على مرتفع جميل تنهمر فيه المياه جنوب وادي زگزل. وإلى الشمال منها مدينة أبركان عند ملتقى وادي شراعة بوادي أبركان. واسم أبركان هذا معناه بالشلحة : الأسود، وهو اسم علم اطلق على الشيخ محمد (فتحاً) أبركان الذي توجد قبته بمقبرة مدينة أبركان على ضفة وادي شرعة. وعند جنوب بركان بثلاث كيلومترات تقع بحيرة (دولوت) التي تحيط بها الحدائق من جميع الجهات، فترتوي منها حدائق البرتقال الموجودة على مرتفع يظهر من بعيد كجزيرة صغيرة. وأبرز العائلات التي كان لها نفوذ على بني عتيق عدة قرون : عائلة أولاد الهبيل التي ينتسب إليها البكاي السالف الذكر.

- فرع بني وريمش، أصل هذا الفرع من زناتة، وقد اختلطت به بطون من أهل الوادي، من بني عبد الواد الذين ملكوا تلمسان، وأهم بطون هذا الفرع هي بنو بوعبد السبر وأولاد علي الشاب ورسلان وتاگمة وبنو محيو المجاورون لقصبة عيون سيدي ملوك. بالإضافة إلى عدد من أسر الشرفاء الأدارسة، كأولاد سيدي علي وسعيد وأولاد سيدي سعيد العرعار، وأولاد معبورة من أولاد سيدي موسى، وأولاد فسير، وأولاد عطية، وأهل وريس، وبني وال، والتميميين بقرى رسلان، وبني نوكة، والشقارنة. وأشهر بيوتاتهم في الحكم قديماً : أولاد البشير، الذين منهم القائد ولد البشير على عهد السلطان الحسن الأول. وكان بنو وريمش يمثلون أكبر فرع في بني إزناسن من حيث عدد السكان والقوة العسكرية، وأرضهم تتميز بالجفاف والقحولة وقلة عيون الماء. وأشهر قراهم هي : التكمة ورسلان وكامنين.

يظهر من كل هذا أن اتحادية بني إزناسن تتركب من عناصر كثيرة معقدة ومختلفة، تجانست كلها بنفس الطريقة التي تجانسب بها بقية المجموعات القبلية، فهي نموذج لتركيب البنية البشرية بالمغرب خصوصا، والمغرب العربي عموماً.

مجهول، *الذخيرة السنية* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6 ؛ ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، ج 1 ؛ ق. الورطاسي، *بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني 1390 / 1970* ؛ أ. العماري، *مشكلة الحدود الشرقية واستغلالها في المخطط الفرنسي المسيطرة على المغرب*، د.د.ع. كلية الآداب بالرباط، 1981.

H. M. P De La Martinière et N. Lacroix, *Document sur le Nord-Ouest africain,1894 - 1897* (4 vol) V.I. p. 196 et s ; Mohamed Ben Rahal, *A travers les Beni-Senessen*, *B.S.G.A.O.*,1889. p. 1 - 50) ; G. Mandenilles, *La Frontière marocaine et Figuig, Questions dipl. et col.* 1ère année, 15 mai 1897, n° 6. p. 329 ; A. Bernard, *Les Confins algéro- marocains*, Paris, 1911 ; *La frontière algéro-marocaine : Region d'Oudjda, A. F.* 205 - 216 ; Ch. René Leclerc, *Les Régions Nord et Sud de la frontière marocaine*, Tanger, 1909.

أحمد العماري

بني انْصار، لا يُنطق بالهمزة ولكنها تكتب، مركز حضري أسس سنة 1913 / 1331 ليكون مقر إدارة الجمرك وشرطة الحدود الوهمية، ولم يكن به لغاية سنة 1956 سوى 649 إسبانياً و11 يهودياً ولا أحد من المغاربة المسلمين. وصلت ساكنته سنة 1985 إلى 10.480 نسمة. يقع على الطريق الرئيسي رقم 39 الرابط بين مدينتي مليلية والناظور، وعلى بعد 13 كم من مدينة الناظور. ويحتل هذا المركز موضعاً هاماً. فهو يوجد على نقطة العبور الرئيسية على الحدود التي تفصل مدينة مليلية المحتلة من طرف الإسبان عن باقي البلاد ؛ وهو ينفتح على البحر المتوسط بفضل البحيرة الساحلية "سبخة بوعارگ" ؛ كما أن موضعه الطبغرافي يعتبر هو الممر الرئيسي الذي يمكن الوصول عبره إلى السهم الرملي الساحلي الذي يفصل سبخة بوعارگ عن البحر (شكل رقم 1).

وتنعكس مميزات هذا الموضع على أنشطة مركز بني

انصار وتوسعه الحضري. فهو رغم صغر حجمه وموقعه الهامشي بالنسبة للمحور الاقتصادي للمغرب الأطلنتي، قد سجّل تزايداً سكانياً ما بين 1982 و1985 وصل إلى 24٪. ويعزى هذا التزايد المرتفع إلى الأنشطة المتنوعة التي ظهرت ببني انصار والمرتبطة جلها بموضعه الهام.

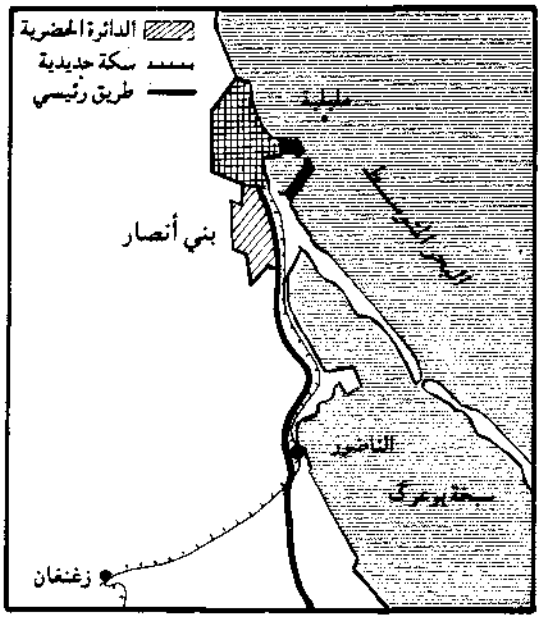

موقع مركز بني أنصار

فبالإضافة إلى الوظيفة الجمركية، جُهز مركز بني انصار بميناء هام مرتبط بالصناعات التي أُنشئت في منطقة الناظور. غير أنه يجب أن نضيف انعكاسات نشاط التهريب وكذا عائدات العمال المغاربة بالخارج إذا أردنا فهم التوسع الحضري الذي يعرفه حالياً مركز بني انصار.

بني انصار هو مركز الحدود الوحيد الذي يربط مدينة مليلة المحتلة بالناظور ومدن المغرب الشرقي الأخرى. وبالتالي فإن حركة المرور في الاتجاهين كثيفة نسبياً. فدون أن يصل سيل المارين بمركز حدود بني انصار إلى الحجم الذي يعرفه مركز باب سبتة مثلاً، فإن هذا السيل يتعدى دائماً 100.000 مسافر سنوياً. أما الخاصية التي تطبع هذه التيارات فهي طغيان العنصر المغربي والمغاربي بين المارين. فبينما يُكوّن السواح الأجانب نصف التيّار الذي يمر عبر باب سبتة أو عبر ميناء طنجة، فإن هذا الصنف من المسافرين لا يمثل سوى 30٪ من مجموع العابرين بحدود بني انصار. وهكذا فإن مركز بني انصار يعتبر باب دخول المهاجرين المغاربة والجزائريين العاملين بالدول الأوروبية بمناسبة عودتهم إلى بلدانهم. ومن المعلوم أن أقاليم الريف تبعث بآلاف العمال المستقرين بفرنسا وهولندا وألمانيا.

وتعيش المنطقة كذلك بواسطة نشاط التهريب وإدخال البضائع القادمة من مليلة وترويجها في الأسواق الشمالية الشرقية (الناظور ـ وجدة) بل وحتى في الأسواق الجنوبية.

إلى جانب الأنشطة المرتبطة بنقطة الحدود استفادت بني انصار من إنشاء ميناء كبير بالناظور. ويعتبر ميناء الناظور الذي تم إنجازه في السنوات الأخيرة أهم منشأة اقتصادية (بالإضافة إلى مركب الصلب) بالشمال الشرقي. وقد صُمم بشكل جعله يُكوّن مع ميناء مليلة المحتلة وحدة متكاملة ستوفر مجمعاً مينائياً يوم استرجاع مليلة إلى حظيرة الوطن. والمميزات التقنية لهذا الميناء (مكسر طوله 2634 م، حوض ماء مساحته 140 هـ، أرصفة مجموع طولها 2227 م، منطقة مستودعات وصناعة مساحتها 500 هـ) عناصر تجعل منه مركباً في عداد أكبر الموانئ المغربية. وقد أحدث هذا الميناء ليكون أهم نافذة للمغرب الشرقي على البحر، إذ يلعب دوراً رئيساً في تصدير المواد الفلاحية لمنطقة ملوية السفلى، كما أنه عنصر أساسي لمخطط تنموي جهوي يرتكز على النشاط التجاري والصناعة الثقيلة المتمثلة في وحدة "صوناصيد" لصناعة الحديد التي توطنت بسلوان على بعد 32 كم من بني انصار، وتربية الأسماك (شركة ماروسط) بسبخة بوعارگ.

وما من شك في أن هذا الميناء الذي بدأ نشاطه في السنوات الأخيرة سيكون له تأثير متزايد على تطور النسيج الحضري لمركز بني انصار.

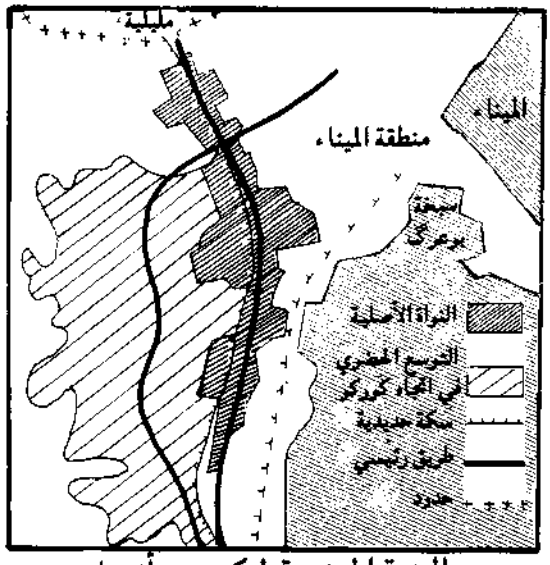

البنية الحضرية لمركز بني أنصار

تُغطي الدائرة الحضرية لمركز بني انصار 440 هكتار، 168 منها معمرة، ويتميز هذا التعمير بطابع عشوائي واضح نصادفه في جل مدن ومراكز الناظور الكبير. كما يتميز النسيج الحضري بضعف الكثافات (24 نسمة / كلم²). وتعزى هذه الكثافات الضعيفة إلى طغيان البنايات المكونة من طابق سفلي فقط وكذا تشتتها المجالي. أما بنية المركز فرغم تشتت البنايات وعشوائية التوسع فإننا نلمس فيها، وبوضوح، تأثير خط السكة الحديدية الرابطة بين مناجم حديد ويلساف ومليلة والطريق الرئيسي رقم 39. وهكذا فإن النواة الأصلية انتظمت على طول هذين الخطين وعلى امتداد

1200 م. غير أن الطلب المتزايد على السكن والمرتبط بالأنشطة الحضرية المختلفة التي ذكرناها بالإضافة إلى كون العمال المهاجرين إلى الخارج من المنتمين إلى المنطقة يقومون باستثمار قسط كبير ممّا يوفرونه في الميدان العقاري، كل هذا جعل المركز ينتشر في اتجاه الغرب مكتسحا مجالا واسعا يصل حتى انحدارات كتلة گوروگو (انظر الصورة والشكل رقم 2)

مديرية التعمير وإعداد التراب الوطني والبيئة 1988، التصميم التوجيهي لتهيئة المجموعة الحضرية للناظور.

محمد بريان

بني أولينت، قرية بقبيلة أنجرة، تعرفنا عليها أول مرة سنة 1531، كانت آنذاك واقعة على السفح الشمالي من جبال أنجرة، مما يجاور مجرى واد ألبان. ولا تظهر في السجلات والتقسيمات الإدارية الحالية. نظم جنود طنجة البرتغاليون غارتهم على القرية إلا أن إبراهيم بن علي ابن راشد العلمي (923-946 / 1517-1539) كان لهمبالمرصاد فكانت الحملة كارثة على المغيرين.

ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 444.

Rodrigués, *Anais de Arzila*, p. 2 / 198.

حسن الفگيگي

بني بختي، أسرة أو قبيلة من فرع بني يعلى الزناتيين المنحدرين من بني خزر ملوك تلمسان منذ القرون الهجرية الأولى. تنسب أسرة بني بختي إلى رئيس القبيلة بختي بن يعلى بن محمد الخير، قاتلُ نفسه في معركة مع بلگين بن زيري الصنهاجي. عاصر بختي الغزو الهلالي للمغرب الأوسط. وحينما فتح المرابطون تلمسان (473 هـ) وجدوا بها العباس بن بختي وقتلوه، فتم إجلاء الأسرة إلى حيث نجدها اليوم مستقرة بناحية جرادة بالمغرب الشرقي.

تحتل قبيلة بني بختي في الوقت الراهن الفراغ الأوسط من مجرى واد زا، من مضيق الغورس غربا إلى جبل جرادة. ويحيط بالقبيلة من جهة الشمال من الغرب إلى الشرق على التوالي : بني بوزگو وهديين وزكارة وبني يعلى. ويقابلها من جهة الجنوب بني مطهر، ومن الشرق المهاية، وأولاد عمرو من ناحية الغرب. أهم مراكز الاستقرار تختص به مدينة جرادة وگفايت. ويتنقل البدويون بين سيدي بوقنادل وسيدي الشيخ وسيدي سماحين، بين واد زا ورافده بقصد الانتجاع.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 1265، 7 : 94.

حسن الفگيگي

بني بشير، قبيلة تقع بناحية صنهاجة السّراير (إقليم الحسيمة) وتحيط بها قبائل بني زروال وبني عمارت ومزرقات وبني أحمد. تقدر مساحتها بـ 81 كلم مربعا، وكان عدد سكانها سنة 1946 يقدر بـ 3.980 نسمة يتكلمون باللهجة العربية الدارجة، باستثناء سكان بعض المداشر التابعة لفرقة أوطيل الذين يتكلمون باللهجة الصنهاجية، ويوجد بالقبيلة ستة مساجد وضريحان وزاوية وثمانية كتاتيب قرآنية.

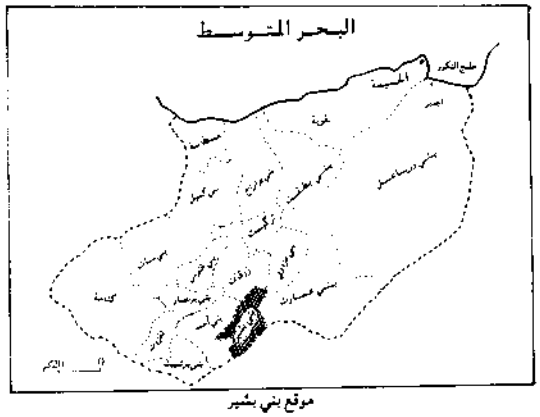

موقع بني بشير

تنقسم القبيلة إلى فرقتين هما : تطيشت وأوطيل اللتين تحتوي كل واحدة منهما على ثمانية مداشر.

وفي النظام الإداري الحالي تكوّن هذه القبيلة مع قبيلة بني احمد جماعة قروية واحدة اسمها جماعة تابرانت.

ع.بنعبد الله، *الموسوعة*، 107.

Aranda, *Geografia de Marruecos en general y de la zona española de protectorado en particular*, - s. l. s. a. ; A. Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos de Marruecos*, Madrid, 1916, passim ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, Madrid 1936, t. II passim ; A. Domenech, *Zona Norte*, passim ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos*, Melilla 1926, passim.; *Vademecum de la Intervencion Territorial del Rif*, 1946, p. 95.

محمد ابن عزوز حكيم

بني‌بگّار ← بگّار

بني بُوزْرا، وتكتب أيضاً بالتاء : بوزرة، قبيلة تقع بناحية غمارة (إقليم شفشاون) وتحد شمالا بالبحر المتوسط، وتحيط بها القبائل التالية : بني گرير وبني منصور وبني سلمان وبني زيّات. تقدر مساحتها بـ 148 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 يقدر بـ 5.106 نسمة يتكلمون باللهجة المعروفة بالشلحة البوزراتية باستثناء سكان فرقة بني منسلمان الذين يتكلمون باللهجة العربية الدارجة، ويوجد المركز الرئيسي للقبيلة في بوحمد.

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق هي : تبندمان (4 مداشر) وبني منسلمان (11 مدشراً) والوسطيين (7 مداشر) وبني موسى (15 مدشراً) وفي التقسيم الإداري الحالي تكوّن جماعة قروية تحمل اسم القبيلة نفسه.

وهناك جزيرتان صغيرتان في البحر المتوسط تنسبان لبني بوزرة لوقوعهما بالقرب من شاطئ هذه القبيلة الغمارية، وتعرفان عند الإسبان بـ Los Mellizos (التوأمتان) غير أنه منذ سنة 1271 / 1854 أصبحتا تذكران في الخرائط الأوربية باسم جزر جاجيرشميت Jagerschmidt، وسبب ذلك هو أنه في شهر ربيع الأول / دسمبر من السنتين المذكورتين تمكن القائم بأعمال فرنسا بطنجة وهو

Charles Jagerschmidt من الحصول على إذن السلطات المغربية ليقوم كل من المهندس البحار - Vincendou Dumoulin والكومندار Kerhallet على ظهر الباخرة الفرنسية فار Phare بجولة عبر الشاطئ المغربي الموالي للبحر المتوسط لوضع خريطة له، وعندما وضعت هذه الخريطة أراد واضعوها تسمية جزيرتي بني بوزرة باسم القائم بأعمال بلادهم بالمغرب اعترافاً منهم له بالجميل.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 107 و325.

Aranda, *Geografia de Marruecos en general y de la Zona española de protectorado en particular*, s.l. s.a. ; A. Blazquez y Delgado. *Estudios geograficos de Marruecos*, Madrid, 1916, passim ; Capaz, *Geografia de Gomara*, Ceuta, 1931, passim ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, t. II ; A. Domenech, *Zona Norte*, passim ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos*, Melilla 1926, passim ; *Vademecum de la Intervencion territorial de Gomara*, 1946, p. 89 ; A. Domenech, *Zona Norte*, p. 49 ; Cabello Alcaraz, *Geografia de Marruecos*, p. 63 ; Et-Tabyi (Eduardo Maldonado), *Retazos de historia marroqui*. Tetuan, 1955, p. 157.

محمد ابن عزوز حكيم

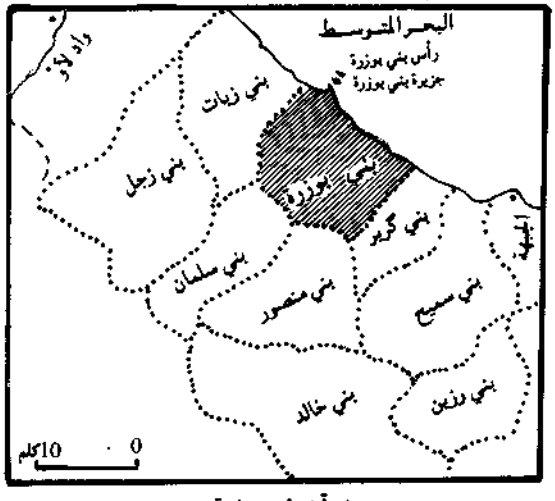

موقع بني بوزرة

** ينتسب سكان بني بوزرا ـ تاريخياً ـ إلى أحد عمالها الذي قدم فيما يبدو ـ مع موسى بن نصير أواخر القرن الأول الهجري. وهو أبو بَزَرَى كَجَمَزى. وممّن يحمل هذه الكنية يزيد بن عطارد القيسي من التابعين ـ كما يقول الشيخ مرتضى في *التاج* (بزر)، وحذف الواو من (أبو) شائع في الاستعمال.

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه أن باقي قبائل غمارة تحمل هذه التسمية، أمثال : بني زيّات، وبني سلمان، وبني زجل، وبني منصور، وبني جرير، وبني سميح، وبني خالد، وبني رزين ؛ وهي جميعا في أصلها البربري تنتمي إلى غمار بن مصمود، ومن أبنائه : نال ويال ؛ فتفرّع عن يال ـ بالياء ـ : بنو بوزرا، وبنو زيّات، وبنو سلمان، وبنو منصور ؛ وتفرع عن نال ـ بالنون ـ باقي القبائل كما يقول نسّابتهم.

تعربت هذه القبائل قديما، ويرجع ذلك إلى أوائل الفتح الإسلامي عندما جاء موسى بن نصير بجماعة من الفقهاء ليعلّموا الناس القرآن والفقه، منذ ذلك التاريخ انتشرت الكتاتيب القرآنية في كل جهة ؛ فهي ـ جميعا ـ تتكلم العربية ماعدا طرفاً من قبيلة بني بوزرا ونحو سبع قرى من قبيلة بني منصور المجاورة لها، فإنها تتكلم الشلحة السوسية. ومعلوم أن أهل سوس نزحوا إلى هذه الجهات في فترات من التاريخ، ولا تزال بقايا منهم إلى الآن.

وبقبيلة بني بوزرا مدارس عتيقة للعلم والقراءات السبع، منها :

1 ـ جامع تندمان أقدم جامع بها، ويقال إنه من بناء أحمد بن عمر حفيد مولاي إدريس، وعلى مقربة منه روضته.

2 ـ جامع أناري. أقرأ به أبو العباس أحمد بن عبد المومن التجكاني، وكان عالماً مقرئاً وشيخاً صوفيا، توفي عام 1262 / 1845.

3 ـ جامع أحلاوث.

4 ـ جامع أدار ميمون.

5 ـ جامع إعرابن الذي اشتهر بالقراءات السبع، ومن قرائه البارزين : الفقيه أحمد بن محمد بن سليمان أعراب، كان يحفظ السبع بالعدد، وعنه انتشرت بقبائل غمارة، ومعلوم أن مدرسة العدد أنشئت أخيراً بشمال المغرب.

ويحدثنا عن هذه المدارس العتيقة وعن العلوم التي كانت تدرس بها الشيخ علي بن ميمون البوزراتي (ت 917 / 1511) فيذكر أنه لم يرحل إلى فاس حتى حفظ القرآن وهو دون البلوغ، وحفظ *نظم الخراز* في رسم القرآن وضبطه، ومنظومة *ابن بري* في مقرأ نافع برواية ورش وقالون، وحفظ *الأجرومية* في النحو و*نظم أبي مقروع* في معرفة حساب السنة وغيره، وأنه تصور كل هذه الفنون على شيوخ البلد.

وبعد البلوغ حفظ *رسالة* ابن أبي زيد القيرواني في الفقه، و*نظم* أبي إسحاق التلمساني في الفرائض واشتغل بمبادئ علم الحساب ومعرفة المناسخات والتركات وسائر أبواب فقه الحساب حفظ كل هذه الفنون وتصورها على الشيوخ ـ وهو ابن عشرين سنة ـ لم يدخل فاس بعد.

والقبيلة إلى ذلك معروفة برباطها وجهادها العتيد، وقد أصدر السلطان المولى محمد بن عبد الله ظهيراً مؤرخا بأوائل صفر عام 1174 جدد لهم فيه التوقير والاحترام، وأعفاهم من الكلف المخزنية، لما يقومون به من الرباط في وجه العدو وجعل زكواتهم وأعشارهم في ضعفائهم، وما فضل عن ذلك يُصرف في الرباط.

وهناك وثائق عدلية مؤرخة بعام 1171 هـ، تزكي أعمالهم الجهادية، وتشيد بمقاومتهم للعدو، ومع ظهائر أخرى سنذكر بعضها في حرف (ت) عند حديثنا عن مرسى "تارگا".

ومن الآثار التاريخية بقبيلة بني بوزرة :

1 ـ قصر تارگا الآتي وشيكا في حرف (ت).

2 ـ زاوية الولي الصالح أحمد الفيلالي. ت 998 / 1589.

3 ـ قصبة سيدي يحيى أعراب على شاطئ البحر، وهو من أهل القرن التاسع الهجري (15 م).

4 ـ رأس السريجة المعروف بأغيلْ أُوكْنيونْ. وأَغيلْ ـ بالبربرية ـ جبل، وهو على شكل السرج، ولذا يسميه بعضهم برأس السريجة. وإكْنيونْ ـ بالشلحة : التوأمان، ويقال له ذلك. لأنه يسامت حجرتين كبيرتين شبه جزيرتين بالبحر، على بعد نحو ستمائة متر من الشاطئ، وبهذا المكان خططت البعثة الفرنسية خريطة شاطئ المتوسط سنة 1855 تحت رئاسة جارجير شميت القائم بأعمال فرنسا بطنجة لذلك العهد، وتقديراً لأعماله أطلقت البعثة اسمه على هذا الموضع، وكان أحد أبنائه يتردد عليه من حين لآخر، وهو برتبة كومندار في الجيش الفرنسي.

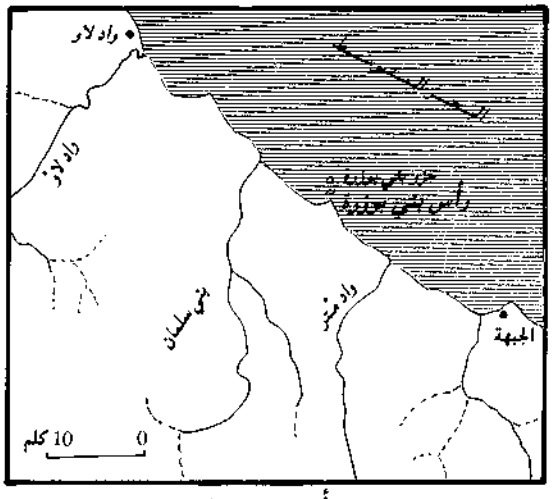

رأس بني بوزرة

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6 ؛ ع. بن ميمون، *رسالة الاخوان*، مخطوط ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر* ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن* ؛ أبو راس، *الأندلس ووهران*، مخطوط ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية* ؛ ع. الخطيب، *شارل جارجير شميد*، مجلة تطوان، ع 7 ؛ س. أعراب، *ظهائر سلطانية*، مجلة دعوة الحق س 13 ع (6. 7)، 1970، و ع 268، 1988.

سعيد أعراب

بني بوزگو، قبيلة تستوطن المنطقة التي عُرفت بهذا الاسم، تشمل الجزء الجنوبي من هضاب وسهول ممر تاوريرت ـ العيون (بني بوزگو الوطا)، وجزءاً من الهوامش الشمالية الغربية لسلسلة الهورست (بني بوزگو الجبل) وعلى الخصوص جبل بوخوالي وهوامشه. يجاورها من الناحية الشمالية والشمالية الغربية سهول تاوريرت والعيون وقبائل الشجع وبني وكيل وأولاد سيدي الشيخ. على طول وادزا جنوبا، تمتد قبائل بني شبل وأولاد عمرو ثم بنو گولال وأولاد الميدي بالجنوب الغربي. من الناحية الشرقية تتجاور على الخصوص بقبيلة بني يعلا.

تتميز قبيلة بني بوزگو بتنوع فصائل سكانها وذلك رغم انتمائها إلى إحدى القبائل الزناتية التي استقرت بالمنطقة منذ القرن الثالث عشر للميلاد، ورغم تحدث الأغلبية الساحقة لسكانها بالبربرية. من بين الفصائل المتميزة، الشرفاء الذين استقروا بالمنطقة منذ تفكك الأدارسة، تتكلم بعض دواويرهم تشلحت والأخرى احتفظت بالعربية للتخاطب. تتميز هذه الفصيلة بعادات مخالفة نسبيا للفصائل الأخرى وذلك مثل عدم التمازج بالنسب غير الشريف عن طريق المصاهرة.

أما الفصائل الأخرى مثل أولاد علي، فتعتبرهم الرواية الشفوية كسكان أصليين، أما ختيين وأولاد موسى، فقد يكونون قدموا من فگيگ، كما ترجع الرواية أصل الزيايتة إلى أحد تجار مادة الزيت استقر بالمنطقة منذ قديم. أمام غياب المصادر سيكون من العبث محاولة تحديد أصل الفصائل الأخرى مثل إقدورن وأولاد علي بن أحمد وأولاد عبُّو وأولاد لحسن وإسْغَارْن والمصامدة، وأولاد موسى وأولاد تلحولت امختارن... كما تنقسم جماعة حديين إلى فصائل مماثلة، حيث ترجع الرواية أصل بعضها إلى عرب بني هلال والأخرى إلى برابر زناتة.

رغم تنوع الفصائل استطاعت أن تتوحد في إطار قبيلة لهجتها الشلحة، عصبيتها ولُفُّها وميعادها، "بوزگاوي"، دون أن نتمكن حتى من معرفة أصل ومفهوم اللفظ نفسه.

لم نعثر على وثائق حول هذه القبيلة إلا ابتداء من القرن التاسع عشر، وعلى الخصوص منذ احتلال فرنسا للجزائر. أصبح حضور المخزن واضحاً ومكثفاً بالمنطقة، وذلك للتحكم في دينامية القبائل تحسبا لكل التطورات التي أخذت تعرفها الواجهة الشمالية الشرقية من المغرب.

تميزت قبيلة بني بوزگو خلال كل النصف الثاني من القرن التاسع عشر بالانضباط والاستقرار وولائها للسلطة الشرعية. وقد لاحظ هذا الاستقرار الرّحالة دوفوكو (*Reconnaissance*, 389) الذي مرّ بالمنطقة سنة 1884. على خلاف هذا، عاين دوفوكو تفكك بعض القبائل المجاورة وانضمت بعض فصائلها "لعمالة البزگاوي". من بين القبائل التي عرفت صراعاً داخلياً، بنو يعلا التي كانت تصنف ضمن أكبر قبائل المنطقة، إلا أنها انقسمت إلى ثلاثة أقسام، بنو يعلا شراگة وغرابة وبنو يعلا الصفاصيف الذين انضموا إلى بني بوزگو منذ عام 1884. كما التحقت بقيادة البوزگاوي فصائل : إبقوين وأولاد الخير وأولاد يسعدون المنتمية أصلا لقبيلة أولاد عمرو، وكذلك إعثمانن وأولاد بندينار من قبيلة بني شبل، وايغثمانن من أولاد الميدي. وحسب مراجع فرنسية أخرى (La Martinière et Lacroix, *Documents*, t. 1) كانت قبيلة بني بوزگو تضم كذلك فصائل من بني وشكل وأولاد بختي وأولاد خليفة وبني ورغ، لكن أغلب هذه الفصائل ألحقها التقييد المخزني (كناش الخزانة الحسنية رقم 62) بالقيادة المخزنية لقصبة (عيون سيدي ملوك)، رغم عدم اتصال أراضيهم بها.

هكذا ظلت قبيلة بني بوزگو متماسكة، لم تعرف انقسامات داخلية ولا صراعاً مع القبائل المحاذية لها، وذلك على خلاف بني يعلا، وبني يزناسن وأهل أنگاد والمهايا المجاورين لهم.

يمكن تفسير سكون قبيلة بني بوزگو رغم تنوع فصائلها

إلى سلطة القايد حمادة الذي ظل على رأس القبيلة من 1876 إلى 1905. تدل مجموعة من الوثائق بالخزانة الحسنية (برحاب، *شمال المغرب...*) وأخرى بحوزة ورثة حمادة، على المكانة التي حظي بها هذا القائد لدى المخزن، خاصة بعد مصاهرته لمولاي الحسن ببنته. عظم شأن البوزگاوي حينما أنعم عليه السلطان بظهير توقير واحترام، وأسقط عنه المغارم السلطانية والتكاليف المخزنية (ظهير مؤرخ بموافق 7 / 11 / 83 عند الورثة). أصبح السلطان يثق في البوزگاوي ويستشيره حتى في أمور قبائل عمالة وجدة (*رسالة* من حمادة إلى السلطان بتاريخ موافق 16 / 12 1879، خ ح، محفظة 14 وأخرى بتاريخ موافق 23 / 12 / 1879 بمحفظة 11). لكن مع ذلك لم يتمكن حمادة من مد سلطته على قصبة العيون المجاورة له، وذلك للاعتناء الخاص الذي أولاه السلطان مولاي الحسن للقصبة منذ حركته إلى وجدة سنة 1876، حيث عَيَّنَ بها قائدا مخزنيا ليس له أي عصبية من بين القبائل المجاورة. ارتأى السلطان ذلك للأهمية الاستراتيجية للقصبة كمكان وممر تجاري هام ومنطقة اتصال قبائل مختلفة. ومع ذلك أعفى السلطان قائد القصبة من مهامه واستبدله كُلّما دخل في صراع مع البوزگاوي، بل في الواقع لم يعد سوى خليفة له بالقصبة. (*رسالة حسنية* بتاريخ موافق 6 / 5 / 1892، خ ح، محفظة 696).

- في الواقع كانت مصاهرة حمادة البوزگاوي للسلطان وإخلاصه في خدمة المخزن حجاباً لقبيلته، حيث لم تتعرض لأي هجوم أو أطماع من القبائل المجاورة لها خاصة القادمة من غرب الجزائر تحت ضغط الفرنسيين.

لكن على خلاف القبائل المجاورة التي كان بإمكانها أن ترفض أو تقبل أحد قوادها وتطالب المخزن بالتدخل للحدّ من طغيانه أو استبداله، فإن قبيلة بني بوزگو تميزت بالخضوع والخنوع لما كان لقائدها من نفوذ لدى المخزن.

ازدادت سلطة حمادة بعد المجزرة التي دبّرها بقصبته لمجموعة من أنصار الروگي (بوحمارة) الثائر ضد السلطة الشرعية، وذلك بعد أن تظاهر له البوزگاوي بالطاعة والامتثال وقبول مصاهرته. نوّه السلطان مولاي عبد العزيز بهذا العمل، وأنعم عليه بظهير شريف وأمر عمال وجدة بتعيين الأماكن المناسبة له ولولده وتنفيذ المؤونة لهم جميعاً (*رسالة عزيزية* إلى القائد حمادة بتاريخ موافق 26 / 8 / 1904 بحوزة الورثة). استفاد ورثة حمادة من ظهائر الاحترام والتوقير حيث ظلوا على رأس قبيلة بني بوزگو إلى ما بعد فترة الاستقلال، لكن الرواية الشفوية لبعض المسنين تتحدث عن أسلوب حكم النگادي بن حمادة بجانب السلطات الفرنسية التي استعملته بدورها في ضبط القبيلة وردع المقاومة حيث دبّرت مؤامرة إلقاء القبض على القايد گرطيط ونفيه إلى الأبد عقابا له على مساعدته سرّياً لحركة التحرير. يعتبر ذلك أول صراع داخلي حيث حاولت السلطات الفرنسية إضافة قيادة أخرى للقبيلة. رغم تآزر سلطة الحماية وأتباعها من أعيان القبيلة لردع المقاومة المسلحة، فإن وعورة المنطقة سمح بتنظيم جيش التحرير، والدليل على ذلك عدد البطاقات الموزعة على المقاومين البوزگاويين.

قبيلة بني بوزگو من أقدم قبائل المنطقة، شأنها في ذلك شأن بني يعلا والزكارة وبني يزناسن، ومع ذلك ظلت محاصرة بالجبال وهوامشها لعدم الاستقرار في السهول التي ظلت أراضي جماعية إلى بداية القرن العشرين حيث استقرت بها، وبشكل نهائي، قبائل قادمة على الخصوص من غرب الجزائر مثل بوعمامة وإخوانه. منذ إعلان الحماية حددت فرنسا مجال كل قبيلة لتجبرها على الاستقرار، إذ ذاك أصبحت قبيلة بني بوزگو محرومة من النزوح نحو السهول من ممر تاوريرت ـ العيون. اقتصر نشاط سكانهاعلى الرعي بالمنطقة الجبلية وهوامشها الهضبية الشمالية، أمّا الزراعة فيمكن اعتبارها بانصيبية لتردد سنوات الجفاف على المنطقة.

يمكن القول حاليا إن السكان وخاصة الشباب منهم، لا يعيرون أي اهتمام للفظ قبيلتهم، حيث اختزل من كل معانيه القديمة وأهدافه.

عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي 1873/1907*، الرباط، 1987.

Ch. de Foucauld, *Reconnaissance*, op. cit. p. 389 ; La Martinière et Lacroix, *Document*, T 1. 1894 ; Lt. Gaquière, *Les Beni Bouzeggou, B. S. G. A. O.*, 1910, p. 491 - 515.

شاكر الميلود

بني بوشيبت، قبيلة تقع بناحية صنهاجة السراير

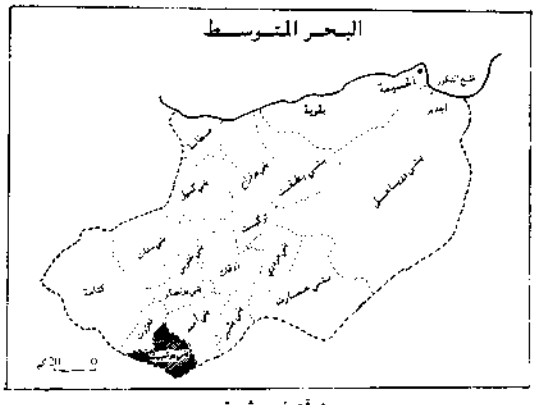

موقع بني بوشيبت

(إقليم الحسيمة) وتحيط بها قبائل تغزُوتْ وبني أحمد وبني سلامة. تقدر مساحتها بـ 88 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 يقدر بـ 3.603 نسمة يتكلمون باللهجة العربية الدارجة بالرغم من وجودها وسط قبائل تتكلم باللهجة الصنهاجية، وبالقبيلة ثمانية مساجد وضريحان وزاوية وتسعة كتاتيب قرآنية.

تنقسم القبيلة إلى فرقتين هما : الفوقى (4 مداشر) والسواحل (5 مداشر).

وفي التقسيم الإداري الحالي تكون مع قبيلة تاغزوت جماعة قروية واحدة.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 11، 107 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 ؛

259 ؛ + ببليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

بني بوعياش، جماعة قروية بإقليم الحسيمة، تنتمي ـ من حيث التقسيم الإداري للمملكة ـ إلى دائرة بني ورياغل الريفية. عدد ساكنتها، حسب الإحصاء العام لسنة 1982، يقدر بـ 31.232 نسمة.

تشير التقارير الإدارية الإسبانية إلى أن ساكنة دائرتها بلغت، حسب إحصاء 1940 الذي وقع إنجازه بالمنطقة الخليفية، 60.132 نسمة، وكانت تتكون من التجمعات السكانية التالية : بني بوعياش وأيت يوسف أُعلي وإمرابطن وبني عبد الله وبني حذيفة.

مديرية الإحصاء، *السكان القانونيون للمغرب* عام 1971 و1982.

عبد العزيز خلوق التمساني

بني بوفراح، قبيلة تقع بناحية الريف (إقليم الحسيمة)

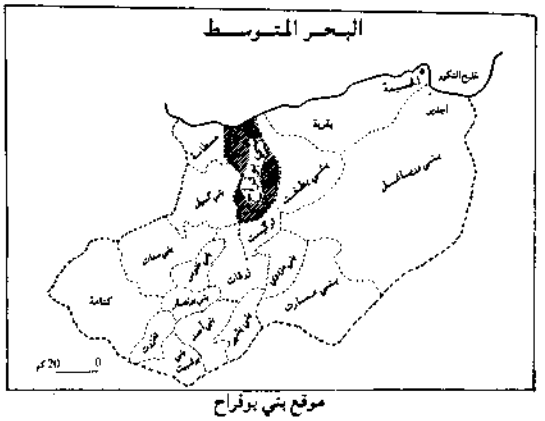

موقع بني بوفراح

وتحد شمالا بالبحر المتوسط وتحيط بها قبائل بني يطفت وتَارگيست وزرقات وبني گميل ومسطاسة. تقدر مساحتها بـ 150 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 يقدر بـ 6.512 نسمة يتكلمون باللهجة العربية الدارجة باستثناء أربعة مداشر يتكلم سكانها اللهجة الريفية. وتوجد بهذه القبيلة قلعة صنهاجة المعروفة عند الإسبان بـ Cuatro Torres de Alcala أي القلعة ذات الأبراج الأربعة، كما تتوفر القبيلة على ستة عشر مسجداً وتسعة أضرحة وأربع زوايا وعشرين كتاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق هي : السواحل وأولاد عيسى وابحيانا واگني. تحتوي كل واحدة منها على خمسة مداشر.

وفي التقسيم الإداري الحالي تكوِّن هذه القبيلة جماعة قروية تحمل اسمها.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 13 ؛ + ببليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

بني بوگافر، قبيلة تقع ناحية گلعية (إقليم الناظور) تحد شمالا بالبحر المتوسط، وتحيط بها قبائل بني شيكل وبني سيدال وبني سعيد. وبهذه القبيلة كانت توجد مدينة غساسة، لذلك سميت القبيلة في الماضي بقبيلة اغصاصة وتقدر مساحتها بـ 70 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 يقدر بـ 9.139 نسمة يتكلمون باللهجة الريفية، ويوجد بالقبيلة اثنا عشر مسجداً وأربعة أضرحة وزاوية وثلاثة عشر كتّاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

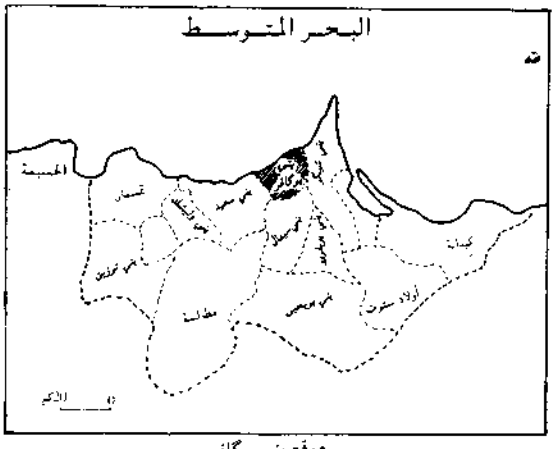

موقع بني بوگافر

تنقسم القبيلة إلى ثلاث فرق هي : امهياتا (5 مداشر) وبوحوى (3 مداشر) واحبصاتا (6 مداشر). وفي النظام الإداري، الحالي تكون هذه القبيلة الجماعة القروية المسماة "اعزانين".

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 13 ؛ + ببليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

بني بولعيش، جبل بأنجزة الحالية، تستقر فيه عدة قرى تنسب إليه. يقع الجبل في الزاوية الجنوبية من تراب أنجرة، ويميز رقعته التفاف مجرى واد مگوكا الأعلى بها، على طريق تطوان عند مخرجه من طنجة، ما بين جبل الخراب وجبل تفغالت.

يتألف الجبل حالياً من ثلاث قرى : بني واسين والبرج ومزيب ابن أبي العيش، أو العيشي. ولا نعرف الشخص الذي نسبت إليه القرية الرئيسية، فبهذا الاسم عرف الجبل بالمصادر البرتغالية (Benaulente) و(Benavolence). والظاهر أن الاسم مستمد من إحدى الأسر الإدريسية المنتشرة بالشمال الغربي المغربي منذ القرن الرابع الهجري. وظهرت تجمعات الجبل خلال القرن التاسع بالقوة التي أوحى للبرتغاليين بنشوء إمارة مستقلة بالجبل. ولم يكن ذلك سوى بعض الامتيازات التي حظي بها الشرفاء الأدارسة من طرف أمراء بني مرين. وسرعان ما كثر عدد سكان الجبل، نتيجة الهجرة التي تلقاها من فحص طنجة القريب منه، فراراً من الغارات البرتغالية. إلا أن جنود القصر الصغير لم يتأخروا عن مداهمة قرى الجبل في العاشر من أبريل 1462. وبذلك هاجر السكان إلى جبل حبيب وجبال أخرى. وفي الربع الأول من القرن العاشر الهجري وجد أحد أفراد أسرة بني العيش بقلعة خروب من جبل حبيب، بصفته مقدم

مجاهدي الجبل.

ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية، ص 39.

Gomes Eanes de Azurara, *Cronica do D. Duarte de Meneses*, p. 243, 237, 265, 312, 213, 314, 316 ; Fernando de Meneses, *Historia de Tanger*, p. 127, 145, 155, 161.

حسن الفگيگي

بني بُونْصار، قبيلة تقع بناحية صنهاجة السراير (إقليم الحسيمة)، وتحيط بها قبائل بني خنوس وزرقات وبني احمد وتغزوت وبني سدات. تقدر مساحتها بـ 49 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 : 1.503 نسمة يتكلمون اللهجة الصنهاجية والعربية الدارجة، وبالقبيلة تسعة مساجد وثلاثة أضرحة وزاوية وتسعة كتاتيب قرآنية. وتحتوي هذه القبيلة على تسعة مداشر.

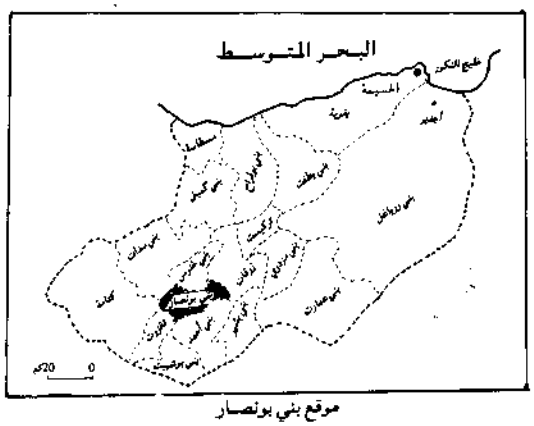

موقع بني بونصار

وفي التقسيم الإداري الحالي تكوِّن هذه القبيلة مع قبيلة بني خنوس جماعة قروية واحدة. ولعل هذه القبيلة هي التي ذكرها الوزان الفاسي (ص 257) باسم بني منصور.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 15، 366 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 ؛ 257.

Aranda, *Geografia de Marruecos en general y de la zona española de protectorado en particular*, s.l s.a ; A. Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos de Marruecos*, Madrid, 1916, passim ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, T.II, passim ; A. Domenech, *Zona Norte*, passim ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos*, Melilla, 1926, passim ; *Vademecum de la Intervencion Territorial del Rif* (1946), p. 89.

بني بويحيي، قبيلة تقع بناحية الگارت (إقليم الناضور(وتحيط بها قبائل : بني سيدال وبني بويفرور وأولاد ستوت ومطالسة. ومراكزها الرئيسية توجد بحاسي بركان وتيزطوطين والروي. وتقدر مساحة القبيلة بـ 1.229 كلم مربع، يتكلمون باللهجة الريفية، ويوجد بالقبيلة خمسة وأربعون مسجداً وسبعة أضرحة وزاويتان وخمسون كتّاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى تسع فرق هي : أولاد عبد الدائم (9 مداشر) وأولاد عبد السميح (مدشران) وأولاد قطومة (4 مداشر) وأولاد علي (مدشران) وأولاد موسى (4 مداشر) واخيانين (5 مداشر) وأولاد عبد الله (4 مداشر) وبني وكيل (9 مداشر) وأولاد رحو (11 مدشراً).

وفي النظام الإداري تنقسم القبيلة إلى جماعتين قرويتين هما : جماعة تيزطوطين وجماعة حامي بركان.

بني بُويفرُور، قبيلة ريفية تقع بناحية گلعية (إقليم الناضور)، وتحيط بها القبائل التالية : بني بويحيى وبني شيكر ومزوجة وأولاد ستوت وبني سيدال ؛ وهي التي سماها الوزان الفاسي (ص 268) ازغنغان، وتقدر مساحتها بـ 250 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 يقدر بـ 24.378 نسمة يتكلمون باللهجة الريفية. وقد تناقص عدد السكان في إحصاء سنة 1982 فأصبح لا يتجاوز 14.105 نسمة.

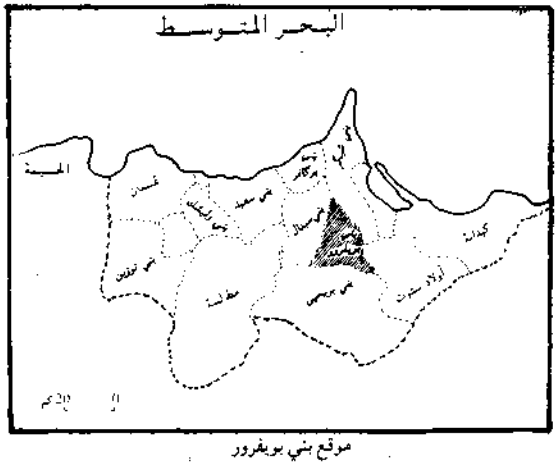

موقع بني بويفرور

وبهذه القبيلة يوجد منجم للحديد والرصاص وقصبة سلوان التي أسسها مولاي إسماعيل، وتحتوي القبيلة على ثلاثين مسجداً وعشرة أضرحة وثلاث زوايا وواحد وثلاثين كتاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى سبع فرق هي : أعلاصا (5 مداشر) وازغنغان (7 مداشر) واگزولة (8 مداشر) وويكسان (6 مداشر) وأولاد شعيب (3 مداشر) وارگانة (4 مداشر).

وفي النظام الإداري الحالي تنقسم القبيلة إلى ثلاث جماعة قروية : جماعة ازغنغان ـ جماعة بني بويفرور ـ جماعة سلوان.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 268 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 15 ؛ مديرية الإحصاء بالرباط، *السكان القانونيون للمغرب*.

محمد ابن عزوز حكيم

بني تاجيت، (أو بْني تْجِّيتْ)، حسب النطق المحلي، اسم يطلق على قصر قديم يقع في قلب الأطلس الكبير الشرقي على الضفة اليسرى لوادي أبت عيسى، وهو عالية وادي بوعنان، وقد تطور استعمال الاسم ليشمل أيضاً مركزاً حديثاً يوجد على مسافة أقل من كيلومترين من القصر بالضفة اليمنى نحو سافلة الوادي نفسه، وقد أنشأته إدارة الاحتلال الفرنسي التي جعلت منه أول الأمر مركز

استغلال معدني تابع لبوذنيب (1912) ثم لمركز تالسينت بعد ذلك. ومع تطوره وتوسعه أصبح مركز جماعة قروية تابعة لدائرة الريش (إقليم قصر السوق = إقليم الرشيدية حالياً). وفي سنة 1974 أنشئ إقليم فگيگ فأصبحت بني تاجيت إحدى دائرتيه، وقد تكونت من جماعات تالسينت وبوعنان وعين الشواطر إضافة إلى جماعة بني تاجين، وكلها فصلت آنذاك عن إقليم الرشيدية.

يرتبط مركز بني تاجيت بالشبكة الطريقية الوطنية عبر طرق ثلاثية معبدة جزئياً، وتفصله عن بوعرفة حيث مقر عمالة إقليم فگيگ مسافة 170 كلم، كما تفصله عن ميسور حيث مقر عمالة إقليم بولمان مسافة 135 كلم، ويبعد عن الرشيدية بمسافة 125 كلم.

تعتبر جماعة بني تاجيت أصغر الجماعات القروية بإقليم فيجيج من حيث مساحتها إذ لا تزيد عن 1601 كلم^2، وتقع في الجزء الغربي من الإقليم محاذية لإقليم الرشيدية وتضم عدداً من القصور والدور المنتشرة على ضفاف وادي أيت عيسى وروافده التي تخترق مجموعة من الأحواض والسهول الرسوبية المتسعة بين التلال والأعراف الكلسية والدولومية الجوراسية الأطلسية التي يتجاوز ارتفاع بعض قممها 2000 م. وتنتشر هذه التجمعات السكنية في واحات صغيرة فوق المصاطب الرباعية عموماً، على ارتفاعات تتراوح بين 980 م في سافلة وادي أيت عيسى (قصر بني باصيا) و1380 م في عاليته (أيت حدو).

تقع جماعة بني تاجيت في وسط يتسم بمناخ قاري وقاحل تتجلى قساوته من خلال الحرارة المرتفعة صيفاً والمنخفضة شتاءً، ومن خلال معدلات التساقطات السنوية التي لا تتعدى 100 ملم في قعور المنخفضات وحوالي 200 ملم في القمم المرتفعة، وتتسم هذه التساقطات بعدم الانتظام، وقد تشمل أحياناً ثلوجاً لا تدوم طويلا، أما التربات فإنها طمبية رملية حصوية، فقيرة عموماً ومالحة أحياناً، ينمو عليها غطاء نباتي هزيل وضعيف الكثافة، يشمل السدرة أساساً وبعض النباتات الشوكية الأخرى التي تتلاءم مع شدة التبخر والنتح، فيما تؤوي قعور بعض الأودية باقات من الدفلى وبعض النباتات الملحية لا سيما قعر وادي أيت عيسى المتميز بدوام جريانه على ضعف صبيبه الذي تغذيه بعض العيون، كما أن بعض القمم وأعالي السفوح لازالت تحمل بقايا غابات خليفة تضم بعض أشجار العرعر المتناثرة.

تمتد جماعة بني تاجيت على نطاق قبيلة أيت عيسى وتشكل جيباً من أحلاف أيت يفلمان متوغلا داخل المحيط العام لمجموعة قبائل أيت سغروشن التي ينحدر منها عدد من سكان الجماعة نفسها ؛ وتتكلم هذه القبائل كلها الأمازيغية بلهجات متقاربة. وقد كانت الجماعة تضم عدداً من السكان اليهود قبل أن يغادروها، وقد استوطنوا بصفة خاصة أيت وازاگ وقصر بني تاجيت قديما، ثم مركز بني تاجيت خلال فترة الحماية مشتغلين بالحرف والتجارة.

تبلغ الكثافة السكانية بالجماعة في معدلها 6.5 نسمة/كلم^2. أما عدد السكان فقد بلغ 7.087 نسمة سنة 1960 ثم 9.363 نسمة سنة 1971، أي بزيادة 32٪ مقابل 10.7٪ فقط بين هذه السنة الأخيرة وسنة 1982 التي بلغ عدد السكان فيها 10.373 نسمة. ويرتبط هذا النمو السكاني البطيئ باحتداد وتيرة الهجرة، وخاصة نحو المدن، علماً بأن الهجرة نحو الخارج ضعيفة، إضافة إلى هجرة داخلية يستقطبها أساساً مركز بني تاجيت الذي ارتفع عدد سكانه من 2.455 نسمة سنة 1971 إلى 3.871 نسمة سنة 1982. وهذا ما يعكس زيادة بنسبة تفوق 57٪. وقد كان هذا المركز منذ نشأته يستقطب السكان النازحين من داخل الجماعة ومن خارجها، ولا سيما من واحات بوذنيب. أما القصور والتجمعات السكنية الأخرى فمنها التي تناقص عدد سكانها بشكل ملحوظ مثل قصر بني تاجيت وقصر بني باصيا وأيت داود أيوب وقصر موغل بصفة خاصة، ومنها التي تزايد عدد سكانها بوضوح مثل السبايك وأيت وازاگ وأيت السبع وأيت فضولي...

يتميز السكن بجماعة بني تاجيت بطابع تقليدي من حيث التصميم المتراص، ويحتوي عادة على طابق من حيث المواد المستعملة في البناء، وهي تشمل الطين والحجارة والأخشاب. غير أن عدداً من المساكن الحديثة ظهرت في العقود الأخيرة داخل القصور وبجوارها، مشيدة من طابقين أحياناً، وقد استعمل في بنائها الحديد والإسمنت والآجر وخاصة في مركز بني تاجيت الذي أصبح فيه البناء خاضعاً للتصميم منذ 1984. وينفرد هذا المركز عن باقي التجمعات

منظر عام لبني تاجيت

السكنية في الجماعة بتنظيم هندسي لأحيائه الممتدة على الضفة اليمنى لوادي أيت عيسى، مقابلة للأراضي الزراعية بالضفة اليسرى. أما الأزقة والشوارع فإنها غير معبدة وضيقة في غالبيتها. وينفرد مركز بني تاجيت أيضاً بعدد من التجهيزات والمرافق الاجتماعية والمصالح الإدارية والاقتصادية والتي منها مطار صغير وقديم وسوق مغطاة وأخرى أسبوعية تنعقد أيام الأحد ومحطة بنزين ومستوصف قروي ومدرسة إعدادية وبعض المؤسسات التربوية والاجتماعية للأطفال والشباب. أما المدارس الابتدائية فتوجد أقسام منها في كثير من التجمعات السكنية بالجماعة. شأنها شأن المساجد. وتوجد بالجماعة بعض الزوايا وبعض الأضرحة لشيوخ من الأدارسة مثل سيدي محمد السبع الموجود ضريحه بايت السبع إقديمن، أو من العلويين المدغريين مثل مولاي علي بن العابد بألمو الشرفا ومولاي عبد الله المدغري بخنيق الزاوية (زاوية قورة)، غير بعيد عن برج لحسن أ يبدير بتاغنامين وهو أحد أبطال المقاومة المسلحة في فترة الحماية، إذ كان له دور في تموين المتطوعين لمعركة بوگافر الشهيرة (1933).

تشكل الفلاحة والتعدين أهم الأنشطة الاقتصادية المحلية لجماعة بني تاجيت، وهي فلاحة معاشية تعتمد على السقي بواسطة مياه العيون والخطارات وسواقي السدود التقليدية الصغيرة، على ضفاف وادي أيت عيسى وروافده وتشمل المحاصيل البقول والمواد العلفية وبعض الحبوب مثل الذرة والقمح والشعير إلى جانب بعض الأشجار المثمرة، وخاصة منها الزيتون والتين، مع العلم أن النخيل على قلة عدده ينتشر أساساً في أقصى الجنوب الشرقي المتاخم للحد الشمالي لنطاق التمر. ويهتم السكان أيضاً بتربية الماشية وخاصة منها الغنم والماعز، إضافة إلى بعض الأبقار لدى المستقرين منهم. أما التعدين فيشغل أعداداً كبيرة من السكان تشغيلا موسمياً في الغالب، ويبلغ هذا التشغيل أوجه خلال فترات الجفاف مما يجعل الإنتاج متذبذباً، ويشمل هذا النشاط أساساً مناجم الرصاص والزنگ حول بني تاجيت، وخاصة بجبل بوظهر، وبالرغم من قدم هذا النشاط فإن طرق الاستغلال تقليدية في إطار تعاونيات تؤطرها وتسوق منتوجها خارج المنطقة بعض المؤسسات مثل مكتب الشراء والتنمية للمنطقة المنجمية لتافيلالت وفيجيج (C.A.D.E.T.A.F.) التي أنشئت سنة 1960. أما النشاط الصناعي فلا يتعدى بعض المطاحن وبعض مشاغل النجارة والحدادة وصناعة بعض مواد البناء ويستحوذ مركز بني تاجيت على أغلبها، وتعتمد هذه المنشآت جزئياً على الطاقة الكهربائية الحرارية المحلية التي لا تتجاوز مدة إنتاجها بضع ساعات يومياً في المساء إلى جانب صناعات تقليدية تلبي حاجيات محلية من أدوات ومنتوجات مختلفة.

بحث ميداني.

عبد الرحمان الحرادجي

بني تاودا، اسم لقبيلة وحصن، القبيلة تعد من بطون فشتالة الكبرى وهي إحدى قبائل اتحادية صنهاجة التي وصلت منطقة الشمال إلى جانب قبيلة لمطة الكبرى في عهد المرابطين. وقد استوطنت هذه الاتحادية ما بين مدينة فاس والسفوح الجنوبية لجبال الريف (*نزهة المشتاق*، 3 : 248. 249).

بنى المرابطون حصن بني تاودا في مكان استراتيجي وموضع يتحكم في الدخول إلى جبال غمارة والخروج منها من هذه الجهة. وكان الهدف من بناء الحصن وتوطين تلك القبائل بالمنطقة محاصرة قبائل غمارة في جبالها ومنعها من النزول إلى السهول، وهذه خطة مرابطية طبقت منذ بداية دولتهم على طول الجبال المغربية حيث بنوا سلسلة من الحصون. ولعل اسم الحصن والقبيلة أخذ من تضاريس الموضع الذي بني عليه فهو شاهق ومخيف. والخوف والرعب في اللهجة البربرية (تاودا) (*التشوف*، 272. 273) وقد يكون الاسم كذلك منبثقاً من شراسة القبيلة في محاربتها لقبائل غمارة أو للسببين معا وهو الأرجح.

كان الموقع معروفاً ومستغلا منذ القديم، فهو يستفيد من مياه وادي ورغة ومن حوضه الخصب في الفلاحة، وذلك ما أكدته الحفريات الأثرية المكتشفة بالصدفة (*Hesp.* 1938, 4ème tr.) ففي العهد الروماني شغلت الموقع مستعمرة رومانية، أو أنه كان تابعاً لها، وأقيمت فيه مشاريع فلاحية اعتمدت على السقي من مياه ورغة ومن الينابيع المجاورة. اندثرت تلك المشاريع مثلها مثل باقي المستعمرات الرومانية في فترة تدهور الأمبراطورية الكبيرة. وفي العهد الإسلامي الأول استرجع الموقع نشاطه (وجدت آثار وبقايا تجهيزات فلاحية إسلامية إلى جانب الآثار الرومانية) الفلاحي والاستراتيجي فقد استعملته قبائل غمارة للإنذار المبكر ومراقبة تحركات خصومها وتحركات التجار على الطريق المتجه من فاس نحو الساحل المتوسطي.

استغل الأدارسة مواقع استراتيجية لنفس الأغراض قريبة من بني تاودا كقلعة حجر النسر مثلا، جاء المرابطون فاستخدموا نفس المواقع فبنوا عدة حصون أشهرها بني تاودا وأمرگو الذي يعرف اليوم بمولاي بوشتا الحمار (*البحث العلمي*، ع. 27 يناير ـ يوليوز 1977).

لعب حصن بني تاودا الدور الذي بني من أجله، فقد كان نشيطاً عسكرياً وإدارياً واقتصادياً في تفاعل مع القبائل المرابطية المجاورة ومستفيداً من الإمكانيات الفلاحية والتجارية، فأصبح مدينة من المدن المرابطية الهامة في المنطقة مما جعل المرابطين يتخذونه مقراً لولايتهم هناك (*الاستبصار*، 190) ويقيمون به داراً للسكة كانت من أهم دورهم (*H.T.* 1970, Vol. 11) نظراً لموقع المدينة ومراقبتها للطرق التجارية الرابطة بين ساحل البحر المتوسط والداخل، خاصة طريق (فاس ـ طنجة) إضافة إلى نشاطها

الاقتصادي (فلاحة وتجارة) أي أن المدينة كانت تتزود بما يلزمها من الذهب والفضة لضرب العملة المرابطية (المرجع نفسه أعلاه). هدمت المدينة في العهد الموحدي، إلا أنها لم تهدم في إطار الصراع الموحدي المرابطي. ذلك أن المنطقة خضعت بسهولة للموحدين، ولم تهدم إلا في فترة لاحقة، أي فترة الثورات العارمة التي قامت ضد الموحدين، وتحديداً بعد ثورة مرزدغ الغماري الذي استفاد من مميزات الحصن وذلك سنة 557 / 62 . 1163، إلا أن الإدريسي (*نزهة المشتاق*، 249) وقد عاش إلى سنة 548 / 53 . 1154. يقول : "... وهي أول مدينة من مدن الغرب التي حل بها الفساد ونزل بها التغيير واستأصلها المصامدة وهدموا أسوارها... ولم يبق من هذه المدينة المنسوبة إلى بني تاودا إلا مكانها، وقد تراجع إلى مكانها نحو من مائة رجل فعمروها..." يعني قول الإدريسي فيما يعني أن المدينة قد هدمت قبل التاريخ المشار إليه، لكنه قال أيضاً إنها بدأت تستعيد نشاطها، مما يعني أن تحطيم المصامدة لمدينة تاودا كان عدة مرات (على الأقل مرتين) كلما ثار بجبال غمارة ثائر ضد الموحدين، وأشهر هؤلاء الثوار مرزدغ الغماري، وسبع بن منغفاد، على أن المدينة والموقع عرفا التجدد بعد ذلك، فالحسن الوزان (*وصف افريقيا*، 1 : 238) تحدث عنها قائلا: "مدينة على نهر ورغة بعيدة عن فاس بحوالي خمسة وأربعين ميلا كان بها قديما نحو ثمانية آلاف كانون.." وإحصاؤه لكوانينها لا يرجع ولا شك إلى العهد الموحدي بل إلى عهد قريب منه.

تحمل قرية بني تاودا اسم فاس البالي (هامش في *وصف افريقيا*، 1 : 238) ويقع فاس البالي ببطن البوار من قبيلة فشتالة بقيادة قلعة سلاس، كان تابعا لإقليم فاس، ولا يعرف أصل هذه التسمية، إلا أنه قد يكون بسبب وجه الشبه مع موقع فاس في القديم (كثرة المياه والخصب) عند اختيار إدريس له.

ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ي. التادلي، *التشوف* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*.

محمد حجاج الطويل

بني توزين، قبيلة تقع بناحية الريف (إقليم الناظور) وتحيط بها قبائل تمسمان وتافرسيت ومطالسة وگزناية وبني وريغل. تقدر مساحتها بـ 610 كلم مربع، سكانها يتكلمون باللهجة الريفية، يوجد سوق القبيلة الرئيسي بعزيب ميضار. وأما القبيلة فإنها تحتوي على ثلاثة وستين مسجداً وثمانية أضرحة وثلاث زوايا واثنين وسبعين كتاباً قرآنياً ومدرستين للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى خمس فرق هي : اغريبين (28 مدشراً) وأيت تاسفت (14 مدشراً) وبني بلعيز (21 مدشراً) وبني عكي (14 مدشراً) وبني تعبان (7 مداشر).

وفي النظام الإداري الحالي تنقسم القبيلة إلى ثلاث جماعات قروية : جماعة ميضار وجماعة ايغرماواس

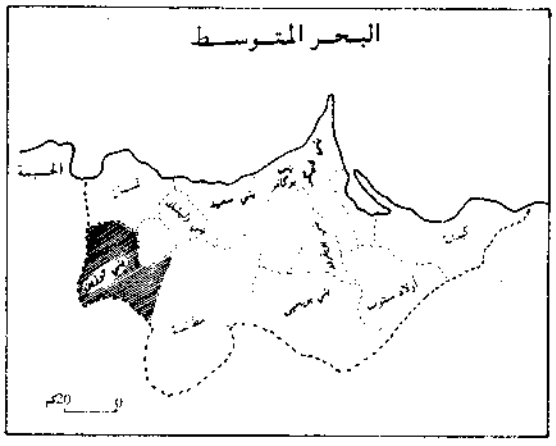

موقع بني توزين

وجماعة ثلاثاء ازلاف.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 114 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 269 ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف*، 1 : 56 ؛ + بيبليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

بني حذيفة، جماعة قروية بإقليم الحسيمة. دائرة بني وريغل. بلغ عدد سكانها 11.611 نسمة حسب إحصاء سنة 1982.

مديرية الإحصاء، *السكان القانونيون للمغرب* عام 1971 وعام 1983، الرباط.

عبد العزيز خلوق التمسماني

بني حرشن، قرية وقلعة. إحدى التجمعات السكنية الكائنة بقبيلة بني مصّور، من قبائل الشمال الغربي المغربي، عرّف بها ابن عسكر الشفشاوني والمصادر البرتغالية، يتفق موقعها مع قرية القلعة الحالية الواقعة في موضع مجاور لممر بني مصور الذي يشكله واد الحريشة. ولما كانت قلعة بني حرشن ملجأ مجاهدي القبيلة وجيرانهم بجبل حبيب، فإن جنود أصيلا البرتغاليين أغاروا عليها سنة 924 / 1518 أولا، ثم عادوا فغزوها ثانية سنة 955 / 1548. نعرف من مقدميها المجاهد تمام الحرشني، والفارس البارز علي الحرشني، وهما معاً من رجال القرن العاشر الهجري.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. محمد حجي، 24 ؛ ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 402، 503، 513.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, 386 - 241 - 2 / 13 ; F. de Meneses, *Historia de Tanger*, 135 - 139 - 140.

حسن الفگيگي

بني حزمر، قبيلة تقع بناحية جبالة (إقليم تطوان). تحد شرقا بالبحر المتوسط وتحيط بها قبائل الحوز وبني يدر وبني عروس وبني ليث وبني حسان وبني سعيد. تقدر

مساحتها بـ 303 كلم مربع، وكان عدد سكانها 10.248 نسمة سنة 1949، يتكلمون باللهجة العربية الدارجة، وهذه القبيلة التي يوجد مركزها الرئيسي بدار بن قريش تتوفر على ثلاثة وستين مسجداً وتسعة وعشرين ضريحاً وخمس زوايا وواحد وأربعين كتّاباً قرآنياً وعشرين مدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى خمس فرق هي : الواد (7 مداشر) والجبل (7 مداشر) وامطيل وبني راطن كل واحدة منهما تحتوي على ثلاثة مداشر، وفرقة بني معدان التي تحتوي على أربعة مداشر.

وفي النظام الإداري الحالي تنقسم القبيلة إلى جماعتين قرويتين هما : جماعة بن قريش الفوقية، وجماعة بن قريش البحرية. بلغ مجموع سكانهما سنة 1971 : 17.392 نسمة، وصار 24.724 نسمة في إحصاء سنة 1982.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 108. 115. 118 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 155. 289، 3 : 13 ؛ أ. الرهوني، *عملة الراوين*، 3 : 221، 4 : 100 ؛ *مديرية الإحصاء بالرباط*، *السكان القانونيون للمغرب* ؛ + بيبليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

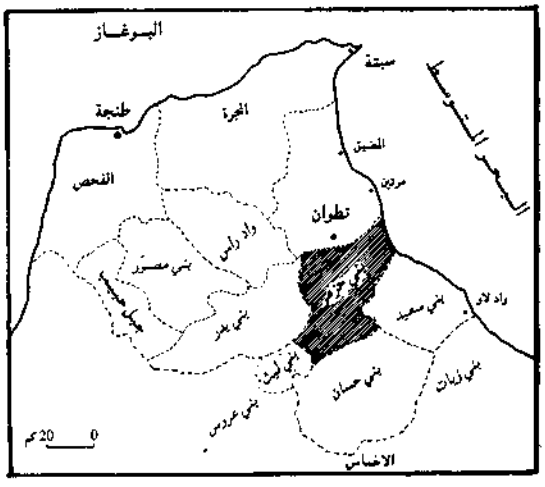

بني حسان، قبيلة بناحية جبالة (إقليم تطوان) وتحيط بها قبائل بني حزمر وبني سعيد وبني زجل والأخماس وبني ليث. تقدر مساحتها بـ 366 كلم مربع، وكان عدد سكانها 13.903 نسمة سنة 1946، يتكلمون اللهجة العربية الدارجة، ويوجد سوقها الرئيسي بسوق الأربعاء، كما تحتوي القبيلة على عشرة ومائة مسجد وأربعة عشر ضريحاً وثلاث زوايا وثلاثة ومائة كتّاب قرآني وثلاث مدارس للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى ثلاث فرق هي : بني علي (9 مداشر) وبني مهرون (7 مداشر) والخُمس (4 مداشر).

وفي النظام الإداري الحالي تنقسم القبيلة إلى ثلاث جماعات قروية هي : جماعة أولاد علي منصور وجماعة الواد، وجماعة إيسوماتن التي أُضيفت إليها قبيلة بني ليت.

والجدير بالذكر أنه يوجد بهذه القبيلة المسجد الذي بناه موسى بن نصير والمعروف بجامع البيضة وبجامع الملائكة.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 108 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 249 ؛ + بيبليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

بني حسن، اتحادية قبائل استقرت، مع مطلع القرن

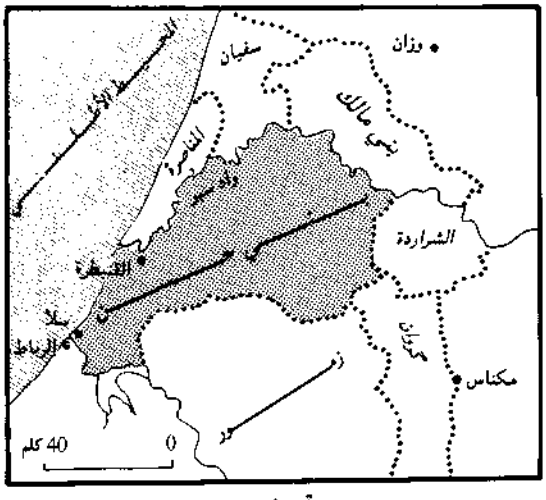

موقع بني حسن

العشرين، بالمنطقة الواقعة بسهل الغرب، بين مشارف غابة المعمورة جنوباً والضفة اليسرى لنهر سبو شمالا ومقدمة جبال الريف شرقا (تلال بلاد الشراردة) والمحيط الأطلنتي غربا، في تلك البقعة من أرض المغرب التي كانت تعرف قديماً "بأزغار" والتي قال عنها مارمول كربخال في كتابه *"افريقيا"* (2 : 188) :".. وهذا أغنى إقليم بافريقيا قمحاً وماشيةً وصوفاً وسمناً وجلداً...".

ومازال يمثل مجال بني حسن هذا أحد أغنى المجالات الفلاحية رغم تغير أنماط العيش والإنتاج به. فبعدما كان حتى بداية الأربعينات من هذا القرن يطغى عليه طابع الزراعة البعلية لإنتاج الحبوب وطابع الرعي التقليدي المعتمد على استغلال الغابة في الشتاء والمرجات في الصيف، تحول مجال بني حسن في الخمسينات وفي الستينات بالخصوص، إلى منطقة تنتشر بها زراعة النباتات السكرية من شمندر وقصب سكري وتتكاثر بها ضيعات الحمضيات.

وأصبح هذا التحول ممكناً بفضل تسرب نمط الإنتاج الرأسمالي الذي ساير غزو الاستعمار للبلاد. ففي نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات عرفت المنطقة استصلاحاً قامت خلاله إدارة الأشغال العمومية بتجفيف المستنقعات (المرجات) التي كانت تغطي بمجال بني حسن زهاء 30.600 هكتار (ج سيليري، *مرجات سهل سبو*، هسبريس م II، سنة 1922). وبشكل مواز شرعت في تجهيز المنطقة الواقعة في سافلة سد القنزرة على نهر بهت مما ساعد على توسيع رقعة المغارس سيما الحمضيات. ثم أقدمت الدولة على تمديد

شبكة السقي باستعمال مياه كل من نهري بهت وسبو. وأدخلت مزروعات جديدة في الستينات من سكريات وقطاني مما أضفى على المنطقة طابعاً متميزاً بالمقارنة مع ما كانت عليه قبل جيل أو جيلين.

وساعد انتشار المغروسات والمزروعات الجديدة هذا على ظهور مراكز صناعية وبزوغ مدن لم يكن لها وجود في بداية القرن كالقنيطرة وسيدي سليمان وسيدي يحيى ودار الگداري، وتعرف تطوراً سريعاً ومطرداً. وهكذا تحقق حلم أحمد سكيرج الذي جاب المنطقة في شهر دجنبر 1911، عشية فرض نظام الحماية على المغرب، حيث قال في مؤلفه *غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود* (نسخة مرقونة بالخزانة العامة : د 3847) :".. وسرنا على بساط أرض بني حسن... إلا أنه لا حرث بتلك الأراضي ولا غرس إلا فيما قل منها. ويا للأسف على ضياع مثل هذه الأرض الناعمة ! ولو وجدت من يقوم بعمارتها حرثاً وغرساً فإنها تكون جنة الدنيا بالنعم التي تخرج منها للفلاحين..."

لكن إذا كان حلم سكيرج قد تحقق على مستوى المشهد الجغرافي وأصبحت "الأراضي مخضرة بالدوالي المنبسطة والأشجار المصطفة..." وتقوى الإثراء الاقتصادي العام، فإن أرض بني حسن لم تصبح جنة بالنسبة للجميع. ذلك أن الثراء الملحوظ لم يعم السكان، إذ أدى النمو الديمغرافي وتمركز ملكية الأرض بيد أقلية إلى تفاقم الفقر بالمنطقة وتكاثر عدد الشباب العاطلين كما يؤكد ذلك ج. لوكوز في أطروحته (*المغرب : فلاحون ومعمرون*، 1964، ص. 523) حيث يشير إلى أن 5٪ من مجموع السكان كانوا يحتكرون في بداية الستينات 32٪ من الأراضي الصالحة للفلاحة. وزكى تلك الملاحظة نجيب بودربالة في مقال نشره في بداية السبعينات (ن. بودربالة، *بعض المعطيات الابتدائية عن تطور البنى الفلاحية بسهل الغرب* م. ج. م. رقم 20 سنة 1970).

ومرت اتحادية بني حسن عبر تاريخها من مراحل رئيسية ثلاث حيث بدأت حياتها في نوع من الكتمان قبل القرن السادس عشر، ثم شرعت في تنقلاتها من مكان إلى آخر وحجمها يتغير أحياناً تنضاف إليها فصائل وفروع جديدة وأحياناً أخرى تفقد أجزاء منها كما سنتعرف على ذلك من خلال مسايرتنا لبني حسن من منطلقهم إلى مكان استقرارهم الحالي، أي ما كان يسمى بأزغار وما نسميه حاليا بالجزء الجنوبي من سهل الغرب.

كان البدء متواضعاً فعلا وكان بمنطقة المغرب الشرقي وبصفة أدق بناحية تالسينت بالأطلس الكبير الشرقي. وغالب الظن أن النواة الأصلية كانت تنتمي لقبائل معقل العربية من دوي عبد الله أو دوي منصور، وكلهم متفرعون من أولاد بني حسن المنتمين إلى عمارة أولاد حسان. ثم انتقلت القبيلة إلى أعالي وادي ملوية مع مطلع القرن السادس عشر وجعلت من وزغت المشرفة على حوض ميسور مركزها الرئيسي. ولازال سكان المنطقة يعتبرون لحد الساعة، سيما منهم أولاد عباد وأولاد سفير، أن لهم قرابة ببني حسن. ومما دفع بنا إلى تزكية هذا الادعاء التشابه الملحوظ بين لقبي أولاد عباد القاطنين بأعالي ملوية والعبابدة الحسنويين، وكذلك بين اسم أولاد سفير المتداول حالياً بمنطقة ميسور واسم أهم بطن لبني حسن خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

وإذا ما رجعنا إلى الوثائق التاريخية، نجد في مؤلف الحسن الوزان *وصف افريقيا* ما مفاده أن بني حسن هم عرب كانوا ينتجعون بقطعانهم بين أعالي وادي نهر ملوية شتاء والسفوح الشرقية لجبال الأطلس المتوسط صيفاً إلى حدود فج أبخنانس الذي كان يسمى في القرن السادس عشر بخنق الغربان وهو أحد الممرات الملحوظة على الطريق الرابطة بين تافيلالت وفاس. ونجد نفس التصريح عند مارمول (الجزء الثاني ص 279).

اغتنم بنو حسن فترة الاضطرابات التي ميزت ظهور الدولة السعدية للتقدم نحو الشمال الغربي فعبروا جبال الأطلس المتوسط وجعلوا من سفوحها الغربية، بناحية گيگو، مراعي لقطعانهم في الصيف ومن نواحي صفرو والعنصر مراعي في فصل الشتاء.

ولا شك في أن زحف بني حسن هذا لا يعزى إلى فترة الفوضى التي سادت مع نهاية حكم بني وطاس فقط، بل مرده كذلك إلى عوامل كثيرة منها صعوبة العيش بمنطقة السفوح الشرقية للأطلس المتوسط مقارنة بما تقدمه السفوح الغربية من خيرات. ومن الأسباب أيضاً مخلفات وباء "الطاعون الأسود" الذي أفرغ في نهاية القرن الرابع عشر مناطق كانت آهلة بالسكان كمنطقة صفرو. كما يمكننا أن نضيف أيضا الضغوط التي أصبحت تمارسها اتحادية أيت عطا التي تكونت في منتصف القرن السادس عشر للقضاء على هيمنة القبائل العربية بالمغرب الشرقي.

وكدليل على وجود بني حسن على مشارف مدينة فاس، بمنطقة صفرو، في القرن السادس عشر، يمكن بالإضافة إلى ما جاء به ج. س. كولان في مجلة هيسبيريس (م 25، سنة 1938) في مقالة "الأصل العربي للحركة السكانية البربرية الكبرى"، الاستدلال بظهير لأحمد المنصور الذهبي يولي ابن سودة "قضاء بني حسن وبني علي وبلدة تازا" (*نشر المثاني*، الجزء الأول، ص. 54) كما يمكن الاستدلال بمكان لازال، لحد اليوم، يسمى ببلاد بني حسن بالقرب من ضاية عوا بالأطلس المتوسط.

وكتأكيد على هذا الوجود بمقربة من فاس هناك مساهمة بني حسن في الفتن التي تلت وفاة المنصور الذهبي، سنة 1603، حيث ورد في تاريخ الدولة السعدية لمؤلف مجهول (نشره ج. س كولان) ما مفاده أن بني حسن، بقيادة رئيسهم الشيخ سرحان، أحاطوا بشراقة المحاصرين لمدينة فاس لصالح عبد الله بن الشيخ السعدي (1613. 1624) واستطاعوا بذلك فك حصار المدينة.

وباستثناء هذا الحدث لم نجد أثراً لعمل برز من خلاله

بنو حسن في الفترة الفاصلة بين انهيار الدولة السعدية وظهور الدولة العلوية.

وفي بداية عصر المولى إسماعيل (1672 ـ 1727) قام عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي (حوالي سنة 1680) بتضمين مؤلفه *الأقنوم* (ص 518) قائمة بالقبائل المكونة لبني حسن القاطنة بضواحي فاس. ويقسم تلك القبائل إلى أربعة بطون رئيسية هي : الجماعات وبنو محمد والعلاونة وغمرة. ويضيف بعد الإشارة إلى غمرة :"ولكن دخلوا في بربر لوقتنا ونقلوا". فهل يشمل هذا التعليق مجموعة قبائل بني حسن أم يقتصر على بطن غمرة ؟ إننا لا نجد مبرراً يمكننا من الفصل في هذه المسألة.

ويتقدم عبد الرحمان الفاسي، بعد ذلك، بسرد لجميع الفرق والفروع التي كان يتكون منها قبيل بني حسن.

والملاحظة الأساسية التي نستخلصها مما جاء في *الأقنوم* هي أن بعض بطون بني حسن كما نعرفها اليوم أو كما وردت علينا في تقاييد المؤرخين بعد القرن السابع عشر لم توجد ضمن المجموعة التي أتانا بها عبد الرحمان الفاسي. هكذا فبنو سگير الذين سيبرزون داخل القبيل الحسناوي، في نهاية القرن الثامن عشر وفي بداية القرن التاسع عشر، كانوا مستقرين، حسب *الاقنوم*، بعيداً عن بني حسن، مثلهم في ذلك مثل مختار الذين يكوّنون حاليا مع أولاد يحيى أحد البطنين الرئيسيين لمجموعة بني حسن.

فحسب *الأقنوم*، كان مختار القاطنون حينئذ بحوز مكناس يحاذون قبائل السهول وحصين ويعتبرون من الفصائل القريبة عرقياً من سفيان وبني مالك جاء في *مناهل الصفا* للفشتالي (ص. 108) أن مختار من بين القبائل التي كانت، خلال قرون ثلاثة، من شيعة بني مرين مع الخلط وسفيان وكلهم من جشم، أي من أحد بطون بني هلال وليسوا من معقل.

ويمكن دعم هذا التصريح بالرجوع إلى ترجمة الشيخ الكامل سيدي محمد ابن عيسى كما جاء بها ابن زيدان في *الإتحاف* (4 : 12) حيث قال : "هو محمد ابن عيسى الفهدي السفياني الأصل المختاري النشأة المكناسي الدار والإقبار".

أما بنو سگير فكانوا مجاورين حسب *الأقنوم* دائما للقوادة الذين كانوا يفصلونهم عن مدينة سلا.

وتجدر الإشارة هنا إلى رسالة للأمير العياشي، أتى بها الأستاذ عبد اللطيف الشاذلي في كتابه *الحركة العياشية* ص 166، يشار فيها إلى بني مالك وسفيان والخلط وحصين وكذلك لأولاد سگير ومختار والصباح. ولا يلقب لا أولاد سگير ولا مختار ببني حسن.

ومع بداية القرن الثامن عشر، يبدو أن بني حسن خضعوا إلى ضغط أيت يوسي وجيرانهم من البربر الذين أرغموهم على الرحيل من منطقة گبگو وصفرو والاقتراب من مدينة مكناس، ثم اكتساح المنطقة الواقعة بين نهري بهت وأبي رقراق، في حين أن مختار كانوا مستقرين بمنطقة عين العرمة غرب مكناس (*الضعيف*، ص. 124 وص. 318).

وبعدما فقد القبيل الحسناوي، في معركته مع أيت يوسي وأيت مڤيلد، بعض عناصره كالفرقة الملقبة بأيت غياث والتي تنتظم حالياً تحتَ لواء بني مگيلد والتي مازال أفرادها يصرحون أنهم من شظايا أولاد غياث من بني حسن، انضاف إليه بأحواز مكناس مختار وبنو سڤير المكونون من أولاد يحيى والصفافعة وأولاد بن حسين وأولاد نعيم والتوازيط.

فما هو السر في هذا الانضمام وهذا الالتفاف ؟

هل يرجع، بالنسبة لمختار، إلى شعور بنوع من العزلة بعدما غادر سفيان وبنو مالك أحواز فاس ومكناس ليستقروا، مرة أخرى، وبشكل نهائي، بالغرب، سيما والقبائل البربرية أخذت في زحفها نحو الغرب والشمال الغربي بشكل مكثف بعد وفاة المولى إسماعيل ؟ أم يعزى سبب ذلك الالتحاق ببني حسن إلى عامل آخر نجهله ؟ أما فيما يخص بني سگير فلا يسعنا إلا أن نتساءل، وكل ما يمكننا أن نثير الانتباه إليه، في إطار هذا التساؤل، هو أن هناك، في المنطقة الأصل لبني حسن، مجموعة تدعى أولاد سگير سبق أن أشرنا إليها.

هل انفصل بنو سگير عن باقي بني حسن في مرحلة من مراحل تجوال القبيل بين أعالي ملوية وأحواز مكناس لسبب نجهله ثم استعاد مكانته بعد ذلك عندما صعب الأمر على جميع القبائل ذات الأصل العربي في القرن الثامن عشر فاجتمع شمل القبيل مرة أخرى ؟ إن هذا الافتراض وارد، لكننا لا نستطيع إثباته.

وفي العقد الثالث من القرن الثامن عشر، أي إبان الفتنة التي أودت بمعظم منجزات المولى إسماعيل والتي دامت زهاء ثلاثين عاما تميز نشاط قبائل بني حسن لدرجة أنها أصبحت، في حجمها الجديد، مع مختار وبني سگير، من القبائل الفاعلة في جميع الأحداث السياسية التي طبعت تلك الحقبة، فكان مجالها يمتد من أحواز مكناس إلى ضواحي سلا إلى أزغار أي إلى مشارف سهل الغرب مع تمركز بين نهري بهت وأبي رقراق وأصبحت حلتهم العسكرية تجوب شمال البلاد من منطقة العرائش إلى ناحية تالمفت أي إلى ما يسمى حاليا ببلاد زعير.

وفي نزاع أبناء المولى إسماعيل على الملك، اختار بنو حسن أن يكونوا من شيعة المستضيء ضد أخيه عبد الله، فحاصروا مكناس سنة 1151 / 1738 وأخذوا يقطعون الطرق حتى أوقع بهم الباشا الحوات، قائد عبيد الرملة، الهزيمة وأرغمهم على الاستسلام مؤقتاً (*الضعيف*، ص. 126). ثم عادوا إلى غيهم فنهبوا قيصارية مكناس بقيادة كبيرهم قاسم أبي عريف سنة 1156 / 1743 (*الاستقصا*، 7 : 151 ؛ *الروضة السليمانية*، ص. 93).

وفي نفس السنة، انهزمت فلولهم المساندة للمولى المستضيء والتي كان ضمنها عشرة آلاف من الخيل في معركة دار العباس على ضفاف نهر اللكوس (*الاستقصا*، الجزء 7، ص. 167 ؛ *الروضة*، ص. 93) حيث فقدوا خمسة

آلاف من الخيل وكميات كبيرة من السلاح ومات لهم أزيد من ألف محارب.

ثم في العام الموالي أي سنة 1157 / 1744، بعدما قام بنو حسن بمحاصرة الرباط (*نشر المثاني*، 4 : 49 ؛ *الضعيف*، ص. 149) نهض إليهم المولى عبد الله بجيوشه وكبدهم هزيمة شنعاء ببسيط زبيدة بتالمغت بالقرب من مركز الرماني الحالي (*الاستقصا*، 7 : 167 . 168 ؛ *الإتحاف*، 4 : 343 ؛ *الضعيف*، 249).

ويبدو أن سبب نصرة بني حسن للمستضيء وتعرضهم للمولى عبد الله يعزى إلى الدعم والمساندة اللذين ما فتئ يقدمهما المولى عبد الله إلى بربر گروان حيث لم يعارض تقدمهم نحو سهل مكناس الذي كان يمثل مجالا من مجالات بني حسن. كما نجد سبب نصرتهم للمستضيء في العداوة التي كانت بينهم وبين العبيد منذ بداية فترة الفتنة. أضف إلى ذلك أن بني حسن عندما أرغمهم گروان على التخلي عن سهل مكناس، اتجهوا نحو الغرب وجعلوا من أودية الجداول التي تخترق غابة المعمورة جزءا من مجالهم الجديد. فلهذا السبب ضيقوا على العبيد القاطنين بها ولا سيما بمركزهم مشرع الرملة إلى أن أرغموهم على مغادرته سنة 1159 / 1746 قبل أن يقوموا بنهب ما تركه عبيد البخاري من دور وأثاث (*الضعيف*، ص. 152 ؛ *الاستقصا*، 7 : 192).

ويذكر الزياني في *الروضة السليمانية* أن المولى عبد الله أقدم في نفس السنة على قتل رؤساء بني حسن (*الروضة*، ص. 93).

مهما كان من أمر فإن بني حسن دخلوا بعد سلسلة الانهزامات التي تكبدوها طيلة ثماني سنوات متتالية، فترة استقرار امتدت من نهاية ولاية المولى عبد الله إلى نهاية عهد ابنه سيدي محمد، أي لمدة أربعين سنة تقريبا، في حين أن مجالهم أصبح ينحصر بين غابة المعمورة ونهر بهت شمالا ونهر أبي رقراق جنوبا.

وكتأكيد على إخضاع بني حسن للحكم المركزي ودخولهم في طاعته، أقدم سيدي محمد بن عبد الله على عزل قائدهم أبي عريف وجعل مكانه محمد القسطالي الذي كان خديم والده، وأصبح بعد ذلك من أصهار الملك (الزياني، *الروضة*).

لكن الاستقرار كان ظاهرياً فقط، حيث امتازت السنوات الأخيرة من عهد سيدي محمد بن عبد الله بتأزم المجتمع المغربي نتيجة تفاقم ظاهرة الجفاف (1161 . 1190 / 82 . 1776) مما أدى إلى اندفاع جديد للقبائل البربرية نحو السهول. فأخذت زمور تزاحم بني حسن وتناوشهم وتدفع بهم إلى أمام نحو سهل الغرب. وكان ذلك من الأسباب التي جعلت سيدي محمد بن عبد الله يناصر أصهاره من بني حسن وينظم حركة ضد زمور انتهت بهزيمتهم في معركة تافدايت سنة 1198 / 83 . 1784 (*الروضة*، ص. 120)، قبل أن يوطن گروان بجوارهم بعدما ردهم من الغرب وذلك ليقوموا بمراقبة زمور.

وبعد الاضطرابات التي زامنت وفاة سيدي محمد، رجعت قبيلة بني حسن عن غيها واستمر الأمر على هذا المنوال طوال عهود كل من المولى اليزيد (1204 . 1206 / 1790 . 1792) والمولى سليمان (1206 . 1237 / 1792 . 1822) مع تغيرات طفيفة طرأت على مستوى قيادة القبيلة حيث بدأ نجم سفير يلمع بعدما أخذ نجم القساطلة يختفي تدريجياً.

أما على مستوى كيان القبيلة فالملاحظ هو أن بني حسن أخذوا يتوغلون أكثر داخل سهل الغرب بحثاً عن أراض جديدة تعوض ما يضيعون فيه بسبب ضغط زمور المستمر عليهم. في هذا الإطار يجب إدراج هجومهم على عرب الصباح سنة 1205 / 1790 وهم الذين سبق أن التجأوا إلى دخلة وادي سبو (*الضعيف*، ص. 222) ذلك الهجوم الذي أدى إلى تشتيت رحى الصباح حيث انضاف جزء منهم إلى زعير وجزء آخر إلى زمور.

لكن لم يحفظ هذا العمل الشنيع بني حسن من شر زمور، فاستمر الضغط، لأن زمور، هم بدورهم، كانوا خاضعين لضغوط مَن خلفهم. فأدى كل ذلك إلى إقصاء بني حسن من الأراضي التي استقروا بها في القرن الثامن عشر وإلى تقدمهم نحو الغرب رغم ما حاول المولى سليمان القيام به سنة 1232 / 1817، إذ أمر زمور بالخروج من بلاد حسن الذين سبق أن أدرج الجيد من خيلهم سنة 1226 / 1811 في صفوف جنده (*الضعيف*، ص. 369). ولهذه الغاية، كلف الباشا سليمان بن القرشي السگيري بالنزول على دار الغازي بوسط بلد زمور بالحلة والمحلة (*الضعيف*، ص. 379).

لكن لم يجد ذلك فتيلا. فاستمر الأمر على ما كان وزحف زمور يتقدمون أحياناً ببطء وأحيانا بشكل عنيف إلى نهاية القرن التاسع عشر حيث تمكنت قبائل زمور من معظم اراضي بني حسن. واستقر بنو حسن في الضفة اليسرى لنهر سبو على حساب سفيان وبني مالك الذين أرغموا على عبور النهر والاكتفاء بضفته اليمنى (لوكوز، ص. 244).

وخلال عهود كل من مولاي عبد الرحمان وسيدي محمد ومولاي الحسن ومولاي عبد العزيز، لم يظهر ذكر بني حسن إلا في بعض الأحداث كمشاركتهم في القضاء على انتفاضة الوداية بفاس الجديد سنة 1247 / 31 . 1832 (*الاستقصا*، 9 : 37) ومساهمتهم ضمن جيوش المولى عبد الرحمان في التنكيل بالزاوية الشرادية بضواحي مراكش، نادى بالثورة من صفوف قبيلة سفيان المجاورة لهم سنة 1267 / 1850 رغم أن البعض منهم كالصفافعة والتوازيط وكلهم من أولاد سگير سبق لهم أن تمردوا عند الاعلان عن بيعة المولى عبد الرحمان سنة 1238 / 1822.

أما في عهد سيدي محمد فلم يسجل عليهم سوى بعض الاضطرابات التي كان يتسبب فيها أولاد سگير وخصوصاً منهم أولاد يحيى والصفافعة، وهي اضطرابات

أدت بمولاي الحسن، الذي بويع في نفس الإبان، إلى النهوض إليهم والإيقاع بهم في وقعة شنيعة (*الاتحاف*، 2 : 151).

ومع نهاية العهد الحسني وبداية العهد العزيزي (1309 - 1313 / 1892 - 1896) استأنف زمور نزوحهم نحو الشمال وأخذوا ينافسون بني حسن في استغلال غابة المعمورة، لدرجة أن بني حسن كادوا أن يفقدوا سيطرتهم على مجموع مجال الغابة، لولا تجميد الوضع نتيجة دخول عهد الحماية، علماً بأن بني حسن لم يتأثروا بثورة الجيلالي الروكي. هكذا استقر بنو حسن في النهاية في البقعة التي أصبحت تلقب بلقبهم في يومنا بعدما دام مسيرهم زهاء أربعة قرون اتخذ في بعض الأحيان شكل الملحمة وأحياناً أخرى مظهر التزحزح البطيء عبر المجال، فانضاف لهم في عهد العزة بعض البطون التي لم تكن منهم في الأصل، كما فقدوا بعض فرقهم في فترات الضعف والتقهقر. وآخر من انضاف إليهم، كمجموعة قائمة بذاتها جماعة من المهاجرين الجزائريين الرافضين لاحتلال بلدهم في منتصف القرن التاسع عشر وهم الملاينة الآتون من مليانة غرب الجزائر.

وفي الخلاصة، نلاحظ من بين ما نلاحظه، أنه مع تعاقب الأجيال تفقد الذاكرة الجماعية بعض الألقاب وبعض الأسماء لمدة طويلة، فلا أحد اليوم يعترف بأن مختار دخلاء على القبيلة الأصلية، ولا أحد يتذكر بني سكير وإن حكموا القبيلة لمدة من الزمن، فهذه الظاهرة مضافة إلى ظواهر أخرى، تجعلنا نشك في المفهوم الذي يعطى عادة إلى القبيل والذي يقول إنه مجموعة تستوحى تجانسها في أصل واحد. ومن دون شك فإن تاريخ قبيل بني حسن في خطوطه العريضة تاريخ معظم المجموعات القبلية المغربية التي شاركت في هذا الزحف الهائل للقبائل التي أتت من فيافي المغرب الشرقي إلى هضاب المغرب الغربي وسهوله كزمور وزعير مثلا، ذلك الزحف الذي بدأ في القرن السادس عشر وتقوى في القرن الثامن عشر إلى أن انتهى قهراً مع الاحتلال الاستعماري.

ع. ابن خلدون، *التاريخ* ؛ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية* ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ ع. الفاسي، *الأقنوم* (باب الأنساب) ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ أ. الزياني، *الروضة السليمانية* ؛ الضعيف، *تاريخ* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ أ. سكيرج، *غاية المقصود* (نسخة مرقونة في خ. ع) ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف؛ الدرر الفاخرة*.

G. S. Colin, *Origine arabe* ; J. Le Coz, *Le Rharb* ; J. Célérier, *Marécage de la vallée de Sebou, Hesp.* 2, 1922 ; *Villes et Tribus du Maroc*, T. 3 ; *Répertoire alphabétique de confédérations*... ; Piersuis, *Etudes sur les communautés rurales des Beni Ahsen*, Rabat, 1947 ; *Formation du patrimoine foncier de la tribu des Mokhtar*.

إسماعيل العلوي

بني حْماید ← بني احماید

بني خالد، قبيلة تقع بجبال غمارة (إقليم شفشاون) وتحيط بها قبائل بني سميح وبني رزين وبني زروال وبني احمد والأخماس وبني سلمان وبني منصور. تقدر مساحتها بـ 515 كلم مربع، وكان عدد سكانها 13.495 نسمة سنة 1941 يتكلمون باللهجة العربية الدارجة، ويوجد بالقبيلة سوق اثنين باب برد وسوق سبت تاموروت، كما تتوفر على خمسة وثلاثين مسجداً وتسعة أضرحة وأربع زوايا وخمسة وثمانين كتاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

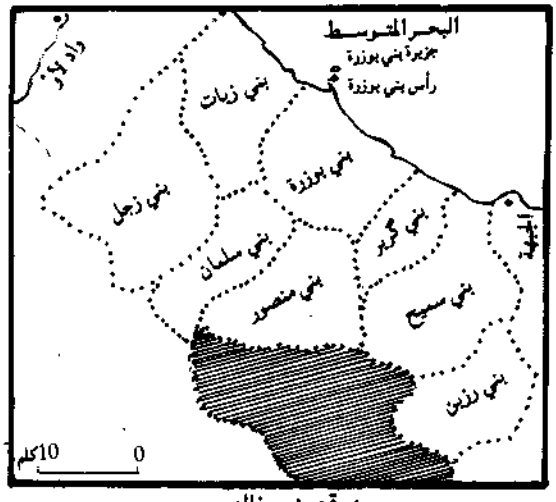

موقع بني خالد

تنقسم القبيلة إلى ست فرق هي : بني اخيار (9 مداشر) وبني انبات (14 مدشراً) وبني عبد العزيز (15 مدشراً) وبني عاصم (18 مدشراً) وبني عمران (10 مداشر) وازراولا (9 مداشر).

وفي النظام الإداري الحالي تنقسم القبيلة إلى جماعتين قرويتين هما : جماعة باب برد وجماعة تاموروت.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 257 ؛ ع.، بنعبد الله، *الموسوعة*، 108، 325 ؛ + ببليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

تعدُّ قبيلة بني خالد من فروع بني نال ـ بالنون ـ أحد بطون غمارة. يقال إن نال ويال أخوان من أبناء غمار بن مصمود، الجد الأعلى لغمارة، ولعل هذا حسب موقعهم الجغرافي قديماً، وإلا فالنياليون المستوطنون بجبال غمارة شرفاء حسنيون، يتصل نسبهم بالمولى إدريس ـ حسب ما بأيديهم من وثائق وظهائر سلطانية ـ. وتبعد قبيلة بني خالد عن شفشاون بنحو 45 كلم، وهي وعرة المسالك، شديدة البرودة في الشتاء، حصينة بطبيعتها، منيعة بجبالها. ومن أشهرها جبل تيزيران، ويدعى بجبل الكواكب، لأن قممه تناطح النجوم، ويرتفع عن سطح البحر بـ 2000 متر، وكانت هذه الجبال ـ قديما ـ ملجأ الثوار، ومأوى السباع والنمور.

ومن الأسر العلمية بها : أولاد النالي الذين ورثوا العلم أباً عن جد منذ القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، استقر بعضهم بفاس، ورحل جماعة منهم إلى الجزائر واستوطنوا تلمسان، وتولوا مناصب عليا هناك، واشتهر جماعة منهم في موطنهم بني خالد ؛ وأولاد أكشاو،

منهم : الفقيه البشري (تقدمت ترجمته)، والقاضي الحاج عبد الله بن لحسن أكشاو، وأخوه محمد الوافي، عاشا في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ؛ وأولادالبكاري ؛ وأولاد ابن جامع السني دفين الزاوية السفلى بكشامة، لم ينقطع العلم فيهم، منهم الفقيه القاضي محمد الراضي، وأخوه العالم عبد السلام ؛ وأولاد أخرشيش، منهم : الفقيه احميدو اشنيول، وأخوه المفضل. والخالديون المنسوبون إلى القبيلة جماعة تأتي تراجمهم في حرف الخاء.

ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا* ؛ ع. الزياتي، *الجواهر المختارة، في نوازل عمارة، مخطوط* ؛ م. الكتاني، *سلوة* ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية* ؛ *وثائق خاصة* ؛ *وروايات شفوية*.

سعيد أعراب

بني خزرون، أو بني وانودين، فرع من قبيلة مغراوة التي كانت لها الكثرة والرياسة ـ إلى جانب بني يفرن وجراوة ـ في قبائل زناتة (*العبر*، 7 : 11). وكانت مواطن مغراوة كما هو الحال بالنسبة لأغلب بطون عصبيتهم بالمغرب الأوسط الذي كان يعرف بوطن زناتة (*العبر*، 7 : 3). ثم انتقلت هذه العناصر من مواطنها الأولى في اتجاه الغرب بفعل ضغط الجيوش الصنهاجية المناصرة لدعوة العبيديين.

فكر الخليفة المنصور الفاطمي في إبعاد مغراوة وغيرها من بطون زناتة عن المغرب الأوسط لما تيقن من مناصرتها لأعدائه والثائرين عليه، خصوصاً وأن أبا يزيد مخلد بن كيداد وجد مساندة كبيرة من طرف هذه القبائل. وهذا ما دفع بالخليفة الفاطمي إلى العمل على إبعاد هذه المجموعات القبلية المعادية للشيعة لتسهل عملية القضاء على مخلد بن كيداد (صاحب الحمار) زعيم الخوارج من جهة وليجعل من المغرب الأوسط مجالا جديداً لاستقرار حلفائه الصنهاجيين من جهة ثانية، لأن الدفع بزناتة في اتجاه الغرب كان يعني بالنسبة للفاطميين التخلص من عناصر خطيرة طالما اعترضت مجهوداتهم في السيطرة على بلاد المغرب ومنعتهم من الوصول إلى المغرب الأقصى بتصديها المتوالي لحملات مصالة بن حبوس (*Histoire du Maroc*, 73 et 172).

أوكل الخليفة المنصور الفاطمي أمر إبعاد الزناتيين عن المغرب الأوسط إلى بلكين بن زيري الصنهاجي. فقام هذا الأخير بشن حملة عليهم سنة 361 / 972 وتمكن من القضاء على عناصر كثيرة منهم، كما تمكن من قتل بعض زعمائهم كالخير بن محمد زعيم مغراوة. فارتحلت زناتة على إثر هذه الهزيمة إلى ما وراء ملوية بالمغرب الأقصى وصار المغرب الأوسط كله لصنهاجة (*العبر*، 7 : 39).

تابع بلكين بن زيري مطاردته للزناتيين بعدما عينه الفاطميون أميراً على أفريقية، وزحف زحفه المشهور نحو المغرب الأقصى سنة 369 / 980 فأجفلت أمامه جموع زناتة. واستصرخ أمراؤها المنصور بن أبي عامر ليعينهم على مواجهة جيوش بلكين، فعين لهم جعفر بن علي الذي اجتمع إليه أمراء مغراوة، وهم وقتئذ محمد بن الخير ومقاتل وزيري بن عطية وخزرون بن فلفول (*العبر*، 7 : 39 ـ 40)، فزاد ارتباط مغراوة بدار الخلافة في قرطبة على رابطة الولاء بفعل هذا الحدث.

لقد تمكنت القبائل الزناتية من إقامة إمارات لها بالمغرب الأقصى بعد تحالفها مع الأمويين بالأندلس، ومن هذه الإمارات نذكر إمارة زيري بن عطية بفاس وإمارة خزرون بن فلفول بسجلماسة وإمارة لقوط الزناتي بأغمات. ويهمنا هنا إمارة بني خزرون التي نسب ابن خلدون أمراءها إلى الطبقة الأولى من مغراوة. وقد عرفت هذه الإمارة التي قامت على أنقاض إمارة الخوارج المدرارية الصفرية بسجلماسة باسم مؤسسها خزرون بن فلفول وهو من أعيان قومه وأمراء مغراوة وقادتها في القرن الرابع الهجري (10 م) (*العبر*، 7 : 50).

كان ـ الجد ـ خزرون بن فلفول كسائر أمراء زناتة بالمغرب الأقصى على صلة بالخلفاء الأمويين بالأندلس. فأقام الدعوة بسجلماسة للمؤيد بالله هشام بن الحكم، وهي أول دعوة قامت للمروانية بالمغرب على حد قول صاحب *مفاخر البربر* (ص.67). وإذا كان لزحف جيوش الزيريين الصنهاجية المتحالفة مع الفاطميين على المغرب الأقصى الدور الكبير في ولاء العناصر الزناتية للأمويين بالأندلس، فإن هذا الصراع الفاطمي ـ الأموي حول مناطق النفوذ ببلاد المغرب، وهو صراع كانت تحكمه عوامل سياسية متمثلة في الصراع حول الخلافة وعوامل اقتصادية متمثلة في السيطرة على طرق التجارة الصحراوية، جعل كلا من القوتين المتنازعتين تولي اهتماما بالغاً لما يجري في الجزء الغربي من بلاد المغرب. فاعتمد الفاطميون اعتماداً كلياً على حلفائهم الزيريين في حين اعتمد الأمويون على حلفائهم الزناتيين.

وقد كان المنصور بن أبي عامر القائم بأمر الدولة هشام المؤيد يقتصر في تسيير شؤون المغرب الأقصى على التحكم في مدينة سبتة ـ بوابة المغرب على الأندلس ـ فاهتم بأمرها اهتماماً خاصاً وعين على إدارتها من يثق بقدرته وكفاءته من رجال الدولة وقادة الجيش في حين كان يوكل أمر الدفاع عن باقي مناطق المغرب الأقصى إلى أمر زناتة، وهذا ما يبرره قول ابن خلدون بأنه كان يعول عليهم في ضبط الثغور، فكان يفيض إليهم فيض الإحسان وكانوا هم يزدلفون إليه بوجوه التقربات وأسباب الوصائل (*العبر*، 7 : 50).

وككل أمراء زناتة الذين ارتبطوا بخدمة دار الخلافة في قرطبة زحف خزرون بن فلفول إلى مدينة سجلماسة وتمكن من الانتصار على أميرها المدراري المعتز بن الشاكر لله سنة 367 / 978 وكتب بالفتح إلى هشام المؤيد وبعث له برأس المعتز ليشهر به بقرطبة، كما استولى على أموال بني مدرار وسلاحهم معلناً نهاية حكمهم لسجلماسة (*مفاخر البربر*،

67 ؛ *العبر*، 51).

كافأ الخليفة هشام المؤيد خزرون بن فلفول على ما بذله من جهود في السيطرة على أهم محطة للتجارة الصحراوية وقتئذ، فعقد له عليها وعلى جهاتها. وقد استمر هذا الأمير المغراوي على حكم سجلماسة إلى تاريخ زحف بلكين ابن زيري على المغرب الأقصى سنة 369 / 980 بدليل أن ابن خلدون يحدثنا عن مقاومة ابنه وانودين لهذه الحملة، الأمر الذي يؤكد بأن خزرون بن فلفول قد هلك قبل الحملة بزمن قليل وأن إمارة سجلماسة صارت لابنه وانودين من بعده (*العبر*، 7 : 51).

اضطر وانودين بن خزرون إلى الفرار عن عاصمته سلجماسة أمام جيوش بلكين بن زيري كما هو الحال بالنسبة لسائر أمراء مغراوة الذين تحصنوا بمدينة سبتة على مقربة من مناطق الدعم والمساندة الأموية. وقد عين بلكين بن زيري عماله على جميع المدن التي سيطر عليها، ثم تفرغ لحرب برغواطة التي أبدت مقاومة عنيفة ضد هذا الزحف الزيري. وقد مكن صمود البرغواطيين أمراء مغراوة من الخروج من مناطق تحصنهم ومنحهم الفرصة لمعاودة سيطرتهم على مناطق نفوذهم (*العبر*، 7 : 51).

زحف وانودين بن خزرون على سجلماسة لما علم بضعف شوكة الجيوش الصنهاجية بعدما طال بها المقام بالمغرب الأقصى. وقد تمكن من اقتحام عاصمة ملكه عنوة على عامل الزيريين بها، فتقبض عليه واستولى على ما كان معه من الأموال والذخيرة. وكان ذلك على ما يظهر سنة 373 / 984، أي بعد خروجه عنها بما يقرب من أربع سنوات وهي المدة التي قضتها الجيوش الصنهاجية بقيادة بلكين بن زيري بالمغرب الأقصى من تاريخ بداية الحملة سنة 369 / 980 إلى تاريخ وفاة قائدها سنة 373 / 984 بمكان يعرف بواركش ما بين سجلماسة وتلمسان في طريق عودته إلى المغرب الأدنى من غارته الطويلة هاته (*العبر*، 6 : 207).

لقد خلعت مغراوة طاعة المروانيين وتخلت عن دعوتهم مدة من الزمن بعد توالي حملات الزيريين على المغرب الأقصى. ويرجع سبب هذه القطيعة إلى فساد العلاقة بين زيري بن عطية والمنصور بن أبي عامر حاجب المؤيد. فقد نقل ابن عذاري عن ابن حيان قوله بأن زيري بن عطية نكث على بن أبي عامر بعد الحب الشديد والوفاء الأكيد، وطعن عليه سلبه لملك هشام وغلبته عليه (*البيان*، 1 : 252). وقد كان من الطبيعي أن تعرف علاقة بن أبي عامر تراجعاً واضحاً مع باقي أمراء مغراوة بعد فساد علاقته بابن عطية لأن هذا الأخير كان في ذلك الوقت أمير زناتة كلها (*البيان*، 1 : 252).

اضطر ابن أبي عامر أمام هذه التطورات إلى أن يبعث فتاه واضحا في جيش كثيف لردع أمير فاس، لكن فشل هذا القائد في تحقيق ما قدم من أجله جعل المنصور يبعث بابنه عبد الملك في جيش آخر لتعزيز جيش واضح، ولحق بهم هو نفسه على رأس جيوش ضخمة إلى الجزيرة الخضراء ليكون قريباً من مناطق الأحداث ولتكون عملية الإمدادات سهلة سريعة. وقد أسفرت حروب عبد الملك مع زيري بن عطية عن هزيمة هذا الأخير واستفحال أمر الأول بالمغرب وما والاه إلى سجلماسة وتلمسان وتيهرت. وقد عاد عبد الملك إلى الأندلس سنة 389 / 999 بعد أن استخلف على المغرب فتى أبيه واضحا الذي أقام بمدينة فاس وعمل على تسيير باقي مناطق المغرب الأقصى عن طريق عماله أو أمراء مغراوة بعد أن تعاقد معهم على مال يدفعونه له وعلى رهائن كان يشترط فيهم أن يكونوا من أبناء هؤلاء الأمراء ضماناً لبقائهم على الطاعة (*البيان*، 1 : 253).

لقد عين واضح يعلى بن حميد الكتامي، وهو أحد وجوه قواد البربر، والياً على سجلماسة (*مفاخر البربر*، 77) ثم عزله عنها بعدما تقرب منه وانودين بن خزرون وخضع له، فعقد له واضح على سجلماسة مقابل عدد من الخيل والدرق وجملة من المال كل سنة بالإضافة إلى أحد أبنائه رهينة (*البيان*، 1 : 254). وقد عاد وانودين إلى سجلماسة سنة 390 / 1000 وأقام بها مجدداً دعوة المروانيين واستمر على ذلك إلى أن ضعفت الخلافة الأموية بقرطبة فاستبد بالأمر، ثم استغل ما أصبحت تنعم به إمارته من قوة فتوسع على حساب المناطق المجاورة لها مبتدئاً عمله العسكري بالسيطرة على درعة (*العبر*، 7 : 52).

كان للتوسع الذي حققه وانودين بن خزرون في مناطق درعة أثره في اضطراب علاقته بالمعز بن زيري أمير فاس. فقد حاول هذا الأخير منع أمير سجلماسة من السيطرة على المناطق المجاورة لعاصمته لأن في ذلك ضرراً بمصالح إمارة فاس التي كانت بدورها تعمل على الاستفادة من موارد التجارة الصحراوية عبر التحكم في بعض واحات الجنوب وعلى رأسها واحات وادي درعة. وقد نهض المعز بن زيري سنة 407 / 1017 على رأس جيش من مغراوة واتجه نحو سجلماسة لمحاربة أميرها وانودين، فتمكن هذا الأخير من إلحاق الهزيمة بجيوش المعز وكانت هذه الهزيمة سبباً في اضطراب أمر أمير فاس إلى أن هلك (*العبر*، 7 : 52).

استغل وانودين بن خزرون انتصاره على المعز بن زيري استغلالا كاملا ووجه اهتمامه نحو مدينة فاس للسيطرة عليها، فاستولى على جميع قصور ملوية وبعض المراكز الواقعة بعد مرحلة من فاس، وعين على كل هذه الجهات ولاة من أهل بيته فكان ما حققه من نجاح عسكري يمثل أوج ما وصلت إليه إمارة بني خزرون من قوة ونفوذ واتساع.

ولا نعرف تاريخ وفاة وانودين بن خزرون، وكل ما هو معروف أن الذي تولى أمر سجلماسة بعده هو ابنه مسعود الذي داهمته جيوش المرابطين بقيادة عبد الله بن ياسين وقضت على إمارته بسجلماسة (*العبر*، 7 : 52).

لم تسجل لنا المصادر التاريخية أي معلومات عن الأمير مسعود بن وانودين ولا عن الأحداث التي عرفتها

إمارته قبل مهاجمة المرابطين لها، غير أنه من الواضح أن سجلماسة قد عرفت في عهده ازدهاراً ملحوظاً بدليل أن ما هو معروف من الدنانير المغراوية التي ضربت بسجلماسة قد سك في عهد هذا الأمير. فمن بين الدنانير الستة المغراوية المعروفة الآن نجد خمسة منها تحمل اسم الأمير مسعود في حين لا يحمل الدينار السادس اسم أي أمير من أمراء بني خزرون (*سجلماسة وإقليمها*، 434).

إن كل ما وصلنا عن الأمير مسعود بن وانودين هو ما يتعلق بصراعه ضد المرابطين، فمن المعروف أن صنهاجة بقيادة عبد الله بن ياسين قد افتتحت عهدها في مناطق الشمال بالسيطرة على درعة سنة 445 / 1054 واستولت فيها على خمسين ألف ناقة كانت في ملكية الأمير مسعود بن وانودين (*القرطاس*، 128) ثم أغارت جموع صنهاجة على سجلماسة بعد سيطرتها على درعة، وكان ابن ياسين قد خاطب أهلها وأميرهم ودعاهم للدخول في طاعة المرابطين فلم يجيبوه إلى ذلك (*المغرب*، 167 ؛ *الحلل*، 22) فدخل المرابطون إلى هذه المدينة بعد سنة من سيطرتهم على درعة وقتلوا أميرها مسعود، وتفرقت جموعه شذرمذر فلم يقم لبني خزرون قائمة بسجلماسة بعد ذلك (*العبر*، 7 : 52).

وحول تاريخ دخول عبد الله ابن ياسين والمرابطين سجلماسة انفرد ابن أبي زرع بالتأريخ لذلك سنة 447 / 1056 وحصر السبب في دعوة فقهاء سجلماسة ودرعة ابن ياسين للقدوم عليهم قصد تطهير بلادهم من المنكرات (*القرطاس*، 127).

ولم تكن حملة ابن ياسين على سجلماسة كافية للقضاء على نفوذ مغراوة بها فقد زحفت جموع هذه الأخيرة على المدينة بعد أن غادرتها جيوش صنهاجة فتمكنت من دخولها وقتل من كان بها من الملثمين في نفس سنة سيطر ابن ياسين عليها أي في سنة 446 / 1055. وقيل بعد هذا التاريخ بسنتين (*البيان*، 4 : 13). وقد عانى المرابطون من مقاومة مغراوة لهم كلما وصلوا مجالا من مجالاتهم بالمغرب الأقصى. فقد قاومهم بنو خزرون في مدينة صفرو التي لم يتمكن المرابطون من السيطرة عليها سوى في سنة 455 / 1063، وقتلوا من كان بها من أولاد وانودين وبقية مغراوة، كما لم يدخلوا مناطق ملوية التابعة لأبناء وانودين أيضاً إلا في سنة 463 / 1071 (*العبر*، 7 : 52).

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6 و7، نشر خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، 1988 ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، مخطوط، خ. ع رقم د 1020 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ت. كولان وليفي بروفنسال، بيروت، 1983 ؛ ج. 4، ت. إحسان عباس، بيروت، 1983 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ أ. البكري، *المغرب*، باريس، 1865 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، ت. سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، 1979 ؛ ح. الحافظي، *سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن (14 م) مساهمة في دراسة مجتمع الواحات في العصر الوسيط*، د.د.ع بفاس، 1989.

J. Brignon (et al...), *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1967 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc : des origines à l'établissement du protectorat français*, T. I, Casablanca, 1949.

حسن علوي حافظي

بني خنوس، قبيلة تقع بناحية صنهاجة السراير (إقليم الخميسة) وتحيط بها قبائل زرقات وبني بونصار وبني سدات. تقدر مساحتها بـ 62 كلم مربع، وكان عدد سكانها 1.356 نسمة سنة 1946، يتكلمون باللهجتين العربية الدارجة والصنهاجية، ويوجد بالقبيلة ثمانية مساجد وثلاثة أضرحة وزاويتان وأحد عشر كتاباً قرآنياً وتحتوي على أحد عشر مدشراً.

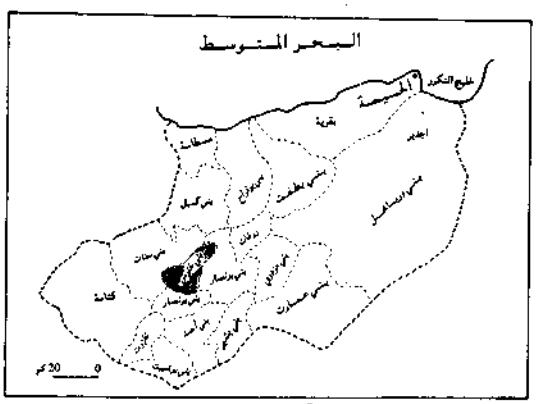

موقع بني خنوس

وفي التقسيم الإداري تكوّن مع قبيلة بني بونصار جماعة قروية واحدة.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 108 ؛ + بيبليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

بني خيران، اتحادية قبائل تتوفر على عدة تقديرات حول سكانها يرجع أحدها إلى عام 1330 / 1912، وأفاد بوجود 1170 خيمة، والآخر عام 1333 / 1915 وأعطى 1735 خيمة، وذكر التقدير الأخير لعام 1338 / 1920 أن هؤلاء بلغوا 1811 خيمة مما قد يعني نمواً مهماً للسكان.

يقيم بني خيران في شمال الطريق الذاهبة من واد زم إلى الدار البيضاء. ويجاورهم زعير شمالا والسماعلة جنوباً وشرقاً، ووردیغة جنوباً والشاوية غرباً. ويتميز ترابهم بأنه منطقة هضاب متقطعة تخللتها نتوءات، وامتدت شمال وادزم، ومنطقة جبلية متعرجة ربطت تادلا ببلاد زعير والشاوية. وقطعت هذا الإقليم أودية عميقة ومنخفضة منها *خندق واد زمران وواد العطش*، *وهي مغلقة في الشمال* بواسطة مرتفعات شاهقة مثل جبل تاخسيت (845 م)، وبواسطة كتلة أولاد زيريك في الغرب. وضمت هذه الاتحادية قبيلتين هما :

ـ موالين الدندون : وعددهم 1.316 كانوناً، وتفرعوا إلى

أربع فخذات هي بالترتيب : أولاد بوغادي وبني منصور وأولاد فطاطة والشرفا. وأقام أولاد بوغادي في شمال الشرفا وانتشرت مساكنهم شاملة ناحية "قرن" الوعرة، ذات الركامات المبعثرة، وهي منتصبة حتى علو 2901. وأقام بني منصور في غرب الاتحادية وجنوبها، وضموا ستة دواوير ونصبوا خيامهم على هضبة واقعة بين واد زمران وواد العطش، وكان قلب تجمعاتهم في اتجاه دشر بني منصور. وأقام أولاد فطاطة في الركن الشمالي الشرقي للاتحادية، وهو إقليم جبلي متوسط، ارتفاعه 800 م. يضم أولاد فطاطة أربعة دواوير. وأقام الشرفاء في جنوب شرق بني خيران، وتفرعوا إلى ثلاثة دواوير، وتشيعوا لجيرانهم أولاد بوغادي وبني منصور حتى بدون الاستناد إلى أصل مشترك.

ـ الگناديز : وعددهم 535 كانونا. تفرعوا إلى فخذتين هما أولاد بركات وأولاد الحاج. وتكتل أولاد بركات في شرق "قرن" مجاورين لأهل فطاطة وأهل بوغادي وتشيعوا لهم، وتفرعوا إلى خمسة دواوير. وأقام أولاد الحاج في شمال غرب تراب الگناديز. ويشمل ترابهم واد عطفيف وخط المرتفعات الذي امتد من مرتفعات الگناديز إلى تاخسيت، وتفرعوا إلى ثلاثة دواوير. وهم خاضعون شيئا ما، منذ عدة أعوام لبني منصور الذين رغبوا في منع إعادة تشكيل فرع الگناديز المنقسم بسبب صراعات داخلية. ويضم بني خيران لـ 9.255 نسمة تقريباً، مثلوا أصغر مجموعة بشرية بين الاتحاديات العربية لتادلا. وليس بينهم انسجام تام لوجود جماعات غريبة عن القبيلة بين ظهرانيهم مثل الشرفاء الذين ضموا ثلاثة دواوير أقامت في جنوب شرق بني خيران وتشيعوا لجيرانهم بني منصور وبوغادي.

كان بني خيران أقل ثراء، بينهم كثير من البؤساء، لكنهم ملكوا قطعاناً من البقر وغابات مهمة من البلوط.

في عهد الحماية، اجتاحت القوات الفرنسية تراب بني خيران واحتلته في دجنبر 1912 لقربه من زعير والشاوية. ويبدو أن مقاومتهم التي استحقت الذكر ليست في بداية الغزو وإنما في الخمسينات لما شاركوا مع السماعلة في ثورة وادزم عام 1953، منخرطين بذلك في الثورة الوطنية ضد الاستعمار.

Rapport Mensuel du Protectorat. 1913 ; R. Peyronnet, *Le Tadla*, p. 68.

الملكي المالكي

بني خيري، أسرة من أصل إيبيري، اهتم أفرادها بالميدان القرصني بمضيق جبل طارق. ففي النصف الأول من القرن التاسع الهجري (15 م) وجد ثلاثة منهم كانوا حديثي عهد بالإسلام : محمد بن خيري، اسمه منويل، يقود سفينة من نوع خمسة عشر مقعداً. ثم القائد بدر، رئيس سفينة من فئة أربعة عشر مقعداً. وآخر يدعى حبيب بن خيري صاحب سفينة أخرى مماثلة.

تركزت هذه الأسرة بالقصر الصغير منذ الاحتلال البرتغالي لسبتة (818 / 1415) في رعاية حاكم المدينة المدعو الحسين. ويظهر أن الأسرة تحولت إلى سكنى مدينة تطوان إثر الاحتلال البرتغالي للقصر الصغير سنة 862 / 1458. وفي بداية القرن العاشر الهجري (16 م) اعتمد النشاط القرصني بتطوان على أخوين من أفراد هذه الأسرة. فكل أعمالها البحرية البارزة بين 1516 و1520 كانت من مبادراتهما، خاصة تلك التي استهدفت سبتة المحتلة وجبل طارق الذي استرده الإسبان منذ 1462. وسبق للأخوين خيري أن نظما غاراتهما البحرية على مدينة سانتا كاترينا، في الغرب البرتغالي. فبسبب تصاعد عمليات القرصنة التطوانية تشوف الإسبان إلى تخريب مدينة تطوان ثانية، إلا أن لشبونة خططت سنة 1520 للتحكم في مرسى واد تطوان (مرتيل بعد ذلك) بواسطة بناء برج بمدخله. وهذا ما لم يتم، مما يبين استمرار نشاط بني خيري. وما يزال هذا الاسم موجوداً بين الأسر التطوانية الأندلسية الحالية.

ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الايبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 1 : 123، 124 ؛ 2 : 447. 449.

Gomes Eanes de Zurara, *Cronica de D. Pedro de Meneses*, chap. 20, p. 555 ; Damiao de Gois, *Cronica do rei D. Manuel*, 4 : 129 - 130.

حسن الفگيگي

بني راشد، أسرة من قبيلة بني عروس الهبطية، ذات الأصل الإدريسي العلمي من فصيلة المشيشيين العبدسلاميين. ففي بداية القرن السابع الهجري استقر علي (المدعو علال) بن عبد السلام بن مشيش بقرية غروزم، بجوار شفشاون، فأصبحت مركزاً لأبنائه وأحفاده، كان منهم راشد والد علي مؤسس مدينة شفشاون وأبو الأسرة الحاملة لهذا الاسم.

حازت هذه الأسرة مكانتها في المجال السياسي بإقليم الهبط منذ تأسيس مدينة شفشاون والإمارة العلمية الجهادية سنة 876 / 1471، مع بداية الدولة الوطاسية، واستمر هذا الدور إلى ما بعد منتصف القرن العاشر على عهد عبد الله الغالب السعدي.

ففي إطار هذه الحقبة الزمنية لمع مؤسس الأسرة والإمارة علي بن راشد العلمي ما بين سنة التأسيس وسنة 922 / 1517، بمواقفه الجهادية الخاصة ومساندته للجهاد الوطاسي على عهد محمد الشيخ وابنه محمد. وبرز ابنه إبراهيم منذ توليته قيادة شفشاون سنة 922 / 1517 إلى 945 / 1539 سواء في العمل الجهادي أو في القيام بمهامه السياسية كوزير لدى أحمد الوطاسي (1527 - 1539) إلى وفاته في هذه السنة الأخيرة.

وخلال مدة تغيب مولاي إبراهيم عن شفشاون أناب عنه عمه علال بن راشد، ثم أخاه عبد الله سلمة. وإثر وفاة إبراهيم تولى بعد ابنه محمد الذي عاصر الفترة الأخيرة من عهد الوطاسيين وبداية حكم السعديين بالشمال. وكان إلى جانب قواد الهبط الذين سارعوا إلى مساندة محمد الشيخ السعدي سنة 1547 ضد أحمد الوطاسي وأبي حسون، كما

كان آخر حكام شفشاون منذ حصار السعديين للمدينة سنة 1564 أو التي بعدها. وبذلك أسدل الستار على أسرة بني راشد، ليحل مكانهم حكام من الأسرة الريسونية.

عرفت لأسرة بني راشد علاقات بباقي مدن الهبط، تمثلت في الدرجة الأولى بمدينة تطوان التي كانت تحت حكم المنظريين، حفدة علي المنظري الغرناطي. وقد توطدت تلك العلاقة بالعمل الجهادي المشترك بين تطوان وشفشاون طوال هذه المدة، سيما بعد علاقة الصهر التي ربطت بين المنظري الثاني وبين علي بن راشد العلمي الذي زف ابنته الست الحرة إلى قائد تطوان. وقد أعطت هذه العلاقة لبني راشد الهيمنة على تطوان، بجمع إبراهيم بين قيادة المدينتين، إلى أن تسلمت القيادة الست الحرة بنت علي بن راشد، خلفاً لزوجها المنظري الثاني، لتبقى في نفس الرتبة ما بين عام 1525 وعام 1541.

ورسخت علاقة بني راشد أيضاً بقيادة القصر الكبير العروسية وبمدينة إزاجن الرهونية، إذ كان قواد شفشاون حريصين على التنسيق بين جهود قواد بلاد الهبط لقيادة الحملات الجهادية ضد أصيلا وطنجة. وتجاوزت تلك العلاقات إلى روابط الصهر : فإبراهيم تزوج بنت طلحة العروسي المسماة بطّ، كما تزوج عبد الله سلمة، أخو إبراهيم، بنت بنخديجة قائد إزاجن.

يمكن تحديد إمارة بني راشد من جهتي الغرب والشمال، وعلى خلاف ذلك فإن المهمة صعبة أمام كل محاولة لحصر القبائل الداخلة تحت نفوذها من ناحيتي الشرق والجنوب. فبالتوجه نحو الشمال نجد مؤسس الإمارة قد سارع إلى ضم قبيلة بني حسان، التي يفصلها عن جبل الشاون مجرى واد لاو الأوسط، كمرحلة أولى مستعملا المتوفر لديه من بني زجل ورجال شفشاون وما توصل به من محمد الشيخ الوطاسي. علمنا هذا مما سجله الحسن الوزان. ونعتقد أن الأمر مماثل بالنسبة لجبل حبيب الذي كان يتصدر العمليات الجهادية قبل قيام الإمارة. وينطبق هذا على الأراضي الفاصلة بين جبل حبيب وبني حسان التي ظهر بها بعد ذلك بنوحزمار وبنو يدر وبنو ليث.

وتقاسم بنو راشد مع حكّام حوز بادس إقليم الريف المشار إليه من طرف الحسن الوزان، فاختصوا بالساحل الشرقي الممتد من رأس الجبهة شرقاً إلى مصب واد لو غربا، عند اتصاله بحد إقليم الهبط من تلك الجهة. ويضم امتداد الساحل الداخل في نطاق الإمارة الراشدية، بني زيات وبني بوزرة، وبني جرير، وبني رزين.

وضمت الحدود الجنوبية جبال الاخماس بقسميها العلوي والسفلي. فالعلوي المشرف على بني عروس وعلى اغزاوة مؤلف من فرقتي بني فلواط وبني صالح. أما السفلي فيشرف على الساحل الشرقي بفرق : بني زرويل وبني جبارة وبني جافن وبني تليد.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري*، أطروحة دكتوراة دولة، كلية الآداب بالرباط، 1990.

حسن الفكيكي

بني رزين، قبيلة تقع بناحية غمارة (إقليم شفشاون حالياً)، وتحيط بها قبائل متيوة البحر وكتامة وبني خالد وبني سميح، وتقدر مساحتها بـ 153 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 هـو 3.467 نسمة، يتكلمون باللهجة

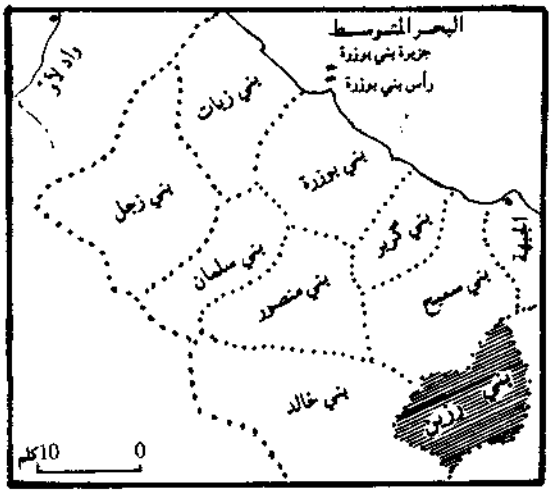

موقع بني رزين

العربية الدارجة، وبالقبيلة سبعة وعشرون مسجداً وعشرة أضرحة وزاوية وأربعة وعشرون كتّاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي، وأما سوق القبيلة الرئيسي فيوجد بأحد بني مراق.

تنقسم القبيلة إلى خمس فرق هي : بني مراق (8 مداشر) وأوفاس (4 مداشر) وتمريخت (6 مداشر) وبني قاسم (4 مداشر) والوسطي (8 مداشر). وفي التقسيم الإداري تكوّن جماعة قروية تحمل اسمها.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 105، 109، 325 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 258 ؛ + بيبليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

بني زجّل، قبيلة تقع بجبال غمارة (إقليم شفشاون حالياً) وتحيط بها قبائل بني زيات، وبني سلمان،

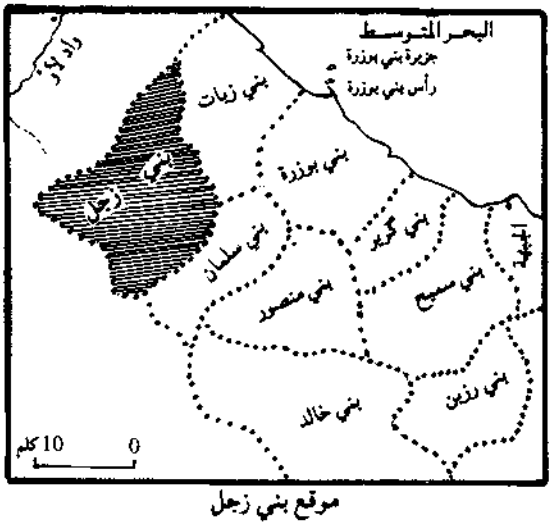

موقع بني زجل

والأخماس، وبني حسان، وبني سعيد، وتقدر مساحتها بـ 385 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 7.241 نسمة يتكلمون باللهجة العربية الدارجة. وبالقبيلة ثلاثة وستون مسجداً وثلاثة عشر ضريحاً وأربع زوايا وستة وأربعون كتّاباً قرآنياً واثنتا عشرة مدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى سبع فرق هي : القلعة (10 مداشر) بني منصور (7 مداشر) والوسطيين (5 مداشر) وبني شكورة (10 مداشر) وبني بوشداد (5 مداشر) وبني موسى (4 مداشر) وبني سملولة (5 مداشر).

وفي النظام الإداري تنقسم القبيلة إلى جماعتين قرويتين هما : جماعة تالـنْبُوط الشمالية، وجماعة تالنْبُوط الجنوبية.

ولعل الوزان الفاسي عندما يشير إلى وجود قبيلتين باسم بني منصور يعني من جهة القبيلة الغمارية التي تحمل هذا الاسم، ومن جهة أخرى يعني فرقة بني منصور التابعة لقبيلة بني زجل.

الحسن الوزان، *وصف افريقيا*، 256 ـ 257 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 109، 325 ؛ + بيبليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

** تذكر بعض كتب التاريخ أن قبيلة بني زجل ربما أخذت اسمها هذا من اسم شخص استوطنها في أواخر القرن الأول الهجري يدعى محمد زجل قدم من المشرق مع موسى بن نصير، ويرتفع نسبه إلى أبي هريرة (*فوائد الهبطي*) لا ندري السنة التي دخل فيها القبيلة بالضبط، ولكن الشيء المعروف هو أنه انتقل إليها زمن الارتداد، وهذا ما يفهم من قول أحمد ابن عرضون :"الذي تلقيناه من والدينا وأسلافنا رحمهم الله أن زجل قرشي النسب، وأنه كان رجلا صالحاً خيراً قدم مع موسى بن نصير عامل عبد الملك بن مروان حين افتتح المغرب والأندلس وأنه كان بفحص طنجة، فلما ارتدت قبائل المغرب فر بدينه من شاهق إلى شاهق، إلى أن دخل وادي (لْـمانْ) فأعجبه. ويقال إنه هو الذي سماه "وادي الامان" وبقي فيه مدة ثم صعد إلى "بومنار" وبنى به مسجداً باقية رسومه إلى الآن، وتوفي هناك (*تقييد*، ص. 164). ويذكر أيضاً أنه كان شاعراً، وأن زجل لقبه، ويعلق على ذلك بقوله :"وفي الزبيدي أن زجل في اللغة، هوالفصيح الكلام وان اسمه محمد، وأما نسبته إلى قريش، فجارٍ على ألسنة الناس من السلف (*ناصر الحكام* ؛ *وثمرة أنسي*، ص 53).

ويظهر أن هذه القبيلة كانت مهداً لكثير من القرشيين منذ بداية الفتح الإسلامي فقد جاءتها أفواج منهم استقروا فيها وتناسلوا حتى ضاقت بهم القبيلة فانتقلوا إلى قبائل أخرى مجاورة. فمحمد الصغير الهبطي يذكر من هذه العائلات كثيراً، فبالإضافة إلى زجل هذا هناك أولاد أ'وثُول القرشيون، وأبناء سليمان بن هلال وأولاد ملّول وغيرهم، بل يذكر أنه قدم إلى هذه القبيلة وفدٌ من التابعين والأنصار، والجل من ذرية الخلفاء الأربعة (*فوائد الهبطي*)، ويذكر عبد الله گنون أن بها أنساباً عربية غريبة، وأنساباً شريفة قديمة لا تعرف بالمغرب كالنسب العباسي (*مجلة لسان الدين*، ج 4 السنة 8 ص 17). وكثيراً ما نجد بعض الأسر مازالت تحافظ على سلسلة نسبها الذي يرتفع إلى بعض الصحابة كأسرة آل خَجُّو مثلا المنحدرين من الصحابي الجليل حسان بن ثابت.

ويذكر الهبطي في *المنهاج* بأنها قبيلة الأشراف الأولين، وكعبة الزهاد المتبتلين منذ الفتح الإسلامي. ومن الفاتحين الأولين لهذه القبيلة أبو العباس أحمد جلال وبلعيد بن أبان بن عثمان. وتذكر بعض الروايات أن زجل كان يلقب أحياناً بجلال لكثرة ترديده لاسم الجلالة، ومن ثم تدعى القبيلة أحياناً بالقبيلة الجلالية (*فوائد الهبطي*)، غير أن الهبطي يجعلهما شخصين : أحدهما محمد زجل، وهذا ينتسب إلى أبي هريرة، والآخر أحمد جلال، وينتسب إلى علي بن أبي طالب، وهذا ما حكاه عن أبيه قائلا :"سألت سيدي الوالد رحمه الله عن هذه القبيلة فقال لي : كانت هذه القبيلة من إقليم بني حسان وأهل سوس، وكانوا ـ والله أعلم ـ على غير طريق مستقيم، فمكث عليهم الشرقي بضبابه ما ينيف على عشرَ سنين وانتقلوا منها، وبقيت خالية، ولما أراد الله عمارتها جاء إليها رجل من المشرق هارباً، وهو من ذرية سيدنا علي رضي الله عنه ويدعى أحمد جلال بن سيدي عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، وكانت هجرته من المشرق في خلافة الوليد سنة 90 هـ، وسمي بجلال لأنه كثيراً ما كان يردد (لا إله إلا الله) ونزل بهذه القبيلة فسميت باسمه.

ومهما يكن فإن زجل كان بمثابة الفاتح الحقيقي لهذه القبيلة، وأكثر سكانها من ذريته وأقاربه، وقبره مزارة مشهورة هناك تقام له الذكرى على رأس كل سنة، وكان نزول زجل هذا بحجر الجبل الأشهب بموضع يسمى (تلوشت) ومكث هناك إلى أن مات ودفن بمقبرة انغران بجبل العباد بتازروت، وكان في فصل الخريف والشتاء يأوي إلى وادي الأمان، وهو موضع بعمق سحيق لا يرى منه إلا بعض أطراف السماء، ولا تكاد تراه الشمس إلا في بعض فصول السنة. وفي هذا الموضع تزوج بامرأة من ذرية سيدنا عثمان جاءت بعده بعامين مع جماعة من أهله وترك معها أولاداً انتشروا في هذه القبيلة (*فوائد الهبطي*)، وهي من أوائل القبائل المغربية التي تعربت وافتحت منها البربرية بالمرة، وانتشر فيها التعليم انتشاراً واسعاً (*الميثاق*، عدد 48) لدرجة أنه كانت هناك مداشر في هذه القبيلة لا يوجد فيها أمي واحد، وحتى إن بعض المستشرقين قال :"إنه كان بهذه الجبال مدرسة للحساب (*مجلة الشراع*، السنة 2 عدد 5 ص. 13) وهذا غير مستبعد إذا عرفنا أن هذه القبيلة عُرفت منذ القدم بكثرة علمائها وفقهائها الذين كان لبعضهم تجديد في التشريع الفقهي، ليس هذا فحسب بل إن كثيراً من أسر

هذه القبيلة تسلسل العلم فيهم كابراً عن كابر، يكفي أن نذكر من بين هذه الأسر : أسرة الملوليين القرشيين، وأسرة الشداديين، وأسرة مخشان،و وأسرة أجليان، وأسرة آل أحَفَّاف، وأسرة أُوثول، وأسرة الهبطيين، دع عنك أسرة ابن عرضون الذين طارت شهرتهم في الآفاق...

م. الصغير الهبطي، *فوائد*، مخطوط ؛ م. ابن عرضون، *تقييد في التعريف بقبيلة بني زجل*، مخطوط، خ. ح ؛ م. ابن عرضون الصغير، *ناصر الحكام*، مصور خ. ع ؛ س. الحوات، *ثمرة أنسي*، مخطوط.

عمر الجيدي

بني زروال، من القبائل الجبلية الشهيرة بشمال المغرب، وهي تنقسم إلى خمس فخذات أوفرق هي : بومعان وأولاد قاسم وبنو إبراهيم وبنو ملول وبنو مكة، ولذلك يسميها أبناؤها بقبيلة خَمس خُمُوس. يحدها من الشرق قبيلة كتامة ومزيات، ومن الغرب بني مستارة وسطّة وبني مزگلدة وبني ورياغل، ومن الجنوب قبائل سلال وفشتالة والجاية، ومن الشمال غمارة وبني يحمد. وتشغل مساحة تقدر بحوالي ألف كيلومتر مربع. وهي اليوم تابعة إدارياً لعمالة إقليم تاونات.

أرض القبيلة تطغى عليها المرتفعات التلية، ومن أشهر مرتفعاتها جبل ودكة الواقع شمال القبيلة، والذي لا يتعدى ارتفاعه ثمانمائة متر. (*قبيلة*، 15). أما أهم أنهارها فهي واد أولاي، وواد أوضور، وواد أوضير، وواد أمزاز، وكلها تنحدر من جبال غمارة، ثم تشق القبيلة من شمالها إلى جنوبها لتصب في نهر ورغة الذي هو الحد الطبيعي بين بني زروال وقبيلة فشتالة. كما توجد بها عيون ماء غزيرة، من أشهرها عنصر تازْغَدْرَة ببني إبراهيم، وعنصر العبّاد بجبل ودكة، وعين تاسياست بأولاد قاسم، وعين القليعة ببني إبراهيم (*قبيلة*، 8).

أما جغرافيتها الاقتصادية، فهي شهيرة بأشجار الزيتون من جهة، وأشجار الكروم من عنب وتين من جهة ثانية، وحسبنا علماً أن الرحالين القدامى سموها بجبل الزبيب أي العنب المجفف (*وصف*، 1 : 125).

هذا، وقد اختلف النسابون في تحديدهم لأصل بني زروال. فالبعض يرى أن سكان القبيلة بربر من غمارة من مصمودة (*قبيلة*، 9) بينما يرى البعض الآخر أنهم من صنهاجة (*العبر*، 6 : 275). لكن إذا كانت قبيلة بني زروال بربرية الأصل فإنها تعربت تماماً، وانعدمت منها البربرية كلية، ولم يبق لها منها إلا الاسم شأن قبائل كثيرة بالمغرب. ويرجع سبب تعريبها إلى قربها من فاس، من جهة، ومساكنة الأعراب لسكانها وامتزاجهم بهم، وخصوصاً زمن المرابطين والموحدين الذين نقلوا قبائل عربية من الرحل وأسكنوها مع بني زروال لأغراض ساسية، من جهة أخرى (*قبيلة*، 9)، إلى جانب إقدام العلويين على تأسيس مراكز لهم بالقبيلة أسكنوها جالية عربية من قبيلتي الأوداية وشراگة، وكذا هجرة أسر عربية إلى القبيلة نفسها، (*قبيلة*، 9 ؛ *الحركة*، 2 : 475). وفي هذا الصدد يقال عند النسابين إنه لا توجد بالمغرب قبيلة اجتمع بها أبناء الخلفاء الأربعة إلا بنو زروال وسجلماسة (*مجموعة*، 4).

ومن أقدم مداشر هذه القبيلة وأهمها على الإطلاق، نذكر على الخصوص، مدشر تازْغَدْرَة، الشهير بضريح وليها الشيخ محمد بن علي الشطيبي، أحد متصوفة الطريقة الزروقية الشاذلية خلال القرن العاشر (16 م)، (*دوحة*، 16)، ومدشر عين الباردة، الشهير بمساجده السبعة ؛ والمدشران معاً بفرقة بني إبراهيم. ثم مدشر النقلة بسفح جبل ودكة، ومدشر أفوزار الشهير بمسجده المزخرف المنمق، ومدشر زاوية أولاد خزار المشهور بعيونه المنهمرة وقبب صلحائه من الشرفاء العلويين، ثم مدشر بني مجرو بفرقة بني مكة على الحدود بين غمارة وبني زروال، والشهير بسوقه الكبير، الذي كان ومازال، يعمر كل يوم سبت، وبسكانه الذين ينتمون إلى العلم والاختصاص في النوازل الفقهية. (مشاهدة عينية).

ومن المداشر المهمة بفرقة أولاد قاسم : مدشر الزاوية الوارثية، ومدشر تَلاوَاغْرَاس حيث يوجد ضريح الشيخ محمد النيجي أحد أولياء الطريقة الجزولية خلال القرن الحادي عشر (17 م)، ثم مدشر بني دَرْكُول الشهير بكثرة أضرحة صلحائه من جهة، وبكونه كان مسرحاً لمعارك حربية ذات أهمية بين الفرنسيين والمجاهدين أثناء الحملة الريفية بقيادة المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي (*قبيلة*، 26).

ومن مداشر فرقة بومْعانْ المهمة نذكر مدشر بني عبد الله حيث توجد الزاوية الدرقاوية، ثم مدشر بني خالد، ومدشر البابة المعروف بمسجده في أعلى قمة هناك...

وإذا علمنا أن المدن لا وجود لها بقبيلة بني زروال يبقى مركز غفساي، وهو حديث العهد بالتأسيس، أهم نقطة حضرية بها في وقتنا الحالي. لكن يفهم من بعض الإشارات أن القبيلة كانت بها مدن كبرى في الأزمنة الغابرة، كما تشهد على ذلك بعض الآثار التي عثر عليها هنا وهناك، وخصوصاً قرب مدشر عين الباردة. (*الموسوعة*، ملحق 2 : 109).

وإلى جانب كل هذا، عرفت القبيلة تأسيس عدد كثير من الزوايا، من أشهرها وأقدمها : زاوية الشيخ محمد بن علي الشطيبي المتوفى سنة 963 / 1556، الواقعة بمدشر تازْغَدْرة، وزاوية الشيخ أبي النجا سالم الروداني الشاوي، المتوفى سنة 969 / 1561، بمدشر تلاواغْراس (*ممتع*، 68)، وزاوية أبي العباس بن جامع الخالدي، المتوفى سنة 1021 / 1613، بمدشر بني خالد على الحدود مع غمارة (*صفوة*، 14)، وزاوية الشيخ أبي عبد الله محمد النيجي المتوفى سنة 1030 / 1621، بمدشر تلاوَغْراس (*مرآة*، 210)، وزاوية محمد ابن الفقيرة المتوفى سنة 1045 / 1635، بمدشر المحجرة (*ممتع*، 128)، ثم الزاوية الدرقاوية الأم بمدشر بوبْريحْ، ومؤسسها هو الشيخ محمد العربي الدرقاوي، سنة 1201 هـ/

1789 ؛ والزاوية الحمومية الأم، بمدشر بفرقة بني إبراهيم بالقرب من مدشر عين الباردة، وهي من تأسيس الشيخ أحمد بن الحسن الحمومي خلال القرن الثاني عشر (18 م). (*قبيلة*، 17، 18).

ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا* ؛ م. ع. الفاسي، *مرآة المحاسن* ؛ م.م. الفاسي، *ممتع الأسماع* ؛ م. الأفراني، *صفوة* ؛ م. بلبشير الفاسي، *قبيلة بني زروال* ؛ أ. ابن الخياط، *مجموعة رسائل* أبي عبد الله العربي الدرقاوي ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*.

أحمد الوارث

بني زكّار، قبيلة كانت تعرف ببني فنزكار وتقع بناحية جبالة (إقليم العرائش حالياً) تحيط بها قبائل الأخماس، والرهونة، وبني يسف. وتقدر مساحتها بـ 50 كلم مربع. سكانها يتكلمون باللهجة العربية، ويوجد بالقبيلة عشرة مساجد وضريحان وزاوية وعشرة كتاتيب قرآنية ومدرسة للتعليم الديني الثانوي، وتحتوي القبيلة على أحد عشر مدشراً.

وفي التقسيم الإداري الحالي تكوّن هذه القبيلة مع قبيلة بني يسّف جماعة قروية واحدة اسمها جماعة سوق القلّة.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 114 ؛ حسن الوزان، *وصف أفريقيا*، 1، 248 ؛ + ببليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

بني زمور، قبيلة كبرى بمنطقة تادلا تضم فرقاً من العرب والأمازيغ تجاور سفوح الأطلس المتوسط، يحدها شمالا مجرى واد كرو وبلاد زايان، وشرقاً منطقة سيدي لامين، وجنوباً قبيلة أيت الربع وبني عمير، وغرباً ورديغة والسماعلة، وبينما تتكون جهاتها الشمالية من المرتفعات المغطاة بالأدغال والأشجار الشوكية فإن باقي المناطق تغلب عليه الطبيعة الجرداء. قبائلها الأربع في بداية القرن العشرين هي : أولاد يوسف وبني بتاو والشوكران والرواشد.

كان عدد سكانهم آنذاك حوالي 15.000 نسمة يعيشون أساساً على تربية الأغنام وبعض الحرث.

تعد بجعد حاضرة بني زمور، وكانت تربط بعض فرقهم مثل أولاد مومن روابط أُخُوة بالرضاع (تاضا) مع فرق من أمازيغ الأطلس المتوسط.

قاوم بنو زمور الغزو الاستعماري، والتحق مجاهدوهم بمجاهدي زايان أو عند أيت إسحاق وأيت حوذي.

رواية شفوية وتحريات ميدانية.

R. Peyronnet, *Le Tadla*.

المالكي الملكي

بني زيّات، قبيلة تقع بناحية غمارة (إقليم شفشاون حالياً) وتحد شمالا بالبحر المتوسط، وتحيط بها قبائل بني بوزرة وبني سلمان وبني زجل وبني سعيد. تقدر مساحتها بـ 200 كلم مربع. ويتكلم سكانها باللهجة العربية الدارجة

توجد بهذه القبيلة قرية ترغة الحضرية التي لها تاريخ مجيد في الجهاد البحري المغربي. وبالقبيلة ستة وخمسون مسجداً وثمانية عشر ضريحاً وأربع زوايا وواحد وستون كتاباً قرآنياً وثلاث مدارس للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى عشر فرق هي : بني غفار (8 مداشر) وبني گلوم (9 مداشر) وبرمان (8 مداشر) وقاعسراس (مدشران) وبني بخت (9 مداشر) وبني هليل (8 مداشر) وبني بارون (4 مداشر) وبني بداس (9 مداشر) وبني جلا (3 مداشر) وترغة (مدشران). ويعتمد السكان على الفلاحة والرعي وصيد الأسماك، وتكثر بها أشجار التين والكروم وجميع نباتات البحر المتوسط.

وفي التقسيم الإداري تكوّن جماعة قروية تحمل نفس الاسم.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 110، 325 ؛ + ببليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

توجد بقبيلة بني زيات مراكز حضرية ساحلية ضاربة في

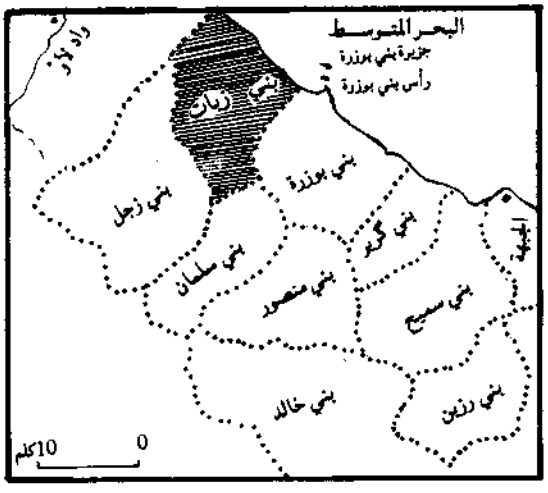

موقع بني زيات

أعماق التاريخ كمركز (تُزگان) الذي كان ومازال حتى وقت متأخر مرفأ لصناعة السفن واشتهر أهله منذ القدم بمهارتهم في التعامل مع البحر، وبه انتُهب المؤرخ ابن خلدون عندما كان عائداً من غرناطة. وغير بعيد من هذا المركز يوجد مركز (ترغة) الشهير، وإلى الشرق من هذا الموكز توجد (تجسّاس) القديمة.

كانت قبيلة بني زيات على اتصال دائم بالأندلس، فالرحلات ظلت عبر العصور مستمرة بين الضفتين، حتى إن سكانها من شدة اتصالهم بالأندلس كانوا في أحكام بعض الفروع على مذهب أهل الأندلس كما يذكر ذلك الشيخ أبو عبد الله محمد النالي الغماري (*نوازل الشريف العلمي*، 2 : 45) حتى إذا حلت بالأندلس كارثة السقوط في يد الإسبان هاجر إليها الكثير من الأندلسيين حتى ضاقت بهم القبيلة، وما تزال بعض الأسر الأندلسية الوافدة تحافظ على اسمها

إلى اليوم، كأسرة البرجي، والسراج، والقلالوسي، وهرندو، وابن سعدون... وغيرها من الأسر التي كان لها تاثير كبير على القبيلة، سواء على مستوى نمط حياة السكان أم على مستوى أسماء الأماكن. ففي القبيلة تجد أسماء قرطبة، وشاطبة وشبيبة التي قد تكون تحريفاً لإشبيلية (ابن عرضون الكبير، ص 70).

بل إن بها مدشراً كبيراً لا يزال يعرف بأزغار الأندلس تمييزاً له عن أزغار البقالين. وقد نبغت في القبيلة أسر علمية كثيرة، كُتبت الشهرة لواحدة منها وهي أسرة آل مهدي الزياتيين الذين ما تزال إسهاماتهم العلمية شاهدة تحتفظ بها بعض الخزائن المغربية، كما نبغ فيها أعلام كان لهم تأثير خارج القبيلة أمثال الشيخ عبد الرحيم القنائي الترغي الذي رحل إلى مصر ونشر مدرسته الصوفية هناك، ولا يزال أهل مصر يتبركون بضريحه إلى الآن ويعتبرونه من الأقطاب الثلاثة في ميدان التصوف إلى جانب أحمد البدوي وأحمد الرفاعي *(أقطاب التصوف الثلاثة)*. وإلى بني زيات ينتسب الحسن الوزان المعروف بليون الافريقي، كما صرح بذلك في *وصف افريقيا* (1 : 264) إلى جبل إجافن، وهو مدشر من مداشر القبيلة ما يزال يعرف بهذا الاسم حتى يوم الناس هذا، يقول الوزان في ذلك : "وأستطيع أن أتحدث عن هذا الجبل (يقصد جبل إجافن) لأنني كنت على اتصال بهؤلاء الجبليين خلال فترة طويلة من حياتي، إذ كان لأبي أملاك بهذا الجبل، إلا أنه كان يعاني الشدائد لاستخلاص محصول أراضيه الزراعية وكرومه"، كما تذكر بعض الروايات أن طارق بن زياد من هذه القبيلة *(البحث العلمي*، ع 31 ص. 41) إلى غير هؤلاء من الأعلام الذين لهم تاثير في المجال العلمي والجهادي والإصلاحي...

م. العلمي، *نوازل*، ط. الحجرية ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا* ؛ ع. الجيدي، *ابن عرضون الكبير* ؛ صلاح عزام، *أقطاب التصوف الثلاثة*. مجلة البحث العلمي، ع 31.

عمر الجيدي

بني سادّنْ أو أيت سادّن، ـ بالجمع ـ مفرده أُسادّن، قبيلة تنتمي إلى فرع صنهاجة المسمى إزناجن، وتقيم على أرض مساحتها 192 كلم² محاذية للطريق الرئيسي بين فاس وتازا على بعد 30 كلم شرقي فاس. تحدها شرقاً قبائل أيت سغروشن وأودية مسوسة وبوزملان ومطماطة، وغرباً أولاد الحاج على الضفة اليمنى لنهر سبو، وجنوباً قبيلة بني يازغة من الجنوب الشرقي وواد سبو من الجنوب الغربي، وهي المنطقة التي تشكّل حدودها مع بلاد العُواطة وقبيلة أيت يوسي، وشمالا، الجزء الجنوبي لقبيلة الحياينة التي تقيم بالضفة اليسرى لنهر إنّاون.

تشكل بلاد بني سادن نجداً يرتفع بنحو 600 م عن مستوى البحر، وكانت أرضيته إلى عهد قريب مغطاة بنبات الدوم، وتكسوها هنا وهناك غابات الجم التي ترعى بين جنباتها قطعان الأغنام والأبقار، إلا أن الدوم اقتلع منها مؤخراً فحل محله الرعي وزراعة الحبوب. ويبدو أن هذه الأراضي كانت في الماضي موطناً لقبائل انقرضت أو هاجرت نحو شرق البلاد، مثل بني واريثن والگراجة وبني يازغة.

الساكنة، يشير إحصاء سنة 1982 إلى أن قبيلة بني سادن تتألف من 17.801 نسمة مقابل 9.470 نسمة عام 1936، يتحدثون بالبربرية في معظمهم إلا مجموعة منهم يتحدثون بالعربية ويوجدون حول الزاوية الوزانية. لا يوجد من بين سكان القبيلة أي عنصر يهودي في الظروف الراهنة، ولئن كانت طائفة يهودية تعيش بينها إلى الثلاثينات من هذا القرن حيث إن كل دوار كان يحتضن يهودياً أو يهوديين تحت حمايته يتقنان البربرية ويعيشان بعيدين عن أسرتهما المقيمتين بفاس أو صفرو. وبهذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن إحصاء 1982 لم يشمل إلا المستوطنين القارين، دون إدخال المهاجرين في الاعتبار، سواء منهم من رحلوا إلى خارج المملكة أو الذين انتقلوا للعمل في جهات أخرى من البلاد.

التنظيم الإداري : كان لأيت سادن قديماً نظام تشاوري تجسمه الجماعات المتألفة من أشخاص قادرين على حمل السلاح وتحت إشراف الحكماء، أي كبار القبيلة. وكانت هذه الجماعات تنتخب شيخاً، أي "امغار" بمعنى "الكبير" تسلم له مقاليد الشؤون الجارية والاجتماعية والدفاع. أما أمغار فإنه يتميز بصفات معترف بها، إلا أن التفويض الذي يمنح له يكون لمدة زمنية محدودة. ثم تعين السلطة المركزية "قائداً" على القبيلة من بين أفرادها، إلا أن سلطات الاستعمار أقدمت سنة 1929 على تنحية القائد عمر نتود، وهوسادني النشأة، بسبب تحفظه إزاء الموقف الاستعماري من حرب الريف ومعارضته لاستيطان معمرين فرنسيين بأراضي القبيلة، فعوضته بالقائد علي العياشي الذي أتت به من خارج القبيلة.

أما اليوم فإن بني سادن تتبع ملحقة لقيادة أحواز فاس، ولها شيخان كل واحد منهما على رأس نصف القبيلة، ويسمى النصف الأول إحَمُّودن والنصف الثاني أيت مزالة :

1 ـ إحَمُّودن (كلمة مشتقة من إحمُّوتن، أي المنتسبين لحمو) اسم لنصف القبيلة المقيم غرباً الذي يتألف من أيت صالح وأيت سعيد وأيت علاّ وأيت عطُّو وأيت الشّاو وأيت عامو أ ُلشّاوْ وأيت ناصر وأيت جابر وأيت بردال وأيت إيبتين وأيت إدريس. وتجدر الإشارة إلى أن الأفخاذ الأربعة الأخيرة كانت تنتمي إلى النصف الآخر الموجود شرقاً، إلا أنها فضلت مغادرته على إثر تقدم قبيلة أيت واراين التي اكتسحت أرضها، فانسجمت هذه الأفخاذ الأربعة مع تقاليد وسطها الجديد بكيفية سريعة، ومن ناحية النطق واللهجة.

أيت سادّن الشرقية المعروفة حالياً بأيت إملول، لم

يستوطنوا المنطقة إلا في غضون النصف الثاني من القرن التاسع عشر، قادمين من أقصى شرق هذه الجهة، تاركين الفراغ أمام ضغط قبائل أقوى منهم وأكثر عدداً (مثل بني واراين وأيت سغروشن وغيرهما).

وإلى حدود العشرينات من هذا القرن، ظلت أيت سادن الشرقية أو أيت إملول تتشكل من مجموعتين :

أيت سليمان المتألفة من الأفخاذ التالية : أيت عمّار، وأيت حميدان وأيت ميمون وأيت امُّوياسن وأيت بوزمور وأيت دلحة وأيت إلقّيمَنْ الذين انقرضوا اليوم تماماً، ثم أيت أ ُبلحسن وهي الفخذة التي اشتهرت بحصولها على شجرة الشرف التي تربطها بالأدارسة، ويرون مع ذلك أنهم من أعقاب الجزولي برابر أقحاح.

2 ـ وأيت مزالة : عنصر قديم جداً منقرض، كان يتألف من أيت بن علي، وأيت حركات وأيت بن عثمان وأيت أ ُبركان وأيت بوعزة وأيت احساين وأيت بن حَنْد.

من ناحية الأحكام، كان العرف هو السائد عند قبيلة بني سادّن وذلك إلى سنة 1926 حيث التمست من السلطات المركزية أن يطبق عليها الشرع الإسلامي.

النظام العقاري : تتميز بلاد بني سادّن بأسماء مواقع عربية لأن السكان كانوا في زمن من الأزمان ينتسبون إلى جماعات مستعربة نذكر منها بالخصوص : بني يازغة والحبوس وجنان الحمراء والزاوي بوگرين، مع الإشارة إلى أسماء الجماعات البربرية البائدة مثل أيت ملال، وإبادسَنْ وأيت دلحة وإلقّيمَنْ وغمارة ولواته. إن سكان زاوية بوگرين وبعض عناصر قبيلة بني يازغة المجاورة أقاموا عدة مرات دعاوي ضد بني سادّن مطالبين بحقوقهم الموروثة، وهم يدلون بوثائق صحيحة وقديمة، إلا أن المحاكم، لاعتبارات سياسية واجتماعية، أصدرت في الموضوع أحكاماً تعلن أن الأراضي المتنازع في شأنها أراض جماعية يحق لمن يعيشون عليها أن يستغلوها جماعياً.

منذ القدم ظلت كل أسرة تمتلك أرضاً للفلاحة، وأرضاً للرعي وساحة عمومية، وآباراً مشتركة. وفي عام 1927، أقبلت السلطات الاستعمارية على تجريد السكان من ملكية 3.000 هكتار وزعتها على معمرين فرنسيين وطردت أصحاب الأراضي الشرعيين.

تتألف الأراضي الفلاحية اليوم من ملكيات خاصة ذات أهمية قليلة أو متوسطة وأراض جماعية ابتدعتها سلطات الحماية لتوطين الملاكين الذين أفقدتهم ملكياتهم، ثم الأراضي المسترجعة في شكل تعاونيات. غير أن هذه الأراضي كلها رغم خصوبتها وإنتاجها المتميز لا تفي بحاجيات أهلها الذين يعدون من بين الجماعات الأكثر تطوراً في المغرب، كما لا توجد أي صناعة بالمنطقة ولا نشاط تجاري هام، فأدت هذه الأوضاع إلى تشجيع الهجرة نحو المدن، ودفعت بالشبان إلى الانخراط في الجيش والوظيفة العمومية أو الهجرة إلى الخارج.

- بني سادن والقبائل المجاورة لها : تم استيطان بني سادن في مواقعهم الحالية إما باللجوء إلى السلاح أو بفضل إعادة شراء الأراضي أو على إثر الفراغ الذي خلفه من هاجر من السكان على إثر العمليات الزجرية التي مارستها السلطات ضدهم. وهكذا وجدوا أنفسهم مقحمين بين قبائل مناهضة تكنُّ لهم العداء مثل أيت يوسي وبني يازغة والحياينة وأولاد الحاج. ولربما تمكنوا من السيطرة على هذه القبائل عدة سنوات إلى أن ظهرت قبيلة بني واراين من وراء جبل بويبلان لمساندة أبناء عمومتها أيت سغروشن. وهكذا فإن بني واراين وحلفاءهم أيت سغروشن وبني يازغة وإغزرن وحتى مرموشة النائية فرضوا حرباً ضروساً على بني سادن استغرقت زهاء ثلاثين عاما. ولما أحست قبيلة بني سادن بقرب تقهقرها واندحارها لجأت إلى تحالف مع قبائل غياثة أعداء خصومها، وعقدت معهم اتفاقاً أشرف عليه أعيان الجانبين، الأمر الذي حتم على بني واراين تجميد عملياتها الحربية حينا من الدهر إلى أن احتلت فرنسا المغرب.

تميزت علاقات بني سادن مع جيرانها أيت يوسي بتوتر كبير إلى عام 1920 حيث تدخل الصلحاء بين الطرفين لحل المشكل الشائك الناجم عن وضع النساء المحصنات الفارات من بيوتهن بإحدى الضفتين اللاجئات إلى الضفة المقابلة (من نهر سبو).

لم يكن بين الحياينة وأولاد الحاج المنضوين تحت لواء المخزن، أي علاقة تجارية أو غيرها مع بني سادن، إن لم تكن المعارك الدامية التي تتسبَّبُ فيها مواجهات الجانبين بين الحين والحين والتي لم تتوقف إلا مع احتلال المغرب من طرف القوات الأجنبية.

مقاومة الاحتلال الفرنسي : استبد رجال بني سادن الذين كانوا مدربين على الحرب رغم قلة عددهم في مواجهة الجنود الفرنسيين، خصوصاً أثناء المعارك التي دارت رحاها بأحواز فاس. واتفق أن أعداء الأمس بني سادن وبني واراين نسوا خلافاتهم وتحالفوا على الجهاد ضد الفرنسيين الذين احتلوا فاس، وذهب المحتلون يشنون العديد من الغارات الانتقامية الفتاكة ضد قبيلة بني سادن ويقيمون الحاميات في مواقعها الاستراتيجية. ورغم احتلال بلاد بني سادن، فإن رجالها نظموا شبكة للمقاومة مع بني واراين الذين لم يكونوا قد استسلموا بعد، فتألق هؤلاء وأولئك في معارك خلدت أسماءهم مثل معركة سيدي بوقنادل، ومعركة أيت ميمون اللتين نظمت على إثرهما الأشعار الحماسية ومضى القوم يتغنون ببطولة علي أ ُرَحّو ومُحند أ ُمبارك وگريوب وغيرهم. ومما ورد في إحدى هذه القصائد : "أوَا إمُّوتْ علي، أيا عُسّاس يِنْ أوَا" ومعناه :"اذهب وقل للحراس (الفرنسيين) إن علي أ ُرحو مات هذه المرة، فيمكنهم أن يناموا مطمئنين".

لم تتغيب قبيلة بني سادن عن الحقل السياسي والوطني من عام 1938 إلى عام 1956، ولم يغيبوا عن المقاومة المسلحة ضمن صفوف جيش التحرير.

الأنشطة الثقافية والفنية والاجتماعية : اشتهرت قبيلة بني سادن بصرامة مبادئها، فإلى الأربيعات من هذا القرن، كان يعتبر مساساً بالأخلاق وتدنيساً للقيم الاجتماعية، التدخين وترك الشعر على الرأس وحلق اللحية واتخاذ الملابس الأوربية والتسوّل والأكل أمام العموم والغناء والرقص أمام الآباء والأولياء وممارسة التجارة. أما خروج المرأة إلى السوق فإنه كان أمراً محظوراً.

قبل أن يدخل الراديو إلى البيوت وتغزوها التلفزة، كان الناس يقصون في سمرهم، على الشبان والأطفال، الأعمال البطولية التي سجلها المجاهدون في صفحات تاريخ البلاد، مركزين على ما أداه فلان وفلان. أما الأمهات، فإنهن كن يربين أبناءهن على تقديس التقاليد والصالحين والدفاع عن القيم الأخلاقية مثل الشجاعة والضيافة واحترام الكبار، وكنّ كذلك لا يغفلن عن تذكير الأطفال بوجوب الاقتداء بالأسلاف.

ظلت الفروسية إلى السنوات الأخيرة الرياضة المفضلة لدى أهالي المنطقة، غير أن هذه الرياضة تقلصت واضمحلت بسبب انتشار وسائل النقل المكانيكية، وتأتي بعد ألعاب الفروسية، لعبة الشَّرِّي المماثلة لرياضة الگولف، وكرة القدم التقليدية، والصيد.

يمارس أحيدوس عادة بمناسبة الأعياد والحفلات عشية، وقد يستمر إلى ساعة متأخرة من الليل، تشارك فيه فتيات، وحتى نساء متزوجات في مناسبات استثنائية، يتخللن صف الراقصين الذكور في تدلل رائع تحت الأنظار اليقظة لأوليائهن وأزواجهن. ويتحتم على كل العناصر القائمة بأحيدوس أن يبرزوا بالزي التقليدي الأصيل ولا يسمح لهم مطلقاً بالظهور بأي ابتداع أجنبي، ويبقى الناي والطبل (البندير) الآلتين الوحيدتين المستعملتين. يقدر الناس تقديراً بالغاً الشعراء المنشدين بلباسهم الأنيق والآلات الموسيقية.

تحتفل قبيلة بني سادن بكيفية رائعة بالأعياد الدينية والمواسم المحلية. ينظم الشبان بمناسبة عيد الأضحى مثلا زيارات ليلية إلى مختلف الدواوير أثناء ثلاث ليال متتالية، يقدمون التهاني للسكان ويلتمسون منهم مساعدة لإقامة مأدبة. وينظمون كذلك بمناسبة عيد الأضحى حفلا شعبياً يسمى "عجونة" فينتقلون من دوار إلى دوار ومن قبيلة إلى أخرى، في جو من الغناء والطرب يشارك فيه الذكور والإناث، فيستضيفهم الوجهاء اتقاءً لنقدهم إن هم فرطوا في إكرامهم أو أهملوا وفادتهم.

بمناسبة عيد المولد تقام احتفالات شعبية كبرى، وتنظم رحلات إلى مكناس للمشاركة في موسم عيساوة، وحوالي الثلاثينات انضوى عدد هام من الناس تحت لواء الزاوية التجانية. وتجدر الإشارة إلى عدم وجود زوايا بأراضي بني سادن. باستثناء الزاوية الوزانية التي أنشئت قبل الحماية برأس تابودا. وما من شك في أن وجهاء الطريقة الوزانية المحليين تدخلوا كثيراً لتسوية نزاعات بين الأفراد.

إلى جانب هذه الاحتفالات، تقام بالمنطقة مواسم عند أضرحة بعض الصالحين، مثل سيدي عبد الرحمان وسيد مبارك وسيدي عبد الرزاق وسيدي المشهور وسيدي علي أحمد وسيدي بوعلي (ومن المحتمل أن يكون هو أبا علي اليوسي الذي تجاذب جثمانه لمدة طويلة كلٌّ من أيت سادن وأيت يوسي).

ونشير في الأخير إلى الاحتفال "بتاغُنْجة" الذي ينظمه الشبان بمناسبة الاستسقاء عند الجفاف.

يتباهى السادنيون بتدينهم وكثرة مساجدهم لكن من الغريب أن الأئمة والمؤذنين والمدررين الذين يعلمون الصبيان قراءة القرآن كلهم أجانب عن القبيلة.

غير أننا نشاهد تطوراً كبيراً في أوساط القبيلة، من ذلك المرونة التي أصبحت تطبع الخصائص الاجتماعية والأعراف المتشددة. أما سلهام الرجال ولحاف النساء والعمامة وغيرها فإن كل هذا ترك المجال للزي الأوربي وأضحى اللباس التقليدي مخصصاً لأيام الأفراح والمناسبات الدينية. لكن النزعة الفردية التي يتميز بها المجتمع حالياً لم تسلك بعد طريقها إلى هذه المنطقة حيث مازال ما يسمى "بالتويزة" عملا جارياً لفائدة شخص تفوق متطلبات الشغل قدراته في العمليات الفلاحية، أو في غزل الصوف بالنسبة للنساء.

فيما يخص منتجات الصناعة التقليدية، لا نجد سوى الزربية الجميلة ذات الطابع المحلي الخاص التي يوجد منها نموذج معروض بمتحف البطحاء بفاس، يرجع تاريخه إلى 150 عاماً. وقد اختفى صنع الخيام منذ 1942، بعد أن حلت محلها المنازل المبنية، وكذلك الحلي الفضية والوشم فإننا لا نجدهما اليوم إلا عند العجائز.

لمحة تاريخية : أيت سادن تعني أولاد النور، وهم خلف أيت عطا الصنهاجيين، وأيت عطا من أيت يافلمان (أيت مرغاد، أيت حْدِّيدُو، أيت إزْدَغْ)، أيت إزْدَغ من أيت أُوفَلاّ (أيت أوفلّو، ضواحي ميدلت) (أيت أوفلّو، واد النجا، فاس ـ مكناس).

خلّف أيت أُوفَلاّ آثارهم طوال الطريق المتجهة من الجنوب نحو الشمال (الأطلس الكبير، القصابي، أيت إزْدَغْ، أيت عياش بميدلت، أيت امگيلد، أولاد خاوة، أيت سغروشن، أيت نْضير، واد انْجَا بالقرب من تاوجضات حيث ما تزال بعض الأسر).

أما الفرع الثاني من أيت سادن فإنه يستوطن اليوم مواقعه على بعد أربعين كيلومتراً شرق فاس في الخط المؤدي إلى تازا.

من المحتمل أن يكونوا جاوروا أيت عطا بمنطقة واد زيز، وأيت إمور بمنطقة واد غريس، وأيت يافلمان (أيت مرغاد وأيت حْدِيدُو وأيت ازْدغْ) شمالاً بالأراضي التي كان يقيم عليها سابقاً أيت نضير وگروان وإملوان. وهكذا يمكننا أن نتتبع خطوات هذه القبيلة في هجرتها نحو الشمال

والمواقع التي مرت بها والتي نسردها فما يلي :

- أسُّولْ وما حولها، في هذه الناحية يروى أن أيت سادن اصطدمت بشرفاء زاوية سيدي بويعقوب.

- إفري نْوامان، مكان مرتفع يقع بين أسول واميلشيل.

- بْرطَاط على ضفاف واد زير حيث إن جماعة من أيت أُفلاً تسمى أيت سادن.

- تولال وفيها مسجد أيت سادن.

- تيعلالين وهي مجموعة من القصور التي لا يجهل فيها أحد لفظ أيت سادن.

- بعض الأطلال والروايات والألقاب الموجودة والجارية بناحية بولمان - الميس بمرموشة (أيت إدراسن وأيت سادّن وإغرم أملال لأيت سادن أليس بمرموشة. ولربما عاش أيت سادن خلال حقبة من الزمن بين بولمان وأليس مرموشة بعد أن أجلوا السكان الأصليين من المنطقة، وأنهم مشهورون عند أيت يوسي بممارستهم الفلاحة وتربية المواشي فتميزت حياتهم بالرخاء والازدهار. ومن المحتمل أن يرجع إلى هذا العهد تحالفهم مع أيت ولاّل بإشراف وتشجيع من أحد الصلحاء المحليين اسمه سيدي بوطيب الذي سياتي الحديث عنه فيما بعد.

- أيت جَلّيداسن، قبيلة صغيرة وهي جزء من تكتل أُوارايْن شرق جبل بويبلان والتي تضم من بين سكانها عناصر من أيت سادن ومن أيت عطا وغيرهم.

- وأخيراً، نرى في غرب المنطقة الحالية عناصر من أيت أُوارايْن توجد من بينهم آثار باقية وأطلال وبساتين وألفاظ تذكّر كلها بما خلفه مرور هذه القبيلة بالإقليم المذكور.

- ومن جهة أخرى ليس من الغريب العثور على جماعات سكانية تحمل لفظ"سادّن" حول مهد زاوية الدلاء التي كانوا من أعظم أنصارها وأكثر من غيرهم وفاءً لها. وتسمى تلك الجماعات :

أيت أُسادّن من بين سكان أيت عياش بميدلت.

أيت أُسادّن من قبيلة أيت عبد اللّولي بالقصيبة.

أيت أُسادّن بأيت إيكُّو (أيت ويراً، أيت سْري).

أيت علي أُكُّو سادّن نت أيت ويراً (أيت سيدي بن داود).

أيت خويا أُسادّن لأيت خويا (أيت ويراً)

أيت خويا أُسادّن (لأيت إشُّو).

أيت سادّن - أيت إدراسن - زاوية الدلاء : يشكل أيت إدراسن تكتلا معروفاً منذ عهد الموحدين وتعني لفظة إدراسن مجموعة من المواشي من غنم وبقر مربوط بعضها إلى بعض من جيادها ومرتبة لحمل البضائع أو التشغيل، وتعني الكلمة كذلك "أصحاب الأغنام" أو "الذين تحالفوا وتعاهدوا".

كان تكتل إدراسن يتألف أصلا من بني إملوان (الذين يشكلون فخذة من أيت عطّا) ومن سكان فركلة وغريس وتُدغة الذين انضم إليهم عناصر آخرون لتعزيز صفوفهم ضد قبيلة گروان وأيت أُمَالُو (زيان، أيت اسحاق، إشقرن، أيت أُحند، أيت يسْري، أيت شُخْمَان) وكلهم توحدوا حول زاوية بربرية، هي الزاوية الدلائية التي أسسها المجاطيون (إمجّاض) على مقربة من زاوية أيت اسحاق.

فلا غرابة أن نرى إذن تكتل قبائل إدراسن وضمن صفوفهم أيت سادّن يساندون الزاوية الدلائية في حركاتها السياسية. كانت هذه المجموعة من القبائل التي تنضوي تحت لوائها قبائل أخرى مثل أيت إمور وإمجّاض وأيت ولال وأيت أُفلاً وأيت سادّن وإملوان وأيت عياش فوق مجموع تراب فزاز (بالأطلس المتوسط الأوسط) وحوض ملوية العليا بنواحي صفرو وگيگو.

في عهد مولاي سليمان، شارك أيت سادن ضمن تكتل إدراسن الذي لم يفقد حيويته وقوته في المحلة التي توجهت لعقاب قبيلة گروان التي شقت عصا الطاعة. وفي عهد مولاي سليمان كذلك، كانوا من بين الجنود الذين قاتلوا أيت أُمالو الذين عبأهم أبو بكر إمهاوش لغزو مكناس والاستيلاء على الغرب. وهكذا فإن أيت سادّن قاسموا إدراسن مصيراً واحداً إلى أن تصدع تكتل قبائلهم وتمزق في عهد مولاي عبد الرحمان. لكن أيت سادن حُملوا على الهجرة نحو شرق البلاد، وتقطعت الأسباب التي كانت تربطهم بحلفائهم السالفين، غير أنهم لم يتأثروا بنائبة الدهر، فحافظوا على قواتهم وأعدادهم واستطاعوا الحياة مستقلين وفرض وجودهم وسيطرتهم على القبائل المجاورة لهم. ويُروى بهذا الصدد أن مولاي عبد الرحمان كان وراء نفيهم إلى أزغار (الغرب) لكنهم طفقوا يعودون إلى مواطنهم ليلا. ويتناقل الناس أيضاً نبأ مطاردتهم وعقابهم من طرف مولاي الحسن الأول حتى إذا اشتد عليهم الخناق أوفدوا أطفالهم يحملون ألواح القرآن لالتماس عفو السلطان وأمانه.

وبالأمس القريب، كانت أيت وارين الغريمة التي استنجدت بها أيت سغروشن الخاضعة منذ القدم لنفوذ أيت سادن، أقول كادت أيت وراين الآتية من وراء الجبال أن تخترق الصفوف في زحفها نحو فاس، مكتسحة أيت سادن وكل الأراضي، ولولا يقظة أيت سادن وشجاعة رجالها الذين قطعوا عليهم المسالك والممرات، لأعلن أيت وراين تلاحمهم مع أيت نضير ولشكلوا قوة منيعة قبل وصول الفرنسيين.

التحالف الدائم مع أيت ولاّل : لا نكاد نعرف شيئاً عن التاريخ والظروف التي تم فيها التحالف بين أيت ولال وبني سادن الذين كانوا من بين العناصر المشكلة لتكتل أيت إرداسن، وتفصل اليوم مسافة مائة كيلومتر بين القبيلتين. ومع ذلك، فإن التعاهد بين القبيلتين لا يزال قائماً إلى اليوم، يلتزم به بكيفية دقيقة الرجال والنساء والأطفال. وقد اتفق القوم على اجتناب كل الأعمال التي من شأنها أن تخلق النزاعات والحزازات بين أفراد القبيلتين، والتي يمكن أن تكون مصادرها التجارة والكتابة والزواج. وبالطبع فإن

كلتا القبيلتين تدعي الشرف. ويسمى عندهم هذا التعاهد "ثاظا" أي الرضاعة، فإذا ما التجأ أحدهم من عشيرة إلى أخرى لتحميه من عشيرته، بحث حيناً عن امرأة مرضعة ورضع منها، إذ ذاك تحتضنه العشيرة الثانية ويصير عضواً منها له عليها حقوق الحماية، ولا يمكن لأحد نقض هذه الحماية خوفاً من الإخلال بالشرف. ويمكن لهذه الممارسة أن تتطور إلى أكثر من هذا، إذ يمكن لعشيرتين، في نطاق العرف والتقاليد الاجتماعية الخاصة الذبح على قبور الأسلاف وتبادل السلاهم والعمائم وتبادل الرضاع في بعض الأحيان الذي يعتبر كروابط الدم مع اللجوء إلى احتكام ولي صالح، وإبرام معاهدة للتعاون قصد درء الأخطار الخارجية، وإن كل من تسول له نفسه خرق هذه الاتفاقية ضُربت عليه الذلة والمسكنة وباء بغضب من الله.

تلك كانت الحالة بالنسبة لأيت سادن وأيت ولال الذين احتكموا إلى سيدي بوطيب دفين ميسور. وتروي الأخبار أن سيدي بوطيب كان ممتطياً بغلة وقادماً لزيارة أيت سادن القاطنين بين بولمان ومرموشة، والناس يعرفون مكان سقوط بغلته، ذلك ما يدل على صلات الجوار التي كانت تربط القبيلتين، وأنهما ظلتا تقفان صفاً واحداً في حالة مجابهة الأعداء أو كلما هدد كيان إحداهما خطر من الخارج.

ما هي الطريق التي سلكها أيت سادن في تنقلاتهم من زاوية الدلاء إلى مواقعهم الحالية ؟ يفترض أولا أنهم انتقلوا إلى سرغينة ثم أليس ثم انتشروا نحو الشمال غرب بويبلان ثم عرجوا نحو الغرب غادين رائحين إلى أن استقر بهم المقام فيما هم فيه اليوم. أما الافتراض الثاني فإنهم يكونون قصدوا أليس وسرغينة وسايس شرقاً ابتعاداً عن المخزن ليعودوا مرة أخرى نحو الغرب تحت ضغط مجموعات أقوى منهم.

كان للوجود الفرنسي تأثير في دفع السكان إلى الاستقرار، فاغتنمتها قبيلة أيت سادن الصغيرة فرصة ثمينة لتحقيق نهضة ديمغرافية واقتصادية رغم استيلاء الاستعمار على أجود أراضيها. غير أن الهجرة أخذت تُضعف صفوف هذه القبيلة بصورة خطيرة للغاية حيث جعلت تفقد تدريجياً ما اتصفت به من حيوية وديناميةٍ، ولئن طفق الشبان يغوصون في ذاكرة الماضي فإن عناصر أيت سادن مايزالون أوفياء للعمل بحزم وشجاعة أمام الشدة والأزمات معتزين بالتضحيات التي قدمتها القبيلة في سبيل تحرير الوطن من الاستعمار. وفي هذا الصدد يقول شاعر الملحون :

"السّادني يا الزّنْبُورْ مْحزّم للشرْ ديمَا"

وقد نظمت هذه القصيدة خلال القرن التاسع عشر. وأضيف أن السادني إن كان قاسياً وعنيداً، فإنه كذلك ذو أخلاق كريمة، وليس من باب التشاؤم القول بأن بني سادن مهددون بالانقراض الاجتماعي كغيرهم من المجموعات البشرية المتميزة وذلك بسبب الهجرة المتفشية والعصرنة والانفعال بالتيارات الحضارية الحالية.

معلومات شخصية ودراسة ميدانية.

أ. ح. أسادن

بني سالم، قرية واقعة بالسفح الشرقي من جبال حوز تطوان، عند بداية إشراف جبل فتح على منابع واد أُليلي، مجاورة هناك لمدشر بلوازن، داخلة اليوم ضمن فرقة البحري من حوز تطوان.

وقد ظل السفح الشرقي من جبال مجكسة (حوز تطوان) موطن رجال المقاومة منذ احتلال البرتغاليين لسبتة (818 / 1415)، إذ كانت قراه مستقر رئيس المجاهدين الأول عبو بن محمد ومساعده زيان، ودار الشيخ أحمد بن سلام ابن مرزوق. وفي سنة 836 / 1432 كان أحد أبناء عبو بن محمد، واثنان من إخوته المدعوان موسى وأبا بكر يُعدون للغارة على سبتة بنحو خمسين محارباً من أجود شجعان مجكسة. ولما كان حاكم سبتة غير غافل عن تتبع خطوات المقاومة والحركة الدائرة بقرية بني سالم، لجأ لاستدراج المجاهدين إلى ميدان سبتة، بناء على خطة الظهور بساحة القرية، ثم التظاهر بالتراجع إلى حيث كان الجنود متربصين بكمينين يجعلان المغيرين بين شقي الرحى، وهذا هو ما حدث، فاستشهد الرئيس ابن عبو مع عدد ممن كانوا معه، بينما التجأ الباقون إلى قرية بلوازن، وأصبحت القرية لذلك هدف حاكم سبتة.

ع. الفكيكي، *مقاومة الوجود الايبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 1 : 162 ، 163 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، ص. 40، تطوان، 1953.

Gomes Eanes de Zurara, *Cronica de D. Pedro de Meneses*, p. 72 - 78 ; Osorio Baltazar, *Ceuta e a capitania de D. Pedro de Meneses*, p. 168.

حسن الفكيكي

بني سدات، قبيلة تقع بناحية الريف (إقليم الحسيمة حالياً) وتحيط بها قبائل : متيوة البحر ـ بني گميل ـ زرقات ـ بني خنوس ـ بني بونصار ـ تغزوت ـ كتامة، وتقدر

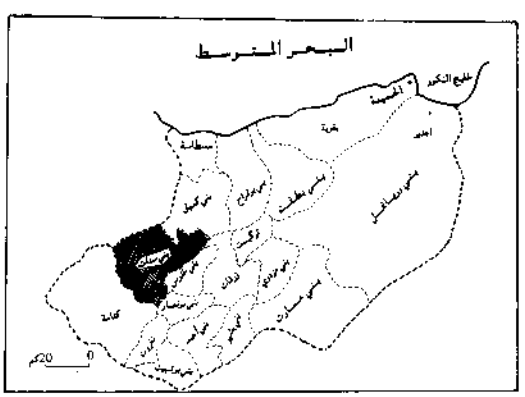

موقع بني سدات

مساحتها بـ 189 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 4.421 نسمة يتكلمون باللهجتين العربية الدارجة والصنهاجية، وتتوفر على أحد عشر مسجداً وستة أضرحة وزاويتين واثني عشر كتّاباً قرآنياً.

ويوجد بالقبيلة سهل يعرف بإيساگين أطلق عليه الإسبان اسم L'ano amarillo (السهل الأصفر) وقد جرت به المناورات العسكرية التي كانت انطلاقة الانقلاب العسكري الذي أطاح بالجمهورية الإسبانية سنة 1936.

تنقسم القبيلة إلى ثلاث فرق هي : الدوين (5 مداشر) وعربي (4 مداشر) وتلارواق (5 مداشر).

وفي التقسيم الإداري تكوّن هذه القبيلة جماعة قروية تحمل اسم ايساگين.

بني سعيد، ـ الريف ـ قبيلة تقع بإقليم الناظور حالياً، وتُحد شمالا بالبحر المتوسط، وتحيط بها قبائل بني بوگافر وبني سيدال ومطالسة وبني وليشك وتمسمان. وتقدر مساحتها بـ 406 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 22.468 نسمة يتكلمون باللهجة الريفية.

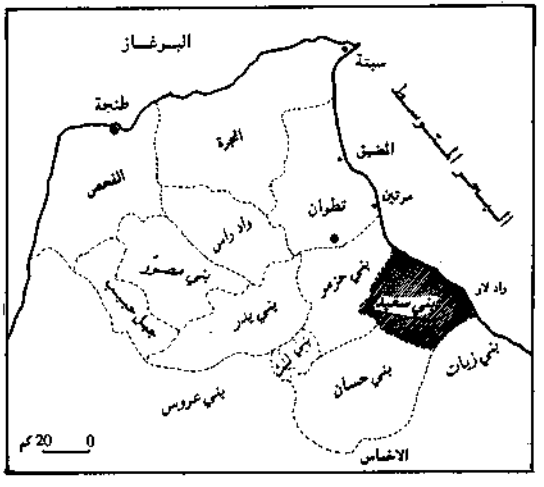

موقع بني سعيد

ويوجد بهذه القبيلة أهم منجم للحديد بالريف بعد منجم قبيلة بني بُويفْرور، والمركز الرئيسي للقبيلة يوجد بدار الكبداني، وفي القبيلة خمسة وتسعون مسجداً وثمانية وثلاثون ضريحاً وست زوايا ومائة وواحد وعشرون كتّاباً قرآنياً وأربع مدارس للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى خمس فرق هي : أولاد عبد الدائم (33 مدشراً) واقايت (62 مدشراً) وامجاو (32 مدشراً) وازعوماً (32 مدشراً) وتشوكت (12 مدشراً).

وفي النظام الإداري تنقسم القبيلة إلى جماعتين قرويتين : جماعة دار الكبداني وجماعة تازغين.

يقول الوزان الفاسي (ص. 268) إن جبل بني سعيد كان يمتد من غساسة إلى نهر النكور وتتقاسمه عدة قبائل.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 268 ؛ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 111.

بني سعيد، ـ غمارة ـ قبيلة تقع بناحية جبالة (إقليم تطوان حالياً) وتحد شمالا بالبحر المتوسط، وتحيط بها قبائل : بني حزمر وبني حسان وبني زجل وبني زيات. وتقدر مساحتها بـ 237 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1949 : 11.833 نسمة يتكلمون باللهجة العربية الدارجة. ومركزها الرئيسي يوجد بقرية وادْ لاوْ حيث يقام سوق أسبوعي كل يوم سبت. بالقبيلة ستة وسبعون مسجداً وثلاثة عشر ضريحاً وسبع زوايا وخمسة وسبعون كتّاباً قرآنياً، ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى إحدى عشر فرقة هي : وراق (12 مدشراً) وبني بزاز (14 مدشراً) واغنُّوري (10 مداشر) وتزگة (8 مداشر) وازرزا (7 مداشر) وتنوذت (9 مداشر) وانسول (7 مداشر) وامسا (5 مداشر) وتغزة (7 مداشر) وبني عاصم (5 مداشر) وغرفة (3 مداشر).

وفي التقسيم الإداري تتكون القبيلة من جماعتين قرويتين هما : جماعة زاوية سيدي قاسم، وجماعة عبد اللاتين.

أبو بكر البكري، *المسالك*، 101-102 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 268 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، ص. 11 ؛ + بيبليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

بني سلمان، جبل بدرعة السفلى. يتفرع جبل باني عند نهايته الشرقية إلى فرعين قبل أن يخترقه وادي درعة، يتجه الفرع الأول نحو الشمال الشرقي بينما يتجه الثاني، وهو جبل بني سلمان (831 م) نحو الجنوب الشرقي. ويضم الفرعان بينهما واحة اكتاوة التي ينعرج بعدها الوادي نحو الغرب في اتجاه المحيط.

ارتبط جبل بني سلمان في خيال بعض السكان بالملك سليمان وبتاريخ يهود درعة حسب ما تحكيه رواياتهم، حيث يعتقد يهود اكتاوة أن أحد قواد الملك داوود طارد الفلسطينيين حتى هذا الجبل، وأن حجراً منقوشاً (سموه حجر سليمان) وجد قديماً هناك، وفيه إشارة إلى تلك المطاردة. وعند الحد الجنوبي لجبل بني سلمان توجد أطلال مدينة تبدري التي ينسبها يهود المنطقة إلى أجدادهم الوافدين من الشرق في عهد النبي داوود (ق 10 ق. م). كما تزعم نفس الروايات اليهودية المحلية أن المجموعة الهائلة من الأرجام المنتشرة على سفح هذا الجبل إنما هي مقابر قديمة لسكان تدري اليهود، وقد احتفظ يهود المنطقة حتى أمد قريب بصلات متميزة مع جبل بني سلمان وأطلال تدري حيث يوجد ضريح "سيدي بواسحاق" الذي يشاركون المسلمين في التردد عليه للزيارة والتبرك.

J. Gattefosse, *Juifs et Chrétiens du Draâ avant l'Islam*, *B.S.P M.*, 1935, 3 - 4, p. 39- 66 ; D. Jacques-Meunié, *La Nécropole de Foum el Rjam, Tumuli du Maroc présaharien*, *Hesp.*, 1958, 1 - 2, p. 95 - 142 ; *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Paris, 1982, T. 1, p. 181 - 182.

محمد الحبيب نوحي

بني سلمان، قبيلة بضاحية غمارة (إقليم شفشاون

حالياً) وتحيط بها قبائل : بني زيات وبني بوزرة وبني منصور وبني خالد والأخماس وبني زجل. وتقدر مساحتها بـ 208 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 6.083 نسمة يتكلمون باللهجة العربية الدارجة. وبالقبيلة ثلاثة وخمسون مسجداً، وخمسة عشر ضريحاً، وثمان وعشرون زاوية، وثمانية وخمسون كتّاباً قرآنياً، ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى خمس فرق هي : أسيفا (8 مداشر) والوسطيين (12 مدشراً) وبني بوحلو(5 مداشر) وبني فنزر (19 مدشراً) وبني احلو (12 مدشراً).

وفي التقسيم الإداري تكوّن هذه القبيلة الجماعة القروية التي تحمل اسم جماعة سبت أسيفان.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 3 : 325.

Carta de Battista Agnesi, 1524 ; A. Domenech, *Zona Norte*, p. 36 ; Cabello Alcaraz, *Geografía de Marruecos*, p. 87.

محمد ابن عزوز حكيم

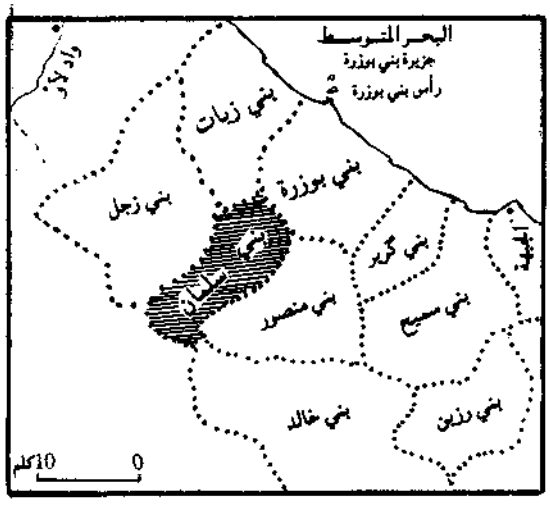

موقع بني سلمان

** تُعرف قبيلة بني سلمان، في التاريخ ببسالتها وشدة مراس أهلها في الحروب، وقد ذكرها البيذق في الحرب التي شنها الموحدون على قبائل غمارة حيث نزلوا ـ كما يقول ـ بأرض بني سلمان فطوقوهم وأحاطوا بهم. (*أخبار المهدي*). وبها أسر علمية، ومدارس للعلم والقراءات. ومن الأسر العلمية الشهيرة بها : أولاد برو (سبق الحديث عنهم)، وأولاد القاضي، وأقدمهم ـ فيما نعلم ـ محمد القاضي، التحق بفاس وأنهى دراسته بها، وبقي هناك مدة اشترى خلالها بيتاً من بيوت المدرسة المصباحية وجعله حبساً على طلبة غمارة، وظلوا يتوافدون عليه إلى أن نظمت الدراسة بالقرويين، وأدخلت تعديلات على مدارس سكنى الطلبة. ومنهم أولاد أخريف، آل محمد بن العربي أخريف معاصر الشيخ البوزيدي، وبينهما مراسلات ومكاتبات في شئون الدين وطريق القوم. والفقيه حسابن أخريف الذي تولى سلطنة الطلبة بفاس فعينه الحسن الأول قاضياً على قبائل غمارة، وأصدر ظهيراً بتوقير واحترام آل أخريف في 23 ربيع الثاني 1294، والمقرئ الكبير محمد بن أحمد أخريف المدعو أقلال الذي كتب مصحفاً بخط يده، وله عليه تعاليق ورموز، فرغ منه عام 1280 هـ. ومنهم أولاد العمراني، من متأخيرهم : التهامي بن أحمد العمراني، أنهى دراسته بفاس عام 1321 / 1903 وكان آية في الذكاء والحفظ وولي القضاء بظهير من ابن عبد الكريم الخطابي أيام الحرب الريفية. وأولاد عبد الرزاق، منهم : أحمد بن عبد الرزاق، عالم يميل إلى التصوف، لم يشتغل بقضاء ولا إفتاء. وأولاد التاغي، منهم أحمد بن محمد بن قدور التاغي، تولى القضاء والافتاء ببلده، توفي في حدود 1318 / 1900. وأولاد مسرة، من كبار علمائهم محمد بن أحمد مسرة، الذي درس بفاس وولي القضاء والإفتاء بقبائل غمارة، وكانت له مكتبة زاخرة بالنفائس ونوادر المخطوطات، والمقرئان الاخوان خليل ومَحمد اللذان كانا يحفظان السبع بالعدد.

وستاتي في حرف السين تراجم عدد من الفقهاء المنسوبين إلى القبيلة الأم بني سلمان.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ع. الزياتي، *الجواهر المختارة*، مخطوط؛ م. عبد الله عنان، *عصر المرابطين والموحدين* ؛ ع. بن عبد الله، *الموسوعة المغربية* ؛ العباس بوخزار، *تقييد في تاريخ قبيلة بني سلمان* (مصورة خاصة) ؛ *وثائق وروايات شفوية*.

سعيد أعراب

بني سليم، يذكر المؤرخون أنهم من القبائل العربية التي هاجرت صحبة الهلاليين من مصر إلى المغرب في منتصف القرن الخامس (11 م)، لكنهم فضلوا المقام ببرقة وطرابلس قبل أن يتوغلوا في افريقية التي دخلوها في القرن السادس (12 م)، يشهد لذلك دورهم في مساندة ابن غانية وحليفه قراقوش ضد الموحدين.

وعلى العموم، كانت قبائل سليم، مثلها مثل قبائل هلال، تساهم في الأحداث السياسية والعسكرية بافريقية، بالانضمام لطرف من أطراف مواجهة قبائل أخرى ثائرة، وساهمت قبائل سليم بدورها في إفشال مشروع أبي الحسن المريني الرامي إلى توحيد أقطار المغرب الكبير، بعد أن ألحقت الهزيمة بجيشه على مقربة من القيروان سنة 749 هـ.

ويبدو أن بني سليم لم يصلوا إلى المغرب الأقصى ولم يجاوزوا المغرب الأوسط، اللهم إلا ما كان من نقل بعض أشياخ قبائلهم في عهد أبي الحسن الذي أنزلهم بجوار أمثالهم من أعراب المغرب الأقصى.

ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، تح. ع. التازي، بيروت، 1964 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج 3، خاص بالدولة الموحدية، تح. *ميرانذا والآخرين*، تطوان، 1960 ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، تح، أ. مختار العبادي، *الدار البيضاء*، ب. ت ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، وج6 و7، بيروت، 1967 ؛ *المقدمة* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1980 ؛ ع. ابن منصور، *قبائل المغرب*، ج 1.

W. Marçais, *Comment l'Afrique du nord a été arabisée*, *A.I.E.O.*, T V, année 1939, p. 6 - 16 ;G. Marçais, *La berberie musulmane et l'Orient au moyen âge*, Paris, 1946 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1949 ; H. R. Idris, *La berberie orientale sous les Zirides au XIIè siècle*, Paris, 1962 ; J. Poncet, *Le mythe de l'invasion hilalienne*, *A.E.S.C.*, n° V, sep. - oct. 1967, p. 1099 - 1120 ; H. R. Idris, *De la réalité de la catastrophe hilalienne*, *A.E.S.C.*, N° II, mars - arvil 1968, p. 390 - 396 ; A. Laroui, *Histoire du Maghreb*, Paris, 1970 ; Y. Lacoste, *Ibn Khaldoun*, Paris, 1978 ; G. Ayache, *Ibn Khaldoun et les Arabes*, in *Etudes d'histoire marocaine*, Rabat, 1983.

رضوان مبارك

بني سمغرة، قرية وتجمُّع سكانيّ قديم من أصل مصمودي، حدد البكري موطنه بجبل مرسى موسى، أراد بذلك الإشارة إلى الفراغ الواقع بين مؤخرة غرب جبل موسى وجبل العتبة من أنجرة الحالية. ومكان القرية معروف اليوم بنفس الموضع، ويقسم نفس الفراغ مجرى وادٍ سريع الجريان، معروف بواد مرسى موسى. ففي القسم الشرقي وبالقرب من الضفة اليمنى كان مستقر بني سمغرة، موضع القرية بالزاوية الجنوبية الغربية من جبل موسى.

والقرية بمرساتها مشهورة لدى الأنصاري، صاحب *اختصار الأخبار*، وأن مبانيها كانت قائمة، يبرز من بينها ما وصف بالقصر. قاد البرتغاليون من سبتة نحو القرية غارتين في أبريل ثم في يونيه سنة 1416، في نطاق استراتيجية إخلاء سكان قرى ساحل مضيق جبل طارق، إذ أن القرية كانت عيناً على تحركات السفن البرتغالية والقشتالية الداخلة إلى مياهه. تمت الغارتان بإيعاز من حاكم مدينة طريف، حينما أخبر حاكم سبتة بالتعبئة التي كانت تتهيأ على يد رجال المقاومة بزعامة عبو بن محمد المجكسي، والشيخ زيان والمقدم أبي علي.

م. البكري، *المغرب*، 104 ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار*، 51 . 56 ؛ حسن الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 1 : 99 . 100.

Gomes Eanes de Zurara, *Cronica de D. Pedro de Meneses*, 141 ; C. G. Cravioto, *La costa Africana del Estrecho, sigolos 15 - 16*, *C.B.E.T.*, n° 21 - 22, p. 117.

حسن الفكيكي

بني سَمْكِينْ، (قصر ـ) يعرف في المصادر التاريخية بتَالَكْتَاوْتْ، ويقع هذا القصر في المدخل الشمالي لواحة اكتاوة في منبسط من الأرض بالضفة الشرقية لواد درعة. وفي السبعينات من القرن العاشر الهجري (16 م)، زار مارمول الإسباني واحة اكتاوة، فلاحظ أن قصر بني سمگين يعتبر من القصور الكبرى بالمنطقة، إذ يقدر عدد كوانينه بثلاثة آلاف كانون (*افريقيا*، 3 : 148). وإذا ما قدرنا خمسة أفراد لكل كانون، فإن سكان قصر بني سمگين في القرن العاشر (16 م) يقدرون بحوالي خمسة عشر ألف نسمة. وهو رقم مبالغ فيه ولا شك خاصة أن قصر تَالَكْتَاوْتْ (كتاوَة مارمول) لا يزال قائماً إلى اليوم.

وبالرغم من التطور الكبير الذي عرفته الحركة العمرانية بواحة اكتاوة، فإن عدد كوانين قصر بني سمگين في مطلع القرن العشرين لم يتجاوز مائة كانون (*Districts et tribus*, 167) مع العلم بأن قسماً كبيراً من قصر بني سمگين الحالي قد استحدثته قبيلة بني مُحمد التي طرأت على واحة اكتاوة في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري (19 م)، ولا توجد بالمنطقة أطلال ظاهرة حتى يمكن القول بأن كتاوة مارمول قد اندثرت وانقرضت مع مرور الأيام. فهل هناك مدينة أخرى بهذا الاسم لا تزال مطمورة تحت الرمال ؟ وإذا كانت هذه المدينة موجودة فعلا فلماذا لم يشر إليها صاحب *أنس الساري والسارب* ابن مليح السراج المراكشي، الذي زار واحة اكتاوة في بداية العقد الرابع من القرن الحادي عشر الهجري (17 م)، وأشار إلى بعض قصور المنطقة مثل قصري بني حيون وبني مسنان (*أنس الساري*، 27). فهل كان مارمول يقصد بإشارته هذه واحة اكتاوة ككل ؟

يذكر مارمول أن كتاوة من القصور القديمة التي أحدثها دراوة بالمنطقة (*افريقيا*، 3 : 148) وهذا يعني أن سكان قصربني سمگين من الحراطين، وهو أمر أكدته المصادر التاريخية، والواقع المعاش حيث لا يزال سكان قصر بني سمگين يتشكلون في غالبيتهم من الحراطين، إلى أن خالطتهم قبيلة بني مَحمد في بحر القرن الثالث عشر الهجري (19 م) وزاحمتهم على الأرض والماء، الأمر الذي جعل الحراطين يطلبون الحماية من قبيلة أيت إسفول. وقد استقرت بالقصر أيضاً عدة أسر من الأشراف الأدارسة.

مارمول، *افريقيا* : ابن مليح السراج، *أنس الساري والسارب* ؛ ابن الحبيب التمنوگالتي، *العقود الجوهرية في الأنباء الدرعية*.

G. Spillmann, *Districts et tribus de la haute vallée du Draâ*.

أحمد البوزيدي

بني سميح، قبيلة تقع بناحية غمارة (إقليم شفشاون، حالياً) وتحيط بها قبائل : متيوة البحر وبني رزين وبني خالد وبني منصور وبني گرير، وتقدر مساحتها بـ 131 كلم مربع. وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 3.340 نسمة

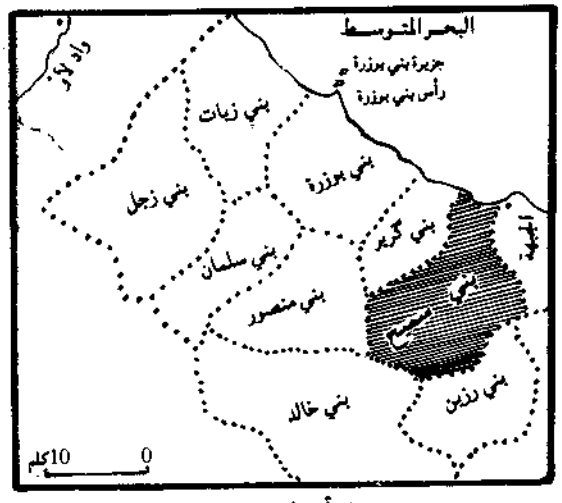

موقع بني سميح

يتكلمون باللهجة العربية الدارجة، وتوجد بهذه القبيلة مدينة الجبهة، كما تتوفر على اثنين وثلاثين مسجداً وثلاثة

أضرحة أشهرها ضريح سيدي أحمد البوهالي البقالي بأفغال وزاوية وسبعة وعشرون كتاباً قرآنياً.

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق هي : بني صدرات (5 مداشر) وبني يزرف (12 مدشراً) وبني بوگضافن (11 مدشراً) وبني بوزكري (6 مداشر).

وفي التقسيم الإداري تكوّن هذه القبيلة جماعة قروية تحمل نفس الاسم.

بني سيدال، قبيلة تقع بناحية گلعية (إقليم الناظور حالياً) وتحيط بها قبائل : بني بوگافر وبني شيكر وبني بُويفْرور وبني بويحيى ومطالسة وبني سعيد. وتقدر مساحتها بـ 390 كلم مربع. وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 26.606 نسمة يتكلمون باللهجة الريفية، والسوق الرئيسي للقبيلة ينعقد بثلاثاء بني سيدال، وتحتوي على خمسة وأربعين مسجداً وأحد عشر ضريحاً وثلاث زوايا وسبعة وأربعين كتّاباً قرآنياً، ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق هي : بني فكلان (10 مداشر) وعدوية (12 مدشراً) وأولاد ياسين (12 مدشراً) واجواوة (15 مدشراً).

وفي النظام الإداري تنقسم القبيلة إلى جماعتين قرويتين هما : جماعة ثلاثاء الجبل، وجماعة ثلاثاء الوطا.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 112.

Carta de Battista Agnesi, 1524 ; A. Domenech, *Zona Norte*, p. 36 ; Cabello Alcaraz, *Geografia de Marruecos*, p. 87.

محمد ابن عزوز حكيم

بني شداد، فرقة تدخل في الوقت الراهن ضمن قبيلة بني زجل الغمارية بإقليم شفشاون، وتشكّل فرقة مكونة من خمسة مداشر مركزها تَلَنْبُوطْ، ثم أگومي وسلاف وإگرمان وتورات. عرّفنا بوجودها القديم أبوعبد الله البكري، في المكان الذي تحتله تلك المداشر، حول منبع واد تلنبوط، رافد وادْ لاوْ بمجراه الأوسط، بين جبلي عبدون وجبل عزرة، شمال شرق مدينة شفشاون. وفي بني شداد ظهر قبل القرن الخامس الهجري العراف المدعو آنذاك "بوحلاوت" المذكور من طرف البكري.

أ. البكري، *المغرب*، 101 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 65، تطوان، 1953.

بني شيكر، قبيلة تقع بناحية گلعية (إقليم الناظور حالياً) وتُحد بالبحر المتوسط، تحيط بها قبائل : مزوجة وبني بُويفْرور وبني سيدال وبني بوگافر، وتقدر مساحتها بـ 170 كلم مربع. وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 22.740 نسمة يتكلمون باللهجة الريفية، ويوجد بالقبيلة أربعون مسجداً وتسعة أضرحة وثلاث زوايا وستة وأربعون كتّاباً قرآنياً، ومدرستان للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق هي : عبدونة (13 مدشراً) وبجيوة (9 مداشر) وبني عشمان (14 مدشراً) وبني بوغمران (10 مداشر).

وفي التقسيم الإداري تكوّن القبيلة جماعة قروية تحمل نفس الاسم.

بني شيكر، نهر توجد منابعه بجبل تازوضي ويسقي أراضي قبيلتي بني شيكر ومزوجة ثم يصب في البحر المتوسط جنوب مدينة مليلية وشمال بحيرة بوعرگ، ويعرف هذا النهر أيضاً بوادي فرخانة وبوادي المدور. وقد أطلق عليه الإسبان اسم وادي الذهب Rio de Oro وأقدم خريطة نجده فيها بهذا الاسم هي خريطة باطيسطا انيسي Battista Agnesi الموضوعة سنة 1524 م.

وإلى غاية سنة 1288 / 1871 لم يكن مصب هذا النهر بالمكان الذي يوجد به الآن وذلك لأن الإسبانيين هم الذين غيّروا مجراه وجعلوه يصب بعيداً عن مدينة مليلة ليتمكنوا من توسيع رقعة الأرض المحتلة بقبيلة مزوجة.

ولهذا التحويل قصة يرجع تاريخها إلى اليوم الذي هزمت فيه القوات المغربية في حرب تطوان سنة 1276 / 1860 حيث فرضت على المخزن معاهدة الصلح ليوم 26 أبريل 1860 تنفيذاً للاتفاقية الخاصة برسم الحدود الوهمية لمدينة مليلية المبرمة يوم 24 غشت 1858، هذه الاتفاقية التي مكنت إسبانيا من توسيع رقعة الأرض المجاورة للمدينة المذكورة، غير أن إسبانيا لم تستطع القيام بالاحتلال الفعلي لتلك الأرض إلا في أواخر سنة 1287 / أوائل سنة 1871 فكان أول عمل قامت به هو تحويل مجرى وادي بني شيكر، ولكنها لم تتمكن من ذلك بسبب المعارضة الشديدة التي لقيتها من أصحاب الأرض.

واحتجت إسبانيا لدى السلطان محمد بن عبد الرحمن وهددته باستعمال القوة، فوقّع معها اتفاقية طنجة ليوم 22 ربيع الثاني 1288 / 11 يونيو 1871 وافق بمقتضاها على أن تتم عملية التحويل يوم 15 جمادى الثانية / فاتح سبتمبر، وبالفعل أرسل السلطان إلى ناحية مليلية وزيره الحاج إدريس بن إدريس على رأس كتيبة تتكون من 500 جندي في منتصف شهر جمادى الثانية / أواخر شهرغشت، غير أن هذه القوات لم تتمكن من إرغام السكان على مغادرة أراضيهم، الشيء الذي جعل السلطان يرسل إلى عين المكان جيشاً يتألف من 3.000 جندي برآسة ولده الأمير مولاي عبد الله، فحول الإسبانيون مجرى النهر في شعبان / نوفمبر من نفس السنة.

ع. بنعبد الله، *موسوعة*، 369 ـ 370.

Carta de Battista Agnesi, 1524 ; A. Domenech, *Zona Norte*, p. 36 ; Cabello Alcaraz, *Geografia de Marruecos*, p. 87.

محمد ابن عزوز حكيم

بني صالح، ـ أسرة وإمارة ـ الأسرة التي أسست إمارة النكور وتوالى أفرادها على حكمها بظهور مؤسسها في أواخر القرن الأول الهجري إلى سنة 473 مع تخريب المرابطين لمدينة النكور. وخلال هذه المدة توالى على الحكم أمراء بني صالح، جدهم الأعلى صالح بن منصور الحميري، الذي وصل برفقة أول فوج عربي فاتح للمغرب الأقصى، وتمكن إثر ذلك

من الحصول على جبال بطوية المحيطة بحوض واد النكور، زمن الوليد بن عبد الملك، إقطاعاً له ولعقبه من بعده.

تأسست إمارة بني صالح النكورية بمبادرة القائد صالح ابن منصور الحميري، أحد قواد موسى بن نصير، رافقه في زحفه نحو المغرب الأقصى بعد سنة 86 هـ. ثم عاد حوالي عام 92 هـ. بنية الاستقلال بجبال بطوية بعد إسلام أهلها. وقد تمكن له ذلك بعد مدة ومواجهة السكان وتقلب أحوالهم بين الإسلام والردة. وفي الربع الأول من القرن الثاني كان قد تحقق مرماه، تاركاً لأولاده الثلاثة : المعتصم وصالح وإدريس إتمام عمله. وقد تأكد نجاح الأسرة بظهور سعيد بن إدريس (ت. 141 هـ) وتأسيس مدينة النكور، وفتح المجال لتعاقب أبنائه على كرسي الإمارة.

بلغ عدد أمراء بني صالح الحاكمين اثني عشر فرداً مماعرفتنا بهم المصادر، أغلبهم من أبناء سعيد بن إدريس ابن صالح، إذ بلغ عددهم تسعة، بينما انحدر الباقون من المعتصم بن صالح (اثنان)، ومن صالح بن صالح (واحد). وهناك عدد آخر لا نعرف أسماءهم، من نسل جرثم بن أحمد (336-360 هـ)، المرتب في المرتبة الثانية عشرة، حكموا ما بين 360 و374 هـ. باستثناء سنوات تغلب ازداجة وهران على الناحية.

لا يتيح مصدر تاريخ إمارة بني صالح الوحيد المتمثل فيما نقله أبو عبيد الله البكري عن محمد الوراق من الاطلاع على حدود الإمارة الصالحية. ويظهر أن مدلول مصطلح بلد النكور الممتد من حوض النكور إلى مصب واد ملوية، كان ذا دلالة جغرافية مجردة من المفهوم السياسي. فالحدود الظاهرة خلال فترة حكم بني صالح كلها لم تتجاوز جبال تمسمان (بني يصليتن) وبني توزين (جبل تسفت وقلعة بني عكي)، هذا من جهة الشرق. أما جهة الجنوب فقد امتد نفوذ الإمارة إلى جبل البرانس، أهل گزناية. ولا بد أن نفهم أن مثل ذلك النفوذ وصل إلى جبل بقُّويَة بالإضافة إلى بني ورياغل، قلب الإمارة، باحتضانها لمدينة النكور.

ويعود ضيق تلك الحدود وجمودها إلى المشاكل التي عانت منها الإمارة، بدءاً بالنزاعات العائلية. وعلى الرغم من تفتحها على البحر المتوسط وعلاقاتها الحسنة مع أمراء الأندلس، خاصة على عهد عبد الرحمن الناصر، فإن حدود الإمارة لم تكن مأمونة من جهة مكناسة التسول وموسى بن أبي العافية (317 و320 هـ). وتلقت إمارة بني صالح غارات قوية على يد العبيديين (305 و309 و323 هـ). كما تمكن إزداجة ناحية وهران من السيطرة على النكور سنة 410 و460. وكان تخريب العاصمة الصالحية أخيراً على يد يوسف بن تاشفين سنة 473 / 1080 وبذلك أُسدل الستار عن الأسرة والإمارة معاً.

أ. البكري، *المغرب*، ص. 90-99 ؛ ابن حيان الأندلسي، *المقتبس*، 193-253-291 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، 85.

حسن الفيگيگي

بني صبيح، ـ قصر ـ يقع وسط واحة أكْتاوَة، وقد بني هذا القصر في منبسط من الأرض بالضفة الغربية لنهر درعة على بعد حوالي ثلاثة كيلومترات من مركز تاگنيت الحالي بإقليم ورزازات.

وسكان هذا القصر، كانوا ولا يزالون، في غالبيتهم من الحراطين، وقد كانت تساكنهم، منذ القديم وإلى غاية منتصف القرن العشرين، طائفة كبرى من اليهود، قُدِّر عدد كوانينها في مطلع القرن العشرين بثمانين كانوناً (*Districts et tribus*, 181) لم يبق منها اليوم إلا بقايا حيهم الملاح حيث هاجر آخر فوج من اليهود في بداية الخمسينات إلى المدن الشمالية أو إلى خارج الوطن. وتساكن الحراطين أيضاً بعض الأسر من قبائل بني مَحمد ودوي منيع (*Cités rurales*, 25) بالإضافة إلى بعض الأسر من الأشراف الأدارسة. وهكذا يتضح أن قبيلة قصر بني صبيح، مثلها في ذلك مثل كل قبائل القصور بدرعة، تتكون من عناصر متباينة الأعراق والأصول.

يعتبر قصر بني صبيح من القصور القديمة بواحة اكتاوة، إذ يرجع تاريخ بنائه إلى ما قبل القرن العاشر الهجري (16م). ولا يستبعد أن يكون هذا القصر من بناء قبيل هسكوري يعرف ببني صبيح (*الاستقصا*، 2 : 210) خاصة أن مجالات التجمعات الهسكورية، قبل تفكك اتحادياتها الكبرى، كانت تمتد من السفوح الشمالية للأطلس الكبير إلى نواحي زاگورة بنهر درعة (*البحث العلمي*، 27 : 226).

ويفيدنا الحسن الوزان الفاسي، الذي زاو وادي درعة في مطلع القرن العاشر الهجري (16 م)، أن قصر بني صبيح يعتبر من القرى المهمة ليس بواحة اكتاوة فحسب وإنما في كل واحات درعة، للدور الذي كان يقوم له هذا القصر، في التبادل التجاري، حيث كانت القوافل التجارية ترتاده من كل الآفاق، وكان سكان هذا القصر يدركون أهمية هذا الدور الذي كان يقوم به قصرهم في تنشيط الحركة التجارية بالمناطق الصحراوية فكانوا يكرمون التجار ويقومون بواجب ضيافة القوافل مدة إقامتهم بالقصر دون مقابل (*وصف افريقيا*، 2 : 119-120) وبعد قيام الدولة السعدية وتمكنها من بسط سيطرتها على واحات وادي درعة بصفة نهائية ابتداء من سنة 942 / 1535، أولى سلاطينها عناية خاصة لواحتي اكتاوة ومحاميد الغزلان، لموقعهما على أبواب الصحراء ولدورهما الكبير في تنشيط الحركة التجارية بين المغرب وإفريقيا جنوبي الصحراء، فأقاموا بقصر بني صبيح حامية عسكرية قوية (*إفريقيا*، 3 : 147-148) قدَّرتها مصادر متأخرة بحوالي مائتي فارس وثلاثمائة من حملة البنادق (*Districts et tribus*, 50).

ونستشفُّ من إشارات بعض الأوربيين مثل طوماس پلو (Thomas Pellow) وشارل دوفوكو (Charles de Foucauld) وغيرهما من الذين زاروا بلاد درعة خلال القرنين 18 و19م أن قصر بني صبيح استطاع الحفاظ على وضعيته كمحطة

تجارية مهمة على أبواب الصحراء في عهد الدولة العلوية التي كانت تعهد إلى الخلص من رجالها بحكم واحتي اكتاوة ومحاميد الغزلان انطلاقاً من قصبة بني صبيح، الأمر الذي كان يسمح لسكان هذا القصر بالاستمرار في تنشيط الحركة التجارية، وفي هذا الإطار كان يعقد بقصر بني صبيح أكبر سوق تجاري بواحات درعة على الإطلاق وذلك يومي الأحد والخميس من كل أسبوع بالإضافة إلى سوق صغيرة كانت تعقد مساء كل يوم بباب القصر "سويقة بني صبيح" (*Cités rurales*, 2) ومما يدل على الأهمية التجارية لسوق بني صبيح، أن سكان واحتي اكتاوة ومحاميد الغزلان، ظلوا إلى وقت قريب يتعاملون بمكاييل وموازين تنسب إلى سوق بني صبيح. ولا شك أن الطائفة اليهودية الكبرى التي كانت تستوطن قصر بني صبيح منذ القديم، قد ساهمت بدور كبير في تنشيط الحركة التجارية ببني صبيح خاصة، وواحتي اكتاوة ومحاميد الغزلان بصفة عامة، حيث كانت هذه الطائفة تتحكم في رؤوس الأموال وتهيمن على بعض الصناعات التقليدية خاصة دباغة الجلود وصياغة الحلي وغيرها. وقد ظل قصر بني صبيح يقوم بهذا الدور التجاري، رغم ما يعتبر من فتور إبان الأزمات السياسية والاجتماعية التي كانت تتعرض لها المنطقة إلى حين تأسيس مركز تاگنيت في أواسط الثلاثينات من القرن الحالي، حيث عمدت سلطة الحماية إلى نقل السوق إلى جوار تاگنيت، كما عمدت في نفس الوقت إلى الحد من تنقلات القبائل والقوافل التجارية عبر المناطق الصحراوية.

ح. الوزان، *وصف افريقيا* ؛ مارمول، *افريقيا* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. بن الحبيب التكنوكالتي، *العقود الجوهرية في الانباء الدرعية*، مخطوط ؛ التقي العلوي، *أصول المغاربة*، مجلة *البحث العلمي*، العدد ، 27، 1977.

G. Spillmann, *Districts et tribus de la haute vallée du Draâ* ; P. Azzam, *Les cités rurales du Kiawa*, C.H.E.A.M., n° 829, Paris, 1946 ; D.J. Jacques-Meunié, *Le Maroc saharien* ; M. Morsy, *La relation de Thomas Pellow*.

أحمد البوزيدي

بني صولي، تنطق بصاد مشمومة زايا ـ قصر ـ يقع في المدخل الشمالي لواحة ترناتة بالضفة الشرقية لنهر درعة. ويعتقد أن هذا القصر قد بني بأمر من السلطان أحمد المنصور السعدي في أواخر القرن العاشر الهجري (16 م) (*مذكرة*، 8).

وعلى الرغم من كوننا لا نتوفرعلى ما يسمح لنا بتأكيد هذا الاعتقاد أو نفيه، فلا نستبعد أن يكون القصر قد بني فعلا بأمر من السلطان أحمد المنصور السعدي (986 . 1012 / 1578 . 1603) حيث لم ترد أي إشارة عن قصر بهذا الاسم في *وصف افريقيا* للحسن الوزان الذي زار بلاد درعة في مطلع القرن العاشر الهجري (16 م) أو في كتاب *افريقيا* لمارمول الإسباني الذي زار درعة في السبعينات من نفس القرن. ولعل ما يدعم هذا الاعتقاد أيضاً أن السلطان أحمد المنصور قد اعتنى عناية خاصة بواحات درعة بعد فترة وجيزة من توليه أمر المملكة بعد معركة وادي المخازن، ويرجع هذا الاهتمام بوادي درعة إلى ما كانت تمثله المنطقة من أهمية في مشروع المنصور السعدي الذي كان يخطط لفتح بلاد السودان (*التاريخ الاجتماعي لدرعة*، 161).

يتمتع قصر بني صولي بمجموعة من الخصائص الاستراتيجية، فالقصر يقع على مقربة من فَمْ أَزْلاگْ الذي يربط بين واحة تينزولين شمالا وترناتة جنوبا، وبإمكان المتحكم في قصر بني صولي أن يراقب الحركة التجارية بالمنطقة، كما يراقب من جهة أخرى فَمْ وَرْثي الذي يربط بين وادي درعة جنوباً ومنطقتي دادس وسكورة شمالا. وتدل كل المعطيات والقرائن التاريخية على أن قصر بني صولي بُني في الأصل ليكون مقراً للعامل المخزني على الواحات الجنوبية من وادي درعة في أواخر العصر السعدي وردحاً كبيراً من عهد الدولة العلوية قبل أن يتحول المقر إلى قصبة أغْلان في العقدين الثالث والرابع من القرن الثاني عشر (18 م) عندما عين السلطان مولاي إسماعيل ابنه مولاي الشريف عاملا على وادي درعة (*التاريخ الاجتماعي لدرعة*، 185).

وقد عاد مقر العمالة مرة أخرى إلى قصر بني صولي خلال القرن الثالث عشر الهجري (19 م). وكان القائد مبارك بن الطاهر الرحماني آخر من تولى مسؤولية القيادة بقصر بني صولي قبل توقيع معاهدة الحماية سنة 1330 / 1912.

تتشكل قبيلة قصر بني صولي في غالبيتهم من الحراطين، تساكنهم عدة عناصر ينحدرون من أصول متباينة، ويسود الاعتقاد أن هذه العناصر قد انحدرت من قبائل أيت حديدو وأيت يَفَلْمان بالإضافة إلى عناصر أخرى من وادي دادس وتادلا (*Districts et tribus*, 96). وقبل أن تتمكن فرنسا من بسط سيطرتها على وادي درعة، ظل سكان قصر بني صولي يقومون بدورهم العادي الموالي للمخزن. وبعد تأسيس مركز زاگورة سنة 1352 / 1932 فقد قصر بني صولي أهميته السياسية وتحول إلى قصر عادي من قصور درعة. وقد تحول القصر في السنوات الأخيرة إلى مقر لجماعة بني صولي القروية، ثم إلى مقر لخليفة القائد الممتاز.

عبد الكريم المزريوي، *مذكرة عبد الكريم المزريوي*، مخطوط ؛ أحمد البوزيدي، *التاريخ الاجتماعي لدرعة*، د.د.ع. الرباط، 1988 ؛ الطيب بن لحبيب، *تاريخ درعة*، مخطوط ؛ *وثائق قصر بني صولي*.

G. Spillmann, *Districts et tribus de la haute vallée du Draâ*, *A. M.*, Vol. 9, Tome II, Paris, 1931.

أحمد البوزيدي

بني عامر، بطن من زغبة الهلاليين، وهم ـ حسب الوزان ـ أشرف فروع بني هلال الأربعة وأهم فرقهم على الإطلاق. ذوو شجاعة فائقة، وثروة طائلة، عدد مقاتلتهم نحر ستة آلاف فارس من أحسن الفرسان وأقواهم عتادا.

كانت مواطن بني عامر في مطلع القرن العاشر (16 م)

بتخوم مملكتي تلمسان ووهران، ويرحلون إلى صحراء تيگورارين. ونظراً لمجيء الأتراك إلى هذه المنطقة وهجوم الإسبانيين على وهران والمرسى الكبير، كانت لبني عامر مواقف فُسرت على أنها انحياش للمسيحيين، ولُمزوا لذلك وشُنع عليهم. وقد دخلت فرقة من العامريين إلى المغرب الأقصى مع من سُموا عرب شراگة، في النصف الثاني من القرن العاشر، فأكرم السعديون وفادتهم، وأنزلوهم بضاحية فاس، واتخذوا منهم فرقة في جيشهم. وبعد ذلك انتشر بنو عامر بضواحي سلا والعرائش وطنجة، وكانوا في فترات ضعف السلطة المركزية يعيثون في الأرض فسادا، فيوقع بهم الملوك وينكلون بهم. ولما احتلت فرنسا الجزائر وأخذت تتحرش بالمغرب أوحت إلى أعراب بني عامر وبني جشم أن يبدوا الرغبة في الرجوع إلى مواطنهم الأصلية بالمغرب الأوسط. وتقدمت فرنسا بطلب رسمي للملك المغرب عبد الرحمن بن هشام بالسماح لهاتين القبيلتين بالرجوع إلى الجزائر، فتم ذلك بمقتضى رسالة ملكية مؤرخة في 18 صفر عام 1264 / 25 يناير 1848 إلى عامل الغرب بوسلهام بن علي أزطوط. ووُصفوا بالمتنصرة لأنهم أظهروا الرغبة في الدخول تحت حكم النصارى، ولم يبق منهم بالمغرب سوى فرقة صغيرة مستقرة شمالي مدينة سلا، في طريق القنيطرة، وقد عادوا إلى العيث في السنة الموالية، فبعث إليهم المولى عبد الرحمن القائد الباشا فرجي حاكم فاس الجديد في فرقة من الجيش أوقعت بهم حتى التجؤوا إلى حصن الغراگ قرب المهدية، وركنوا إلى السكينة.

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6 : ح. الوزان، *وصف افريقيا*، الترجمة العربية، 1 : 49 و51 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ أ. توفيق المدني، *حرب الثلاثمائة سنة* ؛ ع. بنعبد الله، *سلا أولى حاضرتي أبي رقراق*، 65 ـ 66 و107.

محمد حجي

بني عبد الحميد العروسيين، تنتسب إليهم مجموعة من قواد القصر الكبير الذين حكموا المدينة منذ عام 876 / 1471 مع بداية أمر الوطاسيين. وأصل جد الأسرة من قبيلة بني عروس الهبطية. وفي منتصف القرن التاسع الهجري كان شيخها عبد الله العروسي أقوى رجل بإقليم الهبط. وقد قدمت هذه الأسرة العون الكبير الذي مكن محمد الشيخ الوطاسي من فتح فاس والقضاء على حكم الأدارسة الجوطيين بها. ونعرف أول أفراد هذه الأسرة الذين تولوا قيادة القصر الكبير على العهد الوطاسي المدعو طلحة العروسي (1471 ـ 1509) ثم ابنه أحمد (1509 ـ 1530) ثم عبد الواحد بن طلحة (1530 ـ 1559) والناصر بن أحمد قائد العرائش (1527 ـ 1554). وانتهى حكم بني عبد الحميد سنة 967 / 1559 بتعيين عبد الله الغالب عبد الرحمن بن تودة العمراني قائدا على أصيلا والقصر الكبير والعرائش.

م. ابن عسكر، *دوحة*، تح. محمد حجي ؛ ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 628.

حسن الفگيگي

بني عبد الله، جماعة قروية بإقليم الحسيمة، دائرة بني ورياغل. قُدر عدد سكانها ـ حسب إحصاء 1960 بـ 12.710 نسمة. وبالمقارنة مع معطيات إحصاء 1971، فإن نتائج إحصاء 1982 تظهر زيادة إجمالية مهمة خلال إحدى عشرة سنة.

مديرية الإحصاء، السكان القانونيون للمغرب، عام 1971، وعام 1983.

عبد العزيز خلوق التسماني

بني العجوز، من بيوتات سبتة الكبرى، أصلهم من قبيلة كتامة. قدموا من أصيلا إلى سبتة في عهد جدهم الأعلى عبد الرحيم المتوفى سنة 413 / 1022. يذكر لهذا الجد رحلة إلى القيروان سمع أثناءها من ابن أبي زيد القيرواني (ت. 386 / 996) وأخذ عنه جميع تصانيفه ومروياته، فأورث أبناءه مكتبة حافلة عدت من أفخر الخزائن العلمية القديمة بسبتة، وكانت البحر الذي غرف منه أبناؤه وحفدته من بعده، مما أهلهم لتبوُّء مناصب مهمة في القضاء والفتيا في عدد من مدن العدوتين، كالجزيرة الخضراء وسلا وفاس ومراكش. كما جلسوا للتدريس فتتلمذ لهم جملة من علماء المغرب والأندلس كالقاضي عياض الذي أخذ عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن أحمد ابن العجوز المتوفى سنة 515 / 21 ـ 1122، ومحمد بن عيسى التميمي الذي قرأ على محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن أحمد ابن العجوز المتوفى سنة 474 / 81 ـ 1082.

الأنصاري، *اختصار الأخبار*، 1983، ص 23 ؛ م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، تح. محمد بن شريفة، الرباط، 1984، القسم الثاني، ص 538 ؛ القاضي عياض، *الغنية*، تح. محمد بن عبد الكريم، ليبيا ـ بيروت، 1978، ص 230 ؛ إ. ابن فرحون، *الديباج*، بيروت، ص 150 ؛ أ. ابن القاضي، جذوة، الرباط، 1973 القسم الأول، ص 252، القسم الثاني، ص 408.

زليخة بنرمضان

بني عروس، قبيلة تقع بناحية جبالة (إقليم العرائش حالياً) وتحيط بها قبائل : جبل حبيب، بني يدر، بني

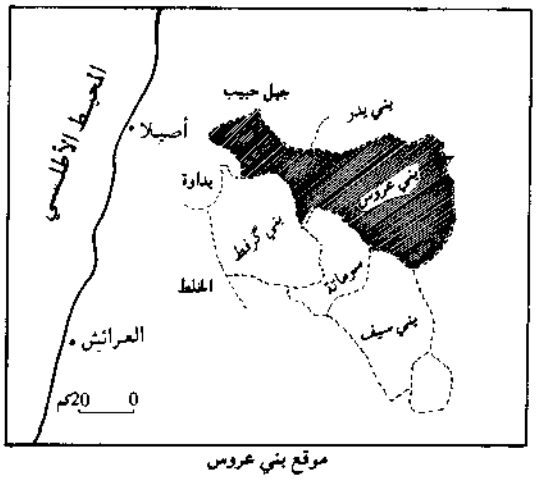

موقع بني عروس

حزمر، بني ليت، الأخماس، بني يسف، سماتة، بني گرفط، بداوة، امزورة. وتقدر مساحتها بـ 492 كلم مربع، سكانها يتكلمون باللهجة العربية الدارجة، والمركز الرئيسي للقبيلة هو قرية تازروت، كما أن القبيلة تتوفر على خمسة وسبعين مسجداً وواحد وأربعين ضريحاً وزاويتين وثمانية وسبعين كتّاباً قرآنياً وست مدارس للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى ست فرق هي : ورا الظهر (18 مدشراً) والعزابة (17 مدشراً) ويدلول (14 مدشراً) وبني أومراس (12 مدشراً) وابباط (10 مداشر) وفرقة المداشير (7 مدشراً).

وفي النظام الإداري تنقسم القبيلة إلى جماعتين قرويتين هما : جماعة تازروت وجماعة خميس بني عروس، وهناك جزء من القبيلة العروسية تم ضمّه إلى جماعة أربعاء العياشة.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 106 ؛ حسن الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 249 ؛ الطاهر عبد السلام اللهيوي، *حصن السلام بين يدي أولاد مولاي عبد السلام*، الدار البيضاء، 1978، ص 296 ؛ بيبليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

بني العَزَفي، ـ بفتح العين والزاي ـ إحدى الأسر السبتية النبيلة، تزامن ظهورها كأسرة رآسة وعلم مع أواخر العهد الموحدي والعصر الأول المريني. يتفق المترجمون لبني العزفي على أن أصلهم من عرب بني لخم اليمنية (*الوافي بالوفيات* ؛ *برنامج*، 42 ؛ *جذوة*، 432....) وينفرد المقري بذكر رواية لابن الخطيب يذهب فيها إلى أن بعض أهل سبتة يزعمون أن أصلهم بربري من قبيلة مجكسة (*أزهار*، 2 : 376). قد يكون هذا الزعم وُضع في وقت متأخر من طرف أعدائهم الصقليين الحسينيين لتحكم العداء بين الطرفين، وذلك بهدف النيل من مكانة العزفيين المتأخرين وسط المجتمع السبتي.

اختلف الرواة في ضبط شجرة أنسابهم. يتفق أحمد بابا التنبكتي مع الرعيني حول سلسلة النسب التي تربط أبا العباس العزفي والد أبي القاسم العزفي مؤسس مجد الأسرة الأميرية بسبتة بجدهم الأكبر محمد ابن أبي عزفة، ولم يختلف الأول عن الثاني إلا في جعله ابن أبي عرفة (بالراء) في مؤخرة لائحة نسبهم دون أن يهمل نسبهم اللخمي العزفي الذي اشتهروا به. فجاءت ترجمته لأبي العباس العزفي على النحو التالي :"أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي عرفة اللخمي العزفي السبتي "(*نيل*، 77 ؛ *الإعلام*، 7 : 218). أما ترجمة الرعيني لأبي العباس فجاءت على هذا الشكل :"أحمد بن القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد اللخمي. عرف بابن عزفة" (*برنامج*، 42) وهو بذلك يلتقي مع ابن الخطيب حول سلسلة نسبهم (*الإحاطة*، 4 : 340). أما المقري فخالف الثلاثة وأقحم في نسب أبي العباس أسماء جديدة لم يرد ذكرها عند سابقيه. فجاءت شجرة النسب عنده على هذا النحو : "أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسين بن الفقيه الإمام علي بن محمد بن سليمان بن محمد، الشهير بابن أبي عزفة اللخمي" (*أزهار*، 2 : 374).

بالرغم على هذا الإشكال في ضبط سلسلة نسب بني العزفي يبدو أن ما جاء به الرعيني أقرب إلى الصواب، لأنه نقله من خط أستاذه أبي العباس العزفي عندما أجاز له كتبه ومروياته. وهو أمر يثبته الرعيني بقوله :"هكذا كتب اسمه بخطه" (*برنامج*، 42).

لم يرد في نسبتهم ما يدل على أن أصلهم من الأندلس أو حتى من افريقيا بالرغم مما ذكره المقري من أن جدهم الإمام علياً كان معاصراً لابن أبي زيد القيرواني وأخذ عنه (*أزهار*، 2 : 374).

ارتبطت شهرة العزفيين بأبي القاسم العزفي الذي استقل بحكم سبتة في عهد المرتضى الموحدي وذلك سنة 647 / 1250. وأورث الحكم أولاده وحفدته من بعده بالاستقلال تارة والتبع تارة أخرى.

ابتدأت إمارة العزفيين بسبتة في ظروف استراتيجية ـ عسكرية، وربما سياسية ـ اقتصادية. ضموا إلى إيالتهم طنجة وأصيلا (*تاريخ*، 7 : 384). فكانت إمارة بني العزفي في الشمال الغربي أداة صون جعلت المنطقة بمنجاة من الأهوال والمحن التي كانت تعج بها البلاد غداة سقوط دولة الموحدين وبداية المرينيين، كما وضعتها في مأمن من أخطار البحر خصوصاً خطر بني الأحمر الذين سُجلت لهم محاولة لاحتلال سبتة سنة 660 / 1262 (*L'Espagne*, 63). لكن عندما استتب الأمر لبني مرين بعد أن قطعوا دابر بني عبد المومن وقلصوا من أخطار بني عبد الواد أصحاب تلمسان، أذعن لهم بنو العزفي بالطاعة وقدموا لهم إتاوة سنوية، وذلك سنة 672 / 1274 (*تاريخ*، 7 : 385 ؛ *القرطاس*، 312).

لعب بنو العزفي دوراً مهماً في إنجاح السياسة الجهادية لبني مرين في الأندلس وذلك بإرسال الحملات العسكرية، أو ببث دعوات الجهاد وإثارة الشعور الديني بين القبائل عن طريق الخطب والرسائل (*القرطاس*، 313 ؛ *رسائل*، 67). لكن عندما تأزم الوضع الأمني في المضيق عقب سقوط طريفة سنة 691 / 1292، وانسحاب بني مرين مؤقتاً من الساحة الأندلسية ليشتغلوا بحروبهم ضد بني عبد الواد، أعلن بنو العزفي استقلالهم عن الدولة المرينية. إلا أنهم لم ينعموا طويلا بهذا الاستقلال، إذ انقض عليهم بنو الأحمر، فذهبوا ضحية مؤامرة دبرها ضدهم قائد أسطولهم ابن مخلص بالتعاون مع أبي سعيد فرج أحد أمراء بني الأحمر وحاكم مالقة، وتم ترحيلهم إلى بلاط محمد الثالث في غرناطة، إلا أن نهاية الصراع المريني ـ العبد الوادي عجل بعودة سبتة إلى حظيرة الدولة المرينية، ومن ثمة رجوع بني العزفي إلى فاس حيث استقر بهم المقام. ومع وصول السلطان أبي سعيد إلى الحكم، استعاد بنو العزفي في

شخص أبي زكريا يحيى بن أبي طالب إمارة سبتة في إطار التبعية لبني مرين، لكن لم يسمح لهم بتسلم مقاليد أمور سبتة إلا بعد ترك أحد أمراء بني العزفي رهينة لدى السلطان، الأمر الذي أثار أزمة جديدة في العلاقات بين الطرفين كان من نتائجها تملص العزفيين من التبعية المرينية ثم زالت الجفوة بين الطرفين بعد التهديد العسكري المريني لسبتة وخصوصاً بعد استعادة العزفيين لرهينتهم. فاعترف العزفيون من جديد بسلطة بني مرين ووافقوا على دفع الضريبة السنوية المعتادة.

وبعد وفاة أبي زكريا سنة 720 / 1320، خلفه ابنه محمد، فلم يستقم له الأمر بعد أن نافسه على السلطة أحد بني عمه، فكانت فرصة لأبي سعيد المريني لعزل بني العزفي نهائياً عن حكم سبتة، وترحيلهم إلى عاصمة ملكه، وذلك سنة 728 / 1328 (*تاريخ*، 7 : 518 ؛ *نثير*، 120 ؛ *جذوة*، 300).

شجرة نسب بني العزفي

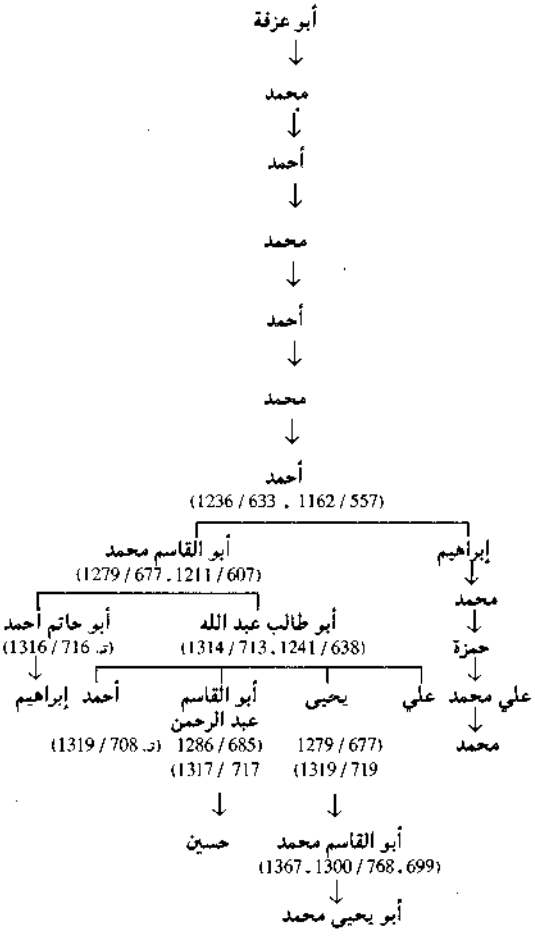

هكذا جمعت الأسرة العزفية بين العلم والرآسة. فلم يقتصر دورها على رعاية العلم والعلماء، بل سعى أفرادها إلى المساهمة في إثراء الحركة الفكرية، فكانت لهم شهرة في علوم الشريعة واللسان، ويعد جدهم أحمد العزفي الذي أحدث الاحتفال بالمولد النبوي في المغرب وكتب عدة تآليف مرموقة في ميدان الأدب والطب كعلي محمد بن حمزة بن محمد بن إبراهيم بن أحمد العزفي الذي عُدَّ حكيم الحضرة الحفصية من دون منازع (*تاريخ*، 6 : 783)، وأبي زكريا يحيى وأبي القاسم عبد الرحمن ابني عبد الله أبي طالب، وأبي القاسم محمد بن يحيى. وقد كان لهذا الأخير سوق نافقة في ميدان الشعر، وهي خصلة ورثها عن عمه أحمد بن أبي طالب الذي عد الشاعر البليغ والأديب النابغ في الأسرة العزفية على الإطلاق.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ إ. ابن الأحمر، *نثير الجمان*، تح. محمد رضوان الداية، بيروت، 1976 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، طرابلس، 1989 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1397 / 1977، المجلدان الثالث والرابع ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1981، المجلدان السادس والسابع ؛ الرعيني، *برنامج شيوخ الرعيني*، تح. إبراهيم شبوح، دمشق، 1381 / 1962 ؛ خ. الصفدي، *الوافي بالوفيات*، بيروت، 1389 / 1969، الجزء السابع ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، الرباط، 1973 ؛ ع. گنون، *أبو العباس العزفي*، *ذكريات مشاهير رجال المغرب*، عدد 27، 1960 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، القاهرة، 1358 / 1939، الجزء الثاني ؛ *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1388 / 1968، المجلد السادس ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، بيروت، 1980 ؛ خلف الغافقي القبتوري، *رسائل ديوانية في سبتة في العهد العزفي*، تح. محمد الحبيب الهيلة، الرباط، 1399 / 1979.

R. Arié, *L'Espagne musulmane au temps des Nasrides, 1232- 1492*, Paris, 1973 ; Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIe et XIVe siècles*, Thèse de 3ème cycle, Aix-Marseille I, 1987 ; Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIe et XIVe siècles : de la bataille de Las Navas de Tolosa, 1212 à l'avènement du sultan Abul-Hasan* , Paris, 1966.

زليخة بنرمضان

بني عشرة، اسم أسرة سلاوية قديمة، ويُدعى أعلام هذه الأسرة أيضاً ببني القاسم، أما تسميتهم ببني عشرة فلها تفسيران : أولهما تاريخي، وهو أنها نسبة إلى عشرة الذي هو الجد الأعلى للأسرة، وقد كان من رؤساء المغرب في القرن الرابع الهجري. والتفسير الثاني لهذه الشهرة أسطوري، وخلاصته أن بني عشرة كانوا عشرة إخوة توائم. وقد وردت هذه الأسطورة في عدد من المصادر، ومنها مختصر *ابن عرفة* الفقهي الذي ورد فيه ما نصه :"سمعت من غير واحد ممن يوثق به أن بني العشرة الذين بنى والدهم مدينة سلا بأرض المغرب كان سبب بنائه إياها أنه وُلد له عشرة ذكور من حَمْل واحد من امرأة له فجعلهم في مائدة ورفعهم إلى أمير المومنين يعقوب المنصور فأعطى كل واحد منهم ألف دينار، وأقطع أباهم أرضاً بوادي سلا فبنى بها مدينة تعرف إلى الآن ببني العشر". وقد انتقد المؤرخ ابن عبد الملك المراكشي هذه الرواية ونعت قائليها بأنهم أغمار.

وعشرة الذي تنسب إليه الأسرة شخصية تاريخية معروفة، نصّت المصادر التاريخية على دخوله الأندلس واشتراكه في صوائف المنصور ابن أبي عامر، وقد نوهت

بعض الاشعار بجهاده ومواقفه، وهو ينتسب إلى أحمد ابن المدبر أحد رجال الدولة العباسية المعروفين، ويبدو أن أول قادم من ذرية هذا الكاتب إلى المغرب نزل بفنزارة التي لم تكن تبعد كثيراً عن موقع سلا.

وأما تسمية أفراد هذه الأسرة ببني القاسم فهي نسبة إلى جدهم الأقرب وهو القاسم بن محمد بن موسى بن عيسى بن عشرة، والقاسم هذا هو مجدد بناء مدينة سلا حسبما يرويه بعض المؤرخين، وتسمية بني قاسم هي التي نجدها في *القلائد* لابن خاقان و*الذخيرة* لابن بسام و*موشحات* ابن بقي وغيره.

ويبدو مما ذكرناه أن أسرة بني عشرة ظهرت على مسرح الحياة السياسية في عهد اليفرنيين بالمغرب والعامريين في الأندلس وذلك خلال العقود الأخيرة من القرن الرابع الهجري، وكان الأولون من هذه الأسرة معروفين بالفروسية والشجاعة، ولكن الذين خلفوهم استبدلوا خطة السيف بخطة القلم وأصبحوا من رجال الفقه والقضاء، وولي عدد منهم خطة القضاء في سلا ومكناس وغيرهما وذلك في عهد المرابطين وفي عهد بني مرين.

وقد بلغت أسرة بني عشرة أوج قوتها وشهرتها في عصر المرابطين نظراً للحظوة التي كان يتمتع بها قضاة الأسرة لدى يوسف بن تاشفين وولده علي، ونظراً كذلك لما عرف به هؤلاء القضاة من كرم حاتمي وجود برمكي وحماية للأدباء ورعاية للشعراء، وكانوا في هذا أشبه بالأمراء منهم برجال القضاء، وقد استقبل قصر بني عشرة خلال العصر المذكور عدداً من الشعراء منهم يحيى ابن بقي وابن سوار الأشبوني، أما الأعمى التطيلي فإنه وجه إلى بني عشرة عدداً من قصائده وموشحاته، ومن الشعراء الذين مدحوهم ابن حمديس الصقلي وعيسى ابن الوكيل اليابري وأبو الوليد إسماعيل بن ولاد الذي له مجموع شعري خاص ببني عشرة.

أما أعلام بني عشرة في هذا العهد فمنهم القاضي أبو الحسن علي ابن عشرة وولده أبو العباس أحمد وأخو هذا أبو علي الحسن الذي يعرف أيضاً بحسون، وسترد تراجمهم في محلها من هذه المعلمة.

ونظراً للعلاقة الخاصة التي كانت لبني عشرة بالمرابطين فقد كان طبيعياً أن يلقوا إهمالا في عهد الموحدين وقد انعكس هذا الاهمال على حياة أولاد القضاة المذكورين حيث نجد بعضهم ينصرف إلى الزهد والتصوف ويقبل على أعمال البر والخير، بينما ترك آخرون سلا وتوجهوا صوب المشرق، وعدد من هؤلاء مذكورون في كتاب *التشوف* للتادلي وغيره، وستذكر تراجمهم في مواضعها من هذه المعلمة.

وعندما قامت دولة بني مرين وقع رد الاعتبار لبني عشرة وعادت إليهم خطة القضاء، ومن قضاتهم في هذا العصر أبو علي حسن ابن عشرة الذي كان من جملة الأسرى الذين حملهم القشتاليون إلى إشبيلية إثر غارتهم على سلا، وقد افتداه أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق.

أما في العصور المتأخرة فإننا لا نجد ذكراً لبني عشرة أو بني القاسم، ولسنا ندرك هل انقرضوا أو أنهم غيروا اسمهم، كما أن قصرهم المشهور الذي وصفه الشعراء لم يبق له اليوم عين ولا أثر، ويذهب مؤرخ سلا الفقيه ابن علي الدكالي إلى أنه في محل هذا القصر بنيت المدرسة المرينية المعروفة اليوم بالقرب من الجامع الكبير الذي توجد به ثلاثة قبور لأعلام من بني عشرة.

مقالتي، *أسرة بني عشرة*، المنشورة في مجلة *تطوان*، ومجلة *البحث العلمي*، س 1967، ع. 10.

محمد بنشريفة

بني عشرين ← بوعشرين

بني عصام، إحدى الأسر التي حكمت سبتة عقب ثورات الخوارج في شمال المغرب، تنحدر من قبيلة غمارة. يعرف جدهم الأعلى باسم ماجكن أو ماجكس المشيِّد الحقيقي لمجد هذه الأسرة، وإليه تنسب قبيلة ماجكسة، أحد فروع قبيلة غمارة.

تذكر كتب التواريخ أن ماجكس نزل بسبتة فوجدها فارغة مقفرة لأن أهاليها أرغموا على مغادرة ديارهم تحت تهديد برابرة طنجة في فترة اندلاع ثورات الخوارج، فأعاد بناءها وتعميرها بعد أن اعتنق الإسلام. وبعد وفاته خلفه ابنه عصام الذي حكم المدينة مدة طويلة، وباسمه ارتبط اسم هذه الأسرة الأميرية. وبعد موت عصام تعاقب على السلطة أبناؤه مجبر والرضى، وفي عهد هاذين الأخوين استقبلت المدينة عدداً كثيراً من المهاجرين الأندلسيين خصوصاً من قلسانة. يُذكر أن بني عصام كانوا يدينون بالولاء للأدارسة ولو أنهم كانوا منعزلين سياسياً عنهم، مستقلين بحكم سبتة. ولم ينته حكم بني عصام بسبتة إلا بعد أن داهمهم جيش عبد الرحمن الناصر، بزعامة قائده نجاح ابن غفير سنة 319 / 931.

أ. البكري، *كتاب المغرب*، باريس، 1965، ص 104 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1981، 6 : 435.

Z. Benramdane, *Ceuta aux XIII et XIV siècles : Essai de reconstitution de la civilisation musulmane*, Thèse de 3ème cycle, Aix-Marseille I, 1987, p. 56 - 57.

زليخة بنرمضان

بني عقيلة ← بعقيلة

بني عمارت، قبيلة تقع بناحية الريف (إقليم الحسيمة حالياً) وتحيط بها قبائل : بني ورياغل، مغزاوة، مرنيسة، بني مزدوي، بني بشير، وتقدر مساحتها بـ 250 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 11.884 نسمة يتكلمون باللهجة الريفية. وبالقبيلة خمسة وعشرون مسجداً وتسعة أضرحة وزاويتان وثمانية وعشرون كتّاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق هي : اجعونة (9 مداشر) وأولاد حساين (6 مداشر) وأولاد سعيد (8 مداشر) وأولاد عبو (6 مداشر).

وفي التقسيم الإداري تكوِّن هذه القبيلة الفرقة القروية التي تحمل اسمها.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 113، 317 ؛ + ببليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

بني عمير، اتحادية قبائل عربية في تادلا. يسكنون هضبة خصبة بين أم ربيع والبروج ووردِيغة وبني زمور وبني ملال. وقبائلهم الأربع هي بني شكدال ومركزهم عند أولاد مبارك. ثم أولاد محمد الشلاّض، ومن أسواقهم أربعاء الفقيه بن صالح. ثم أولاد محمد البگاگ أو الرگاگ. وفيهم خدام للزاوية الشرقاوية، ثم خلفية ومن أعيانها شرفاء أولاد سيدي ميمون.

كان عدد سكان بني عمير في بداية هذا القرن 27.755 نسمة، حيث يأتون في المرتبة بين قبائل تادلا بعد ورديغة وبني موسى. اشتغلوا بتربية الأغنام غير أنهم قاسوا من الجفاف. كانوا في ماضيهم يمرون من فترات توازن واختلال توازن قد يصاحبه العنف والاضطراب.

كان من قوادهم في عهد الحماية محمد بن الصالح بن عمران على رأس بني شكدال، والمهدي ولد محمد بن الجيلالي عند أولاد الشلاّض، وعبو بن حمادي عند أولاد الرگاگ. وقدور بلحاج على رأس خلفية.

قاوم بنو عمير الغزو الاستعماري وتزعمهم في تلك المقاومة عبد الله ابن جابر بينما زحف إليهم عتاة الجنرالات على رأس طوابير مدججة بالسلاح انطلاقاً من واد زم والبروج. وكانت أشهر معارك بني عمير في كدية الريح (15 مارس 1913) وكان مجاهدو بني ملال وأيت الربع يعززون مقاومة بني عمير إلى أن اضطر عبد الله بن جابر للخضوع يوم 10 ماي 1913.

بني عْيَاطْ، من قبائل جنوب واد العبيد، وهم أمازيغيون بلغ عددهم 1232 خيمة حسب تقديرات 1338 / 1920. أقاموا فوق منحدرات الأطلس المتوسط بين أيت بوزيد من جهة الشرق، وبني موسى من جهة الشمال، وأيت عتاب من جهة الغرب، وواد العبيد من جهة الجنوب. بلادهم جبلية يتعدى ارتفاعها 1500 م، تطل على السهل من جهة الشمال وعلى حوض بين الويدان وواويزغت من جهة الجنوب.

تتكون اتحادية بني عياط من قبيلتين هما :

- إيزفاون، وعددهم 807 خيمة، تشمل هذه القبيلة أربع فخذات هي أيت إيملول (305 خ)، وأهل الدير (233 خ)، ومگونة (99 خ). واستوطن إيزفاون القسم الغربي من تراب الاتحادية.

- أهل الشعبة : عددهم 425 خيمة. شملوا ثلاث فخذات هي أيت أعبو (170 خ) وأيت يحيى (131 خ) وإيفغراس (124 خ). وقد سكن أهل الشعبة في شرق تراب الاتحادية.

وفي عهد الحماية، عد بني عياط من بين حلفاء أيت سخمان إلى جانب أيت سري وأيت عتاب وأيت بوزيد وأيت عطا أمالو. عددهم حوالي 6.160 نسمة، أقاموا فوق منحدرات الأطلس المتوسط بمحاذاة واد العبيد. وكانت جميع فخذات إيزفاون (وعددهم حوالي 4.530 ن) ثائرة ضد الغزاة، وكذلك جميع فخذات أهل الشعبة (وعددهم حوالي 2125 ن) وظلت قبائل بني عياط مواطن للغزاة وملاذاً يلجأ إليه المجاهدون من كافة جهات تادلا. وفي فترة خضوع بني موسى، بذل العياطيون كل جهودهم لدفع غزاة بني موسى إلى الثورة، وتوفقوا في ذلك. وتعرضوا لاعتداءات وحشية من قبل الغزاة الفرنسيين نفذها جيش الحراسة المتنقل لتادلا في شعبان 1334 / يونيو 1916. ولبني عياط مهارة في الحرب، اشتهروا بملكيتهم لعدد من الخناجر واستعمالها ضد الغزاة.

R. Peyronnet, *Le Tadla*, p. 123 - 124.

الملكي المالكي

بني غانية، سلالة مرابطية من قبيلة مسوفة الصنهاجية وهي إحدى القبائل الكبرى التي قامت على عاتقها دولة المرابطين. أما التسمية فهي نسبة إلى غانية، الأميرة الصنهاجية التي تزوجها جد الأسرة علي بن يوسف المسوفي أيام يوسف بن تاشفين. اشتهر بنو غانية في تاريخ المغرب بقيامهم بثورات ضد الموحدين بأقاليم افريقية والمغرب الأوسط، دامت حوالي نصف قرن (580 - 633 هـ) وكلفت دولة المصامدة مجهودات ضخمة. وكانت لها عواقب اقتصادية وعمرانية وسياسية سلبية.

بنو غانية في جزر البليار : نال بنو غانية مناصب ووظائف إدارية وعسكرية هامة خلال العهد المرابطي، فجدهم المذكور، علي بن يوسف، كان له نفوذ وسمعة في دولة يوسف بن تاشفين، مما أهل أبناءه لتولي أمر عدة جهات بالأندلس خاصة، وقد تميز من بينهم ابنه محمد الذي كان يتولى جزر البليار إبان سقوط دولة الملثمين، فرفض الخضوع للموحدين واستمر يدعو في خطبه لبني العباس، فأصبحت إمارته قبلة يؤمها فلول المنهزمين والفارين أمام زحف جيوش عبد المومن، فشكلوا دعامة عسكرية وبشرية للإمارة الفتية التي كانت تعيش على موارد القرصنة البحرية والاتجار مع بعض مدن البحرالمتوسط، مثل بيزا وجنوة اللتين ارتبطتا مع بني غانية بمعاهدات تجارية، وفي عهد إسحاق بن محمد كانت قبضة الموحدين قد بدأت تشتد على مناطق شرق الأندلس، مما جعله يسلك سياسة متناقضة، إذ كان يرسل قسطاً من موارد القرصنة إلى مراكش دون أن يقطع الدعوة لبني العباس، لذلك طلب منه الخليفة الموحدي الخضوع والاستسلام، وتوفي وهو متردد بين الاستجابة لدعوة الموحدين وبين رغبة أصحابه في المقاومة ورفض الاستسلام، تاركاً بذلك أمر الحسم لخلفه وابنه محمد الذي لم يكد يستوي على عرش الإمارة حتى وصله رسول الموحدين، علي بن الريرتير، بغرض تسلم الجزر وضمها إلى الأمبراطورية الموحدية، فكاد الرسول ينجح في

ماموريته لولا أن علياً بن غانية أطاح بأخيه وسجن ابن الريرتير. إلا أن علياً، ورغم حركته تلك، كان يدرك أن إمارته غنيمة سهلة أمام أسطول الموحدين المتفوق، فاتخذ قراراً خطيراً في أبعاده ونتائجه، وهو البدء بالهجوم ونقل الحرب إلى إفريقية والمغرب بدل الاتصال المقلق في جزر البليار.

استطاع محمد المعزول، بمساعدة ابن الريرتير، الإطاحة بطلحة، الذي كان ينوب عن أخيه علي، إلا أن محمداً، الذي كان التردد ملازماً له، خشي على مصيره ومصير إمارته لما علم بعزم الموحدين على إرسال جيش لضمها، فارتكب خطأ آخر واستنجد بقمط برشلونة، مما أثار غضب أصحابه فخلعوه للمرة الثانية ووضعوا مكانه أخاه تاشفين، بينما بعث علي، لما علم بالوقائع الجديدة وهو في طريقه إلى بجاية، أخاه عبد الله الذي آل إليه الأمر واستمر حاكماً في جزر البليار حتى احتلها الموحدون آخر القرن السادس واضعين بذلك حداً لاستقلالها.

بنوغانية في بجاية والمغرب الأوسط : انطلق علي ابن غانية، وعدته اثنان وثلاثون مركباً، قاصداً مدينة بجاية التي احتلها دون كبير مقاومة يوم الجمعة 6 شعبان 580 هـ، وكان واليها، أبو الربيع سليمان، خارجاً عنها متجهاً إلى تلمسان. وما أن علم بالخبر حتى أسرع في العودة لينهزم أمام بني غانية بعد أن خذلته العناصر العربية في جيشه لتنضم إلى صفوف العدو الذي ارتفعت معنوياته بفضل هذا النصر، فراح يكتسح بقية مدن المغرب الأوسط، فاحتل الجزائر وملیانة وموزية، ثم اتجه صوب الشرق واحتل قلعة بني حماد وشرع في حصار قسنطينة المنيعة. وفي تلك الأثناء كان الخليفة الموحدي يعقوب المنصور لا يزال يوطد أسس حكمه بعد وفاة والده فجأة في حصار شنتمرية، فلما علم بانتصارات علي جهز حملتين ؛ برية وبحرية بهدف محاصرة العدو، تمكنتا بسهولة من استرجاع المدن المذكورة، وتم بعد ذلك تتبع ابن غانية الذي انسحب في اتجاه الجريد دون أن ينال من أسوار قسنطينة. أما الحملة الموحدية فقد اكتفت بما حققه من إنجازات وقفلت راجعة إلى المغرب ولم تغامر بتتبع المنهزمين في الصحراء.

وبهذا تنتهي الجولة الأولى بين الطرفين، والتي كان هدف ابن غانية منها احتلال مدينة بجاية حاضرة المغرب الأوسط كمرحلة أولى لمشروع طموح ربما كان يسعى إلى إلحاق ما أمكن من الأقاليم التابعة للموحدين.

ولا شك أن بني غانية ما كانوا ليقدموا على هذه "المغامرة" لولا توفر بعض الشروط والمعطيات لصالحهم. فعبد الواحد المراكشي، القريب من الأحداث، يذكر أن جماعة من أعيان مدينة بجاية راسلوا بني غانية يدعونهم لدخولها "ولولا ذلك لم يجرؤوا على دخولها"، وما يؤيد وجود تواطئ بين أهل بجاية وبني غانية. تعاطف فقيهها الكبير عبد الحق الأزدي مع هؤلاء ونقل بني حمدون من طرف الموحدين بعد استرجاع المدينة إلى سلا، عقاباً لهم على ميلهم السافر لبني غانية، هذا كله فضلا عن الظرف المختار لاقتحام المدينة والذي "صادف" وفاة الخليفة. مما يحتمل معه حدوث صراع داخلي في بيت بني عبد المومن حول منصب الخلافة، يشغلهم عن حماية تلك المناطق. يضاف إلى ذلك أيضاً دخول المدينة في غياب حاكمها. وهذه المعطيات لا تعني إلا شيئاً واحداً هو أن عملية احتلال بجاية جاءت على إثر خطة مسبقة مبنية على توفر حظوظ لا يستهان بها للنجاح.

بني غانية في إفريقية : لم يكن بنو غانية، رغم الظروف المشار إليها أعلاه، قادرين على الصمود أمام جيش الموحدين المنظم، ولذلك فضلوا الفرار إلى الجريد، لتبدأ مرحلة جديدة من المواجهات والصراعات الدامية بين الطرفين. فهناك في صحاري افريقية وطرابلس، سيلتقي بنو غانية بالقبائل العربية الهلالية ـ جشم ورياح منها بصفة خاصة ـ التي كانت على أتم الاستعداد للانضمام إلى كل من يقودها إلى النهب والسلب والسطو على أموال وأهالي المنطقة. فيتمكن علي بن غانية، مدعماً بالأعراب الأشداء، من احتلال توزر وقفصة والتوغل في اتجاه طرابلس، فالتقي بقراقوش الغزي الذي قدم افريقية بإيعاز من الأيوبيين لخلق المتاعب لدولة الموحدين المستقلة عن دولة الخلافة وخدامها في الشرق. وقد استطاع هذا المغامر بدوره احتلال مناطق فزان وزويلة وغيرهما. حينئذ تشكل حلف ثلاثي يجمع بين أطرافه عنصر واحد على الأقل وهو العداء لدولة المصامدة. ولقد أدرك الخليفة الموحدي يعقوب المنصور حجم الخطر الذي أصبح يهدد امبراطوريته في نصفها الشرقي، فخرج بنفسه في مستهل سنة 583 هـ على رأس حملة بلغ عدد أفرادها عشرين ألف جندي، فتراجع ابن غانية تراجعاً تكتيكياً نحو الصحراء لما بلغه خبر الحملة، فكلف الخليفة ابن عمه أبا يوسف باقتفاء أثره والقضاء عليه، فالتقى الجيشان بنواحي قفصة في منطقة تعرف بـ"عُمرة" وانهزم الموحدون انهزاماً قاسياً أودى بأغلب الجيش وقتل أثناءها قادة مرموقون، من أمثال علي بن الريرتير، القائد المسيحي الذي كان في خدمة الموحدين، وأبو علي بن يغمر وعمر بن أبي زيد وغيرهم. وكانت هذه الضربة كافية لإقناع المنصور بالخروج بنفسه على رأس حملة عسكرية أخرى أكثر عدة وعدداً، فهزم ابن غانية وحلفاءه في معركة "الحمة" (شعبان 583). ولم ينس الخليفة بعد هذا النصر، إنزال العقاب بحلفاء بني غانية، فحاصر قراقوش في قابس حتى استسلمت، واسترجع قفصة وتوزر وخرب مضارب القبائل العربية المتعاونة مع الأعداء، بل غرب عدداً من تلك القبائل ونقلها نحو المغرب الأقصى، فانزل رياحاً في الهبط وجشماً في تامسنا، إلا أن يعقوب المنصور سيضطر للعودة بسرعة إلى المغرب، دون قطع دار الفتنة نهائياً، وذلك حين بلغ خبر قيام بعض أقربائه بالدعوة لأنفسهم وخلع طاعته، أما علي بن غانية فقد اختفى من مسرح الأحداث، والراجح أنه توفي متأثراً بجروحه في معركة الحمة رغم أن ابن الأثير

يذكر أنه بقي على قيد الحياة حتى سنة 591 هـ.

ابن غانية يستولي على إفريقية ومدنها : وسواء توفي علي على إثر هزيمة الحمة سنة 583 هـ، أو ظل على قيد الحياة حتى سنة 591، فإن قيادة المعارك في المرحلة التالية من ملحمة بني غانية، ستؤول إلى أخيه يحيى الذي كان يتمتع بخصال حربية نادرة. فرغم الهزائم والنكسات والأخطار التي واجهته، فقد ظل يحارب أعداءه الموحدين طيلة أربعين سنة دون يأس أو ملل، حتى تفرق عنه معظم أصحابه، بل إنه أصبح في بعض الفترات سيد افريقية وأعمالها دون منازع، وحتى ولو كان ذلك لمدة قصيرة، فإنه يجوز الحديث عن "دولة" بني غانية بافريقية في نهاية القرن السادس. فبمجرد أن آلت إليه قيادة أمر بني غانية بدأ يهدد أمن افريقية وحواضرها، فبدأ أولا بحصار قسنطينة المنيعة، ثم حاول تحقيق الحلم القديم بالاستيلاء على بجاية ولما لم يوفق دخل مدينة بسكرة ونكل بأهلها وقطع نخيلها، أساس ثروتها، ثم ولى أعنته نحو الشرق ليلتقي بقراقش حليفه الذي لم يكن بدوره يفلت الفرص السانحة، فقد استولى ثانية على قابس وثروات بعض الأعراب بالخديعة، وتعززت صفوف يحيى بوصول الجماعات الأولى من قبائل سليم، مما زاده قوة على قوة. لكن سرعان ما ظهر خلاف بينه وبين قراقوش، انتهى لصالحه بفضل سفينتين أرسلهما أخوه عبد الله من جزر البليار، وهذا يعني وجود حد أدنى من التنسيق والتعاون بين الأخوين، رغم البعد والأخطار. وبينما كانت قوة بني غانية تتعزز وخطرهم على أفريقية يستفحل في نهاية الثمانينات، أعطى يعقوب المنصور الأسبقية للجهاد في الأندلس، وجهز حملته الشهيرة التي ستنتصر في معركة الأرك، تاركاً شرق الأمبراطورية يواجه خطر الثوار بإمكانيات ضعيفة. وزاد الطين بلة حدوث انشقاق بين رجال الدولة الموحدية بأفريقية، فقد أعلن عبد الكريم الركراكي، وهو قائد عسكري موحدي، العصيان على والي تونس وأصبح يعمل لحسابه الخاص. ويبدو أن سبب الخلاف عائد إلى اقتسام الغنائم التي كان هذا القائد يحصل عليها من غزواته ضد الأعراب، وقد سجلت المصادر "تخصصه" في التنكيل بهؤلاء، وذلك أمر كاف لإحساسه بالاعتزاز والتجبر، فاحتل المهدية وحاصر تونس عاصمة افريقية. وتعود أهمية هذا الحدث، بالنسبة لموضوعنا، إلى استنجاد والي تونس بيحيى بن غانية لإيقاف عبد الكريم عند حده، بل أرسل سفينتين موحديتين لاسترجاع المهدية ووضعهما رهن إشارة ابن غانية الذي لم يكن يعلم بأكثر من ذلك، فانتزع المهدية من عبد الكريم وأجهز على ما تبقى من المدن بيد الموحدين وتوغل نحو تونس فدخلها سنة 600 وأصبح سيد البلاد بلا منازع وقام بالدعوة لبني العباس. فها هو يحيى الآن يتربع على كرسي مملكة افريقية الشاسعة، ويحاول أن يظهر بمظهر الملوك، فقد أخذ بثأر أجداده من هؤلاء المصامدة الذين اجهزوا على دولة المرابطين قبل الأوان... إلا أن هذا الزعيم المتمرس بالحروب والشدائد، والذي كان قائداً عسكرياً ممتازاً، وكان معظم جيشه يحارب من أجل متع الغنائم والنهب، لم يستطع أن يتحول بسهولة إلى الاشتغال بأمر حقيقي للمسلمين، فقد فرض على السكان العزل ضرائب وغرامات فوق الاحتمال، أما جيوشه فلم تعرف التوقف عند حد، بل زاد عيثها وفسادها مما أخل بالعمران والاستقرار والإنتاج، فبدأت النواحي البعيدة تخلع طاعته وتتملص من أداء الضرائب بمجرد تواريه عن الأنظار، مما اضطره إلى القيام بحملات في مختلف الاتجاهات لتأديب المنشقين واستخلاص الضرائب. وما كاد يعود من إحداها حتى بلغه خبر قدوم الخليفة الناصر بعدد وعدة، فأخلى تونس بعد أن أودع المهدية المحصنة كنوزه وعين عليها ابن عمه علي بن الغازي، ثم توغل كعادته كلما جد الجد نحو جنوب البلاد.

أبو محمد عبد الواحد يضبط أمر أفريقية : فتحت تونس أبوابها للخليفة الموحدي ورحبت به وبجيشه بعدما شهدته من معاناة ومآسي على عهد يحيى رغم قصره، فقتل أنصار بني غانية، وتكفل أبو محمد عبد الواحد (حفيد أبي حفص الهنتاتي) بتتبع يحيى الهارب إلى الجنوب، ليلحق به هزيمة نكراء في معركة "تاجرة" (ربيع I 602) وتقول المصادر بأن معظم أصحاب يحيى قد قتلوا في تلك المعركة وعلى رأسهم أخوه جبارة، بينما تمكن أبو محمد من افتكاك أسرى الموحدين، ومن بينهم بالخصوص أبو زيد حاكم تونس السابق، ولما رجع القائد منتصراً وجد الخليفة لا يزال يحاصر المهدية، لكن خبر الناصر زاد من حماس الموحدين وفت من عضد المحاصرين، فاستسلمت المدينة وقائدها علي بن الغازي الذي انحاز بعد ذلك مختاراً إلى الموحدين، وبعد أن أنزل الناصر العقاب بحلفاء يحيى من الأعراب، أرسل حملات متعددة لتطهير أقاليم أفريقية، توغلت حتى سرت وبرقة وسويقة... إلا أن الناصر لم يسرع في العودة بمجرد تحقيق هذه الانتصارات الأولية، كما أنه لم يفكر في الحل الذي لجأ إليه والده حين نقل الأعراب إلى المغرب، ربما لأن تلك الجماعات المستقرة بسهول المغرب بدأت في عهد تقلق راحة الدولة، بل فكر في حل نهائي لمعضلة أفريقية من شأنه أن يضع حداً لمغامرات بني غانية الذين كانوا يجدون أكبر السند في القبائل العربية المنتشرة هناك، ويتمثل في إسناد أمر أفريقية لشخصية مرموقة مقتدرة، فوقع اختياره على أبي محمد عبد الواحد، سليل أبي حفص عمر إينتي، أحد كبار قادة الدولة الموحدية عند نشأتها، وصاحب الفضل الأكبر على تولية بني عبد المومن خلافة الموحدين. غير أن هذه التولية، ليست عادية، فأبو محمد، الذي ستثبت الأحداث مدى حنكته لم يقبل التولية إلا بشروط تخولّ له سلطات واسعة في تنظيم شؤون تلك البلاد وبتولية من يشاء وعزل من يشاء دون أن يحاسب على ذلك من طرف أي كان. وقد أدرك المؤرخون خصوصيات ومميزات هذا التنصيب، فيذكر التيجاني صاحب *الرحلة*، حواراً دار بين الناصر وأبي محمد، فخيره

الخليفة بين الذهاب إلى مراكش، بينما يبقى هو في أفريقية!، صحيح أن هذه دعوة إلى منصب الخلافة، حتى كان في ذلك مبالغة من وضع الرواة، ومهما يكن فأبو محمد، لم يجرؤ بطبيعة الحال على ترك الخليفة نائباً عنه بأفريقية ليستأثر هو بالخلافة في المغرب، بل قبل الخيار الثاني بشرط ألا تتعدى مدة ولايته، وفي جميع الظروف ثلاث سنوات. أما ابن خلدون فلم يفته بدوره الإشارة إلى ميزة هذه التولية عن غيرها، إذ يقول بعد حديثه عن وداع الناصر العائد إلى المغرب متحدثاً عن أبي محمد : "وقعد مقعد الإمارة بقصبة تونس في السبت العاشر من شوال سنة ثلاث وستمائة".

ومن جهة أخرى، فإن كل ما سبق لا يعني نهاية خطر بني غانية، لكن هؤلاء لم يعودوا يصولون ويجولون كذي قبل، كما أن المواجهات بين الطرفين أصبحت من هذا التاريخ كلها على يحيى بن غانية، الذي لم ييأس، فقد عاود الكرة ابتداء بالتعرض لجيش الناصر العائد إلى المغرب على مقربة من نهر شلف. ولما لم ينل منه طائلا واجه جيش أبي محمد الذي هزمه سنة 604، وطلب على إثر ذلك الانتصار الإعفاء من منصبه. لكن الخليفة استمهله وأغراه بجملة من الهدايا. وعلى العموم، فإفريقية وأعمالها لم تعد ميداناً ملائماً لثورات وفتن بني غانية حين تولى أمرها قائد مقتدر خُوِّل سلطات واسعة وأعطي إمكانيات مادية وبشرية مناسبة. ولقد أدرك يحيى هذه الحقيقة فعمل على نقل الحرب إلى مناطق أخرى، فتوغل حتى سجلماسة بمساندة قبائل زناتة، ثم اتجه شمالا حتى تلمسان التي كاد أن يستولي عليها، وتوجه شرقاً فخرب مدينة تاهرت وعاث فساداً في مداشر وقرى الناحية، وبعد حين مُني بهزيمة أخرى قاسية أمام ابن زيد بجبل نفوسة، فقد خلالها معظم رفاقه وتفرق عنه الباقون، فبدا كزعيم عصابة، وأدرك أن مواجهة جيش الموحدين المنظم ضرب من المغامرة، وكان لتقدم سنه، فضلا عن كل ما سبق، دوره في تضاؤل نشاطه وحيويته.

لقد انتهت ثورات بني غانية وقل خطرها عملياً منذ تولية أبي محمد عبد الواحد، وإن سجلت كتب التاريخ أن يحيى ظل حياً حتى سنة 633 / 1235 أي بعد أزيد من نصف قرن على خروج أخيه عليّ من جزر البليار التي لم يقدر له أن يراها مرة أخرى، ولكن هذه النهاية لم تتأت إلا والدولة الموحدية نفسها تعيش بداية النهاية، فقد كثرت النزاعات بين الخلفاء منذ وفاة الناصر، وظهرت حركات انفصالية في الأندلس وارتد المامون عن تعاليم المهدي واغتال معظم الأشياخ وراح يحارب منافسه يحيى ابن الناصر، وقتعت افريقية، في ظل ذلك كله، وبفضل أبي محمد بنوع من الاستقرار، سيتم خلاله، رغم بعض العراقيل التمهيد للدولة الحفصية. ويمكن اعتبار ذلك أهم النتائج السياسية لثورات بني غانية بافريقية، فقد اضطر معها الموحدون إلى منح "استقلال ذاتي" لتلك البلاد. غير أن نتائج ثورات بني غانية لم تنحصر في الجانب السياسي، فقد أدت إلى اضطراب الطرق التجارية وإلى تراجع النشاط الفلاحي في عدة جهات من افريقية، وكم من مدينة وقرية لم تقم لها قائمة بعد أن ضربتها الفتن المتكررة. ويتحدث ابن خلدون عن مدن وقرى لم تعد موجودة في عصره، يعود تخريبها إلى عهد الفتنة "الغانية" أما المؤرخ الفرنسي H. Terrasse فيرى أن التخريب الذي أحدثه بنو غانية وحلفاؤهم يتجاوز ما أصاب المنطقة أثناء الزحف الهلالي الأول (القرن الخامس) وفي ذلك الرأي نوع من المبالغة لا شك. والواقع أن بني غانية قد أدركوا أن افريقية مواتية للقيام بثورات لأن هناك ما يكفي لإيقاد نارها، ويتمثل في قبائل هلال وسليم فضلا عن صنهاجة. ومعظم هذه الجماعات والأجناس كانت تتمتع باستغلال موارد المنطقة في شكل الاستثمار بإمارات أو إقطاعات، قبل العهد الموحدي، وقد أزاح عبد المومن في منتصف القرن السادس كل هؤلاء من مواقعهم ففقدوا امتيازاتهم وأصبحوا يؤدون الضرائب للأسياد الجدد. ولكن هذا الوضع كان مرفوضاً من طرف هؤلاء الذين استقبلوا بني غانية وجاورهم في الأهداف والمصالح... أما الدولة الموحدية - وهذه إحدى معضلاتها الكبرى - فلم تكن قادرة على حماية الأندلس وإفريقية معاً، فقد "فضل" أقوى خلفائها - المنصور - التوجه إلى الأندلس أواخر القرن السادس بدل حسم أمر أفريقية.

ومن جهة أخرى يرى بيل A. Bel أن الحرب بين بني غانية وبين الموحدين اكتسبت صبغة حرب دينية في شكل جهاد. وهو يلمح بذلك إلى الاختلاف المذهبي والعقيدي بينهما، وراح يستعرض فقرة طويلة مقتبسة من دراسة فنية قام بها المستشرق النمساوي كولتسيهر Goldziher منذ أزيد من قرن، غير أن هناك خلطاً لا بد من توضيحه : فالأمر بالنسبة لكولتسيهر يتعلق برأي المهدي بن تومرت في المرابطين وفقهائهم الذين وصفهم بالكفر والتجسيم، لأنه كان معولا على كشف عوراتهم لأصحابه وتبرير محاربتهم وإسقاط دولتهم، والأمر خلاف ذلك بالنسبة لبني غانية، إذ أن المصادر لا تتحدث عن العنصر الديني الذي بدأ يتوارى تاركاً المجال للمصالح السياسية والاعتبارات المادية، فبنو غانية أنفسهم، قد حاولوا التحالف مع برغواطة تامسنا الخارجين عن الإسلام، بإيعاز من القاضي عياض، الثائر أيضاً ضد الموحدين بمدينة سبتة. لكن بني غانية، كان عليهم وهم يواجهون دولة استوفت كل الشروط التنظيمية والإديولوجية، أن يبحثوا عن "المشروعية"، ولذلك كانوا حريصين دائما على إعلان تبعيتهم لبني العباس، ولا يستبعد أن يكون هؤلاء، بدورهم قد شجعوا الثائرين لضرب دولة الموحدين التي ولت الشرق ظهرها في جميع المجالات، ومن هذه الناحية يمكن اعتبار ثورة بني غانية ذات حمولة مذهبية ولو بكيفية غير مباشرة ؛ حيث تخدم مصالح صحوة سنية في المشرق بالقضاء، أو بمحاولة القضاء على دولة الموحدين التي تميزت بمذهب وعقيدة مخالفين للنهج

شجرة نسب بني غانية

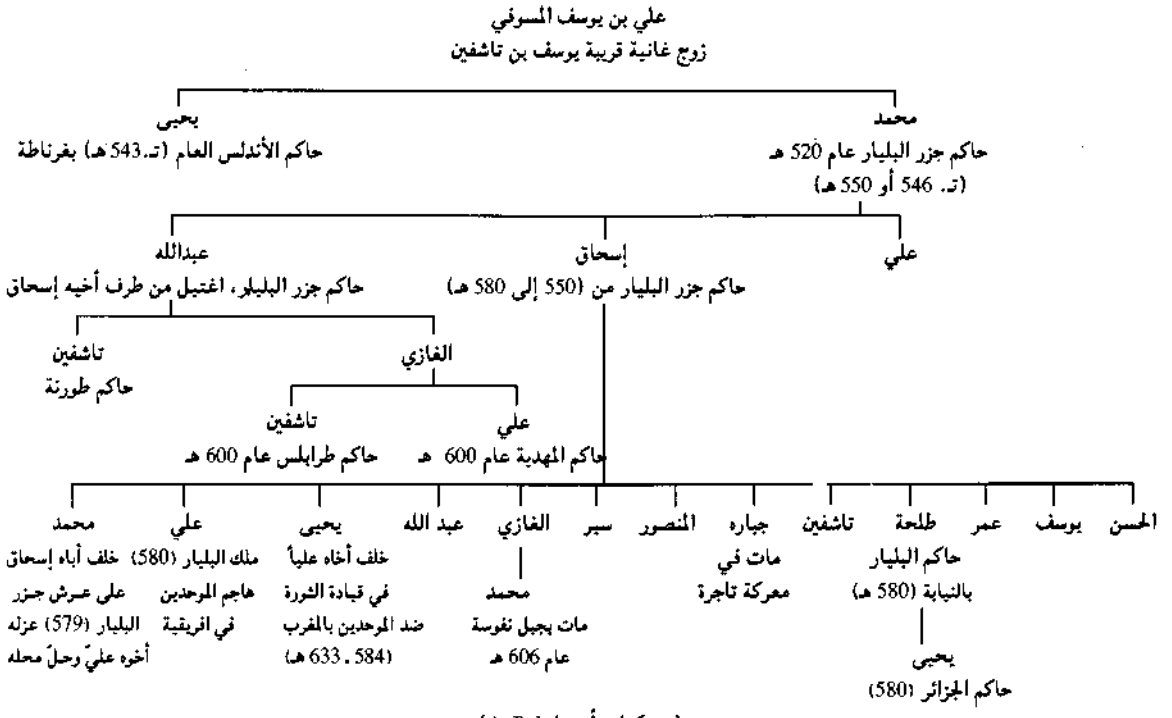

(عن كتاب أ. بيل A. Bel)

السني الشرقي في كثير من المظاهر.

ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، 3 ؛ أ. الغبريني، *عنوان الدراية* ؛ التجاني، *رحلة* ؛ م. الرشيد ملين، *عصر المنصور الموحدي*.

A. Bel, *Les Banu Ghanya*, Paris, 1903 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, T. I.

رضوان مبارك

بني گرفَطْ، قبيلة تقع بناحية جبالة (إقليم العرائش حالياً) وتحيط بها قبائل بني عروس وسماتة وأهل سريف والخلط وبداوة، وتقدر مساحتها بـ 253 كلم مربع، سكانها

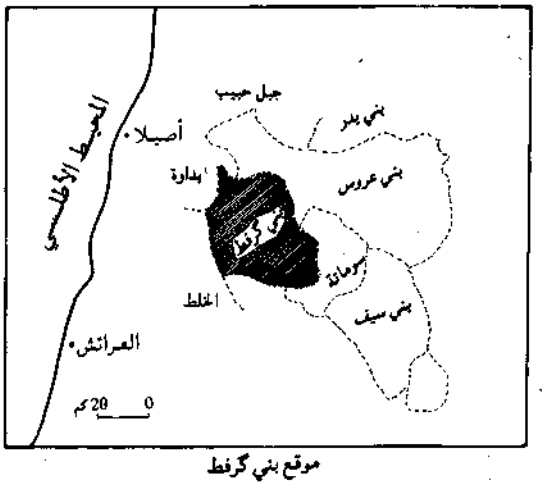

موقع بني گرفط

يتكلمون باللهجة العربية الدارجة، وتتوفر القبيلة على أحد عشر مسجداً وثمانية أضرحة وثلاث زوايا وستة عشر كتّاباً قرآنياومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق هي : الكيفان (4 مداشر) والصخرة، وبوهاني وشفراوش، كل واحدة من هذه الفرق الثلاث تحتوي على ثلاثة مداشر.

وفي النظام الإداري تنقسم القبيلة إلى جماعتين قرويتين هما : جماعة بني گرفط وجماعة زعرورة. وحسب إحصاء سنة 1960 بلغ عدد سكان بني گرفط 16.993 نسمة، ولم يزد إلا قليلا في إحصاء سنة 1982 حيث أصبح يقدر بـ 17.302 نسمة.

ع. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 251 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 114؛ مديرية الاحصاء بالرباط، *السكان القانونيون للمغرب* ؛ + ببليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

** وفي الجانب الأثري، أشار الكثير من الباحثين إلى وجود عدة بقايا أثرية بمختلف مناطق جبال بني گرفط قرب مدينة العرائش وخاصة منطقة سيدي بوجبل،و سيدي بوحاجة وديمنا وكذا الولف. وهكذا قام بالتنقيب كل من بيريدا، وبيريز دي باردو ثم موزان، ولقد أرجع هذا الأخير هذه المخلفات بالأخص إلى الحضارة الموستيرية المتميزة بالرؤوس الموستيرية والمحكات والمكاشط. وكذا إلى الحضارة الإبيرومورزية المتميزة بالأدوات على الشفرات والعظام...

C. Moran, *El Paléolitico de Beni Gorfet (Marruecos)*, *Junta superior de monumentos historicos y artisticos*, *Larache*, n° 4, 1941 ; G. Souville, *Beni Gorfet, Atlas préhistorique du Maroc*, 1973, p. 37.

محمد ع. الهجراوي

بني گـرير، قبيلة تقع بناحية غمارة (إقليم شفشاون حالياً)، وتحد شمالا بالبحر المتوسط وتحيط بها قبائل بني سميح وبني منصور وبني بوزرة، وتقدر مساحتها بـ 93 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 2.884 نسمة يتكلمون باللهجة العربية الدارجة، ويوجد بالقبيلة ثلاثة وعشرون مسجداً وستة أضرحة وزاوية وتسعة عشر كتاباً قرآنياً، ومركزها الرئيسي هو القرية الحضرية المعروفة بـ "تغاسة".

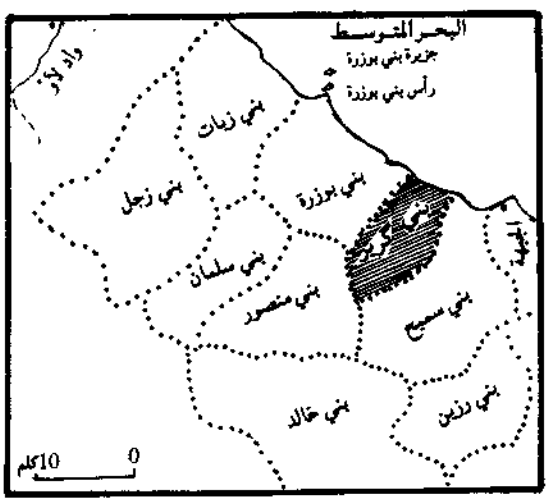

موقع بني گرير

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق هي : بني حمدون (5 مداشر) وبني الحاج (8 مداشر) وبني سگود (10 مداشر) وبني كرامة (مدشران).

وفي التقسيم الإداري الحالي تكون جماعة قروية تحمل اسمها.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 256 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 106، 171، 325 ؛ + ببليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابن عزوز حكيم

بني گـميل، قبيلة تقع بناحية الريف (إقليم الحسيمة حالياً)، وتحيط بها قبائل مسطاسة وبني بوفراح وترگيست وزرقات وبني سدات ومتيوة. تقدر مساحتها بـ 157 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 هـو 6.131 نسمة يتكلمون باللهجة العربية الدارجة باستثناء سكان ثلاثة مداشر من فرقة بني أشبون الذين يتكلمون اللهجة الصنهاجية.ويوجد بالقبيلة خمسة وأربعون مسجداً وخمسة أضرحة وزاوية وسبعـة وأربعون كتاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.وأما السوق الرئيسي للقبيلة فيوجد بثلاثاء ياسيرين.

تنقسم القبيلة إلى ثلاث فرق هي : المكصولين (30

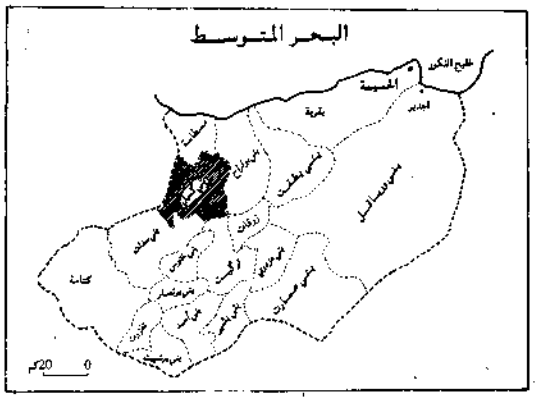

موقع بني گميل

مدشراً) والثلث الوسطي (7 مداشر) وبني اشبون (12 مدشراً). وفي التقسيم الإداري الحالي تكوّن هذه القبيلة مع قبيلة مسطاسة جماعة قروية واحدة.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 15، 60 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 244 ؛ + ببليوغرافيا بني أحمد باللغة الأعجمية.

محمد ابنّ عزوز حكيم

بني كـوف، ـ قرية ـ يحمل هذا الاسم تجمع سكاني هام بحوز تطوان، اختار الاستقرار بوادي جبلي معلق بمؤخرة جبل فتح لمهر من جهة الشمال. ويظهر التجمع الحالي منفصلا إلى الكوف الفوقي، وهو جنوبي تلتف سكناه حول منابع تشارك في جريان أحد روافد أسمير، على ارتفاع 300 م. وتظهر قرارات الكوف السفلي في القسم الأسفل من الوادي المعلق على ارتفاع 171 م. ويستغل أهله بدورهم منابع أخرى منحدرة إلى نفس مجرى واد أسمير. وتندرج القرية بقسميها في فرقة البحري من حوز تطوان.

ـ مقاومة بني كوف : أشار الإخباري البرتغالي "ومس إيانس دي زورارا" إلى أهل هذا الجبل بمناسبة زحف العاهل البرتغالي الفونس الخامس على جبل الدرقة من حوز تطوان في ربيع الثاني 868 / يناير 1464، والهزيمة التي لقيها على يد السكان ومقتل "ضون ضوارتي دي منيسيس"، حاكم القصر الصغير، بعد أن عانت من غاراته قرى الحور وأنجرة وبني حزمار وطنجة.

ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية، ص. 40 ؛ ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية*، 1 : 276 ـ 281.

Gomes Eanes de Azurara, *Cronica de D. Duarte de Meneses*, p. 352 - 353.

بني گومَنْ ← **بني گيل**ـ تاريخ ـ

بني كيسان، قرية تنتمي إدارياً إلى قبيلة الساحل الجنوبي من ناحية العرائش. تحتل الشعاب المجاورة لمنابع واد بوفكران، رافد واد المخازن، في نقطة النطاق الغابوي، مما يقابل قرية البلاط شمالا وتركونت شرقاً.

شكلت القرية نقطة عبور برتغالبي أصيلا إلى مجرى واد المخازن والدخول إلى حوز القصر الكبير، بعد المرور بقرية تاورات المجاورة لها، طيلة مدة الوجود البرتغالي بأصيلا.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 352 ، 354 ، 359 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 51.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, p. 155 - 205 - 206.

حسن الفكيكي

بني گيل، اسم يطلق على مجموعة من القبائل التي تعيش على تربية الماشية في الهضاب العليا الشرقية. تنتظم هذه القبائل حالياً من الناحية الإدارية داخل جماعتين قرويتين هما : جماعة بوعرفة، حيث مجموعة بني گيل الجنوبية، وجماعة تيندرارا، حيث مجموعة بني گيل الشمالية. أما المساحة التي تغطيها الجماعتان القرويتان، فتبلغ 20.000 كلم2، إذا ما اعتبرنا التقسيم الإداري الذي حدد بشكل كبير المجال الرعوي السابق لهذه القبائل. وحسب إحصاء 1982، فإن عدد السكان المعنيين كان يبلغ 22.058 نسمة، دون مدينة بوعرفة ومركز تيندرارا، حيث يستقر عدد كبير من السكان "الگيليين".

جوانب تاريخية واجتماعية : لا نعرف شيئاً عن أصول هذه القبائل، وعن ظروف تكوينها واستقرارها النهائي بالمنطقة، إذ أن المصادر المكتوبة حولها تكاد تكون منعدمة وقد وضعت بعض التقارير المبنية على الرواية الشفوية في عهد الحماية، ويمكن تكملتها انطلاقاً من ملاحظات حديثة قام بها كاتب المقال. إن مجال الهضاب العليا المغربية الجزائرية عرف انتشار قبائل من الرحل الرعاة منذ عهود قديمة، ويبدو أن الوضع الحالي الذي تجمد مع دخول الاستعمار الفرنسي لم يكن بهذا الصدد سوى نتيجة دينامية متواصلة. والمجموعات القبيلة من لغمور، ودوي منيع، وجرير، وبالأخص بني گيل اعتمدت كما سنرى على نظام "بدارة" متميز، تستغل بمقتضاه الموارد الرعوية على مسافات كبيرة تتجاوز أحياناً 300 كلم من الشمال إلى الجنوب (مثلا من گعدة دبدو إلى جنوب جبل گروز)، ومن الغرب إلى الشرق (مثلا من بلغاضه إلى جبل الدوخ). وقد ارتبط ترحال بني گيل بتكامل مع بعض الركائز الواحية، أهمها فگيگ، وبعض الواحات الموجودة حالياً بالتراب الجزائري.

وإذا ما اعتبرنا البنية الحالية لقبائل بني گيل فما من شك أن تنظيمها السياسي والاجتماعي كان نتاجاً لضرورات الدفاع المتواصل عن الموارد الممتدة في هذا المجال الواسع. فبني گيل هي عبارة عن اتحادية حقيقية لتجمعات قبيلة لا ترتبط بادعاء مشترك لجد واحد، بقدر ما ترتبط بضرورة ضمان ولوجها لموارد رعوية ومائية متكاملة مجالياً وزمنياً فوق مساحات شاسعة. ولعل هذه الحقيقة تجعلنا نفترض أن أصول القبائل الگيلية بعيدة كل البعد عن التجانس. فاللغة المستعملة هي العربية، ولكن أصل بعض التجمعات يرجع إلى قبائل "البرابر" المحاذية لبني گيل في الجهة الشرقية. لكن سيادة الثقافة البدوية (لغة، وتقاليد، وفي عدة جوانب مادية) أمر أكيد من جهة أخرى، مما يدل على أن الأصل العربي هو السائد.

وعند نهاية القرن التاسع عشر، كانت اتحادية بني گيل تتكون من خمسة أخماس هي :

1 ـ أولاد إبراهيم : ويتكون هذا الخمس من "أولاد إبراهيم"، "أولاد شعيب البويض" و"أولاد شعيب الزورگ".

2 ـ أولاد حجي : ويتكون هذا الخمس من : "أولاد حجي" و"أولاد علي بن ياسين".

3 ـ أولاد فارس : وهذا الخمس يتكون من "أولاد فارس" و"أولاد بلحسن".

4 ـ أولاد يوب : وهو خمس يتكون من "أولاد يوب" و"أولاد سلامة".

5 ـ أولاد احمر : ويتكون هذا الخمس من "أولاد عبد الكريم"، "أولاد أحمد بن عبد الله"، "أولاد علي بلحسن" و"لعلاونة".

كما أن الرواية الشفوية تتحدث عن وجود تنظيم سياسي داخلي على شكل لفين أساسيين هما : بني غمراسن وبني گيمي أو گيمن : اللف الأول يجمع قبائل شرقية حول "أولاد فارس"، "أولاد بلحسن"، و "أولاد علي بلحسن"، بينما اللف الثاني يضم القبائل الغربية، وأهمها خُمُس "أولاد يوب".

إلا أن دخول الاستعمار أدى إلى القضاء تدريجياً على التنظيم السياسي العُلوي وسط هذه الاتحادية، فأصبحت "القبيلة" بمفهومها الوظيفي المتعلق باستغلال الموارد هي الوحدة الأساسية. وهكذا، فإن التقسيم الإداري الحالي قد ارتكز على هذه الوحدات (= فخذات)، ويبلغ عددها اليوم بجماعة بوعرفة سبعة (أولاد حجي، أولاد بنحمامة، أولادعبد الكريم، أولاد شعيب البويض، أولاد شعيب الزورگ، أولاد إبراهيم وأولاد رمضان)، في حين يبلغ هذا العدد تسعة بجماعة تندرارا : أولاد بلحسن، أولاد فارس، أولادعلي بلحسن، أولاد أحمد بنعبد الله، أولاد جابر، أولاد علي بنياسين، أولاد مبارك، أولاد يوب.

بني گيل حالياً : الخصائص الطبيعية للمجال : يمتد المجال المستعمل من طرف قبائل بني گيل لأغراض رعوية على مساحات كبيرة نتج عنها وجود تنوع بارز في مظاهر السطح، وفي الخصائص البيومناخية، وهي خصائص تفسر إلى حد كبير النمط الرعوي المتبع في الماضي وكذلك في الحاضر.

فمن الناحية التضاريسية، يتكون هذا المجال من قسمين كبيرين :

أ ـ الهضاب العليا بمعناها الضيق، ونعني بها المجال الممتد ما بين گعدة دبدو إلى جبال جرادة شمالا، وسلسلة الأطلس الكبير الشرقي ذات الاتجاه غرب ـ شرق من جبل لعراك إلى جبل الكلخ جنوباً. هذه الهضاب تعرف ارتفاعاً

متوسطاً ما بين 1400 م إلى 1200 م، وتضاريس متنوعة، وأحياناً متقطعة وبارزة، أهمها ما يسمى "بالطرايد" (طرايد الدفلة، طرايد بن الرملي، طرايد غرس الله). ويحد هذه الهضاب شرقاً منخفضات هي عبارة عن شطوط كبرى أهمها شط تيغري، والشط الغربي (الذي يمتد أساساً داخل التراب الجزائري).

ب ـ المجموعة الأطلسية الشرقية : وتمتد ما بين سلسلة جبل لعراك ـ جبل بوعرفة ـ جبل الكلخ شمالا، جبل گروز جنوباً (حيث الحدود المغربية الجزائرية). في هذه المجموعة، نجد بعض المرتفعات الجبلية المتوسطة الارتفاع (ما بين 1500 و2000 م) التي تشرف على منخفضات واسعة (ارتفاعها ما بين 1100 م إلى 1300)، مثل منخفض تاملالت، منخفض المنگوب، منخفض عصارين، منخفض ركتة النعام ـ زولاي، منخفض معدر الكبش وتيسرفين.

أما من الناحية البيومناخية، فإن المجال المعني يمتاز بالقحولة، على أن امتداده الكبير يرتبط بوجود تنوعات إقليمية بارزة، أهمها الاختلاف البيومناخي ما بين الهضاب العليا الشمالية، حيث يتأثر المناخ بمؤثرات أطلنتية (أقصى التساقطات تتم في فصل الشتاء وفي نهاية الربيع) في حين تكون البرودة كبيرة إلى غاية منتصف فصل الربيع، بينما القسم الأطلسي الشرقي الموجود جنوباً يتميز بمؤثرات صحراوية حقيقية، تتمثل في تساقطات مبكرة (بداية فصل الخريف وبداية فصل الربيع) وفي حرارة أقل برودة. وإذا كانت التشكيلات النباتية لا تعرف تغييراً كبيراً في الجزءين (غطاء الحلفاء، وسهوب الشيح التي تتوزع حسب خصائص ترابية محلية)، فإن نمو النباتات الفصلية التي ترعاها الماشية يتأثر بالاختلافات الإقليمية الكبرى، وهو الأمر الذي يفسر نمط الترحال الذي اتبعته مجموعات بني گيل في الماضي، ولازالت إلى حد ما تتبعه حالياً.

الترحال الرعوي عند بني گيل : يتميز هذا النمط المعيشي بتنقلات رعوية على مدى واسع، فمجموعات بني گيل كانت في الماضي تغادر الهضاب العليا (وتسميها الظهرة) في بداية الخريف نظراً للبرودة المفرطة ولتوقف نمو النباتات، متجهة نحو القسم الجنوبي (وتسميه الصحراء) حيث الظروف ألطف. وبالمقابل فإن موسم الهجرة نحو الهضاب العليا كان يتم مع منتصف فصل الربيع.

وقد كانت الإبل والأنعام الصغرى (وأهمها الأغنام من فصيلة متميزة سميت "بفصيلة بني گيل" هي أهم الحيوانات. ولم تكن التنقلات الرعوية "فوضوية" عبر المجال، إذ يبدو أن لكل قبيلة مجالا مفضلا ومعترفاً به يسمى "الوَلْف". ولعل هذه المجالات المفضلة هي التي استقطبت أصحابها حالياً، بعدما توقف الترحال الواسع، وبدأت الأنشطة الزراعية تنمو تدريجيا، فقد قدرت المساحة المزروعة في السنوات الأخيرة بأكثر من 10.000 هكتار.

إن توقف التنقلات الرعوية الكبرى وتزايد الاستقرار الفعلي يعتبران أهم تغيير أصاب مجموعات بني گيل في الحاضر. والزراعة المتبعة هي أساساً بعلية، تتم في "المعادر" التي هي منخفضات كبرى يتجمع فيها الجريان المرتبط بوابل الأمطار، أو في "السهوب"، وتعني محلياً مجاري الوديان التي تنقل أحياناً بعض المياه. ونظراً للتضاريس الجبلية الجنوبية، فإن "المعادر" كثيرة في جماعة بوعرفة، بينما تتم الزراعة في "السهوب" بجماعة تيندرارا. وقد تطور النظام الرعوي بشكل مواز لتزايد النشاط الزراعي، فأصبحت التنقلات قصيرة، في حين يجتمع الرعاة حول الأراضي المزروعة بعد حصادها. وإذا كانت الأراضي جماعية قانونياً، فإن التملك الفعلي، سواء منه الفردي، أو على مستوى التجمعات الصغرى، قد أصبح شائعاً.

وأخيراً، فإن وجود مركزين أساسيين (بوعرفة وتيندرارا) قد أدى بدوره إلى تغيير عميق في النشاط الرعوي، إذ توافدت على المركزين أعداد كبيرة من هؤلاء الرحل، وأصبح هذان المركزان أهم مواطن لاستقرارهم. ويلخص الجدول التالي أهم المعطيات الخاصة ببني گيل حالياً.

اسم القبيلة	عدد السكان سنة 1982	المساحة المزروعة بالهكتارات 1989	عدد الأغنام 1989	عدد الماعز 1989	عدد الأبقار 1989	عدد الإبل 1987
أولاد مبارك	1.119	2.178	11.141	2.402	118	30
أولاد بلحسن	14.23	2.544	15.458	2.960	350	96
أولاد فارس	3.298	4.387	36.494	7.408	771	35
أولاد علي بنياسين	1.331	2.570	25.602	3.507	336	30
أولاد يوب	1.551	3.884	19.745	2.817	160	30
أولاد جابر	1.523	5.140	22.648	3.184	235	31
العلاونه	1.073	4.186	16.423	3.479	371	41
أولاد علي بلحسن	585	4.237	10.652	2.517	388	0
أولاد أحمد بنعبد الله	1.973	4.212	35.309	3.663	487	3
أولاد تيندرارا	* 816	1.878	7.036	646	431	1
أولاد شعيب	1.260	1.408	12.278	4.338	214	28
أولاد بنحمامة	422	2.183	3.947	2.329	5	116
أولاد رمضان	977	1.021	9.545	5.671	176	46
أولاد حجي	1.460	2.119	16.089	5.263	47	156
أولاد إبراهيم	942	996	10.832	5.053	299	35
أولاد عبد الكريم	1.960	2.188	20.294	6.149	333	160

* بالنسبة لمركز تيندرارا، فإن الرقم المشار إليه يهم عدد مربي الماشية فقط.

(المصدر : نشرات إحصائية مختلفة)

تحريات ميدانية للكاتب.

عبد اللطيف بنشريفة

تتشكل قبيلة بني گيل تاريخياً من فرعين كبيرين هما: بِغْمُراسْنْ وبنو گومن. وهي إحدى أهم قبائل المغرب الشرقي، تنتشر بخيامها وقطعان مواشيها في معظم الهضاب العليا المغربية فيما يعرف عند سكان المنطقة بالظهرة.

أصول هذه القبيلة غير معروفة، فلم يرد اسمها عند ابن خلدون أو غيره ممن تعرض لأنساب وأصول قبائل المغربين الأقصى والأوسط حسبما اطلعنا عليه. وإذا رجعنا إلى ابن خلدون في حديثه عن بطون زغبة من بني هلال نجده يشير إلى اقتسام بعض قبائل زغبة (خاصة منهم بنو عامر)

ومعقل إلى جانب القبائل الزناتية لمجالات القفار الصحراوية والتلال والحواضر الشمالية فيما يشكل مملكة تلمسان، بعد صراعات عديدة للظهور والسيطرة على هذا المجال بين الأطراف المذكورة. ولما كانت زغبة أكثر احتكاكاً، إن سلماً أو حرباً، بملوك بني زيان في تلمسان، فقد نقل يغمراسن بني زيان أحد بطون زغبة من صحراء بني يزيد شرقاً وأسكنهم بصحراء تلمسان لمنع توسع القبائل المعقلية نحو شمال المنطقة، "واستقروا هنالك يتقلبون بين قفارها في المشاتي ويظهرون إلى التلول في المرابع والمصايف" (*العبر*، 6 : 105).

عندما تحدث ابن خلدون عن قبائل بني معقل ذكر أن مجالاتهم تمتد من المحيط الأطلسي إلى ما يسميه بقبلة تلمسان مجاورين بذلك أوطان بني عامر. ومعقل ثلاثة بطون : ذوي عبيد الله، وذوي منصور، وذوي حسان. وقد هاجر ذوي عبيد الله إلى الشمال واستوطنوا المنطقة ما بين تلمسان وتاوريرت وهم بذلك جورة لبني عامر بن زغبة. (*العبر*، 6 : 131). وفي رواية شفوية نقلها مخبرون فرنسيون عن بعض شيوخ قبيلة بني گيل أواخر القرن الماضي وبداية القرن الحالي (القرن العشرين) يدعون فيها الانتساب لبني حسين وهم فرع من بطن ذوي منصور القاطنين في زمن ابن خلدون ما بين ملوية ودرعة، وتضيف الرواية الشفوية أن اسم بني گيل أطلق على بعض الفرق من بني حسين التي قيّلت لبعض الوقت في منطقة الظهرة للاستراحة ثم استهواها المكان ففضلت الاستقرار بها وامتنعت عن اللحاق بأخواتها من بني حسين الذين سبقت لهم الهجرة إلى منطقة التل بالشمال. ويعزز ذلك ما ورد في *وصف افريقيا* (1 : 46) أن فرقة من بني حسين فرع ذوي منصور المعقلية تقيم في صحراء الظهرة وأنهم قوم ضعاف لا مال لهم ولا سلطة. وعلى أي حال فإن الإشكال لا يكمن في هذه النقطة فقط بقدر ما يتعلق بنسب البطنين الأساسيين اللذين يكونان قبيلة بني گيل : بني يغمراسن وبني گومن، وهما اسمان لقبيلتين بربريتين من القبائل الزناتية، فبنو يغمراسن نسبة إلى مؤسس الدولة الزيانية بتلمسان يغمراسن بن زيان، وبنو گومن هم قبيلة گومية. فكيف يطلق هذان الاسمان البربريان على بطنين رئيسيين لقبيلة تتحدث لغة عربية دارجة لا تختلف في شيء عن لهجات القبائل العربية الأخرى في المنطقة، وعاداتها وتقاليدها شبيهة تمام التشابه بما عند تلك القبائل نفسها وفروع هذين البطنين تحمل كلها أسماء عربية ؟.

إن التهميش الذي قوبلت به هذه القبائل وغيرها من مناطق القفار بوسط وجنوب التخوم المغربية الجزائرية من لدن كتب الحوليات والانساب لا يسمح بالجواب عن هذا الإشكال، ولا يسعنا إلا أن نفترض امتزاج عناصر قبلية متباينة من زناتة وعرب معقل وبني عامر ممن استوطن الظهرة والأطراف المتاخمة لها، تساكنت وانصهرت مع بعضها فكونت قبيلا واحداً لا يجمع بينها الانتساب لجد مشترك بقدر ما يجمعها التضامن والتماثل في نمط العيش داخل مجال جغرافي مشترك مادامت النسبة إلى القبيلة في الشمال الإفريقي تكون أيضا قابلة للاحتضان والانتشار الواسع حسب رأي جاك بيرك (*Qu'est ce qu'une tribu..*).

فابن خلدون نفسه يترصد استيطان زناتة وخاصة منهم شعوب بني واسين بصحراء المغرب الأقصى والأوسط إلى صحارى إفريقية قبل اجتياحها من طرف قبائل بني هلال في المائة الخامسة، واقتسمت فرق بني بادين (بني عبد الواد وبني توجين وبني مصاب وبني زردال... الخ). هذه المواطن مع بني مرين، فكان لشعوب بني بادين المنطقة الصحراوية والمتاخمة لها شمالا ما بين مصاب وجبل راشد إلى فگيگ ووادي ملوية، وانتشر بنو مرين شرقها. ومع مجيء الموحدين وانحياز بني بادين إليهم، أقطعوهم تلال وضواحي تلمسان وشمال المغرب الأوسط فحل محلهم بالصحراء بنو مرين (*العبر*، 7 : 127)، وقد يحدث أن تفضل بعض الفرق من بني بادين البقاء في مواطنها الأصلية بالصحراء أو الاستقرار بالهضاب العليا (الظهرة حالياً) لظروف أمنية بعيداً عن تزاحم قبائل بني ومانو وبني يلومي مع بني بادين المهاجرين الجدد إلى الشمال إلى جانب ظروف مناخية ملائمة لعيشهم ولعيش مواشيهم. هذه الفرق البادينية (نسبة لبني بادين)، حسب هذا الافتراض، كونت النواة الزناتية الأولى لقبيلة بني گيل (بني گومن وبني يغمراسن) قبل توافد عناصر بني عامر بن زغبة وذوي منصور المعقلية على المنطقة طوال القرون الموالية للقرنين الخامس والسادس (11 ـ 12 م)، فتعربت العناصر الزناتية تدريجياً لغلبة العنصر العربي، فحمل هذا القبيل المكون من العناصر العربية والبربرية جميعه اسم "بني گيل" بينما احتفظ باسمي يغمراسن وبني گومن كمؤشر لبقايا نواة بربرية قديمة قامت عليها اتحادية القبائل التي تكون بني گيل.

تتكون اتحادية بني گيل من قسمين كبيرين :

1 ـ بني يغمراسن الذين ينقسمون بدورهم إلى بطنين كبيرين كما جاء في تقرير فرنسي كتب عام 1902.

أولاد أيوب، وعلى رأسهم في وقت كتابة هذا التقرير، القائد عبد الرحمن الگيلي، عينه السلطان مولاي الحسن بظهير عام 1310 / 1892.

أولاد أيوب، ينقسمون إلى فروع منها :

أولاد بلقاسم وأولاد مبارك وأولاد بدة وأولاد سلامة وأولاد جابر وأولاد رحو الذين ينتمي إليهم القائد عبد الرحمان الگيلي.

أولاد حجي ينقسمون بدورهم إلى : أولاد محمد بن ناصر وأولاد العموري وأولاد علي بن ياسين وأولاد حمامة وأولاد ملوك.

2 ـ بني گومن يسكنون بخيامهم شرق الظهرة قريباً من الحدود المغربية الجزائرية وينقسمون إلى ثلاثة فروع.

أولاد فارس، ومنهم : أولاد محمد وأولاد بلحسن.

أولاد إبراهيم، ومنهم : أولاد علي بلحسن وأولاد رمضان وأولاد شعيب.

أولاد أحمد بن عبد الله، ومنهم : أولاد أحمد بن عمرو وأولاد أحمد بن عبد الله وأولاد علي وأولاد محمد وأولاد محجوب وأولاد مولود وأولاد مسعود والعلاونة وأولاد عبيد وأولاد بن ناصر.

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 1 و6 و7 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا* (الترجمة العربية) ؛ علي السوسي السملالي، *منتهى النقول*، مخطوط ح. ع. 633 د ؛ أ. العماري، *مشكلة الحدود الشرقية*.

De la Martinière, N. Lacroix, *Documents pour servir à l'histoire du nord-ouest africain*, V. 2, Alger, 1893 ; Marchand, *Renseignement sur l'Ouest Algérien*, (16 octobre 1902), A.O.M., Aix-En-Provence, 1 J. 151 ; L. Rousselet, *Sur les confins du Maroc*, Paris, 1912.

أحمد مزيان

بني لَيْت، قبيلة كانت في الماضي تكون فرقة من فرق قبيلة بني حسان، وتقع بناحية جبالة (إقليم تطوان حالياً)، وتحيط بها قبائل بني حزمر وبني حسان والأخماس وبني عروس. وتقدر مساحتها بـ 77 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 2.367 نسمة يتكلون باللهجة العربية الدارجة، وبالقبيلة واحد وعشرون مسجداً، وثلاثة أضرحة وأربع زوايا وعشرون كتّاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي. تحتوي القبيلة على ستة مداشر، وتنتمي في التقسيم الإداري الحالي إلى الجماعة القروية "إسوماتن" التابعة لقبيلة بني حسان.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 114.

Carta de Battista Agnesi, 1524 ; A. Domenech Lafuente, *Zona Norte*, p. 36 ; Cabello Alcaraz, *Geografia de Marruecos*, p. 87.

محمد ابن عزوز حكيم

بني ماگر، أو بني ماجر، اسم يطلق على قبيل ومكان، فأما القبيل فهم بنو ماگر أو الماگريون أو إيماگرن، وهي صيغة الجمع باللسان الغربي أي البربري، ومعنى ذلك الأكابر والأسياد، وكفى به اسما دالا على رفعة القدر وعلو المكانة اللتين كان يتمتع بهما هذا القبيل الذي لم يبق منه اليوم إلا عائلات معدودة على أصابع اليد الواحدة، ومن المعروف أن قبيل بني ماجر هو بطن من بطون دكالة، وهو أشهر بطونها في القديم، وقد أطلق اسم بني ماجر زمناً على كافة الدكاليين من باب التغليب لأهميتهم ومما يدل على ذلك أن هذا القبيل أنجب عدداً كبيراً من الأعلام سنشير إليهم فيما بعد.

ويطلق اسم "بني ماگر" أيضاً ـ كما ذكرنا ـ على مكان هو موطن هذا القبيل الذي يدعى "وطن بني ماگر" أو "جبل بني ماگر" أو "بلاد بني ماگر" أو "أرض بني ماگر" وقد كان هذا المكان أو المجال الذي يعيش فيه الماگريون فسيحاً في القديم، ولعله كان يشمل معظم الإقليم المعروف اليوم باسم عبدة، وكانت مدينة أسفي حاضرة هذا الإقليم تعرف برباط بني ماگر كما في *العبر*، وفي عصر ابن خلدون زار صديقه ابن الخطيب بلاد بني ماجر ومركزها في البادية ووصف سور هذا المركز الذي ماتزال أطلاله قائمة. وقد ذكر أن وطن بني ماجر كثير العمران متعدد الديار والأشجار وفيه كثير من الصالحين وأولي الخير وأرباب التلاوة أي حفاظ القرآن الكريم، في هذا القرن الثامن الهجري إذ كان للماجريين موقعان مشهوران أحدهما على ساحل المحيط هو رباط أسفي الذي أسسه الولي الصالح أبو محمد صالح مُحْدِث ركب الحاج المغربي، وثانيهما يقع في الداخل هو جبل بني ماجر وهو الذي تقدم وصف ابن الخطيب له ويبعد عن رباط أسفي بنحو 40 كيلومتراً، وكان بين هذين الموقعين تواصل مستمر، ويذكر الوزان الذي زار الموقعين في القرن العاشر الهجري أن أهل جبل بني ماجر كانوا فلاحين وصناعاً يملكون جميعاً دوراً بأسفي، وكان الإنتاج لديهم عديداً والخير عندهم كثيراً لا سيما من القمح والزيت.

وبعد القرن العاشر الهجري أخذ مجال الماگريين في الانكماش وعددهم في الانحسار، ويرجع السبب في ذلك إلى احتلال البرتغاليين للمنطقة واضطرار الماگريين إلى الهجرة إلى فاس وغيرها وذلك لأنهم لم يرضوا بالعيش تحت سلطة المسيحيين كما يقول الوزان.

ولم يبق في الأزمنة الأخيرة من مقر بني ماگر في البادية إلا زاوية متواضعة توجد في دائرة الأسوار المندثرة. وآخر الشيوخ المدرسين فيها هو السيد محمد الكبير الماجري المتوفى عام 1391 هـ، ويوجد اليوم عدد محدود من أبناء هذه الزاوية يحملون اسم الماجري، كما يوجد من يحمل هذا الاسم بناحية ورزازات. أما في أسفي فإن الشيخ أبا محمد صالح وأولاده وحفدته الأولين كانوا يدعون بالماجريين، ولكن هذه النسبة تنوسيت بمرور الزمن، والنسبة الماجرية غير معروفة بينهم اليوم.

ونشير في آخر هذه الفقرة إلى أن بني ماجر كان لهم في القديم أثر بارز في الحياة المغربية سواء على الصعيد الإقليمي أو على الصعيد الوطني، وهو أثر متعدد الجوانب، فمنها جانب ديني أو روحي تجلى من خلال رباط الشيخ أبي محمد صالح (انظر رباط هذا الشيخ)، ومنها دور سياسي تمثل فيما كان لبعض أعلام هذا القبيل من نفوذ وسلطة في عهود الموحدين والمرينيين. ومنها دور جهادي نلمسه في دفاعهم عن حوزة الوطن خلال الاحتلال البرتغالي كما نلمسه في إسهامهم للتطوع بالجهاد في الأندلس.

ومنها جانب علمي يبدو بوضوح من عدد أعلام العلم الماجريين المذكورين في كتب التراجم، وقد أحصينا منهم نحو الثلاثين عالماً ومؤلفاً يمثلون مختلف العصور أي من القرن السابع الهجري إلى وقتنا هذا، وسترد أسماء بعضهم في مواضعها من هذه المعلمة.

محمد بنشريفة، *الماجريون*، والمصادر الواردة في آخره في كتيب *"أبو محمد صالح : المناقب والتاريخ"* ط. الرباط، 1990 ؛ مجلة *المناظرة*، س 1، ع 2 من ص 27 إلى ص 39.

محمد بنشريفة

بني مالك، قبيلة استقرت منذ القرن العاشر (16 م) بمعية قبيلة سفيان، في سهل الغرب حيث احتلتا جميع بسيط أزغار (سهل الغرب) قبل أن يتقلص مجالهما نتيجة اكتساح قبيل بني حسن لمجموعة الأراضي الواقعة جنوب نهر سبو في القرن الثالث عشر (19 م) وبداية القرن العشرين.

ويصعب تحديد المجال الجغرافي الخاص ببني مالك نظراً لانصهارهم مع قبيلة سفيان. لكن رغم ذلك يمكن القول إن معظم أراضي بني مالك تتوسط شطري سفيان الغربية والشرقية وتتمحور حول أودية نهر مضاء في الشمال، ونهري ورغا ورضات في الجنوب الشرقي ؛ كما تحد في أقصى الشمال أراضي الخلط وسرسر ومصمودة. أما في الجنوب الشرقي فإنها تتصل بأراضي حجاوة والشراردة، في حين أن نهر سبو يمثل الفاصل بينهما وبين أرض بني حسن.

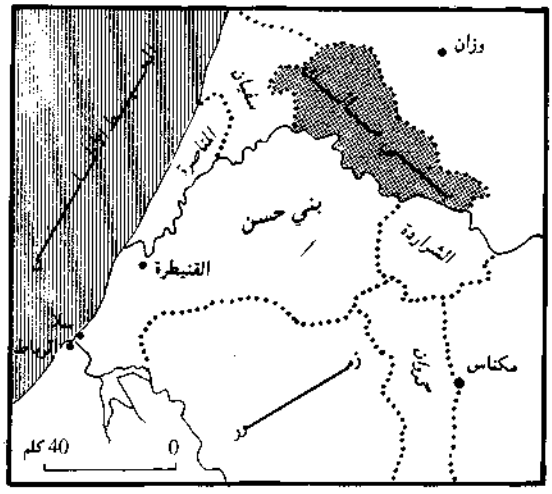

موقع بني مالك

والصعوبة النسبية التي تحصل للباحث عندما يريد تحديد المجال الجغرافي الحالي لبني مالك تزداد عندما يرغب في ضبط تاريخهم. فإذا كنا نجد اسم بني مالك وارداً في تاريخ ابن خلدون حيث يقول :"وأما بنو مالك بن زغبة فهم بطون ثلاثة سويد وهو بطنان : العطاف والديالم.." (*العبر*، 6 : 59)، فإننا لا ندري هل يهم الأمر نفس القبيلة التي نعرفها اليوم !.

ويرجع السبب في حيرتنا إلى كون بني مالك الذين تكلم عنهم ابن خلدون كانوا، حسب زعمه، يقطنون، في عهده، غرب الجزائر وشرق المغرب ؛ كما أننا لا نجد أثراً بارزاً لبني مالك من القرن الثامن (14 م) إلى القرن العاشر (16 م) مع العلم أن بني مالك الذين كانوا مستقرين بمناطق مستغانم بالجزائر لم يدخلوا المغرب الأقصى، أو على الأقل، لم نعثر على وثائق تاريخية تثبت ذلك.

وبعد هذا الاختفاء، يأتي الكلام من جديد عن بني مالك في مؤلف مارمول كربخال الذي يشير إلى أن "أعراب بني مالك من سفيان" كانوا يقطنون، في زمانه، أي في القرن السادس عشر، ضواحي سلا ومنطقة المعمورة حتى جوار مدينة مكناس (*افريقيا*، 2 : 136). ويضيف أن الأراضي المجاورة لفنزارة القريبة من سلا اقتطعت لهم في نهاية عهد المرينيين أي في منتصف القرن التاسع (15 م). فهذا يعني، إن كان مارمول على صواب، أن بني مالك اندمجوا في قبيلة سفيان منذ القرن التاسع (15 م) على الأقل، أي بعد قرن من وجودهم في غرب القطر الجزائري حسب ما جاء به ابن خلدون (*العبر*، 6 : 59).

كيف يا ترى وصلت قبيلة بني مالك إلى أقصى المغرب؟ وكيف انصهرت مع سفيان دون أن تفقد شخصيتها كلية ؟

لحل هذه الإشكالية، علينا أن نلجأ إما إلى الافتراض الذي تقدم به الأستاذ عبد اللطيف الشاذلي في كتابه *الحركة العياشية* حيث يظن أن انتقال بني مالك من الغرب الجزائري إلى غرب المغرب متصل بهيمنة حصين في نهاية القرن الرابع عشر، أو إلى افتراض ثان نستند لتقويته وتدعيمه على *وصف افريقيا* للحسن الوزان وإلى *الأقنوم* لعبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي وإلى *الاستقصا* للناصري. فيقول الحسن بن محمد الوزان "وتنقسم هلال من جهتها إلى أربعة فروع : بني عامر ورياح وسفيان وهوازن. ويتفرق بنو عامر إلى عروة وعقبة وهبرة ومسلم.. (*وصف افريقيا*، 1 : 41).

ويقول الناصري من جهته إن من بين القبائل الهلالية التي نقلها المنصور الموحدي إلى تامسنا، في نهاية القرن السادس (12 م). قُرَّة وعاصم. وإذا ما رجعنا إلى *الأقنوم* الذي كتب في نهاية القرن الحادي عشر (17 م) وإلى التنظيم الحالي لكل من قبيلتي سفيان وبني مالك، فسنجد أن قُرَّة كانت في القرن السابع عشر، بطناً رئيسياً من بطون قبيلة سفيان. أما عاصم فمازالت لحد اليوم فرقة من فرق بني مالك، مثلها في ذلك مثل عُروة.

لذا يمكننا القول بأن بني مالك القاطنين في الغرب ليومنا هذا هم القبائل التي كانت تسمى بعُروة وبعاصم عندما قرر المنصور الموحدي نقل سليم وبعض القبائل الهلالية من غرب إفريقية (تونس الحالية) إلى أقصى غرب مملكته بتامسنا. واحتفظت هذه القبائل في ذاكرتها الجماعية، بالانتساب إلى بني مالك إلى أن استرجعت في الوثائق التاريخية وعند العامة هذا اللقب في القرن العاشر (16 م).

هكذا يمكننا أن ندرك سر احتجاب اسم بني مالك لفترة من الزمن فيما يَخص قبيلة بني مالك الغرباوية. وهذا الافتراض الذي حاولنا تزكيته يفسر لنا في نفس الوقت تعايش سفيان (قرة) وبني مالك (عروة وعاصم).

وإذا كان افتراضنا صحيحاً فهذا يعني أن بني مالك قضوا زمناً طويلا في تامسنا جنوب أسفي ثم في تادلا، بمعية سفيان، ثم ما بين مكناس وسلا، وساهموا في الجيش الموحدي ثم المريني وأدى بهم ولاؤهم لبني مرين ولبني عمومتهم من وطاس إلى نبذهم من طرف السعديين الذين

أقدموا على نفي أعيانهم إلى مراكش وانتزعوا من أفراد القبيلة خيلهم وشطبوا عليهم من ديوان الجندية لمدة من الزمن ووطنوا ضداً فيهم، بجوارهم، "أهل سوس" من أولاد جرار وأولاد مطاع وزرارة (*الاستقصا*، 7 : 52). وبقيت حالتهم على هذا المنوال إلى أن أبلوا البلاء الحسن في معركة وادي المخازن الشهيرة 986 / 1578، فأعيد إدماج البعض منهم بين صفوف قبائل "الجيش". لكن بني مالك وسفيان، بعد استردادهم مكانتهم، أرادوا منع عرب مطاع من البقاء بالغرب مما أغضب المنصور الذهبي الذي ردهم إلى مصاف الرعية سنة 988 / 1580 (*مناهل الصفا*، ص. 109).

لكن هذه السلسلة من الأحداث لم تمنع نجم بني مالك من أن يتألق في منتصف القرن الحادي عشر (17 م) مع الحركة الجهادية التي واكبت تقهقر الدولة السعدية وتقوية شوكة العدو الإسباني. فتصدرت قبيلة بني مالك الجهاد ضد الغزاة وتبوأ أبناؤها المكانة المرموقة لا في باب الجهاد بل وكذلك في باب الزهد والتصوف. وأكبر شخصية أنجبتها بنو مالك في هذه الفترة شخصية أمير الجهاد مَحمد بن أحمد العياشي الذي كان ينتمي إلى فرقة بني زيان (980 ـ 1051 / 1573 ـ 1641)، والذي عبأ قوى قبائل ومدن الساحل الأطلنتي، شمال أسفي ونهر أم الربيع، ضد المحتلين الاسبان إلى أن قتل، وبسطت الزاوية الدلائية نفوذها على المناطق التي كان يجوبها، مما أدى إلى خمود نار بني مالك.

ومع ظهور العلويين، لم تقم بنو مالك بأي عمل مشهود إلى أن مات المولى إسماعيل 1139 / 1727 حيث اتخذوا، بمعية أهل فاس، مبادأة إيقاد نار الفتنة بانتفاضتهم على المولى أحمد الذهبي سنة 1139 / 1727 (*الضعيف*، ص. 105) مما سمح للعبيد بقيادة الحوات بأن يهاجموهم إلى أن انتهى الأمر بهزيمة كل من بني مالك وسفيان في معركة حدثت بالقرب من زاوية وزان سنة 1141 / 1728 (*الإتحاف*، 1 : 288 ؛ *الضعيف*، ص. 109). وتمكن بعد ذلك الحوات من الاستيلاء على جميع الغرب سنة 1149 / 1736 (*الضعيف*، ص. 124).

وفي صراع أبناء المولى إسماعيل على السلطة، كانت قبائل بني مالك من شيعة المولى عبد الله عموماً، وساهم البعض منهم بة يادة بوسلهام الحامدي في معركة دار العباس التي حطمت أطماع المولى المستضيء بوفاة أكبر وأقوى سند كان يتوفر عليه وهو القائد ابن حدو الريفي سنة 1155 / 1742. لكن هذا لم يمنع بني مالك من التمرد سنة 1160 / 1747، ممّاأرغم المولى عبد الله على ردع حركتهم. عليهم. ورغم ذلك أخذت بنو مالك توسع نفوذها بقيادة الحبيب الحمادي الذي ولاه المولى عبد الله ليس فقط على قبيلته بني مالك وعلى سفيان بل وكذلك على الخلط والطليق وعلى جميع قبائل الجبال (*الاستقصا*، 4 : 442)، وبقي يسيطر على هذه القبائل وهذه الأنحاء إلى أن عزله سيدي محمد ابن عبد الله سنة 1180 / 1767 وزجّ به في السجن إلى أن مات فيه، (*الاستقصا*، 8 : 30).

ولم يكتف سيدي محمد بن عبد الله بذلك، بل وطن بجوار بني مالك وسفيان قبائل گروان لمدة عقد من الزمان على وجه التقريب 1184 / 1771 ـ 1195 / 1882 ثم قبائل مجاط.

وبعد وفاة سيدي محمد بن عبد الله 1204 / 1790 ناصر بنو مالك ابنيه الشقيقين المولى اليزيد ثم المولى مسلمة قبل أن يولوا أمرهم إلى المولى سليمان. واستعاد بنو مالك بعضاً من دورهم في بداية عهد المولى عبد الرحمان 1137 / 1822 حيث مكنوا السلطان من دخول مكناس ضداً في القبائل التي كانت خاضعة للنفوذ الروحي لأمهاوش والتي كانت تسعى إلى منعه من الوصول إلى "دار الملك".

وساهموا كذلك تحت إمرة مولاي عبد الرحمان في تخريب الزاوية الشرادية بحوز مراكش. لكن، من سوء حظهم أن تقرر توطين شظايا تلك الزاوية بأرض كانت لسفيان (منطقة سيدي قاسم) مما زاد ـ إضافة إلى عواقب زحف بني حسن في الضفة الجنوبية لنهر سبو ـ في تقلص أراضي القبيلتين (بني مالك وسفيان) وازدياد "تداخلهما المجالي". وهكذا وُجد بنو مالك في موطنهم الحالي جد مختلطين مع سفيان.

وفي الخلاصة، نلاحظ في شأن بني مالك ما يمكن أن نلاحظه في شأن عدد كبير من القبائل ببلادنا، إن لم نقل في جلها، ألا وهو أن الفروع المكونة لها لا تعرف استقراراً لا على مستوى وزنها الاجتماعي ولا على مستوى نفوذها الترابي. فهناك فروع تتصدر القبيلة لفترة من الزمن قبل أن يتقلص شعاعها وتفني تماما، فلم يبق أحد يتذكر حتى اسمها. وهناك فروع تتقوى لدرجة أن البطن برمته يحمل لقبها. إن سر اختفاء اسم بني مالك لمدة طويلة من الزمن يعزى هو نفسه من دون شك إلى هذه الظاهرة. وكتوضيح لما نقوله نقترح المقارنة بين الأوضاع التي كانت عليها قبيلة بني مالك في نهاية القرن الحادي عشر (17 م) كما أوردها عبد الرحمان ابن عبد القادر الفاسي في *الأقنوم* وأوضاعها كما سجلها لوكوز في منتصف القرن العشرين.

نهاية القرن الحادي عشر (17 م)	أواخر القرن الرابع عشر (20 م)
بطن عروة : أولاد نوال ـ زائد عبد الواحد ـ زهير ـ حمدان ـ أولاد مرة بنو خصيب. **بطن حشمش** : عاصم وأولاد زيان بنو خليفة ـ بنو باكر ـ أولاد مسعود ـ أولاد واحد.	**عروة** : أولاد نوال ـ عبد الواحد ـ حمدان **أولاد عاصم** : أولاد زيان ـ بنو باكر ـ أولاد عيسى ـ أولاد حماد ـ زهير.

ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ ع. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ ك. مارمول، *إفريقيا* ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ م. الضعيف، *تاريخ* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ ع. الشاذلي، *الحركة العياشية*.

J. Le Coz, *Le Rharb*.

إسماعيل العلوي

بني مَحَلّي، أسرة بطوئية من بني توزين، مقر سكناها في بداية القرن السابع الهجري بجماعة بني عكي، المستقرة على القسم الشمالي الغربي من جبل تاسفت المشرف على مجرى واد النكور. ولا يزال المكان معروفاً إلى اليوم بطلعة سيدي علي بن محلي البطوئي، نسبة إلى جد هذه الأسرة المعروف في مستهل القرن السابع (13 م).

برز علي بن محلي مع بداية دخول بني مرين إلى جبال بطوية وكان آنذاك من أكبر شيوخ ناحية بطوية وقبيلة بني توزين خاصة، مما جعل عبد الحق بن محيو المريني، الداخل الأول إلى تلك الجبال يستميله ويصهر إليه في ابنته أم اليمن، والدة ابنه يعقوب، وذلك قبل سنة 607 هـ. ومرتبة الخؤولة هي التي فتحت لبني علي محلي المساهمة في المجال السياسي إلى جانب سلاطين بني مرين.

نعرف من أبناء علي ثلاثة وأحد أحفاده. فابنه محمد ظل عامل مراكش منذ افتتاحها سنة 668 هـ. إلى أن نكبه السلطان يوسف بن يعقوب سنة 687 هـ. متأثراً بما جناه أخواه طلحة وعمر في حق الدولة. فطلحة الذي ظهر إلى جانب يعقوب المنصور سنة احتلال مراكش، لم يلبث أن غدا مصدر قلق بسبب ثوراته، أولاً بأزرو سنة 674 هـ. ثم ببني توزين والأندلس عام 677 هـ، وأخيراً ببلاد سوس، حيث تم قتله سنة 686 هـ. وسار أخوه عمر على منواله. فحينما تنازل محمد بن أشقيلولة ليعقوب بن عبد الحق المريني عن مالقة سنة 676 هـ. عُيِّن عليها عمر بن علي بن مَحْلي. وفي السنة الموالية التي كان فيها أخوه طلحة بالأندلس فاراً من السلطان، أشار عليه بإسلام مالقة إلى ابن الاحمر والاعتياض عنها بمدينة شلوبانية والمنكّب. وبعد أن استعاد طاعته سنة 681 هـ. عاد إلى موالاة ابن الاحمر.

ولم يظهر أفراد أسرة بني مَحلي بعد ذلك إلا على عهد أبي سعيد عثمان وابنه أبي الحسن. فقد سبق ليحيى بن طلحة بن علي بن محلى أن كان وزير أبي سعيد عثمان إلى سنة وفاته. وفي سنة 732 هـ، أثناء تغلب أبي الحسن المريني على جبل طارق واسترجاعه له، عين عليه يحيى بن طلحة، ثم انتدبه لوزارته، وبقي بها إلى أن هلك أثناء حصار السلطان لتلمسان سنة 736 هـ.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 184. 408. 410. 415. 417. 439. 525. 527. 528. 531. 532. 732. 767 ؛ إ. ابن الاحمر، *روضة النسرين*، 24.

حسن الفكيكي

بني مَحمد، من القبائل الصحراوية، ويرجح أن تكون قد تشكلت من بقايا بني معقل ومن في حسابهم، في زمن مّا من القرن العاشر الهجري (16 م) بالصحاري الممتدة جنوب شرق تافيلالت، بعد تفكك التجمعات الكبرى للمعاقلة بهذه المناطق على عهد الدولة السعدية.

وتدل كل القرائن على أن قبيلة بني مَحمد قد انطلقت من مجالات انتشارها الأولى بالصحاري الشرقية في اتجاه الصحاري الغربية حيث وصلت إلى الساقية الحمراء بالصحراء المغربية (*Les Oasis des Ktaoua*)، ومن هنا جاءت تسميتهم بعرب الساحل (*Les Aït Atta*, 95) ويظهر أن بعض عشائر قبيلة بني مَحمد قد وصلت إلى وادي درعة منذ وقت مبكر من القرن الحادي عشر الهجري (17م) حيث كانت بعض هذه العشائر تهاجم قصور المستقرين بواحتي لكتاوة ومحاميد الغزلان وتقطع الطريق على قوافل التجار، الأمر الذي جعل الشيخ محمد بن ناصر، شيخ زاوية تامگروت يفكر في الاستعانة بقبائل الرُّوحا وأولاد يحيى لجعل حد لعيش قبائل بني مَحمد بالمنطقة (*الدرر*، 291) ونستشف من بعض الإشارات التاريخية أن قبيلة بني مَحمد كان لها حضور قوي في الأحداث التي عرفتها واحات درعة وتافيلالت إبان الصراع على هاتين المنطقتين بين السملاليين والعلويين في نهاية العقد الخامس من القرن الحادي عشر الهجري (17 م)، وقد كان شيوخ القبيلة وأعيانها إلى جانب السملاليين في هذا الصراع، ثم ما لبثوا أن تحولوا إلى جانب مولاي مَحمد ابن الشريف (*إيليغ*، 130).

ويبدو أن قبيلة بني مَحمد قد تكاثرت أعدادها من فلول القبائل الصحراوية حتى أضحت خلال القرن الثاني عشر الهجري (18 م) أقوى قبيلة عربية بالجنوب الشرقي حيث كانت تتحكم في الحركة التجارية بين بلاد السودان وتافيلالت عبر محور فاس ـ السودان (*Le Tafilalt*, 219). وقد تحالفت قبيلة بني مَحمد مع قبيلة أيت خباش وأضحى الخباشيون يوفرون لها الحماية التامة بالمناطق الصحراوية ومسالكها التجارية (*Le Tafilalt*, 219).

وفي أواخر القرن الثالث عشر الهجري ومطلع القرن الرابع عشر الهجري (19. 20 م) تحولت جل عشائر قبيلة بني مَحمد إلى الاستقرار والارتباط بالأرض وأصبحت تشكل قبائل قصور مثلها في ذلك مثل باقي سكان الواحات. وتستقر عشائر هذه القبيلة في الوقت الحالي ببعض قصور وادي درعة بواحتي لكتاوة ومحاميد الغزلان مثل بني صْبيحْ وبني حَيُّون وبني هْنيتْ وقصبة أيت خَرْدي وقصر طلحة (*Districts et tribus*, 189). إلا أن غالبية عشائر القبيلة تستوطن شمال غرب واحة تافيلالت حيث تتداخل قصورها مع قصور عرب الصبّاح وغيرهم من سكان المنطقة.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة* ؛ م. المختار السوسي، *إيليغ قديماً وحديثاً*.

Dj. J. Meunié, *Les Oasis des Lektaoua et des M'Hamid*, *Hesp.*, Vol. 27, 1947 ; G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra* ; L. Mezzine, *Le Tafilalt*.

أحمد البوزيدي

بني مدرار، سلالة من قبيلة مكناسة الزناتية، أسست إمارة بمدينة سجلماسة وبعض نواحيها، دام حكمها أزيد من قرنين (140. 366 هـ). وكان هذا الحدث عقب الثورة التي قام بها المغاربة ضد بعض ولاة بني أمية، والتي كان من نتائجها قيام مجموعة من الإمارات والدول المستقلة بالمغرب.

قامت إمارة بني مدرار حوالي سنة 140 هـ، وتأسست عاصمتها سجلماسة في نفس الفترة، على أرجح الروايات، إلا أن ظروف الحدثين الهامين لا يزال يكتنفهما الغموض. فالبكري يذكر أن عيسى بن يزيد الأسود (140 . 155 هـ)، هو الذي أسس المدينة وكان أول حاكم لها، إلا أنه يعرض علينا رواية تنسب التأسيس إلى مدرار بن عبد الله بعد فراره من ثورة الربض (202 هـ). إلا أننا نعرف أن تلك الثورة كانت متأخرة عن تأسيس مدينة سجلماسة بأكثر من نصف قرن، وهكذا فلا يستقيم السياق إلا إذا كان الأمر يتعلق بأحداث أخرى شهدتها الأندلس قبل قيام دولة بني أمية. ففي هذه الحالة يمكن إيلاء الرواية بعض الأهمية، خاصة وأنها ستحل إشكال نسبة الإمارة إلى "مدرار"، ولعل هذا الاشكال هو ما دفع ابن خلدون إلى أن يطلق على الأسرة اسم "بنو واسول" بدل بني مدار.

يمكن تمييز مرحلتين في عهد بني مدار : الأولى تمتد من قيام الإمارة إلى سنة 296 هـ وتمثل عهد الاستقلال الكامل، والثانية تمتد من السنة المذكورة إلى سقوط الإمارة سنة 366 هـ، وخلالها كانت تتأرجح بين الخضوع للفاطميين وبين محاولات الاستقلال.

- المرحلة الأولى : كان أول أمير كما ذكرنا، هو عيسى بن يزيد الأسود الذي حكم مدة خمس عشرة سنة، غير أن زعماء مكناسة عزلوه، بل وقتلوه شر قتلة. ويرجح عدد من الباحثين أن توليته حكم الإمارة كان بفضل وفرة العناصر الزنجية في المنطقة، حتى إذا توافدت جموع مكناسة وزعماؤها خلعوه وولوا مكانه بعض كبارهم. قد يكون هذا الافتراض في محله، كما يمكن أن يكون وصول عيسى إلى الحكم مستنداً فقط إلى خصاله الدينية، فهو من زعماء الخوارج ومن موالي العرب.

ومهما يكن، فقد "نقمت عليه أشياء" فتسلم الحكم بعده أبو القاسم سمگو بن واسول. وعاشت الإمارة بعد ذلك استقراراً داخلياً نسبياً لم يكدره سوى حدثين : أولهما يتمثل في النزاع الذي نشب بين الأخوين إلياس (168 . 170 هـ) واليسع (170 . 208 هـ)، وانتهى لصالح هذا الأخير الذي تميز عهده الطويل بعدة منجزات، أهمها اتساع رقعة إمارته وتسوير المدينة. أماالحدث الثاني فيتمثل في الصراع الذي حدث أيضاً بين الأخوين ميمون بن بقية (تقية) وميمون بن الرستمية. وموجز المسألة أن أباهما مدراراً (208 . 224 هـ) كان قد تزوج من أميرتين، إحداهما رستمية والثانية مدرارية، أنجبت كل منهما ولداً سمي ميموناً، تنازعا على السلطة في حياة أبيهما الذي لم يخف ميله إلى ابن الرستمية وتنازل له عن الحكم، ورغم ذلك فقد حسم الخلاف لصالح ميمون بن بقية بفضل دعم شيوخ مكناسة، على ما يبدو.

- المرحلة الثانية : كانت ذريعة الغزو الفاطمي لسجلماسة هي افتكاك أسر عبيد الله المهدي بعد أن انتهى به المطاف، لسبب غير واضح، إلى عاصمة المدراريين. إلا أن الدافع الحقيقي لاحتلال سجلماسة يتمثل أيضاً في رغبة أبي عبد الله الشيعي في الاستيلاء على ثروات المدينة المشهورة بغناها. وبعد اكتساحها عين عليها الفاطميون والياً من قبلهم اغتاله بنو مدرار بمجرد توارى الجيش الفاطمي عن الأنظار، ووضعوا مكانه أميراً من سلالة بني مدرار، وبعد ذلك، يبدو أن الفاطميين قد اقتنعوا بحل وسط وهو قبول استمرار بني واسول على رأس الإمارة مقابل الحفاظ على مصالحهم الجبائية.

وعلى العموم، فقد دخلت سجلماسة في خضم الصراع الفاطمي الأموي الذي طبع أحداث المغرب طيلة معظم القرن الرابع الهجري. وفي أثناء ذلك كان أمراء بني مدرار يحاولون باستمرار خلع طاعة الفاطميين، وكان من أبرز المحاولات تلك التي قام بها الفتح بن ميمون الذي تلقب بأمير المومنين وضرب الدراهم باسمه واعتنق مذهب مالك. وهذه الشعارات كافية لتدخل الفاطميين من جديد ليضعوا حداً لتلك الحركة.

وفي سنة 366 هـ زحف خزرون بن فلفول المغراوي، الموالي للأمويين، على سجلماسة فاحتلها واضعاً الحد لإمارة بني مدرار.

عاصرت إمارة بني مدرار مجموعة من الدول والإمارات الإسلامية، تختلف من حيث القوة وامتداد الرقعة والنفوذ. ففي المغرب الأقصى كان لها جيران ومنافسون أبرزهم الأدارسة، وبعيداً عنها كانت هناك دول أخرى لها دور وأثر في أوضاع المغرب عموماً، وأوضاع الإمارة المدرارية خصوصاً. فالدولة الأموية كان لها، وحسب ما يستنتج من المصادر، علاقات ودية مع سجلماسة، وربما يعود ذلك إلى وجودعدو مشترك متمثل في الأدارسة الذين اصطدموا بإمارات مغربية يمكن اعتبارها حليفة طبيعية لبني مدرار، كما أن الأدارسة مدوا نفوذهم إلى بعض مدن الجنوب المغربي في محاولة لمنع أي توسع مرتقب لبني مدرار في تلك الجهات. أما الأغالبة الذين يمثلون مشيئة الدولة العباسية في المنطقة، فهم، من الناحية المبدئية، أعداء تاريخيون لبني مدرار، فقد كان فقهاء القيروان في العهد الأغلبي يحاصرون فرق الخوارج الصفرية، كما منعهم سحنون (160 . 240) من الإمامة وتعليم صبيان المسلمين. إلا أنه، ورغم هذا التنافر المذهبي، لم يسجل التاريخ أي مواجهة مباشرة بين الطرفين، ولعل ذلك عائد إلى وجود حاجز الدولة الإباضية التي كانت لها، على العموم، علاقات ودية مع بني مدرار، وذلك رغم أن بعض الأحداث الداخلية في سجلماسة تظهر رغبة بني رستم في ممارسة نوع من الوصاية على إخوانهم في المذهب.

لقد ألح المؤرخون - قدماء ومعاصرون - على أهمية الموقع الذي تتمتع به مدينة سجلماسة، عاصمة المدراريين، فهي بوابة الصحراء وممر ضروري لمن يريد الاتجاه إلى السودان حيث معدن الذهب. ونعلم بواسطة ابن حوقل أن القوافل التجارية القادمة من مصر قد تخلت، لأسباب

أمنية وطبيعية، عن طريق كان يربطها مباشرة بالسودان لتعرج على سجلماسة فازدادت بذلك أهميتها في المبادلات التجارية العالمية، وازدادت بالتالي مواردها الاقتصادية والمالية التي قدرها ابن حوقل، في منتصف القرن الرابع، بأربعمائة ألف دينار مقابل ثمانمائة ألف لمجموع المغرب.

وليست المدينة معبراً لتجار الآفاق وحسب، بل إن أهلها كانوا مهرة في الصفقات والعمليات التجارية المتقدمة، وقد سجل لنا الجغرافي المذكور قصة الصك الذي تسلمه أحد تجار سجلماسة مقابل دين له على أحد تجار أودغشت، بلغ قدره أربعين ألف دينار.

وكانت المبادلات التجارية تعتمد على استيراد سلعتين أساسيتين من السودان، هما الذهب والرقيق، وعلى تصدير مواد صناعية من نسيج ونحاس، وفلاحية من قمح وتمور وزبيب، وهذا يعني أن النشاط الفلاحي كان يحقق فائضاً للتصدير.

من الطبيعي أن ينعكس هذا الازدهار والرواج الاقتصادي على المجتمع المدراري، فأهل المدينة كانوا مياسير يباينون أهل المغرب في المخبر والمنظر حسب تعبير ابن حوقل، أما البكري، فيذكر أن الذهب عندهم جزاف يتبايعونه بلا وزن. ومن مظاهر الرقي الاجتماعي كثرة الحمامات ـ رغم أن البكري يصفها بالرداءة ـ وظهور أصناف راقية من الأطعمة التي كانت الخادمات الزنجيات يتفنن في صنعها. لكن هذا الرخاء لم يك شاملا ـ بطبيعة الحال ـ إذ لا يتوفر إلا لكبار التجار والأمراء وأصحاب النفوذ بوجه عام. أما الأغلبية الساحقة، في المدينة وضواحيها فقد تركت وشأنها تعيش البؤس والحرمان. ومن أبرز الفئات الاجتماعية جيوش الرقيق التي يستوردها التجار من السودان للخدمات الفلاحية والمنزلية أو لحفر القوافل التجارية وكذلك للعمل في المناجم.

وإلى جانب فئة الرقيق المستضعفة، هناك أقلية ذمية من اليهود، لم تشر إليها المصادر إلا بمناسبة التنكيل بهم من طرف أبي عبد الله الشيعي بعد أن اتهمهم بالوشاية بالمهدي لدى الأمير المدراري. وإلى جانب الفئات المذكورة، وإلى جانب مكناسة التي تشكل أغلبية سكان المدينة، استقطبت سجلماسة أفواجاً وجماعات من الآفاق (الشام، إفريقية، الأندلس، المغرب الأقصى) الشيء الذي أكسبها سمات حاضرة كبرى تجوز مقارنتها بالقيروان وفاس وقرطبة في ذلك العهد.

يمكن القول إذن بأن مدينة سجلماسة قد بلغت أوج عزها وازدهارها خلال فترة حكم بني مدرار، خاصة في القرنين الثالث والرابع. غير أن الازدهار كان أيضاً سبباً في تواتر الغزو على المدينة وأهلها، مما أدى إلى تراجع دورها مع مر السنين.

لم يسجل لنا المؤرخون والجغرافيون أي شيء يذكر حول الحياة الدينية والفكرية في عهد بني مدرار، ولعل غياب هذا الجانب راجع، حسب رأي بعض المؤرخين إلى إحراق أو إتلاف خزائن الكتب والمصنفات التاريخية والدينية من طرف الفاطميين حينما دخلوا المدينة. وسواء كان هذا الرأي وجيهاً أم لا، فإننا مجبرون على الاكتفاء بتأويل بعض الأحداث الثابتة في تاريخ المدينة عسى أن نلقي بعض الضوء على الوضعية الدينية والمذهبية. فليس من شك في وجود علاقة بين قيام إمارة بني مدرار وبين ثورات الخوارج التي اندلعت بالمغرب في بداية القرن الثاني الهجري، ومن المؤكد أيضاً، وحسب ما جاء في عدد من المصادر، أن أبا القاسم سمكو بن واسول وعيسى بن يزيد الأسود كانا من زعماء الخوارج الصفرية. ولكننا لا نعرف ما آلت إليه المسألة المذهبية بعد تأسيس الإمارة واستقرار الأوضاع، فابن خلدون يذكر أن أبا القاسم هذا "دعا في عمله للمنصور والمهدي من بني العباس"، وهذا موقف يتنافى مبدئياً مع نظرة الخوارج في الحكم والسياسة. لكن من المعروف أن بداية تولية أبي القاسم صادفت رد فعل قوي للخلافة العباسية ضد ثورة الخوارج في إفريقية، وقد يكون ذلك دافعاً لمداهنة العباسيين.

وفي عهد إليسع (170 ـ 208) تبرز المسألة المذهبية على مسرح الأحداث، فالمصادر تصفه بكونه "جباراً عنيداً" حاول توسيع رقعة إمارته وإظهار الصفرية، فهل يفيد ذلك أن المذهب الصفري لم يكن ظاهراً من قبل وأن بني مدرار لا يزالون، بعد نصف قرن من تأسيس إمارتهم، يعملون بمبدإ التقية المعروف عند بعض الشيعة، وهل ذلك التخوف من الخطر العباسي ما يزال قائماً ؟

ويبدو، من جهة أخرى، أن المذهب الصفري المدراري لم يكن يواجه الخطر العباسي أو السني فحسب، بل إن جيران بني مدرار الرستميين الذين هم أيضاً خوارج من الفرع الإباضي، حاولوا، حسب ما يبدو، فرض مذهبهم على إخوانهم الصفرية، ويتضح ذلك من خلال الصراع الذي نشب بين الأخوين ميمون بن بقية وميمون بن الرستمية، إذ ليس مستبعداً أن هذا الأخير، الذي كسب أباه إلى صفه كان يعمل بإيعاز من أخواله لنشر المذهب الإباضي في سجلماسة، وأن فشله في الوصول إلى الحكم لا يعني نهاية كل المحاولات في نفس الاتجاه، فمحمد بن ميمون كان "إباضياً صفرياً" على حد قول ابن خلدون. وقبل أن نتهم هذا المؤرخ بالخلط والجهل، كما ذهب بعض الباحثين، ألا يجوز أن نستشف من موقف محمد بن ميمون محاولة لحسم النزاع باعتبار المذهبين الصفري والإباضي مقبولين في إمارته ؟.

وعلى العموم، فإن هناك مجموعة من العوامل السياسية والاجتماعية، أدت إلى إكساب العقيدة صبغة الاعتدال في عهد بني مدرار، الشيء الذي مهد لظهور المذهب السني المالكي منذ منتصف القرن الرابع الهجري على الأقل. صحيح أن للفاطميين الشيعة دوراً واضحاً في دفع بني مدرار، أيام الفتح بن ميمون، إلى اعتناق مذهب مالك، لكن اتجاه المغاربة إلى المذهب السني المالكي،

وبالذات منذ القرن الرابع، لم يكن، من بعض الوجوه سوى رد فعل سياسي ضد أطماع الدولة الفاطمية.

ابن حوقل، *صورة الأرض* ؛ البكري، *المغرب* ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن الخطيب، *اعلام الإعلام* ؛ الحبيب الجنحاني، *المغرب الاسلامي*.

J. M. Lessard, *Sijilmassa : la ville et ses relations commerciales au 11ème siècle d'après El Bakri*, *H. T.*, vol. 10, 1e-2e fasc., 1969, p. 5 - 36.

مبارك رضوان

بني مَرْقي، قرية مندرجة في الوقت الحاضر بقبيلة أهل سريف، ضمن فرقة بني أقماح، واقعة بالزاوية الشمالية الغربية من جبل أهل سريف، مشرفة على الممر الفاصل بينها وبين جبل بني گرفط. عرف برناردو رذريگس، صاحب *حوليات أصيلا* بموقعها خلال القرن العاشر الهجري. ظلت القرية نقطة متقدمة لرجال المقاومة من أهل سريف، بإشرافها على ما اعتبر خلال الوجود البرتغالي بأصيلا حوزاً للمدينة المحتلة، وطالعاً لمراقبة تحركات الجنود، وتقديم المساعدة الحربية لبني گرفط، ولقرية الصخرة المقابلة لها خاصة. وإلى نفس القرية أشارت رسالة جواو الثاني البرتغالي (1481 ـ 1495) الموجهة إلى طلحة العروسي، قائد حوز القصر الكبير، في نطاق استمالة قواد الهبط لقبول الحماية البرتغالية.

ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية، 58 ؛ حسن الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 434.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, 41 - 43 - 44 - 235 ; Archivo National do Torre do Tombo, Chancelleria de D. Joao II. Livro 16, fl. 97v, 98v.

حسن الفگيگي

بني مـرين، اسم لمجموعة قبلية بربرية تمكنت في منتصف القرن السابع الهجري من إقامة دولة بالمغرب الأقصى عمرت حتى منتصف القرن التاسع واشتهرت بنفس الاسم، كما عرفت بدولة بني عبد الحق.

يرتفع نسب القبائل المكونة لهذه المجموعة إلى العصبية الزناتية الكبرى وتنتمي من بين بطونها حسب النسابة إلى بطن بني واسين. ذكر أنها نزحت أواخر القرن الخامس من موطنها الأول ببلاد الزاب بإفريقية بعد دخول القبائل العربية الهلالية وتحت تأثير مدها المباشر. ويبدو أن هذه القبائل المرينية النازحة قد اتجهت في مرحلة أولى صوب تلول الشمال الغربي للمغرب الأوسط فدخلت في صراع مستمر دائر مع قبائل زناتية أخرى من بطن بني وادين ثم أقصيت في مرحلة ثانية إلى القفر جنوب هذه المنطقة غداة دخول عبد المومن بن علي الموحدي مدينة تلمسان سنة 539 / 1145 وتسخيره ضدهم لبقية القبائل الزناتية المنافسة ومن بينهم بنو عبد الواد.

والظاهر أن قبائل بني مرين قد عدلت لأمد غير قصير عن الابتعاد عن مجالها الأخير هذا ببلاد الواحات بالمغرب الأوسط فلم تتقدم نحو المغرب الشرقي الحالي حسبما يبدو إلا في مطلع القرن السابع حيث صار لها مجال آخر للرحلة يمتد ما بين فگيگ بالجنوب وأراضي وادي ملوية بالشمال. وبديهي أن حضور هذه القبائل الرعوية المتنقلة هنا على أبواب المنافذ قد ساعدها على القيام بوثبتها الأولى نحو التل سنة 610 / 1213 بمجرد ما ظهر ضعف الحامية بانكسار الجيوش الموحدية بالعقاب ببلاد الأندلس في السنة الفارطة.

انطلاقاً من هذه الوثبة الأولى وفي انتظار سقوط عاصمة الموحدين سنة 668 / 1269 على الأقل، سوف يكون على القبائل المرينية أن تمر في تطورها نحو الحكم من عدة أطوار تندرج في الغالب ضمن سياق جهوي واسع معقد يتجاوز حركتها الخاصة التي ظلت تعيش بالدرجة الأولى على الغارة الظرفية والإتاوة وتحين الفرص إلى أن دخلت في خدمة الحفصيين المنشقين بتونس قبيل منتصف القرن السابع فاكتسحت عامة بلاد المغرب الأقصى كما افتتحت مراكش باسم الخلافة الحفصية وبتفويض منها. أما بعد هذه الفترة التمهيدية المتقطعة الطويلة وتغلب الغزاة بزعامة بني عبد الحق، فالملاحظ أن هناك مرحلتن متقابلتين تقتسمان تاريخ الدولة المرينية حتى مقتل آخر أمراء هذه الأسرة سنة 869 / 1465.

أما المرحلة الأولى فتبدأ بقيام الحكم وتنتهي مع نهاية عهد السلطان أبي عنان سنة 759 / 1358. ولعل من أهم ما يميز هذه المرحلة أنها كانت مرحلة امتداد وتجاوز لفترة البدايات إذ اهتمت بوضع قواعد الدولة وترسيخ الحكم وتبريره مع توسيع رقعة النفوذ بالمنطقة. يتجلى كل هذا باختصار شديد في الأهمية الخاصة التي أعطيت للحملات العسكرية الطويلة المتكررة التي قادها كل من يعقوب بن عبد الحق (656 / 1258 ـ 685 / 1286) في اتجاه الأندلس وابنه يوسف (685 / 1286 ـ 706 / 1307) في اتجاه المغرب الأوسط مع التركيز على إمارة بني عبد الواد بتلمسان قبل أن تأخذ الدولة بعض نفسها لمدة ربع قرن تقريبا أيام أبي ثابت (706 / 1307 ـ 707 / 1308) وأبي الربيع (707 / 1308 ـ 709 / 1310) وأبي سعيد (709 / 1310 ـ 731 / 1331) ليقوم أبو الحسن (731 / 1331 ـ 752 / 1351) بالاستيلاء على مجموع بر العدوة بالشمال الإفريقي مع ضمان حضور قوي متمركز بالحوض الغربي للأبيض المتوسط في انتظار أن يتلقب ابنه أبو عنان بلقب الخلافة على حساب بني حفص. ومن جهة أخرى فإن سلاطين هذه المرحلة قد دعموا توجههم الغالب نحو التصدر والزعامة فأردفوه بسياسة دينية ـ اجتماعية تعتمد المذهب المالكي وتلاحق "بدعة الخوارج" من بقية أتباع الموحدين، كما تقوم على بناء المدارس واستمالة الفقهاء ومحاولة التقرب من رجال التصوف ورعاية أهل البيت. وبالتالي فإن الفترة تبدو في خطوطها الكبرى فترة تألق وتجديد مذهبي وسعة نفوذ وإشراك متعدد المشارب والأبعاد لولا أن اكتنفتها سلبيات جبائية مرتبطة بكل هذا، فانطبعت في عمقها بكثير من التذمر الكمين المتسرب عبر مختلف المجموعات المتساكنة من جراء كثرة الاستنفار وتعدد الجبهات المتطلعة و"اختلاف الأيدي على الرعية".

ولم تلبث هذه الوضعية أن كشفت عن مخاطرها مع بداية المرحلة الثانية عندما برزت ظاهرة تنصيب الأمراء من لدن أعوان الدولة من الوزراء والحجاب ومن بجانبهم من أشياخ القبائل المرينية وزعماء بعض القبائل الأخرى. فكان أن اهتز كيان الدولة من الأساس فانقسمت رقعة البلاد وبادر حكام "مملكة فاس" إلى الاعتراف رسمياً بكل من إمارتي مراكش وسجلماسة ابتداء من منتصف عام 763 / 1363. وكان أن تعاقب الملوك من جهة أخرى بوتيرة غير معهودة حتى الآن فلم تعد تعدو مدة ولاية أغلبية الأمراء "المحجوبين" من سلاطين الفترة كلها إلا سنة فما دونها أو زهاء السنتين باستثناء من قام منهم ضد "أوصيائه" فتخلص منهم كأبي فارس (767 / 1366 . 774 / 1372) ومن نجا بنفسه كأبي العباس الذي نصب مرتين فيما بين سنة 776 / 1374 وسنة 796 / 1393.

ومما يلاحظ بهذا الصدد أن العلاقات بين ضفتي البوغاز قد دنت هنا من المنعطف الذي سوف يؤدي عما قريب إلى احتلال مدينة سبتة على يد البرتغال سنة 818 / 1415. ذلك أن غرناطة المسلمة قد أخذت تستغل الظرفية الجديدة بالمغرب الأقصى بمعية إشبيلية المسيحية أثناء العقود الأخيرة من القرن الثامن فأصبح لكل منهما مرشحوه أيضاً من بين أمراء بني مرين. ومع تردي الأوضاع وتفاحش استيلاء "الرعية" بسبب التجاوزات المتنوعة وضياع سبتة من حوزة أبي سعيد الثالث (800 / 1398 . 823 / 1420)، فإن أنظار كل من تونس وتلمسان قد أخذت تتجه هي الأخرى نحو العاصمة المرينية عسى أن تؤثر من جهتها على اختيار الأمير "الأنسب" للقيام بالأمر بمدينة فاس.

ومع أننا نكاد نجهل كل شيء عن دقائق الأمور في هذه الفترة الحالكة من تاريخ المغرب الأقصى الوسيط، إلا أننا نعلم أنها جمعت بين تقدم البرتغال نحو السواحل وبين تحفز بقية الجيران بالشرق والشمال مع استمرار الانقسامات الداخلية المرينية وتواتر الحروب بين العاصمة ومجموعة متجددة من الحركات القبلية أوالإقليمية المناوئة كحركة اللحياني بمنطقة الغرب وحركة أنكاد بالمغرب الشرقي وحركات عرب المعقل بالجنوب والجنوب الشرقي برسم محاولة النفوذ نحو السهول الأطلسية وخاصة منها السهول الوسطى والشمالية ـ الغربية. أما عن "العامة" من الأهالي، فالظاهر أنهم كانوا قد ألفوا اللجوء منذ بداية المرحلة كلها إلى التنظيمات الصوفية المنبثة بالمدن والأرياف بحثاً عن العزاء وتعبيراً عن نوع من العزوف المبدئي والمقاطعة. لذا كان من الطبيعي أن يزداد التعلق بهذه التنظيمات المتطورة تبعاً للأوضاع العامة إلى أن قامت ثورة عارمة بفاس أودت بحياة السلطان عبد الحق بن أبي سعيد الثالث فكان بذلك آخر ملوك دولة بني عبد الحق وبني مرين.

ويبقى بعد هذا أن "العصر المريني" قد خلف من الآثار الاجتماعية والمعطيات الثقافية العامة ما سوف يحدد معالم المغرب الأقصى في "العصر الحديث". من أهم هذه المعطيات وتلك الآثار حركة نزوح كل من قبائل زناتة وقبائل عرب المعقل نحو السهول الغربية عبر جبال الأطلس المتوسط على الخصوص. ومنها بداية الاحتكاك الفعلي والتواصل بين هذه العنصرين بالذات وكذا بين العنصر الزناتي وبقية القبائل النازلة بالسهول المذكورة. ومنها أيضاً بداية رسوخ المذهب المالكي وبالتالي بداية ظهور الوحدة المذهبية ووحدة العقيدة ووحدة الحساسية الدينية بوجه عام سواء من خلال الحياة اليومية أو من خلال المواسم المستحدثة والاحتفالات الشعبية "المبتدعة" بمناسبة عيد المولد النبوي. وأخيراً فإن مقتضيات أسلوب الحكم المريني قد أدت في النهاية إلى إفراز فئة اجتماعية جديدة أصبحت تعي نفسها كطاقة دينية ـ سياسية وقوة قابلة لأن تكون بديلا ممكناً بالمغرب الأقصى هي فئة الشرفاء.

ابن عذاري، *البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب*، المجلد الثالث، تطوان، 1960 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 7، بيروت، 1959 ؛ *التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً*، القاهرة، 1951 ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، القاهرة، د. ت. ؛ ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار*، الدار البيضاء، 1988 ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*، الرباط، 1965 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، الجزائر، 1981 ؛ ابن عباد، *الرسائل الكبرى*، فاس، 1320 / 1902 ؛ *الرسائل الصغرى*، بيروت، 1976 ؛ ابن السكاك، *نصح ملوك الإسلام*، فاس، د. ت. ؛ أ. الونشريسي، *المعيار المعرب*، 13 ج، بيروت ـ المحمدية، 1981 . 1983 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط، 1980.

R. Arié, *L'Espagne musulmane au temps des Nasrides 1232 - 1492*, Paris, 1973 ; R. Brunschvig, *Deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord au XVe siècle...*, Paris, 1936 ; *La Berbérie orientale sous les Hafsides : des origines à la fin du XVe siècle*, 2 vol., Paris, 1940 - 47 ; Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIe et XIV siècles*, Paris, 1966 ; M. Garcia - Arenal, *The Revolution of Fas in 869 / 1465 and the death of Sultan Abd-al-Haqq al-Marini*, *B. S. O. A. S.*, XLI, 43 - 66 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen-Age*, Paris, 1986 ; A. Khaneboubi, *Les Premiers sultans mérinides*, Paris, 1987 ; Ma. Shatzmiller, *L'historiographie mérinide*, Leiden, 1982, id ; *Marinides, E. I. 2*, vol. VI, 556 - 559; *Relaciones de la Peninsula Iberica con el Magreb, Siglos XIII - XVI, Actas del Coloquio*, editas por M. Garcia-Arenal y Ma. Viguera, Madrid, 1988.

محمد القبلي

بني مزدوي، قبيلة تقع بناحية صنهاجية السراير (إقليم الحسيمة حالياً) وتحيط بها قبائل بني ورياغل وبني عمارت وزرقات وتارگيست. تقدر مساحتها بـ 107 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 2749 نسمة يتكلمون باللهجة الريفية. في القبيلة ثمانية مساجد وضريحان وزاوية وتسعة كتاتيب قرآنية، وتحتوي على تسعة مداشر.

تكون هذ القبيلة في النظام الإداري مع قبيلة زرقات جماعة قروية واحدة اسمها جماعة بن عبو.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 343.

Aranda, *Geografía de Marruecos en general y de la zona española de protectorado en particular*, s.l s.a ; A. Blazquez y

Delgado, *Estudios geograficos de Marruecos*, Madrid, 1916, passim ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, T.II ; A. Domenech Lafuente, *Zona Norte*, passim ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos*, Melilla, 1926, passim ; *Vademecum de la intervencion territorial del Rif*, 1946, p. 91.

محمد ابن عزوز حكيم

بني مَـزْگَلْدَة، إحدى قبائل منطقة جبالة، تقع على الضفة اليمنى لنهر ورغة إلى الشمال من فاس وإلى الغرب من وزان. تحيط بها قبائل بني مسارة من الشمال والغرب، وبني زروال من الشرق، وفشتالة وسطة من الجنوب. ويعد ابن خلدون هذه القبيلة ضمن المجموعة الصنهاجية.

تتكون أراضي القبيلة من منطقة جبلية في الجزء الشمالي منها، ومنطقة منخفضة الارتفاع في جزئها الجنوبي. لذلك نجد أن الزراعة بالقبيلة تتنوع وتشتمل على مزروعات الجبل (أشجار الزيتون والتين وكروم العنب) ومزروعات السهل (الحبوب). وتكثر في القسم الشمالي مياه العيون وهو ما يسمح بزراعة سقوية تنتج الخضر والفواكه التي يُباع قسط هام منها في الأسواق الأسبوعية للقبيلة والقبائل المجاورة لها.

سكان القبيلة فلاحون مستقرون ويظهر أن موقعهم الحالي هو نفس الموقع الذي وطّنهم فيه ابن خلدون في القرن الثامن (14 م). ويذكرهم الحسن الوزان عند بداية القرن العاشر (16 م) ويشير بصفة خاصة إلى انتاج الزيت الذي كان يستعمل محلياً لصنع الصابون. كما يشير صاحب *وصف افريقيا* إلى وجود العديد من حفظة القرآن والطلبة بهذه القبيلة.

تتكون القبيلة من الأفخاذ التالية : ونّانة، الگزوليون، الزيتون، فراوة، بني بوراشد، بني خالد، بني ربيعة، دار الواد، جامع الواد، أولاد بذر الطرفانية. وكان عدد السكان عند بداية هذا القرن يقدر بحوالي ألفي كانون.

كانت القبيلة في القرن التاسع عشر تابعة لعمالة العرائش مثلها في ذلك مثل بقية القبائل الجبلية، وضمن هذه العمالة كانت القبيلة تابعة لقائد الغرب. ونظراً للطبيعة الجبلية للمنطقة فإن بني مزگلدة لم تكن دائماً خاضعة للسلطة المركزية، خاصة في أوقات ضعف هذه الأخيرة كما كان الحال عند أواخر القرن الماضي. وكثيراً ما اضطر المخزن إلى القيام بحملة تأديبية ضد القبيلة كما حدث في سنة 1882 عندما وجّه المولى الحسن حركة ضد كل من بني مزگلدة وبني مستارة. وفي سنة 1889 عندما قام هذا السلطان بحركته إلى المناطق الجبلية فرض على هذه القبيلة أداء واجب الجباية المؤخر لسبع سنوات.

إن تلاشي السلطة المخزنية بعد وفاة مولاي الحسن قد سمح للقبيلة بالتنصل من جديد من الواجبات المخزنية والتصرف بحرية أكبر تجاه المخزن. وبعد تقسيم المغرب بين فرنسا وإسبانيا سنة 1912 كانت قبيلة مزگلدة من نصيب الفرنسيين، لكن سكان القبائل الجبلية قاوموا لعد سنوات تقدم قوات الاحتلال. وفي سنة 1925 شاركت القبيلة في الهجوم الكبير الذي شنه زعيم الثورة الريفية محمد بن عبد الكريم الخطابي على المواقع الفرنسية. ولم تتمكن قوات الاحتلال الفرنسية من اتمام سيطرتها على القبيلة إلا في سنة 1927 بعد أن تحالفت الجيوش الفرنسية والإسبانية ضد المقاومة بالمنطقة.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. حجي والاخضر، الرباط وبيروت، 1983.

Mission scientifique du Maroc, *Villes et tribus du Maroc : Rabat et sa région*, Tome IV : *Le Gharb*, Paris, 1918.

محمد المنصور

بني مسارة، قبيلة جبلية صنهاجية تقع شرق مدينة وزان ضمن قبائل جبالة الممتدة على جبال الريف الغربي، ويطلق على هذه المرتفعات التي تشغلها القبيلة مع باقي القبائل المجاورة "جبال الزبيب" وهي امتداد طبيعي لجبال الريف الكبرى. ومناخها هو مناخ البحر المتوسط، حار صيفاً وبارد شتاء ومعتدل ربيعاً. وقد يرجع ذلك إلى كثرة الجبال والنجود والهضاب والروابي، منها ما هو جبلي ومنها ما هو عبارة عن أجزاء هضبية على شكل مسنن متقطع بواسطة الشبكة المائية في إطار التعرية النهرية، لاستقبال المنطقة لتساقطات مهمة خلال فصل الشتاء. ومن هذه المرتفعات : عين سليلان، والكدية، والبياضة، وبسوال، وعبد القادر، وتراسة وقرميم.

تضم القبيلة جملة من الأنهار السريعة الجريان الغزيرة المياه شتاء، إلا أن بعضها يصاب بالجفاف في فصل الصيف. من هذه الأنهار : أوْضُور، والفحص، وزومي والقشاشدة والزاوية. كما تحتوي على عيون جارية، منها عين الحمومة، وفوارة الحمام، ونفزي، وتغنيث. ويمتاز القسم السفلي من القبيلة بالسهول الزراعية والهضاب. وأعلى جبل فيها جبل حجر بني عيش الذي به آثار قديمة.

قبيلة بني مسارة محصورة بين غابتين هما : غابة إيزارن في الغرب وغابة خليعة في الشرق، وهي تعين المنطقة على تربية المواشي وخاصة منها الماعز. وتربض القبيلة المسارية وسط قبائل جبلية تحيط بها من كل الأرجاء وهي بالتتابع : مصمودة (أهل الربع) وسفيان، وبني مالك، وعوف، وسطة، وبني مزگلدة، وبني زروال، وبني أحمد، واغزاوة، ورهونة، ثم مدينة وزان من الجهة الغربية.

يقدر عرض القبيلة من الشمال إلى الجنوب بحوالي 50 كلم وطولها من الشرق إلى الغرب بحوالي 100 كلم، وبذلك تشغل مساحة تقدر بحوالي 5000 كلم2.

أخذت كلمة مسارة من "أمْسار"، وهي مثل كلمة أمغار ـ وزناً ومعنى ـ تعني الرفعة والشرف والجاه، وهي كلمة بربرية مشتركة بين برابرة الريف وزمور وسوس، مع شيء من التحريف في النطق والتعبير، فبعضهم ينطق بها بالواو وأوسار، وتعني الشيخ الوقور المبجل الذي يرجع إليه في الملمات كالحروب والشؤون السياسية والاجتماعية والفصل في النزاعات، كما يطلق أوسار على الرجل المُسن العادي. وقد تُنادي المرأة طفلها "يا أمسار" على

وجه التفاؤل. وقد حذفت الهمزة من أول الكلمة، وزيدت التاء بعد السين المسكنة المخففة وتشد السين في مسارة، لذلك تكتب مرة "مَسَّارة" وأخرى "مَسْتارة" وتدل بعض الوثائق والرسوم على أن ذلك يرجع إلى ما قبل الحماية بكثير. ورغم هذا فالكلمة الأصلية كانت تكتب مسارة، والنسبة إليها مساري.

عد صاحب *الحلل الموشية* (ص 186) هذه القبيلة من أعياص البربر حيث قال : الاعياص هم : مسارة، وهوارة، ومغيلة. وقال ابن خلدون في *العبر* (4 : 478) أثناء كلامه على حران ومسار، إن حصن مسار هو الذي ظهر فيه الصليحي وهو إقليم من أقاليم حران. وقال صاحب *الفكر السامي* (4 : 136) قبيلة مسارة حوز وزان، وفيها فرقة أولاد جنون المعروفة بالعلماء والصلحاء.

موطن القبيلة الأول : تشير بعض مذكرات وكنانيش فقهاء القبيلة إلى أن موطن بني مسارة الأول كان بنواحي تازناخت الواقعة حالياً بإقليم ورزازات، وكانت تابعة لمدينة أگادير تاريخياً إلا أن بعض فروعها وطوائفها جاؤوا من كل حدب وصوب كما جاء بعضهم من الجزائر. (*الاشارة*، 22 . 30).

وقد حافظت القبيلة على عروبتها ووحدتها الإدارية والسياسية عبر تاريخها الطويل، منفصلة عن القبائل المجاورة لها وساد بين أفرادها اتحاد كامل ضد كل من رام السيطرة عليها أو إذلالها من القبائل المتصلة بها، ولا سيما قبل الحماية أو أثناءها، وكم جرّت هذه الحمية على القبيلة من الويلات والحروب، ولم تتوقف هذه الحروب إلا باستيلاء الجيوش الفرنسية على بني مسارة سنة 1927.

الحالة الإدارية : كانت قبيلة بني مسارة قديماً تنتمي إلى عمالة مدينة فاس في عهد القائد محمد بن محمد القيسي الوطاسي (1258 . 1290 هـ) وظلت على هذا الحال حتى انتقلت العاصمة من فاس إلى الرباط بعد الحماية فأصبحت تابعة للرباط إدارياً إلى أن أنشئ إقليم القنيطرة سنة 1958 فأضحت القبيلة تابعة له. وفي سنة 1974 انقسمت القبيلة إدارياً إلى قسمين :

1 ـ قسم جبالة أضيف إلى إقليم شفشاون سنة 1974 بعد نشأته.

2 ـ قسم لُوطا بقي خاضعاً لإقليم القنيطرة حتى نهاية سنة 1982، عندما أنشئ إقليم سيدي قاسم فأضيف إليه هذا القسم من القبيلة. وكان لهذا التقسيم الأثر البالغ في نفوس السكان بافتقاد الوحدة التي عرفتها القبيلة طيلة حياتها السياسية.

ـ القسم العلوي من القبيلة قاعدته زومي، التي تضم كل المصالح الإدارية والاجتماعية وتحتوي على 25 دائرة انتخابية، ومن أعضاء هذه الدوائر تتكون الجماعة القروية لزومي، وعدد سكان الجماعة حسب إحصاء سنة 1982 هو 34.706 نسمة، وتضم الجماعة ست فرق هي : فرقة الشرفاء، وبوقرة، ومشيوة، وأولاد خيرون، والجحرة التي أضيفت إليها فرقة بني راوس، وبني يمل التي أضيفت إليها فرقة بني قيس، والمركز القيادة، وبهذا الجزء من القبيلة نسبة عالية من التمدرس حيث يضم سبع مجموعات مدارس ابتدائية، وإعدادية، وثانوية.

ـ القسم السفلي وقاعدته سيدي رضوان وبه كل مصالحه الإدارية والاجتماعية ويحتوي على 25 دائرة انتخابية، ومن أعضائها تتكون جماعة سيدي رضوان التي يبلغ سكانها 29.192 نسمة حسب إحصاء سنة 1982. وبجماعة سيدي رضوان توجد فرق : أولاد جنون، وجحر بني عيش، وبني كلّة. ونشير إلى أن نسبة التمدرس فيها أقل من الجزء الأعلى، ففيها أربع مجموعات مدارس ابتدائية، وإعدادية واحدة.

تاريخ وأحداث : كانت قبيلة بني مسارة من أنصار المرابطين في حروبهم، كما كانت من أعداء الموحدين أيام حكمهم للمغرب، وقد عامل هؤلاء المساريين معاملة قاسية أثرت عليهم في حياتهم السياسية مع كل الدول المتعاقبة على حكم المغرب. وأول ملك تذكر المصادر التاريخية زيارته لبني مسارة هو أبو فارس المريني حوالي سنة 786. 788، وهو في طريقه إلى غمارة لمحاربة بعض الخارجين عليه. كما زارها المولى إسماعيل ونزل بمكان يقال له "الكنيّر". ومازال هذا المكان يعرف بخزانة المولى إسماعيل أي خيمته.

وفي سنة 1258 / 1842 عين المولى عبد الرحمان بن هشام على القبيلة الشيخ محمد بن محمد القيسي الوطاسي حاكماً فدام حكمه إلى سنة 1290 / 1873، حيث تألب عليه سكان القبيلة وأهل اغزاوة وأرادوا قتله إلا أنه فر إلى فاس، وكان قاسياً يطبق الأحكام العرفية على جل السكان، وقد بنى على كاهلهم قصره بعين أقطار، وقصر الرُّوَى الذي هدمته الجيوش الفرنسية وبنت بأحجاره القيادة الحالية، وكان يسمي القبيلة "بني مَرْد" ويعني بذلك أهل الفوضى والشغب.

وفي 18 ربيع الأول عام 1306 زار المولى الحسن الأول بني مسارة ونزل شرق القبيلة بمكان يقال له خولان، لتأديبهم على عزل الوُلاة وإثارة الاضطرابات، إلا أنهم توسلوا إليه بحفاظ القرآن فعفا عنهم. كما زار بني مسارة المولى عبد العزيز ونزل بسيدي بودومة أسفل القبيلة، وعاقب رؤساء الفتنة وقتل منهم سبعين رجلا.

وضع بنو مسارة حداً لثورة بوحمارة يوم 5 شعبان عام 1327 / 21 غشت 1909، وكان ذلك في ضريح مولى عمران جد الشرفاء العمرانيين، وقد سُلّم بعد القبض عليه إلى الجيش الحفيظي الذي نقله إلى فاس حيث أعدم هناك. كما شارك المساريون في ثورة الريف (1921 . 1926) وقهر الجيوش الفرنسية بجبل بسوالّ سبع سنوات (1920 . 1927)، وزارها البطل الريفي محمد بن عبد الكريم الخطابي سنة 1343 / 1924 . 1925، وسلم شرفاء القبيلة ظهائر التوقير والاحترام، وعيّن من رجالها بعض قواد المائة لجيش الريف.

وفي سنة 1927 وقعت معركة القشاشدة التي لقن فيها رجال القبيلة العدو أقسى الدروس في المقاومة، فقتلوا مئات الجنود، ومن ضمنهم القائد العسكري على المنطقة، واستطاع رجال القبيلة أن يقاوموا الاحتلال الفرنسي سنة كاملة بعد سقوط أجدير ونفي الزعيم الريفي، ولم يستسلم بنو مسارة إلا بعد سنة 1927.

وفي يوم 25 يبراير سنة 1951 زار القائد الفرنسي المقيم بوزان والمسؤول عن منطقة الريف الغربي القبيلة واختار منها رجالا سلحهم بالهراوات وأرسلهم إلى الرباط، وكان الغرض من هذه اللعبة تهديد الملك محمد الخامس، ووصل هؤلاء الرجال إلى مدينة سلا وأخذت لهم بعض الصور ثم أعيدوا إلى القبيلة في اليوم الموالي.

وفي يوم 16 يناير سنة 1952 ألقت السلطة الفرنسية القبض على ثلة من الفقهاء العاملين في الحركة الوطنية، ونقلوا إلى سجن العدير وحكم عليهم سنتين سجناً، ولم يطلق سراحهم إلا يوم 16 يناير سنة 1954، وكان عدد هؤلاء عشرة رجال، وقد منعت السلطة الفرنسية اتصال الناس بهم بعد خروجهم من السجن.

وأخيراً زار محمد الخامس بني مسارة يوم 18 ربيع الأول عام 1359 / 1940، ونزل بالمكان الذي نزل فيه المولى إسماعيل. وكان المساريون قد شاركوا في أعمال المقاومة والفداء بعد نفي محمد الخامس وتحملوا نصيبهم من السجن والمعاناة إلى أن تحقق الاستقلال.

مجهول، *الحلل المرشية* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 4 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة* ؛ أ. المنجور، *فهرس* ؛ ع. البكاري، *الإشارة والبشارة*.

عبد السلام البكاري

بني مسكين، قبيلة تقع في الجهة الجنوبية الشرقية ضمن مجال اتحادية الشاوية الممتد بين واد أم الربيع جنوباً وواد الشراط شمالاً. وتنتشر مواطن بني مسكين بين قبائل أولاد بوزيري وأولاد سيدي بنداود في الغرب والشمال الغربي والسراغنة والرحامنة في الجنوب، حيث يفصل بينهما واد أم الربيع. ويحدها من الشمال مزاب ووردیغة ومن الشرق بني عمير وبني موسى.

تنقسم قبيلة بني مسكين إلى خمس عشرة فخذة وهي : عَيْن بْلال، بني خْلوگ، ليساسْفة، أولاد بوعلي، أولاد الجامعي، أولاد العكارية، أولاد سيدي بوقفا، أولاد سيدي مسعود، أولاد فارس، أولاد فريحة، أولاد سيدي يحيى بن يعيش، أولاد عامر، لخْناستة، لقْراقْرة، أولاد عَبُّو. وبعد أولاد عامر أكبر هذه الفخذات، إذ ينقسمون بدورهم إلى عدة بطون هي : أهل الربطة، لمْساسَة، أولاد حميدة، أولاد حمو، أولاد سالم (*Répertoire Alphabétique*, 42 - 45).

يبدو أن مجال قبيلة بني مسكين لم يكن كثيف الاستيطان قبل عصر الموحدين، ذلك أن المنطقة كانت تبدو خالية، لذلك قصدها بعض اللاجئين من جهات بعيدة، لا سيما في القرن الرابع (10 م) حيث تميزت تلك الحقبة بسيادة عدة اضطرابات، منها ما ارتبط بالقحوط والمجالات التي شهدتها البلاد آنذاك ؛ (*الاستقصا*، 1 : 192 - 193) ومنها ما كان ناتجاً عن المذابح التي دبرها موسى بن أبي العافية وأبناؤه ضد الأدارسة (ن. م. س 186 - 187).

ويعتقد كثير من بني مسكين أن بعض الأدارسة وفدوا على أرضهم واستوطنوها. ومن أشهر أولئك الأدارسة الشيخ عبد الله بن عبد الغني الذي ما تزال ذريته إلى اليوم في عين بلال. ولاشك أن حلول ذلك الرجل بتلك المنطقة المخوفة ذات التربة الفقيرة كان بسبب الخوف من الوقوع في أيدي آل ابن أبي العافية ؛ لكنه ربما كان له الفضل وهو شريف يمكن أن يلوذ به كل مضطهد أو مظلوم، في تعمير تلك البلاد فيما بعد.

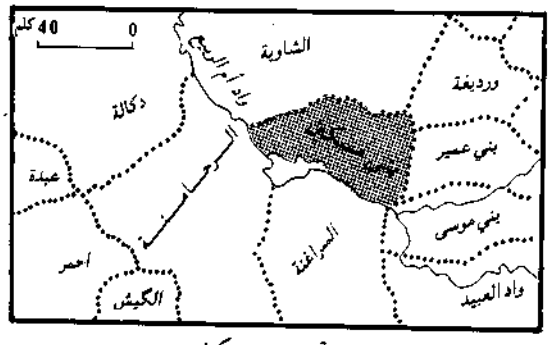

موقع بني مسكين

ومهما يكن من أمر فإن المصادر تشير إلى أن بني مسكين قد دخلوا إلى المغرب زمن السلطان أبي الحسن المريني وأن أصلهم يرتبط بعرب بني سليم (*العبر*، 6 : 108)، الذين ظلوا يشاغبون مدة على السلطان المذكور بإفريقية، (*الاستقصا*، 3 : 158). وبذلك انضافوا إلى القبائل العربية ـ من جشم وهلال ـ الذين جلبهم يعقوب المنصور الموحدي إلى المغرب سنة 580 / 1188 "وأنزلهم تامسنا" (*العبر*، 5 : 428). وليس معنى هذا أن بني مسكين كلهم عرب، بل من الممكن أن تنضم إليهم عناصر بربرية ؛ ذلك لأن السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني نقل قبائل أخرى ـ من العرب والبربر ـ من المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى، ووطنهم كذلك بالشاوية (التقي العلوي، 118)، بالإضافة إلى القبائل العربية التي كان جلبها يعقوب المنصور الموحدي إلى المغرب قبل ذلك.

ولا نعرف ما إذا كانت قبيلة بني مسكين قامت ببعض الأدوار السياسية أو العسكرية في عهود بني مرين والسعديين، لذلك لم تذكرهم المصادر المعروفة. وأول إشارة إلى بني مسكين جاءت في مصدر أجنبي ومن طريق غير مباشر. ففي عهد السلطان إسماعيل مرت الحركة السلطانية المتوجهة من مكناس إلى مراكش وسط قبيلة بني مسكين، في سنة 1722. ويذكر طوما پيلّسوْ الذي شارك في تلك الحركة أن سكان البروج استقبلوا الجيش السلطاني بمزيد من الحبور. (*Relation*, 102).

وفي عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله كانت

قبيلة بني مسكين من ضمن عمالة السراغنة الممتدة آنذاك من اگلاوة إلى بني مسكين. وكانت هذه العمالة الواسعة إلى نظر القائد محمد الصغير السرغيني (*المجتمع المغربي*، 143). وتفيد الرواية الشفوية أن بني مسكين أصبحوا تابعين بعد ذلك لقيادة بني موسى. وفي سنة 1203 / 1788 وجه نفس السلطان حركة إلى بني مسكين تأديباً لهم لأنهم آووا بعض العناصر من قبيلة مزاب الذين ثاروا على قائدهم عبد الله الرحماني (*عبير الزهور*، 159). وربما كان ذلك إيذانا ببداية ظهور بني مسكين على الساحة السياسية.

وفي عهد السلطان اليزيد نجدهم في حرب مع مزاب ووردیغة (*الضعيف*، 219) ويتواتر منذئذ ذكر قبيلة بني مسكين في المصادر، ذلك لأن ترابهم صار طريقاً مطروقة من قبل مختلف السلاطين أثناء تنقلاتهم بين العاصمتين مراكش وفاس. وكانت محلاتهم تتخذ من قصبة البروج نزلا للاستراحة قبل مواصلة الطريق (*معلمة المغرب*، البروج). وهكذا تأثرت قبيلة بني مسكين بمختلف الأحداث التي عرفتها البلاد منذئذ. ففي بداية حكم المولى سليمان نجد بني مسكين في مدينة فاس. (*الضعيف*، 292). وفي سنة 1224 / 1809 يشير نفس المصدر إلى أن السلطان قد بات ببني مسكين أثناء رجوعه من مراكش إلى فاس (ن.م.س. 347).

وفي سنة 1230 / 1815 نجدهم في حرب مع جيرانهم أولاد بوزيري، هذه الحرب التي دامت أكثر من أسبوعين. (ن.م.س. 389 - 390). وذكرهم الرحالة الاسباني خواكين گاتيل في رحلته. ففي يوم 22 مايو من سنة 1862 اجتازت الحركة السلطانية المتوجهة إلى مراكش لقمع ثورة الرحامنة بأراضي بني مسكين. ومعلوم أن گاتيل هذا كان على رأس طبجية السلطان آنذاك. وقد أشار إلى أن بني مسكين شرعوا في الحصاد قبل حلول الحركة بين ظهرانيهم (گاتيل، 83). لعل ذلك مرتبط بإشارة وردت في *إتحاف أعلام الناس* (2 : 117)، تفيد أن قبيلة بني مسكين "تنحرفت عن الجادة"، فبعث إليهم السلطان محمد بن عبد الرحمن بابنه مولاي الحسن لتأديبهم. ولعل ذلك قد ارتبط بالقلاقل التي عمت معظم جهات البلاد في السنوات الأولى من حكم ذلك السلطان. ومن الممكن أن الجيوش السلطانية التي كانت متوجهة آنذاك إلى الرحامنة عاثت في زروعهم ونهبت مواشيهم. وقد أشار گاتيل إلى أن المخزن كثيراً مّا أحرق الزروع وأطلق أيدي الجيوش فيها، إما من أجل التخويف أو التأديب. كما تفيد إشارة "انحرفت عن الجادة" إلى أنها لم تكن من بين القبائل التي اعتاد المخزن خروجها عن الطاعة (ن. م. س).

وفي الإصلاح الجبائي الذي قام به السلطان محمد بن عبد الرحمن كانت قبيلة بني مسكين من القبائل التي ساهمت بانتظام في دفع الضرائب في القرن الثالث عشر (19 م) (عياش، 13). ففي سنة 1865 فرض المخزن على قبائل الشاوية دفع 150.000 ريال. ناب منها بني مسكين 15.000 ريال. ويستنتج الأستاذ عياش أن ما ناب هذه القبيلة تضاعف أربع مرات ومع ذلك يظهر أنها لم تُبد أية معارضة.

ومع ظهور القائد الشافعي المسكيني يبدو أن قبيلة بني مسكين تألق نجمها، لا سيما وأن هذا الرجل أظهر شهامة وصرامة في تدبير الأمور. ففي عهده الذي لا نعرف متى ابتدأ، أصبحت القبيلة تحت قيادة مستقلة، تدار انطلاقا من قصبة الشافعي الموجودة في تراب أولاد العكارية. وترجع المكانة التي تبوأها القائد الشافعي العكاري المسكيني إلى الخدمات التي أسداها إلى المخزن، وخاصة في عهد السلطان مولاي الحسن. فقد بعث هذا السلطان بالقائد المذكور ليأخذ له الثأر من غياثة الذين هزموا المحلة السلطانية مرتين متتاليتين بجبال الأطلس المتوسط. فقام هذا القائد بمعية إخوانه من بني مسكين بحسم مادة التمرد وأوقع بالقبيلة المذكورة "فشكر السلطان صنيعه وأثنى عليه" (*إتحاف*، 2 : 160 - 161).

ولما قبض السلطان على ابن البشير وصهره "رأسي الفتنة" بعث بهما مع "القائد الشافعي المسكيني وإخوانه" وهكذا تصدر هذا القائد للمهمات الخطيرة في عهد السلطان مولاي الحسن. وظل كذلك على ولائه حتى وفاته سنة 1308 / 1890.

يظهر أن قبيلة بني مسكين قد صارت من القبائل التي يمكن للمخزن أن يأمن غوائلها. بل أصبحت من القبائل المقربة من المخزن. لذلك شكلت مرحلة من مراحل الطريق السلطانية المعتادة حتى فرض الحماية سنة 1912. فحين توفي السلطان مولاي الحسن سنة 1311 / 1894 بدار ولد زيدوح من بني موسى، كتم الوزير أحمد بن موسى البخاري موت السلطان ولم يعلنها إلا بعدما ألقت الحركة عصى التسيار بقبيلة بني مسكين. هنالك عقد الوزير المذكور اجتماعا مع أعضاء المخزن بجامع البروج، وأعلن عن وفاة السلطان، ونصر ابنه عبد العزيز (*إتحاف*، 5 : 372). بل لقد أطلقت المدفعية خمسين طلقة واستراح الناس وتم غسل جثة السلطان المتوفى (Arnaud, 84). إذن ما كان يتم كل ذلك في هدوء واطمئنان لولا أن قبيلة بني مسكين لم تكن "مخزنة" ولعل هذه الوضعية هي التي جعلت السلطان عبد العزيز يوجه فيما بعد الدعوة إلى قبيلة بني مسكين - ضمن قبائل أخرى - لتبعث بمندوبين عنها إلى فاس قصد المساهمة في دراسة المطالب الفرنسية التي قدمها السفير الفرنسي طايا نديبه إلى السلطان سنة 1322 / 1905 (*مظاهر*، 2 : 191 - 192).

وعلى إثر مقتل الطبيب الفرنسي موشان سنة 1907، احتلت فرنسا مدينة وجدة، فاضطربت الأحوال في عدة جهات من المغرب ولا سيما في الشاوية، ومن ضمنها قبيلة بني مسكين. ولتدارك الأمر وجه السلطان رسائل إلى مختلف القبائل، منها رسالة وجهها إلى بني مسكين يحذرهم فيها من القيام بأي رد فعل ضد الفرنسيين، لأن

المفاوضات كانت جارية بين المخزن وفرنسا من أجل تسوية القضية. يتضح من الرسالة التي افتتحها السلطان بـ"خدامنا الرضين قبيلة بني مسكين..." أن للقبيلة وضعية في سياسة المخزن العامة خاصة وأنها تقع بين قبائل سريعة الفوران مثل الرحامنة وبني موسى وغيرها (الوثائق الملكية).

وفي أثناء الصراع بين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ يظهر أن قبيلة بني مسكين قد أبدت تمسكها ببيعة المولى عبد العزيز، لا سيما وأن بني مسكين كانوا مرتبطين بهذا السلطان عن طريق المصاهرة. فقد أهداه قائدهم ابن الشافعي إحدى بناته. لكن المولى عبد الحفيظ أسرها في نفسه ولم ينسها للقائد حسن بن أحمد بن الشافعي. فعندما انتصر على أخيه، اهتبل فرصة مروره ببني مسكين فاحتال على القائد المذكور واعتقله مدة ثمانية عشر شهراً، إلا أنه عفا عنه بعد هذا الامتحان وعينه قائد رحى. فاستمر في قيادته على قبيلته حتى انعقاد الحماية. فكان من ضمن القواد الذين خلعتهم سلطات الحماية وعوضته بمخزني يدعى محمد بن بوحافة سنة 1913 الذي دخل في خدمة الفرنسيين ومهد لهم الطريق إلى قصبة الشافعي أولا ثم إلى البروج بعد ذلك. وبالمقابل قامت السلطات الفرنسية بمصادرة أملاك القائد القديم واحتلت قصبته وأرغمته على الانتقال إلى مدينة مراكش حيث مكث حتى وفاته سنة 1916. وبذلك انتقلت قيادة بني مسكين من أولاد العكارية إلى فخذة ليساسفه أهل محمد بوحافة.

وبسبب وجود هذا القائد الموالي للسلطات الفرنسية، وبسبب الظروف الطبيعية لم تكن سنة 1914 قد انصرمت حتى اكتمل خضوع قبيلة بني مسكين للمخزن الجديد... لتحول مركز القبيلة إلى قصبة البروج التي صارت ملحقة إلى نظر مراقب مدني تابع لمنطقة الدار البيضاء (*Répertoire alphabétique*, 40). وقد بلغ عدد سكان قبيلة بني مسكين 41.785 نسمة، حسب إحصاء سنة 1936.

وفي ميادين العلم والقضاء والتصوف كان لبني مسكين حظها الوافر. ففي الجانب العلمي نذكر المعطي الشاوي القرقوري المتوفى بسطات (*إتحاف*، 4 : 314) الذي كانت له صداقة خاصة مع ابن زيدان بمكناس. وفي ميدان القضاء محمد بن الطالب المسكيني (ظهير توليته مؤرخ في 19 جمادى الأولى عام 1331). وفي مجال التصوف ينبغي أن نشير إلى زاوية عين بلال التي ظلت سند العلم والدين طيلة قرون في تلك المنطقة المنعزلة.

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 5، 6 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. ابن زيدان، *اتحاف* ؛ *العز والصولة* ؛ المعروفي، *عبير الزهور* ؛ ج. عياش، *الأزمة المالية* ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة* ؛ التقي العلوي، *أصول المغاربة*... البحث العلمي (33) ؛ مديرية الوثائق الملكية، مجلة... ؛ أ. عمالك، *البروج، معلمة* (4) ؛ خواكين گاتيل، *رحالة المغرب* ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي : التحري الميداني ووثائق خاصة*.

T. Pellow, *Relation*... ; *Répertoire alphabétique*...

أحمد عمالك

بني مصالة، أو مزالة بزاي مفخمة، معدودون ضمن تقسيمات قبيلة كتامة الجزائر، ومازالت بقاياها إلى اليوم بالقرب من بجاية وجيجل. وتتمثل بقايها بالشمال الغربي المغربي، بجوار حدود سبتة، غرب واد المناول (حالياً كنديسا) في قرية صغيرة واقعة على السفح الشرقي "تارسيف". أشار إليها محمد الأنصاري صاحب كتاب *اختصار الأخبار*، في بداية القرن الثامن الهجري (15 م). وعاصر سكان القرية نزول البرتغاليين بسبتة، كما عانوا هم بدورهم ما عاناه سكان تلك الجهات من غاراتهم المباغتة على تلك النواحي، وأولى تلك الغارات مؤرخة بيوم 3 ديسمبر 1416. وكانت آنذاك معدودة ضمن قرى وادي متنة، المعروف إلى اليوم بالاسم البرتغالي "كستيبيخوش".

م. الأنصاري، *اختصار الأخبار*، 56 ؛ ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 1 : 106، أطروحة غير منشورة، الرباط، 1990 ؛ ع. بن منصور، *قبائل المغرب*، 321.

Gomes Eanes de Zurara, *C. do D. Padro*, chap. 26, p. 99.

حسن الفگيگي

بني مْصَوَّرْ، قبيلة تقع بناحية جبالة وينتمي قسم منها إلى إقليم تطوان والقسم الآخر إلى إقليم طنجة. تحيط بها قبائل وادراس وبني يدر وجبل حبيب والفحص. تقدر مساحتها بـ 272 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1949 هو 14.244 نسمة يتكلون باللهجة العربية الدارجة، وتوجد بهذه القبيلة قصبة قديمة بالقرية المعروفة بدار الشاوي، كما تتوفر القبيلة على أربعة وخمسين مسجداً وخمسة عشر ضريحاً وزاويتين وستين كتاباً قرآنياً وثلاث مدارس للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى فرقتين : الحيط الفوقي وبها 43 مدشراً، والحيط السفلي وبها 16 مدشراً. وفي النظام الإداري تنقسم القبيلة إلى جماعتين قرويتين هما : جماعة اثنين بني حرشن التابعة لإقليم تطوان، وجماعة دار الشاوي التابعة لإقليم طنجة.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 115.

Carta de Battista Agnesi, 1524 ; A. Domenech Lafuente, *Zona Norte*, p. 36 ; Cabello Alcaraz, *Geografia de Marruecos*, p. 87.

محمد ابن عزوز حكيم

بني مَطْهَر، قبيلة عربية تستوطن المنطقة المحيطة برأس العين جنوب مدينة وجدة، وتمتد مجالها الترابي على شكل دائري حول رأس العين التي تعتبر الحد الفاصل بين منطقة التل ومنطقة الظهرا. أما أصول القبيلة فهي غير معروفة على وجه التحديد، غير أن بعض المصادر، بناء على الرواية الشفوية، اعتبر أن بعض عناصرها وفدت من الساورة والبعض الآخر وفد من الساقية الحمراء في تاريخ غير محدد. خضعت القبيلة دائماً للقبائل المجاورة، فبعد أن كانت تابعة للأحلاف في منتصف القرن التاسع عشر أيام

تألق نجم القائد بوزيان الشاوي، تحولت إلى تبعية المهاية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقد اتخذ قائد المهاية من عين بني مطهر مركزاً مستقراً له وشيد به قصبة سنة 1899.

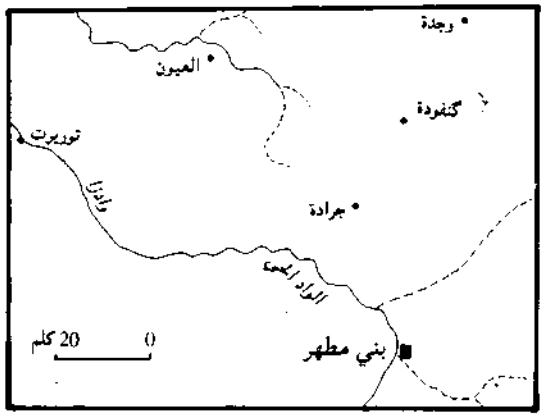

موقع بني مطهر

بعد توقيع اتفاق 20 أبريل 1902 بين المغرب وفرنسا، صارت عين بني مطهر سوقاً مشتركة، وكان هذا السوق كثير الرواج فيما يخص الماشية، فأُتي إليه بالأجلاب من بني گيل والشجع والمهاية، وكلها قبائل اشتهرت بكسب المواشي، وقد استغلت فرنسا أحداث الثائر بوحمارة، ففرضت اتفاقاً على أعيان قبيلة بني مطهر يوم 28 فبراير 1904، وبموجبه تنازلت القبيلة عن قطعة أرض للسلطات الفرنسية قصد بناء سوق وحامية للجيش الفرنسي بالإضافة إلى استغلال مياه رأس العين، استغلت فرنسا موالاة بني مطهر للروگي ورغبتهم في الإفلات من عقاب المخزن، ففرضت عليهم الاتفاق المذكور، خصوصاً بعد أن استقر بوعمامة البوشيخي قرب مضاربهم، وبعد ذلك بقليل وقع احتلال رأس العين (15.6.1904)، فتمركزت بها قوة عسكرية فرنسية، وأطلقت اسم برگنت (Berguent) على الموقع المحتل، وقد استعادت رأس العين اسمها الأصلي بعد الاستقلال، وصارت مركزاً حضرياً من إقليم وجدة.

ع. إسماعيلي العلوي، *تاريخ وجدة وأنكاد*، 1 : 235 - 241 ؛ ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي*، ص. 68، 69، 329، 330، 352، 353.

La Martinière et Lacroix, *Documents* ; T. 1 ; A. Cour, *Notes sur la région de Berguent, B. S. G. A. O.*, 1909, p. 31 - 77 ; C. Galinier, *Les Béni Mathar de Ras El-Aïn, Berguent, B. S. G. A. O.*, 1917, p. 129 - 174 ; Lt. Gaquière, *Berguent Ras El-Aïn 1904 - 1906, B. S. G. A. O.*, 1913, p. 21 - 82 et 112 - 153.

عكاشة برحاب

بني مطير، اتحادية صغرى أو قبيلة كبرى، تحتل حالياً حيزاً مهماً من هضبة سايس، تنحدر من أيت إدراسن الذين كانوا يشكلون قبل القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، فرقة من مسوفة إحدى قبائل صنهاجة اللثام التي كانت مضاربها في الصحراء الغربية، جنوب جبال درن (*آثار التدخل الأجنبي*، 1 : 8). ومع قيام الحركة المرابطية، اضطر أيت إدراسن، ومن ضمنهم قبيلة بني مطير إلى الهجرة نحو الشمال الشرقي، تحت ضغوط طبيعية واقتصادية وبشرية، فقد ورد الحديث في مخطوط بزاوية سيدي بوكيل، عن وجود أيت إدراسن في أعالي زيز وغريس منذ القرن الخامس الهجري (11 م) (*La vie past orale*, 14) وحسب نفس المصدر، فإن هذا القبيل وفد على تلك المنطقة قادماً من تافيلالت حوالي سنتي 1012 . 1013 م. وكانوا في هذا العهد يمثلون فرقة من صنهاجة القبلة ضمن جماعة أهل تيارت التي كانت تضم أهل فركلة وتُدغة وغريس وملوانة. (*المقتبس*، 55). وكانت مواقعهم في هذا الوقت في المصبات الجنوبية للأطلس الكبير. وقد استقر هؤلاء القوم على ضفاف واد زيز وغريس، وامتهنوا الزراعة والتجارة والحرف، وبنوا القصور. (*الإحيا*، 7)، وظلوا هناك مدة من الزمن إلى أن اضطروا، تحت فعل الضغط المعقلي ومضايقة اتحادية أيت عطا لهم، إلى استئناف الرحلة نحو الشمال. (*آثار التدخل الأجنبي*، 1 : 17 . 18). فعندما ترجم صاحب *الإحيا والانتعاش* (ص. 18) لمحمد بن أبي بكر العياشي، ذكر أن بني مطير زمن هذا الشيخ (991 . 1067) كانوا ينتجعون في أحواز ملوية. وقد توقفت هذه القبيلة مدة من الزمن في هذه المنطقة قبل أن تستأنف الهجرة نحو الشمال في اتجاه واد گيگو، قبل وصولها إلى هضبة سايس موطنها الحالي. ومازالت آثارها قائمة في نواحي ملوية، حيث يوجد هناك قصر يحمل حتى الآن اسم قصر بني مطير.

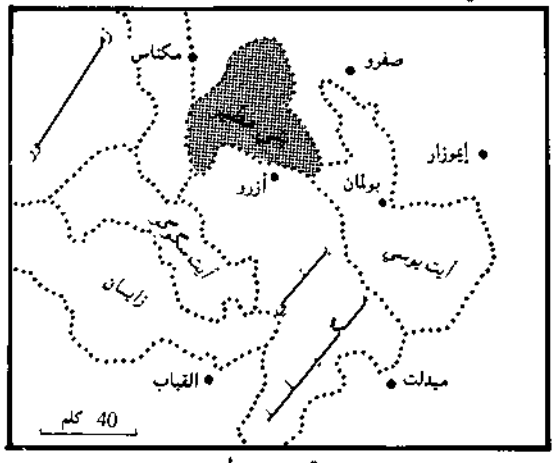

موقع بني مطير

ومنذ منتصف القرن الحادي عشر الهجري (17 م) دخل أيت إدراسن ومعهم بنو مطير في احتكاك مباشر مع السلطات المركزية الحاكمة، وخضعوا لنفوذ الدولة، فقد أصبح بنو مطير منذ سنة 1636 يشكلون عصبية الإمارة الدلائية وحميتها، وأنزل السلطان محمد الحاج الدلائي كلا من بني مطير ومجاط وأيت يمور وأيت إسحاق وگروان في مدينة الدلاء، وتمكن بواسطة هذه القبائل من امتلاك أهم مناطق المغرب لمدة تزيد على ثلث قرن (*الزاوية الدلائية*، 153). وبعد وصول الأسرة العلوية إلى الحكم وقف المطيريون إلى جانب محمد الحاج الدلائي إلا أنه بعد تغريب الدلائيين وتخريب زاويتهم، وبعد حركات السلطان المولى إسماعيل في الأطلس المتوسط، انحاش بنو مطير وأيت إدراسن إلى الأسرة العلوية وخضعوا لسلطتها، وأصبحوا

يشكلون شيعة الدولة وعصبيتها (*آثار التدخل الأجنبي*، 20 . 21). وصار المخزن يعتمد عليهم ويسخرهم لتنفيذ أدواره السياسية والعسكرية في المنطقة. ومنذ هذا التاريخ أصبحوا أيضاً يشكلون حزاماً بشرياً واقياً يحول دون نزول قبائل اتحادية أيت أُومالو التي كانت تسعى تحت ضغط القبائل الصاعدة من الصحراء للوصول إلى السهول والهضاب الخصبة. وقد وقف بنو مطير وأيت إدراسن طيلة العصر العلوي الأول إلى جانب الدولة في حروبها مع أيت أُمالو. ولعبت أسرة محمد واعزيز المطيري أدواراً سياسية وعسكرية مهمة في المنطقة (*آثار التدخل الأجنبي*، 1 : 21. 28). إلا أنه بعد تقاعس أيت إدراسن على السلطان مولاي سليمان في معركة زيان (1234 / 1818) تدهورت العلاقة بين بني مطير والسلطة المركزية، بسبب تجبر أيت إدراسن وطغيانهم في المنطقة. وفي هذه الفترة صار بنو مطير وأيت إدراسن يشكلون خطراً على الدولة نفسها. وقد ازدادت في هذا التاريخ ضغوط قبائل الجبال، وكثرت انتفاضاتهم مع وصول قبيلة گروان إلى مشارف هضبة سايس. ولم تهدأ الأحوال في هذه الناحية إلا في عهد مولاي عبد الرحمان. فعند توليه السلطة ، لجأ إلى نقل أيت يمور وملوان من مواطنهم وغربًهم إلى نواحي مراكش وأنزل قبيلة بني مطير في بسيط سايس ونفذ لها الأرض هناك (*اختصار الابتسام*، 381). وبذلك انحاز بنو مطير من جديد لجانب المخزن وخضعوا لسلطته وصار القواد يضطلعون في المنطقة بأدوار سياسية وعسكرية رائدة لصالح الدولة. ومنذ ذلك الحين، تصدع أيضاً حلف أيت إدراسن وافترقت كلمته، ولم تعد قبائله تقوم أو تقعد تحت لواء واحد. وقد تميز تاريخ بني مطير طيلة القرن التاسع عشر بتمرد كثير على السلطة بسبب ثقل وطأة الجباية وضعف إمكانيات السكان المادية. وانتهت تلك الأحداث بحصار لمدينتي فاس ومكناس في ربيع 1911، وتدخل فرنسا لفك ذلك الحصار وفرض نظام الحماية على البلاد (*آثار التدخل الأجنبي*، 2 : 374).

تنقسم قبيلة بني مطير من الناحية المورفولوجية إلى عشرة عظام هي : أيت حماد ، أيت وارتيندي، أيت إيقدرن، أيت بورزون، أيت بومدمان، أيت حرزلا ، أيت نعمان، أيت سليمان، أيت عياش، أيت ولاّل (*Voyage au Maroc*, 11 : 116) وكان عدد سكانها سنة 1879 يقدر بحوالي 44.000 نسمة (*آثار التدخل الأجنبي*، 1 : 82). وكانت هذه القبيلة تعيش على الرعي ونصف الترحال وتعتمد في عيشها على الزراعة وتربية الماشية. وكان نشاطها التجاري يتم في غالبيته في مدينتي فاس ومكناس. وكان مركزا الحاجب وأگوراي سوقين ثانويين تلجأ إليهما القبيلة وقت انسداد فاس ومكناس في وجهها أيام توتر علاقاتها بالسلطة المركزية، وبالرغم من تمردها طوال القرن التاسع عشر، فقد تمكن المخزن من بسط سيطرته على القبيلة والإمساك بزمام الأمور فيها. ولهذه الغاية قسم القبيلة إلى عدة إيالات صغيرة، تعاقب على حكمها عدد من العمال المنتمين جميعاً إلى أهلها، فقد ورد في إحدى الوثائق أن بني مطير في أوائل العهد الحسني كانت مقسمة إلى سبع قيادات على رأسها سبعة قواد موزعون على عظامها كما يلي :

أيت عياش : قائدها عبد الوهاب العياشي.
أيت ولاّل : قائدها محمد بن التهامي الولألي.
أيت بورزون : قائدها يوسف البورزوني.
إقدارن : قائدها حمو والحاج القداري.
أيت بومدمان : قائدها لحسن بومدماني.
أيت حرزلا : قائداها محمد وهبي الحرزلاوي، وعَتّ وسلو الحرزلاوي.
أيت نعمان : قائداها محمد أُبراهيم النعماني، وبوعزة بن لحسن النعماني.

أ. البيدق، *المقتبس من كتاب الأنساب*، الرباط، 1971 ؛ ع. العياشي، *الإحيا والانتعاش*، مصور خ. ع.، الرباط رقم د، 1433 ؛ *وثائق* خ. ح. محفظة، رقم 369 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ ع. اكنينح، *آثار التدخل الأجنبي في المغرب على علاقات المخزن بقبيلة بني مطير* 1873 . 1912 د. د. ع. بكلية الآداب، الرباط.

Marquis de Segonzac, *Voyage au Maroc. 1899 - 1901*, Paris. 1903 ; Couvreur. *La vie pastorale dans le Haut Atlas central*, *R.G.M.*, N° 13, 1968.

العربي اكنينح

بني معدن، تجمُّعٌ سكاني مندرج اليوم في قبيلة بني حُزْمَرْ. تنتظم مداشره الأربعة (دار علالو، المعاصم، قنقرة، الظهر) على الحافة الشمالية من جبل الطور (348 م)، آخر منحدرات شرق جبل غرغيز، كما أنها تشرف على المجرى الأدنى لواد مرتيل إلى مصبه من جهة ضفته اليمنى.

مرسى : استفاد سكان بني معدن خلال الفترات التاريخية من مجاورتهم للبحر المتوسط وانتشار دورهم على طول الضفة اليمنى من واد تطوان للاتجاه نحو النشاط البحري، مشاركين بذلك مدينة تطوان في المرسى المعروف منذ القرن الخامس الهجري، حسبما أشار إليه البكري. وخلال القرن الخامس كانت مبادرة الإشراف على المرسى لبني معدن، إلى درجة أنه عرف باسم الفرقة. وحدد موقع المرسى على بعد كيلومترين ونصف على مجرى نهر مرتيل بالنسبة للمصب الحالي.

رايس : قامت سفن بني معدن بدور في الجهاد البحري خلال النصف الأول من القرن الخامس عشر، حسبت له سبتة المحتلة حسابه. وعرف آنذاك رئيسها البحري أبو بكر قنديل، الذي كون ثورة هامة من جراء جولاته البحرية بالمضيق. ولهذا السبب باغتته سفن سبتة سنة 1435 وداهمت منزله، حيث قتل.

ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية، ص. 45، تطوان 1952.

Vademecum, p. 26, *Tetuan*, 1931 ; Gomes Eanes Azurara, *Cronica de D. Pedro de Meneses*, I / chap. 41, p. 346 ; 2 / chap. 15. p. 531, chap. 36, 620 ; *Cronica do D. Duarte de Meneses*, p. 97, 98, 99.

حسن الفگيگي

بني معقل، قبيلة عربية دخلت بلاد المغرب ضمن

المجموعة الهلالية التي كانت عبارة عن أخلاط من القبائل كبني سليم، وهم أقوى وأغنى عناصر هذه المجموعة، وبني هلال الذين غلب اسمهم على كل من رافقهم، وبني معقل الذين كانوا قليلي العدد. أما زغبة ورياح اللتان انضمتا لهذه المجموعة فهما قبيلتان كانتا تقيمان على الحدود الغربية لمصر في إقليم برقة (*أثر القبائل*، 57).

ولا نعلم الشيء الكثير عن أنساب عرب معقل لأن ما أتت به المصادر في هذا الباب متناقض ومتضارب. ويعتبر اعتراف ابن خلدون بغموض نسب هؤلاء الأعراب خير دليل على ما نقول، خصوصاً وأنه المؤرخ الوحيد الذي اعتمد في تدوين أخبارهم على ما ذكره نسابتهم، وهم يزعمون أن نسبهم في أهل البيت إلى جعفر بن أبي طالب، وليس ذلك بصحيح، لأن الطالبيين والهاشميين لم يكونوا أهل بادية ونجعة. والصحيح أنهم من عرب اليمن، فإن فيهم بطنين يسمى كل واحد منهما بمعقل : أحدهما من قضاعة بن مالك بن حمير، والآخر من بني الحرق بن كعب بن عمرو بن علة بن جلدين مذحج. والأنسب أن يكونوا من هذا البطن الآخر الذي من مذحج (*العبر*، 6 : 79).

أبطل الناصري صحة القول بالأصل اليمني لهذه القبائل ورد على ابن خلدون في هذا الموضوع قائلا "ولفظ معقل الذي في بني الحرث ابن كعب ضبطه صاحب القاموس بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر القاف المشددة بوزن مُحَرِّث، وضبطه بعض الحفاظ بفتح القاف المشددة بوزن مُعَظَّم" (*طلعة المشتري*، 114). كما أكد على انتساب هذه القبائل لآل البيت وربط بين مجيئهم إلى بلاد المغرب وصراعهم مع أبناء عمومتهم العباسيين (*طلعة المشتري*، 110-111).

كان عرب معقل قلة في المجموعة الهلالية، يقال إنهم لم يبلغوا المائتين، واعترضهم بنو سليم فأعجزوهم، وتحيزوا إلى الهلاليين منذ عهد قديم، ونزلوا بآخر مواطنهم مما يلي ملوية ورمال تافيلالت وجاوروا زناتة في القفار فعفوا وكثروا وأنبتوا في صحاريُ المغرب الأقصى فعمروا رماله وتغلبوا في فيافيه (*العبر*، 77).

تطلب تكاثر عرب معقل بمناطق الصحراء فترة تزيد عن قرنين من الزمن، أي من تاريخ دخولهم بلاد المغرب رفقة الهلاليين في القرن الخامس الهجري (11 م) إلى تاريخ مشاركتهم القوية والفعالة في الأحداث السياسية بالمغربين الأوسط والأقصى في نهاية القرن السابع الهجري (13 م) وبداية القرن الثامن الهجري (14 م). وهكذا فإن قلة عددهم زمان دخولهم بلاد المغرب ثم تكاثرهم بسرعة لدرجة أصبحوا معها في القرن الثامن الهجري من أوفر قبائل العرب وأقواها يثير تساؤلات عديدة ويدفع إلى البحث عن الأسباب الكامنة وراء ذلك.

إن الذي ساعد بني معقل على التقوي والتكاثر هو انعزالهم في مناطق نائية - بعيدة عن مجال الصراع القبلي - مدة طويلة من الزمن. فالقفر بخصائصه الطبيعية القاسية لم يكن في يوم من الأيام منطقة إغراء تشجع الجماعات على الهجرة إليها، وبالتالي حدوث مواجهات عنيفة بين الأهالي القدماء والطارئين. ومن ثمة، فإن القبائل التي اختصت باتخاذ الصحارى موطناً لها كانت تجمع فيما بينها قواسم مشتركة عديدة وهو ما ساعدها على التعايش والتساكن رغم اختلاف أصولها وانتمائها العرقي. عكس ما كان عليه الأمر في المناطق الشمالية لبلاد المغرب حيث اتخذ الصراع القبلي طابعاً عنيفاً وقوياً في أغلب الأحيان.

لم يظهر عرب معقل على مسرح الأحداث السياسية ببلاد المغرب طيلة القرنين الخامس والسادس الهجريين لأن عددهم لم يكن يساعدهم على الدخول في مواجهة مباشرة مع القبائل القوية، لذلك ابتعدوا عن مناطق الصراع الساخنة مدة طويلة، حتى إذا حل القرن السابع الهجري (13 م) وجدوا أنفسهم مؤهلين من حيث العدد لفرض سيطرتهم فتحركوا من مناطق الصحراء إلى الواحات الواقعة شمالها وأحكموا قبضتهم على هذه المناطق بمجرد حلولهم بها (*Les Arabes*, 365).

وقد تكاثر المعقليون بمن اجتمع إليهم من القبائل من غير عصبيتهم لأن فيهم من أشجع أحياء كثيرة وفيهم الشظفة من كرفة والمهاية من عياض والشعراء من حصين والصباح من الأخضر ومن بني سليم وغيرهم (*العبر*، 6 : 79). وتجب الإشارة إلى أن بني معقل لم يدخلوا بلاد المغرب بجميع أعدادهم وإنما بقي منهم بأفريقية جمع قليل اندمجوا في جملة بني كعب من بني سليم حتى كانوا وزراءهم في الاستخدام للسلطان (*العبر*، 6 : 77).

احتل المعقليون القصور التي اختطتها زناتة في القفار قبل نزوحهم شمالا نحو المناطق المجاورة لمرتفعات درن. وقد حدث ذلك بعد أن تمكنت هذه القبائل من إقامة دول لها ببلاد المغرب (*العبر*، 6 : 78). وقد ذهب أحد الباحثين إلى القول إنه منذ بداية القرن السابع الهجري (13 م) حاولت قبائل معقل الوصول إلى السواحل الجنوبية الغربية للمحيط الأطلسي، وقطعت الطريق في وجه صنهاجة وحالت دونها ومناطق الشمال، لكن صنهاجة نجحت مع مرور الزمن في الوصول إلى غايتها واجتازت أغلب بطونها مجالات القفر ولم يبق منها سوى جماعات قليلة خضعت لنفوذ الطارئين الجدد (*Esquisse*, 66).

لم يصل النصف الثاني من القرن السابع الهجري (13 م) حتى كان عرب معقل قد شغلوا كل الواحات الواقعة جنوب وشرق جبال دَرَن، وأصبحوا أسياد هذه المناطق دون منازع. وقد حاولت هذه القبائل من غير شك مواصلة رحلتها شمالا، لكن تحكم بعض القبائل القوية في الممرات المؤدية إليها منعها من ذلك.

كان المرينيون - الذين يمثلون القوة الضاربة في مناطق الشمال وقتئذ- يتحكمون في مضيق تازا. ومعنى ذلك أن مرور عرب معقل من المغرب الشمالي الشرقي لا يمكن أن يتم إلا بموافقتهم ورضاهم. كما أن ممرات الأطلس الكبير والمتوسط كانت تحت مراقبة القبائل الجبلية المستقرة بهذه

المناطق منذ قديم الزمن، ومعها بعض الجماعات التي وصلت متأخرة بفعل زحف العناصر المعقلية من جهة الجنوب. وكل هذه العناصر لم تكن لتسمح بمرور جموع معقل عبر مجالاتها دون مشاكل. وهذا ما دفع بهؤلاء الأعراب إلى البقاء في المناطق الواقعة خلف جبال الأطلس مدة طويلة من الزمن.

تشكلت المجموعة المعقلية التي وصلت في القرن السابع الهجري إلى مجالات المغرب الأقصى من ثلاثة بطون هي : ذوي عبيد الله وذوي حسان وذوي منصور. وقد عدد ابن خلدون بطون هؤلاء مجتمعة كما ذكرها نسابتهم وقال إن جدهم معقل كان له من الولد سحير ومحمد. فولد سحير : عبيد الله وثعلب، فمن عبيد الله ذوي عبيد الله، ومن ثعلب الثعالبة الذين ببسيط متيجة في نواحي الجزائر. وولد محمد : مختار ومنصور وجلال وسالم وعثمان، فولد مختار بن محمد : حسان وشبانة. فمن حسان ذوي حسان أهل السوس الأقصى، ومن شبانة الشبانات جيرانهم هناك. ومن جلال وسالم وعثمان والرقيطات بادية لذوي حسان ينتجعون معهم. وولد منصور بن محمد : حسن وأبو الحسين وعمران وشنب يقال لهم جميعاً ذوي منصور (*العبر*، 6 : 79).

وهذه البطون الثلاثة لعرب معقل حسب مجالات استقرارها في المغرب الأقصى من الشمال إلى الجنوب :

- ذوي عبيد الله : استقروا بالمغرب الشمالي الشرقي وكانت مواطنهم بين تلمسان ووجدة والمناطق الواقعة جنوبهما. وكانوا أحلافاً لبني عبد الواد في القرنين السابع والثامن الهجريين. ولم يتقربوا من الدولة المرينية إلا في القليل النادر. ويرجع السبب في تشيعهم للزيانيين إلى علاقات الجوار التي كانت تجمع بينهم، بحكم قرب مجالات استقرارهم من العاصمة الزيانية تلمسان. ولم تقتصر مواطن ذوي عبيد الله على مناطق المغرب الشمالي الشرقي فحسب بل كانت رحلاتهم توصلهم إلى مناطق أبعد من ذلك. وهذا ما يوضحه قول ابن خلدون :"وتنتهي رحلتهم في القفار إلى قصور توات وتمنطيت، وربما عاجوا ذات الشمال إلى تاسابيت وتيكرارين وهذه كلها رقاب القفر إلى بلد السودان" (*العبر*، 6 : 81).

كانت مجالات ذوي عبيد الله تحد جنوباً بمجالات ذوي منصور الذين استقروا بمناطق سجلماسة. ويظهر أن رحلة ذوي عبيد الله كانت تقودهم إلى هذه المناطق الأخيرة وإلى ما يقع إلى الجنوب منها في اتجاه بلاد السودان، كما هو واضح في إشارة ابن خلدون أعلاه. غير أن من احتك من بطونهم بمدينة سجلماسة هو بطن الخراج الذي كان حليفاً للمرينيين خلافاً لعموم عصبيته. وهذا ما أكده ابن خلدون حيث قال إن الخراج يجاورون بني منصور ولهم تاوريرت وما إليها وخدمتهم في الغالب لبني مرين وإقطاعاتهم من أيديهم ورجوعهم إلى عبد الواد في الأقل (*العبر*، 6 : 82).

- ذوي منصور : كانت مجالاتهم سجلماسة والمناطق المجاورة لها. وقد حدد ابن خلدون الأماكن التي يصلون إليها في رحلاتهم ما بين تاوريرت ودرعة عبر سجلماسة وقال إنهم كانوا يستولون على ملوية كلها (*العبر*، 6 : 87). إن المناطق التي اتخذها هؤلاء موطناً لهم كانت تتوسط مجالات بني معقل عموماً أي أنها تقع بين مجالات ذوي عبيد الله في الشمال ومجالات ذوي حسان في الجنوب، وربما كان لقوتهم وكثرة عددهم أثر في اختيارهم هذه المنطقة بالذات. فقد أشار ابن خلدون إلى أن ذوي منصور كانوا يشكلون غالبية العناصر المكونة لعموم معقل وقال :"فهم معظم هؤلاء المعقل وجمهورهم. وبطونهم أربعة : أولاد حسين وأولاد أبي الحسين وهما شقيقان. والعمارنة : أولاد عمران والمنبات : أولاد منبا وهما شقيقان أيضا، ويقال لهذين البطنين جميعا الأحلاف" (*العبر*، 6 : 87).

إن ذوي منصور هم أكثر بطون بني معقل تأثيراً في أحداث المغرب السياسية منذ قدومهم من مناطق القفر، فقد أصبحت سجلماسة - مدينة القوافل التجارية - منذ النصف الثاني من القرن السابع الهجري (13 م) خاضعة لنفوذهم، واستمرت على ذلك إلى حين تخريبها في أواخر القرن الثامن. وهذا ما يمكن قياسه أيضاً على كل واحات المغرب الأقصى وصحاريه. وبما أن هذه العناصر قد مثلت القوة الضاربة بكل هذه المناطق فلا بأس أن نستعرض القبائل التي كانت تكونها وأن نذكر توزيعها في هذا المجال حسب ما أورده ابن خلدون الذي عاصر فترة قوتها وسيادتها، ويتعلق الأمر بالبطون الثلاثة لذوي منصور : أولاد حسين، والأحلاف، وأولاد أبي الحسين.

فالبنسبة لأولاد حسين كانوا بدرعة في أواخر القرن السابع الهجري ثم انتقلوا إلى سجلماسة في النصف الثاني من القرن الثامن، وهؤلاء هم أغلبية ذوي منصور، ولهم العزة عليهم. وكانت رياستهم أيام السلطان أبي الحسن المريني لعلي بن غانم، وهلك إثر كائنة طريف فصارت لأخيه يحيى، ثم لابنه عبد الواحد بن يحيى ثم لأخيه زكرياء ثم لابن عمه أحمد بن رحو بن غانم ثم لأخيه يعيش ثم لابنه يوسف بن علي بن غانم (*العبر*، 6 : 87).

إن تعداد ابن خلدون لأعضاء أولاد حسين في القرن الثامن كان وليد الأهمية التي كانت لهم في أحداث المغرب خلال تلك المرحلة. فقد سبّبوا مشاكل كثيرة للمخزن المريني في أواخر القرن السابع وأرغموه على تجهيز حملات عسكرية بغرض إخضاعهم. وفي القرن الثامن تحالف أولاد حسين مع بني عبد الواد سلاطين تلمسان بفضل مجهودات عبد الله بن مسلم عامل المرينيين على درعة، كما ساهموا بقسط وافر في تولية وعزل أبناء أبي علي عمر بن أبي سعيد عثمان أمراء سجلماسة في النصف الثاني من نفس القرن.

كان أكثر استقرار أولاد حسين بدرعة ومن بإزائه في فسيح جبله من قبائل البربر صناگة وغيرهم ولهم عليهم ضرائب وخفارات ووضائع ولهم في مجابي السلطان

إقطاعات (*العبر*، 6 : 79). وقد أصبحت مواطنهم في القرن العاشر الهجري (16 م) حسب رواية الوزان فيما بين مملكة فاس وسجلماسة، ويحكم رئيسهم مدينة تدعى گرسلوين، وهم سادة مختلف ملوك بني مرين جزاءً لما قدمته لهم من عون فائق في بداية دولتهم (*وصف افريقيا*، 1 : 44 ـ 45).

أما الأحلاف الذين هم ثاني أهم بطون ذوي منصور فيتكونون من العمارنة والمنبات ومواطنهم مجاورة لمواطن أولاد حسن من جهة الشرق ومجال تنقلهم بالقفر تافيلالت وصحراؤها، وبالتل ملوية وقصور وطاط وتازا وبطّوية وغساسة، لهم على ذلك كله الإتاوات والوضائع، وفيها الاقطاعات السلطانية (*العبر*، 6 : 89). وكان الحديث عن العمارنة في القرنين السابع والثامن الهجريين مرتبطاً بالحديث عن المنبات لأن هؤلاء الأخيرين هم أصحاب الزعامة في الأحلاف، وهم الذين تحكموا في مدينة سجلماسة العاصمة الحضرية الوحيدة في مجالات درعة وتافيلات وقتئذ. أما العمارنة فاندمجوا مع أحلافهم المنبات مدة من الزمن بالمناطق المجاورة لسجلماسة ثم غادروها إلى المناطق الواقعة إلى الشمال منها على الطريق المؤدية إلى مدينة فاس. وقد ذكر الوزان أنهم كانوا يستقرون في زمانه بالرتب ومدغرة ووصفهم بقوله "وهم نبلاء في غاية الشجاعة، لذلك اعتاد ملوك فاس أن يتخذوا كلهم تقريباً زوجاتهم من بنات هؤلاء الأعراب ويربطوا معهم وشائج القربى (*وصف افريقيا*، 1 : 45).

أما المنبات الذين سيطروا على سجلماسة في أواخر القرن السابع وأعلنوا تبعيتهم ليغمراسن بن زيان سلطان تلمسان فيعتبرون القوة الرئيسية فيما يسمى بالأحلاف من ذوي منصور. لعبوا دوراً مهماً في توجيه التجارة الصحراوية نحو عاصمة الزيانيين تلمسان في فترة صراعهم مع بني مرين، ثم لعبوا نفس الدور فيما بعد في ربط سجلماسة بالمدن المغربية الأخرى بعد أن استطاع المرينيون طرد الزيانيين من مدينة سجلماسة وفرضوا سيطرتهم عليها.

أشار ابن خلدون إلى أن الأحلاف بمن فيهم المنبات والعمارنة كانوا على خلاف دائم مع أولاد حسين لكن العصبية في حرب مَنْ سواهم (*العبر*، 6 : 89). ولهذا الكلام مغاز عديدة في تاريخ سجلماسة والمناطق المجاورة لها في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري الذي كان مسرحاً لمواجهات عنيفة بين الطرفين، فكان الأحلاف يؤازرون الأمير المريني عبد الحليم بن أبي علي عمر، وكان أولاد حسين يريدون خلعه وتولية أخيه عبد المؤمن. غير أن صراعهم مع أعدائهم كان يدفعهم إلى الاتحاد، وهو ما حدث في خلافهم مع المرينيين سنة 770 / 1369 حيث اجتمعت بطون ذوي منصور بسجلماسة وخلعت طاعة السلطان أبي فارس عبد العزيز والتجأ زعماؤها إلى أبي حمو موسى سلطان الزيانيين. قال يحيى ابن خلدون :"وفي هذه السنة ـ 770ـ وصل إلى بابه الكريم عرب المغرب كافة، أولاد حسين والعمارنةوالمنبات طرداء خوف ملكهم أبي فارس عبد العزيز متذممين بأمير المسلمين أيده الله فأجارهم وأكرم مثواهم وأكبر إقطاعاتهم (*بغية الرواد*، 2 : 228).

أما البطن الثالث والأخير من بطون ذوي منصور الذي هو أولاد أبي الحسين فلم يكن له تأثير كبير في مجريات الأحداث خلال فترة قوة بني عمومته. ويرجع السبب في ذلك إلى قلة جموعه واختياره الاستقرار بدل الترحال مباشرة بعد تحرك المجموعة المعقلية من مناطق الصحراء نحو الواحات الواقعة جنوب وشرق جبال الأطلس في القرن السابع الهجري. وقد ذكر ابن خلدون أن أولاد أبي الحسين عجزوا عن الظعن ونزلوا قصوراً اتخذوها بالقفر ما بين تافيلات وتيگورارين (*العبر*، 7 : 86).

وأخيراً فإن المجموعة الثالثة من بطون عرب المعقل المعروفة بذوي حسان التي تقع مجالاتها إلى الجنوب من مجالات ذوي منصور، من درعة إلى البحر المحيط، وينزل شيوخهم بلاد نول قاعدة السوس كانوا يستولون على السوس الأقصى وما إليه، وينتجعون كلهم في الرمال إلى مواطن الملثمين من گدالة ومسوفة ولمتونة (*العبر*، 6 : 77). وأهم بطون ذوي حسان البطن الذي يعرف بهذا الاسم والذي غلب اسمه على سواه، والشبانات والرقيطات ومنهم أيضاً الجياهنة وأولاد أبورية (*العبر*، 6 : 91). كان ذوي حسان على خلاف مع سلاطين بني مرين فانحازوا إلى بني يدّر في صراعهم مع المرينيين، ثم ناصروا الأمير المريني عمر المستقل بسجلماسة وأعانوه في القضاء على بني يدر لكنهم بعد ذلك خرجوا عن الطاعة وفرضوا الإتاوات بمجالاتهم.

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 6 و7، ط. بيروت، 1988 ؛ ي. ابن خلدون، *بغية الرواد*، ط. الجزائر، 1903 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ج. 1 تر. محمد حجي ومحمد الاخضر، الرباط، 1980 ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري* ؛ مصطفى أحمد أبو ضيف، *أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين*، الدار البيضاء، 1982.

G. Marçais, *Les Arabes en Berbérie du XIe au XIVe siècle*, Paris, 1913 ; La Chapelle, *Esquisse d'une histoire du Sahara occitental*, *H. T.* XI, 1930.

حسن الحافظي

بني مَكادَة، تجمُّعٌ سكاني قديم معروف خلال القرن التاسع الهجري بفحص طنجة، لا يزال محتلا المنحدرات الشرقية من كدية المرس جنوب طنجة بنحو ثمان كيلومترات، على الجانب الأيسر من الواد المعروف باسم المدشر، أحد روافد واد مگوگا. شكل التجمع إحدى نقط الخصوبة بفحص طنجة، بما كانت تمد به من المزروعات، لذلك امتد إليها نظر جنود القصر الصغير فأغاروا على القرية خلال نوفمبر 1463 مرتين متواليتين. وحينما عرج الفونس الخامس على الفحص في السنة الموالية كانت

خالية. واستمر المكان خالياً خلال الوجود البرتغالي بطنجة.

ونشأ على هذا التجمع القديم مدشر حديث معروف ببني مكادة الجديدة، اختارالسابقون إلى الاستقرار به موضعاً واقعاً في الشمال مقابلا لبني مكادة القديمة، يبعد عنها بنحو أربعة كيلومترات. وهو الداخل اليوم بطنجة، مما يلي الجنوب الشرقي.

Gomes Eanes de Azurara, *Cronica do D. Duarte de Meneses*, p. 334 - 336 ; Fernando de Meneses, *Historia de Tanger*, p. 77 - 114 - 138 ; Mascarenhas, *Historia de Ceuta*, p. 209.

حسن الفكيكي

بني مْكيلد، اسم يطلق جغرافيا على مجموعة من القبائل البربرية المقيمة في شمال غرب هضاب الأطلس المتوسط وأطرافه، حيث نمط معيشتها يعتمد على نصف الترحال أو الانتجاع.

من الصعب القيام بتعريف تاريخي ـ سلالي واضح لهذه التجمعات القبلية التي حدد عددها اصطلاحياً في أربع وحدات قبلية كبرى، توجد بالشمال الغربي لهضاب الأطلس المتوسط ومناطق اتصاله بالهضبة الوسطى الشرقية.

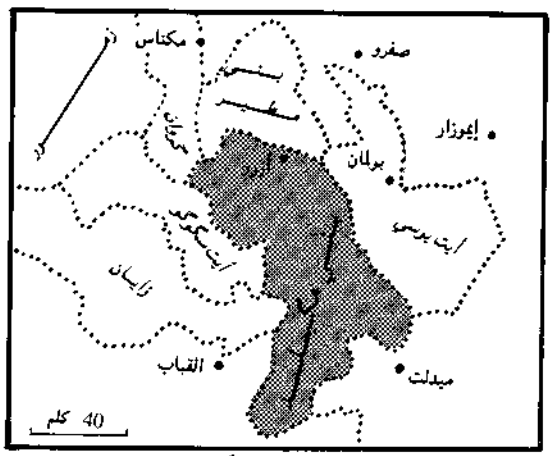

موقع بني مگيلد

هذه الوحدات الأربع هي : إرگْـلاون (وتتكون من 8 فخذات) وأيت عَـرفَـة (4 فخذات)، وأيت عبدي (6 فخذات)، وأيت سگوگو (4 فخذات). وتنتمي هذه المجموعات البشرية إلى السكان الصنهاجيين الذين توافدوا في حركة متواصلة منذ القرن التاسع (15 م) (على الأقل) من الأجزاء الشرقية للأطلس الكبير مارين عبر منخفض ملوية الأعلى في اتجاه الأطلس المتوسط والمنخفضات المحيطة به غرباً. وقد تواصلت حركة الهجرة هذه إلى غاية القرن التاسع عشر. ولا توجد المعلومات التاريخية الكافية حول تفاصيل هذه الحركة بل إن جل التقارير والكتابات الحديثة حول أصل السكان وظروف تنقلهم (انظر Beaudet، 1969، على سبيل المثال) هي نتاج لتركيب انبنى على الرواية الشفوية، أو على بعض المقارنات اللغوية والمادية. أما التوزيع الحالي لما يعرف ببني مگيلد الشماليين فهو حصيلة ما وصلت إليه حركية السكان إلى غاية أوائل القرن التاسع عشر و"تجمد" الوضع مع الاستعمار الفرنسي. ولا يجوز أن نغفل ارتباط القبائل الأربع إلى حدود حوض ملوية الأعلى، رغم جهلنا لحد الآن بالعلاقات القديمة بين كل هذه المكونات السكانية. وسنكتفي بعرض الجوانب الجغرافية لبني مگيلد بالمفهوم الاصطلاحي فقط.

العلاقات بين الانسان والبيئة إلى غاية وصول الاستعمار الفرنسي : إن أهم ما يميز هذا الجانب هو اعتماد قبائل "بني مگيلد" على نظام رعوي متنقل يسمى نصف الترحال كأداة لاستغلال الموارد المتوفرة في المجال المتاح لهم، وهي موارد موزعة بشكل متكامل زمنياً ومكانياً اعتباراً لخصوصيات البيئة المعنية. ذلك أن هذا المجال يمتد على قسمين مختلفين من حيث التضاريس والعناصر البيومناخية.

من جهة، الأطلس المتوسط الشمالي ـ الغربي : ويتعلق الأمر بالنصف الجنوبي لهضبة الحاجب وبالأخص هضبتي أزرو تيمحضيت، ويتراوح ارتفاعها ما بين 1330 م إلى 2000 م، مع وجود تضاريس أكثر بروزاً هي عبارة عن براكين خامدة (مثل جبل هبري، جبل هَبري، جبل الكدية...). ويشكل هذا الجزء ما يسمى محلياً "بأدرار" (الجبل)، الصخور الكلسية هي السائدة فيه. التساقطات هنا مرتفعة (تتجاوز 1000 م كمعدل سنوي في يفرن مثلا)، التشكيلات النباتية الغابوية متدرجة (البلوط الأخضر، الأرز، العرعر "توريفير") باستثناء الأحواض حيث السهوب التي تقدم مراعي غنية لقطعان الماشية. إلا أن العامل المحدد في هذا الجزء يتمثل أساساً في البرودة الشتوية الشديدة من جهة والتي تقترن بسقوط الثلوج، هذا يفسر صعوبة استعمال هذا الجزء خلال فصل الشتاء، وبداية الربيع من طرف مجموعات ذات عادات رعوية غير متكيفة.

ـ من جهة أخرى، نجد المنخفضات المحيطة بهذه الهضاب غرباً، وهي منخفضات جانبية تمثل مناطق الاتصال بين الأطلس المتوسط والهضبة الوسطى، وتسمى محلياً بأزغار وتتخللها أعراف خطية أپلاشية النمط. ويتميز أزَغَارْ بحرارته المعتدلة نسبياً في فصل الشتاء، وبتساقطات مهمة، رغماً عن تباين توزيعها حسب الأماكن، وعن كمياتها الأقل بالمقارنة مع الجزء الأول، وكذا حرارات صيفية جد مرتفعة.

وبناء على هذه الظروف المختلفة بين أدرار وأزغار، انبنى نظام استغلال الموارد، لذا فمجموعات "بني مگيلد" على التكامل الرعيزراعي بينهما. لذا نجد أن كل مجموعة كانت تتوفر على محاط يضم أراضي جماعية موزعة في كليهما، باستثناء قبيلة أيت عرفة التي كان محاطها في أزغار محدودا (ولربما يرجع ذلك إلى وصولها المتأخر إلى المنطقة). أما قبائل إرگْلاوْنْ (أزرو)، وأيت عبدي (جماعة عين اللوح) وأيت سگوگو (جماعة الحمام)، فلا زالت إلى اليوم تتوفر على هذا التوزيع المتكامل.

كان نظام الرعي المتبع يعتمد على نصف الترحال بمعناه

الدقيق، فكل العائلات تنتقل بقطعانها (وخاصة الأغنام) إلى الجبل من نهاية الربيع إلى بداية الخريف، وإلى أزغار من بداية الخريف إلى نهاية الربيع، ويوجد وصف دقيق لهذه الحركات الرعوية القديمة عند Beaudet (مجلة جغرافية المغرب، سنة 1969).

وهكذا، فإن هذا النظام الرعوي، المتميز بشكل خاصية فريدة في نماذج الترحال الموجودة عبر العالم. ذلك أن المجال الذي انتظمت فيه هذه الحركات الرعوية يتميز برطوبته الكبيرة (خاصة في الجزء الجبلي)، ويتوفر على إمكانيات فلاحية هائلة. ولعل سيادة النظام الرعوي قد ارتبطت بأسباب تاريخية (حركة الزحف المتواصل الذي جعل منها مراً كبيراً). وقد زاد في ذلك دور البرودة والثلوج المميزة لفصلي الشتاء والربيع، إذ لا يمكن الاستقرار دون حضور استراتيجيات ملائمة للتكيف معهما. لكن وجدت بعض الاستثناءات التي تتمثل في زوايا قديمة (زاوية يفرن، وبنصميم على سبيل المثال).

التطورات الحديثة وسط بني مگيلد : كان لدخول الفرنسيين إلى المنطقة ثلاث نتائج أساسية أدت إلى تغيير عميق في نمط استعمال الموارد لدى بني مگيلد داخل مجالها :

1) تجميد حركة الزحف السكاني، وقيام خريطة مستقرة لتوزيع القبائل داخل حدود ثابتة.

2) تحديد الأراضي الجماعية لكل قبيلة، بعدما تم اعتبار كل المجالات الغابوية جزءاً من الأراضي المخزنية، وتقنين ولوجها واستعمالها.

3) انتشار التعمير الفلاحي الفرنسي في الأراضي المنخفضة (أزغار)، وهذه العملية أدت إلى اقتلاع الأشجار من حوالي 10.000 هكتار بشكل متفرق، خاصة حول أزرو وفي سهل تيگزيگزا.

وقد أدى هذا التغيير إلى الحد من أشكال التنقلات الرعوية القديمة، نظراً للعراقيل التي أحدثها، وإلى الإخلال الذي أدخله على التكامل التقليدي بين أزغار وأدرار، فترتب عن كل هذا نزوع إلى الاستقرار، وضغط متزايد على الأرض (خاصة مع التزايد الديمغرافي السريع)، وقيام الأنشطة الزراعية كعنصر جديد وحاسم في الاقتصاد المتبع. ويمكن أن نميز حالياً بين ثلاثة أوضاع مختلفة داخل مجال بني مگيلد :

أ ـ أيت عرفة گيگو : انفصلت روابط هذه القبيلة تماماً عن أزغار، وتحدد مجالها في هضبة تيمَحْضيتْ، بين جبل هبري ـ ميشليفن شمالا إلى حدود أگلمانَ سيدي علي جنوباً. وهكذا، ظهر هنا اقتصاد جبلي صرف، انبنى على الاستعمال الرعوي المتواصل للمراعي المتوفرة، بعدما أمكن مقاومة البرد المفرط وأخطار الثلوج بإقامة اصطبلات متكيفة. لكن أهم تطور هو استقرار المجموعات الأربع المكونة لأيت عرفة، على طول نهر گيگو، وإقامة قرى متجمعة، وتبني الزراعة على نطاق واسع، بعدما تم عدن الأراضي، والتحكم في مياه النهر، وادخال السقي بتقاليده الملائمة (كإقامة شبكة من السواقي، ووضع دورة للسقي تمتد على 33 يوماً، الخ...)

ب ـ نظام إركلاون : باستثناء الأراضي التي استحوذ عليها الاستعمار الفلاحي، فإن المجموعات البشرية المكونة لهاته القبيلة قد حافظت على امكانية الولوج إلى الموارد المتكاملة الموجودة في كل من أدرار وأزغار. وعلى العموم، فقد تم الاستقرار بأزغار نهائياً، وأصبحت الزراعة تمثل عنصراً أساسياً وأحياناً كثيفاً (يدل على ذلك، مثلا، انتشار السقي وتبني منتجات تسويقية كشجر التفاح). أما حركة نصف الترحال، فقد توقفت في شكلها القديم، وتم تعويضها بحركات الانتجاع، ويقوم به الراعي، دون باقي أفراد الأسرة. كما أصبح الارتعاء في الجبل متواصلا، وخاصة في فصل الخريف والشتاء (عكس ما كان في الماضي)، نظراً لانتشار الفلاحة في الأسافل.

ج ـ تطور قبيلتي أيت عبدي وأيت سگوگو : نظراً لبنيتهما الداخلة المعقدة، فإن هاتين المجموعتين قد عرفتا تغييرات تتأرجح ما بين نموذج أيت عرفة ونموذج إركلاون. ذلك أن أيت عبدي وأيت سگوگو يشكلان اتحاديات قبلية حقيقية، لذلك نجد أن بعض أجزائها قد استوطن في الأعالي (مثلا حول بكريت) وأقام نظاماً رعيزراعياً جبلياً، في حين يعرف الباقي تطوراً شبيهاً لما حدث بإركلاون، مع تقلص حدة الزراعة وبالأخص كثافتها.

خاتمة : إن دراسة تطور التعامل بين الإنسان والبيئة يوجب إثارة ملاحظتين أساسيتين :

1) تغيير استعمال الموارد من نمط رعوي صرف إلى نمط رعيزراعي، وخاصة في الجبل، وهو أمر يفند التفاسير الحتمية حول حدود الفلاحة بهذا المجال.

2) الإخلال بالتكامل العمودي بين أزغار وأدرار أدى إلى تزايد الضغط الحيواني على هذا الأخير وظهور بوادر تدهور بيئي حقيقي، وهو أمر استوجب الاعتناء به (يوجد منذ خمس سنوات مشروع رعوي ـ زراعي كبير بهدف إعداد هذا المجال ومقاومة مظاهر تدهوره، هو مشروع الأطلس المتوسط الغربي).

G. Beaudet, *Les Beni Mguild du Nord*, 1969 ; W. Boyle, *Contract and kinship : The economic organization of the Beni Mguild Berbers of Morocco*, Ph. D, University of California, Los Angeles.

عبد اللطيف بنشريفة

** لا نعرف بالضبط تاريخ دخول قبيلة بني مْگيلد إلى الأطلس المتوسط واستقرارها في مجالها الحالي. فقد وردت الإشارة إلى أيت بوگمان إحدى فرق بني مگيلد في القرن السادس الهجري (12 م) في كتاب *المقتبس* من كتاب الأنساب. وكانت تشكل في هذه الفترة فرقة من بني صطاط أحد أفخاذ صنهاجة الظل. (*المقتبس*، 56. 57). وعندما خرج عبد المومن الموحدي من تنمل لغزو صنهاجة القبلة، ذكر البيذق الذي رافقه في هذه الرحلة أن "الخليفة" عرج أثناء رجوعه من غريس على قبيلة سلام بن حمامة

التي تشكل الآن فرقة من إخْلُوَن تحتْ اسم أيت حمامة (*أخبار المهدي*، 51) ولا نستطيع وضع اليد على جميع فصائل هذه الاتحادية وتحديد مواقع فرقها في الفترة السابقة للقرن السادس الهجري، إلا أنه يظهر من خلال السياق العام لتاريخ القبائل الصنهاجية أن قدوم هذه القبيلة إلى منطقة واحات الجنوب الشرقي قد تم في مرحلة متأخرة، وواكب هجرة قبائل أيت إدْراسَنْ التي خرجت من الصحراء الغربية في اتجاه الشمال الشرقي مع بداية قيام الحركة المرابطية. (*آثار التدخل الأجنبي*، 8). وقد استقرت مع القبائل المذكورة في أعالي زيز وغريس فترة من الزمن إلى أن اضطرت في أوائل القرن الحادي عشر (17 م)، تحت ضغوط طبيعية (الجفاف) واقتصادية وبشرية، إلى استئناف الهجرة في الشمال.

عندما ترجم صاحب *الإحيا والانتعاش* لمحمد بن أبي بكر العياشي (981 / 1067) أورد حكاية تتعلق بكرامات ومناقب هذا الرجل، تفيد أن بني مگيلد زمن هذا الشيخ بدؤوا في التسلل إلى جبال فازاز (الأطلس المتوسط) والتحرك في اتجاه ملوية، (*الإحيا*، 18). وعندما ترجم صاحب *مباحث الأنوار* (ص. 309)، لجده ذكر أن قريتهم في ملوية كانت لا تسلم من قبائل الجنوب التي "عادتها حرفة الحرابة ولا سيما في أوقات الغلاء".

اتبعت هذه القبيلة نفس الخط الذي سلكه بنو مطير في رحلتهم نحو الشمال، فقد ذكر كدنفيلد نقلا عن رولفز أن بني مطير كانوا يحتلون في السابق نفس المجال الذي كان بنو مگيلد ينتشرون فوقه وقت مروره بالأطلس المتوسط سنة 1864 (*Divis. et Répart.*, 43).

لا نعرف شيئاً عن علاقة بني مگيلد بالسلطة المركزية في العصور السابقة للدلائيين بسبب قلة المعلومات التي وصلتنا عنهم في الفترة المذكورة، إلا أنه بعد هذا التاريخ، نعثر في المصادر على أخبار كثيرة تتعلق باتحادية أيت أُمالو التي كان المگيلديون يشكلون فرعاً مهماً منها، ففي إمارة الدلائيين، صارت هذه القبيلة، كغيرها من برابرة ملوية، تساند هذه الزاوية وتعتقد كثيراً في رجالاتها ولا تتجاوز رأيهم وأوامرهم (*نزهة الحادي*، 278). وطيلة العصر العلوي الأول، وردت في الحوليات التاريخية أخبار كثيرة عن انتفاضة بني مگيلد واتحادها مع قبائل أيت أُمالو ضد اتحادية أيت إدراسن التي أصبحت منذ عهد السلطان المولى إسماعيل تشكل شيعة الدولة وحميتها، وتقف باستمرار في وجه هذا القبيل تصد تحركاته التي كانت ترمي إلى التسلل نحو الهضاب والسهول الخصبة الموالية لجبال الأطلس المتوسط من جهتيه الشمالية والغربية. وقد خاض بنو مگيلد معارك عديدة ضد محلات المخزن وشيعتهم أيت إدراسن منذ العهد الإسماعيلي، وانتصروا عليهم في معركة زيان الشهيرة 1234 / 1818 (*الاستقصا*، 8 : 136)، ومنذ ذلك التاريخ، خرج بنو مگيلد عن سلطة المخزن ، ولم تنلهم الأحكام السلطانية منذ وقعتهم الشنعاء مع السلطان العادل مولاي سليمان عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف على حد تعبير ابن زيدان في *الإتحاف*، في سياق حديثه عن الحركات التي وجهها مولاي الحسن لتطويع عموم سكان الأطلس المتوسط (*الاتحاف*، 2 : 249)، إلا أنه بعد تولية هذا الأخير، اضطر بنو مگيلد إلى الخضوع من جديد لسلطة الدولة بعد حركة عام 1291/ 1874 (*الاستقصا*، 9 : 136)، وقد عثرنا في الوثائق المخزنية على عدد من العمال المعينين من قبل الدولة على بني مگيلد، كما وقفنا أيضاً على قوائم حسابية تتعلق بعدد الجبايات التي كان المخزن يأخذها من القبيلة في العهد الحسني.

لا نتوفر سوى على معطيات متأخرة تتعلق بحياة بني مگيلد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، بسبب تخوف الرحالين الأوربيين من التوغل بعيداً في بلادهم، وتمرد القبيلة طيلة تاريخها على السلطة. فقد ذكر كدنفلت نقلا عن رولفز أيضاً أن القوة الحربية لبني مگيلد وقت مروره بالأطلس المتوسط كانت تقدر بـ 2.000 رجل مسلح (*Divis. et Rép. art.*, 49). وفي تقرير متأخر أنجزه أحد الضباط الفرنسيين سنة 1919 عن الحالة السياسية والاجتماعية في نواحي مكناس، نعثر على معلومات هامة تتعلق بحياة هذه القبيلة، فقد كان عدد خيامها في ذلك التاريخ، يقدر بـ 9.000 خيمة تضم حوالي 35.500 نسمة (*Monographie*, 31). وكانت حسب نفس المرجع تنقسم إلى ثلاثة أفخاذ كبرى تشتمل على عدد من الفرق موزعة كما يلي :

أيت إخلون : عدد خيامها 2.000، تضم أيت بويوشو وأيت حمامة، وأيت عبدي : عدد خيامها 3.000، تنقسم إلى خمسة أقسام هي : أيت واحدي، أيت مغوال، أيت محمد أُلحسن علالي، وأيت أُمناصف : عدد خيامها 4.000، تنقسم إلى أيت ودير، وأيت مسعود، وأيت بوگمان وأيت كبلي (*Monographie*, 32).

كان بنو مگيلد يعيشون أساساً على الرعي وتربية الماشية، ويتحكمون في طريقين تجاريين هامين يربط الأول مكناس بتافيلالت عبر الحاجب وأزرو، ويصل الثاني فاس بتافيلالت عبر الأطلس المتوسط أيضاً، وكانت خفارة الطريق تدر عليهم مبالغ هامة من المال. فقد أشار كدنفلت نقلا عن الرحالة رولفز، أن بني مگيلد، بعد سيطرتهم على ممرات الأطلس المتوسط، صاروا يطالبون التجار بأداء مكوس للمرور بسعر ثمانين فرنكاً لكل دابة ويأخذون منهم رسوماً أخرى، لذلك اضطر التجار إلى التخلي عن الطريق المعتاد الذي كان يربط فاس وتافيلالت عبر الأطلس المتوسط، ويفضلون عوضاً عن ذلك تحمل مشقة الدوران حول الأطلس الكبير من الجنوب.

كان بنو مگيلد في العهد الحفيظي، حسب إشارة إحدى الوثائق، مقسمين إلى ثلاث قيادات على رأسها كل من محمد وعمار المگيلدي، وقصّو أُزروال المگيلدي، وحمّ الفصكاوي المگيلدي. وهي تقسيمات إدارية تنسجم مع التقسيم المرفلوجي للقبيلة، المشار إليه آنفاً.

أ. البيذق، *أخبار المهدي بن تومرت ؛ المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الاصحاب* ؛ ع. العياشي، *الإحيا والانتعاش*، مصور خ. ع. بالرباط، رقم 1433 د ؛ أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 8 و9 ؛ ع. ابن زيدون، *اتحاف اعلام فاس*، 2، 24 ؛ ع. اگنينج، *آثار التدخل الأجنبي في المغرب على علاقات المخزن بقبيلة بني مطير*، 1873 - 1912، د. د. ع. 1984.

M. Quédenfelt, *Division et répartition de la population berbère au Maroc*, Alger, 1904 ; Abès (Commandant), *Monographie d'une tribu Berbère, les Aït N'dhir, A. B.*, Fasc., 1 et 2, 1915 - 1917 ; Arnaud (Commandant), *Monographie de la région de Meknès*, *B. S. G. M.*, N° 2, 1916.

العربي اكنينج

بني ملال، رابع قبيلة كان يتألف منها گيش (جيش) أيت الربع إلى جانب بني معدان وسَمْگت وگْنطاية. وقد كان هذا الگيش مكلفاً بحراسة تنقلات سكان الجبال المشرفة على تادلا ومراقبة أمن السابلة وضبط الأمن في الطرق التي تعبرها. وكان ذلك منذ القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 و19 م) على أقل تقدير.

والقبيلة المذكورة فرع من بني جابر المنتسبين إلى بني جشم أحد البطون الكبرى لعرب بني هلال الوافدين إلى المغرب في عهد السلطان يعقوب المنصور الموحدي والمستقرين "ببلاد تامسنا بين سلا ومراكش" ابتداء من القرن السادس (12 م). وهي بذلك قبيلة عربية الأصل تتصل في النسب مع قبائل بني موسى وبني عمير وبني معدان وبني مسكين كما يبين الرسم التوضيحي المرفق. وقد انضافت إليها على مر القرون عناصر أخرى من سكان المغرب الأصليين وفدوا عليها إما من الجوار القريب أو من الآفاق البعيدة. لذلك فإن الساكنة الملالية تتكون من عناصر عربية أصيلة ومستعربة وأمازيغية لكن الجذع العربي هو الغالب عليها، إلى درجة أن السواد الأعظم من سكانها الحاليين يتكلمون كلهم بالعربية ولا يحسن الأمازيغية منهم إلا القليل.

تنقسم قبيلة بني ملال إلى قسمين :

- أهل القبيلة ويتكونون من ثلاث فرق كبيرة هي أولاد سالم وأولاد سعيد وأولاد گناو، كل فرقة تحتضن عدداً من الفخذ تندرج ضمنها بدورها مجموعة من العظام.

- أهل الصومعة ويتألفون من ثلاث عشائر رئيسية تضم كل عشيرة منها مجموعة من الأسر الكبرى تتفرع عنها أسر صغرى. ويعتبر أهل الصومعة أنفسهم حفدة للمرابط أحمد بن قاسم الصومعي دفين الصومعة وأحد تلاميذ الشيخ سعيد أمسناو مؤسس زاوية الصومعية. وقد انضافت إليهم عناصر أخرى من غير حفدة هذا الولي على مر القرون، إلا أنهم كانوا يحرصون أشد الحرص، إلى أمد غير بعيد على ضبط أنسابهم، كما كانوا يفضلون الانعزال عن قبيلة بني ملال على الرغم من أنهم يشاركونها نفس المجال الجغرافي.

وقد ظل تاريخ القبيلة لعدة قرون مندمجاً ضمن تاريخ تادلا إذ لم تكن كتب التاريخ تتحدث قبل القرن الثالث عشر (19 م) إلا عن بني جابر الجذع القبلي الأكبر الذي تفرعت عنه هذه القبيلة. لكن اسم قبيلة بني ملال أصبح ابتداء من مطلع هذا القرن يرد في المراسلات المخزنية وفي بعض الوثائق الخاصة والكتب المؤلفة إما داخل المنطقة أو خارجها. لذلك غدت قبيلة بني ملال متميزة عن غيرها من القبائل. وكان السلاطين يعينون عليها القواد ويكلفونهم بالسهر على الأمن والهدوء فيها وإجراء الأحكام السلطانية بالتنسيق مع قائد گيش أيت الربع المقيم بقصبة تادلا ونقيب الشرفاء العلويين المقيم بالقصبة الزيدانية. وفي منتصف القرن الثالث عشر (19 م) كانت القبيلة كلها موكولة إلى نظر قائد واحد، لكن المخزن قسمها سنة 1870 إلى ثلاث قيادات هي قيادة أولاد سالم وقيادة أولاد سعيد وقيادة أولاد گناو، وبعد مرور ثلاث عشرة سنة من التاريخ المذكور جعلها ستة بعد تمرد سنة 1883 الذي شاركت فيه قبيلة بني ملال إلى جانب قبائل گيش أيت الربع الثلاث الأخرى. وابتداءً من سنة 1891 أمر المخزن بتقسيم القبيلة إلى ثمان قيادات، وكان هذا العدد هو نفسه الذي وجده الفرنسيون حينما حطوا الرحال بأرض القبيلة لأول مرة سنة 1916.

هذا وقد تأسس في مجال هذه القبيلة مركز حضري يضرب بجذوره في أعماق التاريخ، هذا المركز الذي نما وتطور عبر القرون حتى أصبح هو مدينة بني ملال الحالية.

لقد استقر الإنسان الأمازيغي في دير بني ملال منذ عهود تاريخية سحيقة بسبب غناه وتنوع موارد العيش فيه. وعندما وصل الأدارسة إلى تادلا وجدوا فيها عدة تجمعات بشرية كانت من بينها داي وفشتالة وتاگزيرت. وقد أشار الحميري إلى أن داي كانت قبل تأسيس دولة الأدارسة من أكبر مدن تادلا وأضخم مراكزها الفلاحية والتجارية، كما أكد صاحب *التشوف* أنها كانت هي قاعدة تادلا في عهد الأدارسة. وفي عهد المرابطين تعرضت هذه المدينة للنقمة فحاصرها هؤلاء وخربوها وشتتوا سكانها بسبب إيوائهم ومساندتهم للأمير لاغوط المغراوي بعد فراره من عاصمته أغمات التي استولى عليها المرابطون. لكن هؤلاء عوضوها بعد حين بحصن داي الذي بنوه غير بعيد عنها ليحل محلها وأقاموا بجواره مسجدا وصومعة. ومع توالي السنين استعادت المدينة بعض سابق أمجادها وقصدها المهاجرون من داخل تادلا وخارجها فتكاثر سكانها. وما أن حل عهد السعديين حتى أصبحت داي / الصومعة هي الحاضرة الرئيسية في تادلا. فقد اتخذها الأمير زيدان بن أحمد المنصور الذهبي، لما ولاه والده على تادلا، مقراً لإمارته بضع سنوات في انتظار بناء مقر إقامته الجديد في القصبة الزيدانية التي انتقل إليها فيما بعد. ورغم هذا الانتقال استمرت الصومعة محتفظة بأهميتها الدينية والعلمية كما كانت القصبة الزيدانية تحتفظ بدور الإشراف السياسي والتسيير الإداري. وكان لشيخ زاويتها أحمد الصومعي عدة لقاءات وجلسات دينية وعلمية مع الأمير السعدي

احتفظت الرواية التاريخية ببعض منها.

وفي سنة 1688 أمر السلطان المولى إسماعيل بإضافة جزء جديد إلى الصومعة. كان هذا الجزء هو القصبة الكوشية التي بادر السلطان المذكور إلى تعميرها ووضع خمسمائة فارس فيها إلى جوار قصبة تادلا التي كانت تحتضن ضعف هذا العدد من الفرسان. وكان الهدف أن يتم التعاون بين القصبتين من أجل الحفاظ على الأمن والاستقرار في ربوع تادلا. وعندما زار دوفوكو تادلا سنة 1883 وجد فيها نواتين حضريتين منفصلتين عن بعضهما : الصومعة والقصبة الكوشية. إلا أن اسم القصبة الكوشية بدأ يتوارى مع مطلع القرن العشرين إلى أن اختفى تدريجيا من التداول وحل محله اسم جديد هو قصبة بني ملال، كما تشهد بذلك مراسلات قوات الاستعمار الفرنسي حين احتلت المدينة فوجدتها عبارة عن قصبة تحيط بها الأسوار من كل جهة وتخترقها الأبواب، هذه الأبواب التي ظلت قائمة إلى أن أسقطها الفرنسيون سنة 1934 لتوسيع المدينة.

كانت الدوائر الاستعمارية الفرنسية تخطط لاحتلال قبيلة بني ملال وقصبتها منذ أن احتلت قصبة تادلا سنة 1913 لعلمها بأن تكسير مقاومة سكان جبال الأطلس لن يتأتّى دون السيطرة عليها. إلا أن التهييئ لذلك تطلب أكثر من ثلاث سنوات كاملة لوضع التجهيزات الضرورية لعملية الاحتلال، فهيأت المسالك ومدت الجسور وأجرت الاتصالات مع قواد گيش أيت الربع وتأكدت من مساندتهم وجمعت الأخبار وبثت المخبرين والعملاء في كل مكان وراقبت أصحاب النفوذ وذوي الحيثيات الدينية والدنيوية وخاصة منهم علي إمْهواش ومحمد أوسعيد البراوي والحسن أوقمّا السخماني والتيجاني الملالي.

وما أن حلت سنة 1916 حتى أصبحت كل الظروف مواتية للاحتلال، فصدرت الأوامر للقوات الفرنسية باكتساح تراب القبيلة ووضع حد لمقاومة المتشددين من فخذها، فاكتسحت أولاد عياد ثم أولاد مبارك فأولاد موسى، واقتحمت قصبة بني ملال ورفعت العلم الفرنسي فوقها وعسكرت بجنودها في ضواحيها. وابتداء من سنة 1919 شرعت في تعيين أعضاء أول جماعة محلية موالية لها في القبيلة، كما بادرت إلى اقتطاع الأراضي من ملكيات أصحابها لتفويتها للمعمرين، وأسست دائرة بني ملال التي وكل إليها أمر الإشراف على مناطق واسعة في السهل والدير والجبل.

وقد قاوم الملاليون قوات الاحتلال بما توفر لهم من إمكانات رغم تفوقها عليهم رجالا وعتاداً. وتذكر الوثائق والمستندات الفرنسية نفسها أن المقاومة المسلحة الملالية للاستعمار كانت عبر ثلاث مراحل :

فقبل الاحتلال شارك الملاليون سائر إخوانهم المقاومين التادليين في الدفاع عن وادزم والحيلولة دون احتلالها سنة 1912. كما وضعوا يدهم في يد جيرانهم البراويين والسخمانيين والعطاويين لعرقلة احتلال قصبة تادلا سنة 1913. وعندما عزمت قوات الاحتلال على تجاوز واد درنة سنة 1915 للتوجه نحو بني ملال لاحتلالها شكل الملاليون مع جيرانهم العرب والأمازيغيين جبهة موحدة لمنعها من ذلك.

ولما شرعت القوات الفرنسية في احتلال بني ملال سنة 1916 استعان الملاليون من جديد بجيرانهم وأبلوا البلاء الحسن في المقاومة وتكبدوا عدة خسائر وعانوا من كل أشكال الحصار في مرحلة أولى. وفي مرحلة ثانية، لما عجزوا عن مواجهة المحتلين في عين المكان، غادروا ديارهم وأراضيهم والتحقوا بالجبال المجاورة، ومنها أججوا المقاومة في عدة جبهات كما تشهد بذلك التقارير العسكرية الاستعمارية السرية نفسها.

ولم يستسلم سكان بني ملال للاستعمار بعد الاحتلال فقاموا بالتنسيق المستمر مع سكان الجبال المجاورة وهاجموا الفرنسيين في عدة واجهات محاولين طردهم من القصبة وضواحيها. وكانت بعض هجوماتهم عنيفة ومرعبة مما أجبر القوات الفرنسية إلى اللجوء إلى المدفعية الثقيلة وسلاح الطيران وفرسان الگوم ومع المقاتلين في گيش أيت الربع بقيادة باشا قصبة تادلا قائد هذا الگيش لوقف زحفهم. ومع ذلك لم تتوقف هجوماتهم بل كانت تتكرر كل سنة تقريباً. وكان آخر هجوم عنيف شنه المقاومون الملاليون على قوات الاحتلال هو هجوم سنة 1921 الذي أطره وساهم في تنظيمه وتنفيذه كل من القائد محمد أُسعيد البراوي والحسين أُمّگا السخماني وكشوم المازغي. وابتداء من سنة 1922 كان علي إمْهواش ومحمد أُحمو الزاياني قد توفيا، أما محمد أُسعيدَ البراوي فقد هرم وأصبح بدون مأوى يأويه ففقدت الجبال زعماءها الكبار ورضخت بني ملال للإرادة الاستعمارية وفتحت لمشاريع الاستغلال الفلاحي واستعملت كأكبر قاعدة عسكرية للتوغل في المرتفعات الجبلية المجاورة.

م. الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1975 ؛ ي. التادلي، *التشوف*، الرباط، 1984 ؛ الحسن الوزان، *وصف افريقيا*، الرباط 1982 ؛ أحمد بن أبي قاسم الصومعي، *السُمزى*، مخطوط خ. ح. رقم 517 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. بن زيدان، *إتحاف* ؛ أحمد ابن قاسم الزاياني، *تاريخ خنيفرة*، مخطوط خ. ح. رقم 102.37 ز ؛ محمد بن البشير بوسلام، *تاريخ قبيلة بني ملال*، الرباط 1991.

R. Peyronnet, *Tadla, moyen Atlas, pays Zaïan*, Alger, 1923 ; *Histoire du Tadla des origines à 1910*, Alger 1924 ; S. Guenoun, *La montagne berbère, les Aït Oumalou et le pays Zaïan*, Rabat 1933 ; A. Quillaume, *Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas central*, Paris 1946 ; A. Savine, *Le Maroc il y a cent ans*, Paris s.d. ; P. Vallerie, *La pénétration militaire au Maroc*, Paris 1934 ; Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc 1883* -

محمد بوسلام

** ومن الناحية الجغرافية نجد مدينة بني ملال تقع عند نهاية الأطلس المتوسط الغربي (ارتفاع 580 م) بالدير المحاذي لسهول تادلا. وإذا رجعنا إلى الواقع الجغرافي لمدينة بني ملال فنجده قد سار عبر مرحلتين أساسيتن :

. مرحلة ما قبل الحماية حيث استفاد المجال الملالي من وجوده بأهم طريق تجارية بالمغرب في تلك الفترة (طريق

السلطان) التي تربط بين مراكش وفاس الشيء الذي فسر ظهور عدة قصبات وقلع لحماية الطريق التجارية (قصبة تادلا) ومن بينها بني ملال (قصبة بلكوش التي تعرف اليوم بحي لَمْدينَة).

كما استفاد مجال المدينة من وجود زاوية أحمد بن قاسم الصومعي التي وصل نفوذها إلى السراغنة والشاوية من جهة، ومن موقعها عند التقاء السهل بالجبل حيث كانت قبائل تادلا تملك رساتيق تتكون من أجزاء سهلية رعوية وأجزاء بالدير وأجزاء بالجبل، ويصعب في هذه الفترة ضبط التيارات الهجرية وتكميمها.

- مرحلة الحماية وعهد الاستقلال : نظراً لما عرفه المغرب من تغيير للبنى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية استجاب المجال الجغرافي لهذه المتغيرات الجديدة وخاصة منها بناء القصبة الزيدانية وسد بين الويدان بالمنطقة مما سمح بسقي ما يقارب 20.000 هكتار ببني عمير وبني موسى. وحيث إن هذه الأراضي انتُزعت من القبائل من طرف المعمرين الأجانب وجهزت بتقنيات السقي، فإن ذلك فسر ارتفاع تيارات الهجرة من المنطقة نحو المدينة إضافة إلى وصول مهاجرين آخرين من أراض لم تسق مثل سهل السراغنة وأرياف سوس والجبال المجاورة والشاوية..

وفي هذا الإطار تعدت مساحة المدينة عشرين كلم^2 وانتقل عدد سكانها من 4.500 نسمة سنة 1920 إلى 10.471 نسمة سنة 1936، ثم 15.968 نسمة سنة 1952 ليرتفع إلى 28.933 سنة 1960، ثم إلى 53.826 نسمة سنة 1971، ليبلغ سنة 1982 : 95.003 نسمة، ويناهز اليوم 120.000 نسمة.

وإذا أضفنا إلى ذلك تحول مركز الثقل المجالي نحو الطريق الساحلية يمكن الحكم بأن بني ملال منفصلة عن مجالها الريفي الذي يخضع لتخطيط منذ أزيد من ستين سنة ؛ في حين نجد مجال المدينة يتوسع بدون تخطيط إلى حدود 1978 وهي سنة ظهور أول تصميم مديري للمدينة. إلا أن هاته لم تستفد من أدنى إرشاداته.

ونظراً لغنى المنطقة الفلاحي رشحت المخططات الوطنية والجهوية بني ملال لتلعب وظيفة التنمية الجهوي، إلا أنها رغم ذلك لا تتوفر إلا على عدد هزيل من الوحدات الصناعية.

- صناعة السكر : تتوفر بني ملال على معمل واحد من الثلاثة الموجودة بالمنطقة. شرع معمل سكر بني ملال في العمل سنة 1969 وينتج اليوم 44.555 طن من السكر سنوياً. ويشغل مساحة 100 هكتار، ويُشغل 269 عاملا يعملون بشكل دائم، و200 يعلمون بشكل موسمي ومؤقت.

- الصناعات الأخرى : تضم ثلاثة معامل للزيتون (استخراج الزيوت والتصبير، مطحنة كبرى، مبرد كبير للخضر والفواكه، معمل للتلفيف (تلفيف الفواكه والخضر). معمل لإنتاج مواد الماشية الغذائية، معمل لحلج القطن، معمل للدباغة ومقاولة للنجارة، وتُشغل هذه الوحدات كلها 244 عاملا دائماً.

بالإضافة إلى ذلك تتوفر المدينة على بنية إدارية هامة، إذ أنها مقر عمالة إقليم بني ملال، كما تتوفر على مندوبيات إقليمية لوزارة البريد ووزارة السكنى ووزارة النقل والطاقة والمعادن، ووحدة إقليمية لبنك المغرب وكليتين (كلية الآداب التي يدرس بها حالياً 3.600 طالب، وكلية العلوم والتقنيات التي ستفتح أبوابها قريباً.

إلا أن هذه الوحدات وهذه التجهيزات مازالت دون مستوى عدد النشيطين القادرين على العمل (450 نشيط يمتهنون مهناً غير قارة أي باعة متجولون...)

بالإضافة إلى ذلك فإن بني ملال - مدينة المياه الأرتوازية - تعاني من مشكل تدبيرها حيث تتعرض البيئة الحضرية لتلوث خطير مما سبب عدة أمراض سيما وأن السواقي عارية وتشكل مكاناً لرمي الفضلات. كما أن مشكل التوسع الفوضوي للبنايات يؤدي إلى اجتثاث شجر الزيتون وباقي الأشجار الأخرى.

إن التوسع السريع للمجال في إطار الانفصال عن المجال الريفي جعل المدينة القديمة تتدهور، إضافة إلى ظهور الأحياء الصفيحية (حي للاعائشة) منذ 1970. ونظراً لوجود المدينة بين الجبل من جهة والأراضي المسقية من جهة ثانية فإن تصميمها واتجاه توسعها يتخذ شكلا طولياً حيث تتوسع البنايات على طول طريق فاس وقصبة تادلا (حي الهدى) أو على طريق مراكش (الحي الإداري). أما النواة الأولى التي يشكلها حي الصومعة مقر ضريح أحمد بن قاسم الصومعي فإنها معزولة في الزاوية الجنوبية الشرقية من المدينة.

وإذا حاولنا تنميط المجال الحضري الملالي حسب درجة التجهيز ونوع البناء والمستوى المهني للسكان نجده ينقسم إلى ثلاث بنيات كبرى :

- بنية شبه متطورة وتوجد بجنوب غرب المدينة وتضم خمسة أحياء.
- بنية مركبة وتتركز شرق المدينة وبالضبط في شمالها الشرقي وجنوبها الغربي وتتكون من خمسة أحياء سكنية.
- بنية ضعيفة أساسها سكن الصفيح أو المختلط وتضم ستة أحياء بالشمال الغربي والجنوب الغربي للمدينة، وشرق المدينة.

ع. أبو العز، *الجهاد الحضري بتادلة : بني ملال قطب غير مكتمل*، أطروحة السلك الثالث، السنة الجامعية 1989 - 1990.

F. Couvreur-Laraichi, *Beni Mellal : une ville moyenne marocaine*, thèse du 3ème cycle, Strasbourg, 1973 ; *Emergence de la province de Beni Mellal en tant que futur pôle de développement*, Délégation pour la région économique du centre, Casablanca, 1985 ; *Schéma directeur de la ville de Beni Mellal*, Document de synthèse, Office Allemand de la coopération technique, S.A.R.L. Planco consulting, G.M.B.H. Essen - Hambourg - London, 1978.

** ينتمي إقليم بني ملال إلى الجهة الاقتصادية الوسطى، يحده شمالا إقليم خنيفرة، وشرقاً إقليما الرشيدية وأزيلال، وجنوباً إقليم قلعة السراغنة، وغرباً إقليم خريبكة، وفي الجنوب الغربي إقليم سطات.

تبلغ مساحته 7.075 كلم مربع، ويرتفع عن سطح البحر بمعدل 570 متر، ويتكون من الناحية الإدارية من بلدية بني ملال، وباشوية قصبة تادلا، وخمس دوائر، وواحد وثلاثين جماعة قروية.

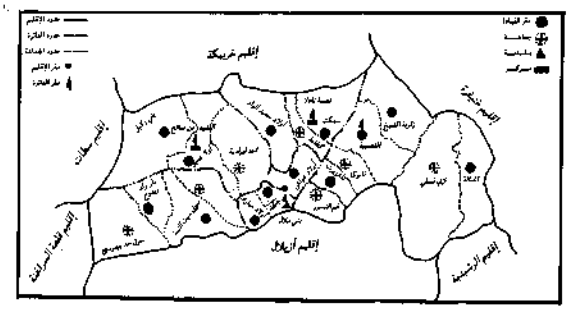

إقليم بني ملال

وهكذا احتفظ التقسيم الجديد (1992) بنفس الدوائر، وحذف أسماء ثلاث جماعات تجزأت هي نفسها إلى عدة جماعات (بني عمير، زاوية الشيخ، سبت أولاد النمة)، وأضاف جماعة اقتطعها من إقليم أزيلال (فمّ أودي)، وأضاف أيضا ثلاث عشرة جماعة أخرى استمدت أسماءها من فخذات أو دواوير سابقة.

يبلغ مجموع سكان إقليم بني ملال 873.000 نسمة فيهم 374.000 حضريون والباقي ريفيون يتوزعون بكثافة تصل إلى 123.4 نسمة في الكلوميتر المربع.

ويعتبر مناخ الإقليم من النوع القاري الشبه جاف إذ لا تتعدى الأمطار 375 ملمتر في السنة، مع العلم أن معدل الحرارة القصوى يبلغ 43.3° مائوية ؛ في حين لا يتعدى معدل الحرارة الدنيا 16.1° مائوية.

من الناحية التضاريسية يتكون إقليم بني ملال في معظمه من سهل تادلا، ومن دير بني ملال في الشرق، ومن بعض المرتفعات الجبلية في الشمال والشمال الشرقي.

ويعتبر الإقليم غنياً من حيث المياه الارتوازية (عين أسردون، عين تمگنونت، إضافة إلى عيون أخرى...). ومن حيث المجاري المائية التي يعتبر نهر أم الربيع أهمها حيث بني عليه من سنة 1929 سد القصبة الزيدانية الذي يسقي 30.000 هكتار بقطاع بني عمير علاوة على السقي بالأدرع المحورية والآبار والعيون.

إلا أن أهم تجهيز سقوي يتمثل في سد بين الويدان الذي بني سنة 1953. وإن كان موقع هذا السد بإقليم أزلال فإن النتائج الفعلية لمياهه تروي إقليم بني ملال حيث ارتفعت المساحة المسقية بفضله إلى ما يقارب 120.000 هكتار حالياً، بما في ذلك قطاع بني عمير وقطاع بني موسى.

وتعتبر طاقة خزن هذا السد الضخم من أهم المكاسب على الصعيد الوطني حيث تصل إلى 1.5 مليار متر مكعب من الماء.

وبفضل التجهيز الهيدروفلاحي المبكر أصبح الإقليم يتوفر على 9.500 هكتار مخصصة لإنتاج الخضروات، و4.200 هكتار للأشجار المثمرة، و1.200 هكتار للعلفيات و1.600 هكتار للزراعات الصناعية.

ويصل مردود الشمندر بالإقليم إلى 40 طناً للهكتار، مقابل 15 قنطار للهكتار من القطن، و35 قنطاراً للهكتار من الحبوب، و17 طناً للهكتار من الحوامض، و30 قنطاراً للهكتار من الزيتون، و200 قنطار للهكتار من التفاح. وتغطي الغابة بالإقليم مساحة مهمة تصل إلى 166.292 هكتاراً بما تحتويه من ثروة خشبية وحيوانية هامة.

أما الأراضي البورية فتخصص للزراعة وتربية المواشي مستخدمة بشكل متفاوت التقنيات الموروثة بجانب بعض التقنيات المحدثة، وتبلغ مساحة هذه الأراضي 194.000 هكتار.

وبالنسبة لقطاع المواشي، يحتضن الإقليم تربية 142.000 رأس من الأبقار، و850.000 رأس من الأغنام، و180.000 رأس من الماعز، و37.000 رأس من الخيول، وينتج سنوياً 11.500 طناً من اللحوم و30.000.000 لتر من الحليب.

ويتوفر إقليم بني ملال على تجهيزات صناعية لابأس بها لخدمة المجال الفلاحي تتكون من ثلاثة معامل كبرى للسكر (معمل بني ملال، معمل سوق سبت أولاد النمّة ومعمل خميس أولاد عياد)، وست عشرة وحدة صناعية متنوعة، وسبعة مختبرات فلاحية.

وإذا كان المجال المسقي سقياً حديثاً قد أصبح يعرف وحدة قانونية، ضماً للأراضي استجابة لمتطلبات الفلاحة الحديثة، فإن المجال البوري مازال يعاني من تشابك مختلف أنواع الملكيات (خاصة وجماعية) ومن تبديد الملكيات بفعل التوارث.

دراسة ميدانية.

عبد الفتاح أبو العز

بني منصور، من قبائل غمارة الوسطى وأحد بطون بني يال - بالياء - تبعد عن ساحل البحر بنحو 15 كلم، وأكثر أراضيها جبال صخرية تمتد على مسافة ثمانية أميال - تقريباً - كما يذكر الوزان في *وصف افريقيا*.

وأهم ما تمتاز به هذه القبيلة مؤسستان، إحداهما لمداواة الأدواء الروحية، وهي زاوية تجكان التي أنجبت دعاة مصلحين، وعلماء عاملين، حاربوا الجهل والضلال مدى قرون. والأخرى لمعالجة الأمراض البدنية وهي زاوية آل أحمدون، تأسست فيما تذكره بعض الروايات الشفوية أواخر القرن العاشر الهجري (16 م) بإذن من الشيخ علال الحاج الأغصاوي دفين الحرائق. ومن أشهر أطباء هذه المؤسسة الفقيه محمد أحمدون، وهو الذي نقل مقرها من مدشر أ'تليغا إلى قرية ترزاث على بعد نحو عشرة كيلومترات، فلمع اسمه هناك واشتهر بين قبائل غمارة كلها، وخلفه ولده المحسن، فحفيده المفضل، ثم برز الحاج الصديق نجل المفضل هذا، فغطت شهرته على كل الذين سبقوه، وكانت له مهارة عجيبة في معالجة الكسر والفك والرضوض والعروق وبعض عوارض البطن، وبعض الأمراض الجلدية كالريشة وغيرها،

وله علاج خاص لمرض بوصفار (أو بوصفّير)، وكان لهذا المستشفى الخيري دور فعال في مداواة الجرحى أيام الحرب الريفية.

وستأتي في حرف الميم تراجم مجموعة من علماء بني منصور الأمغاريين.

تحيط بقبيلة بني منصور، قبائل بني بوزرة وبني گرير وبني سميح وبني خالد وبني سلمان. تقدر مساحتها بـ 148 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1949 هو 4.845 نسمة يتكلمون باللهجة العربية الدارجة باستثناء سكان ستة مداشر من فرقة بني عروس الذين يتكلمون اللهة البوزراتية الأمازيغية، وبالقبيلة خمسة عشرون مسجداً وثمانية عشر ضريحاً وعشرون زاوية أشهرها زاوية تجكان، وخمسة وثلاثون كتّاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى ست فرق هي انسوان (4 مداشر) وبني عروس (10 مداشر) وافرنعمان (7 مداشر) وتليغة (5 مداشر)، وبني بزور (7 مداشر) وبني اوكتة (5 مداشر). وفي التقسيم الإداري الحالي تكون القبيلة الجماعة القروية التي تحمل اسم ثلاثاء أسيفا.

أشار الوزان الفاسي في *وصف افريقيا* (ص. 256. 257) إلى وجود قبيلتين باسم بني منصور، ولعله يعني من جهة القبيلة التي نحن بصددها ومن جهة أخرى يشير إلى فرقة بني منصور التابعة لقبيلة بني زجل الغمارية.

ويقول ع. بنعبد الله في *الموسوعة* (ص 31) إن قبيلة بني منصور كانت تسمى قديماً بـ "أسرغان" دون أن يذكر المصدر الذي اعتمد عليه في ذلك.

ح. الوزان، *وصف افريقيا* ؛ م. ابن عسكر، *دوحة* ؛ ع. الزياتي، *الجواهر المختارة*، مخطوط ؛ م. التسولي، *النوازل* ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة* ؛ *وثائق خاصة وروايات شفوية*.

Aranda, *Geografia de Marruecos en general y de la zona española de protectorado en particular*, s.l s.a ; A. Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos de Marruecos*, Madrid, 1916, passim ; Capaz, *Geografia de Gomara*, Ceuta, 1931, passim ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, T.II ; A. Domenech Lafuente, *Zona Norte*, passim ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos*, Melilla, 1926, passim ; *Vademecum de la intervencion territorial de Gomara*, 1946, p. 99.

سعيد أعراب ومحمد ابن عزوز حكيم

بني منكوش، قبيلة زناتية من فخذ بني توجين وفرع رسوغين، إخوة يرناتن وبني تيغرين. مواطنهم الأصلية منذ القرون الهجرية الأولى ما بين ونشريس ومتيجة من المغرب الأوسط. ظلوا خلال العصر المريني الأول في صراع مع جيرانهم، ومع بني عبد الواد تارة وبني مرين تارة أخرى. وحينما حاول بنو منكوش استرجاع ملكهم إثر نكبة أبي الحسن المريني تقبض أبو عنان على رئيسهم أبي سعيد بن عبد الرحمن ونقله إلى فاس، وبذلك انقرض ملكهم بتلك البوادي وتفرقوا في الجهات، فكانت منهم الجماعة التي استقرت بجبال بني إزناسن، ولا تزال بها إلى الوقت الراهن.

تمتد أراضي القبيلة على السفوح الشرقية من جبال بني إزناسن، حول جبل أفْغَالْ (1535 م). وللقبيلة انبساط على سهل تريفة شمالا، ابتداء من سيدي المخفي. وتقع مساحة مدينة أبركان ضمن أراضي القبيلة، وتشرف أراضيها من جهة الجنوب على سهل أنگاد، حيث بني وكيل، ويستغل سكان القرى مياه منابع واد صفرو وواد بورديم. ويحدد الامتداد الطولي للقبيلة من الشمال إلى الجنوب كل من قبيلة بني عتيق غرباً وبني خالد شرقاً، من قبائل بني إزناسن.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 117، 320.

A. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, 192.

بني موريل، اسم حملته مجموعة من المهاجرين الأندلسيين، أصلهم من ناحية بسطة الواقعة بيد القشتاليين سنة 894 / 1488. وهذا التاريخ صالح لتقريب تاريخ الهجرة إلى موطنها بقبيلة الساحل الجنوبي من إقليم الهبط. وهناك إشارة واردة في كتاب *نبذة العصر في أخبار بني نصر* تفيد هجرة بعض الجماعات الأندلسية إلى ساحل أصيلا في آخر القرن التاسع. وفي بداية القرن الموالي ضبط جنود أصيلا جماعة مكونة من ثمانية أفراد بساحل بني موريل كانت في طريقها للالتجاء إلى القرية. ويقع ساحل بني موريل بين مصب واد النخلة وواد الساحل جنوباً، يتوسطه واد يحمل حاليا اسم واد المصابن. وقد اختفى اسم بني موريل من السجلات الإدارية الحالية. وأغلب الاعتقاد أن البقعة التي كانت تحتلها الجماعة الأندلسية هي المعروفة حالياً بمدشر "الرواح"، إذ أن اسم الجماعة مازال عالقاً بكدية مشرفة على المدشر المذكور (179 م) من جهة، وعلى الحافة البيضاء المعروفة منذ ذلك الوقت من جهة أخرى.

مجهول، *نبذة العصر في أخبار بني نصر*، ص. 48 ؛ ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 358.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, p. 1 / 50 - 62 ; 2 / 55 - 57 - 92- 161 - 243 ; Marmol Carbajal, *Historia del rebelion y castigo de los Moriscos del Reino de Granada*, Madrid, 1797, p. 72.

حسن الفكيكي

بني موسى، اتحادية قبائل عربية، من بين اتحاديات تادلا. ظلوا خاضعين للسلطة المركزية في الغالب. زاد عدد كوانينهم بالتدريج وبلغ 5.824 حسب تقديرات سنة 1338 / 1920. أقامت الاتحادية على ضفتي أم الربيع بين بني عمير شمالا والسراغنة غرباً وأيت عتاب جنوباً وأيت الربع في الشرق. تميزت بلادهم بالانبساط وتكاد تخلو من كل عوائق تضاريسية.

تضم اتحادية بني موسى ثلاث قبائل هي :

- بني وجين وعددهم 3.013 خيمة في التاريخ المذكور. تفرعوا إلى أربع فخذات هي بالترتيب أولاد النمة، وأولاد إبراهيم (أو أولاد لحسن وأولاد الغزواني)، وأولاد عياد، ومسكونة. أقام أولاد النمة على الضفة الجنوبية لأم الربيع فوق السهل الواقع بين النهر وبلاد الشلوح وأولاد عاريف. وضم أولاد إبراهيم تسعة دواوير استوطنت قبل بني موسى

أهمها المعازيز وعبد النبي والخلالطة وعلي محمد. وكان سوقهم المعروف بالاثنين موجوداً قرب مركز ولد زيدوح، وقامت هذه الأخيرة فوق تراب دوار عبد النبي. وأقام أولاد عياد في أطراف بني عباط، وضموا فرقتين وست زوايا، وكان مركزهم في سوق خميس تيطمرين. وضمت مسكوتة أربعة دواوير هي المرابطية، وبكر، والدهرة، وعريبات. وأقامت على الضفة الشمالية للنهر في اتجاه شمال شرق دار ولد زيدوح.

- أولاد بوموسى وعددهم 1.482 خيمة، تفرعوا إلى ثلاث فخذات هي أولاد بوموسى، وأولاد بركات، وأولاد مبارك. وأقام أولاد بوموسى في غرب الاتحادية، وضمت فخذاتهم الثلاثة : ثلاثة عشر دواراً أهمها أولاد أيلول وأولاد فريج وأولاد گنيش وأولاد عيسى وأولاد محمد وأولاد محمود والعدادشة ومرابطية وأولاد سلطان، وأولاد زعير، وأولاد العافية. وتوفروا على زوايا أهمها زاويتا تارماست وكاف البيوض في شمال أم الربيع. وكان مركزهم عند سوق السبت الذي يعد ملتقى لعدة مسالك.

- أولاد عاريف وعددهم 1.329 خيمة. تفرعوا إلى ثماني فخذات أقامت ست منها على أراض ممتدة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي على طول أم الربيع، وهم بني عون وأولاد سعيدة وأولاد زمان وأولاد زهرة وأولاد مراح والعصارا.

بني موسى في عهد الحماية : بعد أن ظلوا محايدين مؤقتاً، أثار حميتهم الدينية والوطنية تلك الأعمال العدائية الناجمة عن الغزو الفرنسي لجيرانهم بني عمير وبني ملال. وهبّوا لنجدة الآخرين لكنهم وصلوا إلى ضواحي المدينة متأخرين مساء 4 جمادى II / 11 أبريل 1912. وفي اليوم التالي حاولوا اعتراض طابور الغزاة عند مشرع الزيدانية على الضفة اليمنى لأم الربيع لكنهم رُدُّوا على أعقابهم. وفي 10 جمادى II / 17 أبريل توجه طابور مانجان لغزو تجمعات بني موسى ونشبت بين الطرفين معركة ضارية عند مشرع أم رجيلة. وفي خضم المعركة انضم ولد زيدوح قائد بني موسى إلى صف الفرنسيين. وكان لهذا الشيخ المسن البدين سوابق، خاصة وأنه سبق أن نظم استقبالا حسناً لطابور أوبير عام 1328 / 1910، ومع ذلك لم ينل من صمود بني موسى، وزاد الاشتباك عنفاً وامتد إلى حلول الظلام، فهرب الطابور وأفلت بعد اجتيازه النهر. وفي اليوم التالي (12 جمادى I / 19 أبريل) جاءت نجدة من مراكش بقيادة صافي Savy لتنضم إلى طابور مانجان، وبذلك أُرغم بني موسى على الاستسلام. ونصب الفرنسيون عليهم قواداً جدداً موالين وهم بالنسبة لبني وجّين : القايد الطاهر ولد لحسن ولد الغزواني على رأس أولاد إبراهيم، والقايد المولودي ولد سعيد على رأس أولاد النمة، والقايد عبد السلام بن الحاج على رأس أولاد عياد ؛ ونصبوا على رأس أولاد بوموسى القائدين محمد بن الصالح والقائد العربي ابن محمد ؛ والقائد عبد السلام بن الحبيب على رأس مسگونة، ونصبوا على رأس أولاد عاريف القائد المولودي بن الگرنة.

Rapports mensuels du Protectorat (1913, 1914) ; R. Peyronnet, *le Tadla*, P. 64, 67, 69, 71, 73, 74, 76, 158, 159.

المكي المالكي

بني هلال، قبائل عربية استوطنت صعيد مصر مدة ثم انتقلت إلى افريقية والمغرب ابتداءً من منتصف القرن الخامس الهجري. وتشمل التسمية مجموعة كبيرة من القبائل والعشائر ترفع نسبها إلى جد أعلى يدعى هلال بن عامر. ومن أبرز تلك القبائل في تاريخ المغرب، الاثبيج ورياح وزغبة وجشم وسفيان، وكلها تتفرع أيضاً إلى أفخاذ وعشائر يصعب حصرها.

وسواء كانت هجرة تلك القبائل إلى افريقية بعد قرار سياسي اتخذته الدولة الفاطمية لمعاقبة الزيريين المنشقين، أم كانت تنقلا عادياً يستجيب لأسلوبها في الحياة، فإنها شكلت حدثاً أثّر بعمق على أوضاع افريقية. فقد استطاع الهلاليون، بفضل تفوقهم العسكري، اقتطاع عدة مدن وأقاليم من الدولة الزيرية التي تقلص نفوذها وانحصر في بعض المدن الشاطئية. وفضلا عن ذلك أصاب البلاد اضطراب وخراب، من أبرز مظاهره تخريب مدينة القيروان التي كانت، إلى ذلك الحين، إحدى حواضر الغرب الإسلامي.

بنو هلال في المغرب خلال عهد الموحدين والمرينيين : من المرجح أن بني هلال لم يصلوا إلى المغرب الأقصى قبل العصر الموحدي، وإن كان هناك من يذكر أنهم شاركوا في حروب الأندلس أيام المرابطين. وإذا ثبت ذلك، فأغلب الظن أن الأمر يتعلق بجماعات محدودة العدد والأهمية.

وبخلاف المرابطين، فإن الموحدين تعاملوا مع قبائل هلالية طيلة عهدهم. وكان أول لقاء مباشر بين الطرفين في معركة سطيف (547 هـ) حين انهزم التحالف الهلالي أمام جيش المصامدة الذي توغل نحو افريقية وأخضعها وفرض الخراج على الجميع. وفي تلك الفترة نقل الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي مجموعات من هؤلاء الأعراب إلى المغرب الأقصى.

ويبدو أن القبائل الهلالية لزمت الهدوء طيلة عهد عبد المومن وابنه يوسف، لكنها سرعان ما اغتنمت فرصة قيام ثورة بني غانية بافريقية، في محاولة لاسترجاع الامتيازات التي فقدتها بعد إخضاع المنطقة من طرف الموحدين. ولقد اضطر الخليفة الثالث، يعقوب المنصور إلى التوجه بنفسه إلى شرق إمبراطوريته في محاولة للقضاء على بني غانية وحلفائهم من بني هلال. وعلى إثر تلك الحركة، نقل بدوره قبائل رياح وأنزلها بلاد الهبط، ونقل جشما وأنزلها بلاد تامسنا. وتذكر المصادر أنه استبعد تجنيدها في الجهاد لعدم ثقته في ولائها.

ورغم ما تميز به عهد هذا الخليفة من قوة وازدهار، فإنه لم يتمكن من القضاء على تحالف بني هلال وبني غانية،

ويجب انتظار عهد ابنه وخلفه الناصر (595-613) الذي سيعيد جو الهدوء والاستقرار لذلك الإقليم حين اقتنع بتفويض أمره إلى قائد مقتدر هو أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص. غير أنه ما كاد يحسم أمر إفريقية (بداية القرن السابع) حتى دخلت الأمبراطورية الموحدية في طور الضعف والانقسام. حينذاك سوف تتغير علاقة الدولة بالعرب الهلاليين، من عصاة يتم تأديبهم، مع ما يكلفه ذلك من مجهودات مادية وبشرية، إلى مرتزقة يبحث الخلفاء والثائرون من الموحدين عن دعمهم ومساندتهم، بل ويخضعون لضغوطهم ونزواتهم في كثير من الحالات. وفي هذه المرحلة، برزت على الساحة العسكرية والسياسية قبيلتان هلاليتان، هما الخلط (من جشم) وسفيان اللتان ستلعبان أدواراً خطيرة طيلة ما تبقى من عمر الدولة.

فخلال النزاع الذي حدث بين المامون (626-629) ويحيى (624-626) انضم عرب الخلط إلى صف الأول وسفيان إلى الثاني. وحين وفاة المامون، كان قواد النصارى وشيوخ الخلط أول من بايعوا ابنه الرشيد (629-639). بدأ هذا الأخير يفكر في التخلص من نفوذهم المتزايد، فلجأ إلى البحث عن مساندة أشياخ الموحدين الذين أزاحهم أبوه من قبل اتقاءً لشرهم أيضاً. ولما لم يُجده ذلك اختار الغدر والحيلة، فاستدعى إلى قصره زعماء الخلط وقتلهم مما جر عليه نقمة ذويهم الذين أسرعوا لحصار مراكش، ففر الرشيد بأعجوبة تاركاً عاصمة ملكه غنيمة سهلة أمام جحافل الأعراب. ولم تكن هذه التجارب البئيسة عبرة للخليفة السعيد (639-645) الذي لجأ بدوره إلى الاستعانة بالخلط في مواجهة الثائرين من أمثال ابن وانودين الذي حظي بدعم سفيان، أو من أمثال بني عبد الواد الذين تواطأ معهم الخلط للتخلي عن الخليفة الموحدي في إحدى المعارك بين الطرفين، مما أدى إلى هزيمة جيشه ومقتله. أما المرتضي (645-665)، فقد ثأر للسعيد وقتل بدوره عدداً من زعماء الأعراب.

وعلى العموم، فإن التاريخ العسكري الموحدي غني بأمثلة من الهزائم والنكسات التي كان من أسبابها القوية خذلان وتراجع مرتزقة الأعراب الذين كانوا لا يترددون في الانسحاب أو التراجع متى استصعبوا المواجهة أو توقعوا الهزيمة، أو في التخاذل في ساحة المعركة نفسها.

أما بنو مرين فكانوا في بداية ظهورهم في خدمة الدولة الموحدية، إلا أنهم سرعان ما تطلعوا إلى إنشاء دولة أو إمارة. ولقد فطنوا منذ تلك المرحلة إلى خطورة القبائل الهلالية ودورها في الصراع القائم بالمغرب آنذاك، فحاولوا استمالتها بالطرق السلمية وصاهروا بعض كبار الخلط وسفيان وزغبة لكنهم لجأوا فيما بعد إلى استعمال القوة، فشتتوا شمل عرب رياح القاطنين بسهل الهبط واغتالوا حوالي مائة من زعمائهم، مما ألقى الرعب في نفوس سفيان الذين أسرعوا بالانضمام إلى صف الدولة الناشئة. ويذكر الحسن الوزان أن قبائل الأعراب أصابها القحط والمجاعة بعد سقوط دولة الموحدين وصعود بني مرين الذين نقلوا قبائل أخرى من هوارة وزناتة إلى السهول الأطلنطيقية لمزاحمة وإضعاف القبائل الهلالية. ويجب أن نفهم من إشارة الوزان أن الدولة المرينية تمكنت من ضبط هؤلاء حين بسطت نفوذها على مجموع المغرب الأقصى.

قبائل بني هلال بعد الدولة المرينية : من المعروف أن الدولة المرينية مرت، عبر عهدها الطويل، بفترات أزمات وضعف، وخلالها كانت القبائل الهلالية ترجع في المناطق التي تنتشر فيها إلى أسلوبها في النهب والسلب. إلا أنه ابتداءً من القرن الخامس عشر، طرأت على أوضاع المغرب متغيرات جديدة سياسية واجتماعية، داخلية وخارجية، جعلت أدوار بني هلال تبدو أقل بروزاً مما كانت عليه زمن الموحدين والمرينيين، يضاف إلى ذلك كون بعض تلك القبائل بدأت تندمج تدريجياً في المجتمع المغربي.

ورغم ذلك، فإن العرب، والخلط منهم بصفة خاصة، ظلوا يخلقون بعض المتاعب للدولة المغربية. فقد كان على السعديين الأوائل إعادة إخضاعهم وضرب الحصار على مواطنهم بواسطة قبائل معقل التي استقدموها من الجنوب، واضطر أحمد المنصور بعد ذلك بمدة إلى إسقاطهم من الجندية. ويبدو أن الدولة العلوية تمكنت من إخضاع قبائل الخلط في نهاية المطاف، ويورد الناصري فقرة تحكي تطور علاقات هؤلاء مع ملوك الدولة العلوية حيث يقول :

"ولما أشرفت الدولة السعدية على الهرم اجتمعوا إلى أزغار فغلبوا عليه وعفوا وكثروا وأكثروا من الخيل والسلاح، إلى أن جاء الله بالمولى إسماعيل رحمه الله فانتزع منهم خيلهم وسلاحهم لغيرهم من قبائل المغرب وضرب عليهم المغارم، واستمروا على ذلك إلى أيام المرحوم المولى محمد بن عبد الله، فظهروا في دولته وكانوا يعكسون (كذا) معه في حروبه ويغرمون ما وجب عليهم من الزكوات والأعشار، وكذلك مع ابنه المولى سليمان وابن ابنه المولى عبد الرحمان بن هشام رحم الله الجميع بمنه، وهم اليوم في عداد القبائل الغارمة".

آثار القبائل الهلالية على المجتمع المغربي : يميز المهتمون بتاريخ المغرب الوسيط بين الموجة العربية الأولى المتمثلة في جنود وقادة الفتح والمتمثلة أيضا في بعض المهاجرين لأهداف مختلفة الذين كانوا يقصدون الحواضر القديمة، أو يؤسسون مدناً جديدة ليستقروا بها، ويتولون وظائف السلطة والإدارة وبين الموجة الثانية المتمثلة في بني هلال الذين كانوا يتوجهون إلى السهول والسهوب التي تستجيب أكثر لمطالب الحياة البدوية. وإلى جانب هذا الفرق، يتميز الهلاليون بكونهم مجتمعاً كاملا متنقلا يضم النساء والأطفال والشيوخ، فضلا عن فئة المحاربين. وإذا كان العرب الفاتحون قد أثروا على المدن المغربية في كثير من المجالات الثقافية والتنظيمية والعمرانية، وأعطوها كثيراً من معالم الحواضر المشرقية، فإن الهلاليين كان لهم أيضاً تأثير كبير في المناطق السهلية التي نزلوا فيها. وأول مظاهر ذلك التأثير يتعلق بالجانب اللغوي، حيث يرى أغلب

المؤرخين أن تلك القبائل قد تمكنت من تعريب سكان السهول والمناطق التي حلت بها.

وإلى جانب التأثير اللغوي الذي ليس موضوع خلاف بين المؤرخين، هناك انعكاسات أخرى للوجود الهلالي بالمغرب، تتعلق بالمجالات الاقتصادية والعمرانية. وهذه المسألة هي التي حظيت باهتمام عدد كثير من الباحثين، فبعض هؤلاء يرون أن إحلال قبائل بدوية بمناطق فلاحية وحضرية كان من الأسباب الأساسية في تدهور الفلاحة وتراجع العمران ؛ وكل ذلك في جو من انعدام الأمن والاستقرار وتعذُّر المبادلات التجارية. وتستند هذه التحاليل إلى نصوص وسيطية، أبرزها كتابات ابن خلدون، كما تستند إلى نظرية مجردة تلح على إبراز التنافي بين شكلين من النظم الاجتماعية ـ البدو والحضر ـ معروفين بالمغرب منذ ما قبل الزحف الهلالي بعدة قرون. وليس هناك مجال الاسترسال وراء النقاش والجدال الذي أثير ولا يزال يثار حول ما يمكن أن نطلق عليه "المسألة الهلالية" في تاريخ المغرب، وإنما سنكتفي بعرض مثال إقليم تامسنا الذي نزلت به بعض القبائل الهلالية، سعياً إلى إبراز الحجم "الحقيقي" لأثرها على الفلاحة والعمران. وفي هذا المجال، سجل لنا ابن الخطيب الذي زار المغرب في منتصف القرن الثامن معلومات هامة حول ذلك الإقليم، فهو يتحدث عن ازدهار فلاحي يتجلى في حجم إنتاج الحبوب الذي كانت تسخر له أزواج فلاحية بلغ تعدادها ثلاثة آلاف زوج. وبعد ذلك التاريخ بقرنين، يذكر الحسن الوزان أن عرب تامسنا كانوا يحصلون على خمسين ضعف مازرعوا، وأنهم كانوا يودعون أدواتهم الفلاحية بجوار أحد أوليائهم حتى تكون في مأمن من اللصوص. غير أنه يستنتج أيضاً من سرد المؤلفين وغيرهما استمرار جو من انعدام الأمن والاستقرار، مما يحول بلا شك دون انتشار الفلاحة وازدهارها، هذا، فضلا عن امتداد مجال الحياة الرعوية، مما يضر بالفلاحة، وخاصة منها الشجرية. فمن الثابت أن عرب رياح كانوا رعاة لماشية الدولة المرينية بتلك الأقاليم. ويتساءل بعض المؤرخين عما إذا كان امتداد مجال الرعي هو السبب في تراجع الفلاحة، أم فقد نتيجة لذلك.

وفيما يخص التخريب الهلالي، الذي ألح عليه عدد من الدارسين أيضاً، سنكتفي ببعض الإشارات التي وردت عند الحسن الوزان حين وصفه لإقليم تامسنا، فهو يذكر أن مدينة تگيت قد خربت من جراء فتن برغواطة، كما أن عدداً من المدن الأخرى بالإقليم، ومن بينها أنفا، هدمت من جراء العدوان البرتغالي، وكل هذه الأسباب سابقة عن الهلاليين لكن الأعراب هم أيضاً مسؤولون عن تخريب مدن أخرى كمدينة المنصورة. ويعلق الحسن الوزان بعد ذلك قائلا : إن ضعف ملوك فاس هو المسؤول عن تعاسة الناس وتراجع العمران. لذلك لا يمكن إرجاع ما أصاب إقليم تامسنا ـ الذي اخترناه مثالا ـ إلى دور الأعراب وحدهم، بل لا بد من إدخال ظروف وعوامل تاريخية أخرى في الاعتبار.

هكذا انقسم المؤرخون حول "المسألة الهلالية" في تاريخ المغرب إلى فريقين، الأول يريد تعليل الانتكاسة العمرانية التي شهدها المغرب منذ نهاية الدولة الموحدية، باجتياح بني هلال لأرضه، وذلك بالاعتماد على نصوص تاريخية كقول ابن خلدون "العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب" ؛ والفريق الثاني يلح على نفي أي دور سلبي لتلك القبائل أو يسعى إلى التماس أعذار مبنية على حجج ليست دائماً مقنعة. وإذا كان الفريق الثاني يتغاضى عن بعض الأخبار التاريخية، فإن الفريق الأول يبالغ بدوره حين يفسر التحولات الكبرى في تاريخ بلد شاسع كالمغرب بعامل وحيد، هو الزحف الهلالي.

ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، تح.ع. التازي، بيروت، 1964 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج 3، خاص بالدولة الموحدية، تح. ميراندا وآخرين، تطوان، 1960 ؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، تح. أ. مختار العبادي، الدار البيضاء، ب. ت ؛ ع. ابن خلدون، *العبر، المقدمة*، ج6 و7، بيروت، 1967 ؛ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1980 ؛ ع. ابن منصور، *قبائل المغرب*، ج 1.

W. Marçais, *Comment l'Afrique du Nord a été arabisée*, *A.I.E.O.A.*, T. V, Année 1939, p. 6 - 16 ; G. Marçais, *La Berbérie musulmane et l'Orient au moyen âge*, Paris, 1946 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc...*, Casablanca, 1949 ; H. R. Idris, *La Berbérie orientale sous les Zirides au XIème et XIIème siècle*, Paris, 1962 ; J. Poncet, *Le Mythe de l'invasion hilalienne*, *A.E.S.C.*, N° 5, sep. oct. 1967, p. 1099 - 1120 ; H. R. Idris, *De la réalité de la catastrophe hilalienne*, *A. E. S. C.*, N° II, mars-avril, 1962, p. 390 - 396 ; A. Laroui, *Histoire du Maghreb*, Paris, 1970 ; Y. Lacoste, *Ibn Khaldoun*, Paris 1978 ; G. Ayache, *Ibn Khaldoun et les arabes*, in *Etudes d'histoire marocaine*, Rabat, 1983.

رضوان مبارك

بني واسول، من البربر البتر، من قبيلة مكناسة الزناتية التي تضم بطوناً عديدة، أهمها : صولات وبوحاب وبني ورفلاس وبني وردنوس وقيصارة ونبعة وورقطنة وبني أبي نزول (*العبر*، 6 : 170 . 171). وكانت زعامة مكناسة في بني أبي نزول، ثم انقسمت هذه الزعامة إلى قسمين بعد مجيء الإسلام، وصارت رئاسة بطون مكناسة في مناطق سجلماسة وما إليها لبني واسول بن مصلان بن أبي نزول في حين صارت رآسة المكناسيين بجهات تازا وتسول وملوية ومليلة لبني أبي العافية بن أبي نائل بن أبي الضحاك بن أبي نزول، والى هؤلاء ينتسب موسى بن أبي العافية (*العبر*، 6 : 171 و176).

كانت مواطن بني واسول بسجلماسة والمناطق المجاورة لها، في حين كانت مواطن أغلب بطون مكناسة إلى الشمال منها ما بين منابع وادي ملوية ومصبه في البحر المتوسط أي في نواحي تسول وتازا وگرسيف ومليلة (*العبر*، 6 : 170 و176). وكان بنو واسول على مذهب الخوارج الصفرية لأنهم أخذوا تعاليم هذا المذهب عن بعض أئمتهم وهو أبو القاسم سمگو بن واسول بن مصلان بن أبي نزول مؤسس إمارة سجلماسة الصفرية التي يسميها البكري وابن عذاري بإمارة بني مدرار (*المغرب*، 149 و*البيان*، 1 : 157) ويسميها ابن خلدون بإمارة بني واسول (*العبر*، 6 : 171).

ينحدر مؤسس هذه الإمارة من أسرة مختصة في الزعامة ومعروفة بالعلم والجاه في بني واسول. وقد سافر إلى القيروان وأخذ بها عن عكرمة مولى ابن عباس تعاليم مذهب الخوارج الصفرية صحبة ميسرة المطغري وطريف أبي صالح زعيم برغواطة. شارك أبو القاسم في ثورة ميسرة سنة 122 هـ / 741 م ضد الولاة الأمويين بالمغرب، ثم عاد إلى مجالات قبيلته بسجلماسة بعد أن افترقت جموع خالد بن حميد الزناتي الذي خلف ميسرة على قيادة الخوارج بالمغرب الأقصى، وشرع في نشر دعوة الخوارج الصفرية بها حتى دخل سائر مكناسة من أهل تلك الناحية في مذهبه وصارت خيمته ملتقى لكل أتباعه (*العبر*، 6 : 172)، حتى إذا اجتمع على هذا المذهب زهاء أربعين من رجالاتهم أعلن قيام إمارته بسجلماسة سنة 140 هـ / 757 م (*العبر*، 149 ؛ *الاستبصار*، 201 ؛ *البيان*، 1 : 156 ؛ *العبر*، 6 : 172) وهي الإمارة التي عرفت في أغلب المصادر باسم إمارة بني مدرار رغم أن العصبية التي قامت عليها هي عصبية بني واسول المكناسية، ورغم أن مؤسسها هو أبو القاسم سمگو بن واسول وليس مدرار بن أبي منصور اليسع الذي هو حفيد المؤسس ورابع أمراء الخوارج الصفرية بسجلماسة.

إن نسبة الإمارة لأميرها الرابع نابع من الدور الذي لعبه مدرار في تاريخها من جهة، والخصوصية التي امتازت بها فترة حكمه من جهة أخرى. فمن المعروف أن هذا الأمير حكم سجلماسة ما بين 208-224 هـ / 823-839 م أي بعد نصف قرن من تاريخ تأسيسها، غير أنه رغم بعد فترة حكمه عن تاريخ ظهور الإمارة وتاريخ ظهور عاصمتها سجلماسة أيضاً، فإن الروايات التاريخية تنسب إليه بناء هذه المدينة كما تنسب ذلك لجده أبي القاسم. فقد ذكر البكري أن أبا القسام شرع في بناء عاصمة إمارته بعد أن اجتمع إليه الأتباع. وفي رواية أخرى أن مدرار كان حداداً من ريفية الأندلس، قدم إلى سجلماسة بعد وقعة الربض وكان يحضر بما يعده من آلات الحديد سوق البربر الذي كان يقام بموضع سجلماسة ثم ابتنى خيمة وسكنها وسكن البربر حوله فكان ذلك أصل عمارتها (*المغرب*، 149).

ويستفاد مما كتبه البكري في موضوع تأسيس سجلماسة عاصمة بني واسول أن تاريخ بنائها يكتنفه غموض كبير، إذ ذكر تاريخين مختلفين في معرض حديثه عن بناء أبي القاسم سمگو بن واسول للمدينة وهما 104 / 723 و140 / 757 (*المغرب*، 149) وفي معرض حديثه عن مدرار أشار إلى تاريخ ثالث هو ثورة الربض التي خرج بعدها مدرار من الأندلس إلى سجلماسة واشتغل بالحدادة قبل ظهور المدينة إلى الوجود. وثورة الربض تمت على مرحلتين بقرطبة عاصمة الأمويين في خلافة الحكم بن هشام بن عبد الرحمان : المرحلة الأولى سنة 189 / 806 وقد أخمدها الخليفة بسهولة، أما الثانية فكانت سنة 202 / 818 وأسفرت عن تشريد أهل الربض في جميع أقطار الأندلس ومنهم من جاز البحر إلى العدوة بالأهل والولد (*البيان*، 2 : 77).

فيكون مدرار قد قدم إلى سجلماسة في التاريخ المذكور، غير أن البكري نفسه أبطل صحة هذه الرواية حين قال إن الأصح في عمارة سجلماسة هو أن أبا القاسم سمگو بن واسول هو صاحب الفضل في ذلك (*المغرب*، 149).

وحول رواية البكري عن تأسيس مدرار لسجلماسة كما تناقلتها المصادر فيما بعد ـ تساءل ماك كوك وقال : كيف يعقل أن يبني مدرار هذه المدينة إذا كان جده قد بناها من قبل ؟ أو كان عيسى هو الذي بناها أيام جده ؟ إنه لغريب حقاً أن ينسب بناء المدينة إلى الثالث من رجال دولتها (*الروايات*، 27). إن نسبة بناء المدينة وتسمية الإمارة التي قامت بها باسم مدرار يرجع بالأساس إلى عاملين : أولهما أن أغلب ما وصلنا عن أخبار الخوارج الصفرية بسجلماسة كان عن طريق ما دونه البكري في *المسالك والممالك*. وعليه، فإن تسمية الإمارة بإمارة بني مدرار أساسه النقل عن البكري الذي تحدث عنها بهذا الاسم خلافاً لابن خلدون الذي ذكرها باسم إمارة بني واسول كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وثانيهما : أن الأمير مدرار تمتع بشهرة كبيرة مقارنة مع غيره من أمراء بني واسول حكام سجلماسة. فقد شهدت الإمارة في عهده ازدهاراً كبيراً حتى أصبحت لها مكانة متميزة بين مثيلاتها ببلاد المغرب كإمارة الرستميين وإمارة البرغواطيين ، خصوصاً وأن الأمير مدرار استفاد من النجاح العسكري الذي حققه أبوه اليسع في المناطق المجاورة لسجلماسة في الجنوب والغرب. يضاف إلى ذلك ما قام به هذا من اتصالات مع باقي إمارات الخوارج ومنها إمارة تاهرت على وجه الخصوص كانت تجمعه بها روابط متينة بحكم زواجه من أروى بنت عبد الرحمان بن رستم في عهد أبيه (*العبر*، 6 : 172).

كان لهذا الزواج أثره في أن يتميز عهد الأمير مدرار بميزات خاصة أهمها الصراع الحاد الذي دار بين ولديه حول ولاية العهد وهو صراع تكمن وراءه خلافات مذهبية صرفة خصوصاً وأن الأمر كان يتعلق بأميرين أحدهما من أميرة رستمية وثانيهما من امرأة من أهالي سجلماسة. فانحاز من كان من الإباضية بإمارة بني واسول لابن الرستمية في حين انحاز الصفرية لابن بقية السجلماسية (*البيان*، 1 : 157؛ *العبر*، 6 : 172-173).

لقد انعكست صراعات ميمون ابن الرستمية مع أخيه ميمون ابن بقية حول ولاية العهد في حياة أبيهما على سمعة مدرار، وساهمت كثيراً في أن يكون لاسمه صدى واسع في تاريخ الإمارة حتى ارتبطت تسميتها باسمه واقترن تأسيس عاصمتها بعهده أيضاً. وعليه، فإنه إذا كان سياق الحوادث التاريخية التي شهدتها سجلماسة في عهد مدرار لا تدفع إلى الاعتقاد بأن شخصية هذا الأمير كانت على درجة كبيرة من القوة، فإن وصف البكري له بأنه كان حداداً من ريضية الأندلس وارتباط هذه الصفة بأبنائه أيضاً لأنهم هُجوا بذلك (*المغرب*، 149) يوحي بأن يكون مدرار

قد امتاز بشدة البأس والصبر والجلد، وهي الصفات التي جعلت لقب الحداد يقترن باسمه خصوصاً وأن هذه الحرفة يشترط في أصحابها التمتع بالقوة اللازمة لتطويع الجديد رغم صلابته. وقد احتفظت منطقة تافيلالت التي توجد بها أطلال مدينة سجلماسة، باسم مدرار الذي هو اليوم اسم لأحد قصور أيت عيسى بوادي بوعنان. وتجب الإشارة هنا إلى أن هذا القصر يقع في قرى بني بصري التي ذكر الوزان في القرن العاشر (16 م) أن بها منجم حديد يزود جميع إقليم سجلماسة بحاجته من هذه المادة (*وصف افريقيا*، 2 : 132).

أ. البكري، *المغرب*، نشر دي سلان، باريس، 1965 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، تـ. ج. س. كولان وليفي بروفنسال ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6. ظ. بيروت، 1988 ؛ مجهول، *الاستبصار*، تـ. زغلول عبد الحميد، البيضاء، 1985 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1982، ج 2 ؛ مـاك كوك، *الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة*، تر. محمد الحمداوي، الدار البيضاء، 1395.

حسن الحافظي

بني واسين، قبيلة توجد حالياً بسهل أنكاد بناحية وجدة وبفحص طنجة، في تجمعات سكانية صغيرة. ووجود هذه القبيلة قديم جداً، عرفت بها أكبر الفصائل الزناتية منذ الفتح الإسلامي على الأقل. وقد بين لنا ابن خلدون، نقلا عن ابن حزم والنسابين الأمازيغيين أصل انحدار بني واسين. فهم زناتيون لا شك في ذلك، إخوة مغراوة وبني يفرن وبني يرنيان، من ولد يصليتن بن مسرا بن زاكيا. استوطن بنو واسين بلاد قسطنطينة من المغرب الأوسط، لكنهم انزاحوا عنه مع الزناتيين إلى حوض ملوية الأوسط، نتيجة الضغط المتوالي لقبيلتي كتامة وصنهاجة المغرب الأوسط حليفتي العبيديين في أواخر القرن الثالث الهجري. وقد أثبتت رسالة موسى بن أبي العافية المكناسي إلى الخليفة الناصر الأموي وجود جماعات بني واسين سنة 323 هـ. بسهوب تاوريرت وحول واد زا (صا).

بقي بنو واسين بتلك المواطن الجديدة يمثلون صلة وصل بين المغربين الأقصى والأوسط. وفي بداية القرن الثاني الهجري تعرفنا على أميرهم المسمى قاسم الوسناني، صاحب واد زا (صا) والكدية وهي تاوريرت، وهو معاصر لصالح بن سعيد النكوري (تـ. 206 هـ) وكانت بينهما علاقة طيبة.

استخدم مكناسيو تسول قبيل بني واسين ضد زناتة بني خزر اليفرنيين بتلمسان، كما سار المغراويون على منوال المكناسيين لحراسة ممر أنكاد. واستنفرهم ملوك صنهاجة المغرب الأوسط بدورهم أثناء حملاتهم ضد المغرب طوال القرن الرابع الهجري. وعظمت حاجة بني حماد الصنهاجيين إليهم أثناء الانسياح الهلالي في النصف الأول من القرن الخامس. وكذلك فعل المرابطون والموحدون بعدهم إذ استخدموهم أثناء قيادة الحملات العسكرية في اتجاه المغرب الأوسط، إلى أن صعد نجم المرينيين، إخوة بني بادين وبني توجين، وكلهم من بني واسين.

ما تزال آثار استقرار بني واسين شمال سهل أنكاد، مما يجاور الحدود المغربية الجزائرية بمحاذاة واد كيس، بين أحفير ووجدة. قسم منهم داخل بالتراب الجزائري.

ونجد بني واسين أيضاً بفحص طنجة، مستقرين بحوض واد مغوغا الأعلى، جنوب جبل الخريب. ربما كانت هذه الجماعة من بقية بني واسين الذين نقلهم أبو الحسن المريني إلى بلاد غمارة. وإلى جانب التجمع الواسيني يوجد عزيب بني أبي العيش وقرية البرج.

أ. البكري، *المغرب*، ص. 93، باريس، 1965 ؛ ابن حيان الأندلسي، *المقتبس*، ص. 370، مدريد، الرباط 1979 ؛ ابن حوقل النصيبي، *صورة الأرض*، ص. 103 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 10 ؛ ع. ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، 15. 20.

حسن الفكيكي

بني وانودين، (إمارة ـ) تأسست بمدينة سجلماسة على أنقاض إمارة بني مدرار سنة 366 هـ، ودام عهدها إلى منتصف القرن الخامس (حوالي 447 هـ) حين دخل المرابطون سجلماسة. ويطلق على بني وانودين اسم بني خزرون لأنهم فرع واحد من قبيلة مغراوة (انظر بني خزرون). كما تعرف هذه الإمارة في بعض المصادر التاريخية بإمارة بني خزرون، نسبة إلى المؤسس الأول خزرون ابن فلفول المغراوي. أما وانودين فهو الأمير الذي تميز عهده بتحقيق استقلال كامل لإمارته التي كانت تتنازعها من قبل الدولتان الفاطمية والأموية.

ففي بداية القرن الخامس الهجري، تراجع الضغط الفاطمي عن المنطقة المغربية، وعصفت الثورات والفتن الداخلية بما تبقى من سلطة بني أمية بالأندلس. وفي تلك الظرفية نهج وانودين سياسة توسعية مكنته من بسط سلطته على مناطق درعة وصفرو وعدد من قصور ملوية. وفي عهد الأمير الثالث مسعود بن وانودين افتتح المرابطون مدينة سجلماسة بعد أن قضوا على جيشه المتواضع.

وتذكر المصادر أن فقهاء المدينة، وعلى رأسهم وگاك الشهير، تواطؤوا مع الفاتحين ودعوهم لتغيير المناكر المتفشية في المجتمع السجلماسي. بل إن القاضي عياض ينسب قتل الأمير مسعود بن وانودين إلى أحد الفقهاء المتحمسين للدعوة المرابطية.

ومهما يكن فإن سقوط إمارة بني وانودين في منتصف القرن الخامس الهجري، يمثل نهاية الدور السياسي لمدينة سجلماسة، بعد أن استمر ثلاثة قرون، إلا أن ذلك لا يعني نهاية دورها الاقتصادي والتجاري الذي سوف يستمر ـ رغم تناقصه ـ لعدة قرون أخرى.

القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، تـح. سعيد أعراب، ج 8 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، تـح. إحسان عباس ج 4 ؛ ابن أبي زرع،

روض القرطاس ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 7، بيروت 1968.

رضوان مبارك

بني ورّا، قبيلة صغيرة، تقع أراضيها جنوب غرب الزيايدة، وإذا كانت قد ضمت للزيايدة تحت حكم واحد في بعض الفترات التاريخية، فإن قبيلة بني ورّا في الواقع مستقلة سلالياً عن الزيايدة. يدعي بني ورّا أن أصلهم من نواحي تازا وفاس وأنهم إخوان بني وَرَايْن، طردوا أو نقلوا من موطنهم الأصلي إلى موطنهم بالشاوية على وادي شراط. وعن سبب نقلهم تشير الرواية إلى أن ذلك حدث بعد سلسلة من أعمال السرقة والنهب. والجدير بالملاحظة أن تبادل أعمال السرقة والنهب، عرفت عند القبائل المتساكنة قرب بني ورّا، مثل الزيايدة وأعراب الرباط وزعير زيادة على بني ورّا، خلال القرن الماضي. ولعل ذلك كان مرتبطاً بوجود طريق القوافل الساحلية المارة وسط هذه القبائل، وبظرفية معينة، سياسية واقتصادية مرت بها تلك القبائل.

وبالجملة لا يمكننا أن نكتفي بهذا السبب وحده لتفسير توطين بني ورّا في موقعهم المعروف بالشاوية، لأن حوادث السرقة والنهب وقطع الطرق، كانت تقع عند قبائل عديدة وفي جهات مختلفة في فترات معينة، غالباً ما كنت ترتبط بضعف السلطة المركزية.

وعلى كل حال فإن قبيلة بني ورّا خضعت أحياناً كثيرة، خلال القرن التاسع عشر، مع الزيايدة موالين الغابة، لقيادة واحدة. وهذا ما كان عليه الحال أيام حكم القائد محمد بن العربي الزيادي حوالي 1874 ـ 1894. وفي بداية عهد مولاي عبد العزيز 1312 / 1894، سجن أحمد بن موسى، القائد محمد بن العربي الزيادي وفصل بني ورّا عن موالين الغابة، وعين القائد الشرقي بن محمد على قبيلة بني ورّا. وهو ينتمي إلى فخذة بني مغسال أكبر أقسام بني ورّا.

كانت قبيلة بني ورّا تنقسم إلى ثلاثة أقسام : بني مغسال وگطابة وأولاد يونس. كانوا من أكثر قبائل الشاوية صموداً في وجه الاحتلال. قاموا، مثل الزيايدة موالي الغابة المجاورين لهم، بدور كبير في جهاد الشاوية ضد الاحتلال الفرنسي، وشاركوا في المعارك الأولى التي جرت حول الدار البيضاء خلال شهر غشت 1907، كما شاركوا في المعارك التي جرت بأرض الزيايدة وأولاد علي والمذاكرة، وخاصة معركة برابح 16 ـ 17 فبراير 1908، وفخفاخة في 29 فبراير من نفس السنة.

ويظهر أن موقع بني ورّا الذي يتميز بالتعرج وتعمق الأودية ساعدهم كما ساعد جيرانهم موالين الغابة على الصمود في وجه العدو، بعكس فرقة الزيايدة الأخرى التي لم تبد مقاومة شديدة نظراً لموقعها في السهل الساحلي.

وتجدر الإشارة إلى أن قبيلة بني ورّا أصبحت منذ 1914 تمثل فرقة من فرق الزيايدة التي قسمت إلى أربعة أقسام :

1 ـ موالين الوطى، 2 ـ موالين الغابة، 3 ـ الفضالات، 4 ـ بني ورّا.

Villes et Tribus du Maroc : Casablanca et Chaoui, T : 2.

علال الخديمي

بني وراين، واحد من أهم الألفاف القبلية بالأطلس المتوسط الشرقي. ولا يقل عدد القبائل المنتمية لهذا اللف الكبير عن أربع عشرة قبيلة، متفاوتة الأهمية من حيث عدد أفرادها واتساع رقعة ترابها وقوة سالف نفوذها.

تغطي بلاد بني وراين نحو أربعة آلاف كيلومتر مربع، ممتدة على الجانبين الشمالي الغربي والجنوبي الشرقي من جبل بويبلان، أو كما يدعوه أهل المنطقة جبل موسى وصالح، الذي يصل في أعلى قمة له إلى 3190 متر. ففي الاتجاه الأول، تصل أرض بني وراين حتى نهر إناون، شمال مدينة تاهلة، بينما تمتد في الاتجاه الثاني إلى مشارف نهر ملوية الذي تبلغه جنوب مدينة گرسيف. وهكذا تنتشر قبائل بني وراين على أزيد من مائة كيلومتر من الشرق إلى الغرب ونحو ثمانين كيلومتراً من الشمال إلى الجنوب، مع اتساع رقعتها شرق بويبلان وضيقها تدريجياً غرب هذا العارض الجبلي. وجاء انتشار هذا المجال والشكل الذي اتخذه نتيجة التطور التاريخي المعقد الذي عرفته القبائل الوراينية خاصة طيلة القرن الماضي وأثناء الربع الأول من القرن الحالي.

تتكلم قبائل بني وراين لهجة لها صلة وقرابة وثقى باللسان السائد في جبال الريف ومرتفعات المغرب الشرقي، مما يرجح أن لها أصلا زناتياً (على غرار العديد من الجماعات البشرية المجاورة مثل أيت سغروشن ومرموشة). وليس لسان قبائل الأطلس المتوسط الغربي. لذا يظهر أنها قدمت هي الأخرى ضمن الجماعات الزناتية من السهوب التونسية عبر المغرب الأوسط حتى بلغت وادي ملوية. ومن الصعب معرفة متى كان وصولهم إلى هذه المنطقة. فالحسن الوزان لم يذكر، في *وصف افريقيا* في أوائل القرن السادس عشر اسم بني وراين عند حديثه عن إقليم الحوز أحد أقاليم مملكة فاس، ولدى تعرضه لجبل وَنْلا (بويبلان) الذي وصفه بأنه "خال من السكان" إلا من أحفاد أسرة كانت قد اعتزلت هناك في أعقاب فتن حدثت قديماً. وكان هؤلاء الأحفاد يعيشون، كما يقول الوزان "عيشة بسيطة زاهدة. ونظراً لكونهم متأدبين يعيشون مستقيمين، فإن لهم مكانة كبيرة عند ملك فاس". الظاهر أنه يلمح هنا إلى زاوية تَنَكْرَرَمْت التي أنشأها، حسب بعض الروايات، الشيخ مَحمد بن محمد الفَرْحي عند قدم جبل موسى وصالح. أسوة بوالده الشيخ محمد بن القاسم الذي كان قد أقام زاوية بِتِغْزَة، قرب بركين، في القرن التاسع الهجري.

وعلى غرار ما حدث في مناطق عديدة أخرى من المغرب، فإن هذه الزوايا قامت بدور التعليم والتحكيم بين القبائل المحلية، مما أعطى بعضها شأناً كبيراً ونفوذاً واسعاً في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وتعزز ذلك وتبلور بتطلعات سياسية واضحة لما سمحت ظروف الأزمة والفتن التي عمت المغرب في بداية القرن التاسع

عشر مع ثورة القبائل وتمرد الزوايا، مما أنعش من جديد حركة مد كاسحة حملت قبائل السفوح الجنوبية والشرقية من الأطلس (أيت أُمالو) في زحف متواصل نحو السفوح والهضاب والسهول الأطلنتية الأوفر مرعى وماءً. وفي هذا الإطار العام انضمت قبائل بني وراين إلى الحلف القبلي الذي تزعمه أبو بكر أمهاوش المناوئ للمخزن، في تواطؤ مع الزاوية الدرقاوية البالغة النفوذ. وكانت في انضمامها هذا تسعى إلى الخروج من مجالها الجبلي الضيق العسير واكتساب منتجعات شتوية خصبة بأراضي أزغار.

هكذا نفهم انطلاق بني وراين في اتجاهين، واحد حملها إلى الشمال الشرقي صوب سهل گرسيف، والثاني ذهب بها إلى الشمال الغربي نحو واد إناون. وبينما تم نزولها في الاتجاه الأول دون عناء كبير وفي ظرف وجيز نسبياً، نظراً لعدم وجود عوائق كثيرة في طريقها عبر سهول ترحال ضعيفة التعمير، فإن حركتها في الاتجاه الثاني صادفت صعوبات كثيرة في جهات كانت تقطنها عدة قبائل استقرت بها منذ قديم، تمارس تربية الماشية والزراعة المسقية (بسبب وفرة مياه العيون والأنهار) والبعلية في الأودية والأحواض والمنخفضات. وتعيش في قرى ومداشر متعددة، بعضها جيد التحصين، مما منح أهلها قدرة على الدفاع والمقاومة والصمود في وجه الجماعات الغازية. هذا علاوة على أن نوعية السطح الشديد والتضرس لم يسمح باكتساح الأراضي بنفس السهولة التي تمت بها الأشياء في جهة الشرق.

لذا جاء نزول بني وراين على مراحل ودفعات متفاوتة الضغط، تفصل بينها فترات سلم أو فترات توقف الهجوم بسبب انتفاضات صمود تبديها القبائل المحلية نتيجة إبرامها معاهدات أو تحالفات أو تلقيها بعض الدعم من الحكم المركزي عندما تسمح له الظروف بذلك. غير أن الغلبة كانت في نهاية الأمر لبني وراين والقبائل المتحالفة معها، مثل أيت سغروشن ومرموشة. وساهم في ذلك تظافر عدة عوامل، من أهمها قدرة القبائل الوراينيّة على التحرك السريع واتخاذ المبادرة في الهجوم وتنظيم الحملات المباغتة ومنها إصرارها وتصميمها على بسط سلطتها على أراضي آزغار ومنها تعبئتها المتواصلة من طرف الزوايا والزعامات المحلية ومنها أخيراً عجز المخزن على تقديم الدعم اللازم لقبائل المناطق المنخفضة الموالية له.

وتم تقدم بني وراين بشكل متفاوت. فبينما لم يكسبوا سوى بعض الأراضي في الشمال على حساب قبائل غياتة الشديدة البأس الجيدة الاعتصام بمرتفعات تازكّة المنيعة، فإنهم استولوا على جزء لا بأس به من بلاد بني علاهم وبني يازغة في الغرب، في حين توسعوا بالأساس، صحبة حلفائهم أيت سغروشن، فوق أراضي بني سادن وخاصة الحياينة في الشمال الغربي، وكان الحياينة ينتشرون في الوادي وعلى الهضبة جنوب نهر إناون. ويظهر أن بني وراين أدركوا الموضع الذي يوجد به سوق ثلاثاء الزرارة حوالي 1308 / 1890، فأمر آنذاك السلطان الحسن الأول ببناء قصبة تاجّنة (حوالي 6 كم شمال مركز تاهلة الحالي، عند مخرج عين نضاخة) قصد مكافحة تقدمهم ومنعهم من الوصول إلى إناون وبالتالي التحكم في الطريق الحيوية الرابطة بين فاس وتازاوين شرق البلاد وغربها.

لكن ذلك لم يوقف الزحف الوراييني إلا لفترة قصيرة، إذ أن موت السلطان وما تلاه من احتدام الفتنة واشتعال الثورات وتمزق البلاد أضعف كثيراً قبائل بني سادن والحياينة وفتّ في عضدها، في حين شجع بني وراين على استئناف تحركم وتقدمهم نحو الشمال. ففي مطلع السبعينات من هذا القرن، كان لا يزال على قيد الحياة عدد هام من شيوخ بني وراين يذكرون جيداً كيفَ أنهم نزلوا أطفالا أو شبابا مع آبائهم للاستقرار فوق الأراضي التي طردوا منها بني سادن والحياينة حتى عبروا وراءهم النهر وأصبح لهم موقع قدم قار على ضفته الشمالية. وبرز بذلك بني وراين كأنهم قوة قبلية شرق فاس، مما دفع السلطان عبد الحفيظ إلى الاستنجاد بهم عندما حاصرته القبائل الثائرة في قصره بفاس خلال شهري مارس وأبريل 1911، لكنهم تأخروا عن نجدته.

لم تشارك كل القبائل الوراينية في هذا النزول من بويبلان إلى إناون بنفس الحدة ونفس الأعداد البشرية، فبعضها اكتفى بالتوسع عند قدم الجبل، بينما أرسل بعضها الآخر رجالا قلائل إلى المناطق المنخفضة واستقر جزء كبير من قبائل أخرى في جهات مختلفة من أزغار، لكن دون قطع الصلة مع الجبل. لذا نجد بعض هذه القبائل تجتمع في مكان واحد مثل أولاد علي، في حين ينقسم بعضها إلى جزءين أو ثلاثة أو أربعة أجزاء متفرقة، ممتدة من الجبل حتى الوادي، مستغلة رساتيق رعوية وزراعية مختلفة ومتكاملة، مثلما هو الحال بالنسبة لقبائل أيت عصّو وزرارده وإمغيلن وبني بوزّوت وبني عبد الحميد وأيت بن علي، وكذا جماعات تعتبر دخيلة على اللف الوراييني مثل أولاد الفرْح وبني مْكود، وإلى حدما أيت سغروشن.

غير أن بني وراين لم يتمتعوا طويلا بهذه الأراضي الجديدة والمنتجعات الشتوية الثمينة التي بذلوا من أجل اكتسابها مجهودات جبارة طيلة قرن من الزمن. ذلك أن الجيوش الفرنسية بادرت، غداة معاهدة الحماية، إلى احتلال ممر إناون الإستراتيجي الذي يراقب بني وراين وغياتة مدخليه الشرقي والغربي، قصد ضمان الربط والمواصلات مع المغرب الشرقي الذي تتقدم منه كتائب فرنسية أخرى.

كانت تلك نهاية توسع بني وراين وبداية محنتهم. فبعد

فإنهم استولوا على جزء لا بأس به من بلاد بني علاهم وبني يازغة في الغرب، في حين توسعوا بالأساس، صحبة حلفائهم أيت سغروشن، فوق أراضي بني سادن وخاصة الحياينة في الشمال الغربي، وكان الحياينة ينتشرون في الوادي وعلى الهضبة جنوب نهر إناون. ويظهر أن بني وراين أدركوا الموضع الذي يوجد به سوق ثلاثاء الزرارة حوالي 1308 / 1890، فأمر آنذاك السلطان الحسن الأول ببناء قصبة تاجّنة (حوالي 6 كم شمال مركز تاهلة الحالي، عند مخرج عين نضاخة) قصد مكافحة تقدمهم ومنعهم من الوصول إلى إناون وبالتالي التحكم في الطريق الحيوية الرابطة بين فاس وتازاوين شرق البلاد وغربها.

لكن ذلك لم يوقف الزحف الوراييني إلا لفترة قصيرة، إذ أن موت السلطان وما تلاه من احتدام الفتنة واشتعال الثورات وتمزق البلاد أضعف كثيراً قبائل بني سادن والحياينة وفتّ في عضدها، في حين شجع بني وراين على استئناف تحركم وتقدمهم نحو الشمال. ففي مطلع السبعينات من هذا القرن، كان لا يزال على قيد الحياة عدد هام من شيوخ بني وراين يذكرون جيداً كيفَ أنهم نزلوا أطفالا أو شبابا مع آبائهم للاستقرار فوق الأراضي التي طردوا منها بني سادن والحياينة حتى عبروا وراءهم النهر وأصبح لهم موقع قدم قار على ضفته الشمالية. وبرز بذلك بني وراين كأنهم قوة قبلية شرق فاس، مما دفع السلطان عبد الحفيظ إلى الاستنجاد بهم عندما حاصرته القبائل الثائرة في قصره بفاس خلال شهري مارس وأبريل 1911، لكنهم تأخروا عن نجدته.

لم تشارك كل القبائل الوراينية في هذا النزول من بويبلان إلى إناون بنفس الحدة ونفس الأعداد البشرية، فبعضها اكتفى بالتوسع عند قدم الجبل، بينما أرسل بعضها الآخر رجالا قلائل إلى المناطق المنخفضة واستقر جزء كبير من قبائل أخرى في جهات مختلفة من أزغار، لكن دون قطع الصلة مع الجبل. لذا نجد بعض هذه القبائل تجتمع في مكان واحد مثل أولاد علي، في حين ينقسم بعضها إلى جزءين أو ثلاثة أو أربعة أجزاء متفرقة، ممتدة من الجبل حتى الوادي، مستغلة رساتيق رعوية وزراعية مختلفة ومتكاملة، مثلما هو الحال بالنسبة لقبائل أيت عصّو وزرارده وإمغيلن وبني بوزّوت وبني عبد الحميد وأيت بن علي، وكذا جماعات تعتبر دخيلة على اللف الوراييني مثل أولاد الفرْح وبني مْكود، وإلى حدما أيت سغروشن.

غير أن بني وراين لم يتمتعوا طويلا بهذه الأراضي الجديدة والمنتجعات الشتوية الثمينة التي بذلوا من أجل اكتسابها مجهودات جبارة طيلة قرن من الزمن. ذلك أن الجيوش الفرنسية بادرت، غداة معاهدة الحماية، إلى احتلال ممر إناون الإستراتيجي الذي يراقب بني وراين وغياتة مدخليه الشرقي والغربي، قصد ضمان الربط والمواصلات مع المغرب الشرقي الذي تتقدم منه كتائب فرنسية أخرى.

كانت تلك نهاية توسع بني وراين وبداية محنتهم. فبعد

أن استولى الفرنسيون كلية، بسهولة نسبية، على ممر إناون في 1914، إثر إخضاع قبائل بني سادن والحياينة، واجهوا مقاومة عنيفة من طرف غياتة وخاصة بني وراين نظراً لحنكتهم الحربية وسرعة تحركهم وتوفرهم على ظهير جبلي أرعن يلتجئون إليه. فعلى مدى ثماني سنوات استطاع بنو وراين الذين أخذوا ينسحبون تدريجياً إلى موطنهم الجبلي من حيث انطلقوا عقوداً قبل ذلك، مقاومة تقدم الجيوش الفرنسية التي فقدت أعداداً كثيرة من العساكر والضباط في معارك ضارية. غير أن الحصار الطويل الشديد في جبل قارس البرودة، شحيح العطاء، ثم استخدام الغزاة لأحدث وأفتك السلاح والعتاد المتوفر آنذاك، أفقد بني وراين أعداداً هائلة من البشر في ميادين القتال وبسبب الجوع والأمراض، كما أحدث بين القطعان موتانا شنيعاً، مما حمل زعماء القبائل على قبول الاستسلام سنة 1921، أملا في استرجاع أراضي أزغار كما وعدهم بذلك المحتلون في حالة إلقائهم السلاح.

ومع تراجع بني وراين نحو الجبل، تمكنت جماعات من بني سادن والحياينة من استعادة جل الأراضي التي ضاعت منها في الماضي. غير أن الفرنسيين احتفظوا لفائدة المخزن بمساحات هامة على طول الوادي بدعوى إقامة منطقة عازلة قصد تفادي نشوب نزاعات جديدة بين القبائل المحلية، وذلك بموجب ظهير 16 شتنبر 1918. وفي السنة التالية، أقاموا مركزين عسكرين بمطماطة والشبابات، مستعينين بجند من الحياينة الذين لم يجدوا بداً من مساعدة الفرنسيين الذين أعادوا إليهم أرضهم.

وباستسلام بني وراين برز مشكل كثير التعقد، ذلك أن إرجاع الأراضي إلى بني وراين، كما تم الوعد بذلك، استلزم انسحاب بني سادن والحياينة من جديد، إضافة إلى ضرورة اقتطاع جزء من أجود الأراضي لحساب المعمرين. وبموجب ظهير 8 يناير 1923، احتجزت السلطات 1250 هكتار من الأرض داخل الوادي وعلى هوامشه الجنوبية لفائدة المعمرين بدعوى أن هذه المساحة المحدودة لا تقلل شيئاً من تراب قبائل رحالة أو شبه رحالة خاصة بعدما قلصت الحرب من عدد سكانها وماشيتها. وانطلقت عملية توزيع الأراضي على المعمرين سنة 1928 لتستمر حتى تدنو الحرب العالمية الثانية. واسترد بني وراين باقي الأراضي مقابل استسلامهم النهائي ومساندتهم نظام الحماية.

ولضمان هذا المسعى الأخير، ألحق الفرنسيون أعداداً كبيرة من شباب بني وراين وكهولهم بصفوف جيش الاحتلال بهدف شل كل نزعة إلى التمرد ثانية من جهة، وبغية الاستفادة من قدرة الجندي الوراني الذي خبروا بأسه طيلة سنوات المقاومة المسلحة من جهة أخرى. كما حثوا أعيان القبائل على إرسال أبنائهم إلى المدارس العسكرية بالدار البيضاء ومكناس وغيرهما، وكذا إلى الثانوية الفرنسية البربرية بأزرو ؛ وحرصوا أيضاً على إدخال يتامى المحاربين الورانيين في الحرب العالمية الثانية وحرب الهند الصينية إلى المدارس العسكرية. غير أن جل الأسر ظلت متحفظة تجاه عملية التجنيد هذه في صفوف جيش أجنبي نصراني شرد القبائل وفتك بها، فجاءت طلبات الانخراط الطوعية محدودة العدد.

ومع عودة بني وراين إلى المناطق المنخفضة، اضطروا إلى تغيير أسلوب عيشهم القديم المعتمد على الترحال. فسلطات الاحتلال راحت ترصد تحركات القبائل وتقنن دخول المواشي للغابات وتفرض عليها انتهاج بعض المسالك، مع حث الجماعات البشرية على الاستقرار قصد تسهيل مراقبتها. كل هذا جعل نشاط الرعي يفقد كثيراً من حريته وإن حافظ على كل أهميته الاقتصادية والاجتماعية، خاصة وأن جل الأراضي جماعية. غير أن ظاهرة امتلاك الأرض من طرف الأفراد والأسر بدأت تترسخ وتشيع لتجعل شيئاً فشيئاً من الملكية العقارية أساس القوة والثروة والجاه عوض أهمية قطيع الماشية كما كان في الماضي. ومع ذلك تدعمت تدريجيا ظاهرة الاستقرار وممارسة الزراعة، في تكامل مع تربية الماشية التي غدت تنزع أكثر فأكثر نحو شبه الترحال والانتجاع.

بيد أن هذه التغيرات ظلت طفيفة ومحدودة في المكان، طيلة فترة الحماية، وذلك بسبب ضعف الاستيطان الاستعماري واقتصار الاقتصاد العصري على المناطق الهامشية وعدم توغله داخل البلاد الورانية، وافتقار هذه الأخيرة إلى طرق المواصلات المعبدة، وابتعادها عن تازا وخاصة عن فاس مما جنبها بسط البرجوازية الحضرية يدها على أراضي القبائل مثلما حدث عند الجيران بني سادن والحياينة، لا سيما أن الظروف الطبيعية عسيرة وأن غالبية الأراضي ملكية جماعية.

لم تأت التحولات الأساسية في حياة السكان وإشكال استغلال الأرض إلا بعد الاستقلال تبعاً لتظافر عوامل شتى، يمكن انتقاء الرئيسية منها. فالجرح الديمغرافي العميق الذي أحدثته عقود من النزاعات القبلية وبالخصوص سنوات من القتال المرير والمقاومة الباسلة ضد المستعمر والحصار الجبلي الشامل، صار يلتئم تدريجياً خلال الفترة التي استغرقها الاحتلال، مما ساهم فعلا في إنعاش تزايد السكان وأظهر الحاجة الماسة إلى البحث عن موارد أخرى غير تربية الماشية، في عين المكان وخارج المنطقة.

فعوض الهجرة إلى المدينة أو إلى خارج الوطن، فإن الجندية قد تمثلت لبني وراين المنفذ الأساسي لامتصاص فائض السكان. وتأكد ذلك أكثر عندما أدمج الجيش المغربي في صفوفه العناصر الورانية التي جندها الاستعمار، بل أصبح العديد من ضباطه هم أبناء الأعيان الذين كانوا قد التحقوا بقوات الاحتلال، مما ولد الحسرة والندامة عند كل الذين لم يفعلوا مثلهم في إبانه ليلقوا نفس النجاح. وهكذا انطلقت موجة تجنيد عارمة بين شباب أكثر في صفوف الجند. وعلى غرار جماعات أخرى من بلاد زيان أو الريف مثلا، أصبحت قبائل بني وراين تعتمد في

حياتها على الخدمة العسكرية التي توفر الشغل القار والمكانة في المجتمع والريع المادي للجندي والمتقاعد والمحال على المعاش ولأسرتهم.

لكن حركة التجنيد بدأت تسجل فتوراً ملحوظاً انطلاقاً من السبعينات، علاوة على أن عدداً من الأسر الوراينية راحت تتطلع إلى تكوين أبنائها في غير الجندية حتى يتقلدوا مكاناتهم في مختلف الوظائف المدنية.

وإذا كانت الجندية قد سمحت بانفتاح بني وراين على العالم الخارجي، فإن عوامل أخرى، اقتصادية واجتماعية وثقافية، ساهمت في هذا بشكل أوضح وأبلغ، أهمها تعبيد بعض المسالك الموروثة وشق طرق جديدة (في إطار الإنعاش الوطني) أخرجت المنطقة من عزلتها بعض الشيء وسهلت انتعاش الحركة التجارية في الأسواق الأسبوعية رغم أن هذه الأخيرة تبقى متواضعة، خاصة داخل المجال الجبلي. كما أن تعزيز الإدارة المحلية، بتقسيم المنطقة إلى أربع جماعات قروية، عمل على تحسين محسوس في التجهيزات الأساسية والمرافق العمومية وخاصة في ميداني الصحة والتعليم. وقد أدى هذا التحسن النسبي إلى تراجع نسب الوفيات، لكن بصفة موازية انطلقت الهجرة إلى خارج المنطقة وإلى مركز تاهلة، خاصة بين فئات المتعلمين. وإذا علمنا أن نسبة الولادة هي هنا أقل من المتوسط المغربي، أدركنا لماذا تتميز قبائل بني وراين بمعدلات تزايد ضعيفة لا تربو على 1٪ سنوياً، بل أدنى من ذلك في جهات متعددة كما هو الحال عند مغراوة.

نسب التزايد السنوية لسكان بني وراين حسب الجماعات القروية بين 1936 و1982 (نسب مائوية)

الجماعات القروية	1936-1960	1960-1971	1971-1982
تاهلة *	2.60	2.26	1.13
ثلاثاء الزرارة	2.46	1.34	1.40
بركين	0.83	2.27	1.25
مغراوة	0.86	1.58	0.67
المجموع	1.34	1.97	1.10

* ناقص فخذة الزاوية غير الوراينية

وعلى أساس هذا التطور، يمكن تقدير سكان أرياف بني وراين بنحو 80.000 نسمة في مستهل عقد التسعينات، يتوزعون على الشكل التالي حسب الجماعات :

تطور عدد سكان الجماعات القروية بين 1936 و1991

الجماعات القروية	1936	1960	1971	1982	1991
تاهلة *	5.865	10.853	13.875	15.696	17.500
ثلاثاء الزرارة	3.793	6.804	7.879	9.182	10.500
بركين	17.038	20.758	26.574	30.473	33.000
مغراوة	11.269	13.824	16.421	17.667	19.000
المجموع	37.965	52.239	64.749	73.018	80.000

* ناقص فخذة الزاوية غير الوراينية.

يظهر من خلال نمو السكان كيف أن القبائل الشرقية من بني وراين (الموجودة بجماعتي بركين ومغراوة) هي التي زودت بالسكان المناطق الغربية (بجماعة تاهلة والزرارة) في الماضي، فنمت الأولى، بين 1936 و1960، بمعدل سنوي يقل عن 1٪ بينما فاقت زيادة الثانية 2.5٪ ؛ ذلك أن الجهات الشرقية أكثر ارتفاعاً ووعورة وانعزالا، وهي أقسى برودة مع تلقيها كميات هامة من الثلوج تغطي قمم وسفوح بويبلان وبوناصر، لكن هناك أحواضاً جافة مثل حوض نهر زبزيط الذي لا تتهاطل به أكثر من 400 مم سنوياً في المتوسط. لذا تحتاج الزراعة هنا إلى الري، وتظل تربية الغنم والمعز نشاط السكان الأساسي، مما لا يسمح إلا بوجود كثافات سكانية ضعيفة نسبياً لم تكن تتجاوز في المعدل عشرة أشخاص في الكيلومتر المربع سنة 1960، ولا تزيد على خمسة عشر حالياً.

أما الجهات الغربية، فظروفها الطبيعية أرحم وتتوفر على مؤهلات فلاحية أفضل، خاصة في هضبة تاهلة حيث يمارس السكان، أكثر فأكثر، زراعة متنوعة تمزج بين الحبوب وغراسة الزيتون، مع تنظيم الري في بعض الأودية وعند مجاري العيون الكبرى، هنا تتعدى الكثافة السكانية اليوم الخمسين بعدما تجاوزت الثلاثين قبل ثلاثة عقود. فهذه المناطق المنبسطة على العموم أسهل اتصالا مع باقي المغرب عبر ممر إناون. وإذا كان مركز التعمير الفلاحي الذي أنشأه الفرنسيون باكراً بمطماطة لم يكتب له النجاح، فإن المركز الإداري الذي أقاموه بتاهلة قد عرف نمواً سريعاً، خاصة بعد الاستقلال بسبب استقطابه لعديد من الأسر الوراينية والسغروشنية الراغبة في الاستفادة من التجهيزات الاجتماعية (الصحة، التعليم، الإدارة...) المتوفرة به مما أدى بعدد سكان هذه المدينة الصغيرة، الوحيدة ببلاد بني وراين إلى الارتفاع بسرعة فائقة، من 2.500 نسمة سنة 1960 إلى نحو 4.000 سنة 1971 ثم 11.000 في 1982 ونحو 20.000 في مستهل عقد التسعينات (انظر مادة تاهلة)، ليصبح مجموع سكان بني وراين حالياً حوالي 100.000 نسمة.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، الجزء الأول، تر. محمد حجي وأحمد الأخضر ؛ *إحصاء السكان* لسنوات 1936، 1951، 1960، 1971، 1982.

J. Brignon (et al...), *Histoire du Maroc*, 1967 ; D. Noin, *La population rurale du Maroc*, Paris, 1970 ; A. Fadloullah, *La Vie humaine dans le plateau de Tahla - Matmata*, 1974.

عبد اللطيف فضل الله

بني ورتدّى، ارتبط اسم بني ورتدى أو ورتيدى بأقدم سكان جبل قبيلة قلعية إحدى قبائل إقليم الناظور الواقعة بجبل أگرگور المشرف على مليلة المحتلة. يعود أول ذكر لبني ورتدى إلى سنة 250 هـ، حينما أدخلت القبيلة سعادة الله، أخا سعيد أمير بلد النكور، قلعة جارة (قلعة تَزُوطا المرينية).

وقد يكون اسم التجمع السكاني مركب من لفظ "ور" المحول عن الأصل الأمزيغي "أر" أو "أرى" الموازي للفظ "بني". وبناء على ذلك فإن الكاتب العربي أضاف اللفظ

العربي إلى المقابل له باللهجة المحلية. أما لفظ "تدى" أو "تيدى" فهو اسم التجمع السكاني القديم، سواء كانت نسبته مرتبطة بالجد المستقر أو بالوسط الجغرافي.

والراجح أن يكون معنى وَرْتِدِّي بكسر الدال، مركباً من "وَرْ" الذي يعني "فاقد الشيء" ومن "تـدِّي" وتعني "القامة"، فيكون بني ورتدي هم أبناء القصير ولعلها عند زناتة تقابل جزولة عند المصامدة.

والمعروف أن ورتدى منتمون إلى فصيلة بطوية، سكان الجبال الساحلية المشرفة على المتوسط من إطار الريف الشرقي، سواء كانت الفصيلة منحدرة من الأصل الصنهاجي أو النفزي. ويفهم من البكري أن ورتدى كانوا يمثلون العنصر الغالب بمليلة ونواحيها، إذ أنهم كانوا سكان قلوع كرط (قلعية) والمتحكمين في القلعة، تنضوي تحت حكمهم تجمعات أخرى، مثل غساسة النفزية ومطماطة وبني يفرن وغمارة.

قامت تجمعات ورتدى بالدور الأساسي في تعمير مليلة وترويج بضائع التجارة الصحراوية بها منذ بداية أمرها في منتصف القرن الثاني الهجري إلى أن تم استيلاء موسى بن أبي العافية على قلعتهم (319 هـ). وانتهى أمرهم بتخريب مليلة على يد جوهر الصقلي (347 هـ).

اختفى اسم بني ورتدى من المصادر، ولم يدل على بقائهم بمواطنهم سوى انتمائهم إلى بطوية القرن السادس الهجري. وفي أواخر هذا القرن كانت بعض جماعاتهم مستقرة على رأس طرف تغلال (حالياً سيدي شعيب المفتاح)، الكتلة البركانية المشرفة من أراضي قبيلة تمسمان.

أ. البكري، *المغرب*، 94 ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، 171 ؛ عبد الحق البادسي، *القصد الشريف*، 51. 61 ؛ حسن الفگيگي، *مليلة حاضرة قلوع كرط*، دار النيابة، العددان السابع والتاسع.

حسن الفگيگي

بني ورْياغل، قبيلة تقع بناحية الريف (إقليم الحسيمة) وتحد شمالا بالبحر المتوسط وتحيط بها قبائل تمسمان وبني توزين وگزناية وبني عمارت وبني مزدوي وترگيست وبني يطفت وبقّوية، وهي أكبر قبيلة بالريف. ولا شك أن زعامتها لجميع القبائل الريفية يرجع سببه لكون مدينة النكور التي أسس بها صالح الحميري إمارته في الفتح الإسلامي الأول، كانت توجد بهذه القبيلة إلى أن هدمها يوسف بن تاشفين سنة 473 / 1080، كما أن مدينة المزمة كانت هي الأخرى تقع بأرض بني ورياغل.

تقدر مساحتها بـ 1029 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 يبلغ 65.957 نسمة يتكلمون اللهجة الريفية، وأهم مركز بالقبيلة هو مدشر أجدير، ويوجد بالقبيلة ثمانون مسجداً وواحد وثلاثون ضريحاً وتسع زوايا وثلاثة وثمانون كتاباً قرآنياً وسبع مدارس للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى ست فرق هي : أيت يوسف وعلي

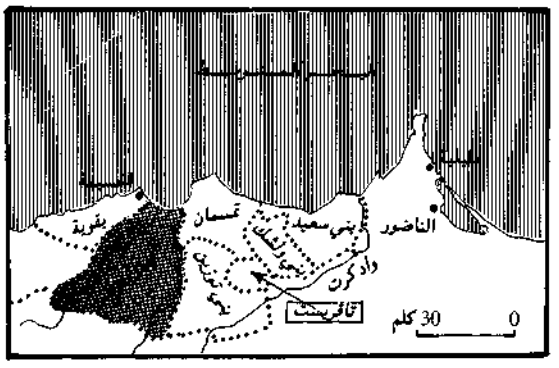

موقع بني ورياغل

(18 مداشر) والمرابطين (15 مدشراً) وبني عبد الله (22 مدشراً) وبني حذيفة (12 مدشراً) وبني بوعياش (17 مدشراً) والجبل (16 مدشراً).

وفي النظام الإداري، تنقسم القبيلة إلى ست جماعات قروية هي : جماعة أيت يوسف وعلي، وجماعة المرابطين، وجماعة بني عبد الله، وجماعة بني بوعياش، وجماعة بني حذيفة، وجماعة أربعاء تاوريرت.

ومن المعلوم أنه بالقرب من شاطئ هذه القبيلة توجد جزيرة النكور المحتلة من طرف الإسبان.

ع. البادسي، *القصد الشريف*، 110 ؛ أ. البكري، *المسالك*، 90، 92 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 117.

Aranda, *Geografia de Marruecos en general y de la zona española de protectorado en particular*, s.l s.a ; A. Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos de Marruecos*, Madrid, 1916, passim ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, T.II ; A. Domenech Lafuente, *Zona Norte*, passim ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos*, Melilla, 1926, passim ; D. Hart, *Tamuda* V, 1957, p. 242 ; *Vademecum de la intervencion territorial del Rif*, 1946, p. 71.

محمد ابن عزوز حكيم

مولييراس، حيث لا يزالون إلى اليوم.

يحدد الفراغ الذي تحتله القبيلة مجرى واد ورغة الأعلى، ابتداء من مخرجه من أراضي جنوب بني زروال، ليشكل المجرى من تلك الجهة حدود القبيلة الشرقية، ويعرف هناك واد ورغة باسم "واد أولاي"، وهو الفاصل بينها وبين قبيلتي الجاية ومزراوة. ويرسم واد ورغة من هناك الحدود الجنوبية للقبيلة، مما يقابل قبيلتي سلاس وفشتالة، إلى أن يدخل في أراضي مزگلدة التي يفصل بينها وبني ورياگل واد أفناس.

ولا تظهر بسطح أرض بني ورياگل من المرتفعات سوى ما يلاحظ في جهتها الشرقية المحاذية لواد ورغة (جبل أفناس، جبل البيبان، جبل تمسرات). أما باقي المساحة فسهلية، شهد الوزان بخصبها وتنوع إنتاجها، وكثرة قراها (60 قرية) وعدد سكانها، يشير إلى ذلك عدد المحاربين (12.000 محارب). إلا أن هذا العدد كان قد تقلص إذا ما صدقنا ما جاء به كتاب مولييراس (800 محارب. 5.600 ساكن). وتظهر أهم التجمعات في الوقت الراهن بقرية تبودة من جهة الجبل وفي قرية بني كيسان بالمنطقة السهلية.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 259. 302. 363، 7 : 602. 688 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، 297 ؛ *الذخيرة السنية*، 54. 85. 110 ؛ ح. الوزان، 1 : 263 ؛ ع. ابن منصور، *قبائل المغرب*، 335.

Marmol Carbajal, *L'Afrique*, 1 : 255 ; A. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, 2 : 761 - 762.

بني وَرِيمَّش، قبيلة من القبائل المستقرة بجبال بني إزناسن منذ القديم، وردت الإشارة إلى وجودها بالمكان الذي تحتله في الوقت الراهن خلال النصف الأول من القرن الرابع الهجري، وتعد بذلك من القبائل المغربية المحتفظة بالاسم والموطن طوال هذه القرون، فلا تزال تجمعاتها بالموضع الذي أشارت إليه رسالة موسى بن أبي العافية المكناسي إلى الخليفة الناصر الأندلسي سنة 317 هـ.

تحتل تجمعات بني وريمّش الكتلة الجبلية الغربية من بني إزناسن، منتشرة بالسفوح المطلة على مجرى واد ملوية المسايرة للضفة اليمنى، وعلى الفراغ الممتد بين واد "شراعة" شمالا، وواد "إفران" جنوباً. وتشرف تلك القرى على جبل كبدانة ومجالات أولاد ستوت من سهوب كرط. كما تطل قرى السفوح الشرقية الممتدة بين منابع واد شراعة إلى الحوض الأعلى من واد إفران على السهوب المحيطة حول "عيون سيدي ملوك".

تعد بني وريمش من القبائل اليزناسنية الكبرى، إلى جانب تريفة الواقعة خارج حدود القبيلة من جهة الشمال، وبني محيو المتصلين بها من جهة الجنوب الغربي. ويجاور بني وريمش من جهة الشرق قبيلة بني عتيق، جارة بني منگوش، بالكتلة الشرقية اليزناسنية.

وتغطي أراضي قبيلة بني وريمش مساحة غابوية هامة، تظهر بجبل "تَلزَارْتْ"، حيث القرية المعروفة بنفس الاسم، ثم جبل تَافُغَالْتْ (1153 م) المعروف بتجمعاته ذات التاريخ المتوغل في عصور ما قبل التاريخ. وتنتظم التجمعات السكانية على طول المنابع والأودية المتجهة عادة من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي من الكتلة. وأهم الفرق، بدءاً من الجنوب إلى الشمال : أولاد علي الشباب الموزعون على كل من واد ثلاث تلغامت وواد علي الشباب. ثم أولاد عبو المستقرون حول منابع واد "تغيت"، وأولاد عبد السيد المتجولون على طول السهل المرافق لمجرى واد ملوية من جبل "أكليم الكبير" إلى واد شراعة.

ابن حيان الأندلسي، *المقتبس*، 5 : 251 ؛ *خريطة طبوغرافية* لسنة 1954.

A. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, 2 : 192.

بني الوزير، أسرة تعد إحدى الجماعات الوطاسية الخمس الأساسية، احتفظت لنفسها بالمكانة والصولة إلى جانب بني مرين، منذ دخولهم حدود المغرب الشرقي إلى أن انتهى أمرهم في آخر القرن السابع (13 م). ويلقب رأس الأسرة بالوزير، الداخل مع عبد الحق بن محيو المريني إلى الريف الشرقي وقلعة تزوطا. فإلى الوزير وأبنائه من بعده كانت ترجع رآسة بني وطاس خلال القرن السابع. وظلت تلك الرآسة مصدر طموح بني الوزير وتوجس بني مرين، مما جعل الأخيرين يتركون تحت نظر الأسرة ومن معها من جماعات بني وطاس (بني يتفادمو، بني فاتح، بني أبي جابر، بني فنتس) جميع بلاد الريف، شرقها وغربها، وسكنى ضواحيها واقتسام أعمالها وجباية رعاياها وأمصارها، باستثناء قلعة تازوطا.

ولم يكن ذلك كافياً لإرضاء طموح أسرة بني الوزير، فقد تطلع أفرادها إلى القبض على زمام القيادة المرينية وهي في مهدها. ظهر هذا في بداية عهد الأمير أبي بكر (أبي يحيى) بن عبد الحق (642. 656 هـ) ففي هذا التاريخ كان الوزير قد توفي وترك الرآسة بيد ابنيه يحيى مساعد المرينيين في حربهم للموحدين، وهو حامل بيعة بني مرين إلى السعيد الموحدي، أثناء إقامته برباط تازا سنة 645 هـ. وياسين الذي تعرفنا عليه أثناء جولاته بجبال بطوية، وتوقفه بتمسمان عند رابطة أبي داود، وشيخها آنذاك إبراهيم بن عيسى بن أبي داود، المتوفي سنة 650 هـ.

ويمكن أن يقال إن طموح بني الوزير تأكد للانفراد بحكم بلاد الريف بعد استيلاء المرينيين على رباط تازا سنة 646 هـ. وأن أعينهم كانت موجهة نحو الاستحواذ على قلعة تازوطا التي ظل منصبها حكراً على أفراد الأسرة المرينية دون منافسيهم الوطاسيين. هذا هو ما عبر عنه اثنان من أبناء يحيى بن الوزير. كان عمر وأخوه عامر رئيسين على بني وطاس خلال عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق. وبوفاة هذا الأخير (685 هـ) وتولية ابنه يوسف تهيأت لهما فرصة الاستقلال بقلعة تازوطا والناحية الريفية. ففي شوال 691 / 1291 وثب عمر بن يحيى على القلعة وبها منصور بن عبد الواحد، ابن أخي السلطان، فغلبه عليها. وبوصول منصور إلى فاس، سرح السلطان يوسف إلى تازوطا وزيره عمر بن

المسعود بن خرباش الحشمي، ثم سار في أثره. وبعد الحصار الذي دام نحو ثمانية أشهر أمكن القضاء على أسرة بني الوزير. فعامر وعمر تمكنا من الفرار إلى تلمسان، بينما قتل باقي أفراد الأسرة في آخر جمادى الثانية من سنة 692 / 1292. وبذلك أسدل الستار على هذه الأسرة.

ع. البادسي، *القصد الشريف*، الرباط، 1982، ص. 62 ؛ ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972، 71 ؛ *القرطاس*، الرباط، 1973، 381 ؛ إ. ابن الأحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962، 11 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، تطوان، 1960، 3 : 387 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 450.

حسن الفكيكي

بني وطاس، ـ قبيلة وإمارة ـ (869 ـ 961 / 1464 ـ 1553)، ينتسب الوطاسيون إلى بني وطاس، بطن من بني مرين الزناتيين، استقروا في بلاد الريف ما بين مصب وادي ملوية شرقاً ووادي النكور غرباً عندما دخل بنو مرين إلى المغرب الأقصى واقتسموا جهاته بين قبائلهم، فكانت بلاد الريف من نصيب بني وطاس منهم "فكانت ضواحيها لنزلهم، وأمصارها ورعاياها لجبايتهم، وكان حصن تازوطا من أمنع معاقلهم" (حسب تعبير ابن الأعرج).

يذكر المؤرخون أن ملوك بني وطاس ووزراءهم يرجعون إلى أسرة بني الوزير التي اشتهرت بالرياسة في بني وطاس عبر التاريخ، وأسرة بني الوزير هذه أسرة صنهاجية دخيلة على الوطاسيين الزناتيين، تنسب إلى عقب علي بن يوسف ابن تاشفين، نزلوا على بني وطاس عند سقوط دولة الملثمين (المرابطين)، ورسخت فيهم عروقهم حتى لبسوا جلدتهم "ولم يزل السمو متربعاً بين أعينهم، والرياسة شامخة بأنوفهم، ويرون أنفسهم أسمى قدراً من بني عبد الحق المرينيين وإن كانوا وزراء لملوكهم".

وكان أهل النجدة من سلاطين بني مرين يدركون هذا التطلع عند بني وطاس مما جعلهم يعتنون بحصن تازوطا (معقل الوطاسيين)، وينزلون به من أوليائهم من يثقون بولائه ومعرفته لسياستهم ليكون آخذاً بناصية هؤلاء الرهط وما يتطلعون إليه، ومع ذلك ظهرت منهم محاولات عديدة كانوا يهدفون منها القفز إلى العرش ولكنها فشلت في المهد إلى أن كانت حادثة عبد الحق بن أبي سعيد آخر سلاطين بني مرين حينما أقدم على قتل الوزير يحيى بن يحيى الوطاسي وعشيرته. ولم يفلت من الوطاسيين سوى محمد الشيخ بن أبي زكرياء، ومحمد لحلو صنو الوزير المقتول اللذين فرا نحو الصحراء، ثم رجعا مع من نجا إلى حصنهم تازوطا في جبال الريف، فاجتمع محمد الشيخ الوطاسي هناك بقبيلته، ولحق به بقية رجال الدولة المرينية الذين استاؤوا مما فعله السلطان عبد الحق. وهناك جمعوا شتاتهم واجتمعت عليهم جموع أهل النجدة من عرب معقل وغيرهم، فاشتغلوا في البداية برد هجومات البرتغاليين وصدهم عن سواحل المغرب. وتحت شعار الجهاد انضم لمحمد الشيخ الوطاسي عدد من زعماء القبائل. ولما استفحل أمره اتفقت جموعه على إمارته فبايعوه، ونصب أخاه محمد لحلو وزيراً له ودخل في حزبه قبائل جبال الهبط وعرب الخلط أواخر سنة 863 / 1458. فاتخذ أصيلا عاصمة له، وأنزل بها ذخائره وأمتعته وخرج غازياً إلى بعض السواحل المجاورة ففاجأه أسطول البرتغال بالهجوم على أصيلا واحتلالها على حين غفلة من أهلها، فذهبت ذخائره التي أودعها بها، كما أسر ولده محمد وظل عند البرتغاليين سبع سنين ـ وهو الذي سمي فيما بعد بمحمد البرتغالي ـ وبذلك دخل محمد الشيخ الوطاسي في حروب طويلة ومتواصلة مع البرتغاليين على ساحل المغرب الأطلسي قبل أن تجره الأحداث إلى الحاضرة.

تطورت الأحداث بمدينة فاس تطوراً سريعاً عندما قام السلطان عبد الحق بن أبي سعيد آخر سلاطين بني مرين وعين وزيرين يهوديين : هارون وشاويل وحرضهما على الانتقام من سكان مدينة فاس، فتصرفا بشكل جعل خطيب القرويين عبد العزيز الورياغلي يقود انقلاباً حقيقياً ضد السلطان عبد الحق المريني، ويرشح للعرش محمد الحفيد العمراني الجوطي، بحيث عمل على إخراج السلطة من يد المرينيين نهائياً وحولها إلى بيت الشرفاء الأدارسة.

لما نجح الانقلاب وقتل عبد الحق آخر سلاطين بني مرين سنة 869 / 1465، وتولى عرش المغرب محمد الحفيد العمراني، توجه محمد الشيخ الوطاسي من القصر الكبير إلى فاس والتحم في معارك مع الشريف العمراني الذي انهزم في النهاية واضطر أن يتنازل عن العرش للشيخ الوطاسي سنة 875 / 1469، وبذلك تسلمت الأسرة الوطاسية عرش المغرب رسمياً لمدة تسعة عقود تقريباً.

كانت الظروف التي وصل فيها محمد الشيخ الوطاسي للعرش تتميز بالتعقد، وتحمل مؤشرات عديدة تدل على حدوث متغيرات مختلفة واستقبال المغرب لمرحلة جديدة تتطلب شعاراً جديداً أقوى من شعار العصبية ومفعولها.

يعتبر المد الإيبيري ومشروع التطويق الذي جاء به المرتكز الأساس في هذه المتغيرات، حيث سيكون الفاعل الذي يفرز ردود الفعل في شمال المغرب وجنوبه. فلما تأكد أن الإسلام في المغرب يواجه تهديداً حقيقياً خطيراً، وأن سلطة العصبية عاجزة عن حمايته برزت قوات جديدة تقوم على مبدئي الشرف والجهاد اللذين تبين أنهما أقوى من جاذبية العصبية، وهذا ما يفسر ظهور إمارة بني راشد بزعامة الشرفاء العلميين وبنائهم قلعة شفشاون بجبل العلم سنة 867 / 1472، على جبهة مدينة سبتة التي كانت قد سقطت منذ 818 / 1415. وظهور الشرفاء السعديين بسوس قبالة جبهة حصن فونتي الذي بناه البرتغاليون قرب أكادير، وتنظيمهم هجومات ناجحة ضد البرتغاليين بساحل سوس وزحفهم نحو الشمال. وظهر في نفس الوقت أمام جبهة العرائش وأصيلا الشيخ الغزواني الذي كوّن قوة شعبية للدفاع عن الإسلام. ورغم أن محمداً الشيخ الوطاسي أخمد حركته في المهد فإن الظروف كانت تدعو إلى البديل سيما مع ظهور الأتراك بالجزائر وامتدادهم للمغرب الأقصى لنفس

الأسباب.

توالى على العرش الوطاسي أربعة ملوك هم :

المؤسس محمد الشيخ بن أبي زكرياء الوطاسي (863. 920 هـ)، وولده محمد المهدي (920. 932 هـ) الذي كان يحمل لقب محمد البرتغالي ؛ ثم أحمد الوطاسي (932. 965 هـ) الذي جمد حركات الجهاد ضد الإسبان والبرتغال نهائياً، وعقد معهم هدنة، وسمح بجعل مدينة القصر الكبير مركزاً تجارياً تدخله البضائع الأوربية بشكل نشيط، ويلتقي فيه التجار المغاربة والأوربيون بحيث دخل في علاقة استغلال تجاري ـ حسب *زهرة الشماريخ* ـ، وتوجه بكليته إلى السعديين.

لقد أصبح حوز مراكش منطقة رباط لجيوش الوطاسيين ضد السعديين ومن بين المعارك الكثيرة بينهما اشتهرت وقعة أمغاي التي حدثت بين أحمد الأعرج السعدي والسلطان أحمد الوطاسي سنة 935 / 1528 والتي أسفرت عن تكافؤ القوتين واقتسام المغرب بينهما إلى مغرب جنوبي للسعديين ومغرب شمالي الوطاسيين، وتحول الحوز إلى منطقة حدودية بينهما. ثم وقعة أبي عقبة على وادي العبيد خلال شهر صفر سنة 943 / 1536 التي جاءت بعد معارك طويلة ومتسلسلة استمرت أكثر من سنة. وقد انتهت وقعة أبي عقبة بانهزام شنيع للوطاسيين تراجع السلطان أحمد الوطاسي على إثرها إلى فاس، واضطر أن يقضي حوالي عقد من السنين في جمع صفوفه وبناء قوته من جديد، ثم قرر أن ينزل بكل ثقله في المعركة ضد السعديين، فحسب احتياطيه القوي من جبهة وادي لكوس البرتغالية، وهو الاحتياطي الذي كان يرأسه أخوه يحيى الذي كان يمثل القيادة الأولى في التنظيم العسكري الوطاسي، وزحف على السعديين بمراكش، فخرج إليه محمد الشيخ السعدي (الذي كان قد نجح في تنحية أخيه أحمد الأعرج وتولى هو زعامة السعديين)، فانهزم الجيش الوطاسي شر انهزام وتشتت شمله في معركة وادي درنة بتادلا سنة 952 / 1545 وسقط يحيى قائد الجيش الوطاسي وهو أخو السلطان أسيراً في يد السعديين. وبذلك فقد السلطان أحمد الوطاسي أقوى ما عنده في الجيش، فكان ذلك مؤشراً حقيقياً لسقوط الدولة الوطاسية، حيث زحف الزعيم السعدي محمد الشيخ إلى مدينة فاس وضرب عليها حصاراً شديداً، فبلغه أن عمود الوطاسيين يقوم على رموز علمية إذا استمالها استسلمت له المدينة بسهولة، فلما خاطب زعيم هذه الرموز العلمية، وهو عبد الواحد بن أحمد الونشريسي، رفض مراجعة عقد البيعة الوطاسية. ولما تبين أن رفض الونشريسي لا يقوم على حجة فقهية، وأن هذا الرفض سيزيد من صعوبة فتح مدينة فاس، أمر الشيخ السعدي بقتل الونشريسي، فقتل، ثم اقتحم الشيخ مدينة فاس ودخلها وأسر أحمد الوطاسي وأرسله مصفداً في الأغلال إلى مراكش سنة 953 / 1546.

وأفلت من يد السعديين علي بن محمد الشيخ الوطاسي المعروف بعلي المخلوع، وأبو حسون الذي استعان بالأتراك. لكنه سقط في النهاية قتيلا قرب أسوار فاس سنة 961 / 1553، وبموته انقرضت الدولة الوطاسية، وحلت محلها دولة الشرفاء السعديين.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 4 ؛ م. ابن الأعرج السليماني، *زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ*، مخطوط. خ. ع. بالرباط رقم 3657 د ؛ *اللسان المعرب عن تهافت المعمرين حول المغرب*، مخطوط خ. ح. رقم 297، وليست النسخة المختصرة المطبوعة بالرباط سنة 1971.

بني وكيل، أو الوكيليون، نسبة إلى أبي وكيل من أحفاد المولى إدريس الثاني الذين تعرضوا للاضطهاد على يد موسى بن أبي العافية على ما يظهر. فالوكيلي كالحجامي والوزاني والمشيشي والريسوني، هم أبناء عمومة من الفصائل الإدريسية التي تشتتت في شمال المغرب واستقرت في جهات مختلفة بناحية وجدة والحسيمة والناظور أو جهة الشاون والقصر الكبير وطنجة وغيرها.

ينقسم بنو وكيل إلى أربع مجموعات متفرقة في أربع نقط بشمال المغرب، منها مجموعتان بالمغرب الشرقي قرب مدينة وجدة، ومجموعة ثالثة بالريف قرب الحسيمة، ومجموعة رابعة بالحيانية قرب تيسة على المشارف الشمالية لوادي اللبن.

تكلم الضابط الفرنسي لوكلير Ch. René Leclerc عن مجموعتي بني وكيل في المغرب الشرقي قرب مدينة وجدة باختصار شديد حيث وصف موقعهما وتجمعاتهما وأوضاعها الاجتماعية الاقتصادية وصفاً سريعاً، فذكر أن المجموعة الأولى لبني وكيل تستقر بسهل تريفة على الجبهة الشرقية لهوارة شرق وادي ملوية. والمجموعة الثانية توجد بسهل أنكاد إلى الشرق من المجموعة الأولى قرب بني بوزكو. وكان استقرار المجموعة الأولى بسهل تريفة في الخيام فقط خلال مطلع القرن العشرين. كما أن تجمعات الوكيليين كانت من أفقر التجمعات في المنطقة. فمجموعة سهل تريفة مثلا، وهي أقوى المجموعات الأربع، كانت في مطلع هذا القرن تملك حوالي 5.000 رأس من الغنم وخمسين حماراً فقط.

وتستقر المجموعة الثالثة في نقطة گارت جنوب شرق الحسيمة بقليل في مدشر بني وكيل الذي يختلط فيه الشرفاء بغيرهم، وتمثل مجموعة فقيرة أيضاً مما جعل عدداً كثيراً من أسرها تغادر المنطقة إلى جهات مختلفة من مدن وبوادي المغرب، وخصوصاً إلى فاس حيث يتكاثرون بها، كما يوجد بعضهم بمكناس والرشيدية.

أما المجموعة الرابعة فتوجد بدوار بني وكيل بمركز بياضة المطل على مجرى وادي اللبن بالحياينة (أولاد اعليان) جنوب مركز تيسة بحوالي خمسة كيلومترات تقريباً. ويظهر أن ضعفهم الاقتصادي وانقسامهم إلى مجموعات متباعدة جداً فيما بينها وعدم بروزهم في الميدان العلمي جمّد دورهم السياسي والاجتماعي (الطرقي) تجميداً كاملا عكس الوزانيين والريسونيين مثلا.

ق. الورطاسي، *بني يزناسن*، ص 41 ؛ *روايات شفوية*.

أحمد العماري

بني وُلِيشْك، قبيلة تقع بناحية الريف (إقليم الناظور) وتحيط بها قبائل بني سعيد ومطالسة وتافرسيت وتمسمان وتقدر مساحتها بـ 221 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 18.505 نسمة يتكلمون باللهجة الريفية. ويوجد مركز القبيلة الرئيسي بابن الطيب، كما تحتوي القبيلة على خمسة وأربعين مسجداً وتسعة أضرحة وثلاث زوايا وأربعين كتّاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى خمس فرق هي : أزرو (16 مدشراً) أمزيلا (17 مدشراً) بني يخلف (14 مدشراً) بني عبد السلام (10 مداشر) وبني جيار (11 مدشرا).

وفي النظام الإداري تكوّن القبيلة جماعتين قرويتين هما : جماعة المهاجر وجماعة بن الطيب.

Aranda, *Geografia de Marruecos en general y de la zona española de protectorado en particular*, s.l s.a ; A. Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos de Marruecos*, Madrid, 1916, passim ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, T.II ; A. Domenech Lafuente, *Zona Norte*, passim ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos*, Melilla, 1926, passim ; *Vademecum de la intervencion territorial del Kert*, 1948, p. 119.

محمد ابن عزوز حكيم

بني ومْراس، إحدى الفرق الهامة المكونة لقبيلة بني عروس الهبطية. تتوزع أشهر تجمعاتها السكانية على المساحة الواقعة في الشمال الغربي من تراب القبيلة، بين جبل حبيب وبني گرفط، بما تتضمنه من القرى الجبلية والعزائب والمسارح التابعة لها، مكونة بذلك الجبهة الوحيدة المشرفة من أراضيها على منخفضات الهبط الأصلي. فالجبل عبارة عن كتلة صغيرة غير مرتفعة (523 م) ينحصر طولها المنتصب من الشمال نحو الجنوب على شكل شبه عمودي بين واديين : واد الخروب الذي يجري في حدها الشمالي، وواد المخازن المار بجنوبها، بينما يضيق عرض الكتلة بين كل من واد عساك، رافد واد الخروب شرقاً، وواد عياشة مما يلي الغرب. ويظهر فراغ العزائب والمسارح ابتداء من منحدرات الجبل الغربية إلى الأراضي المنبسطة الواقعة غرباً بين واد الخروب وواد عياشة. وكانت هذه العزائب خلال القرن السابع الهجري من أملاك العلميين المشيشيين، ومنهم الشيخ عبد السلام بن مشيش الذي كان له عزيب بقرية بومهدي.

تتألف فرقة بني ومراس في الوقت الراهن من تسع قرى جبلية (دار براطية، المغزليين، الخنادق، بوقمو، الخالدين، عيادش، عين الاقصاب، عين الاسوار، عين معبد)، وثلاث قرى سهلية (بومهدي، دار الخيل، الحنانشة). ويحمل اسم ومراس حالياً مدشر يوجد ضمن فرقة أبياط التابعة لنفس القبيلة.

مقاومة بني ومْراس : تحدث برناردو ردريگس في *حوليات أصيلا* مرات عديدة عن بني ومراس، وساهم Benamares. ولاحظ (سنة 914 / 1508) أن الجبل كان قبل وجود البرتغال بأصيلا وطنجة آهلا بالسكان، إلى درجة أن عددهم فاق ما كان مستوطناً بجبل بني گرفط، وهذا الأخير قدر عدد قراه بنحو خمس وتسعين قرية. وأضاف الإخباري البرتغالي أن جل السكان قد غادروا مساكنهم متوجهين إلى نواح أخرى بعيدة، مشيراً كمثال إلى الجماعة التي اختارت الاستقرار بالضفة اليمنى من وادي اللكوس الممتدة بين العرائش والقصر الكبير. ولا يفسر أسباب تلك الهجرات سوى ما تعرضت له القرى منْ الغارات على يد جنود أصيلا منذ احتلال المدينة، وخاصة إثر الهجمات المتوالية التي تلقتها ما بين 1508 و1526. ولا أدل على ذلك من بقاء قرى بني ومراس خالية طوال الوجود البرتغالي بأصيلا. ونشير كمثال إلى قرية بومهدي ودار الخيل. ولم يظهر بقرية المنصورة سنة 1516 سوى العدد الضئيل من أهلها.

لقد عد البرتغاليون أراضي الفرقة داخلة فيما أسموه بحوز أصيلا، كما شكل الجبل وأهله عقبة لا بد من اجتيازها للوصول إلى بني حماید وبني عروس الجبلية عبر ممر الأبواب السالك بجوار واد الخروب، وظهر القصبة النافذ بين بني ومراس وبني گرفط.

وينبغي الرجوع إلى سنة 901 / 1495 لمعاينة موقف قرى بني ومراس، قبل افتراقها، تجاه الوجود البرتغالي بأصيلا خاصة، إذ أنها القرى الأولى التي عبرت عن الثورة، بدءاً برفض النظام الضريبي المفروض عليها بمقتضيات بنود 1471، ثم مع جواو الثاني سنة 1489. وقد تمكن علي بن راشد العلمي أمير شفشاون من مساندة القرى بتعيين اثنين من أبناء عمه على رأس الثورة، وهما : موسى ويعقوب. ووضع ما يزيد على ألفي محارب تحت تصرف الجميع. ففي ربيع الثاني من عام 901 / ديسمبر 1495 كانت مساهمة علي بن راشد قد أتت أكلها، إذ أن القرى المجاورة لأصيلا (جبل حبيب، بني مصور، بني گرفط) سرعان ما انضمت إلى حركة بني ومراس، وكانت المناسبة التي أعلن فيها عن مقتل حاكم أصيلا، مما حرك لشبونة للقيام بحملة تأديبية ضد أهل الجبل، فكان اللقاء بين الطرفين معركة حقيقية.

برز من رجال بني ومراس المقدمين على الجبل أعضاء أسرة النجار، نعرف منهم عمر النجار وولديه الحسين ويعقوب. وفي صيف 1416 عين علي بن راشد صهره "مرتين فرناندو" (علي فرناندو) مقدماً على الجبل لحراسة ممراته، مساعدة لمقدم جبل حبيب علي الرواص. بقي مرتين فرناندو بتلك الصفة إلى سنة 1518، ثم أسندت مهمة حراسة جبل بني ومراس إلى قيادة جبل حبيب.

الطاهر اللهيوي، *حصن السلام بين يدي أولاد مولاي عبد السلام*، ص. 332. 340 ؛ ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة : ضابط الأمور الوطنية للمنطقة الخليفية*، ص. 56، تطوان، 1953.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, p. 1 : 32 - 55 - 96, 2 : 24 - 25- 266 - 271 - 307 - 308.

حسن الفگيگي

بَني وَنْجَنْ أو بني ونجل، اسم لمجموعتين بشريتين بمنطقة الريف، واحدة في شماله بغمارة، والثانية بمنطقة ورغة العليا. كما أنه بجنوب هضبة تاسگيُّوت بأعالي وادي تيزلت، تحمل فخذة من مسفيوة اسم أيت وَنْجَا (*Contribution*, p. 146). وهذا الاشتراك في جذر الكلمة بين المجموعات المذكورة يفرض علينا اعتبار اسم بني ونجن. وحسب لاوست فإن الجذر ن. ج. ي. الذي من المحتمل أن تنتمي إليه الكلمة يحيل في تشلحيت، عند الكلام عن أحد الوديان، إلى فعل "جرى" ويحيل عند الهوگّار إلى فعل "سال" أي إلى وجود مياه سائلة على السطح نتيجة هطول أمطار حديثة (الإحالة السابقة). أما كيف مُرِّر هذا المدلول اللفظي فصار اسم علم للتجمعات البشرية هذه، فيبدو من الصعب جداً تخمين ذلك، ولو أنه في حالة بني ونجن الواقعة على واد ورغة، والتي هي محور هذه المادة، تغري ظاهرة تعدد شعابها وكثرتها مع امتلائها بالسيول في الأوقات المطيرة إلى اعتبار الظاهرة الطوبوغرافية في تقريب هذا التفسير.

تحتل قبيلة بني ونجن المقترحة، منحدر الضفة الغربية لواد ورغة، على بعض كيلومترات غرباً من مركز طهر ـ سوق، وبجاورها من القبائل : مرنيسة شرقاً وتَافْراوتْ شمالا وقَنَّاسة غرباً وبنو عيسى جنوباً. وهي تشترك في موقعها العام مع قبائل المنطقة بانزوائها في هذا الركن من رأس ورغة، بعيدة عن أي مسلك تجاري نشيط وعن المراكز الحضرية التي كانت في الماضي صانعة الأحداث السياسية، مما يفسر تاريخياً تغييب اسمها في المصادر إلا في القليل النادر.

تقتصر الإشارات الوحيدة والقليلة عن هذه القبيلة قبل القرن التاسع عشر الميلادي على ما تضمنته بعض كتب المناقب ضمن نشاطات رجال التصوف، يقدم البادسي عنها، من خلال ترجمة الشيخ محمد بن عبد الله الحسني، تلميذ الشيخ أبي يحيى أگرُّوم دفين تامْشاشت، أقدم إشارة ترجع للقرن السابع للهجرة / نهاية القرن الثالث عشر الميلادي. فيرسم المؤلف اسمها ببني ونجن ويوضح بأنها كانت من المناطق التي شملها آنذاك النفوذ الروحي للشيخين. عندما يذكر من بين كرامات الشيخ الحسني، سعيه في الصلح بين القبيلة وجارتها بني عيسى (*المقصد*، ص. 144). ويخبرنا القادري بأن المنطقة في القرن السابع عشر الميلادي خضعت لنفوذ الطريقة الزروقية في شخص الشيخ أبي محمد عبد الله ابن أبي بكر الذي دفن بها بموضع باب الحائط (*الطرفة*، ص.7). وأخيراً يعد مؤلف *قبيلة بني زروال* (ص.42) منطقة بني ونجن من جملة المناطق التي احتضنت فروع الزاوية الدرقاوية بالمغرب في بداية القرن الثالث عشر (19 م).

أما بالنسبة لمصادر هذا القرن ووثائقه، فنعثر فيها على بعض المعلومات التي تقربنا من التبعية الاقتصادية والسياسية للقبيلة تجاه مدينة فاس. هكذا يتعرض الزياني لذكر حادث وقع بين سكان بني ونْجن وباشا مدينة فاس الأوديي، مضمنه أن الباشا احتجز لهم مواشيهم لما قدموا أسواق المدينة، مقابل وظائف وظفها عليهم، ثم بعث معهم من يستوفي ذلك بالقبيلة، فلما توسطت خيله بين ظهرانيهم، استولوا عليها وبعثوا إلى الباشا يقولون إن تسريحها رهين بتسريح مواشيهم (*تكميل الترجمان*، ص. 18). هذا الحادث العارض الذي يعقب عليه الزياني بأنه كان السبب في التعجيل بعزل باشا مدينة فاس السيء السمعة يوضح جانباً من ارتباط المنطقة بمدينة فاس ويصلح إلى جانب ذلك لتقدير الصعوبات الخاصة بضبط وجباية مثل هذه المناطق الوعرة في الجبال، وهذا ما يلمح إليه أيضاً المشرفي عندما يشبهها وباقي القبائل الجبلية المجاورة بعظام الرأس أدقهم يجرح (*الحلل البهية*، ص. 306).

غير أن ما يقربنا أكثر من الوضع السياسي للقبيلة المذكورة وثائق العهد الحسني في نهاية القرن التاسع عشر، ففي بعضها أن القبيلة ساهمت بنصيبها في الحركة إلى الريف سنة 1306 / 1889 (*كناش خ. ح.* 199). وأن أقسام القبيلة المساهمة هي : أيْدة، جامع الدَّلم، بُوعلالو الحجر، العروسة أُوبَنْتُور، أولاد مَدَّان (*كناش خ. ح.* 192، ص. 11).

أما من حيث التنظيم السياسي، فالقبيلة تدخل في عداد ما تسميه الوثائق بقبائل "رأس ورغة". وتتضمن إلى جانب بني ونجن هذه كلا من صنهاجة عين مديونة وصنهاجة غَدُّو ومْشيوة ومَرْنيسة وأولاد بوسلامة وقَنَّاسة وقَصيوة، وجميعها كانت تابعة لباشا مدينة فاس ولد أبٌ محمد الشرگي وابنه العربي من بعده (*كناش خ. ح.* 160) ؛ لكن مع فارق التسيير الداخلي ؛ فبينما نُصِّب قائد مخزني على كل من قبائل صنهاجة ومشيوة، فإنه في حالة بني ونجن ومرنيسة وقصيوة، تُرك أمر تسييرها إلى الأعيان والأشياخ، فلا تخاطب الرسائل غيرهم (*كناش خ. ح.* 160) ولقد برز من أعيان قبائل رأس ورغة، في بداية القرن الحالي، أسرتان تنافستا الزعامة والنفوذ على كافة منطقة ورغة العليا، وهما : آل البَدْري بمرنيسة وأولاد حْميدُّو بقصيوة والمنطقة المسماة بالبرابر، وهذا إلى حدود سنة 1926، تاريخ ابتلاع الحماية للإقليم.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، تح. سعيد أعراب ؛ م. القادري، *الطرفة في اختصار التحفة*، مخطوط خ. ح. رقم 1271 ؛ أ. الزياني، *تكميل الترجمان في خلافة مولانا عبد الرحمن*، مخطوط خ. ح. رقم 2746 ؛ م. المشرفي، *الحلل البهية في ذكر ملوك الدولة العلوية*، مخطوط خ. ع. رقم د 1463 ؛ *كنانيش الخزانية الحسنية*، أرقام 160، 192، 199 ؛ محمد البشير الفاسي، *قبيلة بني زروال*، الرباط 1962 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، الرباط 1977.

E. Laoust, *Contribution à une étude de la toponymie du Haut-Atlas*, Paris, 1942.

محمد اللحية

بني وَنْگاسْنْ، أو ونجاسن، إحدى فصائل بني مرين، من ونگاسن بن ورزيز بن فجوس بن جرماط بن مرين.

اختص أبناء ونگاسن بسكنى جبل دبدو منذ دخول بني مرين إلى المغرب الشرقي في بداية القرن السابع الهجري. نعرف من فروعهم، بني علي في مواطنهم الواقعة على الكتلة الغربية من الجبل المشرف على سهل تافراطا والضفة الشرقية لواد ملوية، مما يقابل گرسيف. وقد سمى الحسن الوزان سكان جبل دبدو بني ورتاجن، ولكن الحقيقة هي التي ذكرها ابن خلدون المعاصر لعدد من رجال القبيلة.

اتضح الدور السياسي الذي اضطلع به بنو ونگاسن تجاه الدولة منذ بداية أمرها، فهم بحكم مواطنهم الجبلية أصبحوا الحارسين لحدودها الجنوبية الشرقية من تسرب نفوذ بني عبد الواد التلمسانيين، خاصة وأن جيرانهم بني يعلا وبني مطهر يوجدون في مقدمة تلك الحدود. ولذلك أنشأ بنو ونگاسن قلعتين إحداهما تدعى قلعة إكلوان اختص بها بنو سيد الناس من بني علي، ثم قلعة دبدو المشهورة لبني محمد بن زگدان. واستندوا كذلك إلى جارهم وحليفهم حاكم گرسيف المتحصن في قلعة مرادة.

برز دور بني ونگاسن بجبل دبدو، بصورة أوضح منذ بداية النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، بمشاركتهم في الأحداث المرافقة لتنازع البيت المريني على الحكم، إذ أنهم كانوا حلفاء الفدوديين المستبدين بالسلطة على ملوك بني مرين، بزعامة محمد بن زگدان، شيخ قلعة دبدو، وموسى بن سيد الناس، شيخ قلعة إكلوان. فهما اللذان بايعا عبد الحليم بن أبي الحسن المريني بعد إطلاق سراحه من غرناطة وخروجه من تلمسان (763 / 1361). وإلى بني ونگاسن التجأ الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن والوزير مسعود بن ماساي الفودودي إثر فشل محاولاتهما.

ولم يكن في وسع ملوك بني مرين الاستغناء عن بني ونگاسن وموقع جبلهم الذي يشكل أحد الدروع الواقية من نفوذ تلمسان الزيانية، فحينما جرد السلطان أبو حمو الزياني حملته ضد دبدو سنة 766 / 1364 رد السلطان عبد العزيز (767 - 774) الاعتبار لبني ونگاسن سنة 772 / 1370.

ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، 20 - 88 ؛ *القرطاس*، 389 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 116، 266، 490، 657، 667، 681، 683، 720، 737 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 273 ؛ مارمول، *افريقيا*، 2 : 270.

بني يابان، إحدى فصائل بني مرين الهامة من جرمط بن مرين، إخوة بني فجوس. وينتمي إلى هذه الأسرة الكبرى أقسام أخرى منحدرة منها، مثل بني علي وبني عيسى وبني ورنكال وبني تاشفين وبني عزم وبني خلفي. برز دور هذه الأسرة على الصعيد السياسي منذ عهد السلطان أبي عنان (749 - 759 هـ)، حينما أصبح عبد الله بن علي اليابانى وزيراً من وزرائه، وصار ابنه عمر بن عبد الله بن علي اليابانى حاجباً للسلطان. ولا شك أن الأسرة شاركت بني فودود في الاستبداد بالأمر بعد مقتل أبي عنان على يد عميد الأسرة الفودودية الحسن بن عمر الفودودي، فقد ظهر إلى جانبه محمد بن العباس بن أبي يحيى اليابانى إلى جانب وزراء أبي بكر السعيد بن أبي عنان (759 - 760 هـ).

ومن بني يابان الوزراء يعيش بن علي بن فارس اليابانى على عهد محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن (788 - 789 هـ) وإدريس بن موسى بن يوسف اليابانى، وصالح بن حمو اليابانى اللذان تم استوزارهما على عهد أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن (789 - 796 هـ). وقد حاز بنو يابان قصب السبق في الوزارة على يد صالح بن حمو اليابانى السالف الذكر، إذ مكث في الوزارة إحدى عشرة سنة، ابتداء من عهد أحمد بن أبي سالم، ثم خلال حكم كل من عبد العزيز بن أبي سالم (796 - 799 هـ) وعبد الله بن أحمد أبي سالم (799 - 800 هـ) إلى أن توفي في بداية القرن التاسع مع مستهل حكم عثمان بن أبي سالم (800 - 825 هـ).

وبرز كذلك صالح بن صالح بن حمو اليابانى الذي أسند إليه عثمان بن أبي سالم مهمة حراسة مدينة سبتة من بني الأحمر أثناء حرب السلطان لأخيه محمد السعيد. وقد فاجأ الأسطول البرتغالي صالح اليابانى بمدينة سبتة (818 / 1415)، وظل بطنجة وأصيلا حاكماً لهما إلى وفاته سنة 844 / 1440. وآخر من نعرف من هذه الأسرة أبو بكر بن صالح اليابانى الذي خلف أخاه لمدة قصيرة على أصيلا إلى أن انتزعها منه أبو زكرياء يحيى الوطاسي، بينما التجأ اثنان من أبناء صالح إلى جبل حبيب.

إ. ابن الأحمر، *روضة النسرين*، ص. 28 - 31 - 38 - 40 - 41 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 307 - 308 - 736 - 737 - 739 - 880 ؛ ع. الجزناني، *جني زهرة الآس*، ص. 1 - 2، الرباط 1967 ؛ ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية*، ص. 692.

حسن الفگيگي

بني يازغة، قبيلة تنقسم اليوم إلى جماعتين قرويتين تنتميان من الناحية الإدارية إلى دائرة صفرو بإقليم فاس وتمتدان على 340 كلم^2 موزعة بين 190 كلم^2 لجماعة المنزل و150 لجماعة أولاد مكودو. وتعد هذه الأراضي جزءاً من الهضاب الكلسية بالأطلس المتوسط الشمالي. يصل ارتفاعها المتوسط إلى 1.000 م، وتتوصل سنوياً بمعدل 500 مم من التساقطات. وهي كمية تؤمن المحاصيل الزراعية البورية والديمومة لعدد كبير من العيون التي تستعمل مياهها في الري. وتعتبر هذه الظروف الطبيعية الملائمة من العوامل المفسرة لاستقرار السكان منذ قرون عديدة ولأهمية كثافتها (الوزان).

وصل عدد سكان هذه القبيلة سنة 1982 إلى 26.326 نسمة مما يفسر ارتفاع الكثافة بالمقارنة مع المعدل الوطني (77.4 ن / كلم^2 مقابل 29 ن / كلم^2). ولم يكن هذا العدد سوى 15.000 نسمة في 1950. وقد سجل معدل النمو الديموغرافي السنوي 1.01٪ فيما بين 1971 و1982. وهو دون المعدل الوطني (2.6 ٪). ويدل على تلاشي وتيرة تزايد السكان كما يفسر تقلص أهمية فئة السن دون 5 سنوات. ويبدو أن هذا الضعف وانعكاساته ناتجان عن الهجرة. فمنذ

الستينات فقدت القبيلة ما يعادل ثلث سكانها الحاليين (1990). وتهم حركة النزوح جماعة أولاد مكودو أكثر من جماعة المنزل.

يرتكز اقتصاد اليازغيين في الوقت الراهن على الزراعة وتربية الماشية وعلى الموارد الخارجية (المعاشات والحوالات من العاملين بالخارج) وأخيراً على بعض الأنشطة المحلية.

ففي ما يخص النشاط الفلاحي، عُرف اليازغيون باستقرارهم القديم وبتعاطيهم للزراعة (الوزان). وهو نشاط لازال يحتل المرتبة الأولى في موارد السكان وتشغيلهم إلى يومنا بالرغم مما لحقه من تهميش خلال العقد الأخير. فموقع أراضي بني يازغة على نهر اللكوس يفسر امتداد الأراضي الفقيرة غير المشجرة ويفسر امتداد الغابة على 8320 هـ. أي ما يقرب من ربع المساحة العامة، وهو ما يشكل ظرفاً إيجابياً لتربية الماشية إلا أنه يجعل المجال الزراعي ضيقاً ومنحصراً في المنخفضات (الصورة : بنو يازغة 1 و2). فلا تمتد أراضي الحرث سوى على ما يقرب من 12.500 هـ. أي ما يمثل 36٪ فقط من الأراضي الإجمالية، منها حوالي 1.000 هـ. مسقية.

ونظراً لقدم الاستقرار وارتفاع الكثافة السكانية وللتوارث واستحواذ المعمرين وبعض الأعيان على جزء من الأراضي يقدر بحوالي 1.000 هـ. فالملكية، ومن ثَم الاستغلالية، تبقيان ضيقتين ومساراتهما متشتتة. وإذا استثنينا وحدات الإنتاج الموروثة من عهد الاستعمار، وبعض الوحدات التي تكونت في العقد الأخير، فمساحة الحيازة الواحدة من معظم الحيازات لا تتجاوز خمسة هكتارات. ويقوم توازن هذه الأخيرة على التكامل بين استغلال الأرض البورية، حيث تسود زراعة الحبوب والقطاني وغراسة الزيتون، والأرض المسقية التي تخصص للذرة والخضروات وأشجار الفواكه، وحيازة الماشية وكذلك على موارد خارجية (معاشات وحوالات المهاجرين). وتخضع هذه الأراضي الزراعية من الناحية القانونية إلى الملك الخاص في المرتبة الأولى، وأراضي الدولة التي تسيرها شركتا التنمية الفلاحية وتسيير الأراضي الفلاحية وأراضي الأحباس.

ونظراً لما أحدثه الاستعمار من تحولات في البنيات التقليدية ولتدخل الدولة منذ الاستقلال (مركز الأشغال، القرض الفلاحي) وتوافد بعض أصحاب الأموال، وتفطن الفلاحين إلى وجوه الربح، فقد سجلت تغييرات كبيرة في النظام الزراعي وظروف تربية الماشية. فقد أدخلت أنواع مستوردة من الأبقار والأغنام وبذلت مجهودات كبيرة في استغلال المياه الباطنية وفي غراسة أشجار الورديات بجانب الزياتين وزراعة الخضر، وتم تأسيس عدد كبير من تعاونيات الخدمات منذ 1979، ويزداد الإقبال على استعمال الآلات.

وإذا كانت الفلاحة تشكل قطاعاً اقتصادياً حيوياً، فقد أصبحت الهجرة مورداً لا يقل أهمية عنها. ولا تأتي هذه الأهمية من كونها ظاهرة سكانية فحسب بل من كونها كذلك مورداً اقتصادياً وعامل تحول. كانت محدودة في الماضي نظراً للخوف من المغامرة ولكون المهاجر محتقراً. لكن هذه الوضعية تغيرت مع دخول الاستعمار وإدخال عدد كبير من أبناء القبيلة في الجيش وجعلهم يتمتعون بامتيازات مادية ومعنوية حولتهم إلى رمز للنجاح في الحياة في أعين غيرهم.

ومنذ الاستقلال انتشرت المدارس بكل الدواوير وفتحت ثانوية المنزل، فتمدرس عدد كبير من الشباب، لكن نسبة كبيرة منهم لم يساعدهم الحظ في مواصلة الدراسة مما جعلهم يلجون الصفوف الدنيا في الجيش أو يهاجرون نحو الخارج. ويقدر معدل المهاجرين لكل أسرة باثنين في الوقت الراهن.

وإذا كانت هذه الهجرة موقتة ومقتصرة على الأفراد قبل السبعينات، فمنذ ذلك التاريخ تحولت إلى هجرة نهائية وأصبحت تشمل الأسر بكاملها، فتدهور القطاع الفلاحي وقلة المياه بسبب الجفاف، والاعتماد على السوق لتلبية معظم الحاجيات والرغبة المتزايدة في الاستفادة من بعض الخدمات (المدرسة، الطبيب ...) جعلت المهاجرين الشباب يقدمون على تهجير أسرهم إلى أماكن عملهم أو إلى المراكز الحضرية القريبة (المنزل وصفرو، بالأساس).

وتشكل الهجرة منذ الحماية عامل تحول اجتماعي واقتصادي ومجالي. فبعد ما كان المجتمع اليازغي يعرف نوعاً من التجانس ظهر به "الگوم" (المجندين) منذ الأربعينات كطبقة متميزة تملك الإمكانات على شراء الأرض وتحسين ظروف السكن وإدخال عدد من مواد الاستهلاك الجديدة، وبعد الستينات برزت طبقة المهاجرين نحو الخارج والموظفين والجنود الذين يعيشون وأهلهم على موارد الهجرة والذين فرضوا تحولات واضحة تتجلى في تطوير السكن وتهميش النشاط الفلاحي والتمدين السريع.

وتظهر أهمية الهجرة كمورد اقتصادي في كون ما يقرب من ربع عدد الأسر اليازغية كانت تتوصل بمعاشات فرنسية خلال الستينات والسبعينات. كما تظهر في توصل القبيلة بحقنات مالية كبيرة يعكسها عدد الحوالات الموزعة من طرف مكتب البريد بالمنزل وملحقته بأولاد مكودو والذي يتجاوز 3000 سنوياً خلال الثمانينات. ولا نغفل بأن عدد الحوالات المبعوثة بطرق أخرى لا يقل عمّا يوزعه البريد.

تسخر هذه الموارد لتحسين ظروف السكن (البناء بالاسمنت والحجارة) وتجهيز المنازل على غرار ما في المدن، ولشراء أرض البناء بمنطقة المنزل ومنطقة بودرهم وبنائها. وتصرف كذلك في تغطية حاجيات الأسر من المواد الغذائية والملابس والتطبيب وأخيراً في النقل حيث ارتفع عدد الشاحنات وسيارات نقل البضائع (Pick-up) من 5 في 1970 إلى 40 في 1990. وهذه الشاحنات في ملك اليازغيين وتستعمل للربط بين الدواوير فيما بينها من جهة وبينها

وبين المركز بل ومجالات أخرى من جهة ثانية.

وإذا كانت الفلاحة والهجرة تمثلان ركيزتين أساسيتين بالنسبة للاقتصاد اليازغي، فهناك قطاعات أخرى تظهر أهميتها على المستوى المحلي مثل التجارة بما في ذلك تجارة الماشية (بالتسمين قصد إعادة البيع) وهي تجارة أصبحت تهم كل الدواوير وإن كان ذلك بشكل متفاوت، ومثل بعض الصناعات التقليدية (النسيج والغزل والعقد والحلفاء والخزف) وأخيراً استغلال معدن الملح بدوار ملاحة.

مركز المنزل عاصمة بني يازغة : يبقى الحديث عن تحولات المجال اليازغي ناقصاً بدون الحديث عن مركز المنزل الذي ينعكس به جزء من هذه التحولات. فهو بمثابة عاصمة لبني يازغة. يبدو أن له تاريخاً قديماً جداً، فقد شكل حصناً منيعاً في عهد المولى إسماعيل (القرن الحادي عشر - 17 م -) كما تشهد على ذلك الآثار القائمة إلى يومنا هذا. وفي عهد المولى سليمان شيد به المسجد الكبير وصومعته المشهورة لدى اليازغيين. كان يقام به سوق ويستقر به عدد من التجار والحرفيين مما جعله يفرض دوره القيادي على ظهيره. وقد تقوى هذا الدور في عهد الحماية بعد نقل القيادة من أولاد مكودو إليه، وخلق بعض المرافق الإدارية والاجتماعية به. لكن لم يكن هذا ليطور المركز بشكل ملحوظ. ومنذ الاستقلال ساعد انتشار المدارس بالقرى، وظهور ثانوية المنزل والانخراط الكبير لأبناء القبيلة بالجندية، والهجرة نحو الخارج أو مناطق أخرى من المغرب على توسعه توسعاً سريعاً جداً تصاحبه مشاكل اجتماعية واقتصادية وبيئية. فعدد سكانه ارتفع من 1.312 ن في 1936 إلى 2.386 ن في 1960 و6.617 ن في 1982 ولا يستبعد أن يكون قد وصل إلى 10.000 ن في 1990، وقد سجل معدل النمو الديموغرافي السنوي به 4.74٪ فيما بين 1960 و1982. ويعد أعلى معدل سجل بمراكز منطقة صفرو. وتفسر سرعة النمو هذه بالإضافة إلى النمو الديموغرافي الطبيعي بالتوافد. وقد أصبح ثلث سكان بني يازغة يتركزون بالمنزل في سنة 1990.

ومما صاحب هذا التطور السكاني تحول ملحوظ في البنية المهنية - الاجتماعية بحيث لم تعد الفلاحة تشكل النشاط الرئيسي، إذ نزلت نسبة النشيطين بها من 27.8٪ إلى 15.6٪ بين 1960 و1982 (*النمو الحضري*، ص 130).

وكذلك توسع في الرقعة المبنية، فقد سلم بين 1979 و1987 ما مجموعه 704 رخصة بناء وبنيت مساحة مجموعها 63.300 م^2 (منوغرافية قيادة المنزل 1987).

وقد نتج عن تزايد طلبات البناء ارتفاع في ثمن الأرض (400 درهم للمتر المربع) جعل الملاكين يتخلون عنها بسهولة. وهي أرض مسقية عموماً كانت تشكل غُوِيْطة تحف المنزل ودوار القلعة.

ومن نتائج هذا التوسع العنيف والعشوائي، تراجع الغويطة بالثلثين وتحويل ما يقرب من نصف صبيب عين كبير لسد حاجيات المركز بعدما كانت كل المياه تستعمل في السقي. وتحول عدد من السواقي إلى مجار ملوثة تهدد حياة السكان. ومما أدى إلى هذه الوضعية نذكر عدم تطبيق تصميم تهيئة المركز والدواوير المجاورة له وهو تصميم وضع في 1982 ولم يصادق عليه بعد.

إن تطور مركز المنزل وما يطرحه من مشاكل لا يمكن فصله عن تطور ظهيره. ولا يمكن التخفيف من مشاكله بدون الاهتمام بالأرياف المجاورة والعمل على ضمان نمو متوازن وحقيقي بها. ويقتضي ذلك تجهيزها ومراعاة رغبات سكانها والاستغلال العقلاني لمواردها وإنعاش مركز بودرهم الناشئ بجماعة أولاد مكودو.

علي لغزيوي، أضواء على قبيلة بني يازغة وبعض أعلامها بصفرو ومنطقتها : بيئة - تاريخ - مجتمع - فكر، الجزء الأول الملتقى الثقافي الثالث لصفرو، الدار البيضاء، 1990، ص. 53.82 ؛ علي فجال، *النمو الحضري بمركز المنزل : مظاهره ونتائجه، بالتنمية المحلية وتهيئة بالمجال بالمغرب، صفرو ومنطقتها نموذجا، الملتقى الثقافي الثاني لصفرو*، فاس، 1989، ص. 125.136.

Anonyme, *Les Beni Yazgha, R.G.M.* XVème année, n° 2, juin 1931, p. 149 - 153 ; M. Kerbout, *Les Mutations des campagnes du Moyen Atlas Oriental : le cas des Beni Yazgha et des Marmoucha, in Le Maroc : espace et société. Actes du colloque Maroco-Allemand, Passau 1989*. Passavia Universitas Verlag Passau 1990, pp. 49 - 62 ; La Martinière, *Les Beni Yazgha et le poste d'El Menzel*, Mémoire de stage, E.N.A., section économique et financière 1950 ; Reisser (capitaine) et Bachelot, *Notice sur le cercle de Sefrou, B.S.G.M.*, n° 4, 3ème année, Février 1918, p. 29 - 51 ; *Recensements généraux de la population et de l'habitat de 1960, 1971 et 1982.*

محمد كريوط

** تؤكد المصادر التاريخية أن الموطن الأصلي لبني يازغة هو مدينة فاس الحالية وبالتحديد فيما أصبح يعرف بعدوة الأندلس، فقبل بناء مدينة فاس، كان يسكن بها قبيلتان من زناتة، هما : زواغة وبنو يزغتن (الاسم القديم لبني يازغة). وكانوا أهل أهواء مختلفة، منهم من يدين بالإسلام، ومنهم من يدين بالنصرانية أو اليهودية، ومنهم من كان على المجوسية.

أما قبيلة زواغة فكان موطنها هو ما أصبح يعرف بعدوة القرويين، وأما بنو يازغة فكانوا يسكنون بخيامهم في المنطقة التي عرفت فيما بعد بعدوة الأندلس (*القرطاس*، 31)، ويذكر ابن أبي زرع أن بيت نارهم كان هو (الشيبوبة)، ولا يزال مكان الشيبوبة معروفاً إلى اليوم بين قنطرة (بين المدن) وحدادي النخالين.

وقد كان القتال بين القبيلتين متوالياً على مر الأيام إلى سنة 191 هـ، وهي السنة التي وصل فيها عمير بن مصعب الأزدي وزير المولى إدريس بن إدريس إلى تلك المنطقة، بهدف ارتياد البلاد واختيار مكان مناسب لبناء مدينة، فاستحسن بقعة هؤلاء لكثرة مياهها، وطيب تربتها، واعتدال هوائها وصحتها، ووجد بني يزغْتَنْ وزواغة يقتتلون فيما بينهم على حدود الأرض، فأخبر المولى إدريس بما وقع عليه اختياره، فاستحسنه واشترى الأرض منهم بما يرضيهم، ثم نزلها وشرع في بناء مدينة فاس (*جذوة الاقتباس*، 1 : 29).

غير أن هذه الإشارات التاريخية المتواترة لا تشير إلى الموطن الحالي للقبيلة في سياق حديثها عن موطنهم القديم بمدينة فاس، فنحن لا نعرف على وجه اليقين إلى الآن، أكان بنو يازغة مستقرين بأسرهم في الموضع المشار إليه آنفا من مدينة فاس قبيل بنائها، ثم تحولوا بعد بيع أرضهم إلى المولى إدريس بن إدريس إلى مواطنهم الحالية الواقعة بالجنوب الشرقي من مدينة فاس، وهي المنطقة التي كانت تسكنها قبيلة فندلاوة ؟ أم كانت تسكن فرق منهم فقط بذلك الموضع ؟ (*جذوة الاقتباس*، 1 : 21).

ويمكن أن نستنتج من تلك الإشارات أن قبيلة بني يازغة طرأت على هذه البلاد التي تنسب إليها بعد خروجها من مدينة فاس، وأن اندماج فندلاوة فيها دليل على قوتها وتأثيرها، بحكم اندماج الضعيف في القوي وانقياده له. ولا شك أن إقبال بني يازغة على اعتناق الإسلام واستعرابهم منذ ذلك العهد قد زاد من قوتهم، بل إن كثيرا من أبنائها قد اكتسبوا الشرف الإدريسي الحسني عن طريق المصاهرة وغيرها. فظهر من أسرها شرفاء حسنيون ينتهي نسبهم إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، مروراً بالنسب الإدريسي، وموضوع نسب شرفاء بني يازغة مبسوط مفصل في كتب الأنساب والمناقب، مثل كتاب *الدرر البهية* لإدريس الفضيلي، وكتاب *دلائل النبغاء في معرفة أنساب الشرفاء*، وكتاب *السلسلة الوافية والياقوتة الصافية* المقتطف من الجمهرة الكبرى لأبي عبد الله ابن أبي القاسم العشماوي، وكتاب *ذكر نسب بعض الصحابة ونسب الأشراف الإدريسيين* وغيرهم لأبي بكر السيوطي وغير ذلك، بالإضافة إلى كتب التراجم والمصادر التاريخية وما تضمنته من إشارات، وهو ما تعززه ظهائر ملوكية عديدة، ومنها ظهائر إسماعيلية ومحمدية وعزيزية وغيرها.

تغلب الطبيعة الجبلية على أرض هذه القبيلة، فهي امتداد لسلسلة جبال الأطلس المتوسط، كما كانت تكثر بها المراعي والعيون، بالإضافة إلى هبة من الله هي وادي سبو. وتتخلل جبالها سهول تتفاوت خصوبتها، وهذا ما جعل نشاط سكانها قديماً متأثراً بهذه الموارد الاقتصادية وطبيعتها، فربوا الماشية، وقطعوا الأشجار من أرضهم أو من الغابات المجاورة لها، إذ كانت تحيط بها غابات الأرز بصفة خاصة، وفلحوا الأرض، وعصروا الزيوت وصنعوا الأقمشة الصوفية الرفيعة.

وهذا وصف عام يورده ابن أبي زرع، يتحدث فيه عن موقع القبيلة، ويذكر بعض مواردها الاقتصادية ونشاط أبنائها يقول فيه :

"وعلى مسيرة ثلاثين ميلا من فاس جبال بني يازغة، حيث يقطع خشب الأرز فيجلب إلى المدينة منه في كل يوم ما لا يحصى كثرة، ومن هذه الجبال ينبعث نهر سبو، من عنصر واحد شبه مغارة فيسير حتى يمر بمشرق مدينة فاس، على مقدار الميلين منها، فيصيد أهل المدينة الشابل والبوري وأصناف الحوت..."

ولعل أهم وصف يمكن أن نقرأه عن القبيلة وغناها ومكانتها المحترمة، هو ما سجله الحسن الوزان في *وصف افريقيا* خلال القرن العاشر الهجري (16 م)، وقد زارها فجاء وصفه وصف شاهد عيان، وفيه يقول عن جبل بني يازغة :

"تسكن هذا الجبل قبيلة غنية محترمة جدا لأدبها وطريقة عيشها. ولسكان جبل بني يازغة عدد كثير من الماشية، لأن البلاد قليلة الأشجار وصوف أغنامهم شديدة النعومة، تصنع منه نساؤهم أقمشة كأنها من حرير. يتخذن منها لباساً لهن وأغطية للأسرة. ويباع الواحد من هذه الأغطية في فاس بثلاثة مثاقيل أو أربعة، ويستخرج هؤلاء الناس كذلك زيتاً كثيراً من زيتون جبلهم ، لكنهم خاضعون للملك فاس، ويدفع خراجهم الذي يؤدونه إلى عامل فاس القديم، وقد يصل هذا الخراج إلى ثمانية آلاف مثقال تقريباً".

اكتست هذه القبيلة طابعاً عسكرياً عبر تاريخها الإسلامي، ومن أبرز مظاهر هذا الطابع ما يلي :

1 ـ لجوء بعض الثوار إليها للتحصن بجبالها وقلاعها الطبيعية المنيعة، من ذلك ثورة الأمير عمر بن عثمان بن يوسف الهسكوري الذي تمرد على الخليفة المريني أبي يعقوب يوسف بن يعقوب، وخروجه عليه سنة 685 هـ وتحصنه بقلعة فندلاوة من جبال بني يازغة.

2 ـ اصطباغ أسماء مداشر القبيلة بالصبغة العسكرية الواضحة، ومنها مدشر القصبة، ومدشر الكعدة، ومدشر القلعة، ومدشر المنزل، وحصن فندلاوة أو قلعة فندلاوة، وهكذا.

3 ـ إحاطة بعض المداشر بأسوار شاهقة واتخاذ أبواب لها على غرار المدن المسورة تحسباً لأي هجوم، ولا تزال معالم من تلك الآثار شاهدة على ذلك إلى اليوم.

وبعد فرض الحماية على المغرب قاومت قبيلة بني يازغة مقاومة مستميتة، ولم تخضع لجيش الاحتلال الفرنسي إلا سنة 1914، فعرفت حينئذ تحولات اجتماعية واقتصادية ومجالية.

م. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس ؛ بيوتات فاس في القديم* ؛ ع. المراكشي، *الذيل والتكملة*، 8 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا* ؛ م. الكتاني، *سلوة* ؛ ع. زمامة، *معالم وأعلام من فاس القديمة*، مجلة البحث العلمي، ع 13، 1389.

علي لغزيوي

بني يجّم، قبيلة مستقرة بالجبال المقابلة لتطوان جنوباً، مما يجاور قبيلة بني سعيد الجبلية منذ العهد المريني، إذ أن المرينيين نقلوهم من ناحية غير معروفة لدينا إلى تلك الجبال لضبط هذه الجهات قبل القرن التاسع الهجري (14 م). أشار الإخباري البرتغالي "زورارا" إلى وجود بني يجم بالمكان، وكانوا من ألد منافسي حاكم بادس منصور بن زيان الوطاسي في بداية القرن التاسع. وقد شاركت القبيلة في حرب البرتغاليين بسبتة، سيما أثناء الحصار المغربي

الأندلسي للمدينة المحتلة، خلال سنتي 821 و822 / 1418 و1419. وقد أكد ابن عسكر الشفشاوني وجود هذه القبيلة مشيراً إلى أحد شعرائها أحمدُ اليجمي المتوفى في منتصف القرن العاشر (16 م). منزله بمدشر بوخلاد فرقة الواد من بني حُزْمَر الحالية.

م. ابن عسكر، دوحة، تح. محمد حجي، ص. 20 ؛ ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 1 : 132 - 136، 162 - 163.

Gomes Eanes de Zurara, *Cronica do D. Pedro de Meneses*, chap. 39, p. 150, chap. 40, p. 159, chap. 66, p. 269 ; A. El Gharbaoui, *La Terre et l'homme dans la Peninsule Tingitane*, p. 151, Rabat 1980.

حسن الفكيكي

بني يِدَرْ، ـ جغرافيا ـ قبيلة تقع بناحية جبالة (إقليم تطوان) وتحيط بها قبائل وادراس والحوز وبني حزمر وبني عروس وجبل حبيب وبني مصور. وتقدر مساحتها بـ 330 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1949 هو 12.206 نسمة، يتكلمون باللهجة العربية الدارجة. ويوجد بالقبيلة اثنان وسبعون مسجداً وثمانية وسبعون ضريحاً وسبع زوايا وواحد وتسعون كتّاباً قرآنياً وأربع مدارس للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق هي : سيلولة (32 مدشراً) والسحترين (27 مدشراً) والعنصر (16 مدشراً) وبني حماید (8 مداشر).

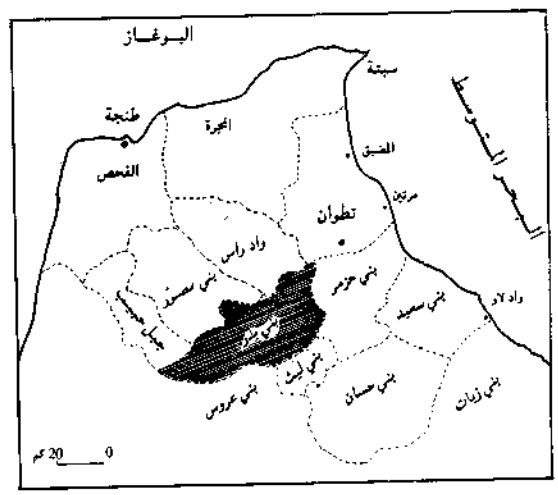

موقع بني يدر

وفي النظام الإداري تكوِّن القبيلة جماعتين قرويتين هما : جماعة بني يِدَرْ الشرقية وجماعة بني يدر الغربية. وفي إحصاء سنة 1982 بلغ مجموع سكان الجماعتين 15.948 نسمة.

ومن الملاحظ أن الوزان الفاسي (ص. 261) ذكر جبل بني يِدَرْ ضمن جبال ناحية الريف.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 119 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 261.

Aranda, *Geografia de Marruecos en general y de la zona española de protectorado en particular*, s.l s.a ; A. Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos de Marruecos*, Madrid, 1916, passim ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, T.II ; A. Domenech Lafuente, *Zona Norte*, passim ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos*, Melilla, 1926, passim ; Intervenciones militares de Yebala, *Memoria relativa a las cabilas de esta región*, s. l., s. a. ; Sociedad española de historia natural, *Yebala y el bajo Lucus*, 1934, s. l., 1935, passim ; *Vademecum de la intervención territorial de Yebala*, 1948, p. 135.

محمد ابن عزوز حكيم

** ضربت قبيلة بني يِدَرْ حصاراً على تطوان سنتي 1903 - 1904. وهذا الحدث مرتبط بظروف تاريخية طارئة. لقد أخذت مؤشرات الصراع بين تطوان والقبيلة اليدرية تظهر منذ سنة 1899 بنهب العزائب والتحرش بالمحضريين.

إن المؤرخ داود تعرض لوقائع الحصار بشيء من التفصيل، فأورد الروايات الشفوية ومراسلات معاصري الحدث، وقد مزج في سرد الأحداث بين إصدار الأحكام على المنتفضين وإدراج ملاحظات حول علاقة تطوان ببادیتها من خلال الحركة اليدرية، فأبرز أن قساوة ظروف الحياة القروية هي التي حددت المواقف العصيانية وزرعت بذور الحقد المتفجر ضد المحضريين.

م. داود، *تاريخ تطوان*، مجلد 10 ؛ ع. خلوق التمساني، *حول علاقات المدينة المغربية بأحوازها في بداية القرن العشرين : مثال حصار جبالة لتطوان 1903 - 1904*، *الباحث*، العدد 4، أبريل 1982، بيروت.

A. Joly, *Le siège de Tétouan par les tribus des Djeballah, 1903 - 1904*, *A.M.*, Vol III, 1905, p. 266 - 300.

عبد العزيز خلوق التمساني

بني يِرْنِيَان، زناتيون من ولد جدهم يصليتن، وهم إخوة مغراوة وبني يفرن. اشتهرت مواطنهم منذ القرون الهجرية الأولى على طول الضفاف الشرقية من واد ملوية الأوسط، واستمرت عبر مرتفعات جبال أيت سغروشن وأشرفت على تخوم سجلماسة عبر مجرى واد زيز. وجبل بني يرنيان مقابل لكدية قللت شمالا. وبفضل تلك المواطن أمكنهم المساهمة في نقل بضائع التجارة الصحراوية.

بَنَى بنو يرنيان قصورهم على واد ملوية ما بين ميسور وگرسيف على مسافات متقاربة، مستفيدين من مجرى واد ملوية ومن الأراضي السهلية الممتدة على طول امتداده، وهي المعروفة منذ تلك العهود إلى اليوم بأوطاط. والتحقت جماعة منهم بالأندلس على عهد الحكم المستنصر خلال القرن الرابع الهجري للعمل بجند الأندلس.

بقي بنو يرنيان بمواطنهم محالفين لمكناسة ثم لمغراوة طيلة تلك القرون إلى منتصف القرن الخامس الهجري، حيث أبعدهم المرابطون إلى التلال الجنوبية، منحاشين إلى فلول زناتة المتجولة بين سجلماسة وفگيگ، وبقوا على تلك الحال خلال العهد الموحدي. ولم يبق في مواطنهم الأصلية سوى المجموعات التي التجأت إلى شرق جبل غياثة، مشرفة من هناك على المواطن الأصلية، وهي المجموعة المعروفة ببني وطاط، حسبما قدمه ابن خلدون في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري.

وبالزحف الزناتي على المغرب الشرقي في بداية القرن السابع الهجري على يد رئيسهم عبد الحق بن محيو، رافق بنو يرنيان بني مرين وشاركوهم في اقتسام أعمال المغرب، فكان من نصيبهم الأراضي الخصبة الممتدة بين سلا والمعمورة علاوة على مواطنهم الأصلية.

ولم يلبث بنو يرنيان أن اقتحموا الميدان السياسي بالمشاركة في الوزارة والجيش والعمالة. فكان منهم في الوزارة إبراهيم بن عيسى بن ماخوخ اليرنياني، وزير السلطان أبي ثابت عام (706 ـ 708 هـ) وأبي الربيع سليمان (708 ـ 710 هـ) وأبي سعيد عثمان (710 ـ 731 هـ). وقد ورث ابنه موسى الوزارة على عهد أبي الحسن علي المريني (731 ـ 752 هـ) وابنه إبراهيم بن أبي الحسن (760 ـ 762 هـ). كما نال الحظوة آخرون من أبناء موسى على عهد أبي الحسن وابنه أبي عنان (مسعود، حسون، موسى ومحمد السبيع)، سواء في الوزارة أو العمالة.

ابن حوقل، *وصف الأرض*، 102 ؛ أ. البكري، *المغرب*، 88 ـ 90 ؛ ابن حيان الأندلسي، *المقتبس*، 251 ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، 119 ـ 337 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 102 ـ 103 ـ 104 ؛ إ. ابن الأحمر، *روضة النسرين*، 22 ـ 23 ـ 24 ـ 31 ؛ ع. ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، 36.

حسن الفگيگي

بني يزْناسَن ← بني إزْناسَن

بني يسْتيتن، ويكتب أيضا بدون ياء أولى : بني ستيتن أو أهل ستيتن. من شعوب كتامة المستقرة بالمغرب الشرقي في جبل يعرف باسمهم خلال القرن العاشر (16 م). توجد طائفة منهم في الجزائر غير بعيد عن مدينة الأبيض مدفن سيد الشيخ، وهم ما يزالون هناك حتى الآن. وطائفة أخرى يقول عنها المنجور في *فهرسه* عند ترجمة شيخه محمد بن أحمد بن عبد الرحمان اليستيتني إنها مندرجة في بني گلال المستقرة على واد زا غيْرَ بعيد عن دبدو بإقليم وجدة، والحسن الوزان يوطنها هو أيضا بهذه المنطقة. وينفرد المنجور بذكر انتمائهم إلى الشرف من فاطمة البتول رضي الله عنها، ثم يستدرك قائلا : "لكن لم يثبت لهم ذلك كالمشاهير بالشرف من القبائل" (*فهرس*، 37) مستدلا على ذلك بأن شيخه اليستيتني كان يهرب من الانتساب إلى الشرف مخافة أن تلحقه لعنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويصفهم الوزان بحسب ما سمع عنهم أنهم : "ذوو مترية يمشون حفاة ويلبسون أسمالا حقيرة ويسكنون أكواخاً من قصب، والتعليم عندهم منعدم فلا أحد يعرف القراءة منهم (*وصف*، 279). ويبدو أن اعتبار طائفة من بني يستيتن ضمن قبائل گلال، لم يعد اليوم واقعاً، إذ أكد لي بعض شيوخ هذه القبائل ومنهم الشيخ محمد بن عيسى بن محمد گرواز المولود سنة 1895 ببني گلال دائرة تاوريرت إقليم وجدة أن هذه الطائفة لا وجود لها في منطقتهم وضمن قبائلهم. وهذا الطرح الجديد يجعلنا أمام عدة احتمالات، إما أن تكون هذه الطائفة قد انقرضت، وإما أن تكون قد هاجرت إلى منطقة أخرى، وهذا هو الأرجح، وإما أن تكون قبائل بني گلال التي جعل المنجور والوزان بني يستيتن منها هي قبائل أخرى تحمل نفس الاسم فيما كان يعرف من قبل بمنطقة دبدو والتي كان لها مجال واسع.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ج. 1 ؛ أ. المنجور، *فهرس* ؛ مارمول كربخال، *افريقيا*، 1 : 283 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة*، 58. 59 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 1 : 246. 247 ؛ *روايات شفوية*.

A.B., 1 : 292 - 298 ; *A. M.*, n° 26, note 57.

محمد مرزاق

بني يَسّف، قبيلة تقع بناحية جبالة (إقليم العرائش حاليا) وتحيط بها قبائل بني عروس والاخماس وبني زكار والرهونة وأهل سريف وسماتة، يتكلمون باللهجة العربية الدارجة، وبالقبيلة واحد وأربعون مسجداً وستة أضرحة وزاوية وخمسة وأربعون كتّاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى خمس فرق هي : أحدادين (11 مدشراً) وبني يحيى (5 مداشر) وبني عبد الله (9 مداشر) وبوهادي (12 مدشراً) وازلاويين (9 مداشر).

وفي التقسيم الإداري تكوّن هذه القبيلة مع قبيلة بني زگار جماعة قروية واحدة اسمها جماعة سوق القلة.

وقد ذكر الوزان الفاسي (ص 257) قبيلة بني يسف بإقليم الريف، ولعله لا يعني قبيلة بني يسف الجبلية بل يعني فرقة أيت يوسف أُعلي من قبيلة بني ورياغل.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 139 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 257.

Aranda, *Geografia de Marruecos en general y de la zona española de protectorado en particular*, s.l s.a ; A. Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos de Marruecos*, Madrid, 1916, passim ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, T.II ; A. Domenech Lafuente, *Zona Norte*, passim ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos*, Melilla, 1926, passim ; Sociedad española de historia natural, *Yebala y el bajo Lucus*, 1934, s. l., 1935, passim ; *Vademecum de la intervención territorial del Lukus*, 1948, p. 118.

محمد ابن عزوز حكيم

بني يَصْليتَن، يمكن التعرف على الأصل الذي انحدر منه بنو يصليتن من خلال ما سرده ابن خلدون. فهم من زناتة، وينسبون إلى يصليتن بن زكريا، جد بني يفرن ومغراوة وبني واسين وبني يرنيان. وقد احتفظت جبال تمسمان من الريف الشرقي باسم بني يصليتن، أهم التجمعات السكانية المعروفة منذ القرن الثاني الهجري، حدد البكري موطن جماعاتها داخل أراضي تمسمان، فعين لهم مستقراً جبلياً معروفاً بجبل أبي الحسن المسيطر على المنابع الوسطى الغربية لواد تمسمان (واد أمقران)، وما زال هذا الاسم موجوداً إلى يومنا بنفس الجبل المعروف بجبل القامة (743 م) يحمل آثار قلعة قديمة. وتوزع بنو يصليتن أيضا على طول مجرى واد تمسمان إلى مصبه، بمرسى واد

البقر.

نزل صالح بن صالح اليمني أول ما نزل بتمسمان والتف حوله بنو يصليتن وساعدوه على نشر دعوته وبناء أسس إمارة النكور. ولكنهم أصبحوا من الموالين للأمير سعادة الله القائم على ابنه عمه سعيد بن صالح بن سعيد، كما آووا موسى بن المعتصم المعروف بابن رومي بجبلهم أثناء غزو مبسور الخصي الفاطمي لمدينة النكور، ثم ساعدوه لاسترجاع مدينة النكور بعد مقتل الحاكم الفاطمي سنة 323 هـ.

أ. البكري، *المغرب*، 94-98-99 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 11، 50. 58 ؛ ل. ابن الخطيب، *تاريخ المغرب في العصر الوسيط*.

حسن الفكيكي

بني يطّفت، قبيلة تقع بناحية الريف (إقليم الحسيمة حاليا) وتحد شمالا بالبحر المتوسط وتحيط بها قبائل بقوية وبني وريغل وبني بوفراح. تقدر مساحتها بـ 178 كلم مربع، وكان عدد سكانها سنة 1946 هو 8.060 نسمة يتكلمون باللهجة العربية الدارجة باستثناء سكان قريتي إيزروالا وأيت عيسى الذين يتكلمون باللهجة الريفية، وتوجد بهذه القبيلة قصبة اسنادة وستة وعشرون مسجداً وخمسة عشر ضريحاً وزاويتان وثمانية وعشرون كتاباً قرآنياً ومدرسة للتعليم الديني الثانوي.

تنقسم القبيلة إلى أربع فرق هي : اعمايز (5 مداشر) والواديين (9 مداشر) ايزروالا (10 مداشر) وأيت عيسى (4 مداشر).

وفي التقسيم الإداري تكوّن هذه القبيلة جماعة قروية تحمل اسم جماعة اسنادة.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 125 ؛ ع. ابن منصور، *قبائل المغرب*، 1 : 306 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 119 ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف*، 1 : 129.

Aranda, *Geografia de Marruecos en general y de la zona española de protectorado en particular*, s.l s.a ; A. Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos de Marruecos*, Madrid, 1916, passim ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936, T.II ; A. Domenech Lafuente, *Zona Norte*, passim ; A. Ghirelli, *El Norte de Marruecos*, Melilla, 1926, passim ; *Vademecum de la intervención territorial del Rif*, 1946, p. 79.

محمد ابن عزوز حكيم

بني يعلى، قبيلة بربرية من أصل زناتي، استوطنت الجبل الذي اشتهر باسمها الواقع جنوب جبل الزكارة بإقليم وجدة في تاريخ غير معروف. كانت القبيلة المذكورة مصنفة ضمن القبائل المغربية الكبرى، غير أن الصراعات الداخلية أدت إلى تفككها، فانفصلت عنها عدة فصائل، منها الزكارة وأولاد بختي وأولاد عمرو. وفي مطلع القرن التاسع عشر وقع انشقاق داخل القبيلة الأم، فخضعت بعض فصائلها إلى قائد قبيلة بني بوزگو، بينما دخل البعض الآخر تحت السلطة المباشرة لعامل وجدة، وقد حاول قائد القبيلة أحمد بن بوزيان البويعلاوي في نهاية القرن الماضي توحيد كل الفصائل لتستعيد القبيلة هيبتها ونفوذها بين قبائل شرق المغرب، غير أنه اصطدم بإرادة المخزن المركزي في إخضاع القبيلة لسلطته المباشرة، نظراً لقرب موطنها من الحدود وتفادياً لحدوث مشاكل مع الفرنسيين.

ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي*.

La Martinière et Lacroix, *Documents*, T. 1 ; L. Voinot, *Oujda*.

عكاشة برحاب

بني يغمراسن ← **بني گيل** - تاريخ -

بني يفْرَاسْنْ، قرية من قبيلة بقّوية، واقعة حول التلال الجنوبية الشرقية المشرفة على مرسى بوسكور، مندرجة حاليا بفرقة إزْمُورْنْ. وما زالت القرية معروفة باسم أفراس مجاورة هناك لقرية طلعة يوسف. اشتهرت القرية خلال القرن السادس (12 م) بإنجاب اثنين من رجال التصوف هما الشيخ الحاج يحيى بن مخلوف اليفراسني المتجول ببلاد الريف والأندلس والمشرق، ومنزله بجوار المسجد المشرف على الوادي المنحدر من مرسى بوسكور. ثم الشيخ عبدون بن يخلفتن بن علي اليفراسني الذي درس على الشيخ حسون الأدوزي البقيوي.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، ص. 122-128، الرباط، 1982 ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية*، 1 : 248.

حسن الفكيكي

بني يفْرَنْ، لا تسعفنا المصادر القديمة والأبحاث الحديثة بمعلومات دقيقة لضبط قبائل بني يفرن، وكل ما نعرفه هو أنها من المجموعات الزناتية الكبرى التي انتشرت بين نهر شلف بالمغرب الأوسط ونهر ملوية بالمغرب الأقصى. وأقدم وصف سلالي يرد فيه ذكر بني يفرن نجده مرتبطاً بأبي قرة (العقيلي أو المغيلي، أو اليفرني) الذي كان على رأس زعماء خوارج البربر في بلاد المغارب سنة 150 / 767. وقد يرجع اسم بني يفرن إلى معنى الكلمة البربرية إفري بمعنى المغارة أو جناح الطائر حسب النطق الذي يحدد المعنى الدلالي للكلمة. والمهم أن بني يفرن من زناتة الكبرى. وقد ورد اسم يفرن في عمود الأنساب الزناتية باعتباره أحد أجداد المجموعة اليفرنية عند النسابين البربر ومن اعتمد عليهم من المؤرخين العرب (ابن حزم، *الجمهرة*، ص. 496 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 22 و611). وقد اعتمد هذا التخريج دوزانج J. Desanges في بحثه المعجمي عن القبائل القديمة بإفريقيا الشمالية *Catalogue des tribus africaines*, p. 23 كما حاول أن يقارب التسمية القبلية بني يفرن بالمعنى المرتبط بالمغارات الذي ينتشر في بلاد المغرب كله، وإن حاول M. Benabou أن يربطه بمعنى ديني قديم لدى الرومان *La Résistance*, 296 وفي تقديري أن إطلاق بني يفرن لا يعني اسماً عرقياً خالصاً بقدر ما يعني مصطلحاً عصبياً تحالفياً حوله منظومة قبلية زناتية متحدة في الأهداف ومتوافقة في المواقف الاجتماعية والسياسية تطورت ضمن هذا الاتجاه منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الكبير إلى أن اختفت قوتها العصبية في منتصف القرن

الخامس الهجري مع الفتح المرابطي، حيث سيطرت صنهاجة الجنوبية على مجالاتهم الحيوية القبلية.

التاريخ السياسي لبني يفرن : قبيلة بني يفرن قليلة العدد على المستوى البشري، لكنها كانت ذات قوة عصبية في مجال وجودها بمنطقة النجود العليا بين نهر ملوية (إلى حدود نهر تازا) وبين نهر شلف، ثم بين وهران شمالا إلى تخوم تلمسان وتاهرت. وفي نفس الوقت كان هذا المجال مشتركاً مع قبائل بربرية زناتية أخرى مثل مكناسة ومغراوة، وهذا ما طبع بني يفرن بروح المنافسة مع أقاربهم وجيرانهم. ويرى ابن خلدون أن بني يفرن كانوا أقوى قبائل زناتة في عصر الفتح الإسلامي، لكن القرائن التي وصلت إلينا قد لا تؤيد ذلك، وكذلك عملية البحث والتقصي (*العبر*، 7 : 15).

نعم إذا نظرنا إلى بني يفرن داخل العصبية الزناتية، فإننا نجدهم في حركية مستمرة، وخاصة أثناء الثورة الخارجية الكبرى في النصف الأول من القرن الثاني الهجري (8 م). وفي هذه الظروف يبدأ تاريخهم السياسي، الذي يمكن أن نقسمه إلى ثلاث مراحل : مرحلة التكوين وبداية الزعامة، ومرحلة البروز والفعل السياسي، ومرحلة الإمارات اليفرنية المجزأة والذوبان السياسي.

تبتدئ مرحلة الزعامة مع تطور ثورة خوارج المغرب ابتداءً من ميسره المطغري (122 / 740)، في شمال المغرب الأقصى، إلى أن استفحل أمرها وأخذت تهدد القيروان وخاصة في سنة 150 / 768، حيث نجد زعيم بني يفرن قائداً لهذه الثورة، وهو أبو قرة اليفرني الذي انتخبه قومه أميراً عليهم بتلمسان، فكان بذلك أول مؤسس لإمارة يفرنية زناتية في المجال الحيوي لزناتة المغرب الأوسط. لكن إمارته لم تعمر أكثر من ربع قرن وكانت النهاية الفعلية عندما قدّم شيخ مغراوة وأميرها بيعته لإدريس الأول، فقد بايعه محمد ابن خزر وجميع وجوه تلمسان ومغراوة سنة 174 / 790.

بعد هذا نلاحظ فتوراً واضحاً في تاريخ بني يفرن، ولكنهم حافظوا على استقلالهم القبلي. وأما على المستوى المذهبي فنلاحظ أنهم تحولوا في العهد الإدريسي من الخارجية إلى السنية، غير أن ضبط تاريخ هذا التحول غير متيسر حالياً. ونلاحظ أيضا أن قبائل بني يفرن بدأت تهاجر إلى مناطق أخرى بعيداً عن مناطق نفوذها السابقة بتلمسان والمغرب الأوسط، حيث تتحدث المصادر عن متطوعين يفرنيين في وقت مبكر في جيوش الأندلس قبل عهد الخلافة الأموية، كما نجد أسماء بعض رجالاتهم ضمن الذين ساهموا في حروب المغاربة بصقلية في بداية القرن الثالث الهجري. بالإضافة إلى هذا ربما تكون بداية الانتقال اليفرني إلى المغرب الأقصى في عهد إدريس الثاني. ومازالت قبيلتهم الكبرى مرنجيصة تحمل هذا الاسم قرب فاس وهي مرنيسة شرق عاصمة الأدارسة، كما أنه توجد قبيلة صغيرة مستقرة قريباً من مرنيسة تحمل اسم بني قرة. كل هذه ظواهر تتطلب البحث ومزيداً من التمحيص والتحقيق.

ولما تمكن النفوذ الأندلسي في المغرب الأقصى أصبح اليفرنيون يمسكون زمام المبادرة فيه. يقول ابن خلدون : "واستفحل سلطان يعلى ـ اليفرني ـ في ناحية المغرب، وخطب على منابرها لعبد الرحمن الناصر ما بين تاهرت إلى طنجة واستدعى من الناصر تولية رجال بيته على أمصار المغرب، فعقد على فاس لمحمد بن الخير بن محمد بن عشيره، ونسك محمد لسنة من ولايته واستأذن في الجهاد والرباط بالأندلس فأجاز لذلك واستخلف على عمله ابن عمه أحمد بن عثمان بن سعيد (أحمد بن أبي بكر) وهو الذي اختط مئذنة القرويين سنة 344 ولم يزل سلطان يعلى ابن محمد بالمغرب عظيماً إلى أن أغزى المعز لدين الله

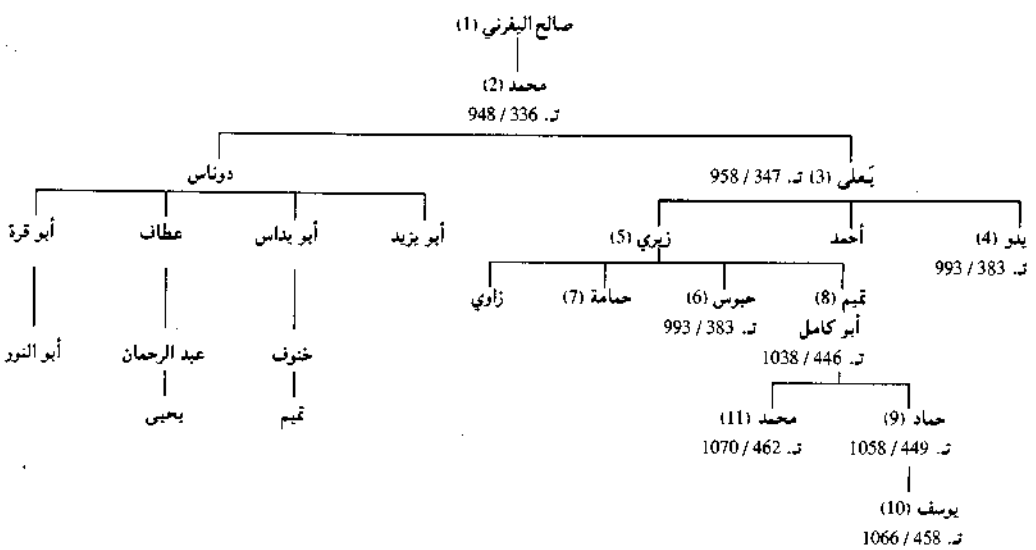

الزعامة السياسية لبني يفرن إلى الانتصار المرابطي

كاتبه جوهر الصقلي من القيروان إلى المغرب سنة 347 (*العبر*، 7 : 36).

وابتداءً من هذه الحملة دخل الحلف اليفرني في مرحلة الضعف السياسي على مستوى القوى العصبية الزناتية في بلاد المغربين الأوسط والأقصى، وأخذت الجموع القبلية التي كانت موالية لزعامة يعلى اليفرني تبحث عن مجالات حيوية لها في المغرب الأقصى، ونكاد نتأكد من أن قبائل بني يفرن منذ حملة 347 / 958 لا نجدهم إلا في القسم الشمالي من المغرب الأقصى (حوض نهر سبو ونهر أم الربيع). ومنذ هذا التاريخ لم تعد تتكلم المصادر عن بني يفرن إلا في امتداد جغرافي لا يتجاوز حوضي النهرين السابقين. ولم تسلم باقي القبائل الزناتية الأخرى من المتابعة والمطاردة إلى ما وراء ملوية غربا. يعني هذا أن زناتة أصبحت قوة بشرية فعالة في المغرب الأقصى منذ منتصف القرن الرابع الهجري (10 م). والملاحظ أن هذه الجموع لم تعد أوزاعاً وإنما أخذت تلملم جموعها وقبائلها بالمغرب الأقصى رغم أنها لم تهمل خلفيتها بالمغرب الأوسط، مما أدى إلى تكرار الحملات العسكرية الفاطمية على المغربين الأوسط والأقصى، لإضعاف شوكة قبائل زناتة وتحالفها مع أمويي الأندلس.

ويمكن أن يُعالج التاريخ السياسي لبني يفرن بطبيعته المغربية الصرفة منذ زعامة يدُّو بن يعلى اليفرني لمجموعته منذ سنة 369 / 980 أي منذ أن فر أمام الجيش الصنهاجي الشيعي إلى المغرب الأقصى، وأخذت قبائل هذه المجموعة تركز انتشارها في اتجاه غرب ملوية إلى حوض سبو، والأطلس المتوسط وحوض أبي رقراق وسلا والغرب إلى حدود نهر لكوس الذي كان يعرف في العهد الزناتي بنهر سفدد، ثم امتد نفوذ مجالهم الحيوي إلى بلاد تامسنا (منطقة أنفا) ثم سهل تادلا. في هذه المناطق الغنية زراعياً ورعوياً انتشرت القبائل الزناتية الموالية والمناصرة لبني يفرن. ومن الطبيعي أن تصبح مدينة فاس ومركزهم شالة مسرحاً للحياة الاجتماعية والسياسية في المغرب الأقصى خلال العصر الزناتي.

وهناك حدثان هامان هما حملة تميم في تادلا التي كان امتدادها في هذا العصر يشمل الحوز المراكشي بما في ذلك مدينة أغمات. ففي سنة 446 / 1055 تمكن بنو يفرن من انتزاع هذه المدينة من الأمير المغراوي الذي كان يحكمها، وحكمها حاكم باسم بني يفرن منذ هذا التاريخ إلى الانتصار المرابطي.

والحدث الثاني هو هجومات بني يفرن على البرغواطيين. ولكن لا نملك معلومات مصدريه دقيقة عن وقائع وأحداث الصراع بين الطرفين، رغم أن مخطوطة بهجة *الناظرين* لابن عبد العظيم الأزموري، تثبت رسالة متبادلة بين تميم بن زيري اليفرني وأحد شيوخ أيت امغار بدكالة مؤرخة بعام 409. لكن جحافل المرابطين لم تلبث أن وصلت إلى منطقة أغمات فملكتها ثم استولت بعد ذلك على شالة وما وراءها، فكان ذلك نهاية إمارة بني يفرن.

ابن حزم، *الجمهرة* ؛ ابن الرقيق، *تاريخ افريقيا والمغرب* ؛ اليعقوبي، *البلدان* ؛ أ. البكري، *المسالك والممالك* ؛ المقريزي، *اتعاظ الحنفا*، ج. 1 ؛ ابن حيان، *المقتبس*، تح. ع الحجّي ؛ ابن الاثير، *الكامل*، ج. 7 ؛ الدرجيني، *الطبقات* ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن خلدون، *العبر* ؛ *المقدمة* ؛ مجهول، *مفاخر البربر* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 1 ؛ عمار محجوبي، *تاريخ افريقيا العام*، ج. 2 ؛ م. الطالبي، *الدولة الأغلبية* ؛ محمود إسماعيل، *الخوارج في بلاد المغرب*.

J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines* ; M. Benabou, *La Résistance africaine à la romanisation*, Paris, 1976 ; E. F. Gautier, *Le Passé de l'Afrique du Nord* ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc* ; H. R. Idris, *La Berbérie orientale sous les Zirides*, Paris, 1962.

هاشم العلوي القاسمي

بنيالوز، محمد، يكتب اسمه في الوثائق الأوروبية بعدة أشكال : Pinaleez, Penalosa. وورد مرة بشكل : بن لوزة. ووقع بخط يده على وثيقة مؤرخة في 23 شتنبر 1659 بشكل "الحاج امحمد" (وثائق دي كاستر، السلسلة الهولندية، 6 : 562). وهو من رجالات سلا أواسط القرن الحادي عشر (17 م)، كانت له شهرة بالجهاد البحري، وكان تحت نظره عدد من السفن الجهادية.

وقد كلفه عبد الله بن محمد الحاج الدلائي بأن يسفر له في جماعة لدى الولايات العامة للأراضي الواطئة، ووصلت السفارة إلى هولندا في 7 غشت 1659، وقامت بمهمتها، وخصصت لها الولايات العامة يوم 31 أكتوبر 1659 لتوديعها. وقد ترك الهولندي Dapper وصفاً مطولا لهذه السفارة ورجالها.

S. I. H. M, Série Saadienne, Pays-Bas, Tome VI.

عبد اللطيف الشاذلي

ابن **بَنْيَاهُو**، لحسن بن أحمد. مقاوم ولد سنة 1929 بأسًا، إقليم گلميم، وانخرط في المقاطعة السابعة بجيش التحرير بقيادة السيد ايدي ولد التامك حيث شارك في عدة معارك ضد قوات الاحتلال بأسًا والصحراء، وظل يجاهد إلى أن سقط شهيداً في معركة عنيفة باحمادي بالصحراء يوم 15 يوليوز 1959.

كتاب *شهداء الاستقلال*، ج 2.

عز الدين العلام

بَنْيَخْلَف، أو ابن يخلف، أسرة وجدية، جاءت بعد الاحتلال التركي من سهل غريس (معسكر)، وهم من حفدة سيدي بنيخلف الذي ينسب إلى آل البيت. ولعله هو :

بنيخلف، إبراهيم بن عبد السلام التِّنَسي المطماطي الذي انتهت إليه رآسة التدريس والفتوى في أقطار المغرب كلها. كان من أولياء الله الجامعين بين علمي الباطن والظاهر (*البستان*، 66). غادر بلدته تَنَس واستوطن تلمسان للتدريس بترغيب من فقهائها وسلطانها أبي يحيى يغمراسن، فانتفع به خلق كثير من بينهم محمد بن الحاج العبدري. وتوفي الشيخ إبراهيم بنيخلف بتلمسان أواخر

القرن السابع (13 م). ويحمل اسم بنيخلف عدد كثير من العلماء المتأخرين نذكر منهم :

بنيخلف، الحسن الوجدي، كانت سكناه قرب مسجد الزيتونة بحومة أولاد عمران حيث كان له دكان يتعاطى فيه الكتابة العمومية بالعربية والفرنسية. وكان له ثلاثة أبناء اشتغلوا بالتعليم والطب، واحتل بعضهم مناصب سامية في جهاز الدولة المغربية بعد الاستقلال. وهناك أيضاً :

بنيخلف، عبد الله الأندلسي الفاسي. كان محل جلوسه لتجويد الطلبة عليه بصدر مسجد القرويين. توفي في سابع وعشرين من ذي القعدة عام 1162 / 1748.

م. ابن مريم، *البستان* ؛ م. الحفناوي، *تعريف الخلف*، القسم الثاني؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ج 3 ؛ *بحث ميداني : رواية شفوية*.

محمد مرزاق

بُنيدة أو بُنيدا، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Peneda، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1141 / 1729.

Delegacion, *Familias ilustres* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بنيقة، لا تتفق كتب اللغة على معنى محدد دقيق لكلمة بنيقة، فهي من مادة بنق وأبنق إليه بمعنى وصل، أو من بنّق (بالشدة على النون) بالمكان بمعنى أقام به، أو بنّق الكلام : جمعه وسواه، والبنيقة إما رقعة تزاد في طوق القميص لتوسيعه أو لتركيب أزراره، أو هي عند آخرين رقعة أو لبنة مثلثة الشكل تجمع بين أطراف القميص من تحت الإبطين لنفس غاية التفريج، ومن ذلك طريق مُبَنَّق، يعني "واسع"، ومغارة مبنوقة بمعنى موصول بها، فتكون البنيقة على العموم كل ما يضاف إلى الشيء على وجه التوسيع في صناعة الخياطة أو في الهندسة المعمارية، ولقد التزمت الكلمة بهذا المعنى الهندسي في المغرب الأقصى إذ البنيقة كما وصف عبد الوهاب ابن منصور : "بيت صغير في المنزل تخزن به بعض المواد الغذائية ويخبأ بعض أثاث المنزل"، لكن البنيقة كانت أكثر من ذلك أحياناً، إذ كانت في بعض المنازل تكملة أو امتداداً لغرفة كبرى متصلة بها، فتبقى تلك الغرفة مصونة مخصصة للاستقبالات الرسمية والجلسات العائلية الكبرى ومأوى الرجال على العموم، بينما تكون البنيقة مجال الحياة اليومية والمأوى العادي للنساء والذرية والخدم. ولذلك ارتقت الكلمة للدلالة على الغرف التي يشتغل فيها الوزراء وكتاب دار المخزن، إلا إذا كان الانتقال إلى هذا المعنى قد حصل من جهة صناعة الخياطة، إذ يحتمل أن تكون البنيقة هي منديل الحرير الذي كان الوزراء والكتاب يلفّون فيها وثائقهم، ولقد دخلت اللغة الإسبانية على شكل ألبانيگة (albanga) وهي الشبكة التي تجمع فيها المرأة وفرتها. ويحتمل أيضا أن تكون البنيقة مما كان يضاف إلى أفراگ السلطاني من الأخبية الجزئية بداخله للخدام القائمين بخدمة شخص السلطان، أو للكتاب والوزراء وكبار ضباط الجند القائمين بخدمة الدولة. وكانت القصور السلطانية، سواء في الحل أو في الترحال، منقسمة إلى ذينك القسمين الرئيسين، قسم داخلي يأوي إليه العاهل والحريم والخدم الشخصي ويشرف عليه الحاجب، وقسم خارجي وهو المشور في الاصطلاح المغربي، ويضم مختلف خدام الدولة من أصحاب السيف وأصحاب القلم ويشرف عليه قائد المشور.

ولما كانت الدولة مشخصة في أسرة معينة، وجب أن تقتبس أساليب خدماتها من أساليب الحياة المنزلية العادية، وهكذا أطلقت كلمة بنيقة على مكاتب مساعدي السلطان، لأنه، كما جاء في *العز والصولة* (1 : 271) كان "هو المسير لكل شيء في داخل القصر وخارجه وهو صاحب الرأي والتنفيذ في جميع الشؤون و(...) كانت له هيأة معينة لها أسماء خاصة".

ولقد وصف تلك الهيأة في بنائقها بعض المخبرين الأوروبيين في طليعة هذا القرن مثل أوجين أوبان (Eugène Aubin) سنة 1903 أو ميشو بلير (Michaux Bellaire) سنة 1908، وذكرا كلاهما أنها كانت عشر بنائق : بنيقة الصدر الأعظم، وبنيقة وزير البحر المكلف بالشؤون الخارجية، وبنيقة أمين الأمناء وهو وزير المالية، وبنيقة أمين الداخل (أمين المداخيل)، وبنيقة أمين الصائر (النفقات)، وبنيقة أمين الحساب (المحاسبات)، وبنيقة العلاف الكبير المكلف بشؤون الجند، وبنيقة أمين رباع المخزن (الأملاك المخزنية)، وبنيقة وزير الشكايات، وأخيراً بنيقة قائد المشور، وكانت كل بنيقة غرفة مفروشة بالزرابي ويجلس بداخل وسطها صاحب المنصب، ويجلس عن يمينه وشماله كتابه ومساعدوه على ترتيب دقيق يوحي بدرجتهم في الوظيف، بحيث يكون أعلاهم درجة أقربهم إلى الوزير وأدناهم أبعدهم منه، ففي بنيقة الصدر الأعظم كان يجلس عن يمينه الكاتب المكلف بقضايا الأقاليم الشمالية من البلاد ومن يساعده من صغار الكتاب، ويجلس عن شماله الكاتب المكلف بقضايا أقاليم الجنوب ومساعدوه كل حسب درجته، وأثبت ميشو بلير أن بنيقة الشكايات كانت بمدخل المشور حتى لا يشوش المتوافدون عليها، على السكينة الضرورية لأعمال باقي البنيقات.

ولقد حرص المسؤولون عن الحماية غداة انعقادها على المغرب على الإبقاء على نظام البنيقات حرصاً واضح الدلالة، إذ كان يقصد منه توسيع النظام الدخيل وتبريره بترك باب الموازنة مفتوحاً باستمرار بين نجاعة الإدارة الجديدة وعجز الهيأة المخزنية العتيقة، في الوقت الذي انتقلت فيه أسباب السلطة الحقيقية من قبضة رجال المخزن إلى قبضة رجال الاستعمار، كما كانت الغاية منه إيهام المغاربة بأن شيئاً لم يتغير من حياتهم في الوقت الذي صار المعمرون والرسمال الأجنبي يقلبون الأرض المغربية رأساً على عقب، وكان من تلك الانقلابات إلغاء جل البنائق

الوزارية السابقة والحفاظ على اثنتين منها، وهما بنيقة الصدر الأعظم أو البنيقة الكبرى، وبنيقة العدل وهي بنيقة الشكايات القديمة، مع إحداث بنيقة جديدة لشؤون الأحباس، وعلل هانري گايار (Henri Gaillard) ذلك، لما كان كاتبا عاما للحماية سنة 1916، بقوله : "ينبغي للقواد وللرؤساء الدينيين الذين يقصدون إلى إحدى بنائق المخزن أن يجدوا الوزير محاطا بكتابه وهم يشتغلون في دائرة حوله جالسين على الزرابي حسب العادة القديمة، ولو كان لهم أن يدخلوا المكاتب المؤثثة على النسق الأوربي لغمرهم الشعور بأن المخزن القديم قد ولّى، وأنهم أمام هيأة جديدة على الإطلاق لا يقوم فيها أبناء ملتهم إلا بالأدوار الثانوية". وهكذا ظل العمل بالبنائق جاريا طيلة عهد الحماية ولم يلغ إلا باسترجاع المغرب لاستقلاله سنة 1955.

الزمخشري، *أساس البلاغة*، القاهرة، 1960 ؛ الفيروزآبادي، *القاموس المحيط*، بيروت ؛ عبد الحميد بنشنهو، *البيان المطرب لنظام حكومة المغرب*، الرباط، 1951 ؛ ع. بن زيدان، *العز والصولة*، الرباط، 1961.

G. S. Colin, *Baniqa, E. I.*, Nlle. Ed. ; E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1904 ; Ed. Michaux-Bellaire, *La Bniqat ech-Chikayat de Moulay Hafid, R.M.M.*, Juin 1908 ; H. Gaillard, *La réorganisation du gouvernement marocain, R.C.*, Juin 1916.

إبراهيم بوطالب

البْنِيوْرِي، أسرة رباطية أصلها من ضاحية المدينة، من بني وْرّا بين قبيلتي الزيايدة والعرب بناحية الصخيرات. انتقل البنيوريون إلى الرباط في تاريخ غير محدد، واشتغلوا فيه بالتجارة وصناعة الزليج، وعرفوا على العموم بالمروءة والإحسان وحفظ القرآن الكريم.

البْنِيوْرِي، إدريس الملقب بالخَاوَا، ولد بالرباط عام 1312 / 1892، وبه حفظ القرآن الكريم قبل أن يشتغل بالتجارة في "بازار" مهم بالسوق البلدي ثم بالسويقة قرب الجامع الكبير، فكسب وأثل، وكان ذا روح وطنية صادقة ينفق أمواله في المشاريع الاجتماعية بدون حساب، وبخاصة مساعدة التلاميذ والطلبة المعوزين على متابعة دروسهم، إلى أن بدّد ثروته الطائلة وافتقر في آخر حياته، وما عند الله خير وأبقى.

توفي بالرباط يوم الأحد ثاني ربيع الثاني عام 1382 / 2 شتنبر 1862 وأقيم له حفل تأبين في سينما الملكي بالرباط.

كان ممن أبّنه فيه أحمد بن عبد السلام بناني رئيس التشريفات ونشرت كلمته جريدة العلم.

أ. الصبيحي، *مختصر تاريخ سلا*، مخطوط خ. ص. صفحة 26 ؛ أ. بناني، *العلم* ؛ *معلومات شفوية من م. الامين بلكناوي*.

محمد حجي

بَنْيِيُّور، Baniurae أول من تحدث عنهم كإحدى تجمعاتٍ قبلية في موريطانيا أو المغرب هو بلينيوس. يؤكد هذا الكاتب ان البنيِيُّور ينتمون للگيتوليين (Gaetulii) مثل الأوطولول (Autololes)، وأن البنييور زحفوا من مواطنهم تجاه الشمال وحلوا محل الموريين الذين أفنتهم حروب طاحنة دون ذكر تاريخ هذه الحروب.

يشير الجغرافي بطوليمايوس (Ptolemaeus 1.5) إلى هؤلاء القوم بصيغه محرفة قليلا، فسماهم كما يلي : البنيوباي (Banioubai) ويوطنهم جنوب غرب موريطانيا في المجال الگيتولي بجوار الزگرنسيس.

كما يشير الشاعر الروماني سيليوس إيطاليكو (Silius Italicus, III, 303 - 306) إلى البنيوراي (Baniurae) ومعهم الأوطولول (Autololes) مؤكدا أنهم كانوا مجندين مع حنحبل في حملته على إيطالية سنة 218 ق.م.

وأمام الطابع الأسطوري الذي تتسم به روايات هذا الشاعر، فإن حكايته عن البنييور تعكس اشتهارهم بالشجاعة وتمرسهم على فنون القتال، وهو المعنى الذي نلمسه في إشارة بلينيوس بأنهم زحفوا على مواطن الموريين.

إن هذا الزحف الذي يؤكده بلينيوس يرتبط في اعتقادنا بتدهور أحوال المملكة المورية بعد سقوط حكم بگون، وقسك رعاياه باستقلال بلادهم، وبناء على ذلك فإن الحروب التي أفنت الموريين ترجع إلي غزو القائد الروماني أو كتافيوس وحليفه بوكوس الثاني على مملكة بگون والإطاحة به سنة 38 ق.م. وقد أثبتت الدراسات الأثرية في المغرب أن عدة مدن أحرقت وخربت في هذه الفترة مثل تامودة وزيليل ولكسوس، ويعكس ذلك عنف مقاومة الموريين للتدخلات الرومانية.

والغالب أن البنيور دخلوا في علاقة مع الرومان بعد وفاة بوكوس الثاني سنة 33 ق.م، حيث اصبح أو كتافيوس يقرر في مصير موريطانية، وهو عازم على إنشاء مستوطناته بها. ونرجّح أن أوكتافيوس عمد إلى مصالحة بعض القبائل الگيتولية مثل البنيور والزگرنسيس، وشجع زحفهم نحو الشمال لاتخاذهم حزاما أمنيا حول المستوطنتين الرومانيتين الداخليتين في حوض سبو وهما بابا Babba وبناسا Banasa (محمد مجدوب ص. 162. 166).

لقد عثر في بناسا على قطعة خزفية نقش عليها اسم البنيور باللاتينية Baniurai، ويجد الدارس لهذه الوثيقة أحد الشواهد على استقرار البنيور جنوبي بناسة، وهو موقع يوافق الجهة التي وطن فيها الجغرافي الراڤيني Le Géographe de Ravène البنيور الذين ذكرهم كما يلي :

Bonioricis وذلك بين مدينتي وليلي وگيلدة (Rebuffat, 456 - 457).

يبقى السؤال مطروحا حول ما إذا كان لبنيبور القدماء روابط عرقية مع القبائل المعروفة حاليا باسم : بني وراين أو أيت وراين المقيمين جنوبي إقليم تازا، ونجد إشارات لهم عند ابن خلدون، يجيب محمد التازي سعود (ص. 55 الهامش 19) بالإيجاب عن هذا التساؤل ويظن ان البنيور القدماء هم قبيل بني وراين الحاليين، ويحاول تحليل كلمة "بني" التي يتكون منها الاسم الحالي لأيت وراين مبيناً أن لا علاقة لها مع الاشتقاق العربي لهذا الاسم.

م. التازي سعود، *سكان أرض المغارب في عصور التاريخ القديم*، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية فاس، ع. 2 ـ 3، 1979 ـ 1980، ص. 49 ـ 59 ؛ م.مجدوب، *مملكة الموريين وعلاقاتها مع رومة لغاية سنة 33 ق.م*، د.د.ع. كلية الآداب، فاس، 1990.

J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; R. Rebuffat, *Les Baniures : un nouveau document sur la géographie ancienne de la Maurétanie Tingitane, Mélanges offerts à R. Dion*, Paris, 1974, p. 451 - 463.

محمد مجدوب

البهالي (مولاي إبراهيم) ← العلمي المريسي إبراهيم

البهاليل، أو البهلوليون اسم يطلق على المجموعة البشرية المستوطنة شمال غرب صفرو على بعد بضعة كيلومترات، وجنوب فاس على بعد 20 كلم. ونظرا لكون البهلوليين قد تجمعوا منذ زمن بعيد في قرية تحولت اليوم إلى مركز حضري، فإن الاسم يطلق كذلك على المركز كما يطلق على الأراضي الموجودة في حوزة سكانه. ويحكم موقعها هذا تكون البهاليل تابعة إداريا إلى دائرة صفرو بإقليم فاس وجغرافيا إلى منطقة الدير.

ينتمي البهلوليون إلى قبيلة بهلولة أو بني بهلول الزناتية المذكورة في العديد من المصادر التاريخية المشهورة مثل *العبر والقرطاس وبيوتات فاس الكبرى وسلوة الأنفاس*. كانت أراضيها شاسعة تمتد بين الأطلس المتوسط ومرتفعات زرهون. لكن رغبة القبائل المجاورة في الاستيطان والتوسع جعل البهلوليين يتخلون عن الجزء الأكبر منها بعد صراع طويل. ومن الشائع أن بعض البهلوليين قد يكونون من أصل روماني. فالوجود الروماني بالمنطقة وارد بالرغم من الضبابية التي تحيط بالموضوع. فإلى يومنا هذا ما زالت بعض الآثار تشهد على ذلك مثل دشر الروم. ثم هناك بعض الرسوم اللاتينية بقلعة ميميط التي يبدو أنها كانت ضمن سلسلة المحطات الرومانية للإنذار بواسطة الأضواء. إلا أن المعطيات الجديدة حول موريتانيا الطنجية التي أتى بها محافظ وليلي (*حصيلة البحث الأثري بمنطقة العنوصر...*) تعيد النظر في هذا وتطرح عدة تساؤلات لن يتأتى الجواب عنها بدون القيام بأبحاث معمقة.

على العهد الإدريسي، تم فتح حصن بهلولة على يد إدريس الأول سنة 173 هـ. ويروى أن الوزير عمير بن معصب الأزدي الوافد مع قومه من الأندلس صاهر كلا من زواغة والمولى إدريس الثاني (عاتكة بنت إدريس بن إدريس) وبني بهلول. وقد أورد صاحب *بيوتات فاس الكبرى* أن هذا الوزير دفن بمقبرة بني بهلول (*بيوتات*، 13).

وعلى العهد المرابطي كانت البهاليل ضمن الحلف الذي واجه يوسف بن تاشفين. وقد أدى انهزام هذا الحلف إلى تخريب عدة قرى ومداشر من قبيلة بهلولة. ومن المعارك الضارية التي دارت رحاها فوق أرض البهاليل نذكر تلك التي وقعت في جمادى الثانية سنة 693 / غشت 1255م بين أبي يحيى المريني والمرتضى الموحدي. ومنذ العصر المريني والبهاليل تنعت بالعصيان تجاه السلطة المركزية.

ويبدو أن البهاليل الحالية قد تكونت في بداية الأمر من سكان المداشر التي كانت تتكون منها القبيلة. فقد تجمع هؤلاء تحت اسم ثلاث "فخذات" : القصبة والخندق وأغزديس، وسكنوا في مرحلة أولى الكهوف قبل بناء الدور وإحاطتها بالأسوار حيث أبقي على بعض الأبواب. ويبدو أن أجزاء كبيرة من هذه الأسوار قد حطمتها القوات الفرنسية سنة 1911.

ولا يعني تقسيم البهلوليين إلى ثلاث فخذات وجود أصل جغرافي واحد للسكان وروابط دموية بينهم داخل كل وحدة. فمن الأسر البهلولية الحالية من انحدر من الجنوب مثل أولاد يوسف وأولاد الهواري، ومنهم من أتى من جبالة مثل أولاد منصور العروسيين وأولاد فقيه الدين (الراجي) السريفيين والشرفاء أولاد مرون العلميين. وهناك من انحدر من الموريسكيين كأولاد عيسى والشقندين ...إلخ. وهذا استنتاج ينطبق على المجموعات الريفية عموما إن على مستوى القبيلة أو مستوى الدوار.

وبالرغم على أصلهم الزناتي أي البربري، فإن البهاليل يتخاطبون في الوقت الراهن باللغة العربية. وقد تم استعرابهم، شأنهم في ذلك شأن القبائل التي كانت في مدار فاس، خلال القرن السادس (12 م) (*نزهة المشتاق*، 3 : 246) مثل بني يازغة.

الإطار الجغرافي للبهاليل ودعائم اقتصادها : يتشكل محيط البهاليل من درجات متفاوتة الارتفاع. فهو يمتد على الحاشية الجنوبية لسايس (600.750م)، وعلى

منحدرات "الحافة" الفاصلة بين هذا الأخير وهضاب الأطلس المتوسط الغربي (750-950 م) وأخيرا على جزء من هذه الهضاب (أكثر من 950 م). ومع هذا التدرج والاختلاف التضاريسي تختلف المعطيات الجيومورفلوجية وتتنوع معها الخصائص الترابية مما يسمح بتنويع الاستغلال الفلاحي.

وبحكم موقعها المتفتح على المؤثرات المحيطية وخصائصها الجيولوجية (الانتشار الكبير لصخور الكلس الدولوميتي المنفذة) تعتبر أراضي البهاليل غنية نسبيا بالمواد المائية. فهي تتوصل سنويا بمعدل 600 مم من التساقطات التي تمكّن من نجاح الزراعة البورية، ويجرى بها واد أگاي، كما توجد بها مجموعة من العيون (عين كبير، عين زواوة، عين جنان القايد، عين غزال، عين برار...) مكنت منذ القديم من القيام بالزراعة المسقية. وبفضل انتشار الأراضي الفقيرة المكسوة بالنباتات و"الغابات" خاصة فوق الهضاب، فقد توفرت مراع شاسعة.

عملت كل هذه الظروف الطبيعية عل جعل البهلوليين - شأنهم في ذلك شأن مجموعات أخرى بالدير - فلاحين متميزين. فقد ارتكز اقتصادهم، منذ استقرارهم، على التكامل بين الزراعة البورية التي تهم الحبوب والقطاني والزياتين بالأساس، والزراعة المسقية، وقطاع تربية المواشي.

وتمتد الأراضي البورية اليوم على حوالي 6000 هـ، والأراضي المسقية على حوالي 100 هـ. وحسب ما توصل إليه خليفة إدريس والرويقي حرازم *La Vie économique et sociale à Bhalil*, ص5 و6، قد تكون مساحة المراعي 8000 هـ.

وبحكم الاستقرار القديم، فكل الأراضي الزراعية تقريبا تخضع للملكية الخاصة التي تتميز بصغرها وتشتت مشاراتها بحيث لا يصل متوسط المساحة لكل ملاك سوى أربعة هكتارات. ونظرا لاحتكاك البهلوليين منذ العقد الثاني من هذا القرن بالمعمرين الذين استولوا على جزء من أراضيهم الخصبة، ولدور الإرشاد الفلاحي منذ الاستقلال، ولرغبة الأسر في تغطية حاجياتها وتحسين ظروف عيشها، ولتوفر إمكانيات التسويق ... فقد سجل النظام الزراعي تحولات ملموسة تتجلى في توسع مغارس الزياتين وزراعة الخضراوات (أساسا البطاطيس)، وفي الإقبال على ضخ المياه الباطنية للريّ وغرس أشجار الورديات في الأعوام الأخيرة... لكن كل هذه التحولات لم تبق على القطاع الفلاحي كركيزة أساسية للنشاط نظرا لعجزها عن توفير الشغل الكافي للسكان من جهة، ولارتقاء البهاليل إلى وضعية مركز حضري وهجرة العديد من أبنائه من جهة ثانية.

البهاليل المركز : من القرية إلى المدينة، التوسع وآفاق المستقبل. تجمع سكني قديم استقر على ارتفاع 960 م فوق دريجة تتشكل في معظمها من الرصاصة Tuf بالقرب من عين كبيرة، وهو موضع معلق يشرف على سايس كان يتشكل من ثلاثة "أحياء" يُؤوي كل واحد منها فخذة من الفخذات الثلاث المكونة للبهاليل : القصبة وأغزديس والخندق، ويبدو أن كل البهلوليين تجمعوا به وأنه كان محاطا بالأسوار إلى مطلع القرن الحالي، الشيء الذي يثبت أهمية الصراع الذي خاضه السكان مع جيرانهم كما ورد أعلاه.

وعلى الرغم من أهمية عدد السكان وتطورهم وظهور بعض التجهيزات مثل المدرسة ومعصرتين للزيتون وملعب للرياضة وإيصال الكهرباء أيام الحماية، فقد ظل عبارة عن قرية كبيرة إلى مطلع السبعينات حيث عمل استقرار عدد من المصالح الإدارية وقيام عدد من التجهيزات على الارتقاء به إلى وضعية مركز حضري. فقد أُنشئت به سوق أسبوعية في سنة 1971 وتم تزويده بالماء الشروب سنة 1973. وفي نفس السنة استقرت به الوكالة المستقلة لتوزيع الماء والكهرباء. وفي سنة 1974 خلقت القيادة، وخلال 1975 و1976 أصبح المركز مركزا حضريا مستقلا وأنشئت به إعدادية وناد نسوي ودار للشباب ومستوصف وصيدلية. وبعد هذا التاريخ توالت التجهيزات فشملت مكتباً للبريد ومدرسة ابتدائية أخرى والواد الحار ... إلخ.

وإذا كان هذا التطور قد عمل على توسع الرقعة المبنية وعلى التحول في البنية والمهن الاجتماعية للسكان، فهو لم يؤد إلى زيادة كبيرة في عدد السكان على غرار ما يحدث ببعض المراكز الأخرى بالمنطقة كإيموزار كندر والمنزل.

ففيما يخص التوسع المجالي، يمكن تحديد أهميته من خلال المساحة المبنية التي غطت ما يقارب 12 هـ بين عام 1980 وعام 1987، ومن خلال أهمية الرخص المسلمة في نفس الفترة إذ بلغ عددها 968.

والواقع أن المساحة التي توسع المركز فوقها أكبر بكثير مما تشير إليه رخص البناء، فلا تُظهر هذه الأخيرة الأراضي المخصصة للأزقة وللشوارع، كما لا تظهر مساحة المجالات الخضراء وبعض التجهيزات التي لا تحتاج إلى بناء.

ومما رافق هذا التوسع ظهور أحياء جديدة (الركيبة ومسيلة) تتعارض والنواة العتيقة تنظيما وتهوية وبناءً وكذلك على مستوى محتواها الاجتماعي (الأحياء الجديدة وخاصة مسيلة، يسكنها عموما فئات الموظفين والأطر، بينما يسكن النواة فئات محدودة الدخل (الصورتان : البهاليل 1 والبهاليل 2).

أما فيما يخص تحول البنية المهنية - الاجتماعية، فيلاحظ أن مكانة الفلاحة قد تراجعت لصالح قطاعي الإدارة والخدمات، وهذه ظاهرة تهم كل المراكز في طور التحول من الطابع الريفي إلى الطابع الحضري.

وبالرغم من كل هذه التحولات، لم يتزايد عدد السكان بين سنوات 1917 و1982 سوى بـ 3299 نسمة أي بوتيرة للنمو بطيئة (0.9٪ سنويا). ولا يمكن تفسير هذا البطء سوى بمشاكل المركز، ومنها ضيق منطقة نفوذه وضيق قاعدته الاقتصادية مما لا يوفر الشغل لكل السكان ويدفع بعدد منهم إلى النزوح. وتشكل الهجرة عاملا نشيطا في توسع المركز. فقد وصلت نسبة المنازل الجديدة التي كان يملكها

الموظفون البهلوليون خارج البهاليل 76.5٪ في مطلع الثمانينات، ووصلت نسبة المنازل التي هي في ملكية العمال بالخارج آنذاك 8.8٪ (M. Kerbout)

بعدما ظلت البهاليل قرية كبيرة يتجمع بها كل سكان المجموعة البشرية المعروفة بهذا الاسم بقرون، تحولت منذ نهاية الستينات إلى مركز تتوفر به معظم مقومات المدينة. وتوسعت بشكل سريع أدى إلى ارتفاع ثمن أرض البناء وتفاوت توزيع التجهيزات بين الأحياء وقضم الأراضي الفلاحية الخصبة ... وقد كانت هذه المشاكل سببا في التفكير في تنظيم هذا التوسع في إطار تصميم للتهيئة لم يصادق عليه بعد ولم يطبق.

وإذا كان المركز قد عرف قفزة نوعية في "تمدينه"، وقفزة كبيرة في توسعه المجالي خلال العقدين الأخيرين، فيبدو أنه لن يحافظ على نفس النَّفَس نظراً لقربه من فاس ومن صفرو ولضيق منطقة نفوذه التي تكاد تقتصر على المحيط البهلولي ومن ثم لضعف الركيزة الاقتصادية. ومما يعزز هذه النظرية ما لوحظ من بطء في وتيرة تطور السكان. لكن قد تتغير هذه الوضعية في حالة ما إذا تحول المركز إلى منامة بالنسبة لفاس ولصفرو وإذا ما أحدثت به بعض الصناعات (*تصميم التنمية والتهيئة الإقليمية للجهة الاقتصادية الوسطى الشمالية*) (S.D.A.R / C.N).

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط 1980 ؛ إسماعيل بن الأحمر وآخرون، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط 1972 ؛ حسن ليمان، *حصيلة البحث الأثري بمنطقة العنصر، صفرو ومنطقتها، بيئة - تاريخ - مجتمع - فكر*، الجزء الأول ؛ *الملتقى الثقافي الثالث - مدينة صفرو*، الدار البيضاء 1990 ص. 33-52 ؛ م. الكتاني، *سلوة* ؛ ع. ابن خلدون ، *العبر*، المجلد السادس، بيروت 1979 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط 1973.

D. Khalifa et H. Rouiqui, *La Vie économique et sociale à Bhalil*, Mémoire de Licence, Sciences économiques, Faculté des Sciences Juridiques, Sociales et Economiques, Rabat, 1977 ; M. Kerbout, *Les périmètres irrigués du Dir moyen - atlasique septentrional d'Agouraï à Al-Manzal*, Thèse de troisième cycle, 2 T, Tours, 1981 ; N. Kossovitch et F. Benoit, *Une tribu inconnue du Maroc, les Bahloula*, Extrait de *l'Anthropologie*, T. 45, n° 3 - 4, Paris, 1935.

محمد كريوط والحسين البعاوي

بهت، واد يجري في الناحية الشمالية الغربية من المغرب. ينبع من الأطلس المتوسط الهضبي من جهته الشمالية الغربية وينتهي في سهل الغرب حيث يصب في نهر سبو، 60 كلم قبل وصوله إلى البحر. محور اتجاهه العام جنوب شرقي - شمال غربي، إلا أنه يتغير كثيراً من منطقة إلى أخرى، نظرا لاختلاف الوحدات الطبغرافية التي يقطعها الوادي من المنبع حتى المصب على طول حوالي 250 كلم.

يحتفظ بهذا الاتجاه في العالية، وعند تجاوزه الأطلس المتوسط يصبح جنوبي - شمالي، يجري في منعطفات متعمقة ومتقاربة في هضبة أيت ميمون وأيت اوريبل ثم في منعطفات أقل تعمقا في منخفض سوق أربعاء بهت.

أما جريانه فيعتبر دائما رغم الاختلاف الذي يسجل بين فترة الشح وفترة الوفرة، وبين سنة وأخرى.

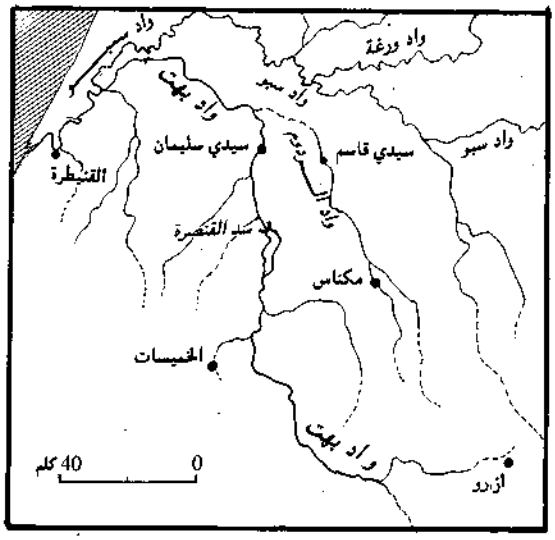

واد بهت

الحوض والتصريف : يقطع واد بهت ثلاث وحدات تضاريسية. روافده العليا تنزل من الأطلس المتوسط الهضبي حيث تصل الارتفاعات القصوى إلى 1600 متر، ثم يصل إلى المجال الثاني الأساسي الذي يتمثل في الهضبة الوسطى وارتفاعاتها في مستوى الوادي يتراوح ما بين 1400 و300 متر. وعندما يتجاوز سد القنصرة، يدخل إلى الوحدة الثالثة التي هي عبارة عن وحدة سهلية تتكون من أراض منخفضة هي سهل الغرب.

يعتبر حوض وادي بهت من الأحواض الثانوية الرافدة لحوض سبو. مساحته حتى المصب تبلغ حوالي 7000 كلم^2 أي بادخال حوض واد الردم الذي يرفده من الضفة اليمنى في مستوى سهل الغرب، لكن مساحته في مستوى سد القنصرة لا تتعدى 4540 كلم^2، موزعة بين الأطلس المتوسط الغربي وجزء من سهل الغرب. تحده شرقا مناطق مكناس والحاجب، وغربا حوض بورقراق، وشمالا الأقسام الجنوبية لسهل الغرب، وجنوبا كويسطات الأطلس المتوسط الغربي .

يتميز الحوض بتعمق أوديته الكبير، وبظهور خوانق في بعض قطاعاته، وانتشار منخفضات واسعة في قطاعات أخرى حيث تظهر المنخفضات الطبوغرافية الكبرى كتضاريس إفراغية تتوسط الأجزاء الهضبية، وتشكل حدا فاصلا بين الهضاب الأولية المرتفعة في الجنوب والهضاب المنخفضة ذات الغطاء الرسوبي الحديث في الشمال. ومن أهم هذه المنخفضات نذكر :

منخفض سوق أربعاء بهت : هو من أهم هذه المنخفضات، إذ يخترقه واد بهت من الجنوب إلى الشمال حيث يلتقي به أهم روافده.

يتخذ هذا المنخفض شكلا مثلثا ويمتد على مساحة تقدر بـ 13 كلم من الجنوب الغربي إلي الشمال الشرقي و10 كلم من الجنوب إلى الشمال. وقد سمح بهذا الاتساع التراجع الكبير للسفوح في صخور هشة، وتكون هذه السفوح في

غالب الأحيان مقعدة، وقد تطورت عند أقدامها مستويات نهرية ممتدة تدل على مراحل توقف الحفر النهري.

يوجد قعر منخفض سوق أربعاء بهت على ارتفاع متوسط يقدر بـ 160م، وهو بذلك ينخفض عن مستوى سطوح الهضاب المشرفة بـ 300م تقريبا. قعره لا يعرف تجانسا كبيرا، بل تتخلله أشكال طبوغرافية عديدة. منها الأشكال البارزة التي تتمثل في مجموعة التلال الطولية التي تمتد على الضفة اليمنى لواد بهت المتخلفة عن تقطيع هضبة أيت ميمون التي تعلو المنخفض بـ 150م. وقد ساهمت هذه التلال في فرز منخفض ثانوي هو منخفض العطشان الذي يمتد ما بينها وبين متن بوعرعر ـ الدموكي.

ـ منخفض برجلين : يعتبر امتداداً لمنخفض سوق أربعاء بهت نحو الجنوب الغربي ويربط بينه وبين باقي المنخفضات الممتدة حتى الرمّاني. يتميز هذا المنخفض بقلة اتساعة وبشكله المستطيل، يمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي. ويتوفر هذا المنخفض على مستويات نهرية أقل عددا وأقل امتدادا مما هي عليه في منخفض سوق أربعاء بهت، كما تتخلله أيضا منخفضات مغلقة يوجد معظمها على الضفة اليسرى لواد برجلين عند نقطة التقائه بواد بومعجون التي تعرف بضايات الملح، ضاية الناموس، وحفور الكمين.

تنتشر المنخفضات المغلقة في كلا المخفضين المحفورين في الصخور التريـاسية الطين ـ ملحية، وتظهر مجاورة للمحاور النهرية عند أقدام السفوح التي تربط قعور المنخفضات الكبرى بسطوح الهضاب. وتتميز هذه المنخفضات باختلافاتها من حيث شكلها، واتساعها وكذا تعمقها.

يتميز بعضها بالجفاف الدائم في حين يظهر البعض الآخر كضايات موسمية أو دائمة قد تنتهي فيها بعض الجداول الموسمية المرتبطة بفترة التساقطات.

ما يميّز حوض بهت إذن هو هذا التضرس المهم الذي تختلف حدته من جزء لآخر، سواء تعلق الأمر بالهضاب أو المنخفضات. وقد لعبت الشبكة المائية دورا كبيرا في تحقيقه بالإضافة إلى عوامل أخرى. ومن الملاحظ ان معظم روافد المجري الرئيسي تلتقي في منخفض سوق أربعاء بهت.

يتركب حوض التصريف من صخور متعددة تطغى فيها المواد الشستية وهي المكون الأساسي للهضبة الوسطى. أما العالية فتبرز بها بعض الصخور الكربوناتية الليـاسية. وتظهر في أحواض العالية كذلك طفوح بركانية حديثة.

مناخ حوض بهت : ينتمي عموما إلى المناخ المتوسطي، قاري في الجنوب الشرقي ومحيطي في سهل الغرب. يتميز بوجود فصلين متباينين : فصل جاف ويشمل فترة فصل الصيف مع نهاية فصل الربيع وبداية فصل الخريف، وفصل رطب يوافق الفصل البارد إلا أن امتداد الحوض على وحدات طبغرافية مختلفة تدخل فوارق مهمة على القاعدة العامة.

الحرارة : يبلغ متوسط درجات الحرارة 19.4 درجة في محطة القنصرة، إلا أن هذه القيمة لا تعبر عن خصائص الحوض الحرارية التي ترجع بالأساس إلى عامل الاختلاف الكبير بين العالية والسافلة بالإضافة إلى عامل قارية الأجزاء الداخلية من الحوض. فأقصى الحرارات الدنيا يسجل في شهر يناير قرب المنبع وبقدر ناقص 5 درجات، في حين يبلغ درجتين عند سد القنصرة. أما أقصى حرارة فتسجل في شهر غشت وتصادف أيام هبوب رياح الشرقي الساخنة، وذلك في منخفض واد بهت حيث تصل إلى 45 درجة. يتسبب ارتفاع الحرارة هذا في تبخر مهم للمياه حيث يبلغ متوسط كمية النتح في القنصرة ما قدره 240 ملم سنويا والتبخر 1790 ملم.

التساقطات : يعرف هذا العنصر تغايرية كبيرة مجاليا وزمنيا. ففي سافلة الوادي يسجل ما متوسطه 400 ملم سنويا، وفي مستوى سد القنصرة 424 ملم، إلا أن المجموع السنوي يتراوح ما بين 222 ملم و696 ملم عموماً. أما في العالية فقد يتعدى المتوسط 100 ملم في محطة أزرو، يرجع جزء مهم منها إلى التساقطات الثلجية الشتوية.

الشبكة المائية : يتم صرف مياه حوض بهت عبر شبكة كثيفة من المجاري المائية متفرعة في العالية ومتلاشية في السافلة. تقل في المناطق المنبسطة كهضبة الخميسات وتكثر عند حواشي الهضاب المشرفة على سوق أربعاء بهت وبرجلين. ويمكن التمييز داخل هذا التوزيع بين الضفة اليسرى التي لا تتوفر على أودية مهمة، والضفة اليمنى الأكثر كثافة وأهمية وهي تشمل واد القل وروافده وواد اشكات وروافده.

تتفاوت أهمية العناصر المكونة لهذه الشبكة المائية بالمنطقة إذ تتدرج من أنهار مهمة دائمة الجريان إلى مجار صغيرة موسمية.

المجاري الدائمة : يعتبر واد بهت أهم محور مائي بالمنطقة، يجري به الماء طيلة السنة بصبيب يختلف حسب الفصول والسنوات كما هو الشأن بالنسبة للأودية المتوسطية. يبلغ متوسط صبيبه 31،5 م3 في الثانية كحد أعلى و7 و3م3 / ث كحد أدنى. ويعرف هذا النهر فيضانات عنيفة من حين لآخر أهمها يرجع إلى سنة 1963 حيث بلغ الصبيب 564 م3 /ث.

تلعب هذه الفياضانات دورا أساسيا في تغيير معالم المجرى النهري وذلك بنحت أو تحطيم ضفافه، كما تؤثر على الدرجات الحديثة بتحطيم أجزاء منها. يزود واد بهت بروافد أساسية خارجية، تنبع من حافة الأطلس المتوسط أو من الهضبة الوسطى، وتلتقي به في منخفض سوق أربعاء بهت، وأخرى ثانوية تغذيها عيون مائية من الفرشة الموجودة تحت الرمال والحث البليوسينيين، فمن الضفة اليمنى نجد واد أوشكات وروافده و واد القل وراوفده، ويصبان في بهت في منخفض سوق أربعاء بهت ثم واد الردم الذي يلتحق

ببهت قرب قرية دار الكداري. أما من الضفة اليسرى فالروافد قليلة نسبيا أهمها واد بولحام وواد بومعجون النابعين من حافة الأطلس المتوسط.

المجاري الموسمية كثيفة لكنها ضعيفة الأهمية من الناحية الهدرولوجية لأنها ترتبط بفترة التساقطات فقط، وهي عبارة عن جداول صغيرة تجري في شعاب متعمقة نسبيا (50 إلى 70م) مثل واد الحايص، وواد الوجة وواد بوزحليليس وواد المالح الخ ... ويوجد أغلبها على الضفة اليسرى لبهت.

يقتصر الجريان في هذه المجاري على فترة التساقطات وخلال السنوات الرطبة، لذلك تبقى جافة في غالب الأحيان لأنها لا تتغذى من العيون إلا في حالات نادرة. أما المسيلات الصغرى فتصب في جداول أو تغذي ضايات موسمية تجف في الصيف تاركة أملاحا على جوانبها لشدة ملوحتها.

الغطاء النباتي : يغطي مساحة محدودة من الحوض تقدر بـ 25،5٪ من مساحته الإجمالية. ويتمركز بالخصوص في الحوض الأعلى ثم الأوسط حتى سوق أربعاء بهت. وفي الشمال الغربي، حيث غابة معمورة، يحتوي على تشكيلات نباتية مختلفة، أهمها الأرز في أقصى الجنوب، ثم البلوط بنوعيه الأخضر والفليني. وعموما لا يظهر الغطاء النباتي إلا في المناطق التي تقل إمكانية الاستغلال الزراعي فيها.

ونظرا لتدهور هذا الغطاء النباتي الطبيعي والتقلص المستمر الذي يصيبه، وضعت مشاريع لإعادة التشجير خصوصا بالصنوبر والأوكليبتوس وذلك منذ سنة 1931، وهمت بالخصوص الأحواض وقيعان الأودية مثل وادي بهت جنوب مركز سوق أربعاء بهت، ومنخفض برجلين عند عالية التقاء واد برجلين برافده بومعجون.

ومن أهم المشارع المائية التي عرفها واد بهت إقامة سد القنصرة الذي اكتمل بناؤه الأولي سنة 1934، ثم رفع من علوه سنة 1968.

ويعتبر أول سد شيد بالمغرب، كان الغرض منه سقي أراضي منطقة سيدي سليمان بالإضافة إلى إنتاج الطاقة الكهربائية (انظر : القنصرة، سد).

من خلال التحاليل التي أقيمت على مياه بحيرة السد، تبين أن مياه حوض بهت تتميز بقاعدية مرتفعة، إذ أن نسبة الهيدروجين تتراوح ما بين 8 و9. ومرد ذلك إلى طبيعة صخور الحوض النهري خصوصا الكلسية منها والملحية. فالمحلولات الكلسية تأتي عبر واد بهت والقل من حافة الأطلس المتوسط، ومن الكلس البحيري لسايس، والمحلولات الملحية تأتي من القاعدة الصخرية التي تجري فوقها الأنهار بمنخفض سوق أربعاء بهت، وهي الطين الترياسي الغني بملح الطعام والجبس، كما تأتي بهذه الأملاح الشعاب الرافدة لبهت وهي التي يطلق على عدد كبير منها تعبير "واد المالح". وقد تسببت وفرة هذه الأملاح بالمنطقة في جعل كل الأنهار تقريبا مالحة بما فيها واد بهت، وغير صالحة للري أو الاستهلاك المنزلي باستثناء مياه واد القل فهي عذبة.

أطلس حوض سبو : حدوش نبيهة : دراسة جيومورفولوجية لمنطقة الخميسات، د.د.ع.الرباط 1988 ؛ عبد العزيز شعري : *بحث السنة الرابعة جغرافيا*، كلية الآداب القنيطرة سنة 1989.

Direction de l'Hydraulique, *Ressources en eau du Maroc*, Rabat, 1971 ; J. Le Coz, *Le Rharb : Fellah et colons*, Rabat, 1964; G. Beaudet, *Le Plateau Central marocain et ses bordures : étude géomorphologique*, Rabat, 1969.

أحمد لقمهري، واركي جمعة

.. وفيما يتعلق بالتاريخ القديم، يوجد بواد بهت بالقرب من القنطرة الرئيسية الموجودة على الطريق الفاصلة بين مدينتي الرباط ومكناس وعلى الضفة اليسرى لواد بهت، عدة مواقع أثرية (مغارة على الهواء الطلق).

وقد تعاقب على المنطقة عدة باحثين في الميدان الأركيولوجي وذلك منذ بداية الثلاثينات نذكر من بينهم دريش، رولمان، بالوت، أنطوان، سوفيل وغيرهم. ولعل أهم موقع تشير إليه النصوص هو الموقع المتميز بأدوات ذات عنق تعود إلى حضارة العصر الحجري الحديث. فالأدوات التي تم استخراجها منه جد متنوعة وكثيرة، غير أنه مع الأسف الشديد فان مكتشفيها وخاصة رولمان لم يشر في أي لحظة إلى موقعها بتحديد بل اكتفى بذكر اسم الموقع وذلك ما ينقص شيئا ما من قيمتها التاريخية. ومن أهم الأدوات نذكر الحجر المصقول، فهو جد كثير ومتنوع بحيث تم جمع ما يفوق 750 قطعة، كما عثر على ما يناهز 25 رحي وعدة أدوات محفورة من أهمها أدوات ذات "عنق". صنعت هذه الأخيرة من الحجر الغرانيتي، وتكون عامة ذات حجم مستطيل مستدقة الرأس، ونجد بحوالي الثلث الأعلى للأداة حفرة دائرة بها شبيهت بالعنق. وقد يصل طول القطعة إلى 20 سنتم وعرضها إلى 10 سم وسمكها إلى 6 سم (انظر الصورة) كما قد نجد في بعض الحالات حفرة ثانية متعامدة بالنسبة للأولى أو متوازية معها. ويعتقد رولمان أن هذا النوع من الأدوات قد استعمل لأغراض فلاحية، في حين تم العثور على أدوات مشابهة لها بمعدن الملح الموجود على ضفاف نفس النهر استعملت لاستخراج الملح. ولا بد من الإشارة هنا إلى عدم تحديد تاريخ هذه المواقع بدقة، ويكتفي جل الباحثين بارجاعها إلى حضارة العصر الحجري الحديث.

محمد عبد الجليل الهجراوي

بهتيت، اسم أسر يهودية كانت بفاس ومكناس خلال القرنين 17 و18، كما أن بيعة عتيقة كانت بمكناس حملت هذا الاسم، ولربما كان الذي أسسها هو يشعيا بن بهتيت حسب ما أورده طوليدانو Toledano في كتابه *La Saga des familles* (ص 78) ومن بين الذين حملوا لقب بهتيت، نذكر كذلك :

يوسف بهتيت ربي بمكناس، له عدة فتاو، وتوفي عام 1716. (معلومات مستقاة من مخطوطات خزانة أسرة أبن

سُور بفاس التي توجد اليوم ضمن ذخائر كلاگسبالد Klagsbald بباريس. انظر كذلك كتاب حييم الزعفراني : *Les Juifs du Maroc*) ثم يعقوب بهتيت، ربي بمكناس خلال القرن الثامن عشر.

بنايم، مالكي ريفان ؛ طوليدنو، نير همعرب ؛ لاريدو. *أسماء اليهود*، 399.

سيمون ليفي

البهجة، أسرة تطوانية يقال إن أصلها من مراكش، وقد انقرضت بتطوان في العقد الثاني من هذا القرن.

البهجة ← مراكش

البَهْرُوري، أسرة أصلها من إحدى قبائل جبالة كانت بتطوان وانقرضت في أواخر القرن الماضي ولم يبق ما يُذكّر بوجودها سوى الأرض التي حبّسها أحد أفراد الأسرة المذكورة لدفن الموتى، تعرف اليوم بمقابر سيدي البَهْرُوري، وتقع بالقرب من جامع المزواق خارج أسوار المدينة في الطريق المؤدية إلى مدشر سامسة.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بَهْلُول، كلمة تقتضي شرحين : الأول عام في معناه، والثاني خاص. ويمكن استخلاص الأول من خلال الحكايات والأقاصيص والأساطير التي روتها مختلف الكتب من مستويات شتى، قديما وحديثا، على حد سواء. وبها نجد البهاليل يشتركون في أوصاف مميزة تدل على "الفطنة" و"سرعة البديهة"، و"الذكاء"، مع "النبل والحكمة"، وما شاكل ذلك؛ ولكن في لباس وتصرفات توحي بالبلاهة والجنون، الذي لا يبعد أن يكون مصطنعا. (*دائرة*، 4 : 271). وهي تقريبا نفس المعاني، التي أوردتها معاجم اللغة، حيث فسرت كلمة بهلوب بـ"الضحاك"، أو "الحي الكريم النبيل"، أو "السيد الجامع لكل خير" (لسان، 1 : 279 - 123 ,*Supplément*).

أما المعنى الثاني للبهلول، وهو خاص بالصوفية، فيطلق على معتقد في خيارته من نوع خاص، لا يقل شأنا، في نظرهم، عن الولي الصوفي السالك أو الولي المجذوب. ويشبه هذا الأخير، بالخصوص، في كيفية وصوله إلى مقام الولاية.

ولابن خلدون وصف جامع لكل ما تفرق من أقوال الصوفية المشارقة منهم والمغاربة، في الولي البهلول، استهله بقوله : "ومن المتصوفة قوم بهاليل معتوهون أشبه بالمجانين منهم بالعقلاء، وهم مع ذلك، قد صحت لهم مقامات الولاية وأحوال الصديقين، وعَلِمَ ذلك من أحوالهم مَن يَفْهم عنهم من أهل الذوق، مع أنهم غير مكلفين، ويقع لهم الإخبار بالمغيبات عجائب، لأنهم لا يتقيدون بشيء، فيطلقون كلامهم في ذلك، ويأتون منه بالعجائب. وربما ينكر الفقهاء أنهم على شيء من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم، والولاية لا تحصل إلا بالعبادة، وهو غلط، فإن فضل الله يوتيه من يشاء، ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غيرها. فإذا كانت النفس الإنسانية ثابتة الوجود، فالله تعالى يخصها بما يشاء من مواهبه". مضيفا إلى ذلك :"والبهاليل لم تَعْدم نفوسهم الناطقة ولا فسدت كحال المجانين، وإنما فقد لهم العقل الذي يناط به التكليف، وهي صفة خاصة للنفس، وهي علوم ضرورية للإنسان يشتد بها نظره ويعرف أحوال معاشه واستقامة منزله، وكأنه إذا ميز أحوال معاشه واستقامة منزله لم يبق له عذر في قبول التكاليف لإصلاح معاده، وليس من فقد هذه الصفة بفاقد لنفسه ولا ذاهل عن حقيقته، فيكون موجود الحقيقة معدوم العقل التكليفي، الذي هو معرفة المعاش، ولا استحالة في ذلك، ولا يتوقف اصطفاء الله عباده للمعرفة (الولاية) على شيء من التكاليف"، (*مقدمة*، 111).

فالولي البهلول، كما يظهر إذن، ولي، لا يصل إلى ما يصل إليه من درجات القرب من الله بمثابرته على المجاهدات والرياضات الصوفية ومكابدته على قطع مفاوز الطريق، كما هو مطلوب من سالك طريق القوم، وإنما تسوقه إلى ذلك مجرد العناية الإلهية والمنن الاصطفائية، مثله في ذلك مثل الولي المجذوب، الذي يجذبه الله إليه من غير سعي منه ولا طلب ولا سلوك ولا تعب،ومن دون أن يجعل عليه منة لشيخ أو غيره. فكلاهما ممنوح الولاية (*جمهرة*، 1 : 239 ؛ *إظهار*، 2 : 53 ؛ *من تاريخ*، 38). ويظهر من جهة ثانية، أن البهلول ولي ذهب عقله وحسه، كما هو حال المجنون، وغاب عن شاهده وحسه، بحيث لم يبق له تمييز ولا شعور بشيء من عوالم البشرية، مع انشغاله الدائم في نفسه بما نزل به، كما هو حال الولي المجذوب، واستغراقه فيما هو فيه، لم يبق له التفات لغيره.

وفي تمييزه للبهاليل يحدد ابن خلدون ثلاث علامات. أولها : "...أن البهاليل لا تجد لهم وجهة أصلا". وثانيها : "أنهم يخلقون على البله من أول نشأتهم، والمجانين يعرض لهم الجنون بعد مدة من العمر، لعوارض بدنية طبيعية، فإذا عرض لهم ذلك وفسدت نفوسهم الناطقة ذهبوا بالخيبة ... والثالثة كثرة تصرفهم في الناس بالخير والشر، لأنهم لا يتوقفون على إذن لعدم التكليف في حقهم، والمجانين لا تصرف لهم" (*مقدمة*، 111). وهذه مميزات تسهل علينا تمييز المجذوب عن البهلول، والمجنون عن البهلول بسهولة، والبحث عن نقط الاشتراك بينهم.

هذا، وإذا كان من المتعذر علينا تعيين أول بهلول عرفه تاريخ التصوف المغربي، نستطيع أن نقول بأن البهللة قديمة قدم التصوف في المغرب، كما نستطيع أن نقول، باطمئنان كبير، إن القرنين العاشر والحادي عشر (16 و17 م) يمثلان فترة ازدهار البهللة في المغرب. (*الأولياء*، 1 : 221 - 229). ولعل من أشهر بهاليل هذه الفترة الشيخ محمد بن موسى الشاوي، المعروف بمولاي بوشتى الخمار دفين زاويته بجبل أمرگو بقبيلة فشتالة من حوز فاس، المتوفى سنة 997 /

1589، الذي اعتبرت زاويته مدرسة حقيقية في هذا المجال، لكثرة المتخرجين على يده من البهاليل وأهل الأحوال، حتى قيل إن أكثرهم ممتدون منه في عصره (*ممتع*، 73) إلى جانب الشيخ البهلول أبي الروابن أحمد العبدلي (ت. 963 /1556) دفين مكناس (*دوحة*، 76) والشيخ البهلول أبي الحسن علي الصنهاجي المعروف بالدوّار (ت. 941 /1535) دفين فاس (*مرآة*، 190)، والشيخ محمد البصري المكناسي (ت. 991 / 1583) دفين مكناس (*صفوة*، 65)، ومحمد الحصار (ت.1005 /1597) دفين فاس (*التقاط*، 1 : 37)، والشيخ محمد الحاج الرامي التواتي (ت. 1012 /1603) دفين فاس (*سلوة*، 3 : 101)، والشيخ أبي عبدالله الخلطي (ت. 1016 / 1607). والشيخ عبدالعزيز الأندلسي المدعو عزوز دالّلّهْ (ت. 1031 / 1631) والشيخ يدير بن محمد الكوراري (1042/ 1631)، والشيخ موسى السوسي (ت. 1042 / 1631)، وكلهم دفنوا بفاس (*الروض*، 99 ب، 132 أ، 158 أ)، والشيخ أحمد بن عمر البهلول المعروف بحزانة، المتوفى بفاس العشرة السابعة من القرن الحادي عشر (17 م) (*ممتع*، 159)، والشيخ عبدالملك البهلول، وهو من أهل القرن الثامن عشر الميلادي، (*الاعلام* ، 2 : 374) وغيرهم كثير.

وقد تبين لنا في معرض قراءتنا لتراجم البهاليل المغاربة أنهم يشبهون كثيراً في تصرفاتهم جماعة الملامتية، إلى جانب تمتع عدد منهم بخاصية المكاشفة وبمظاهر سقوط التكليف.

وإلى جانب كل ذلك، حظي البهاليل عموما بمكانة سامية سواء لدى العامة أو الخاصة، في شتى عصور تاريخ المغرب، وخصوصا زمن الوطاسيين والسعديين والعلويين الأوائل. فالشيخ علي الصنهاجي الشهير بالدوار، على سبيل المثال، لم يكن يجد أدنى عسر في دخول قصر سلاطين بني وطاس بفاس، وعند دخوله "يتلقاه النساء والأولاد فيقبلون يديه وقدميه، ويدفعون إليه الحوائج الرفيعة والذخائر النفيسة، ويلبسه السلطان من أشرف لباسه" (*دوحة*، 81)، ولا غرو فقد كانت ولايته عند أهل فاس قطعية كفلق الصبح، وشأنه عظيم عندهم، كما يقول ابن عسكر (*دوحة*، 81).

وكان السلطان محمد الشيخ السعدي، وابنه السلطان أحمد المنصور يقربان إليهما البهاليل ويستعينان بهم في حل المشاكل العظمى، كما حدث مثلا لمحمد الشيخ عندما استعصى عليه اقتحام عاصمة بني وطاس (*دوحة*، 80)، كما لم يكن أي سلطان منهما على غرار غيرهما من سلاطين الدولة السعدية يؤذي بهلولا من البهاليل، رغم ما كان يتفوه به هؤلاء من كلام يثير غضاضة في النفس، كما حدث للمنصور مع البهلول الذي طلب منه رأيه في قصر البديع عندما أتم بناءه، فقال : إذا هدم كان كدية من التراب (*نزهة*، 113).

وفي هذا الصدد أيضا لم نقرأ ما يشير إلى محاربة العلويين للبهاليل، بقدر ما عثرنا على كثير من الإشارات التي تفيد بأن البهاليل كانوا يتنبأون، إن لم نقل يتمنون، أن يَطول عهد دولتهم (*روضة*، 43 ؛ *الإعلام*، 3 : 65).

ع. ابن خلدون، *مقدمة* ؛ م. ابن منظور، *لسان العرب* ؛ م. ابن عسكر، *دوحة* ؛ م. ع. الفاسي، *مرآة* ؛ م. م. الفاسي، *ممتع الأسماع*؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي* ؛ *روضة التعريف* ؛ *صفوة* ؛ ح. اليوسي، *رسائل* ؛ م. ابن عيشون، *الروض العطر الأنفاس*، د. د. ع. الرباط ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ *التقاط الدرر* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ *إظهار الكمال* ؛ م. المنوني، *جمهرة الأولياء* ؛ ع. نجمي، *اللامتية*، مجلة تاريخ المغرب، ع. 1، 1981 ؛ أ. الوارث، *الأولياء ودورهم في مغرب القرن السادس عشر*، د. د. ع. كلية آداب فاس، 1988 ؛ *دائرة المعارف الإسلامية*.

أحمد الوارث

البهلول، أسرة سلوية معروفة منذ القرن الثالث عشر (19 م) ولا ندري إن كان أصلها من قبيلة البهاليل الزناتيين المستقرين اليوم بناحية صفرو.

البهلول، أحمد، من وجهاء المدينة وظرفائها، يتأنق في لباسه غاية مع أنه لا يشتغل ولا يتكسب وإنما يعيش في كنف والدته وأخيه قدور الذي كان من أشياخ الملحون. يتكلم أحمد بتؤده ويمشي الهوينا ويتحرك بوقار، لم يتزوج قط ولم يكن يظهر عليه أثر انزعاج أو قنوط له حاسة جمالية مرهفة، وذوق أدبي رفيع بالرغم عن كونه أميا لا يقرأ ولا يكتب. كثيراً ما يلجأ إليه المتأدبون والشعراء لأخذ رأيه فيما تنتج قرائحهم وينزلون عند رأيه، ولهم فيه كتابات ومقطعات مما ينشد في مجالس الأنس، ونوادره وفكاهاته لا تكاد تحصى. ومن متناقضاته أنه كان يجالس بدون تحرج الشبان المترفين المسرفين على أنفسهم، ويحضر مجالس الذكر مع شيوخ الزوايا.

توفي بسلا حوالي عام 1390 / 1970.

البهلول، أحمد بن **عمر** أو عمرو الشريف. لم تذكر المصادر التي ترجمت له متى وُلد ولا أين ولد، وإنما عرضت أحداث حياته، أو بالأحرى مظاهر كراماته الكثيرة كأحداث ومظاهر جرت كلها بمدينة فاس، مما يدل على أن ولادته ونشأته كانت بهذه المدينة، كما أنه توفي بها أيضا سنة 1654/1066، ودفن داخل باب عجيسة المواجه لمقابر المرينيين بالجهة الشمالية للمدينة، ومن ثمة يمكن القول إن أحمد البهلول فاسي الأصل والنشأة والوفاة.

لم تشر المصادر كذلك إلى أنه تعلم أو تلقى تكوينا معينا، ولا كيف نشأ، واكتفت بالحديث عن كراماته بتوسع وإعجاب، لتضفي عليه ـ انطلاقا من ذلك ـ هالة تقديس كبيرة كشخصية من شخصيات الصلاح والكشف. وقد ربطت المصادر هذه الكرامات والتقديس الذي أحيط به بطبعه وتكوينه الشاذ وذهنه الغريب : لقد كان في تكوينه ناقص الذكورية حيث وُلد مبتور الأعضاء التناسلية مما جعله لا يتزوج في حياته، وهي خصوصية أعطته تقديراً خاصا في نظر الناس. كما أن ذهنه كان يخلط المعقول

باللامعقول، ولا يَحترم الحدود والأعراف عند الناس مثل دخوله على النساء في الدور بدون استئذان وتعامله مع الناس بجدية خاصة، وإرسال أقوال ورموز وإشارات معينة اعتاد الناس أن يجتهدوا في تأويلها لتنسجم مع الأحداث. وهذا ما جعل الناس يطلقون عليه لقب (بهلول) المرادف للمجذوب تقريباً.

تذكر المصادر أن أحمد البهلول كان يكشف للناس الذين يردون على فاس لأول مرة عن أسرار حياتهم الداخلية كأسماء زوجاتهم وأبنائهم وأنماط عيشهم مثلا، بل زعموا أن البهلول كان يملك قدرة خاصة يستطيع بها أن يؤثر في حياة الناس أو معرفة ما يكنّون في ضمائرهم، مما جعل بعض الناس يتعلقون به (ويعتقلونه) في إحدى المناسبات خلال نهاية فصل الربيع ويطلبون منه أن يضمن لهم وصول الإنتاج الزراعي لذلك العام ولم يطلقوا سراحه حتى ضمن لهم ذلك (1).

م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 198 ؛ م. القادري، نشر، 2 : 77. 80 ؛ *القصد الأحمد*، 36.

A. M., 4 : 74.

محمد مزين

بهلول بن **عبد الواحد** المدغري، تكتب الدال أحيانا بالطاء (المطغري) وبالضاد وتصبح (المضغري) نسبة إلى مدغرة أحد بطون البرابرة البتر وأوفرهم عدداً (*العبر*، 6 : 239. 245). كانت هذه القبيلة قد اعتنقت المذهب الخارجي الصفري بعد الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب، ولعبت أدواراً في الثورة على ولاة بني أمية بالمغرب الأقصى تحت زعامة ميسرة المدغري (*العبر*، 6 : 239. 243 ؛ *البيان المغرب*، 1 : 52. 53) وقد انتهت مشيخة مدغرة في عهد الأدارسة إلى بهلول بن عبدالواحد إذ "كان رئيساً في أهله وأصحابه، معظماً في قومه" (جذوة، 170).

قام بهلول بأمر إدريس الثاني وبايعه وأصبح من خاصته وأركان دولته. لكن في إطار الصراع الذي كان محتدماً بين الأغالبة والأدارسة حاول إبراهيم ابن الأغلب عامل بني العباس على إفريقية جلب بهلول إلى جانبه وإغراءه بالأموال حتى تغيّر على إدريس ونقض بيعته وبايع هارون الرشيد. ونشير في هذا الصدد إلى أن المصادر أوردت في ذلك مكاتبات شعرية تبودلت بين الطرفين ذكرها صاحبا *الحلة السيراء* و*القرطاس*. وقد كتب إدريس الثاني إلى بهلول يعاتبه ويعنفه :

أضلك إبراهيمُ من بُعدِ دارِهِ فأصبحتَ مُنقاداً بغيرِ قيادِ

بعد هذا الحادث يلاحظ من روايات المصادر التي تتبعت أخبار مدغرة أن هذه الأخيرة تضاءلت قوتها وتراجع مجال نفوذها، كما تفرقت جموعها خلال الفترة الموحدية والمرينية حول أحواز فاس وتلمسان وسجلماسة وصحراء المغرب ثم المغرب الأوسط وإفريقية (*العبر*، 6 : 244. 245).

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6 ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج 1 ؛ ابن الأبار، *الحلة السيراء*، تـ. حسين مؤنس، ج 1 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 1.

رشيد السلامي

بهلول بن **علي** بن مَحمد ـ فتحا ـ بن الحسن الرحماني البوبكري المحمدي، يعرف ببوسلهام. ولد في العشرة الأخيرة من القرن الثاني عشر للهجرة، وأخذ القراءات والعلم عن الأستاذ الصالح محمد بن هدّي السرغيني الزرّادي بمدرسة أولاد زرّاد بضواحي قلعة السراغنة. ثم استقر بمراكش ودرّس بجامع ابن يوسف وجامع أبي العباس السبتي، حيث أخذ عنه أولاده الثلاثة عبدالرحمان وعبدالوهاب وعمر، وأحمد الدمناتي اليملحي، ومحمد بن هاشم العلوي، والفقيه بلقزيز وغيرهم.

لقبه السلطان المولى عبدالرحمان فأُعجب بغزارة علمه وأصبح يُحضره في جملة العلماء في قراءة البخاري بمجلسه، بل كان يفضله على علماء فاس ويحتج به عليهم. ونظراً لمكانة للبهلول من كلمة مسموعة في قبيلته ولاة السلطان على أخذ زكواتها وجعل مرجع أمور القبيلة إليه، الشيء الذي أوغر صدر عاملي الرحامنة علال بن عبدالله الشيظمي وزوزال، فسوّدا صحيفته لدى السلطان زاعمين أن الرحامنة لا يستقيم لهم أمر ما دام البهلول بين أظهرهم. فألقي عليه القبض سنة 1854/1270 ثم رُحل لفاس وبقي بها إلى أن مات بعد سنتين ودفن بروضة العلماء هناك.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 3 : 78 ؛ *وثائق خ. ح.*

عبدالرزاق الصديقي

بهلول، لقب لربيين عديدين، ظهروا في المغرب منذ القرن الرابع (10 م)، أقدم الربّيين بالمغرب بهلول بن يوسف، والعزار بهلول الفاسي الربّي الناسخ الذي ساعد الطبيب اليهودي يعقوب قطان فيما وقف عليه من خصائص بعض النباتات في علاج الأمراض.

أما بمكناس، فإن عدداً كثيراً من الربّيين المنتمين إلى أسرة واحدة كانوا يحملون لقب بهلول، وقد عاشوا خلال القرون الثلاثة الميلادية الأخيرة (17. 19). منهم دانيال، وأبناؤه الثلاثة : صمويل والعزار وإبراهيم الذي مارس مهامه بفاس، ثم نجد سليمان ويوسف وموشي.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن دانيال بهلول المذكور كان من أنصار الحركة التي أنشأها شبطاي صبي والقائمة على الاعتقاد بأن المسيح سيعود إلى الأرض لفرض الإيمان بدين الله.

Tolédano, *La Saga des familles*, p. 77 ; A. I. Laredo, *Les Noms des Juifs au Maroc*, p. 398, Madrid, 1978.

سيمون ليفي

البهلولي، بوشعيب بن الرامي المزابي الشاوي أحد العلماء الأعلام الذين اشتهروا بسطات خاصة وبالشاوية عامة خلال النصف الأخير من القرن الماضي وبداية القرن العشرين، ولعله هو المقصود بالتعريف الذي أورده محمد المنوني بقوله : "الشيخ شعيب بن محمد بن محمد البهلول الشاوي المزابي".

درس الشيخ بوشعيب علوم الدين من تفسير وحديث وتصوف وبيان، واشتهر كأستاذ لعلوم القرآن والدين. وقد كان يدرس *مختصر خليل* بمدينة سطات.

وفي سنة 1321 / 1903 عندما وقعت حادثة سطات، هاجر إلى مدينة مراكش، حيث واظب على التدريس وإرشاد الخلق متجافياً عن الشهرة معرضاً عن أصحاب النفوذ، وظل بمراكش بعد الاحتلال الفرنسي للشاوية عام 1326 / 1908. لكن الأقدار أبت إلا أن يدفن بتراب قبيلته امزاب، حيث وافته المنية خلال زيارة للأهل، فدفن قرب ضريح أحد أجداده : سيدي محمد البهلول المعروف بامزاب، وقد رثاه الأديب بنشقرون بقصيدة أشاد فيها بعلم الفقيه بوشعيب البهلولي وبراعته في التدريس ومشاركته في علوم كثيرة.

ع. العزوزي، *نشر المحاسن والمآثر* ؛ م. المنوني، *الوجه الثقافي للشاوية عبر العصر الحديث، الملتقى الأول لفنون الشاوية*، نشر وزارة الثقافة 1989.

علال الخديمي

البهلولي، علي بن الحاج شقرون، ينتمي إلى أسرة البهاليل أو بني بهلول الزناتية التي استقرت بفاس (*بيوتات فاس*، 13. 14). وهناك موقع جبلي بنواحي فاس يسمى بجبال بهلولة حيث توجد حمة مولاي يعقوب التي تنتسب إلى الشيخ الصالح يعقوب بن الأشقر البهلولي المتوفى عام 689 / 1291.

كان عليّ البهلولي قائداً لقصبة فاس على عهد بني وطاس حيث توفي سنة 912 / 1507، ودفن بروضة الولي أبي زيد الهزميري بإزاء مسجد الصابرين. وأعتقد أن ما جاء في *درة الحجال* (3 : 252، 253) عن وفاة البهلولي سنة 712 / 1312 في أيام بني مرين هو سبق قلم حيث نجد ترجمته قد وردت ضمن وفيات المائة العاشرة للهجرة كما هو الحال في *لقط الفرائد* لنفس المؤلف (*ألف سنة*، 280).

إ. ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى* ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. م. الأحمدي أبو النور، ج 3 ؛ *لقط الفرائد*، ضمن *كتاب ألف سنة من الوفيات*، تح. م. حجي.

رشيد السلامي

البهلولي، محمد بن قاسم، صوفي صالح، أخصّ مريدي الشيخ الخضر ابن قدورة الشجعي ناشر الطريقة العراقية، وخليفته في زاويته بحومة المخفية بفاس. أخذ عن البهلولي جماعة من العلماء وغيرهم طريق التصوف، وكانوا يحضرون معه مجالس الذكر والسماع ويعتقدونه ويتبركون به.

توفي ليلة السادس من شوال عام 1321 / 26 دجنبر 1903 بالقرب من جبل كندر ودفن هناك. ومازال أتباعه يقيمون له موسماً كل سنة.

ع. ابن سودة، *إتحاف*، 1321.

محمد حجي

البهلولي، محمد بن يحيى، متصوف ومجاهد شهير. لا نعرف إن كانت نسبته إلى قبيلة البهاليل جنوبي مدينة فاس، أو إلى الجد الصوفي. عاش هذا الشيخ بمدينة فاس أيام محمد الوطاسي المكنى بالبرتغالي (911. 931 / 1505. 1524) وحسب ابن عسكر فإن البهلولي كان يناصر السلطان في حركاته الجهادية ضد البرتغاليين المحتلين للثغورالشمالية، وسانده ماديا ومعنوياً، يشارك بنفسه ويحث الناس على المشاركة في الجهاد بقصائد سجل مطلع إحداها ابن عسكر ونقلها عنه صاحب *المتع*، و*تحفة الإخوان*. وكان محمد الوطاسي قد عين له جزية أهل الذمة بفاس لقوته.

وبعد وفاة السلطان محمد البرتغالي تغيرت الأمور حيث عرف الوطاسيون تراجعا واضحاً في قوتهم. فمن جهة استطاع السعديون الاستيلاء على مراكش 949 / 1956 وتهديد السلطة الوطاسية في وسط المغرب، ومن جهة ثانية تقوت شوكة البرتغاليين وأصبحوا يقومون بحملات خارج الثغور المحتلة، مما اضطر معه السلطان الجديد أحمد الوطاسي إلى توقيع هدنة مع المسيحيين عام 935 / 1528. "فبلغ ذلك الشيخ البهلولي وآلى على نفسه أن لا يلقى السلطان المذكور ولا يمشي إليه ولا يقبل منه ما كان والده عينه له ... فمكث على ذلك إلى أن حضرته الوفاة".

ومن إيغاله في تقدير الجهاد أنه كان ينفي صفة الذكورة أو الرجولة عن المخلّفين الذين لا يشاركون في أعمال الجهاد ويعتبرهم كالنساء لا تجوز الصلاة وراءهم.

اشتهر برفضه لصلاة الجنازة التي أقيمت على زوجته بنت بكار بإمامة الشيخ غازي ابن الشيخ محمد بن غازي لعدم توفر شرط الرجولة في الإمام المتقاعس عن الجهاد.

توفي أول العشرة السادسة حوالي 960 /1554.

م. ابن عسكر، *دوحة* ؛ م. المهدي الفاسي، *متع الأسماع* ؛ *تحفة الاخوان*.

محمد مزين

البهليل، (سيدي.) أحد الأولياء السباعيين، ينتسب إلى أولاد عزوز إحدى فرق أولاد إبراهيم من فخذ أولاد عمرو، ويوجد ضريحه قرب صخور الرحامنة. وبجواره قرية هاجر إليها بعض السباعيين بعد الفتنة التي عاشتها قبيلتهم وانتهت باعتقال القائد الحبيب، وذلك فيما بين جمادى الثانية ورجب من سنة 1281 / نونبر، دجنبر 1864.

رواية شفوية عن الباقر مولاي علي أحد العارفين والمهتمين بأنساب السباعيين بسوق الزربية بمراكش ؛ م.ح. كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*، د. د، ع. 1988.

م. حسن كفناني

بهليل، قاسم بن إدريس بن دحمان، أصله من شقوندة بالأندلس، استقر أجداده منذ أربعة قرون في قصبة بهليل. وتوارثوا قيادة هذه المنطقة، وتولوا نظارة الأحباس، وكان منهم فقهاء مدرسون. ولد قاسم عام 1287 في قصبة بهليل، ودرس في مسقط رأسه ثم انخرط في جند المخزن فأصبح قائد المائة عام 1306 أيام الحسن الأول، ثم رُقي إلى قائد

الرحى أيام ابنه عبد العزيز، وشارك في قتال الثائر بوحمارة، وأخيراً سمى قائد بهليل والناحية سنة 1329 / 1911 واستمر قائداً أيام الحماية إلى ما بعد سنة 1931. لم نقف على تاريخ وفاته.

M. E. Gouvion, *Aâyân al-Maghrib*, 786 - 787.

محمد حجي

ابن **بهي، إبراهيم** بن علي. مقاوم من مواليد 1337 / 1918 بدوار الركن أيت الخمس أيت باعمران إقليم تيزنيت. انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1377 / 1957 بعد خروجه من السجن حيث كان قد سجن من طرف الاستعمار الإسباني بالداخلة من يوم 18 . 11 . 1955 إلى 12 ماي 1956 لسبب سياسي. وكان من الذين خاضوا عدة معارك قاسية ضد قواعد الجيوش الإسبانية بأيت باعمران، وقام بدور هام مع الجماعة التي يترأسها حيث كان يحمل رتبة قائد المائة بالمقاطعة العاشرة إلى أن فاز بشرف الشهادة في معركة أملو وذلك بتاريخ 8 . 12 . 1957.

ابن **بهي، مولود** بن علي، مقاوم ولد سنة 1035 / 1625 بدوار أسيف إدرارن أيت النص بأيت باعمران. وحين اندلاع الكفاح المسلح بالجنوب التحق بصفوف جيش التحرير بمركز تزكي تحت مسؤولية المرابطي الأنصاري محمد بن المختار، وحمل السلاح ضد الاستعمار وشارك في معارك عديدة منها معركة الگزيرة التي دارت رحاها بتاريخ 25 نوفمبر 1957 واستشهد أثناءها.

كتاب شهداء الاستقلال، ج 1.

عزالدين العلام

ابن **بهي** (أسرة بحاحة) ← **أبهي**

بْوَابُوض، ـ قصبة ـ اسمٌ مركب من أبُوضْ الذي يعني بالأمازيغية السرة، ومن بُو الذي يعني الإضافة . وهو اسم يطلق على المكان الذي كان مقراً لقيادة متُوگّة باعتباره يقع وسطها بفخذة إداوتْليلْت، لكن هناك رواية أخرى تقول إن لفظ بوابوض كان يُطلق على سكة لها انتفاخ في الوسط على شكل السرة حتى إنه كان الناس يضربون بها المثل في العزة فيقولون ولو أعطيتني بوابُوض.

تقع قصبة بوابُوض على هضبة عند ملتقى واد صغير مع وادي إگرْانزار الذي يسمى وادي القصب عند مصبه في المحيط الأطلسي قرب الصويرة. ويشكّل ذلك الموقع مثلثا حصينا من ثلاث جهات. ولقد عبر تقرير للمخابرات العسكرية الفرنسية أنجز في يناير 1912 بالصويرة عن مناعة قصبة بوابوض ذاكراً أنها منيعة ضد هجوم بالبنادق ولكنها ممكنة المنال بالمدفعية.

اكتسب بوابُوض الشهرة من كونه مركز قيادة متُوگّة منذ أوائل القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين غداة الاستقلال، وإن هذا الوضع السياسي لبوابُوض الذي دام أكثر من قرن ونصف هو الذي يفسر مدى أهميته التاريخية خاصة في ذاكرة سكان منطقة طرفي الأطلس الكبير الغربي، لمّا كانت قيادة متوگة تبسط نفوذها على منطقة شاسعة، امتدت في بداية القرن العشرين لتشمل معظم الدير جنوب غرب مراكش.

شرع في بناء أول منشآت قصبة بوابُوض أوائل القرن التاسع عشر لما انتقل القائد المتوگي إليها من مكان على وادي إگرْانزال يسمى أسْدْرْم وما تزال هناك دار صغيرة تعتبر الأصل. وتكاثر البنيان بالقصبة مع استمرار القيادة. وتضم منشآت لمصالح مختلفة من دور للسكة ومنشآت اقتصادية ومسجد وسجن، وكانت كلها محاطة بالسور. لكن إهمال القصبة بعد زوال القيادة عنها نجم عنه خراب معظم تلك المنشآت التي لم تعد سوى أكوام من الانقاض، لا سيما أن زلزال سنة 1380 / 1960 الذي ضرب أگدير خرب

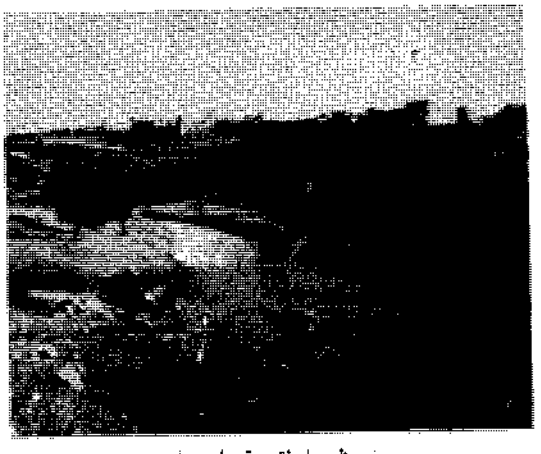

منظر عام لقصبة بوابوض

جزءاً مهما من الدور.

وغير بعيد عن القصبة توجد الآن دار للجماعة بسوق سبت متوگة. وهو سوق بدأ انعقاده في النصف الأول من القرن العشرين، لما كان إبراهيم بن عبدالملك قائداً على متوگة، وحُول من مكانه الذي كان يجاور القصبة إلى المكان الذي يوجد فيه الآن وتنتهي عنده طريق معبدة ترتبط بالطريق الرئيسي الرابط بين مراكش وأگدير قرب إمِي نْ تانوت.

استطلاعات ميدانية.

محمد زرهوني

البْوَاخَر ← **البُخاري** (عبيد ـ)

البْوَاخَر (جامع ـ) بالصويرة، شيّده السلطان سيدي محمد بن عبدالله عندما أسس مدينة الصويرة، وجعله في حي جيش البخاري منها، "وكان القائم على بنائه من أموال الديوانة الباشا قاسم البخاري وعلى يده تمّ، وكان يُعرف بمسجد قاسم ثم اشتهر بجامع البواخر، وله بابان شمالي وجوفي".

أُحدثت به صلاة الجمعة في حدود عام 1844/1260، وتقام فيه صلاتها متأخرة بعد أن يسبقه جامعا القصبة وابن يوسف.

وجرت العادة أن يكون خطيب جامع البواخر صويرياً،

بينما يكون خطيبا الجامعين الآخرين من حاحة والشياظمة.

م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 37.

محمد حجي

بُوازار، اسم قرية عمالية ومنجم للكوبالت بالأطلس الصغير الأوسط بالجماعة القروية لتازناخت دائرة أمرزگان، إقليم ورزازات. يوجد بواد صخري قاحل بالطرف الغربي لمنخفض گورار (70 كلم طولا 10-30 كلم عرضا). تظهر به عروق معدنية على السطح ذات لون قرمزي يستخرج منها البعض مبيداً للفئران. وكان عثور أحد الأوربيين على هذا المبيد بمراكش هو سبب اكتشاف المنجم سنة 1347 / 1928. والكوبالت يكون 1٪ من مركب معدني صهيري يحتوي على مواد ثانوية كالزئبق والنيكل والحديد وغيرها. يوجد على شكل عروق تملأ فوالق تمتدّ بحافة منخفض گورارة الذي يتميز بالانخفاض التدريجي من السفوح الجبلية نحو الوسط حيث يبلغ ارتفاعه 1.300 م. وهو عبارة عن بهرة ترجع إلى ما قبل الكمبري تتفق في اتجاهها من الشرق إلى الغرب مع فوالق هرسينية، كشفت عن صخور اندفاعية : ريوليت وگرانو ديوريت وركامات بركانية رسوبية ترجع إلى الزمن الأول، تتخللها صخور صلبة كلسية وكوارتزيت تكوّن أعرافاً طويلة، توجد بحافة القاعدة الإفريقية القديمة على الهوامش الجنوبية للأطلس الصغير الأوسط. ورغم الفارق الضعيف في الارتفاع بين الأعراف والأحواض فإن المنطقة يطغى عليها منظر مجال صحراوي جبلي أجرد جاف لا يعرف سوى أمطار إعصارية في بعض أيام الربيع، 60 ملم/السنة. ولا يظهر به سوى نباتات شوكية قليلة وأعشاب نادرة، وكانت مجالا لتنقل الرعاة الرحل بين أگدز وتازناخت، لم يحدث بها استقرار. وهي منطقة اتصال بين مجالي أيت عطا وأيت واوزگيت.

مركز بُوازارْ : يظهر بواد جاف محفور في صخور هشة يقع جنوب تازناختْ على بعد 32 كلم، شرع في استغلال المنجم بطرق شبه تقليدية في الأربعينات لعروق صغيرة سهلة، وبعد الحرب الثانية استغل عرق غني عن طريق منجم كبير في مركز بُوازار يقع على عمق 150 م، ثم منجم آخر منه بأغبار على بعد 15 كلم منه، وارتفع الإنتاج إلى 10.20 ألف طن، مما جعل المغرب خلال الخمسينات والستينات يعد رابع منتج للكوبالت بالعالم : 14.700 طن سنة 1962 و6.700 طن سنة 1980. وزود المنجم بمحطة كهربائية وجلبت له المياه عبر أنبوب طوله 30 كلم من بئر بمجرى واد جاف بتالوستْ قرب تازناختْ وأنشئ معمل لتركيز المعدن إلى 10٪ وأوراش إصلاح ومخازن وإدارات وسكن. يدخل الكوبالت في صناعات علمية كثيرة ويوجه إنتاجه إلى الأسواق العالمية التي تتعرض دوما لأزمات، مما جعل إنتاجه يتذبذب من سنة لأخرى، بل أدت الصعوبات التسويقية والاقتصادية والاجتماعية إلى إغلاق المنجم سنة 1404 / 1983. لكن أعيد فتحه سنة 1408 / 1987 وربط بالشبكة الكهربائية عن طريق ورزازات، لكن العمل لا يزال حالياً في مرحلة تحضيرية إذ لم تُعطَ احصائيات رسمية عن الإنتاج أو المبيعات بعد، ويستغل المنجم حاليا من طرف شركة أومنيوم شمال افريقيا.

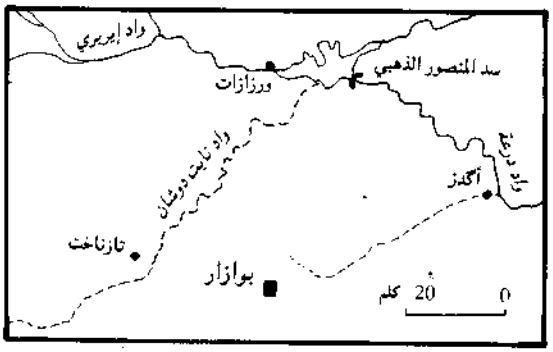

موقع بوازار

لم يكن يوجد بمنطقة هذه المناجم سكن ولا زراعة ولا أشجار سوى شجرة تين أزارْ في مجرى واد جاف، ومنها استمد المركز تسميته بوازار، يقع على ارتفاع 1.400 م ويتكون من أربع تجمعات تمتد على طول منحدر واد جاف أسفل الطريق الموازي له وهي : منشآت معالجة المعدن والأوراش الميكانيكية والمخازن ومحطة الشاحنات بمنطقة غير مستوية تتخللها تلال المعدن والفضلات الصخرية. حي سكن الأطر الإدارية والتقنية به حوالي 35 منزلا معظمها تخلف من الفترة الاستعمارية وسط خميلة من أشجار الأوكالبتوس أضيف إليها بعد الاستقلال مساكن أخرى مخضرمة. حي عمالي يتكون من بيوت صغيرة هندسية متشابهة مصطفة على خطوط مستقيمة، بقربها صف من الحوانيت، ذات بناء حديث. وإلى جانبه بالطرف القصي ظهر حي هامشي هزيل مبني بالحجارة بطريقة ريفية مسقوف بصفائح الزنك أو القش والتراب أنشأه مهاجرون يعيشون على هامش النشاط المعدني. إنها قرية منجمية ظهرت في وسط قاحل مناهض لكل استقرار يكثر بها العزاب خاصة من بين العمال المؤقتين، كما أن الكثير من المتزوجين يتركون أسرهم في قراهم الأصلية أو بتازناخت، ومعظم العمال من السكان المحليين للمنطقة أو من تازناخت التي تعد المستفيد الأول من الرواج التجاري لمركز بوازار الذي يمكن اعتباره ضاحية منجمية لها. ولقد ساهم المنجم في تكوين خلية "مؤقتة" لسكان مستقرين في وسط لم يكن يعرف غير الرعي والترحال. ويصعب إحصاء أو تقدير سكان بوازار نظراً لحركة المد والجزر للعمال، والاستقرار غير الدائم للعمال المؤقتين الذين يتعاقدون مع مقاول لاستغلال مناجم ثانوية صغيرة.

قُدِّر عدد العمال بـ 800 عامل سنة 1961 في قمة الإنتاج، وسكان المركز بـ 2.000 شخصا لكن هذا العدد تضاءل اليوم كثيراً إذ لا يزيد عدد العمال حاليا عن 180 عاملا حسب المعطيات الرسمية ما بين عمال رسميين ومؤقتين وأطر، ويقدر بالتالي عدد سكان المركز بحوالي

800 نسمة. ويذكر المسؤولون أن العمل ما زال في مرحلة تحضيرية واستكشافية. ويبدو أن ضعف احتياطي المنجم وتأثر إنتاجه بالمنافسة العالمية يجعله مهدداً بالإغلاق ويتحول مركزه السكني ذات يوم إلى مدينة أشباح.

بحث ميداني في خريف 1990 : بحوث السنة الرابعة جغرافيا لبعض طلبة كلية الآداب بمراكش : تحليل خرائط طبوغرافية وجيولوجية.

A. André et J. Le Coz, *Economie minière, Notice de l'Atlas du Maroc*, Rabat, 1961 ; P. Oliva, *L'activité minière au Maroc en 1967, RGM*, N° 19, 1969.

أحمد هوزالي

البُوَاشْري، أو البُواشريّة، أسرة زعرية ينتسبون إلى جدهم البشير المباركي. هكذا يقال لهم بلغة زعير، ولو أن النسبة إلى البشير هي بَشِيري. والبواشرية هم الإخوة الأربعة :

البواشري، البشير

البواشري، الحبشي

البواشري، عبد القادر

البواشري، العربي

وهم أبناء البشير المباركي الزعري الذين تزعموا حركة المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الفرنسي المعروفة بحركة البواشرية.

يعد عبدالقادر بن البشير الباني الأول لمجدهم ورافع رايتهم والمتصدي لفض مشاكلهم الظرفية بالمجتمع القبلي الزعري، وكان بذلك شخصية اجتماعية وسياسية وروحية مرموقة لها مكانة كبرى في نفوس الناس، ويدلك على ما كان له من تعظيم وإكبار عند الخاصة والعامة ما وقفت عليه من إشهاد عدلي مؤرخ بعام 1314 / 1896 "يشهد فيه نخبة من قواد زعير ووجهائها يبلغ عددهم اثني عشر شاهداً من بينهم الخليفة الصديق برگاش، يشهد هؤلاء السادة بأن المشهود فيهاصاحبنا السيد عبدالقادر، لا يدخل إلا في الخير ولا يشتغل في القبائل إلا بالإصلاح والسداد وأنه يقتحم المشاق في دوام الهدنة والصلاح وأنه لا يحض إلا على لزوم الطاعة والخير".

وقد أتت هذه الشهادة، بمالها من وزن في تلك الفترة، في عقب صدور ظهيرين من لدن السلطان مولاي عبدالعزيز، يضفيان على صاحبهما مزيداً من التوقير والاحترام، وقد ورد في الظهير الأول المؤرخ في 23 جمادى 1 عام 1313 هـ ما نصه :"يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره أننا جددنا لحملته أولاد البشير المباركي ما بيدهم من ظهير سيدنا الوالد قدسه الله وبسطنا عليهم أردية الأمان، فلا يهضم لهم جناب، ولا تمتد إليهم يد اعتداء بظفر ولاناب، والواقف عليه يعلمه ويعمل به ولا يحيد عن كريم مذهبه" وينص الظهير الثاني المؤرخ في جمادى 2 عام 1313 هـ على ما يلي : "يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره، وأطلع في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره، أننا بحول الله وقوته وعونه ومنته، أذنّا للمرابط السيد عبدالقادر المباركي في بناء زاويتهم وأسد لنا عليها رداء المراعاة والاحترام، وسلكناها مسلك الزوايا في كل مقام ..." من ثنايا هذين الظهيرين نفهم أهمية المكانة والدور الكبيرين المنوطين بشخصية السيد عبدالقادر المباركي (البواشري)، بل وكذلك محاولة السلطان مولاي عبدالعزيز، استمالة واحتواء نفوذ هذه "الحركة الروحية" في وقت عصيب غطته ظاهرة المد الاستعماري (1907.1900 كمرحلة أولى) والأزمة العزيزية /الحفيظية. ولاشك أن الظرفيتين الداخلية والخارجية المرتبطتين معا، تفسران بروز أهمية دور هذه الزعامات الروحية من جديد، إذ يلزم البحث عن مثل تلك الشخصيات الروحية لتأسيس الهيمنة وبسط النفوذ والسلطة. ولبلوغ هذا الهدف، لا بد من امتيازات استثنائية لجلب هؤلاء الصلحاء والمرابطين. فقد أهدى المولى عبدالعزيز للسيد عبدالقادر المذكور مركبة فخمة كان يتجول بها في القبيلة لأنه كان مريضاً لا يقدر على التجول بدون أن يحمل، وما ذلك إلا تعظيماً لشأنه لما اتصف به هذا الرجل من الإخلاص إليه ولزعامته في قبيلته لأنه كان مسموع الكلمة.

ونظرا لما أصبحت تكتسيه شخصية عبدالقادر البواشري المباركي من أهمية على الصعيد المحلي والمخزني، حاول الاستعمار الذي حل بالشاوية وضواحيها منذ 1907 أن يتعرف عليها قصد جلبها لخدمة أطروحته والاستفادة من احتواء شهرته وسلطته. يقول سيگارد (Sicard) في تنظيم زعير إن التأثير الديني والسياسي مشخص عند "الگفيان" (وهي القسم الثاني من قبيلة زعير والقسم الأول هو المزارعة) في السيد عبدالقادر بن البشير الذي كان ينتسب إلى العائلة المرابطية المباركية الموجود جدهم بجبال زيان.

وأما عن نفوذ عبدالقادر البواشري وحدوده ـ حسب سيگارد فإنه يمارس سلطته مباشرة على "المخاليف" و"أولاد بني عبيد" ويظهر أن هذا الرجل لم تضعفه السنون بل إنه كان مريضاً بمرض لم يجد له دواء بحيث يمنعه من التجول، فكان يحمل على محمل لكي يأخذ "الزيارات" من أهل "المخاليف" و"أولاد بني عبيد" "الزيارات".

وكانت للعربي بن البشير سلطة على "أولاد دحو" و"الرواشد" و"الحلاليف" وقيل حتى على "أولاد خليفة"، لكن المزارعة لا تتردد في طلب حمايته متى تعين ذلك. ويمكن القول إجمالا، إن صيته كبير على "أولاد خليفة".

وكذلك كان للسيد الحبشي بن البشير نفوذ على "السلامنة" و"بني عبيد" و"الرمامحة" و"أولاد طيب" وقد ابتعد عن ابنه محمد بعدما سخط عليه وذلك بعد جريمة اقترفها.

أما البشير بن البشير وهو أصغر الإخوة الأربعة فكان يقطن مع أخيه عبدالقادر ويرافقه في زياراته. وكان مرشحاً من طرف أخيه المذكور للخلافة من بعده في تلك المدة التي كانت بينه وبين العربي نزاعات. لكن عبدالقادر أقام صلحاً

وهدنة مع أخيه العربي كما تصالح مع علي بن حمو. ويستطرد سيكار قائلا : "يظهر أن العربي نظراً لما يمتاز به من الخصال الحميدة ولسنه أصبح مرشحاً ليخلف أخاه عبدالقادر.

أما فيما يرجع للصلح الحاصل بين عبدالقادر وعلي بن حمو الذي كان يجسّد "المقاومة" ضد الفرنسيين فلا بأس أن نذكر سبب خصومتهما :فقبل سفر السلطان مولاي عبدالعزيز إلى مراكش كان قد منح المرابط عبدالقادر "عتاداً وسلاحاً" لكي يواجه به السلطان مولاي عبدالحفيظ في الرباط. والذي يظهر أن عبدالقادر لم يكن بغريب عن قتل اليوتنان ميو Lt Miyou. ومما يدل على هذا أنه شوهد مع علي بن حمو ليلة قتل العسكري المذكور، مع أن علي بن حمو كان عدواً للفرنسيين.

وقد عين البشير هذا، فيما بعد، قائداً على قبائل "الرواشيد" و"الحلاليف" و"أولاد حمو" لمدة تناهز إحدى عشرة سنة، عزل بعدها من طرف الإقامة العامة ثم لم يوظف إلى أن مات. ويستنتج من هذه السير الأربع أن عبدالقادر بن البشير المباركي لم يكن مسالماً لفرنسا ولم يرضخ لمخططها الاستعماري الذي كان يحاول احتواء قبيلة زعير في فترة حاسمة. كما يبدو من خلال السياسة الاستعمارية لفرنسا، أنها تعتمد على سياسة قبلية بشقيها الزعامي والمرابطي لفرض الهيمنة على المغرب بناء على تجربة لا تختلف عن التي نهجت أسسها في الجزائر، مستفيدة كذلك من الأزمة العزيزية ـ الحفيظية والانتكاسة التي عرفتها الإصلاحات الحفيظية بعد 1326 / 1908. وبالرغم مما يقال عن انهزامية المقاومة المرابطية التي تشبث بها جل الزوايا المغربية في تلك الفترة، فإن الحركة البواشرية تبين بجلاء مدى الصمود في وجه المستعمر ودسائسه المتمثلة في لعبة الاستقطاب على مستوى الزعامات الروحية والسياسية بالقبائل (D. Rivet, *Ethnographie*, 1978, 168 - 172).

البواشرية، ـ مقاومة وزاوية وقصبة ـ تكونت البواشرية كحركة مقاومة مسلحة ضد الاحتلال الفرنسي عندما نزلت القوات الفرنسية بالدارالبيضاء (أنفا) سنة 1325 / 1907 في الانتفاضة المشهورة، فقد طمعت العساكر الفرنسية في احتلال أراضي الشاوية والقبائل المجاورة لها، وتم لها بعد مدة وجيزة اغتصاب أرض "الزيايدة" الخصبة، وتقدمت إلى عبور وادي "شراط" الفاصل بين قبيلتي الزيايدة وزعير، فتمكنت بذلك من احتلال جزء مهم من تراب زعير، بعد فرض "حركات" متتالية تواً على كل فصائل زعير الموالية لقضية "الزيايدة".

استعان الاستعمار الفرنسي، لتوطيد قدمه بأرض زعير، ببعض القواد الذين أصبحت مصلحتهم مرتبطة مع الهيمنة الاستعمارية، بل خلق الاستعمار أحيانا هذه المصالح لاستقطابهم. وكانت مهمة هؤلاء الأعوان والخدام تقتصر على مد مراكز الإستخبارات بكل المعلومات عن الأشخاص المناوئين للاستعمار وعن القبيلة وأعيانها، وتحالفاتها، وتنظيماتها، وقدراتها الحربية وعدد الخيول والرماة التي تملكها... إن هذه المعلومات هي التي أسست ما سماه دانييل ريفي (D. Rivet) بالاثنولوجيا النشيطة التي تزامنت وغزو القبائل باسم التهدئة.

لقد ساهم بعض الأعوان الأهليين في تقدم الجيوش الفرنسية بأرض قبيلة زعير. فقد بَصَّرَ بعض القواد المتحالفين مع فرنسا العساكر المغيرة بأهم النقط الرئيسية في القبيلة وسهلوا بذلك مأمورية الهيمنة والاحتلال. ومن أمثال هؤلاء القواد الذين قدموا ولاءهم للاحتلال الفرنسي عمار بن المنصر السلماني الشعالي وعسو بن عبو السلماني أيضاً، والبشير ولد الحراكة، وشاركهم في هذه المهمة بعض خلفاء القواد أمثال بوعزة السلماني والعربي بن القائد سليمان الجزولي وبعض أشياخ القبيلة وغيرهم من المتعاونين (*ابن سودة*، 108).

وقد تمكن الاستعمار الفرنسي بفضل كل هؤلاء المتعاونين من تنفيذ خططه بدقة في الزمان والمكان ونزلت عساكره أولا بـ"المشرع" قرب "وادي المالحة" بتراب "الشلحيين" بالمكان المعروف بـ"الضرضة". وفي إحدى ليالي فصل الربيع من سنة 1911 م هاجم جيش الاحتلال آل زعير الذين كانوا يترقبون من حين لآخر مفاجأتهم للعدو الذي كان بدوره يتربص بهم الدوائر،وفي صبيحة تلك الليلة رأى سكان زعير، وهم في فزع مهول، ما كانوا يخافون منه : أخيراً شرع الاستعمار الفرنسي في تنفيذ خطته العدائية، إلا أن القبيلة وقفت لها بالمرصاد وبدأت مقاومة باسلة بما هو معهود فيها من قوة ونجدة وحمية. وقد تطايرت أخبار هذا الهجوم في الصباح، في كل أرجاء زعير وافتضح الغدر المباغت الذي لحق بهم، وتفشت أسرار المتعاونين مع قوى الغدر من أهل القبيلة والناحية وإثر هذا الهجوم قامت القبيلة برد الأعداء المغيرين وأرغمتهم على الرجوع من حيث أتوا وكبدتهم خسائر فادحة في الأرواح والعتاد فلم ينفعهم إلا الفرار بعد أن سقط في صفوفهم الكثير من "عرب الواسطة" المتعاونين معهم، ومن السنغاليين والجنود الفرنسيين. وبعد هذه الهزيمة التي مني بها الاستعمار في أول جسه لنبض قبيلة زعير تقهقر إلى أرض "الزيايدة" استعداداً لكرة أخرى أعنف وأشد من سابقتها.

وكما كان متوقعاً، وتحت دافع من استعادة الاعتبار لقوة عظمى مثل فرنسا آنذاك ومسحاً لآثارالهزيمة الأولى، رجع الجنود الفرنسيون للهجوم مرة ثانية على زعير بعدما استعدوا لذلك أيما استعداد إبان فصل الصيف الذي يشتغل "الأهالي" فيه بدرس محاصيلهم الزراعية. كان وقع هذه الكرة عنيفاً، إذ فتك الاحتلال بالمقاومين من القبيلة فتكاً ذريعاً، وأحرق محاصيلهم، وأنزل عدته الثقيلة وعساكره بـ"الضباب" في المحل المعروف بـ"عرگوب السلطان". ومن ثَمّ بدأ الاستعمار بضرب القبائل الزعيرية بالمدافع الثقيلة، كما فعل بالماضي القريب في أنفا 1907 وأحوازها انتقاماً

للهزيمة الأولى. جرت المعركة الثانية في مطلع شهر يوليوز من عام 1911م ودامت حتى 14 منه بقيادة كل من الجنرال موانيي Moinier والجنرال بيرليبير Berlier والكولونيل بليندا Blinda والضابط مارشال Marchal. واستشهد في هذه المعركة من جانب المجاهدين الزعيريين نحو خمسة عشر نفراً. أما الخسائر البشرية التي مني بها الاستعمار الفرنسي في هذه الواقعة، فغير معروفة بالضبط، ويصعب تحديدها حتى في قوائم ما سمته الحماية الفرنسية بشهداء التهدئة القبلية، والذين نشرت أسماؤهم بشكل عام في أحد أعداد نشرة مجموعة افريقيا الفرنسية (B.C.A.F., 1936).

وجرت بعد ذلك خلال سنة 1329 / 1911 أربع عشرة معركة بين قبيلة زعير بقيادة البواشرية وبين جيش الاحتلال الفرنسي، هي معارك "جنين السباع" بأرض أولاد خليفة والفج قرب سهب رياح حيث اشتهر كثير من المجاهدين، منهم عبدالرحمان الهدهدي، وبوعمرو، والبزايري المعروف بولد حدو. وسيدي محمود قرب قصبة مفشوش، ومرزاگة وسيدي تيسيلي، بتراب المراكشية، والرماني التي قتل فيها الضابط الفرنسي مارشال، والطوالع وزحيليكة حيث قتل القبطان كريستيان إلى جانب عدد كثير من المرتزقة السنغاليين و"نظق العبد" بتراب أولاد موسى، والمحروگ، بتراب النغامشة، وعين السي موسى بأرض الرواشد، والرديف بتراب الغوالم على الطريق الذاهبة إلى وادزم، والسي داود بتراب أولاد موسى أيضا، والگلموس على بعد نحو كيلومتر واحد من زحيليگة. دارت هذه المعارك بقبيلة زعير التي ثارت منذ بداية تقدم الجيوش الفرنسية نحو ترابها، وتشكل حلقة من الحلقات الأولى في سلسلة المقاومة المغربية. ومن الأكيد أن زعيمها الروحي محلياً كان هو المجاهد عبدالقادر بن البشير المباركي البواشري، واستمرت هذه المقاومة عامين قيد حياته، وبعد وفاته قام أخوه الحبشي بن البشير المباركي بإتمام الخطة التي نهجها أهل زعير ضد الاحتلال. وسقط في ساحة الشرف خلال تلك المعارك عدد غير قليل من المجاهدين الزعريين.

هزيمة البواشرية واحتلال قبيلة زعير: إن حصار القبيلة من كل الجهات من طرف الجيوش الفرنسية والتقدم الذي تحرزه مدفعيتها باستمرار الهجمات العنيفة، وإتلاف محاصيل القبيلة وإعدام الغيورين على حريتهم من الزعريين وقيام ضباط الاستعلامات والاستخبارات الفرنسية باستقطاب مطرد لذوي النفوذ من شخصيات البلاد، عوامل جوهرية أدت كلها إلى استسلام القبيلة جزءاً جزءاً مما أفضى إلى إضعاف المقاومة بزعير واستسلامها النهائي.

وحسب ما ساقته التعاليق الفرنسية حول آخر المعارك ضد مقاومة زعير، كان الانتصار حليف أنصار التهدئة القبلية لأن فرنسا تملك قوة حقيقية قضت على كل هذه العمليات "الفوضوية" وان انتفاضة زعير درس ضد عوامل ما يسميه الاحتلال الغاشم بـ"السيبة القبلية".

فبعد تأكيد انتصار قوى الاحتلال على مقاومة زعير وجهادها، في أواخر سنة 1330.29 / 1911 استسلم للسلطة الاستعمارية عدد من القواد، لكن ظلت مجموعة من الأفخاذ القبلية لم تستسلم إلا بعد عمليات تمشيطية أخيرة قام بها الجنرالان "بري لبير" و"موانيي" والكولونيل "بليندا". وبعد إمضاء معاهدة الحماية سنة 1912 فر البواشرية بأولادهم وأتباعهم إلى أرض "زيان" بخنيفرة، وانضموا إلى حركة "محا أحمو الزياني" ومكثوا في أحضان مقاومة قبائل زيان التي سجل لها التاريخ بطولات رائعة في معركة "الهري" الشهيرة. وبعد أن قضى الفرنسيون على مقاومة قبائل زيان سنة 1914 رجع البواشرية إلى بلادهم بزعير، فألقت السلطة القبض على أولاد السيد عبدالقادر والسيد العربي البواشريين ونفتهم خارج قبيلتهم إلى أزمور بأرض دكالة، فأقاموا إقامة محروسة إجبارية ببلدة محمد التريعي ثمانية أعوام.

وأثناء نفي البواشرية المذكورين، قامت السلطة الاستعمارية باحتلال أراضيهم الشاسعة الجيدة التربة بقبيلة زعير، وأوعزت إلى القائدين عسو بن عبو وعمار بن المنصر السلمانيين الشعاليين وإلى الخليفة العربي ابن القائد سليمان الجزولي "وإلى غيرهم من أشياخ هاته القبيلة البعيدة عن قصبة البواشرية بنحو 50 كلم بمهمة الاستيلاء على أرض زعير الخصبة. فوضعوا عقوداً مزورة لبلاد البواشرية ثم باعوها للفرنسي "بوسي" بالبيضاء والمهندس "كوط" بالرباط. وكل هذه الملكيات والبيوعات أقيمت في تواريخ متقاربة ما بين فاتح ربيع الأول وذي الحجة سنة 1330 / فبراير - نونبر 1912.

وهكذا أصبحت كل أراضي البواشرية التي تقدر بـ 2.500 هكتار رسماً عقارياً واحداً بالمحافظة العقارية للرباط تحت رقم 661 في اسم المعمر الفرنسي "فابر".

رجوع البواشرية من منفاهم: بعد قضاء ثماني سنوات في المنفى رجع البواشرية إلى مسقط رأسهم زعير، وبالرغم من أفول مجدهم بانتهاء المقاومة واستسلام قبيلة زعير وتفكيك مقاومة زيان بالأطلس، فقد كان المراقبون المدنيون الذين تعاقبوا على إدارة الشؤون بالرماني يتابعون تحركاتهم اليومية خيفة انبعاث سلطتهم الروحية من جديد، وأرسل تقرير إلى الإقامة العامة بالرباط يتعلق بمسألة رجوعهم إلى موطنهم الأصلي ويبرّر بطول المدة التي قضوها بالمنفى انتفاء السبب الداعي إلى نفيهم. وفي النهاية إعتمدت الدوائر العليا على نفس التقرير وتذاكرت في شأن رجوعهم مع قائد موطنهم السيد بوشعيب بن الحاج المذكوري الذي كان قائداً على أولاد دحو والحلاليف والرواشد من قبيلة زعير، فساعدهم على ما أرادوا بعدما تكفل بهم قائدهم المذكور والسيد أحمد الجبلي. وبالرغم من هذه الضمانات المعنوية وتعقيد التواصل الإداري لم تتم الموافقة الفعلية على رجوعهم إلى بلادهم إلا بعدما أدوا أربعة آلاف ريال حسنية سكة تاريخه على يد الضامنين

السالفين. ومنذ فجر الاستقلال والبواشريون يطالبون باسترداد ما ضاع منهم من أراضي مغتصبة من طرف الدولة الكولونيالية الحامية.

أما زاوية البواشرية وقصبتها بمغشوش في أرض أولاد زيد من قبيلة زعير، فيرجع بناؤها إلى حدود سنة 1311 / 93. 1894، أي قبل التاريخ الوارد في ظهير مولاي عبدالعزيز المذكور آنفا بنحو عامين، وقد تولى تشييدها المرابط عبدالقادر بن البشير المباركي بعد أن اشترى أرضها قبل ذلك بأعوام كثيرة تزامنت مع أزمة عالمية كانت عواقبها على المغرب وخيمة، إلى حد ارتباطها بالمجاعة. وتسمى هذه الزاوية، كما هو متداول، بزاوية "مغشوش" وتشتمل على ثلاثة منازل للسكنى وبها مسجد صغير وبئر. ويبلغ طول السور الذي يحيط بها حوالي 266 متراً على وجه التقريب، وعرضه 250 م تقريبا. وتقع في غرب "مارشال" وهو مركز الرماني الحالي. وتبتعد عنه بنحو 12 كلم تقريباً، وكان الغرض من بناء هذه الزاوية العبادة والنسك والإرشاد والهداية، وكانت في نفس الوقت رباطا يأوي إليه المقاومون الأحرار من قبيلة زعير. ولا شك أنها قد لعبت، نظراً لما لها من مكانة في قلوب أهل المنطقة خصوصاً في أوائل القرن العشرين، دور تنظيم المقاومة العنيفة ضد التدخل الفرنسي، فلم يلبث المستعمر أن صوب إليها مدافعه، ففتك بأهلها وهتك أعراض حريمهم، وحولها إلى أطلال.

ظهير عزيزي بتاريخ 23 جمادى الأولى، 1313 ؛ ظهير آخر بتاريخ جمادى الثانية 1313 هـ ؛ معلومات مقتبسة من كتاب موجه إلى مصلحة الأملاك المخزنية من لدن الإقامة العامة بتاريخ 4.1.1917م ؛ ت.ابن سودة، البواشرية ومقاومة الاستعمار الفرنسي بقبيلة زعير، البحث العلمي، ع. 23 السنة 11 ماي/ غشت 1974 ، ص 104. 105. 106. 108. 112 ؛ قبيلة زعير، جزآن : أ. الزايدي، انتفاضة الشاوية سنة 1907، ص 94.

Sicard, *Organisation des Zairs* ; D. Rivet, *Ethnographie et conquête du Moyen Atlas, 1912 - 1913* in *Sciences de l'homme et conquête coloniale*, Paris, p. 159- 179 ; *A.F : R.C.*, N° 8, 1934 et 1935, Aout -Sept., 1936 (N° portant sur *Les étapes de la pacification du Maroc de 1907 à 1934*).

محمد الكير

بُـوَاشُـو، إدمـون جوست فكتور Boichut Edmond Just Victor جنرال فرنسي قائد أعلى لجيش الاحتلال الفرنسي بالمغرب بين 24 ديسمبر 1925 ونوفمبر 1926، ولد بواشو في مدينة ميليزي Mèlisey في السون العليا Haute Sône في 7 غشت 1864، وتوفي في فيشي Vichy في 4 يونيو 1941. وانخرط في الجيش في أكتوبر 1884 حيث درس في المدرسة العليا بوليتكنيك Polytechnique متخصصا في المدفعية فصار ملازما أول Sous-lieutenant سنة 1887 وليوتنان ملازم سنة 1889 وقبطانا سنة 1897 ورئيس فيلق Chef d'escadron في 1906 وليوتنان كولونيل ملازم Lieutenant Colonel في 24 سبتمبر 1911 وكولونيل في 23 سبتمبر 1913 وجنرال Général de Brigade سنة 1915 وجنرال فرقة Général de Division في 1917 ثم عين قائداً أعلى للجيش الفرنسي في 24 ديسمبر 1925 بالمغرب، وعضوا في المجلس الأعلى للحرب، وحاكما عسكريا بمدينة ستراسبرگ في فبراير 1927.

عمل بواشو داخل جيش الاحتلال الفرنسي في الجزائر من 12 مارس 1891 إلى 5 ماي 1893 وشارك في الحرب العالمية الأولى على الجبهة الألمانية بين 2 غشت 1914 و23 أكتوبر 1919، ثم عاد من جديد للجزائر في أكتوبر 1921 على رأس الفرقة 19، ومكث هناك إلى 18 فبراير 1925 حيث قضى فترة ما بين 22 مايو 1924 و24 أبريل 1925 في المناطق الصحراوية. وفي ديسمبر 1925 عين قائدا أعلى للجيوش الفرنسية في المغرب، وبين 19 يناير 1926 و25 نوفمبر 1926 شارك في قمع حرب الريف حيث حصل على استسلام المجاهد محمد بن عبدالكريم الخطابي، كما استطاع القضاء على المقاومة بناحية تازا. وفي أكتوبر 1926 عين في لجنة بوزارة الحرب الفرنسية للتنظيم العسكري والإداري للمغرب.

وقد حاز مقابل الخدمات التي أسداها للاستعمار الفرنسي والإسباني داخل المغرب على "الميدالية الاستعمارية" سنة 1926 وعلى "ميدالية سلم المغرب" الإسبانية سنة 1930.

كما أن المارشال بيتان Pétain طالب بالاحتفاظ به داخل الأركان العليا للجيش دون اعتبار للسن مكافأة له على الدور الذي لعبه في "تعميم السلم الاستعماري في المغرب".

Grand Larousse Encyclopédique, t. 2, Paris, 1960 ; Archives du Ministère de la guerre, Vincennes, cp 3 / 758, 3ème serie.

ثريا برادة

بُـواضْ، جوفروي Buad Geoffroy نبيل فرنسي كان رئيسا للبعثة التي أوفدها الأمير أنطوان دوبوربون إلى الملك السعدي الغالب بالله، في يوليوز 1560، في محاولة لإقناع الملك بالتنازل لفرنسا عن موقع القصر الصغير، وتجدر الإشارة إلى أن رئيس البعثة الحقيقي كان هو الضابط البرتغالي المدعو ملشيور فايز أزفيدو، الخبير في الشؤون المغربية.

يبدو أن عبدالله الغالب لم يرفض طلب السفير الفرنسي، وكانت فرنسا تنوي إذا ما تحققت رغبتها أن تسلم القصر الصغير إلى إسبانيا مقابل استرجاع المنطقة التي تحتلها بإقليم نافار الفرنسي.

لكن رغبة فرنسا لم تتحقق بسبب مرض حل بالنبيل بواض ألزمه الفراش عدة شهور بفاس، ولما أبحر من العرائش نحو فرنسا ونزل بمرسيليا أُلقي عليه القبض ـ لأن مرسيليا لم تكن من التراب الفرنسي ـ وقضى عدة شهور بالسجن مكبل القدمين، معرضا للتعذيب.

S.I.H.M. ; A. Cour, *L'établissement des dynasties des Chérifs au Maroc.*

أحمد بنجلون

بُـوايِّه دي لا تـور، پيير Boyer De La Tour, Pierre ضابط فرنسي وآخرُ مقيم عام فرنسي من عهد الحماية،

ضرب رقماقياسيا في قصر مدة الإقامة إذ لم تتجاوز مدة حكمه سبعين يوما. عيّن يوم 30 غشت 1955 واستقال يوم 11 نونبر من نفس السنة، احتجاجا على إعلان استقلال المغرب وعودة سيدي محمد بن يوسف إلى عرش أجداده.

كان نموذجا من نماذج سلك ضباط الشؤون الأهلية، تقلب في عدة دوائر من أقاليم المغرب تارة بالشمال وتارة بالجنوب، ومرة بالجبال وأخرى بالسهول، يمارس في كل المناصب وظائف إدارية وسياسية إلى جانب القيادة العسكرية، فكان من أولائك الضباط الذين داهموا الجماهير المغربية بالمدن والقرى يوم كانت، ما زالت على فطرتها الأولى وتقاليدها المتآكلة فاقتحموا مجالها واحتلوا أراضيها وأرغموها على الطاعة قسراً، ثم أرادوا لها أن تبقى على ما وجدوها عليه من ضعف التفكير وبساطة العيش والطاعة لأوامرهم، وكان بوابّه دي لاتور من أنصار سياسة التفرقة بين العرب والبربر، الراغبين في محو آثار العروبة بهذه البلاد، فلقد كان يوصي المعلمين في بعض مراكز سلطته "بأن يعلموا الأطفال الصغار بأنهم فرنسيون، على أن يحرصوا كل الحرص على أن لا يعلموهم أشياء كثيرة".

وتسلق أعلى الدرجات العسكرية حتى صار جنرالا، وكان الفضل في ذلك لاستبسال جنود إفريقيا الشمالية في الحرب العالمية الثانية، شأنه في ذلك شأن جوان وگيوم سلفيه في الإقامة العامة، وكان قد وُكّل إليه أمر تجنيد العديد من الطوابير المغربية سراً بمنطقة أزلال غداة التوقيع على الهدنة بين فرنسا المنهزمة وألمانيا النازية (22 يوليوز 1940) بالرغم مما نصت عليه الهدنة من تسريح جميع الجيوش الفرنسية سواء بفرنسا أو بالمستعمرات التابعة لها، وتلك الجيوش هي التي كان لها الدور الحاسم في عودة فرنسا إلى ميدان القتال بعد نزول الجيوش الأمريكية بشواطىء المغرب والجزائر ابتداء من 8 نونبر 1942، ولقد شارك بوابه دي لاتور في تلك المعارك تحت إمرة الجنرال جوان وصار من يومئذ من أخلص أتباعه.

ولما عين جوان مقيما عاما بالمغرب، استوظفه معه ابتداء من فبراير 1951، وأسند إليه الكتابة العامة للشؤون السياسية والعسكرية التي كانت تضم إدارة الداخلية وإدارة الشؤون الشريفة وإدارة الأمن والديوان العسكري للمقيم، فأدلى بوابه دي لاتور بدلوه فيما صار جوان يرتب له، بشكل مكشوف، لعزل سلطان البلاد الشرعي سيدي محمد بن يوسف عن عرش أسلافه، ولقد علق على ذلك في تقرير له بتاريخ 30 شتنبر 1951 قائلا :"لقد حسبنا أننا من القوة بحيث نستطيع أن ننحي عاهلا باتت معارضته الشخصية تضايقنا بشكل متزايد، وبدا كل شيء سائراً سيراً حسنا، إلا أننا لم نوصل العملية إلى نهايتها". وهذا هو الواقع التاريخي لأواخر شهر فبراير 1951، لكن بوابه دي لاتور بدّل فيه وغيّر لمسايرة الدعاية الاستعمارية آنذاك عندما كتب في مذكراته الصادرة سنة 1956 تحت عنوان حقائق عن إفريقيا الشمالية قائلا بمنتهى البهتان : "إن الخلاف القائم بين السلطان والأگلاوي، إضافة إلى معارضة السلطان لكل إصلاح، انتهى بأزمة كاد أن يذهب ضحيتها". وهذا هو تعيين التضليل لأن الإدارة الاستعمارية صارت منذ تعيين جوان مقيما عاما سنة 1947، لا تهدف إلا إلى إرغام الملك على التنازل عن جزء من سيادة المغرب لفائدة طائفة المعمرين، وكان لبوابه دي لاتور ضلع كبير في تلك المؤامرة، ولقد افتخر في مذكراته المشار إليها آنفا بأنه كان المسؤول عن إصدار ظهير الجماعات المحلية (يونية 1951) الرامي إلى منحها بعض السلطات الجزئية، لا حبّاً فيها، ولكن لتفتيت ما كان قد بقي من السيادة الوطنية المغربية وتمهيد السبيل لانتخاب المعمرين في المجالس المزمع إقامتها، كل ذلك من وراء دعوى إرساء الديمقراطية في البلاد ومقاومة استبداد الملك في زعمهم، وجاء بقلم بوابه دي لاتور في هذا الصدد ما يلي : "يمكن حصر مسطرة العمل في بضع كلمات، إن الأمر يتعلق، بعد إثبات سلطة المقيم العام من جديد، بالتخلي عن المركزية وبإرساء الديمقراطية، وهذه المهمة، بالرّغم مما قد يبدو في ذلك من التناقض، لا يمكن أن يقوم بها إلا إطارنا الإداري والسياسي الفرنسي، على أن يعود إليه شباب الفكر وأن تتجدد مناهجه، أما إذا ما تكسر هذا الاطار أو كتب له أن يندثر، فإن الشعب المغربي لن يحصل أبدا على الحريات الأساسية التي أصبحت الآن ضرورية لازدهاره الكامل، أو إذا حصل عليها لن يكون ذلك إلا بعد أفظع الانقلابات".

وهكذا نصب بوابه دي لاتور نفسه، وهو الضابط المتعجرف المتسلط، وصيا على الديمقراطية بالمغرب، ولم يكن الهدف الحقيقي من ذلك سوى إشراك المعمرين في السيادة المغربية ابتداء من المجالس المحلية ثم في وقت لاحق في المجالس الجهوية والبرلمان فيما بعد. ولم تكن الحيلة لتنطلي على الملك سيدي محمد فامتنع عن وضع طابعه الشريف على مشاريع الظهائر الممهدة لذلك، وعبثا حاول بوابه دي لاتور أن يغطي على تلك المؤامرة بما أشرنا إليه من أساليب التمويه في تقرير كتبه قبل استقالته من منصبه كمكاتب عام للشؤون السياسية والعسكرية لدى تعيين الجنرال گيوم خلفاً لجوان في الإقامة العامة في خريف سنة 1951.

وعين بوابه دي لاتور قائداً للجيوش الفرنسية المرابطة بالنمسا، فأقام هنالك إلى دجنبر 1953، ثم عين في شهر مارس 1954 قائداً أعلى للجيوش الفرنسية المرابطة بالإيالة التونسية، وكانت الإيالة في أوج نضالاتها من أجل الاستقلال، وازداد الحماس الوطني قوة على إثر انهزام الجيوش الاستعمارية في معركة دِيِنْ بِيِنْ فُو على أيدي الشعب الفيتنامي، وكان من نتائجها تشكيل حكومة جديدة بفرنسا يرأسها مانديس فرانس Mendès-France السياسي المتفتح الذي جعل من مهامه الأولى إخراج فرنسا

من ورطة الهند الصينية، ثم الاتصال بالوطنيين التونسيين لإعادة الأمور بالإيالة إلى مجراها الآمن، فاحتاج في هذا الصدد إلى التورية لدى الأوساط الاستعمارية بتعيين الجنرال بوايه دي لاتور مقيما عاما بتونس ابتداء من يوم 31 يوليوز 1954 مع الاحتفاظ بقيادة جيوش الاحتلال العليا، وكان عليه أن يُنفذ برنامج الحكومة الرامي إلى منح الشعب التونسي وسائل تسيير شؤونه الذاتية على أن تحتفظ فرنسا بالشؤون الخارجية وبالقضايا العسكرية، وظن بوايه دي لاتور أن مهاراته العالية في المخاتلة والمراوغة تمكنه من اللعب على كل الحبال سواء لدى الوطنيين التونسيين أو لدى طائفة المعمرين. وكانت نتيجة مناوراته أن افتضح أمره لدى الجميع وبخاصة لدى المعمرين القائمين بتونس الذين نقموا عليه اتصالاته بالوطنيين وتمالأوا عليه وتبرأوا منه في مظاهرات عنيفة حزت في نفسه بشكل قوي، فلذلك لما أقدمت حكومة إدگار فور Edgar Faure التي تشكلت في شهر فبراير 1956، على معالجة القضية المغربية فأدركت أن لا سبيل لحلها إلا بإرجاع السلطان الشرعي إلى عرشه، احتاجت هي كذلك أن تورّي لدى الأوساط الاستعمارية بتعيين بوايه دي لاتور مقيما عاما بالرباط يوم 30 غشت 1955 بمهمة فتح باب التسيير الذاتي أمام المغاربة مثلما كان قد فعل مرغما في تونس في الشهور السابقة. لكن بوايه دي لاتور جاء إلى المغرب بهاجس واحد ذكره به رئيسه الوحيد المارشال جوان قبل أن يلتحق بالرباط، وهو أن لا يثير غضب المعمرين بالمغرب وأن لا يتعرض أبداً لمظاهرات بني جنسه مثلما كان قد جرى عليه بتونس. ولذلك سرعان ما اكتشفت الحكومة الفرنسية بشهادة پيير جولي وزير الشؤون التونسية والمغربية أنها كانت قد "نصبت خصما لها بالرباط" مقيما عاما معارضا لكل قراراتها ماهرا في القول بمالا يفعل والعمل بما لا يقول، يطلب من محمد بن عرفة أن يتنازل عن العرش بناء على أوامر باريس، ويتفق مع زعماء الفرنسيين وأذنابهم من خونة المغرب على وجوب إرغامه على عدم التنازل، ويسعى في الظاهر في تركيب مجلس الوصاية على العرش بناء على ما وقع الاتفاق عليه مع الوطنيين في لقاءات إيكْسْ لي بان Aix- les- Bains ومع سيدي محمد بن يوسف بمدغشقر، ويجتهد في الخفاء ليكون المجلس تحت سيطرة أنصار الوجود الفرنسي، ويتغنى بإخلاص القبائل البربرية لفرنسا ويحاول عبثا طمس كون الطلقات الأولى التي أطلقها جيش التحرير كانت بقلب جبال الأطلس، في إيموزار مرموشة، على أن تأرجح المقيم العام بين تلك التناقضات العنيفة لم يكن سوى دليل قاطع على قرب انهيار الحكم الاستعماري بالمغرب، فلما أدرك بوايه دي لاتور ذلك بوضوح من خلال انتقال سيدي محمد بن يوسف من مدغشقر إلى فرنسا وتصريح الحكومة الفرنسية بحق المغرب في استرجاع استقلاله، قدم استقالته يوم 11 نونبر وغادر البلاد غير مأسوف عليه، ولقد صبّ جام غضبه وفنون تصريحاته في الكتاب الذي أصدره سنة 1956 وختمه بالتنبؤ للمغرب بشتى أنواع المصائب في غير حماية ضباط الشؤون الأهلية، وكان ذلك من سخافاته وقصر نظره وما كان يختلج بصدره من الأحقاد.

Amine, Boutaleb, Brignon, Martinet et Rosenberger, *Histoire du Maroc* ; S. Bernard, *Maroc 1943 - 1956*, Bruxelles, 1963 ; R. Bidwell, *Morocco under colonial rule : French Administration of tribal areas 1912 - 1956*, London, 1973 ; Ch. A. Julien, *L'Afrique du Nord en marche*, Paris, 1952 ; *Le Maroc face aux impérialismes*, Paris, 1978 ; P. July, *Une république pour un roi*, Paris, 1974 ; R. Le Tourneau, *Evolution politique de l'Afrique du Nord musulmane, 1920 - 1961*, Paris, 1962.

إبراهيم بوطالب

بُوبِدْمَاني، عَقّ أُلحسن أحد قواد بني مطير من فخذة بوبدمان أكثر عظام هذه القبيلة من حيث عَدَد أفرادها.

عانى بوبدماني عق أُلحسن مع قبيلته ـ قبيل الاحتلال الفرنسي لمرابعهم ـ من سوء تصرف الصدر الأعظم المدني الأگلاوي من أعضاء مخزن مولاي حفيظ الذين نهجوا سياسة تعسفية إزاء هذا القائد والقبائل المجاورة لمدينة مكناس، مما دفع ببني مطير أن تجتمع حول قائدها عقّ الذائع الصيت. وقد تعرض هذا الأخير للسجن من قبل الأگلاوي الذي أسره في فاس أواخر سنة 1910 لعدة شهور، ولم يطلق سراحه إلا في شهر يناير 1911 مقابل فدية مالية باهظة دفعها لسجانه، فكان هذا أحد أسباب تذمر هذا القائد وتمرده. دخل عقّ بوبدماني على رأس جموع المطيريين إلى مدينة مكناس عنوة يوم 27 أبريل 1911 فنصب سلطانا آخر بها مما يعني الغاء بيعة مولاي حفيظ المقيم بفاس المحاصرة من طرف بعض القبائل بزعامة فخذات من المطيريين، وحصل هذا الدخول وهذا التنصيب بسهولة، لأن الكثير من عامة المدينة انضموا إلى عق وآووا الثائرين. ويرجع سبب ذلك إلى ضعف الجهاز المخزني بمكناس وتعسفه على ضعفه في ممارسة السلطة لأن همه الوحيد صار هو جمع الضرائب، رغم عدم قدرة السكان على دفعها كما أن المخزن الحفيظي بفاس لم يمد يد المساعدة لأهل مكناس لما استنجدوا به لإيقاف الحملات البربرية على المدينة قبل ذلك التاريخ.

تمكن عقّ بوبدماني من تنصيب مولاي الزين ـ أخي مولاي حفيظ ـ سلطانا في مكناس بحضور "أشياخ الربيع" من البربر وأعيان وكبراء وقضاة وعدول وأشراف، وفيهم عبدالرحمان بن زيدان وعلماء المدينة وجميعهم وقعوا على صك البيعة.

بعد احتلال القوات الفرنسية التي كان يرأسها الجنرال موانيي Moinier لمدينة مكناس يوم الخميس 8 يونيو 1911 فر عقّ أُلحسن بوبدماني مع المطيريين والتحق بموطنه الأصلي جنوب المدينة وبقي متمرداً على الفرنسيين رغم احتلال العقيد هنريس Henrys لأراضي القبيلة السهلية سنة 1913 واستسلام أغلب سكانها، وكان يناوشهم بين الفينة والأخرى ويمنّيهم بالاستسلام أحيانا، إلى أن تم اعتقاله ووضعه تحت الاقامة الإجبارية بمدينة مكناس، ومنها كان

يتصل سريا مع أنصاره القدماء، مما أقلق راحة المسؤولين بالمدينة سنة 1917، ففكروا في إبعاده عن الإقليم. وبعد سيطرة القوات الفرنسية على المنطقة بأجمعها أطلق سراح بويدماني الذي التحق بوادي الجديدة بين فاس ومكناس، وكان ما يزال بهذا المكان إلى سنة 1928 دون أن يشكل وجوده هناك أدنى خطر على المحتلين.

ع. ابن زيدان، *اتحاف*، مخطوط. خ. ح. 11769 ؛ ب. بوعسرية، *علاقات مكناس ببادیتها*، 1907&1918، مجلة دار النيابة، ع 21، 1989. بوشتى بوعسرية

بوبْرادع، سمك يسمى هكذا في جل أسواق الأسماك المغربية، ويطلق على سبعة أنواع من الأسماك البحرية تستهلك كلها وتلعب دورا هاما في تغذية الإنسان واقتصاد البلاد.

تنتمي إلى رتبة شائكات الزعانف وفصيلة الأسبوريات Sparidae وجنس الأسبور Diplodus الذي يسمى بالفرنسية (Sar) وبالأنجليزية (Seabream). الجسم مضغوط جانبيا، بيضوي الشكل تتخلله عدة بقع كبيرة تميز الأنواع التي نذكر منها :

أسبور برطام، سمك ضخم الشفتين يسمى علميا Diplodus cervinus. يدعى بوبرادع في كل من طنجة، والعرائش، والدار البيضاء، والجديدة وأگادير، ويسمى (برداي) في مولاي بوسلهام، و(شرو) في مهدية و(طمبور شرغو) في الصويرة. يسمى بالفرنسية Sar à grosses lèvres وبالأنجليزية Zebra seabream. طوله شائع ما بين 20 و35 سم ولا يتعدى 55 سم. تتركب الزعنفة الظهرية من 11. 12 شوكة ومن 11. 14 شعاع. يحمل الفك العلوي 10. 12 قواضم و8 في الفك السفلي. اللون رمادي فضي، ذهبي اللمعان. تميز هذا النوع 5 بقع داكنة وطويلة على كل جانب كما يوضح الرسم ذلك.

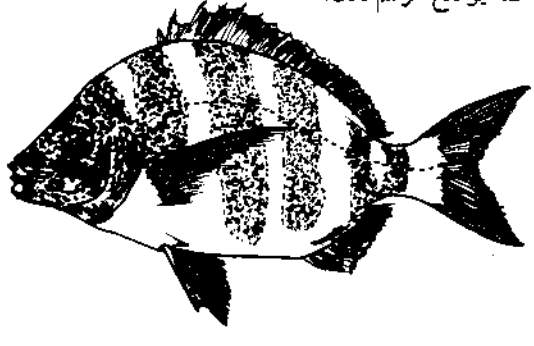

يعيش في البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي الشرقي من خليج كاسكورن إلى الرأس الأخضر. يفضل المناطق الساحلية الغنية بالوحل والصخور التي توجد في أعماق تتراوح ما بين 25 و300 متر.

أثناء التوالد الذي يتم في فصل الصيف تظهر بقعة صفراء تحت عينيه. يتغذى من اللافقريات الصغيرة ومن الطحالب. يتم صيده بواسطة شباك مختلفة وبالصنارة ويوجد بانتظام في أسواق الأسماك المغربية.

أسبور مستدق الفم Diplodus puntazzo، يدعى كذلك بوبرادع في طنجة، وشَرْغو في مولاي بوسلهام والعرائش والرباط، وشيليا في الدار البيضاء. يسمى بالفرنسية Sar à museau pointu وبالأنجليزية Sharpsnout seabream. فمه مستدق ويحمل على كل جانب 7. 5 بقع داكنة وطويلة تتوسطها 7. 5 بقع فاتحة ورقيقة. تتكون الزعنفة الظهرية من 12 شوكة ومن 15. 12 شعاع. يحمل كل من الفكين 8 قواضم منحنية إلى الأمام. طوله شائع ما بين 15 و30 سم ولا يتعدى 60 سم.

يعيش في البحر المتوسط والبحر الميت والمحيط الأطلنطي وذلك على الصخور الساحلية التي لا تتعدى 150 مترا من العمق. إنه سمك قارت ياكل الإربيان وبوزروگ والديدان والطحالب. يصاد بشباك مختلفة وبالصنارة ويوجدو كذلك بانتظام في الأسواق المغربية.

أسبور شرغو Diplodus Sargus يدعى بالفرنسية Sar commun وبالأنجليزية White seabream ويسمى شرغو في كل من الحسيمة والناظور. يحمل الفكين 8 قواضم. الشفتان رقيقتان. تتكون الزعنفة الظهرية من 11. 13 شوكة و12. 15 شعاع. الجوانب مخططة بثمانية خطوط داكنة وغليظة. اللون رمادي فضي اللمعان. طوله شائع ما بين 15 و30 سم ولا يتعدى 45 سم.

يعيش على الصخور والرمال الساحلية وتكثر الصغار في البحيرات الساحلية خلال فصل الربيع ثم تعود إلى البحر في الخريف. الصغار قارتة والكبار لاحمة تتغذى من الديدان والقواقع والقشريات والأخينوسات. يقتصر توزيعه الجغرافي على البحر المتوسط والبحر الأسود.

صيده شبه صناعي (Semi-industrielle) في المغرب وفي صقلية، وتقليدي في باقي الدول المجاورة. هناك محاولة في تربيته في كل من قبرص وصقلية.

الأسبور الشائع Diplodus vulgaris يسمى بوبرادع في مهدية وشرغو في كل من طنجة، ومولاي بوسلهام، والرباط، والبيضاء والجديدة ويدعى اداد في كل من الجديدة، وأسفي، والرباط وأصيلا. يسمى بالفرنسية Sar à tête noire وبالأنجليزية Common two-banded seabream.

يتميز ببقعة داكنة وكبيرة فوق رأسه وأخرى في مؤخرته. لونه رمادي ولا يتعدى طولة 45 سم. يعيش على الصخور والرمال الساحلية التي لا تتعدى 130 مترا في العمق.

يعيش في البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي وصيده شبه صناعي وتقليدي. إنه سمك شائع في أسواق الأسماك المغربية.

أسبور شرغو المغربي Diplodus sargo cadenati يسمى بوبرادع في طنجة والعرائش، وشرغو في مولاي بوسلهام والبيضاء والجديدة، والحنبل في مهدية وشراغي في أصيلا وطرفاية والعيون والداخلة. يدعى بالفرنسية Sar commun du Maroc وبالإسبانية Sargo marroqui.

يعيش على الصخور الساحلية من المحيط الأطلنطي وذلك بين سطح البحر و150 متر من العمق. لونه رمادي فضي اللمعان ولا يتعدى طوله 45 سم، وشائع ما بين 15 و25 سم. صيده تقليدي بواسطة الشباك والصنارة.

الأسبو السنيغالي Diplodus bellottii يدعى شرغو في البيضاء وكرفولي في المحمدية، وشجون وكفيفي وكريل في العرائش. له بقعة في مؤخرته وأخرى رقيقة وأفقية تتوسط الجوانب. لونه رمادي فضي اللمعان ولايتعدى طوله 30 سم. يعيش في أعماق لا تتعدى 100 متر ويتغذى من الطحالب والديدان والقشريات الصغيرة. يقتصر توزيعه الجغرافي على السواحل الأطلنطية الشرقية وصيده تقليدي.

الأسبور الحلقي Diplodus annularis يدعى شرغو في الناظور والحسيمة ويسمى بالفرنسية Sparaillon commun وبالأنجليزية Annular seabream. يتميز عن الأنواع الأخرى بحلقة عريضة في مؤخرته. لونه رمادي مصفر فضي اللمعان. لا يتعدى طوله 24 سم وشائع ما بين 8 و18 سم. يعيش في البحر المتوسط والسواحل البرتغالية والفرنسية وجزر الكناريا وجزيرة ماديرا. كثيراً ما يوجد في البحيرات الساحلية. يتغذى من الديدان والقشريات والقواقع. صيده تقليدي في المغرب.

أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

J. Schouten et M. Ramdani, *Fish of the Khnifiss lagoon and the Tarfaya coast*, Trav. Inst. Sci. Rabat, Mémoires hors série, 1988, p. 101 - 104 ; W. Fischer, M. Schneider et M.L. Bouchot, *Méditerranée et Mer noire, Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, 1987 ; G. Bianchi, *Ressources halieutiques de l'Atlantique marocain, Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, Rome, 1984.

بُوبراهيم، أو بَّاجُو، سمك بحري شائع في أسواق الأسماك المغربية ينتمي إلى رتبة شائكات الزعانف وفصيلة الأسبوريات Sparidae وجنس Pagellus المدعوّ بالفرنسية Pageot، تعيش أربعة أنواع في السواحل المغربية وتوجد بانتظام في أسواق الأسماك :

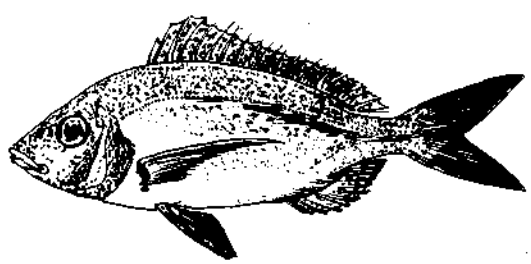

Pagellus acarne يدعى بوبراهيم في كل من الصويرة وأسفي وطانطان وطرفاية والعيون والداخلة، ويسمى باجو صغير وتازناخت في البيضاء، وباجو أبيض في الرباط، وباجو في باقي المدن المغربية، وبزوكا وبوكا وبوخا في العرائش وطنجة وأصيلا.

الجسم مغزلي الشكل ومضغوط الجوانب. تتكون زعنفته الظهرية من 12.13 شوكة ومن 10.12 شعاع. اللون رمادي وردي داكن جهة الظهر وفاتح جهة البطن. يتميز ببقعة سوداء في قاعدة الزعنفة الصدرية. الزعانف وردية فاتحة. طوله شائع ما بين 10 و25 سم ولا يتعدى 36 سم.

يعيش في البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي من بحر الشمال إلى السنغال وذلك في أعالي البحار بين أعماق تتراوح ما بين 40 و100 متر. يتغذى من الطحالب والديدان والقشريات والقواقع وصغار الأسماك. تصاد منه في المغرب ما بين 900 و1300 طن كل سنة.

Pagellus bellottii يدعى بوبراهيم في الجنوب المغربي وبزوكا في شمال المغرب ويسمى بالفرنسية Pageot à tache rouge. إنه سمك أحمر اللون تتخلل جوانبه عدة نقط زرقاء. تميزه بقعة حمراء في مقدمة الخط الجانبي وعلى طول مؤخرة الخياشم. لا يتعدى طوله 42 سم ويعيش وسط مجموعات كبيرة في أعماق تتراوح ما بين 40 و250 متر. إنه سمك قارت يعيش في السواحل المتوسطية الجزائرية والمغربية ونجده في المحيط الأطلنطي الشرقي من طنجة إلى سواحل انگولا.

Pagellus bogaraveo يدعى بوبراهيم الوردي في جنوب المغرب، وزگاغ في طنجة والعرائش، وباجو في الجديدة، وزريقة في الرباط والبيضاء، وبوكا في الجديدة وأصيلا. ويسمى بالفرنسية Dorade rose.

يتميز ببقعة كبيرة سوداء في مقدمة الخط الجانبي ولونه أحمر رمادي. طوله شائع ما بين 15 و50 سم ولا يتعدى 70 سم.

إنه سمك قارت يعيش على الرمال والوحل والطحالب في أعماق تتراوح ما بين 40 و800 متر. يقتصر توزيعه الجغرافي على السواحل المتوسطية والأطلنطية من بحر الشمال إلى الرأس الأخضر. شائع في أسواق الأسماك المغربية وصيده تقليدي بواسطة الشباك والصنارة.

Pagellus erythrinus يدعى بوبراهيم الأحمر في أصيلا وفي الجنوب، وبريشا في المحمدية، وامزوغ في أسفي، وبريكا والديك الأحمر في البيضاء وأصيلا والعرائش.

يعرف في مصر بالفريدي، وبالفرنسية Pageot commun وبالإسبانية Breca. لونه أحمر وردي داكن منقط بالأزرق وتميزه بقعة حمراء داكنة في قاعدة الزعنفة الصدرية. طوله شائع ما بين 10 و30 سم ولا يتعدى 60 سم. يعيش ما بين 20 و100 متر من العمق في كل من المحيط الأطلنطي والبحر المتوسط، وهو موجود بانتظام في أسواق الأسماك المغربية.

أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

J. Schouten et M. Ramdani, *Fish of the Khnifiss lagoon and the Tarfaya coast*, Trav. Inst. Sci. Rabat, Mémoires hors série, 1988, p. 101 - 104 ; W. Fischer, M. Schneider et M.L. Bouchot, *Méditerranée et Mer noire, Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, 1987 ; G. Bianchi, *Ressources halieutiques de l'Atlantique marocain, Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, Rome, 1984.

محمد رمضاني

بوبركات، (سيدي علي ـ) ويقال له أيضا سيدي أبو القناديل، صاحب الضريح الشهير بحومة تحت الحمام بالمدينة القديمة بالرباط. تقصده النساء الحبليات تبركاً به

لتكون الولادة بدون وجع. وهذا الاعتقاد نابع من حكاية تقول إنه ولد بدون وجع المخاض المعتاد.

ويقال إن سيدي بوبركات من الأمغاريين أهل تامصلوحت بناحية مراكش، واسمه محمد أُعلي وأنه كان زمن السلطان المولى إسماعيل. والبناء الذي بالضريح حديث من عمل الأمين الحاج أحمد بلافريج المتوفى في رجب عام 1302. وتذكر لصاحب الضريح كرامات شائعة عند الناس.

م. دينية، *مجالس الانبساط*، 17 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، 444.

عبدالاله الفاسي

بوالبركات البربري المغربي، أو أبو البركات، شخص لا نعرف عنه إلا ما ذكره ابن بطوطة في *الرحلة* من إسلام أهل جزائر ذيبة المهل في أرخبيل أندونيسيا على يده. قال إن أهلها كانوا كفاراً، وكان يظهر لهم عفريت من الجن في كل شهر، يأتي من ناحية البحر كأنه مركب مملوء بالقناديل، وكانت عادتهم إذا رأوه أخذوا جارية بكراً فزينوها وأدخلوها إلى "بدخانة"، وهي بيت الأصنام وكان مبنيا على ضفة البحر، وله طاق ينظر إليه منه، ويتركونها هنالك ليلة، ثم يأتون عند الصباح، فيجدونها مفتضة ميتة، وما يزالون في كل شهر يقترعون بينهم، فمن أصابته القرعة أعطى بنته، ثم إنه قدم عليهم مغربي يسمى بأبي البركات البربري وكان حافظا للقرآن العظيم، فنزل بدار عجوز منهم بجزيرة المهل، فدخل عليها يوما وقد جمعت أهلها وهن يبكين كأنهن في مأتم، فاستفهمهن عن شأنهن فلم يفهمنه، فأتى ترجمان فأخبره أن العجوز كانت القرعة عليها، وليس لها إلا بنت واحدة يقتلها العفريت. فقال لها أبو البركات : أنا أتوجه عوضاً من بنتك بالليل، وكان سناطا لا لحية له، فاحتملوه تلك الليلة وأدخلوه إلى بدخانة وهو متوضئ وأقام يتلو القرآن ثم ظهر له العفريت من الطاق فداوم التلاوة، فلما كان قريبا منه بحيث يسمع القرآن غاص في البحر وأصبح المغربي يتلو على حاله. فجاءت العجوز وأهل الجزيرة ليستخرجوا البنت على عادتهم فيحرقوها، فوجدوا المغربي يتلو فمضوا به إلى ملكهم، وكان يسمى (شنورازة) وأعلموه بخبره فعجب منه، وعرض المغربي عليه الإسلام ورغّبه فيه فقال : أقم عندنا إلى الشهر الآخر، فإن فعلت كفعلك ونجوت من العفريت أسلمت. فأقام عندهم وشرح الله صدر الملك للإسلام فأسلم قبل تمام الشهر، وأسلم أهله وأولاده وأهل دولته... (*الرحلة*، ص. 579).

إننا لا نملك إلا أن نتعجب من تطابق شبه تام بين هذه القصة وبين قصة تحكى بصدد شخص معروف تاريخيا وهو أبوالبركات خصوصا إذا علمنا الغموض الذي يلف حول حياة الرحالة العبدري الحاحي الذي لا نعرف شيئا عن نشأته وطلبه للعلم والأدب، وتقلبات حياته في الشباب والكهولة والشيخوخة باستثناء ما جاء في رحلته إلى الحجاز ذهابا وإيابا. أما ما قبلها وما بعدها فهو ما يزال مجهولا.

يحكي الرواة الشعبيون في حاحة أن العبدري لما وصل إلى بلدة (إداويسارن) استضاف أهل بيت فأضافوه، فلما دخل وجد ربة البيت تطحن قليلا من القمح وهي تبكي بكاء شديداً، فسألها عن سبب بكائها فأجابته بأن في هذه الغابة غولا عجيبا تسلط على سكان هذا البلد، ففرض عليهم أن يعشيه كل واحد منهم على التناوب ببنته. قالت: وهذه نوبتي قد حضرت اليوم، وستمشي بنتي العزيزة عليّ عشاءً للغول. فقال لها العبدري الضيف : أهذا كل ما يبكيك ؟ أبْشري، فإن الله يكفيكم شر هذا الغول منذ الليلة، قالت : وبارك الله في ذلك الطحين فأصبح كثيراً جدا مع أن القمح كان قليلا جداً ولما أظلم الليل أقبل الغول ليتسلم عشاءه، فتلقاه الضيف بعصاه، وجعل يطعنه بها وهو يهرب منه ويتبعه حتى أدخله إلى نفق هناك بالغرب يسمى اليوم (أُودِّيغْ) وهو نفق عميق لا يدري أحد حدود قعره، يقال إنه يخرج في بحر المحيط بدليل أنه تشم منه رائحة البحر على ما يزعمون. ولما شاهدت تلك المرأة من ضيفها هذه الكرامة والبركة أطلقت عليه هي وسكان القرية اسم : (سيدي بوالبركات) وبقي هو منذ ذلك الحين يسكن وينتقل في تلك البلاد حتى توفي بها.

م. ابن بطوطة، *الرحلة* ؛ *روايات شفوية*.

بوالبركات (سيدي ـ)، وهي مدرسة علمية عتيقة، في قلب قبيلة إداوسَارنْ ـ إحدى قبائل حاحة الغربية ـ تحمل من قديم اسم دفينها المتبرك به العلامة الرحالة أبي البركات محمد العبدري الحاحي، صاحب *الرحلة المغربية* الغنية بالدلالات التاريخية والثقافية، على أن مقام المؤلف وأسرته بحاحة مقام علم ودين وآداب عريق في القدم. فمن ذلك ما جاء في مستهلها : "كان سفرنا ـ تقبله الله تعالى ـ في الخامس والعشرين من ذي قعدة عام 688 هـ مبدؤه من حاحة صانها الله وكان طريقنا على بلاد القبلة، فزرنا بموضع أنسا من أعلى بلاد السوس الأقصى قبر الشيخ الصالح أبي حفص عمر بن هارون وهو من كبار الأولياء ومن عظماء الصالحين ـ نفعنا الله بهم ـ ذكره صاحب *التشوف* وبالغ في الثناء عليه، وذكره الشيخ الصالح أبو سعيد الحاحي المترازي في كتابه *منار العلم*، وقال إنه كان يدخل عليهم في الدرس فيقول : تهنيكم عبادة القلوب والألسن والأيدي والأعين، يعني العلم، وهذا كلام من أُيد بالتوفيق، وأُمد بالتحقيق (*الرحلة*، 7) ومع ذلك فهو لم يحدثنا كثيراً عن نفسه وموطنه بحاحة لذلك لا نعرف شيئا عن أولية هذه المدرسة، إلا أن القبة المشيدة على قبر دفينها العبدري تحمل تاريخ 1768/1182 ولهذا التاريخ دلالة خاصة على مستوى محيط المدرسة الإقليمي، فقبله بأربع سنوات فقط أمر السلطان سيدي محمد بن عبدالله العلوي بتأسيس مدينة الصويرة عام 1178 /1764.

ويبدو أن جميع بناياتها الماثلة بها الآن، التي وقع ترميم بعضها وتجديد الآخر إنما أُحدثت بعد التاريخ المذكور. ومعظمها من بناء بعض قادة (إداگلول) من أسرة إدْبلحاج الحاكمة خلال فترة (1299/1881 ـ 1351/1932). أو

من بناء بعض الخواص من نفس قبيلة المدرسة.

ساهمت مدرسة سيدي بوالبركات بقسط غير يسير في الحفاظ على الثقافة العربية الإسلامية في منطقة حاحة طيلة فترات متقطعة من القرنين الثالث عشر والرابع عشر (19.20 م) بفضل جهود المدرسين المشارطين فيها، أمثال الشيخ المقرئ سيدي أحمد بن مبارك (ت. 1855/1272) دفين مدرسة قبيلة إداوتْغُمَّا. ثم الفقيه محمد بن العربي الأحسيني الذائع الصيت بين المقرئين في وقته، ثم العلامة المدرس للعلوم الرسمية الحاج محمد بن الطاهر البعريري الهواري، تنقّل بالشرط في عدد من مدارس حاحة إلى أن توفي عام 1321 / 1903. وممن اشتهر بالتدريس فيها من علماء حاحة وفقهائها المتأخرين :

- الحسن بيحبوس النكنافي الذي لازم التدريس بها وبغيرها إلى أن توفي عام 1935/1354.

- محمد بن مبارك ألعربي الخلفي والمتوفى أخيرا بمدرسة إيمي الحد عام 1400 / 1979.

- إبراهيم بن العواد الوساري - نسبة إلى قبيلة إداوسَارَنْ - شارط بها إلى أن توفي.

- محمد أسكنض التامري المتوفى في منتصف القرن الرابع عشر الهجري.

- عمر بن الطيب النكنافي خريج مدرسة تالمست المتوكية، مارس التدريس بمدرسة أبي البركات وغيرها حتى بلغ من الكبر عتيا وتوفي بُعيْد الاستقلال حوال 1379 / 1959.

وأخيرا الأستاذ الأديب الحسن بن محمد التامري الملقب (بَّندُو) والمتخرج بمدرسة المحصر النكنافية العتيقة عام 1956/1376 م ثم تصدر للتدريس بمدرسة أبي البركات رافعاً اسمها بين المدارس العتيقة في منطقة حاحة وسوس، وتزعم بها حركة الإصلاح والتجديد في مناهج المدارس العتيقة متأثراً بتيار الحركة الوطنية التي قامت على عهد الملك محمد الخامس، مما ظهر أثره الحميد على كثير من تلامذتها المتخرجين بها منذ عام 1960/1380 إلى حين وفاة هذا الأستاذ شنقا بهذه المدرسة في ظروف غامضة عام 1982/1403. وله ديوان شعر مخطوط منه قصيدة عرّف فيه بالعبدري ورحلته مطلعها :

العبدري "بوالبركات" لقبُـه ... بلهجة المحل، أما نسبُـه

فينتهي إلى قصي بن كلاب ... خامس آباء الرسول بالحساب

عن ابنه المبرور عبـد الـدار ... لذاك فهو عبدري النجـار

العبدري، *الرحلة* ؛ محمد الصويري، (أحد تلاميذ المدرسة)، *تقييد* ؛ لحسن التامري بيندو، *ديوان*، مخطوط ؛ *تحريات ميدانية*.

محند أيت الحاج

بُوبْرِيح، قرية تنتمي إلى قبيلة بني زروال، إحدى أهم قبائل جُبالة، وتعتبر من الناحية الإدارية دواراً ملحقاً بفخذة تافوغالت (جماعة تابودة، دائرة غفساي، إقليم تاونات).

يبعد بوبريح عن زومي على خط مستقيم نحو الغرب بحوالي 30 كلم، وعن غفساي على خط جنوبي - شرقي بحوالي 25 كلم، لكنه يوجد في موقع منحرف عن الطريق الثانوية رقم 304 التي تربط تاونات بوزان. وأقرب طريق معبدة تبعد عنه بحوالي 7 كلم نحو الشمال الغربي، وهي التي تنطلق من بني أحمد صوب الطريق الرئيسية رقم 39 الرابطة بين تطوان والحسيمة. غير أن مسالك عديدة تقلل من هذه العزلة وتفضي إلى القرى المجاورة (بني أحمد، بو علاّل، القْداوَد، عين الوْدَن).

تقع القرية على علو 410 م في عالية سفح تل مكون من صخور لينة تتمثل في الطّفل والطّفل الشّيستي وتصبح فصلياً عُرضة لانزلاقات للتربة، خصوصاً وأن معدل التساقطات يفوق سنويا 500 مم. ورغم اعتدال التضاريس محليا، فإن الطابع الجبلي هو السائد، بالنظر إلى وعورة السفوح وتعمق الشبكة المائية. والمجرى المائي الذي تشرف عليه القرية مباشرة هو واد تَاسْرَافْت، رافد وادي آودُور، الذي هو بدوره رافد واد ورغة. بذلك تكون كثافة الشبكة المائية وانجرافات التربة هي السبب الرئيسي في لجوء السكان إلى الاستيطان في قمم التلال وعاليات السفوح.

إن الكثافة السكنية المرتفعة بالمنطقة (100 ن/ كلم^2) تعكس تعدد السكن على شكل حزام حول القمم يتكون من دواوير متزاحمة البنية ومتوسطة الحجم. وقد بلغ عدد سكان بوبريح 712 نسمة سنة 1982، بينما كان يبلغ 654 نسمة سنة 1971. وهذا النمو الضعيف يبرز مدى تأثير الهجرة القروية ومدى ضعف الاقتصاد المعاشي المحلي في تثبيت السكان.

ولقد اتخذت قرية بوبريح مكان تكامل الرساتيق، نظراً لضعف مردود الأرض وضيق الحيازات الفلاحية، وهذه الوضعية تمكنها في آن واحد من استغلال رُستاق مغارس الزيتون الشاسعة في الشمال ورستاق الأراضي الزراعية المتنوعة في الجنوب والتي تعتمد أساساً على الحبوب البكرية في الخريف (الشعير) والحبوب المَزُوزية في الربيع (الذرة). وإضافة إلى ذلك يمارس السكان نشاطا رعوياً تكميليا على البوار والمروج.

مديرية الإحصاء بالرباط، *السكان القرويون حسب الاحصاء العام للسكان والسكنى* لسنة 1971، 1982 ؛ *أطلس المغرب*، نشر اللجنة الوطنية الجغرافية المغربية، الرباط ؛ *مجموعات خرائط حوض سبو*، *وزارة الفلاحة والاصلاح الزراعي*، الرباط، 1970 ؛ ج. موريز، *خريطة جيومرفولوجية للريف الأوسط*، مقياس 300.000 /1، المعهد العلمي الشريف، الرباط، 1965.

مصطفى عياد

بوبريص، أو الوزغ ويسمى أيضاً بُرَيْص، وسامّ أبْرص، وأبوبريص، وثعبة، وصدّاد، وأبا كفّ، جنس من الوزغ جيكو Gecko وهو من الفصيلة الوزغية Geckonidae ومن رتبة العَظاء اللحيمات الألسنة أگاميدي Agamidae ومن طائفة الزواحف Reptilia.

تتكون الوزغيات من خمسين جنساً وحوالي ستمائة وخمسين نوعاً تعيش في المناطق الحارة، وهي زواحف

صغيرة الحجم. رأسها مثلث الشكل وكبير. عيناها كبيرتان تغمضان بغطيهما غشاء شفاف كما هو الشأن عند الثعابين، معظمها ليلية النشاط. وخلافا لباقي أجناس العَظاء تصدر الوزغيات أصواتا خفيفة وحادة، تتسلق الأشجار والجدران والسقوف بواسطة أصابعها اللصوقة. معظم الأنواع تعيش في المباني وخاصة الديار المهجورة والجدران المشقوقة وتتغذى من الحشرات والعناكب ولا تضر بالإنسان.

يتغير لون بوبريص بسرعة فيصير قاتما أو فاتحا حسب المكان لتنجو من أعدائها.

يعيش بالمغرب ثمانية أجناس من بوبريص تضم أربعة عشر نوعاً.

الوزغة الشائكة الجفون Quedenfiltia Trachyblepharus مستوطنة في النصف الجنوبي الغربي من جبال الأطلس، شائعة في المناطق شبه الصحراوية وفي أعالي جبال الأطلس الكبير (4.000 م). الظهر رمادي بنّي، البطن أبيض مصفر يميل إلى الرمادي، توجد على الكتف عدة بقع سوداء وصفراء. لا يتعدى طولها 10 سم جمعا بين الذنب والجسم. تضع الأنثى ما بين أبريل ويونيه بويضات طولها 12 ملم. يعيش هذا النوع في المغاور وبين الصخور ويتغذى من الحشرات. إنه نشيط بالنهار فقط خلافا لباقي الوزغات، ولا يؤثر على نشاطه انخفاض الحرارة الشتائية. أصابعه حادة في مؤخرتها وتساعده على التسلق بهسولة.

نصفية الأصابع Hemidactylus, Turcicus لا يتعدى طولها 16 سم. تكسو جسمها حذيبات صغيرة. الظهر مصفر بني فاتح تتخلله عدة بقع سوداء غير منتظمة. الذنب تتخلله خطوط حلقية. يعيش هذا النوع في المغاور وبين الصخور وعلى الأشجار وبين الأغصان وفي المباني المسكونة والمهجورة. يحسن التسلق ويتغذى من الحشرات والعناكب شائع في السهول والهضاب الساحلية الأطلسية وكذلك بالمناطق المجاورة للسواحل المتوسطية. نشيط بالليل وأثناء طلوع الشمس وغروبها.

جنس طارانطولا Tarentola يختلف عن باقي الأجناس الأخرى بأصابعه العريضة في موخرتها وبالمخالب في الأصبع الثالث والرابع. ونذكر من الأنواع التي تعيش منها في المغرب :

موريطانيكا T. Mauritanica لا يتعدى طوله 16 سم. القوائم قصيرة والأصابع عريضة شديدة الالتصاق. يعيش في المغاور والجدران وبين الصخور وداخل المباني. توجد على الظهر والذنب عدة حديبات تعطي للحيوان شكلا شائكا. اللون رمادي بنّي، وتخلل الذنب خطوط حلقية سوداء. في حالة كسره ينمو ذنب آخر قصير ومنعدم الحديبات.

تمتد مدة التوالد من فصل الربيع إلى فصل الخريف. تضع الأنثى من اثنين إلى ثلاث بيضات يبلغ طولها 11 ملم. يعيش ضرب موريطانيكوس T. m. mauritanicus في الهضاب والمرتفعات الساحلية المتوسطية والأطلسية وفي جزر الكناريا، بينما يعيش ضرب دسرتي T. m. diserti في المناطق الصحراوية بجنوب المغرب.

يمتاز نوع طرانطولا Tarentola ephipiata بمتك طويل وحديبات صغيرة ناعمة، ويعيش في ضواحي طاطا وعوينة توركز. ويعيش نوع پانوزي T. panousei في حمادة درعة ويختلف عن الأنواع الأخرى بحراشفه الكبيرة.

وهناك نوع صحراوي Ptydactylus hasselquistii أصابعه عريضة تنتهي كلها بمخالب، لا يتعدى طوله 10 سم. يعيش في ضواحي فگيگ (بني ونيف) وحوض درعة. تضع الأنثى من ثلاث إلى أربع بيضات في فصل الربيع. طول الواحدة منها 12 ملم وقطرها 10 ملم. ونوع آخر نادر في المغرب Geckonia chazaliae تكسو جسمه حراشف وحديبات غير منتظمة. توجد على عنقه حديبات كبيرة تفصل الرأس عن الجسد. الذيل قصير وحاد. لونه أصفر فاتح. لا يتعدى طوله 8 سم. يعيش في المناطق الصحراوية الساحلية من تيزنيت إلى موريتانيا.

J. Bons, *Les Lacertiliens du Sud-Ouest marocain*, Trav. Inst. Sci. Chérif. Zool., N° 18, 1959 ; E. N. Arnold et J.A. Purton, *Tous les reptiles et amphibiens d'Europe*, Paris, 271 p ; *Grande Encyclopédie Alpha des Sciences et Techniques, Zoologie II*, 283 - 284.

محمد رمضاني

بوبْطايْن، ويدعى بالأمازيغية الشلحيّة بيلماوْن ويسمى في مناطق أخرى : بوجلود، وتامُوگايت أي البقر لأنه يلعب دور بقرة الحرث في تمثيل يجري بمناسبة فرجة العيد. هو شخص يسلّي الناس في عيد الأضحى، خاصة في القرى، فيلبس جلد ضحية أسود يحتفظ بأطرافه وقرونه.

وللحصول على حركة لرأس الدابة موازية لحركة رأس بوبطاين أو بيلماون يتم ربط جلد أسفل الوجه بجلد أسفل القفا بواسطة خيط دقيق يضمن تماسك الرأس والقناع أثناء الجري أو الحركات العنيفة. ويوضع مكان الأنف في جلد الرأس ثقب يثبت فيه جذرة أو قصب الذرة أو غيرها من الأشياء ذات الطول النسبي والصالحة لتمثيل الأنف في القناع الجلدي.

ويتم ربط جلود أطراف الدابة بأطراف الشخص بدقة متناهية بحيث تبدو الأظلاف على أطراف اليدين والرجلين أحياناً، كما لو أنها جزء لا يتجزأ من جسد بوبطاين، ويتم في النهاية وسط موجة عارمة من الضحك إلصاق شارب كث على فم بوبطاين يكاد يغطي معظم معالم القناع، قبل

أن يخرج إلى الجمهور يخاطبهم ويجري خلف الأطفال وسط ضجيج وصياح وضحك متعال.

وفي الجنوب المغربي يتم خلال هذه اللعبة تهييء مجموعة أخرى من الشبان الذين يمثلون جماعة اليهود، يرافقون بيلماون في تكوين فرقة الفرجة، يطوفون على الدور يجمعون الهدايا، ويتبذلون في الكلام مع الرجال والنساء. كما يتم تسويد وجه أحدهم ليمثل دور العبد (إسمخ). وخلال فترة التهييء هذه تسمع أصوات وأهازيج أحواش في خارج كتاب المسجد (تخربيشت) وفي الساحة التي يقع عليها الاختيار لتكون مسرحاً لأحداث الفرجة التي يعد بيلماون من أشخاصها البارزين.

وبعد مرحلة التهييء، يخرج بيلماون محدثاً زوبعة فيتجه نحو الجموع المنتظرة، ويكثر الصخب والضوضاء ويتزايد صراخ الأطفال عندما يتبعهم بهيئته المخيفة.

تتبع جماعة اليهود بيلماون مهرولين، وهو يجري وراء الجموع المتفرجة، ثم يسير بيلماون والعبد والناس في الساحة العريضة وتنطلق أهازيج أحواش في الفضاء. وبعد قضاء مرحلة النهار في الغناء والرقص إلى أن تميل الشمس نحو المغيب تنسحب الجوقة لتنضم إلى المتفرجين من الرجال والنساء والأطفال ويترك الميدان للتمثيل.

يستغل بوبطاين أو بيلماون في ضبط نظام الفرجة الجماعية (الغناء الجماعي والرقص في ساحة وسط القرية) بمناسبة العيد، ويشارك في "المسرحية" التي تدور أحداثها حول الحياة الفلاحية، وتكون مناسبة يرفع فيها التكليف عن هؤلاء الممثلين ليتعرضوا باللمز والغمز لكل من يستحق النقد في مدة عام منصرم من حياة القرية.

يبدو أن هذه الظاهرة عميقة في القدم، ولكنها ما تزال حاضرة في عدة جهات من المغرب.

رواية شفوية.

A. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, Paris, 1899 ; E. Doutté, *Marrakech*, Paris, 1905 ; C. Monchicourt, *La fête de l'Achoura*, *R. T.*, N° 17, 1910, p. 278 - 301 ; E. Laoust, *Noms et cérémonies des feux de joie chez les berbères du Haut et de l'Anti Atlas*, 1921 ; A. Hammoudi, *La victime et ses masques : Essai sur le sacrifice et la mascarade au Maghreb*, Paris, 1988.

محمد أدبوان

بوبكر (الحاج ـ) قائد بني إزناسن ← بوبكر مركز

بوبكر، مركز منجمي صغير بالمغرب الشرقي، يقع في الجنوب الشرقي لمدينة وجدة على بعد 40 كلم عبر الطريق الثانوية رقم 408. ويحد شرقا بالحدود المغربية الجزائرية التي لا تبعد عنه إلا بكيلومترين.

يعتبر مركز بوبكر من المراكز الحضرية المنجمية الحديثة النشأة، ويعيش حاليا أزمة اقتصادية خانقة منذ اغلاق منجمه سنة 1969. ويستمد هذا المركز اسمه من "الحاج بوبكر"، وهو شخصية بارزة في تاريخ المنطقة، استطاع أن يخضع قبيلة بني يزناسن ثم قبيلة بني مطهر التي وضعها السلطان مولاي الحسن تحت قيادته سنة 1291 / 1875، وقد توفي هذا القائد متأثرا بجراحه في 4 مارس 1886 بعد أن قضى على القائد عبدالرحمان الشعايبي في معركة حاسمة وتولى بعد ذلك ابنه السهلي قيادة المهاية.

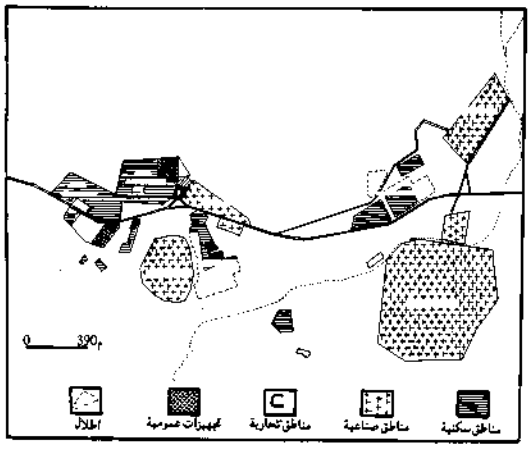

بوبكر

لم يكن بهذه المنطقة قبل سنة 1925 إلا قبة شيدت على قبر الحاج بوبكر بالمكان الذي يعرف بـ "سهب زغلول". ويعتبر هذا الموقع موضع اتصال بين الهضاب العليا التي تمتاز بالتقطع في هذه المنطقة، وبين سلسلة جبال جرادة. وتمتاز هذه المنطقة بالارتفاع إذ يصل متوسطه إلى 1100 م.

بدأ تعمير هذه الجهة مع الحماية الفرنسية وبداية البحث والتنقيب عن المعادن سنة 1907. وقد ظهر التنقيب والبحث في بداية الأمر اعتماداً على معلومات مسبقة انطلاقاً من بعض المناجم القديمة ومن آثار بعض الآبار المنجمية التي كانت تستغل بطريقة تقليديّة في العهد المرابطي والعهد الموحدي. ونذكر بالخصوص جرف وزان وسيدي رحو وجبل المحصر. وتجب الإشارة إلى أن هذه المناطق لا تبعد إلا ببضعة كيلومترات عن مركز بوبكر الذي اكتشف به معدن الرصاص والزنك.

تمتاز منطقة بوبكر بتكوين جيولوجي يطغى عليه وجود النشوز والأخفوضات الناتجة عن انكسارات متوالية. ولقد بدأت هذه التكتونية في الزمن الجيولوجي الأول، وتوجد بعض المعادن على شكل عروق، وأخرى تكونت في رواسب طبقية من غطاء القاعدة، كما توجد بعض التمعدنات على امتداد الانكسارات.

اكتشف معدن الرصاص والزنك سنة 1907 ولم يشرع في استغلاله إلا سنة 1927، من قبل الشركة المنجمية زليجة La Societé minière de Zellidja. تعد هذه الشركة المشيد الرئيسي لكل المركز سواء منه الأحياء الصناعية أو الأحياء السكنية أو الأحياء التجارية والتجهيزات الضرورية الأخرى. وامتد هذا البناء والتشييد إلى حدود سنة 1969 وهو تاريخ إغلاق الشركة أبوابها نتيجة نفاد المنجم. ومن هذه المعطيات الأولى يمكن تقسيم حياة المركز إلى مرحلتين متباينتين : المرحلة الأولى الممتدة من بداية استغلال المنجم إلى سنة 1969، ويمكن تسميتها بمرحلة الازدهار، والمرحلة الثانية التي تمتد من سنة 1969 إلى يومنا هذا وهي مرحلة

الأزمة. وهذا التقسيم في حياة المركز ينطبق على كل المبادين سواء السكنية أو العمرانية أو الاقتصادية.

الحياة السكانية : لم يكن بهذه المنطقة ـ كما أشرنا إلى ذلك في المقدمة ـ إلا ضريح الحاج بوبكر الذي كان يقصده بعض الزوار دون أن يؤدي ذلك إلى أي استقرار بجانبه. فقد بدأ تعمير المنطقة مع بداية استغلال المعدن، وكان سكان المنطقة هم أول من اهتم بالعمل داخل الشركة نظرا لقساوة الظروف الطبيعية للمنطقة. ومن هذه القبائل التي التحقت بالعمل المنجمي تلك التي اكتشف المعدن على أراضيها وخاصة منها فخذة بني حمليل التي تضم ستة دواوير، وفخذة بني بوحمدون التي تضم خمسة دواوير.

استقطب مركز بوبكر كباقي المراكز المنجمية المغربية عدداً كبيرا من سكان المنطقة سواء على الصعيد المحلي أو على الصعيد الجهوي. فقد بلغ عدد المشتغلين المحليين بالشركة المنجمية 323 شخص سنة 1950 بينما بلغ عدد الجهويين 595، وقد مثل المحليون والجهويون 55٪ من مجموع المشتغلين بالشركة سنة 1950. أما عدد السكان بالمركز فقد بلغ 4856 نسمة سنة 1952 أغلبيتهم من الشباب وخاصة منهم العزاب. ويمكن القول إن بنية السكان كانت بنية شابة وحديثة الاستقرار وخاصة بالنسبة للذين قدموا من مناطق بعيدة كالريف والأطلس الكبير وسوس. وقد تأثرت البنية السكانية للمركز بالعدد الكبير من الشباب المستخدم من قبل الشركة المنجمية. وقد مثلت هذه الفئة نسبة 63 ٪ من مجموع المستخدمين.

ارتفع عدد سكان المركز بشكل سريع إذ بلغ 8721 نسمة سنة 1960، وقد بلغت نسبة الزيادة السنوية المتوسطة 7.8٪ بين تعداد 1952 واحصاء 1960. وزيادة السكان هذه لم تكن مرتبطة بالتشغيل في الشركة لأن عدد العمال لم يعرف أي تطور يذكر، ولكن يمكن ربطها بمراحل الاستقرار في هذا المركز الحديث، فبعد أن يقضي العامل سنة أو سنتين بالمركز يعود إلى مسقط رأسه ليرجع هذه المرة بصحبة عائلته الصغيرة. كما تجدر الإشارة إلى بعض الهجرات المحلية، وهذا ما لوحظ من استقرار بعض العائلات تحت الخيام بالقرب من الأحياء السكنية، في محاولة الحصول على شغل بالشركة أو بالقطاعات الأخرى (تجارة وخدمات ...).

وضعت سنة 1969 ـ وهو تاريخ إغلاق المنجم ـ حدا لتطور السكان بهذا المركز فبدلا من الدور الاستقطابي الذي لعبه المركز، تحول منذ هذا التاريخ إلى مركز طرد للسكان، إذ غادرته عدة عائلات بكاملها مباشرة بعد إغلاق المنجم وخاصة تلك التي قدمت من مناطق بعيدة. وتظهر الأزمة السكانية للمركز من خلال إحصاء سنة 1971 حيث انخفض عدد السكان إلى 2218 نسمة وبلغ معدل نسبة التطور السنوي 11.7٪ ما بين إحصاء 1960 وإحصاء 1971 وقد أخذت هذه الهجرة عدة اتجاهات، منها تلك التي قصدت المراكز المنجمية الأخرى لاسيما بالأطلس المتوسط كمركز العولي بينما انتقل عدد آخر من السكان إلى مدينة وجدة (العاصمة الجهوية) بحثا عن وظائف جديدة، كما هاجرت مجموعة أخرى إلى أوربا.

عرف المركز بعض الانتعاش بين إحصائي 1971 و1982 بحيث ارتفع عدد السكان في الاحصاء الأخير إلى 2925 نسمة بزيادة سنوية متوسطة قدرها 2.5٪، ويرجع هذا النمو النسبي للسكان إلى كون نسبة مهمة من عمال الشركة المنجمية لتويست Compagnie minière de Touissit جعلت من مركز بوبكر "مركز منام" خاصة وأنه لا يبعد عن تويست إلا بثلاثة كيلومترات وأن الشركة تضمن نقل العمال. يرجع اختيار هؤلاء العمال لمركز بوبكر إلى وفرة المنازل الفارغة والشاسعة التي تركها السكان الذين غادروا المركز إلى مناطق مختلفة كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

أما النسيج الحضري لبوبكر فلا يختلف كثيراً عن باقي المراكز المنجمية الأخرى سواء المغربية أو العالمية. فمركز بوبكر يتكون من أحياء سكنية شيدتها الشركة بين سنة 1937 و1955 وهي تختلف حسب مستوى الطبقة العاملة. ويمكن تقسيم هذه الأحياء السكنية إلى ثلاثة أحياء متباينة وهي الحي العمالي وحي الأوربيين وحي الأطر العليا. يتألف الحي العمالي من منازل صغيرة جدا، تتميز بأزقتها الضيقة، وقلة التجهيز، أما الأحياء الأوربية وأحياء الأطر العليا التي تتسم بطابع معماري أوربي فهي عبارة عن فيلات واسعة مجهزة بكل وسائل الراحة وتخترق هذه الأحياء طرق واسعة تلتقي في ساحة فسيحة تحيط بها متاجر متخصصة وسينما ومركز البريد وبعض المرافق الأخرى التي كان يتردد عليها الأوربيون.

أثرت الأزمة بشكل واضح على توسع المركز إذ لم يعرف أي تطور يذكر منذ سنة 1969 إذا استثنينا التطور الضعيف الذي عرفه حي المقدم الطيب الذي شيد وفا بطريقة عشوائية. بل بالعكس خربت عدة أجزاء من الأحياء بعد رحيل الشركة وخاصة الجزء الجنوبي من الحي العمالي والجزء الشرقي من حي شراگة.

أما الأحياء التجارية فهي صغيرة وقليلة نحصرها في الحي التجاري الأوربي وهو اليوم مشلول، والمركز التجاري المغربي أو ما يطلق عليه "القيصرية" يقع بالحي العمالي وكان مخصصاً لبيع المواد الغذائية، ولكن بعد اغلاق المنجم أصبحت هذه القيصرية مشلولة أيضا، فجل الدكاكين مغلقة عدا خمسة منها لا زالت تحتفظ بنشاطها إلى اليوم. أما المركز التجاري الثالث الذي كان مخصصا لبيع الخضر والفواكه فهو اليوم عبارة عن خراب. أغلبية الدكاكين التجارية التي احتفظت بنشاطها وعددها ثلاثة عشر تتجمع بحي المقدم الطيب على الطريق الرابطة بين مركز تويست وحي شراگة العمالي وهي متاجر بسيطة وجزء كبير منها في حالة متدهورة.

لعب مركز بوبكر دوراً مهما من الناحية الاقتصادية في هذه الجهة من المغرب الشرقي، إذ أدى تطور استخراج معدن الرصاص والزنك إلى ظهور أنشطة صناعية مرافقة

كالمفاسل مما ساعد على إنشاء حيين صناعيين. أحدهما بالقرب من حي شراگة والثاني في وسط المركز. فكان الرصاص والزنك يغسلان ويصفيان في المغاسل قبل أن ينقلا إلى مسبكة وادي الحيمر التي تقع على بعد 15 كلم في الشمال الغربي لبوبكر وعلى الطريق الثانوية رقم 408 المؤدية إلى مدينة وجدة. ومن الملاحظ أن مركز بوبكر لم يشهد ظهور أي صناعة تابعة أخرى سواء عصرية أو تقليدية. وبعد نفاد المنجم رحلت الشركة بعد أن باعت كل الآلات المتبقية في الأحياء الصناعية. ولم يبق في بوبكر إلا بعض الآثار التي تشهد على أن المركز قد عرف صناعة استخراجية مهمة، وتتجلى هذه الآثار بالخصوص في النفايات التي تنتشر على مساحات شاسعة جداً والتي بقيت تشكل خطراً على سكان المركز.

أما الأنشطة الأخرى للسكان فتتجلى في كون عدد كبير من السكان النشيطين المشتغلين يعملون حاليا بمناجم بَدْيان وواد مَكْتة بمركز تويست. أما التجارة والخدمات فهي ضعيفة جداً وكذا التجهيزات العمومية والتي نحصرها في مدرسة موروثة عن شركة زليجة ومركز صحي. وبحكم موقع المركز على الحدود، توجد به ثكنة عسكرية مهمة ومصلحة للجمارك كما توجد به دار من أكبر دور العجزة بالمنطقة الشرقية حيث تؤوي أكثر من 150 شخصا. تهتم أقلية صغيرة من السكان بالفلاحة لأن المركز يقع في منطقة فقيرة فلاحيا. فجماعة تويست التي ينتمي إليها المركز لا تتوفر إلا على 6040 هكتار من الأراضي القابلة للفلاحة وهي تمثل 5،1٪ من أراضي الجماعة. وجل الأراضي المستغلة هي أراض بورية (93،6٪) وهي مزروعة بمغروسات حولية (شعير وقمح وذرة وخرطال) أما الأراضي المسقية فهي مخصصة للزراعات المعاشية. وعلى العموم يمكن القول إن الفلاحة في هذه المنطقة فلاحة احتمالية ولا يمكن للسكان الاعتماد عليها.

A. Essaddek, *Les petites villes minières du sud d'Oujda : étude géographique*, thèse de 3ème cycle, Tours, 1989.

عبدالحق الصدق

بوبكر، (مولاي ـ) ابن السلطان مولاي الحسن، هو الأخ الشقيق للسلطان مولاي عبدالحفيظ، أمهما هي العالية الشاوية. قام بدور كبير في نجاح بيعة أخيه عبدالحفيظ بمراكش في 16 غشت 1907 م. وكان الساعد الأيمن لأخيه في تهييء القوات لمواجهة أخيهما السلطان مولاي عبدالعزيز. ولما انتقل سلطان الجهاد من مراكش متوجها إلى بلاد الشاوية لمساعدة المجاهدين ثم احتلال العاصمة فاس، عين مولاي بوبكر خليفة بمراكش والجنوب المغربي. وقد بقي في وظيفته هذه إلى زمن الاحتلال الفرنسي سنة 1912.

وتجدر الإشارة إلى أن علاقة مولاي بوبكر، لم تكن على ما يرام مع الأگلاويين الذين كانوا تحت النفوذ الفرنسي، وخاصة منذ إعفاء المدني الأگلاوي من منصب الصدر الأعظم سنة 1911.

وثائق الخزانة الحسنية، الرباط.

علال الخديمي

بُوتاس، أو الأملاح البوتاسية، يستخرج ملح البوتاس أساساً من السلفين (Sylvine) والكرنليت (Carnallite).

السلفين هي أهم أملاح البوتاس (Kcl)، نظامها البلوري مكعب، صلابتها 2،0، كثافتها 1،2.2، لونها ضارب إلى البياض، أو الزرقة أو الحمرة، لمعانها زجاجي شفاف، أحيانا باهت. ويوجد السلفين في مكامن الملح الصخري الناتجة عن تبخر المياه المحلية الراكدة حيث نجده أحياناً مجتمعاً إلى الملح الصخري. يُكون هذا الأخير مع السلفين ما نطلق عليه اسم السفينيت.

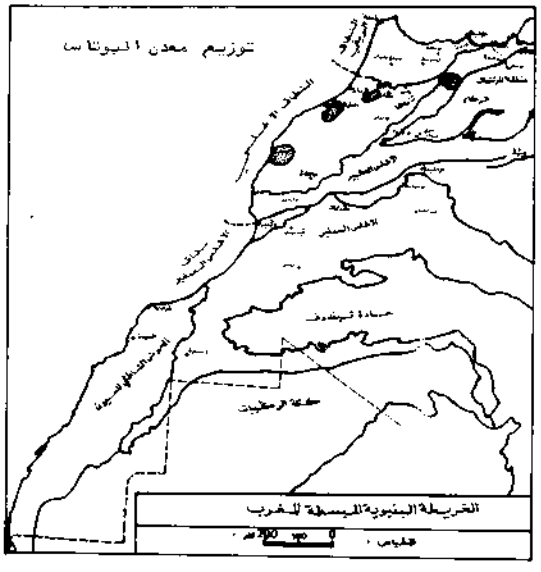

يُستعمل السلفين في الصناعة، وعلى الخصوص تهييء أسمدة البوتاس كالقينيت مثلا (Kaïnite)، وصابون البوتاس، ويُستعمل كذلك كعامل حفاز في إنتاج المطاط التأليفي.

الكارنَليت (منسوبة إلى فون كرنال، Von Carnall مهندس المعادن بألمانيا) هو ملح البوتاس والمانيزيوم المتموه ($Mg\ Cl_3K,\ 6H_2O$)، نظامه البلوري معيني مستقيم، صلابته 1،0، كثافته 1،6، لونه أبيض يميل إلى الحمرة، لمعانه شفاف، شديد التفسفر، مذاقه شديد المرارة. يُستغل الكارنليت كمادة أولية في صناعة البوتاس، والأسمدة المعدنية، ونشير هنا إلى أن الكارنليت ينتج عن توضعاتها تبخر المياه الملحية الراكدة كما هو الشأن بالنسبة إلى السلفين.

إن رواسب الأملاح البوتاسية بالمغرب متعددة في الثلاثي وفي الميوسيني وبخاصة في الأحواض الشاطئية المطلة على المحيط الأطلنطي (دكالة، برشيد، الخميسات) والتي وصلت فيها عملية التبخر إلى ترسيب الأملاح البوتاسية (الكارنليت) حيث أدت عملية التنقيب الجيولوجي بواسطة آبار في حوض الخميسات إلى التعرف

على احتياطي هام بنسبة 11٪ من ملح البوتاس، وفي حوض برشيد إلى التعرف على دلالات من الكرنليت والسلفينت في طبقات الثلاثي الأسفل.

عبد الله بوصحابة

بوتان پـول Buttin Paul، ولد في 27 / 2 / 1893م بسافوا العليا بفرنسا، حصل على الباكالوريا في الفلسفة ثم على الإجازة في الحقوق. وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى تم تجنيده فكان حظه أن أصيب بجروح بليغة في يوليوز 1915.

في يناير 1920، حل بالمغرب بعد أن أرشده إليه أحد إخوته الكبار العاملين بقطاع النقل في هذا البلد. ولم تشرف السنة على نهايتها حتى استقر بوتان بمكناس حيث اختار ممارسة مهنة المحاماة التي يؤهله لها تكوينه الجامعي.

عاين عن كتب السنوات الأخيرة التي قضاها الماريشال ليوطي بالإقامة العامة، ومن ثمة كان باستطاعته أن يلمس انحراف خلفائه عن نهجه السياسي. ولم يتردد بوتان، ابتداء من 1927 م، من التنديد بالسياسة المتبعة من طرف فرنسا بالمغرب، والرامية إلى تنحية المغاربة عن كل مناصب المسؤولية.

خلال الثلاثينيات، قام بوتان بالدعاية والترويج للجريدة الفرنسية *سبعة Sept* التي كانت تمثل تيارا مسيحيا ملتزما بقضايا عصره. وقد شكل من أجل ذلك "مجموعة أصدقاء سات" بمكناس. وبنفس الحماس والإخلاص، قام بوتان بمساندة مجلة *الوقت الراهن Temps Present* بعد أن توقفت *"سات"* عن الصدور.

في سنة 1939 م، انتخب پول بوتان، نقيبا للمحامين بفاس ومكناس، وشغل هذا المنصب حتى تاريخ استقالته (22. 3. 1944). ولقد اشتهر في كل مهامه لدى المحاكم بتشبثه بالدفاع عن كل من جعلته الظرفية السياسية في حاجة إلى ذلك، فدافع أيام نظام ڤيشي عن الدوگوليين والماسونيين والشيوعيين واليهود. وبعد أن أفل نجم ذلك النظام، دافع، إبان محاكمة مشهورة، عن Pierre Pucheu، أحد الوزراء السابقين في نظام الثورة الوطنية.

في كل هذه الحالات، وغيرها، كان بوتان يستنير بأدبيات مهنته ولم يكن يبالي بموضة العصر أو متطلبات الظرف.

وفي سنة 1944، أسس مجلة شهرية *"بلدان إفريقيا" Terres d'Afrique* الموجهة أساساً إلى المسيحيين الذين استوطنوا شمال افريقيا. وقد حفلت أعداد هذه الدورية بمقالات عبر فيها بوتان عن اقتناعه الراسخ بضرورة مراجعة المعمرين لتصرفاتهم اليومية ولضمائرهم حتى يكون التقارب المغربي ـ الفرنسي ممكنا.

كان بوتان مستعدا لتشجيع أي خطوة تقوم بها الأوساط الرسمية نحو ذلك الاتجاه. وهذا ما يفسر إصداره، في مارس 1946 لأسبوعية *Méditerranée* التي تجندت فيها الأقلام لمؤازرة السياسة الإصلاحية للمقيم العام الجديد لابون Eirik Labonne، وإذا كانت هذه المجلة قد اختفت في دجنبر 1946، فإن زميلتها *"بلدان افريقيا"* قد استمرت في مهمتها حتى ماي 1950. ولم تكن لهجتها الجريئة تنال رضى الأوساط الفرنسية المحافظة، خاصة غداة خطاب السلطان سيدي محمد بن يوسف بطنجة (أبريل 1947) عندما أخذ بوتان يبدي تعاطفا صريحا مع بعض طموحات الوطنيين المغاربة. وقد ازداد هذا التعاطف وضوحا في النصف الأول من الخمسينات عندما كان بوتان يقف أمام المحاكم للدفاع عن المعتقلين المغاربة. وكان موقفه هذا يدخل ضمن تيار ليبرالي أخذت تتحدد ملامحه في صفوف نخبة من الفرنسيين المقيمين بالمغرب. وفي مستهل 1955 م، نشر بوتان كتابا تحت عنوان *"مأساة المغرب Le Drame du Maroc"*، ضمنه انطباعاته وخواطره فيما يتعلق بمستقبل العلاقات المغربية ـ الفرنسية. ولم يتردد المؤلف في التأكيد بأن أنجع السبل للخروج من "المأساة" هي الاستجابة لطموح المغاربة نحو الاستقلال.

لما تحقق هذا الاستقلال، نهل بوتان من طاقته النضالية أفكاراً جديدة، فأسس مجلة *مُلتقى Confluent* الصادرة أولا بالرباط، ثم بعد ذلك بباريس، بدأت المجلة مسيرتها في أبريل 1956، وكانت منبراً للأصوات الداعية إلى تقارب مغربي ـ فرنسي وإسلامي ـ مسيحي.

ظل بوتان وفيا لاقتناعاته حتى فارق الحياة في 22 / 4 / 1966 م.

Terres d'Afrique, 1944 - 1950 , *Méditerranée*, Mars 1946, Décembre 1946 ; *Confluent*, Avril 1956, Avril 1967 ; H. Bleuchot, *Les libéraux français au Maroc 1947 - 1955*, Aix-en-Provence, 1933 ; P.- Buttin, *Le drame du Maroc*, Paris, 1955.

جامع بيضا

بُوتبّان، أسرة تطوانية أصلها من غمارة. والتبّان هو السروال الصغير، وكان جل أفراد هذه الأسرة ينتمون إلى الجندية بحامية تطوان سنة 1830/1246 مثل :

بُوتبّان، عبد القادر المدفعي.

بُوتبّان، عبدالكريم.

بُوتبّان، محمد البحار.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 7 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 212 . 214 . 355 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بوتَزُولْتْ، يعرف كذلك بإميني لوقوعه على واد إميني، رافد واد ورززات بالمنحدرات الجنوبية الشرقية للأطلس الكبير بجماعة أيت زينب دائرة أمرزگان، إقليم ورززات. وتزولت تعني الكحل، وكان معروفا بهذه المناطق، يظهر على شكل عروق سوداء على السطح يستعمل لتكحيل العيون وعلاجها. ارتبط تكوينه في وسط مائي حار بخط فوالق الحادث الكبير الجنوب أطلسي ومنطقة

اتصال كتلة سيروا وهامش القاعدة الإفريقية القديمة المكونة للأطلس الصغير، يوجد على شكل عدسات رقيقة أفقيه تقطعها فوالق مندسة في شقوق القاعدة قبل الكامبرية من الريوليت مغطاة بمواد ثانوية تنتمي إلى الكريطاسي والإيوسين تنتشر فوق مساحة 4.500 كلم^2 حول بوتزولت. والمنغنير مركب معدني رسوبي أسود يحتوي على 45 ـ 57٪ من المنغنيز المعدني وبعض العروق تأكسدت وتحولت إلى منغنيز كيماوي تحتوي على 92٪ من بيوكسيد المنغنيز وهي المستغلة حاليا لقيمتها وندرتها في السوق العالمية.

اكتشف المنقبون هذه المكامن سنة 1929 وبدأ الإنتاج سنة 1938 بمركز تيويت الذي يبعد عن إميني بـ 25 كلم في اتجاه ورزازات لكنه أغلق سنة 1968 لضعف نسبة المنغنيز. أما مناجم بوتزولت الواقعة قرب قرية صغيرة تعرف بهذا الاسم فقد شرع في استغلالها سنة 1946 وبنيت قربها منشآت إدارية وتقنية ومخازن وسكن مما كون المركز المعدني الأول لبوتزولت على بعد 16 كلم من الطريق الرئيسي رقم 32 الرابط بين مراكش وورزازات. وعندما تزايد الإنتاج (أكثر من 100.000 طن في الخمسينات) بني معمل لتركيزه بمكان اسمه تيمقيت على بعد 1.5 كلم من الطريق حيث نمت قرية عمالية كبيرة. أما المركز الإداري وسكن بعض الأطر التقنية فقد استقر بربوة على الضفة اليمنى لواد إميني قرب الطريق الرئيسي يعرف بأگُوگْ. وتعتبر مناجم بوتزولت ـ إميني من أغنى مناجم المنغنيز بالمغرب إذ تحتوي على احتياطي مؤكد يقدر بـ 5.5 مليون طن. وقد طرح نقله مشكلا لصعوبة عبور الشاحنات لفج تيزي ن تيشكا، فأنشىء ناقل هوائي (تيليفريك) طوله 28 كلم سنة 1951 ينقل المعدن عبر سلسلة الأطلس من أگلموس عند بداية طريق تيزي ن تيشكا إلى أربعاء تيغدوين بواد الزات الأوسط بالسفوح الشمالية، ويكمل المعدن طريقه على الشاحنات إلى مراكش ثم إلى ميناء أسفي أو الدارالبيضاء حيث يعالج بمعمل سيدي معروف قبل تصديره. وتوقف نقل التيليفريك سنة 1969 عند استعمال شاحنات قوية قادرة على عبور تيزي ن تيشكا. لقد تراجع إنتاج المنغنيز المعدني إلى أن توقف نهائيا في بداية السبعينات ولم يعد يستغل اليوم سوى المنغنيز الكيماوي الذي بلغ إنتاجه 47 ألف طن سنة 1989 (132 ألف طن سنة 1980). وتستغل المناجم من طرف شركة S. A. C. E. M. تساهم فيها شركة فرنسية و.B.R.P.M وS.A.C.E.M. ويستغل حاليا عرق غني بالمنغنيز الكيماوي على عمق 80 م سمكه 80 سنتم.

بلغ عدد العمال 281 عاملا سنة 1990 منهم ستون شخصا من الأطر المتوسطة والكبرى، يضاف إليهم 130 عاملا مؤقتا يعملون مع ثلاثة مقاولين لاستغلال مناجم ثانوية صغيرة بطرق تقليدية. تقع هذه المنطقة المعدنية بالمنحدرات الجنوبية للأطلس الكبير، الجافة أمطارها ـ 200 ملم / سنة. نادرة السكان تدخل ضمن مجال قبيلة تيدلي من مجموعة أيت واوزگيت، ليست بها مجار مائية مهمة ذات تربة بدائية حمراء أقرب ما تكون إلى مفتتات صخرية بها نباتات شوكية وأعشاب قليلة، ولا يزرع السكان الحبوب إلا في بعض المنخفضات التي تتجمع فيها التربة ومياه الفيض، فهي تكون مرعى طبيعيا لا بأس به للمواشي الصغيرة ترتادها مجموعات رعوية من أيت واوزگيت وغيرهم.

وقد ساهم الاستغلال المعدني في تكوين خلية استقرار ولو كانت مؤقتة تتكون من ثلاث نويات هي :

بوتزولت : أغلقت مناجمه القديمة لكن ما زال يوجد به مخازن وأوراش ومحطة كهربائية. توقفت سنة 1986، وقرية سكنية عصرية حسنة التجهيز كانت خاصة بالأطر الأوربية يوجد بها 140 مسكنا، منها 45 ڤيلا منتشرة على منحدر بين أشجار الأوكالبتوس يعلوها مركب ثقافي ومسبح وروض أطفال وكنيسة مغلقة، ويوجد أسفلها فندق للشركة ومركب تجاري ورياضي يقابلها فوق أكمة ثكنة عسكرية قديمة. ومنازلها مزودة بالكهرباء والماء الشروب الذي يأتي من قرية تزولت على بعد 9 كلم، بواد تيدلي، يسكنها حالياً أطر تقنية وبعض العمال كما يوجد بها خليفة القائد وبعض المخازنية ومدرسة ابتدائية.

تيمْڤِّيتْ : يوجد بها معمل لتركيز المعدن وأوراش وقريةَ عمالية كبيرة بها جزء قديم بنيت منازله في عهد الاستعمار على طريقة حديثة روعي فيها أصالة البناء المحلي، وأقسام جديدة بنيت في صفوف مستقيمة وبها مركب تجاري صغير ومدرسة. تضم 230 منزلا مزودة بالكهرباء والماء الشروب.

أُگُّوگْ : مركز إداري يوجد على بعد كيلومتر من تيمقيت يضم سكن الأطر العليا يتكون من إدارات وڤيلات قليلة وسط الأشجار. توجد قربه محطة التحويل الكهربائي ومحطة ضخ المياه من بئر بمجرى واد إميني لتزويد المعمل والقرى السكنية. من الصعب تحديد عدد العمال وبالتالي سكان المركز لأنه يزيد وينقص حسب ظروف الإنتاج والتسويق، وقد وصل عدد العمال إلى 1.200 في منتصف الستينات لكنه تناقص كثيراً بسبب تقلص الإنتاج ومكننة العمل وارتفاع المردودية التي يتقاضى عنها العمال منحاً إضافية. والكثير من العمال يسكنون في قرى بعيدة عن المركز. يعيشون وحدهم في منازل القرية العمالية. ويقدر سكان المركز بحوالي 1.200 نسمة، وعدد العمال بحوالي 400 عامل لكنهم يتركون العمل بسرعة إلى أنشطة أخرى لأسباب عديدة.

بحث ميداني في خريف 1990 ؛ معلومات من المدير الإداري لمنجم بوتزولت ـ إميني.

A. André et J. Le Coz, *Economie minière : Notice de l'Atlas du Maroc*, Rabat, 1961 ; P. Oliva, *L'activité minière au Maroc en 1967*, *R.G.M.*, N° 19, 1961 ; R. Fosset, *Situation et avenir du manganèse marocain*, *R.G.M.*, n° 19, 1969.

أحمد هوزالي

البوتشيشي ← **البودشيشي**

بُوتفّاح، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمر،

وكان من بين أفرادها :

بوتفّاح، المصطفى بن الهاشمي فقيه توفي سنة 1901/1319.

بوتفّاح، محمد عالم توفي سنة 1838/1357، ومازالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 19 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزو حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بُوتكين بْيوتر، سرگييفتش Botkin Piotr Sergueievitch دبلوماسي روسي، ابن عم الأديب الشهير بوتكين فاسيلي آتي الترجمة. عينته الحكومة الروسية وزيراً مقيماً وقنصلاً عاماً لبلاده في المغرب سنة 1906 خلفا لباخيراخت، وبقي يشغل هذا المنصب في مدينة طنجة إلى غاية 1912.

بُوتكين فاسيلي، بْتـــروفتْش Botkin Vassili Pétrovitch فيلسوف وأديب روسي قام برحلة إلى مدينة طنجة سنة 1954 وكتب عنها دراسة على صفحات مجلة سوفرمينّك Sovremennik، كما خصص لنفس المدينة فصلا كاملا في مذكراته التي عنوانها *رسائل عن إسبانيا* المنشورة في سان بترسبورگ سنة 1857.

ت. موساتوفا، *روسيا ـ المغرب : ماضي بعيد وقريب في نفس الوقت*، موسكو 1990.

بوتُوتْسكي يان، Potocki Jan، أديب وعالم وتاجر من أصل بولوني، ولد في فارسوفيا سنة 1761، يحمل الجنسية الروسية بعد تقسيم بولونيا سنة 1795.

قام بوتوتسكي في الفترة الممتدة ما بين 1784 و1805 بعدد كثير من الأسفار في كل من أوروبا وبلدان حوض البحر المتوسط والشرق الأقصى وشمال افريقيا. فزار المغرب سنة 1791 وخصص لرحلته هذه كتابا يعتبر مرجعاً ثمينا للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالمغرب في أواخر القرن الثامن عشر.

دوّن بوتوتسكي في هذا الكتاب مذكراته حول الناس الذين لقيهم والمدن والمناطق التي زارها مثل طنجة وتطوان وأصيلا والعرائش وسلا والرباط حيث استقبله السلطان مولاي اليزيد. وعنوان هذا المؤلف الذي كُتب أصلا باللغة الفرنسية وطبع سنة 1792 بفارسوفيا : *رحلة إلى الامبراطورية المغربية قام بها يان بوتوتسكي عام 1791*.

J. Potocki, *Voyages en Turquie, en Egypte, en Hollande et au Maroc*, Paris, 1980.

عبدالرحيم العطاوي

بُوالتُّومَات، أحمد (الحاج ـ) بن عبد المالك بن موسى الإنزگاني الحاحي، يعتبر هذا الرجل ذاكرة شاهدة على أحداث عصره بما ساهمْ فيه من وقائع وما حضره من مواقف تاريخية تمتد من المرحلة السابقة للحماية، وفي عهد الحماية، وتطورات ما بعد الاستقلال، فقد امتد به العمر قرنا من الزمن.

ولد بمدينة إنزگان حوالي سنة 1294 / 1877 من أسرة تنتمي إلى منطقة حاحة الجنوبية، حيث عرفت تلك الأسرة باسم "أُوموسى" بقبيلة إداوتْغُمَّا (*المعلمة*، 1 : 222) مع القوافل التجارية، واستقر لدى عائلة الگسيمي التي تتولى القيادة، وتزوج من أسرة أيت بوحسن التي تولت المشيخة فيما بعد. وقد نشأ أحمد بو التُّومَّات في ظل أسرة تدور في فلك أيت القايد التي ترتكز القيم فيها حول السلطة واستعمال القوة، وتأثرت نشأته بهذا الاتجاه، فلم يهتم بالتعليم، وتركزت شخصيته على الجسارة وركوب الخيل والرماية، ومن ثم أصبح شابا يافعا اشتهر بسداد الرأي وبذهنية يقظة وبجرأة نادرة في خوض المعارك، امتهن التجارة في أوائل عهده، ومن خلالها تعرف إلى شخصيات كثيرة فربط إنزگان / گسيمه بالمثلث الحضاري الجنوبي : تارودانت والصويرة ومراكش.

وكانت عائلة أيت القايد الگسيمية في حاجة إلى أمثال هذه الشخصية تستفيد من آرائه ومن شديد جرأته. عاصر المراحل المضطربة التي عاشتها مراحل تأسيس مدينة إنزگان (*المعلمة*، 3 : 834) قبل الحماية، وتحدث إلينا عن كثير من الأحداث التي شاهدتها المنطقة فيما سماه بالصراعات الأهلية الناشئة عن "السيبة"، بين القبائل، وخاصة ما نشأ حول تولي القيادة بقبيلة گسيمة، ويذكر أن تولى القيادة وظيفة قديمة في أسرة الگسيمي، وتعود إلى القرن الثامن عشر حيث توجد لدى العائلة ظهائر إسماعيلية، كما تحدث عن مشاهداته حول وضعية سوس في أعقاب وفاة السلطان مولاي الحسن عام 1311 / 1894، وقال "بمجرد موت السلطان مولاي الحسن، وكان قد جاء إلى سوس مرتين، وقع التشريد لكثير من قواده على سوس فخُربت دورهم ونهبت أموالهم وخربت دور الشيوخ، باستثناء الگسيميين لم تخرب دورهم لأنهم استعانوا بأهل هشتوكة وهوارة لحمايتهم" واسترسل في روايته الشفوية (1972) يقول : "وبعد هذا التخريب عين السلطان مولاي عبد العزيز وصيفه الباشا حمو على تارودانت، وكان قائدا على مكناس من قبل، وامتدت سلطته من تارودانت إلى جميع السهول حتى إنزگان وأگادير" فاستطاع توطيد الأمن في أرجاء سوس : "فقام الباشا حمو بجمع سبعين من رؤساء الفتنة وقطع رؤوسهم وعلقها في ساحة (أسراگ أوراغ) بتارودانت لمدة أسبوع ثم نقلت لتعلق في مراكش، وكان يرسل أحمالا من السلع تحملها الجمال إلى أگادير بدون حراسة دون أن يتعرض لها أحد، فتأكد إذ ذاك من شيوع الأمن في هذه البلاد".

وفي فترة الزحف الفرنسي للسيطرة على ربوع المغرب بعد فرض معاهدة الحماية سنة 1330 / 1912، شرع أحمد بوالتُّومَّات يتحدث عن مساهمته الفعلية ضمن حركة أحمد الهيبة، وقد ازداد حماسا، فقال : "في عام ثلاثين عربي ـ

يقصد التاريخ سابق الذكر ـ كنت في السادسة والثلاثين من عمري حينما حضرت مع أعيان إنزگان في حضرة أحمد الهيبة في تيزنيت وقد كانت لي صحبة سابقة مع أخيه (مربّيه ربّه بن الشيخ محمد فاضل) بسبب وجودي مع القواد الگسيميين وبسبب الاتجار، فعرف بي وأدخلني لدى أحمد الهيبة الذي عرض علي الذهاب معه إلى مراكش بقصد الجهاد، وقد قبلت فكلفني بفرقة من المجاهدين إلى جانب القائد الناجم الأخصاصي وكان هو قائد الطبجية يشرف على اثني عشر مدفعا كان أصلها من أنگلترا.

ولما وصلنا إلى مراكش وقبت الاستعدادات قصدنا سيدي بوعثمان، وتحدث كثيرا عن وصف ذلك اللقاء في لهجة مليئة بالحسرة، ولم يذكر أي عدد للمجاهدين واكتفى بالقول : بأن "معركة سيدي بوعثمان ضد الفرنسيين معركة المغاربة جميعا اشترك فيها الصحراويون والسوسيون والدكاليون والعبديون وغيرهم ..." وعن التنظيم ذكر أنه تم تقديم ثلاثة فيالق عسكرية من المجاهدين تتبعها الدواب ثم النساء والأطفال، ووصف الجانب الفرنسي بأنه أكثر قوة، وكانت قوته تتمثل في كثرة المدافع وعنفها. قال : "بدأت المعركة في الصباح وكان دويُّ المدافع قويا، وكانت الخيل لم تألف هذا الهدير، فقد أطلق أربعين طلقة مدفعية انزعجت منها الخيل وهاجت واستعصى كبحها، فكلما كان اللجام غير قوي تقطع وجمحت الخيول بركّابها وكثر الرعب ووقع الانكسار والهزيمة، واندفعنا إلى مراكش التي وصل إليها النصارى في اليوم الثاني، فأقفلت الأبواب وأصبحت المدافع تضرب الأبراج، ورجعنا مع أحمد الهيبة عن طريق تاحناوت ثم مولاي إبراهيم وعبر تيزي نتاست وصلنا إلى تارودانت حيث التقى بنا الحاج حيدة بن مايس قائد تارودانت" وتخلص إلى أن أحمد الهيبة لم يبق في مراكش غير خمسة عشر يوما ثم بقي في تارودانت ستة أشهر انتقل بعدها إلى أسرسيف ثم إلى كردوس حيث مكث إلى أن توفي. وقبل أن يفضي برأيه في أحمد الهيبة قال : "لقد كنت أدخل عليه وأخرج في كل وقت دون أدنى تكلف وأتحدث إليه في كل شيء، إنه لا يعرف أي شيء من أمور المال والسياسة، إنه رجل صالح لم يفارق الصلاة ولم يشتغل بملذات الحياة، وقد استصحب معه العلماء ـ ذكر الأمثلة ـ لأخذ البيعة له من أهالي مراكش ولكن الأعراب أشاعوا التخريب في قصر الباهية، ورخص لهم المهر فكان ثمنه فرنكا ونصف الفرنك خوفا من إفشاء نكاح الحرام".

وشاهد بوالتُّومّات كيف انقلبت موازين القوى في منطقة سوس بعد الانهزام في سيدي بوعثمان، وبالخصوص في أگادير وإنزگان، وكان الهيبة قد عين نائبا عنه على مدينة أگادير قبيل الحماية، وأرسل أربعمائة فارس لمنع نزول الجيش الفرنسي بأگادير بينما كان قائد إنزگان وقبيلة گسيمة محمد بن عبد الرحمان بن الحاج العربي المؤيد لحركة الهيبة يسيطر على هذه الجهة. وفي 15 ذي القعدة 1331 / 16 أكتوبر 1913 بدأ الأسطول الحربي الفرنسي يضرب أگادير والدشيرة وإنزگان، وقد حكى بوالتُّومّات كثيراً من التفاصيل عن دخول الاستعمار إلى هذه المنطقة ومشاهداته للقذائف التي كانت تُسقط الأبراج في كل من الدشيرة وإنزگان، فاستطاع الجيش الفرنسي الدخول إلى قصبة أگادير وقرية (فونتي) بعد أن أخرج منها جنود أحمد الهيبة.

"وفي هذا الظرف ـ يقول ـ ذهب محمد بن الحاج الحسن الگسيمي فاتصل بالفرنسيين على متن الباخرة ـ الفرگاطة ـ بأگادير وتسلم قيادة إنزگان ثم بعد ذلك تولى باشوية أگادير. حينما تولى محمد الگسيمي كان في حاجة إلى تنظيم جهازه الإداري، وشرع تحت حماية الاستعمار في مسلسل مارس فيه كثيراً من العنف خلال الاثنتي عشرة سنة التي دام فيها حكمه قبل عزله ونفيه إلى الدار البيضاء سنة 1341 / 1925 (*المعسول*، 14 : 191).

وفي تلك الأثناء كان (محمد أگسيم) في حاجة إلى شخصيات ذات كفاءات أمثال بوالتُّومّات الذي تمرس بالمعارك وخوضها بشجاعة نادرة، وكان لا يتهيّب أثناء الحركات للتعرض للرصاص. وقد أصيب جسمه بالرصاص تسع مرات (من رواية ابنه محمد) ولهذه المزايا عينه الگسيمي في البداية "مخزنيا" عوناً وترقى حتى كان يسمّى "الخليفة" : النائب، لأنه كان ينوب عن الگسيمي في مهمات الأمور سواء على المستوى المحلي أو في الاتصال بالقواد في المنطقة، أمثال قواد هشتوكة الدليميين، أو خارجها أمثال : القائد خُبّان بالصويرة. وكان بوالتُّومّات حريصا على عدم ذكر كثير من التفاصيل عن القائد الگسيمي مكتفياً بالقول بأنه كان (شديد) يعاقب كل شخص بما يستحق، ومن لا يفعل شيئا لا يخاف شيئا، وعلى الرغم مما أسداه بوالتُّومّات للقائد الگسيمي من خدمات طوال حياته القيادية فإن الگسيمي أمر من يقوم باغتيال بوالتُّومّات، وكان يومئذ قد عزل، ولم ينج بُوالتومات إلا لكونه فر إلى بلاد حاحة حيث أقام سنة كاملة حسب رواية ولده محمد.

كان بوالتُّومّات شديد الكراهية للاستعمار وجهازه الإداري، ويتذكر كل ممارساتهم العنيفة تجاه السكان بدءاً بأول حاكم في أگادير القبطان (لي پيير) إلى حاكم إنزگان فيما بعد القبطان (أُولْوا) الذي ذكر كيف كان تعسفه في إعادة تخطيط إنزگان بحيث تخترق الأزقة أواسط الدور انطلاقا من باب دائرة إنزگان من الشرق في اتجاه الغرب، وإحداث أزقة أخرى من الجنوب إلى الشمال بشكل متعامد، فتخربت كثير من الدور وبقيت الأمتعة خارجها، وكان ذلك في أحد أعياد الأضحى بعد الحرب العالمية الثانية دون أن يذكر التاريخ.

وبخصوص المقاومة الوطنية ضد الاستعمار في إنزگان قال : "عندما نفى الاستعمار محمد الخامس أصاب الناس حزن شديد وأضربوا عن كل شيء حتى عن الأضاحي التي تعتبر من السنّة. "ولما سألته عن أسماء بعض الأشخاص

الذين اشتركوا في المقاومة المسلحة في إنزگان وسوس استعمل الإجابة التي تدل على مدى حنكته وتخلصه من المزالق فقال : "كل الناس قاموا بالعمل الفدائي ليرجع الملك، أما الفدائيون فقد ماتوا جميعا".

وهكذا كان الحاج أحمد بوالتُّومَّات ـ كما عرفناه بعد الاستقلال ـ رجلا مهيبا محبباً للصلاح ملازماً لصلاة الجماعة، وكان يتمتع بمركز اجتماعي جعله أحد أعيان إنزگان المرموقين، وقد خلّف أربعة أبناء (اثنان منهم ذكران وعشرات الأحفاد، وتوفي ـ رحمه الله ـ بإنزگان في تاسع ربيع الأول عام 1396 / 11 مارس 1976.

مذكرات شفوية من المرحوم أحمد بوالتومات سنة 1972 ؛ *مذكرات شفوية* عن ولده بوالتومات محمد سنة 1992 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 14 : 191 ؛ *معلمة المغرب*، 1 : 222، 3 : 834.

عمر أفا

بوجيبرة، أسرة من قبيلة جبل حبيب كانت بتطوان إلى غاية سنة 1890/1307، وكان من بين أفرادها من يشتغل بالتطبيب، ولعل اسم الأسرة له علاقة بمهنة أفرادها.

وقد انقرضت بتطوان في أوائل هذا القرن.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

بُوجَدَّين، أسرة وقرية وزاوية. موطن الأسرة بقبيلة بني توزين الريفية، استقرت بموضع القرية المعروفة بنفس الاسم منذ منتصف القرن العاشر (16 م) على أقل تقدير دون أن نعرف المكان والجهة اللذين انتقل منهما الجد الأول. ولفظ بُوجَدَّين لقب خص به جد الأسرة الثامن، الشيخ المرابط محمد بن عبد الله. ربما لمكانة جده من أمه المدفون بتازا، مضافاً إلى ما عرف به جده من أبيه من الصلاح ببني توزين.

والمرابط محمد هو واسطة عقد من نعرف من الأسرة، مؤسس فرع الزاوية الناصرية. توفي قبل عام 1202 / 1787، وهو التاريخ الذي أمر فيه السلطان محمد بن عبد الله بهدم زاويته وروضته وروضة والده، وترحيل أفراد الأسرة إلى مكان نجهله. ومنذ ذلك غابت أخبارهم إلى أن ظهروا بموطن أجدادهم في مستهل القرن الرابع عشر (أواخر القرن 19 م) بصفتهم مقدمي الأسرة، يتمتعون باعتبار الحسن الأول، ولهم نفوذ ديني وسياسي بالريف الشرقي. نعرف منهم أحمد بُوجَدَّين (قبل 1301 / 1783) والمختار بن محمد بُوجَدَّين (1301 / 1307)، وابنه محمد (1308 / 1309) ومحمد بن أحمد 1309...). ولا تزال الأسرة محتفظة بنفس الاسم العائلي إلى الوقت الراهن.

ومن تكاثر أفراد الأسرة والملتفين حولها وحول الزاوية، نشأت قرية بُوجَدَّين بعد اندماج التجمعين القديمين المتمثلين في كل من إوَرْدِيغَن (ورديغة) وإمَرْشُوشَنْ (مرشوشة) في محيطها الإداري. ففي آخر القرن التاسع عشر كانت القرية مؤلفة من 300 كانون، إذا صدقنا ما جاء به أوغست موليبراس (A. Moulieras). أي ما يوازي تقريباً 1.500 ساكن. والقرية مندرجة اليوم بفرقة بني بَلْعيز، دُورُها محيطة بزاوية بُوجَدَّين.

ويعود اشتهار الأسرة والقرية معاً إلى ظهور زاوية بُوجَدَّين. مبناها واقع وسط القرية بين إوردِيغن وإمرشوشن على ارتفاع 1.132 متر. اختير لها موضع مشرف على حافة شمالية شرقية من جبل إسَكُوْوَعْفِيفْ. تنبع بالقرب منها ووسط القرية حمة ساخنة، ظلت مصدر التبرك والاستشفاء للزائرين الوافدين عليها من مختلف جهات الريف خاصة.

يرتبط تأسيس الزاوية بظهور المرابط محمد بن عبد الله بُوجَدَّين وتسلمه زمام مشيخة الناصرية ببني توزين، وذلك قبل عام 1197 / 1782، تاريخ وفاة شيخه يوسف بن أحمد الناصري (1157 ـ 1197). وبقي بتلك الصفة إلى حين وفاته قبل عام 1202 / 1787. وعلى الرغم مما يبدو من تأسيس الزاوية على يد المرابط محمد بُوجَدَّين، فإن وجود الزاوية ودخول الناصرية إليها سابقان لظهور شيخ بني توزين. فرسالة تزكيته وتعيينه تبين أن شيخ تامگروت يوسف بن أحمد كان قد عين ابنه عليها نائبا عنه بزاوية بني توزين في حياة عبد الله والد محمد بُوجَدَّين، أي في الوقت الذي كان فيه محمد على الأرجح بتامگروت يتابع هناك دراسته، منهمكا في التمكن من تعاليم الطريقة الناصرية.

وحينما تأكد الشيخ يوسف من أهلية تلميذه أذن له بالتوجه إلى موطنه وبيده الكتاب التالي : "ليعلم الواقف عليه ومن انتهى أمرُه إليه من جميع الإخوان والفقراء والطلبة والأحبة وجميع الأعيان من بني توزين وغيرهم من النواحي، حاضرة وعموداً عموماً وخصوصاً، داخلا وخارجاً. أننا ولينا، إن شاء الله، الأحب الأرضى الأعز الاحظى، وليّنا في الله سيدي محمد بُوجَدَّين، يذكّر الناس ويعظ الجاهل، ويلقّن الأوراد مَن أحب. فقد أذناه في ذلك إذناً عاماً، لكونه معدن الأسرار، وقلبه سالم من الأقذار، وألبسناه ملابس البها، حتى يذكر بلساننا، وينظر بعيننا، له مالنا، وعليه ما علينا، يجب له من التعظيم والاحترام والتوقير ما يجب لنا، فدمُه دمُنا، ولحمه لحمنا، فمن تعرض له في شيء أو آذاه فلا يخافن إلا نفسه، فالعاقبة نصب عينيه والأشياخ في أثره. فقد ولبناه مكان سيدي علي...". ولما كان التعيين غير مؤرخ، فإننا نرجح أنه على الأقل صادر في آخر حياة الشيخ يوسف، أي قبل عام 1197 / 1782.

ويبدو من جهة أخرى أن محمد بُوجَدَّين قد وجد بني توزين وغيرها من جهات الريف مستعدة لتقبل الناصرية، وبذلك أصبحت زاويته مقصد الزوار الريفيين. إلا أن تحركاته بدأت تثير شكوك مخزن سيدي محمد بن عبدالله، مما دفع السلطان إلى تجريد حملة ضد الزاوية إثر وفاة محمد بُوجَدَّين، كلّف بها القائد العباس السفياني، كان ذلك في أوائل رمضان عام 1202، ولا شك أن عودة الأسرة إلى موطنها بعد تخريبها خلال ما تبقى من حياة السلطان، إذ

أننا نعلم أنها كانت بموطنها خلال عهد السلطان المولى سليمان تمارس مهمتها، ولكنها لم تنجُ من بطش السلطان وخلفائه. فحينما داهمت قوات المولى سليمان بني توزين أوقعت بزاوية محمد بُوجَدِّين، ودفع ما وجد فيها من المال ونحو خمسين قنطاراً من الحبوب. وسار السلطان عبد الرحمن بن هشام وابنه محمد على منواله. ولم يظهر شيء من ذلك على عهد الحسن الأول الذي وجد في مقدمي الزاوية ونقباء الأسرة أعواناً له لاستقرار أوضاع القبيلة خاصة والريف الشرقي بصفة عامة.

م. الضعيف، *تاريخ*، 194، 345، الرباط، 1986 ؛ *مراسلات مخزنية خاصة ؛ ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 92 ؛ *جائزة الحسن الثاني للوثائق* 1980.

A. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, 1 / 113.

بُوجَدِّين، المختار بن محمد، المرابط الطالب الفقير، أحد أحفاد الشيخ محمد بُوجَدِّين، مؤسس فرع الزاوية الناصرية ببني توزين، أصبح مقدم الزاوية ونقيب الأسرة البوجدينية سنة 1301 / 1883، إثر وفاة قريبه أحمد بُوجَدِّين، وبقي بنفس الصفة إلى غاية سنة 1308 / 1891، ليحل مكانه ابنه محمد. وتأكدت لنا من خلال فترة إشرافه على الزاوية عودة دور زاوية بُوجَدِّين إلى الظهور على عهد الحسن الأول. فقد حاول المرابط المختار، في نطاق رعاية مصالح الأسرة والزاوية والملتفين حولها، الاحتفاظ بالسلطة المحلية بيد أسرة بُوجَدِّين لتسيير شؤون ثلث مشيخة بني بلعيز من فرقة إغَرْبِيِّين الجبل. وقد تم تعيينه على ذلك القسم عام 1301 / 1883، لوقف أطماع جاريه حميدو التوزاني ومحمد بوزيان التوزاني المعيَّنين على فرقة إغَرْبِيين الوطا. وقد نتجت تدخلاته ضدهما على انتزاع بني تعبان التوزانية لابن عمه محمد أمغار التوزاني. وعلى غرار ما كان يقوم به رجال الزوايا من الوساطة أبدى عطفه على أسرة عبد السلام التفرسيتي لدفع تعديات العربي الوليشكي، قائد بني وليشك خلال هذه الفترة عن الأسرة. وحينما فشلت مهمة الوساطة ضد ما كانت تقوم بعض جماعات بني توزين بمساعدة المطالسة، كتب إلى السلطان الحسن الأول المراسلة التالية :

"وبعد فإن بعض الفُسَّاد من بني توزين الذين تحزبوا مع المطالسة لما قُرئ عليهم كتاب سيدنا، الذي فيه النهي عن تحزبهم بحضوري، استكبروا وتبعوا هواهم، وهم : أولاد إبراهيم بن علّ وأولاد القاسم وأولاد مَلول. فبدعوته سلط الله عليهم النقمة في القريب بسبب العداوة مع إخوانهم بني بُييير، فقتلوا منهم ثمانية رقاب وأكلوا مالهم وهدموا ديارهم. وبعد هذا لم ينتهوا، بل صاروا يذبحون في أسواق المطالسة، وساكنوهم وصاروا كواحد منهم. فالأصلح للجانب العالي بالله يوظف على الفُسَّاد خمسة آلاف ريال : ثلاثة آلاف ريال على بني ملول، وألف على أولاد إبراهيم بن علّ، وألف على أولاد القاسم. في 13 ربيع الأول 1308".

وحينما تضارب الرأي بالبلاط المخزني في المقادير التي يجب أداؤها للمخزن من طرف قبائل الريف، استشار الحسن الأول المختار بُوجَدِّين في الأمر، فرد إليه الجواب متضمنا القائمة التالية " يوظف على قلعية 40.000 ريال ؛ بني سعيد 10.000 ريال ؛ تمسمان 9.000 ريال ؛ بني وليشك 8.000 ريال ؛ تافرسيت 6.000 ريال ؛ بني توزين 8.000 ريال؛ أجزناية 9.000 ريال ؛ بني وريا غل 9.000 ريال ؛ وأبدى رأيه في تحرير الشرفاء من الواجبات المخزنية قائلا : "يعلم سيدي لا تخلو قبيلة من المدعين للشرف. وإذا كانت دار واحدة شريفة في القبيلة، ينحاز إليها جل القبيلة للتحرر. فإذا وظف على القبيلة عشرة آلاف ريال يسقط منها الثلث لقاء الداعين. فإذا أراد سيدنا جميع المال فلا يحرر أحد، لأن هذا زكاة وأعشار. في 4 رمضان 1301".

وثائق مخزنية خاصة.

حسن الفگيگي

بوجدور، رأس يقع على خط العرض 26 درجة شمالا بقاطعة الساقية الحمراء، ويبلغ ارتفاعه على سطح البحر نحو 60 مترا، وكان يعد من طرف البحارة الأجانب الحد الأقصى للملاحة إلى أن اجتازه للمرة الأولى البحار البرتغالي گونْثالو فيلهو كابرال Gonzalo Velho Cabral سنة 1416.

وإلى أوائل هذا القرن كان بوجدور يعد النقطة الفاصلة بين ناحية الساقية الحمراء وناحية وادي الذهب، ولا أدل على ذلك من أنه عندما فكرت إسبانيا في بسط نفوذها على شاطىء الصحراء المغربية الموالية للجزر الخالدات وأصدرت بلاغها المؤرخ في 26 ديسمبر 1884 أعلنت أن حمايتها على الشاطىء المذكور تمتد من رأس بوجدور شمالا إلى الرأس الأبيض جنوبا، كما أنه تم التوقيع على أول معاهدة إسبانية فرنسية بخصوص اقتسام المغرب بين الدولتين في 27 يونيو 1900 ذكرت المعاهدة أن مقاطعة وادي الذهب تحد برأس بوجدور شمالا والرأس الأبيض جنوبا.

وهناك رأس آخر يقع شمال رأس بوجدور يعرف برأس حَرْبَاز عند المغاربة وبفَالْسو كابُو بوجدور Falso Cabo Bojador (رأس بوجدور الغير الحقيقي) عند الإسبان.

A. Domenech Lafuente, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946 ; A. Flores Morales, *El Sahara Español* ; I. Camero Ruiz, *Vocabulario geografico-saharico*, Madrid, 1955 ; T. Garcia Figueras, *Santa Cruz de Mar Pequeña : Ifni, Sahara*, Madrid, 1941.

محمد ابن عزوز حكيم

** كان رأس بوجدور يعتبر خلال القرون الوسطى، وإلى حين تغلب البرتغاليين على الصعوبات التي كانت تطرحها الملاحة جنوبه، بداية "بحر الظلمات". فحتى سنة 838 / 1434، لم يستطع أحد تجاوز رأس بوجدور في اتجاه الجنوب والعودة من هناك. فمن بين المحاولات التي تمت، وصلتنا أصداء محاولتين فاشلتين، قام بالأولى جنويان، الاخوان ڤيڤالدي Vivaldi اللذان انطلقا سنة 690 / 1291 في رحلة بحرية قصد الوصول إلى الهند عبر المحيط Ad partes

Indiae por Mar Oceanum، غير أنهما لم يعودا. وقام الكطلاني J. Ferrer في غشت سنة 1346، برحلة بحرية قصد الوصول إلى "وادي الذهب" الذي كانت الخرائط الأوروبية تشيد بوفرة التِّبر به. ومما لا شك فيه أن محاولات أخرى سبقت أو تلت المحاولتين المذكورتين. فقد أنفق هنري الملاح أموالا طائلة للتغلب على رأس بوجدور، وتم له ذلك بعد اثنتي عشرة سنة من المحاولات الفاشلة، أي إلى أن استطاع خديمه جيل يانس Gil Eanes سنة 838 / 1434 تجاوز الرأس والعودة منه، فاتحا بذلك في وجه البرتغال، الذي كان في أمس الحاجة إلى الذهب والعبيد، منطقة "غينيا" الغنية.

وبالطبع، لا عبرة بما أوردته المصادر العربية عن أسباب استحالة تجاوز رأس بوجدور. وقد أعطت كتب الرحلات البرتغالية خلال القرن التاسع (15 م) وبداية القرن التالي صورة عن الصعوبات الطبيعية التي كانت تحول دون عودة السفن من جنوب بوجدور، والتي أكدتها الدراسات الحديثة. فرأس بوجدور يوجد بعيداً عن سوس بحوالي 800 كلم، وهذه المسافة صحراوية، تكاد تنعدم بها المياه والنباتات، مما يفرض التزود بكميات هائلة من الأقوات والماء ذهابا وإيابا، أي لمسافة تبلغ على الأقل 1.600 كلم. كما أن المنطقة كثيرة الضباب، وتعرف تيارات (تيار الكناري) تحول حسب تعبير الاخباري البرتغالي E. Zurara دون العودة في اتجاه سوس، ويقل عمق المياه كثيراً بمحاذاة الساحل. لذا لم يتم التغلب على هذه العقبات إلا بمعرفة جيدة للمنطقة، وبالتخلي عن وسائل وطرق الملاحة بالأبيض المتوسط، أي باعتماد مركب شراعي، وبالابتعاد عن الساحل وقت الاتجاه جنوباً بحوالي أربعين كيلومتراً للوصول إلى عمق مقبول. أما في حالة العودة إلى البرتغال، فإن السفن كانت تبتعد عن التيار والرياح المعاكسة بالاتجاه غربا وشمال ـ غرب، حتى أرخبيل الأسُور، قبل التحول نحو البرتغال.

لم تستفد بوجدور من الكشوف الجغرافية، ومن تحول الطرق التجارية الدولية نحو المحيط، وذلك للعوامل الجغرافية السابقة الذكر. ولم تعرف بوجدور نمواً حقيقياً إلا بعد جلاء الإسبان عنها والتحاقها بالوطن الأب.

E. Zurara, *Cronica de Guiné*, Lisbonne, s.d., chap. VIII et IX. Pacheco Pereira, *Esmeraldo*...., p. 70 - 72 ; P. Chaunu, *L'expansion européenne*..., Paris, 1969, p. 138 - 139.

أحمد بوشرب

** يمثل رأس بُوجْدُور بين رأس جوبي (طرفاية) شمالا وشبه جزيرة الداخلة جنوبا، أكثر نقط ساحل الصحراء المغربية تقدما داخل المحيط الأطلنتي، ومن ثم أتت أهميته كمعلم رئيسي يهتدي به البحارة والصيادون منذ القديم، على طول هذا الساحل القفر.

وقد حفل النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) بمحاولات متكررة وعمليات شتى ذات طابع استكشافي أو تجاري، وأحيانا عسكري، قامت بها بعض الدول الأوربية، بصفة رسمية أو عبر مبادرات خاصة، تهدف إلى السيطرة على ساحل الصحراء المغربية. وكان رأس بوجدور وما حوله، من بين الأماكن الأولى التي شهدت عمليات النزول الأوربي. وبحكم وجودها بالجزر الخالدات، فرضت إسبانيا نفسها كأنشط قوة في المنطقة، بحيث استدرجت الدول الأخرى (خاصة منها فرنسا وبريطانيا وألمانيا)، في خضم المساومات الجارية آنذاك بينها لاقتسام العالم، إلى الاعتراف لها بحقوق خاصة هنا. ففي عام 1884، صدر قرار عن الحكومة الإسبانية يقضي بوضع كل الأراضي الممتدة بين وادي نون والرأس الأبيض (حيث توجد الگويرة ونواديبو حاليا) تحت نفوذ إسبانيا ومراقبتها. وبعد ثلاث سنوات صدر مرسوم عن ملك إسبانيا ألحق بموجبه هذا الساحل، وعلى عمق 150 ميل، بالسلطات الإسبانية المستقرة بالجزر الخالدات.

غير أن الوجود الإسباني لم يبتعد كثيراً عن الساحل والأراضي الخلفية المباشرة له. فالسيطرة على الجهات الداخلية لم تتم بالفعل إلا في نهاية الثلاثينات من القرن العشرين. وعلى عكس مقاطعتي الساقية الحمراء شمالا ووادي الذهب جنوبا، حيث أدى الاحتلال الإسباني إلى ظهور بعض أشكال الاستقرار والتعمير والاستغلال الاقتصادي العصري، خاصة خلال الستينات وبداية السبعينات، فإن منطقة بوجدور الواقعة في الوسط، لم تحظ بأي اهتمام يذكر.

وقد فرض استرجاع المغرب لصحرائه سنة 1975 العمل على النهوض بها لا سيما وأن بها امكانيات وموارد طبيعية لا يستهان بها. ومن أجل إبراز خصوصيات المنطقة والمساعدة على تنميتها، أنشئ هنا إقليم إداري قائم بذاته، مقره مركز بوجدور.

** يقع إقليم بوجدور بين خطي العرض الشماليين 26 د و27 د ونصف، وخطي الطول الغربيين 12 د و15 د، يحده المحيط الأطلنتي غربا، وموريطانيا شرقا، وإقليما العيون وسمارة شمالا وإقليم وادي الذهب جنوبا. وبذلك تبلغ مساحته نحو 40.000 كلم2، أي 15٪ من مجموع الصحراء المسترجعة.

يتألف الإقليم من ثلاث وحدات تضاريسية كبرى، تنتظم بصفة موازية مع ساحل المحيط. فعلى طول هذا الأخير، يمتد سهل منخفض، يظل سطحه دون 200 م، يغلب عليه منظر الانبساط، مع انتشار الكثبان الرملية وبروز نتوءات صخرية منعزلة، كما تتعدد، من جهة الداخل، أحواض صغيرة دائرية الشكل، يغطي قعرها المستوي طبقة رقيقة من التربة الرملية والطينية تدعى "بالگرارات" لها أهمية فلاحية كبيرة. وتنفتح أحيانا منخفضات واسعة، تغمرها مياه السيل فتتحول إلى سباخ بفعل التبخر وتوضُّع الأملاح. أما الساحل فإنه يتخذ شكلا مستقيما وينتهي بأجراف صخرية قائمة، كما تتخلله منخفضات طولية، محصورة بأشرطة رملية تتسرب إلى داخلها مياه البحر.

أما الوحدة التضاريسية الثانية، فهي هضبة واسعة، عبارة عن حمادة مكونة من طبقات كلسية سميكة، وهي التي تحتوي على مذخرات الفسفاط في منطقة بوكراع شمالا (إقليم العيون). وأخيراً، في جهة الشرق، تنتصب كتلة زمور ذات الصخور القديمة والسطح المتموج على شكل تلال ومتون يصل ارتفاعها إلى 650. 700 م.

رغم كون المناخ صحراويا في مجموع الأقاليم، فإنه يسجل اختلافات جهوية محسوسة تبعا للبعد أو القرب من البحر. فالجهات الساحلية تتميز بهبوب رياح بحرية خفيفة عادة، لكنها تشتد أحيانا لتنتج عنها عواصف رملية عنيفة. وغالبا ما تكون السماء غائمة هنا، خاصة في الصباح، مع تكرار حالات الضباب، مما يقلل من قوة التبخر. ونظرا لرطوبة الجو العالية (80 إلى 90٪)، فإن تساقط الندى يحدث في المعدل بين 25 و30 ليلة في السنة، الشيء الذي يعوض نسبيا ضعف الأمطار التي لا تزيد عن 50 إلى 60 مم في العام. أما الحرارة، فتبقى معتدلة مع فوارق بسيطة طيلة السنة. ففي بوجدور يتراوح المعدل الشهري بين 18 د في فبراير وماي، و22 درجة في غشت، بينما يصل معدل الحرارة السنوية العليا 29 د ومعدل الحرارة الدنيا 13 د.

وعلى بعد 20 إلى 40 كلم من الساحل، حسب الجهات، تتناقص بسرعة مؤثرات البحر الملطفة لتتلاشى تماما في الداخل، حيث يكون أديم السماء صافيا وتنزل نسبة رطوبة الجو إلى أدنى من 30٪ مما يزيد من معدل الإشماس (3.000 ساعة في السنة مقابل 2.500 ببوجدور)، وتتعمق الفوارق الحرارية اليومية والسنوية. وتتقلص كميات الأمطار فوق الحمادة إلى ميلمترات معدودات تسقط بضع مرات في السنة على شكل وابل عنيف ومركز، لتزيد من جديد في هضبة زمور بسبب الارتفاع.

وبحكم سيادة الجفاف طيلة السنة، وكذا هبوب الرياح الصحراوية (إرفي)، فإن الغطاء النباتي هزيل جداً على العموم، إلا في موقعين : في الجهات الساحلية حيث يساعد تهاطل بعض الأمطار وأكثر من ذلك، وفرة الندى، على نمو أعشاب ونباتات شوكية مختلفة، خاصة في الگرارات والأحواض ثم في گلتة زمور التي تعرف أوديتها تكاثف النباتات العشبية مع بعض الأشجار مما يعطي منظرا يحاكي منظر منطقة الساحل السوداني.

إلى جانب العشب، يمثل الماء العنصر الأساسي لحياة الأنعام والسكان. فإذا كانت كل الأودية جافة، لا يجرى بها الماء مؤقتا إلا إثر تهاطل وابل من المطر، فإن المهمة منها تحتفظ ببعض الجريان الباطني لمدة أطول. وتنبعث جل الأودية من مرتفعات زمور (واد الخط، الساقية الحمراء) التي تتوفر أيضا على أهم تجمع مائي سطحي دائم (الگلتة)، وقد مثلت دائما نقطة رئيسية في تحركات القوافل التجارية والرحل. كما أن هناك سُدُماً جوفية متفاوتة العمق والقيمة، ماؤها عذب أحيانا وأُجاجٌ أحيانا أخرى، تغذي عدة آبار، خاصة بالمناطق الساحلية التي تحمل بالفعل اسم "الحسيان" (ج حاس = بئر).

إن هذه الظروف الطبيعية العسيرة، السائدة بالصحراء الغربية عموما، لا تشجع على استقرار السكان وازدهار العمران. لذا فإن الحياة البشرية هنا ظلت تعتمد على الرعي والترحال، مستغلة الموارد المائية والنباتية المحدودة، المتقطعة في الزمان والمتفرقة على مجال جد فسيح. فهذا الإقليم يدخل ضمن مناطق تنقل قبائل الركيبات التي دأبت منذ قرون على التحرك مع قطعان الإبل التي تمدها باللبن (عماد التغذية اليومية، مع الشاي والتمر والشعير) وتسمح لها بالمتاجرة عبر كل المجال الممتد من وادي درعة شمالا إلى نهر السنغال جنوبا، ومن المحيط غرباً إلى تندوف وأطار في الداخل.

إلى جانب الركيبات الواسعة الانتشار، نجد بناحية بوجدور قبائل أولاد تيدْرارين، وبناحية زمور قبائل أولاد دليم، التي كانت تشتغل هي الأخرى بالتجارة وتربية الإبل، إلى جانب تربية الأغنام والماعز نظراً للوفرة النسبية في الماء والكلإ التي تميز هاتين المنطقتين، إضافة إلى ممارسة زراعة الشعير في الگرارات والأحواض والأودية.

ولم يقلل الوجود الإسباني، المنحصر في بعض الثكنات العسكرية والمراكز الواقعة على الساحل أساسا، من أهمية تحرك هذه القبائل. فظلت بوجدور في الغرب، وگلتة زمور في الشرق من بين أهم المحطات الواسعة على طرق القوافل. إلا أن الحرب التي اندلعت في أعقاب استرجاع الصحراء من طرف المغرب واستمرت طويلا، قد وضعت حدا لحياة الترحال مرغمة السكان على الاستقرار بالمراكز والمدن.

وقد سمح البناء التدريجي للجدران الأمنية باعادة الاستقرار إلى المنطقة، ومن ثم باستئناف حياة الرعي، بأشكال جديدة، وبتطوير الفلاحة وبنمو العمران وازدهار الصيد البحري. فعدد السكان لم يكن يزيد عن أربعة أو خمسة آلاف نسمة قبيل استرجاع الصحراء، ارتفع إلى نحو 8.500 حسب إحصاء 1982، ليناهز 14.000 في 1990. مع ذلك يبقى إقليم بوجدور أقل الأقاليم الصحراوية المغربية تعميراً وتمدينا، إذ أن متوسط الكثافة السكانية العامة يقل عن 4 أشخاص في كل 10 كلم2 ويعيش جل هؤلاء السكان في مركزين هما گلتة زمور وبوجدور.

فالأول ، الواقع قرب الحدود الموريطانية، كان يضم نحو 2.500 نسمة في سنة 1974. إلا أن ظروف الحرب جعلت غالبية السكان يلتجئون إلى المناطق الشمالية والغربية الآمنة، فلم يُحصَ بالمركز إلا 625 نسمة في سنة 1982. أما بوجدور، فلم يكن به أكثر من 590 نسمة سنة 1974، لكن عودته إلى التراب الوطني وترقيته إلى عاصمة إقليم جديد وتدعيمه بالعديد من المنشآت الأساسية والمرافق العمومية كانت عوامل أدت إلى توافد السكان إليه، فارتفع عددهم إلى 3.600 سنة 1982.

** تقع مدينة بوجدور على بعد 170 كلم إلى الجنوب الغربي

من العيون، وقد نمت أصلا انطلاقا من منارة للملاحة أقامها الإسبان سنة 1953 على ساحل الرأس الذي تحمل اسمه، نشأت بجانبها ثكنة عسكرية وبعض البنايات الخفيفة. وغداة الرجوع إلى المغرب، انطلقت عدة أعمال عمرانية هامة : بناء محطة لتحلية ماء البحر (1976)، إقامة مولّدين كهربائيين يعملان بالديزل، توسيع وتجديد شبكتي الماء والكهرباء، مد قنوات التطهير والطرقات، فتح عدة أوراش للبناء، توزيع قطع أرضية على الأسر، استقرار المصالح الإدارية الإقليمية، تشييد المسجد الكبير ومدارس وإعدادية ومركز للتكوين المهني ومستشفى بطاقة 30 سريراً (1987)، الخ...

كما أدى النمو السريع للسكان إلى استغلال المياه الجوفية الواقعة في ضواحي المدينة التي تنتظم حالياً حول نواة مركزية بها المنشآت الإدارية والعمومية، وتتوسع تدريجيا نحو البحر، أي في اتجاه الميناء الذي يمثل القلب الاقتصادي للاقليم. ذلك أن ميناء بوجدور هو الوحيد الذي يوجد بين ميناء العيون والداخلة على ساحل مديد تزخر مياهه بواحدة من أكبر الثروات السمكية في العالم. فمرور تيار بحري بارد (تيار الخالدات) بصفة موازية مع الساحل ينشئ هنا أحسن الظروف لوفرة العلق وبالتالي لتكاثر مختلف أنواع الأسماك والقشريات. وقد دأبت جماعات من الأهالي (خاصة منهم إمْزاگن والشّناگلة)، منذ قديم، على ممارسة أشكال بدائية من الصيد قرب الشاطئ، بدون قوارب، مستعملين شباكا بسيطة يعترضون بواسطتها سبيل أسراب السمك المتنقل.

وقد عمل المكتب الوطني للصيد البحري على تشجيع الصيادين المحليين وذلك بمنحهم مساعدات مادية وتقنية تمكنهم من الحصول على قوارب جيدة وتزويدها بالمحركات حتى يستطيعوا الابتعاد عن الساحل وتحسين مردودية نشاطهم. كما دفع بالصيادين إلى أن ينظموا أنفسهم في تعاونية تساعدهم على شراء حاجاتهم وتسويق إنتاجهم في ظروف تضمن لهم مستوى عيش أفضل. ومن جهة أخرى، شُيِّد حاجز يقي القوارب من الأمواج وجُهِّز الميناء الجديد ببعض المرافق الضرورية للعمل. وهكذا أصبح الصيد وما يتفرع عنه من أنشطة التجارة والنقل والخدمات، أهم قطاع لتشغيل سكان المدينة التي يدنو عددهم من 10.000 نسمة سنة 1990.

أثر هذا النشاط بعمق في حياة السكان المحليين، إذ أن السمك غدا عنصرا أساسيا في تغذيتهم، والإنتاج الأساسي للتسويق الداخلي والتصدير، علاوة على أن الصحراويين، الذين طالما أداروا ظهرهم للبحر في الماضي، أصبحوا يرتبطون بهذا الأخير ارتباطا شديداً. ويمكن أن يزيد تأثير البحر ومنتجاته على اقتصاد المدينة والإقليم إذا ما توفرت الظروف والوسائل لاستغلال أفضل للمذخرات السمكية الهائلة القريبة التي تظل هبة تتهافت عليها الأساطيل الأجنبية الوافدة من كل أنحاء العالم، والمجهزة بأحدث وسائل وتقنيات الصيد والتبريد والتصنيع المتطورة.

وأمام تزايد سكان المدينة وتوسع وتنوع سوقها الاستهلاكية، وقع الاهتمام بالزراعة الصحراوية، فاستصلحت عدة گرارات وأحواض قريبة من بوجدور، على مساحة إجمالية تناهز 10.000 هكتار، يُحرث جزء منها بالجرار ويُزرع بها الشعير. كما خصصت بعض المساحة المسقية بالمدينة لإنتاج الخضروات. وأنشئت وحدات لتربية الماشية، وجلبت أعداد من الإبل للاستفادة من المراعي المحلية ... كذلك يسعى المسؤولون إلى تنمية السياحة الصحراوية المعتمدة على القنص نظراً لتنوع الوحيش بالمنطقة. وأخيراً يدعم دور بوجدور كمرحلة عبور أساسية بين العيون والداخلة اللتين تربطهما طريق رئيسية.

تحريات ميدانية.

عبداللطيف فضل الله

بوجعران، أو أبو جعران أو أم جعران، ويسمى في المعاجم جُعَل، وجلاّلة، وقلقولة. جنس حشرات Insecta من الخنافس السوداء مغمدات الأجنحة Coleoptera ومن فصيلة الجُعليات Scarabaeinae التي يفوق عدد أنواعها الألف في العالم.

تدعى كل الأنواع في المغرب بوجعران وخنفوس وزرنان في المناطق الشرقية. تعيش كلها على براز الحيوانات العاشبة وتقتات يرقاتها من الروث الذي يخفيه الزوجان في جحور تحفرها في الحقول وتساهم بهذا في تسميد التربة بالمواد العضوية.

من أشهر الأنواع الجُعل المقدس Scarabeus sacer المسمى بالفرنسية Scarabé sacré وبالأنجليزية Sacred beetle. يبلغ طوله 25 ملم ولونه أسود لامع، الجناحان أملسان وغير مخطوطين، ينتهي الفكان بأسنان دائرية تساعده على قطع البراز. تتميز الأنثى بغياب المبيض الأيمن لديها. يتعاون الزوجان في صنع كرة صغيرة من البراز يتراوح قطرها ما بين 15 و40 ملم ويسيران بها مسافات طويلة ليضعاها داخل جحر عميق ويقسمانها قطعا صغيرة لتضع الأنثى بيضة في كل منها. تتغذى اليرقة من هذه القطعة وتنمو فيها.

يضم جنس القلقولة Géotropes عدة أنواع في المغرب يتراوح طولها ما بين 12 و25 ملم، أشهرها Géotropes vernalis، لا يتعدى طوله 18 ملم، الأجنحة ملساء، غير مخططة، سوداء مخضرة اللمعان.

يبلغ طول Géotropes stercorarius 25 ملم. جناحاه مخططان، لونه أزرق مسود معدني اللمعان، البطن بنفسجي.

تطير هذه الأنواع في الغروب والشروق وتحدث صوتا قويا يسمع من بعيد. تقوده حاسة الشم القوية إلى مكان براز الحيوانات العاشبة ويحفر الزوجان مباشرة تحت مكان الروث لتضع فيها قطعا إجاصية الشكل من البراز وتضع الأنثى في كل منها بيضة. يتراوح عمق الجحر ما بين 20

و90 سم وكثيرا ما تشعبه الأنثى لتضع في كل منتهى قطعة من البراز.

بوجعران شائع في جميع أنحاء المغرب ووجوده مرتبط بالحيوانات العاشبة.

المعلوف أمين، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

M. Pintoine, *Coléoptères carabiques du Maroc*, Mem. Soc. Sc. Nat. Phys. Maroc, Série zoologie, 9 fascicules, 1955 - 1961; L. Kocher, *Catalogue commenté des coléoptères du Maroc*, Trav. Inst. Sc. Cher., Série zoologie (12 Fascicules), 1956 - 1962 ; *Grande Encyclopédie Alpha des Sciences et Techniques, Zoologie* II, 117 - 119, 1984.

نجاة الخياطي

بوجلود (باب ـ)، أحد أبواب فاس اللافتة للأنظار بهندستها وزخرفتها وجمالها. وأهميته تأتي أيضاً، من كونه أقرب الأبواب إلى فاس الجديد والقصر السلطاني، بحيث كان هو المدخل العادي لمن يأتي من تلك الجهة للمدينة. وأصبح في العصر الحديث هو الباب الذي يلج منه السواح، في الغالب، إلى فاس بقصد زيارتها، لكن من الواجب التذكير، بادئ ذي بدء، بأن الباب الجميل الحالي ليس هو الباب التاريخي لقصبة بوجلود. وقد أخطأ جملة من الكتاب والمؤرخين حين اعتقدوا أنه من الأبواب الأثرية وأكدوا أنه من أقدم الأبواب في أسوارها القديمة.

إنه الباب الذي أنشئ في أول عهد الحماية الفرنسية سنة 1913. وقد كان الباب التاريخي يقع على يساره، وهو على شكل عادي في صورة حربة، وقد أغلق وظل مغلقاً إلى اليوم، وكان يُدعى باب القصبة القديمة كما ورد في *نشر الثاني*، إشارة إلى قصبة المرابطين.

أما الباب الحالي فهو ذو ثلاث فتحات مزخرفة بالزليج الأزرق الفاسي من الواجهة الخارجية وبالأخضر من الواجهة الداخلية، وقد تحرى مهندسوه الفرنسيون أن يحاكوا النماذج المغربية التقليدية فجاء على شاكلتها، وبذلك اشتهر في العالم وقُدم في النشرات السياحية، وتوهم الكثير أنه من مخلفات الماضي.

والحقيقة أن ذلك الباب أثار مشاعر الفاسيين الذين كانوا ساخطين على نظام الحماية الاستعماري، فسموه باب النصارى وتشاءموا منه، ورفض البعض أن يجتازوا تحت قوسه، برغم كون الفرنسيين سموه "باب الأمة". وعلم الفرنسيون بهذا التذمر العام، فاستعملوا وسائل السلطة، وكان من جملة التدابير التي لجأوا إليها أن أغلقوا باب القصبة القديم. وكما ورد في مقال للأستاذ عبد القادر زمامة "تناسى الناس اسم باب النصارى، لكنهم لم يستعملوا باب الأمة، وإنما استعملوا باب بوجلود أو باب أبي الجنود". وقد فسرنا في مادة "قصبة بوجلود" الآتية أصل هاته التسمية.

وهذا الباب له أهميته في نشاط المدينة العام، فهو كما بيّن لوتورنو يدخل في محور مهم هو محور باب محروق ـ بوجلود ـ المركز، فيتصل مباشرة بالشارعين التجاريين الكبيرين اللذين يخترقان المدينة : الطالعة الكبيرة والطالعة الصغيرة، حيث توجد القيساريات والأسواق وعدد من الحرف التقليدية. وهو، على أي حال، أحد الأبواب الثلاثة التي كانت تمر منها تجارة فاس وهي باب عجيسة وباب فتوح وباب بوجلود.

ومن الناحية الاجتماعية يقع باب بوجلود في حي شعبي حيث يكثر البيطريون، والفنادق، وأصحاب المطاعم البسيطة، والمقاهي. وكان صفار القوم وحدهم مع الأسر التي مازالت لم تستقر بعد بفاس هم الذين يقبلون هذا الجوار الصاخب، العامي، الكريه الرائحة، المواتي للمغامرات (لوتورنو، *فاس*، ص. 324).

ولعلها في المشروعات العمرانية الجديدة الهادفة لإنقاذ مدينة فاس كإحدى الحواضر التاريخية في العالم ستدخل في أطوار أخرى.

بوجلود، (قصبة ـ) بناها يوسف بن تاشفين في شمال مدينة فاس. لكن قبل التعريف بها، من الواجب التحقيق في هذا الاسم بوجلود الذي ارتبطت به، وأصبح لاصقا بها. والحقيقة أنه اسم لم يرد في المصادر التاريخية قديمها وحديثها، فلا ذكر له لا في *المعجب* ولا عند البيذق ولا عند ابن عذاري وابن خلدون وابن الخطيب وابن أبي زرع، ولا عند المؤرخين الذين كتبوا في عهد السعديين والعلويين. بل هنالك اختلاف حتى في كتابة هذا الاسم، إذ منهم من دعاه أباالجنود أو أباجمود.

وكل هذا يدل على أن الاسم ليس بقديم. وفي مقال للأستاذ عبد القادر زمامة اجتهاد محمود في تحقيق هذا الاسم. فبالرجوع إلى الحوالة الخاصة بالقرويين المدعوة بالإسماعيلية ذكر *عرصات أبي الجلود وعرصة بوجمود*. فهي كما ورد في المقال "بقعة جميلة أحاطت بها الأشجار والمياه وامتلك الناس بها على ممر العصور الحدائق الغناء، وغرسوا بها الأشجار والرياحين بين فاس المرينية وفاس الإدريسية" ومن دون شك إن هذا الاسم اشتهر منذ أواخر القرن الثاني عشر (18 م) باشتهار جنان بوجلود الذي بنيت فيه عدة قصور منذ عهد السلطان اليزيد. فيكون هذا الاسم، إذن، حديثا والنسبة إليه حديثة.

وكما ذكرنا، في الأول، فإن يوسف بن تاشفين هو باني القصبة بفاس. وقد عانى الكثير من أجل فتح المدينة. وذكر *روض القرطاس* أنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها إلا في الفتح الثالث الذي جرى سنة 462 / 1070 وقتل من أهلها عددا كثيرا. وعندئذ قام بإصلاحات عمرانية كبيرة منها هدم الأسوار التي كانت تفصل بين عدوتي القرويين والأندلس وجعلها مدينة واحدة. وأمر ببناء المساجد وأجبر سكان الأزقة والأحياء على بناء المساجد فيها، و"بنى الحمامات والفنادق والأرحاء، وأصلح أسواقها وهذب بناءها وأقام بها إلى شهر صفر سنة ثلاث وستين وأربعمائة".

وإذا كان *القرطاس* لا يذكر القصبة، فقد تحدث عنها صاحب *الاستبصار* قبل ذلك بقرنين على الأقل، حين ذكر "قصبة السلطان" وأشار إلى وجود جامع بها "لأن القصبة

منحازة عن البلد بسور، فوجب أن يكون فيها جامع" (ص. 181). والمصدر الذي ترك لنا وصفا مسهبا للقصبة هو الحسن الوزان، فهو يذكر أن القصبة أسست أيام لمتونة، مشيراً بذلك إلى يوسف ابن تاشفين. وكانت مساحتها كبيرة مثل مساحة مدينة. وكانت واقعة بجنب سوق السراجين وصناع الرماح. فيتوسطها "شارع في غابة الجمال يمتد من الباب الغربي إلى قصر مشيد تسكنه أخت الملك أو غيرها من أقاربه" (ص. 240).

وحديث الوزان هنا يعني عهد الوطاسيين، إذ كان معاصرا لهم، لكن القصبة في أصلها كانت هي المركز السلطاني في المدينة، تبعا لنمط المدينة الإسلامية مثل بغداد وقرطبة. وهو ما يؤكده الوزان حين يقول : "وقد كانت قديما مقر إقامة عمال فاس وأمرائها قبل أن تصبح المدينة عاصمة المملكة" (ص. 248)، مما يعني أنها قامت بهذا الدور في عهدي المرابطين والموحدين.

لكن، ألا يتناقض ذلك مع ما أورده *روض القرطاس* من كون عبد المومن أمر بهدم سور فاس وأحدث فيه ثلمات كثيرة ومسافات وقال : "إنا لا نحتاج إلى سور، وإنما الأسوار سيوفنا وعدلنا"، ويضيف نفس المصدر أن عبد المومن انتقم من فاس التي قاومته بإطلاق السيل عليها بعد أن حبس النهر فكان ذلك سببا في هدم سورها وهدم ألفي دار من بيوتها.

إنهما روايتان تحتاجان إلى شيء من التحقيق، لأنهما لم تردا في كل المصادر. وعلى فرض أنهما صحيحتان، فهذا لا يعني أن عبد المومن خرب القصبة التي كانت مقر السلطان، وإنما سلط انتقامه على الأحياء السكنية. وهو ما يتماشى مع المنطق. على أن الموحدين عادوا في أيام المنصور والناصر فأصلحوا ما خرب جدهم. فيذكر الجزنائي في *زهرة الآس* أن المنصور أمر ببناء ما هدمه جده "وكمله ولده أبو عبد الله محمد الناصر وبنى قصبة الوادي التي بها الآن" (ص. 43).

وبناء القصبة، من جديد، قد يفهم منه أنها خربت أو أنها قد بليت وتهدمت بفعل الزمان بعد أن مضى على بنائها ما لا يقل عن قرن ونصف. وأنا أميل إلى الفهم الأخير. وبنوه الجزنائي بما أدركته فاس في عهد المرابطين والموحدين بالعبارات التالية :

"وانتهت مدينة فاس في أيام المرابطين والموحدين من بعدهم من الغبطة والعمارة والرفاهية والدعة والأمن والعافية ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب، لا سيما في أيام المنصور الموحدي وولده محمد الناصر" (ص. 43).

فنفهم من هذا الكلام أن فاس استكملت كل وسائل تحصينها في عهد الموحدين ومنها القصبة. والالحاح على هذا الموضوع يدل على أن فاس كان لها دور عسكري خاص، كما أدرك ذلك لوترنو Le Tourneau وسنعود من بعد للموضوع.

لكن، هل عرفت القصبة تطورات أخرى في عهد المرينيين ؟ يجيبنا الوزان على ذلك بأن ملوك بني مرين منذ أن أسسوا فاس الجديد سنة 674 / 1276، تخلوا عن القصبة التي تحولت إلى دار إقامة للوالي. لكن، يظهر أنها دخلت في طور من التدهور منذ ذلك الحين إلى أن فقدت الكثير من معالمها في مستهل القرن العاشر (16 م) كما يشهد بذلك الوزان :

"وقد اندثرت معالم القصور التي كانت بها في أيامنا هاته وصار مكانها بساتين، ولم يبق منها سوى قصر واحد يسكنه العامل، وأبنية أخرى لأسرته. وهنالك أماكن خاصة مجهزة بمقاعد، يعقد فيها العامل جلساته للنظر في القضايا والحكم بين الناس. وتضم القصبة كذلك سجنا مبنيا على شكل كهف، سقفه معقود على أعمدة عديدة. وهو فسيح جدا يمكن أن يسع ثلاثة آلاف شخص، ليس فيه أية درج مفصولة أو سرية، لأنه ليس من العادة بفاس أن يوضع أحد في زنزانة. ويخترق القصبة جدول لحاجات العامل والترفيه عليه" (ص. 248).

وبالجملة، فالقصبة عرفت عهدا من النمو والازدهار في عهد الدولتين المرابطية والموحدية، فكانت مدينة بكل معنى الكلمة بمسجدها وأسواقها وشارعها الجميل الذي يخترقها، لكن مع تقلص دورها في عهد المرينيين، اندثر الكثير من أبنيتها وتحول إلى بساتين تتوسطها دار الوالي.

وقد ظل هذا شأنها، على العموم، في عهد السعديين والعلويين. لكن الشيء الذي يثير الانتباه، عند استعراض تاريخ القصبة، وهو الدور العسكري المهم الذي كان منوطا بفاس ودعا المرابطين والموحدين إلى الاهتمام بالقصبة. يقول لوتورنو في هذا الصدد :

"وأصبحت فاس، مع يوسف بن تاشفين، القاعدة الرئيسية لعملية أمبراطورية كبيرة، وامبراطورية حربية. فسواء تعلق الأمر بالزحف إلى الشرق، نحو تازا وملوية وتلمسان وحتى الجزائر، كما حدث ذلك من 1070 إلى 1082، أو أراد يوسف إخضاع قبائل الريف وجبالة وإماراتهما إلى سلطته، أو ذهب لإغاثة مسلمي إسبانيا المضطهدين من طرف المسيحيين، أو ذهب بعد ذلك بقليل لفتح إسبانيا المسلمة، فإنه كان يتخذ فاسا دائما كقاعدة أساسية، ولهذا الغرض بنى القصبة التي يمكن التعرف عليها بالحي الذي مازال يسمى بقصبة بوجلود. فكانت هذه القصبة مفصولة تماما عن باقي المدينة وتشرف عليها إشرافا مباشرا" (ص. 84).

ونضيف أن القصبة كانت أيضا أهم وسيلة للدفاع الداخلي عن المدينة التي بحكم موقعها وثرائها كانت تغري الفاتحين والمغيرين من كل الأصناف والمستويات. والتاريخ يقدم لنا أمثلة كثيرة على ذلك. وكان، بالطبع، لإنشاء هاته القصبة الكبيرة أثرها في الحياة الاقتصادية، إذا اعتبرنا أن الجيوش التي كانت تستقر بها، ولو لمدة محدودة، كانت تتزود منها كما كان لها انعكاسها على التطور العمراني للمدينة بما أدخلته من تغييرات على

تخطيطها الأولي.

وفي أيام السعديين لم يبق للقصبة أهمية عسكرية كبيرة، بعد أن بنوا قصبتهم بالمدينة الجديدة، المعروفة بقصبة بطاطحة، وبعد أن بنوا أبراجا بفاس الجديد وجعلوا جنب كل واحد منها قصبة لإيواء حراسه.

ورافق هذا التدهور المتواصل في دورها العسكري تحول الكثير من بقعها إلى أراضي زراعية كانت عبارة عن عرصات، دعيت عرصات بوجلود كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وهكذا اندثرت هاته القصبة، ولم يبق منها إلا بعض المعالم القليلة التي تدل عليها مثل الباب، والمدرسة البوعنانية التي بناها المرينيون قريبا منها، والجامع الجميل الذي بناه الموحدون ومطامير مرابطية.

ويذكر لوتورنو أن المثلث الواسع لبوجلود كان خاليا تقريبا مما أهله لأن يصبح مخيما لرجال القوافل أثناء مرورهم، وميدانا لأصحاب الحلقات من قصاصين وسحرة ومشعوذين الخ... ومن شواهد تلك المنطقة الخضراء التي تحول إليها معظم القصبة ذلك البستان العمومي الجميل المعروف بجنان السبيل والذي يعد من أروع منتزهات فاس. وسيأتي الحديث عنه في مكانه.

مجهول، *الاستبصار*، الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ع. الجزنائي، *جنى زهرة الآس*، الرباط، 1967 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، بيروت، 1983 ؛ لوتورنو، *فاس قبل الحماية*، بيروت، 1986 ؛ عبد القادر زمامة، *باب بوجلود بفاس*، *مجلة المناهل*، ع 13 / 1978.

محمد زنيبر

بوجلود (فولكلور) ← **بوبطاين**

بوجَدْيَان، قرية واقعة بجبل أهل سريف، فرقة بني إدريس، مستقرة عند جبل بوعلي 639 م. حول عين بوعمر، إحدى منابع واد وارور، رافد واد المخازن. يجاورها هناك عين سمان وباب الكبيرة ودار الواد.

عرفنا بوجود القرية برناردو ردريگس، صاحب *حوليات أصيلا* بمناسبة تعرضها لغارات البرتغاليين المنطلقة من طنجة وأصيلا سنة 951 . 952 / 1545. إذ أن القرية كانت طالع الجبل وحوز القصر الكبير، بالاضافة إلى أنها كانت نقطة تجمع فرسان المجاهدين، سواء وقت الهجوم البرتغالي أو أثناء إعداد الغارات على أصيلا المحتلة.

ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 350، 428، 436، 518، 529 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 58.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, p. 1 : 30, 31, 343, 382 ; 2 : 377, 381.

حسن الفگيگي

بوجمادي، اسم للقسم الشرقي من قبيلة أولاد بو السْباع عندما يقسمها وادي شيشاوة إلى شطرين. وهو سهل واسع يتراوح ارتفاعه بين 400 م و500 م. مع انحدار من الجنوب نحو الشمال وميل عام في اتجاه الوادي، وتربته فقيرة لأنها تحتوي في معظمها على قشرة كلسية. وقد وصف دوتي Doutté سهل بوجمادي عند اجتيازه القبيلة في بداية القرن العشرين بأنه عقيم مليء بالأحجار، ولهذا يطلق السكان على الجزء الذي يمتد إلى محاذاة مرتفعات إدويران اسم "الحرش" (*En Tribu*, 245).

وتنتشر الأراضي الخصبة في بعض المناطق المحدودة كالمُجُون شمال سهل بوجمادي المجاور لقبيلة تكنة وعلى ضفاف الوادي. وتتميز منطقة بوجمادي بوجود بعض المعالم التاريخية الدينية والمخزنية. ففيها قصبة ابن الشيگر مقر أول قيادة مخزنية في القبيلة، بناها مولاي أحمد بن الشيگر عندما عينه السلطان مولاي عبدالرحمان قائداً على السباعيين أواسط القرن الثالث عشر (19م). وتشمل منطقة بوجمادي عدداً من القرى نذكر من بينها قرية العوامر حيث تتميز دار القائد العربي السباعي بأبراجها الأربعة، وهو من الأعيان، كان في خدمة السلطان مولاي عبدالعزيز بمشور مراكش، وصار باشا في زناتة بعدما توفق هو ومن معه في إلقاء القبض على بوحمارة حوالي سنة 1909.

وتحتضن أيضا قرية الهلالات مقر قيادة القائد مبارك ابن البشير السباعي، بينما تعتبر قرية أولاد الزير معقل أسرة القائد علي بركاتو. وقد شيدت ببوجمادي زوايا ومدارس علمية ما زالت قائمة حتى اليوم، مثل مدرسة السعيدات، ومدرسة بوعنفير، ومدرسة أولاد عبدالمولى. وتوجد بها السوق الأسبوعية التقليدية التي كانت وما تزال تنعقد كل يوم جمعة.

خريطة القبائل 1949، مقياس 1/500.000 ؛ *خريطة إيمي ـ ن ـ تانوت* مقياس 1/100.000 ؛ *خريطة حدود قبيلة أولاد بو السباع وأهم قراها* ؛ *خريطة شيشاوة*، مقياس 1/200.000 ؛ م. ح. *كفناني*، *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*، د. د. ع. 1988 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*.

E. Doutté, *En Tribu*, Paris, 1914 ; M. et E. Gouvion, *Kitab Aâyane al-Maghrib L-Akça*, paris, 1939.

م. حسن كفناني

بوجمعة، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الخلط، وكان جل أفرادها ينتمون إلى الجندية حيث نجدهم يعملون بحامية تطوان سنة 1830/1246 مثل : بوجمعة، عبدالسلام المدفعي، بوجمعة، محمد البحار، ومازالت هذه الأسرة بتطوان.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 212، 213، 356 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بوجمعة، (الباشا ـ) بن مبارك المسفيوي باشا بني ملال الشهير. ولد بفخذة تَاسُّورْت من قبيلة مسفيوة، حوالي سنة 1885/1303، ونشأ كأبناء الفلاحين في عصره لا يقرأ ولا يكتب، وغادر مسقط رأسه وهو ابن ست عشرة سنة لينخرط كجندي في جيش مولاي عبدالعزيز بفاس، وظهر نبوغه العسكري ضمن جماعة من الشبان الذين ترقوا

سريعاً في درجات الجندية إلى أن أصبحوا قادة مرموقين، ثم تقلدوا مهام سامية في تسيير شؤون البلاد قبيل الحماية وبعدها، مثل محمد بن بوشتى ابن البغدادي الذي أصبح باشا فاس، وإدريس بن بوشتى الذي تقلد مهام أمين صائر العسكر.

جاء بوجمعة بن مبارك إلى بني ملال في حدود سنة 1913/1332 كخليفة لبوعودة قائد تادلا. لكن هذا الأخير لم يلبث أن توفي فسمى بوجمعة مكانه باشا بني ملال وقائد أيت الربع (مجموعة من قبائل تادلا) وعامل تادلا. فكانت إيالته شاسعة تشمل السهل والجبل، واتخذ لذلك منزلين، أحدهما ببني ملال يقيم به أربعة أيام والآخر بقصبة تادلا يقيم به ثلاثة أيام من كل أسبوع.

كان الباشا بوجمعة متدينا كريماً متعففاً لا يشتم أحداً، تجاني الطريقة، بنى زاوية بجوار منزله ببني ملال يؤدي فيها الصلوات الخمس مع الجماعة، وداراً للضيوف يأوي إليها عابرو السبيل فيطعمون فيها ما مكثوا من الأيام دون أن يسألوا عن هويتهم أو اتجاههم، حتى إذا عزموا على الرحيل أعطاهم مقدم الدار شيئاً مما بيده من مال زكاة حرث وأنعام الباشا بوجمعة. وكان منظما في أعماله يجلس للنظر في أحوال الناس صباحاً و مساء، ويتناول الطعام مع ضيوفه، ويمكث مع أهله بين الظهرين في مباسطة ومفاكهة اشتهر بهما. وكان إذا جاء إلى الرباط في الأعياد وغيرها من المناسبات الرسمية أقام بمشهد سيدي العربي ابن السايح وتردد على منزلي صديقيه الحاج عبدالرحمان برگاش باشا الرباط، والحاج محمد الصبيحي باشا سلا.

ولما توفي الباشا محمد ابن البغدادي عُرضت على الباشا بوجمعة باشوية فاس فرفض، مخافة أن يلجئه الفرنسيون إلى الإساءة إلى العلماء والوطنيين فيها، فكان ذلك مما زاد في متانة علاقاته الطيبة مع رجال الوطنية الذين كانوا يزورونه بين الفينة والأخرى في مقر ماموريته. وكان يحمل عدة أوسمة راقية مغربية وفرنسية وتونسية تثقل صدره، وظل يزاول مهامه كباشا لبني ملال إلى أن أدركته الوفاة سنة 1942/1361 وترك عشرة أولاد وعشر بنات.

رواية شفوية عن صهره الأستاذ مصطفى شفيق.

محمد حجي

البوجمعوي، علي بن سليمان الدمناتي، ينسب إلى أيت بوجمعة، قرية قرب مدينة دمنات على بعد مائة وعشرين كلم شرقي مدينة مراكش. ولد عام 1818/1234 في بيئة حافلة بالأحداث وفي وسط لا يتكلم أطفاله بل وحتى معظم كهوله إلا لغة بربرية بين لهجة تاشلحيت ولهجة تامزيغت. فأقبل على تعلم العربية وعلوم الشرع، وذكر في فهرسه *أجلى مساند علي الرحمان في أعلى أسانيد علي بن سليمان* أن ما حصل عليه من رتبة العلم كان بفتح مسبوق برؤيا. توفي والده وهو مراهق لم يحصل بعد على شيء.

تجول علي البوجمعوي بأنحاء المغرب طلبا للدرس، وكان من شيوخه أبو العباس التيمگديشتي وأحمد بن عمر الدكالي. وفي حدود عام الستين من القرن الثالث عشر ذهب إلى زاوية تامگروت الناصرية وتزوج من أسرة أهل الزاوية وأخذ الورد عن رئيسها إذ ذاك أبي بكر عبدالله بن علي، وكان لهذا الاتصال بالناصريين أثر علمي وديني كبير على حياة البوجمعوي.

حج البوجمعوي أعوام 1267 و1275 و1284 و1286 و1293 و1302. وكانت رحلاته إلى الحجاز رحلات مناسك وعلم وفضول، دخل الإستانة وأقام بعدد من بلدان المشرق كمصر التي يذكر أخذه عن شيوخ مذاهبها دون تمييز، ومنهم الدهلوي ودحلان والشرقي الحنبلي وحسين الأزهري المكي وجمال بن عمر المكي.

كان للبوجمعوي تدريس بمراكش إلى أن توفي بها ودفن بالروضة الملاصقة لضريح الشيخ أبي العباس السبتي (سيدي بلعباس) وذلك عام 1306 / فاتح يناير 1889.

ألف البوجمعوي كثيراً من الكتب التعليمية شارحاً ومختصراً ومحاذياً في الفقه والحديث والتفسير والتاريخ. وله نظم. وكان حريصا على طبع كتبه في المشرق لكن معظمها ظل مخطوطاً وقد جاوزت عناوينه الستين توجد بكثرة في خزانة زاوية تامگروت.

ألف رسالة جريئة إلى آفاق الإسلام شرقا وغرباً يدعو فيها إلى عقد مؤتمر لعلماء الإسلام بقصد اختيار طريقة موحدة للمسلمين تجمع بين الشريعة والحقيقة يتوضح بها السبيل لمن تحير في أمر الاقتداء، وهذه الرسالة مؤرخة بعام 1865/1282 ـ 1866، وتوجد مخطوطة منها بالخزانة العامة بالرباط.

أ. التوفيق، *أبو الحسن علي بن سليمان البوجمعوي الدمنتي ورسالته إلى آفاق الإسلام*، بحث في الأعمال المهداة إلى محمد المنوني والصادرة في منشورات دار تبقال عام 1986 تحت عنوان : *في النهضة والتراكم* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1306 ؛ إ. الادريسي، *وفيات*، مخطوط.

أحمد التوفيق

بوجْميع، حـگُور بوجمعة، فنان شعبي من الأفراد البارزين المؤسسين لمجموعة "ناس الغيوان" التي أحدثت انقلاباً في الطرب المغربي منذ بداية السبعينات بمزجها

الايقاع بالصوت. كان بوجميع فناناً ومبدعاً في نفس الوقت، مؤلف كلمات وممثلا ومغنياً.

بدأ حياته الفنية ممثلا في فرقة المسرح البلدي بالدار البيضاء، وعرف بالوداعة والصبر وصفاء الضمير. ومن كلماته التي غناها ومازالت تطرب الناس :

غير خلّوني لله غير خلّوني
وما صابرْ أنا على اللي مْشاو أنا ما صابر
الصفايحْ في يْدينْ حداد وأنا ما صابر
غير خلّوني لله غير خلّوني

قال عنه أحد رفاقه في مجموعة ناس الغيوان : "بوجميع أحبه الجمهور كثيراً، وأنا كواحد من الفرقة كنت أشعر بقوة خارقة معي فوق الخشبة، وكان يطربني صوته".

توفي يوم السبت 9 شوال عام 1394 / 26 أكتوبر 1974.

جريدة الاتحاد الاشتراكي، 27 أكتوبر 1991 بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لوفاة بوجميع.

عبد الرحيم الجلدي

بوجميعة، أسرة سلوية كانت تشتغل بالجهاد البحري، وولي بعضهم رياسة المدينة أيام السلطان المولى سليمان (1207 . 1238 / 1792 . 1822) وقد انقرضت هذه الأسرة اليوم من سلا، منهم :

بوجميعة، عبد القادر، كان من بين المجاهدين السلويين الذين أنعم عليهم الحسن الأول بصلة في 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875.

بوجميعة، عبد الله، يظهر أنه أخو عبد القادر سابق الذكر، ويوجد معه في لائحة المجاهدين الذين حظوا بالصلة الملكية في التاريخ المذكور أعلاه.

بوجميعة، عمر، ربما كان ثالث الإخوة، يشتغل أيضاً بالجهاد البحري، ونال كالسابقين الصلة الملكية بالتاريخ أعلاه.

بوجميعة، محمد (الحاج ـ) بن بوعزة. كان في بداية أمره مجاهداً من كبراء الأبراج في الاصقالة الجديدة، ثم أصبح عاملا على مدينة سلا أيام السلطان المولى سليمان. ويبدو أن المدينة لم تكن منضبطة في آخر عهده فكثر عيث أعراب حُصين وقطعُهم الطريق أمام القوافل التجارية الخارجة من سلا أو الداخلة إليها، دون أن يستطع العامل بوجميعة كبح جماحهم، فظهرت زعامات محلية ربما كانت السبب في تنحيته عن عمالة المدينة.

توفي بسلا عام 1227 / 1812، ودفن بالمقبرة الكبرى المحيطة بضريح الشيخ أحمد ابن عاشر، وعلى قبره حوش كتب على مشهده تاريخ وفاته.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 : 155 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، 46 . 47 و150 + الهامش 44 ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 113 . 139 . 151 . 153، *رسوم عدلية قديمة* عند العدل السيد عبدالنبي النجاري.

محمد حجي

بوجميل، قرية عرّف بها أبو عبيدالله البكري، حينما حدد موضعها بمنبع واد نكرو من الجبل الذي يحمل اسم القرية. ولا تزال القرية بموضعها القديم. توجد مباني القرية معلقة بواد صغير واقع عند المجرى الذي يجمع مياه منابع أربعة. وحسب البكري فإن السكان المنتشرين على طول وادي نكرو هم من مصمودة، من بني عفان بن خلف، قصرهم بقربة من مصب واد نكرو.

احتفظ سكان جبل بوجميل بأمكنة استقرارهم خلال القرن التاسع (15 م). والفضل في ذلك عائد إلى الحصانة التي وفرها لهم موقعهم الجبلي بعلو 600 م. بعد أن تعرضت جارتهم قرية عين لبين لغارة جنود سبتة. والقرية مندرجة اليوم بفرقة البحري من حوز تطوان.

أ. البكري، *المغرب في ذكر افريقية والمغرب*، ص 106 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، ص 40.

حسن الفكيكي

بوجندار، أسرة. ليس هناك ما يؤكد أصلها إلا ما جاء في *مقدمة الفتح* من أنها من عرب الساقية الحمراء تنتسب إلى عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وإن كان نفس المؤلف في *الاغتباط* لا يخفي عدم اطمئنانه إلى ذلك معتمدا على ما قاله ابن عبدالسلام التونسي وتلميذه ابن عرفة من أنه يصعب إثبات نسب له ستمائة سنة. غير أن المؤلف بوجندار عاد فتبنى القول الأول تقليداً لسلفه المكي بوجندار الذي اعتمد الانتماء إلى النسبة المذكورة.

ولا نجد في *تاريخ الضعيف* الذي لا مثيل له في التعريف بشخصيات مدينة الرباط في الفترة التي أرّخ لها شخصيات مرموقة في أسرة بوجندار تصدرت للعلم أو تقلدت مناصب عليا في الدولة، لكن الضعيف يتحدث عن ابن جندار لا بوجندار مما يجعلنا نتساءل عما إذا كانت الكنيتان تتعلقان بأسرة واحدة.

فالمؤرخ الضعيف تحدث عن القائد الذي سماه ابن جندار وهو رابع القواد الذين نصبهم أهل الرباط وقتلوهم في نفس السنة التي نصبوا فيها وهي سنة 1166 / 1752 أيام السلطان المولى عبدالله، عندما كان الرباطيون مستقلين لوقت ما عن

السلطة المركزية. وقد قتلوا قبل ابن جندار كلا من أحمد وزُهرة، واللوشي، وميدون. أما الشخص الثاني من أسرة ابن جندار فهو المعلم البوبنجي الذي لا يذكر الضعيف اسمه الشخصي بل يكتفي بذكر حرفته التي هي حرفة جندي في المدفعية. وقد ذكره في أحداث سنة 1796/1211.

وفي القرن الثالث عشر (19 م) اشتهرت أسرة بوجندار وبرزت منهم شخصيات سنتحدث عنها بعد هذا.

بوجندار، محمد بن مصطفى، ولد بالرباط سنة 1307/ 1889 وحفظ القرآن وشرع في المطالعة وهو ابن عشر سنين على يد التهامي الوزاني، ثم أخذ يحضر الدروس التي كان يلقيها العلماء في الزوايا فأخذ في الزاوية القادرية عن القاضي أحمد بن إبراهيم، والجيلالي بن إبراهيم. كما كان يحضر دروس أحمد جسوس في الفقه والحديث بالزاوية التجانية. وانتدبه شيخه عبدالرحمان لُبريس للقراءة والسرد بين يديه، وأجازه جماعة من العلماء كالمكي البطاوري وأحمد بن الخياط، ومن أساتذته أيضا محمد دينية الفقيه الشهير.

ظهر ذكاء محمد بوجندار وحماسه في وقت مبكر فكان يحادث ويجادل ويساجل أساتذته وهو في سن السادسة عشرة، كما شهد بذلك الجزولي في كتيبه *ذكريات من ربيع الحياة*. ونظراً لتفوقه انتُدب كاتباً بمكتب الترجمة لدى المقيم العام. وعُين سنة 1915/1333 أستاذاً للغة العربية بمعهد الدروس العليا، وتعرف بحكم مهنته على كثير من المستشرقين الفرنسيين، ووقف على عدة مصادر ومخطوطات ووثائق عند تأسيس الخزانة العامة بالرباط. وفي هذا الوقت ظهر أول كتاب له : *تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط*.

اعتنى محمد بوجندار بالبحث والتنقيب ومال إلى التاريخ ومعرفة رجالات بلده. ولكنه أيضا اهتم بالأدب والشعر، وقد ترك أشعارا تشهد له بالإجادة على الطريقة القديمة. رحل إلى فاس عام 1335 / 1916 للاطلاع على مكتبة عبدالحي الكتاني وما فيها من نفائس الكتب وذخائر المخطوطات واطلع على النسخة الأصلية *لتاريخ الدولة السعيدة* للضعيف الرباطي.

ولما عاد إلى الرباط أصيب بمرض تصلب الشرايين والعمود الفقري شل رجليه وصار لا يتنقل إلا راكبا.

وكانت داره الواقعة في زنقة وزُهرة في نهاية حي بوقرون بالرباط منتدى علمياً يحضره عِلْيةُ القوم من الشعراء والأدباء.

ولم يقعده المرض عن مواصلة البحث والتأليف. ففي سنة 1343 / 1924 ألف كتابه *مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح*. وفي سنة 1344 / 1925 صدر كتابه *الاغتباط بتراجم علماء الرباط*. ومن تآليفه أيضاً *شالة وآثارها*، طبع. ومنها شرح مختصر سماه : *فتح المعجم من لامية العجم*. ومؤلف عن حياة أستاذه المكي البطاوري سماه : *العطر المسكي في حياة شيخنا المكي. والاستشفا بتخاميس أبيات الشفا*، مطبوع. كما ألف كتاب *الدروس الأولية للمدارس الثانوية في المبادىء والاصطلاحات الجغرافية*. وله فهرس سماه : *مبتدأ خبري وضمنه حياته ونشأته*. ومن مؤلفاته في اللغة : *الكلمة والكلمة النموذجية*، وهي رسالة تتعلق بلفظ النموذج.

وقد ظل مواصلا للبحث والتأليف إلى أن مات وهو في ريعان الشباب في 19 ربيع الثاني 27/1345 أكتوبر 1926.

بوجندار، المكي بن أحمد الرباطي أخذ العلم بفاس عن شيوخ القرويين بعد أن لازم بالرباط مجالس قاضيها الشهير الطيب بَسِّير الذي كان عمدته ومن عدوله المقربين وربما ناب عنه في القضاء. وقد تعاطى الإفتاء وأخبر بعض أولاده المؤلف محمد بوجندار أنه استدعي ليكون قاضياً فامتنع. وقد أطنب محمد بن علي دينية في مدحه في *مجالس الانبساط* واستمر في خطة العدالة أيام القاضي بسير إلى أن تولى القضاء عبدالرحمان البريبري فعزله هو ورفيقه الطاهر بريطل، لكنه سرعان ما ردهما عندما تأكد من كفاءتهما في الخطة ومن نزاهتهما.

كان الفقيه المكي بوجندار يخطب بجامع تمارة ويؤم بالجامع السليماني، ويحضر دروسه عدد من الطلبة الذين أصبحوا بعد ذلك علماء وقضاة كالقاضي عبدالله بن إبراهيم والقاضي أحمد ملين والفقيه أحمد بن الغازي، والعالم الصوفي عمر عاشور.

وقد أخبر مؤلف كتاب *الاغتباط* من طرف نجل الفقيه المكي بأن القاضي عمر عاشور هذا ترجم له، وتوفي في حدود 63/1280. 1864.

م. بوجندار، *مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح*، 189 ؛ *الإغتباط*، 1. 2. 3. 344 ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر بالعدوتين*، 2 : 207 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، 156. 277 ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين*، 115 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، 187.

عبدالإله الفاسي

بوجَنّة، أسرة تطوانية أصلها من شفشاون وإليها تنسب زنقة بُوجنّة بحومة العيون.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 7 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

البوجنوني، بوسلهام بن علي المودن الخلطي المكناسي، من جيش البخاري حفظ القرآن وأتقن تجويده بالروايات ثم اختير مع تسعة من نجباء طلبة جيش البخاري بأمر من السلطان عبد الرحمن بن هشام لتعلم الحساب والفلك، فأخذوهما عن الشيخ عبد الرحمن بن محمد بصري، وكان البوجنوني أنجبهم، ونبغ في ذلك فاستُخدم بالبلاط السلطاني.

قال في حقه في *الإتحاف* (2 : 76) : "فقيه أستاذ حيسوبي ميقاتي كانت له وجاهة وحظوة ومكانة ورياسة على علماء الميقات في زمانه". وذكر أيضا أن السلطان عبد الرحمن كان يحضره ويأمره بالقراءة بحرف حمزة وهو منصت له وكلما ختم أفاض عليه سجال عطاياه. فكان البوجنوني يجمع بدوره الأساتذة ويكرمهم غاية الإكرام.

توفي بمكناس عام 1265 / 1848 ودفن بروضة الشيخ الكامل من ناحية باب البراذعيين وقبره معروف.

البوجنوني، محمد بن بوسلهام بن علي المودن الخلطي. درس القرآن والقراءات بمسقط رأسه، وقرأ الحساب بمنية ابن غازي على الشيخ إدريس البلغيثي الفاسي، كما أخذ الفلك عن علماء آخرين. وكان يعمل بالبلاط يقدّم تارة ويؤخّر أخرى، إلى أن جاء عهد الحسن الأول فنال لديه حظوة كبيرة لا يفارقه في تنقلاته وحركاته. وأمره أخيراً بأن يسجل حركاته ويؤرخ لها بالعربي والعجمي، فكتب رحلات *السلطان* في نسختين، قدم إحداهما لمخدومه، وبقيت عنده نسخة نقل منها العلمي صاحب *القيدة*.

توجه محمد البوجنوني إلى العرائش بأمر من الحسن الأول لتعليم طلبتها الحساب والميقات فجد في ذلك حتى تخرج على يده العديد منهم. كما رشحه السلطان عبد العزيز لتعليم جيش قصبة المنشية، فاجتهد في تعليمهم إلى أن نجحوا في الامتحان بمحضر بعض العلماء المتخصصين.

وكانت وفاته بعد عام 1341 / 1922 . 1923.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2 : 76 . 77 ؛ م. العلمي البخاري، *مقيدة*، نشرها م. المنوني، *مظاهر*، 1 : 420 . 421 و429 . 431.

محمد حجي

بوجُنيبة، أو "عقرايشة" حيوان بحري تسميه العامة في المغرب هكذا لأنه لا ينتقل في سيره إلى الأمام ولا إلى الخلف كسائر الحيوانات وإنما يسير إلى الجنب عن اليمين أو عن الشمال. واسمه الفصيح سرطان وهو من الحيوانات اللافقريات، مفصليات الأرجل، القشريات عشاريات الأرجل والماشيات. ويعتبر من الحيوانات المائية في معظمها بحرية باستثناء نوع واحد يسمى Potamon edule لا يمكنه العيش إلا في المياه القارية الجارية.

تعد أنواع هذا الحيوان بالآلاف، وتحتوي شواطئ المغرب على حوالي مائتي نوع بما في ذلك الشواطئ المتوسطية والمحيطية.

يتباين حجم بوجنيبة بتباين الأنواع حيث تتسلسل الأحجام ما بين بضع مليمترات إلى أكثر من أربعة أمتار.

يتكون جسم بوجنيبة من ثلاث جهات : الرأس إلى الأمام، والصدر في الوسط، والبطن إلى الخلف. يلتحم الرأس والصدر من جهة الظهر بواسطة قشرة صلبة تحمي الجسم وتحمل (deprasriaus) أمامية (حيث توجد الحواس الرأسية) وبطنية حيث يحتمي (Abdomen).

تحمل العينان كل منهما على ساق متحركة يتوسطهما زوجان من الزوائد الحسية بطنيا، وبالإضافة إلى الزوائد التي تحيط بالفم والتي لها دور رئيسي في التقاط المواد الغذائية ومضغها، يحمل الصدر خمسة أزواج من الزوائد وهي عبارة عن أرجل تختلف الأولى منها عن الأخريات. وبالفعل يتميز الزوج الأول من الأرجل بوجود مقابض تمكن بوجنيبة من الدفاع عن نفسه من ناحية، ومن الإمساك بالطرائد من ناحية ثانية. أما الأرجل الثمانية الأخرى فهي ماشيات تمكّن السرطان من التنقل فوق الرمال والصخور إلا أنه عند بعض الأجناس وخاصة منها مصفحة المفاصل الأخيرة للزوج الخامس من الأرجل وذلك على شكل مجدافين مما يساعدها على السباحة والتنقل في الماء بكل حرية كسائر الحيوانات المائية، يتنفس بوجنيبة بالأكسجين الذائب في الماء حيث يمتص بواسطة خياشيم متمركزة إلى الإمام على جانبي الصدفة التي تحمي جسمه.

يكوّن بوجنيبة حلقة تتوسط السلسلة الغذائية البحرية، فمنه ما يتغذى بالطحالب، ومنه ما يتغذى باللافقريات الصغيرة، كالقشريات الأخرى والحلقيات والرخويات كما أن منه ما يتغذى ببقايا الحيوانات الأخرى الميتة. ويكون بوجنيبة نفسه طريدة لعدد كثير من الحيوانات البحرية الأخرى كبعض طيور البحر والعديد من الأسماك بالإضافة إلى الإنسان.

خلال فترة التوالد تلتصق الأنثى بالجهة البطنية للذكر فيتم بذلك التزاوج فيحمل الذكر كذلك الأنثى لعدة ساعات بطنا لبطن إلى أن تتم فترة التزاوج. تضع بعد ذلك الأنثى الآلاف من البيض الملقح لا يعيش إلى القليل جدا منه حيث يموت بعضه ويلتهم البعض الآخر. أما البيض الذي تخطى كل العقبات فهو يعطي يرقة لا تشبه بأي شكل من الأشكال بوجنيبة، وتمر هذه اليرقة من عدة مراحل قبل أن تعطي فردا صغيرا له نفس خصائص نوعه.

بعد أن يستكمل بوجنيبة الصغير تكوينه الأولي عليه أن يزداد حجما حتى يؤدي واجبه البيئي والفزيولوجي. إلا أن هذا الازدياد في الحجم يتم بطريقة تدريجية نظراً لصلابة الصدفة التي تحمي جسمه، وبالفعل فإن جسم الفرد يزداد حجما داخل الصدفة إلا أنه، لضيق المكان داخلها، يبقى منكمشا حتى ينسلخ الجسم منها. عندئذ يكبر الجسم بسرعة إلى أن تصبح الصدفة الجديدة صلبة، وتتكرر هذه العملية عدة مرات في حياة بوجنيبة. تعيش هذه الحيوانات في الماء إلا أن السواد الأعظم من الأنواع يعيش بالبحر باستثناء واحد Potamon edule يعيش في وديان أو مياه قارية جارية.

تعيش الأنواع البحرية في عدة مناطق، فهناك ما لا يوجد إلا في المياه الأجاجة كنوع Carcinuspaeuas مثلا الذي يفضل العيش في مصب الأنهار والبحيرات المالحة.

أما النوعان Pachygrapus mermaratus وPachygrapus transversus فيفضلان العيش في منطقة المد والجزر بحيث إنه في فترة الجزر تخرج من الماء لتبحث عن غذائها فوق أو

بين الصخور. أما نوع Porcellana platycheles فيمتاز بموطنه بين الصخور والطحالب حيث يكثر الموج وتمتد قوته إلا أن أغلب الأنواع يعيش في أعماق كبيرة نسبيا تتراوح ما بين 15 متر وأكثر من 500 م ونخص بالذكر :

- Clappa granulat التي تعيش في الرمال.
- Ilia nucleus التي توجد بين النباتات.
- Pinnotheres pisun السرطان الطفيلي الذي يعيش داخل صدفة بعض الرخويات والذي يتغذى ببقايا غذائها.

الجنس Maja وبالأخص M. Sguinado الذي يعيش في الرمال من أكبر الأنواع حجما في بلادنا ويباع في أسواق السمك Acanthony Lumutates وهو النوع الأكبر تأقلما مع ظروف الموج القوي.

أما عن توزيع بوجنيبة الجغرافي فإن أغلب الأنواع الموجودة في المغرب هي ذات موطن جغرافي محدود يمتد أقصاه من جنوب المملكة البريطانية إلى السواحل الموريطانية والسنيغالية بما في ذلك البحر المتوسط. أما الأنواع ذات التوزيع الجغرافي الشاسع (أي أكثر من محيط) فنسبتها ضئيلة جدا.

H. Boue et R. Chanton, *Biologie animale, Zoologie. I. Invertebrés*, tome I, Paris., 1962 ; M. J. Forest et M. A. Franc,*Les cephalopodes, la grande encyclopédie alpha sciences et des techniques*, 1974, Fasc., 29 : 180 - 187 ; Ministère des pêches et des Océans du Canada, *Fiches F.A.O. d'identification des espèces pour les besoins de la pêche atlantique Centre-Est ; Cephalopodes*, Fiches F.A.O. 89 p ; C. F. E. Roper, M. J. Sxeeney et C. E. Nauen, F.A.O. species catalogue, vol. 3, 1984 ; *Cephalopods of the world, F. A. O. Ficheries synopsis n° 125*, 276 p ; B. Salvat, *Les animaux, l'Encyclopédie des animaux dans la nature*, vol. 6. *Panorama du monde animal ; Mollusques*, Paris, 991 - 1001.

محمد منيوي

بوجْنيبة، مركز حضري احتل المرتبة الثامنة والسبعين داخل لائحة المراكز الحضرية المغربية من حيث عدد السكان حسب إحصاء 1982. يقع على الطريق الرئيسية رقم 13 الرابطة بين مدينتي برشيد وقصبة تادلا، على بعد 12 كلم من مدينة خريبگة و21 كلم من مدينة وادزم.

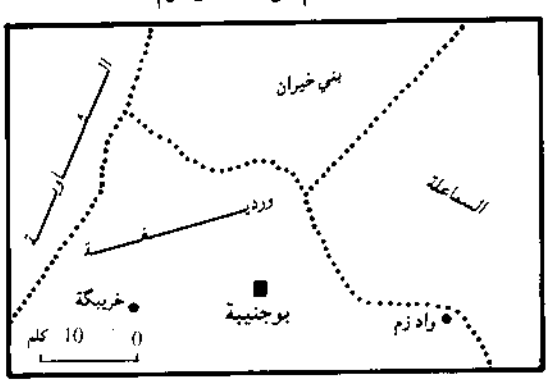

موقع بوجنيبة

ينتمي إداريا إلى إقليم خريبگة، ويكوّن مقراً لجماعة أولاد إبراهيم القروية التابعة لدائرة خريبگة، وتشكل بوجنيبة مدينة صغيرة حديثة جداً لم يشرع في تشييدها إلا مع بداية استغلال مناجم الفوسفاط الغنية بهضبة أولاد عبدون، حوالي سنة 1920، عند الهامش الشرقي لهضبة خريبگة وداخل أراضي قبائل أولاد بحر الكبار.

لما تمكن أحد مقدمي الجيش الفرنسي وهو بُرْسو (Bursaux) من اكتشاف مكامن فوسفاطية بضواحي مدينة وادزم، في مطلع سنة 1917، وجاءت أبحاث جيولوجية متنوعة ومتعددة ومتتالية لتؤكد أهميتها الاقتصادية، ظهرت الحاجة إلى استغلال هذه الثروة المعدنية فتأسس المكتب الشريف للفوسفاط (م. ش. ف) للإشراف على كل مراحل هذا الاستغلال.

اتضح منذ اكتشاف مناجم الفوسفاط وتأسيس المكتب الشريف للفوسفاط، أنه لا بد أن ينطلق العمل من الصفر، لأن المنطقة لم تكن تتوفر على البنية التحتية اللازمة للشروع في الإنتاج. كما أن السكان المحليين كانوا يعيشون على نمط نصف الترحال على امتداد أراضي هضبة الفوسفاط والهضبة الوسطى، ولم يكونوا متعودين على العمل المأجور أو على العمل داخل أروقة المناجم الباطنية. وهكذا طرح منذ البداية مشكل توفير اليد العاملة ومشكل إيوائها، وذلك على مستوى خلق الأحياء السكنية اللازمة، أو على مستوى توطين هذه الأحياء. وقد طرحت عدة حلول، فقرر تقنيو المكتب الشريف للفوسفاط في نهاية المطاف خلق مجموعة من المراكز السكنية المتفرقة، وذلك لأسباب سياسية واجتماعية وتقنية. وهكذا ظهرت مراكز : خريبگة وسيدي بونوار وجتان وفم تيزي وبوجنيبة.

لقد تم اختيار موقع بوجنيبة عند الهامش الشرقي لهضبة خريبگة، وبالضبط جنوب المجال المعروف باسم "الگعيدة" عند ارتفاع 840م، وفي مكان يشرف بفارق ارتفاعي يتعدى 100م على منخفض واد بلغراف أحد عناصر نظام أم الربيع الهدرولوجي. وقد جاء هذا الاختيار لكي يكون مركز بوجنيبة قريباً من مركزي الاستخراج رقم 6 و9، بشكل يسمح للعمال بالذهاب إلى العمل بوسائلهم الخاصة، وفي نفس الوقت يجعلهم بعيدين بقدر كاف عن المنشآت المنجمية في حالة وقوع أي اضطراب اجتماعي.

لقد عمل المكتب الشريف للفوسفاط (م. ش. ف.) في مرحلة أولى على خلق مجموعة من النقط المائية عند موقع بوجنيبة، فتجمع حولها السكان المحليون داخل الخيام والنواويل. غير أن هؤلاء لم يتكيفوا مع العمل داخل المناجم، ولم تكن مردوديتهم كافية لتحقيق الإنتاج المطلوب رغم "التويزة" التي فرضت عليه. فتم التفكير في مرحلة ثانية لخلق سجن سنة 1923 قصد توفير اليد العاملة الكافية والمنتظمة، كون النواة الأولى التي تطور حولها مركز بوجنيبة الحضري فيما بعد. غير أن ارتفاع الطلب على الفوسفاط في السوق العالمية دعا إلى ضرورة الزيادة في عدد اليد العاملة والبحث عنها عبر كافة أرجاء التراب الوطني. وتطلب هذا الأمر بناء مجموعات سكنية لإيواء العمال الوافدين من المناطق المغربية النائية، فكانت مرحلة البناء الثالثة التي شيدت خلالها بيوت صلبة وعصرية قصد تشجيع العمال على الاستقرار النهائي. وهكذا ظهر

حي م. ش. ف. الذي يكون 3 وحدات تطورت شيئا فشيئا إلى أن أصبحت تكون هالة تحيط بشعبة تعتبر منطلق أحد روافد واد بلغراف.

- الحي القديم شيد على الجهة الغربية، عند مدخل الطريق الرابطة بين بوجنيبة ومركز الاستخراج رقم 9. يتركب من مجموعات سكنية مشكلة من غرفة واحدة.

- حي "المدينة" شيد في الجهة الشرقية على نمط المدن المغربية القديمة.

- حي البئر شيد بين الحيين السابقين بطريقة عصرية، وتم خلقه لإيواء العائلات.

ناقص تصميم مركز

لكن رغم هذا المجهود كله، لم تنجح الإدارة في خلق الأنشطة الكافية خاصة منها الأنشطة التجارية، فظهرت مجموعة من الأحياء الهامشية استفادت من البنية التحتية التي تم خلقها. وهكذا نشأ "درب عبو" على شكل زقاق تجاري بين الحي القديم وحي البئر، ونشأ مركز تجاري ثان خارج حي "المدينة" (السويقة)، وتطورت أيضا مجموعة من أحياء الصفيح : دوار العربي، دوار السالك، دوار الميلودي، دوار خريبش، دوار الرايس، دوار براراك كبور. ومع مرور الوقت تحول بعض هذه الأحياء الهامشية إلى تجزئات سكنية خاصة ساهم في بنائها العمال المتقاعدون.

هكذا فإن مركز بوجنيبة الحضري - وعلى غرار المراكز الأخرى المماثلة - أسس لتكون له وظيفة رئيسية هي إيواء العمال الذين يشتغلون بمناجم الفوسفاط. ودون أي شيء آخر. وظل يحتفظ بهذه الوظيفة إلى اليوم. وإن كانت مراكز الاستخراج 6 و9 التي كانت تؤوي العمال الذين يشتغلون بها، وقد نضبت منذ فترة طويلة. فإن العمال قد أصبحوا ينتقلون إلى مراكز استخراج أخرى أبعد، مثل : سيدي الضاوي والمركز 10. مستعملين في تنقلهم اليومي حافلات شركة النقل الجهوي التابعة للمكتب.

وقد بلغ مجموع سكان مركز بوجنيبة سنة 1982 قرابة 10.450 نسمة، أي بتزايد نسبة بـ 1.5٪ من ساكنة المركز سنة 1971 وهي نسبة جد متواضعة. بالمقارنة مع المعدل الوطني الذي يبلغ 4.4٪ سنويا، أو مع معدل نمو سكان إقليم خريبكة الحضريين الذي يبلغ 4.8٪ في السنة.

	1971		1982		التزايد السنوي
	العدد	٪	العدد	٪	٪
مركز بوجنيبة	8.812	29.5	10.442	32.1	1.5

وإذا قارنا نسبة نمو سكان مركز بوجنيبة خلال الفترة المذكورة مع فترات سابقة. فإننا نجد أن هذا المركز كان يعرف خلال الفترة 1959 - 1971 نسبة نمو سنوي وصلت إلى أكثر من 2٪، الأمر الذي يدل على أنه يعرف تراجعا في وتيرة تطوره. ويمكن إرجاع هذه النزعة إلى هجرة السكان نحو المراكز الحضرية المجاورة مثل خريبكة ووادزم، إذ أنهما وفرتا مرافق اجتماعية واقتصادية لم تستطع بوجنيبة توفيرها بالقدر الكافي، وإن كانت قد بذلت مجهودات مهمة في سبيل خلق مرافق تعليمية ابتدائية وإعدادية وثانوية كما تم العمل على ربط بوجنيبة بخريبكة بواسطة خط لحافلات النقل الحضري.

G. Lazarev (et al.), *Les villages miniers de la région de Khouribga, Notes marocaines*, 1960, 14 - 39 - 58 ; Ministère du Plan, *Population légale du Maroc*, Rabat, 1982.

الحسن المحداد

بوجو، طوماس روبير، ماركي Bugeaud, Thomas Robert (1784 - 1849) "قائد الجيش الفرنسي في معركة إسلي" Marquis de la Pilonnerie, Duc d'Ysly et Maréchal de France، من أصل إرلندي، ابتدأ حياته العسكرية داخل الحرس الأمبراطوري سنة 1804 وتميز في الحرب البروسية والبُولونية والإسبانية. ساند نابليون بونابارت إبان فترة 100 يوم مما تسبب في إبعاده من الجيش بعد "الرجوع الثاني للملكية" فاشتغل بالفلاحة داخل ضيعته في منطقة پيريگور Périgord محاولا عدة مرات، ولكن دون جدوى، الرجوع إلى الحياة العسكرية وولوج الحياة السياسية، مثلا إبان الحرب الإسبانية وفي انتخاب سنة 1829. ولم تخرجه من عزلته إلا ملكية يوليوز، حيث عاد للجيش من جديد، وانتخب ممثلا لدردونيا Dordogne في البرلمان، وكلف بحراسة دوقية بيري Duchesse de Bery في قلعة دوبلي، مما عرضه لكراهة "الشرعيين" وعداء الجمهوريين خصوصا بعد أن قتل أثناء مبارزة نائبا برلمانيا جمهوريا Dulong لكونه نعته بالسّجان geolier وكذلك بعد مساهمته الدامية في قمع ثورة أبريل سنة 1834 التي خلفت استياءً كبيراً في الأوساط الباريسية.

وفي سنة 1836 أرسل للجزائر لفك الحصار عن معسكر تافنة، وبعد انتصاره في يوليوز 1836 عاد لباريس، ليرجع من جديد إلى الجزائر في أبريل 1837 باستدعاء من الجنرال Danrémont الذي خلف الجنرال كلوزيل Clauzel بعد فشله في الهجوم على قسنطينة وقد عين قائداً لجيش وهران، فقام بإبرام معاهدة تافنة مع الأمير عبدالقادر، التي أتاحت للفرنسيين ربح الوقت وتكثيف كل قواتهم للهجوم على قسنطينة التي سقطت في أيديهم سنة 1837 بعد مقتل الجنرال Danrémont وتعويضه بالجنرال Valée الذي عين مارشالا وحاكما عاما للجزائر.

وبعد انهزام هذا الأخير أمام مليانة عام 1841 عين الجنرال بوجو Bugeaud خلفا له. ويمكن اعتبار تعيين بوجو حاكما عاما للجزائر، انطلاق مرحلة جديدة في السياسة الفرنسية الجزائرية.

فرغم الأفكار التي أظهرها بوجو حينما رجع من مهمته الأولى سنة 1836 في الجزائر والتي كانت تعارض توسع الوجود الفرنسي في الأراضي الجزائرية، فقد نهج سياسة توسعية عسكرية عنيفة، مصحوبة بحركة احتلال للأراضي الفلاحية وأعاد تنظيم اللفيف الأجنبي Légion étrangère، وأعطى هيكلا قانونيا للرماة الأهالي والاصباحيين Spahis

بتأسيسه سنة 1841 فيلقا من الرماة الأهالي في كل إقليم، وجيشاً من الاصباحية مكونا من عشرين فيلقا، وقوى مديرية الشؤون الأهلية بخلق "مكاتب العرب Bureaux Arabes" وجعلها تحت رقابته المباشرة، وكلفها بشؤون الموظفين الأهالي، وبالعلاقات مع القبائل والاستعلامات السياسية والعسكرية. وقد استعمل الخبرة التي اكتسبها في ميدان حرب العصابات أثناء وجوده بالجيش الفرنسي في إسبانيا ضد المقاومين الجزائريين، فعارض إقامة مراكز عسكرية بقرب المدن وفي الأماكن البعيدة، وخفف من عدد الجنود والوحدات للتقليل من عدد نقط المرور، تلافيا للتعرض لكمائن المقاومين، مفضلا التحرك في أعالي الجبال واختياره بنفسه محل المعركة.

وكان يعتبر أن الفرق بين السياسة التي استعملت قبله وسياسته هو تماما الفرق بين "المدى الذي تقطعه البندقية والمدى الذي تقطعه الأرجل".

وكان ضد الحلول الوسطى، ويرى أن أحسن طريقة لإخضاع البلاد هو التوغل فيها طولا وعرضاً لضمان إخلاص وحماية القبائل المساندة لفرنسا.

ولتطبيق سياسته هذه، رفع من عدد القوات الفرنسية في الجزائر حيث وصلت إلى 106.000 جندي سنة 1846 عوض 63.000 سنة 1841، وأحاط نفسه بمساعدين اشتهروا بأسلوبهم العنيف ضد الأهالي مثل لامورسيير La Moricière، وشانگارنيي Changarnier وبيدرو Bedereau وبدأ باحتلال منطقة التل، وإقامة حاميات تتحول إلى وحدات متحركة. وقد شرع منذ سنة 1841 في مطاردة الأمير عبدالقادر، واحتلال مدن نفوذه كمعسكر، وتكدمت، وبكار، مدمراً في طريقه كل القرى بعد مباغتتها ونهبها لإضعافها من جهة ولتزويد جيوشه بما تحتاج إليه من جهة أخرى.

وفي 10 ماي سنة 1843 رقي إلي رتبة مارشال على إثر سقوط جيش الأمير عبدالقادر في يد دوق أومال Duc D'Aumale.

وبعد لجوء الأمير عبدالقادر إلى الأراضي المغربية على إثر تضييق الخناق حوله انتقلت سياسة العنف التي كان يمارسها بوجو في الجزائر، إلى الحدود المغربية، إذ كان يؤمن بأن الوسيلة الوحيدة لتهدئة ما سماه "التعصب الديني للقبائل المغربية" هو "طلقات البنادق والمدافع وضربات السيف" وأن الأمن في الجزائر لن يتم إلاّ بالتغلب على المغرب حيث قال : "إن الجزائريين لن يتحركوا ما دامت فرنسا تتغلب على القبائل المغربية تماما كما كانت بلاد الغال النربونية La Gaule Narbonnaise لا تتحرك حينما كان الرومان يغلبون Vercingétorix والسويسريين والألمان. وقد ترتب عن سياسته هذه عدة مواجهات عنيفة مع القوات المغربية كمواجهة 30 ماي 1844 و15 يوليوز 1844 التي قتل فيها 275 من المغاربة، والتي كانت من بين الأسباب الرئيسية التي جعلت المخزن يرسل الجيش في اتجاه وجدة.

وإلى جانب سياسة العنف والضغط على الحدود المغربية كان بوجو يرى أن حصارا مشدداً لكل الموانئ المغربية سيسوي مسألة الأمير عبدالقادر والقبائل في ظرف لا يتعدى ستة أسابيع مادامت الواجبات الجمركية تمثل أهم مداخيل الأمبراطورية المغربية.

وكان يرى أن هذا الحصار يمكن أن يتم إما عن طريق إقناع إسبانيا بالهجوم على الموانئ المغربية وشغل المخزن أو عن طريق هجوم البحرية الفرنسية.

وقد دخل في صراع مع فيليب دورليان Philippe D'Orléans الذي كان يرى أن سياسة بوجو تثير غضب السكان وتهدد أمن المواطنين الأوربيين في المغرب، وأن بوجو يحاول أن يكتفي بانتصارات سهلة "ليخفي عجزه الناتج عن السن والمرض".

وقد استطاع المارشال بوجو في الأخير أن يحصل على الموافقة بالهجوم على الموانئ المغربية وقام جوان ڤيل De Joinville بقنبلة طنجة والتوجه نحو الموانئ الأطلسية، في نفس الوقت الذي وصل فيه بوجو إلى وجدة وقام بمناورات حربية استعدادا للهجوم الذي كان يهيئه على القوات المغربية المرابطة في إسلي، حيث قسم جيوشه إلى أربعة أقسام تتماسك مع بعضها على شكل "رأس خنزير".

وعلى إثر موقعة إسلي التي حاز فيها انتصاراً سريعا وسهلا أُعطيَ لقبَ دوق إسلي. وبقي بوجو في الجزائر ثلاث سنوات بعد معركة إسلي مارس خلالها، دون هوادة، حركات قمعية عنيفة ضد القبائل الجزائرية والمغربية غير مبال بانتقادات الأوساط السياسية في باريس، ولكنه اضطر إلى الاستقالة سنة 1847 على إثر وقائع جرجورة Djurjura، وعدم اتفاق رئيس الحكومة سولف Soulf مع أساليبه الاستعمارية العسكرية، تاركاً المكان لدوق أومال، وتاركا وراءه في الأوساط العسكرية الفرنسية في الجزائر أغنية الأب بوجو. وأثناء ثورة سنة 1848 أسندت له رئاسة الحرس الوطني في باريس.

وفي نفس السنة صار عضواً في المجلس الدستوري إثر انتخابات جزئية وصار المحافظون ينظرون إليه كمرشحهم للانتخابات الرئاسية ولكنه تنازل للوي نابليون Louis Napolèon الذي عينه قائدا لجيش الألب.

وفي سنة 1849 انتخب عضواً في المجلس التشريعي Législative، ولكنه توفي على إثر إصابته بوباء الكوليرا في نفس السنة.

ث. برادة، الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر، د. د. ع. كلية آداب الرباط.

Ministère des Affaires Etrangères, Quai d'Orsay, *Correspondance politique, Mémoires et documents, Maroc*, N° 11 ; Weygand, *Histoire de l'armée française*, Paris, 1953.

ثريا برادة

بوجيدة، (سيدي ـ) أو أبو جيدة، أحمد الفاسي اليزغيتني أو اليازغي نسبة لبني يزغيتن أو بني يازغة، وهي قبيلة بربرية تقع في الجنوب الشرقي لمدينة فاس. فقيه

من علماء فاس المشاهير وصلحائها، يقال إنه كان يحترف الدرازة ويتقن مذهبي مالك والشافعي، له تآليف في وثائق الشافعية وتصانيف ورحلة إلى المشرق أفاد فيها واستفاد. وقد ألف بعضهم في مناقبه تأليفاً سماه : *مناقب الشيخ الجليل أبي جيدة بن أحمد اليزغيتني*. ومما اشتهر عند العامة من كراماته أن مَن واظب على زيارة قبره لحاجة دينية أو دنيوية أربعة أيام من أيام الأربعاء وقبل أربعين يوما متوالية قضيت حاجته.

كان سيدي بوجيدة معاصراً للفقيه دراس بن إسماعيل المتوفى بفاس سنة 357 / 967، لذلك فهو من أهل القرن الرابع. والأقرب لوفاته هي سنة 975/365 ودفن بفاس خارج باب بني مسافر من عدوة الأندلس، وهو الباب الذي يحمل اسمه. وإليه ينسب حي سيدي بوجيدة المعروف حاليا بفاس، وله عقب بفاس وطنجة.

أ. ابن القاضي، *جذوة*، ص 107 ؛ م. ابن عيشون، *الروض*، د.د.ع. الرباط، ص 433 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 92 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 1 : 221 ؛ ع. التازي، *جامع القرويين*، 1 : 155.

زهراء النظام

بوجيدة، أمحلي، إن الصراع السياسي في المغرب، زمن السلطان المولى إسماعيل، (1082 . 1139 / 1672 . 1727) وما أثمره من عنف، فضلا عن الميراث الصوفي المغربي القديم، جعل ذلك العصر يعرف "بكثرة أوليائه"، وظهور طائفة من "أكابر الأولياء" فيه. وعلى رغم ضبابية الصورة التي ترسمها المصادر لهذه الشخصيات الصوفية، فإن مجرد تقييد ذكراها يدل على تفاعلها الكبير مع بيئتها الاجتماعية.

لا ندري متى ولد بوجيدة أمحلي ولا أين. ولعل وفاته بتطوان سنة 1726/1138، وتردده الطويل على هذه المدينة، واسم أمحلي، وهو اسم عائلة تطوانية منقرضة، ما يزال ينسب إليها الحمام المشهور بالربض الأسفل من تطوان القديمة، إشارات دالة على أنه رجل من أهل تطوان، وينتسب إلى هذه الأسرة المنقرضة. ونحسب أن اسم "أمحلي" إن هو إلا "تمزيغ" للصيغة العربية ابن محلي التي هي في العرف الثقافي المغربي المغني والقوال. وقد كان هذا الاسم موجوداً في سبتة في صورة ابن المحلي.

إننا نجهل كل شيء عن طفولة هذا الولي المجذوب. والظاهر من تسميته ببوجيدة، وهو اسم الولي الفاسي الشهير، أن أسرته لم تكن تخلو من منزع صوفي. وربما كانت ذات علاقة صوفية أو تجارية بفاس، فسمت ابنها باسم الولي الفاسي. ولا سيما أن اسم "بوجيدة" ليس من الأسماء الشائعة بتطوان قديما ولا حديثا.

إن هذه التخمينات قد تفسر تفسيراً نسبياً "سياحة" بوجيدة أمحلي، وتنقله الدائم بين تطوان وفاس ومكناس وتازا، واهتمام المصادر غير التطوانية بذكره.

وإذا كانت هذه المصادر قد أجمعت على أن بوجيدة أمحلي كان "مجذوبا سائحا" و"صاحب كرامات"، فإنها لم تورد من كراماته شيئا، ما خلا أحمد ابن الحاج في *الدر المنتخب*، وهو متأخر، فإنه أورد نموذجا من كراماته نستشف منها بعض الأحداث التاريخية المطمرسة. وملخص هذه "الكرامة" أن أبا جيدة أمحلي كثيراً ما تعرض لأذى أولاد يهود تطوان. فلما طال عليه الأمر، وعلم أن ذلك كان بإشارة من آبائهم، تنبأ لهم بأن كل من آذاه من أولاد اليهود يسلم، وفعلا أسلموا.

إن هذه الكرامة قد تفيدنا أن أبا أجيدة كان على علاقة مّا بملاح اليهود ولعله كان يقوم في الملاح بنشاط تبشيري إسلامي بطريقة الايحاء الصوفي، أو "الجذب" وهو الأمر الذي ما كان ليمر دون أن يسخط شيوخ اليهود ويعملوا على التخلص من هذا الضيف الثقيل بأنواع الاذاية وصنوفها. والظاهر أن أحداثا ذات بال، لم تشر إليها الكرامة، جعلت طائفة من يهود تطوان يسلمون، فارتبط إسلامهم بتنبؤ أبي جيدة الولي المجذوب السائح. ولعل بعض العائلات التطوانية الإسرائيلية الأصل إنما يرجع تاريخ إسلامها إلى عصر هذا الولي المجذوب، الذي ما يزال ضريحه قائما في شارع الخرازين، بربض البلد.

م. القادري، *التقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي ؛ *نشر المثاني*، تح. م. حجي و أ. التوفيق ؛ أ. ابن الحاج، *الدر المنتخب المستحسن*، مخطوط ؛ ع. سكيرج، *نزهة الاخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*.

جعفر ابن الحاج السلمي

بوجيدة، العماري، يمثل نموذجا للزعامات المحلية التي تتألق فجأة ثم تختفي بنفس السرعة التي ظهرت بها. ينحدر من بني عمار من قبائل جبل زرهون. نزح جده إلى فاس. وبدأ بها حياته بداية متواضعة. ثم ما لبث أن اشترى بقراً وتخصص في بيع الحليب. وتلك هي المهنة التي ورثها حفيده. صاحب الترجمة، والتي استمر يزاولها إلى عام 1737/1150 . 1738، حينما تسبب قحط جارف في هلاك جميع أبقاره، فاحترف عندئذ حرفة أخرى أكثر رواجا، هي تجارة الحبوب.

في ذلك التاريخ كانت ظروف المجاعة وانعدام الأمن قد أدت إلى تحطيم شروط الاستقرار بالمدينة فانجلى الكثيرون عنها، واندثرت أسر بكاملها، بينما فقدت أسر أخرى مركزها الاجتماعي. إلى هذا كان الصراع السياسي على أشده بين "أهل فاس"، من معارضي السلطان مولاي عبدالله، وبين مناصريه ضد أخيه السلطان محمد بن عربية، من شرفاء وأصحاب زوايا. في ظل هذه الظروف، حيث أصبحت الكلمة الأخيرة لقوة السلاح، والأمن مطلبا ملحا، كان السكان، خاصة منهم الضعفاء، مستعدين لمنح ولائهم لمن يجدون فيه الحماية والأمن. وقد وجدوا ضالتهم في بوجيدة العماري. فبفضل الثروة التي جمعها من تجارة الحبوب تألق نجمه بعد أن كان مجرد شخص مغمور، واستقطب فرقة مسلحة من "الرماة" (الحامية الحضرية)،

وأصبح "مقدما" (رئيسا) للأحياء الثلاثة الواقعة شمال العدوة : الصفاح والرميلة والكدان. وقد تمكن من فرض الأمن في هذه الأحياء وحمايتها من اللصوص الذين استشرى خطرهم آنذاك.

غير أن تجارة الحبوب لم تكن تخلو من مشاكل في ظل القحط، هذا فضلا عن أن الشرفاء، الحريصين على امتيازاتهم التقليدية، لم يكونوا لينظروا بعين الارتياح إلى تصاعد نفوذ بوجيدة. فاحتدم الصراع ذات يوم من صفر 1151/ماي 1738. بينه وبين أحد الشرفاء، المدعو علي الجوطي. بعد تبادل الشتائم، تطور الأمر إلى استعمال السلاح، وسقط الشريف صريعاً بطلقة نارية من خصمه. وفي اليوم التالي، هاجم الشرفاء أحياء بوجيدة العماري، وتمكنوا من قتله مع شر ذمة من أتباعه واضعين بذلك حداً لصعوده المفاجئ.

م. القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، 4 : 224 ؛ أ. ابن الحاج، *الدر المنتخب...*، مخطوط. خ. ح. رقم 1920، ج 8، ص 322-325.

محمد الأمين البزاز

بوحاجة، كنية الولي الصالح إبراهيم الأندلسي آتي الترجمة، ثم حمل هذه الكنية أسرة سلوية لا ندري إن كانت من حفدته أو من محبيه، تذكرها الوثائق إلى أواخر القرن الثالث عشر (19 م).

بوحاجة، إبراهيم، من رجال البحر السلويين المجاهدين الذين منحهم السلطان الحسن الأول صلة بتاريخ 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875.

بوحاجة، (سيدي ـ) إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الأموي الرندي، انتقل إلى المغرب أيام أبي عنان المريني (749 / 760 / 1348 . 1358) واستقر بمدينة سلا في نفس الفترة التي استقر بها الشيخ أحمد ابن عاشر الجزيري الشُميني، وكان مثله من كبار الزهاد الصالحين. ويُذكر أن ترجمة الشيخ سيدي بوحاجة كتبها كل من المؤرخين محمد بن علي الدكالي صاحب *الإتحاف*، وجعفر بن أحمد الناصري، إلا أنهما لم تُنشرا، ولم نقف على تاريخ وفاته، وقبره معروف بسلا كانت عليه قبة متوسطة ملاصقة للسور الذي شيده يعقوب بن عبد الحق المريني، وبجانبه باب يحمل اسم (باب سيدي بوحاجة). وقد هدم الفرنسيون هذا الضريح في أواخر الثلاثينات من هذا القرن ونقلوا رفاة سيدي بوحاجة إلى المكان الذي يوجد فيه حالياً، على بعد نحو خمسين ميتراً من السور وبنوا عليه قبة قريبة من التي هدموها.

بوحاجة، أحمد (سيدي ـ) من أعيان السلويين المسجلين في قائمة مكتوبة قبل عام 1279 / 1862 تبيِّن مَن بمدينة سلا من الفقهاء المدرسين والنجباء (من الطلبة) والذين يلونهم في الرتبة والشهود والأساتيذ.

بوحاجة، (باب سيدي ـ) أحد الأبواب الخمسة القديمة لمدينة سلا، يقع في طرف سورها الغربي مما يلي بابي دار الصنعة، ويُسمى أيضاً "باب الخباز" نسبة إلى الفقيه الأديب ميمون ابن الخباز المدفون خارج هذا الباب. والظاهر أن هذا الباب من عمل يعقوب بن عبد الحق المريني الذي شيد هذا السور على إثر الغارة القشتالية الغادرة على المدينة في آخر يوم من رمضان عام 658 / 8 شتنبر 1260.

وكان بهذا السور في الطرف الآخر القريب من برج الدموع باب آخر قديم يسمى باب المعلقة، ثم أحدث بينهما في عام 1243 باب ثالث سمي الباب الجديد.

هدم الفرنسيون في الثلاثينات باب سيدي بوحاجة مع ضريح هذا الولي المجاور له قصد توسيع المدخل لتتمكن آلياتهم الحربية من ولوج المدينة العتيقة، وبعد الاستقلال حطم الباب وجزء من السور المتصل به بقدر نحو ثلاثين ميتراً ليتم الاتصال بين المدينة القديمة والجديدة. ومازال الموقع حتى اليوم يحمل اسم باب سيدي بوحاجة، ويُعد المدخل الرئيسي للمدينة لوجود بناية العمالة والبلدية بجواره، وانفتاحه على الأسواق الرئيسية والأحياء السكنية الهامة.

بوحاجة، (سيدي ـ) من الأولياء المعروفين بفاس، وهو أحد صلحاء ستة بباب الحمراء. لم يذكر ابن عيشون ولا صاحب *السلوة* تاريخ وفاته.

بوحاجة، (سيدي ـ) من الأولياء المعروفين بالقصر الكبير، ضريحه بالفخارين من عدوة الشريعة، يقصده الناس لقضاء حوائجهم.

م. ابن عيشون، *الروض*، د. د. ع. بالرباط، ص. 450 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 119. 120 ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 60 و157؛ *ذيل الاتحاف الوجيز*، 150 ؛ المجلس البلدي، *مدينة القصر الكبير*، 1989، ص. 104 ؛ *معلومات شخصية وشفوية*.

محمد حجي

بوحافة، أسرة تطوانية أصلها من إحدى قبائل الريف. والحافة هي الصخرة، وما زالت هذه الأسرة بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 7. 61 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بوحافة، محمد (القائد ـ) العكاري المسكيني من الأعيان المشهورين بقبيلة بني مسكين في العهدين العزيزي (1894 . 1908) والحفيظي (1908 . 1912) ويظهر أنه انضم للحركة الحفيظية، وبايع مولاي عبدالحفيظ لما خيم بمشرع الشعير قرب قبيلة بني مسكين، خريف 1907.

كان القائد محمد بوحافة، من المعارضين للوجود الفرنسي بالشاوية ثم بني مسكين. ويظهر أن موقفه هذا جعله ينتقل إلى مدينة فاس مع السلطان مولاي عبدالحفيظ في صيف سنة 1908، لكنه ظل بفاس لأن الفرنسيين احتلوا قصبة ابن الشافعي المسكيني وبسطوا نفوذهم على القبيلة المجاورة بالشاوية.

ولما تبين لبوحافة، أن النفوذ الفرنسي لا يمكن زحزحته، قرر العودة لبلاده، وربط الاتصال مع سلطات الاحتلال لتساعده على توطيد نفوذه، ضد منافسيه من القواد الآخرين وذلك سنة 1308 / 1910.

وثائق الخزانة الحسنية.

علال الخديمي

بوحَبة. سلاح. ← **بوشْفر**

بوحجرة ← **التازي بوحجرة محمد**

بوحدّو، أسرة سلوية انتقل بعض أفرادها ـ حسب *الاستقصا* ـ إلى فاس ومكناس. وإذا صح هذا فيكون انتقال آل بوحدو إلى مكناس قد تم في القرن الحادي عشر (17 م) أو قبله. إذ أن أشهر آل بوحدو المكناسيين، وهو الطاهر بن الهادي آتي الترجمة، هو من حفدة الشيخ عبد الله الجزار دفين مكناس. وهذا هو شيخ الجد أحمد حجي صاحب الضريح الشهير بالسوق الكبير بسلا. والعلاقة بين البوحديين والحجيين وطيدةٌ مصاهرةً ومجاورةً ومصافاةً طوال القرون الأربعة الأخيرة حسبما هو مسطر في رسوم أنكحة وغيرها. واسم عبد الله الجزار جد البوحديين المكناسيين أصبح من الأسماء الخاصة بالحجيين منذ القرن الحادي عشر حتى اليوم. ولآل بوحدو السلويين علاقة وطيدة كذلك بآل المير وهي من الأسر النابهة بالمدينة كما سنرى. ونشير كذلك إلى أنه يوجد "مسجد بوحدو" في حي رأس الشجرة قرب الجامع الأعظم بسلا.

بوحدو، الحسن (الحاج ـ) من أعيان مدينة سلا عقد نكاح رقية بنت أخيه المتوفى الحاج أحمد بوحدو للعلامة محمد بن الطاهر المير بتاريخ 24 ذي القعدة، عام 1214 / 19 أبريل 1800، فأنجبت له ابناً يسمى أحمد، وبنتاً تسمى الطاهرة حسبما هو في رسم إراثته.

بوحدو، الطاهر (الحاج ـ) بن **الحسين** السلوي، فقيه وجيه، كان يزاول العدالة بمدينة سلا عام 1248 / 1832.

بوحدو، الطاهر بن **الهادي** (الحاج ـ) بن العناية المكناسي، من حفدة الشيخ عبد الله الجزار، عالم كبير، وأديب شهير، وناسك صالح. درس في مسقط رأسه مكناس على الشيخ العربي بن السائح الشرقي قبل أن ينتقل إلى الرباط، وعلى الشيخ العربي بصري، ثم قرأ بفاس على الشيخ المهدي ابن سودة، والشيخ العباس بن كيران، وكان قارئ مجلسه.

اشتغل في مكناس بتلقي الشهادات في سماط العدول، وأقبل على التدريس فكثر الآخذون عنه حتى إن معظم فقهاء مكناس وأدبائها المتأخرين يعدون من تلاميذه. وقد سعى خصومه لدى السلطان محمد بن عبد الرحمن فأُخر عن الشهادة وهي مكسبه الوحيد، فانتقل إلى مراكش، وسار فيها سيرته الأولى بمكناس معززاً مكرماً من أهلها وطلبتها، وكثر فيها أيضاً تلامذته. وأخيراً رجع إلى مكناس وتابع عمله في التدريس وتلقى الشهادات، إلا أنه في آخر حياته زهد في العدالة وعاش عيشة عفاف وكفاف متقشفاً معرضاً عن الدنيا وزخرفها مقبلا بكليته على الأعمال الصالحة.

كانت للطاهر بوحدو مساجلات أدبية مع معاصريه، وأورد له ابن زيدان في *الاتحاف* (3 : 405 ـ 414) قصائد ومقطعات بعضها مع أدباء العدوتين سلا والرباط، وبخاصة أحمد الناصري صاحب *الاستقصا*.

توفي بمكناس عشية الأربعاء ثالث وعشر حجة الحرام عام 1306 / 21 غشت 1889 ودفن بضريح جده عبد الله الجزار.

بوحدو، عبد السلام (الحاج ـ) السلوي كان يسكن في دار بحي رأس الشجرة من حومة الطالعة أسفل الجامع الأعظم، ويوجد اسمه ضمن قائمة السلاويين الذي أحصوا للتمتع بصلة سلطانية في شهر قعدة عام 1290 يناير 1874.

بوحدو، محمد بن الحاج **الطاهر** السلوي، فقيه حيسوبي حازم تولى أمانة مرسى الدار البيضاء هو والامين محمد بن عبد المجيد ابن جلون الفاسي. غادر أمانة مرسى الدار البيضاء، في شوال عام 1270 / يونيه ـ يوليوز 1854 وحل محله الحاج محمد بن المكي الحارثي السلوي.

بوحدو، محمد بن **محمد** من فقهاء سلا وعدولها المبرزين في أوائل القرن الثالث عشر (19 م). كان يشهد مع رفيقه الفقيه العدل محمد بن محمد حجي السمار. ومن ذلك شهادتهما في إراثة مؤرخة في عاشر شوال عام 1239 / 8 يونيه 1824. وقد خاطب على شهادتهما وأعلم بثبوتها قاضي سلا محمد الهاشمي أطوبي. كما شهد محمد بوحدو ورفيقه السمار في رسوم أخرى متعلقة بهذه الإراثة.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 3 : 103 ـ 116 ـ 461 ـ 462 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الاعلام*، 2 : 406 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1306 ؛ م. بوشعرا، *العريف*، 2 : 1356 ؛ *ذيل الاتحاف الوجيز*، 150 ـ 151 ؛ *رسوم عدلية قديمة عند العدل السيد عبد النبي النجاري السلوي*.

محمد حجي

بوحديد، أسرة تطوانية لعل أصلها من الأندلس، وكان جل أفرادها في الماضي يحترفون صناعة الأحذية فكانت "بلغة" بوحديد تروج بسوق تطوان أكثر من غيرها، ولا زالت هذه الأسرة بتطوان غير أنها لا تتعاطى حرفتها القديمة.

بوحرّاتْ، أسرة تطوانية نجهل كل شيء عنها سوى أنه كان لها دار بحومة الترنكات سنة 1257/1841 حسب الإحصاء الذي جرى بالمدينة في السنة المذكورة.

بوحرْمة، أسرة تطوانية من شرفاء جبل العلم أولاد ابن عبدالوهاب، وكان من بين أفرادها عدة فقهاء أمثال :

بوحرْمة، أحمد بن عبدالصادق المتوفى سنة 1295/ 1878.

بوحرْمة، البشير بن التهامي المتوفى سنة 1308/1891.

بوحرمة، محمد بن عبدالصادق المتوفى سنة 1269/1853.

بوحرمة، الهاشمي بن المختار المتوفى سنة 1319/1901.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 12 ـ 16 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 350 ـ 352 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بوحصيرة، عبدالقادر العتيقي، ثائر مغربي ينتمي إلى قبيلة بني عتيق، إحدى فصائل بني إزناسن الكبرى بإقليم وجدة، ظهر أمره في بداية سنة 1321 / 1903 بمكان يدعى "المقام" بناحية الظهرا جنوب عين بني مطهر، وزعم انه السلطان المولى عبدالعزيز، وأنه فرّ من سجن الانكليز وأدى فريضة الحج، وعاد لمساعدة أخيه مولاي مَحمد (الروگي بوحمارة)، وبذلك دخل بوحصيرة في خدمة الروگي إلى أن استعادت السلطة الشرعية السيطرة على اقليم وجدة، فالتجأ الثائر بوحصيرة إلى غرب الجزائر خوفاً من عقاب "المخزن"، وبعد أن شرع الفرنسيون في احتلال شرق المغرب دخل في خدمتهم وعيّن عوناً مخزنياً بمركز أبركان المستحدث سنة 1326 / 1908 إلى أن توفي هناك في تاريخ غير معروف.

م. الحجوي، *الرحلة الرجدية*، مخ، خ. ع. رقم 123 ح ؛ ع. ابن زيدان، *اتحاف*، 1 : 406 ؛ ع. بن منصور، *أعلام المغرب العربي*، 1 : 405 ـ 406.

L. Voinot, *Les conséquences de la lutte du Makhzen et du Rogui à proximité de la frontière algerienne 1903 - 1905*, *B.S.G.A.O.*, 1934 ; A. Laroui, *Origines*, p. 353.

عكاشة برحاب

بوحصيرة، كنية يهودية معروفة خاصة بتافيلالت، وقد حملها العديد من الربيين خلال القرنيين التاسع عشر والعشرين، منهم :

بوحصيرة، إبراهيم بمكناس، عضو المحكمة اليهودية بالدارالبيضاء (1868 ـ 1948).

بوحصيرة، إسحاق الربي الفيلالي، كان موضع قصيدة بالعربية الدارجة المغربية، يعرفها كافة اليهود الفيلاليون (انظر يهودا سمحون : *شيباح ورينا*، *أمداحا وأناشيد*، طبع بمكناس سنة 1946).

بوحصيرة، داود (1866 ـ 1920) كان ربيا متصوفا وقباليا بتافيلالت، لقي حتفه أثناء إحدى ثورات القبائل المحلية ضد التوغل الفرنسي بالمنطقة. طبعت مؤلفاته الدينية بالقدس ومنها : *سفْر شكيل طوب وبطاح هاؤهيل وسفر ريشة والصوف عالَ وسفر بيريشيت وشموت*، ويعالج هذا الأخير بالخصوص سفري التكوين والخروج.

بوحصيرة، يعقوب (1808 ـ 1880) أكثر الربيين شهرة في هذه الأسرة وقد عرف بقدسيته وبركاته. يوجد قبره بدمنهور (مصر) كان يحج إليه اليهود الفيلاليون مرة في السنة، وكان كذلك قاضيا ومتصوفا قباليا. له عدة مؤلفات نشرت بعد وفاته، وهي *طوريش طوب* أي "الخطيب الموفق" (القدس، 1884 و1965)، *شعاري لروخة*، أي "الأبواب الكبرى" وهي دروس في الأخلاق (القدس، 1883)، بتوحي *حطام* أي "صور الطابع" وهو شرح للتوراة (القدس، 1883) ثم *بورومشيطيخا ليعقوب* "فتاوي فقهية" (القدس، 1883) *وبغدي هسراد*، "لباس الاحتفال" شرح وتعليق على خروج اليهود من مصر (القدس، 1888)، *محسوف هلبان ومعغالي صدق*، "طرق العدالة" شرح آخر للتوراة (القدس، 1892) ثم *گنزي هملخ گكنوز الملك*" وهي مقالة حول التكوين (القدس،1893) ثم *ألوف بينا* "تعليم الحكمة" (القدس، 1893) *يُغل يعقوب*، ديوان شعر (الجزائر، 1908) *ولبُونازكا* "البخور الخالص" *شعاري تشوبه* "أبواب التوبة"، شبت قوديش، حول السبت، (انظر طوليدنو : *نير هما عرب*، 212، الزعفراني، *الأديب الشعبي*، ص 273 و303، لاريدو : *أسماء اليهود*، 204.

إن الكرامات المنسوبة إلى هذا الربي ألهمت أصحاب الأقلام في الأدب الشعبي المكتوب والمنقول تأليف الأساطير والقصائد بشأنه، وكلها بالعربية.

Y. M. Tolédano, *Ner Hama'arab* ; A. Laredo, *Les Noms des Juifs du Maroc*.

سيمون ليفي

بوحمارة، الجيلالي بن عبدالسلام اليوسفي الزرهوني، ثائر مغربي غلبت على اسمه كنية بوحمارة ولقب الروگي. كان موظفا مخزنياً بسيطاً قبل أن يعلن ثورته ضد السلطان عبدالعزيز في خريف سنة 1320 / 1902. انتحل في بداية أمره اسم مولاي مَحمد وادّعى أنه صنو السلطان عبدالعزيز الذي استولى على ملك أبيه واستبدّ به بعد أن رماه في السجن، وأذاع الثائر بين الناس موالاة السلطان ومخزنه للكفار ورغبتهم في نقل نظمهم وعاداتهم وإدخالها إلى المغرب، وتعززت دعوته بمعارضته للإصلاح الجبائي، وكان السلطان آنذاك قد أعلن عزمه على تطبيق مشروع "الترتيب".

لقيت دعوة الثائر إقبالا بين قبائل ناحية تازا، مما عزز مكانته ورفع قدره، فبايعته أول الأمر قبيلة غياثة، وتعهدت بنصرته وحمايته، وبعد أن كثُرت جموع أنصاره تجرأ على مواجهة الجيوش السلطانية في نهاية سنة 1902، واتخذ من مدينة تازا مقراً لحكمه وخطب به على منابرها باسم السلطان مولاي مَحمد. غير أن السلطة الشرعية استعادت المدينة في شهر أبريل من سنة 1903، فحوّل بوحمارة حينئذ وجهته شطر شمال شرق المغرب، وأوفد رسله وأتباعه لبث دعوته هنالك بين القبائل واستمالتها إليه، وقد كان على علم بأوضاع شمال المغرب الشرقي قبل أن

يجهر بدعوته. إذ سبق له أن جاب المنطقة الشرقية ودخل إلى الجزائر سنة 1901، واتصل ببعض مريدي طريقة صوفية بمدينة غيلزان قرب مستغانم، ثم عاد إلى المغرب سنة 1902، فزار وجدة واتصل بأعيان قبائل أنكاد وبني إزناسن.

إن توجُّه الروگي نحو شمال المغرب الشرقي واضح المغزى. وهو ضمان الحصول على منفذ بحري يتيح له الاتصال بالخارج والتزود بالأسلحة والذخائر الحربية، خصوصاً وأن المنطقة المذكورة قد عُرفت بازدهار نشاط التهريب. ومنذ البداية حرص الثائر على الاتصال بالسلطات الفرنسية بغرب الجزائر، فبعث رسائل إلى حكام وهران وتلمسان ومغنية. ووجّه كل اهتمامه للسيطرة على المنطقة الشرقية والقضاء على القوات المخزنية المرابطة بها حتى يؤمن مؤخّرته من أي هجوم، ثم انتقل إلى قصبة سلوان قرب مليلية، وخيم بها في منتصف شهر أبريل من سنة 1903.

وما أن اقترب بوحمارة من "عمالة وجدة"، حتى وقعت القبائل في حيرة من أمرها، فلم يدر الناس أيْن يُولّون وجوههم، خصوصاً بعد أن تلقّت القبائل رسائل عزيزية حذّرتها من دعوة "الفتان". بينما دعتها رسائل "مولاي مَحمد" الروگي إلى خلع طاعة السلطان عبدالعزيز وإعلان بيعته هو. فواجه المخزن الشرعي دعوة الروگي بالاعتماد على بعض القواد والأعيان الذين ظلوا على ولائهم للسلطان عبدالعزيز، غير أن أتباع الثائر بثّوا دعوته بين القبائل الوجدية تمهيداً لحلوله بالمنطقة الشرقية، خصوصاً بعد أن ناصرته جموع كثيرة بقصبة سلوان، فاضطر السلطان الشرعي إلى توجيه عمّه مولاي عرفة إلى "عمالة وجدة"، فدخلها يوم 27 فبراير 1903 عن طريق غرب الجزائر بسبب انقطاع المواصلات بين فاس ووجدة، وقد كلّف مولاي عرفة بتجهيز جيش من العرب ومن بربر بني إزناسن لمواجهة أتباع الروگي والمحافظة على وجدة من أنصاره. وفي ذات الوقت بعث السلطان رسائل إلى قواد قبائل "عمالة وجدة"، دعاهم للتأهب للحركة والعمل على قبض "الفتان". لم يكتف المخزن بحض القبائل واستمالتها إليه، فصارت تتأرْجَح بين المخزن الشرعي وبين الثائر بوحمارة بعد أن أصبحت محطّ مزايدة بين الطرفيْن.

فشلت كل جهود المخزن من أجل إيقاف زحف الثائر نحو مدينة وجدة، فالتجأ مولاي عرفة إلى الغزوات في انتظار ترحيله إلى طنجة، وبعد أن فشل عامل وجدة أحمد بن كروم في مواجهة أنصار الروگي فرّ بدوره إلى مغنية، غير أن أعيان وجدة أقنعوه بالعودة إلى محلّه لتنظيم المقاومة ضد انصار الروگي، فاستجاب لرغبتهم وعاد إلى وجدة، لكن بعدما تأكد من تزايد أنصار الثائر بالمدينة فرّ مرة ثانية إلى مغنية في نهاية شهر أبريل 1903. وبعد ذلك بقليل أخْلى القائد علال الشرادي قصبة عجْرود والتجأ بدوره إلى الجزائر مع من تبقّى معه من العسكر.

لم يستحسن السلطان رجوع مولاي عرفة إلى طنجة، خصوصاً وأنه لم يقع ما يوجب تعجيل إيابه على الهيئة المرجفة، فحاول تدارك الأمر، بإرسال بعثة مخزنية برئاسة الحاجب أحمدالركينة إلى حدود وجدة عن طريق الجزائر، وعزّزه ببعض الأعيان والعمال، منهم القائد عبدالرحمان بن عبدالصادق والقائد بوبكر بن محمد الحباسي ومَحمد الجباص ومحمد بن الحسن الحجوي، وقد فوّض السلطان لأحمد الركينة في اتخاذ كل ما تقتضيه المصلحة وما تدعو إليه الضرورة من طلب المساعدة من الإسبان.

اتصل أحمد الركينة بشيوخ القبائل وأعيانها وببعض القواد الموالين للسلطان عبدالعزيز، ورغّبهم في الوقوف إلى جانب السلطة الشرعية، وبذل المال الكثير من أجل ذلك، ورغم ما نشره أحمد الركينة من المال لاستمالة القبائل إليه، فقد تكاثر أنصار الروگي، ودبّ اليأس في الرعية المتشبّثة بالسلطان عبدالعزيز، وحُسم الأمر بالنسبة للأغلبية عندما عبر بوحمارة نهر ملوية في اتجاه مدينة وجدة، ودخلها يوم 26 يونيه 1903 بدون قتال، فبويع بها وخطب به على منابرها باسم السلطان "مولاي مَحمد"، وهيأ بها كل لوازم الإمارة، وترتب عن سقوط وجدة في يد الثائر استسلام غالبية قبائل المنطقة إلى الأمر الواقع والاعتراف بسلطته، غير أن مُقامه بالمدينة لم يطل كثيراً. إذ غادرها يوم 10 يوليوز 1903 بعد أن بلغه سقوط مدينة تازا في يد المخزن، فعمّرها جيش السلطان عبدالعزيز الذي جاء بها من طنجة عن طريق الجزائر، فدخلها بدون قتال يوم 10 غشت 1903.

بعد أن عادت السلطة الشرعية إلى وجدة، سارعت بعض القبائل الوجدية إلى تأكيد ولائها للسلطان عبدالعزيز، بينما ظلت قبائل أخرى على انحياشها للروگي، فاشتدت الحرب بين أنصار المخزن وأنصار الثائر، ومما أذكى الصراع بين الجانبين عودة الروگي إلى عمالة وجدة في صيف 1322 / 1904، بعد أن تعززت جموعه بأتباع بوعمامة البوشيخي، فزحف إلى وجدة وحاصرها، وفي شهر شتنبر من سنة 1905 تراجع الثائر إلى قصبة سلوان بعد أن يئس من احتلال المدينة بسبب تخلي كثير من القبائل عن دعوته، وافتضح أمره لدى الخاصة والعامّة بعد أن شاعت أخبار اتصالاته بالفرنسيين والإسبان من أجل طلب المساعدة لمواجهة المخزن مقابل منحهم امتيازات هامة. وقد استغل بوحمارة النزاع الذي قام بين المولى عبدالعزيز وأخيه المولى عبدالحفيظ حول المُلك (غشت 1907) فأحكم سيطرته على جل القبائل الواقعة غرب نهر ملوية، بعد أن انقسم جيش المخزن بين موالٍ لهذا الطرف أو ذاك وتوالت عليه الهزائم. لكن تواطؤ الثائر مع الإسبان وتطبيق سياسة جبائية مجحفة دفع القبائل الريفية بالخصوص إلى النفور منه والدعوة إلى محاربته وتعقّب أنصاره، فتراجع إلى المنطقة التي انطلق منها في أول أمره، وذلك في نهاية سنة 1908، غير أنه لم يلق الدعم المعوّل عليه من طرف قبائل أحواز تازا، وتعقّبته حينئذ جيوش السلطان عبدالحفيظ إلى أن ألقت القبض عليه في زاوية مولاي عمران يوم 5 شعبان عام 1327 / 22

غشت 1909، واقتيد إلى فاس سجيناً في قفص، وأعدم بها يوم الخميس 23 شعبان عام 1327 / 9 شتنبر 1909.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج 1 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 20؛ ع. بنمنصور، *أعلام المغرب العربي*، ج 1 ؛ ع. الإسماعيلي العلوي، *تاريخ وجدة وأنكاد*، ج 1 ؛ عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الإحتلال الفرنسي*.

E. I. 2, vol 1, p. 1320 - 1321 ; L. Arnaud, *Au temps des Mehallas ou le Maroc de 1860 à 1912*, Casablanca, 1952 ; A. Maîtrot de la Motte-Capron, *Le Rogui*, *B. S. G. A. A. N.*, 1929, p. 515 - 576 ; F. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, Rabat, 1947 ; E. Maldonodo, *El-Rogui*, Ins. General Franco (s. d. 1949); Laroui, *Origines*, p. 354 - 366 ; Cano Martin, *Bu Hamara y Melilla*, Melilla, 1989 ; M. Bekraoui, *La révole pré-colonial*, thèse, Poitiers 1980 ; L. Voinot, *Les conséquences de la lutte du Makhzen et du Rogui à proximité de la frontière algérienne 1903 - 1905*, *B. S. G. A. O.*, 1934.

عكاشة برحاب

بوحموش، أسرة سلوية معروفة، ربما كان أصلها من جبال الريف، ويرجع أقدم تاريخ لمن ذكرته الوثائق التي اطلعنا عليها إلى القرن الثالث عشر (19 م)، فيهم فقهاء وأساتيذ وتجار ومجاهدون في البحر. بعضهم كانوا يسكنون في بوقاع بحي باب سبتة، وبعضهم في درب الأخيار المتصل برحيبة زركالة أسفل الجامع الأعظم. منهم :

بوحموش، بومدين (الحاج ـ) الجد، يوجد اسمه في تقييد الأسر السلوية المستوطنة حي باب سبتة التي أنعم عليها الحسن الأول بصلة في خامس ذي الحجة عام 1290 / 24 يناير 1874، وكان عدد أفراد داره 15 نفراً، ومبلغ الصلة ثلاثة مثاقيل.

بوحموش، بومدين الحفيد، فقيه أديب فلكي مشارك، عمل محتسباً بمدينة سلا مدة طويلة، وهو الذي خلف المحتسب الشهير إدريس عمور، ثم اشتغل بالكتابة في المصالح البلدية، وقبل ذلك في إدارة المالية (الترتيب). توفي في حدود سنة 1380 / 1960.

بوحموش، عبد الله بن محمد الباشا آتي الترجمة. من المتعلمين في المدارس العصرية، عمل في وزارة الشبيبة والرياضة والشغل والشؤون الاجتماعية، داخل المصالح المركزية بالوزارة وفي مصالحها الخارجية بالأقاليم، وعمل نحو عشر سنوات في منطقة العلم العربي بالشرق. وبعد رجوعه إلى المغرب التحق بمقر الوزارة، وأدركته الوفاة فجأة في الرباط حوالي سنة 1403 / 1983.

بوحموش، محمد (الحاج ـ)، كان من المجاهدين في البحر، ونال معهم صلة الحسن الأول بتاريخ 16 ذي القعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875. كما يوجد اسمه في قائمة سكان درب الاخيار بالمدينة، مع عدد من أبناء عمه البوحموشيين.

بوحموش، محمد (الحاج ـ) بن **العياشي**، قد يكون هو المذكور قبله لأنه هو أيضاً من المجاهدين البحريين، والتاريخ يقبله. يوجد اسمه في قائمة الطبجية العاملين في المدفعية "الواقفين على باب الجهاد بمحروسة سلا" كما جاء في طالعة الوثيقة المؤرخة في ثامن وعشري ذي الحجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894.

بوحموش، محمد (الحاج ـ) بن **محمد** (الحاج ـ) من كبار تجار مدينة سلا وأعيانهم، عينه السلطان عبد العزيز هو وأحمد الصابونجي لمحاسبة وكيل الغيب والمهملين من الأيتام، الصبيحي الذي انتهت مأموريته وخلفه محمد بن عبد القادر السدراتي، كما جاء في رسالة عامل سلا بالنيابة أحمد الطالبي إلى الوزير أحمد بن موسى في ثالث ربيع الأول عام 1315 / 2 غشت 1897. وبعد ثلاث سنوات نجد الحاج محمد بوحموش ضمن كبار تجار مدينة سلا الذين حذرهم السلطان من الاستمرار في معاملة ولاة الشؤون العامة من العمال والأشياخ ومن في معناهم، وقد جمعهم خليفة عامل المدينة بحضور أمين المستفاد محمد بن الحاج قاسم جسوس وعدلين لتجديد الاسترعاء عليهم، وتم الإشهاد على الحاج محمد بوحموش ومن معه من التجار المسلمين في ثالث شعبان عام 1318 / 26 نونبر 1900.

بوحموش، محمد بن محمد، من أعيان مدينة سلا ووجائها، فقيه أديب أنيق، جميل الطلعة حلو الحديث. بعد إنهاء مرحلة الطلب في مسقط رأسه سلا، اشتغل فيها بالتجارة في الثياب بالقيصرية، ثم عُين وكيلا للغُيب بها قبل أن ينقل إلى أگادير كأمين للأملاك المخزنية، وطال مُقامه في هذه المدينة إلى أن عُزل باشاها إبراهيم الحاحي، فسمي محمد بوحموش باشا مكانه، وصادف ذلك إبان الأزمة السياسية في بداية الخمسينات، فكانت فترة قاسية بالنسبة إليه انتهت بعزله بعد الاستقلال، فانعزل متنقلا مع ولده عبد الله سابق الترجمة واستقر أخيراً بمدينة الرباط في دار متواضعة اشتراها بحي بوقرون إلى أن أدركته الوفاة بها في حدود عام 1401 / 1980.

ب. الصبيحي، *كناشة*، مخطوطة ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 139، 150، 220، 222، 241، 258، 280 ؛ *ذيل الاتحاف الوجيز*، 151 ؛ *معلومات شفوية من التاجر الحاج علي حمدوش ومن العدل السيد عبد النبي النجاري السلويين*.

محمد حجي

بوحْميدْ، أو أبو حماد، كما ذكرته المصادر القديمة، قصر كان قائما بسجلماسة بوادي إفلي ويسكنه أولاد أبي القاسم الذين ينتسبون إلى الفرع السادس من فروع سيدي يوسف بن علي الشريف. وفي القرن العاشر الهجري انتقلت أسرة هذا القصر إلى مدغرة تافيلالت وشيدت بها قصراً عرف بنفس الاسم، وهو لا زال قائماً إلى اليوم.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، 389 ؛ *الأنوار الحسنية*، *الدر السني*، 53؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 231.

عبدالعزيز بوعصاب

بوحوت، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني شيكر الكرتية، وما زالت موجودة بتطوان، وكان من بين أفرادها :

بوحوت، حدو بن أحمد، ترجمان بإدارة الحماية

بتطوان سنة 1921/1339.

Delegacion, *Familias* : Isidoro, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

بوخاتم، نوع من الأسماك العظمية ومن رتبة Zeiformes. ينتمي إلى فصيلة Zeidae ويسمى علميا Zeus faber وSaint Pierre أو Doré بالفرنسية وJohn Dory بالأنجليزية.

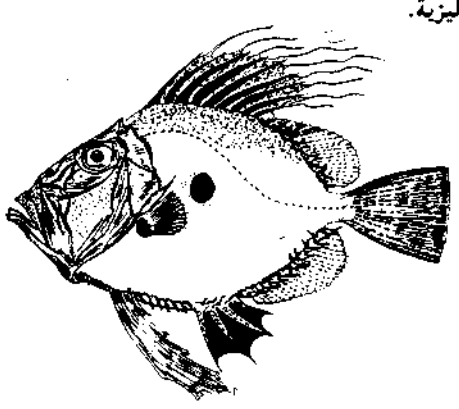

الجسم مضغوط جانبيا، الرأس كبير، الفم كبير ومنحن، تتركب الزعنفة الظهرية من تسع إلى إحدى عشرة شوكة ومن واحد وعشرين إلى خمسة وعشرين شعاعاً، وتوجد بقاعدتها عدة شويكات وصفيحات عظمية كما هو الشأن في قاعدة الزعنفة الشرجية. تتركب الزعنفة الذيلية من ثلاث إلى خمس شوكات ومن عشرين إلى أربع وعشرين شعاعاً.

تكسو الجسم حراشف صغيرة رمادية صفراء، توجد على الجانب بقعة سوداء كبيرة، دائرية الشكل ومحاطة بحلقة رمادية صفراء توحي بالخاتم مما أدى إلى تسميته ببوخاتم، وهو اسم شائع في جميع أسواق الأسماك المغربية.

إنه سمك متوسط الحجم لا يتعدى طوله 66 سم وهو شائع ما بين 10 و50 سم. لا يحسن السباحة ويعيش غير بعيد عن السواحل المتوسطية والأطلنطية الشرقية ولا يتعدى الأعماق التي تفوق 600 متر ويفضل العيش في الأعماق المتراوحة ما بين 150 و300 متر وذلك فوق الأماكن الموحلة والغنية بالرمال.

يتوالد في فصل الربيع والصيف ويصير بالغاً بعد أربع سنوات. يأكل الأسماك الصغيرة والقشريات والقواقع. صيده شبه صناعي في إسبانيا وفرنسا وصقلية والبرتغال، وتقليدي في المغرب والدول المجاورة. يُصاد بواسطة الشباك الجيبية وبالصنارة. يوجد في الأسواق المغربية بشكل منتظم أو موسمي حسب المناطق وتبقى كميته قليلة، وسعره مرتفع للذة طعمه.

W. Eischer, Schneider et Bouchot, *Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, 1987, Vol. II, *Vertébrés* : 1421 - 1422.

محمد رمضاني

بوخبزة، أسرة جبلية تطوانية عمرانية تنسب إلى الجد الجامع للأشراف الأدارسة العمرانيين بالمغرب : عمران بن يزيد بن صفوان بن خالد بن يزيد بن عبدالله بن إدريس الأول. وهذا الفرع منها ينتهي إلى الولي الصالح الشيخ أبي الحسن علي بن محمد العمراني الشهير بـ (سيدي علي بوخبزة) من أهل القرن التاسع الهجري تقديرا، وهو أول مَن كُني (بوخبزة) منهم. دفين مجشر (أغبالو) بالحرم العلمي من قبيلة (بني عروس) حاليا. كان هذا المجشر قديماً من قبيلة بني يدّر إلا أن ابن زاكور ذكره داخل حدود الحرم العلمي في كتابه : *الاستشفاء من الألم بذكرى صاحب جبل العلم*، ونقله عنه سليمان الحوات في *الروضة المقصودة، في مآثر بني سودة*. ويُدْعى أفراد هذه الأسرة باسم (أغبالو) إلا الفرع الذي استوطن تطوان قديماً فيدعى (بوخبزة). ولما كان بين هذا الفرع وبين العلميين مصاهرة وتمازج قديم ظن من ظن من الناس ـ وفيهم فقهاء وعلماء ـ أنهم علميون، وكنت إلى هذا الظن مرتاحاً لدورانه على الألسنة خصوصاً من ذوي الاطلاع والدراية كشيخنا المحدث أحمد بن محمد ابن الصديق الغماري الطنجي الذي كتب إليّ منذ نحو ثلاثين سنة في مساجلة أدبية يقول :

أطلت فيه أطال الله مجدكم ودمت فخر الهداة من (بني العلم)

إلى أن وقفت على جليّة الأمر من نصوص النسابين المعتبرين كالنقباء أحمد بن أحمد ابن عبدالوهاب في مجموعه *الاسماعيلي*، ومحمد بن الصادق ابن ريسون في *فتح العليم الخبير، بتحرير النسب العلمي بأمر الأمير*، وعبدالسلام بن الطيب القادري في *الدر السني فيمن بفاس من أهل النسب الحسني*، والامامين محمد القصار وأبي القاسم ابن خجو كما عند ابن عرضون في *الكتاب اللائق لعلم الوثائق* وغيرهم. كما وقفت على رفع النسب المحفوظ عند الأسرة في رسوم الأصدقة وغيرها، وفي الوثائق الملكية بالرباط بعض ظهائر التوقير والاحترام المتعلقة بهذه الأسرة.

وكان نزوح هذه الأسرة إلى تطوان نهائيا في أول القرن الثالث عشر الهجري، وإن كان كثير من رجالها يترددون عليها قبل ذلك بغرض الجهاد والمرابطة على سبتة. وسمعت من شيوخنا أن منهم من استشهد، ودفن داخل قبة سيدي أحمد بن كيران بتطوان، وبمقابر النخلة، ومنهم من أُسر حياً ولم يعرف مصيره.

وكان الغالب على آل بوخبزة طلب العلم والقيام بوظائف الدين كالتدريس والخطابة والإمامة والعدالة والفتوى، ويلاحظ مما تبقى من آثارهم أن الغالب عليهم الاهتبال بالقرآن الكريم وعلومه من تجويد ورسم وضبط وقرآات وغريب.

بوخبزة، أحمد بن أحمد بن أبي القاسم، الفقيه العدل الأستاذ المقرئ يوجد بخطه كتاب *إيضاح الأسرار والبدائع، في شرح الدرر اللوامع، في أصل مقرأ الإمام نافع* لابن المجراد السلاوي، بخزانة تطوان رقم 862 فرغ من نسخه عام 1236 هـ.

بوخبزة، الطيب بن أحمد الأستاذ المقرئ النحوي، كان

يتردد على تطوان، وشارط بقبيلة بني عروس في مجشر أفَرْنو وكتب بخطه الحسن كثيراً يوجد منه *تنبيه العطشان، على مورد الظمآن* للشوشاوي، وهو أحفل شروح المورد في مجلد ضخم، بخزانة تطوان رقم 847 فرغ منه سنة 1236 هـ. وذكر بآخره رفع نسبه الشريف. كما يوجد عند الأسرة بتطوان مصحف شريف مرموز برموز القراء السبعة وعلى هامشه كلمات القرآن ذات الأوجه المتعددة. وبخزانه الأسرة بخطه شرح علي بركة الأندلسي على *الأجرومية*، وهو من أحفل شروحها وأنفعها.

بوخبزة، عبدالله بن أحمد بن أحمد العدل المقرئ الأستاذ. قال الرهوني عنه في *عمدة الراوين* : "كان أستاذاً مشاركاً في النحو والتصريف والفقه والوثائق وكان يشارط بقبيلة (جبل حبيب) ثم استقر أخيراً بتطوان". توفي يوم الاثنين 26 ربيع الأول عام 1329هـ ودفن بمصلى الجنائز من باب المقابر بتطوان، كتب بخطه كثيراً، ومن منسوخاته : مجموع بخزانة تطوان رقم 870 يحتوي على تآليف في الطب والفقه والفرائض، من غريبها *أرجوزة* طويلة في غريب القرآن لمحمد بن يوسف الصلتان في نحو ثلاثة آلاف بيت.

بوخبزة، علي بن أحمد ـ وهو غير الجد الجامع سابق الذكر ـ ترجم له الفقيه الرهوني في *عمدة الراوين* ووصفه بالعلاّمة النحوي المقرئ الأستاذ المدرس وأنه من شيوخ محمد بن علي عزيمان قاضي تطوان. توفي بتطوان ما بين سنة 1220 ـ 1240.

بوخبزة، محمد بن **أحمد**، شهر (بابن سَّي أحمد) الطالب المجاهد، البطل المغوار. اشتهر بمقاومته للاستعمار الإسباني بقبيلته (بني يدّر) لأنه من مجشر (تازروت) اليدري، وغيرها من قبائل الجبل. ولعظيم نكايته للعدو واستمراره في المقاومة إلى أن كان من آخر من استسلم ووضع السلاح مقهوراً بسوق (ثلاثاء بني يدر) بعد أن ضُيق عليه الخناق وأرهقته خيانة عشيرته، وأحاط به العدو من جهتين بقيادة القائدين الإسبانيين (كَبّاص وبّابْلو) فاستُنزل من معقله بالأمان، واحتفل الإسبان يوم استسلامه مع جماعته، ولكن الاستعمار لم ينس جهاده وقوة شكيمته وطويل صموده، فلفق له تهمة المشاركة في ثورة ابن الصديق في الخمسينات واعتقله بواسطة قائد القبيلة وأعوانه، وسيق إلى تطوان وهو شيخ كبير فصدر الحكم بإعدامه ثم خفف إلى السجن المؤبد، وأودع زنزانة خاصة بسجن (وادْ لاَوْ) بقبيلة بني سعيد حيث قضى سنوات توفي بعدها سجيناً غريباً وحيداً رحمه الله، ومازالت ذكراه واسمه ومواقفه على ألسنة الناس من شيوخ قبيلته وغيرهم.

بوخبزة، محمد الأمين بن عبدالله، الفقيه العدل المدرس الخطيب، ولد سنة 1311/1893 بتطوان وبها أخذ العلم عن شيوخها، قال شيخه الرهوني عنه في عمدة *الراوين* : "تقلّب في عدة وظائف من عدالة وكتابة مع عمال تطوان وخلافة عن باشاها وعن قاضيها إلى أن توفي رحمه الله زوال يوم الاثنين فاتح رجب 1367 هـ ودفن بناحية سور البلد خارج تطوان.

روايات شفوية : م. ابن زاكور، *الاستشفاء من الألم بذكرى صاحب العلم*، مخطوط ؛ س. الحوات، *الروضة المقصودة*، مخطوط ؛ ع. القادري، *الدرر السني* ؛ م. ابن ريسون، *فتح العليم الخبير*، مخطوط ؛ ابن عرضون، *الكتاب اللائق لمعلم الوثائق*، ج 2 ؛ أ. المريطو التطواني، *المآثر الجليّة في رجوع نسب آل العلوي للشعبة الحمودية الإدريسية الحسنية*، طبع تطوان ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط.

محمد بن الأمين بوخبزة

بوخُرْص، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وقد اشتهر أفرادها بمهارتهم في المدفعية حيث نجد بحامية تطوان سنة 1830/1246 مدفعيين هما الأخوان :

بوخرص، عبد الرزاق بن أحمد وأخويه عبدالسلام وعبدالله، ويستفاد من الاحصاء الذي جرى بتطوان سنة 1841/1257 أن هذه الأسرة كان لها داران بحومة الترنكات في السنة المذكورة.

بوخرص، عبد القادر.

بوخرص، محمد، كما نجد بنفس الحامية سنة 1249/ 1834 المدفعي.

بوخرصة، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الفحص، وقد انقرضت بتطوان في أوائل هذا القرن. وهي غير أسرة بُوخُرْص. وأما الخرصة في اللهجة الدارجة فهي مقرعة الباب.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 16 ؛ 4 : 224 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 213 ـ 354 ـ 356 ؛ *مختصر تاريخ تطوان* ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بُوخُريص، أحد أبناء محمد البرتغالي الوطاسي، برز إثر وقوع السلطان أحمد الوطاسي في أسر محمد الشيخ السعدي سنة 1547/953، حينما تحصن عمه أبو حسون وأخوه القصري بفاس الجديد، تعبيراً عن رفض تسليم

المدينة لافتداء السلطان والده. كان بوخريص راغبا في أن يؤول الملك إليه لولا امتناع أبي حسون الذي بادر إلى مبايعة القصري.

د. دي طوريس، *تاريخ الشرفاء*، ص 103، تر. م. حجي وم. الأخضر.

حسن الفگيگي

بوخريص، أسرة من تافيلالت، سكن بعض أفرادها مدن فاس ومكناس وسلا، وأنجبت في القرنين الأخيرين عدداً من الفقهاء والمدرسين والقضاة.

بوخريص، الجيلالي بن محمد الكاملي. فقيه مطلع مشارك تولى القضاء مدة بمدينة أسفي وله *كناشة* علمية حافلة نقل عنها محمد الكانوني في بعض كتاباته.

توفي بأسفي ـ على ما يُظن ـ في أواسط القرن الثالث عشر (19 م).

ع. ابن زيدان، *الاتحاف*، 3 : 334 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1300.

بوخريص، عبدالرحمان ابن عبدالقادر ابن العربي الكاملي الجعفري الفيلالي ثم الفاسي. أحد علماء مجلس السلطان سيدي محمد ابن عبدالله الذين كانوا يلازمونه حضراً وسفراً يسردون ويؤلفون على مقتضى إشارته كتب الحديث والفقه.

اختلط اسمه عند المتأخرين باسم والده العلامة الشيخ عبدالقادر بوخريص الذي تولى قضاء فاس مدة أربع وثلاثين سنة. وهكذا أورد صاحب *الاتحاف* أن المترجم تولى قضاء فاس بينما لم يشر إلى ذلك الزياني في *تحفته* التي خصصها لقضاة هذه المدينة وولاتها.

أ. الغزالي، *اليواقيت الأدبية*، مخطوط، خ. ع. 1207 ك ؛ أ. الزياني، *ولاة فاس وقضاتها*، مخطوط، خ. ع. 224 ك ؛ *الروضة السليمانية*، مخطوط، خ. ع. 1275 ك الورقة 126 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 3 : 184 و336 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 122 ـ 123.

فاطمة الحراق

بوخريص، عبدالقادر بن عبدالرحمن بن عبدالقادر الكاملي، أديب بارع في نظم أشعار الملحون، وله فيه *ديوان* وقف عليه صاحب *إتحاف المطالع* وقال عنه : "أكْثَرَ فيه من الأمداح والتغزلات".

توفي في العشرة الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجري.

بوخريص، عبد القادر بن العربي، قاضي فاس، علامة فقيه مشارك، ولد سنة 1706/1118 وأخذ عن محمد العراقي الحسيني، أحد كبار نحويي زمانه، وعن محمد المسناوي الدلائي، ومحمد بن عبدالسلام بناني، وأحمد الوجاري وأحمد بن مبارك وهو معتمده الذي أفنى عمره في خدمته. وأخذ عنه عبدالقادر ابن شقرون الفاسي وعبدالسلام بن محمد الدلائي.

ظل عبدالقادر بوخريص متوليا خطة القضاء بالحضرتين الإدريسية والمرينية نحو أربع وثلاثين سنة، وعزله في آخر عمره لكبر سنه السلطانُ محمد بن عبدالله. ويذكر عنه أنه سار في القضاء سيرة حسنة فكان ذا عفة في نفسه وماله، مشهورا باقتصاره في التدريس على المتن، مع ذكر ما لا بد منه والضروري فقط من الشروح والتعليقات مع مَيل كامل إلى طريقة التحقيق. وكانت وفاته سنة 1774/1188.

ع. السلجماسي، *الروض الطيب*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 147 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص 365 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 4 : في أماكن متعددة.

البُوخُصيبي، أسرة عربية تنتسب إلى عمر بن الخطاب استقرت مدة بجبال طرابلس، وأول قادم منهم إلى المغرب عليّ المدعو علال والد يحيى آتي الترجمة، جاء من ناحية الصحراء مجاهداً أو من ناحية كرت، وربما كان ذلك بعد تضييق البرتغاليين على مدينة سبتة، نزل البوخصيبيون بأرض الخلط في أزغار شمال مدينة سلا في قبيلة بني مالك التي كان يحكمها أخوالهم أولاد الدغوغي، ثم انتقلت رآسة هذه القبيلة إلى أسرة البُوخُصَيْبي عن طريق المصاهرة والوراثة.

البوخصيبي، محمد بن يحيى بن علي المعروف بعلال ابن موسى بن يحيى بن غانم، الشهير بقدار (گدار) المالكي. (*ممتع*، 46، 132) وهذا يعني أنه عربي الأصل، بل تذهب بعض المصادر إلى القول بأن نسبه ينتهي إلى الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب (*رسالة*، 248).

وقد نشأ أبو عبدالله محمد قدار البوخصيبي في بيت تصوف وصلاح. فجده علال كان ولياً صالحا، ومن مريدي الشيخ عبدالعزيز التباع، أخص أصحاب الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (*الروض*، 19 ب). وهذا الجد هو مؤسس الزاوية البوخصيبية الأولى في موضع يسمى تيزغوين من بلاد أزغار ببلاد الغرب (*الروض*، 19 ب). أما والده يحيى فقد كان وليا جزوليا أيضا، وممن صحب عبدالعزيز التباع كذلك.ولما توفي الجد المذكور، أوائل المائة العاشرة (16م) تصدى يحيى للمشيخة بنفس الزاوية إلى أن توفي سنة 1539/945 (*ابتهاج*، 48).

في هذا البيت، وفي تلك الزاوية تربى أبو عبدالله محمد قدار، واقتدى بوالده وجده، فانخرط في طريق القوم. معتمداً في هذا الصدد على الشيخ سعيد بن أبي بكر المشنزائي دفين مكناس، وهو جزولي الطريقة (*مرآة*، 46). فعلى يد هذا الأخير فتح له، وبلغ درجة الكمال في الطريقة الصوفية الجزولية، حتى إذا توفي والده يحيى وجد نفسه مؤهلا ليتصدر مشيخة الزاوية البوخصيبية.

وقد حصل في هذا المضمار على شهرة واسعة، كما تدل على ذلك مختلف التراجم التي عقدت له، منها قول صاحب *المرآة* : "كان صاحب الترجمة كبير الشأن جليل القدر ظاهر الولاية شهير البركة، مقيما لرسوم الشريعة متحققاً بأسرارالحقيقة... شديد الاتباع للسنة، وكان يقال إذ ذاك الفقير هو سيدي قدار الذي أقام السنة في وسط أزغار.

وكان قويا في السلوك، يخبر بالمغيبات والوقائع المستقبلية، وكان لا ينام الليل، فيقال إنه كان من حراس المغرب في وقته. واعتبره أبو المحاسن (يوسف الفاسي) من أجل الفقراء عنده ..." (*مرآة*، 46).

وقد عمّر الشيخ قدار طويلا، حيث تولى المشيخة بزاوية والده إبان فترة الصراع السعدي الوطاسي حول المغرب، وتوحيد البلاد على يد محمد الشيخ السعدي، ثم امتد به العمر ليعاصر فترة الصراع الذي اندلع بين أبناء أحمد المنصور، بعد وفاة هذا الأخير. وإذا كانت المصادر لا تمدنا بأية أخبار حول علاقته بالوطاسيين أو بالسعديين قبل المنصور، فيفهم من الكرامات والخوارق التي ظهرت على يديه إبان الأزمة المذكورة أنه لم يكن من المناصرين لا للأمير زيدان ولا لمحمد المامون. كما يفهم من نفس الكرامات أنه كان معارضاً بشدة لهذا الأخير، حتى إنه تنبأ بقتله على يد الأولياء (*ممتع*، 132).

وقد توفي الشيخ قدار يوم 6 ربيع الأول عام 1014 / 22 يوليوز 1605 وسنه مائة عام وعام واحد، وبنيت على قبره قبة عظيمة قريبة من خلوة أبيه بأزغار (*التقاط الدرر*، 68).

م.ع. الفاسي، *مرآة المحاسن* ؛ م. م. الفاسي، *ممتع الأسماع* ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب* ؛ م. ابن عيشون، *الروض العطر* ؛ م. القادري، *التقاط الدرر* ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*.

أحمد الوارث

البوخصيبي، يحيى بن علال بن موسى القرشي العُمري ثم المالكي. ولد يحيى سنة 1458/863 وكان شيخا جليل القدر، إماما في العلم والعمل، من كبار أصحاب الشيخ عبدالعزيز التباع، وكذلك كان أبوه. أما جده الأعلى خُصَيْب فهو من أصحاب الشيخ أبي محمد صالح بن قيصاري.

وأخذ يحيى أيضا عن أحمد الحارثي مريد الشيخ مَحمد بن سليمان الجزولي. وأسس زاوية ببلاد الخلط في موضع يقال له تيزغري قرب وادي أردم، وفيها أخذ عنه الشيخ عبدالرحمان المجذوب. واشتهر يحيى بكراماته واتّباعه الجادة ومحاسبة النفس، وكان له مسجد حفر في محرابه قبراً إذا وجد من نفسه فتوراً دخل ذلك القبر ومد نفسه فيه كالميت وبات فيه يعاتب نفسه طول الليل.

توفي بفاس في ربيع الثاني عام 945 / غشت ـ شتنبر 1538، ودفن خارج باب الفتوح بقرب روضة علي ابن حرزهم بوصية منه ليكون في طريق موكب الحجاج. وقد حضر دفنه جل سكان فاس والسلطان أحمد المريني، وتزاحم الناس على جنازته وتقاسموا أعواد نعشه تبركا به. وبني عليه بناء خفيف، ثم جدد هذا البناء من طرف السلطان الحسن الأول الذي بنى عليه قبة صغيرة، ويسميه العامّة سيدي الغسال لغسل الموتى الذين يأتون من خارج فاس في ضريحه ليدفنوا بمقبرة باب الفتوح.

م. ابن عسكر، *دوحة*، 140، تح. م. حجي ؛ أ. الفاسي، *المنح الصافية*، 15، مخطوط خ. ع. رقم 1234 د ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، 190 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، 144، تح. حفيظة الدازي، د. د.ع بكلية الآداب بالرباط، 1992 ؛ م. ابن عيشون الشراط، *الروض*، 67، تح. زهراء النظام، د. د. ع بكلية الآداب بالرباط 1989 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع*، 46 ؛ *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط، 29 ؛ ع. القادري، *المقصد الأحمد*، 298 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 ؛ 66.

حفيظة الدازي

بُوخَنْ، أسرة تطوانية أصلها من إحدى قبائل غمارة لعلها قبيلة بني خالد، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان. وأما بُوخَنُّو في اللهجة الدارجة فيعني ثمار النبات المعروف بالقَطْلَبْ.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 ؛ 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegecion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بوخُوالي، كتلة جبلية بالهوامش الشمالية الغربية لسلسلة الهورست بالمغرب الشمالي الشرقي، تُعرف كذلك بجبل بني بوزگو القبيلة التي تستوطنه. تحد غربا بمرتفعات مرگشوم المشرفة على تاوريرت، وجنوبا بوادي زا، وشرقاً بمنخفض مطروح، أما في الشمال فتمتد الكتلة لتشرف على هضاب ممر تاوريرت ـ العيون. لكونها تحتوي على أعلى قمة بالمنطقة (1725 م بجبل أوسرطان)، استعملت كقاعدة عسكرية أمريكية للمراقبة تحولت حالياً إلى محطة البث للإذاعة والتلفزة بالأقاليم الشرقية.

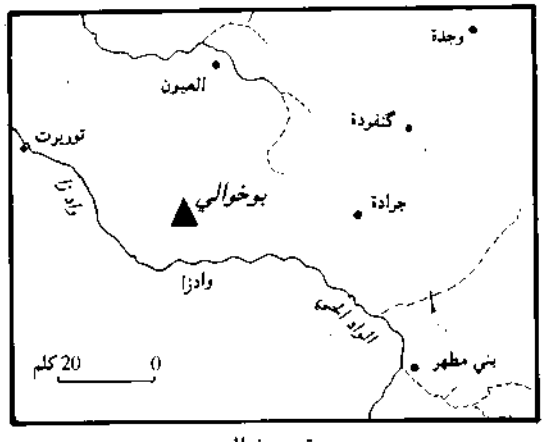

موقع بوخوالي

من أبرز خصوصيات المنطقة الجبلية، أنها أكثر رطوبة بالمقارنة مع الهضاب والسهول المجاورة، حيث المعدل السنوي بمحطة أعياط يزيد على 450 ملم، ولا يتجاوز 240 ملم بتاوريرت و265 ملم بمحطة العيون. ولذا كانت المنطقة الجبلية المخضرة نسبيا محط أنظار جل السكان المحيطين بها، وخاصة كلما اشتد الجفاف بالسهول.

وقد أدى تزايد تردد السكان على المنطقة الجبلية، وارتفاع عدد رؤوس الماشية إلى التدهور البيئي والإخلال ببعض توازناته.

ـ تجمع المنطقة بين الخصائص الجبلية والهضبية، إذ يشتد الارتفاع والانحدار بالأعراف المشرفة على الأحواض

الشمالية، ويخف بالسطوح الشبه هضبية المتجانسة الارتفاع (1200. 1400 م)، الأحادية الميل والانحدار في اتجاه محور واد زا بالجنوب.

نتجت هذه الأحجام التضاريسية عن تطور مرفوتكتوني طويل ومعقد. ترجع الصخور القديمة ببهرة منطقة تنشرفي إلى الفيزي الأعلى، وهي عبارة عن شست وحث، وصخور اندفاعية أهمها الميكروگرانيت والميكروديوريت الكوارتزيتية التي تشكل متون وتلال توريرين. أما الگرانيت المبيض، الخشن والمتفسخ فيبرز بوسط الحوض. وفي منخفض تانزارت تظهر على الخصوص الصخور البركانية مثل الأندزيت والداسيت.

ظلت الكتلة القديمة معرضة للتعرية إلى حدود غمرها بالبحر الترياسي، ثم الليلسي. لكن سرعان ما أخذ البحر في التراجع عن قمة بوخوالي التي أخذت تنهض حيث لا يتجاوز سمك الكلس الليلسي/ 20 إلى 30 م. أما عند الهوامش ذات النزعة التقعرية فقد استمر بها الترسيب إلى نهاية الجوراسي. ويزيد سمك الكلس عن 400 م بمقعر واد زا.

عرفت المنطقة من جديد حركة تكتونية وتعرية قارية خلال نهاية الزمن الثاني وبداية الزمن الثالث، مما أدى إلى افراغ المحدبات على شكل أحواض مثل تنشرفي وتانزارت. وانطلاقا من أجراف انكسارية هامة أخذت أحواض أعياض وداد علي والدواوش تتوسع خلال الميوسين، حصل غمر بحري جديد للهوامش المنخفضة الشمالية ولم يمتد البحر إلا محليا على شكل خلجان تُلامسُ هوامش الكتلة الجبلية.

وبعد تراجع البحر الميوسيني نتيجة انتهاض جديد، اشتد افراغ الأحواض الجبلية، حيث امتدت المواد الرملية الناتجة عن تفسخ گرانيت تنشرفي نحو الشمال على شكل مخروط واسع.

ورغم ضيق المجال المخصص للزراعة بالكتلة الجبلية، استطاع الانسان خلق مجال ملائم للاستغلال الفلاحي وذلك ببناء دريجات عدة، خاصة بالمجالات المسقية.

الأحواض الشمالية الواسعة لا تستفيد إلا جزئيا من الفرشة المائية لكتلة بوخوالي، وذلك لميل الطبقات الكلسية نحو الجنوب، حيث يشكل مجرى واد زا، المستوى القاعدي المحلي.

تتعدد العيون ببعض الأحواض، يرتفع صبيبها في أحسن الظروف، بحوض أعيان مثلا، إلى 50 ل/ ثانية، مما يسمح بري حوالي 40 هـ (ثلثي مساحة الحوض)، لكن أغلبها يجف ويقل الصبيب العام عن 4 ل/ ثانية، وذلك كلما اشتد الجفاف الذي يؤثر بسرعة على الفرشة المائية. يعتمد سكان بوخوالي في عيشهم على ممارسة أنشطة متنوعة، مثل الزراعة الشجرية وأهمها اللوز وزراعة الخضروات. لكن تعتبر تربية الماشية، وخاصة الماعز، المورد الأساسي للسكان. ويعتبر ذلك أهم أسلوب لاستغلال غابة وأدغال الجبل.

أغلب السكان يعتمدون على موارد خارجية، مثل زراعة الحبوب بالسهول الشمالية، ومردود اليد العاملة المهاجرة إلى داخل وخارج الوطن، إلا أن أغلب أسر المهاجرين إلى أوربا يفضلون حاليا الاستقرار بالمراكز الحضرية المجاورة. هذه الهجرة مرتبطة بنقص الموارد بالجبل وخاصة بعد إغلاق مناجم المنغنيز بتانورالت وحوض أعياط سنة 1967، والتي كانت تشغل ما يقرب عن 400 منجمي. اشتدت الهجرة كذلك لانعدام المراكز الصحية وصعوبة الاتصال ورداءة الطريق. أما المدارس في حالة وجودها ببعض الدواوير، فإنها لا توفر إلا المستويين الأولين.

حاليا، رغم الهجرة إلى المدن، فإن الكتلة الجبلية "المخضرة" في طريق الإقحال. وتحتوي المنطقة على غابة حقيقية تتكون من أشجار البلوط والشجر العفصي البونيقي، وأدغال من الضرو والعرعار واليازير والحلفا، إلا أن الاستعمالات المكثفة تؤدي إلى انفتاحها بشكل سريع ومهول.

كثافة سكان الجبل لا تزيد عن 10ن/كلم مربع، ومع ذلك يمكن اعتبارها عالية إذا ما قيست بقلة الموارد وبالهشاشة الطبيعية للمنطقة. ويعتبر الجفاف أهم أسباب تراجع الغطاء النباتي خاصة أنه يدفع السكان لممارسة استعمالات مكثفة لسد حاجياتهم. وباشتداد الجفاف، تزايد تهريب الحطب والفحم كما يعتمد الرعاة على قطع أغصان الأشجار لعلف ماشيتهم. في سنة 1990 أصبح معدل رؤوس الماشية الصغيرة بالهكتار ببوخوالي يزيد عن ثمانية، بدل رأسين/هـ كمعدل عام لسلسلة الهورست، ويرجع ذلك إلى زحف عدد من قطعان السهول التي اشتد قحطها، إلى الجبل الرطب والمخضر نسبيا.

وفي إطار محاربة الانجراف وحماية بحيرات السدود من الأطماء ظهرت مشاريع تشجير بعض السفوح المجاورة للتجمعات البشرية كما هو الشأن حول حوض تنشرفي. انطلقت التجربة سنة 1969 حيث تم تشجير المناطق المتضررة، بصنوبر حلب، وذلك تحت إشراف مصلحة المياه والغابات. لكن حاليا ظهر بجوار الحزام المغروس وبشكل مواز له، مجال آخر متضرر لكونه أخذ يعرف ضغطا رعويا متزايداً منذ تشجيز الحزام الأول.

يكون بذلك مشروع الاستصلاح قد أغفل الأساس، وهو المشكل الرعوي الذي كان السبب في عراء السفوح المجاورة للدواوير وفي انفتاح الغابة بقص الأغصان.

م. شاكر، *دراسة جيومرفولوجية للهوامش الشمالية الغربية لسلسلة الهورست، مر تاوريرت ـ العيون*، د. د. ع. الرباط، 1985.

A. Laouina et M. Chaker, *La montagne du Boukhouali : le milieu et l'homme*, R. G. M., N° 1, 1977.

شاكر الميلود

بوخيمة، أحد قواد محمد الشيخ السعدي الملازمين لحركاته. توجه معه سنة 964 /1557 إلى جبل الأطلس

الكبير، وحضر مقتل السلطان بموضع أكلكال علي يد جماعة من الأتراك، ونجا بوخيمة بنفسه مسرعا لإخبار مولاي عبدالمومن، خليفة والده على مراكش، ثم عاد برفقة الأمير إلى نفس المكان مقتفيا أثر الأتراك.

بُودْبِيرة، أحد قواد محمد الشيخ السعدي، ظهر بتلك الصفة منذ حوالي سنة 1526/932 بمناسبة افتداء أحد إخوته من لشبونة، وساهم في جميع الحروب التي خاضها السعديون إلى جانب محمد الشيخ. وحينما زحف السلطان السعدي على تافيلالت سنة 1544/951 لمحاصرة زيدان بن أخيه أحمد الأعرج، كلفه بمهاجمة باب المدينة بنحو ثلاثة آلاف رجل.

د. دي طوريس، *تاريخ الشرفا*، تر. م. حجي و م. الأخضر، ص. 118. 213. 212. 225.

حسن الفكيكي

بُودْبِيرة، حمُّو، قائد تطوان. إن الصراع على السلطة بين أولاد المنصور السعدي (ت 1603/1012) قاد المغرب إلى حرب أهلية طويلة مدمرة ظهرت فيها أسماء عسكرية ومدنية كثيرة.

لا تمدنا المصادر إلا بمعلومات قليلة عن شخص قائد تطوان حمو بودبيرة وكل ما نعلمه أنه كان من أشد أنصار المأمون السعدي إخلاصا، وأنه ولاه في زمن غير محدد حكم مدينة فاس، حيث كان يسعى في كبت فكرة الجهاد، وتثبيط همم المجاهدين. ثم بعد أن سلم المأمون السعدي مدينة العرائش للاسبانيين سنة 1610/1019، ولاه حكم مدينة تطوان بالنظر إلى ازدياد أهميتها عند السلطان المذكور، والتجائه إلى أقصى الشمال متمنعا بجباله، ومتقربا من دول أوربا.

وإذا كان أهل المغرب في عمومهم قد نقموا على المامون السعدي تسليمه للعرائش، فإن قبائل الهبط كانت أشد نقمة لإحساسها بالخطر الأجنبي الداهم، ولقد عد الجميع هذا العمل خيانة ولعنة، فسعوا سعيا حثيثا في التخلص من هذا السلطان. هكذا ائتمر أشياخ القبائل الهبطية مع بعض أعيان تطوان، بزعامة المقدم أحمد بن عيسى النقسيس التطواني، لتدبير انقلاب على المأمون السعدي. فكانت أول خطوة قطعوها في هذا السبيل أن قاموا بقتل قائد تطوان حمو بودبيرة في نفس السنة واستولوا على المدينة، قبل أن يغتالوا السلطان المذكور في ضواحي تطوان. وبهذا يكون مصير القائد حمو بودبيرة قد ارتبط بمصير سلطانه السعدي. هذا، ولم يخلف أي أثر في الذاكرة العامية التطوانية.

مجهول، *تاريخ الدولة السعدية*. نشر، جورج كولان ؛ م. الافراني، *نزهة الحادي*. نشر، هوداس، باريس 1888 ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، ت. هاشم العلوي ؛ *نشر الثاني*، ت. م. حجي وأ. التوفيق ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط.

جعفر بن الحاج السلمي

بودْراع، محمد، (الرايس ـ) شاعر فنان ومطرب شعبي ولد بإحدى قرى سموگن بمنطقة إفران بالأطلس الصغير، وينتمي إلى عائلة أيت بوجمعة. غادر مسقط رأسه وهو صغير حيث تعاطى فنّ أمارگ أي الطرب إلى أن شكل مع عناصر أخرى مجموعة فنية مع الرايس الحاج بلعيد وتمكن من زيارة عدد من مناطق سوس وحاحة ومراكش، وأقام مدة بمدينة الصويرة قبل أن يتحول عنها الازدهار الاقتصادي والتجاريُ إلى الدارالبيضاء.

وبعد سنوات قليلة من ظهور آلة تسجيل الاسطوانات بادر الرايس بودراع إلى تسجيل زهاء عشر أسطوانات من لفة 78 انتقرض بعضها بينما يحتفظ الخواص بالبعض الآخر، وإلى حد الآن تدرج على أمواج الإذاعة والتلفزة المغربية وغيرها بقية القطع الغنائية التي يلاحظ خلال الاستماع إليها تآكلها بفعل قدمها وتأثير عشرات السنين التي مرت على تسجيلها.

ورغم بعد الرايس محمد بودراع عن مسقط رأسه لم ينس ذكرياته وخلد حبه لأهله وتشبثه بأرضه ومنطقته وسجل أسطوانة عنوانها باسم قبيلته (سموگن)، وله أسطوانه أخرى بعنوان : (إفران) وأخرى بعنوان (تيمگيدّيشت) وأخرى تحمل اسم (الأحباب) بينما تحمل أسطوانة عنوان : (الغزلان).

وللرايس محمد بودراع كذلك مساجلة شعرية فنية على الأسطوانة مع المرحوم الرايس الحاج بلعيد حيث جرى الحوار الشعري الغنائي بين الفنانين بصيغة الهجاء، وجه فيه الرايس الحاج بلعيد انتقادات للرايس بودراع ولم ينس التعرض لبشرته السوداء، وبذكاء رد عليه الرايس بودراع مؤكداً قيمة وأهمية جل الخيرات ذات اللون الأسود كالعنب والزيتون والعسل إلى غير ذلك.

وقد أحسن الرايس محمد بودراع في تسجيل قصة خيالية بين عاشقين، وأبدع في هذه القصة شعراً ولحناً وأداء، بحيث يمكن اعتبارها ذات قيمة فكرية وفنية رائعة.

لا يعرف بالضبط تاريخ ولادة الرايس بودراع ولا وفاته، وإنما يعرف أنه عاش في أواسط هذا القرن العشرين.

أحمد أمزال لعسري

بودرهم، أسرة تطوانية منقرضة أصلها من إحدى قبائل الريف.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

البودشيشي، أو البوتشيشي، أسرة قادرية بالمغرب الشرقي، اشتهر منها مجاهدون ومتصوفة عرفت طريقتهم بالبودشيشية، وأصبح لها زوايا في مختلف أنحاء المغرب منهم :

البودشيشي، بومدين بن المنور بن الحاج المختار بن المختار الأول بن مَحمد (فتحا) بن الشيخ علي بن محمد

بودشيشة، ولد حوالي سنة 1293 / 1877 وأخذ الإذن في طريقة أسلافه القادريين من الشيخ المختار بن محيي الدين ولم يكتف بهذه التلمذة بل استنار بمواعظ وإرشادات سيدي محمد (فتحاً) لحلو الفاسي (شيخ درقاوي) (*تاريخ وجدة وأنكاد*، 2 : 154) كما تتلمذ على يد المهدي بلعريان السباعي (وثيقة عائلية بخط نجل الشيخ الحالي للطريقة البودشيشية).

طريقة سيدي بومدين لها وراثة صوفية دينية من أربعة مصادر تعلّم المجاهدة في العبادة من قيام الليل والصيام وتلاوة القرآن والتمسك الصارم بالشرع من سيدي الطيب الشرگي. وأخذ الورد أيضا عن سيدي محمد بن موسى مقدم الطريقة التيجانية بأحفير. كانت أمارات الجذب ظاهرة عليه فورث عنه أسراراً تتعلق بالحقيقة المحمدية وتجلياتها، كما ورث عن شيخه مَحمد (فتحا) لحلو "الحال" وهو ما يظهر عليه وعلى تلامذته من اضطرابات ظاهرية تصحبها رجفة القلب فيتغير لون المريد أو يكثر بكاؤه أو يقوم كهيئة الراقص من شدة الوجد. كما استفاد من أخذه عن الشيخ بلعريان السباعي معاني التوحيد وذاق على يديه الفناء الصوفي، وكان يتمنى لو أنه اكتفى بهذا الشخص (معلومات استخلصت من المقابلة مع الشيخ الحالي للطريقة بتاريخ 8 / 4 / 84).

من الواضح أن سند هذا الشيخ في الطريق قادريّ شاذلي خلوتي، وكان شديد التعلق بالشرع غير متهاون بأمور الظاهر زيادة على أمور الباطن، كثير الاهتمام بنظافة ثيابه وطهارتها.

"كان يقطن بدوار بويحيى جنوب أحفير، يعيش عيشة الكفاف والعفاف. كان مثالا للورع المفرط، فإذا اشترى نعلاً أو ثيابا أو تسلّم نقوداً كان يَحرص قبل كل شيء على أن يغسلها بيده، وكان لا يأكل طعام الأعيان الذين يرى فيهم شبهة في دينهم وسلوكهم ولو حضر مجالسهم مع الضيوف، ولا يحمل أحد متاعه حتى يغسل يديه، وكان يشترط في مريديه الالتحاء" (*تاريخ وجدة وأنكاد*، 2 : 154).

بقدر ما كان الشيخ بومدين متمسكا أشد ما يكون التمسك بظاهر الشرع كان أيضا يخاصم كل مظاهر البدعة والدعوى والتواكل في مجال التصوف، ولذلك كان له تصور خاص للطريق إلى الله. فهو لم يقصد مشايخ الطرق الصوفية الأخرى غير القادرية إلاّ من أجل تكسير تقليد كان ساري المفعول عند أصحاب الزوايا، وهو الاعتماد على الانتماء التقليدي الضيّق لطريقة صوفية معينة، فحينما قصد الشيخ محمد (فتحا) لحلو وغيره فمن أجل أن يأتي بالجديد في هذا المجال.

ولقد أبدع الشيخ بومدين في مسألة الخلافة، فهو لم يترك الأمر من بعده لأبنائه من صلبه، بل تركه لمن يستحقه في نظره وهو سيدي العباس والد الشيخ الحالي للطريقة. وهذا تحدٍّ واضح للتقليد الطرقي الصوفي بصفة عامة في أغلب الحالات. أما الاعتماد على النسب أو الاكتفاء به فهذا ما لم يكن يقبله الشيخ بومدين بأي حال. ومن مظاهر سلفيته أنه كان يردّ على العقائد الشعبية السائدة بنوع من الحزم والصرامة، كما كان يمنع مريديه من التحدث عن الأسرار الربانية عن طريق المحاكاة والتعلم، أما إذا تكلم مريدوه فكلامهم يكون في حدود المعقول والمنقول أومع إشارات رمزية إلى الحقائق الكبيرة، فهو قد نهض لمحاربة الشطح الصوفي ومبالغاته وحارب البدع داعياً إلى التوحيد كركيزة أساسية في الدين : إذا كان العوام يلجؤون في كل شيء إلى الأولياء في قضاء الحوائج والاستسقاء والاستشفاء، فإن هذا الشيخ كان ينادي مرة بأعلى صوته في أحفير "يابني إزْناسن لا تقصدونا في قضاء الحوائج وطلب الغيث فإن الله هو الذي يُقصد في كل شيء".

كانت وفاة الشيخ بومدين البودشيشي في 15 رمضان عام 15/1376 أبريل 1957.

البودشيشي، العباس بن المختار بن محيي الدين بن الحاج المختار بن المختار بن مَحمد (فتحا) بن الشيخ علي بودشيش دفين تاغجّيرت ببني إزناسن، الشيخ القادري الشهير، ولد بقرية بويحيي جنوب أحفير في الجبل المطل عليه في بيت علم وتقوى ونشأ في كنف والده فدخل الكتّاب وحفظ القرآن وبعض المتون، شأنه في ذلك شأن أقرانه الذين يتلقون ثقافة على يد فقهاء الزاوية.

ولما بلغ الشيخ العباس سن الرشد تكلف بأمور الزاوية في علاقاتها مع المخزن، واهتم خاصة بالجانب الفلاحي، بينما تكلف أخوه الأكبر السيد المكي (ت 1936) بتسيير أمور الطريقة في جانبها التنظيمي خلفاً لوالده الشيخ المختار (ت 1914) غير أن العباس كان لديه ميل مبكّر لسلوك طريق القوم، فنصحه أحد الزهاد بالصبر والانتظار إلى أن يأتي الوقت المناسب. وبالفعل جاء بومدين البودشيشي عند العباس ليقدم إليه التعازي بمناسبة وفاة إحدى بناته، فالتمس منه المكوث عنده في منزله بمداغ وظل يسترشد به في كيفية طريق التصوف، إلى أن فُتح له على يده وأصبح وارث سره دون أن يكون طامعاً من قبل في تلك

المنزلة.

وقد أوفده أخوه المكي بن المختار السالف الذكر في مهمة إلى مدينة فاس وأحوازها خاصة إلى قبيلتي أشجع وأولاد جامع من أجل إصلاح ذات البين ومحو نزاع طرأ بين المقدم السيد البشير وبعض المريدين، واتصل في تلك المناسبة بالشيخ محمد لحو الدرقاوي، فأُعجب بالعباس كثيراً وتفرس فيه بلوغ المقام العالي في المستقبل.

بقي العباس ملازما لأخيه المكي بإشارة ونصيحة من أحد الصالحين بوجدة، إذ بدونه لا تستقيم أحوال الزاوية. فهو وإن لم يكن رئيساً لها فإن الدور الذي كان يقوم به ـ بكيفية لاشعورية ـ كبير، فهو مصدر و"عين مدد وبركة" بالنسبة لأخيه المكي، كما كان أبوه الشيخ المختار مصدر مدد وبركة لأبيه محيي الدين. وكذلك الأمر بالنسبة للشيخ عبدالقادر الگيلاني الذي كان يستمد من أحد مريديه حسب بعض الروايات.

جمع السيد العباس بين صفتي التسامح والكرم مع الشيخ بومدين ومع إخوانه المريدين، بل إنه قد جاد بنفسه لإرضاء شيخه : أعطاه "فلسه ونفسه" من أجل علاج "قلبه المريض".

أوراده وأحزابه : تعتمد الطريقة القادرية البودشيشية في زمن الشيخ العباس على الأوراد القادرية والشاذلية في نفس الوقت، لكن المعتمد فيها الاستغفار بصيغة "استغفر الله العظيم" 100 مرة أو أكثر، والهيللة (لاإله إلا الله) بعدد كبير، المفضل أن يفوق خمسة عشر ألف مرة. والاسم المفرد (الله) للمجتهدين فقط. والصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلفظ. "اللهم صل على سيدنا محمد الذي ملأت قلبه من جلالك، وعينه من جمالك، فأصبح فرحا مؤيداً منصوراً، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما، والحمد لله على ذلك" 100 مرة صباحاً ومساءً.

أما ورد المجتهدين لديه فهو تلاوة حزبين من القرآن الكريم في اليوم وذكر الله الاسم المفرد بدون حصر، وأسماء الله الحسنى : باللطيف بعدد 4444 مع الدعاء المتعلق به : "اللهم لافرج إلا فرجك، فرِّج عنا كل هم وغم وكرب وشدة، يا من بيده مفاتيح الفرج اكفنا شر من يريد أن يضرنا من إنس وجان وباغ وحاسد، وادفعهم عنا بيدك القوية إنك على كل شيء قدير" سبعين مرة، يا قوي يا عزيز، 400 ؛ يا حي يا قيوم، 1.000 ؛ حزب النصر للشيخ عبدالقادر الجيلاني.

الحزب (الوظيفة) : الذكر الجماعي. بعد صلاة المغرب تعقد مجالس الذكر يتلى فيها ما تيسر من القرآن وخاصة سورة الفتح إلى قوله تعالى "لقد رضي"، سورة الفاتحة 10 مرات، باللطيف 100 مرة، لاإله إلا الله 100 مرة، حسبنا الله ونعم الوكيل 100، الله 100، هُوَ هُو 100، سورة الواقعة، الدعاء، التلاوة الفردية، الدرس التوجيهي المتعلق بالسلوك الصوفي أو بالمسائل الشرعية التعبدية. القصائد الصوفية والأمداح النبوية، وهي متنوعة المواضيع في الحب الإلهي وذكر فضائل أهل الطريق.

والملاحظ أن مريدي الشيخ العباس كانوا يردِّدون أشعار الصوفية من مختلف العصور كابن الفارض والحسن اليوسي والششتري، وسيدي عبدالرحمان المجذوب، والشيخ الحراق وغيرهم، كما أن هناك قصائد من إنتاج الطريقة نفسها.

أملى الشيخ العباس قبل وفاته بحوالي أربع سنوات وصيته على أحد مريديه لأنه لم يكن بالإمكان أن يكتبها هو بنفسه لأنه كان قد فقد بصره، لكنه وقّعها أمام السلطة المحلية بمدينة السعيدية.

أما كاتب الوصية فهو أحد أعيان مدينة وجدة مدير مدرسة سيدي زيان يحيى العتيقي. تتناول الوصية مسألة الخلافة، ويؤكد فيها أن المأذون في خلافته نجله الحاج حمزة.

يبشر صاحب الوصية بانتشار طريقته في عهد خليفته وبظهور العلم والحال والصلاح فيها، وبنجاح دعوته المعتمدة على الصدق والتمسك بالشرع. ثم إنه يوصي مريديه خاصة والمسلمين عامة بالتمسك بحبل الله المتين متعاضدين سالكين الصراط المستقيم ملتفين حول مرشدهم، كما يوصي ابنه الحاج حمزة بأن يهتدي بهدي الإسلام ويسير على ضوء تعاليمه السامية وأن يكون ناصراً للحق متفقداً أحوال المريدين أنّى كانوا عطوفا عليهم محترماً للعلماء ورثة الأنبياء واصلاً لقرابته.

توفي الشيخ العباس يوم الثلاثاء 15 ذي الحجة 22/1391 فبراير 1972 بمصحة الدكتور اليعقوبي بوجدة عن سن فاقت الثمانين، وقرئت وصيته قبل مواراته في قبره.

ق. الورطاسي، *بنو يزناسن* ؛ ع. القادري، *الزاوية القادرية عبر التاريخ والعصور* ؛ ع. اسماعيل العلوي، *تاريخ وجدة وأتكاد* ؛ يشو الحبيب، *دراسة مونغرافية للزاوية البودشيشية ببركان، مقابلات وتحقيقات مع نجل الشيخ العباس (خليفته من بعده)، مع أحد أفراد العائلة البودشيشية 29 / 8 / 89 بزاوية مداغ ؛ وثائق عائلية* تثبت النسب القادري للعائلة كما يؤكده الشيخ عبدالحي القادري في كتابه : *الوصية* التي تنص على الخليفة وهي موقعة بتاريخ 3 / 4 / 1968.

M. Amrous, *Les confréries religieuses et l'islamisme au Maroc au XIX et XX e S.* Thèse de 3ème cycle, Paris, Nanterre, 1986 ; M. Tozy, *Champs et contre champ politico-religieux au Maroc*, Thèse de doctorat d'état, Aix-en-provence, 1984.

أحمد الغزالي

البودشيشي، المختار بن محيي الدين، شيخ الزاوية القادرية بجبل بني إزناسن في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) ومطلع القرن الذي يليه، ينتمي إلى فرقة أهل تاغجّيرت من قبيلة بني خالد، واشتهر بمقاومته للاحتلال الفرنسي بشرق المغرب في نهاية سنة 1325 / 1907، وهو حفيد الشيخ المختار بودشيش الذي عاصر الأمير عبدالقادر الجزائري وناصره في الجهاد ومقاومة الغزاة الفرنسيين، مما زاد في إشعاع الزاوية و قوّى نفوذها بين قبائل شرق المغرب، غير أنه من الصعب تتبع سلسلة نسب البودشيشين، وحسب بعض الروايات فإن الزاوية تأسست في منتصف القرن الثاني عشر (18 م) على يد الشيخ علي

ابن محمد البوتخيلي، وفي أيامه اشتهرت باسم الزاوية البودشيشية نظراً لإطعام الوافدين إليها الدشيشة أثناء المجاعات والقحوط، وخلال القرن الذي يليه تعززت مكانة الزاوية في المنطقة الشرقية بعد أن أنعم السلاطين العلويون على شيوخها بظهائر التوقير والاحترام، وكان المختار بن محيي الدين يُستشار من طرف السلطان مولاي الحسن في أمور القبائل، ويُعهد إليه بالتحكيم وحل النزاعات بينها، وهذا ما أكسبه هيبة كبيرة وأهلية ليتزعم المقاومة ضد الجيش الفرنسي بجبال بني إزناسن في نهاية سنة 1907 (أكتوبر- دجنبر)، حيث حاول الجنرال ليوطي آنذاك استغلال الخلافات الواقعة بين قواد بني إزناسن بسبب ثورة الجيلالي الزرهوني، فاستمال البعض منهم إليه وبادر إلى التدخل لحمايتهم، حينئذ التفّت قبائل بني إزناسن حول الشيخ المختار بن محيي الدين. الذي انتصب زعيما للجهاد بعد أن صالح بين القبائل وسوّى الخلافات الموروثة عن صراع المخزن مع الروگي في المنطقة.

بلغت المقاومة ذروتها خلال الشهور الثلاثة الأخيرة من سنة 1907، فطارد المجاهدون الجيوش الغازية داخل التراب الجزائري وألحقوا بها هزائم متتالية، غير أن الجنرال ليوطي استقدم إمدادات عسكرية كبيرة من وهران، وحاصر المجاهدين داخل جبل بني إزناسن ؛ ثم اقتحم مواطن قبيلة بني خالد في بداية شهر دجنبر سنة 1907 ـ وبها مقر الزاوية البودشيشية ـ فدمر الجيش الفرنسي زاوية الشيخ المختار باعتباره من أهم متزعمي حركة المقاومة، وبعد ذلك بقليل وقع اكتساح شامل لجبل بني إزناسن انطلاقا من سهل تريفة شمالا ومن بسيط أنگاد جنوباً، فاضطر الشيخ المختار إلى الاستسلام للقوات الفرنسية قرب أغبال يوم 26 قعدة عام 1325 / 31 دجنبر 1907، بعد أن طلب الأمان لنفسه ولكافة القبائل والتزم بقبول شروط المستعمر، ولم يعمّر بعد ذلك طويلا، إذ توفي سنة 1332 / 1914، وبعد وفاته تفرّعت الزاوية إلى عدة فروع، أهمها الفرع الذي استقر قرب قرية مداغ بسهل تريفة، حيث كان الشيخ المختار يمتلك أراضي هناك، وقد صار هذا الفرع يمثل الزاوية الرئيسية، وله مريدون كثيرون في جل مناطق المغرب.

ق. الورطاسي، *بنو يزناسن*، ص 16 ؛ ع. اسماعيل العلوي، *تاريخ وجدة وأنكاد*، 2 : 152 ـ 156 ؛ ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي*، 372 ـ 374.

L. Voinot, *Confréries et zaouias au Maroc : les établissements religieux du Maroc Oriental*, B.S.G.A.O., 1936, p. 247 - 248 ; *L'illustration*, N° 1, (25 / 1 / 1908), p. 63.

عكاشة برحاب

البودشيشية، طريقة صوفية متفرعة عن الطريقة القادرية الكبرى، يرجع ابتداؤها إلى منتصف القرن الثاني عشر (18 م) وظهر في سندها رجال من الطرق الأخرى الشاذلية وفروعها. وتنسب إلى مجددها عليّ بن محمد بودشيشة بن البودخليلي الإزناسني، المغربي موطناً ونشأة. وهو دفين تاغجّيرت بلدة جبلية في المغرب الشرقي من قبائل بني إزناسن (فرقة بني خالد) ويتصل نسبه ـ حسب الوثائق العائلية ـ بالشيخ عبدالقادر الجيلاني من ولده عبدالرزاق إلى الحسن السبط بن علي بن أبي طالب.

ذكرت تاغجّيرت في مؤلفات المؤرخين الأجانب والمغاربة كمكان نظمت فيه المقاومة والجهاد ضد المستعمر الفرنسي على يد رجال من أصل بودشيشي قادري، ذكر ذلك المكان في كتاب *تحفة الزائر* (1 : 497) محمد بن الأمير عبدالقادر، فمنه انطلقت مفاوضات الأمير مع الجنرال الفرنسي لامورسيير Lamoricière من أجل أن يقدم نفسه حيث كان نازلا فيها على صديقه المختار بودشيش.

كما ذكرها المؤرخ ڤوانو Voinot في كتابه *وجدة والعمالة* في مواطن مختلفة، وإسماعيلي عبدالحميد في *تاريخ وجدة* (2 : 152) وتحدث قدور الورطاسي عن الزوايا ببني إزناسن فذكر الزاوية البودشيشية وربطها بالشيخ عبدالقادرالجيلاني كما تحدث عن الدور الجهادي الذي قام به أبناء الزاوية (*بنو يزناسن*،61). وهناك دراسات جامعية تتحدث عن عودة الطرق إلى الحياة اليومية المغربية كظاهرة تجديدية، وتتمحور هذه الأبحاث حول البودشيشية، كأطروحة محمد الطوزي (Aix, 1984) ومصطفى عمروس (Nanterre, 1986).

عرفت البودشيشية، قبل ظهورها كطريقة، كعائلة مجاهدة يقصد أفرادها للتبرك. وراعى لها الملوك تلك الحرمة، وقد ورد في ظهير 1876/1293 "إننا بحول الله وقوته أقررناهم على عادتهم المألوفة وطريقتهم المعروفة بحيث لا تخرق عليهم عادة، ولايحدث في جانبهم نقص ولا زيادة، ونأمر الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يعمل بمقتضاه ولا يتعداه" (*تاريخ وجدة وأنكاد*، 2 : 153).

أما كلمة بودشيش فآتية من الدشيش، لقب به جدهم سيدي علي أثناء مجاعة اجتاحت المنطقة وأهلكت الضرع والزرع، فجاء الأهالي من كل حدب وصوب وضربوا خيامهم بجوار الزاوية، فأطعمهم الطعام المعروف بالدشيشة حتى زالت المخمصة وظهرت سُبُلُ الكسب والعيش. وبفضل هذه الأعمال الاجتماعية المقرونة بالتأثير الروحي بلغت الزاوية

البودشيشية شأواً كبيراً عند الخاص والعام فأسدل عليها الملوك العلويون رداء التوقير والإجلال وانتظم في سلكها أصحاب الرياسة والجاه" (*تاريخ وجدة*، 2 : 152).

ثم اشتهر حفيده الحاج المختار بمؤازرة الأمير عبدالقادر الجزائري في محاربته للاستعمار الفرنسي كما هو مشار إليه في *تحفة الزائر* وكتاب *الزاوية القادرية*. يقول قدور الورطاسي : و"لقد استنجد الحاج عبدالقادر (أي الجزائري) ببني إزناسن وعلى رأسهم الشيخ الشهير السيد المختار بودشيش صاحب الزاوية القادرية" (*بنو يزناسن*، 77).

ولقد ذكر الشيخ العباس بودشيش في وصيته المخطوطة أن الشيخ المختار صديق الأمير عبدالقادر كان من مجددي الطريقة أهل الاذن في ذكر الاسم المفرد (الله).

وقد عرفت الطريقة البودشيشية تجديداً عميقاً مع الشيخ بومدين بن المنور بن محيي الدين بن الشيخ المختار صديق الأمير عبدالقادر، إذ أخرجها من طبيعتها التبركية كما أخرجها مما يمكن أن يعتبر عصبية طرقيّة، وراح يلتمس المدد من كثير من الطرق، وكلما سمع بشخص فيه خير وتصرّف في القلوب قصده، ولذلك تتلمذ لشيوخ درقاويين وتجانيين زيادة على الورد الأصلي الذي أخذه عن قطب العائلة البودشيشية الشيخ المختار الذي قاوم الاستعمار الفرنسي سنة 1326 / 1908.

تجاوزت الطريقة البودشيشية ميدانها الإقليمي بركان وأحفير وبولجيبي، وبوعمالة ووجدة، وظهرت بأهم المدن المغربية كسلا والدارالبيضاء وخريبگة ومراكش وأگادير ثم فاس وتازا ومكناس في عهد سيدي العباس وارث سرّ سيدي بومدين. ثم زاد انتشارها في عهد ولده ورفيقه في الطريق حمزة فأصبح لها أتباع حتى خارج المغرب.

خصائص هذه الطريقة : تحدث صدى قويا لما تتميز به من الانتشار السريع والتأثير العميق في سلوك المنتمين الجدد، إذ تظهر فيهم بوادر الاستقامة السريعة المفاجئة ويحدث انقلاب في سلوك المنتمين لها ولو كان ماضيهم غير لائق من الناحية الأخلاقية. يحدث في سلوك المريدين تغيّر بالغ فيقبلون على العبادة والذكر الكثير بشغف حتى إن بعض الأبناء يفاجئون آباءهم المتدينين بعد أن أتعبوهم في محاولة إصلاحهم وتقويم اعوجاجهم ويصبحون أشد تعلقاً بالدين. وهذا ما استخلصناه من مقابلاتنا مع من استجوبناهم.

بالاضافة إلى سرعة الانتشار والتأثير العميق الذي يحدثه الانتساب إلى هذه الطريقة من الناحية الأخلاقية السلوكية يسجل الملاحظون أو الحاضرون في مجالس الذكر لتلك الطريقة قوة التأثر، فمنهم من يبكي خشوعا، ومنهم من يصيح اضطراراً، ومنهم من يقوم راقصا أو يتكلم كلاماً غير مفهوم يدل فقط على الابتهاج وهو مكون من كلمات متقطعة وحروف منفصلة. يتميز الحال بسرعة الانتقال من شخص إلى آخر كأنه تيار كهربائي ينتقل بالمحاكاة والعدوى.

ويظهر أن أفراد الطريقة البودشيشية لا يهجرون الدنيا ولا يهملونها وعياً منهم بأن الزهد في الدنيا والإعراض عنها ليس في ترك الأسباب، فالمرغوب فيه هو تحصيل الدنيا من أجل بذلها في الخير. فهم لا يرون بأسا في الاستمتاع بها بشرط الإنفاق على الآخرين وصرف المال فيما يرضي الله. التعامل مع الآخرين في إطار المصالح المادية لا ينبغي بحال أن يغلب عليه في نظرهم طابع الأنانية والأثرة، فالمال والجاه ليسا مرفوضين في حد ذاتهما أو مستهجنين كما يمكن أن يفهم من تصرف بعض الزهاد المتقدمين. فكل عمل في الدنيا يؤجر عليه صاحبه إذا كان مطلوبا من قبل الشرع.

ويتميز شيوخ الطريقة البودشيشية بعلاقة وقار مع ولاة الأمور في الماضي والحاضر، إذ كانوا يقومون بدور الوساطة في نزاع القبائل زمن "السيبة" وبتكليف من طرف الملوك في بعض الأحيان أو من طرف القواد (*تاريخ وجدة*، 2 : 153). وفي الحاضر يلاحظ عدم تدخل الطريقة في الأمور السياسية، بل إنهم رسموا لأنفسهم طريق الحياد والاهتمام بأمور المسلمين كافة معتمدين على الإخلاص لله في الغيب والشهود تاركين مبدئيا العمل السياسي لغيرهم من المشتغلين به.

الأوراد والأحزاب : تنبني الطريقة على أنواع الذكر، من قراءة *القرآن الكريم* و*دلائل الخيرات* وجميع الأذكار المعروفة في الطريقة الشاذلية والقادرية من أحزاب وأدعية، فهي كلها مقبولة مبدئيا، إلا أن الشيخ هو الذي يأذن بها لمن يشاء ما عدا *القرآن الكريم* فهو فرض، وأما *دلائل الخيرات* للإمام الجزولي، ولاإله إلا الله، والاستغفار، فإن الإذن فيها عام، وكذلك الصلاة الجمالية التي ذكرها يوسف بن إسماعيل النبهان في كتابه *أفضل الصلوات على سيد السادات* واعتبرها من أفضل الصلوات وهي كذلك مذكورة في كتاب الجزولي *دلائل الخيرات* في حزب يوم الأربعاء.

أما الأدعية والأذكار الخاصة التي أصبحت شبه راتبة فيذكرها كل من أصبح لديه الذكر اعتياديا فهي *لطيف* ابن حجر الهيتمي، وحزب *النصر* للشيخ عبدالقادر الجيلاني. وإن مقياس حرارة الإيمان والنجاح للاجتماعات العامة يقاس بمدة الذكر والمذاكرة والتواجد وغلبة الأحوال.

م. بن عبدالقادر الجزائري، *تحفة الزائر*، ط 2، 1964 ؛ ق. الورطاسي، *بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني* ؛ ع. القادري، *الزاوية القادرية عبر التاريخ والعصور* ؛ ع. إسماعيلي العلوي، *تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الأمجاد* ؛ ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي* 1873 - 1907، رسالة. د. د. ع. الرباط، 1987 ؛ يشو الحبيب، *دراسة مونوغرافية للزاوية البودشيشية ببركان*، رسالة لنيل الإجازة بفاس، 86 - 1987.

L. Rinn, *Marabouts et khouan*, Alger, 1884 ; Ben Ridouane (Cheikn Oud al-Hadi), *Etude sur le soufisme*, trad. Arnaud, *R. A.*, 1887 ; O. Depont et Coppolani, *Les confréries religieuses musulmanes*, Alger, 1897 ; Lieutnant Boullé, *La France et les Beni Snassen : campagne du général Lyautey*, Paris, (s. d.), Archives historiques de Vincennes, Opérations contre Beni Snassen D2 3H 72 ; L. Voinot, *Oujda et l'Amalat*, Oran, 1912 ;

M. A. Al Aini, *Un grand Saint de l'Islam : Abd Al-Qader Guilani*, Paris, 1938 ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris ; M. Tozy, *Champ et contre champ politico-religieux au Maroc*, Thèse de doctorat d'état, Aix-en-provence, 1984 ; R. M. Al Harochi, *Introduction et évolution religieuse et spirituelle de la confrérie Qadiriya au Maroc*, Mémoire de Maîtrise, 1986 ; M. Amrous, *les Confréries religieuses et l'Islamisme au Maroc au XIX et au XX s.*, Thèse de doctorat 3ème cycle, 1986.

أحمد الغزالي

بودعكات، سليمي، مقاوم ولد سنة 1925 بأسًا إقليم گلميم، وشب يتيما وتكفل به شقيقه الأكبر لوفاة والديه وهو طفل صغير. ولما بلغ الواحدة والثلاثين من عمره انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 بإيعاز من شقيقه، وكان تحت قيادة المرحوم مبارك منار وبعده إيد ولد التامك. وعند مشاركته في معركة الحمادة التي دافع فيها عن مبادئ الوطنية والدين بكل شجاعة وإيمان استجاب الشهيد لنداء ربه سنة 1959 وهو دفين منطقة "وين سكور" بالبطانة بين البورات والزاگ بالصحراء الجنوبية.

المدونية السامية للمقاومة وجيش التحرير : كتاب الشهداء، ج. 3.

عزالدين العلام

بودغية، محمد بن عبدالسلام الفقيه العالم المجاهد، ولد في الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري (19م)، بقرية تغلان، فرقة بني كلون بقبيلة بني زيات إحدى قبائل غمارة الشاطئية. تعلم ببلده وأنهى دراسته بفاس، ثم شد الرحال إلى البقاع المقدسة فأدى فريضة الحج. وبعد عودته وجد أكثر مناطق شمال المغرب قد طوقها المستعمر، فكان ممن شارك في حرب دار ابن قريش الأولى، وبعد سنتين تكونت دار ابن قريش الثانية، فانتخب رئيس محلة غمارة؛ ثم التحق بالزعيم ابن عبدالكريم الخطابي ـ وكان من قواده في الحرب التحريرية بالمنطقة الشرقية ـ وأبلى البلاء الحسن في طرد الإسبان من الشواطىء الغمارية وترأس متطوعي غمارة في حرب بني ورياغل والبرابر مع الفرنسيس، وحققوا انتصارات باهرة في عدة معارك. وكان ساعده الأيمن أخوه عبدالرحيم، وهو من الأبطال الشجعان، ولاه ابن عبدالكريم قيادة قبيلته بني زيات.

وبعد استسلام ابن عبدالكريم سنة 1926، اعتصم الفقيه بودغية وبعض أصحابه بجبال غمارة، وكانوا إذا عسعس الليل هاجموا ثكنات العدو، ومع طلوع الفجر يتسللون إلى معاقلهم، ولم يستسلموا إلا بعدما نفد كل ما كان عندهم من زاد وعتاد، وقد ألقي القبض على الفقيه بودغية، وأودع السجن الكبير بسبتة مرتين ؛ وبعد أن أطلق سراحه عين قاضياً على قبيلتي بني زيات وبني سلمان، ولم يلبث أن عزل، فتفرغ لشئونه الخاصة، وأعطى كل اهتماماته لتعليم بناته، فكن فقيهات يحفظن كتاب الله عن ظهر قلب.

توفي سنة 1955/1375 عن سن تناهز التسعين.

روايات شفوية ؛ تقاييد ووثائق خاصة.

سعيد أعراب

بودميعة، أسرة كبيرة بجنوب المغرب نشأت في تازروالت بالأطلس الصغير، وقد استمدت نفوذها من الانتماء إلى أشهر صلحاء منطقة سوس، الشيخ سيدي أحمد أُموسى الذي عاش في القرن العاشر(16م) ويوجد ضريحه بتازروالت، ارتقت هذه الأسرة سياسيا إلى مستوى تكوين الإمارة المعروفة بإمارة بودميعة أو الإمارة السملالية في الجنوب المغربي في أعقاب انهيار الدولة السعدية وعلى اثر الاحداث التي تلت وفاة أحمد المنصور الذهبي، فاستطاع زعيمها بودميعة، المعروف بأبي حسون السملالي، آتي الترجمة أن يؤسس بحاضرة إيليغ الإمارة المذكورة.

أنجبت أسرة بودميعة عددا من قواد المخزن خلال الفترة الممتدة ما بين بداية القرن التاسع عشر وأواسط القرن العشرين، وهذا جدول بأهم رجالات هذه الأسرة.

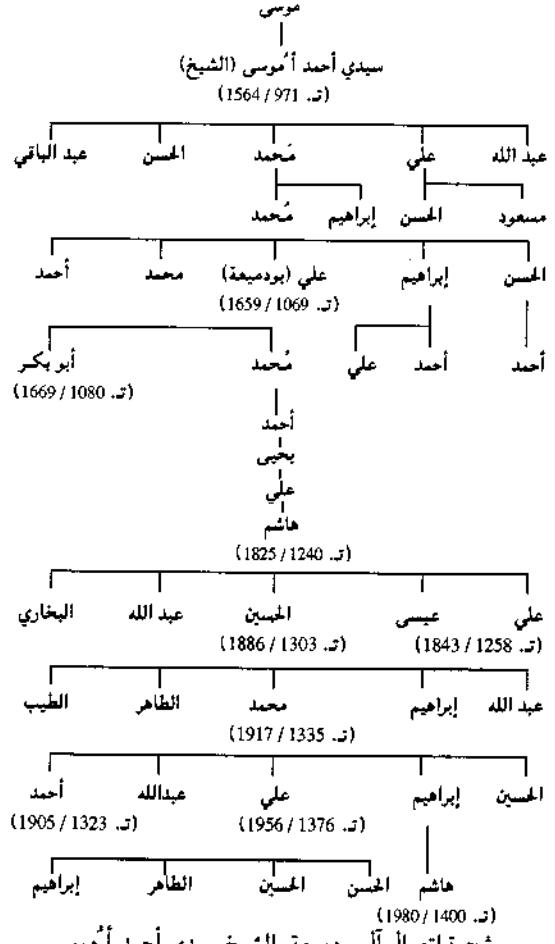

شجرة اتصال آل بودميعة بالشيخ سيدي أحمد أُموسى

بودميعة، أبو بكر ابن الأمير علي أبي حسون السملالي صاحب إليغ، لكن أبا بكر انتهج في حياته الخاصة منهاجا يعتمد الزهد والصلاح، ولم ينخرط في المجال السياسي والشؤون الدنيوية، كما هو الشأن لدى كثير من رجالات أسرة بودميعة التازروالتيّين.

اتخذ أبو بكر صومعة للنسك والعبادة في أحد الأبراج التي ما تزال آثارها قائمة بأطلال إليغ حتى الآن، ومع ما كان لهذا الرجل الصالح من الذكر الحميد على ألسنة العامة والخاصة، فإننا لا نعثر على تفاصيل مكتوبة عن أطوار

حياته الخاصة أو عن مدى مبلغ علمه، ولعل وفاته كانت سنة 1670/1080 قبيل إسدال الستار على إليغ القديمة وهدمها في عهد السلطان مولاي رشيد عام 1081 / 1671.

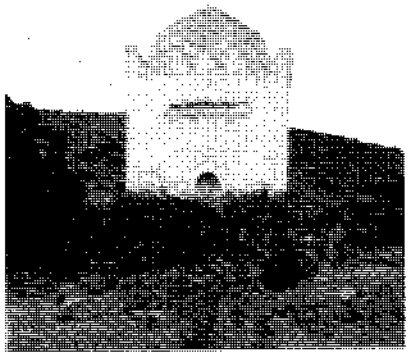

ونظراً لما اشتهر به أبو بكر بودميعة من الصلاح والنسك وقع تكريمه بإقامة ضريح له على إحدى التلال المطلة على إليغ عن يمين الطريق الرابطة بين أطلال هذه المدينة المندثرة وزاوية جده الشيخ أحمد بن موسى.

ماتزال مناقبه وأخباره في الصلاح والكفاف تتردد بين أهله وذويه وعامة السكان.

روايات شفوية.

عمر أفا

بودميعة، الحسن بن علي بن محمد بن الحسين أهاشم، من رجالات إليغ الأفذاذ، لم يجعل همه التعلق بالسياسة والسلطة كما كان الشأن بالنسبة لأسلافه، وإنما كان كل اهتمامه منكباعلى العلم والمعرفة، ويعد آخر من عرفته دار إليغ من نماذج الفقهاء المهتمين بالحديث وعلومه، وبالآداب والتاريخ. وإن هذا الاتجاه العلمي يمثل بالنسبة لدار إليغ منعطفا جديدا، ذلك أن جذوة السياسة بدأت تخبو في وسط هذه الأسرة منذ عهد والده علي، نتيجة التطورات التي عرفها المغرب، ومنطقة سوس بالخصوص، على يد سلطات الحماية الفرنسية، وكان والده قد عبر عن هذا المنعطف باعتزاله ميدان السياسة، بعدما استخلف أكبر أبنائه الحسين. وهناك عنصر آخر يمكن إدخاله في الاعتبار وهو رسوخ التقاليد العلمية بدار إليغ على يد زعمائها بما كانت تزخر به من علماء وقضاة وكتاب. وعندما ولد الحسن بودميعة سنة 1922/1341 نشأ في هذا الوسط وتعلم القرآن ومبادئ العلوم بإليغ على يد تلة من الفقهاء أمثال : محمد بن سعيد البوريني المشهور بالمودن، ومحمد أ'بريك، والمكي بن صالح، وبوطالب الخرازي، كما درس بعض أمهات العلوم على الفقيه أحمد الدشيري المعدري.

بعد ذلك انتقل الى مراكش مع محمد المختار السوسي فلازمه بمدرسة الرميلة بباب دكالة حيث تفرغ للدراسة ما يقرب من ست سنوات، واستطاع في نفس الوقت أن يتصل بجامع ابن يوسف ويتلقى الدراسة على أشهر علمائه، وقد تخرج على يد كل هؤلاء بحصيلة من المعارف والفنون شملت الفقه وعلوم الحديث والتاريخ والأدب.

عاد الحسن من مراكش إلى إليغ مليء الوطاب، فأخذ في أول الأمر يساعد والده في بعض المهام وبالخصوص الاتصالات الشخصية مع الحكام المخزنيين، واستقبال الزوار الوافدين على دار إليغ،وكان مؤهلا لهذه المهام لما اكتسبه من صفات حضارية وتكوين اجتماعي، فكان الجميع يحظى منه بحسن المعاملة.

وفي سنة 1954/1373 انخرط في الوظيفة العمومية حيث اشتغل مدرسا في التعليم بإليغ ثم انتقل في عدد من المدارس بمنطقة سوس، طوال إحدى عشرة سنة.

وفي سنة 1965/1384 استقال من التدريس ليتفرغ لشؤون الأسرة والاهتمام بأملاكها إلى جانب أخويه الحسين والطاهر، وليتفرغ بالخصوص للاهتمامات العلمية التي وضع لها برنامجا دقيقا يتضمن :

1 ـ الاهتمام بتثقيف العامة بعقد دورية للدروس الدينية والادبية والتاريخية.

2 ـ الاهتمام بشرح *صحيح البخاري* لمدة ثلاثة أشهر في السنة تبدأ قبل شهر رمضان بشهرين.

3 ـ الاهتمام بقراءة الصحف والمجلات ومتابعة أهم الإذاعات الوطنية والدولية مما جعل حديثه يتميز بسعة الاطلاع على ما جريات الأحداث.

وكان من أهم إسهاماته البارزة قيامه بدور الباحث المتضلع بخصوص ما يتصل بتاريخ تازروالت وأسرة آل بودميعة، وبتاريخ المغرب عموما، بحيث يعتبر مرشدا عاما لزوار منطقة تازروالت ورواد زاوية سيدي أحمد أ'موسى يفيدهم بكل ما يتصل بتاريخها، كما يعتبر مرجعا خبيرا لكل من يود الكتابة عن هذه الجهة فيما يخص تاريخها العام أو تاريخ رجالاتها المشهورين.

وفي هذا الاطار كان يستقبل ـ في رحابة صدر وكرم بالغ ـ العلماء والطلبة والباحثين، ونذكر إلى جانب عشرات من الباحثين والمؤلفين المغاربة من بينهم محمد المختار السوسي عددا من الباحثين الأجانب أمثال الكولونيل جوستينار Justinard وكينيت براون K. Brown وروزانبيرجي Rosenberger وبول باسكون P. Pascon وغيرهم.

كما يعد من إسهاماته العلمية، الحفاظ على خزانة

أسرته الغنية بأمهات الكتب والمخطوطات من مختلف الفنون، وكذلك الحفاظ على ذخيرة من الوثائق التاريخية النادرة المتعلقة بمختلف أطوار دار إليغ، بما في ذلك المراسلات المخزنية، والسجلات التجارية، والرسائل المتبادلة مع أشهر علماء سوس والمغرب عموما، وكان يتفاني في فهرستها وتقديمها للباحثين حسب اهتماماتهم إلى أن أدركه أجله رحمه الله بتاريخ 22 شوال 3/1400 شتنبر 1980.

أما عن انتاجه الشخصي فقد خلف بعض الآثار المكتوبة من بينها :

1 ـ *مجموعة فتاوى فقهية* تعكس بعض القضايا المحلية.

2 ـ *تقاييد علمية وتاريخية* في مواضيع مختلفة.

3 ـ *رسائل* وجهها لوالده من مراكش تنم عما له من معرفة بأحوال البلاد إضافة إلى تعبير أدبي صقيل وخط مغربي جيد، ورثه عن والده (*إيليغ قديما وحديثا*، ص 311) وورثه عنه ابنه الأستاذ البخاري.

4 ـ *مجموعة من المقطوعات الشعرية* في أغراض متنوعة نسوق نموذجا منها ضمنه احدى رسائله المتاخرة يعبر فيها عن دور المراسلة في التواصل :

ولما نأيتم ولم أستطع ... مسيراً لحضرتكم بالقدم
سعيت إليكم برجل البرد ... د وخاطبتكم بلسان القلم

بودميعة الحسين أُهاشم ← **الإلغي الحسين** أُهاشم **بودميعة، علي بن محمد** بن الحسين أهاشم. تسلم هذا الرجل زعامة دار إليغ بعد مرور قمتين عاليتين في قيادة هذه الحاضرة. وهما قيادة والده محمد وجده الحسين أُهاشم، وبذلك يعتبر زمن عليّ زمنَ انحدار في سلطة آل بودميعة ونفوذ تازروالت، فقد صادفت توليته بداية عهد الحماية الفرنسية وانتشار سلطتها نحو مدينة تيزنيت وجبال جزولة قبل سيطرتها على كامل البلاد.

زيادة على هذا العامل فان عليّاً حينما تولى القيادة سنة 1916/1335 لم يكن يملك ما كان يملكه أسلافه من الأموال والجيوش والعبيد، ولذلك اعتمد في إدارة شؤون القيادة والحفاظ على ما تبقى من نفوذ آل بودميعة على عناصر أخرى، من ضمنها : أنه بلغ حظاً من العلم أكسبه هالة لم يكتسبها أهله بما كانوا يملكون، وأن حسن معاملته للناس جلبت له مقدارا من الود والتقدير، إلى جانب مرونته في الاتصال بسلطة الحماية وممثليها في نطاق مهامه المخزنية وبالخصوص المراقب المدني بتيزنيت القبطان جوستينار، والحكام العسكريين الذين تعاقبوا على مكتب الشؤون الأهلية بأنزي، وحسب وثائق دار إليغ نذكر من بينهم : (داتيي) و(شون) و(تورني) و(لوگرو).

ونظرا لأننا لم نعثر على ظهير تولية عليّ للقيادة فقد استغربنا كيف كانت المراسلات المخزنية الصادرة إليه من مكاتب حكام أنزي وتيزنيت تحمل صفات متغيرة فاسمه كان مقرونا باسم الشيخ أو أمغار أحيانا، وباسم القائد أحيانا أخرى.

وعلى الرغم مما يقوم به عليّ من الضبط في تازروالت وسملاله عموما ـ حسب الوثائق سالفة الذكر ـ فان سلطات الحماية سعت إلى معرفة حدود سلطة دار إليغ وأحفاد سيدي أحمد أُموسى بقصد تطويقها، وذلك بجمع المادة التاريخية على يد جوستينار وضمنها كتابه : *مملكة بربرية صغيرة : تازروالت* (Justinard, *Un petit royaume berbère : Le Tazeroualt*) وقد عملت هذه السلطات على تقليص نفوذ آل بودميعة اعتبارا للميراث التاريخي لهذه الأسرة، ويعبر عن ذلك نوع المعاملة تجاه علي زعيم دار إليغ الهادفة إلى التضييق عليه بشريا وماديا.

فمن الناحية البشرية، حددت سلطة الحماية عدد الأشخاص بدار إليغ ممن يحررون من الكلف المخزنية والخدمات الإجبارية بحيث لا يتجاوزون أربعة عشر شخصا بمن فيهم علي، منهم تسعة أفراد من الأسرة الإليغية وخمسة من المستخدمين وهم بقايا عبيد دار إليغ، مما يشكل اختلافا بين هذه الوضعية والوضعية التي كانت عليها تلك الدار وهي تعج بالعساكر والعبيد والأعوان ومشاهير العلماء.

ومن الناحية المادية فان ممتلكات القائد علي بودميعة ليست معفاة من الضرائب، وقد استفدنا من لائحة الإحصاء المقدمة لتحصيل (الترتيب) مدى تقلص الإمكانات المادية لهذه الدار وضآلتها بالقياس إلى ما كانت تزخر به من ثراء، وفيما يلي لائحة تلك الممتلكات وقد احصيت سنة 40/1359 ـ 1941 :

الماعز	168	الزيتون	33
الغنم	131	الرمان	104
البقر	10	التين	31
الابل	6	السفرجل	28
البغال	3	الزريعة	130 غرارة من الزرع.
الحمير	2		

ويضاف إلى هذا التقلص في المجال الزراعي توقف النشاط التجاري لدار إليغ، الشيء الذي لم يرض طموحات عليّ المادية والحضرية، وكانت هذه الطموحات قد نمت عنده نتيجة تفتحه واختلاطه بأهل المدن، وكان لنمو ذوقه أثر في شغفه بالألبسة الأنيقة وبالآلات الحديثة ويعتبر أول من اقتنى السيارة سنة 1945، في هذا الوسط القروي.

غير أن الأحوال تغيرت نتيجة استحكام سلطة الحماية وتقلص نفوذ آل بودميعة وزوال نظام الأحلاف القبلية، ولم تعد هناك قبائل مناهضة لدار إليغ فتقلص اهتمام عليّ بها، ودخل في شبه عزلة بعد أن قدم ابنه الحسين (ما يزال حيا سنة 1991) ليخلفه في تسيير شؤون القبيلة وتنفيذ المهام التي تأمر بها الحكومة لضبط أحوال هذه الجهة وتسيير بعض الأعمال الفلاحية، كما يساعده ابنه الثاني الحسن سابق الذكر في بعض الاتصالات الشخصية مع الحكام المخزنيين، فتفرغ علي للاهتمام بالجانب العلمي

والديني وقد انكب على بعض المطالعات الفقهية إلى جانب اهتمامه بالتاريخ، وكان قد كتب نبذة مختصرة عن تاريخ أجداده سنة 1936/1355، وساهم في إفادة جوستينار أثناء تأليفه عن تاريخ تازروالت، وزاره المؤرخ عبدالرحمان ابن زيدان سنة 1937/1356 في إطار الاهتمام بتاريخ المنطقة.

وكان ملازما للعلامة الشهير سيدي محمد الأنصاري نزيل إليغ (خلال *جزولة*، 2 : 26) في مجالسات علمية ودينية منصرفا إلى الاهتمام بدينه إلى أن وافاه أجله في السنة الأولى من استقلال المغرب سنة 1956/1376.

بودميعة، علي بن **هاشم** الإليغي انتقلت إليه السلطة بعد اغتيال والده سنة 1825/1240. وكان عليّ يتميز ببعض الخصال، فهو مهتم بجانب من العلوم والمعارف، وله طموح سياسي واسع يدفعه إلى ركوب المغامرة، ومن أجل ذلك خاض معارك عديدة على المستوى المحلي في إطار الحفاظ على نفوذ أسرته آل بودميعة ذرية سيدي أحمد أ'موسى.

وبخصوص علاقة علي بن هاشم بالمخزن لا تظهر لنا بغاية الوضوح، فقد كان يعاصر الفترة الأولى من حكم السلطان مولاي عبدالرحمن بن هشام، وتدل إحدي رسائل هذا السلطان على أنه تلقى هدية من علي سنة 1832/1248 فكانت هذه الرسالة مناسبة ليذكره بما يتميز به أسلافه من آل الشيخ أحمد أ'موسى من الصلاح ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم يؤكد عليه بأن يشد عضد عامل السلطان بسوس فيما يحتاج إليه من أمور تلك النواحي، ويخلص له في النصيحة. غير أن ما نتوفر عليه من الوثائق المخزنية لا تسعفنا في الكشف عن تطور علاقة علي مع المخزن بقدر ما اسعفتنا في متابعة نشاطه التجاري مع السودان، والذي كان يمارسه بكامل الحرص (السجلان 4. 5 من *وثائق دار إليغ*) كما اسعفتنا أيضا في معرفة مدى محاولاته استقطاب القبائل المجاورة بشتى الوسائل وبالخصوص اللجوء إلى عقد أحلاف مع تلك القبائل. ونستدل بالحلف المنعقد بقيادته بين آل بودميعة وجماعات : تاگوت، وأيت الخمس، وأيت إسك، وآل تازلاخت، وذلك بموجب قانون عرفي تنص بنوده على ضرورة استقرار الأمن في الطرقات والأسواق بفرض ذعائر على المخالفين. كما ينص على أن أهل تازلاخت يتعهدون بإعطاء قنطار من النحاس الخالص سنويا لعلي بن هاشم (ص 42 *السجل التجاري* 5).

على الرغم من تعدد هذا النوع من المحاولات، عجز علي بن هاشم عن توحيد القبائل وعن إخضاع المناهضين لآل بودميعة، فمنذ أن تسلم السلطة خاض عددا من المعارك المحلية نذكر من بينها معارك : تيغمي، واداگاگمار، والعرگوب، وكان أغلبها قد دار ضد قبائل إداو باعقيل وأولاد جرار، واستمر هذا الصراع المسلح فعلا طوال الفترة القصيرة من زعامة علي، بل فاضت روحه في غمار إحدى هذه المعارك سنة 1843.42/1258 في ظروف غامضة تدعو إلى التشكك، وقد شاع بأن بعض أقاربه هو الذي عمل على تنحيته بالقوة، بعد أن دس له من يغتاله، وذلك نظرا لعدم قدرة علي على حل النزاع المحلي القائم في وجه آل بودميعة، ولعدم نجاحه في الثار من قتلة والده، وبذلك أمكن للحسين أن يتسلم الزعامة بدار إليغ ويتصدى لتينك المهمتين.

بودميعة، محمد بن **الحسين** أ'هاشم، يدين هذا الرجل بنشأته إلى المحيط العلمي والاجتماعي الذي كان شائعا في حاضرة إليغ في عهد والده، فبعد أن تلقن القرآن وبعض المبادئ الدينية استفاد من مجالس العلماء التي كان يحرص على ملازمتها، ومن جانب آخر اهتم بالفروسية والرماية فتعلمها على يد فرسان والده وعبيده، فاشتهر طوال عمره بحبه للعلم والعلماء، وبخوضه المعارك الناشبة بين القبائل نتيجة الصراع القائم بين آل بودميعة ومناهضيهم، وقد تأهل ليقوم - نيابة عن والده - بمهام كثيرة بما في ذلك تمثيله لدى المخزن.

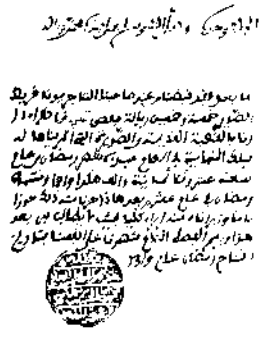

نهض محمد بودميعة بإدارة شؤون دار إليغ بمجرد موت والده سنة 1886/1303. ولما استرجع مكانة هذه الدار بالثأر لوالده من أعدائه البعقليين صمم على مخطط يهدف إلى نهج أسلوب والده الإداري للحفاظ على استمرارية نفوذ آل بودميعة بتازروالت، غير أن الأوضاع السياسية الناتجة عن الضغوط الأجنبية تجاه المغرب في هذه الفترة جعلته يوفق نسبيا في جوانب التسيير ذات الصبغة المحلية المحدودة، وينفلت منه الزمام بخصوص الشؤون التي توثر فيها الأحداث الخارجية، وفي هذا السياق استطاع الحفاظ على مجالس العلماء الذين كانوا يترددون على دار إليغ أمثال الحاج الحسين الأفراني، ومحمد بن العربي الأدوزي، والحاج الحسن التامودوزتي وغيرهم مثل محمد يحيى الولاتي الشنقيطي الذي قضى زمنا في إليغ وهو في طريقه لقضاء مناسك الحج وقد حفظت لنا *رحلته الحجازية* نموذجا من المحاورة الفكرية التي أجراها مع الفقيه محمد بن العربي الأدوزي مما يشهد بالمكانة العلمية الرفيعة للمجالس العلمية الإليغية.

وقد استطاع ايضا أن يسير في نهج والده في اطار

التوازنات الاجتماعية بين قبائل سوس، تلك التوازنات القائمة على أساس الحلفين السياسيين : تاحوگات وتاگوزلت، فكان حلف تاگوزلت الذي يتزعمه محمد بن الحسين أُهاشم أداة لمناصرة آل بودميعة تجاه حلف تاحوگات، والجدير بالذكر أن هذين الحلفين لم يبق استمرارهما طويلا في عهد هذا القائد، إذ سرعان ما كانت بداية انهيارهما بمجرد وصول نظام الحماية الفرنسية إلى المنطقة، وقد فقد محمد بن الحسين وآل بودميعة عموما دعامة كبرى لضمان استمرار نفوذهم بسقوط هذين الحلفين تدريجيا.

وإذا استطاع محمد بن الحسين أن ينجح في تنظيم موسم سيدي أحمد أُموسي التجاري في العهد الحسني فان هذا التنظيم ارتبك منذ أوائل العهد العزيزي وازداد ذلك الارتباك تفاقما بعد سنة 1907/1323.

وبخصوص استمرار تجارة دار إليغ لم يستطع ابن الحسين أن يحافظ عليها، ويظهر أنها انهارت بمجرد موت والده، وعلى الرغم من انتعاش نسبي للتجارة الصحراوية عموما في الأسواق والمواسم المحلية، فقد تأثر هذا الانتعاش في أواخر العهد الحسني نتيجة التدخل الأجنبي والضغوط التي تعرفها سواحل سوس والجنوب المغربي من قبل الشركات الأجنبية، مثل "شركة شمال غرب افريقيا The North West African Company" التي أسسها ماكينزي Mackenzie البريطاني، وكانت هذه الشركات تسعى لنزع الزعامات المحلية وبالخصوص من عائلة بيروك في واد نون، مما جعل الجنوب المغربي يعرف اضطرابا سياسيا، فقامت السلطات المغربية لمواجهة الوضع هناك بجد، حيث قاد السلطان مولاي الحسن بنفسه حركتين إلى سوس، وكانت الحركة الثانية (1886/1303) قد وافقت وفاة الحسين أهاشم وتولية ابنه محمد زعامة إليغ وقيادة المنطقة. وقد عملت الشركات المذكورة علي تحويل تجارة القوافل نحو السواحل وخاصة بعد احتلال تنبكتو سنة 1894. كل هذه العوامل ـ وهي عوامل خارجية ـ أدت إلى انهيار تجارة إليغ الصحراوية بعد ما بلغت ذروة الازدهار في عهد الحسين أُهاشم، ويعبر عن هذا الانهيار عدم عثورنا على أي سجل تجاري بعد وفاة الحسين من بين سجلات دار إليغ التسعة سواء في عهد محمد أو من جاء بعده، وبعد الانهيار التجاري لهذه الدار بمثابة مؤشر ينذر ببداية انهيار سلطة آل بودميعة، مما هو بارز في الممارسة السياسية لمحمد ابن الحسين.

فقد بدأت علاقته مع المخزن مبكرا أثناء اتصالاته بالحضرة الحسنية بمراكش نيابة عن والده، وحظي بعد والده بتعيينه قائدا على مجموعة من القبائل الواقعة جنوب واد ولغاس، واستنادا إلى ظهائر التعيين فهذه القبائل هي : كافة سملالة سهلا وجبلا، وآل المعدر، وأيت حامد، وأيت صواب، وأيت عبدل، وتهالة، وأيت إسافن نايت هارون، وأيت رخاء، وأيت وافقا. أما أهل تاسنولت والجوابر وهما على ضفة وادي ولغاس اليسرى فقد أسندت إليه أمورهم ما عدا في الكلف المخزنية فهي مع قبيلة ماسة، وكان المخزن يحرص علي أن ينحصر نفوذ آل بودميعة جنوب وادي ولغاس : (واد ماسة) إلى الصحراء درءا لما قد ينجم عن ذلك النفوذ من متاعب، وقد استثنى المخزن مدينة تيزنيت من ذلك النفوذ بحمايتها من قبل قواد أولاد جرار عند حدود الدرع الأبيض :(إغير ملولن) نحو الغرب إلى البحر.

ولقد مارس القائد محمد بن الحسين سلطته المخزنية على هذه الرقعة الجغرافية الواسعة. وكان نفوذه يغديه رصيده من العلاقة المباشرة بالسلطان مولاي الحسن بما فيها من أثر لهيبة والده الحسين أُهاشم وكذلك ما اشتهر به محمد أيضا من قوة الشخصية، فنال لدى المخزن حظوة تتجلى في حصوله على منزل للسكنى بمدينة الصويرة كميراث لوالده في العهد الحسني، وكذلك حصوله علي عقار بأحواز مراكش في العهد العزيزي، زيادة علي تكليفه في هذه الفترة بحراسة السواحل الجنوبية، واستمر في ركاب المخزن إلى العهد البوسفي.

غير أن نفوذه ـ وهو نفوذ آل بودميعة ـ قد اضطرب بعد موت السلطان مولاي الحسن، وذلك باضطراب الأحوال في سوس في العهد العزيزي نتيجة السياسة التي انتهجها الوزير أحمد بن موسى : (ابًا احماد) في ضبط الأمور، فقد بعث إلى سوس حملة بقيادة القائد سعيد الگيلولي الحاحي، وكانت حملة مستبدة، ولما استقرت في (تابوحنيكت) بهشتوكة (1897/1314) نفر القواد منها خشية الابتزاز، فكادوا يتفقون على تطويق الحملة، ولكن الگلولي استطاع السيطرة على قواد هشتوكة واعتقال بعضهم.

وكان محمد بن الحسين تصدى للحملة في (تيوازار) ولكنه لم يستطع الصمود أمام الأسلحة الجديدة للجيش الحكومي، وقد استغربت الرسائل المخزنية لهذا الموقف، ولكن لهجتها لا تضمر قطع العلاقة مع زعيم إليغ، غير أن هذا الأخير التزم الحذر تجاه المخزن بعد اكتساح الگلولي للمنطقة سنة 1898/1315 وبعد ما أحس به من تضييق، وفي هذه الفترة ظهر ابنه احمد ليقوم مقامه في تعزيز نفوذ آل بودميعة واستمر إلي نهاية الفترة التي نشبت فيها ثورة بوحمارة وخرج الحاحيون من تيزنيت، وبعد رجوع أحمد من الحج وكان على نفقة المخزن صحبة وفد مرافق، توفي بطنجة سنة 1905/1323.

وإذا كان القائد محمد حافظ لدار إليغ على هيبتها ونفوذها بحيث لم يلحقها التخريب كما حدث لدور القواد المخزنيين بدءا من العهد العزيزي، فان هذا النفوذ تسرب إليه الوهن لعوامل متلاحقة، منها ضعف الأهمية التجارية لدار إليغ، وارتباك في تنظيم موسم سيدي أحمد أُموسى، وانهيار حلف تاحگات وتاگوزلت، إضافة إلى تعاقب السنوات العجاف التي رافقت هذه الفترة، كل هذه العوامل قللت من هيبة القائد محمد بن الحسين بعد فراغ مخازنه،

وتفرق عنه كثير من خدامه وعبيده، وجرى خلاف بينه وبين ابنه علي، فهاجره لمدة سنتين، التجأ محمد بعدها إلى ممارسة التصوف.

ولما قامت حركة الهيبة بتيزنيت سنة 1912/1330 التزم الحياد تجاهها، فاكتسحت سلطات الحماية مدينة تيزنيت في السنة الموالية، وعينت عليها القائد محمد بن دحان العبدي إلى جانب المراقب المدني الفرنسي القبطان جوستينار Justinard وفي هذه الأثناء انتقل محمد إلى هذه المدينة فاستقر بها زمنا، فكانت له صلات ودية مع حكامها، وبعد عودته إلى إليغ التزم النسك والعبادة، يقضي أوقاته مع بعض العلماء أمثال ابن عمه علي بن عثمان بن علي بن هاشم وأحمد بن مبارك الدشيري والفقيه الزفضي. وظل كذلك إلى أن وافته المنية في 27 رمضان 19/1335 يوليوز 1917.

بودميعة، هاشم بن علي، حفيد أبي حسون السملالي، استطاع أن يتولى الزعامة في تازروالت ويقوم بتحقيق كثير من الوسائل المادية الكفيلة بإرساء نفوذ دار إليغ الحديثة، وذلك على إثر المحاولات الأولى التي قام بها بعض أحفاد أبي حسون بودميعة لاسترداد نفوذ دار إليغ سنة 1790/1205، وكانت الأعمال التجارية وتوسيع رقعة النفوذ مما يسر كثيرا من هذه الوسائل، ومنها :

1 ـ بناء قلعة جديدة هي قلعة تالعينت التي تبعد عن دار إليغ القديمة بثلاثة كيلومترات، فكانت مركزا محصنا لنفوذ آل بودميعة، وفي نفس الوقت محطة لاستقبال القوافل التجارية الوافدة من الصحراء وافريقيا الغربية.

2 ـ إحياء التجارة بإعادة تنشيط موسم سيدي أحمد أُموسى وتنظيمه وضمان أمنه واستقراره، وكانت كل القبائل تحرص على المساهمة في استتباب الأمن اثناء المواسم، لأنها تلبي رغباتها في استقبال تجارة القوافل الواردة من تيندوف وتنبكتو عبر واد نون، كما تعتبر مجالا لتصريف الإنتاجات المحلية.

3 ـ استقبال يهود إفران من بطش الثائر "بوحلاس" وعتوه، والاستفادة مما نقلوه من مال، ومن خبرتهم التجارية، وكان يحرص كل الحرص على استعادة أراضي تازروالت وممتلكاتها العقارية التي كانت لآل بودميعة قبل سنة 1670/1081 عندما وقع تخريب إليغ القديمة في عهد السلطان مولاي رشيد.

لقد شكلت هذه الوسائل دعما ماديا حقيقيا وقع تعزيزه بالحلف القبلي (تاگوزلت) ضد حلف (تاحگات) فراح هاشم يوسع منطقة نفوذ آل بودميعة نحو الغرب عبر منطقة إغير ملولن التي تؤدي إلى أزغار وإلى مدينة تيزنيت وتسمح بالانفتاح على الشواطئ الأطلسية، وقد تمكن فعلا من محاصرة تيزنيت دون السيطرة عليها، كما توجهت جهوده التوسعية نحو الشمال عبر جبال ولتيتة للاستيلاء عليها.

وكانت تحركات هاشم هذه ضايقت ممثلي المخزن المحليين فتصدى العامل على سوس محمد بن يحيى أغناج الحاحي ـ وكان يقيم بتارودانت ـ لمقاومة حركة هاشم والقضاء عليها خلال السنوات الست (1225 ـ 1232 / 1810 ـ 1816) وتكررت غاراته على إليغ قصد تحطيم قوة هاشم. ورغم أنه حطم دار إليغ مرتين، فان هاشما كان يتمكن دائما من الانفلات من غارات أغناج، كما كان قواد أولاد جرار يتصدون له من جهة الغرب، ويحاصرون نفوذ آل بودميعة من منطقة إغير ملولن.

إذا كان هذا هو موقف ممثلي المخزن المحليين تجاه هاشم، فان المخزن المركزي لم يكن له نفس الموقف ـ وهو تناقض واضح ـ نظراً لأنه كان في بداية القرن الثالث عشر (19 م) يسعى فقط لتأليف الجبهة الداخلية لمواجهة التحرشات الأجنبية التي شرعت في تنفيذ مخططها التوسعي. من أجل ذلك كان ينظر إلى هاشم بنوع من الثقة والتقدير مما نستخلصه من رسائل السلطان مولاي سليمان الذي يصف فيها هاشما بأنه يسعى في صلاح المسلمين لقاء مرضاة الله كما كان أسلافه الكرام، بل ويصف ما قام به القائد أغناج (بالدسائس والشيطنة). وحينما عزل أغناج (1820/1236) عين مكانه ابن اخيه بناصر بن عبدالرحمن عاملا على سوس، فاستوصى المخزن هاشما بابن أخيه : "بأن يشد عضده، وأن يكون له خير معين على مصالح المسلمين ويؤلف له قلوب الناس، وان يكون له ولدا بارا".

وبفضل هذه الحظوة ازداد نفوذ هاشم سياسيا فاستطاع سنة 1823/1238 أن يحتفظ بالأسرى الإسبان الذين تم أسرهم من طرف قبائل أيت باعمران بعد تعرضهم للغرق حول الشواطئ، فقام بالتفاوض مع قناصلهم بالصويرة من اجل تحريرهم، مما يؤكد مكانته السياسية في هذه الجهات.

وإلى جانب ما واجهه هاشم من مقاومة القواد المحليين السابقة الذكر، فإن منطقة تازروالت عانت من انقسام سياسي على المستوى المحلي، فزيادة على الحلفين المذكورين سلفا نشب صراع بين مجموعتين من أبناء سيدي أحمد أُموسى : مجموعة إليغ ومعها أيت رخا وبعض ولتيته وجزء من مجاط، ومجموعة أُمحمود ومعها الجزء الآخر من مجاط وأولاد جرار، وقد نجم هذا التقسيم عن المنافسة القديمة بين أحفاد سيدي أحمد أُموسى، وبالرغم على قصة المس بالكرامة التي يشاع بأنها كانت السبب في اغتيال هاشم التازروالتي، فلا شك أن هاشما إنما ذهب ضحية هذه المنافسة، حيث كان اغتياله من طرف أُمحمود بموسم سيدي أحمد أُموسى بتاريخ 15 شعبان عام 4/1240 أبريل 1825، ظلت آثار تلك المنافسة تظهر أحيانا في عهود الزعامات اللاحقة التي تعاقبت على مركز السلطة في دار إليغ.

د. الكرامي، *بشارة الزائرين*، مخطوط ؛ م. الأدوزي، *نزهة الجلاس*، مخطوط ؛ *وثائق دار إليغ*، مجموعة رسائل مخزنية وأخرى شخصية محفوظة لدى آل بودميعة (نسخة مصورة) ؛ *السجلات التجارية لدار إليغ* (نسخة مصورة) ؛ م. الولاتي الشنقيطي، *الرحلة الحجازية*، تح. محمد حجي، 1990 ؛ م. المختار

السوسي، *إيليغ قديما وحديثا*، الرباط، 1966 ؛ *خلال جزولة*، 2 : 22. 30 ؛ *المعسول*، 12 : 5. 67 ؛ م. المنوني، *حياة فقيد المغرب المختار السوسي*، *مجلة الإيمان*، ع. 13 سنة 1982 ص 32 ؛ ز. الفاسي، *الفقيه بودميعة الحسن بن علي*، *الإرشاد*، ع.2 سنة 15 (1983) ص 14. 16 ؛ م. أبو طالب، *مواقف بريطانيا في مغرب القرن التاسع عشر*. *أعمال ندوة الإصلاح والمجتمع المغربي*. منشورات كلية الآداب بالرباط 1983 ؛ ب. باسكون، *اغتيال هاشم زعيم دار إليغ*، *مجلة أبحاث*، ع.3 سنة 1983 ص 17. 27 ؛ *إعادة شراء أراضي تازروالت من طرف دار إليغ*، *مجلة أبحاث*، ع.4 سنة 1984، ص 64. 81 ؛ *معلمة المغرب*، أغناج، ص 542 ؛ *روايات شفوية مسجلة على لسان المرحوم بودميعة الحسن وعن أخويه الحسين والطاهر*.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc*, Paris, 1930 ; L. Justinard, *Un Petit Royaume Berbère : Le Tazeroualt*, Paris, 1954 ; P. Pascon, *La Maison d'Iligh et l'histoire sociale du Tazerwalt*, Rabat, 1984 ; M. Ennaji, et P. Pascon, *Le Makhzen et le Sous Al Aqsa* (1821 - 1894), Paris Casablanca, 1988.

عمر أفا

بودميعة، علي بن محمد بن مَحمد بن قطب سوس الشيخ أحمد بن مُوسى السملالي. يكنّي نفسه بأبي الحسن، وتكنيه معظم المصادر بأبي حسُّون السملالي، بينما تخصه الرواية الشفوية وحتى بعض المصادر المكتوبة ببودميعة.

يفيد الگرامي بأن إبراهيم أخا علي بودميعة هو أول من قام للإمارة في 29 جمادى الآخره عام 1018/29.9.1906، وهي إشارة تجعل من الصعب التعمق في الشروح العائلية وقيودها العرفية الصارمة التي تسبب فيها الامتياز.

فقد أدى الانفراد بالسلطة على ما يبدو إلى مقتل إبراهيم راسما بذلك الحدود التي تؤدي إليها الممارسات السلطوية داخل كبريات العائلات. لكن لماذا استطاعت العائلة الحفاظ على وحدتها وتماسكها وهي التي تخترقها تناقضات الرؤساء ؟ قد يكون الجواب على هذا السؤال، أن إبراهيم أوصى أن يؤول الأمر من بعده إلى ابن عمه الحسين ابن علي مبرهنا بذلك على المرونة والحكمة في تجاوز مفهوم النسب القريب. مهما يكن فإن انتقال الرئاسة من أبناء محمد إلى أبناء علي الذي توفي بسجن المنصور يعد أهم منجزات إبراهيم مؤكداً بذلك قدرته الفعلية على تثبيت الإمارة (*S.I.H.M., Hollande*, 1ère série, I : 469). إن العائلة لا تعين رئيسها وإنما يفرض نفسه رئيسا عليها بما يتمتع به من الصفات وما يظهره من مقدرات تحالفية. وهنا لا بد أن نشير إلى أن إبراهيم قد اقتطع أهل سيدي امحند أُبراهيم الشيخ التمنارتي القطب الثاني بسوس وصهر وصديق سيدي أحمد أُموسى بعض الممتلكات من أرض وساقية بقرية تين إيسلان (*إيليغ*، 38). والنتيجة الحتمية لمثل هذه الممارسات أنه ما مات إلا بعد أن وطد عرى تضامن أبناء علي ومحمد ابني القطب وأحاطهم بالمساندة الفعلية لزاوية تمنارت المحج الثاني لبلاد إگزولن منذ ولادة عبدالله بن ياسين. وهكذا تتجه أحوال عائلة سيدي أحمد أُموسى نحو الحد من حدة التناقضات رغم ظهور المصالح الخاصة والتسابق المعلن على السلطة. وهي نتيجة سيكرّس لها أحمد بن إبراهيم حياته كما تؤكد على ذلك الذاكرة الشفوية. فما تزال هذه الذاكرة الانتقائية تستحضر وجهه الذي وصفه العلماء المقربون "بسيدنا الإمام، القائم بوظائف الاسلام عمدة الأنام وملجأ الضعفاء المرتضى الأسعد" (*إيليغ* : 39). لقد كان يمارس القضاء ويسدي النصيحة للعلماء أنفسهم ويسهر على أمور الرعية. وإذا لم تسجل المصادر دخوله في صراع مع عشيرته وأهل عصبيته، فذلك لأنه لم يحاول الانفراد بالأمر مسهلا على الحسين بن علي المأمورية التي رأينا إبراهيم يوصي له بها. وباختصار يمكن القول إن هذا النوع من الممارسات كان مبنيا على سياسة كسب تحالفات الأقربين والأبعدين وتعزيز مكانة العشيرة على جميع الأصعدة. على أن وفاة أحمد بن إبراهيم لن تسبق وفاة الحسين بن علي إلا بقليل. أما وفاة هذا الأخير بتارشنين بتازروالت في 5.4. 1611.6.17/1020 فتعد أمراً غامضا تشمل تفاصيلها وصول علي بودميعة خليفته إلى الحكم حسب ما أورده الگرامي.

يعد علي بودميعة الأمير الثالث في هذه العائلة حسب ما رأينا. وتضفي عليه الروايات الشفوية ما يجعله بحق سيد إگزولن الذي لا ينازع (*إيليغ*، 24، 46، 67، 48). فإذا كان أخواله أهل سيدي بلقاسم أُعلي بتانكرت إفران قد لعبوا دوراً حاسما في مبايعته البيعة الصغرى بـ 900 فارس تحت شجرة قرية السوق (*إيليغ* : 51). فإن الصيغة التاريخية لبيعته الكبرى بتازروالت توفر علينا مشقة الإثبات. لقد اجتمع رؤساء الأطلس الصغير ووادي نون وباني والساقية الحمراء وبسيطي هشتوكة وماسة ومنطقة أيت باها بقبر سيدي أحمد أُموسى ليجسدوا بيعة هي أشبه ما تكون ببيعة السعديين. فقد بدا جليا أن الفقهاء لم يكونوا أقل تحمسا شأنهم في ذلك شأن ذوي العلم الباطن الذين استهدفوا يومها تأطير نظام الحكم على يد شاب لم يتجاوز الواحد والعشرين. وهو بالضبط ما يخلص بالجميع ساعتئذ إلى ضرورة تهميش الصراعات العائلية قصد معالجة الوجهة الشرعية والسياسية لدولة إگزولن وتابعيها من أعراب ماسة ووادي نون (*S.I.H.M., France*, 1ère Série, III, 358). نخلص من هنا إلى أن علي بودميعة كان مطالبا بالاحتفاظ بحكمه وبإرضاء رعيته عبر تطوير شوكته وتحقيق أكبر المشاريع. وبذلك تكون دولة إگزولن في هذا الطور قوية مرهوبة الجانب نافذة الكلمة على جميع المناطق التي يمتد إليها سلطانها وهي مسيرة لن تنتهي إلا سنة 1651/1070 بانتهاء المرحلة الأولى من عمر الإمارة.

إن الذي يعنينا هنا من شخصية بودميعة هو تلك المؤشرات والخصائص الذاتية التي تحكمت في مفهوم المرونة السياسية. فعند بيان نشأة حكمه وتطوره نتساءل لماذا لم يكتسح مدينة مراكش ؟ هل لأن علاقاته تتسم بالرفق والتسامح أم لأن ظروفاً موضوعية أو أخطاء تاريخية حالت دونه وتحقيق مبتغاه ؟ من حيث صيغة الحكم التي تمنح

بودميعة التأثير في زواره وزبنائه من التجار والسياسيين المسيحيين، كان هذا السلطان يلزمهم تقبيل رجليه (*إيليغ* : 192). وهو ما يصعب تعميمه على رجال السلك الدبلوماسي أو المسلمين من أبناء المنطقة في غياب شواهد إثبات. أما من حيث امتداد سلطته في المكان فقد حاول توظيف جميع المستويات الدبلوماسية لجلب شيوخ وقواد السعديين وعلمائهم بسوس ودرعة وتافيلالت والأطلس الكبير. وإذا كانت استراتيجيته قد اصطدمت منذ البداية بالتطلعات التاريخية ليحيى الحاحي، فإن الصراعات الكلامية بين الرجلين قد أكدت على أهمية المساجلات الشعرية والحربية في تعزيز المكانة المتميزة التي كان يحظى بها سلطان إگزولن. فالمناهضة الشديدة والجيش الجرار الذي كان يقوده الحاحي باسم زيدان بن المنصور حتى سنة 1025 / 1617 (*إيليغ* : 59) لم يؤديا إلى أكثر من انتزاع تارودانت من أبي حسون سنة 1615/1023. وإذا كانت ضربات الحاحي التي استهدفت تفكيك الهياكل العسكرية والتجارية والسياسية لإمارة إگزُولْنْ قد فشلت، فإن أبا حسون اكتفى على هذه الواجهة الشمالية بالتشكيك في المرامي الخفية التي كان الحاحي يسعى إلى تحقيقها تحت مظلة السعديين. وقد تأكد تدريجيا بأن إلهاب المشاعر ضد مشروعية سلطان إگزولن لم يحل دون الحاحي والدعوة لنفسه بعد أن أعلن اختلافه مع زيدان (*إيليغ* : 57، 80، 81 ؛ *المعسول*، 19 : 75). لم يعد الحاحي يستمد استماتته في مهاجمة إگزولن من مشروعية السعديين بقدر ما أصبح حليفا موضوعيا لإمارة الشبانات برآسة كروم الحاج لتمتين الجبهة الشمالية التي تحدّ بشكل حاسم من تطلعات إمارة إگزولن نحو مراكش. يتوقف إذن مدى اتساع رقعة هذه الإمارة على حال عصبيتها من جهة، وحال عصبية الجبهة الشمالية من جهة ثانية. فما الداعي والحالة هذه لكراء مرسى أگادير لزيدان بن المنصور الذي لم يحترم تعهده بأداء الواجب ؟ (*إيليغ*، 173). لقد كانت Santa Cruz تطلق يومها على مرسى حصن أگادير وعلى مرسى فونتي المجاور له. ومن مميزات هذا الموقع انفراده بتجارة الصحراء. فيتضح بذلك الخطأ التاريخي الذي يصعب تحديده في قلة التجربة أو تبريره بالمرونة السياسية. ولا أدل على ذلك من أن سلطان إگزولن لم يلبث أن حاصر المرسيَيْن ابتداءً من 1623/1033 بما لا يقل عن 1.400 محارب. وإذا كان قد احتل مرسى فونتي بعد هذا التاريخ بقليل، فإن نتائج هذا الخطأ قد دعته إلى اتخاذ الاجراءات الكفيلة بالحد من تسرب القوافل نحو أگادير. لقد اعتمد بشكل أساسي على مرسى ماسة الذي فتحه خصيصا لهذا الغرض. كما اعتنى بمرسى الولي سيدي محمد بن عبدالله بين قبيلة أيت باعمران وقبيلة الساحل. ومن جهة أخرى كان عليه أن يؤمن تجارة مرسى فونتي عبر استيلائه على برج تلفى (تالبرجت حاليا) حادا بذلك من كل المحاولات التجارية لحصن أگادير الذي حاصره عشر سنوات. وهنا يجب أن نسجل بأن الضربات التي كان بمقدور سلطان إگزولن أن يسددها لخصومه لم تحل دونه وادماج الاقتصاد المحلي في سوق المبادلات العالمية بشكل ملحوظ ومكثف. فقد استثمر الثوابت والمتغيرات التجارية المحلية والإقليمية رابطا بين شبكة الصحراء والطرق البحرية. وعلى أساس هذه المعاينة فإن تفرغه لاحتواء درعة العليا سنة 1612/1021 يوافق بداية الأشغال في بناء عاصمته إليغ. وهي رؤية تطورية مرادفة لمعنى التفتح، ترسم مسبقا حركية سياسة الرواج الذي كان يعرفه ميناء ماسة. وتؤكد المصادر مراراً على العدد الكبير من البحارين والتجار الذين تحطمت سفنهم على شواطئ الصحراء المجاورة ليصلوا مسجونين عند بودميعة الذي كان يتسلمهم مقابل أثمان معينة ليستعملهم في بناء إليغ الذي استمر عشر سنوات وليعيد بيعهم بأثمان مربحة. على أن تقييم مشروع من هذا الحجم في مجال غير قابل للقياس الكمي يقتضي تحديد أثره على البنية الاجتماعية وعلى البيئة البشرية والمادية.

كل هذه المواقف تدعونا إلى التمعن في خلفيات الاستراتيجية المرنة والثابتة لبودميعة. فإن كانت الوضعية العسكرية تكشف صعوبة الوصول إلى مراكش عبر تارودانت فإنها توضح المسببات التي حالت دون سعيد بن عبدالله المراكشي قائد بودميعة واحتواء درعة العليا قبل وفاة الحاحي سنة 1626/1035 (*إيليغ* : 79. 85). ولا أدل على ذلك من أن هذه السنة عرفت دخول جيش إگزولن إلى قصبة تينْزُولينْ بعد هروب الزيدانيين بينما تم احتواء تارودانتَ ثلاثَ سنوات بعد ذلك. وما دام الأمر على هذا النحو فإننا نتبين قدرة هذا الجيش على الاستمرارية في المواجهة المعلنة كشرط مادي ومعنوي يحد صلابة الجبهات الداخلية لإگزولن. بل إن اتساع حدود الإمارة لم يحل دون أهل تافيلالت والتشبث بسلطة بودميعة حين وصل إليهم الشريف بن علي العلوي سنة 1633/1043 (*الضعيف* : 7 ؛ *إيليغ*، 88). وعلى هذا المستوى فإن عصبية إگزولن تكون يومها قد تجاوزت حدودها لتشمل بالإضافة إلى درعة جبال دادس المشرفة على مراكش عبر جبل اگلاوة وكذلك منطقة إداوْتنان ومنطقة حاحة حتى بوريقي القريبة من الصويرة الحالية (*إيليغ*، 154). ومما يؤكد قدرة أگزولن يومها على الاحتفاظ بهذه المناطق التجارية الاستراتيجية إنشاء قصبة وربما عدة قصور بدرعة العليا (*إيليغ* : 91)، وهي إشارة بينة إلى أن العصبيات الدرعية لم تكن مناوئة لإگزولن أو سلطانهم. كان جيش الإمارة يومها قد ناهز 150 ألف محارب (*إيليغ*، 152) يعززون حاميات الدولة التي اتسعت رقعتها. ويمكن التأكيد هنا على أنه إذا كان دخول مراكش من الأهداف التي ركزت عليها المصادر المعاصرة وحث عليها شعر المديح ببلاط بودميعة، فإن الأسلحة والعدد الحربية كانت تصل بوفرة كبيرة إلى الإمارة (*S.I.H.M., Angleterre*, 1ère Série, 1 : 134). وقد كان يبدو جليا للأوربيين بأن "سيدي علي" كان قادرا على الاستيلاء على

مـراكش "بدون شك ولا ريب" (*S.I.H.M., France*, 1ère Série, III : 544). نقتنع من هنا بأن تطورا من هذا المستوى إنما يفيد مرونة وحنكة السلطان وبلورته لمفهوم السلطة من منطلق متميز. وهو ما يدعونا لأن نجد مكانا مناسبا لموقف سيد إگزولن من أحمد بن زيدان السعدي سنة 1638/1047. ففي هذه المرحلة من حياته السياسية كان سيد إگزولن مسلحا بتجربة جعلت منه علاوة على كونه المرشح الأكبر لاحتواء مراكش، الاستراتيجي الذي كاد يساعد أحمد بن زيدان على دخول المدينة (*إيليغ* : 155). وهي فكرة قد تدخل في إطار مخطط لاحتواء المدينة من خلال السيطرة على هذا السلطان السعدي الذي لم يعد يومها قادراً على مسايرة الأحداث. على أن كثافة الوجود الشباني يبدو العامل الرئيسي في الحيلولة دون سيد إگزولن والمجازفة في مغامرة قد تستنزف سياسته وجيشه أكثر مما تفيده. بل إن نفس المخطط سيتكرر تسع سنوات بعد ذلك 1647/1056 مع محمد الشيخ الثالث آخر السعديين الذي كان قد تزوج بنت سيد إگزولن (*S.I.H.M., Hollande*, 1ère Série, V : 140).

هذه الأسباب كلها وما أضيف إليها من أعباء عسكرية مترتبة عن مجهود حربي متواصل منذ سنة 1612/1021 تدعونا إلى استيعاب طبيعة سيرورة سيد إگزولن وقدرته على مواجهة الهزات الاجتماعية والسياسية. على أننا لكي نحيط بالخطوط العريضة لممارساته اليومية كرجل دولة طموح فإنه يحسن بنا تتبع مختلف مظاهر شخصيته وسلوكه من خلال الظروف السائدة في مجتمعه. نسجل في البداية بأن الزيادة في عدد الممتلكات الفلاحية والعقارية قد عرفت خلال حكمه ما بين 1613/1021 و1659/1069 حجما لم يسبق له مثيل. فقد بلغ عدد مشترياته ببسيطي إليغ وتازروالت وأزغار تيزنيت ووادي ماسة ووادي نون ما لا يقل عن 136.224 ملكية إذا لم نأخذ بعين الاعتبار ما أُهدي له (*La Maison*, 21). وإذا نحن علمنا بأن أداء هذه المشتريات كان يتم عموما بربع المثقال السعدي الذي كان يزن 0.814 غرام ذهب، أدركنا حجم الاستثمارات وما قد يترتب عنها. لقد كشفت دراسة پول پاسكون لديوان بودميعة بأن الفترة الممتدة بين 1625/1035 و1653/1064 التي توافق انتقاله من تگجگالت مجاط إلى عاصمته إليغ، سجلت استثمارات هائلة على شكل نفقات استصلاح عيون وسواقي وشبكات ري تازروالت. أما أثمان المشتريات فإن الديوان لم يصرح إلا بثمن الأراضي والمنازل الفلاحية. وقد أحصى پاسكون مجموع ممتلكات دار إليغ سنة 1640/1050 ليجد بأن مساحاتها الإجمالية تناهز خمسة أو ستة آلاف هكتار إذا ما استثنينا المرافق الجماعية من أسواق ومروس وطاحونات وأسوار ومنازل مجهولة الاستعمال (*La Maison*, 14 - 20). ثمن هذه المساحات لم يكن يقل ساعتها عن 230.000 مثقال ذهب (185 كلغرام ذهب باعتبار الغرام يساوي سنة 1981 ما قدره 80 درهما).

ونلاحظ بأن هذه المرحلة التاريخية المتميزة من تاريخ سلطان إگزولن ستنتهي سنة 1641/1051 بأول هزيمة مني بها جيش الإمارة بتافيلالت. فنحن نرى أنه بقدر ما كان سيد إگزولن منهمكا في العمل على توسيع نطاق الإمارة، بقدر ما نجده مشغولا باحتواء أراضي وسواقي الأطلس الصغير ووادي نون وباني. من هذه الزاوية، فإن الخطوات التي سار عليها واحدة بعد أخرى لإنجاز مدينة إليغ خلال عشر سنوات تؤكد بأن فاعليته كانت مشروطة بأحواله النفسية ودوافعه الذاتية. فتملك أبناء عمه وحدهم لبسيط إليغ لم يحل دونه والبدء في مشروعه مستخدما جل الرهائن الأوربيين الذين غرقت سفنهم بشواطئ المنطقة علاوة على العمال المحليين. وما أن تمت عملية البناء حتى كان أبناء عمه علي قد اندثروا بكيفية تجهل اليوم عنها كل شيء (*La Maison*, 23 - 24). فما موقع بودميعة من هذا الفصل المظلم من تاريخ دار إليغ ؟ هل ذهبت به المطامح إلى حد التهور الذي يقطع على صاحبه خط الرجعة أم أنه كان واقعيا في سلوكه الشخصي وطموحه السياسي ؟ لعل في رأي بعض المتعاملين معه من الأوربيين وبعض المقربين من أفراد أسرته الصغيرة ما يؤكد عدم احترامه لبعض الالتزامات التجارية والسياسية (*إيليغ*، 175. 176. 177 ؛ *S.I.H.M., Hollande*, 1ère Série, IV : 4 - 5). أما من حيث هو كأكبر تاجر في المغرب فقد تجسدت ممارساته في الاعتماد الكلي على يهود ملاح إليغ (*إيليغ* : 193. 194). على أنه ليس من الإنصاف أن نقول اعتماداً على هذه الإشارات بأن سيد إگزولن كان ذا نزعة سلطوية انتهازية. فعدة مؤشرات تؤكدها شهادات الأوربيين تسبغ عليه نزعة واقعية تمتزج فيها الروح الدينية الإسلامية بالروح العقلانية المرنة (*S.I.H.M., France*, 1ère Série, III : 544). وفي هذا السياق فإن صراع بودميعة مع زيدان حول مراقبة تجارة السواحل تكتسي صبغة خاصة نظراً لما تعالجه من ممارسات مرتبطة بالسياسة الاقتصادية لبودميعة.

لم تكن ثروة أحمد المنصور السعدي تأتيه أساساً من تجارة قصب السكر السوسى كما هو معلوم. لقد كان يجلب العنبر الأشهب وريش النعام والنيلة والعاج والعبيد والذهب (بكميات متناقصة) من الصحراء عبر تگاوست بوادي نون وسجلماسة بتافيلالت (*S.I.H.M., Angleterre*, 1ère Série, III : 393). من هنا فإن تجارة وادي نون ودرعة الوسطى قد جعلت من سيد إگزولن المخاطب الأول منذ توليه، بالنسبة للهولانديين (*S.I.H.M., Hollande*, 1ère Série, IV : 492 - 488). والبريطانيين (*S.I.H.M., Angleterre*, 1ère Série, III : 358) والفرنسيين (*S.I.H.M., France*, 1ère Série, III : 544). حول مشاكل الأسرى الذين غرقت سفنهم بالمنطقة الساحلية للصحراء. قبل وصوله منطقة تافيلالت وتجارتها كان الإيبريون المتاجرون آنذاك مع البرازيل والهند وجنوب إفريقيا يعتبرونه المحطة الرئيسية تجاريا وعسكريا وسياسياً. إلا أن الاختطافات والغزوات التي كان يمارسها

الإسبان انطلاقا من الجزر الكنارية جعلت كل محاولاتهم للمتاجرة مع أهل الأطلس الصغير تبوء بالفشل. وبذلك يكون بودميعة قد وجد منذ رآسته لإگزولن بنية تجارية جنوبية قائمة الذات ماكان منه إلا أن يعمل على احتكارها باستمرار. ويبدو أنه صاغ مخططه لمراقبة المجال بشكل عسكري وسياسي محكم. فقد استعمل جيشا جرارا (50.000 محارب حسب بعض الروايات) لمنع سلطان مراكش من المشاركة في إحدى القوافل السنوية المتوجهة نحو تنبكتو متذرعا بأسباب دينية محضة (*إيليغ*، *S.I.H.M., France*, 1ère Série, III : 372; 217. 218). كما أنه تطلع إلى احتواء بعض المقتطعات من إمبراطورية سنغاي عندما أبدى بعض الطوارق استعدادهم للتعامل معه كسلطان، (*إيليغ*، 96) ولعل من المفيد هنا التساؤل عن السبب الذي حدا ببعض الأوربيين إلى القول بأنه احتوى مملكة كاكو وغينيا وملاحة تغازي (*S.I.H.M., France*, 1ère Série, 3 : 544). وهنا لا نجد مبررا سوى الوقع الحسن الذي خلفته سمعة بودميعة وحجم قوافله نحو الجنوب وعدد الواردين عليه من الضفة الجنوبية للصحراء كأداة تم توظيفها في اتجاه تعزيز مركزه الإفريقي. لقد فتحت الشبكة التجارية الجنوبية المجال أمام طموحاته ومشاريعه السياسية فأخذ يشترط لإطلاق سراح رهائنه من البحارين والتجار الأوربيين فدية ماليه. والملاحظ فعلا أن بودميعة خاصة لما ابتدأ السعديون يظهرون رغبتهم في مزاحمته تجاريا (*S.I.H.M.. Hollande*, 1ère Série, 3 : 40)، اتجه أكثر فأكثر إلى فرض إرادته والتقليص من مخاوف التجار المسافرين مستعملا في ذلك أحيانا أساليب شتى من الدهاء ومن الضغط أو الزجر العنيف. وإذا أضفنا إلى ذلك أيضا التكتلات والأحلاف السياسية التي سيعمد إلى خلقها بمنطقة وادي نون والساقية الحمراء، أدركنا أن الدور التجاري للصحراء يساهم في تثبيث كيان الدولة القائمة (إيليغ، 96. 220 : 2 ,*S.I.H.M., France*, 2ème Série, 267.

ندرك إذن لماذا كثر تردد الأوربيين على Santa Cruz وماسة منذ قيام بودميعة (*S.I.H.M., France*, 1ère Série, 3 : 544). ولعل أهم وثيقة معاصرة عن أهمية مرسى الامارة الأول بماسة ما كتبه قنصل فرنسا إلى ريشيليو Richelieu بتاريخ 1631/2/10 قائلا : "يتولاها مرابط كبير يسمونه سيدي علي. وهو رجل صالح في نظرهم تمرد على سلاطين مراكش، وتتسع مملكته يوما بعد يوم نظراً لعدله. فقد استولى على تارودانت ودرعة ونواح أخرى، ولذلك خلص له الذهب المجلوب من تنبكتو، ومملكته تفيض ذهبا وريش نعام وغير ذلك من المواد الصالحة للتجارة، وهو يحب التجار ويعاملهم معاملة حسنة كيفما كانت جنسيتهم مرحبا بهم أينما حلوا، وقد نُقلَ إلي كل هذا وسمعته بأذني مرات كثيرة من لدن أناس كانوا في تلك البقاع" (*إيليغ* : 217 ; *S.I.H.M.. France*, 1ère Série, 3 : 217). وبالرغم من نزوع سيد إگزولن المتزايد إلى تركيز السلطة بين يديه، فإن تجارة ماسة لم يزدها خضوع الأعراب المحليين إلا ازدهاراً. لقد كانت جوازات المرسى تضمن للأوربيين باستثناء الإسبان حرية التجول (*S.I.H.M., France*, 1ère Série, 3 : 358)، كما أن ما كان يؤدي بهذه المرسى من واجبات ورسوم جمركية يتجاوز باقي المراسي علما بأن هذه المراسي كانت تقتصر على نسبة 10٪ بينما تؤدى المبيعات على ظهر السفن بماسة نسبة 7٪. هذا الامتياز الكبير لم يكن يعني أن تجارة أهل سوس كانت تقتصر على المراسي المحلية بل تتجاوزها إلى مراكش حيث يحتلون الصدارة (*S.I.H.M., Angleterre*, 1ère Série, 3 : 235). وما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن هذا الامتياز كان يطبعه تنافس الأنجليز والفرنسيين والهولانديين خاصة. فبعد الاندماج الذي غلب عليه الطابع الدولي لتجارة ماسة نجد قناصلة هذه الدول يحذرون حكوماتهم مغبة التهاون في تمتين العلاقات مع سيد إليغ (*S.I.H.M., Angleterre*, 1ère Série, 3 : 358). وقد أدى الأمر بأحد الدبلوماسيين الأنجليز إلى تنبيه حكومته إلى خطورة المنافسة البرتغالية قائلا سنة 982 / 1574 بأن ملك البرتغال لو تمكن هذه السنة من احتكار تجارة الميناء لأصبح "هو المسيطر الوحيد على تجارة المغرب جمعاء" (*S.I.H.M., Angleterre*, 1ère Série, 1 : 141) من هنا نتأكد من أن تجارة هذا الميناء الصحراوي تندرج ضمن القطاع الذي يحظى بالأولوية والأفضلية في مخطط التنمية الاقتصادية للمنطقة. يكفي أن نضيف لوضوح الرؤية بأن العلاقات التجارية بين دار إليغ وانجلترا كانت منذ هذه السنة المبكرة في تاريخ الإمارة هي السبب في الخلافات الكبيرة بين هذه الأخيرة والسلطان السعدي (*S.I.H.M., Angleterre*, 1ère Série, 3 : 176 - 214 - 220 - 235).

إن المنطق السلعي القائم على اعتبارات تجارية وسياسية هو الذي سيصوغ بوضوح الإشكالية المركزية لتوجهات بودميعة. ويمكن فهم تلك الإشكاليات من خلال التقسيم السلعي الآتي :

١ ـ دور السلع السوسية المحلية في نشر إشكال الاندماج التجاري بين تجار الميناء وتجار الأطلس الصغير ووادي نون وباني. فمن ناحية يصعب إرجاع مسؤولية انحطاط مزارع السكر حوالي تارودانت إلى بودميعة الذي لم يحتوهذه المنطقة إلا سنة 1629/1039 بعد وفاة الحاحي كما رأينا. وإذا كان سيد إگزولن قد أسهم في الصراعات التي أدت قبل هذه السنة إلى انحطاط هذه المزارع، فإن دوره التجاري في بيع مادة السكر بماسة (*S.I.H.M., France*, 1ère Série, 3 : 358). يحدد اختياره الاقتصادي الأساسي (*S.I.H.M., Angleterre*, 1ère Série, 1 : 29). وفي الواقع فإن هذه المرحلة التاريخية يطبعها تقدم كبير في اندماج صوف ومعادن وتمر وجلود سوس علاوة على ملح البارود وشمع العسل (*إيليغ* : 178. 184 ; *S.I.H.M., Angleterre*, 1ère Série, 3 : 235 ; *Hollande*, 1ère Série, 4 : 492). بل

إن التحولات الناتجة عن هذه الفترة ستشكل اقتصاد المنطقة المحلي على الأقل خلال القرن الثامن عشر.

2 ـ إن سرعة إيقاع التطور الذي عرفه ميناء ماسة يرتبط أساسا بسلع الصحراء حيث تمثل تكاوست ساعتها القاعدة الفعلية لتجارة المسالك الأطلسية. لقد كان العنبر الأشهب والنيلة وريش النعام والعاج والملح والايواز والصمغ العربي والعبيد يمثلون المواد الأساسية المصدرة من الميناء. أما الذهب فيطبع تصديره بكميات متناقصة تعدد المواقف. ذلك أنه في إطار الفوضى النقدية كانت العقلانية المحلية تفرض ذاتها بشأن المسكوك من العملة الذهبية. وتبرز التقارير القنصلية المعاصرة تقلص هذا الاتجاه نظرا لتقلص حجم العملة الذهبية. على أن أهل سوس والصحراء لم يكونوا يستعملون الحلي والسبائك الذهبية (*إيليغ*، 218 ؛ *S.I.H.M., France*, 1ère Série, 3 : 372). وهو ما يتيح إمكانية قياس أهمية الذهب باعتباره قيمة عادية لا تزيد كثيرا عن القيم المجتمعية. بل إن توزيع بودميعة لكميات الذهب الواصلة إليه عبر القوافل تكشف لنا رؤية اقتصادية مقنعة بنمطين من الحتمية. يقتضي الأول الحد من تراكم الذهب كبعد لا اقتصادي يتبوأ مكانة الصدارة. وهو ما يعني عدم الوعي بمحدودية التنمية المادية. أما النمط الثاني فيفيد الغرق في عالم اقتصادي واجتماعي حيث تشكل الفردانية في هذه المجالات الفضيلة الأساسية. لم يكن أهل سوس يتعاملون بالسلف ولا يعتقدون إلا في المعاملات الحرة، وهو خضوع لنشاط الميكانيزمات التبادلية المبسطة (*S.I.H.M., France*, 2ème Série, 2 : 219 - 220 - 267).

3 ـ من بين السلع التي كان يتوصل بها ميناء ماسة ليوزعها على سلا ومراكش والضفة الجنوبية للصحراء نجد المنسوجات الشفافة والأثواب والملف والمرجان والزجاج الملون (*S.I.H.M., Angleterre*, 1ère Série, 1 : 17) والزنجبيل والقطن وبعض الدلاء الكبار والأسلحة النارية (*إيليغ*، 184). علاوة عن طرابيش الصوف والكاغد والأفيون (*إيليغ*، 221 ؛ *S.I.H.M., France*, 2ème Série, 2 : 26) وهكذا تتحدد هذه البنية الاستيرادية في الملاءمة المرحلية القائمة بين تحديد الاختيارات وتنفيذها. أما عملية المراقبة الجمركية والسلعية فقد كانت تتجلى في حضور الإدارة المحلية وارتفاع نسبة الرسوم الجمركية بالنسبة لباقي المراسي. وهنا نسجل بأن الضرائب والرسوم الجمركية والإمدادات المالية التي يوفرها إطلاق سراح الرهائن الأوربيين كانت في حد ذاتها بمثابة تكاليف أو منافع على مستوى المؤسسة الرسمية ومشاريعها العسكرية والعمرانية. ومن ثمة فهي ليست مجرد تحويلات على صعيد الصندوق الخاص الممول لمشاريع سيد إگزولن الشخصية. فلم تكن الأسعار المستعملة على صعيد الأسرى الأوربيين أرباحا حقيقية تمكن من السعي في نهج تنمية الاقتصاد الفعال الناجح (*إيليغ*، 181 ؛ *S.I.H.M., Hollande*, 1ère Série, 5 : 140).

إن العمل على تعرية هذه الحقائق المقنعة يجبرنا على القول بأنه ليس من السهل معاينة واقع تحيط به قطيعات على مستويات تاريخية مختلفة. ذلك أن فهما أفضل وإحاطة أعمق يتطلبان إطارا نظريا وأدوات مدققة. وفي هذا الاتجاه تنبثق من بين أهم التساؤلات الرغبة في معرفة الأسباب الحقيقية الخفية لتفهقر سيد إگزولن التدريجي منذ سنة 1641/1051 أمام العلويين. وهو تساؤل يصب في نفس الاتجاه الذي انطلقنا منه لاستنطاق أبعاد السلوك الذي ميز شخصية بودميعة. ومن هنا أيضا التساؤل عن الفرضيات التي تشكل قاعدة العلاقة بينه وبين العلويين. لقد شهد الدلائيون وهم أعداء بودميعة السياسيون بأن شرف العلويين هو الذي حال دونه وسفك دم الشريف بن علي عندما كان سجينه بإليغ (*إيليغ*، 115 ـ 121). وقد أكدت عدة شهادات معاصرة حضور أمر الدين في منظور سيد إليغ السياسي. ولعل مما يصب في هذا الاتجاه تحاشيه مواجهة امحمد بن الشريف في وقت كان يتوفر فيه على أهم وأكبر جيش بالمنطقة (*إيليغ*، 152). وهنا نشير إلى أنه مهما يكن من دور أهل تابوعصامت في توسيع هوة الخلاف بين الطرفين سنة 1637/1047 (*إيليغ*، 105 ـ 110)، فإن بودميعة لم يكن يرغب أساسا في اعتقال الشريف (*تاريخ الضعيف*، 8). وحتى وإن تعلق الأمر هنا بصراع حقيقي فعلا بين بودميعة وامحمد بن الشريف، فإن الشريف بن علي حظي بموفور العناية في سجنه. فقد أهداه بودميعة خنافة بنت بكار المغافرية التي ولدت له المولى إسماعيل قبل أن يطلق سراحه في نفس السنة التي ستعرف أكبر هزيمة في حياته السياسية. لقد انطلق بودميعة إلى درعة سنة 1641/1015 ليفقد بعد 41 يوما من المواجهة 950 محاربا (*إيليغ*، 116). وإذا كانت المرحلة الأخيرة من حياته السياسية ستعرف تقلص أرجاء الإمارة من الناحية الشرقية، فإن ازدهار التجارة سيستمر إلى أن يقوّض المولى الرشيد إليغ سنة 1670/1081 أي بعد وفاة بودميعة بإثنتي عشرة سنة.

م. الگرامي، *بشارة الزائرين* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ *إيليغ قديما وحديثا* ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري.

De Castries, *S.I.H.M.* ; P. Pascon, *La Maison d'Iligh.*

مصطفى ناعمي

بُودْهِيرْ، تل كبير محدب الشكل، يمتد على مسافة عدة كيلومترات شمال شرق واحة ترناتة، إحدى واحات وادي درعة. اشتهر هذا التل بالمعركة الضارية التي وقعت على أرضه في أواسط العقد السادس من القرن الحادي عشر الهجري(17م) بين مولاي مَحمد بن الشريف العلوي وأبي حسون السملالي (*إيليغ*، 125) ولا تزال الذاكرة الشعبية بترناتة تحتفظ بذكرى هذه المعركة إلى اليوم بقولهم "لاَيْدِّيكْ لِارُّو وَلْكْلابْ يَشْهَارُّو" ولا يزال قصر أرُّو قائما

إلى اليوم شمال بودهير، ويكشف لنا هذا المثل الشعبي عن عنف المعركة بين المتحاربين. ويظهر من خلال الرسائل المتبادلة آنذاك بين السملالي ومولاي مَحمد بن الشريف (*إيليغ*، 124) أن معركة بُودْهير تعتبر من المعارك التي أنهت سيطرة أبي حسون السملالي على وادي درعة.

كان بودْهير في زمن ما موطنا لقبائل الروحة الوَسْطانية حيث لا تزال آثار هذه القبائل مطبوعة على أسماء الأماكن والمواقع الجغرافية وبعض الأطلال المندثرة، وقد خلفتهم على المنطقة خلال القرن الثاني عشر الهجري (18م) بعض قبائل أيت عطا من إنَمْشانْ وأيت أُونير.

م. م. السوسي، *إيليغ* ؛ أ. البوزيدي، *التاريخ الاجتماعي لدرعة ؛ وثائق محلية وتحريات ميدانية*.

أحمد البوزيدي

البُودي رايس، أو علي البودري، من رياس الجهاد البحري المغربي العاملين بمصب أبي رقراق على عهد مولاي إسماعيل، تعرض خلال موسم 1681/1092 م للأسر من قبل المركي دلانجرون Le Marquis de Langeron أحد قواد الأسطول الحربي الفرنسي المكلفين بمواجهة نشاط الجهاد البحري المغربي بقيادة الأميرال شاطو رينو Chateau Renaud. كان الرايس علي البودي على متن سفينة مجهزة بست قطع مدفعية، وطاقم مُكون من خمسة وأربعين بحاراً مسلماً، وخمسة عشر أسيراً مسيحيًا، وبرفقته غنيمة أوربية، وكان أسره هذا مصادفاً لفترة توقيع معاهدة المعمورة (رجب/يوليوز) بين المغرب وفرنسا، مما أدى إلى حدوث أزمة دبلوماسية، ومطالبة القائد عمر بن حدّو باستعادة المركب وتحرير طاقمه استناداً إلى المعاهدة الموقعة.

H. de Castries, *S.I.H.M., Série Filalienne, France*, T. I, p. 557 - 559 ; R. Coindreau, *Les Corsaires de Salé*, p. 82.

حسن أميلي

بودينار، (حوض ـ) من الأحواض الرسوبية النيوجينية الساحلية بالجزء الشرقي من سلسلة جبال الريف، وقد بدأ ظهوره خلال الفترة الطُرطونية العليا، واستمر فيه الترسيب خلال بقية حقبة الميوسين (الزمن الجيولوجي الثالث)، وذلك إثر انتهاء مرحلة زحف الطيات الريفية المختلفة، مما جعل منه وحدة مُرفوبنيوية تختلف عن محيطها المكون من صخور متحولة وبنية ملتوية زاحفة معقدة ويمتد هذا الحوض على مساحة تبلغ حوالي 300 كلم2، ويتخذ شكل مثلث منفتح على البحر المتوسط حيث يشكل الساحل أحد أضلاعه في الشمال. أما في الشرق وفي الجنوب فتنتصب سلسلة جبال بني توزين وبني سعيد التي تفصل حوض بودينار عن حوض وادي كرتْ وتمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، كما تفصله في الغرب سلسلة جبال كتلة تَمْسَمَانْ عن حوض وادي نْكُورْ. وتشتمل كلتا السلسلتين الجبليتين على أعراف مختلفة الامتداد والاتجاه، لا يزيد ارتفاع قممها على 1.000 م إلا نادراً وإن كان أعلاها يرتفع إلى حوالي 1.600م في الجنوب، حيث يفصل بينهما وادي أمْقْران الذي يصرف أكبر جزء من الحوض إلى جانب وديان أخرى قصيرة وأهمها "إغْزْرْ سيدي صالح" في الشمال الشرقي و "إغْزْرْ تغْزا" في الشمال الغربي. ولقد تشكلت هذه الجبال من طيات زاحفة "طيات أكْنُولْ وكْتامَة" في الجهة الغربية والجنوبية الغربية و"طيات بني سعيد ـ تمسمان" في الجنوب وفي الشرق، وكل هذه الطيات من المجال الريفي الخارجي تتكون من صخور شيستية وكلسية من عصور الجوراسي والكريتاسي والميوسين الأسفل والأوسط، تخترقها في بعض الأماكن عروق وكتل اندساسية في الجنوب الغربي، كما تكسوها وتمددها في الشمال الغربي كتلة بركانية تتكون من طفوحات الأنْدزيت النيوجينية التي تحتوي على بعض المعادن (حديد وكبريت وذهب ...).

بودينار

أما صحن الحوض فيحتوي على بعض العراقيب الهضبية الفيلافْرَنْشية في الجنوب وهي متحجرة وتشرف على حادورات معلقة تشكل أيضا هضبة متحجرة من المستوى الرباعي الخامس "الرُّقراقي". وتشرف هذه الحوادير على قعور أودية عميقة ومنعرجة، تضيق أحيانا وتتسع أحياناً أخرى، فيما تنتصب في الشمال تلال وجبال قليلة الارتفاع وهي مشكلة في صخور نيوجينية (رصيص وطَفل وكلس)، ولقد امتدت بعض هذه التلال حتى الساحل في الشمال، فيما انسطح البعض الآخر فكون هضبة تشرف مباشرة على البحر بواسطة جرف صخري ملطوم أو تشرف عبر جرف مهجور على سهل ساحلي ضيق يشكل امتدادا لشاطئ رملي. ومن سمات هذه المنطقة الساحلية وفرة المستويات الرباعية البحرية، إذ تُظهر تدرّجا واضحا وكاملا.

تتسم السفوح في حوض بودينار بوعورة ملحوظة، كما أن معظمها عار اجتُثت نباته وانجرفت تربته وخارت غطاءاته الفتاتية، لا سيما في أقدامها حيث تتراكم

المهيلات وتمتد الحوادير، وقد ظهر التخديد على بعضها بشكل مثير. وتساهم في هذا التدهور البيئي إلى جانب الإنسان تساقطات تكون أحيانا عنيفة، ويبلغ معدلها السنوي حوالي 450 مم في محطة بودينار وأكثر من 600 مم في قمم الكتل الجبلية المحيطة بها، والتي مازالت بعض سفوحها مكسوة بنباتات تشمل العرعر الأحمر والصنوبر الحلبي والحلفاء والعتم والدوم، بينما تنتشر على البعض الآخر تربة حمراء وبنية متقطعة، وهذه كلها مؤشرات تصنف المنطقة ضمن النطاق المتوسطي شبه القاحل.

J. J. Barathon, *Bassins et littoraux du Rif Oriental, Maroc, Evolution morphoclimatique et tectonique depuis le néogène supérieur, Ed. Médit*, Poitiers, 1989 ; H. El Abbassi, *Essai sur la dynamique des milieux dans le Bassin de Boudinar, Rif Oriental, Maroc*, Thèse Doct. N.R. Strasbourg, 1987 ; J. P. Houzay, *La géologie du Bassin de Boudinar*, Thèse de 3ème cycle, Université Paris VI, 1975 - 1982 ; G. Maurer, *Les montagnes du Rif Central : étude géomorphologique*, Thèse Doct. Université de Paris, 1968.

بودينار، مركز يعد مقراً إدارياً صغيرا توجد به قيادة قبيلة تمسمان التي تضم جماعتين قرويتين هما جماعة بودينار وجماعة تمسمان (دائرة الريف). وتقع جماعة بودينار في الجزء الشمالي الغربي من إقليم الناظور. تمتد هذه الجماعة على مساحة تبلغ 153 كلم^2 يقع معظمها على الضفة اليسرى لوادي أمْقْران، في أقصى شمال غرب حوض بودينار، وتتسم أراضيها بالتضرس ولا تربطها بالشبكة الطرقية الوطنية سوى مسالك وطرق غير معبدة وشديدة الوعورة، مما يجعلها في موقع هامشي معزول رغم امكاناته السياحية غير المستغلة.

يتكون سكان جماعة بودينار من مجموعتين أمازيغيتين بني بُويِّيدير وبني ثعبان وهم مستقرون في تجمعات سكنية تدعى محلياً "دْشَر" يفوق عددها الثلاثين من بينها خمسة يفوق عدد سكان كل منها 1.000 نسمة. وتبلغ الكثافة السكانية بهذه الجماعة حوالي 132.6 ن/كلم^2، أما عدد السكان فقد تطور من 12.827 نسمة سنة 1960 إلى 16.204 نسمة سنة 1971 ثم إلى 20.303 نسمة سنة 1982 أي بزيادة إجمالية بلغت نسبتها على التوالي 3.26٪ و3.25٪، وهي زيادة متواضعة تعزى إلى أهمية تيارات الهجرة نحو بلدان أوربا الغربية التي تطورت فأصبحت عائلية بعد أن كانت فردية، إضافة إلى الهجرة نحو بعض المدن المغربية مثل الناظور وطنجة والحسيمة ومكناس أو بعض المراكز المجاورة مثل العروي.

يظهرالسكن بجماعة بودينار متراصاً أحياناً ومفككاً أحيانا أخرى، وهو عشوائي لا يخضع لأي تصميم، كما أنه متجمع في "دواوير" أو متناثر فوق السفوح وحول المسالك الرئيسية، ومنه التقليدي المبني بالحجارة والطين والأخشاب وهو في طريق التقلص والانقراض، ومنه العصري المبني بالإسمنت والحديد والآجر وقد أخذ ينتشر بشكل لافت للانتباه بطابقين أو أكثر وبمرافق ذات طابع حديث، وذلك بفضل الإيرادات المالية الهامة للعمال بالخارج، التي أصبحت في الآونة الأخيرة تستثمر بعيداً عن الجماعة في المدن ولا سيما القريبة منها مثل الناظور (95 كلم) والحسيمة (60 كلم). وهكذا لم يعرف أي من التجمعات السكنية بالجماعة نمواً كبيراً، فحتى مركز بودينار الذي جعلت منه الادارة الاستعمارية الاسبانية مركزا إداريا منذ سنة 1929، والذي أصبح فيما بعد مقر قيادة في عهد الاستقلال، بقي صغيراً لم يتجاوز عدد سكانه 592 نسمة سنة 1982، بينما احتفظ بالقرب منه دوار بودينار على عدد من السكان بلغ خلال السنة نفسها 852 نسمة، ويكاد يستحوذ هذا المركز على جل التجهيزات الجماعية الأساسية مثل المستوصف ومجموعة دكاكين وبعض المصالح الإدارية، كما يحتوي على شبكة توزيع الكهرباء وأنابيب توزيع الماء الشروب التي لا يستفيد منها إلا القليل من "الدواوير" المجاورة، بينما تبعد عنه السوق الأسبوعية "خميس تمسمان" بحوالي 3 كلم صوب الجنوب، ويذكر التاريخ المعاصر أن معركة أنوال الشهيرة دارت رحاها سنة 1921 بالقرب من هذا المكان بقيادة الزعيم محمد ابن عبدالكريم الخطابي ضد الغزاة الإسبان. أما المساجد وأقسام المدارس الابتدائية فتنتشر في جل التجمعات السكنية بالجماعة ولا سيما الكبيرة منها، كما أن المنطقة لم تخل من تأثير بعض الزوايا منها الدرقاوية والتجانية بصفة خاصة.

تتلخص الأنشطة الاقتصادية المحلية بجماعة بودينار في فلاحة معاشية بورية مدعمة أحيانا بالسقي. وتضم المحاصيل الزراعية الحبوب مثل الشعير بصفة رئيسية إلى جانب القمح والذرة، وكذلك القطاني وبعض البقول والمواد العلفية، إلى جانب بعض الأشجار المثمرة مثل الزيتون والتين والمشمش وغيرها، كما تهتم الساكنة أيضا بتربية الغنم والمعز والأبقار. ولقد تدهورت هذه الأنشطة كثيراً بسبب الجفاف وندرة الماء.

استطلاعات ميدانية.

عبدالرحمان الحرادجي

بوذنيب، اسم يطلق على الوحدة الشرقية للأخدود الجنوب أطلسي الذي يضم أيضا منخفضي ورزازات في الوسط وسوس في الغرب. وتعزى هذه المنخفضات الثلاث أساسا إلى الحركات التهدلية التي عرفها هذا المجال على طول الحادث الجنوب أطلسي.

يعتبر منخفض بوذنيب الوحدة الأكثر اتساعا وامتدادا:

350 كلم من تينغير غربا إلى تالزازة شرقا، وعرضه يتراوح بين 4 كلم في حدوده الشرقية (ممر بَنْ زِرِكْ) و75 كلم على خط طول يمر بمركز بوذنيب. وتتلخص حدود منخفض بوذنيب كما يلي (شكل 1).

- في الشمال، الحادث الجنوب أطلسي الذي تطغى عليه صفة التعقيد من حيث بنيته المتمثلة في انكسارات وطيات منقلبة متوازية ومتتالية.

- من ناحية الجنوب، يمكن رسم حدود المنخفض على طول حافة التضاريس الهضبية المتشكلة من كلس ودولومي للتيروني، على طول السفح الشمالي لكتلة صَاغْرو- أُوكْنَانْ (الأطلس الصغير الشرقي).

- شرقا، يضيق المنخفض لينتهي بشكل مشذوف باقتراب كل من كتلة تَالْزَازَة - استمرار لبنية الأطلس الصغير الشرقي - والحادث الجنوب أطلسي، جنوب سهل تاملالت التهدلي.

- غربا، يضيق المنخفض بمنطقة تينغير - إمضَرْ (10 كلم فقط) عند اقتراب بنية صاغرو الكتلية جنوباً والحادث الجنوب أطلسي شمالا، هذه المنطقة تشكل مدخلا بين كل من منخفضي ورزازات وبوذنيب.

ويتكون أخدود بوذنيب من منخفضات وسهول إلى جانبه تضاريس هضبية تعرف بالحمادات : حمادة مسكي السفلى وحمادة بوذنيب الوسطى وحمادة گير العليا، توافق الغطاء الرسوبي الذي يغشى القاعدة القديمة المشكلة من صخور الزمن الأول والتي تظهر في الهوامش الشمالية لسلسلة صاغرو أُكْنَانْ على شكل تضاريس أپلاشية مرتبطة بالتعرية الانتقائية داخل التناوب الصخري المميز لطبقات هذا العصر.

رسم مورفوبنيوي لمنخفض بوذنيب

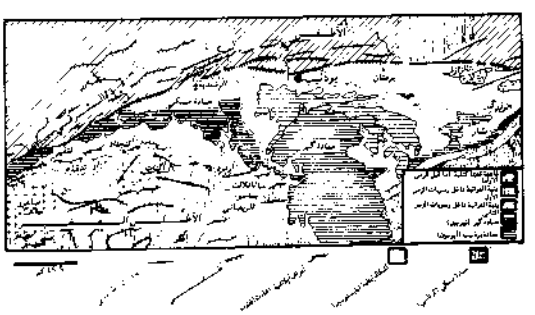

بالنسبة للغطاء الرسوبي الموالي، تغلب الطبقات الحثية والصلصالية والكربوناتية التي ترجع إلى الزمن الثاني. أما فترات الزمن الثالث فتميزت بعدم التجانس من حيث انتشار إرساباتها داخل المنخفض، تمثل منطقة گير الأوسط والأسفل، جنوب مركز بوذنيب، المجال الوحيد الذي يضم طبقات هذا الزمن، وهي عبارة عن توضعات فتاتية متفاوتة الصلابة وتوضعات كربوناتية حيوية تشهد على التطور التكتوني والكارستي للتضاريس الجنوبية للأطلس الكبير الشرقي. يتم التصريف داخل منخفض بوذنيب بفضل وديان رئيسية تنحدر من الأطلس الكبير الشرقي : غريس وزيز في الغرب والوسط ثم گير في الشرق. على أن الخطوط العامة للشبكة المائية تتخذ أشكالا خاصة أثناء نزول مجاريها في اتجاه المنخفضات والحمادات المجاورة، وتمتاز بالتعمق الشديد راسمة خوانق (خَنْگْ أو فُمْ في المصطلح المحلي) تشهد على سلفيتها بالنسبة للحركات البنائية النهائية للأطلس الكبير الشرقي.

ويوجد منخفض بوذنيب ضمن النطاق المناخي الصحراوي ذي النظام المتوسطي (شتاء بارد يعرف بعض الأمطار - صيف حار جاف).

وانفتاحه على الجنوب الصحراوي يعرضه للرياح الجافة كما أن وجوده تحت ظل سلسلة الأطلس الكبير الشرقي يحجب عنه الرياح الشمالية الممطرة الشيء الذي لا يسمح بإقامة أي نشاط زراعي خارج الواحة : فالماء يشكل أهم عنصر تنتظم حوله كل أشكال الحياة.

أهم المراكز الحضرية بالمنخفض : تينغير وتينجداد وگوليمة والرشيدية (مقر العمالة) وبوذنيب وبوعنان، كلها متراصة على طول الطريق الرئيسي رقم 32، الرابط بين أگادير وفگيگ والذي يتقاطع مع نظيره رقم 21 بالرشيدية، الرابط بين مكناس والريصاني.

مركز بوذنيب أهم مركز إداري لگير الأوسط، لكنه أصلا يطلق على قصر قديم يقع على الضفة اليمنى لوادي گير وجنوب المركز القروي الذي يوجد على ارتفاع يبلغ 925 م.

وقد أنشئ هذا المركز من قبل إدارة الاحتلال الفرنسي في بداية هذا القرن سنة 1908، جعلت منه اول قاعدة لمدها الاستعماري في اتجاه الشمال والغرب وخاصة في اتجاه سهل تافيلالت الذي لم يتم الاستلاء عليه إلا سنة 1933. يقع مركز بوذنيب على بعد 661 كلم من الدارالبيضاء و628 كلم من وجدة و95 كلم من الرشيدية (قصرالسوق سابقا)، وهو مقر الجماعة القروية التابعة لدائرة الرشيدية، في الجزء الشرقي للإقليم، محاذية لإقليم فگيگ، والتي تضم عدداً من القصور المنتشرة على ضفتي وادي گير. تنتشر هذه التجمعات السكنية في واحات متفاوتة الأحجام، تمثل واحة بوذنيب أهمها، وهي تضم كلا من قصور بوذنيب الشرفاء والطاوس وأولاد علي - بني أوزيم (أو أوزين) والسهلي، على طول 20 كلم تقريبا وتبلغ مساحة جماعة بوذنيب 4722 كلم2، تتلخص حدودها الإدارية كما يلي : من جهة الشرق قيادة بوعنان ومن الغرب قيادة مدغرة والْحَنْكْ ومن الشمال قيادة بني تاجيت ومن الشمال الشرقي قيادة كُرَامَة ثم من الجنوب التخوم المغربية - الجزائرية.

كما تتدرج جماعة بوذنيب ضمن نطاق نفوذ قبيلة أيت يَفْلْمَانْ، إلا أن سكانها ينحدرون في الواقع من مجموعة قبائل متنوعة، أقدمها مجموعات عربية سكنت عدداً من القصور : قصر بوذنيب (بقايا عرب بني معقل وشرفاء

نزحوا من تافيلالت في القرن الحادي عشر (17 م) وقصر بني أوزيم (عرب منشقّون عن سلطة قصر بوذنيب) الشرفاء انضم إليهم بعض العرب الوافدين من الجنوب الشرقي والشرق (الجزائر حاليا)، وقصر السهلي (وهم عرب ينتسب بعضهم إلى سيدي ابن عبدالرحمان صاحب الزاوية المعروفة بالقصر وهو بدوره ينتسب إلى صاحب زاوية القنادسة ـ منطقة گير الأسفل بالتخوم الجزائرية ـ المغربية المعروف بسيدي محمد بن بوزيان.

تشكل هذه الفئة بقصر السهلي الأسياد أو "المرابطين" إلى جانب مجموعة عربية أخرى تمثل الخدم جلبت أغلب عناصرها من الشمال الشرقي (قبيلة بني گيل) والشرقي (أولاد الناصر).

إلى جانب هؤلاء العرب هناك ساكنة أمازيغية تنحدر من مجموعة قبائل أيت عطا وأيت سغروشن ثم أيت زدگ، وكلها تتكلم الأمازيغية بلهجات متباينة نوعا مّا. فاستيطان أيت عطا مثلا بقصر الطاوس، جنوب قصر بوذنيب، جاء نتيجة وفاق الاستغاثة التي طلبها أهل بوذنيب في القرن الثالث عشر (19 م) من هؤلاء الأمازيغيين المقيمين بمنطقة حمادة مسكي، ضد أهل بني أوزيم الذين كانوا يحاربونهم باستمرار. أقام هؤلاء فيما بعد وفاقا مضادا مع قبيلة أيت زدگ وقبيلة أيت سغروشن الذين وفدوا من وسط الأطلس الكبير الشرقي، ولم تتم الهدنة والأمن فيما بين القصرين إلا في بداية القرن العشرين.

وقد سكنت أقلية يهودية قصر بوذنيب منذ عهد قديم، فكان لها حيها الخاص "الملاح" وتشتغل ببعض الحرف والوظائف البسيطة داخل القصر وخارجه (الخياطة والتلحيم...) انتقلت مع بداية الاحتلال الفرنسي داخل المركز الإداري الحديث حيث انشأت محلات تجارية لا زالت قائمة إلى عهدنا هذا. ولقد رحلت آخر أسرة يهودية من بوذنيب عام 1969.

توجد واحة بوذنيب في سهل منخفض يشرف عليه حادث تَازُوگَارْتْ ـ لُوگْسيعاتْ من الشمال، الذي لا يتجاوز ارتفاع أعلى قممه 1.400 م، وهو فرع من الحادث الجنوب أطلسي والحمادة الوسطى التي تحمل اسم الواحة في الجنوب على ارتفاعات تقل عن 1.100 م.

أما المناخ فهو ذو طابع صحراوي جاف وحار حيث لا يتعدى متوسط الأمطار 100 ملم في السنة، تسقط غالبيتها خلال فصلي الخريف والربيع وتوافق فترات فيض الشريان الرئيسي، واد گير، وتزيد حرارة فصل الصيف أحيانا على 38° كما أنها تنخفض إلى ما دون الصفر أحيانا خلال فصل الشتاء، وهذا ما يفسر اعتماد السكان بالواحة على المياه الجوفية : العيون ومياه بعض السدود الصغيرة.

تتكون التربات داخل الواحة عموما من خليط من طمي وصلصال ورمل تفتقر نسبياً إلى المادة الدبالية التي تعوض بالأسمدة الحيوانية المخصبة، في حين تتميز خارجها بكونها فقيرة، رملية إلى فتاتية مع نسب ضعيفة من الطمي والصلصال ما عدا داخل الضايات ـ فوق سطح الحمادات ـ ومناطق المغدر أو الگرار حيث تتجمع المواد المعدنية والدبالية أثناء الفيض لتسمح بإقامة زراعة بورية. أما الغطاء النباتي فيتلخص في بعض الشوكيات التي تقاوم عمليات التبخر أو بعض النباتات المحلية داخل الأودية الرئيسية.

الكثافة السكانية بجماعة بوذنيب ضعيفة لا تتجاوز في متوسطها 3 نسمة/كلم2، وقد بلغ عدد سكانها حسب إحصاء سنة 1971 حوالي 10.677 نسمة، تطور هذا العدد ليصل سنة 1982 إلى 12.559 نسمة بزيادة مطلقة قدرها 1882 نسمة في ظرف إحدى عشر سنة، أي بنسبة 17.6٪.

هذا ويلاحظ نمو سريع للسكان الحضريين بمركز بوذنيب نتيجة نزوح السكان من داخل الجماعة، خاصة من قصور واحة بوذنيب، ثم استقرار أغلب الرحل بعد سنة 1975، الذين كانوا ينتقلون في المجال الحدودي المغربي ـ الجزائري إلى جانب عودة مجموعة من الأسر المغربية التي كانت تقيم بالجزائر.

يتميز السكن داخل القصور بطابع تقليدي من حيث التصميم (طابق أرضي للدواب والعلف وأدوات العمل وطابق علوي للسكنى). كما أن مواد البناء تشمل الطين المدكوك والأخشاب. وقد ظهرت في العشر سنوات الأخيرة مساكن حديثة خارج بعض القصور (الطاوس وبني أوزيم وخاصة قصر السهلي)، استعمل في بعضها الحديد والاسمنت والحجر أو الآجر مع الاحتفاظ في الغالب بطابق واحد فقط.

أما مركز بوذنيب فيعرف تصميما هندسيا لأحيائه المتعددة والممتدة في اتجاه الشمال وعلى الجهة اليمنى من الطريق الرئيسي. هذا التصميم يرجع في أصله إلى التخطيط الذي وضعته إدارة الاحتلال الفرنسي. ومنذ سنة 1984 أصبح مركز بوذنيب خاضعا للتصميم الحضري الذي يستوفي شروط البناء العصري، إذ يشكل حاليا نواة مركز حضري ببناياته الإدارية (القيادة والتكنة) والاجتماعية (مكتب البريد ومستوصف قروي ومستشفى ودار الشباب

ومركز نسوي ومدرسة وإعدادية). معظم النشاط الاقتصادي للجماعة القروية منحصر كذلك بمركز بوذنيب : مركز الاشغال الفلاحية وتربية الماشية ـ أكثر من 250 محل تجاري إلى جانب سوق حضري مغطى وسوق أسبوعي (يوم الأحد).

أما النشاط الصناعي فينحصر في بعض المطاحن ومشاغل الحدادة والنجارة التي تعتمد جزئيا على الطاقة الكهربائية المحلية التي لا تتجاوز فترة انتاجها ستّ ساعات كل ليل.

يقوم استغلال الأرض داخل الواحة أساسا على النشاط الفلاحي رغم ضعف مدخوله، وهو عبارة عن زراعة معاشية تعتمد على مياه عدد من العيون التي تجلب بفضل نظام تقليدي يعرف بنظام "الفُگّارات" أو "الخَطّارات" والتي تسقي حقولا ذات ملكية مجهرية تشمل محاصيلها : الحبوب (شعير، قمح ، ذرة) والبقول والمواد العلفية إلى جانب أصناف من الأشجار المثمرة، يمثل الزيتون والنخيل أهمها من حيث الانتاج المسوق. وتقدر الأراضي المسقية داخل الجماعة بحوالي 1.200 هكتار.

هذا، وتبقى التقنيات المستعملة في الاستغلال عتيقة ومعقدة تتكيف مع الظروف البيئية المحلية التي تعاني من حدة الجفاف وزحف الرمال والاجتثاث وبعض الأمراض الطفيلية مثل "البيُّوض" بالنسبة للنخيل. وتتلخص تربية الماشية في الرعي في مراع جماعية خارج الواحة وتخص المعز والغنم، وتربية مستقرة للماشية داخل القصور أو بالمساكن الحديثة المجاورة (غنم وبقر).

ونتيجة لضعف الموارد المحلية أصبح المجتمع الواحي ببوذنيب خاضعا للنفوذ الاقتصادي الخارجي، بحيث شهد العقد الأخير هجرة مكثفة لليد العاملة نحو المراكز النشيطة في الشمال الشرقي ومنطقة سايس أو مباشرة إلى أوربا. كما أن عدداً كبيراً من الشباب انخرط في صفوف القوات المسلحة الملكية بعد سنة 1975.

كل هذا ساهم في تلاشي النظام الاجتماعي والثقافي بالواحة، فالوحدة الجغرافية والاجتماعية التي هي القصر عرفت تشتتا وتلاشيا مستمرين، وكذلك الأسرة، إلى جانب استقلالية الفرد عن الجماعة.

فهل سيساهم السد التلي الذي يقام على واد ادويس (رافد ثانوي لواد گير)، جنوب قصر أولاد علي، في التنمية الفلاحية لواحة بوذنيب واعادة التوازن المختل للمنطقة ؟ وهل سيعمل توسيع الشبكة الكهربائية الوطنية والانخراط الأوتوماتيكي للهاتف، على فك العزلة التي يعرفها هذا المجتمع الواحي ؟.

M. Ben Brahim, *Le couloir de Boudenib et ses bordures : étude géomorphologique*, Thèse de 3ème cycle. Ins. Géog., Paris, Sorbonne, 1983 ; M. Laugel, *Les Abid de Kenadsa. B. L. S.*, t. IV, N° 13, p. 22 - 30 ; Niclausse, *Une tribu du Sud marocain : Les Ait Atta du Sahara*, 1957, 14 p, N° 2691 ; E. Mercier, *Histoire de l'Afrique septentrionale, Berbérie, depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française*, 3 vol., Paris, 1888- 1891 ; Enquêtes de terrain.

محمد بنبراهيم

بوالذهب (سيدي ـ) ضريح بالمدينة القديمة بأسفي يواجهه البحر غرباً في المكان المعروف بالمريسة الصغيرة، ولقد اختلف الناس في إثبات أو نفي وجود دفين بداخله. وكان يقصده قديما المسلمون واليهود للزيارة، ولقد ذكره ڤوانو L.Voinot في كتاب *Pélerinages judéo-musulmans du Maroc*, p. 18 بما مضمونه : يُجهل كلّ شيء عن الدفين بهذا الضريح الذي يقصده المسلمون واليهود على السواء، وقد يكون اسمه الحقيقي "بوالأدْهم"، تقول عنه بعض الروايات إنه قد يكون ولياً صالحاً أتى من مكة المكرمة أو المدينة المنورة لتقديم يد المساعدة للشيخ أبي محمد صالح في نشر الإسلام عند قبائل هذه المنطقة، وهناك روايات تقول بأن أصله من رگراگة، وحسب روايات أخرى فإنه قد يكون ابن الولي الصالح سيدي عبدالرحمن مولى البرگي المعروف في فخدة ثمرة بناحية أسفي. كما ذكره الفقيه السيد محمد بن أحمد العبدي الكانوني في كتابه *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، ص 134، بقوله : "... وقد بالغت في البحث والتنقيب فلم أجد من أشار إليه ولو أدنى إشارة...". وفي سنة 1929/1348 تقرر هدم بناية الضريح وتشييد قبة جديدة، فاغتنم الفقيه الكانوني الفرصة ليقف على حقيقة أمر القبر الموجود بداخله، وقال : "... وكان البناءون من أصدقائنا فسارعوا للإجابة إلى طلبي (...) ثم أزلنا الحجارة عن المحل المزعوم أنه قبر "فإذا هي فوق التراب العادي ولاشيء تحتها مما يُشعر بأنه كان هناك أحدٌ...".

أما سبب تسمية هذا الضريح بـ "سيدي بوالذهب" فيرجع دون شك إلى أن الناس كانوا يبحثون قديما على قطع من المعدن الثمين في هذا المكان الذي كانت توجد بجواره دار السكة.

م. الكانوني، *جواهر الكمال*.

L. Voinot, *Pélerinages judéo-musulmans du Maroc*, Paris, 1948.

عبدالرحيم العطاوي

پور ليوطي Port-Lyautey أو ميناء ليوطي، أطلقت هذه العبارة على مدينة القنيطرة لمدة النصف الثاني من فترة الحماية، وبالضبط ابتداءً من يوم 18 محرم 24/1351 ماي 1932 وهو تاريخ صدور القرار الوزيري الموقع من قبل محمد المقري الصدر الأعظم ولوسيان سان Lucien Saint المقيم العام آنذاك، والقاضي بتعويض اسم القنيطرة باسم پور ليوطي وذلك بناء على ملتمس تقدمت به الهيئات المنتخبة وجمعيات القنيطرة بتاريخ 11 فبراير 1932 إلى المقيم العام، وبناء على قرار الجماعة البلدية ليوم 12 فبراير الموالي، وبناء على لزوم إشراك المخزن الشريف في تلك "المبرّة" التي جاءت اعترافاً بجميل صنع المارشال ليوطي في المغرب عامة وفي القنيطرة على وجه التخصيص، إذ هو الذي أمر بجعل القنيطرة ميناء يستفيد منه معمرو الغرب وسايس، وكان القرار بمثابة حلقة أخرى من حلقات أسطورة ليوطي التي لم يتورّع عن صياغة جوانب كبيرة منها بنفسه يوم كان مقيما عاما بالرباط،حتى إذا أبعد عن المغرب قام

خلفاؤه بإقامتها وإرسائها سواء في حياته أو بعد مماته بالأحرى في شهر يوليوز سنة 1934.

إبراهيم بوطالب

بوراس، أسرة تطوانية يقول عنها الفقيه الرهوني إنها كانت تدّعي الشرف، ومازالت هذه الأسرة بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 11 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بُورْحَى، (سيدي علي ـ) دفين باب شالة، تقصده النساء غير المتزوجات أو اللاتي تغيّب عنهن أزواجهن. وعرف ببُورْحى لما يحكى أنه كانت ظهرت له كرامات في قضية رحى.

ذكر الفقيه ابن الغازي الكبير أن سيدي علي بورحى وسيدي الحسن الإمام بشالة، وسيدي أحمد الشريف بوقاصة ثلاثتهم من أصل واحد، وأن لهم حفدة في الرباط ومراكش، كانوا في الثلث الأول من القرن العشرين يتصرفون في "فتوحات" هذه الأضرحة وربما مازالوا يتمتعون بذلك حتى الآن.

م. بوجندار، *الاغتباط*، 443.

عبدالاله الفاسي

بورحيم، أسرة من الجرارين الذين استقروا بالصحراء أوائل القرن الثامن (14م)، ثم جاء أفرادها إلى أزغار بضواحي تيزنيت في القرن العاشر (16 م)، فأقاموا بوادي تدايغت إزاء ضريح الولي سيدي موسى جنوب شرق تيزنيت، وهي منطقة خصبة وافرة المياه، كانت لهم بها أملاك، غير أن ظهور "عين حسون" بتالعينت بأولاد جرار سنة 1718/1129 كان مؤشراً لتغيرات ديموغرافية وسياسية بالمنطقة حيث استقطب الماء وافدين جدداً من ضمنهم أسرة بورحيم التي اكتسبت حصتها من الماء إما بالرهن أو الشراء أو الكراء. ولم يكن توزيع الماء وتنظيم المجال ليخلو من صراعات بين المالكين الأصليين والوافدين الجدد الذين تتزعمهم أسرة بورحيم التي ازداد نفوذها بازدياد ثروتها، فاكتسبت المؤيدين والأنصار لتدشن الصراع حول زعامة القبيلة، وقد بلغتها بعدما فتك علي بن بورحيم بزعيم أولاد جرار الشيخ بّيه النكَيفي حوالي سنة 1824/1240. ومنذ ذلك الحين انتقل مركز الزعامة من الركّادة إلى تالعينت، ومعه انتقلت الزعامة إلى أسرة بورحيم، فتوارثها أفرادها أزيد من مائة وعشرين سنة ظهر خلالها منهم رجال كبار لعبوا أدواراً كثيرة في تاريخ سوس المعاصر، أمثال :

بورحيم، عبدالسلام بن محمد، قائد، هو ابن الشيخ محمد بن علي آتي الترجمة الذي قُتل بسجن تازروالت. تلقى تعليمه بمدرسة تالعينت فسار على نهج عمه في أخذ الورد الدرقاوي، وكان خليفته فتمكّن من معايشة الأحداث التي عرفتها القبيلة في فترة رآسة القائد محمد، واكتسب بذلك تجربة كبيرة في تسيير شؤون القبيلة. وبعد وفاة عمه سافر إلى تافيلالت صحبة أعيان أولاد جرار الذين قدموه للسلطان مولاي الحسن فعينه قائداً على القبيلة خلفاً لعمه وذلك سنة 1894/1311.

نهج القائد عبدالسلام في تسييره للقبيلة سياسة مكنته من ضبطها، فعزز نفوذه على مجموع دواوير القبيلة، وعين بها شيوخاً جدداً. وفي عهده اكتسبت تالعينت طابعها المعماري المتميز، فهو الذي سورها وبنى بها داره الكبيرة الفاخرة، فتحولت تالعينت من مقر القيادة البورحيمية إلى مركز استقطاب علماء سوس وأعيانها، هؤلاء الذين يهرعون إليه لإنجادهم كلما ثارت ضدهم قبائلهم، فكان عبدالسلام أحد قواد سوس الذين ساهموا في إخماد الفتن المستشرية بعد وفاة السلطان مولاي الحسن الأول. بل ساعد بعض القواد الذين طردتهم قبائلهم وخربت منازلهم على استرجاع نفوذهم، غير أن تردده في بيعة مولاي عبدالحفيظ جعل هذا الأخير يتماطل في تجديد تعيينه على قبيلته. وقد أشار المختار السوسي إلى أن استرجاعه لمكانته لدى السلطان تطلب منه أموالا كثيرة، وزيارات متكررة لفاس. ولم يتم له ذلك إلاّ بعدما توسط له كل من الشيخ الحسين الإفراني، وعبدالمالك المتوكي لدى الوزير المدني الأگلاوي وبعد تقديم اعتذاره للسلطان.

وهكذا مُنح عبدالسلام ظهير تعيينه قائداً على قبيلة أولاد جرار مع إضافة قبيلة أيت بريم (على حدوده الغربية مع أيت باعمران) وترسخت علاقته بالمخزن المركزي لدرجة أنه كان من أشد قواد سوس معارضة لحركة أحمد الهيبة، وأكثرهم تشبثاً ببيعة مولاي عبدالحفيظ، فبادر إلى عقد مؤتمر بتالعينت ضم أعيان وعلماء سوس حثّهم فيه ليردوا على دعاة الحركة، غير أن إعلان بيعة أحمد الهيبة بتيزنيت أفشل خطته. ورغم تماطله في إعلان بيعته فإنه ما لبث أن أذعن وقد راعه ما لاحظه من إجماع الناس، فقصد تيزنيت وبايعه وقدم هديته، رغم عدم اقتناعه بذلك.

كانت حياة عبدالسلام ثمناً لموقفه هذا حيث اغتاله أصحاب الهيبة بعد عودتهم جميعا من مراكش. واستقرارهم بأسر سيف بهشتوكة يوم الثلاثاء 27 جمادى الثانية 3/1331 يونيو 1913، ودفن هناك إلى سنة 1914/1332 حين نقَلَ جثمانَه ابنُه الشيخ محمد ليدفن بمقبرة تالعينت.

بورحيم، عبدالله بن عياد، أكبر أولاد القائد عياد آتي الترجمة وخليفته، كان تجانيّ الطريقة، عين قائداً على قبيلة أولاد جرار بعد عزل والده حرصاً على بقاء الرآسة في أهله. فكان من منفذي سياسة فرنسا لكنه لم يكن مدركاً لمخططاتها، فانساق مع أطروحاتها، وعُدَّ من عيونها بالسوس الأقصى. وقد جر عليه موقفه هذا نقمة الوطنيين وقادة جيش التحرير، فأخر عن الرآسة بعد الاستقلال ونُفي إلى الصحراء هو وجماعة من السوسيين المتعاونين مع فرنسا، ثم نُفذ فيهم جميعاً حكم الإعدام في ظروف من

الكتمان سنة 1957. ومازالت وقائع هذه الأحداث غامضة، ويتحاشى المخبرون الحديث عنها. وبوفاة القائد عبدالله انتهى العهد الزاهر لأسرة بورحيم وانتقلت الرآسة إلى غيرها. لكن آثارها العمرانية التي خلفها أفرادها مازالت شاهدة على قوتها وعظمتها.

بورحيم، علي (الشيخ -)، أول من تزعم قبيلة أولاد جرار من أسرة بورحيم انتقل إلى تالعينت انتقالَ استقرار، كان بارزاً بماله بين الجارين. وتميزت مرحلة زعامته للقبيلة بصراعه مع جيرانه التزروالتيين حول منطقة إيغير ملُولن على الحدود بين نفوذهما، لأن المسيطر على هذا الموقع الإستراتيجي يراقب الطريق الصحراوية التي تخترق أزغار. وقد دارت حوله معارك بين الطرفين قُتل في إحداها زعيم تازوالت علي بن هاشم سنة 1842/1258.

لم يمنع الانتصار ظهور فتن داخلية بأولاد جرار ساهم في إذكائها الزعماء الجاريون المتضررون من نفوذ علي بن بورحيم الذي اغتيل سنة 1858/1275، من طرف أحد أفراد أولاد حسون الذين تنسب إليهم "عين تالعينت" ليتولى بعده زعامة القبيلة ابنه محمد.

بورحيم، عياد بن محمد، أكبر قواد سوس وأغناهم وأحبهم للعلم وأهله، وأكبر أبناء القائد مَحمد بن علي آتي الترجمة، كانت ولادة عياد سنة 1882/1299 وتلقى تعليمه بتالعينت ثم استكمل تكوينه وصقل مواهبه بمجالسة العلماء الذين كانت لهم مكانة خاصة عنده، حتى إنه في مجالسته لهم أصبح في نفس درجتهم ومستواهم العلمي.

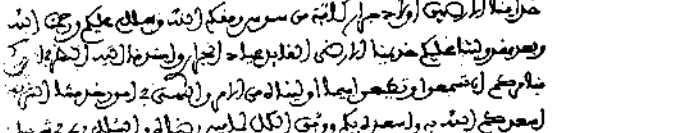

عُين خليفة للقائد عبدالسلام بظهير عزيزي سنة 1894/1311، وكان الحاكم الفعلي بقبيلته، حيث لعب أدواراً أساسية بمنطقة سوس عامة، كما كانت له مواقف متميزة وأحيانا متناقضة مع مواقف القائد. اتضح ذلك أثناء قيام الهيبة بتيزنيت فناصره عياد على عكس ابن عمه عبدالسلام. وقد مكنه نشاطه هذا من اكتساب تجربة سياسية أهلته لتزعم قبيلته. فعين قائداً على أولاد جرار بظهير من مولاي يوسف بتاريخ 24 شعبان 18/1332 يوليوز 1914. في نفس الظرف الذي شرعت فيه فرنسا في التوسع جنوب أگادير حيث قام رئيس الاستعلامات بالمنطقة الجنوبية الجنرال دولاموط De Lamothe بزيارة للقائد عياد في تالعينت (يوليوز 1914) حاثًا إياه على مواصلة جهوده لتهدئة القبائل الثائرة على قوادها، الرافضة لسياسة فرنسا، مستعينا بإمكانياته الخاصة لأن الوقت وقت الحرب العالمية الأولى، وفرنسا لا تملك من القوة ما يمكّنها من الحرب في أكثر من واجهة. رغم أن عياداً التزم بالعمل على إخماد الفتن المستشرية في السوس الأقصى وتهدئة القبائل بدون طلب مساعدة من سلطات الحماية، فإنه قام بهذا الدور بدهاء سياسي، حيث كان يلعب على الحبلين، فغزا بعض القبائل وسيطر عليها، كأيت بريم، وسرَّب السلاح والمال لبعض مناوئي أعدائه من القياد. وكانت فرنسا قد تفطنت لسلوكه هذا لكنها لم تنتقم منه حتى أكملت سيطرتها على مجموع سوس.

لم تمنع كثرة الحروب التي خاضها عياد من تفرغه للبناء والتشييد، فهو الذي مدّن تالعينت وبنى بها رياضه الفخمة، وأجرى عين الرگادة، وبنى صهريجه الشاسع فأصبحت بفضله تالعينت إحدى مدن السوس الأقصى، يقصدها الرؤساء للتفاوض وعقد الأوفاق وتلقّي التعليمات، حيث كان عياد صلة وصل بينهم وبين المخزن، خاصة حينما استقبل بها السلطان مولاي يوسف في 2 جمادى الثانية 8/1345 نونبر 1926. كما كانت مركزا لأهل العلم والأدب حينما أنشأ مجلساً علميا ببيته، وخزانة كتب عامرة. كان القائد عياد حريصا على تخليد آثاره وآثار معاصريه، لذلك أشار علىٰ المؤرخين محمد بن أحمد الإگراري وعلي بن الحبيب السكرادي بأن يكتبا *روضة الأفنان وتحلية الطروس في تاريخ رجالات سوس*.

كان عياد عين سلطات الحماية التي لا تنام ومنفذ سياستها، وفي نفس الوقت كان من مؤيدي مقاومة الجبال، ويرجّح أن هذا كان من بين أسباب عزله ونفيه، حيث غاب عن داره نحو خمس سنين في ميدلت وزعير والجديدة، حتى مرض وحُمل إلى تالعينت فكانت وفاته بها يوم الأربعاء 9 ذي القعدة عام 8/1361 نونبر 1942.

بورحيم، محمد بن علي (الشيخ) تولى المشيخة بعد اغتيال والده، فأخذ بثأر أبيه حين أجلى أسرة علي بن حسون عن المنطقة، وربما ورث أراضيهم وحصصهم من الماء، واكتسب بذلك نفوذاً مادياً جعله يتطلع إلى السيطرة على مناطق الحدود بينه وبين تازروالت التي كانت تتحين الفرصة لتأخذ بثأرها من اغتيال زعيمها.

هكذا تجدد الخلاف واستحكم العداء بين الطرفين متجاوزاً النزاع حول إغير ملُولن ليصبح صراعاً حول زعامة سوس، بل جسّد الصراع بين حلفي تحكّات الذي تتزعمه أسرة بورحيم، وتَاگيزُولْتْ الذي تتزعمه تَازْرْوَالْتْ.

كان محمد بورحيم معروفا بين قبيلته بقساوته وتعسفه بما يفرضه على منطقة نفوذه من ضرائب باهضة، وكُلف مرهقة عبر عنها الشاعر الأمازيغي ابن بغيل في إحدى

قصائده. وكان هذا التصرف حافزاً لعدد من الدواوير الجرارية للخروج عن طاعته واستغاثتها بالحسين أُهاشم التّازروالتي الذي أنجدها. وجرت حرب بين الطرفين، حوصر على إثرها الشيخ محمد بتالعينت مدة واضطر إلى اللجوء إلى أغبولة (أحد الدواوير الجرارية المحصّنة) ودخل التازروالي إلى تالعينت واستولى على ممتلكات الأسرة، ثم لاحق الشيخ الفارّ إلى أن ألقى عليه القبض سنة 1291/ 1874 وأودعه سجنه بتازروالت وبقي هناك إلى أن توفي سنة 1875/1392.

بورحيم، مَحمد بن علي، القائد، أخو السابق. تولى أولاً مشيخة القبيلة حوالي سنة 1875/1292 وورث عن أخيه وضعية معقدة اتسمت بانقسام القبيلة بين مؤيد للأسرة ورافض لنفوذها، إضافة إلى تشتت الأسرة وانتقال أملاكها إلى رؤساء تازروالت، فكان عليه في آن واحد لمّ شتات قبيلته وإعادة تعمير تالعينت التي هجرتها أسرته قسرا. ولن يتأتى له ذلك إلا بنهج سياسة مسالمة لتازروالت واستمالة أعدائه من الجرارين.

ساعده في تحقيق ذلك ما كان له من صيت طيب بأزغار وما اتصف به من ورع وزهد. وكان لاتجاهه هذا دور في تعزيز نفوذه السياسي وذلك بجلب عطف أشهر علماء وشيوخ المنطقة، أمثال الشيخ الصوفي مبارك التمودزتي الذي أخذ عنه الطريقة الدرقاوية. كل هذا ساعد في اختياره ضمن القواد المخزنيين بسوس من طرف السلطان مولاي الحسن أثناء حركته الأولى إلى سوس سنة 1882/1299. وبذلك عاد المجد لآل بورحيم وعادت معه قوتهم، لكن المنافسة بينه وبين تازروالت تجاوزت الصراع حول منطقة إغير ملّولن لتشمل إغرم أحد الدواوير الحدودية الغنية. غير أن القائد مَحمد استطاع الحفاظ على مجال نفوذ الأسرة زمن جده علي، وحصل على تزكية المخزن له. فتحققت بذلك رغبته في توحيد قبيلة أولاد جرار وتعمير تالعينت لتصبح من أهم المراكز السياسية والتجارية بسوس خلال فترة ولايته التي امتدت حوالي ثمان عشرة سنة. وكانت وفاته سنة 1893/1310.

ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن 19* ؛ م. الأكراري، *روضة الأفنان*، تح. ح. أنوش، د. د. ع. الرباط 1989 ؛ ج. بيضا، *سقوط أكادير تحت الاحتلال الفرنسي وسياسة القواد الكبار في عهد ليوطي*، أعمال ندوة أكادير الكبير 1990 ؛ ع. السكرادي، *تحلية الطروس وبهجة النفوس في مناقب أعيان سوس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 3. 4. 16. 18. 19 ؛ إيليغ ؛ *خلال جزولة*، 1 ؛ *سوس العالمة* ؛ *طاقة ريحان*.

H. Dugard, *La colonne du sous 1917*, Paris, 1918 ; M. et E. Gouvion, *Kitab Aâyane Al-Maghreb Al Akça*, Alger, 1939 ; C. Justinard, *Un grand chef berbère : Le Caïd Goundafi* ; *Un petit Royaume berbère : Le Tazaroualt* ; *Le Tazerwalt et les Oulad Jerrar*, *A. M.*, t 23, p. 92 - 99 ; R. Montagne, *Les berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc*, Paris, 1930 ; P. Pascon, *La Maison d'Iligh et l'histoire sociale de Tazerwalt*, Rabat, 1984 ; M. Ennaji, *Le Makhzen et le Sous Al-Aqsa, 1821 - 1894*, Casablanca, 1988.

حمدي أنوش

بُوردّان، أو بوردّام أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني گرير الغمارية، ويقول كل من الفقيه سكيرج والفقيه الرهوني إن أحد أفراد هذه الأسرة اسمه محمد قد تولى قيادة مدينة تطوان في حدود سنة 1591/1000. والغريب هو أن الفقيه داود أشار إلى ذلك دون أن ينفيه، والحالة أنه ليس هناك ما يثبت دعوى سكيرج والرهوني. وعلى كل حال فإن المؤشر الوحيد الذي يثبت وجود أسرة بوردان بتطوان هو الزنقة الموجودة بحومة العيون التي تحمل اسم الأسرة المذكورة. أما أولاد الرّدّام فما زال بعضهم بقرية أزغار بقبيلة بني گرير.

سكيرج، *نزهة الاخوان* ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 ؛ 6 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 ؛ 129 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 ؛ 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بوردّان، محمد، قائد تطوان. إن المادة التي تقدمها المصادر التاريخية عن هذا القائد قليلة مضطربة. وهو ما جعل صورته التاريخية غير واضحة المعالم تماما. كما أن الذاكرة العامّية لا تذكره على الإطلاق بخير أو بشر.

نستخلص مما ذكره المؤرخون في صورة إشارات أن القائد محمد بوردان ولي حكم تطوان بعد القائد المشهور بلقبه القدحي "الوسخ" أو بعد القائد "الصبان" وأنه ظل قائداً على تطوان حتى وفاته. وهذا يعني أنه كان يعيش في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري (16 م)، وأن حكمه جرى في زمن الاضطرابات الكبرى التي شهدها المغرب عند تحول السلطة من الوطاسيين إلى السعديين. ولعل هذا الاضطراب السياسي أعان على طمس صورته التاريخية.

ونستشف من اسمه أنه لم يكن ينتمي إلى مجموعة العائلات التطوانية الأندلسية والفاسية التي جددت تطوان. فلعله، إذن، من "الغرباء" الذين اعتاد المخزن أن يرسلهم لحكم تطوان، أو من مهاجري بعض القبائل الغمارية.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*.

جعفر بن الحاج السلمي

بُوالرّوايَنْ، أو أبوالروائن محمد بن حسين العبدلي

السهلي الشهير بالمحجوب، ولا يعلم سبب أكيد لهاته التسمية، وقد نجد التفسير فيما وصفه به محمد ابن عسكر في *دوحة الناشر* (ص. 79) "كان هذا الشيخ من عجائب الدهر، على طريق الملامتية، يتكلم بكلام فاحش، ويصبح غنيا ويمسي فقيراً... يدفع كل موجود له للضعفاء والمساكين وأحوال تعتريه على الدوام...". وقد نعته ابن زيدان في *الإتحاف* (4 : 24) بأنه "جليل القدر... جمالي الحال واسع النظر عالي الهمة حسن السمت رفيع اللباس..."

ولد بوالروايين فيما بين 900 و903 هـ، وأخذ الكثير عن شيخه الشهير محمد بن عيسى الفهدي (تـ. 933) دفين مكناس "الشيخ الكامل". وتروى عنه كرامات وخوارق عادات من ذلك أنه إذا صادف أحد الأمراء وأرباب الأموال، يقول له : اشتر مني نفسك أو ولايتك بالمال، فإن فعل قال له : أنت آمن، وإن لم يفعل دعا عليه فيعزل أو يقتل، فمدينة فاس لم تفتح للسلطان محمد الشيخ السعدي إلا بعد أن دفع خمسمائة دينار التي طلبها منه بوالروايين.

كما تنبأ بمقتل الفقيه الحسن بن أحمد حرزوز وابنه حسب ما جاء في *الدوحة* (ص. 80) "وبعث يوما إلى الفقيه الخطيب أبي علي حرزوز وهو يقول : اشتر نفسك مني، فلم يكترث بكلامه، فقال أبو الروايين للرسول : ارجع إليه وقل له سيقتل ذبيحا هو وولده ويعلقان على باب دارهما في القرب" فكان الأمر كما ذكر. وكان يتصدق بكل المال الذي يقدم له على الفقراء والمساكين، ولا يمسك منه لنفسه شيئا.

ولفهم شخصية "بوالروايين" لا بد من النظر إليها ضمن عناصر الظرفية التي عاش فيها والمتميزة بشيوع مريدين من نوع جديد أمثال علي ابن أحمد الصنهاجي الدوار (تـ. 947) وعبد الرحمن المجذوب (تـ. 976) وغيرهما. مما يستوجب تحليلا لسنا بصدده في هذا التعريف الوجيز.

ويبدو من الاوصاف التي أضفاها عليه الذين كتبوا عنه - وهم قلة - أنه كان بسيطا عامي الفكر، فهم لم يشيروا إلى الجانب العلمي والمعرفي في حياته، ومع ذلك كان يتمتع بتقدير واحترام العامة والخاصة.

كانت وفاته بمكناس سنة 963 / 1555 ودفن على مقربة من شيخه محمد ابن عيسى، وقبره مزارة مشهورة.

م. ابن عسكر، *دوحة*، تح. م. حجي، ص. 79. 81 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 4 : 24. 27.

رقية بلمقدم

بورزق، (أولاد -) تكتبها الحوليات التاريخية أولاد بورزق والنسبة إليها البورزقي، وتنطق كذلك أولاد بُورْزَگْ، كما رسمها مؤلف *مراحل رحلات السلطان مولاي الحسن* (مخطوط، خ. ح) ويطلق على قسم من قبائل الشاوية. وقد ظل هذا الاسم شائع الاستعمال إلى عهد الاحتلال الفرنسي، ومن المؤلفين من استعمله أثناء حديثه عن أحوال الشاوية في القرن العشرين.

لا نعرف بالتدقيق كيف أطلق هذا الاسم، لكن يظهر أنه تبعاً لعوامل مختلفة، إدارية وجبائية، وربما عرقية كذلك، وزعت اتحادية الشاوية إلى ثلاثة أقسام :

أولاد بورزق، وأولاد بوعطية والشهاونة. والملاحظ أن القسمين الأولين مستعملان بكثرة في حين لا يرد الاسم الثالث إلا نادراً. وقد ظن المكلفون بجمع أخبار القبائل المغربية، خلال بداية الاحتلال الفرنسي، أن قبائل الشاوية كانت موزعة إلى ثلاثة أقسام، كل قسم كان يؤدي ثلث الواجبات الجبائية بالتساوي : وهو ظن غير صحيح.

فمن خلال تتبع تقسيمات قبائل الشاوية، من حيث تنظيماتها الأولية، تأكد لنا أن الشاوية - في الواقع - كانت تنقسم إلى قسمين كبيرين هما : أولاد بورزق، وأولاد بوعطية ؛ وأن هذا التقسيم كان على أساس إحصاء عدد الدواوير التي تتكون منها كل قبيلة، وانطلاقاً من عدد الخيام الدالة على عدد السكان. ويظهر أن هذا التنظيم على أساس سجل معين (ديوان)، قد حدد منذ نهاية القرن الثامن عشر.

وعلى كل حال، فخلال القرن الثالث عشر (19 م) كان اسم "أولاد بورزق" يعني نصف قبائل الشاوية، وتضم قبائل الشاوية الجنوبية الآتية : المزامزة، أولاد سعيد، گدانة، أولاد بوزيري، أولاد سيدي بنداود، ثم قبيلة زناتة المجاورة لمدينة المحمدية.

كانت هذه القبائل تمثل في مجموعها خمسين دواراً من مجموع مائة دوار وزعت إليها اتحادية الشاوية. وبما أن الدوار كان يمثل 100 خيمة، فتقدير خيام أولاد بورزق في بداية تسجيلهم في "ديوان" المخزن هو 5.000 خيمة. ولسنا في حاجة إلى التنبيه إلى أن هذا الإحصاء يبقى - في حقيقة الأمر - أمراً نظرياً في سجلات الدولة على أساسه توزع الواجبات من زكاة وأعشار، وكذلك كُلف المخزن، من سخرات ومؤن وهدايا ومساهمة في الحركات، وصيانة لحيوانات النقل ... أما واقع السكان في تطوره فيتجاوز ما في سجلات المخزن باستمرار، الأمر الذي كان يؤدي في كثير من الأحيان، إلى عدم تطابق بين ما يفرضه المخزن على مجموعة من السكان وبين قدرة هذه المجموعة التي تعرضت للنقص أو الزيادة بفعل عوامل كثيرة، طبيعية وسياسية واقتصادية ....

كان أولاد بورزق يمثلون خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 - 19 م) مجموعة قبلية قوية دخلت في صراعات دموية مع جيرانها، وآخر الصراعات المشهورة هي الحرب بين أولاد بورزق وبين قائد تامسنا عبدالخالق المعروف بگريران الحريزي. وإثر تمرّد أولاد بورزق على هذا القائد، أواخر عهد مولاي سليمان سلك خلفه مولاي عبدالرحمان (1822 - 1859)، سياسة توزيع الشاوية إلى قيادات عديدة صغيرة بدل قيادة واحدة، وهذا ما سار عليه السلطان محمد بن عبدالرحمان ثم مولاي الحسن (1873 - 1894). وهكذا أصبح أولاد بورزق موزعين سنة 1307/1889 - 1890 على القيادات الآتية :

القيادة	القبيلة	عدد الدواوير
الحاج المعطي بن عبدالكبير المزامزي	المزامزة + گدامة	13
القائد السعيدي	أولاد سعيد	13
قيادة أولاد بوزيري (2 أو 3)	أولاد بوزيري	13 3/4 *
القائد الداودي	أولاد سيدي بنداود	02 1/4
الزناتي	زناتة	08

وتجدر الإشارة إلى أن مجموعة قبائل أولاد بورزق تمثل مجموعة اقتصادية هامة داخل قبائل الشاوية، فأرضها منبسطة خصبة جداً، وموقعها يتحكم في المواصلات الرابطة بين الدارالبيضاء والشاوية من جهة وبين الحوز عبر وادي أم الربيع. ولهذا نمت بها مراكز حضرية أهمها سطات، التي لعبت أدواراً هامة في قيادة أولاد بورزق زمن القائد الغازي، وخاصة في عهد القائد الحاج المعطي بن عبدالكبير المزامزي (1877 . 1908)، الذي كان السلطان يوسع نفوذه أحياناً على أولاد سعيد وأحياناً أخرى على أولاد بوزيري المجاورين لقبيلة المزامزة.

ومما ينبغي ذكره، أن أولاد بورزق، لعبوا أدواراً رئيسة في الأحداث التي عرفتها الشاوية في بداية القرن العشرين. فقد انطلقت انتفاضة الشاوية (1903 . 1908) من أولاد بوزيري وأولاد سعيد. وساهمت قبائل أولاد بورزق في جهاد الشاوية ضد الاحتلال الفرنسي منذ غشت 1907. إذ خاض مجاهدوها غمار المعارك حول الدارالبيضاء، وسطات وأبانو عن شجاعة واقتدار في مواجهة الغزاة الفرنسيين.

وننهي الكلام عن أولاد بورزق بالإشارة إلى أن هذه المجموعة البشرية منحت البلاد كثيراً من الفضلاء والعلماء الذين ساهموا في بناء الحضارة المغربية.

ع. العزوزي، *نشر المحاسن والمآثر*، مخطوط ؛ هـ. المعروفي، عبير *الزهور*، 1987 ؛ مجهول، *مراحل رحلات السلطان مولاي الحسن*، مخطوط، خ. ح.

Villes et Tribus du Maroc, Casablanca et les Chaouia, t 1 et t 2.

علال الخديمي

البورصة، سوق عمومية تتبادل فيها القيم المنقولة، وكانت أول الأمر سوقا بالجملة لمطلق المبادلات التجارية، اشتق اسمها من اسم أسرة ڤان دير بورسن Van der Bursen الفلامنكية التي كان التجار قد تعودوا، خلال القرنين الرابع والخامس عشر، الاجتماع بمنزلها لإمضاء صفقاتهم. ولما تقدم الاقتصاد الرأسمالي وصارت الأسهم والبطرات وسندات القروض والنقود على اختلاف أصنافها بضاعة قابلة للرواج، أصبح من الضروري جعل سوق خاصة بتلك المنقولات، وكانت أول بورصة من الطراز العصري بورصة لندن المعروفة تحت اسم "السطوك اكستجانج Stock Exchange" التي انطلقت سنة 1802.

وأنشئت أول بورصة بالمغرب سنة 1929، في مدينة الدارالبيضاء، وكان ذلك بمبادرة من الأبناك الموجودة بالبلاد آنذاك، دليلا على إحكام السيطرة المالية الأجنبية على السوق المغربية، وكان اسم تلك البورصة "مكتب معاوضة القيم المنقولة"، تعرض فيها قيم مسومة أو غير مسومة بالأسواق الخارجية، ولكن المعاملات ظلت منحصرة إلى أن اندلعت الحرب العالمية الثانية، واقتضت الأوضاع مراقبة الصرف بالمغرب، فعندئذ اعترفت السلطات العمومية للمكتب بالوجود الرسمي من خلال مصادقتها على قانونه الداخلي سنة 1942. ولما تقرر إخضاع أعمال الأبناك إلى شيء من المراقبة، وذلك بمقتضى ظهير 31 مارس 1943، كان من الضروري الاهتمام بالسوق التي تتم بها مبادلة القيم، فصدر سنة 1948 ظهيران وضعا بعض الترتيبات للمكتب وحصرا اختصاصاته، فخول الشخصية المدنية والاستقلال المالي وبات اسمه الرسمي "مكتب سوم القيم المنقولة".

ولما استعاد المغرب حريته، وأعيد النظر في قانون الأبناك سنة 1967، كان من الحتمي أن يعاد النظر في بنيات المكتب، فصدر مرسوم ملكي بتاريخ 14 نونبر 1967 أرسى الاسم الحالي، وهو بورصة القيم، ثم صدرت نصوص وزارية حول الهيئات المسيرة لها وقانونها الداخلي، فهي مؤسسة عمومية ذات شخصية مدنية واستقلال مالي خاضعة لوصاية وزارة المالية، ويشرف على سيرها مجلس إداري ومدير معين بظهير. يرأس المجلس الإداري وزير المالية، وأعضاؤه تسعة يمثلون بنك المغرب، وصندوق الإيداع والتدبير، والبنك الوطني للتنمية الاقتصادية، والشركة الوطنية للأسهم، والتعاضدية المهنية للأبناك المغربية، والفدرالية المغربية لشركات التأمين، والجمعية المهنية لوسطاء البورصة، وممثلين عن فدرالية غرف التجارة والصناعة. وللمجلس أن يفوض بعض مسؤولياته للمدير، منها حصر ميزانية المؤسسة، والسهر على سيرها العام، وإخبار وزارة المالية بكل ذلك. ومدير البورصة مكلف بإدارتها اليومية، وعليه أن يحضر جلسات السوق وله أن يتدخل عند الاقتضاء، ومن مهامه تلقي طلبات الانخراط وعليه أن يفحصها، وهو الذي يشرف على نشر مجلة البورصة المحتوية لكل أخبارها.

أما تنظيم سوق القيم وسيره، فذلك من اختصاص لجنة تقنية تتكون من مدير البورصة ومن أربعة أعضاء يمثلون الشركة الوطنية للأسهم والتعاضدية المهنية للأبناك المغربية والفدرالية المغربية لشركات التأمين والجمعية المهنية لوسطاء البورصة، وهذه اللجنة هي التي تضع القانون الداخلي للبورصة وهي التي ترشد وزير المالية بشأن تعيين الوسطاء، وتراقب سيرتهم معنويا ووظيفيا، كما أنها تعلن القيم التي تدرج في جداول السوم، وتأمر بسحب تلك التي تقرر سحبها، على أن المراقبة العامة تبقى من اختصاص مندوب الحكومة الذي يحضر جلسات المجلس الإداري واللجنة التقنية.

وتقوم ميزانية البورصة على مداخيل تأتيها من واجبات التسجيل المفروضة على الصفقات، وأيضا من بيع مجلة البورصة وكراء المقصورات للزبناء، ومن تسبيقات الخزينة

العمومية بل ومن إمدادات الدولة عند الاقتضاء.

ولا تتم المبادلات بالبورصة إلا على يد وسطاء معترف بهم، كما نص على ذلك قرار وزيري بتاريخ 2 أكتوبر 1969، ويجوز للوسيط أن يكون شخصا بالذات، وعندئذ لا بد أن يكون قد بلغ من العمر ثلاثين سنة واشتغل خمس سنوات على الأقل في مناصب بنكية مرموقة، هذا فضلا عن سلامته من كل سابقة جنائية داخل المغرب أو خارجه. ويمكن للوسيط أن يكون شخصا بالمعنى وعندئذ يكون إما بنكا وإما شركة سمسرة للقيم منظمة على شكل الشركات الخفية الاسم أو شركات القراض، مما لا يتعاطى سوى عمليات البورصة، ورأسمالها 50.000 درهم محررة على التمام. وعلى الوسيط في كلتا الحالتين أن يودع بالخزينة العمومية ضمانة نقدية، أو يقيم الخزينة، قدرها 40.000 درهم، وعليه أيضا أن يكون منخرطا في الجمعية المهنية لوسطاء البورصة التي يقوم نشاطها على ما يقتطع من أعمال سمسرة القيم وقدر ذلك الاقتطاع 2٪.

ولا يقبل في قائمة التسويم، إضافة إلى السندات الرسمية إلا أسهم الشركات التي تتقدم للمدير بملفات تُخبر بكل دقة عن أصحابها وقوانينها ورأسمالها وحساباتها مع التزام عرض 20٪ من أسهمها بالبورصة. وأنواع القيم المتبادلة إما أسهم شركات، وتلك أسهم متقلبة المردود، وإما سندات موجبة وهي قيم ثابتة الربح، وتكون المساومة إما مشافهة بالمزاد العلني، وإما كتابة، وتلك مساومة بالمعارضة، وهنالك أنواع أخرى من المساومة أقل شأنا مثل ما يتم "خارج السوم"، أو على هامشه إطلاقا بالنسبة للقيم التي لا محل لها في الجدول الرسمي ولا "خارج السوم" وبورصة الدارالبيضاء مازالت لا تعمل إلا بالأداء الناجز، وإن كان القانون لا يمنع الأداء إلى أجل مسمّى، لكن السوق المالية المغربية مازالت لم تصل بعدُ إلى تلك المستويات من غزارة القيم وسرعة التفويت ويُسر المواصلات التي تسمح بهذا النوع من الأداء، وهي كذلك مازالت تسمح بتفويت القيم مباشرة بين الماسكين بها، ولا يشترط لديهم إلا أن يسجلوها بسجلات البورصة، وفي ذلك دليل آخر على أن سوق القيم مازالت في أطوارها الأولى.

وكانت البورصة قد عانت من انسحاب الأموال الأجنبية غداة الاستقلال ومن عجز الرأسمال الوطني الخاص عن القيام مقامها، فتقلص نشاطها في الستينات والسبعينات، ولم يكن ذلك نتيجة ضعف الرواج المالي وحسب، وإنما كان أيضا نتيجة صرامة المراقبة الحكومية المباشرة، من جهة المشاركة في إدارة البورصة، وغير المباشرة، من جهة ثقل الضرائب على تفويت القيم المنقولة، فلقد تقرر سنة 1978 اقتطاع محسوس من مردود الأسهم من عينه، لكن الدولة أخذت تراجع سياستها المالية جملة وتفصيلا مع حلول الثمانينات، وذلك بعد أن تبين عجز الرأسمال المغربي عن مواجهة أعباء المغرب التي كانت قد تقررت لصالحه سنة 1973، جاءت القرارات الجديدة في اتجاه التخفيف من المراقبة العمومية، وفتحت السوق المغربية أمام الاستثمارات الأجنبية كلما رغبت في ذلك، وبادرت الدولة إلى ضرب المثل بنفسها حيث أحدثت الشركة الوطنية للأسهم وأعلنت عن إرادة التخلي عن عدد من المقاولات العمومية الكبرى لفائدة الرأسمال الخاص في إطار خوصصة واسعة تعنى بإنجازها وزارة أقيمت خصيصا لذلك، وتقرر من جهة أخرى، في ميزانية 1983 تخفيض واجبات التسجيل والتنبر، بما لا يقل عن 50٪، على ما يحصل من الزيادة في رأسمال الشركات المسومة أسهمها بالبورصة، فانتعشت بكل ذلك سوق القيم وبدا أن فترة الركود قد ولت، ودليل ذلك عناية الدولة بمراجعة بنيات البورصة على أساس التخفيف من مراقبتها عليها، بل وربما على أساس إلغائها وترك زبنائها يقومون بأعباء إدارتها وترك السوق لقوانينها التلقائية، وينتظر من ذلك أن يكون حافزا للجمهور على توظيف مدخراته في القيم المنقولة. ولقد ارتفع حجم القيم المتبادلة بشكل واضح في السنوات الأخيرة من الثمانينات حيث انتقل من 396.2 مليون درهم سنة 1987، إلى 653.9 م. د سنة 1988 إلى 672.5 م. د سنة 1989، لكن يلاحظ أن أغلبية تلك المبادلات كانت تدور حول السندات العمومية التي بلغ حجمها 313.2 م. د. سنة 1987، و385.1 سنة 1988، و538.1 سنة 1989. وفي ذلك إشارة أخرى إلى ضعف الرأسمال الخصوصي الوطني.

بنك المغرب، دراسات وإحصاءات، عدد 12 نونبر 1960 ؛ *بورصة القيم، التقرير العام لسنة* 1990 ؛ *الجريدة الرسمية*، سنوات 1948. 1967. 1969.

M. A. Berrada, *La technique de banque et de crédit au Maroc*, Casablanca, 2ème édit., 1985.

إبراهيم بوطالب

بُورْطُو أو البُورْطُو أو بُورْطُ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Porto وهو اسم مدينة بالبرتغال، ومن بين أفراد هذه الأسرة بتطوان تذكر الوثائق :

بُورْطُو، قاسم معلم كان حيا سنة 1721/1133. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1769/1182، وهي غير أسرة البويرطو آتية الذكر.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 320 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias; Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بورقراق، أو بورگراگ، وبالفصحى أبو رقراق، من الأنهار الأطلنتية التي تخترق الهضبة الوسطى باتجاه عام من ج ش إلى الشمال غ. طوله 179 كلم ومساحة حوضه 10.000 كلم2، ويصل عدد سكان هذا الحوض 1.2 مليون نسمة.

ينبع من منطقة مريرت عند ارتفاع 1.100 م تقريبا وذلك

بالمنخفض الشرقي الذي يفصل بين الهضبة الوسطى والأطلس المتوسط الهضبي. ترفده في حوضه الأعلى أودية صغيرة مثل وادي تانوس، ووادي كسيكسو، وبعد عبوره المنخفض الشرقي يدخل هضبة الشلث في البلاد العليا المكونة من صخور فليشية تعود للزمن الأول مكونا خوانق متعرجة قبل وصوله إلى المنخفضات الترياسية التي يشكل فيها أحواضا متسعة مثل حوض المعازيز، ثم يتعمق من جديد داخل الحث الأولي مشكلا خوانق عميقة بحوالي 150 - 200 م، تفصلها منخفضات مهمة مكونة في طبقات الصلصال المسينية : مثل منخفض أربعاء السهول، ومنخفض سيدي محمد بن عبدالله، حيث شيد النهر عدة مصاطب نهرية ذات أتربة خصبة.

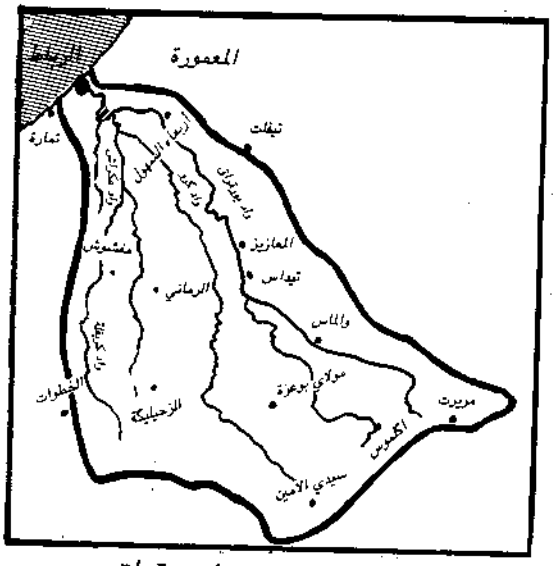

الحوض النهري لبو رقراق

يلتقي أبو رقراق مع أهم روافده وادي گرو، ووادي كريفلة قبل دخوله في آخر الخوانق التي أقيم عليها سد سيدي محمد بن عبدالله، ثم يوسع النهر مجراه من جديد ضمن الإرسابات الصلصالية مشكلا الولجة قبل وصوله إلى مصبه بين مدينتي سلا والرباط على المحيط الأطلنتي، حيث تشرف المدينتان على النهر بحوالي 50 م قبل أن يقل هذا الارتفاع تدريجيا باتجاه البحر.

يعرف صبيب بورقراق تذبذبا خلال السنة بحيث يسجل الصبيب الأدنى في الصيف بمعدل أقل من 1 م^3 /ثا، في حين يسجل أقصى صبيب في فصل الشتاء ويتعدى 15 م^3 /ثا، وخصوصا في شهر فبراير الذي يصل معدل صبيبه 41 م^3 /ثا ووصل إلى حالة فيضان جارفة في سنة 1978 إذ بلغ 1560 م^3 /ثا. أقيم على النهر سد سيدي محمد بن عبدالله الذي يبلغ طوله حوالي 340 م، ويحجز وراءه بحيرة تصل مساحتها إلى 28 كلم^2، تخزن ما مقداره 500 مليون م^3 والهدف من هذا السد هو الحد من خطر الفيضانات من جهة، وتأمين المياه الصالحة للشرب لكل المنطقة الساحلية الواقعة بين القنيطرة شمالا والجديدة جنوبا من جهة أخرى.

وبناء على الحاجيات الملحة للمياه الصالحة للشرب تقرر رفع علو السد انطلاقا من سنة 1986 لرفع القدرة التخزينية إلى 1.5 مليار م^3 أي بزيادة قدرها 2.6 مرة على الوضعية الحالية.

من أهم آثار جريان بورقراق قدرته الكبيرة على اقتلاع وحمل حوالي 700 ألف طن سنويا من المواد الصلبة التي تصل إلى بحيرة السد وتدل على إزالة سنوية هامة للأتربة تعتبر أساسا بيئيا هاما في حوض أبي رقراق والتي تتعرض حالياً للتدهور بسبب التراجع الذي يلحق بالغطاء النباتي والاستغلال البشري العشوائي.

دراسة ميدانية.

عبدالرحيم وطفة

بورقية، أسرة تلمسانية الأصل، استقرت أولاً بمكناس وانتقل بعض أفرادها إلى الرباط. كانوا يعرفون بأولاد ابن عبدالرحمان، ثم اشتهروا باسم جدتهم للأب الأعلى رقية، منهم :

بورقية، أحمد، انتقل من مكناس إلى الرباط، ووصفه صاحب *مجالس الانبساط* بالفقيه الحيسوبي المهندس العدل، كان يعلّم الحساب والهندسة في عهد السلطان المولى الحسن وبأمر منه، درس الهندسة صحبة الأمير محمد بن عبدالرحمان حيث خصص لهما السلطان المولى عبدالرحمان من يلقنهما تلك الدروس الرياضية. ومارس العدالة والتوثيق وكان منخرطا في الطريقة التجانية، ملازما للنادي الرباطي السلوي الذي كان يعقد بمنزل القاضي أحمد بناني وبأحد منازل علماء سلا. توفي بالرباط عام 1324/1906.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، 2 : 33 ؛ م. دينية، مجالس الانبساط، 267.

عبدالإله القاسي

بورگيبة، أسرة مراكشية أصلها من دكالة، دوار فطنسة، المعروف باسم (أيت الكفاف). وكانت هذه الأسرة محط تقدير واحترام الخاص والعام لما عرفت به من الفضل والصلاح.

ولما انتقل جدهم محمد بن المكي إلى مراكش كان يتجر مع ابنه عبد السلام في البارود والصابون البلدي، وكان من عادتهما أن ينحرا جملا في كل سنة يصنعان منه "خليعا"، وفي إحدى السنوات دبغ الجد رقبة الجمل وصنع منها وعاء (جراباً) يضع فيه ما تجمع لديه من نقود بيع البارود والصابون، فلما امتلأ حمله على عاتقه، وما أن رآه بعض المارة حتى قال مشيراً إليه بأصبعه : بورگبة، بورگبة، فعلقت هذه الكنية به وبأبنائه من بعده.

بورگيبة، محمد بن عبد السلام بن محمد بن المكي الدكالي المراكشي، ولد بمدينة مراكش عام 1318 / 1900، وبعدما حفظ القرآن الكريم، وحذق مبادئ القراءة والكتابة،

تعلقت همته بطلب العلم، وملازمة حلقات الدرس بجامع ابن يوسف ومساجد مراكش الأخرى. ومن أبرز شيوخه الفقهاء بوشعيب الشاوي البهلولي، والحاج العربي الرحماني البربوشي، وأحمد ولد الحاج المخجوب، واليزيد الروداني.

تقلب محمد بورگبة في عدة مناصب، فعين عام 1342 / 1923 كاتباً بنظارة الأحباس الصغرى بمراكش، وقد أبان في وظيفته هذه عن كفاءة ومقدرة أهلته لأن يُعين مندوباً لوزارة الأحباس عام 1345 / 1926 لإحصاء أوقاف بني ملال ونواحيها. وفي عام 1347 / 1928، انتصب للشهادة بساط العدول بمراكش ثم عين نائباً لقاضي محكمة المواسين الشرعية لعدة سنوات.

وفي عام 1359 / 1940 عين مراقباً للدروس بجامع ابن يوسف، ثم أصبح مراقب الدروس ونائب الرئيس ومفتش التدريس في آن واحد، فعرف كيف يضطلع بكل هذه المسؤوليات الجسام، ويقوم بها خير قيام حرصا منه على استمرارية الجامعة، والحفاظ على مستواها الثقافي الأصيل والمتين. وله *ديوان* شعر مطبوع.

وفي عام 1370 / 1950 عُين قاضياً مستشاراً في محكمة الدار البيضاء ولأسباب صحية وإدارية عاد في نفس السنة إلى مسقط رأسه لنفس الوظيفة وبقي فيها إلى أن عين وزيراً للأحباس أيام الأزمة السياسية، ومات قتيلا في الفتنة التي قامت بمراكش يوم الأربعاء 20 رمضان عام 1377 / 2 ماي 1956.

جريدة السعادة 9 / 2 / 1954 ؛ *روايات شفوية*.

أحمد متفكر

بُورگعة، أو بُورگيعة، أسرة تطوانية أصلها من إحدى قبائل جبالة، وكان من بين أفرادها سنة 1830/1246 : علي بورگعة، وهو قائد عسكري تابع لحامية تطوان.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان في أوائل هذا القرن.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 216 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

البُورگي، يونس بن قاسم الغرباوي، نسبة إلى بُورگ جبل صغير بضاحية سوق أربعاء الغرب. ولد في 8 قعدة عام 5/1390 يناير 1971 وتابع دراسته الابتدائية والثانوية بالرباط. وحصل بميزة، وهو ابن سبع عشرة سنة، على 3 بكالوريات في نفس السنة : بكالوريا رياضيات بالتعليم المغربي، بكالوريا رياضيات بالتعليم الفرنسي، بكالوريا أميركية من المدرسة الأمريكية، فهيأه نبوغه وتفوقه إلى التسجيل بمعهد ماساتشوساتش للتكنولوجيا Le Massachusetts Institute Of Technology في جملة من المرشحين الممتازين من العالم أجمع. لم يكد يمضي سنتين في الدراسة بهذا المعهد حتى تمكن من إنجاز اختراعات مهمة، وأسهم ضمن مجموعة البحث التي التحق بها في اختراع قُفّاز ليد الإنسان يمكن استعماله في أمرين : في المراقبة عن بعد لليد الميكانيكية للإنسان الآلي "الرُّوبُو" وبذلك يمكن مراقبة وتوجيه وإنجاز أعمال في عمق البحر أو القمر أو غير ذلك. وكان دور يونس البوركي في هذا المضمار وضع برنامج يصبح به القفاز ذكياً.

والثاني في الاستعمال الإداري للحاسوب التوضيحي الذي يمكّن من إصلاح المركبات الفضائية من الخارج باستعمال الطيار الفضائي أصابع يده من خلال القفاز المتطور. ويمكن أن يطبق هذا الاختراع في مجالات أخرى كالجراحة الدقيقة.

توفي يوم فاتح أكتوبر 1990 بنفس المعهد الذي يدرس فيه بالولايات المتحدة الأميركية في ظروف غامضة وعمره تسع عشرة سنة وتسعة أشهر، ونقل جثمانه إلى الرباط حيث أقبر ـ مأسوفا عليه ـ في الزاوية القادرية.

وبمناسبة ذكرى مرور سنة على وفاته أنشأ معهد ماساتشوساتش للتكنولوجيا مؤسسة لتشجيع البحث العلمي تحمل اسم الشاب المخترع المغربي : "يونس البُوركي".

تقييد الوالد قاسم البوركي، *جريدة العلم*، 31 . 10 . 1991.

Le Matin du Sahara, 17 - 10 - 91.

محمد حجي

بُورگيطي، ريكاردو، Burguetey Lana Ricardo جنرال إسباني وُلد سنة 1871. وفي سنة 1891 تخرج من الأكاديمية العسكرية والتحق بالجيش برتبة ضابط صف، فشارك في

المنية بها سنة 1937.

م. ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية*، 2 : 275.

Campañas ; 2 : 275 ; G. Martinez Campos, *España bélica, El siglo XX* (Marruecos), p. 13 - 123 - 273 - 275 - 280 - 371 ; M. Rubio Cabeza, *Diccionario de la guerra civil*, t 1, p. 142.

محمد ابن عزوز حكيم

بورماد ← الشراردة

بورنازيل، ضابط من ضباط جيش الاحتلال الفرنسي، اسمه الكامل هانري دي ليسبناس دي بورنازيل (Bournazel, Henri de Lespinasse de ...) (1933 - 1898) ينتمي إلى تلك الطبقة النبيلة الفرنسية التي وجد أبناؤها في المستعمرات ما أضحى مستحيلا عليهم في فرنسا الجمهورية، من ضرورة صرف أهوائهم الطبقية من حيث الأنانية والكبرياء وحب التباهي في القتال الذي كان في سالف العصور صناعتهم الوحيدة، شأنه في ذلك شأن العديد ممن كان له ضلع في الحماية الفرنسية بالمغرب ابتداءً من ليوطي وانتهاء ببوايه دي لاتور Boyer de La Tour، نشأ بورنازيل بإقليم كورّيز Corrèze على ما ينشأ عليه طفل نبيل من العيش الرغيد في البادية، يتعاطى الرياضات العسكرية مثل السباحة وركوب الخيل، ويتسلى بقصص المعارك والحروب التي كانت تحكى له عن أخواله وأعمامه الذين كان جلهم من ضباط الجيش الفرنسي، وكانت ثقافتهم منحصرة في الثقافة الدينية القائمة على التعصب الشديد للكنيسة الكاثوليكية، فلم يتأهل الطفل لغير مهنة القتال، وأبى إلا أن ينزل ميدان المعارك في الشهور الأخيرة من الحرب العالمية الأولى، ولما وضعت الحرب أوزارها التحق بمدرسة سان سير Saint-Cyr العسكرية فتخرج منها ضابط صف، فصار يبحث عن ميادين "لرياضته" المفضلة، يعني الحرب في قوله، فاجتذبه المغرب الذي كانت أشواط تلك الرياضة مازالت تدور بجميع جهاته، وعين ببعض فرق الخيّالة الصبايحية المقاتلة بالمغرب، فتخصص من ثمّ في قيادة فرقة المرتزقة المغاربيين والگوم والمخازنية يسوقهم إلى القتال في طلائع جيش الاحتلال، فشارك في جميع المعارك التي دارت في "بقعة تازة"، سواء في جنوبها لدى أيت سغروشن ومرموشة حول جبل تيشوكت وقيادة المجاهد سيدي رحو، أو شمالها لدى البرانيس وبني زروال وگزناية وبني وريّاغل حول قمم الريف الشرقي وقيادة المجاهد محمد بن عبدالكريم الريفي، ومرّ هكذا من تهالة ومطماطة ومديونة وتازوطة والمرس ودار القائد المذبوح وبورد، وتجلت مواهبه القتالية، الموروثة عن طبقته والقائمة على حب الأمجاد العسكرية، في معركة المرس سنة 1923، وفي معارك الريف سنتي 1924 و1925، حيث اشتهر بلقب "بوفيسطا حمرا"، نسبة إلى رداء الصبايحية الأحمر القاني، وقيل إن المجاهدين الريفيين جعلوا مكافأة مالية لمن يتمكن من شخصه حيا أو ميتاً، ولكن بورنازيل خرج سليما من معارك الريف، وكانت "الرياضة" مع ذلك قد نالت من أعصابه، ففضل العودة إلى

الحروب التي خاضتها إسبانيا في كل من كوبا والفليبين حيث حصل على أعلى وسام عسكري إسباني سنة 1894، ثم شارك في الغزو الإسباني للمغرب بناحية الكرت سنة 1909، وفي شهر غشت 1911 كلف بتنظيم الحملة العسكرية التي كانت ستنطلق من الجزر الخالدات من أجل احتلال مدينة سيدي إفني، غير أن الحكومة الفرنسية حالت دون تنفيذ المشروع الإسباني.

وفي 15 يوليوز 1922 عين مقيما عاما لبلاده بالمغرب، فحاول تحرير الأسرى الإسبان الذين كانوا بيد الأمير الخطابي واتصل بالسلطان السابق مولاي عبدالحفيظ بمدينة مالقة وطلب منه أن يتوسط بينه وبين الأمير في الحصول على اتفاق في الموضوع، لكن بدون جدوى، لأن الأمير فضل أن يتفاوض في شأن الأسرى مع المثري الإسباني إسيفاريطا Echevarrieta الذي نجح في وساطته وتم إطلاق سراح الأسرى يوم 24 يناير 1923 أي بعد أن أعفي الجنرال بورگيطي من منصبه.

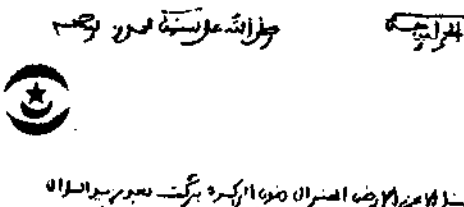

وفي نفس السنة عين بورگيطي مديراً عاما للحرس المدني Guardia Civil (الدرك) بمدريد، حيث ظل إلى أن عين سنة 1931 رئيساً للمجلس الأعلى للجيش والبحرية، وهو المنصب الذي كان يزاوله عندما ثار الجيش ضد الجمهورية الإسبانية سنة 1936، فاختار بورگيطي البقاء بجانب النظام الجمهوري وظل بمدينة بلنسية إلى أن وافته

فرنسا سنة 1926 فأقام بثكنة باريس، ثم كان مساعداً للولي العسكري باستراسبورغ Strasbourg وتزوج سنة 1927، ثم عاد إلى باريس كملحق بأركان الحرب، لكن تلك الحياة العسكرية الرتيبة في مناصب الامتثال التام كانت تمسُّ بكبريائه وحبه لقيادة الأبطال في الأوعار، فسئمها وطالب بالعودة إلى المغرب الذي كانت "الرياضة" مازالت جارية به سنة 1931، وكان الجيش الاستعماري يستعد لاقتحام آخر معاقل المقاومة المغربية المتمسكة بالواجهة الجنوبية للأطلس الكبير انطلاقا من تافلالت إلى الساقية الحمراء، وعُيِّن بورنازيل في فرق الصبايحية ببوذنيب التي كانت في نطاق قيادة الجنرال جيرو Giraud قائد التخوم الجزائرية المغربية، فشارك في العمليات التي اضطرت المجاهد بلقاسم النگادي إلى إخلاء تافيلالت، وعلى إثرها عين في هيئة ضباط الشؤون الأهلية "حاكما" للرصاني، وهناك استقبل المقيم العام لوسيان سان Lucien Saint استقبالا رسميا في يناير 1932 احتفاء بدخول تافيلالت في طاعة الحماية، وأحيى في مقاطعته شيئا مما كان محروما منه في فرنسا من تسخير البشر لإرادته وتجديد العهد بالروح الفيودالية فحاول أن يقلّد بالريصاني ما كان أستاذه ليوطي قد رامه بباقي المغرب من العناية بشؤون المعمار الرسمي الفاخر، ولكن حب القتال كان يسيطر لديه على حب التعمير ولذلك استأذن الجنرال جيرو للمشاركة في معارك جبل صغرو فأذن له وهناك ألهب حماسه بما أظهره مجاهدو حمو وبسام من الاستبسال فكان يحاول اقتحام معاقلهم مرتدياً برنسا أحمر على سبيل التحدي والرياء فلم يخطئوه يوم 28 فبراير 1933 فبات من أبطال "التهدئة" وأطلق اسمه على ثكنة بالدارالبيضاء توجد بطريق الخروج إلى الگارة.

R. Bidwell, *French administration of tribal areas 1912 - 1956*, London, 1973 ; H. Bordeaux, *Henry de Bournazel*, Paris, 1935 ; M. Durosoy, *Lyautey mon général*, Paris, 1956 ; J. D'Esme, *Bournazel l'homme rouge*, 1952.

إبراهيم بوطالب

بورنيت، Bornite : كبريت الحديد والنحاس Cu_5FeS_4، نظامه البلوري تكعيبي، صلابته 3، كثافته 5.3.4.9 ؛ يظهر على شكل كتل متراصة، لونه أسمر بنفسجي، مع قزح زرقاء، حمراء نحاسية إلى برونزية أو بنفسجية كلون حلق الحمام.

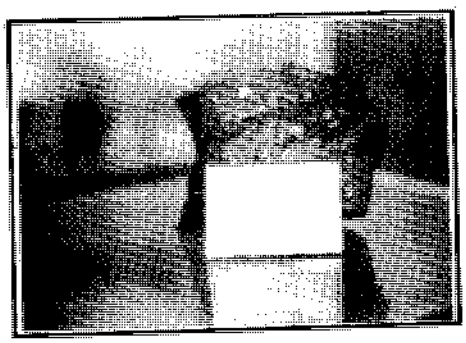

يعتبر البورنيت أهم معدن للنحاس، ونجده خصوصاً في المكامن الحرمائية والصخور الصهيرية.

يستعمل ركاز النحاس في الصناعات المعدنية، وتلوين الخزف، والصناعات الكهربائية وكذا كحَافِزٍ للأشعة السينية.

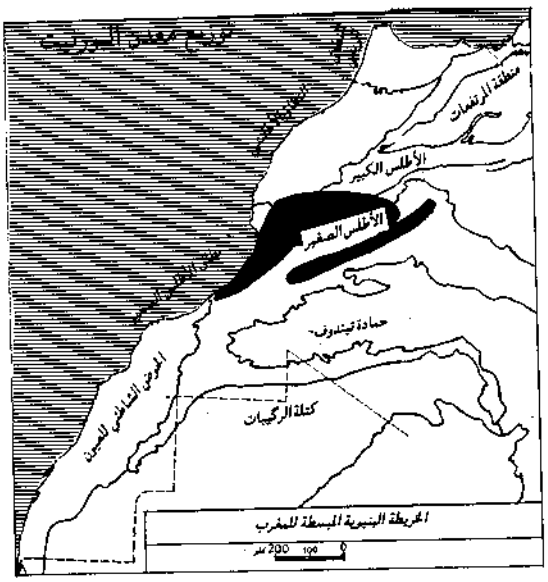

نجد البورنيت بالمغرب، في الأطلس الصغير على الخصوص وكذلك في الأطلس الكبير الغربي.

يعتبر البورنيت إلى جانب الكالكوبيريت ومعدن النحاس الخام من أهم مصادر النحاس بالمغرب. ففي سنة 1976 أنتج المغرب 16.380 طناً صدرت للخارج. ولقد وصلت هذه الكمية من الإنتاج والتصدير سنة 1987 إلى ما يزيد على 29.000 طنا من النحاس.

عبدالله بوصحابة

البوري، أسرة شهيرة أصلها من بلاد درعة وراء الأطلس الكبير. وربما كان أول من انتقل منهم إلى فاس هو الفقيه محمد التهامي البوري آتي الترجمة. وهناك بوريون آخرون في تطوان لا يُدرى إن جاؤوا إليها مباشرة من درعة، أو انتقلوا إليها من فاس. وجلّ البوريين التطوانيين كانوا يحترفون الدباغة، ومنهم فقهاء وأساتذة، أمثال الفقيه الهاشمي بن أحمد البوري الذي كان على قيد الحياة عام 1296 / 1879، والفقيه عبد النبي بن محمد البوري الذي كان له كتّاب قرآني بالقرب من سيدي ناجي بحومة العيون سنة 1301 / 1884، والفقيه التهامي بن المكي البوري الذي كان يشتغل بالعدالة سنة 1309 / 1892، والفقيه رشيد بن علال البوري المتوفى سنة 1319 / 1901. ومازالت هذه الأسرة بكل من تطوان وفاس، وانتقل بعضهم إلى الرباط والدار البيضاء.

Cagigas, *Familias* B ; *Vademecum*, 1931 ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البوري، محمد التهامي بن محمد المدعو بلسان قومه حمُّو، ولد ونشأ بدرعة وانتقل إلى فاس فدرس بها على الشيخ الطيب ابن كيران ومن في طبقته، وأصبح فقيها كبيراً شهيراً، يحضر دروسه بالقرويين أعيان الطلبة ونجباؤهم. ثم أُسند إليه قضاء مدينة مكناس فكان يدرِّس بها ويخطب بجامعها الأعظم، وحُمدت سيرته، ثم أُسند إليه قضاء مدينة صفرو. قال في حقه صاحب معجم *المطبوعات المغربية* : "الفقيه العلامة المشارك، المتضلع النحرير الفاضل الناسك، المدرس النفاع، المحرر الضابط الحجة المحقق الخطيب المصقع البليغ القاضي الأعدل".

اشتهر شرحه *لأرجوزة شيخه الطيب ابن كيران في الاستعارة*، وطبع على الحجر بفاس مراراً، وكان من الكتب المعتمدة في التدريس بالقرويين إلى ما قبيل الاستقلال.

توفي بفاس عام 1243/1827، ودفن بروضة العلماء بالقباب.

م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 7 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2 : 107 ؛ ع. كحالة، *معجم المؤلفين*، 3 : 94 ؛ ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1243 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 49.

محمد حجي

بوري، عبدالرحمان (الحاج م.) Buret، فرنسي عالم بالترجمة. أسلم وحسن إسلامه واستقر بمدينة سلا وتزوج مسلمة شريفة وارتدى اللباس المغربي وحج مرتين. اختلط بالأوساط العلمية ودرس بالقرويين. له بعض الدراسات عن الأدب المغربي الشعبي نشرت بالفرنسية، وترجمة *كتاب الحكم* لابن عطاء الله الاسكندري، نشرت الترجمة الفرنسية مع النص العربي بالرباط، سنة 1992. وكان أستاذاً بمعهد الدراسات العليا المغربية بالرباط. ومات بسلا سنة 1380/1960.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر*، 2 : 338 ؛ *كشاف المراجع البيبليوغرافية عن فاس*، 34. 35.

مصطفى بوشعراء

البوري، جنس أسماك عظمية من فصيلة البوري أو البياح Mugilidae طويلة الجسم، الرأس عريض وأفطح، الفم قابل للمد، بالمنخر فتحتان في كل جانب، الأسنان قليلة إلى منعدمة. الزعنفتان الظهريتان متباعدتان، تتكون الأولى من أشواك حادة والثانية مواجهة للشرجية. الحراشف كبيرة ودائرية.

البوري هو الاسم الشائع في أنحاء المغرب ويسمى أيضا البوري في المغرب العربي وفي الشرق ويعرف كذلك بالبَيَّاح في مصر والعراق.

يعيش في السواحل المغربية ثمانية أنواع نذكر منها :

- بوري غليظ الشفتين Mugil chela = Chelon labrosus ظهره وجوانبه رمادية زرقاء، البطن فضي مذهب. يبلغ طوله 40 سم على الأكثر. تلد الأنثى بيضها وسط البحار وتصعد الصغار غالبا في فصل الصيف الأنهار والبحيرات المالحة لتبحث عن الأكل.

إنه سمك شائع في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ما بين الرأس الأخضر والدول الاسكندناقية ونادر في البحر الأسود.

- بوري الحشو Mugil capito = Liza ramada، الظهر رمادي مخضر، الجوانب فضية، يصل طوله إلى 70 سم. يلد البيض في البحر وتقضي الصغار مدة طويلة في الأنهار والبحيرات المالحة. شائع في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي منذ الدول الاسكندافية إلى المغرب.

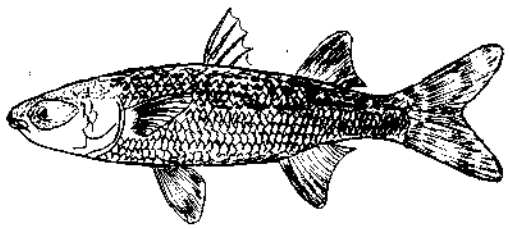

- بوري عريض الرأس Mugil cephalus أكبر أنواع البوري (4 كلغ و1.20 متر من الطول)، الظهر رمادي أزرق مخضر، البطن والجوانب فضية لامعة، الزعانف رمادية وتكون البطنية أحيانا صفراء. شائع جداً في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي. يعيش وسط مجموعات متعددة الأفراد ويسبح عادة غير بعيد عن سطح البحر. يتوالد وسط البحار ويبحث عن أكله في الأنهار والبحيرات الشاطئية (بحيرة مولاي بوسلهام وبوعرگ).

- بوري مذهب Mugil auratus = Liza aurata : الظهر رمادي بني، الجوانب والبطن فضية مذهبة، الزعانف البطنية أصغر من الصدرية. لا يتعدى طوله 45 سم. شائع في البحر الأسود والبحر المتوسط والمحيط الأطلسي، يعيش في جميع الأنهار والبحيرات الشاطئية المغربية.

- بوري نطاط Liza saliens رمادي أو بني، البطن والجوانب فضية لامعة، لا يتعدى طوله 40 سم، يتوالد في البحار ويصعد الأنهار والبحيرات الشاطئية ليبحث عن الأكل، شائع في البحر الأسود والبحر المتوسط والمحيط الأطلسي.

يعيش البوري غير بعيد عن سطح البحر ولا يبتعد عن السواحل. يبحث عن أكله المكون من الطحالب والقشريات الصغيرة، في أعماق الأنهار والبحيرات وكثيرا ما يقوم بقفزات على وجه الماء أثناء تنقلاته.

يتم صيده قرب الموانئ ومصب الأنهار بواسطة الشباك أثناء فترة المد. لحومه بيضاء دسمة، جيدة المذاق. شائع في أسواق الأسماك المغربية.

P. C. Beaubrun, *Catalogue raisonné des poissons des mers marocaines* (3ème partie), *Ordre des Mugiliformes, Bull. Inst. Pêches Marit.*, N° 23, 1978 ; G. Gianchi, *Guide des ressources halieutique de l'Atlantique marocaine*, F. A. O.

محمد رمضاني

** تشير المصادر التاريخية للعصر الوسيط إلى وجود البوري بالمغرب. أشار إليه صاحب *الاستبصار*، (ص. 184)، عندما تحدث عن نهر سبو في العهد الموحدي فقال :

"...ويدخل في هذا الوادي الحوت الكثير، ويتصيد في بعض الأحيان البوري الكبير...".

والواضح من كلام المؤلف أن هذا النوع من البوري لا يكون في النهر باستمرار إنما يأتيه من خارجه أي من البحر. ويحدث ابن أبي زرع الذي أتى بعد صاحب *الاستبصار* بأزيد من قرن ونصف من الزمن عن وجود البوري في وادي فاس قائلا : "ويخرج فيه أيضاً أنواع من الحوت من اللبيس والبوري ..."(*القرطاس*، 35. 36) أي أن البوري قد يتجاوز في صعوده من البحر إلى النهر، وادي سبو فيصل إلى وادي فاس، نفس الإشارة نقلها صاحب *جنى زهرة الآس* (35) عن ابن أبي زرع.

نوع البوري الذي تحدث عنه صاحب *الاستبصار* كبير، مما يعني أنه حديث العهد بالصعود في المياه الحلوة قادماً من البحر، ويفهم ذلك أيضا من ثمن بيعه فهو سعر مرتفع بالمقارنة مع أنواع أخرى، قال صاحب *الاستبصار* (184) "...وذكر الثقات أنه بيع واحد بثلاثة عشر درهماً، ورطل كبير منه بدرهم ونصف..." وبعملية حسابية بسيطة نعرف أن وزن البوري المباع يتجاوز ثمانية أرطال ونصف رطل أي حوالي 5 كلج ونادراً ما يوجد اليوم في المياه العذبة بوري بهذا الحجم (*La pêche au Maroc*).

البوري اليوم من الأسماك التي ليس عليها إقبال كبير خاصة منه البوري البحري، لأنه من الأسماك الساحلية الصخرية، وبسبب تلوث السواحل فإن به رائحة غير مقبولة، بينما البوري النهري خال منها والإقبال عليه أكثر. بقي أن نشير إلى أن البوري النهري وحتى البحري سهل الاصطياد لأنه ساذج ولا يتأنف في اختيار قوته، حتى إن المبتدئين في الصيد عادة ما يشجعهم البوري على المضي في عملية الصيد، والمصادر الوسيطية ترد بها إشارات كثيرة عن أخذ الحوت وصيده باليد المجردة أو بوسائل بدائية كالأحجار أو الحبال (*التشوف*، 162. 415) من ذلك ما رواه وشاهده الحسن الوزان (*وصف إفريقيا*، 127) في بحيرة الجبل الأخضر، ولما ذهب ملك فاس محمد الشيخ الوطاسي إلى دكالة أقام بجوار هذه البحيرة ثمانية أيام وكلف بعض الناس بالصيد، فشاهدت الطريقة التي استعملوها في ذلك وهي أنهم خاطوا أعناق بعض القمصان ووتروا أسفلها بقضبان ثم أنزلوها إلى أسفل البحيرة وبهذه الطريقة أخذوا كثيراً من السمك ..." سمك أغلبه من البوري.

مجهول، *الاستبصار* ؛ ي. التادلي، *التشوف* ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس* ؛ ع. الجزنائي، *جني زهرة الآس* ؛ ابن رزين، *فضالة الخوان* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*.

محمد حجاج الطويل

بوريالة، الحسين (أو أبوريال) مجاهد من أيت إمور شارك في حرب تطوان سنة 1860/1276 ويبدو أن شجاعته النادرة وأعماله البطولية جعلته يتبوأ درجة بطل تلك الحرب. بدليل أنه المجاهد الوحيد الذي سجلت كتب التاريخ أعماله.

يقول عنه الناصري في *الاستقصا* (4 :215) "أبدأ وأعاد وأتى بما لم يسمع إلا في زمان الصحابة رضي الله عنهم. حكى من حضر وتواتر عنه أنه كان معلماً براية صفراء وكان يضمها إلى صدره ويسددها نحو العدو ثم يحمل على صفهم فيخرقه حتى يأتي من خلفه ويفتك فيهم أشد الفتك ثم يعود ويستلب خيل العدو ويقودها بأرسانها ويأتي بها حتى يدفعها لمن بإزائه، وكان إذا تقدم نحو العدو يقول لمن حوله تقدموا فأنا درقتكم وأنا سوركم، تكرر ذلك منه المرة بعد المرة".

كما يقول عن مشاركته في معركة يوم 29 جمادى الثانية 1276 /23 يناير 1860 : "أبدأ أبو ريالة وأعاد في هذا اليوم، هلك تحته فرسان وأرسل له المولى العباس فرسه وكان يعتني به وينوه بقدره ويبعث الطبل يقرع على خبائه، وأصابته في هذا اليوم جراحة خفيفة".

ولا شك أن بوريالة هو الذي أشاد به الصحفي الإسباني مانويل مونيديرو Manuel Monedero الذي رافق الجيش الإسباني أثناء الحرب قائلا عن معركة اليوم المذكور آنفاً : "كنا نرى في هذا اليوم يتقدم الفرسان المغاربة ذلك الفارس الذي رأيناه في مقدمة إخوانه في المعارك السابقة يحمل راية صفراء ويبرهن على أنه لا يهاب الموت".

أ. الناصري، *الاستقصا*، 4 : 215 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 4 : 193. 194.

M. Monedero, *La guerra de Africa* (MS. propiedad del general Melis de Clareria, Madrid).

محمد ابن عزوز حكيم

بُوريقي، سهل يوجد بقبيلة نكنافة في حاحة على بعد حوالي 45 كلم جنوب شرق مدينة الصويرة، اشتهر لدى المؤرخين وسكان المنطقة بمعسكر المولى الحسن الذي بعثه والده السلطان محمد بن عبدالرحمن ومعه جند كثيف سنة 1871/1288 لتسوية النزاعات القائمة بين قبائل حاحة ومتّوگة بعدما انهزمت محلة حاحة أمام متوگة، وقتل محمد ابن سعيد ؛ خليفة القائد محمد أمعذور ولد الحاج عبدالله أُبيهي ومحمد بن بلة، وعلي القاضي ومن

ضارعهم من وجوه القبيلة، وكانت النتيجة خراب أزغار (قصبة ولد بيبهي) على يد سكان متُّوكّة (الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 101)، ومن آثاره الباقية في بوريقى سور يدعى سور مولاي الحسن، وهو عبارة عن ثلاثة جدران يبلغ ارتفاعها حوالي متر واحد ونصف، تحيط بساحة مربعة على الواجهات الثلاث ما عدا الواجهة الرابعة الموالية لنهر أيت واضيل فقد تُركت بدون جدار، كأن النهر بمثابة الجدار الرابع.

وقد بُني هذا السور بمثابة سياج حول خيام الحرس المرافق للأمير مولاي الحسن. وقد استمرت إقامة الأمير المولى الحسن بفُسطاطه المذكور حول وادي أيْت واضيل في بوريقي إلى أن وصلته أخبار وفاة والده السلطان محمد بن عبدالرحمان يوم الخميس 18 رجب عام 1290 / 11 شتنبر 1873، فوافته البيعة العامة وأصبح ملكا على المغرب باسم المولى الحسن الأول، فقدم مراكش في السابع والعشرين من رجب سنة تسعين ومائتين وألف.

م. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 128 ؛ م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 101 ؛ *تحريات ميدانية*.

محند أيت الحاج

بوريل، أنطوان .Burel A، ضابط فرنسي، ولد حوالي سنة 1773. وكلف سنة 1808 بحمل رسالة نابوليون الأول إلى السلطان المولى سليمان بقصد استجلابه إلى جانب فرنسا ضد انجلترا أثناء الحصار الذي كان يضربه الأمبراطور الفرنسي على أعدائه بأوربا، وكذلك بقصد أن يلتقط المعلومات عن الحالة بالمغرب.

وصل بوريل إلى طنجة قادماً من مدريد يوم فاتح ربيع الثاني عام 1223 / 27 ماي 1808، وبعد أيام اتجه صحبة قنصل فرنسا بها أورنانو Ornano نحو فاس ووصل إليها يوم 18 غشت فاستقبله السلطان وتلقى منه رسالة الأمبراطور. ثم تم المذاكرة مع مولاي عبدالسلام شقيق السلطان فذكر له أن فرنسا ترغب من المغرب أن يكون في صفها ضد أعدائها. لكن السلطان لم يجبه إلى طلبه وأمر السفير بوريل والقنصل بمغادرة فاس فوراً إلى طنجة التي ركب منها يوم 27 فبراير 1809.

أما المعلومات عن المغرب والجيش فقد ضمنها في مذكراته. فقدر عدد سكان المغرب بنحو أحد عشر مليونا، ووصف التحصينات والمسالك والأودية، وقدم كل ذلك إلى نابليون في 69 صفحة خلال شهر أبريل 1810.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1521، 1522.

J. Caillé, *La Mission du capitaine Burel au Maroc*.

مصطفى بوشعراء

بوزاگلو، Bouzaglo **داود**، يهودي من مواليد الدار البيضاء توفي بحيفا عام 1975. مداح له باع طويل وخبرة واسعة بموسيقى الآلة وبالأناشيد الدينية التي ترتل في البيَع. كان ضريراً ولكن حالته لم تمنعه من تكوين جماعة من المواهب الفتية الذين واصلوا عمله الأصيل خصوصا بالدار البيضاء حيث أمسوا يحيون الاحتفالات الدينية ولا سيما منها ما يسمى "البقاشة" وهي نوع من الأشعار الدينية التي ينشدها أصحابها على أسلوب معين عند طلوع الفجر، وأهم ديوان معروف بالمغرب لهذه الأناشيد هو ما يسمى *شيريديدوت*.

D. Benbarrakh, *Poésie Juive*, p. 249 - 288 - 298.

بوزاگلو دوبّاز يوسف، de Paz, Yosef، كان يمارس التجارة ويقوم مقام المترجم لدى المخزن في عهد السلطان سيدي محمد بن عبدالله، وقام بدور هام في العلاقات المغربية ـ الدانماركية، وإليه يرجع أمر تأسيس شركة تجارية دانماركية بالمغرب سنة 1749، وقد وصفه بالمغامر كل من لاريدو وطوليدانو. ألقي عليه القبض ذات يوم وأودع السجن، ثم بعد تسريحه، دخل سلك المترجمين للغة الفرنسية في البلاط المغربي.

H. de Castrie, *Le Danemark et le Maroc*, *Hesp*, 1926.

بوزاگلو، شلوم، قبالي ولد بمراكش خلال القرن الثامن عشر، وتتلمذ على شيوخ متضلعين في القبالة، مثل أبراهام أزولاي ويعقوب بينتو ويشعيه هكوهن. هاجر إلى فلسطين ومنها ذهب إلى أوربا في مهمة جمع الأموال والتبرعات لفائدة اليهود، وبهذه المناسبة أقام مدة طويلة بلندرة. ألف كتبا عرض فيها ما تلقاه من آراء ودروس عن شيوخه، وهي تشكل شروحا لكتاب زُهَر : *هكداش مليخ* (حرم الملك) أمستردام، 1750 في خمسة أجزاء، بريزميل، 1880، أعيد طبعه ست مرات، ثم *هدرة مليخ* (عظمة الملك)، أمستردام 1766، لندرة عام 1770، *كيس مليخ* (عرش الملك)، أمستردام عام 1769، لوف 1860، *هوض مليخ* (جلالة الملك)، لندرة ، بدون تاريخ. *بيرُوس عال تقُونْ رب شمعون بن يوحاي*، أمستردام 1774، وهو الذي سار الناس على نهج الاعتقاد بأنه مرتبط بكتاب زُهَر وهو القاعدة التي تعتمدها القبالة.

في هذه الأثناء تم اكتشاف التلقيح ضد الجذري بأوربا، فذهب الربيون يناقشون حليتها أو حرمتها حسب ما تمليه الشريعة الموسوية في مثل هذه الحالات فكان شلوم بوزاگلوا من المؤيدين لاستعمال ذلك التلقيح.

بُوزاگلو، مردخاي، قبالي أصله من درعة، عاش خلال القرن السادس عشر، وحسب الأخبار المتواترة، فإنه قد يكون رأى النبي إلياس في المنام، وربما ذهب إلى الصفد لدراسة القبالة والتبحر في التفسير الباطني للتوراة على الربي والشيخ القبالي حييم فيتال، ويقال إنه هو الذي ألف الكتاب رقم 921 الذي تحتوي عليه لائحة مخطوطات أوهيل داود الموجودة بخزانة ساسون، كما ينسب إليه مخطوط ضاع، عنوانه : *معنيوت هاحخمة* (منابع الحكمة) الذي يذهب حييم الزعفراني إلى القول في شأنه : "إن القبالين قد يكونون أتلفوه قصداً حتى لا يطلع أحد على أبواب الأسرار التي فتحها المؤلف وهي أسرار محرم معرفتها على الجمهور".

تشير بعض المصادر إلى "رب مردخاي الدرعي" مؤلف *معنيوت هاحخمة*. الكتاب المفقود ولا تزيد شيئا على هذه الإشارة.

يذكر لاريدو في كتابه عن *أسماء اليهود* (ص 198)، ربيين آخرين يحملون لقب بوزاگلو منهم : شلومو، بفاس عام 1526 وموشي بسلا خلال القرن السابع عشر، وأبرهام بمراكش، القرنان 16 و17، وموشي آخر، القرنان 17 و18، وفي هذا العهد كذلك، شلومو بن يهودا بفاس.

H. Zafrani, *Kabbale* ; Y. M. Toledano, *Ner Hama'arab* ; A. Laredo, *Les Noms des Juifs*.

سيمون ليڤي

بوزاليم، محمد بن مبارك بن الشيخ علي الباعمراني، يلتقي مع عائلة آل الشيخ همو الخلفيين في الجد التاسع باها. عاش هذا الأخير حتى سنة 940 / 1533، وتسلسلت في هذه العائلة شخصيات كثيرة في ميدان تدريس الروايات والقضاء بين الناس وقيادة القبيلة منذ قرون ولديهم ظهائر سلطانية كل في ميدانه.

ولد الشيخ محمد بوزاليم حوالي عام 1280 / 1863 وحفظ القرآن واشتغل بالفلاحة والتجارة، ثم قرّب إليه العلماء الكبار من التّدراريّين، وكوّن لنفسه قافلة من الجمال تربط ما بين الصحراء المغربية حتى مدينة الصويرة ومراكش، مروراً بمدينة تيزنيت، وصاحَبَ باشا تيزنيت ابن دحان والحاحيين، وكان الحصار يضرب على تلك الجهات ماعدا القافلة التجارية لبوزاليم، وخاصة عندما بدأ الأوربيون يظهرون في تلك الشواطئ، كما أن الحملتين المرسلتين لاحتلال أيت باعمران سنة 1335 / 1917 فشلتا، إذ قضى نهائيا على حملة الباشا حيدا بن مَّيْس وحلت الخسائر بحملة الجنرال دولاموط De Lamothe فلم يكن في وسع السلطة المركزية إلا أن تبحث عمن يمد خيطها إلى تلك النواحي، فكان الشيخ محمد بوزاليم هو ذلك الرجل. لذلك أمدته الحكومة بالمال والسلاح، تارة مباشرة عن طريق قافلته التجارية، ومرة أخرى عن طريق القائد الجراري، ووعدته بأن تعينه قائدا على مشارف الصحراء، إذا استطاع أن يضم أيت باعمران إلى الحماية الفرنسية، ومعه في ذلك الاتجاه الشيخ سعيد الخمسي لكن من طرف خفي، إلا أن أيت باعمران رفضوا قبول حكم فرنسا، وعلى رأسهم عائلة إدّ الشيخ همُو.

استطاع الشيخ محمد بوزاليم أن يقسم أيت باعمران إلى قسمين، قسم يدعو للانضمام إلى الحماية الفرنسية، وقسم يرفضها، فأدى ذلك إلى حروب قبلية ذهب ضحيتها شجعان وأموال هدراً، وشاع أن ذلك كله من تخطيط الجنرال دولاموط. وكانت المراسلات نشيطة بين باشا تيزنيت وبين بوزاليم، وكلمة بوزاليم لدى سلطات الحماية بسوس بمثابة جواز سفر، وكان له طابع يختم به مراسلاته، ونجحت فرنسا فعلا في تقسيم أيت باعمران، وبالتالي انهار اقتصاد المنطقة بذلك الحصار، ثم ساهم الجفاف الخطير في تعميق الأزمة ما بين سنوات 1340 و1345 هـ فانتشرت المجاعة، ولم يبق لفرنسا إلاّ أن ترسل حملة عسكرية لتحتل أيت باعمران. لكن حدث أن توفي الشيخ محمد بوزاليم سنة 1342 / 23. 1924 فتولى مكانه أخوه محند الذي قتل بعد سنتين، فاجتمعت المشيخة كلها في عائلة بني الشيخ همّو، وتغير المناخ وانتعشت البلاد، وتوحدت القبائل من جديد ضد فرنسا.

في هذا الوقت بدأت حكومة الحماية تستكمل غزوها للأطلس الصغير، في حين شرعت إسبانيا في ربط علاقاتها بشكل مكثف مع أعيان أيت باعمران. وفي 21 ذي الحجة عام 1352 / 6 أبريل 1934 م، قدم الكولونيل كَبّاص من تطوان بحراً ونزل بشاطئ سيدي إفني، ثم أنزلت إسبانيا قواتها في المراكز المخزنية القديمة، ومنها دار الشيخ بوزاليم حيث بنيت تكنة تغْزَى، وشاءت الأقدار أن يكون هجوم جيش التحرير في الخمسينات من دار الشيخ بوزاليم لطرد الإسبان وانضمام أيت باعمران إلى المملكة المغربية المستقلة.

ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مخطوط.

الحسين جهادي

البُوزْراتي، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني بوزرة الغمارية، وكان من بين أفرادها :

البُوزْراتي، عبدالله بن محمد، فقيه زاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1842/1258 إلى سنة 1844/1260، وكان في نفس الوقت يعلم القرآن الكريم بكُتّابه الواقع بالساقية الفوقية. وقد توفي بمصر عقب رجوعه من الحج سنة 1851/1268، وقد حلّ محلّه في خطة العدالة وفي تسيير الكتاب ابنه :

البوزراتي محمد، المتوفى سنة 1886/1303.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 4 : 219 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 7 : 251 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

البُوزراتيّة، لهجة بني بُوزْرة.الرأي السائد هو أن اللهجة البربرية الريفية هي التي يتكلم بها سكان جميع قبائل الريف في نواحيها الجغرافية الثلاث : الريف والكرت وصنهاجة، مع أنه توجد في هذه النواحي الثلاث قبائل أو فرق أو مداشر يجهل سكانها اللهجة الريفية أو يعرفونها ولكنهم لا يتكلمون بها أو يستعملونها مزدوجة مع اللهجة العربية الدارجة.

ولا غرابة في ذلك لأنه ممّا لا شك فيه أن اللهجة الريفية كانت هي السائدة في جميع قبائل الشمال وخاصة في قبائل غمارة المجاورة للريف التي أصبح سكانها يستبدلون باللهجة الريفية اللهجة العربية الدارجة ؛ ولا أدل على ذلك من وجود قبيلتين من قبائل غمارة مازالت بعض فرقها أو مداشرها تتكلم لهجة بربرية شبيهة باللهجة

الصنهاجية الحالية، وتعرف هذه اللهجة بالشلحة البوزراتية نسبة لقبيلة بني بوزرة الغمارية التي نجد ثلاثة أرباع سكانها يتكلمون بها، ويتعلق الأمر بالفرق الثلاث التالية:

- فرقة تاندمان بمداشرها الأربعة.
- فرقة الوسطيين بمداشرها السبعة.
- فرقة بني موسى بمداشرها الخمسة عشر.

وأما الفرقة الرابعة من قبيلة بني بوزرة وهي فرقة بني مانسلمان بمداشرها الأحد عشر فسكانها يتكلمون باللهجة العربية الدارجة.

ونجد فرقة واحدة من قبيلة بني منصور المجاورة لقبيلة بني بوزرة يتكلم سكانها بالشلحة البوزراتية، ويتعلق الأمر بفرقة بني عروس التي تتكون من المداشر التالية : تاگُنْزا، توارت المرابطين، أغل عازب، أجعادان، بني عفارة، إيسوكا، تازمورت، تجگان، إيطروهاش، بوسف، إحافدانا.

وأما سكان الفرق الخمس الأخرى من نفس القبيلة المنصورية فإنهم يتكلمون باللهجة العربية الدارجة.

وهكذا نجد بقبيلة بني بوزرة ستة وعشرين مدشرا يتكلم سكانها الشلحة البوزراتية وأحد عشر مدشرا فقط يتكلمون باللهجة العربية الدارجة ؛ في حين نجد بقبيلة بني منصور ستة وعشرين مدشرا يتكلم سكانها العربية الدارجة وأحد عشر مدشرا فقط يتكلمون بالشلحة البوزراتية.

والدليل على أن الشلحة البوزراتية تسير في طريق الانقراض أنه في العشرينات من هذا القرن كانت ما زالت تستعمل في المداشر الخمسة لفرقة إفران عمان من قبيلة بني منصور.

وكان أول من أشار من الأوربيين إلى وجود الشلحة البوزراتية هو الفرنسي موليراس M. A. Moulieras سنة 1899، وفي سنة 1928 زار منطقة الشمال الفرنسي كولان G. S. Colin من أجل دراسة اللهجة المذكورة وقد حصل على بعض النصوص المكتوبة بها، غير أنه لم يستطع القيام بدراسة ميدانية.

M. A. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, 1899 ; Bernard et Moussard, *Annales de geographie en 183*, p. 272 ; G. S. Colin, *Le parler berbère, Hesp.*, 1929.

محمد ابن عزوز حكيم

بوزْروگ ـ كما يسمى في المغرب ـ أو بلح البحر حيوانات بحرية، من الرخويات مسطحات الخياشيم أو ثنائيات الصدفة، ويعيش منها في المغرب ثلاثة أنواع أساسية هي: Perna , picta M. edulis, Mytilus gallouprouincialis إلا أن الدراسات الحديثة والدقيقة أثبتت أن النوعين الأولين يكوّنان صنفا واحداً، حيث إنه من الصعب جداً التمييز بينهما بالإضافة إلى أنه يمكنهما التجانس بينهما والتوالد.

هاته الأسماك بأنواعها الثلاثة الرئيسية تكثر في بلادنا، لكن هناك أنواع أخرى لا تقل أهمية، من الناحية البيئية، عن سابقاتها، تعيش في سواحلنا كأجناس وهي : Lithophaga, Pholas, Musculus, Modiolus التي تملك صغاراً من الصعب جداً تمييزها مظهريا عن صغار الأنواع الثلاثة الأولى.

كل هاته الأنواع والأجناس بحرية محض تعيش على ما يحتويه ماء البحر من نباتات مجهرية، حيوانات وحيدة الخلية، مشطورات وجراثيم، أو بعبارة أخرى عن الجزئيات الدقيقة من المواد العضوية. فبلح البحر يتوفر على خياشيم مسطحة كالمشط تمكنه من تصفية ماء البحر، فيتغذى بما التقطته الخياشيم من مواد عضوية ويلقي بالباقي إلى خارج الصدفات.

تلعب التغذية دوراً رئيسيا في التوزيع الموطني لبوزروگ. نجده بوفرة إما قرب الموانئ أو الأماكن الملوثة حيث تكثر نسبة المواد العضوية في الماء وبالتالي كمية الغذاء، وإما في الأماكن المواجهة لتضارب أمواج البحر حيث تساعد تيارات هاته الأمواج على تصفية كمية أكبر من الماء وبالتالي توفر كمية مناسبة من الغذاء.

من المعروف عن بوزروگ وخاصة الجنس Mytilus أنه يكون دليلا جيداً للكشف عن التلوث العضوي لمياه البحر، حيث إن علو نسبة المواد العضوية بالمياه الشاطئية تؤدي حتما إلى استبدال معايش حيوانية ونباتية أصلية بمجموعات مكثفة من بلح البحر.

بوزروگ أو بلح البحر من الرخويات ثنائيات الجنس أيّ أنه ليس هناك أي فرق خارجي بين الذكر والأنثى. والطريقة الوحيدة للتمييز بينهما هو الاعتماد على ألوان الأجهزة التناسلية : بيضاء عند الذكر وبرتقالية لدى الأنثى. في وقت التناسل يلقي كل من الذكر والأنثى بمواده التناسلية في الماء حيث يتم تلقيح البويضات. بعد فقس هاته الأخيرة تقضي اليرقات الصغيرة حوالي ثلاثة أشهر عائمة قبل أن تلتصق بالصخور أو بأي من الدعامات الصلبة الأخرى، وذلك بعد أن تتحسس الموقع وتجد كل الظروف الهيدرولوجية المثلى.

كما أن بلح البحر يعتبر عدوا مفترسا للعديد من الحيوانات المجهرية العالقة بما في ذلك بويضاته وصغاره، وله كذلك أعداء طبيعيون. فهناك ما ينافسه على الغذاء كالقربيات Ciona intestinalis, Ascidia mentula وطفيليات ك Mylicola intestinalis (مجذافيات الأرجل) التي توجد داخل أمعائه.

إن شوكيات الجلد كنجوم البحر، وحيوانات أخرى كالحلقيات Polydora Ciliata والرخويات Murex والقشريات عشاريات الأرجل، وبعض الأسماك أيضا يمكن أن تحدث أضراراً فادحة وسط مجموعات بوزروگ، خاصة إذا كانت في أحواض التربية. إلا أن أكثر أعدائه شراسة هو الإنسان الذي يتغذى به ويعتبره من ألذ الأطباق.

أما فيما يخص التوزيع الجغرافي لبوزروگ، ولنأخذ فقط الأنواع الثلاثة الرئيسية، فإن M. galloprouincialis, Mytilus edulis يوجد على طول الشواطئ المغربية الأطلنتية والمتوسطية بينما Perna picta لا يعيش إلا على صخور شواطئ المغرب الأطلنتية.

R. Boue, H. Chanton, *Biologie animale zoologie-invertébrés*, t 1, Paris, 1962 ; G. Bitar, *Etudes du peuplement benthique de la côte atlantique méditerranéenne du Maroc : Impact de la pollution, comparaisons biogéographiques*, Thèse Doct. Et. et Univ. Marseille, 1987 ; A. Campbell et Nicholls, *Guide de la faune et de la flore littorales des mers d'Europe*, Suisse, 1986 ; M. Menioui, *Contribution à la connaissance des peuplements infralittoraux superficiels de la côte méditerranéenne du Maroc : Etude faunistique, écologique et biogéographique*. Thèse Doct. Et. et Univ. Mohamed V ; C. Davadie, *Etude de Baleine d'Europe et d'Afrique*, Paris, 1963.

محمد منيوي

بوزگاوْ، (جبل ـ) تتكون الكلمة من شقين "بو" بمعنى صاحب، و"أزگاوْ" بمعنى القفة، والاسم جاء من منظر طبيعي، يتراءى من بعيد، كأنه رجل يحمل قفة على كتفه.

وبوزگاو جزء من أدْرَارْ نايْت إخلْف، وأعلى قمة فيه تصل إلى 655 م فوق مستوى البحر، حسب الخريطة الطبوغرافية لسيدي إفني، وجبل بوزگاو منيع طبيعيا، لشدة الانحدارات من جميع الجهات، لذلك كان ملجأ للسكان منذ القديم، وإليه التجأ السكان في أيت باعمران عندما هاجمتهم حملة الجنرال دولاموط سنة 1917 م، وفي هذا الجبل تحصن جيش التحرير ضد الاستعمار الإسباني سنة 1957، نظراً لارتفاع هذا الجبل النسبي، فإنه ينعم بكمية كافية من الأمطار مما جعل زراعة الشعير فيه مضمونة كل سنة، كما يتوفر فيه الغطاء النباتي، وبالتالي تربية الماشية.

ورغم كثافة السكان المرتفعة في جبل بوزگاو فإن الكلمة متى أطلقت مجرّدة تنصرف إلى عائلة تحمل هذا الاسم منذ مدة طويلة، منهم :

بوزگاو، الحسين (الحاج ـ) بن الحاج محمد بن بهي الخلفي، ولد عام 1312 / 1894 نشأ في عائلة محترمة، فتحمل المسؤولية وهو صغير، فكان يشارك في أمور القبيلة، ويحضر "أجْموع" لقبيلة أيت إخلف، فحنكته التجارب. وقد عدّ من فرسان القبيلة وعمره ثمان عشرة سنة، لذلك حضر كفارس في مدينة تيزنيت عند تعيين أحمد الهيبة على رأس المجاهدين ضد الحماية الفرنسية على المغرب عام 1330 / 1911. قال : "كانت مهمتنا نحن الفرسان الصغار، هي الوقوف مصطفين على جانبي الطريق حتى تؤدى صلاة الجمعة كل أسبوع، ويعاقبْ كل من تخلف عن ذلك"

حدث أن زار الحاج الحسين بوزگاو مدينة الصويرة سنة 1332 / 1914، فإذا بفرنسا تسجّله مع جماعة نقلوا فوْراً إلى البيضاء، ومنها إلى ظهر باخرة للمشاركة في الحرب العالمية الأولى، ومن حسن حظه أن اختير كعامل في صناعة السلاح، فإذا بفرنسا تنهزم، قال : فهربت منها سنة 1916 إلى تونس، ورجعت إلى أيت باعمران، فوجدت فرنسا التي انهزمت في عقر دارها، صارت تشن أقوى الغارات على أيت باعمران. قال : "وكان ذلك عندي من الدهشة بمكان، وأغرب من ذلك، أنني كلما قلت للناس إن فرنسا منهزمة، لا يثقون بما أقول، إذ لو عرف الناس انهيار فرنسا لسهل عليهم القضاء عليها في المغرب، لكن فرنسا لما عجزت عن إلحاق هزيمة بأيت باعمران، صارت تبث التفرقة بينهم، حتى تفرقت القبائل، وانتشرت الحروب القبلية، فكان مترجمنا في مقدمة الأعيان والفرسان من جديد، فتعرضت عائلته للنهب والسلب ظلما وعدوانا، كما أثرت عليها الضرائب الثقيلة المتتالية التي كان يفرضها حكام المخزن بتيزنيت على أيت باعمران، وكان المشرف على ذلك القائد محمد بن القائد إبراهيم الوجداري الحوضي، فاضطر الناس للهروب إلى قمم الجبال، أو إلى القبائل المجاورة، حتى دبّرتْ القبيلة قتل القائد محمد، وكل من عينهم من الشيوخ على قبيلة أيت إخلف، فاستراح الناس من شر الضرائب.

وفي سنة 1352 / 1934 خرجت إسبانيا من أيت باعمران، فعينه الحاج عبدالكريم شيخ قبيلة أيت إخلف، "انْفلوساً" على ربع القبيلة، إلى أن ثار أيْت باعمران ضد إسبانيا سنة 1376 / 1957 فحمل الحاج الحسين بوزگاو من جديد بندقيته كمجاهد، كما أنفق ماله وماشيته في سبيل حرب التحرير، وقد كانت حياة هذا الرجل حافلة بالمغامرات، وكان نموذجا لذلك الجيل الذي أدرك ما قبل الاستعمار وما بعده، أجريت معه استجوابا سنة 1397 / 1978 م ومما ختم به كلامه "من يخبر هذا الجيل بما مرّ علينا ليشكر الله الذي سهل عليه كل شيء". وكانت وفاته عام 1400 / 1981.

ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مخطوط.

الحسين جهادي

بوزكري، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني زكار الهبطية، وقد انقرضت بتطوان،وليس لهذه الأسرة علاقة بأسرة ابن زكري ولا بأسرة زكْري.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بوزكْري، (سيدي ـ)، زاوية ومدرسة علمية عتيقة تقع بقبيلة إداوسارنْ الحاحية، قرب مركز (سْمِيمُو) على بعد 35 كلم جنوب مدينة الصويرة، اشتهرت منذ القديم باسم (سيدي بوزكري) نسبة إلى الشيخ الحاج الشهير أبي زكرياء يحيى بن أبي عمرو عبدالعزيز بن عبدالله بن يحيى الحاحي المذكور في *مفاخر البربر* ص 68، الذي أسند إليه ابن

قنفذ القسنطيني (740.810 هـ) زعامة طائفة حاحية صوفية اشتهرت بالمغرب في آخر المائة السابعة الهجرية، حيث قال: والطائفة الخامسة : الحاحيون، ومنهم جملة من جبل درن وهو الجبل العظيم الذي ليس على وجه الأرض مثله في الارتفاع والمياه والخصب... وهذه الطائفة الخامسة طائفة الشيخ الحاج الشهير أبي زكرياء يحيى بن أبي عمرو عبدالعزيز بن عبدالله بن يحيى الحاحي، ويقال إنه من آل بيت النبي الكريم، وشرفه غير ظاهر بين الناس في المغرب وإنما انتسب أحفاده إليه. وقبره بتيغزا من بلاد حاحة... والموضع موضع خير وعلوم وقراءة وتدريس... وكان لأبي زكرياء هذا عند الجمهور قبول تام وله في الفقر كلام حسن وتحقيق وتدقيق ووصايا حسنة بكلام لا يصدر إلا من عالم أو ولي ولم أذكر تاريخ وفاة الشيخ أبي زكرياء يحيى إلا أن ظهوره كان في آخر المائة السابعة (*أنس الفقير*، 64).

تشهد البنايات الضخمة القديمة الماثلة اليوم على عظمة هذه المدرسة وقدمها، منها قبة كبيرة شيدت حولها ببراعة ودقة أربع قبب صغيرة في زواياها الأربع، وبجانب هذا الضريح مسجد كبير تؤدى فيه صلاة الجمعة، ومدرسة علمية عتيقة بها حجرات كثيرة مخصصة لإيواء طلبة العلم المقيمين بها، مما يدلّ على وفرة الطلبة المنتسبين إليها ولا سيما في العهد السعدي الذي يرجح أن معظم تلك البنايات الضخمة شيدت فيه، نظراً لما للسعديين من اهتمام بهذه الناحية تتجلى في تشييد معاصر السكر وزراعة قصبه على وادي القصب حول الصويرة القديمة. وقد كانت هذه المدرسة قبلة لأكابر علماء حاحة وسوس لأنهم يجدون لدي أبناء الشيخ ومريديه المقيمين بجوار المدرسة تقديراً وتكريماً لرجال العلم والدين جريا على ديدن أسلافهم.

ومن أساتذتها المشهورين بالتدريس والإرشاد الديني فيها أخيراً : عبدالله الخنبوبي السوسي وإبراهيم الكردوسي والحسن بن أحمد بن الطاهر الأدوزي ثم عبدالله إيمبحى التامري الحاحي الذي أحيى فيها تدريس القراءات والعلوم في العقد الأخير من القرن الرابع عشر (20 م). وفي التصوف قام الشيخ الحاج بلخير السوسي بنشر طريقته بين البوزكريين وغيرهم من جيران المدرسة الذين حفظوا عددا كثيراً من المنظومات الفقهية والصوفية التعبدية باللسان الأمازيغي (الشلحة) حتى تفقهوا في علوم الدين رغم أنهم أُميون لا يقرأون ولا يكتبون باللسان العربي. وقد شهدت هذه المدرسة ـ كغيرها من المدارس القبلية العتيقة ـ فترات إهمال وشغور بسبب القحط والمجاعة كما حدث في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) عندما مر بها الفقيه الصوفي الأديب محند ابن محمد أمغار التغماوي الحاحي (ت 1318) فقال : فلما ذهبنا للصويرة بقصد زيارة الإخوان ـ التجانيين ـ والتبرك بهم، ساقتنا القدرة الأزلية إلى موطن أبي المواهب الشريف، سيدي ومولاي أبي زكرياء في تيغزا..."

مجهول، *مفاخر البربر* ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير* ؛ امبارك أشغوغ (حفيد أبي زكرياء)، *كنانيش* ؛ *تحريات ميدانية*.

محند أيت الحاج

بوزكْري، (سيدي ـ)الزيدي من صلحاء أولاد زيد، يوجد ضريحه برباطه بفرقة الجحوش قرب زاوية سيدي الراضي من ساحل البحر على بعد نحو أربعين كيلومتراً شمال مدينة أسفي. وكانت توجد مدرسة بهذا الرباط يقصدها العلماء والطلبة من جميع النواحي المجاورة، ومن ألمع الشخصيات المتأخرة التي درست بها الفقيه محمد بن أحمد الكانوني صاحب تاريخ *أسفي وما إليه*.

م. بنشريفة، *الفقيه الكانوني ومؤلفاته*، في كتاب : *أسفي ؛ دراسات تاريخية وحضارية*، 1988.

بوزكري، (سيدي ـ) الماگري. أحد أبناء الشيخ أبي محمد صالح الماگري الستة واسمه يحيى. مات غريقاً في البحر في حياة والده، ويقال إن الشيخ أمر بدفنه على الشاطئ بالقرب من المكان الذي أخرجه فيه البحر. ولقد ورد ذكره في كتاب *المنهاج الواضح* (ص. 145). ويوجد ضريحه بمدينة أسفي بجوار الميناء. وللبحارين اعتقاد كبير فيه ويقيمون بجواره حفلا دينيا كبيراً مرة في السنة في بداية موسم الصيد، ويسمونه "سلطان الصالحين" في القصائد التي ينشدونها في هذه المناسبة.

المنهاج الواضح، 145 ؛ *معلومات ميدانية*.

عبد الرحيم العطاوي

البُوزگاوي، حمّادة بن محمد بن المختار، قائد قبيلة بني بوزگو من سنة 1295 / 1876 إلى سنة 1323 / 1905، وتستوطن هذه القبيلة المنطقة الممتدة من جنوب مدينة العيون إلى وادي زا بإقليم وجدة. اشتهر حمّادة البوزگاوي بنفوذه وسلطته في النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م)، مما دفع السلطان مولاي الحسن إلى تعيينه قائداً لقبيلته سنة 1293 / 1876 لضمان الأمن وفرض طاعة المخزن، وقد عظم شأنه بعد مصاهرته للسلطان مولاي الحسن ببنته. فحظي من طرفه بتقدير كبير، وحصل على ظهائر التوقير والاحترام وإسقاط الكلف المخزنية، فصار السلطان يثق به ويستشيره في أمور قبائل "عمالة وجدة"، ولما استقر الثائر "بوحمارة" بشمال المغرب الشرقي، تظاهر له البوزگاوي بالطاعة والامتثال، ودبّر مذبحة لأنصاره بعد أن تظاهر بالموافقة على مصاهرته، ففتك بعدد كثير منهم يوم 8 جمادى الثانية عام 1322 / 20 غشت 1904، ثم فرّ إلى مدينة وجدة واحتمى بالجيش السلطاني المخيم هناك، فنوّه السلطان عبدالعزيز بهذا العمل،وأنعم عليه بظهير شريف لم يتقدم مثله منه لأحد وأهداه هدية معتبرة، وصدرت الأوامر لعامل وجدة قصد الاعتناء به وبأهله، وبعد ذلك بقليل وافته المنية بوجدة سنة 1323 / 1905.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 20 : 46 ـ 47 ؛ ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي*.

La Martinière et Lacroix, *Documents*, T. 1 ; C. Voinot, *Oujda* ; L. T. Gaquière, *Les Beni Bou Zeggou*, *B.S.G.A.O.*, 1910, p. 491 - 515.

عكاشة برحاب

بوزنيقة، مدينة صغيرة ارتبط وجودها بالطريق الوطنية رقم 1 التي تشكل حاليا مركزها، حيث استقرت على جنباتها منذ الاستقلال بعض الدواوير ومجموعة من المحلات التجارية للاستفادة من حركة المرور وتقديم خدمات سريعة للمسافرين نحو الرباط والدار البيضاء. وتبقى القصبة الموجودة خارج المدار الحضري التي شيدت في فترة حكم المولى عبد الرحمن (1238-1276 / 1822-1859) هي النواة الأولى لمدينة بوزنيقة إلا أنها أهملت نظراً لموقعها المنعزل.

عرفت المنطقة ظهور أول تجمع سكاني صفيحي سنة 1860 (دوار محجوبة) ليتحول في بداية الستينات بُعيْد الاستقلال إلى حزامين من المحلات التجارية تحف بالطريق وعلى مقربة منها استقر السوق الأسبوعي.

توجد بوزنيقة على بعد 52 كلم من مدينة الرباط و51 كلم من مدينة الدار البيضاء و22 كلم من مدينة بن سليمان وتنتمي إدارياً إلى إقليم بن سليمان وتحتل داخل هذا الإقليم موقعاً استراتيجياً حيث يوجد بها مقر الدائرة التي تضم ثلاث جماعات هي جماعة بوزنيقة وجماعة بني يخلف وجماعة سيدي محمد بن علي، وكلها جماعات ساحلية.

عرفت الساكنة بالمدينة تطوراً سريعاً، ففي سنة 1936 كان عدد السكان لا يتعدى 474 منهم عدد من الأجانب خاصة بالمنطقة الساحلية، ليرتفع هذا الرقم إلى 2.600 نسمة سنة 1960 وتضاعف هذا العدد سنة 1971 ليصبح 4.942، لكن في الفترة الممتدة ما بين 1982-1989 عرفت الساكنة نوعاً من الاستقرار نظراً لتلاشي تيار الهجرة واعتبار بوزنيقة مجالا منعزلا حيث كان عدد السكان سنة 1982 هو 10.137 نسمة ووصل إلى 13.500 نسمة سنة 1989. ويعزى هذا الاستقرار إلى عامل فتح الطريق السيار الذي وضع بوزنيقة في أزمة ديموغرافية واقتصادية كما حرمها من الموقع الاستراتيجي الذي كانت تتوفر عليه داخل المحور الطرقي الدار البيضاء - القنيطرة.

تتراوح الكثافة السكانية ما بين 112 نسمة في الهكتار الواحد كأدنى تركز سكاني وتصل في أقصاها إلى 800 نسمة في الهكتار، وتعتبر المنطقة الاقتصادية الوسطى هي المغذي الأساسي لتيار الهجرة نحو مدينة بوزنيقة نظراً لقربها منها.

في سنة 1971 ارتقت بوزنيقة إلى مستوى مجال حضري حيث تتوفر اليوم على تجهيزات أساسية كالطرق والكهرباء والماء الشروب وشبكة التطهير وعلى شبكة من المرافق الإدارية المختلفة (دائرة، جماعة، قيادة، محكمة، مركزالدرك، قباضة)، بالإضافة إلى احتضانها لمجموعة من الخدمات الاقتصادية والاجتماعية (محطة قطار، مؤسستين بنكيتين، معمل فلين، تجهيزات تجارية، مكتب بريد، مستوصف، إعدادية وثانوية، 4 مدارس وفرعيات، صيدليتان، مركز للتكوين المهني، دار الشباب، وملعب لكرة القدم).

ارتكز نشاط الساكنة الاقتصادي على قطاع التجارة المرتبط أساساً بحركة المرور، ويتجلى ذلك في المحلات التجارية والسوق الأسبوعي ومحطات الوقود وبعض المقاهي والمطاعم. وقد شكل هذا القطاع 31.50٪ من اليد العاملة. وتعرض هذا النشاط بدوره لتراجع ملموس بعد فتح الطريق السيار. وهذا ما يفسر أن هذه الخدمات كانت موجهة لغير المحليين بل للعابرين.

وبالنسبة للوظيفة العمومية عرفت هي كذلك نسبة لا بأس بها 31.50٪ نظراً لارتفاع عدد المصالح الإدارية والمؤسسات الاجتماعية والمتدرسين في بوزنيقة. أما قطاع الصناعة فيشكل نسبة 20.80٪ ومع ذلك يبقى متواضعاً رغم وجود عدة مؤسسات صناعية كمعمل الفلين الذي يشغل حوالي 300 عامل ومعمل معدات الصباغة PRIMAR ومعمل النسيج SOFIMAT ومعمل صنع معدات تربية الدواجن، كل هذه المؤسسات تبقى عاجزة عن تعويض فرص الشغل التي افتقدت إثر فتح الطريق السيار، وأمام هذا المشكل تقرر إنشاء منطقة صناعية داخل المدار الحضري وتم تحديد موقعها بين الخط السككي والطريق السيار وهذه المنطقة تبلغ مساحتها 500 هكتار اقتنيت من الخواص بواسطة صندوق الإيداع والتدبير لكن هذا المشروع لم ينفذ أمام إلحاح الساهرين على إقليم بن سليمان للحفاظ على البيئة وامتداد المجال الأخضر وكذلك توجه المسؤولين عن بوزنيقة نحو سياسة إنشاء المركبات السياحية خاصة بالشواطئ.

أما على مستوى العمران فقد عرفت المدينة توسعاً كبيراً ابتداء من سنة 1964 إلى حدود 1968 في اتجاه الجنوب على الطريق المؤدية إلى بن سليمان بسبب خطورة الطريق الوطنية رقم 1 كما تم إبعاد السوق الأسبوعي نحو الجنوب بحوالي كيلوميترين وحل محله الحي الجماعي الذي أنشأته الدولة بمساعدة منظمة التغذية العالمية.

هذه الطفرة العمرانية مازالت مستمرة وبوتيرة سريعة ساعدها في ذلك البنية العقارية المتميزة للمنطقة بسبب شيوع الملكية الخاصة وغياب باقي أنواع الملكية. والمثير في الأمر أن القطاع العام لا يملك سوى 61.10 هكتار من مجموع الأراضي، أما الباقي فهو مسجل محفظ باسم الخواص. الشيء الذي فتح باب المضاربات العقارية وحال دون تطبيق التصميم العمراني للمدينة. كما تعرف التجمعات الصفيحية انتشاراً واسعاً خاصة في الشمال (دوار سيدي المعطي).

تظل بوزنيقة كباقي التجمعات المرتبطة بحركة المرور تسير بوتيرة سريعة نحو حياة التمدين ويبقى مصيرها مرتبطاً بالمحور الطرقي متأرجحاً بين فترات ازدهار وتلاش،

كما أنها في المدة الأخيرة عرفت بعض الانتعاش حيث بدأت تعرِّج عليها قوافل المسافرين خاصة الشاحنات.

أنوار حميد، *أشكال التوسع العمراني بمدينة بوزنيقة* ؛ جماعة بوزنيقة، المصلحة التقنية، *معلومات عامة* ؛ *الخريطة الطبوغرافية لمدينة بوزنيقة*، مقياس 1 / 50.000 ؛ *الخريطة الطبوغرافية لمدينة بن سليمان*، مقياس 1 / 50.000 ؛ *تحريات ميدانية*.

J.F., Troin, *Les Agglomérations routières du Maroc vers un nouveau mode de fixation des activités*, R. Méditerranée N^{os} 1 et 2, 1979.

محمد بلعربي

بوزوبع، أو بوزبع أسرة فاسية يظن أن أصلها من الأندلس، انتقل بعض أفرادها إلى تطوان في القرن الثاني عشر (18م) ثم انقرضوا بها. أما الفاسيون منهم فما زالوا بالحاضرة الإدريسية حتى اليوم.

بوزوبع، أحمد بن محمد التطواني، فقيه كان يزاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1780/1194 إلى سنة 1800/1215.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 28 ؛ 7 : 22 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 300 ؛ 7 : 242، 257 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

بوزوبع، أحمد بن محمد الفاسي، "الشيخ الوقور الخير العلامة المشارك المدرس. كان يدرس العلم بالقرويين ويقبل عليه الطلبة ويتنزل معهم حتى يفهموا الدرس مهما كان صعبا" (*سل النصال*).

درس على شيوخ عصره بفاس أمثال محمد القادري، وعبدالسلام الهواري، وعبدالعزيز بناني، والمهدي الوزاني، وأحمد بن الجيلالي الأمغاري، وأحمد بن الخياط.

كان إلى جانب التدريس يتعاطى التجارة في حانوت بالحرارين، ثم انتقل أولاده للتجارة بالدارالبيضاء فانتقل معهم، وكان يعقد هناك مجالس علمية للطلبة ولعامة الناس. ومن الآخذين عنه عبدالسلام ابن سودة الذي ترجم له في فهرس شيوخه *سل النصال*. وكانت وفاة أحمد بوزوبع بالدارالبيضاء في متم رجب عام 28/1354 أكتوبر 1935 ودفن بروضة أهل فاس هناك.

ع. ابن سودة، *اتحاف المطالع*، 1345 ؛ *سل النصال*، الترجمة 23.

بُوزوبع، محمد عبده، أديب ملتزم يهتم بقضايا المجتمع، وبخاصة حالة المستضعفين، ينظم الشعر الحر في مواضيع لا تخرج عن تصوير معاناة المحرومين، ونشر

ديوانين، *أوراق من الحرب السابعة*، صدر سنة 1985، و*حفريات في الصمت والحجر*، صدر سنة 1989.

توفي وهو مازال في ريعان الشباب في شهر ذي القعدة عام 1410 / يونيه 1990.

جريدة الاتحاد الاشتراكي، ليوم 20.6.90.

محمد حجي

بُوزوبع، مَحمد بن محمد بن علال، ولد بفاس عام 1346 / 1927، ونشأ في أسرة عرفت بانتمائها إلى الطائفة العيساوية، فقد كان والده رئيساً لهذه الطائفة بفاس، يحفظ مستعملاتها الغنائية، ويجيد استخدام آلات الوزن الضابطة للإيقاع كالبندير والطبلة والتعريجة والطبل وبوجناجل (بندير كبير الحجم له في حواشيه صفائح نحاسية).

تلقى الفنان مَحمد بوزوبع عن والده الأمداح العيساوية بزاوية الطائفة التي كانت تشغل جانباً من منزل جده. ولما شب أخذ يرتاد مجالس الفنانين ممن يمارسون مختلف فنون الموسيقى المغربية، فاستفاد من محفوظاتهم واكتسب القدرة على أداء الأغنية العصرية والموشحة الشرقية، والصنعة الأندلسية، والمقطوعة الدزيرية (الجزائرية). غير أن محفوظاته من طرب الملحون كانت أوسع وأغزر، الأمر الذي حدا به إلى الانقطاع، بعد وفاة والده، عن الزاويه العيساوية، والتحول إلى ممارسة هذا الفن، فانتظم في سلك مجموعة فنية كانت تضم من الشيوخ أمثال البقالي والزكيري ومحمد ابن جلون ومحمد بنغانم ومحمد بن الحبيب وإدريس العلمي ومحمد عمور والتهامي الهروشي والغالي الدمناتي والعيساوي الفلوس.

وقد استفاد مَحمد بوزوبع خاصة من هذا الأخير وتأثر بطريقته في الانشاد، كماتأثر بمحمد عمور في أسلوب عزفه.

وفي عام 1952 عين على رأس جوق الإذاعة الجهوية لطرب الملحون بفاس، الذي كان من أعضائه نخبة من الشيوخ فيهم من الحفاظ عبدالكريم گنون وعبدالمالك اليوبي، ومن العازفين على الكمان إدريس بن جلون وعلى العود العابد زويتن وعبداللطيف عمور، وعلى الگنبري محمد الغياتي ومحمد بن العربي وحميد الغزاوي.

دخل مَحمد بوزوبع تجربة النظم، فوضع خمس قصائد سجل بصوته إحداها بالإذاعة الوطنية عام 1961، وهي قصيدة "ليلى". غير أن المنية عاجلته سنة 1382 / 1962، فلم يتأت له تسجيل القصائد الأخرى التي توجد نصوصها الشعرية في حوزة ابنه الفنان محمد بوزوبع.

رواية شفوية عن أسرة المترجم بمدينة فاس.

عبدالعزيز بن عبدالجليل

بُوزُوگ، قرية بقبيلة گسيمَة تقع على بعد ستة كيلومترات من مدينة إنزگان على الطريق المؤدية إلى تارودانت، ويسكنها قوم من سملالة انجبوا فيها أسرة عالمة صالحة، منهم :

البُوزُوگي، أحمد بن محمد بن حماد السملالي الگسيمي، من طبقة العلماء المرموقين بما اشتهر به من تفوق في العلوم العربية والإسلامية، وما قام به من دور في تربية جيل من التلاميذ الذين قاموا بمتابعة رسالته في التربية والتعليم.

ولد بقرية بوزوگ عام 1860/1277 وفيها أتقن حفظ كتاب الله على يد ثلة من الأساتذة أمثال علي بن عبدالمالك الگسيمي وعمه محمد بن يحيى البوزوگي وعبدالله الرگراگي المزاري بالدشيرة. ثم تنقل بين عدة مدارس حتى أتقن علوم اللغة والفقه والتفسير، وعلم الفرائض والحساب والمنطق والبيان والأصول والعروض. وقد تخرج على يده صفوة من العلماء أمثال عبدالله البيبُوركي ومحمد أعبُّو الهشتوكي وأحمد أمزارگو السَّدالي وأحمد الجشتيمي.

وعقب ذلك تصدر للتدريس في عدد من المدارس العتيقة على هذا الترتيب :

- مدرسة بَوابُوض في متوّگة سنة 1895/1313.
- مدرسة تازَنْتون بإداوْتانان سنة 1902/1320.
- مدرسة سيدي ميمون في گسيمة سنة 1926/1345.

مدرسة سيدي بيبي في هشتوكة سنة 1927/1346.

- مدرسة أولاد داحّو في هوارة سنة 1928/1347.
- مدرسة دوار لوبّاير في هوارة سنة 1931/1350.

تولى أحمد البوزوگي القضاء في فترة وجيزة بتارودانت نيابة عن قاضي رودانة الفاطمي الشرادي، وتخرج على يده عدد من مشاهير فقهاء سوس منهم أحمد بن المصلوت الروداني الذي تولى التدريس بالجامع الكبير بتارودانت قبل خطة القضاء، والحاج مسعود بن أحمد الوَفْقاوي الشهير في مدرسة إغيلالن العلمية. وأحمد بن مبارك أُتِينْهَمُّو الهشتوكي المتصوف المشهور، والأحسن البعقيلي صاحب المؤلفات في التفسير والتصوف. كما تخرج على يده جملة من أبنائه وأحفاده، وبالخصوص ابنه الحسين الذي برع في الفقه والتفسير وخلفه في مدرسة لوبّايْر فهو المدرس والإمام في مسجدها الجامع حتى سنة 1380 / 1960.

من آثاره : مجموعة *فتاو* كتبها عندما قرّبه بعض القواد أمثال القائد عبدالمالك المتوّگي لما أصبح مدرساً في مدرسة بوأبوض، والقائد محمد بن الحاج الگسيمي، وكان يفتي في عهده مرغماً حتى أعفي هذا القائد في عهد الحماية. ومجموعة *قصائد* في موضوعات متنوعة. ونسخ بيده العديد من الكتب والدواوين، كما كان كثير الحفظ للآداب والتواريخ وأنساب الناس وتراجم الصالحين.

توفي خلال عمله بمدرسة لوبّاير بهوارة في 12 رجب عام 14/1365 فبراير 1946.

البوزوگي، مبارك بن محمد بن حماد الگسيمي شقيق أحمد المذكور قبله. ولد ونشأ بقرية بوزوگ، وبها تعلم القرآن والمبادئ الأولية خاصة على يد أخيه أحمد.

وفي أوائل الثلاثينات عند بداية عهد الحماية التحق بمدرسة إغيلالن بقبيلة مسگينة عند الشيخ الحاج مسعود الوفقاوي أخذ عنه مختلف العلوم.

وإثر تخرجه انتقل للتعليم بمدرسة سيدي ميمون بقبيلة گسيمة قرب قرية المزار لمدة محدودة، وانتقل في سنة 1922/1340 للاشتغال بمهام التدريس في مكان شيخه الحاج مسعود بمدرسة إغيلالن إثر مغادرته لها بسبب مضايقات تعرّض لها من قبل القائد محمد بن الحاج الگسيمي. وحينما أُعفي هذا الأخير من منصبه سنة 1924/1342 عاد الشيخ الحاج مسعود إلى محله ورجع الفقيه مبارك البوزوگي إلى مدرسة سيدي ميمون مرة أخرى حيث بقي يعمل بها ثلاث سنوات.

وفي سنة 1345 / 1927.26 عم الجفاف جميع أنحاء المغرب، وانتقل الفقيه البوزوگي مع طلبته إلى جامع أيت مُلُول على ضفة نهر سوس، فتحول هذا الجامع إلى مدرسة علمية. وفد عليها طلاب كثيرون للشهرة العلمية ولضمان الخصب بهذه الناحية لكثرة مياه نهر سوس الذي لا ينقطع جريانه ـ يومئذ ـ صيفا وشتاء.

وقد ذاع صيت الفقيه مبارك البوزوگي نتيجة مواصلة الجهود في الدروس العلمية وفي نشر التوعية الدينية. فكان ممن تخرج على يده وورث من علمه وأدبه الفقيه الحاج عبدالرحمان الحداد الإنزگاني ولم نطلع على إنتاج له باستثناء *قصيدة شعرية* في مدح الشيخ أحمد التجاني، إذ كان من أتباع الطريقة التجانية.

توفي مبارك البوزوگي عام 1937/1356.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 3 : 67.66 ؛ 8 : 237. 255 ؛ 18 : 43 ؛ 14 : 309. 311 ؛ 11 : 159 ؛ ر. المصلوت، *الفهرس العلمي*، ص 44. 117 ؛ م. الضوء السباعي، *رجالات گسيمة*، مخطوط ؛ *رواية شفوية* عن القاضي رشيد المصلوت، والفقيه محمد الضوء السباعي.

عمر أفا

ابن **بُوزِيان**، أسر ثلاث بالمغرب الشرقي، الأولى هي الأسرة التاغَجْيرتية الخالدية الإزناسنية، ويعرف أفرادها بأولاد الرامي، وهم فرع من بني مريسان من أهل تاغجْيرت التي تكوّن إلى جانب قبائل بني درار وأولاد الغازي مجموع قبائل بني خالد الإزناسنية.

دشرة أولاد الرامي تُدعى القنطرة لأنها تقع في ملتقى الطرق الجبلية المؤدية إلى عدد من المدن الصغيرة والقرى خاصة بركان وأحفير وتافوغالت وعين الصفا. وهي، أي الدشيرة، أقرب إلى هذه الأخيرة من غيرها مروراً بطريق الكاف أو الكهف، وقد كانت إلى بداية الاستقلال تضم حوالي اثنين وثلاثين كانونا منقسمة إلى أربعة بطون هي :

أولاد بوزيان وأولاد محمد وأولاد رمضان وأولاد مولود.

لم تستقر أسرة ابن بوزيان التاغجيرتية بوجدة استقراراً

نهائياً إلا ابتداءً من سنة 1953 بعد أن هيأ لها كبيرُها آنذاك الحاج ميمون بن محمد بن بوزيان الشروط المادية والمعنوية من سكن وغيره.

وهناك آل ابن بوزيان، أو أولاد بوزيان القبيلة الحمامية الدرارية الحالدية الإزناسنية، وهي قبيلة تسكن سهل أنكاد بني درار على بعد حوالي 20 كلم إلى الشمال من وجدة في اتجاه بركان، وهي فرع من أولاد الحمام العرب القادمين من كرت أو كرط غرب مرتفعات كبدانة.

يوجد عدد كثير من أولاد بوزيان هؤلاء بمدينة وجدة لكنهم يدعون حاليا بالزياني أو البُوزياني.

وأخيرا هناك أولاد بوزيان، الشرفاء الفگيگيون الوتدغيريّون، ويحملون كلهم اسم الميموني، كاسم عائلي أخذاً من اسم جدهم الأول ميمون بن علي بن يعقوب، كما حملوا كنية جدهم المتأخر بُوزيان بن حمادي بن المسعودي بن علي بن ميمون بن علي السابق الذكر.

ابن **بوزيان، الأخضر** أسرة وهرانية تغربت، كان جدهم بوزيان الأخضر يعمل برتبة قبطان في فرقة المغطسين Los Mogataces التي أنشأها الإسبان بوهران سنة 1734، وعندما سلمت الحكومة الإسبانية مدينة وهران إلى داي الجزائر يوم

29 ديسمبر 1791 انتقل بوزيان الآخضر ضمن جنود الفرقة المذكورة إلى سبتة حيث وافته المنية سنة 1817، تاركاً فيها أبناءه. واشتغل بعده ابنه بوزيان بن بوزيان الأخضر كضابط بنفس الفرقة إلى أن توفي سنة 1842. ثم حفيده بن بوزيان الأخضر عبدالقادرالذي كان يعمل كقبطان في نفس الفرقة سنة 1863. وممن يُذكر من آل بن بوزيان في تاريخ العلاقات المغربية ـ الإسبانية.

ابن **بوزيان، الأخضر عبد القادر** بن عبدالقادر المولود بسبتة سنة 1845. انخرط سنة 1860 في فرقة المغطسين التي أصبحت تسمى ابتداء من 23 أكتوبر 1861 فرقة رماة الريف Compania de Tiradores del Rif.

وفي سنة 1886 كان الحاج عبدالقادر بن بوزيان الأخضر المغربي الوحيد الذي رافق البعثة الاستعمارية التي أرسلتها إسبانيا إلى منطقة إيجيل في الصحراء المغربية كمترجم، وقد تم تحرير محضرين من طرف أعضاء البعثة يوم 12 يوليوز 1886 ينصان على أن سكان الناحية وأمراءها يقبلون حماية إسبانيا. وكان الحاج عبدالقادر بن بوزيان الأخضر من بين الموقعين على المحضرين (انظر إيجيل).

Arques-Gibert, *Los mogataces*, Ceuta - Tetuan 1928 ; J. Cervera, *Expedicion al Sahara : de Rio de Oro a Iyil, Rev. geografia comercial*, II, num. 25 - 30, Madrid, Julio-Septiembre 1886 ; F. Quiroga, *El Sahara occidental y sus moradores, Rev. geografia comercial*, II, num. 25 - 30, Madrid ; T. Garcia Figueras, *Santa Cruz de Mar Pequeña-Ifni-Sahara*, Madrid ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Por que reivindicamos Rio de Oro*, Rabat, 1966.

محمد ابن عزوز حكيم

بوزيان، الشاوي، برز في بداية القرن التاسع عشر كشيخ ذي نفوذ قوي وواسع على قبائل الكرارمة التي تشكل جزءاً من الأجزاء الخمسة التي تتكون منها قبائل الأحلاف ذات الأصل العربي المعقلي الهلالي والتي استقرت منذ زمن بعيد بجوار نهر ملوية وتوسعت في ضواحي تازا. وهي اليوم تستقر حول مدينة تاوريرت على ضفتي وادي زا.

بلغ الكرارمة في زمن الشيخ بوزيان هذا أوج عزهم وعظمتهم، إذ تمكن من جمع كل قبائل زا وملوية تحت إمرته، فاعتُرف به قائداً على المنطقة كلها إلى أن عينه السلطان المولى عبدالرحمان بن هشام عاملا على تازا حوالي سنة 1244 / 1828. ولما مات فَقَدَ الكرارمة ومن ورائهم كل الأحلاف قوتهم ونفوذهم.

بوزيّان، عبدالسلام بن أحمد، تعاطى التجارة بمسقط رأسه، وكان مكلفا بمهمات في النيابة بطنجة. ولما توفي الحاج محمد بنونة قنصل المغرب بجبل طارق سنة 1890 تولى هو مهام القنصلية إلى سنة 1906 حين خلفه محمد بن الحاج مرتيل التطواني.

ع. التازي، *سفارة عن السلطان مولاي عبدالعزيز إلى لندن* ؛ *البحث العلمي*، ع 29 ـ 30 ؛ *الوثائق المغربية* ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، 1 : 415 ؛ 4 : 1555.

مصطفى بوشعراء

ابن **بوزيان، محمد** بن عبدالرحمان بن محمد، الشيخ (مؤسس الطريقة الزيانية) يتصل نسبه بالشيخ عبدالله الغزواني دفين مراكش، ويكنى في الكتابات ابن زيّان ويدعوه العامة بَنْ بُوزيان القندوسي نسبة إلى القنادسة الواحة الواقعة على بعد حوالي 25 كلم إلى الجنوب الغربي من بشار.

وُلد الشيخ محمد بن بوزيان حوالي سنة 1062/1650 بتاغيت أحد قصور گومي على الضفة اليمنى لنهر زوسفانة. ودرس في سجلماسة على يد شيخه مبارك بن عبدالعزيز الغرفي إلى موته، ثم ارتحل إلى فاس فأخذ عن عدد من الشيوخ أمثال عبدالقادر الفاسي وعبدالسلام بن حمدون جسوس وأحمد بن العربي ابن الحاج وغيرهم. ثم

ظهرت له كرامات فخرج إلى القنادسة حيث أسس زاوية وأحدث طريقة صوفية استمدت تعاليمها واقتبست أورادها من الطريقتين الزروقية والجزولية.

أصبحت هذه الزاوية نقطة إشعاع وسط الصحراء، جذبت إليها الطلبة والمدرسين والمريدين من كل المناطق وانتفع بها خلق كثير، نذكر منهم الشيخ علي السوسي، إدريس المنجرة، محمد بن عبدالله التلمساني وغيرهم.

توفي الشيخ محمد بن بوزيان بالقنادسة سنة 1732/1145 ودفن بها بعدما أقعده المرض مدة وذهب بصره ومازالت زاويته قائمة هناك حتى الآن.

م. مرزاق، *الشيخ محمد بن بوزيان وزاويته بالقنادسة*، مرقون، د. د. ع. كلية الآداب بالرباط، 1988 ؛ وثائق محلية.

Voinot, *Oujda et Amala*.

محمد مرزاق

بُوزَيْتون، جبل يكوِّن جزءاً من جبل غرغيز الواقع بقبيلة بني حزمر الذي يوجد به منبع وادي هليلة، وعلو بوزيتون على سطح البحر 1209 م، وبه نصَّب الأمير محمد ابن عبدالكريم الخطابي سنة 1925 مدفعاً كان يقصف به مدينة تطوان إلى أن استطاع الإسبانيون الاستيلاء على الجبل المذكور يوم 22 شعبان 7/1344 مارس 1926.

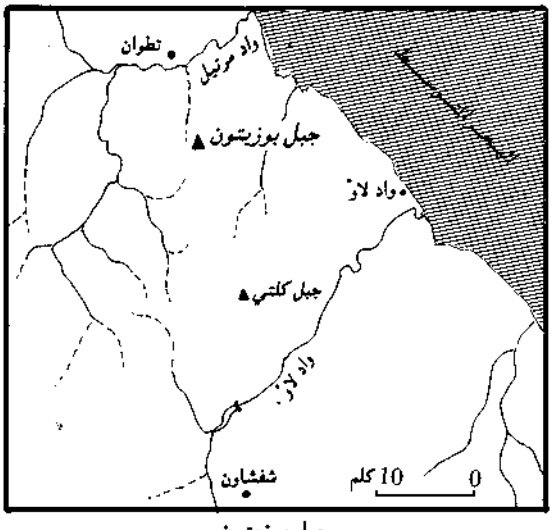

جبل بوزيتون

A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, p. 29 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, p. 69 ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos (protectorados y posesiones de España en Africa)*.

محمد ابن عزوز حكيم

بُوزِيد، أسرة تطوانية أصلها من إحدى قبائل جبالة وكان من بين أفرادها : عبدالله بن عبدالرحمن بوزيد، فقيه زاول خطة العدالة بتطوان من سنة 1780/1194 إلى سنة 1790/1204.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 28 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 28 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **بوزيد**، أو بَنْبُوزِيد أو ابن أبي زيد، ويُسقط عامة السلويين كلمة ابن أو يُبدلونها ميماً فيقولون "بوزيد" و"مْبُوزيد". أسرة سلوية نبيلة أصلها من قبيلة إداوْبُوزيَا فرقة حاحة، من ذرية الصالح الشهير عبدالله بن سعيد بن عبدالمنعم المناني الحاحي (ت 1603/1012) وأول من قدم منهم إلى سلا محمد بن عبدالله بن سعيد بن عبد المنعم حسبما في *تقييد* بخط العدل عبدالرحيم بن محمد بوزيد آتي الترجمة. ومعلوم أن عبدالله بن سعيد انتقل من مسقط رأسه بحاحة إلى زداغة بحدود الأطلس الكبير شمال تارودانت بأمر من الملك السعدي عبدالله الغالب. وقد يكون ولده محمد هذا أنف من الطلوع إلى الجبل فذهب إلى سلا، وذلك في أواخر القرن العاشر (16 م). وفي نفس *التقييد* المشار إليه آنفاً تسلسلُ نسب عبدالله بن سعيد بن عبدالمنعم إلى إدريس الأزهر عن طريق ابنه أحمد. ولم أر هذه النسبة الإدريسية فيما وقفت عليه من الكتب التي ترجمت لآل عبدالمنعم الحاحيين.

أنجب آل بوزيد السلويون كثيرا من الفقهاء والعدول والأمناء وكبار الموظفين في حكومة المخزن منهم :

ابن **بوزيد، إبراهيم**. فقيه أديب نسابة، كان مولعا بتقييد الأحداث والوفيات في *كناشة علمية* وقف عليها معاصره المؤرخ محمد بن علي الدكالي ونقل عنها، وعندي منها ورقات بخطه الجميل تتعلق بزاويتنا الحجية. ولا نعرف من خدماته المخزنية إلا أنه كان أمين المحلة السلطانية التي كانت تطارد الثائر بوحمارة، كما يوخذ ذلك من رسالة وجهها بهذه الصفة إلى عامل سلا عبدالله بن سعيد بتاريخ 4 صفر عام 10/1323 أبريل 1905.

ع.، *بن بوزيد، تقييد في نسب آل بوزيد السلويين*، بنقل أ. الصبيحي، *كتاب التراجم*، ص. 76 ؛ *معلمة المغرب*، 221 . 222 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 19 : 28 ؛ ع. ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، 1 : 331 (الهامش 433).

ابن **بوزيد**، أبو **بكر** بن مَحمد السلاوي باشا الدارالبيضاء قبل الاحتلال. وعلى الرغم من مساهمته في أحداث مصيرية، طبعت تاريخ المغرب المعاصر، لم نعثر له على ترجمة أو تعريف في الكتب التي اهتمت بأحداث تاريخ المغرب، خلال القرن الثالث عشر (19 م) والذي يليه.

نشأة ابن بوزيد : لا نعرف من هذه النشأة إلا أن الرجل ولد في أسرة سلاوية معروفة. وحصل على تعليم متين بمسقط رأسه، أهله لينخرط في سلك الفقهاء والعدول. ويرشح إلى وظيف مخزني هام. اشتغل في البداية في ميدان التجارة لحسابه الخاص في مسقط رأسه بسلا فاكتسب ثروة ونفوذا حتى عدّ من بين تجار سلا الذين مثلوا مدينتهم في بيعة السلطان مولاي الحسن. (*دورية الوثائق*، 3 : 124) كما أن الاشتغال بالتجارة، هيأ الرجل ليشغل وظيف أمين داخل المخزن. ففي سنة 1302 / 84 . 1885، كان أبو بكر بن بوزيد أحد أمِيني المستفاد بمدينة

مراكش.

وقد رشح ليتولى الأمانة بالدارالبيضاء بعد مراكش، وهو منصب لم يكن يرشح له إلا الأمناء الأكفاء. ثم ترقى إلى قيادة المدينة، الأمر الذي يدل على كفاءته ونزاهته. لأهمية المدينة الاقتصادية ونشاطها التجاري المتزايد، ووجود جالية أوربية كبيرة بها.

ومن الجدير بالملاحظة أن مصير القائد أبي بكر بن بوزيد ارتبط بمهامه الإدارية في مدينة الدارالبيضاء، فقد عُين سنة 1316 / 1898 في عهد الوزير أحمد بن موسى قائداً للدارالبيضاء وظل في منصبه إلى سنة 1318 / 1900، حيث كلف بوظيف الأمانة بديوانة المدينة. ويظهر أنه ظل في هذه الوظيفة إلى سنة 1323 / 1905، حيث نجد السلطان مولاي عبد العزيز يسند إليه من جديد قيادة الدارالبيضاء.

تدل هذه الثقة على أن أبا بكر كان حقاً من خيرة موظفي المخزن. ذلك أن ظروف اختياره لقيادة المدينة للمرة الثانية، ارتبطت باضطراب الأحوال بالشاوية، واشتداد ردود الفعل ضد التدخل الأجنبي بالمنطقة، وخاصة لما أعلنت مقررات ميثاق الجزيرة الخضراء في صفر - ربيع الأول 1325/ أبريل سنة 1906.

وقد ساءت علاقة القائد المغربي مع القنصل الفرنسي بالمدينة، وبالتالي مع المفوضية الفرنسية بطنجة، منذ صيف سنة 1906. ففي ذلك التاريخ كان المغاربة أعلنوا رفضهم لقرارات الجزيرة. وانتشرت الدعوات إلى الجهاد. وأقوى هذه الدعوات صدىً، ارتبطت بزيارة الشيخ ماء العينين لفاس في جمادى الأولى عام 1324 / يوليوز 1906 ودعوته لمقاطعة الفرنسيين بالشاوية والحوز.

وإذا علمنا أن زيارة ماء العينين للسلطان، كانت تهدف إلى تنسيق المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي للأقاليم الصحراوية الجنوبية، فهمنا عداوة الفرنسيين للشيخ وتدخلهم ضده في المناطق التي مر منها. فبمناسبة مروره بالشاوية، ادعى القنصل الفرنسي بالدارالبيضاء، أن أصحاب ماء العينين، حرضوا السكان ضد الفرنسيين وأنهم أساءوا لمصالحهم وتدخلت الهيئة القنصلية، بسعي من قنصل فرنسا، لدى العامل أبي بكر بن بوزيد، وطلبوا منه اتخاذ الإجراءات اللازمة ليغادر الشيخ وأصحابه منطقة الشاوية. ولم يكتف القائم بأشغال المفوضية الفرنسية بذلك، بل اتهم العامل بأنه لم يفعل شيئاً لحماية الفرنسيين من أصحاب الشيخ، وحشد كل ما استطاع من تهم كاذبة ضد قائد المدينة لدفع حكومته إلى التدخل ضد المخزن.

وبالفعل وافقت وزارة الخارجية الفرنسية، على تقديم احتجاج للمخزن، اتهمت فيه أبا بكر بن بوزيد بالسلبية وبعدم التعاون مع الهيئة القنصلية لمنع "اضطرابات الدارالبيضاء" المزعومة (*وثائق دبلوماسية فرنسية*، 15. 19 شتنبر 1906).

ولقد ازدادت علاقات عامل المدينة بالقنصل الفرنسي Malpertuy توتراً بمناسبة الدعوة إلى الجهاد التي انتشرت في قبائل الشاوية ونسبته إلى تحريض الشيخ البوعزاوي. ففي 15 أكتوبر 1906، كتب القنصل الفرنسي إلى المكلف بالأشغال الفرنسية بطنجة، يخبره بأن حركة عامة ضد الدارالبيضاء، تتهيأ عند القبائل المجاورة. وأنه لا يمكن الاعتماد على سلطة المخزن، لأن عامل المدينة، ابن بوزيد هو مثال "للموظف المتعصب" كما ظهر من تصرفه بمناسبة مرور الرجال الزرق أصحاب ماء العينين ودعا إلى العمل على عزله، لأنه يمثل خطراً على الأوربيين حسب زعم القنصل.

وهكذا تدخلت الهيئة الدبلوماسية بطنجة لدى النائب السلطاني الحاج محمد الطريس، ليتخذ المخزن "الاجراءات اللازمة لحماية الأوربيين بالدارالبيضاء". وأطلع المكلف بالأشغال وزير الخارجية الفرنسي بهذه التطورات، مؤكداً على رغبة قناصل الدارالبيضاء في عزل باشا المدينة وتعويضه بموظف آخر.

هكذا نلاحظ، أن الفرنسيين، انزعجوا، من الدعوات إلى الجهاد التي انتشرت في المغرب وأخذوا يتهمون كل مغربي يحب بلاده بالتعصب وكراهية الأجانب، كما فعلوا مع أبي بكر بن بوزيد. وبعملهم هذا، كانوا يهدفون إلى محاصرة التيار المعارض لتدخلهم ويضغطون على المخزن لحماية تدخلهم، وليعزل عامل الدارالبيضاء الذي لم تكن مواطنته وضميره يسمحان له بمسايرة قنصل فرنسا بالدارالبيضاء في جميع التأويلات التي يفسر بها تحركات المغاربة.

وبالفعل، كان السلطان مولاي عبدالعزيز على بينة من تصرف عامله بالدارالبيضاء فرفض عزله، بالرغم من تكرار المطالب الفرنسية بذلك، واصفاً إياه بأنه من أحسن الموظفين المخزنيين.

هيأ حادث مقتل تسعة عمال أوربيين، بمدينة الدارالبيضاء، في 30 يوليوز سنة 1907، الفرصة المنتظرة، ليشرع الفرنسيون في احتلال المدينة وبلاد الشاوية. كما منحهم الحادث المبرر ليتخلصوا من القائد بوبكر بن بوزيد، الذي طالما رفض الانصياع لرغبات القنصل الفرنسي.

في الواقع، لم تكن هناك تهم ثابتة تدين الرجل، لكن

المحتلين، عاملوه منذ البداية معاملة سيّئة. فقد كلفوه بمراقبة تسخير بعض السكان لتنظيف الأزقة والساحات، من الجثث التي تسببت فيها قنبلة المدينة ودفنها. ثم ألقي عليه القبض وحبس على ظهر بارجة القيادة.

وإذا تساءلنا عن التهم التي استندت عليها سلطات الاحتلال لحبس ابن بوزيد، لا نجد سوى ترديد لاتهامات عامة سابقة مثل معاداة النفوذ الفرنسي خاصة والنفوذ الأوربي عامة والتواطؤ مع سكان البادية.

وردت هذه الاتهامات في رسالة جوابية بعثها قائد جيش الاحتلال الجنرال درود Drude، من الدارالبيضاء إلى وزير الحربية الفرنسي. كما ورد في الرسالة أن حبس ابن بوزيد قد تقرر بالاتفاق مع القنصل الفرنسي، ومع قائد الأسطول الأميرال فيليبير Philibert.

وقد وجه القائد المغربي إلى مدينة وهران بالجزائر، وسمح لأحد خدامه بالركوب معه، لأن المحتلين قرروا أن يتكلف أبو بكر بن بوزيد بمؤونة نفسه.

والجدير بالذكر أن القائد المغربي أبدى صموداً جديراً بالملاحظة والاعتبار، فقد حاول معه الفرنسيون أن يزكي الرواية الفرنسية التي تتهم المغاربة بالبدء في إطلاق النار يوم 5 غشت فرفض. وتحمل الحبس والإبعاد على مسايرة المحتلين. وهذا موقف لم يقفه أي قائد آخر من قواد المنطقة الذين كان همهم المحافظة على مناصبهم ولو تحت ظل الاحتلال.

ومن حسن حظ بوبكر بن بوزيد، أن النائب السلطاني بطنجة الحاج محمد الطريس، هو الذي بادر بالدفاع عنه، ونبه المخزن إلى ضرر السكوت عما فعله المحتلون مع القائد ابن بوزيد. كتب النائب أولا للسلطان مبينا براءة الرجل، ومنبها إلى أنه من الإخلال بحقوق المخزن السكوت عما يتعرض له موظفوه من إهانات في بلادهم، وحتى لو ثبتت تهمة الرجل فالنظر يرجع للمخزن في معاملته بما يستحقه. وتدخل النائب مرة أخرى،ليلح على وزير الخارجية عبدالكريم بن سليمان لكي يتدخل لدى السلطان من "أجل استنقاذ هذا المسكين مما أصيب به، حتى يرجع لأهله سالما".

ويظهر أن المخزن المغربي تدخل في النهاية مطالباً الفرنسيين بتخفيف حبس الرجل، أو تقديمه للقضاء.وإذا كنا لا نعرف هل حوكم القائد المغربي أم لم يحاكم، فالمؤكد أن أبا بكر بن بوزيد قد أطلق سراحه بعد شهور من الحجز بالجزائر، دون أن ينال منه الفرنسيون شيئاً. ودون أن تثبت إدانته بشيء.

ويؤكد الذين عاصروا الرجل، وتعرفوا عليه هذه الحقيقة. فحسب بعضهم (الحاج العربي بن سعيد) إن أبا بكر بن بوزيد، حُمل للجزائر وسُجن ببوسعادة بضعة أشهر، ثم أطلق سراحه، ليعود إلى مسقط رأسه بسلا دون أن تلين قناته للفرنسيين.

وأكد البعض الآخر (الحاج أحمد معنينو) أنه كان "من الأحرار في الدولة العزيزية"، وأنه وقف وقفة الشهامة في معركة احتلال الدارالبيضاء فلم يطاوع الفرنسيين ولم يقبل اتهاماتهم للمغاربة.

وتجدر الإشارة في الختام إلى أن أبا بكر بن بوزيد، أصيب بدوره في كارثة هدم المدينة. لا في التضييق عليه وسجنه فحسب، بل في ضياع ماله ومتموله ونهب داره حسبما بيّن في رسائل وجهها إلى عبدالله بن سعيد الذي كان قد رشح في البداية لعضوية لجنة تعويضات الدارالبيضاء.

دورية الوثائق، 3 : 124 ؛ *وثائق الخزانة الحسنية، العهد العزيزي* ؛ *وثائق خزانة الحاج العربي بن سعيد السلاوي* ؛ أ. معنينو، *جلالة الملك عبدالعزيز*، دعوة الحق عدد 1، السنة 23. 1982، ص 110 ؛ ع. الخديمي، *حادثة الدارالبيضاء*، د. د. ع. 1985، ص 331. 337.

Archives de guerre conservées au Chateau de Vincennes, Paris, 3 H. 76 ; *Archives Etrangères*, Paris, N. S. T. 45 , p. 142 ; *Documents diplomatiques: Affaire du Maroc*, 3, 1907 - 1908.

علال الخديمي

ابن **بوزيد ، بنعيسى** السلوي، فقيه مشارك، مدرس نفاع، وهو الثاني، بعد القاضي العربي ابن منصور، في قائمة الفقهاء الملازمين للتدريس بالمدينة عام 1862/1279. ومن أشهر الآخذين عنه القاضي الخطيب محمد بن محمد السدراتي كاتب سفارة ابن سعيد إلى باريس.

عمل بنعيسى بن بوزيد عدلاً في نظارة الأحباس مع الناظر الحاج عبدالوهاب محبوبة، وما زال عقد شهادته في جزاء ساقية الماء الداخل إلى مدينة سلا، وهو مؤرخ في مهل محرم عام 20/1250 ماي 1834. وقد نفذ له الحسن الأول السكنى بدار الأمين جفالف، بعد موت هذا الأخير وتصفية تركته. وأقر السلطان عبدالعزيز أولاد الفقيه بنعيسى بن بوزيد على سكنى هذه الدار بظهير مؤرخ في سادس عشر ذي القعدة عام 11/1312 ماي 1895. الأمر الذي يدل على وفاة المترجم قبل هذا التاريخ.

رسوم عدلية قديمة عند العدل عبد النبي النجاري ؛ م. بوشعرة، *التعريف*.

محمد حجي

بوزيد ، الحسن بن محمد الخمسي، نسبة إلى قبيلة الأخماس على مراحل من شفشاون، مقرئ من حفاظ العشر. أخذ عن شيوخ القراءات بقبائل الجبل، في مقدمتهم : علي بن علي الحساني، ثم رحل إلى فاس فأخذ عن شيخ القراء بها محمد بن عبدالسلام الفاسي. ويذكر أنه لم يحدث بالبدور العشرة حتى ختم القرآن بجميعها نحواً من ستين ختمة وافية كاملة عرضا ودرسا، وأنه لم يكن يصحب وقت طلبها إلا من انتهت إليه في تحقيقها الرآسة الشامخة ؛ وكان مع ذلك في لسانه لكنة تمنعه من النطق الصحيح ببعض الحروف، يقول : "ومع شأني هذا، كانت لي في إخراج الضاد لكنة، حتى منّ علي واقي العباد من العناد بصحبة من لا يزال فؤادي بلوعة شوقه يقاسي، شيخي وأبي الروحي محمد بن عبدالسلام الفاسي ؛ سمّعني

تجويده بحسن نطقه، وكريم لفظه".

وقد رافقه في رحلته إلى فاس شقيقه علي، وكان من حفاظ السبع.

خلّف الحسن بوزيد مؤلفات في علم القراءات منها :

- تأليف في التجويد أسماه : *"تحفة ذوي الألباب، من القراء والكتاب"* - كتبه بالقنادسية - بلدة بالجزائر سنة 1788/1203.

- *روضة المقام، في مشهور الوقف على الهمز لحمزة وهشام*، فرغ من إنشائه بالزاوية الخمليشية بالريف في 3 شعبان عام 1796/1211.

م. الدليرو، م. بوخبزة، *فهرس مخطوطات خزانة تطوان*، قسم القرآن وعلومه ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*.

سعيد أعراب

ابن **بوزيد، سالم** الصحراوي مقاوم، ولد سنة 1334 / 1915 وكان قبل انخراطه في صفوف جيش التحرير يعمل كسّابا من البدو الرحل، واستقر بواد درعة بالصحراء المغربية، وفي سنة 1957 انضم إلى صفوف إخوانه المجاهدين وهو في الثانية والأربعين من عمره، ودافع عن مقدسات وطنه إلى أن لبّى داعي ربه في معركة "كسيكسو" الواقعة بجبال واركْزيز سنة 1959 وهو دفين "فم أدقان" بوادي درعة.

المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير، *كتاب الشهداء*، ج 3.

عزالدين العلام

بوزيد (سيدي -)، هناك أضرحة بهذا الاسم في كل من أسفي وبني ملال والجديدة. فسيدي بوزيد أسفي يوجد ضريحه بالحي الذي يحمل اسمه، وتكاد تنعدم المعلومات حول دفين هذا الضريح، يقال إن أصله من رگراگة، وإنه كانت توجد قديماً بالضريح تقاييد حول ترجمته غير أنها ضاعت. ذكره أحمد الصبيحي في *باكورة الزيدة من تاريخ أسفي وعبدة*، قائلا عنه : "من الصلحاء المشاهير، ولحسن موقع ضريحه خارج المدينة على شاطئ البحر في ربوة من الأرض يقصده أهل أسفي كثيراً للنزهة فتصرف لديه الأموال الطائلة في سبيل ترويض البدن وترويح النفس".

أ. الصبيحي، *باكورة الزيدة من تاريخ أسفي وعبدة*، مخطوط.

عبدالرحيم العطاوي

** وسيدي بُوزيد بني ملال، يظن أنه أبو زيد عبدالرحمن ابن إسماعيل الصومعي من رجال القرن العاشر (16م) كان عالماً صالحاً عاصر أحمد المنصور الذهبي وألف كتاباً في التصوف على غرار التشوف لابن الزيات سماه : *تشوف الراغبين إلى السادة الكرام المتصوفين، أو التشوف في السادات رجال التصوف*، ويعرف *بالتشوف الصغير* تمييزا له عن التشوف "الكبير" ليوسف ابن الزيات. وعلى غرار ما يحدث في بعض كتب التراجم يبدو أنه ألحقت به تراجم وأخبار متأخرة عن عصر المؤلف فظن بعضهم أن حياة سيدي بوزيد تأخرت إلى نهاية القرن الحادي عشر (17 م).

"يوجد ضريحه مهملا في المنحدر بين قصر عمالة بني ملال ووادي تامكنونت من ناحية القصبة الكبيرة في مقبرة متلاشية".

م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 506 ؛ م. عربوش، *من أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال*، 58 - 62.

محمد حجي

** وفي دكالة ضريحان يدعى كل منهما بسيدي بوزيد، الأول في بلاد القواسم ... يقال إنه عبدالرحمن أمغار من صلحاء تيط المشهورين. والثاني بضاحية مدينة الجديدة بعيد عنها بخمسة كيلومترات جنوباً والذي أصبح اليوم مُصطافا هاما.

وكل من هاتين القبتين تقعان على شاطئ البحر، وكان صيّادُو السمك يُكنُّون لهما كثيراً من التقدير والاحترام ويستمدون منهما العون والمساعدة عندما يتوجهون إلى البحر.

ويَعْتَبِرُ البعض أن كلمة "زيد" هنا ما هي سوى تحريف لكلمة "صَيْد"، أي أن عبارة "بوزيد" تتحول بسهولة إلى عبارة أخرى موازية لها هي "بوصَيْد" ؛ ومن جهة أخرى فإن مادة "صيد" هي التي أعطت عدداً من المدن أسماءها مثل "صَيْدُون" و "صَيْدَا" بلبنان. ولاغرابة في ذلك، فإن كل هذه المدن واقعة على شاطئ البحر، وكلها لها علاقة وثيقة بالصيد وبشؤون البحر.

ومن المعلوم كذلك أن من بين الآلهة الاسطورية التي كان اليونانيون يقدسونها، يوجد إلاهُ البحر الذي كانوا يسمونه (بُوصَيْدُون Poseidon) ؛ وكان موجوداً كذلك عند الرومان، باسم نبْتون Neptune، يمثلونه حاملاً حَرْبة مُثلّثة الأسنة، دلالةً علَى سلطته على البحر وعلى الرياح. ولم يكنْ مجهولا عند أهالي إفريقيا الشمالية قبل الإسلام، إذ أن البعض منهم كانوا يقدمون القرابين إلى (بوصيدون) وغيره، فحانون القرطاجي يقول في *الرحلة* التي قام بها حول المغرب في القرن السادس قبل الميلاد، ما يلي "...ثم توجهنا إلى ناحية الغرب، فوصلنا إلى لسان من أرض ليبيا (المغرب) تكتنفه الغابات ويُدعى سُولاييس Soloeis، وشيّدنا به معبداً لبُوصيدون".

ويؤكد ذلك سكيلاكس Scylax الاغريقي في *الرحلة* التي قام بها في القرن الرابع للميلاد بقوله إنه يوجد في المكان المذكور معبد عظيم مخصص لبوصيدون نُقشَتْ عليه وجوه آدميّة ورسُوم سباع ودلافين ويقال إن ذلكَ كان من صُنع ديدالسْ Dédale، المهندس اليوناني الذي يُنسَبُ إليه اختراع عدّة أدوات للنّحت والبناء، والذي بنى مَتاهةَ أقْريطشْ.

وعلى هذا، فمن الممكن اعتبارُ "مقامات" سيدي بوزيد التي توجد على شواطئ البحر من مخلفات تلك المعتقدات التي كانت سائدة في تلك العصور السحيقة، والتي مازالت ذكراها حية بصفة غامضة في أعماق بعض صيادي السمك.

م. الشياظمي، *حسن الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة*

(مخطوط) ؛ هيرُودُوت، نشر وترجمة جْزيل بالجزائر 1916.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens.*

محمد الشباطي

** يقع مركز سيدي بوزيد في الضاحية الجنوبية الغربية لمدينة الجديدة (5 كلم) على جرف يعلو الخليج الرملي الوحيد بالشاطئ الصخري الممتد إلى مولاي عبدالله (4.5 كلم) ثم إلى حدود الجرف الأصفر (12 كلم). وتربطه بتلك المراكز الطريق الثانوية رقم 121 والطريق الثلاثية الشاطئية رقم 1301 والسكة الحديدية (منذ سنة 1984) التي تستعمل لنقل الفسفاط من النواصر إلى الجرف الأصفر.

يقع سيدي بوزيد وسط منطقة عرفت تعميرا قديما، بين البربرية أومازيغن (الجديدة) والمركز التجاري الفينيقي أقدم رباط ساحلي بالمغرب (تيط، مولاي عبدالله). وينتمي حاليا إلى فخذة العبابْدة المنادلة التي تشهد نمواً سكانيا مطردا منذ سنة 1960، نظرا لمستواها الفلاحي ومحاذاتها مدينة الجديدة. أمام هذه الكثافة الريفية المرتفعة (150 ن /كلم^2) وحجم الدواوير المجاورة : الجعافرة المنادلة في الجنوب (284 ن) والبْحارة الشْعْبات في الشمال (766 ن)، يبدو سيدي بوزيد سنة 1982 مجرد قرية متواضعة من الناحية السكانية، يقطنها الأجانب والأطر بصفة خاصة بجانب الحراس والمشتغلين بالمؤسسات السياحية (30 أسرة و137ن).

إن هذا الرقم يتناقض مع التكهنات المرتبطة بمشروع ميناء الجرف الأصفر التي كانت تتوقع سنة 1990 عدداً يتراوح بين 5000 و10000 ن. إذ أن التقديرات كانت قد ارتكزت على مخلفات المشروع الضخم للتعبئة الحضرية والصناعية الممتد على مسافة 25 كلم تقريبا انطلاقا من مدينة أزمور والذي دشن سنة 1974. لقد شرع فعلا في تحقيق برنامجه سنة 1978 لبناء أكبر ميناء إفريقي استوطنت حوله صناعات فسفاطية وبتروكيماوية. إلا أن سير كل تلك المنشآت بكامل طاقتها لن يتم إلا بعد سنة 1992.

من الطبيعي إذن أن ينتظر تضاعف سكان مدن ومراكز المنطقة في ظرف وجيز، خصوصا وأنه روعي تجنب خلق مدينة بالجرف الأصفر بالنظر إلى التلوث الناجم عن المركبات الصناعية الذي يساهم حاليا في تقليص النشاط الزراعي والرعوي وبالتالي في الزيادة من الضغط الديمغرافي على المراكز الحضرية.

في التوصيات الملحة لكل خطط تصنيع وتعمير هذه المنطقة الحفاظُ على الطابع السياحي والاستجمامي الوطني الذي يظل النشاط السائد إلى اليوم بسيدي بوزيد، حيث تغطي 520 بنگلو ذات المعمار الجذاب 26 هكتاراً والمجمعات الاصطيافية 7 هكتارات في ملك مؤسسات عمومية وبنكية (المكتب الوطني للكهرباء، البنك المغربي للتجارة والصناعة، القرض الفلاحي، المكتب الوطني للسكك الحديدية...). كما يتوفر المركز على نزل مشهور بالمنطقة، وإذا كان المكتب الوطني للفسفاط يعتزم إسكان 8000 من مأجوريه في الجديدة (60٪) ومولاي عبدالله (20٪) وسيدي بوزيد (20٪) فإن المكتب الوطني للسكك الحديدية كان أول من عبر عن إرادة تخصيص ثلاثة هكتارات بالمركز لبناء بنگلات لموظفيه.

تجدر الإشارة إلى أن سيدي بوزيد يكون غاصا في فصل الصيف بالمصطافين والزوار الذين يقدر عددهم بحوالي 10.000 ن، لكنه يفتقر إلى كثير من التجهيزات التحتية الاقتصادية والاجتماعية. حيث أصبح يزود بالماء الصالح للشرب بواسطة قناة ممتدة من سد الدورات بعد أن كان يزود بخزان الجديدة، غير أن الأرضية الحثية والقشرة الكلسية تتطلبان استثمارا وجهدا كبيرين لمد قنوات الماء الحار.

لقد وضع المخططون الحضريون ثلاثة أنواع مختلفة من الإسقاطات المجالية للتطور الحضري والصناعي بالجديدة، كلها في ارتباط وثيق بنمو مركز سيدي بوزيد. والنوع الذي وقع عليه اختيارهم هو الذي يأخذ بعين الاعتبار التطور العفوي الحالي للمدينة. ذلك أن الجديدة تمتد نحو الجنوب الشرقي والوسط الشمالي والجنوب الغربي إلى حدود دوار الشعيبات. وسيفصلها عن سيدي بوزيد الذي يتوسع بين البحر والطريق الشاطئية منتزه إقليمي متعدد الأنشطة، ومنطقة فلاحية خفيفة مثل التي تعزله عن مولاي عبدالله.

يشترط هذا البرنامج العمراني توفير مائة هكتار إضافية بسيدي بوزيد لإنعاش السياحة وإقامة تجهيزات متنوعة وتنمية السكن، ويرتقب توزيع المساحات المستحدثة على أربعة قطاعات، إذ سيتم خلق مناطق خضراء بجانب المتاجر الحالية في الوسط (3 هـ) ويتعلق الأمر بحديقة قرب منطقة الخدمات وبمغروسات تزيينية على المنحدرات المشرفة على الشاطئ (4 هـ) وبشريط مشجر عرضه 150 م على طول الطريق الثانوية رقم 121 إلى حدود المنتزه الإقليمي، وستتم إقامة منشآت تجارية وترفيهية وخدمات متنوعة في المنطقة الوسطى (8 هـ). كما ستتوسع المساحة السكنية على 16 هـ من الڤيلات الكبرى (1000 م^2) و17 هـ من فئة البنگلات، وأخيرا تم اقتراح تدعيم قطاع الفنادق والمجمعات الاصطيافية بحوالي 3600 سرير على 36 هكتار.

M. Ayad, *L'organisation de l'espace rural dans le plateau d'El Jadida et le Sahel d'Azemmour*, D. E. S., Rabat, 1982 ; *El Jadida, plan urbain*, 1/10.000, Direction de la Conservation Foncière et des Travaux Topographiques, IGN, Rabat, Paris, 1977, M. H. A. T., SCET, *Schéma-Directeur d'Aménagement Urbain du Grand El Jadida, Rapport de synthèse*, 1983 ; M. H. E., CERF, *Schéma d'Armature Rurale, Région du Centre*, Rabat, 1972.

مصطفى عياد

ابن **بوزيد، الطيب** بن عبدالقادر السلوي. فقيه عدل خطيب صوفي من أعيان الزاوية التجانية الملازمين لها، عاش منتصبا لتلقي الشهادات وكتابتها في حانوت ما زالت تعرف باسمه حتى اليوم، تقع في ملتقى سوق القشاشين وطريق سوق الغزل، وينفتح أمامها مباشرة سوق الجزارين وجامع مولاي سليمان. كان يخطب بجامع سيدي

أحمد حجي ويقوم بالنيابة عن قاضي المدينة عبدالقادر التهامي الوزاني، ومات أثناء عقد معاوضة عقار حبسي بباب سبتة بعد أن ورد ظهير محمد الخامس بالإذن في ذلك وحضر الطيب بن بوزيد السمسرة نائبا عن القاضي التهامي، وعند إتمام عملية المعاوضة يوم 14 ربيع الأول عام 9/1349 غشت 1930 كان قد قضى نحبه.

ابن **بوزيد، عبدالرحمن** بن مسعود الحاحي النكنافي نشأ وتعلم مبادئ اللغة والدين بقبيلته نكنافة الحاحية، ثم انتقل عام 1280 / 1863 إلى فاس لطلب العلم، فأخذ عن شيوخها، ثم استوطن ثغر الصويرة وصار إمام الزاوية القادرية ومدرس العلم بها وخطيب جامع القصبة. قال في حقه صاحب *إظهار السريرة* : "كان أحد العلماء المحققين، ومهرة المفتين، غير أن لسانه البربري كان لا يطاوعه على الإفصاح عما في ضميره من العلوم العربية، حتى كان لا يحضر دروسه إلا القليل من الطلبة ولكن قلمه يفصح عن غزارة علمه واطلاعه وتحقيقه".

أُسند إليه قضاء قبيلته نكنافة بظهير مؤرخ في فاتح شوال عام 1301 / 25 يوليوز 1884، ثم استعفى من هذا المنصب فأعفي بظهير مؤرخ في 5 صفر عام 1304 / 23 أكتوبر 1887 ورجع إلى الصويرة للقيام بالإمامة والخطابة والتدريس. وفي عام 1311 / 93. 1894 نفذت له دار مخزنية يسكنها بأمر سلطاني، وما زال مقبلا على شأنه منقطعاً للعبادة والتدريس ونسخ الكتب دون كلل أو ملل، حتى إن معظم ما في خزانته من كتب بخطه.

توفي بالصويرة يوم السبت خامس ربيع الأول عام 1330 / 24 فبراير 1912. ودفن بضريح سيدي مكدول.

م. الصديقي، *اظهار السريرة*، 121. 123.

ابن **بوزيد، عبدالرحيم** بن أبي بكر باشا الدار البيضاء. من المتعلمين السلويين السباقين إلى ولوج المدارس العصرية. أنهى دراسته بثانوية مولاي يوسف بالرباط وتكون تكويناً بيداغوجياً فأصبح معلماً للغة الفرنسية في عدد من المدن، وأخيراً أسندت إليه إدارة مدرسة السور بسلا (مدرسة أبناء الأعيان سابقاً) فكان مثال المدير الحازم والمربي الخبير.

توفي بمسقط رأسه في 25 رجب عام 1405 / 16 أبريل 1985.

ابن **بوزيد، عبد الرحيم بن محمد**. كان منذ صغره معدودا من نجباء طلبة مدينة سلا، وبهذه الصفة أدرج اسمه في قائمة الفقهاء والطلبة الذين خرجت لهم صلة سلطانية قبل عام 1862/1279 ورقمه فيها 30. وقد انتصب لتلقي الشهادات وكتابتها في سماط العدول، وهو صاحب *التقييد* في نسب البوزيديين. آخر ما وقفت عليه من شهاداته تعريفه بعلامة العدلين الفقيه الأمين الحاج محمد بن أحمد جغالف ورفيقه الفقيه محمد بن علي السوسي، بتاريخ 25 ذي الحجة عام 23/1306 غشت 1889.

ابن **بوزيد، عبد السلام**، من فقهاء مدينة سلا وعدولها ونجباء طلبتها يوجد اسمه تحت رقم 50 في وثيقة الصلة السلطانية المشار إليها أعلاه.

ابن **بوزيد، العربي** بن عبدالسلام، من كبار تجار مدينة سلا ووجهائها الذين وجه إليهم تحذير سلطاني بعدم التعامل مع ولاة المخزن من عمال وأشياخ ومن في معناهم مع التذكير بالأوامر الصادرة في هذا الشأن من مختلف السلاطين. ووقع الاشهاد عليهم في ثالث شعبان عام 26/1318 نونبر 1900.

ابن **بوزيد، علي** بن الطيب بن عبدالقادر، من آخر وجهاء هذه الأسرة بمدينة سلا، درس على والده ومن في طبقته من فقهاء سلا، وبرع في الكتابة وجودة الخط،

فانخرط في مقتبل العمر في الخدمة ببنيقة الأحباس في دار المخزن، وظل يعمل بها إلى أن توفي بمسقط رأسه في 20 ذي القعدة عام 1404 / 18 غشت 1984.

ابن **بوزيد، محمد بن إبراهيم** من فقهاء مدينة سلا وعدولها، كان له حس تاريخي كأبيه واعتناء بتسجيل الأحداث. وهو الذي أمد عمي إدريس بن عبدالهادي حجي بأوراق من *كناشة* والده العلمية تتعلق بالزاوية الحجية.

آخر ما وقفت عليه من شهاداته رسم مؤرخ في 13 جمادى الاولى عام 25/1353 غشت 1934. ولعله المقصود في *كناشة عمر عواد العلمية* (ص 7) بالفقيه محمد بن بوزيد المتوفى في متم شوال عام 19/1360 نونبر 1941.

ابن **بوزيد، محمد بنعيسى**، هكذا يوقع اسمه في غير ما رسم من الرسوم التي شهد فيها بدون كلمة "ابن" بين محمد وبنعيسى، ويكتب كنيته أحيانا : ابن أبي زيد. لذلك ظننت أنه غير محمد بنعيسى المترجم بعده. وآخر شهادة له وقفت عليها بتاريخ 21 رجب عام 1241/فاتح مارس 1826.

ابن **بوزيد، محمد بن بنعيسى**. هو غير السابق، معدود من فقهاء مدينة سلا المدرسين، وعدولها المبرزين. ذكر اسمه مرتين في قائمة علماء المدينة المكتوبة قبيل عام 1862/1279، الذين خرجت لهم صلة ملكية. فهو الثامن والثاني عشر في القائمة بصفته من الفقهاء الملازمين للتدريس.

ابن **بوزيد، محمد بن الطيب**، من طلبة مدينة سلا النجباء، فهو السابع والثلاثون في قائمة الطلبة والفقهاء الذين نفذت لهم صلة ملكية قبل عام 1862/1279.

ابن **بوزيد، محمد بن محمد** (الحاج.) من تجار مدينة سلا ووجهائها الذين رشحهم القائد محمد بن سعيد لمنصب أمين مرسى أسفي والعرائش. (رسالة القائد إلى السلطان في 17 رجب عام 28/1294 يوليوز 1877) وهو من كبار التجار الذين وقع الاسترعاء عليهم حتى لا يعودوا إلى التعامل مع ولاة المخزن وأشهد عليهم بذلك في 3 شعبان عام 26/1318 نونبر 1900.

ابن **بوزيد، مصطفى** بن عبد الرحيم بن محمد، فقيه ناسك عاش عيشة عفاف وكفاف. لم يشغل وظيفة قط حتى استنابه رفيقه في الطلب الفقيه الأستاذ أحمد بن الحسن ابن إسماعيل، حين مرض، في الإمامة بمسجد سيدي أحمد حجي، فلم يقبل هذه النيابة إلا بعد لأي. ولما توفي الفقيه ابن إسماعيل في سادس ذي القعدة عام 1356 / 8 يناير 1938 صار مصطفى ابن بوزيد إماماً راتباً بمسجد سيدي أحمد حجي في الصلوات الخمس وواعظاً فيه قبيل صلاتي الظهر والعصر، وخطيباً بالنيابة أحياناً، وظل قائماً بكل هذه المهام الدينية بانتظام دقيق إلى أن جاءه اليقين في حدود عام 1390 / 1970.

ابن **بوزيد، الهاشمي**. فقيه مدرس بمساجد سلا، وعدل منتصب للشهادة في السماط. واسمه هو الخامس والأربعون في قائمة فقهاء المدينة الذين حظوا بالصلة الملكية قبيل عام 1862/1279.

ع. بوزيد، *تقييد في نسب آل بوزيد السلويين*، بنقل أ. الصبيحي في مسودة كتابه في *التراجم*، ص 76 ؛ *معلمة المغرب*، 221. 222 ؛ *رسوم عدلية قديمة* عند العدل عبدالنبي النجاري السلاوي ؛ أ. الصبيحي، *مختصر تاريخ سلا*، مخطوط خ. ص، ص 87 ؛ م. بوشعرا، *ملاحق الاتحاف الوجيز*، 151 ؛ التعريف، 2 : 45. 234 ؛ *معرفة شخصية وروايات شفوية*.

محمد حجي

البوزيدي، أحمد بن محمد بن عثمان، لا ندري إلى أي بلد ينتمي هذا المقرئ من تلاميذ عبدالرحمان بن القاضي، له مؤلفات في علم القراءات، منها :

1 ـ *تسهيل العسير، في قراءة ابن كثير*، فرغ منه في شهر ربيع الثاني عام 1673/1084 أدمج في هذا الكتاب قصيدة له في حكم ياءات الإضافة، كان نظمها قبل. وألحق به كذلك أبياتا ضمنها ما خالف فيه ابن كثير نافعا في الوقف.

2 ـ *لامية في رسم القراء السبعة* جعلها *تكملة لمورد الظمآن*، تأليف الخراز.

3 ـ *شرح على رسم ابن كثير*، لعل كتاب الرسم هذا لشيخه ابن القاضي.

4 ـ *الرقيا، لرسم أبي العلا*، قصيدة لامية في 80 بيتا.

5 ـ *لامية في اختلاف القراء في الوقف والوصل*، نظم فيه كتاب شيخه ابن القاضي.

لم نقف على تاريخ وفاته، وهو طبعاً من أهل القرن الحادي عشر الهجري(17 م).

م. الدليرو، م. بوخبزة، *فهرس خزانة تطوان*، قسم القرآن وعلومه ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*.

البوزيدي، محمد بن أحمد السلماني، نسبة إلى بني سلمان إحدى قبائل غمارة الوسطى، من شيوخ التصوف المربين، اشتغل أولا بتجويد القرآن وكان شبه ورده، ثم تجرد للسياحة والعبادة سنين إلى أن اتصل بالشيخ العارف مولاي العربي الدرقاوي، فتتلمذ له مدة ست عشرة سنة حتى رشّده وأذن له في التربية، وكان يقول له : أنت خليفتي حيا وميتاً، فأسس زاويته بموقع يدعى أبا سلامة في قرية تَلاوُذْمام مسقط رأسه، وكان له أتباع ومريدون كثيرون، ولا تزال زاويته هذه قائمة العين إلى الآن، يشرف عليها بعض حفدة الشيخ أحمد بن عبدالمومن التجكاني بوصية منه.

ومن أبرز تلاميذه : العالم العامل أحمد ابن عجيبة اللنجري التطواني، الذي عاش بهذه الزاوية ردحا من الزمن، وكان من خدامها الأوفياء، وقصته مع شيخه البوزيدي من غرائب الأمور. عالم بطيلسانه يحسن أزيد من خمسة وعشرين علما، درّس بمساجد تطوان ست عشرة سنة أو تزيد، يتتلمذ لشيخ بدوي ثقافته محدودة، يتحكم فيه تحكم الغاسل في ميته، فيأمره أن يتجرد من كل شيء، ويعلق في عنقه جرابا كبيراً وسبحة طويلة، يقف في الأسواق وعلى أبواب مساجد تطوان مع العجزة والعميان، يمد يده بالسؤال ويقول : من يعطي شيئا في سبيل الله ...؟

وهذا غاية في قتل النفس، وكبح جماحها ورعونتها، ثم يهجر داره وأهله وذويه، ويخرج إلى البادية لخدمة الشيخ، ويبيع جل ما يملك فينفقه عليه وعلى مصالحه، وظل ابن عجيبة في خدمة الشيخ البوزيدي إلى أن فرق الموت بينهما، وكانت وفاة التلميذ قبل موت الشيخ بسنوات، فأقبره بيده. وقرأ عليه : *(يأيتها النفس المطمئنة ارجعي*

إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي، وادخلي جنتي).

لم يكن ابن عجيبة التلميذ الوحيد للبوزيدي ـ كما أسلفنا ـ بل كانت هناك جماعة وافرة، أكثرهم من قبائل الجبل وخصوصا اغمارة، وقد كتب إليهم في بعض رسائله يقول وهو يحدد لهم منهج مدرسته وطرق تربيته :

"وبعد : فطريقته الصوفية مبنية على ثلاثة أصول :

الصدق، والخروج عن النفس، الخروج عن المال.

فالصدق أساس، والخروج عن النفس سور، والخروج عن المال سقف، فالصدق هو امتثال كل ما يشير به عليه، والخروج عن النفس هو خروجها عن جميع العوائد. ومنها جميع اللذائذ لشهوتها الفانية، ومن العوائد المبالاة بالمخلوقات، وحب الجاه، وحب الرفعة، وحب العز، وحب الغنى، وحب المدح. وسبب العوائد كلها : حب الدنيا الساكن في القلب لا غيره، ولو خرج حبها لامتلأ القلب بنور الله، ولكان العبد عبداً لله، ولشهد سر الله ...".

وفي أخريات حياته انتقل الشيخ البوزيدي إلى سهل تيجيساس بقبيلة بني زيات حيث أسس زاوية ثانية هناك، وظل بها إلى أن توفي ليلة الأحد تاسع محرم عام 1229/ فاتح يناير 1814.

وصيته : توجد وثيقة عدلية مؤرخة بأوائل رمضان عام 1228 أي قبل وفاته بسنة، تشهد بأن الشيخ أوصى بكل ما يملك عدا ما ورثه عن أبويه على أنه حبس مؤبد، ووقف مخلف على الفقراء المتجردين المنقطعين إلى الله في الزاويتين، إحداهما بأبي سلامة بقبيلة بني سلمان،والأخرى بتيجيساس ببني زيات، وهي أحباس كثيرة تدر غلات وافرة.

من آثاره :

الآداب المرضية، لسالك طريقة الصوفية.

مجموعة رسائل.

رائية في آداب السلوك.

تائية في الخمرة الأزلية، وقد شرحها تلميذه ابن عجيبة.

م. البوزيدي نفسه، *الآداب المرضية*، مخطوط خ. ع ؛ *مجموعة رسائل*، مخطوط خ. ت ؛ ابن عجيبة، *شرح تائية البوزيدي*، مخطوط خ. ت ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين* ؛ م. داود، *تاريخ تطوان* ؛ ع. الصغير، *إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 18 و19* ؛ ع. بوخزار، *تقييد عن أعلام قبيلة بني سلمان* ؛ س. أعراب، *وثائق خاصة*.

سعيد أعراب

بوزيري (أولاد ـ)، قبيلة مشهورة ضمن اتحادية الشاوية تنتمي إلى مجموعة أولاد بورزق التي تضم قبائل المزامزة وأولاد سعيد وأولاد سيدي بنداود وگدانة. وهي القبائل التي تمثل الشاوية الجنوبية، تقع أراضي أولاد بوزيري جنوب قبيلة المزامزة، ويحدهم من الغرب أولاد سعيد ومن الجنوب وادي أم الربيع وبني مسكين ومن الشرق أولاد سيدي بنداود.

أصول أولاد بوزيري فيها اختلاف مثلهم في ذلك مثل أولاد سيدي بنداود. ويظهر أن العناصر الأولى للقبيلة من أصل صنهاجي ينتمون إلى زيري بن مناد الصنهاجي، مؤسس دولة صنهاجة.

وعلى كل حال فأولاد بوزيري كسائر قبائل الشاوية لا يمكن الجزم بتحديد أصل معين لها وربما كانت ذات أصول مختلفة فهناك عناصر بربرية لاشك فيها، مصمودية وصنهاجية، استعربت واندمجت في الموجات العربية التي استقرت فوق أراضي تامسنا خلال قرون عديدة.

وصف العربي العزوزي أولاد بوزيري بخفة الروح وسرعة الانتقام وبالكرم والشجاعة والشهامة. وقد اشتهروا خلال القرن الثالث عشر (19 م) بصعوبة الانقياد إلى حكامهم المحليين، الأمر الذي جعل المخزن يولّي عليهم عدداً من القواد. وتجدر الإشارة إلى أن انتفاضة الشاوية انطلقت من أولاد سعيد وأولا بوزيري في البداية. وأن أولاد بوزيري قاموا بجهد كبير في جهاد الشاوية، فقد شاركوا في حصار الفرنسيين بالدارالبيضاء، وخاضوا معظم المعارك حول المدينة وحول سطات، وظلوا حاملين لواء الجهاد إلى آخر لحظة. كما انضموا لمولاي عبدالحفيظ وكانوا مع أولاد سيدي بنداود والمذاكرة والأعشاش آخر من استسلم للفرنسيين.

ينقسم أولاد بوزيري إلى قسمين كبيرين : أولاد بوزيري الغرابة، وأولاد بوزيري الشراگة. وقدرت استخبارات جيش الاحتلال الفرنسي عدد خيامهم حوالي سنة 1914 كالآتي : أولاد محمد : 155 خيمة ، أولاد عمران : 185 خيمة، أولاد يسف : 182 خيمة، التوامية : 108 خيمة، مليتة : 110 خيمة، أولاد حفيف : 300 خيمة، الطوالات : 346 خيمة، الربعة : 170 خيمة. المجموع = 1553 خيمة.

تتميز قبيلة أولاد بوزيري بوجود عدة قصبات فيها، أشهرها قصبة بني جدادة وهي مركز القبيلة. كما يوجد بها عدة أضرحة ومزارات أشهرها : ضريح سيدي بودرگة، الذي ينتسب إليه درقاوة، وأصله من بني زروال. كما يوجد بالقبيلة مكان يقدسه اليهود ويعرف "بضاد Dad" يقال إنه اسم لأحد أحبارهم وفد من المشرق ودفن هناك بالقبيلة.

ع. العزوزي، *نشر المحاسن والمآثر*، مخطوط ؛ التقي العلوي، *أصول المغاربة*، مجلة *البحث العلمي* عدد 33، ص. 123.

Villes et Tribus du Maroc. Casablanca et les Chaouia.

علال الخديمي

بوزيري، قرية بشمال المغرب في الحد الجنوبي لجبالة، عند اتصال قبيلة مصمودة بقبيلة بني مالك. وهي الآن دوار من فخذة وادي زاز، جماعة امْزَفْرُون، دائرة وزان. وتبعد الدوار عن مدينة وزان بحوالي اثني عشر كيلومترا على خط مستقيم نحو الغرب، على مقربة من الطريق الثلاثية المؤدية إلى الطريق الرئيسية رقم 23 الرابطة بين وزان وسوق

أربعاء الغرب.

يكون بوزيري قد تجنب إفريز تل ظهر ابن حمرا الذي يبلغ أوجه في علو 457 م. باتخاذه موضع درجة طبغرافية على ارتفاع معدله 300 م، ويتكون كباقي تلال المنطقة من طَفْل وزان الباليُوسيني الذي تعلوه محليا صخور صلبة مِيُوسِينية من الحَتّ والرصيص والتي تأخذ أحياناً كل عوارض. ووجود الصخور غير المنفذة في القاعدة مكّن من بزوغ عدة منابع تغدي عالية أحد روافد وادي زَاز الذي يصب مباشرة في لكوس.

إن الكثافة السكانية المرتفعة في جلّ أنحاء تلال ما قبل الريف تتناقض ومحدودية إمكانيات العيش المتوفرة. ذلك أن معدل كثافة جماعة امْزَفْرُون الذي يتعدى 100 ن/كلم² والنمو البطيء في عدد سكان قرية بوزيري، من 778 نسمة سنة 1971 إلى 852 نسمة سنة 1982، يعكسان بوضوح مدى الإشباع السكاني الذي تعرفه المنطقة، بالنظر إلى الاقتصاد الفلاحي المعاشي المرتكز عليه بالدرجة الأولى.

اتخذت قرية بوزيري، لتجاوز الظروف المحلية غير الملائمة ولتنويع الموارد الممكنة، بنية متجمعة وشكلا مديداً عند التقاء ثلاثة رساتيق أساسية. إذ تمثل قمم التلال المكسوة بالأحراش وبالحافة الشرقية من غابة الرمل الفلينية مرتعا للرعي الخفيف، وتحمل السفوح العليا البقع الأخيرة من زياتين اجبالة، وتستغل السفوح الوسطى والسفلى في زراعة الحبوب المقلالة (شعير وذرة) رغم وفرة التساقطات (600 ـ 777 مم سنويا) الكافية لإقامة زراعة بعلية.

مديرية الإحصاء الرباط، *السكان القرويون حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1971 و1982 ؛ أطلس المغرب*، نشر اللجنة الوطنية الجغرافية المغربية، الرباط ؛ مجموعات *خرائط حوض سبو*، وزارة الفلاحة والاصلاح الزراعي، الرباط، 1970 ؛ *أطروحة* Fay. 6.

مصطفى عياد

البوزيري، أسرة علمية بيضاوية، أصلها من قبيلة أولاد بوزيري الشاوية في ضواحي مدينة سطات. انتقل أفراد منهم في أوائل القرن الرابع عشر (20 م) إلى مدينة الدارالبيضاء، فكان منهم بها مدرسون وعدول وغيرهم.

البوزيري، أبو بكر بن بوشعيب الشاوي، درس بمسقط رأسه على والده وغيره، ثم انتقل إلى الدارالبيضاء مع من انتقل إليها من أهله، وكان "عالما مدرسا". من الآخذين عليه أخوه الشيخ محمد البوزيري آتي الترجمة.

توفي بالدارالبيضاء عام 1343/24 ـ 1925.

البوزيري، بوشعيب بن محمد بن عزوز الشاوي، أستاذ قرية بني جرادة وفقيهها، قال في حقه ولده وتلميذه محمد البوزيري آتي الترجمة بنقل صاحب *الإتحاف* : "كان علامة مدرسا".

توفي بمسقط رأسه في ضاحية سطات في شهر رمضان عام 1354/ نونبر ـ دجنبر 1935.

البوزيري، محمد بن بوشعيب بن محمد عزوز الشاوي. ولد بقصبة بني جرادة من قبيلة أولاد بوزير بضاحية مدينة سطات حوالي عام 1316/98 ـ 1899، وبها حفظ القرآن الكريم، وأخذ مبادئ اللغة العربية والدين عن والده بوشعيب سابق الترجمة. وعن عمه مَحمد ـ فتحاً ـ البوزيري، وبلديّه الشيخ محمد بن عبدالكبير الإسماعيلي البوزيري، وعلى الشيخ أحمد بن محمد العوني الدكالي وغيرهم، ثم انتقل إلى فاس عام 1333/14 ـ 1915 فأخذ عن علماء القرويين أمثال المهدي الوزاني والحسين العراقي ومحمد بن الطيب البدراوي، وأحمد بن الجيلالي، ومَحمد النميشي، ومحمد بن عبدالقادر ابن سودة، وأجازه كل من الشيوخ أحمد بن الصديق الغماري، وصالح بن فضول السوسي، وبوشعيب البهوسي المراكشي.

استقر بالدارالبيضاء مع من استقر بها من بني عمه، وانقطع للتدريس في الجامع اليوسفي، منتصبا للشهادة في سماط العدول. وانتفع به الجم الغفير من الطلبة، أفرد له عبدالسلام ابن سودة ترجمة في فهرس شيوخه *سل النصال* بطلب منه بعد أن أملى عليه ترجمته شفويا بالدار البيضاء، قال : "اتصلت به وخالطته مراراً، وهو الآن بها ـ الدارالبيضاء ـ كثير التدريس، وخصوصا بالجامع اليوسفي، مع خيرة ونسك، محبوبا عند أهل الداالبيضاء وطلبتها".

توفي بعد عام 1387/1967.

ع. ابن سودة، *سل النصال*، مخطوط، الترجمة رقم 171.

محمد حجي

بوالسباع، (أولاد ـ) أو أبو السباع، والنسبة إليهم سباعي. ويحذفون أحياناً ألف الوسط فتكتب : بوالسُّبَع، والنسبة البوسبَعي والسُّبَعي. قبيلة تفرقت فروعها في كثير من جهات المغرب. نجد فرقة تعيش في الحوز منذ أزمنة بعيدة، وأخرى في سوس، وثالثة تنتشر بين الساقية الحمراء وجنوب الصحراء المغربية وشنقيط، بل خرج بعضهم إلى جنوب وهران في المغرب الأوسط(*قبيلة*، 48 ؛ *En Tribu*, 254).

ينتسب أولاد بو السباع إلى جدهم الأول عامر الهامل المكنى بأبي السباع والمدفون في الخلوة التي كان يتعبد فيها ببلاد بعقيلة في سوس على قمة جبل شاهق يسمى أضَاض مَدّن، أي أصبع الناس (*الدفاع*، 56 ـ 57) ولعله عاش في القرن الثامن (14 م) ويقام بجوار ضريحه موسم سنوي تحضره قبائل كثيرة من الأعراب والبربر.

يرجع سبب كنيته بأبي السباع إلى قصة مشهورة عند السباعيين تقول إنه وُلد في فاس وبها نشأ ودرس حتى صار فقيها، وغادرها سائحاً يعبد الله في الخلوات على عادة أهل التصوف حتى وصل إلى سوس، فاشتهر ورعه وكرمه وذاع صيته. وصارت القبائل تعظمه وتكرمه. فلما سمعت بذلك قبيلة البرابيش، أرسلت إليه نفراً من أعيانها ليتحققوا من أمره، فاستقبلهم بفرح وذبح لهم شاة هيأ بها

طعاما. إلا أن القوم استصغروا ما قام به في حقهم وطالبوه بذبح شاة لكل واحد منهم، وأصروا على مطلبهم مستحوذين على الغنم لتنفيذ رغبتهم. فتحولت الغنم إلى سباع (!) فاندهش القوم وصاروا يصرخون "كف عنا سباعك يا أبا السباع" ! واعترفوا بصلاحه وصاهروه.

ينقسم أولاد بو السباع إلى فرقتين كبيرتين هما : أولاد عمران وأولاد عمرو نسبة إلى ولدي جدهم الهامل. وهما معاً مدفونان في الأقصابي بوادي نون حيث بُنيت عليهما قبة وبإزائها مقبرة يقام قربها موسم شهير في فصل الصيف (*الدفاع*، 43). وتتفرع كل فرقة منهما إلى فروع، ففرقة أولاد عمرو تتكون من أربعة أفخاذ، كل فخذ ينتمي إلى أحد أبناء عمرو بن عامر الهامل وهؤلاء هم عامر، وإبراهيم، والحاج، والغازي. وتتكون فرقة أولاد عمران من أربعة أفخاذ كذلك ينتسب كل منها إلى أحد أولاد عمران ابن عامر الهامل وهم بوحسين، ومخلوف وإدريس، والسعيد. ولعل أغلبية المنحدرين من أولاد عمرو تستوطن الصحراء، بينما تكوّن فرقة أولاد عمران أغلبية سكان القبيلة السباعية بالحوز.

ينتسب السباعيون إلى إدريس بن عبدالله الكامل، عن طريق محمد بن إدريس الأزهر مؤسس مدينة فاس. ويحفظ السباعيون سكان الصحراء وأهل الحوز قصائد شعرية تتضمن سلسلة نسبهم (*المعسول*، 15 : 267 ؛ *Une Tribu*, 249). وقد شكل الحفاظ على النسب وتوثيقه ظاهرة ملحوظة عندهم، وذُكروا في عدة كتب مهتمة بشرفاء المغرب في عداد الشرفاء الأدارسة، وصُنِّفوا فيها معهم. كما حملت أخبار ذلك عدة وثائق.

وقد ذكرت بعض المصادر مشاركة أولاد بوالسباع في محاربة البرتغاليين بالساقية الحمراء، وأخبار انتصاراتهم على النصارى مشيدة ببسالتهم وتفانيهم في الجهاد إلى حد اعتبار أن طرد الأجانب من المنطقة كان على يدهم. وقد سقط منهم شهداء في ساحة الوغى وهم المدفونون قرب اسمارة إزاء ضريح سيدي أحمد العروسي، خلّدت بطولتهم كثير من القصائد التي مدحت السباعيين ودورهم في الدفاع عن حوزة البلاد. وربما توجه عدد من المجاهدين السباعيين من الصحراء إلى جبال الأطلس الكبير يحاربون العدو، ويحرضون السكان على المقاومة، قبل أن يذهب إليها محمد القائم بأمر الله تلبية لنداء حاحة والشياظمة. واستشهد عبدالمالك بن عامر السباعي قرب أگادير (حصن) الذهب بقبيلة دمسيرة سنة 909 / 1503 حيث ضريحه. كما يوجد في قرية بولعوان بسكساوة ضريح يحمل اسم سيدي غانم السباعي. ومعلوم أن هذا الأخير كان أحد تلامذة الغزواني تلميذ عبد العزيز التباع أشهر مريدي الشيخ مَحمد بن سليمان الجزولي (*دكالة*، 67).

وفي سنة 921 / 1515 م بعث حاكم أسفي البرتغالي نونو فيرناندس دو أطايد Nuno Fernandez de Ataide فرقة من الجيش مدعمة ببعض القبائل قصد مداهمة مقر إقامة السعديين داخل الجبال بعدما غادروا ثغر أمغور. وخلال الحملة تلقى العدو خبر مرابطة حوالي اثني عشر دواراً من أولاد بو السباع على مقربة من حصني اغبالوا وأگلاگل. وترأس لوبو دوباريگا Lopo de Barriga حشوداً تضم أربعمائة من رماة الشياظمة ومائة وخمسين من رماة عبدة بالإضافة إلى المحاربين البرتغاليين. واتجهت هذه الحشود إلى مكان وجود أولاد بو السباع قبل غروب شمس يوم ثالث دجنبر 1515م.

ومن غير المستبعد أن القوات البرتغالية وحلفاءها لقيت هزائم على يد المسلمين. ويظهر ذلك من خلال الارتباك الذي أصابها وأرغمها على التراجع : (*S.I.H.M., Portugal*, 1 : 764).

وهناك إشارات لتطوع فقهاء سباعيين في المقاومة بمنطقة دكالة. فقد حل بها سنة 914 / 1508 أحمد بن رحال السباعي أحد أساتذة القراءات السبع وبنى بها مدرسة. كما كان عبدالله بن ساسي من بين المجاهدين الذين دافعوا عن ثغر أزمور سنة 919 / 1513. ولما أسره النصارى هناك افتكه المسلمون (*دكالة*، 360 ؛ *جواهر الكمال*، 1 : 61، 62 ؛ *دوحة الناشر*، 110) وتعتبر مشاركة السباعيين في حركة الجهاد من العوامل التي مهدت السبيل لاستقرارهم بالحوز. والجزء الكبير من السهل المحاذي للدير الذي يشغله أولاد بوالسباع، كان إلى عهد الدولة المرينية مجالاً تمارس فيه قبائل سكساوة زراعة الحبوب وتسميه "دارالحرث" (*Structures*, 59 - 104 - 105).

ومن المعلوم أن الفقهاء والمجاهدين المتطوعين كانوا دعامة السعديين، ولهذا كان سيدي ملوك وابنه سيدي مبارك من بين السباعيين الذين مهدوا الطريق لنزول القبيلة في هذه المنطقة. ولعل أول نواة للاستقرار كانت في المكان المسمى بـأمَسْكَسْلاَن. وهناك قصة مليئة بالكرامات والخوارق تشرح العوامل التي ساعدت السباعيين على الاستيطان بهذه المنطقة. وقد عثرنا على نسخة من رسم قديم حبس بمقتضاه القائد حمو الشيّن الشيظمي الموردي جميع أملاكه بأمَسْكَسْلان على "الولي الصالح والقطب الواضح سيدي مبارك بن ملوك السباعي العامري" وتضمنت هذه الأملاك أراضي وبنايات وعيناً وبئراً. وضريح سيدي مبارك معروف في زاوية الخنيگ على الحدود مع قبيلة متوگة.

ومما دعم استقرار السباعيين بالحوز، في مرحلة ثانية، قدوم الولي سيدي المختار من الصحراء، وشراؤه أرض تغسريت - وهي الناحية الغربية من القبيلة السباعية حيث يوجد ضريحه - من الرجراجيين بست وستين ناقة وذلك في بداية عهد السلطان المولى إسماعيل.

كان لأولاد بوالسباع حُظوة كبيرة عند السلطان سيدي محمد بن عبدالله، لسابق معرفته ببعض فقهائهم وأعيانهم بالصحراء قبل خلافته (*البستان*، 97) لكن الحروب التي وقعت في الحوز بين السباعيين وجيرانهم من القبائل السوسية وغيرها، جعلتهم يفقدون مكانتهم عند السلطان

ويتعرضون لعقاب المخزن ونتج عن ذلك تشتت السباعيين في كثير من أنحاء البلاد (*الروضة السليمانية*، 125).

وقد ساعدت الفتنة التي انتشرت في الحوز عقب وفاة السلطان سيدي محمد بن عبدالله السباعيين على العودة إلى الحوز. ولما آلت الخلافة إلى السلطان مولاي سليمان، أنعم عليهم بالعفو، و"قابلهم بالاحترام ورجعوا إلى عزهم" (*البستان*، 100) وتوسع مجال القبيلة عندما شمل منطقة بوجمادي. ثم توطد استقرار السباعيين بالحوز في عهد السلطان مولاي عبدالرحمان الذي وجد فيهم دعما قوياً عندما نكل بالشراردة. فكافأهم بضم منطقة المَجُّون وهي الأراضي التي انتزعت من قبيلة تكنة حليفة الشراردة، إلى بلادهم، كما عين عليهم قائداً سباعياً من أهل الصحراء يسمى أحمد بن الشيكر. وهو تاجر مرموقٌ وفقيه جليل. وأصدر لهم ظهيراً يقر تملكهم الأرض ويتضمن حدود قبيلتهم. وقد احتل السباعيون من جديد رتبة رفيعة عند السلطان ولا سيما عندما شفيت ابنته مما كان يعتريها من توترات عصبية على يد الفقيه محمد الضوء البكاري. فكان المخزن لا يكلف السباعيين بما كانت تكلف به العامة عدا الزكاة الشرعية بوجهها (*المعسول*، 15 : 267 ؛ *البستان الجامع*، 100).

لقد كان الشعور بالانتماء إلى الجد المشترك وعنصر الشرف الناتج عن الانتساب إلى الأدارسة من بين عناصر التلاحم والتماسك التي كانت توحِّد السباعيين مهما اختلفت أنماط عيشهم وتباعدت مواطن استقرارهم. ولعل إضافة عنصر العلم إلى ذلك ساعد على اكتمال بنيان الشخصية المعنوية للقبيلة. وكان السباعيون يؤمنون بأن من بين السمات التي تميزهم عن غيرهم من القبائل توفرهم على عدد كثير من العلماء الفطاحل وانتشار العديد من المدارس والزوايا في ربوع بلادهم.

ورغم ما كانت تعرفه القبيلة من نزاعات بين بعض الأفخاذ المتنافسة على القيادة، فإن عدة عوامل جعلت عناصر التلاحم والتماسك أقوى من بوادر الخلاف. وكانت القبيلة بالحوز تدافع عن مصالحها الحيوية من ماء ومرعى وأراض زراعية، كما كانت تستميت في الحفاظ على حدودها مع جيرانها، ولم يكن ذلك يمنع السباعيين من ربط علاقات حسن الجوار مع القبائل المحاذية لها. وقد ساد التفاهم عند استغلال مياه الأودية أو عند الانتجاع في الأراضي السهلية. وكان المخزن يتدخل لحسم الخلافات وفض النزاعات، فيقوم بإصدار الظهائر كلما اقتضت المصلحة ذلك. وقد لعبت زوايا المنطقة ومدارسها دوراً أساسياً في استمرار الوئام بين القبائل بتذويب الخلافات وتلطيف العلاقات إضافة إلى دورها التربوي والتعليمي. ولم تكن مظاهر الدفاع عن القبيلة تقتصر على ضمان المصالح الحيوية وإنما توسع إطارها ليشمل عدة ميادين. فقد ألف الفقيه محمد بن إبراهيم السباعي *البستان الجامع* ليرد على ما كتبه أكنسوس في *الجيش العرمرم* من معلومات متعلقة بقبيلة أولاد بوالسباع، فقدم تصحيحات تاريخية استناداً إلى وثائق، وأعطى شروحاً دينية للحكم على بعض المواقف. وتميزت ردود أخرى بطابع السجال العنيف.

ولما كان النسب الشريف من أكبر مشاغل السباعيين فإنهم ظلوا شديدي الحساسية تجاه كل من حاول إنكاره. وفي هذا الصدد ألف عبدالله بن عبدالمعطي *الدفاع وقطع النزاع عن شرف أبناء أبي السباع*.

ظلت العلاقات بين السباعيين في الحوز وإخوانهم في الصحراء وطيدة رغم البعد واختلاف ظروف العيش. وتجلى ذلك في كثير من المجالات : في القيام بالزيارات المتبادلة لصلة الرحم، وفي المعاملات المتبادلة بينهم وبين جيرانهم. فكلما أصاب السباعيين مكروه في الحوز، تألم له إخوانهم في الصحراء وعبَّروا عن لوعتهم بشكل من الأشكال. وكذلك الآخرون، وظل السباعيون في أقصى الصحراء، كإخوانهم سكان الحوز، متشبثين بمغربيتهم رغم تقلب الظروف والأحوال.

م. ابن عسكر، *دوحة* ؛ م. ابن عبدالعظيم الأزموري، *تقييد في بعض شرفاء المغرب*، مخطوط، خ. ع. ضمن مجموع رقم 1595 د ؛ أ. الزياني، *رسم التحبيس مؤرخ بـ* 1641/1051 ؛ أ. الزياني، *الروضة السلمانية*، مخطوط، خ. ع. رقم 658 ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم* ؛ ع. ابن زيدان، *اتحاف* ؛ م. الكانوني، *جواهر الكمال* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ أ. العشماوي، *التحقيق في النسب الوثيق*، مخطوط، خ. ع. 1049 د ؛ م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ أ. بوشرب، *دكالة* ؛ م. السباعي، *البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عد مآثر السلطان مولاي الحسن*، مخطوط، خ. ع. 1346 د ؛ع. السباعي، *الدفاع وقطع النزاع عن نسب الشرفاء أبناء أبي السباع*، الرباط، 1940 ؛ ظهير السلطان مولاي عبدالرحمان مؤرخ بـ 10 شوال 1261 ؛ م. ح. كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*. د. د. ع. 1988.

Abes, *Monographie d'une tribu berbère : Les Aït Ndhir (Beni Mtir)*, *A. B.*, Vol. 2, Fasc. 2, 1917, p. 149, Fasc. 4, p. 337 - 416 ; L. Baritou, *Les grandes lignes de l'histoire des populations de Chichaoua*, *Hesp.*, N° 45, p. 8 - 50 ; J. Berque, *Antiquités Seksawa*, *Hesp.*, T. XL, 3 et 4ème trim., 1953, p. 359 - 419 ; *Structures sociales du Haut Atlas*, 3ème Edit., Paris, 1978 ; C. Bonafas, *Une tribu marocaine en Mauritanie : Les Oulad Bou Sbaâ*, *B. S. G. A. O.*, 52e année T. L, Fasc., 183, 1929, p. 249 - 267 ; P. Cenival, *S. I. H. M.*, T. 1 et 2 ; F. Lachapelle, *Esquisse d'une histoire du Sahara occidental*, *Hesp.*, 1930, 35 + 95

م. حسن كفناني

البُوسبَعِي ← السباعي

البُوسبَعِي عبدالله ← بنساسي عبدالله

بوستة، أسرة مراكشية قديمة، أصلها من تافيلالت. كان جدهم الأول الأمين الحسن بن محمد بوستة حجاماً متطبباً عند السلطان المولى إسماعيل. وفي فتنة ابنه محمد العالم أمر السلطان بوستة بقطع يده ورجله من خلاف حين ألقي القبض عليه فتنصل من هذا الموقف الحرج تعظيماً لآل البيت، فغضب عليه السلطان وطرده، ثم رد إليه اعتباره

وكتب له ظهير التوقير والاحترام، جاء فيه بعد التقديم : "إننا وقرناه واحترمناه لشقتنا به، وله علينا جميل في احترامه لولدنا مولاي مَحمد رحمه الله حين أمرناه بقطع يده فتنصل من ذلك وأبى إباية شهدت له بديانته واحترامه الأشراف من آل النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك جعلنا داره حرما لمن يجيء إليه".

وتوثقت صلة آل بوستة بالأسرة العلوية الشريفة لما صاهرهم المولى سليمان، وتزوج بنت القايد عمر بوستة الذي مات هو وقاسم الرحماني في وقعة الشرادي. وقد عُرفت هذه الأسرة في مراكش بالتدين، وفعل الخير، وحب آل البيت، وحسن الظن بالناس، إلى جانب خفة الروح، وحضور البديهة، والنكتة المستملحة.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 4 : 66 ؛ *روايات شفوية*.

بوستة، أحمد (الجد) بن القايد عمر ولد بمراكش بحومة قاعة ابن ناهض في الدرب المعروف بدرب بوستة. ونشأ بين أحضان أسرة تجمع بين التنعم والتدين. وسهر والده على تعليمه، حيث أدخله إلى كتاب الحي لحفظ القرآن الكريم ومبادئ الدين واللغة، ثم التحق بجامع ابن يوسف ودرس على علمائه. فأجازوه إجازة تقدير واستحقاق. ومن شغفه بالعلم نسخ بخطه *شرح ابن أبي جمرة لمختصره على البخاري*، في ثمانية أجزاء.

ولي أحمد بوستة عمالة مراكش أيام السلطان مولاي عبدالرحمان في سابع عشر ربيع النبوي عام 1842/1258. ولما قتل أحمد بن المؤذن الفرجي عام 1873/1290، الذي كان خليفة للمترجم، صار أحمد بوستة عاملا على مدينة ازمور متنقلا إليها من ولاية مراكش.

لقد استطاع الوشاة أن يوغروا صدر السلطان عليه فأمر باعتقاله يوم الأحد رابع عشر ذي القعدة عام 1279 / 3 ماي 1863، حسب *البستان الجامع*، أما كتاب : *الاستيطان والحماية* فيجعل اعتقاله سنة 1863/1280. وقد خلفه في هذا المنصب الجيلالي بن حمو، إلا أنه سرعان ما أعيد إلى سالف منصبه.

يقول السباعي في *البستان الجامع* (ص 32) : "... لم تشغله ولايته ولا أمور دنياه عن آخرته، فكان السلطان مولاي عبدالرحمان يحبه جداً لما يعرف عن ديانته، وعادت عليه بركة محبته.

...لما ودعه هو وأهل مراكش في سفره للغرب الذي كان آخر عهدهم به قال على رؤوس الأشهاد : الطالب أحمد بوستة طهرت صحيفتي مع أهل مراكش طهر الله صحيفتك، ثم التفت إليهم وإليه وقال : *(إنك ميتٌ وإنهم ميّتون، ثم إنّكم يومَ القيامة عند ربّكم تختصمُون)*. وكان له اهتمام خاص *بدلائل الخيرات* للجزولي يعمل على نشره في جميع الآفاق. كان له طائفة من الطلبة يكرمهم ويكريهم على ملازمة انتساخ هذا الكتاب، فيجمع عدداً من النسخ ويسفرها ويجلدها، وحيثما جاءت الأركب من الآفاق يعطيهم عدداً منها مجاناً ويأمرهم بإعطائها لمن يستحقها حتى انتشرت في الأقطار كالصحاري ونحوها، ثم زاد أن جعل للعميان الملازمين مقام أبي العباس السبتي خراجاً على حفظه، فلم يبرحوا أن حفظوه عن ظهر قلب، وبعد ذلك تنافس في حفظه المبصرون، ثم عمد إلى أنفس بساتينه فحبسه على من يقرأ *دلائل الخيرات* تجاه الروضة الشريفة بالمدينة المنورة، فأطلع عليه السلطان مولاي عبدالرحمان فأمضاه".

ولما توفي السلطان مولاي عبدالرحمان اجتمع المترجم مع أهل مراكش بجامع الكتبيين لبيعة المولى محمد بن عبدالرحمان، وقراءة نص البيعة التي كتبها الأديب الوزير محمد أكنسوس.

توفي أحمد بوستة بفاس في واحد وعشري جمادى الثانية عام 25/1292 يوليوز 1875 ودفن في الركن المقابل لباب الصومعة من زاوية سيدي عبدالقادر الفاسي.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 418 ؛ *البستان الجامع*، 32 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، 3 : 970. 1120.

بوستة، أحمد (الحفيد) بن عمر. ولد بمراكش عام 1889/1307 بحي قاعة ابن ناهض درب بوستة. وتربى تربية دينية، فحفظ القرآن الكريم، وتلقى علومه الأولية من قراءة ورسم وتجويد على يد الفقيه الجبلي، بعدها انصرف إلى جامع ابن يوسف فدرس على شيوخه، أمثال : أحمد ولد الحاج المحجوب، و بوشعيب الشاوي، ومحمد الداودي السرغيني، وغيرهم.

لما استكمل دراسته، اشتغل عدلا بالأوقاف، ثم مراقباً للدروس بالجامعة اليوسفية التي ترك فيها بصماته كمرب أديب، فأحبه الطلبة، وأكبره الشيوخ والعلماء، لما حباه به الله من دماثة الأخلاق، وسعة الصدر، وروحه المرحة المشبعة بالنكتة. ثم انتقل إلى فاس كمراقب للدروس بجامعة القرويين صحبة رئيسها الجديد مولاي مبارك العلوي المراكشي.

يقول عبدالهادي بوطالب في *مذكراته* : "كان للتجديد والإصلاح دعاته بين الطلاب والعلماء معا، وكان للجمود

والتمسك برواسب الماضي أنصاره بين الطلاب والعلماء معا.... ويعود الفضل في كسر طوق هذا الجمود في النهاية، وإجبار الطلبة والعلماء المتعصبين على الخضوع لمقتضيات نظام الإصلاح إلى رئيس الجامعة مبارك العلوي، ومساعده المراقب العام أحمد بوستة اللذين حققا هذا الإنجاز العظيم ...".

وبعد رجوع أحمد بوستة إلى مراكش، أسندت إليه مهمة الإشراف على الكتاتيب القرآنية. ولم تكن كل هذه المهام لتشغله عن قرض الشعر في شتى أغراضه، وكتابة المقالات الأدبية والتاريخية في المجلات المغربية كالمغرب والسعادة وغيرهما إلى جانب إلقاء محاضرات بإذاعة مراكش.

كان له ـ رحمه الله ـ اهتمام بتاريخ مراكش، ومعرفة تامة بالأسر المراكشية، وعادات هذه المدينة العريقة وتقاليدها، فهو نسابة، اكتسب هذه المعرفة بفضل شعبيته، واطلاعه على كتب التراجم والأنساب والتاريخ. وكانت تخامره فكرة الكتابة عن مراكش، لكن مرض القلب لم يسعفه، ولم يترك له مجالا، إذ عاجلته المنية عام 1958/1378، ودفن بضريح الولي الصالح ابن العريف، تاركاً *ديوان شعر* لا يزال مخطوطاً عند أحد أبنائه.

ومن شعره قوله :

أحسن الأيام يوما أجدك ... يا غزالا جل رب موجدك
تهْ وَجُرْ واعدل وَزُرْ وانه ومُرْ ... إنني في كل حال أحمدك

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط ؛ *روايات شفوية*.

بوستة، عباس بن عبدالسلام، من كبار شعراء الملحون المراكشيين،، عاش حياته زاهداً في الدنيا، مؤثراً العزلة والانطواء على نفسه قنوعا بلقمة الحلال.

ولد عام 1882/1299 بحي قاعة ابن ناهض درب بوستة الكبير، ونشأ في كنف والده الذي أدخله إلى الكتّاب القرآني القريب من دارهم، ثم مات والده فكفله شقيقه الأكبر الفقيه محمد بوستة المعروف بلقب (السّي أمان)، لكن الطفل لم تكن لديه رغبة في القراءة رغم حرص أخيه، وتشجيعه إياه على حفظ القرآن. وأخيراً قرر الطفل مغادرة مراكش دون أن يعلم أحد بمكان سفره، وانقطع خبره مدة طويلة ولم يعد إلى مراكش إلا بعد أن شبّ، لكن إقامته بمراكش لم تطل، إذ سافر إلى مدينة فاس فأقام بها خمس عشرة سنة، وهو يعمل كقهواجي في حانوت جعلها مقراً له وسكنى، ونظراً لما يتحلى به من سلوك قويم وتدين صحيح وزهد وعفة، أحبه الناس، واحتل عندهم مكانة لا ينالها إلا من أحبهم الله تعالى.

ثم انتقل إلى مدينة سلا حيث مكث فيها زهاء عشرين سنة، يتعاطى نفس المهنة التي كان يتعاطاها بفاس، ومكنته هذه المدة التي عاشها بسلا من أن يتعرف على مجموعة من رواة الملحون فأقبلوا على حفظ قصائده ونشرها بين الناس. وقبل الأربعينات التحق بمدينة أسفي بنفس الحالة التي كان عليها، متورعاً عن المحرمات، زاهداً في الدنيا وزخرفها، محافظاً على دينه، فاكتسب بهذا السلوك إخواناً وأصدقاء، أحبوه وتعشقوا قصائده وحفظوها.

ولما نشبت الحرب العالمية الثانية رجع إلى مسقط رأسه مراكش، فاقتنى دكانا بباب القسارية الجديدة واستقر به كقهواجي لأهل السوق. وكان لا يفضل على مراكش سوى مكة المكرمة، والمدينة المنورة.

لالَةْ لَمْدُونْ، صولي يامولاتي البَهْجا
صُلتي عن كل بلد، إلاّ مكّا ومْدينة يَثْرِبْ

يتمتع عباس بوستة بقدرة فائقة على صياغة شعر الملحون وتنويع البحور والقوافي. وشعره متنوع الأغراض، طارق كل أبواب القول. وبالرغم من أنه كان أمياً فإن شعره لم يخلُ من حكم مستمدة من القرآن الكريم، والحديث النبوي، أو أقوال الفقهاء، كما كان يوظف بعض الأمثال والحكم الشعبية المنسية، أو التي في طريق النسيان. لكن الجانب الذي يثير الانتباه في شعره هو الجانب الانتقادي المتشائم، أو شعره السياسي الذي يلتقي فيه مع الفكرة المشهورة : "السلطة تُفسد الرجال". فقد انتقد الحكام، وأصحاب المال والجاه بسبب عبثهم بالحياة والناس، وعدم تقديرهم حقوق العباد، ومن قصائده الانتقادية : العتلة، والداعي، والفريسة ... الخ ومن كلامه في اعتزال الناس والحثّ على تجنب مصاحبة الخلق :

يالمَولى تكفيني هولْ شَرّ الاصْحابْ
مابْقى مَنْ تعْمَلْ في ذَا الزّمانْ صاحَبْ

وله في النصائح والمواعظ والحض على التقوى، ورحمة الناس والاستغناء عن الخلق بالخالق، كلام كثير منتشرٌ في جل قصائده، كقصيدته : (المُوري) أو (المكّانة) التي يقول في مطلعها :

إذا وُقَفْ المُوري فساعةْ الانْسانْ

توفي بمراكش عام 1948/1367 ودفن بمقبرة باب أغمات.

أ. متفكر، *ذيل الاعلام*، مخطوط ؛ *روايات شفوية* من أسرة الفقيه، ومن جمعية الفحلون ورئيسها الأستاذ عبدالله الشليح.

أحمد متفكر

بوستة، (سيدي ـ) ميمون بن أحمد بن عبد الحق، وكني بذلك لأنه كان له ستة أولاد يحيون كلهم حياة مثالية. ولقد تفرق أحفاده، فذهب بعضهم إلى وادي درعة، ومنهم من استقر بتادلا وبعضهم بسوس وآخرون ذهبوا إلى الزاب بالمغرب الأوسط وإلى الاسكندرية.

توفي سيدي بوستة سنة 714 / 13 ـ 1314 ودفن بالخضاضرة بدكالة وعلى قبره حوش.

سلسلة *مدن وقبائل المغرب*، ج 10، دكالة، تر. م. الشياظمي.

بوسجدة، (سيدي ـ) إسماعيل ابن المجاهد سعيد الدكالي المشنزائي آتي الترجمة. أسس الزاوية التي تحمل اسمه (زاوية سيدي إسماعيل) الواقعة جنوب الجديدة، على

الطريق الذاهبة من هذه المدينة إلى مراكش، وبنى بها مسجداً ومدرسة قرآنية.

تتلمذ سيدي إسماعيل بوسجدة على الشيخ مَحمد ابن ناصر الدرعي، وكان عالما جليلا كثير الورع والجهاد، يسير على نهج والده، فانضوى تحت لواء المجاهد مَحمد العياشي السلاوي لمقاومة البرتغال.

وتوفي سنة 1094 / 82 . 1683. وهو مدفون بزاويته، وعلى قبره قبة مشهورة.

سلسلة مدن وقبائل المغرب، ناحية دكالة، تر. م. الشباظمي، مخطوط ؛ م. الشباظمي، *حسن الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. الكانوني، *أسفي وما إليه*.

بوسجدة، (سيدي ـ) سعيد بن علي بن قاسم الدكالي المشنزائي، مجاهد صالح، ساهم في مقاومة الاستعمار البرتغالي. يُذكر أنه نهض إلى الجبل الأخضر وجمع حوالي اثني عشر ألفاً من الرجال وزحف بهم إلى مدينة البريجة، ووافقه على ذلك قائد أزمور وبعض أشياخ الشاوية، وكانوا نحو مائتين وخمسين من الفرسان. وشدد البرتغاليون الحراسة في الأسوار. ودام الحصار ثلاثة أيام. غير أن سيدي بوسجدة قائد الحملة قُتل أثناء ذلك الحصار، فافترق الجمع. وكان ذلك حوالي سنة 1034 / 1624.

محمد الشباظمي

بوسدّاجة، أسرة كانت بتطوان انقرضت، وهذا الاسم محرّف عن كلمة سجّادة، وكان من البوسدّاجيين التطوانيين:

بوسدّاجة، محمد بن أحمد، فقيه كان يزاول خطة العدالة من سنة 1627/1037 إلى سنة 1630/1040.

بوسدّاجة، محمد بن الطاهر، فقيه كان يزاول نفس الخطة من سنة 1770/1183 إلى سنة 1797/1211.

بوسدّاجة، محمد بن عبد السلام، فقيه تعاطى خطة العدالة أيضا من سنة 1670/1080 إلى سنة 1699/1111.

وفقيه يحمل نفس الاسم ويزاول نفس المهنة من سنة 1841/1257 إلى سنة 1868/1285.

بوسدّاجة، المهدي، مدفعي كان يعمل بحامية تطوان سنة 1830/1246.

أ. الزهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 17 ؛ 4 : 217 ؛ 7 : 8 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 282 . 301 ؛ 2 : 299 ؛ 7 : 244 ؛ 8 : 214 . 351 ؛ 354 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 300 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بوسدرة، زاوية توجد في قبيلة الحوزية بفخذ القرامشة، ناحية مدينة أزمور. أسسها مجموعة من الشرفاء يحملون اسم شرفاء بوسدرة، وهم من أبناء مولاي عبد السلام بن مشيش يتوفرون على ظهائر تثبت صحة نسبهم، وجدهم هو سيدي أحمد بن إبراهيم الذي قدم من مراكش، تلبية لنصيحة شيخه سيدي لحسن بن إبراهيم، واستقر عند أهل مسگيلدة بالقرب من نهر أم الربيع. وارتبط شرفاء بوسدرة بالقرامشة، أهل البلد الأصليين، فصار القرامشة بفضل هذا الارتباط يكوّنون عائلة مرابطية واحدة تشكل اليوم فخذاً من قبيلة الحوزية.

وتحتوي زاوية بوسدرة على مسجد ومدرسة صغيرة يدرس فيها القرآن الكريم، كما توجد بجانبها عين مشهورة بعذوبة مائها.

وفي مدينة سلا، يوجد خارج السور ضريح سيدي بوسدرة، يقال إنه نبي الله يونس الذي التقمه الحوت، ثم نجا وخرج في شاطئ سلا وأنبت الله عليه شجرة من يقطين (القرعة السلاوية).

سلسلة مدن وقبائل المغرب، مدينة أزمور وضواحيها، تر. م. الشباظمي.

محمد الشباظمي

بوسرغين، (سيدي ـ) سليمان بن إبراهيم بن عبد الحليم، دفين صفرو، يتصل نسبه بإدريس الأزهر عن طريق ابنه أبي القاسم. ولم يُذكر في ترجمته إلا أنه كان ولياً صالحاً. وينتشر الشرفاء البوسرغينيون في گلوان بنواحي تازا، وبني يازغة بناحية فاس، وبني ليت قرب أسفي، وبزمور الشلح، والسوس الأقصى، والصحراء. وقد سقط من نسبهم "بو" فأصبحوا يدعون السرغينين، واختلط بهم كثير من العوام. وذكر الفضيلي في *الدرر البهية* فرق السرغينين الشرفاء الذين استوطنوا فاس، وسكناهم ـ كما قال ـ بحي جزاء برقوقة، وحومة المخفية، وتلك النواحي لا غير. وسياتي ذكر بعض المشهورين منهم في حرف السين.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 58.

محمد حجي

البوسعيدي، أحمد بن علي السوسي الهشتوكي الصنهاجي، العالم الفقيه الصوفي الزاهد، من قبيلة بني أبي سعيد هشتوكة في بلاد سوس، والصنهاجي وصفه به عبدالله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي في إجازة كتبها له قال البوسعيدي عنها في كتابه *بذل المناصحة* : "فتأملت قوله في نسبي الصنهاجي فوجدت النسبة لم تعرف لي ولا لآبائي الأقربين فبحثت في أصول الأجداد الأقدمين فوجدت النسب كذلك فعلمت أنه اطلع على ذلك عن طريق المكاشفة."

ولد في سوس في حدود سنة 990 / 1582 وقرأ ببلاده هشتوكة وبمراكش ثم انتقل لفاس حيث أقام بالمدرسة المصباحية إلى أن توفي.

كان زاهداً يقتصر على الضروري في مأكله وملبسه ويتقوت من زرع يحرثه بيده في بليدة وهبها له بعض أهل الخير والدين مع أن الناس كانوا يقصدونه بالعطايا الجزيلة والصدقات الوافرة فلم يكن يأبه بها. وكان يداوي الأمراض

بدقيقه ويقول : "إن الحلال ترياقُ الأمراض الصعبة، وما أكل مريض من حلال إلا كان كأنما نشط من عقال". ويُبعد نفسه من أن يتبرك به أو تنسب له خصوصية.

ومن ورعه كذلك أنه كان لا يمر بصحن جامع القرويين لأن بعض ولاة الأمر فرشه بالآجر فكان يتحاشى المشي عليه.

ولما كتب الشيخ محمد بن أحمد ميارة شرحه *الكبير* على *المرشد المعين* أتاه بالشرح ليكتب له عليه تعليقاً، فلما تصفحه استحسنه لكنه عاب عليه كونه لم يتعرض فيه لشيء من أحوال الآخرة، وإذا عرّف فيه بأحد أشياخه قال في حقه القطب أو العارف بالله أو نحو ذلك وكتب في ذلك رسالة ذكرها بحروفها الشيخ ميارة في آخر شرحه المذكور.

أخذ البوسعيدي عن عدة مشايخ : قرأ القرآن ببلده على محمد بن أحمد البعقيلي، والفقه والعربية على محمد ابن عبدالرحمان الگرسيفي، ولازم الشيخ عبدالله بن سعيد ابن عبدالمنعم الحاحي إلى أن مات. وأخذ عن أحمد بن عبدالعزيز الحسني نزيل درعة، وعبدالله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي، والقاضي أبي القاسم بن أبي النُّعيم، وأخذ أيضا على أستاذ درعة أبي القاسم الكوش الدرعي، والحسن الدادسي، ومَحمد بن أبي بكر الدلائي، وبمراكش أخذ عن أحمد بابا السوداني وصافحه وأجازه، وبفاس أخذ عن عبدالواحد بن علي بن عاشر، وأحمد المقري، ولازم العارف عبدالرحمان الفاسي.

له تآليف شهيرة منها : *وصلة الزلفي في التقرب بآل المصطفى*، *وبذل المناصحة في فعل المصافحة*، *وتأليف في التعريف بالعشرة الكرام وبالأزواج الطاهرات* ؛ وآخر في أهل بدر عرف فيه بهم وبأسمائهم وأنسابهم وسماه : *إشراق البدر في التعريف بأهل بدر*، *وذيل لألفية العراقي*، *ومجموعة نوازل*، *ومؤلف حول القرآن*، *ووصية صغيرة*، *وأنظام في مدح الرسول* صلى الله عليه وسلم. وغالب كلامه في الوعظ والإيقاظ والتذكير بأحوال الآخرة والإنذار بأهوال يوم القيامة.

توفي بفاس سنة 1636/1046 ودفن بالكعّادين بجوار أبي زيد الهزميري داخل باب الفتوح.

ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط، 193 ؛ م. ابن عيشون، *الروض*، د. د. ع. 296 ؛ م. القادري، *نشر*، 1 : 356 ؛ *التقاط الدرر*، 1 : 105 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 1 : 55 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 85 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 1 : 181 ؛ م. مخلوف، *شجرة*، 1 : 301 ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، 2 : 276 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 314 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، 1 : 176 ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 180 ؛ م. حجي، *الحركة*، 173.

زهراء النظام

البوسعيدي، الحسين بن الفضل، مقاوم ولد سنة 1927 بالساقية الحمراء، وانخرط في صفوف جيش التحرير بجنوب المغرب، وعمل ضمن المقاطعة الثامنة بمركز الروضة تحت مسؤولية السيد الهاشمي، وشارك ببسالة نادرة في معركة مركالة ضد المستعمر الفرنسي حيث استشهد سنة 1956.

شهداء الاستقلال، ج 1.

عزالدين العلام

البوسعيدي، الحسين بن محمد بن علي بن شرحبيل، أبو محمد وأبو علي، اشتهر أيضاً بالشرحبيلي. ولد سنة 1659/1079، ودرس بتامگروت على يد مشاهير الأساتذة الناصريين، وخاصة أحمد بن محمد الجزولي الهشتوكي، "وعليه استفاد واعتمد أي اعتماد" (*الدرة الجليلة*، 193). وتلقن الذكر الشاذلي عن الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي، فصحبه واختص به حتى صار مستشاره وأمين سره، ومتولي أموره الزمنية والروحية (*طلعة المشتري*، 2 : 10). ورافقه في رحلتيه الحجيتين 1110/1109 و1122/1121 وشاركه فيمن لقي في أثنائهما من العلماء والشيوخ. وكان من بين أصهاره، مما يدل على أنه نال حظوة كبرى لدى الناصريين، حتى شاع أن أحمد ابن ناصر عهد إليه بالخلافة من بعده، بل إن بعض المصادر تؤكد وجود وصية صادرة عن الشيخ الناصري برسم البوسعيدي.

وعلى إثر وفاة الشيخ أحمد ابن ناصر سنة 1717/1129، قام نزاع بين البوسعيدي وبين موسى بن محمد الكبير الناصري، من أجل ولاية شؤون الزاوية. وبسبب هذا النزاع فضل البوسعيدي الانتقال إلى سوس، حيث أسس زاوية ناصرية قرب تازناخت، وهي الزاوية الموسومة بأمَنْ مُلُولْنْ (الماء الأبيض) وتدعى أيضا زاوية الرحمة وزاوية الأمان (*المعسول*، 18 : 245)، وظلت زاويته قائمة بتوارثها أخلافه إلى عهد قريب.

اشتهر البوسعيدي كعالم إلى جانب نشاطه الصوفي، شأنه في ذلك شأن شيوخ الناصريين آنذاك. يشير صاحب *الدرر المرصعة* إلى أنه "كان متفننا في جملة من العلوم العقلية والنقلية"، وخلّف البوسعيدي مصنفات عدّدها صاحب *الدرر*، منها شرح *أرجوزة* الشيخ محمد ابن ناصر الدرعي *سيف النصر على كل ذي بغي ومكر* ؛ *وإنارة البصائر في ترجمة الشيخ ابن ناصر*، بالإضافة إلى *شرح صغرى السنوسي*. كما شرع في شرح *غنيمة العبد المنيب* فاخترمته المنية قبل إتمامه.

توفي البوسعيدي يوم الخميس ثامن جمادى الثانية سنة 1142 / 29 دجنبر 1729.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط، 167، 169 ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ *خلال جزولة*، 3 : 65 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب* ؛ م. المنوني، *المصادر العربية*.

أحمد عمالك

بوسْكو، هنري Bosco, Henri شاعر وقاصّ فرنسي

غزير الإنتاج، ولد بأفينيون عام 1888 وتوفي بنيس عام 1976، كتب أربعين عملاً أدبياً، ألف عشرين منها ونشرها أثناء مقامه الطويل بالمغرب.

بدأ عمله بالمغرب عام 1931 مدرساً للآداب بليسي گورو بالرباط، وكان مسكنه بزقاق مراكش في حي المقيمية ملتقى لهواة الأدب من أمثال فرانسوا بونجون القاصّ، وآيدي لوگران الرسام، وگابرييل جرمان المتخصص في أدب الإغريق.

أسس مجلة *أگدال Aguedal* عام 1936 فكانت من معالم الحياة الأدبية إلى سنة 1944، مع توقف مقصود إثر حوادث عام 1940، وقد كان محتواها يتناول جوانب الحياة المشرقية والمغربية وقصائد الشعر الجيد وأبحاثا موثقة في التاريخ ومعلومات وافية عن المنشورات والمعارض ووقائع السينما والمسرح ولاسيما في مدينتي الرباط والدارالبيضاء....

أبدع بوسكو أهم كتاباته أثناء الحرب العالمية الثانية مثل *بستان الياقوت Le Jardin d'hyacinthe* و*دار طيوتيم Le Mas Théotisme* و*الولد والنهر L'enfant et la rivière* و*السيد كاري بونوا في البادية à Monsieur Carre-Benoit la campagne*. وما أن وضعت الحرب أوزارها حتى مُنح جائزة روندو الأدبية عن قصته ماطيوتيزم.

و حتى نهاية الحرب يعتبر من المستلهمين من بروفانصيا بلده الذي يستوحي من مناخه الثقافي، فقد استطاع أن يتحف جمهوره فيما بين 1948 و1954 بأشهر مؤلفاته التي تتعلق ببلاد المغرب.

وأول هذه الأعمال *ورقات مغربية Pages Marocaines* وهو باقة من الحكاية والشعر والتأمل والطرافة تزيّنها ريشة الفنان لوي ريو Louis Riou وقد أصدرته منشورات رواق ديرش بالدارالبيضاء Editions de la Galerie Dershe وأعادت طبعه دار گاليمار تحت عنوان *Des sables à la mer*.

أما العمل الثاني في هذا الاتجاه فعنوانه *مواقع وسراب*، وهو مستوحى من حياة مدينة الجزائر، يشبه العمل السابق في إحالاته على الحضارة الإسلامية وفي جريان مقالته على لسان بطل رحالة قاص.

أما قصته *جامع العاديات L'Antiquaire* فحوادثها تجري في فرنسا والمغرب، وقد ضمنها صورة بلد يحكمه الاحتلال والعنف مع التلميح إلى وقائع صارخة في هذا الاتجاه مثل وادي المخازن وأنوال وبوگافر و20 غشت إلخ. وهي وقائع لها صدى في كتابة بوسكو الذي لم يكن ليواجه محيطه المغربي باللامبالاة لأنه رجل مشاعر وإحساس.

م. البقالي بدري

بوسگُور، (رأس، ونهر، ومرسى) رأس بشاطئ قبيلة بقيوة الموالي للبحر المتوسط، يقع غرب المرسى التي تحمل نفس الاسم، وبه كانت قديماً رابطة للأمنّانة (أم أيمَن)، ولاشك أن هذا هو الرأس الذي سمّاه صاحب رحلة أنطونينيو *Itinerario de Antoninio* بـ Promunturunu (رأس)، ونجده في جميع خرائط الملاحة الأوربية للقرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادي يحمل اسم رأس بوسنكور Busencor كما نجده في خريطة هومين Homen الموضوعة سنة 940/1572. وفي خريطة خوان مارطينيث Juan Martines الموضوعة بمسينة Messina سنة 1579 م هكذا بوشنكور Buxancor، وأما خريطة البحر المتوسط الموضوعة سنة 1843م فإنها تذكره باسم بوسيكو Bousikou.

نهر بوسكور توجد منابعه بجبل تاريست، وبعد أن يلتقي مع رافديه : وادي بوهن ووادي المرقة يسقي أراضي قبيلة بقيوة، أما مصبه ففي البحر المتوسط بالقرب من رأس بوسكور، وطوله من منبعه إلى مصبه نحو أربعين كيلومترا تقريبا.

مرسى بُوسگُور بشاطئ قبيلة بقيوة الريفية الموالي للبحر المتوسط. وهو من المعالم الجغرافية المغربية القليلة التي احتفظ الإسبانيون باسمها العربي Cala Busicur وقد ذكرها البكري (ص 90) باسم مرسى بقوية، في حين أطلق عليه الشريف الإدريسي اسم بوزكور (ص 111)، وأما ما جاء في *موسوعة المدن والقبائل* (ص 10) بأن اسمها هو "أبو زكور (مرسى) هي نكور" فلا أساس له.

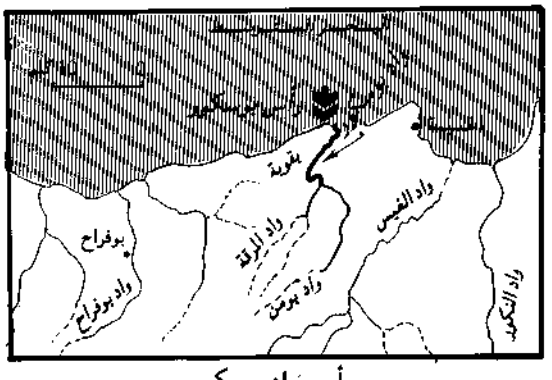

رأس وواد بوسكور

وفي هذه المرسى هاجم بحارو بقيوة السفينة التي كان يسافر على ظهرها الأمير أدالبيرطو ذي بروسيا Adalberto de Prusia سنة 1836 م. وفي نفس المرسى نهبت السفينة الحربية الإسبانية جنرال كونشا General Concha عندما ارتطمت بالشاطئ سنة 1913 م.

أبو عبيد البكري، *المغرب*، 906 ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، 111.

Portulano de Homen, Venecia 1572, *Portulano de Juan Martinez*, Messina, 1597 ; Carta del Mediterraneo, 1843 ; Blazquez y Delgado, *Estudios geografico-historicos de Marruecos*, Madrid 1913 *(Itinerario de Antonino)* ; A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942, p. 48 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, Tetuan, p. 63 - 88 ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos (protectorados y posesiones de España en Africa)*, Madrid, 1936

محمد ابن عزوز حكيم

بوسكورة، جماعة قروية تقع في الجنوب الغربي للدارالبيضاء، وتنتمي إدارياً لعمالة عين الشق ـ الحي

الحسني التي أحدثت بعد التنظيم الإداري الذي شهدته الدارالبيضاء سنة 1981.

وتغطي هذه الجماعة مساحة 15.400 هكتار أي ما يعادل 46٪ من مجموع مساحة عمالة عين الشق ـ الحي الحسني، كما يصل عدد سكانها حسب إحصاء سنة 1982 إلى 26.340 نسمة. ولقد عرفت تطوراً هاما وتحولات كبيرة في وظائفها منذ الاستقلال نتيجة لقربها من العاصمة الاقتصادية.

يعود إحداث النواة الأولى لمركز بوسكورة للفترة الاستعمارية حيث استعمله الفرنسيون كمركز لحماية الخط الحديدي الرابط بين الدارالبيضاء وبرشيد، وأقاموا به لهذه الغاية ثكنة لقوات البحرية ومجموعة من المساكن للضباط، ونتيجة لموقعه الجغرافي ومناخه الجميل، شكل هذا المركز نقطة جذب لسكان البيضاء لمدة طويلة قصد الاستجمام والراحة.

غير أن هذه الوظيفة السياحية تقلصت الآن بشكل كبير بفعل التحولات التي طرأت على استعمال هذه الضاحية والضغط الذي تمارسه المدينة الكبرى المجاورة لها.

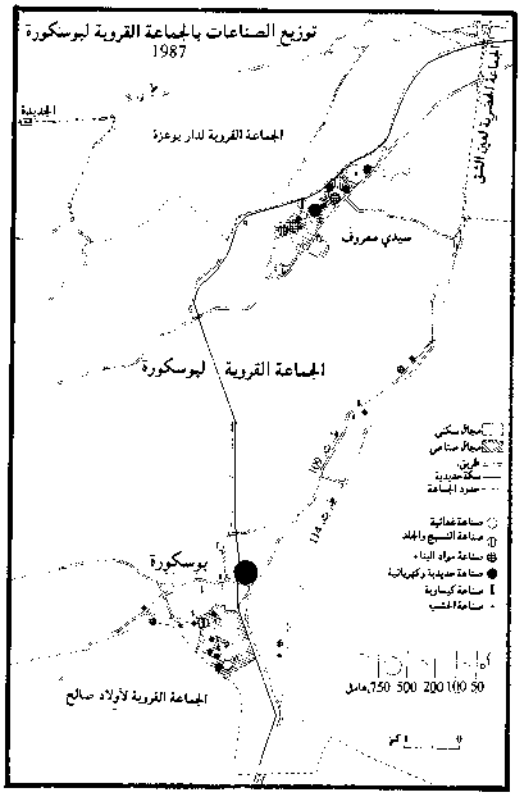

فالإمكانيات العقارية التي توفرها الضاحية القروية والتغيير الإداري الذي شهدته جماعة بوسكورة منذ بداية الثمانينات أدى إلى توافد عدد هام من السكان والأنشطة ومن الموظفين للاستقرار بها مما نتج عنه توسيع في رقعتها المبنية وتراجع في مجالها الفلاحي.

وهكذا فالجماعة تشتمل اليوم على ثلاثة مراكز سكنية مهمة :

ـ مركز سيدي معروف، الذي يعتبر وحدة هامة داخل الجماعة إذ يقدر عدد سكانه حاليا بـ 15.000 نسمة ويوجد به مقر دار الجماعة والقيادة، بالإضافة إلى بعض المنشآت الأخرى، وتعود هذه الكثافة السكانية إلى توفر هذا المركز على قاعدة صناعية هامة مما يستدعي وجود يد عاملة كثيرة، يستقر جلها في مساكن هشة.

ـ مركز بوسكورة الذي يوجد على مسافة 17 كلم من الدارالبيضاء تقطن به حوالي 2.000 نسمة، ويتضمن بعض المنشآت الإدارية من ضمنها ملحق للجماعة، بالإضافة إلى السوق الأسبوعي وعدد هام من الوحدات الصناعية، وقد جلب مناخها الملائم عدداً كبيراً من الفئات الغنية بالبيضاء للاستقرار بها بشكل دائم أو موسمي.

ـ مركز سيدي مسعود، يطغى على هذا المركز الطابع الديني نظراً لوجود الولي الصالح سيدي مسعود الذي يستقبل يومياً أفواجاً من سكان البيضاء، أما الأنشطة الاقتصادية فهي شبه منعدمة باستثناء سوق أسبوعي صغير.

غير أن العامل الأساسي الذي ساهم وما زال يساهم في التغييرات التي تعرفها هذه المنطقة يبقى مرتبطاً بالنشاط الصناعي. فلقد استقبلت بوسكورة خلال السنوات العشر الأخيرة عدداً من الوحدات الصناعية التي تم نقلها من داخل البيضاء بسبب غياب مناطق صناعية كافية والضغط الذي تعرفه المصانع خاصة وسط الأحياء السكنية.

وهكذا أصبحت جماعة بوسكورة حلقة صناعية هامة ضمن شريط من المراكز القروية المحيطة بالدارالبيضاء، والتي تتطور باستمرار، ارتباطا مع ما تسجله العاصمة الاقتصادية من تحولات في نسيجها الحضري ومجالها الإنتاجي.

القطاعات الصناعية	عدد المصانع	٪	عدد العمال	٪	الحجم المتوسط للمصانع
صناعات غذائية	11	15	779	10	71
صناعات النسيج	7	9	697	9	99
صناعات الخشب	5	7	685	9	137
صناعات مواد البناء	20	27	2137	27	107
صناعات حديدية وكهربائية	16	22	2851	37	178
صناعات كيماوية	15	20	626	8	42
المجموع	74	100	7775	100	105

توزيع الصناعات بالجماعة القروية لبوسكورة سنة 1987

المصدر : عبد القادر كعيوا : *النسيج الصناعي بالدارالبيضاء ـ أطلس ولاية الدارالبيضاء* ـ منشورات مجموعة أبحاث ودراسات حول الدارالبيضاء ـ *الدارالبيضاء ومركز أوربا للدراسات الحضرية تور*، فرنسا، 1989.

تتوفر الضاحية القروية للدارالبيضاء حالياً على أكثر من 200 وحدة صناعية، تشغل حوالي 18.000 عامل. هذه الصناعات يتركز جلها بجماعة بوسكورة حيث تنتشر 74

وحدة صناعية مشغلة حوالي 8.000 عامل أي 44٪ من مجموع اليد العاملة الصناعية بالضاحية القروية.

يظهر من خلال الجدول أن البنية الصناعية لهذه الجماعة جد متنوعة، غير أن قطاعات الصناعة الميكانيكية والكهربائية وصناعة مواد البناء تبقى هي المهيمنة نظراً لتضمنها وحدات إنتاجية ضخمة مثل معمل الاسمنت الجديد ـ سينوكا ـ ومعمل طومسون للتركيب الكهربائي ... فهذه القطاعات تشغل حوالي 5.000 عامل، أي ما يمثل ثلثي اليد العاملة بالجماعة.

على مستوى التوزيع الجغرافي، تتركز هذه الصناعات في منطقتين رئيسيتين : (انظر الرسم).

ـ نواة رئيسية أولى جنوب مركز بوسكورة، مكونة من مصانع مختلفة الأحجام ومستودعات لحفظ المنتجات، يصل عددها إلى أربعين مصنعاً.

ـ نواة رئيسية ثانية بمركز سيدي معروف الذي استقبل الصناعات الأولى بالضاحية القروية. فهذا المركز يتضمن حوالي 50٪ من معامل الجماعة التي تركز أكثر من 3.000 عامل في قطاعات النسيج والخشب ومواد البناء. وقد شكل استقرار الصناعة أهم عنصر في تعمير هذا المركز الذي يمثل اليوم أول تجمع سكاني بجماعة بوسكورة.

هذا التوافد المتوالي لوحدات الانتاج أدى إلى استهلاك مساحات شاسعة من الأراضي الصالحة للزراعة. فلقد استقبلت بوسكورة خلال العقد الأخير 60 وحدة صناعية تطلب استقرارها حوالي 500 هكتار، فمعمل الإسمنت الجديد يغطي وحده 228 هكتار جنوب الجماعة.

لقد تحولت هذه الجماعة تدريجيا، وعلى غرار باقي الجماعات القروية إلى مجال خصب للمضاربات العقارية بهدف إقامة أحياء سكنية أو إعادة توطين صناعات المدينة الكبرى، الشيء الذي سيؤدي لا محالة إلى مخاطر كثيرة سواء على مستوى تقليص المجال الفلاحي أو على مستوى التطور المنسجم لولاية الدارالبيضاء (مشاكل التنقل، النقص في التجهيزات، مشاكل التلوث...) إذا لم يتم تدارك هذا الوضع بسرعة.

دراسة ميدانية.

عبدالقادر كعيوا

بُوسْلْهَامْ، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني توزين وكان من بين أفرادها :

بوسلهام، (سيدي ـ) **أحمد** رجل صالح من أسرة الكوش التي أصلها من قبيلة بني توزين الكرتية، اشتهر باسم أبيه ولذلك يعرف ضريحه بسيدي بوسلهام ويوجد أمام باب مسجد العيون بتطوان.

ولد هذا الولي بتطوان سنة 1713/1125 وعند بلوغه سن الرشد حلّ محل والده كمخزني بجانب الباشا أحمد الريفي فصار ينطق بكلام لا يحبّه الحاكم فسجنه الباشا بطنجة مدة سنتين حيث لم يطلق سراحه إلاّ بعد مقتل الباشا المذكور.

توفي سيدي بوسلهام بتطوان سنة 1798/1212. ودفنه رجل كان يعتني به ويخدمه إلى آخر أيام حياته في بيت من داره وهو المعلم محمد بن عبدالعزيز مولاطو الأندلسي.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 30 ؛ 3 : 12 ؛ 4 : 90، 125 ؛ 7 : 22 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 155، 267 ؛ 6 : 190 ؛ 7 : 244 ؛ 8 : 356 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* ؛ م. علي الزيادي، *سلوك الطريقة الوازية* ؛ سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

بوسلهام، عبدالرحمن بن محمد، فقيه زاول خطة العدالة من سنة 1793/1207 إلى سنة 1809/1224 :

بوسلهام، محمد، من الموقعين على بيعة مولاي سعيد بن السلطان مولاي اليزيد بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 7/1236 مارس 1821.

محمد ابن عزوز حكيم

بُوسَلْهام، (**مولاي ـ**) من أكبر صلحاء ناحية الغرب ودفين البلدة التي تحمل اسمه، على شاطئ البحر الأطلنتي، والتي أصبحت من أهم مراكز الاصطياف، خصوصاً بالنسبة لأهل فاس ومكناس.

لا يُعرف مولاي بوسلهام إلا بهذا الاسم ؛ ويرى البعض أن اسمه هو أبو سعيد المصري، بينما يرى غيرهم أنه هو أبو عبدالله عليّ العاصي ؛ لكن صاحب *سلوة الأنفاس* يؤكد أن مولاي بوسلهام شريفٌ حسني وأن اسمه الحقيقي هو أحمد بن عبد الله بن سليمان.

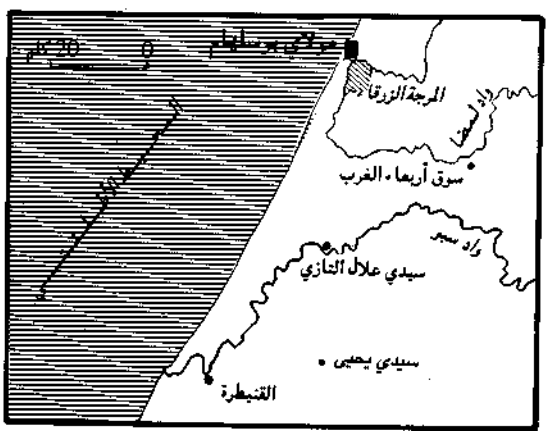

موقع مولاي بوسلهام

وهنا لا بدّ من ملاحظة أن هذا الولي ليس هو الوحيد في المغرب الذي عُرفَ بلباسه، فهناك غيره من الأولياء كانوا يحملون هذا الاسم، لكن باللهجة الأمازيغية : "بُوخْنيف" (*مدينة أزمور وضواحيها* ؛ *ممتع الاسماع*)، ويظهر

إذا ما صحت رواية صاحب *السلوة*، قد أخفى بالفعل اسمه الحقيقي اتقاءً لما كان يحدق بالشرفاء من أخطار في ذلك الوقت.

وبناء على بعض الروايات، فإن مولاي بوسلهام ظل يتنقل من جبل بوهلال بمصمودة إلى قبيلة بني گرفط، إلى تْشيمَشْ Lixus إلى حجرة النسر إلى الشاطئ حيث وافاه الأجل المحتوم حوالي عام 340/51.952، أي بعد نكبة الأدارسة بثلاث وعشرين سنة. فدُفن في المكان الذي يوجد فيه قبره الآن، شمال المَرْجة الزرقاء.

ومما تجدر الإشارة إليه أن قبة مولاي بوسلهام تضم كذلك رأسَ المجاهد الكبير سيدي مَحمد العياشي السلوي، بينما دُفن باقي جُثّته بمولاي بُوشتة ؛ كما أن قبر ابنه سيدي عبدالله العياشي يوجد بالقرب من ضريح مولاي بوسلهام.

قد تكون هذه الذكريات التي لها علاقة بالجهاد من الأسباب التي جعلت الناس يُولُون هذه الأهمية الكبرى إلى ضريح مولاي بوسلهام، وهذه العناية الخاصة لإقامة موسم سنوي فيه، عند نهاية فصل الربيع قبل الحصاد، أي في شهر ماي، فيتوارد عليه الزوار من كل حَدَب وصَوْب، ويتجمعون يوم الخميس بسوق جمعة لالّة مبمونة تَاگْنَويتْ ويقضون به يومي الجمعة والسبت ؛ ومن هناك يتوجهون يوم الأحد إلى مشرع الْحضَر في حفل كبير، وهم يلعبون بالبارود، إلى أن يصلوا إلى الضفة اليمنى لواد الدّرادَرْ، فتضرب الخيام من مشرع الحضَرْ إلى عين تَسّاوتْ وضريح مولاي بوسلهام. ويوم الإثنين يبدأ الموسم بانزعل حيث تُقدّم القرابين لمولاي بوسلهام فتذبح الأبقار والأغنام وتقام الحفلات ويزدهر البيع والشراء.

م. الفاسي، *متع الأسماع* ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ *مدن وقبائل المغرب*، *مدينة أزمور وضواحيها*، تر. م. الشياظمي.

E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui* ; G. Salmon, *Quelques légendes relatives à My Bou Selham, A. M*, t IV ; *Villes et Tribus*, t IV, *Le Gharb*.

محمد الشياظمي

** يقع مركز مولاي بوسلهام في أقصى الشمال الغربي من سهل الغرب على بعد أربعين كيلومتراً من سوق أربعاء الغرب، وهو محطة سياحية تتميز بموقع ساحلي عند فم المرجة الزرقاء وفوق سطح كثبان رملية متصلبة مما جعلها تتأثر بالظروف الطبيعية العامة للمنطقة الساحلية من سهل الغرب.

تنقسم تضاريس المنطقة إلى قسمين : القسم المرتفع : ويتمثل في كتلة ظهر الدوم وظهر العارگة وكتلة الخلوط شمالا ؛ والقسم المنخفض : ويشمل منخفض واد الدرادر.

المناطق المرتفعة عبارة عن مجموعة من الكثبان الرملية التي تكونت خلال فترة السلطاني وتمتد بصفة طويلة وموازية بمحاذاة الساحل، ارتفاعها لا يتعدى في أقصى الجنوب 100 م و80 م في كتلة الخلوط شمالا، يشغل سطحها بعض المنخفضات الصغيرة. هذه الكثبان الساحلية تشرف في واجهتها على منخفض طولي موازٍ لها، وهو عبارة عن وَهْدَة تكتونية نتجت عنه ولجة واسعة يصل اتساعها إلى حوالي 500 م في بعض المناطق والارتفاع ضعيف لا يتعدى 6 م. وهذا شأن منطقة المرجة الزرقاء التي تشغل مساحة كبيرة وتصل إلى 30 كلم2 يغمرها واد الدردار وقناة الناظور من جهة ومياه البحر أثناء المد من جهة ثانية، وذلك عبر خانق مولاي بوسلهام الذي يقطع الكثبان المتصلبة الساحلية من الجهة الغربية لهذه الكثبان، يمتد شاطئ رملي اتجاهه من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي وهو عبارة عن ساحل خطي غير متقطع تنعدم به الأجراف الصخرية، يتسع هذا الشاطئ في اتجاه البحر بنوع من الانحدار الخفيف مما يسمح بظهور شاطئ بحري ضعيف العمق، فعلى مسافة 1.5 كلم انطلاقاً من مركز مولاي بوسلهام لا يزيد العمق داخل البحر إلا بـ 20 م مما يساهم في التخفيف من قوة الموج لذلك الشاطئ، ويمتاز بالهدوء النسبي رغم انفتاحه على المحيط، كما توجد به رمال نقية وجيدة.

أما من الناحية المناخية فالمنطقة تنتمي إلى المناخ المتوسطي المتميز بتعاقب فصلين فصل بارد وممطر وفصل حار وجاف. وبحكم الانفتاح على المحيط فإن المنطقة تخضع للتأثيرات البحرية التي تأتي بتساقطات مهمة تتراوح في بعض الحالات العادية ما بين 600 و800 مم خاصة في فصل الشتاء. وبالنسبة للحرارة فإنها تتأثر بنسيم البحر الذي يصل مداه نحو الداخل إلى حوالي 20 كلم، وتصل درجات الحرارة الدنيا في شهر يناير ما بين 6 د و8 د. أما الحرارة القصوى فتبلغ 30 د في شهر غشت خلال الصيف، كما أن المنطقة تعرف موجات من الضباب خلال النصف الأخير من الليل لتنقشع في الصباح الباكر.

ظروف التعمير والاستقرار : عرفت هذه الفترة ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : كانت فيها المنطقة عبارة عن فضاء فارغ باستثناء بعض الدور القائمة حول ضريح مولاي بوسلهام، وأصحابها من خدام الضريح ومقدميه، وهذه المرحلة غير محددة زمنياً.

المرحلة الثانية : بعد الاحتلال الفرنسي للمغرب ظهر الاهتمام أكثر بالساحل، وبرزت بعض المراكز الصغيرة على الساحل الأطلسي الغربي كان من بينها مركز مولاي بوسلهام. وكان أول معمر فرنسي استوطن المنطقة شخص يدعى فرانسيس دوبيل Francis Debelle سنة 1921 ثم تلاه عدد آخر من الفرنسيين من منطقة الغرب وسايس ومكناس. وفي سنة 1925 أصبح المركز عبارة عن محطة سياحية حيث تكونت جمعية اتخذت لها اسم جمعية الشاطئ مستغلة بذلك مساحة ثمانية هكتارات مجهزة بالمعدات الشاطئية الخاصة بالسياحة والصيد. وفي الفترة الفاصلة ما بين سنة 1954 ـ 1955 أنشأ الفرنسيون حوالي مائة بيت خشبي مقابل أربعة منازل صلبة.

المرحلة الثالثة : بعد الاستقلال غادر معظم الفرنسيين

المنطقة واستغلت بعض الأسر الميسورة هذا الوضع لتحل مكانهم وذلك باقتنائها لعدد من البيوت بأثمان زهيدة. وابتداءً من السبعينات لم يبق سوى أربع أسر فرنسية. وإلى حدود سنة 1980 وصل عدد المنازل المشيدة حوالي 800 منزل بين فيلات وبيوت تقليدية وعصرية، ومازالت حركة البناء في استمرار دائم. وقد ساعدت موجة البناء هذه على إنشاء بعض المصالح العمومية كالمدرسة الابتدائية والمستوصف القروي ومركز الدرك الملكي وسوق لبيع الخضر واللحوم، وكذا عدد من الدكاكين وصيدلية بالإضافة إلى حمام وفرن عموميين.

النشاط الفلاحي والصيد البحري : أدى الاختلاف الطبيعي بين مختلف نطاقات السهل إلى تقسيمه إلى مناطق متنوعة، أهمها المنطقة الداخلية ثم الساحلية. هذه الأخيرة هي التي تضم في أقصى شمالها الغربي مركز مولاي بوسلهام، طبيعة هذا الساحل المكونة من كثبان رملية خلفها مباشرة يمتد نطاق منخفض تشغله الوجة وبعض المرجات إضافة إلى طبيعة التربة الرملية، كل هذا سوف ينعكس على نوع النشاط الفلاحي السائد في هذا النطاق المتمثل في زراعة الخضر، خاصة الطماطم واللوبياء والقرع وبعض الفواكه كالبطيخ والدلاح وتوت الأرض، كما يهتم فلاحو المنطقة بتربية الماشية كنشاط مكمل لزراعة الخضر، وذلك باقتناء الأبقار الحلوب من النوع الجيد، الشيء الذي حتم إنشاء تعاونية لجمع الحليب. كما أن هناك عدة ضيعات لتربية النحل واستخراج العسل. وتم إنشاء وحدة صناعية غذائية تسمى الشركة الصناعية الفلاحية للدرادر تهتم بجمع المحاصيل الزراعية للمنطقة وتصديرها بعد معالجتها.

يعرف الصيد البحري هو كذلك نشاطاً كبيراً يغلب عليه الطابع التقليدي ويتوفر على مرفأ طبيعي يوجد به نحو 80 زورقاً يشغل حوالي 200 عامل يعملون بصفة دائمة عدا البعض منهم الذي يشتغل في بعض المواسم الفلاحية في الحقول. وتنقل الكميات المصطادة إلى المدن المجاورة نظراً لعدم الرواج طيلة السنة. أما في فصل الصيف فتسوق في عين المكان نظراً لإقبال الزوار على اقتناء كل أنواع السمك المصطادة وبأثمنة جد مرتفعة.

النشاط السياحي : تتوفر المحطة على وحدات مختلفة لإيواء الوافدين .

1 ـ هناك فندق من فئة ثلاثة نجوم "يتوفر على ثلاثين غرفة طاقتها الاستيعابية 70 سريراً، يشغّل حوالي 35 شخصاً به مقهى ومسبح ومطعم وناد ليلي.

2 ـ المخيم المصنف : يوجد قرب المرجة الزرقاء تابع لوزارة السياحة يسمى "الضيافة" طاقته 600 خيمة، مجهز بالماء والكهرباء، به مسبح ومقهى وناد ليلي وملاعب للأطفال وقاعة للاستقبالات، يشتغل به حوالي 54 عاملاً.

3 ـ المخيم الشعبي : طاقته تفوق أحيانا 1.200 خيمة، تابع للجماعة القروية للاميمونة، يفتقر إلى التجهيزات الضرورية كالماء ومرافق النظافة.

بالإضافة إلى المخيمين والفندق هناك الدور الخاصة التي تصل إلى 600 دار وتعتبر النواة الأصلية لظهور النشاط السياحي بالمنطقة.

كما تنتشر بجوار المحطة بعض الغابات التي تعتبر مجالا هاما لانتشار الصيد البري، وقد أدى ذلك إلى إنشاء شركة للقنص تجلب أعدادا مهمة من عشاق هذه الرياضة.

أطلس حوض سبو، *الخريطة الطبوغرافية لمولاي بوسلهام* ؛ م. رزوق وآخرون، *التيارات السياحية الداخلية المتجهة نحو شاطئ مولاي بوسلهام*، بحث لنيل الإجازة في الجغرافيا تحت إشراف أ. محمد بريان.

J. Lecoz, *Le Rharb : Fellahs et colons* ; M. Berriane, *Tourisme international et espaces touristiques*, Rabat.

محمد بلعربي

بوسمّارة ـ بسيط ـ ← **بوعيطة**

البوسملالي، أسرة تطوانية أصلها من قرية بوسملال الواقعة بفرقة الواد من قبيلة بني حزمر المجاورة لمدينة تطوان، وكان من بين أفراد هذه الأسرة :

البوسملالي، أحمد بن عبدالله.

البوسملالي، عبدالقادر بن أحمد

البوسملالي، المكي بن أحمد. وكلهم فقهاء كانوا يزاولون خطة العدالة بتطوان فيما بين سنة 1814/1231 وسنة 1827/1242.

وفي سنة 1834/1250 كان بالمدينة تاجر مشهور اسمه : محمد بن علي البوسملالي كانت له علاقة تجارية مع جبل طارق.

بوسْنَانْ، أسرة أصلها من قبيلة أهل سريف كانت بتطوان إلى حدود سنة 1856/1272 حيث انقرضت، وكان من بين أفرادها :

بُوسْنانْ، الزبير بن أحمد فقيه زاول خطة العدالة بتطوان سنة 1850/1266.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 7 : 290 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بوسنّة أو البوسنّي، أسرة حَمْرِيّة تنتسب إلى سعيد بن ناصر الحَمْري شقيق علي الحمري صاحب مدرسة الرماية ببلدة احمر الشهيرة. عرف أسلافهم بالتصوف والإشراف على زاويتهم لتحفيظ القرآن وتلقين الورد الناصري. وسرعان ما اشتهروا بالغنى وسعة الأملاك الفلاحية بكل من قبيلتي احمر وعبدة المحبسة على الزاوية الواقعة بجماعة جنان بّيه على هضبة تعرف بتكَرْت في حدود احمر وعبدة على بعد بضعة كيلمترات من الَشماعية. وتعتبر من المؤسسات الاجتماعية التربوية التي ارتبطت بالمخزن منذ

القرن الحادي عشر (17 م) إلى منتصف القرن العشرين، فكل الظهائر التي أنعم بها الملوك العلويون على شيوخ هذه الزاوية تحث الولاة على التوقير والاحترام والدفاع عن مصالح البوسنيين وتنعتهم بالمرابطين وتوصي بهم خيراً.

ونظراً لما تميزت به هذه الأسرة من غنى ورفاهية اهتم شيوخها بتشييد الرياض الفخمة ذات القبب العالية والزخرفة في السقوف والجدران حتى ليخيل إلى الزائر لها في منتصف هذا القرن أنه في كبرى الحواضر لما تتميز به من تقدم في العمران ورقي في الحضارة. فتجمعت فيها جملة من خصائص الفن المغربي الأندلسي في وسط قروي تسوده المفارقات.

بوسنّة، عبد الحفيظ بن عبدالسلام، من آخر شيوخ زاوية البوسنّي، فقد أنعم عليه محمد الخامس في 18 محرم 1366 بظهير توقير مسجل بالوزارة الكبرى بتاريخ 15 صفر 1366 موافق 8 يناير 1947. وكانت وفاة عبدالحفيظ بوسنة سنة 1957.

بوسنة، عبدالسلام بن الطيب. جاء في ظهير للحسن الأول : "ولّينا المرابط السيد عبدالسلام بن الطيب بن عبدالسلام الحمري أمر زاويتهم وأسندنا إليه النظر في مصالحها وعمارتها والكلام مع من كان يتكلم معهم والده".

توفي عبدالسلام هذا سنة 1344 / 1925. وأثناء مشيخته حدثت له مشاكل مع بعض الفلاحين المتعاملين معه في عهد السلطان المولى عبدالعزيز، فطلبت الحكومة من القائد عيسى بن عمر العبدي أن يقف بجانب المرابط. وهذا مضمن التوصية :

"خديم سيدنا الأرضى القائد عيسى بن عمر العبدي. وبعد، فقد اشتكى المرابط السيد عبدالسلام بوسنة الحمري بأن الناس الموسومين بطرته من احمر له عليهم مائة وخمسون ريالاً ولما طالبهم بأدائها عمدوا مع بعض الرعاع إلى عزبته وأفسدوا زرعه ونهبوا ما فيها وطردوا أصحابه وأوجعوا بعضهم ضرباً، عدواناً وظلماً، وكتبنا لعاملهم القائد بن القاضي بانصافه منهم حتى لا تبقى له قلامة ظفر. وعليه فشد عضده عليهم حتى يتمكن منهم".

بوسنة، محمد أول من تصدر من البوسنيين للمشيخة، وهو تلميذ الشيخ مَحمد بن ناصر الدرعي الذي أطلق عليه هذه الكنية تيمناً بإحياء السنة في بلاد احمر عند رجوعه إليها. ويحتوي ضريحه على خمس قبب عالية.

ومن جملة الظهائر التي تهم هذا الشيخ ظهير للسلطان المولى عبدالله بن إسماعيل مؤرخ في منتصف شوال 1144 / 10 أبريل 1732، جاء فيه : "السيد الصالح المبارك العارف بالله المنتسب إليه السيد محمد بوسنة. أما بعد فقد بلغنا كتابكم الأسنى الذي كتبتم لنا ودعوتم لنا بالخير والصلاح، فالله يجازيكم خيراً فنحن أحوج الناس إلى دعاء الصالحين لأجل ما قلدنا الله وكلفنا من رعاية خلقه. أعاننا الله بالقيام بحقه. وما أوصيتنا به على المساكين والضعفاء والصالحين والعباد فذلك الذي نريد منك ...".

وأما الأميرة خناتة زوجة السلطان المولى إسماعيل ووالدة السلطان المولى عبدالله فقد شملت الزاوية البوسنية برعايتها ووصايتها لما توفي الشيخ محمد بوسنة، وجاء ذلك في رسالتها إلى الباشا موسى : "خديمنا الأرضى الباشا موسى ... وإنني أؤكد عليك أشد التأكيد زاوية الولي الصالح السيد محمد بوسنة ألا تترك من يترامى عليها أو يطوف بساحتها. فالزاوية تركها سيدي محمد بوسنّة بيدي وأنا الوصية عليها. وإياك ثم إياك فاحترمها بما تحترم به أمثالها ووقرها... في منتصف شوال 1145 هـ.

بوسنة، محمد المفضل، خلف والده سابق الترجمة بعد وفاته في رعاية الزاوية. ومما جاء في أحد الظهائر المؤرخ في 19 شوال 1156 / 6 دجنبر 1743 : "وكذلك وقرنا أصحابهم المعروفين لهم وأسقطنا عليهم الكلاّف المخزنية والوظائف السلطانية". وكان للشيخ محمد المفضل أخوان طاب لهما المقام بمدينة السعيدة بالجزائر عند رجوعهما من المشرق بعد أداء فريضة الحج وبقيت ذريتهما هناك.

وبموت المتأخر من هذه الأسرة عبدالحفيظ سنة 1377 / 1957 صارت الزاوية البوسنية في خبر كان وضاعت أحباسها بين فروع الأسرة، بعد أن مثلت فترة تاريخية ومؤسسة اجتماعية متميزة امتدت ثلاثة قرون.

ظهائر لدى الأسرة البوسنية : رواية شفوية من بعض أفراد الأسرة ؛ إ. كردية، القائد الوزير عيسى بن عمر العبدي.

محمد ماگامان

بُوسْنو دومنيك Busnot Dominique راهب فرنسي زار المغرب وأقام بالعاصمة الإسماعيلية فيما بين 1116 / 1704 و1118 / 1706 بقصد افتداء الأسرى المسيحيين الذين كانوا في خدمة المولى إسماعيل، وكان ينتمي إلى دير الثالوث Trinité الذي كان قد جعل من أعمال الافتداء تجارة مربحة، شأنه في ذلك شأن أديرة مماثلة كانت تعمل لنفس المقاصد بدار الإسلام، فكان الرهبان يجمعون بعض الأموال ويصرفونها في أسفارهم وفي المبالغ التي كانت تؤدى في الفدية، حتى إذا عادوا بالمفديين من بني ملتهم إلى أوربا ظلوا يطوفون بهم عبر الأقاليم ويعرضونهم على الجمهور استدراراً لهباته وصدقاته، فتحصل لهم من ذلك أرباح ملموسة، لكن مساعي الأب بونسو لدى المولى إسماعيل لم تُجْدِ فتيلا نظراً لإلحاح ذلك السلطان الأعظم على ألاّ يكون الافتداء بالمال، ولكن أن يكون بالمفاداة، فيعطي المغرب نصرانياً في مقابل ثلاثة من المسلمين، وذلك لأن الأساطيل الأوربية، كانت قد تفوقت على أساطيل المسلمين وأضحت قادرة على أسر أعداد من المسلمين تتجاوز بكثير ما كان يقع بأيدي أصحاب المراكب الإسلامية من النصارى.

كانت الرحلة الأولى للأب بوسنو فيما بين شتنبر ودجنبر

من سنة 1704، جاء من قادس إلى سلا بحراً ثم انتقل إلى مكناس في نونبر واستُقبل من لدن المولى إسماعيل وسلمه الهدايا الثمينة التي كان محملا بها، وقال إنها وقعت من العاهل موقع الرضى، ولما تكلم في أمر الفدية أجابه السلطان بضرورة التزام المفاداة في ذلك وألح عليه بالتدخل لدى حكومة لويس الرابع عشر لتعمل بهذه الطريقة وأمر بتسريح بعض العجزة من الأسرى تشجيعا له وجزاء له على هديته، ثم أذن له بالانصراف، فعاد الأب بوسنو إلى قادس، وبينما هو مقيم بها، إذ جاءه خبر يوجب الرحيل مرة أخرى إلى مكناس لتجديد المفاوضات، فكرّ راجعاً ودخل الحاضرة الإسماعيلية، أواخر يوليوز سنة 1705، محملا بهدايا جديدة تحتوي على مجوهرات وأقمشة ناعمة وساعة حائطية، واستُقبل من لدن السلطان الذي كان لم يغيّر شيئا من موقفه المبدئي، فلم يحصل بوسنو على أكثر من تسريح تسعة أسرى، بل وأزعج إزعاجا من مكناس في حالة من الذعر ليس بعدها ذعر، على ما روى، فخرج مسرعا إلى قادس ومن قادس انتقل براً عبر إسبانيا إلى مرسيليا، وبينما هو في مرسيليا في أكتوبر سنة 1705 جاءه الخبر باحتمال إتمام الافتداء على يد القائد علي بن عبدالله، قائد الريف والأقاليم الشمالية، فرحل للمرة الثالثة إلى المغرب في شهر مارس سنة 1706، ودخل من سبتة قاصداً تطوان مصحوباً بشيء من المال وبعشرين من الأسرى المسلمين فكان حصيلة ما افتدى عشرين من النصارى سرحهم القائد المذكور فعاد بوسنو إلى فرنسا غضبان أسفا، ولما كان سلس القلم حديد اللسان، فإنه انكب على تدوين رحلاته الثلاث، لينتقم لنفسه ولديره ولملته مما شاهد وعانى وتخيل من شؤون المغرب بروح الصليبية وأسلوب التشويه، ويعتبر كتابه نموذجا وقمة في سلسلة ما دوّن من رحلات الافتداء المسيحي، لما كان يلبّي، لدى القراء الأوربيين، من حاجة إلى التشفي في الإسلام ورغبة في الأقاصيص الملفقة، لاسيما أن أكثر الكلام فيها عن سفك الدماء وانتهاك الحرمات وأكل القوي للضعيف، ولقد لعب هذا النوع من الكتابة الأدبية أدواراً غير هينة في تشويه شؤون الإسلام وتبرير ما أصبحت المدافع والأساطيل الأوربية تمارسه في حق المسلمين من أعمال العنف بذريعة الدفاع عن النفس والرد بالمثل، وكان ذلك كله إعداداً للنفوس ليوم السطو والاستعمار. ولقد جعل الأب بوسنو لكتابه عنواناً مسهبا واضح الدلالة يوم نشره أول مرة سنة 1714، جاء فيه : *"تاريخ عهد المولى إسماعيل ملك مراكش وفاس وتافيلالت وسوس وما إلى ذلك، وتاريخ عدد من أبنائه ومصيرهم المأساوي ومصير عدد من أزواجه الفظيع، وطريقة تعذيبه للعديد من ضباطه وأبناء رعيته، وعبقريته وسياسته وكيفية حكمه للإمبراطورية، وما يعانيه الأسرى المسيحيون في إيالته من القساوة والاضطهاد مع حكاية ثلاث رحلات إلى مكناس وسبتة لافتدائهم، إضافة إلى مجموعة من المباحث في تقاليد الكنيسة للإفراج عنهم"*.

ولا أدلّ على ما لعبته هذه الكتابات في مقدمة الاستعمار، بالرغم مما تتضمنه هنا وهناك من الاشارات التاريخية الحية، من إقدام بعض دور النشر في باريس على تجديد طبع الكتاب سنة 1928 تحت عنوان مناسب لأذواق الوقت وهو : *"حكاية مغامرات أيام لويس الرابع عشر"* وجاء في مقدمته : "من شأن كتاب الأب بوسنو أن ينال من جديد شيئا من الحظوة، ومن شأنه أن يخفف من الانتقادات الموجهة عموما للعمليات الاستعمارية، علماً بأن بقايا الجنايات الفظيعة التي ارتكبها المولى إسماعيل كانت إلى عهد غير بعيد منا، مازالت ملموسة لدى بعض خلفائه". وهذا عنوان العداء الرخيص والاتهام بالإيحاء ومثال ما كانت تنبني عليه الدعاية الاستعمارية.

Père Dominique Busnot, *Histoire du règne de Moulay Ismaïl Roy du Maroc*, ... Paris, 1714 ; *Récits d'aventures aux temps de Louis XIV*, Pierre Roger, Paris, 1728 ; M. Morsy, *La relation de Thomas Pellow : Une lecture du Maroc au XVIII siècle*, Paris, 1938.

إبراهيم بوطالب

بوسي فرانسيس Busset Francis معمر ورجل أعمال فرنسي، حل بالمغرب سنة 1912 وتعاطى أنشطة مختلفة في ميادين العقار والفلاحة والصناعة والمناجم، وبموازاة ذلك، لعب دوراً مهماً في مجال الصحافة.

وفي سنة 1913 أسس جريدة *لابريس ماروكين La Presse Marocaine* التي حادت شيئا فشيئاً عن خطة المقيم العام ليوطي، بل وطالبت أحيانا بتنحيته. وعقابا لصاحبها على هذا الاتجاه، دُبّرت مؤامرة أسقطت الجريدة بين أيدي مجموعة ترأسها كلّ من وكالة "هافاس" و"بنك باريس والبلاد المنخفضة". ولم يتمكن "بوسي" من استرجاع صحيفته إلا عام 1927م، أي بعد أن رحل ليوطي عن المغرب بسنتين.

عند اندلاع الحرب العالمية الثانية ودخول المغرب تحت مظلة نظام ڤيشي، رفض فرانسيس بوسي أن يجعل جريدته مجرد بوق للسياسة الرسمية. فتميزت من بين الصحف الأخرى بلهجة تستشف منها محاباة للانكليز، الشيء الذي عرضها مرات عديدة لمضايقات الرقابة والحجز.

لما ضاقت الإدارة ذرعا بجرأة "بوسي" رمت به، يوم 16 يونيو 1941، في غياهب السجن بتهمة مؤازرة الحركة الدوگولية، ثم مثل يوم 16 دجنبر من نفس السنة أمام محكمة عسكرية، ففرضت عليه الإقامة الجبرية التي تحملها حتى غداة النزول الأمريكي بالمغرب.

لكن العهد الجديد لم يكن يضمر لبوسي وجريدته أياما سعيدة. فالمنافسات السياسية والمواقف المتشددة، في جو تصفية الحسابات، جعلت بوسي موضع اتهامات تطعن في مواقفه السياسية القديمة. فاتهم بالتعاطف مع نظامي موسوليني وفرانكو في الثلاثينيات، بل والتعاطف مع نظام الثورة الوطنية أيام ڤيشي !.

لم يستطع بوسي الصمود في وجه كل هذه العواصف، ففضل التخلي عن النشاط الصحافي بعد أن باع "لابريس

ماروكين" لأطراف مؤهلة أكثر منه للتأقلم مع الظرفية الجديدة.

H. Labadie-Lagrave, *Le mensonge marocain : Contribution à l'histoire vraie du Maroc*, Casablanca, s.d., (1925) ; Archives du Quai d'Orsay.

جامع بيضا

بوسيدان، داود، كان ربّيا خلال القرن الثامن عشر، أصله من تـمْـلت، نزل بمكناس حوالي عام 1780 رفقة جمهور من قبيلة يتألف من 150 نسمة. يتداول يهود مكناس أخباره المدهشة بما تحمله من أساطير في شأنه. يوجد قبره بالمقبرة القديمة اليهودية بالعاصمة الإسماعيلية.

J. Toledano, *Le Temps du Mellah*, p. 4.

سيمون ليفي

بوسيف، أو أبو سيف و سياف البحر، سمك بحري كبير الحجم له منقار طويل يساعده على قتل فريسته، يعرف في طنجة بصْبادا واصبادون Espadon وبوخباله في العرائش والسيف في مولاي بوسلهام وبوسيف في المحمدية والدارالبيضاء.

ينتمي إلى فصيلة Xyphiidae ويسمى علميا Xyphias gladius وبالفرنسية Espadon وبالأنجليزية Swardfish. ينتهي الفك العلوي بمنك طويل (منقار) شبيه بالسيف يبلغ طوله حوالي ثلث مجموع طول الجسم. الجسم مغزلي الشكل، يصل طوله عند الكبار إلى أربعة أمتار ونصف، وشائع ما بين 80 ـ 200 سم، يتراوح وزنه ما بين 60 ـ 150 كلغ. الظهر والجوانب سوداء بنية والبطن رمادي. يختلف شكل الزعانف الظهرية والشرجية عند الصغار والكبار: متواصلة عند الصغار ومتباعدة عند الكبار. تتكون الزعنفة الأمامية من 34 ـ 49 شعاع وتتكون الخلفية من 4 ـ 6 شعاعات. الزعنفة الذيلية هلالية الشكل عند الكبار ومقورة عند الصغار. توجد الزعانف الصدرية في الجهة السفلى من الجوانب. يتكون العمود الفقري من ست وعشرين فقرة وتكسو جسم الصغار حراشف كبيرة بينما تبقى أجسام البالغين بدون حراشف.

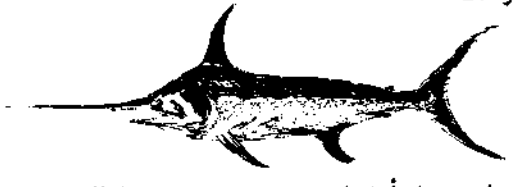

إنه سمك أوقيانوسي Pelagique يفضل العيش في أعالي البحار ما بين سطح البحر و700 متر من العمق. غالبا ما يتنقل منفردا ويكون أحيانا أفواجا قليلة الأفراد. يقوم بهجرات من المياه الباردة إلى المياه المرتفعة الحرارة أثناء مرحلة التوالد التي تمتد من يونيه إلى شهر غشت بالنسبة للأفراد التي تعيش في البحر المتوسط، ومن فبراير إلى أبريل بالنسبة للأفراد التي تعيش في المحيط الأطلنطي وذلك جنوب بحر سركاس. يبلغ قطر البيض 1.8 ملم وتعيش الصغار في الطبقات السطحية من الماء.

يتغذى من الأسماك الأقيانوسية والساحلية ومن القشريات والرخويات، وكثيرا ما يخلف خسائر كبيرة في محصولات الصيد ويقطع الشباك. يصاد بواسطة شباك مختلفة وبالصنارة. صيده شبه صناعي في إسبانيا وقبرص وتقليدي ورياضي في باقي الدول المتوسطية.

يشمل توزيعه الجغرافي البحر المتوسط والمحيط الأطلنتي وبحر الشمال والمحيط الهندي. يوجد بانتظام في أسواق الأسماك المغربية ويستهلك طريا أو مجمدا أو معلبا و طعمه لذيذ.

يطلق أيضا اسم بوسيف Espadon في أسواق الأسماك المغربية على خمسة أنواع من فصيلة Istiophoridae وهي كثيرة الشبه بالنوع المذكور من حيث المنقار والشكل. كلها أسماك مهاجرة تلعب دورا هاما في اقتصاد البلاد :

Istiophorus albicans (voilier de l'Atlantique) يسمى بالأنجليزية Atlantic salifish. ويبلغ طوله 315 سم ويعيش في أعالي البحار بالمحيط الأطلنتي والبحر المتوسط الغربي الممتد من صقلية إلى طنجة. إنه سمك أوقيانوسي يفضل العيش قرب السواحل و يأكل الأسماك الصغيرة والقشريات. صيده تقليدي بالمغرب.

Tetrapterus albidus (Makaire blanc de l'Atlantique) يسمى بالأنجليزية Atlantic White marlin، ويبلغ طوله 300 سم ويصل وزنه إلى 80 كلغ. يعيش عادة بعيدا عن السواحل في البحر المتوسط الغربي وفي المحيط الأطلنتي الممتد من إسبانيا إلى الجنوب الإفريقي.

هناك نوع يوجد في أعالي البحار (Marlin de la Méditerranée) Tetrapturus belone ويسمى بالأنجليزية Mediterraneen spearfish ويعيش ما بين سطح البحر و200 متر من العمق. يقتصر توزيعه الجغرافي على البحر المتوسط فقط ويتغذى من الأسماك الصغيرة. يبلغ طوله 240 سم ويصاد بواسطة الصنور والشباك.

يعيش نوع (Makaire bleu) Makaira nigricans في المحيط الأطلنتي ويبلغ طوله أربعة أمتار، شائع ما بين مترين ونصف وثلاثة أمتار.

(Makaire épée) Tetrapturus georgei نوع نادر جدا. يعيش في المحيط الأطلنتي من الشواطئ البرتغالية إلى الجنوب الغربي من المحيط، وكذلك في غرب البحر المتوسط. لا يتعدى طوله مترين.

G. Bianchi, *Ressources halieutiques de l'Atlantique marocaine*, Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche, 1984, p. 65 - 66 ; W. Fischer, M. Schneider, M. L. Bauchot, *Méditerranée et Mer Noire*, Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche, 1987, p. 1128 - 1131 - 1419 - 1420.

محمد رمضاني

بوشارين، قرية قديمة ذكرها برناردو ردريگس، صاحب *حوليات أصيلا*، كانت من جملة القرى التي تعرضت لغزو أصيلا، خلال الوجود البرتغالي بالمدينة. مازالت القرية قائمة بنفس المكان في الجنوب الشرقي من مدينة العرائش وعلى بعد منها بنحو أربعة كيلومترات، جنوب مجرى واد اللكوس، مما يقابل التقاء واد المخازن باللكوس. والقرية

مندرجة في الوقت الراهن بفرقة العوامرة.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 440 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 54.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, p. 93.

حسن الفكيكي

بوشاقور، (سيدي ـ) عبد الله حسو صاحب الضريح الشهير بسلا، من أصحاب الشيخ قاسم بن أحمد بن عيسى السفياني المعروف بابن اللوشي (ت رجب 1077 / يناير 1667) دفين وادي أرضَم من بلاد أزغار. قال في حقه القادري في *نشر المثاني* (3 : 120) "كان ـ عبد الله حسو ـ صالحا ملامتيا ذا جذب وأحوال... كثير التواضع والامتحان والصبر على حمل المصائب، يحترف بقطع أحجار الرحا ويتقوت منها، وبنى قبة، وهي التي دفن بها، بيده، وله كرامات وأحوال تدل على صدق حاله مع الله تعالى".

وهذه القبة مازالت قائمة، إلا أن اسم الشيخ قاسم اللوشي تُنُوسي، وأصبحت الزاوية تسمى اليوم زاوية سيدي عبد الله بوشاقور. وهي واقعة أمام مسجد ابن عبّاد، بجوار الزاوية الناصرية، بين رحبة زركالّة وعقبة الجامع الكبير.

توفي عبد الله بوشاقور عام 1112 / 1700 ـ 1701.

م. القادري، *نشر*، 3 : 120 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، 103.

محمد حجي

بوالشبوك، أسرة تنتمي إلى سيدي مَحمد بن عمرو اللمطي دفين نول لمطة بوادي نون جنوبي الأطلس الصغير حيث ما تزال المواسم السنوية الهامة بجوار ضريحه بأسْرير تشهد على أهميته التاريخية (*التشوف*، 344). ونتساءل عمّا إذا كان تضلع هذه العائلة في علوم الظاهر والباطن هو الذي ألصق بها تسمية إگلدان (السلاطين) قبل تسمية بوالشبوك ؟ فقد أهلها جدها حيا وميتا لتصدر الأحداث بشكل لافت للنظر (*المعسول*، 12 : 190 ـ 191). واكتفى محمد المختار السوسي بالإشارة إلى أن محمد أگلّيد كان حياً سنة 1845/1261 (*المعسول*، 12 : 191). فنتساءل بذلك متى أطلقت تسمية إگلدان التي تحظى داخل تقسيم ماء ساقية أسرير (28 يوماً مائياً) بوحدة كاملة (24 ساعة مائية) ؟ هذا السؤال يعيدنا مباشرة إلى سيدي مَحمد بن عمرو الذي حرص حياً على توزيع الماء بين تيغْمرت المجاورة وأسْرير من جهة، وتقسيم ماء ساقية أسرير على أهلها من جهة ثانية. فهذا الإشكال الذي كان قائما خلال القرن السادس (12 م) يربط حفدة الجد الأكبر بممارسة توزيع ماء الساقية وتنظيمه على امتداد الفترات. وهو ما يمكّننا من التساؤل عن الفترة التي أعيد خلالها توزيع الماء وما إذا كانت لاحقة لوفاة محمد أگليد ؟. هذا الخيط الرفيع يصب في ثاني سؤال يجب أن تستنطقه التحريات الميدانية وهو حول معرفة أي حفدة محمد أگليد لقب لأول مرة باسم بوالشبوك ؟ يجيبنا على هذا السؤال الأستاذ محمود بن أحمد بن محمود بن عبدالرحمان موضحا بأن هذا الأخير هو المعني بالسؤال. فيصبح بذلك العلامة الفقيه القاضي عبدالرحمان بن محمد بن علي بن محمد بن لحبيب المتوفى سنة 73/1290 ـ 1874 هو أول من لقب بأبي الشبوك حسبما أكده أيضا المختار السوسي (*المعسول*، 12 : 191). أما سبب التسمية فإن الأستاذ محمود يردها إلى خلاف وقع حول تحريم أو تحليل ذبح بقرة كتب العلامة عبدالرحمان فتوى بشأنه. وبعد أن أقرأها لأحد الأئمة العلماء السوسيين، نطق هذا الأخير بعد تأمل طويل قائلا بالشلحة : "شبكت غياد بوالشبوك".

يؤكد حفدة عبدالرحمان بوالشبوك أنه كان من وجهاء گلميم وأسرير مستدلين على ذلك بظهائر التوقير والاحترام السليمانية والرحمانية. على أن الظهائر السعدية والعلوية الأخرى التي بحوزتهم تصب كلها في نفس الاتجاه. فهذه عائلة مرابطية لمطية تقوم على النسب والتخصص في توزيع المهام كشرط مادي لحياتها. وهو ما أكسبها صفات معينة تطورت تلقائيا إلى سلطة دينية ودنيوية فعلية. فلا بد في هذه المنطقة التي يعيش بها الجماعات القرابية بشكل يكاد يكون متنافراً من زوايا مرابطين يوجهون قواهم ونشاطهم غير وجهة الصراع القبلي، بل الأكثر من هذا أن هذه العائلة تستمد أصالتها من ربطها بين العصبية وبين الشروط الموضوعية لفاعليتها السياسية. هذا ما يثبته التوقير والاحترام الذي تكنه قبائل تكنة وخاصة قبيلتي أزوافيط بأسرير وأيت موسى أُعلي بگلميم. إننا إذا تناولنا عبدالرحمان بوالشبوك كنموذج لأسلافه وأحفاده وجدناه ملتزما تدبير شؤون زاوية جده الأكبر بأسرير وحريصا في نفس الوقت على تحسين سمعته الدينية والقضائية بگلميم حيث يقيم غير بعيد عن أسرير. وهو اليوم يرقد بزاوية جده شأنه في ذلك شأن أسلافه الذين ماتزال سمعتهم تجعل منهم احدى السلطات المعنوية الفعلية بالمنطقة.

لقد استطاع محمد الابن الأكبر لعبدالرحمان بوالشبوك أن يصاهر بيروك بن عبيدالله أُسالم شيخ گلميم وسيد تجارتها خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر (19 م). أما محمود بن عبدالرحمان، فإنه لم يتوف إلا سنة 1915/1333 عن سن تناهز 118 سنة قضاها في مزاولة علمي الظاهر والباطن وترسيخ صورته وسمعة عائلته. وقد عين شأنه شأن أخيه محمد قاضيا من طرف مولاي سليمان كما تثبت ذلك ظهائر التعيين. وإذا كان المختار السوسي قد اكتفى من أبناء عبدالرحمان بهذين العالمين (*المعسول*، 12 : 191)، فإن الأستاذ محموداً يضيف إليهما صالحاً الذي يعد بدوره من ألمع الوجوه الدينية المتألقة محليا. ولسنا ندري ما إذا كان بالإمكان إضافة محمد الغزالي كأخ رابع أم لا ؟. لقد اجتمع أحمد بن محمود بن عبد الرحمان الذي كان بدوره قاضياً كبيراً، بالمولى الحسن لدى زيارته للمنطقة سنة 1886/1303. وقد تميز موقفه من الاحتلال الفرنسي

سنة 1934 بمرابطته في زاوية جده بأسرير حيث توفي ودفن قرب الجدار الأيمن لباب الضريح صبيحة الجمعة 16 ربيع الثاني عام 1367/ 27.2.1948.

ولكي يتأتى لمن يقوم باستقراء وصفي لممارسة الأبناء والحفدة استحضار العامل الخفي المؤطر ندرج تطور أعلامها الحاليين. لقد خلف الأستاذ محمود وأخوه زين العابدين أباهما أحمد بشكل يستند إلى ما رأيناه من مسلمات. فقد تابع محمود دراسته لدى آل عبدالمعطي السباعيين ببوجمادة بمراكش لينتقل بعد ذلك إلى جامع ابن يوسف فكلية الحقوق بالرباط. وكان بديهيا أن ينتهي به المطاف إلى ميدان القضاء حيث حصل على المعاش ليلتحق بالمحاماة. وهو يجمع بين علمي الظاهر والباطن وله ممارسات سياسية تجعله في مصاف محاربي الوجود الفرنسي. أما ابنه محمد الأمين فلم يتوان عن الاشتغال بالمحاماة معززاً بذلك البناء العائلي وأعمدته. ويعكس الفقيه اللمطي عمر بن أحمد بن محمد ابن محمود بن عبدالرحمان تمسكه بالقواعد المؤسسة لعائلته. فهو شيخ گلميم الروحي وإمامها. وهو ما لا يختلف كثيراً عن ممارسات اللمطي عثمان بن أحمد بن محمد بن محمود بن عبدالرحمان الذي برز في ميدان المقاومة وما لقيه من قمع ونفي. وما تزال سمعته بمدينة الدارالبيضاء وگلميم تشهد على تشبثه بالقيم العائلية.

نخلص بذلك إلى أننا إزاء توسع آلي للوظيفة العائلية التي تمتص باقي الوظائف والتخصصات القريبة والبعيدة. وهو طرح يتطلب الاستشهاد ببعض المؤلفات العائلية القديمة والحديثة كدليل على التزام الخلف بمنظور السلف، ومنها للعلامة أحمد بن محمود بن عبدالرحمان : *هبة خالق النجوم على شرح لامية ابن جروم* ؛ وللعلامة محمود بن عبدالرحمان : *هدية المريدين* ؛ والأستاذ محمود بصدد إعداد كتاب : *الدرر المفيدة في تصحيح العقيدة*.

يـ. التادلي، *التشوف* ؛ م. الحضيكي، *طبقات الحضيكي* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 12 ؛ *خلال جزولة*، 9 ؛ *مدارس سوس العتيقة*.

مصطفى ناعمي

ابن **بوشتى، أحمد** بن إدريس ولد بمدينة فاس سنة 1328/ 1910 وبها نشأ وتعلم في مدارسها العصرية، وبعد أن أنهى دراسته بثانوية مولاي إدريس بفاس انتقل في أوائل الثلاثينات إلى معهد الدراسات العليا المغربية بالرباط، وحصل على دبلوم الدراسات القانونية والإدارية.

انخرط في سلك القضاء بالمحكمة العليا الشريفة بالقصر الملكي، ثم استعفى وزاول مهنة المحاماة أمام المحاكم المخزنية طيلة أربعة عشر عاماً وهو من الموقعين على عريضة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير سنة 1944 في جملة قدماء تلاميذ ثانوية مولاي إدريس، واعتُقل على إثر ذلك.

وبعد الاستقلال أُسندت إليه رآسة المحكمة الإقليمية بتازا ثم بفاس، ثم عين رئيساً لغرفة الجنايات بالاستيناف فعاملا على فاس والإقليم. وبعد ذلك أصبح وزيراً للعدل ثم وزيراً للداخلية.

توفي يوم الأربعاء ثاني ذي القعدة عام 1393/ 18 نونبر 1973.

ابن **بوشتى، إدريس**، من الذين نشؤوا نشأة عسكرية في الجيش المغربي المجدَّد على عهد الحسن الأول. كان مستقيم السيرة، تجاني الطريقة، ترقى سريعاً في مراتب الجندية ومراتب المخزنية وأصبح أمين الصائر، ثم خليفة الحاجب السلطاني أيام المولى عبد الحفيظ. وكان على صلة كبيرة في فاس بالأسر العلمية خاصة آل بناني. ولما توفي رفيقه في الطريقة التجانية الشيخ عبد السلام بن محمد بناني كفل ولده أحمد بناني الذي سيصبح رئيس التشريفات، وربّاه كابنه أحمد بن بوشتى، فتخرجا معاً من ثانوية مولاي إدريس ثم من معهد الدراسات المغربية العليا، وكان لهما معاً دور بارز في ميدان الحركة الوطنية التحريرية وفي بناء الاستقلال بعد بزوغ عهد الحرية.

لم نقف على تاريخ وفاته.

كناشة الحاج أبي بكر الصبيحي في التراجم، مخطوطة خ. ص ؛ *قائمة الشرف*، ص. 21 ؛ *أحمد بناني فقيد الأدب والوطنية*، ص. 15 ؛ *معلومات شفوية* عن السيد مصطفى شفيق.

محمد حجي

بُوشتَى أو بوشْتَة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، ومازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم. ومازالت هذه الأسرة بتطوان، وكان جل أفرادها يتعاطون الفلاحة مثل عبدالقادر بن أحمد بوشتة الذي كان على قيد الحياة سنة 1722/1135 ؛ ومحمد بن المكي بوشتة الذي كان حيا سنة 1713/1125.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 350 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 33 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بُوشتَى، (سيدي ـ)، أحد الأولياء بناحية أسفي، يوجد ضريحه على مرتفع ساحلي في غاية الجمال في المكان المعروف باسمه على بعد حوالي خمسة وعشرين كيلومتراً شمال المدينة قرب مدرسة سيدي مسعود بن بلأ، وكانت توجد بحوزة الساهرين على الضريح عدة وثائق تثبت نسب هذا الولي الصالح وظهائر التوقير من مختلف ملوك الدولة العلوية، إلا أن جلها قد ضاع.

معلومات ميدانية.

عبد الرحيم العطاوي

بُوشتَى، (مولاي ـ) الخمار، أو أبوالشتاء أو بوشتة. هو الشيخ محمد بن موسى الشاوي النسب، دفين أمرگو من بلاد فشتالة، بين نهري ورغة وسبو. وصفه صاحب *السلوة* بأنه "من كبار المشايخ وأهل الأحوال الربانية والجذب ودوام

الغيبة عن الخلق". وذكر صاحب *المتع* أنه أخذ عن الغزواني وعن سيدي احماموش "خمّس عليه خمس سنين"، وعن عبدالوارث اليالصوتي، لكن المصادر الأخرى التي اهتمت بترجمة مولاي بوشتة الحمار لا تؤكد إلا على أنه أخذ عن عبدالله الغزواني "دفين القصور من داخل مراكش". والمعروف أن صحبة مولاي بوشتى للغزواني لم تطل، بل إن محمد العربي الفاسي أكد في *المرآة* "أنه ما لقيه إلا مرة واحدة بقبيلة الشاوية، فأمره من حينه وخلع على وجهه".

ويستشف من بعض النصوص أن مولاي بوشتى كان أخرس، أو على الأقل كان نادر الكلام، لم يحفظ القرآن، ولم يحضر دروسا، بل كان بهلولا "ساقط التكليف، له البركات الشهيرة التي لا تحصى والخوارق العظيمة". وما ذكره صاحب *المتع* من أنه "خرّج على يديه كثيراً من البهاليل"، وما أكده صاحب *السلوة* من أنه "كان كثير التلاميذ وخرج منه كثير من البهاليل وأهل الأحوال" يبين بوضوح أنه لم يكن فقيها ولا عالما، بل شيخا صوفياً له أتباع "مهتدون بهديه لقوة حاله التي شهد بها مشايخ عصره".

أما تكنيته بأبي الشتاء فترجع، حسب صاحب *ابتهاج القلوب* إلى إحدى زياراته لجبل العلم عند الشيخ الشريف عبدالرحمن بن ريسون، وكانت الأيام أيام جفاف في تلك البلاد. فجاء الناس إلى الشيخ المذكور يطلبون منه الاستسقاء، فأشار عليهم بسيدي محمد بن موسى، ففعلوا وأمطروا في الحين، فسمي لذلك بأبي الشتاء.

استقر مولاي بوشتى بأمرگو من بلاد فشتالة، في الطريق المؤدية إلى ضريح القطب مولاي عبدالسلام بن مشيش. وحسب صاحب *المقصد* فإنه يصعب تجاوز هذا المدشر دون زيارة الشيخ.

توفي مولاي بوشتى ضحوة يوم الأربعاء الحادي عشر من شوال سنة 977 / 19 مارس 1588. ومازال ضريحه حتى الآن مزارة يحج إليها خلق كثير.

م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، طبعة العمراني، ص 86-87؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1: 145.

محمد مزين

بوشحموش، سالم بن علي. مقاوم ولد بدوار أورير أملو إدموسكنة، بأيت باعمران، دائرة إفني، إقليم تيزنيت.

انضم إلى صفوف جيش التحرير المغربي وشارك في المعارك التي دارت رحاها بمنطقة أيت باعمران بين جيش التحرير والجيش الإسباني، إلى أن استشهد سنة 1377 / 1957 على إثر غارة شنتها طائرات العدو على الدوار الذي كان ينتمي إليه.

شهداء الاستقلال، ج 2. عزالدين العلام

بوشرابة، (سيدي ـ) فارْيَة بن أحمد بن الشيخ، من قبيلة مُقَدّم العربية التي جاءت لدكالة وتامسنا في نهاية القرن السادس (12 م)، مع عاصم وسفيان والخلط وجشم. كان من الأولياء، لا يعرف تاريخ وفاته ودفن في حوش مشهور عند قبيلة الضّروسة بدكالة.

سلسلة مدن وقبائل المغرب، ج 10 : *دكالة*، تر. م. الشباطي.

محمد الشباطي

بوشرون، Boucheron، ضابط من ضباط جيش الاستعمار الفرنسي الذي نزل بالشاوية في صيف سنة 1325 / 1907 تمهيداً للحماية، سقط قتيلاً على أيدي مجاهدي قبيلة المذاكرة بمعركة سيدي عسيلة يوم 25 صفر عام 1326 / 29 مارس 1908، فأطلق اسمه لفترة الحماية على قرية الگارة المجاورة (انظر الگارة).

ع. الحديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب* (1849-1910)، *حادثة الدارالبيضاء واحتلال الشاوية*، الدارالبيضاء، 1991.

Général d'Amade, *Campagne 1908 - 1909*, Paris ; Grasset, *A travers la Chaouia avec le corps de débarquement*, Paris, 1911 ; Segonos, *La Chaouia et sa pacification*, Paris, s. d. ; L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939.

إبراهيم بوطالب

بوشَعْرَة، أو أبو شعرة، وقد يحذفون التاء أو يستبدلون بها ألفاً مقصورة أو ممدودة فيقولون : بوشَعْرَ، بوشعرا، بوشعراء، أسرة سلوية عريقة، يقال إن جدهم كان يحتفظ على وجه التبرك بشعرة من شعرات النبي عليه السلام فكُنّي أبا شعرة، وهم ذوو مروءة وفضل ونسك، فيهم فقهاء مدرسون، وعدول مبرزون وتجار و حرفيون، وموظفون سامون في حكومة المخزن.

بوشعرة، أحمد بن عبدالقادر، كان ممن يشتغلون بالبحر، وبهذه الصفة أدرج في قائمة البحرية الذين نالوا منحة ملكية في أواخر القرن الثالث عشر (19 م).

بوشعرة، الحسن من أعيان مدينة سلا وأنجادها، كان خليفة لعاملها القوي الشهير عبدالحق بن عبدالعزيز فنيش فيما بين عامي 1169.1180/1755.1766.

بوشعرة، عبد الرحمن (الحاج ـ) من كبار المسؤولين عن "البحرية الواقفين على وظائف الأمور الجهادية" ففي توزيع الصلة التي أنعم بها الحسن الأول على هؤلاء في ثامن وعشري ذي الحجة عام 2/1311 يوليوز 1894، حاز الحاج عبدالرحمن بوشعرة من السلف القديم الذي له 390 ريالا. وهو أضعاف ما حازه رؤساء البحر الآخرون.

بوشعرة، عبد القادر كان مجاهداً بحرياً، ومتعبداً ناسكاً، يؤذن بالزاوية العيساوية القريبة من دار سكناه، ويشارك البحارة في حركاتهم، لذلك نجد اسمه في قائمة الصلة المنعم بها على البحرية في سادس عشر ذي القعدة عام 14/1292 دجنبر 1875.

بوشعرة، علي بن محمد، من فقهاء سلا المرموقين، وعدولها المبرزين. من الآخذين عن الشيخ علي بن محمد العكاري. قال في حقه صاحب *الاتحاف الوجيز* (ص 102) "كان ـ رحمه الله ـ فقيها عدلا نوازليا فارضا حاسباً".

توفي بسلا سنة تسع أو عشر ومائة وألف/97. 1698، ودفن قرب ضريح الشيخ ابن عاشر.

بوشعرة، قاسم بن الطيب، مجاهد بحري، يوجد اسمه في قائمة الصلة المنعم بها على البحارة في 16 ذي القعدة عام 14/1292 دجنبر 1875، وفي قائمة الصلة المنعم بها على "البحرية القائمين على وظائف الأمور الجهادية" بتاريخ ثامن وعشري ذي الحجة عام 2/1311 يوليوز 1894.

بوشعرة، محمد حجي (الحاج ـ) بن الحاج الهاشمي فقيه فلكي ميقاتي، ولوع بالتقييد ونسخ الكتب القيمة بخطه الجميل، حتى ضعف بصره ثم عمى في آخر حياته. له خزانة قيمة مشتملة على أهم المخطوطات والمطبوعات في الفنون العقلية والنقلية التي يُعنى بها، اطلعت على بعض منتسخاته بمنزله في درب معاننة، وآل بعضها بالشراء إلى

الخزانة العلمية الصبيحية بسلا بعد أن بُددت بفعل سوء تصرف أحد أصهاره، لأنه لم يعقب، وإنما ترك بنتاً.

توفي بسلا حوالي 1951/1370.

بوشعرة، محمد بن **الطيب**. فقيه موثق مشارك، كان في إبان طلب العلم معدودا من بين النجباء، حسب قائمة تضم من بالمدينة من الفقهاء والمدرسين والطلبة والعدول، مكتوبة قبل عام 1862/1279، وهو يحمل فيها رقم 27 مذكور باسمه دون اسم أبيه. وقد اشتغل بالتدريس وتلقي الشهادات، وكان إلى ثالث رجب عام 5/1306 مارس 1889 يشهد مع رفيقه العدل محمد بن العربي بن منصور.

بوشعرة، مَحمد ـ فتحا ـ بن **عبد الرحمن** (الحاج ـ) بن الطاهر (الحاج ـ) فقيه أستاذ، كان له كتاب بدرب ابن شعبان يعرف بمسيد الفقيه التيال. حفظ عليه كتاب الله وجوده عددٌ لا يحصى من طلبة سلا وفقهائها. كان إماما في تراويح رمضان بالمسجد الأعظم بسلا، يتسابق الناس للصلاة خلفه والاستماع إلى تلاوته الحلوة التي لا يظهر عليها أي تكلف مع التزامه الدقيق بقواعد التجويد. قرأت عليه وختمت سلكة بالتجويد من القرآن العظيم والحمد لله. بعد أن حفظت القرآن على يد الفقيهين الجيلالي النجار ومحمد الجبلي.

توفي بسلا في رابع رجب عام 4/1365 يونيه عام 1946.

بوشعرة، محمد بن **عبدالقادر**. من البحارة القائمين على أسطول الجهاد بسلا. أُدرج اسمه في أكثر من قائمة للبحارة الذين يحظون بالصلات الملكية، تارة باسمه محمد فقط وتارة باسمه واسم أبيه. وهكذا نجده يحمل رقم 86 و282 في قائمة المجاهدين الذي أنعم عليهم الحسن الأول بصلة في 16 قعدة عام 14/1292 دجنبر 1875، ورقم 191 في قائمة الصلة المنعم بها على "الطبجية الواقفين على باب الجهاد بمحروسة سلا" في ثامن وعشري ذي الحجة عام 2/1311 يوليوز 1894.

بوشعرة، الهاشمي بن الحسن صالح ناسك، وبحار مجاهد. كان يسكن بعقبة التيايلة من حومة زناتة ويؤذن بمسجد درب ابن شعبان. وفي نفس الوقت يعمل في السفن الجهادية. فنجد اسمه في قائمة البحريين الذين نالوا الصلة الملكية في 16 ذي القعدة عام 14/1292 دجنبر 1875، وفي اللائحة الكبرى "البحرية الواقفين على وظائف الأمور الجهادية" المؤرخة في ثامن وعشري ذي الحجة عام 2/1311 يوليوز 1894.

بوشعرة، الهاشمي (الحاج ـ) بن العربي (الحاج ـ) من التجار المشهورين بالأمانة وحسن التدبير، انتدبه قاضي سلا للنيابة عن المحاجير أبناء العلامة محمد بن الطاهر المير في القسم والمخارجة مع باقي الورثة حسب رسم الاراثة المؤرخ في مفتتح محرم عام 21/1221 مارس 1806.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 : 110 ؛ م. ابن علي، *الاتحاف الوجيز*، 102 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 4 : 97. 98 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط. 2، 122. 130 ؛ عمر بن علي عواد، *كناشة*، مخطوطة خ. ص ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 53. 123. 130. 132. 135. 151. 157. 158. 224. 225. 228 ؛ *ملاحق الإتحاف*، 153 ؛ *رسوم عدلية قديمة* عند العدل عبدالنبي النجاري السلوي.

محمد حجي

بوشعيب بن عبدالقادر، مقاوم اشتهر باسمه، من مواليد أيت عمار ناحية وادي زم، كان يعمل بشركة للمعدن في أيت عمار.

وفي يوم السبت 20 غشت 1955 شارك في المظاهرة التي نظمها الوطنيون بمناسبة ذكرى نفي جلالة المغفور له محمد الخامس وأسفرت عن قتل جماعة من المعمرين بالمنطقة.

وصبيحة يوم الأحد 21 غشت 1955 قدمت تعزيزات القوات الفرنسية من وادي زم فطوقت المنطقة وأطلقت نيران رشاشاتها على المواطنين حيث سقط عدد من الشهداء كان من بينهم بوشعيب بن عبدالقادر الذي لفظ أنفاسه على الساعة التاسعة صباحاً قرب مكان يدعى سيدي الحسن بعد أن أصيب بخمس رصاصات.

ابن **بوشعيب، محمد** مقاوم، ولد سنة 1925 في أكنول بإقليم تازا. وانضم إلى صفوف جيش التحرير بشمال المغرب، حيث شارك في عمليات فدائية في أكنول وغيرها من المراكز الأخرى منذ 2 أكتوبر 1955، كما كان يساعد

المجاهدين على التنقل بين مختلف المراكز.

سقط رحمه الله شهيداً في ساحة الشرف برصاص الاستعمار الفرنسي في أكنول أوائل عام 1375 / أواخر 1955.

كتاب شهداء الاستقلال، ج 2 ؛ *وثائق المندوبية السامية للمقاومة*.

عزالدين العلام

ابن **بوشعيب، محمد** ـ الدكتور ـ بن الحاج أحمد الأوديي نسباً. نشأ عند خاله الحاج الحسن بُيرو من تجار الرباط الوطنيين. فسهر على تعليمه إلى أن تخرج طبيباً في أوائل الاستقلال، وكان خاله بُيرو عضواً نشيطاً في حزب الشورى والاستقلال فعُين الدكتو ابن بوشعيب وزيراً للسكنى والتعمير في الحكومة الأولى التي ترأسها مبارك البكاي بعد الاستقلال سنة 1956، وبعد ذلك أصبح عاملا بعاصمة الرباط، ثم سفيراً للمغرب بتركيا.

توفي بالرباط حوالي سنة 1390 / 1970 ودفن بمقبرة شالة.

رواية شفوية عن محمد الأمين بلكناوي.

محمد حجي

بُوشْفَر، عرف المغرب أنواعاً متعددة من البنادق تختلف من حيث تقنيتها، نذكر على سبيل المثال، بندقية ذات قدح الكبسولة المسماة بـ "بُوحَبَّة" لأن الكبسولة تسمّى في اللسان الدارج المغربي "الحبة"، غير أن النوع المنتشر بكثرة في المغرب يسمى "بوشفر" وهو عبارة عن بندقية ذات قدح من الصوان، وقد سميت بهذا الاسم لأن استعمال قدحها يعتمد أساساً على شفرة من الصوان.

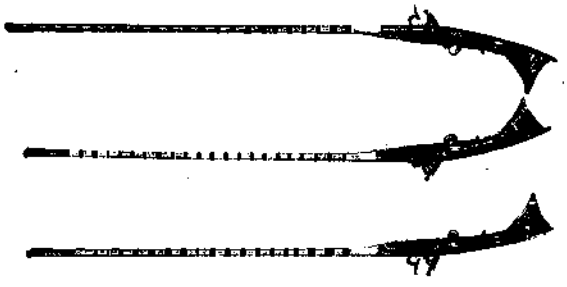

ولقد كان هذا الطراز من البنادق منتشراً في جميع أنحاء المغرب إلى حدود الثلاثينات من القرن العشرين، وقد استمر استخدام بوشفر رغم التطور التقني الذي عرفته الأسلحة النارية بالمغرب خاصة في عهد السلطان الحسن الأول الذي أسس في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) معمل "الماكنة" بفاس لصنع الأسلحة وإصلاحها وتطويرها.

ولعل أصدق دليل على استمرارية استعمال "بوشفر" هو أن جل البنادق التي جردت منها المقاومة المغربية من طرف جنود الاستعمار عند دخولهم المغرب وخلال تحركاتهم المسماة بحملات التهدئة Pacification كانت من طراز "بوشفر".

ونشير إلى أن بعض هذه البنادق ما زالت محفوظة بمتحف الأسلحة بفاس.

علي أمهان

بوشفرة، عبد المالك، أصله من قبيلة الأوداية. وينعت في الوثائق بخال السلطان أحمد الذهبي ابن مولاي إسماعيل ؛ عينه هذا الأخير باشا على تطوان عام 1727 م بعد عزل الباشا الشهير أحمد بن علي الريفي. وحسب رواية الإنجليزي بريتويت Braithwaite فإن بوشفرة اشترى في مكناس منصب ولايته بمبلغ 500 ضبلون ذهبا، وهو أمر غير مستبعد نظراً للفساد الذي استشرى في الجهاز الإداري بعد وفاة مولاي إسماعيل. ويستفاد من ظهير تعيينه، المؤرخ في 20 ذي القعدة 10/1139 يوليوز 1727، أن ولايته شملت، بالإضافة إلى تطوان، النواحي القريبة منها، بينما انحصر حكم الباشا أحمد الريفي في طنجة وأصيلا والعرائش. كما يستفاد من إحدى الرسائل الموجهة إليه، أن السلطان أحمد الذهبي فوض إليه أمر مباشرة المفاوضات مع الأجانب المقيمين بتطوان بقصد التجارة، على أن يرجع إليه في المسائل الهامة، أما في غيرها فقد أذن له في اتخاذ القرارات باعتباره المندوب الوحيد له في المدينة. مع ذلك كانت سلطة بوشفرة ضعيفة، وكان الحل والعقد بيد قادة أهل تطوان. كما أن مدة ولايته لم تدم سوى أشهر معدودة.

أهم حدث عرفته تطوان خلال هذه المدة الوجيزة معركة "عيطة السبت"، وهي المعركة التي دارت بين أهل تطوان وبين الباشا أحمد الريفي الذي غزاها يوم السبت 24 صفر عام 1140 / 11 أكتوبر 1727 ؛ وكان النصر حليفه في الجولة الأولى، فاقتحم المدينة وعاث جنوده فيها فسادا، بينما فر المترجم إلى الجبال ؛ ثم عادت الكرة على الريفي، فغادرها منذحراً إلى مقره بطنجة. ويفهم من رواية بريتويت أن الذي تولى الحكم في تطوان عقب انسحاب أحمد الريفي هو مجلس متكون من الأعيان يعرف بـ "الديوان". وفي مدة حكم هذا "الديوان" عاد بوشفرة إلى تطوان، فقابله أهلها ببرودة، ولم تبق بيده أي سلطة حقيقية. ثم سرعان ما وقع استدعاؤه إلى مكناس، فخرج إليها في منتصف ربيع الأول عام 1140 / بداية نوفمبر 1727 مع المبعوث الانجليزي ج روسل Russel ووفد يمثل قادة تطوان. وهناك صدر الأمر بإعادة الباشا أحمد الريفي إلى الولاية على هذه المدينة.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 48 وما بعدها.

J. Braithwaite, *Histoire des révolutions de l'empire de Maroc*... Amsterdam, P. Mortier, 1731.

محمد الأمين البزاز

بُوشْمَايم، أسرة أصلها من وهران كانت بتطوان إلى غاية سنة 1910/1328 حيث انقرضت، وكان جل أفرادها يعملون كمرتزقة في الجيش الإسباني المحتل لمدينة سبتة.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* : Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بوشنافة، محمد بن الجيلالي الجامعي الطريمي، أحد رجال الحركة المخزنية التي قادها الشريف مولاي عثمان، أخو الحسن الأول إلى الريف وقلعية في ذي القعدة عام 1891/1309. ولهذا التاريخ علاقة بتعيين بوشنافة الجامعي على ثلاثة أخماس قلعية : بني شكر بعد محمد بن الهادي الشكري، وبني بوگافر بعد محمد بن العربي وعمر بن موسى، وبني بويفرور بعد كل من حميدة بن شلال ومحمد بن حدو بن محمد أَبَرُودي. وبقي في نفس المهمة إلى أن تم عزله في رمضان عام 1894/1311.

فالظاهر أن جميع ما كان تحت نظر حمان السعيدي منذ رمضان عام 1307 أسند إلى بوشنافة الجامعي ابتداء من 6 ذي القعدة عام 1309، وهو التاريخ الذي حلت فيه حركة مولاي عثمان بقصبة سلوان، وبرفقته بوشنافة الذي كان قائدا على اگزناية أيضا. وقد أكدت مراسلات تالية (7 و14 و22 ذي الحجة 1309) على ممارسة عمله. ويبدو من خلال هذا التعيين أن الحسن الأول كان قد عدل عن نظام توزيع القبيلة إلى عدة قيادات. ولكن هذا لم يكن سوى إجراء مؤقت، وسيعود التقسيم إثر عزل بوشنافة مباشرة.

يحتل خمس بني شكر جميع أراضي شبه جزيرة هُرُك (وُرُك أيضا) الممتدة على شكل رأس كبير مثلث الشكل، قاعدته منحصرة من ناحية الجنوب بين حدود مليلة المحتلة عند رأس تَافْرَسْت شرقاً ورأس غساسة مما يلي الغرب، ورأسه عند رأس هُوك. وحسب التوزيع الإداري الذي كان عليه الخمس في أواسط شعبان عام 1309، فإن ثلاث فرق هي التي تألفت منها قبيلة بني شكر، مع ملاحظة أن فرقة بني واغْمَرَن التي كانت تابعة لها خلال القرن العاشر (16 م)، حسبما أشار إليه *تقييد نسب قبيلة قلعية*، أصبحت ضمن بني بويفرور، مندرجة في فرقة بني بومْحمد. والفرق الثلاث هي :

1 ـ العثامنة : أخذت اسمها من أولاد عثمان العرب المعقليين الذين استقروا بقلعية منذ العهد المريني، (*قلعية*، 1 : 55). وما تزال بقايا نسلهم معروفة إلى اليوم. جمعت الفرقة حولها عدداً هاماً من المداشر بلغ أربعة عشر مدشراً، موزعة على حوض واد المدور الأعلى والأوسط، ابتداء من سفح القرمود إلى هضبة أهَيْدوم.

2 ـ عبدونة : تشغل الفرقة المساحة الواقعة بين حدود مليلة المحتلة من جهة الشمال وحوض واد تغرفْتن بالشمال الغربي لتمتد إلى مرسى تَيْذَنْتْ على ساحل شبه جزيرة هُرُك الشرقي. وتتألف من ثلاثة عشر مدشراً.

3 ـ بجيوة : أصغر الفرق، وتضم تسعة مداشر، موزعة على القسم الغربي من شبه جزيرة هُرُك، بعد الاتصال بعبدونة والعثامنة.

لم تخبرنا الوثائق بقيادة بوشنافة الجامعي على القبائل الثلاث دفعة واحدة. فأول ما عرفنا تسييره لشؤن بني بوگافر في 7 ذي الحجة عام 1309. وعلمنا نفس الشيء بالنسبة لبني بويفرور في 14 من نفس الشهر والسنة، بينما لم نخبر بالنسبة لبني شكر إلا في 3 صفر عام 1310.

اختار بوشنافة الاستقرار في جنادة فرخانة، وهي القصبة الواقعة بجماعة فرخانة من مزوجة، مما يقابل حدود مليلة. ووجوده على رأس بني شكر المشرفة على المساحة المحتلة، واستقراره بقصبة فرخانة يجعل القائد مسؤولا عن حوادث تلك الحدود وحراستها. لكن السلطان لم يفوض له فصل الدعاوي والاتصال بحاكم مليلة. في وقت كانت خالية من الإدالة المعهودة بالقصبة بعد انسحاب العربي بن حميدة الشرگي منها (6 صفر 1320) ولذلك سأل بوشنافة السلطان في ربيع الأول عام 1310 عما إذا كان ذلك من حقه أم لا. وليس هناك من الوثائق ما يثبت له التفويض، إلا أننا نرجح ذلك، إذ أن الحسن الأول تساءل عن مهمة سابقه العربي بن حميدة الشرگي، حينما قرئت الرسالة على مسمعه، للرد عليها. ونحن نعلم أن قائد الإدالة السابق كان مشرفا على أمور الحدادة أيضا. (11 ربيع الأول 1310).

عاصر بوشنافة الجامعي أصعب مرحلة عرفتها قبيلة قلعية تجاه مليلة. مترتبة عما نسميه بحرب سيدي ورياش، الواقعة في آخر أيام حياة الحسن الأول. فمن المعلوم أن الإسبان كانوا قد انهوا مشكل رسم الحدود باتفاقية سنة 1890/1308. وشرعوا بعد ذلك في تعبيد الطريق في اتجاه ضريح سيدي ورياش، وبناء برج هناك بجواره. وحينما شرع الإسبان في البناء أقدم القلعيون من مزوجة وبني شكر على هدم ما تم بناؤه أولا وثانيا، ومن أجل ذلك وقعت الحرب بين الطرفين، مما سياتي تفصيله في مادة الحدادة بحول الله.

ولم تكن أحوال محمد بوشنافة على ما يرام مع الأخماس الثلاثة الداخلة تحت نفوذه منذ بداية أمره. إذ أن توليته على أهلها كان أمرا مفروضا، وبدون رضاهم، كما هو المعتاد. فكانت طريقة بني شكر وبني بوگافر وبني بويفرور لمعارضته اللجوء إلى عدم أداء الواجبات المخزنية والزكاة والأعشار على يده، مفضلين تقديمها مباشرة إلى من يعينه السلطان لذلك.

وفي بداية عام 1310 كان الواجب على بوشنافة من جباية الأخماس الثلاثة ما مقداره 16.175 ريال عن السنة الفارطة خاصة. وإلى غاية رمضان عام 1311 أصرّ أهل الأخماس الثلاثة على امتناعهم من تسليم الواجبات المخزنية والزكاة والأعشار للعامل بوشنافة (3 و16 ومتم صفر ؛ فاتح ومنتصف ربيع الثاني) بدعوى زيادته في طلب الجباية.

وأغلب الاعتقاد أن الصعوبات التي وجدها المخزن مع بوشنافة نتيجة تماطله وتهربه من أداء ما بذمته، وعدم استقامة أمور القبائل معه هي الأسباب التي عجلت بعزله وتعيين أربعة قواد بدله قبل رمضان عام 1311، أصلهم من تلك القبائل نفسها. ويعني ذلك العودة إلى النظام السابق المتبني على طريقة التعدد.

بقي بوشناقة الجامعي بقلعية بصفته قائد إدالة قصبة فرخانة، مشرفا على أمور الحدود وعلى سائر قبائل قلعية إلى أن حل مكانه محمد أنفلس الحاحي في الأشهر الأولى من عام 1312.

وثائق خ. ح. بالرباط ؛ *كناتيش خ. ح. بالرباط* ؛ ح. الفگيگي، *قلعية*، 1 : 32، 33، 120.

حسن الفگيگي

بوشنتوف، أو الشنتوفي، أسرة سلوية مجيدة، تنتسب إلى القطب المولى عبدالسلام ابن مشيش جد شرفاء العَلَم المشاهير. وإن كان بعض الناس ينكر عليهم هذه النسبة الإدريسية ويقول إن آل بوشنتوف هم غير الشنتوفيين الشرفاء. وقد عُرفت هذه الأسرة بالمروءة والاستقامة والوجاهة، وأنجبت عدداً من الفقهاء والأدباء والمدرسين، والتجار والحرفيين، والمجاهدين البحريين.

بوشنتوف، أحمد بن أبي بكر، أديب بارع، شاعر ناثر، درس في مسقط رأسه على والده وعلماء سلا وأدبائها، وارتحل صغيراً إلى الدارالبيضاء عندما أصبح والده قاضياً بها. وكان عام 1923/1314 من بين تلاميذ "المدرسة الوطنية الإسلامية"، وهي من المدارس العربية الحرة الأولى التي أنشأها رُواد الوطنية، وقد زارها يوم 18 محرم عام 10/1341 شتنبر 1923 قائد سلا الغيور الشهير عبدالله ابن سعيد في جماعة من السلويين واحتفلت المدرسة بقدمه، وألقى مديرها الشاعر محمد بن اليماني الناصري كلمة ترحيب أجاب عنها القائد بن سعيد بأخرى، وكتب أحمد بن أبي بكر بوشنتوف بطاقة باسم التلاميذ يطلبون فيها أن يُعطوا فسحة (عطلة) بمناسبة هذه الزيارة. وبدل إنشاء البطاقة على نباهة هذا التلميذ وسلامة أسلوبه. (جميع هذه النصوص في *التعريف*، 1 : 278 ـ 279).

وبعد ذلك صحب أحمد والده إلى مراكش عندما انتقل إليها، ثم لازم خاله العالم الأديب محمد بن عمر ابن سعيد الذي كان يقيم بضيعته في بلاد عبدة. وفي نهاية الأزمة السياسية سنة 1955 حين أُسس مجلس العرش عُين أحمد بوشنتوف كاتباً للمجلس باقتراح من باشا سلا محمد بن الطيب الصبيحي، وظل بعد ذلك كاتباً بالديوان الملكي إلى أن أتاه اليقين.

تفرق شعر أحمد بوشنتوف بين أصدقائه الذين مات معظمهم. ومن آثاره التي وقفت عليها قصيدة تعزية بخطه وجّهها إلى صديقه العربي بن عبدالله بنسعيد السلوي استهلها بنثر مسجع على الطريقة الأندلسية، يعزيه في صهره الأديب العربي معنينو، بتاريخ فاتح المحرم عام 6/1365 دجنبر 1945. القسم النثري طويل وأبيات القصيدة تسعة عشر مطلعها :

ماذا يفيد البكا وينفع الحذَرُ ... من كل ما قد قضى بحكمه القدَرُ
أُفٍّ لدهر خؤونٍ لا يدوم على ... حالٍ ولا ينتهي من كيده الكـدرُ

بوشنتوف، أبو بكر بن عبدالهادي. ولد في مدينة سلا حوالي عام 1880/1298، وبها درس على الفقيه المحدث أحمد بن موسى تلميذ سيدي العربي ابن السايح، والقاضي عبدالله ابن خضراء، والمؤرخ أحمد بن خالد الناصري صاحب *الاستقصا*، "وهو عمدته وعليه تخرج، ومن عشه درج، لازمه عدة سنين بمجالسه العامة، ودروسه الخاصة بمنزله، وكان حظيا عنده، مقرباً إليه" (*أعلام الفكر*، 2 : 264) ثم ارتحل إلى فاس فأخذ عن شيوخ القرويين أمثال، محمد القادري، ومحمد گنون الكبير، وعبدالقادر الفاسي، وأحمد بن الخياط.

اشتغل أبو بكر بوشنتوف مدة بالتدريس في المسجد الأعظم بسلا، ومما أقرأه فيه *ألفية ابن مالك*، *وتلخيص المفتاح*، *ومقامات الحريري*. ثم انخرط في سلك الخدمة المخزنية، فعمل أميناً بمرسى أسفي وغيره أيام السلطان عبدالعزيز. وقد صحب عامل سلا السيد عبدالله بن سعيد في سفره إلى مراكش لعرض الخلاف بينه وبين قاضي سلا الحاج علي عواد، فاستُخدم هناك مع الخليفة السلطاني المولى عبدالحفيظ. ولما انتقل الملك إلى هذا الأخير بعث به سفيرا مع الفقيه البوعصامي إلى ألمانيا وثلاث دول أوربية أخرى لأجل الاعتراف به ملكاً على المغرب بدل أخيه المخلوع. وبعد ذلك أصبح أبو بكر بوشنتوف أمين الصائر بمراكش، ثم قاضياً بمدينة وجدة فمكث هناك ستة أعوام، ثم نائبا عن وزير الأملاك المخزنية الحاج عمر التازي بالرباط ثلاث سنوات، ثم قاضياً بأحواز الدارالبيضاء. وقد نُكب أكثر من مرة وأُخّر عن وظائفه بسبب وشايات حساده، قالوا مرة إنه هجا عبدالحفيظ وأقذع في هجوه، وقالوا أخرى إنه يتشبه في بيته بحياة الملوك في قصورهم، وزعموا أنه استغنى غنى فاحشاً من قضاء ناحية الدار البيضاء، مع أن الثابت المؤكد أنه استعفى عن طيب خاطر من هذا المنصب وأعرض بعده إعراضاً كلياً عن الوظائف والتحق بمراكش فسكنها بقية حياته.

نعم كان يسير في حياته على ما نشأ عليه في أسرته المجيدة من رغد العيش وما اقتضاه طبعه الأدبي المرهف من تمثّل بالحضارة الأندلسية وأمرائها الأدباء وكتابها المشاهير، فكان له كثير من الخدم والحشم ذكوراً وإناثاً، وقد أوجز

ذلك صاحب *أعلام الفكر* في قوله : "وكان يعيش عيشة أندلسية تتجلى فيها الراحة والأريحية، يمثل منزله منازل وزراء وكتاب قرطبة في عهد الخلافة الأموية، والأيام العامرية ...لا يخلو مجلسه من أدب ينقل، أو شعر يروى ويعقل، أو طرب أندلسي يشفي النفوس من العلل، وملحون مغربي يفسح في دائرة الأمل، وموائد ممدودة، ونعم لا ممنوعة ولا مفقودة".

كانت له دروس شيقة مفيدة أينما حل وارتحل، في وجدة والدارالبيضاء ومراكش، وله مؤلفات، منها *أجوبة* متنوعة في الحديث والتوحيد والفقه وأحكام القضاء والتوقيت (مخطوط خ. ص. رقم 441) *والبستان الفسيح بشرح همزية المديح*، وهو شرح مطول مستوعب لجوانب دقيقة من السيرة النبوية، توجد مسودة المؤلف بخطه في (خ. ص. رقم 445) في 769 صفحة وهي ناقصة تقف عند البيت :

وتوالت للمصطفى الآيةُ الكبرى عليهـــمْ والغـارةُ الشعـــواء

و*ديوان* يشتمل فقط على 52 صفحة، مع العلم أنه شاعر مطبوع مكثر، فلعل هذا جزء من ديوان جُمع أو بقي في مرحلة الجمع. على أن أهم آثار قلمه هو *كناشاته العلمية السبع* التي كتبها بخطه الجميل وأودعها مختارات أدبية، وفوائد وطرائف، تتخللها قصائده ومقطعاته ومراسلاته ومقاماته الدالة على رقة حسه، وسلامة ذوقه، وعلو كعبه في العلوم، ورسوخ قدمه في ميدان الأدب بصفة خاصة. وقد وصفنا هذه الكناشات وذكرنا مجمل محتوياتها في فهرس الخزانة العلمية الصبيحية بسلا (ص 380، 381، 605، 607).

توفي أبو بكر بوشنتوف بمراكش يوم السبت سادس صفر عام 16/1359 مارس 1940، ودفن في ضريح مولى القصور الشيخ عبدالله الغزواني. أخبرني الفقيه العدل السيد عبدالنبي النجاري - عن مشاهدة - أن جنازته كانت حافلة مشهودة، أعلن البراحون موته فأقفلت المتاجر وتعطلت حركة المدينة لتشييع جنازته. ولا عبرة بما في *أعلام الفكر* من أنه توفي عام 1936/1355، وتبعه في ذلك كل من عبدالوهاب ابن منصور في *أعلام المغرب العربي*، وعبدالعزيز بنعبدالله في *سلا أولى حاضرتي أبي رقراق*. ولا بما في *ملاحق الاتحاف الوجيز* من أنه توفي عام 1926/1346. والصحيح ما ذكرته نقلاً من خط المرحوم الحاج بوبكر الصبيحي في كتابه عن أعلام سلا رواية مباشرة عن صديقه ولد المترجم الأديب أحمد بوشنتوف.

بوشنتوف، عبدالسلام، من المجاهدين البحريين، وبهذه الصفة أُثبت اسمه في قائمة الذين نالوا صلة ملكية بتاريخ 16 ذي القعدة عام 14/1292 دجنبر 1875. ويظهر أنه كان متعدد الاختصاصات وافر النشاط بالنسبة لأقرانه، فنجد اسمه في نفس الوثيقة ثلاث مرات، أولاً تحت عدد 45 في جملة البحرية، وثانيا تحت عدد 278 مع أصحاب الشكيف، وثالثاً تحت عدد 327 مع أصحاب الفلايك الصغار، وبذلك حصل على ثلاث صلات.

بوشنتوف، العربي، وأحياناً يكتب محمد العربي، من فقهاء سلا ووجهائها، كان قبيل عام 1862/1278 يعمل بالمرسى أمينا. وفي الثاني والعشرين من ذي الحجة عام 10/1290 فبراير 1874. كان من المرشحين للصلة التي أنعم بها الحسن الأول على أهل سلا. وكان في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) كاتباً في دار النيابة السلطانية بطنجة.

بوشنتوف، محمد، من طلبة سلا حفظة القرآن الكريم، المشتغلين في الأسطول البحري. ويوجد اسمه تحت عدد 71 في قائمة من سمّتهم الوثيقة "البحرية الواقفين على وظائف الأمور الجهادية" الذين نالوا صلة ملكية في ثامن وعشري ذي الحجة عام 2/1311 يوليوز 1894.

بوشنتوف، مصطفى، من رجال البحر المجاهدين. نجد اسمه تحت عدد 56 في قائمة البحرية الذين نالوا صلة ملكية بتاريخ 16 ذي القعدة عام 14/1292 دجنبر 1875، وفي القائمة الكبرى "للبحرية الواقفين على وظائف الأمور الجهادية" تحت عدد87، الذين نالوا صلة مهمة بتاريخ ثامن وعشرى ذي الحجة عام 2/1311 يوليوز 1894.

إ. الفضلي، *الدرر البهية*، 2 : 105 ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر*، 2 : 263. 265 ؛ أ. الصبيحي، *مسودة كتاب أعلام سلا*، مخطوط خ. ص ؛ ع. بن منصور، *أعلام المغرب العربي*، 1 : 266. 268 ؛ م. حجي، *فهرس الخزانة العلمية الصبيحية*، في مواضع متعددة ؛ ع. بنعبدالله، *سلا أولى حاضرتي أبي رقراق* 58 ؛ م. بوشعراء، *ملاحق الإتحاف الوجيز*، 152 ؛ *التعريف*، 1 : 279 ؛ 2 : 57، 146، 156، 160. 161، 226.

محمد حجي

البوشواري، الحسن بن الطيب ← **باها** (آيت ـ)

بوشْويهَة، سعيد بن محمد المحمدي الشرادي، نسبة إلى قبيلة شراردة بُوغْزاون إحدى قبائل المخزن المستقرة جنوب فاس. حمل لقب بوشويهة لكثرة ما كان له من غنم (شويهات) وعيّنه المولى عبدالحفيظ سنة 1326 / 1908 قائداً على مدينة صفرو غير أن منصبه الجديد في السنة التالية كأحد خلفاء باشا فاس الجديد التي سكنها كباقي قواد قبائل المخزن، جعله يسيّر مدينة صفرو انطلاقاً من محل سكناه. وإليه تنسب قصبة بوشويهة أو قصبة القايد سعيد (قصبة الشراردة) بين كسيكسو بحافة مولاي إدريس وظهر الخميس. ويملك حفدة القائد سعيد بوشويهة رسماً عقارياً يثبت ملكية جدهم القائد لهذه القصبة.

عاش بوشويهة أحداث فاس سنة 1912، ويبدو أنه توفي في نهاية هذه السنة حيث لم يعد له ذكر في الوثائق بعدها.

ر. لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، ذُكر في النص الفرنسي (ص 264) باسم بوشويشة، وفي الترجمة العربية، (1 : 385) باسم بوشوية،

وفي هامش 41، (1 : 162) ورد اسمه صحيحا ؛ الحسن الشافعي علوي، *التنظيم البلدي بالمغرب قبل الحماية، نموذج مدينة صفرو ؛ صفرو بين غنى الماضي واهتمامات الحاضر*، الملتقى الثقافي الأول، منشورات الجواهر فاس، أبريل 1987، ص 97.

آمنة معطى الله

بوصحابة، عبدالقادر بن أحمد. مقاوم ولد سنة 1933 بتاغجيرت دوار القلعة. وفي سنة 1955 انخرط في جيش التحرير بمنطقة تاغجيرت ملحقة أحفير في فرقة بوعلي لخضر حيث شارك في عدة عمليات وهجومات ضد الجيش الفرنسي، منها مشاركته في هجوم الكربوس، كما شارك في اختطاف جندي فرنسي وظل نشيطاً متحمساً إلى أن استشهد إثر إصابته برصاصة في رأسه أثناء الهجوم على تاغجيرت سنة 1956.

وثائق المندوبية السامية للمقاومة.

عزالدين العلام

بوصخور، محمد العربي، مرابط يُنسب إلى قبيلة الأخماس من أعمال شفشاون. ادعى الصلاح وحرّض قبائل جبالة ضد الأمير سيدي محمد بن عبدالله متنبئاً بأن مدة ولايته لن تطول. وكانت دعوته هذه، حسب بعض المصادر، سبباً في عدم حضور قبيلتي الأخماس وغمارة بيعة هذا السلطان عام 1171 / 1757.

اشتهر أمر هذا الدعي في أواخر دولة السلطان مولاي عبدالله حين ضعف هذا الأخير عن الحركة واستقلت عدة مدن ومناطق، فنهض خليفته في الجنوب، الأمير سيدي محمد، لسدّ هذا الثلم والقيام بأعباء الدولة. وفي هذا الإطار تصدى للفتنة التي أثارها بوصخور في جبالة وبعث عام 1168 / 1755 القايد العياشي لتشبيت الأمن في شفشاون، والباشا مسرور لإحكام السلطة على القصر الكبير. لكن مهمة القايد العياشي باءت بالفشل حيث سدّ سكان شفشاون أبواب المدينة في وجهه قبل أن يحاصروه في القصبة.

اختلفت المصادر في تاريخ قتل بوصخور فجعلها الضعيف عام 1171 / 1757، قبل وفاة مولاي عبدالله، حيث صعد إليه الأمير سيدي محمد في جباله وقتله بسوق سبت رهونة على ضفاف واد اللكوس ثم مرّ بشفشاون فقطع أشجارها عقوبة لسكانها على حصار قايد المخزن.

أما الزياني ومن نقلوا عنه مثل أكنسوس والناصري وابن زيدان، فقد أرّخوا لوفاته بسنة 1172 / 1758، أي في بداية دولة السلطان سيدي محمد بن عبدالله، حيث يذكرون أن هذا الأخير، بعد زيارته لفاس وترتيبه لأمور الدولة، ترأس حركة استهدفت "إخماد نار الفتن التي قام بإضرامها بوصخور في قبائل جبالة". وبعدما مكنته تلك القبائل من الدعيّ قتله ووجّه رأسه ليعلق على أبواب فاس ومكناس "ليزول ما بالأوهام". بينما نقل ابن الحاج الروايتين عاكساً بذلك تناقض مصادره في هذا الشأن، في حين أن القادري لم يورد أي خبر عن ثورة بوصخور أو مقتله.

وسواء كانت وفاته عام 1171 / 1757 أو عام 1172 / 1758 فمن المؤكد أن قيام بوصخور في هذه المنطقة الوعرة التي تعتبر معقلاً للشرفاء الأدارسة والتي ارتبط تاريخها بتاريخ الجهاد والتصوف المغربي وفي هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الدولة العلوية، قد مثّل تحدّياً كبيراً لمشروع سيدي محمد ابن عبدالله في إعادة تشبيت دعائم الدولة التي خربتها ثلاثون سنة من الفتن والأهوال.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، الرباط، 1986، ص 157. 160 ؛ ي. الزياني، *الروضة السليمانية*، مخطوط خ. ع، 1275/د، الورقة 114 ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*، مخطوط، خ. ع، 339/د، ص 211 ؛ ابن الحاج، *الدر المنتخب*، ج 9، مخطوط، خ. ح، 12184/1875. ص 273. 275 ؛ والمخطوط عدد 1920، ص 46. 48 ؛ ع. ابن زيدان، *الاتحاف*، 3 : 157 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 : 10.

فاطمة الحراق

بوصفيحة، أحد روافد نهر مرتين، بنى فوقه باشا تطوان أحمد الحداد سنة 1853/1270 قنطرة لم يكن لها مثيل في شمال المغرب، وقد دخلت هذه القنطرة التاريخ عندما أبرمت الهدنة بين المغرب وإسبانيا على إثر حرب تطوان يوم فاتح رمضان 23/1276 مارس 1860 ووقع الاتفاق على أن تكون القنطرة المذكورة هي الحد الفاصل بين الجيشين المغربي والإسباني إلى أن يتم التوقيع على معاهدة الصلح النهائية.

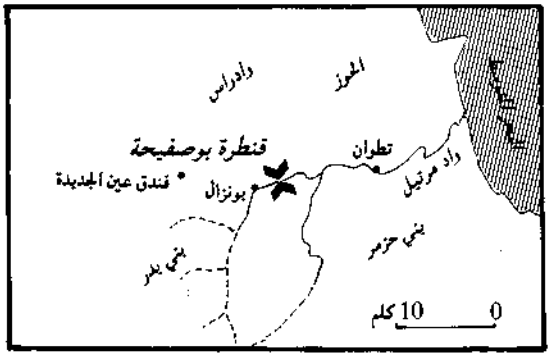

قنطرة بوصفيحة

والجدير بالذكر أن اتفاقية الهدنة المذكورة أبرمت بالمكان المعروف ببونزال الواقع قرب قنطرة بوصفيحة حيث التقى رئيس الجيش الإسباني الجنرال أودونيل Odonnell ورئيس القوات المغربية الأمير مولاي العباس بن عبدالرحمان تحت شجرة الزيتون المعروفة بزيتونة ابن سالم.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 175 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 339 ؛ 5 : 214. 253. 265. 270 ؛ ع. بنعبدالله، موسوعة، 11، 368. Comision histórica, *Geografía*, p. 484 ; *Campañas*, 2 : 687 - 696 - 703 - 712 - 872.

محمد ابن عزوز حكيم

بوصفيّة، مَحمد (الحاج ـ) الكبداني، بهذا يعرف في الوثائق المخزنية، واسمه مَحمد بن صفية، من فرقة أولاد

الحاج برأس كبدانة. قائد الحسن الأول فيما بين سنة 1889/1301 و1892/1310. ولاه في 16 شوال 1301 على أربع فرق من مجموع الفرق التسع، إثر مقتل القائد عمر هرفوف الكبداني. تشكلت قيادة بوصفية من الفرق التالية : أولاد الحاج، وأولاد داود، وبني قياطن، والزخانين. وقد نافسه في تلك التولية الفقيه محمد بن أحمد الكبداني، قائد الفرق الخمس الباقية.

تحددت أولى مهمات بوصفية بمراقبة تجارة التهريب الجارية بين قبائل المنطقة الشرقية ومركز الوجود الإسباني بجزر كبدانة (الشفارين)، لما كان يهرب إليها من الحبوب والأبقار وغيرها من بني بويحيي وأولاد ستوت وبني إزناسن وسهل تريفة. ومركز الحراسة كائن بمقدمة رأس كبدانة بالموضع المعروف بالرباط أو جنادة، وهو يشرف مباشرة على الجزر المذكورة. وحينما آخذ السلطان بوصفية على التقصير في العسة أجاب بأن كل جماعة من جماعات كبدانة لها هناك عساكر، ولن يلحق المسلمين ضرر من جانب مرسى جناده.

عاصر بوصفية الشطر الأول من حرب بني إزناسن لكبدانة التي بدأت سنة 1885/1303 ولم تتوقف إلا سنة 1902/1320. أشعل تلك الحرب ضدها الحاج محمد بن البشير أمسعود الإزناسني، حينما رفضت الدخول في حلفه الموجه ضد بني بوزگو. وانضاف إليه أعراب كرط بقيادة ميمون بن لهبيل، الأمر الذي دفع بوصفية إلى طلب المساعدة من السلطان والقوات المخزنية التي يقودها رؤساء المحلة، ومن قواد قبائل الريف.

شارك بوصفية في جميع الحركات المخزنية التي تم استدعاؤه إليها، خاصة بمناسبة جمع الواجبات المخزنية. ولهذه الغاية حضر إلى جانب مولاي عثمان، رئيس المحلة المخزنية المرابطة بقصبة سلوان عام 1819/1309. كما أن السلطان استدعاه إلى المساهمة في حركة ضد مهاية المغرب الشرقي، والتوجه إلى أوطاط الحاج برفقة بعض عمال الريف ومحمد الأمراني رئيس المحلة سنة 1892/1310. ولكن أهم الدعوات هي التي تلقاها بتاريخ 4 ربيع الثاني عام 15/1311 أكتوبر 1893 يأمره السلطان بالالتحاق بجنادة فرخانة (قصبة فرخانة)، الواقعة على حد مليلة المحتلة بجمعة سيدي ورياش، قصد المرابطة مع أخي السلطان مولاي عرفة هنالك، ومساعدته على فض النزاع القائم آنذاك بين قلعية وجنود مليلة. ذلك أن قبطان مليلة كان قد بدأ في بناء برج بجوار قبة سيدي ورياش، فتصدى له أهل تلك الحدود وهدموا ما بناه الإسبان مرتين متواليتين، ثم وقع الضرب بين الطرفين، مما أدى إلى سقوط عدد من القتلى والجرحى من الجانبين. كان هذا الحادث سبباً في انطلاق ما دعي بحرب سيدي ورياش التي سيتم الاتفاق في شأنها يوم 29 شعبان 24/1312 أبريل 1895.

بقي بوصفية مرابطاً بفرخانة إلى أن تحول مجرى المحادثات بين المغرب والإسبان حول مشكل بناء البرج المذكور إلى طنجة. ولا تسمح الوثائق المخزنية التي بين أيدينا لمعرفة استمرار بوصفية أبعد من ذي الحجة عام 1312/يونيه 1895. حينما تم إخباره بما تبقى بذمته من الواجبات المخزنية البالغ مقدارها آنذاك 12.611 ريال.

وثائق مخزنية خاصة ؛ وثائق خ. ح.

حسن الفكيكي

البوصيري، محمد بن سعيد الصنهاجي، يكنى بشرف الدين. ويرجع أصله إلى قبيلة صنهاجة، وبالضبط إلى بني "حيون" الذين هم من فروعها الذين قطنوا بالمغرب (*دائرة المعارف الإسلامية*، 4 : 329).

ويصرح البوصيري بأصله المغربي في شعره حيث يقول :

فقل لنا من ذا الأديب الذي ... زاد به حبي ورسواسي
إن كان مثلي مغربيا فما ... في صحبة الأجناس من باس

(*الديوان*، 174)

ولد يوم الثلاثاء فاتح شوال سنة 608 / 7 مارس 1212 ببهشيم من أعمال بهنسا بمصر في أسرة فقيرة. وأمه من دلاص وأبوه من بوصير. لذلك اشتهر بالبوصيري نسبة إلى مسقط رأس أبيه على أرجح الآراء.

بدأ بحفظ القرآن ثم انتقل إلى القاهرة حيث درس العلوم الدينية واللغوية والتاريخ الإسلامي.

عاش البوصيري في بلبيس وكان خطاطا ماهراً. حضر دروس أبي العباس المرسي، واشتهر بشغفه بالسنة النبوية وأثر ذلك في نزوعه الشعري، كما تلقى تربية دينية في صغره، وتكويناً روحياً في شبابه وكهولته على أيدي شيوخ التصوف في عصره، وعلى رأسهم كبار تلامذة الشيخ أبي الحسن الشاذلي المتوفى بالإسكندرية سنة 616 هـ إذ أخذ عن تلميذه أبي العبس المرسي، علوم الطريقة وتعاليم التصوف على النهج الشاذلي.

وقد اشتغل البوصيري في الدواوين فعانى من ذلك وقسا عليه أصحاب مهنته، وأكثروا عليه الوشايات والتهم، فأثرت هذه الجوانب في حياته كشاعر، ووصف احتيال الموظفين على الأبرياء، واختلاسهم لأموال المسلمين من طرق غير مشروعة، كما وصف ظلم القضاة وقلق الرؤساء.

كان مجتمع مصر في عهد الحكم الأيوبي وحكم المماليك الأتراك يعرف الثراء الفاحش عند بعض الفئات والفقر المدقع للغالبية العظمى من الناس، فخلفت تلك الوضعية متهالكين متزلفين وياسين متزهدين.

أما الشعر فقد ازدهر من زاوية فنية التعبير، ولعل ديوان البوصيري يدلنا على جانب من ذلك.

البوصيري الشاعر : لعل أهم ما وصل إلينا من البوصيري يتمثل في *ديوانه* المطبوع (طبعة 1، 1955، مصر، تح، م. سيد كيلاني).

يتألف المتن الشعري في الديوان من حوالي 3.300 بيتا موزعة على ستين قصيدة متباينة الأغراض والموضوعات.

ويمكن تقسيم أغراض شعر البوصيري إلى شعر المدح النبوي والتصوف والشعر الاجتماعي.

واشتهر من شعره في المدح النبوي قصيدته المعروفة بالبردة التي مطلعها :

أمن تذكُّر جيرانٍ بذي سلم مزجت دمعاً جرى من مقلةٍ بدمِ

وقصيدته الهمزية التي مطلعها :

كيف ترقى رقيك الأنبياءُ يا سماء ما طاولتها سماء

أما شعر التصوف عنده فمنتشر المعاني في قصائده المدحية وفي غيرها وهو يتسم بالاعتدال، يتحدث عن الشاذلي بقوله :

إن للإمام الشاذلي طريقة في الفضل واضحة لعين المهتدي

على اعتبار النبي منبع الشريعة والحقيقة.

أما شعره في النقد الاجتماعي فمن أبرز ما فيه وصف أحوال المستخدمين وفساد أخلاقهم حيث يقول مثلا :

فخذ أخبارهم منّي شفاها وأنظرني لأخبرك اليقينا

فقد عاشرتهم ولبثت فيهم مع التجريب من عمري سنينا

فهو قد خالطهم ووقف على حقيقة نفوسهم الخبيثة، يقول:

ثكلت طوائف المستخدمينا فلم أر فيهم رجلا أمينا

(*الديوان*، 218)

ويفضح أساليب اغتنائهم من طرق غير مشروعة فيقول :

وكلهم على مال الرعايا ومال رُعاتهم يتحايلونا

تحيلت القضاة فخان كل أمانته وسُرّة الأمينا

وكم جعل الفقيه العدلَ ظلماً وصيّر باطلاً حقاً مبينا

(*الديوان*، 220)

تلك هي الأغراض الكبرى في شعر البوصيري، وهي تصور نواحي تجربته في الحياة. فقد جاء شعره عاكساً لأوضاع مجتمعه بمختلف بنياته السياسية والاجتماعية المختلفة، كما كان عاكسا لنفسية الشاعر الذي تألم وقاسى وعانى فسُبكت أحاسيسه وانفعالاته شعراً رقيقاً فيه رصانة وقوة تذكرنا بالشعر العربي في عهد ازدهاره، وفيه نقمة على الأوضاع ونقد ذاتي واجتماعي ينم عن نزوع إسلامي إصلاحي تارة، وعن نزوع صوفي تارة أخرى. وهما نزوعان كانا في صميم تجربة البوصيري الشعرية كما كانا مكونين بارزين في شخصيته وثقافته.

هكذا عاش البوصيري في تلك البيئة الموبوءة وظل ساخطا على الناس والأوضاع إلى أن توفي في القاهرة سنة 695 وقيل سنة 694 والرأي الأول للسيوطي والثاني لحاجي خليفة، وذهب كل من المقريزي وابن شاكر إلى القول بوفاة البوصيري سنة 696، وقبره قريب من قبر الإمام الشافعي.

م. البوصيري، *ديوان شعر*، تح. م. سيد كيلاني، طبعة مصطفى البابي الحلبي ؛ سليمان البستاني، *دائرة المعارف* ؛ ابن شاكر الكتبي، *فوات الوفيات*، تح. إ. عباس، المجلد 3، ط 2، 1974.

E.I., Nlle éd. supplément, livraison 3 - 4, Leide, 1981.

محمد أديوان

بُوضَاضْ، علي الأخصاصي (صاحب الأصبع) وبويحلبان، من مدشر "إدغزال" من فخذة أيت بويفلن من قبيلة الأخصاص السوسية، قال عنه صاحب *رجالات العلم العربي في سوس* (ص 179)، "عالم سَنيُّ القدر له مشاركة، غير أن علمه الذي اشتهر به هو الفرائض. ووصفه بالمسكنة والتواضع، وبملازمة المشارطة في المساجد، والسياحة على رجليه".

وأضاف *المعسول* : "كانت له يد طولى في علم الفرائض والحساب، إليه يقصد في تلك النواحي من أراد أن يتعلم هذا العلم ويمهر فيه، لذلك قصده علي بن عبدالله الإلغي الأستاذ المعروف حوالي سنة 1300 هـ، كما استقدمه إلى مدرسة إلغ كمدرس، ونعته سيدي موسى بن الطيب الإلغي، بكون أخلاقه لطيفة، وإنه ساكن النامة خامل، منحاش إلى المسكنة"، أما الأستاذ عبدالله بن محمد علامة إلغ فكان يقول للأخصاصيين : "ليس فيكم إلا عالم واحد، هو سيدي علي بويحلبان".

م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي بسوس*، 179 ؛ *المعسول*، 8 : 134.

الحسين جهادي

بوضريات، (سيدي-) **محمد** بن محمد الغازي صاحب الضريح الشهير بالقرب من جامع مولاي سليمان بمدينة الرباط. تذكر المصادر التي ترجمت له، وهي قليلة جداً، أنه كان معاصراً للسلطان أحمد المنصور السعدي، دون أن تحدد تاريخا لا لولادته ولا لوفاته (*الاغتباط*، 1 : 98).

كان سيدي بوضريات هذا من الأولياء المجاذيب، (*الانبساط*، 17). وممن نوّه به وبكراماته الشيخ أبو بكر بناني، في *مدارج السلوك، لدى ذكر من جربت إجابة الدعاء عند مقامهم من أهل الجذب والسلوك* (*الاغتباط*، 98).

وما زال مقامه مقصودا للزيارة من سائر أصقاع المغرب، وخصوصا ممن سلب عقله أو أصيب بالاعتلال والاختلال (*الاغتباط*، 87).

م. بوجندار، *الاغتباط*، مخطوط ؛ م. ابن الموقت، *الانبساط بتلخيص الاغتباط*، طبعة مصر.

أحمد الوارث

بُوضَرِّبَة، أسرة تطوانية ومراكشية، أصلها من الجزائر كانت بتطوان إلى حدود سنة 1890/1307 حيث انقرضت ومازال أولاد بوضربة في مراكش حتى الآن.

بوضربة، أحمد بن محمد المراكشي، كان فقيهاً نزيهاً، وعالماً ربانياً، وواعظاً ناصحاً، درس بمراكش على جلة علمائها، والواردين عليها كالمهدي بن سودة الذي مدحه المترجم بقصيدة في بعض ختماته عام 1272 / 1055. وقد تولى أحمد بوضربة الخطابة بجامع الشرفاء بحي المواسين أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، كما أُسند إليه الوعظ به بعد صلاة الصبح. كان ذا صوت حسن جهوري، نفاعاً في دروسه، محبوباً عند الناس. وقد كان والده وأخوه الكبير محمد خطيبين أيضاً بنفس المسجد، كما

تولى خطابة هذا المسجد من بعده ابنه الفقيه المشارك السيد محمد بوضربة.

توفي أحمد بوضربة يوم الخميس 13 صفر الخير عام 1320 / 22 ماي 1902، واحتفل الناس بجنازته، وحضرها الخاص والعام، وأقبر بمقبرة باب أغمات.

ع. ابن إبراهيم، *الاعلام*، 2 : 455 ؛ م. ابن الموقت، *السعادة الأبدية*، ص. 51.

أحمد متفكر

بوضربة، مصطفى التطواني، كان يشتغل بالتجارة، حيا سنة 1842/1258.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 318 ـ 375 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بوطالب، أو أبو طالب، أسرة إدريسية فاسية شهيرة، يعرفون في كتب الأنساب بالشرفاء الطالبيين الجوطيين. سمّوا جوطيين نسبة إلى جدهم يحيى (الثاني) الجوطي حفيد إدريس الأزهر، الذي خرج من غمرة محنة الأدارسة من فاس إلى جوطة، وهي مدينة قديمة على الضفة الجنوبية لواد سبو في بلاد الخلط، اندثرت في حروب قيام الدولة المرينية، وقبر يحيى الجوطي معروف هناك. وسمّوا طالبيين لوجود أربعة من جدودهم يسمى كل واحد منهم أبا طالب، إذ جدّهم الأقرب الذي يجتمع فيه الطالبيون هو محمد بن محمد بن أبي طالب (الرابع) بن أحمد بن أبي طالب (الثالث) بن أحمد بن أبي طالب (الثاني) بن محمد بن أبي طالب (الأول) بن سليمان بن محمد بن قاسم ابن العباس بن محمد بن علي بن حَمُّود بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى الجوطي بن محمد بن يحيى بن القاسم بن إدريس الأزهر.

يتميز الطالبيون بكونهم يمثلون فرعاً واحداً متماسكاً من فروع الجوطيين السبعة، بينما ينقسم بَنُو عمهم العمرانيون إلى فرعين، والشبيهيون إلى أربعة فروع. وقد قال في حقهم إدريس الفضيلي في *الدرر البهية* (2 : 50) : "وأما الشرفاء الطالبيون فهم من أصرح الأشراف نسباً، وكبرائهم حسباً، وأعلاهم منصباً، وأكرمهم أماً وأباً، وهم من السراة المشهورين، والأفاضل المذكورين، بيتهم بين البيوت شهير، وقدرُهم عند الناس خطير".

كان الطالبيون سَدَنَةَ ضريح جدهم المولى إدريس الأزهر، ويسكنون لذلك دار القيطون، إلى أن أُجلي الأدارسة عن فاس، ثم كانوا بعد انتهاء المحنة أولَ مَنْ رجع من الأدارسة إلى فاس في بداية عهد دولة بني مرين، وتولوا شؤون الضريح الإدريسي بعد إظهار معالمه وسكنوا دار القيطون، إلى أن أخرجهم منها أبو الحسن المريني أو ولده أبو عنان بسعي من الفقيه ابن مرزوق التلمساني صهر العمرانيين، فانتقل الطالبيون لدرب السعود والصفّاح من عدوة الأندلس، وعُوضوا عن فتوحات الضريح الإدريسي بفتوحات ضريح سيدي علي بوغالب، واستمر ذلك إلى الآن.

كان عدد الطالبيين في مطلع القرن الحادي عشر (17م) أربعة عشر رجلا ما بين آباء وأبناء، حسبما أورده النسابة عبدالسلام بن الطيب القادري في *الدر السني فيمن بفاس من أهل النسب الحسني*، ولم يتغير هذا العدد في مطلع القرن الرابع عشر (20 م) حيث أكد الفضيلي في *الدرر البهية* (2 : 51) بقوله : "وأظنهم اليوم في زمننا هذا إنما يبلغ عدد ذكورهم هذا القدر ـ 14 ـ يزيد شيئاً أو ينقصه" وأورد تراجم الطالبين الذين عاصرهم، وهم جميعاً فضلاء أخيار.

م. العربي الفاسي، *مرآة*، 185 ؛ ع. الفاسي، *الأقنوم*، مخطوط ؛ م. الدلائي، *درة التيجان*، مخطوط ؛ ع. القادري، *الدر السني*، مطبوع على الحجر ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 12 ـ 53.

محمد حجي

بوطالب، عبدالحفيظ ابن الشهيد عبدالعزيز بن الحسن، شعلة من الذكاء ومثال في نبل الأخلاق وقدوة في الحزم والعزم بالرغم مما كان لزمه من نحافة الجسم من جراء ما أصيب به من مرض الربّو منذ نعومة أظفاره، تجلى نبوغه باكراً وتفوّق على الأقران في المدرسة الابتدائية والثانوية، مما جعله يحظى بانتباه ملك المغرب الراحل سيدي محمد بن يوسف، طيب الله ثراه، الذي أصدر الأمر بإلحاقه بالثانوية الملكية لدى تأسيسها سنة 1942 بالرباط، ليكون من رفاق ولي العهد آنذاك الأمير المولى الحسن في الدراسة، لكن مناخ العاصمة لم يناسب أحواله الصحية، فعاد إلى مسقط رأسه فاس، ومنها رحل، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، إلى باريس لإتمام دراسته الثانوية والشروع في الدراسة العليا، ولقد انكب، في آن واحد، على دراسة التاريخ حتى حصل على دبلوم الدراسات العليا ببحث قيم، لم يكتب له النشر إلى حد الآن، عن الأطماع الاستعمارية الإيبيرية في المغرب أثناء القرن السادس عشر الميلادي، كما انكب على دراسة العلوم القانونية حتى حصل فيها على الإجازة.

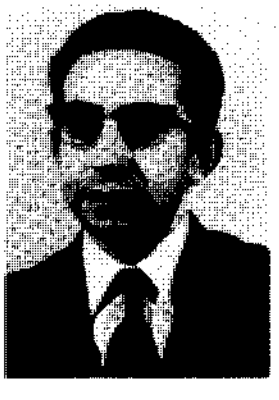

وهكذا لما بزغ فجر الاستقلال بالمغرب سنة 1956، كان عبد الحفيظ بوطالب من تلك النخبة المعدودة التي شقت طريقها إلى العلم والعرفان عبر الحواجز التي كانت سلطات

الحماية تضعها عمداً في طريقها، وكان مؤهلا ليدخل الجهاد الأكبر من بابيه، باب التعليم لنشر ما حصل لديه من المعلومات في شعب متعطش إليها، وباب الإدارة العمومية لحاجة الدولة المغربية إلى من يقوم بالوظائف التي كانت بيد الأجانب في ظرف وجيز، ولقد قام المرحوم بكلا الواجبين، كمدير لديوان الوزارة المكلفة بالمفاوضات مع الدولة الحامية، ثم كمدير للوظيفة العمومية من جهة، وكأستاذ للتاريخ بالمدرسة الوطنية للإدارة العمومية، وبالنواة الأولى لكلية الآداب من جهة ثانية، وامتد ذلك من سنة 1956 إلى طليعة الستينات، حيث عين مديراً للشؤون الإدارية بوزارة الداخلية، واشتغل بتلك المهام إلى أن عينه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نائباً لكاتب الدولة بنفس الوزارة سنة 1964، ثم وزيراً للشغل والشؤون الاجتماعية سنة 1965، ثم وزيرا للأشغال العمومية سنة 1967، ثم وزيراً للعدل سنة 1969، ثم وزيراً للشغل والشؤون الاجتماعية مرة ثانية سنة 1970. ولما كانت واقعة الصخيرات، استعفى من الوزارة فأعفي، ثم عين بعد حين مديراً لشركة الإسمنت لافارج الفرنسية ليسهر على مغربتها، فانكب على تلك المهمة بنفس ما كان معهوداً فيه من الجد والمثابرة، دون أن يمهله مرضه المزمن الذي ترتبت عليه سنة 1974 مضاعفات لم ينفع معها العلاج، فلبى داعي ربه يوم السبت 3 صفر عام 1395 / 15 فبراير سنة 1975، مأسوفاً عليه مذكوراً بخير لدى الجميع، تغمده الله برحمته.

بوطالب، عبدالعزيز بن الحسن بن الحفيد بن الغالي، سيدي الوالد، شهيد المغرب ومناضل من مؤسسي الحركة الوطنية بفاس أواخر العشرينات وأثناء الثلاثينات.

ولد بفاس سنة 11-1312 / 1894، وكان مقداما شهما وعمدة في الاستقامة وحب الوطن، يريد الخير ويسعى فيه للجميع، تفتحت قريحته واتسعت نظرته السياسية والثقافية باكراً، بعد أن كتب له أداء فريضة الحج وهو مازال في سن المراهقة، فرأى من أحوال المشرق العربي وأدرك من أحوال العالم الإسلامي إبان ثورة تركيا الفتاة ما جعله يعود إلي المغرب مقتنعا بضرورة التشمير عن سواعد الجد ونبذ الخمول ودخول العصر بلا إفراط ولا تفريط، وانكب يتعلم الفرنسية من تلقاء نفسه، كاتماً سرّ الأمر عن والده الذي ما أن علم بالخبر حتى امتحنه امتحاناً كاد أن يهلك منه، لأنه كان لا ينبغي لشاب مسلم ينتمي إلى السلالة النبوية الشريفة بالأحرى، أن يتعلم لغة أعداء الملة وأن يطالع ما يكتبون.

ولما وقعت الواقعة وفرضت الحماية على البلاد، ازداد الشهيد رحمه الله يقينا، بما كان يرى من وجوب النهوض والتفتح والنضال من أجل الانتصار يوما مّا على الخصم الاستعماري في نفس ميدانه، ولما صار يشتغل بالتجارة أخذ يسافر إلى الجزائر ثم إلى فرنسا، فوقف على أسباب التقدم هناك واستخلص منها أسباب الركود والخنوع لدينا، وأيقن أن أول الأسباب تقدم التعليم عندهم وانهياره لدينا، ونشاط روح الإبداع فيهم وانكسارها فينا، فتحول إلى ميدان الطباعة ورواج الكتب والمنشورات لأجل أن ينتعش بالمغرب حب المطالعة والاطلاع، فكان يستورد آخر ما يصدر بالمكتبة العربية ويعمل على توزيعها في الجمهور بالرغم من الصعوبات المادية والسياسية، وأبى إلا أن يطبع من ماله الخاص كتاب *فواصل الجمان في أخبار الوزراء وكتاب الزمان* لمحمد بن محمد غريط وقدم له بكلمة تنمُّ عن رغبة وهاجة في إحياء التراث وشغف بالتاريخ مثير، قال : "بادرنا لنشره خدمة لأدباء العصر، وعززنا به *قلائد العقيان وسلافة العصر*، وليعلم أن في زوايا المغرب خبايا، ستصيرها روح النهضة جلايا، بسعادة صاحب الإمامة العظمى والإمارة الكبرى سلطاننا الأفخم الأمجد، أبي عبدالله سيدي محمد". وكان إلى جانب ذلك يناضل ويدعو إلي الاستنفار الوطني وتجنيد الصفوف، فكان ممن زُجّ بهم في السجن في قضية الظهير البربري، واقتنع باكراً أن النضال الوطني إنما كان سبيلا للمعركة الحاسمة.

ثم إنه اجتاز مباراة لولوج سلك المدافعين لدى المحاكم الشرعية في طليعة الأربعينات وبات يعمل في المجال العدلي، مما زاده اطلاعا على تصرفات سلطات الحماية المشينة، فلما كانت بداية سنة 1944 وتقدم الحزبان الوطنيان، الاستقلالي والشورى، بعريضتيهما المطالبتين بجعل حد واضح للحماية، أمضى عريضة حزب الشورى والاستقلال، ولما أقدمت سلطات الحماية على إلقاء القبض على محرري العريضة الاستقلالية، دخل مسجد القرويين صبيحة يوم الاثنين 30 يناير 1944 لقراءة اللطيف مع الجماهير، ثم خرج معهم متظاهراً بالاحتجاج، لكن جيش الاحتلال كان قد أحاط بالمسجد من كل جهة وصار يرمي الناس بكل ما كان لديه من نيران البنادق والقذائف، فكان الشهيد عبدالعزيز بوطالب من أول من سقط مثخنا بالجراح بباب المسجد المقابل للشماعين، فنقل إلى مستشفى الشراردة واستحال علاجه بسبب رفض السلطات الفرنسية إمداد الأطباء باللازم من السولفاميد، فتوفي يوم الأربعاء 14 صفر عام 1363 / 9 فبراير 1944، رحمه الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جنانه.

وثائق عائلية.

بوطالب، عبدالمجيد، قائد من قواد السلطان سيدي محمد بن إسماعيل المدعو ولد عربية، سعى في مبايعته ونصرته إلى جانب عبدالرحمان الشامي الذي كان له اعتقاد في هذا الأمير، فمنّاه بالملك واستقدمه من تافيلالت إلى فاس حيث أسكنه بمنزله إلى أن تألب أهل فاس للمرة الثانية على المولى عبدالله، فأعلنت بيعة سيدي محمد بن عربية في جمادى الأولى أو الثانية (على اختلاف في الرواية) من سنة 1149 / شتنبر ـ أكتوبر 1736، ودخل أهل مكناس في هذه البيعة بعد حين إلى جانب قواد الجيش البخاري. وكان مما التزم به سيدي محمد بن عربية أن يلغي المكوس على الإطلاق، لكن بيت المال كان فارغاً فرأى السلطان أن يملأه باستخلاص الواجبات الشرعية كاملة غير ناقصة بعد حذف البراءات وأن يأخذها لجانبه من الجميع، سواء منهم الشريف أو المشروف، الخاصة أو العامة، فانقلب الناس عليه وفي طليعتهم "الشرفاء والعلماء والمرابطون والزوايا وغيرهم من أهل النسبة"، كما جاء في قول الضعيف الرباطي، ولما كان المترجم له، عبدالمجيد بوطالب قائد سيدي محمد بن عربية على فاس، فإنه قام بأدوار لم تغفر له بعد أن عمت الفتن "وأدبر من الخير ما كان مقبلا وأقبل من الشر ما كان مدبراً" كما قال الضعيف أيضا، وقام المولى المستضيء لبدلي بدلوه في ذلك الخضم ودخل مكناس فاتحاً، ففر منها سيدي محمد بن عربية وترك خلفه أنصاره وأعوانه، ومن جملتهم عبدالمجيد بوطالب فوقع في قبضة المولى المستضيء الذي امتحنه ليستوفي منه ما كان مظنونا بيده من الأموال فمات من ذلك عام 1148/36. 1737.

م. القادري، *نشر الثاني*، تح. محمد حجي وأحمد التوفيق ؛ ع. ابن زيدان، *الحاف*.

إبراهيم بوطالب

بوطالب، محمد بن عبد الرحمن الرباطي، ينتسب إلى الأدارسة، ولا ندري إن كانت له علاقة بالطالبيين الجوطيين بفاس. يقال إن أحد أجداده انتقل إلى الرباط قبل نحو قرنين. ولد محمد بوطالب بالرباط في 29 ربيع الثاني عام 1347 / 15 أكتوبر 1928، وحفظ القرآن الكريم على الأستاذ المحجوب المدور، ودرس اللغة العربية ومبادئ الدين على بعض علماء الرباط وفاس، ثم انخرط في سلك التعليم بعد أن تخرج من قسم المعلمين بالرباط.

كان نشيطاً أيام الحركة الوطنية، ودخل السجن على إثر حوادث 29 يناير 1944، وكتب عدة مقالات تربوية في جريدة العلم.

توفي بالرباط في أواخر عام 1412 / 1991.

ق. الودغاسي، *إلى رياض الخلود*، *جريدة العلم*، 23. 12. 1991.

بوطالب، محمد بن العربي، صوفي صالح أخذ عن الشيخ مولاي الطيب الوزاني بواسطة مقدمه في فاس قاسم ابن رحمون. "كان ـ بوطالب ـ ثقة متعففاً ورعاً زاهداً يترك كل ما فيه شبهة.... له مال من الماشية والفلاحة وأجنة غرسها بيده... كريماً جوادا كثير الصدقات" (*نشر*، 4 :221) وكان يفرق غلة أجنته الصيفية والخريفية على الضعفاء من أولاد الرماة الذين يحرسون مدينة فاس، ويتنبأ باختلال الأمن بعد وفاة المولى إسماعيل، فعدّ ذلك من مكاشفاته.

توفي في أواخر العشرة الرابعة بعد مائة وألف/حوالي 1725 م.

م. القادري، *نشر*، 4 : 221 ـ 224.

محمد حجي

بوطبول Botbol، أسرة يهودية عاشت في فاس، وظهر من بين أفرادها ربيّون كثيرون. أمثال :

بوطبول، سليمان ربّي (القرن 17)، والربّي داود (القرن 18) والربّي هارون (مستهل القرن 20). ومنهم :

بوطبول، موريس الذي كان موظفا سامياً في عهد الحماية الفرنسية خلال الفترة 1940 ـ 1950 حيث كان يقوم بمهام مفتش للمؤسسات اليهودية.

سيمون ليفي

بوطلير، جاكوبو اليخاندرو J. A. Butler، عمل نائباً لقنصل إسبانيا بمدينة الجديدة سنة 1861 إلى أن عُزل سنة 1866. وهو انجليزي الأصل تجنس بالجنسية الإسبانية، من مواليد تطوان وفيها نشأ منذ صغره. وفي سنة 1866 قام برحلة استكشافية إلى الجنوب فركب بحراً إلى الصويرة ومن ثم التحق بوادي نون واتصل بالشيخ الحبيب بن بيروك، غير أنه اعتقل من طرف الأشياخ المحليين ولم يفرج عنه إلا بعد أداء فدية مالية عنه من لدن إسبانيا ولو أنها تبرأت رسمياً من مغامراته.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 2 : 1001 ـ 1004.

J. L. Miège, *Documents d'histoire économique et sociale marocaine au XIX siècle*, 117 - 122.

مصطفى بوشعراء

البُوطي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم، ومعناه القنّينة، وما زالت هذه الأسرة بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 51 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzu Hakim, *Apellidos*.

بُوطيط ـ طائر ـ ← **بيبيط**

بُوطيُور، اسم أطلق على شخص أسطوري يقال إنه كان يتجول في قبائل شمال المغرب ويلقبها بأسماء الحيوانات أو أشياء أخرى تلفت نظره عند دخوله أرض القبيلة، وهناك من يزعم أن بُوطيُور كان من أهل هذه الناحية، يقول البعض إنه من قبيلة بني زروال في حين يؤكد آخرون أنه من الإسكندرية. وقد لقب ببُوطيور لأن أغلب الألقاب التي أطلقها على القبائل كانت من أسماء الطيور،

وهذا ما لا يتفق والواقع.

وفيما يلي نذكر الألقاب التي أطلقها بُوطيُور على قبائل غمارة وجبالة والهبط وبعض قبائل صنهاجة :

- الأخماس : القرد
- أنجرة : الثور
- أهل سريف : طيور الباز (الصقر)
- بني أحمد : عُقْرَبْشة (السرطان)
- بني بوزرة : قدرة القطران
- بني حزمر : طاكُوك (الوقواق)
- بني حسان : النملة الحمراء
- بني خالد : البرغوت
- بني رزين : المرْزية (المشوهة أو الفاسدة)
- بني زجل : بني منجل
- بني زكار : الدُّرب (الشبهم)
- بني زيات : البقرة
- بني گرفط : الگرانة (الضفدع)
- بني گرير : الحمارة
- بني ليت : الفَأر
- بني مصور : البلّيقة (الحسون)
- بني عروس : الخطّيفة (الخطاف)
- بني سلمان : الحمقة (الحمقاء)
- بني سميح : الحيّة
- بني سعيد : الباز
- بني يدر : القشور (الفلين)
- بني يسّف : الذّيب (الذئب)
- جبل حبيب : الحمامة
- الحوز : جداد الماء (دجاج الماء)
- الخلوط : السّلوگي (السلوقي)
- كثيوة : المهدية
- الغربية : بوفسّاس (الخنفساء)
- اغزاوة : سيوانة (الشاهين)
- الساحل : الفكرون (السلحفاة)
- سماتة : القملة
- واد راس : العودة (الحجل)

وأما المدينة الوحيدة التي لقبها بوطيور باسم طائر فهي القصر الكبير، لقبه ببلاّرج (اللقلاق).

A. Domenech, *Zona Norte*, p. 61 ; *Delegacion* ; *Vademecum*; E. M. El-Tabyi, *Retazos de historia marroqui*, p. 83.

محمد ابن عزوز حكيم

بوعادل، قرية تشكل جزءاً من صنهاجة الظل، الواقعة على الضفة اليمنى لوادي ورغة، التي تضم أيضا قريتي أولاد آزم وبني قرة. وهذه القرى الثلاث تكوّن حاليا جماعة بوعادل التي تبعد عن تاونات المركز بحوالي ثلاثين كيلومتراً. وتمثل صنهاجة الظل القسم الثاني مما كان يعرف سابقاً باسم صنهاجة مصباح أو لكي (نسبة إلى جبل لكي أحد جبال مقدمة الريف)، أما القسم الآخر فيعرف بصنهاجة الشمس، الذي يضم عدة قرى منها : عين مديونة وأولاد بوحسن، وتيزغوان وبني سلمان. وقد حصل التمييز بينهما على أساس ما يتوفران عليه من مياه متدفقه وبساتين : فالقسم الثاني، وخاصة قرية بوعادل، يتمتع بوفرة المياه وتنوع الأشجار وكثرتها مما جعل ظلاله وارفة.

ويبدو من خلال عقود المعاملات والروايات الشفوية أن لفظي صنهاجة الظل وصنهاجة الشمس لم يتم تداولهما إلا في عهد الحماية، بينما كانت تعرف المنطقة قبل ذلك بصنهاجة مصباح أو صنهاجة لكي أو لكي فقط مثلما ورد عند الحسن الوزان ومارمول كاربخال، حيث قدّما لمحا عن علاقة لكي بفاس، وبعض ما تنتجه من ثمار وغلات (*الوزان*، ص 261 ؛ *مارمول*، ص 253-254). ومازالت المنطقة غنية بالأشجار المثمرة (حوامض، تين، زيتون، رمان، برقوق، كرز، إجاص...)، بفعل تدفق المياه بكثرة من قرية بوعادل، وقد أعطى "المنبع" شهرة واسعة للبلدة، مما جعلها تستقبل أعداداً غفيرة من الزوار خلال فصل الصيف على وجه الخصوص.

وتضم قرية بوعادل حاليا خمسة مداشر، هي : الظاهر وأولاد ميمون واخراشة، وأولادعرفة ودارالمخزن التي عرفت بهذا الاسم باعتبار أن بعض أفرادها عملوا في السلك المخزني، ومن بينهم : القائد علي بن قدور أحد قواد السلطان مولاي الحسن الأول، ثم ولده القائد الطيب بن علي بن قدور وشقيقه محمد بن علي بن قدور المعروف بالقائد الهزهاز. وقد هاجر إلى القرية في فترات مختلفة عدد من الأسر لا سيما من شمال المغرب، ومنها أسرة التوزاني من بني توزين بالريف، والغماري من غمارة، والعلمي من جبل العلم، والجزنائي من جزناية، والدخيسي من دخيسة بنواحي مكناس... ويدّعي أولاد ميمون أنهم أول من استوطن بوعادل.

شارك البوعادليون في المعركة التي وقعت بعين مديونة بين قوات المهدي المنبهي وقوات الجيلالي الزرهوني "بوحمارة"، دعما لقوات المخزن، من أعلى جبل لكي، وسقط صريعا من جراء تلك المواجهة : أحمد بن محمد بن المكي الأزمي البوعادلي. وساهم البوعادليون في الانتصار الذي حققته صنهاجة بشطريها مدعومة ببعض الريفيين على القوات الفرنسية في معركة جبل لكي سنة 1334 / 1916 التي أسفرت عن بقاء المنطقة خارج النفوذ الفرنسي إلى سنة 1926، واستشهد خلال هذه المعركة خمسة بوعادليين، هم : احميدو بن أحمد بن علي، احميدو بن مَحمد بن علي العرفاوي، احميدو بن المقدم، احميدو بن عبدالسلام الميموني واحميدو بن مَحمد الشاغ. وبعد اندحار الفرنسيين دخل الريفيون البلدة، وعُين الشريف الورياغلي صديق الشاري لتولي شؤونها، غير أنه لم يحسن التصرف وارتكب من الأمور ما أغاظ السكان المحليين والزعيم محمد بن عبدالكريم الخطابي، فعزل وزج به في سجن تارگيست (*البوعياشي*، 374-376). وقد تجند عدد من

البوعادليين للعمل ضمن عسكر المجاهد الخطابي، ومنهم : عبدالعزيز بن التهامي ومحمد بن عميمر بن الحاج الكواش وعبدالقادر بن الفضيل وعلي بن بلقاسم استيتو ومحمد بن عمر المريني ومحمد بن محمد بن صالح المعروف باشويرح. وقد ألقي القبض على هؤلاء بعد استسلام محمد بن عبدالكريم الخطابي، وحكم عليهم في عين مديونة بنزع سلاحهم وأداء غرامة قدرها ستون ريالا.

لم يحظ أعلام البلدة باهتمام كتاب التراجم، باستثناء الفقيه محمد بن عبدالرحمان الصنهاجي الذي ترجم له العربي المشرفي بقوله : "ومن علماء القرى العلامة الدراكة الفهامة أبو عبدالله السيد محمد بن عبدالرحمان الصنهاجي بقرية بوعادل، وكان عالماً أديباً (...)، تولى القضاء بجبل صنهاجة وأحسن السيرة وأخلص السريرة" (ص 458 ـ 459). وقد عاصر الفقيه المذكور ـ المعروف محليا بالفقيه بن يعيش ـ فترة حكم السلطان سيدي محمد بن عبدالرحمان، وتولى خطة القضاء بالنيابة عن قاضي الجماعة بفاس على قبائل صنهاجة ورغيوة ومزيات حسب ما يظهر من رسم مؤرخ بسنة 1288 / 1871، وخلف في ذلك القاضي علي بن رهون البوعادلي. ومازال العديد من سكان البلدة يذكرون زهده وورعه وعدله، كما أن قبره الموجود قرب مسجد الغرارسة ببني قرة يستقطب الزوار خلال المناسبات الدينية.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ج 1 ؛ مارمول، *إفريقيا* ؛ ع. المشرفي، *نزهة الأبصار للذوي المعرفة والاستبصار*، مخطوط خ. ع، ك 579 ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف*، ج 2.

أحمد المكاوي

بُوعام، بهذا الاسم يعرف قصر هو الآن مندمج ومرتبط بمدينة الريصاني، وقد سكنه قديماً شرفاء أولاد مولاي محمد ابن علي الشريف، ومازال هذا القصر اليوم محتفظا بطابعه القديم.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، 401.

Répertoire des Tribus.

عبدالعزيز بوعصاب

بوعبدلي، إبراهيم، كان واحدا من أبرز قواد دير الأطلس الكبير المراكشي في العقدين الأولين من القرن الثاني عشر (18 م). ينتمي إلى عائلة عريقة. دفع الطموح السياسي برؤسائها إلى الخوض في الأحداث الكبرى التي شهدتها منطقة الجنوب وعاصمتها مراكش بصفة خاصة.

ويبدو أن المصدر الوحيد الذي يشتمل على بعض أخبار هذا القائد هو *رحلة الوافد*... لعبدالله بن إبراهيم التاسافتي. أما سبب حديثه عنه فراجع إلى كون الظروف جمعت القائد بوعبدلي وشيخ زاوية تاسافت، والد المؤلف، لأسباب مختلفة، لما كانا هاربين من قبضة باشا مراكش عبدالكريم بن منصور التكني، ولائذين بجبال وادي نفيس، فعاشا في وضعية متشابهة مدة تزيد عن ثلاث سنوات. فتداخلت وقائع رحلتيهما في *رحلة الوافد*.

القائد إبراهيم بوعبدلي (أو ابن بوعبدلي) الگدميوي التيزگيني، هو كما يدل عليه اسمه من مجموع إِيگْدْمِيوْنْ الذين تقع أراضيهم جنوب غرب مراكش ؛ وتِيزْگِين مجموعة من قراهم تقع في الدير إلى الغرب من أمزميز. وقد عد البيذق أيت تيزگين من گدميوة الفحص. وبوعبدلي هذا هو قائدهم في هذه الفترة التي نتحدث عنها. وهو كما وصفه مؤلف *الرحلة* : "فارس من فرسان أبطال گدميوة ومن أخيار كماتهم في الطعن والضرب، وجواده من أحرار الصافنات الجياد...".

كانت العلاقات بين القائد بوعبدلي وباشا مراكش عبدالكريم بن منصور غير ودية. ثم تحولت فيما بعد إلى عداوة مستحكمة، خصوصاً بعد أن استغل بوعبدلي فرصة غياب الباشا عن مراكش، واقتحم منزله الموجود في گوزمت بإيحَاحَان (حاحة)، هو وأصحابه وعاثوا فيه فساداً.

وبعد رجوع الباشا من مكناس إلى مراكش، هرب القائد بوعبدلي بأهله من بلده تيزگين إلى إينْ ـ مَاغُوسْ (ماغوسة) بأعلى بلادإِيگْدْمِيوْنْ واستجار بهم. وهناك حاصر بعض أصحاب الباشا ووقعت بينهم مناوشات دامت أيّاما حتى استغاثوا بالباشا. وأمر هذا الأخير القائد علي ابن إيدار بقصبة أمزميز بتحصين قصبته وشد الخناق على سكان الجبل والفقراء المنتمين إلى زاوية تاسافت.

انتقل القائد بوعبدلي إثر ذلك إلى وادي نفيس بعد أن كاتب بعض كبار البلد بمن فيهم شيخ زاوية تاسافت، ورحبوا به، كما ضمنوا له الأمان هو ومن معه. ولما علم الباشا بذلك، ازداد غيظه وبغضه للجبل وأهله، فأمر بتجديد الحصار عليهم من كل ناحية.

وفي الوقت نفسه أرسل الباشا خمسمائة مثقال فضة إلى أصدقاء بوعبدلي من أشياخ وادي نفيس لإغرائهم بغدره وقتله. لكنهم أخبروا بوعبدلي بذلك، وردوا للباشا مثاقيله.

وفي تلك الأثناء ذهب القائد بوعبدلي خفية إلى تارودانت، واستقبله بها خليفة السلطان عبدالمالك بن إسماعيل، غير أننا لا نعرف شيئاً عما دار بينهما. ولكننا نلاحظ أنه بعد هذه الزيارة، لم يرجع بوعبدلي إلى وادي نفيس، بل استقر ببلاد إِيداوْزْدَاغْ على الواجهة الجنوبية لجبل دْرَنْ، بعد أن أفلت من محاولة تستهدف إلقاء القبض عليه في سهل سوس، دبرها أحد أصدقائه بإيعاز من الباشا عبدالكريم بن منصور.

التحق به أهله في مستقره الجديد، وبقي يتنقل في بلاد إِيداوْمْساطُّوگْ بإِيداوْزْدَاغْ من مكان إلى آخر كلما حاول الباشا إرشاء من يقتله، إلى أن ورد عليه كتاب العفو من السلطان عام 1127 / 1715 بواسطة الشيخ واكريم الفروگي صديقه وواحد من أصهار السلطان.

وبعد ذلك بمدة ورد عليه رسل السلطان، وهم في هذه المرة من الأوداية أصهار القائد بوعبدلي، ومعهم كتاب العفو وإذن السلطان له بالالتحاق بمكناس. ولما اطلع الباشا

على الكتاب، أذن هو بدوره للقائد بوعبدلي بامتثال أمر السلطان ولكنه بعث في الوقت نفسه إلى أصحابه بحوز مراكش ومنهم القائد بَنْشتيّة الگدميوي، وأشياخ إينْ - زُوضْنْ (مزوضة)، يأمرهم بمراقبة أبواب الجبل، لإلقاء القبض على بوعبدلي والحيلولة دون انفلاته ووصوله إلى مكناس.

بعد إقامة الأُوداية بضعة أيام مع القائد بوعبدلي في مقر إقامته بأمْنْدارْ ببلاد إيداوْمْساطُّوگْ، ودعهم وأرسل معهم أهله واتجهوا نحو مراكش عن طريق وادي نفيس، في حين اتجه هو نحو زينيتْ بإيسْكْساوَان (سكساوة)، يحرسه نحو مائة رجل من إيداوْمْساطُّوگْ إلى أن أوصلوه إليها. وبقي هناك مع بعض منهم يترقب الفرصة للنزول إلى السهل دون السقوط في أيدي أصحاب الباشا.

لقد تمكن من ذلك فعلاً بعد أن أفلت بأعجوبة من الحراس، ووصل إلى أصدقائه الفروگيين، الذين أخفوه عندهم مدة، ثم ساعدوه على الوصول إلى مكناس.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن ما قام به الفروگيون بخصوص هذه المسألة، ما كان ليتم لو لم يكونوا مستقلين عن سلطة باشا مراكش. وهذا الاستقلال منحهم إياه السلطان لكونهم تربطهم به صلة المصاهرة كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

ولما علم الباشا بذلك خاف من مغبة ما سيخبر به القائد إبراهيم بوعبدلي السلطان بخصوص الأحداث التي عاشها أو تتبعها عن قرب أثناء حركة الباشا ضد جبال دَرْنْ وسوس. ولذلك كان لابد له من إيجاد مدافع عنه لدى السلطان حين قدومه إلى مكناس لدفع ما جمعه من أموال. ومن أجل ذلك "كان يرسل لصاحبه حاجب الملك القائد عبدالمالك المهري بالهدايا الخفية والحوائج المرضية، يتكلم بكلامه في بساط الملك وإيوانه وفي الدار العالية بالله".

والمهري هذا هو وأصحابه كانوا هم الذين دافعوا عن الباشا عبدالكريم بن منصور حين اتهمه بوعبدلي، أمام السلطان، بإخفاء جزء كبير مما جمعه من أموال الجنوب. وقالوا للسلطان : إن ما قاله بوعبدلي ضد الباشا "كان بسبب العداوة الكائنة بينهما". هذه العداوة لا أعتقد أنها ابتدأت بحادث هجوم بوعبدلي على دار الباشا بگوزْمْتْ كما سبقت الإشارة إلى ذلك. ويبدو أن هذا الحادث ليس، على العكس، إلا نتيجة لعداوة متأصلة بين الرجلين. أما سببها فيرجع حسب تقديرنا إلى وجود تنافس بينهما يعود إلى ما قبل تعيين عبدالكريم بن منصور باشا في مراكش، لأنهما تعارفا أثناء حملة زيدان بن إسماعيل على مراكش وتاروادنت ضد أخيه محمد العالم الثائر على أبيه.

فقد ذكر مؤلف *الرحلة* أن محمد العالم حينما هاجم حاحة ومراكش عام 1115 / 1703، قتل من بين من قتل القائد علي بن بوعبدلي بتيزْگينْ، وشرد عائلته، وكان إبراهيم بوعبدلي ممّن أفلت بالتجائه إلى جبال أوگدْمْتْ. ثم بعد ذلك التحق بمكناس وأقام بها شهرين، جهز السلطان إثرها جيشاً بقيادة ابنه زيدان ومعية القائد إبراهيم بوعبدلي.

وحين حديثه عن الباشا كتب مؤلف *الرحلة* ما يلي : "وهذا الباشا رجل أمّي لم يقرأ ولا تعلم شيئا من أمر الطلب، وإنما هو من أصحاب ابن الأمير المذكور مولاي زيدان بن إسماعيل وتربيته..."، وأضاف بأنه قبل الدخول في الخدمة المخزنية كان "حمّاراً يتجر في المغزل بوادي أغْبَارْ في أعلى وادي نفيس، يشتريه ويذهب به لمراكش يبيعه بها، مدة طويلة".

يبدو أن اختلاف الأصول العائلية لكل من القائد بوعبدلي والباشا عبدالكريم، ربما كان هو الذي جعل القائد بوعبدلي الذي ينتمي إلى عائلة من القواد متأصلة في قبيلتها إيگْدْميوْنْ العتيدة، يشعر بارتفاع شأنه، وبأحقيته في احتلال مكانة أكثر رفعة من التي يتبوأها الباشا بائع المغزل أو المغازل سابقاً. ومما يؤكد ذلك ما جرى له مع باشا مراكش الجديد، بعد موت منافسه عبدالكريم بن منصور، الذي يشاع أنه قتل مسموما على يد الباشا مْسَاهْل أثناء حركته الأخيرة إلى نواحي دمنات.

حينما عين السلطان الغازي بوحفرة اللمطي، أحد عبيد الرمل الملتزمين الوقوف بين يديه، على مراكش وسوس، طلب القائد إبراهيم بوعبدلي من السلطان أن يسمح له بمرافقته للرجوع إلى داره بإيگْدْميوْنْ، فأجاز له ذلك، وحين وصوله إلى مراكش "شيع البراوات من هناك لقبائل الدير سهلاً ووعراً (...) كل فريق يدعوه إليه للمجيء، وأنه هو رب البلاد. وأتاه القوم بهداياهم، فكل من بلغ لمراكش يقصده، ويُعرضون عن بساط الغازي وإيوانه إلا النادر".

كل هذا جعل الغازي بوحفرة يحنق على القائد بوعبدلي، واتفق مع أعداء هذا الأخير ومنهم القائد بنشتية الگدميوي على الفتك به، وأعد وليمة كبيرة استدعى إليها شيوخ الدير وأبناء بوعبدلي، واجتمع الجميع في الجنان الكبير بمراكش. وبعد الأكل ألقي القبض على بوعبدلي وعلى إخوانه وأصحابهم، ولم يفلت منهم إلا الشيخ حمّو بن عبدالقادر التيزگيني وهو من صناديد أصحابهم، تمكن من الهرب حينما أحس بالمكيدة، وتمكن من الوصول إلى الجبل على ظهر فرسه. أما القائد إبراهيم بوعبدلي ومن كان معه من الإخوان والأصحاب، فقد قُتلوا خنقاً حوالي عام 1131 / 1718.

وهكذا اختفت هذه الشخصية المليئة بالطموح، دون أن تتجاوز مستوى الموروث العائلي من السلطة والجاه، رغم أن الشخص كان يبدو من خلال سلوكه ذكياً وشجاعاً وسياسياً يعرف كيف ينسج شبكة من العلاقات الضرورية التي لابد منها للخوض في المستوى الذي كان يخوض فيه. وصفاته هاته تتضمن ملامح شخصيات بعض من جاء بعده من قواد أطلس مراكش وديره كالگنتافي والأگلاوي والمتوگي... ولو أن الظروف لم تساعده للوصول إلى ما وصلوا إليه من قوة

ونفوذ.

ع. بن إبراهيم التاسافتي، *رحلة الوافد* ... تح. علي صدقي (تحت الطبع).

صدقي علي أزايكو

البُوعبْدلي، عبدالعزيز بن محمد السكتاني المراكشي، قاضي الجماعة بمراكش ونواحيها على عهد السلطان سيدي محمد بن عبدالله (1171 ـ 1204 / 1757 ـ 1790). نعته الضعيف "بالفقيه" ومحمد بن القاسم المراكشي مؤلف *الحلل البهيجة* "بالعلامة الأديب" والشيخ المرتضى الزبيدي "بالشيخ الفاضل الفقيه"، وعرّف به صاحب *الإعلام* في موضوعين.

وبينما وسمه ابن المعطي "بالمختص في فن القضاء بمزيد التثبت والتحرير" فإن الزياني ومن نقلوا عنه أرجعوا سبب عزله من منصبه عام 1759/1173 إلى "سلوكه غير الجاد في "خطته" و"مخالفته المشهور في أحكامه". وقعت له مواجهة بهذا الشأن مع أحد علماء مجلس السلطان عبدالله بن إدريس المنجرة، فعُزل وسُجن على إثرها وحيزت ممتلكاته. ثم سرّحه سيدي محمد بن عبدالله لأداء فريضة الحج. وخلال رحلته هذه التقى بالشيخ مرتضى الزبيدي الذي أجازه إجازة عامة. وبعد رجوعه من الحج أعاده السلطان إلى قضاء مراكش لكنه أشرك معه قضاة آخرين، مثل عبدالعزيز بن حمزة.

حضر البوعبدلي فتح البريجة عام 1182 / 1768 إلى جانب السلطان وخطب به هناك خطبة عيد الفطر. وذكر الضعيف أنه لعب دوراً أساسياً في تمكين سيدي محمد من المرابط "كلخ" الذي أثار فتنة كبيرة بمراكش ونواحيها سنة 1771.

اختلف في تاريخ وفاة عبد العزيز البوعبدلي بين 1191 و1192 / 1777 و1778. وقد ترك عدة فتاوي نقل بعضها المهدي الوزاني في *المعيار الجديد*.

م. المراكشي، *الحلل البهيجة في فتح البريجة*، مخطوط خ. ح.6977، الورقة 13 ؛ أ. الزياني، *الروضة السليمانية*، مخطوط، خ. ع.1275/د، الورقة 19 ؛ *الترجمان المعرب*، تر. هوداس، باريس، 1886، ص 72 ـ 73 ؛ م. بن المعطي، *حديقة الأزهار*، مخطوط، خ. ع. 1287/ك ؛ م. الوزاني، *المعيار الجديد*، 10 : 15 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ص 175 ـ 179 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 444 ـ 449 ؛ ع. بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 3 : 159 ـ 337.

فاطمة الحراق

بوعبولة، أسرة مراكشية يبدو أنها أخذت هذه الكنية تشبيهاً لبعض رجالها بذلك الحيوان اللزج المعروف، على عادة عامة المراكشيين في النبز بالألقاب مع دقة الملاحظة. منهم :

بوعبولة، الهاشمي فقيه انتفع به الناس كثيراً، وحفظوا عنه أمور دينهم، وسيرة نبيهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

ولد بمراكش ودرس على شيوخها أمثال سعيد جيمي، ومحمد أزنيط، وعبدالقادر الدكالي، والطاهر بوحدّو المكناسي نزيل مراكش، والحسن المزميزي، والسيد ابن الفاضل وغيرهم.

امتاز بوعبولة عن أقرانه بذاكرة تستوعب كل ما تسمعه، وتحفظ الشيء لأول مرة. ولما تصدر للتدريس برزّ فيه لحسن إلقائه، وفصاحة لسانه، ومعرفته بصناعة التلقين، وجلب الأنظار إليه. إلى جانب عفته ونزاهته.

تولى الإمامة بضريح الإمام أبي العباس السبتي، والتدريس به وبجامعه الكبير *مختصر خليل*، *والهمزية*، *والبردة*، وكان يسرد الشفا للقاضي عياض في رمضان. وكانت حلقات دروسه يغشاها جمهور غفير من الأوساط الشعبية، لا سيما إذا كانت بالضريح العباسي. كما تولى الخطابة بضريح سيدي غانم ابن سعد السباعي.

توفي يوم الأحد ثاني جمادى الثانية عام 1325 / 14 يوليوز 1907.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 10 : 183 ؛ *روايات شفوية*.

أحمد متفكر

بوعبيد، أو ابن بوعبيد أسرة سلوية عريقة أنجبت كثيراً من التجار والحرفيين والبحارين والموظفين المخزنيين، واشتهرت أخيراً بنبوغ الوطني الكبير عبد الرحيم بوعبيد.

بوعبيد، بن **حدو**، مقاوم من مواليد سنة 1312 / 1895 بقبيلة بني خيران. كان من أوائل المشاركين في الحركة المسلحة ضمن منظمة "اليد السوداء" كما قام بأعمال بطولية أثناء معركة 20 غشت 1955 بوادي زم حيث جرح وأُلقي عليه القبض ونقل إلى سجن الدارالبيضاء ثم مراكش، وتعرض لعذاب شديد، ثم أفرج عنه لكنه توفي بعد مدة قصيرة من جراء التعذيب وذلك يوم الخميس 29 شوال عام 1375 / 10 ـ 5 ـ 1956.

وثائق المندوبية السامية للمقاومة.

عزالدين العلام

بوعبيد (سيدي ـ) شيخ تادلا ← **الشرقي**

إقامتهم ووضعية الأراضي التي أنزلهم فيها إلا بعد أن أصدر السلطان ظهيراً سنة 1845/1269 ينص على أن العطاء هو عطاء تمليك وليس إقطاع استغلال.

انتهى شغب أيت إمور وتنقلاتهم، وكذلك جهود السلاطين العلويين من أجل الحد من قوتهم، بتوطينهم بأجود الأراضي وتمليكهم إياها، ولم يعودوا ملزمين تجاه المخزن إلا بأداء الضرائب. أما مشاركتهم في الحركات والحروب فكانت باعتبارهم مساهمين لا باعتبارهم من الجيش الذي يعرف في الاصطلاح المخزني بالمسخرين أو الگيش. أما فيما يخص أيت إمور الذين ظلوا على ضفاف نهر سبو، فلا نعرف عنهم سوى مشاركتهم سنة 1860/1277 في حرب تطوان، إذ يقول الناصري (*الاستقصا*، 9 : 88)، إن من الذين قاتلوا بنية خالصة وأحسنوا الدفاع البعض من أيت إمور».

عرف أيت إمور باستقرارهم بالحوز نفس تنظيم قبائل «الگيش» دون أن يعودوا كذلك، وعندما حلت سلطات الحماية بالبلاد عرفت عملية الاستحواذ على الأرض طرقا معقدة وغريبة، وفي إطارها عُد أيت إمور من ضمن قبائل الجيش وحولت خدمتهم العسكرية إلى أداء مسخرات وضرائب خاصة تدفع إلى باشا مراكش.

أ. الزياني، *البستان الظريف*، مخطوط خ.ع. د 1577 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الضعيف* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* 7، 8، 9 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ *العز والصولة*.

De La Chapelle, *Un document sur la politique du Moulay Ismail* ; G. Drague, *Esquipe d'histoire religieuse du Maroc* ; J. Drouin, *Un cycle oral hagiographique* ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, t.I

عبد العزيز بوعصاب

أُمُوزيغ، أسرة يهودية كثيرة العدد عاشت أجيالا عديدة بمدينة فاس، وكان منهم فيها أحبارمشهورون، أمثال : أُموزيغ (القرن 17) شمْطوب، ابن أموزيغ (القرن 18) وهذا الأخير مؤلف لمجموعة مواعظ.

ابن **أُمُوزيغ، الياهو**، حبر ومؤلف وناشر، هاجر والداه المولودان بفاس إلى الصويرة، ثم إلى ليڤورن حيث ولد عام 1822. وتعاطي دراسة الفلسفة وعلم اللاهوت محاولا التوفيق بينهما. وعين أستاذا لعلم اللاهوت بالمدرسة الرّبية بليڤورن. وأسس في هذه المدينة داراً مهمة لنشر الكتب العبرية، أصبحت مشهورة في العالم اليهودي وألف الكتب الآتية : *إسرائيل والإنسانية*، وهي دراسة حول مشكل الدين العالمي وحله (باريس، 1914) *إمّتْ مَڤْجيا* «خشية المناقض»، وهو رد على انتقادات ليون دي موديانا ضد القبلانية، في مجلدين. (ليڤورن، 1858) *إمْرٱ مڤْرا* «أم الكتابات» وهو شرح أسفار موسى الخمسة، مع ملحوظات نقدية فقهية لغوية وعرقية حول عقائد وتاريخ وأحكام وعادات الشعوب القديمة نشرت مع النص تحت عنوان *طُرَة أدُونَايْ* «حكم الله» (ليڤورن وباريس، 1862-65). وله مؤلفات أخرى بالعبرية، وتاريخ باللغة الإيطالية : تاريخ السانيين (فلورانسا، 1865)، *الأخلاق اليهودية والأخلاق المسيحية*، دراسة مقارنة متبوعة ببعض التأملات حول مبادئ الإسلام (باريس،1867) *جريمة الحرب مفضوحة أمام الإنسانية* (باريس،1881) نال هذا الكتاب مكافأة رابطة السلم.

توفي الياهو أُموزيغ سنة 1900.

أ. لا ريدو، أسماء يهود المغرب، 332 ؛ الموسوعة اليهودية، ص 684.

سيمون ليفي

أمون ← سمك

الأمويون والمغرب، لم يكن من الممكن استراتيجيا وعسكريا، ومن حيث متطلبات العقيدة نفسها، فضلا عن المغريات الاقتصادية، أن يتوقف الفتح الأموي عند مصر دون امتداده غربا. وقد اقتضت السياسة الأموية المشرقية، أن تتريث جيوش الدولة في مسألة الانتشار العقيدي، على أن تضمن استقرار الدولة سياسيا واقتصاديا، وتترك للمجتمعات حرية اعتناق الإسلام ولو أنها (أي الجيوش) تمارس سياسة الشدة في البداية. والواقع أن الفتوح الأولى للمغرب الكبير بدأت فيما بين 22 و23 هـ حيث توغلت جيوش عمرو بن العاص في الأراضي الليبية. ثم كان الزحف الثاني أيام الخليفة عثمان على إفريقية، وكانت مواجهة البطريق جرجير المنشق عن هرقل، وذلك حول سبيطلة، وبعد هذه الأحداث نسمع عن نشاط عقبة عبر المناطق الداخلية من ليبيا ثم إفريقية.

وأول عملية لفتح المغرب الأقصى بدأت سنة 62 أيام الخليفة الأموي يزيد بن معاوية بجيش من خمسة آلاف من عرب مصر، أي الذين استوطنوها بعد الفتح. ويظهر أن الانطلاقة تمت من تاهرت باتجاه غمارة حيث أسلم عدد كثير من سكانها، وتعرف عقبة على يُلْيَان الغماري وهو قوطي كان يحكم سبتة باسم العرش القوطي، وبلغ عقبة مدينة نفيس على النهر المعروف باسمها، وفتح السوس وطرقلة (ترغلة ؟) أي تارودانت (فيما بعد). وواجهته مقاومة صنهاجة عبر الصحراء الغربية وموريتانيا. ومع أن سرايا عقبة بلغت سفوح الأطلس الكبير والمتوسط، فإن قلة الجيش لم تضمن إلا انتشارا محدودا للإسلام، ويؤكد ابن خلدون أن يلبان زود عقبة بمعلومات دقيقة عن السكان والمناطق، وأن هذه المعلومات دلته على عوراتهم كما قال.

ومما يستحق التأمل أن المقاومة المغربية في عمومها، لهذه الحملة، كانت ضعيفة، إلا ما كان من مصامدة الأطلس الذين نجا عقبة وجيشه منهم بمساعدة زناتة.

وبعد رجوع عقبة، وقع تدبير مؤامرة لاغتياله بمنطقة أوراس، وبمساهمة أوربة وعناصر بيزنطية، ومعلوم أن قسما كبيرا من أوربة كان يوجد بالأطلس الجزائري، ثم كانت حملة زهير بن قيس التي أدت إلى مصرع كسيلة وانسحاب معظم أوربة إلى وليلي وما جاورها حيث آزر أعقابهم

وقع تقديم وتأخير في فقرات صفحة 794 من الجزء الثالث من *المعلمة* فأعيد ترتيبها هنا.

وطبعت هذه الصفحة أيضا في ورقة مستقلة لتلصق فوق الصفحة المغلوطة.

تمّ طبع هذا الجزء من معلمة المغرب بمطابع سلا
في شهر رجب عام 1413 / دجنبر 1992

مطابع سلا
المجلس الصناعي لتابريكت
الهاتف: 78-87-02 سلا

Directeur de publication : **Mohamed Hajji**

Comité de rédaction : **Ahmed Toufiq**
Mohamed Hajji

Comités scientifiques :

Pour les sciences humaines

Mohamed BENCHERIFA, Faculté des Lettres, Rabat.
Mohamed ZNIBER, Faculté des Lettres, Rabat.
Salem YAFOUT, Faculté des Lettres, Rabat.
Mustapha NAIMI, Institut Universitaire Pour La Recherche Scientifique, Rabat.

Pour la géographie et les sciences de la nature

Abdellah LAOUINA, Faculté des Lettres, Rabat.
Dris EL-FASSI, Institut agronomique et vétérinaire Hassan II, Rabat.
Mustapha AYAD, Faculté des Lettres, Rabat.
Abdelmalek BENABID, Ecole Nationale Fôrestière, Salé.
Mohamed RAMDANI, Institut Scientifique, Rabat.

Tous droits réservés, y compris le droit de traduction ou de reproduction même partielles sous quelque forme que ce soit.

Imprimerie de Salé

Lot 14, Zone Industrielle de Tabriquet - B.P. 596 - Salé
Salé - MAROC (07) 887.02

Copyright © 1992
ISBN (Ensemble) 9981 - 03 - 000 - 7
ISBN (Tome V) 9981 - 03 - 005 - 8

Encyclopedie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

L'Imprimerie de Salé

1992 - 1413

Encyclopédie
du
Maroc